تذكرة أولي النهى والعرفان

بأيام الله الواحد الديان

وذكر حوادث الزمان

تأليف
فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن
"من علماء أهل القصيم"

الجزء الأول

مكتبة الرشد
ناشرون

ح مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./

إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. ـــ الرياض، ١٤٢٧هـ ٨ مج

٤٠٨ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٦١٩-٠١-٩٩٦٠ (ج ١)

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم أ- العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٢٧/٤٧٩٢

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٦-٦١٩-٠١-٩٩٦٠ (ج ١)

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م



مكتبة الرشد ـ ناشرون

المملكة العربية السعودية ـــ الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ـــ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ـــ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

★ الرياض: فرع طريق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ ـ فاكس: ٢٠٥٢٣٠١

★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ ـ فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦

★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ ـ فاكس: ٨٣٨٣٤٢٧

★ فرع جدة: ميدان الطائرة: هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ ـ فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤

★ فرع القصيم: بريدة ـ طريق المدينة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ ـ فاكس: ٣٢٤١٣٥٨

★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧

★ فرع الدمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ ـ فاكس: ٨٤١٨٤٧٣

★ فرع حائل: هاتف: ٥٣٢٢٢٤٦ ـ فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالخارج

★ القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ ـ موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣

★ بيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ ـ موبايل: ٠٣/٥٥٤٣٥٣ ـ فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد:

فهذه ترجمة المؤلف الشيخ إبراهيم بن عبيد رحمه الله.

ترجمة المؤلف

هو الشيخ الفرضي اللغوي المؤرخ الواعظ إبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن بن عبيد.

ولد في الخامس عشر من جمادى الآخرة لعام أربع وثلاثين بعد الثلاثمائة والألف (١٥/ ٦/ ١٣٣٤هـ) في مدينة بريدة بمنطقة القصيم ونشأ في بيئة محافظة وأسرة معروفة بالعلم والديانة.

فجده الشيخ عبد المحسن بن عبيد عرف بالديانة وحب أهل العلم والفضل، والصبر على خشونة العيش، وقد اتخذ أصحاباً من خيرة أهل زمانه للاستعانة بهم بعد الله على سلوك سبيل المؤمنين، وفقد بصره في آخر عمره ، وقد خلف ابنين هما عبيد ومحمد وبنتاً واحدة ، توفي رحمه الله سنة خمس بعد الثلاثمائة والألف للهجرة (١٣٠٥هـ).

أما والده فهو الشيخ الفاضل عبيد بن عبد المحسن من أكابر أعيان بريدة في زمنه ومن تجارها، كان محباً للعلم وأهله باذلاً ماله في خدمة الفقراء والمحتاجين، عرف بالنسك والسخاء. ولد سنة سبع وستين بعد المائتين والألف للهجرة (١٢٦٧هـ) في زمنٍ كثرت فيه الحروب والمحن والمخاوف، تأخر زواجه فلم يتزوج حتى بلغ أربعين سنة بعد أن شهد وقعة المليداء، وكان جيد الخط كاتباً لأمير بريدة حسن بن مهنا، عارفاً بخرص الثمار، فيذهب مع خارص الأمير حسن بن مهنا لخرص الثمار وكان رفيقه في جودة الخط الكاتب محمد بن

عبدان، ولم يكن في زمانهما أحسن منهما خطاً، وقد بسط الله عليه الرزق في النصف الأخير من عمره، فكان يتمنى أن لو كان ذلك في حياة والده ليواسيه ويوسع عليه، وكان يأكل من كسب يده وعنده ثروة عظيمة، ويبذل الأموال في سبيل الخير والإحسان وصلة الأقارب، وله مقامات في الإحسان.

ولما كانت سنة الجوع كان إذا خرج من بيته إلى السوق يحمل على رأسه أوعية التمر (الزبلان) فيها التمر والدقيق ويوزعه على من مرَّ به من الواقعين على ظهر الأرض من الجوع، وذلك سنة ١٣٢٧هـ، وله مقامات ومبشرات كثيرة بأنه من أهل الجنة بسبب شكره لنعم الله وإنفاقها في سبيل الخير. وكان محافظاً على الصف الأول في الصلاة ولم تفته تكبيرة الإحرام عشرين سنة، وله عادات مستحسنة ، فكان يفطر الصوام في شهر رمضان، ويرسل بالطعام إلى المعتكفين في العشر الأواخر منه ، ويكثر من ذبح الأضاحي، وكان مكرماً لأولاده وأحسن تربيتهم وقدمهم لتعلم القرآن والسنة، وإذا رأى منهم مجتهداً فرَّغ باله وتكفّل له بطلب معيشته وجعله يشتغل بالعلم، وله معرفة بشراء الكتب ومطالعتها ويقدّم كثيراً منها لأبنائه، وكان مولعا بتلاوة القرآن ويحب الشعر والحكمة.

كانت وفاته، رحمه الله، في آخر رمضان سنة ١٣٥١هـ وله من العمر أربع وثمانون سنة، وعمر المؤلف حين وفاة والده سبعة عشر عاماً، وعدد أولاد عبيد اثنا عشر، سبعة من الذكور وهم: عبد العزيز فلما توفي صغيراً ولد ابن له آخر فسماه أيضا عبد العزيز وتوفي كذلك صغيراً، وعبد الرحمن ومات في حياة والده سنة ١٣٣٧هـ ، وعبد المحسن وتوفي بعد والده بثلاث عشرة سنة في سنة ١٣٦٤هـ، وفهد وتوفي سنة ١٤٢٢هـ، وإبراهيم وهو المؤلف، ومحمد ولا يزال حياً وعلى ذكر حسن وإقبال على العبادة وزهادة في الدنيا مع كثرة

اطلاعه على كتب السلف وخاصة شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم وكتب أئمة الدعوة النجدية، ولم يتزوج محمد وعمره الآن يزيد على الثمانين أطال الله عمره على طاعته وختم بالصالحات عمله.

وولد لعبيد أيضاً خمس بنات ماتت واحدة في حياته وبقيت أربع إلى بعد وفاته، وذريته مباركة صالحة بحمد الله وتوفيقه.

نشأ المؤلف في هذه الأسرة ونهل من منهلها ولـمّا بلغ السادسة من عمره، التمس أهله فيه النجابة فقدّمه والده إلى الشيخ المربي صالح بن محمد الصقعبي، رحمه الله، وكان الشيخ صالح قد تفرّغ لتربية وتعليم الصبيان حتى إنه أنشأ مدرسة أهلية يتعلم فيها الطالب مبادئ العلوم والقراءة والكتابة والحساب، وبلغ عدد الطلاب في إحدى السنين في هذه المدرسة أربعمائة طالب يدرسهم الشيخ صالح والبارزون من طلابه.

وتستمر الدراسة في المدرسة ست ساعات يومياً، ولذا تميّز من درس في هذه المدرسة عن غيره ومن التمس فيه الشيخ نجابة وحرصاً فإنه يخصّه بكثير من الوقت والفائدة، فيحفظ الطالب المجدّ عنده القرآن، ثم ينتقل إلى المشايخ الذين يدرّسون في المساجد. وكان المؤلف، رحمه الله، من هؤلاء المجدّين، فحفظ القرآن ولم يجاوز الثانية عشرة من عمره وأتقن حفظه بالتجويد. وكان الشيخ صالح، رحمه الله، يحفظ في منظومات التجويد، ولقد جعل الله القبول والمحبة لهذا الشيخ فأحبه أهل بريدة وأجلّوه لما كان له من جهد في تربية وتعليم أبنائهم.

قال الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾، وتوفي الشيخ صالح سنة (١٣٥٨هـ)، وانتقل المترجم له من مدرسة

الشيخ صالح إلى حيث دروس الشيخ العلامة عبد العزيز بن إبـراهيم العبـادي ولد سنة (١٣١٤هـ)وتوفي سـنة(١٣٥٨هـ) رحمـه الله فـدرس عليـه في شـتى العلوم وأخذ عنه في التجويد، وكان الشيخ العبادي، رحمه الله، يحفظ عدداً مـن المنظومات في علم التجويد، فكان يحفظ الجزرية والتحفة، فحفظ المترجم عليـه شيئاً من منظومات هذا العلم واستفاد من شيخه العبادي في هذا العلم.

ولقد قرأ أحد أحفاده القرآن عليه، رحمه الله، كعادته في مجالسه فوقع أن أخفى الميم في الفاء، فرد عليه ونبهه على هذا الخطأ وبين أحكام الميم السـاكنة، واستشهد بقول الجزري في التحفه:

(واحذر لدى واو وفاء أن تختفي   لقـربها ولاتـحاد فاعرف)

وتأمل اهتمام الشيخ العبادي رحمه الله بعلم التجويد مع مـا كـان عليـه من ثقل في لسانه، رحمه الله، ولم يمنعه ذلك فقد كانت همته عاليه .

وأخذ المترجم عن العبادي في الحـديث والفقـه والتوحيـد والفـرائض، وقد استفاد منه كثيراً في الفرائض، وقد كان العبادي متميزاً في الفرائض، ولـذا قال الشيخ عبد المحسن العبيد في رثائه له:

لقد كان في علم الفرائض آية   فسبحان من قد خصه بالمواهب

يفكـك تركيـباتها و حسابها   له نظـر في فـقـهـها والغـرائـب

إذا خاض في أبوابها وعلومها   وأحكامها يومـا أتى بالعجـائب

وقال فيه الشيخ إبراهيم العبيد:

كما فاق في علم الفرائض غيره، وفي النحو والقرآن قد جاء بالعجائب.

وعرف عن العبادي أنه يسهب في إيضاح المسائل وقرأ عليه في المطولات كـ (أعلام الموقعين عن رب العالمين) و(المغني) و(الشرح الكبير) و(شرح المنتهى) و(المقنع) و(الصحاح والسنن والمسانيد).

وقرأ عليه (مدارج السالكين) وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومع أخذه عن العبادي، رحمه الله، في هذه العلوم، فقد كان ملازماً لشيخه الشيخ عمر بن سليم، رحمه الله، الذي انتهى إليه قضاء القصيم في زمنه وسارت إليه الركبان وجثت حوله الركب، وقد كان بحق مدرسةً، بل جامعة متنقلة حوى من العلوم أنواعها، فلزم المترجم الشيخ عمر بن سليم، رحمه الله، ملازمة شديدة، وأخذ في شتى العلوم، وأكثر من الأخذ عنه، خاصة في الفرائض، فهو شيخه ومعلمه في الفرائض.

وكان الشيخ عمر يخصه بمزيد عناية لما رأى منه نبوغاً في الفرائض، ولقد حدث أنه كان وأقرانه عند الشيخ عمر يدرسون الفرائض، فكان الشيخ عمر على هيبته شديداً في تعليمهم الفرائض، فأخبر أنهم كانوا يبكون عند الشيخ عمر لأنه كان يعنف من لا يجيب، فشكوا ذلك إلى الشيخ العبادي وطلبوا منه أن يكلم الشيخ عمر فيرفق بهم في تدريس الفرائض، فذهب إليه العبادي وكلمه وقال رحمه الله: (فلم يزده ذلك إلا شدة في التعليم رحمه الله).

وكان المترجم في جلساته يثني كثيراً على الشيخ عمر بن سليم رحمه الله ويجلّه، ويذكر أنه ما مرّ على القصيم رجل بمثابة الشيخ عمر بن سليم، ولذا ترجم له في تاريخه بترجمة حافلة في أحداث ١٣٦٢هـ، ورثاه بقصيدة طويلة عدّد فيها مآثر شيخه الشيخ عمر رحمه الله .

كما استفاد المترجم أيضاً من الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم ولم يدرك كثيراً من مجالسه فكان جلّ أخذه عن الشيخين العبادي وعمر بن سليم.

وجلس المترجم للتدريس في المساجد وهو في الثانية والعشرين من عمره، وذلك بإلحاح من قبل مشايخه سنة ١٣٥٦هـ.

واستمر في طلب العلم مع جلوسه للتدريس واشتغاله بتأليف الكتب، فلقد ألَّف كتابه (عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان) وعمره خمس وعشرون سنة، وانتهى من تأليفه في سنة ١٣٥٩هـ .

وأقبل على دروسه الكثير من طلبة العلم وأخذوا عنه في القرآن والتجويد واللغة والتوحيد والفقه وبخاصة الفرائض.

ومن أشهر من أخذ عنه الشيخ الفاضل صالح بن إبراهيم البليهي رحمه الله، ولد سنة ١٣٣١هـ وتوفي في ٣/ ٥/ ١٤١٠هـ، وكان أكبر سناً من شيخه فأخذ عنه، وكانت لهما رحلات إرشادية إلى بعض المدن والقرى، ومن أبرز مؤلفات الشيخ صالح البليهي كتاب (السلسبيل في معرفة الدليل) حاشية على زاد المستقنع.

ومن طلاب الشيخ المترجم الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، حفظه الله، عضو هيئة كبار العلماء في المملكة.

ومن طلابه أيضاً محمد بن عودة، الرئيس العام لتعليم البنات سابقاً.

ومنهم الشيخ عبد الرحمن الحميد، والشيخ علي بن راشد الرقيبة، والشيخ الزاهد عبد الله الحسين، والشيخ علي السكاكر رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقاً، والشيخ صالح بن عبد الرحمن القرعاوي استمر بالقضاء في عدد من المدن وانتهى به المطاف إلى أن أصبح قاضياً في هيئة

التمييز بمكة المكرمة، وتوفي رحمه الله في ٢٨رمضان ١٤٢٥هـ، والشيخ الفاضل علي الربيش رئيس المحكمة الجزائية ببريدة، والشيخ الفاضل الواعظ عبد العزيز العقل، والشيخ عبد الله بن محمد الزعاق توفي عام ١٤١٠هـ رحمه الله، والشيخ الزاهد محمد المرشد رحمه الله، والدكتور علي العجلان مدير عام فرع وزارة الشؤون الإسلامية في منطقة القصيم، والأستاذ سليمان التويجري. وغيرهم كثير من مشايخ وقضاة رحم الله الأموات منهم وحفظ الأحياء وبارك فيهم.

وقد امتدحه الشيخ الأديب محمد بن عبد العزيز الهليل فقال:

هو الشهم إبراهيم ذو النبل والإخا   أبـوه عـبيـد العـابـد المتـبصـر
عبيد بن عبد المحسن العابـد الذي   محاسنه في الناس تروى وتـذكر
جــزا اللـه إبراهيــم خيـراً فـإنــه   لذو العلم والتوفيق والله أقدر
فـفـقه وتاريخ مع الوعظ و الرثـا   عـلـوم وآداب تصان وتنشر

أما عن صفته، فقد كان رحمه الله أبيض اللون طويلاً، عـريض مـا بـين المنكبين، وله هيبة ووقار، وترى عليه سمة العالم، ولقد حدثني أحد كبار السـن قال: كنا ونحن صغار نرى الأرض ترتج إذا مشى في السوق أحد هؤلاء الثلاثة – عمر بن سليم، وفهد العبيد، وإبـراهيم العبيـد – علـى أن المتحـدث لم يكـن بعيد السن عن المترجم رحمه الله .

وأحدثت هيبة شخصيته، فقد كان يـأمر بـالمعروف وينهـى عـن المنكـر وربما طالب بتأديب المعتدي ويقف على تأديبه بنفسه، وله احترام وتقدير لدى المسؤولين من ولاة الأمر.

وشارك أهالي بريدة قديماً في تطوير مدينتهم وتوفير الخدمات، فكان الأهالي قديما يراجعونه في هذه الأمور فيرفع إلى ولاة الأمر مباشرة بل ربما ذهب بنفسه إلى ولي الأمر وقابله في ذلك.

وأخبرناه مرة أنه بُدئ العمل في امتداد شارع المياه جنوباً، فقال: نعم أنا كتبت بطلب هذا الشارع برغبة الأهالي ورفعت الطلب إلى الملك فيصل، رحمه الله، وجاء بعدها بريد بالشكر والإفادة أنه سيتم ذلك، إن شاء الله، بعدما يتم اعتماد شارع الشاحنات ببريدة.

وكان أريحياً اجتماعياً لمن يجلس معه بأدب، فلقد حدثني أحد طلابه قال: كان الشيخ يأخذنا نحن الطلاب إلى رحلة برية ترغيباً لنا في العلم وكان يمازحنا بل ويجعلنا نلعب أمامه لعبة المطارحة، فكان يشاهدنا ويضحك لذلك.

قال تلميذه الأستاذ سليمان التويجري وكان من صفاته التي يعتز بها كل تلميذ جثم على ركبتيه أمامه متعلماً دماثة في الخلق ومتواضعاً في الأخلاق وإخلاصاً في إيصال المعلومات إلى أذن تلاميذه.

ومن الجدير بالذكر أن المؤلف، حفظه الله وأكثر من أمثاله، رجل اجتماعي بطبعة يحب الاختلاط والامتزاج بمشايخه وتلاميذه، وكانت النكتة لا تغادر مجلسه الأمر الذي يدعو جلساءه إلى الرغبة الأكيدة في الاجتماع والائتناس به، وكان قارضاً للشعر وله ديوان في الشعر، والمذكور يملك حاسة رقيقة شفافة تدعوه في كثير من الأحيان إلى إبداع غرر القصائد التي يرثي بها مشايخه وتلاميذه أهـ.

وكان يجيب دعوة الزواج ويحرص عليها على كثرتها ويحث أبناءه على الحضور، فإذا حضر وسلم على الحضور أمر أحد أولاده بأن يقرأ آيات من

القرآن، ثم يشرع هو في تفسيرها والتعليق عليها ولا يطيل لمناسبة الدعوة. ويلبي دعوة من دعاه ولو كان بعيد البلـد، ويـذكر أحـد أبنائـه قـال: ذهبـت معـه إلى إحدى القرى وقد أجاب دعوة، وتبعد تلك القرية عن بريدة قريباً من ثلاثمائـة كيلومتر، فحضر الدعوة ووعظ في المسجد والبيت ثم رجع في يومه.

وكان يحب الجلوس والاجتماع بأولاده وأحفاده وأصهاره ويقيم لذلك وليمة، ولا يمر أسبوع إلا وقد جمع الأسرة، فإذا اجتمعوا أخذ بالحديث ربما عن التاريخ وأخبار الأمم أو عن أخبار علماء القصيم وأئمة الدعوة النجدية، أو طلب من أحد أبنائه أن يقرأ شيئاً من القرآن، فكان ينصت للقراءة ويثني على القارئ ويفسر الآيات ويطرح أسئلة في إعراب الآيات على الحضور، وكان يطرح عليهم كثيراً من المسائل الفرضية، وربما أحضر معه كتاباً وطلب من أحد أبنائه أن يقرأ عليهم ويحب دواوين الشعر. ولم يكن يملّ من ذلك.

وقبل وفاته بشهر قُرئ عليه الميمية لابن القيم وذلك قبل الحج بأيام، وكان يحبها، فأثنى على ابن القيم كثيراً وعلى القصيدة، وحيث كان في جلسة أسرية فقد طلب من بعض النساء الحضور لسماع القصيدة والتعليق عليها، فشرع يشرح القصيدة ويتلذذ بها. حتى خنقته العبرة فجعل يخفيها رحمه الله.

قال أحد أحفاده: ولما رجعنا من الحج تلك السنة وقدمت للسلام عليه قدم إليّ ديوانه البستان وهو مخطوط، وطلب مني أن أقرأ علية قصيدة الصرصري في قصة يوسف وإخوته عليهم السلام، وفي الليلة التي أصيب فيها بالمرض كنا في وليمة أسرية فطلب أن نحضر كتاباً لنقرأ فيه فاخترت له كتاب الشوقيات لأحمد شوقي، فأخذه وجعل يثني على شعر أحمد شوقي ويذكر ما بينه وبين حافظ إبراهيم، ثم بحث عن قصيدة.

وأصيب رحمه الله بالمرض في تلك الليلة، ولما رجع من جدة وقد كان ذهب إليها للعلاج، اجتمعنا حوله للسلام عليه، فطلب مني أن أقرأ آيات من القرآن، فقرأت عليه سورة النجم كاملة، وكان قد ضعف بصره ويعاني من الألم، فلما بلغت قوله تعالى: ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ جعل يتأمل كلام ابن تيميه رحمه الله حينما قال:

أنا المكدي وابن المكدي   وهكذا كان أبي وجدي

فترحم عليه.

وهكذا كانت مجالسه عامرة بالعلم حتى إنه كان يطرح المسائل العلمية على بناته وحفيداته رحمه الله.

وكان من شأنه أيام الطلب أنه يقضي أوقاتاً كثيرة في طلب العلم تزيد على ست عشرة ساعة يومياً ما بين قراءة وتأليف، وكان يكره أن يشغله أحد عن القراءة والكتابة، واختار الاشتغال بالتعليم عن الوظائف الأخرى، فلقد عرض عليه القضاء مرات فاعتذر حباً للسلامة وإيثاراً للعافية، عرض عليه القضاء في إحدى نواحي القصيم وفي عسير وفي الجوف وفي تيماء، فاعتذر، وألحَّ عليه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أن يتولى قضاء تيماء فطلب منه الإعفاء حتى بكى أمام الشيخ فعذره الشيخ لذلك.

التحق بالتعليم النظامي عندما أسست أول مدرسة في بريدة سنة ١٣٥٦هـ، واستمر يدرس فيها حتى تقاعد رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٦هـ.

وطلب منه أن يفتح درساً في الفرائض وأخبر برغبة طلاب العلم بذلك فقال إنه منشغل بالتأليف وأنه جلس ما فيه البركة، وأخبر أنه جلس أربعين سنة يدرس فيها بالمساجد وهكذا وأكثر منه في إمامة المسجد.

قال الدكتور عبد الله بن محمد الرميان: تولى الشيخ إبراهيم العبيد إمامة مسجد ماضي سنة ١٣٦٢هـ بعد وفاة إمامه سليمان الحميد واستمر في إمامته حتى سنة١٣٦٦هـ، فتكون إمامته في هذا المسجد خمس سنوات، انتقل بعد ذلك إلى مسجد ابن خضير الجنوبي، ثم انتقل إلى مسجد مجاور لسكنه، واستمر في إمامته إلى وفاته رحمه الله سنة ١٤٢٥هـ، فتكون مدة إمامته قريباً من ثلاث وستين سنة.

وكان بقاؤه في مسجد ابن خضير إلى سنة ١٣٩٩هـ، وفي مسجد السويلم إلى سنة ١٤٠٣هـ، ثم في مسجده من عام ١٤٠٣هـ، إلى وفاته رحمه الله.

وكان له جلد في نسخ الكتب بيده، ونسخ عدداً من الكتب قبل وجود الطباعة الحديثة مثل (حادي الأرواح) لابن القيم، و(فتح المجيد) للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

وقصائده كثيرة ومؤلفاته التي بلغت أكثر من ٥٢٣٧ صفحة.

أما عن شعره فلقد أنشأ عدداً من القصائد في فنون متنوعة كالوصف والنصيحة والمدح والرثاء والإخوانيات وغيرها في أكثر من ست وعشرين قصيد بما مجموع أبياتها: ٨٧١ بيتاً، وهذا ما ذكره في كتابه التذكرة وله قصائد غيرها.

وبذا عدّه الأدباء والمؤلفون في شعراء المنطقة. قال الدكتور إبراهيم المطوع وهو يتحدث عن كتاب على تذكرة أولى النهي والعرفان، ولكون المؤلف شاعراً، فقد احتوى الكتاب على مادة شعرية وفيرة للمؤلف نفسه ولشعراء من المنطقة ومن خارجها كـ: ابن سحمان وابن مشرف وحسن بن

نفيسه فيحرص المؤلف على أن يتبع كل حادثة أو مناسبة أو موقعة مما قيل فيها أو حولها من قصائد شعرية تصل أحياناً إلى سبعه وسبعين بيتاً، كقصيده للشاعر صالح بن عبد العزيز العثيمين، فرثاء الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وقصيدة المؤلف البالغة ثمانية وسبعين بيتاً في مناسبة وفاة عدد من معارفه عام ١٣٦٤هـ، وقد يتدخل المؤلف في إصلاح ما اعوج عروضياً من تلك القصائد أو يحذف أبياتاً منها لعدم استقامتها أو يترك القصيدة فلا يوردها لأنها غير موزونة.

وعلى ذلك فهو يكتب تاريخه بحس الأديب الناقد، وهذا ما يجعلنا مطمئنين إلى ما أورده من نصوص شعرية إلى أن قال: وهكذا نرى أنه ورد في كتابه ما مجموعه من القصائد والمقطوعات (٤٤) قصيده ومقطوعة، ومجموع أبياتها (١٣١٨) بيتاً فقط لشعراء المنطقة من عام ١٣٥١-١٤٢٠هـ.

على أن الدكتور إبراهيم استفاد منه في الأجزاء المطبوعة، وهي إلى سنة ١٣٨٤هـ، وتلك نهاية الجزء الخامس، وبعد النظر في المخطوطات وهي الأجزاء المتبقية وجدت له عدداً من القصائد، ونقل عن غيره كذلك.

أما مؤلفاته

فأقدمها وأشهرها هو كتاب (عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان). الكتاب الذي أثنى عليه الأكابر والأصاغر، وهزَّ القلوب وساقها إلى علاّم الغيوب مع أنه ألفه في صغره، فقد فرغ من تأليفه سنة ١٣٥٩هـ وعمره حينها خمس وعشرون سنة، وطبع الكتاب الأول سنة ١٣٧١هـ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة على نفقة الشيخ حسن محمد بن محمود الشنقيطي رحمه الله، وتوالت الطبعات بعدها في أكثر من أربع عشرة طبعة، واشتهر عند الناس في وقته، وكان يقرأ به في مساجد نجد قبل صلاة التراويح وبين السليمات وصلاة

القيام في شهر رمضان، ولقد أخبراني أنه بلغه أن الكتاب وصل إلى الملك عبد العزيز رحمه الله فكان يقرأ عليه في رمضان وكان يبكي وهو يستمع للكتاب، وسأل كثيراً عن مؤلفه فأهداه الملك بعضاً من الكتب، ويقع الكتاب في مجلد واحد في أربعمائة وإحدى عشرة صفحة بتوزيع بديع على مجالس الوعظ والإرشاد في شهر رمضان.

ومن كتبه كتاب التاريخ، وقد سماه (تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان) طبع منه خمسة أجزاء ولا زالت البقية إلى الجزء الثامن في المطبعة، وتتولى طبعه مكتبة الرشد، ولعله ينزل قريباً بإذن الله تعالى، وبدأ في التاريخ بمقدمة ثم ترجم للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ثم بتعريف بالمملكة العربية السعودية.

وأول سنه أرَّخ فيها سنة ١٢٦٨هـ ونهاية الجزء الأول إلى سنة ١٣١٩هـ، ويبدأ الثاني من سنة١٣٢٠هـ إلى سنة ١٣٣٩هـ، ويبدأ الثالث من سنة ١٣٤٠هـ إلى سنة ١٣٥٢هـ، ويبدأ الرابع من نفس السنة إلى سنة ١٣٧٢هـ، والجزء الخامس وهو نهاية المطبوع يبدأ سنة ١٣٧٣هـ إلى سنة ١٣٨٤هـ، ويبدأ السادس وهو مخطوط من سنة ١٣٨٤هـ إلى نهاية السنة ١٣٨٥هـ، ويبدأ السابع من سنة١٤١٠هـ، ثم الثامن من السنة نفسها، وآخر خبر ذكره في تاريخه ووقف عليه قلمه هو نبأ وفاة الشيخ العالم العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ولم يكمل ترجمته وذلك سنة ١٤٢١هـ.

وقد أودع في تاريخه أخباراً عالمية مصدره منها الإذاعات والإعلام وأفواه الرواة، وأخباراً محليه وقف على كثير من الإعلام وأخباراً عن علماء نجد والقصيم بخاصة وأخبار القصيم وتراجم العلماء ومشايخ ووجهاء القصيم

ومراثيه لهم، فحفظ بهذا الكتاب تاريخ تلك الفترة الزمنية ما بين سنة ١٢٦٨هـ إلى سنة ١٤٢١هـ.

وهو مرجع الباحثين والمؤرخين في تلك الفترة في كثير من الأمور، وقلّما تجد من ألّف عن القصيم إلا وينقل عن هذا الكتاب.

قال الدكتور إبراهيم المطوع: وهو كتاب تاريخي قيم يؤرخ للدولة السعودية ويعد مرجعاً أصيلاً وفريداً لكثير من مؤرخي ودارسي الأدب والتاريخ السعودي.

ومن كتبه كتاب (الأعلام المرفوعة والتحف المدفوعة وعقيدة أمة الإسلام المقروءة والمسموعة) وهو شرح لمتن العقيدة الوسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، ويقع في جزءين، وهو مطبوع بأكمله وفرغ من تأليفه في ٢١/٨/١٤٠٣هـ.

ومن كتبه أيضاً: (السحاب المركوم والرحيق المختوم في وظائف السنة منثورها والمنظوم) ويقع في ثلاثة مجلدات. ومن كتبه أيضاً: (رياض الأنوار الزاهرة والحكم المنثورة الباهرة في تعظيم سنة سيد ولد آدم وفخرهم في الدنيا والآخرة) ويقع في مجلد واحد، وقد فرغ من تأليفه في ٢/٣/١٤١١هـ.

ومنها كتاب (تحذير الأنام عن ارتكاب القبائح والآثام في تحريم الدخان والمسكرات والمفطرات) ويقع في مجلد واحد حرره في ٤/٥/١٤١٨هـ، وله كتيّب صغير في دعاء ختم القرآن، فهذه كتبه المطبوعة وله كتب مخطوطة، منها كتاب (البستان) في المواعظ والحكم والأمثال، وهو ديوان شعري جمع فيه بعضاً من قصائده وقصائد لبعض المسابقين، ومنه كتاب (التحريم في تبرج النساء) وكتاب

(لزوم الجماعة) وله منسك في الحج والعمرة وذكره في كتابه (التذكرة) أنه قد ألَّف كتاباً في وصف رحلته إلى جنوب المملكة، وله قصائد كثيرة لم تنشر.

أصيب الشيخ إبراهيم بجلطة في شبكة العين في شهر ذي الحجة من عام ١٤٢٤هـ، فراجع المستشفيات، وسافر إلى جدة لأخذ العلاج، واعتمر في سفرته تلك ثم رجع إلى بريدة، وبعد رجوعه بيومين اشتد عليه الألم في صدره، وفي وتلك الليلة الأولى من سنة ١٤٢٥هـ نقل إلى مستشفى الملك فهد التخصصي ببريدة وبقي فيه إلى وفاته، رحمه الله، يوم السبت الثامن من شهر محرم سنة خمس وعشرون بعد الأربعمائة والألف في الساعة العاشرة والنصف صباحاً، وقد تناقل الناس نبأ وفاته في ذلك اليوم واجتمعوا للصلاة عليه لصلاة المغرب في جامع الخليج ببريدة الذي يؤم فيه المصلين فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن محمد الونيان، حفظه الله وبارك في جهوده، فازدحم الناس للصلاة عليه وامتلأ المسجد بالمصلين وكذا الطرقات وصلى عليه في المسجد إماماً أخوه محمد ثم حمل على الأكتاف حيث صلي عليه في الطريق إلى المقبرة عدة مرات. صلى عليه فضيلة الشيخ عبد الله القرعاوي حفظه الله إمام الجامع الكبير ببريدة، ومرة أخرى صلى عليه الشيخ عبد الله بن الشيخ صالح الخريصي إمام جامع الخريصي، ودفن تلك الليلة التي توفي فيها بعدما بكاه الناس وترحموا عليه وتأثروا لفقده، وحضر جمع كثير من طلاب الشيخ وأصدقائه ومحبيه، وقبر في مقبرة الموطأ ببريدة، فإنا لله إنا إليه راجعون .

تقديم

الناشر«علي الحمد الصالحي»

أحمدك اللهم حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا كما أنت أهله.

وأصلي وأسلم على عبدك ورسولك المصطفى ونبيك المجتبى، عدد قطرات الماء وذرات الثرى، وعدد سكان الأرض والسماء من الخلائق، وعدد ما نطق بذكر الله ناطق؛ وعدد الحركات والسكون، وعدد ما كان وما يكون.

وبعد فإن علم التأريخ من العلوم التي تناولها الكاتبون: في كافة العصور لأن فيه عدة مقاصد، منها الاعتبار بحال من مضى وما جازى الله به من أطاع وعصى في الدنيا جزاء معجلاً، ومنها أن من عرف أخبار الماضين عاش معهم في أحوالهم وأفكارهم إلى غير ذلك من المقاصد.

وقد اعتنى به أناس كثيرون خارج الجزيرة العربية ما بين خاص بقطر أو بلاد وما بين عام، أما في هذه الجزيرة فلم يعتن به إلا أفراد قلة في القرون الأولى، ثم أهمل مئات من السنين، ثم بعد دعوة الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» كتب فيه أناس حسب ما تهيأ لهم من داخل الجزيرة وغيرها، وتعتبر دعوة الشيخ بمنزلة المطر النازل على الأرض الميتة فاهتزت وربت.

ثم كتب فيه ابن غنام والجبرتي وابن بشر وآخرون، منهم كاتب هذا التاريخ الشيخ الفاضل المؤرخ «إبراهيم بن عبيد» وقد بذل فيه جهدًا كبيرًا، وأوقاتًا ثمينة، وتابع الوقائع والحوادث حسب ما بلغ إلى علمه؛ فجاء هذا التاريخ عامًا في وقت مست الحاجة إليه. حافلاً بشتى الحوادث والأخبار والوفيات؛ ولعله يكون حافزًا للقراء المطلعين لجمع بقية الشتات، ونقل للحقائق من ألسنة الثقات.

«ومؤسسة النور للطباعة والتجليد» ترى عظيم المنة لمن كان مساندًا لها بالسبق لهذه المفخرة؛ وقد كانت بفضل الله عليها سباقة للخير، داعية إليه، تترسم من الأمور أعلاها.

وسيكون هذا التاريخ في خمسة أجزاء متوسطة [1] حسب تجزئة مؤلفه؛ نفع الله به والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) بلغت أجزاء هذا المؤلف ثمانية أجزاء إلى نهاية عام ١٤٢١هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة المؤلف

بقلم تلميذه:

سليمان العبدالعزيز التويجري

هو الشيخ الفاضل الموسوم بالعلم والفضائل إبراهيم بن عبيد بن عبدالمحسن آل عبيد ولد في خامس عشر جمادى الثانية سنة ١٣٣٤هـ، ونشأ في أحضان والديه، ثم أخذ في الدراسة في إحدى المدارس الأهلية في بريدة، ولما تم له من العمر اثنتا عشرة سنة حصل على حفظ القرآن ودراسته بالتجويد، وأخذ نصيبًا من تعلم الخط والحساب، وكان ذلك موضع الإعجاب من مدرسيه لما لمسوه منه من الجد والاجتهاد.

ثم إنه لما أخذ نصيبه الوافر من تلك المدرسة انضم إلى التعلم على يد الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي المشهور بالعلم والتدريس في القصيم.

وانضم أيضًا إلى التعلم من فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم وجدّ ونافس في طلب العلم وأكثر من الأخذ عنهما.

ومن جملة ما درس به عليهما إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، وكشاف القناع عن الإقناع للبهوتي؛ والروضة الندية لصديق بن حسن القنوجي الهندي، وزاد المستقنع وشرحه، والرحبية في الفرائض والمواريث وملحة الإعراب في النحو، وألفية ابن مالك في النحو والصرف، وكتب العقائد والحديث كالعقيدة الواسطية؛ والصابونية والطحاوية، والتوحيد وشروحه.

وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم ونال الإعجاب من مشائخه وأعجبوا بجهده واجتهاده وقوة حافظته وذاكرته، حتى كان يذهب بين العشائين

والعتمات وأواخر الليل إلى تلك المساجد التي لا تزال إذ ذاك عامرة بالتدريس وحلق الذكر لأخذ نصيبه من العلم رغم زمهرير الشتاء وبرده القارس، وأمطاره وثلوجه، وكان مشائخه يقدرون أعماله ويعرفون له فضل الاجتهاد.

ولما بلغ من العمر اثنين وعشرون سنة أخذ يدرس ويعلم في المسجد واجتمع عليه تلامذة كثيرون فضلاء.

من تلامذته الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي المدرس في المعهد العلمي، والشيخ علي بن محمد السكاكر رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مقاطعة القصيم، والشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز الحميد، والشيخ محمد الصالح المرشد مدير المعهد العلمي في بريدة سابقاً، والمدرس بالجامعة الإسلامية لاحقاً؛ والشيخ علي بن محمد الربيش أحد أعضاء المحكمة المذكورة، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالله بن عودة أحد أعضاء رئاسة القضاء في السعودية؛ وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم الدوسري مساعد مدير مكتبة الحرم المكي، وعلي بن راشد الرقيبة، وأخذ عنه الأستاذ سليمان بن عبدالعزيز التويجري، وأخذ عنه صالح بن إبراهيم الرسيني، وعبدالله بن صالح الحسين، وأخذ عنه غير هؤلاء خلق كثير وجمع غفير، وأخذ عنه ابناه عبدالرحمن ومحمد.

ومن العجائب أن غالب الذين أخذوا عنه وتتلمذوا عليه، وفقهم الله، ولديهم صلاح في دينهم، وقد برز أقرانه في مادة الفرائض التي قل من يسبر عورها ويحل عويصها، وكان يرجع إليه في كثير من المسائل الفرضية التي قد تبلغ حد الإعجاز في صعوبتها ويتلقاها بصدر مملوء باليقين والاستعداد، حتى أنه بلغ به الأمر إلى أن تأتيه المسائل الفرضية من جهات بعيدة من خارج المملكة، ولا يزال الآن يعالج مهنة حل المسائل والإفتاء، وكان الرجل شغوفاً ومحباً لمادة التاريخ، وله ذوق رفيع في مادة القواعد، وكان من صفاته التي يعتز بها كل تلميذ جثم على ركبتيه أمامه متعلماً دماثة الخلق، ومتواضعاً في الأخلاق، وإخلاصاً في إيصال المعلومات إلى أذهان تلاميذه.

والجدير بالذكر أن المؤلف حفظه الله وأكثر من أمثاله رجل اجتماعي بطبعه يحب

الاختلاط والامتزاج بمشايخه وتلاميذه، وكانت النكتة لا تغادر مجلسه، الأمر الذي يدعو جلسائه إلى الرغبة الأكيدة في الاجتماع والاستئناس به، وكان قارئاً للشعر وله ديوان في الشعر والمذكور يملك حاسة رقيقة شفافة تدعوه في كثير من الأحيان إلى إبداع غرر القصائد التي يرثى بها مشايخه وتلاميذه، أما عن مؤلفاته فكفاه فخراً واعتزازاً سفره الباقي ما بقي المحبون للخير؛ وذلكم هو كتاب «عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان» الذي ما فتئ كل إمام مسجد في المملكة وغيرها يقرؤه على مأموميه في ليالي رمضان الشريف. حتى آل الأمر إلى أن قام رجال فضلاء من خارج المملكة بدعوة إلى الشيخ بالاستئذان منه بطلب ترجمته إلى اللغة الأردية، والإنجليزية، والفرنسية؛ وهذا وربي شيء يبعث الاطمئنان والاعتزاز والسرور.

كما أن من مؤلفاته «البدور البهية والفتوحات القدسية» (١) وهو وظائف لسائر السنة يدور حول المشاكل الاجتماعية في الوسط الاجتماعي الراهن سيطبع عن قريب وهو ثلاثة أجزاء، ومنها هذا التاريخ.

أخي القارئ علك تجد فيه ضالتك المنشودة وبغيتك المطلوبة، وقد أنفق المؤلف من عمره في تأليفه ثمان عشرة سنة كانت حافلة بالجهد المتواصل، والسهر الطويل، ولم المعلومات من مظانها ومن كل صوب وحدب، والمذكور غني عن قيلة قائل في مدحه والثناء عليه، فالذي بين يديك أخي القارئ يحكي واقع المذكور وهو لا يرجو منك إلا الدعاء والصفح عن كل خلل، فإن كان خيراً فمن توفيق الله وامتنانه، وإن كان غير ذلك فالإنسان عرضة للخطأ، وقبل أن نختم هذه العجالة العابرة عن حياة المؤلف نورد لك نموذجاً من شعره فقد كان يدرس عليه أحد المنتدبين للتدريس في

---

(١) قام المؤلف رحمه الله بتغيير اسم هذا المؤلف إلى «السحاب المركوم أو الرحيق المختوم في وظائف السنة منظومها والمنثور» وهو مطبوع، وكذلك مؤلف بعنوان «الأعلام المرفوعة والتحف المدفوعة وعقيدة آمة الإسلام المقروءة والمسموعة» وهو مطبوع.

المملكة فما كان من تلميذه إلا إن جرى منه عدم مواضبة فعاتبه الشيخ بهذه الأبيات الطريفة:

سلام يفوق الشمس في الحسن والبها ... ويفضح حسن البدر في التم معلما
ويسري بادلاج يمر مسارعاً ... إلى ذلك الندب الجليل متمما
محمداً لا تترك دروساً سلكتها ... تفوق على الدر النفيس وترثما
عليك بتحصيل العلوم فإنها ... نجاة لعمري من طريق جهنما
بأي كتاب الله يولع عارف ... له نهمة تعلو سمواً على السماء
كذلك علوم النحو تعلو لغيرها ... تقوم ألفاظاً وتهدي من العماء
يراد بها كل البيان فخذ بها ... فهذا لعمري بالقرار مسلما
ولا تعد عيناك المكارم موثراً ... قهاو وأشغالاً تعود فتثلما

فأجابه ذلك الأستاذ بهذه الأبيات

عليك سلام الله نوراً متمما ... ورحماته تتراً تباعاً من السماء
وأوزعك الرحمن شكر هباته ... والأئه من منعم جل منعما
وأتاني الرحمن علماً وحكمةً ... وزودني فقهاً وعقلاً معلما
وأنت الذي نوراً أضاء جبينه ... وبان عليه الفضل والحسن معلماً
أ أترك نهراً قبض الله فيضه ... على ظمأ مني وقد تقتل الظماء
أ أترك نوراً كنت شمساً تمدد ... وأمشي طريق العائرين معتما
أ أترك آي الله لآ أعتني بها ... وها قد بدت من فرقل يكشف العما
أ أترك درس النحو لو أن خبرته ... لازداد جهلاً بالعلوم فأظلما
ولو علم التوحيد يوماً أخذته ... ودرس الحديث أن يكون هو علما
فلا تشفقن يوماً حريصاً محاذراً ... مقاطعتي جمع العلوم مسلما

إلى آخر الأبيات:

وفي الأخير أحيي كل من أسدى إلى الأمة خدمةً جلى وعملاً مشكوراً من

نصح وتوجيه، أو تسجيل حوادث، أو غير ذلك مما ينير طريق الحياة المعتم لكل ناشد معرفة، وقاصد علم؛ والله أسأل أن يهدينا طريقه المستقيم وأن يمن علينا بالهداية والتوفيق؛ وهو حسبنا ونعم الوكيل.

بقلم أحد تلاميذه

سليمان العبد العزيز التويجري

مفتش القسم المساعد بإدارة التعليم ببريدة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وبه نستعين﴾

الحمد لله الذي ذلت لعظمته العظماء؛ وكلت عن الإحاطة بكنه معرفته أفهام الأذكياء؛ ووسع علمه أهل الأرض وأهل السماء، الله لا إله إلى هو له الأسماء الحسنى، جلّت صفات ربوبيته ونعوت وحدانيته فلا تحصيها بلاغة الفصحاء، واحتجب في هذه الدار عن الأبصار وقدر السعادة والشقاء على أهل الجنة والنار، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما.

فسبحانه من إله تبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره متوحد في العز والبقاء، وسبحانه من متصرف دبر الأزمان والدهور، وعاقب بين الأيام والشهور، وأباد الأمم الماضية على توالي العصور، وقدر ما يكون من الحوادث وقضا، وتعالى مليك قهر حكمه الجبابرة، وكسر الأكاسرة؛ فلا مفر عن حكمه، ولا محيد عن أمره، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى؛ وهم من خشيته مشفقون، أحمده حمداً يفوق العد والإحصاء.

وأشكر على ما أولاه من الفضل والعطا وأسداه من الآلاء والنعماء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله كسر المتجبرين؛ وجبر المكسورين؛ وجمع المتفرقين، وفرق المجتمعين، وأغاث الملهوفين، وتطاول بفضله على سائر العالمين فسعت نعمته إلى جميع الأحياء ووسعت رحمته كل الأشياء.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى، والخليل المجتبى والحبيب المرتضى، ﷺ وعلى آله وأصحابه البررة الأتقياء والسادة الأصفياء وسلم تسليما.

أما بعد فكما أن الله جعل هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وعبرةً لأهل العقول من ذوي العرفان، وقنطرة عبور لا مسكن حبور، كما نرى ذلك ونشاهده من ذلة عزيز، وسقوط رفيع، وفقر غني، وغناء فقير، وأخذ مولع بزخرفها على غير

استعداد، وإنزاله في لحده بلا أهبة ولا زاد، قد فارق الأحباب، ووسد التراب، وانقطع عن الأحباب؛ فالواجب علينا أن نعتبر بأيام الله وما جرى على الأمم؛ ودار عليهم من السلب والعدم. وما آل إليه أمر المنيع في أعالي القصور، وإنزاله منها على الرغم بعد السرور قد رفع البنيان، وفاخر الأقران؛ ونسى طوارق الزمان؛ ووثق بما لديه من الأماني والأمان، فلم يشعر إلا بالمنية قد أنشبت فيه أظفارها، وعضت عليه بأنيابها، وأنزلته إلى قعر الحضيض؛ وأبدلته بعد العز ذلاً، وبعد الحياة خموداً، وبعد الحركة سكوناً، فيا عجباً له من قوي عاد ضعيفاً، وبعد قهره أصبح مقهوراً، وبعد سطوته ليثاً عاد مأسوراً، وبعد أنس ربعه عاد محصوراً، يا عجباً لأهل هذه الدنيا كيف لا يعتبر الخلائف بالماضين، وكيف لا يتعظ المطلق بالمقيدين، وكيف لا تبكي العيون لمصيرها، فكم لهذه الدنيا من صريع.

وكم لها من جريح، وكم لها من كسير، وكم لها من أسير، وكم لها من قتيل؛ ولكن أهلها لا يتعظون، وبغدرها لا يشعرون، ولا من سكرها يفيقون، ما هي والله إلا جيفة مستحيلة، أولعت النفوس باستجلابها، غافلةً عما فيها من الفجائع والقوارع والأنكاد، وقنعت بها همم دنية من أراذل العباد، فلا بذمها يسمعون، ولا بكثرة جفائها يزهدون.

يا عجباً كم هدمت الأيام من حصن، وكسرت من قوي وأذلت من شريف وأفقرت من غني وفرقت من حبيب، وكسفت من بال، وعطلت من بئر، وخربت من قصر مشيد.

ولما كان المطلوب منا الاعتبار بمن مضى من القرون، وما جرى على الملوك الصيد، ممن طغى وتجبر على العبيد، وأتته الدنيا على ما يشتهي ويريد؛ وخدمته الولدان والخيل والعبيد، ولبس رقاق الثياب من كل غالٍ وجديد، وتزينت له الدنيا في غرورها كالعيد، فما كان إلا القليل حتى تكدرت منه العين، واختطفته أغربة البين، ودارت عليه المنون رحاها، وحل بعراصد البلا ومحاها؛﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦]، ﴿ وَتِلْكَ

ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

لقد كنت أتشوق لوضع تاريخ في ذكر حوادث ما جرى من الوقعات من لدن سنة سبع وستين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية إلى زمننا، هذا بحيث ما وجدت أحد أتى بالمقصود ولم أجد بنقاشي عليلاً ولا لروي غليلاً.

بيد أن يوجد قطع فيها نبذ من الوقعات التي جرت في ظهور صاحب الجلالة الملك «عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود» إنما سجلت ودونت لغرابة سطوة هذا الملك الأعظم، والرئيس الأفخم، غير أن هذه النبذة، وإن كانت جلّ المقصود، فلا تفي بالتاريخ، وما كان هذا الوقت بجدير الإهمال، ولا بسهل المجال، ولكنه ترك لصعوبته، ولعدم من يقوم بأعباء مهمته، فسنح بخاطري أن أضع تاريخاً لائقاً، رائقاً في هذا الموضوع، وإن كنت لا أرى مساعداً على هذا الشأن، ولا من يجري فرسه في هذا الميدان، وذلك لأن التاريخ أصبح اليوم لا يعرفه في الحقيقة أكثر الناس، ولا يعتني به في غالب البلدان، وأخص بذلك نجد إلا سيما ما بين رأس هذا القرن إلى نصفه، فقد أهمل كإهمال تاريخنا قبل ثلاثمائة سنة، وكنت إذا سألت الشيوخ والمسنين ممن أظنه أهلاً لتلك البضاعة، ومن أخال فيه الصدق والكفاءة، فإنه يقول: غزا فلان وانكسر فلان، وحادثة كذا في الربيع؛ إما كونه يعرف السنة والشهر واليوم، بل الساعة والدقيقة، فلا يهتدون إليه سبيلا، فخلت من مساعد يعين على هذه المهمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله؛ هذا وقد يسر الله ما كنت أرومه، ومنَّ علي بذلك، وكم له علينا من منة لا نقوم بشكرها، وأقرّ بفضله العين بوجود ما كنت أتمناه، وأكدح في نيله وأتلقاه، وذلك بمدة طويلة بذلت فيها مجهوداً من طاقتي، وسهرت الليالي لاستحصالها، وكلفت الأيام لرصدها لتكون متلقاة من مصادر وثيقة، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

فصل

ويا ويل كل مؤرخ، بل لو شئت لقلت كل مؤلف في هذا الزمان من بعض المتعنتين الفارغين، الذين قلت بضاعتهم من العلم بحيث كانوا قطاع السبيل في طريق المؤلفين، لا سيما في التاريخ فنجد أحدهم يتحيل لتشويه سمعة المؤلف بمخرقته وغروره، مثال ذلك أن الحادثة قد تروى من طرق كثيرة، ومن الناقلين من تكون بضاعته زعموا، فيقوم الممخرق ضارباً بنقل المؤرخ عرض الحائط، وإن كان صحيحاً، ثم يأتي بطريق أخرى كأنه نزل الوحي بصحتها لأي شيء، لا لظهور الحق حاشا والله، بل وكلا، بل لكثرة الخبط والنيل من حق المؤلف، فهل لا يقوم ذلك المعترض إن كان فيه مؤهل فيضع تاريخاً لأن الباب مفتوح أو يكف شره عن المؤلفين كما قيل:

اقلــوا علــيهم لا أبــا لأبيكمــو   من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

فإذا وقعت حادثة مثلاً في أعالي السوق ومنتهاه، واجتمع الناس لرؤيتها منهم المتقدم ومنهم المتأخر، فإن الأمة بعد صدورهم ترويها على جهات مختلفة، وكل رواية لا توافق الأخرى، هذا وهي في بلد، ووقوعها في الحال، فما بالك فيما لا يكون في بلدك ولا في زمانك فما شئت من تغيير واختلاف وطريق الحل هو أن تمسك بتلابيب من قتل القتيل وشهد حفر الحائط، ورأى بعيني رأسه وسمع بأذنيه، وأمسك بيديه، فنأخذ منه مشافهةً بعد ما نعرف ثقته وأمانته، فعند ذلك نهتدي إلى الصواب سبيلا، والله المستعان وعليه التكلان لا رب غيره ولا إله سواه.

فصل

وقد كانت الأمم الأخرى تشجع المؤلفين وتبذل لهم مقابل أعمالهم التي قاموا بها جوائز سنية لقيامهم بأعمال يشكرون عليها، وهذه طريقة طيبة أن ينال المؤلف أو المخترع للصناعة جزاء يشجع على عمله، ويشجع أمثاله حتى تحصل المسابقة إلى الأعمال الكاملة، فيا ليتنا إذا لم نحصل على هذه الخطة ألقينا

عن عواتقنا رداء الحسد؛ ونهضنا بأمتنا كل بحسب مقامه، حتى تسير السفينة لنصل إلى ساحل الكمال والمعرفة، وسلمنا من التلطخ بتلك الأقذار والتضمخ بها، وخطابي هذا موجه إلى المتعنتين فقط، أما فطاحل العلماء وأهل الفضل والمعرفة فإنهم بالمكان الأرفع، وقد حماهم الله من ذلك وهم في كرامة.

ولعل قائلاً يقول لو أن المؤلف جعل ذكر آل سعود متصلاً وآل رشيد على حده ونحو ذلك من الآراء، ويقول لو كانت تراجم الوفيات على حدة ونحو ذلك، فاعلم أن الآراء لا تزال مختلفة وكل له نظر واختيار، وقد تعشقت طريقتي التي سلكتها، وللناس فيما يعشقون مذاهب، وبكل حال فإن من أراد أن يسوق الحوادث على ترتيبها كل سنة بحوادثها، فإنه يضطر إلى سلوك الطريقة التي سلكنا، وهي طريقة الحافظ بن كثير، وابن بشر وأمثالها.

فصل

فدونك كتاباً يصلح للدنيا والدين، ويلائم سائر طبقات الناس، قد اشتمل على نكت أدبية، ونبذ تاريخية وتراجم لأئمة أعلام وملوك أكاسرة عظام، أبادهم مولاهم الذي أوجدهم، وسيجددهم بعدما أخلفهم ويجمعهم بعدما فرقهم، وقد احتوى على قطع شعرية تشهد لأهل نجد بل للعرب بالفتوحات الإسلامية، وقمع البدع المظلمة الوبية، ولعمر الله لقد بذلت مجهودي في تأليفه، وجمعه، وترتيبه، وتصنيفه، وحرصت على أن لا أنقل فيه إلاّ ما كان صحيحاً، والتزمت بالإنصاف فيما أذكره فلا أغلو ولا أجفو.

وسميته تذكرة أولي النهى والعرفان، بأيام الله الواحد الديان.

فجاء منة من الله لا يملّه جليسه، ولا يشبع منه الأنيس، ممتعاً لقارئه، مشوقاً للناظر فيه، فلقارئه غُنْمُهُ، وعلى مؤلفه غرمه له صفوة، وعليه كدرة، له عذبه، ولمؤلفه مره، وها هو قد نصّب نفسه هدفاً لسهام الراشقين، وغرضاً لأسنة الطاعنين.

وأنا سائل بالله من اطلع عليه، أن لا ينظر إليه بعين السخط، فإنها تبدي المساوئ،

وأن لا يتصف بأخس الحيوانات التي تترك الطيبات وتتبع الخبيثات، وأن يهب الخطأ للإصابة؛ ويدفع بالحسنة السيئة، فهذه بضاعة المؤلف المزجاة تعرض عليك، ومموليته الكريمة تساق إليك، فإن وافقت كفواً كريماً، لم تعدم منه قبولاً وإحساناً، أو رداً جميلاً إن كان خطها احتقاراً أو استهجاناً،﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التوبة:١٠٥].

وقد قنع المؤلف بدعوة صالحة يفوز بها في الآخرة، وتستر عليه الباطنة والظاهرة، والمؤمن يستر وينصح، والمنافق يهتك ويفضح، وقد ظهر تاريخنا بثوبه الذي ألجأت إليه الضرورة، فتارةً تجد فيه ترغيباً وترهيباً، وأخرى تأخذ من نوادره وملحه نصيباً، فإن شئت وجدته واعظاً وناصحاً، وإن أردت وجدته لنيل نصيبك من الدنيا مانحاً، وللسياسة والتجربة صالحاً.

وأسأل الله رب الأرباب، وراحم من انطرح بين يديه وأناب، ومجزل الثواب للأحباب، أن يفتح لي وللمسلمين الأبواب، ويسهل العقبات، ويرشدنا لأحسن الأسباب، ويهب لنا من لدنه رحمة، إنه هو الكريم الوهاب.

وقد أحببنا أن نجمله بوضع ترجمة لشيخ الإسلام قدّس الله روحه ونوّر مرقده وضريحه، وذكر نبذة من الكلام عن المملكة العربية السعودية.

ذكر ترجمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

هو الإمام العالم العلامة، والبحر الفهامة، العلم الظاهر، والبحر الزاخر، ذر المناقب العليا، والأخلاق الذكية والسيرة المرضية، وناصر السنة المحمدية والملة الإبراهيمية، شيخ الإسلام ومجدد الإسلام، بعد ما اندرس بين الأنام، الإمام المحقق والألمعي المدقق الشيخ «محمد بن عبدالوهاب»، أجزل الله له الأجر والثواب، وأدخله الجنة بغير حساب، وهذا نسبه.

هو أبو الحسن محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زافر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شداد بن زهير بن

شهاب بن ربيعة بن أبي سود بن مالك بن حنظل بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مراد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

له خمسة أبناء حسين وحسن وعلي وعبدالله وإبراهيم.

ولد الشيخ في بلدة العيينة ١١١٥ هجرية، وكان من بيت علم؛ فأبوه شيخ كبير وجده سليمان بن علي عالم نجد في زمانه، له اليد الطولى في العلم، وانتهت إليه الرياسة في نجد، ولما ولد المترجم في العيينة فرح به والده، وحفظ القرآن تجويداً عن ظهر قلبه، قبل بلوغ عشر سنين، ودرس في الفقه حتى نال حظًا وافرًا وأصبح موضع الإعجاب من والده لقوة حفظه، وجودة ذكاءه، لأنه كان حاد المزاج متوقد الذهن سباقاً في عقله، قوياً في جسمه، وشوهد منه في حال سفره كثرة المطالعة في كتب التفاسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره لمعرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، ولما تم له اثنتا عشرة سنة من عمره بلغ الحلم، ورآه والده أهلاً للإمامة في الصلاة، فقدمه إماماً فقام بأعباء هذه المهمة رغم حداثة سنه.

أخلاقه وسجاياه

كان بشوشاً متواضعاً جواداً، ذا عبادة وإيثار للفقراء والمساكين، أضف إلى ذلك قوة وهيبة تهابه الأمراء والرؤوساء، بل كان يهابه كل من يراه.

ومن العجائب، أنه في أصله متواضع، لين العريكة سمح بشوش، لكن الله تعالى جعل له هيبة في القلوب، ومنحه كمال الرأي والفراسة والتدبير، وكان شكوراً لنعمة الله، وعلى جانب عظيم من الإنطراح بين يديه؛ وكثيراً ما يلهج بقوله تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ﴾ [النمل:١٩]، ويتمثل لهذه الأبيات:

بأي لسان أشكر الله أنه ... لذو نعمة أعجزت كل شاكر
حباني بالإسلام فضلاً ونعمة ... علي وبالقرآن نور البصائر

وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادي يوم كشف السرائر

وأيضاً: فإنه كان على ثقة بربه عز وجل ويعلم أنه من كان مع الله كان الله معه ومن قام لله قام الله معه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠].

وكان قوياً بأمر الله تعالى، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ولا يستشعر الخوف ولا اليأس معلقاً آماله بالله، ولقد قام في زمن عاد المعروف فيه منكراً والمنكر معروفاً والسنة بدعة والبدعة سنة، نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير، وقد طبق الشرك مشارق الأرض ومغاربها إلا من شاء الله، قد ملأ الشرك الأقطار وعم القرى والأمصار، وملأت البدع الفيافي والقفار، فأراد الشيخ أن يكون داعية إلى الله وإلى كتابه ورسوله، وما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، لأنه حنيف موحد وإمامه الرسول، جعل يدعو إلى التوحيد وإفراد الله بأنواع العبادة، وخلع عبادة ما سواه، مبيناً أن تلك الجمادات التي يعبدونها، والأموات لا تجلب خيراً ولا تدفع ضراً، وما النفع إلاّ بيد الله الذي لا يرزق سواه، ولا ينفع غيره صارخاً بالدعوة: «أيها الناس هلّموا إلى ربكم وأفردوه بالعبادة»، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، فما كانت هذه الأشجار لتجلب نفعاً أو تدفع ضراً، وإن الميت لا ينفع نفسه فضلاً عن أن ينفع غيره؛ وكان لنجد من الشرك الحظ الأوفر فكان لما دعاهم إلى ذلك عود الشجا في حلوقهم، وحنظلة في أفواههم، فما كان لصرخته مجيب، ووافقت آذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، قد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، وزين لهم الشيطان عبادة الأشجار والأحجار، والقبور والبناء عليها، والتبرك بها، والنذر لها، والاستعاذة بالجن والشياطين، والذبح لها، فكانوا في نجد يضعون الطعام للجن في زوايا البيوت، يطلبون شفاء مرضاهم وكشف بلواهم.

قلت يا عجباً لأمر المشركين حيث أعمى الله بصائرهم ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة:٤١].

ثم أخذ ينشر الدعوة، ويحذرهم من بطش ذي النقمة والسطوة، ولكن أين الثريا من يد الملتمس، قد انعكست قلوبهم وعمي عليهم مطلوبهم، لسان حالهم ينادي أنترك يا سفيه الرأي فحل الفحول، والغار الفلاني الذي لجأ إليه فلان فشفى مريضاً؛ والشجرة الفلانية التي ما قصدها أحد فخاب، فما أنت إلا سفيه لا تحترم الأولياء ولا تتأدب مع الأنبياء، ويلك يا ابن عبدالوهاب ما أكبر جراءتك؛ فلما رأى هذه الحالة لم ييأس من هداهم؛ ولم يدع نصحهم، وعزم بأن الدين لا يزول كما زال فيما مضى، ولكن من أين المساعد وأين المعاضد من حماة الدين، وحزب الله الموحدين، فيا طوبى له من وحيد على كثرة الجيران، ومن غريب مع كثرة السكان بين أناس رؤيتهم حمى الأرواح، وغيض القلوب لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً.

ولما تجرد للدعوة، وعرفوا ما يريد، نصبوا له الحبائل، وبغوا له الفوائل، واختلقوا له المشاكل، وأجلبوا عليه بخيلهم وأرجلهم وصاحوا به من أقطار الأرض مشدد ساحر، غالٍ، كذاب، كاهن، وشوهوا سمعته، وقامت عليه قيامتهم، وشنوا عليه غارتهم، ذلك بأنه دعاهم إلى ما يخالف تلك العادات، ولا تلائم طبائعهم التي عاشوا بها على الكفر والشركيات، قد خلعوا من رقابهم ربقة الدين، وسلكوا سبيل الهالكين، وتعلقوا بالأولياء والصالحين، ونسوا مولاهم رب العالمين، نسوا الله وذكروا الجمادات، وولعوا بما لديهم من التخيلات والحكايات والمنامات، وأغشتهم العوائد والمألوفات، وصدتهم الشبهات والجهالات عن نيل الهدى من النصوص المحكمات.

ذكر ما كان في زمانه من الشرك والبدع

قد أحببنا ذكر شيء من غربة الإسلام، واندراسه بين الأمة لتعلم ما لهذا الشيخ الذي أقام الله به معالم الملة، وكشف به البدع والضلالات، فأما أهل نجد فلا تسأل عما هم فيه، إذ ذاك من الغباوة، فقد كانوا في بدع مظلمة، وفتن مدلهمة، وقد أعيت مشكلتهم الأطباء وأمثالهم، إذ ذاك كثير، إن أهل نجد قد بالغ الشيطان في كيدهم

وجد، وكانوا ينتابون قبر زيد بن الخطاب وقبته معلقين آمالهم به، يرون أنه يقضي لهم الحوائج، ويزعمون أنه من أكبر الوسائل، وكانوا يترددون إلى قبر زيد بن الخطاب ويدعونه رغباً ورهباً بفصيح الخطاب قائلهم؛ يقول شيء تقضيه يا ابن الخطاب، شيء لله يا كاشف العذاب، وكانت هذه القبة من أعظم أصنام أهل نجد، تراق حولها الدماء، ويصاح عندها، وتعفّر الجباه، وتستقبل وتقبل بالشفاه. وتخضع الأكابر لديها وتنكسر الرؤوس، فتعالى الله الملك القدوس، ويترددون إلى قبر يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور، ولا شك أنه كذب ظاهر وبهتان مزور؛ وكذلك أيضاً عندهم نخل فحال، ينتابه النساء والرجال، ويفعلون عنده أقبح الفعال، وكانت المرأة إذا تأخر عنها الزواج، ولم ترغب بها الأزواج، تذهب إليه وتضمه بيديها برجاء وابتهال، معرضة عن الملك ذي الجلال، وتقول يا فحل الفحول؛ أريد زوجاً قبل الحول.

وشجرة عندهم تسمى الطريفية أغراهم الشيطان بها، وأوحى إليهم التعلق عليها، وأنها ترجى منها البركة، فكانوا يأتونها طوائف وفرق، ويعلقون عليها الخرق، وقد تشبث بها الشيطان واعتلق؛ يفعلون ذلك لعل الأولاد يسلمون وعن الموت يجارون، ولكن قد قال من يقول للشيء كن فيكون، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وفي أسفل الدرعية غار كبير؛ يزعمون أن الله فلقه لامرأة تسمى ابنة الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها ويظير، فصاحت داعية الله فانفلق لها بإذن الولي الكبير، وكان الله لها من ذلك السوء مجير، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويهدون، ويبعثون إليه ويقربون، فعياذاً بالله مما يعملون، وفي وادي غبيراء يجري من الهجر والمنكر؛ ما لا يعهد مثله ولا يتصور، كذلك قرية في الدرعية يزعمون أن فيها بعض الصحابة مقبور؛ فأصبح حظهم من عبادته موفور.

ومن العجائب المضحكة أن بعض هذه الآلهة بل غالبها لا يعرف لها أصل ولا فضل، بل زين لهم الشيطان عبادتها ابتلاءً وامتحاناً، نسأل الله العافية.

كما جرى لأهل العارض إذ ذاك في عبادتهم «تاج» وطلبهم منه البركة والإفراج، وكان يدعى الولاية فيأتون إليه، ويرغبون فيما عنده من المدد بزعمهم ولديه، فتهافت الحكام والظلمة، ويلوذون به في الأمور الملحمة، ويزعمون أن له تصرفاً وفتكاً بمن عصاه، ومقدرة مع ما يحكونه عنه من الأمور الشنيعة، التي تدل على انحلاله من الملة والشريعة، وهكذا سائر بلدان نجد على ما وصفنا، وقد فشت هذه الاعتقادات الباطلة، والمذاهب الضالة والعوائد الجائرة، والطرائق الخاسرة، وعمت وطمت حتى بلاد الحرمين الشريفين.

فمن ذلك ما يفعل عند قبر محجوب؛ وقبة أبي طالب عم الرسول ﷺ فيأتون للاستغاثة عند نزول المصائب، وحلول الأزمات والنواكب بالسماعات والعلامات، لنيل المطالب فكانوا يعظمونها غاية التعظيم، فلو أنه أتى سارق أو غاصب أو ظالم إلى قبر أحدهما، لم يتعرض له أحد، لما يرون لهما من وجوب الاحترام والمكارم، ويفعل عند قبر ميمونة أم المؤمنين وعند قبر خديجة زوج خاتم النبيين، ما تشمئز منه قلوب المؤمنين وتنكره فطر العالمين، من اختلاط النساء هناك بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات وسيء الأفعال، ويشقون الجيوب ويرفعون الأصوات، ويفعلون من الشرك والضلال أعظم المنكرات، وهكذا كانت سائر القبور في مكة والمدينة، قد نصبت عليها القباب وتمرغ المشركون في تلك الرحاب شرفهما الله وطهرهما من لوث أهل الارتياب.

أما قبر ابن عباس في الطائف، فكان ينتابه الفقراء وذوو الإفلاس، من أهل الكفر والنفاق والإبلاس، ويستمدون منه الرزق والغوث وكشف الضر والبأس، ويقف السائل عند القبر متضرعاً مستكيناً، ويبدي الفاقة إليه مستعيناً، فيفعل عنده من الأمور الشركية، ما لا تبلغه العبارة ولا تحصره الإشارة، وقد ذكر محمد بن حسين النعيمي الزبيدي رحمه الله، أن رجلاً رأى ما يفعل في الطائف من الشرك، فقال إن أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس، فقال له بعض من يترشح بالعلم معرفتهم لابن عباس كافية لأنه يعرف الله.

فانظر يا أخي إلى هذا الشرك الوخيم، والغلو القبيح الذميم، الجانب للصراط المستقيم، كيف أن الشيطان إذا استولى على قلب العبد، فإنه يورده المهالك.

ووازن بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقوله في الآية الأخرى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

وقد لعن الرسول اليهود والنصارى، باتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد يعبد الله فيها، فما بالك بمن عبد الصالحين ودعاهم.

وكذلك ما يفعل عند قبر حمزة وفي البقيع، من الفعل الذميم، والأمر الشنيع ما يكل عنه اللسان ولا يبلغه البيان، فلو رأيت تلك القباب وعكوف أهل الشرك والارتياب، معتقدين أنها تضيء على العالمين، وتذكر بأهلها للنفع والضر، لقلت لم يبق شيء لمالك يوم الدين، ومدبر الخلائق أجمعين، فجزى الله من هدمها وأزالها وسواها.

وفي بندر جدة ما قد بلغ من الضلال حده، وعندهم قبر طوله ستون ذراعاً، يزعمون أنه قبر حوى، وقد بلغ عنده من الضلال الغاية القصوى، فمن لم يبذل الحطام لسدنة قبر أمه من الأنام فإنه يعد من اللئام، ولا يدخل عليها للسلام فتجدهم يجبون من الأموال، ما لا يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وهذا القبر قد وضعه بعض الشياطين، فأكثروا في شأنه من الإفك وبالغوا في الكذب.

وكان عندهم معبد يسمونه العلوي، بالغوا في تعظيمه والغلو به حتى جاوزوا جميع الخلائق، حتى لو دخله قاتل نفس أو غاصب أو سارق لم يتعرض له بمكروه مؤمن ولا فاسق، ولم يجسر أحد أن يكون مخرجاً له أو يناله بسوء.

ولقد انكسر رجل تاجر من أهل جدة بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم يقدر ذلك المال تسعمائة ألف، فلما رأى ما وقع به الإفلاس وليس لديه مقابل، ذهب إلى مشهد العلوي مستجيراً به ولاذ بأعتابه، ولجأ إليه فلما رأى ذلك غرماؤه لم

يتقدم إليه منهم شريف ولا وضيع ولم يتجاسر أحد من الملوك والحكام على هتك ذلك المشهد، وترك الرجل وبيته ولم يرزأ بشيء احتراماً للمشهد، واجتمع طائفة من التجار وجعلوا له منهج الإنضار والتيسير واتفقوا على تنجيمه مدة سنين، وذلك بإرشاد من أهل العلم إذ ذاك والدين، وكان ذلك في ١٢١٠، فلو أن هذا المنكسر لاذ بالله وتعلق بأستار بيته لما التفتوا إليه، ولم يرعوا لله حرمه بل أخذوه وغلوه وهتكوه وعذبوه، فانظر كيف كان قدر هذا العلوي أعظم عندهم من قدر الله تبارك وتعالى قبحهم الله أنى يؤفكون.

أما بلاد مصر وصعيدها وأعمالها فقد جمعت من الأمور الشركية والعبادات الوثنية، والدعاوي الفرعونية مالا يتسع له كتاب، ولا يحصره خطاب، يراها المؤمنون كلهم من أقبح القبائح، ويعدونها من أعظم الفضائح قد قلبت من الدين رسمه، وغيرت منه اسمه، وكان عنهم مشهد البدوي الذي لا يعرف له أصل ولا فضل ولا عبادة، بل قد افتتنوا به وصرفوا له الألهية من دون الله، وقد جاوزوا به وبأمثاله عندهم من المعبودين ما ادعته الجاهلية لآلهتهم، وجمهورهم يرى له من تدبير الربوبية والتصرف في الكون بالمشيئة والقدرة العامة مالم ينقل مثله عن أحد بعد الفراعنة والنماردة، وبعضهم يقول القطب أحمد يرجعون إليه.

وكثير منهم يرى أن الأمور شورى بين عدد ينتسبون إليه، وكانوا يتداولون بينم حكايات، ويحكون في محافلهم مجريات من أفحش المنكر والضلالات، فيقولون فلان استغاث بفلان فأغيث، وفلان شكى لصاحب القبر حاله وأمره فأغاثه. وكشف ضره.

وكان بعض أهل مصر يعتقدون أن أحمد البدوي يتصرف في الكون، وبعضهم يقول إن الذين يتصرفون في الكون سبعة ويعده معهم، وبعضهم يقول أربعة، وكانوا بزعمهم البدوي والرفاعي، والدسوقي، وأبو العلاء، وهؤلاء في مصر.

وقد ذكر الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمة الله عليه أنه في حال لبثه بمصر، وجد فيها عالماً متفنناً إذا أخذ يعبر عن المسائل الأصولية، والفرعية، فكأنه البحر

الذي لا ساحل له فأعجب به الشيخ عبدالرحمن، وأبدى من إعجابه بذلك العالم لرجل من أهل الدين يثق به هناك فأجابه ذلك الرجل بقوله لا تغتر بكلامه، فإنه مشرك، وسأطلعك على شركه إن شئت، فجمع بينهما بمصر وسأله كمسترشد قائلاً يا أستاذ كم الذين يتصرفون في الكون، فتكلم ذلك العالم المشار إليه بالتعظيم بأن قال: يا بني سبعة هم الله والبدوي، والرفاعي، والدسوقي، وأبو العلاء، وعبدالقادر الجيلاني، وسابعاً أسماه لهم، فأما أحمد البدوي فلا يدخل مصر ذرة ولا يخرج منه ذرة إلا بإذنه، فالتفت صاحب الشيخ عبدالرحمن إليه قائلاً له: احمدوا الله يا أهل نجد على ما من به عليكم من معرفة التوحيد.

وذكر الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن أنه رأي في أيام رحلته إلى مصر لطلب العلم مجتمعاً هائلاً أعظم من اجتماع المسلمين عشية عرفة عند جبل الرحمة فسأل عنه فقيل هذا مولد البدوي، ورأى سوقاً طويلاً للبغايا اللائي قد أوقفن فروجهن في ذلك اليوم للسيد البدوي، ويأتي الفساق فيقعون عليهن متصدقات بذلك له في هذا المجتمع، وكان يحصل في مصر من الكفر بالله والإشراك به مالم يصل إليه كفر أبي جهل وأشياعه، فالله المستعان.

وإنها لحالة تضحك العقلاء، ويستحي والله من ذكرها فيعاذ بالله من هذا الهوس الذي بلغ مهم إلى هذه الغاية، وكذلك ما يفعل باليمن؛ ما هو منحرف عن أوضح السنن، بل كان أعظم الشرك والمحن، وأكثر من أن يستقصى، أو يعد ويحصى.

وكان في شرقي صنعاء قبر يسمونه الهادي، فترى كلاً من الضلال على دعوته، والاستغاثة به رائحاً وغادي، فتأتيه المرأة إذا تعسر عليها الحمل وكانت عقيماً، وتقف وتقول عنده كلاماً قبيحاً ذميماً. فسبحان الله من كان على جهل خلقه حلماً.

وكذلك ما يجري في بلد برع من عبادتهم القبر الذي يؤتى إليه من مسيرة أيام وليالي لطلب الغوث منه، وشكاية الحال، وما يجري من أهل الهجرية ومن حذا

حذوهم، فيأتون قبر بن علوان، ويصدونه في نوائب الزمان، ويستغيث به كل لهفان، ويسميه الغوغاء منهم منجي الغارقين، كما حكاه بعض السامعين، وكانوا ينذرون له في البر والبحر، ويفعلون في حضرته أموراً تربوا على العدو الحصر؛ يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس، وقد جعلها لهم عبادة إبليس، ويقولون وهم يرقصون، ويغنون له ويطربون، قد ملأ الوجد منهم ألبابا، وذهناً يا سادتي قلبي بكم معنى، ويفعلون عند قبره الموالد، ويجتمع عنده أنواع الكفار لفعل المعاصي والمفاسد؛ فليس في أقطار اليمن في ذلك الزمان من يساويه في الاشتهار، بل ولا في سائر الأقاليم والأقطار، فيا ليت شعري أما علموا أنه مخلوق مربوب، وبمعاصيه مطلوب، وإنه من جملة الأموات الذين لا يستطيعون زيادة في الحسنات، ولا نقصاً من السيئات. فسبحان من يحلم على العصاة، ولا يعاجل بالعقوبات.

وأما أهل حضرموت والشحر ويافع وعدن؛ فقد ثوى فيهم الغي وقطن، وعندهم العيدروس الذي كابروا فيه بغلوهم المحسوس، يقول قائلهم عند قبره وهو مستجير، وقد التفت عن السميع البصير شيء لله يا عيدروس، شيء يا محي النفوس، وكذلك ما يفعل في بلدان الساحل.

وما يجري من أهل المخا عند قبر علي بن عمر الشاذلي، وأهل الحديدة في قبر صديق، فإنه قد أقبل على تعظيمه، والغلو به كل فريق وأدى بهم الحال إلى أنه لا يمكن أحداً يريد ركوب البحر، والنزول منه حتى يجيء إليه ويسلم عليه، ويطلب منه الإعانة والمدد.

وأما أهل اللحية فعندهم الزيلعي، يسمونه الشمس من غير اختلاف، فيه عندهم ولا لبس، وسبب هذه التسمية لأنه ليس عليه قبة، بل هو مكشوف، وكان أهل البادية منه يزعمون أنه كان رسولاً في حاجة فضايقه غروب الشمس، فقال لها: قفي فوقفت وامتثلت أمره؛ والله يعلم ظاهر الحال وسره، فبذلك كان لديهم معروف، وجميع نوع من النذر إليه مصروف.

(وكذلك قبر رابعة فلا يحلف صادق الإيمان إلا بها).

وفي أرض نجران يجري عندهم من تلاعب الشيطان، وخلع ربقة الإيمان، ما لا يخفى على أهل العلم بهذا الشأن، من ذلك رئيسهم المسمى بالسيد، عبدوه بانواع العبودية؛ وصرفوا له رسماً من الألوهية، وأتوا من طاعته وتعظيمه، وتصديره، وتقديمه، والغلو فيه ما مضى بهم إلى عبادة الأوثان والأصنام، وخلع ربقة الملة والإسلام.

وكذلك حلب ودمشق، وسائر بلاد الشام فيها من تلك المشاهد والنصب، والأعلام ما لا يوافق عليه أهل الإيمان، ولا تلائمه الأديان.

وكذلك الموصل وبلاد الأكراد ظهر فيها من أنواع الشرك والفجور والفساد فوق ما يذكر ويراد.

فتعالى من لا يعاجل بالعقوبة على الجرائم ولا يهمل الحقوق والمظالم وقد بلغوا من الضلال ما يتنزه العاقل عن ذكره ووصفه ولا يمكن الوقوف على غاياته وكشفه مما تستنكر عن ذكره المسامع ولا يتمكن من وصفه ناظم أو ساجع. فناهيك بقوم إستخفهم الشيطان وعدلوا عن عبادة الرحمن، وباؤا بالخزي والهوان.

أما العراق فقد كان فيه المشهد الحسيني قد اتخذته الرافضة وثناً بل رباً مدبراً، وخالقاً ميسراً وأعادوا به المجوسية، وأحيوا به معاهد اللات والعزى وما كان عليه أهل الجاهلية وكانوا يأتون مشهد العباس ومشهد علي فيركع فيه له أحدهم ويسجد ويدعوه بخالص الدعاء من دون الله ومنهم من يزعم أن زيارته أفضل من سبعين حجة، ولقد غلوا في تلك المشاهد وأتوا من الشرك القبيح أعظم مما يفعل النصارى في المسيح وكذلك ما يفعلونه في مشهد الكاظم وغيره وإذا كان يوم عاشوراء فإن الرافضة قد جعلته مأتماً فهذا يصرخ وهذا يحثو التراب على رأسه يدعو بالويل والثبور وهذا يضرب صدره بالحديد والخشب حتى يكون كأنما أصابه لهب، وكان من الرافضة من يصلي لتلك المشاهد، ويركع ويسجد لها الساجد، وقد صرفوا من الأموال والنذور لسكان تلك الأجداث والقبور مالا يحصل عشر معشاره للعزيز الغفور، ويفعلون عند

قبر أبي حنيفة، ومعروف الكرخي من الدعاء والاستغاثة، وسفح العبرات والدموع، والتعظيم والذل، والخضوع، مالا يصدر بين يدي الله في الصلاة من الحضور والخشوع، ويقولون قبر معروف الترياق المجرب.

وأما عبدالقادر الجيلاني فقد فتن به أهل العراق، فيأتون ضريحه في بغداد ويسجدون لحضرته، ويرون أنه لداعيه يسمع من مدة بعيدة، وأجمعوا على أنه يسمع الشكايات؛ ويغيث اللهفات، وزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يطفيء الحريق، وينجي الغريق، وصرفوا له العبادة من دون الله، وبالجملة فهم شر أهل تلك الأمصار، وأعظمهم نفوراً عن الحق، والاستكبار.

وكذلك أيضاً ما حوالي البصرة، وما توسط فيها مثل قبر الحسن البصري، والزبير، فقد أكثروا هناك الدعاء والاستغاثة، وأقبلوا على تلك المشاهد والتجؤ إليها عند الشدائد، وليس هناك منكر لها ولا زاجر، ولا رادع.

وهكذا جميع قرى الشط والمجرة على غاية من الجهل، وكان في القطيف، والبحرين من الرفض والبدع، والشرك، والأحداث المجوسية؛ والمقامات الوثنية، ما يضاد الملة المحمدية، ويصادم الطريقة الحنفية، فلما تفاقم هذا الخطب، وتلاطمت أمواج بحور الشرك والكفر، وادرست أعلام الملة، وانطمست أثارها وخيمت البدع والضلالات.

تجرد هذا الشيخ رحمة الله عليه للدعوة إلى الله تعالى، ورد الناس إلى ما كان عليه سلفهم الصالح في باب العلم والإيمان، وباب العمل الصالح، والإحسان، وترك التعلق على غير الله من الأنبياء والصالحين وعبادتهم، والاعتقاد في الأحجار والأشجار والغيران، وغيرها، فاستحسن بعض الناس ما يقول ممن سبقت له من الله السعادة، وكان على بصيرة وهدى من ربه، ولكن لظهور الجهل والجاهلين، لم يتمكنوا من إزالة بدع المبتدعىن، ولم يقدروا على رد هؤلاء الشاردين، ثم إن الشيخ طلب من والده عبدالوهاب أن يسمح له بالحج إلى بيت الله الحرام فأجابه إلى طلبه، وبادر الشيخ

بالحج إلى بيت الله الحرام، وأدى المناسك، ثم إنه قصد المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأقام بها شهرين.

ثم إنه رجع إلى وطنه وأشتغل بالقراءة في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، ثم بعد ذلك رحل لطلب العلم، وذاق حلاوة التحصيل، والفهم وزاحم العلماء والكبار، وذهب إلى الحجاز والبصرة مراراً.

ولما أن وصل المدينة، وجد فيها الشيخ العالم عبدالله بن إبراهيم بن سيف النجدي من آل سيف رؤساء بلد المجمعة، فأخذ الشيخ عنه، وذكر أنه كان عنده يوماً من الأيام فقال له عبدالله بن سيف المذكور: تريد أن أريك سلاماً أعددته للمجمعة، فقال له نعم، فأدخله في منزل قد مليء بكتب كثيرة فقال هذا الذي أعددنا لها ثم إن الشيخ رحمه الله كان عنده، وأخذ بيده مرة فمضى به إلى الشيخ العلامة محمد حياة السندي المدني فأخبره بالشيخ محمد وعرفه به وبأهله، فأقام الشيخ عنده وأحبه، وأخذ عنه ولما كان ذات مرة في حال إقامته في المدينة وقف عند الحجرة النبوية، وإلى جانبه الشيخ محمد حياة فرأى الشيخ أناساً يدعون رسول الله ﷺ ويستغيثون بالحجرة، ويطلبون الحاجات من رسول الله ﷺ ، فالتفت الشيخ محمد إلى الشيخ محمد حياة وقال له ما تقول يا شيخ في هؤلاء، فرفع محمد حياة إصبعه إليهم، وقال: «إن هؤلاء متبر ما هم فيه، وباطل ما كانوا يعملون» فقال له الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ما منعك من الإنكار عليهم، قال لا أقدر، أنا ولا أنت على ذلك فوثق به الشيخ، واتخذه صديقاً، وأقام في المدينة ما شاء الله، ثم خرج منها إلى نجد، وتجهز إلى البصرة يريد الشام، ولما أن وصلها جلس فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة، قرية من أعمال البصرة في مدرسة فيها، وهذا العالم كان اسمه محمد المجموعي، فأقام مدة يقرأ عليه فيها، وينكر أشياء من البدع، وأعلن بالإنكار واستحسن شيخه ذلك، وقرر له التوحيد، وانتفع به وحكي عن رجل في مجموعة البصرة، إن أولاد ذلك العالم كانوا أحسن أهل بلدهم صلاحاً ومعرفةً للتوحيد، ذلك لما نشره الشيخ بين ظهرانيهم، ولما أن قام بالدعوة، هناك اجتمع عليه أناس من رؤساء أهل البصرة، وغيرهم، فنافروه وآذوه أشد الأذى، وأخرجوه منها

وقت الهاجرة، ولحق شيخه أيضاً منهم أذى فسار الشيخ رحمه الله إلى الزبير، غير أنه لما كان في منتصف الطريق أدركه العطش، وأشرف على الهلاك لأنه كان يسير إذ ذاك راجلاً وحده، فوافاه صاحب حمار مكاري يقال له أبو حميدان من أهل بلد الزبير، فرأى عليه الهيبة والوقار، وكان على حالة عجيب من العطش فسقاه وحمله على حماره حتى وصل الزبير فجعل يقلب حيلته فيمن يبدأ بدعوته، فأراد أن يسير على الشام فضاعت نفقته فثنى عزمه، وإنما أراد أن يبدأ بالشام لظنه أنه أسهل انقياداً من نجد.

ولما أراد الله الذي سبقت إرادته أن يجمع أهل نجد بعد الفرقة ويكثرهم بعد القلة، وأن تعمر تلك الرباع بالتوحيد بعدما تدثرت سار الشيخ من تلك الديار إلى جهة الأحساء، ولما أن وصل إليها نزل على الشيخ العالم عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الشافعي الأحسائي.

ثم أنه خرج من الأحساء وقصد بلد حريملا، وكان والده عبدالوهاب قد انتقل إليها من العيينة سنة ١١٣٩هـ بعد وفاة أمير العيينة عبدالله بن معمر في الوباء المشهور الذي وقع في العيينة، وكان لما أن توفي تولى بعده بن ابنه محمد بن حمد الملقب خرفاش فوقع بينه وبين عبدالوهاب منازعة أدت إلى عزل عبدالوهاب عن القضاء، فعزله خرفاش وجعل مكانه أحمد بن عبدالله بن عبدالوهاب بن عبدالله، فانتقل والد الشيخ إلى حريملا فقدم إليها الشيخ محمد واستقر هناك فيها، فجعل ينكر في حريملا ما يفعل الجهال من البدع والشرك في الأفعال والأقوال، وكانوا إذا مرض المريض فالسبب لعافيته اذبحوا له خروفاً بهيماً أسود أو تيساً أصمع، ولا تسموا الله على ذبحه، وأعطوا المريض منه كذا وكذا، وكلوا منه كذا واتركوا كذا وكذا، فربما يشفي الله المريض فتنة لهم واستدراجاً وامتحاناً، وربما يوافق وقت الشفاء المحتوم فيكون فتنة لكل مفتون، واشتد نكير الشيخ لهذه الأمور حتى وقع بينه وبين أبيه نزاع بل وقع بينه وبين أهل البلد النزاع أيضاً، غير أنه تمكن أن ينكر المنكر مدة سنين حتى توفى والده عبدالوهاب في ١١٥٣هـ.

ثم بعد ذلك أعلن الشيخ بالدعوة واشتد نكيره على أهل الأوثان والأصنام، وقام

بأوامر الله ورسوله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهجر ما كان عليه الخلوف من البدع والأغيار، وجادل وقرر الحجج والبينات، وبذل نفسه لله، وأنكر على أصناف بني آدم الخارجين عن سواء السبيل، وما زال هذا دأبه حتى ظهر الإسلام في الأرض، واستجاب له من أراد الله هدايته من الحاضر والباد، وانقمع به أهل الشرك والضلال والفساد.

وكان أهل حريملا إذ ذالك قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة، وهم رؤساء أهل البلد، وكل قبيلة ترى أن الأمر لها وليس لواحدة منهما سلطة على الأخرى، وما كان للبلد رئيس يرجع إليه ويزع الجميع بل كان الأمر يكاد أن يكون فوضى، لأن بلداً لا رئيس له تكثر المنازعة فيه، وما حصل الشقاق في قديم الدهر وحديثه إلا عن عدم الرؤوساء القدراء الذين بإمكان الواحد منهم أن يوقف كل معتد عند حده فثار عبيد لإحدى القبيلتين يقال لهم الحميان، قد كثر فسقهم واعتداؤهم بين الأمة على الشيخ وأرادوا الفتك به، وأن يبيتوه ليلاً وتعاقدوا سراً على ذلك، لما كان من منعه لهم عن الفساد والمنكر والغي، فلما تسوروا عليه الحائط ليلاً علم الناس فصاحوا وهرب العبيد فتبين من هذه الخطة التي أجمعوا كيدهم بها للشيخ أنه مهدد بالخطر الفادح.

فانتقل من حريملاء إلى العيينة، وكان رئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر فرحب به وتلقاه، وأكرمه وتزوج فيها الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، وعرض على الأمير عثمان ما قام به، ودعا إليه وقرر له التوحيد، وشجعه على نصرته، وقال إني أرجوا أن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهرك الله وتملك نجداً وأعرابها، فساعده عثمان بن معمر في بادئ أمره وأعلن الشيخ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبعه أناس من أهالي العيينة فقوي عزمه وقام لإزالة أشجار بها تعظم ويعلق عليها، فبعث إليها سراً من يقطعها بأجرة من ماله فقطعت.

ومن ضمن هذه الأشجار شجرة عظيمة عندهم من أعظم الأشجار لم يتمكن من قطعها مباشرةً فخرج بنفسه سراً لذلك غير أنه وجد عندها راعي غنم أهل البلد فصده عنها، وخافه الشيخ بأن ينم عليه فأعطاه أحد أسلابه التي عليه فلان له الراعي، وتركه وشأنه فقطعها.

ثم أنه صار أمره في ازدياد وظهور، واجتمع مع عصابة نحو من سبعين رجلاً فيهم من هو من رؤساء آل معمر فعزم الشيخ على أن يهدم قبة زيد بن الخطاب رضي الله عنه التي عند الجبيلة وهذه والتي بعدها هي سبب قيامة الأعداء عليه، وشنهم الإغارة عليه، فطلب من عثمان بن معمر مساعدة فعليه لهدمها قائلاً له دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضل بها الناس عن الهدى، فقال له دونكها فاهدمها، فقال إني أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي، فسار معه الأمير بنفسه بنحو من ستمائة مقاتل فلما قربوا منه ظهر عليهم أهل الجبيلة يريدون الدفاع عنها.

فعلم بن معمر بما هموا به فتأهب للحرب وأمر جنوده أن تتعزل للحرب، فكف أهل الجبيلة وخلوا بينهم وبينها فبلغنا عن الأمير عثمان بن معمر لما ظفروا بها أنه قال للشيخ نحن لا نتعرض لها فاهدمها أنت، فأخذ الشيخ فأساً وهدمها حتى سواها في الأرض، فرجعوا وجعل الهمج والرعاع يتربصون به الدوائر، وماذا يحل به من الفواقر بسبب هدمها فاصبح الشيخ بحال جميلة.

وأن قيام بن معمر معه لهدمها ومساعدته تلك المساعدة ليحمد عليها.

ولكنه مع الأسف لم يثبت على تلك المناصرة، واستفزه الذين لا يوقنون فيا له من صارم لولا ما عراه من الأنثلام، وأراد الله أن يفوز بنصرة هذا الشيخ المجدد غيره.

ثم إن امرأة أتت إلى الشيخ واعترفت عنده بالزنا وأنها محصنة، وأقرت على نفسها أربعاً، فسال عن عقلها فإذا بها عاقلة فقال لعلك مغصوبة فنفت ذلك وأقرت بما يوجب الحد، فأمر بها فرجمت كما فعل النبي ﷺ في شأن الغامدية، وماذا على شيخنا إذا تأسى بالرسول ﷺ وأقام الحدود وأجرى أمر الشريعة على الأرض بعدما اندثرت أعلامها فخافه لذلك أهل الزنا والريب والنفاق واستشاط لهذه الفعلة أرباب الفسق والشقاق، ورن صدى هذه الفعلة في مشارق الأرض ومغاربها، وعظم أمر الشيخ وثقل على أعداء الإسلام شأنه، وعجزت عن حملها الأعناق وطبق ذكرها الآفاق.

وبعث قائد الأحساء والقطيف وما حولها من العربان إلى بن معمر يتهدده بقطع راتبه إن لم يقتله، وذلك لما قيل له أن في بلد العيينة عالماً هذه فعاله، هدم القباب وقطع الأشجار، ورجم الزناة، فأرسل هذا القائد المعروف بسليمان بن محمد بن غرير الحميدي بكتاب إلى عثمان بن معمر قال فيه: إن هذا المطوع الذي عندك فعل كذا وكذا، وفعل وفعل ثم تهدده، وقال اقتله فإن لم تفعل قطعنا خراجك الذي عندنا في الأحساء، وكان قدره بلغ ألفا ومئتي أحمر وما يتبعها من طعام وكسوة، فلما ورد عليه كتاب بن غرير، باع الدين بالدنيا وسارع إلى نيل حطامها خائفاً من ذهاب العاجل، نسأل الله العافية، ولما أن قرأ كتابه وما جاء فيه من التهديد لم يسعه مخالفته، وعظم أمره في صدره لأنه لم يتمكن التوحيد فيه، ولم يعلم قدره وما لمن نصره، وقام به من العز والتمكن والسعادة في الدنيا والآخرة.

فبعث إلى الشيخ يقول له إنه أتانا كتاب من سليمان قائد الأحساء وليس لنا طاقة بحربه ولا إغضابه، فقال له الشيخ إن هذا الأمر الذي قمت به ودعوت إليه كلمة «لا إله إلا الله» وأركان الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أنت تمسكت به ونصرته فإن الله سيظهرك على أعدائك فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك فإن ناصيته بيد الله، وإني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك بلاده وما ورائها، وما دونها، فاستحيا بن معمر وأعرض عنه، ثم إنه تعاظم في صدره أمر صاحب الأحساء، وباع العاجل بالآجل عياذاً بالله فأرسل إلى الشيخ ثانياً وقال: إن سليمان أمرنا بطردك ولا نقدر على غضبه، ولا مخالفة أمره لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلادنا فشأنك ونفسك، وخل بلادنا، فأمر فارساً عنده الفريد مع خيالة معه منهم طوالة الحمراني، وقال اركب جوادك وسر بهذا الرجل إلى ما يريد، فقال الشيخ أريد الدرعية، فركب الفارس جواده والشيخ يمشي راجلاً أمامه، وليس معه سوى مروحته، وكان ذلك في شدة الحر في فصل الصيف، وأوعز بن معمر إلى فارسه بأن إذا بلغت به موضع أخيه يعقوب فاقتله عنده، وكان يعقوب هذا رجلاً صالحاً قتل ظلماً بين الدرعية والعيينة، وجعل في غار هناك على

قارعة الطريق، ونسب الشيخ إلى إخوته لأجل الصلاح، فسار الفارس والشيخ أمامه لا يلتفت بل يلهج بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؛ والفارس لا يكلمه، فلما أن بلغ به الموضع المشار إليه سل سيفه وهم بقتله، والشيخ لا يشعر فوقفت يده بإذن الله تعالى، وأصابه رعب شديد حتى لم يستطع المشي قدماً، وبطل كيده فصرف جواده منصرفاً إلى ابن معمر، يروي له هذه الخارقة، ويعبر عن خوفه ورعبه وكيف كانت الحالة التي صدته عن قصده، فمن مبلغاً دحلان وشيعته وأتباعهم عن خوارق العادات لهذا الشيخ، وما قام به من الثبات، وما أجراه الله له من النصر والتمكين، ولكن قد قال أحكم الحاكمين: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الزخرف:٤٠].

وقد أحسن الشيخ محمد بن أحمد الحنفي حيث يقول:

شـيخ الهـدى محمـد المحمـدي	الحنبلـي الأثـري الأحمـدي
دعـا إلى الله وبالتهليلـة	يصـرخ بـين أظهـر القبليـة
مستضـعفاً ومـا لـه مـن ناصـر	ولا لـه معـاون مـوازر
في ذلـة وقلـة وفي يـده	مهفـة تغنيـه عـن مهنـدة
كأنهـا ريـح الصـبا في الرعـب	والحـق يعلـو بجنـود الـرب
قـد أذكـرتني درة لعمـر	وضـرب موسـى بالعصـا للحجـر
ولم يـزل يـدعو إلى ديـن الـنبي	لـيس إلى نفـس دعـا أو مـذهب

إلى أن قال:

ومـن أجـاب داعـي الله ملـك	ومـن تـولى معرضـاً فقـد هلـك
والسـابقون الأولـون السـادة	آل سـعود الكـبراء القـادة
هـم الغيـوث والليـوث والشـنف	ونصـرة الإسـلام والشـم الأنـف
فـأقبلوا والنـاس عنـه أدبـروا	وعرفـوا مـن حقـه مـا نكـروا
حفـوا بـه كأسـد العـرائن	وكـم وكـم لله مـن ضـنائن

ثم إن الشيخ قصد بلد الدرعية فوصل أعلاها في وقت العصر، فنزل على محمد بن سويلم العريني في بيته ونزل في ضيافته، ولما أن دخل عليه ضاقت عليه داره، وخاف على نفسه من أمير الدرعية محمد بن سعود فوعظه الشيخ، وسكن جأشه، وقال سيجعل الله لنا ولك فرجاً ومخرجاً فياله من امتحان وابتلاء لهذا الشيخ، ولكن كما قيل في كلام الحكمة: اشتدى كربة تنفرجي.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد:٣١].

وقال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:٢١٤].

فإن كان الرسول ﷺ أذاه أهل مكة وخرج منها إلى الطائف يريد النصرة فخذله أهل الطائف، ورجع منها مهموماً مكسوف البال فلا تباعه فيه أسوة.

وما أشبه الليلة بالبارحة، فعلى المؤمن الموفق أن يوطن نفسه وينتظر الفرج ويعلق أماله بربه، وكفى به حسيباً.

ولما أن علم بقدومه خصائص من أهل الدرعية زاروه خفية فقرر لهم التوحيد وأستقر في قلوبهم فأرادوا أن يخبروا الأمير محمد بن سعود، ويشيروا عليه بنصرته، ولكنهم هابوه وخشوا سطوته، فاستعانوا عليه بزوجته موضي بنت أبي وهطان، وكانت نبيهة وذات عقل ومعرفة وهي من آل كثير فأتوا إليها وأخبروها بمكانة الشيخ ومنزلته، وما يأمر به وينهى عنه، وعلقوا آمالهم بعد الله عليها يطلبون مساعدتها لهم نحو الأمير، فوقر في قلبها معرفة التوحيد، وقذف الله حب الشيخ في قبلها، وانبعثت إلى زوجها تشجعه وتحثه على النصرة، وأخبرت الأمير بشأن الشيخ وطلبته مناصرته، وقالت له إن هذا الرجل أتى إليك وهو غنيمة ساقها الله إليك فأكرمه وعظّمه، واغتنم نصرته، فإن الله ناصرك ومؤيدك، فقبل الأمير مقالتها

وسمع نصيحتها، وأصغى لها، ورق لحالة الشيخ وألقى الله سبحانه وتعالى في قلبه محبته، وأراد أن يرسل إليه فقالت له زوجته وإخوته سر إليه برجلك في مكانه، وأظهر تعظيمه والاحتفال به فلعل الناس أن يكرموه ويعظموه.

فقام الأمير محمد بن سعود وسار بنفسه إلى الشيخ في بيت بن سويلم جعلها الله خطوات قائدة له إلى الجنان العالية في دار الأخرة وشكر سعيه، وجزى الله زوجته خيراً، ولما دخل عليه في بيت آل سويلم رحب بالشيخ وبدره قائلاً أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة، فقال الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين وهذه كلمة لا إله إلا الله، من تمسك بها وعمل بموجبها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم فإن قمت بهذا الأمر فلا يقاومك أحد إلا أن كانت هذه العنز تقاوم هذا الجبل.

ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله ﷺ وما دعا إليه وما عليه أصحابه رضي الله عنهم من بعده، وما أمروا به وما نهوا عنه، وإن كل بدعة بعدهم ضلالة، وكيف أعزهم الله بالجهاد في سبيلة وأغناهم به، وجعلهم إخواناً ثم أخبره بما عليه أهل نجد إذ ذاك من الشرك بالله تعالى والبدع والاختلاف والجور والظلم.

فلما تحقق الأمير محمد بن سعود معرفة التوحيد وعلم ما فيه من المصالح الدينية والدنيوية، وأنه لا خير إلا في طاعة الله عز وجل، ولا شر إلا في معصيته أطرق رأسه وأرسل فكره الثاقب، وجال رايه فيما يلقاه من العجائب، وما يناله من الأذى والنواكب، إذا قام بهذا الدين وتصافرت عليه الأعداء لأنه إذا قام بهذا الأمر ورام تنفيذه فلا بد أن يصبح عليه الجو وتطبق الأمة على حربه وتجفوه عامة أهل الأرض، إلا من شاء الله لكنه لاقى ذلك بالصبر الجميل ثم رفع رأسه وقال يا شيخ: إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه، وأبشر بالنصرة لك، ولما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد، ولكن أريد أن أشترط عليك اثنتين: الأولى إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا ولك البلدان فإني أخشى أن ترتحل عنا وتستبدل بنا غيرنا، والثانية أن لي على الدرعية قانوناً أخذه منهم في وقت

الثمار وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئاً فقال له الشيخ: فأما الأولى فأبسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم، وأما الثانية فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها، فوقع تحقيق ظنه رحمه الله، فإنه لما كان ذات مرة أتى الأمير بغنيمة عظيمة فقال له الشيخ هذا أكثر مما كنت تأخذه على أهل بلدك فتركها بعد ذلك.

ثم أن الأمير محمد بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الله وشعائر الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقام الشيخ مع الأمير ودخل به البلد واستقر عنده في الدرعية.

ولما احتمى بحمى الله ثم حمى بن سعود تسلل إليه عند ذلك شيعته الذين في العيينة، ومن ينتسب إلى الدين ومن ضمن هؤلاء أناس من رؤساء بلد العيينة معاكسين لعثمان بن معمر، وهاجروا إلى الدرعية، وهاجر أيضاً أناس إليها ممن حولهم من البلدان لما علموا بان الشيخ استقر ومنع ونصر، ولولا خشية الإطالة لأتينا بقصيدة نذكر فيها مآثر آل سعود وما لهؤلاء الأئمة الذين رفع الله قدرهم وشاد في العالمين ذكرهم من السبق إلى المكارم، والسمو إلى همم تعلوا على ذوي الهمم ولكن تركنا ذلك خشية أن يضيق الموسع غير أننا نشاطر المحبين بذكر شيء من مناقب هؤلاء المهديين:

محمـــد الهـــادي لســـنة أحمـــد ... يعيــد ويبــدي غامضــات الفوائــد
إذا افتخــرت يومــاً بقــاع بأهلــها ... فنجـد لهـا فخـر علـى كـل سـائد
لــه في كمــال السـبق بـاع مطـول ... وهمــة نحريــر علـت كـل جاهــد
فبـادر إلى كشـف لـه قـد أتـى بـه ... ليــدفع غيــا قالــه كـــل مــارد
يحـل بـه شـبهاً تضـل عـن الهـدى ... فــأوهى بنــاء شــاده كـل كائــد
بــآي كتــاب الله يــردي لملحــد ... ونصــر رســول الله خــتم الأماجــد
فيــا طالبــاً للحــق يبغــي حصــوله ... هلــم إلى كتـــب لـــه في العقائـــد
ومن عذبه فاشـرب زلالاً عـن الضـما ... لتنجــو بــه يــوم الجــزاء والمــوارد

عليـه سـلام الله مـا هبـت الصبا   ورحماتـه تـترى كـثير التـوارد

وهذه أبيات تتعلق في مديح آل سعود في مناصرتهم للشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب:

لقـد أتـى الشـيخ مطـروداً ومضـطهداً   مـن البريـة لا تلقـاه منصـورا
قد أعرض الناس عـن أقوالـه وجفـوا   وقـابلوا دعـوة دعـا بهـا زورا
واسـتبدلو الخـير بالشـر المشـوم وقـد   اسـتأثروا بخرافـات وتسـطيرا
وكـان في بلـدة الدرعيـة العظمـا   أكـرم بهـم نصـرة للـدين بـل سـورا
رئيسـهم ماجـد تسـمو مناقبـه   نجـل السـعود أبـو الأشـبال مشـهوراً
ربـاعهم للهـدى مـأوى وملتجـا   سـبحان مـن زادهـم فضـلا وتبصـيراً
يقـول يـا شـيخ أهـلاً إن مقـدمكم   لقـد هـدى أمـة نـالوا بـه نـورا
وقـام يشـدد لـه ازراً ويعضـده   مقـدما نفسـه إذ ذاك تقـديرا
شـرع الإلـه فـلا نبغـي لـه بـدلاً   ومـن يـرم غـير ذا نرديـه مـدحورا

ولي من أبيات في مديح آل سعود بمناصرتهم للشيخ:

بـآل سـعود أيـد الله حزبـه   وعـاد بهـم نجـم الـردى شـرايب
أتـى نحـوهم شـيخ الوجـود لنصـره   بوقـت بـه ضـاق الفضـا مـن معائـب
محمـد الموصـوف بـالعلم والهـدى   فوائـده يهـدي بهـا كـل ناكـب
رجـال يـدينون الإلـه بشـرعه   سـيماهم التوحيـد مـع قطـع شـائب
ويسـعون في نيـل الفضـائل جهـدهم   يريدون من رب الورى حسـن عاقـب
فقاموا بـإكرام علـى حسـب قـدرهم   ومـا المـرء إلا ذكـره في المراتـب
أحاط بهـم مـن حـزب الإلـه بطانـة   علـيهم بهـاء الصـدق لـيس بكـاذب
وما زال يسـعى الشـهم أعـني محمـدا   سـليل سـعود في اقتحـام المعاطـب
يريـد جهـاداً بـالنفيس ونفسـه   وأنجالـه الغـر الكـرام الأطايـب
على حسب ما يرسم لـه مـن طريقـة   تعـود علـى الإسـلام في كـل صـائب

على كـل مـا يـرزا بـه يلـق صـابراً صـبوراً علـى الشـدات عنـد النوائـب
لقـد نصـر الإسـلام بـالبيض والقنـا وبـالنفس حتـى دان كـل محـارب
فـلا زال مـن أبنـاءه الغـر قـادةً يحامون عـن ديـن الهـدى كـل خائـب
أولئـك الأنجـاب مـن آل مقـرن ليـوث لـدى الهيجـاء لكسـر الكتائـب
فمن مثلـهم في النـاس جـوداً وعفـةً وحزمـاً وإقـداماً غيـوث المسـاغب
فمـا أحسـن التقـوى وأبهـى لباسـها مجملـة أصـحابها في النوائـب

ولما هاجر المهاجرون إلى الدرعية واستوطنوها كانوا في عيش ضيق وحاجة شديدة وابتلوا بلاء شديداً في ضيق المعيشة، فكانوا في الليل يحترفون بالأجرة، وفي النهار يتعلمون من الشيخ حلقاً في المساجد، يذاكرون في الحديث وفنون العلم، أضف إلى ذلك أن أهل الدرعية إذ ذالك في غاية الضعف، وضيق المؤنة، ولكن قد قال المبعوث إلى كافة الناس في وصيته للحبر ابن عباس: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا»، وجعل الشيخ رحمه الله يتحمل الدَّين الكثير في ذمته عن المهاجرين لمؤنتهم، وما يحتاجون إليه، وفي حوائج الناس وجوائز الوفود إليه من البلدان والبوادي، وكان استيطانه للدرعية سنة ١١٥٨هـ.

وقد قدم عليه عثمان بن معمر في الدرعية لما علم أن بن سعود قد أواه ونصره، وأن أهل الدرعية فرحوا به وأقبلوا عليه، كما أنه قد هاجر إليه من العيينة أناس وفيهم من هم من أسرته، وتركوه وبلاده، وكان قد ركب إليه في عدة رجال من أهل العيينة ورؤسائها، وندم على طرده وخاف منه أموراً تتفاقم عليه.

ولما أن قدم على الشيخ في الدرعية حاوله على الرجوع معه، ووعده النصرة والمنعة، فقال له الشيخ: ليس هذا لي إنما هو إلى محمد بن سعود، فإن أراد أن أذهب معك ذهبت، وإن أراد أن أقيم عنده أقمت، ولا أستبدل برجل المقاني غيره إلا أن يأذن لي، فأتى عثمان إلى أمير المؤمنين محمد بن سعود يطلب منه الشيخ فأبى عليه،

ولم يجد إلى ذلك سبيلا فرجع خائباً إلى بلده، وأبى الله أن يكون ظهور الدين إلا على يدي الأمير ابن سعود وأنجاله، ثم إن الشيخ أخذ يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم ويبين للناس ما أنزل إليهم من ربهم، وأمرهم أن يتعلموا معنى لا إله إلا الله، وأنها تنفي وتثبت، فلا إله تنفي جميع المعبودات وإلا الله تثبت العبادة لفاطر الأرض والسموات، ثم أمرهم بتعلم ثلاثة الأصول؛ وهي معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته، والهيته كالشمس والقمر والليل والنهار، ومعرفة دين الإسلام وأنه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، وأنه ثلاث مراتب، ومعرفة النبي محمد ﷺ والتفريق بين دينه ودين أبي جهل وأتباعه، فلما أن استقر في قلوبهم معرفة التوحيد بعد الجاهلية أشرب في قلوبهم محبة الشيخ وأحبوا المهاجرين، وأووهم، وكانوا قبل ذلك قد وقعوا في الشرك الأكبر والأصغر، وتهاونوا بالصلاة والزكاة، فلا للأحكام يعرفون، ولا بالشريعة يتقيدون، ثم إنه ألّف الرسائل والكتب، وحذر فيها من طرق الغي والرذائل، وبثها مفسرة بأوضح البراهين والدلائل؛ وكتب إلى أهل البلدان ورؤسائها وفقهائها، ومدعى العلم منهم وباح بما عنده، فمنهم من قبل واتبع الحق وفاز بسعادة الدنيا والآخرة، فاستجابوا لدعوته بعد أن كانوا في بيداء الضلالة واستضاؤا بنور الوحي والرسالة وهم الأقلون، ومنهم من عصى وهم الأكثرون، وأعرضوا عن دعوته، واتخذوه سخرياً ونسبوه إلى الجهل، ومنهم من نسبه إلى السحر، وأن مذهبه مذهب خامس، وأنه يريد أن يدعى النبوة وغير ذلك من أمور اختلقوها من تلقاء أنفسهم، قبحهم الله، ومن لم يراقب الله ولم يصن وجهه ولم يرع مخلوقاً، فليفعل ما شاء، نعوذ بالله من الخذلان فيا ويحهم إذا وقفوا بين يدي رب الأرباب، وشهدت عليهم الجلود والأسماع والأبصار، ويا خجلهم من ارتكاب سبيل هذه الورطة التي لوا بها عن الصراط المستقيم، وسكلوا لأجلها طريق الشقاء والجحيم.

ومما قاله الشيخ المرسوم بالدين والإيمان المدعو بملا عمران بن علي بن رضوان

صاحب لنجة من بنادر العجم في ذبّه عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما افتراه عليه أعداء الإسلام، وأهل الضلال من الطغاة:

جاءت قصيدتهم تروح وتغتدي ... في سبب دين الهاشمي محمد
قد زخرفوها للعوام بقولهم ... إن الكتاب هو الهدى فيه اقتدي
لو أن ناظمها تمسك بالذي ... قد قال فيها أولاً إذ يبتدى

إلى أن قال:

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة ... يدعون أصحاب القبور الهمد
تاجا وشمسان ومن ضاهاهما ... من قبة أو تربة أو مشهد
يرجون منهم قربة وشفاعة ... ويؤملون كذاك أخذاً باليد
ورأوا لعباد القبور تقربا ... بالنذر والذبح الشنيع المفسد
ما أنكر القراء والأشياخ ما ... شهدوا من الفعل الذي لم يحمد
بل جوزوه وشاركوا في أكله ... من كان يذبح للقبور ويفتد
فأتاهم الشيخ المشار إليه ... بالنصح المبين وبالكلام الجيد
يدعوهم لله أن لا تعبدوا ... إلا المهيمن ذا الجلال السرمدي
لا تشركوا ملكاً ولا من مرسل ... كلا ولا من صالح أو سيد
فتنافروا عنه وقالوا ليس ذا ... إلا عجيب عندنا لم يعهد
ما قاله آباؤنا أيضاً ولا ... أجدادنا أهل الحجى والسؤود
أنا وجدنا جملة الآباء على ... هذا فنحن بما وجدنا نقتدي
فالشيخ لما أن رأى الشأن من ... أهل الزمان اشتد غير مقلد
نادا هموا يا قوم كيف جعلتموا ... لله أنداداً بغير تعدد
قالوا له بل إن قلبك مظلم ... لم تعتقد في صالح متعبد

** **

قد عيروه بأنه قد كان في ... وادي حنيفة دار من لم يسعد
قلنا لهم ما ضر مصر فإنها ... كانت لفرعون الشقي الأطرد

إن النمـــــاردة الفراعنـــــة الأولى كـــانوا بـــأرض الله أهـــل تـــردد
ذا قـــال أنـــا رب وذا متنبـــئ هـــم في بـــلاد الله أهـــل تـــرددي
يمنـاً وشـاماً والعـراق ومصـرها مـــن كـــل طـــاغ في البريـــة مفســـد
فبمـوتهم طابـت وطـار غبارهـا وزهـــت بتوحيـــد الإلـــه المفـــرد
إن المـــواطن لا تشـــرف ســـاكناً فيهـــا ولا تهديـــه إن لم يهتـــد
مـــن كـــان لله الكـــريم موحـــداً لـــو مـــات في جـــوف الكنيـــف المطـــرد
وبعكسـه مـن كـان يشـرك فهـو لم يفلـح ولـو قـد مـات وسـط المسـجد
خـرج الـنبي المصـطفى مـن مكـة وبقـي أبـو جهـل الـذي لم يهتـدي
إن الأمـــاكن لا تقـــدس أهلـــها إن لم يكونـوا قـائمين علـى الهـدى
لـو أنصـفوا لـرأوا لـه فضـلاً علـى إظهـار مـا قـد ضـيعوه مـن اليـد
ودعـــوا لـــه بـــالخير بعـــد مماتـــه ليكـــافئوه علـــى وفـــاق المرشـــد
قـــالوا لـــه غشـــاش أمـــة أحمـــد وهـــو النصـــيح بكـــل وجـــه يبتـــدي
هـل قـال إلا وحـدوا رب السـما وذروا عبـادة مـا سـوى المتفـرد
وتمســكوا بالســنة البيضـــا ولا تتنطعـــــوا بزيـــــادة وتـــــردد
عجبـاً لمـن يتلـو الكتـاب ويـدعى علـم الحـديث مسلسـلاً في المسـند
ويقـــول للتوحيـــد غشـــا إن ذا خطـر علـى مـن قـال فليتشـهد
ويجـــدد الإســـلام والإيمـــان معتقـداً بـأن الشـيخ خـير مجـدد
مـــا ذنبـــه في النـــاس إلا أنـــه هـدم القبـاب وتلـك سـنة أحمـد

إلى أن قال:

قـــالوا صـــبأتم نحـــوه قلنـــا لهـــم الحـــق شمـــس البصـــير المهتـــد
مـــا بيننـــا نســـب نميـــل بـــه ولا حســـب قريبـــاً لـــه يتـــودد
أيضاً ولا هو جارنـا الأدنـى الـذي نمتـــار نعمتـــه ولم نســـترفد
لكنهـا شمـس الظهـيرة قـد بـدت لـذوي البصـائر فاهتـدى مـن يقتـد

إلى آخر القصيدة وكلها من هذا النمط لكننا أحببنا الاختصار.

وقال أيضاً رحمه الله لما جد واجتهد في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله والذب عن أهل الإسلام الموحدين فلقبوه بالوهابي فانشأ هذه القصيدة:

إن كـــان تـــابع أحمـــد متوهبـــاً فأنـــا المقـــر بـــأنني وهـــابي
أنفى الشريك عـن الإلـه لـيس لـي رب ســـوى المتفـــرد الوهـــاب
لا قبـــة ترجـــى ولا وثـــن ولا قـــبر لـــه ســـبب مـــن الأســـباب
كـــلا ولا شـــجر ولا حجـــر ولا عـــين ولا نصـــب مـــن الأنصـــاب
أيضـــاً ولســـت معلقـــاً لتميمـــة أو حلقـــة أو ودعـــة أو نـــاب
لرجـــاء نفـــع أو لـــدفع بليـــة الله يـــنفعني ويـــدفع مـــا بـــي
والابتـــداع وكـــل أمـــر محـــدث في الـــدين ينكـــره أولـــو الألبـــاب
أرجـــو بـــأني ولا أقاربـــه ولا أرضـــاه دينـــاً وهـــو غـــير صـــواب

ثم ذكر عقيدته التي يدين الله بها حيث أنها عقيدة الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة وعقب ذلك بقوله:

وبعصـــرنا مـــن جـــاء معتقـــداً بـــه صـــاحوا عليـــه مجســـم وهـــابي
جـــاء الحـــديث بغربـــة الإســـلام فليبـــك المحـــب لغربـــة الأحبـــاب
هـــذا زمـــان مـــن أراد نجاتـــه لا يعتمـــد إلا حضـــور كتـــاب
خـــير لـــه مـــن صـــاحب مـــتهجم ذي بدعـــة يمشـــي كمشـــي غـــراب
مهمـــا تلـــى القـــرآن قـــال عبـــارة أي أنـــه كمترجـــم لخطـــاب
وإذا تلى آي الصفات يخـوض بهـا تأويلـــها خوضـــاً بغـــير حســـاب
فـــالله يجمعنـــا ويحفـــظ ديننـــا مـــن شـــر كـــل معانـــد ســـباب
ويؤيـــد الـــدين الحنيـــف بعصـــبة متمســـكين بســـنة وكتـــاب
لا يأخـــذون بـــرأيهم وقياســـهم ولهـــم إلى الـــوحيين خـــير مـــآب
لا يشـــربون مـــن المكـــدر إنمـــا لهـــم مـــن الصـــافي ألـــذ شـــراب

قــد أخــبر المختــار عــنهم أنهــم غربــاء بــين الأهــل والأصــحاب
في معـزل عـنهم وعـن شـطحاتهم وعــن الغلــو وعــن بنــاء قبــاب

وقال عالم صنعاء الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني يمتدح إمام الدعوة ويثني عليه:

قفي واسألي عن عالم حل سوحها به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمــــد الهــــادي لســــنة أحمــــد فيا حبـذا الهـادي ويـا حبـذا المهـدي
لقد أنكـرت كـل الطوائـف قولـه بـلا صـدر في الحـق مـنهم ولا ورد
ومـا كـل قـول بـالقبول مقابـل ولا كل قـول واجـب الطـرد والـرد
سـوى مـا أتـى عـن ربنـا ورسوله فـذلك قـول جـل يـا ذا عـن الـرد
وأمــا أقاويــل الرجــال فإنهــا تـدور علـى قـدر الأدلـة في النقـد
لقد سـرني مـا جـاءني مـن طريقه وكنت أرى هذي الطريق لي وحدي
وقـد جـاءت الأخبـار عنـه بأنـه يعيد لنـا الشـرع الشـريف بمـا يبـدي
وينشر جهراً ما طـوى كـل جاهـل ومبتــدع منــه فوافــق مــا عنــدي
ويعمـر أركـان الشـريعة هادمـاً مشاهد ضل الناس فيها عـن الرشـد
أعـادوا بهـا معنـى سـواع ومثلـه يغـوث وود بـئس ذلـك مـن ود
وقد هتفـوا عنـد الشـدائد باسمهـا كمـا يهتـف المضـطر بالصـمد الفـرد
وكم عقروا في سـوحها مـن عقـيرة أهلـت لغـير الله جهـراً علـى عمـد
وكـم طـائف حـول القـبر مقبـل ومتســلم الأركــان مــنهن باليــد

وقال بعض أدباء أهل بريدة لما ذكر ما لفقه أعداء الشريعة من الأكاذيب على الشيخ محمد بن عبدالوهاب فأتى بالرد عليهم بعد ذلك بقوله:

أقـول فلمـا أعلنـوا الثلـب للهـدى وصــاروا بــه فــوق المنــابر يخطبــوا
وكتــبهم في ذا تــروح وتغتــدي بتزويــر قــول نمقــوه وأســهبوا
أكاذيـب أن تقصـد تحقـق مـا حكـوا تجـده سـجايا كـاذب فهـو خلـب

فكـــم حـــركتني لا لنفســـي غـــيرة ولكـــن لـــنهج الحـــق ذاك المســـلحب
لا دفـــع مـــا قـــد قـــذروه وعـــدتي من الآى مع نص الأحاديـث اشـطب
إذا صـــادف الأعنـــاق مـــنهم أبانهـــا لكـــي يـــدر نمـــر الـــزور أنـــه ثعلـــب

إلى أن قال:

ولكـــن علمـــي أن بـــدر ذوي الهـــدى سيقصـــر عنـــه النـــبح لـــو جـــدأ كلـــب
يهـــون مـــا قـــد حـــل بـــي وكـــذا إذا ذكرت سيجزي الكل ما كـان يكسـب
وإلا فمـــا شـــيخ الهـــداة يـــذم أو ســـبيلهم فهـــو الســـبيل الأطيـــب
فجـــدد ديـــن الله يـــدعو لشـــامهم بهنـــد ومصـــر والعـــراق ويثـــرب
على فترة قـد جـاء نجـداً وقـد فشـى بها الجهل حتـى جـاء يـدعو ويسـلف
فريـداً دعـا للحـق مـن غـير ناصـر ولكـــن ديـــن الله يعلـــو ويغلـــب
فقـام علـى سـاق اجتهـاد مشـمرا إلى الله يـدعو لا مـن الضـد يرهـب
فمهمـــا يكيـــدوه بـــأمر تجـــده في مكائـــدهم يشـــتد حقـــاً ويصـــلب
ومن أجـل ذا لمـا اعتقـدت اعتقـاده أبنـــت بنظمـــي مـــا لـــدي محبـــب
توهبـت لمـا أن رأيـت أولـي النهـى أنـــابوا إلى ســـبيل الهـــدى وتوهبـــوا
فمـــا هـــو إلا ســـنة نبويـــة وآيـــات قـــرآن تقـــال وتكتـــب
فـــإن قيـــل قـــال الـــنبي فـــإنني أهـــش إلى تلـــك المقـــال وأطـــرب
ومـــا أنـــا أرضـــى غـــير هـــدي محمـــد ففيـــه إلى رب الهـــدى أتقـــرب

إلى آخر قصيدته التي وضحت مذهب الوهابية وأنه مذهب الإمام أحمد بن حنبل والأئمة المرضيين.

ولا نطيل بذكر ما امتدحه به الشيخ سليمان بن سحمان لأن لو أتينا بما ينبغي لضاق الموسع غير أننا نأتي بأنموذج من كلام حسان السنة في وقته محي السنة ومميت البدعة الشيخ المشار إليه قال رحمه الله في رده على بابصيل بعد أبيات أبان فيها عقيدة الشيخ ثم قال بعد ذلك:

فـــاظهر مولانـــا بفضـــل ورحمـــة وجـــود وإحســـان أمامـــاً مفهمـــا
تقيـــا نقيـــاً ألمعيـــاً مهـــذباً نبـيلاً جلـيلاً بالهـدى قـد ترسمـا
تبحـر في كـل الفنـون فلـم يكـن يشـق لـه فيهـا غبـار ولـن ومـا
وسـباق غايـات وطـلاع أنجـد وبحـر خضـم إن تلاطـم أوطمـا
فاطـد للتوحيـد ركنـاً مشـيداً وأرشـد حيرانـاً لـذاك وعلمـاً
وحذر عـن نهـج الـردى كـل مسـلم وهدى من الإشراك ما كـان قـد سما
فـأقوى وأوهـى كـل كفـر ومعبـد بجـد وأعلـى ذروة الحـق فاسـتما
وجادلـه الأحبـار فيمـا أتـى بـه وكل امـرء منهم لـدى الحق أحجمـا
وألـزم كـلاً عجـزه فتـألبوا عليـه وغـادوه عنـاداً ومأثمـاً
فلـم يخش في الـرحمن لومـة لائـم ولا صـده كيـد مـن القـوم قـد طمـا
وكـل امـرء أبـدى العـداوة جاهـداً وبـالكفر والتجهيـل والبهـت قـدر مـا
فـأظهره المـولى عـل كـل مـن بغـى عليـه وعـاداه فمـا نـال مغنمـا
وكيـف وقـد أبـدى نوابـغ جهلـهم فكـم مقـول منهم تحـدى فأبكمـا
وألقمـه بـالحق والصـدق صـخرةً وكـان إذا لاقـى العـداة عثمثمـا
وقـد رفـع المـولى بـه رتبـة الهـدى بوقـت بـه الكفـر ادلهـم وأجهمـا
فزالت مباني الشرك بالدين وانمحت وفـل حسـام كـان بـالكفر لهـذما
وحالت معاني الغي واللـهو والهـوى بإشـراق نـور الحـق لمـا تبسـما

ولا نطيل بمدح العلماء له إذ المقصود الإشارة إلى شيء من ترجمته.

ولما أبى أكثر الخلق عن اتباع الحق ورأى تصميم الأكثر على ما هم عليه قبل ذلك، أمر بالجهاد وحث عليه فاستعد أهل الدين وامتثلوا، فأول جيش غزا سبع ركائب، وكانوا لم يعتادوا ذلك؛ فلما ركبوها وأخذت النجائب في سرعة السير سقطوا من أكوارها، ثم أغارت هذه النجائب على بعض الأعراب فغنموا ورجعوا سالمين، وصبر الأمير محمد بن سعود لأول وهلة وصدمة لأن الحرب سجال؛ ثم إنها تتابعت الغزوات؛ وكان الشيخ رحمه الله هو الذي يجهز الجيوش، ويبعث

السرايا، ويكاتب أهل البلدان ويكاتبونه، وتفد الوفود إليه والضيوف عنده والداخل والخارج، فإنه يرجع إليه فلم يزل مجاهداً حتى أذعن أهل نجد وانقادوا للحق وتابعوه وبايعوه، فعمرت نجد بعد خرابها، وصلحت بعد فسادها، ونال الفخر والملك من آواه، وصاروا ملوكاً بعد الذل وضيق الجاه، وأمد الله أهل الدرعية بجنده، وساعدهم بالعز والقبول، حتى أصبحت إذ ذاك مركز الدائرة، وتوالت عليها الفتوحات وترادفت إليها البركات، فكانت موضع الإعجاب والبهجة والنعمة والسرور والازدهار، بحيث يعجز عن عد صفات القبول عليها اللسان، ويكل عن التعبير عنها البيان، وسنلوح لذلك عن قريب.

ذكر علو قدره وإسناد الأمور إليه

كان آل سعود قد أسندوا الأمور إليه فكانت الأخماس والزكوات، وما يجيء إلى الدرعية من جل الأشياء ودقها تدفع إليه فيضعها حيث شاء، ولا يأخذ الإمام عبدالعزيز ولا غيره من ذلك شيئاً إلا عن أمره، وتدبيره فبيده الحل والعقد والأخذ والإعطاء والتقديم والتأخير، ولما فتح الله الرياض ورجف بدهام بن دواس أحصي الدين الذي في ذمة الشيخ مما يبذله لله، وفي إظهار دينه وإعلاء كلمته، فبلغ ألف محمدية فقضاها من غنائمها، وكان لا يمسك على دينار ولا درهم، وجميع ما يرد من الأخماس والزكاة وغيرها، يفرقه في أوانه ويعطي العطاء الجزيل بحيث أنه يهب خمس الغنيمة العظيمة لاثنين وثلاثة، وكان لا يرسل جيش ولا يصدر رأي ولا تدبير من الأمير محمد وابنه عبدالعزيز إلا عن رأيه وأمره.

وبالجملة فبيت المال أمره إليه قد فوض إليه أمره وأسند إليه شأنه.

فلما فتح الله الرياض واتسعت ناحية الإسلام، وأمنت السبل وانقاد كل صعب من حاضر وبادي، جعل الشيخ الأمر بيد عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وفوض أمور المسلمين وبيت المال إليه، وانسلخ منها بعدما أسسها ولزم العبادة، وتعليم العلم، ولكن عبدالعزيز ما كان ليمضي بأمر دونه، ولا ينفذ شيئاً دون إذنه

ورأيه، وكان عطاؤه عضاء من وثق بالله بحيث لا يخشى الفقر، وكان كثير اللهج بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وعليه سيما الهيبة التي لم تحصل للملوك ولا للأمراء، ولم نسمع بها لغيره من العلماء والرؤوساء مع تواضعه ولين جانبه وخفض جناحه لطلاب العلم والسائل والمستفد وذي الحاجة والفاقة.

وبالجملة ففضائله أكثر من أن تحصر؛ وأشهر من أن تذكر، ولقد تضمخت ألسنة أعدائه بمسبته في أول ظهوره حسداً وبغياً كما قال الشاعر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

ومع ما يسمع من الأذى وينقل إليه وينمي يتضرع إلى فاطره أن يشرح صدور أعدائه للحق، وأن يسهل لهم قبوله ويعاملهم بعد القدرة بالصفح والعفو والمغفرة، ويسارع إلى قبول معذرة من جاء إليه معتذراً من العلماء والرؤوساء لما وفدوا إليه منقادين وأذلهم الله بين يديه، فما وبخ ولا أهان بل أبدى البشاشة والعطف كأن لم يصدر منهم شيء، وهذه صفات كما قال الله عنه: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥]، ولو أرخينا عنان القلم لطال الكلام ولخرجنا عن المقصود.

ذكر مؤلفات الشيخ

أما مؤلفاته فهي الموارد العذبة اليانعة تدل على قدر مؤلفها وفضله ومكانته في العلم، إذ هو العالم الذي لا يبارى والجواد الذي لا يجارى، نفع الله بها المسلمين وجعلها للموحدين وهي عديدة ومسائلها مفيدة،

فمنها كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وهو كتاب لم ينسج مصنف على منواله، ولقد بارك الله بهذا المؤلف وشرحه العلماء، مثل الشيخ سليمان بن عبدالله، والشيخ عبدالرحمن بن حسن، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، والشيخ حمد بن عتيق.

ومنها كتاب كشف الشبهات الذي غدا بين الأمة جواهر لا قيمة لها.

ومنها كتاب ثلاثة الأصول، وشروط الصلاة وأركانها وغير ذلك، ثم ختمه

بأربع القواعد، وكان لا يستغني عنها مبتدي ولا منتهي.

وكتاب مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد.

وكتاب أصول الإيمان.

وكتاب فضائل الإسلام.

وكتاب الكبائر.

وكتاب آداب المشي إلى الصلاة، وهو هذا المتداول في أيدي الناس، قد جعل الله له قبولاً بين الأمة، وهو مأخوذ من شرح الإقناع.

وكتاب نصيحة المسلمين.

وكلامه على القرآن أكثر من مجلد.

ومختصر الإنصاف والشرح الكبير في مجلد ضخم.

وكتاب مختصر الهدى.

وكتاب مختصر سيرة ابن هشام، وهذه الثلاثة من أحسن ما يكون.

ومسائل الجاهلية التي خالف فيها الرسول أهل الجاهلية، بلغت مائة وتسعاً وعشرين.

وكتاب في الحديث كوضع المنتقى.

وكتاب نواقض الإسلام مردوفاً بعشر درجات تتعلق ببطلان الشرك، ومعاملة أهله، وثمان حالات لإقامة دين الحنيفية، والكلام على بعض فوائد الفاتحة.

أما الرسائل والأجوبة الفقهية والأصولية فإنها كثيرة جداً لا يمكن استيعابها، وهي بعمومها تدل على إخلاص مؤلفها وصدقه وتحقيقه وبراعته، فنسأل الله تعالى أن يجازيه عن الإسلام وأهله خيراً.

ولقد بعث إلى أحد إخواني في الله لما بعثه جلالة الملك عبدالعزيز إماماً ومرشداً في جهة اليمن، لما أن فتحها الله عليه، فأقام هناك ورفقته من الأئمة والمرشدين

يبينون ويعلمون كما سيمر في هذا التاريخ، فقال في كتابه لما رأى من الأمور الشركية والبدع الوخيمة والوثنية في تلك الجهات، أنه يجب الدعاء للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وإن فضله علينا أعظم من آبائنا وأمهاتنا، ولا يعرف قدر للشيخ إلا من شاهد مثل ما شهدنا من البدع والكفر، فيجب علينا أن نقدمه بالدعاء له قبل آبائنا وأمهاتنا لأنه أخرجنا من ظلمات الجهل إلى نورا لعلم والتوحيد، وصدق هذا القائل فقد بلغت الحال بالشيخ محمد إلى أن قام بالملتزم يدعو الله أن يهدي خلقه؛ وذلك لما أراد نشر دعوته في نجد وغيرها، فرحمة الله عليه من إمام جدد معالم الإسلام وسعى في هداية الأنام، وجاهد في سبيل الله حتى أبلج الحق واستقام، فعليه من الرحمن أعظم الرحمة والسلام.

وذكر مشايخه وتلامذته

أما مشايخه فإنه أخذ عن والده عبدالوهاب وأشتغل في العلم بين يدي أبيه وجد في الطلب، وذلك قبل رحلته لطلب العلم في كثير من البلاد وكان والده يتوسم فيه الفضل والعلم ويحدث أخا الشيخ سليمان بذلك حتى قال له لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام، وأخذ عن الشيخ المدني محمد حياة السندي وأخذ عن الشيخ عبدالله بن سيف وأخذ عن الشيخ محمد المجموعي صاحب البصرة وغيرهم.

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فإنهم علماء كبراء من بنيه وبني بنيه وغيرهم من علماء النواحي والأقطار فمنهم أبناؤه الأربعة العلماء الأذكياء والقضاة الفضلاء الذين جمعوا أنواع العلوم الشرعية، واستكملوا الفنون الأدبية، وهؤلاء حسين وعبدالله وعلي وإبراهيم وكل هؤلاء جهابذة نجباء فلا تسأل عما كانوا عليه من التدريس والحفظ والذكاء الذي فاقوا به الأقران، ونفعوا به الغرباء والسكان، ولكل واحد منهم قرب بيته مدرسة فيها طلبة العلم من الغرباء ونفقتهم من بيت المال ويأخذون عنهم فنون العلم في كل وقت.

فأما حسين فهو الخليفة بعد أبيه والقاضي في بلد الدرعية وله عدة بنين طلبة علم وقضاة.

وأشهرهم علي بن الحسين وحمد وحسن وعبدالرحمن وعبدالملك.

فأما علي فهو الشيخ الفاضل وحاوي الفضائل العلامة في الأصول والفروع، الجامع بين المعقول والمشروع، كاشف المشكلات، ومفتاح خزائن أسرار الآيات، قاضي الدرعية بوجود أعمامه وخليفتهم فيها إذا غابوا زمن سعود وابنه عبدالله ثم القضاء للإمام تركي بن عبدالله آل سعود في حوطة بني تميم؛ ثم كان قاضياً في بلد الرياض للإمام فيصل بن تركي، وكان له معرفة تامة في الحديث والفقه والتفسير وغير ذلك، وأما حسن فولي قضاء الرياض زمن تركي بن عبدالله، وله معرفة تامة في الفقه وغيره ولكنها لم تطل حياته فقد مات ١٢٤٥ وأما عبدالرحمن بن حسين فقد ولي القضاء في ناحية الخرج لتركي بن عبدالله ثم لابنه فيصل وله معرفة ودراية في الفقه والتفسير والنحو وغير ذلك، وأما حمد وعبدالملك فطلبة علم ولديهم معرفة.

وأما عبدالله بن الشيخ فهو الخليفة بعد أخيه حسين في القضاء وكان هو قاضي الدرعية زمن سعود بن عبدالعزيز، وكان آية من آيات الله في العلم والمعرفة، وله خبرة في الحديث ورجاله وفنون العلوم وكذا كان ابنه سليمان بن عبدالله فقد كان آية من آيات الله في العلم ولديه معرفة تامة في الحديث ورجاله وصحيحه وحسنه وضعيفه والفقه والتفسير والنحو وكان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم وكان حسن الخط؛ فما كان في زمنه من يكتب مثل كتابته وله كتاب شرح التوحيد سماه تيسير العزيز الحميد ولكنه مع الأسف لم يكمله وقد أخذ العلم عن أبيه عبدالله والشيخ حمد بن ناصر بن معمر وأخذ العربية عن حسين بن غنام وغيره.

قتله إبراهيم باشا في وقعة الدرعية بعدما تهدده وأرغمه بآلات اللهو من

الرباب وغيرها ثم أمر أن يثوروا فيه البنادق والقرابين[1] فثوروها فيه فتمزق لحمه رحمه الله، ثم إنه جمع لحمه بعد ذلك قبح الله قاتله ولا بد من فصل القضاء بين الخلائق يوم المعاد وكان ذلك ١٢٣٣وقد كان لعبدالله ابن آخر اسمه عبدالرحمن أجلى معه إلى مصر وهو صغير فصار في رواق الحنابلة في الجامع الأزهر وعنده طلبة علم وله معرفة تامة.

وأما علي بن الشيخ فكان عالماً جليلاً وورعاً كثير الخوف من الله تعالى وكانت الأمثال تضرب به في بلد الدرعية بالورع والديانة وله معرفة بالفقه والتفسير وغير ذلك وراودوه على القضاء فأبى ويعرف له ابن اسمه محمد طالب علم وذو معرفة.

وأما إبراهيم بن الشيخ فكان مدرساً في العلوم ولديه معرفة تامة لكنه لم يل القضاء وأخذ عن الشيخ الإمام محمد بن ابنه الشيخ العالم الفاضل، وقدوة الأفاضل وعين الأقران والأماثل عبدالرحمن بن حسن رئيس قضاة المسلمين ومجد الفضلاء والمدرسين وناهيك به من عالم احتاج إلى تفريغ منطوقة الأكابر وأحيا مدارس العلم بعدما كانت رباعها دواثر، فعمرت بدروسه المساجد وجثا بين يديه العلماء الأماجد ولا بد من ذكر ترجمته في سنة وفاته وأخذ عن الشيخ أيضاً الماهر العظيم الورع الزاهد الذي طبق علمه الآفاق، وشهد له بالفضل كل أهل الاتفاق خلى عدواً من أهل الخبث والنفاق، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين الناصري شيخ أبي بطين قاضي الوشم زمن الإمام عبدالعزيز وابن سعود وابن عبدالله وأخذ عن الشيخ أيضاً العالم الجليل؛ والجهبذ الحبر النبيل، الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر قاضي الدرعية في زمن سعود؛ وأخذ عنه أيضاً الشيخ العالم العامل الزاهد الفاضل سعيد بن حجي قاضي حوطة بني تميم في ناحية الجنوب زمن الإمام عبدالعزيز وابنه سعود، وأخذ عن الشيخ أيضاً العالم العلامة

(١) نوع من سلاح تركيا .

القاضي في بلد الدلم وناحية الخرج الشيخ محمد بن سويلم وذلك في زمن الإمام عبدالعزيز؛ وأخذ عنه أيضاً العالم عبدالرحمن بن خميس إمام قصر آل سعود في الدرعية ثم تولى القضاء في بلد الدرعية في زمن الإمام عبدالعزيز وابنه سعود، وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن نامي قاضي بلد العيينة ثم كان قاضياً في الأحساء زمن سعود وابنه عبدالله، وأخذ عن الشيخ أيضاً محمد بن سلطان العوسجي قاضي المحمل ثم كان قاضياً أيضاً في الأحساء زمن سعود، وأخذ عنه أيضاً عبدالرحمن بن عبدالمحسن أبا حسين القاضي في حريملاء وبلد الزلفى وغيرهما زمن سعود وابن عبدالله، وأخذ عنه أيضاً العالم عبدالعزيز بن سويلم القاضي في ناحية القصيم زمن عبدالعزيز وابنه سعود وابنه عبدالله وأخذ عن الشيخ أيضاً حمد بن راشد العريني القاضي في ناحية سدير زمن عبدالعزيز وأخذ عنه أيضاً من القضاة ممن لا يحضرني الآن ذكره خلق كثير ومن لم يل القضاء من الرؤوساء والأعيان جم غفير من هؤلاء الإمام عبدالعزيز بن الإمام محمد بن سعود وأخذ عنه أيضاً العالم الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

وبالجملة فبركات هذا الشيخ وسبقه عظيم وله من المناقب والمآثر ما لا يخفى على أهل الفضائل والبصائر لأنه العالم الذي لا يشق غباره ولا تبلغ في البحث والإفادة آثاره.

فسبحانه من خصه بتلك الخصال والله يختص بفضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وكان جهوري الصوت إذا أخذ في الخطبة فإنه يسمع من في المسجد على العموم وكان سنه حين وفاته نحو اثنتين وتسعين سنة وقد ثقل في آخر عمره فكان يخرج لصلاة الجماعة يهادي بين رجلين حتى يقام في الصف.

ولما نشر السنة وأمات البدعة وعمرت به معالم الملة بعد ما كان الإسلام غريباً، ونشرت راية الجهاد بعد أن كانت الخلائق في فتن وضلال، وعرف الناس التوحيد

الكبير والصغير واجتمع الناس على الصلوات والدروس، والسؤال عن أصل الدين وفرعه، وتعلم العلم القاري والأمي، وانتفع بعلمه سائر الآفاق لأنهم سألوا عما يأمر به وينهى عنه، فاتضح أنه يأمر بتوحيد الله وينهى عن الشرك، وأن هدفه الذي يرمي إليه وهو طلب طريقة الرسول وأصحابه فهدمت القباب والمشاهد التي بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع الشركية من الحرمين واليمن وتهامة وعمان والأحساء ونجد وغيرها من سائر الأقطار، حتى لا تجد في جميع من شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر فضلاً عن الأكبر، اللهم إلا ما كان بين العبد وبين ربه، وأمر جميع أهل البلدان من أهل النواحي يسألون الناس في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشاء عن معرفة ثلاثة الأصول، وهي معرفة الله ومعرفة دين الإسلام وأركانه، وما ورد عليها من الأدلة في القرآن، ومعرفة محمد ﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته وأول ما دعا إليه وهي لا إله إلا الله بمعرفة معناها، ومعرفة البعث بعد الموت وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها، وفروض الوضوء ونواقضه وما يتبع ذلك.

أقام على ذلك يحث المتمسكين بالدين على الثبات ويشجعه حتى توفاه الله تعالى في آخر ذي القعدة ١٢٠٦هـ، فجبر الله القلوب بفقده، وأحسن العزاء، ونسأل الله تعالى أن يغفر له ويرفع درجاته في الجنان، وأن يجمعنا وإياه في دار الرضوان إنه هو الكريم المنان، ولما أتاه نازل القدر والقضاء وطارق الموت والفناء الذي لا يمنع منه حصن ولا يدفعه مغالب، وانتزعه من بين الأحباب والأصحاب، وأخلى منه المنازل والرحاب رثاه العلماء من أهل الإيمان والتحقيق والعرفان فقال الشيخ العالم حسين بن غنام هذه القصيدة يرثاه بها رحمه الله:

إلى الله في كشف الشدائد نفزع ... وليس إلى غير المهيمن مفزع
لقد كشف شمس المعارف والهدى ... فسالت دماء في الخدود وأدمع
أمام أصيب الناس طرا بفقده ... وطاف بهم خطب من البين موجع
وأظلم أرجاء البلاد لموته ... وحل بهم كرب من الحزن مفضع

شهاب هوى من أفقه وسمائه ... ونجم ثوى في الترب وأراه بلقع
وكوكب سعد مستنير سناؤه ... وبدر له في منزل اليمن مطلع
وصبح تبدي للأنام ضياؤه ... فداجي الدياجي بعده متقشع
لقد غاض بحر العلم والفهم والندى ... وقد كان فيه للبرية مرتع
فقوم جلا عنهم صدا الدين فاهتدوا ... فأسماعهم للحق تصغي وتسمع
وقوم ذووا فقر وجهد وفاقة ... حووا واقتفو ما فيه للعيش مطمع
لقد رفع المولى به رتبة الهدى ... بوقت به يعلي الضلال ويرفع
إبان له من لمعة الحق لمحة ... أزيل بما عنه حجاب وبرقع
سقاه نمير الفهم مولاه فارتوا ... وعام بتيار المعارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه ... وأقوى به من مظلم الشرك مهيع
فأنوار صبح الحق باد سناؤها ... ومصباحه غال ورياه ضيع
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها ... سواه وحاذا فناها سميذع
وشمر في منهاج سنة أحمد ... يشيد ويحي ما تعفى ويرقع
وينفي الأعادي عن حماه وسوحه ... ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
يناضر بالآيات والسنة التي ... أمرنا إليها في التنازع نرجع
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها ... وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامساً ... وقد كان مسلوكاً به الناس تربع
وجرت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لها بالألمعي ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر ... وأنواره فيها تضيء وتلمع
لقد وجد الإسلام يوم فراقه ... مصاباً خشينا بعده يتصدع
وطاشت أولوا الأحلام والفضل والنهى ... وكادت له الأرواح تتري وتتبع
وطارت قلوب المسلمين بيومه ... وظنوا به أن القيامة تقرع
فضجوا جميعاً بالبكاء تأسفاً ... وكادت قلوب بعده تتفجع
ففاضت عيون واستهلت مدامع ... يخالطها مزج من الدم يهمع

بكتـــه ذو الحاجـــات يـــوم فراقـــه | وأهـل الهـدى والحـق والـدين أجمـع
فمـــالي أرى الأبصـــار قلـــص دمعهـــا | وليســت علــى فقـداه تهمـي وتـدمع
ومـــالي أرى الألبـــاب تهـــدي قســاوة | وليســت علــى ذكــراه يومــاً توجــع
لقـــد غـــدرت عـــين تضـــن بمائهـــا | عليــه وكبــد قــد أبــت لا تقطــع
يحـــــق لأرواح المحـــــبين أن تـــــرى | مقبوضـــةً لمـــا خلــت منــه أربــع
وتتلـــو ســـريراً فوقـــه قمـــر الهـــدى | وشمـــس المعـــالي والعلـــوم تشـــيع
فمـــا بالهـــا قـــرت بأشـــباح أهلـــها | ولم تـــك في يـــوم الـــوداع تـــودع
فيالـــك مـــن قـــبر حـــوى الزهـــد والتقـــى | وحــل بــه طــود مــن العلــم ممــرع
لــئن كــان في الــدنيا لــه القــبر موضــع | فيوم الجـزاء يرجىلـه الخلـد موضـع
ســقا قــبره مــن هاطــل العفــو ديمــة | وبــاكره ســحب مــن الــبر همــع
وأســكنه بحبوحـــة الفـــوز والرضـــا | ولا زال بالرضـــوان فيهـــا يمتـــع

وكان بن غنام هذا هو صاحب التاريخ المشهور وصاحب العقد الثمين الذي في شرح أحاديث أصول الدين.

وكان أعني ابن غنام له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه، وقد ذكر في تاريخه انه ابتدأ بالشيخ مرضه في شوال ثم ذكر معبراً عن عبادته من صلاة وصيام تطوعاً وترنمه بالقرآن في دجا الظلام،إذ كان دأبه إحياء غالب الليل وأنه كان على حالة في الزهد مرضية، وقد مات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً بل كان عليه دين كثير فأوفى الله عنه الجليل والحقير؛ وكان قد ذكر عن المترجم شيئاً عظيماً من الفضل وخفض الجناح واحتمال الأذى حتى أظهر الله دعوته ونصره على كل من أراده بسوء، ولا ريب أن شهرة الشيخ أعظم من ذكره، وقد أحببنا الاختصار ولو بسطنا لاحتاج إلى عدة أسفار، وخير الكلام ما لم يطل فيمله السامعون.

وقال الشيخ العالم العلامة القطب اليماني محمد بن علي الشوكاني صاحب نيل الأوطار رحمة الله عليه يرثي الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب وأدخله الجنة بغير حساب لما نعيت له وفاته، وكانت هذه المرثية عظيمة،

ولا غرور ولا بدع فمن البحر يستجلب الدر، وبذلك تعرف قدر الشيخ عند ذوي الإيمان وورثة سيد ولد عدنان.

قال الشوكاني

مصاب دها قلبي فأذكى غلائلي ... واصمي بسهم الافتجاع مقاتل
وخطب به أعشار أحشائي صدعت ... فأمست بفرط الوجد أي تواكل
ورزء تقاضاني صفاء معيشتي ... وأنهلني قسراً أمر المناهل
فعدت به رهن التباع ولاعج ... حليف أسا للقلب غير مزايل
أسير جوى أفنى فؤادي رسيسه ... وقلب من الحزن المبرح ذاهل
مصاب به قامت على قيامتي ... ومن كرب لاقيت أعظم هائل
مصاب به ذابت حشاشة مهجتي ... وعن حمله قد كل متني وكاهلي
مصاب به قد أظلم الكون كله ... وكان على حال من الحزن هائل
مصاب به الدنيا قد أغبر وجهها ... وقد شمخت أعلام قوم أسافل
رميت به عن قوس أبرح لوعة ... يها نجم روحي كان أسرع آفل
به هد ركن الدين وأنبت حبله ... وشد بناء الغي مع كل باطل
وقام على الإسلام جهراً وأهله ... نعيق غراب بالمذلة هائل
وسيم منار الأتباع لأحمد ... هوان انهدام جاء من كل جاهل
وهبت لنار الأتباع سمائم ... بسم لنفس الدين مرد وقاتل
فيا مهجتي ذوبي أسا وتأسفاً ... ويا كبدي انقشي بحزن مواصل
ويا لوعتي دومي وزيدي ولازمي ... ويا فجعتي للقلب ما عشت نازلي
ويا مقلتي نحي الكرى عنك جانباً ... وجودي بدمع دائم السكب هاطل
ويا جزعي لا غبت كن متجدداً ... ويا سلوتي ولي وللقلب زائلي
فقد مات طود العلم قطب رحى العلا ... ومركز أدوار الفحول الأفاضل
وماتت علوم الدين طرا بموته ... وغيب وجه الحق تحت الجنادل

إمام الهدى ماحي الردا قامع العدا ومروي الصدى من فيض علم ونائل
جمال الورى رحب الذرا شامخ الذرا وجم القري صدر الصدور الأوائل
عظيم الوفا كنز الشفا معدن الصفا وجالي الخفا عن مشكلات المسائل
بهي السنا عذب الجنا طيب الثنا منيل المنى من سيبه كل آمل
إمام الورى علامة العصر قدوتي وشيخ الشيوخ الجد فرد الفضائل
محمد ذو المجد الذي عز دركه وجل مقاماً عن لحوق المطاول
إلى عابد الوهاب يعزي وأنه سلالة إنجاب زكي الخصائل
عليه من الرحمن أعظم رحمةً تبل ثراه بالضحى والأصائل
لقد أشرقت نجد بنور ضيائه وقام مقامات الهدى بالدلائل
إمام له شأنٌ كبير ورتبةً من الفضل تثني همة المتطاول
في يد كمال في العلوم فهل ترى له في تقارير لها من مماثل
تأخر ميلاداً وفي حلبة العلى وميدان فخر سابق للأوائل
على خلق يحكي النسيم لطافه وكامل أوصاف وحسن شمائل
وقلب سليم للمهيمن خاشع منيب وعن مولاه ليس بغافل
وجنب تجافيه المضاجع في الدجا وجفن بهتان المدامع هامل
وعن ذكر رب العرش في السر دائماً وفي الجهر طول الدهر ليس بذاهل

*****

عفو عن الجاني صفوح وحلمه إلى الشيم يعزي ليس يهفو لعاجل
يقابل من لاقى ببشر ومبسم ضحوك ووجه البشاشة باذل
ويأمر بالمعروف في كل حالةٍ وعن منكر ينهي وليس يقابل
ولم يأل جهداً في نصيحة مسلم برأي وتدبير وحسن تعامل

*****

يجازي بإحسان إساءة غيره وبالجاه عن مستوجه غير باخل

تقمص بالتقوى وبالخشية ارتدى ولم يمض منه العمر في غير طائل
ومن شأنه قمع الضلال ونصره لمن كان مظلوماً وليس بخاذل
وكم كان في الدين الحنيف مجاهداً بماضي سنان دامغ للأباطل
وكم ذبّ عن سامي حماه وذاد من مضل وبدعى ومغو ونائل

*****

ففيم استباح أهل الضلال لعرضه وما نكست أعلامه بالأراذل
وليس له شيء عن الله شاغل ولا عن وصال الاعتبار بفاصل
فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزاً ولا اشتد للإسلام ركن المعاقل
ولا كان للتوحيد واضح لاحب يقيم اعوجاج للسير من كل عادل
فما هو إلاّ قائم في زمانه مقام نبي في إماتة باطل
ستبكيه أجفاني حياتي وإن أمت سيبكيه عني جفن طل ووابل
وتبكيه أقلامي أسا ومحابري ويبكيه طرسي دائماً وأناملي
عجبت لقبر ضمه كيف لم يكن يميد ببحر فائض العلم سائل
ولله نعش كان حامل جسمه هنيئاً له إذ كان أشرف حامل
ولا غرو أن يبكي الزمان لفقده فقد كان غيث الجود كهف الأرامل
فآها على ذاك المحيا وحسنه وآها على تلك العلوم الجلائل
وآها على تحقيقه ودروسه وتوضيحه للمعضلات المشاكل

*****

فمن للبخاري بعده ولمسلم يبين المخبا منهما للمجادل
ومن ذا لتفسير الكتاب ومن ترى لأحكام نقد الدين من للمسائل
ومن لمسانيد سمت ومعاجم وكشف لثام الحكم عند النوازل
ألم ترى أن الدهر نصف كآبة عليه وذو جسم من الحزن ناحل
ومن للمعاني والبيان ومنطق وردع أخي الجهل الغوي المجامل

ومـن لـك بالأصـلين واللغـة الـتي	بهـا أنـزل القـرآن أشـرف نـازل
ومـن بعـده للصـدع بـالحق قـائم	بجـدٍ ولايخشـى ملامـة عـاذل

*****

أفـق يـا معيـب الشيخ مـاذا تعيبـه	لقـد عبـت حقـاً وارتحلـت بباطـل
نعـم ذنبـه التقليـد قـد جـذ حبلـه	وفـل التعصـب بالسـيوف الصـياقل
ولمـا دعـا لله في الخلـق صـارخاً	صـرختم لـه بالقـذف مثـل الزواجـل
أفيقـوا أفيقـوا أنـه لـيس داعيـاً	إلى ديـن إبـاء لـه وقبائـل
دعـا لكتـاب الله والسـنة الـتي	أتانـا بهـا طـه الـنبي خـير قائـل
فـوا أسـفا والهـف قلـبي وحسـرتي	عليـه ويـا حزنـي لأكـرم راحـل
ويا ندمي لـو كـان يجـدي مـن الفضـا	ولكـن قضـاء الله أغلـب حائـل
ولـو كـان مـن ريـب المنيـة مخلـص	لكنـت لـه بالجهـد أي محـاول
ومـا مـات كـلا بـل إلى جنـة العلـى	أتـاه مـن الـرحمن أكـرم ناقـل
ولمـا لـه الفـردوس زاد اشـتياقها	وكـان لهـا كفـواً وأسـرع واصـل
وكـان علـى حسـن الأرائـك في ذرا	أظلتهـا أهنـا وارفـة قائـل
شـدت ورق أغصـان الهنـاء ترجعـا	تقـول لـه قـد فـزت يـا خـير عامـل
وخاطبـه التـاريخ فـالاً بقولـه	هنيئـاً برغـد في رفيـع المنـازل

*****

فيـا سـائر الأولاد للشـيخ إنـني	أعزيكم ومـع ذي انتسـاب ابـن وائـل
وأوصـيكم بالصـبر طـرا والرضـا	يجـاري القضـاء في عاجـل ثـم آجـل
بتسـليم أمـر الله ثـم احتسـاب مـا	لديـه تعـالى مـن أجـور جزائـل
فمـا جـزع يومـاً بنـافع جـازع	ومـا الحـزن رداً للقضـاء بعاجـل
ومـثلكم لا يعتريـه تزلـزل	ولا وهـن في فادحـات النـوازل
فـإن كـان للجنـات والـدكم مضـى	فقـد كـان فينـا معقبـاً كـل كامـل

وأنـــتم بحمـــد الله عنـــه خلائـــف ... بعلـم وفضـل شـامخ القـدر شـامل
وإنـــا لنرجـــوا أن تكونـــوا أئمـــةً ... بكـم يقتـدي في دينـه كـل فاضـل
وللخـير والإحسـان مـن كـل وجهـةً ... تحـث إلـيكم مضـمرات الرواحـل
ونسـأل رب العـرش يعظـم أجـوركم ... ويحمـيكم مـن طراقـات الغوائـل
ويجـبر صـدع القلـب والكسـر منكم ... ويعقـبكم طـراً جمـال المحافـل
ولازلتمـو غـيظ القلـوب لكـل مـن ... يعـاديكم مـن كـل حـافٍ وناعـل
ولا فجعـت في الـدهر سـاحة سـوحكمْ ... بـرزء لموصـول المسـرة فاضـل
علـيكم سـلام الله مـا هـب ناسـم ... وجمـل زاكـي ذكـركم كـل عاطـل
أو في الثنـا مـني علـيكم مكـررا ... وأزكـى تحيـات سـوام كوامـل
وأضـعافها للمقـرنيين كلـهم ... هـداة الـورى مـن محتـدي فـرع وائـل
هم النـاس أهـل البـاس يعـرف فضـلهم ... جميـع بـني الـدنيا فمـا للمجـادل
لقـد جاهـدوا في الله حـق جهـاده ... إلى أن أقـاموا بالضـبا كـل مائـل
فنـاد يهمـو في كـل نـادٍ مبجـل ... فحقهـم التبجيـل بـين القبائـل
سـعود مضـى والسـعد حـالف نجلـه ... كمـا حـالف الآبـاء لـيس براحـل
لقـد نصـروا ديـن الإلـه وحزبـه ... كمـا دفعـوا داعـي الهـوى بالقنابـل
علـيهم سـلام الله مـا ذر شـارق ... ومـا اهتـزت الأزهـار في صـبح هاطـل
وأزكـى صـلاة الله ثـم سـلامه ... علـى المصـطفى الهـادي كـريم الشـمائل
محمـد المختـار مـن فـرع هاشـم ... وآل وأصـحاب كـرام أفاضـل

وهذا آخر ما أردنا إيراده من ترجمة الشيخ على جهة الاختصار والإشارة.

ونرجع إلى ما نحن بصدده، فنقول لما قام الشيخ في الدعوة إلى الله عز وجل وأبى أكثر الخلق إلا العناد، وفل آل سعود راية الجهاد لنصرة الدين حصلت غزوات وقامت ساق الجهاد، وشمرت الحرب وأكثر ما كانت الخيانة والعداوة والمقاطعة من دهام بن دواس بحيث آذى أهل الدعوة، وما زال يحمل عليهم الحملات المنكرة حتى رجف الله به وفر على وجهه تاركاً الرياض معه أولاده وأتباعه فأبادهم الله تعالى

بالهلاك جوعاً وعطشاً، وكان ذلك في حر الصيف، وإن خروجه بهذه الصفة لآية من آيات الله تعالى لأنه نادى في الرياض بالفرار ففر إلى الخرج وتركوا الرياض خاوية لا أنيس فيها، ودخلها الجيش السعودي، وكذلك ما جرى من خروج عريعر مع بني خالد كافة يقدمهم رئيس نجران قاصدين الدرعية معهم أسلحتهم ومدافعهم وعددهم وعددهم يريدون إطفاء نور الإسلام وهدم قواعده العظام، وكان معهم مدافع وأسلحة نارية يزجي الوحوش رنينها فردهم الله خائبين، وباؤوا بالخزي بين العالمين، وجعلهم عبرةً للمعتبرين، وما جرى من ثويني والشريف غالب وغيرهم مما كفينا ذكره فحسبك ما أثمرته تلك الدعوة الوهابية من نشر دين الحنيفة، وبث الهدى منشوراً للناظرين في تلك البلاد الإسلامية التي استجابت لداعي الله ورسوله حتى أصبحت قد حفت بالتوفيق ديناً ودنيا ونما أهلها وكثروا وبورك في ثمارهم ومعائشهم.

ذكر القبول الذي جرى على الدرعية

كانت الدرعية منشأ هذه الدعوة ومر عليها زمن كانت في قوة عظيمة في البناء الشامخ، ورفاهية العيش وكثرة الرجال والأموال، حتى ذكر عنها بعض المؤرخين مبالغةً في الوصف بحيث لا يقدر الواصف على صفتها ولا يحيط العارف بمعرفة شأنها، فلو أنك ذهبت تعدّ رجالها وإقبالهم وذهابهم في كتائب الخيل والنجائب العمانيات، وما يدخل على أهلها من أحمال المال والأرزاق واللباس التي لهم مع المسافرين من أهلها ومن أهل الأقطار لم يسعه كتاب، ولرأيت العجب العجاب، وكان الداخل في موسمها لا يفقد أحداً من أهل الآفاق من اليمن وتهامة وعمان والبحرين وبادية الشام ومصر وأناس من حاضرتهم إلى غير ذلك مما يطول عدّه، فهذا في الذهاب وذلك في الإياب، وآخر يتلو القرآن ليله في مناجاة رب العالمين حتى ذكر الشيخ المؤرخ عثمان بن عبدالله بن بشر التميمي الناصري الحنبلي ما نصه: «ولقد نظرت إلى موسمها يوماً في مكان مرتفع وهو في الموضع المعروف بالباطن بين منازلها الغربية التي فيها آل سعود المعروفة بالطريف، ومنازلها الشرقية المعروفة بالبجيري التي فيها أبناء الشيخ، ورأيت موسم الرجال في جانب، وموسم النساء في

جانب، وموسم اللحم في جانب، وما بين ذلك من الذهب والفضة والسلاح والإبل والأغنام والبيع والشراء والأخذ والعطاء وغير ذلك، وهو مدى البصر ولا تسمع فيه إلا كدوي النحل من النجناج وقول بعت وشريت، والدكاكين على جانبيه الشرقي والغربي وفيها من الهدوم والسلاح والقماش ما لا يعرف ولا يوصف، إلى أن قال في موضع آخر: وكانت الدور فيها لا تباع إلا نادراً وأثمانها سبعة آلاف ريال وخمسة آلاف والداني بألف ريال وأقل وأكثر، وكل شيء يقدر على هذا التقدير وكروة الدكان الواحد في الشهر خمسة وأربعون ريالاً وسائر الدكاكين للواحد بريال في اليوم وشيء بنصف ريال، وذكر لي أن القافلة من الهدوم إذا أتت إليها بلغت كروة الدكان في اليوم الواحد أربعة أريل، وأراد رجل منهم أن يوسع بيته ويعمره فاشترى نخيلات تحت هذا البيت يريد قطعها وتعمير موضعها كل نخلة بأربعين ريالاً وخمسين ريالاً فقطع النخل وعمّر البيت ولكنه وقع عليه الهدم قبل إتمامه.

وذكر لي من أثق به أن رجلاً من أهل الدرعية قال لي إني أردت ميزاباً في بيتي فاشتريت خشبة طولها ثلاثة أذرع بثلاثة أريل وأجرة نجره وبنائه بريال، وكان غلاء الحطب فيها والخشب إلى حد الغاية، حتى قيل أن حمل الحطب بلغ خمسة وستة والذراع من الخشبة الغليظة بريال وكل بيوتها مقاصير وقصور، كان ساكنها لم يكونوا من أبناء ساكني القبور، فإذا وقفت في مكان مرتفع ونظرت موسمها وكثرة ما فيها من الخلائق وتزايلهم فيه وإقبالهم وإدبارهم وسمعت رنتهم ونجناجهم فيه فكأنه دوي السيل القوي إذا صب من عالي جبل، انتهى.

قلت ما ذكره رحمه الله فإنه عجيب من جهة العز والرفاهية وكانت هذه الأشياء المقدرة بهذا التقدير أمراً بديعاً بحيث أن حمل الحطب في ذلك الزمان لا تزيد قيمته عن ربع ريال في سائر البلدان النجدية وغالب البيوت في البلاد الأخرى لا تبلغ قيمتها أكثر من ثلاثمائة ريال فرانسي أضف إلى ذلك كساد الأشياء بعد ذلك بحيث كان غالب البيوت في مائة ريال والبيت العادي لا تتجاوز قيمته ثمانين ريال، ونذكر مهور النساء بعد ذلك فمن النساء من لا يتجاوز مهرها ثلاثة ريالات وأما

الخشب فحدث في الرخص عنها ولا حرج فقد يعمر الإنسان بيته بعد ذلك فلا تتكلف قيمة الخشب بأكثر من سبعة ريالات، أما ما كان عن الدرعية فقد بلغنا عن بعض الثقات أنها بلغت الحالة في تقدمها بالترف، بحيث أن من المترفين من يغتسل بالطيب، وأن رجلاً دعا صاحباً له فأكرمه بأن عمل له شراب الشاي على نار عود البخور وذكر لي أنه مر على الدرعية زمان كان فيها أربعمائة عالم كلهم كانوا أهلاً للقضاء وأن قرية من قرى الوشم وهي أشيقر مر عليها زمان وهي تضم ثمانين عالماً كلهم يحملون مؤهلات القضاء.

وأما قول بن بشر ولكنه وقع عليه الهدم قبل إتمامه فيشير إلى هدم الدرعية في طلعة إبراهيم باشا سنة ١٢٣٤لما سلط الله الدولة العثمانية على أهل نجد وابتلى المؤمنون، وذلك بشؤم الذنوب والمعاصي فقامت الدولة العثمانية وانتدبت محمد علي صاحب مصر لنزع ابن سعود من ملكه فجهز المذكور ابنه إبراهيم يقود الجيوش العظيمة وحصل على أهل نجد ما حصل، وآخر ذلك قدمت الرسل والمكاتبات من محمد على تحمل الأوامر بهدم الدرعية وتدميرها، فأمر على أهلها أن يرحلوا عنها ثم أمر العساكر أن يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها ولا يرحموا صغيراً ولا كبيراً فقامت العساكر وهدموها وبعض أهلها فيها مقيمين وقطعوا الحدائق وأشعلوا النيران في بيوتها حتى احترقت وأخرجوا البقية من السكان فتركوها خاوية على عروشها كأن لم يكن فيها قبل ذلك من ساكن وتفرق أهلها في النواحي والبلدان وذلك بتقدير من إذا قال للشيء كن فكان.

ولقد مررت بالدرعية سنة ١٣٧٤هـ لأرى آثارها وأقف على أخبارها وجعلت أقلب النظر في تلك الأطلال والروابي التي بقيت من حيطان البيوت فما وجدت من يهديني إلى معرفة تلك الآثار سبيلا، وبينا أنا متحير بل ومندهش إذا أنا بشيخ كبير السن قد خرج من كوخ صغير يريد كوخاً آخر يحمل معه تمراً في إناء كهيئة خف البعير فسلمت عليه وإذا هو أشعث اللون كأنه خرج من قبر ولم يكن

من أهل الحياة فرد علي السلام فأوقفته أسائله عن آثار الدرعية وطلبت منه يطلعني على أخبار ما يعرف فذهب بتمره ورجع إلي فأخذ بيدي وأوقفني على المسجد الجامع فيها وإذا لم يبق منه غير بقية عمد سقطت فروعها وبقيت أصولها تقدر بخمسة وأراني آثار حيطان المسجد وجعل يشير إلى محلة متهدمة متجرفة ويقول هذه محلة العبيد وإلى موضع آخر ويقول هذا مرح الخيل وأوقفنا على سوق فيه آثار قطع من الطين.

فسبحان من لا يزول ملكه ولا يضام سلطانه ولا يرام عزه، ولا بد أن نذكر العز والنهضة التي كانت في آخر أيام الملك عبدالعزيز إلى يومنا هذا فنقول عن المملكة العربية السعودية كانت تحد شمالاً بالكويت والعراق وبادية الشام وشرق الأردن وجنوباً باليمن وحضرموت وعمان وشرقاً الخليج العربي وغرباً بالبحر الأحمر وتقع في الطرف الجنوبي الغربي من قارة آسيا، وكان هذا الموقع جعلها عظيمة الأهمية لما لها من الاحترام العظيم في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من قديم الزمان لما فيها من الأماكن المقدسة ويقدر سكانها باثني عشر مليوناً وتبلغ مساحتها نحو أربعمائة وخمسين ألف ميل مربع تقريباً، أما تضاريسها فمنها صحراء الدهناء وصحراء الأحقاف وصحراء الربع الخالي ومن الأودية وادي الرمة ووادي الدواسر ووادي سبيع ووادي فاطمة ووادي بيشة، ومن الجبال سلسلة جبال السروات بالحجاز وجبال آجا وسلمى وسلسلة جبال طويق بنجد ومن العيون القديمة عين زبيدة والعين الزرقاء وعيون وادي فاطمة وعيون الأفلاج وعيون الخرج وعيون الأحساء وغيرها وتنقسم إلى أربعة أقاليم، نجد، والحجاز، وعسير، والأحساء وما يليه.

أما نجد

فهو المرتفع من الأرض وفي هذه الأراضي المرتفعة شمالاً وغرباً وجنوباً أماكن تختلف في العلاء والوطاء بعضها عن بعض فالقصيم يعلو ألف قدم فوق

العارض وقد طالما تنازع السيادة فيه كبيرتا بلدانه بريدة وعنيزة ونزعت كلتاها قديماً إلى الاستقلال عن ابن رشيد وعن ابن سعود ولأهل القصيم أوصاف وسجايا تخالف سجايا أهل العارض وعاصمة القصيم اليوم هي بريدة، وهذه المدينة كانت في الماضي ماء لآل هذال فاشتراها منهم راشد الدريبي العنقري آل عليان سنة ٩٥٨ ثم عمرها وسكنها وعشيرته ومن معهم وكان الدريبي من أهالي ثرمدا.

قال ياقوت بريدة تصغير بردة ماء لبني ضبينة وهم ولد جعدة بن غني بن أعصر بن سعد بن قيسر بن عيلان ، عبس وسعد، أمهما ضبينة بفتح الضاد وكسر الباء بنت سعد بن غامد من الأزد غلبت عليهم؛ ولقد كان الزمن الذي بين وفاة ياقوت وبعث بريدة لا يقل عن مائتين وخمسين عاماً لأن وفاته في أوائل القرن السابع، وقال محمد أمين الخانجي في منجم العمران الذي جعله استدراكاً على معجم البلدان في ذكر بريدة أنها ماء لبني ضبينة، وقال البستاني أيضاً هي مدينة بالقصيم من جزيرة العرب شمالي عنيزة عدد سكانها ٢٥٠٠٠ نفر، وهي من منازل حجاج بغداد فيها أسواق حسنة وشوارع فسيحة ويحيط بها سور تحفه البساتين التي يحيط بها سور آخر وأبراج وخنادق وبها قصر قديم يقيم به شيخ البلد وكانت ذات تجارة وثروة ثم ذكر انحطاطها في ظهور إبراهيم باشا بعد حصار ثلاثة أيام ودك حصونها ثم عادت سنة ١٢٥٩ وكان ذكره لهذا الانحطاط بعبارة ركيكة وسكان بريدة ليسوا من قبيلة واحدة بل هم الآن من قبائل شتى؛ ومن سكانها آل أبي عليان الذين منهم الأمير حجيلان بن حمد في زمن الإمام سعود بن عبدالعزيز والأمير عبدالعزيز آل محمد الذي يأتي ذكره في أواخر أيام الإمام فيصل، وسمي القصيم بهذا الاسم لأنه قصيمات رمل متقطعة، وفيه معارك في الجاهلية والإسلام ويقع بين جبلي طيء وحائل وقراها، وبين عارض اليمامة وقراه ووشم اليمامة الذي عاصمته شقراء قال زيد الخيل الطائي:

ونحن الجالبون نساء عبس … إلى الجبلين من أهل القصيم
فكان رواحها للحي كعب … وكان غدوها لبني تميم

وقال في القاموس والقصيمة رملة تنبت الغضى ثم قال وكأمير موضع بين اليمامة والبصرة انتهى، وحده جنوباً بلد المذنب، وشمالاً بلد القوارة، وشرقاً النباج المعروف بالأسياح؛ وتبلغ قرى القصيم مائتي قرية، أما بريدة قاعدة القصيم فتشتهر بالبساتين وتربية الإبل والغنم والخيل والتجارة الواسعة، ولما أن تطورت الأحوال توفرت فيها السيارات على اختلاف أنواعها وفجرت فيها العيون الارتوازية ولا تزال في تقدم وقوة في الكمية والكيفية، وقد امتاز أهلها بكمال السمع والطاعة لمن تأمر عليهم وقد امتدحهم الأمير الشاعر محمد بن علي العرفج بهذه الصفة لذلك لا يضع من قدرهم أبتاعهم لأميرهم محمد بن عبدالله أبي الخيل حين تغلب عليهم فتبعة ذلك عليه لا عليهم، ولما أن دخلت هذه المدينة في حكم آل سعود كبقية نجد كان لهم الإذعان التام؛ وطالما قدموا نفوسهم وأموالهم أمام جلالة الملك عبدالعزيز بما كانوا به موضع ثقة من حكومتهم وكان آل أبي عليان هم أمراءها حتى انتزعها منهم آل أبي الخيل.

وإليك بعض أمرائها فمنهم حجيلان بن حمد البطل الشجاع، وبعده محمد بن علي العرفج، ثم عبدالعزيز بن محمد وكلهم من آل عليان، وعبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان، ومحمد الغانم، وسليمان الرشيد، ومحمد بن أحمد السديري، ومهنا الصالح آل أبي الليل وكل من هؤلاء تحت حكم آل سعود، ولما قتل الأمير مهنا تولى بعده ابنه حسن واستقل ببريده، وبعده أمراء آل رشيد الآتي ذكرهم، ثم جعل الملك عبدالعزيز في إمارتها صالح الحسن أبا الخيل، وبعده محمد بن عبدالله، ولما أظهر العصيان لابن سعود جعل مكانه السديري فلم تطل مدته، فجعل ابن سعود فيها الأمير عبدالله بن جلوي، أما قضاتها منهم الشيخ عبدالعزيز ين سويلم من أهالي الدرعية؛ ومنهم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين؛ ومنهم الشيخ سليمان بن علي المقبل، وبعده الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، ثم بعده الشيخ صالح بن قرناس؛ ثم أعيد الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم إليها للمرة الثانية؛

وبعده الشيخ عبدالعزيز بن بشر، وبعده الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وبعده الشيخ عمر بن عمر بن محمد بن سليم وقد أنجبت رجالاً وزعماء وعلماء ومدرسين وقضاة ومفتين قال بعض الأدباء يمتدحها:[1]

وسكناي في فيحا بريدة من لها ... ينادي جميع الشرق وسطك أرحب
لما ضم من أهل العلوم الذين هم ... يزال عن الدين المشرف غيهب
فأكرم بها كم أنتجت من مهذب ... نجيب فتى من ذي النجابة أنجب
فهذا أبا فتيا وهذاك واعظ ... وذاك بأمر العرف يأتي ويذهب
وذاك بتدريس وذاك مصنف ... يهدي بما يبدي لنا ويهذب
يقضي زماناً والأنامل دابها ... تسير أقلاماً بذا وتبوب
فيا رب حط سكانها وولاتها ... وأرجائها وما شأن يعزب

ولا تزال في تقدم حتى أن سور الدريبي الذي أحاطها به ليقدر بجزء من خمسة وعشرين جزءً منها حال وضع التاريخ ثم أحاطها بعده الأمير حجيلان بن حمد بسور، ثم لما زادت البيوت واتسعت رقعة المدينة كغيرها من البلدان، بعد سور حجيلان، أقيم لها سور وآخر ذلك سور آل سعود، وكان في مدينة بريدة مائة مسجد وثمانية مساجد منها الكبار والصغار والمتوسطة من مساجدها ما يبلغ عدد المأمومين فيه ثلاثمائة مأموم ومعدلها مئتان وخمسون مأموم من بين مساجدها تسعة تقام فيها صلاة الجمعة، فإذا كان في أوقات الصلاة فلا تسمع إلا لجبة في الجو من أصوات المؤذنين، ولا يتخلف عن حضور الجماعة مع سعة البلد من كان حاضراً من الرجال ومن تجب عليه الجماعة، وجزء من مساجد بريده عامر بحلق الذكر صباحاً وظهراً أو مساء، وفي صلاة الفجر يقوم المؤذن بتفقد المأمومين، وفيها مدارس ابتدائيات ومتوسطات وثانويات وزراعية ومعهد

---

(١) هو الأديب الشاعر صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين صاحب السابلة.

علمي، ومعهد النور، ومعهد المعلمين الليلي وفيها مدارس أهلية بحيث تبلغ مدارسها ثلاثاً وثلاثين مدرسة.

أما مدارس القصيم الحكومية فتبلغ مائة واثنتين وستين مدرسة، أما عدد سكان بريدة فيقدرون بمائة ألف وعشرين ألفاً وقد شرع في تعبيد طرقها وتوسعة شوارعها، ومن أهلها من يتعاطى بالملايين وبعد ما تأسست فيها البلدية وقلم المرور وأوجد فيها شرطة، تنظمت شيئاً ما مشاريعها ولها مستقبل زاهر جداً، وقد نهضت نهضةً عجيبة وتقدمت تقدماً باهراً وذلك بتوفيق الله عز وجل، ولو تكاتف الأهالي وتعاضدوا وتساعدوا لكان لها شأن عجيب ويؤمل منهم ذلك لأنه قد ظهر من الأهالي من يعرفون قدر الحياة ويدأبون في تقدم البلاد وعمرانها وكان من يقدم إليها من الأجانب والمنتدبين والمدرسين وغيرهم يعجبون من تقدمها في مراحل الحياة، ويمتد عمران المدينة جنوباً وشمالاً بقدر أربعة أميال وشرقاً وغرباً بقدر ميلين يحفها من الغرب والشرق والجنوب كثب الرمال الحمراء ومن جهة الشمال أرض صحراء وبما أن البلدة محرومة فيما قبل ذلك من المياه العذبة فقد أصبحت اليوم مروجاً وأنهاراً كالنيل والفرات وتحسنت الفلاحة أضعاف أضعاف ما كانت قبل ذلك وأقبل معظمهم على الفلاحة والزراعة مستخدمين الآلات الحديثة ربما أن الفلاحة كانت فيما مضى تسقى بالساقية فقد تطورت إلى آبار ارتوازية يسقي بسبجها ما تمر عليه والبقية يسقون باستعمال الماكينات المائية وكانت البقاع منها ما يساوي مائة ألف ريال، وقد أنتجت إحدى المزارع من الحبحب ما بلغت قيمته مائة ألف ريال وكان لأهل بريدة تمسك بالدين وإقامة لشعائره كجعيث تعتبر من أعظم ما على البسيطة في الديانة والأخلاق وتحكيم الشرع والتحاكم إليه، أضف إلى ذلك سلامتهم من الغوائل والشرور والبدع وعدم الاغترار بالتقاليد الغربية ولأن كان على العموم من تزداد فيهم النزعة إلى المدينة والأدب والتخلق بدماثة الأخلاق لأن مستقبل الوقت يخالف الطريقة الأولى كغيرهم من سائر البلدان فإنه لا يزال موجوداً فيها من أهل التمسك من لا يزالون ثابتين، وعلى مبادئهم متمسكين، فلو

طفت في غالب الأماكن و الأقطار لم تجد مثلها في التمسك بالدين، وأظنك أيها المنصف توافق على ذلك وهذا على حسب الزمان، وإلا فإن الكمال عزيز؛ وإني لأنصح وأحذر من تقاليد الأجانب في الأخلاق ومدينتهم العاطلة، فما فاز شعب إلا بالثبات على الأديان السماوية والتمسك بشرائع المرسلين، وما حصل الضعف والوهن والفشل إلا بالانخلاع من ذلك والانخداع للأعداء.

أما ما كان عن منتوجاتها فلديهم النخيل المختلفة في الثمار وأنواع الحبوب من الحنطة والذرة والدخن بأنواعه والبطيخ والحبحب والرمان الحسن والعنب والباذنجان واللوبيا والطماطم والكوسة وسائر أنواع الخضراوات والبساتين، ولديهم تربية الإبل والغنم والخيل، ويعتمدون على البر واللبن واللحوم، وكان يشق المدينة من الشمال إلى الجنوب وادي يدعى الفاجرة لا يكاد يجري إلا في كثرة السيول وقد يسبب أضراراً إذا جرى لأنه يفسد ما أمامه من العمران، وهناك وادي يقع عنها شمالاً بشرق يدعى الودي إذا جرى فإنهم يخرجون نحوه للنزهة والفرجة لكونه لا يبعد عن البلد بأكثر من كيلوين ويحفها من جهة الشمال والغرب البساتين والنخيل الكثيرة الجميلة وتمتد هذه النخيل من الشمال إلى الجنوب غربي البلد بقدر خمسة أميال حتى تتصل بفيحان جنوباً، وفي الجنوب الشرقي تقع حارة منها وهي السادة فيها نخيل وبساتين، وفي هذا الموضع آثار حصن عظيم قد ضاد ثويني وإبراهيم باشا وكان ذلك الحصن عظيم الحيطان بحيث يبلغ مسطح الحائط ثلاثة أمتار ولا تزال بقيته موجودة حتى الآن.

أما القرى التابعة لبريدة فمثل الشماس والقويع والزرقاء والجرية والقرعاء والشقة العليا والسفلى وهي قرية فيها معدن الملح المشهور بملح ضاري وخب البريدي وفيه آثار حصون قوية عظيمة قديمة ويبلغ سكانه على العموم أربعة آلاف نسمة والقصيعة والمريدسية والعريمضي والغماس والبصر وخب روضان واللسيب وقرية الخضر ورواق وفيحان وكان قرية عظيمة قد امتازت بالنخيل وكثرة السكان ويقدر سكانه بخمسة عشر ألفاً ولديه قوة في البناء والقصور ويوشك أن يتصل

ببريدة وقرية وهطان وخضيرا وقرية خب القبر والعكيرشة والنقع والطعميات وكانت قصوراً أعدت للمزارعين فيها لا تقل عن ستين قصراً وحواليها بئر تدعى القليب بالتصغير يمتاز ماؤها بأنه عذب مرئ وحواليها (العود) بفتح العين المهملة و(الظليم) بالتصغير، ثم قرية الشماسية وتبعد عن بريدة شرقاً بأربعة فراسخ وتحتوي على أكثر من ثلاثة آلاف نسمة، وروضة الربيعية وكانت قوية حسنة وتحتوي على ألفي نسمة، و(الهدية) ذات النخل والأثل الكثير.

أما الطرفية فتبعد عن بريدة بأحد عشر ميلاً وتقع شمالاً بشرق، وكان فيها قصور ومياه وحصون قديمة وأطلال ضخمة البناء وقد ضبطت مساحة الحائط من تلك الأطلال بالعرض فكانت مترين ونصف متر وقد جعل بالموضع الواقع عنها شرقاً جابية للسيول تدعى عندهم الخبراء والقرية يقدر سكانها بأكثر من ستمائة نسمة وقد اشتهرت بواقعتين تنسبان إليها أحدهما بين ابن الصباح وابن رشد، والأخرى بين ابن سعود وسلطان بن رشيد، ومن أحسن ما رأيت فيها أنهم يجتمعون في المسجد الجامع للصلوات الخمس فيسمع لهم لجبة في تلاوة القرآن أوقات الصلوات، ولديهم قصور لا تزال مستمرة في الزراعة، وفيهم تمسك بالديانة، ومن القرى أيضاً الوطأة وحواليها ماء القويطير، وكان هذا الماء عذباً مريئاً جداً ويقتطر من صدوع في جبل هناك فيجتمع في جابية صغيرة على قدر الشرب والقرب، ولا تزيد عن ذلك شيئاً، ولا شك أن هذا الماء أعني القويطير كان آية من آيات الله بحيث أنه يخرج على قدر ولا يتجاوز موضعه، ولا ينشف في وقت من الأوقات والله على كل شيء قدير.

وقد أنشأ فيه بعض العلماء أبياتاً تتضمن حالته وما فيه من العجائب، أما المتينات فإنها قصور وآبار أعدت للزراعة هناك، ومن القرى أيضا خب العوشز وخب الوجيعان، وضراس والدعيسة، وخب الحلوة والشحية، والضلفعة، وغالب هذه فيها مدارس ابتدائية، وقد عمرت مساجدها بالصلوات الخمس وتلاوة القرآن،

واتصلت بالعاصمة ببريد هيئت للذهاب والإياب، ومن القرى الصغار واسط، ونقرة البسام، والمويه، والنخلات، وغضي بالتصغير.

ومن أهم مدن القصيم عنيزة التي تبعد عن العاصمة باثني عشر ميلاً إلى جهة الجنوب، وكانت كثيرة البساتين، وكانت تمتار على بقية مدن القصيم بتكاتف أهلها وتعاضدهم، والنهضة ببلدهم، ولديهم بشاشة في الضيف إذا كان شريفاً، وبالرغم من الأهالي في نهضتها فإنها لا تزال متأخرة في العمران، وكثرة السكان بحيث يقد سكانها على الثلث من سكان بريدة، وكانت تضم مدارس ابتدائية ومدرسة ثانوية وحربية، وفيها مساجد عامرة بالصلوات، ولديهم أدب، غير أن التجارة أقل من بريدة؛ ومن رجالها الشيخ عبدالرحمن بن ناصر سعدي صاحب التدريس والمؤلفات الحسنة، كان يدرس في المسجد الجامع الكبير فيها ويؤم فيه، ويظهرون تعظيمه لما له من المؤهلات ودماثة الأخلاق، ويفتي ويقنع السائل، ومن أكبر الأسر فيها آل سليم الأمراء، وآل بسام، وآل نعيم، ولا تزال المدينة تطلب الشرف لأن رجالها متكاتفون، ولديهم أدب، وفيها محطة للاسلكي التلغراف، وأنشئ عندهم مطار البريد الجوي، ثم أزيل كغيره لما جمع القصيم على مطار أقليمي، أما قضاتها فمنهم العويضي، وصالح بن عثمان القاضي، وعبدالله بن محمد بن مانع، ثم إنه جعل بعده في القضاء الشيخ محمد بن عبدالله بن حسين، وبعده بن عودان، ثم بن عقيل، وحواليهم وادي أبي علي الواقع بينها وبين العاصمة وقد ملئ بالنخيل والغراس لأهل عنيزة، وفيه عيون غير أن هناك مادة سبخة مالحة تحدث في جوه تكديراً وقد امتدت النخيل والأثل في ذلك الوادي بكثرة، ولا يزالون في طلب المياه العذبة من الآبار الارتوازية، وقد حصل المقصود، ومما هو جدير بالذكر أنه انفجر في الوادي عين عذبة كما أنه انفجر في الزغيبية عين قوية لعبدالله بن سليمان كعيون بريدة غير أنها بعيدة عن عنيزة ومستقبل الأمور يبشر بخير إن شاء الله[1].

---

(١) سيأتي بقية ذكر لمشاريع القصيم فيما يمر بنا من التاريخ.

ومن أهم بلدان القصيم الرس التي تقع عن عنيزة غرباً على قدر مسافات خمسة وثلاثين ميلاً من العاصمة، وفيها قاضي ومدارس، وفي الأهالي نشاط وتقدم وفيه محطة للتغراف اللاسلكي، وحوالي الرس قصر بن عقيل وفيه مدرسة أميرية وسكانه لا بأس بهم، وهناك الشنانة والقوعي والرسيس.

ومن أهم بلدان القصيم مدينة الخبراء ورياض الخبراء وقد عمرت الخبراء في سنة ١١٤٠هـ، ومن أهم بلدان القصيم مدينة البكيرية التي عمرت في سنة ١١٨٠هـ، وتشتمل على خمسة عشر ألف نسمة، وأهلها هادؤن وإليها تنسب الواقعة التي بين ابن سعود وابن رشيد، ولأهلها عناية في الدراسة وهمة في تربية البقر والمواشي، وكذلك أيضاً البدائع ذات المنازل والقصور الكثيرة، وكانت قابلة للزراعة ولأهلها همة في الزراعة ولديهم قوة ونشاط، وهذه المدن فيها أمراء وقضاة وكلها لا تبعد عن عنيزة بأكثر من خمسة وعشرين ميلاً، وكذلك الهلالية وصبيح والنبهانية ففيها مدارس ومساجد.

ومن مدن القصيم أيضاً المذنب الذي يبعد عن بريدة جنوباً بمرحلتين وله مستقبل لما فيه من المدارس.

أما ما كان عن شمال القصيم وشرقه فهناك قصيبا وهي تبعد عن بريدة بمرحلتين، وكان فيها عيون ونخيل وزراعة؛ غير أن جوها غير مستقيم لكثرة تعفن المياه هناك، لذلك تكثر فيها الملاريا ولا يسلم من تلك الحمى غير العبيد فيها، وبمرور السيارات فيها تقل عنهم تلك التكديرات الناشئة عن المستنقعات، ولا سيما إذا عبدت الطرق بينها وبين العاصمة.

ثم عيون الجواء وينسب إليها أنها مأوى لعنترة بن شداد، وكان يروى أن قبر مالك بن نويرة في غربي القصير قريب الضلفعة التي تقدم ذكرها.

أما الأسياح فتقع في شرقي القصيم وتعرف في المعاجم بالنباج؛ وهي قرى ذكروا أن أول من اختطها عبدالله بن كريز بن عامر.

وسميت الأسياح لأنها سيوح جارية، وقرى الأسياح هي العين والبرقا والتنومة وخصيبة وحنيظل وأبي الدود والقيصومة، والقصر والبرود وطريف، وهذه الشمالية.

أما الجنوبية فالجعلة والنبقية، وفي الأسياح قصر حصين قوي البناء لأنه بني من الحجر والآجر، ويسمى عندهم بقصر مارد وكان محاطاً بحائط وفيه غرف بجهاتة الشمالية، والشرقية، والجنوبية، وله باب من جهة الغرب، وقد كان محكم البناء.

وقد قيل أن سلطان مارد مر بالأسياح حاجاً فلما أن وصل إليها بجنوده، وكان من رجال الدولة العثمانية إذ ذاك وقف على موضع العين الأولى التي تنسب إليه لما رأها ينبع ماوها، وقد دل عليها وذكرت له إمارات هناك فقال لمن معه من الجنود لقد فاتنا الحج في هذه السنة، ثم أخذ يحتقر العين المذكورة، ثم إنه بنى قصره الذي يقع عنها شرقاً، فلما أن اعتصم بالقصر قطع مواصلته بالدولة وبذل ما عنده من الأموال التي جهزته بها دولته فيما يختص به وتمرد عليها، وبينما هو ذات يوم من الأيام جالس حوالي عينه إذ أقبل أعراب من الضياغم فنزل صبي يغتسل في العين فرآه سلطان مارد؛ وأعجب بحسن صورته فجعل يسأل هل لهذا الصبي من أخت وكان والد ذلك الصبي اسمه عرار، وبين عرار وبين الأمير عمير منافسة ويحسده عرار على الإمارة فتكلم عرار قائلاً نعم إن له لأختاً هي أحسن بنات الحي، ولكنها زوجة لعمير قبل ذلك لعل سلطاناً يقتل عميراً بصفته عدوه ووعده أن سيزوجوه منه بشرطين.

الأول أن يكيل للأعراب، والثاني بأن لا يقربها إذا جاؤوا بها إليه حتى تغيب مضاهيرهم من خلف قرية الجعلة، ففعل ذلك وأجابهم إلى ما طلبوا فرجع الضياغم إلى حميدان رئيس قبيلة الضياغم وأخبروه الخبر، وكان حميدان أخرس ومن شجعان العرب المشاهير، وخالاً لزوجة عمير فلما بلغه الخبر جعل يشير بيده حتى تكلم بكلمة فهمت منه وهي قوله (ميثالا) يريد لا نزوجه ميثا؛ فقام الضياغم

وأخذوا جارية سوداء فجعلوها في الهودج وقدموها إلى سلطان ثم ذهبوا فوفا لهم بشرطهم، ولم يقربها حتى تغيبت ركابهم من خلف قرية الجعلة، وإنما خدعوه بهذه الحيلة لأن لا يسمعوا صياحها وجزعها إذا مسها، ولما أن كشف عنها الهودج يريد الحسن والجمال إذا بها سوداء شعثاء فصاح للعساكر بالصافرة وعبا جيشه على أتم أهبة ثم زحف على الضياغم حتى أدركهم في الصريف فتقاتلوا قتالاً شديداً، وتبادل سلطان وحميدان ضربتين فسقطا ميتين، فقال شاعر الضياغم أبياتاً نبطية ونحن نوردها في كتابنا:

تقـول ميثـا يـا أهلـي يـا الراشـد	الـروم لحقونـا بغـير حسـاب
لحقونـا يـون ميثـا غصـية	دونهـا صـبيان تسـن حـراب
يا كم جمل يهف مع ورى مقطع الصغا	يـذب العفـا ولا وراءه حجـاب
حجـاب الخيـل في ذارع القنـا	لا عـاد مـا يـثني لهـن رقـاب
تنـاطح حميـدان وسـلطان مـارد	تهيـا لـذا مـن كـف ذا صـواب
تعـاقبوا ضـرباً بشـلفا سـنينة	عرينيـة تـودع الـدروع خـراب
ترى مذبحه بالـدمث بالرمـث بالصـفا	حـوالي قـويرات الصـريف أنصـاب
تـرى ذبحـي بالبرقـا ثمـانين ملـبس	غـير العـواري مـالهن حسـاب

وإنما سقنا هذه الأبيات لأن النفس تحب الإشراف على ما ذكر وإلا فلا رغبة لنا في الشعر النبطي.

أما القوارة التي هي منتهى قرى القصيم من جهة الشمال فيمرها السائر إلى جهة حائل، وفيها نخيل وسكانها قسمان، بدو وحضر، ولكل قسم أمير، وفي شمالي القصيم أبلق ووثال.

الوشم وضواحيه

أما قاعدته فهي شقراء ، وكانت مدينة يتعاقب فيها القضاة وناحية الوشم غربي جبل طويق بجنوب، وأهم بلدانه ثرمدا والجريفة والقرائن وأشقر على

ساعتين من شقراء، والفرعة على رمية سهم من أشيقر، وذات غسل أو غسلة وأثيثة والقصب على ثمانية عشر ميلاً من شقراء ، وهو بلد حميدان الشويعر، وكان حميدان قد هجا أهل تلك الجهات لما هم فيه من الفقر في زمانه، ومن بلدان الوشم مراة بلدة أمرؤ القيس، ثم الجريف على مرحلة واحدة من روضة سدير.

ونقول عن سدير وضواحيها

أما سدير فهو أكبر نواحي ذلك الجبل وقاعدته المجمعة التي عمرت في سنة ٨٢٠هـ ويقال لها ولحرمة منيخ، وكان يفصل بين سدير والقصيم نفود كبير يمتد جنوباً إلى وادي السر، وكانت المجمعة بلداً لابأس بها، ومن أشهر قضاتها وأرفعهم وافقهم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري العالم المشهور الفاضل النحرير قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه، وكانت بلدان سدير عديدة، ومن أكبرها وأقدمها حرمه وقد عمرت في سنة ٧٧٠هـ، وكانت كثيرة النخل والزرع وقريبة من العاصمة، ووادي حرمة يقال له هناك وادي الكلب، ووشي؛ وجوي، وجلاجل والتويم، وقد عمرت في سنة ٧٠٠هـ، والداخلة والحصون الجنوبية والعطار والجنيفية والعودة وعشيرة والخطامة، وتمير والخيس والروضة روضة سدير، وهذه قد هجا أهلها حميدان الشويعر ووصفهم بالفقر وغير ذلك، وكان ذلك الوصف بالفقر واللؤم في زمان حميدان، فأما في هذه الأزمنة فقد تحسنت الحال وأصبحت تلك المواضع بلداناً عامرة قوية وأنشأ فيها مدارس ومعاهد وهم لا يزالون في تقدم ونشاط.

المحمل

أما المحمل فإن ناحيته مؤلفة من ثادق التي هي قاعدتها، وقد عمرت في سنة ١٠٧٩هـ، والصفرات هي والبير تدعى كلها اللهزوم، أما الصفرات فهي عدة بلدان قريبة من ثادق، وهناك البير الجنوبي عن الصفرات عمرت في سنة ١٠١٥هـ، ورغبة وقد عمرت في سنة ١٠٧٩هـ، ثم من الشعيب والمحمل نستمرها بطين إلى الشعيب التي تفصل بين العارض وسدير، قاعدتها حريملا على مرحلتين من الرياض عمرت في سنة ١٠٤٥هـ، وأهم بلدانها قرينة وقد عمرت في سنة ١١٠١هـ، وملهم وصلبوخ وسدوس التي فيها آثار قديمة قيل أنها حميرية وهذه النواحي شمال من الرياض.

الحمادة

هي سهل يمتد من الشمال إلى الجنوب بين جبل طويق ونفود السر، وفيه الزلفى وغيرها من القرى بعضها في النفود كائن بينها وبين عنيزة وبعضها في السهل ومن هذه القرى مليح بين الزلفى والغاط وفريتان وجنوبي فريتان الداهنة من هجر عتيبة.

أما الغاط التي هي بين المجمعة قاعدة سدير وبين الزلفى على مرحلة واحدة من الاثنتين فهي مشهورة بأنها مسكن السدارا من أعيان أهل سدير والذين صاهرهم آل سعود قديماً وحديثاً، فأم جلالة الملك عبدالعزيز ابنت السديري وهم أخوال عبدالعزيز، وقد أمرهم آل سعود في البلدان فكان تركي السديري أميراً على عمان في الزمن الغابر، وكان ابنه أحمد جد الملك عبدالعزيز أميراً على الأحساء في عهد الإمام فيصل، وكان ابناءه محمد وعبدالمحسن متوليين للحكم في القصيم وفي المجمعة.

العارض وضواحيه

وكانت ناحية العارض فيها الآبار المتعددة والبساتين التي يزدهي فيها النخيل

وتتمازج في ظلالها اخضرار البرسيم وأنواع البقول، وهناك عيون عذبة، ونشاط في العمران والتقدم، وقد كانت تلك الجهات تدعى اليمامة فيما مضى من الأزمان.

واختلف في تسمينها اليمامة واشتقاقها، فقل الأصمعي اليمام ضرب من الحمام البري واحدته يمامة وتنسب إليها زرقاء اليمامة مضافة إليها؛ وهي امرأة من طسم كانت متزوجة في جديس، فبهذا تبين أنها في الزمن القديم مساكن طسم وجديس والعماليق، وقاعدتها حجر اليمامة، وقد قيل في تسمية طويق الجبل المشهور أنه تصغيرة طوق ويسمى طوق اليمامة، وجو اليمامة وهو الوقع شرقي الأكثبة الحمر مما يلي المزاحمية.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى خرجت بنو حنيفة بن لجيم بن صغب بن على بن بكر بن وائل يتبعون الريف وبرتادون الكلاء حتى قاربوا اليمامة على السمت الذي كانت عبدالقيس سلكته لما قدمت البحرين، فخرج عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدئل بن حنيفة منتجعا بأهله وماله يتبع مواقع القطر حتى هجم على اليمامة فنزل موضعاً يقال له قارات الجبل، وهو من حجر على مسافة يوم وليلة فأقام بها أياماً ومعه جار له من اليمن من سعد العشيرة، ثم من بني زبيد فخرج راعي عبيد حتى أتى قاع حجر فرأى القصور والنخل، وأرضا عرف أن لها شأناً وهي التي كانت لطسم وجديس، فرجع الراعي حتى أتى عبيداً فقال والله إني رأيت آطاماً طوالاً وأشجاراً حساناً، هذا حملها وأتى بالتمر معه مما وجده منتشراً تحت النخيل فتناول منه عبيد وأكل، وقال والله هذا طعام طيب وأصبح فأمر بجزور فنحرت، ثم قال لبنيه وغلمانه احتروا حتى أتيكم، وركب فرسه وأردف الغلام خلفه وأخذ رمحه حتى أتى حجراً فلما رآها لم يحل عنها وعرف أنها أرض لها شأن فوضع رمحه في الأرض ثم دفع الفرس واحتجر ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة وسماها حجراً وكان تسمى حجر اليمامة بعد حجر عبيد لها فقال في ذلك:

حللنـــا بـــدار كـــان فيهـــا أنيســـها   فبـادوا وحلـوا ذات شـيد حصـونها
فصـــاروا قطينـــا للفـــلاة بغربـــة   رميمـــا وصـــرنا في الـــديار قطينهـــا

فســوف يليهــا بعــدنا مــن يحلــها ويســكن عرضــا ســهلها وحزونهــا

ثم ركز رمحه في وسطها ورجع إلى أهله فأحتملهم حتى أنزلهم بها، فلما رأى جاره الزبيدي ذلك قال يا عبيد الشرك قال بل الرضا فقال ما بعد الرضا إلا السخط، فقال بها الزبيدي ثم غرض (أي ضجر وسئم) فأتى عبيداً فقال له عوضني شيئاً فإني خارج وتارك ما ههنا فأعطاه ثلاثين بكرة فخرج ولحق بقومه وتسامعت بنو حنيفة ومن كان معهم من بكر بن وائل بما أصاب عبيد بن ثعلبة فأقبلوا فنزلوا قرى اليمامة أقبل زيد بن يربوع عم عبيد حتى أتى عبيداً فقال أنزلني معك حجراً فقام عبيد وقبض على ذكره وقال: والله لا ينزلها إلا من خرج من هذه يعني أولاه، فلم يسكنها إلا ولده وليس بها إلا عبيدي، وقال لعمه: عليك بتلك القرية التي خرج منها الزبيدي، فأنزلها فنزلها في أخبية الشعر حتى بنوا القصور، وكان عبيد يقول لولده: انطلقوا إلى باديتنا يريد عمه فيمضون يتحدثون هناك، فمن ثم سميت البادية، وهي منازل زيد وحبيب، وقطن لبيد بني يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة ثم جعل عبيد يغسل النخل فيغرسها فتخرج ولا تخلف ففعل أهل اليمامة كلهم ذلك فهذا هو السبب في تسمتها حجراً.

وقد أكثر الشعراء من ذكرها والتشوق إليها فروي عن نفطوية قال: قالت أم موسى الكلابية، وكان قد تزوجها رجل من أهل حجر اليمامة ونقلها هناك.

قــد كنــت أكــره حجــر إن ألم بــه وأن أعــيش بــأرض ذات حيطــان
لا حبــذا الغــرف الأعلــى أســاكنه ومــا يضــمن مــن مــال وعيــدان
أبيــت أرقــب نجــم الليــل قاعــدة حتى الصباح وعنـد البـاب علجـان
لــولا مخافــة ربــي أن يعــاقبني لقد دعوت على الشيخ بـن حيـان

ولعل الشيخ بن حيان هو الذي عقد لزوجها عليها؛ وكان جحر المشهور في بني جشم المعروف بالشجاعة من أهل هجر وقصته مع الحجاج بن يوسف معلومة.

قال ابن بطوطة في رحلته في القرن السابع دخلت اليمامة وقاعدتها حجر فوجدت بلدة عظيمة كثيرة النخيل والمياه والفواكه والزروع، وأطال الكلام عليها

فكان حجر اليمامة هي البلدة العظيم في الجاهلية وفي الإسلام، ثم إنها كانت قاعدة تلك الناحية في بلد الدرعية لما قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقام بنصره آل سعود الأقدمون محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز، وسعود بن عبدالعزيز حيث امتدت الفتوحات الإسلامية على أيديهم، وفي الدور الثاني انتقلت قاعدة المملكة إلى الرياض وجعلها الإمام تركي بن عبدالله عاصمة لملكه فاستمرت كذلك، وفي الدور الثالث من أدوار آل سعود جعلها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن عاصمة ملكه، كما قد جعلها الإمام فيصل بن تركي عاصمة لملكه قبله؛ وسنعود إلى ذكرها عن قريب.

التعريف بالعارض وتلك الضواحي

أما الأسماء المشهورة في الجاهلية باليمامة حجر اليمامة وجو اليمامة والوادي المسمى بوادي حنيفة يشق جبل اليمامة وبنوا حنيفة يسكنون من أعلاه إلى أسفله وما حوله يمنة ويسرة قصور ونخيل ومزارع أعلاها البرة وما حولها من القصور والمزارع إلى الحائر، وكانت البرة وضرمى التي تدعى فيما مضى بقرمى تعرف وما حولها فيما مضى بقر قرا، وكانت متاخمة لوادي الحيسية، وكذلك الحجيلاء تقع عن بلد البرة في الجهة الجنوبية على مسافة ساعتين، وهناك آثار دارسة تدل على قدمها، وأنها قبل البعثة وهذه كانت مساكن ثمامة الحنفي، وتسمى بوادي ثمامة، وأهل تلك الناحية يعرفون بالصبر عند القتال، والثبات في مواطنه وشدة البأس، وقد شوهد ذلك في مواطن كثيرة حتى قالت العرب فتحنا فارس والروم بعد علم أخذناه عن بني حنيفة في القتال، وقائل ذلك هم الذين قاتلوا بني حنيفة مع خالد ابن الوليد لما بعثه إليهم الصديق رضي الله عنه.

وكانت اليمامة إذا أطلقت فهي جبل معترض في نجد الشرقية؛ وأغلب قرى نجد المعمورة ذات النخيل والزروع والقصور، إما أن تكون فيه أو جاثمة في غربيه وشرقيه، وجميع غراس تلك الجهة يشرب من ماء هذا الجبل وسيله، ونخل تلك الجهات شماليها الخضري وما عدى ذلك يسمى الدقل، وما كان من الناحية

الجنوبية منه فنخيلها الصفرى والسري والدقل، وكان طرف هذا الجبل يمتد حتى يكون محاذياً للنباج شمالاً وطرفه الجنوبي محاذياً للأفلاج منقطع في الجهة الشمالية منه، يضعف إذا خلف بلد الغاط المتقدم ذكره؛ وكان بلد الغاط قديم في الجاهلية، وللشعراء فيه أوصاف، كما أن أثيثة بلد جرير الشاعر وذريته، وثرمدا لبني سعد، وبني منقر في الجاهلية، وكان هناك موضع يسمى ماء مليح في سفح جبل.

وجبل اليمامة ينقسم على ثلاثة أقسام، جبل طويق وهو يطلق علي القطعة الشمالية منه وهي تعم جميع اليمامة، ووسطه يقال العارض، وهذا الأسم يعمه كله، والاسم الثالث يطلق على القسم الجنوبي منه العويرض.

وكان جبل اليمامة ملتحماً منعقداً بعضه ببعض طرفه الشمالي يبعد عن طرفه الجنوبي مسافة شهراً أوأكثر، وفيه أودية تقسمه فتكون معها الطرق، منها وادي العتك الذي في أعلاه القصب، وفي هذا الجبل يقع المشقر، ومنها وادي الكلب الذي تقدم ذكره.

وفيه قرى عامرة بالنخل، منها بلد المجمعة ويليها بلد حرمة وبلد ظلمى، وبلد الحائر والخوبر، ووشي وتقدم ذكره، ومنها وادي جلاجل، ذكروا أنه يسمى وادي المياه؛ ويليه بلد التويم، وفي أعلا تلك الناحية المعشبة، ومنها وادي سدير، وهو وادي عظيم فيه قرى ونخيل أعلاه بلد الروضة؛ وبلد الحصون، وبلد الجنوبين، وبلد الحوطة، وبلد العطار وبلد العودة، ومن تلك الأودية وادي يقال أبوقتادة: ووادي الحائر ووادي الأوسط، ووادي نساح، وهو وادي الخرج ماوان، ووادي برك وبريك.

ذكر الرياض عاصمة المملكة السعودية

كانت الرياض تدعى فيما مضى بروضة القمعية وبرياض السلي، والسلي قريب من الرياض، ثم إنه غلب هذا الاسم حتى نسي ذكر حجر اليمامة ونحوه، وأصبح الرياض هو اسم تلك الأمكنة، وأعاد الله عز وجل على تلك الجهات تاريخها الأغر.

وكان صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز مولعاً بها في حداثة سنة حتى فتحها عنوة فسكنها لأنها عاصمة أبائه وأجداده، وليس بينها وبين الدرعية إلا قريباً من مسيرة ثلاث ساعات، وما زالت الرياض في ازدياد وتقدم حتى أصبحت قبلة الأماني ومحطة رحال الوافدين، وإن بلداً يستقر بها الملك وتفد إليه فيها الوفود من مشارق الأرض ومغاربها، وينتابها القريب والبعيد والأحرار والعبيد لجديرة بأن تصبح موضع الإعجاب، وكانت الوفود تفد إليه فيها زرافات وأفواجاً، ويقصده من أعراب نجران وأعراب جلق، وما بين ذلك من الجهات أمم لا يحصيهم إلا الذي خلقهم، يأتون إلى تلك السدة الملكية؛ حتى أنه ليبلغ عدد الوافدين في اليوم الواحد عشرة آلاف أو يزيدون، وذلك في وقت الركوب الذي قدره ستة أشهر، ويبعث منها سيارات النقود والأرزاق والحلل، فتفرق على جميع الجهات ممن لم يقدموا، وهذه العاصمة القهارة من تجول فيها ورآها علم أن ملكها عادل في ملكه صالح في نفسه قد أصلح الله شأنه وجميع التجارة تجلب إليها كالإبل والبقر والأغنام، والحبوب والدهن والحطب والفحم والسيارات والمكيفات والقهوة والهيل والسكر والشاي وجميع الأقمشة فبذلك كانت زهرة البلاد في عصرنا هذا، وكان الملك عبدالعزيز يعطي القاضي والداني، ولله حكمه في إيجاده بهذا العصر.

قال الشاعر محمد بن عبدالله بن عثيمين:

من مبلغ الصحب عني قـول مبتجح	بمـا يلاقـي قريـر القلـب والعـين
إنـي أويـت مـن العليـا علـى حـرم	قبـل الإناخـة بالبشـرى يحيـيني
ينتابـه النـاس أفواجـاً كـأنهم	جاؤوا لنسك علـى صـهب العثـانين
تـرى الملـوك قيامـاً عنـد سـدته	وتنظـر ابـن سـبيل وابـن مسـكين
ذا يطلب العفـو مـن عقبـى جريرتـه	وذا يؤمـل فضـلاً غـير ممنـون

وقال أيضاً:

فـالآن لمـا أقـال الله عثرتنـا	في دولـة المرتضـى في القـول والعمـل

فخفض الهم وأنعم في ذرى ملك ... وأعف الركائب من حل ومرتحل
ملك تباشرت الدنيا بطلعته ... وافتر ثغر الرضا عن مبسم الجذل
سما إلى المجد لم تقطع تمائمه ... بصدق عزم فتى في رأي مكتهل

إلى أن قال:

لو كان فيصل يدري قبل ميتته ... أنك من صلبه استبطى فدى الأجل
أصلحت للناس دنياهم ودينهم ... فأصبحوا بك في أمن وفي خول
أرشدت جاهلهم علماً ومحسنهم ... فضلاً ومذنبهم عفواً عن الزلل

ولقد توفرت في الرياض العلماء والقضاة والمفتون والمعلمون والمدرسون، وتخرج من هذه المدينة رجال هذبت الشريعة نفوسهم، وصقلت التجارب هممهم، وأصبحوا موضع الإعجاب، ولسداد آرائهم وسمو مبادئهم ونبل عواطفهم كان منهم القواد والقضاة والزعماء والفقهاء والوعاظ، ونذكر من هؤلاء العلماء فئة.

فمنهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وشهرتهما تغني عن ذكر مدحهما.

ومنهم رئيس القضاة الشيخ الإمام عبدالله بن عبداللطيف الجواد الكريم الذي رحلت إليه الخلائق في وقته من سائر أقطار الأرض لاستفراغ منطوقة وجثت العلماء على ركبهم بين يديه فصار المثل الأعلى في أهل زمانه وبعده.

ومنهم أخوه إبراهيم بن عبداللطيف وناهيك به من حبر عظيم كان غرة الزمان وواسع البيان، نسأل الله أن يجبر المسلمين على فقدهم.

ومنهم الشيخ محمد بن عبداللطيف الذي رسمّ في علم التوحيد، وجبل على الإنفاق والجود.

ومنهم الشيخ سليمان بن سحمان حسان السنة في زمانه الذي ما زال يدأب في نصرة الدين وإعلاء شعائره، ويكافح كل من أراد الدين بسوء من غاو ومفتري وهذه قصائده ومؤلفاته كنار على علم، أحيت السنة وأماتت البدعة.

وكذلك أيضاً الشيخ حمد بن فارس الذي كساه الله حلل التقوى، ونال الثقة والأمانة في دولته.

ومنهم الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ العالم العامل الذي لا تأخذه في الله لومة لائم.

ومنهم الشيخ سعد بن حمد بن عتيق الذي ثبت الله به أركان الشريعة وأشاد بنيانها، وبذل نفسه لله ولإظهار دينه، ولم يعبأ بعاذليه من كل مجامل، وكل هؤلاء أئمة فحول تعزى الحياة الدنيا بفقدهم وموتهم، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، فعلموا ودرسوا وبينوا، وتهذب على أيديهم علماء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي وقتنا هذا خلفهم من الأعيان رجال على رأسهم سماحة المفتي وشيخ الوجود رب الحجا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ العالم العلامة الذي لا تزال أوقاته عامرة بالتدريس والإفتاء، وجلب المواعظ والنصائح والتحذير من الخزي والفضائح، قد بذل نفسه لله وفي إظهار دينه، فتخرج على يديه أناس سدت بهم الجهات.

فمنهم الشيخ الورع الزاهد الناصح عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الذي نال مقامات القضاة والمفتين والمدرسين والمواقعين عن رب العالمين.

ومنهم الشيخ عبدالله بن يوسف بن وابل قاضي الحلوة ثم كان في قضاء أبها.

ومنهم الشيخ سليمان بن عبيد بن سلمي قاضي الزلفى، ثم كان في قضاء المجمعة، ثم كان في قضاء الظهران.

ومنهم الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي بريدة، ومنهم الشيخ بن رشود.

ومنهم الشيخ صالح بن جارد وغيرهم، ويكفينا شرفاً له تهذيب هؤلاء وأمثالهم، ومن الأعيان في الرياض الشيخ عمر بن حسن رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نجد، وكان قد جعله في هذا المقام الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لما كان يتوسمه فيه من المؤهلات.

ذكر تعزيز مقام الأمر بالمعروف

لما كان في حكمة الله أنه لا قوام للدين ولا الدنيا بل ولا للعالم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ به تستقيم البلاد وتصلح العباد، ويرتدع أهل الفسق والفساد، اقتضت إرادة صاحب الجلالة أن يجعل في كل بلد أمةً يأمرون المعروف وينهون عن المنكر، امتثالاً لأوامر الله ورسوله، وإذا كان الأمر كذلك فمن أولى بهذه المهمة من مدينة عظمى امتلأت بالسكنى والجنود واختلط فيها الشامي باليمني والعراق بالحجازي، والعربي بالأعجمي، والأحرار بالعبيد، فجمع الملك أيدّه الله لذلك العلماء والزعماء والكبراء، وباح بما لديه من جهة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنه لا بد من جعل هيئات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وبعد سؤال وجواب انتدب صاحب الجلالة لهذه الخطة صاحب الفضيلة الشيخ عمر بن حسن بن حسين آل الشيخ رئيساً لهذه الهيئات، ذلك لما قام بهذا الشخص من المؤهلات التي قضت له بأن يكون موضع الثقة والأمانة لهذه البضاعة، ولما أن عيّنه في هذا المقام تعهد له بالمساعدات الفعلية سواء ثبت الأمر على شريف أو وضيع مع تأمين معيشته، ومن كان في معيته من الأعضاء؛ وضم إليهم جنوداً وقوة، فقام الشيخ بما وسد إليه خير قيام، وانبعثت تلك الأعضاء، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصلحون في الأرض، ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾؛ وناهيك بهذه الخطة شرفاً، وكان الشيخ عمر يقيم الحدود ويجلد ويسجن ويعزر؛ ولو ذكر ما يقاسيه لضاق الموسع، ومن كلام صاحب الجلالة له أن قال يميني هذه وأشار بها معك مسلولاً بها سيف للشرع فتوكل على الله.

وقد قال رسول الله ﷺ «لتأخذن على يد السفيه ولتأطرنة على الحق أطراً أو ليوشكن الله أن يعمكم بعقوبة من عنده»، وما ضعفت القوة ولا سقطت الدول وخربت البيوت ودمرت الأمم إلا بسبب التغافل عن المعاصي وأهلها، وعدم

الأخذ على أيدي السفهاء ومنعهم من الرذائل، وإن الله تعالى لما أوجد هذا الملك ووسع في ملكه حفظ التوحيد وأقام شعائر الدين، وهذه هي السر في عزه واتساع ملكه لأن هذه الدولة الإسلامية لا يستقيم لها أمر إلا بحماية دينها والتمسك به.

فنسأل الله تعالى أن يقيم لنا رجال أكفاء يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لهم علم ودراية ومعرفة وبصيرة أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وأن يشد أزرهم ويقوي عزائمهم ويمنحهم التوفيق.

وقد نشر الملك عبدالعزيز العلم وطبع الكتب وعني بكتب أهل السنة والجماعة وبذل أسباباً كافية لطلاب العلم وحملته والقضاة والمفتين والمدرسين؛ فجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وقد اتخذ أئمة من العميان للبيوت السعودية يتلون القرآن ويؤمون فيها بصلاة التراويح في شهر رمضان، فأصبح أولئك الأئمة أغنياء أعزة بعد أن كانوا فقراء ضائعين جائعين، وكانوا محشومين لديه يلبسون الكسوة الفاخرة ويركبون من أحسن السيارات، ذلك لأنهم قراء للقرآن يتلون كتاب الله في البيوت السعودية آناء الليل والنهار.

ولقد شاهدت من إكرامهم وحشمتهم ما لا تبلغه العبارة، بحيث كان الأعمى لا يصده عن الملك أحد من الحجاب إذا احتاج شيء من الأغراض؛ لا يقل عددهم عن مائة وخمسين مطوعاً.

أما البيـوت التي تصرف عليها الحكومة مجاناً من آل سعود وآل رشيد واللاجئين فإنها تبلغ أربعمائة بيت، وكلها تفرش بالنمارق والمياثر والزل الجميل وتضاء بالكهرباء وما يلتحق بذلك من الثلاجات والغسالات والمراوح والدفائات وغيرها.

وقد اختط الملك عبدالعزيز موضع المربع لآل سعود وموضعه في زاويته الشمالية ومليء بالقصور، وفيه مساجد تقام فيها صلاة الجمعة وكانت تلك القصور شامخة في الجو حسنة البناية متسعة الأركان إذا تجولت في المربع تظن أن أهلها ليسوا ممن يسكن القبور.

وقد زينت الرياض بالزينات حتى أصبحت جنة الدنيا، وفيها حارات تعتبر كل حارة كمدينة عظيمة، ومنها محلة القصمان، ودخنة ومعكال وغميتة والشميسي وغيرها.

أما ما كان عن محلة المربع الذي تسكنه الأسرة المالكة والبطحاء فحدث ولا حرج، وكان فيها حدائق ربيت فيها الوحوش، ولقد استمرت الرياض في تقدمها وتطورت في عهد الملك سعود وبعد وفاة والده الملك، وكانت حديقة الناصرية التي اتخذها الملك الحالي منتزهاً عظيماً، وقد بني ذلك القصر على أحدث البناية الحديثة وملئ من عجائب الدنيا، وفيه أزواج من الوحوش كالأسود والنمور والفيلة والنعام وغير ذلك من ذئب وضبع وغير ذلك، ويوجد في بقية الحدائق كذلك كالفاخرية.

وكانت مدينة الرياض واسعة الأرجاء، مترامية الأطراف، ويفد إليها من الأحساء والحجاز واليمن والشام، والكويت، والعراق، والقصيم، والهند، والسند، والجاوه، والأوربيتين والأمريكيتن خلق كثير، ومن قدم إليها فإنه يجد من الأعمال ما يستغرق وقته، فمن هؤلاء من يقدم إليها للتكسب والبيع والشراء.

ومنهم من يفد لطلب العلم؛ وآخرون ضيوف ووفود أضف إلى ذلك ما جعل فيها من الضيافة، والمطابخ، والنعمة؛ والسرور، والزينة، والبهجة والحبرة، بحيث يقدم إليها الصعاليك لا يملكون شيئاً فما تمر عليهم الأيام القلائل حتى يصبحوا أغنياء وعلى أهلها سيماء النضرة والترف، وفاخر اللباس، فلا إله إلا الله ما تسمع فيها بأذن جلبة البيع والشراء والأخذ والإعطاء وأصوات السيارات ودوي الطائرات والعساكر والجنود قد احتشدت في الشوارع والأمكنة، ولكل نجل من أنجال الملك عبدالعزيز خدم وعبيد وجنود وسيارات سواء في ذلك الكبير والصغير.

وقد غرقت الجنود بالأسلحة الحديثة من بنادق ومسدسات ومدافع رشاشة وغير ذلك من السيوف والخناجر.

ولقد أحسن الشاعر محمد بن عثيمين في قوله:

قوم إذا ذكرت أفعالهم فخرت	بهم ربيعة من فاس إلى الصين
وحين خفيت رسوم الدين وانطمست	وسيم أهل التقى بالخسف والهون
اختارك الله للأمر الذي سيقت	به السعادة للدنيا والدين
فكنت في هذه الدنيا القوام لهم	وكنت للدين قسطاس الموازين
أعطوا بسعدك خطاماً توهمه	فكر ولم يك في الدنيا بمظنون
قال العزيز الذي أنت العزيز به	قم واستعن بي فإني ناصر ديني
أجبت حظك إذ ناداك معتزما	بالمرهفات وجرد كالسراحين
إذا سرين بالليل خلت أنجمه	من قد جهر الحصى يشعلن في الطين

ولقد ساعدت الظروف بأسباب المواصلات بين مدن المملكة السعودية، وذلك بالسيارات والطائرات والقطار بين العاصمة والظهران، كذلك عن طريق التلغرافات اللاسلكية والتلفونات وغيرها.

ويلتحق بالعارض قرى كثيرة كالدرعية التي تقع شمالاً عن الرياض وعزره وأبو كباش التي كانت مسكناً لآل سعود الأقدمين قبل تأسيس الدرعية، ومثل العمارية والجهيلة واليمامة مسكن مسيلمة قديماً؛ والعيينة بلد آل معمر، وأما ما كان عن العاصمة جنوباً فالمصانع ومنفوحة وحائر وسبيع، وعنها غرباً ضرمة المتقدمة، وهي مؤلفة من قصور ومزارع عديدة وجنوبي ضرمة الغطغط هجرة الأخوان المشهورين.

وكانت منفوحة هذه هي بلدة الشاعر ميمون بن قيس الأعشى الشاعر المشهور قال صاحب الأغاني أخبرنا أبو الحسن الأسدي حدثنا علي بن سليمان النوفلي قال: أتيت اليمامة والياً عليها فمررت بمنفوحة التي يقول فيها: «بسفح منفوحة فالحاجر»، فقلت: هذي قرية الأعشى، قالوا: نعم، قلت: فأين منزله، فقالوا: ذاك وأشاروا إليه، قلت: فأين قبره، قالوا: بفناء بيته، والشطر المذكور من قصيدته التي أولها:

شــاقتك مــن قتلــة أوطانهـا بالشــط فـالوتر إلى الحـاجر
فـركن مهـراس إلى مـارد فقـاع منفوحـة فالحـائر

ومنفوحة قد أمست اليوم منفوحتين القديمة، والجديدة على رمية سهم منها لكن القديمة لا تزال خرائبها بادية للعيان.

وأما الحائر فإنه على مسافة خمسة وعشرين ميلاً من الرياض وتدعى حائر سبيع لأن سكانها من عرب هذه القبيلة النازحين من الغرب، وفيها أيضاً السهول حلفاء سبيع، ولقد كانت الأودية مثل وادي الرمة ووادي حنيفة لا تستقيم البلدان فيها، فانظر إلى اليمامة ومنفوحة وما ذاك إلا انقطاع المطر أعواماً متوالية عنهم فتجف العيون والآبار فينزح أهلها، أو يكون ذلك لهطول الأمطار والسيول التي إذا كثرت دمرت ما مرت به من العمران خراباً يباباً.

الخرج وضواحيه

أما الخرج فقد كانت ناحية خصبة التربة غزيرة المياه جداً، وتزرع في أرضها الحبوب وفي بساتينها الثمار على أنواعها من مشمش ودراق وتين وعنب وتربى فيها أحسن الجمال والإبل على العموم كذلك البقر والدواجن على اختلاف أنواعها وقد أوجد فيها الملك عبدالعزيز المياه الغزيرة والزروع الكثيرة والمباني الشاهقة وهناك روضة فيه واقعة بين الخرج والسهبا يقال لها روضة البجادية قد مد إليها شطر من مياه تلك الناحية فجرت كالنهر التيار وطافت بها وزرعت على تلك المياه وغرست فيها النخيل فأصبح الخرج بهمة صاحب الجلالة قد تحسن تحسناً عجيباً وفيه جهات يتنزهون فيها طيبة الهواء ويأتي إليه الملك عبدالعزيز في بعض الأحيان فيسكن في تلك القصور التي عمرت على الطراز الحديث فجرت من بينها الأنهار، وأحاطت بها الحدائق والجنان، فلكون أرضه خصبة كثيراً ما يتردد إليه الملك إذا أراد تغيير الهواء، وإن الخرج يعتبر الآن أصلح أرض للإبل وحديثي عنه طويل وسيمر في حوادث هذا التاريخ بقية ذكر لما جلب إليه من العجائب.

أما قاعدة الخرج فهي الدلم على ثلاث مراحل من الرياض وأهم بلدانها زميقة، ونعجان، واليمامة، والسلمية؛ في طرفها الشمالي والعذار، وفيه مواضع بعثت في هذا العهد الحديث وهي الهياثم وكانت بلداً لآل عاصم بطن من قحطان يرأسهم ابن حشر؛ والضبيعة وهذا الاسم جاهلي بقي إلى هذا العهد، ويقال أنها قرية لبني قيس بن ثعلبة سميت بالضبيعة لأنه سكنها ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وسكانها اليوم بطن من سبيع بن عامر يقال لهم عجمان الرخم يرأسهم بن هديهد، ثم وادي الفرع إلى الجنوب، وفيه بلدان وسط جبل اليمامة أكبرها الحوطة التي تبعد عن الدلم جنوباً بثمانية وأربعين ميلاً، وفي أعلى الوادي الحريق على مسافة أربعة وعشرين ميلاً من الحوطة، أما أهل هذين البلدين فمن بني تميم الأشداء، ومن اتباع الحنابلة المحافظين على تقاليدهم وعزلتهم الغيورين على استقلالهم.

ولما أن دانت بلاد نجد لابن رشيد ظل أهل الحوطة التي تدعى بحوطة بني تميم خارجين متمردين، وكان لهم شأن عظيم من جهة التمسك، فلما عاد ابن سعود ونازعه السيادة ابن عمه سعود العرافة نصر أهل الحوطة والحريق سعود على جلالة الملك عبدالعزيز، ولما أن انتصر عبدالعزيز على من نازعه ضمن لأهل هذه الناحية بالأمن على شريطة أن يعترفوا بسيادته ويدفعوا الزكاة ويلبوا دعوة الجهاد معه.

ومن البلدان في الخرج السيح الذي كان ماؤه عظيم القدر بحيث يعتبر كوادي عظيم وكان يخرج من مواضع قريبة التناول باستخدام المكائن المائية الضخمة جداً.

ومن البلدان في الخرج أيضاً نعام ومضيفر والحلوة التي غالب سكانها من عنزة أما وادي الخرج المنخفض الذي تصعد منه جنوباً إلى الأفلاج وشمالاً إلى الرياض فإنك إذا ذهبت جنوباً فهناك.

الأفلاج

وهو أكبر النواحي الجنوبية وأخصبها وتكثر فيه الآبار والعيون والنخيل وتزرع في تلك الناحية الحبوب والثمار وشيء من القطن، قاعدتها لبلى على سبع مراحل من الرياض، وما كان في العارض الجنوبي من برك إلى وادي الهدار فهذا كله يقال له الأفلاج، وهي بلد الحمر، والهدار والستارة والخرفة، وفي تلك الناحية بقعة تدعى السيح من العيون السائحةبل فيها بحيرات عدة، هي من مياه جبل طويق التي تصب غرباً بجنوب تحت أرض الوشم، وفي وادي حنيفة ثم تظهر على وجه الأرض بصورة دائمة في الأفلاج، ومن بلدانه الفعل والعمار وحراضة وواسط ووسيلا ومروان والزريقية والروضة والبديعية وسويدان، أما العرب الذين كانوا يقطنون هذه الناحية فهم من قحطان والدواسر وسبيع قال رجل من بني هزان:

سلوا فلج الأفلاج عنا وعنكم ... وأكمة إذا سألت سرارتها دماً
عشية لو شئنا سبينا نسائكم ... ولكن صفحنا عزة وتكرما
عشية جاءت من عقيل عصابة ... تقدم من أبطالها من تقدما

أما وادي الدواسر

فإنه يقع عن الأفلاج إلى الجنوب الغربي وسكان هذا الوادي أغلبهم من عرب الدواسر الأوشاش البدو منهم؛ والحضر وفي ناحيته الشمالية موضع يدعى السليل وفيها من القرى حنابج ورويسة وفرعه وغيرها وفي طرفه الجنوبي ناحية تثليث ومن قراها العمق ومطيلة وخريفة وبعد الوادي جنوباً على ثلاث مراحل منه.

نجران

لبني يام الذين كانوا في الماضي خارجين على كل سلطة مشروعة فما دانوا لأحد غير شيوخهم ولكنهم منذ ثلاث وثلاثين سنة دخلوا في الرعاية السعودية فصاروا يدفعون الزكاة طائعين.

إن أكبر قرى نجران مخلاف وحبونه.

أما المنطقة الشرقية وتعرف بالأحساء فتحد شمالاً بالكويت وجنوباً بقطر وشرقاً بالخليج العربي وغرباً بنجد الذي فيه السهول والجبال والصحاري المليئة بالرمال التي تكثر فيها المراعي كالدهناء ونحوها من مواضع الرمال والرياض الطيبة وفيه الأودية والشعاب والواحات والقفار وهناك الأراضي المنبسطة الفسيحة التي لا كلاء فيها ولا ماء كالصمان وهي أرض فيا غلظ وارتفاع وفيها قيعان واسعة وخباري تنبت السدر وإذا خصبت ربعت العرب جميعاً والصحان متاخم للدهناء وكانت الصمان مفاوز في أيام القيظ لا يجوزها إلا الإبل التي تحمل الماء لكنها استخرجت فيها المياه الكثيرة العذبة في جهتين منها بالآلات الحديثة في روضة الحنى وفي روضة الشملول وذلك في عهد الملك عبدالعزيز.

أما الدهناء فتمد وتقصر، وسميت بهذا الاسم لاختلاف النبت والأزهار في عراصها وطيب نباتها وهوائها.

أما الأحساء

فهو أكبر النواحي وأخصبها ولا يفوق عليه في كثرة العيون وخصبة التربة سوى القصيم، وكان في صفة أرضه أنها رمل تحته صلابة فإذا أمطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء فمنعته الصلابة أن يفيض، ومنع الرمل السمائم أن تنشفه، فإذا بحث ذلك الرمل أصيب الماء.

وفي الأحساء واحات متفرقة أهمها الحساء والقطيف، وبينهما أرض رملية مثل التي ذكرنا وفيها المياه الجارية والعيون العذبة والبساتين والأرض التي تصلح للحراثة فتزرع فيها الحنطة والشعير والسمسم والذرة والأرز.

وفي الأحساء قرب الهفوف عيون معدنية متنوعة مياهها حارة وباردة أهما عين نجم المشهورة قرب المبرز التي يتغنى الشعراء بمائها العجيب.

وقد كانت الحساء في أيام القرامطة عاصمة مقاطعة هجر، لهذا لما زحف

القرامطة إلى مكة وقتلوا الحجاج، واقتلعوا الحجر الأسود ورجعوا به إلى هجر، ثم استولى على الأحساء الأمراء العيونيون، وقد استولى عليها بنو خالد إلى حين ظهور آل سعود الذين أدخلوا بني خالد في طاعتهم.

وعلى أثر الشقاق الذي حدث بين أبناء الإمام فيصل سنة ١٢٨٧هـ عادت الدولة العثمانية إلى الأحساء فاحتلتها كما دخلت في حوزتهم سنة ٩٢٦هـ قبل بني خالد، وكان مناخه حاراً رطباً، وظهرت شهرته في العالم بعد ظهور البترول في أراضيه، وكان بدء استخراج البترول سنة ١٣٥٧هـ بواسطة شركة أمريكية، ولا تزال تزداد كمية استخراجه يوماً عن يوم، مما يبشر بمستقبل زاهر، وعلى ذلك فإنه يحصل منه على مال وفير، واتخذت مدينة الظهران قاعدة رئيسية لحصوله.

وفي سنة ١٣٦٦هـ مدت أنابيب من أبقيق إلى ميناء صيداء بالبنان تسهيلاً للنقل حتى بلغ طول هذه الأنابيب ٧٥٢ ميلاً، وحقول البترول المنتجة هي السفانية؛ وأبوحدريد، والفاضلي، والقطيف، والدمام؛ والبقة، وأبقيق وعين دارد والعثمانية وحرض، وكلها تقع في المنطقة الشرقية، وكانت مشتقات البترول هي الكيروسين الذي يستخدم في الإضاءة، والوقود والبنزين والديزل الذي هو للقاطرات والآلات والشحم والإسفلت الذي يستخدم في رصف الطرق، ومن المدن في هذه المقاطعة مدينة الظهران والدمام والخبر ورحيمة ورأس تنورة، وقد أقيمت البيوت الحجرية هناك ونصبت القضاة وأصبح يبلغ عدد العمال في الشركة هناك زهاء عشرين ألف عامل، وتواصلت بالرياض بالقطار والطائرات والسيارات، وإن إقليماً يكون بهذه المثابة لجدير بأن يكون موضع الإعجاب، وحديثي عن المقاطعة الشرقية طويل لا تتسع له هذه الأوراق وإن بروزها بتلك الصفة تركها مسرح الأفكار ومزار السائحين.

وإذا دفعنا إلى شمال المملكة فإنه يحاد القصيم جبل شمر أي جبلا طي أجا وسلمى وما يتبعهما من السهول والجبال وعاصمة تلك المقاطعة هي حائل التي

أميرها عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، وكانت مدينة من أكبر المدن العربية وأجملها، ويقدر سكانها بثمانين ألفاً، وكان أهل تلك الجهات مثل أهل القصيم يكثرون الأسفار والإتجار، ويبارون بالرفاهية أهل الأمصار، وبالبسالة والشجاعة أهل القفار، وهناك قرى عديدة منها قفار، وقبة وبقعاء وسميرا والكهفة وكلها تابعة لحائل.

وإذا سرنا منها شمالاً بغرب واجتزنا النفود الكبرى نصل إلى الجوف جوف آل عمروا، ووادي السرحان التي كانت لعرب الرولة من عنزة، فاستولى عليها ابن رشيد ثم بعد سقوط حائل دخلت في حوزة ابن سعود وقاعدتها الجوف، وأهم قراها سكاكا وكادة وقريات الملح وأثره، وقراقر، وهناك عند الطرف الشمالي من وادي السرحان قريبا من حدود المملكة العربية السعودية الشمالية.

أما ما كان عن عسير وجهاته فنقول:

عسير

يقع أقليمه في الجهة الغربية من المملكة ويحد شمالاً بالحجاز، وجنوباً باليمن، وشرقاً بنجد، وغرباً بالبحر الأحمر ومساحته خمسون ألف ميل، وسطحه ينقسم قسمين سهول ساحلية تعرف بتهامة عسير فيها أودية خصبة تنبت الحبوب والسمسم والقطن والبن وغير ذلك، ومناخها حار، والقسم الثاني جبلي بعرف بعسير السراة تنحدر من جبالها سيول كثيرة تكسب الأرض خصوبة ومناخها معتدل.

أما أشهر مدن عسير فجيزان على ساحل البحر، وتقع أمامها جزائر فرسان، ومنها صبيا، وكانت بلدة قديمة ومياهها كثيرة ومزارعها واسعة.

أما أبها فهي قاعدة عسير وكانت تعد مركزاً هاماً للمواصلات وطرق القوافل، وقد أقيمت على تل في وسط عسير وجوها معتدل صيفاً وبارد شتاءً.

أما القنفذة فهي أشهر ميناء على الساحل لأقليم عسير، وبينها وبين جده مائتا

ميل جنوباً، وكذلك بارق وكان وادياً بين بلد القنفذة وبين جبل السراة سكنته بطون من بني بارق بعد خراب السد، وكان غالب قبائل عسير بنو مالك وشهران وبام وبالحرث وسيأتي له بقية تعريف.

أما الحجاز

فإنه أقليم تكثر فيه الحرات وسطحة جبل على العموم والجزء الغربي منه سهول ساحلية ممتدة على ساحل البحر الأحمر ومناخه يختلف باختلاف جهاته ففي الجهات الساحلية حار رطب، وفي المناطق البعيدة عن الساحل حار جاف.

وفي المناطق الجبلية معتدل صيفاً بارد شتاء، وتبلغ مساحته نحواً من مائة وخمسين ألف ميل مربع، وأغلب القبائل التي تسكنه ثقيف وقريش وجهينة، وحرب وبنو شهر، وبنو سعد وبنو حرث وبنو مالك وغمدان وزهران، وفي الحجاز جميع الموانئ الغربية كميناء جدة وميناء ينبع، والجزء الشمالي والشرقي سهول تكثر فيه الحرات، وفي الوسط بالقرب من ساحل البحر الأحمر تمتد سلسلة جبال السروات، ويتخللها سهول تقع فيها مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف.

أما مكة المكرمة فإنها عاصمة الحجاز وبلد الله الأمين وحرم الله وخيرته من بين سائر بقاع الأرض شرفها الله تعالى وعظمها، وكانت مهاجر إسماعيل وأمه، وتحتوي على بيت الله المعظم وفيها ولد الرسول الأمين وخاتم المرسلين، وفيها المشاعر المعظمة ويقع حواليها جبل حراء وغار ثور.

وقد كفينا ذكر تاريخها القديم، ولقد كان فتحها على يدي جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود يعتبر من أكبر نعم الله تعالى على المسلمين.

ولقد كان الحجاج قبل ولايته عليها يقاسون من النهب والسلب، والأذى ما يقلق راحتهم، ويشتت شملهم ويقضي على الأمن والطمأنينة هناك، فشاءت قدرة الله عز وجل أن يتولاها آل سعود لما قام بهم من العدل والإنصاف والتأمين.

ولما كان الحجاج قبل ذلك تسرق آنيتهم من بين أيديهم وهم ينظرون، وتعبث أيدي الحرامية بفعل تلك الجرائم بحيث تؤخذ الكسوة من فوق الظهور فلو رأيت الشنان والمفزعات إذا دحرجت من فوق رؤس الجبال وانطلقت على إبل الحجاج فندت وسقط ما تحمله فوق ظهروها، وكان حظه النهب والسلب لذابت لذلك الأكباد وأنكرته فطر العباد، فغار ربك من هذا الصنيع الذي تعمله هذه الأيادي الجائرة بزوار بيته ووفده، وولى على تلك البلاد والرباع ذلك الأسد في براثنه الذي قهرت سطوته أهل الفساد، وآمن به العباد والبلاد فولت تلك الأشباح الوحشية إلى أكهافها وأوكارها قد أعشاها فجر الأمن والتوحيد، وأصبحت الطرق آمنة مطمئنة فلله الحمد والشكر لا نحصي ثناء عليه.

إن مكة

والحق يقال تعتبر مثالاً للنظام وحسن التدبير، ذلك لما أولتها الحكومة من العناية والحرص على راحة أهلها بتأسيس المستشفيات ومراكز الإسعاف وتعبيد الطرق بالإسفلت حتى أصبحت طرقها كأحسن ما يكون، واتخذت الحكومة إجراءات نحو الطريق بينها وبين مدينة جدة فرصفته وجعلت على قدر مسافة الكيلو لوحة فيها أرقام، لذلك وكانت المسافة بين البلدتين ٧٣ كيلو متراً، كما قد رصفت الطريق بين جدة والمدينة المنورة، كذلك بحيث كان الطريق بين البلدتين ٣٧٨ كيلو متراً، وكانت غالب دوائر الحكومة فيها وجلبت إليها سيارات الإطفاء وفيها معامل ومحطات كثيرة لتوليد الكهرباء واللاسلكي ومراكز للشرطة، وفيها المدارس والمعاهد والمستشفيات ومواضيع أخرى للأدوات الحديثة وغير ذلك مما وفر لأهلها كمال الراحة، ومن جهة أخرى فإن الكهرباء يسر وجوده لديهم جميع المكيفات، والآن كانت تشاركها في بعض ذلك البلاد الأخرى، فإن مكة قد نالت قصب السبق وفازت بنا من قديم، وقد خدمت بالحرس والبلديات والتنظيم ما كانت تفخر به على غيرها في المدنية وحسن النظام، ولا ريب أن البلاد تتحسن وكانت مسافتها شرقاً وغرباً طويلة، أما من جهات الجنوب والشمال فإن الجبال

هناك ولا تزال أسواقها عامرة بالبيع والشراء وهي كثيرة كالجودري والمدعى والحلقة وسوق الليل والمسعى والقشاشية وسويقة والسوق الصغير وشارع الملك عبدالعزيز وشارع الأمير فيصل وغير ذلك، وما حاراتها جياد وشعب عامر وسوق الليل والقشاشية والمعابدة والشامية وجرول والشبيكة وحارة الباب والمسفلة وغزة والقرارة والنقا.

وغالب سكانها مجاورون من جاوى وحضرموت والهند وغير ذلك، أما أهلها المتأصلون فإنهم على قدر النصف من ذلك، وكان يرد عليها من الفواكه والحبوب والأرزاق شيء كثير، وقد قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [القصص:٥٧]، فيجلب إليها البطيخ والقثاء والباذنجان والرمان والليمون والبرتقال والسفرجل والخيار والحبش والبصل والتين والبطاطس والدبا والغنم والبقر، أضف إلى ذلك العنب وأنواع التمور والخضر، ولا ريب أن لديهم بركة كما دعى لهم الخليل عليه السلام ولكل بضاعة سوق خاص فللقماش سوق، وللنجارة كذلك حتى تصل إلى مبيع الفحم والحطب.

ولقد بنى صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز مساجد كثيرة فيها وجدد مساجد أيضاً وقد كتب على ألواح فيها من الخارج بالخط البارز براعة استهلال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة:١٨]، ومن أهم المساجد التي رأيتها فيها بعد المسجد الحرام مسجد بناه الملك المذكور، وكان يقع أمام قصره في المعابدة، وقد أحكم بالإسمنت المسلح.

المسجد الحرام في الوقت الحاضر

إذا دخلنا مع باب السلام إلى المسجد الحرام فإنا نجد هناك مكاتب ملئت بالكتب والمصاحف والدفاتر والأقلام والمحابر وما إلى ذلك، ومما يؤسف جد الأسف أن غالب هذه الكتب إنما هي عصرية لكنه قد يوجد في بعضها كتب دينية وإننا لنأمل من أرباب هذه المكاتب لما عرف من أدبهم وأخلاقهم الطيبة أن يجزلوا

جانب كتب السلف ويوجدوا لها كمية لا سيما وفيهم الرجال الأماثل الذين يشهد لهم الوقت بالمثابرة على تجني الأدب واكتسابه.

ألا وإن المسجد الحرام قد احتوى على أروقة رحبة واسعة تحيط ببيت الله الكعبة المعظمة وبئر زمزم ومقام إبراهيم وحواليها المقامات الأربعة إذا ولج المؤمن في ذلك المسجد فليس له التفات إلى الدنيا نشاهد هناك البيت الذي حجه الرسل قبلنا ونطوف به ونمسح أركانه على وفق المشروع ونصلي في جوانب المسجد ونتمتع برؤية الكعبة مليحة اللباس جميلة المنظر فما شئت من سرور وبهجة وفرح وكشف هموم وغموم.

ولقد بذلت الحكومة جهوداً في نظافة المسجد وترميمه وملئ بلمبات الكهرباء حتى أمسى كأن لم تغب الشمس عنه في ليل ولا نهار وتمكن القارئ من أن يقرأ بالكتاب في كل موضع من مواضعه وقد خدم المسجد الشريف بالشرطة الأكفاء لتوطيد الأمن وتنظيم الحجاج والمعتمرين من الرجال والنساء عن الاعتداء بعضهم على بعض وجعل لهم مخفر هناك، ولا يزال عن يمين الحجر الأسود ويساره اثنان على الدوام يتناوبونه بالمرة قد كلفوا بحفظه ورعايته ليلاً ونهاراً فلا يتخلون عنه وإذا جرى تشويش في المسجد الحرام وألجأت الضرورة فإنها تصيح الصافرة للاستغاثة بالدوائر الأخرى فتنهمر العساكر على المسجد كالسيل فما هي إلا لحظة ثم يزول الإشكال.

أما الأغوات فعبيد قائمون على أقدام الجد لمباشرة أعمالهم من التنظيفات والتنظيم وترتيب صفوف الرجال والنساء حوالي الكعبة عليهم آثار الهدوء والسكينة واحدهم خصى لا شهوة معه فلو رأيتهم وهم يقلبون النساء وينظمون صفوفهن بكمال الثقة عليهم قلانس كبار مستطيلة جداً طوال الأكمام محترمين يرشدون إلى لزوم النظام والهدوء والسكينة، ولقد حرست مكة وضبطت بالعساكر والحرس، ونجد فوق قلاعها مدافع ضخمة قد صوبت إلى البلد أما ما كان من أمر الشحن والذهاب والإياب فإنها لا تزال السيارات والعربات والخيل والبغال

والجمال والحمير تروح وتغدو وفي مكة مطاعم كثيرة وقهاوي ومجالس وأشياء أعدت بكثرة وفيها مطابع للكتب، والصحافة كمجلة الحج، ومجلة المنهل وجريدة البلاد السعودية، وهي أكثر جرائد الحجاز ذيوعاً وأشهرها وتصدر يومياً وجريدة أم القرى، وهي الجريدة الرسمية للحكومة السعودية وتصدر أسبوعيا وجريدة المدينة المنورة، وفي مكة مكاتب ومراكز وسهرت الحكومة على شئون الحجاج وراحتهم والعناية بهم طيلة إقامتهم بالأراضي المقدسة وتنظيم المشاعر كمنى ومزدلفة وعرفات والجمرات وتوفير المياه وموضع البسط لا تتسع له هذه الأوراق وكانت مكة تسقيها على العموم عين زبيدة.

وإذا سرنا إلى جدة فإن تعبيد طريقها قد ربطها بمكة ولكثرة السيارات بينهما أصبحت مدينة جدة كأنها احد زوايا مكة وقد توالت القهاوي في الطريق والمراكز والمزارع فأول مركز نمر به الشميسي ثم بحره وكانت قرية ضعيفة ثم أم السلم ثم نصل إلى جدة.

إن جدة تقع في منتصف ساحل البحر الأحمر الشرقي تقريباً على خط عرض ٥٢١ ٢٨ ك شمال.

وقد اختلف في أول من اختطها فقيل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه جعلها ميناء لمكة.

وبعضهم يقول أنها موجودة في العصر الجاهلي ويقدر عدد سكانها بمائة وخمسين ألفاً وكانت أزقتها قد تحسنت وتنظمت من حديث ومنازلها منخفضة وعلى جدة مظاهر النظافة وفيها بيوت السفارة القناصل ويرد إليها من البحر الأحمر ثروة بليغة ومستقبلها زاهر، وقد أقيمت فيها بيوت من الحجر والإسمنت واطمئن أهلها لكثرة المياه العذبة فيها بعد ما كانت محرومة منها فقد مدت إليها الحكومة أنابيب من وادي فاطمة بعد ما كانوا يشربون من الكنداسة وإذا سرنا منها إلى المدينة فيوجد في الطريق محطات أهمها رابغ وأبيار بن حصاني والمسيجيد وأبيار علي وهي ذو الحليفة.

أما المدينة المنورة

فهي مهاجر الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فمناخها طيب لأن الجبال لم تضايقها وتسقيها على العموم عين الزرقا ولا تخلو غالب البيوت من الآبار احتياطاً، وكانت مركز الخلافة في عهد الرسول وأبي بكر وعثمان وقد أولتها خلفاء الدولة العباسية عطفاً وعناية كما قد أولتها بعدهم الدولة العثمانية اهتماماً وعناية ولو لا ما فدحت به المدينة من الزعازع والكوارث المتتابعة التي منها وقعة الحرة والتي بعدها في زمن المنصور وغيرها وآخرها الحرب بين الأتراك والحلفاء في إمارة فخري باشا وما كابده أهلها من الجوع والمخاوف والمهالك حيث اضطر أهلها إلى الهجرة منها إلى البلدان الأخرى لكان لها منظر غير منظرها الحالي وباستيلاء الحكومة السعودية عليها عادت إليها الطمأنينة والسكون ونسأل الله تعالى أن يمنح مدينة الرسول ومهاجره التوفيق والتمكين.

وإذا أطلقت هذه الكلمة فالمراد بها بلد الرسول ﷺ ومهاجره فالمدينة علم على هذه البلد التي هاجر إليها الرسول ودفن بها فإذا أطلقت تبادر إلى الفهم أنها المراد بذلك وإذا أريد بهذه اللفظة غيرها فلا بد من قيد وتسمى بيثرب وتسمى حرم الرسول، وسيدة البلدان، وطيبة، وطابة، ولها أسماء غيرها.

وكان سكانها العماليق ثم نزلها طائفة من بني إسرائيل، ثم نزلها الأوس والخزرج، ولها فضائل كثيرة.

ومن الآثار فيها قبره ﷺ وقبر صاحبيه، فإن حجرته ﷺ ضمت جسداً ما كان في الأرض ولا في السماء ولا العرش ولا حملته أفضل منه ما عدى الجبار جل وعلا فإنه أعظم من كل عظيم، ومن الآثار فيها منبره ومصلاه ومسجده، وقبور بنيه وبناته وزوجاته أمهات المؤمنين، وقبور أعمامه، وعماته نورها الله عليهم وصب عليها من شابيب رحمته، فيالها من مناظر تبكي الحبيب وتذرف دموع المؤمن.

ومن الآثار فيها مسجد قبا وبئر أريس وبئر معونة وبيرحاء، ووادي العقيق وأحد، والشهداء والبقيع، فلو رأيت تلك الآثار لتذكرت النبي المصطفى المختار ﷺ وعهده وما كان عليه، ولسكبت الدموع من المحاجر، وتردد الشهيق في الحناجر.

ولقد زادت الحكومة السعودية في الاحتفاظ بحجرة الرسول ﷺ وبذلت جهوداً في تنظيف المسجد النبوي وحراسته، وفرشه بفرش مثمنه، وإضاءته بالكهرباء والثريات، وعمّرت المسجد عمارة ضخمة على الطراز الحديث، وأوسعت أروقته وفتحت شوارع محيطة به على أكمل وضع وأتم تركيب، بحيث نقول لا تستطاع الزيادة على هذا التحسين فأصبح المسجد النبوي كروضة من رياض الجنة، وكان يرجع تاريخ عمارته على شكله قبل العمارة السعودية إلى عهد السلطان مراد خان سنة ٩٩٨هـ، ثم عمّره السلطان عبدالمجيد، أما المساجد فيها بعد قبا، فمسجد الجمعة سمي بذلك لأنه أول مسجد صلى فيه الرسول ﷺ أول جمعة بالناس، ومسجد الفتح، ومسجد الأحزاب، وأقيم في المكان الذي دعا فيه الرسول على الأحزاب في غزوة الخندق فاستجيب له، ومسجد القبلتين، ومن الآثار بئر رومة التي اشتراها عثمان بن عفان وأوقفها على المسلمين، ونجد على أهل المدينة وعساكرها الهدوء والسكينة والرفق واللين، وقد ملئ المسجد النبوي بالساعات والهدايا.

ومن مدن الحجاز الطائف الذي هو مصيف الحجاز لا سيما أهل مكة، وهو مدينة تقع في الجنوب الشرقي من مكة، وجو هذه المدينة معتدل للغاية، ومياهها غزيرة، وتكثر فيها الخضراوات والفاكهة، وتنمو فيها الأزهار التي يستخرج منها المياه العطرية.

أما ينبع فميناء المدينة المنورة وتقع على ساحل البحر الأحمر.

وتنقسم إلى قسمين ينبع البحر، وينبع النخل، وكانت هذه واحة كثيرة النخيل آهلة بالسكان وحوالي جهات الحجاز الشمالية تبوك وخيبر والعلا وتيماء وغالب مدن الحجاز تسقيها عيون كعين الزيمة وعين الشرايع وغيرها.

فهذه نبذة يسيرة حررتها أمام المقصود؛ ولقد أصبحت تلك الأماكن آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ضد ما كانت عليه قبل ذلك.

ولنشرع في المقصود والله المستعان وعليه التكلان، وقد وجدت في بعض التواريخ بين يدي شيخنا عمر بن محمد بن سليم وضبطه لها أن ما بين آدم أبي البشر وولادة نبينا محمد ﷺ ٦٢١٩ سنة، فيكون ما مضى مم خلق آدم إلى سنة ١٢٦٨هـ، ٧٥٤٠ سبعة آلاف وخمسمائة وأربعين سنة والله أعلم.

واعلم أني كمؤرخ للحوادث والوقعات ووفيات الأعيان، وليس هذا بمقام انتصار لأحد. فأقول ومن الله أستمد الصواب:

ثم دخلت سنة ١٢٦٨هـ

استهلت هذه السنة والإمام في نجد على الإطلاق، هوفيصل بن تركي بن عبدالله آل سعود وقد ساعدته الظروف والأحوال، وأعد نجله الأمير عبدالله في ذلك الوقت قائداً للجيش، وكان عبدالله إذ ذاك منصور اللواء يغير بالجنود الإسلامية ويقيم ما اعوج من القبائل والبلدان.

وفيها قدم المدينة عساكر كثيرة من قبل والي مصر عباس باشا بن أحمد طوسون ابن محمد علي، وشاعت الأخبار بأنهم يريدون الخروج إلى نجد.

فلما أن كان في جمادى الآخرة خرج محمد بن ناصر من المدينة متجرداً للقتال من قبل الأتراك، وانضم إليه كثير من بادية حرب، فأغاروا على ابن سقيان من بني عبدالله على الفوارة وأخذهم، ثم رجع إلى المدينة ومعه عساكر كثيرة، وتبعه كثير من عربان حرب، فأغاروا على الغضيان عرب الضيط من عتيبة على الدفينة، فأخذهم ورجع إلى المدينة أيضاً، وكان ذلك في رجب من هذه السنة.

ولما أن وصل الخبر إلى الإمام فيصل أمر بالجهاد وكتب إلى جميع الرعية، ثم صاح بالنفير وخرج بجموع أهل العارض والخرج، ونزل الجمعة فاجتمع إليه هناك غزو بلدان عسير والمحمل والوشم والقصيم، وولى على قضاء بلدان سدير فضيلة الشيخ عثمان بن علي بن عيسى، وكان قبيلة سبيع.

ثم لما كان في شهر رمضان جاءت الأخبار بأن عباس باشا، وإلى مصر جهز جيوشاً كثيرة إلى بلدان عسير، فحصل الأمن والاطمئنان لنجد وأهلها، وكان عباس باشا قد ضم إلى هذه الجيوش من في المدينة من العساكر فتوجهت أولائك العساكر إلى بلدان عسير وجرى عليها من الأسر والقتل ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ولما تحقق الإمام فيصل الخبرعن تلك العساكر ارتحل من بلد المجمعة بمن معه من جنود المسلمين وصبح الصهبة من مطير على أم الجماجم، فأخذهم ثم رجع إلى الرياض وأذن لمن معه من جنود المسلمين بالرجوع إلى أوطانهم، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

وفيها في ذي القعدة بعث السلطان عبدالمجيد خان طوقاً من ذهب للحجر الأسود زاده الله تشريفاً وتكريماً، ولا زال يقبل ويستلم في أناء الليل والنهار، وأمر بأن يجعل عليه ذلك الطوق، وكان بعثه صحبة الشريف عبدالمطلب، ويقدر ذلك الطوق بألف دينار، ثم إنه أزيل طوق الفضة القديم وركب الذهبي.

وقد قيل أنه وزن فكان عشر أوقيات من الذهب الخالص، ولم يعلم أن الحجر الأسود قد طوق بالذهب غير هذه المرة، وكان هذا الطوق في غاية الحسن من التنقيش ومكتوب فوقه.

بسم الله الرحمن الرحيم، وحواليه آية الكرسي وبعض آيات قرآنية، وأصل ذهب هذا الطوق من كنز وجد بمكة في شعب جياد، وأخرج الطوق الأول من الفضة فأرسل إلى الأستانة عاصمة الدولة العثمانية إذ ذاك وبهذا وأمثاله نعترف باهتمام الدولة العثمانية بالحرمين الشريفين، إن الله عز وجل جعل هذه الأماكن المقدسة محترمة لدى العالم أجمع، ولا تزال الحكومات الإسلامية في قديم الدهر وحديثه تولي الحرمين عناية واهتمام، ومن أبلغ ما بذل من الجهود فيما قبل آل سعود الذين لم يدعوا ذكراً لمن قبلهم هم سلاطين آل عثمان حيث عمروا الحرمين، وجدوا في سبيل العناية بهما، نسأل الله تعالى أن يعمّرها بالطاعة والتقوى وأن يجعلهما على الدوام ملجأ للحجاج والعمار والزوار.

ثم دخلت سنة ١٢٦٩هـ

ففيها أنزل الله الغيث في أوائل الموسم ثم إنها تتابعت الأمطار والسيول وعم الحياء بلدان نجد، وكثر الخصب ورخصت الأسعار جداً، فبيعت الحنطة ثلاثين صاعاً بالريال، وبيع الأقط من ثمانية وعشرين صاعاً إلى ثلاثين صاعاً بالريال، وكثرت الكمأة حتى أنها بيعت في تلك السنة خمسين صاعاً في ريال قلت يا عجباً سبحان المتصرف في ملكه فإن الكمأة يومنا هذا تساوي خمسين صاعاً منه خمسمائة ريال كما أن الأقط الآن كذلك في القيمة، وبيع التمر في تلك السنة ستين وزنة بريال، وفي بعض البلدان سبعين وزنة، وبيع السمن ثلاث عشرة وزنة بريال.

وفيها حصل بين عائض بن مرعي رئيس بلدان عسير وبين العساكر المصرية عدة وقعات نصره الله فيها عليهم إلى أن استأصلهم قتلاً وأسراً، وكانت الدولة العثمانية تحاول بذلك الاستيلاء على اليمن وعسير، ولما نزلت جيوشها بقيادة توفيق باشا في الحديدة استرجعت أولاً الحكم من الشريف حسين بن علي بن حيدر، كان هذا من أبي عريش الذين كانوا يحكمونها ثم عاد الشريف بعد ذلك إلى مقره أبي عريش؛ ولما نزل توفيق باشا بلد الحديدة بانتداب الدولة استولى على أبي عريش، وتقدم بجيوشه إلى صنعاء، ولكنهم لم يستولوا عليها ولا تمكنوا من البقاء في اليمن الأعلى إلا أن الثورات في تهامة ولحج أضعفت شوكة الإمامة، وقسمت البلاد، ولما نصر الله تبارك وتعالى عائض بن مرعي على العساكر المصرية كتب إلى الإمام فيصل بشارة بذلك وأرسل إليه هدية معها قصيدة لقاضيهم علي بن الحسين الحفظي يذكر فيها مفاخر قومه وما أعطاه الله أميرهم عائض بن مرعي من الظفر والنصر على الأعداء في وقائع سماها وهي هذه القصيدة العظيمة:

أيـــا أم عبـــد مالـــك والتشـــرد	ومســـراك بالليـــل البهـــيم لتبعـــدي
ومـا أواك أوصـاد الكهـوف توحشـاً	ومثـــواك أفيـــاء النصـــوب وغرقـــد
وما جاوزت ساقاك من سـفح رهـوة	واشـــعافها مـــا بـــين عـــال ووهـــد
ومســـراك مـــن ذات العميـــق وكـــوثر	ونهـــران مـــن در القـــذال الملبـــد

ومـا السـران بـدلت قصـراً مشـرفا وعرشـاً وفرشـاً بـالعرى والنلـدد
فمـا مثـل هـذا منـك إلا لضـيقة من العيش أو من سـوء أخـلاق معتـد
فقالـت رويـدا يـا أبـا عبـد إنمـا أضـاق بنـا ذرعـاً شـديد التوعـد
عرمرم جيش سـيق مـن مصـر معنفا لهتـك أسـتار النسـاء ويعتـد
ويسـبي ذراري الأكـرمين جبـارة ويـنظم سـادات الرحـال بمقلـد
فقلـت لهـا مهـلاً فـدونك مـنهم ضـروب حمـاة بالحديـد المهنـد
وضـرب يزيـل الهـام عمـا ربـت بـه ويظهـر مكنونـات أجـواف أكبـد
وطعنـاً تـرى نفـذ الأسـنة لمعـا مـن القـوم يعـوى جرحهـا لم يسـدد
قفـي وانظـري يـا أم عبـد معاركـاً يشـيب لهـا الولـدان مـن كـل أمـرد
وإن كنـت عنهـا في البعـاد فسـائلي ففيهـا أسـود مـن مغيـد بمرصـد
وفيهـا ليـوث الأزد مـن كـل شـيعة يصـالون نـار الحـرب حربـاً لمعتـد
وفيهـا رئـيس عـائض حـول وجهـه حيـاض المنايـا أصـدرت كـل مـورد
خليفـة عصـر للحنيفـي مثقـف لمـا اعـوج منـه في حجـاز وأنجـد
فيالـك مـن يـوم الحفـير ومـا بـدا لريـدة مـن طـول القتـام مشـيد
ويالـك مـن يـوم اللحـوم سـباعه شـباع وطـير الجـو تحظـى لمشـهد
ويالـك مـن أيـام نصـر تتابعـت بهـا مـن شـواظ الحـرب ذات التوقـد
تطامـت رقـاب الـروم فيهـا عبوقهـا كاعـاق دود للجـراد المقـدد
فأضـحى جثاثـاً في البقـاع مـركمـا تزعزعـه ريـح العشـية والغـد
ويالـك مـن يـوم المـرار لـواؤه تقنـع بالصـرعى بـه كـل مقعـد
كـان تقحـام الشـريد وعـوره قـرود نحاهـا فجـاة أعسـر اليـد
تخرمهـا نحـو الهجـير وإنهـا لتعهـد منـه فـري نـاب ومفصـد
ويـا عجبـاً مـن في حبظـي ومـا دنـا لـوادي كسـان مـن قتيـل مسـند
وفي ربـوة الشـعبين داهيـة أتـت عليهم فمـا أغنـى دفـاع بعسـجدي
ويـوم المقضـى قـد تقضـت أمـورهم بفـاقرة الظهـر الـتي لم تضـمد

ومن قبل ذا يوم العزيزة عزهم ... ذليل بضرب المشربي المجرد
كتائب فيها صرعوا ثم غودروا ... بأشلائهم قاني الدماء المكبد
بأيدي رجال من شؤة جدهم ... رقى بهمو مجدا إلى حذو فرقد
تداعى عليهم من صميم أصولها ... ثبات وجمع كالمحيط المزبد
ففاخر بهم يا خاطباً فوق منبر ... على الناس فاقوا بالحسام وسودد
ليهن من بني قحطان مجد فخارهم ... مدى الدهر في نادي بواد وأبلد
فيا راكباً أما لقيت ببيشة ... وما دفعته من ضراب وفدفد
فسلم على قبر شكبان سالم ... فقد كان قد فلق دم كل سيدي
يحامي على التوحيد حتى عرى له ... من الحتف كأس جرعه ذو قردد
ومر على أجزاء ظلفع قف بها ... قليلاً وما يغنيك عن ضرب معبد
على ظهر قباء الكلى لا يريبها ... حفا حزن منجاة قفر منكد
تشر الحصا بالخف كالخذف قبلها ... وقد ضاق هما صدرها للتعبدي
كما ثر من عين برملان وحشة ... يحفله قناصه بالترصد
توسمت الوسمي أما بكوره ... فمن نقأ الدهناء سعدانها الندي
وأما ثوانيه فإن زال ضعنها ... فمن حضن حتى الرشاء الممهد
نعللها منه غواد فاشطأت ... بقول ورمث زهرها ذو تطرد
فأضحت تسامي في سنام كأنها ... بنجد تليع الهضب عالي التصعد
فقل لمعد لا تغر بسرحها ... فتلقى كماة الحي جنباً بموعد
بسمر العوالي والمراضي ودونها ... وميض لموضون الحديد المسرد
وأما أجازتك الدخول فحوملا ... فصبحا فعرضا فالسراديح فاعتد
وسقها إلى نجد يؤمك ليلها ... بنات لنعش والضحى فيه تهتد
وإن خلأت يوماً لشحط مزارها ... فأبدل بها عيناء ذات التعرد
ودعها عن التهجير حتى إذا رأت ... وروداً بماء من صفار فأورد
وأشرف على وادي اليمامة قائلاً ... ود معك سفاحاً على الخد والشد

سلام على عبدالعزيز وشيخه وتابع رشد للإمام المجد
دعا الناس دهراً للهدى فأجابه فئام فمنهم عالمون ومقتدي
وقفاهما حذواً سعود بسيفه مميز مجود النقود من الرد
وعرج بها ذات اليمين وقد هوت على عرصات للرياض بمقصد
ونادى بأعلى الصوت بشرى لفيصل ومن نسل سادات الملوك مسدد
إليك نظاماً نشره في وقائع على جحفل المصري قد شد باليد
فعشرون ألفاً من قضى الله منهم فما بين مقتول وعار مجرد
ولم ينج منهم غير قواد قومهم على صافنات في قليل معودي
كأن أنين الموقمين ومن به جوارح رمي قاصفات لأعمدي
أنين معين زادها داؤها الذي بأكباد آضني عليها لينتدي
أرى ساكني الأمصار قد حل فيهم عقاص فاصماهم على كل مرقد
أتاهم بها إذ غاب نجم مشعشع من الجو في مغرابه نحس أسعد
فكل الذي لا قوه يحسب دونما تعكس من حزم الهمام المعمد
فقل لدليل القوم هلا أفاده من العلم أن البغي قتال معقد
ومهما أعادته الأماني بحربنا نصبنا لهم أمثالها بالمحدد
ويا قافلاً أما ثنيت زمامها وأقبلت ما استدبرته للتعودي
ولاح سهيل ضاحكاً لك ثغره وقد لحته عينها مفلق الغد
فسلم على الأحباب تسليم موجد ولا تنس جيران السبجير بألحد
وآخر قولي وابتدائي فيهم صلاة وتسليم على خير مرشد
وآل وصحب كلما قال منشد أيا أم عبد مالك والتشرد

ولما وردت هذه القصيدة أجاب عليها الشيخ أحمد بن علي بن مشرف رحمه الله بقصيدة فريدة، ذكر فيها مآثر آل سعود ومناصرتهم للشيخ محمد وعرج في آخر القصيدة بمديح الأمير عائض بن مرعي وشيعته وختمها بطلب قبولها والعطف عليها وترك أم عبد ذات التشرد.

وفيها غزا الإمام فيصل بن تركي يريد الجبلان من مطير فزحف من الرياض حتى نزل على رماح، وكتب إلى أمراء بلدان نجد يأمرهم بالقدوم عليه بمن معهم من الغزو فقدموا عليه في ذلك الموضع، فقاد الجيش بنفسه حتى صبح الجبلان على الوفراء، فأخذهم وقفل إلى الرياض ثم أمر ابنه بالمسير بمن معه من جنود المسلمين الحاضرة والبادية وقصد عربان آل مرة وكانوا قد أكثروا الغارات على أطراف الأحساء فصبحهم وهم على النعيرية، وأخذه وقتل منهم عدة رجال ثم زحف منها على نعيم ومعهم أخلاط من بني هاجر والمناصير وهم على سلوى، وأخذهم وأقام هناك أياما وقسم الغنائم وأذن لمن معه من البوادي بالرجوع إلى أوطانهم، ثم توجه بمن معه من الحاضرة إلى عمان، وكان قد بلغه أنه وقع فيهم بعض الاختلاف بين رؤساء البلدان فلما قرب من البلاد تلقاه الرؤوساء والكبراء، والأعيان للسلام وقابلوه بالسمع والطاعة والانقياد، وكان عاقلاً حليماً عادلاً شهماً حازماً حسن التدبير فعاملهم بالرأفة والإحسان فاطمئن الناس واستبشروا بقومه وانهالت إليه الهدايا والتحف، فقبض خراج البلاد، وأقام هناك إلى النصف من ذي القعدة ثم قفل راجعاً إلى بلده وأذن لمن معه من أهالي النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيها وقع الاختلاف بين الأسرتين أسرة راشد بن ثامر بن سعدون بن محمد ابن مانع بن شبيب، وأسرة عقيل بن محمد بن ثامر بن سعدون، وكان قد انحاز مع الآخرين أسرة عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون، وهذا الاختلاف في طلب الرياسة على المنتفق وانقسمت عربان المنتفق عليهم فحصل بينهم وقعة شديدة بالقرب من سوق الشيوخ فصارت الهزيمة على أسرة عقيل وأتباعهم من أسرة عيسى، وقتل رئيسهم عبدالله بن عقيل بن محمد المذكور، وقتل من الفريقين خلق كثير فصارت الرياسة لمنصور بن راشد بن ثامر بن سعدون ثم سار بعد هذه الواقعة محمد بن عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون إلى بغداد، وطلب من الوزير عسكراً لقتال أسرة راشد فجهز معه عساكر كثيرة، وتوجه بهم لقتال المذكورين، وأمر الوزير آل قشعم وآل بعيج وغزية بالمسير مع محمد

بن عيسى المذكور وأطمعهم في العطاء فتبعه منهم جمع غفير، ولما أن علمت أسرة راشد بما بيّته لهم أولئك انهزموا إلى بادية الظفير، وأقاموا هناك فاستقل محمد بن عيسى بولاية المنتفق.

ثم دخلت سنة ١٢٧٠هـ، ففيها أنشأ الشيخ عارف حكمة مكتبة في المدينة المنورة وأرسل إليها ستة آلاف كتاب من كتبه، وأراد أن يأتي ببقيتها بنفسه ليضعها في مكتبته غير أن المنية عاجلته قبل ذلك وبيعت الكتب الباقية بأبخس الأثمان وكان عارف هذا مولعاً بالمطالعة وجمع نوادر الكتب ولا يزال يلهج بالبحث والمطالعة ومن شعره في ذلك قوله:

أروح وأغـــدو في التهـــاب وغلـــة ... لفـــرط اشـــتياقي في مطالعـــة الكتـــب
إذا ما خلت نفسي وصرت جليسـها ... أراني كعطشـان علـى المنهـل العـذب
أهـــم ولـــو كانـــت بحـــوراً بشـــربها ... ولكنــــه لا يرتــــوي أبــــداً قلــــبي

وقد جمع من الكتب ما يقرب من عشرة آلاف كتاب.

وفيها ولد الشريف حسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون، وكانت ولادته في الأستانة لأن أباه كان فيها ثم عاد بعد سنتين من ولادته إلى مكة مع والده، وجده ثم عاد والده علي إلى فرق وأقام فيها إلى أن توفي والده بعد سنة، وكان علي في تلك المدة عضواً في المجلس الأعلى ثم صار وزيراً وعين عضواً في مجلس الشورى للدولة العثمانية، وكان الحسين بن علي في صفته رقيق البشرة معتدل الأنف دقيقه له جبين رفيع وضاح يظهر بكمال بهائه عندما يرفع العقال، وقد يلبس العمامة، وله عينان فيهما نور يشع من حدقتين عسيلتين تحيط بهما هالة زرقاء، وله ابتسامة تجذب القلوب، وكان فصيحاً معجباً بنفسه، وإذا تكلم فإنه يردد لفظة أقول كذا لأن صوته خفوتاً تضيع عنده الكلمات، فيعيدها مثبتاً ممكناً، وفي كلامه لغز ورموز ويبين من أخلاقه هممه التي ستصدر بعد ذلك منه.

وفيها في صفر توفي الشيخ أبو بكر بن محمد الملا الحنفي الأحسائي صاحب مختصر التبصرة، وكتاب حادي الآنام إلى دار السلام، وله مؤلفات وهذا هو الذي رد عليه الشيخ سليمان بن سحمان.

وفيها أيضاً ولد الشيخ إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن عيسى في بلد شقراء ، وهذا هو المشهور بالمؤرخ بن عيسى وضع ذيلاً مختصراً لتاريخ بن بشر بلغ فيه إلى غاية القرن الثالث عشر.

وفيها قتل والي مصر عباس باشا بن أحمد طوسون بن محمد علي صاحب مصر فأقيم بعده على ولاية مصر عمه سعيد باشا بن محمد علي.

وفيها: في شعبان ثار أهل عنيزة على أميرهم جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأنزلوه من القصر وأخرجوه من بلدهم، وكان قد جعله أميراً فيها أخوه الإمام فيصل سنة ١٢٦٥هـ، ونزل إذ ذاك هذا القصر في عنيزة، وكان أميراً على سائر القصيم.

وسبب ما جرى منهم عليه أنه حصل بين بعض خدمه وبين بعض أهل عنيزة نزاع، ولم تتفق الحال لمصلح يسعى بالرشد فكتب أهل عنيزة شكاية الأمير جلوي على أخيه الإمام، فعلم الأمير بسعيهم وحصل بسببها وحشة بينه وبينهم فآل الأمر إلى أن أخرجوه، وتعتبر هذه زلة من أهالي عنيزة أخطأوا فيها فغضب لذلك القاضي الشيخ الإمام العالم العلامة عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين، وخرج بأولاده وحرمه إلى بريدة.

وكان الأمير جلوي قد سار منها أيضاً إلى بريدة وأقام فيها، ولما أن أخرجوه وسار بمن معه إلى بريدة كتب إلى أخيه الإمام يخبره بذلك فتأثر الإمام لهذا الخبر وغلب عليه الغضب، واشتعل الغيظ في جأشه والتهب وقام وقعد وكتب إلى جميع البلدان يستنفرهم لجهاد عنيزة، وبعث عبدالرحمن بن إبراهيم بسرية من الرياض فينزل في بريدة وبعث غزو ضرما والقويعية إليه وأمره بقطع سابلة أهل عنيزة، فزحف عبدالرحمن بمن معه من الجنود وأغار على أطراف عنيزة وأخذ ما وجده من المواشي ثم رجع إلى بريدة.

ولما كان في ثالث ذي الحجة خرج عبدالله بن الإمام فيصل من الرياض بغزو أهل الرياض والجنوب، وعقد موعد الغزو أهل سدير والوشم في بلد شقراء ، فلما

أن وصل إليها وجد الجيوش قد اجتمعت هناك وذلك يوم عيد النحر، فسار بتلك الجنود يقودها إلى عنيزة، ولما أن كان في اليوم الخامس والعشرين من ذي الحجة صبح أهل الوادي وأخذ جميع ما عندهم من متاع وأثاث ومواشي وقتل منهم نحو عشرة رجال، وأمر عبدالله بن الإمام بقطع نخيل الوادي فخرج عليهم أهل عنيزة ومعهم خلائق كثيرون من أهل القصيم ومن البادية فحصل بين الفريقين وقعة شديدة في الوادي قتل فيها عدة رجال من الفريقين منهم سعد بن محمد بن سويلم أمير بلدة ثادق من قبل الإمام، ثم إن عبدالله بن الإمام ارتحل بعد هذه الوقعة من الوادي ونزل العوشزية، ثم رحل منها ونزل على روضة الربيعية وقدم عليه طلال بن عبدالله بن رشيد بغزو أهل الجبل من حاضرة وبادية.

وكان أهل عنيزة لما عزلوا الأمير جلوي لم يتعرضوا لما معه من الأموال والسلاح، وجعلوا أميراً على بلدهم عبدالله بن يحيى بن سليم، وسليم هذا لقب على سليمان بن يحيى بن علي بن عبدالله بن زامل، وكان بيت الإمارة من آل سليم، أما جلوي هذا الأمير فإنه ولد الأمير الشجاع الفاتك عبدالله بن جلوي أمير الأحساء.

وكان منصور المطرودي وأخوه حمد المطرودي من سكان عنيزة ثم انتقلا إلى العوشزية، وسبب ذلك أن منصوراً هذا كان بينما هو شيخ كبير قدّر أنه كان ذات يوم جالساً في الطريق في بلدة عنيزة إذ مر الأمير وكان في فكر مستغرق، فلما جاوزه لم يسلم عليه فوجد منصور في نفسه على الأمير وناداه باسمه ألا تلقي تحية الإسلام وهي السلام بل تجاوزني كأنك لا تعرفني، ونسيت أياماً مضت بيننا من المساعدة والمناصرة، فجعل الأمير يقلب الحيلة في التخلص من هذا السهو ويعتذر، غير أن منصوراً أبى أن يقبل منه عذراً، ثم إنه طلب من أخيه حمد النقلة إلى العوشزية الواقعة إلى جهة الشرق عن المدينة بقدر من عشرين كيلو متراً فسكنها وأخوه.

ولما أن كان في إمارة جلوي بن تركي قدر أن المطرودي وأولاده ذهبوا لصلاة الجمعة في عنيزة لأنه إذ اك لم يتأسس لديهم جمعه، فلما كان في ذلك الوقت، جاء

لصوص من الحنشل فاستاقوا إبل أهالي العوشزية، وأخذوها غنيمة باردة وكانت القرية قد خلت من الرجال فلم يبق سوى الخدم والنساء والصبيان، وكان لمنصور ابنة تدعى مزنة المنصور خالة عبدالله بن جلوي، فلبست ثياب أخيها وامتشقت الحسام وأمتطت الفرس وأمرت أحد الخدم أن يركب فرساً أخرى، فشدت في طلب القوم حتى أدركتهم فقالت لهم جنبوا عن الأدباش، فقالوا: أخرج جواباً للمذكر لظنهم أنها رجل، فأقسمت بالله لأن لم تجنبوا لتفاقدوا العدة، فلما رأوا تصميم الفارس قالوا لها: يا هذا اجعلنا في وجهك، فقالت: ممنوعين على رقابكم، فأجابوا يقولون: من نحن في وجهه، فأجابت بوجه حماد المطرودي، ثم إنها استاقتهم مع الأدباش حتى ألجأتهم إلى مزارع العوشزية وأسرتهم، فلما أن جاء الرجال راجعين إلى القرية مع غروب الشمس إذا بها قد قدمت العشاء، فلما أن قيل تفضلوا يا ضيوف؟ أجابوا يقولون: والله لا نطعم حتى يحضر مضيفنا، فتكلم منصور يقول: إن مضيفكم ليس بحاضر وإنما مضيفكم امرأة، وهي التي طبخت عشائكم، فظهر بذلك أن الذي كسر أولئك الأبطال وأسرهم امرأة، فشاع ذكرها فتزوجها جلوي بن تركي، وولدت له ابنا سعوداً وبنتا.

وبعد ما توفيت سأل جلوي: هل لها من أخت، فلما تحقق ذلك جاء يخطبها، فقال منصور المطرودي: ما لدي سوى ابنة صغيرة، فطلب الأمير منه أن يزوجه أختها وهي ميثا، وإن كانت ذات أولاد، فتزوجها ثم توفيت، فخطب الثالثة وهي رقية، فتزوجها وولدت منه عبدالله بن جلوي، ومن ذرية منصور المطرودي ثامر ابن علي بن محمد بن عبدالله بن منصور، ومن ذرية حمد عبدالعزيز بن محمد بن سليمان بن محمد بن حمد.

وفي هذه السنة شرع في عمارة المسجد النبوي، وكان الذي تولى ذلك السلطان عبدالمجيد خان، واستمرت هذه العمارة نحواً من أربع سنين، نسأل الله تعالى أن يعمّره بالطاعة.

ثم دخلت سنة ١٢٧١هـ ففيها قدم على عبدالله بن الإمام فيصل بقية غزو

أهل نجد، واجتمع عليه من الخلائق بادية وحاضرة مالا يحصيهم إلا الله تبارك وتعالى، فلما اجتمعت تلك الجنود زحف بهم عبدالله من روضة الربيعية يريد قتال أهل عنيزة، فنزل الحميدية ثم ارتحل منها ونزل الغزيلية، فاشتد الخطب وعظم الهول، فعندها طلب أهل عنيزة من ابن الإمام الصلح، وكان الإمام فيصل قد ذكر لابنه أنهم إن طلبوا الصلح فأجبهم إليه، ويكون ذلك على مواجهتي وعلى يدي، وكان ذلك عادةً له لما فطر عليه من الشفقة والرأفة بالمسلمين جزاه الله خيراً، فكتبوا بذلك إلى الإمام فيصل فأجابهم إليه وأعطاهم الأمان على أن الأمير الجديد عبدالله بن يحيى بن سليم يقدم عليه في الرياض، فسار الأمير عبدالله بن يحيى من عنيزة، وقدم على الرياض، وطلب من الإمام العفو والإحسان، واعترف بما صدر منهم من الخطأ والعصيان، فقبل الإمام معذرته وصالحه على أشياء طلبها الإمام منه والتزم بها الأمير، وتم الصلح فأذن له بالرجوع إلى بلده، وكتب الإمام إلى ابنه عبدالله يخبره بما وقع عليه الصلح، وأن يرجع إلى بريدة ويأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، فقفل القائد الأعلى إلى بلد الرياض ومعه عمه جلوي، وأذن لأهل النواحي ممن كان معه بالرجوع إلى أوطانهم، ورحل الشيخ القاضي أبي بطين معه بأولاده وحرمه إلى بلد شقراء ، فتلقاه أهلها بالسلام واستبشروا به وكان ذلك في ربيع الآخر من هذه السنة.

وفيها أعاد الكرة أسرة راشد بن ثامر بن سعدون، فأخذوا في جمع الجنود وساروا لقتال محمد بن عيسى بن محمد بن ثامر بن سعدون الذي قد غلبهم على الرياسة في المنتفق كما تقدم عن قريب، وقام مع أسرة راشد سلطان بن سويط بمن معه من الظفير، وسار معهم صقر بن حلاف بمن معه من السعيد، وباذراع بمن معه من الصعدة، فالتقى الفريقان على نهر الفاضلية، واقتتلوا قتالاً شديداً طارت له الرؤوس عن أجسامها، وبارحت الأرواح لأكمامها، فصارت الهزيمة على محمد بن عيسى وأصحابه، وقتل محمد في المعركة، وقتل من الفريقين خلق كثير، ثم صارت الرئاسة في المنتفق لمنصور بن راشد بن ثامر

بن سعدون، وذلك في رجب من هذه السنة.

ولما كان في شهر رمضان حصل اختلاف بين منصور هذا وبين أخيه ناصر بن راشد في طلب الرئاسة، وقام ينازعه إياها، فانقسمت عليهما عربان المنتفق، ووقع بين الفريقين قتال شديد، فصارت الهزيمة على منصور وأتباعه بعد ما حصلت له الرئاسة قليلاً، وصارت الرياسة في المنتفق لناصر بن راشد؛ وبعدما انخذل منصور سار إلى بغداد واستقر عند الوزير سعيد باشا، وطلب منه الإعانة والمساعدة على قتال أخيه ناصر فوعد بذلك.

وفيها كثرة السيول والأمطار والخصب، وكان على قضاء بريدة الشيخ سليمان بن علي بن مقبل رحمه الله، هذا ولاتزال العمارة مستمرة في المسجد النبوي، وشرع في زخرفته عكس ما أقره الرسول وشرعه، حيث قال:«لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد».

ثم دخلت سنة ١٢٧٢هـ

استهلت هذه السنة والأمير في عنيزة عبدالله بن يحيى آل سليم، والأمير في بريدة عبدالعزيز بن محمد بن عليان المشهور، وهو الذي جرت عليه واقعة بقعا، وواقعة اليتيمة، وفيها كانت عمارة دار المفتاح في الصفا، وقد وضعت هذه الدار ليسكنها من يتولى سدانة الكعبة، وذلك بسعي علي بن محمد الشيبي حينما سافر إلى القسطنطينية في سلطنة السلطان عبدالمجيد خان بن السلطان محمود خان، فلما قدم إليه أكرمه وأحسن إليه ومنحه قدراً عظيماً من المال، وأمره ببناء هذه الدار، فلما رجع علي بن محمد إلى مكة المكرمة شرع في عمارة دار المفتاح المذكورة، وامتدت عمارتها سنتين.

وفي هذه السنة أنزل الله الغيث في أول الموسم، ثم تتابعت الأمطار والسيول، وعم الحيا جيمع بلدان نجد، وكثر الخصب ورخصت الأسعار.

وفيها خرج منصور بن راشد بعساكر كثيرة من قبل الوزير سعيد باشا جهزها

معه برئاسة مصطفى باشا، فتوجهوا إلى سوق الشيوخ ونزلوه وما كان لمنصور معهم أمر ولا نهي.

ولما بلغ الخبر ناصراً وتيقن كثرتهم، علم أنه لا طاقة له في لقائهم، وخرج بأهله وأولاده وأتباعه وماله من سوق الشيوخ، ونزل على سلطان بن سويط في كايدة، ثم مرج حكم المنتفق وتغلبت عليهم الدولة العثمانية، فكانوا يولون من أرادوا توليته ويعزلون من أرادوا عزله، وذلك لكثرة خلافهم وتفرقهم.

ثم دخلت سنة ١٢٧٣هـ

ففيها في رابع عشر من شهر شوال توفى الشيخ الجليل العالم عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالجبار بن شبانة الوهيبي التميمي، وكانت وفاته في بلد المجمعة رحمه الله تعالى وكان أخذ العلم عن أبيه الشيخ العالم العلامة عثمان بن عبدالجبار، وعن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام، فكان عالماً فاضلاً ولاه الإمام تركي ابن عبدالله القضاء على بلدان منيخ والزلفي بعد وفاة أبيه الشيخ عثمان، وذلك في سنة ١٢٤٢هـ.

فلما توفي الإمام تركي رحمه الله وتولى ابنه فيصل عزل صالح بن عبدالمحسن بن علي عن إمارة الجبل وجعل مكانه عليها عبدالله بن علي بن رشيد، وبعث معه الشيخ عبدالعزيز المترجم قاضياً في الجبل، فأقام هناك ثلاثة أشهر حتى انقضى الموسم، ثم أذن له بالرجوع إلى بلده فاستمر قاضياً في بلدان منيخ والزلفي إلى أن توفى في هذه السنة المذكورة، ولما أن توفى الشيخ عبدالعزيز طلب أهل المجمعة من الإمام فيصل أن يرسل إليهم قاضياً فأرسل إليهم الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن موسى بن صالح بن مرشد قاضياً في بلدان منيخ والزلفي وجميع بلدان سدير.

وفيها سار عبدالله بن الإمام فيصل بجنود المسلمين من البادية والحاضرة، فأخذ بن مجلاد ومن معه من عنزة في الدهنا، وكان عبدالله قد ضرب موعداً لطلال بن عبدالله بن رشيد أن يقدم عليه بغزو أهل الجبل في زرود، ثم سار إلى زرود.

فلما أن وصلها وجد الأمير طلالاً وعمه عبيد بن علي بن رشيد بغزو أهل

الجبل فيها، فسار من زرود وعدا على مسلط بن محمد بن ربيعان ومن معه من عتيبة، فصبحهم على شبيرمة وأخذهم، ثم أغار على الروسان وهم على الرشاوية، وأخذهم ثم توجه إلى الشعراء ونزل عليها وقسّم الغنائم، ثم فقل راجعاً إلى الرياض وأذن لأهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيها في شهر رمضان توفى الشاعر الفحل عبدالله بن ربيعة رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته:

هو عبدالله بن ربيعة بن عبدالله بن وطبان بن ربيعة بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، وجده وطبان بن ربيعة، هو بن أخي مقرن بن مرخان جد آل مقرن ملوك نجد، فيجتمع آل مقرن وآل وطبان في مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة. وسبب نزول وطبان بن ربيعة في بلد الزبير، أنه قتل ابن عمه مرخان بن مقرن بن مرخان في الدرعية، فهرب إلى بلد الزبير وصار لآل وطبان صيت في الزبير وشهرة، وصاروا السعدون شيوخ عربان المنتفق والصباح رؤساء الكويت، فمحمد بن الثاقب هو جد الشيخ محمد الصباح، وأخوته محمد وجراح وحمود وجابر لأمهم، وكان إبراهيم بن ثاقب بن وطبان رئيساً في الزبير.

ولما توفى تولى الرئاسة بعده في الزبير ابنه محمد بن إبراهيم بن ثاقب، وكان حازماً عاقلاً ومن الدهاة المعدودين، وكان أهل الزبير يسمونه البلم لدهائه ومعرفته بالأمور، لأن البلم يغرق غيره ويسلم، ولم يزل على رئاسته في بلد الزبير ليس له فيه منازع، وأمره نافذ حتى البصرة، وكان متسلم البصرة أحمد أغا يخافه ويعلم أنه لا يتم له الأمر في البصرة إلا بقتله، فلم يزل يدبر الرأي والحيلة لقتله، فلم يفز بذلك مدة طويلة لأن بن ثاقب كثير الجنود شديد التحفظ على نفسه حتى أنفذ الله فيه أمره، وذلك في سنة ١٢٥٣هـ.

وصفة اغتياله أن أحمد أغا متسلم البصرة مسافر إلى بغداد مكيدة منه، وأقام فيها مدة أيام ثم رجع إلى البصرة وليس معه ما يريد من عسكر ولا غيرهم، وبعث إلى محمد بن إبراهيم بن ثاقب يستقدمه إليه في البصرة ويأتي معه بمن يحب من الأعيان

للسلام وليعرض عليهم كتاباً من وزير بغداد للأهالي، فسار محمد المذكور من الزبير إلى البصرة ومعه جنوده بسلاحهم يحملون الطبول، فلما أقبلوا على السرايا قاموا يغنون ويضربون الطبول ويعرضون، وكان قد جعل لهم المستلم كميناً من العسكر في موضع السرايا في السطح وفي أسفل السرايا كميناً آخر، فدخل محمد بن إبراهيم المذكور في السرايا ومعه أصحابه يغنون ويضربون الطبول ويلعبون في أسفل السرايا، وصعد محمد المذكور ومعه ثلاثة رجال من أصحابه إلى المتسلم وهو في السطح للسلام عليه فخرج عليهم العسكر الذين جعلهم المتسلم كميناً كما تقدم، وقبضوا عليهم وقتلوهم وقطعوا رأس محمد بن إبراهيم المذكور ثم رموا برأسه وجثته إلى أصحابه من أعلى السرايا وهم يلعبون ويغنون، فلما رأوه هربوا إلى الزبير، وأرسل المتسلم عدة أنفار من العسكر للزبير وأمرهم بالقبض على أموال محمد بن إبراهيم وأموال آله وأتباعه، فقبضوا ما وجدوه من أموالهم وكانت شيئاً كثيراً وهرب آل ثاقب من الزبير إلى الكويت.

وفيها في آخر ذي القعدة قام بن مهيليب شيخ برية على حاج أهل عنيزة وهم على الداث الماء المعروف، فطلب منهم مطالب فامتنعوا من إعطائه فأخذهم.

ثم دخلت سنة ١٢٧٤هـ

ففيها اصطنع السلطان عبدالمجيد خان عوارض من حديد وضعت بين الأساطين الأمامية المطلة على الحصاوي، وعلق في كل عارضة بين الاسطوانتين خمسة قناديل توقد من ابتداء رمضان إلى عشرين من ذي الحجة، وهذه مدة أيام الحج وأشهره لأن المسجد الحرام في حاجة إلى زيادة الإضاءة للطائفين والمصلين، وتم في هذه السنة بناء دار المفتاح التي أنشأت على أرض تابعة لآل شيبة الذين هم سدنة الكعبة المعظمة.

ولما توفى رئيس السدنة أخو علي بن محمد الشيبي الذي سافر وسعى إلى السلطان في طلب الدار، واسم هذا السادن أحمد بن محمد قبل أن يسكن الدار لأنه

توفى في أول هذه السنة غسلوه فيها ثم تولى بعده السدانة للكعبة الرئيس عبدالله ابن محمد الشيبي في هذه السنة، وكان أول من سكن دار المفتاح بعد عمارتها ومكثت السدانة بيده اثنتين وعشرين سنة.

وفيها التقى حرب وعتيبة بقرب ساق المعروف فحصل بين الفريقين قتال شديد فصارت الهزيمة على عتيبة وقتل منهم نحو ستين رجلاً، ومن حرب نحو خمسين رجلاً.

وفيها أيضاً توفى الحميدي بن فيصل بن وطبان الدويش شيخ عربان مطير رحمة الله على أموات المسلمين، وكان للحميدي هذا قصة مع الأمير عبدالعزيز المحمد، وذلك أن عبدالعزيز أغار على الحميدي وجنوده، فلما سمع الدويش ضرب الطبول والرمي قال لأصحابه: لابأس عليكم فهذا دمعان لقب لعبدالعزيز فتناولوا قهوتكم، وقام الحميدي هذا وعليه جبة غليظة فوثق لها مسمار من حديد فشقها فتطير وخاب وصارت الهزيمة عليه.

وفيها غزا عبدالله بن الإمام فيصل بجنود المسلمين من الحاضرة والبادية، وأخذ ابن حميد والهضيل على دخنة ثم عدا من دخنة وأخذ العصمة على نفي، وأقام هناك أياماً ثم عدا على البقوم ومعهم أخلاط من سبيع، وهم على أم الجواعر فصبحهم وأخذهم ثم قفل راجعاً إلى الرياض، وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيها وقع الوباء العظيم في نجد والبحرين والأحساء ومات خلائق كثيرة.

وفيها في ثالث عشر شعبان توفى الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي نمي وعمره نحو السبعين، وخلف ستة من الذكور وهم عبدالله وعلي وحسين وعون وسلطان وسادسهم لا أعرفه، وتولى إمارة مكة بعده ابنه عبدالله، وكانت إمارة مكة يتداولها نسل هؤلاء الأشراف كما حصرها أبو نمي في نسله هؤلاء وهم: ذوو بركات وذوو زيد وذوو عون.

ذكر قانون أبي نمي

كان له قانون محفوظ لا يزال يتداوله الأشراف بينهم وقد تضمن أموراً هي:

أولاً ـ في حفظ الإمارة وجعلها وراثية بالتدريج في الأسرة الهاشمية.

ثانياً ـ يحظر على أي شريف كان أن يشتغل في أي مهنة أو صنعة كانت بأي كيفية إلا في القراشة الحطب والفحم والجمال والزرع.

ثالثاً ـ إذا قتل الشريف أخذ من أهل القاتل أو القرية أربعة وقتلوا لأجله.

رابعاً ـ صافع الشريف يقطع يده.

خامساً ـ شاتم الشريف يقطع لسانه.

سادساً ـ الشريف لا يحاكم في مجلس خصمه.

سابعاً ـ إذا هم الشريف بقتل شريف أو رفع عليه السلاح ينفى من البلاد.

ثامناً ـ لا يقتل الشريف إذا قتل غير الشريف.

تاسعاً ـ للشريف الحاكم ثلث دية المقتول .. إلخ.

قلت لا يخفى ما في القانون من أعظم الجور والظلم، وهل كان هذا إلا مناقضة لأحكام الإسلام، إن الإسلام ساوى في الجنايات بين الشريف والوضيع، وعدل بين الرؤوساء والسوقة، ولكن قد قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى:٢١]، وقد زاد من جاء بعد أبي نمي من الأشراف على هذا القانون مواد أخرى.

ثم دخلت سنة ١٢٧٥هـ

ففيها قتل ناصر بن عبدالرحمن السحيمي في الهلالية، وهو ناصر بن عبدالرحمن ابن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن إسماعيل، قبيلته في بلد أشيقر معروفة بآل إسماعيل، وكان قتله لأحنٍ قد كانت كامنة في الصدور بينه وبين آل سليم حتى قتلوه في هذه السنة.

وسبب ذلك أنه لما انتقل جده عبدالله من بلد أشيقر إلى عنيزة كان مع عبدالله ابنه عبدالرحمن وابن ابنه مطلق الضرير، فنزلوا على عشيرتهم آل بكر من سبيع فأكرموهم وأقاموا عندهم، وتزوج عبدالرحمن وابنه ناصر هذا وكانت الرئاسة يتجاذبها إذ ذاك على بلد عنيزة آل بكر وآل زامل، فلما كبر ناصر المذكور ظهرت منه الشهامة والشجاعة، وكان الأمير إذ ذاك في عنيزة يحيى السليم، فصار ناصر يعارضه في أمور، ويساعد ناصراً في ذلك أكابر عشيرته من آل بكر، فخاف يحيى وكان عاقلاً حكيماً حازماً من شر يقع بينه وبين آل بكر، فدعى بناصر المذكور وقال له إن لك حقاً علينا فاختر في إمارة عنيزة، وأنا لي الشداد ومعلوم الدرب والعكس إن شئت، وكان ذلك في الفوضى التي بين هتك الدرعية وبين مقام الإمام تركي، فخاف ناصر أن يكون يحيى غير صادق فيما قاله، وأكد بالعهود والمواثيق، فلما علم ناصر صدقه قال: أنا ولد ويكفيني الشداد، فاستقام الأمر على ذلك، ولما قتل يحيى بن سليم في واقعة بقعا وتأمر بعده في عنيزة أخوه عبدالله بن سليم، بقي على إمارته أربع سنين إلى أن قتل سنة ١٢٦١هـ في واقعة بين أهل عنيزة وبين ابن رشيد أيضاً، فتولى الإمارة بعده أخوه إبراهيم بن سليم ثم عزله عنها الإمام فيصل بعد أربع سنين وجعل مكانه أميراً على عنيزة ناصر بن عبدالرحمن السحيمي، فقام بعدها بسنة عبدالله بن يحيى آل سليم وزامل بن عبدالله بن سليم ورجال من أتباعهم ورصدوا لناصر هذا في طريقه بعد العشاء الأخرة يريدون قتله، فرموه بثلاث طلقات أصابته واحدة منهن على غير مقتل وركضوا بعدما سقط على الأرض يريدون قصره، وكان قد ضبطه بالرجال وجعل فيه أخاه مطلقاً الضرير، فوجدوه مغلقاً لأنه قد سبقهم النذير وشمروا للحرب، فهرب عبدالله وزامل ومن معهما منهزمين إلى بريدة وأقاموا عند أميرها عبدالعزيز المحمد، أما ناصر فقام من فوره ودخل قصره في عنيزة وجارحوه حتى برئ من جرحه، وكتب إلى الإمام فيصل يخبره باعتداء آل سليم عليه بغير جرم ولا سبب، ثم كتب عبدالعزيز المحمدي إلى الإمام يخبره أن آل سليم عنده ولم يفعلوا ذلك إلا لأشياء حدثت من

السحيمي، فبعث الإمام فيصل إلى أمير بريدة عبدالعزيز بأن يرسل إليه آل سليم بلا مراجعة، فأرسلهم إليه بهدية سنية، وقدموا على الإمام وأكرمهم وعفا عنهم، وكتب إلى السحيمي أن آل سليم عندنا وأنت على مرتبتك ونحن ننظر في الأمر إن شاء الله، وكان مطلق الضرير لما جرح أخوه ناصر، أرسل إلى رجل من أعوان آل سليم يقال له بن صخيبر فضربه حتى مات، ثم قام ناصر لما برئ من جرحه فقتل إبراهيم بن سليم، فقام آل سليم يحاولون قتله به حتى قتلوه في هذه السنة لأنهم جعلوا يترقبون الفرص لقتله، فلما ركب من عنيزة لينظر إلى خيل له في بلد الهلالية عند بعض أصحابه فيها ليعلفها هناك، ركب في أثره عبدالله بن يحيى بن سليم وزامل بن عبدالله بن سليم وحمد بن إبراهيم بن سليم، فسطوا عليه في الهلالية وقتلوه نائماً عند خيله، ورجعوا إلى عنيزة، فانتقل أخوه بعد مقتله بأولاده إلى بلد أشيقر حتى توفى فيها أعني مطلق الضرير، وذلك بعد هذه السنة بسبع سنين.

ذكر عزل أمير بريدة

لما كان في رجب من هذه السنة كتب الإمام فيصل إلى عبدالعزيز المحمد أمير بريدة أن يقدم عليه، فركب عبدالعزيز ومعه ابناه عبدالله وعلي وثلاثة من خدمه، فقدم على الإمام، ولما جلس بين يديه انتهره الإمام وأغلظ عليه في الكلام وجعل يعدد عليه أفعاله القبيحة، وما حصل منه من الشقاق، فأجاب بالاعتراف وأن كل ما عاتبه فيه حق، ثم قال: وأنا أطلب العفو والمسامحة، فأنزله الإمام في بيت عنده ومن معه، وأجرى عليهم من النفقات ما يكفيهم، وأمره بالمقام عنده في الرياض، وأمرَّ في بريدة عبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان من آل عليان عشيرة عبدالعزيز المذكور وآل أبي عليان من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم.

في هذه السنة، جلس عبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان أميراً في بريدة وذلك في رجب منها.

ولما كان في جمادى الأولى بعث الشيخ الأديب أحمد بن علي بن مشرف بقصيدة

إلى الإمام فيصل بن تركي يحرضه على كف الأعراب عن النهب والفساد، افتتحها تغزلاً كعادته ثم ذكر نهبهم للأموال وسفكهم للدماء وإفسادهم في الأرض بعد إصلاحها وإغارتهم في الطرق وقطعهم السبل إلى غير ذلك مما يتوقع من البدو، فمن أبيات القصيدة المشار إليها قوله:

فقال ادخلوا في السلم طراً وأسلموا ... وإلا فحرب وعده ليس يخلف
وأقسم لا نعطي على ديننا الرشا ... وما عندنا إلا حسام ومصحف
فمن لم يقومه الكتاب أقامه ... حدود الضبا والسمهري الثقف
فهل يستقيم الدين إلا بدعوة ... إلى الله يتلوها سنان ومرهف
وقد فرض الله الجهاد على الورى ... لمن كان عن نهج الشريعة يصدف
وقد كان يبدي الحلم والصفح عنهم ... ويعطيهمو الأموال كي يتألفو
فلما أبوا إلا الخلاف تمرداً ... رماهم بما يؤذي النفوس ويتلف
بجيش لهام حشوه الخيل والقنا ... تهب رياح الموت منه وتعصف
يقودهمو شبل الإمام وإنه ... لبالجود والإقدام والمجد يوصف

ثم قال في مديح فيصل:

هو البحر ينتاب العطاش وروده ... وكل امرئٍ يروي المزاد ويغرف
فأسيافه من خصمه ترعف الدما ... وأقلامه بالبذل والجود ترعف
لقد أتعب الكتاب كتب صكاكه ... فكدت على أقلامهم أتخوف

وامتدحه أيضاً بقصيدة في هذه السنة أفصحت عن جوده وكرمه والثناء عليه، ثم امتدحه أيضاً بقصيدة في هذه السنة بل في رجب ذكر فيها كيفية الأمن الذي نشره الله على يدي الإمام، ومن أبياتها قوله:

تبدل بالثياب جلود نمر ... وسل على أولى الظلم الحساما
فصار الذئب للأغنام سلما ... وصاحب في الفلا النعم النعاما

أمــــام للهــــدى يــــدعو البرايــــا | ويبعـــث للعـــدى جيشـــاً لهامـــا
وإن ذكـــر النـــدى فيـــداه غـــوث | تســـح الجـــود والمـــنن الجســـاما
فكـــم أعطـــى الســـوابق مســـرجات | وكـــم أعيـــت عطايـــاه الكرامـــا
وكـــم أصـــلى الأعـــادي نـــار حـــرب | فكـــان وقودهـــا جثثـــاً وهامـــا
وإن ذكـــر عـــلاه فلســـت أحصـــى | مزايـــا مـــن مناقبـــه عظامـــا
همـــام فاضـــل فـــاطن ذكـــي | إليـــه الملـــك قـــد ألقـــى الزمامـــا

فلما كان في شعبان غزا الإمام فيصل بجنود المسلمين حاضرة وبادية، ونزل على رماح فأقام هناك أياماً، ثم أمر ابنه عبدالله أن يسير بتلك الجنود ويقصد بهم عربان برية من مطير لأمور حدثت منهم، وقفل بنفسه راجعاً إلى الرياض، فزحف القائد عبدالله بمن معه من الجنود وصبح عربان برية على دخنة فأخذهم، ثم نزل على عريفجان فاستدعى كبار برية فركبوا إليه، فلما صدروا من الشبيكية صادفهم غزو قحطان فأخذوهم وقتلوا منهم خمسة رجال منهم مناحي المريخي وهذال القريفة، فغضب عبدالله بن فيصل لذلك، ولما وصل إليه غزو قحطان المذكورون أخذ جميع ما معهم من الخيل، وهي نحو مائة وأربعين فرساً وأسر منهم خمسة وعشرين رجلاً، وقفل بهم معه إلى الرياض، وطلب عليهم أشياء فأعطوه جميع ما طلب ودفعوا لبرية دية المقتولين منهم وجميع ما أخذوا منهم ثم أطلقهم، وفيها تصالح عربان برية وقبائل علوي بعد حروب بينهم.

وفي هذه السنة أنشأ الشيخ أحمد بن علي بن مشـــرف قصيـــدة، وبعـث بها إلى الإمام فيصل منهضاً له على جهاد الأعراب المفسدين، فأثار فيها سواكنه وشجعه فيها، حتى أن هذه القصيدة لتستجيش من يسمعها، وهذا نصها رحمه الله تعالى:

أشمس تجلـت مـن خـلال السـحائب | أم البـدر جلـى حالكـات الغياهـب
أم انجابـت الظلمـاء عـن لمـع بـارق | تـلألأ مـن ثغرهـا لإحـدى الكواكـب

نعم أقبلت سلمى فأشرق وجهها بصبح جمال تحت ليل الذوائب
فتاة تفوق الغانيات بحسنها كما فاق بدر التم زهر الكواكب
فما للمعنى لا يهيم بذكرها وقد كان ذا جسم من الوجد شاحب
تناءت فزارت سحرة بعد هجعة وقد نام عنها كل واشٍ مراقب
فنم برياها الصباحين أقبلت تميس كغصن البان أو مثل شارب
فحييت بتسليم فأحسنت رده وقلت لها قول المحب المعاتب
صليت بنار الهجر أحشاء مولع فلم يطفها ماء العيون السواكب
فقالت ألم تعذر فكم حال بيننا من المهمة الزيزاء وبعد السباسب
أنا في ربا نجد وأنت ببلدة أحاطت بها الأعداء من كل جانب
يغيرون في أطرافها وسروحها جهاراً ولا يخشون سوطاً لضارب
فكم قعدوا للمسلمين بمرصد وكم أفسدوا في سبلها بالنهائب
يقولون سيروا إن ظفرتم بنهبة على رسلكم لا تحذروا درك طالب
وإن تسفكوا فيها الدماء فإنها لكم هدر لا تحذروا من معاتب
فياليت شعري هل سراة حماتها نيام فهم بين لاه ولاعب
أم الحد منهم كل أم زندهم كبا أم القوم غروا بالأماني الكواذب
لقد كان تخشى بأسهم أسد الشرا فصارت بهم تعدو صغار الثعالب
وأنى يحوط الملك إلا سميدع يخوض لظى الهيجاء ليس بهائب
له غيرة تحمي الرعايا كأنها حمية ضرغام جسور موائب
فلا دين إلا الجهاد قوامه ولا أمن إلا بعد سل القواضب
ولا ملك حتى تخضب البيض بالدماء من الهام في أطرافه والجوانب
ولا مجد إلا بالشجاعة والندى وجر العوالي فوق مجرى السلاهب
فقل لإمام المسلمين وسر له بنفسك أو بلغه مع كل راكب
وأنشده إن أحسست منه تثاقلا إذا لم يسالمك الزمان فحارب
ولا تحقر الخصم الضعيف لضعفه فكم خرب الجرذى في سد مأرب

فقم واستعن بالله وانهض إلى العلا فكسب الثنا والأجر خير المكاسب
فكيف تنام العين منك عن العدا وقد أوقدوا للحرب نار الحباحب
ولا ترض إلا مقعد العز مقعدا على ظهر مهر العنان مجاذب
ولا تستطب ظلاً سوى ظل قسطل وظل القنا الخطي بين الكتائب
وشن على الأعراب غارات محنق وانهلهموا صاب الردى بالمصائب
ومزق جماعات الضلال وحزبه بريح سموم من لظى الحرب حاصب
وجر عليهم جحفلاً بعد جحفل وضيق عليهم أرضهم بالمقانب
جيوشاً تريهم ظلمة الليل في الضحى ولمع المواضي كالنجوم الثواقب
إلى أن يكون الدين لله كله وينقاد للإسلام كل محارب
ومن كان معوجاً فقومه بالضبا إذا لم يفد بذل الحيا والمواهب
فبالبيض مع سمر القنا تدرك المنى وبالجود والإقدام نيل المطالب
بذلك تعطيك المعالي زمامها وتسمى على أعلى الذرا والمراتب
وإن كره الناس الجهاد بداية فآثاره محمودة في العواقب
وأثماره نصر وأجر ومفخر وإن عميت عنها عيون الغياهب
فشمر بعزم للجهاد ولا تهن فتدعو إلى سلم العدو المجانب
فإن أنت سالمت العدو مخافةً فأيسر ما تلقاه بول الثعالب
ولازم تقي الرحمن واسأله نصرةً يمدك من إسعافه بالعجائب
فإن التقى حصن حصين لأهله ورع يقي من حادثات النوائب
ودونك نظماً ينهض الشهم للعلى ويدعو إلى حسن الثنا والمناقب
بدا من أديب كالجمان قريضه طبيب زمان عارف بالتجارب
إذا قال قولاً أنشد الدهر قوله وغنى به أهل الحجا والمناصب
وصل إله العالمين مسلماً على خاتم الرسل الكرام الأطايب
محمد الهادي إلى خير شرعة به شرفت أبنا لؤي بن غالب
كذا الآل والأصحاب ما اهتزت القنا وما انتدب الفرسان بين الكتائب

ثم دخلت سنة ١٢٧٦هـ

ففيها جهز الإمام فيصل بن تركي ابنه عبدالله وجمع معه جيشاً عرمرماً كثيفاً ضخماً في العدد والعدة من نجد كلها، وأمره أن يزحف به لقتال العجمان، وذلك لأنهم طالما أكثروا الغارات وأظهروا العصيان والمحاربة للمسلمين، ونشير هنا إلى العجمان وإن كان تعريفهم يأتي بعد ذلك.

فنقول لما كان في أيام الإمام تركي بن عبدالله جعل رؤساؤهم يحضرون عنده ويتملقون له بألسنة حداد، فبذل فيهم الإحسان وجمعهم على رئيسهم فلاح بن حثلين، وأنزلهم الإمام بلاد بني خالد وأجزل لهم العطاء، فصار لهم بعد ذلك شوكة عظيمة وعظم شأنهم.

ولما تولى فيصل بن تركي عاملهم أيضاً بالإحسان غير أنه ما كان ليفيد فيهم الإحسان والرأفة، لأن اللئيم يتمرد مع الإحسان بل أبطرتهم النعمة؛ فقد رصد فلاح هذا بالعجمان لحجاج الأحساء وفارس والبحرين وغيرهم بالقرب من الدهناء فاستأصل أولئك الحجاج أخذاً وسلباً، ومعهم أموال كثيرة، وهلك من الحاج خلق كثير عطشاً، وكان ذلك في سنة ١٢٦١هـ، هذا وحزام بن حثلين أخو فلاح مع الحجاج.

ثم إن الله تعالى لم يمهل فلاحاً بعد هذه الفعلة الشنيعة، ولا جرم أن فرس الباغي عثور، بل عجل الله له العقوبة بعدها بسنة بأن ظفر به الإمام فيصل وقيده وأرسله إلى الأحساء مقيداً، فطيف به في الأسواق في بلد الأحساء ثم ضربت عنقه، فقام راكان ابنه رئيساً بعده في العجمان، وجعل يكتب إلى الإمام فيصل ويتودد ويطلب العفو، وأن يجعله عوضاً عن أبيه، وجعل يردد الرسل ويبعث الهدايا إلى الإمام من الخيل والنجائب وأكثر حتى صفح عنه الإمام، وحضر بين يديه وبايعه على السمع والطاعة.

ثم بعد ذلك عظم أمره وصار شراً من أبيه، فأغار في هذه السنة على إبل

الإمام فيصل وأخذ طرفاً منها، ثم ارتحل بعدها من بلاد بني خالد هو ومن معه من العربان إلى جهة الشمال، ونزلوا على الصبيحية بقرب الكويت.

فلما كان في شعبان من هذه السنة أمر الإمام فيصل على جمع رعاياه من البادية والحاضرة بقتال هذا العدو الألد وجهاده، فزحف القائد الشهم عبدالله بن الإمام في آخر شعبان بغزو أهل الرياض والخرج واستنفر من حوله من البادية من سبيع والسهول وقحطان، وكان قد واعد غزوا أهل الوشم وسدير والمحمل الماء المعروف بالدجاني، فلما وصل إليه وجدهم قد اجتمعوا هناك، فأقام ثلاثة أيام ثم ارتحل منه واستنفر عربان مطير فتبعه منهم جم غفير وخلق كثير فقصدوا الوفراء الماء المعروف وعليها عربان من العجمان، فهجدهم بياتاً وأخذهم وانهزمت شرائدهم إلى الصبيحية وعليها آل سليمان وابن سريعة من العجمان.

ثم ارتحل ابن الإمام بتلك الجنود التي كقطع الليل المظلم، وسار من الوفراء حتى صبح العربان على الصبيحية فأخذهم وانهزمت شرائدهم، ونزلوا على بن حثلين ومن معه وهم على الجهراء.

ثم ارتحل عبدالله بن الإمام ونزل على ملح الموضع المعروف بقرب الكويت فجرت وقعة ملح التي رن ذكرها في الأقطار، ولما نزل ابن الإمام في هذا الموضع استبسل العجمان، وقام رؤسائهم يشجع بعضهم بعضاً وعمدوا إلى سعبة جمال فجعلوا عليهن الهوادج، وأركبوا في كل هودج من تلك الهوادج بنتاً جميلة من بنات الرؤوساء محلاة بالزينة، وقد كانوا في جاهليتهم يستصحبون النساء الخرائد في وسط جموع الحرب ليشجعن الفتيان وينخين الفرسان والشجعان فتثير هذه النخوة الغيرة والحمية عن العار ليقاتلوا قتال المتهالك فقرنوا الجمال وساقوها أمامهم وتوجهوا لقتال عبدالله ومن معه من المسلمين، فلما وصلوا إليهم نهض عليهم المسلمون وثاروا ثورة الأسود من غابها، فأظلم الجو وحصل بين الفريقين قتال شديد وجلاد أكيد، يشيب من هوله الوليد، وثبت المسلمون فانهزم العجمان هزيمة شنيعة، وولوا الأدبار لا يلوى أحد على أحد، وتركوا الهوادج والإبل وجميع أموالهم، وقتل منهم

سبعمائة مقاتل، وغنم المسلمون منهم الإبل والأموال، وانهزمت شرائدهم إلى الكويت، وذلك يوم سابع عشر من رمضان، وأقام عبدالله بمن معه من الجنود على الجهراء أياماً، وبعث الرسل إلى أبيه بالبشارة، وإلى بلدان المسلمين فحصل بذلك الفرح والسرور، فلله الحمد لا يحصى ثناء عليه.

ولما وصل الخبر إلى الزبير والبصرة سروا بذلك، لأن العجمان قد أكثروا بشن الغارات على أطرافهم، وأرسل باشا البصرة إلى عبدالله بن الإمام هدايا كثيرة صحبة النقيب محمد سعيد، وأرسل إليه رئيس بلد الزبير سليمان بن عبدالرزاق بن زهير هدية سنية، ثم إنه ارتحل عبدالله من الجهراء وقفل راجعاً إلى الرياض، فلما وصل الحفنة المعروفة في العرمة وهي الخبراء أذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، وتوجه إلى الرياض مؤيداً منصوراً، ولما بلغت البشارة بهذه الوقعة إلى الأحساء أنشأ الشيخ أحمد بن علي بن مشرف قصيدة فريدة تهنئة للإمام بهذا النصر على أعدائه المفسدين وهي هذه:

لك الحمد اللهم ما نزل القطر ... وما نسخ الديجور من ليلنا الفجر
وما هبت النكباء رخاء وزعزعت ... على نعم لا يستطاع لها حصر
فمن ذلك الفتح المبين الذي له ... تهلل وجه الدين وابتسم الثغر
تفتح أبواب السماء لمثله ... ويعلو بسيط الارض أثوابها الخضر
فناهيك أمن فتح به من الغلا ... وأسفرت البلدان وابتهج العصر
تسامى به نجد إلى ذروة العلاء ... وأسفر وجه الحظ وافتخرت هجر
لقد سرنا ما جاءنا من بشارة ... فزالت هموم النفس وانشرح الصدر
لدن قيل عبدالله أقبل عادياً ... يقود أسوداً في الحروب لها زأر
رئيس به سيما الخلافة قد بدت ... وفي وجهه الإكبار والعز والنصر
فصبح قوماً في الصبيحة اعتدوا ... وقادهم للبغي من شأنه الغدر
فروى حدود المرهفات من الدماء ... كما قد روت منه المثقفة السمر
فغادر قتلى يعصب الطير حولها ... ويشبع منها النسر والذئب والنمر

قبائــل عجمــان ومــنهم شــوامر ومــن لحســين ينتمــون ومــا بــروا
وطائفـــة مريـــة غـــير عذبـــة خلائقهـــا بـــل كـــل أفعالهـــا مـــر
أســاؤوا جميعــاً في الإمــام ظنــونهم فقــالوا ضــعيف الجنــد في عزمــه حصــر
نغـــير علـــى بلدانـــه ونخيفهـــا ليعرفنـــا الـــوالي وينمـــو لنـــا الـــوفر
فــإن لم نصــب مــا قــد أردنــا فإنــه صفوح عن الجـاني ومـن طبعـه الصـبر
ومـا أنكـروا في الحـرب شـدة بأسـه ولكـــن بتســـويل النفـــوس لهـــا غـــروا
وقد قسموا الأحساء جهلاً بـزعمهم لعجمـــانهم شـــطر وللخالـــدي شـــطر
أمـــاني غـــرور كالســـراب بقيعـــةً يـرى في الفـلا وقـت الضـحى إنـه بحـر
كذبتم فهجـر سـورها الخيـل والقنـا ومـن دونـه ضـرب القماحـد والأسـر
ومـن دونهـا يـوم بـه الجـو مظلـم أســـنتنا والبـــيض أنجمـــه الزهـــر
فقـل للبـوادي قـد نكثـتم عهـودكم وذقـتم وبـال النكـث وانكشـف الأمـر
فعودوا إلى الإسلام واجتنبوا الـردى ولا فـــلا يـــؤيكم الســـهل والـــوعر
وننذركم مـن بعـدها إن مـن عصـى فأفســـد أو شـــق العصـــا دمـــه هـــدر
فمن لم يكن عن غيـه الـوحي زاجـراً لــه كــان في ماضــي الحديــد لــه زجــر
تهنـا بهـذا النصـر يـا فيصـل النـدى فقـــد تم للإســـلام والحســـب الفخـــر
وهذا هو الفتح الـذي قـد بـني لكـم مكـارم يبقـى ذكرهـا مـا بقـي الـدهر
وهـذا هـو الفـتح الـذي جـل قـدره وقـد كـل عـن إحصـائه الـنظم والنثـر
فقابـــل بحمـــد الله جـــدواه مثنيـــاً علـى الله بالنعمـا فقـد وجـب الشـكر
ولا تـــبن للأعـــراب مجـــداً فـــإنهم كمـا قيـل أصـنام لهـا الهـدم والكسـر
إذا أودعـوا النعمـاء لم يشـكروا لهـا وإن رمـت نفعـاً منهمـو بـدا الضـر
فوضع الندى في البدو مطغٍ ومفسـد فأصلحهمو بالسيف كـي يصـلح الأمـر
وبالعكس أسس أمر الرعيـة واحمهـم عن الظلم كي ينمو لـك الخـير والأجـر
وألـف بـني الأحـرار في زمـن الرخـا تجـــدهم إذا الهيجـــاء شـــدها الأمـــر
وما الذخر جمع المال بالسلم للـوغي ولكـــن أحـــرار الرجـــال هـــم الـــذخر

ودونـك نظمـا بالنصـائح قـد زهـا — كمـا أن نظـم العقـد يزهـو بـه الـدر
وأخـتم نظمـي بالصـلاة مسـلماً — على المصطفى ما هـل مـن مزنـة القطـر
كذا الآل والصحب الأولى بجهـادهم — سمـا وعلـى الإسـلام وانخفـض الكفـر

ذكر قتل أمير بريدة عبدالله بن عبدالعزيز بن عدوان

لما كان في صفر من هذه السنة تذامر رجال من آل أبي عليان على قتل الأمير المذكور وجعل أولئك الأعداء يرتقبون الفرص للفتك به فكان ذات يوم عنده محمد بن صالح الضبيعي في قصره، فجعل يمزح عليه يقول يا أبا ضبعان ألا تدعونا إلى بيتك فتهيء لنا القهوة، فاعتذر قائلاً له: أيها الأمير لا آلة عندي للقهوة ولا لدي مجلس وما كان هذا عذره، بل قد علم بما قد تذامر به أولئك الأعداء فخشي أن يقتل في بيته، وفي رواية أخرى أنه جاء بنفسه لدعوة الأمير وأنه ممن يعين على قتله وأنه ندم فالله أعلم.

ولما ألح عليه الأمير عبدالله جعل يتلوم حتى قال أنه لا بن عندي ولا بهار، فقال له قم فالبن والبهار يأتيك في أرداني يا أبا ضبعان فقام محمد ليهيء القهوة للأمير، فانتهز أعدائه هذه الفرصة، وذهب الأمير من قصره إلى حتفه، وما علم بما بيته له الأعداء، فلما دخل بيت الضبيعي وجلس تسور أعدائه المحنقون عليه الجدر يريدون الفتك به، فلما أحس بالشر سلّ سيفه الذي كان يسمى رحيان وقام دونه على باب المجلس حارس له شجاع يدعى عبدالله بن جارالله الفضلي قد انتضى سيفه، فلما عجزوا عن الدخول عليه صعد بعضهم إلى السطح فرماه بسهم فوقع الأمير على الأرض وهو يقول: سالم .. سالم، ثم تقدم شاهراً سيفه يحبو حبواً لأن السهم كسر فخذه، فإذا بسهم آخر أصاب الحارس الشجاع عبدالله فوقع إلى الأرض يجود بنفسه، وتقدم الأمير إلى باب المجلس حبواً فهوى بسيفه نحو فارس من أعدائه فأصابه السيف مع خشبة من سقف الباب فقطعها وقسم الفارس نصفين، فوقع الفارس إلى جانب حارس الأمير، وكان في هؤلاء الأعداء رجل يدعى خرشه يقال أنه دعي، فضرب الأمير حتى قضى عليه، وكان في هؤلاء الأعداء رجال من

عشيرة ابن عدوان وهم عبدالله الغانم؛ وأخوه محمد؛ وحسن آل عبدالمحسن المحمد، وأخوه عبدالله، وعبدالله بن عرفج.

ولما جاء الخبر إلى الإمام فيصل غضب على عبدالعزيز بن محمد وأمر بحبسه وجعل محمد الغانم أميراً في بريدة مكان بن عدوان وكان محمد ممن قتلوه وكثر القيل والقال، وجعل عبدالعزيز بن محمد وهو في الحبس يكتب إلى الإمام فيصل ويحلف له إيماناً مغلظة أنه ليس له علم بذلك الأمر ولم يرض به.

وقال في خطابه للإمام ولو أذنت لي بالمسير إلى بريدة لأصلحت ذلك الأمر ولأمسكت الرجال الذين قتلوه وأرسلتهم إليك مقيدين بالحديد أو أنفيهم عن البلاد، فأمر الإمام بإطلاقه من الحبس وأحضره بين يديه وجعل يحلف للإمام ويتعلق، فأخذ الإمام عليه العهود والمواثيق على ذلك، فكساه الإمام ومن معه، وأجازه وأكرمه وأذن له بالرجوع على بريدة، واستعمله أميراً عليها، وعزل محمد الغانم عن الإمارة فتوجه إلى بريدة.

وأمر الإمام فيصل على عبدالله بن عبدالعزيز المحمد بالمقام عنده في الرياض، ولما وصل عبدالعزيز إلى بريدة قرب الذين قتلوا ابن عدوان وأدناهم وألقى بعهوده ومواثيقه عرض الحائط، وكان وصوله إليها في جمادى الأولى من هذه السنة جعل يكتب للإمام فيصل بأشياء مكراً وكذباً، فحاق به مكره والعياذ بالله، وجرى عليه ما سيأتي في السنة التي بعدها، وكان عبدالعزيز هذا كثيراً ما يجري منه الخلاف للإمام فيصل فيصفح عنه، وكان قد جرى بينه وبين محمد العلي العرفج الشاعر المشهور خلافاً ومنافسات يطول ذكرها.

ولقد جاد عليه الإمام تركي لما جعله أميراً في بريدة لأول مرة وذلك في سنة ١٢٤٣هـ بأنه لما جعله أميراً وخاف عليه من محمد العلي المذكور لأنه أميراً كان قبله فيها، فأرسل الإمام إلى محمد وجعله عنده في الرياض ولم يأذن له بالرجوع إلى بريدة حتى قويت شوكة عبدالعزيز بن محمد ثم أذن له.

ولما لم تصلح الحال بينه وبين عبدالعزيز، وحصل نزاع وشقاق قام أهل الإنصاف من ساكني بريدة وقالوا: لا يستقيم الخلاف بينكما والمرجع فيصل في الرياض، فكتبوا إليه بعد وفاة أبيه يؤيدون عبدالعزيز، وكان قد أتى لهم الإمام على ما يطلبون فأقر عبدالعزيز وقال لابن عرفج يا محمد إن هنا بلاد أحسن من بريدة وهي الجوف، هوائها طيب وجوها معتدل إذا كنت ترغب في الإمارة، وإنما أشار عليه الإمام بها ليبعده عنه لأنه شاعر وله دهاء ولعله أن يقتل بها لأن أهل الجوف إذ ذلك كانوا إذا لم يوافقهم الأمير قتلوه، فذهب بن عرفج أميراً على الجوف من قبل الإمام، ولكنه على أمر عجيب بحيث أنه لما قدم إلى الجوف أميراً خطب فيهم خطبةً ظريفة قال فيها يا أهل الجوف لقد علمتم بأنه لم يبعثني الإمام إليكم إلا رغبةً في قتلي إن لم أوافيكم، فأنا الذي لا أخالف رأيكم، بل أكون تبعاً لما تطلبون، فإن شئتم تسجدون وتهللون فأنا زاهدكم، وإن أحببتم الغنا واللهو فأنا رئيسكم، وإن قمتم ترقصون وتصفقون فأنا صاحب الدف أحمله أمامكم، ففرحوا به وسروا، وقالوا هذا الأمير أحسنت فلا نبغي سواك، فاستقام عندهم، وله نكت عجيبة لكنه لا يزال يلهج بذكر بريدة ويقول فيها الأشعار يمتدحها وأهلها بعدم الخلاف لمن تأمر عليهم.

ومن نكته أنه خطب جارية من أهلها وكانت حسناء جميلة، وأهلها لا يزوجونها إلا بإذنها، فأجابت بشرط أن تراه، وكان محمد دميماً فواعدهم أن يمر من عند بيتهم لتشاهده، فإن بن عرفج ذكره يملأ المسامع غير أن صورته لا تعجب النساء، فالمرأة تميل إلى الجميل كما أن الرجال يميلون إلى الجميلة، فأخذ بن عرفج بيد عبدالمحسن آل سديري وذهبا يمشيان حتى مرا من أسفل البيت وهي تنظر فتكلمت جارية من الطاق تدعو ابن عرفج باسمه ليتمز فتنظره، فقال لصاحبه التفت إلى نحو هذا الذي يدعونا ففطن لها عبدالمحسن وعلم مقصده، وأبى أن يلتفت إلا بعباءة ثمينة كانت على محمد، فأجابه بذلك فلما التفت السديري وكان فتى نضيراً عشقته ظناً منها أنه صاحبها فأجابت إلى زواجه، وتزوجها وبعد الدخول لم تتمكن من الخلاص لإذنها وإجابتها.

ذكر برجس بن مجلاد

كان برجس بن مجلاد ليثاً شجاعاً وبطلاً مغواراً، وكان معاصر العبدالعزيز بن محمد، ويروى عنه قصص تدل على شجاعته وجراءته، وكان موضعه في ناحية بيوحا من سباخ بريدة، ومن شجاعته أن العدو أغار على سروح بريدة فأخذها، وكان العدو في عشر من الخيل وعشر من العمانيات، ولما اخذوا السروح انطلقوا بها غنيمة باردة، وكان أخذها من الضاحي المعروف، وهذه عادة الأعراب ينهبون ويسلبون إذا لم يخشوا سطوة قاهرة، فأخبر برجس بالقصة وكان ممن يعد لمثلها ويلاذ به في الأزمات، فقام الأسد من فوره له زئير وينتخي، وكان إذا انتخى تبول فرسه دماً، فسلَّ السيف وامتطى جواده وأرسلها كالريح العاصفة يقول من يقابل فلا رغبة لي في الحياة. وما أحسن ما قال زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
فشد ولم يفزع بيوتاً كثيرة ... لدي حيث ألقت رحلها أم قشعم
لدى أسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد أظفاره لم تقلم
جريء متى يظلم يعاقب بظلمه ... سريعاً وإلا يبد بالظلم يظلم

وقال غيره:

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمةً ما دام للسيف قائم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً ... وأنفاً حمياً يجتنبك المظالم

فأدركهم في الأسياح وهو ينتخي فاستولى عليهم الخوف والذعر ولم يشعروا به إلا وقد ضربهم من جهة اليمن وخرج من الأخرى فقتل فارسين، خرجت أعنة فرسيهما تجران بالأرض، ورجع يريد أن يكبحهم أخرى فطاروا شاردين قد تركوا جميع ما تحت أيديهم ونجوا بأنفسهم، فاستاق برجس الخيل والإبل والسروح ورجع بها قائلاً دونك يا عبدالعزيز خذ الفرسين وعشر العمانيات وردّ إلى أهل بريدة سرحهم.

وفيها كثر الخصب والخيرات، وفيها عمل السلطان عبدالمجيد خان ميزاباً للكعبة المعظمة في قسنطينية، ثم جيء به صحبة الحاج رضا باشا، وركب في الكعبة، نسأل الله تعالى أن يرفع قدرها، وكان الوالي على مكة يومئذ الشريف عبدالله بن محمد بن عون، وكان هذا الميزاب الذي ركب مصفحاً بالذهب نحو خمسين رطلاً على التقدير، وهذا الميزاب هو الموجود في الكعبة إلى العصر الحاضر فلم يبدل.

وفيها أسست مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر، وكانت هذه المكتبة من أعظم المكاتب في العالم.

ثم دخلت ١٢٧٧هـ

ففيها اجتمع رؤساء العجمان وتشاوروا في أمرهم، فاجتمع أمرهم على المسير إلى عربان المنتفق، فتوجهوا إليهم ونزلوا معهم، وتحالف رؤسائهم ورؤساء المنتفق على التعاون والتناصر والتآصر على كل من قصدهم بحرب وعلى محاربة أهل نجد من البادية والحاضرة إلا من دخل تحت طاعتهم منهم، فسارت ركبانهم وتتابعت الإغارات على أطراف الأحساء وعلى أهل نجد، وأصبح لهم وللمنتفق شوكة عظيمة وقوة منيعة، حتى أخافوا أهل البصرة والزبير، وكثرت الإغارات منهم على أطراف الزبير والبصرة والكويت، فقام باشا البصرة حبيب باشا ودعى بسليمان بن عبدالرزاق بن زهير فأعطاه مالاً كثيراً وأمره بجمع الجنود من أهل نجد، فأخذ سليمان يجمع الجنود ممن كان هناك من أهل نجد وبذل فيهم المال فاجتمع عليه خلائق كثيرة.

ثم أن عربان المنتفق ومن معهم من عربان العجمان أجمعوا رأيهم على أن ينزلوا بالقرب من البصرة ويأخذون منها من التمر ما يكفيهم لسنتهم وكان ذلك في وقت صرام النخل، ثم بعد ذلك يتوجهون إلى حرب نجد، فساروا إليها ونزلوا قريباً منها ثم نهضوا إليها وانتشروا في نخيلها وعاثوا فيها فساداً بالنهب والسلب، فنهض إليهم سليمان بن عبدالرزاق بن زهير بمن معه من أهل نجد ومن أهل الزبير

وباشا البصرة بمعسكره وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى أخرجوهم من النخيل، ثم حصل القتال الشديد في الصحراء بين الفريقين، وصارت الهزيمة على عربان المنتفق ومن معهم من العجمان، وقتل منهم خلق كثير، وظهر من أهل نجد الذين حضروا في الواقعة مع سليمان بن زهير شجاعة عظيمة دلت على كفائتهم وبسالتهم.

وكان سليمان بن زهير يعد من أفراد رجال الدهر عقلاً وحلماً وكرماً وشجاعةً فقال في مدحه السيد عبدالغفار بن عبدالواحد بن وهب البغدادي المعروف بالأخرس الشاعر المشهور هذه القصيدة العصماء، وامتدح أيضاً فيها من معه من أهل نجد، وكان الشاعر قد حضر الواقعة فباح بما لديه منوهاً مبجلاً وهي من البحر الطويل:

أبـــى الله إلا أن تعـــز وتكرمـــا ... وإنـــك لم تـــبرح عزيـــزا مكرمـــا
تـــذل لـــك الأبطـــال وهـــي عزيـــزة ... إذا استخدمت يمناك للباس مخدما
ويـــا رب يـــوم مثـــل وجهـــك مشـــرقاً ... لبســـت بـــه ثوبـــاً مـــن النقـــع مظلمـــا
وأبزغـــت مـــن بـــيض الســـيوف أهلـــة ... واطلعـــت مـــن زرق الأســـنة أنجمـــا
وقـــد ركبـــت أســـد الشـــرى في عراصـــة ... من الخيل عقباناً علـــى المـــوت حومـــا
ولمـــا رأيـــت المـــوت قطـــب وجهـــه ... والفـــاك منـــه ضـــاحكاً متبســـما
ســـلبت بـــه الأرواح قهـــراً وطالمـــا ... كســـوت بقـــاع الأرض ثوبـــاً فعنـــدما
أرى البصرة الفيحاء لـــولاك أصـــبحت ... طلـــولاً عفـــت بالمفســـدين وارسمـــا
وقـــالوا ومـــا في القـــول شـــك لســـامع ... وإن جدع الصـــدق الأنـــوف وأرغمـــا
حماهـــا ســـليمان الـــزهيري بســـيفه ... منيـــع الحمـــا لا يســـتباح لـــه حمـــا
تحـــف بـــه مـــن آل نجـــد عصـــابة ... يـــرون المنايـــا لا أبالـــك مغنمـــا
رمـــاهم بعـــين العـــز شـــيخ مقـــدم ... علـــيهم ومـــا اختـــاروا إلا مقـــدما
بصـــير بتـــدبير الحـــرب وعـــارف ... علـــيهم فـــلا يحتـــاج أن يتعلمـــا
أبنـــاء نجـــد انتمـــو جمـــرة الـــوغى ... إذا أضـــرمت نـــار الحـــروب تضـــرما
وذا العـــام مـــا شـــيدتموه مبانيـــا ... مـــن المجـــد يـــأبى الله أن تتهـــدما

ومـا هـي إلا وقعـة طـار صـيتها ... وأنجـد في شـرق الـبلاد واتهمـا
رفعـتم بهـا شـأن المنيـب حميـة ... وخضتم بهم بحراً بالصـناديد مظلمـا
غـداة دعـاكم مـرة فـأجبتم ... علـى الفـور مـنكم طاعـة وتكرمـا
وجـردكم فيهـا لعمـري صـوارما ... إذا وصـلت جمـع العـدو تصـرما
ومـن لم يجـردكم سيوفاً علـى العـدا ... نبـا سـيفه في كفـه وتثلمـا
وإن الـذي يختـار للحـرب غيركـم ... فقـد ظـن أن يغنيـه عـنكم توهمـا
كمـا راح يختـار الضـلال علـى الهـدى ... وعـوض عـن عـين البصـيرة بالعمـا
ومـن قـال تعلـيلا لعـل وربمـا ... فمـاذا عسـى يغـني لعـل وربمـا
علـيكم إذا طـاش الرجـال سـكينة ... تزلـزل رضـوى أو تبيـد يلملمـا
ولمـا لقيـتم مـن أردتم لقـاءه ... رميـتم بـه الأهـوال أبعـد مرتمـا
صـبرتم لهـا صـبر الكـرام ضـراغما ... واقحمتموهـا المرهفـات تقحمـا
ووأدتموهـا شـرعة المـوت مـنهلا ... تـذيقهموا طعـم المنيـة علقمـا
ومـا خـاب راجيكم ليوم عصبصب ... يريه الـردى لونـا مـن الـروع أدهمـا
وجـردكم للضـرب سـيفاً مهنـدا ... وهزكمـو للطعـن رمحـا مقومـا
ومـن ظـن أن العـز في غـير بأسـكم ... وهـا عـزه في زعمـه وتنـدما
ومـا العـز إلا فيكمـو أو عليكمـو ... ومـا ينتمـي إلا إلـيكم إذا انتمـى
إذا مـا قعـدتم الأمـور وقمـتم ... حمـدتم عليهـا قاعـدين وقومـا
ومـا سمعـت مـنكم قـديما وحادثـا ... روايـة مـن يـروي الحـديث توهمـا
وإن قلتمـو قـولا صـدقتم ومـا انثنـى ... بكـم عـزمكم أن رام شـيئاً وصـمما
ولمـا أتـاكم بالأمـان عـدوكم ... وعاهـدتموه أن يعـود ويسـلما
وفيـتم لـه بالعهـد لم تعبـأ وابمـن ... أشـار إلى الغـدو الكـنين مجمجمـا
ولـو مـد مـن تأتيـه عـنكم يـد لـه ... لعـاد بحـد السـيف أجـدع أجـذما
وفيمـا مضـى يـا قـوم أكـبر عـبرة ... ومـن حقـه إذ ذاك أن يترسمـا
أيحسـب أن الحـال تكـتم دونكـم ... وهيهـات أن الأمـر قـد كـان مبهمـا

فاظهر مستورا وأبرز خافيا | وأعرب عما في الضمير وترجما
أمتخذ البيض الصوارم للعلى | طريقا وسمر الخط للمجد سلما
نصرت بها هذا المنيب تفضلا | وأجريت ما أجريت منك تكرما
على غلمة في الناس لله دره | تصرف فيها همة وتقدما
تأثل في أبطاله ورجاله | فلم يغن سحر غاب عنه مكتما
وقلبها ظهرا لبطن فلم يجد | نظيرك من قاد الخميس العرمرما
هناك ولي الأمر من كان أهله | فجل في كل النفوس وعظما
وطال على تلك البغاة بيأسه | وحكم فيهم سيفه فتحكما
وما سبق الوالي المنيب بمثلها | وفاق ولادة الأمر ممن تقدما
سليمان ماأبقيت في القوس منزعا | ولا تركت للبذل يمناك درهما
كشفت دجاها بالصوارم والقنا | وقد كان يلغي حالك اللون أسحما
فأصبحت في تاج الفخار متوجا | وفي عمة المجد الأثيل معمما
إليك أبا داود نزجي ركائبا | ضوامر قد غودرن جلدا وأعظما
رمتنا فكنا بالعرى عن قسيها | وقد بريت من شدة السير أسهما
فأكرمت مثوانا ولم تر عين | من الناس أندى منك كفا وأكرما
لأحظى إذا شاهدت وجهك بالمنى | واشكر من نعماك لله أنعما
وأهدي إلى علياك ما استقله | ولو أنني أهديت درا منظما
فحبك في قلبي وذكرك في فمي | ألذ من الماء الزلال على الظما

ولما رجع باشا البصرة قد فاز بالظفر على أعدائه خاف ناصر بن راشد بن عامر بن سعدون رئيس المنتفق على أموال المنتفق وأملاكهم التي في البصرة وكانت نخيلا كثيرة ملكوها في وقت عزهم وتغلبوا عليها، وقيل له أن الباشا عزم على مد يده على تلك الأملاك فكتب ناصر بن راشد إلى باشا البصرة وسليمان بن عبدالرزاق يقول إن أولئك الأعراب الذين حدث منهم ذلك ليسوا من باديتنا وأنما هم من بادية نجد جاءوا هاربين من وإلى نجد بن سعود ونزلوا بجوار بعض بادية

المنتفق وقد رجعوا إلى بلادهم، والذين معنا من باديتنا يطلبون المرعى لمواشيهم وحصل هذا الحادث من بادية العجمان وشمل من كان معهم، وأما نحن فعلى ما تعهدون من الصداقة بيننا والطاعة للدولة وترددت الرسائل بينهم في ذلك وصلح أمرهم ولم يتعرض الباشا لأملاكهم.

رجعنا إلى ما نحن فيه فنقول: لما هزم الله عز وجل العجمان ارتحلوا ونزلوا على كويبدة وعلى كابدة وعلى الجهراء، فيا ليت شعري أما علم هؤلاء الأجلاف أن في الحياض من يذود عنها.

كلا والله إن الأمر كما قيل يستجيرون بالنار عن الرمضاء، ولما جاءت الأخبار إلى الإمام فيصل بمسير العجمان ومن معهم من عربان المنتفق إلى أرض الكويت وأن قصدهم محاربة المسلمين أمر الإمام على جميع رعايا المسلمين من الحاضرة والبادية وصاح بالنفير للجهاد، فنسأل اله تعالى أن يحمي حوزة الدين ويذل العصاة والمجرمين.

ذكر واقعة الطبعة

لما أمر الإمام على الرعية بالغزو واعدهم الحفنة الخبراء المعروفة في العرمة، ثم أمر على ابنه عبدالله في أخر شعبان أن يسير بجنود المسلمين لقتال عدوهم، فتجرد ابن الإمام وخرج من الرياض معه أهل الرياض والخرج وضرما والجنوب وعربان الرياض من سبيع والسهول، وتوجه الحفنة فنزل عليها أياماً إلى أن اجتمعت عليه جنود المسلمين ثم ارتحل منها وتوجه إلى الوفراء.

فلما وصل هناك قدم غزو عربان مطير وبني هاجر، ثم زحف منها بجنوده وحث السير حتى وافى العجمان ومن معهم من المنتفق وهم على الجهراء فوافتهم الجيوش السعودية والرايات الإسلامية في المطلاع بين البصيرة، والكويت فصبحهم في هذا الموضع.

فلما توافوا حصل بين الفريق جلاد تطيش منه العقول، وتذهل المراضع أولادها لشدة الذهول، وجرت ذبحة تذيب الجمود وتفتت الكبود واشتعلت النار كالوقود،

وتقاتلوا قتالاً يشيب من هوله المولود، فما كان إلا قليل حتى كانت الهزيمة على المتفق والعجمان وألجأهم المسلمون إلى البحر وهو جازر فدخلوا فيه، ووقف المسلمون على ساحل البحر فمد البحر على من فيه من العجمان وأتباعهم فأغرقهم وهم نحو ألف وخمسمائة مقاتل، وقتل منهم خلائق كثيرة، وغنم المسلمون منهم من الأموال مالا يعد ولا يحصى، وذلك في خامس عشر من رمضان من هذه السنة، وأجلى من بقي من العجمان إلى نجران، واشتهرت هذه بواقعة الطبعة، وأقام عبدالله هناك مدة أيام يقسم الغنائم، وأرسل الرسل للبشارة إلى أبيه وإلى بلدان المسلمين.

ولما وصل خبرها إلى الزبير والبصرة حصل لهم بذلك الفرح والسرور، واستبشروا بما حصل على أعدائهم من القتل والذل والثبور، لأنهم كانوا على خوف منهم بعد أن وقع بينهم من القتال في أول السنة، وأرسل باشا البصرة بهدية سنية إلى عبدالله وهو في منزله ذلك مع النقيب عبدالرحمن، وأرسل سليمان الزهري إلى عبدالله بن الإمام، هدية جليلة مع محمد السميط.

ثم إن ابن الإمام قفل بعد ذلك بمن معه من المسلمين راجعاً إلى نجد، ولما أن وصل إلى الدهناء بلغه أن سحلي بن سقيان ومن تبعه من بني عبدالله من مطير على المنسف بالقرب من بلد الزلفي فعدى عليهم وأخذهم وقتل منهم عدة رجال منهم حمدي بن سقيان أخو سحلي، قتله محمد بن فيصل ثم توجه عبدالله إلى القصيم ونزل روضة الربيعية.

ولما بلغ الخبر إلى أمير بريدة عبدالعزيز المحمد بن عليان، ركب خيله وركابه هو وأولاده حجيلان وتركي وعلي ومعهم عشرون رجلاً من عشيرتهم وخدمهم وهربوا من بريدة إلى عنيزة ثم خرجوا منها متوجهين إلى مكة.

ذكر قتل الأمير عبدالعزيز المحمد سنة ١٢٧٧هـ

وكيفيته وما جرى عليه، قد قدمنا أنه لم يف للإمام فيصل بعهوده من قبل الذين قتلوا بن عدوان، وقد تقدم منه عثرات كثيرة سامحه الله تعالى.

فنقول لما قدم عبدالله بن فيصل إلى روضة الربيعية وفر عبدالعزيز المذكور لعظم الوحشة بينه وبين عبدالله بلغ ابن الإمام فراره، وكان في الروضة من يعين و يساعد على قتله لما هنالك من الضغائن فحسن بعض أعدائه قتله، فأرسل عبدالله ابن فيصل سرية في طلبهم وجعل عليها أخاه محمداً فاتبع ساقته وأدركهم في أرض الشقيقة فلما رأى عبدالعزيز الطلب وقف وقال على ما يقتلني ابن سعود وما بيني وبينه دم فلا والله لا يصلون إلينا فأنذره خازنه سليمان بن حمد الصقعبي قائلاً له: خذ حذرك فالقوم قد وصلوك فلما غابت الشمس من أحد أيام شوال أدركوهم وقتل الأمير عبدالعزيز وأولاده حجيلان وتركي وعلي وقتل معهم سبعة رجال منهم عثمان الحميضي من عشيرة عبدالعزيز العليان، والعبد جابس بن سرور وأخوه عثمان ابن سرور، وتركوا بقيتهم، وكان من الناجين سليمان الصقعبي لما أن رأى الطمع في الرقاب شق أسفل خرجه الذي فيه النقود فجعلت تساقط على الأرض فاشتغل بها القوم وفر تحت ظلام الليل إلى مكة.

ثم أن عبدالله رحل من روضة الربيعية ونزل في بلد بريدة فأقام فيها مدة أيام وكتب إلى أبيه يخبره بمقتل عبدالعزيز المحمد وأولاده ويطلب منه أن يجعل في بريدة أميراً، فأرسل الإمام فيصل رحمه الله عبدالرحمن بن إبراهيم إلى بلد بريدة واستعمله أميراً فيها ثم هدم عبدالله بيوت عبدالعزيز المحمد وبيوت أولاده، وقدم عليه في بريدة طلال بن عبدالله بن رشيد بغزوا أهل الجبل من البادية والحاضرة.

ولما فرغ من هدم تلك البيوت ارتحل من بريدة بمن معه من جنود المسلمين وعدا على ابن عقيل ومن معه من الدعاجين والعصمة والنفعة من عتيبة وهم على الدوادمي فصبحهم وأخذهم، ثم قفل راجعاً إلى الرياض مؤيداً منصوراً وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، وكان عبدالله بن عبدالعزيز المحمد قد غزا مع ابن الإمام عبدالله في هذه الغزوة لأنه كان مقيماً في الرياض فلما قرب من الرياض شرد من الغزو فالتمسوه فوجدوه قد اختفى في غار هناك فأمسكوه وأرسلوه إلى القطيف وحبسوه فيه فمات في حبسه ذلك.

وهذه ترجمة الأمير عبدالعزيز المحمد

هو الأمير عبدالعزيز محمد بن عبدالله بن حسن آل أبي عليان أمير بريدة بل على سائر القصيم في زمن تركي بن عبدالله، وكان معظماً عند أهل بريدة، وإذا احتاج مالاً جمعوا له، ويلقب بدمعان، ولقد جاد عليه الأمير تركي وابنه فيصل مع ما يجري منه من المخالفات كما في واقعة اليتيمة التي عادت على أهل القصيم بالهزيمة وكان هو أسبابها فقد ذهل الوالد منهم ولده وفتك بهم بن الإمام فيصل فتكاً عظيماً بمن معه من أهل الرياض، ولولا أن عبدالله أدركته الرحمة بهم لكان غير ما وقع، وقد خرجت النساء حاسرات يستغثن برب الأرض والسماوات ويستخلفنه لشدة الهول وحدث ضجة عظيمة في سائر القصيم عموماً، وفي بريدة خصوصاً.

ولما وصل عبدالعزيز إلى عنيزة هارباً بأصحابه أمرهم يغنون ويلعبون وشجعهم للحرب والقتال، وأين هذا منهم في ذلك المجال، والرعب في قلوبهم أمثال الجبال، فانخذل عنه الناس ولم يرفعوا لتشجيعه رأساً، ثم كتب إلى أخيه عبدالمحسن كتاباً يقول فيه أن سعد التويجري وعلي بن ناصر وأناساً ساعدوهم دخلوا إلى البلاد وتخلفوا عنا في الهزيمة فألزمهم يأتون إلينا.

فكتب إليه عبدالمحسن يقول: إني إذا نصحتك أو خالفتك في شيء قلت لي أنت مجنون وإن هؤلاء الذين عددتهم كلهم في المعركة صرعى وهربت ونجوت بنفسك وتركتهم، فحقك عليهم بالأمس مضى، والآن قد نفذ فيهم حكم القضاء، وحقهم عليك أن تدفن أجسادهم وتعزي أولادهم فلما رأى العقوبة اختلف عليه رأيه وتدبيره وكثر الناس يشيرون عليه وبعضهم يعذلونه فتارة يقول دعونا على من كان بالعوشزيات نسير إليهم، وتارة يشير بغير ذلك فلم ينفذ لهم أمل، ولم يساعدهم القدر، فكان لا يرى ما يهتدي به ولا يدري إلى أين يذهب، ولا كيف يصنع، فأتى إليه الشيخ الإمام العالم العلامة عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين قاضي القصيم، وقال له يا هذا اتق الله واربأ بنفسك فإن البلد ليست هي لك ولا بيدك

وأمرها بيد أهلها، وليس لك فيها أمر ولا نهي وهم يريدون أن يصلحوا أنفسهم مع الإمام فإن أردت أن تكون كذلك فافعل، فلما رأى انحلال الأمر من يده هرب من عنيزة وقصد بريدة وهربت عنه جنوده وكل مؤازر ومعين.

ثم أن رؤساء أهل عنيزة جاءوا إلى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين وقالوا له إن هذه الأمور التي منا وقعت والحوادث التي قد صدرت لا يصلحها إلا أنت ولا يزيل غضب الإمام ورؤساء المسلمين إلا أنت فقال لهم إنكم تعلمون أني لست من أهل بلدكم ولا عشيرتكم ولا يحسن مني الدخول في هذا الشأن، الذي ركض فيه الشيطان فاعفوني ودعوني وأرسلوا في هذا الأمر غيري فقالوا له إن هذا الأمر قد تعين عليك فعند ذلك قال إني أخشى من إخلاف وعد، أو نكث عهد، أو شيء من الأمور التي يختلف فيها فيجد الإمام في نفسه علي، وأكون مسبة لأهل الإسلام فلما قرروا له ذلك، ركب الشيخ رحمه الله إلى الإمام فيصل في بلد المذنب فأكرمه الإمام، ووقره واحتشمه، ولما سعى بالصلح صفح عن كل صاحب جرم وخطيئة وعفا عفواً عاماً وأعطاهم الأمان، وكم له من منقبه عليا.

ثم أن الإمام فيصلاً أرسل إلى عبدالعزيز المحمد يدعوه إلى السلم أو الحرب فأراد الهرب من بلده فأشار عليه إخوته وأولاده ورؤساء قومه ألا يهرب وقالوا له إن هذا الإمام حليم كريم وعادته العفو والصفح فاجلس في بلدك، ودعنا نركب إليه لعله أن يعفو عنك ويسمح ويصفح، فركبوا إلى الإمام وقالوا له لما جثوا بين يديه أن هذا الرجل قد أسلم، واستسلم ووجهه من الفشل قد تغير وأظلم، وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، ومقته أهله وأقاربه، ونحن حاولناه على القدوم إليك، والجلوس بين يديك، فأجاب بأنه ليس لي وجه يشاهد إمام المسلمين بعد نقض البيعة وتجنيدي عليهم الجنود ورفع الرايات على الإمام والمسلمين، وإنه يقول إما أن تصلحوا حالي معكم وإلا تركت لكم بلدكم، وقد جئنا إليك فيه متوجهين وفي جناياته شافعين، وأنت أهل أن تدمح زلته، وترحم انكساره وذلته، ومن عاداتك العفو والإحسان لأنك قد عفوت عن الجليل والحقير، وهذا من خُلُقك ووجبلتك، فلا يكون هو المحروم من بين رعيتك.

فقال وفقه الله هذا رجل جرمه كبير ولا بد من قدومه إلينا وأخذ ما بيده من الحلقة والسلاح، فلم يزالوا إليه يشتفعون، وإلى بابه يترددون حتى سمح له أن يسكن البلد فقاموا وضمنوا للإمام على عبدالعزيز جميع المخالفات، وبذلوا للإمام السلاح والخيل العتاق، وقاموا بالعهد والميثاق فسمح له أن يسكن، وقبل شفاعة إخوته وأولاده، وجعله أمير في بلدة بريدة، وكان عبدالعزيز ليس له قوة ولا شهرة بل كان من أوسط عشيرته، ولكن والد فيصل اختاره واستعمله أميراً في بريدة وكف عنه عشيرته آل أبي عليان فإنهم من أقوى العشائر، ولهم فتك وطوارئ وصولة من بعضهم على بعض في القتل والقطيعة.

وجعل الإمام تركي يحوطه من أمامه وخلفه خوفاً عليه من أعداءه، حتى هابه بنوا الأعمام والعشيرة وارتفع صيته في هذه الجزيرة، أفيحسن فيمن كان هذا فضلهما، واحسانهما المعاملة بالمنابذة والعصيان.

وبعد هذا العفو والإحسان الذي جرى من فيصل، فإن عبدالعزيز لم يأمن منه بل لما أقبل الإمام فيصل قافلاً من مغزاه في سنة ١٢٦٦ ونزل أبا داود الموضع المعروف شمالي القصيم دخل عبدالعزيز الخوف والوجل لما تقدم منه من النقض للعهد وحرب المسلمين فأمر أهل بلده بالمغزا، وتجهز معهم فلما خرجوا قاصدين الإمام صرف ركابه وخيله وقصد الشريف محمد بن عون في مكة هو وأولاده وترك نساؤه فلما علم بذلك الإمام فيصل ترحل بالمسلمين ونزل بريدة ودعى إخوة عبدالعزيز وقال إن أخاكم هرب من البلد بلا سبب أتاه منا والآن ليس في ذمة الإسلام والمسلمين منه شيء، فخافوا على أمواله، وتلطفوا بالقول للإمام وقالوا عادتك الصفح والإحسان عمن أساء، وقد جرت عادة الله لك فيمن أحسنت إليه وكفر إحسانك أنه لابد أن يكون في قبضتك، فترك الإمام لهم جميع أمواله واستعمل في بريدة أخاه عبدالمحسن بن محمد أميراً عليها.

ولما وصل عبدالعزيز إلى الشريف أهدى إليه ما كان معه من خيل وسلاح

فوعده ومناه حتى استحصل الهدايا فجفاه وأقام عنده مدة أشهر يتودد إليه فقال الشريف، إن هذه الجنود التي عندنا لا تسير إلا بدراهم؛ ولا يمشي الرجل إلا بعطاه قبل ممشاه.

وكان عبدالله بن الإمام قد وصل في مغزاه إلى مران فداخل أهل الحجاز الرعب وانعكس أمر عبدالعزيز وعلم أن أمره آل إلى تباب فرجع بعد الفزعة إلى النزعة، وطلب من الشريف أن يشفع له عند فيصل ليرجع إلى بلده ويجتمع بأهله وولده وصارت الرسل تتردد إلى فيصل وهو إذ ذاك في قطر، ويشفع لعبدالعزيز أن يرده أميراً في بلاده ولا عليه بأس، ولا له أمر ولا نهي على أحد من الناس فسمح له فيصل بذلك وأذن له أن يركب مع جلوي غازياً إلى قطر فرحل جلوي غازياً بأهل القصيم معه عبدالعزيز، ولما قدم على فيصل في العراق عاتبه على ما مضى منه فما أجاب إلا بالاعتراف، وطلب العفو والمسامحة فعفا عنه وسامحه، وأقام معه حتى قفل واستعمله أميراً في بلده.

أضف إلى ذلك ما جرى منه في واقعة سنة ١٢٥٧هـ وما أدراك ما هي إنها واقعة بقعا مشؤمة على أهل القصيم، وذلك بأنها أغارت عنزة من أتباع القصيم على فريق من شمر أتباع بن رشيد فأخذتهم فخرج بن رشيد وأغار على عنزة فأخذهم، فبلغ الخبر الأمير عبدالعزيز المحمد وكان بلوغه في ضحى يوم الجمعة فغضب لذلك ووافق أن الخطيب وهو الشيخ سليمان بن علي بن مقبل يخطب على منبر جامع بريدة فقال في موعظته والناس منصتون للاستماع «الفتنة راقدة لعن الله موقضها» يريد بذلك وعظ المسلمين كجاري العادة، فقام الأمير عبدالعزيز وسل السيف في ذلك المجمع العظيم وجعل يهزه يرفع قدماً ويضع أخرى ويرغي ويزبد، يقول ياأيها الناس لا يخذلكم هذا الخطيب فإنه عبد لا يساوي ربعين، فرجلاي هاتان والله لأطئن بهما ابن الرشيد ولأهدمن قصره في حائل، ثم جند الجنود بعد الصلاة، وخرج وأمير عنيزة على ميعاد، ولما توافوا مع وجعان الرأس من شمَّر أخذوا منهم أموالاً كثيرة من الإبل والغنم والأثاث فقال يحيى بن سليمان

أمير عنيزة دعنا يا عبدالعزيز نرجع على هذا العز والنصر فحلف أن لا يرجع حتى يقاتل ابن رشيد في بلدة حائل.

ولما ساروا زحف عبدالله بن علي بن رشيد إليهم في بقعا وكان ذلك ليثاً كاسراً فجرت الهزيمة على أهل القصيم وكانت شنيعة جداً بعدما ولوا لا يلوى أحد على أحد وبطش بهم ابن رشيد والعياذ بالله بطشاً شديداً فقتل يحيى وفر عبدالعزيز بنفسه وقتل من الأعيان خلق كثير؛ يا عجباً لك يا عبدالعزيز من هذه المخالفات فلا لإمام تخضع، ولا لنا صح تسمع، فلما كان في هذه المرة لم تسلم الجرة وأحاط به أمر رب العالمين وأخذه الله وهو أحكم الحاكمين.

ومما قال الشيخ الأديب العالم العلامة أحمد بن علي بن مشرف تهنئة للإمام المكرم فيصل بن تركي بالنصر في واقعة الطبعة التي دمرت العجمان وتهنئة بهذه الانتصارات في تلك الحوادث:

لك الحمد اللهم يا خير ناصرٍ	لدين الهدى ما لاح نجم لناظر
وما انفلق الإصباح من مطلع الصبا	فجل وجلى حالكات الدياجر
لك الحمد ما هب النسيم من الصبا	وما انهل ودق المعصرات المواطر
على الفتح والنصر العزيز الذي سما	فقرت به منا جميع النواظر
وإظهار دين قد وعدت ظهوره	على الدين طرا في جميع الجزائر
وعدت فأنجزت الوعود ولم تزل	معزاً لأرباب التقى والبصائر
لك الحمد مولانا على نصر حزبنا	على كل باغ في البلاد وفاجر
ومن بعد حمد الله جل ثناؤه	على نعم لم يحصها عد حاصر
نقول لأعداء بنا قد تربصوا	عليكم أديرت سيئآت الدوائر
ألم تنظروا ما أوقع الله ربنا	بعجمانكم أهل الحدود العواثر
بأول هذا العام ثم بعجزه	بأيام شهر الصوم إحدى الفواقر
همو بدلّوا النعماء كفراً وجاهروا	بظلم وعدوان وفعل الكبائر
فكم نعمة نالوا وعز ورفعة	على كل باد في الفلاة وحاضر

إذا وردوا الأحساء يرعون خصبها ... وفي برها نبت الرياض الزواهر
وكم أحسن الوالي إليهم ببذله ... وبالصفح عنهم في السنين الغوابر
وكم نعمة أسدى لهم بعد نعمة ... ولكنه أسدى إلى غير شاكر
ومن يصنع المعروف في غير أهله ... يلاقي كما لاقى مجير أم عامر
لقد بطروا بالمال والعز فاجتروا ... على حرمة الوالي وفعل المناكر
فمدوا يد الآمال للملك واقتفوا ... لكل خبيث ناكث العهد غادر
وأبدوا لأهل الظعن ما في نفوسهم ... من الحقد والبغضا وخبث السرائر
همو حاولوا الأحساء ومن دون نيلها ... زوال الطلا ضربا وقطع الحناجر
فعاجلهم عزم الإمام بفيلق ... رماهم به مثل الليوث الخوادر
وقدم فيهم نجله يخفق اللواء ... عليه وفي يمناه أيمن طائري
فأقبل من نجد بخيل سوابق ... ترى الأكم منها سجدا للحوافر
فوافق في الوفرى جموعاً توافرت ... من البدو أمثال البحار الزواخر
سبيعاً وجيشاً من مطير عرمرما ... ومن آل قحطان جموع الهواجر
ولا تنس جمع الخالدي فإنهم ... قبائل شتى من عقيل بن عامر
فسار بموار من الجيش أظلمت ... له الأفق من نقع هنالك ثائر
فصبح أصحاب المفاسد والخنا ... بسمر القنا والمرهفات البواتر
بكاظمة حيث التقى جيش خالد ... بهرمز نقلا جاءنا بالتواتر
فلما أتى الجهراء ضاقت بجيشه ... وجالت بها الفرسان بين العساكر
فولى العدى الأدبار إذ عاينوا الردى ... بطعن وضرب بالظبا والخناجر
فما اعتصموا إلا بلجة مزبد ... من البحر يعلو موجه غير جازر
فغادرهم في البحر للحوت مطعما ... وقتل لسرحان ونمر وطائر
تفاءلت بالجبران والعز إذ أتى ... بشير لنا عبدالعزيز بن جابر
فواه لها من وقعة عبقرية ... تشيب لرؤياها نواصي الأصاغر
بها يسمر الساري إذ جد في السرى ... ويخطب من يعلو رؤوس المنابر

تفــــوه بمـــــدح للإمـــــام ونجلـــــه ومعشـــره أهـــل التقـــى والمفـــاخر
كفـاه مــن المجــد المؤثــل مــا انتمــى إليـــه مــن العليــا وطيــب العناصــر
فشـــكرا إمـــام المســـلمين لمـــا جـــرى وهـــل تثبـــت النعمـــاء إلا لشـــاكر
فهنيـــت بالعيـــدين بـــالفتح أولا وعيد كمال الصوم إحـدى البشـائر
وشـــكر الأيـــادي بالتواصـــي بـــالتقى بـــترك المنـــاهي وامتثـــال الأوامـــر
صـبرت فنلـت النصـر بالصـبر والمنـى ومـــا انقـــادت الآمـــال إلا لصـــابر
فـدونك مــن أصــداف بحــري لئالئــا إلى نظمهـــا لا يهتـــدي كـــل شـــاعر
وبكـــرا عروســـا أبـــرزت مـــن خبائهـــا شـــبيهة غـــزلان اللـــواء النـــوافر
إلى حسـنها يصـبو ويشـد ذو الحجـى لـــك الخـــير حـــدثني بظبيـــة عـــامر
وأخـــتم نظمـــي بالصـــلاة مســـلما على من إليـه الحكـم عنـد التشـاجر
محمـــــد المختـــــار والآل بعـــــده وأصـــحابه الغـــر الكـــرام الأكـــابر
مـدى الـدهر والأزمـان مـا قـال قائـل لــك الحمــد اللــهم يــا خــير ناصــر

قد قدمنا أن الإمام جعل على إمارة بريدة عبدالرحمن بن إبراهيم، وكان من أهالي أبي الكباش من بلدان العارض من الفضول، فاستقر المذكور أميراً فيها.

وفيها توفى الشيخ الفقيه عبدالرحمن بن حمد الثميري نسبة إلى الثمارى من زعب قاضي بلد المجمعة رحمه الله وعفا عنه، وكان حبراً نبيلاً وعالماً جليلاً، تخرج على الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وشرب من منهله الزلال، فهو أحد تلامذته، وكان رحمه الله قاضياً في سدير للإمام تركي، ثم كان قاضياً في الزلفي للإمام فيصل قدس الله روحه ونوّر ضريحه.

وفيها وفاة الأمير أحمد بن محمد السديري جد جلالة الملك عبدالعزيز من جهة أمه، وهو الأمير الفاضل الهمام الأمجد، وكانت قبيلته من الدواسر.

أما أحمد هذا فكان حسن السيرة وصافي السريرة، له مناقب سامية وهمة عالية، وثق به الأتراك فجعلوه أميراً على الأحساء فقدمها رحمة من الله لهم، وسكن

روعهم واطمأنت إليه قلوبهم، ولو كان الأمير عليها إذ ذاك غيره لوقع في الأحساء خلل كبير؛ فزاره علماء الأحساء وقضاتها وأعيانها، ودعوا له وشكروه وأقر كل موظف على وظيفته جزاه الله خيراً، وأنعم عليه، وبعث رجالاً يخرصون الزرع في الأحساء والقطيف فخرصوها من غير ظلم، ولبث في الأحساء في أمن وأمان حتى خلفه غيره من الأتراك فانعكس الأمر.

ولما قدم على سدير عن أمر خالد بن سعود سنة ١٢٥٤هـ، وكان قد بعثه يريد منهم أموالاً تعزيراً ونكالاً، كانت إمارته في سدير دفعاً من الله عنهم وعن بلدهم، وجعل يرى العسكر ضعفهم ويدافع عنهم بحسن سيرته، ويحرض العسكر على الرفق بهم لما هم فيه من الشدة والقحط، فما أخذوا من كل بلد إلا أربعين ريالاً أو خمسين ريالاً، وما زال يضع عنهم ويدافع ويسترضي حتى وقى الله بسببه ظلم الأتراك، ويكفيك معاملة الله له ولأنجاله، ومن كان مع الله كان الله معه، فانظر كيف كان عاقبة الأمير أحمد وعاقبة أولاده بأن ملكهم الله جل ذكره وجعلهم قادة لأهل الإسلام.

ولما ولاه الإمام فيصل إمارة الأحساء سنة ١٢٦٠هـ كان موضع الثقة والأمانة لما منّ الله عليه به من السمع والطاعة، أضف إلى ذلك رأياً وعقلاً وشجاعةً وسخاء ولين جانب وسماحة مع الناس المسلمين، وشدة وصلابة على أعداء الله من المفسدين.

ولقد كان كثيراً ما يصلح الله على يديه الأمراء وينتظم بأسبابه أمور التوفيق والهدى، ولما رأه فيصل بهذه المثابة أمره أن ينظر في المصالح الخاصة والعامة من إصلاح الثغور ونفي الخبائث والشرور، وجعل يحث الناس على الاجتماع للصلوات في المساجد، وتأديب أهل الكسل من كل مخالف ومعاند، وإن أحمد وأبناءه ليعتبرون من أحسن الناس سيرة وأصفاهم سريرة، وكانوا مع ما هم فيه من الولايات الفاخرة الرفيعة لا يعهد منهم تقلب ولا مكر، ولا يضمرون الحقد والغيظ في الصدر، فلو نظرت إلى أصغرهم لقلت حاز الأدب من بين الأقران، ولو

رأيت بذلهم لقلت لم يدخروا ديناراً ولا درهماً لنوائب الزمان، وكان أنجاله تركي ومحمد وعبدالمحسن:

ـ فأما تركي فجعله الإمام أميراً في الأحساء بعد وفاة أبيه.

ـ وأما محمد فكان أميراً في سدير ومنيخ وما يليه.

ـ وأما عبدالمحسن فكان أميراً في بلدهم الغاط، وكلهم خيار نجباء من رجل طيب، والشبل يشبل أباه، وكان آل سعود يختصونهم بالولايات الكبار، ويقدمونهم على غيرهم في الأمصار، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ولما ولاه فيصل على عمان عنيت به الأمير أحمد، بعثه إليه الشيخ أحمد بن علي بن مشرف بهذه القصيدة يمتدحه بها ويثني عليه بالشهامة والسبق:

تهلل وجه الدين وابتسم الثغر ... وقد لاح من بيض السيوف له النصر
وجلى دياجير الضلالة والردى ... سنا المرهفات البيض فانصدع الفجر
وشمس الأماني بالتهاني لنا بدت ... وبالسعد لاحت فانجلت أنجم زهر
وقد جاءنا ذاك البشير مبشراً ... بفتح عمان حين حل به الدر
همام له قاد الجيوش بفيلق ... إذا جاش بالأبطال يشبه البحر
فأطأهم جمعاً عماناً فأذعنت ... ودان له من أرضها السهل والوعر
وجالت به الخيل السوابق بالقنا ... وسلت سيوف الحق فانهزم الكفر
وطهرها من كل سوء وباطل ... وكانت تبدي بالقبائح والسحر

ثم قال الأديب شاعرنا في آخر القصيدة:

ودونكها منظومة عبقرية ... تناثر من أصداف أبياته الدر
وبكر عروس قد تصدى لزفها ... محب لكم أدنى وسائله الشعر
فعجل قراها فالضرورة أحوجت ... وكاد يكون الفقر لولا الهدى كفر
وأنجز له الوعد الذي وعدته ... فأمنيته والوعد ينجزه الحر
أصلي على المختار ما هبت الصبا ... على الروض مطلولاً فعطره الزهر

ثم دخلت سنة ١٢٧٨هـ

ففيها وقع الاختلاف بين أهل عنيزة وبين الإمام فيصل رحمه الله.

وفيها في ثامن جمادى الأولى نزل على الحجاز سيل عظيم فدخل المسجد الحرام، وكان ذلك قبل صلاة الصبح، فلما أن دخل السيل في المسجد ارتفع الماء حتى بلغ قفل باب الكعبة المشرفة وغطى مقام المالكي، وتعطلت صلاة الجماعة خمسة أوقات، فلم يتمكن من الصلاة في المسجد الحرام ذلك اليوم أحد إلا أناس صلوا صلاة العصر على دكة باب الزيادة، وغرق خلق كثير في الحرم، وغرقت نفوس كثيرة أيضاً خارج الحرم، وأحصيَ الذين ماتوا في السيل من الأنفس البشرية، فكانوا فوق العشرين، وتخربت من هذه السيول أرض الأروقة ومماشي المسجد الحرام، وحاشية المطاف والله على كل شيء قدير، ودخل السيل ف خزانة كتب نفيسة تحتوي على ثلاث آلاف وستمائة وثلاثة وخمسون كتاباً، وهذه الخزانة قبة كانت خلف بئر زمزم في الساحة الحصوة، فغرق كثير من الكتب التي فيها لأن شبابيكها قريبة من الأرض، ويشاهد اثر السيل في بقية كتبها إلى الآن، وهذه مثل السلوك للمقريزي، ونهاية الأرب للنويري ونحوهما، وليست هذه أول مرة تعبث فيها السيول بالكتب الموضوعة في داخل الحرم، فقد تقدم في غابر السنين لها نظائر كثيرة، وأنزل الله غيثاً في الخريف سالت منه بلدة أشيقر وتقطعت بعض أوديتها من شدة السيل، والنخيل إذ ذاك قد كثر الرطب ولم يختلف من ثمر النخل شيء في تلك السنة.

وفيها تم بناء جامع الهفوف الذي بناه الإمام فيصل في الأحساء، وقد أحسن الشيخ الأديب أحمد بن علي بن مشرف، حيث أرّخه في آخر هذه الأبيات التي امتدح فيها الإمام:

يــــامن أشـــــاد جامعـــــاً   لله في الأحســـــاء عمـــــر

بــــه يســـر كــــل مــــن   لله مولانـــــا شــــكر

مــــن بعـــــد أن خربــــه كــــل ظلـــوم قـــد بطـــر

ولـــيس مـــن يعمـــره كمـــن بتخريـــب أمـــر

بشـــراك يـــا عـــامر غـــداً ببيـــت مـــن درر

في جنـــــة عاليـــــة ذات قصـــور وثمـــر

مـــن أجـــل ذا تاريخـــه محـــرر عـــز أغـــر

ولقد امتدح الشاعر الأديب أحمد بن علي إمام المسلمين بقصائد كثيرة، منها قصيدة ميمية بعثها إليه في هذه السنة أطنب في مدحه وعرض فيها بأن عماله ظلموا أهل الأحساء في الخرص، وقد احتوت على فصاحة وبلاغة، وأن الإمام فيصلاً أهل للمديح، ولولا خشية الإطالة لأتينا بها.

رجعنا إلى ذكر عنيزة فتقول: في شعبان وقع الحرب بينهم وبين الإمام فيصل رحمه الله، فأمر الإمام على البوادي أن يشنوا الغارة عليها، فأغار عليها آل عاصم في آخر شعبان وأخذوا أغناماً، وأرسل الإمام سرية مع صالح بن شلهوب إلى بريدة وكتب إلى أمير بريدة آن ذلك عبدالرحمن بن إبراهيم يأمره أن يغير بهم على أطراف عنيزة، فلما كان في شهر رمضان أغاروا على عنيزة وأخذوا إبلاً وأغناماً ففزعوا عليه، وحصل بينهم وبينه قتال وتكاثرة الأفزاع من أهل عنيزة، فترك لهم ابن إبراهيم ما أخذ منهم وانقلب راجعاً إلى بريدة.

ولما كان في شوال قدم إلى عنيزة محمد الغانم الذي كان من جملة قاتلي ابن عدوان، وكان قد ولي إمارة بريدة، ثم عزله الإمام كما تقدم، والمذكور من آل أبي عليان، فقدم من المدينة ليستثمر من هذا الاختلاف تشفياً، فشجع أهل عنيزة على الحرب، وزين لهم السطوة على بلد بريدة نسأل الله العافية، فخرج أهالي عنيزة منها في خمس رايات وساروا قاصدين بريدة فدخلوها أخر الليل وأضحوا في وسط البلد وقصد بعضهم بيت مهنا الصالح أبا الخيل، وبعضهم قصد القصر، وفيه الأمير عبدالرحمن بن إبراهيم وعدة رجال من أهل الرياض ومعه صالح بن شلهوب وأصحابه فانتبه بهم أهل البلد ونهضوا إليهم من كل جانب فوضعوا فيهم

السيف وأخرجوهم من البلد، فانهزموا راجعين إلى بلدهم عنيزة، وقتل منهم عدة رجال، وإنما خصصوا في قصدهم لبيت مهنا لأنه قد ساعد وحسن لابن الإمام قتل عبدالعزيز المحمد كما مر قريباً.

ولما بلغ الخبر إلى الإمام فيصل في الرياض أمر على بلدان المسلمين بالجهاد وأرسل سرية إلى بريدة تقوية لجانب أميرها، وأمر السرية بالمقام فيها مع الأمير، ثم غزو الوشم وسدير بالمسير إلىبريدة واستعمل عليهم عبدالله بن عبدالعزيز بن دغيثر أميراً، فساروا إليها واجتمع عند ابن إبراهيم وابن دغيثر خلائق كثيرة، وكثرت الغارات منهم على أهل عنيزة، ثم إنه حصل بين الأميرين وبين أهل عنيزة وقعة في رواق فصارت الهزيمة على ابن إبراهيم ومن معه، وقتل من أتباعه نحو عشرين رجلاً من بينهم الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن دغيثر، وقتل من أهل عنيزة عدة رجال، وبعد هذه الوقعة غضب الإمام على عبدالرحمن بن إبراهيم لأشياء نقلت عنه؛ فدعى به من بريدة إلى الرياض وأمر بقبض جميع ما عنده من المال، وفيها بعث الشيخ أحمد بن علي بن مشرف بقصيدة إلى الإمام فيصل يمتدحه بها ويثني عليه، وهذا نصها:

إذا أنــت أجمعــت المســير لتنجــدا   فــلا تعــد قصــراً في الريــاض مشـيدا
بنــاه إمــام المســلمين ولم يــزل   يؤسس مـا يـبني علـى الـدين والهـدى
ترى حوله الأضياف تلتمس القرى   وقومــاً يريــدون المكــارم والنــدا
فيرجــع كــل نــائلاً مــا يرومــه   من العدل والإحسان والفضل والجـدا
كريمــاً يــرى للمعــتفين إذا أتــوا   ومــن يطلــب المعــروف حقـاً مؤكـدا
تعــود بســط الكــف طبعــاً وإنمــا   لــك امــرئ مــن دهــره مــا تعــودا
تعـيش اليتـامى والضـعاف بنيلـه   ويـروي حـدود المرهفـات مـن العـدا
وهــل يــدرك العليــا إلا مهــذب   أضــاف الإحســان ســيفاً مجــردا
فــأكرم بهــذا مــن إمــام لقــد حــوى   عفافــاً وإقــداماً وحزمــاً وســؤددً
وقــد ســود المختــار عمــراً لجــوده   فحقــاً لهــذا بالنــدا أن يســود

تـراه لفعـل المكرمـات مشـمراً إذ الجـود والإقـدام للنـاس أقعـدا
يخوض لظى الهيجاء فرداً وكفه سحاب ندى يهمي لجينا وعسجدا
يعامل من يرعى برفق ورحمةً ويقمع منهم من طغى وتمردا
إذا اجتاز قوم بالنوال أجازهم فعاش بخير كلما راح أو غدا
هو العارض البراق يخشى ويرتجي وأنشد به إن كنت للشعر منشدا
هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً على الدر واحذره إذا كان مزبدا
فإن قست أهل العصر لم تر مثله رئيساً فسائل من أغار وأنجدا
أعد لمن رام الخلاف سليله أبا النجم عبدالله كالليث مرصدا
فكم غارةً قد شنها بعد غارة أصار بها شمل العدو مبددا
وصيرهم قسمين هذا مجندلاً قتيلاً وهذا في الحديد مصفدا
وإخوانه مثل النجوم زواهر ولا تنس منهم من يسمى محمدا
فأخباره مشهورة حين حاربت قبائل في أرض القصيم تمردا
فأرداهمو بالبيض والسمر إذ أتوا يقودهم للحتف من ليس مرشدا
وقائع أيمي النسا في عنيزة وشيبن فيها كل من أمردا
وشد أخوه العضد منه بجيشه فأطفى به الله الحروب وأخمدا
فروعاً كساها أصلها المجد فانتمت إلى منصب عالٍ أعز وأمجدا
فشكراً إمام المسلمين لخالق حباك بإعزاز ونصر وأسعدا
فأحسن إلى من قد رعيت ولا تطع بهم واشياً مقصوده الغش والردا
يريكم لدى الإقبال نصح مودةٍ وإن عضكم دهر يكن أكبر العدا
فلا ملك إلا بالرجال وإنما يؤلفها بالمال من شأنه الندا
ولا مال إلا بالرعايا إذا نمت وأنصفها الوالي بعدل وأرشدا

الخ ... وهي طويلة.

وقال أيضاً الشيخ العالم أحمد بن علي في هذه السنة قصيدة يمتدح الإمام فيصلا فيها:

للــك الحمــد اللــهم حمــداً مخلــدا ... علــى نعــم لم تحــص عــداً فتنفــدا
فكــم نعمــة أو ليتنــا بعــد نعمــةٍ ... وفــتح بــه قــد صــح مــن كــان أرمــدا
ونســـأله التوفيـــق للشـــكر إنـــه ... يكـــون لنعمـــاء الإلـــه مقيـــدا
علــى أن هــدانا ثــم ألــف بيننــا ... بملــك إمــام واجتمــاع علــى الهــدا
إمامــاً بــه الــرحمن أمــن ســبلنا ... وكف يدي من كـان في الأرض مفسـدا
وقـــوَّم أركـــان الشـــريعة ناصـــراً ... بســمر القنــا والبــيض ســنة أحمــدا
ســخياً جريــاً في الحــروب وحازمــا ... ومــا الملــك إلا بالشــجاعة والنــدا
يســـير أعـــلام الجهـــاد خوافقـــاً ... علــى نجلــه لا زال للــدين منجــدا
أبــو الــنجم عبــدالله ليثــاً أعــده ... أبــوه لمــن أخطــأ الصــواب أو أعتــدى
إذا أفســد الأعــراب في أي مــوطنٍ ... أغـــار علـــيهم بـــالجيوش وأنجـــدا
فراياتــه منصــورةٌ حيــث يممــت ... وطالعــه مــن أنجــم الســعد قــد بــدا
فلما بغت حرب على الناس واعتدوا ... رمــاهم بحــرب مــنهم الشــمل بــددا
وشـــتتهم كمـــا دهـــاهم بفيلـــقٍ ... مــن الخيــل والفرســان كــالبحر مزبــدا
همــو منحــوه الأهــل والمــال إذ رأوا ... لــه صــارماً ممضــي ورمحــاً مســددا
وولـــوا ســـراعاً هـــاربين كـــأنهم ... نعـــام تـــراهم في المفـــاوز شـــردا
فحســبك مــن أيــام نصــر تتابعــت ... علــى يــده ذلــت بهــا ســائر العــدا
وكفت بها الأعراب عن سوء فعلهم ... ودان بهـــا وانقـــاد مـــن قـــد تمـــردا
فكم قد أخافوا السبيل من قبل غزوه ... وكـــم ريـــس مـــنهم أغـــار وأفســـدا
فأضــحوا عــن المــال الــنفس أعفــةً ... ولـــو نظـــروا في الطـــرق دراً وعســـجد
كــذلك شــأن الســيف إن ســل حــده ... يهـــاب ولا يخشـــى إذا كـــان مغمـــدا
فشــكراً إمــام المســلمين لمــا جــرى ... مــن النصــر والإعــزاز لا زلــت مسعدا
ولا زلــت للإســلام كهفــاً ومعقــلاً ... وســـيفاً علـــى هـــام العـــدو مجـــردا
ودونــك نظمــاً مــن أديــب يصــوغه ... إذا قــال شــعراً أصــبح الــدهر منشــدا
إذا شـــاعر أهـــدى لكـــم خرزاتـــه ... بعثنـــا إلـــيكم لؤلـــؤاً وزبرجـــدا

فأحسن إلينا بالقبول وبالرضا ودم سالماً حياً معافاً مؤيدا
وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصطفى ما ناح سدم وغردا
كذا الآل والصحب أنصار دينه وأتباعهم ما أطرب العيش من حدا

ثم دخلت سنة ١٢٧٩هـ

استهلت هذه السنة وأهل عنيزة مقيمون على المخالفات للإمام فيصل، وكان لما قتل عبدالله بن عبدالعزيز بن دغيثر أمير الجيش غضب لقتله فيصل وعزل أمير بريدة، ثم إنه جهز ابنه محمداً يغزو الرياض والجنوب في هذه السنة وأمره بالزحف إلى عنيزة، ويكون طريقه عن بريدة فيأخذ معه من فيها من غزو أهل الوشم وسدير لقتال أهل عنيزة، فزحف محمد بن فيصل ومعه الشيخ حسين بن حمد بن حسين ين الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ عبدالعزيز بن محمد بن علي بن الشيخ محمد ين عبدالوهاب، والشيخ ناصر بن عيد، فلما وصلوا إلى بريدة أمر على من فيها من الجنود من أهل سدير والوشم بالمسير معه، وقدم عليه عيد بن علي بن رشيد وابن أخيه محمد بن عبدالله بن علي بن رشيد بغيرو أهل الجبل، فسار الجميع إلى عنيزة وحصل قتال شديد بين الفريقين فانهزم أهل عنيزة وقتل منهم نحو عشرين رجلاً، ثم إنه نزل محمد بن فيصل بمن معه من الجنود في مقطاع الوادي وشرعوا في قطع نخيله.

ذكر وقعة المطر

لما شرع القائد محمد بن فيصل وجنوده في قطع نخيل الوادي، خرج أهل عنيزة في خامس عشر من جمادى الآخرة عن بكرة أبيهم، فالتحم الفريقان والتقى الجمعان وجرى بينهم قتال شديد يشيب من هوله الوليد، فانهزم لذلك محمد بن فيصل وجنوده، وتتابعت هزيمتهم إلى خيامهم، فأمر الله عز وجل السماء بالمطر وكان غالب سلاح أهل عنيزة البنادق الفتيل، فبطل عملها من شدة المطر، فكر

عليهم محمد وأصحابه، فانهزم أهل عنيزة وقتل منهم أربعمائة مقاتل، وإن عدداً يبلغ ذلك ليضعف العدو ويكسر شوكته، فاحتصر أهل عنيزة في بلدهم، وأقام محمد بن الإمام هناك وأمر على من معه من الجنود بقطع نخيل الوادي فقطعوا غالبها ودوى ذكر هذه الواقعة بواقعة المطر؛ ثم قدم على محمد بن الإمام في منزله ذلك طلال بن عبدالله بن علي بن رشيد في بقية غزو أهل الجبل.

ولما أن جاءت الأنباء إلى الإمام فيصل وأن هذا الجيش لم يسفر عن كبير شأن، بل انهزم محمد؛ ثم كر على أهالي عنيزة وانتصر وقطع النخيل عند ذلك دعى فيصل بمحمد بن أحمد السديري، وأمره أن يتوجه إليه بغزو أهل الأحساء، فقدم محمد بن أحمد إلى الرياض بغزوه، وذلك في شعبان ثم أمر الإمام فيصل على ابنه عبدالله بن فيصل أن يسير بهم وببقية غزو بلدان المسلمين، فخرج عبدالله بن الإمام بمن معه من الجنود ومعهم المدافع والقوس، وأوصاه أبوه بوصية قال فيها: إن طلبوا الصلح فأجبهم إليه وإياك وحربهم، وهذه سجية فطر عليها ذلك الإمام نسأل الله تعالى أن يثيبه عليها الجنة وأكد على ابنة في ذلك.

وكنت أظن أن الله تعالى إنما مكن له ونصره وأعزه وأظفره بأعدائه لما قام به من الرأفة والرحمة والشفقة على الخلق، وإلا فلو تركت هذه الجيوش وشأنها لالتهمت عنيزة التهاماً؛ ولما سار محمد السديري بغزو الأحساء كان معه الشيخ أحمد بن علي بن مشرف فقال هذه القصيدة فيما يتعلق بالمعنى:

خرجنـــا والأمـــير بـــنجم ســـعد	نقـــود الخيـــل بالإبـــل الرســـيم
تـــدوس بنـــا الحصـــا في كـــل فـــج	فتـــورى القـــدح في الليـــل البهـــيم
نهضـــنا للجهـــاد بـــلا تـــوان	ســـوى قـــدر الترحـــل للمقـــيم
لنجمـــع لأمـــة الحـــرب كنـــا	نـــداولها لـــذلك مـــن قـــديم
فســـار الجـــيش مثـــل البحـــر هبـــت	عليـــه العاصـــفات مـــن النســـيم
قبائـــل مـــن عقيـــل قـــد توافقـــت	وقـــوم ينتمـــون إلى تمـــيم
يـــؤم ابـــن الإمـــام بهـــم جميعـــاً	عنيـــزة وهـــي في أرض القصـــيم

نقاتـــل فيـــه أوباشـــا لئامـــا | أطـــاعوا فتنـــة الغـــاوي الـــرجيم
فـــإن فـــاؤوا فـــإن الله يهـــدي | لمـــن شـــاء للصـــراط المســـتقيم
وإلا كـــان قتلـــهم يســـيرا | بحـــول القـــادر الـــرب العظـــيم
لأنهـــم أنـــاس أهـــل جهـــل | ونقـــص في الديانـــة والحلـــوم
بحلـــم إمامنـــا اغـــتروا زمانـــا | ولمـــا يرهبـــوا غضـــب الحلـــيم
إمـــام ماجـــد الأحســـاب ينمـــي | إلى أعلـــى الـــذوائب والصـــميم
إلى العليـــاء يســـمون افتخـــارا | بفعـــل المجـــد للعظـــم الـــرميم
فـــلا زالـــت بـــه الأيـــام غـــرا | يطيـــب عرفهـــا عـــرف النســـيم

ولما توجه عبدالله بن الإمام بهذه الجنود إلى عنيزة، ووصل إلى شقراء أرسل المدافع وأثقاله إلى أخيه محمد، وهو إذ ذاك في وادي عنيزة، ثم عدا عبدالله على عربان عتيبة وهم على الرشاوية فأخذهم وتوجه إلى عنيزة.

فلما نزل عليها حاصرها ونصب عليها المدافع فرماها رمياً هائلاً، ونزل عليه أخوه محمد بمن معه من الجنود، واجتمع هناك جنود عظيمة كقطع الليل المظلم فأحاطوا بالبلد وطوقوه وثارت الحرب وعظم الأمر واشتد الخطب، ودامت الحرب بينهم أياماً، فلما كادت المدينة مستهدفة للسحق والمحق، ورأى ورأوا من أمر الله مالا يطاق، وإنه لا قبل لهم بتلك الجنود، طلبوا الصلح من عبدالله ابن الإمام والنزول على حكمه فما وسعه إلا امتثال أوامر والده فأجابهم إلى ذلك بشرط أن الصلح يكون على يدي أبيه الإمام ومواجهته، فكتبوا بذلك إلى الإمام فأجابهم الإمام إلى ذلك رفقاً بهم وحقناً لدمائهم، وأعطاهم الأمان على أن الأمير عبدالله ابن يحيى بن سليم يقدم عليه في الرياض، فخرج الأمير عبدالله بن يحيى إلى عبدالله بن فيصل واعتذر واعترف بالخطأ والإساءة، فطلب العفو والصفح والمسامحة فقبل معذرته وصلحت حالهم.

وحصل بذلك الأمن والأمان للعباد والبلاد، وأطفأ الله الفتنة، وأزال المحنة،

ورجع عبدالله بن الإمام قافلا ظافراً إلى الرياض، وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، وركب معه عبدالله بن يحيى آل سليم أمير عنزية ويحيى الصالح إلى الرياض ولما أن قدما على الإمام فيصل وجلسا بين يديه طلبا منه العفو والصفح، وعاهداه على السمع والطاعة فعفا عنهما وسامحهما، رحمه الله وعفا عنه ذلك لما قام به من العدل والرأفة بالرعية والشفقة على المسلمين لأنه كان إماماً عادلاً مباركاً ميموناً صفوحاً عن الجاني، وأقاما عنده في الرياض مدة أيام، ثم إنه كساهما وأعطاهما عطاءً جزيلاً وأذن لهما بالرجوع إلى بلدهما.

ولما وقع الصلح بين الإمام وبين أهل عنيزة استعمل الإمام فيصل بن أحمد السديري أميراً على بريدة بل على سائر القصيم، وكان قبل ذلك أميراً على الإحساء كما تقدم، وكان من أفذاذ الرجال رأياً وشجاعةً وكرماً، فقدم على بريدة ومعه عدة رجال من خدمه من أهل الرياض ونزل في قصرها المعروف وصلحت الأمور وانحسمت الشرور.

فقال الشيخ العالم العلامة أحمد بن علي بن مشرف هذه القصيدة لما فتح الله عنيزة على يد ابن الإمام عبدالله ابن فيصل سنة ١٢٧٩هـ:

سبحان من عقد الأمور وحلها ... وأعز شرعة أحمد وأجلها
وقضى على فئة عتت عن أمره ... بهوانه فأهانها وأذلها
كفرت بأنعم ربها فأذاقها ... بأس الحروب فلا أقول لعلها
وحمى سياسة ملكنا بمهذب ... وآل إذا ربت الحوادث فلها
بالعزم والرأي السديد وإنما ... فيه الأناءة ذو الجلال أحلها
يدعو مخالفه إلى نهج الهدى ... فإذا أبى شهر السيوف وسلها
فسقى وروى أرضهم بدمائهم ... قتلاً وأنهلها بذاك وعلها
في كل ملحمة تعيش نسورها ... منها وترتاد السباع محلها
رجفت عنيزة هيبةً من جيشه ... لما غشى حيطانها وأظلها
فعصت غواة أوردوها للردى ... وأمير سوءٍ قادها فأضلها

واختارت السلم الذي حقن الدما ... إذ وافقت من للهداية دلها
فتح به نصر المهيمن حزبه ... وأزاح أوغار الصدور وخلها
فانظر إلى صنع المليك بلطفه ... وبعطفه كشف الشدائد كلها
لا تيأسن إذا الكروب ترادفت ... فلعلها ولعلها ولعلها
واصبر فإن الصبر يبلغك المنى ... حتى ترى قهر العدو أقلها
والزم تقى الله العظيم ففي التقى ... عز النفوس فلا يجامع ذلها
وإذا ذكرت بمدحة ذا شمية ... فأمامنا ممن تفيأ ظلها
أعني أخا المجد الموثل فيصلاً ... نفس تتوق على حماه ثولها
كفاه في بذل الندى كسحابة ... جادت بوابلها فسابق ظلها
ما زال يسمو للعلي حتى حوى ... دق المكارم في الفخار وجلها
بشرى المدائح بالنفائس رغبةً ... حتى بمفتاح اللهى فتح اللهبا
فإذا أناخ مصابراً لقبيلةٍ ... في الحرب أسامها الوغى وأملها
ساس الرعية حين قام بعدله ... ويبذله غمر النوال مقلها
مني إليك فريدةً هجرية ... حسناء يهوى كل صب دلها
طوت المفاوز نحو قصرك لم تهب ... لصا ولا ذيب الفلاة وصلها
فأجز وعجل بالقرا فلم تزل ... تقرى الضيوف بها وتحمل كلها
لا زلت بالنصر العزيز مؤيداً ... تدعى الأعز ومن قلاك أذلها
والله أحمده على نعمائه ... رب البرية ذا الجلال وإن لها
ثم الصلاة على النبي محمدٍ ... ما باشر الأرض السماء فبلها
وآل والأصحاب ما نسخ الضيا ... من شمسنا وقت الظهيرة ظلها

وفيها ظهر الجراد في نجد، وكان قد انقطع عنه نحو من سبع عشرة سنة وكان في انقطاعه يخشى انحلال نظام العالم كما جاء في بعض الأحاديث.

وفيها أيضاً أمر السلطان العثماني عبدالعزيز خان بترميم المسجد الحرام بعدما تخربت أرض أروقته ومماشيه من السيل الذي وقع في السنة التي قبلها، وجعل أمر

الترميم موكولاً إلى الشريف عبدالله بن أمير مكة محمد بن عون، وإلى شيخ الحرم أحمد عزت باشا، فشرعوا في ٢٨ ثامن وعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة، وأخرجوا جميع الطبطاب القديم من حاشية المطاف والمماشي والأروقة، وجددوه بأتقن مما كان سابقاً، وكان تمام العمل في غاية ذي الحجة سنة ١٢٧٩هـ.

وفيها توفى والي مصر سعيد باشا بن عم محمد علي والي مصر المشهور، فأقيم بعده إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا بن محمد علي.

ثم دخلت سنة ١٢٨٠هـ

في هذه السنة قدم على الإمام فيصل رحمه الله وفد أهل الأحساء وطلبوا منه أن يرد عليهم أميرهم محمد بن أحمد السديري، وكان قد نقله منهم الإمام إلى بريدة وجعله أميراً على مقاطعة القصيم كما أسلفنا لأنه لا يسد مقاطعة القصيم وغيره.

ولما أن قدم عليه رؤساء أهل الأحساء يطلبونه منه لم يرى بداً من أن يجيبهم إلى ذلك لا سيما وقد كان في الوفد فضيلة الشيخ أحمد بن علي بن مشرف قد استعانوا به على نجاح هذه المهمة، فكتب الإمام إلى محمد السديري وأمره بالقدوم عليه في الرياض، ولما أن قدم أمره أن يتجهز إلى الأحساء وجعل مكانه في إمارة بريدة سليمان الرشيد من آل أبي عليان.

ووافق أن توفى هذه السنة صالح بن راشد وكيل بيت مال الأحساء للإمام فيصل، ولما بلغ الإمام وفاته جعل مكانه على بيت مال الأحساء فهد بن علي بن مغيصيب.

ثم إن الإمام كسا وفد أهل الأحساء وأعطاهم عطاءً جزيلاً، فتوجهوا إليها وسار معهم الأمير محمد بن أحمد وفهد بن علي بن مغيصيب بعد ما أذن لهم الإمام.

فقال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف هذه القصيدة يمتدح فيها الإمام فيصل ويذكر شيئاً من مآثره ومناقبة:

لقــد لاح سـعد الـنيرات الطوالـع وغابـت نحـوس مـن جميـع المطـالع
غــداة أنخنــا بالريــاض ركابنــا ببــاب إمــام تــابع للشــرائع
حــريص علــى إحيــاء سـنة أحمــد وإخمــاد نــيران الهــوى والبــدائع
يقـيم اعوجـاج الأمـر بـالبيض والقنـا ويحكــم بــالوحيين عنــد التنــازع
ويحيــي دروســاً للعلــوم بدرســها وتقريـب ذي علـم قريـب وشاسـع
تقــي نقــي قانــت متواضــع مــا الفخــر إلا بــالتقى والتواضــع
ومــا زال للــدين الحنيفــي ناصــراً بتــدمير أوثــان وتعمــير جــامع
يعامــل قومــاً بالأنــاة فــإن تفــد وإلا أفــادتهم حــدود اللوامــع
وإن تســألن عــن جــوده وســخائه فكفــاه مثــل المعصــرات الهوامــع
فـإن كنـت عـن عليـاه يومـاً محـدثاً فحـدث وقـرط بالحـديث مسـامعي
هـو المنهـل الطـامي يبـل بـه الصدى فــرده ودع آل البقــاع البلاقــع
بــه أمــن الله الــبلاد فأصــبحت لنـا حرمـاً في الأمـن مـن كـل رائـع
بمدحتــه فــاه الزمــان وأهلــه فحسـبك مـن صـيت لـه فيـه شـائع
يربــي يتــامى المســلمين كأنــه لهــم والــدٌ بــر بهــم غــير دافــع
وكــم بــائسٍ عــارٍ كســاه برفــده وكم أشـبعت يمنـاه مـن بطـن جـائع
قصــدناه مــن هجــر نؤمــل رفــده فجــاد علينــا بــالمنى والمنــافع
أعــذناه بــالرحمن مــن كيــد كائــد ومــن شــر شــيطان وخــب مخــادع
ونســتودع الله المهــيمن ذاتــه وربــى كــريم حــافظ للودائــع
وصــل إلــه العــالمين علــى الــذي أتانــا بنــور مــن هــدى الله سـاطع
محمــد المبعــوث للنــاس رحمــةً بــأقوم ديــن ناســخ للشــرائع
كذا الآل والأصحاب ما هبـت الصبـا وما أطرب الأسماع صـوت لسـاجع

وفي هذه السنة تكسر بعض طوق الحجر الأسود الذهبي الذي ركبه السلطان عبدالمجيد وقد تقدم التعريف له، وسرق ما تكسر منه فلم يعلم من أخذه، ثم إنه حشي مكانه زنك أسود.

ولما كان يوم الأربعاء الموافق لعاشر ذي القعدة، أمر السلطان عبدالعزيز خان بتجديد سقف المقامات لأنها خربت حتى تكسر بعض خشب مقام الحنفي، فبدأوا بتصليحه مقدماً على بقيتها، ثم بمقام الحنبلي، ثم مقام المالكي، ثم مقام إبراهيم وزادوا في ارتفاع قبته.

وكان أول من وضع هذه المقامات بعض ملوك الجراكسة وإلا فما كان لها أصل من كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ، عدى مقام إبراهيم فإنه صخرة فيها آثار قدميه لما كان يبني الكعبة، ولا تزال آثار قدميه إلى اليوم هذا تشاهد، غير أن أهل الجاهلية جعلت تمسح هذه الصخرة حتى ذهبت آثار الأصابع ثم جعل عليها حجرة ورفع سقفها، أما هذه المقامات المبتدعة المشار إليها فهي أربعة مقام الحنبلي وهو الواقع في الجهة الجنوبية مقابل لما بين الركن اليماني والحجر الأسود، ومقام الشافعي، وهو مرادف لمقام إبراهيم من جهة الشرق مما يلي بابه، ومقام الحنفي وهو واقع في الجهة الشمالية حذاء الميزاب والحطيم، وقد فاق على بقيتها في الكبر والحسن وجعل له سطح ودرج، ويصلي فيه عدد من المأمومين وفيه مصاحف وهو موضع المنبه في الوقت الحاضر.

أما مقام المالكي فيقع في الجهة الغربية وهو على صفة وضع مقام الحنبلي، وكلها على ضفة حاشية المطاف.

وفيها أعني هذه السنة توفى تركي بن حميد من شيوخ عتيبة.

وفيها حصل اختلاف بين أهل بريدة وبين أميرهم سليمان الرشيد أبو عليان، وكثرت الشكايات على الإمام ضده، فعزله الإمام فيصل وجعل مكانه أميراً على بريدة مهنا الصالح أباالخيل، وكان هذا هو أباالخيل المشهور، ومهنا كان تاجراً كبير القدر رفيع الذكر، وقد أشار عليه بعض أحبابه أن لا يتولى الإمارة ويكفيه سمو مقامه وعلو قدره، ويكون يعيش في نعمته، فما أصغى لناصح، وإنما أشير عليه بتركها خوفاً عليه من القتل، فإن آل أبي عليان لا يتركون الإمارة لغيرهم ففي هذه السنة كانت إمارته في بريدة.

ثم دخلت سنة ١٢٨١هـ

في هذه السنة أرسل السلطان عبدالعزيز خان طوقاً من فضه للحجر الأسود، وذلك بأنه لما انكسر الطوق الأول وحشي مكانه زنك أسود بعث السلطان العثماني بدله في هذه السنة فوصل إلى مكة في ١٤ من رمضان وابتدئ في تركيبه من الغد بعد قلع الطوق الأول الذي أرسله عبدالمجيد، وكان أمير مكة حينئذ الشريف عبدالله بن محمد بن عون وشيخ الحرم إذ ذاك اسمه وجيهي باشا.

وفيها سار عبدالله بن الإمام بجنود المسلمين فتوجه إلى الأحساء وكانت بادية نعيم وأخلاط من آل مرة وغيرهم قد أكثروا الغارات في أطراف الأحساء، فعدا عليهم وصبحهم وهم على حلبون، فأخذهم وقتل منهم عدة رجال منهم جبر بن حام شيخ نعيم؛ وابنه محمد بن جبر، وأقام ابن الإمام على حلبون أياماً، ثم عدا على آل مرة ومن معهم من المناصير فأخذهم، واتفق أنه في مغزاه ذلك صادف ركباً من العجمان فأخذهم وقتلهم ثم توجه راجعاً ونزل على النجيبة فقسم الغنائم، ثم قفل منها إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيها أنشأ الشيخ الإمام أحمد بن علي بن مشرف قصيدة في ذكر مآثر الإمام فيصل بن تركي، ويتبادر إلى الفكر أنها آخر قصائده التي قالها في حياته:

علـى الـوالي المهـذب خـير وال ... إمـام المسـلمين أخـي المعـالي
سـلام فـاق عـرف المسـك نفحـاً ... بـنظم مثـل منظـوم اللآلـي
تضـمن مدحـه بخصـال مجـد ... حواهـا وهـي مـن خـير الخصـال
عفـاف ثـم اقـدام وحـزم ... وجـود بالمكـارم والنـوالي

ثم امتدحه بالنداء والبشاشة والشجاعة إلى أن قال:

فـإن تطلـب لـه في العصـر مـثلاً ... فقـد حاولـت إدراك المحـال
تتبعنـا ذخـائره جميعًـا ... فلـم نبصـر لـه مـن كنـز مـال

ولكــــن كنـــزه التقـــوى وظـــن		جميـــل في المهـــيمن ذي الجـــلال
وبـــط الأعرجيـــات العـــوادي		وجمـع البـيض والسـمر العـوال
وتقليـــد الرجـــال بكـــل طـــوق		مـــن المعـــروف ذي قـــدر وبـــال
بطلعتــه الزمــان زهــا افتخــاراً		ولم تكـــتم أياديـــه الليـــالي
سيشـــكر فضـــله مـــن كـــان حـــراً		ولكـــن أيـــن أحـــرار الرجـــال
فأهــل العصــر مثــل الطــير طبعــاً		بخفتهـــا وأحـــلام الســـعال
فـــإن جربـــت أكثـــرهم تجـــدهم		علـــى صـــنفين ختـــال وقـــال
علامـــات النفـــاق بهـــم تراهـــا		ثـــلاث هـــن مـــن شـــر الخـــلال
خيـــانتهم وإخـــلاف لوعـــد		وكثـــرة كـــذبهم عنـــد المقـــال
فسـل علـى البـوادي سـيف عـزم		وقائلـــهم علـــى منـــع العقـــال
وأدبهـــم إذا انتبهـــوا وعـــاثوا		بحـــد المرهفـــات وبالنكـــال
وأنـى مـن سـيوفك لسـت انبـوا		أنـــا فـــح مـــن قـــلاك ولا أبـــالي
واســنج في عــلاك بــرود مــدح		وأدراعـــا تقـــي وقـــع النصـــال
فـــإن فقـــت الملـــوك وأنـــت مـــنهم		فـــإن المســـك بعـــض دم الغـــزال
ودونـك مـن بنـات الفكـر بكـراً		حكـــت حســـن الغزالـــة والهـــلال
إليـك أتـت مـن الأحسـاء تطـوي		لهـــا البيـــد بحـــل وارتحـــال

وفيها توفى الشيخ إبراهيم بن حمد بن عيسى رحمه الله تعالى وعفى عنه، وكانت وفاته في آخر ليلة عرفه من هذه السنة، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الفقيه الفاضل إبراهيم بن حمد بن حمد بن عبدالله بن عيسى قاضي بلدان الوشم في شقراء ، ولاه الإمام فيصل بن تركي رحمه الله القضاء في بلد شقراء وجميع بلدان الوشم، فباشره بعفة وديانة وصيانة وتثبت وتأن في الأحكام وكتب كثيرًا من الكتب الجليلة بخطه المتوسط في الحسن الفائق في الضبط، وحصل كتبًا كثيرة نفيسة في كل فن على كل كتاب منها تهميش وتصحيح وجلب فوائد وتنبيهات، وأجاب على مسائل عديدة في الفقه بجوابات حسنة سديدة،

أخذ العلم عن الشيخ أبي بطين وأخذ عن الشيخ الإمام القدوة عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ عن الشيخ العالم العلامة والقدوة الفهامة عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين وناهيك بهؤلاء جلالة وعلمًا ومعرفة وما زال على قضاء شقراء حتى توفاه الله في هذه السنة.

وفيها توفى الشيخ عبدالرحمن بن عبيد إمام جامع بلد جلاجل وكانت وفاته في مكة المشرفة بعد انقضاء الحج رحمه الله وعفا عنه.

ثم دخلت سنة ١٢٨٢

استهلت هذه السنة والكلمة مجتمعة والرعية مستقيمة وقد أمن الله العباد والبلاد بالإمام فيصل بن تركي فكان على إمارة جبل شمر الأمير طلال بن عبدالله ابن رشيد، وكانت الإمارة في الجبل وراثية لهم بفضل من الإمام كما سيأتي، وكان على إمارة بريدة مهنا الصالح، وعلى عنيزة عبدالله بن يحيى آل سليم، وعلى إمارة الأحساء محمد بن أحمد السديري، وهكذا سائر البلدان.

ذكر نكت تتعلق في ذلك الزمان

لقد كان مما يجمل ذكره ويتعين علينا رقمه هو أن نذكر حالة أهل ذلك الزمان وسجاياهم وما هم عليه من العادات فنقول: كانت معاملتهم حسنة ويحنو بعضهم على بعض لأن غالبهم كانت طاهرة قلوبهم وألين مما كانت القلب عليه الآن والدنيا لم تبسط عليهم كما بسطت على من بعدهم فكان الإنسان يعطي وإن كان من قلة ويبذلون أموالهم في الأوقاف على الفقراء والمساكين وطلاب العلم والأئمة والمؤذنين، فإنك لا تكاد تجد نخلاً من النخيل إلا وفيه تمر معلوم للصوام أو مؤذن المسجد أو إمامه أو مصباح المسجد ويتسابقون في الخيرات كما أن غلات الأراضي تكثر فيها الأوقاف ويعمرون المساجد ويؤون الضعيف ويرحمون ذا الفاقة هذا وما كانوا يعرفون طيارة ولا سيارة بل لم يتمكنوا من تسييرها ولم يتوصلوا إلى هذه الكهرباء.

أما جعل مراكب برية كهذه المصنوعات فقد أوجدوها غير أنهم لم يستطيعوا

تسييرها إلا ببغال أو جمال أو حمير تجرها وغالب سلاحهم إنما هي أم فتيل أو مدافع تجر ويجعل فيها البارود والقبس وسيوف ورماح ونحوها.

أما المصابيح إذ ذاك فكان مادتها الودك يلقي فيها فتائل وتوقد أو شمعه ونحوها، لذلك كانوا إذا أغار بعضهم على بعض وطلبوا المغير عليهم ليلاً لسيتردوا ما أخذ يربطون قدراً بين بعيرين، ويوقد في هذا القدر نار من حطب ليقصوا الآثار ويسمونه مشعل الشيخ أي الرئيس وما نشأت إذ ذاك هذه الأهوال والمهمات، وما كانوا يعرفون الكهرباء أو اللوكس أو شيئاً من البترول، ولم تظهر هذه المطابع التي هيأت توفير الكتب والمطبوعات والرسائل وغيرها في هذه الأزمنة، وعلى قياس هذا تعرف أنهم في بداوة وغالب الشعراء الذين لم يتعلموا العلم إنما كان شعرهم نبطياً فيه فصاحة وبلاغة، فيري غير موزون كما يشاهد في شعر حميدان والقاضي وابن ربيعة وابن غرفح وابن لعبون، وكانوا يعيبون نسب الحداد وأهل الصناعة كالتجار والعطار والصيرفي، فمتى كان المرء كذلك فهو ساقط النسب عندهم، وكان الرجل إذا أحسن إلى الرجل وأراد مكافأته ينصب على بيته راية بيضاء، وينادي عليها فلان بيض الله وجهه:

رفعت له بيضاء على رأس شاهق ... أعلل ربعي بالثنا من خصاله
له ترفع البيضا ويحدى بذكره ... فتى تنجلي أكدارها من فعاله
تسلسل حراً بين قوم أعزةٍ ... فعم كريم مع جلالة خاله

وكانوا يعتنون في الفلاحة لا سيما النخيل والزرع كالبر والدخن، وقد جعل الله فيها بركة أعظم منها اليوم.

وقد حدثنا والدنا السعيد قدس الله روحه أنهم أنكروا الساعة لما حدثت حتى أطلق عليها بعضهم أنها صنم.

ولما جاءت لأول مرةٍ إلى القصيم في إمارة حسن بن مهنا يحملها رجل من العقيلات وشى به بعضهم إلى الأمير حسن يقول إن معه صنماً، فلما ألقى الأمير

القبض عليه وفتشه وجد الساعة لا يعرفونها إلا أنها صنم، وذلك لأنه لا يوجد ساعات في نجد إذ ذاك، وكان لأهل نجد عادات وأخبار عجيبة.

ومن أبلغ مشروباتهم القهوة البن فإنهم يتغالون في تقديمها وعملها، ولهم أشعار رائعة في القهوة لأنهم كانوا يرون فيها رجولةً وتقدماً، فهي أعظم ما عندهم من الحشمة يقدمونها على اللحم والألبان وسائر المأكولات ويستنشقون رائحتها إذا حمصت أبلغ من استنشاق العود والبخور والطيب والعطر، ولا سيما إذا صبت كنقاعة الحنا، فإن لهم سمراً بصفتها، ويرون إكرام الضيف وحسن الجوار وتزيج الأكفاء وإن كان المهر قليلاً ولم يفش فيهم الترف والمدنية إنما يخشوشنون في بعض الأحيان تأدباً مع الشريعة، ولكل زمان دولة ورجال.

وبالجملة فإنا إذا نظرنا إلى حالة الزمانين نجد بوناً بعيداً كأن الدنيا التي نعيش فيها ليست كدنياهم مع قرب الزمن ووحدة الدين والله المستعان وعليه التكلان.

ذكر بلاد العرب وإماراتها

كان على مكة أمراء من الأشراف لأن الإمارة فيهم وراثية وبإزاء كل أمير من أمراء مكة يكون والٍ من قبل الدولة العثمانية يكون على النظام والقوة ويحصل بسبب ذلك منافسات ومشاغبات بين الوالي والأمير لأنها لا تستقيم بلدة فيها سلطتان وحدوث هذه الوظيفة جديد وهي تابعة للدولة العثمانية، وكان الحاكم على نجد على العموم فيصل بن تركي بن عبدالله بن سعود وامتدت فتوحاته إلى عمان، وكان على البصرة وبغداد ولاة من قبل الأتراك، كذلك الشام تحت نفوذ العثمانيين، كما أن البحرين تحت حكم آل خليفة والكويت حكامه آل صباح المشهورون.

أما اليمن فإنه يتنازعه العثمانيون بنفوذ ضعيف وأئمة الزيود وكثر النزاع فيها بين الأتراك وبين أئمة الزيدية إلى إبان الحرب العظمى حتى تغلب عليها الإمام يحيى.

فعبارة يقال عن العراق إنه تحت نفوذ الأتراك وحكمهم إلى أن أعلنت الثورة

لأنهم طردوا عنه الفرس، كما أن الشام تحت حكم الأتراك بعد إخراجهم لجيوش محمد على صاحب مصر.

وكانت هذه الأمصار في ذلك الزمان لا يزال غالب أهلها يتمسكون باسم الإسلام، وغالب المساجد تقام فيها الصلوات الخمس ويتقيدون بمشاريع الدين، ولإن كان فيها شرك وضلال فإن فيهم من لا يزال يتعصب، ولم يحدث هذا الانحلال وضعف الديانات وتقرير القوانين إلا بعد ذلك لأن الاختلاط بالدول الأجنبية التي دخلت بلاد العرب كالأنجليز وفرنسا هو الذي صبغ الأمة بصبغة جديدة لأن الأديان وإن كانت بعيدة العهد من الرسل فلا بد أن يوجد من يثبت على رسومها من اليهود والمسيحيين، وما زالت تتضاعف الأديان وتضمحل حتى كانت الأمم الأخرى دهرية كلها إلا من شاء الله وقليل ما هم، وذلك لقلة الداعي وعدم الاعتناء بأمور الديانات وللإكباب على الدنيا واتساع الرقعة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وإذا كان هناك من الإسبانين والإفريقيين، والأوربيين وغيرهم من ينتمي إلى دين الإسلام ويدين بالشريعة المحمدية لأنها لا تخلو الأرض من بقايا فإنهم ضعفاء قليلون بالنسبة إلى غيرهم فتعتبر بلاد العرب مركز الدائرة لدين الإسلام وتختص نجد بالديانة والثبات على الإسلام لقوة الاعتناء وبث الدعاة وتشجيع المتدينين، وما زالت الحكومة السعودية بعد النهضة الأخيرة العزيزية تدأب في قمع الفساد وتنشر الدعاية في مصر والسودان والهند والسند، وتوطد الصلات في العراق والشام واليمن، حتى أصبح الحجاز أحد أقاليم المملكة مطهراً من القباب والتوسلات الشركية، ويعيش أهله في رغد العيش والثبات على الإسلام وحسن التمسك بقواعده العظام.

أن بلاد العرب والحق يقال لها مستقبل زاهر كما يشاهد في بيروت ولبنان وبغداد، وتطورت الحياة وتأثرت بحياة الشعوب ونهضت نهوضاً باهراً وأصبح العرب بعد اللبن والطين في العمارة تلك الأزمان يبنون بالحجر والإسمنت المسلح

والرخام والزينات، ورفعوا البيوت ونجدوها، غير أننا نريد منهم أن يشاطرونا في قوة الدين والتمسك بالإسلام وشعائره لنفوز وننجح جميعاً، وإذا كان لهم تقدم في الحياة فنرجوا أن يكون لهم تقدم في الدين وفقهه لأنه لا عز إلا بالدين ولا منعة إلا بتقاليد الإسلام وشعائره.

وأضرب لذلك مثلاً وإن كان المقام ضيقاً فنقول هذه الدولة العثمانية لا تغيب الشمس عن ممالكها كما بينا ووضحنا في هذه النبذة اليسيرة.

فلما قام داعية الخير وإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أجزل الله له الأجر والثواب لنشر الدين وتجديده في الأرض لأن الله تعالى يبعث من يجدد لهذه الأمة دينها قامت هذه الدولة وضادت دعوته أعظم مضاده وصادمتها أشد مصادمة وبذلت نفسها ونفيسها، وآخر ذلك أعلنت الدستور، فقال بعض الموتورين بابنته لما رسمت نفسها بغياً، وقررت الدولة لها تقريرها والله لا تستقيم دولة بعد القرآن الحكيم يكون شرعها الدستور ودأب في خلاص ابنته حتى أنقذها منهم، وذلك في سنة ١٣٢٧هـ، فانظر إلى ما أحله الله بها بعد ذلك من الهوان الذي آخرته سلب ممالكها واقتسامها وإني لآسف جد الأسف على أن تكون الشام ومصر والعراق واليمن مسرح الفتن والزلازل والمحن بعد أن كانت معدن العلماء والأولياء والقضاة والمفتين والأئمة الربانيين كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب وابن مفلح وأعلى منهم مثل الشافعي وأحمد بن حنبل وأبى حنيفة وإسحاق بن راهوية والموفق بن قدامة وابن عبدالهادي الجهابذة هؤلاء الأخلاف، أما الخلفاء الأمويون والعباسيون والقواد والزعماء إذ ذاك فنرجوا من أمتنا أن يوجدوا ويبرزوا لنا رجالاً مثقفين يحامون على البلاد ويقهرون الأضداد كهؤلاء الرجال فهم رجال ونحن رجال.

أما القضاء في ذلك الوقت فكان القاضي إذ ذاك يجلس للخصمين ويسمع إلى حجتيهما فإذا فرغا وتبين له حكم القضية قضى بينهما فيقومان راضيين خالصين، وما تعرف عندهم المحاكم، وأخص بذلك أهل نجد، وإذا جرى بيع عقار وإثبات صك ونحو ذلك من القضايا الكبار فإنه يوقع القاضي عليه بالختم.

وكان القاضي في بلد بريدة فضيلة الشيخ سليمان بن علي بن مقبل، وهذه أقضيته وتصديراته لا ترى فيها شيئاً مما يستعمل في هذه الأزمنة من حسن الإنشاء وتنميق الكلام والتقعر في الفصاحة وتشقيق العبارات وتحليتها، كما نشاهد من أقضية الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم والشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد قاضي بلدة حائل.

أما الشيخ سليمان فكان يجري في مجلس خصومته عجائب من تحمله للعثرات وفراسته الغريبة، منها أنه حضر لديه خصومة فأكثروا اللجاجة والترديد، فلما أتعبوه قام مولياً يقول: أنتم يا أهل العيون لا تفهمون ولا تخلصون، فلحقه بعضهم يقول بعدما جبذه بردائه اجلس رحمك الله يا شيخ فإنما جعلت لمن لا يفهم ولا يخلص، أما من يفهم ويسمع فلا يصلك، اجلس فإنما نصبت للأعوج تقيمه.

ومن فراسته أن عجوزاً ذهبت إلى دار قوم في وقته كان عندهم مائدة عشاء فتقدمت العجوز عند فراغها تطرق الباب كأنها رسول سلطان كعادة الثقلاء، ومن قل حيائه من الطفيلية والأغبياء، فجاءت ربة البيت وعنفت الكلام لهذه الجراءة، فأجابت عجوز السوء للمرأة تشفياً بقولها لم أجيء نحوكم للطعام وإنما أمانة في عنقي كلفت أدائها بأن زوجك أخوك من الرضاعة والسلام، وذهبت كالريح العاصفة، فلما ألقت هذه المقالة كان جوابها إرسال العبرات من المرأة المسكينة، واجتمع عليها بثها وحزنها وترك الطعام في المواعين، وأهان الداعي للمدعوين فما كان ليلة أطول من ليلتهما، وانبعث الزوج مسارعاً لما طلع الفجر إلى الشيخ سليمان ليكشف هذه الغمة، فلما جاءه وقص عليه القصص، قال ائتني بها إن كنت تعرفها، فدعى الرجل بالعجوز وأجلسها بين يدي الحاكم ليأخذ المسألة من فيها وكلمها مخاطباً؟ نريد يا أمة الله الفرق بين هذا وزوجه، فإن كنت على يقين فتكلمي وإلا فحققي، أجابت العجوز أيها الشيخ إني لست بأمير ولا قاضي إنما أخبر عن الواقع، ومن اهتدى فلنفسه ومن أساء فعليها، وما لدي سلطة على أحد، فقال لها: يا هذه اتق الله فبين يديك هول المطلع وهول

المطلع شديد، وإن هذا النبأ يقتضي أموراً منها أنك قد فرقت بين مجتمعين طالما اجتمعا، وثانياً له أولاد ويلحقهم بذلك خجل، وثالثاً يفارقها بغير طلاق فيكون عار زواجها وأثمه عليك، وكل هذا في ميزانك غداً، والناقد بصير فكوني على يقين لتنالي السلامة في الدنيا والآخرة، فارتعدت هذه العجوز بعدما خجلت وأخبرته بحقيقة الأمر بأنها لما عنفّت عليها بالكلام لم تجد عقوبة لها أنكى من هذه الدعوى، فقام عليها بالعصا وطفق يضربها ضرباً شديداً، وطردها خاسئة حسيرة، وأمر الرجل أن يذهب إلى أهله.

ذكر تأسيس بيت آل رشيد

لما قتل الإمام تركي بن عبدالله رحمة الله عليه، وكان ابنه فيصل في القطيف ومعه جنوده من قبائل شتى، رحل قافلاً إلى الأحساء لما علم بهذه الفادحة، وكان الذي أخبره بها زويد فأخفا الخبر عن الناس وأحضر لديه رجالاً من الرؤوساء وأخبرهم أنه لا بد له من أخذه بثأر أبيه فبايعوه على طاعة الله ورسوله وعلى السمع والطاعة، فرفع فيصل راياته وجنوده وجمع أصحابه وجنوده فسار إلى الرياض.

ولما قرب منها نزل بجنوده وثوروا من البارود حتى كان له دوي عظيم وانقضاض فخرج إليه وفد منها يطلبون منه ألا يأذن بالدخول إليها لغير أهلها من الجنود لأنه إذا هجم عليها النجديون من غير أهل الرياض قد يقاومهم الأهالي ليمنعوهم من احتلالها فيحدث قتال في البلد فتولد المحنة محنة أشد منها، وكان مع فيصل رجل يدعى عبدالله بن علي بن رشيد طرده أمراء حائل المعروفون بآل علي، فلاذ عبدالله بآل سعود، فلما هم الجنود بالدخول إلى الرياض لأنهم أهله، هموا بالدخول من دون قتال لأن أهلها كانوا من حزب تركي.

وكان مشاري بن عبدالرحمن القاتل لخاله تركي والعياذ بالله قد تحصن وامتنع وظن أنه لا يطيقه أحد من البشر، وما علم أن الله ليس منه ملاذ ولا مفر، فيا بئس الفعلة منه، من قريب ابن اخته وابن عمه، فحصل من عبدالله بن علي بن رشيد

فزعة عظيمة لفيصل لما رآه يريد تقحم هذه الأخطار، وأخذته الحمية له بأن يكون معهم، وكان ليثاً شجاعاً وصارماً قطاعاً لا يطاق إذا صال، وتتضائل عنده سورة الأبطال، فاستأذن فيصلاً فأذن له أن يكون معهم، فلما دخلوا الرياض حصلت بدون قتال لأن فيصلاً أمر على رجال ممن كانوا معه من أهل الرياض أن يدخلوا البلد ليلاً ويمسكوا البروج والبيوت المقابلة للقصر، ولكنهم وجدوها مملؤة برجال مشاري قد ضبطوها، غير أنهم لما عرفوهم سكتوا عنهم وأدخلوهم فلم يفجأ مشاري وذويه الذين بالقصر إلا أصوات أولئك الرجال وبنادقهم يصيحون بالثأر، وقد شبوا النار لها شرار.

ودخل فيصل البلد وركب على القصر المدافع الكبار ثم شب النار على من في القصر، وتابع الطلقات فتسبب عبدالله بن علي لاحتلال القصر بأن كلم رجلاً في برج من أبراجه يدعى سويد بن علي، كان أميراً في جلاجل، وجاء ليسلم على تركي لأنه لم يعلم بقتله فرحب به مشاري وأنزله في ذلك البرج في القصر، فقال له عبدالله بن رشيد يا سويد وما دخلك أنت في آل سعود؟ فقال إني مغصوب. فقال له: إن جئت إليك بأمان من فيصل أترمي لنا حبلاً لنصعد إلى القصر؟ فقال سويد: إني من رجال تركي وسأساعدكم على شرط أن يؤمني فيصل ويعطيني نخلة الدامنة وهو نخل معروف، فتواثق الرجلان ورمى سويد إليهم بحبل فصعد هذا الأسد الصائل إلى القصر وصعد خلفه أربعون من رجال فيصل من بينهم عبدالله بن خميس، وأعطوهم الأمان سوى من باشر قتل الإمام أو ساعد فيه، وكان هذا بإذن من فيصل بعدما شاور رؤساء المسلمين، لأن لا يأخذه عنوةً فيكون ما في القصر من الأموال والخزانات أشتات بين الناس، فأحاطوا بمشاري ومن معه وقتلوهم وأخرجوا جسد مشاري ورأسه خارج القصر ليعرف، وأصيب عبدالله بجرح بليغ في يده لما تجالدوا مع رجال مشاري، فسر فيصل بشجاعة عبدالله بن علي بن رشيد، ولما رأى جراح يده رق له وقال له لك مني ما تريد، فقال عبدالله أطلب منك أن تؤمرني في حائل، وأن تكون الإمارة لي ولعائلتي من بعدي! فأجاب

فيصل طلباته، وكان ذلك أول تأسيس لإمارة الرشيد، فجعله الإمام فيصل أميراً على حائل.

ولما أن توفى هذا الشجاع سنة ١٢٦٣هـ جعل الإمام مكانه ابنه طلال ابن عبدالله، وكان لعبد الله أبنان غيره وهما متعب ومحمد.

فأما متعب فهو الذي تولى الإمارة بعد أخيه طلال.

وأما محمد فكان عقيماً وهو الذي انتهت إليه ولاية الجبل ونجد بعد آل سعود، وكان لطلال ستة أولاد وهم: بندر وبدر ونايف وأخوتهم.

أما متعب بن عبدالله فكان له ابن وهو عبدالعزيز الظالم العنيد.

وكان لنائف ابن طلال ابن اسمه طلال، ولطلال ابنان، وهما: عبدالله ومحمد.

أما عبدالعزيز بن متعب فكان له أربعة أولاد، وهم متعب، ومشعل ومحمد وسعود. وكان لمتعب ابن اسمه عبدالله، فهؤلاء فخذ من أولاد علي بن رشيد يسمون آل عبدالله، أما الفخذ الثاني فهم آل عبيد بن علي، وكان لعبيد هذا ابن يسمى حمود العبيد، وكان لحمود أربعة بنين وهم فيصل، وسلطان وسعود وماجد.

وكان لماجد ابن هو عبيد.

رجعنا إلى ما نحن بصدده فنقول: في هذه السنة جدد السلطان عبدالعزيز خان مقام الحنفي، وكان قبل هذه العمارة مبنياً بالحجر الصوان والشميسي فأبدلوا الصوان برخام وأعادوا الأصفر على ما كان، وكان من جهة المغرب عمود في الوسط وقوسان فرفعوا العمود وجعلوه قوساً واحداً، وكذلك من جهة الشرق وفرغوا من عمارته في ذي الحجة من هذه السنة.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها وقع الحادث الفادح والكرب العظيم الجارح الذي شتت المسلمين وفرّق المجتمعين، وذلك بتقدير رب العالمين، وهو وفاة الإمام فيصل رحمه الله تعالى، وكانت وفاته لتسع بقين من رجب سنة ١٢٨٢هـ فأصيب القلوب بكلوم فقده

وانقطع من عقد الشمل سلك عقده فما أشبهه بالعين التي قلعت عن مكانها، وأزيلت عن أركانها فأصبح صاحبها يندب بفؤاد موجوع، وقلب بألم الفراق ملسوع، أضف إلى ذلك ما تفتق بموته من مواد الشرور والبلا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، إن هي إلا محنة سكبت الدموع من الأجفان ومصيبة أثارت سواكن الأشجان ونائبةً من نوائب الزمان، وهذه ترجمته.

هو الإمام الضرغام والأسد المقدام ومؤطد دعائم الملة والإسلام، والناسك الحبر الهمام سلالة الأكرمين وأمير المؤمنين فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة أبو عبدالله المريدي، ولد سنة ١٢١٣هـ، وتولى الإمامة بعد قتل قاتل أبيه فكان إماماً عادلاً حليماً مهاباً، وافر العقل، سمحاً كريماً جواداً، حسن السيرة، سهل الأخلاق، محباً للعلماء، مجالساً لهم، كثير الخوف من الله تعالى، وقد يسقط السيف من يده إذا خوّف بالله، وكان شجاعاً ثابتاً، اجتمعت فيه جلّ المفاخر والفضائل، ونال من المواهب ما يندر مثلها في الأواخر والأوائل، وطلعت بشائر سعوده وهو ملتف في مهوده، وتقحم عظائم لم يجسر عليها البسلاء من آبائه وجدوده، وسطا على قاتل أبيه سطوة يشيب من هولها المولود، وتابع الحرب عليهم حتى جعلهم كلهم خمود، وشب الحرب على عبدالله بن ثنيان مع شدة بأسه وقوة أعوانه ولم يهب شجاعته وبطشه وعظمة عدوانه، واستنقذ الملك بالحرب والضرب من أهل زمانه، وظهر من حبس الترك مرتين وذلك في مصر كرتين، وأخذ الملك قسراً، وقهر أعداءه قهراً، فعاد به ظلام الاختلاف فجراً، ولا خاف في استنقاذ الملك صولة الترك والعلوج الأبطال ولا هاب أشبالاً غصبوا ملكه بل استرده بالقتال وجيش الجيوش براً وبحراً وأخذ الممالك طوعاً وجبراً، وسلكت جنوده في نجد وعمان، وذانت له بالطاعة الأعراب والبلدان، وتوفرت بحسن سياسته مصالح المسلمين، وجمع في سياسته بين الشدة واللين، سياسة تعجز عنها الملوك وأعوانها، وتصلح بها الممالك وسكانها، أقلامه بالعطاء جارية؛ وخزائنه إلى نفع الرعية سارية، وخازنه ليس له حاجة إلا

تنفيذ الأوامر، ويده مشتغلة في صدقات السرائر، يرجو من مولاه جابر الكسر طلب الجزاء منه والأجر.

ذكر شيء من سياسته

كان في زمانه رئيس قبيلة من العربان تأخر عنه العطاء، فأخذ في مسبة الإمام والنيل منه، فما زال ذلك الجلف في غباوته وطغيانه حتى آل به جهله إلى أن ركب جواده ذات مرة وجعل يرسلها بين قومه في البرية وينتخي ويعتزي يقول: جوادي هذا لأطئن بها الرياض ولا غزون فيصل وأريه الفعل خيال التوحيد أخو من أطاع الله.

فوشى به أحد أعداءه إلى الإمام وأكثروا مسبته، يقولون تغدَّ بالذئب قبل أن يتعشاك، فدعى الإمام أحد رجاله على خفية وأركبه مطية من النجائب المسرعة وناوله أربعين ريالاً وعباءة ومحرمة وقال: اذهب إليه وناوله إياها وأرفقها بكتاب فيه، من فيصل ابن تركي إليه.

ثم قال بعد التحية أيها العزيز نعتذر إليكم من نسياننا لواجب حقكم، وذلك لكثرة الأشغال، فالحمد لله الذي جعل هذا النسيان وقع في حقكم لأنكم تتحملون تأخر جائزتكم هذه المدة، فنرجوا المسامحة وسنجعلكم بعدها على البال لا زلتم بخير وسلام.

فلما قدم عليه النجاب وناوله ما معه، انقلبت خمرته خلاً وصعد المنبر بعد صلاة الجمعة عليه عمامة ضخمة، فألقى خطبةً على الناس قال فيها: أيها الناس اعلموا بأنه يوجد فيكم منافقون يسبون إمام المسلمين، والإمام أطال الله بقاءه قد أوجب الله طاعته حيث يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء:٥٩]، فإني أعاهد الله لأن سمعت أحداً يسبه منكم لأقتلنه ولأجعلنه نكالاً لغيره، فلما رجع النجاب إلى الإمام وأخبره بما صنع عجب لهذه القصة الظريفة وقال على طريق الأمثال: كلب ينبح لك أولى من كلب ينبح

عليك، لو قتلناه وترنا أهله وعشيرته ولا تنسى الظغائن، فهاهو قد كف وأصبح ينافح عنا، وكان مكرماً لحملة القرآن، رحيماً بالأرامل والفقراء والضعفاء، ولم يكن سفاكاً للدم الحرام، ولا غاصباً لما في أيدي الآنام من الحطام، ولقد أحسن من قال في مدحه:

عفيف شريف النفس للفضل عارف ... حليمٌ كريمٌ سالم القلب منصف

وقال غيره:

له في سرير الملك أصل مؤثل ... تلقاه عن أسلافه السادة الغر
هم العقد من أعلا اللآلي منظماً ... وفيصل في العقد واسطة الدر
غدت أرض نجد تزد هي بفعاله ... وترفل في ثوب الجلالة والفخر

وكان كثيراً ما يرسل الصدقات إلى كل بلد من بلدان المسلمين، تقسم على الفقراء والمساكين، وشديد البحث عن الأيتام والفقراء يتفقدهم بالبر والعطاء.

ذكر ما جرى عليه من المحن والأخطار وثقته بالعزيز الجبار

فنقول كان كثيراً ما تحوم عليه حوائم الخطوب والآفات، ويقع في عظائم الأخطار والمهلكات حتى يدخل من ذلك اليأس على الأتقياء والأكياس، فضلاً عن عامة سائر الناس، فيجعل الله له من ذلك الفرج القريب ويمنحه الله بفضله المخرج العجيب.

من ذلك مخرجه من حبس الترك المرة الأولى، ولطف الله به في خروجه من مصر، وعناية الله به في سفره في البر والبحر، وكان ذلك في حياة والده رحمهما الله.

المخرج الثاني: الحادثة الكبيرة والفعلة الشهيرة، وهي قتل والده تركي فإنه سار من القطيف وزحف بما لديه من الأهوال حتى دخل الرياض، وسلّ سيفه وشهره والتجأ إلى ربه فنصره، حتى جرع الباغي ريب المنون وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحسبون، هذا مع شدة احتراز عدوه بالعدة والعدد فما زال به حتى قتله في حصنه.

المخرج الثالث: لما ظفر به الترك مرةً ثانية فأسروه، فقال الناس هذا منهم فيما مضى شارد، وقد أوثقه الصائد فهذه المرة لا يسلم والقتل عليه قد تحتم لأنه قد قاتلهم وأساء إليهم، ووقع الآن في قبضة أيديهم، وعزم أهل الظنون من الأكياس أنه سيسقى من الموت أمرَّ كأس، فأنزله الله تعالى بعجيب قدرته التي لا يعجزها شيء، وأعمى أبصارهم عنه حتى وصل إلى بلاده، وكان قد خلفه على ملكه من عشيرته شجاع قتال وجمع عنده كثيراً من الخيل والسلاح وآلات الحرب والرجال والأحوال، فرجف الله به وداخله الرعب والذل حين سمع به ورآه، فلم يثبت له بل هرب بإذن الله حتى حصره وأخذ منه الملك قهراً.

المخرج الرابع: عصيان أهل القصيم له ونبذهم العهد واستعدادهم للحرب، فساعده الله وجعل له الفتح والنصر وعفى لما قدر، وبالجملة فخوارق عاداته كثيرة، وفضائله شهيرة تحتاج إلى بسط يضيق عنها هذا الموضع.

ومما قال الشيخ أحمد بن علي بن مشرف يمتدحه:

بعدل ولاة الأمر ترسو دعائمه ... ويا من في قفر الفلاة سوائمه
وبالحزم والكتمان والجد والحجا ... ينال أخو العليا ما هو رائمه
وحكمك محمود العواقب إن يكن ... له صارمٌ ينفي الذي لا يلائمه
وأسوس أهل الملك من ساس من رعى ... برفق فإن لم يغن أغناه صارمه
كذاك إمام المسلمين لنفسه ... آناة فإن لم تغن أغنت عزائمه
هو البحر من أصدافه الدر يجتني ... وإن طاش بالأمواج لم ينجِ حائمه
تخلق بالصفح الجميل وبالندى ... وبالحلم مذ نيطت عليه تمائمه
مرؤاته أفنت خزائن جمعه ... فهل أنت في فعل المكارم لائمه
عطاياه كالوسمي إن شيم برقه ... ويممه الراجون ما خاب شائمه
بمدحته رنت بهجر بلابل ... وغنت بنجد ورقه وحمائمه
فشاد بناء المجد بالجود فاعتلى ... ومن بينه بالبخل لا شك هادمه
وإن أنت شبهت الإمام وجوده ... بمعن أو الطائي فإنك هاضمه

موائـــده مثـــل الربيـــع لممحـــل وتشـــبع أصـــناف الطيـــور ملاحمـــه
إذا بعـث الجـيش اللـهام إلى العـدى تلتـه سـراحين الفـلا وحوائمـه
فأطعمهـــا ممـــا تنـــال رماحـــه لحومـاً وحـظ الجـيش منـه غنائمـه
يجاهـد بـالقرآن مـن زاغ واعتـدى فإن هم أبـوا أسـلت علـيهم صـوارمه
فغـادر قتلـى يعصـب الطـير حولهـا وترتادهـــا عقبانـــه وقشـــاعمه
ولـولاه ف هـذا الزمـان لمـا بـدت مـن الـدين في حـل الـديار معالمـه
ولا أمنـت طـرق الحجـيج ولا انتهـى عـن الظلـم للمظلـوم بالسـيف ظالمـه
ولكـن أخـاف المفسـدين فسـالموا وسـفك الـدما بـالحق للـدم عاصـمه
ومـن يجتمـع فيـه الشـجاعة والنـدا يقـر لـه بالفضـل مـن لا يسـالمه
ألا إنـه إنسـان عـين زمانـه تنـاوم عنـه الـدهر أو هـب نائمـه
مفـاخره شمـس يراهـا حسـوده فمـا بالـه لم يبـد مـا هـو كاتمـه
فأنشـده بيتـاً قالـه بعـض مـن مضـى ومـا حـاد عـن بيت القصـيدة ناظمـه
إذا ظفـرت منـك العيـون بنظـره أثـاب بهـا معـي المطـي ورازمـه
فـلا الـنظم يحـوى مدحـه إن مدحتـه ولا الطـرس تـوعي كلمـا أنـا راقمـه
ولكـني أهـدي لـه صـالح الـدعاء ومدحاً كمثل المسـك إن فضـى خاتمـه

ولما توفاه الله تعالى في هذه السنة رثاه الآدباء والعلماء بمراثي حسان، ونورد هنا مرثاة الشيخ أحمد بن علي بن مشرف التي رثاه بها لما فجعت القلوب بفقده ونكبت الأمة بمصيبته رحمه الله وجعل الجنة متقلبه ومثواه:

علـى فيصـل بحـر النـدى والمكـارم بكينـا بـدمع مثـل صـوب الغمـائم
إمـام نفـى أهـل الضـلالة والخنـا بسـمر القنـا والمرهفـات الصـوارم
فكـم فـل مـن جمـع لهـم جـاء صـائلاً وأفنـى رؤسـا مـنهم في الملاحـم
يجـر عليـه جحفـلاً بعـد جحفـل ويـرميهم في حربـه بالقواصـم
فمـا زال هـذا دأبـه في جهـادهم تغـير بنجـد خيلـه والتهـائم
إلى أن أقـيم الـدين في كـل قريـة وأصبح عرش الملـك عـالي الـدعائم

وأخلى القرى من كل شرك وبدعة | وما زال ينهى عن ركوب المحارم
ويعطي جزيل المال محتقراً له | سماحاً ويعفو عن كثير الجرائم
مناقب جوده قد حواها جبلة | فحاز الثنا من عربها والأعاجم
تغمده المولى الكريم برحمةٍ | وأسكنه الفردوس مع كل ناعم
فلا جزع مما قضى الله فاصطبر | وإلا ستسلو مثل سلو البهائم
فلما تولى خلف الملك بعده | لنجل خليق بالإمامة حازم
يقام بعون الله بالأمر سائساً | رعيته مستيقظاً غير نائم
فتابع أهل العدل في كف كفه | عن إن المكس شر المظالم
وشابه في الأخلاق والده الذي | فشا دكره بالخير بين العوالم
وقرب أهل الفضل والعلم والنهى | وجانب أتباع الهوى غير نادم
ومن يستشر في أمره كل ناصح | لبيب يكن فيما جرى غير نادم
على يده جلّ الفتوح تتابعت | فساوى القرى في الأمن مرعى السوائم
وأسلمت الأعراب كرها وجانبوا | حضوراً لدى الطاغوت عند التحاكم
فذكرنا عبدالعزيز وشيخه | وما كان في تلك الليالي القوادم
فلا زال منصور اللواء مؤيداً | على كل باغٍ معتدٍ ومخاصم
فدونك أبياتاً حوت كل مدحةٍ | فأضحت كمل الدر في سلك ناظم
ونهدي صلاة الله خالقاً على | نبي عظيم القدر للرسل خاتم
محمد الهادي وأصحابه الأولى | حموا دينه بالمرهفات الصوارم
صلاة وتسليماً يدومان ماسراً | نسيم الصبا وأنهل صوب الغمائم

كان له من الأولاد أربعة، وهم: عبدالله ومحمد وسعود وعبدالرحمن.

فأما عبدالله فهو ولي عهده وبايعه الناس على السمع والطاعة بعد أبيه، وتولى الملك فضبط الأمور وساس الرعية وسار سيرة جميلة، ونشر العدل وكان شجاعاً مهاباً، وافر العقل حكيماً جواداً ذا حزم ودهاء، ولكن أيامه منغصة عليه مكدرة من كثرة المخالفين، وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

وفيها شرع الإمام عبدالله بن فيصل المذكور في بناء قصره المعروف في بلد الرياض.

وفيها وفاة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين رحمه الله، وكانت وفاته في سابع جمادى الأولى، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة والقدوة الفهامة، البارع الماهر، والبحر الزاخر، والعلم الظاهر، الحبر النبيل والهمام الجليل الذي اشتهر علمه بين الثقلين، وانتشر ذكره بين الخافقين، خاتمة المحققين وقدوة الموفقين، وسيف الله على أعناق الكافرين، وسهمه الصائب لأفئدة المارقين، الحافظ الذكي الألمعي اللوذعي عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبدالله بن سلطان بن خميس الملقب أبي بطين العائذي قدس الله روحه، ونور مرقده وضريحه، ولد في بلد الروضة من بلدان سدير لعشر بقين من ذي القعدة سنة ١١٩٤هـ، فنشأ فيها على طلب العلم والديانة والعفاف، حتى أدرك ما يقصر عن إدراكه أولو العرفان وفاق في الفضل والنهي لأهل الزمان، وما زال يتقدم في الفضل ويسمو في العلم حتى بلغ رتبة يقصر عنها سبق السابقين، ويقف عندها اختلاف المتنازعين، مد يده لنيل العلوم، فنال نشر الفوائد والمنظوم، وغاص بفهم واقد في التحقيق، فسل غوامض من العويص بتمام التدقيق، فلله دره من إمام بارع وصارم لأعناق أهل الضلال قاطع، ومن سبر رسائله وأجوبته وتدبرها تبين له سبق هذا الإمام الذي افتخرت به الأواخر على أوائل الزمان، وازدهت به الأقطار والبلدان، وانتفع بعلمه القاصي والدان، وإنه شمس غير أنه لا يغيب وآثاره ومواهبه لا يواريها غطاء المريب.

واعلم بأنه يجب تقديمه في الذكر ولكن لما كان السلطان ظل الله في الأرض قضت الظروف بتأخير ترجمته لأسباب ذلك وما يتعلق به.

ذكر مشائخه الذين أخذ عنهم

أخذ العلم عن الشيخ العالم العامل الورع الزكي عبدالعزيز بن عبدالله الحصين

الناصري التميمي وغالب ما أخذه عنه التفسير والحديث والفقه وأصوله وأصول الدين، وأخذ عن الشيخ العالم الفاضل المتقن حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر التميمي، وأخذ أيضاً عن الشيخ محمد بن الحاج عبدالله بن طراد الدوسري الحنبلي عالم الروضة مسقط رأسه فظهر في الفقه مظهراً حسناً في إبان تشبيبته وفاق أهل عصره، وكان الشيخ محمد أول مشائخه، وأخذ عن الشيخ العالم أحمد بن حسن بن رشيد العفالقي الأحسائي ثم المدني الحنبلي، ولما ولاه سعود بن عبدالعزيز قضاء الطائف جلس يتعلم من الشيخ حسين الجعفري فن النحو حتى برع ومهر، وكان إذ ذاك يدرس أعني المترجم في الطائف، وأخذ عنه أمةٌ هناك ومع شرفه وعلو مقامه لم تأخذه العزة عن أن يتعلم من هذا، وكان أول زمانه في الروضة ثم ارتحل إلى بلد شقراء عاصمة الوشم فاستوطنها.

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فمنهم قاضي القصيم الشيخ العالم العلامة الواثق بالسميع العليم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سليم، والشيخ الفاضل وقدوة الأماثل السيمدع محمد بن عمر بن سليم، وناهيك بهما عقلاً ومعرفةً وديانةً تشهد لمربيهما بكمال الكفاءة، وأخذ عنه الشيخ علي بن محمد بن علي بن حمد بن راشد، وأخذ عنه الشيخ إبراهيم بن حمد بن عيسى، وأخذ عنه ابنه الشيخ أحمد، وأخذ عنه الشيخ علي بن عبدالله بن عيسى، والشيخ سليمان بن عبدالرحمن، والشيخ عبدالله بن عبدالكريم بن معيقل، والشيخ محمد بن عبدالله بن مانع وابنه الشيخ عبدالرحمن، والشيخ صالح بن حمد بن نصر الله، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالله بن شومر وأخذ عنه أيضاً أحمد بن دعيج، والشيخ علي بن فراج وجري بن فهيد الصميت وسليمان بن عبدالمحسن، والشيخ جمعان بن ناصر، والشيخ علي بن عبدالعزيز بن سليم، وأخذ عنه غير هؤلاء خلق كثير وجمّ غفير، وغالب الذين أخذوا عنه، تولوا القضاء وأخذ عنه في حال إقامته بالطائف جماعة كثيرون.

ذكر الوظائف التي نالها

تولى قضاء الطائف زمن سعود بن عبدالعزيز، فباشر مهمته بعفة وديانة

وصيانة، وتثبت وإناءة في الأحكام، ثم كان قاضياً في ناحية عمان لعبدالله بن سعود، ثم كان قاضياً في ناحية الوشم وسدير لتركي بن عبدالله، وكان يأخذ بعض السنة في الوشم وبعضها في سدير، ونزل روضة سدير فتوجهت إليه الخصوم، ورحل إليه طلبة العلم من أهل سدير ومنيخ وأخذوا عنه، ثم كان قاضياً في ناحية القصيم والوشم لفيصل بن تركي، وكان ذلك عن طلب من أهل القصيم له من الإمام فيصل أن يكون قاضياً في بلدانهم، ومدرساً في أوطانهم، فأمر الإمام عليه أن يسير إليهم وكان إذ ذاك في بلد شقراء قاضياً لناحية الوشم، فسار إليهم وقدم بلد عنيزة وأقام عندهم فطلبوا منه أن ينقل أولاده وينزل بهم عندهم في عنيزة، فنقلهم واستوطنها فأكرموه واحترموه وانتفعوا بعلمه، وكان يدرس في فنون من العلم شتى حتى كثر لديه طلبة العلم، ومن بركاته سعيه بالصلح بينهم وبين الإمام فيصل، فأكرمه فيصل وأنجح طلبته، وكان محبوباً عند الناس خاصهم والعام، معلماً جلداً على التعليم والتدريس، لا يمل ولا يضجر ولا يمل من تعليمه الطالب، أضف إلى ذلك كرماً وسخاءً ووقاراً، وكان دائم الصمت، قليل الكلام، كثير التهجد والعبادة، قليل المجيء إلى الناس، وكان حسن الصوت بالقراءة، وعلى قراءته هيبة مرتلة قراءته مجودة وكتب كثيراً من الكتب الجليلة بخطه الحسن المضبوط المتقن.

ذكر مؤلفاته وسعة علمه

كانت مؤلفاته كثيرة مفيدة وأجوبته وافية سديدة تدل على فضل منشئها ومكانته في العلم، وتطيب النفس إذا وردتها، وأعلام القبول لائحة عليها، ذلك لخروجها من معدن علم ومن البحر يستجلب الدر.

فمنها تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس، وكان مؤلفاً حسناً مفيداً لا يشبع منه طالب الحق، وكتاب الانتصار لحزب الله الموحدين وهو

مصنف بديع الأسلوب، رد فيه على أعداء الله ورسوله، ورسالة في معنى كلمة التوحيد وتضمنها الكفر بما يعبد من دون الله، وذكر في هذه الرسالة معنى لا إله إلا الله عند جميع أهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء، ورسالة أيضاً سئل فيها عن هذه المسالة وما تنفي لا إله إلا الله، وما تثبت أفاد فيها وأجاد، وبلغ في الغاية فوق ما يراد، ورسالة في تعريف العبادة وتعريف الطاغوت، وأبلغ وأبان غامض هذه المسألة، ومنها رسالة إلى إبراهيم بن عجلان ذكر فيها الرد على من قال أن الشيخ تقي الدين وتلميذه ابن القيم شددا في أمر الشرك تشديداً لا مزيد عليه وهي عظيمة، ومنها مؤلف في رد شبهات من تأول حديث أن الشيطان يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ويستدل بهذا الحديث على استحالة وقوع شيء من الشرك في جزيرة العرب، والحديث المروي في الضالة يا عباد الله احبسوا، والحديث الذي فيه قتل أسامة للرجل وأتى على ذلك بشيء عجيب مع الاختصار، وله مؤلف في حكم من يكفر غيره من المسلمين والكفر الذي يعذر صاحبه بالجهل، فلا يحكم عليه به إلا بعد أن تقوم الحجة عليه، والذي لا يعذر ورد على أعداء الله ونصر دين محمد ﷺ بأوضح الدلائل وأقوم البراهين، كتاب مختصر الفوائد لابن القيم وقع على قدر نصف الأصل وكتب على شرح المنتهي حاشية مفيدة نفيسة جردها من هوامش نسخة المؤلف تلميذه وسبطه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن مانع، فجاءت في مجلد ضخم، ورسالة في تجويد القرآن، وله فتاوى وأجوبة واختيارات يخرج في بعضها عن المذهب لقوة الدليل، ولو تتبعناها لخرجنا عن المقصود.

ولما كان في سنة ١٢٧٠هـ رجع من عنيزة إلى بلدة شقراء ، فأقام بها وترك الهرج ولزم العبادة مستمراً على طريقته معرضاً عن الدنيا والقال والقيل إلى أن توفاه الله في هذه السنة، وخلف أولاداً منهم عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله الذي جعله الإمام فيصل على بيت مال القصيم واستعمله عليه.

ثم دخلت سنة ١٢٨٣هـ

استهلت هذه السنة والإمام الأعظم في نجد كلها عبدالله بن فيصل بن تركي، ففيها أمر الإمام عبدالله بن فيصل على جميع رعاياه من البادية بالجهاد وسار بهم إلى ناحية الشمال فأغار على عربان الظفير وهم على شقراء المعروفة بالقرب من الهور، وكان قد سبقه النذير إليهم وانهزموا، فأخذ منهم إبلاً وغنماً ثم قفل إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها وفاة أمير الجبل طلال بن عبدالله بن رشيد، وذلك لأنه أصابه خلل في عقله كسحر، فعرض نفسه على طبيب فذكر له أنه بعد العلاج يصح ولكنه يكون ضعيف العقل كفلان لمجنون عندهم فجزع وقتل نفسه.

ثم تولى الإمارة بعده أخوه متعب بن عبدالله.

وفيها خرج سعود بن فيصل من الرياض مغاضباً لأخيه عبدالله، فتوجه إلى محمد بن عائض بن مرعي رئيس بلدان عسير، فقدم عليه وأقام عنده مدة يطلب منه النصرة، ولما علم الإمام عبدالله بن فيصل باستقرار أخيه سعود عند ابن عائض أرسل بهدية إلى ابن عائض صحبة الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ سعد بن ربيعة، وكتب إليه بأن خروج سعود من الرياض من غير سبب يوجب ذلك، وأن مراده قطيعة الرحم والشقاق، وكتب إلى سعود يأمره بالقدوم إليه وأنه يعطيه ما طلب، فأبى سعود أن يرجع إليه، وأقام حسين والشيخ سعد هناك مدة أيام وقد أكرمهما محمد بن عائض إكراماً جزيلاً، ولما أن يئسا من رجوع سعود، طلبا من ابن عائض الأذن لهما بالرجوع فكساهما وأعطاهما عطاء جزيلاً، وأذن لهما بالرجوع وأرسل معهما بهدية للإمام عبدالله بن فيصل، وكتب إليه كتاباً قال فيه أن سعود بن فيصل قدم علينا وطلب منا المساعدة والمناصرة فلم نوافقه على ذلك وأشرنا عليه بالرجوع وترك الشقاق فلم يقبل.

ذكر إمامة عبدالله بن فيصل وما جرى فيها

فنقول لما توفى الإمام فيصل تولى بعده نجله عبدالله، وكان خليقاً بالإمامة ولكنه قام ينازعه الإمامة أخوه سعود، وبعد سعود أبناؤه فحصلت قطعية وبات الفشل وتسلط الأعداء، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الانفال:٤٦].

وما حصل النقص على أهل الإسلام والفشل وتسلط الأعداء إلا بالتخاذل، وقطيعة الرحم وترك القيام بأوامر الله تعالى وفعل نواهية، وهذه عادة الله بخلقه كلما أحدثوا ذنوباً غير ما بهم من النعمة.

وقد روى أن رجلاً من المتقدمين كان له عدة بنين، فلما كبر وهرم جمع أبناءه لديه وقال لهم بني إني جمعتكم الأمر فخذوا به فإني خبير بالأمور مجرب، وعانيت مالم تعانوا من المشاق فأطرق أبناؤه يستمعون وصيته، فأخرج إليهم حزمة من العصي وقال لكبيرهم: حطم هذه الحزمة فأخذها فلم يطق، فقال له ناولها أخاك فأخذها ولم يطق حتى عجزوا كلهم، فقال هكذا كونوا مجتمعين يا بني فإنه أقوى لشوكتكم وأنفذ لأمركم وأقهر لعدوكم، فإن اختلفتم تمزقتم وعبث بكم الأعداء.

ولما حدث من سعود هذا الخلاف الذي يعد من أعظم المصائب على المسلمين وكان مع أخيه الإمام بغزاته على عربان الظفير قرب بلد الزبير، ورجع الإمام بعد ذلك كان هناك منافرة بينهما، وبعد مضي عشرة أيام من قدومهما إلى الرياض هرب سعود إلى ابن عائض فرده خائباً.

فلما تحقق أن ابن عائض لا يساعده على أخيه عاد من أبها إلى نجران بالخيبة، ولما أن نزل على رئيس نجران المسمى بالسيد أقام عنده وطلب منه النصرة فأجابه إلى ذلك، ووجد العجمان هناك، وكانوا أعداء لعبدالله بن فيصل لحملاته عليهم وكسره لهم ثم إجلائه بقيتهم إلى نجران فاغتنموها فرصة ليداووا كلومهم، فاجتمعوا على سعود وشدوا أزره وقدم عليه فيصل المرخف من شيوخ آل مرة وعلي بن

سريعة من شيوخ آل شامر، وكتب إليه مبارك بن روية رئيس السليل يأمره بالقدوم عليه ويعده القيام معه والنصرة له فاجتمع على سعود بن فيصل خلائق كثيرة من بام وغيرهم، وأمده رئيس نجران بمال وأرسل معه اثنين من أولاده وأمده بجنود من أتباعه، فسار سعود بمن معه من الجنود حتى قدم على مبارك بن روية في السليل واستفحل أمره.

وكانت نتيجة هذه الخلاف بين أولاد فيصل والتنازع أن أضاعوا الملك فانتقضت قحطان وعصت العجمان وتمردت عنزة وتقلبت مطير وتذبذبت عتيبة وصال بنو مرة وتنمر بنو خالد، وقام بعض الأخوة على بعض يتنازعون الملك فكانوا في حروب وأصبحوا مغنماً لهذه القبائل النازعة إلى الغزو.

قامت القبائل توالي هذا وتناوي هذا وتؤز هذا على أخيه أو ابن عمه طمعاً بنيل كسب أو شفاء غليل فتفتقت نجد بالشرور ونشأت الفتن من جديد، وجرى من المحن ما الله به عليم.

ولما جلس الإمام عبدالله بن فيصل على عرش الحكم وتربع عليه طمع العلماء والأدباء بعد له وتذكروا سير والده فيصل فبذلوا له المديح والنصائح وأثاروا سوكن متحركاته إلى كل فعل جميل لأنه جدير بذلك وشبل الأسد يشبه أباه ومن أشبه والده فما ظلم، فمن ذلك قول الشيخ أحمد بن علي بن مشرف في هذه السنة:

أتقبل عـذر الصـب أم أنـت عاذلـه ... بـذكرى حبيـب عنـه شـطت منازلـه
غـزال حـوى كـل المحاسـن وإليها ... يغـازلني بعـد العشـاء وأغازلـه
فتـاة كـأن الشـمس غـرة وجهها ... فـإني يـبين البـدر حـين تقابلـه
نـأت فنـأى عـن حبها كـل عـاذل ... فيـا ليتهـا تـدنو وتـدنو عواذلـه
فمـن لعـذول لا يـزال بجهلـه ... يجـادلني في حبهـا وأجادلـه
ومـا أنـا إلا كـالفتى في اعتلالـه ... فـلا أثـر تبديـه فيـه عواملـه
وقـد أصـبحت سـلمى بأبعـد شـقةٍ ... يكـل بهـا كـوم المطـي وهازلـه

تميمية حلت بتيما ودونها … من الجبل الطائي قفار وحائله
فعن مثلها فاثن العنان ميمماً … مليكاً عظيماً لم يخب قط سائله
إله السماء والأرض فاسأله راغباً … تنل كل ما ترجو وما أنت آمله
فنشكو إلى الله الزمان الذي استوى … لدى أهله قس الكلام وباقله
به اندرست كل العلوم وأقفرت … فأنكر فضل العلم بالعلم جاهله
وقائلةٌ أقصر فما بعد فيصلٌ … لذي أدب حظ فماذا تحاوله
أترغب في نظم القريض وجسمه … مواري بقبر غيبته جنادله
فقلت دعىني إن يكن مات فيصلٌ … فخالفه حي وما فات نائله
فقد ورث المجد المؤثل والندى … لنجل زكت أخلاقه وشمائله
أبو النجم عبدالله حامي حمى الهدى … بغرته بشرى الندى ومخائله
بنجدٍ حثا المال الجزيل تبرعاً … فعاشت به أيتامه وأرامله
وكم غارةً شعواء شن على العدا … وكم فارس منهم نعته حلائله
فأثخن حرباً بالحروب فسالمت … ودانت له نجد وذلت قبائله
ومن دم سراق الجحيم عتيبة … سقى البيض حتى أنهل الرمح حامله
وقائع سل عنها الحجاز وغيره … ونجداً ومن في البحر ينبيك سائله
جهاداً ودرأ للفساد ونية … وسعياً به يرجو المثوبة فاعله
تولى فلم يرض المكوس لدينه … عفافاً ومن يعفف تعف عوامله
ولما نمى الركبان أخبار عدله … إلينا وشاعت في البلاد فضائله
بعثنا له در القريض بمدحه … وخير الثنا ما لا يكذب قائله
فأبلغه تسليماً إذا فض ختمه … تارج من أرض الرياض معاقله
فيا أيها الوالي نصرت على العدا … وسددت في الأمر الذي أنت فاعله
حنانيك لا تسمع بنا قول كاشحٍ … ولا حاسدٍ تغلو علينا مراجله
ولا تصغ للنمام سمعك إنما … يجيء به الإفساد والألم حاصله
وما هو إلا فاسقٌ أو منافقٌ … يريك صريح النصح والغش داخله

ولا يـدخل النمـام في الحشـر جنـةً حـديثاً عــن المختــار يرويــه ناقلــه
وأكرم بني الشيخ الرئيس الـذي نهـى عن الشـرك لما شاع في الأرض باطلـه
وألــف في التوحيـد تأليفـه الــذي شـجت في حلـوق المشـركين دلائلـه
كــذا عابــد الــرحمن أعــني حفيـده بنـور الهـدى يهـدي فمـن ذا يعادلــه
ينـافح عـن ديـن الهـدى كـل مبطـلٍ فيبطـــــل تمويهاتــــه ويناضــــله
وعبـداللطيف الحـبر لا تـنس فضـله إمــام هــدي بــالعلم تزهــى محافلــه
فمــن رام خــذلاناً لهــم وتنقصــاً لقـــدرهم بـــالبغي فـــالله خاذلـــه
فـــدونك نظمـــاً كـــالزلال عذوبــةً صـفت للعطـاش الـواردين مناهلـه
وكل امرئٍ يهـدي علـى قـدر وسعه فـدونك مـا نهـدي فهـل أنـت قابلـه
وختمـــي صـــلاة الله ثـــم ســـلامه على مـن بـه الإرسـال عمـت رسـائله
محمـــد المبعـــوث مـــن آل هاشـــم كذا الصحب مـا غنـت بـروضٍ بلابلـه

وقال الشيخ سليمان بن سحمان يمتدح الإمام عبدالله بن فيصل ويشجعه ويثني عليه بهذه الأبيات وهي من قصيدة:

أخـا المجـد عبـدالله مـن شـاع ذكـره وغـــار لعمـــري في الـــبلاد وأنجـــدا
هـو العـارض الهطـال بـالجود والنـدا إذا كنـت عـن سـيم الحقيقيـة أرمـدا
فمـا جـود مـن قـد جـاد إلا مـزادة تكســـبها مـــن جـــوده وتـــزود
فـإن عـد كعـب في السـماح أبـت لـه أنامـــل تهمـــي عســـجداً وزبرجـــدا
وحـاتم طـيء قـد تضـاءل جـوده إلى جنب مـن يعطـي الجزيـل إذا جـدا
يهــاب ويرجـــى نيلــه فكعـــارض مخيف وقل إن كنـت في الشـعر منشـدا
هو البحـر غـص فيـه إذا كـان سـاكناً علـى الـدر واحـذره إذا كـان مزبـدا
هــو المنهـل الطـامي لمـن رام شـربه يـزيح بهـا عنـد الحـرارة والصـدا
هو الضيغم العادي إذا اسـتعر الـوغى وشـــب ضـــرام في الـــوطيس وأوقـــدا
فكـم مـن قتيـل قـد أصـاب مجنـدلاً وكـم مـن أسـير في الحديـد مصـفدا
وكـم ليـل خطـب مـدلهم ظلامـه حـدث بيضـه عنـا غياهـب مـا سـدا

فيالـك مـن مجـد أثيـل سمـا بـه ومـن غـارةٍ شـعواء شـن علـى العـدا
دهـاهم بهـا جهـراً وأخـرى فجـاءةً فـأقحمهم حـوض المنايـا وأوردا
وجـر علـيهم جحفـلاً بعـد جحفـل وبـدد شمـلاً منهمـو فتبـددا
هـو المجـد وابـن المجـد والمجـد أصـله ومـا المجـد إلا مـا تـأزر وارتـدا
وكيـف تحـيط الـنظم يومـاً بمدحـه وقد فاق أهل الأرض جوداً وسـؤددا
سـلالة أسـاد الشـرى مـن تضـلعت بهـم سـنة المختـار كأسـاً منـددا

ذكر الأمور التي عارضت استقامة أمره وكان أمر الله قدراً مقدورا

أما الأمور التي عرقلت المساعي فهي منازعه أخيه له في الملك وبعده أبناؤه في الخرج، يحرضون القبائل عليه فكان سعود وأبناءه العدو الألد للإمام عبدالله.

ومنها مناصرته لآل عليان على أعدائهم آل مهنا الأمراء الحاكمين في بريدة ذلك الوقت، وكان صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود يقول لم يستقم الأمر لعبدالله لثلاثة أسباب:

١- وجود أبناء أخيه في الخرج يحرضون القبائل.

٢- مناصرته لآل عليان أمراء القصيم السابقين على أعدائهم آل مهنا الأمراء الحاكمين بعدهم، وكان هذا جهلاً من عبدالله لأنه في وقت ضعفه ليس من الحكمة أن يتحزب لبيت مغلوب فيضعضع نفوذه في القصيم.

٣- ظهور محمد بن رشيد الطامع بحكم نجد، فقد تحالف مع آل أبي الخيل من آل مهنا فكانوا يداً واحدة على ابن سعود.

هذه بعض الأمور ومنها أنه كان أذناً سامعة لكلام أهل النميمة والمغرضين، وجرى بسبب ذلك بعض إهانة منه يرحمه الله لبعض العلماء، ووالله إنه لمن المؤسف أن لا يجد المؤرخ مندوحة عن ذكر الأمور على حقائقها لواجب الإخلاص للتاريخ.

ذكر واقعة المعتلا

قد ذكرنا اجتماع القبائل على سعود؛ ولما كان في ذي الحجة من هذه السنة أقبل سعود بجنوده حتى قدم وادي الدواسر وأقام هناك، فانضم إليه عدد من الدواسر، ولما بلغ الخبر إلى الإمام عبدالله أمر على غزو أهل سدير والمحمل أن يقدموا عليه في الرياض، فتجهزوا وقدموا عليه، وضم إليهم غزو أهل الرياض ثم أمر على أخيه محمد بن فيصل أن يزحف بهم لقتال سعود، فسار محمد بتلك الجنود حتى التقوا بالمعتلا، فلما تراءى الجمعان حصلت بين الفريقين وقعة شديدة انهزم لها سعود وجنوده، وقتل منهم عدة رجال، منهم علي بن سريعة وأبناء رئيس نجران، وجرح سعود جراحات كثيرة في يديه وفي سائر بدنه وحصل في يديه عيب شديد، وذهب مع العجمان إلى جهة الأحساء وأقام عند آل مرة إلى أن برئت جراحاته.

وقتل أيضاً من أتباع محمد بن فيصل عدة رجال منهم: عبدالله بن جمة آل مبارك أمير بلد حريملا، وعبدالله بن تركي بن ماضي من رؤساء بلد روضة سدير، ثم قفل محمد بعد هذه الغزوة إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، ولما برئ سعود من جراحاته سار إلى عمان فأقام هناك وطلب النصرة، وجعل يستنجد صاحبها فلم ينجده، وجعل يبرم الكيد لأخيه الإمام ويستجيش القبائل عليه.

وفيها في يوم الأحد الموافق التاسع وعشرين من شعبان شرع في تجديد نصف أرض الحجر من جهة مقام الحنفي، وكان ذلك في سلطنة السلطان عبدالعزيز خان وأمير مكة إذ ذاك الشريف عبدالله بن محمد بن عون.

ثم دخلت سنة ١٢٨٤هـ

ففيها أمر الإمام عبدالله بن فيصل عمه عبدالله بن تركي بالمسير إلى الأحساء، وأكد عليه أن يحبس كل من ظفر به هناك من بادية العجمان، وأن يحرق بيوتهم التي لهم في الرقيقة، فسار عبدالله بن تركي في سرية من أهل الرياض والوشم وسدير، ولما وصل إلى الأحساء قبض على من وجده من العجمان هناك وحبسهم وأحرق البيوت والصرائف التي لهم في الرقيقة، وكان أمير الأحساء إذ ذاك محمد بن أحمد السديري فكتب إليه الإمام وأمره بالقدوم عليه في بلد الرياض، فسار محمد السديري من الأحساء وقدم على الإمام عبدالله في بلد الرياض، فعزله عن إمارة الأحساء وجعل مكانه أميراً في الأحساء ناصر بن جبر الخالدي.

وفيها في شعبان توفى الشاعر محمد بن عبدالله القاضي المشهور صاحب الشعر النبطي رحمه الله تعالى، كان أديباً لبيباً كريماً موصوفاً بالعقل والذكاء ومكارم الأخلاق، وكانت وفاته في بلد عنيزة.

ثم دخلت سنة ١٢٨٥هـ

وفيها كتب الإمام عبدالله بن فيصل إلى أمراء بلدان نجد يأمرهم بالقدوم عليه في الرياض بغزوهم ما عدا أهل القصيم فإنهم لم يحضروا لأنه لم يدعهم، فخرج من الرياض في ١٥ محرم ونزل على بيان وجمع الجموع من بادية وحاضرة، فزحف بهم إلى وادي الدواسر وكان في نفسه غيظ شديد على أهل الوادي لمساعدتهم أخاه سعوداً ومناصرتهم إياه، فلما بلغ الوادي قطع نخيلاً وهدم بيوتاً وأخذ أموالاً وسلاحاً كثيرة، وأقام هناك نحو شهرين، ثم قفل إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيها في أول أربعانية الشتاء بدأ طلع نخيل القصيم وصار لقاحها في شدة البرد فشيصت جميعها ولم يبق من فرائد نخيلها إلا ما يبلغ قد سبع وزان، وتعرف هذه السنة بسنة الشيص، والله على كل شيء قدير.

وفيها ولد توأمان بجسدين ورأسين قد التصقت بينهما عظمة الجبهة فكانا يمشيان معاً ببدنين مفترقين ويجمعهما عظمة الجبهة، وعاشا ثلاثاً وستين سنة والله على كل شيء قدير وقدرة الله صالحة.

كما أنه ولد في أمريكا مولود بأربع عيون فسبحان الله المتصرف في خلقه على وفق مراده.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

ونبدأ بالأهم فالأهم وهم هؤلاء المذكورون، الشيخ عبدالرحمن بن حسن، الشيخ أحمد بن مشرف، وسعود بن محمد بن سعود وعثمان بن علي بن عيسى، أمير عنيزة عبدالله آل يحيى آل سليم، أمير الجبل متعب بن عبدالله بن رشيد.

وفاة الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله وهذه ترجمته

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الحبر الفاضل وقدوة الأفاضل وعين الأماثل، رئيس الموحدين وقامع الملحدين، وخاتمة المحققين وفخر الواصفين مفيد الطالبين ومرشد المتعلمين، الذي أحيا مدارس العلم بعد رسمها الداثر، ورد عصر العلم في الشباب بعد ما صار في سن الأكابر، واحتفلت بدروسه المدارس والمساجد، واحتاج إلى تفريغ منطوقه أهل الفضائل والفوائد، رئيس قضاة المسلمين، ومفتي فرق الأنام من الموحدين، جامع العلوم الشرعية ومحقق الأحاديث النبوية، البحر الغزير والسميدع النحرير، الموفق للصواب في الجواب، عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب وأدخله الجنة بغير حساب ولا عذاب، فلله دره من إمام عالم عامل، وعلى من لا يعرف قدر هذا الشيخ فلا يلم مترجمه لأن الإنسان عدو ما جهل، ولد سنة ١١٩٦هـ في الدرعية.

أما علمه فحدّث عن البحر ولا حرج بحيث أن جميع الذين تعلموا منه ممن أراد الله هدايته فإنه لا يلبث إلا يسيرا حتى يكون فائقاً بفهمه ومرتفعاً بعلمه، وهؤلاء

تلامذته تنادي بهم البلدان ويشهد بها القاصي والدان ومن يغطي ضوء الشمس في وسط النهار، وما زال يتقدم حتى شاع ذكره وعلا قدره في الآفاق، كيف لا؟ وشجرته طيبة حتى بلغ سناها غاية الإشراق، فنسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وأوصافه العلى وبعلمه الذي وسع الأرض والسماء أن يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً.

أما مشائخه الذين أخذ عنهم، فمنهم جده إمام الدعوة محمد بن عبدالوهاب الذي افتخرت به أمة محمد ﷺ على سائر الأمم، قرأ عليه في كتاب التوحيد من أوله إلى أبواب السحر، وقرأ عليه كتاب آداب المشي إلى الصلاة، وحضر مجالسه والقراءة عليه في البخاري والتفسير وكتب الأحكام بقراءة علي بن محمد عم المترجم وشيخه والقراءة عليه في المنتقى، وأخذ عن الشيخ حسين بن الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وأخذ عن الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن فاضل وتعلم منه في السيرة النبوية، وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن خميس علم الفرائض، وأخذ عن الشيخ أبي بكر حسين بن غنام صاحب التاريخ.

وأخذ عن الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي وسمع على الشيخ محمد حياة السندي، والشيخ عبدالله بن إبراهيم القرضي الحنبلي.

أما مشائخه الذين أخذ عنهم من أهل مصر فمنهم الشيخ العالم الكبير عبدالله بن سويدان لقيه بمصر وأجازه بجميع مروياته، وأخذ عن الشيخ حسن القويسني وأجازه أيضاً بجميع مروياته ودفع له كل واحد منهما نسخته المتضمنة لأوائل الكتب التي روياها بسندها إلى الشيخ المحدّث عبدالله بن سالم البصري شارح البخاري، ومنهم الشيخ عبدالرحمن الجبرتي، أخذ عنه وأجازه وأخذ عن الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري مفتي الجزائر، وامتدح هذا الشيخ بحسن العقيدة وطول الباع في العلوم الشرعية، وأخذ عن الشيخ إبراهيم العبيدي المقرئ، وقرأ عليه في تجويد القرآن وأخذ عن الشيخ أحمد بن سلمونة، وكان هذا الشيخ يمتاز بحسن الأخلاق والتواضع مع ماله من اليد الطولي في القراءات، وأخذ عن الشيخ يوسف الصاوي، وأخذ عن الشيخ إبراهيم البيجوري وغيرهم.

وكل من هؤلاء أجازوه وقضوا له بالتقدم والفضل.

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فخلق كثيرون وجم غفير تعلم منه فحول من العلماء وتخرج عليه جهابذة من الأدباء والأذكياء فمنهم ابنه الشريف الحاوي لتالد العلم والطريف الشيخ الألمعي عبداللطيف وتفقه عليه أيضاً الشيخ العالم القاضي في ناحية الخرج عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ وتفقه عليه أيضاً الشيخ العالم القاضي الفقيه حسن بن حسين بن الشيخ قاضي الإمام تركي في الرياض لكنه لم تطل مدته رحمه الله ومات شاباً، وتفقه عليه أيضاً الشيخ العالم عبدالملك بن حسين بن الشيخ القاضي في حوطة بني تميم للإمام فيصل، وتفقه عليه.

وأخذ عنه الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ وكان على قضاء الحريق لفيصل وتفقه عليه أيضاً حسين بن علي بن حسين بن الشيخ وكان هو القاضي في بلد الرياض للإمام فيصل وكان طويل الباع في علم العروض وله قصائد نفيسة، وأخذ عنه الشيخ القاضي عبدالله بن حسن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ عنه عبدالله بن عبداللطيف، وأخذ عنه أيضاً حسن بن علي بن حسين آل الشيخ، وأخذ عنه عبدالله وعبدالعزيز وعلي وعبدالرحمن أبناء الشيخ محمد بن علي بن الشيخ، وأخذ عنه أيضاً أبناء القاضي علي بن الحسين وهما عبدالله وحسن.

وأما محمد بن علي فكان من الطالبين المجتهدين، وكل هؤلاء المذكورين من ذرية الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وبارك في عقباه وجعلهم قادة يقتدي بهم في الخير، وهم من بيت المترجم؛ وأخذ عنه وتفقه عليه خلائق كثيرون من علماء نجد وقضاتها، فمنهم الشيخ العالم المشار إليه بالتعظيم والمتفق على قبوله عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالجبار بن شبانة قاضي بلدان منيخ، والزلفي، والغاط للإمام تركي ثم لابنه فيصل، وأخذ عنه أيضاً العالم المفيد ذو القول السديد والفعل الحميد الشيخ ناصر بن عيد القاضي في الرياض للإمام تركي ثم في بلد الحلوة.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ العالم الورع ذو الإتقان الحبر محمد بن سلطان قاضي بلد عرقة للإمام تركي ثم لابنه فيصل.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ الفقيه عبدالرحمن بن حمد الثمير القاضي في سدير للإمام تركي ثم كان قاضياً في الزلفي للإمام فيصل.

وأخذ عنه العالم الرباني الشيخ حمد بن عتيق القاضي في الحلوة ثم جعله الإمام فيصل قاضياً في الإفلاج وناهيك به علماً وزهداً وورعاً.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم قاضي القصيم الذي شهرته تغني عن مدحه.

وأخذ عنه الشيخ محمد بن عمر بن سليم ويعد هذا من فطاحل العلماء في القصيم.

وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن جبر القاضي في منفوحة.

وأخذ عنه الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف القاضي في حبل شمر عند بن رشيد إلى أن مات رحمه الله.

وأخذ عنه أيضاً العالم النحرير الفقيه البحر الغزير عبدالعزيز بن حسن بن يحيى القاضي في حريملا والمحمل للإمام فيصل.

وأخذ عنه الشيخ ذو الدراية والعرفان محمد بن إبراهيم بن عجلان القاضي في الحريق.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالله بن علي بن مرخان القاضي في ضرما للإمام فيصل، وأخذ عنه الشيخ حمد بن عبدالعزيز بن القاضي ومحمد بن عبدالعزيز قاضي بلد ثادق للإمام فيصل.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن عدوان قاضي بلد الرياض في أيام عبدالله بن فيصل.

وأخذ عنه الشيخ علي بن عبدالله بن عيسى.

وأخذ عنه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى.

وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن مانع:

وأما من أخذ عنه من العلماء ممن لم يل القضا فعدد كثير وجم غفير وناهيك بها منقبةً أن أولئك العلماء الفطاحل الجهابذة الرؤوساء إذا قيل من ينتمون إليه في العلم أجابت الألسن إلى عبدالرحمن بن حسن فجير الله المصاب بهذا الشيخ لأنه كما قيل في الأمثال:

فما كل إنسان يعوضك غيره ولا ألف شخص يعدلون بواحد

ذكر مؤلفاته وسعة علمه

لما كان في سنة ١٢٣٤هـ حمل إلى مصر مع آل سعود وآل الشيخ بأمر إبراهيم باشا لما عثا فساداً في نجد فأقام المترجم بها إلى سنة ١٢٤١هـ فرجع فيها لما أعاد الله الكرة للمسلمين بظهور الإمام تركي ففرح به المسلمون واستبشروا بقدومه وجلس للتدريس وأصبح موضع الإعجاب وانتفع الخلق بعلومه فكان ملازماً للتدريس مكرماً لطلاب العلم كثير الإحسان، لين الجانب، سمحاً كريماً سخياً وقوراً عليه السكينة كثير العبادة، عزيز القدر مستقيماً، أمره مطاع لدى الخاص والعام، ومن أكثر من لزمه في مصر ونجد للطلب ابنه عبداللطيف فضربت إليه آباط الإبل من أقطار نجد والأحساء.

وألف مؤلفات حسنة مفيدة، منها قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين وهي حاشية على كتاب التوحيد، لم أر أحسن في بابها منها، ومنها فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد اختصره من شرح الشيخ سليمان بن عبدالله وأتمه لأنه لم يتمه، كتاب بيان المحجة، في الرد على صاحب اللجة، كتاب بيان كلمة التوحيد والرد على الكشمير العنيد، كتاب المورد العذب الزلال، كشف شبه أهل الضلال، كتاب ما يحل وما يحرم من الحرير وهو في الحقيقة مفيد كبير من طالعه دله

على علمه الغزير، رد فيه على من أباح لبس المحرمة الروغان، التي ابتلى بها وبلبسها الناس في ذلك الزمان، وكتاب في الرد على داود بن سليمان بن جرجيس العراقي، وكتاب في الرد على عثمان بن منصور، ونصيحة عظيمة في التقوى ورسالة في الزجر عن طلب العلم لغير الله.

ولقد كان له من الرسائل والنصائح التي بثها في القبائل وازدهت بها المجالس والمحافل ما يضيق عنها الموسع، وقد من الله بجمعها وطبعها فظهرت في مجموع الرسائل والمسائل فلله الحمد لا نحصي ثناءً عليه، فمن أحب الاطلاع عليها فيجدها هناك، وكان كثيراً ما يتعاهد أهل بلدان نجد بالرسائل والنصائح يذكرهم بأيام الله ويعلمهم ما يجب عليهم من أمر دينهم ويبين لهم نعمة هذا الدين واجتماع شمل المسلمين وما من الله به على أهل نجد في آخر هذا الزمان.

قال الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر وقد كان متنبهاً فطناً لدسائس أهل البدع، كتبت له مرة ودعوت له في آخر الكتاب وقلت في ختام الدعاء إنه على ما يشاء قدير، فكتب إلي وقال في أثناء جوابه أن هذه الكلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد وهو قول الكثير إذا سأل الله تعالى قال وهو القادر على ما يشاء وهذه الكلمة يقصد بها أهل البدع شراً وكل ما في القرآن وهو على كل شيء قدير، وليس في القرآن والسنة ما يخالف ذلك أصلاً أن القدرة شاملة كاملة وهي والعلم صفتان شاملتان يتعلقان بالموجودات والمعدومات، وإنما قصد أهل العلم بقولهم وهو القادر على ما يشاء أي أن القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت به المشيئة.

قال وكتبت له مرةً أهنيه بقدوم ابنه الشيخ عبداللطيف من مصر، وتوسلت إلى الله في دعائي بصفاته الكاملة التي لا يعلمها إلا هو، فكتب إلي فقال وقد ذكرت وفقك الله في وسيلة دعوتك جزاك الله غني أحسن الجزاء عن تلك الدعوات، قلت: وأتوسل إليك بصفاتك الكاملة التي لا يعلمها إلا أنت فاعلم أيها الأريب الأديب أن الذي لا يعلمها إلا هو كيفية الصفة، وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الإمام مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول؛ ففرق هذا الإمام بين ما

يعلم من معنى الصفة على ما يليق بالله فيقال استواء لا يشبه استواء المخلوقين ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه، وأما الكيف فلا يعلمه إلا الله، فتنبه لمثل هذا فالإمام مالك تكلم بلسان السلف، فانظر إلى سعة علومه ودقة انتباهه.

ثم ذكر بن بشر رحمه الله رسالة للشيخ المترجم بعثها إلى بلدان نجد في ذكر ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما كابده من عدم قبول الملأ والكبراء والفسقة لدعوته وهي عجيبة غريبة، ولولا خشية الإطالة لسقناها بكمالها.

وكتب إلى الإمام فيصل بنصيحة يحرضه على إقامة الدين قال بعد البسملة: من عبدالرحمن بن حسن إلى إمام المسلمين وخليفة سيد المرسلين في إقامة العدل والدين وهو سبيل المؤمنين والخلفاء الراشدين فيصل بن تركي جعله الله في أعدادهم متبعاً لسيرهم وآثارهم آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم أخذ يقذف بالحق على الباطل ويرمي الغي بسهام الرشد ولا تأخذه في الله لومة لائم، فكان جوابها من الإمام بعد البسملة: من فيصل بن تركي إلى من تصل إليه هذه النصيحة ويسمعها أن يعمل بما ذكر فيها ولا لأحد عذر لا من منع أو ردع، فلا يعذر حتى يبلغنا فإذا بلغنا من منعه فهو معذور والموجب أن حوائج الناس ما تقف عنا القوي يوصل حاجة الضعيف ويعين عليه بذكر حاله ولابأس في هذا ويثاب عليه فتوكلوا على الله وافعلوا ما أمركم به وتأمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، ويكون ذلك على علم وحلم، فإن جبنتم فالله حسيب عليكم وهو حسبنا ونعم الوكيل وصل الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

ولما نكبت نجد في ولاية عبدالله بن سعود وجرى على الحكومة السعودية ما جرى بقضاء الله رب العالمين من تسليط الأعداء العثمانية والجنود المصرية، وكان أمر الله قدراً مقدورا، فابتلى أهل نجد وزلزلوا زلزالاً شديداً، وهدمت البلدان وقتل الأبرياء وهتك العلماء فتشتت الشمل وفرَّ العلماء إلى الأقطار، كان من جملة الراحلين إلى مصر فبعث إليه الشيخ العالم عبدالعزيز بن الشيخ أحمد بن ناصر بن معمر وهو إذ ذاك في البحرين بقصيدة رائعة يذكر فيها العهد القديم وما جرى

بعده من المحن والأحن والزلازل والكوارث وما حل في نجد من الدمار والخراب وتسلط الأعداء وشتات الشمل واذية أهل الدين بالقتل والأسر والنفي مطلع القصيدة:

سلام عليكم دونه عدد الرمل   يجدد ما تبقى البواكر والأصل

وعدتها خمسة وعشرون بيتاً، فأجاب الشيخ عبدالرحمن عليها بهذه القصيدة التي أهاجت السواكن، وهي قوله:

تخطت إلينا حين عنَّ لنا الوصل   مفاوز نجد كلما انخفضت تعلو
فتاة كمياس الغصون تمايلاً   وقد أكملت فيها الملاحة والدل
لها فاحم ضاف على الردف سابغ   ووجه يضاهي البدر هابه العقل
لها منزلٌ من بين حزوى ورامة   ومن دون مرباها الصوارم والأسل
أناخت إلينا عند إدراكنا المنى   لعسر مضت من بعدها أربع تتلو
فضمت وحيت ثم بشت وأسفرت   عن الورد والياقوت واللؤلؤ المحل
فقلت لها أهلاً وسهلاً ومرحباً   سلام عليكم دائماً أبداً يعلو
الذ وأحلى من زلال على الظما   وأبهى من الروض الذي صابه الوبل
تحية مشتاق على البعد والجلا   ولم يسله عنكم نعيم ولا أهل
لأنكمو أهل الفضائل والتقى   بكم قام فرع الدين وأغدودق الأصل
فعادت وأبدت بالثنا لابن أحمد   أبي وفي عالم فاضل سهل
تخبر عن ذلك الفتى بفضائل   تنبىء عنها الرسائل والرسل
ينادمني بالبعد عنه كتابه   لقد طاب ذاك الفرع أيضاً كذا الأصل
وذكرتني يا ابن الإمامين معشراً   هم السادة الأنجاب والأوجد النبل
صحبناهمو دهراً نعمنا بظلهم   علينا غمام بالغنائم تنهل
وأبدلت منهم أوجها لا تسرني   وجسمي بأرض ليس فيها لنا شكل
فلما افترقنا ضل قلبي بأرضهم   سوى عصبة قلوا فكنت بهم أسلو
فيا لهف نفسي بأذكاري ولوعتي   على أنجم غابت فغاب بها العدل

فصبراً على بعد المدى واغترابنا ... عسى باعتلاء الحق أن يجمع الشمل
ويبدو محياها بنور مشرق ... ويرجع عقد الشرك والظلم ينحل
وصل على المختار ربي وآله ... وصحب له والمقتفى نهجم يتلو

وما زال مقيماً لدين الله باذلاً جهده في نصرة التوحيد حتى أتاه اليقين، وكانت وفاته عشية يوم السبت ١١ذي الحجة من هذه السنة.

ولما توفاه الله تعالى وانتقل إلى جواره رثاه الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع الوهيبي التميمي بهذه القصيدة، وكان تلميذاً له:

تردد رداء الصبر في حادث الأمر ... وفوض بتسليم مع الحمد والشكر
فنعم احتساب المرء في حال رزئه ... ونعم أدراع الصبر في العسر واليسر
لقد ساءنا ما جاءنا من مبلغ ... مشيع بها يهدي إلى المسمع الوقر
فصخت له سمعاً وألححت سائلاً ... بماذا ينادي والفؤاد على جمر
فقيل ينادي أخطأ الله شره ... فإن إمام الدين أوفى على العمر
فأزعج من ألبابنا كل ساكن ... وحرك أشجاناً بها عيل من صبر
وأيقنت أن الأرض مادت بأهلها ... وإن الفضا مما بنا صار كالشبر
لقد ظل أهل الحق من بعد موته ... حياري كأيتام أصيبوا على صغر
فيا مهجتي حقاً عليه تفتتي ... ويا عبرتي خلي غرور الأسى تجري
مضى عابد الرحمن نجل محمد ... مجدد دين الله عن وصمة الكفري
فلا يبعدنك الله من شيخ طاعةٍ ... بعيد عن الأدناس ناء عن الكبر
قوي بأمر الله شهم مهذب ... أشد لدى هتك الحدود من النهر
تجرد للتدريس والحفظ دائباً ... وأسقى غراس العلم في سائر العمر
ففي الفقه والتوحيد بحر غطمطم ... وفي بحثه التوحيد نادرة العصر
وفي النحو والتأصيل قد صار آية ... وكل فنون العلم أربى على البحر
يجيب على التقوى جواباً مسدداً ... يزيح به الإشكال عن مرتع الفكر
فيضحي عويص المشكلات موضحاً ... بتحقيق أبحاث أدق من الشعر

فسل عنه في التوحيد تهذيبه الذي غدا بين تيك الكتب كالكوكب الدر
وفي رده تشبيه كل مشبه من الملحدين المعتدين أولي الغدر
إذا مبطل يأتي بتزويق شبهةٍ جلاها كما يجلى دجى الليل بالفجر
ففي كل أقليم له الرد فانتهت تصانيفه في كل مصر وفي قصر
ولما طغى علج العراق بجهله وغرره من لفقوه من الهذر
رماه كما يرمي الرجيم بثاقب فراح ابن جرجيس على الذل والصغر
وباء ابن منصور بإرغام حجةٍ ودحض فولى بالبوار وبالخسر
وفي كل معنى وفر الله قسمه وفضل إله العرش يسمو على الحصر
فلو كان يفدى لافتدته نفوسنا بأرواحها لو كان ذلك من أمر
أو الأجل المحتوم يدفع برهة لزدناه من وقت به منتهى العمر
ولكن أطواق المنايا قلائد بأعناقنا لا نفتديها من الأسر
لقد بان فيها النقص من بعد موته وموت أهل العلم قاصمة الظهر
فكانوا كسلك قد وهى من نظامه فلهفي على أهل النهى الجلة الطهر
فهذي علامات القيامة قد بدت ونقل خيار الناس من أعظم النذر
فنرجوا إله العالمين يثيبنا ويجبر منا ما تصدع من كسر
ويسكنهمو جنات عدنٍ مع الأولى سعوا في بيان الدين في العسر واليسر
وما مات من كان المبجل شيخنا خليفته عبداللطيف بن ذي القدر
سمى رتبةً في العلم لم يتصل بها سواه ولم يبلغ سناها ذوو الصدر
فكانوا أحق الناس في قول من مضى إذا ما انتدى للقوم في محفل الذكر
إذا قال لم يترك مقالاً لقائلٍ مصيب ولم يثن اللسان على هجر
وأقلامه تجري على متن طرسه فتشفى أورام الصدر عن مغلق الحصر
وإن طالب يأتيه يبغي إفادةً أزاح له الإشكال بالسبر والخبر
وأنهله من بحره الجم نهلةً فراح بها يدري وقد كان لا يدري
فلا زال يولي الطالبين من الهدى ويمنح أهل العلم من سيبه الغمر

يجـــدد منهـــاج الأئمـــة جـــددوا ... لدين الهدى فانضاح في الـبر والبحـر
هم القوم أحيوا سنة الـدين واقتفـوا ... منـار طريـق الحـق بالسـر والجهـر
فـأحيوا سـبيل الرشـد بعـد اندراسـه ... وقد بـذلوا فيـه النفيس مـن العمـر
فأصـــبح منهاجـــاً قويمـــاً لســـالكٍ ... وبعد الخفا أضحى يضاهي سنا البدر
أولئـك أشـياخي وقـومي وسـادتي ... وهم قـدوتي حتـى أوسـد في قـبري
لئن أصبحوا قد ضمهم بطـن ملحـدٍ ... ومـاتوا كرامـاً مـوت ذي نجـدة حـر
فقـــد خلفـــوا فينـــا تقـــارير ديننـــا ... ولم يغفلـــوا منـــه أقـــل مـــن الظفـــر
تغمــــدهم رب البرايــــا بفضــــله ... وأسكنهم من جنـة الخلـد في القصـر
وأحيـــا إلـــه العـــالمين منـــارهم ... بســـلطاننا الميمـــون بالمجـــد والفخـــر
إمـام الهـدى عبدالإلـه بـن فيصـل ... سمـام العـدى نجـل الغطارفـة الغـر
كثير الأيادي في البـوادي وحضـرهم ... مبيـــد الأعـــادي بالمهنـــدة الـــبتر
تـولى أمـور الخلـق حقـاً فساسـهم ... سياسـة عـدلٍ غـير جـور ولا غشـر
يبيـــت إذا نـــام الهـــدان بهمـــةٍ ... يـــدبرها بـــالحزم والعـــزم والفكـــر
وألبســـه الـــرحمن جلبـــاب هيبـــةٍ ... كما ألبس الفاروق بالبـاس والصـبر
وأن يأتـــه ذو رفعـــةٍ وتكـــبر ... تضـــاءل كالعصـــفور أبصـــر بـــالحر
إذا ســـار ينـــوي قريـــةً أو قبيلـــةً ... تقدمـه جيش مـن الرعـب بالنصـر
أدام لـــه المـــولى الكـــريم اعتـــزازه ... وأيـــده بالنصـــر والعـــزم والقهـــر
وبلغـــه مـــن كـــل خـــير قوامـــه ... مع الأمن والتوفيق والسـعد واليسـر
وســـدده في كـــل حـــال وقـــاده ... بتوفيقـه في ظـاهر الأمـر والعسـر
وأحســـن حـــتم النظـــام صـــلاتنا ... على المصطفى والآل مع صحبه الطهر
صـلاة وتسـليماً يـدومان مـا سـرا ... نسيم الصبا أو ناخ في أيكـه القمـري

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ أحمد بن علي بن مشرف رحمه الله وعفا عنه، **وهذه ترجمته:**

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الأديب الحجة الثقة المحدّث الفقيه المتقن

الأثري السلفي حسان السنة في وقته أحمد بن علي بن حسين بن مشرف الوهيبي التميمي المالكي، ولد رحمه الله في الأحساء، وأخذ العلم فيها عن الشيخ حسين بن غنام وغيره، وكان راسخاً في العلم متفنناً في الأدب متقفياً لآثار السلف، قارضاً للشعر، درّس في الأحساء، ونظم رسالة بن أبي زيد، وله الديوان البديع المعاني الذي أتى فيه بالقصائد الفريدة، وقد تقدم شيء منها فما أحسن أرجوزته في العقيدة، وأعذب قصيدته اللامية التي سماها الشهب المرمية على المعطلة والجهمية، ورثاءه للعلم وذكر شرفه وفضله، وقد أتى في ديوانه بالعجب العجاب، وقد تولى قضاء الأحساء في أواخر أيام الإمام فيصل وأوائل ولاية ابنه عبدالله، وكانت وفاته في بلد الأحساء.

وممن توفى فيها من الأعيان الأمير جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود.

وممن توفى فيها من الأعيان الشيخ سعود بن محمد بن سعود بن حمد بن محمد بن سلمان بن عطية قاضي بلد القويعية رحمه الله وعفا عنه.ولما توفى تولى قضائها بعده ابنه محمد بن سعود.

وممن توفى فيها أيضاً الشيخ عثمان بن علي بن عيسى قاضي بلدان سدير، وكان قد تخرج على الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين رحمة الله عليه، وكان من قبيلة سبيع.

وممن توفى فيها من الأعيان أمير عنيزة عبدالله بن يحيى آل سليم، وكانت مدة إمارته فيها خمس عشرة سنة قضاها في صرامة وشجاعة، وتولى بعده إمارة عنيزة زامل بن عبدالله بن سليم، ففي هذه السنة تولى زامل إمارة عنيزة.

وممن توفى فيها أيضاً من الأعيان متعب بن عبدالله بن رشيد قتله ابنا أخيه طلال وهما بندر وبدر.

ثم تولى إمارة الجبل بعد متعب بندر بن طلال بن رشيد وذلك بممالات من عمه عبيد بن علي بن رشيد على قتله، فالله المستعان.

وكان أخو المقتول محمد بن عبدالله بن رشيد قد ركب من الجبل وافداً على الإمام عبدالله بن فيصل، فجائه الخبر بقتل أخيه متعب وهو إذ ذاك في الرياض، فاسرّها في نفسه، وكان عاقلاً، وأقام هناك عند الإمام بقية تلك السنة.

ثم دخلت سنة ١٢٨٦هـ

ففيها ولد الشيخ عبدالستار بن عبدالوهاب الدهلوي، ويعرف بصاحب المكتبة، لأن له مكتبة في مكة المشرفة بمحلة الشامية بقاعة الشفا وتحتوي على ألف وسبعمائة كتاب وأربعة عشر كتاباً، ومن نفائس محتوياتها تواريخ مكة المخطوطة.

وفيها توفى الشيخ عبدالرحمن بن عدوان تغمده برحمته الكريم المنان وأسكنه فسيح الجنان، وكان رحمة الله عليه ممن أخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وعن الشيخ محمد بن مقرن بن سند بن علي بن عبدالله بن فطاي الودعاني، وهو من الغراغير من تميم، وكان قد تولى قضاء الرياض للإمام عبدالله بن فيصل.

وفيها أغار أمير الجبل بندر بن طلال بن رشيد على الصعران من برية، وهم على الشوكي، فأخذهم وقتل رئيسهم هذال بن عليان بن غرير بن بصيص.

هذا ولا يزال محمد بن عبدالله بن رشيد مقيماً في الرياض لدى الإمام عبدالله، وفيها زحف الإمام عبدالله بن فيصل بجنود المسلمين من الحاضرة والبادية، فقصد جهة الأحساء ونزل على دعىلج المعروف هناك، وكان سعود بن فيصل إذ ذاك في عمان فأقام الإمام عبدالله هناك نحو أربعة أشهر، ثم بعث في ذي القعدة سرية إلى قطر مع مساعد الظفيري والعسعوس وأمرهم بالمقام هناك، وبعث سرية إلى الأحساء مع فهد بن دغيثر وأمرهم بالمقام عند ناصر بن جبر الخالدي، وعدا بمن معه من المسلمين على الصهبة من مطير وهم على الوفرا، فأخذهم ثم قفل راجعاً إلى الرياض، وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

وفيها وفد الأمير بندر بن طلال بن رشيد على الإمام عبدالله ومعه له هدية ثمينة، فأكرمه الإمام ومن معه وأحسن وفادته، ثم طلب الأمير بندر من عمه محمد

بن عبدالله أن يرجع معه إلى حائل وأعطاه العهود والمواثيق على أنه لا يناله منه مكروه، وأقاموا في الرياض أياماً، ثم رجع بعمه إلى حائل وحصل على الأمير بندر من محمد بن عبدالله ما سنذكره إن شاء الله تعالى؛ وفي كلام الحكمة: «اتق شر من أحسنت إليه».

وفي هذه السنة ابتدئ بحفر خليج السويس ليتصل بحر الروم ببحر القلزم، وكان تمام ذلك بعد تلك السنة بست سنين، وكان القائم بهذه المهمة دولة الفرنسيس والأنكليز، وإسماعيل باشا والي مصر، وبعد تمامه جعلوا على المراكب التي تمر منه رسوماً معلومة على قدر ما فيها من الحمل، وقد كان هذا العمل إرادة أمير المؤمنين هارون الرشيد ليتهيأ له غزو الروم إذا اتصل البحران، فمنعه وزيره يحيى بن خالد البرمكي وقال له: إن فعلت ذلك تختطف الأفرنج للمسلمين من المسجد الحرام، فامتنع الرشيد عن ذلك وكف عنه عملاً بنصائح الوزير.

ثم دخلت سنة ١٢٨٧هـ

وفيها أقبل سعود بن فيصل من عمان وتوجه إلى البحرين، فقدم على آل خليفة رؤساء البحرين، وطلب منهم النصرة والقيام معه، فوعدوه بذلك وقدم عليه في البحرين محمد بن عبدالله بن ثنيان بن سعود بن مقرن، واجتمع على سعود خلائق كثيرة فتوجه بهم إلى قطر لقتال السرية المرابطة فيه من جهة الإمام عبدالله، وحصل بينه وبينها وقعة شديدة صارت الهزيمة فيها على سعود وأتباعه وقتل منهم عدة رجال، من أعيانهم محمد بن عبدالله بن ثنيان، ورجع سعود بعد هذه الوقعة إلى البحرين وأخذ يكاتب العجمان، فقدم عليه منهم خلائق كثير.

ولما كان في رجب من هذه السنة سار سعود من البحرين ومعه أحمد بن الغنيم ابن خليفة وعدة رجال من أهل البحرين، وتوجهوا إلى الأحساء بتلك الجنود، ولما وصلوا إلى العقير اجتمع عليهم من عامة العجمان وآل مرة وممن معهم من البوادي جم غفير، وكان رؤساء العجمان يكاتبون سعود بن فيصل ويعدونه بالنصرة

ويسألونه القدوم عليهم في الأحساء، ويأمرون عامتهم بالمسير إليه والقدوم عليه والقيام معه ومناصرته مع ما كانوا يتملقون به عند أمير الأحساء ناصر بن جبر وعند فهد بن دغيثر أمير السرية المرابطة في الأحساء من قبل الإمام، يظهرون السمع والطاعة للإمام ويبطنون المكر والغدر.

ثم إنه زحف سعود من العقير وتوجه إلى الأحساء بمن معه من الجنود، ولما أن وصل إلي الجفر البلد المعروف هناك، أراد أهلها أن يمتنعوا من تلك الجنود المتضافرة، غير أنهم عجزوا عن ذلك لكثرة العدو وقلة المساعد، فدخلت تلك الجنود البلد ونهبوها وعاثوا في قرى الأحساء بالنهب، وقام ابن حبيل أمير بلد الطرف مع سعود واشتد الخوف واضطرب البلد، فقام حزام بن حثلين وابن أخيه راكان بن فلاح بن حثلين، ومنصور بن منيخر لدى الأمير ناصر بن جبر وفهد بن دغيثر ورؤساء الأحساء وطلبوا منهم الخروج لقتال سعود ومن معه من الجنود، وحلفوا لهم الأيمان المؤكدة على التعاون والتناصر، وأن يكونوا يداً على من ناواهم، فخرج أهل الأحساء يتقدمهم العجمان المناصرون، ولما وصلوا الوجاج الموضع المعروف غدرتهم العجمان وانقلبوا عليهم فأخذوهم وقتلوا منهم نحو ستين رجلاً، من أعيانهم عبدالله بن محمد بن ملحم وسليمان بن ملحم، وانهزم بقية أهل الأحساء إلى بلد الهفوف وهم ما بين جريح وسليب، فتحصن أهل الهفوف بعد هذه الوقعة في بلدهم واستعدوا للحرب، ثم زحف سعود بعد هذه الوقعة بجنوده ونزل على بلد الهفوف، فثار الحرب بينه وبينهم وأقام لهم محاصراً أربعين يوماً.

وأما ما كان من أمر الإمام عبدالله، فإنه لما بلغه مسير سعود من البحرين إلى الأحساء، أمر على جميع بلدان نجد بأن يتجهزوا للغزو، وأن يقدموا عليه في الرياض، فقدم عليه غزو أهل ضرما والمحمل وسدير، فجعل عليهم أخاه محمداً وضم إليه غزو أهل العارض وسبيع والسهول، فزحف محمد بن فيصل بتلك الجموع إلى الأحساء وقد كان أهل الهفوف يتابعون الرسل إلى الإمام يطلبون منه النصرة، ولما علم سعود بمسير أخيه محمد لنجدة أهل الأحساء فك الحصار عن الهفوف وسار بجنوده للقاء أخيه محمد.

ذكر واقعة جودة[1] سنة ١٢٨٧هـ

قد تقدم ذكر شيء من انهزام أهل الأحساء، وذلك بتدبير الحيل من العجمان الذين لا يزالون منابذين للإمام للأوغاد التي في صدورهم قبل ذلك.

ولما قرب الأمير محمد بن فيصل إلى جودة، وجد أخاه سعوداً قد سبقه إليها، فنزل محمد وجنوده بالقرب منها، وكان قد انضم مع سعود خلائق كثيرة من العجمان وآل مرة ومعه المبرز وأحمد بن الغنيم بن خليفة وابن حبيل.

فما كان إلا قليل حتى نشبت الحرب بين الفريقين، وتقاتلوا قتالاً شديد، وذلك في اليوم السابع والعشرين من رمضان، فحصلت خيانة من العربان الذين مع محمد بن فيصل والعياذ بالله وهم سبيع، وانقلبوا على أصحابهم ينهبونهم، فصارت الهزيمة على محمد بن فيصل وجنوده فانهزم جيش الإمام وقتل من الجيش خمسمائة مقاتل، من أعيانهم عبدالله بن بتال المطيري ومجاهد بن محمد أمير بلد الزلفي وإبراهيم بن سويد أمير بلد جلاجل وعبدالله بن مشاري بن ماضي من رؤساء روضة سدير، وعبدالله بن علي آل عبدالرحمن أمير بلد ضرما، وقتل من أتباع سعود عدد كبير وقبض سعود على أخيه محمد بن فيصل وأرسله إلى القطيف فحبسه هناك.

ولم يزل في حبسه ذلك إلى أن أطلقه الأتراك في السنة التي بعدها.

واستولى سعود ومن معه على ما كان مع أخيه محمد من السلاح والقوات والركاب والأمتعة، وكانت شيئاً كثيراً، وهذا يعد ظفراً ونصراً مؤزراً، وأقام على جودة بعد هذه الواقعة، وكتب إلى رؤساء أهل الأحساء يأمرهم بالقدوم عليه والمبايعة، فقدموا عليه هناك وبايعوه.

---

(١) نسبة إلى جودة الماء المعروف.

ثم ارتحل بعد ذلك من جودة وسار إلى الأحساء فاستولى عليها وأخذ من أهلها أموالاً عظيمة ففرقها على العجمان، وأقام هناك، ولما جاء الخبر إلى الإمام عبدالله بن فيصل وأن أخاه محمداً حبس وقتل رجاله وغنمت أموالهم وخيلهم وركابهم، خرج من الرياض وقصد ناحية جبل شمر ومعه عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين، وناهض بن محمد بن ناهض، فلما وصل إلى البعيثة وهي ماء معروف في العروق، نزل عليه وضرب خيامه هناك وأرسل عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين برسائل وهدايا لباشا بغداد وباشا البصرة النقيب محمد، وطلب منهم النصرة والمساعدة على أخيه سعود، فوعدوه بذلك وأخذوا في تجهيز العساكر إلى الأحساء والقطيف، وأقام عندهم عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله أبي بطين ليأتي بتلك العساكر.

ولما أن كان في شهر شوال من هذه السنة وفد محمد بن هادي بن قرملة ومعه عدة رجال من رؤساء قحطان على سعود بن فيصل في الأحساء فلم يلتفت إليهم ولم يعبأ بهم، فخرجوا منها وتوجهوا إلى الإمام عبدالله وهو على البعيثة، فعاهدوه على السمع والطاعة، وارتحل معهم راجعاً إلى الرياض فدخلها في شهر ذي القعدة.

ولما أن كان في آخر الشهر المذكور خرج سعود من الأحساء يريد بلد الرياض، ولما أن كان في أثناء الطريق بلغه الخبر اليقين أن أخاه عبدالله بن فيصل قد رجع إليها ومعه قحطان، فرجع سعود إلى الأحساء.

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم بن حمدان بن محمد بن مانع بن شبرمة الوهيبي التميمي، كانت وفاته رحمة الله عليه في بلد الأحساء، كان من أهالي شقرا، ثم انتقل إلى الأحساء واستوطنها، ثم ولاه الإمام عبدالله بن فيصل القضاء في القطيف وقت الموسم، فإذا انقضى الموسم رجع إلى الأحساء، وكان عالماً فاضلاً أديباً لبيباً بارعاً، أخذ العلم عن أبيه الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع وعن جده لأمه الشيخ الإمام العالم العلامة عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين، وعن الشيخ العالم العلامة القدوة

الفهامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه الشيخ العالم الكبير والعلم الشهير عبداللطيف بن عبدالرحمن وغيرهم، وكان كثير المطالعة سديد المباحثة والمراجعة، مكباً على طلب العلم منذ نشأ إلى أن مات، وجمع كتباً كثيرة بخطه الحسن المتقن المضبوط النير، وجرد حاشية جده الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين على المنتهى من هوامش نسخته، فجاءت في مجلد ضخم، ولديه قدرة وصلاحية، وهذا هو الذي مرّ بنا مرثيته في الشيخ عبدالرحمن بن حسن، فالله المستعان.

ولقد ظهر من بيت آل مانع رجال عظماء علماء تبتهج البلاد بذكرهم، وتلهج الألسنة على الدوام بشكرهم، منهم الشيخ محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم والد المترجم، ومنهم مدير عام المعارف السعودية الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع، ومنهم قاضي عنيزة الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع ومنهم صاحب الترجمة، فبهذا يتبين أن بيتهم بيت علم غفر الله لهم.

وفي هذه السنة وقع القحط في نجد واشتدت المؤونة وحصل غلاء شديد واستمر القحط والغلاء، وفيها قتل سلطان بن قنور في عين بن قنور المعروفة بالسر قتلة محمد بن عويد بن قنور ورجاله من عشيرته ومعهم فوزان الصوينع، وسبب قتله هو أنهم اتهموه أنه يميل إلى آل ربيع المعروفين من آل شقراء في السر لما بين آل قنور وآل ربيع من الشرور، وكان سلطان المذكور حين أرادوا قتله جالساً إلى جنب ابن أخته عبدالله العطيفة، فلما رآهم سلطان دخل على عبدالله المذكور واستجار به، فقام عبدالله ينهاهم عنه فلم يلتفتوا إليه وقتلوه، ولم يرعوا لعبدالله حرمة فغضب عبدالله لذلك وسار إلى الرياض ومعه ثوب خاله سلطان بن قنور مضرجاً بالدماء، فقدم على بني عمه العطيفات في بلد الرياض وهم فالح وحطاب وحجاب وراشد، فصاح عند وبكى وقال إن آل عويد قتلوا خالي ظلماً وعدواناً وهو في وجهي ونهيتهم فلم ينتهوا بل هتكوا حرمتي وقطعوا وجهي وجعل يبكي حتى استجاش سوكنهم، فغضبوا لذلك وكانوا من جملة خدام الإمام عبدالله بن فيصل ومن المقربين لديه لشجاعتهم، وكانوا معروفين بالشجاعة طلبوا الإمام عبدالله أن يسمح

لهم في قتل محمد بن عويد، فإذن لهم وركبوا سائرين من الرياض حتى قدموا آل ربيع في بلد شقراء ، فركبوا معهم وتوجهوا إلى السر، فلما وصلوا إلى بلدهم الطرفية المعروفة بالسر، لم يجد فيها سوى النساء، والصبيان فسألوا النساء عن الرجال، فأجبن بأنهم خرجوا للصيد فركب المنعطفات ومن معهم من آل ربيع وأتباعهم من أهل شقراء نحو من عشرين رجلاً وتوجهوا إلى النفود في طلبهم، وأقام بقيتهم في الطرفية يترقبون مجيئهم، فوجدوهم في نفود السر، ولما رآهم محمد بن عويد ركب حصانه وانهزم وكان مشهوراً بالرماية، لم يكن في زمنه من يماثله، وسار إلى السر وترك أصحابه فأحاطوا بهم وقام آل ربيع على فوزان الصوينع فقتلوه لأمور بينهم وتركوا الباقين ثم ساروا خلف محمد بن عويد وطلبوه فأدركوه في عين الصوينع فقتله العطيفات، ثم رجعوا إلى شقراء وسار العطيفات منها إلى الرياض وختمت هذه السنة بفتن وزلازل ومحن واحن فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٢٨٨هـ

استهلت هذه السنة والحرب قائمة بين أبناء فيصل عبدالله وسعود.

هذا ومحمد بن فيصل محبوس في القطيف حبسه سعود، واستضعف جانب الإمام عبدالله لما بذله سعود من المشاغبة له والمنازعة.

وفيها اشتد القحط والغلا والجوع، وكثرت الملاحم.

وفيها قتل أمير الجبل بندر بن طلال، قتله عمه محمد بن عبدالله، وقتل معه أربعة من إخوته، منهم بدر وكان في قتله لهؤلاء الخمسة نبؤ عجيب بحيث أنه لما قتلهم صب ميزاب السطح الذي قتلهم فيه دماً، ثم إنه جعل يقيم الأعذار بعد ذلك تارةً يزعم أنه خاف على نفسه منهم فقتلهم قبل أن يقتلوه، وتارةً يزعم أنه أخذ بثأر أخيه ابن متعب بن عبدالله فالله أعلم.

وفي هذه السنة تولى محمد بن عبدالله بن رشيد إمارة حائل، واستمر له النصر وكان عاقلاً سياسياً مدارياً يعد من أفذاذ الرجال في الدها والسياسة.

وفيها في محرم خرج سعود بن فيصل بجنوده من الأحساء، وجعل على إمارة الأحساء فرحان بن خير الله، ثم زحف إلى الرياض، فلما قرب من الرياض خرج الإمام عبدالله الفيصل منها وقصد بوادي قحطان، وكان قد أرسل قبل خروجه منه أمتعته وأثاثه ومدافعه وتبوسه مع سرية قائدها حطاب بن مقبل العطيفة، وأمرهم أن يتوجهوا إلى عربان قحطان فصادف السرية سعود في الجزعة وأخذ جميع ما معهم من الركاب والسلاح والأثاث بعد قتال شديد جرى بينهم، فلما حصلت الهزيمة على حطاب وأصحابه قتلهم وأخذهم.

ومن أعيانهم حطاب المذكور وفلاح بن صقر العطيفة وعويد بن حطاب العطيفة ومحمد بن راشد الفقيه.

ثم دخل سعود بلد الرياض ومعه خلائق كثيرة من العجمان وغيرهم فعاثوا في البلد ونهبوا بلد الجبيلة وقتلوا جماعة من أهلها وقطعوا النخيل وخربوها، وتبروا ما علو تتبيرا، ففر أهل الجبيلة وتفرقوا في بلدان العارض، ولم يبق فيها ساكن، وانحل نظام الملك وكثر الهرج واشتد الغلاء والقحط، وأكلت جيف الحمير والكلاب، ومات خلائق كثيرة من الجوع، وحل بأهل نجد من القحط والجوع والمحن والنهب والقتل والفتن والموت الذريع ما الله به عليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وابتلى الله عز وجل أهل نجد بالحروب والملاحم في سبب الاختلاف بين أبناء فيصل، ولما استقر سعود في الرياض كتب إلى رؤساء البلدان يأمرهم بالقدوم عليه للبيعة فقدموا عليه وبايعوه وأمرهم بالتجهز للغزو.

ذكر واقعة البره

لما كان في ربيع الأول من هذه السنة خرج سعود من الرياض غازياً بجنوده من العجمان وآل مرة وسبيع والسهول والدواسر وأهل الرياض والجنوب والخرج، ومعه عمه عبدالله بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وكان عمه عبدالله يميل إلى عبدالله بن فيصل، فزحف سعود بتلك الجنود يريد أخاه عبدالله ومن معه من

قحطان، فلما وصل إلى ثرمداء جاءه الخبر بأنهم ارتحلوا من موضعهم الأول وهو الأنجل، ونزلوا على البره، فسار سعود بجنوده إليها لقتال أخيه عبدالله بن فيصل ومن معه من قحطان، وأرسل عمه عبدالله بن تركي إلى شقراء ومعه عدة رجال فأمرهم بالمقام فيها وكان بينه وبين عمه وحشة.

ولما كان في سابع جمادى الأولى وصل سعود ومن معه البره فلما تراءى الجمعان والتقى الفريقان جرى بينهما ما لا يحسن ذكره، فاقتتل الفريقان قتالاً شديداً يطيش له الجليد ويشيب لهوله الوليد، فانهزم عبدالله بن فيصل ومن معه من قحطان وغيرهم، وقتل منهم قتلى كثيرة، من أعيانهم عبدالعزيز بن محمد بن ناهض وبراك بن عبدالله بن براك وقتل من جنود سعود عدة رجال منهم منصور الطويل من رؤساء العجمان ونهبت تلك الجنود بلد البره، وتوجه عبدالله بن فيصل ومن معه إلى بلد الرويضة، رويضة العرض فنزلوا عليها وأقام عند قحطان هناك.

وأما سعود فإنه دعى بعمه عبدالله من شقراء بعد انتهاء الواقعة، ثم قفل راجعاً إلى الرياض وأذن لمن معه من الجنود التي من النواحي بالرجوع إلى أوطانهم.

ذكر قدوم العساكر العثمانية والجنود التركية

لما كان في ربيع الأول من هذه السنة، سارت العساكر من البصر إلى الأحساء والقطيف يقودهم فريق باشا ومعهم عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أباطين، وقد جاءوا باسم النصرة للإمام عبدالله بن فيصل على أخيه سعود، وليس الأمر كذلك بل لما رأوا الحرب في بلاد العرب، وتضعضع ملك آل سعود طمعوا في نجد.

ولقد كان من المعلوم الذي لا يمتري فيه عاقل أن الدولة العثمانية لا تسعى مع أحد لحظ نفسه، وإنما تسعى لحظ نفسها، فقدمت الأحساء والقطيف في تلك السنة، واستولت عليها لا أقل ولا أكثر.

ثم اطلقوا محمد بن فيصل من حبسه وأكرموه، فأقام عندهم في الأحساء وأخرجوا فرحان بن خير الله أمير سعود وطردوه، وأظهروا أنهم جاءوا لنصرة

الإمام عبدالله بن فيصل، وكتبوا إليه وهو إذ ذاك عند قحطان، فقدم عليهم في الأحساء، فأكرموه ظاهراً والله عليم بما يبطنون، فأقام عندهم هناك.

وأما سعود فإنه لما أذن لأهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم بعد واقعة البره، لم يبق عنده في الرياض غير شرذمة قليلة من العجمان، فقام عليه أهل الرياض وساعدهم عمه عبدالله فحصروه وجنوده في القصر، وثار الحرب بينهم ثم إنهم أمنّوه ومن معه من أولاده وخدمه، وأخرجوهم وطردوهم ثم بايعوا لعمه عبدالله بن تركي، فتولى عبدالله على الرياض وكان من الذين أذن لهم سعود بعد هذه الغزوة عبدالله بن إبراهيم بن نشوان من رؤساء أهل أشيقر وإبراهيم بن سليمان الصبي، ومحمد بن سعد بن معيقل، وسعود بن حمد من أهل الشعراء، وعبدالله بن عثمان من أهل الدوادمي لما ذهبوا إلى أوطانهم، ومروا بالبكرات بالقرب من ثادق صادفهم ركب من آل عاطف من قحطان، كبيرهم فريج بن مجحود فحصل بينهم وقعة شديدة وصارت الهزيمة على قحطان، وقتل منهم عدة رجال، منهم شناز بن فريج بن مجحود، وقتل في هذه الوقعة عبدالله بن إبراهيم بن نشوان، وكان هذا فيما يقال عنه كريماً مقداماً شجاعاً، وعبدالله بن عثمان وكان معروفاً بالشجاعة والرماية رحمة الله على أموات المسلمين.

وكان سعود لما أخرج من الرياض ذهب إلى بلد الدلم فأقام فيها.

ولما كان في آخر جمادى الآخرة سار من الدلم يريد الأحساء، فقدم على بوادي العجمان وآل مرة فرغبوه في أخذ الأحساء والقطيف من أيدي العساكر العثمانية، واجتمع عليه خلائق كثيرة فعاثوا في قرى الأحساء بالنهب والتخريب، وذلك في رجب من هذه السنة المذكورة.

ذكر وقعة الخويرة

لما اجتمع على سعود أصحابه والتئم عليه شمله، جعل يستنهضهم على الترك،

فالتف حوله جنود كثيرة وعزم على قتال الأتراك ولكن أين هم من عساكر الدولة، وفي كلام الحكمة الكثرة غلبت الشجاعة، فلما اجتمع على سعود أولئك الجنود، زحف بهم ونزل الخويرة الماء المعروف بالأحساء قريباً منه، وأكثروا النهب والفساد، فخرجت عليهم عساكر الترك وأهل الهفوف يقودهم عبدالله بن فيصل فحصل بين الفريقين ملحمة عظيمة ووقعة جسيمة تجلت عن هزيمة سعود وأصحابه، وقتل في هذه الوقعة خلائق كثيرة من بين الفريقين، وجلهم من أصحاب سعود فانهزم وأقام مع العجمان.

ولما كان بعد هذه الوقعة بأيام وصل إلى بندر العقير مدحت باشا بعساكر كثيرة يريد أن يتولى على الأحساء والقطيف من قبل الدولة العثمانية، وكان فيما يقال عنه أنه والي بغداد، فجاء رجل من أعيان العسكر الذين في الأحساء إلى عبدالله بن فيصل وقال له: إن مدحت باشا قد وصل إلى العقير، وهو يريد القبض عليك ويرسلك إلى بغداد، وقد التزم بذلك للدولة اعترافاً لها وكان مدحت باشا قد وعده بأن يعينه قائم مقام ولاية نجد، ولكن عبدالله خشي أن تكون خدعة وقيل له إن قدرت على الهرب فافعل.

فأخذ عبدالله بن فيصل يدبر الحيلة في ذلك، فحضر عند فريق باشا وطلب منه أن يأذن له في الخروج بعد العصر إلى عين نجم المعروفة هناك للاغتسال فيها والفرجة، فأذن له في ذلك، فلما خرج من عند الباشا أمر على بعض خدمه أن يجهز خمس ركائب ويأخذ معه رفيقاً من العجمان ورفيقاً من آل مرة، وواعده الجبل المعروف بأبي غنيمة، ففعل الخادم ما أمره به.

ولما كان بعد العصر من يومه ذلك خرج بابنه تركي وأخيه محمد بن فيصل على خيل وخرج معه ثلاثة من عسكر الترك على خيلهم، فلما أن وصلوا إلى الصفيا المعروفة، أخذوا يتطاردون ويلعبون على تلك الخيل، وعند غروب الشمس انهزم عبدالله وابنه وأخوه على خيلهم فلحقهم الثلاثة الموكلون بهم من العسكر على خيلهم، وشدوا في طلبهم ففاتوهم ورجعوا إلى البلد.

ولما وصل عبدالله وابنه وأخوه إلى الجبل المذكور ووجدوا الركائب هناك، فركبوها وقصدوا بلد الرياض، فلما وصلوا إلى الرياض دخلوها واستبشر بهم أهل الرياض، وحصل لهم الفرح والسرور، وفيها نزل ثقل بن رويضان ومن معه من عربان السهول بالقرب من بلد شقراء ، وكثر منهم النهب والفساد فخرج عليهم أهل شقراء وحصل بينهم وبين السهول قتال شديد، فصارت الهزيمة على السهول، وقتل منهم عدة رجال من أعيانهم ثقل بن رويضان، وأخذ منهم أهل شقراء من الأغنام والأمتعة شيئاً كثيراً.

وقتل من أهل شقراء في هذه الوقعة محمد بن سعد البوادري.

وفي آخر هذه السنة في ذي الحجة غزا الإمام عبدالله بن فيصل بأهل الرياض وضرما، وأخذ آل شامر بالقرب من عليا وقتل منهم عدة رجال وقتل في هذه الواقعة محمد بن عبدالله بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة ١٢٨٩هـ

استهلت هذه السنة والفتن في نجد تغلي مراجلها، وكان الأمير في حائل محمد ابن عبدالله بن رشيد والأمير في عنيزة زامل بن عبدالله بن سليم، وكان الأمير في بريدة مهنا الصالح أبا الخيل.

أما الرياض فكان فيها الإمام عبدالله بن فيصل، وأما الأحساء والقطيف فقد استولت عليها عساكر الدولة العثمانية، وفيها اشتد الغلا والقحط في نجد وأكل الناس الميتة وجيف الحمير، وصار كثير من الناس يأكلون الجلود البالية بعد حرقها بالنار، ويدقون العظام ويأكلونها، ويأكلون البرسيم (القت) وأكل ورق الزرع والأشجار، فأثر ذلك في وجوه الناس وأرجلهم نفخاً وأوراماً ثم يموتون بعد ذلك، وعظم الأمر ومات لذلك خلائق كثيرة جوعاً، فمن لم يمت بالسيف مات من الجوع وجلى كثير من أهل الوشم وسدير والرياض إلى الأحساء والزبير والبصرة والقصيم، واستمر الغلاء والقحط إلى آخر السنة التي بعدها وهذا من آثار الذنوب والمعاصي.

فإن أهل الإسلام اليوم في رغد وخصب ونعمة، فيجب أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحل بهم عقاب الله فما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا.

رجعنا إلى قصة سعود بن فيصل وما جرى بينه وبين أخيه عبدالله من الاختلاف، فنقول: بعدما انهزم في واقعة الخويرة ما كان هذا الفشل ليثني عزمه، فقد عاد يقطع الدهنا إلى الأفلاج.

وفي شوال قدم سعود بن فيصل إلى وادي الدواسر بمن معه من الجنود وقصد الخرج، وكان الإمام عبدالله بن فيصل قد أمر أخاه محمداً وعمه عبدالله بن تركي وعدة رجال من أتباعه أن يسيروا على بلد الدلم ويضبطوها خوفاً من أخيه سعود، فسار إليها محمد بن فيصل وعمه عبدالله بغزو من الرياض وضرما، فدخلوها وأقبل سعود بن فيصل بجنود كثيرة من العجمان والدواسر وأهل الجنوب، وقام معه أيضاً ابن قنيان والعجالين والهزاني وأهل الحوطة، فنزل على البلد وحصرها حصراً شديداً، فخان أهل البلد الأمير محمد بن فيصل وأصحابه وفتحوا الباب لسعود فدخلها وجنوده، ولما رأى البوار محمد بن فيصل ركب فرسه وانهزم إلى الرياض، ثم قبض سعود على عمه عبدالله بن تركي وأمر بحبسه، وأخذ ركاب أصحاب أخيه وسلاحهم، وقتل منهم عدة رجال، وبعد أيام قليلة توفى الأمير عبدالله بن تركي بحبس سعود ذلك، وكان شهماً شجاعاً صارماً فرحمة الله عليه.

ولما جرت هذه الفتن العمياء، قام الشيخ الإمام العالم الألمعي عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ فبث الرسائل والنصائح، وباح بما عنده من النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، واستعظم جداً ما فعل سعود بن فيصل من خروجه على الأمة وإمامها يضرب برها وفاجرها إلا من أطاعه وانتظم في سلكه.

وذكر رحمه الله أن لعبد الله بن فيصل بيعة وله ولاية شرعية في الجملة، ثم رد على سعود وسفه رأيه بمفارقته لجماعة المسلمين وخروجه على أخيه، وكان الشيخ قد بعث أولاً نصيحة لابن عائض وأمثاله من الرؤوساء والأمراء ينهاهم فيها عن متابعته والإصغاء إليه ونصرته، وفعلاً قد امتثلوا وما رفعوا لسعود رأساً.

وكان الشيخ قدس الله روحه قد ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بتحريم ما فعل والتغليظ على من نصره.

ولما جرت واقعة جودة وثل عرش الولاية وانتثر نظامها وحبس محمد بن فيصل وخرج الإمام عبدالله شارداً وفارقه أنصاره وأقربائه، وجفاه أعوانه وجلساؤه، أوصاه الشيخ عبداللطيف بالاعتصام بالله وطلب النصرة منه وحده وعدم الركون إلى الدولة الخاسرة.

ولما كاتب الإمام عبدالله بن فيصل الدولة الخاسرة واستنصرها واستجلبها على ديار المسلمين، خاطبه الشيخ عبداللطيف مشافهةً بالإنكار عليه والبراءة، وأغلظ له بالقول وبين له أن هذا هو هدم الأصول الإسلام وهدم لقواعده العظام، فأظهر الإمام عبدالله التوبة والندم وأكثر الاستغفار.

ثم إن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رفع الله منازله في الجنان وجعله في زمرة سيد ولد عدنان، كتب على لسان الإمام عبدالله بن فيصل كتاباً لوالي بغداد، إن الله قد أغنى ويسر وانقاد الناس من أهل نجد والبوادي ما يحصل به المقصود إن شاء الله ولا حاجة لنا بعساكر الدولة، وكلاماً من هذا الجنس، فارسل الإمام الكتاب فيما يرى وتبرأ مما جرى.

فلما قدم سعود على الرياض ودخلها بجنوده من العجمان والدواسر وأهل الفرع وأهل الحريق وأهل الأفلاج وأهل الوادي، وقطع الثمار وأخاف الأرامل والمحصنات بمن معه وخيف من انتهاك حرمة اليتامى والأيامى، أضف إلى ذلك أن الإمام عبدالله فرّ من الرياض قبل دخوله البلد وأهلها أن يستبيحها سعود ومن معه من الأشرار وفجار القراء، نسأل الله العافية، حيث كانوا يحثون على ذلك ويتفوهون بتفكير بعض رؤساء البلد، فخرج إلى سعود قبل دخوله إليها خشية أن يأخذها عنوة فتسفك الدماء وتستباح النساء،لأن أسباب ذلك متوفرة فواجهه وخاطبه فيما يصلح الحال بينه وبين أخيه الإمام، فاشترط سعود الشروط الثقال

على أخيه ولم تتفق الحال، فصارت الهمة فيما يدفع الفتنة ويجمع الكلمة ويلم الشعث ويستدرك البقية، فرأى الشيخ بثاقب رأيه ونبل معرفته النزول إلى هذا المتغلب والتوثق منه ودفع صولته، وخرج رؤساء البلد والمعروفون من رجال الرياض بأمر الشيخ فبايعوا سعوداً بعدما أعطاهم على دمائهم وأموالهم محسنهم ومسيئهم عهد الله وميثاقه وأمانه عهداً مغلظاً، وقد بذل الشيخ جهده ودافع ما استطاع حتى حصل أهل الرياض على ذلك.

ثم كتب الشيخ إلى العالم العلامة حمد بن عتيق في بلاد الأفلاج يأمره بلزوم الجماعة وعدم التفرق والاختلاف فوقَ الله شر تلك الفتنة ولطف بالمسلمين، فلما أتى الفادح الجليل والخطب العظيم الذميم الذي طمس أعلام الإسلام ورفع الشرك بالله وعبادة الأصنام في تلك البلاد التي كانت بالإسلام ظاهرة، ولأعداء الملة قاهرة، وذلك بوصول عساكر الأتراك واستيلائهم على الأحساء والقطيف، يتقدمهم طاغيتهم داود بن جرجيس لا حيَّاه الله ولا بيَّاه، فأهون به من ما ذق ما أقبحه، ومن جهول ما أمقته، ومن خبيث ما أفسده، قدم بهم داود بن جرجيس داعياً إلى الشرك بالله وعبادة إبليس منتهزاً فرصة هذا الخسيس، فانقادت لهم تلك البلاد وأنزلوا العساكر بالحصون والقلاع، ودخلوها بغير قتال، وتوفرت منهم أقبح الفعال، فطاف بهم إخوانهم من المنافقين، وظهر الشرك بالله رب العالمين، وشاعت مسبة أهل التوحيد والدين، ويرقص في هذه الفتنة الشيطان، ولم ينطح لذاك شاتان، فلا حول ولا قوة إلا بالله الملك الديَّان.

ذكر ما حل ودهى وما حصل وجرى

من قدوم العساكر العثمانية والجنود التركية قد ذكرنا في السنة التي قبلها قدوم عساكر الدولة العثمانية إلى الأحساء والقطيف وأنهم جاءوا بزعمهم لنصرة الإمام عبدالله بن فيصل، فاستولوا بهذه الدعوى على الأحساء والقطيف، وعزموا على قبض الإمام عبدالله وإرساله إلى بغداد.

ولما هرب عبدالله ووصل إلى الرياض واستقبله أهلها، واتفق به الشيخ عبداللطيف وذاكره النصيحة وعظه بآيات الله وحقه وإيثار مرضاته والتباعد من أعداء الله وأعداء رسوله ودينه، أظهر الإمام التوبة والندم، واضمحل أمر سعود فصار مع شرذمة من البادية حوالي آل مرة والعجمان، وصارت الغلبة للإمام عبدالله.

ثم إن الله تعالى ابتلى المسلمين مرةً ثانية بسعود بن فيصل، فها هو ذا أقبل واستولى على الخرج غير أن مصيبة العثمانين أنست ذلك كله، فتذكر هنا القصيدة التي أنشأها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه فيما يتعلق بذلك، وهي جواب لقصيدة وردت عليه فأنشأ هذه القصيدة ذاكراً فيها العهد الذي سبق قبل ذلك من ظهور الإسلام بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب، فانتشرت بدعوته الملة الإسلامية والطريقة المحمدية، واستقام الإسلام وانتشرت أعلام الجهاد، وانمحت آثار الضلال والفساد.

ثم ذكر ما وقع من مفاسد العساكر، وكانت هذه القصيدة من غرر القصائد وبدائع الفوائد، وأشد ما يكون على الأعداء وثباتها، فتعين لذلك إيرادها وإثباتها، وكان إذ ذاك في شدة مقاسات أهوال تلك الفتن، ومعاناة أثقال تلك الحوادث والمحن، وقلة من المساعد، وكثرة من المكايد والمعاند، تغدو عليه الأرجيف وتروح، وتظهر أنياب النفاق إذ ذاك وتلوح، وثم من يقود المشركين ويؤزهم على عباد الله الموحدين.

وقد ابتلى الناس مع ذلك بجور الأئمة والولاة واستباح الأموال والدماء أشرار طغات من الحضر والبوادي العتات، وأصبح أهل الحق ما بين معاقب مكبل في الحديد، وما بين شريد في القبائل طريد، فاشتد البلاء وأعضل اليأس، وكثر الجهل وعظم الإلتباس، وقلت الديانة في كثير من الناس، وسار والي البلاد التي هجمت عليها العساكر، وظهرت بها أنواع الفسوق والمناكر، وصار لأهل الرفض والشرك بها الصولة، وكان لهم في تلك الجهات الغلبة والدولة، وضيعت بها أحكام الشريعة المطهرة، وظهرت بها أحكام الكفرة الفجرة، فبذل الشيخ الجد والاجتهاد بإرسال الرسائل والنصائح والتحذير من أسباب الندم والفضائح، كما يعرف ذلك من أمعن

النظر في رسائله من التغليظ والنهي عن السفر إلى بلدان الشرك وقبائله، وأبان الخفايا بواضح الحق ودلائله، وهذا نص الأبيات التي وردت عليه:

رسـائل شـوق دائـم متـوتر ... إلى فـرع شمـس الـدين بـدر المنـابر
سـلالة محمـد مـن كـرام عشـائر ... يعيـد بـديعاً مـن كنـوز المحـابر
ويبدي لـك التوحيـد شمسـاً منيرةً ... ولكـن أهـل الزيـغ عمـى البصـائر
سقى عهدكم عهـد الشريعة والتقـى ... وتعظـيم ديـن الله أزكـى العشـائر
مـدارس وحـي شـرفت بأكـابر ... علـى ملـة بيضـاء تبـدو لسـابر
فيـا راكبـاً بلـغ سـلامي وتحفـةً ... تعزيـة فيمـا قـد مضـى في العشـائر
وأعظـم مـن ذا يـا خليلـي كتائـب ... تهـدم مـن ربـع الهـدى كـل عـامر
ويبدو بهـا التعطيـل والكفـر والخنـا ... ويعلـو مـن التـأذين صـوت المزامـر
فقـد سـامنا الأعـداء في كـل خطـة ... واحتـل مـن الإسـلام سـوم المقـامر
أنـاخ لـدينا للضـلالة شـيعةٌ ... أبا حـوا حمـى التوحيـد مـن كـل فـاجر
وقابلـهم بالسـهل والرحـب عصبةٌ ... علـى أمـة التوحيـد أخبـث سـائر
يقولـون لكنـا رضـينا تقيـةً ... تعـود علـى أموالنـا والـذخائر
فضـحك ولهـو واهتـزاز وفرحـة ... وألـوان مـأكول ونشـوة سـاكر
مجـالس كفـر لا يعـاد مريضـها ... يـراح إليهـا في المسـا والبـواكر
ويرمـون أهـل الحـق بـالزيغ ويحهـم ... أمـا رهبـوا سـيفاً لسـطوة قـاهر
وأمـا ربـاع العلـم فهـي دوارس ... تحـن إلى أربابهـا والمـذاكر
مصـاب يكـاد المسـتجن بطيبـةٍ ... ينـادي بـأعلى الصـوت هـل مـن مثابر
فجـد لـي بـرد منـك تـبرد لـوعتي ... ويحـدى بـه في كـل ركـب وسـامر
وتنصـر خـلافي هـواك مباعـداً ... ولـولاك لم تبعـث بـه أم عـامر
فـأكثر وأقلـل مالهـا الـدهر صـاحب ... سـواك فقابـل بـالمنى والبشـائر

فأجابه الشيخ الإمام عبداللطيف بن عبدالرحمن قدس الله روحه بما يثلج الصدور ويبعث الانشراح والسرور وهذا نص الجواب:ـ

رسـائل إخـوان الصـفا والعشـائر أتتـك فقابـل بـالمنى والبشـائر
تـذكرنا أيـام وصـل تقـدمت وعهـد مضـى للطيـبين الأطـاهر
ليـالي كانـت للسـعود مطالعـا وطائرهـا في الـدهر أيمـن طـائر
وكـان بهـا ربـع المسـرة آهـلاً تمتـع في روض مـن العلـم زاهـر
وفيهـا الهـداة العـارفون بـربهم ذووا العلـم والتحقيـق أهـل البصـائر
محـابرهم تعلـو بهـا كـل سـنة مطهـرةٍ أنعـم بهـا مـن محـابر
منـاقبهم في كـل مصـر شـهيرةٌ رسـائلهم يغـدو بهـا كـل مـاهر
وفيهـا مـن الطـلاب للعلـم عصـبة إذا قيـل مـن للمشـكلات البـوادر
وفيهـا الحمـاة الناصـرون لـربهم معاقلـهم شـهب القنـا والخنـاجر
وهندية قـد أحسـن القـين صـقلها مجريـة يـوم الـوغى والتشـاجر
وروميـةٍ خضـراء قـد ضـم جوفهـا من الجمر مـا يغـري صـميم الضـمائر
وكانـت بهـم تلـك الـديار منيعـةً محصـنةً مـن كـل خصـم مقـامر
غـدت بهمـو تلـك الفنـون وشـتتوا فلسـت تـرى إلا رسـوماً لزائـر
وحـل بهـم مـا حـل بالنـاس قبلـهم أكـابر عـرب أو ملـوك الأكاسـر
وبـدل منهم أوجهـا لا تسـرني قبائـل يـام أو شـعوب الدواسـر
يـذكر فيهمـو كـل وقـتٍ وسـاعةٍ كتائـب هلكـى مـن وليـدٍ وكـابر
وأرملـةٌ تبكـي بشـجو حنينهـا لهـا رنـةٌ بـين الربـى والمحـاجر
وهـذا زمـان الصـبر مـن لـك بـالتي تفـوز بهـا يـوم اخـتلاف المصـادر

فصل فيما جرى من مفاسد العساكر والبوادي

ودارت علـى الإسـلام أكـبر فتنـةٍ وسلت سيوف البغي من كـل غـادر
وذلـت رقـاب مـن رجـال أعـزةٍ وكـانوا علـى الإسـلام أهـل تناصـر
وأضـحى بنـو الإسـلام في كـل مـأزق تزورهمـو غـرث السـباع الضـوامر
وهتـك سـتر للحرائـر جهـرةً بأيـدي غـوات مـن بـواد وحاضـر

وجاءوا من الفحشاء مالا يعده	لبيب ولا يحصه نظم لشاعر
وبات الأيامى في الشتاء سواغباً	يبكين أزواجاً وخير العشائر
وجاءت غواش يشهد النص أنها	بما كسبت أيدي الغوات الغوادر
وجر زعيم القوم للترك دولةً	على ملة الإسلام فعل المكابر
ووازره في راية كل جاهل	يروح ويغدو أثماً غير شاكر
وآخر يبتاع الضلالة بالهدى	ويختال في ثوب من الكبر وافر
وثالثهم لا يعبأ الدهر بالتي	تبيد من الإسلام فعل المكابر
ولكنه يهوى ويعمل للهوى	ويصبح في بحر من الريب عامر
وقد جاءهم فيما مضى خير ناصحٍ	إمام هدى يبني رفيع المفاخر
وينقذهم من قعر ظلماء مضلةٍ	لسالكها حر اللظى والمساعر
ويخبرهم أن السلامة في التي	عليها خيار الصحب من كل شاكر
فلما أتاهم نصر ذي العرش واحتوى	أكابرهم كنز اللهى والذخائر
سعوا جهدهم في هدم ما قد بنى لهم	مشائخهم واستنصحوا كل داغر
وساروا لأهل الشرك واستسلموا لهم	وجاءوا بهم من كل أفك وساحر
ومذ أرسلوها أرسلوها ذميمةً	تهدم من ربع الهدى كل عامر
وباءوا من الخسران بالصفقة التي	يبوء بها من دهره كل خاسر
وصار لأهل الرفض والشرك صولةٌ	وقام بهم سوق الردى والمناكر
وعاد لديهم للواط والخنا	معاهد يغدو نحوها كل فاجر
وشتت شمل الدين وأنبت حبله	وصار مضاعاً بين شر العساكر
وأذن بالناقوس والطبل أهلها	ولم يرض بالتوحيد حزب المزامر
وأصبح أهل الحق بين معاقب	وبين طريد في القبائل طائر
فقل للغوي المستجير بظلهم	ستحشر يوم الدين بين الأصاغر
ويكشف للمرتاب أي بضاعةٍ	أضاع وهل ينجو مجير أم عامر
ويعلم يوم الجمع أي جنايةٍ	جناها وما يلقاه من مكر ماكر

فيـا أمـة ضـلت سـبيل نبيهـا ... وآثـاره يـوم اقتحـام الكبـائر
يعـز بكـم ديـن الصـليب وآلـه ... وأنـتم بهـم مـا بـين راض وآمـر
وتهجـر آيـات الهـدى ومصـاحف ... ويحكـم بالقـانون وسـط الدسـاكر
هـوت بكمـو نحـو الجحـيم هـوادةً ... ولـذات عـيش نـاعم غـير شـاكر
سيبدو لكم من مالك الملك غير ما ... تظنـون أن لاقـى مزيـر المقـابر
يقـول لكـم مـاذا فعلـتم بأمـةٍ ... علـى نـاهج مثـل النجـوم الزواهـر
ووالـيتمو أهـل الجحـيم سـفاهةً ... وكنـتم بـدين الله أول كـافر
نسـيتم لنـا عهـداً أتـاكم رسـولنا ... بـه صـارخاً فـوق الـذرى والمنـابر
فسل ساكن الأحساء هل أنت مؤمنٌ ... بهـذا ومـا يحـوي صـحيح الـدفاتر
وهـل نـافع للمجـرمين اعتـذارهم ... إذا دار يـوم الجمـع سـوء الـدوائر
وقـال الشـقي المفـتري كنـت كارهـاً ... ضـعيفاً مضـاعاً بـين تلـك العسـاكر
أمـاني تلقاهـا لكـل متـبر ... حقيقتهـا نبـذ الهـدى والشـعائر
تعـود سـراباً بعـدما كـان لامعـاً ... لكـل جهـولٍ في المهامـة حـائر

* * *

فـإن شـئت أن تحضـي بكـل فضـيلةٍ ... وتظهـر في ثـوب مـن المجـد بـاهر
وتـدنو مـن الجبـار جـل جلالـه ... إلى غايـةٍ فـوق العلـى والمظـاهر
فهـاجر إلى رب البريـة طالبـاً ... رضـاه وراغـم بالهـدى كـل جـائر
وجانـب سـبيل العـادلين بـربهم ... ذوي الشرك والتعطيل من كل غـادر
وبـادر إلى رفـع الشـكاية ضـارعاً ... إلى كاشـف البلـوى علـيم السـرائر
وكابـد إلى أن تبلـغ الـنفس عـذرها ... وترفـع مـن ثـوب مـن العفـو سـاتر
ولا تيأسـن مـن صـنع ربـك أنـه ... مجيـب وأن الله أقـرب ناصـر
ألم تـرَ أن الله يبـدي بلطفـه ... ويقـف بعـد العسـر يسـراً لصـابر
وأن الـديار الهامـدات يمـدها ... بويـل مـن الـوسمي هـام ومـاطر
فتصـبح في رغـدٍ مـن العـيش نـاعم ... وتهتـز في ثـوب مـن الحسـن بـاهر

وله أيضاً قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه قصيدة أخرى من هذا النمط أنشأها لما اشتدت الكربة، واستحكمت الغربة، وقل المعاون والمساعد، وكثر المخالف والمعاند، ودهمت فوادح معضلات الحوادث، وهجمت بكلاكلها الخطوب الأثائث، التي تشيب من أهوالها النواصي، وتعجز عن حملها الجبال الرواسي، ذلك لما دهى أهل الإيمان والإسلام وهتك قواعد الدين من أفعال أولئك الطغام بانتشار المشركين بين أظهر عباد الله المؤمنين، وظهور البغي والفساد، وتلاطم بحار الشر والأنكاد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فأول ذلك الفتنة التي وقعت بين المسلمين وأنثل بها عرش الملة والدين، وانهدم بها سور الإسلام، وصار الأمر بأيدي البوادي الطغام، فتفجرت ذات البين وانكشفت العورة لأهل الكفر والمين، فعند ذلك فدحت المعضلات العظام وانهدمت أصول الدين والإسلام، وانطمست المعالم والإحكام، فقدمت العساكر إلى البلاد الإسلامية، وانكشفت شمس الرسالة المحمدية، وافتتن كثير من جهلة الناس بفتوى من ينتسب إلى العلم من أهل الجهل والإفلاس بأن تلك العساكر التي هجمت على بلاد أهل الإسلام إنما جاءوا لنصرة ذلك الإمام، فأنشأ الشيخ المرسوم بالعرفان، عبداللطيف بن عبدالرحمن، هذه المنظومة التي نشأت من حرارة الجوى، خوفاً على الناس من سلوك مفاوز إلتوى، وأساء على من هلك بشبهة المشبهين وتمويهات الأئمة المضلين، ويذكر مآثر أهل الإسلام، الذين استجابوا لله ولرسوله بدعوة شيخ الإسلام، وعلم الهداة الأعلام، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وما كانوا عليه من المعتقد وحسن السيرة وخلوص الطوية والسريرة، ويحذر من طريقة أقوام، إنما نشؤوا في ظل عافية الإسلام، ولم يعرفوا ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان. والأصنام، والذرائع المفضية إلى الدخول في ولاية من حاد الله ورسوله وموالاتهم والرضا بأحكامهم وقوانينهم وقد حملت فيهم الأثقال، ورحلت الرواحل، واستفاء بظلمهم من آثر العاجل، وغمض الطرف عن الآجل، فكم هلك بسببهم من هلك، وانتظم في سلكهم من شك في دينه وارتبك، فنعوذ بالله من الجور بعد الكور ولا حاجة إلى الإطالة فيما وقع من مفاسد العساكر العثمانية،فأصبحت عين الدين تسح أجفانها، وأصبح أهل التوحيد ما بين مأسور

ومقتول، ومقيد في الحديد مكبول، وما زال شيخنا يسكن الثوائر، ويقمع أهل الضلال بالنصوص الظواهر، ويبذل الوسع بكتب الرسائل والنصائح، والتحذير من أسباب الندم والفضائح، حتى أبان الحق الذي بعث به خاتم النبيين، وأوضح حكم الإقامة بين أظهر الكافرين، من أنها لا تصدر والحالة هذه ممن يؤمن بيوم الدين، ويراقب مولاه رب العالمين.

والقصيدة المشار إليها هذا نصها وقد وجدت مسودة:

دع عنك ذكر منازل ومغاني ... وبدور أنس قد بدت وغوان
وجؤذرا في روضة يشدو بها ... صوت النديم وشادن فتان
لا تصغ للعشاق سمعك إنما ... منادمهم بين البرية عان
والعشق داء قاتل وداؤه ... في السنة المثلى عن الأعيان
قطع الوسائل والذرائع والتي ... بين الورى أحبولة الشيطان
واقرأ كتاب الله إن رمت الهدى ... أو رمت ترقى ذروة الإحسان
واعكف بقلبك في أرائك روضةٍ ... مملوءةٍ بالعلم والإيمان
وانظر إلى تركيبه واعمل به ... إن كنت ذا بصرٍ بهذا الشأن
هذا ولا ينجيك طب في التي ... ترجو بغير مشيئة الرحمن
واسأله في غسق الليالي والدجا ... يا دائم المعروف والسلطان
وانظر إلى ما قاله علم الهدى ... عند ازدحام عساكر الشيطان
أشكو إليك حوادثاً أنزلتها ... فتركتني متواصل الأحزان
من لي سواك عند شدائدي ... إن أنت لم تكلأ فمن يكلاني
لولا رجاؤك والذي عودتني ... من حسن صنعك لاستطير جنان
واذكر مآثر أقوام قد انتدبوا [1] ... يوماً لنصر الدين بالإحسان

---

(1) هذين الصدرين من البسيط والقصيدة من الطويل، فإما أن يكون تحريفاً من الناسخ أو سهواً من الناظم.

من صالحي الإخوان أعلام الهدا ... من أطدوا التوحيد ذا الأركان
قامت بهم أعلام شرعة أحمد ... وعلت سيوف الحق والإيمان
وغد الزمان بذكرهم متبسماً ... يبدي سنا للطالب الولهان
سارت بهم أنباء مجد في الورى ... يغشى سناها عابد الأوثان
قد جددوا للدين أوضح منهجٍ ... يبدي ضيا للسالك الحيران
حتى علا في عهدهم شأن الهدى ... وانقض ركن الشرك في الأديان
أما العقائد أن ترد تحقيقها ... عنهم بلا شك ولا كتمان
إن الإله مقدسٌ سبحانه ... رب عظيم جلي عن حدثان
حقاً على عرش السما قد استوى ... ويرى ويسمع فوق ست ثمان
يعطي ويمنع من يشاء بحكمةٍ ... في كل يوم ربنا ذو شأن
خضعت لعزة وجهه وجلاله ... حقاً وجوه الخلق والأكوان
بل كل معبودٍ سواه فباطلٌ ... من دون عرشٍ للثرى التحتان
فاحذر توالي في حياتك غيره[1] ... من كل معبودٍ ومن شيطان
واحذر طريقة أقوامٍ قد افتتنوا ... في حب أدنى أو خسيس فان
واقطع علائق حبها وطلابها ... إذ قطعوا فيها عرى الإيمان
لهفي عليهم لهفةً من والهٍ ... متوجعاً من قلة الأعوان
قد صاده المقدور بين معاشر ... في غفلةٍ عن نصرة الرحمن
واستبدلوا بعد الهدى طرق الهوى ... لما عموا عن واضح البرهان
واقطع علائق حبهم في ذاته ... لا في هواك ونخوة الشيطان
واهجر مجالس غيهم إذ قطعوا ... فيها عري التوحيد والإيمان
لا سيما لما ارتضاهم جاهل ... ذو قدرة في الناس مع سلطان
لما بدا جيش الضلالة هادماً ... ربع الهدى وشرائع الإحسان
قومٌ سكارى لا يفيق نديمهم ... أبد الزمان يعود بالخسران
قومُ تراهم مهطعين لمجلس ... فيه الشقاء وكل كفر دان

بـل فيـه قـانون النصـارى حاكمـاً ... مـن دون نـص جـاء في القـرآن
بـل كـل أحكـام لـه قـد عطلـت ... حتـى النـدا بـين الـورى بـأذان
ويـرون أحكـام الـنبي وصـحبه ... في شـرعه مـن جملـة الهـذيان
ويـرون قتـل القـائمين بدينـه ... في زعمهـم مـن أفضـل القربـان
والفسـق عنـدهم فـأمر سـائغ ... يلـهو بـه الأشـيخ كالشـبان
المنـع في قـانونهم وطـريقهم ... غصـب اللـواط كـذاك والنسـوان
فـانظر إلى أنهـار كفـر فجـرت ... قـد صـادمت لشـريعة الـرحمن
بـل لا يـزال لجريهـا بـين الـورى ... مـن هالـك متجاهـلٍ خـوان
والله لـولا الله ناصـر دينـه ... لتقصـمت فينـا عـرى الإيمـان
فـالله يجـزي مـن سـعى في سـدها ... مـن أمـة التوحيـد والقـرآن
والله يعطـي مـن يشـاء بفضـله ... فـوق الجنـان عطيـة الرضـوان
وكـذا يجـاري مـن سـعى في رفعهـا ... مـا قـد أعـد لصـاحب الكفـران
يـا رب واحكـم بيننـا في عصـبةٍ ... شـدوا ركـائبهم إلى الشـيطان
فسلوا سـيوف البغـي مـن أغمادهـا ... وسـعوا بهـا في ذلـةٍ وهـوان
واسـتبدلوا بعـد الدراسـة والهـدى ... بالقـدح في صـحب وفي أخـون
حرفوا نصوص الوحي عن أوضاعها ... وسـعوا بهـا في زمـرة العميـان
فتحـوا الـذرائع والوسـائل للـتي ... يهـوى هواهـا عابـدو الصـلبان
وسـعوا بهـا في كـل مجلـس جاهـلٍ ... أو مشـركٍ أو أقلـفٍ نصـران
وقضـوا بـأن السـير نحـو ديـارهم ... في كـل وقـتٍ جـائزٍ بأمـان
لم يفقهوا معنـى النصـوص ولم يعـوا ... مـا قـال أهـل العلـم والعرفـان
ما وافق الحكم المحل ولا هو استوفى ... الشـروط فصـار ذا بطـلان
فـادرأ بهـا في نحـرهم تلـق الهـدى ... وارجمهـوا بثواقـب الشـهبان
واقعـد لهـم في كـل مقعـد فرصـةٍ ... واكشـف نوابـغ جهلـهم ببيـان
حتـى يعـود الحـق أبلـج واضـحاً ... يبـدو سـنا للسـالك الحـيران

وقضوا بأن العهد باق للذي ولي الولاية شيعة الشيطان
تبا لهم من معشرٍ قد أشربوا حب الخلاف ورشوة السلطان
وقضوا له بالجزم أن متابه قد هدما أعلى من البنيان
وطلابه للأمر والحرب الوفي فعلى طريق العفو الغفران

وفي هذه السنة جرت واقعة بين حاج أهل شقراء وبين ناصر بن عمر بن قرملة ومن معه من قحطان، قتل فيها من أهل شقراء عبدالله بن عبيد.

وفيها جرت واقعة أيضاً بين أهل شقراء وبين أهل وثيثية.

وسبب ذلك أن أبناء محمد بن عبدالكريم البواردي، جاءوا بأمتعةً لهم من شقراء يريدون بلد وثيثية، وكانوا إذ ذاك ساكتين فيها فلما أن وصلوا إلى بلد صادفهم ركب من السهول خارجين من البلد، فأخذوهم خارج البلد فدخل الأبناء المأخوذون بلد وثيثية، فوجدوا فيه رجلاً من الركب فأمسكوه وربطوه في المال الذي أخذه أصحابه، فقام بعض أهل البلد يريدون إطلاقة وكثر النزاع في شأن هذا الرجل فأهل البلد يحامون دونه وهؤلاء يريدون مؤاخذته بقبيلته، فسار أحد أبناء البوارذي إلى شقراء مستفزعين لأهلها، وجاء هذا بعدة رجال منها ليسيروا بالرجل المذكور إلى شقراء إلى أن يأتي المال الذي أخذه أصحباه فمانع أهل البلد من ذلك وأخذه بجريمة غيره، فحصل بين أهل شقراء وأهل وثيثة وقعة في وسط البلد، قتل فيها من أهل وثيثية عبدالله بن الأمير سعد بن عبدالكريم بن زامل وعبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن زامل، فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٢٩٠هـ

في هذه السنة ابتلى الله الناس بسعود بن فيصل للمرة الثانية، وعاد يريد الرياض، ففي المحرم منها خروج سعود من بلد الدلم معه جنوده وسار يريد بلد ضرما، فدخلها وأخذ من أهلها أموالاً عظيمة، فقسمها على جنوده، ثم سار منها إلى بلد حريملا، ولما وصل إليها خرج أهلها لقتاله فنشب القتال بينهم وبينه، فأوقع

بهم وهزمهم وقتل منهم ثلاثين، منهم ناصر بن حمد آل مبارك وابنه وسليمان السياري من رؤساء أهل ضرما، وكان سليمان إذ ذاك في حريملا فحضر الوقعة.

ثم تحصن أهل البلد في حريملا، فأمر سعود جنوده بقطع نخيل حريملا، فقطعوا منها كثيراً، ثم إنهم صالحوه فارتحل عنهم وسار إلى الرياض متغلباً، ولما قرب منها خرج عليه أخوه عبدالله بن فيصل بأهل الرياض فحصل بينه وبينهم وقعة شديدة في الجزعة وجرى بين الفريقين قتال شديد وجلاد أكيد، وصارت الهزيمة على عبدالله بن فيصل وأهل الرياض، وقتل منهم عدة رجال، منهم مساعد بن سلمان الظفيري وأخوه فهد، ثم دخل أهل الرياض بلدهم.

وأما عبدالله بن فيصل فإنه فر متوجهاً إلى عربان قحطان، وهم على موضع المستوي فأقام عندهم أياماً قليلة ثم توجه إلى بلد الرس وأقام هناك أياماً، وكان معه أخوه محمد.

فلما أن وصل حاج عنيزة إلى الرس خرج محمد بن فيصل من الرس فتفاوض مع أهل عنيزة في إقامة الإمام عبدالله بن فيصل وأتباعه فيها، فاتفقوا على مراجعة أميرها زامل، فلما راجعوه لم يوافق على ذلك خوفاً عليه أن يقتل أو يصاب ببلدهم، ثم ارتحل الإمام عبدالله بن فيصل إلى الخبراء ثم إلى عربان عتيبة إلى جهة الكويت وأقام هناك على الصبيحية.

ولما اقبل سعود بن فيصل يؤم الرياض قد خلى له الجو خشي الإمام العالم الشيخ عبداللطيف من البادية الذين معه أن يحلوا بأهل الرياض مالا تحمد عقباه، فبعث كتاباً إلى سعود معجلاً في طلب الأمان لأهل الرياض، وكف البادية عنهم وباشر بنفسه مدافعة الأعراب معه شرذمة قليلة من أهل البلد، فدخل سعود البلد وبايعه أهل البلد على السمع والطاعة.

ثم كتب سعود إلى رؤساء البلدان يأمرهم بالقدوم عليه، وبايعوه على السمع والطاعة، وأمرهم بالتجهز للجهاد، وتم لسعود مقصوده وجرت له هذه الفتوحات كلها وملك الرياض وبايعه أهلها للمرة الثانية.

ولما أن كان في ربيع الثاني، خرج سعود من الرياض بجنوده واستنفر من حوله من العربان، وجمع غزو البلدان فاجتمع إليه خلائق كثيرة، فلما جمع هذه الجنود زحف بها لقتال مصلط بن ربيعان ومن معه من عتيبية، وكانوا على ماء طلال المعروف فصبحهم بتلك الجنود، فلما توافوا حصل بين الفريقين قتال شديد تقارعت له الأبطال، ثم إنها صارت الهزيمة على سعود وجنوده، فقتل منهم خلق كثير وجم غفير، وأخذ العتبان غالب سلاحهم وركابهم وفرشهم وأمتعتهم، وكان من أعيان القتلى سعود ين صنيتان ومحمد بن أحمد السديري الأمير المشهور أمير بلدة الغاط إذ ذاك وأخوه عبدالعزيز وعلي بن إبراهيم بن سويد أمير بلد جلاجل، وقتل من أهل شقراء فهد بن سعد بن سدحان وسعد بن محمد بن عبدالكريم البواردي وصالح بن إبراهيم بن موسى بن فوازن بن عيسى وسليمان بن عبدالله بن خلف بن عيسى وعبدالعزيز بن أحمد بن منيع.

وفيها قام السادة من أهل صنعاء على الإمام واستعانوا بالأتراك، فدعوهم إلى صنعاء، ففازوا هذه المرة ووطدوا في الجبال العالية حكمهم إلى حين، لأن أهل اليمن الذين يثورون على ساداتهم، والسادات الذين يتمردون على إمامهم لا يوالون الأجنبي طويلاً.

وفيها تم عمل الكسوة الباطنة الداخلية الحمراء للكعبة المشرفة زادها الله تشريفاً وتكريماً، وكانت من الحرير الأحمر مكتوب فيها بالنسيج الأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله، الله جل جلاله ثم سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، يا حنان يا سلطان يا منان يا سبحان، فاستمرت هذه الكسوة من هذه السنة في آخر ولاية السلطان عبدالعزيز خان إلى نهاية ٦٣سنة لم تغير حتى استحال لونها رمادي.

ذكر قيام عبدالرحمن بن فيصل يريد الملك لنفسه

وهذا أصغر أبناء فيصل

ففي هذه السنة قام عبدالرحمن هذا معه فهد بن صنيتان وسار يريد الأحساء فجرى بينه بين العساكر ما سنذكر بعدها إن شاء الله تعالى، فهذا سعود قد ذكرنا تغلبه وعبدالله بن فيصل يجمع أمره للقتال.

وفي هذه السنة قام عبدالرحمن فلا تسأل عما أصبح الناس فيه من المحن والابتلاء من تشتت شمل المسلمين وتجسم المحن بين العالمين، وقد جرت الحوادث الكوارث، والفتن المضلات الأثائث، من تفرق الإخوان في البلاد وحلول الأهوال وأنواع الأنكاد، أضف إلى ذلك ما نجم من أولئك الأعراب الذين عاثوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، وساموا أهل الإسلام سوء العذاب، وباءوا بالخزي والتباب، وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله قصيدة تتعلق في ذلك ويتأسف على ماضي زمانه وتشتت أصحابه وإخوانه:

ألا ليت شعري هل لماضي زماننا رجوع فترتاح النفوس وتأنس
فيحلو مرير العيش بعد رجوعه وتقضي لبانات هوتهن أنفس
عسى ينقضي هذا الزمان وينتهي وتعفو علامات عليه وتدرس
وينجاب هذا الليل بعد ظلامه ويبدو سنا صبح الهنا يتنفس
فلهفي على العهد القديم الذي انقضى فمن بعده فالحق يمحى ويطمس
وياليت شعري هل يعود كما مضى فما مثله مثل به يتأنس
أعلل نفسي بالرجا فأريحها ويطرقها طيف الأسى فتنكس
اقلب طرفي بين صحبي فلا أرى سوى من بأكبال الأساء مكوكس
غريب بعيد الدار تعروه ذلة إذا ما رأى المكروه يغضي ويخرس
فقد عيل صبري عن مقاسات حادث من الهم ما خلق لذاك منفس
عسى فرج يأتي به الله عاجلاً فيهدم ما يبني الأسى ويؤسس

عسى وعسى أن لا يدوم لنا الأسى فقد طالما هذا الأسى يتنكس
فصبراً فما الأحداث إلا كما ترى وفي الزمن الماضي أساء مؤنس
فقد غرت الأحداث من كان قبلنا وما مرهم منها أمر وأشكس
فلسنا بحمد الله بدعا من الورى وللصبر للمقدور أعلى وأنفس
فعاقبة الصبر الجميل حميدة ومن يخطه الصبر الجميل فمفلس
فثق واعتصم بالله ربك وليكن رجاءوك في مولاك ما منه مأيس
فما خاب من في الله كان رجاؤه وملجاه في الحادثات ومؤنس
وأزكا صلاة الله ما هبت الصبا وما لاح نجم بعد أن كان يكنس
على المصطفى والآل ما فاض بارق وما أظلم الديجور حين يعسعس

ثم دخلت ١٢٩١هـ

ففيها قتل عبدالله الغانم في سباخ بريدة وسبب قتله أنه من جملة القاتلين لعبدالله ين عبدالعزيز بن عدوان أمير بريدة سابقاً، فقام عبدالمحسن بن مدلج وابناه عبدالله ومدلج مدعىن أنهم أقرب عاصب له، وكانوا أيضاً من آل أبي عليان من عشيرته فقاموا على عبدالله الغانم وقتلوه بالفؤوس والعياذ بالله حتى سمع له رغاء كرغاء البعير.

وفيها حدث في عنيزة وجع يصيب الرؤوس، وتوفى منه عدد كثير، ومن أعيان من توفى فيه الشيخ محمد بن عبدالله بن مانع رحمة الله عليه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم العلامة الفاضل محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن مانع بن إبراهيم ين حمدان بن محمد بن مانع بن شبرمة الوهبي التميمي، وكانت وفاته في ليلة الأحد الموافق تاسع جمادى الآخرة في بلد عنيزة، ولد في شقراء سنة ١٢١٠هـ، فنشأ على الديانة والعفاف والزكاء نشأةً حسنةً وحفظ القرآن في صغره وطلب العلم وجدّ ونافس، وأخذ عن الشيخ الإمام الورع الزاهد عبدالعزيز بن عبدالله الحصين الناصري التميمي، ولما انتقل الشيخ العالم عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين

العائذي من روضة سدير إلى بلد شقراء لازمه المترجم وأخذ عنه وتزوج ابنته، وكان لا يفارقه إلا وقت النوم، فانتفع به وقرأ عليه في التفسير والحديث والفقه وأصوله وأصول الدين وفي النحو حتى ظهر مظهراً حسناً، وناهيك برجل شيخه أبي بطين علماً وورعاً وذكاءً.

ولما تولى الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن قضاء عنيزة وارتحل إليها بأهله وأولاده، ذهب معه المترجم المذكور بأهله وأولاده، فنزل في عنيزة وأحبه أهلها وأكرموه واحترموه وقدروه تقديراً لم يعهد مثله ذلك لما قام به من حسن الأخلاق ومعاني الشيم وتحببه الخاص والعام، وكان الشيخ محمد ذكياً فاضلاً أديباً مكرماً لطلاب العلم وموقراً للغرباء الطالبين، وأخذ عنه جماعة من الفضلاء.

ومن أنجاله عبدالعزيز وحفيد المترجم هو الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف السعودية سابقاً، وكان المترجم حسن الخط كثير التصحيح والتحرير والضبط والتهميش، وغالب كتبه عليها رموزه وتقريراته وضبطه، وما زال على الاستقامة إلى أن توفاه الله في هذه السنة.

وقد رثاه تلميذه الذكي الفاضل النجيب، والشاب الأديب صالح بن عبدالله ابن بسام بهذه المرثية:

أيا قلب دع تذكار سعدي فما يجدي	وأيام أنس سالفات بذي الرند
فليس بذي الدنيا مقام ترومه	ولكنها كالحلم تمضي على العبد
ولما شجاني أن قضى حتف أنفه	محمد المحمود في العلم والزهد
عنيت به الحبر الجليل ابن مانعٍ	ومن هو في دنياه عاش على الحمد
سقى الله قبراً قد حواه ثرى له	سحائب فضلٍ فاضح البرق والرعد
لقد كان بحراً للعلوم وعارفاً	وفي علمه يهدي إلى منهج الرشد
وقد كان في أمر العبادة يحتذي	مسالك للأسلاف كانوا على قصد
وقد كان لي شيخاً نصوحاً بعلمه	محباً لفعل الخير يهدي ويستهدي

ولازمته منذ سنين عديدة فلم أره إلا على سالف العهد
فيا عين لا تبقي دموعاً ذخيرةً فما بعده أرجو شبيهاً له عندي
ويا قلب لا تبقي قليلاً من الأسى على عالم قد حل في غامق اللحد
وأنشد ما يبري من الصدق والوفا مقالاً صحيحاً صادقاً فيه من جد
ولست بناسٍ ما حييت لصاحبٍ صفوح عن الزلات خالٍ من الحقد
سابكيه ما جاء الحديث بذكره بكاء محبٍ للحبيب على فقد
جزاه إله العالمين برحمةٍ ينال بها المطلوب في جنة الخلد
فجئت بنظم للوفاة مؤرخٍ مقيم بدار الحمد في منتهى القصد

وفيها أمر سعود بن فيصل على أهل البلدان أن يتجهزوا للجهاد ويقدموا عليه في الرياض، فلما حضرو عنده توجه بهم إلى بلد القويعية ونزل هناك وأقام عدة أيام، ثم ارتحل عنها، وتوجه إلى الرياض وأذن لمن معه بالرجوع إلى أوطانهم، ولما رجع أهل النواحي منه كل يريد وطنه وقع في بلد أشيقر فتنة بين آل نشوان من المشارفة من الوهبة وبين الحصانا والخراشا من آل بسام بن منيف من الوهبة.

وسبب ذلك أن أمير بلد أشيقر محمد بن إبراهيم بن نشوان لما أمر سعود بن فيصل بهذا الجهاد، جهز غزو أهل أشيقر وأمرَّ عليهم بن عمه محمد بن علي بن نشوان، ثم سافر الأمير إلى بلد بريدة ليقضي بعض حاجاته، ولما قدم الغزاة على سعود بلغ الخراشاء والحصانا أن محمد بن علي بن نشوان قد تكلم في حقهم لدى سعود، فلما رجع بالغزو خرج إليه عبدالرحمن بن إبراهيم الخراشي وأخوه عبدالله وعلي بن عثمان الحصيني وابن أخيه عبدالعزيز بن إبراهيم الحصيني، فأمسكوا محمد ابن علي بن نشوان خارج البلد وضربوه ضرباً شديداً، فرجع إلى بلد الفرعة وأقام عند أصهار له فيها.

ولما بلغ الخبر عثمان بن عبدالله بن إبراهيم بن نشوان، وكان إذ ذاك في الجعريفة، سار إلى بلد الحريق وطلب منها النصرة لأن آل نشوان وأهل الحريق

كلهم عشيرة من المشارفة من الوهبة من تميم، فسار معه عدة رجال منهم يريدون أن يشفوا غليله، فدخلوا بلد أشيقر آخر الليل ورصدوا على باب عبدالرحمن لصلاة الفجر، ألقوا القبض عليه وضربوه ضرباً شديداً، وأمسكوا علي بن عثمان وضربوه وجرحوه جراحاً شديداً، فثار عليهم أهل البلد مع آل بسام وحصل بينهم وبين أهل الحريق قتال، فانهزم أهل الحريق إلى بلدهم وقتل منهم عثمان بن عبدالله بن مقحم.

ذكر شيء من أذكار عبدالرحمن بن فيصل،

قد قدمنا فيما مضى والتاريخ يعيد نفسه إن عبدالرحمن هذا سار إلى بلد الأحساء وذلك بأنه لما مرج الملك بين آل سعود وكثر الهرج وأصبح كل ابن من أبناء فيصل لا يخضع للآخر ما خلا محمداً ، فإنه لا يزال مقيماً على الولاء لأخيه عبدالله.

ولما كان في شهر رمضان من هذه السنة، قدم عبدالرحمن بن فيصل من بغداد إلى الأحساء يصحبه فهد بن صنيتان، فلما قدم عبدالرحمن قام معه أهل الأحساء وأخذوا يبرمون الحيلة في تدمير العساكر التركية، فقاموا على العسكر الذين عند أبواب الهفوف فقتلوهم، ثم حصروا العساكر الذي في خزام القصر المعروف خارج البلد، ونصبوا عليه السلالم وأخذوه عنوةً وقتلوا جميع من فيه من العسكر، وتحصن أهل الكوت فيه هم ومن عندهم من عسكر الترك الذين في كوت إبراهيم، وفي كوت الحصار فحاصرهم عبدالرحمن بن فيصل ومن معه من أهل الأحساء والعجمان وآل مرة، واشتد الحصار عليهم وكاد أن يظفر ببغيته لولا نجدة جاء بها ابن سعدون من العراق فكسرت العجمان وشتتت شملهم، وذلك لأن العساكر أرسلوا إلى والي البصرة وباشا بغداد يطلبون النصرة، فأمر باشا بغداد على ناصر بن راشد بن ثامر بن سعدون رئيس المنتفق أن يسير إلى الأحساء، وعقد له على إمارة الأحساء والقطيف وجهز معه عساكر كثيرة من بغداد، واستنفر ناصر بن

راشد رعاياه من المنتفق وغيرهم من بادية العراق، فاجتمع عليه جنود عظيمة، فسار بهم إلى الأحساء، فلما قرب من بلد الهفوف خرج إليهم عبدالرحمن بن فيصل ومن معه من العجمان وآل مرة وأهل الأحساء، ووقع بين الفريقين قتال شديد، فانكسر لذلك أهل الأحساء وانهزموا إلى بلادهم وتتابعت الهزيمة على العجمان ومن معهم من العربان، وعاد عبدالرحمن بن فيصل إلى بلد الرياض معه فهد بن صنيتان، وهرب رؤساء الأحساء إلى البحرين.

ثم دخل ناصر بن راشد بلدة الهفوف بمن معه من الجنود ونهبوها وأباحوها ثلاثة أيام، وخرج عسكر الترك الذين في الكوت، فصاروا مع تلك الجنود فعاثوا في البلد نهباً وقتلاً وفساداً، حتى قتلوا كل من ظفروا به من أهل السنة من ساكني الأحساء وممن كان فيه من أهل نجد، ولم يتعرضوا للرافضة، فقتل خلائق كثيرة ونهبت أموال عظيمة لا يحصيها إلا الله تعالى، وكان أكثر من باشر القتل عسكر الترك طلباً لثأر من قتل منهم، وكان من أعيان الذين قتلوا في هذه الفتنة الشيخ عبدالعزيز بن نعيم.

أما الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله الوهبي فإنه ضرب ضرباً شديداً وأخرجوه من الكوت، وكان ساكناً فيه قبل ذلك، وقتل محمد بن عبدالرحمن بن عامر وعمه أحمد ورشيد بن عبدالعزيز الباهلي ومحمد بن حسين الباهلي، وجرى في هذه الأيام محن عظيمة وخطوب جسيمة تشيب لها النواصي، وتعجز عن حملها الجبال الرواسي، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي آخر هذه السنة بل في شهر ذي القعدة خرج سعود بن فيصل من بلد الرياض غازياً فلما وصل صوار الموضع المعروف في أسفل بلد البير من بلدان المحمل مرض فرجعوا به إلى الرياض فوافاه أخوه عبدالرحمن لما رجع من الأحساء مريضاً في قصره، فلبث سعود أياماً قليلة وتوفى في ثامن عشر الحجة من هذه السنة فالله المستعان.

وهذه ترجمته رحمة الله عليه:

هو العاهل المقدام والأسد الضرغام وسلالة الأمجاد والكرام سعود بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود آل مقرن، كان شجاعاً ومشهوراً بالجراءة والإقدام، قد ظهرت فيه علامات السيادة وهو قد التف في مهاده، وكان له كرم عظيم وبذل وعطايا كثيرة حتى اشتهر جوده واعتلى صيته، وقد ساعده التقدير، مع ماله من الهمة العلياء والأمر الخطير، والقدر السامي والشأن الكبير، فلما رآه والده أهلاً للرئاسة استعمله أميراً في ناحية الخرج وكان مقروناً به الظفر، وله سبق في الفضل، غير أنه قام ينازع أخاه الإمام عبدالله الملك، فحصل بسبب ذلك محن على أهل الإسلام وفتن كبيرة على الآنام، وهذا يعد من سيئاته والله يغفر له، فأنتج خلافه ومنازعته فتناً مظلمة وحوادث مدلهمة، وكان أمر الله قدراً مقدورا، ولولا ما يسره الله من قيام الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وسعيه في تسكين بعض الحوادث الثائرة بحسب جهده وطاقته، مع أنه لا يستطيع وليس في إمكانه قطع مواد الشر من أصله لعدم سلطانه وقلة معاضديه وأعوانه، لكان الأمر أدهى مما وقع وأجسم مما حصل، ولكنه ما زال يدأب في قمع الفساد ويبث نصائحه في العباد حتى رمم بعض ما تفتق، وهذه الدنيا جعل الله صاحبها يعيش في كيد ويفشوا بين أهلها النكد والحسد، أضف إلى ذلك ما إذا كان للإنسان أعوان لا يساعدونه على فعل الخير مع ما بلى به العبد من الهوى والنفس والإمارة بالسوء، وتسويل الشيطان وغرور الدنيا، كما جرى ذلك في القرون السالفة والله ولي التوفيق.

ولما توفى قام بالأمر من بعده أخوه الإمام عبدالرحمن بن فيصل وكان عبدالله بن فيصل إذ ذاك هو وأخوه محمد بن فيصل مع بادية عتيبة.

ثم دخلت سنة ١٢٩٢هـ

ففيها أمر عبدالله بن فيصل على أخيه محمد بن فيصل أن يسير إلى شقراء ، وكتب معه بكتاب إلى رؤساء أهلها، وكتب أخرى على رؤساء بلد الوشم يأمرهم

أن يجهزوا غزوهم معه، فسار محمد إليها ومعه عدة رجال من الخدم وعتيبة وأقام في شقراء مدة أيام، ثم سار منها يغزو واستجابوا له وأطاعوا من أهل الوشم، فتوجه إلى ثرمدا، وكان أخوه الإمام عبدالرحمن بن فيصل لما جاءه الخبر بوصوله إلى بلد شقراء قد خرج من الرياض ومعه جنود كثيرة من أهل الرياض والخرج والجنوب والعجمان ومعه الدويش ومن معه من مطير وسبيع، ومن ضمن اتباعه أولاد أخيه سعود بن فيصل، فزحف بهذه الجنود وتوجه إلى الوشم فالتقى بمحمد بن فيصل ومن معه في ثرمدا فحصرهم الإمام وحصل بينه وبين أهل ثرمدا ومحمد بن فيصل قتال شديد، قتل فيه من أهل ثرمدا ثمانية رجال ومن العجمان خمسة، ثم إنهم تصالحوا على أن محمد بن فيصل يخرج إليهم ويدفعون إليه ركائب أصحابه وسلاحهم، فلما خرج محمد قبضوا عليه وهرب من معه من الجنود، ثم إن الإمام عبدالرحمن وأبناء أخيه ومن معهم من الجنود حاصروا شقراء فأعياهم أمرها فارتحلوا عنها وفر الأمير محمد بن فيصل إلى الرياض فدخلها ومن معه، ثم أن عبدالله بن فيصل حاول الرجوع إلى الرياض لكنه هاب أخاه عبدالرحمن لما معه من كثرة الجنود.

ولما سار الإمام عبدالرحمن بجنوده توجهوا إلى الدوادمي، ولما أن وصلوا إليه وإذا مصلط بن ربيعان ومحمد بن هندي بن حميد وهذال بن فهيد الشيباني ومن معهم من قبائل عتيبة قد أقبلوا يريدون النزول على بلد الدوادمي، فوقع بين الفريقين قتال شديد وكانت الغلبة لعتيبة، فرجع الإمام عبدالرحمن بن فيصل إلى الرياض.

ثم إنها وقعت الشحناء بين آل مقرن كل يرى أنه أولى بالولاية وله الأولية، فأصبح المسلمون يتوقعون كل يوم فتنة، وإنما قدموا عبدالرحمن بعد وفاة أخيه سعود خوفاً من عتاة الأعراب والغزاة الذين قدموا إلى الرياض، وقد حدثتهم أنفسهم بنهبها، فبايعوا الإمام عبدالرحمن لغيبة أخيه عبدالله، وتعذر مكاتبته، ومن ذكره إذ ذاك يخشى على نفسه وماله.

فرأى الشيخ عبداللطيف بثاقب رأيه أن يحاوله على ترك الإمامة لأخيه عبدالله لكبر سنه ولما له من الأولوية في الإمامة، وجعل يكرر عليه ويشير فكان من تنازل عبدالرحمن عنها لأخيه ما سنذكره إن شاء الله تعالى في السنة التي بعدها.

ذكر قتل مهنا الصالح أمير بريدة رحمه الله تعالى

قد قدمنا أن مدينة بريدة كانت قبل ذلك ماء لآل هذال من شيوخ عنزة، فاشتراها منهم راشد العنقري التميمي من آل عليان، ثم عمرها وسكنها ومن معه من عشيرته، وكان آل أبي عليان من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم خرجوا من بلد ثرمدا في الحروب التي وقعت بين العناقر في ثرمدا وفي بلد مرات لطلب الرئاسة، وسكنوا ضرية ورئيسهم راشد المذكور، وهو جد حمود بن عبدالله بن راشد الذي فتك في عشيرته آل أبي عليان، وقتل منهم ثمانية رجال في مسجد بريدة سنة ١١٥٥هـ، ولحمود هذا ابن يسمى راشد، ولم تزل الرئاسة لهم في بريدة لأنهم الذين أسسوها وهم أصحاب الحق الشرعي فيها إلى أن غلبهم عليها مهنا الصالح وأجلى رؤساءهم منها إلى عنيزة، فجعلوا يدسون الدسائس لآل مهنا ويستنجدون بهذا وبذاك عليهم، فأفضى الأمر إلى قتل مهنا في هذه السنة.

ولما كان مهنا قد استمال أعيان أهل بريدة وكثر أنصاره، أضف إلى ذلك أنه صاحب ثروة وغنى وقد أجلى عن البلد كل من يخافه ويخشى شره من آل أبي عليان، لم يستطيعوا قتله إلا غيلةً، فاتفق اثنا عشر رجلاً من آل عليان وساروا على خفية من عنيزة حتى دخلوا بلد بريدة آخر ليلة الجمعة ١٩محرم، فدخلوا في بيت على طريقه إلى المسجد الجامع يريدون قتله إذا ذهب لصلاة الجمعة، فلما مر من عندهم قتلوه تحت منارة جامع بريدة، ثم ذهبوا مسرعين إلى قصر مهنا الجديد المعروف فيها، فدخلوه وتحصنوا فيه، فقام عشيرته مستفزعين أهالي بريدة ووفق أنه لم يكن في البلد سوى ابنه عبدالله، وذلك لأن محمداً وصالحاً قد بعثمها بغزو لقتال أهل الرس لمنافرة كانت بينه وبين أهل الرس، وقد وصلا إلى الشقة، كما أن ابنه حسناً إذ ذاك عند الرعاة، فقام عبدالله معه أهالي بريدة وشيعتهم وحصروا آل أبي

عليان في القصر، ثم كتبوا إلى محمد وصالح يأمرونهم بالقدوم في الحال، فقدموا وجنودهم وحصل بينهم وبين أهل القصر قتال، وكان آل أبي عليان قد أرسلوا إلى زامل وأهل عنيزة يريدون النصرة منهم فامتنعوا.

ولما ثار الحرب بين الفريقين كان أول من باشر القتال علي بن محمد الصالح أبا الخيل ومعه رجل يدعى السولة، فجعل علي بن محمد يتهدد ويتوعد ويقول والله لنقتلكم قتلةً ما قتل بها أحد، فأجابه آل عليان وأنذروه أن ينجو بنفسه لئلا يلحقوه به، فلم ينته فضربوه برصاصة قضت عليه، وكان قد جاء ومن معه بأبواب تقيهم السهام ثم ضربوا حسن بن عودة آل أبي الخيل برصاصة فوقع ميتاً ثم قام أهل بريدة وآل مهنا فحفروا لغماً من تحت الأرض إلى أن وصلوا المقصورة التي فيها آل أبي عليان فحشوه باروداً وثوروه، فثار وسقطت المقصورة بمن فيها، فهلك بعضهم تحت الهدم وأمسكوا بقيتهم فقتلوهم، ولم ينج غير إبراهيم بن عبدالله بن غانم وزيد الحائك لأنه الذي ذهب إلى أهل عنيزة، وكان من أعيان المقتولين صالح بن عبدالعزيز آل محمد، وابن أخيه عمر بن تركي بن عبدالعزيز آل محمد، وابن أخيه الثاني إبراهيم بن علي بن عبدالعزيز آل محمد، وعبدالله بن حسن آل عبدالمحسن آل محمد.

ثم تولى إمارة بريدة حسن بن مهنا لما وصل بعد الحادثة إليها.

وهذه ترجمة مهنا:

هو الأمير الخطير والبطل الشهير أبا الخيل مهنا الصالح الحسن آل أبي الخيل من عنزة أمير الإمام فيصل على بريدة.

وكان رسول أهل القصيم إلى الإمام فيصل بن تركي لما خرجوا عن طاعته وطلبوا الصلح، فلما قدم رسولاً من أهل القصيم انتظم على يده الصلح، وما زال يتودد إلى الإمام حتى كتب معه أنهم يدفعون الزكاة ويركبون معه غزاة ويدخلون في السمع والطاعة والجماعة، فرجع مهنا إليهم بذلك وكان شجاعاً مقداماً وتاجراً كبيراً من كبار التجار، ولما أراد الإمارة أشار عليه أحبابه وذوو

الرأي أن لا يتأمر لعلمهم أن سيحدث نزاع بينه وبين آل أبي عليان، بل يكون من زعماء البلد فإنه أرفع لشأنه وأحسن لمستقبله لأن الرأس مستهدف للآفات، فلم يصغ وصمم على مراده.

فأما شجاعته فكانت الأمة تضرب الأمثال بإتعابه للخيل إذا ركبها فإذا ما استهزلوا دابة قالوا هذه قد ركبها مهنا، وله معاملة في التجارة للفلاحين فكان يقول لوكيله لا تعامل من يكون أقوى منا، فقال له الوكيل مرة ومن أقوى من الأمير، فأجاب قائلاً أقوى منه الفقير إذا ادعى العسرة فإنه يجب أنظاره، وكان يعطي أهل الشرق عشرهم اثني عشر ويعطي أهل الغرب عشرهم أحد عشر فاشتكى إليه الشرقيون قائلين ما بالنا نغلب في المعاملة، فهل يساوي بيننا، فقال لا يستوي من إذا دخل المدينة فالشمس في وجهه وإذا خرج فكذلك في وجهه يشير إلى أن الفلاح يدخل من أول النهار ويخرج من آخره ويلاقي الغربيون معاناة الشمس عكس الشرقيين، فإنها إذا لوحت وجوههم تنقمع أبصارهم وتسود ألوانهم.

ولما مات خلف من البنين أربعة مشهورين، وهؤلاء الأمير حسن ومحمد وصالح وعبدالله.

وفيها قتل فهد بن صنيتان، وصنيتان لقب على عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله ابن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن.

وكان قتله يوم الجمعة في جامع الرياض، قتله محمد بن سعود بن فيصل رحمه الله تعالى، وكان لما أهوى عليه محمد بالسيف اتقاها بعمود من عمد المسجد فجعل يدور عليه حتى قتله، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ولما قتل فهد هذا وخرج ابن جلوي من البلد، قام الشيخ عبداللطيف مقدماً على محاولة الإمام عبدالله في تركه الولاية لأخيه، وأشار عليه وكرر طلبه في ذلك وألح عليه فأجاب إلى ذلك حقنا لدماء المسلمين، هذا وأولاد أخيه سعود معه، فلما علموا بذلك انقلبوا على عبدالرحمن ووقع الصلح على أن عبدالرحمن بن فيصل قد

تنازل عنها لأخيه عبدالله ذلك لأنه الأكبر وأقدم في الولاية، وقد ندم على ما سلف منه من جر العساكر إلى نجد.

ولما تنازل عبدالرحمن وحصلت بينه وبين أبناء أخيه سعود منافرةً، خرج من الرياض وقدم على أخيه عبدالله بن فيصل وهو إذ ذاك في بادية عتيبة، فلما قدم عليه أكرمه إكراماً عظيماً وقدره تقديراً بالغاً، وأخذ عبدالله في جمع الجنود من البادية والحاضرة وجمع جموعاً ثم توجه بها إلى قتال أبناء أخيه في الرياض الثائرين، وكانوا قد انسحبوا من الرياض إلى الخرج وأقاموا فيها.

ولما نزل الإمام عبدالله بساحة أهل الرياض أمر الشيخ عبداللطيف على محمد ابن فيصل أن يظهر إلى أخيه فيأتي بأمان لأهل البلد وسعى الشيخ في فتح الباب لعبدالله واجتهد، ثم إنه خرج الشيخ للسلام عليه وتلقيه.

وإذا أهل الفرع وجهلة البوادي ومن معهم من المنافقين يستأذنوه في نهب النخيل والأموال، ووجد معه بعض التغير والعبوس فكلمه الشيخ فأظهر له الكرامة ولين الجانب، ومن عامل الله فما فقد شيئاً، ومن ضيع الله ما وجد شيئاً وزال عنه بعض مايجده من الانقباض، وزعم أن الناس قالوا ونقلوا وبئس مطية الرجل زعموا، ثم أظهر التوبة والاستغفار والندم بين يدي الشيخ الإمام والجهبذ الهمام، وبايعه الشيخ على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتتابع الناس في البيعة.

ثم دخل عبدالله بن فيصل بلد الرياض واستقر فيها، ثم قدم عليه رؤساء البلدان وبايعوه على السمع والطاعة، وكان جديراً أن يقال صفى الجو لعبدالله بن فيصل فاصبح أخواه محمد وعبدالرحمن مطيعين له منقادين، وهلك سعود الذي كان لا يدعه يستريح، ولكن ماذا يصنع بأبناء سعود الذين ظلوا في الحياد عاصين متمردين يحرضون القبائل عليه، وهناك أيضاً غيوم أخرى أخذت تتلبد في الأفق الشمالي لها رعود وبروق.

وفيها قام أمير بريدة حسن بن مهنا فقبض على عبدالمحسن بن مدلج وابنيه

عبدالله ومدلج من آل أبي عليان وحبسهم، وكان قد نمي إليه بأنهم يكاتبون من بقي من عشيرتهم في عنيزة بعد توليه، يحسنون له السطوة على بريدة، فلما أودعهم السجن ولبثوا فيه هربوا منه ذات ليلة، فانتبه لفرارهم الأمير حسن وبعث في طلبهم برجال من المهنا فأدركوهم وألقوا القبض على عبدالمحسن وابنه عبدالله فقتلا، وفاتهم مدلج بن عبدالمحسن فلم يتمكنوا منه، بل فرّ إلى عنيزة.

وفيه أيضاً قام عثمان بن عبدالله بن نشوان على عبدالرحمن بن إبراهيم الخراشي في بلدة أشيقر فرماه بمسدس فوقعت الرصاصة في رأس عبدالرحمن وسقط على الأرض فظن عثمان أنه قضى عليه، فذهب عنه، فأتى عشيرة المقتول إليه ووجدوا به رمقاً فحملوه إلى مكان وأخفوه إلى الليل، فبلغ الخبر عثمان المذكور، فأخذ يفتش عليه سائر يومه ذلك ليجهز عليه فلم يجده، ولما كان من الليل جاء إليه عشيرته البسام وكانوا قد اختفوا في النهار خوفاً على أنفسهم من آل نشوان، فحملوه إلى بلد شقراء وجارحوه وأخرجوا الرصاصة من رأسه فشفاه الله تعالى.

ولما كان بعد ذلك بأيام، سطى آل بسام على آل نشوان في أشيقر وأخرجوهم منه إلى بلد الحريق بغير قتال، ثم قام آل نشوان في رجب من هذه السنة فسطوا في أشيقر ومعهم سبعون رجلاً من أهل الحريق كبيرهم الأمير محمد بن إبراهيم بن نشوان، فدخلوا في داره المعروفة في جانب البلد، فعندما حصرهم آل بسام في الدار حتى أشرفوا على الهلاك، فلما دخل الناس في صلاة المغرب هربوا إلى بلد الحريق بعد جهد شديد، وقتل منهم عثمان بن إبراهيم الطويل ومحمد بن عبدالعزيز بن حسن بن نشوان، ثم بعد ذلك قامت الشرور بين آل نشوان المذكورين وبينهم وشمرت الحرب عن ساق.

وفيها كتب آل مهنا إلى الإمام عبدالله يشكون آل أبي عليان، فلم يسمع شكايتهم بل انحاز إلى آل أبي عليان يريد مناصرتهم، فلما لم يسمع من آل مهنا شكاية ولم يروا منه مساعدة بل انحاز إلى نصرة عدوهم، قطعوا العلائق منه وذهبوا يستنجدون الأمير محمد بن رشيد، والتجئوا إليه فلباهم بن رشيد ليضعف جانب

آل سعود، فإذا حصل له ذلك فإن آل مهنا ليسوا بذوي أهمية، وما كان محمد بن عبدالله ليناصرهم لحظ أنفسهم إنما ذلك منه لأمر يريده، وكان ميل الإمام عبدالله ابن فيصل إلى نصرة آل أبي عليان أضرم حقداً عظيماً في قلوب آل مهنا على عبدالله بن فيصل وإخوانه، وصار هذا الحقد كامناً في نفوسهم كالنار في الزناد.

وفيها توفي والي الحجاز محمد رشدي باشا ومن مناقبه أنه كان له مكتبة أوقفها وجعل فيها كتباً وموضعها عن يمين الخارج من باب أم هانيء من أبواب المسجد الحرام رحمة الله على أموات المسلمين.

ثم دخلت سنة ١٢٩٣هـ

في هذه السنة قدم على الإمام عبدالله بن فيصل آل أبي عليان رؤساء بلد بريدة في الماضي، وهؤلاء عبدالله بن عبدالمحسن آل محمد ومحمد بن عبدالله بن عرفج وحمد بن غانم، وإبراهيم بن عبدالمحسن بن مدلج آل عليان، وكان قدومهم من عنيزة، لأن مهنا قد أجلوهم عن بريدة؛ وكان معهم كتاب من زامل بن عبدالله آل سليم أمير عنيزة يطلب من الإمام القدوم عليه في عنيزة ويعده القيام معه ومساعدته على استيلائه على بريدة وطلب عبدالله بن عبدالمحسن آل محمد المذكور ومن معه من عشيرته القيام معهم والمساعدة في أخذ بريدة من أيدي آل أبي الخيل، وذكروا للإمام أن لهم عشيرة في البلد وأنهم إذا وصلوا إلى البلد ثاروا فيها وقاموا معهم وفتحوا الباب.

فسار معهم الإمام عبدالله الفيصل بجنوده من المسلمين بادية وحاضرة وقدم بلد عنيزة، ولما أن قدمها كان حسن بن مهنا لما بلغه مسيرهم قد كتب إلى محمد بن رشيد أمير الجبل يستحثه في المناصرة فخرج بن رشيد من حائل بجنوده واستنفر من حوله من بادية حرب وشمر وهيثم وبني عبدالله نزح بهم متوجهاً إلى بلد بريدة، فنزل عليها بمن معه من الجنود وكان ابن رشيد قد أرسل إلى أهل عنيزة يلتمس منهم أن لا يساعدوا عبدالله بن فيصل فلم يرجع منهم الرسول بجواب ثم إنه حصل الاتفاق على أن ابن رشيد يرجع إلى الجبل وأن الإمام عبدالله بن فيصل يرجع إلى الرياض وتبقى الأمور على ما هي عليه، وهذا يعتبر أول مسير حصل

بين ابن سعود وابن رشيد، فأما عبدالله بن فيصل فإنه يرجع إلى الرياض، وأما ابن رشيد فإنه أقام على بريدة مدة أيام ثم رجع إلى الجبل.

وفيها توفي الشيخ الإمام عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمة الله عليه، وسبب علته لما سطى محمد بن سعود على فهد بن صنيتان تلك السطوة بمسجد الجامع وهو قريبه من ذوي رحمه فلم يرع حق القرابة ولا حق المسجد. وتلك القتلة أثرت صدعًا في قلب الشيخ حتى توفي رحمه الله.

وهذه ترجمة الشيخ الإمام النبيل، والعالم العلامة الجليل، الألمعي الماهر الهمام، والحبر السميدع المقدام، البحر الزاخر، والعلم الظاهر، ذو الأخلاق الزكية، والمناقب الجلية، شيخ الإسلام، وقدوة العلماء الأعلام، عبداللطيف بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، أسكنه الله فسيح جنته وصب عليه في لحده شابيب رحمته، فلله دره من إمام تحلى بذكره المجالس ويحذى بمناقبه على ممر الهواجس، كساه الله ثوباً من البهاء والإجلال ما كان يملأ ذكر المسامع ويقنع الباحث والمراجع:

فيا حي يا قيوم يا من له الثنا ... ويا من على العرش استوى فهو بائن
أنله الرضا والعفو فضلاً ورحمةً ... فإن الفتى يجزي بما هو دائن
وقد بذل المجهود في نصرة الهدى ... وإعلائه حتى علالاً يداهن
وأبدى كنوزاً في العبادة للورى ... لكي يستبين الرشد من هو مائن
أماط القذى عنها وصفى معينها ... لوا ردها للصادي وما هو شائن
فرد منهلاً عذباً زلالاً فإنه ... يزيل الصدى والحق كالشمس بائن

كان عبداللطيف معظماً محترماً تهابه الملوك وسائر الرعية، ولما حمل إلى مصر مع من نقل إليها على أثر نكبة نجد، أخذ عن علماء من أهل مصر فمنهم الشيخ العلامة مفتي الجزائر محمد بن محمود الجزائري الحنفي، وأخذ أيضاً عن الشيخ إبراهيم البيجوري شيخ الجامع الأزهر، وأخذ عن الشيخ مصطفى الأزهري، والشيخ أحمد الصعيدي وغيرهم.

ونقل عنه أن بعض الأزهريين قال له: مسيلمة الكذاب من خبر نجدكم، فقال مجيباً له وفرعون اللعين رئيس مصركم، فبهت القائل له وسكت، وصدق الشيخ رحمه الله فإن كان مسيلمة قد ادعى النبوة فإن فرعون قد ادعى الربوبية وأين كفر مسيلمة من كفر فرعون لو كانوا يعلمون، مع أن سيئات مسيلمة وفرعون تحمل على ظهورهما.

وأخذ العلم عن الشيخ والده عبدالرحمن بن حسن، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، وأخذ أيضاً عن الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي، وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله.

أما ولادته فكانت في سنة ١٢٢٥هـ في الدرعية، فلزم طلب العلم وجد واجتهد حتى كان آية من آيات الله، باهرةً في الحفظ والذكاء وكثرة المطالعة وحتى أصبح عالماً بارعاً محققاً فاضلاً ملازماً للتدريس مرغباً في العلم معيناً عليه، وما زال يتقدم حتى كان سباقاً في العلوم لا يبارى، وجواداً في نيل الفضائل لا يجارى، وكان قد تفود بوالده في مصر وتخرج عليه حتى أنار الله قلبه بنور العلم والإيمان ومنحه طرائف التوفيق والعرفان فأنعم به من ماهرٍ متكلم وحافظ تتقاصر عنه سورة كل متقدم ولا غرو ولا بدع، فقد كان أصله طيباً وسلسلته زاكية، فرحمة الله عليه من إمام بلتع وفاضل فصيح مصقع حاز قصب السبق في الفروع والأصول وحوى منها ما سمق وسبق به الأئمة الفحول، فلقد تبحر في جميع فنون العلم وبلغ شأو العلى في رصانة المنثور والمنظوم؛ وهذه رسائله المفيدة وأجوبته القاطعة السديدة قد اشتملت على أصول أصيلة ومباحث قيمة جليلة تدل على فضله وتطلعك على ما هنالك، وثواقب علومه يهتدي بها السائر عن سلوك المعاطب والمهالك.

ثم إنه لما قدم من مصر إلى نجد في سنة ١٢٦٤هـ، قدم معه بكتب كثيرة فانتفع الناس بعلمه وجلس لديه حلق للتدريس كبرى، واستعمله الإمام فيصل قاضياً في الأحساء ثم كان قاضياً مع أبيه في الرياض، وكان الإمام فيصل يختصه ويسافر به معه، كما خرج به في خروجه لغزو أهل القصيم، فكان الشيخ في معيته إماماً

وقاضياً له، وإذا جلس الإمام فيصل في الصيوان وجلس المسلمون حوله قد حفوا به كان الشيخ إلى جنبه، فيأمر القارئ بالقراءة بين يديه، وكان على شيء عجيب من البصيرة في الدين وسعة الحلم وكمال الأدب، كما كتب إليه الشيخ حمد بن عتيق في بعض الأيام بكتاب أغلظ فيه القول كعادته يحضه فيه على الصدع بالحق وأساء الأدب معه في الكلام ولم يرع حق من تزدحم على نيل فوائده الآنام، وتثبت فؤائده الأقلام، ويحتاج إلى تفريغ منطوقه أولو الإفهام ويقرّ بفضله الخاص والعام، والباعث للشيخ حمد شدة الغيرة كعادته في المراسلات، ولم يمعن النظر فيمن يخاطبه، فبعث إليه الشيخ برسالة أفصحت عما لديه من الميراث النبوي، وبين له فيها الخلق العظيم وسجية المصطفى الكريم، وقال في معرض الجواب:

وبعد فإني أحمد إليك الله سبحانه على نعمه، والخط وصل وصلك الله بما يقربك إليه، وما أشرت إليه صار معلوماً لا سيما الإشارة الخفية والنكت الأدبية التي منها تشبيه أخيك بالطير المبرقع وإيراد المواعظ وأنت بمكان أعلى وأرفع وكنت حال وصوله قد قرأته بمرئى من أهل الأدب ومسمع، فمن قائل عند سماعه هذا الرجل طبعه الغلظة والجمود، وآخر يقول كأنه لا يحسن الدعوة إلى ربنا المعبود، فقلت كلا إنه ابن جلا؛ وله سبق في مضمار الديانة العلى، لكن من عادته أن يتجاسر على أحبابه؛ ويزدري رئب أخدانه وأترابه، والمحب له الدلال، والمرء يشرق بالزلال، ثم بين له بعد ذلك طريق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإن الشدة والغلظة إنما تستعمل بعد اللين، ثم أفاده بألطف عبارة وأوجز إشارة.

ثم قال في آخر الرسالة: هذا وقد كنت أظن أنكم تحبون من هاجر إليكم وتراعون حق أسلافه في المشيخة عليكم ومكان العلم وتعليمه.

ولقد جرى في وقته فتن ومحن وشقاق في شأن الإمامة بين أميرين من آل سعود لكل منهما أنصار، وكلاهما يرى أنه أحق بالإمامة من الآخر، وتطلع في هذه الفتن ما كان قد قبع من أتباع الشيطان، ورفع رأسه فيها كل مارد فتان، وفرح بها أهل النفاق والطغيان، فقام رحمه الله بأعباء الدفاع عن بيضة الإسلام وبث رسائله

ونصائحه؛ ولم يأل جهداً في تسكين تلك الثوائر، ونصر دين الله باللسان والحجة واستعمل ضروباً من الحكمة كل ذلك لتحذير المعتدين، وتذكير المسلمين، وإفادة السامعين، يصول بشرع الله المطهر، وينهى عن كل ابتداع ومنكر، حتى أتاه اليقين وانتقل إلى رحمة أرحم الراحمين.

فيا طوبى له من إمام قرر التوحيد ونهى عن الشرك بالله والتنديد، وأبان الحق لكل طالب ومستفيد، فنسأل الله تعالى أن يشكر سعيه ويعظم أجره ويجازيه على إحسانه وأن يتغمده برحمته وغفرانه.

ذكر تلامذته والآخذين عنه

تعلم منه فحول من العلماء وتخرج عليه جهابذة من الأئمة والعلماء، وضربت إليه أكباد الأبل من مشارق الأرض ومغاربها، ويكفي تلامذته عزاً وبهاءً وشرفاً أنهم ينتمون إليه، وها أنا أذكرهم:

فمنهم نجله الشيخ العالم النحرير، والبحر الغزير، الذي افتخرت به الأواخر على الأوائل، وسبق في المكارم الأقران والأماثل، الإمام عبدالله بن عبداللطيف وحيد زمانه وقدوة إخوانه وفائق أقرانه علماً وذكاءً وعفةً وبراعةً حتى كان رئيس قضاة نجد.

ومنهم نجله الشيخ البارع الذي تضرب الأمثال بمؤهلاته للعلم وعليه سيما العلم والبهاء والذكاء الحافظ إبراهيم بن عبداللطيف.

ومنهم نجله الفاضل الكبير الشيخ محمد بن عبداللطيف.

وأخذ عنه العالم النبيل والفاضل الجليل أخوه الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن آل الشيخ.

وأخذ عنه ذو المعارف الإلهية والأسرار الربانية من كان بالعلم ارتدى وتأزر، ونصر الحق وما قصّر، المجاهد بالحجة واللسان، وحسان السنة في ذلك الزمان، الشيخ سليمان بن سحمان ذو المؤلفات العديدة والأجوبة السديدة.

وأخذ عنه الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ.

وأخذ عنه الشيخ العالم الألمعي والفاضل الذكي قاضي القصيم محمد بن عبدالله بن سليم، وناهيك بفضله.

وأخذ عنه الشيخ المعظم محمد بن عمر بن سليم.

وأخذ عنه الشيخ الزاهد الورع الإمام عبدالله بن محمد بن فدا.

وأخذ عنه الشيخ صعب التويجري.

وأخذ عنه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى.

وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن مانع.

وأخذ عنه الشيخ الناسك عبدالله بن عبدالعزيز الدوسري.

وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن حسن بن يحيى قاضي بلاد المحمل.

وأخذ عنه الشيخ إبراهيم بن عبدالملك.

وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز الخطيب.

وأخذ عنه عبدالرحمن بن إبراهيم أبو الغنيم وعثمان بن مرشد.

وأخذ عنه إبراهيم بن راشد، وأخذ عنه زيد بن محمد آل سليمان.

وأخذ عنه أيضاً صالح بن محمد الشتري، وعلي بن حمد بن سلمان.

وأخذ عنه أيضاً حسن بن عبدالله آل الشيخ، ومحمد بن راشد الجابري.

وأخذ عنه عبدالله بن معيذر، وصالح بن عثمان بن عقيل.

وأخذ عنه إبراهيم بن مرشد، وأخذ عنه أيضاً عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبداللطيف، وعبدالله بن علي بن جريس، وعبدالرحمن بن محمد بن جربوع، ومنيف بن نشاط، وأخذ عنه أيضاً غير هؤلاء مما لا يحضرني ذكرهم الآن، ورحل إليه الطلاب من كل جهة يؤمونه وأقبلوا نحوه من كل قطر يقصدونه.

ذكر مؤلفات الشيخ الملحوظ بعين التشريف الحبر الإمام عبداللطيف

وأما مؤلفاته ورسائله فكانت منهلاً عذباً يردها الموحدون، ويأخذ بها أهل المعرفة المتقون، فما هي إلا روضةٌ حفت بنور ربيعها تسرح فيها الأفكار، وتتمتع فيها الأنظار، لما لها من القبول عند الأتقياء والأخيار، وكانت مملوءة بالنكت والفوائد توحيداً وفقهاً وأصولاً وفروعاً ونحواً وصرفاً وغير ذلك من فنون العلم.

فمنها «مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام» وهو رده على المرتاب عثمان بن منصور لما أقذع في مسبة علم الأعلام ومشيد دعائم الإسلام ومردي عبادة الأوثان والأصنام، فقام هذا الملحد وألف مؤلفاً سماه جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة والمراد بالأمة عنده هم عبدة الأصنام، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور، وانتصر فيه لعبادة الأصنام وذبّ عن أهلها وضلل أهل التوحيد وذمهم.

فلما جرى منه ذلك انتدب له هذا السميدع وأوهى شبهه وخزعبلاته وترهاته حتى عادت كنسيج العنكبوت وأصبح بنيانها في العرى ضعيف الثبوت وقطع كلما يتعلق به المبطل وأزال بالبراهين والدلائل كل مشكل، ونصب دبوس الحق على أم رأسه ليرتدع من هو من أجناسه ليعلم من في قلبه مرض أن في الحياض من يذود عنها وأن الحمى فيه من قعد بثغرة المرمى.

وكان رحمه الله قد بعث إليه رسالة قبل أن يتبين من أمره ما تبين، وقبل أن يتضح شأنه وتعين ما تعين، وقبل أن يظهر للناس حاله وتنتشر مصنفاته ويتلون بالخبث مقاله، لكنه قد يظهر من حاله ويلوح من صفحات وجهه وفلتات لسانه ما يغمص به، وتنسب إليه هفوات وشيء من البدع والمعضلات، فبعث إليه رسالة يحذره فيها من ورود تلك المعاطب وارتكاب ما يبدو منه من المثالب مع أنه تقدم له مقامات في الدين كشرحه لكتاب التوحيد وانتمائه إلى صالح العبيد، فيا له من رجل لو استقام، وصارم لولا ما عراه من الأنثلام، فلما تبين أمره

وأضغانه وانهد من القواعد بنيانه وأبان للناس ما لديه، وكشف عورته بيديه، تصدى له الشيخ ودحض حجته.

ومن مؤلفات الشيخ رحمه الله رده على داود بن جرجيس، وكان داعية للكفر وعبادة الأوثان، فرد عليه بما شفى وكفى، ولما وقف الشيخ عبدالقادر أفندي البغدادي الحنفي في رده على داود بن جرجيس أثنى عليه ثناءً جميلاً وقرظّ عليه بهذه الأبيات:

عبـــداللطيف جـــزاه الله خالقنـــا ... يـــوم الجـــزاء بـــأجرٍ غـــير ممنـــون
هـــو الهمـــام الـــذي شـــاعت فضـــائله ... في الشرق والغرب من نجد إلى الصـين
بحـرٌ مـن العلـم يبـدي مـن معارفـه ... بـــديع رد غزيـــر القـــدر مكنـــون
حمـــى طريـــق رســـول الله عـــن شـــبه ... منســـوبةٍ لجهـــولٍ غـــير مـــأمون
وســـــاوس وأقاويـــــل ملفقـــــةً ... كأنهـــا بعـــض أقـــوال المجـــانين
ظن ابن جرجيس مـن جهـلٍ ومـن سفهٍ ... لم يبـق في النـاس ذو علـم وتمكـين
فقال مـا قـال مـن زورٍ ومـن كـذبٍ ... ومن خـرف قـد تبـدي غـير مـوزون
ولم يكن عنـه يغـني الظـن فانعكسـت ... ظنونـــه في مجـــالٍ غـــير مظنـــون
إذ رده ناكصـــاً يـــدعو النجـــا علـــى ... أعقابـــه بخســـر الـــدنيا مـــع الـــدين
أن ابـن جـرجيس بـرذون وذا أسـدٌ ... وهـــل تقـــاس أســـود بـــالبراذين
دلائـــل تعتلـــي كالشـــهب أرســـلها ... عبـــداللطيف رجومـــاً للشـــياطين
جـــزاه مـــولاه عنـــا كـــل صـــالحةٍ ... مـــن جنـــة الخلـــد في يـــوم المـــوازين

أما رسائله ونصائحه فقد جمعها الشيخ الموفق المعاصر سليمان بن سحمان وجعلها منسوقة واعتنى بضبطها والتعريف بها، وجعل لكل رسالة مقدمة فيما تحتوي عليه، ولم يفته منه إلا النادر، ويااليته اعتنى بترتيب الرسائل وذكر وقت التاريخ لوضع المؤلف لها، وها هي منشورة في مجموع الرسائل والمسائل النجدية، فعلى من أحب مراجعتها فليراجعها فإن فيها مالا عين رأت ولا أذنٌ سمعت، بيد أنه يجمل ترتيبها ووضع تاريخ لكل رسالة أن تيسر ذلك، وساقها

الله إلى خبير بتلك البضاعة، فيا حسنها والإخلاص قد كساها، وعلم القبول يلوح بين أسطرها وجلاها، ويباهي شمس الضحى حسنها وسناها، وقد وضعها الشيخ المعاصر في نحو من عشرين كراسة سماها عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، فناهيك بها أمارات أعربت عن قدر منشئها ومنزلته، وأجوبة أفصحت عن براعته ودرجته.

فمنها رسالته إلى علماء الحرمين الشريفين زادهما الله تشريفاً وتعظيماً إلى يوم الدين، وسبب ذلك لما ورد أمر السلطان العثماني بأن يعطل الأذان في الحرمين الشريفين، وأن تكشف النساء عن وجوههن للفجرة والفاسقين، فغار الشيخ لهذا النبأ الفادح وحملته الغيرة الدينية والحمية الإسلامية والأنفة العربية على مكاتبتهم في شأن هذا الأمر العظيم والحدثان الفظيع الذميم. ودفع مفاسد ما أراده أعداء الله رب العالمين، وما أحدثه أضداد الملة والدين، وما انتحلوه من تغيير شعائر الإسلام وهدم معالمه العظام، فصدر هذه الرسالة بالحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وجعلها بعد إهداء التحية لأنصار الملة الحنيفية والحماة للشريعة المحمدية ولم يعين إنساناً بعينه وحثهم على نصرة الدين وأنهم إذا تخلوا عنه فكيف ينصر.

كفى حزناً للدين أن حماته إذا خذلوه قل لنا كيف ينصر

وتلطف في هذه الرسالة لعلماء الحرمين لعل الله أن يبطل ما أسس من هذه الضلالة، فانظر إلى ما أعطاه الله من الحكمة وحسن التخلص بان جعلها لحماة الشريعة والمدافعين عن كيانها، وإن هذه الفادحة ملقاة على عاتقهم.

ومنها رسالة وضعها رحمه الله وتغمده بإحسانه وصب عليه من شأبيب بره وامتنانه، وهذه إلى سائر المسلمين أرسلها يحرضهم فيها على الجهاد في سبيل الله والتزام أصول الدين والاعتصام بحبل الله المتين، ويذكرهم نعمة الله التي أمنن بها عليهم بدعوة شيخ الإسلام وقدوة العلماء الأعلام الشيخ «محمد بن عبدالوهاب» أجزل الله له الأجر والثواب إذ كانوا قبله على جاهلية جهلاء وضلالة عمياء وبدعة صماء لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه.

ومنها رسالة إلى محمد بن عون من أهل عمان، وذلك أنه أورد عليه جهمي من ضلال الجهمية النفاة أسئلة شنيعة تدل على قلة بضاعة متعسفها، فبعث بها إلى الشيخ الإمام عبداللطيف، فلما وردت عليه أجاب وأفاد وقرر وأجاد: إفادة لمحمد بن عون إذ كان من أهل التوحيد والإثبات، وممن جاهد الجهمية في تلك الجهات، وإلا فليس هذا الجهمي الكافر كفوء للجواب لأنه من العجم الطغام وأضلّ من سائمة الأنعام، وقدموه هذا الجهمي الكافر بهذه السفسطة والجعجعة وهرقع بهذه المخرقة والقعقعة، وظن أن ليس في حمى التوحيد من أهله ضيارم ولا لتلك الشبه المتهافتة من عالم مصارم كلا والله إن الليث مفترش على براثنه لحماية حمى التوحيد وقاطنه، فأجاب الشيخ وأبان وأوضح الحق حتى علا واستبان، فرحمة الله عليه من إمام جهبذ ألمعي ومقول بارع لوذعي أحكم وأبرم من الشريعة المطهرة أمراسها، وأوقد منها للورى نبراسها، وسقى عللاً بعد نهل غراسها، فأورقت وبسقت أشجارها وأينعت بحمدالله ثمارها، فجنى من ثمارها كل طالب مسترشد، وورد من معينها الصافي كل موحد.

ومنها رسالة له قدّس الله روحه ونور مرقده وضريحه في توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العبادة، أبلغ فيها غاية البلاغة وأفصح في ترصينها وترصيعها بأوضح عبارة، فحقيق لمن نصح نفسه ولها عنده قدر وأحب سعادتها وسعى في نجاتها وتخليصها، وأراد إفادتها أن يتحقق بما اشتملت عليه من العلوم النافعة واللطائف، ويسيم ثاقب فكره في مروج معانيها وما احتوت عليه من الحقائق والمعارف لأن ما اشتملت عليه هو أهم الأشياء وأجلّ العلوم، وعليه المدار وعنه السؤال يوم القيامة.

وأمر هذا شأنه حقيق بأن تثنى عليه الخناصر ويعضّ عليه بالنواجذ، ويقبض فيه على الجمر، فحقيق بالمؤمن أن يتدبرها فإن فيها مالا يوجد في المطولات بأتم عبارة، وأوضح بيان لأهل العقول المستنيرات.

ومنها رسالته إلى زيد بن محمد آل سليمان وهو من أعيان المسلمين وعلمائهم

يعاتبه فيها بعض المعاتبة، وهذه الرسالة بديعة أودعها من الفصاحة والبلاغة ما يعجز عنه فحول الرجال وتتضاءل عندها أفهام أولي النهي من الأمثال.

ولقد أثنى الشيخ سليمان على المترجم وأثنى على آبائه وأجداده الذين قاموا في نصر هذا الدين وأشادوا معالمه وأبادوا الشرك وأهله ومظالمه، وذلك لما أراد إدراجها مع رسائله فباح بالأبيات الآتية، وكان الشيخ عبداللطيف في بعثه لهذه الرسالة إلى زيد قد وجد منه عند تلك الحوادث والكوارث فتوراً، ورأى منه في حق من تجانف أو تساهل في ذلك تقصيراً أو قصوراً، وقد وضح الحق في ذلك واستبان، وكان من ذوي المعرفة والإتقان وخاصةً خلاصة الإخوان، فعاتبه الشيخ بهذه المعاتبة الرصينة المباني وأفصح له بهذه الرسالة البليغة المعالني، قال الشيخ سليمان في مقدمة هذه الرسالة يمتدح المترجم:-

معاني مبانيها الطوامح في العلا ... لآلىء أصداف البحور الزواخر
ويحتار في مهما مطاوح ما انطوت ... عليه من الترصين قس المحاضر
وأبدى بديعاً من عويص غويصه ... لثام المعاني المحكمات لسابر
لقد جد في نصر الشريعة والهدى ... وسد ينابيع الغواة الأخاسر
وإعلاء دين الله جل ثناؤه ... وتأسيس أصل الدين سامي الشعائر
وإحياؤه بعد الدروس ونشره ... وقمع لمن ناواه من كل غادر
وإبعاد أعداء الهدى وجهادهم ... وتحذيره عنهم بكل الزواجر
وقد رد بل قد سد كل ذريعةٍ ... تؤول إلى رفض الهدى من مقامر
ففي أثر آباء كرام أئمةٍ ... أولى العلم والحلم الهداة الأكابر
ببذلهمو للجد والجهد في الدعا ... إلى الله من قد ند من كل نافر
همو أظهروا الإسلام من بعدما عفى ... من الأرض فاستعلى به كل ناصر
فكم فتحوا بالعلم والدين والهدى ... قلوباً لعمري مقفلات البصائر
وكم شيدوا ركناً من الدين قد وهى ... وأقوى ففازوا بالهنا والبشائر
وكم هدموا بنيان شركٍ قد اعتلى ... وشادوا من الإسلام كل الشعائر

وكم كشفوا من شبهةٍ وتصدروا ... لحل عويص المشكلات الكوادر
وكم سنن أحيوا وكم بدع نفوا ... وكم أرشدوا نحو الهدى كل حائر
لقد أطدوا الإسلام بالعلم والهدى ... وبالسمر والبيض المواضي البواتر
تغمدهم رب العباد بفضله ... ورحمته والله أقدر قادر

وكان بين الشيخ عبداللطيف وبين الشيخ أحمد بن علي بن مشرف صحبة أكيدة فكتب إليه الشيخ المترجم رسالة يعتب عليه فيها وينادمه وضمنها هذا البيت المنسوب لضمرة بن ضمرة التميمي وهو قوله في قصيدة:

وإذا تكون كريهة ادعى لها ... وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

وبعضهم ينسب هذا البيت لعمرو بن الغوث بن طيء فبعث إليه الشيخ أحمد يقول: بعد التحية، وبعد فقد وصلنا كتابك وهيجنا بديع خطابك واستشهادك بالبيت القديم الذي هو لبعض بني تميم إلى نظم أبيات على تلك القافية، وهي في الاعتذار كافية ثم نسج الشيخ أحمد كعادته في القريض أبياتاً على هذا البيت من بحر الكامل مدحاً للشيخ المترجم ومنادمةً فقال:

الود أصدق والتوهم أكذب ... فعلام تلحقنا الملام وتعتب
أتظن أنا قد جفوناكم فلا ... أدري أظنك أم عتابك أعجب
الدين يأبى والمروءة والإخا ... ما قد ظننت فبرق ظنك خلب
أتظن في أهل الحفيظة والنهى ... هجر الصديق بغير ذنبٍ يوجب
أو كفرهم بعض الأيادي بعدما ... وجب الجزاء لها بما تستوجب
أو ينكرون أخوة قد أكدت ... بقرابة ومناقب لا تحسب
أو لم تكن في الحلم طوداً راسياً ... والعلم بحراً طامياً لا ينضب
وأبوك حبر فاضل من علمه ... ترجى الهداية والمقال الأصوب
إن خاض في علم الحديث فمسلمٌ ... أو علم فقه قلت هذا أشهب
ولمن مضى منكم فضائل جمة ... كدنا بها فوق المنابر نخطب
أتقول إذ قد لمتني متمثلاً ... بقديم الشعر قاله من يعتب

وإذا أتتك كريهةٌ ادعى لها ... وإذا يحاس الحيس يدعى جندب
فلكاهما تدعى إليه بحول من ... وهب الجزيل ووعده لا يكذب
فاصفح ولاحظنا بعين الرضا ... وأقبل إذا اعتذر المحب المذنب
وانظر إلى درر القريض نظمتها ... يزهي بها العقد النفيس المذهب
وفي جيد غانيةٍ حكت شمس الضحى ... فإذا تجلت كل نجمٍ يغرب
تهدي إليك تحيةً من مولعٍ ... من نشرها فاح العبير الأطيب
وبها تأرجت الرياض وأزهرت ... فيها الرياض فطيرها يتناوب
ثم الصلاة على النبي محمدٍ ... ما لذ في الأسماع صوت مطرب
وعليه تسليم الإله وروحه ... ما جاد في الإثنا عليه المطنب
وآل والأصحاب ما مزن بكى ... فاهتز يضحك بالنبات المجدب

واعلم أن رتبة هذا العالم رفيعة ومنزلته شريفة، قد تبحر في العلم حتى كأن العلوم نصب عينيه وأثنى عليه العلماء والرؤوساء.

ولما مات بكى لمصابه الشيخ حمد بن عتيق وأشتد نحيبه وظهر عليه الحزن فقيل له يرحمك الله، لقد مات الشيخ أبي بطين فلم نر منك هذا التأثر ومات الشيخ عبدالرحمن بن حسن، فما وجدت عليه وجدك بالشيخ عبداللطيف فقال بوفاة الشيخ أبي بطين ووفاة الشيخ عبدالرحمن نسلوا بهذا الخلف، فلما مات هذا الشيخ من أين لنا منه خلف.

وقد قال الشيخ العارف سليمان بن سحمان يمتدحه ويثني وذلك لما أراد جمع رسائله وأعجبته واستحسنها ذكر مقدمة لها وباح بهذه القصيدة التي خرجت من لواعج الإحشاء:

فيا من هو العالي على كل خلقه ... وسوى السموات العلى وبناها
وكان لها سبحانه جلّ ممسكاً ... بغير عماد في الوجود نراها
وزين أدناها بشهب ثواقب ... مصابيح في ديجورها ودجاها

وأطــد بــالأطواد أرضــاً بسـيطة وأحكمهـــا ســـبحانه ودحاهـــا
بأسمائك الحسني وأوصـافك العلـى أذقـه مـن الفـردوس طيـب جناهـا
وأول الرضـا هـذا الإمـام الـذي لـه مـــآثر يزهـــو في الأنـــام ســـناها
وبـوأه في الفـردوس والخلـد منـزلاً وألبســـه مـــن أثوابهـــا وحلاهـــا
فقـد قـام في نصـر الشـريعة جاهـداً ولم يـأل جهـداً في ارتفـاع ذراهـا
ويرد على مـن نـدَّ مـن كـل ملحـد علـى السـنة الغـراء ورام حفاهـا
وقــد شــيدت أركــان ســنة أحمــد رســـائله اللاتـــي أضـــاء ضـــياها
فأشـرف منهـا الحـق للخلـق ناصـعاً وأعشـــى عيـــون الملحـــدين ســـناها
وأجوبــةٌ تســمو وتســمق بالهــدى لأســـئلةٍ قـــد أشـــكلت فجلاهـــا
يضــوع لأهـل الحـق منهـا نواشـر يفـوق عـبير المسـك طيـب شـذاها
إذا أرسـل النحريـر ثاقـب فكـره بفـــيح معانيهـــا وشـــأو ذراهـــا
أقـر لـه بالفضـل والعلـم والحجـى وإن قـــد تســـامى للعلـــى فعلاهـــا

وقال الشيخ سليمان بن سحمان يرثاه لما توفى في هذه السنة وانتقل إلى جوار الغفور التواب وفارق الأحباب والأصحاب بلَّ الله ثراه بوابل الغفران وأسكنه شامخ الغرف في أعالي الجنان.

وهذه المرثية قوية المباني، بديعة المعاني، أنشأها لما فجعت الخلائق برزئه وبكته محابر العلماء وطروس الكتاب وعمت مصيبته الآفاق، فإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها:

تــذكرت والــذكرى تهـيج البواكيـا وتظهـر مكنونـاً مـن الحـزن ثاويـاً
معاهــد كانــت بالهــدى مســتنيرةً وبـالعلم يزهـو ربـع تلـك الروابيـا
وآراضها بـالعلم والـدين قـد زهـت وأطـــواد شـــرع الله فيهـــا رواســـيا
وقد أينعـت منهـا الثمـار فمـن يـرد جناهـــا ينلـــها والقطـــوف دوانيـــا
وأنهارهـــا للـــواردين شـــريعةً مناهلـــها كالشـــهد فعـــم صـــوافيا
وقــد غــردت أطيارهــا برياضــها يــرجعن ألحــان الغــواني تهانيــا

وكنــا علــى هــذا زمانــا بغبطــةٍ وأنــوار هــذا الــدين تعلــو ســواميا
فمــا كــان إلا برهــةً ثــم أطبقــت علينــا بــأنواع الهمــوم الروازيــا
فكنــا أحاديــث كأخبــار مــن مضــى ونــنبيء عنهــا في القــرون الخواليــا
لعمــري لأن كانــت أصــيبت قلوبنــا وأوجعهــا فقــدان تلــك المعاليــا
لقد زادت البلوى اضـطراماً وحرقـةً فحــق لنــا إهــراق دمــع المآقيــا
فقـد أظلمـت أرجـاء نجـد وأطفـأت مصــابيح داجيهــا لخطــبٍ وداهيــا
لمـوت إمـام الـدين والعلـم والتقـى مذيق العـدى كاسـات سـم الأقاليـا
فعبـد اللطيـف الحـبر أوحـد عصـره إمــام هــدى قــد كــان لله داعيــا
لقــد كــان فخــراً للأنــام وحجــةً وثقـلاً علـى الأعـداء عضـباً يمانيـا
إماماً سمـى مجـداً إلى المجـد وارتقـى وحــل رواق المجــد إذ كــان عاليــا
تصــدى لــرد المنكــرات وهــدمها بنتـه عـداة الـدين مـن كـل طاغيـا
فأضحت به السـمحاء يبسـم ثغرهـا ويحمـي حماهـا مـن شـرور الأعاديـا
حباه إلـه العـرش في العلـم والنهـى بمــا فــاق أبنــاء الزمــان تســاميا
وقــد جــد في ذات الإلــه بجهــده ولم يــأل في رأب الثنــى والمناهيــا
ولمــا نمــى الركبــان أخبــار موتــه وأصــبح نــاعي الــدين فينــا مناديــا
رثينــاه جــبراً للقلــوب لمــا بهــا وحـل بهـا مـن موجعـات التأسـيا
لشمس الهدى بدر الدجى علم الهدى وغيض العدا فالبيك مـن كـان باكيـا
لأن ظهــرت منــا عليــه كآبــةً وحل بنـا خطـب مـن الـرزء شـاجيا
فقـد كسـفت للـدين شمـس مـنيرةٌ يضــيء ســناها للــورى متســامياً
سـقى الله رمسـاً حلـه وابـل الرضـا وهطال سحب العفو من كـل غاديـا
ولا زال إحســان الإلــه وبــره علــى قــبره ذي ديمــة ثــم هاميــا
وأسـكنه الفـردوس فضـلاً ورحمـةً وألحقــه بالصــالحين المهاديــا
عليــه تحيــات الســلام وإن نــأى وأضــحى دفينــاً في المقــابر ثاويــا
يفـوق عـبير المسـك عـرف عبيرهـا ويبهر ضوء الشـمس أزكـى سـلاميا

فيـا معشـر الإخـوان صـبراً فإنمـا مضـى لسـبيل كلنـا فيـه ماضـيا
فـإن أفـل البـدر الفريـد وأصـبحت ربـوع ذوي الإسـلام منـه خواليـا
فقـد شـاد أعـلام الشـريعة واقتفـى بآثـار آبـاءٍ كـرام المسـاعيا
همو جددوا الإسـلام بعـد اندراسـه وأحيوا مـن الأعـلام مـا كـان عافيـا
وكـم لهمـو مـن منحـةٍ وفضـيلةٍ يقصـر عـن تعـدادهن نظاميـا
منـاقبهم لا يحصـها الـنظم عـدةً ولـيس يواريهـا غطـاء المعاديـا
فيـا رب جـد بالفضـل منـك تكرمـاً وبـالعفو عـنهم يـا مجيـب المناديـا
وأبـق بيـنهم سـادةً يقتـدى بهـم إلى الخـير يـا مـن لـيس عنـا بلاهيـا
ونسـألك اللـهم سـتر عيوبنـا ومحـو الـذنوب المـثقلات الشـواحيا
فعفـوك مـأمول لكـل مؤمـل وسترك مسدول علـى الخلـق صـافيا
وأحسـن مـا يحلـو القـريض بختمـه صـلاةً وتسـليماً علـى خـير هاديـا
وأصـحابه والآل مـا مـاضٍ بـارقٍ وما أنهل صوب المـدجنات الغواديـا

خلف الشيخ عبداللطيف أنجالاً فضلاء وهم: عبدالله وإبراهيم ومحمد وعبدالرحمن وعمر وصالح وعبدالعزيز وأحمد وسيمر في هذا التاريخ ذكرهم إن شاء الله تعالى.

وفيها تولى الخلافة السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد خان العثماني، ويعد في خلفاء الدولة العثمانية كأحسن خلفائها لأنه لجأ إلى سياسة جمع المسلمين تحت لواء الخلافة، ومحاسنه معاملة العرب وخصص المبالغ الطائلة لإنشاء التعميرات وبناء دور الحكومة التي لا تزال موجودة حتى الآن، وله همةٌ ونشاط في تقدم الدولة، وامتدت سلطته قدراً من ثلث قرن، وبعدها بات الفشل في الدولة العثمانية.

وفيها جرت وقعة بين أهل شقراء وبين الشيابين من عتيبة وقتل في هذه الوقعة رجل من الشيابين، وقتل من أهل شقراء صالح بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى، وهذه القبيلة من عتيبة يسكنون أراضي الحجاز ولهم نهمة في الاختلاس ممن مر بهم من الحجاج وغيرهم قبل عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود.

ثم دخلت سنة ١٢٩٤هـ

ففيها ولد الأمير محمد بن علي الإدريسي وهذا نسبه:

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن إدريس وكان سيداً كبيراً في عشيرته؛ ولما ولد جيء به وهو شاب إلى مصر فدخل كلية الأزهر وتخرج فيها ثم سافر إلى كفره بالمغرب فقرأ هناك على السيد السنوسي، وجاء منها إلى السودان فأقام في أرجوبد نقله وتزوج بابنة هارون الطويل شيخ الطريقة الأحمدية هناك، وكان له نفس كبيرة شريفة أبت عليه الخمول والاستعباد، وكانت الأسفار قد زادت بعلومه ومداركه، ثم عاد بعد ذلك إلى عسير مسقط رأسه، وكان الأتراك جنوباً يحكمون حيثما يستطيعون ويستغوون روؤساء العشائر بمشاهرات لا يدفعون غير اليسير منها فانقلبت عليهم أصحاب الديون واستمالهم الإدريسي إليه، وما زال يحتال حتى ساد أكثر أهل عسير.

وفيها ظهر الجراد في نجد وكثر جداً ثم أعقبه دباء أكل الزروع والثمار والأشجار وتأذى أهل نجد بتلك الجنود.

وفيها صلفت رعود الأمير حسن بن مهنا أمير بريدة وبروقة وأكثر الغارات على أهل شقراء وغيرهم من أهل الوشم، فارسل سرية في المحرم تغير على بلد شقراء ، ولما أن أغارت هذه السرية فزع لذلك أهل شقراء وحصل فيما بين الفريقين قتال شديد انهزمت له سرية ابن مهنا، وأخذ أهل شقراء جملةً من ركابهم وقتل من أهل شقراء عبدالله بن عبدالرحمن بن جماز رحمه الله تعالى.

ولما وفد في هذه السنة وفد من آل أبي عليان على الأمير محمد بن رشيد في الجبل، وهؤلاء الوفد مؤلفون من ثلاثة أعضاء هم: حمد بن غانم وإبراهيم بن عبدالمحسن بن مدلج آل أبي عليان روؤساء بلد بريدة في الماضي وعبدالله الجالس المعروف من موالي آل أبي عليان، علم بهم الأمير حسن بن مهنا فبعث في آثارهم ابن عمه صالح آل علي أبا الخيل يقود سرية لطلبهم، فوجدوهم في الموضع المسمى بقرية راجعين من عند بن رشيد يريدون عنيزة فقتلوهم.

وفيها في ١٤ من جمادى الآخرة توفى الشريف عبدالله بن محمد بن عبدالمعين بن عون، وكان عمره إذ ذاك ستاً وخمسين سنة ومدة إمارته نحواً من عشرين سنة، وكان له من الذكور اثنان وهما علي ومحمد رحمة الله على أموات المسلمين.

وتولى بعده إمارة مكة أخوه الشريف حسين بن محمد بن عبدالمعين بن عون.

وفيها أيضاً غزا محمد بن عبدالله بن رشيد أمير الجبل ومعه الأمير حسن بن مهنا أمير بريدة يريدان بادية عتيبة فزحفا وجعل ابن رشيد طريقهما على بلد أشيقر، فكان وقتاً لصرامة النخيل فجرى من تلك الجنود فسادٌ عظيم، نهبوا البيوت وصرموا النخيل وأخذوا ما وجدوا فعياذاً بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ثم دخلت سنة ١٢٩٥هـ

ففيها أمر السلطان عبدالحميد خان بن عبد المجيد خان الخليفة العثماني بأن يفرش سطح الكعبة المشرفة بألواح المرمر، ففرش في هذه السنة، هذا والأمير إذ ذاك في مكة المشرفة حسين بن محمد الشريف عم الحسين صاحب الثورة العربية.

وفيها ولد ملك إيران الدستوري وهو رضا ابن عباس علي خان، وكانت ولادته في قريت الأشت من قرى سوادكوه، وكان أبوه حين ولادته حاكماً على سوادكوه وقائداً للقوة العسكرية فيها.

وفي هذه السنة في ربيع الآخر أرسل الإنذار الدولي للباب العالي في الدولة العثمانية من قبل المؤتمر الذي سعت به روسيا إلى عواصم أوربا حيث زار المندوب عاصمة عاصمة، وكان هذا الإنذار يقتضي أنه يجب على الدولة العثمانية أن تتم عقد الصلح مع الجبل الأسود وأن تترك له الأراضي التي يطالب بها وأن تنفذ الإصلاحات التي طلبتها منها الدول وأن تقلل عدد عساكرها العظيم في حالة السلم فلا يكون كحالة الحرب.

وأرسلت روسيا بانفرادها إنذار آخر للباب العالي فعرض الباب العالي هذين

الإنذارين على مجلس البعوثات ليرى رأيه فيهما ذلك بأن السلطان عبدالمجيد يعرض مهام الأمور على المجلس الذي لا يقل عدد أعضائه عن مائة وثمانين عضواً من عظماء الدولة ورجالها.

ولما كان في تاسع أبريل من هذه السنة رفض هذين الإنذارين وأعلن الباب العالي في حادي عشر أبريل للدولة الأوربية رفضه لهما، ومن ذلك اليوم صارت الحرب على أبواب تركيا، وأخذت تركيا من جهة وروسيا من جهة أخرى تتم تجهيزاتها الحربية وترسل جيوشها على الحدود، ولما رأت روسيا أنها لا تستطيع التغلب على تركيا والفوز عليها إلا إذا عبرت جيوشها بلاد رومانيا عقدت في ١٦ أبريل مع هذه الإمارة اتفاقية تسمح للجنود الروسية بالعبور في أراضي رومانيا وأعلنت روسيا في ٢٤أبريل من هذه السنة رسمياً الحرب على تركيا مبينة في إعلانها أن غرضها بالحرب نصرة المسيحيين، وأعلنت رومانيا استقلالها التام عن الدولة العثمانية واتفقت روسيا مع رومانيا في ١٤مايو اتفاقاً دفاعياً هجومياً، وانضمت جنودها إلى جنود روسيا، ثم إنها أخذت الجنود الروسية تهاجم مدينة (بلفنة) المرة بعد الأخرى وارتدوا على أعقابهم خاسرين، لما أقام حولها عثمان باشا من المعاقل والحصون المنيعة، ولكن سوء حظ الدولة العثمانية قضى عليها بأن لا ترسل ما يلزم من المدد للغازي مختار باشا بعد أن فقد جيشه الرجال الأبطال، فسقطت منه لذلك قارص في أيدي الروسيين في هذه السنة وقد أعيت معاقل بلفنة وحصونها الروسيين فحاصروها حصاراً شديداً وشهدوا قوة الأتراك وشهامتهم، وأعجب قيصر الروس نفسه بمهارة الغازي عثمان باشا وقوة إدراكه.

وقد طالت محاصرة بلفنة حتى انقطع المدد على الأتراك ونفد كل ما عندهم من الذخائر، فعزم الغازي عثمان باشا على الخروج من بلفنة مع جنوده الأشداء، فخرج في آخر هذه السنة بالفعل، ومرت الجنود العثمانية من وسط الأعداء غير خائفة نيرانهم ولا مقذوفاتهم بل جاعلةً وجهتها الاستحكامات التي كان أقامها الروسيون حول بلفنة على ثلاثة خطوط متعاقبة واستولت على مدافع الخط الأول

والثاني وكادت أن تستولي على الخط الثالث غير أن الغازي عثمان باشا وقع جريحاً فظنه قومه ميتاً وانتشر خبر موته بين الجنود العثمانية فثبطت هممهم وانحلت عزائمهم، ودخل الروسيون في هذه الأثناء بلفنة واضطر قواد الجيش العثماني للتسليم والإتفاق مع قوات الجيش الروسي على إيقاف الحرب بإلقاء الجيش العثماني للسلاح، وقد فقد الجيش الروسي في محاصرة بلفنة ٣٨٠٨٠ قتيلاً وفقد الجيش العثماني ١٥٣٠٠قتيلاً، ولم يعتبر رجال العسكرية في أوربا سقوط بلفنة انتصاراً للروسيين على العثمانيين، بل أعجب كل إنسان بالعثمانيين أكثر من إعجابه بالروسيين، فإن الروسيين عددهم كان مائة ألف وخمسين ألفاً والعثمانيين كانوا ثلثهم أي خمسين ألفاً، وكانت روسيا تأمل انتصاراً أعظم منها.

ذكر الفظائع التي فعلتها روسيا والأعمال الوحشية

لما انتصرت روسيا على العثمانيين صنعت أنواع الفظائع بالجنود العثمانية، ففي هذه السنة وجدت معسكراً يحتوي على مائة ألف من نساء الأتراك نازلا ببعض الأمكنة فما كان من جنود روسيا وأتباعها إلا أن فتكو بهن وطردوهن أمامهم على ثلوج نهر ميرتزا إلى جبال دورب حتى مات أكثرهن من البرد والجوع، وأصبحت بعض الأماكن التي تبلغ سبعين ميلاً، وكانت بالأمس مرتعاً للآلاف من العائلات، فأصبحت قاعاً صفصفاً خاوية على عروشها ليس فيها سوى جيف الموتى وعظام القتلى وبقايا المقتولين، فتحولت نضارتها السابقة إلى منظر مخيف وأطلال دوائر، وذلك من الفضائح المنكرة التي تقشعر من هولها الأبدان وينكرها أهل العقول من ذوي الأديان، حتى جاء في بعض الجرائد المتعلقة بهذا الموضوع.

وكانت هذه الجريدة تميل إلى روسيا غير أن هذه المرة تسخط من هذا الصنيع، قال وكنا نرى جثث الفلاحين مغطاة بالثلوج ولا شك أن بعضها قد لبث على هذه الحالة الشنيعة المحزنة أسبوعين أو ثلاثة ولم تزل آثار الدماء على ملابسهم وهكذا كنا نسير بين رمم القتلى وآثار الخيام والأرض حولها مغطاة بالجثث وبقايا المعسكرات كما تغطى بالفرش والبسط.

وكنا نخترق صفوفاً من جثث القتلى ورمم الحيوانات مسافة لا تقل عن خمسة وثلاثين ميلاً، فرأينا نساء ملقاة في الثلوج وأولاداً وأطفالاً مرماة في البرك ورجالاً ممزقة أجسامهم مما أصابهم من الجراحات القتالة ورأينا الثلج محمراً من أثر الدماء المنهطلة، وأظن أن أغلب النساء متن من البرد القارص لأن نضارة الحياة كانت بادية على وجوههن، أما الأطفال والأولاد فهم كالنساء مات أغلبهم من شدة البرد القارص والثلوج المتراكمة، هذا ويرى عليهم آثار النضارة الطفولية وبعضهم بادية وجوههم وبعضها مغطاة بالثلوج، لأن مما لا شك فيه أن أمهاتهم لما رأينهم أمواتاً على صدورهن من شدة البرد وأن لا أمل في عودتهن للحياة رمينهم في الثلوج ليخففن حملهن وفارقن حشاشات أكبادهن بالرغم منهن والدموع تسيل من عيونهن، حتى إذا أدركت الخدود تحولت برداً من شدة الزمهرير.

ولقد وصف بعضهم امرأة تسير بجانبها طفلة تناهز العاشرة من عمرها وهما تجدان في المسير فراراً من معاملة الروسيين وقساوتهم وفظاعتهم، ولكن الابنة لم تقو على المشي لأن أقدامها العارية تعبت غاية التعب من المسير على الثلج فسقطت ميتة بين أمها الحنونة ولقد داهم الأم الليل بظلامه الحالك وبرده الفاتك فسقطت طريحة بجانب ابنتها.

وكانت جيف القتلى من الأتراك يقوم عليها فلاحو البلغار فلا يكتفون بما أصابها من القتل بل يرجمونها بالحجارة ليفنوا عظام أولئك القتلى، ولما سئلت إحدى العائلات التركية من أين جاءت وإلى أين تسير، قالت لها تركت بلفتة من خمسة شهور مضت وهي على مثل حالها من الفقر المدقع تسير ليلاً ونهاراً ليس لديها إلا ما تجده من لحوم الحيوانات التي تموت في الطرق، كانت هذه العائلة مكونة من أب وأم على صدرها طفل صغير وولد لا يبلغ العاشرة من العمر وكلهم حفاة عراة، الأرض فراشهم؛ والسماء غطاؤهم وليس لديهم سوى بعض خرق يسترون بها سوءاتهم وقدر يطبخون به اللحم من تلك الميتات، وكلما سرت رأيت مناظراً أبشع وأفظع، فهذه امرأة وزوجها مقتولان نائمين بجانب بعضهما وطفلان بقربهما على الثلوج، وشيوخ متكسرة جماجمهم.

ومن المناظر التي تولّد الحسرة وتحزن الفؤاد، رؤية شيخ هرم من الترك ملقى على الأرض إلى جانبه مصحف قد تلوث بدمه حتى ترك خمسة وسبعون ألف بيت خالية من السكان، وكان الأتراك شيوخاً وأطفالاً ونساءً يفرون فلا يستطيعون الفرار فينقض عليهم البلغاريون فيفتكون بأغلبهم حتى سميت بعض الطرق التي يفرون معها طريق الموتى لكثرة ما فيها من القتل.

ثم دخلت سنة ١٢٩٦هـ

استهلت هذه السنة والكلمة متفرقة والجماعة مختلفة والأحوال تنذر بشرها وويلاتها، فكان على الخرج أبناء سعود بن فيصل، وعلى بريدة حسن بن مهنا، وعلى عنيزة زامل بن عبدالله، وعلى الرياض وما يليه الإمام عبدالله بن فيصل ومعه أخوه محمد وعبدالرحمن، هذا وعلى ناحية جبل طي الأمير محمد بن رشيد وقد اشتعلت بروقه وصلفت رعوده، يريد الاستيلاء على نجد كلها فأصبح يخطب الملك لنفسه وما كانت حائل لتقنعه إماراتها ولكن أين من ينتبه له، فهل كان آل سعود نياماً أم يقظاناً أم قد اختلفوا فيما بينهم حتى ينفذ فيهم المقدور، فإن كان الإمام عبدالله قد أطاع له أخواه واستقروا في الرياض فكانوا يداً واحدة، ففي الجو مكدر فهؤلاء أبناء أخي الإمام في الخرج مصرين على الخلاف والعناد، وهذا الأمير بن رشيد قد طمع في نجد لما تضعضع ملك آل سعود، فقد خسروا القصيم وجبل طي والأحساء والقطيف وغالب بلدان الجنوب، فأنشأ الشيخ سليمان بن سحمان رحمة الله عليه قصيدةً يمتدح فيها الإمام عبدالله بن فيصل ويحرضه على الانتباه والأخذ بالحزم في كبح ابن رشيد وينهضه لانتهاز الفرصة، وأن لا يغفل أمر العدى فمن نام عن غنمه تولى رعيها الأسد وكيف تنام العين في السفينة وقد شرع العابثون في أكل أحبالها:

أدم بالعوالي الطعن في الضدان جدا	وبالبيض قد للعدى تعتلي مجدا
ألا إنما العز الموطد والعلى	بظل المواضي والطلا للعدى غمداً
فما أوهن العدو سوى البيض والقنا	وصيرهم الأبها آلة جندا

فلــن تــدرك الفــوز الموطــد بــالمنى — ولكن أدم غـزو العـدا وأبـذل الجهـدا
وأعمــل هــديت الـيعملات بــداجنٍ — من الليل جوباً للفلى وأحثث الوخـدا
وفي ربعهــا عمــداً أنخهــا ولا تهــب — وقـد نحـوهم جهـراً علانيـة جـردا
لتـــدرك عـــزاً باذخـــاً متلقـــاً — ويكبـو حسـيراً خاسئاً ضـدك الأردا
ولـيس ينــال الفخـر عاشـق راحـةٍ — ومستوطئ فـرش التكاسـل مـا اعتـدا
ولـيس شـديد النخـوة اليـوم راضـيا — بثـوب الهوينـا والعـدا تلـبس الحمـدا
ويعتـــاض هونـــاً بـــالهوادة لابســـاً — مهـــاودة الأبهـــا جهـــرةً يـــردا
فعجـز مـدارة العـدى بعـد مـا بـدت — مظـــاهرةً مـــنهم إذا لم تجـــد بـــدا
وإيـــاك أن تغـــتر مـــنهم بمنطـــقٍ — لبيـبٍ فـإن السـم قـد يمـزج الشـهدا
فلـــيس يرجـــى صـــفو ودٍ لحاســـدٍ — وهل يرجى صفو مـن الممتلـي حقـدا
ففيما مضـى مـن مكـرهم وخـداعهم — دليـــلٌ وإرشـــادٌ لمـــن يتبـــع الرشـــدا
فبــادر فهــذي فرصــة قــد تمكنــت — وعين العـدا يقضـا فـلا تغـتمظ رقـدا
ومـن لم تخـف منـه العـدى في بلادهـا — أخافتـه في أوطانـه واختضـت غمـداً
ومن لم يشاركهم علـى كـل مـا هـوى — فـإن لهـم قيمـاً حـوى ذلـك القصـدا
ومـن طلـب العليـا تفضـل وانتضـا — لكـل العـدا عزمـاً وعضـباً لـه قـدا
وجانــب لــذات النفــوس ولم تكــن — لـه همـةً دون العلـى فـارتقى مجـدا
ومـــن رام عـــزا للرعايـــا وراحـــةً — أخـاف الأعـادي فـانثنى فـيهم رشـدا
فـإن رمـت أن تحيـا عزيـزاً مؤيـدا — وكـل الرعايـا بـالفلى رتعـاً رغـدا
فجـرد بجـد سـيف عزمـك صـاعدا — لنيل العلـى قصـداً ورم هامهـا عمـدا
وإن لهـــا ســـامياً علـــى ذاك يـــنبي — لمـــن رام تشـــييداً لمـــا انحـــل وانهـــدا
ملازمــة التقــوى علــى كــل حالــة — فـإن بهـا تقـوى علـى كـل مـن صـدا

ومن أمعن النظر في الدولة الأموية وأسباب سقوطها التي قضت على عرشها بالذل والسلب، وجد ذلك راجعاً إلى أمور من أهمها إهمال أمر العدو وعدم المبالات بشأنه والاتكال إلى ما لدى الإنسان من القوة وعدم الأخذ بالفرصة

والحزم، فعلى الملك أن يأخذ بالحزم وينتهز الفرص ولا يغفل أمر العدو حتى يستفحل، فإن إطفاء الشرارة أهون من إطفاء الحريق، ولقد أحسن زهير بن أبي سلمى حيث يقول في معلقته التي لا يزال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يلهج بها:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وفيها وقفت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا، وذلك لأنها لما رأت الدولة العثمانية أن أوربا ضدها وأن لا نصيب لها بين الدول وأن إطالة الحرب مضرة بها، طلبت من روسيا إيقاف الحرب وعقد هدنة للمخابرة في شروط الصلح، فقبلت روسيا ذلك بغاية الامتنان وعقدت الهدنة بين المتحاربين في [أدرنة] بتاريخ ٣٠يناير سنة ١٨٧٨م.

واشترطت روسيا عند عقد الهدنة أن القواعد الأولية للصلح يجب أن تكون استقلال المغرب ورومانيا وتنازل الدولة العثمانية لهما وللجبل الأسود عن بعض الأراضي، وجعل بلغاريا مستقلة استقلالاً إدارياً وجعل الإدارة في البوسنة والهرسك مستقلة، وتقدير غرامة حربية تدفعها تركيا لروسيا.

وما انتشر خبر هذه الإتفاقية التي عقدت في [أدرنة] بين المتحاربين حتى هاجت الخواطر في النمسا ضد روسيا، ورأت حكومة الأمبراطور فرنسو جوزيف أن هذه الشروط التي جبرت روسيا الدولة العثمانية على قبولها ماسة بحقوقها ومصالحها في البلقان وعلى شواطئ نهر الدانوب، فأعلنت الدول الأوربية بأنها تعتبر كل اتفاق يقع بين المتحاربين لاغٍ لا عمل له، وأن أوربا كلها يجب عليها أن تجتمع في مؤتمر للفصل بين تركيا وروسيا.

أما أنكلترا فقد أظهرت عندئذٍ ميلها للدولة العثمانية وتظاهرت بالمحبة والصداقة لملك آل عثمان، وأرسلت بأسطولها إلى ميناء البوسفور وهددت روسيا بإنزال العساكر الإنكليزية إلى الأستانة.

وسيرى القارئ إلى أي غاية كانت ترمي إنكلترا عندئذٍ، وهل كانت صادقة في

تظاهرها بالمودة للدولة العثمانية أو غير صادقة، وقد أجابت الحكومة الروسية على إعلان النمسا بأن ليس لأوربا حق في أن تتداخل في أمور لا تمس مصالحها مطلقاً، وأن روسيا تعرض على الدول عقد مؤتمر أوربي للنظر في شروط الصلح، وبعد هذا المؤتمر الذي عقد ببريل وعرضت فيه شروط الإتفاق التي منها أن الدولة تدفع لروسيا غرامة حربية قدرها ١٤٠٠مليون من الروبل وأنها قد تنازلت روسيا إلى ١١٠٠مليونا من الروبل، فاعترف سواس الدول الأوربية لما علمت بهذه الشروط باعتداء روسيا على الدولة العثمانية شر اعتداء، وكان أشد الدول تهيجاً على روسيا هي النمسا لاتفاقية بينها وبين روسيا عقدت في السنة التي قبلها، فخابرت إنكلترا واتفقت معها على معارضة روسيا كل المعارضة، غير أن القيصر أجاب بأنه لا يرضى بأن دول أوربا تناقش في الشروط التي لا تخص إلا روسيا وتركيا.

ولما رأت روسيا أنه لا استطاعة لها على محاربة النمسا والإنكليز بعد محاربتها تركيا وقعت الإتفاقية، وبهذا خسرت الدولة العثمانية شيئاً كثيراً من ممالكها، وسبب ذلك هو انخداعها للدول الأخرى بأنها ناصحة لها وهي غير ناصحة، لا سيما إنكترا فإنها لم تسعف الدولة العثمانية بشيء من الإسعافات في هذه الحروب سوى أن اشترطت على روسيا عند الشروع فيها بأنه لا يصل إلى الإنكليز ما يضر بمصالحها فيا عجباً لهذه المناصرة.

وفيها عزم القاضي الشيخ سليمان بن علي بن مقبل على أن يسافر إلى مكة المشرفة يريد الحج وأظهر أنه سيستقر فيها مجاوراً بدعوى أنه كبر سنه وسئم من القضاء، وكان إذ ذاك قاضياً في بريدة، ثم إنه أشار على أمير بريدة حسن بن مهنا أن يجعل على قضاء بريدة الشيخ الإمام محمد بن عبدالله بن سليم، وذكر للأمير ما لهذا الشيخ من المواهب والفضائل وأنه لا يقوم بأعباء هذه المسألة غيره، فبعث ابن مهنا إلى الشيخ محمد بن عبدالله وأحضره لديه وطلب منه القيام بهذه المهمة كما تقتضيه الظروف، فتولى الشيخ محمد القضاء في بلد بريدة، وكان موفقاً في أقضيته وتصديراته.

وكان من أعيان العلماء في بريدة الذين اشتهروا بالعلم والدين إذ ذاك ابن عمه الشيخ محمد بن عمر بن سليم، والشيخ العارف الزاهد عبدالله بن محمد بن فداء رحمة الله عليهم.

ثم دخلت سنة ١٢٩٧هـ

استهلت هذه السنة والأمور على ما هي عليه في نجد من الاختلاف والتفرق وقد تعرقلت المساعي عن الإتفاق وتجسمت المعضلات وأصبح أمراء البلدان كل لا يعدو أمره وتدبيره عن بلده، سوى أنه ما كان لأمير أن يعتدي على الآخر.

وفي هذه السنة شرع الأمير حسن بن مهنا أمير بريدة في تفجير العيون وإنشاء العقارات والآبار لما له من النهمة في ذلك، وأخذ في إصلاح قصر الحكم في بريدة وشرع في عمارة مسجد عودة الرديني المعروف في بريدة، وكان يقول أني آليت على نفسي أن لا أجعل فيه إلا نفقة طيبة فكان يأتي بخشبة وجريد سقفه من روضة مهنا، ويقول هذه من أرثي الذي خلفه لي والدي مهنا قبل أن يتولى الإمارة ولم يجعل فيه شيئاً من بيت المال.

ولما فرغ هذا المسجد كان لا يزال منيراً بالعبادة ومعموراً بالتدريس والتلاوة، وكان خارص الأمير حسن الذي يبعثه عاملاً للزكاة جدنا من قبل الأم وهو عبدالرحمن بن سلمي وقد امتاز بالعدل والإنصاف في خرصه لا يظلم الناس لا يجور في الخرص، ولما وشى به بعض الأعداء إلى الأمير حسن بن مهنا بأنه يتسامح ولا يأخذ الزكاة كاملة، بعث إليه من يفتش عليه في خرصه ويدقق، وكان ذلك بعد ما جعل الصدقات في سجلها وتصرف الفلاحون بالثمار فغار لذلك عبدالرحمن ومزق السجلات واشتد غضبه ورجع إلى الأمير قائلاً كنت أتيك بها نقية، فبعثت إلي من يأتي بها قذرة فالعفو أريد أيها الأمير.

ولما خرج من عنده غضبان آسفاً جاء المفتش إلى الأمير وجلس قائلاً: أيها الأمير إنه مزق الأوراق خشية أن أعرضها على الثمار، فأرى عمله وعلاوةً على

ذلك يقول اذهب إلى سيدك يجعلك عاملاً فما لدي له خبر، فعند ذلك أحضره الأمير لديه واسترضاه، وقال له: قم يا عبدالرحمن فلا معارض لك بعد هذا اليوم، ولكن كيف نصنع بالذين ضاع حسابهم ولم نقف على خبرهم، فقام العامل عبدالرحمن وكان حافظاً يجيد سرد الزكوات من حفظه فأملاها على البديهة كما كانت، وذكر كاتبه أنها على وفق وضعها في السجل، وكان سكرتير الأمير حسن بن مهنا والدنا السعيد قدس الله روحه، وذلك لجودة خطه وأمانته، فكتبها كما ألقاها الخارص.

أما عبدالرحمن هذا فمن نكته أنه خرص مرةً ثمرة مزارع، فضج المزارع يقول ظلمتني يا خارص فإنه لا يبلغ الزرع هذا القدر، فأجابه قائلاً بعه علي فقد اشتريته بخرصي، فخجل المزارع وسكت.

وفيها اشتد البرد جداً وحصل من ذلك البرد أن ماتت الأشجار لشدة البرد وأصرعت النخيل؛ وكان ذلك في أيام أربعانية الشتاء، وجمدت المياه والله على كل شيء قدير.

وكانت دموع الإبل تسقط على الأرض فما تصل حتى تكون جامدة كالثلج والجليد فسميت هذه السنة في نجد سنة البردة، وكانت القرب لا ينتفع بها حتى تجعل في الشمس فتذوب بعد الظهر، وكانت المياه التي تتسرب من أعلاها إلى أسفل جامدة كالأعمدة.

وفيها في اليوم ٢٩ من ذي الحجة ولد صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن سعود ملك المملكة العربية السعودية، وكانت ولادته طلوع فجر ذلك اليوم المبارك فأكرم بطلعته يمناً وسعداً.(١)

---

(١) قد قيل أن ولادته في سنة ١٢٩٣هـ، وما أثبتناه أقرب إلى الصواب.

وهذه ترجمته نأتي بنسبه وإلا فيأتي بقيتها في سني هذا التاريخ:

هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ابن محمد بن مقرن بن مرخان بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن مانع ابن الحارث بن سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن بكر بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فهذا نسب آل سعود، وقد اشتهروا بهذا الاسم وبآل مقرن حماة الدين والقائمين بإصلاحه، وأول من تولى الإمامة منهم محمد بن سعود لقيامه بنصرة الشيخ الكبير والعلم الشهير الشيخ محمد بن عبدالوهاب الداعي إلى دين الله تعالى، فلما قام محمد بن سعود بنصرته ومساعدته على قلة من المعاون والمساعد وكثرة من المعاند والمكايد صاح عليه الجو وقام عليه الأعداء من كل حدبٍ وصوب، ونشأت بينهم الحروب والمعاطب، وشمرت الحرب عن ساقها، وما زال محمد بن سعود يبتلى إلى أن جعل الله العاقبة له ولذريته من بعده فإن العاقبة للمتقين.

فلما مات محمد بن سعود قام بالأمر بعده ابنه عبدالعزيز بن محمد وجمع بين الملك والعلم والدين، وقام لقتال الأعداء أتم قيام حتى أمن الله به العباد والبلاد، فلقد كان الرعية في زمنه إذا سافروا يجعلون أكياس الدراهم أطناباً للخيام ولا يخشون عليها وتوفر الأمن في وقته شيئاً عظيماً، فلما قتل وهو ساجد في صلاة العصر رحمة الله عليه قام بالأمر بعده سعود بن عبدالعزيز الذي سمي سعود الكبير نجل عبدالعزيز، وكان شبلاً شجاعاً من ذوي الحجى، وعلى غاية عظيمة في الحظ والتوفيق واتسعت في وقته رقعة الملك، فلما مات رحمه الله قام بالأمر بعده ابنه عبدالله بن سعود وكان ذا سيرة حسنة مقيماً للشرائع ثبتاً في اللقاء ومصابرة الأعداء، سوى أنه تولى الإمامة وتركيا تضرم نيرانها للسعوديين فلم يساعده القدر، وكتب عليه البوار، وتسلط العثمانيون على أهل نجد فعاثت الدولة العثمانية في نجد فساداً حتى وصلوا إلى الدرعية، وبعد حروب ووقعات شديدة احتلتها ونكلت بأهل نجد وأخذت الإمام عبدالله بن سعود وسيرته إلى مصر، فهلك هناك بالشنق، رحمة الله على روحه.

فهؤلاء عضو من أعضاء أولاد محمد بن سعود، فلما تضعضع الملك وانتشرت الفوضى وتشتت الشمل، قام بالأمر تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ووفق وملك وساس الرعية وأذعنت له العباد، وتأسست الدولة السعودية مرةً ثانية فقتله ابن عمه مشاري بن عبدالرحمن، ثم قام بالأمر بعده نجله فيصل بن تركي وسدد وطالت مدته في الملك، فلما توفاه الله تعالى قام بعده أولاده كلٍ يخطب الملك لنفسه، وكاد الأمر أن يستقيم للإمام عبدالله لولا معثرات قامت في نحره ومنازعات ومشاغبات بين أمراء آل سعود في الملك، حتى كانت الفتن تغدو على الناس وتروح ونياب الأهواء تظهر إذ ذاك وتلوح، وكلٌ قد استعد بسلاحه يتوقع الغوائل، ولا يدري في أي موضع نصبت له الحبائل، فضاع الملك بين آل سعود حتى قبضه محمد بن رشيد.

فلما شب هذا العاهل العظيم والضرغام المقدام استلم هذه الوديعة من يد مغتصبها وكان لما بلغ الحادية والعشرين من عمره تجرد لنزع الملك، وتقلد سيفه يفلق الهام ويزيل الأعناق حتى قال عن نفسه ما في المملكة من شبر إلا وقاتلت عليه، فأخذ الملك بالسيف ما زال يجند الجند ويجيش الجيوش حتى كان ما بين البحر الأحمر إلى خليج فارس وما بين الشام إلى اليمن يدين له بالسمع والطاعة، وهؤلاء العضو الثاني من أولاد الإمام محمد بن سعود وسيأتي بقية ترجمته إن شاء الله تعالى.

وفيها أيضاً جدد فرش الكعبة المشرفة، ففرش سطحها وغير بعض أخشاب سقفها وأصلح بعضها، وذلك في عهد السلطان عبدالحميد لأن له همة عالية في الإصلاحات لا سيما في الحرمين الشريفين كعادة سلاطين آل عثمان في عمارة الحرمين الشريفين وبذل الأسباب وبث الأموال ونحت الطرق، ولقد اعتنت في أعمدة المسجدين وزخرفتها، فالله المستعان.

وختمت هذه السنة بتقوية الصلات بين ابن رشيد وابن مهنا.

ثم دخلت سنة ١٢٩٨هـ

ففيها حدث اختلاف بين الإمام عبدالله بن فيصل وبين أهل المجمعة أدى ذلك الاختلاف إلى الحرب.

وفيها ولد الشيخ عمر بن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم شيخنا القاضي في مقاطعة القصيم وكان له إخوة أسن منه، فمنهم الشيخ الألمعي الذي افتخرت به أواخر هذه الأمة على أوائلها شيخنا عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليم، وكان قد انتهت إليه الفضائل ونال درجة القضاء بعد أبيه في القصيم، ومن إخوانهما عبدالرحمن بن محمد وصالح بن محمد وسليمان.

وممن توفى فيها من الأعيان الشيخ الإمام العالم الورع ذو العلم والإتقان القاضي محمد بن سلطان رحمه الله وعفا عنه، كان رحمه الله حبراً نبيلاً، تولى قضاء بلد عرقة للإمام تركي وابنه فيصل، وأخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ عن غيره من علماء هذه الدعوة حتى أنار الله قلبه بالتوحيد والإيمان والمعرفة، وجد ونافس حتى بلغ درجة المحققين، ولما توفى رثاه الشيخ سليمان بن سحمان بهذه القصيدة.

طار الكرى وفاض الدمع وانسجما ... من فادحٍ حادث بالناس قد دهما
وثلمة فرجت في الدين وانثلمت ... لا يستطيع أمرؤ سدا لما انثلما
بعالمٍ عام في بحر العلوم فلم ... يترك لمنتقدٍ قولاً ولا كلما
وفاضلٍ حمدت في الناس سيرته ... بالحلم فاق على أقرانه فسما
قد أقفرت وخلت منه الربوع فيا ... للعلم فأبكوا دماً بل أخضلوا ديما
وابكوه وارثوه أن كنتم ذوو أخرن ... وذوا اكتئابٍ على فدحٍ بكم دهما
لله در إمامٍ زاهدٍ ورعٍ ... وعالم بنعوت العلم قد وسما
ومن فقيه غدى من فقهه علماً ... ومنهلاً سلسبيلاً مفعماً حكما
قد زانه الله بالتقوى وسربله ... وخصه الله من وحيه فاعتصما

أعـني بـذلك مـن طابـت أرومتـه بقيـة العلمـاء السـادة القـدماء
ذاك بـن سـلطان مـن شـاعت فضـائله محمـداً مـن فضـل العلـم قـد رسمـا
إنـي لأرجـو لـه فـوزاً ومغفـرةً ومنـزلاً بجـوار الله متنعمـاً
فـالله يعليـه مـن فردوسـه درجـا والله يجزيـه رضـوانه كرمـا
والله يجزيـه مـن خـيرٍ برحمتـه وفضـله خـير مـا يجـزي بـه العلمـا
حـبر تقضـت بـه الأيـام وانصـرمت حتـى اغتـدى رهـن رمـس بـالثرى
لمـا نمـى موتـه النـاعون أنَّ بـه ريـب المنـون أنـاخ الرحـل فاخترمـا
طاشت حلوم ذوي الألباب وانصـدعت منا القلـوب لهـذا الخطـب إذ عظمـا
وظافنـا بعـده هـم فأرقنـا ولـيس عمـا قضـاه الله منهزمـا
أنـى وقـد أظلمـت كـل الـبلاد وقـد عم البلاء فأبـدى القلـب مـا اكتتمـا
وفاض في الناس هذا الجهل واندرسـت معـالم العلـم حتـى غـاض وانصـرما
مـن فقـد كـل إمـامٍ جهبـذٍ ثقـةٍ قـد اعتنـى بحمـى الشـرع فانتظمـا
كالفاضـل الثقـة الموهـوب تكرمـةٍ فضلاً على الناس بالعلم الذي علمـا
يكنـى أبـا حسـنٍ مـن طـاب مدحتـه من كـان للفضـلاء في علمهـم علمـا
ونجلـه الفـرد مـن سـارت فضـائله مسير ذي الشمس في الأقطار حين سما
مـن رام شـأو العلـى حتـى عـلاه وقـد أعيـت مناقبـه نثـراً ومنتظمـا
فأظلمـت بعـدهم أرجـاؤه وعفـت واستحكم الجهل في الأقطار حين طما
ثـم الصـلاة علـى المعصـوم سـيدنا أزكـى البريـة بـل أزكـاهمو ذممـا
والآل والصحب مـا هـب النسـيم ومـا طار الكرى وفاض الـدمع وانسـجما

وفيها ولد سلطان لحج عبدالكريم الفضل وعقدت في هذه السنة في ٧ جمادى الآخرة معاهدة جديدة بين أخيه السلطان فضل بن علي بن محمد محسن وبين الحكومة البريطانية، وكان السلطان عبدالكريم له نهمة في تقدم لحج وتحسن زراعتها وكل ثروتها، وأنيرت بالكهرباء وشقت فيها الشوارع الواسعة وغرست على جوانبها الأشجار حتى صارت تضاهي بجمالها وبهائها أجمل المدن الحديثة،

ونهض بالإمارة حتى كان بلاد لحج في مقدمة بلاد اليمن عمراناً وازدهاراً، وذلك بإقرار الذين زاروها ودرسوا أحوالها.

وفيها أيضاً ولد رئيس جمهورة تركيا مصطفى كمال، وكانت ولادته في مدينة سلانيك وأسرته كان من الأريسا في بلاد اليونان، ويأتي له بقية ذكر في سنة وفاته، وكان قد توفى والده وهو صغير بدون ثروة تذكر، فلجأت أمه إلى أخيها وكان مزارعاً فنقلها أخوها مع فتاها إلى قريته وكفله، فأخذ يساعد خاله في عمله سواءً في الحقل أو في الدار أو في السائمة، ثم شق على والدته أن ينشأ فتاها هذه النشأة الخاملة فأعادته إلى شقيقتها في سلانيك ليتعلم، فأدخلته هذه مدرسة رسمية من مدارس الحكومة، وشملته بعنايتها، وضربه الأستاذ يوماً ضرباً مبرحاً لأنه تشاجر مع زميل له ساعة الدرس، فشق ذلك على جدته فأخرجته من المدرسة وأقصته عنه، فاختار الدخول في المدرسة العسكرية لميل غريزي فيه، ولما عارضت والدته حينما عرض الدخول عليها في المدرسة خوفاً عليه ولئلا تصاب ببعاده، أصرّ على الدخول وكان له ما أراد ولقب في المدرسة العسكرية بكمال فأصبح يدعى مصطفى كمال، وما زال يترقى ويجتاز الصفوف الأولية حتى نودي به رئيس جمهورية تركيا.

وختمت هذه السنة باتفاق أهل بلد المجمعة مع الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد على أن يكون حليفهم وحاميهم وأن يكونوا من رعاياه، وكان هذا الإتفاق بعد عدة وقعات جرت بين أهل المجمعة وبين الإمام عبدالله بن فيصل، قتل فيها عدة رجال من الطرفين، فلم يستول عليها عبدالله وأحدثت شغباً، ورجع الإمام عبدالله صفر اليدين منها، وبذلك تعلم ضعف جانب الإمام لأنه إذا عجز عن فتح بلدة في سدير ودخولها تحت طاعته فغيرها أولى.

ثم دخلت سنة ١٢٩٩هـ

ففيها أعاد الإمام الكرة عبدالله بن فيصل على المجمعة فأمر على أهل بلدان نجد

بالتجهز للغزو، ثم خرج من بلد الرياض وتوجه إلى بلد المجمعة ومعه جنود كثيرة من أهل العارض والمحمل وسدير والوشم، وسار معه بادية عتيبة بأهاليهم فنزلوا بلد حرمة وحاصروا بلد المجمعة وقطعوا كثيراً من نخيلها.

وكان أهل المجمعة لما بلغهم مسيره، كتبوا إلى أمير الجبل محمد بن عبدالله بن رشيد يستحثونه في الزمن لإسعافهم، وتتابعت الرسل منهم إليه، وكان قد وعدهم بالنصرة وواطأهم على حرب الإمام عبدالله بن فيصل، فعند ذلك استنفر ابن رشيد من حوله من بادية شمر وحرب وبني عبدالله، فلما اجتمعت إليه هذه الجنود خرج من حائل بجنود أخرى وزحف إلى بلد بريدة، فنزل عليها بجنود كثيرة وعدد وعدة، فلما قدم على بريدة وجد الأمير حسن بن مهنا قد جمع أهل القصيم ومن وجده من أهل البادية واستعد بأهبة للزحف مع الأمير محمد بن رشيد لنصرة أهل المجمعة.

ولما تكاملت جيوش ابن رشيد في بريدة زحف متوجهاً معه حسن بن مهنا ونزل على الزلفي، فلما علم بذلك بوادي عتيبة ارتحلوا من حرمة منهزمين وارتحل الإمام بمن معه من المسلمين متوجهاً إلى الرياض وأذن لمن معه من أهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم، وكان مدة إقامته على بلد المجمعة محاصراً لها أربعين يوماً.

ثم إن ابن رشيد ارتحل من الزلفي بمن معه من الجنود ونزل على بلد المجمعة وأقام عليها أياماً، ثم إنه جعل فيها أميراً من قبله، وهو سليمان بن سامي من أهل حائل ورجع إلى بلده.

وكان الأمير حسن بن مهنا لما سار في تلك الجهات جرى منه ومن جنوده فساد عظيم ليهلك الحرث والنسل، فكان يؤتى بالبكرة الثمينة من آلة السانية فتنزع من قرون البتر وتلقى في النار يطبخون عليها القهوة ويحرقون عليها الأبواب ويفسدون كل ما مروا عليه، وكان هذه من ابن رشيد بعد فوزه في القصيم تعد الخطوة الثانية في استيلائه على نجد.

ثم إنه عاد الإمام الكرة على الجمعة فاستغاث أهلها ثانياً بابن رشيد وابن مهنا فأغاثهم فأدى إلى وقعة بينهم وبين الإمام.

وفيها شرع في حفر آبار البدائع المعروفة، وكانت الآن قصوراً قابلة للزراعة وهي تابعة لعنيزة لحسن مواصلة كانت بين الأمير حسن بن مهنا وبين أمير عنيزة زامل بن عبدالله، وذلك لأن الثاني طلب من الأول إلحاقها بعنيزة فسمح له بذلك، وكانت البدائع تمتاز بقوة واتساع ناحية لما لأهلها من الهمة العالية في الزراعة.

وفيها عمر السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد في الكعبة المشرفة وفرش باطنها بالرخام وعمّر بعض الخراب فيها فتم حينئذ فرش سطحها كما أشرنا إليه قبل ذلك وتم أيضاً فرش باطنها في هذه السنة واستمر ذلك، وفيها خصصت القبة الواقعة في باب الدريبة لحفظ الكتب التي أرسلها السلطان عبدالحميد خان وكان قد أضر بها السيل حين دخوله المسجد الحرام كما تقدم، وقد أصدر السلطان عبدالحميد أوامره ببناء مدرسة ومكتبة بجانب التكية المصرية فتوفى قبل تنفيذ هذا الأمر.

فلما كان في هذه السنة نقل بقيتها إلى القبة المذكورة ثم بعد ذلك ضمت إليها الكتب التي أوقفها الشريف عبدالمطلب أمير مكة، وكتب الشيخ صالح عطرجي أحد مدرسي الحرم الشريف سابقاً.

وفيها في ٢٤ ذي القعدة ولي إمارة مكة الشريف عون الرفيق، وهو عون بن محمد بن عبدالمعين وانعزل الشريف عبدالمطلب بن غالب وامتدت إمارة الشريف عون ثلاثاً وعشرين سنة إلى أن مات سنة ١٣٢٣هـ.

وفيها في أول يوم من صفر ولد الشيخ حسين بن عبدالله باسلامة الحضرمي مؤلف كتاب حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الإسلامية، وكان له فضل وفواضل وله مؤلفات عديدة منها تاريخ الكعبة وتاريخ المسجد الحرام.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

فمنهم الشيخ الإمام العالم العلامة الفاضل عبدالعزيز بن حسن بن يحيى قاضي بلد ملهم رحمه الله وعفا عنه، أخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ أيضاً عن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن وتولى قضاء حريملا والمحمل للإمام فيصل بن تركي، وكان عالماً فاضلاً متواضعاً حسن السيرة عليه آثار التواضع والعلم.

وممن توفي فيها أيضاً الشقي داود بن جرجيس ونذكر شيئاً من ترجمته:

هو داود بن سليمان بن جرجيس البغدادي ويسمى بداود العراقي كان له تخبيط في العقيدة، وميل إلى مذهب عباد الأصنام، وقد تظاهر بالشرك وشطر البردة وزاد الرمد عمى فقبحه الله ما أمقته وكان في بداية أمره أن قدم على الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين في مبتدأ النصف من القرن الثالث عشر ومعه شيء من كتب المذهب وجلس يتعلم العلم من الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن، فلما كان بعد ذلك طلب منه إجازة في الفتيا في المذهب، فلما حاز الإجازة ذهب إلى بلده وقام بإجازة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين يتجمل بها، ثم شرع والعياذ بالله يشبه على الناس ويموه بكلام معناه استحالة وقوع الشرك في الأمة المحمدية ويزعم أن دعاء الأموات والغائبين والذبح والنذر لغير الله ليس بشرك.

فلما كان بعد ذهابه بأربع سنين قدم إلى نجد، واتفق بالشيخ أبي بطين معه ورقة فيها شيء من عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية يضعها في غير مواضعها، فلما تبين للشيخ حالته باحثه أمره فوجده قد وقع في هوة الردى فدحض حجته وأبان له خطأه، فأذعن في الظاهر ووافق وانقاد، ثم إن الشيخ كتب على ورقة أربع كراسات رداً عليها سماها بعض الإخوان من طلاب العلم الشريف [الانتصار لحزب الله الموحدين]، ثم إنه طلب بعض الإخوان من الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بيان معنى بعض أبيات في البردة وتشطيرها، فكتب الشيخ عليها قدراً من ورقتين

فاشمأز بعض الأشرار والذين في قلوبهم مرض ونفاق، واعتراض على ما كتبه بكلام قد ضمنه شركاً عظيماً فكتب الشيخ على كلامه قدر ثلاث كراسات فرفع أولئك الأشرار رد الشيخ أبي بطين الأول والثاني إلى كبيرهم داود المذكور، مستنصرين به، فقام وقعد وجد واجتهد في جمع ما اعترض به أعداء شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمة الله عليه، فحصل على جملة منها وزاد من عنده فضائح وضعها من تلقاء نفسه، فعند ذلك رد عليه الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين بكتاب سماه «تأسيس التقديس» وكان قد ألف هذا المعترض كتاباً سماه «صلح الإخوان» ويعني بالإخوان أهل التوحيد وعباد القبور والأصنام، فرد عليه الشيخ عبداللطيف برد سماه أيضاً «بيان المحجة» رداً على من انتصر لداود العراقي، ولقد أحسن الشيخ سليمان حيث أبان نحلة داود ورد عليه وعلى من انتصر له من الأغبياء، قال الشيخ سليمان هذه الأبيات من معرض قصيدة:

جاس ابن جرجيس بغياً من شقاوته	خلال سنة خير الناس بالأحن
وبالفواضع من زور ومن كذبٍ	وما نحاه من التحريف للسنن
وللنقول التي كان ينقلها	عن الثقات ذوي القرمان بالحسن
فحرق الأحمق الزنديق ما نقلوا	تحريف داعية الكفر مفتتن
فدم ببغداد خلد لأخلاق له	هبينغ قيعم معبوبق النتن

إلى أن قال:

مخلط ليس يدري حين يكتب ما	يهذو به كالذي في غمرة الوسن
أو ذاهب العقل والنشوان من سكر	أو كالحمار الذي يعدو بلا رسن

إلى أن قال:

وإنما مثل المأفون حيث طغى	كرائدٍ أعجبته خضرة الدمن
فسام في مرجها إذ خالَ من سفهٍ	أن ليس في روضها الندى من سكن
فحينما سام في روضاتها وعثى	وخال أن قد خلت من قاطنٍ ضنن

تواثبـــت نحـــوه أســـدٌ ضـــياغمة ... قـــد فوقـــوا أســـهماً بـــالآي والســـنن
فـــانظر إليـــه صـــريعاً في مفازتهـــا ... يكبـو علـى وجهـه الممسـوخ والـذقن
مـن ضـيغمٍ باسـلٍ حـبر أخـي ثقـةٍ ... وجهبـــذ المُعـــي فاضـــلٍ فطـــن
عبـداللطيف الـذي شـاعت مناقبـه ... غربـاً وشـرقاً ومـن بصـرى إلى عـدن

إلى آخرها.

ثم دخلت سنة ١٣٠٠هـ

في هذه السنة واقعة عروى بين محمد بن سعود بن فيصل وبين محمد بن عبدالله ابن رشيد وحسن بن مهنا، وكان مع محمد بن سعود بادية عتيبة حشدها معه وقام ينتصر لعمه الإمام فكان في ذلك فائدة لعبدالله بن فيصل.

ولما التقى محمد بن سعود وجنوده بمحمد بن رشيد وأتباعه عند هذا الماء الذي يدعى عروى نازل العدو هناك وحصل بين الفريقين قتال شديد، فصارت الهزيمة على ابن أخي الإمام وجنوده وولوا الأدبار، وهذه أول العداوة بين ابن رشيد وأبناء سعود بن فيصل، ولو استقام أبناء سعود وكانوا يداً واحدة مع عمهم عبدالله لاستفادوا من ذلك قوة ولكنهم قاموا بعد ذلك على عمهم عبدالله يريدون انتزاع الملك منه، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

وفيها غزا أيضاً محمد بن سعود بن فيصل ومعه جنود كثيرة من أهل الخرج ومن آل شامر والدواسر وغيرهم وعدى على ابن بصيص ومن معه من بادية بريه، فصبحهم وهم على الأثلة فحصل بينه وبينهم قتال شديد وأخذ منهم إبلاً وغنماً وقتل من الفريقين عدة رجال منهم عبدالرحمن بن سعود بن فيصل رحمه الله تعالى.

وفيها أخذ الإمام عبدالله بن فيصل آل روق من قحطان على رويضة العرض.

وفيها أيضاً تم تأليف كتاب غالية المواعظ للحافظ نعمان الآلوسي وقد جاءت في الوعظ كأحسن شيء وذلك في خلافة السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد، فلذا تجد المؤلف نعمان قد أطال في ديباجة الكتاب بتمجيد الخليفة المذكور.

وفي هذه السنة حصلت منافرة بين أمير بريدة حسن بن مهنا وبين القاضي محمد بن عبدالله بن سليم، فعزم الشيخ على السفر من بريدة إلى عنيزة، ولما سار الشيخ إلى عنيزة واستقر فيها دعى الأمير حسن بالشيخ محمد بن عمر بن سليم وهو ابن عم القاضي فأحضره لديه وعرض عليه قضاء بريدة، فأبى وقال للأمير ما كان لمثلي أن يسد ثلمة الشيخ، ولكني أشير عليك يا ابن مهنا أن ترد الشيخ إلى عمله فلئن طال مقامه في عنيزة واستوطنها يوشك أن لا تدركه فقدم الأمير وسعى في استجلاب الشيخ إلى بريدة، فأرسل إليه يسترضيه وبعث إليه وجعل يعتذر ويستعطف حتى رجع إلى وطنه بريدة وقد تزوج في عنيزة وولد له فيها.

وقد بعث إليه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الدوسري بكتاب وهو في عنيزة يحثه على القيام بأوامر الله تعالى وأن يصدع بالحق ولا يخشى ملامة لائم.

وهذه صورة الكتاب قال بعد البسملة: من عبدالله بن عبدالعزيز الدوسري إلى جناب الشيخ المكرم محمد بن عبدالله آل سليم سلمه الله تعالى من الأسوى وألزمه كلمة التقوى أمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فموجب الخط إبلاغك السلام والتحية والإكرام ومحب يحمد إليك الله على ما أعطاه من النعم وصرفه عنه من النقم جعلنا الله وإياكم لنعمه من الشاكرين وأوصيك يا أخي ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته والمحافظة على فرائضه وواجباته واجتناب مساخطه ومغاضبه، فإن من اتقاه وقاه ومن استكفى به كفاه ومن لاذ بحماه حماه ومن اعتصم بحوله وقوته عصمة وحرسه وحفظه جعلنا الله وإياكم من المتقين الذين يحشرون إليه وفداً، وأكثر من هذا الدعاء الذي أرشد الله إليه نبيه وأمره به فقال عز من قائل: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾ فإنا وإياكم إليه أشد حاجة نسأل الله الكريم بوجهه الكريم أن يحسن عاقبتنا وعاقبتكم في الأمور كلها وأن يجيرنا ويجيركم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، إنه ولي ذلك والقادر على ما هنالك واحرص على نشر ما علمك الله من توحيده والإيمان به ومعرفة معاني كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ فإن الله

قد أخذ عليك العهد والميثاق في ذلك كما صرح الله لك بذلك في كتابه العزيز، فأنت استعن بالله وقم بوظيفتك التي أوجب الله عليك وفرضها عليك فإن الله سائلك عما استرعاك واستحفظك من كتابه وسنة نبيه الكريم ومن قام لله قام الله له ومن كان مع الله كان الله معه، وإن كان الله معك فلا تخف من المخلوقين فإن الله ناصرك ومظهرك وكافيك وحاميك وواقيك وحارسك وحافظك ومؤيدك ومظفرك بأعدائك وأعداء ربك فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون جعلنا الله وإياكم من المتقين المحسنين ومن حزبه المفلحين في الدنيا والآخرة ومن جنده الغالبين وأوليائه المنصورين ولا تنسنا من صالح الدعاء كما هو لك مبذول ورد جواب الخط وخبرنا عن أحولكم وأحوال حمولتكم وعيالكم ومحمد العمر لعل أمورهم جميلة وأحوالهم مستقيمة، وكذلك أخبرنا عن أحوال والدتي وإخواتي لعلهم طيبون، وأنا في حوطة بني تميم من عقب وقعة جودة والأخبار عنا منقطعة من قبل الوالدة والأخوات، والخطوط عنا واقفة فأنت لا تغفل عن الجواب بارك الله فيك، طرشه لنا ولو مع بدو ممن يجيئنا من عندكم وعطه حمد العثمان يطرشه علي إن شاء الله وسلم لنا على حمد العثمان وعلى عيالكم وحمولتكم وكافة الإخوان الذين يحبونكم في ذات الله وتحبونهم فيها، ومن لدينا إبراهيم بن عبدالملك وحسين بن حمد وزيد بن محمد وصالح الشتري يسلمون عليكم وأنت عليكم وأنت في أمان الله وحفظه وأنت سالم والسلام.

وفيها قام الحصانا والخراشا قبيلتان من آل بسام في بلد أشيقر على محمد بن إبراهيم بن نشوان فقتلوه بعد صلاة العصر في البلد المذكور، وذلك في ١٤من شوال من هذه السنة وذلك لضغائن كانت بين الفريقين، وكان سخياً جواداً كريماً تضرب الأمثال في كرمه رحمة الله عليه.

ثم دخلت سنة ١٣٠١هـ

ففيها جرت واقعة الحمادة المشهورة بين الإمام عبدالله بن فيصل وبين محمد بن عبدالله بن رشيد.

وذلك بأنه لما كان في ربيع الأول خرج الإمام عبدالله بن فيصل من الرياض غازياً وأمر على أهل بلدان نجد بالجهاد، فنزل على شقراء ودعا بغزو البلدان فقدموا عليه فيها، وأمر على بوادي عتيبة أن ينزلوا الحمادة المعروفة، وكان يريد حرب أهل المجمعة، فنزل عربان عتيبة في الروضة الكائنة في الحمادة وهي التي تسمى أم العصافير ثم ارتحل الإمام عبدالله من شقراء بمن معه من الجنود ونزل على عربان عتيبة هناك، وكان لما علم أهل المجمعة بما دبره لهم الإمام عبدالله فزعوا إلى محمد بن رشيد وأمير بريدة حسن بن مهنا وتابعوا الرسل يستعينونهما ويستحثون بعجلة.

فما كان إلا أن جمع ابن رشيد جنوده من حاضرة الجبل وباديته وزحف من حائل بتلك الجنود متوجهاً إلى بريدة، ولما أن قدمها وجد الأمير حسن بن مهنا قد جند جنوده فيها، فارتحل ابن رشيد وحسن بن مهنا بجنودهما وتوجها لقتال عبدالله بن فيصل ومن معه من عتيبة، ولما التقى الفريقان جرت بينهما وقعة شديدة جداً، وصارت الهزيمة على عبدالله بن فيصل ومن معه وقتل منهم خلق كثير، ومن مشاهير القتلى الذين من أهل الرياض تركي بن عبدالله بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن مقرن، وفهد بن غشيان وفهد بن سويلم وابن عياف رحمهم الله، وقتل أيضاً أحمد بن عبدالمحسن السديري أمير الغاط، وقتل من أهل شقراء عبدالعزيز بن الشيخ عبدالله أبي بطين، ومحمد بن عبدالعزيز بن حسين، وعبدالعزيز بن محمد بن عقيل.

وقتل من مشاهير عتيبة عقاب بن شبنان بن حميد، وأقام الأمير محمد بن رشيد بعد هذه الوقعة في الحمادة مدة أيام ثم إنه دعا برؤساء بلدان الوشم وسدير، فقدموا عليه في ذلك الموضع، وأمرَّ في كل بلد من بلدان الوشم وسدير أميراً على ما تقتضيه إرادته، ورحل من ذلك الموضع راجعاً إلى بلده، وطمع بعد هذه الوقعة في الاستيلاء على نجد وأطمع أهل الأغراض والمقاصد وأخذ يكاتب رؤساء البلدان ويبذل لهم الأموال، واستفحل أمره، وتعتبر هذه الخطوط الثالثة في استيلائه على نجد، وقد ضبط تلك النواحي.

وفيها صادف آل صويط وهم رؤساء عربان الظفير صادفوا محمد الحميدي بن فيصل بن وطبان الدويش فقتلوه، وكان سائراً لمحمد بن رشيد، وكان قتله في دم كان بينهم.

وفيها أيضاً قتل سليمان بن حمد بن عثمان الحصيني رحمه الله تعالى قتله آل نشوان لما وجدوه خارج بلد أشيقر، وكان سليمان من جملة الذين قتلوا محمد بن إبراهيم بن نشوان في السنة التي قبلها.

وفيها أيضاً في ربيع الثاني جرت واقعة بين أهل بلد روضة سدير بين آل ماضي رؤساء البلد وهم من بني عمرو بن تميم، وبين آل عمر وهم من الدواسر، وكان ذلك في وسط البلد قتل فيها محمد بن زامل بن عمر رئيس آل بن عمر المذكورين وقتل من أتباع آل ماضي عبدالعزيز الكليبي وإبراهيم بن عرفج، فصارت الغلبة لآل ماضي وجلى آل بن عمر من الروضة إلى بلد جلاجل فأقاموا هناك.

ذكر وفاة الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله تعالى وهذه ترجمته

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، ولم يرع مخلوقاً في إظهار دين الله تعالى، ولم يبال رضا الناس وسخطهم، ذو الغيرة الدينية والنزعة المحمدية، وناصر الملة الإبراهيمية، الحبر المحقق حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة الفقيه الأصولي المحدّث سيف الله على أعناق المبتدعىن وسهمه الصائب لأفئدة المارقين.

ولد رحمه الله في بلدة الزلفي المشهورة في نجد، ونشأ بها وتعلم القرآن وتشبث بطلب العلم وهو في سن الصغر، وسافر لطلب العلم ودرس على علماء نجد، فتخرج على الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وأخذ العلم عنه، وأخذ عن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، وأخذ عن الشيخ علي بن حسين، ونافس في الطلب، وأخذ عن غيرهم من العلماء، وكان رحمه الله متقشفاً لا يبالي بحسن ملبوسه أو لين موضع جلوسه، قد زانه الله بالعلم والدين، ورفع ذكره بين العالمين يجاهد أعداء الله بالحجة واللسان ويشن الغارة على شيعة الشيطان، أضف إلى ذلك محبته لأهل

السنة، والتحلي بحلية المتقين حتى أصبح حنظلة في حلوق الكافرين والملحدين، ونصرةً لأولياء الله الموحدين، فهو ريحانة الأخيار حنظلة الأشرار، وأخذ عنه العلم كثير من علماء نجد، من أشهرهم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف علامة نجد، والشيخ سليمان بن سحمان، وأخذ عنه أنجاله العلماء الأجلاّء الشيخ سعد بن حمد، والشيخ عبدالعزيز، والشيخ عبدالله، والشيخ عبداللطيف، والشيخ إسحاق وغيرهم، وكان مشهوراً بالكرم والورع وقد وقع في زمنه بنجد فتن عظيمة، فكان من أعظم الناس صبراً وجهاداً بسيفه ولسانه، ولم يأل جهداً في التحريض على الجهاد الشرعي في تلك الفتن.

الوظائف التي نالها

أما الوظائف التي نالها فقد ولاه الإمام فيصل قضاء بلد الدلم في الخرج، ثم نقله منها إلى الحلوة القرية المشهورة في حوطة بني تميم، ثم نقله منها إلى الأفلاج وبها استقر حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة، ودفن ببلد العمار وقبره معروف إلى الآن، وكان له مؤلفات نفيسة منها أبطال التنديد باختصار شرح التوحيد، ومنها بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، وقد جاءت مؤلفاته على أحسن وضع وأبدعه، وأثنى عليه العلماء ومدحوه، ولمؤلفاته قبول عند الموحدين لما فيها من الإخلاص والنصرة لدين الله تعالى، فكان علم القبول يلوح عليها، وكثيراً ما تأخذه الغيرة الدينية فتجد رسائله إلى العلماء وأنصار الشريعة فيها التحريض والتأكيد في القيام لله والصدع بالحق، ويعاتب أنصار الشريعة بأن لا يهنوا ولا يفتروا عن بيان الحق والقيام بحقوقها وترميم ما درس في ربوعها وفي خروقها، كما عاتب الشيخ الإمام عبداللطيف بن عبدالرحمن بكتاب أغلظ فيه الجواب والكلام وبالغ فيه بالخطاب والملام، والحامل له على ذلك شدة الغيرة لله ولكتابه ولرسوله، فتلقاه الشيخ بالقبول والتقدير والمناصحة، ذلك لأن الشيخ عبداللطيف يقدر العلماء ويعرف لكل فضله ودرجته، وكثيراً ما يكاتبه ويناصحه ويحثه على القيام بأوامر الله تعالى، كما في الفتن التي جرت بين آل سعود، ويكاتبه أيضاً الشيخ

عبداللطيف في كل مهم ويحثه أيضاً على عداوة أعداء الله ورسوله، وبث ما لديه من العلم، ومهما كانت الأحوال والظروف، فإن الشيخ حمد بن عتيق له سطوة في دين الله، لا يبالي ولا يراعي، ومن كان مع الله كان الله معه، ومن وجد الله فما ضيع شيئاً.

وكان قوياً في الدعوة إلى الله، وبنى له دينه وصدقه وموالاته لأولياء الله ومعاداته لأعدائه ذكراً منتشراً لا ينسى على مر الأيام والليالي، والرجل فوق ما قيل في فضله علماً وعفةً وديناً وذكاءً وجوداً وحلماً.

ومن مؤلفاته الفرق المبين بين مذهب السلف وابن سبعين، وله رسالة في نحو كراستين في الرد على ابن دعيج الذي ضمن رسالته تزكية الكفار وأئمة الردة ومسبة المسلمين، وأنهم يكفرون من أقام ببلد المشركين وإن كان مظهراً للدين، ومؤلفاته كثيرة، وكان رحمه الله يقول الشعر سريع البديهة كتب إليه ابنه سعد في سفره لطلب العلم من الهند هذين البيتين:

لاكتساب العلم سافرنا ونرجو	أنه فتح وإقبال وبر
قلت يا قلبي فأرخ منهما	قال تاريخي له يمن أغر

فلما وقع نظر والده عليهما أنشأ يقول مجيباً عليهما:

يا إلهي لا تخيب سعيه	أوله التوفيق حقاً والظفر
واجعل العلم اللدني حظه	أوله فهم المنزل والآثر
أعطه رزقاً حلالاً واسعاً	كافياً حاجاته في ذا السفر
اكفه جميع محذوراته	حادثات البر أيضاً والبحر

ومن شعره أبيات فيها أسباب حياة القلب نذكر بعضها:

حمدت الذي أغنى وأقنى وعلما	وصير شكر العبد للخير سلما
وأهدي صلاة تستمر على الرضا	وأصحابه والآل جمعاً مسلما
كما دلنا في الوحي والسنن التي	أتانا بها نحو الرشاد وعلما

أزال بها الأغلاف عن قلبٍ حائرٍ وفتح أذاناً صمت وأحكما
فيا أيها الباغي استنارة قلبه تدبر كلا الوحيين وانقد وسلما
فعنوان إسعاد التي في حياته مع الله إقبالاً عليه معظما
وناقد ذا لا شك قد مات قلبه أو اعتل بالأمراض كالرين والعما
وآية سقم في الجوارح منعها منافعها أو نقص ذلك مثلما
وصحتها تدري بإتيان نفعها كنطق وبطشٍ والتعرفِ والنما
وعين امتراض القلب فقد الذي له أريد من الإخلاص والحب فاعلما
ومعرفة الشوق إليه إنابةً بإيثار ذا دون المحبات فأحكما
ومؤثر محبوب سوى الله قلبه مريضٌ على جرفٍ من الموت والعما
وأعظم محذور خفا موت قلبه عليه لشغل عن دواه يضدما
وآية ذا هون القبائح عنده ولولاه أضحى نادماً متألما
فجامع أمراض القلوب أتباعها هواها فخالفها تصح وتسلما
ومن شؤمه ترك اغتذاء بنافعٍ وترك الدوا الشافي وعجز كلاهما

الخ وهي حسنة، ولما توفاه الله تعالى رثاه الشيخ سليمان بن سحمان بهذه القصيدة:

على الحبر بحر العلم بدر المنابر وشمس الهدى فليبك أهل البصائر
وأية عينٍ لا تثج بمائها عليه كثج المعصرات المواطر
فلا نعمت يوماً ولا قلب قالئ خلي من الأشجان ليس بغائر
فوا لهفا من فادحٍ جل خطبه وثلم من الإسلام إحدى الفواقر
ورزء فضيع بل مريع ولائع لشمس هدى أضحى نزيل المقابر
يعز علينا أن نرى اليوم مثله لحلِ عويص المشكلات البوادر
وللشبهات المعضلات وردها إذا ما تبدت من كفور مقامر
فلله من حبر إمامٍ وبلتعٍ يعوم بتيارٍ من العلم زاخر
ويقفوا لآثار النبي وصحبه يجدد من منهاجهم كل داثر

ويحيى علامات من العلم قد عفت ويعمر من بنيانه كل دامر
إمامٌ تزيا بالعبادة فاستما بها وارتقا مجداً سمي المظاهر
لقد كان أماً في السماحة والندى فليس له في عصره من مناظر
وفي الحلم قد أضحى لعمرك آية وفي العلم ذو حظ أطيد ووافر
تقي نقي ألمعي مهذب أريب رسيب الجأش ليس بطائر
وبدر منير يستضاء بضوئه إذا ما أجنت حالكات الفواقر
لأن كان قد أضحى له القبر منزلاً وأقوت رباع من حماة أساور
لقد كسفت للدين شمس منيرةٌ يغطي سناها كل باغ وكافر
فواحزنا أن كان لا بقية تخلف من بعد الهداة الأكابر
فسار على منهاجهم واقتفائهم على المنهج الأسنى على المفاخر
وأرتج أفواه العدا فهي خرس وأشرج من مفتوقها كل كاشر
فلا ذو ضلال وابتداع برائم سبيلاً إلى تشكيكه كل قاصر
لقد عاش في الدنيا على الأمر بالتقى ونهى الورى عن موبقات المناكر
يجاهد في ذات الإله ولم يكن لتأخذه في الله لومة لائم
فلا مذهب عن نهج الحق صده ولا ذهباً يبغي كفعل الأخاسر
ولكنما مطلوبه الحق والهدى على نهج ما قد سنه خير آمر
فأضحى رهيناً في المقابر آويا وصار إلى ربٍ كريم وغافر
لقد صابنا صاب من الحزن مفجعٌ لدن طرق الناعي بفخر المحاضر
وأرق جفن العين خطب عصبصب يضعضع من ركن الهدى كل عامر
فجالت لنا الأشجان من كل جانبٍ وأظلم من نجد سطيع الدساكر
وأصبح منهد القواعد موحشاً وقد كان معموراً سمي المفاخر
فصبراً بني الإسلام صبراً فإنما بعد جزيل الأجر حقاً لصابر
وللعلم فليبكي ذوو العلم والنهى فقد غيبت أعلامه في المقابر
ولم يبق إلى رسمه فهو دارس خفي على السلاك من كل سائر

لعمري لقد قوى من الأرض وأنقضا فصبوا من الأجفان دمع المحاجر
ويا أيها الإخوان لا تسأموا البكا على علم الأعلام بدر المنابر
فما حمد بالعلم إلا متوجٍ حميد المساعي مشمعل المآثر
عليم بفقه الأقدمين محقق وقد كان ذا علمٍ بفقه الأواخر
وقد حاز في علم الحديث محلة تسامى بها فوق النجوم الزواهر
وبالسلف الماضين كان اقتفاؤه من القول بالفتوى وقطع التشاجر
وفي كل فن فهو للسبق حائز فضائله أعيت على كل حاصر
وحسبك أن قد صار مشهور فضله سميا شهيراً بين بادٍ وحاضر
تغمده المولى الكريم بفضله ورحمته والله أقدر قادر
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضا مع الصالحين الطيبين الأطاهر
ولا زال هطال من العفو والرضا مدى الدهر في أصالها والبوكر
على قبره يهمي فذو العرش مجده أبروا على أن يحاط لحاصر
وصل إلهي كلما ذر شارق وما أنهلت الجون الغوادي بماطر
وما هتفت ورقا في كل أيكةٍ وما أم بيت الله من كل ضامر
على المصطفى الهادي الأمين محمدٍ وأصحابه والآل أهل المفاخر

توفى الشيخ حمد عن عدة بنين من أشهرهم وأعلمهم الشيخ سعد بن حمد، والشيخ عبدالعزيز بن حمد وغيرهم، فنسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جنته ويجبر المصاب بفقده.

وفيها صدرت أول صحيفة بمكة المكرمة من المصحف والجرائد ابتداءً.

وفيها في غاية شوال أوفد الإمام عبدالله بن فيصل أخاه محمداً بن فيصل إلى الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد في الجبل ومعه كتب من أخيه الإمام يذكر فيها مآثر آل سعود وما قاموا به من تقديم آل رشيد في إمارة الجبل وجعلها وراثية فيهم لا سيما في آل عبدالله، ويطلب من الأمير حسن المعاملة والمجاملة وحسن الجوار لما بين البيتين من الصلة والعطف، ولما قدم محمد بن فيصل على الأمير محمد بن رشيد

تلقاه بالإكرام والاحترام والحفاوة، وأجلسه عنده كأكرم حشيم، وحقاً عليه محمد بن رشيد أن يكرم آل سعود، أليسوا سادته وأهل الفضل عليه وعلى آل بيته، وأقام في حائل حتى قدم في السنة التي بعدها.

وفي هذه السنة أزيلت قبتان في المسجد الحرام خلف بئر زمزم، وذلك لأنه لما دخل السيل في المسجد الحرام وأتلف كثيراً من الكتب التي هناك اقتضى رأي ولاة الأمر في ذلك الوقت إلى نقل الكتب كما تقدم، وجعل محل القبتين رحبة في المسجد الحرام توسعة للمصلين فلم يبق لهما أثر، وهذا في بدء ولاية الشريف عون الرفيق، وكان شيخ الحرم إذ ذاك عثمان نوري باشا.

وفيها أزال عثمان المذكور بشيخ المسجد الحرام المزولة التي بصحن المسجد الحرام خلف زمزم، وجاء بساعتين كبيرتين يبلغ طول الواحدة منهما نحو مترين، فوضعهما في حجرة ملاصقة لباب بازان مما يلي منارة باب علي بالمسجد الحرام، ولا تزال الساعتان موجودتين غير أنهما صارتا غير صالحتين لعدم تعهدهما بالإصلاح، ولطول الزمان وتداول الأيدي عليهما.

ثم دخلت سنة ١٣٠٢هـ

ففي محرم منها قدم محمد بن فيصل إلى بلد الرياض، وكان قدومه في خامس محرم راجعاً من عند الأمير محمد بن رشيد بهدية ثمينة لأخيه الإمام عبدالله بن فيصل من الأمير المذكور، وترك له بلدان الوشم وسدير.

وكان قد مدّ يديه عليهما كما أسلفنا، فقام الإمام عبدالله وعزل من أراد عزله من أمراء تلك البلدان وأبقى من أراد بقاءه منهم، فكثر الاختلاف منهم على الإمارة، وعظم الشقاق، وتغلب أهل البلدان على بلدانهم، فما تم نفوذ ابن سعود فيها ولا استقامت رعايته عليها، ولا تقلص عنها أمر ابن رشيد، بل زاد ذلك شقاقاً بينه وبين ابن رشيد، وكان هذا سبباً للمشاغبات والاضطرابات، وضعف أمر آل سعود بسبب تفرقهم واختلاف كلمتهم وكثرة تنازعهم.

وقد كان أولاد سعود يتحينون الوثبة على عمهم الإمام عبدالله، فكتب الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى رسالة أرسلها إليهم يناصح آل سعود ويحثهم فيها على الاجتماع والاتفاق والتناصر، وينهاهم عن التفرق والاختلاف مبيناً عاقبة الاختلاف، وما حصل بسببه عليهم من الذل والهوان، وخروج بلدانهم من أيديهم، وكيف طمع الأعداء بملكهم، وباح فيها بما لديه من النصح والتحسر مع الرسالة بقصيدة وهي هذه:

متى ينجلي هذا الدجى والدياجر ... متى ينتهض للحق منكم عساكر
متى تنتهوا عن غمرة النوم والردى ... وينهض لنصر الدين منكم أكابر
متى تتجدد دعوة حنفيةٌ ... يكون لها بالصدع ناه وآمر
متى ترعوي منكم قلوب عن الردى ... متى ينقضي هذا القلا والتهاجر
فحتى متى هذا التواني عن العلى ... كأنكمو ممن حوته المقابر
وأموالكم منهوبةً وبلادكم ... تبواها بالرغم منكم أصاغر
وأشياعكم في كل قطرٍ وبلدةٍ ... أذلا حيارى والدموع مواطر
وأطفالكم هتكى تشتت شملهم ... وساءت لهم حال إذ الجد عاثر
ممالكم قد قسموها ملوككم ... وأنتم لها أحدوثةٌ ومساخر
فإن ذكرت أو ذكرت بعض ما مضى ... أجابت ببيت ضمنته الدفاتر
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيس ولم سمر بمكة سامر
ألم يك للأسلاف منكم مناقب ... ألم يك للأخلاف منكم مفاخر
وفي آيةٍ في الفتح قد جاء ذكركم ... وقد حرر التفسير فيها أكابر
وفتيان صدقٍ من رجال حنيفةٍ ... بأيديهم سمر القنا والبواتر
يرون شهود البأس أربح مغنم ... لدى مأزقٍ فيه يرى النفع ثائر
فسل عنهم يوم الصبيحة الذي ... به أنفخت للحق بصائر
وسل عنهمو يوماً به الطبعة التي ... قد اشتهرت والله مولى وناصر
وسل عنهم يوماً بجانب جودةً ... وليس لأمر حمد الله قاهر

فقد بذلوا غالي النفوس لربهم وأمسوا لأيدي الأرذلين مجازر
فأبكيهمو بأعينٍ منك وأسبلي دموعك والأجفان منك فواطر
ولا تتركي يا نفس شيئاً من الأسى على مثلهم تنشق منك المرائر
أيا مفخر القوجاذدي إلباس والندى أجيبوا جميعاً مسرعين وبادروا
على الله ذي الرحمن جمعاً توكلوا أذيقوا العدا كأس الردى وتوازروا
أجيبوا جميعاً مسرعين إلى الهدى فليس بكم إلا القلا والتشاجر
وأجدادكم أهل النباهة والعلا إلا فاقتفوا تلك الجدود الغوابر
فكم لهمو يوماً به الجو مظلمٌ وقد نشرت للحق فيه شعائر
وجدكم الأعلى لدى حومة الوغى به قطعت للمعتدين دوابر
وكم لكم من فاتكٍ تعرفونه أوائلكم معروفةٌ وأواخر
فما فارس الشهبا وما الحارث الذي أباد لظاها والرماح شواجر
وإن ذكرت أركانكم ورؤوسكم فإن أبا تركي ليس يغادر
فكم مشهدٍ كم معهدٍ تعرفونه كما عرف أقوام باد وحاضر
فلله أيامٍ له ومحاسن تشبه بالأعياد والأمر ظاهر
فلا تقنطوا من رحمة الله إنما تجي محنة وإليه للخلق قاهر
عسى ولعل الله يأتي بلطفه فلا بدع فيما قد أتته المقادر
فتشفى لبانات وتقضى مآرب وتبهج فيما تشتهيه النواظر
وحسن ختام النظم صل مسلماً على المصطفى ماسح في الأفق ماطر
كذا الآل والأصحاب ماذرَّ شارق وما غردت ورق وما ناح طائر

وفيها جرت محنة حبس لها بعض طلاب العلم، وسببها أنه لما كان ليلة الثلاثين من شعبان، تراءى الناس هلال رمضان، وكانت ليلة غيم فلم يره أحد سوى نساء لا يوثق برؤيتهن، ادعىن رؤيته، فأمر الإمام عبدالله بن فيصل بالصيام، فصام وصام أهل البلد معاً، ولم يصم الشيخ عبداللطيف ولا الإخوان الذي يدرسون عليه، وأصبح الشيخ عبدالله جالساً للتدريس كعادته مفطراً يقرء الطلاب حلقاً،

وتدار القهوة على الحاضرين والبخور والطيب، كذلك من دخل للاستماع، ووجد الشيخ والإخوان مفطرين يفطر تأسياً بهم، فذهب بعض الناس من المرجفين إلى الإمام ثائري الرؤوس منتفخي الأشداق، واستثاروا جأشه فلم ير بداً من أن يبعث إلى مجلس التدريس من يشتته، وألزم الناس بالصيام بعد إغلاق بيت الشيخ وإخراج الطلاب وحبس بعضهم.

وكان من جملة من حبس من أهل العلم سليمان بن سحمان، وكان الساعون بهذه المسألة مع ما قام بهم من الغيظ والحمق يرون صيام يوم الشك إذا حال دون منظر الهلال غيم أو قتر وهي رواية عن الإمام أحمد، أخذ بها بعض الأصحاب، ويكون ذلك احتياطاً ولم يذكروا أنه يضرب ويؤذي من لم يصم كحبسه ونحو ذلك.

والرواية الثانية: أنه لا يصام إلا برؤية هلال رمضان وإكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً، وهذه الرواية هي الصحيحة، وعليها العمل وهو الراجح عند جمهور الأصحاب، وعليه تدل الأدلة الصحيحة فهذا هو الباعث لتلك المحنة.

ما كان لعبدالله بن فيصل أن يصوم أو يأمر بالصيام إلا بإذن من شيخ الطريقة وعالم الوقت ألا وهو الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وأن له مندوحة عن هذا الفعل السيء الذي يجرح العواطف، وقد لبث المسجونون من الصباح إلى وقت الظهر ثم أخرجوا بشفاعة والدة الإمام أثابها الله.

وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان في ذلك الحادث يشكو إلى الله شماتة الأعداء:

لله عـــيش تقضـــي بالمســـرات	وســـلوةٌ وانشـــراحات وخـــيرات
والقلـــب ذو رغـــدٍ فيـــه وذو دعـــةٍ	قـــد انقضـــى بســـعادات وراحـــات
ولم يقـــاس مـــن الأهـــوال فادحـــةٍ	ولا أســـتهين بلوعـــات وروعـــات
في كـــل يـــوم أقاســـي شـــدة وهنـــا	بعـــد الـــذي كـــان في عصـــر المســـرات
اســـتغفر الله عمـــا كـــان مـــن زلـــل	ومـــن خطـــأ تخطـــا بالمصـــيبات

وليس إلا إلى الرحمن منجعسي فهو العليم بأحوالي ونيات
وهو الرحيم وملجأ من يلوذ به الكاشف الغم القاضي الحاجات
وقد ممدت حبالي راجياً فرجا ومنشداً قبل داعٍ ذي امتحانات
فقلت مشتكياً ما قال مبتهلاً بالله مرتجياً تفريج أزمات
فصل حبالي وأوصالي بحبلك يا ذا الكبرياء وحقق فيك رغبات
أنا الذليل أنا المسكين ذو شجنٍ أنا الفقير إلى رب السموات
أنا الكسير أنا المحتاج يا أملي جد لي بفضلك واعف عن خطيئات
أنا الغريب فلا أهل ولا وطن أنا الوحيد فكن لي في ملمات
أنا العبد الذي ما زلت مفتقراً إليك يا سيدي في كل حالات
لا أستطيع لنفسي جلب منفعةٍ ولا عن النفس لي دفع المضرات
مالي سواك ولا لي عنك منصرفٌ ذكراك في القلب قرآني وآيات
أنت القدير على جبري لوصلك لي أنت العليم بأسرار الخفيات
أدعوك يا سيدي يا مشتكي حزني يا جابري يا مغيثي في مهمات
فانظر إلى غربتي وارحم ضنا جسدي يا راحم الخلق يا باري البريات
وقد دهيت فلم يسمع وقلت فما أجدى لدي ناصري فاسمع شكايات
أنت المغيث وأنت المستعان ولا تخفى عليك إرادتي وغايات
وناصري غاضني بل هاضني وشفا أو غار قومٍ بغوا وأعظم لوعات
يا قادراً قاهراً من كان ذا عنت أنت القدير لقهر الظالم العات
وقد شجيت فقلبي لا يصاحبني من عظم هول الخطوب المجريات
وقول هذا الورى قد أدخلوه وكم قد أخرجوه لمرات عديدات
لما انتصرت وعن نفسي دفعت أذاً وقد ظلمت بأنواع الجنايات
يا رب فاغفر لمن لم يدر ما قصدوا وما أراد الأعادي من مضرات
وأنت يا سيدي يا منتهى أملي تدري وتعلم مقصودي ونيات
والراحم الكافل الكافي لآمله الماجد الغاني الماحي لزلات

وما اقترفت وما قد كنت مجترحاً ... من الذنوب فإني لذو الخطيات
وابسط بفضلك لي ماكنت آمله ... يا من له الفضل محضاً في البريات
ومن له الجود والموجود أجمعه ... والخلق والأمر ثم الكائن الآلي
وعبدك المشتكي والمرتجي فرجاً ... لاطفه وارحمه وأحفف بالعنايات
وصل يا رب ما هب النسيم وما ... غنى الحمام على أفنان أيكات
على النبي الأمين المصطفى شرفاً ... والآل والصحب أصحاب الكرامات

ولما أن خرج الشيخ سليمان من السجن إنشاء قصيدة أخرى من هذا الموضوع تتضمن ما حصل عليه من الإهانة والسجن على غير ما مبرر، وباح بلسان الشكاية إلى الله عز وجل اعتداء المعتدين، وشماتة الأعداء الحاسدين، والقصيد من الطويل على قافية القاف فعلى من أحب الاطلاع عليها مراجعتها في ديوان الناظم فمن أبياتها:

على غير ذنبٍ موجب قد جنيته ... يسوغ به للشامت القدح والقذف
فلو كان عن ذنب جناية من بغى ... لما ليم من أخطاء على ماله يهف
ولكنه لا ذنب لي غير أنني ... إلى الحق قد أصبو وللضد قد أجفو
وأبذل جهدي واجتهادي ومذودي ... لقمع العداء إن جاءنا منهمو عنف
أناضل عن دين الهدى كل مبطلٍ ... وأحمي حمى التوحيد إن سامه خسف
وأتبع أقوال الرسول وصحبه ... على حسب علمي بالدليل الذي يصفوا
فإن كان ذا ذنباً وأوجب ما ترى ... فيا حبذا إنا غداً سوف نصطف
لدى الملك الديان يوم معادنا ... فيحكم لا حيف بل النصف الصرف
فيسألنا الرحمن جل جلاله ... وكلٌ سيلقى بارزاً كل ما يقفوا
فهيء جوباً أيها الخصم واعترف ... بأن غداً والله ينكشف السجف
فإن قصارى هذه الدار برهةً ... ومن بعدها دارٌ بها سوف نلتف
ويجمعنا حشر ونشر وموقفٌ ... طويلٌ وأهوالٌ يقاسي بها اللهف

الخ. وهي طويلة حسنة، قلت وقد أخطأ الإمام عبدالله بن فيصل بهذا الصنيع، والله يغفر له، ولعل الباعث لذلك منه هو ردع المخالف لأوامره، لئلا يتساهل الناس بالخلاف.

ثم دخلت سنة ١٣٠٣هـ

ففي هذه السنة هجم أبناء سعود على عمهم الإمام عبدالله بن فيصل فقبضوا عليه وألقوه في السجن، ذلك لما في تلك النفوس من الحقد على بعضها البعض، وكأنهم ورثوا تلك العداوة عن أبيهم سعود بن فيصل، فلما سجن الإمام عبدالله دبّ محمد بن عبدالله بن رشيد من حائل يقتطف ثمار الخلاف كعادته، فجاء فزعاً لعبدالله بن فيصل من أبناء أخيه الثائرين، وكتب إلى رؤوساء البلدان في نجد يسفه عمل أبناء سعود، ويدعو لنصرة الإمام عبدالله من هذه الأيادي الجائرة، فانخدع له الناس ولبوا دعوته مسرعين، وزحفوا معه إلى الرياض لإنقاذ الإمام كما ادعى، ولما أن دنى بمن منها معه من الجنود، ووصلوا إليها خرج إليهم وفد من الرياض للمفاوضة، يرأس هذا الوفد عبدالرحمن بن فيصل، ولما بحثوا في الموضوع قال محمد بن رشيد كلا فما قصدي والله غير أن أخرج عبدالله من السجن وأن تكون الولاية في بلدكم لكم يا آل سعود، ثم عاهدهم على ذلك، فلما رأى أبناء سعود اتحاد الناس عليهم طلبوا الأمان من ابن رشيد فأمنهم على دمائهم وأموالهم، فغادروا إلى الخرج، وبعدما دخل ابن رشيد الرياض واستولى عليها ظهر في مظهر الفاتح القهار، فأطلق عبدالله بن فيصل من السجن وأرسله وأخاه عبدالرحمن وعشرة آخرين من آل سعود إلى حائل أسراء، ثم أقام سالم بن سبهان أميراً على الرياض، وكان سالم بن سبهان هذا رجلاً ظلوماً لا يخاف الله ولا يتقيه عياذاً بالله، وهو من آل سبهان الذين هم إخوان الرشيد.

ذكر إمارة سالم بن سبهان على الرياض ١٣٠٣هـ وشيء من عدله

لما جلس الأمير سالم أميراً على الرياض، ورجع محمد بن عبدالله بن رشيد إلى

حائل، قدم على الأمير سالم بعد خمسة أشهر وفد متظلم من الخرج يشكو خلافاً وخصومة بينهم وبين أبناء سعود بن فيصل الذين جاءوا إلى الخرج قادمين من الرياض، فعند ذلك ذهب سالم يحسم الخلاف هناك ويحل المشاكل، ونعم فقد حسمه حسماً تستحيل عنده العادة، فقتل أبناء سعود وهم محمد وسعد وعبدالله الذين أمنهم بن رشيد على حياتهم، وبعد ما قتلهم أجلى أهلهم إلى حائل، وكان هنا ابن رابع لسعود يدعى عبدالعزيز استبقاه لصغره فكان من جملة المجلوبين مع أهله إلى حائل، ولما فعل سالم بن سبهان هذه الفعلة الشنعاء ضج الناس من إمارته وقاموا يحتجون على آل سبهان، وكان سالم ينسب إليه جراءة عجيبة.

فروي أنه كان له أسنان كاشره فكان يقول يا أيها التاس لا تغتروا بخروجها فإنها لا تخرج إلا عند القتل، يعني لا تظنوا أنه يضحك فإنها كما قيل:

إذا رأيـــت نيـــوب الليـــث باديـــةً فـــلا تظـــنن أن الليـــث يبتســـم

وسيأتي له بقية ذكر عند إمارته في بريدة والعياذ بالله، ولما ضج الناس من أفعال سالم بن سبهان الوحشية، وذلك بأنه سار من الرياض بما يزيد عن مائتي مقاتل من أتباعه لقتل أبناء سعود، فصبحوا الخرج وقصدوا منزل الأمير عبدالله بن سعود بن فيصل في بلد الدلم، فدخلوا عليه وهو آمن فقتلوه صبراً في منزله وبين أهله وأولاده، ثم أرسل ثلاثين فارساً إلى محمد بن سعود الذي كان متغيباً في بلد زميقة فأدكوه وقتلوه، ولما أن علم الأخ الثالث سعد بن سعود بما جرى على أخوته فر على وجه والتجأ عند بادية الدواسر، فقام سالم بن سبهان لما علم بفراره، واعتقل عدداً من رجال الدواسر الموجودين في الخرج وهددهم بالقتل إذا لم يحضروه، فجاؤا به ومثل بين يديه فقتله صبراً والعياذ بالله.

ثم إنه صادر كل ما عندهم من مال وسلاح وخيل وركائب وملابس وغيرها وجمع نساءهم وعوائلهم، ثم أرسلهم إلى حائل وبعث أحد رجاله وهو إبراهيم بن جبر الفضلي إلى محمد بن رشيد بحائل يبشره بقتلهم، ولما أن وصل رسوله إلى حائل

يحمل هذا النبأ الفظيع، علم الإمام عبدالله بن فيصل وأخوه عبدالرحمن بمقتل آل سعود، فحزنوا لذلك حزناً شديداً، وكانوا معتقلين هناك، فقام محمد بن رشيد يحلف لهم الأيمان المغلظة بأنه لم يأمر سالم بقتلهم وإنما استبد هو من دون أن يعلم، ثم عزله عن إمارة الرياض، وجعل مكانه فهاد بن رخيص من كبار شمر وتظاهرا بالخجل أمام الناس من ظلم بن سبهان.

وكان لما جاءه الخبر وعبدالله بن فيصل إلى جانبه، تأثر عبدالله لهذا الأمر، فأشار محمد بن رشيد إلى لسانه يحذر عبدالله من الكلام ويعدهم أنهم لا يرون بأساً ما داموا قد ملكوا ألسنتهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وسبحان المتصرف في خلقه على وفق مراده؛ بينا أن محمد بن رشيد نجده قبل هذه السنة بست عشرة سنة ينزل على الإمام عبدالله وافداً متواضعاً تحت سلطانه أذابه في هذه السنة يقتل أهل بيته ويعامله معاملة الأسير تحت ضغطه وسلطانه في حائل، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤١].

ونحن نشير إلى سياسة ابن رشيد نحو آل سعود بأنه لم يقتل سالم بن سبهان، ولم يقصه عنه بل عزله عن الإمارة وادخره صارماً مسلولاً لمثلها.

وفيها ولد الملك فيصل بن الحسين بن علي الشريف الهاشمي، وكانت ولادته في مكة المشرفة وأمه الشريفة عابدية كريمة الشريف عبدالله باشا بن محمد بن عون، وقيل أن ولادته في التي قبلها ولعله الصحيح.

رجعنا إلى ذكر الإمام عبدالله بن فيصل فنقول: كان قد انقضى عشرون عاماً منذ خلف والده الفذ على عرش بلاده كوارث شرعي للدولة السعودية التي امتدت من جبل شمر إلى ساحل عمان ومن الخليج العربي حتى الحجاز، وحدود اليمن، واستطاع بعجزه وعدم جدارته بهذه التركة الواسعة أن يبدد هذه المملكة، ولم يتورع عن طلب المعونة الأجنبية لتثبيت عرشه المتداعي، وكانت النتيجة أن ضم أولئك الأجانب لبلادهم، البلاد التي جاءوا لإنقاذها ولم يبق في يده سوى منطقة

العارض وسلطة أسمية على الوشم وسدير، وأخيراً نقل أسيراً إلى حائل لتطول سنواته الأخيرة في المنفى، ولقد مضى عبدالله ثلث مدة حكمه لاجئاً لا وطن له أثناء ما حكم الآخرون مكانه في وسط دولة متفككة منحلة، ومع كل هذا فإنه كان في دماثة خلق وإن كان تاريخه يشهد على أنه كان أمرءاً تنقصه الحكمة والدهاء.

وكانت هذه فرصة محمد بن رشيد الطامع في حكم نجد لبسط سلطانه على ما تبقي من الدولة الوهابية حينما توجه إلى الرياض على رأس جيش كبير متظاهراً بصداقة الإمام عبدالله. فاستولى على الرياض، وأطلق سراح عبدالله من سجنه وأخذه إلى حائل وهذه نتيجة التخاذل بين آل سعود، وما أحسن ما قاله علي بن المقرب صاحب الحماسة يندد بسياسة الهوق واللين، ويحث على التصلب لما يعلم من سوء عواقب التراخي والدعة:

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد ... وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه ... فلا عجباً أن سالمتك الأ باعد
ولا تشك أحداث الليالي إلى امرئٍ ... فذا الناس أما حاسد أو معاند
وعد عن الماء الذي ليس ورده ... بصافٍ فما تعمي عليك الموارد
فكم منهل طامي النواحي وردته ... على ظماء فانصعت والريق جامد
فلا تحسين كل المياه شريعة ... يبل الصدى منها وتوكي المزاود
فكم مات في البحر المحيط أخو ظما ... بغلته والماء حار وراكد
وأن وطن ساءتك أخلاق أهله ... فدعه فما يغضي على الضيم ماجد
فبت حبال الصل ممن توده ... إذا لم يرد كل الذي أنت وارد
وقل لليالي كيفما شئت فاصنعي ... فإن على الأقدار تأتي المكائد
ولا ترهب الخطب الجليل لهوله ... فطعم المنايا كيف ما ذقت واحد
فقم نحصد الأعمار ونبلغ المنى ... بجدٍ فاللأعمار لا بد حاصد
فليس بصعاد إلى المجد عاجز ... نؤم تناديه العلى وهو قاعد

إلى أن قال:

خليلي كم أطوي الليالي وعزمتي تناولني الجوزاء والجد راقد
وكم ذا أناجي همةً دون همها نجوم الثريا والسها والفراقد
وتقعدني مما أحاول نكبة جرت وزمان عاثر الجهد فاسد
وإخوان سوء إن ألمت ملمةٌ بسوء فهم أساسها والقواعد
يسرون لي ما لا أسر وكلهم على ذلك شيطان من الأنس مارد
لقد بذلوا المجهود فيما يسؤني وقد كنت أرمي دونهم وأجالد
وأعجب ما لقيت أن بني أبي حسام لمن يبغى جلادي وساعد
عزيزهم إن لمت يوماً بظله رأيت سموماً وهو للخصم بارد
وسائرهم إما ضعيف بضعفه له عاذر أو مبغضٌ لي مجاهد
همو ألحموني النائبات وأولغت بلحمي أسود منهم وأسادوا
وهم تركوا عمد جنابي ومربعي من الجدب لا يرجو به الخصب رائد
وهم شمتوا بي حاسدي وذلكم من الأمر ما لا ترتضيه الأماجد

ثم دخلت سنة ١٣٠٤هـ

استهلت هذه السنة وعبدالله بن فيصل وأخوه عبدالرحمن بن فيصل وأفراد الأسرة السعودية في بلدة حائل تحت رحمة الأمير محمد بن رشيد، وعلى ما تقتضيه مشيئته.

كما أن مصر قد دخلت تحت الحماية وذلك على أثر الثورة العرابية، وظل هذا شأنها حتى إعلان الحرب العظمى.

أما بلد الرياض فلا يزال في إمارتها فهاد بن رخيص من قبل الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد، وكان على بريدة وضواحيها حسن بن مهنا أبا الخيل، وكان مولعاً بتفجير العيون وبناء القصور.

ومن أعظم ما شيده قصر مدينة بريدة المشهور، وكان كبيراً جداً فيه حصون

وأبراج وقلاع، مهيأة للحرب، وجعل في أعالي حيطانه مصاليت ومعدات للقتال، وأودع فيه محلات المالية ومجابي التمور والحبوب والأسلحة، وفيه مجالس واسعة وخزائن وسجون وجميع ما تحتاج إليه هذه الإمارة، وكان هذا القصر محكم البناء بالنسبة إلى بناء البلد منيعاً جداً وقد زاد على حيطانه حائطاً بعد حائط من يتولى بعده من الأمراء، ويسكن هذا القصر أمير بريدة الموجود فيها، وإذا قدم جلالة الملك إلى القصيم فإنه يسكنه وموضعه في وسط البلد، وقد هدم ما حواليه من الجهات الأربع ليكون متحداً وحده فلا يتصل به مساكن، بل كان كل ما يليه فسحة يقدر ميدانها من كل جهة، بستين متراً وقد رأيت جدار حسن بن مهنا لما هدم الأمير عبدالله بن فيصل بن فرحان ركن القصر الشرقي الجنوبي لما كان أميراً في بريدة لإنشاء بعض غرف فيه، فوجدته في غاية القوة والإحكام لا تكاد المعاول والفؤوس تهده.

وكان الأمير إذ ذاك في عنيزة زامل بن عبدالله آل زامل قد استقل كل منهما في بلده، وقد تحسنت العلاقات بين أمير بريدة وأمير عنيزة.

أما محمد بن رشيد إذ ذاك فإنه يبرم حيلته في ضم القصيم إلى ممالكه لكنه لفضل سياسة ودهاء كان متصفاً بهما لا يظهر ما يؤثر على الأميرين، وقد قام بعد ذلك يتحرش بأهل القصيم.

هذا وقد استقر الشيخ الإمام محمد بن عبدالله بن سليم في بلدة بريدة، وذلك كما قدمنا أنه نفي منها إلى عنيزة، نفاه منها الأمير حسن لما أوعز إليه بعض جلسائه بذلك، وأشار عليه بجلب عالم في العراق معروفاً عند الأشقياء، فقيل إنها ذرفت عينا الأمير حسن وخاف من جلب عالم أجنبي يفسد عقائد أهل القصيم، وقال لقد نفيت ابن سليم لهوى نفسي فأعاده إلى بريدة مكرماً وتولى قضاءها.

ونزيد المقام أيضاحاً فنقول: لقد دبر أحد أمراء القصيم رجلاً معيناً لقتله فكان يرصد له في الطريق، وكلما أراد أن يتقدم لاغتيال الشيخ يصيبه رعب شديد يحال بينه وبينه، فلما أن اطلع الشيخ محمد بن عبدالله على جلية الأمر وأخبره ذلك

الفاتك وتاب من ذنبه، اتصل الشيخ بالأمير وأبدى أسفه الشديد على ما صدر منه، وقال على ما تقتلني ولم أشاقق في الملك، ولم يبدر مني بوادر ضدكم، فوالله لا أملك سوى هذه المروحة من سعف النخل، فتكلم الأمير قائلاً والله لهي أثقل علي من ذي الفقار «سيف علي بن أبي طالب» فغادر الشيخ بلد بريدة ثم عاد إليها.

وفي هذه السنة نزلت أمطار غزيرة على القصيم، فأخصب الناس وخرجت نوابت الأرض وأعشابها.

وفيها وفاة دحلان، وهذه ترجمته:

هو حامل راية الضلال الخبيث المتقول على أهل الحق بالكذب والزور، نسأل الله تعالى العافية، أحمد بن زيني دحلان المكي، شرف الله مكة وزادها تعظيماً، ويسمي إذ ذاك بمفتي الشافعية بمكة، وكان قد شرق بهذه الدعوة الوهابية، وسب أهلها وأجلب عليهم بخيله ورجله، واتبعه على خبثه من كان على طريقته ممن لا يفرق بين الغث والسمين، وأقذع في مسبة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتلوث لسانه وكتبه بذلك.

وكان الدافع له على ذلك الدولة العثمانية، بذلوا له الأموال الطائلة وأغروه، فانقاد إلى تلك الهاوية، وإذا لم يخش العبد ربه، ولم يستح من خالقه فليفعل ما شاء، نعوذ بالله من الخذلان.

وقد جوّز التوسل بالأنبياء والأولياء، وزعم أن الشيخ محمد كفّر الناس، وإنه يدعى أنه نبي غير أنه لا يبدي هذه المقالة، وأنه ضرب أعمى كان يصلي على الرسول ﷺ ويديمها وقد نهاه، فلما لم ينته ضربه حتى مات.

وأجاز دحلان شدّ الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء إلى غير ذلك من التضليلات، وأورد أخباراً في استحباب زيارة قبر الرسول ﷺ وقد ردّ عليه العلماء وصاحوا به من أقطار الأرض وبدّعوه وضلّلوه.

ومن العجائب أن كل من أبغض هذه الدعوة الوهابية فإنه يستمد ضلاله من

دحلان. وكان له من المحاسن رسائل مجموعة مختصرة في وجوب الصلاة والمحافظ عليها، وتأكيد حضورها مع الجماعة، فالله المستعان.

وفيها قتل الأمير علي بن قاسم بن ثاني نجل أمير قطر المشهور، الذي يلقب جوعان، وكان قتله على يدي العجمان.

وكان المترجم قارضاً للشعر العامي، وقد اتصل به الشاعر النجدي محمد بن عبدالله بن عثيمين اتصالاً وثيقاً حتى أصبح نديماً له وصفياً، ولما قتل وقام قاسم بن ثاني بعد ذلك لقتال العجمان لأخذ ثأره، كان الشيخ محمد بن عثيمين هو الحامل للراية، وظهر من آثار شجاعته وشدة سخطه وقوة وفائه ما رفع منزلته عند آل ثاني أمراء قطر، وواسوه بالمال والرعاية حتى أصبح كواحد منهم، يعيش بين قصورهم ويصحبهم في أسفارهم.

وفيها وفاة الشيخ علي آل محمد آل راشد قاضي عنيزة، وكان من قبيلة الأساعدة أهل الزلفي، وبلدته علقة من قرى الزلفي، تولى قضاء عنيزة سنة تسع وستين بعد المائتين والألف، ينيبه على القضاء فيها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين لأنه قد تخرج عليه وأخذ عنه، فاستمر في قضاءها حتى توفى في هذه السنة.

وقد جرى في أيامه أنه قدم آل عاصم الذين هم بطن من قحطان، يقودهم حزام بن عبدالرحمن بن حشر على الغميس والشقيقة المجاورة لبلد عنيزة، وكانت حمى لأهل عنيزة يرعون فيها الإبل والأغنام ويمنعون الكلأ لسوانيهم التي يسقى عليها الزرع، فلما دخلوا الحمى بعث إليهم أهل عنيزة يأمرونهم بمغادرة المكان والذهاب إلى الفضا والفلاة الواسعة، وكانت تلك القبيلة من قحطان فيها بغي وجبروت على أهل القرى، يتطاولون ويتمردون، فلم يرفعوا رأساً إلى تلك الرسل التي أرسلها إليهم رئيس بلد عنيزة زامل بن سليم، فجاء الرئيس إلى القاضي المترجم وقال له: أيها القاضي إن هؤلاء الأعراب قد طغوا وتجبروا يضربون من وجدوا في تلك الناحية من أهل البلد من رعاة وغيرهم، وقد آذونا فهل يحل لنا

غزوهم؟ فأجابه أن نعم، ثم إنه تأهب أهل عنيزة وخرجوا في يوم الأربعاء أحد أيام رجب من سنة ١٢٩٥هـ، فلما زحفوا تحت رايتهم التي كان يحملها الصقيري على راحلته انكسر الرمح الذي فيه الراية ورجع رئيس الجيش زامل بقومه فأمرهم بالنزول، وذهب إلى القاضي علي يقول له إنا خرجنا في هذا اليوم وهو مكروه عند العرب، فلما كانت الراية عند باب البلد انكسرت، فماذا ترى؟ أنقيم اليوم ونغزوا غداً نهار الخميس؟ فقال الشيخ خذوا رمحاً سالماً وأصلحوا رايتكم واغزوا على بركة الله، فإنه لا خير إلا خيره ولا طير إلا طيره، وليس عند الأيام خبر، فزحفوا في حينهم والعدو على مسافة يوم، وكان في بلد عنيزة رجل يقال له فتنان من قبيلة قحطان أيضاً، فبعث ابنته إلى قومه قحطان في جوف الليل ينذرهم، وأمرها أن تخبرهم الخبر بأهل عنيزة واصلون قريباً إليهم، فقدمت الابنة على آل حشر في ناديهم، وكانت ذات حسن وجمال فوقفت على القوم قائلةً أن أبي أرسلني إليكم بأن أهل عنيزة خرجوا يقصدونكم فخذوا حذركم، وأنه لم يخرج بنفسه خوفاً من أن يغضب عليه جيرانه إذا علموا بمجيئه إليكم، فضحكوا منها والتفت بعضهم إلى بعض متهكمين قائلاً بعضهم لبعض ما أحسن أن يزغب هذا النذير، يعني أن ينكح، فهم في تهكمهم وضحكهم، إذ طلعت عليهم جيوش أهل عنيزة، فقتلوهم شر قتلة أصابت من آل حشر أحد عشر رئيساً من بينهم القائد حزام، فانهزم القحطانيون بعدما دفنوا قتلاهم وحملوا أميرهم حزاماً مضرجاً بدمائه، مثخناً بجراحه، فدفنوه في نفي الماء المشهور بعالية نجد في ذلك الوادي، وكان الرجل المدعو بفتنان قد غضب لما رجعت إليه ابنته وشكت إليه مقابلتهم لها بالتهكم، والتهب قبله التهاب النار، فلما كان من الغد أتاه الخبر بقتلهم، فسكن غضبه فقال في ذلك شاعر آل عاصم أبياتاً بعد دفنه وارتحالهم من نفي.

ثم دخلت سنة ١٣٠٥هـ

استهلت هذه السنة بضعف دولة آل سعود واضمحلالها، وهذا هو دور الانحلال الذي انحلت به دولة آل سعود الغر الميامين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها وفاة الأمير سعود بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود.

وفيها وفاة جدنا أبي الوالد عبدالمحسن بن عبيد آل عبيد قدس الله روحه ونور ضريحه، وكان قد عمي بصره في آخر عمره، وله صبر على خشونة العيش وقوارع الزمان، وله أصحاب وإخوان ذوو فطر سليمة وصدور زكية وأعمال مستقيمة، وكان والدنا براً به وقد خلف ابنين وبنتاً.

أما الأمراء فكانوا على رتبهم، وكان على إمارة مكة عون الرفيق وقد ظهرت في أيامه مواهب ابن أخيه الحسين بن علي، فتلألأ ذكائه، واشتد عزمه، وكان شعوره ومساعيه عربياً كريماً غيوراً على قومه وبلاده، فراب الأستانة أمره وعمل الأمير عون على إبعاده، وذلك لانتقاده الأمير عوناً في إهماله أمر العربان واتفاقه مع الوالي التركي في تقاسم المصالح، فضعفت بسبب هذا الإهمال شؤون الإمارة، وساء الأمن، وعم القلق، وانتشرت الفوضى، وازداد الظلم والجور، وإرهاق الحجاج بالضرائب، وما زال الأمير عون يسعى في إبعاد الحسين حتى دعى إلى الأستانة بعد ذلك ليكون ضيف الباشا وأسيره مثل ما تقدمه من الأشراف، ولما قدم عاصمة ملك الدولة اشرب هناك روح السيادة العالية، فصعد في الدواوين إلى مقام المقربين من السلطان، وأسندت إليه الوزارة مثل أبيه، وعين عضواً مثله في مجلس الشورى، فاستمر في وظيفته إلى أن نال إمارة مكة المكرمة سنة ست وعشرين بعد الثلاثمائة والألف، هذا وقد ساعدت الظروف والأحوال عوناً الرفيق، وكان خطه مستقيماً وانتصر على كل من ناواه.

وفيها وفاة الشيخ سليمان بن مقبل رحمة الله تعالى عليه، وهو قاضي مدينة بريدة، تولى قضاء بريدة مدة تبلغ ٣٩ سنة تخللها فترات قليلة يقوم بالعمل عنه الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكان ورعاً ناسكاً مسدداً في أقضيته وتدابيره، ويعتبر من خيرة أهل زمانه، وكان عم الشيخ محمد بن مقبل وموطنهم البصر وهو موضع من الجنوب الغربية عن مدينة بريدة، وكان قد ثقل في آخر عمره وتخلى عن القضاء، وجاور في مكة المشرفة، ثم انتقل إلى البصر، ومات فيها تغمده الله برحمته عن عمر يناهز ٨٥سنة، فالله المستعان.

وفيها جدد السلطان عبدالحميد باب العنبرية، وزاد في السور الذي عمّره السلطان عبدالعزيز قبل هذه السنة بعشرين سنة، وكان عبدالعزيز قد جعل ارتفاع هذا السور الكائن بالمدينة المنورة نحواً من ٢٥متراً، وبني فيه أربعين برجاً تشرف على ضواحي المدينة للدفاع عنها، وفي هذا السور كثير من معدات الكشف وأبراجه مشحونةً بالمدافع والذخائر الحربية، وفي غربي هذا السور سور آخر أوسع منه يحيط بالبيوت التي خارج السور الأول في غربه وجنوبه، ويبتدئ من البقيع في الجنوب الغربي، وينتهي بالقلعة التي أنشأها السلطان سليمان بن السلطان سليم سنة ٩٣٩هـ.

ثم دخلت سنة ١٣٠٦هـ

في هذه السنة أكثر ابن رشيد من الغارات حتى نفذ إلى أراضي يلي وجهينة في الحجاز، ولما أن عاد إلى حائل من هذه الحملة وجد عبدالله بن فيصل مريضاً، وكان يظهر احترامه وتعظيمه، فأذن له بالرجوع بعدما عاهده على أن يكون أميراً في الرياض، ولم يكتف برجوعه إلى الرياض بأن يكون أميراً فيها فحسب، بل يكون مضافاً إليه العارض والمحمل والشعيب وبلدان الجنوب، ولم يسمح بعودته فقط، بل اعاد إليه جميع حقوقه في حكم بلاده، فسار عبدالله بن فيصل وأخوه عبدالرحمن إلى الرياض ولكن أين هم وذاك.

فقد زعم بعض الرواة بأن ابن رشيد قد نفذ أمره بدس سقية سمية جعلت لهما في فنجان القهوة، تقضي عليها بعد ثلاثة أشهر، فأما عبدالله فإنه أساغها، وأما عبدالرحمن ففطن لها وألقاها في العراء بعدما وصلت إلى فمه، فأثر عليه ناسوراً تحت لسانه غير انه سلم منها[1] ولما أن كان في اليوم ١٢ من ذي الحجة، سارا إلى الرياض من عنده محفوفين بالكرامة فودعهما، ولما أن كانا يسيران في أثناء الطريق اشتد على عبدالله مرضه، فكان ينتف شعر رأسه بيديه، وما وصل إلى الرياض حتى

---

(١) ذكر الأحسائي في تاريخه تحفة المستفيد.

توفى عبدالله ودفن في جبانة العود، وكانت وفاته في مستهل السنة التي بعدها، هكذا بلغني في بعض الروايات.

وممن توفى فيها ملك الألمان الأمبراطور فريدريك، فجلس على كرس المملكة بعده الأمبراطور غليوم الثاني، وهو ثالث أمبراطور للسلطنة الألمانية، وقد اشتهر بعلو همته وقوة نشاطه وكثرة حذقه واعتنائه في شؤون السلطنة، حتى قيل أنه لا ينام أكثر من خمس ساعات في اليوم والليلة، وهو فيما يزعمون بارع في كثير من العلوم والمعارف الحديثة خصوصاً في الفنون الجميلة كالنقش والتصوير والموسيقى، وله مهارة عجيبة في العلوم السياسية، حتى أنه بقوة دهائه استجلب قلوب الفرنساويين وجذب عقولهم إلى محبته، واستولى على عواطفهم حتى جعلهم يرمقونه بعين المودة والمحبة، وصار له شأن عندهم، وكان جيش ألمانيا إذ ذاك يبلغ في وقت السلم أكثر من خمسمائة ألف جندي مشاة، وفرساناً ومدفعية، وفي وقت الحرب يمكنها إيصاله إلى سبعة ملايين، وحكومتها أمبراطورية دستورية وهي مؤلفة من أربع ممالك.

أما ثروتها فقد قدرت في بعض السنين إذ ذاك بسبعة آلاف وثلاثمائة مليون من الجنيهات، وإنما ذكرنا بعض الإشارة لهذه الدولة لما جرى بعد ذلك من تطورها وقوتها.

ذكر شيء من أخبار الشيخ محمد عبده

كان هذا الشيخ يسمى المصلح الكبير المجتهد الخطيب الكاتب أحد أركان النهضة العربية، كانت نشأته من أسرة فقيرة فتعلم الأدب وأخذ عن أستاذه جمال الدين.

ولما قامت ثورة عرابي بمصر أحاطت الشبهة بعنقه وحوكم، وحكم عليه بالنفي من مصر ثلاث سنين وثلاثة أشهر، ولما كان في هذه السنة، عاد الشيخ محمد إلى مصر بعد انقضاء مدة النفي، وفي خلال هذا النفي استطاع أن يلتقي في باريس بأستاذه جمال الدين الأفغاني.

وكان الشيخ محمد يسعى سعياً حثيثاً إلى إصلاح المحاكم الشرعية وإصلاح الأوقاف وإصلاح المساجد، وكانت وسائل الشيخ في هذا الإصلاح متعددة، وربما كان من أقواها عنايته بتفسير القرآن التي كادت تستغرق كل مجهوده ودروسه في تفسير القرآن، كانت حاشدة يتوافد إليها الطلاب من كل ناحية، ومن أظهر أعماله الإصلاحية عمله على إصلاح الجامع الأزهر.

ولقد حاول الشيخ ذلك جهده المستميت واحتمل فيه أذى كثيراً، ولكنه بقي يثابر ويكافح حتى ألجئ إلى الإستقالة من مجلس إدارة الأزهر اضطراراً وأوصد في وجهه باب العمل على إصلاح الأزهر، فلقي من ذلك خيبة أمل ردته، أو كادت ترده يائساً، ثم لم يلبث أن توفى على أثرها وسنذكر بعد ذلك سنة وفاته.

وكان يقول بعد استقالته من الأزهر يظنون أني بخروجي من الأزهر تركته مرعى خصيباً لشهواتهم ترتع حيث تشاء، ألا أنني ألقيت بين جوانب هذا المكان شعلة لا تنطفيء إن لم تلتهب اليوم أو غداً فستلتهب في ثلاثين عاماً، وستكون ضراماً.

وكان رحمه الله قاضياً بالمحاكم الأهلية، ثم مفتياً للديار المصرية، وتولى التدريس بالأزهر وإليه يرجع الفضل في إصلاحه، وهكذا يكون الرجال المخلصون في أعمالهم، ولقد كان الشيخ محمد عبده موضع الإعجاب بين رجال الدين المصريين، وتفتخر به الأمة المصرية التي يعيش في أكنافها ويظله سماء وطنها، وما زال يتقدم حتى بلغ صيته ما بلغ الليل والنهار، فرحمة الله على روحه وحيا الله رجال العلم والدين.

ولقد سمعت شيئاً من مؤلفاته المفيدة ودعواته السديدة وإصلاحاته الرشيدة، فرأيتها والله مثالاً في الإخلاص، وأكبر برهان على فضله ومقامه.

وفي هذه الفترة لا تزال المشاغبات والنزاع مستمراً نتيجة الخلاف الذي جرى في المسائل الدينية بين الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وبين بعض المتسبين إلى

العلم، وحاصل هذا النزاع أن المخالفين للشيخ يقولون بجواز التوسل إلى الله بذوات العلماء والصلحاء، وجواز السفر إلى بلدان المشركين والإقامة بها، ويقولون أن الهجرة منقطعة لقوله ﷺ لا هجرة بعد الفتح ولكن جهادٌ ونية.

ولا ريب أن هذه الأقوال مطروحة، وهذا الحديث يفيد أنه لا يهاجر من مكة بعد ما فتحت وكانت بلاداً إسلامية.

وقد نتج عن هذا الخلاف افتراق وتحزب لذلك أحزاب، وتوترت العلاقات بين القائلين بالجواز والمانعين منه، حتى كان لكل طائفة ردود ومؤلفات وانتصارات، وامتدت هذه المحنة قريباً من ربع قرن، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والمسألة يطول شرحها وتفاصيلها، وتحتاج إلى بسط لا يتسع له هذا الموضع.

ولا ريب أن الحق الذي لا مرية فيه هو ما كان عليه الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وأتباعه رفع الله قدره وأشاد في العالمين ذكره، وما كان مع المخالفين ما يستند عليه، وندين الله تعالى بقول الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم: ونعتقده ونسأل الله تعالى الثبات عليه إلى أن نلقاه إنه جواد كريم.

ثم دخلت سنة ١٣٠٧هـ

ففيها في ٢ربيع الثاني توفى الإمام عبدالله بن فيصل رحمه الله وعفا عنه[1] وهذه ترجمته:

هو العاهل الهمام والرئيس المقدام عبدالله بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود البطل الشجاع، كان هو القائد العام للجيش السعودي في حياة والده فيصل، موفقاً في حروبه إذ ذاك، ولا تزال رايته خفاقة منصورة كما قد جرى ذلك في الواقعات المتقدمة.

---

(١) والقول الثاني أن وفاته في مستهل هذه السنة.

ولما مات والده الإمام كان ولي عهده غير إنه حصل اختلاف بين أبناء فيصل، وعظم الشقاق كلٍ يخطب الملك لنفسه، فشمّرت الحرب عن ساق بينه وبين أخيه سعود، فكان لكل واحد أعوان وشوكة، وكان الإمام عبدالله قصير القامة، وكان لسعود هيكل عظيم، ويعجب الأعراب من قائدهم أن يكون له شخصية بارزة، فالتف إلى سعود جمع غفير، وإذا كان القائد ذا هيكل عظيم وكان شجاعاً مع ذلك كان موضع إعجابهم، واستمرت الفتن حتى مات سعود بن فيصل، فقام أبناؤه خلفاً في شقاق عمهم والوقوف في نحره، حتى تشتت الشمل واختلفت الكلمة، واشتدت البلية، وعظمت الرزية، وتضعضع الملك، واجتمع على الإمام عبدالله خلاف عشيرته ومنازعة ابن رشيد له ومقاومته ومضادة آل مهنا، حتى أصبحت إمامته منغضة عليه وقد ناصر آل عليان على ضدهم آل مهنا فلم تنجح المسألة بل حصل على مقاومة آل مهنا، فأثر ذلك أحقاداً في صدورهم لآل سعود، أضف إلى ذلك أن الإمام عبدالله قد أبعد بعض المنتسبين إلى العلم، وقدم عليهم ضدهم وأصغى إلى نصح من لا ينفع نصحه، وبعث يستنجد الدولة العثمانية على أخيه سعود.

ولا شك أن هذه زلة منه والله يعفو عنه، فمناصرته لآل عليان وهم مغلوبون أثار عليه أحقاد آل مهنا، فكانت مراجل حقدهم لا تزال تغلي عليه وحالفوا محمد بن رشيد فكانوا يداً واحدة عليه.

وأما الشقاق الذي حصل بينه وبين أخيه وبنيه فإنه كف بساط ملكه عن غالب نجد، وكانت فرقاً وظهور محمد بن رشيد بمطامعه وسياسته ضعضع ملك آل سعود، وآخر أمره حبس فاستنجد بمحمد بن رشيد فأنجده وقتل أبناء أخيه غدراً، ولما أخرجه من السجن بعث به إلى حائل كأسير، ثم رده إلى الرياض ليعيد له الإمارة فمات ولم يحصل عليها.

ولما مات عبدالله بن فيصل وانتقل إلى ربه، كتب الإمام عبدالرحمن بن فيصل وهو إذ ذاك مقيم في الرياض إلى محمد بن رشيد يخبره بذلك ويسأله أن يعزل عامله

حسب العهد المذكور، وحقاً على ابن رشيد أن يعزله ويكون أمير الرياض عبدالرحمن بن فيصل الهمام، أليس ابن سعود وأخا عبدالله وأوى الناس بالإمارة، أليس ابن فيصل الرئيس المقدام، ولما أن كتب إليه بذلك ما كان جوابه له إلا أن عزل أميره فهد بن رخيص، وعين مكانه أميراً في الرياض سالم بن سبهان أي أنه نكث عهده، وما كان مراقباً سعودياً ولا غيره، ففي هذه السنة ولي سالم بن سبهان إمارة الرياض للمرة الثانية.

كان سالم هذا لا قيمة لعهده عنده ولا ميثاق، ولما أن كان في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة في هذه السنة بعث إلى عبدالرحمن بن فيصل بأن يجمع له آل سعود ليسلم عليهم ويهنئهم بعيد الأضحى، ويلقي عليهم كلاماً من ابن رشيد، وكان من نيته وعزمه أن يفتك بهم ويقتلهم جميعاً كما فعل بأبناء سعود في السنة المتقدمة قبل هذه، نسأل الله العافية، هذه نتيجة هذا السلام وهذه التهنئة.

ولما علم عبدالرحمن بن فيصل بما بيته لهم من الغدر وما انطوى عليه من المكر، احتاط للأمر وأعدّ له أهبته، فاجتمع بأفراد أسرته وخدمه وأطلعهم على الأمر وعما كان يبيته له سالم بن سبهان، وعندما وصل ابن سبهان بجنوده وكانوا أربعين رجلاً مسلحين أمر عبدالرحمن بن فيصل رجاله أن يسبقوه إلى شبه ما يريد، وكان من بينهم ابنه فيصل بن عبدالرحمن وابن عمه فهد بن جلوي وعبدالعزير بن جلوي؛ وفهد بن إبراهيم بن مشاري وغيرهم من أتباعه، فوثبوا عليه وعلى رجاله وقتلوا منهم عدداً وألقوا القبض على سالم وبقية رجاله وجردوهم وسجنوهم؛ وقد همّ الإمام عبدالرحمن أن يقتل سالماً وبقية رجاله انتقاماً لقتل أبناء أخيه سعود؛ غير أنه فكر أنه إذا قتلهم فإن ابن رشيد سيقتل جماعة آل سعود الذين كانوا عنده في حائل، ومنهم عبدالعزيز بن تركي وعبدالله بن جلوي، وسعد بن جلوي وهذلول ابن ناصر بن فيصل، وفعلاً فإنها تحققت أمنيته ووقع ما كان يتوقعه، فإن آل سعود المقيمين بحائل قد ساروا منها إلى الرياض قبل وصول الخبر إلى ابن رشيد بيوم واحد، ثم إنه بعث في طلبهم ثلاثين رجلاً من خدمه فأدركوهم على ماء العدوة

فألقوا القبض عليهم وقيدوهم بالحديد ورجعوا بهم إلى بلدة حائل، ولما أن كان بعد رجوعهم بثلاث جمع جموعة وجنوده، وزحف بجيش خميس من حائل إلى الرياض؛ ومعه آل سعود لبث سالم بن سبهان في مركزه، وكان أهل القصيم لما أن بلغهم خبر الحادث الذي جرى بين الإمام عبدالرحمن الفيصل وبين سالم السبهان، كتبوا إلى عبدالرحمن بن فيصل يعاهدونه على السمع والطاعة والتعاون والتعاضد، وحينما مر ابن رشيد في مسيره بالقصيم، وقف أهل القصيم في الطريق وصدوه عن جهته فوعدهم وعاهدهم بأنه سيعطيهم بادية مطير مضافاً إليها الخوة التي كانت تفرض على الحجاج، وسول لهم فرضوا بذلك وتركوه وشأنه رافضين عهودهم مع عبدالرحمن الفيصل، ثم إنه والى زحفه إلى الرياض بعدما جاوز القصيم، ونزل على الرياض بجيشه فحاصرها أربعين يوماً ونهب كل ما وجده في ضواحيها من إبل وأغنام، وقطع نخيلها ودمر بساتينها وشدد الحصر عليها وأهلها يدافعون عنها أشد الدفاع، وأخذ يغير على طرق تموينها وأهالي القرى المنعزلة له المحيطة بها فيدمر مزارعهم ونخيلهم حتى قيل أنه قطع مالا يقل عن ثمانية آلاف نخلة، وبعد أربعين يوماً قضاها ابن رشيد في مثل هذه العمليات العقيمة، اقترح على عبدالرحمن أن يتفاوضا لعقد الصلح وتسوية الخلافات بالحسنى فوافق على ذلك الإمام عبدالرحمن، وخرج من الرياض وفد مؤلف من محمد بن فيصل، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف رئيس القضاة، والشيخ حمد بن فارس، ومعهم نجل عبدالرحمن بن فيصل عبدالعزيز بن عبدالرحمن وعمره إذ ذاك في الحادية عشرة، وبعد المفاوضة تم الصلح على أن تكون إمارة الرياض وتوابعها من بلدان العارض والمحمل وسدير والوشم وبلدان الجنوب من الخرج والأفلاج والحوطة والحريق تابعة للإمام عبدالرحمن، وأن ينقل ابن رشيد حاميته من الرياض، وأن لا يكون لابن رشيد نفوذ في الرياض ولا غيرها من البلدان التي وقع الصلح عليها وأن يفرج عن الأسراء الذين اتقلهم من آل سعود، وعلى أن يخلي الإمام عبدالرحمن سبيل الأسرى الذين كانوا عنده في الرياض سالم بن سبهان ورجاله ورجع ابن رشيد إلى حائل، وكان

هذا الصلح مموهاً لأن ابن رشيد لم يتمكن في الحصار من فتح الرياض ولا تمكن أهالي الرياض من رده عنها، وبكل حال فإنه عاد هذه المرة خائباً، فلما مرّ في مسيره بالقصيم عائداً إلى الجبل، قام أهل القصيم يطلبون منه الوعد الذي وعدهم فسوف وتردد، فنهضوا ثانيةً عليه وحشدوا قواتهم للحرب وما كان هذا الشمري ليرد طالباً، وكان قد وافق أن الأمير حسن بن مهنا قد تذامر وأمير عنيزة زامل بن عبدالله على أن يكون يد واحدة على بن رشيد، فلما رأى نهوض أهل القصيم عليه، استنفر قبائله وعشائره والتقى بأهل القصيم في القرعاء.

وجرت واقعة المليداء التي سأذكرها بعد ذلك.

وفيها في جمادى الأولى وفاه صديق حسن القنوجي ملك مدينة «بهويال».

كان عالماً له مؤلفات عديدة، منها الروضة الندية، وأبجد العلوم، والإذاعة لما بين يدي الساعة، وألف القماط لإصلاح ما استعملته العامة من الأغلاط، وغيرها.

وفيها شرع الأمير حسن بن مهنا في بناء مسجد عود الرديني فهدمة وزاد فيه وجعل بناءه مهندساً يدعى العوفي وحرص على أن تكون نفقته طيبة، فجيء بالخشب وجريد النخل من روضة مهنا، وكان هذا المسجد طويلاً من جهة الشمال والجنوب أما شرقاً وغرباً فليس بواسع ويقع في جنوبي بريدة وله منارة طويلة.

وقد جعل الله له قبولاً بين الأمة ويأنس فيه قاصده.

ولا يخلو في غالب الأوقات من حلق الذكر ومجالس الذكر.

ومن أشهر أئمته محمد بن عبدالعزيز الصقعبي كان له صوت جهوري ونغمة حسنة، وقد استمر في إمامته عن أمر رئيس بريدة حسن بن مهنا، ثم إنه كان في إمامته الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وازدحمت عليه فيه حلق الذكر، كما سنشير إلى ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة ١٣٠٨هـ

استهلت هذه السنة وأهل القصيم مقاومون لابن رشيد ولا يزال يبرم حيلته للاستيلاء على سائر القصيم وقد فعل، وفيها تمت عمارة مسجد عودة الرديني جزى الله المحسنين خيراً.

وفيها وفاة الشيخ محمد بن عمر آل سليم عفر الله له وأسكنه فسيح جنته، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الألمعي الحافظ الماهر الورع الجواد السخي الكريم صاحب العلم والمعرفة والدين القويم والمتمسك بشريعة المصطفى وملة إبراهيم الإمام العالم محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن عبدالله بن صالح بن حمد بن محمد بن سليم بن محمد بن ميمون بن سالم بن زبيد بن مزاد.

ومحمد بن ميمون هذا له سهم في الفقرة فقرة الأحامدة، وارتحل إلى الحناكية واستقر فيها مدة، وترافق هو والطويل محمد الذي غرس أم أصواء، وأمهات ومؤذن في العيينة، وقدم معه إلى بلد العيينة وغرس فيها نخلاً قبلة باب سليم المشهور بالعيينة، وبني المسجد الذي على حدود الباطن شمالي الباطن وقبل قدومه من بلد العيينة قدم عنيزة وتزوج فيها، وأقام مدته بالعيينة يرفقهم إذا أرادوا القر عادة العرب المشهور للمدينة وغيرها.

ثم بعد ذلك ارتحل إلى بلدة منفوحة وبعدما جرت قتله أجعيثن بالجزعة واقتتل هو ورفاقته ارتحل إلى بلد الدرعية وأقام فيها، وله ولد يسمى حمد حج في السنة التي تدعى سنة الحبس بعد ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمة الله وسلم عبدالله مع من سلم وذلك لأنهم خرجوا على أقدامهم، هذا معرفة نسب شيخنا.

كان رحمه الله آية من آيات الله في العلم والمعرفة والدين والبصيرة بأصول التوحيد ومسائله، والرد على من خالفه ونأى عنه، مكرماً لطلبة العلم وحملة القرآن

ثقة عارفاً، وكان مع ذلك سخياً جواداً يعطي العطاء ويبذل المال لله، وفي ابتغاء مرضاته ومعاضداً لابن عمه الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم ورداً وموازراً، ذلك لأنه تخلل زمنهما فتن واختلاف كثير بسبب الولاء والبراء، وكثر المعاند وقل المساعد، فثبت الشيخ محمد المترجم وناصر ابن عمه، ولما عرض عليه أمير بريدة وضيفه القضاء في بريدة عوضاً عن الشيخ محمد بن عبدالله بعدما سافر هذا إلى عنيزة لسوء التفاهم بينه وبين الأمير رفض المترجم ذلك.

أما مشايخه فإنه أخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وعن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين، ولا تزال الرسائل تتردد بينهم وناهيك بهؤلاء المشايخ والعلماء، فضلاً وشرفاً، وأخذ عن غيرهم ودرس وأفتى وعلم وانتفع بعلمه الموفقون من الأنام، وترددا إلى مجالسه وتعليمه هداة أعلام، فأخذ عنه الشيخ عبدالله بن محمد بن فدا العالم الزاهد ذو الفضل والمحامد، وأخذ عنه الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان، كان على قضاء أبي عريش، وأخذ عنه أيضاً ابنه إبراهيم بن محمد بن عمر، وأخذ عنه أيضاً الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وذلك في بداية أمره، وأخذ عنه أبضاً صالح بن كريديس، وأخذ عنه سليمان بن عبدالله بن حميد، وأخذ عنه أيضاً عبدالرحمن بن غيث، وهؤلاء الثلاثة أدركتهم وأتفقت بهم، وكانوا طلاب علم موحدين متمسكين بالسنة، وأخذ عنه قاضي القصيم الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وأخذ عنه فضيلة الشيخ القاضي عمر بن محمد بن سليم، وأخذ عنه غيرهم، وكان مسدداً في أقضيته وفتاويه وتصديراته مهاباً موقراً عاقلاً ذا رأي ومعرفة.

ومن غريب ما ذكر عنه أن صاحب هذا البيت الذي يقول:

وابعث على يد من ترضاه مـن بشـرٍ ... رزقـي وصـني عمـن قلبـه قاسـي

إن الله بعث له رزقاً على يدي فأرة جاءت به إليه تحمله، وكان له مسجد معروف في بريدة يؤم فيه ويدرس، ولما مات خلف بعده أبناء منهم إبراهيم وسليمان وعبدالعزيز، أما إبراهيم فهو الذي خلف أباه في مسجده إماماً، ولقد أدركته أعني إبراهيم وصليت خلفه وعمري إذ ذاك لا يتجاوز الثانية عشرة، ولا يزال أحفاد المترجم موجودين، ومن أشهرهم الأديب عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن عمر، وكان ذا معرفة ودماثة أخلاق، تولى إدارة المدرسة السعودية الأولى في بريدة في أول تأسيسها.

ثم تولى إدارة المدرسة الأهلية في الرياض، ثم تولى إدارة المدرسة المعروفة بمعهد المعلمين في بريدة، أما سليمان بن محمد فسيأتي ذكر ترجمته في سنة وفاته.

ذكر واقعة المليداء سنة ١٣٠٨هـ

قد قدمنا أن أهل القصيم وقفوا في نحر ابن رشيد منصرفه من الرياض، ولما رآهم قد نهضوا عليه، استفز جنوده وعشائره فالتقى الجمعان في المليداء، وذلك في ١٢جمادى الأولى، فتناوشوا القتال، وكان الغلبة أولاً لأهل القصيم، فاقترح بعض رجال ابن رشيد أن يخرجوا من ذلك المكان الذي هم فيه ويفروا كأنهم منهزمون، فيأخذ العدو قافيتهم فيقطعون ساقته بالخيل.

قال بعض أهل المعرفة أن أهل القصيم شجعان غير أن رأيهم قليل.

فلما أن رحل الأمير محمد بن رشيد كأنه منهزم، وخرجوا على أثره من مزابنهم ومتارسهم صائحين انهزم ابن رشيد انهزم الحقوه، وبعدوا عن مراكزهم ومواشيهم، فعند ذلك كر عليهم وهجمت الخيل على أهل القصيم في موضع لا ملاذ فيه ولا مزابن تقيهم ولا جبال، فاجترت مؤخرهم الخيل وأوقع بهم ابن رشيد إيقاعاً شديداً، وأصيبوا بضربة عنيفة ووقعة مشؤمة، انهزم فيها أهل القصيم هزيمة عظيمة وقتل منهم ألف رجل غالبهم من الأعيان والرؤوساء، وما

نجا إلا القليل، فإنه لم يرجع من أهل عنيزة الذين حضروا الواقعة سوى خمسين رجلاً، ولم يفلت من أهالي بريدة الحاضرين إلا القليل، وعادت على أهل القصيم بالتباب، وتم لابن رشيد الاستيلاء على نجد كلها، واستتب له الأمر فلا حول ولا قوة إلى بالله.

ومن نجا من القتل فإنه لم يسلم من الجراح المثخنة، ولما ظفر بن رشيد ذلك الظفر انتقل من معسكره ونزل العكيرشة على بئر لحسن بن مهنا تدعى بالرفيعة، وكان قد غضب على أهل القصيم وحلف بالطلاق أن يبيحها ويجوس خلالها، ويتبر ما على تتبيرا، وقد عزم جنوده على أخذ بريدة ونهب أموال أهلها والفساد فيها، وهابه أهل القصيم مهابةً شديدة فجعلوا يتوقعون ماذا يحله بهم من العقوبات، فخرج إليه الشيخ الكبير العالم النحرير محمد بن عبدالله بن سليم في موضعه ذلك، ولما أن رآه مقبلاً نحوه، أمر أن يجرد من ثيابه ويهان، فقام إليه الأعداء وفعلوا به ما قضت به إرادة الأمير، فلم يدعوا عليه سوى ما يساوي عورته، وكان إلى جانب الأمير محمد بن رشيد رجل يدعى السحيمي، فقام غيرةً لله ولأوليائه ونزع عباءته وكساها الشيخ، ولما جلس الشيخ بين يدي الأمير انتهره وأغلظ عليه في الجواب وجعل يتهدده ويتوعده، فتكلم بقوة وثبات قائلاً أيها الأمير يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وجعل يتلوا آيات العفو: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ ﴾ ، وكان للشيخ مهابةً عظيمة ولا يخاف في الله لومة لائم، وقد كساه الله حلة البهاء والوقار والهيبة، وجعل يقول يا ابن رشيد: اذكر قدرة الله عليك واعلم أنه من فوق الجميع، فبكى محمد بن رشيد، وقام مستوياً على قدميه يقول: اللهم إني قد عفوت يشير بيده إلى بريدة ويكررها، ثم جلس وقد ظفر غيظه وانكسرت حدته، فأكرم الشيخ وكساه وسأله عن يمينه بالطلاق، فأفتاه الشيخ ثم أذن بالانصراف إلى أهله نائلاً ما طلب وحلف أن لا يرجع إلا على متن فرسه الخاص فرجع الشيخ محفوظاً مرفوعاً ودافع الله عن المسلمين بمساعيه.

وقد حدثني بعض الثقات أنه اعتذر إلى الأمير بأنه لا يحسن ركوب الخيل فأردفه بمن يسكنه على ظهر الفرس حتى وصل إلى بيته، ثم إنه جاء رجل من أهل العكيرشة يسوق نحو ابن رشيد ثمانية عشر حماراً تحمل البرسيم على ظهورها والرطب، فوضعه بين يدي ابن رشيد وقال هذا لخيل الأمير فأعجبه ذلك وقال له من أنت فقال أنا الكراع فقال لست بالكراع إنما أنت طويل الذراع فقبلها وشكره.

وقد قال حمود العبيد بن رشيد في وقعة المليداء، وما جرى فيها من الهول أبياتاً نبطية أحببت إبرازها في كتابنا هذا وإن كان المقام لا يسمح بإيراد غيرها وهي هذه التي خرجت بنا عن المقصود:

يا ما لنفس ما تريد السؤال ... إلا من الله جامع الناس لحساب
بالله يالي فوق الإسلام عال ... بالخير إلي من ترجاك ما خاب
النفس لو صارت بعالي الوصال ... تصبر على الكاين ومخطاها ما صاب
يوم جرى بالضلفعة له ظلال ... يعده الأول لناس بالاصلاب
جونا وجيناهم سواة الجبال ... وصار الطمع مناومنهم بالارقاب
صرنا عليهم مثل وصف الجبال ... ما كنها إلى حوطة ما لها باب
أول علفهم زامل والعيال ... وتكسرت عن رؤسهم عوج الأنصاب
والقرد[1] يبري لها سواة العزال[2] ... فضخ بوغداتها كما فضخ فصاب
يا ذيب يا لي بالجوى والمفالي ... أقبل يتهبا لك نصب ومغراب
ترى بالضلفعة مثل الرجوم الطوال ... قبيله يشبع بها النسر وغراب

ومن أبيات الحسين بن علي بن نفيسة يذم أهل بريدة لما قاموا ضد بن سعود في

(١) القرد السيوف.

(٢) العزال أفواه القرب المحلولة.

أيام محمد العبد الله أبا الخيل ويعرض بأن ابن سعود لم يظلمهم كما ظلمهم غيره مذكراً لهم بواقعة المليداء.

ألا تذكروا حرب المليداء وما جرى هناك وأنتم كالحمير تسوقو.

ثم إنه لما ظفر محمد بن رشيد، أقام في بريدة أميراً عليها حسين بن جراد، ورحل من القصيم إلى حائل وقد ضبط القصيم، وحمل معه إلى حائل الأمير حسن بن مهنا حقيراً مكسور اليد وقد يصل إليه بعض التوبيخ والتقريع فسبحان من لا انقضاء لملكه ولا نهاية لأبديته.

وهذه ترجمته هو الأمير ابن الأمير حسن بن مهنا بن صالح آل أبي الخيل آل حسين أبو صالح العنزي، تولى إمارة بريدة في سنة قتل أبيه واستمرت إمارته فيها ست عشر سنة، وكان في بداية أمره محالفاً لابن رشيد وذلك لأنه لما لم ينصر الإمام عبدالله بن فيصل آل مهنا على ضدهم آل أبي عليان، انحاز حسن إلى الأمير ابن رشيد، وكان حسن مستقلاً في إمارة بريدة بعد ما ضعف حكم آل سعود، وبذلك كانت بريدة وضواحيها إذ ذاك خاضعة لإمارته، وتزوج بعد ذلك بامرأة من آل زامل أهل عنيزة فتحسنت الحال بينه بين الأمير زامل ووهب لزامل زكاة قرية البدائع، وكان طاهر العرض رزين العقل غير أن فيه حنقاً على من يخالف أوامره، ولا يزال يسر ما في نفسه ويؤثر السلم ويحب العافية إلا عند الغضب فله بوادر، وكان أعور العين وله خدم يختصهم لخدمته مثل حمود بن عبدالوهاب وخضير المزعل، ولما ملئت أذناه بمسبة الشيخ القاضي محمد بن عبدالله بن سليم وأكثر أعداؤه من مسبته أساء معاملته، وخرج الشيخ يريد سكنى عنيزة، فرده إلى وطنه بريدة وعاهده على أن يكون خاضعاً لأحكام الشرع مكرماً له موقراً، فرجع الشيخ إلى بريدة بعدما لبث مدة في عنيزة، وقد زعم بعض الرواة أن العلاقات توترت بينه وبين الشيخ المذكور، وأنه ألجأه إلى مبارحة بريدة وبالغ بعض الرواة في ذلك، لكن المقصود أنه رده إلى بلده محتشماً موقراً منصوراً، وكان يجري في مجلسه مجون ونوادر وإن كان الأمير يكره ذلك:

منها أنه دخل عليه رجل يجر خصمه، وكان خصمه مضحكاً وصاحب مجون فشكاه صاحبه يقول أيها الأمير كنت نائماً في الصحراء فجاء هذا وبال في فمي، والتفت إليه الأمير معبساً وسأله: مالذي حملك على ذلك؟ فقال إنه كان فاغراً فاه ولم أرى الرجل بل رأيت هذا الحجر المظلم فحسبته جحراً حقيقة، وهذا الذي قدر الله أيها الأمير، فضحك لذلك ضحكاً شديداً وقال حسبنا الله عليكم يا أهل القصيم فضحتمونا بالأجانب وتهدد المجرم لأن لا يعود إلى مثلها:

ولما كان بعد أيام وافق أن جاء أعرابي يسأل هذا الماجن تنباكاً أعني دخان فأجابه نعم لدي تنباك ولكنه لا يوزن وزناً ولا يكال كيلاً لأنه طيب بل أبيعه سيجاير الواحدة بنصف ريال، ففرح الأعرابي وأخذ واحدة ليتمتع بطعمها وريحها، وكان ذلك الماجن قد حشاها بارودًا سدها من جهة طرفيها بتبن، فأصبحت السيجارة ملح بارود لا أقل ولا أكثر، ولما ناوله إياها جعل يوصيه بأن لما يخبر به آخذاً فإنه لا يبيع هذا المال لكل أحد، ولما أن ذهب ذلك الأعرابي فائزاً بطلبه وأوقدها كعادة شارب الدخان، نسأل الله العافية، انفقعت عن نار أحرقت فمه وخياشيمه، فرجع إلى صاحبه مشوهاً يقول اذهب معي إلى الأمير ليرى ما صنعت فقال له صبراً أتريد بارودًا مني أم تنباكاً إنا لا نبيع التنباك ولا أحلله بل أمقت شاربه، اذهب معي يا خبيث إلى الأمير امش إلى حسن ليرى خبثك، قم بنا إليه فخجل الأعرابي وخاف وشرد من بين يديه مغتنماً السلامة.

رجعنا إلى أعمال الأمير حسن بن مهنا فنقول كان مولعاً بركوب الخيل والمسابقة وكان غالب مجالسه معموراً بالقهوة العربية البن وله همة بتفجير العيون وإنشاء الآبار العظيمة ولا تزال باقية إلى يومنا هذا، وبنى قصوراً من أعظمها قصر الحكم في بريدة.

ولما جرت واقعة المليدا كانت أولا الهزيمة على ابن رشيد وذويه فقنع بها زامل أمير عنيزة وأشار على الأمير حسن بالرجوع ويكفي العدو ما جرى عليه فأبى حسن وأجاب بأنه لا ينكف حتى يقضي على ابن رشيد، فمأتم له ذلك، وأبى الله

إلا أن يكر عليهم العدو فيصبحوا صرعي على ظهر الأرض كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية آمنا بالله.

وقد حدثني والدنا السعيد وكان قد حضر الواقعة قال: لما انهزمنا لا يلوى أحد على أحد كان من بين المنهزمين رجل ظفر بمزود فهو حامله على ظهر جمله يقول ما أحلاك من يوم فسمعه آخر مثخن بالجراح يئن على ظهر جمل مشدوداً فأجابه بقوله على أناس من أناس.

ذكر أزواج حسن وأبنائه

كان له زوجتان وهما الجوهرة ومزنة بنت جار الله وله خمسة بنين، صالح ومهنا وسليمان وعبدالرحمن وعبدالعزيز.

فأما صالح فهو الفارس الشجاع الذي انتهت إليه إمارة بريدة بعدما استولى عليها عبدالعزيز بن سعود، وقد شوهد منه شجاعة وبسالة وكفاءة في حرب البكيرية، وكشف بأهل القصيم جيش ابن رشيد وعساكر الأتراك، واستمر في إمارته حتى جرى منه ما يوجب عزله بعد سنتين، وقتل أخوه مهنا وكذلك لم تمتد أعمار عبدالرحمن وعبدالعزيز، أما سليمان فقد عاش إلى زماننا هذا، وكان لحسن خمس بنات أيضاً.

ذكر من قتل فيها من الأعيان

وهم خلق كثير، ولكن نذكر الأعيان زامل بن عبدالله أمير عنيزة المشهور، وقد كانت إمارته تزيد على ثماني عشرة سنة، وقتل معه أبناؤه عبدالعزيز وغيره وأخوه علي بن سليم، سليمان بن ناصر بن جربوع قدس الله روحه ونور ضريحه، وهو أخو زعيم بريدة المشهور، بل كان زعيماً عظيماً، دحيم بن علي الرشودي وهو أخو فهد الرشودي الرجل المشهور، وكان دحيم هذا من الأعيان والرؤوساء، حسن بن مهنا الأمير، عودة بن حسن آل عودة، وكان من آل أبي الخيل وقد قتل أبوه في سنة قتل مهنا لأنه قام يطلب بثأره فقتل معه.

علي بن مرشد الصالح كان رحمه الله باراً صالحاً تقياً ومقره القصيعة بلدة أبيه مرشد، محمد بن علي بن مرشد بن المتقدم ذكره.

عثمان العريني كان فتى هماماً له إقدام ومقره قرية تدعى، وكان له فيها نخيل وعقار وقد أحاطه بسور وجعل للسور بابين شرقياً وغربياً فالشرقي باب الديرة نسبةً إلى جهة بريدة، والغربي باب البر إشارةً إلى أنه إلى جهة البرية وكان مشهوراً مذكوراً.

عبدالعزيز بن عبدالله المهنا أخو محمد الأمير، سليمان بن أحمد آل رواف كان من المشاهير الأعيان وهذا أخو عبدالله بن أحمد الرواف، عبدالله بن عثيم كان مشهوراً وأبناؤه وأقربائه في موضع الشماس شمالي بريدة، عبدالله التويجري كان موضعه في قرية القصيعة وكان مشهوراً، حمد بن سعيد.

وممن قتل فيها من الأعيان أبناء ناصر العجاجي، وكانوا خمسة كلهم فضلاء، وهذه أسمائهم: محمد بن ناصر، وعبدالله بن ناصر، وإبراهيم بن ناصر، وعبدالرحمن بن ناصر، وإبراهيم بن ناصر، وكل هؤلاء شريف من العرب ذوي الأحساب، فأما عبدالرحمن بن ناصر العجاجي فإنه كان زاهداً ورعاً تقياً وله مقامات في الزهد عجيبة، وكان مقبلاً على الله والدار الآخرة معرضاً عن الدنيا، طالب علم عاملاً، وله كتاب الفصول في قيام ليالي رمضان، وهذه الفصول موجودة تداولها الأيدي، وقد كان مصنفها رحمه الله ليس له اعتناء في النحو والصرف والشعر فلذلك يرى في فصوله شيء من القصور، وأظنه لا يعتني بالإعراب أنما جل مقصوده الوعظ والتذكير، وقد حدثنا من رآه مرة في المقبرة فالتفت يمنةً ويسرةً فلما لم ير أحداً تجرد من ثيابه، وكان قد لبس تحتها أكفاناً، فنزل في قبر وتمدد فيه وجعل يبكي ويحاسب نفسه، مالك تفعلين كذا لم تعصين الله وهو يراك، وتأكلين المتشابه، وقد تكرر ذلك منه عدة مرات فرحمة الله عليه، وهذا والله كمال العقل أن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، ويتأهب لذلك المصرع الطويل، أما بقية القتلى فلا يحضرني الآن ذكرهم.

ولقد كان موضع المعركة يشيب الوليد بحيث أن الجرحى يئنون فوق ظهر الأرض لا يجدون من يقوم برعايتهم، حتى هلكوا بين أولئك القتلى، والأمر كان فوق ما قيل من الهول والأمر الفظيع، وهذه الواقعة شبيهة بواقعة بقعا فإن الجرحاء لما وقعوا بين الأموات إذ ذاك قام الرشيديون ينادون بالماء لمن يريد الشراب فإذا تكلم الجريح أجهزوا عليه، وهل بعد هذه القسوة شيء، نسأل الله العافية، وما أشبه الليلة بالبارحة، فتلك فعلها عبدالله بن علي بن رشيد بأهل القصيم، وهذه فعلها ابنه محمد بن عبدالله بهم أيضاً، وبهذا تعرف فظاعة آل رشيد وغلظتهم وفظاظتهم.

وتعلم أن أهل القصيم ابتلوا وامتحنوا بوقعات أضعفت شأنهم كبقعا وأليتيمة والمليداء وغير ذلك.

رجعنا إلى ذكر الإمام عبدالرحمن الفيصل، فنقول لما علم الإمام عبدالرحمن بما جرى، خرج من الرياض لينجد أهل القصيم، ولما أن علم وهو في أثناء الطريق ما جرى في المليداء من الهزيمة على أهل القصيم ثنا عزمه، وعاد إلى الرياض، فأخرج حريمه وأولاده منها وترك أوطانه فاراً منها، فليس له قرار حتى يعيد الله الكرة وينعش أوليائه، ويأتي بفرج وفتح من عنده، فارتحلوا إلى الأحساء، وكان المتصرف فيها عاكف باشا، وبعد أن وصل الإمام عبدالرحمن إليها قابله مندوب من قبل واليها، وهو شاب لبناني اسمه الدكتور زخور عازار، انتدبه المتصرف ليفاوض ابن سعود ويعرض عليه شروط الدولة، فاجتمع بعبد الرحمن على عين النجا قرب المبرز في جمادى الثانية من هذه السنة، وكان مع عبدالرحمن ابنه الصغير عبدالعزيز، فعرض عليه أن يعود إلى الرياض ويتولاها من قبل الدولة العثمانية إذا اعترف بسيادتها، وأن يخضعوا لها ويدفعوا بمثابة الخراج ألف ريال في السنة، فلعلم الإمام بعجز الأتراك عن مساعدته مساعدةً فعلية، ولعلمه بنيتهم أبى ورفض ما اشترطوه قائلاً: إن بعد ذبح بندر بن رشيد تفلتت العشائر فصارت خائنة بعضها لبعض وللأمراء الحاكمين كذلك، وكان صاحب قطر وهو قاسم بن ثاني يومئذٍ خارجاً على الدولة فشاع أن مندوب عاكف باشا يسعى في عقد اتفاق بين ابن سعود وبين

أبن ثاني لإخراج الدولة التركية من الأحساء، فأوقف خمسة عشر يوماً في الهفوف ثم استدعى إلى بغداد فكان بعد التحقيق بريئاً، ولكنه بعد هذا أبى أن يعود إلى منصبه، أما الإمام عبدالرحمن فبعد تلك المفاوضات رحل بأولاده إلى الكويت فمنعهم محمد بن صباح من دخولها، وكان يومئذٍ أميرها،فعاد عبدالرحمن بأولاده إلى البادية، وأقاموا بضعة أشهر مع العجمان:

فضاقت به البلدان يسعى لعزه ... وما الأمر إلا بتقدير خالق
رحلنا من بلاد نشأنا بظلها ... على الرغم منا بالجهود الطوالق
إلا أيها الدهر المشتت للهوى ... رويدك لا تغدق بمر المذائق
تريد لنا أمراً ولله ضده ... وأمر إله الحق فوق الخلائق
عسى الله ذو العز القديم بديلها ... بكل الذي يهوى وثيق العلائق

ثم أنهم أموا قطر بلاد ابن ثاني فأقاموا فيها شهرين، وكانت الدولة لا تزال تبغي عقد اتفاق مع ابن سعود لتأمن من حركاته وسكناته، فأرسلت بواسطة متصرف الأحساء إليه يستدعيه إليها، فلبى دعوة المتصرف.

وقد تم بعد ذلك الاتفاق على أن الدولة تدفع إلى عبدالرحمن بن فيصل ستين ليرة مشاهرةً وأن يقيم وعائلته في الكويت، فقبل ابن صباح إذ ذاك أن يتوطنوا بلاده واستحب الإمام عبدالرحمن بن فيصل سكني الكويت لأنه قريب من نجدوالأخبار تصل إليه فيه بسرعة.

وأيضاً كان فيه آمناً من تسلط الأعداء، فليس لأحد عليه فيها اتصال بما يكره لا من جهة الدولة ولا من جهة ابن رشيد، وكان في الكويت يعيش في أرغد عيش وأنعم بال، وإنما أخذ معاش الدولة الذي قلما كانت تدفعه إليه لأجل تسكين الثوائر مع أن الكويت في طرفهم، والولاية لهم فيه ظاهراً.

ثم دخلت سنة ١٣٠٩هـ

ففيها استقر الإمام عبدالرحمن بن فيصل وعائلته في الكويت بعد الاتفاق على

العقد المتقدم ذكره، وكان من بين عائلة نجله المعظم والرئيس الأفخم عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل، وكان حدث السن لكنه يروم مع صغر سنه من الأمور معاليها ويتبوأ بهمته إلى هاماتها وأعاليها، وقد ضبط عنه أنه لما مرّ بالبحرين مع والده في ذهابهم إلى الكويت كان عمره لا يتجاوز الحادية عشرة، فسأله أمير البحرين عيسى بن علي آل خليفة قائلاً: أقطر أحسن أم البحرين؟ فأجابه عبدالعزيز بالحال الرياض أحسن منهما، قال الشيخ عيسى بن خليفة فدهشت لهذا الجواب السريع، وعلمت أن وراء الأكمة ما وراءها.

وفيها نهض سادات صنعاء على الترك فحاربوهم وأخرجوهم من صنعاء، وكانت تلك الثورة فاتحة حروب وفتن، واستمرت ربع قرن يوماً تضطرم نارها، ويوماً تهمد تحت الرماد، وعندما قام عليهم الإمام المنصور والد يحيى، بعثت الدولة الفريق أحمد فيضي باشا لإخماد الثورة، فتقدم بجنوده إلى صنعاء فحاصرها واستولى عليها، فتقهقر الإمام ومات بعد ذلك، ثم إنه أعاد الكرة ابنه الإمام يحيى على الترك، وجرى بينه وبينهم ما سنذكره بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

ذكر إمامة محمد بن رشيد في نجد

لما قتل هذا الأمير أبناء أخيه بندراً وإخوتهم، جلس على عرش إمارة الجبل، وكان حليماً حكيماً، وكان قد آلى على نفسه بعد قتلهم ألا يقطع الرؤوس إلا في الحرب، فكان البدو يسخرون منه لقلة قتلة فيقولون لا يحسن الملك لأنه لا يكثر قطع الرؤوس، ولما لبث في إمارة حائل عشرين سنة، جرت المليداء فكتب له النصر وتم له الاستيلاء على نجد، فكان ملكاً سياسياً له غور بعيد على الأمور وأهوالها، وله حظ عظيم من الدهاء، فقام بسياسته وقديماً ما نفعت السياسة القائم بها، وخاض نجداً يريد مناصرةً عبدالله بن فيصل، ومن يأخذ بالظاهر فإنه حمده على ذلك فأخرج عبدالله من السجن ثم أسره وبقية آل سعود، وبعث بهم إلى حائل ثم مكر بهم إلى غير ذلك.

ومن سياسته أنه يحترم العلماء ويوقرهم ويعرف حقهم، وكان ذات يوم إلى جانبه الشيخ عبدالرحمن العجاجي، فقال له أيها الأمير: إن هؤلاء الأعراب نشأوا علي جهل فلو جعلت لديهم مطاوعة يرشدونهم ويبنيون لهم لتبرأ ذمتك، فإنهم لا يعرفون طهارة ولا صلاة، فالتفت الأمير إلى عمه عبيد بن رشيد وقال له: أسمع ما يقول الشيخ، دعهم وجهلهم لنسلم من شرهم، فلو جعلنا عندهم من يعلمهم وعرفوا حقوقهم لبدأوا بالإنكار علي.

وقال مرة إني لا أقر الفساد ولا أرتضيه، فقيل له هذا فلان يرصد النساء في مواضع المياه إذا جئن يسقين ويسعيى للريبة والخبث، فبعث إليه ينهاه ويتهدده، غير أن هذا مبتلى والعياذ بالله بالفتنة فلم يطق الصبر عن فعله فلما بلغه أنه لم ينته، خرج على جواد وتحين له في ناظوره، فلما رآه حوالي النساء، أرسل عليه جواده كالطير، فلما أحس المريب بالشر أطلق رجليه كالريح يريد البلد، فأدركه الأمير وضربه بالصمصامة فطار عنقه كأنه كره وضل الجسد يركض بلا عنق، فلما رآه كذلك بكى وقال ليعلم الناس بأنه خرج عن السمع والطاعة، وندم على قتله بعد ذلك حتى قيل أنه دفع ديته إلى أهله.

ولما توافق هو وأهل القصيم وبان له الظفر، بث جنوده لينهبوا الأموال ويقتلوا الرجال، فجاؤه بالأموال التي قد نهبوها والأدباش من القرى وغيرها، وأخرجوها من معاطنها وحشروها لديه، فبكى وقال أريد أعناق الرجال وتأتوني بالحمر والبقر والغنم، أنا لا أريدها.

ولما جرى من أمر الله مالا يطاق في آخر الواقعة وفر بعض العجزة من أوطانهم إلى عنيزة ونحوها، وجعل المسلمون يرتقبون ماذا يحله بهم لأنه ظهر مظهر الفاتح المسلط، عفا وكفّ جنوده عن كل فساد، ولما ذكروه يمينه أنه سيبيحها ويضرب بريدة طولاً وعرضاً، ويقتل وينهب، قال لجنوده ادخلوا من أي باب شئتم واخرجوا فليس هناك معارض، أما الفساد فلا ولا رخصة لكم بذلك وأن القصيم

الآن يعتبر رعية مثلكم وأمن الله به العباد والبلاد، واجتمعت الكلمة وساد الناس بحلمه وعقله وسعة رأيه وأقر قضاة البلدان على بلدانهم، وتعتبر أيامه بالنسبة إلى أيام ابن أخيه عبدالعزيز كخلافة في العدل والإنصاف وحسن الرعاية.

ولما أن جلس الأمير حسين بن جراد على عرش إمارة بريدة من قبل بن جراد على عرش إمارة بريدة من قبل ابن رشيد، كان حسين هذا كأمراء آل رشيد في السطوة والجبروت، فبعث بعض الأهالي بشكايته إلى ابن رشيد وجعلوا الكتاب سراً صحبة رجل يدعى زيد بن عجلان فلما ورد الحاكم كتاب الشكاية، بعث إلى أميره يتهدده بأن أهل القصيم نسبوك إلى الظلم، فقام الأمير يرغي ويزيد وجعل يدس الدسائس ليصل إلى من بعثه ويرسل العيون يستطلع الأخبار فقيل له لعله محمد بن لهيب، فدعى به وحبسه حتى ظهرت براءته فأطلقه.

ودعى بمحمد بن عبدالعزيز الصقعبي، وكان خطاطاً فأحضره وحبسه وجعل يقرره وهو ينكر ويقول له إنه لا ذنب لك إنما الذنب لمن أمرك، أخبرني من أمرك ونحو ذلك الرجل، ويشتد نكيره، فلما أن أقبل الليل جاء ناس ليشفعوا له وأبدوا للأمير بأنه ضعيف البنية إذا لبث في السجن ليلاً، فيوشك أن يهلك مع أنه مظلوم ولا دخل له في الموضوع، حتى لان له وأخرجه بشفاعة أولئك الشافعين.

أولاً: - أنه مظلوم، **وثانياً:** - لأنه مطوّع وليس من عادته أن يتدخل بما لا يعنيه، **وثالثاً:** - لضعف بنيته، فهو لا يطيق الحبس ونحن نضمن بأنه لم يكتب في حكم مسبة، ثم دعى برجل يدعى ابن شومر، وجعل يعذبه بأنواع التعذيب حتى مات، وسيجازيه الله الذي لا يظلم النقير والقطمير بما فعله بهذا المسلم، نسأل الله العافية.

ثم دعى بالجمَّال زيد بن عجلان، وكان لم يعلم بحقيقة الحال، وأن هذا الكتاب شكاية، فجعل يتطلع أخبار مجيء زيد هذا، لأنه كان غائباً، ولما قرب من البلد خرج إليه أهله وأقربائه يحذرونه دخول البلد، وأمروه أن ينجو بنفسه ويفر إلى أحد

البلدان خشيةً عليه من سطوة الأمير، فلعلمه أن الفرار لا ينجيه قدم بريده، وعلى الفور دعى به إليه، فجعل يقول له لابأس عليك، وأنك جمَّال فأخبرنا بصاحب الكتاب، وأنه لا ذنب لك ولا عليك فإنك إن تخبرنا بالحال نجازيك على إحسانك ولا نخبر صاحبك، أجاب هذا الرجل الأمير بقوله: أيها الأمير والله لا علم لي بصاحب الكتاب ولا بالكتاب، غير أني لما قدمت الجبل وحملت الكتب لأوزعها، وجدت من بينها كتاب الحاكم فدفعته إليه، ولو قد علمت أنه مسبة لم أحمله، فعفا عنه ثم أذن له بالذهاب، ودعى به بعد ذلك، فلما حضر تكلم الأمير بقوله: يا زيد الكتاب عرفناه قد أظنه فلاناً فتبين أنه فلان يا زيد، الله لا يتهم بريء، وهذه كلمة عامية معناها «نسأل الله أن لا نتهم أحداً وهو بريء» فهل كان الأمر كما قد علمنا، وزيد لا يجيب إلا بالإنكار والبراءة من فلان وفلان، ويعاهده على عدم معرفته، فقام الأمير للوضوء وهذا الجمال جاثٍ على ركبتيه لم يتحول، وقد كان لدى خدم الأمير ورجاله معروفاً ومحتشماً، ومع ذلك لم يتجاسر أحد منهم على كلامه، والسلام عليه خوفاً من الأمير، ثم خرج من وضوءه ودعى بالقهوة وأجلسه إلى جانبه وعفا عنه؛ فقام الرجال يسلمون عليه ويسألونه عن أهاليهم في بلدة حائل، كيف فلان وما صنع فلان، وقام منصرفاً قد سلم منهم.

ولما جلس الإمام عبد الرحمن بن فيصل وعائلته في الكويت، بعث الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد بهدية إلى ابن صباح في الكويت، وكان بعثه لهذه الهدية على يدي رجل من خاصته، ذوي الدراية والمعرفة، وأوحى إليه بأني لا أخشى من عبدالرحمن بن فيصل إنما خشيتي من أبناءه، فاذهب وائتني بخبرهم، وكان قد خامره خوف من ذرية عبدالرحمن هذا، ففعلاً سار هذا الرسول بالهدية وقدم بها على صاحب الكويت للسلام عليه والمواصلة الحسنة، وبعد ما ناوله الهدية، طلب السلام على عبدالرحمن الفيصل وأنجاله الكرام لما وصل إلى ساحتهم فاجتمع الرسول بعبدالرحمن، وجعل يقلب النظر في أولئك الأولاد وينظر إلى محمد بن عبدالرحمن قد طر شاربه وعليه آثار السمت والحياء.

أما عبدالعزيز فوجده ثائر الرأس يصارع الصبيان ويغالبهم، فلا يدعهم يستريحون يقول أنا الأمير عليكم وبعدما سبرهم الرسول، وأقام في الكويت بضعة أيام رجع إلى حائل يحمل أخبار أولئك الأنجال

ما وجدت يا «بعدحي».

أيها الأمير وجدت أنجاله اثنين الذين يشار إليهما محمد الكبير عليه الحياء والسمت، ووجدت عبدالعزيز ثائر الرأس يصارع الصبيان ويغالبهم فيغلبهم كأنه مجنون، والذين حواليه في عناء شديد منه، وقد يلبس العقال ويضرب بعصاه الأرض ويهذي قائلاً أترون صاحب هذا المحجان يحكم في نجد، وأما بقية الأنجال بعد عبدالعزيز الذي عمره اثنتا عشرة سنة فصبية صغار لا معرفة لديهم، فانذعر محمد بن رشيد يقول «يلهن حيك» أيهم المصارع؟ فأجاب عبدالعزيز هو عبدالعزيز، عبدالعزيز الذي يصارع، فجعل ابن رشيد يقول خف من المصارع، أنا أخشى ممن يصارع، أخشى من عبدالعزيز ومصارعته، هذا كلام محمد بن رشيد بحروفه، ويعدّ من دهائه وغوره لأنه وقع ما كان يتوقعه.

ثم دخلت سنة ١٣١٠هـ

ففيها دعى الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد بمحمد بن هندي إليه بعدما أضعف جانبه باستجلاب كثير من قومه، ولما حضر بين يديه جعل يتهدده ويتوعده كأنه قد بلغه ما يريبه عنه، وقام رجل من أتباع ابن رشيد يدعى الطوير موافقة للأمير، فجعل يتكلم في حق محمد بن هندي ويقول: كأني بالمغاتير والجاهيم تؤخذ منك، وإني لأرجو أن أتولى نهبها من بين يديك، فرد عليه ابن هندي قائلاً: قبحاً لك وما حصلت عليه إذاً، إنك لم تحصل إلا على الخزي أخذك الله، وكان محمد هذا رجلاً تقياً وذا عباده، أضف إلى ذلك شجاعة تضرب الأمثال بها، فاستمر ابن رشيد في تأنيبه حتى قال له: يا ابن هندي انج بنفسك فلك المهربات، فقام من عند ابن رشيد بعد العصر، وسار معه أربعة من رجاله حتى أشرف على قومه وأدباشه

فأمرهم بحفظها، وذهب فاراً يريد النجاة، أما الأمير فإنه لم يمهله[1] بعد ما ذهب شد في طلبه تلك الليلة وجد في السير، وأمر جنوده بالنهب والسلب فشرعوا في أخذ ما مروا عليه، ولما أن أشرفوا على رعاياه كان من بينها المغاتير والمجاهيم قد جعل في كل رعية حارسين، فهما في وسط الرعية، فإذا قرب منها العدو خرج أحد الحارسين فرشقهم بالنبل، فإذا انكشفوا رجع داخلها، وهكذا وكان جنود ابن رشيد على تلك الصفة ولا يهملون محمد بن هندي فتراهم يطالعونه من خلفهم، فلما كان ذات مرة اجتمعوا وشدوا على إحدى الرعتين، فأخذوها فخرج الحارسان ودخلا في الأخرى فهم في جهاد وعلاج فعند ذلك أجمعوا أمرهم وحمل منهم مائتان على الأخرى وعزموا على أخذها، هذا ولا تزال أعينهم ترقب ابن هندي على البعد، فلا يغفلونه لمعرفتهم لسطوته، فلما غامروا الحرس، خرج صبي من بين الرعية ينادي بأعلى صوته قائلاً محمد بن هندي يا محمد بن هندي تكفى أخذت يا محمد بن هندي اخذت فلانة لعمانية مشهورة بسلامة النسب، عربية متولدة أباً عن جد، قد نتجت وادخرت ليومها، فلم يشعر القوم إلا به قد صاح بأذن فرسه وأجلب وكانت فرساً في أعينهم هطلاً، ولبتها تكاد تمس الأرض لضخامتها وهو يسير منهزماً في بداية الأمر مع منخفض الأرض، فلما سمع النخوة شد عليهم وهو يصيح في آذانها، فصارت تلك الفرس كهيئة الذئب وأقبلت تعدو به كالطير فلم يشعر القوم إلا به كالأسد الوثوب الذي لا يطاق إذا صال، وعجب القوم لتلك الفرس كيف اجتمعت كذلك فرمى بالرمح واختطفه بالسيف فقطه نصفين وشد على إحدى القطعتين فضربها فقسمها إشارةً منه أن ما وصله هذا السيف لا ينجو، فعند ذلك فر ابن رشيد وقومه بخيلهم وركابهم وعدا محمد بن

---

(1) المهربات هي إمهال الرجل ثلاثة أيام في البلد يستعد للرحيل في خلال هذه الثلاثة الأيام، وبعد مضي هذه الثلاثة يقتله الأمير إذا تخلف، غير أن ابن رشيد لم يمهله بعد مقالته ولا يوماً واحد، بل شد في طلبه، نسأل الله السلامة والعافية، وفي قصة الأمير ابن هندي أكبر مثال من شجاعة العرب.

هندي فغمر الخيل من خلفها فقتل منهم خمسة عشر فارساً، ونفرت خيلهم تجر أعنتها ولحق الطوير وشد عليه حتى ضربه بالصارم ضربة سقط لها شطره الأعلى، ولم يبق على الفرس سوى وركيه، ولبث محل القطع عشر دقائق أبيض لم يخرج منه دم، فجمع القوم خيلهم تباري الأمير خشية أن يسقط ليركب على الأخرى فتكون الخيل على استعداد هذا وهم يطيرون منهزمين.

قال: من حضر الواقعة أشهد بالله لرايته يعني محمد بن رشيد منبطحاً على ظهر جواده وهو يطير به ويقول اللهم اكفنا شره، يكررها فلم يشعر الفوارس إلا به قد جاءهم من أمامهم فتفرقوا شاردين فشد على الأمير وبعد ما أدركه من خلفه رفع السيف فوق أذنه يقول احفظها لي يا ابن رشيد، فانقلبوا بشرحال ورجع محمد بن هندي بما ناله من الخيل والإبل والسلاح شعراً:

وما تريد بنو الأغيار من رجلٍ ... بالجمر مكتحل بالليل مشتمل
لا يشرب الماء إلا من قلب دمٍ ... ولا يبيت له جان بلا وجل

فلما كان بعد أيام بعث إليه ابن رشيد يقول: هل أنت مسالم أم محارب؛ فقال بل مسالم ولكنك اضطررتني لأن أكون محارباً، فأمره أن يعرض طلبه وما يريد، فقال أريد جميع ما أخذتموه تردونه فرده عليه.

وفي هذه الأيام سكن الفارون من الجلائين الذي جلوا من القصيم ومن بينهم آل مهنا وآل سليم والشاعر العوني، واطمئنوا في الكويت ودمشق لاجئين هناك عن حكم آل رشيد.

وفيها ظهرت مواهب الأديب مصطفى كامل صاحب مصر وكان منظوراً إليه فيه بعين الإجلال والاحترام لدى المصريين ولدى معلميه وأساتذته لما امتاز به من حسن الإلقاء وفصاحة اللسان وصراحة القول عندهم واستقلال الفكر وكانوا يعجبون به ويتوقعون له مستقبلاً مجيداً وسيأتي ذكره في سنة وفاته إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة ١٣١١هـ

ففيها وقع نزاع بين أمير مكة الشريف عون الرفيق بن محمد بن عبدالمعين بن عون وبين الوالي التركي الذي تجعله الدولة مقابلاً للأمير يدير النظام، وكان هذا الوالي يدعى عثمان نوري باشا والي الحجاز، وقوى من دانها ذلك العصر، وجرت مشاحنات ومنازعات في السلطة، ولما جرى ذلك دخل في ذلك النزاع سادن الكعبة عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن زين العابدين الشيبي، وانضم إلى حزب الوالي التركي، كما أنه انضم إلى حزبه أيضاً مفاتي مكة ورئيس السادة العلوية ونائب الحرم، وبعض من لهم شخصية بارزة من الأشراف ورفع كل من الشريف عون الرفيق، وعثمان نوري باشا الأمر إلى السلطان عبدالحميد خان بن عبدالمجيد خان العثماني صاحب الولاية والسلطنة على الممالك العثمانية ومن ضمنها الحجاز واستعان عثمان نوري باشا على الشريف عون بمضبطة من الذوات ذكرهم ضد الشريف عون.

فانجلت المعركة بفوز الشريف عون الرفيق على خصمه، وكان النصر حليفه في ذلك المشكل وصدر أمر السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد بعزل والي الحجاز عثمان نوري باشا، وبعزل الأعيان الموقعين في تلك المضبطة ونفيهم جميعاً من الحجاز.

ففعلاً جرى عزل الجميع من وظائفهم ومن بينهم السادن للكعبة عبدالرحمن بن عبدالله الشيبي فإنه عزل غير أنه لطيف به فلم ينف من الحجاز كغيره ولكنه بارح مكة المكرمة وسكن الهدى، وهي قرية صغيرة واقعة بسفح جبل كرا الذي هو شرق مكة وواقع بينها وبين الطائف، وهو من سلسلة جبال السراة، ويبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٢٢٠٠متراً، ويبعد عن مكة نحواً من ٣٥ميلاً، وبينه وبين الطائف نحو ٨ أميال، ثم إنه تولى بعده سدانة الكعبة ورئاستها السادن محمد بن صالح بن أحمد محمد الشيبي في هذه السنة، فكان شهماً هماماً، وتولى بعد ذلك رئاسة مجلس الشيوخ في عهد الملك حسين بن علي لما صار على مكة، واستمرت سدانة محمد ٢٤سنة حتى توفاه الله تعالى.

وفيها وفاة محمد بن فيصل، وهذه ترجمته:

هو الأمير محمد بن الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وكان من الذين ناصروا الإمام عبدالله بن فيصل وعاضده وآزره وشاركه في غزواته في عز الحياة وذلها، قائد كبيأر ذا شجاعة وعلم ومعرفة، حتى كانوا يسمونه المطوّع، وكانت وفاته بالرياض.

ذكر شيء من النشاط الديني في ذلك الزمان

كان هناك في نجد الشيخ العالم القدوة الذي أصبح كالشجى في حلوق أعداء الشريعة عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، لا يزال ينشر أعلام التوحيد، ولا تأخذه في الله لومة لائم، مقيماً في الرياض مدرساً ومعلماً.

كما أن الشيخ سليمان بن سحمان قد جد في نصرة الحق، ولا تزال إذ ذاك أقلامه تصنف وتبوب وينظم الشعر ويردي بحجته ولسانه بنيان أهل البدع، فلا يدع جافياً ولا غالياً إلا ألقاه في قعر الحضيض، فجزاه الله عن الإسلام خيراً.

وكان في القصيم أعني بريدة رجال دين يشار إليهم بالأصابع، ويدفع الله بهم عن المسلمين، فمن بينهم شيخ الطريقة محمد بن عبدالله بن سليم، قد جد واجتهد في البيان والتعليم، وكان له مقامات قامها لله وفي ابتغاء مرضاته، أضف إلى ذلك شجاعة وقوة في إظهار الدين والحق، وكان له أتباع في هذه الطريقة تمسكوا بالدين وبسنة سيد المرسلين، ولم يستكينوا ولم يهنوا، فمن بينهم فضيلة العارف القدوة الزاهد عبدالله بن محمد بن فدا، ويكفيك به شرفاً وديناً وعقلاً ثباته على الشريعة وتمسكه بها على كثرة من المعاند والمشاقق وانتشار كل خب ووغد من كل مارق ومنافق، ومنهم الألمعي المشهور بالعلم والدين علي بن مقبل، وصاحب الجود والسخاء حمد بن مبارك وأخوه إبراهيم بن مبارك، وساكن الشماسية فوزان بن عبدالعزيز وأخوه سعود بن عبدالعزيز، وزعيم بريدة إذ ذاك عبدالكريم بن ناصر ابن جربوع، ومنهم الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم القاضي بعد أبيه، ومنهم

الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وعثمان بن حمد بن وضيان، وحسين بن عبدالعزيز بن عرفج، ومحمد بن حمد بن مضيان، وسليمان بن عبدالله بن حميد، وعبدالرحمن بن غيث، وعبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد، عبدالعزيز بن عبدالله بن فدا، وصالح بن إبراهيم بن فوزان الملقب العويدة، وصالح بن كرديس، وابن قويع، وجرى إذ ذاك في تلك السنة محاورات في المسائل الدينية، ومن بين أولئك الرجال فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن دخيل قاضي المذنب، وقد وشى به أعدائه نحو الأمير ابن رشيد يريدون عزله، فما نالوا إلا الخزي والعار، ورد عليهم الأمير بقوله: إن بلدكم يسمى الذنب فببركة هذا الشيخ سمي المذنب، ومن الرجال أيضاً سالم بن حجي، فيا سبحان الله إن الزمان بمثلهم لبخيل.

ثم دخلت سنة ١٣١٢هـ

استهلت هذه السنة والملك مستقيم للحاكم محمد بن عبدالله بن رشيد والأمان متوفر، وذلك بتوفيق الله، ثم تمام سياسته تغلب على البلدان، واستولى عليها بالكرم والسيف والإرهاب، فمن لم تفد فيه الهدايا والصلات جرد عليه الحسام وامتشقه، وجعل يتودد إلى الناس.

فمنها أنه خطب في حائل معتذراً عن قتل أبناء أخيه، فقال: أيها المسلمون والله ما قتلتهم إلا خوفاً على هذه، وضرب رقبته بيده، إنهم هموا بقتلي فسبقتهم ومنعتهم، وهل تظنون أن من قتل أخي متعباً يعفو عني، وكان قد ساعده إذ ذاك حظ ونصيب.

وفيها وردت أبيات من الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن آل الشيخ وهو مقيم في الهند، قد سافر إليها لطلب العلم، فكان في بلاد دلهي بعث بها إلى الشيخ سليمان بن سحمان تضمنت هذه الأبيات شدة وجدة واشتياقه إلى إخوانه وأصحابه، يطلب منهم إخباره عن أحوالهم ويعدهم بالإياب إليهم عن قريب. فأجابه عليها الشيخ سليمان بن سحمان بقصيدة من أبياتها قوله:

فقل للمحب الألمعي أخي التقي ... حليف هموم الاغتراب مع الفقد

لئن كنت ذا هم وغم ولوعةٍ ... وفقد وأحزان عضالٍ وذا وجد

فوالله ثم والله إنا لبعدكم ... ومن فقدكم في منتهى غاية الوجد

فكم بثت الأشواق جيشاً عرمرماً ... لهاماً وكم أشجت فؤاداً على عمد

فكم دون من نهوى من البيد والفلا ... وهيهات كم بين اليمامة والهند

ومن دونه البحر الخضم وهوله ... وأمواجه اللاتي تشيد بالرعد

وذاك قضاء الله جل جلاله ... وما قدر المولى فحق بلا رد

فيا من زكت أخلاقه وتألقت ... محامده في محتدا ذروة المجد

سلالة بدر الدين من جدد الهدى ... بنجدٍ فأضحى بالهدى فائح الند

حنانيك هل من أويه تشف لوعةٍ ... لواعجها تربو على الحد والعد

إلى أن قال:

وقد زادنا هماً وغماً وحسرةً ... مقالك في النظم الذي ضاع بالهند

فلا رسلٍ من جيرتي لا رسائلٌ ... تسلسل لي الأخبار عن ذلك العهد

فذا أربعٍ أو خامسٍ قد أتاكمو ... على يد محبوب صفي وذي ودي

إلى أخرها وهي حسنة.

ثم إن الشيخ إسحاق رحمه الله عنَّ له الوصول إلى مصر لأجل القراءة على علماء الأزهر، فارتحل إليه فعاتبه الشيخ سليمان على إخلاف الوعد القديم، حيث هيّج الأحزان وبعث الأشجان لأنه وعد بالمجيء إلى أوطانه وعشيرته وإخوانه، ثم لم يفاجئهم إلا به في مصر، فأقام بها برهةً من الزمان، فبعث إليه الشيخ سليمان بهذه الأبيات لما تبلبلت أفكاره وطالت غربته وانتظاره:

تأجج الوجد في الأحشاء واضطرما ... وانضب الهم والأحزان ما كلما

بالله هل للضني والكلم ملتئم ... فالدمع للبين منكم قد رمى وهما

أو للتنائي عن الأصحاب منصرمٍ ... والحزن للقلب بالأوصاب قد هما

إن الرجـا روح الأرواح فابتهجـت فانزاح عنها من الأحـزان مـا هجمـا
ثم أرعوت هذه الأحـزان فاستعرت وأضرمت بعد في الأحشاء مضـطرما
وذاك في النثـر والمنظـوم إذ وعـدا بالارتحـال بـالرجعى كمـا زعمـا
وبلبـل البـال بعـد الابتهـاج نـوى مـن بهويـال إلى مصـرى فكـم كلمـا
وكـم أراق مـن الأجفـان مـن ديـم لولا الرجا أخضلت بعد الدموع دمـا
فـالآن في وهـج الأحـزان ملتهبـاً مـن كـان في نهـجٍ بـالراح منتظمـا
والآن في رحبـة الأفـراح منجـذلاً من كان من طـرب الأفـراح مبتسـما
والوجـد في مـنهج الأحبـاب متقـدٌ لـو كـان ذاك بقلـب الأخ لانكلمـا
لكنـه لم يكـن في قلبـه وهـجٌ من شطة البين فـالمحبوب قـد وهمـا
فالوجـد يولـع مـن في قلبـه ولـه والشـوق يـزعج قلبـاً بـالغرام نمـا

وفي هذه الآونة توترت العلاقات بين اليابان وروسيا، وذاك لأنه لما كان في هذه السنة فتحت اليابان بحربها مع الصين أبواب مطامع كثيرة للدول الأوربية في الشرق الأقصى، من جملتها إنشاء خط حديدي لروسيا في منشوريا يخترقها من الغرب إلى الشرق تكميلاً لخط سيبيريا الممتدة إلى فلاد يفستوك وحرسته بالجنود الروسية.

ثم لما استولت ألمانيا على ثغر كيار تشاو بإيجار لمدة معلومة اقتدت بها روسيا أيضاً، وأخذت تليانوان وبور آثر فأقامت في ذلك المرفأ أعلامها وعززته بالمعاقل والمدافع وكنزته بالذخائر والمؤن، وأرسلت إليه الفيالق والبوارج، ثم مدت يدها إلى يالوا وشمولبو، وشادت مستودعات للذخائر في نيفامبو من أعمال كوريا، ولم يبق بينها وبين اليابان إلا فرجةً ضيقة، ولما ثبتت قدمها استحصلت أيضاً على امتياز إنشاء خط حديدي يخترق منشوريا من الشمال إلى الجنوب إلى شبه جزيرة ليا وتولغ، وحرسته بالجنود أيضاً، ولما رسخ قدمها في تلك البقاع، تحركت مطامعها لامتلاكها وأخذت تبذل في ذلك جميع مساعيها، إلا أن اليابان كانت واقفة لها بالمرصاد وفؤادها يتوقد غلاً وحسداً ويقطر دماً منها، فانتصبت معاندة في غاياتها

إلى أن ألزمت الدول بالمداخلة في هذه المسألة، وبذلك نتج إبرام معاهدة بين روسيا والصين تقتضي بجلاء الروس عن تلك المراكز في أجل معلوم، ثم حلّ الأجل ولم تفِ روسيا بوعدها بل كانت متهكمة في تعزيز قوتها في الشرق، فثارت لذلك خواطر اليابانيين، وبدأت من ذلك الوقت المخابرات وتبادل المذكرات بين الدولتين، وأخذت بعض الدول في التوسط في هذه القضية قصداً لحسم النزاع بينهما، فلم يجد ذلك نفعاً.

وكانت الاقتراحات اليابانية تتوالى على أسماع الحكومة الروسية، وهي تعرض عنها كالمحاول مع استمرارها على التجهيزات الحربية وحشد الجنود الروسية وذخائرها إلى الشرق، فعلمت اليابان سوء مقاصدها وأصدرت منشوراً لرعاياها بإعلان الحرب على روسيا، وبعد محاورات بين الدولتين طويلة، ثارت نيران الوغى بين الفريقين، ودخلت الروس في ميدان الحرب بشمخ وعجب، وولجتها اليابان اضطراراً للدفاع، وحينما شبت نار الحرب، انضمت الأحزاب اليابانية إلى اتحاد العضوية والاتفاق، خالية من جراثيم النزاع والشقاق، وامتشقت حساماً في وجه روسيا لم يكن لها بحسبان، وهزت سناناً كان له صداً في ميدان الطعان، وسلكت معها خططاً حربية لم تخطر لها ببال غير آسفة على عزيز ولا ضانة بغال، وبعد أن انصبغت مياه البحار بخضاب دم الأبطال وغصت بجثثهم رحبان السهول وسفوح الجبال، واندمج هزيم رعد الجو بدوي المدافع التي كانت تقذف صواعق القنابل الماحقة، وغدت سحب دخانها تسح هواطل شهب الرصاصات الساحقة، واشتبكت بين الفريقين ملاحم شابت من هولها الولدان، ونفد من كنوز خزائن الدولتين الأحمران عادت الأمة اليابانية رافعة لواء النصر والظفر بين الأقران وباءت روسيا مكبلة بثياب الفشل والخسران آسفة على ضياع المليونات من الأموال وضحايا كرات الألوف من البشر، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن ذكر، وسقطت من أوج عزها الشامخ ورفيع مجدها الباذخ وخسرت أكثر سفنها الحربية غرقاً وتعطيلاً وغنيمة لليابانيين، ولم يبق سالماً منها إلا القليل، ودلت النتيجة الحربية

على توهيم جملة حقائق كانت سائدة على الظنون بشأن روسيا من قديم الزمان، وتمت المعاهدة الصلحية على عودة السلم والوداد بين الدولتين والرعيتين وذلك في أربعة عشر مادة، جاء في الثالثة عشرة منها جلاء الجيشين من منشوريا في ظرف ثمانية عشر شهراً.

وفي سنة ١٢ هذه سقطت صاعقة من السماء على منارة جامع بريدة بعد الصلاة يوم الجمعة، وذلك بعدما خرج السرعان فأصابت المنارة من جهة الشمال الشرقي، وقتلت رجلاً في خلوة المسجد بدون إصابة، وأصابت ثوب رجل آخر من جهة كتفه الأيسر، فاحترق ذلك الجزء من الثوب وكف بصره، فجعل الشيخ إبراهيم بن جاسر يقول: يا أمة محمد هذه رمية الجبار.

ثم دخلت سنة ١٣١٣هـ

في هذه السنة قام مبارك بن صباح وقتل أخويه محمداً وجراحاً طمعاً في الإمارة والعياذ بالله، وتم له الاستيلاء على الكويت، وكان أميراً من دهاة العرب المشهورين، ولما قتل أخويه محمداً وجراحاً جلس على عرش إمارة الكويت، وكاد الجو أن يصفو له في الحكم غير أنه رمي بداهية دهياء، وهي يوسف بن عبدالله آل إبراهيم خال أبناء المقتولين، فإنه قام يطلب الثأر وكان ذا ثروة ضخمة جعلته يطمح إلى حكم الكويت لما يعلمه من مكانته في نفوس الكويتين، لا سيما الذين خامرهم من فعلة مبارك بن صباح بأخوته، فأخذ يوسف المطالبة حجة له وقاوم مباركاً بكل ما أوتي من قوة، فألّب عليه الحكومة العثمانية، وكاد أن ينجح لولا تدخل حكومة الإنكليز، وسعى يوسف بن عبدالله آل إبراهيم لدى محمد بن عبدالله بن رشيد بمساعدة الشيخ قاسم بن ثاني أمير قطر، فلم يفلح ولم يأل يوسف بن عبدالله جهداً في حمل ابن رشيد على محاربة مبارك بن صباح، ولكنه لم يوفق لاقتناع ابن رشيد ومعرفته ودهائه.

وفيها تمت عمارة المسجد الجامع في بريدة على يدي الشيخ محمد بن عبدالله بن

سليم قدس الله روحه ونور ضريحه، وكان لما أن أراد أن يشرع في عمارته قال للملأ من أهالي بريدة: إني قد عزمت على عمارة جامعكم على نفقتي ليس إلا، ومن أراد المساعدة منكم فلا مانع من ذلك وقد قدم الأهالي مساعداتهم وساهموا في هذا المشروع جزى الله المحسنين خيراً، ولا شك أن الساعي بهذا له أجره مدخوراً عند الله تعالى.

وفيها كثرت الشكايات على ابن رشيد ضد الشيخين عبدالله بن عبداللطيف ومحمد بن عبدالله بن سليم وأتباعهما، فطلب الحاكم محمد بن عبدالله بن رشيد بعث الشيخ عبدالله إليه في حائل ليراه ويطمئن بجلوسه لديه في حائل ونذكر هنا حالة الشيخ في سفره وإقامته وإيابه فنقول وبالله المستعان.

ذكر سفر الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى حائل

لما أكثر الأعداء من مسبته والكلام فيه أمر محمد بن رشيد أميره في الرياض أن يجهزه إليه بكل ما يليق به من حفاوة وإكرام واحترام ليراه ويسلم عليه، وبعث إليه بكتاب خاص قال فيه: نحن بالأشواق إلى رؤيتكم وإلى الجلوس عندنا لنتعلم ونشارك أهل الرياض بعلمكم، ولتنشروا العلم وترشدوا من الجهل.

فسار الشيخ ميّماً إلى جهة حائل وجعل الله سفره ميموناً وآثاره مباركةً، فكان إذا مرّ ببلد أو قرية فإنه يظهر دين الله ويرشد ويبين، حتى كان لفوائده آثار هناك كمواقع القطر، ولما قدم بلدة حائل تلقاه الحاكم محمد بن رشيد وأعدّ له بيتاً وفزع الأهالي إلى رؤيته والسلام عليه وضيافته، ووضعوا برنامجاً للموائد والإكرام.

فلما استقر ببيته قال ابن رشيد: أيها الناس إن عشاء الشيخ ما دام مقيماً فهو عندي ولا يزاحمني فيه أحد، وأما الغداء فشأنكم به، فأبى فضيلة الشيخ عبدالله الذهاب إلى نحو موضع أحد من الناس، وإن من أراد كرامته فليأتي بها إلى بيته، فانطلق أهل الجبل ينقلون نحو بيته أنواع الأطعمة والفواكه من طلوع الفجر كل يوم إلى وقت الضحى، فكان الشيخ يدرس في العلوم والخلائق تزدحم على بيته، قوم للدراسة، وقوم للاستماع، وقوم تعمهم بركة مجلسه فيحصلون على الأكل

والشرب والانبساط، حتى حدثني بعض الثقات أنه رأى في بيت الشيخ يوماً من الأيام خمسة عشر سقاء لبن معلقة، وأقبلت الأمة من كل فج عميق يدرسون ويستمعون ويأكلون ويشربون، فنشر علمه بين العالمين، واهتدى على يديه فئام من المكلفين، وكان من بين من تخرج عليه هناك رجل الدين والخير الشيخ صالح بن سالم آل بنيان، لزمه وحافظ على دروسه، وترك ابن رشيد وأعماله حتى برع من بين الإخوان ونبغ من أولئك الأقران، وأصبح من أعظم أنصار القرآن والسنة، ومن بين خيرة أهل ذلك الزمان، وقد اشتهر الشيخ صالح بقصائد تدل على بصيرته ومقامه في الدين، والرد على الضلال والملحدين.

ولما علّم ودرّس شيخنا في بلدة حائل وضربت إليه أكباد الإبل من كل قطر وجهة، وبان للأمير مقام هذا العالم، أجازه جائزة سنية وأعطاه إبلاً وغنماً وصرفه إلى وطنه الرياض مصحوباً بالسلامة.

ومما هو جدير بالذكر أنه أتى على آخر تلك الأدباش وهو في طريقه إلى الرياض، ففي كل منزل ينزله ينحر جزوراً ويذبح أغناماً للزائرين والرفقة، حتى لم يقدم الرياض بشيء منها، وتلك عادة فطره الله عليها كرماً وجوداً وإحساناً، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وكان المنافقون والذين في قلوبهم مرض يرتقبون إهانته من ابن رشيد، فما لقي منه إلا الكرامة، فلله الحمد على ذلك.

وفيها حصلت حروب طاحنة بين الحبشة وإيطاليا، وكان سبب هذه الحروب دسائس الإنكليز التي غررت إيطاليا وأغرتها على احتلال سواحل الحبشة والتوغل في بلادها، فأثارت تلك الدسائس الأحباش وأضرمت في وجه إيطاليا حرباً جبرياً أصلت به الإيطاليين ناراً حامية، وانتهى الأمر بفوز الأحباش فوزاً عظيماً، ورجع الإيطاليون بخفي حنين وباؤا بفشل عظيم ولم ينالوا من سعيهم إلا تكبد الخسائر الباهظة وانحطاط قدر جيشهم أمام عيون الناظرين، وقبولهم الشروط المهينة لشرفهم والماحقة لحقوقهم، ولهذه الدولة جملة مهددات لا محيص

لها عنها، منها عداوة فرنسا لها، ومنها ترقب البابا الفرصة لاسترداد نفوذه المسلوب منه إلى غير ذلك.

ثم دخلت سنة ١٣١٤هـ

في هذه السنة عمر السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد المسجد الحرام المكي شرفه الله، وذلك لأنه مضى عليه منذ عمارة السلطان عبدالعزيز خان إلى هذه السنة نحو من ٣٥سنة، لم يجر فيه ترميم ولا إصلاح يذكر، ولطول هذه المدة زالت ألوان الأصبغة والنقوش المحلى بها جدر المسجد الحرام وعقوده، وتكاثف على الأساطين والرخام حتى عمل بها تأثيراً من طبقة مرمرة، وتغير لونها وأزالت الشمس ألوان ما كان من النقوش على المقامات وأبواب المسجد، وتصدع فرش الحجر بداخل الأروقة والمماشي وحاشية المطاف، وامتلأت بطون القبب من عش طير الأبابيل، ونسج العنكبوت بيوته على سقف المسجد الحرام وجدره، فلما كان في هذه السنة صدر أمر السلطان عبدالحميد بإجراء ما يلزم للمسجد الحرام من عمارة وأصلاح وترميم وتنظيف ونقوش داخلاً وخارجاً، فقام ناظر الحرم الشريف بذلك وأحضر آلة للبناء، وعمل أولاً نحو خمسين سلماً من الخشب وجعل كل سلم على أربع قوائم، فنظفت القبب من عش الطيور والعنكبوت والغبار المتراكم، ثم نظف سطح الحرم ونظفت الأسطوانات، ونورت كلها وأصلحوا عموم الأحجار المرصوفة، وحاشية مدار المطاف، وكذا جميع المنارات والمقامات ومقام إبراهيم عليه السلام، وبئر زمزم، وأبواب المسجد الحرام رممت وأحكمت إحكاماً ودهنوها مع أخشاب المقامات باللون الأخضر، ودهنت قبة زمزم وقبة مقام إبراهيم باللون الأخضر، واستمرت العمارة سنة بجد واجتهاد ونشاط، فعاد المسجد الحرام أحسن ما ينبغي أن يكون عليه من البهجة والرونق، وكتب تاريخ تلك العمارة بالذهب باسم السلطان عبدالحميد خان العثماني بن السلطان عبدالمجيد خان العثماني سنة ١٣١٤هـ، ووضعت تلك الكتابة بعلو باب النبي ﷺ، وهي لا تزال في موضعها إلى العصر الحاضر على شكلتها يوم وضعت.

وممن توفى في هذه السنة الأستاذ عبدالله النديم رحمة الله على أموات

المسلمين، وكان من أشهر خطباء مصر في الأندية، وكانت خطابته في الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية.

وفي هذه السنة رحل الحسين بن علي الشريف وأسرته إلى الأستانة، ومن بينهم نجلاه فيصل وعبدالله، وذلك حينما تلقى الحسين دعوة السلطان عبدالحميد، فنزلوا في القصر الفخم الذي أهداه السلطان لهم، وعين عضواً في مجلس شورى الدولة، وقضى أولئك الأنجال زمن الشبيبة في الأستانة عاصمة ملك الدولة، يدرسون على أساتذة خصوصيين، وكان يتردد على قصرهم رجال الدولة ويجتمعون بالعظماء والأدباء من مشاهير الترك، وأكسبهم ذلك خبرة واسعة.

وفيها عزم محمد بن رشيد على جعل ابن أخيه عبدالعزيز متعب ولي العهد من بعده، ذلك لأن محمداً عقيم، وجعل يوصي ولي عهده بوصايا نافعة تعود عليه وعلى الرعية بالصلاح والأمن، وسيأتي ذلك في التي بعدها إن شاء الله تعالى.

هذا ولا تزال الحركة الدينية في القصيم في غاية النشاط والتقدم، وكان لدى أهل الدين في ذلك الوقت قوة عزيمة وصدق مع قلة المساعد وضعف المعاضد، ولكنه كما قيل من كان مع الله كان الله معه، ومن عامل الله فما فقد شيئاً، فنسأل من بيده أزمة الأمور أن يلطف بأوليائه وينصرهم ويظهر دينه ويعلي كلمته ويذل أعدائه، ويرفع يده عنهم ويريح البررة، ويمحق الفجرة إنه على كل شيء قدير.

ثم دخلت سنة ١٣١٥هـ

ففيها هدمت وأزيلت الحنفية التي كانت في موضع الصفا من مكة، وأزيل أيضاً معها من الحنفيات غيرها، من الحنفيات التي كانت خلف المدارس على مسيل وادي إبراهيم، وذلك بسبب كون الذين كانوا يتوضؤون منها يلوثون أبواب المسجد الحرام بالوحل الذي يتراكم من فضلات المياه المستنقعة هناك.

وفيها في ٣رجب توفى الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد على فراشه، ولم يكن

مات عن قتل كغالب آل رشيد، بل مات موتاً طبيعياً وهذه ترجمته:

هو الأمير الكبير وذو الشأن الخطير، الحاكم محمد بن عبدالله بن علي بن رشيد بن عبدالله آل رشيد آل خليل آل جعفر آل عبدة، ويسمى محمد الأكبر، كان عقيماً لم يولد له أولاد، ويمتاز بالدهاء والمعرفة والغوص على غامض الأمور، أضف إلى ذلك عقلاً وسياسةً مع حظ حسن، وكان حاذقاً ماهراً في إصلاح الملك ومعه إناءة ورأي سديد، وكان مهاباً غير أنه ليس بمحبوب على الإجمال عند الناس، ذلك بأنه انتزع الملك من آل سعود ظلماً وعدواناً، ولا ريب أن آل سعود أرجح كفة عند الناس وأهل الحق في التقديم، أما تدابيره وسياسته، فإنه أسد رأياً من مبارك بن صباح مع ما لمبارك من الدهاء والحذق، وكان هو أمير الحاج العراقي حينما كان بندر بن طلال متولياً الإمارة، ولما قتل بندر هذا وأخوه بدر عمهما متعب بن عبدالله، فر محمد المترجم ولاذ بالإمام عبدالله بن فيصل خوفاً على نفسه من ابن أخيه بندر بن طلال، فوفق الإمام بينه وبين ابني أخيه بندر وبدر، فأمنا محمد على حياته، وعاد إلى حائل واستمر على إمارته للحاج، ولكنه طمع بإمارة أكبر منها، فقام بعد قليل يحقق مطامعه، بل قام يطلب بثأر أخيه متعب، فقتل بندراً وبدراً وأخوتهما، ولما قتلهم خلاله الجو كما قيل.

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالأياب المسافر

ثم إنه صاح للقبائل فلبته مختارة أو مكرهة، وكتب له النصر في جميع حروبه، وقام يتحبب إلى الناس ويعتذر من قتل أبناء أخيه وذكر أنه قتلهم قبل أن يقتلوه كما قيل تغد بالذئب قبل أن يتعشاك، ولما تولى الإمارة كان سيداً مطاعاً في عشيرته، فهو كبيرها وكبير شمر بل كبير العرب في أيامه، واستولى على بلاد نجد كلها حتى وادي الدواسر، وكان في حكمه وأمره عادلاً وتضرب الأمثال في رأيه ومعرفته، ويتأسى بتدابيره وسياسته.

وكان حليماً حكيماً حتى أن البدو ليسخرون منه لقلة حصده الروس فيقولون هذا حاكم لا يحصد الرؤوس، ومن دهائه أنه قدم عليه كبير أعراب، رفيع القدر،

فأقل جائزته ثم قدم بعده أمير أعراب صغير فأجزل له الجائزة، فعجب الحاضرون لهذه السياسة وابدأوا له شيئاً من ذلك لأن هذا يستحق من الإكرام على قدر قوته، وذاك يستحق على قدر ضعفه فأجاب: بأن هذا الكبير القوي نكله إلى علو درجته ونأمن تقلباته لأنه شريف معروف، وأما الثاني فإنه كالعصفور يضيع بين الشجر يشق عليه تعطفه إلا بالبذل، وكان يداري الناس ويعاملهم على قدر عقولهم، ويقول لمن يثق به يعلم الله أني لست بمداهن ولكني مداري، وأوصي ولي عهده عبدالعزيز بن متعب ألا تعادي ابن صباح فإن يحاربك وهو على مسنده، وأوصاه بأن يحمل على الأعراب، ويثقل وطأته عليهم، فإن البدوي من عادته الظلم وأما الحضري فإنه لا يخطيء، وغالب هذه الوصايا وهو في مرض الموت، فأجابه ابن أخيه بقوله: مت ويكون خير، ولما قام من عنده أتبعه بصره وقال ياويل نجد من عبدالعزيز بن متعب وبدرته العبرة، والله لولا ما سبق من جعلي له ولي عهد لما جعلته، ثم مات، وكانت مدة إمارته عشرين سنة ومدة ملكه ثماني سنين.

ذكر إمارة عبدالعزيز بن متعب بن رشيد

لما مات عمه ما كان بحاجة إلى سياسة، بل تولى الأمر بصلف وغرور.

ونذكر شيئاً من جبروته وغشمه الذي سيجازى عليه وما ربك بظلام للعبيد.

فنقول لما دفن عمه محمد بن عبدالله، كتب إلى بلدان نجد يخبرهم بأنه تربع على تخت الحكم، وأنه ليس لديه إلا الحافر وصنع الكافر أي الخيل والأسلحة النارية، وتحت هذه الكلمات أعظم دلالة على قوة نفس هذا الجبار العنيد، والفاجر المريد، لأن هذين هما آلة الفتك والتدمير.

وهذه صفته كان ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين، قوي الساعد، مفتول العضد مستدقة، أشم الأنف، أشدق أدعج العينين، أزهر اللون، أصبح ذا لحية خفيفة حسنة، وله شارب ينثي طرفاه بذؤابة تشبه السيف أو الخنجر، كثير الطيب، نظيف الملابس، فصيح القول، جهوري الصوت، كثير الغضب، مقطب الوجه،

عيناه كأنهما شهابان من نار، مرهوب النظرة، قد أرخى كوفيته على وجهه، فوق عينيه، وفوقها العقال قد خفضه إلى نحو عينيه، ودائم التلثم، وكان بنيانه بنياناً مكيناً كأنه قطعةً من حديد، فيه قوة الإعصار وصلابة الصخر، وجبروت المردة، وعناد النمر، وبطش الأسد، وكان فيه جبروت وكبرياء وصلف شديد.

ولما جلس على سرير الحكم خرج مرة والجنود منظمة من باب حائل إلى الرياض تحت السمع والطاعة، فجعل يقول من يذكر منكم مسيئاً أو مضاداً لآل رشيد، أو متحركاً وإن كان جرمه قديماً؟ فقيل له هذا فلان يكاتب ابن سعود ويراسله، فأمر بأن يحضر بين يديه، فلما أن مثل بين يديه، وكان شاباً قد يكون أن صدر منه كتاب للسلام على آل سعود، فأقيم بين يديه وجعل يقول: هو فلان على التحقيق، فلما تحققه آتاه من خلفه وأخرج سكيناً من جيبه «مبراة»، فكشف له عن كتفه الأيمن فجعل يقد اللحم والعصب حتى سقطت اليد مع كتفها، وهل هذا إلا من الظلم والمبالغة في الأذى، نسأل الله العافية، ومن لم يراقب الله ولم يخف من سطوته ومقامه بين يديه، ولم يستحي من الخلق، ولم يصن عرضاً، فليفعل ما شاء.

ثم إنه أجلى المشائخ والعلماء، فنفى الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم إلى موضع يكون أهله من أجفا الخلق، لأن لا يوفق من يدرس عليه ويتعلم، وجعل منفاه إلى صبيح أو النبهانية، وتمتاز هاتان القريتان إذ ذاك بالجهل والجفا، ونفى معه ابنه الشيخ عمر بن محمد ين سليم، ونفى ابنه الثاني الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم إلى البكيرية، وعزل أئمة المساجد وأبدلهم بأئمة آخرين، وقطعت رواتبهم، وابتلى الله به أهل نجد، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وسبى أموال الأغنياء بعد ما أراد قتلهم، فأشار عليه بعض أهل بيته أن يسبي الأموال ولا يقتلهم، ولما رأى ذلك يوسف بن عبدالله آل إبراهيم خصم ابن صباح، قام مغتنماً هذه الفرصة، وقدم على الحاكم عبدالعزيز بن متعب يبغي له الغوائل وينصب له الحبائل، وجاء هذه المرة بخالد بن محمد أحد الموتورين بقتل أبيه وعمه، وجعل يحرض عليه ويهيج على حربه، وطلب المساعدة على ذلك، فوجد أذناً صاغية سامعة، وصار معه على ابن

صباح، وكان مبارك لما قتل أخويه واستولى على الكويت قام عليه الأعداء من كل جانب، وأهمهم يوسف آل إبراهيم، جعل يؤلب عليه كما قدمنا، وكان مسموع الكلمة لأنه تاجر كبير من تجار اللؤلؤ، وأغنى أهل وقته، فبذل ثروته وجهده وجازف في حياته طلباً للأنتقام من مبارك، وسافر إلى قطر والبصرة وحائل والحجاز يحرض الأمراء والحكام على خصمه، فكان قاسم بن ثاني ممن نقم على مبارك في اغتصاب الملك وأمر يوسف أن يذهب إلى محمد بن رشيد ويستنجد به، وكتب قاسم كتاباً إلى محمد بن رشيد، فزين له احتلال الكويت ويعده بالمساعدة الحربية.

وبما أن محمد بن رشيد كبير العرب يومئذٍ عقلاً وحنكةً واقتداراً فإنه لم تستفزه كلمات ابن ثاني ولا يوسف وأمواله، بل أوصى إلى ولي عهده من بعده وابن أخيه عبدالعزيز بن متعب ألا يطمح بأنظاره إلى الكويت، ولكنه لم يحفظ وصية عمه بل عمل بضدها، ولما أن قدم عليه يوسف بن عبدالله أعظم الهول، وجاء بأحد ابني المظلومين، لباه عبدالعزيز بن رشيد ونزل في بيت من بيوت بريدة في القصيم، وبذل الأطماع.

ثم دخلت سنة ١٣١٦هـ

ففيها انتدب الحاكم عبدالعزيز بن متعب لمقاومة ابن صباح، وجعل يشن الغارة على الكويت تمهيداً للهجوم والاستيلاء، لأنه طمع بالاستيلاء على الكويت وهو يبغي منفذاً على الخليج وذلك بسعي يوسف بن إبراهيم ولقد علم مبارك بالقصد الأكبر وما تقدم من التأليب عليه فأخذ يقلب الحيلة في الفكاك من عدوه والانتصار عليه هذا ويوسف يستنجد القبائل ويستجيشها بالأصفر الرنان ويشحذ عزمها ببذل الحطام على مقاومة ابن صباح ويؤلب.

فلما رأى مبارك ما تفتق عليه من الشر أرسل رسله إلى العراق مستنجداً بالدولة العثمانية فوجد يوسف قد سبقه إليها وأغراها بالأطماع فأرسلت الدولة حملة مؤلفة من أربع طوابير إلى بلد الزبير ضد مبارك بن صباح وجعلت تهدده وتوعده.

وفي هذه السنة ظهر ظلم آل رشيد ومنعوا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا يتكلم أهل العلم بشيء من أمور الدين فأنشأ الشيخ سليمان بن سحمان قدس الله روحه قصيدة تضمنت ذكر غربة الدين وإكباب الناس على حب الدنيا، وما جرى من تعطيل الأمر والنهي في ذلك الزمان، وباح بما عنده باكياً على غربة الدين وما حل من الغربة، ودهى من مرارة الكربة وهي تدل على عظمة منشئها ومبرزها للناس ومبديها:

على الدين فليبكي ذوو العلم والهدى ... فقد طمست أعلامه في العوالم
وقد صار إقبال الورى واحتيالهم ... على هذه الدنيا وجمع الدراهم
وإصلاح دنياهم بإفساد دينهم ... وتحصيل ملذوذاتها والمطاعم
يعادون فيها بل يوالون أهلها ... سواء لديهم ذو التقى والجرائم
إذا انتقص الإنسان منها بما عسى ... يكون له ذخراً أتى بالعظائم
وأبدي أعاجيباً من الحزن والأسى ... على قلة الأنصار من كل حازم
وناح عليها آسفاً متظلماً ... وباح بما في صدره غير كاتم
فأما على الدين الحنيفي والهدى ... وملة إبراهيم ذات الدعائم
فليس عليها والذي فلق النوى ... من الناس من باك وآس ونادم
وقد درست منها المعالم بل عفت ... ولم يبق إلا الاسم بين العوالم
فلا آمر بالعرف يعرف بيننا ... ولا زاجرٌ عن معضلات الجرائم
وملة إبراهيم غودر نهجها ... عفاء فأضحت طامسات المعالم
وقد عدمت فينا وكيف وقد سفت ... عليها السوافي في جميع الأقالم
وما الدين إلا الحب والبغض والولا ... كذاك البرا من كل غاوٍ وآثم
وليس لها من سالك متمسك ... بدين النبي الأبطحي بن هاشم
فلسنا نرى ما حل بالدين وانمحت ... به الملة السمحاء إحدى القواصم
فنأسى على التقصير منا ونلتجي ... إلى الله في محو الذنوب العظائم
فنشكوا إلى الله القلوب التي قست ... وران عليها كسب تلك المآثم

السنا إذا ما جاءنا متضمخٌ بأوضار أهل الشرك من كل ظالم
نهش إليهم بالتحية والثنا ونهرع في إكرامهم بالولائم
وقد برئ المعصوم من كل مسلمٍ يقيم بدار الكفر غير مصارم
ولا مظهر للدين بين ذوي الردى فهل كان منا هجر أهل الجرائم
ولكنما العقل المعيشي عندنا مسالمة العاصين من كل آثم
فيا محنة الإسلام من كل جاهلٍ ويا قلة الأنصار من كل عالم
وهذا أوان الصبر إن كنت حازماً على الدين فاصبر صبر أهل العزائم
فمن يتمسك بالحنيفية التي أتتنا عن المعصوم صفوة آدم
له أجر خمسين امرئٍ من ذوي الهدى من الصحب أصحاب النبي الأكارم
فنح وابك واستنصر بربك راغباً إليه فإن الله أرحم راحم
لينصر هذا الدين من بعد ما عفت معالمه في الأرض بين العوالم

وفيها ظهرت رائحة كريهة من جوف الكعبة أنكرها السدنة لنتنها، وكان رئيس السدنة إذ ذاك محمد بن صالح الشيبي، فكان في مصيفه بالطائف، وكان الأمير على مكة عون الرفيق، فلما بلغ ذلك رئيس السدنة أرسل ابنه إلى مكة ففتح الكعبة المعظمة وطفق يطلب تلك المادة ومن أين وجدت، فظهر أن سبب تلك الرائحة الكريهة من وقوع خراب في سقف الكعبة، فنزل ماء المطر من ذلك الخراب إلى جوف الكعبة فاجتمع منه مستنقع، تولد منه على طول المكث جراثيم، فظهرت من ذلك الرائحة الكريهة، فأزالوا ذلك المستنقع وتلك الأوساخ، ثم قلبوا النظر في سقف الكعبة المعظمة، فظهر أن الخراب وقع في فرش الرخام الذي على سطح الكعبة لكونه تصدع بعضه، فعمل الصناع لذلك معجوناً من النورة وزلال البيض والإسمنت وغير ذلك، وسدوا به الأشطاب، وأصلح إصلاحاً تاماً ومكث العمل فيه قدراً من نصف شهر.

وفيها أعلنت أمريكا الحرب على إسبانيا بخصوص تحرير جزيرة كوبا من ظلم الإسبانيين، وذلك بأنه قد رحل إليها جملة كثيرة من الإسبانيين واستطنوا بها، وبنوا

بها مدينة هافا، التي أخذتها إنجلترا منهم ثم ردتها إليهم بعد احتلال عشرة أشهر، وكانت قد أطلقة حرية التجارة بها قبل هذه السنة باثنتين وثمانين سنة وبلغت من الثروة مالم تبلغه جزيرة من جزيرة أنقيلة وقد شبت بها جملة ثورات تمكنت إسبانيا من إخمادها إلا ثورة قبل هذه السنة بثلاث سنين، فإنها قصرت قوتها عن إطفائها حتى انتدبت أمريكا لحربها إنقاذاً للجزيرة من جور الإسبان وظلمهم واستبدادهم، وقد تحقق مرادها وفازت على إسبانيا بنصر مبين، ونالت الجزيرة استقلالها التام ولم يبق لإسبانيا شيء بأمريكا أصلاً، وانطوى ذكرها من أرضها بعد أن كانت تملك أمريكا الجنوبية كلها ونصف أمريكا الشمالية فأكثر، وتنازلت إسبانيا عن كل حق وسيادة لها في جزيرة كوبا وبورتوريكو وأضيفتا إلى الولايات المتحدة وأبرمت الاتفاقية في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ١٣١٧هـ

في هذه السنة أكثر ابن رشيد من شن الغارات على ابن صباح وعلى الكويت، وقامت الدولة العثمانية تسعى ضده، فقد بعثت طوابيرها وقواتها نحوه فيا عجباً لك يا مبارك بن صباح، هذا ابن رشيد يهاجم كالذئب الغشوم والدولة العثمانية قد جهزت قواتها عليك، ويوسف بن عبدالله يؤلب القبائل ويشحذ عزمها بالأصفر الرنان.

وقد كان المال محبوباً فلما رأى ما أصبح به من الأخطار وما أحاط به من البلى، وأن يديه قد انطلقتا جاء أبوعجيمي سعدون فخرج معه بعشائره آل المنتفق ضد ابن رشيد، وأيضاً جعل حليفه الأكبر عبدالرحمن بن فيصل وعبدالرحمن وإن كان يومئذ، قليل ذات اليد وخلواً من القوى المادية إلا أن لديه قوة أدبية كبرى، وهي عطف أهل نجد عليه لأنه صاحب نجد السابق، وكان أيضاً عنده في الكويت، فتعاهد هو عبدالرحمن على أن يكونا يداً واحدة على ابن رشيد، وحصل لابن صباح مقصودة منه، فإن ابن رشيد لما اصطدم به هناك أظهرت هذه الصدمة له

عدواً جديداً لأهل بيته، وهذا العدو وهو عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي قام يشمر عن ساق الحرب ويريد هذا المغتصب لديار أبائه وأجداده، ولما أن تعاقد مبارك وعبدالرحمن على هذا الأمر، دعا به مبارك وأدخله خزائن مملوءة بالبنادق والبارود والسلاح والنقود والفلوس، وبعد ما أطلعه عليها قال: اعلم يا عبدالرحمن بأني أقسم بعزة الله وقدرته لأحاربن ابن رشيد ما بقي من هذه فلس، فاشتد عضد عبدالرحمن، وخرج بجيش من الكويت فأغار على عشائر قحطان في روضة سدير ومع أن الدولة تجهز على ابن صباح والأخطار محيطة به فإنه لم يفقد من عزمه شيئاً ولا تسأل عما فيه من الدهاء وحق له أن يسمى الحواقة فإنه قدر رمي بشبكتين في بحر السياسة دفعا للحرب واستعداد لها.

ثم إنه بعث إلى ابن رشيد نبأ يفاوضه في السلم والصلح فأبى الصلح وتجبر وعتى هذا وأبو عجيمي يطارده بعشائره، وكان ابن رشيد قد وصل أطراف العراق وهزم أبا عجيمي فبعث أبو عجمي إلى مبارك يستنجده ويطلب المدد، فعند ذلك جهز مبارك جيوشاً وخرج يقودها بنفسه، وقعد أخوه حمود، ثم إنه نزل الجهرى.

ولما أن رجع عبدالرحمن بن فيصل من غزوته، أرسل إليه مبارك أن لا يقدم الكويت ولا يشاهد عائلته، وكان له بذلك مأرب من السياسة، فقدم عليه عبدالرحمن بن فيصل وكان معه مبادراً إلى نجدة أبي عجيمي، وزحف بجنوده إلى السماوة متتبعاً ساقة ابن رشيد التي هزم أبا عجمي، وبلغ في إغارته أطراف العراق، وكانت الحملة التي جهزتها الدولة لحرب ابن صباح قد تأنت في المسير وأبطأت وذلك لكمال حظ مبارك بن صباح، فلبثت ستة أشهر بين بغداد والزبير كل هذا لعل الأمر ينقضي قبل وصولها، وأيضاً فإن الدولة تستجلب في عدم السرعة زيادة الأطماع التي بذلت لها من غير حسبان، ولما بلغ مبارك في زحفه ما بين الزبير والخميسية مانعت حكومة البصرة من سيره، فاستغرب ذلك مبارك وطلب مقابلة الوالي فوافاه إلى قرب الزبير، وبعد المفاوضة أذن لأخيه حمود وعبدالرحمن بن

فيصل أن يطاردا ابن رشيد فتتبعاه، ولما بلغ جيشهما عين صيد رجل عبدالعزيز بن رشيد من السماوة ثم عاد حمود وعبدالرحمن من مطاردة ابن رشيد.

فعند ذلك شرع مبارك بن صباح يعد القوة للغزوة الكبرى غزوة نجد، فاستفز القبائل واستثارها يريد مقابلة ابن رشيد، فلبته مطير بأجمعها ولباه العجمان وآل مرة وغيرهم من بوادي الجنوب، ثم جاء أبو عجيمي السعدون بعشائره من الشمال مع من كانوا كاتبوه من زعماء نجد، يعدونه بالمساعدة كآل سليم أمراء عنيزة وآل مهنا أمراء بريدة وغيرهم، ذلك لما قاسوه من حكم آل رشيد، فانضم عدد كبير منهم إلى جيشه وأصبح عدد جيش مبارك بن صباح عشرة آلاف مقاتل، وزحف هذا الجيش العرمرم الجرار يقوده أمير الكويت فجعل ابن رشيد يستجذبه شيئاً فشيئاً حتى وسطه من نجد، وجرى ما سنذكره في السنة التي بعدها.

وممن توفى فيها من الأعيان الشيخ المخضوب صاحب الخطب المشهورة:

وهو الشيخ العارف المحقق عبدالله بن حسين المخضوب صاحب ديوان الخطب، وكانت خطبه حسنة جميلة في بابها، وقد سلمت من الإلحاد والتعطيل كما يستعمله بعض من قلت بضاعته من العلم في الأسماء والصفات، وكان المترجم مقتبساً من علماء هذه الدعوة، وآخذاً عنهم وبينه وبينهم مراسالات ومجاوبات، وهو من بني هاجر من قحطان، وكان قاضي بلد الخرج، ووفاته في جمادى الأولى.

وفيها عقدت اتفاقية بين الحكومتين الإنكليزية والمصرية بحق السودان مشتركاً بينهما، ذلك بعدما تسلطت مطامع الدول الأوربية على السودان، فجاءت إيطاليا واستولت على كسلا، ثم تقدمت فرنسا من جهة الكونغو على أقليم بحر الغزال، فلما رأى الإنكليز تطفل الأوربيين على السودان انتدبوا لاسترجاعه ووافقهم السعد على ذلك، وبعد استرجاعه أخذوا في تنظيم إدارته، وبعد ذلك عقدت هذه الاتفاقية.

وممن توفى فيها من الأعيان الشيخ نعمان أفندي الآلوسي الحنفي البغدادي، وكانت وفاته في محرم في هذه السنة.

ثم دخلت سنة ١٣١٨هـ

استهلت هذه السنة والحرب قائمة بين ابن صباح وابن رشيد، واضطرمت نيرانها، وكان لما سار مبارك بن صباح زاحفاً بجيشه الذي ألفه من مطير والعجمان وآل مرة وأبي عجيمي وعشائره وآل سليم وآل مهنا، جاء يقطع الصمان ثم الدهنا بهذا الجيش الذي عدده عشرة آلاف، وكان في جيشه عبدالرحمن الفيصل وابنه عبدالعزيز بن عبدالرحمن، فنزل على ماء يدعى الشوكي دون الدهنا، ولما أن نزل عليه، طلب عند ذلك عبدالعزيز بن عبدالرحمن من والده أن يأذن له بالإغارة على البوادي من أهل نجد ممن كان في ولاية ابن رشيد ليتقوى بما يأخذه منهم على محاربة ذلك العدو المريد والفاجر العنيد عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، وكانت هذه أول نزعة نزعها صاحب الجلالة والمهابة الشاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وكان عمره إذ ذاك عشرين سنة، فأذن له والده وطلب من مبارك قوة يسير بها نحو الرياض ليفتحها، وذلك لما قام بهذا النجل من الحماسة التي قضت له طلب الخروج معهم في هذه الغزوة، ولما أن بلغ ذلك الموضع طلب هذه المسألة يريد أن يشفي كلومه:

فقام لأخذ الثأر يشفي غليله ... لعل إله العرش يؤتي ويفتح
بهمته العليا على غير قوةٍ ... ولكنه بالله يسعى ويكدح
يريد بلاداً ملكها غير حاصلٍ ... وما بالهوينا بابها يتفتح
على كل ذي جبن حرام حصولها ... ومن دونها نار تعوم وتلفح
تخير فوق الصافنات مقامه ... ولا في هوان مستريحاً ويمنح
ومشروبه لو كان مراً وحنظلا ... ففي طلب الأوطان أحلى وأقرح
يخوض بحار الهول حمراء يصطلى ... بنيرانها للنفس يرمي ويسبح
إذ العز في حامي الوقائد جنةٌ ... أجل وأبهى من ديار تنزح

فسير معه مبارك بن صباح ألف رجل من البادية ليستولي على الرياض، فزحف عبدالعزيز بجيشه من الشوكي يريد الاستيلاء على الرياض، وزحف مبارك بجيوشه يريد الخصم الألدّ، ولما زحف مبارك احتل في طريقه بلداناً عديدة في نجد

بدون قتال، بل كان أهلها يرحبون به لعلمهم أن حليفه هو ابن سعود، أما ما كان من أمر ابن رشيد فإنه جعل يتقهقر حتى جر العدو إلى قلب القصيم، فوقف له بعد ذلك في الصريف التي يبعد ١٥ ميلاً من بريدة إلى جهة الشمال.

ذكر واقعة الطرفية سنة ١٣١٨هـ

لما كان في ٢٦ من ذي القعدة إلتقى الجمعان في ذلك الموضع واشتبكا في القتال، وكان الحاكم عبدالعزيز بن متعب معه من الجنود ما يكافي به خصمه، فمعه عشرة آلاف مقاتل أو يزيدون، فجرت الملحمة طيلة ذلك اليوم، واستعرت نار الوغى، واصطلى بها الفريقان، ثم إنها انفصلت الواقعة بهزيمة ابن صباح وجنوده فولوا الأدبار بعد ما قتل منهم مقتلة كبرى، وكانت الواقعة من أعظم وقعات العرب الحديثة، ودارت فيها الدوائر على ابن صباح ومن معه، وأخذ منهم شيء كثير من عتاد الحرب والأموال، وعاد منهزماً بمن سلم معه من الجيش إلى الكويت لا يلوي أحد على أحد، وقتل أخوه وابنه وقتل من الأعيان خلق كثير.

ولما ظفر ابن رشيد ذلك الظفر كان قاسياً عتياً، فتتبع الفلول المنهزمين وأوقع بهم إيقاعاً شديداً، وقتلهم صبراً، واستعمل شراسة نفرت القلوب من حكمه لأمر يريده الله تبارك وتعالى، ثم زحف ونكّل بأهالي نجد من البلدان الذين كانوا أسلموا إلى صاحب الكويت وأظهرو الميل إلى ابن سعود تنكيلاً فظيعاً.

وكان الأمير على بريدة من قبل ابن رشيد الرجل المدعو بالحازمي، وكان لما سمع بقدوم ابن صباح إلى الموضع المعروف بخب العكرش على قدر ميلين من بريدة إلى جهة الشرق، قام من مجلسه في فسحة ترادف المسجد الجامع من الشمال مبادراً إلى قصر الحكم فدخله وجنوده وأغلقوا الباب، فقام أهل بريدة يرحبون بالإمام عبدالرحمن بن فيصل، وصفت الجنود للاستعراض، ودخل عبدالرحمن خلفه الجنود يصفقون فرحاً ثم ساروا إلى موضع الواقعة، ولما انفصلت عن تلك الصفة التي ذكرنا، أزال ابن رشيد الحازمي جعل مكانه سالم بن سبهان لما يعرفه عنه من شدة العسف والجبروت.

ذكر قتل الأسراء بعد الوقعة وما جرى من ابن رشيد من الظلم والجراءة التي سيجازيه الله عليها وقد قتل وما بلغ مراده

فنقول لما انهزم ابن صباح وجنوده وولوا الأدبار لا يلوي أحد على أحد، أقام ابن رشيد أميره سالم بن سبهان وأمره أن يتبع الفلول حتى جمع خلقاً كثيراً، فأودعوا في الحبس.

ثم نصب الأمير سالم خيامه بين بريدة والصريف بعدما امتلأت السجون، فكان يقتل من وجده ولا يرقب فيهم إلاً ولا ذمة، وكانت القتلى في حال الوقعة لا تزيد عن ثلاثمائة، ثم إنه جلس الحاكم عبدالعزيز بن متعب على دكة وأمر بالأسراء أن يصبروا بين يديه، وكانوا أربعمائة، فجيء بهم يسحبون بين يديه على وجوههم وقتلهم واحداً بعد واحد، وسخر أناساً يسحبونهم بعد القتل وهو ينادي لا تدفنوهم مع المسلمين.

وقد حدثني ثقة من المسخرين، قال: كنت ضئيل الجسم إذ ذاك، وأدركتن الرحمة، فكنت لا أتمالك من البكاء، وعجزت عن العمل فشتموني وطردوني، ثم إنه أتى ابن رشيد برجل شاب من أهالي الكويت يريد أن يفتدي نفسه بعشرة آلاف ريال، فأبى أن يقبلها وقلب فيه النظر قائلاً: نحن لا نريد الفلوس، إنما نريد الرقاب ثم قتله.

وممن قتل فيها من أعيان أهالي بريدة دحيم بن محمد الربدي[1] وقتل ابنه سليمان.

---

(1) كان قد قام سبهان وذهب بعبدالرحمن الربدي إلى عبدالعزيز بن متعب بن رشيد يريد أن يأخذ له وجاهة ليسلم من القتل، ولما قدم به على عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، كان قد قتل من بيت آل رشيد مهنا وسالم أبناء حمود العبيد بن رشيد، فلما خاطب سبهان الحاكم ابن متعب بشأن الربدي تقدم أبناء حمود العبيد وعمهما عبدالله العبيد آل رشيد وأناس من آل رشيد عددهم إثنا عشر وقالوا لسبهان: والله لإن لم تحضر دحيم الربدي لنقتلنك به، فأحضر الربدي وقتله بن متعب بالذين قتلوا من آل رشيد.

غريبة عجيبة

حدثني ثقة عن عبدالله القصير أنه قال: أتى سالم بن سبهان وهو في مقامه إذ ذاك في البرية برجل من قوم ابن صباح، فلما وقف بين يديه قال: غدوه كناية عن قتله، فقال أيها الأمير أمهلوني لأصلي ركعتين قبل الموت، فقال له صل ما بدا لك فوالله لا ينجيك الله وصلاتك من القتل، فقام ليؤدي الركعتين والحرس قد أحاطوا به حتى يفرغ، فلما كان في التشهد طار من بين أيديهم فلا يدري آين ذهب، قال: فأشهد بالله لرأيته بعيني ورجلاه تخط بالأرض قدراً من خمسين باعاً وهم ينظرون، ثم إنه ارتفع فلا يدرى إلى أين ذهب والله على كل شيء قدير، والقدرة صالحة.

ولا ريب أن من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء[1] وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في العلوم والمكاشفات وأنواع المقدرة، والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم.

كما كان أبو مسلم الخولاني مشهوراً بإجابة الدعوة، فكان يمر به الضب فيقول له الصبيان ادع الله أن يحبس علينا هذا الضب، فيدعو الله فيحبسه حتى يأخذوه بأيديهم.

وكان العلاء بن الحضرمي في سرية فعطشوا، فصلى ثم قال: يا عليم يا حكيم يا عظيم إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ، ولا

---

(1) وأمثال هذا الظلم كثير، فقد أتى إلى سالم بن سبهان بشاب وكهل، فقال له سالم: قم إلى جانب حفرتك لئلا تؤذينا بنقلك بعد قتلك بدمائك، فقام وجلس على ضفة الحفرة فأطلق عليه البندقية، فسقط يتضرج بدمائه، ثم قال الأمير سالم للشاب قم واجلس إلى جانب صاحبك، فقال الشاب يا سيدي يقول الله «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» فقال وأيضاً تعرف القروة، أي «القراءة» ثم ضربه بعقب البندقية وانتهره، فقام الشاب إلى جانب صاحبه واستسلم للقتل بأن جعل يديه على رأسه، وكان هدفاً للقتل، فأطلق عليه البندقية فحبسها الله عنه، ثم أطلقها ثانية وثالثة ورابعة وهي تحبس، ثم جاء الأمر إلى الجلادين من الحاكم ابن متعب بالتوقف عن القتل، فسلم الشاب وفرّ على وجهه وكتبت له النجاة.

تجعل لأحد فيه نصيباً غيرنا، فساروا قليلاً فوجدوا نهراً من ماء السماء يتدفق، فشربوا وملؤا اواعيهم، ثم ساروا فرجع بعض أصحابه إلى موضع النهر فلم يروا شيئاً، كأنه لم يكن في موضعه ماء قط.

وكان حبيب العجمي أبو محمد معروفاً بإجابة الدعوة، دعا لغلام أقرع الرأس، وجعل يبكي ويمسح بدموعه رأس الغلام، فما قام حتى اسود رأسه وعاد كأحسن الناس شعراً.

وأتى برجل زمن في محمل، فدعا له، فقام الرجل على رجليه فحمل محمله على عنقه ورجع إلى عياله، وهذا باب واسع لا يمكن استيعابه، وإنما المقصود ذكر هذه الواقعات وما جرى فيها من العجائب.

وفي هذه السنة جعل ابن رشيد في قضاء بريدة بعد الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم الشيخ الصالح بن قرناس، وكان من أهالي بلدة الرس المشهورة، كما جعل أميراً في بريدة بعد سعد الحازمي سالم بن سبهان.

ثم إنه دعا عبدالعزيز بن متعب بن رشيد بزعماء بريدة وأودعهم السجن، وعزم على قتلهم من آخر النهار، وكانوا خمسة وعشرين شخصاً، فلما عقد عزمه على ذلك قدر أنه كان رجل من أتباعه يدعى ناصر بن عتيق قد علم بما بيّته لهم، فذهب إلى ماجد بن حمود بن رشيد، فوجده على فراشه من آثار جراح أصابه في تلك الحرب، فانطرح منكباً على وجهه يبكي وقال: يا ماجد أما علمت أن ابن رشيد قد عزم على قتل زعماء بريدة، فهاهم الآن في السجن وقد أمر بضرب أعناقهم بعد العصر من هذا اليوم، فإن رأيت أن تجعلها في ميزان حسناتك فتشفع لهم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فإنك ممن يؤمل لمثلها، فقام ماجد واستوى جالساً وأمر بالفرس أن تسرج.

ثم إنهم حملوه على ظهرها فذهب إلى قصر الحكم في بريدة، وكان ذلك في منتصف النهار، فاستأذن في الدخول على الحاكم ابن متعب، وقد نام في القيلولة، فأدخل عليه ولما توصل إليه خاطبه بقوله: يا عبدالعزيز قد جئتك متوجهاً لزعماء

بريدة لتعفو عنهم، ثم أخذ البندقية وجعلها في ثغرة نفسه وأقسم بالله العظيم لئن لم تعفو عنهم وتطلق سراحهم إلى أهليهم ليطلقن البندقية على نفسه وينتحر، فرفق له ابن رشيد بصفته القريب المخلص له، وأمر بإخراجهم من السجن، وصفح عنهم، ثم أشار عليه ماجد بأن يأخذ أمواله، فإن المال أسهل من النفوس.

ثم إنه جعل ـ أعني ابن رشيد ـ على تجار أهل القصيم ضرائب، كل تاجر ثلاثة آلاف أو ألفين يريد أن يضعف شوكتهم، وسخر أهالي البيوت يطحنون له، وأصدر أوامره على أرباب البقر أن يحلبوها ويمخضوا الألبان ويبعثوا بها إليه.

وقد حدثني أحد شيوخ الصحراء قال: إنه جعل على أهل قريتنا في يوم واحد ست ضرائب، فسألته؟ فقال: لما كان بعد صلاة الصبح جاءنا رسول يقول: نريد تمراً فجمعنا له ستمائة وزنة، ولما بعثنا بها إذا بأخر يقول نريد عليقاً لخيل الحاكم، فبعثنا بمئتي صاع من الشعير، فلم نلبث أن جاء رسول ثالث يقول: اجمعوا برسيماً وأرسلوه في الحال، فجددنا ستمائة وزنة وبعثنا بها إليه، فلما كان بعد الظهر إذا بخادم ابن رشيد يقول: نريد حطباً لعشاء الحاكم، فأخذنا ما في بيوتنا من الحطب وبعثنا إليه بجملين، ثم إنه بعث إلينا رسولاً حوالي الليل يقول: إن زكاتكم لم تصل، وكان بذلك كاذباً، فأديناها ثانيةً، وجاء رسول يقول: نريد تبناً للمواشي، فهذه ست ضرائب في يوم واحد، وانتهت هذه الوقعة المشهورة بواقعة الطرفية، وكان الأولى بها أن تنسب إلى الصريف لقربها منه.

رجعنا إلى ذكر الشاب المحبوب عبدالعزيز بن عبدالرحمن، فنقول لما سار من الشوكي يؤم الرياض، قد سار جنوباً بغرب يريد الاستيلاء على عاصمة أجداده واستردادها، وصلها بعد يومين، وكان في باكورة أعماله وغزواته موفقاً، فاحتلها أو كاد لكن حامية ابن رشيد اعتصمت بقصرها الحصين، فحاصرها فيه وعزم على أن يستولي عليه لأنه شرع ورجاله في حفر نفق إليه، وباشروا هذه المهمة لولا أن وافته أخبار هزيمة مبارك في الصريف، فتركها ولوى عنانه راجعاً، ولكنه استفاد من هذه الغزوة كيفية مأتى الحصول على حصن الرياض الأعظم، وعاد برجاله إلى الكويت.

ثم دخلت سنة ١٣١٩هـ

استهلت هذه السنة والشيخ محمد بن عبدالله بن سليم مقيم في منفاه قرية النبهانية وفي معيته نجله عمر بن محمد بن سليم، وكذلك الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم مقيم في بلد البكيرية.

ويلاحظ على الشيخ محمد بأن لا يكون له مجالس للتدريس، لئلا يتحزب له أحزاب لزعمهم الفاسد بأنه يضل الناس وكذبوا وأعظموا الفرية ويأبى الله له ذلك بل كان هادياً ومهدياً.

وسبب نفيه وإهانته وشاية الأعداء به إلى ابن رشيد وإنه يمالي على آل رشيد.

وكان من جملة ما وبخه به أن قال: أما كان في عنقكم بيعة لي يا ابن سليم، وتخرج لاستقبال ابن صباح ومبايعته، فأنكر الشيخ ذلك فتوعده ونفاه إلى النبهانية.

ولما قدم إليها استقبله أهلها وهيأوا له بيتاً مجاوراً للمسجد الجامع، وجعلوا فيه ضيافة على قدر وسعهم، وجاءت عجوز تقول: إني أريد أن أساهم في كرامة الشيخ ولا أقدر على غير تنظيف طريقة وقمه، فكانت دائماً تتعامد طريقه.

ولما أصبح في هذه القرية كان لا يتمكن من التعليم والتدريس وإذا أراد أن يدرس عليه ابنه فإنهما يخرجان إلىالصحراء خشيةً من الأعداء الذين يوعزون إلى ابن رشيد بأنه على تدريسه وتعليمه، لأنه بذلك يريد أن لا ينشر علمه، فتفرد به ابنه الشيخ عمر بن محمد وانتفع بعلومه وجدّ واجتهد حتى نال قصبة.

وسمعت عن شيخنا عمر رفع الله درجاته يقول: بينما نحن مرة في حال إقامتنا في النبهانية ونحن في شدة حذر من عيون ابن رشيد التي ترقبنا، استأذن في الغداة رجل قائلاً السلام عليكم، فأنكرنا أن يكون حوالينا من يحسن الاستئذان الشرعي، فلما فتحنا الباب إذا به الأخ في الله عبدالعزيز بن عبدالله بن فداء فاستغربنا مجيئة إذ ذاك وأدخلناه في بيتنا وإذا هو جاء لطلب العلم على والدي في ذلك المنفى، ففرحنا به وخفنا من شر الأعداء، وكان والد عبدالعزيز قد أذن له بالسفر نحو الشيخ أن

أمن من الزلازل والمحن، وكان رجلاً ناسكاً تقياً عارفاً بعلوم الدين، وعلم العقيدة، فرحمة الله على روحه.

ولما أن عزل الحاكم عبدالعزيز بن متعب أئمة المساجد وأبدلهم بأخرين على ما تقتضيه إرادته، كان من بين أولئك الأئمة أمام قرية اللسيب، وكان معتزلاً وله سجع مليح في الكلام، فدعا به ابن رشيد إليه وقال: أيهاً يا مطوع اللسيب ينسبون إليك كليمات فما هي؟ فأجابه نعم كنت أقول أن ابن رشيد يأخذ من الزاعب ويعطي اللاعب، وقد كنت أقول أنا في نقرة في الغميس غاب عنها إبليس، ولا علمت بفعل الجواسيس، فضحك منه ابن رشيد والتفت ضاحكاً إلى ماجد بن حمود يقول: صدق ولم يتعرض له بسوء.

ولما ولي في القصيم وعزل وأحكم وأبرم، زحف يريد الكويت وأعاد الكرة على ابن صباح، فنزل في الحفر المعروف، وكان يقع في منتصف الطريق بين القصيم والكويت، وذهب يوسف بن عبدالله آل إبراهيم يهيج عليه الدولة، وكانت شكوى الموتورين أبناء أخوي مبارك وشقيقه قد وصلت إلى الأستانة، ففتحت لها الدولة إذنها وأصاخ لها الباب العالي وأنذر صاحب الكويت، فسيرت الدولة إلى الكويت باخرة حربية، وكانت هذه الباخرة تحمل عدداً من الضباط وكثيراً من الجنود، وسلم إلى مبارك رسالة تتضمن توليته منصب عضو في مجلس الشورى لديها في الأستانة لتمسك بزمامه أو يغادر الكويت إلى أي بلاد أرادها، وحينئذ تعطيه الدولة راتباً ضخماً، هذا وابن رشيد قد زحف على أطراف البلاد وهم بالهجوم على الجهراء، فأحاطت بمبارك الأخطار، ولما رأى نفسه وبلاده في شبه الحصار، أرسل إلى أبي شهر يستنجد الإنكليز ويستفزعهم، فجاء بعد ثلاثة أيام مركب عظيم من بريطانيا العظمى نصرةً لابن صباح، وكان هذا المركب حربياً عظيماً فرسى في مياه الكويت عشرين يوماً، فتلبدت الثائرات على مبارك وجعل يجهز الحملة الثانية على ابن رشيد، بل زحف إلى الجهراء والمركب الحربي البريطاني سائر في مرأى من الجيش إليها ولسان حاله يقول: أتبغون حصاري براً وبحراً ها أنا ذا جئتكم بحراً وبراً

بالقوات التي لا تغلب إذا جارت الدولة العثمانية بقهرها علينا، فهنا دولة أعظم منها وهي إنكلترا، فلما سار المركب البحري الحربي لنصرة ابن صباح، لم يطلق مدفعاً إلا أن مدير أعمال الحرب في هذا المركب إذن ببعض المدافع الرشاشة، فأنزلت في الزوارق إلى البر ومعها ضباط، ثم أطلقت الأسهم النارية على ابن رشيد وجنوده في الليل على الفضا فكان لها التأثير المطلوب، فعند ذلك فرّ ابن رشيد وجنوده عندما رأوا النيران انطلقت من الأطواب قد اشتعلت في السماء، وبعد هذا الحادث علم الشمري أنه بدون مساعدة الدولة مباشرةً لا يستطيع الاستيلاء على الكويت، فعاد بجيشه إلى الحفر وشرع يفاوض الترك في بغداد، فلما علم مبارك بذلك اغتنم أن يشغله بنجد وراء الدهنا، وكان عبدالعزيز بن عبدالرحمن يلح على والده ليستأذن مباركاً بإعادة الكرة على الرياض، وذلك بالمبالغة منه، ولقد كان السعد في وجود آل سعود خادماً لمبارك بن صباح، فعند ذلك أجاب مبارك قائلاً حباً وكرامة.

ذكر فتح الرياض في هذه السنة على يدي صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود

ففيها نهض الشاب عبدالعزيز وعمره إحدى وعشرون سنة، وقد كانت حالة لا تساعده على المخاطرة بغزو يكون من الجماعة وهم أربعون رجلاً من عائلة آل سعود ومواليهم المخلصين لهم السابقين، وأعطى مبارك بن صباح عبدالعزيز بن عبدالرحمن أربعين ذلولاً وثلاثين بندقاً ومئتي ريال وبعض الزاد فكانت الحملة مؤلفة من أربعين رجلاً وأربعين بعيراً ولا ريب أنها حملة ضعيفة وعبرة للمعتبرين، وقد قال الله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤٩]، نهض هذا الشاب يقود هذه الحملة معتمداً على إيمانه الصادق بالفوز المطلوب، غير يائس معتمداً على الله، فلله من هذه الجراءة العظيمة التي لم ينلها سواه، وقد كان يجمل بمبارك بن صباح أن يقوي هذا الجيش ويشد

عزمه ويساعده بكل ما يؤمن، ولكنه خرج بنفسه ليشيعه ويهيجه: يا ولدي داو جراحي وخذ لي بالثأر من عدونا، يا وليدي أشف صدري من هذا العدو العنيد، وجعل يدعو له بالنصر والظفر.

ونهض هذا الشاب نهوض الليث يلقي بنفسه ولا يهاب الموت، وفي كلام الحكمة من طلب المخاطر تحمل الأخطار.

نهض يطلب ملك آبائه وأجداده ونار عزمه تأجج، وكان قد رأى في منامه وهو مقبل لفتح الرياض كأنه نفخ سراجاً فانطفأ، فشد ذلك عزمه وزحف متفائلاً مصمماً لا يثني عزمه شيء.

ثم إنه لما زحف بهذه القافلة يؤم الرياض، استفز القبائل والبوادي فأتاه شراذم من العجمان، وأنضم إليه بني مرة وسبيع والسهول وغيرهم.

ولما أن بلغ حرض، كان قد اجتمع إليه ألف وأربعمائة مقاتل منها أربعمائة خيال وألف ذلول، فاشتد عزمه وذهب يقطع الصمان والدهنا إلى أن وصل إلى موضع في نجد يسمى العرض فغزا هناك عرب قحطان الذين هم تبعاً لابن رشيد، فأصاب منهما مغنماً كبيراً، وعاد إلى ناحية الأحساء، فعندما علم ابن رشيد بهذه الغزوة هجم في أطراف الكويت على قبائل عريبدار ليظهر انه لا يبالي بمثل هذا العدو الذي ليس له بكفؤ، ولمأمون عبدالعزيز بن عبدالرحمن جيشه في الحسا، خرج غازياً مرةً أخرى فوصل إلى سدير وشن الغارة على قبائل الدواسر ومطير وغيرها كقحطان في موضع يسمى عشيرة، فأخذها ورجع بالغنائم فنزل ثانيةً في الأحساء وكان جيشه يزيد، فأصبح معه ألف وخمسمائة ذلول وستمائة خيال.

فلما جرى ذلك عاد ابن رشيد بجيشه إلى الحفر وبعث رسولاً وهو الحازمي إلى أمير قطر قاسم بن ثاني يستنهضه على هذا العدو الجديد، ثم كتب أيضاً إلى حكومة البصرة لتحرض حكومة الأحساء بطرد ابن سعود، ومن تلك النواحي تحريض البوادي عليه.

فلما أن أعمل الحيلة وأجابته الدولة، فمنعت ابن سعود وعشائره عن الميرة منها والقدوم إليها شرد، خوفاً من ابن رشيد وقومه أكثر من ألف ذلول ومائة خيال من قوم ابن سعود، غير أن ابن سعود لم يكن ليبالي بهم لأنه لم يعتمد إلا على من كانوا معه من الرجال الأربعين، ثم غزا عبدالعزيز في جنوب نجد وأغار هناك على قبائل من الدواسر ولم يصب كبير مغنم ولكنه عاد إلى ناحية الأحساء، وكان ذلك في الشتاء، فتفرق البدو طالبين المرعى لمواشيهم، وما كان يربطهم بابن سعود إلا حب الكسب فمن اين يمكنه أن يلزمهم على البقاء.

ولما أن تفرق من معه بسبب امتناع بعض قواد الأعراب عن مساعدته لأجل تضييق الدولة عليه، بعث إليه والده والأمير مبارك بن صباح بكتاب يسألانه فيه الرجوع إلى الكويت، فخالف هذه الفكرة، وأبى ذلك، وسار برجاله جنوباً إلى مكان حرض وواحة يبرين، فأقام به شهراً.

وواحة يبرين هذه قرية كانت حول الأحساء تبعد عنها مسافة، وكانت ذات عمران واسع وشهرة كبيرة تدل عليها بقية آثارها الكثيرة ونخيلها الكثيفة الملتفة، وهي الآن من مساكن بني مرة، وما زال ابن رشيد في الحفر يستنجد الأتراك ويستحثهم على عدوه الجديد بل على آل سعود حتى قطعت الدولة معاش كبيرهم وسدت أبواب الأحساء على صغيرهم فتشتت جيش عبدالعزيز.

فلما تحقق ما عمله ابن رشيد من الحيلة وتعذر الوصول إلى بعض تلك الأقطار للامتياز، وصعب عليه تموين جيوشه حتى تفرقت عنه خوفاً من أعدائه المتألبة، وهذا شأن البدو في كل زمان ومكان، ولم يبق معه سوى ستين رجلاً من الجيش الذي بلغ عدده ألفين إلا عشرين عند ذلك نهض لما أراد ابن رشيد حصره إلى جهة الربع الخالي وصمم على المضي إلى الرياض ليضرب ضربةً قاضية إما عليه أو على خصمه، وعزم على الهجوم على الرياض ليستولي عليها أو يقتل في سبيلها، فزحف بهؤلاء الستين البسلاء ويمم جهة الرياض وذلك في خامس شهر رمضان، فلما كان ليلة عيد الفطر إذا قد بلغوا أبا جفان.

ثم ساروا في ثاني يوم من شوال إلى حدود الرياض ونزلوا في الساعة الثالثة عربية من الليل، ليلة رابع شوال في جبل على مسافة ساعتين من الرياض، فعندها ترك عبدالعزيز عشرين رجلاً من قومه هناك كجيش احتياطي، وتقدم بأربعين مقاتلاً من هؤلاء أخوه محمد بن عبدالرحمن وعبدالله بن جلوي ابن عمه، ولما أن وصل إلى البساتين خارج السور أقام محمداً وثلاثين هناك، ومشى بالعشرة الباقية على غرضه.

صفة حراسة الرياض

كان ابن رشيد لما استولى عليها قطع كثيراً من نخيلها تشفياً وانتقاماً، وهدم أسوارها كلها خشية أن تعصيه ثانيةً، وتناوئه واكتفى بالحصن الذي تسكنه الحامية، وقد وقف هذا الحصن في وجه جلالة الملك في هجومه الأول، ولولاه لتم له مرامه ولتمكن من بناء السور أثناء اشتغال خصمه بمحاربة ابن صباح، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها، وقد أفادت ذلك خبرة بهذا الحصن، وكان ذلك الحصن قلعتان واحدة في ضمن الأخرى شيدهما ابن رشيد وجعل فيهما تسعين حارساً رئيسهم عجلان، وكان عجلان هذا من مولدي أهل حائل وكبير الحامة من قبل ابن رشيد، وكان عبدالعزيز لما مشى بالعشرة يؤمل أن يجد عجلان في بيت زوجته خارج الحصن الداخلي ولكنه لم يتمكن من الدخول إلى الحصن الخارجي، أي حصن السور إلا من البيت المحاذي، وهو لفلاح يتجر بالبقر، فقرع عبدالعزيز الباب كأنه من رجال الأمير: عجلان يبتغي شراء بقرة للمضيف؟ فأجابته امرأة تقول: من أنت؟ فقال: أنا رجل من رجال الأمير عجلان، أريد من زوجك أن يشتري لنا بقراً صباح الغد، فأجابته المرأة بقولها أخسأ فما جئت تبغي البقر يا فاجر بل جئت تبغي الفساد، فأجابها عبدالعزيز: لا والله يا خالة ما أريد الفساد بل أبغي صاحب هذا البيت، فإذا لم يخرج إلي الآن فإن الأمير سيقتله صباح الغد، سمع صاحب البيت هذا التهديد فجاء يفتح الباب.

وكان عبدالعزيز يعرفه من الهجوم الأول في السنة الماضية ويعرف حريمه وفيهن

من كن يخدمن سابقاً في بيت آل سعود، فلما خرج أمسكه بيده قائلاً: إذا تكلمت قتلتك في الحال، فصاح النساء وقد عرفنه قائلات: عمنا، عمنا عبدالعزيز، عبدالعزيز، وجعلوا يستبشرون مع ما هم فيه من الخيفة عليه؛ فقال: لابأس عليكن إذا سكتن، قال هذا وأدخلهن في غرفة وأقفل عليهن الباب.

ثم تسلق الجدار إلى البيت الآخر عند الحصن فإذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد، فلفهما بالفراش وحملهما إلى غرفة صغيرة فأودعهما فيها وأقفل الباب فاطمأن من عبدالعزيز البال وأرسل يطلب أخاه محمداً والباقين، فجاءوا من غير أن يشعر بهم أحد، واجتمعوا في ذلك المكان، وكان البيت الآخر إلى جانب الحصن للأمير عجلان وفيه إحدى نسائه وهو يزورها تارةً بالليل وطوراً بالنهار، فمشى عبدالعزيز وعشرة من رجاله إلى ذلك البيت فدخلوه وطافوا بغرفة، فوجدوا في أحدها اثنين نائمين على فراش واحد ظنوهما الأمير عجلان وزوجته، فدخل متسللاً ومعه رجل يحمل سراجاً، فلما دنا من الفراش، رفع الغطاء فإذا هما امرأتان، فأيقظهما فاستوتا جالستين دون أن يعروهما شيء من الخوف، إحداهما زوجة عجلان والثانية أختها زوجة أخيه فعرفته زوجة عجلان وبادرت تقول: أنت عبدالعزيز؟ فأجابها يقول: نعم، فقالت: من تبغي؟ أجابها يقول: أبغي زوجك، فقالت : أخشى عليك من عجلان فإنه ذو بأس، فقال لها: ما سألناك عن هذا، إنما نريد أن نعرف متى يخرج عجلان من الحصن الداخلي؟ فقالت: لا يخرج إلا بعد طلوع الشمس بساعة.

فقال لها: هذا كل ما نبغيه منكن، ولابأس عليكن إذا سكتن، يقول هذا الكلام وهو ورجاله يسوقون المرأتين وبقية النساء إلى غرفة واحدة، فحبسوهن وأوصدوها عليهن، ثم كسر الباب الذي يوصل إلى البيت الذي فيه بقية الرجال، فدخلوا منه واجتمعوا كلهم في بيت عجلان.

وهذا كله إلى تمام الساعة الثامنة ليلاً، ثم استراحوا وأكلوا طعام العشاء تمراً وشربوا عليه القهوة، وناموا ليلاً ثم جعل يشجع أصحابه ويزمرهم ويقول: آمالنا

أو نعذر، وما فاز باللذات من ليس يقدم، فجعلوا يدبرون حيلةً للهجوم على الحصن الداخلي، فلما لاح الصباح، قاموا متأهبين وراء الباب وقوف الأسود لفرائسها ينتظرون عجلان ليهاجموا الحصن الذي هو فيه عند فتحه، وكان بابه مقابلاً لباب البيت الذي هم فيه تفصلهما فسحة فيها مرابط الخيل، وكان من عادة عجلان إذا خرج من الحصن صباحاً يتجول فيها ويتفرج على الخيل ثم يؤم بيته لشراب القهوة عند أهله.

فلما أن ذر قرن الشمس يوم خامس شوال سنة ١٣١٩هـ فتحت خوخة باب القصر وخرج بعض العبيد ليخرج الخيل إلى الشمس، ثم خرج الأمير عجلان على عادته فانقض عليه عبدالعزيز يعدو نحوه والسيف مسلول بيمينه معه خمسة عشر رجلاً من بينهم أخوه محمد وابن عمه أبوفهد عبدالله بن جلوي، فارتد عجلان فاراً لما رأى الهائعة ورجاله يركضون خلفه، ولكن باب القصر قد أغلق ولم يبق غير الخوخة مفتوحة، ولما أراد عجلان أن يدخل مسرعاً رماه عبدالعزيز برصاصة فجرحته فأدركه عبدالعزيز وقد دخل نصفه وكاد أن يدخل لولا أن عبدالعزيز أمسك برجله فجره إلى الخارج، هذا وقد رماه عبدالله بن جلوي بحربه فأخطأه ودخلت بالباب فانكسرت ولا تزال موجودة حتى الآن.

ولما جذبه عبدالعزيز تصارعا كلٌ يريد الفتك بصاحبه، وانفلت عجلان فاقتحم عبدالله بن جلوي الباب وراء عجلان فأرداه بطلق ناري وجلله بعد ذلك بالسيف، فخر لوجهه قتيلاً وقد صعد رجاله إلى أعلى الباب وجعلوا يطلقون النار من المصاليت على رجال ابن سعود، فجرحوا أربعة وقتلوا اثنين، وذلك لما جاءت السهام من فوقهم.

فصاح عبدالعزيز بالباقين من رجاله فاقتحموا الباب وأخذوا يقتلون الحامية ففتكوا بهم ولم يبق منهم سوى عشرين رجلاً تحصنوا ببرج من أبراج القصر، فأمَّنهم عبدالعزيز على حياتهم ونزلوا سالمين، وقد صبت الدماء من السقف حوالي باب القصر على الحائط، ثم خرج المنادي يصيح بالأسواق الحكم لله ثم لعبدالعزيز

بن عبدالرحمن، فدهش الناس من الفرح وأقبلوا نحو القصر زرافات ووحداناً يسلمون عليه ويبايعون على السمع والطاعة ويحمدون الله على خلاصهم من إرهاب آل رشيد وعسفهم، فأمرهم على الفور ببناء السور وترميم المتهدم منه، ففزعوا في الحال وأتموه في نحو خمسة أسابيع.

ومما قال الأديب الشاعر الأثري حسين بن نفيسة قصيدة افتتحها بحمد المعز بعد الذلة، والمكثر بعد القلة، والشافي بعد العلة، الجائد بالامتنان، بعد الامتحان الدافع للضراء بالسراء، المزيل للحرج بالفرج، الكاشف بالنور للظلمة، الحافظ من توكل عليه بالعصمة المنتقم ممن عصاه بالنقمة.

ثم ذكر ما جرى من أمراء آل رشيد، الذي شوش الاذهان، وغير الألوان من الذل والهوان، لا سيما ما فعه بهم ابن سبهان، فقد طال أذاه المشائخ والإخوان، وقد نبذ أمر الله ظهراً، وبسط يده ظلماً وقهراً، فسب وسلب، وعزر وضرب، وغرب وخرب، فما وقر كبيراً ولا رحم صغيراً، ولا أنظر فقيراً، تجبراً وعناداً، وعتواً وفظاظةً على العباد، فما راقب الملك العلام، ولا خاف من دعوة مظلوم ترفع فوق الغمام، ثم قال بعد ذلك في ذكر هذا الفتح المبين:

تـألق في العوجـا الهـدى ثـم أنـور ... ونـادى منـاد العـدل والجـور أدبـرا
وأخصب منها الربـع إذا كـان ممحـلاً ... وأمطـر فيهـا الجـود حتـى تكثـرا
وصـارت علـى رغـم الأنـوف بسبة ... لأيمـن محمـود السـجايا غضـنفراً
فـآب بهـا والنـاس ترنـوا عيـونهم ... وأصـدقها بالسـيف ضـرباً منكـراً
أيا شبل من قـد صـدق القـول فعلـه ... مـع الصـبح لمـا أن أهـل وكـبرا
أتاهـا بـرهط أو يزيـدون نصـفهم ... وقـال لهـم أمالنـا أو لنعـذرا
وقـال أثبتـوا فـالموت طـوق رقـابكم ... فمـا الـذل دفاعـاً لمـا الله قـدرا
فـأزمرهـم حتـى لأمـر تعاقـدوا ... يميناً علـى أن يجعلـوا المـوت مصـدرا
لعمـرك مـا نـال العلـى مثلـه فتـىً ... سـطا إذ سـطا في عاقـب مـا تفكـرا
فقـادهمو كالليـث في وثباتـه ... إذا صـال تخشـى بأسـه أسـد الشـرا

وتبـاً لمـن يحمـل مـن الهـم ثقلـه إذا كـان ضـرب المشـرفيات أفخـرا
فصبح أهـل القصـر حتـى أبـادهم أبـت نفسـه دون العلـى أن تصـبرا
فأسـقاهمو كـأس الحمـام علـى قـلا ومنهـا سـقى عجـلان حتـى تقطـرا
مكـور فحـان المكـر منـه مقـاتلاً فمـن شـؤمه أن واجـه الله مـدبرا
خلائف سوء عن هـدى الله اضـربوا ووافقهـم مـن بـاع دينـاً ومـا شـرا
فـردوا هـداة الحـق لا ينفذونـه وأهـل الخنـى كـانوا صـحاباً وشـورا
سـويلم لا سـلم مـن النـار عظمـه ولاقـا هوانـاً يـوم يـدعى ليحشـرا
ظلـوم سـبانا ثـم مـن غـير حجـةٍ وكشـف عـورات وسـاء ودمـرا
جهـاراً يسـب المسـلمين ويصـطفي كـرائم أمـوال العبـاد تجـبرا
فمـن يـنس لوعـات اللئـيم وبغيـه لقـد كـان أعتـاهم وأطغـى وأفجـرا
جـرى علـى الـرحم شـلت يمينـه فكـم مسـلمٍ أذى وأودى وعـزرا
وكم محصنات أبـرزت مـن قصـورها وقـد كـان مرآهـا عزيـزاً فلـم تـرا
فغـار لهـا رب السـموات آنفـاً رحيمـاً وقصـاما لمـن كـان غـيرا
إذا جـاء أمـر منـه فينـا مـدبر غـدا كـل أمـر دون مـا جـاء أبـترا
أيـا وقعـةً مـن صـادقٍ صـار مقعـد بمـا كـان مـن جـد قـديم لـه جـرا
حنانيـك مـن قـال الـدليل لسـانه جمعـت ضـعاف المسـلمين مـن الفـرا
فأغـدقهم بالفضـل حتـى تمولـوا وأودعهـم نجـل الكـرام المطهـرا
أبو الرمـل ولأيتـام هـل مثـل فيصـل وأحسـن مـن سـاس الرعايـا ودبـرا
أصول نشت في الدين طابت فروعهـا فمنها جنينـا الطلـع مـن حيـث أثمـرا
وهـم عابـد الـرحمن أعـني وعقبـه مصـاليخ نـاس دارعـين وحسـرا
فمـا المجـد إلا مـنهم وإلـيهم بقايـاه سـل عـنهم خـبيراً لتخـبرا
فلمـا اسـتباح الـدار عبـد عزيـزهم بـلا منـة للظـاعنين وحضـرا
بـه ابتهجـت نجـد وعـزت بعـزه وأوفتـه في بـرد الصـبا تـبخترا
ومن قبل قـد أسـوت وبـان نشـوزها فأبـدت جمـيلاً بعـد لتسـترا

فسامحها سوأتها وهو قادرٌ رأى الصفح والأعراض أرجى فيسرا
وقام لأمر المسلمين برأيه لحاملها التأييد إن سار أو سرا
يجر الخميس الزحف أن ناب نائب كدفاع موج البحر لما تزخرا
تراه في الأطوال كل طمرةٍ وكل كميت صادق العدو أحمرا
عليها من الفتيان صبح مفارها سلالة أمجادٍ وساداتٍ حسرا

وهي طويلة فلنقتصر منه على ذلك.

وكان الأمير عجلان قد تجبر وعزم على أن يزيد في الضرائب على أهل الرياض، ولقد اطلع قبل قتله من مكان شامخ على سوق الرياض وإلى جانبه جليس له فقال لجليسه: هؤلاء قد كثرت أموالهم وقوي شأنهم فأريد أن أزيد في القدر الذي يؤخذ منهم، ولما أن أشار عليه جليسه بعدم الظلم، جعل كلما أشار في نقص الضريبة يزيد هو، فذا يقول كثيراً ما أضعفت وهذا يزيد الضعف حتى سكت المناصح لئلا يكون سبباً في ظلمهم إذا كان يستكثر عشرة آلاف فيقال خمسة عشر ألفاً فما كان إلا قاب قوسين أو أدنى، حتى أخذه الله وأراح منه الخلق، فلله الحمد على فضله.

ذكر مخاطرات جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود أدام الله توفيقه

فنقول: قام هذا الشاب لما تم له عشرون سنة يطلب ملك أبائه وأجداده، فغامر مغامرة تنطوي على كثير من الجرأة والشجاعة، ولم يطر إذ ذاك عارضاه، وصمم على الملك أو الموت في طلبه، فسطا في الرياض بأولئك الفوارس المجربين الذين ألفوا الأخطار، فقتل عجلان واستولى على الرياض ولقي الأهوال في ابتداء الأمر، وذلك لأنه تقلد السيف ولم يضعه من يده حتى أخضع نجداً كلها، وكان يقول إنه لا يوجد في داخل جزيرة العرب شبر أرض لم يقاتل عليه ولولا ذلك لما حصل المقصود وجميع الأشياء بأمر الرب المعبود.

المخاطرة الثانية ملاقاته لابن رشيد، وقد جرأ عليه الدولة العثمانية وما زال يدافع حتى قتله وفرق الأعداء شذر مذر وآخر ذلك أن طرد الدولة عن القصيم.

المخاطرة الثالثة خروج عبدالله بن محمد أبا الخيل عليه بعد ما أمره في بريده فدخل عليه البلد في ساعة حرجه وكانت مخوفة عليه.

المخاطرة الرابعة فتح الأحساء وطرده الدولة عنها ولما فرغ من نجد مد يده للحجاز حتى استولى عليه ونريد أن نعرف بالرياض عاصمة الملك، فنقول: هي مدينة من بلاد العارض اليمامة وهي عاصمة ملك آل سعود بعد خراب الدرعية تبعد عنها ثلاث ساعات للراجل دخلت في حوزة آل سعود بعد أن هرب منها دهام بن دواس، وبعد ظهور الإمام تركي جعلها عاصمة لملكه، وما زالت كذلك حتى جعلها عبدالعزيز عاصمة للملك وقد تقدم التعريف بها.

رجعنا إلى ذكر ابن رشيد فنقول: كان عبدالعزيز بن متعب فارساً شجاعاً وبطلاً مغواراً، وله من الشجاعة حظ جسيم ومن الغلظة والفظاظة قدر عظيم يقتل ذكره الرجال، وتتلاشى دون وثبته العظماء الأبطال، ولما بلغه ما صنعه هذا الأسد الصائل الضرغام، وهذا الجرئ الشاب المقدام وفتح الرياض، وقتل عجلان لم يكترث وجعل يستهزء على أن متى ما أراد جاء وطرده وكانت كلمته لما بلغه الخبر أن قال (أرنب مجحرة وأهلها مقيمون يكفي ابن سعود أن انفض عليه عباءتي فيفر) وكان إذ ذاك نازل على الحفر يريد احتلال الكويت وما همه ابن سعود، ولا تحرك عن الحفر بل كان يكاتب الدولة العثمانية ويماطلونه ويطاولونه.

والسبب في ذلك أن مباركاً احتمى بالإنكليز ضرورة كما تقدمت الإشارة إليه، ولما طلب ذلك أمن من الأتراك، غير أن بريطانيا العظمى كان لها بذلك الحظ الحسن فقد أصبح الكويت ملكاً لها بلا شريك، ولما رست الباخرة البريطانية لنصرة ابن صباح، وقد رفعت العلم البريطاني ما كان للدولة العثمانية بها قبل، بل كانوا يظهرون لابن رشيد الولاء ويماطلونه ويأمرونه بأن يفاوضهم في محاربة ابن صباح فآخر ما نقول عن مبارك أنه قد احتمى من جهة البحر ببريطانيا، وحماه من جهة البر ابن سعود.

ولما بلغ مباركاً فتح الرياض بعث إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن يهنيه بفتح الرياض الذي قد أثلج صدره ويدعو له بالبركة، وجعل ينخاه على خصمه ويدعو له يا ولدي تولاك الله وعافاك وقواك وجعل النصر أخاك، وكان لا يدعوه إلا يا ولدي يا عبدالعزيز وطلب منه النجدة.

ثم إن صاحب الكويت أمدّ عبدالعزيز فبعث أخاه سعد بن عبدالرحمن بالنجدة التي طلبها، ومشى بنفسه إلى غرضه، فشن الغارة على قبائل ابن رشيد حتى استولى على النواحي الجنوبية مثل الخرج والحوطة والحريق والأفلاج ووادي الدواسر، وكاتبته البلدان الشمالية بالطاعة سراً، وهذه كالمحمل والوشم وسدير والشعيب فهي موالية لابن سعود وإن كانت في حوزة ابن رشيد.

وهذه نبذة من ترجمة الملك عبدالعزيز، أما نسبه فتقدم في سنة ولادته.

وأما صفته فإنه كان قوي البنية طويل القامة براق العينين طاهر العرض نظيفاً وقد بلغ في الشجاعة مبلغاً عظيماً فكان يقابل في ميادين النزال عديداً من الفرسان الأشداء وهو وحده ويحيطون به وكلهم شجاع قوي فيمزق شملهم ويضطرهم إلى الفرار، وقد كان من شجاعته ألا يضع لنفسه حارساً، وبهذه المخاطرات فإنه يرى عليه علامات الافتراس كما يرى في رقاب السباع أثار الدماء، وقد ملأ جسمه بجراحات بعضها خطره، ولكن شفاه الله منها وبعض إصاباته من السيف، وبعضها من الرصاص وبعضها من شظايا القنابل، وهي أعظم شهادة تدل على الشجاعة والبطولة والإقدام، وإذا كان بدر بن عمار يكرم سيفه عن الليث ويجعل له سوطه كما قال عنه أبو الطيب المتنبي يمتدحه بهذا البيت:

أمعفــر الليــث الهزبــر بســوطه ... لمــن ادخــرت الصــارم المصــقولا

فإن ابن سعود صارع من هو أقوى من الليث حتى صار اسمه اليوم أعظم من الجيش، فمن شجاعته النادرة أنه قهر عبدالعزيز بن متعب الذي كان هو الشجاع المعلم الذي تنفست عنه الجزيرة في القرن الرابع عشر، ويعترف له أبطال نجد

بالشجاعة الفائقة والصلابة القوية والقوة الطاغية الذي كانت نظرته تذيب الشجعان، ومع هذا فإن ابن سعود هزمه وقتله، فالشجاع لا يغلبه إلا الشجاع، وقديماً قيل: «لا يفل الحديد إلا الحديد».

ومما عرف من قوة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الجسمانية العظيمة الطافحة أنه اتكأ مرةً على باب سيارة فورد جديدة فخلعه، وأن الجواد الصبور ينوء بحمله، وكان في بعض غزواته راكباً وعمره في العشرين، فلكز دابته بعصاه فركضت به، فوقع على الأرض وكان مريضاً إذ ذاك فوطئته جمال رجاله واستطاع أن يركب ويحارب في اليوم الثاني.

أخلاقه ونشأته

كان كبير القلب كبير النفس كبير الوجدان، انتهت إليه الفضائل العربية بأجمعها، قليل النوم، كثير التيقظ، عظيم الانتباه، كريماً إلى حد السرف، وكان ذا عدلٍ وإنصاف، وآتاه الله بسطة في العلم والجسم، وعليه البهاء، وله الهيبة العظيمة.

ولما بلغ السابعة من عمره أرسله والده إلى المدرسة في الرياض حين كانوا فيها، فكان يقرأ القرآن ولا يترك الصلاة، ويألف المسجد ويصوم، وقد أبعده والده عن أسباب الفسوق كعادته مع أبناءه.

ذلك الإمام عبدالرحمن بن فيصل، فلا يهمل في تربية أبناءه، فإنه كان شديداً عليهم في التأديب، وحملهم على مكارم الأخلاق وما ذاك إلا لما أودعه الله عز وجل من السلوك على طريق الحق كعادة الوهابية، كيف لا وهو من سلالة محمد ابن سعود الذي نصر الحق بنفسه وأولاده.

ولما كان الإمام عبدالرحمن يتوسم في هذا الابن أمور النجاح وأسبابه، كان يمرنه في حال صغره على معاناة المشاق، ويصلب عوده ونفسه وجسمه، فكان يبعثه تحت الشمس القائظة إلى خارج الرياض ويكلفه المسير في منتصف النهار على الرمال الحارة حافي القدمين، ويأمره بمغادرة فراشه مبكراً، كل هذا ليجعله قوياً شديداً.

ثم إنه نشأ مع الفتى هذا عبيد صغار مثله في الشباب والفتوة، لاعبوه صغاراً وحفظوه بالحراسة كباراً، فكانوا أكثر جنده له إخلاصاً وأعظم عنه دفاعاً، وهؤلاء العبيد هم الذين قال عنهم رسول ابن رشيد لسيده إنه قد شغلهم بالمصارعة والمغالبة، ولما تم له خمسة عشر سنة اختارت له والدته قدس الله روحها فتاة عربية يتزوجها، وكان والده في فاقة يشق عليه زواجه، فتأخر الزواج حتى قدم تاجر نجدي فعرض ما لديه من مال ينفق في عرس الفتى عبدالعزيز، فأفضى هذا العمل إلى حزن عميق ملأ قلب الوالد أسأ وحزناً، ولكنه تقبل الأمر الواقع رحمة الله عليه، ولما تزوج الابن تلك الزوجة شاء الله عز وجل أن لا يستمر ابن سعود مع زوجه أكثر من ستة أشهر فطواها الموت، فالتاع لفقدها وموتها لوعة هدت من صحته ثم تعاقبت الأيام والشهور على هذه الفاجعة، ثم تزوج الفتى من امرأة ثانية، فوهب الله له منها غلاماً سماه تركي وهو بكره ويكنى به، وقد سرّ به والده الإمام عبدالرحمن كل السرور.

سياسته ومقدرته

كان سياسياً ماهراً ذا أناة وحلم ودهاء وذكاء، وكان ضخماً تام الخلقة ساحراً بكلامه يكلم الناس على قد عقولهم ومراتبهم، فيعامل المشايخ العلماء بالبحث والتدقيق بحيث لا يدع لقائل مقالاً في باب العلم، ويكلم الملوك والوزراء على حسب ما يقنعهم بسياسة حيرة بريطانيا والأمم الأخرى، ذلك لسعة عقله ومعرفته وغوره وبعد نظره، فكان عقله كاملاً ورأيه سديداً، أضف إلى ذلك قوة في الدين وطهارة في عرضه، فما قارف فاحشةً مرةً قط.

وقد جعل الله له محبة في القلوب عظيمة، ذلك بأنه جلو الحديث، جميل المخالطة، لطيف المعاشرة، محب للحديث، راغب في المعرفة، طالب للعلم، مكرم العلماء وأهل الدين والفضل والأدب.

وكثيراً ما يجلس لأصدقائه وأنصاره يحاورهم ويحدثهم ويجادلهم ويجادلونه وهو

أرغب ما يكون في الاجتماع مع الغرباء، يستمع منهم أخبار بلدانهم وأمصارهم وما يتعلق به من أخبار السياسة وأحداث الزمان.

ومن غرائبه أنه لا يحتاج للنوم كما يظهر، ولا ينام إلا حين لا يرى أحداً غيره ساهراً، وإذا نام فلا ينام إلا ثلاث ساعات أو أربع ساعات، ولو خير لجلس الليل كله يتحدث إلى أحد رجاله من الذين يروق له حديثهم، وتلذ له عشرتهم، وكان من الذين يستمعون القول ويحسنون الاستماع، فإن وجد في الحديث خيراً تقبله وفعل بموجبه وهو إلى ذلك ليس عنيداً في إنكاره، مع أنه لا يزال في سجيته يعامل بالحسنى ويقابل الإساءة بالإحسان، فإذا لم يفد ذلك بدرت منه بوادر تقضي على من خالفه بالدمار والتباب، فما ألينه في الأمن وما أصعبه في المخاوف كما قيل.

هو البحر غص فيه إذا كان ساكناً ... على الدر واحذره إذا كان مزبداً

ذكر أمراء آل رشيد وقضاتهم

كان أمير بريدة بعد حسن بن مهنا بأمر محمد بن عبدالله بن رشيد، من كان يدعى حسين بن جراد، ثم عزله وجعل مكانه حمود الزيد، فلبث قليلاً ثم عزله وجعل مكانه سعد الحازمي، ومات الحاكم ابن رشيد فأقره على الإمارة عبدالعزيز بن متعب، وهو الذي جمع الناس بأمره وأخذ البيعة له، ثم عزله بن متعب وجعل مكانه فهد بن محمد القويعي، ثم عزله بعد ذلك وأقام الحازمي ثانيةً أميراً، وهو الذي وقعت الطرفية وهو فيها، ثم عزله وجعل مكانه سالم بن سبهان، ثم عزله وجعل مكانه عبدالرحمن بن ضبعان وهو آخر أمراء آل رشيد عليها.

أما القضاة فإن الحاكم محمد بن عبدالله بن رشيد جعل على قضاء بريدة محمد ابن عبدالله بن سليم، وكان هو القاضي قبل، فأقره على قضائها، فاستمر على ذلك في آخر ولاية محمد وأول ولاية عبدالعزيز، ثم إنه عزله عبدالعزيز بن رشيد لكثرة الوشاة، وذلة أهل الحق في ولايته، وجعل مكانه الشيخ صالح بن قرناس.

ولما أن قدم الشيخ صالح كان معه كتب كثيرة ورثها من أبيه، فأظهر

الموافقة لآل رشيد وأتباعهم، ومال إليهم لما رأى الغلبة لهم وأظهر إكرامهم، ولكنه بعد ذلك رجع عن فكرته وأعلن إكرام الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكان كريماً سخياً.

حدثني من دخل بيته وجلس على مائدته أنه وجد في بيته حمل بطيخ، أعني ما يحمله البعير، ووجد التمر على حصير، ومن قدم فإنه يأكل ويشرب وينبسط.

وقد تزوج في أيام إقامته في بريدة بامرأة من أهالي وهطان، وشوهد في زواجه بذل أموال وسعة في الأطعمة.

وقد أحببت أن أورد قصة عجيبة يستدل بها على امتحان أولياء الله ورسوله، ويتذكر بها المؤمن ما منّ الله به على المسلمين بولاية آل سعود، أدام الله لملكهم الخلود، وهي أنه لما أراد السعي إلى وهطان فضيلة الشيخ صالح بن قرناس لعرسه وزواجه وصهره أبو حلوة، وكان قد صيح في الناس من أراد رفقة الشيخ فليأتي بدابته معه، فجاء خمس عمانيات وثلاثون حماراً، وصف أهلها ينتظرون الذهاب مع الشيخ المذكور، فجيء بعبدالله الباحوث، وعبدالعزيز بن مديهش، وسليمان بن ثويني، وعلي بن يحيى، وعبدالعزيز بن يحيى، وعثمان بن مضيان، وصالح اللهيمي تسوقهم رجال الأمير أذل ما كانوا قط، فوافق في ساعة مجيئهم خروج الشيخ صالح ليركب ويذهب ورفقته.

وقد كان الناس حوالي بيته الذي يعرف ببيت صعب في جنوبي بريدة، وكان أولئك المذكورون قد بعث إلى ابن رشيد بمسبتهم وأنهم ليسوا على طريقة المسلمين، وقد ضلوا وأضلوا، فتكلم خادم الأمير يقول هؤلاء المغاليث قد حضروا يا شيخ فكيف يصنع بهم، وكان هؤلاء المشار إليهم من فقراء الإخوان أهل الدين والفضل ومن شيعة آل سليم، تقع أوطانهم حوالي بريدة في الشماسية ووهطان والصوير وغيرها، وما كانوا مغاليث بل كانوا هداة مهتدين معهم تمسك في العقيدة ومحبة المؤمنين، وقد كان واحدهم يحمل كتبه وحقيبته تحت إبطه ويتزاورون ويتحابون في ذات الله، فلما أخبر الخادم بمجيئهم كان إلى جانب الشيخ صالح من

كان يدعى بعبدالله بن عمروا آل رشيد قد أمسك بيد الشيخ ويوشي بهم، نسأل الله العافية، فتكلم مجيباً للخادم بقوله إن الشيخ في شغله فاذهب إلى الأمير وقل له أن نظره فيه الكفاية في أمرهم، فرجع بهم الخادم إلى الأمير ليرى رأيه فيهم، فلما أن جلسوا بين يديه، أخرج كتاب ابن رشيد إليه وناوله القاريء، فلما سمع الكتاب وعرف موضوعه تكلم الأمير سعد بقوله: أين ابن مضيان الذي صوته كرنين الذبابة، أما تستحي وتلزم فلاحتك وتترك المشي إلى الناس بفوائدك؟ فتكلم مجيباً: كذب أيها الأمير إني لم أمشي بين الناس، ويا ليتني أفيد نفسي.

ثم جعل يقول: أين بن يحيا فأجاب بقوله حاضر، فأنبه بقوله: تركت فلاحتك تهلك عشباً إلا تجلس للحراثة وتدع الذهاب إلى الناس فقد شغلتهم عن فلائحهم، فأجاب بقوله: كذب بارك الله فيكم ما مشيت.

ثم إنه تكلم متهدداً لابن مديهش يقول: أيهاً يا ابن مديهش يوماً بالمستجدة ويوماً بوهطان ألا تتقي الله في نفسك من تعويق الناس عن فلائحهم وشغلهم، وقال لعبدالله الباحوث: أنت صنمهم تدهن لحيتك وتذهب تدجل على الناس، وكان هذا معروفاً بالخوارق، ويجري الله على يديه عجائباً.

قال مرةً لابنه تريد هذا العصفور، فقم فخذه وكان لا يطاق إلا بالبندقية، فقام وأخذه بيده، ثم سكت قليلاً ثم تكلم يقول: أين ابن ثويني؟ إنك تسابق إمام مسجدكم ابن سيف في الإمامة، تؤم وهو إلى جانبك فأعرض وكفّ عن ذلك، فأجابه بقوله: ليس بصحيح فإني لا أتقدم بهم حتى يقدموني وأنت يا سعود بن فوزان يوماً بالمذنب ويوماً بالشماسية، فلو استرحت فأرحت الناس؟ فأجاب بأنه مقصر في حق إخوانه في الزيارة، فلما فرغ الأمير من كلامه سكت قليلاً وقال تعلمون بأني مدبر وإلا فأشهد بأنكم على الحق، قوموا إلى أولادكم بالسلامة، فقاموا من عنده شاكرين، وكان بعض الناس يخشى عليهم بهذه الدعوة ولكن الله قال: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨].

أما عنيزة فكان عليها من قبل الأمير ابن رشيد بعد واقعة المليدا صالح بن يحيى، واستمر في إمارتها حتى جرى منه اعتداء على عبدالله الربدي، وما زال يضمر له العداء حتى أخرجه من بيته ليلاً بحيلة فضربه ضرباً شديداً، فبعث عبدالله إلى قريبه عبدالرحمن الربدي في بريدة يخبره من فوره بما فعله به أمير عنيزة، ولما أن بلغه ذلك بعث من فوره نجاباً بكتاب إلى الحاكم محمد بن رشيد في حائل، وقال للرسول: واصل السفر فإني لا أريد هذا العمانية بعدها، ولما أن طوى مسيرة ستة أيام في يومين ووصل إلى ابن رشيد، بعث بعزله وجعل مكانه ابن أخيه حمد بن عبدالله بن يحيى، وكان القاضي في عنيزة إذ ذاك العويضي، وكان يشرب التنباك، لذلك قد هجاه بعض العلماء بذلك ثم إنهم طلبوا من ابن رشيد أن يجعل في قضائهم الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر فنصبه فيهم.

وفيها في ليلة ١٣شوال ولد الملك سعود بن عبدالعزيز نجل الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن، وكان ذلك تفاؤلاً بالسعادة، لأنه جاء في بدء ملك والده، وكانت أمه من آل عريعر، فهم أخواله.

ولما بلغ السابعة من عمره بعثه والده إلى المؤدب وسنزيد المقام فيما بعد إنشاء الله تعالى.

وفيها توفى الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن رحمه الله تعالى وعفا عنه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة المتقي العارف بأصول الدين، والمجاهد لأعداء الله الملحدين، إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان، كان المترجم أخاً للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، بيد أن الشيخ أبرع منه وأشهر، حتى كان الشيخ إسحاق يقرّ له بالفضل ويدعوه بشيخنا، وقد كان سافر إلى الهند في طلب العلم، فكان في بلد دلهي، وكثيراً ما تتعاقب الرسائل بينه وبين الشيخ سليمان بن سحمان، كما قد مرّ بنا بعضه وقد سافر إلى مصر للدراسة على علماء الأزهر.

ومن ذلك أنه أرسل إلى الشيخ سليمان أبياتاً ورسالةً يشكو ما حدث من الأغيار بعد ولاية أولئك الأشرار، ويعج من فساد الزمان وكثرة المناكر والافتتان، فأجابه بأن ما حدث لديهم أعظم من ذلك من اللهو والإعراض عن الدين والتكالب على الدنيا واستحلال الزكاة وأكلها بالباطل، وتضييع الصلوات وتعطيل شرائع الله، وفعل الفواحش إلى غير ذلك.

ومن أبيات الشيخ إسحاق هذه القصيدة التي أنشأها لما استحكمت الغربة واشتدت الكربة، وقد قال في مقدمتها:

أعلم أيها المنصف أنه لما شنع على الإخوان بعض من شغب بالقيل والقال، وتركوا مهملين من بيت المال، وضاعوا في المجاعة أياماً وليالٍ لما تفرقوا عن مدارسهم ورباعهم، عن لي أن أرثاهم وأبين أن الله من ذلك براهم:

يا عين فابكي وأهمي الدمع كرات	من حادثٍ فادحٍ نادي بأشتات
العلم طلابه أوذوا وقيل لهم	ترحلوا إنكم جئتم بأنات
ما نعرف الفرق والفرقان مطرح	والجمع دين الناس بين البريات
والفرق صعبٌ علينا جالب عنا	ومحدثٌ بيننا تفريق حالات
ما يقدر الخلق هذا الفرق فارتدعوا	أو نرمكم باعتقادات شنيعات
خوارج أنتم أخرجتمو بدعاً	بالهجر منكم لأرباب العصايات
فاسمع جواباً عن الإخوان تبرئةً	مما رماهم به أهل الجهالات
نبرأ إلى الله مما قال شانئهم	فيهم ونصرخ يا أهل العداوات
هل لازم الهجر تكفير الذين عصو	يا ظالمين ويا أهل السفاهات
حاشاهمو بذا ما كفروا أحدا	بالذنب حاشاهمو من ذي الضلالات
والهجر نوع وتكفير العصات ذا	نوعٌ به مرقت شر البريات
فإن زعمتم أن الهجر جاعلهم	كذاك فأتوا بمقطوع الدلالات
وإن زعمتم أن الهجر مبتدعٌ	فأتوا على زعمكم ذا باحتجاجات
بما يرد النصوص الوضحات فما	تحصلون ولو أقوالٌ ملغات

عنـد البخـاري مـا يشـفي ومذهبـه ... التحديد كي يرعـوي آتـي العصـايات
وفي أصـــول رزيـــن الحـــبر ترجمـــةً ... قـد نـورت بالأحاديـث الصـحيحات
والهـــدي كـــافٍ وفي الأدب تبصـــرةً ... فالويـــل للناكـــب عقـــد المؤاخـــات
لمقصـــدٍ باطـــلٍ فـــالله ينصـــرنا ... علـــيهم أنـــه كـــافي المهمـــات
ما قطعهـم حـق إخـوان الصـفاء إذا ... مـن بيـت مـالٍ وسـعي بالمضـرات
عنـد الإمـام وحـرص أن تكـون بـه ... كمثلـــهم عاصـــياً رب الســـماوات
وصـدهم قلبـه عـن أن يفـي ويعـي ... نصـــيحةً فعـــل أربـــاب الغوايـــات
ألا لمـــا أبطنـــوا لكـــنهم أمنـــوا ... لمـا خلـى الربـع مـن أهـل العنايـات
واســتحكم الشــر والأدبــار قارنــةً ... فاقبض على الجمر واصبر في الملمـات
وأحـــذر تكـــون لمـــا أتـــوا وتألفـــه ... يومـــاً تـــوالي ويومـــاً ذا معـــادات
فالـــدين ممـــتحن والنصـــر مقـــترن ... فاعجـب لمـن يطلـب الزلفـي بلـذات
والأسوة المصطفى الهادي الأمين وقد ... قـــالوا صـــياجن هـــذا ذو افـــتراءات
عليـــه مـــني صـــلاة الله أجمعهـــا ... مـــع الســـلام ومقبـــول التحيـــات
وآل والصـــحب والأتبـــاع قاطبـــةً ... عداد مـا قـد مضـى مـن قبـل والآت

ولما أن بلغ سن التميز وترعرع، أدخله والده إحدى المدارس الأهلية، فقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب، ثم إنه أخذ يطلب العلم ويدرس في حفظ بعض المختصرات في الحديث والفقه والتوحيد، ولازم والده وأخذ عنه، ثم سافر بعد وفاة والده كما قدمنا، فوصل على هندستان لطلب الحديث، وكان ذلك في رجب سنة تسع وثلاثمائة وألف.

ولما أن قدم بلد بمباي، حضر مجالس تحتوي على الأدب والغزل وشيء من فنون اللغة وهو إذ ذاك متوجه إلى لقاء علماء الحديث الأفاضل ومشتاق إلى مجالسة الفحول الأماثل، ثم إنه بلغه الله منيته ومن عليه برؤيتهم والاجتماع بهم، فأولهم السيد نذير حسين المقيم ببلدة دلهي، قرأ عليه شرح نخبة الفكر بالتأمل والتأني، ثم شرع في قراءة الصحيحين، وقرأ أطرافاً من الكتب الستة وموطأ الإمام مالك،

وبلوغ المرام، ومشكاة المصابيح، والجلالين في التفسير، وحصل له منه السماع والإجازة والقراءة، وذلك في شهر رجب سنة تسع وثلاثمائة وألف، وكانت مدة إقامته عند السيد نذير تسعة أشهر.

ثم ارتحل في رمضان إلى بهوپال فقرأ فيها على الشيخ حسين بن محسن الأنصاري في الأصول والفروع، وأجازه إجازتين مختصرة وإجازة عامة في كل ما تجوز له روايته وتنفع درايته من علم التفسير والتأويل والسنة، وذلك في شهر شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف.

وحضر لدى سلامة الله المدرس في بهوپال، وسمع منه سنن ابن ماجه وغيرها، وبعض كتب المعقولات، وقرأ على القاضي في حيدر أباد وغيرهم، وعاد إلى وطنه فاشتغل بالتدريس والإفادة ونشر العلم، ولما أن عاد إلى وطنه وجلس للتدريس، رحل إليه الطلاب من أطراف نجد للأخذ عنه والتعليم بين يديه، فنفع الله به ونشر علمه، وقضى بقية زمانه في التعليم، فأقام على ذلك مدة إلى أن وافاه أجله المحتوم في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب من هذه السنة، وكان له مؤلفات حسنة منها: الجوابات السمعيات في الرد على الأسئلة الروافيات، وغالب مؤلفاته فيما يتعلق في الإقامة بين أظهر المشركين، والسفر إلى بلدان أعداء الملة والدين والهجرة والولاء والبراء، ومن أحب أن يعرف قدره، فليراجعها فإن فيها من الفوائد والبحوث ما يشفي العليل، ويروي الغليل، وأفاد وأجاد، فمن ذلك قوله:

بسم الله الرحمن الرحيم، من إسحاق بن عبدالرحمن إلى المحب المكرم عبدالله بن أحمد وفقه الله للطريق الأحمد، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وغير ذلك الموجب لهذه المكاتبة النصيحة وحسن الظن فيك، وأتيقن أن الحق ضالتك، فالذي أوصيك به أن تطيع الله ورسوله وتقدم ذلك فيما أشكل عليك، ثم أتى بالآيات القرآنية والأحاديث، ثم قال:

فإذا كان الله يحذر نبيه من اتباع أكثر الناس، فما الظن بهذا الزمن وأهله، وقد

قال الصادق المصدوق «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ» وأي اغتراب أعظم من هذا الاغتراب.

ثم أطال إلى أن قال فقد علمت كلام الصادق المصدوق، فلا يكون قول الغير في نفسك أعظم من كلام نبيك، فما حجتك يوم القيامة إذا قال الله لأي شيء أطريت رسولي ورفعته فوق منزلته، أتقول سمعت في الأشعار خلاف قوله فاتبعتها، أم تقول لم يبلغني كلام نبيك، أعد للسؤال جواباً.

ثم قال: وفي بعض الآثار كلمتان يسئل عنهما الأولون والآخرون «ماذا كنتم تعبدون» «ماذا أجبتم المرسلين» ويكفيك الميزان السوي العادل في كل فعل وقول صدر من الناس، وهو قوله ﷺ : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وهذا الحديث أصل من أصول الدين، فمن تأمل ما في مطاويه، وتفهم أصوله ومبانيه، استوحش من كثير عبادات لم يشرعها الله ولا رسوله ثم أطال وأطنب.

وله مؤلف مختصر برئ فيه شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب مما رماه به أهل الإفك والضلال من الكذب، وكانت فوق ما قيل فيها، أعني تلك الكلمات، وعلى من أحب ذلك مراجعتها.

ومن كلامه في ذلك المؤلف قوله: وكثيراً ما يضعون من مقداره ويغضون ما رفع الله من مناره منابذةً للحق الأبلج وزيفاً عن سواء المنهج، والذي يقضي به العجب قلة إنصافهم وفرط جورهم واعتسافهم وذلك أنهم لا يجدون زلة من المنتسبين إليه ولا عثرةً إلا نسبوها إليه وجعلوا عارها راجعاً إليه، وهذا من تمام كرامته وعظم قدره وإمامته.

وقد عرف من جهالهم واشتهر من أعمالهم أنه ما دعا إلى الله أحد وأمر بمعروف، ونهى عن منكر في أي قطر من الأقطار إلا سموه وهابياً، وكتبوا فيه الرسائل إلى البلدان، بكل قول هائل يحتوي على الزور والبهتان.

ومن أراد الإنصاف وخشي مولاه وخاف، نظر في مصنفات هذا الشيخ التي هي الآن موجودة عند أتباعه، فإنها أشهر من نار على علم وأبين من نبراس على

ظلم، ثم إنه أسهب في بيان عقيدته وما هو عليه، وإنه على ما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد، والمؤلف نفيس ينبغي لمن كرمت عليه نفسه أن يتأمله، فإنه غزير الفائدة ويدل على عظمة مؤلفه ومكانة الرجل في العلم والمعرفة وله أجوبة سديدة نفيسة ومكانة في التوحيد والعلوم.

ولما أن كان الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم ذات يوم في تدريسه، كان أحد التلامذة يقرأ عليه في مسائل الشيخ إسحاق المشهورة، فأوقف الشيخ عبدالله القارئ وأخذ يثني على الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وجعل يذكر مناقبه ومناقب أبائه وأجداده وأطال في تمجيده، ونوه بذكره والثناء عليه والمترجم فوق ما قيل عنه في العلم والمعرفة، نسأل الله تعالى أن يرفع درجاته في الجنان وأن يسبغ عليه العفو والغفران، إنه جواد كريم.

وفيها وقع وباء في مكة المشرفة أيام الحج، مات فيه خلائق كثيرة، نسأل الله العافية وكثيراً ما يقع الوباء في أيام الموسم لما يتزاحم في تلك البقاع من الخلائق وعدم المكيفات وقلة وجود المضادات للروائح المستكرهة، ولما جرى بعد ذلك في ولاية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن مقاومة لتعفن الجو، زالت بإذن الله تلك المكروبات وتحسن الوضع، وعاش الحجيج يتمتعون بالصحة والعافية وكرم الله أوسع.

ولما أن دفعنا إلى ذلك، أحببنا ذكر علماء عنيزة وقضائها الذين استولوا على أعمالها في هذه الفترة.

فمنهم الشيخ عبدالله بن حمد بن عضيب الناصري التميمي تولى قضائها سنة ١١١٠ من الهجرة، ثم تولى من بعده تلميذه الشيخ سليمان بن عبدالله بن زامل في سنة ١١٦١هـ.

ثم تولى من بعده الشيخ محمد بن إبراهيم أباالخيل.

ثم تولى من بعده الشيخ عبدالله بن أحمد بن إسماعيل.

ثم تولى القضاء من بعده الشيخ محمد بن علي بن زامل المسمى أبو شامة.

ثم تولى القضاء بها من بعده الشيخ صالح بن محمد بن عبدالله الصائغ، وكانت وفاته سنة ١١٨٤هـ.

ولما كان بعد وفاته تولى قضائها الشيخ عبدالله بن سويلم وبعده كان على قضائها الشيخ غنيم بن سيف من أهل ثادق.

ثم تولى القضاء من بعده أخوه الشيخ عبدالله بن سيف في سنة ١٢٢٥هـ واستمر في القضاء إلى سنة ١٢٣٠هـ.

ثم إنه تولى القضاء من بعده الشيخ عبدالله بن فائز أباالخيل من سنة ١٢٤٠هـ إلى ١٢٤٣هـ، وتوفى في سنة ١٢٥٠هـ رحمه الله.

ثم تولى القضاء من بعده الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن إبراهيم القاضي من حين ما بارح سلفه إلى آخر ١٢٥١هـ.

ثم تولى القضاء، فيها العالم العلامة فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين قدس الله روحه، فلبث في القضاء سبع سنين وثمانية شهور، ثم استقال من قضائها في أواخر شعبان سنة ١٢٦٩هـ.

ثم إنه تولى القضاء فيها الشيخ محمد بن إبراهيم السناني ستة شهور.

ثم تولى القضاء فيها الشيخ علي بن محمد الراشد من أهالي الزلفي أصله وولادته في عنيزة، استمر من تخلي سلفه حتى توفاه الله تعالى سنة ١٣٠٣هـ، فكانت مدته في القضاء ثلاثاً وثلاثين سنة، وكانت وفاته في ٨شوال من السنة المتقدمة.

ثم إنه تولى القضاء من بعده الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن مانع إلى سنة ١٣٠٧هـ.

ثم إنه تولى القضاء بعده الشيخ صالح بن قرناس من أهل الرس ثمانية شهور.

ثم تولى القضاء بعده عبدالله بن عائض عشر سنين، وتوفى فجأة في المقبرة بعدما عزل بأربع سنين.

ثم تولى القضاء فيها الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر من سنة الطرفية المذكورة إلى سنة ١٣٢٤هـ.

ثم إنه تولى القضاء فيها الشيخ صالح بن عثمان القاضي إلى سنة ١٣٥١هـ.

ثم إنه كان القاضي بعده الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع.

وفيها من العلماء الذين لم يتولوا قضائها الشيخ علي بن محمد السناني، والشيخ صالح بن عبدالله البسام، والشيخ عبدالعزيز بن زامل السليم، والشيخ محمد بن عبدالكريم الشبل، والشيخ ناصر بن عبدالله بن سعدي، وابنه عبدالرحمن بن ناصر العالم المشهور، وعلي بن ناصر بن وادي، والشيخ عثمان بن صالح القاضي، والشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف السعودية سابقاً، وسنذكر ما تيسر من تراجمهم فيما بعد من سني هذا التاريخ إن شاء الله تعالى.

أما قضاة بريدة وعلماؤها فمنهم الشيخ القاضي عبدالعزيز بن سويلم من أهل الدرعية، تولى قضاء بريدة في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وعهد نجله الإمام سعود بن عبدالعزيز.

ثم تولى قضائها بعد ذلك الشيخ عبدالله بن صقية في أول إمارة عبدالعزيز المحمد آل عليان، واستمر في القضاء عشر سنين، وكان من تلامذة الشيخ قرناس، ثم توفى في سنة ١٣٥٦هـ، فتولى القضاء بعده الشيخ سليمان بن علي بن مقبل، وطالت مدته ثم عزل سنة وجعل مكانه الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، ثم عزل وأعيد الشيخ سليمان بن مقبل، ثم عزل وأعيد بن سليم، ثم عزل وأعيد بن مقبل، فاستمر حتى ذهب إلى مكة المشرفة وجاور فيها كما قدمنا، وكان قد استناب الشيخ محمد بن عمر بن سليم، ثم كتب له بعد ذلك يخبره أنه قدم استقالته وأنه قد عزله عن النيابة وذلك لأن الشيخ سليمان قد أسن وكبر.

ولما أن استقال رجع إلى وطنه البصر وسكنه حتى مات، رحمة الله تعالى عليه في سنة ١٣٠٤هـ.

ومن علماء بريدة محمد بن إبراهيم بن عجلان في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر تقدم ذكر جم غفير منهم.

وسيأتي في تاريخنا هذا ما هو من أعجب العجاب في ذكر العلماء، فعليك أن تلقي السمع وترى بعين البصيرة ما أنتج القصيم، بل ما أنتجت نجد من العلماء الفطاحل لتقارن بين الأزمان وترى أن الله تعالى ابتلى المسلمين بذهاب علمائهم بحيث يقتطفهم الموت وهم في سن الشباب والكهولة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن علماء الدين الشيخ عبدالله بن حسين بن صالح أباالخيل، كان زاهداً ورعاً وموطنه قرية المريدسية، وكان في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، ووفاته قريباً من ربع القرن الأول، ومنهم الشيخ عيسى الملاحي ووفاته في منتصف هذا القرن.

أما أمراؤها فمنهم الأمير حجيلان بن حمد آل عليان، تولى إمارتها مستقلاً فيها زمناً طويلاً، ثم إنه خضع لإمامة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فلبث أميره فيها وأمير نجله سعود وعبدالله بن سعود حتى عاث إبراهيم باشا في نجد بالفساد، وقتل العلماء والأمراء، فحمل معه حجيلان أمير القصيم وتوفى في المدينة عن عمر فوق الثمانين، وكان شجاعاً مقداماً، استطاع أن يتقلب في الإمارة ما يزيد عن خمسين سنة، ومن صرامته وشجاعته أنه لما زحف سعدون بن عريعر معه بنوا خالد والظفير وبوادي شمر وبوادي عنزة، ونزل ببريدة وحاصرها وقد خان بعض أهلها البلد برئاسة سليمان الحجيلاني ورجال آخرين، مضى الأمير حجيلان فضرب عنق سليمان وقتله، فسكتت المتحركات وثبت معه أهل البلد، فلبث سعدون محاصراً لبريدة مدة أشهر تزيد على أربعة، ويجري فيها وقعات، غير أنه لم يحصل على طائل.

ولما أن كان سعدون ومن معه من الجنود ينتظرون بفارغ الصبر تسليم بريدة، إذ بضرب الدفوف في ليلة من ليالي الحصار، فسأل سعدون ما هذا فقيل له هذا

لزواج الأمير حجيلان في هذه الليلة، فعلم سعدون أن أمير بريدة وأهاليها لم يعبؤوا به، وإنهم ممتنعون، فارتحل عنها وتفرق الذين معه، وسار ونزل قرب الزلفى، فالتف إليه جموع فأقام على ذلك أياماً ثم رحل ونزل مبايض يدير الرأي ومن معه في أي بلد يسطون.

تنبيه

قد ذكرنا فيما تقدم أن جيش الملك عبدالعزيز الذي زحف به من الكويت لفتح الرياض أربعون رجلاً، وبما أن هؤلاء النقباء قاموا بأمر يشكرون عليه، فإنا سنورد أسمائهم، وهؤلاء هم:

أخو جلالة الملك محمد بن عبدالرحمن بن فيصل، عبدالله بن جلوي، عبدالعزيز بن جلوي، عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، ناصر بن سعود الفرحان، سعود بن ناصر الفرحان، فهد بن جلوي آل سعود، عبدالله بن صنيتان، فهد بن إبراهيم المشاري، عبدالعزيز بن عبدالله بن تركي، فهد بن معمر، عبداللطيف بن معشوق، محمد معشوق، فهيد بن معشوق، سعد بن بخيت، عبدالله بن عسكر، صطام أباالخيل، فرحان بن سعود، مطلق بن عجيان، محمد بن هزاع، مسلم بن مجفل السبيعي، إبراهيم النفيسي، عبدالله الهزاني، محمد بن شعيل، عبدالله بن عبيد، عبدالله بن جريس، فيروز العبدالعزيز، معضد بن خرصان الشامري، يوسف بن مشخص، عبدالله بن خنيزان، مسعود بن مبروك، ناصر شامان، مطلق المغربي، سعيد بن بيشار، فلاج بن شنار الدوسري حزام العجالين الدوسري، منصور بن محمد بن حمزة، فهد بن الوبير الشامي، منصور بن فريج، زيد بن زيد، صالح بن سبعان، ماجد بن مرعيد.

وكان لما وصل إلى الموضع الذي يبعد عن الرياض مسافة ساعتين على الأقدام، ترك المطايا والخيل هناك وجعل عليها معضد بن خرصان، ومسلم بن مجفل، وحامل الراية عبداللطيف بن معشوق وقال لهم: إن ارتفعت الشمس ولم يأتكم منا أحد فانهزموا حيث شئتم، فإنا إذاً مقتولون، وإن أظفرنا الله بمطلبنا واستولينا على

البلد فإني سأبعث لكم فارساً يلوح لكم بثوب، ثم إنه بعد ما نصره الله لم يقتل من أصحابه إلا اثنين زيد بن زيد، وفهد بن الوبير، وجرح ثلاثة وهم عبدالعزيز بن مساعد وإبراهيم النفيسي وصالح بن سبعان، ذلك بأن الحامية قامت تمطرهم بالرصاص، وكان لما أن نفلت عجلان، جريحاً دخل في مسجد القصر، فلاحقه عبدالعزيز وأطلق عليه خمس رصاصات قضت عليه.

وبذلك نختم المجلد الأول من تاريخنا والله المستعان وعليه التكلان.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

آخر الأول والحمد لله بنعمته تتم الصالحات

آخر المجلد الأول ويتلوه إن شاء الله المجلد الثاني، ومبدؤه ثم دخلت سنة ١٣٢٠هـ.

فهرس الجزء الأول

الموضــــوع **الصفحة**

تذكرة أولي النهى والعرفان

بأيام الله الواحد الديان

وذكر حوادث الزمان

تأليف

فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن

"من علماء أهل القصيم"

الجزء الثاني

مكتبة الرشد

ناشرون

ح مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./ إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. ــ الرياض، ١٤٢٧هـ

٣٣٦ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

X-٦٢٠-٠١-٩٩٦٠ (ج ٢)

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم أ- العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٢٧/٤٧٩٢

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

X-٦٢٠-٠١-٩٩٦٠ (ج ٢)

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م



مكتبة الرشد ـ ناشرون

المملكة العربية السعودية ــ الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ــ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ــ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

★ الرياض: فرع طريق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ ـ فاكس: ٢٠٥٢٣٠١

★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ ـ فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦

★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ ـ فاكس: ٨٣٨٣٤٢٧

★ فرع جدة: ميدان الطائرة: هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ ـ فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤

★ فرع القصيم: بريدة ـ طريق المدينة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ ـ فاكس: ٣٢٤١٣٥٨

★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧

★ فرع الدمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ ـ فاكس: ٨٤١٨٤٧٣

★ فرع حائل: هاتف: ٥٣٢٢٢٤٦ ـ فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالخارج

★ القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ ـ موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣

★ بيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ ـ موبايل: ٠٣/٥٥٤٣٥٣ ـ فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ثم دخلت سنة ١٣٢٠هـ

استهلت هذه السنة والحرب مشمرة عن ساقها بين عبدالعزيز بن عبدالرحمن وعبدالعزيز بن متعب بن رشيد، هذا يدافع عن كيانه وذاك يريد نزع الملك منه وأخذ بلاد أبائه وأجداده، وكانت نجد كلها إذ ذاك تحت سلطان بن متعب، فما حصل خصمه إلا على الرياض وما وافقه من جريانه، فلما كثر ظلم آل رشيد وأمرائهم واشتدت أذيتهم للمسلمين في أموالهم ودمائهم لما يعاملهم به عبدالعزيز بن متعب من الغشم والقهر، رماه الله عز وجل بهذا الخصم الذي ما يزال يدبر الحيلة ويجيش الجيوش حتى قتله الله علي يديه بعدما خسر نصف ملكه، وفي ذلك عبرةً لمن يخشى أن يظهر هذا الشاب من بلاد الكويت في ضعف وقلة بجيش عدده أربعون رجلاً على إبل ضعيفة قليلة، فما زالت الفتوحات تترى حتى اتسعت رقعة ملكه، واستلم زمام الملك وانتزعه من يد ابن رشيد مع كثرة جيوشه وشدة بأسه وفتكه.

ذلك لما قام بالملك ابن سعود من تعظيم العلماء وإكرامهم والرأفة بالفقير والشفقة على الرعية عكس ما عليه خصمه القاسي الألدّ من الأمور الشنيعة، وكان يحتقر ابن سعود وشأنه وما كان يظنه شيئاً مهماً كان في حساباته.

وقد كانت الملوك الحية من المتقدمين لا يؤمرون متكبراً لأنه يستهين بالعدو ويحتقره حتى يصطلمه.

ثم إنه قام الشاب الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن فأغار في أوائل هذه السنة مرتين على قبائل من قحطان كانت نازلة حلبان في أطراف نجد، فأخذهم ولكنه مرض في هذه السنة، وكان مرضه في الغزوة الثالثة وهي على ماء الحسي شمالي مكان قرب الشعرى، بينه وبين الرياض نحو من ثلاثمائة ميل، أعني قدراً من خمسة

عشر يوماً للركاب، وكذلك القدر الذي بين الرياض ووادي الدواسر على مثل ذلك، وكان ابن رشيد مقيماً على الحفر إذ ذاك، فلما رأى من ابن سعود ما لم يكن في حساباته بعد أن يئس من وعود الأتراك، وحيّره ما صنع هذا الشاب وبهت مما فعل، لوى عنانه راجعاً إلى حائل ليقضي على حركان ابن سعود بزعمه فقدمها، وعبأ جيشاً جديداً وتجهز للحرب جامعاً جنوده من شمر والقصيم وسدير والوشم وغير ذلك، ثم إنه زحف في ربيع الأول من هذه السنة بجيوشه إلى الرياض وقد آلى على نفسه أن لا يدخل حائل حتى يقضي على حركته.

ذكر رجوع الإمام عبدالرحمن بن فيصل إلى الرياض بعد إقامته في الكويت

لما أن علم عبدالعزيز بن عبدالرحمن بخبر ابن رشيد، وأنه تجرد لمقابلته، أرسل إلى والده في الكويت يذكر له أن الحرب قائمة وأن المصالح تقتضي أن يكون الإمام عبدالرحمن في الرياض مقيماً، فعند ذلك أقبل والده مسرعاً وغزا في طريقه قبائل من الظفير وشمر الموالين لابن رشيد، وخرج جلالة الملك عبدالعزيز ورجاله يستقبلونه من مسافة ثلاثة أيام، فدخلها بعدما بارحها منذ إحدى عشرة سنة.

ثم إنه جرى بينه وبين والده خلاف نادر المثال فقد أرسل عبدالعزيز من القصر إلى والده في بيته في الرياض، يقول الإمارة لكم وأنا جندي في خدمتكم، فأبى ذلك الإمام عبدالرحمن واستدعى بالعلماء فجمعهم وأخبرهم بالأمر، ثم استدعى بالابن، فلما حضر بين يديه تكلم عبدالرحمن قائلاً: إذا كان قصدك في استدعائي إلى الرياض لأتولى الإمارة فيها فهذا غير ممكن ولا أقبله مطلقاً، ولا أقيم هنا إذا ألححت فيه، فقام العلماء على عبدالعزيز وقالوا له: على الابن أن يطيع والده، وقالوا لعبدالرحمن: أنت والد عبدالعزيز رئيس عليه، فأجاب الإمام عبدالرحمن: ولكن الإمارة تكون لعبدالعزيز، فقال عبدالعزيز: إني أقبلها بشرط أن يكون والدي مشرفاً على أعمالي دائماً، فيرشدني إلى ما فيه خير البلاد، ويردعني عما يراه مضراً في مصالحها.

كذلك تمت البيعة لعبدالعزيز.

ولما أن زحف ابن رشيد بجيوشه نزل في رغبة من بلدان المحمل، وقصده محاصرة الرياض، فأرسل سالم بن سبهان بجيش من قحطان إلى ضرمة ليهجم عليها من الجنوب الغربي، وأمر الحازمي أن يستنهض العجمان وآل مرة بموازاة الحكومة فيهجمون من الشرق الجنوبي، فحينئذ أرسل عبدالعزيز بن سعود أخاه محمد وعبدالعزيز بن جلوي إلى تلك النواحي الجنوبية يستنجدان الدواسر وآل مرة، فظفروا بما لم يظفر به الحازمي وأعوانه الأتراك.

وكان قد علم ابن رشيد بأنه قد تبع ابن سعود كثيرون من أتباعه وانضموا إليه، فأقام في رغبة شهرين وأسبوعين في الحسي، وهو عاجز عن الهجوم على الرياض، ثم رحل إلى الحفر ليحول دون تموين العدو من الكويت، فصار لكل أمير من أمراء العرب دائرة استخبارات، ولكنهم هناك يسمون الأشياء بأسمائها الحقيقية.

فلما علم ابن سعود من جواسيسه أن ابن رشيد ينوي أن يصادر الأرزاق التي تجيء إلى نجد من جهة الكويت والحسا تذاكر ووالده، فعقدت النية على حيلة تقربه منهم فيتلاحمون وإياه، فإما أن يقضوا عليه أو يحولوا بينه وبين تنفيذ خطته على أقل الأحوال، فخرج عبدالعزيز بن عبدالرحمن من الرياض ووجهته الجنوب، وذهب شمالاً إلى مناخ ابن رشيد وأشاع أن ابن سعود خائف من خصمه وأنه فرّ هارباً.

فلما سمع بن رشيد بهذا رحل مسرعاً وأقبل حتى نزل على ماء بيان، ولم يكن بينه وبين الرياض سوى عشرين ميلاً أو أقل، ثم جاءه يقين الخبران الرياض محصنة وأن ابن سعود في حائر سبيع بالخرج، فأمسى ابن رشيد في حيرة مزعجة أبت عليه التقهقر وحالت بينه وبين الهجوم، وقد أمر ابن سعود أميره أحمد السديري، وكان قد جعله قائد سرية في الدلم عاصمة الخرج أن يتأهب للزحف معه إلى الرياض إذا هجم ابن رشيد عليها، أما إذا تجنبها ومشى إلى الخرج فأهل الرياض يتقفونه بالسلاح

وعبدالعزيز يفزع إلى السديري في الدلم، وبعد هذه التدابير وكل ابن جلوي بمن كان معه من الجنود فأقامهم في علية وهي جبل بين الحريق والحوطة قريب منها.

ثم أرسل أخاه سعد إلى الحريق يستنجد أهلها، وذهب هو للغاية نفسها إلى الحوطة، فبلغه في اليوم الثاني هناك خبر هجوم ابن رشيد على الدلم، فوقع ابن رشيد في هذه الشبكة التي نصبت له، وبادر ابن سعود إلى ذلك المكان وقد جمع جيوشه من أهل الحوطة والحريق، فبلغوا مع من كانوا في جبل علية ألفاً وخمسمائة مقاتل، فاجتمعوا في ماوان على مسافة عشر ساعات من الخرج وسروا، فلما كان قبيل انفجار الصبح إذا بهم في الدلم، وكان ابن رشيد قد نزل نعجان على قدر مسافة ساعتين من البلدة، ولم يعلم بدخول ابن سعود إليها.

ولما قدمها ابن سعود قبيل الفجر كان قد مضى عليه أسبوع كامل لم يكتحل جفنه بالكرى ولم يتذوق خلاله طعم الراحة ولذيذ العيش، ولله در القائل:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

فوجد فرصة يريح بها بدنه من شدة التعب وعظيم السهر، فدلك جسمه بدهن وملح ونام هادئاً من صلاة الفجر حتى أذان الظهر، ثم استيقظ وأخذ في ترتيب جنده وإعداد العدة لمهاجمة خصمه.

ولما كان من العصر أرسل ابن رشيد سرية متكشفة، فخرجت لها خيل ابن سعود فتهاجم الفريقان وتطاردا، فانهزمت خيل ابن رشيد، ولما كان في فجر غد ذهب ابن سعود يكمن لابن رشيد، وكان قد علم أن من عادته أن يخرج وبعض رجاله صباح كل يوم فيطوقون في البساتين يرعون إبلهم ويقطعون النخيل، غير أنه لم يخرج كعادته لأنه قد أحس أن ابن سعود في الدلم.

ولما أن بعث ابن سعود خيالة للكشف، ذهبوا وعادوا يقولون أنه متحصن في نعجان، فما كان من رأي ابن سعود أن يهجم عليه في النهار لأن خيله قليلة، ولأن الهجوم يبعده عن الحصون، على أن الكشافة لم يصلوا إلى حقيقة الأمر جبناً منهم أو جهلاً، وحينما عاد ابن سعود إلى البلدة بلغه الخبر أن ابن رشيد قد خرج على

عادته يتجول في النخيل، فبادر ابن سعود إليه بقسم من جيشه، فعند ذلك تقابل الفريقان وتواجه الخصمان خارج الدلم في وسط النخيل، وهذه أول مقابلة بينهما، فوقعت الحرب شديدة، واستمرت ست ساعات حتى غربت الشمس، غير أنها لم تسفر عن شيء يذكر سوى أنه أسر السعوديون جماعة من أهل لبدة قوم ابن رشيد وحصروهم في القصر، ففروا منه في المساء، وطارد ابن سعود ابن رشيد ورجاله، فتقهقر عن معسكره، وقلت الذخيرة التي عند ابن سعود، فنفدت أن كادت، فأرسل يطلب مدداً من الحوطة وطعن ابن رشيد فسار إلى أسفل الخرج جنوباً فنزل في السلمية التي تبعد عن الدلم ست ساعات، فتقفاه ابن سعود بعد ما أتاه مدد الذخيرة، ونازله في السلمية فأخرجه منها، ولكنه لم يتمكن من تعقبه وإدراكه، وذلك لقلة خيله وركائبه وكثرتها مع ابن رشيد فقد كان جيش الشمري مؤلفاً من أربعة آلاف ذلول وأربعمائة خيال، وجيش ابن سعود لم يتجاوز الألفين ولم يكن معه غير أربعين من الخيل، ومع ذلك هزم ابن رشيد وثبتت سيادته في الخرج بل في النواحي الجنوبية كلها.

ثم دخلت سنة ١٣٢١هـ

ففيها ارتحل ابن رشيد بعد هزيمته في الخرج عائداً إلى الحفر، واستأنف الغزو فأغار على عربيدار قرب الكويت، وعلي سبيع في الدهنا، وعلى عتيبة قرب الأرطاوية، ثم باشر محاصرة الكويت، وكان على فرعنته وجبروته.

فلما أن حصر الكويت أرسل الشيخ مبارك بن صباح إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن يخبره بصنع الأمير الشمري ابن رشيد، ويستنجده عليه يقول: يا ولدي يا عبدالعزيز أن ابن رشيد قد حصر الكويت، هذا وقد كان عبدالعزيز مشغولاً بماليه، فقد عاد إلى الرياض وأقام بها شهر، ثم غزى عرب مطير في الصمان وعتيبة في عرق رغبةً بين الوشم وجبل طويق، لأن بعض القبائل على ولاء ابن رشيد، وقد تشققت القبائل وجعل يغير هذا على هذا، واختلفت الأمة وتفرقت

الكلمة، وكان لكل دولة أعوان وأنصار، ولأن كانت الدولة السعودية أيدها الله ومدّ في نصرها لها حق التقدم والولاية، فإن بهذه الفترة قد تحزب أحزاب لبيت آل رشيد يوالونهم ويخلصون في محبتهم من الأمراء والعلماء، ولهم أتباع وأصحاب يشدون أزرهم ويكثرون سوادهم، وهنا أيضاً منافقون يظهرون مالا يبطنون، ويتربصون الدوائر، وهنا أيضاً همج اتباع كل ناعق.

ولما أن جاءت استغاثة مبارك بن صباح بعبدالعزيز بن عبدالرحمن يستنجده لأمر دهاه وخطبٌ حل به، ذلك لأن الدولة العثمانية قد حرضت على مبارك سعدون باشا رئيس قبائل المنتفق، وقد تفرق عنه أنصاره، أضف إلى ذلك حصر ابن رشيد له في الكويت، فلم يرى عبدالعزيز بدا لما ذكر أيادي مبارك لديه وإيوائه لهم عنده في الكويت، فقام فزعاً بجيوش عظيمة وزحف بعشرة آلاف مقاتل لنجدة ابن صباح، فياعجباً من تقلب الدهر مبارك بالأمس ينجده بأربعين بعيراً لفتح الرياض، فأصبح يطلب منه النجدة فأنجده بهذا الجيش العرمرم، وكان قد عزم عبدالعزيز على أن يأتي بمن خلفوا في الكوبت من أهليهم وأولادهم وذخائرهم إلى الرياض.

ولما أن زحف عبدالعزيز بهذا الجيش إلى الكويت رحبت به الكويت وهللت له وأنظم منها إلى جيشه ما كان قد جنده الشيخ مبارك بقيادة ابنه جابر.

ثم خرج القائدان عبدالعزيز وجابر غازيين طالبين ابن رشيد فانتهزها أهل النفاق والذين في قلوبهم مرض وبعثوا يخبرون ابن رشيد بخلو بلد الرياض من الجند ويستحثونه في القدوم وأن ينتهز الفرصة على حين غفلة من أهلها قد كان أن يكون ذلك لولا أن وقى الله المسلمين شره وردّه الله بغيظه، لم ينل خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً.

ذكر تقدم ابن رشيد إلى الرياض

لما زحف ابن سعود ورفيقه بذلك الجيش مؤلفاً من قبائل الإحساء كلها من العجمان وآل مرة وبني خالد وبني هاجر والعوازم والمناصير وسبيع والسهول، فتم

عدده أربع عشر ألف، منها أربعة آلاف خيال، توجه هذا الجيش إلى الحفر، غير أنهم أخبروا أن ابن رشيد قد عاد إلى بلاده، وكان هذا الخبر وافاهم في الطريق بين الكويت والحفر، فهجموا على مطير في الصمان فقتلوهم عن بكرة أبيهم وغنموا أموالهم وأرزاقهم كلها.

لكنه مع الأسف لم يعد ابن رشيد إلى بلاده ما هي إلا إشاعات وتعمية للأخبار، بل قد خدعهم وزحف إلى الرياض يريد احتلالها، فوا أسفا إن حلاوة هذا النصر لم تدم على ابن سعود وجابر بن صباح، فقد أتاهم الخبر اليقين، وعندما وصلوا إلى ماء طوال أن ابن رشيد قد خدعهم ومال إلى الرياض، وقد كان مرّ في مسيره بعربان من السهول فضربهم وضمهم إلى جيشه، ثم تقدم مسرعاً يريد أن يفاجيء العاصمة بالهجوم عليها ليلاً، ولما دنى من الرياض وعسكر عند جبل أبي مخروق دون أن يعلم بذلك أحد من أهلها، ثم مشى إليها وأصبح في ظلال نخيلها، عند ذلك شرد رجلٌ من السهول المكرهين ودخل البلد يصيح بالناس قائلاً: العدو بساحتكم ابن رشيد عند السور، فعند ذلك نهض عليه الإمام عبدالرحمن بن فيصل بأهل الرياض وخرجوا للدفاع، فنازلوا خارج السور، فرده الله خائباً مدحوراً لم ينل طلبه، ثم إنه انتقل بعد ذلك من معسكره في أبي مخروق إلى نخيل يبعد مسافة ساعة عن الرياض، فأقام هناك ثلاثة أيام دون أن يأتي بحركة، وقد أنشأ الشيخ سليمان بن سحمان قصيدة يهنيء بها الإمام المكرم عبدالرحمن بن فيصل بما منَّ الله عليه به من النصر والظفر على هذا العدو في هذه المفاجئة التي حصلت ولم تكن في الحسبان:

لـك الحمـد اللـهم يـا واسـع المجـد ... والله أولى بالجميـــل وبالحمـــد
لك الحمد يا حنان يـا واسـع العطـاء ... لك الحمد حمداً ليس يحصى بـلا حـد
لقــد مــنَّ مولانــا علينــا بلطفــه ... وإحســانه والله ذو المــد والمجــد
لقد جاءنا الأعـداء علـى حـين غفلـةٍ ... وفي هجعـةٍ مـن آخـر الليـل بـالجرد
علــى عــدة مــنهم وشــدة أهبــةٍ ... وغــيظٌ وإيعــاد عنيــفٌ بمــا يــرد

وما كان منا عالم بمجيئهم ... إلينا ولكنا على أهبة تجدي
فجاء الطغاة المعتدون بخيلهم ... وجندهم المخذول يمشي على وخد
إلى أن غشوا كل البلاد وأحدقوا ... بإرجائها واستنجدوا كل ذي كمد
يريدون أن يسطون في البلد التي ... أبى الله أن يسطو به غارة الضد
فنبهنا الله اللطيف بفضله ... ورحمته حتى كانا على وعد
فثرنا كأسآد الشرى نبتغي الوغى ... إلى السور والأبواب نعدو بلا عد
فلله من جندٍ أسودٍ ضراغم ... يسومون في الهيجا نفوساً بلا نقد
مساعير في الهيجاء مداعيس في الوغى ... ليوث شراً من طبعها الفتك بالضد
فلما استحس المعتدون بأننا ... شعرنا بهم هابوا القدوم على الجند
ولو قدموا ألفوا رجالاً أعزةً ... قد اعتقلوا بالسمهري وبالهند
وبالجميع حول السور دون نفوسهم ... وأموالهم والمحصنات بما يرد
فولوا على الأعقاب لم يدركوا المنى ... وصار لهم شأنٌ سوى مرتمى القصد
وهمتهم أخذ الحمير وما عسى ... يكون لهم فيها من العز والحمد
وساورهم منا أناسٌ أماجد ... قليلون كالآساد لكن بلا وعد
ومن غير أمر بالخروج إليهم ... على أهبة تنكي العدو بما يرد
فسددهم ربي وأظفرهم بهم ... وأجلوهمو منها على كثرة الجند
وفي قلةٍ منا وفي حين غفلةٍ ... وعن كثرةٍ منهم على أهبة تحدي
فكر على الأعقاب نحو بنوده ... وثقلته قد آب بالخزي والكمد
وقد قتلت أجناده وإصابةٍ ... من العقر في الخيل المطهمة الجرد
بما فلّ منه الحد فانثل عرشه ... وصار إلى إفساد زرع وفي وقد
فاخرج نحو المفسدين إمامنا ... أناسٌ قليلاً يعتدون على الضد
فوافوهم قبل الغروب فأمطرو ... عليهم بصوب المارتين التي ترد
فولوا على الأعقاب نحو خيامهم ... وما أحد يلوي علي أحد يجدي
وقد قتلوا منهم أناساً وأثروا ... جراحاً كثيراً فات عن حصرٍ ذي عد

وقد صح أن القتل من غير مريةٍ ثلاثون نفساً بل يزيدون في العد
فأصبح مرعوب الفؤاد مرزءا وخالجه رعبٌ فآب علي كمد
وفرّ هزيماً آخر الليل مجنباً كسيراً ذليلاً خائب الظن والقصد

ثم أخذ في مدح الإمام عبدالرحمن بن فيصل وماله من المآثر، وقدم إليه بعض الآراء والنصح إلى أن قال مهنئاً لجلالة الملك عبدالعزيز:

فمن مبلغ عبدالعزيز وجنده ومن معه أنا علونا على الضد
وما نال إلا الخزي والعار والردى وولى على الأعقاب منكسر الحد
ليهنك يا عبدالعزيز به الذي قد اعتز أهل الدين من كل ذي رشد
وأكمد أكباداً وأوهى ذوي الردى ومن به المولى علينا من الجد
ونصر على الأعداء وهزم جنودهم فما شمّر إلا عن الرشد في بعد
وما شمر إلا عِدَاةُ ذوي الهدى وأنصار أعداء الهدي وذوي الجحد
فسر نحو أعداء الشريعة قاصداً بهمتك العليا ولا تأل في الجهد
إلى شمّر أعداء دين محمد... ذوي الغدر والمكر الجرد عن رشد
وجر عليهم جحفلاً بعد جحفلٍ وأرهبهمو بالصافنات وبالجرد
فإنك منصورٌ عليهم مؤيد وعندهمو من بأسك الخير المردي

ولما أن أقام بن رشيد في ذلك الموضع ثلاثة أيام بلغه أن عبدالعزيز بن عبدالرحمن زاحف إلى القصيم، فطعن مسرعاً لما سمع بذلك وقصد ناحية الوشم عن طريق ضرمة.

وكان الإمام عبدالرحمن بن فيصل قد أرسل سريةً بقيادة مساعد بن سويلم، فاستولت على المحمل والشعيب ثم زحفت إلى شقرا، وكان فيها أمير لابن رشيد اسمه الصويغ، فلما دنا مساعد من البلد، فرّ الصويغ إلى ثرمدا هارباً، فاستولى مساعد على شقراء برضاء من أهلها، ففي هذه السنة استولى ابن سعود عليها.

ولما أن فتحها مساعد زحف وهجم على ثرمدا، فأدرك الصويغ فيها فقتله وقبض على العنقري أمير ثرمدا، فارسله إلى الرياض.

ولما أن جرى من الأمير مساعد بن سويلم ما ذكر من هذه الشجاعة تعقبه ابن رشيد وهجم عليه في ثرمدا، فأخرجه منها وفرّ إلى شقراء فتحصن بها، ولكن ابن رشيد تقفاه أيضاً وحصره فيها، وكان الإمام عبدالرحمن بن فيصل لما كشف بأهل الرياض عبدالعزيز بن رشيد، كتب إلى ابنه عبدالعزيز يبشره بذلك فلم يشغر إلا بالبشير من جهة أبيه يخبره بهزيمة ابن رشيد عن الرياض، فاطمأن منه البال واهتم في نقل عائلتهم التي كانت لا تزال في الكويت، فعاد بها إلى نجد.

ولما أن وصل إلى العاصمة الرياض استراح بها يوماً واحداً وزحف مسارعاً لنصرة الأمير مساعد بن سويلم لما أن علم أن ابن رشيد قد حصره في شقراء، لأن مساعد بن سويلم البطل الشجاع أصبح قد حصره ابن رشيد في شقراء، ولما أن سار صاحب الجلالة عبدالعزيز وبلغ حريملا، علم الطاغية ابن رشيد بزحفه، فقفل إلى الغاط وفك الحصار عنها، ولكن عبدالعزيز واصل الزحف إلى شقراء فاحتلها.

وكانت سرية ابن رشيد بقيادة حمد بن عسكر أمير المجمعة لا تزال في ثرمدا، فأرسل عليها صاحب الجلالة أميره القائد المحنك عبدالله بن جلوي، فلما جاءهم أعطاهم الأمان، فأبوا إلا القتال، فتقدم إليهم وضربهم ضربةً دحرتهم غير السرية فإنها تحصنت في القصر، فأمر القائد عبدالله بمهاجمتها ليلاً، فكانت النتيجة أن قتل منهم عدد وفرَّ الآخرون، وناهيك بعبدالله بن جلوي صرامةً وشجاعةً وجرأةً، فلما سلمت له ثرمدا رحل الأمير الشمّري عبدالعزيز بن متعب بن رشيد من الغاط إلى القصيم، وكان الغاط من بلدان سدير يبعد عن المجمعة مسافة عشرين ميلاً.

ولما رحل ابن رشيد ترك سريتين في سدير، إحداهما في المجمعة والأخرى في الروضة، فأرسل الملك عبدالعزيز إليهما سرية بقيادة خاله أحمد السديري، فنازلت السرية السعودية سرية الروضة فكسرتها واستولت على البلد ثم مشت في سدير ظافرة، فاستولت على بقية بلدانه ما عدا المجمعة فإنها حافظت على سيادة ابن رشيد، ودافعت دفاعاً شديداً، ولكنه قنع ابن سعود بما حاز من النصر، فترك سريتين أخريين واحدة في الروضة والثانية في جلاجل، وأمر السديري في شقراء، ثم عاد إلى الرياض، وكل هذه الملاحم العظيمة في هذه السنة.

ولما أن عاد ابن سعود إلى الرياض استراح بها شهراً، وما كاد يتم الشهر حتى جاءت الأنباء تفيد أن ابن رشيد خرج من القصيم غازياً، وقصده الهجوم على عتيبة وقحطان، وقد كانتا من قبائل ابن سعود، بعد استيلائه على سدير والوشم، وحاصر ابن رشيد التويم وهي قرية من قرى سدير، فخرج عبدالعزيز بن سعود من الرياض مسارعاً بعدما أصدر أوامر إلى أهل الوشم أن يبادروا مع أحمد السديري إلى أنجاد سدير، وعندما وصل إلى ثادق تحقق أن ابن رشيد لم يحصل على طائل في غزوته وحصاره، بل انهزم مشرقاً ونزل على ماء شمالي الأرطاوية.

ذكر الاستيلاء على القصيم

فنقول: سار عبدالعزيز بن عبدالرحمن من ثادق إلى جلاجل، فأقام بها عشرين يوماً يعد القوة لفتح القصيم، فبلغه أن ابن رشيد قد عاد إلى تلك الناحية ماراً بالزلفي، فزحف ابن سعود بجيشه إلى بلد المجمعة عاصمة سدير، وكانت لا تزال مقيمة على ولاء ابن رشيد، وله سرية فيها، فاتفق هو وأهلها على أن يسلموا إذا هو استولى على القصيم، ثم إنه جنّد الجنود وألّف جيشاً قدره سبعة آلاف من المشاة وأربعمائة ذلول فقط، وزحف بهذا الجيش إلى الغاط، ثم إلى الزلفي، وكتب كتاباً إلى الشيخ مبارك بن صباح من هناك يسأله أن يرسل إليه من كانوا عنده من أهل القصيم كآل مهنا وآل سليم وما يستطيعه من المدد، فلما بلغه هذا الكتاب أرسل إليهم وكانوا جالين من القصيم ولاجئين إلى الكويت بعد واقعة المليداء والطرفية، فلما أخبرهم بهذا الخبر كان ينقصهم المال والرجال.

وكان في دمشق من الشام كثير من أهل القصيم المعروفين بعقيل، فاقترحوا على الشاعر العوني أن ينظم قصيدة يستثير بها هممهم ويحرك بها سواكنهم بصفته شاعراً مهيجاً ففعل ذلك، ولما قرأت عليهم القصيدة بكوا وصفوا تجارتهم وتجهزوا وصفوا تحت راية ابن سعود إلى أن تم استرجاع القصيم، وتسمى هذه القصيدة بالخلوج لأنها تخيل ناقة فقدت ولدها، فهي لا تهدأ من الحنين.

ولما أن قدموا على ابن سعود كان معيتهم مائتي مقاتل مدداً من ابن صباح،

لأبن سعود، فوافق في هذه السنة قلة أمطار وقحط، فضاق العيش جداً بسكان الزلفي ، ولحق الضيق بالجيش حتى كانوا يأكلون جمار النخيل، فلم يمكن السير إلى بريدة لقلة الزاد والركائب، مع أنه ليس في الطريق بلد يأوون إليه، أضف إلى ذلك أن ابن رشيد له الاستيلاء على القصيم أجمع، فماذا عسى أن يفعل ابن سعود.

ولما أن أصبحت الأمور كما ذكر، كتب عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى بعض الموالين له في القصيم يطلب منهم أن يؤلفوا سريات تهجم على بعض البلدان تمهيداً لدخوله، تفتح له الباب، فلم تتفق المسألة لصعوبة ذلك، فلما تيقن ابن سعود أنه لا يستطيع الهجوم ولا البقاء في الزلفي، اقتضى رأيه الميمون أن يعود إلى الرياض، أما ابن رشيد فإنه رحل من القصيم قاصداً البطين لعله أن يظفر هناك ببعض عربان ابن سعود، فأقام على ذلك عشرة أيام يفكر في الوسيلة لقطع دابر الخصم، وما أحسن ما قيل في مثل حالته وأشباهها والأمثال تضرب للناس:

فـوا أسـفاً أن لا حيـاة لذيـذةً ... ولا عمـل يرضـى بـه الله صـالحٌ

«بيان» إذا أطلقت السرية فإنها من المائة إلى خمسمائة خيال، والجيش إذا أطلق ما كان أكثر من ذلك، وكذلك إذا أطلق على الأمير الشيخ فإنهم يطلقون ذلك على من كان حاكم في البلد وله السلطة عليها، فكان شيخ الكويت مبارك بن صباح وشيخ قطر قاسم بن ثاني وشيخ المحمرة خزعل بن مرداو وشيخ البحرين عيسى آل خليفة وشيخ نجد عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ثم إنهم جعلوا يطلقون على عبدالعزيز لفظة الشيوخ.

ذكر ذهاب ابن رشيد إلى الدولة العثمانية يجرّها على المسلمين سنة ١٣٢١هـ

لما رأى عبدالعزيز بن متعب أمور ابن سعود قد نجحت واستصعب عليه أمره، والتفت عليه عشائر نجد، لم يجد مندوحة عن الألتجاء إلى الدولة العثمانية يستنجدها عليه، فأجمع أمره واستعد لحفظ القصيم، فأرسل أربعمائة

من رجاله بقيادة ماجد بن حمود بن رشيد إلى جهة عنيزة، فأرسل ثلاثمائة من رجاله بقيادة حسين بن جراد إلى السر وحفظ بريدة بأميره عبدالرحمن بن ضبعان، وأمر حسين بن جراد أن يثبت بسريته في الوشم.

ولما أن ضبط القصيم حف أمراءه بالأجناد والأرزاق والذخيرة وشجعهم على الثبات حتى يأتيهم بالعساكر العثمانية.

ثم إنه انحدر في ١٠ذي الحجة إلى أطراف العراق ليستفز شمراً ويستنجد الأتراك هناك، ولما وصل إلى ساحة بغداد بث رسله إلى باشاتها، فاستجاشها وأثارها بالبخاشيش، فأمدوه بالأجناد وعزموا على نجدته بعساكره مباشرةً ليس إلا، فعند ذلك انتهز الإمام عبدالرحمن بن فيصل هذه الفرصة وأمر ابنه العظيم عبدالعزيز بن عبدالرحمن أن يغير بالجنود الحنيفية والجيوش الإسلامية على حسين بن جراد ومن معه من أولئك الأجناد، ومن اجتمع من حرب وسائر الأمداد، فزحف صاحب الجلالة وواصل السير في السرى، فالتقى بحسين بن جراد في موضع السر يوم ١٨ذي الحجة، ففلّ عليه الراية المنصورة، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما خاض حضين بن المنذر براية رسول الله ﷺ السوداء التي كان يستصحبها الصحابة في غزواتهم:

لمن رايةً سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حضين[1] تقدما
ويقدمها في الموت حتى يزيرها حياض المنايا تقطر الموت والدما

فأخذهم الله عز وجل وقتل منهم مقتلة عظيمة، وقتل حسين بن جراد وأكثر من معه، وغنم عبدالعزيز أموالهم وركابهم كلها، وتدعى هذه بوقعة جراد، وكان من نتائجها أنها قسمت قبيلة حرب المقيمة بين السر والقصيم، فانحاز منها قسم كثير إلى ابن سعود بعدما كانت كلها تابعة لابن رشيد.

---

(١) حضين بالضاد المعجمة.

ولما أباد الله خصراهم، قال الشيخ سليمان بن سحمان هذه القصيدة تهنئةً للظافر عبدالعزيز بن عبدالرحمن:

معالي الأمور الساميات المعالم ... لأهل التقى والجود أهل المكارم
وبالحزم للأعداء وبالعزم في الوغى ... تنال العلى بالمرهفات الصوارم
وكل معالي الخلتين أخذتها ... ونلت ذراها في الخطوب العظائم
وقد فقت أبناء الملوك جميعهم ... بجدٍ وإقدام بكل الملاحم
يلاحظك الإسعاد أين تيممت ... بنودك لا يثنيك لومات لائم
وما قصرت أعداك في الحزم والدها ... وتقليبهم أفكارهم للمصادم
وقد جمعوا جيشاً لهاماً عرمرما ... وصالوا به واستنجدوا كل ظالم
ولكن دهاهم من دهائك فتكة ... بفتيان صدقٍ كالأسود الضراغم
وحسن رجاء الله فيما ترومه ... بحزمٍ وعزمٍ والوفاء الملازم
وصدقٌ وتدبيرٌ وحسن طويةٍ ... حللت به فوق السهى والنعائم
ولاحظك الإقبال والعز فاستما ... لك النصر والإسعاف بين العوالم
وحلّ بهم ما حل بالناس قبلهم ... قديماً من الإدبار عند الملاحم
لأمر قضاه الله جل جلاله ... وليس لأمرٍ حمه من مصادم
فسرت إليهم بالجيوش تقودها ... لنفجأهم في غرةٍ بالضياغم
لعمري لقد كانوا ليوثاً لدى الوغا ... وليس لهم عند اللقاء من مقاوم
أبدت بها خضراهم فتمزقوا ... أيادي سبا واستأصلت كل غاشم
وولت على الأعقاب حربٌ وما أرعوت ... ولكنهم باءوا بشر الهزائم
وحالت على أبناء حائل وقعةٌ ... أبحت بها خضراهمو بالصوارم
وقد غودروا في فيضة السر جثما ... طعام سباعٍ والنسور الحوائم
ووالله ما من وقعةٍ قبلها أتت ... عليهم فقد باءوا بإحدى القواصم
وأخرى ستدهاهم بها وتسومهم ... وتفجاهم فيها بأسدٍ ضياغم
يسومون في الهبجاء نفوساً عزيزةً ... وترخص منهم في حضور المواسم
وتستأصل الأعدا بها وتسومهم ... بها الخسف والإذلال سوم البهائم

بحول الذي فوق السموات عرشه ويسعدك الإسعاف في كل ظالم
فيا من سما مجداً وجوداً وسؤددا وحل على هام السها والنعائم
ليهنك يا شمس البلاد وبدرها بلوغ المنى من كل باغٍ وغاشم
هنيئاً لك العز المؤثل والعلى هنيئاً هنيئاً فحزماً في العوالم
فهذا هو الفتح الذي جلّ ذكره وهذا هو العز الرفيع الدعائم
فلله من يومٍ عظيمٍ عصيصبٍ يشيب النواصي هو له في الملاحم
فشكراً لمنّ أولادك عزاً ورفعةً ونصراً وإسعافاً على كل ظالم
فذي وقعةٍ ما مثلها شاع ذكرها ولا مثلها فيهم أتت بالعظائم
ولا قبلها كانت عليهم فجائع ولا سامهم من قبلها ذل سائم
فلا زلت في عز أطيد مؤثل وأعدائك في خفضٍ وذلٍ ملازم
ولا زلت وطاءً على هامة العدى لك النقض والإبرام بين العوالم
ولا زلت كهفاً للعناة ومعقلاً منيعاً منيفاً في الخطوب العظائم

ثم إنه عاد قائد الجيوش العربية السعودية بعد وقعة ابن جراد إلى الرياض وأقام فيها شهر ذي الحجة، وما كاد يتم الشهر حتى زحف في آخره إلى الغرض الأكبر، فأرسل إلى أهل القصيم في شقراء يأمرهم بأن يوافوه إلى ثادق، لأنه يريد أن ينحدر إلى الكويت، ولما شاع هذا الخبر ترك عبدالعزيز ثقل أحماله في قصر الجريفة من قصور الوشم وزحف بجيشه مسرعاً إلى ماجد بن حمود بن رشيد في عنيزة، وفي آخر هذه السنة عاد الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سليم من النبهانية إلى بريدة، فجرت به ذيول افتخارها وازدهت به مرحاً وابتهجت بقدومه، وكان رحمه الله قد ثقل وشقّ عليه المشي لألمٍ في وركيه، سببه أن رجلاً سقط من سطح المسجد على وركيه فأثّر ذلك عليه خللاً في الوركين، فكان إذا مشى يجر إحدى رجليه.

ثم دخلت سنة ١٣٢٢هـ

استهلت هذه السنة والبطلان مصطليان في نار الحرب، ابن متعب قد انحدر

ليأتي بالدولة العثمانية لإبادة خصمه، وعبدالعزيز بن عبدالرحمن يهاجم ويسطو ويضم الممالك إلى نفسه.

ولما قتل حسين بن جراد وسريته، سار قاصداً بلدة عنيزة يريد الاستيلاء عليها، ولما وصل إلى ماء الشريمة في وسط النفود، علم بعض من كان معه من البادية أنه يريد ماجداً في عنيزة، فشردوا عنه، واستمر هو بزحفه لم يبال بهم، غير أنه ضلّ الدليل الطريق فتاهوا في النفود طيلة ذلك الليل، ثم خرجوا منه فإذا بكشافة لماجد، فعندما نزل ابن سعود طيلة ذلك النهار في قصر الحميدية من قصور عنيزة على مسافة أربع ساعات منها.

ثم إنه تقدم في ساعة الغروب، فوصل إلى نخل عنيزة، فعسكر هناك وأمر من كان معه من أهل القصيم، وفيهم آل سليم أن يهجموا على أهل عنيزة في تلك الليلة، وقد كان بعض الأعداء فيها مثل آل يحيى وآل بسام الذين لا يزالون إذ ذاك على ولاء ابن رشيد ومحبته، وبغض آل سعود بغضاً كامناً مع كل من انتسب إليهم، وعندهم سريةٌ من سرايا ابن رشيد رئيسها فهيد السبهان.

أما الأمير ماجد فكان نازلاً قرب المريبط وهو باب من أبواب عنيزة، فعند ذلك هجم أهل القصيم أتباع ابن سعود على عنيزة، فاصطدموا بطلائع ابن رشيد من أهلها ومن شمّر، فتلاحم الفريقان وقتل فهيد من ضمن من قتل، غير أن رجاله لم يسلموا، فطلب السعوديون من أميرهم مدداً، فأرسل إليهم مائتي من المقاتلة بقيادة الظافر عبدالله بن جلوي، فلما سمع أهل عنيزة بالنجدة التي جاءت يقودها الأسد في براثنه عبدالله بن جلوي، سلموا في الحال إلى آل سليم.

أما ابن سعود فركب بعد أن صلى الفجر على رأس سريةٍ من الخيل، وقصد المكان الذي فيه ماجد بن حمود الرشيدي، فلما رأى خيل ابن سعود فرَّ هارباً، فتعقبه ابن سعود واستولى على مركزه بعد أن قتل أكثر قومه، ومنهم أخوه عبيد، ثم عاد ماجد ومعه بضع وعشرون من الخيل والركائب وفيهم نفر من آل سعود الذين كانوا منفيين إلى حائل، جاء بهم ليردوا العدو المنتصر، لأنه إذا عرفهم وهم

من آل سعود قد يمتنع عن القتال فلا يقتل أحداً منهم، ولكن صاحب الجلالة عبدالعزيز لما رأى أهله وقد عرفهم، أمر بعقر خيلهم ليتمكنوا من خلاصهم، وكذلك كانوا فقد فازوا بعد عقر الخيل أثناء المعركة بسعود بن عبدالعزيز وسعود بن محمد وفيصل بن سعد، فخلّصوهم من القتل والأسر، ولقبوا بعد هذا بالعرائف والكلمة مأخوذة من قول البدو إذا خسروا في الغزو جمالهم ثم استعادوها فهم يسمونها العرائف، فصار هذا لقباً يطلقه عبدالعزيز على بني عمه سعود العرافة وفيصل العرافة إلى ذلك.

ثم إنه فرَّ ماجد بن حمود إلى حائل منهزماً مقهوراً، وتم فتح عنيزة في خامس محرم سنة ١٣٢٢هـ، فأقام بها عبدالعزيز بضعة أيام ثم زحف بجيشه إلى بريدة، فسلم أهلها ودخلها عنوةً، غير أن الأمير فيها من قبل ابن رشيد وهو عبدالرحمن بن ضبعان تحصن وحاميته بالقصر وسدوا عليهم الباب، فحاصرهم عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ولكن الأمير عبدالرحمن بن ضبعان بعد ما أغلق القصر أغراه طول القصر وعرضه وحصونه وثبت يقول: نار وجدار وركب ما عنده من القوات حتى لم يقدر أحد من الدنو حوالي القصر، ونبتت الأعشاب على قد متر هناك وما استطاع أحد رعيها في هذا المكان الذي بين القصر والبلد، وناهيك به من أمير حافظ على ولاء صاحبه، غير أنه ما كان ليطيق مطاولة ابن سعود، ولقد اتخذوا له مكائد عظيمة وسردبوا وجعلوا ألغاماً تحت الأرض، ونازله ابن سعود في قصر حذاءه، واشتد الحصار جداً وضاق على ابن ضبعان وحاميته أمر المعيشة لأنهم استطاعوا أن يطاولوا ابن سعود ثلاثة أشهر، فأكلوا ما ضم القصر حتى أكلوا نوى التمر، وجعلوا يشربون من ماء بئر القصر المالح.

واصطنع حداد من رجال ابن ضبعان مدفعاً عظيماً وحشاه بالبارود وشيئاً من القنابل، فأطلقه وسمع له وجبة عظيمة غير أنه لم يفد شيئاً، وكان هذا الصانع يدعى الأسطا، ومن عزمه أن يهدم البلد بهذا المدفع، فأعمل المدفع مرةً أخرى وجعل فيه صاعين من البارود وقنابل، فأطلقه ولما ثار تقطع المدفع وقتله، وكانت

المسبة بين الفريقين والاعتزاز والتعيير مناولةً من أعالي السطوح، وما زالت الحامية تدافع حتى نفد ما عندهم، وكان ابن سعود ينادي الأمير ويتهدده ويتوعده بقوله: يا ابن ضبعان أي شيء تريده من ابن سعود حينما قمت تشاقه في ملكه وملك أبائه وأجداده، فتوكل على الله وارحل فإنك مخطئ، آثم، ، اخرج فلك عهد الله وميثاقه، لأن خرجت لأمننك في نفسك وأهلك ورجالك، فقد رانه في ليلة ثالث عشر ربيع الثاني قدم فارسان من ابن رشيد معهما، كتب لابن ضبعان يحثه على الثبات، ولو ليلتين فإنه جاءه بالعساكر، ولما أن قرب الفارسان لإلقاء الكتب من أعالي حائط القصر، لأن القوم محصورون، رآهما رجل سعودي يدعى أبو قيان فكشفهما في الساعة التي ألقيا الكتب فيها وسقطت في العراء ولم تصل، ولما أفشى أبو قيان خبر الفارسين إلى ابن سعود فتشت الكتب فعلم بعد ذلك أنهما ناديا الحامية وما سمعهم وما علموا بها ولا بالخبر وإلا فلو علموا لثبتوا إلى آخر رمق، ولكن هذا لحسن حظ ابن سعود.

ولما أن كان في ليلة ١٥ربيع الثاني، سلّم ابن ضبعان في الساعة الثالثة ليلاً وجعل ينادي: أين ابن سعود يكلمن؟ فأجابه نعم وما لديك يا عبدالرحمن؟ فقال يا أبا تركي نحن أعذرنا من معزبنا ولم يبق لنا أمل في المقام، فتكلم عبدالعزيز يقول: يا أبا عبدالرحمن إن ابن رشيد ذهب وخلى سبيلك فليكلمني معك فلان وفلان فكلموه وطلبوا منه أن يعطيهم عهد الله وميثاقه على دمائهم ورحلهم غير الحلقة والسلاح، فأعطاهم ذلك ونزلوا بوجه الله ثم وجهه، فنقضوا سد الباب وخرجوا آمنين، ووفا بعهده ووعده، وكان خروجهم صبيحة تلك الليلة بعدما ضبط ابن سعود السبل كلها عند خروجهم خشيةً من دسائس العدو، وتم لابن سعود الاستيلاء على القصيم، ولقد كان في استيلائه على نجد مع ما كان لابن رشيد فيها من القوى والعدد والعدة وماله من شدة الفتك والصف من أعظم آيات الله تعالى، وكان قد جرى له فرص يمكنه أن يتدارك الملك قبل ذهابه، ولكن كيف يصنع وسوط القدر يسوقه إلى مراد الله، ومن كان مثله، فإنه لا يملك في الغالب.

وفيها قام الإمام يحي بن محمد حميد الدين بعد وفاة أبيه، فأعاد الكرة على الدرك فحاصرهم في صنعاء حصار دام ستة أشهر حتى أكل أهل المدينة أثناء الحصار لحم البغال والحمير، وأكلوا الفيران، حتى سلم الأتراك الذين فيها ليحيى، وفيهم الأهالي، وكان عددهم لا يقل عن ستين ألفاً، ولكنهم أعادوا بعد ذلك الكرة على صنعاء فتقهقر الإمام وجنوده إلى شهارة فتبعهم العدو إلى تلك المضايق الهائلة، وخسر العدو هناك الحرب، تلك هي وقعة شهارة لم يكن مع الإمام غير ثلاثة آلاف مقاتل غلبوا ثلاثين ألف من الأتراك، وقد حارب وجنوده عساكر الأتراك حتى بالصخور أيضاً يدحرجونها عليهم، وأهل اليمن يحسبون النصر في تلك الوقعة أعجوبة، بل كرامة من كرامات يحيى.

وكان يقول في حصاره لصنعاء لمن يحدثه أطعمناهم النار والفار، فسلموا بدون شرط وفاز يحيى في تلك الثورة بأن غنم سبعين مدفعاً وكثيراً من الذخيرة والسلاح، وهذه نبذة من ذكر يحيى هو صاحب الدهاء والسياسة الإمام يحيى بن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى، بويع بالإمامة في شهر ربيع الأول من هذه السنة يوم الجمعة الموافق لعشرين منه بعد وفاة والده في الشهر المذكور، لأنه توفى قبل أن يختار ولياً لعهده، فاجتمع العلماء والأعيان وأرباب الحل والعقد وأجمعوا على مبايعته بالإمامة لاعتقادهم أنه خير من يستطيع النهوض بأعبائها، ولاستجماعه الشروط الشرعية وهي أربعة عشر، فامتنع في أول الأمر وتردد فأصروا عليه وألحوا ولم يقبلوا له عذراً فأجابهم إلى سؤالهم ووافقهم، وشروط الإمام عندهم أن يكون ذكراً مكلفاً حراً مجتهداً علوياً فاطمياً عدلاً سخياً ورعاً سليم العقل سليم الحواس سليم الأطراف صاحب رأي وتدبير مقداماً فارساً.

أما صفة يحيى: فكان ربعة من الرجال صغير اليد والرجل، أسمر اللون علي الجبين مستدير الوجه قائمة، له فم كفم الطفل بارز صغير وله منخاران بارزان، الحق أنه دميم، عيناه سوداوان قريبتان من أنف قصير عريض صفته نور يضيء وشرارة في بعض الأحايين رواعة، وله لحية مستديرة سوداء قصيره يتخللها خيوط من

الشيب، وما زال يتقدم حتى أصبح يحكم نحو مليونين ونصف من البشر وكان عنده أربعمائة ألف بندقية وعنده مائتا مدفع متنوعة جبلية رشاشة وجيشه النظامي خمسة آلاف ويستطيع أن يجند ثلاثمائة ألف من المجاهدين، ويصنع له قصر غمدان من صنعاء نوع الفشك والإطلاق كل يوم أربعة صناديق يحتوي الصندوق على ألف فشقة وكانت جنوده تجلب الرصاص ويستخرجون من أرضهم ملح البارود وكان يقول عندنا المدافع والرجال وعندنا فوق ذلك المال.

نعم كان عنده كنوز عظيمة مرصودة فهو غني جداً عنده في كل بيت من بيوته في بئر الغرب خزنة من الذهب والفضة لذلك تسمع الحرس في الليل يتبادلون كل ساعة كلمة الأمان.

وعنده في شهارة في قنن الجبال هناك كنوز لا يعرف الطريق إليها سواه.

وإذا كانت الطريق، فالحجر الذي هو باب الكنز لا يعرفه سواه، وإذا عرف الحجر فلا يستطيع أن يرفعه أحد سواه لأنه موضوع في شكل سره مفتاحه عند الإمام، وكان أهل الجبال يعدون له كرامات وخوارق عادات، كما جهل عليه مرةً أعرابي من جنده وجعل يتهدده خارج القصر بالبندقية، فطل عليه يحيى وقال في رأسك، فلما كان من آخر النهار، نام الأعرابي وقد جعل البندقية معه طولاً فيها طلقاً فتحرك في نومه فوافق الريشة فثارت في رأسه، فكان يغتر بذلك وأشباهها من الأمور من يعتقد فيه، ولولا أنه كان بخيلاً لكان له حالة ليست لغيره وتقريب المسألة أنه داهية مخادع بحيله العجيبة ونكته البديعة الغريبة.

ذكر واقعة البكيرية والشنانة وما جرى فيهما من الخطب الفادح

قد تقدم ذكر ذهاب ابن رشيد في آخر السنة التي قبلها وسيره إلى العراق والتجائه إلى الدولة العثمانية، ولما أن استنجدها واستنفر شمّراً هناك انضاف إلى ما خالط الأتراك من الاضطراب الشديد، خضوع القصيم لابن سعود الذي تعده من جملة الممالك، فعند ذلك أجابت الدولة طلب ابن رشيد وذلك منها أنها لما رأت أنه

قد وقع بين العرب حروب عديدة وملاحم شديدة، طمعت في بلاد العرب بواسطة الانتصار لعبدالعزيز بن رشيد على خصمه، كما أخذت الإحساء والقطيف بغياً وعدواناً بواسطة الانتصار لعبدالله بن فيصل على أخيه سعود، وقد كان من المعلوم أنها لا تمشي مع أحد لحظ نفسه وإنما تمشي لحظ نفسها، ولكن لا يشعر تائه بمصابه لأنه دخل الأمر من غير بابه.

وقد كانت الدولة لم تكن تحسب لابن سعود حساباً قبل استيلائه على القصيم الذي تراه بعين التعظيم، بل كانت تود إيجاد خصم لابن رشيد في نجد ليبقى صديقها ابن رشيد محتاجاً إليها، وكانت ترجح عدم الاصطدام مع صاحب الكويت خشيةً من التحامها مع بريطانيا العظمى، فأما إذا قام ابن سعود على استيلاء القصيم وتم له ملكه فلم يكن لها بد من مباشرة قتاله ومقابلته وجهاً لوجه، فقامت وأمدت ابن رشيد بأحد عشر طابوراً من العساكر وقدرها تقريباً من ثمانية آلاف وثمانمائة، وامدته بأربعة عشر مدفعاً، وأمدته بما لا يحصى من الذخيرة والمؤنة والنقود، فأضاف إلى تلك القوة كل ما استطاع أن يجمعه من قبائل شمّر وغيرها، وأتى بتلك الجيوش العظيمة يجرها إلى نجد، وصادر جمال العقيلات لتحمل هذه الجيوش والمعدات إلى القصيم، فأقبل بتلك الجنود التي كالجبال.

ولقد حدثني من حضر الوقعة بأنه بلغ جيشه ثمانية عشر ألف مقاتل مجهزاً هذا الجيش بكل ما يستطاع، فأقبلت هذه الجموع يقودهم البطر والطغيان وإرادة أهل الإيمان بالقهر والهوان، وظنوا أنهم لمن عداهم من الناس سيقهرون، ولمن حاربهم من البشر سيغلبون والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم شعراً:

فجائوا بأسباب مـن الكيـد مـزعجٍ   مـدافعهم يزجـى الوحـوش رنينهـا

ومهما كانت الأحوال والظروف فإن ابن رشيد قد جاء بالقوة التي لا تغالب بزعمه ونزل في قصيبا.

ولما أن نزل في قصيبا أمر بتجارب المدافع وتهيئتها، فلما أطلقت وسمع لها

دوي عظيم، وثار قتام الأرض، قال لرجل من أهالي القصيم يدعى الفداغي: أتيت لأخذ بلدك وهتكها فسكت، فقال لم لا تتكلم؟ فقال: إن شاء الله، قال: وتقول إن شاء الله ! فكأنك بنساء أهل القصيم تتواثب عليها رجال الدولة كما تتواثب القعوسة على النواة، فتكلم ماجد بن حمود قائلاً لا يا عبدالعزيز فإني أسأل الله إن كان هذا قصدك أن لا ييسر أمرك ولا يبلغك مقصدك وأن يجعلني أول قتيل.

ثم إنه زحف يريد بريدة فوافته السرية التي أميرها ابن ضبعان قد طردت من بريدة، فعاتب أميره ابن ضبعان ونتف لحيته ولعن حيه وميته، ولما اعتذر ببطئه عنهم وأنه أوشك ومن معه على الخمود من الجوع، عذره ووالي الزحف ليهجم من الجهة الغربية على بريدة فنزل القرعاء، فلما علم ابن سعود وما أبرمه من الكيد كان إذ ذاك في إمارة بريدة صالح الحسن بن مهنا فصيح بالنفير العام وأخلى ابن سعود بريدة وثار بجموعه من أهل الرياض والقصيم وغيرهم ثورة الأسود من غابها، وكان قد ألف جيشه من أهل العارض والقصيم والبادية ومن انضم إليهم وهم قليل بالنسبة إلى جيش العدو، فزحف بهم ونزل البصر وهي خب من خبوب القصيم، فنقل ابن رشيد من القرعاء إلى جهة البكيرية، فنزل الشحية فنقل ابن سعود ونزل البكيرية.

ولما أن كان في غرة جمادى الأولى من الغد في منتصف النهار، ولم يجري حركة من الطرفين، ظن المسلمون أنه لا يكون في ذلك الوقت قتال، فتفرقوا في النخيل والأشجار، فعندما انتهز ابن رشيد هذه الفرصة وعبأ عساكره وجنوده ونشر راياته وبنوده، وجائوا كما قال الله تعالى: ﴿ بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال:٤٧]، فوقعت بين الطائفتين وقعة عظيمة وملحمة جسيمة، واصطدمت الجيوش صدمة شديدة هائلة، والتحموا وتجالدوا بضع ساعات، وقد تواجه أهل سوريا والعراق بجند ابن سعود، فأطلقت الأطواب والبنادق وكانت ذبحة هائلة، فانكشف جلالة الملك عبدالعزيز وأهل العارض بعد أن جائتهم الخيل من خلفهم وذلك لأن المسلمين نهضوا إليهم على غير تعبئة.

وكانت العساكر والجنود الطاغية قد نهضوا بأجمعهم في نحر أهل العارض ومن معهم من أهل النواحي بحيث أن ابن رشيد قد جعل الناظور في عينيه وأمر جنوده أن يركبوا القوة كلها على راية ابن سعود نفسها، فانحسب ليس معه من خيالته سوى عشرين فارساً، وقتل من جيشه تسعمائة مقاتل، منهم ستمائة وخمسون من أهل العارض، وأصيب جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بشظايا قنبلة في يده اليسرى.

ولما كان في آخر النهار قبل غروب الشمس، ظهرت جموع أهل القصيم بقيادة صالح الحسن وهم لا يعلمون بانكشاف العارض لأنهم كانوا في ضب منخفض، فحملوا على العساكر العثمانية والجنود الرشيدية فهزموهم شر هزيمة وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وهناك أبدى أهل القصيم بسالة وشجاعة في كبح هذه الجنود المتضافرة من أجناس شتى وضربوهم ضربات أوقفتهم عند حدهم مرات وحملت العدو خسائر فادحة، وقد انضم بعض أهل الرياض إلى أهل القصيم، فعند ذلك أخذ السعوديون خيام العدو ومدافعهم ومطارحهم، وقتلوا منهم خمسمائة من أهل الجبل، من أعيانهم ماجد بن حمود بن رشيد وعبدالعزيز بن جبر وأربعمائة من العساكر من أعيانهم أربعة ضباط من كبار العساكر، ووقع ابن رشيد من فرسه فطاحت عليه الفرس فآلمته آلماً شديداً غير أنها لم تقعده، ثم هجم أهل القصيم وعرب مطير بقيادة عبدالعزيز بن جلوي على جناح العدو فبعجوه، ثم أغاروا على بادية شمّر فغنموا أرزاقها ولكن الشمّريون هجموا أيضاً على معسكر ابن سعود، فنهبوه واحدة بواحدة وتمت الهزيمة على الجانبين سواء بسواء.

ثم إن أهل القصيم رجعوا إلى مركز ابن سعود، فوجدوا فيه المدافع وثلاثمائة من عساكر الأتراك، فتواقعوا وإياهم فقتلوهم وغنموا المدافع، وظلوا في البكيرية، ولما طلبوا إمامهم وفتشوا فلم يجدوه وأين هو؟ فقد هرب إلى حوالي المذنب ويحق له ذلك لأن العدو صدق عليه الحملة بالعساكر، فحمل أهل القصيم الأسلحة الخفية وعادا إلى بريدة وعنيزة.

ثم إنهم أرسلوا في طلب الإمام عبدالعزيز، فأدركوه وأخبروه بظفرهم والنصر الذي انتصروا على العدو، وألحوا عليه بالرجوع قائلين: يا عبدالعزيز اتق الله ولا تفرَّ وتدعنا لابن رشيد ينكل بنا فقد ناصرناك، وإن ظفر بنا أهلكنا، فأشكل عليه الأمر وأحب أن يطلع على حقيقة غايتهم، فقال: اثبتوا مكانكم فإني سأستفزع أهل نجد وأرجع إليكم، فبعثوا له الرسل والكتب يقولون: إذا أنت رحلت فلا يستقيم بعدك أمر، وإذا رجعت نحن نعاهدك في السراء والضراء، نقدم أنفسنا وأموالنا وأولادنا بين يديك لنحمي أوطاننا أو نموت جميعاً، وكانت الأمة قد اجتمعت في عنيزة على ساقته، فرجع إليهم عبدالعزيز وخرجوا لاستقباله فرحين مستبشرين حتى خرجت المخدرات يصفقن ويغنين، فقدموا المال والرجال، ولما بلغ الخبر أهل نجد جائوا مجاهدين وأقبلت عتيبة ومطير بأجمعها فانضموا إليه حتى اجتمع لديه في ستة أيام أثنا عشر ألفاً من المقاتلة، فزحف بهذا الجيش الخميس إلى البكيرية، يريد أن يهجم على ابن رشيد فيها ولكنه كان قد رحل منها في اليوم السابق، وهجم على الخبراء وفيها سرية لابن سعود، فعند ذلك دافع أهل الخبراء مع الجنود الحامية دفاعاً شديداً، وقد شدَّد عليهم عبدالعزيز بن متعب الوطأة بما لديه من البأس والصلف وحصر الخبراء وأطلق عليه المدافع التي ظلت قنابلها طيلة ذلك النهار تضربها، ولكن ثبتوا له ثبات الأسود في غابها ولم تؤثر مدافعه فيها مع ضخامتها وقوتها، ولقد كان يوالي إطلاق المدافع عليها، ومع ما هم فيه من الوباء الذي سرى فيهم من عساكر الأتراك الذي رماهم الله به وساقه عليهم فإنهم ثابتون وللعدو مصابرون.

ولما علم ابن رشيد بزحف ابن سعود إلى البكيرية أهمه أن يهجم عليها وهي مركزه العام للجيش وفيها ذخائره وعتاده، فأرسل إليها سرية كبرى بعدها سرية وسريه حتى أرسل إليها ألفاً وخمسمائة خيال بقيادة سلطان بن حمود بن رشيد، فتصادموا بخيالة ابن سعود وهي ستمائة وخمسون عند انفجار الصبح قرب البكيرية فكانت الهزيمة على سلطان بن رشيد وجنوده، ثم دخلها ابن سعود وفتك بحامية

ابن رشيد فيها، فقتل أكثر رجالها، وانهزم الباقون وهربوا فارين، ثم طاردت الخيل السعودية خيل ابن رشيد حتى أوقفتهم في الخبراء، فرحل ابن رشيد منها إلى الرس، فهجموا على بواديه وغنموا عدداً كبيراً من الإبل، ثم نزل ابن رشيد في الشنانة على مسافة ساعة من الرس جنوباً فنزل ابن سعود في الرس، ثم إنه قام ابن رشيد فنصب مدافعه على الرس وجعل يضربها كما ضربها إبراهيم باشا في طليعة القرن الماضي، وما أشبه الحالتين، فدافع أهل الرس على عادتهم في الشجاعة حتى الرمق الأخير وثبتوا ثباتاً عظيماً.

ذكر واقعة الشنانة وما جرى من ابن رشيد

لما طوق ابن رشيد الرس بالحصار وشدد الوطأة عليها، هلك أمير الرس في أثناء الحصار، ومع موته وتوالي ضرب القنابل عليها فإنها لم تسلم، واستبسل أهلها وثبتوا في سبيل الدفاع عن أنفسهم لخوفهم من فظاعته وظلمه إن تولاهم، وكان ابن رشيد قد استنزل قائداً من قواد الرس يدعى ناصر بن الخالد الهديان بالعهد والميثاق، فلما قبض عليه قتله غدراً ومن معه بضعة رجال، فأقام عبدالعزيز بن عبدالرحمن في الرس ثلاثة أشهر من تاريخ منتصف جمادى الأولى إلى تاريخ منتصف شعبان.

هذا وابن رشيد في الشنانة ولم يكن في غالب هذه المدة بينهما مزاحمة، إنما هو مناوشات بالخيل ومطاردات حتى ملَّ الناس من تلك الحال، فقد أنتنت الأمكنة من جثث القتلى، وانتشرت الأمراض الوبائية الفاتكة بين العسكريين والسيف أعظم فتكاً من تلك الأمراض الوبائية، فعند ذلك قام البدو يتفتلون كل عن أميره لأن ذلك الوقت هو فصل الربيع يريدون أن ترعى مواشيهم وتسمن استعداداً للقيظ، وصاحوا بالضرر كلٌ يشكو إلى أميره، فلما أحس ابن سعود بذلك أرسل رسولاً من قبله إلى عبدالعزيز بن رشيد، وهذا الرسول هو فهد بن علي الرشودي، وكان فتىً ندباً عاقلاً وذا رأي سديد، ومن أكبر أعضاء أهل بريدة، بعثه ابن سعود يدعو عبدالعزيز بن رشيد إلى الصلح والهدنة، وكان ابن سعود يعلم بعناد ابن رشيد

وتصلبه وجبروته، وهكذا كان فقد قابل الرسول بالاستهزاء والسخرية والوعد والوعيد لأهل نجد.

ولما سار الشهم فهد بن علي الرشودي إلى ابن رشيد، احتاط لمجيئه وصف له الجنود والعساكر، وأظهر القوة وناهيك بهيبة ابن رشيد نفسه، فقد كانت رؤيته تفطر القلوب، ولما وصل إليه الرسول أصابه ضجر وفزع شديد، فأخذ عبدالعزيز بن متعب بالحديث مع من حواليه حتى سكن جأشه واطمأن به المجلس، ثم التفت إليه قائلاً: أيها فهد ما الذي عندك وما لديك؟ فأجابه قائلاً: أيها الأمير نريد الصلح فقد أسرع الهلاك بالمسلمين، فأجاب ابن رشيد بقوله: عجباً لكم يا فهد، هذا ابن سعود دعنا منه طالب ملك، ولكن فأنتم ما الذي حملكم على مقاومتي، وأنتم رعية لي أو لابن سعود؟ فتكلم فهد بن علي يقول: يا عبدالعزيز فعلت بنا أموراً لا يمكن الصبر عليها، فوالله إن صياحاً[1] أخذ أموالنا وأثاثنا وأثقل ظهورنا بالضرائب، وكل يوم وقد ضوعفت علينا المظالم حتى عجزنا عن الدفع، ولما اعتذرنا بالقلة ونفاد الأموال كان جواب صياح لنا أن قال: (أجروا فروج نسائكم واكتسبوا المال) فهل بعد هذا خزي أيها الأمير يا عبدالعزيز ما فعلنا نحن مقاومة إنما أنت فعلتها بنفسك، فغضب ابن رشيد وأنكر ذلك، ثم قال: وما يقع عليه الصلح يا فهد؟ فقال إذا رأيت أن تترك لابن سعود العارض والقصيم وتدوم على ملكك، فأجاب يقول: بعد حلفه بالله العلي العظيم: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك، أيرضى ابن رشيد بأن يقصر على طابة وموقق ويكون نجد لصاحبكم، ثم ضحك متهكماً ومتهدداً ومتوعداً، وقال من يبغى حكم نجد فليكن ذا اصطبار وهل يصالح من بيده قوة الدولة، فوالله لا صلح قبل ان أضرب بريدة وعنيزة والرياض ضربةً لا تنساها مدى الدهر يا فهد ما جئتكم بهذه الجيوش والنظام أبغي السلم، ولكن

(1) صياح هذا خادم لابن رشيد مشهور بالظلم والجبروت، بل تضرب الأمثال بجبروته، وكان مشهوراً من بين قومه في بريدة.

استعدوا للموت وأنتم يا أهل القصيم لا يغرنكم ابن سعود لا يغرنكم شاب طائش يبغي الدراهم ليأخذها لأمه الفقيرة، فقام فهد الرشودي وهو يقول: يا طويل العمر إذا قتلتني فإني فلاح لا أعز ولا أذل، ورجع يحمل كلام ابن رشيد وتهديداته إلى ابن سعود، ولما أن وصل إليه وجد المجلس الكبير قد امتلأ ليسمعوا جواب ابن رشيد، فألقاه عليهم فهد بن علي وهو يبكي، وكان رصيناً محترماً موعظاً موقراً، وقال: يا أهل نجد ما رأيت هناك إلا ظالماً عتياً كفرعون، سيقتل رجالكم ويستحي نسائكم، ما عند ابن متعب لكم غير السيف، ويصنع بكم كما صنع فرعون ببني إسرائيل، فأثرت كلماته فيهم تأثيراً بليغاً وكانت كوقع النار على قلوبهم، واشتعلت من قلوبهم نيران العداوة لابن رشيد وتبايعوا على الموت، ومع أن بادية ابن سعود قد تفرقت كما هي عادة البدو، إنهم يتبعون مصلحة أنفسهم لا سيما أنهم يريدون رعي مواشيهم، ولم يكن لابن سعود أن يكرههم على البقاء لأنهم لم يكونوا من الجند بل كانوا متطوعين متكسبين، ولم يبقَ مع عبدالعزيز غير ثمانمائة من الحضر وثلاثمائة من رؤساء القبائل، فإن هؤلاء ما كانوا ليتاركوا ابن رشيد، وهذا مما يدل على سعة رأي ابن سعود لأنه يريد أن يستبسل أهل القصيم على ابن رشيد، ويظهر لهم ما انطوى عليه من الحنق، ويدل أيضاً على قصر مبلغ عقلية ابن رشيد وسوء تدبيره، حيث أضاع الفرصة ولم يغتنم جنوح خصمه إلى المسالمة، بل كان حظه أن أثار حمية العدو على فكاك أرواحهم منه على أن الملل لم ينحصر في بادية ابن سعود، بل كان قد ظهرت أنواع الضجر والملل في عساكره وجموعه، فقد قامت عليه باديته تقول: هلكت مواشينا وهلكت أولادنا جوعاً، فإما أن نرحل جميعاً فنمشي ورائك وإما أن نرحل نحن ونذرك، فأجابهم ابن رشيد يقول: كيف نرحل ولا ركائب عندنا لعسكر الدولة، وذلك لأنه تلف عليه عشرة آلاف ذلول في هذه الوقعة والمناوشة بعدها، فقال رجال شمّر: كل قبيلة منا تقدم الركائب لقسم من العسكر، فقبل ابن رشيد وأمر أن توزع أمتعة العسكر إجمالاً على شمّر وذلك لما خاف تفرق قومه لطول المقام، ولأن المسلمين لا يدعونهم

ينتشرون لرعي إبلهم وجيوشهم حتى أكلوا جميع ما في الشنانة حتى النخيل، ثم عزم على الرحيل تاركاً عدوه ورائه، فيا عجباً لسوء هذا التدبير كيف رفض الصلح الشريف الذي عرض عليه، ورحل بدون طائل، بل إنه رحل رحيل المنهزم المغلوب.

أضف إلى ذلك تهديده الذي شد عزائم السعوديين على مهاجمته والقضاء عليه، فلما عزم على الرحيل ذلك اليوم لم يشعر إلا وقد هجم ابن سعود عليه بخيوله ليحول دون ذلك يقول أنا أخو الأنور لا أدعهم يرحلون لا إلا المناجزة، فتصادموا وتقارعوا من صلاة الفجر يوم سادس عشر شعبان إلى غروب الشمس، فارتحلت بادية ابن رشيد قبله وتركته ورائها، فخرج ابن رشيد من الشنانة وجعل ابن سعود يطارده إلى أن أذنت الشمس بالمغيب، فنصب ابن رشيد خيامه إذ ذاك خدعةً للمبيت، فانخدع له ابن سعود ورجع بخيله بعد أن أقام هناك بعض الحرس والكشافة، فشرع ابن رشيد يتأهب للرحيل، وكانت خطة ابن سعود الحربية أن ينهك خصمه بالمفاجئات والمناوشات، فإذا أضعفه ضربة ضربة تكون هي القاضية.

ولما رجع مساءً إلى مركزه في الرس من يومه وجلس على العشاء، جائه أحد الكشافة يقول: رحل ابن رشيد، فقام وترك العشاء هو ورجاله وسارعوا إلى الخيل وأخذوا قافية العدو، ولما قربوا منه رأوا سواداً ظنوه غنماً فأغاروا عليها فإذا بها عساكر الترك، وكان قد جنّ الليل فنازلوهم ساعةً دون نتيجة تذكر.

ثم عاد ابن سعود وجنوده إلى الرس وترك كشافته على حسب العادة في مكان معلوم ومعهم رجال من أسرتهم وزودهم بهذه التعليمات، إذا رحل ابن رشيد وقرب إلى الخنق «وهو موضع بين جبلي إبان معروف» فأرسلوا إلي أخبروني وتقفوه لتعلموا بمسيرة، أما إذا مشى إلى قصر ابن عقيل فعليكم أنتم يا آل سعود أن تسبقوه إلى القصر لتشجعوا أهله وتقولوا لهم إننا مسارعون إلى نجدتكم، وكان في قصر ابن عقيل سرية لابن سعود، فلما ذهب ابن رشيد تلك

الليلة نزل على الجوعي ودنا من قصر ابن عقيل، فزحف إليه يريد ضربه، وكان القصر منيعاً ولا يخشى عليه إلا من المدافع أن تثلم جدره، فهم ابن رشيد في صباح تلك الليلة بالهجوم عليه ولكن سبقه بنوا سعود إليه وأرسلوا يخبرون عبدالعزيز، ولما أن وصل ابن رشيد إلى القصر ركب في الحال مدافعه كلها عليه، وشرع يضرب القصر، فلما جاء الخبر إلى ابن سعود ظهراً وإن ابن رشيد حصر قصر بن عقيل، صاح برجاله قائلاً، انهزم ابن رشيد ونريد أن نعمل مناورة خارج البلدة فاستبشروا وأخرجوا للمناورة فكشف لهم عن قصده الحقيقي، وأمرهم بالزحف إلى قصر ابن عقيل فترددوا لأنهم لم يكونوا متأهبين للرحيل وما معهم ماء، ولا زاد وكان ذلك في الساعة الأخيرة من النهار والمسافة بينهم وبين القصر قد عشرين ميلاً، فخطب فيهم ابن سعود محرضاً مستنهضاً، ثم قال أنا واحد منكم ومثلكم أنتم خاشون وأنا أخشى، أنتم حفاة وأنا والله لا أنتعل، وهذا نعلي وهذا نعلي، وهذا ذلولي قال ذلك وهو يضع النعل في الخرج ويلقي بحبل الذلول على غاربه، ثم مشى أمامهم حافياً فمشوا ورائه متحمسين وعندما وصلوا إلى القصر قبل نصف الليل بساعة أرادوا أن يهجموا على ابن رشيد في ذلك الحين، فمنعهم عبدالعزيز لعلمه بما حل بهم من التعب والجوع، فدخلوا القصر واستراحوا تلك الليلة.

أما ابن رشيد فبعد أن شغل مدافعه على القصر بضع ساعات بدون طائل، رحل في صباح اليوم ١٨ بعد ما وصل ابن سعود قصر ابن عقيل، فلما رآه ابن سعود يرحل إبله ويحمل أطوابه أمهل حتى مشى برجاله والعساكر، ثم إنه خرج بخيله وجنده واتبع ساقتهم بجيوشه للمفاجأة فأدركوهم في وادي الرمة، وكان هذا الوادي لا يوجد في جزيرة العرب مثله في الطويل بحيث يخترق القصيم يمتد شرقاً من حرة خيبر إلى الرس ثم شرقاً بشمالي إلى البصرة وهو بين البصرة وهو بين عنيزة وبريدة وكذلك البكيرية والخبراء والشنانة واقعات على ضفافه، وكذلك الشحية والجبل ممتد هناك بضعة وخمسي ميلاً من الرس، فجرى على ابن رشيد في هذا الوادي ملحمة فاصلة.

ذكر واقعة وادي الرمة سنة ١٣٢٢هـ

لما طارد السعوديون ابن رشيد من قصر ابن عقيل وأغاروا عليه أدركوه في وادي الرمة في اليوم ١٨ من شعبان فأناخ هناك وجمع جيوشه ثم إنه نصب المدافع وبني بيوت الحرب، وشجع قومه واستبسلهم، فثبتوا للسعوديين فتهاجم الفريقان إلى منتصف النهار وكانت الغلبة أولاً لابن رشيد.

ثم إن ابن سعود عندما رأى جناح العدو متقهقراً صمد لهم بهجمة عنيفة وشوهد منه بسالة لا تنسى، فهدم بيوت الحرب واشتد الحرب والضرب والطعان واشتبكت بين الفريقين ملاحم تشيب لها النواصي وتعجز عن مقاساتها الجبال الرواسي، وحصلت ذبحة هائلة، فانكسر ابن رشيد وولت عساكر الأتراك الأدبار لا يلوى أحد على أحد، وانهزم ابن رشيد ورجاله وفرّ الجميع هاربين، فأراد ابن سعود أن يتعقبهم ولكن الحملات والأموال والغنائم شغلتهم عن تتبع الفارين، فشغلوا بها حتى جنّ الليل وهم ينهبون بها، ثم عادوا في اليوم الثاني والثالث والرابع وظلوا عشرة أيام وهم يجمعون الغنائم من الأسلحة والذخائر والأمتعة والثياب والنقود سوى الإبل والغنم، وما وجدوا من الأموال بين تلك الأحمل من صناديق الذهب والفرش والمؤن، فحملوها إلى عنيزة مقر ابن سعود فوزعها مثل بقية الغنائم على رجاله ولم يأخذ منها شيئاً لنفسه.

تالله إنها لغنيمة عظيمة جسيمة قسمها ابن سعود بين رجاله فأصاب الرجل الواحد مائة وخمسين ليرة ذهباً وبضعةً وعشرين بعيراً إلى ما لا يقدر من الأثاث وغيره من الأشياء الثمينة.

وقضت هذه الوقعة على ابن رشيد وعساكر الدولة وقضت وقعة ذي قار على الفرس، وكانت هذه الواقعة الحاسمة قد غيرت مجرى التاريخ في جزيرة العرب وانفصلت عن نتيجتين إحداهما نفوذ الأتراك وهيبتهم في نجد قضاء مبرماً وزعزعت ملك ابن رشيد فلم تقم له ابن رشيد قائمة بعدها.

أما العساكر فقد تفرقوا شذر مذر ومات بعضهم من الوباء وغالبهم قام عليهم أهالي القصيم يصطادونهم ويذبحونهم حتى جرت مواضع السانية من دمائهم لأنهم كانوا يختفون بها فينحرون هناك فهذا جرى من ذكر هذه الواقعات، ولم يجري في القصيم مثلها، ومما قال الشيخ سليمان بن سحمان قدس الله روحه في ذكر مقات صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وأن ذكره فيها يستحق أن يشكر ويخلد مجده بين الأنام ولا ينكر، كيف لا وقد دافع الله بفتوحاته البلاء عن العالمين ونصر الله بطلعته سنة سيد الأولين والآخرين، فجزاه خيراً عن الإسلام والمسلمين:

لقـد مـنّ مولانـا وأفضـل وارتضـا ... لنـا ملكـاً منـا سمـي المناقـب
فشـام المعـالي وارتضـاها وأمهـا ... بهمتـه العليـا وجـرد شـوازب
وبـيضٌ قـواض يختلـي الهـام حـدها ... وقـود الهجـان الـيعملات النجائـب
فتأهمـه العليـا وشـأو مرامهـا ... فـأمّ إلى هاماتهـا والغـوارب
فتـاً لـيس يـثني همـه ومرامـه ... طوال العـوالي أو طـوال السياسـب
يخوض عبـاب المـوت والمـوت نـاقع ... إذا استعرت نار الـوغى في الكتائـب
ويركب هول الخطب والخطب معظـل ... وقد هابـه شـوس الملـوك المصـاعب
يــرد لهـام الجـيش وهـو عرمـرم ... ويحطمـه بالمرهفـات السـواكب
لقـد فـات أبنـاء الزمـان وفـاقهم ... بنيـل المعـالي السـاميات المراتـب
وجـودٌ وإقـدامٌ إذا احتنـك الفضـا ... وضـاق مجـال الصـافنات السلاهب
وأحجـم أهلوهـا بيـوم عصبصـب ... به النقع بسمو كارتكـاب السـحائب
هنالـك لا تلقـاه إلا كضـيغم ... هزبـر أبـي شـبلين حجـز المخالـب
تـرى جثـث الأبطـال صـرعى بغابـه ... تراوحهـا الأشـبال مـن كـل سـاغب
كـذا الملـك الشـهم الهمـام فإنمـا ... كمـاة العـدى جـزر لـه بالقواضـب
تـرى عافيـات الطـير يعصـبن فوقـه ... لتحضـى بأشـلاء العـدو المشـاغب
ويتبعـه غـرث السـباع لعلـها ... تـروح بطانـاً مـن لحـوم المحـارب
وقـد وثقـت أن لا تعـود خوامصـا ... وأن لهـا جـزر كمـات الكتائـب

فللـه مـن نـدب همـامٌ مهـذبٌ	أغاض العدى من عجمها والأعارب
فنلنا المنى من بعد أن كـادت العـدى	تحيط بنـا مـن كـل قطـرٍ وجانـب
بعبـدالعزيز ابـن الإمـام ابـن فيصـلٍ	حليف العلى نسل الكـرام الأطالـب
ومـن المعـى أحـوذي ومصـقعٍ	بليـغٌ بمـا قـد شـائه في المقاثـب
يقـود أسـوداً في الحـروب ضـياغما	تغير علـى الأعـداء كأسـدٍ سـواغب
حنيفيـةً في دينهـا حنفيـةً	ولـيس لهـم إلا العلـى مـن مـآرب
سمـا بهمـو نحـو المعـالي سميـدع	أبـي وفيّ فاضـلٌ ذو مناقـب
إذا هـو أعطـا ذمـةً لم يخـس بهـا	ومـا كـان ذا غـدر ولـيس بكـاذب
فـإن رمـت أخبـاراً لـه ووقائعـاً	فسل شمّـراً عنهـا بصـدق المضـارب
وحربـاً وسـل عنهـا مطـيراً وغيرهـم	من العجم والأعراب من كل ناكـب
فمـزقهم أيـدي سـبا فتفرقـوا	فمـا بـين مقتـول ومـا بـين هـارب
ومـا بـين منكـوبٍ وقـد خـال أنـه	بقوتـه قـد حـاز كـل المـآرب
فما نـال إلا الخـزي والعـار والـردى	وآب حسـيراً خاسـئاً غـير راغـب
بلطـفٍ مـن المـولى لـه وإعانـة	علـى كثـرة الأعـداء لـه والمحـارب
وعـزٌ وإسـعافٌ علـى كـل مـن بغـا	عليـه وتسـديد لـدى كـل نائـب
ونصـرٌ لـه بالرعـب في كـل مـأزق	مـن الملـك العـلام مـولى المواهـب
إذا ام أمـراً واعتلـى متسـامياً	تمزقـت الأعـداء مـن كـل جانـب
ومـا ذاك إلا إنـه لا تـرده	طوال العـوالي أو طـوال السباسـب
ولا غـرو مـن هـذا ولا بـدع إنمـا	حواها من الشوش الكرام الأطايـب
ومـن والـد سـامي الـذرى ذى مـآثر	حسـان وأخـلاق يفـاع المراتـب
لا فتكـات بالأعـادي شـهيرةٍ	يقصـر عـن تعـدادها كـل كاتـب
أدام لنـا ربـي بهـم كـل بهجـةٍ	على السـنن الحـاوي لكـل المطالـب
وسـنة خـير العـالمين محمـد	نبي الهـدى السـامي لا علـى المناقـب
عليـه صـلاة الله ثـم سـلامه	بعـد وميض الـبرق جـنح الغياهـب

وبعد هذه الوقعات في القصيم تشتت بقية الجنود التركية على حالة سيئة فرَّ جزء منهم يسير مع ابن رشيد وهام آخرون في الفيافي كالسائمة وقتلوا ومنهم من لجأ إلى ابن سعود فأواهم وكساهم وأعطاهم الأمان وكان يوجد من نسل هؤلاء اللاجئين رهط قليل في القصيم، أما ابن رشيد فإنه فرَّ هارباً إلى الكهفة، وهي قرية من قرى حائل، وأرسل إلى الدولة يستنجدها مرةً أخرى وقد نكبت الدولة العثمانية نكبتين، نكبة في نجد ونكبة في اليمن هذه السنة.

ومن الغرائب أن الشاب في صنعاء يحيى بن محمد حميد الدين، وأن الشاب العاهل في نجد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل كسر الدولة العثمانية وهزما جيوش المنصورة، بل عادت جيوشاً مقهورة مع سطوتهم وغلبتهم ورفع هذان الشابان للسيادة العربية أعلاماً لا تزال تخفق.

ثم دخلت سنة ١٣٢٣هـ

استهلت هذه السنة والقاضي في بريدة فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم قد جعله على القضاء جلالة الملك عبدالعزيز رفع الله قدره وشهر ذكره لأنه لما كان له الولاية على القصيم ما كان ليبغى عنه بدلا.

أما الأمير فيها فصالح الحسن المهنا، وكان القاضي في عنيزة الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر بطلب آل بسام له من ابن رشيد قبل زواله، وكان إبراهيم بن جاسر هذا معظماً عنه شيعته وأتباعه.

ومما يؤثر عنه أنه كان سخياً لين العريكة ذا رحمة وعطف على الفقير والمسكين، وكان من أسرة في القصيم، وقد عاد إلى بلدة بريدة فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن عبدالله بن سليم بعدما بارحها إلى النبهانية وأقام هناك خمس سنين تقريباً، هذا ولا تزال الملاحم مشتبكة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان خطيب جامع بريدة إذ ذاك فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم بعدما قدم إلى بريدة من النبهانية، وكان يخطب على سيف في يده هذا وقد

توالت الفتوحات الإسلامية ونصر أهل السنة وأذلّ أهل البدع على يدي صاحب الجلالة، نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويذل المجرمين، وما أولى بالمسلمين من إمام همام سميدع قدير يرفع أعلام التوحيد وينصر أهله ويذل البدع ويهين أهلها.

ذكر ذبحة الحواشيش وما جرى من قساوة ابن رشيد

لما خذل الله عبدالعزيز بن متعب بن رشيد وقهره، وأنهزم مرّ في مسيره وهو يحوس خلال الديار على روضة مهنا المعروفة هناك، وكانت روضةً يكثر فيها الكلأ والعشب ويرصعها الربيع بأزهارها، ويأتيها فقراء أهل القصيم يحشون العشب ويبيعون حشيشهم في البلاد ويأكلون ثمنه، إما أن يحملوه على رؤسهم أو على حميرهم، فإذا باع الفقير اشترى لأولاده طعاماً وبلغةً، فلما مرّ عليها ابن متعب وجد فيها أربعين رجلاً من العجزة ومعهم أطفال، فأحب أن ينتقم من أهل القصيم بقتل هؤلاء الأبرياء ويتشفى بقتلهم لما فيه من الحقد على أهل القصيم، فقرن هؤلاء الأربعين بعدما صفهم صفاً بجبال، وكانت رؤيتهم مفظعة، فأشار عليه ابن عجل قائلاً: يا عبدالعزيز اتقتل هؤلاء البؤساء فوالله الذي لا رب غيره لأن قتلتهم لتحاربنك ملائكة السماء، فأجابه لو تركتهم لانضموا تحت راية يقاتلون مع قومهم، ثم قتلهم صبراً أجمعين.

ولما وصل الدور إلى شيخ كبير قد حناه الهرم وقوّس ظهره وقد أمسك بيد طفل يناهز العاشرة من العمر، تكلم لابن رشيد قائلاً: أيها الأمير اقتلني واستبق هذا الطفل فورائنا عدة أيامى لا عائل لهن بعدنا فكان جوابه أن قتل الطفل بمرآى من أبيه، ثم ألحقه به والعياذ بالله شعراً:

قضى الله أن البغي يصرع أهله ... وإن على الباغي تدور الدوائر
ومن يحتقر بئراً ليوقع صاحباً ... سيهوي قريباً بالذي هو حافر

وهذا والله منظر تعج منه السماوات السبع والأرض ومن فيهن، هذا منظر

هائل لا يصدر إلا من جبار لا يخاف سطوة جبار السموات والأرض، وقد طبقت هذه الفعلة على ظلم الحجاج بن يوسف، فإن الحجاج لم يفعلها مع ظلمه، وقد رنّ صدى هذه الفعلة ودوى ذكرها في أقطار الأرض وأنكر العالم هذه الفعلة وصارت بقعة سوداء في تاريخه، هذه ذبحة الحواشيش التي صدرت من ابن متعب وأزعجت جزيرة العرب والله بالمرصاد.

ولما فعلها كان بعد ذلك لا يهنأ بنوم، فكلما غمضت عيناه بدا له ذلك الشيخ الهرم في المنام وخنقه، فيفزع لذلك فزعاً شديداً ويقوم منتصباً، وكان إذا خنقه يقول له: والله لا تفلح ولا توفق، فيحرمه لذيذ النوم والراحة، فكان إذا فزع وقام مرعوباً يقول مالي ولهذا الشايب.

هذا وعبدالعزيز بن عبدالرحمن عكسه في الحال يسعى بالأمان ويقابل كل مسيء بالصفح والعفو.

وفيها وفاة الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وهذه ترجمته، نذكر ما تيسر منها وإن كنت في حال وضعها في غاية عظيمة من كثرة الأشغال فنقول:

هو الشيخ الإمام العالم الحبر الكبير والبحر الغزير والعلم الشهير تاج الفضلاء وبقية النجباء والأصفياء، ومن قد احتاج إلى تفريغ منطوقه جهابذة الفصحاء، هو البارع المصقع والألمعي السميدع، الماهر في العرفان والفائق للأقران، والواثق بالله الملك الديان، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن حمد بن محمد بن صالح بن حمد بن محمد بن سليم بن محمد بن ميمون، يلتقي هو وابن أخيه محمد بن عمر بالنسب في صالح بن حمد، لأن محمداً وعبدالله إخوان، وكان عبدالله تزوج من آل عبدربه مطاوعة الدرعية، وصالح وابنه عبدالله هما اللذان غرسا الرس بالدرعية والخليج، وقاموا مع الشيخ محمد هم وآل سويلم وآل موسى بن سليم آل شقير أسرة أخرى جمعهم الاسم كل هذه الأخبار في زمن عبدالله بن معمر، هذا معرفة نسبه رحمه الله.

وله في سنة ١٢٤٠هـ في بريدة، أما مشايخه فإنه أخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن، وناهيك به وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن

عبدالوهاب، وأخذ عن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، وأخذ عن الشيخ سليمان بن علي بن مقبل، وأخذ عن الشيخ حمد بن عتيق، ويكفيك شرفاً له أخذه عن هؤلاء الفطاحل السادة الربانيين الذين تحلو المجالس بذكرهم، ويسمو من انتسب بمشيختهم.

ولما نبغ وبرع في العلوم عنّ لقاضي القصيم سليمان بن علي بن مقبل السفر إلى مكة المشرفة يريد أن يجاور بها، ولأنه انحلت قواه وكل من أعمال القضاء، فأشار على أمير بريدة بجعل المترجم على قضائها، فراوده الأمير واستقر الشيخ قاضياً ومفتياً، وإنما أشار بجعله قاضياً لما كان يعرفه فيه من المؤهلات والكفاءة، واستمر في القضاء اثنتين وعشرين سنة سوى فترة قليلة في أول القرن لسوء تفاهم جرى بينه وبين أمير بريدة، قضى له ذلك بأن يسافر إلى عنيزة ويقيم بها وتزوج فيها وولد له.

ثم إنه دعا به الأمير المذكور واسترضاه واعتذر إليه، وأن الحامل له على سوء معاملته كلام الضد فيه ودعوى أنه مشاغب، فرجع مصحوباً بالسلامة واستمر على قضائها أواخر ولاية حسن بن مهنا وأيام محمد بن عبدالله بن رشيد، وكان في بداية ولايته لأنه حلف بالطلاق ليبيحن بريدة ويجوس خلالها ويتبرأ ما على تتبيرا، وخافت الأمة من سطوته وماذا يحله من أنواع العقوبات، فخرج إليه الشيخ محمد بن عبدالله وما زال به حتى تنازلت عن فكرته، وجعل القصيم خضراً مرخىً عليها ستارها، وأكرم الشيخ واحترمه وقلبه بخير، ولا يزال يعظمه لعلمه وبأن الناس لا يعدلون به شيئاً ذلك لسعة عقل محمد بن رشيد.

ولما توفاه الله تعالى وتولى بعده ابن أخيه، وكثر المرج والهرج وأصبح أهل الحق أذلاّء لكثرة القيل والقال وتغير الحال، عزله ابن متعب ونفاه إلى النبهانية، وكانت إذ ذاك قرية تضرب الأمثال بجهل أهلها، وبعدهم عن العلم فسار إليها وسكنها امتثالاً لإرادة مولاه وفاطره له، وقدمها فاغتبط به أهل القرية وقاموا في تعظيمه وإكرامه ونفعهم الله به استفادوا من علمه.

ولما لبث فيها بضع سنين كان في حال إقامته هناك مقبلاً على ربه واثقاً به قد شدّ يديه بحلبه وفوض أمره إليه صابراً على ما أصابه الحكمة ضالته والسنة طلبته، فيا طوبى له إذا ضمته الأكفان، وخلى بأعماله لدى خالقه الواحد الديان، وفاز أهل الإيمان بالخلود في نعيم الجنان، فبينما هو مقيم في الغربة ومكابدة مرارة الكربة، إذ بأعلام آل سعود قد رفعت وراياتهم المنصورة قد خفقت فرجع إلى وطنه مصحوباً بالسلامة، وكان قصد عبدالعزيز بن متعب بنفيه إلى النبهانية، لأن لا يضل الناس بزعمه الفاسد بنفيه على تلك الجهة يأمن شره ولا أدري ما هذا الشر الذي يحاذره ابن متعب، فإن كان متابعة النبي محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب شراً وضلالاً فيا حبذا هذا الشر نسأل الله تعالى أن يثبتنا على متابعة إلى أن نلقاه، وإنما صاحب الضلال والشر من يدعو إلى عبادة الأموات والتوسل، بذوات المخلوقات، أطرح نصوص الكتاب والسنة اختلاف التأويل لها، فأي الفريقين أحق بالأمن ن كنتم تعلمون، شعراً:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم
وترى اللبيب محمداً لم يحترم   شتم الرجال وعرضه مشتوم

وحاشا وكلا ولما أنه لا يضل الناس ولم يضل الناس، بل كان هادياً مهدياً، ولكن قد قال من يقول للشيء كن فيكون: ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٣٤].

ذكر قضائه وسعة علمه وحلمه وكيفيته وصفته

كان ربعة من الرجال يميل إلى الطول في قامته جسيماً بعيد ما بين المنكبين، عريض الصدر، له عينان حسنتان وله هيبة عظيمة وشجاعة، وكان عاقلاً رصيناً بليغاً فصيحاً، وله سمت عظيم يخاطب الملوك ويصدع بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وكان في صفة قضائه أنه يجلس للخصمين على الأرض وما تحته وسائد ولا فرش، فإذا سمع كلام الخصمين واستورد ما لديهما من البينات، قضى قضاء

جالس بين الجنة والنار لا يراعي ولا يداهن، ولا يطمع الغنى في ميله، ولا يخاف الفقر من حيفه وجوره، وكان يتحلم على الجاهل ويتغافل عن سقطات اللئام، كما كان يمشي ذات مرة فأسمعه بعض الجهال كلاماً سيئاً، فقال له ابنه الشيخ عبدالله: لو ردعت هذا الجاهل فإنك قادر على حبسه وتعزيره، فالتفت إليه قائلاً: يا بني إذاً نتعب لو نعامل كل جاهل بما يستحق ولكن نعامل الناس على قدر ما نستحق، يا عبدالله: سدّ أذنيك وأغمض عينيك فهذا زمن السكوت ولزوم البيوت، ومن يتكلم بالحق فإنه ممقوت، ودعاه صديق مرة وكان لا يحب الإجابة، فلما جلس لديه في بيته سأله عن أبيه فقال: إنه في أقاصي البيت وسيأتي بعدنا ويلقي خيراً، فقال له: يا بني أخطأت في هذه المعاملة لوالدك إذ الحق أن يكون مقدماً في المجلس ومتصدراً فيه، والآن فلا يحلو لنا طعامك، فأخذ بيد خادمه الريّس راشد الفرج، وكان مصاحباً له في هذه الدعوة، فقال له: يا شيخ بل يذهب إلى أبيه فيدعوه فقال: لا بل المرة الثانية نجده حاضراً، فطلب منه الريّس أن يرجع لأن صاحب الدعوة قد أحضر الغداء والإكرام، فخرج وذهب به إلى بيته وأمر أهله أن يأتوا بغدائه، وكان خبيصاً طيباً فقدمه وقال له: تفضل يا ريّس من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وقضى مرةً على شخص فقال: إلى الله أشكو، فلو كنت مثل فلان يقدم لك رقاب الضان لم تقضي علي، فضحك منه ولم يعاتبه، غير أن قال: جرّب بنفسك حتى نقضي لك إذاً أصلحك الله، وكان فقيهاً أصولياً متمسكاً بالتوحيد، وله ثبات عظيم أعظم من ثبات الجبال الرواسي التي جعلت للأرض أوتاداً، وإذا قضى في المسألة فقد يمضي ويوقع عليها بختمه، ولا يحب تزويق الكلام وتنميقه وتكلف الفصاحة، لكنه يوجد له بعض الرسائل في الفقه ولا تزال الرسائل تترى بينه وبين الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وغيره من أئمة هذه الدعوة.

ذكر كراماته ومكاشفاته وماله من خوارق العادات

كان في وقته قوم يتكلمون في حقه بكلام سيء، فنام أحدهم فرأى في منامه كأنه أتى بالشيخ في صحن وجلسوا يأكلون من لحمه وهم كارهون، فقصها على

معبّر، فأخبره أنه على الحق وأعدائه على الباطل، وأمره أن يكون متبعاً له، ورأى بعض مخالفيه في المنام: كان الشيخ جالس وحواليه أصحابه، وقريباً من ساحتهم بعض المخالفين له، فجاء ملك ووقف على رأسه وجعل يقرأ قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [المؤمنون:١٠٩]، ويشير إلى الشيخ وأصحابه، ثم قرأ: ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٠]، ويشير إلى مخالفيه، ثم قرأ: ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [المؤمنون:١١١]، ويشير إلى الشيخ أصحابه.

وكان جلالة الملك عبدالعزيز يقول في محفل كبير لما قدم مقاطعة القصيم: إنكم سموتم على أهل العارض يا أهل القصيم بشجرتين، شجرة آل سليم وشجرة نوع النخيل المسماة الشقراء، وكان لهذه المقالة سبب، وهو أنه دعي بجلالة الملك رجل من الإغنياء المياسير وكان قصده بذلك أن يستميل قلبه عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، فساعة جلس في بيت هذا الرجل بدره ومن إليه ينحو بهذا الكلام قبل يبدأه، وهذا يعتبر إما فراسةً من هذا الملك الموفق، أو يكون الله تعالى أنطقه بما كان يختلج في صدورهم، ولقد جعل الله لهذا الشيخ هيبة عظيمة وسمعة طيبة، فكان يقتع بكلامه كل من سمعه، ولا يزال ذكره عالياً يملأ المسامع، كما أن أمارات القبول لا تزال لائحة عليه، وأعين الخلائق شاخصة بالثقة إليه.

وقد أراده بعض الأشرار بسوء وذلك بإيعاذ من بعض الرؤساء له بقتله على ما تتصوره عقولهم، فلما همّ به سوء وجعل يكمن له بالليل عصمه الله منه وقبض على يديه، وأخبر الشيخ بما بيته له الأعداء وأن الله أعجزه عنه، وكان له معاملة مع ربه، فكان في عبادته والانكسار بين يديه أمراً عجيباً بحيث ضبط على جهة التحقيق أنه ما في جامع بريدة موضع قدم ولا شبر إلا وقد صلى فيه ركعتين وأودعه برهاناً يشهد به يومئذٍ تحدث أخبارها، وقد عمر المسجد الجامع في بريدة التزم بنفقته لو كانت بأجمعها، وكان الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن كثيراً ما

يتحدث عنه ويمتدحه ويلهج بمآثر آل سليم وما منّ الله به عليهم ويحترمهم ويعظمهم كعادته في إكرام آل الشيخ، وكفى بها شرفاً للمكرم والمكرم، لأن الملك عبدالعزيز له غور بعيد وبصيرة عظيمة بالرجال، وسيأتي في ترجمته ما يشفي ويكفي لأنه نادرة زمانه، ولعلك أيها المنصف إذا نظرت في سيرة الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وسيرة ابنيه عبدالله وعمر وسيرة الشيخ محمد بن عمر آل سليم توافقني ولا يضيق بها صدرك، فنسأل الله أن يتغمدهم بعفوه ومغفرته ويوفق بينهم لاقتفاء آثارهم.

ذكر تلامذته والآخذين عنه

أما تلامذته والآخذون عنه فخلقٌ كثير، وجمٌّ غفير، جثت العلماء إلى ركبتيه وضربت آباط الإبل من المشارق والمغارب إليه، فأصبح كهفاً منيعاً للإخوان ومعقلاً لأولياء الرحمن، وتخرج عليه أولو الرتب العالية والمقامات السامية، فمنهم نجله عبدالله بن محمد بن سليم القاضي في مقاطعة القصيم، وكان فوق ما قيل فيه، وآية من آيات الله في العقل والفضل والعلم، تخرج عليه ونشأ بين يديه.

ومنهم الشيخ عمر بن محمد بن سليم نجله الثاني، رباه والده ونشأ بين يديه وفي ظله، وكان ملازماً له حتى في منفاه، فأصبح ذا قدرٍ عظيم وخطر جسيم، فتفردّ بأبيه واستمسك بغرزه، وقد نال عدة وظائف آخرها أن كان في قضاء مقاطعة القصيم بعد أخيه عبدالله، وكان حبراً يشار إليه بالأصابع وتضرب الأمثال في عقله ورصانته وتدريسه ولإبداعه ولا غرو فمن البحر يستجلب الدر.

وأخذ عنه الشيخ العالم العلامة قاضي مكة وحائل عبدالله بن سليمان آل بليهد.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ الإمام عبدالله بن محمد بن فداء ذو المعارف الربانية والأسرار الآلهية والعلوم الشرعية، فما شئت من علمٍ وزهدٍ وورعٍ وتقى.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ العالم الرباني عبدالله بن دخيل قاضي المذنب، وكان حبراً فوق ما قيل عنه علماً وذكاءً، ويعتبر من الأقطاب العظام.

وأخذ عنه الشيخ العالم القاضي عنيزة عبدالله بن محمد بن مانع.

وأخذ عنه الشيخ الرزين العالم محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف السعودية.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ الموفق علي بن مقبل.

وأخذ عنه الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان قاضي إحدى نواحي اليمن.

وأخذ عنه أيضاً الماهر الحافظ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد، وكان هذا مولعاً بجمع الكتب ويخط بيده وخطه حسن جميل، وله عناية بعلم التوحيد والعقيدة وله صبر على قلة ذات اليد.

وأخذ عنه الشيخ محمد بن حمد بن مضيان.

وأخذ عنه الشيخ سليمان بن عبدالله بن حميد، كان إماماً في أحد مساجد بريدة، ولديه قوة في الدين.

وأخذ عنه دحيم بن غيث.

وأخذ عنه أيضاً عبدالكريم بن ناصر بن جربوع.

وأخذ عنه حمد بن مبارك آل مبارك.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ فوزان بن عبدالعزيز صاحب الشماسية.

وأخذ عنه سعود بن فوزان.

وأخذ عنه الشيخ الزاهد عبدالرحمن بن ناصر العجاجي.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ الشاب التقي عبدالعزيز بن عبدالله بن فداء، وكان هذا هو الذي قدم عليه في حال غربته في النبهانية، وله مؤهلات وقوة وعزيمة.

وأخذ عنه حسين بن عرفج.

وأخذ عنه أيضاً غير هؤلاء، فمن أخذ عنه الشيخ محمد بن سليمان العمري، وكان هذا مفتي الأمير حسن بن مهنا.

وأخذ عنه الشيخ صعب التويجري.

وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالعزيز الصقعبي.

وأخذ عنه الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر.

وأخذ عنه أيضاً الشيخ ناصر بن سلمان بن سيف.

وأخذ عنه أيضاً صالح بن دخيل.

وأخذ عنه عبدالله بن أحمد آل رواف.

وأخذ عنه صالح الضبيعي، وغير هؤلاء خلق كثير وجمّ غفير، وقد ألبس الله تلامذته ثوباً من الوقار، ومن الطبقة الأولى صالح بن إبراهيم آل فوزان، وصالح بن كريديس، وعبدالله بن إبراهيم الباحوث، وعلي بن يحيى، وسليمان بن ثويني، وصالح اللهيمي، وعبدالعزيز بن مديهش، وانتفع بعلمه القاصي والداني، فنسأل الله تعالى أن يجبر المصاب بفقده.

ذكر ما جرى عليه من الأمور وثقته بالله العزيز الغفور

فنقول لما كانت هذه الدنيا دار ابتلاء وامتحان وقنطرة عبور لا موضع حبور اقتصت حكمة أحكم الحاكمين أن يمتحن أوليائه ليميز الخبيث من الطيب، فكان هذا العالم العظيم قد كابد في عمره أهوالاً تشيب لها النواصي وتعجز عن حملها الجبال الرواسي.

فأول ذلك فتن سعود بن فيصل وما جرى في ذلك الشقاق من المحن وترادف الدواهي والأحن، يروع بها المسلمون ساعة بعد ساعة، وتذهب الأوقات في الإضاعة، وبعدها فتن آل مهنا وعدم الركون إلى الأمن والراحة، وكثرة الزلازل وتشتت الهم وانكساف البال، وفشوا الباطل والضلال، ذلك لكثرة المكائد، وقلة المساعد وتوفر المخالف والمعاند، وعدم من يفيد في تلك الشدائد حتى أصبح أهل الدين مرَّوعين، وبأثواب المذلة متقلبين، أضف إلى ذلك كثرة الهرج والطوارئ وخوف الأعادي من كل حاضر وبادي، وتطور الأحكام على الأنام، وغلبة الجهال والطغام، مع فرقة الإخوان وتكدر الأذهان، حتى كان لكلٍ شوكة وأعوان، وقد اضطرته الأحوال إلى أن يغادر وطنه ويفارق عشيرته وسكنه، ثم بعد ذلك واقعة المليداء وقدوم محمد بن رشيد يتهدد ويتوعد، وبعدها مقاسات أولئك الأمراء الجورة والولاة الظلمة الفجرة، وآخر ذلك ولاية ابن متعب التي طمت الوادي والقرى.

فأول ذلك فتن آل سعود في منازعتهم الملك فيما بينهم، ثم قتل مهنا في بريدة والشيخ جالس يقرع أذنيه ذلك، ثم ولاية الأمير حسن وما فيها من اختلاف الدين وتشتت المسلمين، ثم واقعة المليداء وما فيها من الأهوال، ثم خروجه لمقابلة ابن رشيد في حال غضبه ومكابدة مرارة توبيخه، ثم بعد ذلك ولاية عبدالعزيز بن متعب وواقعة الطرفية، وما جرى عليه بعدها، ثم واقعة البكيرية وترقب الأخطار والأهوال والشدائد، وكان قد جرى عليه من بعض الأمراء أن أوعز على قتله وإعدامه، غير أن الله حفظه ووقاه، وكان يكمن له في طريقه إلى المسجد كل ليلة من باع أخرته بحطام عاجلته يريد قتله بالسيف، فلما مضى عشر ليالٍ تقدم ذلك الشقي لقتله، وحينما رفع السيف يبست يده فصاح للشيخ يستغيث به، وجاء إليه ولم يعلم بحقيقة ما كان يبيته له من الكيد والمكر، فأخبره صراحاً بأنه جعل له جعل ودبر على قتله وإن الله أعجزه، وسأل الشيخ أن يدعو الله له فدعى له وشفي، وقام يسأل ويستفهم عن ذنبه الذي أوجب له ذلك، فما كان لأعدائه جواب سوى الخزي والعار، وماله ذنب إلى تحقيق التوحيد ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [البروج:٨]، واستمر في تدريسه وإفتائه يرشد الجاهلين ويفيد الطالبين وينشر علمه بين العالمين.

ومما قال الشيخ صالح بن سالم يمتدحه في أبيات:

وجاء لنا نصرٌ من الله بعدما	بدى الظن ظن السوء من كل ملحد
على يد مأمون السريرة من غدا	يسمى بشيخ المسلمين محمد
أخو الحلم والتقوى مع العلم والحجي	فلا زال يعلو سامياً فوق فرقد
يقضي بتدريس العلوم نهاره	مجداً ويحيي ليله بالتهجد
ويحمي حما الإسلام جهراً وأهله	إذا سامهم خسفاً شديد التوعد
أليس الذي قد قام لله وانتضا	من العزم عضباً في زمانٍ منكد
فقام قيام الليث في عزم باسلٍ	يرى الموت فخراً من حسام مهند
ولم يثنه في الله لومة لائم	ولا وهنت منه القوى للتهدد
به أيد الله الهدى وانمح الردى	وعاد العدى واهي ظهور وأعضد

ذكر أولاد الشيخ رحمه الله

كان له أولاد فضلاء، فمنهم نجله الفاضل الشيخ عبدالله بن محمد، وسيأتي ذكره في سنة وفاته، ويكفي شرفاً له أن تولى قضاء بريدة حتى توفاه الله تعالى.

ومنهم الماهر في العلوم الشيخ عمر بن محمد، يأتي ذكره في سنة وفاته أيضاً.

ومنهم عبدالرحمن بن محمد ساكن عنيزة، ومنهم صالح بن محمد، فأما عبدالله فإنه خلف بعده نجلاً طيباً غير أن المنية اختطفته في ريعان الشباب، وكان زاهداً بضاعته العلم، ويأتي ذكره في ترجمته، وأما عمر فله أولاد متعلمون، وأما عبدالرحمن فقد خلف أولاد متمسكين في الديانة صلحاء ومحبين لأهل الخير، وأما صالح فله أبناء فضلاء، فمنهم الشيخ عبدالعزيز بن صالح، كان عالماً مجداً في خدمة العلم الشرعي، وقد تولى وظيفة إمام في أحد مساجد بريدة، ونال وظيفة التعليم في إحدى مدارسها، وكان متواضعاً زاهداً، ويأتي له بقية ذكر.

ومنهم الشيخ محمد بن صالح قاضي مستعجلة المدينة المنورة، ثم تولى القضاء في مدينة الخبر الواقعة في المنطقة الشرقية.

ومنهم إبراهيم وهواسن من محمد، ولا يزالون في تمسك بالديانة.

أما مرض المترجم فإنه أصيب بوجع في قدميه ثم انتقل بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى ومات على حالة تسر الصديق، وارتحل إلى جوار أرحم الراحمين، وأتاه طارق الموت والفناء الذي لا يفوته هارب ولا يتحصن منه متحصن، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وذلك بعدما أقر الله عينه بعودة الملك إلى آل سعود.

واعلم أني لم أجد قصيدة في وفاة هذا العالم الكبير، غير أن أحببت أن أرثيه بهذه الأبيات تنويهاً بذكره وإحياءً لمآثره:

على مثل شيخ المسلمين محمدٍ ... تسح دموع العين حراء تذرف
وحق له هذا البكاء وذا الأسى ... أصيبت بما يؤذي النفوس ويؤسف
فيا عين جودي بالبكاء تأسفاً ... على عالم أذكاره لا تكيف

سـلالة عبـدالله مـن كـان أمـةً حريصاً على نصر الهدى متحنف
يـدين بنصـر الحـق مهمـا وجدتـه فـلا لائمـاً يخشـى ولا عنـه يصـدف
مأثره كالشـمس في سـادس الضـحى سـوى أن أذكـاراً لـه لـيس تكسـف
ومـا زال يـدعو للهدايـة جاهـداً وينشـر أعـلام الهـدى يتعطـف
بـه نصـر الـرحمن ديـن محمـدٍ وعـاد بـه صـرح الغوايـة يرجـف
هو الليث في الهيجاء إذا الحرب شمّرت وقـام دعـاة الغـي للـدين تقـذف
فأسـيافه في البحـث تـردى لمـاذقٍ وتلقـى غبيـاً في الحضـيض وتنسـف
ومـن كـان مغـزاه الهـدى جاهـداً لـه مـديباً علـى تقديمـه لـيس ينكـف
يـدين بقـال الله قـال رسـوله سـجيته بـذل النصـائح يهتـف
فـإن إلـه العـرش لا بـد مظهـرٌ لـه رغـم أعـداء لـه لـو تكلفـوا
إلهـي أولـه الغفـران منـك تفضـلا فعاداتـك الحسـنى أجـلّ وألطـف
وأمن لخـوف الشـيخ واسـكن لرعبـه بيـومٍ بـه أهـل الـذنوب يخـوف
ألـيس الـذي قـد ثبـت الله عزمـه بوقتٍ به أهـل النهـي لـيس ينصـفوا
فكـان لهـم كهفـاً منيعـاً تهابـه ملـوكٌ بسـاحاتٍ لهـا تتخـوف

وممن توفى فيها من الأعيان الشيخ محمد عبده المصري رحمة الله عليه، كان يسمى المصلح الكبير، وهذا شيء من ترجمته:

هو العالم الشهير والحبر النبيل والبحر الغزير، كان أحد أركان النهضة العربية، وكان خطيباً كاتباً، ونشأته من أسرة فقيرة وقد قدمنا شيئاً من ترجمته.

ولد المترجم سنة ١٢٦٦هـ بإحدى قرى مديرية الغربية، ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة، وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنة العاشرة، ثم رغب في التعلم فحفظ القرآن الكريم وطلب العلم بالجامع الأحمدي، ثم انتقل إلى الأزهر في مصر ونبغ في علومه.

إن الأزهر هذا مسجد جامع في مصر شرع في بنائه سنة ٣٥٩هـ، قام بتأسيسه قائد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، واسم هذا القائد المؤسس جوهر الصقلي،

وقام بعده بتوسيعه الأمير بيبرس سنة ٧٠٩هـ، ثم الأمير علاء الدين أقبغا سنة ٧٤٠هـ، وما زال في التوسعة حتى تضاعفت مساحته، وكان له خمس منارات، ويتألف من مقصورتين، إحداهما هي التي أنشأها جوهر، وبها ٧٦عموداً من الرخام الأبيض، والأخرى أنشأها عبدالرحمن كتخذاي وبها ٥٠ عموداً، ويبلغ عدد أعمدته ٣٧٥، وله تسعة أبواب، ولقد أوقف الأزهر لطلابه الأمراء مثل الناصري والسلطان قانصوه وغيرهم قناطير العسل ومئات الدنانير وكمية من السمن والحلوى وغير ذلك، وبلغ عدد طلبة الأزهر في إحصاء سنة ١٢٦٨هـ ٥١٤ و١٧، أما المدرسون فيه فإنهم ١٢٢٠.

ولما قدم إلى مصر جمال الدين الأفغاني ١٢٨٢هـ وأعاد إلى مصر دراسة الحكمة والبيان والكلام، لزمه المترجم، وكان أنبغ تلاميذه وأحرصهم على ملازمته والاستفادة منه، ونال درجة العالمية سنة ١٢٩٤هـ، واختير سنة ١٢٩٥هـ مدرساً للأدب والتاريخ العربي بدار العلوم ومدرسة الألسن، ثم اختير لإصلاح لغة الوقائع المصرية، ثم صار رئيس تحريرها، وفي هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها، وحدثت عقب ذلك الثورة العرابية ونفي من مصر إلى سوريا، لأن الشبهة أحاطت بعنق المذكور وحوكم وحكم عليه بالنفي المذكور، فتولى التدريس بمدارس سوريا، ثم انتقل إلى أوربا فالتقى بجمال الدين الأفغاني، فأنشأ معاً جريدة العروة الوثقى، ثم عفا عنه الخديوي وعاد إلى مصر قاضياً بالمحاكم الأهلية، ثم مفتياً للديار المصرية، وتولى التدريس بالأزهر، وإليه يرجع الفضل في إصلاحه، وما زال كذلك حتى توفى في هذه السنة.

وقد رثاه الأستاذ محمد بك حافظ إبراهيم بهذه المرثية العظيمة:

سلامٌ على الإسلام بعد محمدٍ — سلامٌ على أيامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجي — على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت أخشى عادي الموت قبله — فأصبحت أخشى أن تطول حياتي
فوا لهفي والقبر بيني وبينه — على نظرةٍ من تلكم النظرات

وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً — كأني حيال القبر في عرفات
أبنت لنا التنزيل حكماً وحكمةً — وفرقت بين النور والظلمات
ووقفت بين الدين والعلم والدجا — فاطلعت نوراً من ثلاث جهات
وقفت لها نوتو وريناان وقفةً — أمدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله في كل موقفٍ — فخافك أهل الشك والنزعات
وأرصدت للباغي على دين أحمد — شياة يراع ساحر النفثات
مشى نعشه يختال عجباً بربه — ويخطر بعين اللمس والقبلات
بكى الشرق فارتجت له الأرض رجةً — وضاقت عيون الكون بالعبرات
بكى عالم الإسلام عالم عصره — سراج الدياجي هادم الشبهات
فيا ويحٌ للشورى إذا جدَّ جدها — وطاشت بها الآراء مشتجرات
فيا ويحٌ للفتيا إذا قيل من لها — ويا ويحَ للخيرات والصدقات
بكينا على فردٍ وإن بكائنا — على أنفسٍ لله منقطعات
تعهدها فضل الإمام وحاطها — بإحسانه والدهر غير مواتِ

وممن توفى فيها من الأعيان الشريف عون الرفيق أمير مكة المشرفة من قبل الدولة العثمانية إذ ذاك، وهو عون بن محمد بن عبدالمعين بن عون، ولي إمارة مكة ثلاثة وعشرين سنة، قضاها بحسن حظٍ وقد ظفر بكل من ناواه حتى أبعد الحسين بن علي عن مكة بعدما كان مقيماً بها في أيام عمه عبدالله بن محمد، وانضم الحسين إليه ليعيش في كنفه، فلما تولى الإمارة الشريف عون، عمل على إبعاد الحسين من مكة، لما يأتيه الحسين من التأليب عليه والكيد له في الخفا حتى تغلب الشريف عون عليه وألجأه إلى الرحيل إلى الأستانة.

ولما توفى عون في هذه السنة تولى إمارة مكة بعده الشريف علي باشا، ولكنها لم تطل إمارته، فقد عزل بعدها بسنتين.

وممن توفى فيها من الأعيان: يوسف بن عبدالله آل إبراهيم عدو ابن صباح، فيقال لابن صباح: خلالك الجو، فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري.

وفيها تم عمل سكة الحديد التي أنشأها السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد، وكانت قد مدت من المدينة المنورة إلى أن اتصلت بالأراضي الشامية، وكان الباعث لعمل هذه السكة تقريب مسافة المدينة للحجاج والزوار الذين يأتون إليها من مسافة بعيدة، والأمر الثاني صلة بلاد الحجاز لأجل إذا وقع أي واقع تسنى للدولة في الحال إخماده، وكانت مدة العمل فيها سبع سنوات، وأنفقت عليها خمسة ملايين وربع مليون جنيه عثماني، ويقدّر العارفون أن هذا المبلغ قليل بالنسبة لطول الخط، وكان طوله ١٩٥٩ كيلو متر، فأصبحت المدينة زهرة البلاد الحجازية، ولولا فقد السلطان وتلا الحرب العظمى لالتحقت سائر بلاد الحجاز بالمدينة، وما زالت هذه تتلاشى حتى بطل عملها.

وفي هذه السنة أرسلت الدولة العثمانية أحد رجالها الكبار، وهو المشير أحمد فيضي باشا الذي اشتهر بشجاعته وحسن سياسته، وشفعته الدولة أيضاً برجل آخر اسمه الفريق صدقي باشا المتصف ببعد النظر وطول الآناة، جاء الأول بثلاث طوابير وخمسة أطواب من بغداد، وجاء الثاني من المدينة بطابورين، فالتقوا وعسكروا قرب القصيم، ولم يكونوا قصدوا الحرب، ولكنهم رغبوا في المفاوضة من أجل السلم، وإنما أرسلت الدولة هذه القوة من جندها لتعزز جانبها، وكانت قد بعثت إلى ابن سعود بواسطة الشيخ مبارك بن صباح تقول: إنها تريد أن تفاوض أباه عبدالرحمن بن فيصل، وطلبت أن يوافي والي البصرة إلى الزبير، فأجاب الإمام طلب الدولة وسافر إلى الكويت ومنها إلى الزبير، وكان قد اتفق بمبارك بن صباح في الكويت فسارا معاً إلى الزبير، فاجتمعا هناك بالوالي، وبعد المفاوضات في أمور نجد والقصيم قرروا أن يكون القصيم على الحياد أي يصير حاجزاً بين ابن سعود وابن رشيد وأن يكون للدولة فيه مركز عسكري وموضع شورى، ولكن عبدالرحمن بن فيصل لم يوافق على هذا الأمر، غير أنه وافق بعد أن يعرض ذلك على أهل نجد إكراماً للشيخ مبارك، ولم يقبل أهل نجد ذلك البتة بأن يكون القصيم على الحياد ولا أن يكون للدولة فيه حامية قطعاً.

فلما عاد الإمام عبدالرحمن، خرج ابنه الملك عبدالعزيز لاستقباله إلى الحسي، فاجتمع به هناك وسارا إلى شقراء، فأقام والده فيها، واستمر عبدالعزيز سائراً برجاله إلى القصيم، فنزل موضعاً يسمى العمار يبعد عن بريدة جنوباً بخمسة وعشرين ميلاً، وكان فيضي باشا وصدقي قد اجتمعا بابن رشيد فتفاوضوا واختلفوا، وكان ابن رشيد قد أراد من الباشا أن يضغط أهل القصيم ويأخذهم بالسيف، فخالفه المشير ولسان حاله يقول:

الـــرأي قبـــل شـــجاعة الشـــجعان	هـــو أول وهـــي المحـــل الثـــاني
فـــإذا همـــا اجتمعـــا لـــنفسٍ مـــرةٍ	بلغـــت مـــن العليـــا كـــل مكـــان
ولربمـــا طعـــن الفتـــى أقرانـــه	بـــالرأي قبـــل تطـــاعن الفرســـان

وكان صدقي باشا يتعجب من شجاعة عبدالعزيز بن رشيد، حتى قال هـذا فـارس كعلي بن أبي طالب في الشجاعة، لكنه أعطى حظاً من السياسة، فعـاد ابـن رشـيد بعسكره حانقاً إلى الكهفة وركب المشـير علـى رأس جنـوده قاصـداً القصـيم، ولما وصل إلى بريدة منعه أهلها من الدخول، ولكن الأمير صـالح الحسـن أرسـل إليـه رسولين هما عبدالله بن عمرو، ومحمد بن علي أباالخيل يقول إنـه وأتباعـه يطلبـون حماية الدولة والاستقلال، أما بريدة وعنيزة وتوابعهما من القرى فلـم يقبلـوا سـادة الأتراك بل أرسلوا إلى عبدالعزيز بن عبدالرحمن ليأخذون رايـة في المقاومـة، وكـان فيضي باشا قد أرسل رسولاً إلى الرياض يقول أن الدولة لا تبغي محاربة أهل نجـد، وأنه جاء مسالماً، ثم أرسل إلى ابن سعود في العمـار يؤمنـه قـائلاً: إنـني لا أريـد إلا السلم، ولست محققاً مقاصد ابن رشـيد، وقـد سـأله أن يلـزم مكانـه ويرسـل أبـاه عبدالرحمن ليوافيه إلى عنيزة للمفاوضة، فقبل عبدالعزيز ذلك وأمر الناس أن يخلدوا إلى السكينة فلا يأتون عملاً عدائياً أثناء المفاوضـة، فركـب الإمـام عبـدالرحمن بـن فيصل من شقراء إلى عنيزة، وسار فيضي باشا جنوباً فنزل على مقربة منها، فتواجـه الأثنان في عنيزة وأسفرت المفاوضـة علـى أن يكـون للدولـة مركـزان في القصـيم، أحدهما في بريدة والثاني في عنيزة، ويكون هذا مؤقتاً إلى أن يـتم الصـلح بـين ابـن

سعود وابن رشيد، هذا ما تريده الدولة، ولكن أهل القصيم لا يريدون ذلك إلا ما كان من أمير بريدة صالح الحسن فإنه قبل وأتباعه ذلك، فرأى الإمام عبدالرحمن أن يقبله أهل القصيم مؤقتاً، وكاد أن يتم وأن يكون ساري المفعول، ولكنه حال دونه حوادث صنعاء في اليمن وما صنعه الإمام يحيى من شدة الحصار على صنعاء، وفيها ستون ألفاً من الأتراك العسكريين والمدنيين كما تقدمت الإشارة إليه.

وبما أنه ليس عند الدولة للنكبات أقدر ولا أشجع من المشير فيضي، توكل عليه في إنجاد أبنائها الذين أطعمهم يحيى في حصاره النار والفار وأشياء ذكرها حتى أشرفوا على الموت، فلذلك صدر الأمر إلى أحمد فيضي بالإسراع إلى اليمن، فسار نحوه وترك القصيم ومشاكله لصدقي باشا يحلها بالتي هي أحسن، ولما تولى صدقي باشا قيادة الجيش نقل إلى الشحية فعسكر فيها، وما كان له ما للمشير من سعة الرأي، بل اهتزت منه جارحة للحركة، وأقام بجنوده في الشحية لا محاربين بل مفاوضين، بل كانوا متفرجين، وقد استأنف ابن سعود وابن رشيد القتال، ولما وصل المشير فيضي باشا إلى اليمن أمدته الدولة بخمسين ألف مقاتل لتأديب الثائرين والعصاة، فاستولى ثانيةً على صنعاء ثم تتبع الإمام يحيى الذي انسحب بجنوده إلى شهارة، ولكنه دحر شر دحرة هناك، فعقد بعدها اتفاق بين الإمام يحيى وبين الدولة العثمانية، لكنه لم يدم غير بضع سنين.

وفيها استنجد أمير قطر وشيخها قاسم بن ثاني بعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود على أخيه أحمد بن ثاني وبني مرة، فقد عصوا عليه وكادوا يخرجونه من قطر، فبادر إليه ابن سعود في وقت كان القصيم يغلي فيه بمراجل التقلبات، فضرب الثائرين ضربة أعادت لقاسم بن ثاني كامل نفوذه وسلطنته، وكان قاسم هذا من أعز أصدقاء عبدالعزيز وأحبهم إليه، تربطهما رابطة العقيدة السلفية وحسن الجوار، ولكنه حصل منه رحمه الله بعض الحسد على ابن سعود لما ولاّه الله بلاد الإحساء، وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله.

ذكر الحركة والتقلبات في القصيم

لما نقل صدقي باشا إلى الشحية وعسكر فيها جرى شقاق وحركة في القصيم وانقسم أهل القصيم إلى ثلاثة أقسام: قسم مع ابن سعود، وقسم مع الدولة، وقسم مع ابن رشيد، ولما أن رأى ابن سعود ما تفتق من الشر نفض يديه وتركه بين هذين العدوين ميمناً نحو الرياض، فعندها قام الفريق الأكبر من أهل القصيم وهم الذي يؤثرون ابن سعود وسيادته وأرسلوا إلى أمير الكويت مبارك بن صباح يطلبون منه أن يتوسط بين أهل القصيم وابن سعود، فإنهم لا يريدون سواه ملكاً، ومبارك وإن كان الصديق الأقرب لابن سعود فإن استيلائه على هذه الممالك أحدث له خوفاً أن يمد ابن سعود يده إلى ملكه، كيف لا وملك نجد إذا ما استولى على القصيم واجتاز الحفر لا يقف على حد دون الخليج، وقد أحسَّ ابن سعود من مبارك انقلاباً في نيته.

ولما طلب منه أهل القصيم أن يتوسط بالصلح اغتنم هذه الفرصة لينفي التهمة عن نفسه، وبعث إلى عبدالعزيز يظهر أنه الصديق الأعظم له، ويشير عليه أن يعود إلى القصيم، وأن يعفو عن أهله لأنهم مخلصون له ولا يبغون سواه ملكاً.

وهذه كبوات الشيخ مبارك

فنقول لما امتدت فتوحات ابن سعود وطلع نجم سعده حسده مبارك وقام يريد استرضاء الدولة لما كانت ناقمة عليه قتله أخويه، فسعى في استرضائها ومصالحة حليفها ومخلصها عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، وكان يظهر الصداقة لابن سعود ويكاتب سراً ابن رشيد، فأرسل إليه رسلاً تحمل كتب التودد والولاء بينه وبينه، وإنه عقد صلحاً معه تم أخر هذه السنة، وكان كاتب ديوان الشيخ مبارك غير موفق، فقد جرى سر ذلك مكشوفاً، وذلك بأنه لما كتب مبارك مرةً إلى ابن رشيد هذا الكلام: إني متكدر جداً من أعمال ابن سعود، وقد جرت الأمور في نجد على غير ما اشتهى، أما الآن فأنا وإياكم عليه

والكويت وحائل شقيقان، ومصلحة البلدين واحدة، ولكم مني ما تشاؤون من المساعدة على حرب ذلك النشئ ..إلخ، وكتب إلى ابن سعود يقول: ولدي يا ولدي أنا معك في كل حال وحين، قواك الله وتولاك، لا تترك هذا الكلب فحل الشول ولا تدعه يستريح ولا تصالحه وأنا أبوك مستعد لمساعدتك في كل ما تريد، ثم إن الكاتب جعل غلطاً كتاب هذا في ظرف هذا وكتاب هذا في ظرف هذا وكلٍ وصله كتاب خصمه.

ولما علم ابن صباح بما كشفه الله واطلع عليه ابن سعود بعث بعده كتاباً بعدما استأنف القتال إلى ابن سعود فيه كلام وجيز قاسي، وفيه إذا كان لا يعيد المنهوبات التي نهبها من ابن رشيد فسيعلن عليه الحرب، وهذه المنهوبات غنمها رجل من أنصار ابن سعود يسمى علي الضويحي من قبيلة الظفير، غنم المذكورة من قبائل العراق، وليس لمبارك حق في التدخل بما لا يعنيه.

ولم يكتف بذلك بل صالح أمير بريدة صالح الحسن وكتب إليه يحرضه على قتال ابن سعود، وكل هذه مضحكات جرت من مبارك بن صباح فالله المستعان.

ذكر أمر صالح الحسن بن مهنا

قد ذكرنا الحركة والتقلبات في القصيم، وذلك لأنه لما بادر ابن سعود لنجدة ابن ثاني في قطر انتهز أمير بريدة فرصة غيابه، وظهر من آل مهنا في هذه السنة حقدهم الذي كان كامناً في قلوبهم كالنار في الزناد.

وذلك أن عبدالله بن فيصل بن سعود قد شكى إليه فيما تقدم آل مهنا أعدائهم آل أبي عليان، فلم ينصرهم عبدالله بل انضم إلى عدوهم بالمناصرة، فظل هذا الغل والحقد كامناً إلى هذا الوقت فظهر من صالح الحسن الذي يود الاستقلال كأبيه أيضاً، وهيهات فقد تغيرت الأحوال والظروف وكان يتبادر منه الانضمام إلى الدولة.

ثم خرج على ابن سعود وابن رشيد معاً وشرع يتزلف إلى الترك لتحقيق ما

يريد في تقلب الأحوال وتلون الحوادث، ولما أن تباعد ابن سعود من نجد كان في ذلك أخذة أسف لابن رشيد من القصيم.

ولما أن أطلق صالح الحسن يديه من ابن سعود كان لابن سعود أكبر الحظ في ذلك لأن صالحاً تأكد وأتباعه بعد ذلك أنهم لا يستطيعون الدفاع إذا أشهر ابن رشيد عليهم الحرب، وربما أن يكون ابن سعود ارتحل من القصيم ليتخلى عن أهله ويدع صالحاً وشأنه ليكون له من خطأه وعجزه أكبر تأديب.

فقد أرسل ابن رشيد سرية على الفور إلى الرس يقودها صالح العذل معه حسين بن عساف فاستولت عليه، فاجتمع أهل القصيم في قرية الشقة لأجل الدفاع وقد انضم إليهم عدد من العربان، فهجم عليهم ابن رشيد وقتل منهم عدداً وحاصر البقية في تلك القرية، فضج القصيم وعلم الأمير صالح الحسن أنه ليس لهم منعة إلا بعون الله ثم بابن سعود.

فلما بلغت ابن سعود أخبار القصيم بعده عاد مسارعاً إلى نجد وبعث أخاه محمد على الفور يقود سرية لمدافعة ابن رشيد، فهجمت السرية على حرب وعادت فنزلت وادي الدواسر.

أما صالح الحسن فإنه أرسل أخاه مهنا إلى أهل عنيزة يطلب منهم أن يشفعوا له عند ابن سود، فذهب الوفد ورحب به وعفا عن صالح وأتباعه، ثم إنه توجه ابن سعود إلى القصيم ولكنه لم يكن إذ ذاك قادراً على محاربة ابن رشيد لسببين: أحدهما الجدب القحط في تلك السنة، والثاني تفرق البادية ليهتموا بمواشيهم.

ولما علم ابن رشيد بقدوم خصمه خرج من منزله في البقيعة وأغار على قبيلة من مطير، فأخذها وعاد فنزل في قصيبا، وتكررت غزواته على قبائل ابن سعود وجعل ينتقل من قصيبا إلى الأجفر، ومن الأجفر إلى البشوك، وكانت قصيبا على مسيرة اثنتي عشرة ساعة من بريدة إلى الشمال، كما أن الأجفر بين القصيم وحائل.

وأما البشوك فكانت على مسيرة خمسة أيام من حائل شرقاً، فلما رآه ابن سعود على تلك الإغارات قفل راجعاً إلى نجد ليستفز العربان من عتيبة ومطير

الأعلين، فجمع جيشاً وعاد به إلى القصيم لمحاربة هذا الجبار المريد عبدالعزيز بن متعب بن رشيد.

ولما وصل القصيم أحسّ أن صالح يسعى سراً في مصالحة ابن رشيد، غير أن صالحاً جاء معه قوم من أهالي بريدة فانضم إلى ابن سعود، ولما جاء بهذه الصفة وانضم إليه قبله على علاته، وما كان ليخفى عليه أمره وخيانته، لكنه حليم وذو سياسة.

أما عبدالعزيز فإنه نزل بجيشه في الأسياح، وأقام بها عشرين يوماً في جيشه الذي كان مؤلفاً من الحاضرة والبادية، هذا وأمير بريدة صالح بن حسن عنده تلك الأيام يظهر الولاء، ثم إنه بدا له أن ينسحب وقومه من الأسياح فيبقى ابن سعود بجيشه الذي معه، ولا قدرة له على ابن رشيد، وهذه خيانة من صالح، نسأل الله العافية، ففطن ابن سعود، غير أنه أحب ترميم الشرور، وقام بجيشه من الأسياح فزحف إلى الزلفي، وكان بينهما قدراً من خمسين ميلاً جنوباً عن الأسياح، كما أن الأسياح عن بريدة شمالاً بشرق قدراً من أربعين ميلاً، وإنما انتقل ابن سعود ليبعد عن صالح ومحلته.

ولما أن وصل في زحفه إلى مكان يسمى النبقية، استأذنه صالح الحسن بالرجوع إلى بريدة، فأذن له لأنها تقررت خيانته، فعاد إلى بريدة، واستمر ابن سعود بزحفه إلى الزلفي وجعل يجمع الجيش، ثم رحل من الزلفي ونزل على ماء غدير بالقرب من الأرطاوية، فانضمت إليه قبائل مطير التي يرأسها فيصل الدويش، وبلغه هناك خبر الصلح الذي تم بين مبارك بن صباح وبين ابن رشيد وما ملأ عليه صالح الحسن من التحريض على قتاله ومقاومته، وختمت هذه السنة بزعازع وخيانات وتقلبات، فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٢٤هـ

استهلت هذه السنة وابن رشيد لا يكاد ينام، لأنه إذا غمضت عيناه يفزع مرعوباً يقول: جائني الحواشيش، مالي وللحواشيش، وكان يتبدا له ذلك الشيخ

الهرم الذي قتل ولده أمامه فيخنقه، ثم ينتبه مرعوباً وكلامه في أذنيه يقول له: يا ظالم والله لا تفلح، وقد قدمنا صفة قتلهم الذي سيجازيه الله عليه، وقد قتل في الموضع الذي قتلهم فيه قبل مضي سنة من قتلهم، هذا وما كان إلا في عتوّه، فهو يتنقل في أطراف القصيم ويجوس خلاله.

ولما كان في افتتاح هذه السنة في غرة محرم، نزل ابن سعود على غدير الأرطاوية المذكور، وجعل يجند الجنود حتى تكامل جيشه ألفاً وستمائة مقاتل، ألف ومائتان من الحضر وأربعمائة خيال من البادية، فزحف بهذا الجيش مسرعاً إلى القصيم، وقد دفع الراية إلى مطرف، وكان مسيره في آخر محرم يريد ابن رشيد في الثويرات من عقلة الزلفي لما ذكر له أنه معسكر هناك، وكانت أمكنة وعرة كثيرة الرمال.

ولما أن زحف إليه لم يدركه هناك، وكان ذلك في ١٧ صفر، وهذا في يوم من أيام الربيع العاصفة الماطرة التي لا يطيب الحرب ولا الغزو فيها للرياح والأمطار، فقد يدنوا المتحاربون بعضهم من بعض دون أن يشعروا بذلك، فإذا هم فجأة في المهلكة الكبرى، وكان ابن رشيد يتراجع ليصل إلى الشقة فيجتمع هناك بصالح الحسن الذي جاءه مناصراً مصالحاً، وقد أخذه الله قبل أن يجتمع به، وكان حامل رايته رجل يدعى الفريخ.

ذكر قتل عبدالعزيز بن متعب سنة ١٣٢٤هـ

لما أراد الله أن ينفذ فيه إرادته، جرى منه غفلة أهمل بها أمر العدو، ذلك لأمر يريده الله تعالى، فإنه سار ابن سعود مجداً في طلبه طيلة ذلك اليوم، ثم إنه لما كان من آخر النهار توقف ابن سعود ورجاله عن تتبعه، وذلك لأن شدة الأمطار والرياح منعتهم من أن يواصلوا السير نحوه، فعاد كشافة ابن سعود يخبرونه بأنه على مسيرة ساعيتن منهم، وقد نزل روضة مهنا، فعندها بادر ابن سعود ورجاله مشياً على الأقدام كي لا يشعر العدو بقدومهم، ولكن بعض كشافة ابن رشيد

بادروا إلى أميرهم بالخبر، وقد نام فجعلوه يوقظونه وهو يتأنى ليقضي الله أمراً كان مفعولا، فاستيقظ وشرع يذمر جيشه، وكان مؤلفاً من ستمائة من الحضر وألف ومائتين من البادية الخيالة، ثم أمر أن تضرم النيران، فكانت سبباً لهجوم الجيش عليهم، فهجم الجيش السعودي إلى ساحة القتال، ولم تنتصف ليلة ١٨ صفر إلا وقد اختلط الجيشان وتواقعا تحت جناح الليل.

وكان السعوديون قد هجموا على جناح شمّر فزحزحوهم، وصال في موضعهم بعدما تقهقر جنود ابن رشيد.

هذا وما علم ابن رشيد بهذا الهجوم، بل ركب حصانه وتبع راية ابن سعود يظنها رايته لأنها تقهقرت رايته وثبتت في مكانها، وهو ينادي من هنا يا لفريخ من هنا، يا لفريخ أيش هذا التدبير، يا لفريخ، ولكن ابن الفريخ قد تقهقر مع المتقهقرين، فلما عرف السعوديون صوته صاحوا ينادون بقولهم ابن رشيد، ابن رشيد، يا طالبيه، فصوبت البنادق وثار به بضع وعشرون رصاصة، فخرَّ صريعاً عن ظهر جواده يتخبط في دمائه، فأخذ الجيش السعودي سيفه ونزعوا خاتمه وألقوهما بين يدي عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ذبحناه وهذا سيفه وخاتمه يا إمام، ثم إنه قطع رأسه وذهب به ثلة من السعوديين إلى سوق بريدة وهم يقولون نحن أهل العوجا مروية السنين أسنة الرماح، وجعل المسلمون يستبشرون بقتله، وانتهت حياته المملوءة بالدماء وآخرها دمه.

وهذه ترجمته نذكرها وإن كان قد تقدم بعضها:

هو الأمير الخطير وذو الشأن الكبير والعلم في الشجاعة، الرفيع الشهير عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله بن علي بن رشيد بن عبدالله آل رشيد آل خليل آل جعفر آل عبدة الذي شهدت له بالشجاعة أبطال الرجال، وتضعضعت عن ملاقاته عناتيب الأشبال، هو الذي تنفست عنه جزيرة العرب في القرن الرابع عشر، فكان فارساً شجاعاً وبطلاً مغواراً إلى حد الهوج، وبلغت به شجاعته درجة من القساوة والسطوة تعدت به عن حد السياسة التي هي من شروط الأمراء الأساسية وأعلى

درجة من الشجاعة الهوجاء، فهو الجبار العنيد وذو البطش الشديد، ولد في أوائل ١٢٧٤هـ قبل وفاة والده باثنتي عشرة سنة، وقال عنه القائد التركي لما شاهد تلك الجرأة والبسالة: هذا فارس كعلي بن أبي طالب في الشجاعة لا غير، ولا أظنه سمع بقول القائل:

الـرأي قبـل سـجاعة الشـجعان　　　هـو أول وهـي المحـل الثـاني

ولم يكن على شيء من السجايا التي تحبب القائد إلى رجاله والحاكم إلى رعيته، بل كان جباراً عنيداً عتياً لا أثر للخوف في قلبه ولا شيء من الرحمة والحنان، أضف إلى ذلك أنه قطوب عبوس كثير التلثم، فسمي العبوس المتلثم الذي قلما يتبسم.

فمن عنفه وشجاعته أن رؤيته تذيب الأبطال وذكره يزعزع الرجال، وقد يقتل ذكره، ونحن نسوق شيئاً من عجائب سطوته، فإنه كان في أيامه رجلٌ يكاتب ابن سعود، فعثر رصدته في بعض الأيام على كتاب هذا الرجل، فأخذوه وقدموه إلى ابن رشيد، فلما علم بموضوعه بعثه مع خادم وقال للخادم ألقه بين يدي كاتبه، فعجب لذلك الخادم وسأله مستفهماً أيقتله؟ قال بل ناوله كتابه وأئتني، فذهب وعمل بأوامر سيده، ولما فتحه ذلك البائس إذا بكتابه الذي بعث به إلى ابن سعود قد وقع في يد ابن رشيد فانزعج لذلك وانقطع قلبه فمات، وذلك لأنه علم أن ابن رشيد قد اطلع على موالاته لعدوه، وسيعاقبه على ذلك، وما كان لأحد أن يجيره منه فمات لذلك.

ولما انهزم مرةً، ذهب إلى جهة حائل فنزل ضيفاً برجل في إحدى قرى حائل ومع خمسة من رجاله، فغيّر هيئته وأخفا خبره لأن لا يعرفه ربّ المنزل، ولما قدم المضيف طعام العشاء، قام على رؤسهم يروحهم، وكان كهلاً كريماً، فأخذ ابن رشيد يحادثه على غير معرفة قائلاً له: يا رجل هل سمعتم عن هذا الظالم ابن رشيد، إنهم يقولون أنه انكسر وظهر عليه ابن سعود، فأخبرنا عن الأخبار وما جرى لهذا الفاجر، فتخلل صاحب المنزل بلسانه وأجاب بقوله: أبشرك بأن الله خذله، فلعل الله أن يريح منه المسلمين، فقد طالما كانوا في أذى منه، فأجابه قائلاً: يا

عم أكل الناس يبغضه؟ قال ومن يحبه لعنه الله، ولكن يجب ألا يسمعنا أحد فيبلغه ذلك، وكانت الذبيحة التي قدمها يتسامن المعز، فسكت ابن رشيد ثم جعل يقلب عصعص التيس ويقول: هذا تيس يلعن حيك يردد هذه الكلمة، وكان نور السراج ضعيفاً فجعل المضيف يقلب النظر فيه بين مصدق ومكذب لما عرف لغته وتذكر ابن رشيد فإذا هو فصرخ الرجل صرخة لما كان يعلمه عنه وكان مستنداً على الحائط واقفاً، فأزال الأمير الكوفية عن وجهه وبدره بقوله: لك عهد الله وميثاقه أن لا يصلك مني بأس، فإذا به قد سقط على الأرض وقضى نحبه، فعياذاً بالله من هذه الفظاظة.

وكان ذات يوم جالساً للناس في الفلاة بين أصحابه، فاحسّ بشيء يلدغه في ظهره، فخاف أن تكون شيئاً من الحشرات التي لا تستحق الاهتمام، فسكت وتجلد حتى انتهى من عمله، ثم دخل إلى الخيمة وطلب أحد عبيده فجاء ورفع ثيابه فإذ ما بين كتفيه عقرب كبير يلدغ جلده، فصاح العبد مذعوراً وخشي أن يمس العقرب، فتناوله الأمير عبدالعزيز بيده ورماه خارج الخيمة، ثم أمر الخادم أن يذر على مكان اللدغ رماداً حامياً، ونام الأمير بعد ذلك كأن لم يكن شيء، وكل هذا يدل على صلابته وشدته وحدته وقسوته، وكان في ظلمه وعسفه وجبروته تضرب به الأمثال، ولا ريب أنه نقمةً أحلها الله بأهل نجد وعذبهم به، وكان يبعث رجاله إلى أهل القرى تنهب البطيخ واليقطين والرطب والبرسيم، ومن أبى فإنه يؤخذ ظهره بالضرب والتعذيب، وكان يبعث إلى أرباب البقر من يأتي بألبانهم إليه فبعدما يحلبونه ويمخضونه على مرأى من الأطفال والعوائل، ينتظرون خادم الأمير فيطرق الباب ويأخذه، وقد يبعث إلى أهل البيت بسبعة ريالات أو ستة لعلف البقر، أضف إلى ذلك مسائل أخرى من المحن.

وقد وصل في هذه الدرجة إلى أشياء يستحي من ذكرها، بلغت في التسفل إلى غاية لا يرضاها لنفسه كريم، وجرَّ عساكر الأتراك إلى نجد، وأهان أهل الدين والعلم وأجلاهم عن الأوطان، ولم يرع لكبير حرمة، ولم يعامل ضعيفاً برحمة،

وشدد الوطأة على الأغنياء حتى عزم على قتلهم، ثم إنه بدا له بعد ذلك أن يسبي أموالهم، وجعل عليهم ضرائب أرهقهم بها، ولقد فرح بقتله المسلمون حتى قومه من شمّر، وذلك لما كابدوه من الأهوال والحروب معه، ولما قتله الله على يدي جلالة الملك ابن سعود، وتحقق قومه قتله، أطلقوا أعنة ركابهم فارين منهزمين إلى حائل ولم يرى ابن سعود تتبعهم، فما أذن لرجاله أن يتعقبوهم.

وكان سنه يوم قتل خمسين عاماً، وقد أنشأ الأديب الشيخ حسن بن علي بن نفيسة الحنبلي قصيدة في قتل ابن رشيد وما جرى لابن سعود من النصر، وهي هذه:

لك الحمد يا منان والفضل والشكر ... لقد قلت أن العسر يتبعه اليسر
ففرجت عنا الكرب من بعد ذلنا ... تفضلت بالأنعام إذ مسنا الضر
ترينا بعدلٍ منك إظهار عجزنا ... فتعطف بالحسنى علينا فتستر
فتحت لنا فتحاً وأظهرت أمرنا ... وقدرت منا الحد فاعتدل النصر
لقد حشدوا أهل الشقاق وألبوا ... جنوداً كأوباش الحمالها القفر
نجوم نفاق في قرى نجدنا بدت ... ولكن خفت لما سمي فوقها البدر
وكل على ساق العداوة قائم ... حراصاً لو اسطاعوا لنا فرصة كروا
وقد أجهد الطائي في حرب شيخنا ... وحاول أمراً والإله له أمر
وكاد ولم يترك خنا وخديعة ... ولم يدر أن السوء يمحقه المكر
أتى بطغام أعسرين وأنهم ... لدى القرن ميل إذ يصادمهم نفر
وساقهمو سوقاً حثيثاً لحينهم ... ففاتهم الإقبال وأنهتك الستر
نشا العارض النجدي يبرق غدوة ... كعارضٍ عاد حالك قذفه جمر
ولكنه للمسلمن مسرة ... وبالعكس للطاغين يمطرهم شر
بوارقه حد الضباة ورعده ... قواصف من أفواه ما أنتج الكفر
فسيَّره الرحمن قصداً إليهم ... وميكاله ليث الشرى ويعضل الكسر
إذا فل يوماً للمعادين راية ... عليها عقاب الطير حلق والنسر
نصف على كل الخميس كواسر ... وفي ظلها يشتد من ضمه الجمر

معـودة مـن كفـه واسـع الغـني تضـل شـهوراً رزقهـا طيـب وفـر
فلمـا أراد الله يقضـي مـراده وأتـى لأمـر حمّـه الله يـزور
تحلـب جـوا فـوق كـل منـافق وصـبت عـز إليـه الـدما منهم نثـر
وحـيط بهـم مـن كـل أفـقٍ وجانـبٍ فإذا عاينوا الأبطال خاروا ومـا فـروا
فـدقتهو والله ينفـذ أمـره رحى الحرب ذا قتل وذا شده الأسـر
فقـل عـزاهم عنـد عظـم مصـابهم وحان بلادهم عندما استحكم الـوزر
أميرهـم المختـال أكـبر رزئهـم صريعاً وقد حضـين مـن دمـه النسـر
فـأكرم بهـا مـن وقعـةٍ لـو شـهدتها ولكـن بحمـد الله فيهـا لنـا وفـر
فأنـا لهـم مـن عصـبةٍ مقرنيـة مصـاليت في الهيجـا أسـود لهـا زئـر
سـراعاً إلى الجـلاد بطـاء عـن الخنـا ميامين هـم ذخـر لمـن ضـده الـدهر
إذا رفـدوا أغنمـوا وإن عاهـدوا وأوفـوا وإن سالموا سروا وإن حاربوا ضـروا
وإن سـئلوا جـادوا بمـا في أكفهـم فلـم يـدر مجتـدى متـى خلـق الفقـر
حلـيفهم في شـاهق العـز ثاويـا وعيشـهم خصـب ونائلـهم غمـر

إلخ، وهي طويلة تضمنت مديح آل مقرن والثناء عليهم.

أما أولاد عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، فكانوا أربعة متعب، ومشعل ومحمد وسعود، فأما متعب فهو الذي تولى الإمارة بعد أبيه.

وأخر ما نقول عن عبدالعزيز بن متعب أنه أوتي شجاعة غير أنه لم يؤت سياسة وقديماً قيل:

أعطيـت ملكـاً فلـم تحسـن سياسـته وكـل مـن لا يسـوس الملـك يخلعـه

أما مبارك بن صباح فقد حيرته الأقدار وغلبت فكرته حيث لا تغلب.

وكان لما عنف بالكلام على ابن سعود وصالح ابن رشيد لم يشعر إلا وقد أحاط الله بابن رشيد، فبعث بكتاب إلى أين سعود لما علم بقتله كأنه لم يعلم، وكان هذا الكتاب طويلاً عريضاً يقول فيه: (إني لك دائماً يا ولدي يا عبدالعزيز أنا أبوك وعونك وعضدك ولم أصالح ابن رشيد إلا لأقهر الترك، ولكني مستعد أن أمدك بما تحتاج إليه من المال والرجال، المال مالك يا ولدي يا عبدالعزيز والحلال والحرام).

ولما أن قدم كتابه على ابن سعود يحمله زيد المعرقب رسول ابن صباح أراد ابن سعود أن يطلع على الحقيقة، فكلم الرسول مخاطباً له بقوله: إن والدي الشيخ مبارك أخبرني أنه أمرك أن تكتم خبر قتل ابن رشيد، فأجابه قائلاً: والله ما نام الشيخ من شدة الفرح عندما بلغه خبر قتله، فعلم ابن سعود بخجل الشيخ مبارك في معاملته تلك، وتعد هذه أيضاً مضحكة من ابن صباح، وكتب إلى مبارك يخبره بوصول الكتاب الأول وما فيه من التهديد بالحرب، وبوصول الكتاب الثاني وفيه التعطفات الطيبة، ثم أخبره بذبحة ابن رشيد وختمه بقول الشاعر:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

ولقد فرح ابن صباح بقتل ابن رشيد أشد الفرح كيف لا وهو عدوه الألد.

ذكر إمارة متعب بن عبدالعزيز بن رشيد وما جرى من الحوادث

لما تولى متعب الإمارة بعد قتل أبيه أظهر أنه راغب في السلم، فتفاوض وابن سعود، وتم الاتفاق على أن تكون حائل وملحقاتها وشمّر لابن رشيد وباقي بلاد نجد بما فيه القصيم لابن سعود، ثم أطلق الأمير متعب من كانوا مأسورين من آل سعود في حائل، فقدموا بريدة وأقاموا فيها، والباعث لعقد الهدنة والصلح والسلم، هو أن ابن سعود بعدما قتل ابن رشيد عاد إلى بريدة برجاله، فوجد أميرها صالح الحسن وأتباعه ومن على طريقته لا يساعدونه على حرب عدو ولا ينضافون إلى جيشه، وكان لصالح أتباع كثيرون في بريدة، أضف إلى ذلك أنه ظهر لابن سعود عداوة صالح وأتباعه وبما أنه لا قوة لديه كافية لمحاربته، ولا للزحف إلى حائل على أنه يحذر دائماً أن يحس الناس بضعفه يوم ضعفه أو يحسوا يوم القوة على حقيقة قوته، فقام تاركاً لأهل القصيم وشأنهم، وأغار بمن كان معه على عدو غير صالح الحسن وهو ناهش الذويبي رئيس قبائل حرب الموالين لابن رشيد، فأدركه وعربانه في مكان يدعى الرحا، بين القصيم وحائل فقتلهم عن بكرة أبيهم ثم أغار بمن معه على قبائل من حرب في أبي مغير بأعالي نجد فشتتوهم وغنموا أموالهم.

أما صالح الحسن فلم يقعد به شره ولم يفتر له همة، وقد علم ابن سعود ذلك على جهة التأكيد في حال إقامته ببريدة بعد قتل ابن متعب إنه اتفق وصدقي باشا على أن ينسحب بعسكر الدولة من الشحية ويحتل بريدة، فسارع ابن سعود إلى بريدة وقد أمن من ابن رشيد بذلك الصلح حتى يقضي على حركة صالح الحسن بن مهنا.

ذكر قتل صالح الحسن بعد إجلائه

إن صالح الحسن والحق يقال يجب عليه أن يكون سامعاً مطيعاً لأوامر ابن سعود ويدين له بذلك لأنه أمير من أمرائه خادم من خدمه، غير أنه غره الأعداء وسولت له نفسه الاستقلال والاستبداد.

ولما أن قدم ابن سعود إلى بريدة اجتمع بزعمائها وكبرائها وشكى إليهم خيانة صالح وتمرده ونفاقه وعدائه، فبينوا خطأه وطلبوا عزله لأنه تعدى طوره، فقبض عليه ابن سعود وعلى أخيه مهنا وأجلاهما إلى الرياض، وأقام مكانه ابن عمه محمد بن عبدالله آل أبي الخيل أميراً على بريدة، وعاد ابن سعود بعد ذلك إلى الرياض وجد صالحاً وأخاه قد فرا من الرياض، وذلك لأنهما أودعا في السجن للنظر في شأنهما، ولما وجدا من السجان غفلة خرجا وقتلا السجان وعذبا المراقب وفرا على وجهيهما لأنه وسع لهما هناك، فتتبعهما الأمير محمد بن عبدالرحمن في الفضاء حتى أدركهما فقتلهما جزاءً وفاقا وما ربك بظلامٍ للعبيد، وكان صالح هذا شجاعاً وذا شخصية بارزة وله مقامات في واقعة البكيرية، ولكنها تكررت خيانته مع ما يتوقع من شره، فقد تمرد على ابن سعود ولبته مطير وجعل يجيز الجوائز السنية، أضف إلى ذلك أن الشاعر العوني جعل يؤلب عليه ابن سعود ويهيجه، وقد قال الشاعر العوني في تألبة لابن سعود عليه: لا تأمن محمد بن عبدالله أبا الخيل فإنه ابن عم صالح وطريقتهما واحدة، وقد وقع ما أشار به هذا الشاعر، غير أن ابن سعود أقره على إمارته تسكيناً للثوائر، ولكن العوني وإن كان ناصحاً بهذه المشورة والنصيحة

فقد أسرَّ أيضاً لمحمد بن عبدالله آل أبي الخيل عدم الثقة بابن سعود والركون إليه، فأصبح مهيجاً وجرى عليه ما سنذكره فيما بعد.

ولما أن قدم ابن سعود إلى الرياض ما كاد أن يستريح من الأسفار حتى جاءه مخبر يقول أن الأتراك في أطراف القصيم يحاولون استمالة بعض البادية إليهم، وأن الدويش فيصلاً له يد في المسألة، فنهض عبدالعزيز بن عبدالرحمن يريد قتال الدويش الذي ظهرت خيانته، فأغار على بعض قبائله وأخذها، ثم عاد إلى بريدة وجهز من فيها من آل سعود الذين قدموا من حائل، فسيرهم إلى الرياض ولم يبق هناك معه فيها غير حاشيته، فاطمأن أهل القصيم وسكن المناوئون، ولكن هنا أمراً جديداً أزعج جلالة الملك عبدالعزيز، وهو أن ابن رشيد كان يفاوض الأتراك في الشحية ويزين لهم الانسحاب إلى حائل، وكان قصده في هذا أن يأخذ ما كان معهم من عتاد الحرب والذخيرة، كأنه يقول أعطونا سلاحكم إذا كنتم لا تحاربون، وذلك لأن الدولة سخطت خطة القائد صدقي باشا حيث لا حرب ولا صلح ولا مسالمة ولا مفاوضات، فأمرت قائداً آخر من كبار جيشها وسياستها يدعى سامي باشا الفاروقي الذي كان يومئذٍ بالمدينة، أن يسافر إلى حائل للمفاوضة مع ابن رشيد، فجاء سامي باشا مرغياً مزبداً واجتمع بالأمير متعب في سميرا قرية من قرى حائل، فاتفق وإياه على أن يكون القصيم في حوزة الدولة وهذا يعد من تغفيل الأمير متعب كيف يعطي مالا يملكه.

ذكر المفاوضات بين ابن سعود وبين مندوب الدولة

قد ذكرنا اتفاقه مع ابن رشيد ثم إنه قدم إلى القصيم للمفاوضة مع ابن سعود وقد ظنه كالأول، فلما جاء سامي باشا، عزل صدقي وتولى بنفسه قيادة الجيش في الشحية، ثم أرسل إلى ابن سعود يطلب الاتفاق به، فسار ابن سعود ووافاه في البكيرية، فلما جلسا للمفاوضة أغلظ القول على ابن سعود وجعل يتهدد وما كان لابن سعود أن يصبر على ضيم، فصارت المذاكرة مناكرة، وقام ابن سعود بصرامته

وشجاعته فأصدمت في المجلس الحميتان العربية والتركية، فقال سامي يخاطب ابن سعود مرغياً مزبداً: إن أهل القصيم يريدون أن تكون السيادة في بلادهم للدولة، فأجابه ابن سعود الذي ما كان ليراعي جانباً قائلاً: ليس لأهل القصيم رأي في الأمر فهم من أتباعي، فبادر سامي باشا بقوله: إن التابعية تقتضي الحماية وأنت لا تستطيع أن تحميهم ولا ابن رشيد، فأجابه ابن سعود قائلاً: وهل حمتهم الدولة، ثم تمثل بهذا البيت:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

ومع ذلك فهؤلاء زعماء القصيم في مجلسك أسألهم يجيبوك، فتكلم إذ ذاك أحدهم قائلاً: إن صالح الحسن افترى عليهم وأنه لا يمثلهم بشيء ولا يرضون عن غير ابن سعود بديلاً، فتكلم سامي قائلاً إنكم تجهلون صالحكم وتتوهمون حقوقاً ليس حقوقكم، ما جئنا نسترضيكم ولا نستغويكم، جئنا نعلمكم الإخلاص والطاعة للدولة العلية، ولا معلم اليوم غير السيف، فقال عبدالعزيز بن عبدالرحمن: إني آسف على ما بدا منك، بل آسف لأن وكلت الدولة أمورها إلى مثلك، ما كان العرب يا سامي ليطيعوا صاغرين لا والله ولولا أنك ضيف عندنا لما قمت من مكانك هذا، فقاما من المجلس وافترقا بعد ذلك العنف، ولكن سامي باشا أرسل رسولاً اسمه دياب أبو بكر بعد إذن إلى ابن سعود يقول: يسلم عليك الباشا ويقول أن الدولة تدفع لك عشرين ألف ليرة ومخصصات سنوية إذا كنت تعترف بسيادتها على القصيم.

فلما سمع ابن سعود هذا الكلام غضب وعمد إلى سيفه قائلاً: أتتجاسر يا خبيث أن تحمل إلينا مثل هذه الرسالة، ألم يردعك شمم العرب، ومتى كان ابن سعود يقبل الرشوة فيبيع بلاده ورعيته ممن يريدون استرقاقها، لا أدنس سيفي بدمك يا خبيث، ولكن لا أرد عنك سيفاً بيد سواي،[1] فبادر الرسول إلى ذلوله

---

(١) لما قال ابن سعود تلك المقالة، وقف إبراهيم بن علي الرشودي وكان من زعماء بريدة، فقال لابن سعود لا تقتله يا طويل العمر فإنه ينجس السلاح، وقد قيل أن الدولة العثمانية حقدت على صاحب تلك المقالة.

بعدما سمع هذا التهديد وذهب شارداً وترك الشحية، ولم يرجع الجواب إلى الباشا، بل فرَّ هارباً إلى المدينة، فلما كان مساء ذلك النهار بعد صلاة المغرب أرسل ابن سعود إلى الفاروقي ثلاثة من رجاله ينبؤنه ليكون متأهباً بأنه هاجم عليه، ولا بد في اليوم الثاني بعد صلاة الفجر، وما كان جاداً في ذلك إنما كان تهويلة جاءت بفائدة، فقد أرسل الباشا ثلاثة من ضباطه مع رجال ابن سعود مسترضياً، فجاء الضباط يقولون: إن الباشا وعسكره ضيوف عندكم واحسبوهم في معيتكم.

فلما استهل رمضان من هذه السنة صفي الجو وسكنت المتحركات إكراماً لرمضان، فصام ابن سعود في عنيزة، ولكنه ما كاد يتم إلا وقد جاءت الأنباء تفيد بأن ابن رشيد يواصل السعي في استقدام عساكر الترك إلى حائل، وذلك يوم عيد الفطر.

ذكر رحيل الأتراك عن القصيم سنة ١٣٢٤هـ

لما علم ابن سعود بمساعي ابن رشيد، جهز لحينه حملة من أهل القصيم ونزل البكيرية، ثم أرسل إلى الفاروقي بلاغاً جاء فيه أن يبارح القصيم وخيره بأحد أمرين، أما أن ينتقل بجيشه في خمسة أيام إلى وادي الدواسر فيحول بعده عن القصيم بينه وبين المفاوضات مع ابن رشيد.

وأما أن يرحله ابن سعود من نجد فيرسل الجنود العراقية إلى العراق والجنود الشامية إلى المدينة، وإذا رفض هذين الأمرين فهو هاجم عليه لا محالة.

وكان ابن سعود جاداً في هذه المرة فعندها قامت الجنود العثمانية والضباط لما علموا بهذه الخطة يطلبون من سامي باشا الإذعان بل طلبوا منه أن يرحلهم إلى بلادهم، وقام بعضهم يهدده بالقتل، وبعضهم قالوا له إن لم تفعل ستنضم إلى جيش ابن سعود، فلما رأى القائد ذلك قبل بترحيل الجنود، ولكنه اشترط أن يضمن عبدلعزيز ابن عبدالرحمن سلامتهم وسلامة معداتهم في الطريق إلى المدينة وبغداد، فقبل ابن سعود لذلك واشترط أن ينقل الجنود العراقيين إلى بريدة فيبقون فيها إلى أن يصل سامي باشا بجنوده إلى المدينة لأنه خشي أن يسير الباشا إلى حائل فينضم

إلى عسكر ابن رشيد فيعيد الكرة عليه ابن رشيد وصاحبه الباشا، وقد كان عبدالعزيز بن سعود صريحاً على عادته فقال للفاروقي، إذا سرتم إلى المدينة رأساً رحلنا جنود العراق وإذا حدتم عن الطريق ذبحناهم، وسنكون عالمين بمسيركم.

ثم دعا عبدالعزيز شيوخ حرب إلى مأدبة طعام صنعها، وكانوا هم الذي قد حملوا العساكر، فقال لهم: أنتم الذين حملتم الترك من المدينة وأنتم الذين ترجعونهم إن شاء الله، وستبقون عندنا إلى أن يصلوا سالمين، فقامت حرب وحملت العساكر برجالهم وعتادهم على الجمال وارتحلوا، وبعد أسبوعين جاء رسول إلى ابن سعود يقول: إنهم اجتازوا الحناكية ورحلتهم المدينة فأمر إذ ذاك أن تجهز العساكر الذين في بريدة، فرحلوا على ركائب آمنين شاكرين إلى العراق فلما أن مضى شهران من تاريخ رحيلهم جاء الجواب من السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد شكراً للأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن على معاملته عساكر الدولة تلك المعاملة الشريفة ويسأله أن يرسل أحد رجاله لمقابلته، فأرسل جلالة الملك إلى السلطان عبدالحميد صالح العذل مصحوباً برفيقين إلى الأستانة، فنزلوا ضيوفاً عند الحضر الشاهانية وتكلم الوزراء معهم بكلام سياسي لم يثمر شيئاً، ولم يجيبوا عليه بشيء، وصالح العذل هذا كان شيخاً نبيلاً اختاره عبدالعزيز للرسالة، وكان صامتاً قليل الكلام، ولما سئل بعد ذلك: هل سررتم في الأستانة؟ قال ما سررنا بشيء مثل سرورنا يوم رحلنا منها.

وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان حسان السنة في وقته قصيدة في ذكر مآثر الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن وأفعاله الحميدة في الإسلام وذلك لما جاهد الترك تلك المجاهدة وصابرهم ودافعهم بالمخادعة والإرجاف وأخافهم بالتهديد والوعيد والإرعاب حتى أذلهم الله وردهم خائبين، وبالذل والهوان راجعين فرحلوا عن القصيم وعلموا أن في الحياض من يذود عنها، كلا والله إن منال الثريا لأسهل من منالها والتدرع بالأكفان دون التدرع بوصولها وعناق القنا دون عناقها والأخذ بذراع الأسد دون الأخذ بساقها:

أهاجك أم أشجاك رسم المعاهد ... معاهد أنس بالحسان الخرائد
أتذكر عهداً بالأوانس رافها ... ويعقيد وصل حافد بالمقاصد
لفيداء سلسال المذاقة بارد ... كيعقيد مشتار شهي الموارد
كأن وميض البرق في غسق الدجى ... رفيف ثنايا كالأقاح النضائد
كان أريج المسك نكهة ثغرها ... إذا هي ناجت وأمقاذا تواجد
لها مقل دعج وكف مخضب ... رخيص كأعنام بغض العناقد
وفرع أثيث سابغ متجعد ... كديجور ليل حالك اللون حاشد
وقدٌّ قويم ناعم متوئد ... كغصن من البان المذلل مائد
برهرهة كالشمس في يوم صحوها ... منعمة تسبي نهى كل ماجد
فلو كلمت شيخاً بطاعة ربه ... مدبياً عليها جاهدا غير حائد
لأصبح مفتوناً بها ومولعا ... وخال رشادا أن تفي بالمواعد
فضلت على تلك الديار وعهدها ... كمثل سليم شاجن القلب ساهد
فدع ذكر عهد قد تقادم عصره ... وتذكار وصل للحسان الخرائد
ولكن زاح عنك الهموم وسلها ... بعوجاء من قود الهجان الحرافد
وجب للمطاويح المفاوز قاصدا ... ولا تخش من فتك اللصوص الرواصد
لشمس تبدي ضوءها فهو ساطع ... وطالع سعد مشرق بالمحامد
رأى ضوءه من بالوهاد ومن على ... يفاع الرعان الشامخات الفدافد
فثاب إلى ضوء المحاسن وأرعوى ... إلى ظل أفياء لها كل شارد
وقد بلغت شرق البلاد وغربها ... فكا لشمس حلت في السعود الصواعد
تسامى لها شمس البلاد وبدرها ... وجمع شراد المعالي الشوارد
هو الملك الشهم الهمام أخو الندى ... مذيق العدى كاسات سم الأساود
إمام الهدى عبدالعزيز الذي له ... محامد في الإسلام أي محامد
أزاح جموع الترك عنا بهمة ... تسامي بها فوق السها والفراقد
ومزقهم أيدي سبأ فتمزقوا ... فما بين مقتول مصاب وشارد
وما بين محمول إلى عقر داره ... كسيراً حسيراً خاسئاً غير فائد

بكــره وإجبــار وعنــف توعــد فعــادوا وقــد بــاؤا بخيبــة عائــد
فهــذا هــو المجــد الأثيــل وإنمــا حــوى ذاك عــن قــوم كــرام أماجـد
ومــيراث آبــاء لـــه ومــآثر تأثلـــها عـــنهم بحســـن المقاصـــد
لعمـري لقـد أضـحى بهـا متسـاميا علـى كـل أمـلاك الـبلاد الأماجـد
فتـى حسـنت أخلاقـه فتألقـت وغنـت بـه الركبـان فـوق الجلاعـد
فتـى دمـث سـهل الجناب مهـذب ولكنـــه صـــعب المقـــاد لكائـــد
أذاق الأعــادي والبــوادي جميعهــا كـؤوس حتـوف مـن سمـام الأسـاود
وكـم جـر مـن جيش لهام عرمـرم يفـادي بـه شـوس الملـوك السـوامد
لــه رأي حــزم كالحســام فرنــدة ولهـــذم عـــزم نافـــذ للمعانـــد
ووثبــة ضــرغام أبــي سميــدع إذا الحـرب ألقـت بالـدواهي الشـدائد
وبــذل نــوال كانســجام هوامــع تعودهـــا طبعـــاً لعـــاف وقاصـــد
فيـا مـن سمـت أخلاقـه وتألقـت محامـــده نحـــو الســـها والفراقـــد
عليـك بتقـوى الله جـل ثنـاؤه واصـلاح مـا يـدعوا لعضـل المفاسـد
وبـالعفو والإحسـان والصـدق والوفـا فـــإن بهـــا تســـمو لشـــاو المحامـــد
وراع جنـاب الحـق في الخلـق راجيـا جزيـــل ثـــواب الله يـــابن الأماجـــد
وإيـاك أن تصـغي لمـن جـاء واشـيا يـــرى أنـــه بالنصـــح أعظـــم وافـــد
ومـا قصـده إلا ليحضـى لـديكمو بمـــا قـــال مـــن زور وبهتـــان حاقـــد
وكـن بـاذلا للجهـد والجهـد قائمـا بنصـــرة ديـــن الله عـــن كـــل كائـــد
فهـذا الـذي كنـا نحـب ونرتضـي لمـــن يتـــولى الأمـــر مـــن كـــل قائـــد
وكـان علـى ديـن الـنبي محمـد ويـــا حبـــذا الـــدين القـــويم لســـائد
ونصـح ولاة الأمـر قـد جـاء ذكـره عـــن الســـيد المعصـــوم أرشـــد راشـــد
أبـــي وفي لا يخـــيس بعهـــده ولكنـــه لا يرتضـــي بالمفاســـد
ولـيس لـه قصـد بأخـذ تـراثهم ومـا جمعـوا مـن طـارف بعـد تالـد
ولكـن ببـذل المكرمـات وفعلـها يجـــود وهـــذا قيـــد شـــبه الأوابـــد

وفيها وفاة الشيخ عبدالله بن دخيل رحمة الله تعالى عليه وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الزهد الورع عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن عثمان بن دخيل الناصري التميمي ولد في سنة ١٢٦٠ وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وعن الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن؛ وعن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وأخذ عن الشيخ صالح بن فرناس، وأخذ عن الشيخ ابن راشد وغيرهم، ورحل إلى مكة المشرفة في سنة ١٢٨٥ لطلب العلم من الفقه والحديث وإلى المدينة المنورة قبل ذلك في سنة ١٢٧٩ وإلى بريدة في سنة ١٢٩٣ وعنيزة والمجمعة والرياض وحفظ القرآن عن ظهر قلب، ثم أنه جلس للتدريس في بلد المذنب من بلدان القصيم وكان ركناً عظيماً وشيخاً فاضلاً زاهداً عابداً واستمر في التدريس من سنة ١٣٠٠ إلى أن توفاه الله تعالى في هذه السنة وقد تولى قضاء المذنب.

ومن عجائب ما جرى في تاريخه أنه بينما هو مرة نائم في القائلة في حجرة ببيته إذا أيقظه موقظ ففتح عينيه فإذا حلقة من الجن قد أحاطوا به فسلموا عليه بأحسن تحية ودعوا له وطلبوا منه أن يدرسهم وقالوا نحن إخوانك من الجن نطلب منك أيها الشيخ أن تدرسنا كما كنت تدرس إخوانك الإنس فتعجل لنا وقتاً خاصاً نحضرك بمجلسك كل يوم مستمعين فنرجوا أن لا نحرم من تدريسك فلما رأى هيئتهم مزعجة في خلقهم قال لهم إن عقولنا لا تتحمل مجالستكم وتدريسكم أما إذا حضرتم واستمعتم فحياكم الله ووفقكم فدعوا له وقالوا نرجوا أن تبلغ فلاناً لرجل كبير يحمل عصا غليظة ويحضر مجلس الشيخ بأن يسمي الله عندما يلقى العصا واقفاً فإنه يؤذينا بعصاه إذا سقطت ثم تفرقوا عنه.

وكان الشيخ جهبذاً عظيماً وعالماً وعلماً شهيراً دفع ببلاده حتى تقدمت في العلم والتف إليه خلق كثير من طلاب العلم وضربت إليه آباط الإبل حتى أصبح يحف به من الغرباء الذين رحلوا إليه من الآفاق لاستفزاع منطوقة خمسة وتسعون تلميذاً وهؤلاء غير من كان لديه من الطلاب الأهالي، وكل هؤلاء رجال فضلاء

فجرت زيارة[1] ومواصلة وإقبال على العلم عظيم ولما كان عود الشجا في حلوق المنافقين توصل أعداؤه بمسبته إلى الأمير محمد بن عبدالله بن رشيد في زمنه فأجابهم يقول: إن ابن دخيل هو الذي رفع بواجب حقكم وإلا فبلدكم اسمها الذنب فسميت بسببه المذنب وكان الأهالي يذبحون كل ليلة لطلاب العلم الأجانب كبشين، ولقد تصدق بعض الأجواد بثمانين لباساً من السراويل للغرباء ألقاها في سطح المسجد الجامع في أيام الصيف ولم يعلم به أحد وسبب ذلك أن فقيراً من الطلاب انكشف فخذه وهو نائم فراءاه ذلك الجواد وتصدق بهذا القدر والله لا يضيع أجر من أحسن وبذلك تعلم إلى أي حد ما بلغ التدريس والجد والاجتهاد في ذلك الزمان، وكان يشجع بعضهم بعضاً ويتواضع بعضهم لبعض ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ويصبرون على مرارة العيش ويكابدون قلع الفيافي ومشاق السفر ولا يضجرون.

هذا وما كان هناك مكافئات ولا أرزاق لهم تصرف من بيت المال بل كانوا على بركات الله يسيرون ولما عنده يطلبون وكان الدافع لهم حسن نية وعقيدة.

وأنا أذكر لك مثلا هوان رجلا من الطلاب سافر لطلب العلم من إحدى قرى القصيم إلى الرياض وكان يحمل مزوداً على ظهره فيه كتبه وأوراقه وغالبها خط يد فلما كان في أثناء الطريق ضربه المطر بأرض لا ملاذ فيها ولا مخبأ ولا مناص غير أنه سلم لقضاء الله وقدره ولما سئم من السير حافياً لأن نعليه مزقهما الماء آوى إلى شجرة فنام إليها وتوسد مزوده ولما أن برق الفجر قام من نومته بعدما أنهكه التعب فذكر الله تعالى وتوضأ من غدير حواليه وصلى ثم نزل ضيفاً على قوم وفتش في مزوده وإذا لم ينمح منه شيء.

(١) وقد كثرت الزيادة بين الإخوان من طلاب العلم في حائل والرياض والقصيم ويجتمع الأحبة إذ ذاك فيتفاوضون في البحث في مسائل العلم وتذكر السلف الصالح والعبادة والزهد وكان الوقت إذ ذاك قابلا للبحث والمناقشة في العلوم النافعة ويجتمعون في محبة الله عز وجل ويتفرقون على ذلك.

وفيها ولد سمو الأمير فيصل بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن وكانت ولادته في الرياض في شهر شوال، وكان في ولادته كاسمه فقد كان وجوده عقيب ذبحة ابن رشيد وانتصار والده وكانت والدته ابنة عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن فأبوه زعيم العرب وأمه ابنة شيخ عظيم جليل فحق له أن يكون نجيباً ومن كان والده عبدالعزيز وجده الشيخ عبدالله بن عبداللطيف فإنه جدير أن يكون باقعة في الدهاء والسياسة والتقدم.

وكان فيصل أديباً ناقداً عبقرياً ذواقاً ولو قام كل شعب يفخر بأمير من أمراءه لقام الشعب السعودي يفخر بالأمير فيصل.

ذكر إمارة أبي الخيل في بريدة

لما أن نصبه إمام المسلمين أميراً في بريدة في هذه السنة ما كان ليقنعه ذلك بل تحركت منه جارحة آل مهنا فأبدى الخيانة والمكر يريد الاستقلال وخرج عن طاعة ابن سعود في آخر هذه السنة كما أنه خرج على ابن سعود نايف بن هذال وفيصل الدويش، ولكن أهل بريدة ضلوا على الإجمال موالين لابن سعود وقد تحالف الثلاثة على الخروج عليه غير أنه ما علم بخيانة أبي الخيل بل خرج مسارعاً إلى القصيم لما بلغه خيانة الدويش وابن هذال متأهباً متحققاً فأرسل عندما قرب من بريدة إلى أحد خدامه فيها وهو شلهوب يخبره بقدومه في ذلك النهار وقد كان ابن سعود معسكراً في غدير بالقرب من الشقه ببين الشقتين يدعي الفريسة[1] فشاع أن ابن رشيد هاجم عليه هناك فخرج عبدالعزيز بنفسه مستكشفاً فلم يجد ما يشغل البال أو يستحق الاهتمام ثم رجع إلى معسكره وتأهب لزيارة زوجته في بريدة فتجمل ولبس أفخر اللباس وكانت كسوته زبوناً فاخراً من الكشمير الثمين فوقه رداء من قماش هندي تمتزج ألوانه الزاهية بعضها ببعض وفوقها كوك معطف مزركش بالقصب وفوق ذلك عباءة من الوبر الطيب فخرج من آخر النهار بطيبه

---

(١) وهذا الغدير يسمى بثغب العرجه وسيأتي رجوعه إليه لأنه غادر فيه جيشه.

وبهاءه وزينته وسرى تحت جناح الليل يحف به ستة من الخدم ويماشي قلبه جيش من الشوق فيا حسنه من مشتاق إلى حبيب بعد طول غياب.

ولما دنى حف بريدة على قدر مسافة ثلاثين دقيقة منها إذا برسول شلهوب قد وافاه يقول أن محمد العبدالله أبا الخيل قد أقفل القصر وهو متأهب للحرب فوافق مع ذلك أن قعقع الرعد ولعلع البرق في ساعة لا مأوى له فيها ولا بيت يكنه فهطلت الأمطار وهبت الرياح وأمسى الظافر حائراً ورجاؤه والشوق عاد بائراً لا يستطيع الدخول إلى بريدة ولا الرجوع إلى معسكره بعدما بعد منه مسافة ثلاث ساعات فيا لها من ليلة عاصفة ماطرة ليلة مظلمة باردة ليلة خاب فيها الأمل وعظم فيها الخجل وخيانة أبي الخيل أشد وأقبح فوقف ابن سعود حائراً يتعجب من تقلب الأغيار وشدة الهول والأخطار فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وتعتبر هذه أعظم زلة ومكر من محمد بن عبدالله أبا الخيل، فعند ذلك لمز عبدالعزيز فرسه ورجع محزوناً فسمع نباح كلب فساق إليه فإذا هناك بيت من الشعر فنزل عن فرسه والخدم معه وترجل قاصداً البيت ليلجئه عن المطر الهطال وما ذلك البيت إلا خيمة قبيحة صغيرة طولها ستة أذرع وعرضها ثلاثة أذرع وفيها نفوس كثيرة من البشر والمعز، فتكلم صاحب الجلالة يا أهل البيت نحن ضيوفكم فأجابوه عن غير معرفة أهلا ومرحبا ولكن البيت ضيق يا أضياف، فأجاب قائلاً إذا لم يسعنا دخل بعضنا فلم يقبل البيت إلا واحداً وظل الباقون خارج الخيمة فدخل عبدالعزيز الخيمة الصغيرة وكان فيها عشرة أنفار كبار وصغار فيهم عجوز مريضة وشائب مجنون فجلس عبدالعزيز على رحل قرب الباب وقد ضم يديه إلى جنبيه من الضيق وجعل يرتعد برداً من المطر الذي بل ثيابه وكانت الجديان تثب على كتفيه والمعزى تبول أمامه والمطر لقبح الخيمة يخر من سقفها والمريضة تئن والمجنون يصيح والصغار يبكون والكبار السالمون من علل يتصاخبون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم تالله إنها الحالة مضحكة عجيبة لمن عرف الدنيا وأهوالها، جلس زعيم العرب على ذلك الكور في تلك الخيمة وهو يتأمل حالتها وحالته، فيا لبليه من طولها وعناءها سقف قبيح يكف من الماء القذر بالأوساخ

والعجوز يقلق أنينها والشائب المجنون يؤذي بهذيانه وصياحه والفضا متعكر الجو من مخالب الريح العاصفة والأرض تجري بالسيول، وما تمت الليلة المشؤومة وأسفر الفجر إلا به ركب فرسه وعاد إلى الشقة ليبيس ثيابه وينظفها لأنها مثقلة بالماء والوحل والأقذار ولما أن وصل إلى تلك القرية رأى أن يذهب إلى بيت الأمير فيها سند الحصيني ولما قصده ونزل عليه خلع ثيابه وناولها الأمير سنداً لينشفها فقام الأمير بالخدمة وأكرم الخيل بالشعير والبرسيم وكانت أراضي الشقة كلجة البحر.

ورأى جدران بيوتها تنهار من شدة السيل والأمطار، فأم بيت الأمير وكان لا يزال يملك بيتاً فيه غرفة ذات سقف وفيها نار موقده تتأجج فشكر الله على ذلك، ثم تصلى وييس ثيابه وأزال منها الأوحال ثم ركب يقصد بريدة.

وجرى عليه في هذه المخاطرة وهي دخوله بريدة وإتيانه قصر الحكم فيها وأبو الخيل محارب داخله أعظم مخاطرة وقد انتقد هو جراءته تلك، غير أن الله تعالى دافع عنه، ذلك بأنه لما دخل بريدة ذهب إلى القصر فوجده مغلقاً ومقفلاً فقرع الباب فسئل من أنت فأجاب أنا عبدالعزيز بن سعود فلم يسع من حوله من داخل القصر إلا أن يفتحوا.

وعندما واجه أبا الخيل رآه يرتعد خوفاً ووجلاً فسأله قائلاً ما بالك قبح الله وجهك فأجابه يقول افترى الناس علي هم يكذبون والله فيما يقولون فقال له صاحب الجلالة عبدالعزيز وقد عنف في الكلام اسكت فما بين أمرك إلا أنت وما زاد على ذلك شيئا، وركوب بحر هذه الخطة صعب جداً.

ولما أقام ابن سعود في بريدة مستطلعاً الأخبار بعد هذه المخاطرة تحقق خيانة رؤساء مطير فسارع إلى محاربتهم واضطر في أثناء هذه التحركات أن يصالح أعداءه في بريدة فعفا عن زعيم الأعداء الأمير محمد بن عبدالله أبا الخيل على مضض حين تحين الفرصة للقضاء عليه، ولما سئل كيف تعفو عنه وقد جرى عليك بسببه تلك الليلة المشئومة أجاب سائله بقوله: «مكره أخوك، لا جرم» يعني أني مضطر عندما رأيت الحالة حرجة أن أعفو عنه.

فهذا ما جرى من أبي الخيل نسأل الله العافية، وإذا نزع الحياء من العبد فليفعل ما شاء نعوذ بالله من الخذلان، وإذا كان بهذه المثابة فلا يبعد وقوع العذاب عليه.

وقد كان والد الأمير محمد بن عبدالله لما ولاه ابن سعود إمارة بريدة لم يرضها له والده عبدالله بن مهنا الصالح الذي إذ ذاك كان ساكناً في الكويت بل غضب لما علم بإمارته وقال حسبنا الله عليه إنه في الحقيقة لم يعمل خيراً بتوليه الإمارة ويا ليتنا سلمنا من هذه الإمارة يا آل مهنا فإنه لم يبعدنا عن ديارنا ولم يشوه سمعتنا إلا الإمارة.

وكان عبدالله والد الأمير عاقلاً طيباً وله من البنين إبراهيم، وفهد، وعبدالرحمن، وكان عبدالرحمن في حجره وهو يقول تلك المقالة وعمره لا يتجاوز سنتين وفعلاً كانت العاقبة سيئة كما كان يتوقعها عبدالله بن مهنا، ذلك بأنه جرى من الأمير محمد بن عبدالله أبا الخيل هذا خروج عن طاعة الإمام عبدالعزيز وسوء معاملة والله يغفر له، وقد قدم إلى الحكم عدل يحاسب على النقير والقطمير، وكان للأمير محمد بن عبدالله أتباع لا يزالون على العداء لآل سعود وأتباعهم وهم على غيهم وتماديهم حتى أظهر الله طالع آل سعود فسكنوا وأظهروا الولاء.

وفيها قتل الأمير متعب بن عبدالعزيز بعدما حكم بعد أبيه عشرة أشهر قتله وأخويه مشعلاً ومحمداً أبناء حمود آل عبيد بن رشيد، وذلك أنه اجتمع فيصل وسعود وسلطان أبناء حمود المذكورون فتذامروا بينهم على قتل أولئك واتفق رأيهم على أنه ذهب يوم عبدالله وجاء يوم عبيد لسان حالهم ومقالهم يقولون هؤلاء الصبيان أولاد عبدالعزيز المتعب لا يستحقون الإمارة وسيتنازعونها فيذللونها ويفقدون فعلينا أن ننقذها منهم لتبقى في بيت آل رشيد.

ولما أن كان في ٢١ من ذي القعدة في هذه السنة خرج أبناء الرشيد يطلبون الصيد وهؤلاء هم الستة المتقدم ذكرهم وقد خدع أبناء حمود المتذامرون للأمير وأخويه بدعوى طلب الصيد والرمي في العراء على الأهداف فلما بعدوا عن حائل وخفيت أسوارها كان معهم العبيد والخيل في ساعة تقدم فيها أبناء عبدالعزيز بن متعب لأنهم الأمراء وكل واحد قد ركب حصانه فساق كل واحد من أبناء حمود العبيد حصانه على أولئك خفية فتناولوا رؤسهم من أعلى السروج بقرونهم وأغمد كل واحد خنجره بصدر الآخر فسقط الثلاثة صرعى على وجه الأرض يتشحطون بدمائهم والعياذ بالله.

فلما رأى العبيد والخدم ما جرى لم يحرك أحد منهم يده بالدفاع عن أحد ما هو إلا الرشيد قتل بعضهم بعضاً فرفع آل عبيد أصواتهم قائلين الحمد لله هذه آخرة آل عبدالله، ثم تولى الإمارة سلطان بن حمود آل عبيد أحد الفاتكين وما نجى من أولاد عبدالعزيز بن متعب إلا سعود وهو الصغير منهم فر به أخواله آل سبهان خوفاً عليه إلى الحجاز.

ولما جلس سلطان بن حمود على عرش الإمارة كان هنا من يبغي له الغوائل وهو أخوه سعود جعل يدبر الكيد له ومتى يفتك به، ثم أن الأمير سلطاناً باشر حكمه بالمخاتله فأرسل رسولاً إلى ابن سعود يطلب الصلح وأرسل خفية في الوقت نفسه يخطب ود أهل القصيم ونجد ويستنصرهم على ابن سعود فبينما رسول السلم عند ابن سعود جاءه رسل من الزعماء في تلك النواحي ورؤساء البادية يحملون الكتب التي كتبها إليهم أمير حائل الجديد فغضب لذلك ابن سعود وشتم الرسول وهم بطرده فأشار عليه والده عبدالرحمن بقبول ما جاء رسوله من أجله، فعندما قبل عبدالعزيز مشترطاً على سلطان الشروط التي اشترطها على سلفه الأمير متعب وهي أن إمارته تنحصر في حائل والجبل وأن سيادة ابن سعود تعم نجداً والقصيم فعاد رسول السلم إلى سيده.

ثم دخلت سنة ١٣٢٥هـ

ففيها ذهب ابن سعود غازياً بعض القبائل المتقلبة في الجنوب ثم جمع جيشاً من بادية مطير ومن الحضر وزحف به إلى القصيم، وكان قد أخذ بنصيحة العوني وبان له صدقه في شأن محمد أبي الخيل ووافق ما عنده وعزم على عزله ولكن العوني أذاع هذا السر إلى أخي الأمير فهد بن عبدالله فبلغه أخاه فاحتاط لها الأمير واجتمع بزعماءه يستشيرهم فأشاروا عليه بما يفصله عن ابن سعود وزينوا له أن يلجأ إلى ابن رشيد وكان قبل ذلك قد أشار هو وزعماؤه على ابن سعود بأن لا يركن إلى ابن رشيد ولا يصالحه بل الحرب أولى، وكان عبدالعزيز قد تحقق من ذلك من كتب سلطان إلى رؤساء القبائل في نجد والقصيم فما تردد

ابن سعود في إخلاصهم له وفيهم من أصدقاءه السابقين شيخان من مطير وهما فيصل الدويش ونائف بن هذال.

ولما زحف من بريدة يريد حائلاً لم يتوفق في غزاته تلك كما أنه لم يتوفق في وضع ثقته بالدويش وابن هذال لأنهما قد تعاقدا مع أبي الخيل على نصرة ابن رشيد والالتجاء إليه، فلما تحقق ابن سعود بالخيانات التي جرت وأن بريدة قد خرجت وتفلتت مطير من يده وتعددت الأعداء ذهب يستنجد عتيبة عدوة شمر ومطير فأفلح بعض سعيه.

وفي خلال ذلك هجم الأمير سلطان بن حمود على قافلة لابن سعود وكانت قد خرجت من قصيها فأخذها وأمن رجالها ثم قتلهم فشد عليه ابن سعود فلم يدركه بل عاد إلى حائل ثم عرج ابن سعود على بريدة متحملاً ما صدر منهم من التقلب لا سيما أميرهم ثم إن كشافة ابن سعود التقوا برجل في الطريق تراءى بهم أمره فقتلوه وفتشوه فوجد معه كتاب يحمله من محمد أبي الخيل أمير بريدة إلى سلطان بن رشيد يعاهده فيه على حرب ابن سعود.

ولما رأى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن تعدد الخيانات والأعداء ذهب يدبر وسيلة الانتقام من الدويش فقد أثارت خيانته في عبدالعزيز أشد الحنق والغضب، وكان من تدابيره أن أذن لعتيبة بالرحيل ليقال أنهم خذلوه، ثم صالح أهل بريدة وعفا عنهم وقد ضرب لبوادي عتيبة موعداً في مكان يدعى الجعله فذهب على خفية واجتمع بهم هناك فقاموا وأغاروا بغتة على الدويش في جهة سدير فلاذ بالمجمعة وقد كان فيها حامية لابن رشيد فأدركوه ورجاله في بساتينها ففتكوا بهم فانهزموا شر هزيمة وغنموا أموالهم كلها وجرح الدويش في تلك الوقعة جرحاً موحياً.

ثم جاء بعد هذه الوقعة كبار مطير مستسلمين مستغفرين فأعطاهم ابن سعود الأمان ثم عاد إلى الرياض، وما تم له شهر وهو هناك حتى جاءته الأنباء مثبتة خيانة أبي الخيل وأنه قد عقد هو وابن رشيد عهد الصلح والولاء، فعند ذاك قام عبدالعزيز لفوره واستفز بوادي قحطان وعتيبة ورفض من جاء إليه منضماً مع

جيشه من مطير ومن لا يوثق به، وكان ابن رشيد قد غزا في الوقت نفسه عربان ابن سعود فما نال مغنماً بل حصل عليه عطش وظمأ فمات عدد كبير من خيله وركائبه فعاد إلى الجبل ونزل في قرية الكهفة.

فيا عجباً لهذه التقلبات، سلطان بن رشيد يعاهد ويغدر، وقد جاء هذه المرة يريد بريدة لحلف بينه وبين أميرها وأبو الخيل تكررت خيانته بعدما عفى سيده عنه.

وكان أمير عنيزة ابن سليم قد سعى بالتوسط بينه وبين ابن سعود وما كان هذا اللئيم ليفيد لديه عفو ولا وساطة ورجال مطير قد انضموا إليه بعد ولائهم لابن سعود.

وهناك عدو آخر لا يستهان به وهو مبارك بن صباح فقد جاءت كتبه إلى سلطان بن رشيد يحرضه على خصمه ابن سعود ويلح عليه بالاتفاق مع أهل القصيم على حربه ويوشي بينه وبين ابن سعود وقد جرى من كاتب ديوانه مثل ما مر فيه غلطاته حينما كان يكاتب عبدالعزيز بن متعب فبعث هذه المرة مراسله بينه وبين ابن سعود يغريه بابن رشيد هذا ويغري ابن رشيد بابن سعود، وجعل كتاب هذا في ظرف هذا وكتاب هذا في ظرف هذا غلطاً منه.

وكان مبارك لثقته به وإخلاصه له لم يعز له في سابقته وما توفق في ذلك لغلط صاحبه بل كان حظه الفضيحة، فهذه أفعال مبارك بن صباح يغري كل واحد منهما بصاحبه ليضعف الجانبين وهو مستريح وما أشبهه بالثعلب الذي خاف الأسد والنمر فحرش بينهما ليضعفهما وهو رابح من خسارتهما ذهب إلى الأسد وأظهر أنه ابن أخته وقال يا خال هذه وثيقة النسب وتلاها عليه فصدقه الأسد فيما يقول ثم ذهب إلى النمر وزعم له ما زعم للأسد ثم حرش بينهما فاقتتلا قتالاً عنيفاً، وأبو الحصين يهتف من فوق ربوة فلتعش يا خال أبقر البطن أهلكه إلى النار يا عدو خالي الحميم وكلاهما يظن أنه المقصود بهذا التشجيع وعدوه المقصود بالويل والثبور فاستراح منهما وصفا له الجو .

ولقد افتضح مبارك بهذا الغلط الذي هو غير مقصود من كاتبه المشؤوم فلما أن ظهرت الخيانات انحدر عربان ابن سعود يلبونه كقحطان وعتيبة ونزلوا العرض ثم اجتمعوا بمن انضم إليه من الحضر بوادي السر وزحفوا شمالاً إلى بريدة يقصدونها، كما أنه قد انضم مع ابن رشيد شمر وحرب ومطير فتصافت القبائل، وكتم ابن سعود ما جرى من الأمير مبارك بن صباح وتكرر.

ثم زحف بجيشه من السر إلى المذنب فجاءه هناك رجل من أهل القصيم يسمى عبدالعزيز بن حسن وكان رجلاً ذا دهاء وإخلاص له يخبره خفية أن مبارك بن صباح أرسل يتوسط بالصلح بين أهل القصيم وابن رشيد، ولكن ابن سعود لم يحتج إلى خبر في تقلبات ابن صباح وخدعه ومكره، ثم إنه تقدم ابن سعود إلى عنيزة فاستفاد منها أن معسكر ابن رشيد خارج بريدة على مسافة ساعة منها فسرى يريد الهجوم عليه فعلم سلطان بذلك ونقل إلى قرب القصر في بريدة فلحقه ابن سعود وتناوش الفريقان مراراً دون أن يتمكن بعضهم من بعض على أنه في إحدى الغارات عثر فرس عبدالعزيز بن سعود فوقع وقعة مشؤومة انكسر لها عظم كتفه اليسرى وأغمى عليه.

وكان فيصل الدويش قد جاء فزعاً لابن رشيد، فأنزل أهله في الطرفية وتقدم بخيامه ورجاله إلى بريدة، فلما دنا من عسكر ابن سعود خرجت إليه سرية فنازلته وهزمته وقتلت عدداً من رجاله وغنمت كثيراً من الإبل ثم تتبعت الفلول حتى هجمت على الطرفية فذبحت أهل الدويش واستولت على البلد.

أما صاحب الجلالة فإنه واصل السير على ساقة سريته فوصل إلى الطرفية في وقت العصر وعسكر فيها فلما جن عليه الليل اشتد ألم كتفه حتى منعه النوم والراحة فدعا قواد، وهو على تلك الحال وقال اعلموا أن ابن رشيد وأهل بريدة هاجمون عليكم هذه الليلة فتأهبوا وكونوا متيقظين بثوا الحرس والكشافة في الطرق وحصنوا القصر، وأمرهم بالاستعداد والاحتفاظ.

ذكر واقعة الطرفية الصغرى

لما كانت ليلة خامس شعبان من هذه السنة جاء رجل من بريدة يسعى فوافا رجال ابن سعود وقواده في منتصف الليل منذراً يقول أن ابن رشيد قد خرج برجاله يريدون المهاجمة فلم ير القائد الذي بلغه الخبر أن يزعج ابن سعود وهو في تلك الحال لا سيما وقد كان الجيش مستعداً للدفاع ولكن هنا أمرين أفسدا الاستعداد وهما أن ابن رشيد تأخر فنام الحرس وأيضاً سلك طريقاً غير معروفة إما لأنه ضاع أو كان قصده أن يباغت العدو فلم يشعر السعوديون إلا وهو ورجاله في وسط المعسكر، وكان لما هجم قبحه الله فجأة كانت بادية من جهة وأهل بريده هجموا مع الجهة الأخرى وأرادوا بذلك احتلال القصر فقام الحرس والحامية فصادمتهم وصدتهم عن الدخول ولما هجم ابن رشيد ذلك الهجوم على السعوديين هجوماً هادئاً ليباغتوهم وهم نيام استيقظوا وهبوا إسراعاً للدفاع وجرت مصادمة هائلة واختلط الحابل بالنابل وتضاربوا بكعاب البنادق ثم بالسيوف فسالت الدماء وعلت الأصوات بهذه الكلمة «على المشركين على الخونة» فأطلقت حينئذ البنادق والأسلحة النارية فهب العسكر كله للقتال واستمر الأمر كذلك حتى الفجر، فأصبحت المياه جارية بين النخيل وقد احمرت من دم القتلى، وتقفى حزب الإمام وجنوده الطائفة الرشيدية وأميرها يرددون هذه الكلمة «صبحناكم لا صبحتكم العافية».

فلما أضحى اليوم الخامس من شعبان تجلت هذه الواقعة عن ثلاثمائة وثلاثين قتيلاً منهم ثلاثون من قوم ابن سعود وثلاثمائة من جنود ابن رشيد، وكان الفضل في هذه الواقعة للحضر في الجيش السعودي أما البوادي فشردوا ولم يرجعوا إلا بعد بضعة أيام.

أما سلطان بن رشيد المسلط فإنه فر هارباً إلى حائل معه باديته وترك أخاه فيصلاً في بريدة ليكون عوناً لأبي الخيل فيها.

ومما قال الأديب حسين بن علي بن نفيسة هذه القصيدة رداً على أهل المجمعة والحوطة وأهل بريدة فيما جرى من خروجهم على ابن سعود وعن طاعته في ذلك الزمان وقد شنع عليهم بذلك.

أراك لوصل الغانيات تشوق ... وقلبك للطيف المبهرج يزهق
وتبكي على أطلال ليلي وتشتكي ... نوى فرقت للحي فالربع مخلق
وتستوقف الركبان تسأل عنهم ... فيا عجباً ما خلت مثلك يعشق
فدع عنك تذكار الصبا إن في الصبا ... غراماً وبرحاً يقتل المتشوق
إلى ذكر من أحيى المكارم بعدما ... عفى رسمها والناس عنها تفرقوا
إمام الهدى بحر الندى مثخن العدى ... بعيد المدى في وجوده فهو معرق
تفرع من جرثومة المجد فاهتدى ... له قبله والغير صدوا وشرقوا
فشيد تأسيساً لآبائه الأولى ... فغنا بعلياه الحمام المطوق
به الله أحيا كل موؤد ذلة ... فأضحى خفي الأمر بالحق ينطق
وألبس أثواب المعزة أهلها ... ورقع دست الملك وهو مخوق
فحاصر أمصاراً أبت لا تطيعه ... ففتح منها كلما كان يغلق
ترى أهلها كانوا أسوداً بزعمهم ... فلما رأوه تثعلبوا وتخرنقوا
فيا لك من فتح قريب لبلدة ... طغى أهلها واستمردوا و تنفقوا
على من لهم لا يرحم الله كلهم ... بأسبابه من ربقة الرق أطلقوا
فقل للبريديين قد خاب سعيكم ... وأعوانكم في حربكم قد تمزقوا
لعبدالعزيز الشيخ كيف تحاربوا ... فهذا جزا الإحسان منكم تزندقوا
ألا تذكروا حرب المليدا وما جرى ... هناك وأنتم كالحمير تسوقوا
لآل رشيد ترعوون وتسمعوا ... فهلا رفوتم كلما كان فتقوا
فما لصديق تحسنون صداقة ... ولا عن لئيم تأنفون وتفرقوا
ولا لكريم تشكرون صنيعة ... ولا لعدو بالعداوة تصدقوا
أنيبوا لمن ولاه ربي زمامكم ... بلا منة منكم ولا مال ينفق

ولا منة أيضاً عليه لغيركم ... سوى أنه في ربه متعلق
إمام هداه الله للعدل فاهتدى ... له الناس منهم راغب بل ومشفق
ومن يأب إلا السيف فالسيف مصلت ... عسى الله أن يهدي به من هو أحمق
فأكرم به في حالة الجود والندى ... وعند العدى والحرب والخيل تعرق
وأكرم بمن والاه شدا إزاره ... جناحاه سعد والهمام الموفق
خليف الندا والجود أعني محمداً ... وصول الحبل المحتدي المتشقق
ولا تنسى كل المقرنيين أنهم ... سلالة ناس للمكارم يرتقوا
وما فيهم من سيء غير أنهم ... إلى كل مأثور من المجد أسبق
ولا سيما عند الوغى حالة اللقا ... تجدهم لدى الهيجا أشد وأحنق
جريون حين الباس لا يستفزهم ... قراع الأعادي والأسنة تبرق
مطيعون لا يعصون أمر رئيسهم ... إذا ما دعا جاءوا سراعاً فأحدقوا
يقودون الأعداء جرداً سويحاً ... وقوماً تسد الأفق للخصم ترهق
تراهم كأسد الغاب في كل بهيمةٍ ... عوابس للأقران يردوا ويوثقوا
إذا جئت صبح الكون دار ضديدهم ... تجد أيماً تنعى وهاماً تفلق
فكم ذللوا صعباً تعدى لطوره ... وناساً لما يأبى الإله تلفقوا
حثالة ناس للشقاء تحزبوا ... خفافيشٌ أعشاها من الحق مشرق
فيا راكباً أما لقيت ابن عسكر ... فأولى له بعد النفاق يحقق
وينقاد بالإذعان فالحق قد سمى ... فإن سبيل البغي والجور ضيق
فتوحٌ من الرحمن تترى ومنةً ... فليس لمن عادى مفرٌ وفنتق
وقل لتميم نسل آكلةِ النوى ... أجيبوا لما قال الإمام وأطبقوا
على طاعة الله ثم لأمره ... تعيشوا وتهدوا للصواب وترزقوا
سلامي لمن أنبأكمو أن فخركم ... يعود وبالاً في المآل فيمحق
فلا تبطرون الحق عودوا لطاعةٍ ... ولا تقبلوا أن جائكم متزندق
فما قلته قد كان منكم آنفاً ... فتوبوا فباب العفو ليس يغلق

لقد خاب أهل الظلم وانثل عرشهم جميعاً وأعداء الشريعة إسحق
وأولاك ربي أنعماً دام ظلها عليك ولا لقيت ما كان يوبق
فأول رعاياك المساكين رأفةً بشكرك والتمجيد يولوك ما بقوا
وكن شرساً فظاً غليظاً لمن عتى حليماً رحيماً نحو من كان يتقوا
صفوحاً عن الزلات للشرع تابعاً ولا تصغ للنمام إذا يتشدق
ودم سالماً تولى الجميل وتصطفي كرائم أموال العداء وتمحو
وهاك على قدر الذكاء قصائداً فكفك بالجدواء للفقر تحلق
وختم نظامي بالصلاة مسلماً على المصطفى والآل ما ذر مشرق
وأصحابه والسالكين سبيله مدى الدهر والأيام ما أخضر مورق

قد ذكرنا هزيمة سلطان بن رشيد وفراره إلى حائل، وكان قد ترك أخاه فيصلاً عوناً لأمير بريدة ومساعداً، وأيضاً ليبعده عنه وعن حائل لأنه يود فراقه وإبعاده وما ذاك إلا لما بين آل رشيد من القطيعة للرحم وحب الرئاسة، فلا يسمح أحدهم للآخر بالإمارة، ولما انتهت هزيمة العدو وعاد من سلم من أهالي بريدة فارين إليها فزحف ابن سعود يتبع فلو لهم.

ذكر واقعة السباخ

وسببها أن أهالي بريدة لما أسخطوا ابن سعود وقاموا ضده يقاتلون تحت راية ابن رشيد بإضلال أبي الخيل لهم كما هو معلوم انتصر ابن سعود عليهم وعلى الطاغية ابن رشيد الذي ما لعهد ولا ميثاق قيمة عنده أقبل ابن سعود بعد تلك الواقعة المتقدمة مغضباً وحق له ذلك، فأغارت خيله على بريدة وغنمت المواشي التي خارج السور كلها، ثم إنه عاد ونزل في الزرقاء وكانت خبأ منخفضاً على مسافة ساعة من بريدة شمالاً بغرب، فأباح لعسكره القرى التي ساعدت أهل بريدة مجازاة لهم على نكثهم، فنبهت الجنود قرى بريد كالسباخ ورواق وخضيرا وخب القبر، وظل أهل بريدة فيها عشرين يوماً داخل البلد كأنهم في حصار، فلم يخرجوا لا موالين ولا محاربين، غير أن فريقاً منهم أرسلوا على خفية إلى ابن

سعود معذرين بأن أبا الخيل مستولي على البلد بمن معه من رجال ابن رشيد وأنه إذا انسحب يعنون ابن سعود من جوارها يكون لهم قدرة على أن ينهضوا على أميرهم ومن معه من شمّر، مع العلم بأن آل مهنا فيهم حقد على آل سعود، وقد ملّ أهل بريدة إمارتهم وظلمهم، ولكنهم في وقت الحال لا يستطيعون أن يقاوموا أميرهم ويتخلصوا منه فبهذا لا يعينون عدوه عليه، بل كانوا يوماً معه ويوماً عليه، وإذا كان الأمر كذلك فإنهم ظلوا حيناً يخدعون ابن رشيد إن خافوا منه، ويخدعون أميرهم، كذلك وحينا يخدعون ابن سعود، هذه خطة أهل بريدة في إمارة أبي الخيل، وليس هذا بعذر بل الواجب عليهم إذا ابتلاهم الله بأمراء يخرجون عن طاعة ولي الأمر ويتمردون عليه كما مر في كتابنا وقبله لا يلتفتون إلى معصية أميرهم للوالي بل ينفضون أيديهم منه ويقومون ضده ولا يكونوا مذبذبين، فلوا فعلوا ذلك ولا أقل من أن يكونوا على الحياد مع الأمير لاستفادوا راحة لأنفسهم وأمنا على أموالهم، كيف لا وفيهم إذ ذاك الوقت رجال أكفاء يستطيع واحدهم أن يكون باقعة يوقف كل معتد على حده، ولكن ما الحيلة وهم في طبائعهم وسبحيتهم على عدم الخلاف لمن تآمر عليهم، ومع الأسف لم يكونوا يعرفون الطريقة التي تصلح أمرهم مع الإمام الأعظم غير أنهم استفادوا ما ذكرنا في السنة الآتية وبيضوا وجوههم في معاملة ابن سعود وصلح أمرهم معه حتى حصلوا منه على غاية الثقة والولاء.

رجعنا إلى ما فعل بهم ابن سعود بعصيانهم وعلى نفسها تجني براقش.

فنقول: لما كانوا منه في شبه حصار قام من كان في بريدة من شمّر عائبين على سلطان بن رشيد في انهزامه وطلبوا منه أن يعود إلى بريدة فبادر الأمير سلطان وزحف من حائل حتى دخل بريدة ليلاً وأخذ وأبا الخيل يتبادلان الرأي فيها.

وعندما علم ابن سعود بقدومه مشى إلى عنيزة وتقدم منها حتى كان على قدر مسافة ساعة من بريدة، فالتف إليه عربانه الذي فروا فيما تقدم، وقد كان ابن رشيد في زحفه لمناصرة أهالي بريدة مرَّ في مسيره على رعاة لابن سعود، ففاجأهم خيله، فأخذتهم وغنمهم ابن رشيد.

ولما كان بعد غروب الشمس خرج رجل من بريدة لأن يقطف الرطب من نخل له في السباخ، فحينما صعدها إلى فرعها رأى النيران مشتعلة في العشاش قد أضرمها ابن سعود وجنوده، فأقبل منهزماً إلى بريدة وأخبر أبا الخيل بذلك، فأمر على أهل البلد أن يسيروا آخر الليل إلى جهة باب البلد الجنوبي، فجعله لهم موعداً، وبات يدور على الحصون والأبراج التي في سور البلد يحثهم على الثبات، وما زال كذلك من قديم في شدة الاحتفاظ.

ولما أن طلع الفجر خرج الناس على أهبة للقتال، فالتقى الجمعان في موضع يدعى سعة الله، قريب من البلد على قدر عشر دقائق، وحصل قتال شديد وجلاد أكيد، اشتركت فيه البدو، وكان لما هجم البدو احتاط لذلك ابن سعود وجعل الحضر في مؤخرهم ليمنعوهم من الفرار إذا أحسّوا بالهزيمة، أما الحضر فإنهم في الجيوش العربية كالجنود النظامية، وأما البدو فهم بدو وغزوهم وقتالهم ونصرتهم بل وكل أمرهم عجب، فلا إله إلا الله ما أعجب حالة البدو كما في كلام بعضهم يصف البدو أنهم كالقرلى أن رأى خيراً تدلى أو رأى شر تعلى، وقد كان هذا المثل صادقاً عليهم، ومن عادتهم أن يجيئوا ويرحلوا ويحاربوا ويشردوا كما توحي إليهم طباعهم وترشدهم الحوادث.

فانهزم الإمام عبدالعزيز وقتل من رجاله خمسة وأربعون مقاتلاً في مزارع السباخ وبين نخيلها، واستمر عبدالعزيز في سيره جنوباً حتى وصل إلى عنيزة، ثم نقل منها إلى البكيرية، ثم الحرس وجعل هناك يجند الجنود من الحضر، وتراجع أهل بريدة وقوم ابن رشيد وعاد سلطان إلى الجبل وترك أخاه فيصلاً أيضاً في بريدة ردئاً لأبي الخيل.

ولما بقي فيصل بن حمود عند الأمير محمد في بريدة جرى بينهما خلاف، فغضب فيصل وعاد إلى الجبل، ولما أن قدم على أخيه فيها أغضبه وساءه فعله، فبعثه بمهمة إلى الجوف وقصده بذلك إبعاده عنه، ثم إن ابن سعود نقل من الرس إلى جهة عنيية فنزل هناك في جبل يسمى سواج، وجعل يترقب الفرص للهجوم، وبينما هو كذلك علم باختلاف أبي الخيل وفيصل ابن رشيد واختلافه مع أخيه، فسارع إلى جبل شمّر،

ولكن البدو لما نصفوا الطريق خذلوه وشردوا ولكنه استمر سائر ونزل بقومه على ماء سقف، فوجدوا هناك قبائل من حرب فأغاروا عليهم وغنموا كثير من أموالهم، فرأى صاحب الجلالة أنه لم يتوفق في زحفه إلى الجبل فعاد إلى الرياض.

ولما أن أقام فيها شهراً جاءه رجل من بريدة يخبره أن أهلها مستعدون إذا قدم عليهم أن يهجموا على أبي الخيل، فسار إلى القصيم مسارعاً، ولكن الظروف لم تساعد وذلك أنه لما بلغ الموضع المعين للاجتماع خارج البلد لم يجد هناك أحداً فعضَّ على يديه وعاد إلى عنيزة.

فلما كان بعد سبعة أيام أتاه الرسول منها يقول أنهم مستعدون ومتأهبون للهجوم على أبي الخيل، فزحف ثانيةً حتى بلغ الخضر الذي على مسافة ساعتين من بريدة، ومشى بالجنود مرتين إلى بريدة لعله يتفق بالأنصار، فلم يخرج إليه أحد، لله أنتم يا أهل بريدة.

فإن قيل فما المانع من خروجهم إلى الميعاد وإحجامهم عن الهجوم على الأمير؟ قيل: إنه يوجد طائفةٌ ليست بقليلة في بريدة أتباع لطاغية مهنا وابن رشيد، فهذا الذي عثر المساعي عسى أن يحصل الأمر من غير قتال بين أهل البلد، فلما كان ابن سعود في ذلك الطلب جاءت الأنباء إليه بأن ابن رشيد زاحف من الجبل لينجد أهل بريدة، فثار مبادراً ليصده عن ذلك غير أنه لما بلغ الكهفة وجد الخبر مكذوباً، ولكنه برغش بن طوالة وكان رئيساً من رؤساء شمّر كان نازلاً على ماء (فيد) بالقرب من جبلى سلمى هناك فسرى إليه ابن سعود يريد الهجوم عليه.

ولم رآه ابن طوالة مقبلاً إليه ساعة الفجر، راكب النساء على الخيل فسافرت، فجئن بلا قينة مستعطفين، وتقدم برغش بن طوالة إلى ابن سعود طالباً العفو ويعاهده على النصرة والولاء، وأقسم بالله أنه سيكون من رعاياه على الدوام مخلصاً سالماً، وكان برغش هذا هو رسول السلم بين ابن سعود وابن رشيد.

ذكر قتل سلطان بن حمود بن رشيد أمير حائل

ففي هذه السنة قام سعود بن حمود بن رشيد على أخيه سلطان فقتله، وكان

قتله له أن خنقه بحبل فقتله ودفنه في حفرة بالقصر عياذاً بالله من هذه القطيعة، وكان قتله بعدما حكم سبعة أشهر.

قلت يا عجباً لآل رشيد حيث جعلهم الله تبارك وتعالى كالنار يأكل بعضها بعضاً، ولما قتله تولى بعده الإمارة وأرسل رسولاً إلى ابن سعود يطلب السلم ويجدد المعاهدة التي خرقها سلطان بن حمود فقبل ابن سعود غير منخدع ولكنه أراد بعقد المعاهدة معه في ذلك الحين أن يحيد ابن رشيد لعله هو أن يتمكن من أمير بريدة وينشط أنصاره فيها فيبدأ بالأهم فالأهم.

وفيها عزل الشريف علي باشا عن إمارة مكة المشرفة بعدما تأمر فيها سنتين، فرحل منها ومعه من الأموال الطائلة والذهب الكثير مما كان جمعه في هاتين السنتين إلى القطر المصري فاشترى به أملاكاً وعقاراً وقصراً بديعاً في ضاحيه من ضواحي القاهرة، وعاش فيه عيشة الملوك والأمراء، ويأوي إليه كل غاد ورائح من الأسرة الهاشمية في شدة أو رخاء.

ثم إنه ولي إمارة مكة بعده الشريف عبدالإله، ولما صدر الفرمان الشاهاني ولايته، وكان بالأستانة عاجلته المنية بعد أيام قليلة بعد أن أعدَّ العدة للرحيل إلى محل إمارته مكة المكرمة، وقد حامت حول موته فجأة الشكوك والظنون وذهبت ببعض من كان ينتظر الإمارة من الأشراف المقيمين بالأستانة كل مذهب، وأول من كان يتهم في ذلك من هو في طلب الإمارة ليلاً ونهاراً، فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٢٦هـ

استهلت هذه السنة والدولة العثمانية قد نخر في عظام كيانها سوس الضعف المعنوي باستيلاء أشخاص من ذوي الأغراض الفاسدة على المابين واستخدامهم ذلك النفوذ لدى جلالة السلطان في أمور كانت عاقبتها ذهاب الدولة وشتات أمرها كان يعنيهم على ذلك ضعف السلاطين علماً وعقلاً وسياسةً وذلك أنه إذا

جلس على عرش السلطنة والخلافة السلطان منهم فإنه يأخذ ولي العهد بعده ويزجه في قصر بعيد عن العالم لا يجاوزه إلى غيره، ويضيق عليه حتى يتصلب بزعمهم، فأثمر ذلك أن هذا إذا تولى يكون همه نفسه في اللذات والشهوات تعويضاً لها عما نالت في السجن من البؤس إلى غير ذلك من السياسات العاطلة، فيكون قصد السلطان مسرحاً تمثل عليه أغرب روايات النسائية وملعباً للوشايات والأغراض الشخصية.

أما تلك المملكة الواسعة الأرجاء البعيدة الأطراف، فلا شأن لها من نفسه، فأصبحت يديرها شرذمة الأتحاديين، وصارت الدولة العظيمة الشأن إلى التدهور والانحلال، وتجرأت عليها الدول الصغيرة التي كانت بالأمس ولايات تابعة له وأخر بلية تقرر الدستور في الدولة العثمانية في هذه السنة، ففي هذه السنة تقرر دستور الدولة العثمانية الذي عاد عليها بالتباب والوبال.

وفيها في آخرها خلع السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد وبدأ الفشل في الدولة العثمانية.

ذكر إمارة الحسين بن علي الشريف

كان في حالة إقامته بالأستانة يعمل ليومه الذي يرجوه ويسعى لتحقيق فكرته التي ملأت رأسه والتي كان يعتقد أن تحقيقها لا يتم إلا على أيدي أوربية، فمن ثم أخذ يتصل بالأوربيين السياسيين في الأستانة ويستعين بهم على مآربه، وقد تبين واضحاً ما كان يحمله الحسين في نفسه من الثقة بالأوربيين في الحرب العالمية حين استعان بالحلفاء استعانة كان خيرها لهم وشرها له وللعرب والمسلمين، لم يخف على الباب العالي صلة الحسين بالأوربيين وسعيهم معه خصوصاً وقد كان أغلب من يحيط به من جواسيس عبدالحميد الذي كان يعتني بفن الجاسوسية كل العناية، ولكن السلطان عبدالحميد لم يعبأ كثيراً بسعي الحسين لما كان مرتكزاً في نفسه من قوة الباب العالي ما يتلاشى معه كل هذه الصغائر التي جاء يوم كانت فيه جبالاً من الفتنة طحنت عبدالحميد وعرشه طحناً في ثورة حزب الأتحاد والترقي.

ولما مات الشريف عبدالإله بعد تعيينه في إمارة مكة بقليل رأي الحسين حينئذٍ الفرصة سانحة فيجد جده وسعى عند المقربين من الباب العالي، حتى أشار بعضهم على السلطان عبدالحميد بتولية الحسين إمارة مكة وحسنها له ودفع بعض ما كان في نفس السلطان من سوء الظن والريبة، وبعد تردد ومعارضة في السلطان: «إني راضي بتعيينه أميراً لمكة إذا اكتفى بذلك فقط، بل إني أعتقد أنه لا يكتفي بالإمارة فحسب بل يطمح لأكثر منها يهدد يوماً ما عرشي».

ثم أصدر فرمانه الشاهاني بتولية الحسين إمارة مكة على مضض في شوال سنة ١٣٢٦هـ، وقد قال السلطان عقب تولية الحسين بن علي للإمارة: «لقد خرجت الحجاز من يدنا واستقل العرب وتشتت ملك آل عثمان بتعيين هذا الرجل لإمارة مكة وياليته يكتفي بإمارة مكة واستقلال العرب فقط، ولكنه سوف يعمل بدهائه لأن ينال مقام الخلافة العظمى لنفسه».

ولا يخفى ما في هذا القول من المبالغة، ويعد هذا من دهاء السلطان عبدالحميد الذي كأنه ينظر من خلال سيرة الحسين ومساعيه وما عرف من أخلاقه وميوله ما آل إليه أمر الحجاز وخروجه تحت إمارة الحسين على الدولة العثمانية وانضمامه إلى صفوف أعدائها الذين كانوا يعملون نهاراً وليلاً على تقويض بنائها وتشتيت شملها واقتسام أجزائها.

وقد ظهرت مطامع الحسين ونواياه بإزاء الدولة العثمانية واضحة جليه وجر على نفسه وعلى الحجاز، بل وعلى العالم الإسلامي بسياسته وبالاً كبيراً، فإنه كان ذا آمال كبار ومطامع عظيمة وحلم بعيد المدى بالامبراطورية العربية ولكنه مع الأسف لم يكن يعرف الطريق الموصل إليها وإلى تحقيق مقاصدها، فلذا ضلَّ سبيل الرشد ووقع في الفخ الذي نصبته له دول الاستعمار ولكن كما قيل:

ستعلم حين ينكشف الغبار أخيلٌ تحت رِجلك أم حمار

وكان صدور فرمانه في ٦ شوال من هذه السنة، وكان كل صاحب مركز عظيم في الدولة العثمانية تصدر بتوليتهم هذه المراكز فرمانات وهي كلمة فارسية معناها عهد بالولاية.

ولعمر الله أنه لمماً يذيب حبة القلب أن يجعل في ألفاظ الفرمان صورة لا تليق إلا بالله رب العالمين، وهذا الفرمان يصدر من الباب العالي بالألقاب الضخمة والألفاظ الجوفاء، فيوجد فيها من تفكك الألفاظ وسخافة المعنى وركاكة التعبير ما تنكره اللغة العربية.

تعريب الفرمان الذي صدر لحسين بن علي أمير مكة المكرمة

بما أن الله سبحانه وتعالى جلَّ شأنه وعم نواله قد نظم خلق كونه وأحسنه وجعل كل شيء عنده بمقدار، فقد اختص ذاتي بكماله قدرته الأزلية لتكون خليفة للإسلام وسلطاناً للأنام، وجعلني سبحانه وتعالى بكمال عدله شرف الملوك وجعل سيادتي ملجأ للخاص والعاص لذا كان من الواجب على ذاتنا الشاهانية والمحتم على دولتنا العلية أن نجعل أبواب عواطفنا الملوكية مفتحة لكل من قام بحسن خدمتنا وبرهن بعمله على صداقته لدولتنا العلية حيث أن أنواع مكارمنا التي لا غاية لها متهيئة لذوي الصدق من رجالنا وأنت أيها الشريف المحترم من أعظم رجال سلطتنا، كما أنك سابقاً من أعضاء لجنة شورى دولتنا ومتخلق بحسن السيرة والفطانة والنجابة، وإن آمالنا الشاهانية تؤمل في نجابتك حسن الخدمة وإظهار مآثر الصدق لدولتنا العلية.

وبناء على هذا الأمل أعربت عن عواطفنا المنيرة السلطانية في اليوم السادس من شوال عام السادس والعشرين بعد الثلاثمائة والألف مصحوبة بكمال توجهاتي السنية وتمام عنايتي الشاهانية فأحسنت ووجهت الرتبة السامية الوزارة إلى عهدة استعدادك وتأهلك بموجب إرادتنا الملوكانية أخص بتوقيعنا هذا الملوكاني الرفيع للقدر حائز لنيشانين العثماني والمجيدي المرصعين الدستور المكرم الوزير المفخم نظام العالم مدير أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الآنام بالرأي الصائب، ممهداً بنيان الدولة والإقبال مشيداً أركان السعادة والإجلال المحفوظ بصون الملك الأعلى وزيري المختص الشريف حسين باشا أدام الله إجلاله

وأعطيتك هذا المنشور الفائق السرور، وأصدرت أمري الملوكاني بتفويض رتبة الوزارة الجليلة إليك من تاريخ فرماني هذا، إلخ، وهنا صورة منيفة أيضاً على نمط هذا الاختراع والتطويل.

ثم إنه بارح الشريف حسين بن علي الأستانة، فوصل إلى جدة ميناء الحجاز صباح يوم ٩ ذي القعدة من هذه السنة فاستعد الحجازيون لاستقباله استعداداً عظيماً، وحضرت الوفود من مكة والمدينة وغيرها من الحاضر والبادية إلى جدة في انتظار الباخرة طنطا التي استقلها من الأستانة.

ذكر استقبال الحسين بن علي لما قدم الحجاز

لما أن وصل الحسين إلى جدة في اليوم المذكور اكتظ رصيف الميناء بالمستقبلين وعلى رأسهم الأشراف، فحيوه أحسن تحية وأظهروا له كامل السرور بتوليته إمارة مكة، وتلك عادة الحجازيين يظهرون السرور وإن كانت القلوب بخلافه.

فنزل ضيفاً على الشيخ محمد حسين نصيف، وألقى تحيةً له صاحب مدارس الفلاح بمكة وجدة وبمباي والبحرين، وهو الحاج محمد علي زنيل بخطبة مسهبة حوت من غرر المديح ودرر الثناء شيئاً كثيراً، فكان جوابها التأثر من الحسين الذي أسأل عبراته من مآقيه، ثم تكلم الشريف معرباً عما في نفسه لتلك البلاد وأهلها من الحب وما يرجوه لها ولهم من الخير.

ولم يبقَ في جدة إلا ريثما تلقى وفود المهنئين، واستراح من وعثاء السفر ومشاق البحر فشد رحله ميمماً أم القرى، فبلغها في اليوم ١٢ من ذي القعدة فكانت الحفاوة ولاستقبال قد بلغا إلى حد العجب ونزل بيت الإمارة في محله الغزة بجانب سوق الليل، وكان قصراً بناه محمد علي باشا حين استولى على مكة وجعله وقفاً على منصب الإمارة، وكانت الدولة تجعل بجانب الشريف الذي يتولى إمارة مكة والياً من قبلها من الرجال العسكريين أو الإداريين يكون إليه الجيش النظامي والمحاكم وإدارة الأموال وعلى العموم كل مصالح الحكومة النظامية، وكان مقر هذا

الوالي في الحميدية بجانب الحرم الشريف، وقد بنتها الدولة العثمانية مقراً لمن تبعثه من الولاة.

أما عمل الشريف فإنه يكاد ينحصر في شؤون البدو وما إليهم، ولكنه بحسب قوة الشريف يتدخل في الأمور النظامية أو بعضها خصوصاً إذا كان الوالي من قبل الدولة ضعيفاً فترى الشريف يتدخل بما ليس من وظيفته، وهذا على حسب الأشراف، ولقد نشأ من تغالب هاتين السلطتين متاعب كثيرة للدولة والأهالي وضاع بسببه أموال كثيرة وحقوق ليست بقليلة، فإنه لا يمكن أن تصلح بلد فيها سلطتان تسير كل واحدة إلى جهة وتحاول كل منهما التغلب على الأخرى، ولكل واحدة منهما من القوة ما يغريها ويحملها على المشاكسة، وإذا كان الأمر كذلك فهل يخفى أن الحسين لما فطر عليه من النصرة العربية يكون أشد الأمراء الأشراف مشاكسةً ومعاكسةً للوالي التركي، فالله المستعان.

ذكر ابن سعود ودخول بريدة في ولايته للمرة الثانية

ففي هذه السنة عاد صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بعد ما تمت المعاهدة بينه وبين سعود بن حمود بن رشيد إلى البكيرية، فعسكر فيها وسار بنفسه إلى عنيزة يريد استرجاع بريدة وما قطع اليأس منها، وجعل يستطلع الأخبار، فأخبر أن أهل بريدة مستعدون الاستعداد التام هذه المرة وكانوا صادقين وعازمين على الهجوم، ذلك لأنهم قد ملوا إمارة آل أبي الخيل وانتقدوا فعلهم، فبادر عبدالعزيز إلى حصانه وعدا به عائداً إلى البكيرية، فقطع مسافة خمس ساعات في ساعتين ونصف وأمر عند وصوله بالزحف السريع إلى بريدة، فزحف الجيش في ذلك النهار إلى أن وصل حوالي بريدة عند غروب الشمس فنزل موضعاً على مسافة أربعين دقيقة شمالاً عنها، وأين الرجال؟ أين المستعدون للحرب؟ الحق يقال أن السيادة كل السيادة فيها لمحمد بن عبدالله أبي الخيل.

فقام أعضاء أهل بريدة ورؤسائهم وهم الذين بيدهم الضبط والربط يرأسهم

محمد بن عبدالرحمن بن شريدة وعبدالكريم بن ناصر آل جربوع وآل مبارك وآل رشودي فبعثوا إليه في موضعه ذلك الذي يعرف بالحسيانة رجلاً على خفية يدعى بعبدالكريم بن عبيد الملقب «قني» تصغير قنو، وكان هذا الرجل عارفاً بالأمور وذا تجربة، أضف إلى ذلك أنه من أهل القافة، وبعثوا معه بكتاب فيه المعاهدة على السمع والطاعة والنصرة وضربوا له موعداً وهو الباب الشمالي لسور البلد مما يليه، على أنه إذا قدم بعد صلاة العشاء الآخرة يجد البلد مفتوحاً، ولما أن أراد الخروج رسول القوم وأجري عليه التفتيش من رجال أبي الخيل لأنهم لا يذرون داخلاً ولا خارجاً إلا أجري عليه ذلك، كان قد احتاط للمسألة وجعل الكتاب بين أطباق نعله وخرز عليه، وأقبل يحمل على عضده حزمة من البرسيم، فكلمه الغبي بقوله: ألق الحزمة وأخرج ما في جيبك، فلما لم يقعوا على شيء تركوه وشأنه، ولما قرب من ساحة ابن سعود ضحك منه وتكلم قائلاً: أبشير أم نذير.

ولما دعى بالسكين ليشق النعل ويخرج الكتاب كثر ضحك ابن سعود منه، وبعدما قرأ الكتاب لم يكلفهم غير فتح الباب.

ثم إنه جمع رجاله ليلة الدخول الموافقة ٢٠ من ربيع الآخر، فتكلم قائلاً: أين الرجال الطيبون؟ فسكت القوم لا يعلمون قصده فأعادهم يقول: أين الذين يستحيون؟ أين أهل الأنفة والشمية؟ فقام عشرة، فأعاد مقالته فتقدم الجيش كله، فأمر سريتين بالتقدم إلى البلد إذا ما فتح الباب، فيسيرون إلى البيوت التي كانت قريباً من القصر الذي فيه أبو الخيل فيحتلونها.

وحينما دخل الناس في صلاة العشاء الآخرة إذا برجال البلد يتقدمون لفتح الباب على رأسهم الشهم محمد بن عبدالرحمن بن شريدة، فكلم البواب بقوله: أفتح الباب لننظر في مدينتنا، ولما أصرَّ على عناد قبض عليه وأخذ المفتاح منه ففتحوا، ودخلت السريتان وقدرها ثلاثمائة، فاحتلت البيوت ووقف صاحب الجلالة بالباب، ثم أرسل فرقة عددها خمسمائة مقاتل لتحتل أبراج السور القريبة منه.

وكانت وصايا ابن سعود ثقيلة على قومه في المنع عن الفواحش وآخر كلمة قالها: الويل لمن اعتدى على النساء فإن يدي عليه، ثم إنه دخل على رأس جيشه يقصد من تقدمه من الفرسان.

وما كاد يخرج الناس من المساجد حتى علت الأصوات ودوت صيحات الحرب، فاشتبكت الجنود برجال أبي الخيل، ففرَّ ابن سعود هارباً بعدما دوت البنادق يقول ختتموني يا أهل بريدة، غير أن الأنصار أدركوه يقولون لابأس عليك يا طويل العمر، إن البلد لا تخلو من الأعداء، فرجعوا به وأدخلوه في بيت من بيوت بريدة، واستمر القتال طيلة الليل كانت الضحايا بين الفريقين خمسة عشر مقاتلاً عشرةً من رجال أبي الخيل وخمسة من رجال ابن سعود.

ولما هدأ القتال تقدم به الأنصار إلى بيت عبدالكريم بن ناصر آل جربوع، فدخل ومعظم رجاله فيه واستراح تلك الليلة بين أولئك الأنصار وجعل وجوه الأهالي يأتونه من كل فج، فاطمأن به المجلس واشتدت ثقته وابتهجت الأهالي بالسرور والبشارة، وقام عبدالكريم يقدم العبيط والتمر والقهاوي لابن سعود ورجاله، فأكلوا وشربوا وباتوا بخير والحمد لله وحده.

فلما طلع الفجر جاء بقية رؤساء البلد يبايعون ويطلبون العفو، فأجاب إلى كل ما طلبوا بشرط أن يسلم المقاتلون السلاح والحلقة، فسلموا قبل وقت الضحى ولكن الأمير أبا الخيل ظل محاصراً يوماً وليلة، ثم طلب الأمان بعد ذلك فأمنّه ابن سعود على حياته وتركه يذهب حيث شاء، فرحل إلى العراق ثم إنها أذعنت بريدة وانطفأة نيران الفتنة واستراح أهلها من حكم آل مهنا وآل رشيد من ذلك اليوم.

ذكر ما جرى من الحوادث

ففيها استشار ابن سعود أهالي بريدة في بقاء قاضي آل أبي الخيل في بريدة وهو الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، فأشاروا عليه في عزله، فعزله عن القضاء وجعل مكانه الشيخ ناصر بن سليمان آل سيف مؤقتاً.

أما الإمارة فيها فإن ابن سعود بعدما أفادته التجارب ما كان ليؤمر فيها إلا رجلاً من أهل بيته، فجعل ابن عمه عبدالله بن جلوي أميراً على بريدة، بل وعلى سائر مقاطعة القصيم وناهيك به عقلاً ورأياً وشجاعةً وصرامةً، وشتت الله عز وجل آل مهنا.

وفيها وفاة مصطفى كامل. وفيها قتل أمير حائل سعود بن حمود آل رشيد، وكان قتله بمساعي آل سبهان بعدما حكم سنة وشهرين، قتل في الموضع الذي قتل فيه أخاه، وكان قد كثر منه الفتن والاضطرابات ونكث العهد.

ثم تولى الإمارة بعده في حائل آل سبهان، وبعث الأمير بوفد إلى ابن سعود، وقد قتل سعود هذا والأمور مائجة، وإنما تولى آل سبهان الإمارة لسعود بن عبدالعزيز بن متعب بن رشيد الذي فر به أخواله عن آل عبيد.

ذكر قتل داعية الضلال عبدالله بن عمرو آل رشيد

وذلك بأن هذا الرجل كان لا يزال والعياذ بالله يسعى في الفتنة وله مؤامرات ضد آل سليم وآل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فشاءت الإرادة الإلهية والقدرة الربانية أن يحمل من بريدة إلى الرياض فقتل هناك.

وكان في بداية أمره عليه آثار الزهد والخمول ثم إنه اتصل بعباد القبور والأوثان وتربص بين أظهرهم، ثم قدم من تلك الأمصار يدخل بدعته وتشكيكه حتى اغتر به من قلَّ دينه وعلمه، فلا حيّاه الله ولا بياه.

وقد ألف العلماء كتباً في الرد عليه كالشيخ سليمان بن سحمان وسما كتابه «الجيوش الربانية في كشف الشبه العمرية» وشتت الله عز وجل أهل الزيغ والريب بولاية آل سعود.

ثم دخلت سنة ١٣٢٧هـ

وتسمى هذه السنة بسنة الجوع وذلك لأن الله تعالى أنزل بالمسلمين مسغبة عظيمة وجوعاً شديداً، وقد ورد في بعض الآثار أن الله عز وجل إذا أراد الجوع

بأهل الأرض ينادي منادي: «يا أمعاء اتسعي ولا تشبعي» فعند ذلك لا ينفع الإنسان أكله، وهذا شيء مشاهد، فقد نقل لنا أن رجلاً استيقظ في جوف الليل فجعل يتضور من الجوع فأيقظ ابنته إلى جانبه في السطح وشكى إليها ما يجده من الجوع، فإذا بها أشد خمصاً منه فقاما لطبخ الطعام، ولما شرعا فيه أبصرا غالب البيوت قد أوقدت فيها النيران للطبخ وقد أصاب الأمة ما أصابه.

ونقل لي أن رجلاً اشترى إحدى عشرة وزنة من التمر، وخرج بها من البلد لعائلته التي تبعد عن المدينة بمسافة ساعة، فما وصلهم بشيء مما كان معه، ذلك بأنه جعل يمشي ويأكل فلم يبق معه شيء فحدثت بذلك بعض من أثق به مستبعداً وقوعه، فقال هذا فلان لرجل سماه أنه أكل في ضحى يوم اثنتين وعشرين وزنة تمر.

واشتدت المسغبة حتى جعل الناس يأكلون الأعشاب والعظام والقد والنوى وغير ذلك، ونفدت الأطعمة حتى سقط الناس في الشوارع والأزقة موتى على وجه الأرض، وكان سعر البر يباع صاعان في ريال، وسعر التمر خمس وزنات بريال فليس ذلك عن اشتداد مؤنة، غير أن الإنسان يأكل ولايشبع فجعل الناس يموجون من الجوع ويتضاغون من حر المساغب.

وكان والدنا السعيد قدس الله روحه إذا خرج صباحاً إلى دكانه عجن الدقيق بالتمر وجعله لقماً في زنبيل وفرقة على من يمر بهم في طريقه من الساقطين على وجه الأرض.

ونقل لنا عن رجل الخير والفضل محمد بن شريدة رئيس أعضاء أهالي بريدة أنه تصدق بكمية من التمر على فقراء أهالي بريدة إذ ذاك لا يقل ذلك القدر عن ثلاثة آلاف وزنة، ولما علم بذلك أخوه منصور شاركه وشاطره فيه يعني جعل الخارج على نفقتيهما جزاهما الله خيراً.

وفيها حصلت مفاوضات بين ابن سعود وبيت آل رشيد لكنها لم تسفر عن شيء يذكر لا سلم ولا عن شبه سلم، فاستؤنف القتال بين الفريقين، فخرج

صاحب حائل ونزل الشعبية وأغار على قبيلة من مطير التابعة لابن سعود فقتل رئيسها وأصاب منه مغنماً، فخرج الإمام عبدالعزيز في طلب الخصم على ذلك الماء فلم يجده فأغار على قبائل حرب وشمّر وغنم أموالهم ثم رجع إلى الشعبية فأقام هناك يوماً يخمس الأخماس وقسم الغنائم.

فلما أن علم ابن سبهان بوجود ابن سعود في الشعبية زحف إليه، فعلم ابن سعود بزحفة فمشى حتى وصل وقت غروب الشمس إلى مكان في النفود يدعى الأشعلي، فنزله وشرع يتأهب للحرب، فأخرج البدو من المعسكر وأبعدهم عنه وأخرج الحضر إلى رأس النفود فتحصنوا فيها، فأمست الخيام خالية ثم أمر ألا تعقل الإبل التي غنموها من شمّر وحرب في هذه الوقعة والقصد في هذا لأن الطمع غريزة البدو فإذا سمعت الإبل إطلاق الرصاص فرت لأنها لم تعقل فيتبعها بوادي العدو ليغنموها، فلما انتصف الليل هجم صاحب حائل وما علم بما نصب له من الحبائل فقصد الخيام الخالية وأطلق الرصاص ففرت الإبل وذهبت ذخيرة العدو سدى، فلحقت بادية العدو تلك الإبل التي شردت، وكذلك أيضاً شردت بادية ابن سعود تحت جناح الليل والظلام، فلم يبقَ في الجيشين سوى الحضر.

فأرسل ابن سعود سرية لمناوشة من هجموا على الخيام، ثم بعد المناوشة أمرهم أن ينسحبوا، ففعلت فظن العدو أن ابن سعود معها وقد انهزم وأنى هيهات أنه ورجاله كانوا كامنين في رأس النفود.

فلما كان عند انفجار الصبح يوم ٥ ربيع الأول أغار ومن معه على العدو، فكانت واقعة الأشعلي المشهورة، كان فيها النصر المبين لابن سعود، وخسر صاحب حائل عدداً كبيراً من الرجال والرحال هناك ونكب بضربة تقهقر فيها ومن معه فارين إلى الشعيبية.

ثم عاد ابن سعود بعدها بحاضرته إلى قبة وكانت بواديه قد شردت، ثم إنها حصلت بعد الواقعة هدنة بين الفريقين سببها قلة الأمطار والضيق،

وكثرت المشاغب فلم يستطع أحد الفريقين مواصلة القتال، ولكن ابن سعود خرج من قبه غازياً بعض عربانه العاصين في أعالي نجد على طريق المدينة، ثم عاد إلى القصيم.

ذكر إمارة بريدة وقضائها

قد ذكرنا: جعل ابن سعود في إمارة بريدة عبدالله بن جلوي.

وأما القاضي فقد بعث ابن سعود إليها قاضياً وهو الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن بشير، وكان عالماً لا بأس به، غير أنه لايعرف الرجال ولا يميز الناس، ومعرفة الناس أمر مهم يجب على القاضي، لأن من لا يعرف الناس يظن كل بيضاء شحمة وكل حمراء لحمة، حتى ذكر الإمام ابن بطة الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال: لا ينبغي للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون في خمس خصال، فذكر الخامسة معرفة الناس.

وهذا مما يدل على جلالة الإمام أحمد ومحله من العلم فإن معرفة الناس أصلاً عظيم، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح، فيتصور له الظالم بصورة المظلوم وعكسه، والمحق بصورة المبطل وعكسه، وراج عليه المكر والخداع والاحتيال وتصور له الزنديق في صورة الصديق، والكاذب في صورة الصادق، وليس كل مبطل ثوب زور تحتها الإثم والكذب والفجور، وهو لجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعرفياتهم لا يميز هذا من هذا.

وقد حصل بسبب عدم معرفة الناس شر كبير في قديم الدهر وحديثه.

أما ما كان من إمارة الشهم عبدالله بن جلوي، فأمر فوق ما يتصور وقد استطاع بفضل رأي وتدبير وصرامة وجرأة أن يسكن الأمور ويهدأ الأحوال ويقضي على الفتن.

وكان هو الذي باشر قتل عجلان في فتح الرياض، وأحد النقباء الذي اختارهم صاحب الجلالة لمعونته في فتحه وهو الذي سلمت مدينة عنيزة في فتحها لما جاء من قبل أبن سعود منجداً، فسلمت في الحال لآل سليم أمراء ابن سعود.

رجعنا إلى غزوات الفاتح فنقول: لما عاد ابن سعود بعد واقعة الأشعلي إلى بريدة وضبط القصيم انحدر إلى الرياض، ولما أن كان قاب قوسين منها التقى برسول من أبيه يقول جنبوا جنبوا الفتنة مشتعلة في الحريق بين الهزازة.

وكان آل هزان هؤلاء من عنيزة وهم أقارب لآل سعود لكنهم بعيدون، وقد جرى في هذه الفتنة قتال هلك فيه بعضهم لأنه قد قتل بعضهم بعضاً، فارسل الإمام عبدالرحمن بن فيصل سرية قبضت على القتلة الظالمين وسلمتهم إلى إخوان المقتولين فقتلوهم، ولم تخل الفتنة من مأرب سياسي، فعاد الهزازة بعد رجوع السرية يشعلون نار الفتنة، فاعتدوا على آل ختلان فذبحوا منهم شيخين طاعنين في السن ادعوا أنهما اشتركا في قتل أخيهم الكبير محماس، وأثار هذا الادعاء الكاذب، غضب الإمام عبدالرحمن، وحالما أقبل إلى الرياض صقر الجزيرة ومبيد العداء عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وجاءه رسولٌ من أبيه فرصة يومين ليزور أهله في العاصمة فكان ذلك.

فلما كان اليوم الثالث فزع إلى الحريق ودعا أهل الحريق إلى حكم الشرع، فأبى الهزازة أن ينقادوا للشرع، وحقيقة أمرهم أنهم لا يريدون الخضوع لحكم آل سعود، ثم إنه حصنم وتحصنوا، فحاصرهم عبدالعزيز شهرين، وفي أثناء المدة يلح عليهم أن ينقادوا لحكم الشرع وهم متمردون وفي حصنهم ممتنعون، فلما أعذر منهم أراد أن يعمل بهم عملاً تنفر منه الطباع للبشرية ويعد في غير البلاد العربية كبيراً.

وذنك بأنه أمر رجاله أن يحفروا نفقاً يوصلهم إلى الحصن، فباشروا ذلك، وكان طول النفق عندما تم أربعين باعاً ثم عزم على أن يشعل به البارود فينسف ذلك الحصن نسفاً.

وكان نساء المحصورين وأولادهم ساكنين فوق النفق، فارسل عبدالعزيز ينذرهم ويؤمنهم على حياتهم، ولكنهم أصروا على العصيان واستمروا متمردين، فأرسل إليهم رسولاً يقول: إذا لم تخرجوا نسائكم وأطفالكم فأنتم المسؤلون عن أرواحهم بين يدي الله غداً، وكانوا في أول الأمر يظنون أن النفق صنعه تهويلاً، فلما تأكد الحقيقة وأنه قد أحاط بهم البلاء سلموا لتسليم عائلتهم.

فلما أن سلموا عاد ابن سعود إلى الرياض ومعه زعمائه آل هزان إلا واحداً منهم استأذن بالسفر إلى حوطة بني تميم لأشغال هناك فأذن له بذلك ولكن أخاه راشد، أحد الذين سلموا كتب يشير عليه بالفرار وأنه لا حق به، فوقع الكتاب بيد عبدالعزيز، وكانت النتيجة أن صاحبه معاتباً بعد أن كان مكر ما مع الضيوف في الرياض.

وفيها أعني في هذه السنة كانت رحلة البتنوي، وقد ذكر في رحلته مكتبة الشيخ عارف حكمت، وقال عنه أنها آية في نظافة مكانه وحسن تنسيقها وترتيب كتبها، وكانت هذه المكتبة المشار إليها أراد صاحبها أن يسير به إلى الإمام ولكن عاجلته المنية قبل ذلك كما تقدم.

ثم دخلت سنة ١٣٢٨هـ

استهلت هذه السنة بخروج العرائف وهم آل سعود الأدنون، وهم الذين كانوا سابقاً أسرى في حائل، فجاء بهم ماجد بن حمود بن رشيد إلى عنيزة، فقاموا يجتازون إحسان عبدالعزيز من الأسر والقتل كما مر بنا في حوادث فتح عنيزة فقاموا يجازون إحسان عبدالعزيز بالعصيان والتمرد وقد يكون بين فتنة آل هزال وخروج العرائف صلة سرية أو أن أحدهما سبب للأخر.

وهذا من أسباب النقض الذي جعله الله عز وجل نقمة على العرب حيث تسلط بعضهم على بعض وقطعت الأرحام وقد طالما نكثت العهود وقتل بعض العرب بعضا، كما ذبح خزعل أمير الحمرة وذبح مبارك بن صباح أخويه وذبح بندر بن رشيد عمه وقتل محمد بن عبدالله بن رشيد أبناء أخيه خمسة وقتل أبناء عبيد بن رشيد أولاد عمهم وقتل سعود بن حمود أخاه سلطاناً وقتل آل سبهان سعوداً هذا وقتل بعد ذلك آخر الأمراء من آل رشيد قريبه كل ذلك طمعاً في الملك والإمارة.

ولقد طهر الله عز وجل حاشية آل سعود وتاريخهم من دنس دم ذوي الأرحام

والقطيعة فاستهلت هذه السنة في دعوى العرائف وخروجهم على ابن سعود والجوع الذي استمر في أول هذه السنة فإنه اشتد الجدب والشدائد فخسر ابن سعود مبلغاً جسيماً من الأموال والإبل والمواشي ولم يكن لديه ما يمكنه من الحرب للعدو وغزوه.

ذكر الانقلاب في الدولة العثمانية

ففيها ثار حزب الاتحاد والترقي بعدما خلع السلطان عبدالحميد بن عبدالمجيد وتولى السلطنة فيها السلطان محمد رشاد الخامس مقيداً بالدستور وأضحت السلطة المطلقة بيد رؤساء من جمعية الاتحاد.

وبسبب هذه التقلبات جعلت الدولة العثمانية تنظر إلى العرب بعين الحقد والغضب وجعلوا يوجهون قواهم ودسائسهم لخضد شوكة كل من يرونه فيه قوة ويخشون أن تلتم عليه الأمة العربية.

وأول من يهمهم أمره وأخصوه بقسم وافر من دسائسهم هو عبدالعزيز بن سعود ليقضي الله أمراً كان مفعولا وكان من الثورات أن جهز سعدون حملة كبيرة ضخمة على مبارك بن صباح وكان بعض الزملاء قد وعدوا مباركاً بالمساعدة الفعلية لكنهم خذلوه فأمسى منفرداً في الورطة، فأرسل يستنجد ذلك الشاب الذي يدعوه يا ولدي ألا وهو عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي شب في ظل مبارك غير أنه كان في ورطة أكبر من ورطة مبارك وكان قد اهتم بأمر العرائف، ومع ذلك فقد مشى إلى طلب الشيخ مبارك وقصد الكويت بجيش صغير من العربان وفيهم بعض العجمان.

ولما أن وصلها وافى مبارك بن صباح قد جهز ما لديه من القوة لمحاربة سعدون فأشار عليه عبدالعزيز بالتربص وقال ليس بيننا وبين الرجل خلاف حقيقي يوجب الحرب وإني أرى مسالمته أحرى والمسألة خفيفة وأنا أتوسط بينكم وبين السعدون فشق ذلك على مبارك وما سمع لهذه المشورة وإن كانت صادرة من ناصح وعون له في الشدائد.

فقال مخاطباً لعبدالعزيز أنت ولدي وهل يقبل الولد أن يهان أبوه فقال عبدالعزيز وقد خجل لا والله ولك مني ما تريد إني ملب الطلب إن شاء الله ولكنني أسأل والدي أن يمهلني لأستنجد أهل نجد فما معي الآن غير مائتين من رجالي أما العشائر فلست براكن إليها في القتال؛ فأجابه مبارك قائلاً إني أجند من الكويت الجنود الكافية ولا أبغي منك غير القيادة، فأجابه عبدالعزيز قائلاً إذا أنت باشرت التجنيد فابن سعدون قريب منا وعالم بأخبارنا وأعمالنا أجمعها فهو إذ ذاك يتأهب لنا ولا ريب عندي أن شواوي رعاة المنتفق كلهم سيلتفون حوله، فأمهلني سلمك الله ومن رأيي أن تسير قوة صغيرة مع أحد أنجالك فتبعد عن أطراف الكويت وتتربص للهجوم على ابن سعدون إذا تفرقت عنه عشائره وسننال مرامنا منه بحول الله؛ فلما قال عبدالعزيز هذه المقالة لم يوافق عليها مبارك بل أصر على تجنيد الجنود وعلى خروج ابن سعدون معها فوافق عبدالعزيز مكرهاً.

فقام مبارك في هذه السنة فألف جيشاً عدده ألفان من الحضر الشبان الناضرة وجوههم النادرة شجاعتهم، وأربعة آلاف من البادية ومائة وخمسون فارساً أضاف إليه عربان ابن سعود والباقين من رجاله فبلغ عدد الجيش كله نحو سبعة آلاف يقوده جابر بن صباح، فلما زحف هذا الجيش وبعد على مسافة يوم من الكويت جاء رجل من كبار عرب الظفير ليسأل ابن سعود أن يتوسط بينهم وبين ابن صباح وقد أكد له ابن السعدون وعرب الظفير يقبلون بذلك فأشار عبدالعزيز بإلزام جابر الصباح بعد ما عرض عليه الأمر، فكان جوابه لعبدالعزيز أن قال إني لا أعهدك جباناً فما هذا منك فغضب عبدالعزيز وقال سترون غداً الجبانة وتعرفون أين هي، فاستمروا ذلك اليوم سائرين وواصلوا السير بالسرى.

وكان سعدون باشا لما علم بزحفهم بادر بعشائره بالسير نحوهم يريد الهجوم وقد كان عدد جيشه نحواً من جيش مبارك وكل جيشه كان من عشائر المنتفق والظفير والبدور وغيرها وأكثره خيالة؛ فنام عربان سعدون في الطريق لكنهم عندما أحسوا بقرب الكويتيين استيقظوا وهبوا وتراجعوا إلى مقر القيادة كي لا يتصادموا وإياهم ليلاً.

فلما انفجر الصباح تكلم عبدالعزيز قائلاً اسمع يا جابر من رأيي أن تأمر البدو بالإغارة على سعدون وجماعتهم فتبعدهم عنا ونشغل العدو.

أني والله في ريب من أمرهم أما إذا سيرناهم أمامنا فنأمن خيانتهم، لم يستحسن جابر هذا الرأي، وأصر على أن يكون الهجوم عاماً، فقال عبدالعزيز يخاطب أخاه الأصغر سعداً إني لا أرى غير الهزيمة لهذا الجيش قف معي وقومنا على حده لنتمكن عند الحاجة من الدفاع عن أنفسنا فإن اليوم يوم دفاع يا سعد لأن هؤلاء الناس لا رأي لهم ولا هم يقبلون النصيحة.

فلما رأى جابر أن ابن سعود وقومه اعتزلوا الجيش، لامهم قائلاً أنتم إخواننا والإخوان في الحرب لا يحجمون فخجل ابن سعود وأمر أخاه بالاشتراك في الهجوم فكانت الفاتحة للخيل فأغارت خيالة ابن صباح وكانت مائة وخمسين على خمسمائة من فرسان السعدون فكر هؤلاء عليهم كرات سريعة شديدة هائلة فانهزموا هزيمة شنيعة وانهزم معهم جابر وجيشه بدون قتال ولم يبق مع ابن سعود إلا عشرة فقط من الخيالة وقد فر بقيتهم مع الفارين، وترك جيش ابن صباح لما انهزم كثيراً من المال والحلال من الأمتعة والإبل والخيل فكانت هدية من جيش الكويت لجيش السعدون، وسميت هذه الواقعة «هدية» وكان وقوعها في أول جمادى الثانية.

ولما أن هزم الجيش الكويتي بقيادة جابر بن مبارك لحق بهم عبدالعزيز فما أدركهم إلا في عصر ذلك النهار والهزيمة كانت في صباحه.

ولما أدركهم جعل يهون عليهم الأمر ويقول هذه عادات الرجال والحرب سجال ونحو ذلك من الكلام الذي يجبر قلوبهم وهم في شدة عظيمة أنستهم كل تسلية، فبينما هم سائرون ضلوا الطريق وأدركهم الجوع مع الهزيمة فجاعوا جوعاً شديداً وما كان معهم من الزاد ما يسد رمقهم فلطف الله بهم بأن التقوا بأ باعر شاردة من حملة ابن سعود عليها أحمال الشعير فأطعموا الخيل أحمالها ونحروها ليطعموا أنفسهم.

فلما كان في اليوم الثاني جاءهم أيضاً اللطف من الله وذلك بأن فيصل

الدويش لما علم بقربهم منه جاء بأهله يلاقيهم فنصب الخيام وأضافهم تلك الليلة ضيافة طيبة، ثم نحر لهم ثانية في الصباح، وقد قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ولكن تلك الهزيمة لم يكونوا لينسوا ذكرها فقد أهدت أموالهم لسعدون هدية.

أما مبارك بن صباح فإنه لما بلغته أخبار تلك الواقعة خرج إلى قصره السره يداوي كلومه، فجاءه ابنه جابر وعبدالعزيز ابن سعود وجعلا يهونان الأمر عليه، ولكنه عقد نية على استنفار أهل الكويت ثانية قائلاً سأجمع والله خمسة أضعاف هذا الجيش وسأحرق المنتق فلا يبق منها غير الرماد.

فلما رأى عبدالعزيز شدة الغضب من مبارك خطر له خاطر سياسي ليمحق به كلام مبارك وهو أن يجهز أحد أولاده في جيش صغير فيسير هو معهم ويشاع أنهم ساروا يطلبون العرائف فيبلغ سعدون الخبر فيسرح عربانه فنعيد الكرة إذ ذاك عليه ونحن مدركوه بحول الله.

فما وافقه مبارك على ذلك ورفض ثانية رأيه.

وفي خلال ذلك عاد آل سبهان بسعود بن عبدالعزيز بن رشيد صغير أبناءه الذي فر به أخواله إلى المدينة فرجعوا به في هذه السنة.

ذكر إمارة سعود بن عبدالعزيز بن متعب

رجعنا إلى ذكر بيت آل رشيد لضرورة التاريخ فنقول في هذه السنة تولى إمارة حائل سعود بن عبدالعزيز بن متعب بعدما عاد به أخواله آل سبهان إليها وكان مغيباً في المدينة؛ فقد جاء دوره لسان أخواله المقالي يخاطبونه في صغره يا وليد سنرجع بك إلى حائل والإمارة لآل عبدالله.

فصفقت حائل استحساناً لذلك مرحى مرحى وقدم هذا الأمير الصغير فتقلد الإمارة في حائل وعاد يوم آل عبدالله فعند ذلك علم فيصل المبسام ثالث أنجال حمود بن عبيد وقد كان أخوه سلطان قد جعله أميراً في الجوف حذراً منه وإبعاداً له

عنه لما أغضبه ورحمه عن القتل فكان لا يزال مسروراً بهذه الإمارة الصغيرة خصوصاً لما علم بقتل أخيه الأول ثم بقتل أخيه الثاني، ولكنه لما علم برجوع آل عبدالله إلى عرش الإمارة لم ير السلامة لروحه حتى ولا في الجوف، فهجر بلاده ورحل شرقاً ثم جنوباً وذهب مسرعاً حتى وصل الرياض فرمى نفسه بين يدي ابن سعود فرحب به وأكرمه واتخذه لخفة في روحه خدنا ونديما.

هذا هو فيصل المبسام الذي كان يبسم ويذنب ولا يغيظ صاحب البسمة الإبليسية.

فلما تربع سعود بن عبدالعزيز هذا على تخت الحكم في بلاد حائل كتب ابن سعود إلى ابن هذال وابن شعلان أحدهما رئيس العمارات والآخر رئيس الرولة والعشيرتان كلاهما من عنزة يستنجدهما على ابن رشيد فأجاباه إلى ذلك وضرب الموعد للاجتماع، ولكن المشاكل تعددت في الحساء وكان مرتبطاً بعضها ببعض وكان قد عقد ابن سعود مجلساً قبل سيره إلى الكويت بشأن العرائف الذين تمردوا عليه وقابلوا إحسانه بالإساءة فتكلم الحاضرون في مهمتهم، وقال أحد الحضور يخاطب ابن سعود ادعهم إليك للجواب فإن أبوا فاضربهم وقرر على هذا الرأي آخرون وتكلم كل برأيه فما استحسن ابن سعود دعوتهم قائلاً قد يحدث بينكم وبينهم قتال فأكون ذابحاً لذوي القربى وهذا مكروه عندي دعوهم كفانا الله شرهم، فرحل العرائف وهم تسعة معهم خدمهم ورجالهم إلى الحساء ونزلوا على العجمان، وكانوا أخوالاً لهم، ولكن العجمان اعتدوا على بعض عشائر الكويت فنهبوهم فهددهم مبارك بن صباح فالتجأوا إلى ابن سعود.

فبعث مبارك كتاباً إليه يسأله أن يسعى في ارتجاع المنهوبات منهم، وكان مبارك بن صباح لما علم بخروج العرائف على ابن سعود وأنهم جاءوا إلى الحساء أرسل إلى ابن سعود يستأذنه أن يدعو العرائف إلى الكويت فيسعى في الصلح بينه وبينهم فقبل ابن سعود ولسان حاله يقول نصلح بينه وبين العجمان فيصلح بيننا وبين العرائف وجزاء حسنة حسنة مثلها.

أما العرائف فقبل منهم اثنان لدعوة مبارك وجاء اثنان إلى عبدالعزيز مستغفرين مستأمنين فأعطاهما الأمان.

وكان مبارك من كمال سياسته إنما توسط بالصلح بين العرائف وبين ابن سعود يريد بذلك جزاء كبيراً عند ابن سعود وهو قتاله معه في الغزوة السابقة لسعدون لما جهز عليه سعدون تلك الحملة العظمى التي ما استطاع مبارك مقاومتها وما أحسن ما قيل:

المستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

ولما أن انكسر جيش الأمير مبارك ذلك الانكسار وعزم على أن يعيد الكرة على سعدون، وأبدى له ابن سعود رأيه في قتاله فرفض رأيه، وافق أن ابن رشيد قد هجم يومئذ على ابن هذال وابن شعلان وهما حليفان لابن سعود فأخذهما في «بصية» على حدود العراق ونجد، فعند ذلك قال عبدالعزيز مخاطباً لمبارك إذا كنت تصر على تجنيد جيش كبير فأنا أترك عندي رعاياي من عرب مطير وأعود إلى بلادي لأن ابن رشيد بعد انتصاره على ابن هذال وابن شعلان لا بد أن يزحف إلى القصيم، وأخشى أيضاً أن يقوم العرائف بحركة في الرياض فيتفاقم الأمر علي ولا أظنك تريد لي ذلك.

فلما قال عبدالعزيز هذه المقالة وكان ابن صباح قد أمل أن يغلب السعدون ولو بعون ابن سعود المعنوي ندم لما لم يقبل نصيحته وقال إذا رميتني اليوم يا ولدي فليس لدي أحد ينهض بي فيتمكن مني العدو أنا والدك يا عبدالعزيز ولي عليك حق المساعدة والبلد بلدك وله عليك حق الدفاع ابق عندي ولا تخرج مع الجيش ابق عندي فأتسلى بوجودك لدي فكان في كلامه هذا صريحاً.

والحقيقة أن مجرد وجود ابن سعود عنده مفيد فإنه يستأنس بآراءه وتهرب أعداؤه عنه مادام في حماه.

يريد احتفاظ في وجود بقاءه ... ويأنس في لقياه من كل عابث
فتقنع منه النفس إن كان خائفاً ... فتى هابه أهل اللقا في الحوادث
أمان لأهل الحي مادام قاطنا ... به الله يحمي من خطوب الكوارث
ألا إنه حصن منيع عن العدى ... حنانيك لا تعجل وأنعم بلا بث

ثم قال أريد منك أن تقيم وتبقى عندي ثلاثة أشهر فقط؛ قال عبدالعزيز فلما قال هذا الكلام استجبت منه وبقيت فكان مبارك بن صباح أثناء تلك الثلاثة الأشهر مطمئناً فلم يهاجمه سعدون ولكن فوائد قوم مصائب قوم فقد كان عبدالعزيز في قلق دائم لأن ابن رشيد قد تغلب على رئيسي العمارات والرولة وهما تابعان لابن سعود، كما أن العجمان مع العرائف تذمروا عليه وأسند العرائف عائدين إلى الرياض، ومنهم من كتبوا إلى الشريف في مكة يستنجدونه على ابن سعود، أضف إلى ذلك أن القيظ قد اشتد حره فتفرقت البوادي إلى ورد الماء، وجرى في هذه الحال عثرة كبرى من مبارك، وقديماً قيل: في كلام الحكمة «اتق شر من أحسنت إليه» فلقد قابل أفعال ابن سعود الحسنى بالإساءة وذلك بأنه اعتدى في هذه المدة بعض عربان مطير التابعين لابن سعود على غرب قحطان وسبيع ولاذ المعتدون بابن رشيد فلما وصلوا إلى أطراف الكويت أراد عبدالعزيز تأديبهم على فعلهم فتصدى له مبارك مانعاً فكتب إليه عبدالعزيز يلومه لأنهم من قبائله العاصية.

ومن جهة أخرى فإن الأجدر بك يا مبارك أن تساعدني كما ساعدتك فغضب لذلك مبارك وخرج إلى معسكره الذي فيه جابر ابنه وراء الكويت فاجتمع بابن سعود وقد اشتعل في صدره الغضب، فكان أول كلمة قالبه بها مرادفة للإهانة أن قال أظنك يا ابن سعود تبغي أهلك فأجابه جلالة الملك بكلمة واحدة وهي نعم وخرج من ذلك المجلس كما دخل مبارك إليه مكتئباً متغيظاً.

تالله إنها لحالة عجيبة وأيام عصيبة جرت على عبدالعزيز في هذه السنة معروفه لم يشكر، وأعداؤه قد تعددوا وهجرته بواديه، وهناك الطامة الكبرى وهي قلة المال عنده فما مر عليه في دهره كله مثلها فيا ما أمر فوادح الدهر وقواهره، هذا وهو حاكم نجد وكبير العرب، فعند ذلك حاول أن يستدين من أهل الكويت فاعتذروا خوفاً من مبارك بن صباح؛ فأرسل عبدالعزيز إلى نسيبه ووكيله في البصرة وهذا اسمه عبداللطيف باشا المنديل يطلب منه ألفين ذهباً فقط ويقول له أن يقبض القيمة مما تبقى عند الدولة من معاش والده عبدالرحمن الفيصل.

ثم رجع عبدالعزيز بن عبدالرحمن من الكويت في أواخر هذا العام راكباً مطية الإفلاس يعلوه الغم والكآبة.

وفيها في جمادى الأولى تقدم الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن سليم إماماً في مسجد عودة الرديني في بريدة وجلس فيه للتدريس فحصل عليه إقبال عظيم والتف عليه أمة من طلاب العلم حتى أصبح ذلك المسجد ينتابه القريب والبعيد فضربت إليه آباط الإبل من كل جانب وعكفت الأمة حوالي تلك الحلق يستمعون ويدرسون وكان ذلك الوقت قابلاً للتعليم، وينشأ ذلك عن نية حسنة ورغبة في العلم والدين والخير، ما كان لهم مساعدات مالية بل كانوا يعيشون في فقر وقلة ذات يد، ويطلبون العلم بتواضع وأدب وسكينة ويصبرون على مرارة التعليم ويبحثون وينسخون الكتب ويحتفظون في الفوائد ويوقرون من يتعلمون منه ويدأبون في طلب العلم والجد والاجتهاد؛ فنشأ عن هذا الإقبال والنية الحسنة رجال حصلوا على العلوم الشرعية وخدموا الحكومة في وظائف القضاء والوعظ والإرشاد والفتوى امتلأت منهم الأقطار ونشروا علمهم في الأمصار، ويا ليت ذلك قد استمر ولكن أنى وهيهات كيف لا وقد أذن الله بالإدبار ورحى المنون لا تزال تدار وأهل العلم لا يزال عقدهم في انتثار.

ولقد جرى على يدي هذا الشيخ العظيم تعليم ديني ونهضة عجيبة لو كانت في مصر أو الشام أو العراق في القرون المتأخرة لامتلأت بها الصحف وافتخر بها الأواخر على الأوائل وقصرت دونها سورة كل مطاول وعلينا أن نذكر تلامذته فيما يأتي في مواضعها وفي ترجمته بعد وفاته.

ثم دخلت سنة ١٣٢٩هـ

ففيها تصالح ابن سعود وابن رشيد ونية ابن سعود في ذلك أن يتمكن من استخدام ما تبقى لديه من قوة في مقاومة العرائف الذين خرجوا عن طاعته

وكان قد أرسل ابن سعود أخاه سعداً وعمره إذ ذاك سبع عشرة سنة إلى عتيبة يستنجد رجالها لهذه الغاية ولكن عتيبة ولت وجهها شطر مكة فانحازت إلى الشريف حسين مضيف بعض العرائف ومكرمهم إكراماً لابن سعود، قائلاً ليس بيننا وبين ابن سعود أيها النجيب غير ما يوجبه حسن الجوار وهذا لا يخفى على نباهات كمالات نجابتكم.

هذا ولم يكن بين الحسين بن علي وبين ابن سعود عداوة توجب الحرب في هذه الأيام، ولكن الشريف كان موالياً للاتحاديين ساعياً في اكتساب ثقتهم طامعاً بالسيادة له ولأنجاله وكانت الحكومة قد فقدت الثقة ببيت آل رشيد بعد أن تعددت فيهم الجرائم العائلية فأدارت بنظرها إلى الحسين وهي ترجو أن يستميل في الأقل ابن سعود إليها، ولا ريب أن الشريف وعدها بأكثر من ذلك.

ذكر حرب إيطاليا للدولة العثمانية

لما تقرر دستور الدولة العثمانية كان نقباؤها طلعت باشا وأنور باشا وجمال باشا فلما عزمت إيطاليا على محاربة الدولة العثمانية في طرابلس الغرب اغتنمت فرصة اشتغال العثمانيين بثورة حوران فأرادت أن تضعف قوة الأتراك وتشغلهم لتقسيم جنود الأتراك إلى أقسام ليتمكن لها التوغل في طرابلس وتحوز النصر والآمال التي كانت تحلم بها، فرأت أن أقرب وأسلس رجل يعتمد عليه هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي أمير عسير، فخابرته واتفقت معه، وكان لها من أقارب الإدريسي بمصر رجال يتفاوضون معها وتخابرهم في كل ما يلزم لتنفيذ الخطة الموضوعة وقد تم الاتفاق وظهر الإدريسي للقوم بمظهر الناصح المرشد ينصحهم ويغريهم على الحكومة بقالب مستتر؛ فظهرت المشاغبات وتوالت الشكايات.

فلما جرى بين الدولة العثمانية ودول الفرنج مبادئ الحرب والعداء واتفقت إيطاليا مع الإدريسي كان أول من انضم إلى الحلفاء من أمراء العرب وأول العرب

حمل على الأتراك فأخذ من إيطاليا سلاحاً فاستخدمها ناراً وسياسة، فاضطرت الحكومة العثمانية لأن ترسل قوة إلى عسير فتوجهت النية إلى اختيار قائد ما فعينت سليمان باشا شفيق فتوجه المذكور فوصل إلى عسير بجنوده وسعى لإخماد الثورة بسلم فلم يفلح فطلب ما طلب من جند فأجيب ثم أعيدت ثانية إلى الأستانة بقيت الثورة تتأجج نيرانها، وعقد في أثناء ذلك عدة اجتماعات من طرف الحكومة مع الإدريسي للاتفاق معه وإطفاء نيران الفتنة فلم تفلح وأخيراً أعلن الإدريسي الحرب على الحكومة وهاجم أبها مركز قائدها وحاصرها؛ فبلغ الحكومة ما آل إليه شأن الإدريسي على أثر التقارير المرفوعة من متصرف عسير، فرأت بعد طلب الحسين بن علي أمير مكة أن يكون هو القائم بإخماد الثورة لما يعرفه من عوائد البادية وأساليب إخضاعها فخابرته بذلك، وقد كان الحسين يرمي من وراء ذلك أن تكون له يد في عسير لتساعده في يومه المعلوم.

فلما كان في يوم الأحد ١٦ربيع الثاني سنة ١٣٢٩توجه الحسين من مكة قاصداً عسير ومعه الجيش النظامي التركي وجيش من البدو، فوصل القنفذة ثم حث السير إلى محل يقال له القوز الشاهد، فنشبت هناك معركة دامية كسر الشريف فيها وتشتت جنده حتى أن ابنيه فيصلاً وعبدالله لم يخرجا من المعركة إلا بعد أن أعراهما الثوار وارتدوا راجعين إلى القنفذة فبقوا إلى أن لموا شعثهم وتوجهوا قاصدين أبها، فوصلوها بعد أن وقع في الطريق خمس عشرة معركة؛ وذلك في يوم السبت ١٩رجب، ويظهر مما تقدم أن مسألة عسير لم تنته بصورة قطعية، فإن الثوار تحصنوا في الجبال ولم تصلهم يد الحسين وجنده فتقضي عليهم القضاء الأخير، والدليل على ذلك أن الحسين لما أراد الرجوع إلى الحجاز لم يذهب من الطريق الذي أتى منه وهو القنفذة بل رجع من طريق شهر فبيشه إلى الطائف فوصل إلى مكة في ٢٦شوال من هذه السنة؛ وكان مسيره من أبها في ٤شعبان وما ذاك إلا أن طريقه الأولى مملوءة بالثوار.

ولما استقر في أبها في مسيره ذلك صادف أحد أيام إقامته فيها حفلة المعراج

ويوم الحرية والدستور، فجمع الحسين الجند والأهالي وخطب فيهم خطبةً عظيمة بليغة، ونحن نسوقها لتعلم ما كان عليه الحسين من البلاغة والبراعة التي طمحت به في تلك البحار، قال:

أيها الإخوان اعلموا علم اليقين أنه لولا وجود هذه الدولة العثمانية وشدة اعتناء خلفائها بالأمة الإسلامية خصوصاً مولانا أمير المؤمنين الحالي لاختطفتكم الدول الأجنبية اخطاف الذئب للغنم المنفردة، فإن جميع الدول ساعية من زمن بعيد في اضمحلال الشريعة المحمدية بواسطة هؤلاء المغرورين الذين يخدمونها لأغراضهم الشخصية، إخواني هل يرضيكم أفعال هؤلاء القوم الساعين في تخريب بلادكم باسم الحق، ولا أدري كيف اغتررتم لهؤلاء وأمثالهم وأنتم أولوا العقول الراجحة والنخوة العربية الأصيلة، آبائكم الأولون كانوا عز العرب وعنهم ورثتم الهمم العالية، ألستم أبناء التبايع؟ ألستم الذين قال فيكم جدي رسول الله ﷺ العلم يماني والحكمة يمانية؟ ألستم أنتم أبناء أسلافكم الكرام الذي اشتهروا بالذكاء الفطري والمجد المؤثل؟ فالله الله يا أبناء الأمة العربية في دينكم لا تضيعوه بل احفظوه واستظلوا بظل الراية العثمانية التي هي شعار الإسلام، ولا تغتروا بأقوال المفسدين الساعين في تنفيذ أغراض المحركين لهم أعداء الدين الإسلامي، وأنتم لطيب عنصركم وعدم معرفتكم بالسياسة الأجنبية تظنون أنهم إنما يخدمون الدين، إنهم والله عن الدين بمعزل لا يخدمون إلا أغراضهم الشخصية مستترين باسم الدين، فأحذركم أن لا تغتروا بمثل هؤلاء الأوغاد المارقين من الدين، بل كونوا مطيعين لأمير المؤمنين ولتعلموا أن من خالفه فقد خالف الله ورسوله ومن خالفهما فقد باء بغضب من الله وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين، هذا نص خطبته بحروفها.

ولما عاد الحسين إلى مكة مضى عليه فيها قريب سنة والأحوال مائجة مضطربة في عسير حتى أتت البوارج الحربية الإيطالية إلى سواحل اليمن وأقلقت الأهالي

وضربت الموانئ وسدت طرق البحر ولم يبق منفذ للأتراك غير طريق مكة، فعند ذلك كلفت الحكومة التركية الحسين بن علي مرة ثانية بإرسال الجنود إلى عسير، فأرسل الحسين ابنه فيصلاً إليها من مكة، فلما سار وبلغ قوز الشاهد أقام به، وكان على مسافة ثلاثين كيلو متراً من القنفذة، وحصلت وقائع لم تنتج نتيجة تذكر، وعاد فيصل بن الحسين إلى الحجاز بدون جدوى.

ذكر وفاة الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ

ففي الليلة السادسة من ذي الحجة في الساعة السادسة منها توفي الشيخ وهذه ترجمته:

هو الإمام العالم العلامة الحبر النبيل والفاضل الجليل العارف الأوحد المحقق البارع المدقق سيف الله على أعناق المبتدعين وسهمه الصائب لأفئدة المارقين، الحبر الثقة اليقظ النبيه الشهم الملهم المتقن الحافظ المجتهد الزاهد العابد الورع، مفيد الطالبين ذو العقل الفائق والرأي الصائب الرائق.

ولد في مدينة الرياض سنة ١٣٨٠هـ ونشأ بها نشأةً طيبة، وكان له معرفة تامة في علم الحديث والتفسير والفقه، أخذ العلم عن أبيه الشيخ عبداللطيف، وأخذ عن أخيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وأخذ الفقه والنحو عن الشيخ حمد بن فارس وغيرهم، وما زال يتقدم في العلوم النقلية والعقلية حتى كان آية في الفهم والذكاء والحفظ والفطنة تضرب الأمثال به في الذكاء والشهامة والحفظ، ولما كان في سنة ١٣٢١هـ، ولاه الملك عبدالعزيز القضاء في الرياض فاستمر في هذه الوظيفة إلى أن توفاه الله تعالى:

وكان له مجالس في التدريس كثيرة زاهرة بالعلم، وكان هيناً ليناً مهاباً سمحاً كريماً متحبباً ومفيداً للطالبين قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نهاية الأمة ولا يخاف في الله لومة لائم، له قوة وإقدام وشهامة وهيبة، وكان زاهداً في الدنيا لا يذكرها ولا تدور في ذهنه، وله مكارم أخلاق وحسن عشرة ووفور حلم وغزير فطنة.

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فمنهم بنوه الشيخ محمد، والشيخ عبدالله، والشيخ عبداللطيف، وأخذ عنه الشيخ عبدالملك بن إبراهيم، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن داود، والشيخ عبدالله بن حمد الدوسري، والشيخ مبارك بن باز، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن سالم، وأخذ عنه الشيخ فالح بن عثمان ، وأخذ عنه الشيخ إبراهيم بن حسين بن فرج، وأخذ عنه الشيخ سالم الحناكي، وأخذ عنه الشيخ سعد بن سعود، وأخذ عنه الشيخ سليمان بن سحمان.

وأخذ غير هؤلاء خلق كثير وجم غفير، وكان له فتاوي كثيرة ذكر منها جملة في مجموع الرسائل والمسائل، وله رد على أمين بن حنش.

ولقد رثاه العالم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري لما توفاه الله تعالى بهذه الأبيات:

إلى الله نشكو ما دهانا ونفزع ... ونرخي أكفاً للدعاء ونرفع
عسى نفحةً من جوده حين سؤلنا ... تلم لنا شعثاً وللشمل تجمع
فما مرَّ في أزماننا من ساعةٍ ... أتانا بها أمر فظيع مروع
فما أوحش الدنيا علينا بمادها ... وأيتمني والقلب مني مصدعُ
بموت إمام فاضلٍ متفضل ... ومن في فنون العلم بحر مترعُ
لقد سالت العينان مني بالبكا ... وحق لها عند الزلازل تدمع
دهانا شديدٌ من خطوب جليلةٍ ... وقلبي لفقد الأكرمين مفجع
فيالك من حرجٍ ممضٍ ولوعةٍ ... تكاد لها الأحشاء مني تقطع
ويالك من رزءٍ فظيعٍ على الورى ... وهد بسور الدين من أين يرقع
لقد كان شمساً للورى مستنيرةً ... وبدراً على أهل البسيطة يسطع
شهابٌ على هام الشياطين مرصدٌ ... ونجم لطلاب الهداية يطلع
إذا ما دجى ليل الشكوك وأظلمت ... غياهب سحب الغي عنا يقشع
فتضحي لنا السمحا يلوح طريقها ... ويبدو لنا التوحيد يسمو ويلمع
عسى ربنا الباري يجود بمنةٍ ... ويدخله الجنات يرقي فيرفع

إلى حضرة الفردوس من كل مخلصٍ إلى صالح الأعمال بالسعي يسرع
ويبقى لنا ذرية الشيخ منهمو أمن علينا من الآباء وأنفع

وكان الشيخ إبراهيم عالماً أصولياً متفنناً له كمال السبق في الفضائل، ومن أعلام الأئمة المهديين من آل الشيخ وجد وجاهد ونافس في المعالي.

وما أحسن ما قيل فيه:

حليمٌ كريمٌ عالمٌ متفننٌ جسورٌ بما يأتي لحل المشاكل
بصيرٌ بأقوال الهداة محببٌ إلى الخلق طراً في الخصال والفضائل
يدين بقال الله قال رسوله بعيدٌ عن التقليد في كل نازل
وكان على الأعداء شديداً وزاجراً وثقلاً على من ليس يوماً بسائل
عن الغي والإفساد والخبث والردى ويسعى لما يهوى فيا ويح جاهل
أعد لمن يدعو إلى الغي والخنا شباةٌ يراعٌ قامعٌ للأباطيل
فيا حسنه في وقته وزمانه فأنعم به من فاضلٍ وابن فاضل

وكان الشيخ غنياً عن التعريف به في الفضل والعلم والنهى.

أما نسبه: فهو أبو عبدالله الشيخ القاضي إبراهيم بن الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رفع منازله في دار عليين، وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، كان رحمه الله لما كان قاضي بلد الرياض جعله على قضائها جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن منصفاً بارعاً عارفاً عالماً عاملاً، وله قوة إدراك وملكة على استخراج النصوص من مظانها، أضف إلى ذلك تسديداً في القضاء وعدلاً ومقدرةً يقنع الخصمين، وتطيب النفس بقضائه ذلك، لما منَّ الله به عليه من كمال العقل والبصيرة والغوص على فنون العلم والمسائل والعدل والنية الحسنة.

وكان مع ذلك ذا أصل عظيم ومعرفةً بالتوحيد وعلم العقيدة، ومبعداً لأهل الضلال والتنديد، فكان عود الشجا في حلوق أعداء الله ورسوله ومناصر لأهل الدين والعلم، ولقد كان في أقضيته وتصديراته آية من آيات الله، حتى كانت

تضرب الأمثال بإقناعه للخصمين ورضاهما وقبولهما، فنسأل الله تعالى أن يجبر المسلمين بفقده.

ولما مات اندهش الناس لموته، وكان الزاهد الصوفي عبدالكريم الدرويش المشهور لما بلغته وفاته كان في تلك اللحظة إلى جانب أمير من أمراء البادية، فضرب بيده على الأخرى وقال إنا لله وإنا إليه راجعون، واشتد بكائه وجزعه وقال: مات قاضي الرياض وتعطل الرياض بلا قضاء، يموت العالم فلا يخلف من عقبه من يسد مقامه ويموت هذا ويشير للأمير فيكون عقبه عشرون شيطاناً كل واحد أنبه في الإمارة من الآخر، يعني أن الأمراء كثيرون بخلاف العلماء، وصدق رحمه الله فإن الإمارة كثير أربابها بخلاف القضاء، فقد يموت الأمير ويكون له أنجال كلهم أمراء، وإن العالم بالشريعة لا يكون من عقبه من يسد مقامه وهذا شيء مشاهد وسنلوح عن قريب بذكر الدرويش هذا.

وكان الشيخ إبراهيم كهفاً لأهل الدين ولا يزال في حياته معاضداً لأخيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رئيس القضاة والمفتين في نجد إذ ذاك ينتا بهما الإخوان وطلاب العلم وحصناً منيعاً لأهل هذه الدعوة المحمدية والملة الإبراهيمية، وذلك لما منحهما الله تعالى من نفاذ الكلمة وقوة الإرادة والفتوحات الإلهية والعلوم الربانية ما أضاء نورهما في الأفاق وسما به فضلهما كالشمس وقت الإشراق، ولما مات خلف من الأولاد، محمداً وعبدالملك، وعبدالله وعبداللطيف.

فأما محمد فهو الشيخ الذي انتهت إليه الفضائل والمكارم في وقتنا هذا، وناهيك به حيث أصبح المفتي العام في الحكومة السعودية وسماحته متأهل لجميع العلوم.

وأما عبدالملك فإنه رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز، وكان فيه مؤهلات مع دماثة أخلاق وتحبب إلى من يجالسه.

وأما عبداللطيف فهو مدير المعاهد العلمية تحت إشراف أخيه محمد وله ذوق في العلوم وفضل وبراعة لا سيما في علوم المواريث.

ولما مات الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف رثاه العلماء بمراثي حسان، فمنها ما رثاه به الشيخ سليمان بن سحمان، وقد كان لها حسن الوقع وغاية القوة.

على الحبر بحر العلم شمس الحقائق نريق كصوب المدجنات الدوافق
دماً بدموع وكفها متتابع وحق لذي لب محبٌ ووامق
إراقة دمع العين سحاً ودائماً على الشيخ إبراهيم شمس الحقائق
على علم الأعلام نجل ذوي التقى من اشتهروا بالفضل بين الخلائق
هموا أظهروا الإسلام في كل وجهةٍ من الأرض في غربيها والمشارق
هموا جدود الإسلام بعد اندراسه وهدوا رعان الكفر من كل شاهق
فلهفي على شمسٌ تشعشع ضوئها وبدرٌ سمت أنواره في الغواسق
فما طرقتنا ليلةً بمصيبةً ورزء دهى بالمعضلات الطوارق
لست مضت من شهر ذي الحجة إنها لست من الساعات من جنح غاسقٍ
لتسع سنين بعد عشرين قد تلت ثلاث مئين بعد ألفٍ مطابق
بأعظم منها لوعةً ومصيبةً فأعول كل بالبكاء والتشاهق
ولا كصباحٍ مرَّ يوماً بمره كصبحٍ تولوا بالحبيب المفارق
فضجوا جميعاً بالبكاء وبالدعا وسالت جفونٌ بالدموع الدوافق
لفقد محبٍ كان مذ شب يافعاً وكهلاً إلى غير النهى غير تائق
يروم المعالي باهتمام ورغبةً فأم إلى هاماتهن الشواهق
بهمته العليا لنيل مرامها ونهمة مشتاقٍ إليها وشائق
وقلب عقولٍ مطمئنٍ مفهمٍ يرى إنما تحصيلها في التسابق
فقام بتيار المعارف قاصداً إلى ثبج هاتيك العلوم الشوارق
علوم أصول الدين والفقه فارتوى فنال المنى منها بأسنى الطرائق
بهن ينال المرء كل فضيلةً وليس بغير العلم ترجي لوامق
فلله من حبر هزبرٍ محققٍ أبي وفيٌ عالم بالحقائق
تقيٌ نقيٌ المعي مهذب كريمٌ سليم القلب دمث الخلائق
لبيبٌ أريبٌ أحوذيٌ موفقٌ نقيبته التقوى وبغض المماذق
ووقاد ذهن حازمٍ متيقظٍ وذي حذرٍ عن معضلات العوائق

وقـد كـان ذا عقـلٍ رزيـنٍ مؤيـدٍ ... ولـيس بطيـاش ولا المتحـامق
لـه في فنـون العلـم بـاعٌ ومسـرحٌ ... وميـلٌ إلى القـول الصـواب الموافـق
يغـوص بفهـم ثاقـبٍ متوقـدٍ ... لحـلِ عـويص المشـكلات الـدقائق
وإدراك ذي علـمٍ وحسـن روايـةٍ ... يفوق بها الأقـران مـن كـل حـاذق
وحفـظٍ وإتقـانٍ وحسـن تصـورٍ ... لمـا كـان معنيـاً يـراد لسـابق
يـؤم إلى كـل العلـوم بخـبرةٍ ... وعلـمٌ وتحقيـقٌ وحلـمٌ مطـابق
قريـبٌ إلى أهـل التقـى وذوي النهـى ... ولـيس لأعـداء الهـدى بـالموافق
بعيـدٌ عـن الأشـرار مـن كـل فاسـقٍ ... وذي دغـلٍ جـافٍ جهـولٍ منـافق
حبـاه إلـه العـرش هـذا تفضـلاً ... على رغـم أنـف الكاشـح المتحـامق
تـراه محبـاً ظـاهراً متملقـاً ... ولـيس علـى مـا يدعيـه بصـادق
وقـد كـان للطـلاب كهفـاً ومـوئلاً ... إذا مـا دهـتهم معضـلات الوثـائق
فيصـدر كـل مـن أولئـك راجعـاً ... بكل الـذي يهـوي بمحـض الحقـائق
فيفتيهمـو بـالنص إن كـان وارداً ... وأقوال أهـل العلـم مـن كـل سـابق
فـإن لم يجـد أقـوالهم قـال بالـذي ... يقول به الأصحاب مـن كـل لاحـق
وقـد كـان لـي بـالحق خـير مسـاعدٍ ... علـى قمـع صـنديد كفـور مشـاقق
ومبتـدع في الـدين أو متهـوك ... بأهـل الهـدى أو مسـتريب منـافق
كـذاك علـى جـافٍ جهـولٍ مفـرطٍ ... وآخـر غـالٍ مفـرط ذي شقاشـق
لئن كـان في الـدنيا على خـير حالـةٍ ... يفـوز بهـا أهـل التقـى والسـوابق
لدى الملك العلام ذي العرش والعلـى ... وخالقنـا الـرحمن رب المشـارق
ويرجو بهـا الزلفـى لديـه ذوو التقـى ... ويسمو بهـا في النـاس بـين الخلائـق
فسـيرته محمـودةٌ مستفيضـةٌ ... لدى الناس لا تخفى على كـل رامـق
بكـل جميـلٍ مـن محاسـن مـن مضـى ... تحلـى فأضـحى فائقـاً كـل فـائق
فنرجوا من المـولى لـه العفـو والرضـا ... ومحـو الـذنوب المـثقلات العوائـق
وإن كـان قـد أضـحى رهينـاً لرمسـه ... لقـد خلـف الأحـزان في كـل وامـق

وأضحت ربوع العلم قفراً دوارساً من العلم للطلاب بين الخلائق
فياهف نفسي قد أمضَّ بها الضنى من الحزن لم يلمم بها حزن ماذق
وإني لذو حزنٍ وإني لصادقٌ وبعض الورى في قيله غير صادق
فيا من على العرش استوى فوق خلقه عليه على من فوق سبع الطرائق
أنله الرضا والفوز بالقرب وأكفه لهيب لظىً عند احتضار المضائق
وإن كان ربع العلم أقفر بعده وحل بنا رزئ المحب المفارق
عسى الله أن يبقى لنا قمر الدجا وشمس الهدى للحالكات الغواسق
وأعني به من كان للناس قدوةً إذا ما دهتم معضلات الطوارق
وكفهاً منيعاً عند كل بليةً إذا دهمت من ملحدٍ أو منافق
هو الشيخ عبدالله من سار ذكره من الأرض في غربها والمشارق
هو الردم للأعداء من كل مأذقٍ ومن كل شر ضرير ومارق
هو القطب فينا لو تزيل لاجترى علينا العدا من كل خصم مشاقق
فيارب حقق بالرجاء فيك سؤلنا وأحسن لنا العقبى من كل طارق
وأبق بينهم سادةً يقتدي بهم إلى منهج المعصوم أزكى الخلائق
وأورثهمو حكماً وعلماً وهب لهم ذكاءً بها في كل فنٍ مطابق
ووفقهمو للخير فضلاً وهب لهم ذكاءٌ لكيلا ينطقوا بالشقاشق
وصل على المعصوم ربٌ وآلهِ وأصحابه أهل النهى والسوابق
وتابعهم والتابعين لنهجهم على السنن المحمود أسنى الطرائق

وللشيخ حسين بن علي بن نفيسة الحنبلي قصيدة يرثاه بها وهي هذه القصيدة التي أفصحت عن صفاته الحسنة وأخلاقه الجميلة:

قفا وأبكيايا صاحبا من تقدماً وعوجاً على الأطلال ثم توهما
هل الدهر أبقى للمنازل آية وهل من مجيبٍ بالجواب يجبكما
فإن قال هذا ربع أحبابنا الأولى فجودا بماء العين حتى ولو دماً

عفا لا عفا من كل بكر مليحةٍ ... ولا زال مأنوساً ولا زال منعماً

فعهدي به فيما مضى بهجة لنا ... وعهدي به السمار والبيض كالدما

فياربع ليلي العامرية لا بلي ... ويا رسم سلمى لا تزال مسلماً

تسلي بتذكار المعالم ما بنا ... من الحزن إذا صما الفؤاد وألما

وننذب شيخ العلم والحلم والتقى ... سلالة ناس يرشدون من العما

له في فنون العلم أطول ساعدٍ ... ومسلك عدل لم يكن فيه متهماً

على الشيخ إبراهيم تبكي مدارسٌ ... لقد عهدت بالدرس تنمي وتنتما

نعم هد ركن للهدى وبدى الردى ... وغيب بدر الحق فالأفق أظلما

على مثله نبكي جهاراً وخفيةً ... ونبكي على بنيان علم تهدهما

لقد قل من في الأصل يؤمن بعده ... سوى من له يعزي فهم فيه أعلما

فما كان رب المال راج لنيله ... ولا يائساً مما قضى متظلماً

إذا جلسا حفتهما منه هيبةً ... فقاما بما أرضاهما من تخاصما

له نيةٌ قرت بجذر فؤاده ... فوفقه رب العباد وألهما

به قد اصيب المسلمون جميعهم ... ألا أن هذا الخطب قد صار أعظما

أولوا العلم صاروا للحوادث عرضةً ... وما ذاك إلا شؤم ذنبٍ تعظماً

إذا مات عالِمٌ مات عالَمٌ ... وأصبح نور الحق بالجهل مسهما

فيا آل آل الشيخ جدوا وجددوا ... عزائمكم واسموا كمن للعلى سما

إلى طلب العلم الذي إن سبقتم ... إليه فقد نلتم به كل مغنماً

وضيفتكم لا تتركوها فتندموا ... فمن فعل الأسباب لن يتندما

فبالدين لا بالمال قد تردك المنى ... فسحقاً لمال غبٌ مشربه ضما

وحوماً على التوحيد إذا كان عزكم ... وميراث جدٍ قد مضى فيه مقدما

فتباً لمن لا قام مثل مقامه ... مقاماً به من قام لله أكرما

فأكرم به إذ حاز كل فضيلةٍ ... حنانيك في وقتٍ به الكفر قد طما

محمد الهادي لملة أحمد ... فهذا هو الدين الذي كان قيما

إلا إن أحلى ما يقيت قلوبنا   وما كان للأرواح أهنا وأنعما
صلاة وتسليماً على خير مرسلٍ   مع الآل والأصحاب ما دامت السما

وفيها توفى الشيخ عبدالله بن خاطر قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه، وهو العالم العارف الصابر الجواد الكريم السخي ذو الفضل والمعرفة، عبدالله بن محمد بن خاطر المعروف بالدين والفضل والمنتظم في سلك أهل هذه الدعوة الوهابية النجدية مظهر التوحيد ومبيد الكفر والتنديد، كان مكرماً لحملة العلم والدين وحبر جليلاً وثقةً نبيلاً، يقصده أهل الإيمان ويألفه أهل الفضل والعرفان فيجدون عنده ما يؤملون، ويكفيك شرفاً له أن يبعث إليه الشيخ سليمان بن سحمان يطلب منه أن يطبع ردوده على أعداء الله ورسوله لما انتشر ما طبعوه في مسبة الشيخ الإمام وعلم الأعلام محمد بن عبدالوهاب، وما رموه به من الأكاذيب والترهات، وكان صندوق مالية الحكومة السعودية إذ ذاك خالياً بواسطة نفقات الحروب والغزوات، فبعث إليه يشجعه ويستنجده، علماً منه بأنه العضد الأشد في نصرة الدين ومكافحة الكفار والمنافقين، فإذا كان أولئك الزنادقة يبوحون بما لديهم من الكفريات والضلالات، وعندنا أعظم مصادمة لها وقوة ملكة وإرادة، غير أنه لا مطابع عندنا ولا نفقة للطبع، فإنا نستنجد بك يا عبدالله، ونرجوك المساعدة في نشر هذه الردود لمصادمتها خرافاتهم وتمويهاتهم.

فمن أبيات قصيدة الشيخ سلمان يمتدح المترجم ويشجعه ويسأله ما لديه في طبعها قوله:

إلا أيها الغادي على ظهر ضامر   من اليعملات الناجيات النجائب
تجوب فيافي البيد وخدا ومسئدا   ولم تكترث يوماً بطول السباسب
تحمل هداك الله مني تحيةً   هديةَ ذي ودٍ على خير صاحب
ومن قد سمت أخلاقه وصفاته   سلالة أمجاد كرام أطائب
هو الشهم عبدالله أعني ابن خاطر   حميد المساعي ذو النهى والمناقب
وأبلغه تسليماً على البعد والنوى   بعد وميض البرق جنح الغياهب

وما حن من رعد وما ذر شارق ... وما أنهل ودق من خلال السحائب
يؤرج ترب الأرض إذ فض ختمه ... عبير شذا مختومه في المقانب
وما ذاك إلا أنه ذو محبةٍ ... لأهل الهدى من عجمها والأعارب
لقد سرني ما جائني عنه من تقى ... وصحبته الأخيار من كل صاحب
وإجلاله أيـاهمو ومحبةً ... لمن دان بالإسلام أعلى المطالب
يحب لا جل الله من كان مؤمناً ... ويبغض أهل الكفر من كل ناكب
يحب لا جل الله من كان جده ... بتلك الصفات الساميات الثواقب
ومن ذا الذي فيها يسامي لقاسم ... ولكن سعت أعراقه بالمناقب
فشام الأبي الألمعي مآثراً ... وأم إلى هاماته والغوارب
رأى نصرة الإسلام حقاً وواجباً ... وقد غاضه من هاضه بالمصائب
يرد غلات مارقين أخابث ... على الشيخ شمس الدين بدر المناقب
يريدون أن يطفؤا من النور والهدى ... بأفواههم والترهات الكواذب

ثم ما رامه أعداء الشريعة من تكفير الشيخ وأتباعه، إلى أن قال:

وقد منَّ مولانا علينا برد ما ... به مو هو من مفظعات المعائب
وما أفسدوا في الأرض بالكتب التي ... أشاعوه في شرقها والمغارب
وقد طبعوا منها لعمري مطابعاً ... وزجوا بها في كل قطرٍ وجانب
فحاموا على الدين الحنيفي والهدى ... ولا تتأنوا في اكتساب الرغائب
فلا زلت بالمعروف تعرف ... ولا زلت مقصوداً لدى كل المناقب
وجو زيت من مولاك خير جزائه ... وبوأك المولى يفاع المناقب
ولا زلت مذكوراً بكل فضيلةٍ ... ويثني بها جهراً بكل المقانب

ومما قد طبعت مؤلفات الشيخ سليمان بن سحمان ولله الحمد والمنة بمطابع الهند ومصر وغيرها.

ومما قاله الشيخ حسين بن عل بن نفيسة يمتدحه في قصيدة منه هذه الأبيات:

فدع ذكر من تهوى فما أنت والهوى ... إلى ذكر من أحيا المروات والكرم
إلى عابد الله الهمام بن خاطر ... خواطره خطارةً للعلى أمم

له شطرها والناس في الشطر كلهم ... ويأخذ شطر الشطر منهم إن قسم
فلم يبق إلا الربع إن حملوا له ... فذاك والأقلة ثم ما سئم
تساماً لها طفلاً فأدرك يافعاً ... لها كلها من قبل أن يبلغ الحلم
ففاق على أقرانه بفعاله ... وأطلق كف الجود حتى بها علم
على كل حال تلفه غير طائش ... ولا فاحشاً سيان أن أثرا أو عدم
فأذكره في الفضل والبذل والندى ... وعند العدى والحرب والضرب أن ألم
إذ كان هذا فعل أبائه الأولى ... فإن الفتى في سلك آثارهم أهم
إلا أنهم فيمن مضى عرفت لهم ... فضائل أن دهر على جارهم أزم
هم الباذلون المال لله طاعةً ... وهم يوقدون النار أن أخمد البرم
على إثر أجداد على الجود حافظوا ... أبى الله أن تترك بنوهم لما رسم
ليهنيه عبدالله ما كان أهله ... من المجد والإحسان والخيم والشيم
لبيبٌ منيبٌ ماجدٌ فائق الذكا ... شمائله بين البرية لم تذم
لقد آثر التقوى فآوى أولى التقى ... وكان عن اللاواي ملاذٌ وملتزم
أبت خصلتان غير لابن محمد ... رضا الله والمعروف بالكف والقلم
تأوى له الهلاك من كل جانبٍ ... فيمطرهم من جوده وابل زدم
له علموا فاستأنفوا السير والسرى ... تراهم على الأنضا إلى قصده زيم
رجالاً وركباناً يهلون نحوه ... كما هلَّل الحجاج في الأشهر الحرم
فيجمعهم ناديه من بين مقترٍ ... وغرثى اليتامى والمخول والقدم
على قدر ما يؤتى من الله لم يكن ... منوعاً فما من فضله أحد حرم
فهيهات من يعطي الجميل تبرعاً ... سواه ولا من كان في سالف القدم
تبصرت من ينبي نباه فلم أجد ... ففضلته والشكر مني له لزم
أحابيه بالقيل الذي أنا قائل ... فهيهات أن أدرك جزاه ولو أدم
أضائق أهل العرف نشر ثنائهم ... وحسبك ما أسدى زهير إلى هرم
قصائد تتلى ليس تبلى وقد بلت ... جوائزها من مسرجات ومن نعم

فـإن عشـت لا أنسـاه في كـل محفـلٍ	إذا كـان نشـر الثنـا خـير مـا غـنم
بنشر يضيق الحصر عن حصر بعضـه	ونظم مدى الأيـام مهمـا لـي انـتظم
وإن كنت في الإنشاد لست كمـن مضـى	فكـم مـن حسـام لم يغلـل في الـبهم
وكـم مـن صـموت لا يراعـا وربمـا	إذا أطربت أقوال جل الورى خصـم
وكم معرض والناس ما عنه أعرضوا	إلا إن مـن أشـررهم قـل مـن سـلم
فعش وابق عبـدالله واسـلم لنـا ودم	عن العشر مغناً والعـدوان لنـا زحـم
إلهـــي أولـــه المكـــارم والغنـــى	وسـدد وأبعـد كـل سـوء لـه يهـم

وقال أيضاً يرثاه لما قتل مظلوماً وفجأةً بيد من لا يفلح، فرثاه شاعرنا بهذه المرثية العجيبة الفصيحة التي شفت وكففت فالله المستعان:

خلى الربع من سلمى فأصبح مسفراً	وقد كـان مأنوسـاً بـه البـيض تسـمر
ليـــالي إذ ســـلمى فتـــاةٌ كأنهـــا	مـن البـان أنبـوبٌ بـه الطلـع يزهـر
وإلا مـــن اللائـــي رعـــين بـــوجرةٍ	مهـــاة دعاهـــا بالخميلـــة جـــوذر
سـقته السـواقي بعـدما كـان حقبـةً	بـــراحٌ عليـــه بالعشـــي وينشـــر
وتختلـــف الأنعـــام بـــين مروجـــة	وتدني بـه اللـذات والعـيش أخضـر
عفـــى غـــير آثـــار الجيـــاد وجـــثم	وأشـــعث مشـــجوجٌ ونـــو بـــدور
سـقى الله هاتيـك الربـوع بهـا طـل	من الدلو لا تخلو مـدى الـدهر تمطـر
عهدت بها الحـي الجميـع فأصـبحت	طيور النـوى تشـدوا بهـا ثـم تصـفر
سـليما بنـا الأحـزان لمـت فآلمـت	وهـل هـيج الأحـزان إلا التـذكر
فمالي ومـا للـهو إذ شـاب عارضـي	وعـالِ سـواد الـرأس شـيبٌ يفكـر
ذريـني ومـا قـد كـان مـني صـبابةً	وبكـى فـإن الـرزء أدهـى وأكـبر
فيالـك مـن خطـبٍ أصـم مسـامعي	وعـيني دوامـاً دمعهـا يتحـدر
كـأن فـؤادي بـين أظفـار طـائر	يمزقـه في الجـو سـاعةً يشـهر
نهـاري كليلـي بـل ونـومي كـيقظتي	ويسـري كأعسـاري وعيشـي ممـرر
على طاهر الأثواب إذ سكن الثرى	وقـد كـان يثـري بالجزيـل ويغمـر

لأن كـان عبـدالله أودى شـبابه ... فـإن سـبيل الجـود لا شـك أوعـر
توفيـت الآمـال والعـرف بعـده ... فلـو خلـت حظـي كلمـا قـام يعثـر
أرى بعـده أن الحيـاة ذميمـةً ... وكـل جـوادٍ بعـده لـيس يـذكر
فتـى لا تخطـاه الرفـاق لغـيره ... يلاقيهمـو بالبشـر والكـون تنحـر
فتىً همه فعـل النـدى في كـل لحظةٍ ... خليـقٌ لـه مذشـب مـا عنـه يصـبر
فتىً يكسـب المعـدوم مـن حـر مالـه ... أياديـه لم تنفـك بـالجود تمطـر
فتـىً حسـنت أخلاقـه وفعالـه ... فتىً ضاحك العينين والوجـه مسـفر
فتـىً لا يبـالي أن يصـير بجسـمه ... كلـوم بيـوم الـروع والمـوت أحمـر
فتـىً لم أرى مـن يقـوم مقامـه ... إذا أزمـت غـبر السـنين وأعسـروا
فتـىً حـاز دق المكرمـات وجلـها ... فإن ذكـروا أهـل العلـى فهـو أفخر
فـإن رمتـه في الـدين فـأت نديـه ... تجد كـل مـن يـروي الحـديث ويخبر
بتعلـيم قـال الله قـال رسـوله ... ومـا قالـه الأصـحاب بعـد وكـرروا
ترى الأمهات الست مـن جـل كنـزه ... وفي كتـب الشـيخين دأبـاً يـذكر
علـى السـنة الغـرا حـريصٌ وعامـلٌ ... بمـا اسـطاع منهـا لا يمـل ويفـتر
فيبـذل للمعـروف والعـرف أمـره ... ولا يكـترث بالنـاس إن كـان غـيروا
فكـم منكـرٍ أردى وكـم بدعـةٍ محـا ... حكـيمٌ علـيمٌ بالـذي فيـه يـأمر
وكـم جمـع الإخـوان في وسـط داره ... على كل ما تهـوي النفـوس وتشـكر
علـى جفـنٍ مثـل الجـوابي ينوبهـا ... وفـودٌ لهـم كـل يـومٍ تحضـر
يصـلي كـثير الليـل لله لم يـزل ... سـؤلاً لـه حتـى إذا النـاس أسـفروا
دعى للنـدى الـداعي بصـوت تجيبـه ... مسـاكين والغرثـى لديـه تخـبر
فـيطعمهم يرجـى مـن الله بـره ... بيـومٍ بـه كـل الصـحائف تنشـر
وإن رمتـه في الحـرب فهـو ضـرامها ... إذا أكلحـت أنيابهـا فهـو مسـعر
لـه تشـهد الخيـل الكمـأة مـع القنـا ... ويشـهد حـين الكـر بـدو وحضـر
فمـا أسـد تخشـى الضـراغم بأسـه ... لـه أشـبلٌ يسـعى لهـا ويبكـر

فيصطاد أبطال الرجال يقيتها ... بلحمهم تغذي صغاراً فتكبر
ترى الناس قد هابوا حماه مخافةً ... فمن يمشي في واديه فهو مخطر
باظفر منه حين يلتحم الوغى ... وتزفر أحقاد الصدور وتظهر
نثيلٌ على الأعداء وغيثٌ على الندى ... كريمٌ إذا أسدى وصلوا بيسر
فمن بقطيرٍ مثله غير جده ... يلي خاله الأدنى كريمٌ يفخر
أولئك عبدالله والشيخ قاسم ... وفضلهما بين البرية أشهر
فذكرهما بالجود فرض وسنَّة ... على كل من يروي القريض ويشعر
تسامى لما قد عرفاه من العلى ... فما زال للنفس العزيزة يصغر
تقضي زمان الوصل وانعكس الذي ... نريد فهل ابن المطايا تنحر
وولت سويعات السرور وأبعدت ... عسى الله للمكسور بالوصل يجبر
فمن مثله للوافدين مؤملٍ ... إذا أجدبت أوطانهم ثم أعسروا
لقد كان للدهر المربد أعيناً ... فلما تولى أصبح الدهر يعثر
فيا آل مرٍ مرر الله عيشكم ... وأسكنكم في الحشر ناراً تسعر
ويا آل نوطان تناطون بالبلى ... وتقهركم أعدائكم ثم تجزر
قتلتم كريم الجد والخال سيد ... منيع ذمار الحي والنقع أكدر
فيا أخوا عبدالإله إلا اصبرا ... ولا تجزعاً مما أراد المقدر
فهذا سبيل الناس للموت والبلى ... ولو مدت الآجال لا بد يقبر
فقد كان عبدالله أردى قرينه ... غشاه نجيعٌ بالجراحة أحمر
ولكن أحب الله لقياه إنه ... حبيبٌ له فاشتاق منه التبكر
وفضله منه بخير شهادةٍ ... كما فضل الأخيار قبل وحبروا
فأين أبو حفص الذي عز ديننا ... وسماه بالفاروق النبي المبشر
وأين شهيد الدار حب نبينا ... مجهزٌ جيش العسر ما ذاك ينكر
وأين الذي أردى ابن ودٍ بكفه ... علي الذي منه العلوم تفجر
وسبطا رسول الله أبناه لو يكن ... بذي الدار من يبقى لعاشوا وعمِّروا

فيـا فهـد أوصـيك بـابن محمـدٍ وأنـت لعمـري بالوصـية أجـدر
فســيرة عبـــدالله لا تتركنهـــا فإنــك إن حققتهــا ســوف تــذكر
فمــا أنـــت إلا صـــنوه وشـــقيقه واصــلكما منــه المكــارم تظهــر
فـواخ هـداة الحـق إن كنـت حازمـاً وجالسـهم واحفـظ لمـا كـان سـطرو
عـــن الله أو عمـــا قـــال رســـوله مـن الهـدي واحـذر كـل أمـرٍ يحـذر
وكـــن عـــاملاً بـــالعلم لا بجهالـــةٍ لتنجـو بيـوم الحشـر والهـول أكـبر
وأخلـص لمـولاك الـدعاء موحـداً فـإن الـذي تخفيـه يومـاً سـيظهر
ودونكهـــا يـــاابن الكـــرام خريـــدةً سمـت مـن محـبٍ للمحاسـن ينشـر
مـن الـوطن النجـدي سـارت مجـدة إلى فهـدٍ أعـني بـن خـاطر تخطـر
فذاك الذي يقري القـرى كـل لحظـةٍ ويعطـي اللـهي قبـل السـؤال فيكثـر
وأزكـــى صـــلاة الله ثـــم ســـلامه على المصطفى والصحب ما انشق نير

ومن أبيات للشيخ سليمان بن سحمان يرثاه بلَّ الله ثراه بوابل الغفران وأسكنه بفضله فسيح الجنان:

يـا عـين جـودي بـدمعٍ هـامعٍ هـامٍ علـى الأغـر الأبـي الفاضـل السام
لا تسأمي أن تريقي الـدمع عـن كثـب علـى الـدوام بـدمعٍ منـك سـجام
على الـوفي الصـفي اللـوذعي ومـن بالدين يسـمو عـن الأدنـاس والـذام
أخـي المكـارم عبـدالله مـن حسـنت في المســـلمين لــــه آثـــار إنعـــام
لله مـــن المعـــي فاضـــلٌ ورع مهـــذبٌ أريحـــيٌ ذي تقـــى ســـام
أبكيـــه لمـــا أتانـــا نعيـــه حزنـــاً يا لهف نفسي علـى ذي العفـة الحـام
حــامي الــذمار إذا مــا أزمــةٌ أزمــت لله درك مـــن حـــامٍ ومقـــدام
يا لهف نفسي علـى مـن كـان همتـه في الـدين سـاميةً عـن زهـو أوهـام
مجاهـــداً جاهـــداً فيمـــا يقربـــه مـــن الإلـــه بـــإخلاصٍ وإعظـــام
وبــذل جــودٍ وإحســانٍ ومكرمــةٍ قــد كــان ذلــك منــه منــذ أعــوام
يغـــار لله أن تـــؤتي محارمـــه لا يخشـى في ذاك مـن لومـات لـوام

يحب في الله أهل الدين مرتجياً فضلاً من الله من جودٍ وإكرام
وإن عرى الدين ثلم قام منتصراً في قمع كل مجدٍ فيه أوحام
حوى المكارم عن جد أخي ثقةٍ وعن مكارم أخوالٍ وأعمام
ما كان في قطر من فضلٍ منقبةٍ إلا وقاسم فيها القادم السام
حامي على الدين حتى اعتز جانبه لله درك من حامٍ لإسلام
يا لهف نفسي وواحزني ووا أسفا على الزكي الرضي المنهل الطام
مضى شهيداً وحيداً في مكارمه لله درك من حامٍ وضرغام
لما أتاه الأعادي قاصدين له لم يثنه الخصم عن وردٍ وإقدام
ولا استكان لدى الأوباش عن رهقٍ منهم هنا لك عن ذلٍ وإحجام
لكن رماهم فأودى من رماه وقد لاقى المنون ولاقى ضرب مقدام
فليبكه كل ذي دينٍ ومكرمةٍ على الدوام بدمعٍ هامعٍ هام
إذ كان ذا طاعةٍ لله مجتهداً براً وصولاً لأيتامٍ وأرحام
وكان ذا عفةٍ عن كل مظلمةٍ وكل فاحشةٍ تدعو لآثام
مصاحباً لذوي التقوى ويأ لفهم مجانباً لذوي الآثام والذام
فقل لقاتله بغياً وعن أشر لا زلت ما عشت في ذلٍ وأسقام
لا زلت أن مت في مسجورٍ لاظيةٍ من السعير وفي محمومها الحام

وفيها عزل الشيخ عبدالعزيز بن بشر عن قضاء بريدة وجعل في قضائها فضيلة الشيخ عبدالله بن الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وسبب ذلك أنه لما كان الشيخ عمر بن سليم إماماً في مسجد من مساجد بريدة التفت عليه خلائق يطلبون العلم وأصبح ذلك المسجد روضة من رياض الجنة ينتابه البعيد والقريب فوشى به أعداؤه إلى القالضي قائلين أنه لا يمكن تدريس في المسجد الجامع ما دام ابن سليم بهذه الصفة عكف عليه الطلاب من كل جانب واتخذوك ظهرياً فتحركت جارحة الحسد منه وجعل رحمه الله يسعى ضد الشيخ عمر حتى ألجأه إلى أن يجلس إليه يطلب العلم فجلس الشيخ بين يديه يدرس في أعلام

الموقعين لابن القيم، ولما تنجل هذه الوحشة بل دام المقام متوتراً، جاء الشيخ عمر إلى الأمير عبدالله بن جلوى حال كونه في إمارة القصيم، وطلب منه أن يسمح له بالذهاب إلى النبهانية يقيم فيها لأن الأحوال اضطرته إلى ذلك، فطمأنه الأمير عبدالله وطلب منه أن يتريث حتى يتمكن من مراجعة الحاكم عبدالعزيز بن عبدالرحمن وكان الشيخ قد أتى إلى الأمير بجملة بعثها إليه القاضي ابن بشر فيها توجيهات وتأنيبات له.

وكان صاحب السمو الأمير عبدالله رجلاً فصيحاً حكيماً سياسياً يقدر أهل العلم ويعرف لهم مواقفهم فاستقرأها حتى أتى على آخرها، ثم أنه بعثها إلى صاحب الجلالة في الرياض، وما كاد السلطان عبدالعزيز يعلم بموضوعها حتى دعا بخادم له يدعى أبا ردن، وأمره يذهب من فوره غداة يوم السبت فيقدم إلى بريدة يوم الخميس فيعزل عبدالعزيز بن بشر ويجعل ناصر بن سليمان بن سيف إماماً في المسجد الجامع حتى يقدم من بلد البكيرية فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم فيتولى القضاء، فنفذت هذه التدابير بسرعة خارقة.

ولما أن قدم صباح يوم الخميس صلى فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن بشر بالمسلمين صلاة الظهر ثم ناوله أوامر السلطان وصلى في جامع بريدة صلاة العصر الشيخ ناصر بن سليمان، وبارح القاضي الإمامة والقضاء، ثم بعث الخادم إلى الشيخ في البكيرية ليباشر مهمة القضاء.

ولما تعلل الشيخ واعتذر عن القضاء بعث إليه الشيخ عبدالله بن فداء من فوره يطلب منه أن يقدم على الفور، وأن لا يقطع رجاء المسلمين الذين ما زالوا يتعطشون لتوظيفه، فقدم إلى بريدة وباشر القضاء والإمامة فيها، وكان عند حسن الظن في العدل والنزاهة والقيام بما وسد إليه من الأعمال.

وكان الشيخ عبدالله رجلاً حصيناً حليماً متواضعاً، واستمر في القضاء من هذه السنة حتى توفاه الله تعالى وسنذكر مناقبه وفضائله في سنة وفاته.

أما الشيخ ناصر بن سليمان فإليك شيئاً من ترجمته:

هو الشيخ ناصر بن سليمان ابن محمد بن سيف ولد في سنة ١٢٤٨هـ وتوفي في سنة ١٣٣٩هـ أعني بعد هذه السنة بعشر سنين عن عمر بلغ الحادية والتسعين قضاها في طلب العلم وسافر إلى الرياض مع الشيخين محمد بن عبدالله بن سليم ومحمد بن عمر بن سليم؛ وأخذ العلم عن مفتي الديار النجدية الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين، وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن وأخذ عن ابنه الشيخ عبداللطيف.

وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن بشر وجلس للطلاب يقرئهم القرآن ويعلمهم مبادئ العقيدة السلفية في مدرسة والده سليمان بن محمد بن سيف ونفع الله به أولاد أهالي بريدة، وكان محبوباً لدى مواطنيه لا يقضون أمراً دونه وكثيراً ما يكتب العقود الشرعية من وقف وهبة ووثائق شرعية بخطه الجميل، مما يدل دلالة واضحة على مركزه الاجتماعي والثقافي.

وكان رحمه الله حافظاً للقرآن ومن القراء المعدودين يقرأ عن ظهر قلب وبسرعة فائقة مع عدم الإخلال في القراءة وكان إماماً لمسجده الذي يطلق عليه اسمه حتى الآن ويوجد قرب السوق الداخلي، وكان يصلي التراويح وقيام رمضان إماماً بقراءة مجودة عن ظهر قلب، واستمر في إمامة المسجد حتى أقعده الكبر والمرض.

وكان رحمه الله يجيد فن تجليد الكتب ويحترف هذه المهنة مما ساعده على مواصلة طلب العلم ولازم الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم حال كونه قاضياً في بريدة ويكتب بين يديه حتى اسمته العامة «زابن الدراجة» في ذلك الوقت، وخلف خمسة بنين سليمان؛ وعبدالله، وصالح، وعلي، ومحمد، وثلاث بنات.

أخبار زاهد

كان الزاهد عبدالكريم الدرويش مشهوراً في ذلك الزمان، وكان عابداً تضرب الأمثال بتوكله وله شهرة وقبول.

فمن أخباره التي تدل على توفيقه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وما يقع فيه

من الأهوال الصعبة فيدافع الله عنه، وقديماً ما جرى من ألطاف بأهل الذين يريدون وجهه، كما قال تعالى في محكم كلامه البليغ الوجيز: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠].

من ذلك أنه أهدى إليه مرةً صاعاً برطب فأمر أهله أن يصنعوا من ذلك عشاء ويتصدقوا بالبقية، فشح أهله وادخروها لغد، فلما كان من المساء فتش في البيت فأخرج ما بقي وألقاه في الشارع بكيسه لمن وجده قائلاً لم تدخرون لغد ورزق غد على الله، وكان قد أخذ على أهله أن لا يدخروا لغد.

ومرَّ به إنسان يركض ويقول: من حفظ المطية، فاستوقفه الدرويش وقال له: أنا، ففرح بذلك صاحبها وجعل يدعو له، فأوقفه على نعش في المسجد وقال: هذا المطية، إشارةً أنه يحمل عليه الموتى، وهو مطية من مشي على الأرض إلى القبور.

ومرَّ رحمه الله على شيخ يسني ويغني فوقف عليه وقال: عياذاً بالله شيخٌ كبير وتغني، وقام عليه بالعصى فطفق يضربه ضرباً عنيفاً، ثم ذهب بعد ذلك ومعه رفيق له إلى المسجد ليصليا، فجاء ابن المعزَّر إلى أبيه بعدما وقفت السانية وأبوه قد أعظم الأمر وجعل يخبط كأنه مجنون يريد تشجيع ابنه على الانتقام من الدرويش، وبدر ابنه بقوله: أمك طالق يا ابن المرأة إن لم تقتله، فقام الشقي من فوره وأعمل البندقية وكان شاباً قوياً، فأنذر الدرويش وهو يصلي، فلم يتأثر وأتم صلاته ثم التفت قائلاً لصاحبه إلى جنبه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]، الله أكبر وصف الصلاة هذا والابن كالأسد يحاور أباه في قتله، فلما سلم الدرويش إذا به قد أعمل الفتيلة وأقبل نحوهما، فقال له صاحبه: يا عبدالكريم أطلق رجليك فإن الرجل أقبل مسرعاً يريد قتلك، فالتفت إليه وهو يقول: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧]، الله أكبر وصف للصلاة فإذا بالأب يدعو ابنه قائلاً: يا محمد زال الرشا عن البكرة عدله يا محمد وامض لشغلك، فرجع الابن لهذه المهمة لأن لا ينقطع ظهر البعير، ولما أن رقى يريد تركيب الرشا وصعد فوق قرون البئر وأبوه ينتظره انطبقت البئر عليه من أقصى جهاتها فكانت قبراً لهما وللإبل، فما وقف لهما على خبر.

فلما سلم الدرويش، نظر إلى صاحبه وقال: احفظ الله يحفظك، أما قلت لك سيكفينا الله شرهم.

تالله إنها لحالةٌ عجيبة يجب على كل مؤرخ سطرها وإثباتها تطلعك على عناية الله بأوليائه، وأنه الثائر لهم، ومن عاداهم فقد بارز الله بالمحاربة، ومن حارب الله غلب وخذل، فانظر إلى تلك الخارقة وتلك الثقة التي صدرت عن قوة إيمان وصدق توكل، وما أحسن ما قال بعضهم:

ما بال دينك ترضى أن تدنسه	وأن ثوبك مغسولٌ من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها	إن السفينة لا تجري على اليبس

ودعا مرةً رجلاً من أهل الديانة فقال له: أتحسن الكتابة يا أخي؟ فاستحيا منه بأنه يكتب فقال: له أئتني بدواة وورقة فاتا بهما فقال: اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالكريم الخراساني إلى عبدالعزيز بن متعب بن رشيد، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص:٤١-٤٢]، وجعله في ظرف وبعث به إليه.

وبعث إليه عشرين ريالاً بعض أمراء القصيم، وقال للخادم قل له يستعين بها على بعض مؤنه الدنا فإنها من عون العبد لأخيه، وهذا الأمير هو عبدالله بن جلوي فلما أن وردت عليه أخذ منها ريالاً واشترى به نعلاً لابنه وبعث ببقيتها إلى الأمير مع الخادم، وقال له: قل للأمير أني أخذت لابني ريالاً وهذه بقيتها جعله الله يكوى بها في نار جهنم، يأخذون الأموال ظلماً ويتجملون بها، قل له يردها على أربابها الذين أخذها منهم.

ولما رجع بها الرسول إلى الأمير سأله ما الذي منعه من أخذها وبأي شيء أجاب؟ وقال يا سيدي: إنه ردها ولا حاجة إلى ذكر هذيانه، فألجأه إلى أن يخبره بكلامه، فلما أخبره جعل ردائه على فمه وضحك ضحكاً شديداً وجعل يفكر في مقالته.

وأهدي إليه مرة منيحة شاة، فذهب يوماً ليأتي بها مساء من السرح ففاته صلاة المغرب جماعة، فلما صلى أخذ برقبتها وأخرجها عن بيته يصفعها ويقول لست بمنيحة، أنت شطيان، ألهيتني عن عبادة ربي.

وبعث إليه أمير قريته بتوعده ويظطره إلى أن يبارح القرية، وقال في تهديده له: إن أصبح قتلته، فلبس أكفاناً وبات يدعو الله أن يهلكه، فلما أن كان من آخر الليل سقطت على الأمير غرفته فمات تحتها.

إلى غير ذلك من الكرامات والأفعال التي يجب أن تجمل بها الصحف ويسمر بها، فرحمة الله عليه، عبر الدنيا وما عمرها، وما هي إلا ساعة صبروا فيها على النكد فأعقبت لهم الراحة التامة والذكر الحسن.

ذكر نهاية أمر الشيخ إبراهيم بن جاسر

فنقول: كان هذا قد جرى بينه وبين آل سليم مخالفات ومناقشات تستغرق بسطاً طويلاً نذكره في غير هذا الموضع لأسباب، لكننا نشير هنا إشارةً لطيفة، فإن الشيخ إبراهيم كان في باديء أمره تلميذاً لآل سليم، ثم خالف عليه جماعة من العلماء في مسائل ، فشن عليه المخالفون غارتهم وأجلبوا عليه، ولسوء الحظ لم توفق المشكلة لحسن حل ، وآل أمر هذا الخلاف والشقاق إلى فتن ومحن يمتد لهيبها على عنان السماء تارةً، وتارةً تهمد رماداً، وما زال منذ أيام الأمير حسن بن مهنا حتى غاية هذه السنة وهو مصرّ على رأيه ، وله أتباع يؤيدون مذهبه ويشدون أزره.

غير أنه لما تبدأ طالع آل سعود حماة الدين ونصرة الشريعة، ضعف شأنه وانقشعت غمامة هذا الخلاف، وجمع الله المسلمين على يدي صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل، قام الشيخ المذكور يظهر الموافقة، وكان قد تولى قضاء عنيزة في آخر ولاية عبدالعزيز بن متعب، وتولى قضاء بريدة في أيام محمد أبي الخيل، ولا ريب أن تلك الأمراء يقدمونه وينتصرون لمقالاته، أضف إلى ذلك أنه كان متواضعاً وذا عطفٍ على الفقير والمحتاج مع سخاء وكرم يتصدق بما يجد

ويواسي وإن كان عن قلة، وكان سريع الانفعال كثير التقلب لا يبالي بالنظر في العواقب، وقد أقلع عن مقالته غير مرة ثم رجع إليها.

ومن تقلبه أنه مرَّ في مجلس تدريسه في المسجد الجامع في بريدة، ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأغلظ القول في ذلك، وأن القائمين به مقصرون، ثم إنه رفع يديه وهو يدرس فقال: اللهم فلاناً لكبير الأمر بالمعروف في بريدة، وجعل يكرر لعنه بين الحاضرين، كما أهمل أمرك يا ربنا ونهيك، فلما خرج الشيخ بعد التدريس التقى بهذا الرجل كأن لم يكن بدر منه شيء، غير أن ذلك قد امتلأ حقداً من كلامه فيه وجرى بينهما ما يستحيا من ذكره.

وكان المترجم له عشيرة وأصحاب يأخذون برأيه ويعملون بقوله ويعجبون بتوجيهاته، ثم إنه دعا به ابن سعود إليه وأشار له بأن أهل حائل يريدون قاضياً، وأنه يجمل به أن يذهب لسد ذلك الفراغ، وألزم عليه أن يسير إلى تلك الجهات، فأجمع أمره وسار على مضض يريد بلاد حائل، ومنها سار إلى الكويت فتوفاه الله بها، فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٣٠هـ

استهلت هذه السنة والأحوال في الدولة العثمانية مائجة مضطربة، وقد شددت أيطاليا على اليمن وطأتها وضيقت المنافذ، ولم تفد تجهيزات الحسين الشريف لإخماد الثورات هناك شيئاً.

ذكر مطلب الوحدة العربية

قد أسلفنا ذكر الانقلاب في الدولة العثمانية، وذلك بعدما خلع السلطان عبدالحميد افترقت الأتراك، فخبطت حكومة الاتحاد خبط عشواء وتلطخت أيدي زعمائها بدم الأبرياء، فنفرت منها كل العناصر من غيرهم، فلأجل ذلك أخذ كثير من أهل الغيرة والحمية تفكر ملياً فيما عليه سلاطين آل عثمان وما ستؤول إليه

الدولة العثمانية إذا هي بقيت على هذه السياسة، وإنه لا شك أن أجلها قريب وأنها تحفر قبرها لترقد فيه رقدةً أبديةً، وإن تلك الأملاك والولايات لا بد أن تؤول حينئذٍ إلى الدول الغربية المتربصة لتلك الرقدة، فرأوا من الواجب والنصح للشرق والعرب والإسلام أن يعملوا على تلافي هذا الخطر جهد الطاقة، فأسسوا الجماعات وأصدروا الصحف والمجلات والكتب في نصح السلاطين ومن التف حولهم، وتحذرهم من عاقبة هذه السياسة.

ولسوء الحظ لم يكن جزاؤهم إلا غيابات السجن بعد تعطيل صحفهم ومصادرة كتبهم، فرأوا أن الداء قد استحكم وأنه لا مفر من موت هذه الدولة العلية، فلا بد من العمل على إنقاذ الإسلام والعرب بطريقة تجعلها في مأمن من التأثر بهذه العاقة، وبجانب هذه الفكرة رأى جماعة آخرون العمل على إحياء هذه الفكرة الطورانية لأن تعلق تركيا يغير عنصرها الطوراني من العربي والفارسي وغيرهما هو الذي أنهك قواها وأضعف قوتها، وجد كلٌ في سبيل العمل إلى تلك الخطة، لأن الدولة الأجنبية لا تزهد في موت العرب والإسلام بذهاب الدولة العثمانية، ولكنه مع ذلك لم يحصل الناصحون على شيء، بل ولا ظفرت الحكومة من أمانيها بشيء، بل انتصرت عليها إيطاليا وذهبت طرابلس الغرب، وحصل غير ذلك من الحروب السياسية العظيمة في الخفاء توقد نارها إنكلترا وفرنسا وغيرهما من الدول التي تعلم حقيقة ما عليه الدولة العثمانية، فتريد التهامها وتقسيم تراثها.

وقد كان أمراء العرب الكبار ظلوا على الحياد في تلك الحرب ما عدا الإدريسي، فإنه حالف الأجانب على الأتراك، وما عدى الشريف حسين، فإنه حليف الدولة، وكان الإمام يحيى مع أنه عدو الإدريسي ظلَّ ساكناً، فلم يغنم الفرصة للفتك بالأدارسة وأتباعهم، ولكنه أعلم الدولة بإخلاصه لها وإنه يأذن لعسكرها أن تجتاز بلاده لتسقط على الإدريسي من الجبال فتجتز شأفنه بجذافيرها.

فعند ذلك طلبت حكومة الأتحاديين المساعدة من ابن سعود، وتعهدت أن تقوم

له بكل ما يحتاج إليه من السلاح والذخيرة والمال، فمالي الطلب بل كتب إليهم كتاباً يقول فيه: إني عربي فلا أحارب العرب لأجل الدولة ورضاها وإني والإدريسي لعلى ولاء، والبلاد بعدية عنه أيضاً فلا يتمكن ابن سعود من محاربة أهلها، فاعادت الحكومة الطلب وإنهم يريدون أن يخص الإحساء بعسكر عربي لحماية تلك الناحية، فرفض عبدالعزيز، ذلك ثم كتب إليه والي البصرة سليمان شفيق كمال باشا يسأله رأيه في أمراء العرب وشقاقهم وخروج بعضهم على الحكومة العثمانية، فكتب عبدالعزيز إليه كتاباً، وإنه يفكر في الوحدة العربية منذ حين، وهذا صورة كتابه إلى والي البصرة، قال بعد البسملة:

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى سليمان شفيق إنكم لم تحسنوا إلى العرب ولا عاملتموهم في الأقل بالعدل وأنا أعلم أن استشارتكم إياي إنما هي وسيلة استطلاع لتعلموا ما انطوت عليه مقاصدي، وهاكم رأيي ولكم أن تؤولوه كما تشاؤون، إنكم أنت المسؤولون عما في العرب من شقاق فقد اكتفيتم بأن تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك، وقد فاتكم أن الراعي مسؤول عن رعيته وقد فاتكم أن صاحب السيادة لا يستقيم أمره إلا بالعدل والإحسان، وقد فاتكم أن العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون إذا خسروا كل ما لديهم وسلمت كرامتهم، أردتم أن تحكموا العرب فتقضون إربكم منهم فلم تتوفقوا إلى شيء من هذا وذاك، لم تنفعوهم ولا نفعتم أنفسكم، وفي كل حال أنتم اليوم في حاجة إلى راحة البال لتتمكنوا من النظر الصائب في أموركم الجوهرية.

أما ما يختص منها بالعرب فإليكم رأيي فيه: «إني أرى أن تدعوا رؤساء العرب كلهم كبيرهم وصغيرهم إلى مؤتمر يعقد في بلد الأسيادة ولا نفوذ فيه للحكومة العثمانية لتكون لهم حرية المذاكرة والغرض من هذا المؤتمر التعارف والتآلف، ثم تقرير أحد أمرين، أما أن تكون البلاد العربية كتلة سياسية واحدة يرأسها حاكم واحد، وأما أن تقسموها إلى ولايات فتحددون حدودها وتقيمون على رأس كل ولاية رجلاً كفواً من كل الوجوه، وتربطونها بعضها ببعض بما هو عام مشترك من

المصالح والمؤسسات، وينبغي أن تكون هذه الولايات مستقلة استقلال إدارياً وتكونوا أنتم المشرفين عليها، فإذا تم ذلك فعلى كل أمير عربي أو رئيس ولاية أن يتعهد بأن يعضد زملائه ويكون وإياهم يداً واحدة على كل من تجاوز حدوده أو أخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم» هذه هي الطريقة التي تستقيم فيها مصالحكم ومصالح العرب ويكون فيها الضربة القاضية على أعدائكم.

فلما أن بلغ ذلك والي البصرة استحسن هذا الرأي وأرسل به إلى الأستانة، ولكنه لم يستحسنه أولوا الأمر هناك بل سفهوه قائلين: يريد ابن سعود أن تجمع الكلمة بواسطتنا ولخير نفسه، وكانت سياستهم مبنية على ظنهم، فشرعوا يقاومون فكرة الوحدة سراً وعلناً بمساعدة عمالهم مباشرةً وبواسطة بعض أمراء العرب، وقد كان يومئذٍ جمال باشا السفاح في بغداد والشريف حسين في مكة، وابن رشيد في حائل، وكل هؤلاء يسمعون كلمة الأستانة ويطيعون، فطفق الشريف حسين بن علي يحرض القبائل على ابن سعود كعتيبة وغيرها، ولا بد أن نذكر عداء الحسين الشريف لعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود، فإنه قام في هذه السنة يسعى ضد ابن سعود، وذلك لما يكنّه من العداء المتأصل لأهل نجد.

وفيها وفاة الشيخ حمد بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى وهذه ترجمته:

هو العالم العلامة الفقيه الزاهد المذكر العابد الشهم النبيه، الشيخ حمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن حمد بن علي بن سلامة بن عمران العوسجي البدراني الدوسري، ولد في سنة ١٢٤٥هـ في بلدة ثادق، وأخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وابنه الشيخ عبداللطيف، والشيخ محمد بن مقرن، والشيخ عبدالعزيز بن حسن، والشيخ عبدالرحمن بن عدوان، وأخذ الفرائض عن الشيخ عبدالعزيز بن شلوان وغيرهم.

وكان بارعاً في جميع الفنون ويقظاً، قليل المثل في الشهامة والذكاء والديانة والعبادة كثير الخير، له قدم راسخ في العلوم الشرعية والفتيا، وله وقع في النفوس، وكان دمث الأخلاق قوي الجأش آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ولي قضاء

ناحية سدير في ولاية الإمام فيصل بن تركي وابنه عبدالله، ثم كان قاضياً في الوشم، ثم كان قاضياً في بلدان المحمل بعد الشيخ عبدالعزيز بن حسن، وله أجوبة سديدة ونصائح مفيدة ومجالس في التدريس، أخذ عنه العلم ابنه محمد وغيره من سائر بلدان المحمل، وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة رحمه الله تعالى.

وممن توفى فيها من الأعيان الشيخ صالح السالم رحمه الله تعالى وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم الفاضل المحقق، ذو العلوم الربانية والمنح المرضية صالح بن سالم آل بنيان تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته، وقد نظم بعض المحبين وفاته بقوله:

وقد كان في يوم الربوع وفاته	لتسعٍ مضت من بعد تسعٍ لياليا
وفي صفر عام الثلاثين قبلها	ثلاث مئين بعد ألفٍ لباغيا

أي في اليوم التاسع من شهر صفر من هذه السنة كان المترجم رحمه الله تعالى من أهل العلم في بلدة حائل، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف لما زار الشيخ بلدة حائل بدعوة من الحاكم محمد بن عبدالله بن رشيد لأنه كان قبل ذلك كاتباً للمذكور، ثم إنه استمسك بغرز الشيخ عبدالله بن عبداللطيف في حال إقامته لديهم، وسافر إليه في بلدة الرياض ولازمه وأكثر الأخذ عنه وترك أعمال ابن رشيد، وما زال يأخذ عن مشايخ هذه الدعوة مثل الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، ومن على طريقته حتى كان من أكبر الدعاة للتوحيد وأعظم المنتصرين للحق وأهل، يجاهد أهل الباطل بلسانه وحجته، وله جملة قصائد تدل على تمسكه بالدين والعيب على من خالفه.

فمن ذلك قصيدته الدالية المشهورة، ومنها قصيدة نونية في الرد على من حسن طريقه دحلان وشيعته، ومنها قصيدة رائية في فضل الغرباء الذين طوبى لهم من أبياتها قوله:

وأصبح ذو الإيمان فيهم كقابضٍ	على الجمر أو في الجنب صلي المجامر
وما زادهم إلا ثباتاً مع الرضا	بقلب سليم للمهيمن شاكر

فأكرم بهم من عصبة الحق إنهم ... لحفظ نصوص الدين أهل تناصر
إذا ما بدا نص الكتاب وسنةً ... تنادوا عباد الله هل من مثابر
وعضوا عليها بالنواجذ فاهتدوا ... وما رغبوا لخرص الخواطر

إلى آخرها وهي عظيمة حسنة، وله قصيدة نونية في تشجيع سليمان بن سحمان في ردوده على أهل الزيغ والنفاق من أبياتها قوله:

فالله يجزيك الذي ترضى به ... من جنة المأوى مع الرضوان
ويؤيد الإسلام دهراً طائلاً ... ببقائك فينا أخا العرفان
وكذا يسرك أن رأيت موسداً ... قرباً وقد أدرجت في الأكفان
فلقد أتى والله كل منافقٍ ... بقوارعٍ زادت على الحسبان
فقعدوا يصدون العباد عن الذي ... خلقوا له من طاعة الرحمان

وأثنى عليه العلماء وامتدحوه بما كان عليه من الثبات ودافعوا عن عرضه مسبة كل منافق ومعاند، فنسأل الله تعالى أن يرفع درجاته في الآخرة ويسبغ عليه هناك نعمه الباطنة والظاهرة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ذكر العداء بين الشريف حسين وابن سعود

وآمال الشريف وما انطوى عليه، نسأل الله العافية، ما زال الخلاف يشتد بين الأشراف وآل سعود حتى تولى الحسين بن علي إمارة مكة، فاستبشر العرب بعهدٍ جديد كما يتبادر من كبراء الحجاز، ولكن الرجل كان يحلم بآماله حتى أنه وقف في وجه جميع الإصلاحات التي كان يريد الأتحاديون القيام بها في الحجاز لأنه رأى من خلالها تقوية نفوذ الأتراك وشلّ يده عن العمل في الحجاز، فعرقل مد سكة حديد بين جدة ومكة، كما عرقل مد طريق مكة والطائف من جهة جبلى كرى، ولو تتبع الحسين خطته الأولى لنجح في أعماله، غير أنه طمح إلى مقاصد كبرى بمحاربة أمراء العرب والاستخفاف بهم وعدم تقديره إياهم التقدير الصحيح، فضاعت عليه الفرصة وتعرقلت أعماله التي طمح إليها ولم يأخذ الأمر بالإناءة والصبر، وكان أول خصم يهمه هو ابن سعود.

هذا مع أن ابن سعود ما زال يتودد إلى الحسين ويرسل إليه رسائل التفخيم والتبجيل، كما كتب إليه في ١٨ من رمضان سنة ١٢٢٨هـ كتاباً قال فيه: حضرة جناب الأجل الأفخم يمين الشيم أمير مكة المكرم سيدنا الشريف حسين باشا ابن السيد علي دام مجده وعلاه أمين، وأطال في تفخيم الحسين، إلى أن قال وأمرك علينا تام على كل حال، ثم قال ذلك والولد برسم الخدمة، ولما ختمه أمضى عن نفسه خادم الدولة المملكة والوطن أمير نجد رئيس عشائرها عبدالعزيز السعود، وأهدى مع الكتاب إليه جياد الخيل.

وكتب بعده كتاباً في تاريخ ١٥ شوال منها إليه أطال فيه بالتمجيد، ووضع نفسه كخادم بين يدي الحسين، ومن ألفاظ الكتاب «وما عرف جنابكم كان لدى ابنكم معلوم خصوصاً ما عرف جنابكم من جهة عتيبة والقصيم، وإنهم يلقون بالأكاذيب التي ليس لها حقيقة ويتظلمون عند حضرتكم، فنحن نقول عما قالوا سبحانك هذا بهتان عظيم، فأما من جهة نظركم علينا وعليهم، فهذا هو شأن مثلكم وهو مقامكم العزيز، ثم أطال إلى أن قال: فالآن ابنكم وخادمكم ومملوك فضلكم ثاني نفسه سامع مطيع لله ثم لحضرتكم، لأن واحداً من أهل القصيم أو من عتيبة يدعى علي بأدنى شيء من الظلم، فكما تأمرون أفعل امتثالاً لأمر الله ثم لأمركم، وجميع ما زوروه على حضرتكم دواء الكذب المقابلة، فإن كنت المجرم فأنا تحت أمركم كما تامرون أفعل واصطبر لأدبكم، فإن كانوا هم الكاذبين وتحقق عند جنابكم ذلك فنحن قد دمحنا لهم من الزلات أكثر، وحقنا على جنابكم أن تكونوا على حذر من أقوال الغاشين للإسلام والمسلمين، وأنا والله، وبالله، وتالله إن رضاكم وامتثال خدمتكم عندي أعز من رضا عبدالرحمن وخدمته، ثم أنا معطيكم عهد الله وميثاقه أني ولدك سامع مطيع ما أخلف شوفتك في جميع أمر».

ثم أطال بالتواضع والخضوع للحسين وختم الكتاب، ثم بعث إليه بكتاب في ٢٢ من ربيع الأول من هذه السنة على هذا النمط.

وقد أوردنا ذلك ليعلم المنصف مبلغ احترام ابن سعود للحسين، وأنه لم يأل في مسالمته، فما أظنك لو اعترف الحسين لابن سعود وقدر هذه التعطفات قدرها، ولكنه طموح في مقاصده، فكان ينظر إلى ابن سعود نظر ولي الأمر إلى موظفه.

أضف إلى ذلك أن الأتراك لما خافوا من حركة الحسين وانقلابه الذي بادرتهم بوادره، عرضوا على ابن سعود إمارة مكة، فأبى وأصرّ على الرفض لأن قبوله لغرض الأتراك الذي اضطروا إليه سيجعل مركزه حرجاً، فلن يرضى الحسين بذلك، ولما كان في هذه السنة قام الحسين يشمّر الأردان وخرج من الحجاز بجيش من البدو والحضر، وكان ذلك في رجب منها فنزل الكويعية محلة عتيبة وبلادهم، وقد قدمنا أن أخا جلالة الملك سعد بن عبدالرحمن جاء يستنجد عتيبة، فلما أن قرب منها خرج إليه من الكويعية شرذمة من خيالة عتيبة فظنهم جاءوا يلاقونه ويرحبون، ولكنه عندما دنوا منه إذا لم يكن معه غير أربعين رجلاً، فركب وعشرةً منهم الخيل وقفلوا راجعين، وذلك أنه استراب منهم فلحقتهم عتيبة يؤمنونهم قائلين: نحن خدامكم فقوا ولا تخافوا فصدقهم سعد، وما أشار عليه رجاله بالثقة بأولئك وحذره فوقف وأخذه بنو عتيبة وصادوه، ثم بعثوا به أسيراً إلى الشريف حسين، ولما بلغ عبدالعزيز هذا الخبر وكان قد تأهب لمحاربة العرائف بالحريق، فعندها ترك أربعمائة من رجاله بقيادة فهد بن معمر في الخرج وكرَّ راجعاً يستنند أهل نجد لينقذ أخاه.

أما الشريف فبعد أن أسر سعداً رحل من الكويعة شمالاً فنزل الشعراء، ثم زحف من الشعراء شرقاً فنزل على ماء قريباً من الوشم، ولكنه عندما علم أن ابن سعود قد وصل بجيشه إلى ضرما ما تراجع غرباً فنزل على ماء يدعى عرجا، وأرسل يستنجد ابن رشيد، فكتب وكيل الإمارة زامل ابن سبهان إلى الأمير عبدالله بن جلوي، وكان إذ ذاك أمير القصيم يقول في كتابه أن بيننا وبين الشريف معاهدة تضطرنا إلى مساعدته، هذا وما كأنه كان بينه وبين ابن سعود، بل الصلح الذي بين ابن سعود وابن رشيد ما هو إلا قصاصة من الورق.

لقد كان الشريف ما يقصد الحرب إذ ذاك والمناورات، إنما يريد إزعاج ابن سعود وإكراهه فيما يريد، وقد كتب إليه وهو يفر ويكر من ماء إلى ماء يؤكد ذلك وقال في كتابه إذا هجمت علينا تركنا لك المعسكر والخيام وعدنا بأخيك سعد إلى مكة فيبقى عندنا إلى أن تطلب الصلح، وهذا الصلح شروطه بيد الشريف حسين.

ومن غرائب الاتفاق أن خالد بن لؤي أمير الخرمة كان يومئذٍ الواسطة بين الأثنين، وخالد هذا وأهله وإن كانوا من أشراف الحجاز فهم منذ القدم على ولاء آل سعود وظلوا متمسكين به محافظين عليه.

جاء خالد إلى عبدالعزيز بن سعود يعرض عليه شروط الشريف، ولم تكن غير شروط الدولة التذي تطلب أن يعترف بسيادتها ولو إسمياً في نجد أو في القصيم على الأقل وطلبت فوق ذلك أن يدفع ابن سعود شيئاً من المال عربون التبيعة كل سنة تالية أن الأمير مضحك عجيب ابن سعود يستدين من نسيبه ووكليه في البصرة ما يسد به حاجاته ويحيله على الدولة، والدولة تسعى بواسطة الشريف أن تدخل ابن سعود في تبعيتها فتتقاضاه بدل أن تدفع له ما كانت تدفع.

ولما جاء خالد يحمل شروط الصلح، وخالد وإن كان بدوياً فهو على شيء عظيم من الدهاء والذكاء، فلما جاء تكلم مع عبدالعزيز بهذا الكلام البديع: اسمع يا عبدالعزيز، أنا أعلمك لا غايةً للشريف سيئة، لا والله ولكنه يبغى يبيض وجهه مع الترك، فاكتب له ورقة تنفعه عند الترك ولا تضرك وأنا أتكفل برجوع سعد، وأتكفل أن الشريف لا يتدخل في أمور نجد، هذا إذا كنت لا تتجاوز الحدود، أما إذا هو اعتدى عليك فأنا خالد بن لؤي أعاهدك عهد الله عليك، فأكون معك والله كما كان آبائي مع آبائك وكما كان أجادي مع أجدادك، فقبل عبدالعزيز بتوسط خالد وكتب له قصاصة ورق تنفع الشريف عن الترك ولا تضر، كأنها فقد تعهد فيها أن تدفع بلاد نجد للدولة ستة آلاف جنيه مجيدي كل سنة، وما كانت غير قصاصة من ورق كلام الليل يمحوه النهار، وقد جاء في بعض التواريخ أن الواقعة كانت قبل هذه السنة بسنتين، والصحيح ما أثبتناه.

ذكر ما جرى من العرائف والهزازنة

قد تقدم أن أولاد سعود بن فيصل كانوا مقيمين على شق العصا كما فعلوا مع عمهم عبدالله، وكان الخلاف قد بقي في أولادهم الذين كانوا أسرى عند ابن رشيد، ولما خلصهم عبدالعزيز وحقن دمائهم كرامةً للرحم أن تقطع، وكذلك عفا عنهم فذهبوا إلى الكويت ثم رجعوا منه، ومن الإحساء كما قدمنا ونزلوا في الخرج يريدون الاستيلاء عليه، ولكنه قام عليهم القائد فهد بن معمر ومن معه وصدوهم بل طردوهم، فرحلوا إلى المقر الذي اتقدت فيه قصة آل هزان إلى جهة الحوطة والحريق.

أما الهزازنة الذين كانوا أسرى في الرياض فإنهم بعد ما أطلقهم عبدالعزيز ومن عليهم بالرجوع إلى بلادهم إكراماً لأمير قطر قاسم بن ثاني الذي توجه لهم، فحالما وصل العرائف إلى الحريق بعد طردهم من الخرج، رحب بهم الهزازة وتعاهدوا وإياهم فكانوا يداً واحدة، وقد انضم إليهم ناس أيضاً في الحوطة فمشوا معهم إلى الحريق، ثم هجموا على القصر هناك، وكان في القصر إذ ذاك سريةٌ لابن سعود فحاصروها سبعة أيام واستولوا على القصر.

فلما خلص ابن سعود أخاه سعد من الأسر وصالح الشريف، عاد من القصيم قاصداً ناحية الحريق الذي قد استولى عليه العرائف والهزازنة تلك الأيام بالغشم، وانضم معهم جمع كبير من البادية.

إن الحريق بلدة كائنة في وادي بين جبلين وليس لها غير طريق واحد، فأسرى فيه عبدالعزيز ليدخل البلدة ليلاً على حين غرة، ولكنه عند وصوله إلى قصر كان قريباً منها نزل هناك وأمر جيشه الذي لم يكن يومئذٍ غير ألف ومائتين من الحضر أن يعسكروا ويستعدوا لحصار طويل، ولكن خيالة العدو في جولة من الجولات اصطدمت بفصيلة من خيالته فكانت الشرارة التي أضرمت نار الحرب، فهجم حضر عبدالعزيز بن عبدالرحمن هجمة واحدة على الحريق ولم

يقفوا حتى استولوا عليها وعلى بلدة أخرى اسمها مفيجر، فشرد العرائف ولم يقفوا من شدتهم على الخيل حتى وصلوا إلى أهل الحوطة فالتجأوا إليهم فردوهم خائبين، فرحلوا إذ ذاك إلى الأفلاج.

وكان في السيح هناك أخوهم فيصل، وفي ليلي أحمد السديري من قبل ابن سعود، وليلي هي قاعدة الأفلاج، والسيح كانت بلدة من بلداتها فيها مياه جارية، فاحترب فيصل والأمير السديري قليلاً قبل وصول العرائف.

أما عبدالعزيز فبعد انتصاره في الحريق زحف جنوباً فنزل نعام وهي قرية في الطريق، وأراد الجيش أن يهجم على الحوطة فيكتسحها فأبى ذلك، لا أسعى في خراب بلدين من بلادي في يوم واحد سأقدم لأهل الحوطة الصلح وأعطيهم الأمان لعل الله أن يهديهم سواء السبيل، فعند ذلك ظفر أهل الحوطة بالأمان، شكراً لعالمهم ورؤسائهم الذين خرجوا إلى ابن سعود، وقد عقدوا المحارم في رقابهم، ولكن أهل الحوطة يقول فيهم بعض المؤرخين أنهم برابرة قتلة لا يضعون على الرقاب ولا يفهمون في العقاب غير السيف، ومع ذلك فقد صفح عبدالعزيز مشترطاً أن يدخل بجيشه البلد، فدخل ظافراً، ثم زحف إلى الأفلاج، وبينما هو على ماء في الطريق جاءه رسول من أميره السديري يقول: إنه حين وصول العرائف إلى السيح علم أهل البلدة بما جرى في الحريق ففروا هاربين وقد تركوا فيها أمتعتهم وأموالهم فغنمها السديري عند احتلاله تلك الناحية، ولكن سعود بن عبدالله أحد العرائف وعبدالعزيز الهزاني الذي فرَّ هارباً بعد فتنة الهزازنة الأولى ومعهم ثلاثون رجلاً هجموا على السيح بعد أن هجرها أهلها دون أن يعلموا بما جرى في الحريق فقبض السديري عليهم وألقاهم في السجن.

فلما بلغ الخبر صاحب الجلالة عبدالعزيز أطلق سراح سعود بن عبدالله وخيّره في أمرين: البقاء عنده أو الإلتحاق بإخوانه، فاختار البقاء، وهذا سعود العرافة الموجود الآن في الرياض فاستراح من الشقاق لما له من الحظ الكبير، ورحل بقية العرائف شاردين إلى مكة ولاذوا بالشريف وواحد منهم فرَّ إلى الإحساء ليستنهض البادية هناك.

وأما الهزازنة فإن عبدالعزيز بن عبدالرحمن عفا عن راشد الذي تقدم ذكره، وما زال مشمولاً بحلم عبدالعزيز أولاً وأخيراً، ثم قتل بقية المأسورين وانتقم منهم جزاءاً وفاقاً.

فيا عجباً من لئيم لا يفيد فيه الإحسان ولم يقم فيه مروءة إنسانية وشيمة عربية تأبى له أن يتصف بالغدر، إن في ذلك لعبرةً لمن يخشى، إن ابن سعود والحق يقال، قد قاسى أهوال الشدائد، وذلك لكثرة التقلب من الأعداء، فهذا ابن رشيد يعاهد ويغدر ويماطل ويخاتل، ولا قدر لعهدٍ عنده ولا كافل، وهؤلاء العرائف، والهزازنة قد ذهبوا يغدرون ويستنهضوا القبائل، وحسين الشريف يسعى في الشرور والغوائل وقد نصب له الأشراك والحبائل.

والدولة العثمانية جادة بواسطة نفوذها في الإحساء بإلقاء العداوة بين العرب، ولا تزال مصرة على أن نجداً ولاية تركية خاضعة لها بالطلب.

ومع هذا فإن صقر الجزيرة ثابت الجأش لا تزعزعه الحوادث ولا يتأثر لهذه الكوارث، وما أحسن ما قيل:

يخلـــق الله للحـــروب رجـــالاً لا يهـــابون كثـــرة الأخطـــار

وقديماً قيل إياك والسآمة في طلب الأمور فتقذفك الرجال خلف أعقابها وقد أصبح الرؤساء يوماً أحلافاً، ويوماً أعداءً، بعضهم على بعض وتفتقت الأرض بالشر، واتسع الخرق على الراقع، وأصبح أهل الجزيرة في قلق شديد.

ثم إنه سار عبدالعزيز من الأفلاج ومرَّ بقبائل من الدواسر عاصين فأدبهم، فلما بلغ الرياض استراح بها بضعة أيام، سار لمطلوبه وهو الحسا، فضرب العاصين من العجمان وأدبهم تأديباً بليغاً، ولما كان في جهة الحساء جائته الاستغاثة من مبارك بن صباح وقد أرسل وفداً هذه المرة من بلاد الكويت بكتابه إلى ولده عبدالعزيز وأرسل ذلولين، يقول في كتابه: إني مرسلٌ إليك ذلولي وقد كنت أركبها إلى الغزو وأنا الآن عاجز عن الركوب والمغازي، أنا والدك يا عبدالعزيز والذلولان اللذان شهدا الغزوات والمعارك العديدة هما لك يا ولدي وهم يطلبان منك أن

تأخذ بثأر والدك من ابن السعدون، فأجاب عبدالعزيز أن مشاكله كثيرة، عشائره متقلبة فيخشى الخيانات بعد أن اجتمع له الأمر في بلاده، وهو يضطر والحالة هذه أن يستخدم كل ما لديه من قوة في معالجة مشاكله الداخلية، ومنها في تلك الحالة مسألة تركي بن سعود العرافة الذي انحدر إلى الحساء من الخرج يستنهض العجمان كما تقدم قريباً، وقد انضم إليه آل سفران فأخذ منهم.

ولكن مباركاً أبى أن يعذر ابن سعود، ودام على الاستغاثة والتأوه، وكتب إليه مرة ثانية فقال في كتابه إلى ابن سعود: يا ولدي أنا أصيح وأناديك وأنت يا ولدي تصم أذنيك، أبمثل ذلك يعامل الوالد، أتهجرني يوم شدتي فيساعد هجرك العدو علي، اسمعني أصيح وأناديك لتفزع لوالدك وبلدك، ففزع عبدالعزيز وسمع له افستفز عشائره ملبياً ندائه، وزحف تلك المرة بجيش مؤلف من ألف وخمسمائة من الحضر وخمسة آلاف من البدو، يصحبه اثنان من أبناء الصباح وهما سليمان الحمود وعلي بن خليفة، ثم سار ينتقم لوالده من ابن سعدون وابن سويد، وأعلم ابن صباح بمسيره وأنه سينزل الحفر، ولكن العدو أثناء ذلك انقسم قسمين فاحترب أهل الظفير وأهل المنتفق بعد أن كانوا متحالفين.

وسبب ذلك العداوة التي كانت كامنة في نفوسهم، فلما علم الشيخ مبارك بما صدر بين عدويه وأن حمود بن سويط كان أميل إليه، كتب إليه يخبره أن ابن سعود زاحف إليه وحذره منه.

ثم توجه ابن سعود إلى ناحية الزبير فورد كابده ووجد هناك أغناماً كثيرة لابن سعدون فغنمها كلها، واستمر سائراً إلى صفوان فلاقاه في الطريق رسولٌ من والي البصرة ومعه وفد من أهل الزبير، فأكرموه وقدموا له الهدايا الثمينة من الحكومة ومن الأهالي، وكانوا خائفين لما جاءوا مستعطفين، فأمر ابن سعود جيوشه بأن لا يعتدوا على أحد ولا يؤذوا أحداً في أطراف الزبير والبصرة.

ثم جاءه بصفوان رسولٌ من قبل الأمير مبارك بن صباح، وهذا الرسول هو عبدالعزيز بن حسن، جاءه بمهمة جديدة، وهي أنه طلب أن يهجم على عدد من

الرعاة للغنم يوماً كانوا من رعاياه ويوماً من رعايا العراق، أريد يا عبدالعزيز أن تأخذهم وخيولهم وسلاحهم، فعلم عبدالعزيز بالأمر وهو أنه يريد بذلك أن يحرك عليه حكومة العراق إذا فعل ذلك فلم ينجح طلبه، وقفل راجعاً من صفوان إلى الكويت فرفض قومه أن يرجعوا معه وقالوا: لا ندخلها إلا محاربين، فأبى عليهم ومشوا طائعين يحفون به حتى وصلوا الجهراء فنزلوا فيها، وقد جاء مبارك ليسلم على ولده، فاعتذر عما بدا منه، وقبل عبدالعزيز العذر دون معاتبة.

ولما فرغ من أعمال مبارك وخدعه ومكره سار يقصد الحساء، وكان قد كثر فيها وفي جوارها الأشقياء، فبلغه وهو في السير أن العجمان العاصين هجموا على عرب من عربان فيصل الدويش وأخذوا عدداً كبيراً من الإبل لرجل اسمه ذو النون كان في ضيافة ابن سعود وهو من الموصل، فسارع عبدالعزيز إلى مقاتلة المعتدين، ثم جاء خبر أنهم على ماء قريب منه، فجد في طلبهم فأدركهم وأخذهم جميعاً، ثم لما علم أنهم غير المذنبين وأن هؤلاء أبرياء أعاد عليهم كل ما أخذه منهم وخلى سبيلهم.

أما المذنبون ورئيسهم تركي العرافة فكانوا قد التجأوا إلى حكومة الترك في الحساء وأخبروا الترك أن ذا النون من رعاياهم في الموصل، فأرسلت الحكومة تحتج على ابن سعود وتحذره أن يتعرض لقبيلة العجمان، فأجاب أن في تأديبهم خير للناس وللحكومة، ومع ذلك فإنه لم يستحب أن يغضب الترك في الحساء فتركهم وشأنهم.

أما الشريف حسين فإنه لا يزال جاداً في تحريض القبائل على ابن سعود وكان قد جهز جيشاً لنصرة راشد الهزاني الذي كان قد لجأ العرائف إليه فيما تقدم وسيره إلى الحريق، وأمدَّ العرائف أيضاً في محاربة نسيبهم حاكم نجد، ولما أن أرسل عبدالعزيز رسولاً إلى الشريف وهو صالح العذل ومعه هدية من الخيل بكتاب تقدم ذكر تاريخه ٢٢ ربيع الأول، واطال فيه بتمجيد الحسين، وقال في آخره: إننا نستغرب منكم هذا العمل وبيننا وبينكم معاهدة.

وكان جيش ابن سعود قد أغار على فخذ من عتيبة المتشيعة للعرائف، فغضب لذلك الشريف ورد صالح العذل خائباً ورد فوق ذلك الهدية فخرج العرائف على

ابن سعود، وقد ختمت هذه السنة بخيانة مطير ورئيسها فيصل الدويش الذي استغواه عجيمي السعدون، ولا شك أنها بمساعي الترك وذلك أنهم كانوا يناوؤن العرب وبالأخص من يحاول جمع كلمتهم وتوحيد سياستهم وهو ابن سعود.

وفيها ولد الأمير محمد بن عبدالعزيز نجل جلالة الملك وكانت ولادته في الرياض.

ثم دخلت سنة ١٣٣١هـ

ففيها فتح الإحساء وهي المخاطرة الرابعة، وذلك أن الترك لما أهمهم أمر عبدالعزيز بن عبدالرحمن جعلوا يحرضون عليه الشريف حسين بن علي وابن رشيد وابن سعدون وكذلك جعلوا يستغوون عشيرة من عشائره الكبرى وهي مطير وناهيك بالعجمان في الحساء وبحرب في أطراف الحجاز.

وكانوا لما نفضوا أيديهم من ابن رشيد جعلوا يحرضون عليه سعدون، والشريف فلما كان في ربيع الأول من هذه السنة خرج عبدالعزيز بن عبدالرحمن لما أوغرت صدره هذه الأفاعيل التي تدبرها الدولة العثمانية فأحب أن يقضي على آخر سلطة لهم في جزيرة العرب وهي الإحساء والقطيف، وأن يحكم السيف فهو الحكم الفيصل، فصمم ابن سعود على أخذ الإحساء واستعادة تراثه القديم وحسم مواد ذلك النفوذ العثماني المرتكز في الإحساء، فسار حتى نزل على الخفس وأقام عليه بقية الشهر وأغار أثناء ذلك على عربان بن مرة مذنبين، فأخذ مواشيهم، على أن الغرض من هذه الإغارة لم يكن محصوراً بظاهره، ثم تقدم بعد ذلك إلى الإحساء فأرسل الأتراك عند ذلك يستطلعون خبره، وقصده فقال قصدي الامتياز شراء الأمتعة والزاد.

ثم عاد إلى الرياض تاركاً عسكره على الخفس، وفي ذلك الحين وصل إلى عاصمة نجد رجل إنكليزي اسمه «ليتشمن» قادماً من الشام بطريق الجو فسأله ابن سعود ما القصد في سياحتك فأجاب قائلاً: إني جغرافي وأريد أن تساعدني لاجتاز الربع الخالي من واحة بيرين إلى عمان، فقال له عبدالعزيز: إن قدومك على هذا

الوجه خطأً فلا علم لنا به وليس معك توصيةً من الحكومة البريطانية، فقال: «ليتشمن» إني رجل إنكليزي طالب علم وأنتم مشهورون بإكرامكم الإنكليز خصوصاً العلماء منهم، فلم يتأكد عبدالعزيز حقيقة ما ادعاه الرجل، بل ظن أنه يتجسس للترك، فيما أنه كان قد عزم على الهجوم في الإحساء، وقد خامر الترك بعض الريب في أمره رأى أن يستخدم هذا الجغرافي لإزالة ذلك الريب فيطمئن من الخصم البال ويسير وهو مطمئناً أيضاً إلى غرضه، فقال له: لا يستطيع أن يجيب طلبك غير الترك في الحسا، فأرى أن نذهب إلى المتصرف هناك وأنا أكتب إليه بخصوصك، وكتب فيما أرسله أن هذا الرجل مجهول لدينا وهو واصل إليكم، فيما ينبغي الراي الموفق إن شاء الله، فرحل «ليتشمن» وبعد قليل شد ابن سعود راجعاً إلى معسكره في الخفس.

وكان جمال باشا يومئذٍ والياً في بغداد وكان يجامل ابن سعود ويتظاهر بصداقته، فوعده بالسعي في حسم الخلاف بينه وبين الشريف حسين، وسأله أن يرسل مندوباً إلى بغداد للمذاكرة في هذا الأمر، فأرسل ابن سعود رجلاً من رجاله العصريين وهو أحمد بن ثنيان، ولكن جو السياسة العربية تغير أثناء ذلك، فعندما وصل أحمد بن ثنيان إلى بغداد وجد جمالاً متغيراً وليس بجمال وسمع منه كلاماً لإجمال فيه ولا حكمة، فعجب ابن ثنيان من تنكر جمال فهو الذي طلب من ابن سعود مندوباً ولما جاءه قابله بما يكره، وكان من كلامه أن قال ابن سعود لا يعرف مقامه وقد غره أن صفح عنه المشير فيضي باشا، فإذا كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة، فإن بإمكاني أن أخترق بلاد نجد من الشمال إلى الجنوب بطابورين لا غير.

والسبب في تغير جمال أنه قد طمع في ابن رشيد وظن أن نجمه سطع، فرجع أحمد بن ثنيان مغبظاً محنقاً من مقابلة جمال وسخفه، وبلغ ابن سعود كلامه وإنه قد قلب ظهر المجن فكتب ابن سعود عندما سمع كلامه كتاباً إلى جمال أرسله بواسطة وكيله في البصرة عبداللطيف باشا المنديل وفيه هذه الكلمة.

قلتم أنكم تستطيعون بطابورين أن تخترقوا بلاد نجد من الشمال إلى الجنوب ونحن نقول إنا سنقصر لكم الطريق وذلك عن قريب إن شاء الله.

ثم كتب إلى عبداللطيف المنديل إذا سألك الترك هل أنت مندوب ابن سعود فقل لهم إني عثماني وقد أشار بذلك خشية أن يلحق به ضرر بعد الهجوم على الحساء، ولكن عبداللطيف باشا لم يعمل بإشارة موكله فلم ينكر أنه نجدي أو وكيل أن سعود، وقد قال للأتراك جهلتم قدر هذا الرجل وها هو الآن يعرفكم بنفسه.

ذكر فتح الإحساء سنة ١٣٣١هـ

لما أراد جلالة الملك السير إلى الحساء أجرى إسبانيا لإبعاد العجمان عن الحساء فضرب لهم موعداً في الشمال لمحاربة مطير، وقام يعمي أمره عن الطائفتين، هؤلاء يبني لهم بأنه يريد الامتياز للطعام، وهؤلاء يبني لهم أن يغزوا عدوهم، فذهب هؤلاء الأجلاف يريدون موعده وأخلوا البلد من شوكتهم ذاهبين إلى الميعاد.

وكان لما تجرد هذا الصارم البتار من غمده اشتغل أهل البلد وخافوا من سورته، ولما زحف جد في السير إلى الإحساء فالتقى في الطريق برسول من حكومتها يحمل كتاباً إليه من المتصرف وفيه الرجاء أن يعلمه من أي الجهات جاء الإنكليزي إلى الرياض، فقال ابن سعود للرسول غداً إنشاء الله أنا بنفسي أعلم المتصرف، ثم سار حتى وصل الحساء ولم يكن معه من أهلها أوله فيها معاونون غير وكلائه أبناء القصيبي ويوسف بن سويلم، فسألهم أن يعلموه بالمكان المناسب للهجوم على الكوت وهو جهة من الهفوف فيها القلعة والحامية، ففعلوا وأعلموه بما هناك من الصعوبات لعلو السور ووجود الحرس فأرسل إليهم يقول أننا هاجمون في هذه الليلة وكل صعب مسهل بحول الله.

وكان عبدالعزيز قد نزل على عين من عيون الإحساء تبعد ميلاً واحداً من الهفوف، فلما كان في الليلة الخامسة من جمادى الأولى والساعة الثالثة ليلاً، خرج من المعسكر بستمائة من رجاله من الحضر وخطب فيهم قائلاً: إننا هاجمون على الترك في الكوت وإننا منتصرون بإذن الله، أمشوا كأنكم بكم إلى غرضكم ولا

تضجوا إذا كلمكم أحد فلا تجيبوه حتى وإن ضربتم بالبنادق ونحن في الطريق فلا تضربوا، أما وقد صرتم في الكوت فحاربوا من حاربكم ووالوا من والاكم، فأما البيوت فلا تدخلوها والنساء لا تدنوا منهن.

قال ذلك ومشى أمامهم فسارعوا على الإقدام تحت ستار الليل وهم يحملون جذوع النخل والحبال، فلما أن وصلوا إلى السور قسمهم ثلاث فرق، فقال للفرقة الأولى: أنتم تسيرون إلى الباب الجنوبي فتقبضون على الحرس وتستولون على الباب وما يليه، وللفرقة الثانية وأنتم تسيرون إلى السرايا على المتصرف فيها فتأسرونه، وللفرقة الثالثة وأنتم تتفرقون في أبراج السور، هذه هي أوامر فاعملوا بها ولا تتعدوها، فقام الناس وحزموا الجذوع بالحبال فصنعوا منها سلماً تسلقه عشرةً من ذوي الشجاعة والجرأة، ثم رموا بالحبال إلى العساكر، فصعدوا ساكتين ونزلوا إلى الكوت متسللين والحرس يسألون من أنتم فلا يجيبهم أحد، فلما تكامل دخولهم سارت كل فرقة إلى الجهة المعينة لها، ولكن هذا العمل لم يتم بدون ضجة في الحصون والمدينة، ثم فزعت العساكر والأهالي من النوم فاستولت عليهم الخوف والذعر وهم لا يدرون من الهاجم فعلت الأصوات وأطلقت البنادق.

فأمر إذ ذاك صاحب الجلالة عبدالعزيز أحد رجاله أن يصعد إلى السور وينادي أن الحكم لله ثم لعبدالعزيز بن عبدالرحمن، من أراد العافية فليلزم مكانه، فلما نادى المنادي بذلك استبشر الناس وتهللت وجوههم وجعلوا يهتفون كبارهم وصغارهم أهلاً وسهلاً سمعاً وطاعة، بل جاءوا بالمياه إلى العساكر كأنهم إخوانهم وقد عادوا من سفر، أما عبدالعزيز فهو خارج السور فأراد أن يتسلقه فأبى عليه ذلك من بقي من الجنود فهدموا جانباً من السور فدخل ودخلوا معه.

وكان الحرس قد لجؤوا إلى القلعة وأهل الكوت بعد أن سمعوا صوت المنادي والناس، وقد خرجوا من بيوتهم جاؤوا يراجعون بابن سعود ويعاهدونه على السمع والطاعة والولاء، فلما طلع الفجر جاء بقية الأهالي يبايعون ويرحبون، فأكرم عبدالعزيز محسنهم وعفا عن مسيئهم، أما الأتراك فباتوا تلك الليلة بشر ليلة

في حصونهم قابعين، وقد كان لهم أربعة حصون في الهفوف وخارجها اثنان في الكوت، وكوت الإحساء هو حصنها المنيع وما أحاط به من البيوت، وقد بناه الأتراك في استيلائهم عليها سنة ١٠٤٠هـ بعد انقراض دولة الأجود العقيلي منها، وحصن إلى الجنوب وآخر إلى الشمال، فعندما أبلج الفجر شرعوا يطلقون البنادق والمدافع من تلك الحصون على البلاد فكانت طلقات طائشة فلم نصب أحداً بل أنصحت عن الذعر والرعب الذي أخذ منهم كل مأخذ.

فلما كان عند الظهر جاء جندي من جنود ابن سعود باسير من الترك وهو ضابط طاعن في السن فأرسله عبدالعزيز رسولا إلى المتصرف وإلى قائد الحامية وقال له: قل لهم يسلمون إذا كانوا يبغون العافية ونحن نؤمنهم ونرحلهم إلى بلادهم، أما إذا أبوا فليستعدوا لقتال سنهاجمهم في مراكزهم ساعة هاجمنا البلد البارحة، فقبل المتصرف والقائد الأمان ثم سلمت الحامية التي كان عددها ألف وخمسمائة جندي، فأذن جلالة الملك لهم بالنزول ولا ننزع عنهم سلاحهم قائلاً لا ننزع من الجند العثماني سلاحه، أما المدافع والذخائر فظلت مكانها في الحصون، ثم جهزهم بالركائب ورحلهم وعائلاتهم وأمتعتهم، فساروا إلى العقير وليس معهم من يخفرهم ويؤمن طريقهم غير رجل واحد من رجال ابن سعود وهو أحمد بن ثنيان رسوله سابقاً إلى جمال باشا، وعندما وصلوا إلى العقير جهزهم أحمد بسفن تقلهم إلى البحرين.

الاستيلاء على القطيف سنة ١٣٣١هـ

لما استولى ابن سعود على الإحساء أرسل سرية إلى القطيف بقيادة عبدالرحمن بن سويلم فلما أن وصل إلى تلك الناحية بادر أهلها إلى التسليم ولم يكن للترك في القطيف غير شرذمة من الجنود ففروا في السفن هاربين.

أما عساكر المتصرف الذي رحلوا من الحساء فعندما وصلوا إلى البحرين بالسفن بعد إكرام ابن سعود لهم وتعظيمهم ومنحهم الزاد والأثاث وبعث من يحرسهم تشاوروا وتراجعوا ووجدوا من يزين لهم الرجوع وإعادة الكرة بأن

يرجعوا إلى العقير ويسترجعوا القصر هناك، وقد ظفر فريق منهم بمركب لآل بسام كان يحمل تمراً فركبوا فيه وعادوا إلى العقير وهجموا ليلاً على القصر فردتهم الحامية خائبين، ثم هجموا على مركزين آخرين كان في أحدهما ثلاثون رجلاً فهزمهم الأتراك واحتلوا مراكزهم.

فلما بلغ الخبر عبدالعزيز وهو في الهفوف ثار مسارعاً إلى العقير فوصلها في الساعة الثانية ليلاً، وكان قد سيّر كوكبةً من الخيل فوجدت عند وصولها أن السرية التي كانت في القصر قد هجمت على الترك في المركز الذي احتلوه فهزمتهم السرية وأسرت منهم ثلاثين فعند ذلك خلي عبدالعزيز سبيلهم وأركبهم البحر وصرفهم لأنه غير مكترث لهم، ثم كتب إلى الشيخ عيسى آل خليفة أمير البحرين وإلى الوكيل السياسي لبريطانيا العظمى يحتج على ما بدا منهم، فقال في كتابه: (أيليق بكم تحريض العدو علينا ونحن أصدقاؤكم، فإذا كنتم لا تتلافون مثل هذه الأعمال وتمنعونها فالتبعة فيما قد يعقبها هي عليكم).

فجاءه الجواب من دون بطئ، وفيه أن العساكر ركبوا السفن من البحرين قاصدين البصرة وقد رجعوا إلى العقير دون علم من الحكومة أو الوكلاء، أما الحقيقة فهي أن آل خليفة والوكيل الإنكليزي خشوا أن يتقدم ابن سعود إلى داخل الخليج في فتوحاته، فأقدموا على عمل كان التسرع فيه أظهر من العداء.

ولما تولى جلالة الملك عبدالعزيز على الإحساء كان أهلها وقد سئموا من حكم الأتراك لعدم الأمن وكثرة الاضطراب الذي آل بهم أن ظل الرجل لا ينام على فراشه إلا وهو متوسد بندقيته المحشوة اتقاء من الطوارئ.

ثم توجه عبدالعزيز إلى القطيف ينظم شؤونه، فأمر فيه عبدالرحمن بن سويلم وهو الذي اختاره لصحبة سامي وجنوده المتقدمين وجعل على الإحساء أميراً فيها عبدالله بن جلوي أمير بريدة، وهذان الرجلان من كبار رجاله للبسلاء، فصارا في تلك الناحيتين وأصبحت تلك الجهات آمنة مطمئنة تحت رعاية صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل وفي ظل الله ثم ظله، وكانت مدة ملك الأتراك

للإحساء والقطيف وأطرافهما المرة الأخيرة أربعاً وأربعين سنة، لأن ولايتهم عليها كانت ١٢٨٨هـ.

وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان قصيدة في ذلك تهنئةً للإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن لما فتح الله على يديه الإحساء والقطيف:

بهجرٍ أضاء الفجر واستعلن الرشد ... وناء على آطامها الطالع السعد
وقد كان أهلوها بأسوء حالةٍ ... وقد فتحت للكفر أعينه الرمد
وكانت قضاة السوء تصرخ جهرةً ... بتمجيد عباد القبور وهم ضد
وتمجيد ضباطٍ لهم وعساكر ... فبعاً لهم بعداً وسحقاً لمن ودوا
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... فهم للهدى ضد وللأشقياء جند
وقد أظهر الأرفاض فيها شعارهم ... ومدوا يداً نحو العلى وبها امتد
وفيها الخنا والخمر والزمر ظاهرٌ ... وما ليس محصوراً وليس له عد
وقد كان فيها للضلالة والردى ... مقرٌ وفيها للهوى صادحٌ يشدو
وقد كان فيها للملاهي ملاعبٌ ... وحاد على أعقاب أربابها يحدو
وأحكام أهل الكفر تجري بسوحها ... وقانونهم يعلو بها ظاهراً يبدو
فناءٌ بها يعد السعود فأسفرت ... بآل سعود هجر وافتخرت نجد
وأقلع عن هجر دياجير ما سجى ... من الكفر والأرفاض حل بها النكد
وأصبح من فيها محبٌ وناصحٌ ... ينادي ألا أهلاً بكم أيها الجند
فقد طالما كنا بأيدي عداتنا ... أذلاء والأعداء يسمو لهم جد
وهم قد أخافونا بها وتغلبوا ... يسوموننا خسفاً ويعلوا بها الضد
فقوضٌ عنا الغي والبغي والأسى ... وأهل الردى والفحش فاستعلن الرشد
وزال قتام الكفر عنا وأشرقت ... شموس الهدى والحق في الخلق ممتد
وأضحت بهجرٍ شرعة الحق تجتلي ... وقانون أهل الكفر حل به النكد
وقد أشرقت فيها شموسٌ ذوي الهدى ... وحالت بحمد الله أحوالها الكمد
فيامن بها من عصبة الدين والهدى ... ليهنكم الإقبال والعز والجد

فشكراً بني الإسلام قد رجعت لكم ... بناكرةٌ من بعد أن يئس اللد
وقد ظن قومٌ أنها دولةٌ مضت ... وليس لما قد فات عودٌ ولا رد
فقد عاد ما قد فات غضاً كما بدا ... فلله مولانا على ذلك الحمد
وذلك من فضل الإله ومده ... فمن جوده الحسنى ومن فضله المد
وقد كان ما أجراه فضلاً ونعمة ... ولله من قبل الأمور ومن بعد
بمهد هزبر المعي مهذبٌ ... يقود أسوداً في الحروب بها جرد
وغيضٌ على أعداء دين محمد ... وأحزابهم ممن عن الدين قد ندوا
أتاهم بها إذ غاب نجم مشعشع ... وقائده الإقبال والعز والسعد
لسبعٍ من الساعات في غسق الدجا ... وقد هجع الأحراس والترك والجند
فما راعهم إلا وآساد جنده ... قد اقتحموا فيها وما مسهم نكد
وصاحوا بها من كل قطرٍ وجانبٍ ... شعارهم التهليل والذكر والحمد
وقد ملكوا أبوابها وبروجها ... ومن كل نهجٍ نحو أعدائها تعد
يقودهموا ليثٌ همامٌ سميدعٌ ... أبي وفيٌّ فاتك إن عثى الضد
يخوض عباب الموت والموت ناقعٌ ... إذا اشتعرت نارٌ لها في الوغى وقد
ويركب هول الخطب والخطب معضلٌ ... وقد هابه الأبطال رعباً وبد ندوا
هو الملك السامي إلى منتهى العلى ... وقد أمه في نيلها الطالع السعد
إمام الهدى عبدالعزيز الذي به ... تضعضعت الأملاك واستعلن الرشد
لقد فاق أبناء الزمان وفاقهم ... بعفوٍ وإقدامٍ وساعده الجد
فيا أيها الغادي على ظهر جلعدٍ ... عرندسةٍ ما مسها دهرها جهد
تجوب فيافي البيد وخدا ومسئدا ... وما نقبت أخفاقها عندما تخد
تحمل هداك الله مني تحيةً ... هدية مشتاقٍ أمضى به الوجد
وأورى به من لاعج الشوق جذوةً ... ولكنه قد عاقه النأي والبعد
وخامره من نشاءة البشر نشوةٌ ... وفي قلبه سكر من البشر ممتد
إلى الملك الشهم الهمام أخي الندى ... مذيق العدى كأس الردى عندما يعد

ومـن أصـله المجـد المؤئـل والعلـى ومن جوده الجدوى لمن مسه الجهد
فأبلغـــه تســـليماً كـــأن أريجـــه شـذى المسك لما ضاع نشره الند
ونـادى بـأعلى الصـوت عنـد لقائـه بمجلسه الأسنى الذي حفه السعد
ليهنـك يـا شمـس الـبلاد وبـدرها بلـوغ المنـى لمـا تسـامى بـك المجـد
ونـال بـك الإسـلام فخـراً ورفعـةً وعزت بك الإحساء واستعلن الرشد
وذلت بـك الأعـداء مـن كـل فـاجرٍ وكـل كفـورٌ دينـه الكفـر والجحـد

ثم أطال الشيخ سليمان بمديح جلالة الملك والثناء عليه وبذل النصيحة له، وقد اقتصرنا منها على بعضها خشية الإطالة.

وقال الشيخ الأديب حسين بن علي بن نفيسة مهنئاً صاحب الجلالة عبدالعزيز في هذا الفتح للإحساء والقطيف:

لك الحمد مـا هـلَّ السـحاب المـراك فأنـت الـذي تـؤي وتـولى وتكـرم
فمـا أحـد إن جـدت بالفضـل مـانع ولا معطـي إلا أنـت بـالخلق أرحـم
لـك الشـكر لا نحصـيه والمجـد كلـه لـك المـن والإحسـان مـا ذاك يكـتم
لك الجـود يـا معبـود يـا غايـة المنـى لـك الـبر يـا بـر رحـيم مسـلم
أيـا صـاحِ حـق الوعـد مـن ربنـا لنـا وقـد بلـغ المـأمول مـن هـو أحـزم
إمام التقى ليث اللقـاء الـذي ارتقـى ذرى المجد حتى احتازهـا وهـي سـنم
فنـــاد جميـــع المفئـــدين بمدحـــه وقـل جـددوا أشـعاركم وترنمـوا
فهـاك نسـيبي وهـو أرجـى بضـاعةً ولكنهـا بالحمـد والشـكر تعلـم
أتعـرف إطـلالاً بحـزوى دوارسـاً تغـير منهـا كلمـا كنـت تعلـم
وأضحت من السمار قفـراً بـلا قعـاً وأقـوت فمـا ينبيـك عنهـا مكلـم
فلـم يبـقَ إلا موقـد النـار حولـه رواكـد أمثـال الحمـائم جـثم
عهـدت بهـا الحـي الجميـع فبـددت صـروف النـوى سـكانها فتقسـموا
وقفنـا نسـح الـدمع فيهـا عشـيةً ونسـأل عـن أضـعانهم أيـن يممـوا
ليـالي أقتـاد الهـوى ويقـودني ووصل العـذاري بيننـا لـيس يفصـم

وقد ساعدت بالوصل سعدي وأومأت ... سليماً بأطراف البنان تسلم
وخولةٌ خالت بارق الشوق فأرعوت ... واسماً سمت بالود فالود يعلم
دقاق المثاني والخواطر والحشى ... تعلقهن القلب فالصب مغرم
حسان الوجوه والثغور لثالي ... يعز على لماحهن التوسم
عقائل من أبناء بكر ابن وائل ... كرامٌ فما أنسابهن تذمم
فمن لي بتلك الغانيات وما جرى ... من الأنس والعيش الذي ليس يسأم
أحب شبيهات المها غير أنني ... بذكرك يا بدر الزمان متيم
فبشراك يا عبدالعزيز بهذه ... هي المنة العظمى عسى لك تسلم
منيحة أقوامٍ كثيرٌ فطمتهم ... عليها بكى تركٌ وبدوٌ وأروم
هنيئاً لك الملك الذي قد أتاكه ... إله السما والأرض من هو أعلم
بما كان تخفيه الصدور من الأذى ... فإن أبرموا أمراً فربك يبرم
ولا غرو إن ملكتم الخط والحساء ... تلائدكم كانت نزائع منكمو
فعادت كما كانت فللشكر جددوا ... فأولاكم مولاكم إذ صبرتم
حلفت يميناً غير ذي مثنوية ... وما كنت قبل اليوم بالحنث أتهم
لما مهدت في المهد مثلك حرةً ... وما تبع الجيش الخميس العرمرم
بأسطى ولا أمضى على الهول واللقا ... وإن نقدوا رأياً فرأيك أعزم
إذا كان مالا يستطاع دفاعه ... وحاولته نقضت ما منه مبرم
إذا هدأت عنك العيون فجأتها ... فأرويت زند الحرب والناس نوم
فأنت لعمري فارس الخيل في الوغى ... وأنت شهاب الليل والليل مظلم
تجشمت أهوال الظلام على العدى ... فطارت طيور العز والسعد عنهم
وأصحابك الفتاك أسد الشرى الذي ... لحوض المنايا واردين وحوم
تسورتم الأسوار لله دركم ... فيا حبذا من كان منكم وفيكم
فإما شهيدٌ قد تلقته رحمةً ... وإما سعيدٌ فائزٌ ومغنم
فلا تنسَ أهل الجذع واعرف مقامهم ... وأنت بحال الجند أدرى وأعلم

فهذا هو الفتح الذي رفعت به ... منازل أقوامٍ وقومٌ تندموا
وهذا هو الفتح الذي فتحت به ... بصائر أهل الدين إذ خصمهم عموا
وهذا هو الفتح الذي لم يكن جرى ... سلمتم وكوفيتم معاً وغنمتم
قهرتم بغات الترك وسط حصونها ... فما سلموا حتى جرى منهم الدم
وهذا هو الفتح الذي عاد مثله ... به انخفض الطغيان والحق يبسم
به ذهب القانون والحاكمون به ... وولت فعال الشرك والكفر معهم
فأصبح مناج الشريعة واضحاً ... وأضحى الخنى والفسق بالحق يحسم
فيا دولة الأتراك لا عاد عزمكم ... علينا وفي أوطاننا لا رجعتم
ملكتم فخالفتم طريق نبينا ... وللمنكرات والخمور استبحتم
جعلتم شعار المشركين شعاركم ... فكنتم إلى الإشراك أسرع منهم
تزودتموا دين النصارى علاوةً ... فرجساً على رجسٍ عظيمٍ حملتم
فبعداً لكم سحقاً لكم خيبةً لكم ... ومن كان يهواكم ويصبو إليكم
فذاك من الركان في وحي ربنا ... ألا إنه ممن تمس جنهم
فيا أهل هجر هاجروا في دياركم ... فهذا هو الحظ الذي لا يقوم
أتاكم بها نجل الكرام نقيةً ... حقيقة دين المصطفى فلها ألزموا
صراطٌ سوى عنه لا تتفرقوا ... إلى سبل إن تتبعوها ضللتم
فأمسيتم للكفر فيكم دعائمٌ ... وأصبحتموا الإسلام ثوب عليكم
لكم ما يكن للمسلمين من العطا ... وإن عليكم ما يكون عليهم
ولكن بشرط السمع منكم لأمره ... وطاعة مأمورٍ يولى عليكم
وداووا جرحات القلوب بتوبةٍ ... تجب الذي أسلفتموا واقترفتم
فإن كنتم استجمعتموا يوم زينةٍ ... ورقصٌ وتصفيقٌ له قد حضرتم
فحيا لقال الله قال رسوله ... وللصلوات بادروا وتقدموا
فقد جائكم من زِيدَ في العلم بسطةً ... وفي الجسم مشهورٌ هو أفضل منكم
يحامي على التوحيد إذ كان دينه ... سيتلى عليكم فافهموا وتعلموا

ويثبت في التنزيل ما كان مثبتاً وبالسنة الغراء يحل ويحرم
هما أثبتا أن المهيمن بائن من الخلق فوق العرش والله يحكم
بإعزاز أقوامٍ وإذلالِ ضدهم فهذاك مسلوبٌ وهذا مقدم
وهذاك محرومٌ من البسط والعطا وهذاك مكسورٌ وهذا مقوم
يدبر تدبيراته في سمائه فهذاك مرحومٌ وهذاك ينقم
فلا ملك إلا وهو لله وحده فإن شاء بنا عزاً وإن شاء يهدم
قضى أن يولي خيرنا وابن خيرنا عليكم فهذي نعمةٌ قد كسبتم
حفيدٌ فريد العصر هذاك فيصلٌ عليه سلام الله وقفاً محتم
لقد جد في إظهار دين نبينا وآوى الذين للحنيفي ينتموا
إمام التقى والجود أما نهاره فبذل وأما الليل لله محرم
وهل يزكونَّ الفرع إلا إذا زكت مغارسه والفضل بالفضل يعلم
هم شرفت أجدادهم وجدودهم هم عرفوا المعروف والشرع قدموا
ودونك شطراً قاله خير شاعر وأحسن فيما قاله المتقدم
حنيفيةٌ في دينها حنيفيةٌ فأحسابهم أعلى وأذكى وأكرم
حييون بذّالون في الآمن أبحرٌ وأمواجها بالجود تطمى وتلطم
فصيحون إن قالوا يهابوا إن أضربوا بأنديتهم تلفي بدوراً وأنجم
شديدون قتالون في الهول جربوا ليوثٌ على الأعداء تعدوا فتلحم
إذا لقحت حرٌ عوانٌ مضرةٌ ترى خصمهم حين اللقى يتحطم
فسادوا وقادوا بل وفادوا وفودوا مغانم في الأقوام تحذى وتقسم
وإن أجحفت بالناس عبر سنينهم ولا مالٌ إلا عند من كان يخدم
هنالك هم غيث المساكين بالندى ومطعمهم دأباً مدى الدهر يطعم
هم الناس ينقاد الورى لأمرهم وإن ذكروا أهل العلى ذكروا هم
فمن رام خذلاناً لهم أن تنقصاً فسوف يولي الظهر والجمع يهزم
وبالأئمي في حبهم ومديحهم تزحزح قصياً أن قولك مائم

فليس الجبال الشم مثل حزونها ولا من يقل جداً كمن يتهكم

وقد أتينا بغالب القصيدة وحذفنا بعضها خشية الإطالة، ولولا ضيق المجال لأتينا بقصيدةٍ جادت بها قريحة الشاعر محمد بن عبدالله بن عثيمين، ولكننا نحيل القارئ على ديوانه.

وفيها ولد الأمير خالد بن عبدالعزيز نجل جلالة الملك وكان شقيقاً لمحمدٍ وأخوالهما آل جلوي، وكان ممتازاً برجاحة العقل على غالب أبناء جنسه.

وفيها توفى الشيخ العالم مفتي الوشم في وقته علي بن عيسى رحمة الله عليه، وكانت وفاته في شهر رمضان منها.

رجعنا إلى ذكر فتح الإحساء وما ألانه الله عز وجل لهذا الملك العاهل المقدام من الأمور الصعاب فنقول؛ كان على الخليج إلى الشرق والجنوب من البحر رأس من الأرض محاذ لشاطئ العقير وهو قطر بلاد قاسم بن ثاني شيخ الأمراء يومئذ سناً وجاهاً؛ وقد حاول قاسم مراراً أن يخرج الترك من الحسا، فلما فاز ابن سعود ذلك الفوز عري قاسماً هزة عظيمة حركت سواكنه لأمور شتى منها خوفه على إمارته فقد أصبح الفاتح جاره الأدنى الذي وإن كان صديقاً صادقاً غير أن الملك عقيم؛ فلما أن رأى ابن سعود على أبوابه انقلب بعد أن كان من أكبر المحبين له وغضب غضبة شعواء؛ فكتب إليه كتاباً شديد اللهجة يحذره ويهدده ويلومه على أخذه الإحساء، ولكن الحمام عاجله قبل أن يتلقى الجواب فانتقل إلى رحمة الله تعالى وتوفى في عاشر شعبان من هذه السنة، وهذه ترجمته:

هو الأمير الجليل قاسم بن محمد بن ثاني شيخ قطر الورع الزاهد التقي الفصيح البليغ الحنبلي كان جواد مبذالاً عالماً بالعلوم الدينية والفقهية، ولد رحمه الله سنة ١٢١٦هـ وعاش مائة وخمس عشرة سنة تزوج تسعين إمرأة وبعدد من الجواري، وكثر له النسل الإنساني فكان له من الأولاد والأحفاد وأبناء الأحفاد ذكوراً وإناثاً ما لا يصدق به كثرة، فقد قيل أن الذين يركبون معه إذا ركب ستون فارساً في موكبه كلهم من صلبه ولم يكن سيداً في غير عشيرته، فلما تم له خمسون

من العمر جعل يدعو العشائر كلها إلى الاستقلال فلبت دعوته وبعد وقعات عديدة برية وبحرية مع أهل البحرين وكسرات وغلبات حازت قطر استقلالها وكادت تستولي على البحرين، وكذلك أيضاً حارب الترك فكسرهم في عدة وقعات وقتل منهم عدداً كبيراً ولكنه لم يتمكن من إخراجهم من الحساء.

وكان مولعاً بكثرة النكاح وتجارته باللؤلؤ فكان له خمس وعشرون سفينة للغوص ويجمع المال من هذه التجارة ويبذله في سبيل البر والإحسان.

ومن إحسانه أنه كان ولوعاً في جمع العبيد وعتقهم، قيل أنه أعتق في حياته أكثر من خمسين عبداً، وأن مماليكه الأحرار أسسوا بلدة في قطر سموها السودان، وعاش رحمه الله قرناً ويزيد في قطر فكان أميرها وخطيبها وقاضيها ومفتيها والمحسن الأكبر فيها، وقد رثاه لما مات الشعراء وأثنوا عليه، قال الشيخ حسين بن علي بن نفيسة يرثي قاسم بن محمد بن ثاني، فقال هذه مرثية في شمس الفضائل ومنتهى الأماني الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني مؤيد الدين وحتف المعتدين شيخ قطر المتوفى في ١٠ شهر شعبان سنة ١٣٣١هـ:

لمن طلل أمست به الهوج تنسف ... عفى وخلا ممن نحب ونألف
وأحني عليه الحين بعد أنيسه ... فناح غراب البين بالبين يهتف
فلم نستبن من آيةٍ غير أورق ... عليه مطايا القدر جثم وعكف
كأن لم يكن للخرد البيض مأتماً ... ولا اختلف فيه ضباءٌ وأخشف
كواعب أتراب يشاكلن بألبها ... بدور شهورٍ حين أيامٌ تنصف
ولا سماء ماء الرضاب كأنه ... جنى النحل أو إبكار كرم تقطف
ثقيلات إعجازٍ دقيقاتٍ أخصرٌ ... ويبسمن عن منضودٍ در يضعف
فروعٌ تحاكي الليل والشمس تحته ... فما الليل ممتازٌ ولا الشمس تكسف
فهيهات لا ما فات بالأمس راجعٌ ... فقم نبك من بالفضل والبذل يعرف
فآهٍ وآهٍ بعد قاسمٍ ذي الندى ... مجيب الندى للصارخ إذ يتلهف
حنانيك من للدين أرسى دعائماً ... لطلابه يقرى ويثرى ويكهف

فيـا أيهـا القمـري في الـدوح غـنني ... فهـذا أوان النـوح إن كنـت تسـعف
وقائلـةٍ مـا بــال دمعــك لم يــزل ... يسـح علـى خـديك دئبـاً ويـذرف
أرى منـك حـال الحـال عمـا عهدتـه ... فماذا الشجي ماذا الأسى والتأسـف
فقلــت لهــا والقلــب مــني كأنــه ... بأشــــراك صـــيادٍ بـــه يتصـــرف
ذريــني ومــا أملــت مــني صــبابةٌ ... عــداك هزالــي والهــوى والــترف
لـك الويـل لا تلحـي علـي فـإنني ... رأيــت العلــى بنيانهــا يتقصــف
دعـيني فـلا والله مـا بعـد قاسـم ... لآمــل جــدوى أو طريــدٍ يخــوف
إلى مـن لـه تـأوى العنـاة وتجـتري ... إلى مـن تسـير الـيعملات وتوجـف
إلى مــن لــه أهــل المغــارم ترتجــي ... وعــان ثــوى فيقيــده فهــو يرســف
فكـم أدركـوا مـا أملـوا غـير مـرةٍ ... إذا قصـــدوه فولـــوا ثـــم أتحفـــوا
تعــزي عليــه المكرمــات لأنــه ... مــدى دهــره فيهــا شــجٌ ومكلــفٌ
بإحيائهــا في كــل حــينٍ وســاعةٍ ... تــراه بهــا مســتغبطاً يتشــرف
أبوهـا أخوهـا عمهـا خالهـا الـذي ... لهـا سـابق جـل الـورى مـذ تخلفـوا
ترعــرع فيهــا ثــم كانــت طباعــه ... فمــا هــو عــن أســبابها متوقــف
فيـا قطـراً أظلمـت إذ فاتـك البهـاء ... وإذ منــك ولّــى مربــعٌ ومصــيف
لقد زانك الشيخ الذي قـد رثـت لـه ... وفــودٌ وأضــيافٌ وســيفٌ ومنســف
هــو المصــمعل المشــعمل بهمــةٍ ... تكاد إذا استعلت على البدر يكسـف
هو البحـر لا تطمـع بـه وهـو هـائجٌ ... وفي رهوه إن غصـت للـدر تصـدف
هو الليث في الهيجا بـل الليـث دونـه ... وكالغيث إن يزوى من الناس أعجـف
فخـذ منـه مـا أملتـه في يـوم أنسـه ... وإيــاك واليــوم الــذي فيــه يــأنف
قريـــــبٌ إذا ســـــالمته متهلـــــلٌ ... بعيـــــدٌ إذا حاربتـــــه يتخـــــوف
وذي لجـبٍ في وسـطه الخيـل شـزب ... له الـوحش تـبرى والطيـور ترفـرف
إذا نابــه أمــر أشــار فــأقبلوا ... ألـــوفٌ لأدنـــي أمـــره تتـــألف
إذ أوغلـوا في الحـرب فهـو رئيسـهم ... وقائـــدهم بـــل زائـــدٌ ومشـــرف

ويوم إذا حمي الوطيس وأقدت ... قدور المنايا بالرجال توثف
تجده أمام القوم يحمي حماتهم ... بغضب يمان للجماجم يقطف
لبيبٌ لأهل الخير رحبٌ فناؤه ... حبيبٌ لدى زواره يتلطف
تقيٌ نقيٌ طاهر العرض أوحدٌ ... زكيٌ سخيٌ بالمساكين يرأف
منيبٌ وآواه خوف لربه ... وبالله أدرى وهو لله أخوف
مآثره كالشمس في رونق الضحى ... وإحسانه ما زال ينمو ويقطف
يقات به أهل التقى في ديارهم ... وكل غريبٍ قادمٍ يتحنف
من الله يرجو يوم تبلى سرائرٌ ... بيومٍ به كل الصحائف تكشف
فهذا هو الصدق الذي قد علمته ... وإن غيروه الحاسدون وسوفوا
على رسلكم أهل الثبور والقلى ... فكلكم قوال زورٍ ومسرف
إذا لم تنالوا حظه صار حظكم ... أباطيلٌ وبهتانٌ ومين تزخرف
فحتى متى لا تتقون إلهكم ... وتولوا ذكراً للجميل وتنصفوا
فيا لهف نفسي بل ويا عظم لوعتي ... عسى الله بالآمال والحال يلطف
لقد كان حظي يسبق الناس موفراً ... فمذ بان نجم الوقت فهو مخلف
فإني لباكيه وإني لصادقٌ ... فما القلب مرتاحٌ ولا الدمع ينزف
رضينا بما يرضى الإله لنا به ... ولله في تدبيره هو أعرف
فلا عيبَ فيه غير أن كان ماله ... على ضعفاء المسلمين يوقَّف
حنانيك لا ننفك نذكر قاسماً ... بحسن التي ما دامت العين تطرف
عليه سلام الله ما ذعذع الهوى ... وما دام ضوء الصبح لليلٍ يكشف
وجاد على رمسٍ تضمن جسمه ... بصيب عفو ما بقى الدهر ينطف
لإن زال منه الشخص فالحمد لم يزل ... تورثه قرم بصير وينصف
هو الفرع عبدالله من شهدت له ... أياديه إذ تهمي الجميل وتزعف
فأنعم به في حفظه أصل دينه ... لقد كان حرى للصوب وأضرف
وليس فضول القول تنطق عنده ... وأما يقل قولاً فبالحق يقذف

فتىً لا يخاف الموت والحرب لائجٌ ولكـن يخـاف أن يقـول فيخلـف
فـأنعم بـه والليـل مـرخٍ سدولـه وأنعـم بـه والخيـل بـالنبع تحـذف
لباغي القرى المضطر من نصب السرى وآخـر مكـروب بـه القـوم طـوف
فلسـت بمحـصٍ فضـله إن كتبتـه ولـو أن نفسـاً بالمحـابر ينشـف
بـني قاسـم الهـدى رثـائي إلـيهم ومنظـوم قـولٍ طيـب جـين يرشـف
لأنهـم أجـواد دهـري وإنهـم فرات فلـم يظمـأ الـذي منـه يغـرف
قـديماً لهـم مجـدٌ طريـفٌ وتالـدٌ لهم يهتـدي الطـراق والـريح زفـرف
هم النـاس فـيهم خصـلةٌ لا لغيرهـم لأضـيافهم مـنهم مغـيم وملحـف
ولولا قريض الشعر مـا كـان يعلمـوا بنات العلى مـن أيـن تـؤتى وتعـرف
قيود اللـهي سبك القـوافي فـدونكم من اللؤلـؤ المنضـود مـا هـو أشـرف
هي القرض أقرضـنا وقـد بشـر الرجـاء بان قد يرد القـرض غضـا ويضـعف
وأزكى صلاة الله مع سلامٌ على الـذي به أضـحت الأصـنام تمحى وتنقـف
كذا آلـه والصـحب مـا لاح كوكـبٌ ومـا طـاف حجـاجٌ ولبـوا وعرفـوا

وقد قيل أن وفاته في شوال من هذه السنة، وقال الشاعر الفصيح المنطق محمد بن عبدالله بن عثيمين يرثا الفقيد المترجم لما فجع بفقده لأنه كان أسير فضله والراتع في ظل رفده رحمة الله عليهما:

برغم المعالي فارق الدست[1] صاحبه وثلـت عـروش المجـد وأنهـد جانبـه
وأضحت بنـو الآمـال سـهماً وجوهها تقلـب طرفـاً خاشـعاً ذل حاجبـه
تقول إلى مـن نطلـب العـرف بعـدما على قاسـم المعـروف بنيـت نصـائبه
مضـى كأقـل الأيتـام في كـل شـتوةٍ وموئـل مـن ضـاقت عليـه مذاهبـه
أقـول لناعيـه إلى تجاوبـا بفيك الثـرى لم تـدر مـن أنـت ناديـه

(١)الدست: المجلس.

نعيت امرأً للبر والدين سعيه ... وللجود والمعروف ما هو كاسبه
فيا قاسم المعروف للبأس والندى ... وللخصم مشتطاً على من يطالبه
ويا قاسم المعروف للطارق الذي ... من الزاد قد أصبحن صفراً حقائبه
ويا قاسم المعروف للملتجي الذي ... تحاماه من عظم الجناية صاحبه
وللمرهق المكروب يفرخ[1] روعه ... إذا أسلمته للخطوب أقاربه
وللجحفل الجرار يهدي رعيله ... إلى كل جبار أبي يشاغبه
هو المانع الخصم الألد مرامه ... وإن رام منه معضلاً فهو سالبه
فقل للجياد المشمعلات لاحها ... تجاوز غيطان الفلا وسياسيه
على قاسمٍ فأبكى طويلاً فإنه ... فتاك إذا ما استخشن السرج راكبه
إذا ما رمى المرمى البعيد ذر عنه ... به ناجيات زاملتها شوازبه
جحافل سهلن الروابي فأصبحت ... سباسب مما بعثرتها كتائبه
إذا نشرت أعلامهن تحدبت ... بأرجائها صيد الملوك تراقبه
فما مشرق الإله فيه وقعةٌ ... ولا مغربٍ إلا أرنت نوادبه
أقول لقلبي حين جذَّبه الأسى ... وللجفن لما جرفته سواكبه
تعز بما عزيت غيرك أنه ... طويل أسى من أودع اللحد غائبه
هو الدهر يستدعي الفناء بقائه ... وتستصغر الخطب العظيم مصائبه
له عشرةً بالمرء لا يستقيلها ... إذا ما أنيخت للرحيل ركائبه
أباح حمى كسرى بن ساسان صرفه ... فلم تستطع عنه الدفاع مرازبه
وكر على أبناء جفنةَ كرةً ... سقاهم بها كأساً ذعافاً مشاربه
وأعظم من هذا وذاك مصيبةً ... قضى النحب فيها المصطفى وأقاربه
هم الأسوة العظمى لمن ذاق غصةً ... من الدهر أو من أجرضته نوائبه

---

(١) يفرخ: يذهب ويزيل.

(٢) النبث: الحفر.

بـني قاسـم إن كـان أودعـتم الثـرى ... أبـا طـرزت بـرد المعـالي مناقبـه
فخلوا الهوينا واجعلوا الـرأي واحـداً ... فيخشـاكم نـائي الـبلاد وصـاقبه
وألقـوا مقاليـد الأمـور لمـا جـد ... أخـي ثقـة قـد أحلمتـه تجاربـه
بعيد المدى لا يـدرك النبـث[٢] غـوره ... أبـي علـى الأعـداء محـض ضـرائبه
أبـا حمـد لـولاك كـان مصـابه ... علـى النـاس لـيلاً لا تجلـي غياهبـه
سـقى الله قـبراً ضـم أعظـم قاسـم ... مـن العفـو شـؤبوب رواه سـحائبه
وثـن إلهـي بالصـلاة علـى الـذي ... سمـت في مقامـات الكمـال مراتبـه
كذا الآل والأصحاب مـا نـاح طـائرٌ ... بأفنـان ودح تسـتميل ذوائبـه

ورثاه أيضاً شاعرنا المذكور بأخرى تذكر مطلعاً وهي قوله:

ترى من حنـيني كـان شـدو الحمـائم ... ومـن أدمعـي كـان اسـتقاء الغمـائم
فلا غروان انطلقـت بالشـجو صـامتاً ... وأبكيـت حتـى راتعـات السـوائم
فقد جل هذا الخطـب حتـى تدكـدكت ... لموقعـه شـم الجبـال المعـالم
وحتى هـوى بـدر الدجنـة واكتسـت ... لـه ظلمـة زهـر النجـوم العـوائم
لعمـرك مـا يـوم قصـى فيـه قاسـم ... علـى النـاس الأمثـل يـوم التـزاحم
مضـى هضـبة الـدنيا وبـدر دجاهـا ... وفارسـها المشـهور عنـد التصـادم

ولا نطيل بذكرها فعلى من أحب مراجعتها أن ينظر في ديوان الناظم.

وفي أخر هذه السنة رجع الملك عبدالعزيز إلى الرياض وذلك في وقت الخريف وقدم من البصرة عبداللطيف باشا المنديل منتدباً من الحكومة العثمانية للتوسط بالصلح بينها وبين فاتح الإحساء، فقبل عبدالعزيز التوسط وأجّل النظر في المسألة إلى الربيع.

وكان ابن سعود كبير القلب واسع النظر عظيم الاطلاع، فأخذ يفكر فيما يبيتون له من الكيد وما ينصبون له من الأشراك، لأنه لما انتصر عليهم واستخلص الإحساء من براثنهم وانتزع نفوذهم من تلك الجهد أيقن بأن تركيا سوف لا تسكت عن حربه ولا تدعه وشأنه، لا سيما وقد كان لا يزال لها في الحجاز قوة

كبيرة لا يستهان بها، فأخذ يبحث فيما يؤمنه من شرها ويتقي به إذائها فإن الدولة العثمانية إذا انتصرت على أعدائها الذين لا تزال رحى الحرب طاحنة بينهم وبينها، فلا بد أن تحمل عليه حملة قوية للتنكيل به واسترجاع البلاد من يديه، فهذا الذي جعله يطيل النظر وبدعه دائم الحذر.

وبينما هو على هذه الصفة إذا المدد من قبل الله تعالى يأتيه على أشدّ فاقة إليه، وهو أن بريطانيا العظمى لما رأت توالي فتوحاته وتقدم خطواته بعثت وهي في أوج عزها تخطب وده وتطلب منه أن يأذن بالاجتماع، فرجع في ذي الحجة إلى الإحساء وهو يفكر هل كان ذلك يقظةً أم مناماً، فاجتمع في العقير بالوكيل السياسي للبحرين ومعه رجل آخر اسمه شكسبير، ولكن هذا الاجتماع لم يسفر عن شيء إلا أنه مهد السبيل إلى مقاومة النفوذ الألماني في تركيا بعد أن تلاشى فيها النفوذ الإنكليزي، ذلك النفوذ الذي كان في المقام الأول منذ حرب القرم خشيت إنكلترا على طريق الهند، فعندما علا نجم ابن سعود وظهرت شوكته طفقت تخطب وده لأنها لا تزال في التأثير على الأتراك وتسعى في عقد اتفاق معه ليكون عضداً على الخليج فيقف سداً منيعاً دون ذلك النفوذ الألماني الذي كان قد خيم على العراق.

ثم دخلت سنة ١٣٣٢هـ

ففيها عاد ابن سعود إلى الرياض ولما أن قدمها ما كان ليستريح حتى بلغه خبر دسيسة في القطيف، فأرسل سريةً إليها ثم سار بنفسه إلى تلك الناحية فنزل في الجبيل وقد جاءه كتاب من والده مبارك بن صباح يخبره أن أحد كبار الترك قدم الكويت ومع هدية من أنور باشا لابن سعود وإجازة للتوسط في الصلح، ثم جاء عبداللطيف المنديل ليخبر ابن سعود أن قد تألف للمفاوضات وفد يرأسه السيد طالب النقيب وفيه ياور من ياورية السطان.

فلما تعدد الخاطبون اضطرب مبارك بن صباح فكتب إلى ولده عبدالعزيز يطلب منه أن يكون الاجتماع في ظله بالكويت ليكلأ بنظره ويمده بإرشاده، وقال في الكتاب من حقي عليك يا ولدي ألا تقبل وساطة هؤلاء إلا في بلدك الكويت،

ولقد شبع هذا الولد من كلائة أبيه، وبما أنه يحب مجاملته فقد أجاب بعض طلبه وسار إلى جهة الكويت، فنزل الصبيحة على مسافة يوم من العاصمة، فكتب إليه ثانيةً يلح عليه بالقدوم إليه فأجابه عبدالعزيز بقوله إني الآن لقريب من الكويت فليتقدموا لي.

وبينما هو في الصبيحة كتب إليه الوكيل السياسي لبريطانيا العظمى في الكويت يستأذن بالمقابلة فضرب له موعداً في ملح واجتمع به هناك، جاء الوكيل في السيارة وجاء سائقها بكتاب من مبارك يقول لكن صلباً معه يا ولدي ـ يعني الوكيل ـ فلا تكمنه من شيء ولا تعطه الجواب الشافي، فلم يرَ عبدالعزيز بأساً في مجاملة مبارك في هذه المرة لأنه لم يكن قد قرر خطته السياسية اتجاه الترك والإنكليز، فقال للوكيل لا يمكن أن نقرر شيئاً اليوم، ولكن والدي مباركاً ينوب عني، فعاد الوكيل غضباً إلى الكويت وركب ابن سعود ضاحكاً وعاد إلى معسكره في الصبيحة.

ثم جاء بعد ذلك بقليل السيد طالب وافداً إلى ابن سعود ووصل مع ذلك رسولٌ من مبارك يحمل كتاباً من الوالد مبارك الحانق الحاقد اللائم الشاتم، وقد كان ناقماً على الوفد لأنه لم ينتخب لرئاسته، وكان في هذا الكتاب التحذير لعبدالعزيز من هؤلاء الكذابين المكارين الخداعين، كن صلباً عليهم يا ولدي ولا تمكنهم من شيء، ولا تصدق ما يقولون أنهم كذابون خداعون، وكان جبر بن مبارك يومئذٍ عند ابن سعود فأطلعه على كتاب أبيه قائلاً له: تراه يحذرني من الإنكليز ويحذرني من الأتراك، وهل في إمكاني أن أحارب الجهتين؟ فأجابه جابر قائلاً له: انظر إلى ما فيه مصلحتك واترك الناس.

ذكر عقد المعاهدة بين ابن سعود وتركيا سنة ١٣٢٢هـ

عقدت جلسة المؤتمر الأولى وجابر بن مبارك ورجاله حاضرون، فألقى عبدالعزيز ابن سعود كلمة زعزعت المؤتمر وسربها الحاضرون، فقال إذا كنتم تبغون مصالحتي فدونكم والدي مبارك بن صباح فهو الواسطة بين وبينكم، ولست قابلاً

بغير ذلك، وهذه الجلسة وقت الصباح، فلما كان في الليلة الآتية بعد العشاء الآخرة حصلت أيضاً جلسة أخرى خصوصية، وكان ما بين الجلستين فترة كافية لتوبيخ رئيس الوفد وهو طالب النقيب.

ولم يحضر هذه الجلسة سوى رجال الوفد فأطلعهم عبدالعزيز قبل افتتاح المفاوضة على كتاب مبارك، فكانت ضحكة طالما أضحكتهم، ثم باشر والمفاوضات الولائية، فطلب الوفد أن يكون للدولة معتمدون في القطيف وفي الحساء، غير أن ابن سعود أبى ذلك وطلب أن تكون العلاقات ولائية فقط وأن تساعده الدولة لقاء هذا الولاء بالأسلحة والذخيرة والمال، وبعد التي والتيا قبل الوفد بذلك وقرروا أن يصل هذا الاتفاق سراً إلى أن يقره الباب العالي.

ثم عاد رجال الوفد إلى الكويت فأحسن مبارك استقبالهم وسألهم عما جرى فأخبروه بما فاه ابن سعود في الجلسة الأولى، فقال مبارك: نصحتكم فما انتصحتم، قلت لكم أن الرجل سفيه عيار ولا يملك قيادة أحد غيري، وفي هاتين الكلمتين بشاعة وانتقاص، لأن السفيه الجاهل والعيار من لا يزجره نفسه عن ركوب هواه.

ثم بعد يومين صنع عبدالوهاب آل قرطاس مأدبة في البصرة للوفد حضرها الوالي شفيق كمالي باشا، والأمير خزعل، والأمير مبارك، فصار الحديث في الوفد وابن سعود، فتكلم مبارك يخاطب الوالي: ألم أقل لكم أنكم لا تفلحون إلا إذا انتدبتموني أنا للتوسط بينكم وبين ابن سعود، وما طلبت ذلك منكم والله إلا لأمرين:

أولاً: لكي أقوم بخدمة للحكومة العثمانية.

ثانياً: لكي أستر على ابن سعود لأن السفيه لا يعقل ما يقول.

فأجاب الوالي قائلاً: رأيك هو الصواب ولكن الأمر قد انفرط ما تقول أنت يا طالب، فأجابه طالب: أقول ما قاله الشيخ مبارك: فلو كان حضرته معنا لما فشلنا.

فلما كان بعد أسبوع جاء من الباب العالي إلى والي البصرة برقيه فيها

التصديق على ما تقرر في مؤتمر الصبيحية مقروناً بالشكر لابن سعود بالنيشان العثماني الأول، فعندها حمل السيد طالب تلك البرقية مسارعاً إلى مبارك، وكان في الفيلا، فسلم عليه وقال: أبشر يا شيخ فقد اتفق ولدك مع الحكومة، فاندهش مبارك لذلك وحان له همه وقلقه، وأجاب قائلاً: ومتى كان هذا؟ فأجابه طالب متهانفاً: الأمر قضي بليل، فقال مبارك كلها بمساعيك يا خبيث، فأجابه طالب لهجاً بقوله: تعلم الولد الخباثة من أبيه، فأجابه مبارك وقد اشتد غضبه قائلاً: سلط الله عليك يا خبيث إليك عني، فضحك طالب وهو يعيد قراءة البرقية.

ثم أرسل الشيخ مبارك بعد ذلك رسوله عبدالعزيز بن حسن إلى ابن سعود يهنيه ويلومه لأنه لم يخبره بالاتفاق، فكتب إليه السلطان عبدالعزيز قائلاً: إني ابنك وقد أهنت نفسي في القدوم من الجبيل إلى الكويت، وما ذاك إلا حبالك وعملاً بإرادتك، ولكن كيف أستطيع أن أرضي والدي وهو يأمرني أن لا أتفق مع الإنكليز، وأن لا أتفق مع الترك، فإذا بين لي حضرة والدي الطريق الثالث أسلكه راضياً شاكراً، ولكني أسأل والدي الآن كيف استحسن ذلك الكلام في ولده على مائدة ابن قرطاس؟ فكتب مبارك معتذراً وقال لا تصدق يا ولدي أكاذيب طالب اللعين، وتأكد يا ولدي أني أريد أن أتظاهر أمام الأتراك بالبعد عنك والجفا لأدرك لك الغاية التي تنشدها، فأجابه عبدالعزيز والحمد لله أن الأمور كانت على ما يرام، فليهنأ الوالد بعز ولده والسلام، هذا خلاصة ما جرى بين ابن سعود وبين الدولة.

ذكر هادمة العهود ومفرقة الوفود وهي الحرب العظمى سنة ١٣٣٢هـ الموافق لسنة ١٩١٤م

لما شبت الحرب العظمى في هذه السنة قامت ألمانيا على الإنكليز وحلفائها، وانضمت الدولة العثمانية إلى الدول الوسطى إلى ألمانيا والنمسا ضد الإنكليز وحلفائهم، فخاضت الدولة العثمانية غمرات الحرب العمومية وشهرت في تلك

الحرب الضروس السيف على الحلفاء وقررت القيادة في اليمن الزحف على عدن.

فلما علم بذلك الإنكليز أوقفوا ثلاثة طوابير من الجنود في البحر كانوا مسافرين من الهند إلى السويس فضربوا الشيخ سعيد، وهذا الاسم يقع على قرية بل جزيرة صغيرة في باب المندب على مقربة من رأس البر اليمني، وقد كان للدولة العثمانية في اليمن خمسة وثلاثون طابوراً يبلغ قدرها خمسة عشر ألف جندي، وقد اجتمع سعود بن عبدالعزيز بن متعب بن رشيد بوالي البصرة سليمان شفيق كمالي بقرب بلدة الزبير، فانضم إلى الدولة العثمانية وتم بينهما التحالف على حرب ابن سعود على أن يكون منه الرجال ومن الدولة العتاد والمال، فأعطته الدولة عشرة آلاف بندقية وذخائرها وأموالاً كثيرة، أما الذي أثار الحرب العالمية الأولى:

إن طالباً من أبناء البوسنة اسمه «غفر يلوبر نسيب» أطلق الرصاص على «الأرشيدوق فرانتز» وارث عرش الأمبراطورية النمساوية في سرايفو عاصمة البوسنة، بينما كان ولي العهد يقوم بزيارة رسمية، فأرداه هو وزوجته قتيلين، وذهل العالم بهول تلك الجريمة الكبرى المفاجئة، وعرف من التحقيق أن الطالب ينتمي إلى جمعية اليد السوداء الصربية التي ارتكبت من قبل عدة اغتيالات سياسية واتهمت الحكومة النمساوية الحكومة الصربية أنها لأسباب متهمة فيها تعد مسؤولة عن هذه الجريمة الشنيعة، وأمهلتها شهراً لإجابة مطالها، وأنذرت النمسا للحرب، فردت الحكومة الصربية بأنها مستعدة للموافقة على إجابة بعض هذه المطالب، غير أنها رفضت رفضاً قاطعاً المطالب النمساوية التي تمس مظهر استقلالها.

فأرسلت النمسا في ٢٣ يوليو إنذاراً نهائياً إلى الحكومة الصربية تطلب منها الموافقة على جميع المطالب خلال ثمان وأربعين ساعة، ومن أهم هذه المطالب: أن تتعهد صربيا بتحقيق نزيه عاجل في الجريمة وأن تنزل بمقترفيها والمتواطئين عليها عقاباً رادعاً، وأن تعمل على كبح الدعاية العنيفة القائمة ضد النمسا والمجر في الصحف ودور العلم الصربية، وحل الجمعيات السرية، وطرد الموظفين الصربيين الذين يناصرون تلك الدعاية.

ولما رأت الحكومة النمساوية المماطلة وعدم الخضوع لبعض هذه التطلبات أعلنت الحرب عليها في الثامن والعشرين من يوليو، وبما أن روسيا تؤيد الصرب تأييداً قوياً في موقفها فإن الأمبراطور «وليم الثاني» أيد النمسا بصفة أن القتيل صديقاً وحميماً له، وبذلك أنذرت السماء ببروقها ورعودها وقامت الدنيا وقعدت تنذر بشرها وويلاتها.

ألمانيا تعلن الحرب على روسيا وفرنسا

قامت روسيا بتعبئة جيوشها وإنفاذها إلى الحدود المتاخمة لالمانيا، فطلبت ألمانيا سحب هذه القوات فوراً فرفضت روسياً أجابتها إلى مطلبها فأعلنت ألمانيا الحرب عليها في أول أغسطس وطلبت من فرنسا أن تحدد موقفها، ولما ردت عليها رداً لم تطمئن إلى جانبه أشهرت عليها الحرب أيضاً في ٣ أغسطس.

زحف ألمانيا على البلجيك

بادرت جحافل الألمان إلى الزحف فاحتلت دوقية لكسمبرج المحايد وأرسلت الحكومة الألمانية في نفس اليوم إنذاراً نهائياً إلى البلجيك أمهلتها فيه اثنتي عشرة ساعة، وطلبت منها السماح للجيوش الألمانية بعبور أرضها في طريقها إلى فرنسا، فرفضت الحكومة البلجيكية هذا الطلب واستصرخ مليكها الملك جورج الخامس البريطاني، فطلبت الحكومة البريطانية مشددة من ألمانيا احترام حيدة البلجيك بمقتضى معاهدة لندن سنة ١٨٣٩م التي وقعت عليها روسيا نفسها.

ولما شرعت القوات الألمانية تشق طريقها في البلجيك على أثر انتهاء موعد الإنذار ونزلت كل دولة ساحة الوغى، وقد كانت النمسا ترتعد فرائصها فزعاً من الخطر الذي داهم إمبراطوريتها المتعددة الأجناس.

وكانت الحكومة العثمانية قد عقدت مع ألمانيا معاهدة سرية في أول أغسطس في نفس اليوم الذي أشهرت فيه تلك الدولة الحرب على روسيا، وتظاهرت تركيا بالحياد فترة من الزمن، ولكن حينما بدا لها أن استعداداتها الحربية قد اكتملت

بدرجة كافية أرسلت أسطولها، فضرب في ٢٩ أكتوبر ١٩١٤م الموانئ الروسية على البحر الأسود، فردت روسيا على هذا الاعتداء بإشهار الحرب عليها.

وفي ٥ نوفمبر أعلنت فرنسا وبريطانيا الحرب على الدولة العثمانية وقطعت علاقاتها بها.

وفي ١٨ ديسمبر أعلنت بريطانيا الحماية على مصر، وبذلك غدا القتال عالمياً في فترة لم تزد على ثلاثة أشهر، وشمل خمساً من قارات العالم الست، ووقفت الإمبراطوريات الألمانية والنمساوية والعثمانية في جانب، وروسيا وفرنسا وبريطانيا ومستعمراتها وصربيا والجبل الأسود واليابان والبلجيك في الجانب الآخر.

أما إيطاليا فقد رفضت أولاً أن تدخل الحرب، ولما وقعت الواقعة توقع الألمان أن يحرزوا نصراً خاطفاً على أعدائهم، وكانت خطتهم ترمي إلى انقضاض جحافلهم على فرنسا فتحطم جيوشها في الغرب في مدى أسبوعين، ثم ينقضون على الروس بعد ذلك في المشرق.

ولما أن شق الجيش الألماني الزاحف في فرنسا طريقه دون أن يستطيع الفرنسيون والبريطانيون وقفه اضطرت فرنسا إلى الاستعداد لحصار مرير، ولكن القائد للجيش الفرنسي المارشال «جوفر» أحرز نصراً فاصلاً على الألمان فاضطروا إلى التقهقر سريعاً إلى نهر ألاين، وما لبث القتال إلى أن تحول إلى حرب خنادق تحصن في داخلها المقاتلون من كلا الفريقين، وامتدت المتاريس والخنادق من بحر الشمال إلى سويسرا جنوباً، وبدا في هذه الحرب استخدام الطائرات لاستطلاع حركات العدو وكشف مواقعه وضرب قواته ومدنه بالقنابل.

قتال روسيا في الجبهة الشرقية

لما تقدم جيش روسيا الجرار لشن هجوم كبير على ولاية بروسيا الألمانية استعد له القائد الألماني «المارشال هند نبرج» فضرب الروس ضربةً ساحقة، اضطروا إلى التقهقر على عجل عن جميع الأراضي الألمانية بعدما تكبدوا خسائر هائلة في القتلى

والجرحى، وأسر منهم ٢٥ ألف مقاتل، وكذلك أرغم جيش روسي آخر على الانهزام لا يلوي أحد على أحد، وأصيب بخسائر فادحة، فاضطر الروس إلى ألانسحاب، وتقدم الألمان فاحتلوا «كورلند» «ليفونيا» «أستونيا».

ولما رأت بريطانيا وفرنسا ما حل بروسيا أرادتا أن تخفف عنها الضغط الهائل الذي أوقعته عليها دولتا الوسط وأن تشقا لها طريقة لتوصيل الذخيرة التي كانت جيوشها في أشد الحاجة إليها لمواصلة القتال، فحاول أسطول فرنسي إنكليزي أن يخترق عنوةً مضيق الدردنيل، ولكن الألمان أحبطوا هذه المحاولة، ورأى الحلفاء أن يبذلوا محاولة أخرى، وذلك بأن ينزلوا قوة برية كبيرة في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة غالبيولي، لكن المارشال الألماني «ليمان فون ساندرس» قد جعلها أمنع من عقاب الجو، فاستقبلت قوات الحلفاء بنار حاصدة عند نزولها، وأخيراً أكرهت على الانسحاب دون أن تحرز تقدماً مذكوراً، وقد تمكنت القوات البريطانية المدافعة عن قناة السويس بمعاونة بعض كتائب الجيش المصري من أن تصد حملة تركية على القناة وتغلغل جيش هندي بريطاني في أرض العراق، ولكن قوة تركية حاصرته وأرغمته على التسليم في كوت العمارة في أبريل سنة ١٩١٥م.

وما زالت الحرب متطاحنة حتى خسر الجيش الفرنسي في معركة واحدة نصف مليون مقاتل، وبلغت خسائر الألمان نحو ستمائة ألف.

بلغاريا تعلن الحرب على صربيا

لما دحر الألمان الروس استميلت بلغاريا الخوض في غمار الحرب إلى جانبهم، فأعلنت الحرب على صربيا في ١٤ أكتوبر سنة ١٩١٥م، وهوجم الجيش الصربي من الشمال ومن الشرق فأكره على إلقاء سلاحه بعد أن أنزلت به خسائر ماحقة، والتجأت فلوله إلى ألبانيا.

ولقد أغرق الألمان عدداً كبيراً من السفن التجارية وسفن الركاب مما أثار احتجاج الدول المحايدة، ولا سيما الولايات المتحدة، فقد هلك بإغراق غواصة

ألمانية لسفينة بريطانية نحو ألف ومائتي رجل وامرأة وطفل من بينهم نحو مائة أمريكي، فانسحبت روسيا من الحرب لما وقع فيها من الخسائر، ودخلت الولايات المتحدة في الحرب، وقد ذكرنا أن الأتراك أمدوا ابن رشيد بالأموال والذخائر، فأخذها الشمّري الشاب ليستعين بها على قتال خصمه، وهذه مبادئ واقعة جراب التي كان يؤرخ بها أهالي نجد، وكان ذلك في الوقت الذي تم فيه عقد المعاهدة بين ابن سعود وبين الدولة العثمانية بواسطة السيد طالب النقيب على ماء الصبيحية.

فيا عجباً من أمر الدولة حيث كان الباب العالي يعمل بيمناه وتنقض يسراه، فدونك تقريب المسألة: هو أن الوفود تعددت في باب ابن سعود وعقدت عهود ناسخة لعهود، وقد حالت الحرب العظمى دون ذلك وهدمت الناسخ والمنسوخ، وكان لم يعلم ابن سعود باتفاق ابن رشيد بوالي البصرة إلا بعد رجوعه إلى الرياض في أول هذا العام.

ولما أن كتب إلى ابن رشيد يذكره بعهد الصلح الذي بينهما ويعيب عليه ذلك الاتفاق بينه وبين الأتراك، أجابه ابن رشيد بكتاب يقول فيه إني من رجال الدولة ومصالحتي وإياك لا تكون إلا إذا رضيت الدولة بها، فعد ذلك عبدالعزيز خيانة منه، وكتب إليه يقول إذا كنت مصراً على نكث العهد فالمقاومة أولى، وما خطر في باله عنه ما كتب هذه الكلمة بأن الدولة قد قام بعضها على بعض بالسلاح.

ولما أعلنت الحرب العظمى وعبأت تركيا جيشها، سارع عبدالعزيز عندما اتصل به خبرها إلى مراسلة أمراء العرب إلى الشريف حسين وابن رشيد وابن صباح في الموضوع، فأرسل رسله تحمل الكتب إلى هؤلاء بما مضمونه في هذا الكلام « قد علمتم ولا شك بوقوع الحرب فأرى أن نجتمع للمذاكرة علناً نتفق فننقذ العرب من أهوالها ونتحالف مع دولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا، فلما بعث الرسل بهذه الكتب جاء طالب النقيب من قبل الأتراك ثانيةً ليسترضي ابن سعود فاجتمع به في القصيم، ولكن الإنكليز كانوا أثناء ذلك قد احتلوا البصرة، فجاء الملازم شكسبير المتقدم ذكره قريباً يحمل في حقيبته تفويضات لا قيد يقيدها غير المصلحة البريطانية واقترانها بمصلحة نجد.

ثم قدم من المدينة وفد عثماني يحمل إلى ابن سعود عشرة آلاف ليرة، وينزلف منه بواسطة صديقه محمود شكر الآلوسي أحد أعضاء الوفد، ثم خرج من الحجاز الأمير عبدالله بن الشريف حسين موافداً من والده للنظر في المسألة التي كتب عبدالعزيز بخصوصها فاجتمع على الحدود بمندوب ابن سعود وافتراق الاثنان كما اجتمعا دون أن يقررا شيئاً.

والحقيقة أن الشريف يتحين الفرص للهجوم على ابن سعود تنفيذاً كما قيل لتلك المعاهدة التي وصفها الأمير خالد بن لؤي في قوله اكتب له ورقة تنفعه عند الترك ولا تضرك.

أما ابن رشيد فقد أجاب بصراحة بقوله: إني رجل من رجال الترك فأحارب إذا حاربت، وأصالح إذا صالحت وكتب مبارك بن صباح يخبر ولده عبدالعزيز بأن «اللورد هاردنغ» حاكم الهند قادم إلى البصرة، ومن رأيي يا ولدي أن تقدم أنت إلينا للمفاوضة.

فلما رأى جلالة الملك عبدالعزيز هذه الرياح المتحركة والعواصف المكدرة، جعل يعمل بما تقتضيه المصلحة، فرد وفد الآلوسي رداً حسناً، وقال لمحمود شكري إنها كما ترى فلا يمكنني مقاومة الإنكليز بعد احتلالهم البصرة، أما طالب النقيب فإنه بعد ذلك الاحتلال يخشى الرجوع إلى بلده، فتوسط ابن سعود من أجله فأذن له الإنكليز، وعاد كما عاد الآلوسي خائب الأمل.

ذكر الطراد أمدن وما جرى منه وعليه

كان لألمانيا طراد سمي باسم بلدة تسمى أمدن، وهي ميناء في ألمانيا، وقد فعل هذا الطراد أفعالاً عظيمة بهمة قائده الكابتن «كارل فون مولر في الأقيانوس» الهندي بخليج بنغال وغيره، تشهد له بالمقدرة وتقر له بالشجاعة والإقدام، فقد قهر وأغرق ما بين بواخر تجارية ومدرعات حربية ما ينوف عن ثلاثين، تقدر قيمتها بستمائة وخمسين ألف جنيه، وهكذا كل يوم، ويصيد ويقتل حتى صيد، وكان قد

أتلف من محمول البواخر والمدرعات ما ينوف أيضاً عن ثلاثة ملايين جنية، وما أوقفه في خليج بنغالة تسعة ملايين جنيه.

وسبب القبض عليه لما صيد في جهة الأقيانوس الهندي اتجاه جزر كوكس كيلنغ، أن في تلك الجزيرة مركز تلغراف لاسلكي، فقصدها أمدن ليخرب ما فيها ويعطلها، فعندما أقبل رآه صاحب اللاسلكي فاستغاث بأقرب مركز للحلفاء.

ثم وصل أمدن الجزيرة وأنزل بعض بحارته وضباطه ورشاشاته ليخربوا ما فيها فبادرت نجدة الحلفاء بإرسالهم لأقرب طراد «يسمى سدني» فما أمهله طراد الحلفاء لأن يقضي غرضه بل وصل الجزيرة سريعاً فعارضه طراد الألمان أمدن فأصيب الطراد أمدن بعد دفاع عظيم وأسر قائده وقتل من بحارته عدد وأسر عدد، أما البحارة الألمانيين الذين نزلوا في الجزيرة فبقوا كامنين حتى ذهب سدني ولم يدر عن وجودهم بها فقاموا وواصلوا السير بلنش من جزائر كوكس كيلنغ إلى سومطرة التابعة لهولندا ومروا بسواحل الهند متنكرين حتى عبروا مضيق باب المندب فالحديدة فالقنفذة ومنها إلى الليث قاصدين جدة فلما قربوا لجدة قام البدو عليهم يرمونهم بالرصاص وذلك بإيعاز من الحسين بن علي ولكن وجود الرشاشات والذخيرة مع الألمان هو الذي منع تغلب البدو عليهم.

ولما سمعت تركيا بالخبر خابرت الشريف الحسين بذلك فأرسل ابنه عبدالله منجداً لهم فوصل إلى جدة فأقام لهم الشريف الحسين وليمة فخمة إكراماً لهم، ثم غادروا جدة عن طريق البر مارين بالسواحل حتى وصلوا سوريا وكان ذلك قبل هذه السنة بسنتين، وقد نقل عن قبطان أمدن أنه أسر لخديوي مصر عباس لما قابلهم أن قال أن الشريف حسيناً وابنه عبدالله خونة يجب قطع دابرهما عن الحجاز فإن كانت هذه قد وصلت إلى أذن الشريف فيوشك أن ينتفخ لذلك غيظاً وخنقاً ونذكر قتله لإخوانهم في السنة التي بعدها.

وفي تلك الآونة هبت رياح شديدة على أهل الغوص بين الكويت والبحرين وأصيبت السفن الكائنة بذلك البحر بضربة شديدة، وقد حدثني من

كان في تلك الورطة، قال لما كان في أواخر الخريف نشأت سحابة من الأفق الغربي فلما كانت فوق رؤوسنا وتوسطت السماء صبت أمطاراً غزيرة ممزوجة بالحجارة والبرد وهبت رياح عاصفة وأمسى البحر تلك الليلة يرمي بزبده وتتحرك زوابعه وكانت السفن الجلجلة فيه تبلغ ثمانمائة سفينة فأصيبت كلها بالعطب واصطفقت وتحطمت كلها وكان من هذه السفن ما تبلغ حمولتها من ثمانين راكباً إلى خمسة عشر راكباً وكان ذلك في أوائل الشهر وظلمة شديدة في الليل فكان من لا يحسن السباحة حظه الهلاك.

أما الناجون فهم قليل ركبوا ألواحاً وبراميل على ظهر الماء وكان البرق في شدة لمعانه يضيء إلى مسافة بعيدة، قال فما زلنا طول ليلنا ركاباً على تلك الألواح المحطمة والبراميل حتى طلع الفجر فأغاثني الله وصاحبي بسفينة حوالي البحرين فمسكنا بحبالها ونحن في حالة يرثى لها قد تمزقت ثيابنا وأنهكنا الموج والبرد فلما نزلنا في السفينة فزعوا إلينا لأنهم رأونا في حالة مزعجة وخشوا أنا لصوص فلما أخبرناهم بحديثنا وحالتنا رقوا لنا وحملونا معهم إلى البحرين فنزلنا ضيوفاً على ابن خليفة وساعدنا بشيء من النقود ثم سرنا إلى العقير بحراً ثم سرنا إلى الإحساء عن طريق البر.

وفي هذه السنة سافر سعود بن عبدالعزيز الملك الحالي إلى قطر ليسلم سليمان ابن محمد الذي فر إلى أحمد بن ثاني فأتى به إلى أبيه.

وفيها سافر الشيخ سليمان بن سحمان قدس الله روحه وأسكنه الجنة يريد البحرين، كما أنه سافر أيضاً الأمير خالد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن نجل الملك ورفقتهما إلى البحرين، كذلك لمعالجة أعينهم وذلك لأنه قد عمى الشيخ سليمان لنزول الماء في عينيه وتألم لذلك فعرض عليه جلالة الملك أن يسافر للعلاج، فسافر إلى الدكتور المسيحي في البحرين لأجل قدح الميل فيهما، ولما أن قدما البحرين وباشر الدكتور علاجه ذلك الدكتور الذي يدعي المعرفة والبراعة، فقال الشيخ قصيدة في أعماله وخذقه يظنه كذلك:

إلى الله في كشـف المهمـات نرغـب ونسـأله الفضـل العظـيم ونطلـب
فـذو العـرش أولى بالجميـل ولطفـه وآلائــه الحســنى بهــا نتقلــب
ليكشـف عنـا الهـم والغـم والأسـى فــنحن علــى أوصــابها نترقــب
مــن الله إفراجــاً ولطفــاً ورحمــةً فلـولاه مـا كنـا عـن الإلـف نـذهب
ولا عن رياض المجد والـدين والهـدى إلى بلـد فيهـا مـن الكفـر أضـرب
ولكننــا نرجــوا رضــاه وعفــوه وإحســانه والله بــالخير أقــرب
ولــولا رجــاء الله جــل ثنائــه لما كنـت للبحـرين في الفلـك أركـب
وقــد صـابنا مــن خوفـه وركوبـه غمــومٌ وأهمــام عضــال وأكــرب
إلى أن وصــلنا دختــراً ذا درايــةً ومعرفـةً في الطـب والحـذق منجـب
فقــرب أهـــوالاً لـــديناً مخوفـــةً وكرخانــة مــن نارهــا تتلــهب
وأشـياء لا نـدري بهـا غـير أنهـا يحـار بهـا العقـل السـليم ويعجـب
فغسـل مــن أجفاننـا قبـل ضـربها بأدويــةً شــتى بهــا يتقلــب
فميــل ســير العــين مــني بميلــه وميلٌ من عثمـان مـن كـان يصـحب
كمثلــي وأرجانــا ليــالٍ قليلــة لينتظـر الـبرء الـذي هـو يطلـب
وأبصـرت مـن كـف الحكيم أنـاملاً يحركهـا مـن بعـد أن كـان يضـرب
وعثمان بعـد الضـرب أبصـر وجهـه وكفالــه يســمو بهــا ويصــوب
وقــد جــاء هــذا بأشــياء لم يكــن ليفعلـها مـن كـان للقـدح ينسـب
فشــد علــى العيـنين منـا بخرقـةٍ لتســعة أيــام تشــد وتعصــب
وألزمنــا أن لا نزيــل عصــائباً إلى أن يجـيء الوقـت ذاك المرتـب
وما كان هذا فعل من كـان قـد أتـى إلى أرضــنا مــن حجــزه يتطبــب
ولا كــان هــذا مــن شــأنه وصــنيعه ولا كــان هــذا حالـه حـين يضـرب
فهذا الذي قد كان من بعـض شـأنه علـى إنمـا نخفيـه مـن ذاك أعجـب
وأمـا الـذي كـان مـن شـأن خالـد فأمر ورى منه ما كانت النفس تحسب
رأى منــه صــبراً في حدوثــة ســنه وقـــد كـــان منـــه دائمـــاً يتعجـــب

فقـص الـذي في عينـه قـد أشـانها وأصـلح مـا يؤذيـه منهـا ويتعـب
وما خـاف لما أن رأى منـه مـا دهـى ولا كـان مـن أهوالـه ينيـب
فقلنـا لـه هـذا سـلالة ماجـدٍ ونسـل ملـوكٍ لا تخـاف وترهـب
غطارفـة شـوسٍ مسـاعير في الـوغى مـداعيسُ في الهيجـا إذا هـي تنشـب
وقـد كـان عبـدالله في حـال ضـربه لأعيننـا مـن خيفـةٍ يترقـب
فغسـل جفـن العـين منـه وشـقها بمقراضـه والعـين تهمـي وتسـكب
دمـاً بـدموعٍ وهـو في ذاك كلـه لـه مسـتكينٌ خاضـعٌ يتقلـب
وخـيَّط مـا قـد شـقه وأصـاره إلى حالـةٍ يرضـى بهـا المتطبـب
وهـا نحـن في هـم وغـم وكربـةٍ مـن القـدح لليمنـى وإنـا لنرغـب
إلى الله في كشـف المهمـات كلـها وعاجـل مـا نرجـوا ومـا نتطلـب
فيا من هـو العـالي علـى كـل خلقـه على العرش ما شيءٌ من الخلق يعـزب
ولا ذرةٍ أو حبـةٍ في سمائـه وفي أرضـه علـى علمـه يتغيـب
بأسمائك الحسنى وأوصـافك العلـى وألطافـك اللاتـي بهـا تتحبـب
أنـل ملكـاً فـاق الملـوك وسـادها رضـاك وبلغـه الـذي هـو يطلـب
وذاك هـو الشـهم الهمـام الـذي لـه تضعضعت الأملاك بـل منه ترهـب
إمـام الهـدى عبـدالعزيز أخـو النـدى مذيق العدى كأس الردى حين ينكـب
حليف العلى بحر النـدى معـدن الوفـا إمـام بـه نـار الـوغى تتلـهب
فيصلى العـدى منـه سـعيراً ويسـقهم كؤوس الـردى منهـا وفيهـا يكبكـب
سـعى جهـده في برئنـا مـن سـقامنا لـدى دخـترٍ ذي خـبرةٍ يتطبـب
فمـا آل جهـداً في تطلـب برئنـا ومـا كـان يرضـى ربـه ويقـرب
فـلا زال رضـوان الإلـه يمـده بعـزٍ وإسـعافٍ بـه يتقلـب
ولا زال في عـزٍ أطيـدٍ موثـل يلاحظـه الإقبـال آيَّـان يـذهب
وأحسـن مـا يحلـو الختام بـذكره صـلاةٌ وتسـليمٌ بهـا نتقـرب
علـى السـيد المعصـوم والآل كلـهم وأصـحابه مـا لاح في الجـو كوكـب

ومــا حـــن رعـــدٌ أو تـــألق بـــارقٌ وما أنهــل صــوبٌ ودقــه يتحلــب

ثم إنه لما كشف عنها الدكتور العصب كان عليها بياض وحمرة شديدة، ولم يبصر كما أبصر في أول الضرب، فضربها بالميل ثانياً، فلم يغني ذلك شيئاً، فقال في الموضوع قصيدة أخرى ونحن نأت بها:

أرى كــل مــا قــد قــدر الله يكتــب وليس عــن المــولى مفــرٌ ومهــربٌ
قضــاءٌ مــن الــرحمن جــل جلالــه ومــا قــدر الــرحمن لا شــك أغلــب
لعمري لقــد أوفــى الإمـام بكـل مـا يؤملــــه ممــــا يريــــد ويرغــــب
ســعى جهــده في برئنــا مــن عمائنــا وســـبب أســـباباً لـــذاك تقـــرب
فجـــازاه مـــولاه الرضـــا وأثابـــه بأحســـن مـــا يجـــزي بـــه المتقـــرب
فيا مــن سمــا مجــداً وجــوداً وســؤدداً حنانيــك مــا ســر عليــك محجــب
سنشرح من أخبارنا بعض مـا جـرى ســوى مــا مضــى ممــا رقمنــاه يكتــب
ولمــا انقضــت تلــك الليــالي الــتي لهــا يؤمـــل منـــه مـــا أراد ويطلـــب
ثمــان ليــالي حــل منــا عصــائباً تشــد علــى العيــنين منــا وتعصــب
فلــم أرى ممــا كنــت أبصــرت أولاً يحركهـــا مـــن كفـــه ويصـــوب
وقــد صــار في عــيني غــواشٌ وحمــرةٌ وأوســاخ مــا يطفــو عليهــا ويحجــب
من الغــم للعــين والعصــب والأســى وأمرار ما قـد كـان يـؤذي ويوصـب
وأرجـــأني خمســـاً وفي كـــل ليلـــةٍ يحـــاول أوســـاخاً تـــزول وتـــذهب
بأدويـــةٍ شـــتى فمـــا بـــين بـــاردٍ ومـــا بـــين ذا حـــرٍ بهـــا يتقلـــب
فلــم يغــني شــيئاً مــا يحـاول كشـفه ولا كــل مــا يهــوى ومــا يتطلــب
فميلـــها أخـــرى وكانـــت مريضـــةً وقــد صــابني هــمٌ شــديدٌ عصبصــب
أدار عليهــا الميــل مــن بعــد ضــربها ثلاثـــاً يزيـــد المـــاء عنهـــا وينضـــب
وهـــرةً منهـــا حـــرة العـــين بالـــدواء وكـــان شـــديداً حـــره يتلـــهب
وقد سفحت بالـدم مـن أجلـها ضـربها وتهريتهـــا بالميـــل أيـــان يضـــرب
ودامت علـى عـيني الحـرارة بالـدوى لعمــر إلهــي ســاعةً وهــي توصــب

وعثمان بعد الحل للعين قد رأى | وأبصر منها ما رأى حين يضرب
سوى أنه قد كان أبصر حمرةً | على عينه تعلو عليها وتحجب
كذلك أوساخٌ عليها كثيرة | وورمٌ بجفن العين يؤذي وينصب
فهرتها بالميل وهو مشربٌ | بذاك الدوى المؤذي لها حين ينكب
وصرنا على ذا الحال كل عيشةً | يجيء إلينا بالقطور ويذهب
دواءٌ لذيذٌ باردٌ لم يكن به | أذاً سوى غم لها حين يعصب
إلى أن مضت من حين أيام ضربها | ثلاثة أسباع تعد وتحسب
فقال لعثمان ستبصر بعد ذا | بيومن ما قد كان في الصحف يكتب
وما أنا فالحال أن شكيتي | وما كان من أمري يرجا ويطلب
على حالها ما تم لي ما أريده | وشكواي لم أبرح بها أتقلب
أبيت بطول الليل من حين ضربها | إلى أن مضت عشرون والعين تعصب
أنام قليلاً ثم أحبس برهةً | وأعراق رأسي من جوى العين تضرب
وقد كنت فيما قبل أرجو سلامةً | وعافيةٌ والله بالخير أقرب
وها أنا في حال الرجاء مترقب | من الله ما أرجو وما أتطلب
ولكنه قد زادني ذاك علةً | وداءً سوى ما كنت أرجوه يذهب
فهذا الذي قد رابني وأمضني | على أنني من فضله أترقب
وأطلب منه العفو مما جنيته | وعافيةً مما يمضي وينصب
وقد عيل مني الصبر من أجل أنني | رأيت مقامي أمره منتصب
فلا زاد إلا بلغةً بتكلف | ولا نوم إلا ريثما أتقلب

ثم إنه لم يجد شفاءً وعزم على الرحيل من البحرين إلى وطنه أنشأ قصيدة حسنة جميلة نالت الإعجاب وذكر فيها أن الدكتور إلا عماءً ولم يفد شيئاً وامتدح صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن وأشاد بذكره ونوه في ما له من المقامات السامية وبعث بالسلام في آخر القصيدة على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وإخوانه وأنجاله ولولا خشية الإطالة لأتينا بها.

وفيها وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود رحمه الله وعفا عنه، وهو العالم العلامة والبحر الفهامة فقيه نجد على الإطلاق هكذا يطلقونه عليه في زمنه، وكان رجلاً عظيماً مقدراً وفقيهاً جليل القدر مقدماً، وفيه قوة وحسن طوية وقوة إرادة ويعد من خيرة أهل زمانه يعظمه العلماء وتجثوا بين يديه لاستفراغ منطوقه وله باع طويلة في جلب العلوم واستخراج غامضها.

ويتصل نسبه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، كانت ولادته سنة ١٢٥٠هـ ببلد ضرما ونشأ بين والديه إلى سن التمييز، ثم أنه كان بعد ذلك في حضانة أمه وتعلم القرآن وحفظه وهو ابن تسع سنين ثم أخذ يطلب العلم على الشيخ عبدالله بن نصير وارتحل إلى مدينة الرياض في سنة ١٢٦٥هـ فأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ، وأخذ عن ابنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، وأخذ عن ابن عدوان، وأخذ عن ابن عيد، وابن شلوان وغيرهم من العلماء، وما زال يتقدم حتى أطلق عليه فقيه نجد وجد واجتهد ونبغ في العلم فعينه الإمام فيصل بن تركي قاضياً في وادي الدواسر فباشره مدة ثلاث سنين، ثم كان قاضياً في بلد ضرما إلى سنة ثمانين وبعد وفاة الإمام فيصل عينه الإمام عبدالله بن فيصل قاضياً في بلد الرياض وجلس للتدريس بها وانتفع به خلق كثير وجثت العلماء بين يديه على الركب، فممن أخذوا عنه الشيخ عبداللطيف، وعمر بن اللطيف، وحسين بن حسن، والشيخ عبدالله بن حسن، وحسن بن عبدالله، وحمد بن حسين، وصالح بن عبدالعزيز، وعبدالحميد بن الشيخ محمد، وعبدالعزيز بن عبدالوهاب، وعبدالعزيز بن حمد، وعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن بشر، وعبدالله بن مسلم، وابن دريهم، وعبدالله الحجازي، وعبدالعزيز الملهمي، وابنه ناصر، وعبدالله بن فيصل، ومحمد بن عياف، ومحمد بن فيصل، وعبدالله السياري، وأبو عرف، وعبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وعبدالله بن زاحم، ومحمد بن حمد بن فارس، ومبارك بن باز، وعبدالله بن سعد بن محمود، وعبدالله بن عتيق، وعبدالله بن جريس، وسعد الخرجي، ويعقوب بن محمد، وصالح السالم، وعبدالعزيز المرشدي، وغيرهم من المشايخ بحيث أخذ عنه أربعون قاضياً.

وكان له مؤلفات منها كتاب الرحيق المسلوف في اختلاف الأدوات والحروف.

ومن محفوظاته كتاب منتقى الأخبار للمجد ابن تيمية وانفرد بعلم الفقه وشارك في غيره كالحديث والنحو والتفسير.

وقد رثاه الأدباء والشعراء فمن ذلك ما رثاه به الشيخ حسين بن علي بن نفيسة وهي هذه:

خيـال زارنـا وقـت الهجـود ... فحـي الطيـف مـن أم الوليـد
فـأهلاً بالـذي قـد زارنـا سـحراً ... وسـهلاً بالمريـدة للبريـد
رعـاك الله مـن خـل وفي ... فـداك الكاشـحون مـع الحسـود
فتـاه بـاللآلئ قـد تحلـت ... فنـور الحسـن مـع نـور العقـود
دمـاليج وأقـراط وشـذر ... فمـال الغصـن بـالطلع النضـيد
أضـاء الليـل إذا أرخـت لثامـاً ... فـذيا البـدر أم ورد الخـدود
تحـاكي البـان لينـاً واعتـدالاً ... وتكسـو القـد بـالفرع المديـد
تفـوت الغانيـات بهـى وحسـناً ... وترمـي الصـيب بـالطرف الصـيود
علينـا مـن لحـاظ الجفـن سـلت ... سـيوفاً كلـها للقـوم مـود
فكـم قـد طـل منـا مـن قتيـل ... بسـهم الطـرف لا سـهم الحديـد
وفي كـل الحـروب لنـا جـلاد ... وفي ميـدانهم مـا مـن جليـد
فـدعنا مـنهم فـالهم جمـر ... ودعنـا مـن وصـال أو وعـود
لقـد حلـت خطـوب شـيبتنا ... وشـاب لهـو لهـا رأس الوليـد
فلـو حلـت علـى أركـان رضـوى ... لأضـحى الصـخر منهـا كالهبيـد
زمـان الأنـس عنـا قـد تـولى ... وبـدلناه بـالهم العميـد
غـداة أتـى إلينـا نعـي حـبر ... ونحريـر غـذاء المسـتفيد
فهـل الـدمع منـا مثـل عقـد ... وهـي سـلكاه مـن نحـر وجيـد
فـابكوا شـيخكم يـا أهـل نجـد ... علـى الإطـلاق ذي الخلـق الحميـد
أبـا محمـود ذو فضـل وعلـم ... كفضـل القـائمين علـى القعيـد
وأمـا فضـله في الفقـه فـاعلم ... كفضـل السـائدين علـى العبيـد

وفي كـل العلـوم لـه اطـلاع ... فـوا قلبـاه لمـا قيـل أودي
حلـيم بـل علـيم ذو تقـاء ... وذو زهـد وخـوف للوعيـد
تـرى الطـلاب عاكفـة عليـه ... يميحـون المسـائل كـالورود
إذا مـا قـال قائلـهم أفـدنا ... أجـاب بـلا فتـور أو جمـود
برفـق ثـم إرشـاد بعلـم ... وأن تبحثـه يـأتي بالمزيـد
لتبكيـه المحـافظ حيـث لفـت ... عـن التـدريس في الـزمن السـعيد
كـذا الأقـلام تبكـي حيـث جفـت ... عـن التسـويد في الـورق الجديـد
ربـوع الشـيخ أمسـت دارسـات ... وقـد كانـت تضـيق مـن العديـد
قلاهـا الراتعـون بهـا زمانـا ... كفقـد المسـتفيد مـن المفيـد
بـدور العلـم غابـت عـن أنـاس ... علـى الـدنيا تواصـوا بـالخلود
وفي تحصـيلها كـدوا وجـدوا ... ولم يـدروا بـذا الـنقص الشـديد
إذا غابـت رجـال العلـم منهـم ... فبـاقيهم كأشـباه القـرود
أرانـا مـوجعين بكـل عـام ... لنـا حـبر يـواري في الصـعيد
رزئنـا الشـيخ إبـراهيم قـدما ... ومفـتي الوشـم أنعـم بالرشـيد
فغابـت شمسـنا المـومى إليهـا ... فـتم العقـد بالنبـل الفريـدي
ومفتيهـا إذا أشـبكت فـروع ... ولم يمتـاز شـوك مـن نضـيد
سـيعطيك الجـواب بـلا تـوان ... علـيم بـالزكي مـن النقـود
سـلام الله مـا هبـت ريـاح ... علـى مـن حـل في بطـن الصـعيد
ورضـواناً وغفرانـاً يـوالا ... وإحسـاناً إلى يـوم المزيـد
علـى أشـياخنا أولاك كنـا ... بهـم نسـمو علـى كـل العبيـد
فيـا مـولاي أوردهـم جنانـاً ... مـع الأبـرار في دار الخلـود

ثم أنه امتدح الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وأثنى على آبائه وأجداده ومراده بالشيخ يعني أخاه المتقدم ذكر وفاته، وأما مفتي الوشم فهو الشيخ علي بن عيسى المتقدم ذكر وفاته في السنة التي قبلها فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٣٣هـ

ففيها وصل إلى جدة تجار ألمان أتوا من الصين الألمانية واي هاي واي، متنكرين باسم تجار يابانيين وعبروا مضيق ملقا إلى سواحل الهند فالبحر العربي فباب المندب فجدة ثم أرادوا الذهاب إلى سوريا فشرعت الحكومة تستعد لهم بقوة لتوصلهم وتحافظ عليهم ولكن الشريف على ما يقال حال دون ذلك وتعهد بإيصالهم من قبله أناساً ليكونوا أدلاء ورفقاء لهم ثم أوعز لقومه أن يقتلوهم عن بكرة أبيهم فقتلوهم بعد مغادرتهم لجدة بمراحل.

ذكر مساعي بريطانيا العظمى وقيامها ضد تركيا

فنقول قامت الإنكليز بما لديها من القدرة فاستمالت العرب إليها بالسياسة والأطماع والمكر والخديعة وبذلت الأصفر الرنان لأمراء الأتراك ومنتهم بوعودها فخانت الأمراء والوزراء دولتها ما عدا ابن رشيد فإنه لا يزال على ولاء الأتراك.

ولما انضم العرب إلى الحلفاء وكان في صفها روسيا قامت بريطانيا تستقرض من اليهود والأمريكيين لأن أمريكا كانت إذ ذاك على الحياد، فدفع اليهود قرضاً سميناً للإنكليز ووعدتها وعداً عرف بوعد بلفور نتيجته أن يعطي اليهود مقابل ذلك القرض سكنى فلسطين، ولقد أخطأت بريطانيا بهذا الوعد وظلمت العرب مساكنهم، ثم أنها شرعت الإنكليز في مفاوضة الشريف على أن الأتراك يفاوضونه لأنهم في ريب منه.

مفاوضة الفريقين للشريف

بينما كان الملك حسين بن علي الشريف في ظهر يوم من الأيام على المائدة في الطائف عنده ابناه عبدالله، وزيد، دخل الحاجب يقول غريب في الباب يبغي سيدنا وكان هذا الغريب رسولاً خفياً جاء إلى الحجاز متذرعاً بالحج وهو يحمل إلى الشريف سراً من مندوب بريطانيا العظمى في مصر «اللورد كتشن» دعوة للانضمام

إلى مصاف الأحلاف فأبى يومئذ الشريف ثم كتب إليه «السير هنري مكماهون» في الموضوع نفسه فتردد وتودد، وكان لا يزال محافظاً على ولائه للعرش العثماني مع أنه لم يحضر إلى المدينة للسلام على أنور وجمال عندما زاراها في هذه السنة، وقد كان نصح للأتراك أن لا يدخلوا في الحرب العظمى ولكنه بعد دخولهم عرض عليهم المساعدة بشروط منها: العفو عن المسجونين السياسيين في سوريا والعراق وإعطاء البلدين نوعاً من الاستقلال أي إنشاء حكم لا مركزي فيهما وعندما رفض الترك طلبه وألحوا عليه رغم ذلك بالتجنيد في الحجاز ذهب إلى قرية خارج مكة يعتزل السياسة إلى حين ثم حدثت الفظائع في سوريا وعلى رأسها شنق أحرار العرب فأثارت غضب الشريف فكتب إلى جمال باشا الذي هو أحد رجال الدولة العثمانية وأحد نقبائها يحتج على أعماله القاسية فأجابه جمال أن يتقي بنفسه بدل أن يدافع عن سواه، ثم كان يفاوض الإنكليز ليتفق معهم ويفاوض أيضاً الأتراك على السوية بل أنه كان يترقب الفرص ليثور على الأتراك ويستقل بالحجاز، ثم أنه أرسل بعض المتطوعين إلى المدينة المنورة وطلب من جمال باشا إرسال المال والسلاح لمساعدة المتطوعين فجاءه من الدولة ستون ألف جنيه، وعلى أثر ذلك أبرق الحسين إلى أنور باشا يقول له إذا كنت حقاً ترغب في إلزامي لجانب الهدوء والسكينة فينبغي الاعتراف باستقلالي في سائر الحجاز من تبوك إلى مكة وجعلي أميراً وراثياً فيها كما ينبغي أيضاً العدول عن محاكمة العرب المتهمين وإعلان العفو العام في سوريا والعراق فأرسل أنور باشا هذه البرقية إلى جمال باشا، فكتب جمال للحسين لقد نمى إلى خبر برقيتك إلى أنور باشا فأنت تطلب أن تكون الإمارة وراثية في أسرتك وأن يمنح أشخاص عديدون العفو الشاهاني بعد أن قامت البراهين على خيانتهم للوطن والملة، وليس من المستطاع إجابة هذا الطلب الثاني ولا أدى ذلك إلى ضرر شديد في مسألة لها تعلق وارتباط بالمصلحة العامة فإن الحكومة التي تصفح عن الخونة خليقة بأن يتهمها الجمهور بالضعف بل قد يغري ذلك الصفح كثيراً من الناس بالخيانة وطعن الدولة والملة طعنة نجلاء فلو عرفت محتويات الوثائق التي ظهرت في المحكمة لرأيت إلى أي حد من الخيانة قد تسفل إليه أولئك المتهمون.

أما فيما يختص بمسألة جعل الإمارة وراثية في أسرتك فإني يخيل لي وأظنك تسامحني في ذلك الرأي لأن الفرصة ليست مناسبة للمطالبة بذلك الطلب فإني في وقت الحرب الذي تتعرض فيه كل قوى الإنسان العقلية والجسمية لأشد العناء والنصب أراك تعترف بأن الإعراب عن مثل تلك الرغبات من شخص يشغل مركز إمام وفي أهم بقعة من بقاع الدولة العثمانية بقعة هي أكثر تعرضاً للأخطار عما عداها لا بد أن يكون له أسوء وقع في نفوس الجمهور والذي اعتقده أنه ما كان ينبغي لك أن تطلب مثل ذلك الطلب حتى لو كان لك الحق في طلبه وذكر أن الهم ينبغي صرفه إلى جهة واحدة وهي إحراز النصر في تلك الحرب وأشار إلى أن دخول الدولة في تلك الحرب لمصلحة العالم الإسلامي.

ثم بعد شهر جاء رد الشريف الحسين على البرقية وفيها:

إن جواب جمال باشا وقع في نفس الشريف أسوء وقع؛ وأرسل إلى الصدر الأعظم جواباً يقول فيه أنه لا يعرف أي الرجلين يصدق أهذا السياسي الذي يتعامل معه مباشرة ولطالما أظهر له المجاملة والود، أم ذاك الذي استعمل معه ألفاظاً جارحة مهينة فهو يرى نفسه مضطراً إلى قطع العلاقات مع الحكومة حتى تجاب المطالب التي طلبها من أنور باشا منذ شهرين، وأيضاً أرسل إلى جمال باشا برقية بهذا المعنى، هذا ما دار بين الحسين وتركيا وما حصل بينه وبين جمال باشا الحازم الذكي.

وإليك ما دار بين الشريف وبين بريطانيا العظمى من المفاوضات فنقول:

انتخبت الإنكليز لمفاوضة الشريف وضمه إليها أحد رجالها، وتشير إلى تلويحة هنا قليلة بأن بريطانيا وقفت برجال من قومها مخلصين مهذبين يكدحون لمصالح الدولة ويسهرون لها ويبذلون النفس والنفيس في رضا حكومتهم وإن قضى ذلك بهلاك ذاتهم وما تنهض الأمة إلا برجال قدراء وقواد مثقفين محنكين شذبتهم التجارب وفطروا على نجاح الطلب والتضحية بالنفوس في سبيل الحكومة ولولا

ذلك لم تتقدم الشعوب ولم تتسع الممالك، نسأل الله تعالى أن يغيث الحكومات الإسلامية برجال الدين والقدرة والشجاعة والسياسة والنصح، وإني لآسف أن يكون للحكومات الأخرى رجال في هذه الصفة حافظوا على شرفهم وشخصياتهم ومقاماتهم وقانونهم ودستورهم ولا يشاركهم رجال حكوماتنا، فليس دستورهم القرآن وأمتهم العرب الذين تشهد لهم الأمم بالتقدم وشرف الدين وحسن الملبس وهو الصلاح والوفاء إذاً فنقول ندبت بريطانيا لمفاوضة الشريف ذلك الباقعة وهو «السير آرثر هنري مكماهون» الأتبع اللوذعي الساحر بفصاحته الماهرة له هامة عظيمة سبحان من وضعها على ذلك العنق الطويل.

ذكر النهضة العربية واتفاق الشريف مع الإنكليز

كتب الشريف هذه الاتفاقية المشتملة على خمسة بنود وبعث بها مع كتاب إلى مكماهون ليطلع عليها دولته وهذا نصها:

١- تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقاً من بحر خليج فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الأبيض وشمالاً حدود ولاية حلب والموصل الشمالية إلى نهر الفرات ومجتمعة مع الدجلة إلى مصبها في بحر فارس ما عدى مستعمرة عدن فإنها خارجة عن هذه الحدود وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحل في محلها في رعاية وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الأفراد.

٢- تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الأمراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام

لحين اندفاعه وهذه المساعدة في القيامات والثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية.

٣- تكون البصرة تحت أشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حال احتياج الحكومة العربية التي هي حكمها قاصرة في حضن بريطانية وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الأشغال.

٤- تتعهد بريطانية العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة ومهماتها والذخائر والنقود مدة الحرب.

٥- تتعهد بريطانية العظمى بقطع الخط من مرسين أو ما هو مناسب من النقط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد ولعدم استعداها أهـ سنة ١٣٣٣هـ فأجابه مكماهون في ١٩شوال منها بهذا الجواب:

إلى السيد الحسيب النسيب سلالة الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد الشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل ذو الدولة الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبلة العالمين ومحيط رحال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس أجمعين:

ثم شرع في كلام حلو لطيف يسبي عقول الأذكياء وأطال ثم ذكر أن مصالح العرب نفس مصالح الإنكليز والعكس بالعكس وذكر رغبتها في استقلال بلاد العرب وسكانها وأن جلالة ملك بريطانيا العظمى رحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدولة النبوية.

ثم قال أما من خصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها وتصرف الأوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب دائرة رحاها ولأن الأتراك لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً وعلى الأخص ما علمناه وهو مما يدهش ويحزن أن فريقاً من العرب القاطنين تلك

الجهات نفسها قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها وبدل إقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة إلى الألمان والأتراك، نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب وهو الألمان وذلك الظالم العسوف وهو الأتراك ومع ذلك فأنا على كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل ما للبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية، وستصل بمجرد إشارة سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه، وقد علمنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته إلينا، ونحن على الدوام معكم قلباً وقالباً ومستنشقين رائحة محبتكم الزكية ومستوثقين بعرى محبتكم الخالصة سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا، وفي الختام أرفع إلى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي.

المخلص السير آرثر مكماهون

نائب جلالة الملك بمصر

ثم أجابه الحسين الشريف على هذا الكتاب بكتاب مؤرخ في ٢٩ شوال يلح فيه بقبول تلك الحدود المعينة في الاتفاقية، فأجابه في ١٥ ذي الحجة بكتاب أشد لهجة من الأول وأعذب، وقال بعد الديباجة المفعمة والألفاظ التي بالمسك مضمخة إني قد أسرعت في بلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم وأجابه إلى كل ما طلب سوى تعديلات يسيرة، وتلطف وأطال بالمديح والثناء العجيب، ثم قال بعد ذلك: وفي الختام أرفع إلى دولة الشريف ذي الحسب المنيف والأمير الجليل كامل تحياتي وخالص مودتي، وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة راجياً من ذي الجلال أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير العالم وصالح الشعوب أنه بيده مفاتيح الأمر يحركها كيف يشاء، ونسأله تعالى حسن الختام والسلام.

نائب جلالة الملك السير آرثر مكماهون

فردَّ الحسين على هذا الكتاب بأنه يعترف بأن الولايتين مرسين وأضنة لستا داخليتين في حدود البلاد العربية التي تطلبها، وقبل تأجيل البحث في ولايتي حلب وبيروت إلى ما بعد الحرب.

ولا غرو ولا بدع للشريف بن علي إذا انتفخ من هذه التعطفات وامتلأت نفسه عجباً، وكان عظيم الاستبداد بالأمر دون الوالي التركي حتى كان لا يترك واحداً من الأهالي يتقاضى في قليل أو كثير إلا عنده سواء في ذلك الأحوال الشخصية والحقوق المدنية، وكان مع هذا يوعز إلى أعيان الحجاز الذين استولى على قلوبهم بدهائه، وما كان يظهره لهم من التحبب والعطف والتواضع أن يكتبوا للدولة بالشكايات من الولاة الأتراك، وأن يفتروا عليهم أموراً لم تكن، ولقد ساعد الحسين على هذه المشاكسة ضعف الكثير من الولاة الأتراك الذين كانت تبعثهم الدولة العثمانية غافلةً عن ضخامة المركز الذي سيشغله وحروجته وشدة حاجته إلى رجل باقعة في السياسة، صلب العود شديد البطش، يستطيع أن يوقف كل معتدٍ عند حده، بل غفلت الدولة عن كل هذا، فكانت تبعث كل عام من الولاة من يمثل ضعف العزيمة والخور، فما يلبث أن تبث الشكايات فيه بالحق والباطل، فيذهب ويجيء غيره، وهكذا إلى أن وقفت الدولة لرجل جمع صفات الولاية ومؤهلاتها من سياسة إلى ذكاء وفطنة إلى حب للخير، وعطف على الناس إلى شجاعة وقوة عزيمة وصرامة، رأي ذلك هو «وهيب باشا» الرجل الذي بيض بالحجاز وجه الدولة، ونال بحق إعجاب عقلاء الحجازيين، ولكنه مع الأسف جاء والخرق كان واسعاً والشريف كان ذا عصبية لا يستهان بها، فأخذ وهيب يعمل بجد وهمة لا يفتر على تحسين مركزه والضرب على يد العابثين، فكانت حرب عنيفة بين الحسين وبينه غبارها مرةً يعلو ومرةً يهبط، ونارها مرةً تصل إلى عنان السماء ومرةً تخبو، حتى كادت تؤدي إلى استعمال السلاح والتقاء الجيوش، ومن كان له أنفةً وشيمةً فلا يرضى لنفسه بالدنايا ولا يدع حقوقه تمتهن، ويسكن غبار تلك المشاغبات سياسة وهيب وحكمته، وما كاد وهيب باشا يقرب من الغاية، حتى جاءت الحرب العالمية التي نحن بصددها، فغيرت مجرى الحوادث، ودبرَّ الحسين ما دبره، وذهب وهيب باشا إلى المدينة من متطوعي الحجاز، وأقام بمكة خلفه غالب باشا وانتهى الأمر بنهضه الحسين التي كان يمني العرب والحجاز بأنها ستنيلهم استقلالاً تاماً وتحررهم

من قيود التبعية التركية وتعطيهم من الحربة ما يعيدون به مجد السالفين، وعز الغابرين فعاونوه على نهضته بكل ما استطاعوا، وأطاعوه حتى فيما كرهوا، وأسفر الصبح عن مأساة شنيعة جداً أحمر لها وجه العرب والمسلمين خجلاً، وقرت بها عيون الحلفاء والأوربيين جذلاً.

ذكر وقعة جراب سنة ١٣٣٣هـ

قد قدمنا أن الدولة العثمانية قد اتفقت من ابن رشيد أمير حائل وهو سعود بن عبدالعزيز بن متعب، وأمدته بعشرة آلاف بندقية من أمهات خمس القصار، وأمد الإنكليز ابن سعود على حرب ابن رشيد، وقد كان ابن سعود لا يلتفت إلى شريف مكة ولا إلى منع المارين من رسل الدولة للاجتياز إلى اليمن، وإنما كان يهمه ابن رشيد أمير الجبل، فما كان إلا القليل حتى تأهب الفريقان للحرب في وقت قصير ولم يتجاوز جيش كل منهما ثلاثة آلاف مقاتل، فقد كان مع ابن سعود نحو ألف مقاتل من الحضر وأكثرهم من أهل الرياض ونواحيها، ويمتاز هؤلاء المقاتلة بالبسالة والشدة ومعه ثلاثمائة خيال من العجمان ما عدى البادية ومدفع واحد لا غير، كما أن ابن رشيد معه ستمائة من الحضر وألف فارس من فرسان شمّر، وقد رافق ابن سعود الضابط الإنكليزي شيكسبير المتقدم ذكره، فما استحسن ابن سعود خروجه معه وقال له: ليس من رأي أن تمشي معنا وإني أفضل انتظارك إيانا في الزلفي فنعود إن شاء الله إليك، غير أن الضابط أجابه بقوله لا يجوزان يقال أن رجلاً إنكليزياً قرب من ساحة القتال بين ابن سعود وابن رشيد ورجع جبانةً وخوفاً، وقد ألحّ عليه ابن سعود بالرجوع، وألح هو أيضاً بالحضور، فركب مع الجيش إلى ساحة القتال في جراب، وجراب هذا ماء من مياه القصيم.

ولما أن حضر شكسبير في جيش ابن سعود قام على تعصبه بعادات أجداده وتقاليد أمته فما غير لباسه، بل ركب وبين يديه آلة التصوير، فلما كان في سابع ربيع الأول التقى الجمعان واصطدم الفريقان وذلك في شدة الحر وعلت بالقوة

والبسالة قوم ابن سعود يقولون «أهل التوحيد أهل العوجاء وشمّر يعترون بهذه الكلمة «سناعيس سناعيس» وقد أخرجت شمّر عمارياتها وهذه العماريات بنات أبكار، من عادات العرب أن كل قبيلة تنتخب في الحرب بنتاً من بناتهم الأبكار تسمى العمارية، فتركب في هودج أو تقف وتكون سافرة مرخية شعرها وتتقدم قومها إلى ساحة القتال والوغي منتخية منخية ولا أعلم لأي فائدة في ذلك ويقرب أن وجود هذه البنت بين قبيلتها يشجعهم على القتال فيقوموا بواجب الدفاع عن النساء والذرية، وقد أبطل ابن سعود هذه العادة القبيحة، أما الانتخاء بأهل العوجاء فهو لأهل الرياض والاعتزاء يكون بأسماء الآباء والأجداد وأسماء القبائل أو البلدان وما فيه مفخرة.

ولما أن تبادرت الأصوات «أهل العوجاء أهل العوجاء» ويردد الإخوان من قوام ابن سعود أيضاً هؤلاء الكلمات التي تقذف البدوي في الوغى وتصليه نيران الحرب:

هبـــت هبـــوب الجنـــة　　أيـــن أنـــت يـــا باغيهـــا

كما أنه يجيبهم أولئك سناعيس سناعيس، ما كان إلا أن تصادمت الأبطال وتقارعت في المجال وتطاردت وتراجعت، وكان ذلك في ظهر ذلك اليوم، فكانت الغلبة في بادئ الأمر لابن سعود وجعل رصاص أهل التوحيد يقع أمام الشمريات الواقفات فوق أسمنة الإبل فيصحن بالرجال إلى القتال ويهتفن هازجات:

يلـــي يتمنـــاً حربنـــا　　غويـــت يـــا غـــاوي الـــدليل
كـــم واحـــدٍ مـــن ضـــربنا　　دمـــه علـــى الشـــلفي يســـيل

فاحتدم القتال ودوت البنادق فأصيب شكسبير برصاصة قضت عليه، وظهر تخاذل من فرسان العجمان الذين هم مع ابن سعود بأن تراجعوا فأغارت إذ ذاك بادية ابن رشيد على جناح أهل التوحيد الأيسر فدحروه وغنموا أمواله.

وكان بدو ابن سعود الذين أكثرهم من مطير قد أغاروا أثناء ذلك على جيش ابن رشيد ومخيمه فغنموا وفازوا وانفصلت الواقعة عن هزيمة ابن سعود، وقد حدثنا من حضرها أن رايته تجر على الأرض حتى مزق بعضاً منها.

ولحق رجل من العدو ابن سعود وكان الرجل فارساً ولم يعرفه، فقال له ألق السلاح، فالتفت إليه ابن سعود وبيده سيفه فقال خذه فإنك أهلٌ له، فضربه بالسيف بقوة فقسمه السيف شطرين.

وقد قال الشيخ سليمان بن سحمان قصيدة في هذا الموضوع يسلي بها صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود، وأن الحرب سجال وفيها تحريضه أيضاً على الجهاد.

أمور القضا ليست بحكم العوالم ... ولكن إلى ربٍ حكيم وعالم
قضاها إله العرش جل جلاله ... وقدرها من قبل خلق العوالم
بخمسين ألفاً قدرت من سنينا ... فليس لأمرٍ حمه من مقاوم
فلوا أن «لو» تجدي وتنفع قائلاً ... لأصبح مفتوناً بها كل لائم
يلوم على ما قدر الله والقضا ... فتباً له ماذا جنى من مآثم
وما كان هذا الأمر بدعا فقد جرى ... لأفضل خلق الله صفوة هاشم
محمد الهادي إلى الرشد والهدى ... وأصحابه أهل النهى والمكارم
لأن كان قد أضنا بنا وأمضنا ... بشؤم الذنوب المعضلات العظائم
من القرح ما نرجوه من فضل ربنا ... وإحسانه محواً لتلك الجرائم
فقد مسهم من ذلك القرح فادحٌ ... فكانوا طعاماً للنسور الحوائم
بأيدي رجال من ذوي الصدق في اللقا ... حماةٍكمات كالأسود الضراغم
يسومون في الهيجا نفوساً عزيزةً ... وترخص منهم في حضور الملاحم
وقد غادروا أبناء حائل في الوغى ... جثاثاً ركاماً كالهشيم لشائم
وقد منَّ مولانا بطلعتك التي ... أضاءت بها شمس العلى في العوالم
فأصبح هذا الناس في ظل مجدكم ... بأمنٍ وفي رغدٍ من العيش ناعم
وجاء بك المولى معافاً مسلماً ... وأعداك في كبتٍ وذلٍ ملازم

الخ. على أن العدو لم سلموا من الانهزام لكن شدة الوقعة كانت على ابن سعود.

ومن أبيات للشيخ حسين بن علي بن نفيسة يسلي بها صاحب الجلالة ويذم بها العجمان الخائنين بأنهم لئام لا يفيد فيهم الإحسان وهي قوله:

سبحان من يجمع الأوصاف في بشرٍ حتى يذل له في الحب شجعان
قلت أمتعينا بوصلٍ يا حبيبتنا فطالما جد بي وجدٌ وهجران
قالت تروم وصالاً لا سبيل له هلا سمعت بما قد رام ضيدان
رأس النفاق ضعيف الرأي أسفهم أبدا الخنا فغدى للشر ديدان
واستسمن الكلب بالنعما فقابلها بالكفر والغدر إذ غروه عجمان
هلا تذكر ما أسدى الإمام له له النفائس أفراسٌ وذيدان
بل والفلوس وما قد صيغ من ذهبٍ الكل تأتيه أمنان وأثمان
يا ضيعة المال فيمن ليس يشكره إذ قال ربي جزى الإحسان إحسان
في فرقة نكثت للعهد فاسدةً تأتي الفساد كما يأتيه فيران
لا غرو قد وافقوا الأتراك دهرهم فليس ينهاهم دينٌ وإيمان
من حبهم أجلبوا نحو العراق وقد جدوا بآثارهم رحلٌ وأضعان
فخاب ما أملوه من مفاسدهم ضلوا كما ضل في مسراه حيران
لا يهتدون إلى رشدٍ وقد جبلوا على طبائع أسلاف لهم بانوا
فالشرى لم تنقلب أرياً مرارته وقد يكون من الثعبان ثعبان
فالسحت مأكلهم والغدر شيمتهم لم تغن عنهم مواثيقٌ وأيمان
كم خربوا بلداً كم فرقوا عدداً كم أيتموا ولداً كم مسلمٌ هانوا
قد قال جدي حسين فيهم مثلاً تلقاء عمك إذ وافاه راكان
لو ترم في البحر صلبوخاً وتخرجه فأقدح ففي وسطه شرٌ ونيران
هم الزناديق لا تقبل لعذرهم كم نالهم منك إعراضٌ وإحسان
فلم تزدهم سوى البغضاء من سفه إذا صدهم عن سبيل الرشد شيطان
إياك إياك أن تريحهم أبداً أن اللئام إذا لم يغدروا خانوا
فالعفو عن مثلهم ذل ومنقصةٌ والجور في مثلهم جود وإحسان

بنـو القطيعـة هـاهم قطعـوا سـبلاً فاقتـل وصـلب كمـا قـد قـال قـرآن

كسر أنوفاً من الإعجاب قـد شمخـت كمـــا تكســــر أصــــنامٌ وأوثـــان

بالقتـل والأسـر والتشـريد عاملـهم مـا للصـنيع مـع الفجـار ميـدان

أعـدَّ لهـم ملحـاً مـع طبعـةٍ سـلفت حتـى يكونـوا كـأن القـوم مـا كـانوا

لا تبـق مصـاص ثـدي مـنهم أبـداً كـي لا تثـور مـن الكبريـت نـيران

شـردّ بهـم مـن بهجـرٍ مـن بواديهـا فهـم أنـاسٌ لأهـل البغـي أوثـان

لا يســكنون بهــا مادمــت مالكهــا فإنمـــا وطـــن الأشـــرار نجـــران

يقـــول قائلـــهم فـــاتتكم رطـــبٌ فـابكوا وقـد فـاتكم خـوخٌ ورمـان

فـــلا يغـــرك مـــن أبـــدا بشاشـــته والقلـب بـالغش والبغضـاء مـلآن

مهـلاً رويـداً بنـوا السـوآت فاتئـدوا حتـى يصـبحكم جـيشٌ وفرسـان

مـع الهمـام زكـي الأصـل يقـدمهم ليثٌ إذا مـا التقـى الأبطـال غضـبان

عبـدالعزيز الـذي سـارت فضـائله في الأفـق غنـى بهـا جمـعٌ ووحـدان

في فتيةٍ مـن بـني الإسـلام قـد عرفـوا في الحـرب إن خـالط الأقـران أقـران

كـم وقعـةٍ أوقعوهـا في عـدوهم يكـاد مـن ذكرهـا ينهـد ثهـلان

فأصـبح الملـك للـرحمن ثـم لـه والمسـلمون لـه جنـدٌ وأعـوان

الخ. وهي طويلة جميلة حذفنا باقيها خشية الإطالة.

ذكر التعريف بالعجمان

هم من قبائل اليمن من قحطان وينسبون إلى همدان وينتمون إلى مذكر بن أيام بن أصبا بن رافع بن مالك بن جشم بن خيوان بن نوق بن همدان يسكنون في الماضي نجران، ثم ارتحلوا شرقاً وهم قبيلة ، ولما أن سكنوا نجداً ما كان لهم في ذلك الوقت قوة يمتنعون بها، ولما كان في أيام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود جعلوا ينافقون ويظهرون حلو الكلام فأحسن الإمام إليهم وأنزلهم بلدةً بني خالد وبعد هلاك الإمام تركي عاملهم نجله فيصل بمثل معاملة أبيه لهم فبطروا النعمة،

واستفحل أمرهم فصاروا يقطعون الطرق على السابلة والحجاج، وكان لهم صرامة وحميةٌ وعصبيةٌ يندر مثلها في العشائر وفيهم التقلب والغدر، عصوا الدولة العثمانية فتركتهم وشأنهم وكثيراً ما كان عمالها في الحسا يشاركون رؤسائهم الغنائم ومع ذلك فقد كان الواحد منهم يسلب جندي الدولة فرسه ويدخل بها الحساء لينعلها، وعصوا مبارك بن صباح فحاربهم واسترضاهم وما تمكن لا من قهرهم ولا من ولائهم.

وكان من تمردهم أن نسوا معروف الإمام تركي، وناصبوا ابنه فيصل بالعداوة، فسيّر إليهم نجله عبدالله فأوقع بهم في ملح، وكاد يفنيهم بعدها بعام في واقعة الطبعة بقرب كاظمة على خليج الكويت، ثم أجلاهم إلى نجران، وبعد ولايته واختلافه مع أخيه سعود ذهب سعود إلى نجران فاجتمعوا عليه وآزروه وجاءوا معه يناصرونه وليثأروا باسمه من عبدالله وقد قدمنا في موضعه وآخر أمرهم ووالوا ابن سعود ثم حالفوا عليه أبناء عمه العرائف، هذا مع أنهم أصغر القبائل عدداً فمقاتلتهم لا تبلغ خمسة آلاف مقاتل، وقد تفوقوا حتى نازعوا بني خالد الإمارة، كما قال الشاعر:

وقد قسموا الإحساء جهلاً بزعمهم لعجمانهم شطر وللخالدي شطر

وكان لهم شدة بأس وعصبيةٌ يفنى بعضهم في سبيل بعض إذا سئل الواحد منهم أتقبل الخير من الله بنفسك يجيب قائلاً: لا أقبل خيراً لا يكون للعجمان كافة.

ولقد جائهم ابن سعود بالخير العميم فرفضوه مراراً بل امتشقوا الحسام عليه والتاريخ شاهد عليهم كما في جراب والإحساء، وسنذكر قصة فيما بعد ذلك في قتل ضيدان وما جرى منهم من إلقائهم أنفسهم إلى التهلكة في طلب ثأره.

ولما أن انتهت واقعة جراب عاد ابن سعود إلى القصيم، وعاد ابن رشيد إلى جبل شمّر فأدبَّ كل واحد من الأميرين باديةَ الآخر، ووفق كل واحدٍ بمقصوده، ولكن ابن سعود لم يقتنع بما نال من البادية بل ذهب يطلب خصمه الذي قد رحل

برجاله إلى العراق، ثم عاد منه فلما كان ابن سعود بشقراء جاءه رسول من ابن رشيد يطلب الصلح والسلام فجددت المعاهدة السابقة.

ولما أن كان في ذلك اعتدى العجمان على عشائر ابن صباح فنهبوا مواشيهم، فكتب ابن صباح إلى عبدالعزيز يشكوهم ويطلب منه تأديب المذنبين ورد المنهوبات، وكان مجيء الرسول إليه في شقراء أيضاً، فأرسل ابن سعود ابن عمه ناصر إلى الشيخ مبارك بكتاب يقول فيه: لست يا مبارك بصديق صدوق قد نالني من العجمان أكثر مما نالك فصبرت وتحملت، ونحن الآن في وقت القيظ ولا نتمكن من شدته أن نسير بجيش إلى ديرة العجمان، والأمر الثاني هو أني في ريب من صلح ابن رشيد فأخشى نكث العهد إذا أنا غادرت نجد ودخلت في حرب العجمان، والأمر الثالث نفقات هذه الحروب وقد تكاثرت علي فضاقت في سبيلها الأسباب، والأمر الرابع يا حضرة الوالد هو أني أخشى أن يلجأ العجمان بعد الحرب إليك فتنقلب علي كما فعلت يوم سعدون والظفير، ومن رأيي في حال العجمان أن تؤجل المسألة إلى فصل الصيف، فكتب مبارك إلى ولده عبدالعزيز إن الأمر لا يؤجل ولا بد استرجاع المنهوبات فأجابه عبدالعزيز قائلاً:

إن العجمان لا يرجعون ما ينهبون إلا مكرهين بحرب وعنف لأن مباركاً مسلفهم الإساءة، فإذا عزمت على محاربتهم تعطيني عهد الله وميثاقه أن تعينني بالمال والرجال وأن لا تسلك في سياستك معهم مسلكاً غير مسلكي، ولا تستقبلهم إذا لجأوا إليك ولا تتوسط بالصلح بيني وبينهم، ولما أن عاهده مبارك على ذلك بعهد الله وميثاقه مشى عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى الحساء بفرقة صغيرة من الحضر والبدو في صيف هذا العام بشدة الحر القائظ، أضف إلى ذلك أنها على أثر واقعة جراب، فعلم العجمان بقدومه فرحلوا اتجاه قطر، فعندها حشد عبدالعزيز بن عبدالرحمن جيشاً من أهل الحساء وزحف جنوباً متقفياً أثرهم، وقد كان لشدة الحر لا يستطاع المشي نهاراً فكيف بالقتال، ولم يكن لديهم رواحل لضعف الحال فأسروا ماشين حتى وصلوا موضعاً يسمى كنزان، وكان العدو معسكراً فيه، أولئك العجمان فلا يستهان بشرهم.

ولما أن وصل ابن سعود بجنوده إلى ذلك الموضع كانت النخيل تبدوا في الليل كأبيات من الشعر فشرعوا يطلقون الرصاص عليها ظناً منهم أنها العجمان، غير أن العجمان أخلدوا ورائها حتى أفرغ أهل الحساء ذخيرتهم على الأشجار، فخرجوا من مكامنهم والتقوا بابن سعود وذويه فهاجموهم من ورائهم، فتلاحم الفريقان واستمروا طيلة ذلك الليل الشديد الظلمة، فاختلط الحابل بالنابل، بل ظل أهل الإحساء يفتك بعضهم ببعض من شدة الظلمة فجرح صاحب الجلالة عبدالعزيز، وقتل أخوه سعد بن عبدالرحمن رحمة الله تعالى عليه، وكان عمره حين قتل في السابعة عشرة، فدارت الدوائر على رجال ابن سعود وعادوا منهزمين إلى الحساء، وتقفاهم العجمان حتى نزلوا قرب الهفوف فحاصروها ثلاثة أشهر.

ولما رأى ابن سعود تفاقم الأمر بعث إلى والده ليستنفر أهل نجد، وبعث إلى الشيخ مبارك يستنجده أيضاً، فسارع أهل نجد تحت قيادة أخي الملك محمد بن عبدالرحمن، وقد انضم إليه سعود بن عبدالعزيز العرافة وكان قد فرَّ قبل ذلك من الخرج إلى ابن رشيد وحارب معه في واقعة جراب، غير أنه لما رأى هذه المرة ابن عمه الملك عبدالعزيز في تلك المحنة أخذته الحمية وعاد إليه تائباً ومناصراً وما أحسنها من حالة نسأل الله أن يلم شمل المسلمين ويعطف قلوب بعضهم على بعض، وما فازت أمة إلا بالتعاضد والتناصر والمساعدة كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وما حدث الفشل والضعف إلا عن نتيجة التفرق والنزاع والتخاذل.

ولما أن علم العدو الألد ابن رشيد تحفز للوثوب ملقياً بالعهود والصلح عرض الحائط ونكث العهد يريد احتلال بريدة، فزحف إليها ما دام ابن سعود منشغلاً بورطة العجمان، ولما أن زحف يريد بريدة، لم يعجب الشريف حسيناً عمل ابن رشيد هذه المرة، ذلك بأنه يريد الانضمام إلى الإنكليز، وابن رشيد كان حليف الأتراك فأرسل ابنه عبدالله لمضادة ابن رشيد، ولما علم ابن رشيد بزحف عبدالله بن الحسين ليصده رجع من أثناء الطريق مدحوراً، وعاد عبدالله بن الشريف إلى الحجاز مطمئن البال، ولما لم يأت من قبل مبارك بن صباح مدد بعث إليه ابن سعود ثانياً يذكره العهد وما بينهما من المساعدة فجاءت منه نجدة صغيرة مجهزة تحت قيادة

ابنه سالم واثنين آخرين من أولاده، وكانت هذه القوة صغيرة لا تتجاوز مائة وخمسين رجلاً من الحضر ومائتين من البدو، ثم إنها قدمت الإحساء وانضموا إلى جيش ابن سعود، ثم إنه امتد حصار العجمان للهفوف ثلاثة أشهر مدة الصيف، والحقيقة أنهم نزلوا أماكن تكثر فيها الثمار وتتفجر الأنهار فلا يستطيع المهاجمون الوصول إليهم، فلما كان في آخر ذي القعدة رحلوا منها فتبعهم عبدالعزيز وأمر أخاه محمد وسالم بن صباح وجنودهما أن يبقوا في مراكزهم وزحفوا ليلاً بفرقة من رجاله ومعهم بضعة مدافع، ومشوا على الأقدام لأن أكثر الإبل كانت قد أرسلها إلى نجد لقلة المرعى في الحساء، فأدركوا العجمان في وقت الصباح فنصبوا عليهم المدافع، ثم هموا بالهجوم، ولكن سارع أولئك العربان إلى ركائبهم ففروا عليها هاربين إلى جهة الكويت فلم يتمكم السعوديون من اللحاق بهم لقلة الركائب، ثم إنه عاد عبدالعزيز إلى مقره وأمر أخاه وسالماً حليفه بمطاردة العجمان، فجمع الاثنان رجالهما ومشوا كلهم طائعين متآلفين، ولكنه ما كان إلا قليل حتى تفرقوا، فلما أن أدركوا العجمان ظهرت خيانة آل صباح بأن هجروا حليفهم ابن سعود واتفقوا مع أولئك العشائر العاصية، وكان الباعث لذلك أن سالماً لما اشتبك بالقتال مع العجمان نصرةً لابن سعود، وظهرت الفرصة للظافر انقلب سالم فجأةً فصالح العجمان وأعلن حمايتهم لكتاب جائه من قبل أبيه مبارك يؤتيه فيه ويقول: أرسلتك مراقباً لا مقاتلاً.

ولما أن ظهرت تلك الخيانة من ابن صباح أرسل محمد بن عبدالرحمن إلى أخيه الملك يخبره أعمال ابن صباح ويستأذنه بالهجوم على العدوين ابن صباح والعجمان، فأجابه الملك بقوله: لا تفعل، كيف نكون حلفاء في أول النهار وأعداء في آخره، والناس لا يعرفون حقيقة الحال، ثم كتب عبدالعزيز إلى الشيخ مبارك يشكو إليه خيانة سالم ويقول: لم أقدم على تأديبه إكراماً لك، فأجابه الشيخ مبارك في كتاب يقول فيه بأن بينه وبين العجمان صداقة قديمة، وما طلبت منك أن تحاربهم بل أن تسترجع منهوباتي منهم، ما طلبت منك أن تطردهم من ديارهم، فلما قدم كتاب مبارك على الملك عبدالعزيز وقرأه جعل يحتدم غيظاً وهتف يردد

هذه الكلمة التي يأخذها من فاتحة الكتاب إذا هو أعلن الحرب: «إياك نعبد وإياك نستعين»، صبرنا على مبارك صبراً جميلاً وأمثلنا منه شيئاً كثيراً وفادينا من أجله بالمال والرجال وما نحن بصابرين إلى الأبد «إياك نعبد وإياك نستعين» وختمت هذه السنة بتلك التقلبات فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٣٤هـ

استهلت هذه السنة والكتب تتبادل بين الإنكليز وبين الشريف حسين، وكانت المفاوضات في هذه السنة مستمرة بين عدن وجيزان وبين القاهرة ومكة وبين أبي شهر والرياض، وذلك من جهة الحكومة البريطانية تستجلب أمراء العرب ليدخلوهم في تلك الحرب الضروس في صف الأحلاف، وفعلاً بادر أمراء العرب إلى ذلك، وقد انضم الإدريسي إلى الحلفاء وحمل على الترك حملات منكرة ثم لبى ابن سعود ذلك الطلب وعقد وإياهم معاهدة بعد ستة أشهر، كما أن الشريف يفاوض عميد بريطانيا العظمى في القاهرة، والغرض في إدخال العرب في سلك الأحلاف والوقوف بصفهم هو محاربة الأتراك وصدهم عن تأليف كتلة عربية يقفون بها في وجه بريطانيا العظمى هناك فيقطعون عليها طريق الهند.

ولما كان في ٨ صفر من هذه السنة جاء كتاب من نائب ملك مصر إلى الشريف قال فيه: من نائب ملك الإنكليز إلى الشريف حسين أمير مكة إلى صاحب الإصابة والرفعة وشرف، المحترم سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر، والنسب الفاضل، دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير مكة المكرمة قبلة الإسلام والمسلمين أدامه الله في رفعةٍ وعلاء، ثم إنه صرح بالمبالغة بالمديح والثناء وخدع والله صاحبه بذلك، ثم إنه تكلم بخصوص الحدود وأفصح عن نصح الإنكليز للعرب، ثم قال بعد تلك العبارات العذبة، وإن حكومة بريطانيا مستعدة لتنفيذ تطلباته هذا وعربوناً على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة، فإني مرسل مع رسولكم الأمير مبلغ عشرين ألف جنيه، وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية

وخالص التسليمات الودية مع مراسم الإجلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمحبة الصادقة، لمقام دولتكم السامي ولأفراد أسرتكم المكرمة مع فائق الاحترام ثم أنه أمضى وذكر اسمه فرد عليه الشريف بكتاب، ووعده بالقيام بجمع كلمة العرب على قتال الأتراك طالباً بعض الأسلحة والذخائر والأقوات فأجابه مكماهون بكتاب في جمادى الأولى بلغ في التعطف واللين غايةً بديعة قال: إلى ساحة ذلك المقام الرفيع ذي الحسب الطاهر والنسب الفاخر، قبلة الإسلام والمسلمين، معدن الشرف وطيب المجد سلالة مهبط الوحي المحمدي الشريف بن الشريف صاحب الدولة السيد الشريف حسين بن علي أمير مكة المعظمة زاده الله رفعةً وعلاءً آمين، ثم بعد إني أعرب عن كامل الولاء والمحبة والاحتشام وتقديم خالص التحية والسلام تكلم بكلام عظيم في الإطراء وقال: وقد سرني أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطاليبكم، وإن كل شيء رغبتم الإسراع فيه وفي إرساله فهو مرسل مع رسولكم حامله هذا والأشياء الباقية ستحضر بكل سرعة ممكنة وتبقى في «بور سودان» تحت أمركم لحين الحركة: ثم أطال في ذكر أن جميع مطلوباته ستدفع إليه على مأموريته، وحثه على الأتراك حثاً مزعجاً بانتهاء الفرصة في مصادمتهم وأنه بلغ دولته أنهم إلى أن قال: وقد بلغنا أن ابن رشيد قد باع للأتراك عدداً عظيماً من الجمال، وقد أرسلت إلى دمشق والشام ونؤمل أن تستعملوا كل مالكم من التأثير عليه حتى يكف عن ذلك وإذا هو صمم على ما هو عليه أمكنكم عمل الترتيب مع العربان الساكنين بينه وبين سوريا أن يقبضوا على الجمال حالاً، ولا شك أن في ذلك مصالح لمصلحتنا المتبادلة، وقد يسرني إن أبلغ دولتكم أن العربان الذين ضلوا السبيل تحت قادة السيد أحمد السنوسي وهم الذين أصبحوا ضحية دسائس الألمان والأتراك فقد ابتدأوا يعرفون خطأهم وهم يأتون إ لينا وحدانا وجماعات يطلبون العفو عنهم والتودد إلينا، والحمد الله قد هزمنا القوات التي جمعها هؤلاء الدساسين الخ.

ثم إنه ختم الكتاب بكمال الاحترام والدعاء وإخلاص المودة التي لا يزعزعها

كر العصور والأيام وأمضى عليه كتبه المخلص نائب جلالة الملك «السير آرثر مكماهون».

فهذا تمام أربعة كتب، وقد ألقت الطائرة الإنكليزية في صباح أحد تلك الأيام على أهل جدة منشورات تحث الأهالي على الثورة والانتفاض على الأتراك وقالت فيها أن الحامل على ذلك العداء للأتراك هو حب العرب والشفقة عليهم من أن يكونوا ألعوبة في يد دولة أجنبية بل يريدون للعرب تمام المصلحة لما عندهم لهم من الرأفة والحنان وسيصيرون بحول الله وقوته أمة مجتمعة بكل معاني الاستقلال، ألا فاعلموا أن الديانة الإسلامية قد احترمتها الإنكليز وأنهم ما فتئوا لمساعدة سلطان تركيا حتى أنكر كل جميل صنعوه به إلى أن قالوا وإن أقرب برهان على ما ذكرنا هو رغبتنا في مساعدة سكان الأراضي الحجازية بمقادير من الحبوب ولكن ضباط الألمان والأتراك صادروا هذه المقادير حال وصولها جدة؛ وألجئونا إلى عدم متابعة إرسال الحبوب لأعدائنا كذا ليسدوا ما بهم من ألم المسغبة في حين أن الفقراء خماص البطون يتضورون من ألم الجوع وبالرغم من كل هذه الصعوبات فإن الحكومة الإنكليزية بعدما سمعت بما يتكبده الحجاج وسكان بلاد العرب الأبرياء من آلام الجوع لندرة المأكولات قد حركتها عوامل الشفقة والصداقة السرمدية نحو العرب أجمع فقررت التصريح بجلب المأكولات إلى جدة عن طريق البحر فليتأكد العرب أنفسهم أن هذه المؤن الغذائية هي قوت لهم ولعائلاتهم وليجتهدوا في منع مصادرتها من هؤلاء الذين يعملون على نقض القواعد المتبعة إِبان الحروب ويخطفون لقمة الجائع من فمه أهـ.

ولكن ينبغي للعاقل أن يعرف أن بريطانيا فعلت ذلك لأمر ما، والدليل عليه تناقضها بعدما وضعت الحرب أوزارها، وكانت مفاوضة الإنكليز للشريف بعدما فاوضت ابن سعود بشهر، أما ابن سعود فإنه قد نهض في محرم من هذه السنة وزحف مسارعاً يريد مهاجمة العجمان وابن صباح على السواء ذلك ابن صباح الذي ظهرت خيانته وتحريشه بين ابن سعود والعشائر، فلما أن وصل إلى مخيم أخيه

محمد ومعسكره أتاه نعي مبارك بن صباح فوقف مدهوشاً يقول إنا لله وإنا إليه راجعون مات الشيخ مبارك.

وهذه ترجمته:

هو شيخ الكويت وأميرها مبارك بن صباح آل صباح وهو السابع من آل صباح الذين تولوا حكم الكويت؛ وآل صباح من ربيعة وكانت الكويت عبارة عن بيوت صغيرة حقيرة لبني خالد فقدمها جدهم الأعلى صباح وعمل على إصلاحها فنمت وعظم أمرها ولا تزال حتى الآن في ازدياد.

ولما كان في سنة ١٣١٣هـ تولى المترجم إمارة الكويت بعدما قتل أخويه محمداً وجراحاً نسأل الله العافية طمعاً في الإمارة وحباً للمجد فقام عليه خال أبناء المقتولين يوسف بن عبدالله وجازف في حياته وأرخص الأموال وبذلها في سبيل محق مبارك فلم يفلح ولحسن حظ مبارك هلك يوسف هذا ولم يشف غيظه.

كان الأمير مبارك رجلاً سياسياً مخادعاً مكاراً ذا دهاء لقب بالحواقة من قولهم حاق أذلف ودار، ونصف عمله سراً لا يدركه سواه ونصفه خدعة باهرة أو خدعة مضحكة أو خدعة كثيفة مدلهمة لاعب العشائر وغالبها، وما كان دائماً من الفائزين وذلك لكثرة التقلب منه فكان يجزل العطاء للعشائر وتأخذ ماله وهداياه على غير مصلحة، وكان حاد المزاج شديد البأس فيه صفات من الأسد وأشياء من الحرباء، بدوي الطبع حضري الذوق تارة يحبه الخصم، وتارة يجامله وكان كريماً جواداً بل كان مسرفاً يسترسل إلى الترف والبذخ يطلب المجد مقدماً في ذلك نواعم العيش ونوافله على كل شيء شيد قصوراً في الكويت وهدم قصوراً في السياسة خطب ود الدولة العثمانية ولا مهر عنده سوى الحب والإخلاص، نقسم بالله العلي العظيم أننا مخلصون للدولة ونفديها بدمنا، ففتحت له قلبها ثم انقلبت عليه، وغازل الدولة البريطانية فبادرت إليه ولهانة ويدها على قلبها الذي ما كان لينجذب مع مخادع ثم بنت ملكها في بلاده، وأحب آل سعود فطوقهم بذراعيه يقول أنتم أعز من أولادي ثم ضرب بهم عدوه ابن رشيد، وأحب العجمان ثم حاربهم فلما لم

يفد فيهم حربه ولا صلحه جعل يشعل النار بينهم وبين ابن سعود، وكان صديقاً لخزعل وأحبه حباً شديداً صافياً فبنى له قصراً في الكويت وبنى خزعل لمبارك قصراً في المحمرة إلى غير ذلك لكن إذا تأملنا سياسته وتقلباته العجيبة بعد إمعان النظر في سيرته وجدناه من دهاة العرب وحكامهم الذين يصلحون الدنيا بإفساد الدين ولا يتقيدون بشرع رب العالمين. وهذه صفته:

كان طويل القامة أسمر اللون أدعج العينين ماكراً قوي الذاكرة قليل النسيان وكان مع ذلك قليل الإناءة كثير اللهو صلب الإرادة ولا يرده راد إذا ما عزم على أمر، طموحاً طامعاً ويحلم بالسيادة على البلدان المجاورة له.

ولما استجمع الباب العالي على جعله عضواً في مجلس الشورى لدى الدولة العثمانية وضايقته في بلاده التجأ إلى الإنكليز فكان الكويت لهم غنيمة باردة وما أحسن مثلاً له بالثعلب في مكره وروغانه، وكان في آخر أمره يتظاهر بالفاحشة حتى في رمضان هكذا نقله المؤرخون عنه نسأل الله السلامة، ولما مات قام بالأمر بعده ابنه جابر بن مبارك، فعدل ابن سعود عن مهاجمة العجمان وبعث تعزية له بأبيه ونصيحة له أن لا ينهج على منوال أبيه في السياسة ثم رجع ابن سعود من جهة الكويت، ولما أن كان في أثناء الطريق التقى برسول من الممثل البريطاني في خليج فارس السير برسي كوكس أحد رجال الإنكليز يرجوه أن يوافيه إلى القطيف للمفاوضة في أمور هامة فتوجه عبدالعزيز إلى تلك الناحية واجتمع به هناك.

ذكر اتفاق ابن سعود مع الإنكليز وعقده معهم

لما هلك شكسبير لم يسأم الإنكليز من ابن سعود فقد جعلوا مكانه السير برسي كوكس يطلبه إلى الانضمام إلى الإنكليز ضد تركيا فاتفق بابن سعود في جزيرة دارين ولما اجتمع به كوكس سأل ابن سعود عما يستطيع أن يؤديه من المساعدة للأحلاف فأجابه ابن سعود إني أساعدهم بأمرين؛ أعاهدهم، أولاً أن لا يجيئهم ضرر مني ما دامت المعاهدة بيني وبينهم مرعية الجانب، وأعاهدهم ثانياً أن

لا أنضم إلى حلف عربي ضدهم، وإني أؤكد لكم أن العرب لا يجتمعون عليكم إذا لم أكن أنا معهم إني أحب أن يجتمع أمرنا على مساعدة الأحلاف؛ نعم وسأكتب إلى الشريف حسين بهذا الخصوص إذا أحببتم؛ ولكن ذلك الأمر لم يتم كما يأتي، فظل لذلك موقف ابن سعود موقفاً سلبياً ومن المسائل التي تستطلعها الدولة البريطانية مسألة الخلافة وكانت بريطانية تفاوض أمراء العرب بواسطة رجالها سراً وتكتم كل واحد ما أبرمته مع الآخر لأنه كان يجيئها أحد الأمراء مدعياً أنه سيد العرب أجمعين وأنهم أطوع له من بنانه فيسبرون غوره ويتحققون صدق كلامه أو كذبه ولكنهم يوالونه على شيء من القوة ثم يجيئهم الآخر ودعواه أكبر من دعوى من تقدمه وكذلك الآخرون وقد فعلت مع الشريف فعلة لا تليق فوهبته البلاد العربية كلها ما عدا عدن والبصرة وأعطته ما لا تملكه، وقد اعترفت لابن سعود والإدريسي بسيادة كل منهما في بلاده وبسيادة من يتولى الحكم بعدهما من بيتهما ثم ضمنت حدود البلدين وتعهدت بالدفاع عنهما إذا اعتدي عليهما، ثم بعد ذلك كله أدخلت البلدين عسير وبلاد نجد في دولة عربية يرأسها الملك الشريف فخدعت الجميع.

وكان ابن سعود أثناء الحرب من المخدوعين ولكنه كان حكيماً لا يطمح إلى غير ما يستطيع تحقيقه، فبهذا صارت بلاد العرب كلها ضد الترك ما عدا ابن رشيد الذي ما زال مخلصاً لهم وهم مخلصون له يعطونه كل ما يريد من السلاح والعتاد والمال.

ولما خشيت إنكلترا من ابن رشيد أن يعرقل سير أعمالها فاوضوا ابن سعود وأمدوه بالمال والسلاح وكان هم الدولة البريطانية يومئذ إخراج الترك من العراق وسوريا بل من البلاد العربية وتؤمن لبواخرها وجنودها الخليج والبحر الأحمر فاتخذت لهذا الغرض طرائق شتى منها: محالفة أمراء العرب كما قدمنا ونذكر اتفاقهم مع ابن سعود.

معاهدة العقير سنة ١٣٣٤هـ

فنقول: لما فتح ابن سعود الإحساء وانتصر على الأتراك أخذ يفكر

فيما يبيتون له من الكيد وما سينصبونه له من الأشراك لعلمه أن الدولة لا تدعه وشأنه، ولحسن حظه اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى وانشغلت الدولة عنه، ولكنه ماذا يصنع لما سمع بانتصاراتها الباهرة وهي متى ما خرجت من الحرب فلا بد أن تحمل عليه حملة قوية للتنكيل به واسترجاع البلاد منه، لا سيما وهي لا يزال لها الحجاز قوة لا يستهان بها، أضف إلى ذلك أن بريطانيا العظمى تفاوض الشريف وقد اعترفت له بالزعامة على بلاد العرب وتمنيه ببسط حمايته على نجد بمقتضى خطابات مكماهون للشريف فإن سلم ابن سعود من الأتراك فإنه لا يسلم في الغالب من نفوذ بريطانيا فبينما هو يفكر في الموضوع إذا ببريطانيا تطرق أبوابه لوضع اتفاقية معه تأمن بها شره وتخطب بها وده ويأمن بها في ملكه، فيا لهذا الفرج الذي من به الله عليه.

ولما كلمه السير برسي كوكس انتهز الفرصة ليأمن على حكومته فقال له المندوب أن بريطانيا العظمى قد انتدبتني إليك لأعقد معك أيها الأمير معاهدة صداقة تحقق لك كلما تصبو إليه وتمنع عنا ما نخشاه من ضرر قد يتأتى منك فماذا تريد فلم يكد يسمع هذا من مندوب بريطانيا حتى تلألأ وجهه فرحاً وأجابه بصراحة العربي وطيبة قلبه أن نجداً والإحساء والقطيف والجبل وملحقاتها والمرافئ التابعة لها على سواحل خليج العجم كل هذه المقاطعات تابعة لي ولآبائي من قبلي وأنا الحاكم المطلق على جميع القبائل الموجودة فيها، وكلما أريده هو أن أحتفظ باستقلالي ولا يعارضني أحد في الحكم والسلطان، وإذا حاول أحد الاعتداء علي فأريد منكم أن تعينوني عليه ولا أريد منكم غير هذا، وأنتم ماذا تريدون، فأجابه السر برسي كزكس بلغة السياسي العظيم ودهائه: نحن على استعداد لأن نجيبك إلى طلبك هذا ولا نريد منك إلا ما فيه رعاية مصالحك وتقديم كل ما يمكن من الخدمات إليك: ثم عقدت الاتفاقية في سبع مواد وهذا نص بعضها:

رابعاً: يتعهد ابن سعود بأن لا يسلم ولا يبيع ولا يرهن ولا يؤجر الأقطار المذكورة ولا قسماً منها ولا يتنازل عنها بطريقة ما.

ولا يمنح امتيازاً لدولة أجنبية أو لرعايا دولة أجنبية بدون رضى الحكومة البريطانية وبأن يتبع مشورتها دائماً بدون استثناء على شرط أن لا يكون ذلك مجحفاً بمصالحه.

خامساً: يتعهد ابن سعود بحرية المرور في أقطاره على السبل المؤدية إلى المواطن المباركة وأن يحمي الحجاج في مسيرهم إلى المواطن المباركة ورجوعهم منها.

سادساً: يتعهد ابن سعود كما تعهد آباؤه من قبل أن يتحاشى الاعتداء على أقطار الكويت والبحرين ومشايخ قطر وسواحل عمان التي هي تحت حماية الحكومة البريطانية، ولها صلات عهديه مع الحكومة المذكورة، وأن لا يتدخل في شؤونها وتخوم الأقطار الخاصة بهؤلاء ستعين فيما بعد.

وجرى توقيعها في ١٨صفر من هذه السنة الموافق ٢٦ديسمبر ١٩١٥م، ولا ريب أن هذه الاتفاقية جائرة لأنها جعلت بريطانيا كأنها ولي الأمر على ابن سعود وقد انتقدها الكتاب فقال عنها الضليع فؤاد حمزة لما أشرف عليها أنها معاهدة جائرة.

وقال عنها الماهر الذكي حافظ وهبة المشهور بحرية الفكر ورجاحة العقل واستقلال الرأي ما نصه: تجلى قصر نظر مستشاري ابن سعود بما يجري في العالم والاستفادة من الفرص ولكن يقال عنها أن الظروف والأحوال ذلك الوقت دعت إلى توقيعها.

ولما خلى ابن سعود وصحبه الذين فيهم الشرف والدين والقوة غير أنهم لا يعرفون لغة السياسة وأساليب الاستعمار ولا يصدقون بالظفر لغير الصارم البتار واستشارهم كعادته أجابوه بأننا في حال ضعف وخصمنا قوي جبار فنراها تنفعنا بإذن الله ولا تضرنا إذا كنا في حالة منعة وقوة ويمكن تعديلها فيما بعد فالعبرة في القوة في كل وقت وحال، فقم وتوكل على الله ووقعها، كما أنه أدرك بأنه لا يبيع ولا يتخلى ولا يرهن ومن نيته حسن الجوار وتسهيل طرق الحجاج فما أحسن نتائج هذه الآراء والأفكار ولنا أسوة في صلح الحديبية، أضف إلى ذلك أنها لغت

بعد سبع سنوات وعدلت فيما بعد ذلك لما فتح الله له الحجاز واعترفت له بريطانيا بالاستقلال التام يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ثم أنه عاد ابن سعود بعد عقدها إلى الرياض فبعث رسولاً إلى الحسين بن علي الشريف وهذا الرسول هو صالح العذل ليخبره بما جرى بينه وبين الإنكليز ويسأله المؤازرة في مساعدة الأحلاف فعندما علم الشريف بعقد المعاهدة خشي أن يتقدمه ابن سعود في الزعامة والنفوذ لدى الأحلاف إلى قبول البنود الخمسة، وتم الاتفاق سراً بينه وبين المعتمد البريطاني فكتم الدولة اتفاقه مع الإنكليز، وكتم ابن سعود ذلك وأعطى الشريف رسول ابن سعود جواباً نصفه شكر والنصف الآخر إيهام في ثوب المجاملة وما هي إلا عشية أو ضحاها حتى اشتعلت نار الثورة، ولما خاض السر برسي كوكس في الخلافة وانتقالها إلى العرب اتخذت المجاملة سبيلاً إلى غرضه فعرضها على ابن سعود قائلاً إن حكومة جلالة الملك تستحسن ذلك وتساعد في تحقيقه، وكان عبدالعزيز بن عبدالرحمن حكيماً لم يخف عليه قصد المعتمد أجاب قائلاً: لا ذوق لي بالخلافة، وإني لا أرى من هو أجدر بها من الشريف حسين فاطمأن بال الوكيل وتلقفها حسين بن علي الشريف.

ذكر الخلافة وعقد الحسين مع بريطانيا

قد قدمنا اتفاق الشريف مع بريطانيا وكان عظيماً في الأرض ملكاً في مكة خليفة في عمان أسيراً في قبرص؛ ولقد رفعته الإنكليز رفعة بلغ بها الثريا ثم بعد ذلك وضعته حتى كان في قعر الحضيض.

ولما أن تلقف الخلافة وأبرم اتفاقيته مع الإنكليز خدع الأتراك وجر أسباباً إلى إبعاد الوالي التركي الماهر وهيب باشا الذي كان في نحره بأن دبر الحسين في إبعاده مع فرقة المتطوعين إلى المدينة وخلفه غالب باشا، كان نجل الحسين علي بن الحسين في المدينة المنورة قبل الثورة يمهد لها بالتدخل في الشؤون الإدارية والأعمال التي لا علاقة له بها ويضايق بذلك بصري باشا الذي هو حاكمها فاشتكاه بصري على

جمال باشا وطلب منه أن يكف عنه الأمير علياً من التدخل في هذه الأمور ففعل جمال باشا ذلك بواسطة والده وأخيه فيصل حين كان فيصل عنده في سوريا.

ولما أراد الحسين أن ينفذ خطته في الثورة أرسل لابنه فيصل يخبره بما سيحصل ورسم الخطة للانسحاب من سوريا، فاستأذن الأمير فيصل جمالاً بالخروج من سوريا والذهاب إلى المدينة فأذن للمتطوعين الذين معه ثم أذن له بعد ما قرأ كتاب الشريف وأنه أمرهم بالتجنيد وسيشترك العرب مع عسكر الدولة وحليفتها ألمانية في الزحف على ترعة السويس إذا أسرع في إرسال الأمير فيصل إلى الحجاز فجاء ومعه عشرة آلاف ليرة وأربعة آلاف بندقية ليقاتلوا بها ويتقووا على قتال الإنكليز.

ولما أن وصل فيصل إلى المدينة اجتمع بأخيه علي واتفقا على مغادرة المدينة ففعلا، خرجا منها ليضمنوا حولهم القبائل وليستعدوا لحصارها وكان جمال باشا قد لحظ أن بوادر النهضة قرب وقتها فأرسل فخري باشا إلى المدينة ليكون قائداً عسكرياً ويبقي بصري باشا حاكماً إدارياً فقط وعندما وصل فخري باشا إلى المدينة أرسل الأمير علي إليه كتاباً قال فيه: بناء على الأوامر الصادرة من أبي سيقف نقل المتطوعين إلى فلسطين.

ولهذا عقدت النية على العودة بالمجاهدين إلى مكة بدلاً من ضياع الوقت هنا وإني آسف لاضطراري إلى الرحيل بدون أن أودعك فالمرجو قبول عذري، وفي الحال تحول بمن معه من مكانهم إلى جهة غير معلومة لفخري باشا، فلما أن وصل الكتاب لفخري باشا أسرع إلى مكان نزول الشريف علي وأخيه ومن معهما فلم يجد أحداً واتضح له حينئذ ما يجول بنفس الحسين وأولاده من الثورة وأنها أصبحت قاب قوسين أو أدنى فأخذ لذلك عدته واحتاط للأمر جيداً، وحصن المدينة بأقصى ما استطاع وجلب إليها من الأقوات والأرزاق ما أمكن.

أما الخليفة الهاشمي فقد بعث بعدما خرج نجلاه من المدينة بالمتطوعين إلى جمال باشا بكتاب خلاصته أنه يعتذر عن عدم استطاعته الاشتراك في الحملة على القناة إلى أن تجاب الطلبات التي طلبها في برقيته.

ذكر إعلان الثورة

لما أراد الحسين الشريف الثورة على الأتراك زار بعد صلاة الجمعة الدور الرسمية ولاطفهم وحثهم على المواظبة في أعمالهم، وأظهر لهم مودته للحكومة العثمانية حتى إذا سمعوا أنه يريد الثورة لا يصدقون، فلما كان فجر السبت الموافق ٩ شعبان سنة ١٣٣٤هـ في الساعة التاسعة تزيد اثنتي عشرة دقيقة أعلن الثورة بتنفيذ طلق ناري كان علامة لذلك، فقامت على أثره البدو وبعض الأهالي يطلقون النار من أربع جهات، فأخذ الأتراك التدابير وثبتوا في مراكزهم لكنه ما ظفر الشريف إذ ذاك لا في أسر ولا استيلاء، أما بلدة جدة فقد اتفق الإنكليز على ضربها ذلك اليوم، فضربت بوارج الإنكليز جدة وألقت قنابل مدافعها على الثكنة العسكرية ليلاً في الساعة الثالثة من ليلة ١٠ شعبان، واستمر الحصار لها من البر والبحر جاءها جند الشريف براً بقيادة الشريف محسن بن منصور، وجاءها ضرب الإنكليز من البوارج البحرية.

وكان في جدة من جند الأتراك ما يقارب خمسمائة، وقد طال الحصار وما ظن أنها تلبث، زيادة عن يومين، فخابر الإنكليز في إرسال الطائرات فأرسلت له على ظهر إحدى البوارج، فطارت الطائرات وألقت مناشيرها وقنابل على مراكز الجيش تنصح وتحذر، فذعر أهالي جدة وضجت لما رأت المنشورات، فخابر الشريف أعيان البلاد وقال لهم: إن الأنكليز يريدون ضرب جده رأساً، وأنه ليس له دخل أو مسؤولية إذا لم يسلموا له، فذهب الأهالي إلى قواد الأتراك فيها وأخبروهم أنهم يخشون على الأهالي من الخطر والضرر الذي أحاط بهم فقبلوا ذلك وسلموا جده في ليلة ١٥ شعبان سنة ١٣٣٤هـ.

وإليك نصر المنشور بحروفه: قالت إنكلترا ـ وما ربك بظلام للعبيد.

إلى سعادة قائد القوات التركية وحضرات ضباطه الكرام بخط الدفاع بجدة

أعلمكم علم اليقين وأخبركم بالحقيقة التي لأمراء فيها أن مكة المكرمة والطائف أصبحتا في يدي دولة أمير مكة المعظم الشريف حسين بن علي وانتصاراته على الجيوش التركية متوالية فقد أصبحت أرض الحجاز خالية بالمرة من دوائر الحكومة الاتحادية مع إعلامكم بأن الحركة لم تكن إلا لتأسيس دولة خلافة عربية إسلامية وأن العرب لا يكرهون الترك من حيث هم لأنهم مسلمون مثلهم، وإنما يريدون التخلص من الحكومة الاتحادية الجائرة التي تلعب بها الألمان، والله على ما أقول شهيد، فبدلاً من وقوفكم في وجه العرب الذين لكثرة عددهم وعدتهم سيحرزون النصر المبين إن شاء الله بعد إزهاق الكثير من الأرواح وبدلاً من المقاومة التي لا نتيجة لها، أنصح لكم أن تسلموا بدلاً من أن تبيدوا عن آخركم ومهلتكم هي مجرد وصول هذا إليكم لأنكم بعد رفضكم لهذا النصح تصب عليكم القنابل من السفن الهوائية، ومن البحر والبر حيث استعد لكم العرب بالمدافع الجبلية السريعة ومدافع الميدان الحديثة والرشاشات السريعة، وعلى كل حال فإنا لا نعد ذلك جبناً منكم ولا إهانة لشرف رايتكم ولكن الرجل المضطر يركب الصعب من الأمر وهو عالم بركوبه ويتجاوز الأدب وهو كاره لتجاوزه فلا تلقوا بأنفسكم إلى التهلكة وحسن رعايتكم بعد التسليم مضمونة والعاقبة للمتقين.

الإمضاء: الحكومة الإنكليزية

إن مكة والطائف وغيرها لم تسلم ولكن لدهاء الإنكليز وتمام سياستهم أقنعوا الأتراك بذلك.

ولما سلمت جده دخلها جيش الحسين بقيادة الشريف محسن وهاج وماج فيها ونهب كل ما يحمله الجندي العثماني من ألبسة خاصة، وسرق حقائب الأسرى، ثم بعد أيام قلائل هجم على دار أحد أعيان جده وهو أحمد الهزاز ونهب جميع ما لديه حتى كان البيت قاعاً صفصفاً، ويظهر أن ذلك بإيعاز من الحسين لعداء بينهما، وقد أصيب برصاصة في يده اليمنى قبل ذلك يذكرون أنها بإيعاز من المذكور.

أما مكة المشرفة فإنه مكث الضرب فيها ليلاً ونهاراً، ثم لما عجز الشريف عن

الاستيلاء على المواقع التركية صبر إلى أن سلمت جدة ثم طلب من الإنكليز إرسال جنود مصرية فأرسلت له ووصلت مكة فتوالي الضرب من الطرفين، وكان القصر الهاشمي مرمى قذائف الأتراك وقنابلهم، وكان الشريف لشجاعته ثابت الجنان في قصره لا يبالي، وقد أصيبت الكعبة المعظمة ببعض القذائف لوقوعها أمام موقع من المواقع الهاشمية، ثم سقطت آخر المواقع وهي ثكنة أجياد في ٩ رمضان صباحاً في الساعة الرابعة، ولما سقطت هجم البدو وبعض من الأهالي على القلعة وقتلوا طبجنها وكل من فيها، وذهبوا إلى محلات الأتراك العمومية والخصوصية فنهبوا ما فيها من أثاث وأموال وغيرها.

أما الطائف فكان فيه الأمير عبدالله بن الحسين مقيماً قبيل الحركة بأيام فجاءته التعاليم من أبيه أن يخرج ويقيم في جبالها، فخرج قبل الحركة بثلاثة أيام ثم زحف يوم الثورة إلى الطائف بجنود من البدو، ومن حضر لديه من والده من الجنود المصرية التي بعثتها بريطانيا امتثالاً لأمره، فحاصر عبدالله الطائف وضيق عليها.

وبما أن في الطائف عدداً من الجنود التركية والضباط ما ليس بهيّن، فقد امتد الحصار بين أقدام وأحجام حتى نفدت الأرزاق من يد الأتراك بعد دفاع أربعة أشهر من ابتداء الثورة إلى يوم الاثنين الموافق ٢٦ من ذي القعدة، فسلمت ثم أرسلت الجنود التركية مع والي الحجاز غالب باشا إلى جدة فركبوا على ظهر إحدى البواخر لنقلهم إلى معتقلتهم، ولما سلمت تلك المذكورات نزلت بحارة الإنكليز مطمئنة آمنة.

ذكر الحرب في المدينة والسواحل

لما قام الحسين بنهضته في جدة ومكة والطائف تقدم أبناء علي وفيصل لمهاجمة المدينة، فوجدوا فخري باشا قد استعد اللقاء استعداداً مهما فوقعت بين الطرفين مواقع ارتد فيها جيش الشريف مرات عديدات، حتى أن الجيش التركي في بعض الوقعات طاردهم حتى أوصلهم إلى ينبع النخل، ولولا قنابل مدافع المدرعات الإنكليزية التي كانت راسية في هذا الميناء وما لها من شدة التدمير لقضى على الجيش الهاشمي، ثم إنه امتد الحرب والضرب بين الفريقين ثلاث

سنين، وسبب ذلك أن حامية المدينة بقيادة فخري باشا وما أدراك ما فخري باشا، إنه رجلٌ من رجال تركيا، قائد عظيم لا يستهان بحقه، وقد استطاع بما معه من الحامية أن يصابر جيش الشريف كل هذه الثلاث سنين بدون كلل ولا ملل، مع أن جيش الشريف كان به من الجنود المصرية والمغربية والضباط الإنكليز والفرنسيين وغيرهم عدد غير قليل، وكان مجهزاً بأقصى ما يمكن من مدافع الحصار ومعدات الحرب العتيدة، ومع أن جيش الشريف كان قد قطع سكة الحديد التي مدت منها إلى الشام حتى انقطع ورود الأرزاق والأقوات والسلاح والمدد عن المدينة بتاتاً، فإن فخري باشا حين رأى ذلك وأن الأرزاق قد انقطع موردها وأيقن بإصرار جيش الحسين بمساعدة الحلفاء على فتح المدينة والاستيلاء عليها مع ما حل بالأتراك في مكة وجدة والطائف، أصرَّ هو كل الإصرار على الدفاع إلى آخر لحظة من حياتهم، وناهيك به من شهم همام غير أنه لا يستطيع أن يسد مجرى السيول في عباءته.

ولما رأى خطر المجاعة المهلكة محدقاً بالمدينة ومن فيها من جيش وأهالي أخذ يخفف وطأة المجاعة بترحيل الأهالي منها، وكان ذلك قبل أن يقطع الخط الحديدي فكان في كل يوم يقل القطار عدداً يذهبون إلى الشام مرةً ومرة يذهبون إلى العراق ومرةً إلى غير ذلك ولم يكن الجيش الهاشمي يتعرض لهم بل كان يترك القطار يذهب حيث يشاء إذا كان به من أهالي الحجاز الراحلين وقد ذهب بعضهم إلى مكة وغيرها من البلاد الحجازية حيث تشتت جميع أهل المدينة أي شتات، وكان هذا لا بد منه فراراً من المجاعة التي خيمت على المدينة أثر الحصار فإن الأزواد والأقوات كانت قد فرغت من بيوت الأهالي ومن الأسواق وكان يوزع عليهم فخري باشا كل يوم شيئاً قليلاً، وقد مات بعض أهل المدينة جوعاً ولولا ما استعمله فخري من هذا الترحيل لكانت المصيبة أطم وأعظم.

ومع شدة الحصار وتضييقه فإنه ما كان يمنع فخري باشا من تعمير ما كان يخرب من المنازل بضرب قنابل الجيش الهاشمي التي كانت تصب صباً على

المدينة بعد أن عقدت الهدنة بين الحلفاء بثلاثة أشهر، وبعد حرب دامت ثلاث سنين كتب فيها لفخري باشا صحيفة من الشجاعة والثبات لا تمحى مدى الأيام ولا تنسى إلى آخر الدهر.

أما السواحل الحجازية فقد سلم أغلبها أو كلها على أثر سقوط جدة بعضها سلماً والبعض الآخر بعد حرب بسيط، ومما هو جدير بالذكر أنه قد اشتركت الطائرات في حرب المدينة وأكثر السواحل وذلك أن تركيا بعثت طائرات قوادها ألمان ونمساويون فقابلهم الشريف بمثلها استمد الحلفاء فأمدوه بطائرات يقودها ضباط إنكليز.

وقد تعدى الألمان والنمساويون والإنكليز حدود الحرم وخالف بذلك قواد الأتراك نصوص الشرع الإسلامي الذي يحضر على غير المسلم فعله وهو مجاوزة هذه الحدود وكانت تركيا هي السبب في ذلك.

وكانت المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام قبل هذه الحرب العامة خير بلاد الحجاز، وأكثرها عناية والتفاتا من الدولة العثمانية وملوكها وأفرادها فقد وصلت بالشام في سكة الحديد التي تقدم ذكرها، وكان لهذه السكة شأن كبير جداً في اتساع عمران المدينة المنورة بما سهلت من أسباب الرفاهية ورغد العيش لأهلها بما كان يجري معها من الأرزاق والخيرات، حتى كثر المهاجرون إليها فأصبح عدد سكانها كبيراً جداً، والذي ساعد على ذلك قابلية المدينة بجوها المعتدل وكثرة مياهها العذبة وغير ذلك مما كان يدعو الأتراك إلى العناية بها، وقد فكروا إذ ذاك في جعل كلية علمية إسلامية بها لشباب الحجاز وغيرهم على أساس فكرة لوحدة إسلامية، ولما أوفدت جمعية الاتحاد لذلك وفداً لارتياد المكان اللائق لبنائها جاء الوفد ووجد المكان وشرع في العمل وتأسيسها.

ولا ريب أنها لو كانت لانتفع بها الحجاز انتفاعاً عظيماً، وقد حالت الحرب دون تنفيذ هذه الخطة، فتبين بهذا أن مركز المدينة المادي والأدبي كان يخالف بكثير جداً مراكز البلاد الحجازية الأخرى بل لم يكن هناك نسبة تقريباً فتبين بهذا السر في

طوال مدة الحرب بين الأتراك والأشراف إلى هذا المدى في شأن المدينة، وكان وقت تسليمها في اليوم الثامن من ربيع الثاني سنة ١٣٣٧هـ.

ذكر الحرب في دمشق

لما خرج نجلا الحسين علي وفيصل من المدينة قبل الحرب ترك فيصل أخاه علياً لمحاصرة المدينة وذهب هو لينضم إلى جيش الحلفاء الذي كان يحارب في سوريا، فقام فيصل بجيش من العرب والمصريين والمغربيين وغيرهم، يطوق الجيش التركي من جهة شرق الأردن والحلفاء يشاغلونه من جهة قنال السويس وفلسطين، وهناك أبدى الجيش التركي بسالةً وشجاعةً في رد هذه الجيوش المتظافرة من أجناس شتى، وأحاطت به من جميع جهاته فضربهم الجيش التركي ضربات أوقفتهم عند حدهم مرات عديدة، وحملت الحلفاء خسائر فادحة، وأخيراً بعد حرب وكفاح دخل الشريف فيصل دمشق مع جيش الحلفاء وذلك بعد سنتين.

رجعنا إلى ذكر بن سعود وشأنه في هذه الحرب، فنقول: لما كان الشريف قد كتم أمره قبلها عن دوائر الحكومة الحجازية غير أن تلك المفاوضات السرية أو في الأقل مجيء الرسل من بورسودان ورواحهم أيقظ في دوائر الحكومة الحجازية عيون الريب والشبهة، فأدرك الوالي غالب باشا بعض ما كان يبطنه الشريف حسين وعقد النية على مفاوضة ابن سعود في الأمر ولكنه موه قصده بالطريقة التي اتخذها إليه، فقد أرسل رسوله وهدية إلى عبدالعزيز بواسطة الشريف الذي خانه، فبقي الهدية عنده وأذن للرسول بالسفر إلى نجد، وكان ذلك الرسول يحمل كتاباً من غالب باشا إلى ابن سعود ما نصه:

إنك تعلم بأعمال الشريف وأنا الآن أزيدك علماً أنه يفاوض الإنكليز وهو على وشك أن يخون الدولة ويفتح لأعدائها الحرمين، فإذا قدمت إلى الحجاز أسلمك الحرم وأساعدك بكل ما لدي من قوة ـ نعم إن هذه المفاوضة من غالب لابن سعود لحسنة من رجال تركيا، ولكنها ضعيفة السراية لضخامة أمر الحسين

إذ ذاك، فأرسل ابن سعود إلى غالب باشا هدية، وقال في جوابه إنه والحسين يداً واحدة ولكنها لم تصل الهدية إلى مكة إلا بعد الثورة، فاستلمها الحسين وأكل الهديتين، ونهض كما نهض بأنجاله على الترك طمعاً في الهدية الكبرى التي وعدته بها الإنكليز.

ولما أن ثار ثورته طفقت تتوارد إلى جدة من بور سودان الإمدادات الحربية والمالية، وجاء الذهب إليه بالصناديق ليستخدمه في تجنيد العرب واستمالة أمرائهم ورؤسائهم إلى النهضة، فأرسل إلى ابن سعود صرةً في آخرها هذا العام وبعث في السنة التي بعدها إليه أيضاً بثلاث صرر مقدار الواحدة خمسة آلاف ليرة، ولكنه لم يكتب كلمة بخصوصها، كان يجيء الرسول بهذا المال فيقول: من جلالة الملك ليس إلا، وكان ابن سعود بعد ما عقد معاهدة دارين بواسطة السر «برسي كوكس» المتقدم ذكرها، واستمرت سبع سنين إلى بداية ١٣٤٢هـ اشترط في مفاوضاته مع كوكس أن يتكلم الشريف باسم العرب ويدعي أنه ملك العرب، فقبل وتوسط كوكس بين ابن سعود وبين ابن صباح في مسألة العجمان، فقبل ابن سعود أن يوقف حركاته الحربية على شرط أن يطرد صاحب الكويت العجمان من بلاده، فعمل جابر ابن صباح بنصيحة السر رسي وأجاب طلب ابن سعود.

أما العرائف الذين أغراهم الأعداء بنسيبهم الأكبر جلالة الملك ابن سعود فإنهم لما أدركوا أن أخوالهم العجمان لم يناصروهم إلا لحظ أنفسهم.

وأيضاً أدركوا حقيقة ابن رشيد والشريف أنهما أكبر عليهم عداوة، عندما تحققوا الثقة بنسيبهم بعدما بعث إليهم الكتب اللاهجة بالتودد وكمال الحنان والشفقة عليهم، وعادوا إليه تائبين وأصبحوا مشمولين بعنايته وحسن عطفه مقيمين في الرياض بسبعة أبيات بخير.

أما ما كان من أمر الحسين بن علي فإنه كما قيل عنه إذا أمعنا النظر في سيرته وما لديه من الدهاء وأساليب السياسة، نتأكد أنه اتخذ الدين والعاطفة الدينية في العرب سبيلاً إلى تحقيق مقاصده، فقد نشر منشوراً طويلاً ذكر فيه سبب الثورة، ثم

إنه دعا فيه لسلاطين آل عثمان، وأنه لم يأل جهداً في مناصرتهم إلى أن نشأت في الدولة جمعية الاتحاد وما جرى منهم من خوضهم في غمرات الحروب الحاضرة وتفريق سكان ممالكها وتمزيقهم، فريقاً بالصلب وأنواع بالإعدام والآخر بإجلائه عن وطنه، علاوةً على ما أصيب به في أموالهم وأنفسهم واضطروا العموم إلى بيع أبواب دورهم ودواليبهم وأخشاب سقفها، وآخر ذلك مصادمتهم لنص الكتاب من جعل نصيب الأنثى مثل نصيب الذكر في الأرث، وهدم أركان الإسلام وهي إباحة الفطر للجند في المدينة ومكة والشام، وما حصل من خلعهم السلطان المعظم، حتى أصبحت الدولة في يد «أنور باشا» و«جمال باشا» و«طلعت باشا» يحكمون بها ما يشاءون ويفعلون بها ما يريدون، ثم أطال بذكر تعديد مساويها ومناقضتهم لسورة البقرة في أمر الشهود، وصلبهم في آن واحد لإحدى عشرين رجلاً من عظماء المسلمين وكبراء نوابغ العرب، عدى من صلبوه من قبل، فلو كان هؤلاء المصلوبون من بهائم الأنعام لعدمنا فيا للرحمة، وإنهم نفوا العوائل وفيها الشيوخ والأطفال وربات الخدور ما تنفطر له القلوب وتزهق الأنفس حسيرات، وشنع عليهم برميهم للبيت العتيق الذي أضافته العزة الأحدية لذاتها السبحانية، وأصابوه بقنبلتين من قنابل مدافعهم وقعت إحداهما فوق الحجر الأسود والثانية تبعد عنه بثلاثة أذرع حتى التهبت بالنار ستاير البيت وهرع الألوف من المسلمين لإطفاء لهيبه بالضجيج والنحيب، وترك الحكم في هذا الاستخفاف للعالم الإسلامي، ثم إنه بعدما أطال قال رافعين أكف الضراعة لرب الأرباب متوسلين برسول الملك الوهاب أن يتولانا بالتوفيق، ويمدنا بالهداية إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين والاعتماد على الله العلي الكبير وهو حسبنا ونعم النصير، وأمضي تحته شريف مكة وأميرها الحسين بن علي ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٤هـ.

وقد كان يظهر من هذا المنشور غيرة الحسين لدين الله وشرعه من فعل تركيا ولكنه كان ذلك منه لأمرٍ ما.

أما مفاسد تركيا وما هي عليه من التدهور قبل الثورة وبعدها فليس يخفي

كوضعها للدستور المنافي للشريعة ومنابستها لأهل الدين وغزوهم وتشتيت شملهم كما فعلوا بالوهابين قديماً وحديثاً وهم بفعلهم ذلك إنما نابذوا التوحيد وأهله وقس على ذلك، ثم إنه قام الشريف بعد انتصاراته في أخر هذه السنة ونظم مرسوماته بتأليف هيئة الوكلاء وتأليف مجلس الشيوخ وغيرها.

وفيها أنشأ الأديب حسين بن علي بن نفيسة قصيدة يمتدح بها الأمير عبدالله بن جلوي ويعرض فيها بزيارة أهله ومطلعها قوله:

لكـــل زمـــان طلعـــةٌ وأفـــول ... وكـــلٌ لـــه نحـــو الفنـــاء ســـبيل
هــو المــوت ألا إن في المــوت راحــةً ... إذا لم يســـاعد صـــاحب وخليـــل
أبيــت أنــاجي الهــم حــران مولعــاً ... ونـــومي إذا نـــام الخلـــي قليـــل
صــحابي قفــوا لــي بالــديار فــإنني ... حنـــيني إلى تلـــك الـــديار طويـــل
وهل بالحمى أحبابنـا إن دنـا الحمـى ... مقـــام فـــود القلـــب لـــيس يـــزول
وهــل مــن معــين مــنجحٍ لمطــالبي ... فمـــا لمـــرءٍ إلا شـــافعٍ ومنيـــل

ثم إنه قال بعد وصفه لوجده وبالغ في ذلك:

أقــول لنفســي حــين عــز غرامهــا ... وطــول الأســى للمغــرمين قتــول
هبيني فما في الناس لـي مـن مسـاعدٍ ... فأهــل النــدي والمكرمــات قليــل
عفت طرق المعروف من كـل سـالكٍ ... ولــيس لحــل المشــكلات فعــول
مضــى محســن لم يلحــق المنَّ رفــده ... ومستحســـن منـــه الثنـــاء جميـــل
وكــل جــوادٍ يسـبق السـؤل جـوده ... فلـــم يبـــق إلا مـــانع وســـؤل
فقالــت بــدا منــك القنــوط ســفاهةً ... فأنـــت لعمـــري مخطـــئ وجهـــول
إذا مـا رأيـت النـاس لا نفـع فـيهم ... وكـــل شـــفيعٍ لـــيس منـــه حصـــيل
فهـــلا لعبـــدالله تشـــكو فإنـــه ... وفيٌّ ســـخيٌّ ماجـــدٌ ونبيـــل
وفــرعٌ نمــا مــن أصــل قــوم أماجــدٍ ... ومـــا الفـــرع إلا مـــا نمتـــه أصـــول
فــدع كــل قــولٍ كالســراب بقيعــةٍ ... إلى قولـــه إن قـــال فهـــو يطـــول
فمـــا الحـــزم والإقـــدام إلا لمثلـــه ... هو الليـث كـل الليـث حـين يصـول

أرى الجـود والأتـلاف منـه سـجيةٍ | عيـــاذاً بربـــي أن يقـــال بخيـــل
لـــه همـــةٌ تســـمو ونفـــسٌ أبيـــةٌ | وعـــزمٌ كعضـــبٍ لـــيس فيـــه فلـــول
لبيبٌ على الأصحاب سـهل جنابـه | وأمـــا علـــى الأعـــداء فهـــو ثقيـــل
أبـا فهـد هـل لـي بوعـدٍ وعدتـه | فمـــا أنـــت تـــراك الوعـــود مطـــول
أبـــا فهـــد ترجـــي لكـــل ملمـــةٍ | إذا لويـــت عنـــد الخصـــوم ذحـــول
فهل لـي رجـاء بعـد مكثـي وغـربتي | فـــإن شـــقائي في الـــبلاد مقيـــل
فعـود علـى ضـعفي فـإني ربمـا | لفقـــد عيـــالي في العبـــاد أعيـــل
فـأرجو إلهـي ثـم أرجـوك نافعـاً | فـــلا تعترضـــني إن أردت أجـــول
وكـن راحمـاً فـالله يـرحم راحمـاً | لينجيـــك في يـــوم بـــلاه يهـــول
ولا تحســـبن الله لاهٍ وغـــافلاً | عليـــك رقيـــب في الـــذي ســـتقول
بحـق الـذي أعطـاك عـزاً ومفخـراً | وأعطـــاك مـــالا تســـتنل وتنيـــل
وأعطـاك أولاداً وجاهـاً ورفعـةً | مطـــاع فـــلا يلغـــا لقيلـــك قيـــل

إلى آخرها وهي حسنة على من أراد مراجعتها تصفح الديوان.

وفيها في ١٥ جمادى الأخرة ولد المؤرخ أثابه الله تعالى وهو الفقير إلى الله عز شأنه «إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن».

ثم دخلت سنة ١٣٣٥هـ

استهلت هذه السنة ورحى الحرب طاحنة.

وفيها في ٢ محرم عيد البيعة للحسين، فقد بايعه الحجازيون ملكاً على الحجاز ووفدت لذلك الوفود من سائر الأقطار الحجازية للبيعة، وتبارى الخطباء والشعراء أمام جلالته، فصار هذا اليوم عيداً رسمياً مشهوراً بعيد البيعة تقام له في كل بلدة من الأقطار الحجازية احتفالات في كل سنة، وعيد النهضة والاستقلال يقام في ٩ شعبان من كل سنة تقام فيه ذكرى النهضة والاستقلال في جميع الأقطار الحجازية فيتبارى فيه الخطباء والشعراء وتلاميذ المدارس وتمتد معالم الزينات.

ولما أن أراد الشريف الحسين من الأمة الحجازية أن تبايعه فكر في أي لقب يلقب نفسه به، أملكاً على العرب، أم ملكاً على الحجاز، أم خليفة للمسلمين، فقرر وأيد على ملك العرب فأوعز إلى مندوبه بمصر إذ ذاك «محمد شريف الفاروقي» أن يجسّ نبض الحلفاء في الاعتراف له بملك العرب، فأخبره مندوبه باقتناعهم عن الموافقة بهذا اللقب الذي يشمل بظاهره جميع العرب في عدن، واليمن وتونس والجزائر ونجد والعراق وفارس ومصر، وخلافه من بلاد العرب وخشي الحلفاء من الاعتراف بملكيته على جميع مستعمراتهم العربية، وأن يكون تابعة للحسين هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فنهضته لم تسر جميع المسلمين ولا العرب، فاعتراف الحلفاء له بذلك يغضب المسلمين وربما يقع ما يقع ولكنهم اعترفوا للحسين بملك الحجاز فقط واستقلاله ليس إلا.

ولما لم توافق الحلفاء على طلبه بقي يلقب نفسه به في كتبه ومجالسه وتلقبه جريدة القبلة وأنجاله والأشراف حتى غضب لذلك سلطان نجد.

ذكر توتر العلاقات بين ابن سعود وبين الشريف

ولما حصل التتويج والمبايعة للحسين هللت جريدة القبلة، وازدهت بتلقيب الشريف حسين صاحب الجلالة العظمى ملك العرب، ولما هللت الجريدة بهذا اللقب ستبشر به غلاة القومية، وزعماء النهضة ولسان حالهم يقول هو ذا الزعيم الأكبر هو ذا المنقذ الأعظم ولكنه ما كاد ينتشر هذا اللقب حتى جاءت الأنباء من الأحلاف أنها اعترفت بالحسين ملكاً على الحجاز فقط، والمانع من ذلك ما تقدم، وأيضاً فإن صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل غضب لذلك لأنه يدخل تحت هذا اللقب فخابر الحكومة الإنكليزية بصفتها حليفة الاثنين بان تمنع الحسين عن قصده وإلا أدى ذلك إلى مالا خير في عقباه ففعلاً خابرت الحسين ومنعته عن تسمية نفسه بذلك «أعني أمير المؤمنين وملك العرب» فبدأت فكرته تهبط وأخذ عن هذا اللقب.

ولما أن جاءت في هذه السنة هدايا الشريف لابن سعود كالتي قبلها بلغت هذه المرة قريباً من خمسة عشر ألف جنيه استراب لذلك ابن سعود وعقد مجلساً عالياً دعى إليه حضرة والده الإمام عبدالرحمن ورئيس قضاة نجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وغيرهما من الأكابر والرؤساء وأطلعهم على الأمر، وقال إذا كان القصد من إرسال هذا الذهب المساعدة في الحرب فالقصد محقق لأني أمرت أهل نجد خصوصاً أهل القصيم وعتيبة وحرب بمساعدة الشريف، وأمرتهم بأن لا يتعدي أحد منهم على من أراد أن ينضم إلى جيش الحجاز، فتكلم الإمام عبدالرحمن قائلاً: لو كان الشريف يبغي المساعدة فقط لكتب إلينا بذلك ولست أرى في قصده غير الخوف من أن نغتنم فرصة قيامه على الترك فنحمل عليه فأراد في إرسال الذهب تسكيناً، وقد كان الشيخ عبدالله بن عبداللطيف من هذا الرأي فقال: عبدالعزيز يمكن ذلك، وإنني سأكتب إليه فأتحقق الأمر فإذا كان يريد المساعدة وهو صادق في عمله وقوله ساعدناه بأكثر مما تقدم، وإذا كان له قصد آخر انتبهنا إليه، يا حضرة والدي إننا وإياك في هذه الحروب وثمرتها لنا ولك فقد مشت عرباننا وعشائرنا عملاً بأوامرنا إلى مساعدتكم ولكني أبغي أكثر من ذلك، وإني مستعد أن أرسل إليك أحد أخواتي أو أولادي ليحارب مع أولادكم، وفي ذلك الفوز الأكبر إن شاء الله، قد يكون حدث بيننا وبينكم سوء تفاهم في الماضي فلا بد إذن من التفاهم والتأمينات وذلك بأن تحدد الحدود بيننا وبينكم فتزول الشكوك وتتضاعف من أهل نجد المساعدات.

فلما أن وصل هذا الكتاب إلى صاحب الجلالة قام يذيع في جريدة القبلة وفي الديوان الهاشمي فسمع صوته في نجد، وكان من جوابه قال: إنك سكران يا ابن سعود أو مجنون، أفلا تعلم لأي أمر قمنا وأي غرض نبغي، فكتب عبدالعزيز إلى الوكيل البريطاني في البصرة يطلب الاجتماع به في العاجل، فاجتمعا في العقير وبعد أن أطلع السر برسي كوكس على كتاب الحسين قال له الوكيل: لا تكترث به نحن ضامنون استقلالك ونتعهد بأن لا يتعدى عليك الشريف أو غيره، وأنت تعلم أن

أية حركة على الشريف اليوم هي علينا ومساعدة لأعدائنا وأعدائك، وقد ألح ابن سعود عليه في هذا الاجتماع أن يعطيه جواباً قاطعاً لأن لا يكون بينه وبين الشريف محاربةً، فوعده بأمرين:

أولهما: أن لا يتدخل الشريف في شؤون نجد.

الثاني: أن لا يتكلم باسم العرب.

تعهد السر برسي كوكس لابن سعود بذلك، ثم إنه دعى عبدالعزيز لزيارة البصرة فلبى عبدالعزيز الدعوة وعرج في طريقه على الكويت ليعزي آل صباح بوفاة كبيرهم الشيخ مبارك، ثم إنه جاء وفود الإنكليز والعرب وذلك لأن الشريف لما رفعته الإنكليز إلى هذه الغاية وأمدته بالأسلحة والذخائر والأموال وقلدوه الخلافة سولت نفسه أن العرب كالخاتم بيده، وأن وعود بريطانيا له كانت لا يغيرها شيء، لم يحط علماً بأنها جعلته لها يداً تضرب به أعدائها، فإذا حصلت على أمرها أتت على بنيانه من أسه فسقط عليه، لهذه الرفعة التي حصلت له، كان لا يرى ابن سعود ولا يعده إلا أنه أمير يجب أن يخضع للجلالة الهاشمية، وإذا تحدث عنه قال إنه أمير من الدرجة الخامسة لما يجده لأهل نجد من الكره الموروث، فبسبب ذلك ثارت كوامن الساكنات، وقام لا يريد مفاوضة بين الإنكليز وبين ابن سعود، على أن الإنكليز أهمهم أمران، حربي وسياسي، أما السياسي: ففي الحجاز، وأما الحربي ففي العراق، فجاءت الوفود البريطانية وقدم المستر ستورس ورفيقه المستر هوغرث إلى جدة ليسافرا من قبل المعتمد البريطاني في القاهرة إلى الرياض عن طريق الحجاز فلم يأذن الشريف وادعى بعدم الأمن، وحقيقته أنه يخشى أن ترجح كفة النفوذ في الرياض، بل كان يخشى أن يكون اتفاق الإنكليز وابن سعود مضراً بمصالحه أو مجحفاً باتفاقه معهم فلا يرضى لهذا بأي اتفاق يكون بينهم وبين أمير من أمراء العرب إلا بواسطته قائلاً: اتركوا لي ابن سعود فأنا أعالجه لخيركم وخير العرب.

وقد كان ابن سعود محافظاً على عهوده مع بريطانيا العظمى، غير أنه يخشى أن يكون بينها وبين خصمه اتفاق سري ملحق للمعاهدة يضربه ومصالحه، ولا

يستغرب هذا كما قدمنا، فهل يصلح رسل التوفيق ما أفسده عاقدوا المعاهدات.

فلما أغلق باب الطريق إلى ابن سعود مع الحجاز في وجه وفد القاهرة جاء الوفد الآخر من الطريق الثاني إلى الرياض.

وفيها أمر فخري باشا بوضع أساس النصب التذكاري، وكان موضعه بالمناخة جنوبي السبيل، تذكاراً لتولية الدولة العثمانية للشريف علي حيدر على إمارة مكة، وبينما كان العمال يحفرون لوضع الأساس هناك إذا انفتحت لهم هوة كشفت عن بيوت سقوفها تحت طبقة هذه الأرض، فنزلوا إليها ووجدوا فيها ثياباً معلقة على حبال ومع بلاها، فإنها كانت محتفظه بهندامها متماسكة بحكم الرطوبة وعدم خلل الهواء للغرف الموجودة بها، ولكن بمجرد لمس العمال أياً منها تناثرت كما تناثر الرماد وتساقطت تساقط الأجساد المحنطة إذا مستها يد، فدمروا البيوت وأشادوا عليها بناية التذكار، وقد دمرت هي أيضاً في عهد الحكومة الهاشمية، وقد جرى مثل هذه القصة منذ سنتين وكثيراً ما يوجد أسفل المدينة مدينة مدفونة إذا نقبت الأرض فيوجد آثار الأديار وأعمال الأولين.

وفيها عظم الإقبال والجد والاجتهاد في طلب العلم والدراسة والنشاط بين يدي الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن سليم وآل الشيخ، واتسع نطاق العلم ونظمت القصائد في فوائد العلم وفضله وآدابه وأسبابه وموانعه، وكثرت المجاوبات عليها والمراسلات بينهم وذلك يدل على هممهم العالية ومطالبهم السامية، ويعد ذلك الوقت في القصيم عصر النهضة والتقدم والتعليم، وأولع الطلاب بدراسة القرآن وحفظه والبحث في مسائل العلم، وسهروا ليالي الشتاء، وضربت أباط الإبل إلى الرياض وبريدة وغيرها للأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وعن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وكان من الطلاب من يسافر راجلاً إذا لم يجد مركوباً.

وفيها وفاة راشد بن سليمان أبو رقيبة من أهالي بريدة في القصيم وهذه ترجمته:

هو راشد بن سليمان بن محمد بن سبيهين، كان من آل شيحة آل سبيهين في القرائن في شقراء من وهبة تميم، ولد في سنة ١٢٦٥هـ، وكان من طلاب العلم أخذ عن الشيخ محمد بن عمر بن سليم، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكان تاجراً من تجار أهالي بريدة، وله أيادي في الإحسان والبذل لا سيما في سنة المسغبة التي جرت عام ١٣٢٧هـ، وكان له خط جميل وكثيراً ما يعتمد عليه في الوثائق والصكوك الشرعية.

ومن النوادر أن جمالاً من الذين يجلبون الحطب وَفَدَ بحمل البعير، فاستامه راشد بن سليمان ثم إنه طلب الجمال الزيادة فلم يزد في القيمة عن سومه إلا قليل، فترك صاحب هذه الزيادة وباع على أبي رقيبة عله أن يطعمه من طعام بيته، فذهب به إلى بيته، وأمر أنجاله أن يلقوا الحطب عن ظهر البعير، ثم ذهب به إلى موضع التمر وكان مجبواً في موضع لا ينقص عن خمسة آلاف وزنة فأجلسه وكشف له الغطاء وأذن له في الأكل مهما استطاع، وكانت الأمة إذ ذاك في قلة من المأكولات لقلتها ولم يفتح الله تبارك وتعالى عليهم في كثرة الأرزاق، فغاب عنه ثلاثين دقيقة ثم جاء إليه لعلمه أنه أخذ نصيبه في ذلك الوقت من الأكل، فلما جاء إليه وجده لم يذق منها شيئاً، فسأله وقد وجده جاعلاً يده على خده ويفكر لم لا تتناول شيئاً؟ فقال يا عم إني شبعت قبل الأكل لما رأيت هذه الأنعام بارك الله لك فيها، فأتى بزنبيل وملأه وناوله إياه لأولاده فانصرف من عنده شاكراً.

ثم دخلت سنة ١٣٣٦هـ

ففيها قدم وفد من الكويت ومن البحرين مؤلف من الوكيل السياسي «الكولونل هاملتن» و«المستر فلبي» و«الكولن أون» ليفاوضوا ابن سعود في الأمرين السياسي والحربي الذين تقدم ذكرهما، أي ليوافقوا بينه وبين الحسين وليستنهضوه على ابن رشيد وعلى أحلافه من عشائر العراق، وكان عبدالعزيز قد علم بتوقيف وفد القاهرة في جدة، فطلب المستر فلبي أن يتوسط في الأمر وتعهد إذا أذن بالسفر إلى الحجاز أن

يعود مسرعاً ومعه المعتمد البريطاني، فأذن له عبدالعزيز بالسفر وأرفقه برهط من رجاله، وقد كان فلبي له قصد في رحلته، وهو أنه قطع صحراء نجد في رحلة طويلة ليضع كتابه في قلب الجزيرة، وكان معتمداً عظيماً لبريطانيا في نجد، ومن المعلوم أن الطريق إلى نجد براً من الحجاز هي أقصر جداً من الطريق البحرية الهندية، وقد كان يزعم الشريف في ادعائه أنها آمن منها في تلك الأيام، وكان هذا المال الذي يبذل في شبه الجزيرة يجيء عن طريق مصر، وأن الحكومة الإنكليزية في الخليج الفارسي كانت في حاجة إلى قسم كبير ليصرف في أطراف العراق ونجد.

ولما سار المستر فلبي إلى الحجاز هو متأكد أن سيعود في الطريق نفسها ومعه في الأقل المال الذي كان متوقفاً في جدة، سار ومعه كتاب من ابن سعود إلى الملك حسين مدبجاً بيراع اللطف والولاء، فلما قدم الطائف وعلم به الشريف لم يسعه إلا إبداء السرور به لأنه ضيف كريم، فدعاه إلى جدة ليكون في ضيافته، فتوجه فلبي من الطائف ماراً بالسيل فعين مبارك فالوزيرية فحجوم فالمرشدية فحده فبحره حتى وصل جدة.

ولما أن اتفق بالحسين وناوله كتاب ابن سعود قابله بالفظاظة والغلظة وقال للمستر فلبي أن الرجوع إلى نجد يا حضرة النجيب غير ممكن، ولما أراد الذهاب أبى أن يعود فارغ الوطاب بدون أن يعمل شيئاً، فجس نبض الحسين وأراده على وضع معاهدة صداقة بينه وبين الإنكليز فلم يوفق، وكذلك عاد الاثنان الآخران من وفد الإنكليز وما حصلوا على شيء من الحسين.

أما رجال ابن سعود فأذن لهم الحسين بالرجوع إلى بلادهم، ولم يزودهم بكلمة لطف أو عنف، ما هو إلا إن قال لهم لا لزوم يا أولادي للكتابة نحن نحل مشاكلنا بيدنا، كذلك عولج المشكل السياسي خلال الحرب، فظل مشكلاً بعدها.

أما المشكل الحربي فقد كان حله يختص بمصادرة المؤن والذخائر التي كانت تصل إلى الأتراك في بغداد وفي الشام عن طريق الكويت والبادية، وكانت الكويت هي الباب الأكبر للتهريب تجيئها المؤن من جميع الأرزاق كالشاي والأرز والسكر من الهند

والعجم فتباع بأسعار باهظة وتتسرب إلى الدولة وإلى رؤساء العشائر فيهربونها إلى الأتراك والألمان في سورية وفلسطين ومن أولئك الرؤساء ماجد ابن عجل شيخ العبده أكبر قبائل شمّر، وضاري بن طوالة شيخ شمّر العراق وعجيمي السعدون رئيس المنتفق فقد كان العدو في الشام وفي بغداد يحصل بواسطتهم مهماً كانت الأسعار باهظة على كثير من الأرزاق والذخائر التي كانت تجيء إلى الكويت للإنكليز في جنوب العراق فعلى الإنكليز إذن أن يصادروا المهربين ويحكموا نطاق الحصار لمنع التهريب أو تخفيفه، فحاولوا لذلك حراسة خط يمتد من الكويت إلى البصرة فالناصرية، ولكن الكويت نفسها كانت أضعف حلقة في سلسلة الحصار، وكان حاكم الكويت سالم ابن صباح من كبار المستثمرين تجارة بلاده ومن المستغلين عملية التهريب.

ومع أن الكويت في حوزة الإنكليز فلم يتمكنوا من إحكام النطاق الحربي عليها فاضطروا في النهاية أن يحددوا ويحتفظوا من غير ضغط، ومع ذلك كان يتسرب إلى العدو قسم كبير منها فبذلوا المال في العشائر للمصادرة واشتروا كبار المهربين مثل ماجد بن عجل وضاري بن طوالة.

ولما عاد فلبي في ربيع من هذه السنة جاء عن طريق الهند والبصرة وخرج إلى البادية ينشد المصادرين، وكان في قافلته جمال تحمل أكياس الفضة والذهب، وكان ضاري بن طوالة قد انخرط في السلك الإنكليزي لقاء مشاهرات معلومة ووظيفته مصادرة البضائع التي كانت تصل إلى الشام بواسطة ابن رشيد في حائل، ولكن ضاري شيخ من مشايخ شمّر، وشمّر هي ظهر ابن رشيد فهل يلام إذا صادر أعدائه، فقد جاءه فلبي وهو في الحفر يحمل النقود عاقدة العهود وناقضة الوعود، فشكى إليه ضاري ضيق الحال وفقر الرجال والحاجة يا فلبي شديدة إلى المال، فأناخ فلبي جماله وشحذ نصحه بالفضة فابتسم ضاري، وقال والله يا فلبي نحن رجالك على السمع والطاعة وخلع طاعة ابن رشيد تحت قدميه فقال له فلبي: قوموا إذن وارحلوا معي إلى ابن سعود، فامتثل ضاري أمره ومشى في موكبه بستين من رجاله وجاءوا مع فلبي إلى ابن سعود يتوددون ويعاهدون.

ولما أن اجتمعوا بابن سعود على غدير يدعى الشوكي اتفقوا على أن تكون المصادرة عامة بدون تمييز، وأقسم ضاري يميناً مغلظة أن شمّر العراق تكون دائماً أبداً مخلصة للإنكليز ولابن سعود، ثم أرسل ماجد بن عجل أيضاً رسوله إلى ابن سعود يطلب الصلح فقال له: إني أنذركم يا شمّر فإذا كنتم مخلصين لنا تعالوا أقيموا في كبدي وأما إذا كنتم تفاوضون الإنكليز وتساعدون الترك فأنا عدوكم والله قاهركم إن شاء الله.

ذكر اتفاق فلبي مع ابن سعود

لما خدع فلبي رؤساء شمّر ببذل النقود وضمهم إلى ابن سعود جعل ابن سعود يفاوض فلبي فقال له: يا فلبي أما حائل فإذا تركتم أمرها لي فأنا أعالجه بالسياسة وإذا ألحتم فعليكم بالمدد وليس المقصود بالمدد المال فقط، بل الأسلحة والذخيرة وهي يومئذٍ قليلة عزيزة، ثم قال عبدالعزيز أن حائلاً في فكرنا دائماً، ولكن حائلاً جدار، ونار ترى الصحيح أن ابن رشيد محصن فيها وراء الجدران والمدافع.

ثم إنه عاد المستر فلبي مع ابن سعود إلى الرياض وكانت المفاوضات والمباحثات متواصلة، وكان من جملة ذلك أن ابن سعود يقول: إني قادر أن أمنع ابن رشيد عن محاربة الشريف، وهذا جلّ ما يبغونه الآن لكن عهداً بيني وبين شمّر يوجب التربص، فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم، فإذا رجع ابن رشيد وكان حليفاً لنا فذلك خير تحقق بدون قتال وإلا فسنحاربه.

أما العهد الذي أشار إليه عبدالعزيز فهو أنه بعد سفر فلبي إلى الحجاز، شد على ابن رشيد الذي كان يومئذ على الحجر عند الترك ولكن مشايخ قبائله جاءوا ابن سعود يعاهدونه على الطاعة والولاء ودليل صدقهم كما قالوا هو أن ابن رشيد طلب منهم أن يحاربوا مع الترك الشريف، فأبوا وقد تعاهدوا وابن سعود أنهم ينذرون ابن رشيد فإذا قدم من الحجر وكان معك يداً واحدة، فنحن عشائره

وعشائرك، وإذا رفض الرجوع فنحن معك عليه، فلبث عبدالعزيز ينتظر الجواب من مشايخ شمّر، ولم يرَ أن يبقى المستر فلبي أثناء ذلك عنده في الرياض فصارحه في الأمر فرغب فلبي في رحلة علمية إلى وادي الدواسر، واستأذن أبن سعود بذلك فرحله مصحوباً برهط من المحافظة، وذلك في شهر رمضان، ثم إنه جاء الجواب من أبن رشيد يرفض مطالب رؤساء شمّر فجمع عبدالعزيز جيشه يريد الزحف إلى حائل، وكان فلبي مرافقاً للجيش ولكنه لم يكن كمواطنه الذي سار معه في وقعة جراب شكسبير وشارك في القتال حتى قتل، بل تخلف هذا في القصيم وتقدم عبدالعزيز بجيشه إلى حائل وكان قصده أن يشغل ابن رشيد عن مناوشات العرب الذين كانوا يحاربون مع الأحلاف في شرقي الأردن.

ولما وصل إلى ماء ياطب في أطراف حائل رأى جموعاً كبيرة من العربان وقد حالوا دونه وأمنيته، ولكنه هاجمهم فأصاب منهم مغنماً، وعاد فنزل على ماء قريب من المدينة فخرج ابن رشيد في آخر النهار يريد الهجوم عليه ليلاً، لكنه عدل عن قصده وقفل راجعاً بدون قتال، وسبب ذلك أن الترك استنجدوه، لأن «الجنرال اللنبي» قد بدأ في الهجوم العام على الترك في فلسطين وشرقي الأردن، فعدل ابن رشيد عن محاربة ابن سعود إلى نجدة الأتراك، وقد كان من المألوف في مثل هذه الحال أن ينهض الجيش المهاجم فيتأثر الجيش المتقهقر ويجتز ساقته، ولكن الله تعالى ما أرادها لابن سعود في تلك الساعة بل عاد في اليوم الذي بعد هذا إلى القصيم وقصده أن يجمع قوة أكبر من تلك القوة التي كانت معه فيقسمها إلى قسمين، قسم لمنازلة عربان شمّر، وقسم لمهاجمة حائل، ولكنه مثل خصمه عدل أيضاً عن قصده والسبب في الحالين هو ما أحرزته جيوش الأحلاف والعرب في هذه المدة من النصر المبين في فلسطين وسوريا، وكان ذلك في ذي القعدة، فوصل الخبر كالبرق إلى البلاد العربية، ودخل العرب الشام ظافرين وفر الترك منهزمين، وسلم الألمان وعقد الصلح، فعندها تعظ العرب وتوقف ابن سعود وابن رشيد عن القتال وعقدا فوق ذلك مثل الأحلاف وألمانيا صلحاً صغيراً.

ذكر سكون الحرب العظمى

لما كان في ذي القعدة من هذه السنة انتهت حركة هذه الحرب بظفر الأحلاف والعرب وهزيمة الأتراك، فأخرجوا من الجزيرة ووضعت الحرب أوزارها ودخل الشريف فيصل بن الحسين دمشق مع جيش الحلفاء في ٢٤ ذي الحجة، فأقيمت المهرجانات ومعالم المسرات لقدومه، وتوافدت العرب إلى شطر المسجد الحرام قادمة من سائر الجهات لشد أزر الحسين بن علي ومعاونته على نهضته شاماً وعراقاً ومن مصر وطرابلس وفرنسا وإيطاليا، وقد كان للحسين منهم أكبر مصلحة ولكنه ويا للأسف لسوء حظه وقبح تصرفه اختلف معهم، وما كان ليرى إلى نصح ناصح ولا إلى إرشاد مرشداً، فارتحل أولئك المخلصون عنه ولم تف له الإنكليز بوعودها لسوء معاملته.

ولما أن استقر فيصل بن الحسين ملكاً في سوريا وهدأت الخواطر، بدأت الأمة السورية تفكر في مصلحة وطنها وبلادها، وذلك لا يكون إلا بالاستقلال التام والحرية المطلقة، فبدأت تعمل لذلك وعلى رأسها الأمير فيصل يطرقون الأبواب ويواصلون السعي مع الساسة من رجال الحلفاء، فتكاثرت الأحزاب وتخالفت الآراء، حزب يطلب الاستقلال تحت الحماية وحزب يطلب الاستقلال الناجز بدون شرط ولا قيد، وحزب يطلب احتلال فرنسا لسوريا، فبقيت سوريا هائجة مضطربة، ولما رأى بعض الأحزاب تلاعب السياسة الفرنسية أعلنت تتويج فيصل ملكاً دستورياً في السنة التي بعدها بسنتين، فحصل بذلك ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

أما جلالة الملك حسين الشريف فقد كان مغروراً جداً بما لديه من وعود الحلفاء التي ظنها مواثيق لا تقبل نقضاً وأن إشارة منه واحدة تطير في الهواء كل من يقف في سبيل غاياته إذ كان يعتقد أن إنكلترا حليفته وبكل حال فإن الحسين بن علي تعدى طوره وأغضب أيضاً الإنكليز.

ذكر البدو والهجر

الهجر هي مساكن البدو التي أمرهم بلزومها الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن، والداعي لذلك ثلاثة أمور هي: تعليم البدو الدين، ونفعهم بأرض يحرثونها، والاستيلاء عليهم، فباشر ابن سعود تلك المهمة للإصلاح الكبير، وكان يرسل المطاوعة إلى البادية ليعلموا أهلها التوحيد والفرائض وكان يعين بقعة من الأرض فيها ماء لقبيلة أو لفخذ منها فتنتقل إليها وتباشر بناية البيوت فيها ويساعدهم مالياً في بناء البيوت الجديدة، ولقد كان ذلك صعباً على البدو إذ من المعلوم أن رزق البدوي أباعره فما زالت عنده لا تزال البادية تستغويه فيروح في ساعات الضجر طالباً الرزق حلالاً وحراماً غزواً أو غيره فلذلك جبر البدو على بيع جمالهم وألزمهم ليعيشوا كالحاضرة.

فيا عجباً لأمر البدو وحيث لا يستريحون ولا يريحون فما مثلهم إلا كالسراب يلوح للظمآن ولقد قال الله عز وجل فيما نزل: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ ، فقد كان البدو منذ القدم غزاة عصاة عتاة ولهم غريزة دينية غذتها الخرافات ومطامع تكاد تنحصر بالأقوات ولكنهم في طاعتهم وإخلاصهم وجهادهم وولائهم لا يحتملون فوق طاقتهم يحاربون ويشدون ويخونون ويغدرون وهم وإن غلوا في دينهم فإن ردتهم سريعة، دعاهم مسيلمة فلبوه ثم دعاهم ابن طاهر القرمطي فضاربوا معه كالبنيان المرصوص، ثم تشتتوا بعد كسرة القرامطة ثم بعدها بنوا القباب على القبور وعلقوا الرقاع على الأشجار.

ثم لما قام الشيخ محمد بن عبدالوهاب قدس الله روحه جعل يبين لهم أن الدعاء والعبادة لله وحده وجاء يعلمهم التوحيد بمساعدة سيف بن سعود ولكنهم في كل أطوارهم بدو لا يحملون شيئاً في جيوبهم ولا في قلوبهم بل لا جيوب لهم ولا قلوب رفاقك في الطريق اليوم وأعداؤك غداً وجل مقصودهم هو الطمع، أما

الدين عندهم فكالرداء يلبسونه زمناً فيغسلونه مرة أو مرتين ثم يلبسونه مقلوباً ثم ينبذونه وقد تمزق نبذ النواة، كيف نتوضأ ونحن نبغي الماء للشرب، ولم الصوم والسنة كلها رمضان عندهم إلى غير ذلك.

وكذلك كانوا في ولائهم لهذا الأمير وذاك لا يفرقون وربك بين ابن سعود أو ابن رشيد أو ابن صباح بل من رجحت كفة ميزانه فهم معه سيف في يد الأمير يوماً، وخنجر في ظهره غداً مجاهدون إن كان ثم غنائم يحاربون ما زالوا آمنين ويفرون شاردين عند أول خطر يلوح، لذلك كان ابن سعود يقدمهم في القتال ويدعمهم بالحضر وكان فيهم شجاعة إذا كان لهم ظهر وإلا فإنهم فارون، وقد جاء في أمثال العرب.

«البدوي كالقرلي إن رأى الخير تدلى وإن رأى الشر تعلى» ولكن البدوي وحده يدافع عن نفسه وبعيره حتى الموت وإن كان خصمه قبيلة بأسرها فسبحان من خلقهم والسلام.

وكان عبدالعزيز بن عبدالرحمن يقول محدثاً عن البدو الذين اشتهروا بالإخوان يجيئوننا في السلم فنعطيهم كل ما يحتاجون إليه من كسوة ورزق ومال ولكنهم في أيام الحرب لا يطلبون شيئاً منا فيتزر الواحد منهم الخرطوش ويبادر إلى البندق ثم يركب الذلول إلى الحرب ومعه شيء من المال والتمر قائلين القليل عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا كنا نمشي ثلاثة أيام بدون أكل يأخذ الواحد منا تمرة من حين إلى حين يرطب فيها فمه.

وقد كانت الحاضرة قدماً وأشد بأساً من البادية أما الآن فالبادية المتحضرون أهل الهجر هم في القتال أثبت من الحاضرة وأسبقهم إلى الاستشهاد فرأى عبدالعزيز أثابه الله أن يجعل لهم هجراً فيكون وطن البدو البادية وهي مهد الشرك، فالهجرة منها إذن هي الهجرة إلى الله والتوحيد فنقلهم من بيوت الشعر إلى بيوت من لبن وحجر.

أسماء الهجر

قد أسست هذه الهجر في ابتداء سنة ١٣٣٠هـ وأولها الأرطاوية لعرب مطير شرقي بريدة وقرب الدهنا وسميت بهذا الاسم لأن الأرطا الشجر المعروف الذي ترعاه الإبل يكثر في جوارها ثم تبعتها بقية الهجر كالغطغط والروضة، والسنام، وعروى هذه لبرقة من عتيبة، والصرار، وحنيذ والصحاف، والعقير، وعريعر، وهذه للعجمان، والنخيل، والفيضة، والطرفية لبني عمرو؛ ومشاش جوان والبعايث ومطلق، وضيده، ومدرج وبقيعا الجنوبية هذه لحرب، وعفيفة، والسليسة، والوجمة والشعراء والقاعية، والقويعية ووثيلان، والبرود، وعريفجان، والعرفجية، والبجادية، وقرين الدلابحة، ونفي، والحيد، وشبيرمه هذه لعتيبة، والثعيبان، والبلازية؛ وعقيلة لبن، وعقلة جديد والجعلة، هذه لعنزة والعظيم، والأجفر، وفيد؛ والربع والصفراء، والبير، وسلما، وغمرة، والغيمار؛ وسميرا، والكهفة والكهيفية، والصغوا، والثعيلبى هذه لشمر، والفواره، ومرغان؛ والعمودة والنومانية، والحجر، وبقيعا الشمالية والنابتية، والبدع ومغيرا؛ والقحصاء؛ وأم العراد، ومشاش جرود، والنجنة؛ والصلبية، والأرطاوي وكحيلان، وكحلة، ومكحول، ومطيوي غلاب، والقرائن لابن شطينة، والخشبي، والدحلة؛ ودهيما، وعبلا، ومشاش ركيان والرديهة وشويمان، والنمرية، والطرار الشمالي والخرشا هذه أيضاً لحرب والهبيرية، وقطن والمباري، والحيلاني وعقلة الصقور وعطا وعطى، وثادج، وثويدج، وجرار الجنوبي، والبتراء، والرويضية، والنجيبية، والنقرة، وجبيرة والحنينية هذه أيضاً الحرب، والميسرية، والشهيكية ودخنة، والطرفاوي، وغسل وغسيلة، والحجازية، ودريميحة، والقرين، وقبة وطراق قبة والزبيرة، والقوارة، وطراق المخرم، والمخرم، والجرثمي؛ وذويبان ودويح والبعجاء، والبصيري؛ والقنينة الداث، والزهيرية والهمجة والنغازي هذه أيضاً لحرب، ومبايض، وفريتان، ومليح، والعمار والأثلة ومسكة وضرية، وقرية العليا وقرية السفلى هذه لمطير؛ والهيائم والجفير، والحصاة والرين الأسفل والرين الأعلى هذه لقحطان؛ ومشيرفة، والوسيطي للدواسر، والصرح وساجر، وعرجا،

وعسيلة، ونفي؛ والدهنا هذه للروقة، والدليمية، والساقية وحليفة هذه لحرب في نجد؛ والحسي؛ والحفات، والعتيق هذه للعوازم، والشباك، والبيرق، وعين دار سكانها بنو هاجر لبني مرة، والقصير، والحفير، والخبذ، وبنوان، والتيم، وأم القلبان، والشقيق، وخريفط، والمصارع، والمرير هذه لشمر، وبيضاء نثيلة لعنزة كما أن بنوان وخريفط والمرير فهن لهتيم، والضبيعة والمنيصف، والأخضر، وطيبسم، والرويضة هذه هجر في الخرج، والدفينة، والصمعورية، واللافيدة؛ والحليفة، وأم الهشيم، والمستجدة، والسليمي والجفن والعوشزية قرب الجفن؛ والمصتلح والشنانة الشمالية والحفيج، وعجاجان والبيصيات.

ومن قبائل نجد سبيع؛ والدواسر وبنو هاجر، وبنو خالد وتنتشر قبيلة بنو خالد في الإحساء كالقطيف والجبيل، ومن أشهر قبائل نجد قبلة قحطان التي تسكن في وادي الرين ومن قبائل نجد قبيلة مطير ومن أشهر القبائل عنزة وتمتد منازلها من وادي القرى وتنتشر في نجد.

ومن أشهر القبائل عتيبة وتمتد منازلها من الأماكن المجاورة لمكة من جهة الشرق إلى أطراف الوشم.

ومن قبائل المملكة السعودية ثقيف وجهينة وبلى وهذيل القاطنة في الحجاز فأصبحت هذه الهجرة يبلغ المجاهدون منها مائة ألف وسبعون ألفاً متأهبين للحرب يلبي الجهاد رجالها الذي عرفوا بالتجارب يقدمون على الملك فيدفع لهم الإكراميات وقيمة مرضية من المال أو يدفعها لهم في العواصم يردونها فيأخذون ما رتب لهم وصار سكانها هم الإخوان أهل التوحيد إذ ذاك ولكنهم بعدما باعوا جمالهم وصاروا إخواناً يتعصبون بالعصابة البيضاء التي تميزهم عن الناس أقاموا في الهجر في أول تأسيسها لا يعملون شيئاً في أيام السلم غير الصلاة وغدت بيوتهم مناسك وقد نزلوها ابتغاء وجه الله تعالى لكنهم أصبحوا عالة على صاحب الجلالة لذا قام ابن سعود يعالج هذا المشكل فبعث إليهم مطاوعة وعلماء يبثون فيهم الخير وينشرونه فقام أولئك يعلمون المتحضرين ما فيه سعادة دينهم ودنياهم ويحبذون إليهم العمل لإصلاح معيشتهم وأن

التجارة والصناعة لا تنافي الدين وأن المؤمن الغني خير من المؤمن الفقير غير الصابر الذي معيشته على السؤال فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه كان يملك ثمانية آلاف رأس من الإبل والخيل وهل تشكون في أن الله سبحانه وتعالى يفتح لكم إذا أنتم زرعتم وتاجرتم أبواب الثروة والجاه، وقد أفلح المطاوعة أو كادوا في تحبيب العمل والمال إلى الإخوان فشرعوا يزرعون الأرض حول الهجر ويتاجرون وقد نشأت هذه القرى نشوءً سريعاً فصارت أسوة القرى القديمة وألف أهلها الزراعة واستعذبوا ثمارها، وكان البدو اليوم على غير حالتهم بالأمس فلا يشردون ولا ينهبون بل يحاربون حباً للجنة وخوفاً من النار.

هبـــــت هبـــــوب الجنـــــة أيـــــن أنـــــت يـــــا باغيهـــــا

وعرفوا الشرع فخشوا عاقبة الفرار وبما أن البدوي فطر على النهب والسلب والقتل فلا تزال الحكومة تدخل عليهم التحضر شيئاً فشيئاً، ولكنه نشأ فيهم غلو وإفراط ومجاوزة للحد بعدما انقطعوا عن النهب وتفرغوا لعبادة الله تعالى وتلبدت غيوم في الأفق يخشى منها وأصبح مستقبلهم ينذر، وجرى منهم ما سنذكره فيما بعد إنشاء الله تعالى.

هذا ولا تزال فيهم تلك العادات التي فطروا عليها كامنة في نفوسهم من سرعة الانفعال وعدم النظر في العواقب وحبهم للنهب والسلب؛ ولولا سيف الحكومة الذي لا يزال مسلولاً على كل معتد لكان لهم تغيرات وتبديلات كما سيمر بنا بعد ذلك.

وفيها وفاة رجل الدين والفضل علي بن مقبل قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه، وكان المترجم من قبيلة سبيع وصاحب صدق وإحسان ومحبة لأولياء الله وبغض لأعدائه ويعد من رجال الوطن في الدين وحسن المعاملة ومن صفاته الحسنة وأعماله الطيبة أنه أحاط بعض المقابر الكائنة في مدينة بريدة وله معاملة في مداينة الفلاحين يراعي الفقراء في المعاملة فإذا تمت المدة ضرب على الزيادة عن رأس المال وأخذ رأس ماله، ومن صفاته التي امتاز بها أنه إذا خرج ليكتال

من الغريم فإنه لا يطعم شيئاً من ثمرة الفلاح إلا بعد ما يقبض ماله فيأخذ بقلنسوته رطباً ويأكلها.

وأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وأخذ عن ابن عمه الشيخ محمد بن عمر بن سليم، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن فدا وكان مناصراً للشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وعضده الأشد فلذلك تضخمت بمسبته السنة المنافقين وشنوا عليه الغارة، وما زال ثباته ونصرته لأهل الدين وكانت ولادته في سنة ١٢٤١هـ وتوفى عن عمر يناهز الخامسة والسبعين رحمة الله تعالى عليه.

ثم دخلت سنة ١٣٣٧هـ

ففيها جرت واقعة تربة بين الإخوان من جنود ابن سعود وبين الشريف وأسباب ذلك الخلاف الذي توترت له العلاقات في مسائل الحدود بين نجد والحجاز ونحن نبسط الواقعة فنقول وبالله المستعان وعليه الاتكال.

ذكر واقعة تربة

لما أعلنت الهدنة بين الأتراك والحلفاء سلمت المدينة بعد إعلان الهدنة بثلاثة أشهر في ٨ ربيع الثاني من هذه السنة بعد حصار امتد ثلاث سنين فكتب الأمير عبدالله بن الملك حسين إلى أمراء العرب يخبرهم بذلك وأرسل إلى ابن سعود هذا الكتاب:

إلى حضرة المحترم المكرم الأمير عبدالعزيز بن سعود الفيصل، وبعد فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ثم أخبرك بأن الله فتح لنا أبوب مدينة خير البرية وأن حاميتها قد أسرت واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الأملاك والآلات والأدوات العائدة للحكومة الغابرة، كما أن فخري باشا قد اعتقل في بئر درويش.

وأما العساكر فبادرنا بنقلهم إلى بلادهم ولا يخفى على مداركم بأنه لم يبق والحالة هذه هنا ما يشغل حكومة صاحب الجلالة أدامه الله وأيده عن الالتفات

لإصلاح داخليتها وشؤونها والتنكيل بمن يسعى للإفساد والتخريب من العشائر التابعة لها، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في ربيع الآخر ١٣ سنة ١٣٣٧هـ قائد الجيوش الشرقية الختم الأمير قال إني عبدالله وقد كتب ابن سعود إليه كتاب تهنئة دعاه فيه للتفاهم بخصوص العشائر وأكد له أنه لا يبغي غير السلم إذا كان هو من المسالمين فجاءه الجواب الآتي:

«إلى جناب سامي الرحاب الشهم الأوحد والهمام الأمجد الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود سلمه الله، وبعد الديباجة المفعمة بالتودد والتبجيل يقول إني منكف راجع إلى الوطن إن شاء الله تعالى في الأسبوع القادم لأكون في خدمة صاحب الجلالة الهاشمية أدام الله نصره، وإني أرجوكم أن تبلغوا سلامي إلى معالي والدكم الجليل والأنجال والإخوان الكرام، ومن لدينا حضرة صاحب السمو الملكي سيدي الأمير على نصرة الله يهديكم جزيل السلام» في ٣ جمادى الثانية ١٣٣٧هـ.

قائد الجيش الهاشمي الختم الأمير

ومع هذا الكتاب كتاب مثله لهجة من جلالة الحسين وملحق خير من سمو الأمير فيه ما يأتي:

إني أخوكم الصادق ومستعد لمساعدتكم بما تأمرون ولا يجوز أن يفرق بينكم وبين والدي أمور البادية التي لا أهمية لها، وكيف يمكن أن يحدث خلاف بين رجلين كبيرين بخصوص تربة والخرمة والبادية، ها أنا متوجه إلى مكة فأرجوكم أن ترسلوا أحد رجالكم وأن ارتأيتم أن يكون أحد أنجالكم فذلك أولى وأنا كفيل النجاح بحسم الخلاف والاتفاق مع سيدي الوالد.

ولكن أحد العقيلات الذين كانوا في الحجاز جاء يخبر إلى الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن بأن الأمير عبدالله يتأهب للزحف إلى التربة ثم جاءه آخر يقول أن الأمير خرج من المدينة ووجهته تربة فكتب عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى حكومة

بريطانيا العظمى بواسطة مندوبها في العراق يخبرها بمقاصد الملك حسين وقائد جيشه ابنه عبدالله فجاءه الجواب أن ذلك من الإشاعات التي لا صحة لها.

فكتب ابن سعود ثانياً يقول ما معناه:

إني متحقق ما أخبرتكم به وما أخبرتكم خوفاً أو شكاية بل لتكونوا عالمين بالحوادث وبما قد يعقبها، وكتب ثالثاً يخبر المندوب السامي أن الأمير عبدالله مشى بجيشه من المدينة ووجهته تربة فلم يجيئه جواب الكتاب الأخير، وكان عبدالعزيز لما رأى هذه الحركة قد جهز سرية مؤلفة من ألف ومائتي هجان بقيادة سلطان بن بجاد أمير الغطغط فأمرها بالمسير إلى الخرمة وتربة للمحافظة على أهالي تلك الناحية وأمر ابن بجاد والعالم المرافق للسرية بأن تكون خطتهما الدفاع لا غير، ثم أرسل بعض العقيلات متجسسين وأمرهم بأن يخبروه خصوصاً بما يفعله الأمير عندما يصل إلى عشيرة فإذا ترك عسكره هناك ودخل مكة كان فيما كتب صادقاً وإذا استمر سائراً كان جوابه خدعة فزحف الأمير عبدالله بجيشه من المدينة جنوباً إلى عشيرة فوافاه إليها والده الحسين إلى مكة وبعد المفاوضة عاد الحسين إلى مكة واستأنف عبدالله السير جنوباً فخيم في شعب يدعى البديع في جبل حضن، وكان قائد الجيوش الهاشمية عبدالله بن الحسين يقول لمن يحدثه بعد ذلك أنه لم يكن من رأيي مهاجمة تربة وقد حاولت أن أقنع جلالة الوالد بالعدول عن عزمه ولكني كقائد الجيش الهاشمي مطيع لأوامر مولاي حتى أني كتبت إليه بعد أن تذاكرنا في عشيرة ولبثت في البديع أنتظر جوابه فلم يكن غير الأمر بالزحف.

ولما أن علم المعتمد البريطاني بمقصد الحسين حينما عزم على تسيير الحملة المذكورة وتبين له ما يبيته لابن سعود، بعث إليه خطاباً مع سكرتيره «حسين أفندي روحي» ينهاه عن ذلك وينصح له فصمم وأجابه بصوت جهوري سمعه الحضور وبعض الجنود امض وقل لهم لا نسمح لأحد بالتدخل في شؤوننا ولنا الحق في أن نفعل ما نريد فبذلك عصى بريطانيا التي هي عضده الأشد وما عمل بنصيحة قريب ولا بعيد.

ولما أن أكد على ابنه عبدالله بالزحف كان قد كتب الأمير عبدالله في أوائل رجب إلى ابن عمه الأمير عبدالله بن محمد وهو يومئذ في الخرمة أو في جوارها هذا الكتاب:

بعد السلام ورحمة الله وبركاته، كتابكم رفقة عائض بن جوير وصل وعلم مضمونه وعيال مهزي الصفار نوخوا البارح على صاحب الجلالة وأخبرونا بالكون عليهم وبكسرة الوهابية، ولا شك أن العرب إذا صدقوا اللقاء كسروا المغير عليهم هذا أمر ثابت وحسب الرغبة أمر صاحب الجلالة بإنقاذ ابن مهزي فاخترنا مائتين من الجعدة مع غالب ابن عنيزة يمشون غداً أو بعده إن شاء الله كلمة مبهمة أمير الخرمة السيد غازي الحارث من السطوة في البلاد الآن فبعد وصولي بالقوة الكافية إليكم نزودها بما تستحقه والتوفيق بيد الله، هذا ما لزم ودمتم ونحن على ممشاً في هذين اليومين، الأمير القائد عبدالله في ٣ رجب سنة ١٣٣٧هـ.

مشى بعد كتابة هذا الكتاب من عشيرة إلى جبل حضن فخيم في البديع وجاء إلى ابن سعود في غرة شعبان أحد عقيلاته يخبره بذلك فكتب صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى الأمير كتاباً في ١٠ شعبان قال فيه:

قد تحقق عندي خلاف ما أخبرتني به سابقاً أي أنك عائد إلى مكة المكرمة والظاهر أنك مهاجم تربة والخرمة، وذلك مخالف لما أبديتموه للعالم الإسلامي عموماً والعربي خصوصاً، واعلم رعاك الله أن أهل نجد لا يخذلون إخوانهم وأن الحياة في سبيل الدفاع عنها ليست بشيء، نعم وأن عاقبة البغي وخيمة.

خير لك إذن أن تعود إلى عشيرة وأنا مرسل إليك أحد أولادي أو اخوتي للمفاوضة فتتم الأمور على ما يرغب به الفريقان إن شاء الله.

والكتاب طويل تدرك مباحثه من جواب الأمير الذي فيه كل الخبر وهو الذي قد تضمن شيئاً عجيباً من الفصاحة ولكن لا غرابة إذا كان لديه من القوات ما غره:

من عبدالله بن أمير المؤمنين الحسين بن علي إلى حضرة أمير نجد ورئيس عشائرها عبدالعزيز بن سعود دامت كرامته، وصلني خط الجناب الموقر المؤرخ ١٠

شعبان فتلوته وفهمته فلم أجد فيه ما استغربته واستعذبته تقول أني بينما أكتب إليك مسالماً إذا أنا أجر الأطواب على المسلمين وأن مظهري هذا أثار ثائر الناس علينا، وأنك دامت مدتك خرجت فزعاً إلى أن يأتيك مني الجواب وإليك به وهو ينطق بلسان صاحب الشوكة والدي وحكومته:

أولاً: أظن أن صاحب الشوكة سيد الجميع يرحب بكل من يطلب كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويحيي ما أحيا الكتاب والسنة ويميت ما أماته الكتاب والسنة لأن هذا دأبه ودأب أجداده منه إلى صفوة الخلق عليهم سلام الله.

ثانياً: لا أذكر أحداً منا وقع على كتاب ذكر فيه أنك أو أحد آل مقرن من الخوارج أو أنكم لستم على ملة الرسول.

ثالثاً: كل من شق عصا الطاعة من رعايا صاحب الشوكة وعتا في الأرض فساداً يستحق التأديب شرعاً شخصاً واحداً كان أو ألف شخص.

رابعاً: اعلم وتيقن أن نيتنا نحوك ونحو أهل نجد نية خير وسلام.

خامساً: أما قولك أن الناس نفروا جميعاً لحربنا إناثهم قبل رجالهم فأذكرك بقول الله و... فإن جاءونا أي عرب برفة والروقة الذين أنذرهم بنية حسنة فنحن لهم وهم لنا يا عبدالعزيز قبل أن ينزل أجدادك بنجد وإن بغوا فلكل باغ مصرع والله مع الصابرين.

سادساً: تأمرني بالرجوع إلى ديرتي من أرض هي لأبي وجدي، ومتى كنت تمنع الناس عن ديرتهم جزيت خيراً، ولكن هل تذكر أن رجلاً من قريش ثم من بني عبد مناف ثم من بني هشام، جده رسول الله وعلي بن أبي طالب يقعقع له بالشنان، ويروع بمثل هذه الأقاويل.

سابعاً: تقول إني لو ألتمس رجلاً في نجد لا يرجح الحياة على الموت في سبيل الله لما أجده، فكان الأوفق لهم، أذن أن يأتونا ويجاهدون الأتراك معنا عن بيت الله ومسجد رسوله، حتى ينال الشهادة منهم من كتبت له، ثم بعد ذلك تردون بمن النظر.

ثامناً: أخبرتك بكتابي بفتح المدينة المنورة بأنني متوجه إلى الوطن لتأديب العصاة، وسألتك: هل أنت على عهدي بك أم تغيرت نياتك؟ فجاءتني نجاجيبك بجواب منك فيه الميل إلى التقرب والمسالمة، فرجوت خيراً وعززته بالجواب الثاني، فجاء ثاني كتبك لي ومثله لوالدي ولأخي ملؤها المودة المؤكدة باليمين، وكل ذلك محفوظ فما حملك الآن على تغيير لهجتك، أمن أجل أننا نؤدب رعايانا ونصلح ما فسد في قبائلنا.

تاسعاً: إن كنت تنوي الخير للمسلمين كما زعمت فاردد الذين أمرتهم ببيع مواشيهم وبنيت لهم الدور: يريد ذلك، الهجر، أخل أنت مكانك الذي وصلت إليه وانحر ديرتك ولك علي ألا أمس أحداً من أهل نجد بسوء، إني مرسل إليك كتابي هذا مع أحد نجاجيبك وهو القسماني، وأبقيت الآخر ليأتيك بخطاب صاحب الشوكة والدي والسلام.

في ٢٣ شعبان ١٣٣٧هـ

القائد العام للجيوش الشرقية الهاشمية

لا بد في هذا الموضع وقد وصلنا إلى هذا الحد من التعريف بتربة والخرمة اللتين أثارتا الحرب بين نجد والحجاز، فنقول: الخرمة هي على مسافة خمسين ميلاً من جبل حضن إلى الشرق وتربة على مسافة خمسة وأربعين ميلاً منه إلى الجنوب، وجبل حضن هذا هو الحد الفاصل بين نجد والحجاز، فقد جاء في الحديث: «من رأى حضناً فقد أنجد» من هذه الوجهة.

إذن تكون البلدتان في نجد، ولكن أصحاب السيادة فيهما من أشراف مكة، فادعى الحسين أنهم من رعيته، وادعى ابن سعود أنهم من رعيته، كما أفاده التحديد مع الأهالي من بدو وحضر فيهم الأشراف تمذهبوا من قديم بالمذهب الوهابي، فعلى هذا هم من رعايا ابن سعود، وكلهم بأجمعهم لا يتجاوزون خمسة وعشرين ألفاً من الأنفس البشرية.

أما الخرمة ففي وادي سبيع وتعلوا عن البحر ثلاثة آلاف قدم وخمسمائة

قدم، وسكانها خمسة آلاف، ثلثاهم من العبيد المعتوقين، وثلثهم من عرب سبيع الذين طردتهم عتيبة عن سكنى جهات الحجاز فنزحت سبيع إلا بقية منهم سكنوا رنية الخرمة.

أما الأشراف في الخرمة فلا يتجاوز عددهم ثلاثمائة نفس، وأمير الخرمة هو الشريف خالد بن منصور بن لؤي رحمه الله، وهو من أقارب الملك حسين، ولكنه محب لأهل الدعوة الوهابية جداً، فلم تصف حالته مع حسين الشريف واتفق مع هذا أنه حدث خلاف بينهما في السنة المتقدمة حمل جلاله الملك حسين على حبس خالد، فاشتعل في صدر خالد زناد الانتقام، ولكنه غطاه دثار العقل إلى حين فرصة الانتقام، وذهب خالد بعد ذلك يساعد الأمير عبدالله في حصار المدينة، وهناك حدث بينه وبين الأمير عبدالله خلاف وتكررت الإساءة منهم إليه، فتكلم خالد منذراً، غير أن الأمير عبدالله غضب ولطمه بيده لطمةً أثارت تلك المغطى، وقيل أن الذي لطمه رجل يدعى فاجر بن شليويح أحد شيوخ قبيلة الروقة، فاعتقل عبدالله المعتدي ولكنه أطلقه بعد أيام، فلم يرض خالد بهذا الجزاء وأسرّها في نفسه واستأذن الأمير عبدالله في الرحيل فأذن له، وما أصغى إلى نصح ناصح وهو الشريف شاكر بن زيد بن فواز ألا يأذن له بالرحيل، فإن خالد في نفسه شيء لا يغسله ذلك الاقتصاص من خصمه وسوف يطول يومه بعد ذلك معهم إن لم يرضه، لكنه أجابه عبدالله ليمضي حيث شاء، وبالرغم من استخفافه بحقه فقد أمره أن يهبط إلى مكة، ويقابل الملك فتظاهر بالطاعة وغادر العيص مغيظاً محنقاً وآلى على نفسه لينتقمن لنفسه وليجعلن خصومه أحدوثة للناس، فخرج من رابغ إلى تربة، وأخبر كبار قومه بما لقي من إهانة بالغة، واستثار حماستهم فأجابوه أنهم معه ولو خاض بهم البحر، فأفشى إلى ابن سعود ما كان عليه الحسين، ودأب على تقوية الصلات بينه وبينه، واستنجده عليه وطفق خالد يدأب في ضبط القبائل لابن سعود ونشر الدعوة له، وقد علم الحسين ببعض جهود خالد وأعماله فارتاب منه وبعث إليه يطلب حضوره إلى مكة، فاعتذر خالد وتعلل، وبعث إليه للمرة الثانية

والثالثة وخالد يعتذر ويختلق المعاذير، وعين الحسين قاضياً لتربة فجر خالد أسباباً إلى رده بواسطة الشيخ عبدالله سراج.

ولما استفحل أمر خالد بعث إليه الحسين يطلب منه أن يأتيه لأمور مهمة، فأبى لعلمه أنه لا يعود إذا ذهب، فثنى الحسين وعزز بثالث وخالد يرفض طلبه حتى أجابه خالد بأنه مستقل بإمارته وليس بتبعيته، فثار الحسين وجهز له قوة بعد قوة تحمل الرشاشات والمدافع، وكلها يردها خالد مدحورة مخذولة، وآخر القوات في الحملة الرابعة بلغ عددها أربعة آلاف بقيادة شاكر، كان حظها أيضاً الفشل.

أما تربة فسكانها من عرب البقوم، وفيها مثل الخرمة عدد من الأشراف يملكون أرضها، وكلهم بدو وحضر وعبيد من أتباع ابن سعود منذ أيام سعود الأول، بيد أن قسماً منهم انضموا إلى جيش الحجاز في الحرب العظمى، ثم انقلبوا على الشريف حسين لأسباب دينية ومالية، فآلى على نفسه تأديبهم ولم يتمكن من ذلك إلا بعد أن انتهت الحرب، فهذا الذي بعث الإشكال بين ابن سعود والشريف.

ومع أن تربة قرية لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثة آلاف فإنها ذات أهمية لأنها في الطريق إلى الطائف، وهي باب الطائف من الوجهة النجدية وحصن الطائف من الوجهة الحجازية.

ويتبع تربة سهل شرقي إلى الشمال الشرقي من مستنقعات البقوم، وعدد سكانها ثلاثة آلاف من البادية وحول هاتين القبيلتين سبيع، والبقوم وقراهما تسرح وتموج قبيلة عتيبة الكبيرة.

رجعنا إلى ذكر الجيش الزاحف إلى تربة، فقد بالغ الرواة في تقديره، فقال بعضهم أنه بلغ خمسة وعشرين ألفاً، منهم خمسة آلاف من النظام والباقي من البدو، وقال بعضهم أنه كان مؤلفاً من سبعة آلاف من النظام وثمانية آلاف من البدو، وقيل مجموعه ثلاثة عشر ألفاً.

أما الحقيقة فهو عشرة آلاف، ثلاثة آلاف من النظام وسبعة آلاف من البدو مزوداً بعشرين مدفعاً وخمسة وعشرين رشاشاً، وعلى كل حال فإنه كان كافياً

لغرض الأمير، فقد دخل تربة بدون قتال يذكر، دخلها في ٢٤ شعبان من هذه السنة بعد يوم واحد من كتابة الكتاب إلى ابن سعود، والذي مكنه من ذلك هو أنه كان قد استخدم بعض عربان البقوم في جبل حضن ليدخلوا البلدة مدعين أنهم جاءوا يحذرون أهلها من الأمير ويستنهضونهم على محاربته، بل قالوا للمدافعين أنهم جاءوا يحاربون معهم، فأنزلوهم في الحصون مع من تحصن فيها، فما لبثوا أن انقلبوا عليهم فاستولوا على أسباب الدفاع وصاحوا بالناس الملك للشريف، وفي تلك الساعة في صباح الرابع والعشرين من شعبان دخل الأمير بجيشه فصادف لأول الأمر بعض المقاومة، فأمر بإطلاق المدافع والرشاشات على المقاومين فتشتتوا ثم فروا هاربين إلى الحرة جنوبي البلد، فلما دخل الأمير ظافراً وزع جيشه في جوار تربة وحولها، وكانت ساعة لرجاله أباح فيها البلد، فنهبوا وأفسدوا فيها وتبروا ما علو تتبيرا على ما تقتضيه أهوائهم، ثم أمر بقتل بعض المشايخ واثنين من التجار النجديين وبمصادرة أموالهم.

ثم إنه كتب من مخيمه في الجهة الغربية إلى والده الحسين كتاباً جاء فيه:

إني في ثلاثين يوماً سأطوي نجداً بأجمعها وأخاطبكم من البحرين، وبث كتبه إلى رؤساء البادية في تلك النواحي، خصوصاً في رنية يخبرهم بما حل في تربة، ويهددهم بمثل ذلك إذا كانوا لا يجيئونه طائعين صاغرين، ومن هذه الكتب هذا الكتاب - قيادة الجيوش العربية الشرقية:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله بن أمير المؤمنين الحسين بن عون إلى المكرم فيحان بن صامل، أما بعد فإني أحمد الله إليكم ثم أخبرك بأننا وفقنا الله سبحانه وتعالى فأطفأنا نار الخارجة التي في تربة ومزقناها كل ممزق، وضربنا أعناق أرباب الزيغ والنفاق ومن جملتهم «الطعامة» و«ابن مسيب» نزيل قريتكم وإن هذه الفتنة التي أثارها خالد بن منصور بلا لازم ينعاه أو حق يطلبه، وأدخلكم فيها نأمركم بتركها والإسراع بالركوب إلينا، وكف كافة سبيع أهل رنية بدو وحضر عن الاستمرار فيها، ونأمركم بجلب شيوخ الزكور «قبيلة من القبائل» معكم إلينا في

ست ليالٍ للاستئمان من سطوتنا، وإن لم تفعلوا فسأميل ميمنةً البيرق المنصور عليكم مستعيناً بالله تعالى مستنجداً عظيم قدرته، ولا تكتم إنذاري هذا عن كل صغير وكبير لأني سأسلك عنه حين لا تنفعك الندامة... والسلام على من اتبع الهدى في ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧هـ.

القائد العام للجيوش الشرقية الهاشمية الختم.

وفي كتاب إلى ماضي بن قاعد ومحمد أبرق نقيش يقول: ما خفي عليكم ما حل بتربة من ذبح الرجال وتدمير المال بعد أن طغى أهلها وبغوا، وأنتم يا أهل رنية بدو وحضر إن ما كفيتم طوارفكم وركبتم إلي في ست ليالٍ مع شريفكم وإلا حزمتكم حزم السلم وطردتكم طرد غرائب البل، وعاقلكم يعلم جاهلكم، ولولا مشاري بن ناصر وغازي بن محمد لكان صباحي يسبق كتابي إليكم والسلام على من اتبع الهدى.

ثم إنه استقر الأمير ذلك النهار في المخيم المنصور، وبعد إرساله كتب التهديد إلى رؤساء القبائل إذن لنجاب ابن سعود أن يعود بالجواب الذي ذكر، وكان قد علم بأن السرية التي جاءت إلى الخرمة بقيادة ابن بجاد وخالد قد مشت منها إلى مكان يدعى «القرين» فقال عبدالله لرسول ابن سعود هذا الكلام:

أخبر الخوارج ومن التف حولهم في القرين بما جرى وقل لهم ما جئنا تربة من أجل تربة والخرمة فقط، سنصوم في الخرمة إن شاء الله وسنعيد عيد الأضحى في الحساء، فركب الرسول وقت الظهر كئيباً مدهوشاً إلى أن وصل إلى القرين الذي يبعد عن تربة خمس ساعات وصله بعد صلاة العصر، فأحاط به الإخوان مستخبرين فشق جيبه حتى انسلخ من ثيابه وجعل يروي ما جرى على أهل تربة وما فاه به الشريف، فما كاد يتم كلامه حتى صاحوا صيحةً واحدة «إياك نعبد وإياك نستعين خيال التوحيد أخو من أطاع الله» وهموا بالهجوم فسكن العالم والقائد رعبهم، فقال سلطان بن بجاد بن حميد كيف نتجاوز أوامر صاحب الأمر فهو لم يأمرنا بغير الدفاع، ولكنه نسي كتاباً آخر جاء من ابن سعود وفيه ما معناه:

إذا جاءكم الخبر بمسير الشريف إلى مكة فالزموا مساكنكم إلى أن يأتيكم مني أمر آخر، وإذا علمتم بأنه تجاوز حدود تربة فإني أذنكم أن تفضوا كتابه وتقرؤه فترون فيه رأيكم، فما كانوا بحاجة إلى استماع كتاب الأمير وقد سمعوا كلماته من فم النجاب، ولكن العالم عمل بالأمر العالي فصاحوا وهو يتلو الكتاب عليهم «إياك نعبد وإياك نستعين».

ذكر الهول في وقعة تربة

لما كان في آخر اليوم ٢٤ من شعبان زحف الإخوان في الساعة الحادية عشر مساء، وقد كاد الواحد منهم يطير عقله غضباً وانتقاماً، وكان عددهم ألفاً وخمسمائة مقاتل، وقد استبسلوا كأنهم الأسود لهم وجبة عظيمة:

هبـــت هبـــوب الجنـــة أيـــن أنـــت يـــا باغيهـــا

ولما أن زحفوا بهذه الصفة جاء منذر من البادية إلى الأمير عبدالله يقول:

تحذر يا شريف المتدينة في الخرمة هاجمون عليكم، فغضب الأمير وأمر بقطع عنق الرجل، وفي رواية أنه أمر «دخناً» كبير عبيده بضربه فضربه حتى مات، كل ذلك استصغاراً لخصمه، ثم نام الأمير تلك الليلة مطمئن النفس خالي البال تحدثه نفسه بالأماني والملك الواسع.

وكان الإخوان قد علموا من رسول ابن سعود كيفية توزيع جيش الأمير، فانقسموا إلى ثلاث فرق قبل أن يصلوا إلى نخيل تربة، فرقة خيالة، وفرقة خالد، وفرقة ابن بجاد.

وكان ابن الشريف قد ربط أهل المدافع والمكائن حولها بسلاسل الحديد لئلا يفروا عند نازلة وتجبر بزعمه فلا يقاومه أحد.

وهذه صفة المعركة بتربة رسماً

وعندما وصلوا هكذا في منتصف ليلة ٢٥ شعبان هجموا هجمة واحدة، وكانت الخيالة قد جاءت من وراء مخيم الأمير لتقطع عليه خط الرجعة، فتقدم خالد ومعه الذين شردوا من تربة فدخلوا الباطن ليستولوا على مخيم الأمير، مشوا وسلاحهم الأبيض يلوح في ظلام شفاف، فرفع الإخوان أصواتهم بالتهليل والتكبير فاصطدموا بالسرية الأولى من الجيش الحجاز فذبحوا رجالها كلهم، وكذلك السرية الثانية ثم هجموا على السرايا المقيمة عند مخيم الأمير فتكوا بهم فتكاً هائلاً، وهجم سلطان بن بجاد برجاله وكله من أهل الغطغط على الجنود النظامية وراء المتاريس والأطواب فكانت السيوف تشتغل كالمقاصل، وكان الرجل من أهل الغطغط يثب على المدفع فيذبح الضابط المقيد ورائه بالحديد، ولكن هم يظنون أنهم يبطشون بالإخوان.

أما فرقة الخيالة فقد قطعت خط الرجعة خصوصاً على حرس الأمير فلم ينجو منهم غير الأمير نفسه وبعض الضباط، ونجاب ابن سعود الثاني، وفرَّ عبدالله قبل أن يصل خالد ورجاله إلى سرايا المخيم فثبت بعضهم في النضال ليردوا العدو عن تعقبه وسقط من حاول الفرار صريعاً بين سنابك الخيل.

أما الذين نجوا من الذبح تلك الليلة ولم يستطيعوا الفرار فقد التجأوا إلى حصن من حصون البلد، فهجم الإخوان عليهم في اليوم التالي وجعلوا خاتمة المذبحة كأولها، فتراكمت الجثث بعضها فوق بعض، وكان من اللاجئين إلى ذلك الحصن الشريف شاكر، فكتبت له النجاة ونجا معه شاب من الأشراف اسمه عون بن هاشم سنة إذ ذاك خمس عشرة سنة، وكان يقول لمن يحدثه عن هول ذلك اليوم رأيت الدم يجري في تربه كالنهر بين النخيل فكنت بعدها قد بقيت سنتين عندما أرى المياه الجارية أظنها والله حمراء، ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل أن طحت من الشباك، ومن عجب ما رأيت أن الإخوان أثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون إلى القتال، ثم لم ينج من جيش الأمير النظامي غير ستة ضباط واثني عشر جندياً، ولم ينج من البدو غير من سلموا وانضموا إلى جنود خالد وأكثرهم من عتيبة وعددهم لا يتجاوز الألف.

فكانت هذه الواقعة هائلة خيم فيها الموت وتطايرت الرؤوس عن الأجسام، وجرت الدماء كأنها السيل والذين قتلوا في الوقعات من جنود الشريف على طريق الضبط خمسة آلاف مقاتل ولم يفلت غير الأمير عبدالله وستة ضباط واثني عشر رجلاً، واثنين من الأشراف وهما شاكر وعون، وفرَّ بقية المنهزمين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، وأدار الله دائرة السوء على الشريف وجنوده وقضت هذه الواقعة على آماله، وقتل من الإخوان أربعمائة لأنهم ألقوا نفوسهم على المكائن الرشاشة والأطواب، وقتل من أهل تربة والخرمة مائة فقط، ثم صارت هذه الأسلحة الثقيلة والخفيفة وجميع الأملاك والألات والأدوات التي استولى عليها عبدالله بن الحسين من الدولة الغابرة في كتابه الأول بتاريخ ربيع الثاني ملكاً لابن سعود وخسرها كلها الشريف بعد كتابه المشار إليه بأربعة أشهر واستولى عليها ابن سعود.

ومما هو جدير بالذكر أن الحسين قد جهز هذه الحملة بكل ما يملك من سلاح ومدافع ورشاشات حديثة مما كان أخذه من الحلفاء وغيرها من الأسلحة، فكانت من حسن حظ ابن سعود سلحت جيشه بأحدث الأسلحة بقدر ما أضعف من خصمه الحسين.

وكان ابن سعود قد حشد جيشاً عدده اثنا عشر ألف مقاتل، وجاء بهم قادماً من نجد فزعةً لأهل الخرمة وتربة من هذا الظالم الشريف، ولم يعلم بما جرى إلا بعد الواقعة بخمسة أيام فلما زحف بهذا الجيش العرمرم التقي في الطريق بين ماء الفيصلية والخرمة بالنجاب الشارد فقص عليه الخبر، فاستمر عبدالعزيز سائراً إلى الخرمة ومنها إلى تربة فلما دنى منها رأى جثث القتلى كأنها الجبال فخنقته العبرة، وبكى لهذه المجزرة الهائلة وأمر بدفنهم، فجمع بين يديه الأثاث والآلات والأسلحة النارية فاستولى عليها.

وما كاد يستقر في تربة حتى صاح الإخوان بأصواتهم إلى الطائف رخص لنا بالطائف يالإمام، فمنعهم قائلاً: كفى الباغي جزاء بغيه.

وقد قال الشيخ حمد بن مزيد قاضي قبة قصيدة طويلة يهنئ فيها صاحب الجلالة بهذا الفتح وذكر فيها كيفية ما جرى، فلنذكر شيئاً من أبياتها وهي قوله:

الحمد لله ذي الآلاء مولانا ... حمداً كثيراً على ما كان أولانا
وأشكر الله شكراً لا نفاد له ... وليس يحصى لذي الأنعام شكرانا
وحسبنا الله مولانا وناصرنا ... على الذي رام للإسلام خذلانا
لقد أتى ابن حسين الوغد في خيلاً ... بالكبر والفخر والإعجاب سكرانا
على ذوي الدين والإسلام ذا حنقٍ ... بالغيض والحقد والعدوان ملآنا
يقود جنداً كثير العدِّ ذا عدد ... كادت تضيق به أفواه ريعاناً
بدواً وحضراً وإسقاطاً ملفقه ... من كل قطر وأتراكاً وسوادنا
جاءوا بهولٍ عظيمٍ من مدافعهم ... مع المكائن تحكي ضوء نيرانا
قد سلسلوا عندها أصحابها حذراً ... من أن يفروا إذا وقت الوغى حانا
جاء يريد إطفاءً لنور هدى ... وينقضوا من الإسلام أركانا
إذ جاء صيتان من عد الخبيث بما ... يهيج من قلبِ ذي الإيمان أشجانا
وقال إخوانكم بالأمس قتلهم ... وظل يسبي لأهل الدين نسوانا
فبادروا بالبكا حتى كأنهموا ... ثكلى أعاد عليها الدهر أحزانا
وما استكانوا لذاك الهول بل صبروا ... واستمنحوا الله تثبيتاً وإيمانا
سلوا السيوف وبانوا من ثيابهموا ... واستبدلوها سراً ويلاً وأكفانا
جاؤه في حفرٍ في الأرض خندقها ... أعدَّ فيها دناميتاً ونيرانا
وخالطوهم عياناً في خنادقهم ... وأثخنوهم بحد السيف أثخانا
لما رأوا فعلهم فيهم وصبرهموا ... ألقوا سلاحهموا ذلاً وإذعانا
وظل جند الهدى بالبيض ليحصدهم ... حصاد زرعٍ هشيم وقته حانا
لم ينج منهم سوى قوادهم هربوا ... على جيادٍ لهم ذعراً لما كانا
وخلفوا خلفهم رغماً مدافعهم ... مع المكائن مع بز وعقيانا
إذ فلَّ عبدالعزيز الشهم رايته ... وجاد بالنفس في مرضاة مولانا

في عصبةٍ من بني الإسلام عادتهم ... يوم التحام الوغى تصريع أقرانا
وحارب النوم مع حلو الطعام ولم ... يشرب لذيذاً ولو أن كان عطشانا
وظل كالأسد المؤذى بغايته ... له زئير ولم ينفعك غضبانا
حتى يضرج من آذاه في دمه ... ومنه يخضب أظفاراً وأسنانا

إلى آخر القصيدة وهي طويلة أثابه الله.

ونحن نسوق قصيدة جادت بها قريحة شاعر نجد الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين في هذه المناسبة فإنه قال: الحمد لله معز من أطاعه، ومذل من خالف أمره وأضاعه، يبتلي ويختبر، ثم يعيد الكرة لمن أطاعه وينتصر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة موحد بلسانه وعمله وقلبه مستقبل من عثرانه وذنبه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالعصمة، القائل: «إن من الشعر لحكمة» ﷺ وعلى آله وصحبه مصابيح الظلمة.

وبعد فإني نظمت في معالي إمام الهدى والدين حامي حوزة الإسلام والمسلمين الناصر لهم بسيفه وسنانه المؤيد في أفعال يده وأقوال لسانه إنسان عين الوجود وجوهر الموجود، عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، ثم قال بعد ذلك:

عج بي على الربع حيث الرند والبان ... وإن نأى عنه أحبابٌ وجيران
فللمنازل في شرع الهوى سنن ... يدري بها من له بالحب عرفان
وقل ذاك لمغنى قد سحبن به ... ذل التصابي برسم الشجو غزلان
القاتلات بلا عقل ولا قود ... سلطانهن على الأملاك سلطان
لله أحرر ساجي الطرف مقتبل ... عذب اللمى لؤلؤي الثغر فتان
عبل الروادف يندى جسمه ترفاً ... ظامي الوشاح لطيف الروح جذلان
كأنما البدر في لألاء غرته ... يا ليت يصحب ذاك الحسن إحسان
يهتز مثل اهتزاز الغصن رنحه ... سكر الصبا فهو صاحي القد نشوان
لو كان يمكن قلنا اليوم أبرزه ... لينظر الغاس كنه الحسن رضوان

قد كنت أحسب أن الشمل ملتئمٌ والحبل متصلٌ والحي خلطان
فاليوم لا وصل أرجوه فيطمعني ولا يطيف بهذا القلب سلوان
في ذمة الله جيرانٌ إذا ذكروا هاجت لذكرهم في القلب أحزان
فارقتهم أمتري أخلاف سائمةٍ يسوقها واسع المعروف منان
لعل نفحة جودٍ من مواهبه يروي بها من صدى الأقفار عطشان
أريش منها جناحاً حصه قدر شكى تساقطه صحبٌ وإخوان
وفي اضطراب الفتى نجح لبغيته وللمقادير إسعادٌ وخذلان
فاربأ بنفسك عن دار تذل بها لو أن حصبائها درٌ ومرجان
طفت المعالم من شامٍ إلى يمنٍ ومن حجاز ولبتني خراسان
فما لقيت ولن ألقي ولو بلغت بي منتهى السد هماتٌ ووجدان
مثل الجحا جحة الغر الذين سموا مجداً تقاصر عن علياه كيوان
الضاربي الكبش هبراً والقنا قصداً والتاركي الليث يمشي وهو مذعان
والفارجي غمم اللاجي إذا صفرت أوطابه واقتضاه الروح ديان
والصائنين عن الفحشا نفوسهم والمرخصيها إذا الخطى أثمان
خضل المواهب أمجاد خضارمة بيض الوجوه على الأيام أعوان
غر مكارمهم حمر صوارمهم خضرٌ مراتعهم للفضل تيجان
لكن أوراهم زنداً وأسمحهم كفا وأشجعهم أن جال أقران
عبدالعزيز الذي نالت به شرفاً بنو نزار وعزت منه قحطان
مقدم في المعالي ذكره أبداً كما يقدم باسم الله عنوان
ملك تجسد في أثناء بردته غيثٌ وليثٌ وإعطاءٌ وحرمان
خبيئة الله في ذا الوقت أظهرها وللمهيمن في تأخيرها شان
ودعوةً وجبت للمسلمين به أما ترى عمهم أمن وإيمان
حاط الرعية من بصرى إلى عدنٍ ومن تهامة حتى ارتاح جعلان
فجددوا الشكر للمولى وكلهم يدعو له بالبقا ما بقى إنسان

ورب مستكبرٍ شوس خلائقه ... صعب الشكيمة قد أعماه طغيان
تركته وحده يمشي وفي يده ... بعد المهند عكاز ومحجان
وعازبٍ رشده إذ حان مصرعه ... بخمرة الجهل والإعجاب سكان
أمطرته عزمات لو قذفت بها ... صم الشوامخ أضحت وهي كثبان
عصائباً من بني الإسلام يقدمهم ... من جدك المعتلي بالرعب فرسان
ويل أمه لو أتاه البحر ملتطماً ... أذية الأسد والأجام مران
لأصبح الغر لا عينٌ ولا أثر ... أو شاعفته قبيل الصبح جنان
ومشهدلك في الإسلام سوف ترى ... يوفى به لك يوم الحشر ميزان
نحرت هديك فيه المشركين ضحى ... فأنحر فنحر سواك المعز والضأن
أرضيت آبائك الغر الكرام بما ... جددت من مجدهم من بعد ما بانوا
نبهت ذكراً توارى منه خير علا ... للمارقين ضباب فيه دخان
فجئت بالسيف والقرآن معتزماً ... تمضي بسيفك ما أمضاه قرآن
حتى انجلى الظلم والأظلام وارتفعت ... للدين في الأرض أعلامٌ وأركان
دينٌ ودنيا وبأسٌ في الوغى وندى ... تفيض من كفه بالجود خلجان
هذي المكارم لا ما روى عن هرمٍ ... ولا الذي قيل عمن ضم غمدان
أقول للعيس إذ تلوي دفاريها ... لإلفها ولها في الدو تحنان
ردي مياهاً من المعروف طاميةً ... نباتها التبر لا شبح وسعدان
تدوم مادام للدنيا بشاشتها ... فاسلم فأنت لهذا الخلق عمران
ثم الصلاة على الهادي الذي خمدت ... في يوم مولده للفرس نيران
والآل والصحب ما ناحت مطوقةٌ ... خضباً يميد بها في الدوح أغصان

ولما انهزم القائد عبدالله وفرَّ من بين رجاله على فرسه حاسر الرأس، حافي القدمين، وصل إلى الطائف وأثرت تلك الهزيمة في نفسه، ثم ألقى العمامة عن رأسه التي هي شارة الأشراف وآلى على نفسه أن لا يضعها على رأسه بعد ذلك حتى يتم له الأخذ بالثأر من ابن سعود، غير أنه شعر بغلطته وأنه لو احتاط للأمر وأصغى إلى نصح أحد لما حل به وبجيشه ما حل، وأنب نفسه.

ولما أن جرت واقعة تربة كما ذكرنا ارتج لها الحجاز ودوت بها اللاسلكيات في مشارق الأرض ومغاربها، وقام الحسين وقعد خوفاً على الحجاز، وسمع بها نجله فيصل وهو إذ ذاك ملك على سوريا فأرسل عدداً من الجنود السورية تبلغ ثلاثمائة وصلت إلى جدة بعد الواقعة، ولكن كيف يصنع الحسين بهذا العدد القليل وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأضاف إلى هؤلاء مائتين وجعل عليهم وزير حربيته محمد القيسوني، وخاطب رئيس حكومته عبدالله سراج يطلب منه الرأي في هذه المحنة فلم يجد لديه إلى الرأي الحازم، وهو متابعة الحرب ودفع الغزاة دفعاً لا هوادة فيه، ولكن أين الجيش، أين الغزاة، وعلى أثر ذلك خاف الحسين من النجديين أن يقتحموا الحجاز، ولكنه عاد ابن سعود إلى نجد بعدما أقام خمسة عشر يوماً في تربة، ولا يعلم ما الذي حمله على العودة.

وقد حامت حول الخطة عبارات المؤرخين، فقد قيل أنه اكتفى بما نال الحسين من الخيبة والفشل، ولم يرَ في تلك الفرصة السانحة أن يتقدم إلى الحجاز وأن الساعة لم تحن، وإلا فلو تقدموا تلك الساعة إلى الحجاز لما وجدوا أقل مقاومة، لأن الجيوش الهاشمية انحلت، ويتعذر جمعها، بل إن البادئ بالعدوان هو الشريف، فإن عبدالعزيز المتصف بالإناءة والحلم اكتفى بما نال خصمه، وأمر الإخوان بالرجوع إلى نجد وهذا احتمال حسن.

ولكن الصحيح أن الشريف حسين بن علي لما بلغت به الساعة الحربية غايتها حقوق الطلب من رئيس حكومته أن يتصل بسفير بريطانيا بجدة المستر «بولارد» يرجوه التدخل في شؤون هذه المشكلة الجديدة ويرد ابن سعود عن حدود الحجاز، فوعده بالسعي بعد أن قال له: أردنا أن نتدخل في الأمر من قبل فأبيتم، فاتصل السفير بلندن ورفع شكاية الشريف وطلبه حماية بلاده، وكان الشريف قد ذكر الإنكليز وعودها وعهودها، فجاء البلاغ من بريطانيا العظمى للسفير فكتبه وسلمه إلى محمد الطويل ناظر الجمارك ليسلمه إلى الحسين بمكة، فاستلم الشريف حسين البلاغ وبعث به إلى ابن سعود في تربة، وهذه صورته:

في ظهر ١٥ رمضان سنة ١٣٣٧هـ أمرتني حكومة جلالة الملك أن أبلغكم بأن تعودوا إلى نجد حالما يصل إلى يديكم كتابي هذا وتتركوا تربة والخرمة منطقة غير مملوكة حتى مفاوضات عقد الصلح وتحديد الحدود، وإذا أبيتم الرجوع بعد الاطلاع على هذا الكتاب فحكومة جلالة الملك تعد كل معاهدة بينكم وبينها لاغية، وتتخذ ما يلزم من التدابير ضد حركاتكم العدائية، وبالعكس تقدر عملكم إذا عدتم وتعتبر أنكم قمتم بحقوق الود والولاء وأخذتم بنصائحها الودية لأنها تعد الجميع أصدقاء لها، وهي تأسف أشد الأسف لما وقع بين أصدقائها سواء أكان النصر في جانبكم أو في جانب الحسين.

وما كاد ابن سعود يتم قراءة الخطاب الوارد عليه من السفير البريطاني إلا وهو ينادي بالرحيل في قومه، وغادر تربة والخرمة عائداً إلى نجد، ورد على السفير وسلم رسوله الرد، وبارح تربة ميمماً بلاده حشية أن يكون سبباً في تدخل الأجانب في الحرمين، ولم تكتف بريطانيا ببعث ذلك الخطاب خوفاً من بأس ابن سعود وعدم إذعانه لنصحها بعدما حازه من نصر، فبادرت بإجابة طلب الحسين وأحضرت بواخر حربية رست في ميناء جدة تحمل كمية من المعدات والطائرات، وهمت بإنزال معداتها في رصيف خاص سمي سقالة الإنكليز.

ذكر الوباء[1] ومن توفى في هذه السنة

هذه السنة يؤرخ بها أهل نجد ويعرفونها بسنة الرحمة، لأنه وقع فيها طاعون والعياذ بالله، وهلك بسببه في قلب الجزيرة العربية ألوف من الأنفس البشرية، وكان عظيماً، وفشى المرض في الناس وقلّ من يسلم منه، وقد ذكر لنا عن شخص أصابه

---

(١) وكان وقوع الوباء في أوائل هذه السنة، وكان عاماً في نجد والإحساء والعراق وجميع المدن على الخليج العربي، واستمر ثلاثة أشهر والعياذ بالله، وبسببه هجرت مساجد وخلت بيوت من السكان وهملت المواشي في البراري، فلا تجد لها راعياً ولا ساقياً.

ذلك المرض فسلم، قال إني رأيت فارساً أقبل علي وبيده رمح فأراد أن يطعن قلبي فأخطأه إلى الجنب الأيسر.

وكان الوباء فيما يزعمه أهل الكشف بأنه جراثيم قتالة لا تدركها العيون المجردة، ولهذه الجراثيم وخز خفي دونه وخز الرماح، هنا أقول فيه غير أننا نذكر ما نحن بصدده: فذكر لنا أن رجلاً من أهل الديانة والفضل موطنه بلد المذنب في القصيم، رأى في بداية هذا الطاعون في منامه كأنه خارج البلد، فرأى فارسين خرجا من خلف أكمةً هناك سلاحهما ولباسهما وخيلهما البياض، فخاف لذلك خوفاً شديداً وقام هارباً من سطوتهما يعلوه الفزع والاضطراب، غير أنه لم يستطع السعي لشدة الهول حتى أدركاه فسلما عليه وسكناه بقولهما لابأس عليك قائلاً: لا نقصدك وإنما نريد أهل هذه القرية، فوالذي لا إله غيره لأن لم يتوبوا لنفعلن بهم كما فعل بقوم هود أو قوم لوط، ثم دخلا قرية المذنب فاستيقظ من رقدته، وكان له ورد من آخر الليل يصلي ما بدا له ثم يوقظ أهله ويذهب هو إلى المسجد، غير أنه هذه المرة عجز عن النهوض من منامه حتى أيقظه أهله وأقاموه، فتوضأ وذهب إلى المسجد بعدما طلع الفجر فحينما دخل المسجد وجد الناس في الصلاة إذ سقط رجل خلف الصف ثم سقط آخر من الصف، ثم فشى الوباء.

وقد حدثني ثقة قال: مرض إمام مسجدنا ومؤذنه والواعظ الذي يرشد في المسجد، فكنت أؤذن وأصلي بهم وأعظ، وقد كان يصلي في المسجد الواحد في اليوم الذي هر اثنتا عشر ساعة على ما يربو عن مائة جنازة حتى تكسرت النعوش وجعلوا عوضاً عنها أبواباً وبسطاً تحمل بها الموتى، وهلك من بعض بيوت أهل القصيم قدر من ثلاثة أرباعها، ومرض أهل بيت كلهم غير واحد كان يتولى قضاء حوائجهم ويقوم بميانته وكانوا اثني عشر من الأنفس البشرية، فكان ذلك الصحيح يتولى رعايتهم عنايةً من الله في تسخيره لهم، يتولى شؤونهم، وكان يقول إنني أنا مريض مثلهم غير أني لم أجد فرصة للنوم والمرض، ولقد كان المحسن من الناس من همه حفر الحفور والنقل إليها.

فممن توفى فيها من الأعيان تركي بين جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وكان بكره ويكنى به وموضع الأعاجب منه لما له من الصرامة والشجاعة، وترى علامات النجابة عليه رحمه الله تعالى، وتوفى أيضاً إخوان له من أنجال الملك، وسنذكر بعض الأعيان:

فمنهم أخونا وشقيقنا عبدالرحمن بن عبيد بن عبدالمحسن وهذه ترجمته:

هو الشيخ الشاب الأديب النبيه العارف الذكي ذو العلوم الربانية والمنح الألهية، العالم عبدالرحمن بن عبيد بن عبدالمحسن آل عبيد قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه، كان رحمة الله عليه عاقلاً ذكياً مهيباً، حفظ القرآن عن ظهر قلب وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، ويحفظ المعلقات السبع وله معرفة تامة في علم الحديث والفقه واللغة، وجد واجتهد ونافس في نيل العلوم والسعي في طلبها، فأدرك ما قصر عن نيله غالب الأماثل، ونال مقام أولى النهى والفضائل، وكان قارعاً للشعر فصيحاً بليغاً منطقياً جهوري الصوت، لا يمل المطالعة والمراجعة، وله بعض المؤلفات وغالبها ردود على أهل المخالفات لأنه نشأ في زمان كثر فيه الشقاق وظهرت علامات النفاق.

وكان والدنا السعيد يعجب من كثرة اجتهاده وحلاوة منطقه، ولما رآه بهذه المثابة فرغ بآله عن الأشغال وتركه وشأنه مكفي المؤنة، فلازم الشيخ عمر بن محمد بن سليم وتخرج عليه، واستمسك بغرزه حضراً وسفراً حتى صار آية من آيات الله، وأعجب به شيخ ورأى علامات القبول لائحة عليه، وتوفى وهو مصاحب الشيخ المذكور في الأرطاوية، وكان مولعاً بتلاوة القرآن ودرس كتب الصحاح والسنن والمسانيد واللغة والعروض، وما زال يتقدم حتى فاق أهل الزمان وتقدم الإخوان ونبغ من بين الأقران، يقول ويفعل ويتلو كتاب الله وبه يعمل، فلو سألت عنه الناس لملأ أذنيك ثناء، ولو سبرت حاله لرأيته جواداً لا يبارى وسباقاً في الفضائل لا يجارى، وله جراءة عظيمة وصلابة في دين الله لا تأخذه في الله لومة لائم.

وهذه صفته رحمه الله:

كان قوي البنية ربعة من الرجال، يميل إلى الطول، أسمر اللون على وجهه أثر الجدري، وإحدى عينيه فيها نكتة بيضاء، قوي الإرادة شجاعاً، ولقد جرى له مع الشريف حسين بن علي قصة: وهي أنه حج في رفقة الشيخ عمر بن سليم، فبينما هو راكب في بعض شوارع مكة المشرفة وقد ازدحمت الشوارع بالحجيج وافق أن نفحت ناقته صبياً برجلها من غير قصده ولا علمه، فما كان إلا قليل حتى أخذ وناقته صباحاً ورفعت المسألة للحسين، فلما علم أن صاحبها سعودي دعى به إليه ليسأله القصة، ولما أن جلس بين يديه وتكلم، عرف ما تحت الأديم من لسان بليغ وقلب عقول، فأعجب بكلامه وملأ عينيه، فعندها أخذ في البحث معه والمناقشة وكل إناء بالذي فيه ينضح، فسأله عن مشايخه وأساتذته فأخبره بأنهم آل سليم الذين أخذوا العلم عن آل الشيخ محمد بن عبدالوهابن فأجابه الحسين بقوله: لعنهم الله لقد أضلوكم سواء السبيل، فقال له عبدالرحمن: لا تلعنهم فإنهم على تحقيق شريعة جدك رسول الله ﷺ وإن لم نتبعهم لحسن لباسهم ولا لطيب أنسابهم، فأكرم الخلق عند الله أتقاهم، ولكنا وجدنا عندهم الشرع المحمدي فأخذناه عنهم، فقال له أخبرني يا بني عن التوسل وبغضهم للرسول؟ فقال: أما التوسل فعلى ما قرره شيخ الإسلام بن تيمية في كتاب التوسل والوسيلة ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- توسل إلى الله بأسمائه وصفاته فهذا مطلوب ومندوب إليه، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

- وتوسل بالأعمال الصالحة كما فعله أهل الغار فهذا جائز.

- وتوسل بذوات الأموات فهذا شرك وضلال.

وأما بغضهم للرسول فحاشا وكلا، إنهم لم يبغضوا الرسول، بل كانوا يرون الصلاة عليه في الصلوات الخمس والنوافل فرضة ولا تصح صلاة من

لا يصلي عليه فيها، وأنتم ترونها سنة فأصبح تعظيمهم له أعظم من تعظيمكم واحترامكم، أما دعائه وسؤاله الحاجات فغير مشروع.

ثم إنه دعى الشريف بطعان الغداء وقدم لذلك المأكولات قائلاً: اطعموا ضيفنا من غدائنا، تقدم أيها الشيخ للغداء فاطعم معنا، وكان رحمه الله قد غاب عن رفقته وتأخر عنهم، ولم يعلموا بما صدر منه ولا بغيابه، فقال: يا حضرة الأمير إن كرامة النفس فيما يلائمها ويوافقها وأنا لا يعجبني هذا الطعام، فأجابه الشريف قائلاً: وما طعامكم؟ فذكر له أن العجين يجعل أقراصاً فيلقى في الماء بعدما يغلي فيخرج من ذلك المرقوق وهو الذي يعجبني، فضحك لذلك الشريف ضحكاً شديداً وقال: هل تريد الذهاب إلى رفقتك فإنك علينا لعزيز، قدم طلب ما تريده منا، فأجاب قائلاً: أريد بعيري والذهاب إلى رفقتي الذين لا يعلمون كيف حالتي، فأمر خادماً أن يذهب به إلى ناقته التي قدم له البرسيم إكراماً لصاحبها وشيعه مودعاً، فأخذ بخطامها وعاد إلى رفقته مصحوباً بالسلامة.

ومن العجب أنه لم يخبر الشيخ والزملاء إلا بعد رجوعه إلى بريدة لما جلسوا على مائدتنا في القصيم، وكان سنه يوم وفاته ستاً وعشرين سنة، وهو أكبر إخواني وله قصائد حسنة، فنذكر منه قصيدة أنشأها جواباً لقصيدة لبعض الأحباب وهي:

لـك الحمـد اللـهم في كـل حالـةٍ	على نعم تسموا على عـد حاسـب
ومن بعده أزكى صلاةٍ على الـذي	أقـام منـار الـدين في كـل جانـب
كـذا آلـه مـع صـحبه ثـم تـابع	على المنهج الأسنى على المراتـب
وسار على قصـد عـن الميـل معرضـاً	ولم يثنـه عـذل العـداة الكـواذب
وبعـد فقـد عـم الفتـور مـع المنـى	وكذا العجز والتسويف في كل جانبٍ
نقضـي زمانـاً بـالمنى ثـم نرتجـي	ونبغـي ارتقـاء الـذرى والمراتـب
ومـا ذاك إلا كالسـراب بقيعـةٍ	يـراه الـذي يهـواه عـذب المشـارب

وأسـباب جلـب العلـم يعلـم أنهـا بعيـدٌ علـى أهـل الفتـور الخوالـب
وأسباب حفـظ العلـم ليسـت خفيـةً فمن شـائها يلقـى وليسـت غـوارب
فمنها لذكاء والحـرص مـع ذا اجتهـاده كـذا نصـح أسـتاذٍ وبلغـه صـاحب
وآفاتـه ضـحكٌ جـدالٌ مـع المـراء كـذاك اعتصـابٌ للـهوى والمناصـب
كما قد نهى المختـار في غـير موضـعٍ فـلا تعـترض للنهـي والمـزح جانـبِ
وقـد جـاءت الآثـار في حـظ فعلـه فلا سيما منهم علي بـن أبـي طالـب
ولـيس بـه بـأسٌ إذا قيـل قـد روى هـداةٌ عـن المعصـوم أزكـا الأطائـب
فسـل ربـك التوفـق والمـن والهـدى لينجيـك مـن نـار عظـيم اللـهائب
ويـا راكبـاً إن مـا لقيـت فـبلغن سـلاماً علـى أهـل النهـي والمناقـب
ومـن بعـده أبلغـه عـني وصـيةً ونفسـي وإخـواني وكـل مصـاحب
على العلم فاحرص دائمـاً في اقتنائـه فمـا بعـده إلا الـردى في العواقـب
وأفـنِ جميـع العمـر في غـرس كرمـه ولازم تقـى الـرحمن والشـر جانـب
فـإن تلقـه فليهنـك العلـم إنـه حقيـقٌ بـأن تفنـى وتخفـي النجائـب
فكـم مـن حـديثٍ قـد تـواتر لفظـه عن المصطفى والصحب يجلو الغياهب
بمـدحٍ وحفـظٍ للعلـوم مـع التقـى فتبـاً لبعـدٍ للعلـوم مجانـب
يحـن إلى الـدنيا ولـذات أهلـها يـرى زهـرة الـدنيا علـى المناصـب
ينـافس مشـتاقاً إليهـا وإنـه لفـي غفلـةٍ قـد غـره فعـل ناكـب
حريصـاً علـى جمـع الـتلاد وكنـزه ويمنـع حـق الله في كـل نائـب
يـرى فعـل هـذا مـن كثافـة جهلـه سلوكاً علـى نهـج الهـداة الأطائـب
ويـبغض أهـل الحـق والعلـم دائبـاً ويمدح أهـل الكفـر مـن كـل خائـب
فلا تنتظـر مـن قـد سمـا عنـك رتبـه وأعـني بـه في المـال لا في المراتـب
كذلك أقنع بـالرزق لا تطلـب المـراء فـإن الغنـى بـالنفس لا في المطالـب
ولازم تقـي الـرحمن في كـل مشـهدٍ ولا تكثرت بالنـاس في العلـم دائـب
وأسأل رب العـرش ذا المـن والهـدى سـلوكاً علـى سـير الهـداة الأطائـب

وعني على الشيطان والنفس والهوى   وكل أمور الشر خبث المآرب
وآخر قولي وابتدائي مصلياً   على المصطفى المبعوث للشرك عائب
مدى ما بدا نجم وما هبت الصبا   وما اهتز روضٌ من هطول السحائب
وما ضحكت أنواره وترعرعت   وما سبحت ورقاء في كل ثائب
محمد المعصوم والصحب كلهم   هداة الورى للحق خير المطالب

وله قصائد حسنة منها قصيدة رد فيها على أعداء الشيخ صالح بن سالم آل بنيان وذبَّ فيها عنه، فمن معرض أبياتها قوله في الشيخ صالح منوهاً في فضله ومبيناً عقيدته:

فقد طالما دل العباد بعلمه   إلى الله ذي الأفضال يا نعم ما عمل
وقرر توحيد الإله بحجةٍ   ووالى لمن والى فيا حسن ما فعل
وصابر ما يلقى وقام بجهده   على نصرة الدين الحنيفي وما نكل
فما زال هذا دأبه وجهاده   إلى أن أتاه الحق في الفعل لم يزل

إلى أن قال:

بأي دليل تستبيح لعرضه   لدى كل نادٍ تحتليه بلا خجل
ستعلم يوم الحشر ما قلت نادماً   وتخرج مما قلت ياويل من خذل
فربك بالمرصاد لا تستهن به   ثكلتك فاستعتب هديت ولا تمل

إلى آخر القصيدة التي بلغت خمسة وثمانين بيتاً، وله قد قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه كتاب رد فيه على بعض المنافقين وغير ذلك، وجمع كتباً كثيرة وغالبها أوقفها على أخوته وله رسائل مثبتة في خط يده، ومات ولم يتزوج لاشتغاله بالعلم ولأن المنية لم تمهله.

وممن توفى فيها من الأعيان الشيخ عبدالله بن صالح الربدي كانت أسرته من أكبر الأسر في مدينة بريدة، وظهر من أسرته رجال عظماء لهم شهرة ومكانة في العالم خدموا أمتهم وقضوا واجباً يشكرون عليه، فمنهم زعيم بعث إليه صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن في حال شدة وضيق لما أرهقته الحروب يستقرضه

قرضاً وبعث إليه برهان ليقبضها، فبعث إليه يقول هذا القرض الذي طلبه منا نحن ومالنا تحت إشارته، والرهن مردود وفي كرامة عن قبضه، فإن أظهره الله قضانا ورد علينا القرض، وإن كان غير ذلك فما كان المال بأعز منه.

وكان المترجم عالماً عارفاً مقبلاً على الله والدار الآخرة، وله همة في طلب العلم والجد والاجتهاد والصبر على ضيق المعيشة ما كان موضع الإعجاب، وكان زميلاً للشيخ عبدالرحمن، وتوفى معه في الأرطاوية لأن الشيخ عمر بن محمد بن سليم إذ ذاك فيها وهو من الملازمين له أيضاً.

وممن توفى فيها أيضاً الشيخ عبدالله بن محمد بن جربوع كان أيضاً من أسرة عظيمة في بريدة ويلقب «الدبيبة» تصغير دباة على وزن سمية والدة عمار بن ياسر، وكان عالماً متقناً متفنناً عارفاً، وله أكباب على طلب العلم، ومن خيرة تلامذة الشيخ عمر وزميلاه اللذين قبله، توفى في الأرطاوية صحبة الشيخ المذكور نسأل الله تعالى أن يتغمدهم برحمته ويجبر المصاب بفقدهم، وإنها لخسارةٌ عظيمة، ورزء فادح أن يصاب الإسلام بهؤلاء وأمثالهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وممن توفى فيها عبدالله بن إبراهيم بن معارك، كان رحمه الله إماماً في أحد مساجد بريدة المشهورة، وزاهداً متعففاً، وفيه رقة وخشوع عند تلاوة الذكر الحكيم، كما نقل لنا عن بعض رفقته في السفر أنه كان راكباً جملاً لحج بيت الله الحرام، ويتلوا القرآن وهو راكب فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:٤٧]، فجعل يرددها ويبكي حتى جعلت لحيته تهتن بالدموع من خشية الله تعالى، وكان محبوباً عند الناس لأنه مؤدب ومعلم للصبيان ومتواضع، وله سجع مليح في الكلام وذا عبادة وصبر على قوارع الزمان.

وله من الأولاد عثمان وعلي، فأما عثمان فإنه جد في طلب العلم حتى نال درجة القضاء، وأما علي فكان دمث الأخلاق، طلق المحيا، خدم حكومته في المنطقة الشرقية وكان موضع الثقة والتقدير.

ومن توفي فيها من الأعيان أيضاً الشيخ عبدالله بن فداء وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد الورع التقي من نشر الله ذكره في العالمين وجعل له لسان صدق في الآخرين، ذو الأسرار الإلهية والمعارف الربانية، الموسوم بالفضل والدين وشهاب الرحمن على أعناق الكافرين عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن مُفَدًّا هل وزن مهنا ويعرف بين الناس (بابن فداء) من آل ظفير.

ولد في سنة ١٢٧١ وأخذ العلم عن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وأخذ عن الشيخ محمد بن عمر بن سليم وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن حمد بن سليم وغيرهم، ورشح مرات للقضاء فرفض وكان الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن يراسله بكتب ويكتب له بابن مفداء وطلب منه أن يقابله عدة مرات ليتفق به فقابله الشيخ عبدالله ووعظه وأهدى له نصائح وأسدى إليه مواعظ في مقابلته منها قوله (يا عبدالعزيز إياك والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة كررها ثلاثاً) ثم انصرف الشيخ عنه وتركه.

أما الذين أخذوا عنه العلم فمنهم: الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، ومنهم الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف سابقاً، وأخذ عنه عبدالعزيز بن عودة السعوي، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن عبيد، والشيخ عبدالمحسن بن عبيد، وأخذ عنه سليمان بن ناصر السعوي، وأخذ عنه الشيخ محمد بن مقبل وغير هؤلاء خلق كثير؛ وألف بعض الرسائل فمن مؤلفاته «القول المتين في الرد على المحتالين في المعاملات» وقد لقي بعض المضايقات من بعض أمراء القصيم فاضطر إلى النزوح إلى بلدة عنيزة، وصبر وصابر وعلم وأرشد وله عناية بالرفق وكان عالماً بصيراً في دينه زاهداً في الدنيا معرضاً عنها مقبلاً على الله والدار الآخرة ويندر مثله في زمانه لأنه جمع بين العلم والزهد والورع وله محبةٌ في قلوب المؤمنين مديماً على العزلة لا

يزور ولا يزار خالياً بربه وفاطره محباً لأهل الدين مبغضاً للكفار والمنافقين وكهفا منيعاً لأهل الحق ينتابونه في الشدائد ويفزعون إليه في وجوده إذا دهمتهم المهمات والمكائد.

أما عبادته واجتهاده وزهده وورعه فشيء لا تبلغه العبارة، ولقد كانت شهرته تكفي عن ذكر ترجمته:

جاء إليه صاحب له فقال له: يا شيخ كيف أصبحت فقال لست بطيب إذا لم أخلف الصراط خلف ظهري فلست بطيب، وجاء إليه صديق يشكو الحال من كثرة الاختلاف والشقاق وقال: يا شيخ إن الناس في خبط وتقلب، فأجابه قائلاً، يا أخي قل الله اجعل هواي تبعاً لما جاء به نبيك محمد ﷺ ، ودع الناس في خبطهم لهم مدبر يدبرهم، فلله دره ما كان أعرفه بربه، فانظر إلى ما تحت هذا الدعاء من السر البديع.

ولما سمع بقدوم الدولة العثمانية إلى بريدة خرج إلى خب يسمى «زنقب المريدسية»فاراً بدينه ونزل عند نسيب له فيها وكان قد استصحب معه منيحة عنزاً اشتراها بنفقة طيبة فكان يشرب حليبها هناك فقدر أن انطلقت ليلة من الليالي إلى خضرة الجيران تأكل فلما علم بذلك تأثر واغتم لها ودعا بأهل البرسيم ليقوموا ما أكلته فأبوا عليه وأخبروه أنهم في حال المسرة بذلك وعلى الرحب أن تأكل منيحة الشيخ منهم لحبهم لصاحبها، فحبسها سبعة أيام واجتنب درها فيها.

ولما جاءته زوجته مرة بلوبيا من فلاحة أهلها لعشائه فسألها من ناولها إياه أأمها أو أبوها وحرج عليها إذا لم يعلم به أبوها فلترجع به عنه، وهذا غريب في زمانه وبعد زمانه وشيء يعجب له من تركه المشتبهات، وإنه ليجمل بنا ذكره.

ولما أن قدمت الدولة العثمانية إلى بريدة بسعي الأمير عبدالعزيز بن متعب ابن رشيد كما قدمنا خرج إليه بعض أحبابه وأصدقاءه في خبه ذلك وجلس إليه يبكي مما دهى من المعضلات والفتن وكان الزائر من المنتسبين إلى العلم وقال له

يا شيخ أنا في غاية المحنة لقد قدمت الدولة وتتابعت المحن وترادفت أسباب البلاء وقد بلغت بي الحال إلى أن أتمنى الموت؛ فأجابه الشيخ قائلاً له تفريجاً لكربته وتطميناً لنفسه، يا أخي هل أنت تتصرف في الخلق والتدبير أم الله عز وجل هو المتصرف في خلقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الخلق يا ولدي له مدبر وتدبير الله لنا خير من تدبيرنا آمنا بالله، فقام الرجل منشرح الصدر مطمئن البال راضياً بتدبير الله مفوضاً إليه الأمر.

فانظر يا أخي وفقني الله وإياك إلى كلام هذا العالم الموفق وإلى ما أرشده إليه حيث دله بعلمه وعقله إلى ما يستريح به من عدم تدبير نفسه وتدبير العالم وأن الله هو المدبر لا شريك له، فلو أن الإنسان رضي بأقدار الله وأقضيته لاستراح من هموم كثيرة، وهذا معنى ما ذكر عن بزرجمهر الحكيم أنه لما حبس وضيق عليه في أمر المأكل والمشرب زاره بعض أحبابه وإذا به لم يتأثر فسألوه عن ثباته وصبره فقال إذا لم أصبر فكيف أصنع إني لا أعين عدوي على نفسي بالجزع.

وكان من صفة ابن فداء أنه ناحل الجسم دائم السكينة وكان خائفاً متواضعاً كأن النار أمامه تهابه الأمة وتحبه وترجع إلى أقواله، فنسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه في جنته.

ذكر صدقه في معاملته لربه وثقته به

لما كان في زمنه شقاق ومخالفات وجهاد بالسيف والسنان والحجة واللسان اختفى في بيته فجاء إليه بعض المنافقين ليعذبوه على حين غفلة من الناس وقدموا واحداً منهم على رأسه عمامة وقد ارتدى بعباءة برقاء فاستأذن الشقي عليه متسماً بوسم أهل الديانة والفضل، وقد اختفى أصحابه خلفه ليفتكوا به فلما أن سمع الشيخ بالاستئذان الشرعي خرج فساعة خروجه جذبوه يريدون تعذيبه فأنقذه الله منهم ولم يصل إليه منهم شر وكفاه الله مؤنتهم.

ولما أن قدم عبدالعزيز بن رشيد بريدة حال كونه حاكماً في نجد تلقاه وجوه الأهالي وكبراء الناس يهرولون للسلام عليه واستقباله فلم يحضر الشيخ معهم، ولما أن فرغ الحفل سأل هل بقي أحد من الأعيان لم يفد إليه فقيل له بقي عبدالله بن فداء فجعل يبحث عنه حتى قيل أنه زاهد ولا يحب الخلطة بالناس وجعلوا يروون له عزلته وانفراده ولكنه اغتنمها أعداء الله ورسوله قائلين له أنه يبغض بيت آل رشيد، وما منعه إلا الكبر والاستخفاف بحقك أيها الحاكم فبعث إليه ابن رشيد من يخبره بأنه سيأتيه بنفسه لرؤيته والسلام عليه في بيته فخجل المسلمون وخافوا عليه من سطوته، ذلك ابن رشيد الذي لا تؤمن عقوبته فخرج على حصانه بين العبيد والرجال مغيظاً محنقاً لما ملئ به صدره من المسبة ولما أن وصل إلى بيته استأذن عليه فلم يسعه إلا الخروج إليه فخرج وعليه غترة قد طواها على رقبته كبيراً نحيف البدن فلما رآه ابن متعب رق لحالته مع ما به من العنف والغلظة والجبروت وكاد أن يبكي فقال ابن رشيد لما رآه على تلك الصفة «حسبنا الله عليكم يا أهل القصيم فلو أن أحداً سلم منكم لسلم هذا الشيخ» ثم سلم عليه فلم يزد في الرد على قوله الله يعافيك فتكلم ابن رشيد قائلاً ما لك يا شيخ لم تزرنا للسلام علينا، فتكلم قائلاً نحن مقتصرون لا نأتي ولا نؤتى فقلبه الأمير إلى بيته ولم يصل إليه منه شر ثم عاد ابن رشيد إلى قصره، ولما أن قرب من القصر بعث إليه خادماً بثلاثمائة ريال وقال له قل له يقول الحاكم هذه من النفقة الطيبة التي ادخرها لوالدتي فليتعاون بها على مؤونة الدنيا وأكد على الخادم أن يسلمها إياه فإن رجع بها قتله فجاء الخادم يحملها إليه، ولما أن استأذن ناوله الدراهم والوصية فأبى أن يقبلها فجعل الخادم يعالجه لقبولها فقال للخادم ردها عليه وأخبره أنا بخير ولما أبى وأصر على عدم قبولها استعان عليه الخادم بأحد إخوانه المجاورين له وأخبره أنه إذا رجع بها سيقتله فعرض عليه تلميذه أن يأخذها فأبى وقال للخادم خذها فهي لك أنا لا أريدها وقال لصاحبه اذهب أصلحك الله إلى أهلك فخجل الرجل وعاد بها الخادم يحملها إلى ابن رشيد ليخبره بعدم قبوله لها فلما أخبر سيده قال هذه المقالة «سلم منا» يعني الشيخ ابن فداء.

«ويظهر أنه بعث إليه بها ليمتحنه بها، وكان معظماً تزوره الملوك ويوقف عند كلامه وآراءه وكثيراً ما يتمثل بهذين البيتين:

ومـن العجائـب والعجائـب جمـة ... قـرب الشـفا ومـا إليـه وصـول

كـالعيس في البيـداء يقتلـها الظمـا ... والمـاء فـوق ظهورهـا محمـول

ولقد خرج مرة لما نودي بالجراد ومعه رفيق له يدعى راشد بن حميد وكان مؤذناً في مسجده، قال ابن راشد فلقطنا جراداً في كيسين وأخذ كل منا كيساً صغيراً يسع صاعين فحملناهما على الرؤوس ورجعنا على أقدامنا من مسافة ساعتين لنبعث إلى الكيسين الكبيرين من يحلهما فمررنا ببئر لحسن بن مهنا أمير بريدة وكانت عظيمة سانيتها ثمانية من الجمال من هاهنا أربعة ومن هناك أربعة وفيها الخيل لها صهيل والأدباش وغير ذلك وتسمى «بالرفيعة» تقع عن البلد شرقاً على مسافة نصف فرسخ فالتفت إلي وقال يا راشد والله لو أعطوني بهذا الكيس كل هذه البئر بما فيها لما أبدلتهم فكيف بالكيس الكبير هناك يا راشد هذا مال حلال ليس فيه شبهة.

ولما كان ذات ليلة بعد صلاة العشاء الآخرة في فصل الشتاء صلى ما كتب له ثم قام يريد إغلاق المسجد فرأى غريباً في ناحية المسجد ترعد فرائصه من البرد ويتضور جوعاً فأخذ بيده وذهب به إلى بيته فأوقد النار وقدم له تمراً فجعل يصطلي على النار ويأكل تمراً للجوع الذي أصابه، فكلمه الشيخ فإذا هو عراقي فلما دفئ وشبع قام مولياً فقال له أين تريد هذه الليلة الشتائية فأجابه بقوله أكلت واستدفأت وسأواصل سيري إلى السيد عبدالقادر فقال له الشيخ يا عجباً تذهب إلى عبدالقادر وتذر القادر هلا عكست إن كنت رشيداً، ثم أنه اقترح رحمه الله اقتراحاً بعد هذه أن لا يسأل غريباً عن حالته لأنه أحزنه ذلك.

ولما فرغ مرة من صلاة الفجر وقام المؤذن لتفقد الجماعة دخل رجل يركض ركضاً وجلس في الصف من غير أن يصلي فحينما وصله دوره إذا به يتكلم بقوله «حاضر» وكان قد رآه أعني الشيخ، فقال يا بني إنما قد شرع التفقد مساعدة على

أداء الصلاة في الجماعة وأنت لم تصل، فقال وما أدراك بأني جنب لم أغتسل غير أني فعلت ذلك للسلامة من التبعة وقلت في نفسي أن الله أسمح منهم في حقه وألطف، فبكى الشيخ وتأثر لمقالته، ثم نهى عن تفقد المأمومين بعد صلاة الفجر.

ولما كان بعد الوباء المذكور بشهرين توفاه الله تعالى وانتقل إلى جواره مخفاً من الدنيا متقللاً متعففاً، فيا طوبى له إذ أحشر بين يدي رب الأرباب وراحم من خضع له وأناب، نقول هذا ولا نعلم إلا خيرا.

وكان إماماً في مسجده الكائن بشرقي بريدة وبيته إلى جانبه فما زال كذلك حتى قدم إلى رحمة الله تعالى، وما كانت إلا ساعة قم انقضت وأعقبت الخير الدائم والمسرات والعيش الهني في شامخ الغرفات مع الذين أنعم الله عليهم من أهل الطاعات وأهل الفضائل والكرامات إن شاء الله تعالى.

وكان له من الأبناء عبدالعزيز وعبدالرحمن؛ فأما عبدالعزيز فكان ثقة عارفاً متفنناً في العلوم، وله أيضاً صلاح وزكاء وفضل، وأما عبدالرحمن فكان أيضاً رجلاً طيباً وخلف أباه في الإمامة في مسجده ولا يزال من سلالته من يلازم على إمامة مسجدهم ويكرم لكرامة الشيخ عبدالله.

رجعنا إلى ذكر الشريف وعداوته لأهل نجد فنقول:

بعدما نكب في وقعة تربة وخسر جيشه بأجمعه لم يزدد إلا عتواً وعدواناً ومقاومة فأوصد البيت الحرام في وجوه أهل نجد ومنعهم من الحج كأن البيت الحرام ملكه أو ملك أبيه وجده وأخذت جريدة القبلة تنشر المقالات التي يحبرها الحسين بقلمه في الطعن بأهل نجد وابن سعود مما كان له الأثر الأسوأ في نفوسهم وصارت من أكبر الأسباب الدافعة لعبدالعزيز بن سعود على فتح الحجاز كما سيأتي، ثم أن ابن سعود بعث بالتعاليم إلى رعاياه يحذرهم عن الشريف وشره بأن لا يجلب عليه مبيع ولا يخدم عنده أحد، ولا يعان ولا يوالى وهذه صورة الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود إلى جناب الكرام فهد بن معمر وكافة الجماعة سلمهم الله تعالى وأبقاهم آمين بعد مزيد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن أحوالكم لا زلتم بخير وسرور أحوالنا بحمد الله جميلة بعد ذلك تفهمون أمرنا نحن وهذا الفاجر الشريف وكل مسلم يخاف الله لو رجل له عقل يدري بمقاصده الخبيثة فينا، ولما كانت الأمور فيما مضى أن القصد فيها مصالح وبيع وشراء ومنافع للناس والعرب وكنا تاركيها بقايا الحاضر اليوم هذا تعين كل إنسان يواده أو يخدمه أو يبيع عليه ويشتري فهو خارج من الدين والدنيا كافر في دينه مارج في دنياه، وهؤلاء الناس الذين يذهبون إليه واحد يكتب نفسه عقيلي وآخر يبيع ويشتري، ما رائح إليه إلا مثل ما ذكرنا وذاك مستعين عليه الله بأخذ ماله وزوال نفسه إنشاء الله وأحببت أبين لكم ليثبت عندكم ذلك ويكون معلوماً فوا لله لمن راح إلى الشريف أو تفدوا عنده أو فعل شيئاً من المصالح التي تنفعه وتضر المسلمين باطناً أو ظاهراً لأن الله أظفرنا به ولو بعد حين لندينن الله بقتله وكلما وجدنا مما يعز عليه لنتلفنه، والواجب علي تعريفكم حتى لأجل أن من كان له علقة أو قريب معه يتسبب في جلبه ومن كان عنده قريب أو رفيق يمنعه من الذهاب إن أراد الذهاب ومن جهة هؤلاء العقيلات الذين هم عنده طلبنا لهم «ابن مهوس» وأعطيناه لهم وجهاً وهذا الذي يقبل منهم والذي لا يقبل نأخذه ونأخذ طوارفه.

وأنت يا ابن معمر كل عقيلي عند الأشراف ويقدم فإني مؤمنه لا تعارضه وأما الإنسان الذي يتم شهر شوال وما جاء أو يسافر بعد كتابنا هذا إليهم من جميع القصيم فما وجدت من ماله خذه وألحق به محرمه ولا يستقروا عندنا في نجد ومن جاءك يعتذر أو يتوجه لهم كبيراً كان أو صغيراً في ذلك الأمر فاجعل طريقه طريقه والمنع والتحيير على مكة والمدينة وجميع حاشية الشريف ولا تخشى في هذه المسألة فوا لله إني معاهدك بالله لأن خشيت فيها لأجعلنها في رقبتك، وخطي اقرأه على الناس نهار الجمعة، هذا ما لزم تعريفه ـ والسلام ٢٩ ن سنة ١٣٣٧هـ.

ذكر ما جرى على تركيا من الهوان

لقد كان من المعلوم أن الترك لم يقاوموا أحداً من العرب وأمرائهم

كمقاومتهم لآل سعود منذ ظهر الشيخ محمد بن عبدالوهاب وساعده محمد بن سعود إلى عهد استيلاء الملك عبدالعزيز على الإحساء والقطيف، حاربوهم بالسلاح «بعرعر» و«دجيني» و«محمد علي باشا» وما جرى في انتدابه لابنه طوسن وابنه الثاني إبراهيم في طلعة إبراهيم باشا على نجد وأذيته لأهل هذه الدعوة المحمدية الإبراهيمية فقد عاث في نجد فساداً مما لا فائدة في ذكره هنا، وكذلك خورشيد باشا وما فعلت الترك من كونهم خلقوا لهم المشاكل وألبوا عليهم أمراء العرب من آل رشيد وغيرهم، وكذلك أيضاً حاربوهم بتشويه دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب بواسطة «زيني دحلان» وما لفقه من أكاذيبه وترهاته حيث شن الغارة عليهم ومن نحا نحوه كجميل أفندي الزهاوي، وابن جرجيس وأمثالهما بحيث قبحوا ذكر الوهابية في العالم الإسلامي ونسبوا إليهم الفتاوى الكاذبة الباطلة والدعاوى التي اختلقوها من تلقاء أنفسهم فسلط الله عز وجل على هذه الدولة العثمانية بسبب هذه المصادمة للحنفية المحمدية أن جلبت عليها حكومة بريطانية العظمى فسامتها سوء العذاب وما زالت الإنكليز تضرم نيرانها على تركيا وتستجيش العرب لما رأوا من كمال معاداتهم لها حتى كسروهم وأذلوهم وآخر أمرهم أن طردوهم عن جزيرة العرب وهذه عادة الله بمن عصاه وسعى في الأرض فساداً عياذاً بالله.

ولما سقطت تركيا فر السلطان وحيد الدين وذلك لما انتصر الكماليون على اليونان وكان قد أفتى السلطان بكفرهم وإلحادهم وبخروجهم عن طاعته فالتجأ إلى مدرعة إنكليزية، ولما علم الشريف الحسين بفراره دعاه للإقامة بالحجاز ولا يعلم ما قصد الشريف بذلك إلا طلب الخلافة فقدم السلطان إلى الحجاز بعد هذه السنة بأربع سنين، وأقام في مكة أربعة أشهر إلا قليل وعاد منها.

والظاهر أن عودته منها لنحس الشريف، وقد كتب السلطان وهو في مكة منشوراً عظيماً باللغة التركية وترجم بالعربية ثم طبع في مطبعة الحكومة بمكة ذكر في ذلك المنشور خطته في الحرب وأنه لم يرتض خوض الدولة غمرات معامعها

وبسط فيه خيانة «مصطفى كمال» وما جرى من «رؤوف بك» واحتلال أضنة والموصل، وأنطاكية والأستانة، وأزمير؛ وهدنة؛ ومندروس عهده سيفر، وبرء نفسه من الجبانة والخيانة وما عامله به الوزراء والرؤساء من الخيانات التي آخرها أن فر خوفاً على نفسه، وقد جاء هذا المنشور في نصف كراسة حائزاً من الفصاحة والبلاغة شيئاً عجيباً؛ ولولا خشية الإطالة لأتينا به ولكن على من أحب مراجعته أن يطلبه في مواضعه.

وفيها استنجد الشريف حسين بن علي بأمير الجبل سعود بن عبدالعزيز بن رشيد لقتال ابن سعود، وقد قدمنا أنه لما محت جيشه واقعة تربة وجرى عليه من أمر الله ما لا يطاق وكان قبلها لا يحسب لابن سعود حساباً التفت إلى خصم ابن سعود الألد ليكون وإياه يداً واحدة على ابن سعود فلا يدعه يستريح لما هناك من العداوة المستمرة، فقال لابن رشيد هذه المرة يا بني إن عدوك عدونا بل عدو العرب والإسلام، خذ السلاح والذخائر والمال فهو عندنا، وعندك شمر ففيها الأشبال والأبطال فسر لقتال ابن سعود فاستفزه.

وقد كان سعود بن رشيد هذا قد عقد مع ابن سعود بعد أن جهز عليه صاحب الجلالة عبدالعزيز نجله سعود بحملة على الجبل في صيف هذا العام فوصل بهذه الحملة إلى وادي الشعيبة جنوبي جبل أجا وأغار على عربان لابن رشيد هناك فأصاب منهم مغنماً، ولكنه لقلة المرعى للركائب في الصيف وقلة الأرزاق للجيش لم يتقدم إلى حائل.

وقد حدث في ذلك الحين حادث في نواحي الكويت شغل ابن سعود عن ابن رشيد فاكتفى بإرسال سراياه عليه للغزو والمناوشات، فبعدها عقد ابن رشيد هذا الصلح بينه وبين ابن سعود وكان صلحاً سميناً غير أنه لما أمده الشريف بالمال والسلاح وحسن له الباطل في زخرف القول انخدع وقبل توجيهات الشريف وذلك لقرب نظره وسوء تدابيره لصغر سنه الذي لا يتجاوز الحادية والعشرين.

ولما أن أراد قتال ابن سعود وجد تطور الأحوال وانعكاس أمره وخيبة الآمال،

وهيهات فقد فضح ظلمة الليل ضياء النهار، وزال عن قلوب أكثر شمر غطاء الأكدار ذلك بأن صاحب الجلالة قد أدخل خلال الحرب العظمى سفن التوحيد في شمر فشقها نصفين فعندما أعلن ابن رشيد العداء كتب ابن سعود إلى رؤساء تلك القبيلة الأصدقاء منهم والأعداء ينذرهم ويقول من كان معنا فليقدم إلينا، ومن كان مع ابن رشيد فليرحل إليه، فجاء الجواب سريعاً من المقدمين فيهم أنهم مقيمون على ولاءه، لا يلبون دعوة ابن رشيد.

فلما علم هذا السفيه أن قبائل شمر ليست يداً واحدة معه أرسل إلى ابن سعود وفداً يقول أنه قد تسرع وأنه آسف على ما بدا منه بل أنه راغب في تجديد الولاء.

وفيها جاء رؤساء العجمان خاضعين لأمير الإحساء الندب عبدالله بن جلوي يطلبون منه التوسط بالصلح بينهم وبين ابن سعود، وقد كتبوا أيضاً إلى الإمام عبدالرحمن بن فيصل بذلك فطلب من ابنه جلالة الملك أن يعفو عنهم، وذلك لما صدق إخلاصهم وتحقق نصحهم ففعلاً عفا عنهم وثبتوا على السمع والطاعة.

وفيها ولد الأمير ناصر بن جلالة الملك عبدالعزيز، وولد فيها أيضاً نجله سعد بن عبدالعزيز.

وفيها ولد أيضاً الأمير فهد نجل جلالة الملك عبدالعزيز وزير المعارف في زماننا هذا.[1]

وفيها قام الإخوان البدو بتشديدات يريدون بها وجه الله تعالى غير أنهم تجاوزوا الحد، لأنه لما جمع الله شمل المسلمين بصاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن جعل الله الجنة مأواه ورياضها منقلبه ومثواه، وبنى الهجر للبدو كانوا فيها متحضرين وبشرع الله متمسكين ولنبيه متبعين، جرى منهم إفراط والعياذ بالله وما زال هذا الإفراط فيهم حتى جرى منهم ما سنذكره إنشاء الله، وهذا الذي يريده الشيطان من العبد فإنه يشم قلبه فإن وجد فيه إفراطاً فإنه يأخذه بالغلو

---

(١) أما حال طبع التاريخ فإنه ملك المملكة.

ومجاوزة الحد، وإن شمه ووجد فيه جفاء وتفريطاً فإنه يأخذه بالرخص والتفريط، والمعصوم من عصمه الله، ولا خير للعبد من العلم إلا ما كان منجياً من ورطات الجهل، لذلك طغى البدو وتجبروا حتى ضجت الأمة منهم وقاموا يحاربون من لم يتحضر من البدو فيكفرون وينهبون ويقتلون، وحصل بسبب بناء الهجر لهم أن قام البدوي الذي في الهجرة على الذي لم يهاجر يقول له أنت مشرك والمشرك حلال الدم والمال، أنت يا أبا العقال من الكفار ونحن أهل العمائم أخو من أطاع الله، وأنت أخو من أطاع الشيطان، لذلك عقد الإمام عبدالعزيز في هذه السنة مجلساً في الرياض للنظر في هذه الأمور حضره كبراء العلماء والرؤساء وتفاوضوا في وضع خطة لهذا المهم، فاتفق العلماء على كتابة هذا الكتاب تسكيناً لمتحرك البدو الذين قام كل منهم يلبس عصابة بيضاء على رأسه ثم يسطو على من سواه من البدو يغير ويسب، وهذا نص الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله بن عبد اللطيف، وحسن بن حسين؛ وسعد ابن حمد بن عتيق، وعمر بن محمد بن سليم وعبدالله بن عبدالعزيز العنقري؛ وسليمان بن سحمان ومحمد بن عبداللطيف، وعبدالله بن بليهد وعبدالرحمن بن سالم.

إلى الإخوان كافة من أهل الهجر وغيرهم وفقنا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه وجعلنا وإياهم من حزبه وأولياءه آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد ذلك إنكم تفهمون ما من الله به علينا وعليكم من نعمة الإسلام وتجديد هذه الدعوة، والذي علينا وعليكم شكر الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه، ولا يخفى عليكم ما جرى من الاختلاف وكثرة الشبه وهي على ثلاثة أمور:

الأول: وهو الأكثر طلب الخير والاجتهاد ووقوع الناس في أمور تخل في دينهم ودنياهم لأنهم يأتون ذلك محبة للدين بغير دليل.

الثاني: لا بد أن في بعض الإخوان المتقدمين شدة وتعصباً بغير دليل فلما تبين له الأمر وسأل طلبة العلم وتحقق عنده أن تعصبه خطأ استنكر منه إخوانه وصار بينه وبينهم اختلاف بغير سؤال ولا تبيين حقيقة ما عنده.

الثالث: أتى به أناس من الذين يدعون طلب العلم من الحضر وهم جهال يدخلون على بعض الإخوان أموراً مشتبهة يريد أحدهم الحق وهو مخطئه، وآخر يرغب في معرفة الأمور المخالفة فلما تحقق ذلك عند ولاة الأمر وعند العلماء أحبوا اجتماع المسلمين مع علمائهم وولاة الأمر منهم فلما حضروا سمع الحاضر بنفسه، والغائب تبلغه بهذا الكتاب فقد سألنا الإمام عبدالعزيز بحضرتهم عن أمور هي:

الأول: هل يطلق الكفر على بادية المسلمين الثابتين على دينهم القائمين بأوامر الله ونواهيه أم لا.

الثاني: هل من فرق بين لابس العقال ولابس العمامة إذا كان معتقدهما واحداً أم لا.

الثالث: هل في الحضر الأولين وفي المهاجرين الآخرين فرق أم لا.

الرابع: هل في ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين وطريقه طريقهم ومعتقده معتقدهم، وفي ذبيحة الحضر الأولين أو المهاجرين فرق حلال أو حرام أم لا.

الخامس: هل للمهاجرين أمر أو رخصة في اعتدائهم على الذين لم يهاجروا فيضربونهم أو يؤذونهم أو يهددونهم أو يلزمونهم بالهجرة أم لا، وهل لأحد أن يهجر أحداً بدوياً كان أو حضرياً بغير أمر واضح أو كفر صريح أو شيء من الأعمال التي يجب هجره عليها بغير إذن من ولي الأمر والحاكم الشرعي أجبناه بحضور الحاضر من المسلمين أن كل هذه الأمور مخالفة للشرع، وما أمرت بها الشريعة وأن الذي يفعلها ينهى عنها ويزجر فإن تاب وأقر بخطأه فيعفى عنه، وإن استمر على أمره وعاند فيجب عليه تأديب ظاهر بين المسلمين، وأن لا يعادي ولا يصادق إلا على ما أمرت به الولاية أو حكم به حاكم الشرع والذي يفعل ما يخالف ذلك فطريقته غير طريقة المسلمين، وهذا الذي ندين الله به ونشهد الله عليه ونرجوه أن يوفقنا وإياكم للخير وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم سنة ١٣٣٧هـ، ووقعوا بأسفله ختم كل نفر منهم، ثم كتب تصديقاً عليه صاحب الجلالة ما نصه.

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل، إلى الإخوان كافة، وفقنا الله وإياهم لفعل الخيرات وترك المنكرات آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته بعد ذلك تفهمون أن الله سبحانه أنعم علينا بنعمة الإسلام ومن علينا أن جعلنا من أهله ولا يخفى عليكم ما مضى على أسلافكم من الأمور التي تغضب الله وتخالف الشريعة، وحيث أن الله من عليكم بهذا الأمر فيجب عليكم أن تذكروا ذلك بالشكر، وأعظم الشكر وأكبر، هو أن تتقيدوا باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه.

ثم لا يخفى عليكم ما جرى من النزاع والاختلاف الذي يخشى علينا منهما إخفاق الأعمال والفتنة، وليس قصدنا غير تقويم الشريعة ونجاة أنفسنا من عذاب النار ولا يتم هذا إلا بالاقتصاد واتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلماء المسلمين أولهم وأخرهم، وربما يلتبس عليكم الأمر في بعض أئمة المسلمين واعتقاداتهم؛ فأحببت لذلك أن أشرح لكم العقيدة التي ذكرها المشايخ في فتواهم وهو أن معتقد المسلمين واحد حضرهم وبدوهم، وتعلمون أن أصل المعتقد كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه أصحاب محمد ﷺ ثم السلف الصالح من بعدهم، ثم أئمة المسلمين الأربعة الإمام مالك والإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام أبو حنيفة، فاعتقاد هؤلاء واحد في الأصل، وهو أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، كما هو مقرر في كتب العلماء التي يمكنكم مراجعتها والحمد لله في كل ساعة، فهم في هذا الأصل سواء قد يكون بينهم اختلاف في الفروع وكلهم ومن حذا حذوهم على حق إنشاء الله إلى يوم القيامة.

ونحن يا أهل نجد كافة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفروع، وأما في الأصل فنحن والمذكورون أعلاه على ما جاء به محمد ﷺ على أنه في آخر الأمر أظهر الله شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ثم بعدهما الشيخ محمد بن عبدالوهاب عندما اندسرت أعلام الإسلام وكثرت الشبهات والبدع فلما رأى أسلافنا موافقة أقوالهم وأفعالهم لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله قبلوا ذلك وقاموا بما أظهره الله على أيديهم ونحن إنشاء الله على سبيلهم

ومعتقدهم، نرجوا الله أن يحينا على ذلك ويميتنا عليه، وقد عرفناكم بذلك لموجب ذكر المشايخ في الاعتقاد والعمدة على ما ذكروه، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر وقصده إلى هجرته وانتسابه إلى الخير، طلب ما عند الله فليعتمد على ذلك قولاً وفعلاً ولا يحيط فيه لبس وترك مخالفه، ومن أشكل عليه شيء من الأمور فليردّه إلى طالب العلم المنصوب عندكم بأمر الولاية ورضى المشايخ، ونحن نعتقد أن ليس عندكم ما يخالف ذلك إن شاء الله، وإن قصدكم رضى الله، وإنما من الشفقة عليكم أحببنا التبيين لكم بذلك إنذاراً للمخالف أو المتكلم بضده، وأن من خالف ذلك بقول أو فعل فذمتنا وذمة المسلمين بريئة منه ولا يأمن البطش بنفسه وبحلاله، هذا حقكم علينا ومن أنذر فقد أعذر.[1]

نرجوا الله أن يوفقنا وإياكم للخير وينصر دينه ويعلي كلمته ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه. سنة ١٣٣٧هـ. الختم السعودي.

ثم دخلت سنة ١٣٣٨هـ

ففيها في ١٩ جمادى الأولى توج الأمير فيصل بن الحسين الشريف ملكاً دستورياً على سوريا، فغاظ ذلك فرنسا وأخذوا يكيدون له، وآخر ذلك أن قامت فرنسا فأخرجت مركز فيصل وهذا بمساعدة من ذوي الأغراض وممالاة من بريطانيا، فأبلغت فرنسا فيصلا شروطاً مجحفة وضربت له موعداً ضيقاً لإخراجه وإرغامه ليعترف بها، فوقع في حيرة وآخرتها ألجأته فرنسا على الخروج من سوريا في مدة ٤٨ ساعة، فبارحها والحزن يكاد يزهق نفسه لانهدام صروح الآمال التي كان يحلم بها، فاحتلت فرنسا سوريا بعد مبارحته لها وحصول حوادث يشيب لهولها الولدان، ولا ينسى أثرها أهل سوريا على مر الليالي والأيام والدهور والأعوام، وكان ذلك في الحجة من هذه السنة.

---

(١) سبب ذلك ما كان يتوقعه ابن سعود من خروج البدو عن طاعته وقتالهم للمسلمين، فقد بذل العلماء النصائح لهم ووضحوا وبينوا، وفعلاً وقع ما كان يحذره منهم بعد عشر سنين، عياذاً بالله من الجهل ومن مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفيها ولد الأمير منصور بن جلالة الملك عبدالعزيز وزير الدفاع السابق، وكانت أمه تركية.

وفيها جدد عهد الصلح بين ابن سعود وبين ابن رشيد، ولكنه لم يدم منذ جدد عام كاملاً، وقد كانت السيادة في الجوف للأمير نوري بن شعلان، فعمل أعمالاً أثارت عليه الأهالي فحاربوه واستنجدوا عليه بابن رشيد، فانتهز هذه الخطة وقدمها عذراً بين يدي الشريف حسين، وبعث إليه يخبره أن الباعث له على تأجيل الحملة على ابن سعود هو فتنة الجوف، كأنه يقول اضطرتنا وقام مسروراً بفرصة سانحة للاستيلاء على ناحية الجوف، فأنجد أهالي الجوف حباً وكرامة، ومشى سعود ابن رشيد برجاله إلى الجوف فاصطدم هناك بقوات لابن شعلان يقودها ابنه نواف «وعودي أبو تائه» فنازلوه وغلبوه، فأرسل يستنجد شمّراً فلم يلبه أحد خوفاً من ابن سعود، ومحافظةً على العهد الذي بينهم وبينه، لأنهم أرسلوا إليه يستشيرونه في الأمر فأجابهم أنه مصلح هو وابن رشيد فلا أمانع من أرادوا أن ينجدوه.

وكان النوري بن شعلان قد أرسل أيضاً إلى ابن سعود بكتاب قال فيه:

إني صديق لك ولابن رشيد فلست إذن مشاركاً في هذه الحرب، ولكني أنصح لك أن تتحصن في حصون الجوف وتتخذ خطة الدفاع فلا تهاجم ابن رشيد ولا تحاربه في الخارج، لأن جنوده مدربون على القتال، وقديموا العهد في الحروب، وجنودك من البادية من أهل الإبل، فلا يركن إليهم ولا هم في القتال أقران شمّر، ولكنه لم يعمل ابن شعلان بنصيحته فكان من الخاسرين، لأنها وصلت نجدات شمر إلى أميرهم في الوقت الذي هجم فيه عليهم فكسروه كسرةً شنيعة، واستولوا على الجوف، غير أن سعود بن رشيد لم يعش بعد انتصاره على ابن شعلان شهراً كاملاً، بل قتل بعد أن عاد إلى حائل.

وفي هذه المدة القصيرة كانت مناوشات بين ابن سعود وبين ابن رشيد فانتهز هذه الفرصة سالم بن صباح بصفته عدو ابن سعود لسوء تفاهم سنذكره عن

قريب، وكتب إلى ابن رشيد يستنجده على خصم الجميع، لأنه كان يومئذٍ مخيماً في أطراف العراق، فزحف ضاري مسرعاً بقوة من شمّر ونزل الجهراء حيث كان دعيج ورجاله، غير أن الله أهلك سعود بن رشيد ولم يتم له ما أمله، ولم يحصل على طائل، وخاب ظن الشريف وما أفلح فيما علقه به، وهذه صفة قتلة على سبيل البسط:

ففي أحد أيام سنة ١٣٣٨هـ خرج الشاب أمير حائل سعود بن رشيد إلى البرية للنزهة والفرجة، وكان في صحبته عبدالله بن طلال بن رشيد، خرج للصيد والمناصلة على الأغراض، وكان مع الأمير حاشيته وعبيده يعتنون بالخيل ويجمعون الحطب، وبينما كان الأمير عبدالله بن طلال قد نصب لهما هدف، وقد وثق الأمير واطمأن تلك الساعة فلم يلازمه غير واحد من العبيد، وقد كان هناك رابع يسدد الرصاصتين، رصاصة الأمير ورصاصة عبدالله إذ رفع الأمير سعود بندقيته يريد الهدف، إذا بعبدالله بن طلال خلفه ببندقيته قد صوبها في الهدف بالظاهر، فلما أطلق الأمير رصاصته على كبد الهدف إذا بعبدالله قد أطلق رصاصته في رأس الأمير فاخترقته، وبما أن الرصاصتين أطلقتا معاً كان العبد معجباً برمي سيده ولم ينتبه لما حدث إلا وقت ما خر الأمير إلى الأرض صريعاً، ففتح العبد فاه للصياح فلم يمهله عبدالله يفر أو يصيح حتى أطلق عليه الرصاصة الأخرى، فبعثرت دماغه وخر كالخشبة إلى جانب الأمير.

فلما رأى أحد العبيد الأخرين ما جرى صاح للبقية من العبيد فهجموا على عبدالله بن طلال، ثم جاء الرجال ومعه عبدالله بن متعب بن عبدالعزيز ابن أخ المقتول، فلما رآه ابن طلال لم يهتم إلا به يريد قتله لأنه يحول بينه وبين ما يريد لو بقي في الحكم في حائل، فصوب إليه البندقية ليلحق بالأمير، وكان ماهراً بالرمي، غير أنه حال بينه وبينه العبيد فصاروا ردماً دونه عن الرصاص فقتل واحد منهم وأصيب عبدالله بن طلال برصاصة قضت عليه والعياذ بالله، فتلقف الإمارة عبدالله بن متعب وجلس على عرش الحكم، ولكنه مرعوب مدهوش من ضربة تأتيه غدراً، وجعلتا عيناه تذرفان من رؤية الدم المهراق حوله، وهذه ترجمته:

هو الأمير سعود بن عبدالعزيز بن متعب بن عبدالله بن علي بن رشيد أصغر إخوته الذين قتلهم بنو عمهم، غير أن سعوداً هذا فربه أخواله آل سبهان في آخر سنة ١٣٢٤هـ إلى الحجاز خوفاً عليه من القتل، ولما أن كان قبل هذه السنة بعشر سنين عاد به أخواله إلى حائل وتقلد إمارتها وكان جاهلاً سفيهاً لصغر سنه، قد جعل سياسة الإمارة لجدته فاطمة بنت السبهان، فهي التي تتصرف في أمرهم وتديره من وراء الستار، وكانت شديدة الشكيمة، قصيرة النظر، تبغض أهل نجد وآل سعود، وكان على تدبير المالية العبد سعيد بن محمد، وقد كان من المقربين عنده لأنه قد رفع مقام العبيد في الديوان الرشيدي خوفاً من آل سبهان، فيقرب الأمير هؤلاء العبيد المماليك لا سيما هذا المملوك الخصي السوداني، وقد حمل مفتاح الخزينة في أيام عبدالعزيز بن متعب، والعبد الثاني اسمه سليمان العنبر، وكان هو الذي يحمل سيف الحجابة الأول، ويدخل على الأمير برأي، حتى في السياسة، وكان مسموع الكلمة.

فبتدبير امرأة ورأى العبيد تضمحل سحائب الهيبة تكوسف شمس السياسة لقرب نظر الفريقين، فلسوء تدابير الأمير الذي تعوزه أشياء كثيرة من شروط الإمارة لعدم معرفته وتجاربه للأشياء، ولأن المتصرف فيهم امرأة ولا يفلح قوم ولو أمرهم امرأة كما جاء في الحديث، ولاختلاف شمّر وانقسامهم بعد أن كانوا يداً واحدة اضمحلت إمارة ببت آل رشيد، ويزاد على ذلك أيضاً وقعة تربة التي رنَّ صداها في المشارق والمغارب، وإلا فهناك ما يجرئه على العداء ويدفعه على القتال وهو مساعدات الأتراك له، وبعدهم الشريف، أضف إلى ذلك سالم بن صباح الذي قام يؤلب على ابن سعود في هذه السنة.

ذكر سوء التفاهم بين صاحب الجلالة عبدالعزيز بن سعود وبين سالم بن صباح

قد أشرنا إلى ذلك في التي قبلها وذلك بأنه لما توفى مبارك بن صباح، تولى الإمارة بعده ابنه جابر، فكان حصيفاً حكيماً، ولكنه توفى في السنة الثانية من

حكمه، فتولى بعده أخوه سالم، ولكنه مفلس من السياسة والحكمة ففعل أفعالاً أغضبت ابن سعود، وما كان له حق في تلك المعاملة، كطرد التجار النجديين من بلاده ومساعدته للعجمان، أضف إلى ذلك أنه عدو لأهل هذه الدعوة الوهابية والعياذ بالله، وآخر ذلك أن فعل الفعلة التي أدت إلى محاربة النجديين للكويتيين، فركب سالم ذات يوم إلى مكان على الخليج بين جبيل والكويت يدعى «بلبول» فيه مغاص للؤلؤ وميناء طبيعي حصين للسفن الشراعية، وعزم على أن يبني قصراً هناك وبلدة أيضاً تنافس جبيل بالتجارة والغوص، فلما علم ابن سعود بذلك كتب إلى سالم ليمتنع من العمل فأبى، فكتب ابن سعود إلى الوكيل السياسي البريطاني في الكويت يخبره أن الشيخ سالماً فيما يقصد متجاوز حدوده وحقوقه لأن ذلك المكان من أراضي القطيف التابعة للحكومة النجدية، وقد طلب منه أن يحول دون هذا التعدي.

أما سالم بن مبارك فكان يزعم أن بلبول ضمن حدود الكويت، ولكنه أذعن على ما يظهر للوكيل البريطاني فعدل عن قصده، وكان في تلك الناحية شمالاً بغرب من بلبول ماء يدعى «قرية» هو ملك قديم لعرب مطير، فنزح إليه بعض المهاجرين من الإخوان من هذه القبيلة وأسسوا هناك هجرة لهم، فاحتج ابن صباح على هذا العمل وأرسل إليهم فرقة صغيرة مئتي رجل ومائة خيال، أكثرهم من عربيدار بقيادة أحد أبناء الصباح اسمه دعيج، وكان للكويت في المراعي القريبة من تلك الناحية بضعة آلاف رأس من الجمال والغنم، وليس هناك من يستطيع حمايتها إذا اعتدى عليها، فسار دعيج برجاله حتى نزل في «حمض» قريباً من قرية، وأرسل إلى الإخوان يأمرهم بأن يخلوا ذلك المكان وإلا فسنصبحكم ونقتلكم، وكان الإخوان عندما علموا بقدوم عساكر الكويت أرسلوا إلى فيصل الدويش أمير الأرطاوية يستنجدونه، فبادر فيصل إلى نجدتهم بألفين من رجاله وزحف مسارعاً حتى وصل إلى حمض، فصبح الكويتيين هناك،

ولكنه لم يذبحهم كلهم، ففرَّ دعيج وأكثر جنوده هاربين، وقد تركوا ورائهم ذلك القطيع من الإبل والغنم، فكان للإخوان غنيمة باردة، كل ذلك وابن سعود في الرياض جاهل بما حدث، فغضب لما بلغه الخبر وكتب إلى الدويش يؤنبه ويقول قد تجاوزتم أوامري التي تنحصر في الدفاع، فأجابه أن الكويتيين جاءوا إخوانهم صائلين، وقد وصلوا إلى مكان يبعد عنهم أربع ساعات فقط، ثم أمر ابن سعود أن تجمع الأموال التي استولوا عليها من إبل وغنم وسلاح حتى وأواني وتودع عند أمير الأرطاوية إلى أن يأتيهم أمر آخر بخصوصها، فعمل الإخوان بالأمر بعد أن أرسلوا إليه خمس من الغنائم، وكان الأمير سالم قد عرض المسألة على الوكيل البريطاني، فأشار عليه بالتسوية السلمية، فأرسل إلى ابن سعود رسولين هما «عبدالله السميط» و«عبدالعزيز الحسن»، فاعتذر ابن سعود عما حدث بدون أمر منه، ثم إنه قدم إليهما خمس الغنائم الذي كان عنده قائلاً هذا أول الأداء، وإذا أركبتم رجالاً من قبلكم إلى الأرطاوية فأخره هناك يسلم إليهم.

ثم كتب ابن سعود إلى الشيخ سالم كتاباً قال فيه: إن السبب في هذا الحادث تدخلكم فيما لا يعنيكم، اعلموا أنه لا حق لكم في بلبول أو في قرية، وإني أرى أن يقرر ذلك في عهد يعقد بيننا وبينكم فنرعاه، أما ما كان لآبائك وأجدادك من الحقوق والواجبات على آبائي وأجدادي فإني معترف به، فلما جاءه الكتاب لم يعبأ به ولا قبل بأن ترد الغنائم إليه، بل غضب غضبةً يقتضي لتعزيزها عند العرب جيش كبير ولم يكن عنده سوى اليسير منه.

ولما أن كتب سالم إلى ابن رشيد يستنجده ويهيجه فيما مرَّ وبعث ابن رشيد ضاري بن طوالة بقوة من شمّر، نزل الجهراء حيث كان دعيج ورجاله فأمرهما سالم بالهجوم مرةً ثانية على قرية فقتل ابن رشيد واستمرت الحال إلى ما سنذكره في واقعة الجهراء في السنة الآتية إن شاء الله تعالى.

وفيها منع الحسين بن علي الشريف أهل نجد من الحج وأغلق في وجوههم

أبواب الحجاز حتى أصبح الحج بهذه المعاملة منه كالآعيب الصبيان يقبلون محرمين فيردهم من حيث أتوا، فرفع ابن سعود طلباً حاراً إلى بريطانيا العظمى، أن تضع حداً لهذه المشاكل التي لا تزال نارها مشبوبة بينه وبين خصمه الذي طالما آذاه وأساء إليه بالتأليب عليه ومنع رعيته من حج البيت الحرام، وإذا كان قد عمل بنصائحها فرجع فوراً بعد وقعة تربة، وترك الشريف وشأنه، ومع ذلك فهي لا تزال تقف في نحره دون الشريف، فكيف لا تمنعه من هذا الأذى أو تترك ابن سعود وشأنه في مشكلته يعالجها بنفسه، فكتب نائب مصر خطاباً إلى الحسين فيه:

إنها لا تزال بريطانيا باذلة عنايتها بمصالح العرب، وإنه مما يؤلمها الحركات العدائية بينه وبين ابن سعود، وإنه لا يجهل شروط المعاهدة الحالية بين الحكومة البريطانية وبين ابن سعود الضامنة حقوقه داخل حدود بلاده، ثم أطال بتمام الاحتفاء والتوقير للحسين، وقال في آخر الكتاب مستنكراً منه قطع علاقات الود مع ابن سعود بإرجاع رسله ورفض كتبه ثم قال:

إنني أرجوكم أعظم الرجاء أن تجتهدوا لمنع كل البواعث الجوهرية التي تؤدي إلى سوء التفاهم مع الأمير المشار إليه بشأن سياستكم نحوه، فإنه وإن كان أقل درجة من جلالتكم وأضعف موارد لا ينكر أنه ذو أهمية في السياسة العربية.

وحقاً أن يقال ما قصرت الإنكليز باحترام الحسين، ولكنه من قبل نفسه أتي ولو لم يقس هذه القساوة، وتوسل إلى أغراضه بالإناءة وسعة الحيلة لاستطاع أن ينال مبتغاه.

فبعد هذا الكتاب عاد إلى الملكين الهدوء والسكينة، ولكن القلوب فيها ما فيها، ولم يدم الصفاء إلا أشهراً قليلة حتى استيقظت الضغائن بالحوادث التي اندلعت نارها من جديد بين قبائل نجد والحجاز من أمر الاعتقادات، وعاد النزاع كأشد ما يكون، فاشتعل غضب الحسين ومنع أهل نجد من الحج، فتدخلت الحكومة البريطانية وبعثت خطاباً إلى ابن سعود وطلبت منه أن يمنع الحوادث، ورجت الحسين رجاءً حاراً أن يأذن بالحج لمن يرغب من أهل نجد أسوةً بالمسلمين في جميع الأقطار، ولكن الحسين أبى أن يظهر بمظهر السميع لتعاليم بريطانيا ليرى خصمه

جانب التعالي، فسكت ثم أذن بالحج بعدها بسنتين، وكان قد تطلب وتصلب كقوله: يجب أن يبين عددهم، ثم نادى بأن يكون عددهم محدود لا يقبل الزيادة، ثم طلب بأن يأتوا عن طريق البحر كبقية المسلمين.

وهذا والله من المبالغة الشديدة في العناد، وهكذا أخذ يشتد في الطلبات ويقسو في لهجة كتبه إلى بريطانيا ويتهمها بمحاربة خصمه، كما أنه طفق ابن سعود يتصل ببريطانيا عن طريق المندوب السامي بالعراق ويلح عليها أن تضع حداً لعناد الشريف وإصراره على رغباته غير المشروعة، لأنه لا يمكن تحديد عدد الحجاج النجديين، وما داموا قد حجوا قبل ذلك بدون أن يحدث منهم شيء من الأذى فليس من الرأي وضع العراقيل أمامهم، ولم تيأس بريطانيا من السعي بينهما في الصلح، وكرهت أن تتخطى ليصطرعا وهي ترى أن هناك شعاعاً ضئيلاً.

ولما رأى ابن سعود بكامل فكرته معاملة الشريف للإنكليز وعدم وفائه بالوعود، لذا أحب أن يكسب الخلاف الذي بينها وبينه، فالحسين طالما ألبَّ عليه ابن رشيد وآل صباح وغيرهم، وأراد أن يضربه ضربةً لا يفيق منها، ولكن الإنكليز لم تتخل عن الشريف لأنهم لا يزالون يذكرون أيامه ومقاماته لهم، ولكن ما الحيلة وقد بلغ السيل الزبى.

ثم دخلت سنة ١٣٣٩هـ

استهلت هذه السنة وسالم بن صباح يرغي ويزيد غضباً على ابن سعود والشريف مصرّ على مقاومته، والأمير على الجبل عبدالله بن متعب.

وفيها في محرم أمر الشريف ابنه عبدالله أن يتوجه إلى معان ويتخذ منها المركز الحربي للجيش الحجازي، فتوجه عبدالله من مكة يوم الأربعاء الموافق ١٦ محرم، وذلك لما فكر الحسين في استرجاع سوريا بعد أن طرد منها ابنه فيصل أو على الأقل أن يتفق مع فرنسا، وكان قد أخبر نجله عبدالله أنه سيكون وكيلاً عن أخيه فيصل في سوريا، فوصل عبدالله معان في ١١ ربيع الأول من هذه السنة وبرفقته قوة من بدو الحجاز، فأخذ يتحدث إلى أعوانه وقادة جيشه بما ملخصه:

إننا سنأخذ سوريا من يد الغاصب، سنخلصها من يد الاستعمار، سنمنحها حريتها واستقلالها وأن لا تلقبوني إلا «نائب جلالة ملك سوريا» وسبب ذلك أنه كان طامعاً في ملك العراق، ولكن المقادير وسوء السياسة خيبت أمله.

ذكر أنجال الشريف وإمارتهم

لما دفعنا التاريخ إلى هنا فلا بد من ذكر هؤلاء الأمراء، فأحدهم علي بن الحسين ولي العهد لأبيه، وكان نحيفاً عليه آثار السكينة، دقيق العضلات، ضعيف البنية، بليداً، ولكنه يظهر من أخلاقه أنه ألطف من عبدالله، وسيأتي ذكر ملوكيته وأنه اسم لأحقيته، وفيه بعض السياسة غير أنه لم يوفق، ولما أخرج من الحجاز نزل ضيفاً عند أخيه فيصل في العراق.

عبدالله بن الحسين

كانت ولادته في مكة المكرمة في شهر ربيع الأول عام ١٢٩٩هـ، نشأ في حجر أبيه نشأةَ أبناء الأشراف، فتعلم القراءة والكتابة في داخل قصر والده، ورحل في صحبته إلى الأستانة وعمره ست عشرة سنة، ولما رجع والده إلى مكة أميراً رسمياً من قبل الدولة كان معه واشترك مع أخيه فيصل في قيادة حملة أبها لإخضاع الإدريسي، وقام مقام أبيه في إمارة مكة حينما سار والده إلى نجد لتأديب بعض قبائلها قبل هذه بعشر سنوات، وقد ساعد والده في إنشاء الحكومة الجديدة، وتقلد وزراة الخارجية.

وهو الذي أرسل البلاغات الرسمية إلى الدول الأوربية الشرقية بإنشاء الحكومة الهاشمية الجديدة في الحجاز، وكثيراً ما يجري الخلاف بينه وبين أبيه في السياسة، ويعارضه بقبول اقتراحات الإنكليز مراعاةً لمصلحة البلاد.

ولما أن لامه مرةً والده بعد أن استدعاه من جدة إليه بمكة على موقفه وتساهله مع بريطانيا، استقال بعد يومين من استدعائه عن وزارة الخارجية أو وكالة الخارجية.

ولما أن قام في معان يتحدث بذلك الحديث، كان لوصوله وحديثه رنة هناك

عظيمة مادت لها بلاد الشام من أقصاها إلى أقصاها، وكان يتبجح ويتعاظم ويتغطرس لإعجابه بنفسه، ثم إنه تولى إمارة شرق الأردن بعدما اجتمع بالمستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية يومئذ.

فيصل بن الحسين

ولد في ١٣٠٢هـ وكان مفكراً نبيهاً، بل إنه أنبه إخوته وأدهاهم وأنبلهم، ولما خرج من سوريا ذهب إلى أوربا يجول فيها عساه أن يجد تاجاً أو يصادف ما يبدد حزنه ويسليه عما أصابه، وما هي إلا أيام قلائل حتى منحته الحكومة البريطانية تاج العراق، بينما أن عبدالله يحلم بملك العراق العتيد ويسبح في هذه الآمال إذا بالخبر يفاجئه أن أخاه فيصلاً وصل من لندن إلى القاهرة، ومنه سافر إلى الحجاز فدخل مكة لأول مرة بعد خروجه منها على رأس الجيش الشمالي، وبعدما أقام أياماً ركب باخرة خاصة أقلعت به إلى البصرة فبلغها، وكان تتويجه على العراق في ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٣٩هـ، فاستشاط عبدالله غيظاً على أخيه وشقيقه فيصل، ولما سمع بقصيدة لفؤاد الخطيب وزير خارجية الحجاز يمدحه فيها على أثر اعتلاء فيصل لعرش العراق، من أبياتها قوله:

تنـازل عـن عـرش العـراق تكرمـاً وأفضل مـن عـرش العـراق تنازلـه

قام وقعد وقال للمنشد من الذي أخبر فؤاد أني تنازلت، والله لم أتنازل ولن أتنازل، العراق لي ولن يتم لغيري أمره.

وكان ملكه في العراق بصفته يأخذ من الحكومة الإنكليزية راتباً شهرياً، غير أنه يمتاز عن أخيه عبدالله في ملكه بميزات كثيرة، فإن قيل أن الأمة العراقية انتخبته ملكاً عليها قيل نعم، ولكن أباه قد ألح على الإنكليز بالطلب لذلك، فتوجته الإنكليز ملكاً، وإن كان في العراق الرجال الأكفاء والمقتدرون لهذا المنصب والعارفون، ولكن ما يكون التدبير والسيف ورائهم ليسوقهم إلى حيث لا يريدون.

أقام فيصل في العراق وعاش آمناً مطمئناً من الزعازع، مقنعاً بما لذ وطاب من

طعام وشراب، تاركاً بريطانيا تعمل ما تريد في العراق وما تعقده من المعاهدات، وقد ضج أهل العراق وأصدر العلماء فتوى بخلع فيصل بإهماله بشأن العراق.

أما الأمير عبدالله بن الحسين فجلس على عرش إمارة شرق الأردن في هذه السنة إلى أن قتل.

زيد بن الحسين

كان أصغر أنجال الحسين بن علي، وكان جميلاً حسن الصورة، مستدير الوجه وأمه تركية، فهو أخو إخوته من الأب، ويقال أنه شجاع حتى لقب بجمرة العرب، وحضر مع والده وإخوته وقاد بعض الجيش في الحرب العامة جهة الشمال، وغزى بعض المواقع جهة المدينة والشام، وكان قائد الجيش في مكة أثناء الحرب بين الحسين وتركيا، ولازم أخاه فيصلاً في كل حركاته ولم يأت مكة من بعد النهضة إلا مرتين وله شوق إلى التعلم حتى في مدارس أوربا، وكان يتولى النيابة عن أخيه فيصل في العراق، وله نزعة في لباسه وأكله ومشيته وأفكاره وآرائه إلى أهل أوربا، والذي جره إلى ذلك قربه من تلك الديار وبعده عن والده الذي كان يحافظ على تقاليد بلاده، وربما زجره والده عن ذلك وأنبه ولكن لا فائدة في ردع من طمحت أفكاره إلى ما يريد أو جمح به شبابه ونعرته على السير فيما نشأ على ما قررت فكرته له.

وفيها بعث صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن ابنه فيصلاً إلى لندن مع أحمد بن ثنيان، وكان فيصل بن عبدالعزيز إذ ذاك في السادسة عشرة من عمره، غير أنهما لم يقابلا هناك مقابلةً حسنة تليق بمقامهما، حتى أن «اللورد كرزون» وزير الخارجية قدم لفيصل بعض الحلوى لأنه رآه غلاماً، وحادثه محادثةً لا تخرج عن محادثة وزير لغلام، فأغضبت هذه المعاملة فيصلاً ورجع من لندن ناقماً، ففهم ابن سعود من هذا الأمر أن لندن تجهل قوته وحقه وتؤثر عليه خصمه الحسين الشريف وتقوي عزمه، فصارح ابن سعود فلبى بما في نفسه وأفهمه أن بريطانيا أساءت إليه كثيراً، غير أن حكومة الهند البريطانية كانت خلاف لندن في فهم ابن سعود، فهي تؤثره وتؤيده لأنها علمت أنه رجل ألّف المرتجى فهو أولى بالتقدير والاحترام.

ذكر واقعة الجهراء

وذلك لأنه لما جرت تلك الصدمة من الإخوان على الكويتيين لما جاروا عليهم، زحف ابن سعود إلى الإحساء على أثرها ليكون على قرب من تلك المقاطعة، ولما أن بلغه خبر مغزى ضاري ودعيج وتذامر بيت آل رشيد مع آل صباح على عشائر، أرسل إلى فيصل الدويش يأمره بإنجاد أهل قرية، فقام الدويش على حسب تدابير صاحب الجلالة وسار في آخر السنة الماضية، ولكن دعيجاً وضارياً اختلفا في الطريق على القيادة، فلم يهاجما أحداً بل عادا إلى الجهراء، فتعقبهما الدويش ونزل الصبيحية، فعلم سالم بن صباح بذلك وسارع بنفسه إلى الجهراء بخمسمائة مقاتل من أهل الكويت، فزحف الدويش من الصبيحية بإخوانه وكان عددهم أربعة آلاف مقاتل فيهم خمسمائة خيال وكانت هذه الحملة لا بأس بها في القوة.

أما سالم بن صباح فبلغ جيشه نحو ثلاثة آلاف مقاتل ووزع هذه القوات كلها من الرجال والخيالة في حصون الجهراء وبساتينها، فعند ذلك جاء الإخوان من الجنوب الشرقي فأشرفوا على الجهراء، وكان ذلك في ٢٦ محرم، أشرفوا من رأس منحدر لا صخرة فيه ولا شجرة، وجاءوا على عادتهم في الصباح كالسيل المنهمر إلى البساتين تحت وابل من الرصاص، فكانت بنادق المدافعين المتحصنين تحصدهم بالعشرات والمئات وهم يتقدمون مستبسلين مستشهدين، فكانت ملحمة كبرى وموتاً أحمر على جيوش ابن صباح.

ولما رأوا الإقدام والجراءة فرَّ من نجا منهم، ودخل الإخوان الجهراء واستولوا عليها وعلى حصونها، أولئك الإخوان الذين فضلهم لا ينكر وبسالتهم لا تزال على المدى تذكر، يشهد لهم التاريخ بالمقامات الدينية والمجاهدات الإسلامية، فكان الواحد منهم يلقي نفسه بجحيم الوغى ولا يحجم، ويخوض بحار الموت ولا يهاب اللقاء والموت، فتقهقر الأمير سالم بقوة جيشه إلى قصر هناك خارج البلد شرقاً منها فتعقبه الدويش وحاصره فيه يومين كانا شبه هدنة للمفاوضات.

وكان الإخوان في جهادهم إذ ذاك ليس لهم قصد سوى أن يدين الناس وينقادوا للإسلام، وتكون كلمة الله هي العليا على حسب اجتهادهم، وما ترشدهم إليه أفهامهم، فخدعهم سالم لما قالوا له كن معنا ومنا، كن موحداً ونظف بيتك من الشرك والمنكرات، فلك ما لنا وعليك ما علينا، فراغ روغان الثعلب وأجاب الدويش وإخوانه بقوله: وهل يرفض مثل هذه النعمة إلا الأحمق، إني والله منكم خيال التوحيد أخو من أطاع الله، ولكن في بيتي ما يقتضي رجوعي إليه قبل أن أجيئكم، انتظروني في الصبيحية، فصدقه الدويش وقفل راجعاً إلى الصبيحية بعد أن قتل من رجاله خمسمائة.

ولكن بالنسبة إلى أن تدين الكويت ويدين صاحبها ليس الخمسمائة الذين بهم من رجاله بشيء، وبذلك تعلم حسن نية الإخوان وسلامة قلوبهم.

أما أهل الكويت فقتل منه ثلاثمائة مقاتل، ولما أن وصل سالم بن صباح إلى الكويت طلب من الإنكليز أن يحموا بلاده وإلا فإنه سيقبل شروط الإخوان، وبدأت المفاوضات البرقية بين الكويت وأبي شهر، ثم بين حكومة الهند ولندن، واستمرت ثلاثة أيام بينما كان الدويش وإخوانه ينتظرون توبة سالم وأصحابه، فجزع خلالها الدويش وهو ينتظر سالماً في الصبيحية يقدم إليه بطاعة أهل الكويت وإسلامهم، فأرسل وفداً من قبله إلى الأخ سالم فتمارض ولم يقابله، ثم جاء الجواب من الحكومة البريطانية ومع ثلاثة مراكب حربية، فرست في مياه الكويت وشرعت في الليل تطلق الأسهم النارية تهويلاً وترويعاً، فلما كان من الغد وصلت طائرتان من العراق فشفي سالم بن صباح من مرضه إذ ذاك وقابل وفد أخيه الدويش في مجلس رسمي حضره الوكيل البريطاني الماجرمور الذي هم بمخاطبة الإخوان، فسمع جواباً أقنعه في الحال، وكان كلامه في مخاطبته لوفد الدويش أن قال:

الشيخ سالم صديق لدولة بريطانيا البهية وأنتم جئتم تحاربونه بدون أمر من ابن سعود، فقال رئيس الوفد: ما جئنا إلا بأمره، وهو أيضاً صديقكم، تالله أن هذا الجواب لمن الأجوبة المسكنة، فسكت الوكيل، وأرسل كتاباً إلى الدويش وفيه أن

حكومة بريطانيا العظمى باسطة على الكويت حمايتها وأن من يحاولون الهجوم عليها يعرضون أنفسهم لضرب الطائرات والمراكب الحربية.

من فيصل بن سلطان الدويش، إلى سالم الصباح سلمنا الله وإياه من الكذب والبهتان وأجار المسلمين يوم الفزع الأكبر من الخزي والخزلان: أما بعد فمن يوم جاءنا ابن سلمان يقول إنك عاهدته على الإسلام والمتابعة لا مجرد الدعوى والانتساب كففنا عن قصرك بعدما خرب، وأمرنا برد جيش ابن سعود على أمل أن ندرك منك المقصود، فلما علمنا أنك خدعتنا آمنا بالله وتوكلنا عليه، يروى عن عمر أنه قال: (من خدعنا بالله انخدعنا له) فنحن بيض وجوهنا، نرجو الله أن يهديك أو يسلطنا عليك إيها نعبد وإيه نستعين.

تالله إنها لحالة عجيبة من الدويش وإخوان في انخداعهم لذلك الماكر، ولكن لا عجب منهم، وقد قال الشيخ حمد بن مزيد قصيدة في هذا الموضوع ذكر فيها ما من الله به من الفتح وهزيمة صاحب الكويت وخذلانه سالم بن صباح ومن معه من الأوباش المعتدين على يدي الأمير فيصل الدويش ومن معه من إخوانه المهاجرين حين سيرهم لحربهم الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل حفظه الله وأيده، وكانت تلك منقبةً عليا لفيصل الدويش لو دام عليها وعلى جهاده وطلبه الحق، ولكنه صارم عراه الانثلام، وقد أطال ابن مزيد بمديحه والثناء عليه بالشجاعة والشهامة، ثم إنه بعد تلك الواقعة قام أحمد الجابر ابن أخي سالم و(كاسب بن خزعل) أمير المحمرة يفاوضان ابن سعود بالصلح، وتوفى الأمير سالم بعدها ببضعة أشهر وكانت وفاته في ١٧ جمادى الثانية ١٣٣٩هـ، ثم تولى إمارة الكويت بعده أحمد الجابر وتحسنت العلاقات بينه وبين ابن سعود فكان في غنى عن وفد يصالحه مع ابن سعود لكمال سياسته.

وفيها في ١٨ من رجب وفاة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف رحمه الله وعفا عنه وبوأه في الجنة منزلاً ومقيلاً، وهذه ترجمته:

هو الإمام العالم العلامة الحبر السميدع، علم الأعلام وهادي الآنام، البحر

الزاخر والعلم الظاهر، من افتخرت به الأواخر على الأوائل ونال من الفضائل ما قصرت عنه سورة كل مطاول، الشيخ عبدالله بن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام وكاشف الأوهام محمد بن عبدالوهاب، أعظم الله لهم الثواب وأدخلهم الجنة بغير حساب، هؤلاء الأئمة الذين تنجلي بذكرهم الغياهب ويجثوا على الركب أمامهم كل طالب، فحقيق بمناقب هؤلاء الأئمة الذين رفع الله قدرهم وشاد في العالمين ذكرهم أن يعض عليها بالنواجذ، وتأنى عليها الخناصر، وتجمل بها بطون الدفاتر، وينادي بها فوق أعالي المنابر جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

كان الشيخ عبدالله جواداً كريماً وألمعياً محققاً له هيبة عظيمة في الصدور ويملأ المسامع ويقنع المسترشد والسامع، وله مقامات في الإسلام وتسديد في أجوبته وتصديراته، وقد أقرَّ له بذلك الخاص والعام وغرس الله له المحبة في صدور المؤمنين وأذلَّ به الكفار والمنافقين، وكان في زمنه إليه المرجع في علوم الدين، فلله دره من إمام تقتدي به العلماء وملجأ منيع تأوي إليه الضعفاء، وتجثو لاستفراغ منطوقه رقاب الفصحاء والبلغاء، فإن بحثته في علم التوحيد والأسماء والصفات فهو البحر الخضم الغزير، وإن طلبت إليه علوم الحلال والحرام وجدت عنده الجم الكثير، وإن سبرت أخلاقه وفضائله ومكارمه، قلت ذلك تقدير الرب الكبير، فسبحان من أخصه بالمكارم، وحلاه بالقبول والحظ الذي ليس له فيه مزاحم، منحه الله من سيله العميم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ذكر جوده وكرمه

لما كان الله تبارك وتعالى قد أحب الجود والسخاء والكرم وجبل نبيه ﷺ على ذلك، كان لأوليائه وأتباع رسله من ذلك الحظ الأوفر فأصبح هذا العالم آية من آيات الله في البذل والسخاء ينحر الجزور ويطعم طلاب العلم ويمنح الغريب والمسكين وذا الحاجة والقريب والبعيد، فحدث عن البحر ولا حرج، يبذل لله وفي طلب مرضاته، فلله كم أشبع من بطون جائعة في ليال مسغبة، وكسا من عراة، وكفل من أيتام.

ولما دعا به الحاكم محمد بن رشيد ليجتمع به ويشاهده حينما رويت له أخلاقه وأفعاله فسار إليه في بلدة حائل وعند قدومه إليها جلس في أحد بيوتها فأقبل إلى ساحته الناس يهرولون شيوخاً وكهولاً وشباناً وامتلأت الشوارع فجعل يدرس في بيته وأصبح ذلك البيت نادياً عظيماً للدين والشرف والأكل والشرب حتى كانت الأطعمة وأنواع التمر والألبان يسعى بها إلى بيته، ومن دخل فإنه يجلس وينبسط ويشرب ويأكل ويستمع لكلام الله ورسوله والسلف الصالح ويا حبذا هذه الخصال الجميلة.

ولما درس في حائل ونشر علمه هناك وأتم أيام إقامته بذل له محمد بن رشيد أموالاً طائلة وإبلاً كثيرة وسار منها إلى الرياض فكان ينحر في كل منزل جزوراً ويطعمه رفقته ومن يأوي إليه، حتى لم يصل منها إلى الرياض جزوراً واحداً، وكان يدرس في بيته فإذا جلسوا فإن أواني القهوة من الشاي والبن والبخور لا تزال تدار على الحاضرين من المتعلمين والمستمعين، وما دام في التدريس فإن النار لا تزال تضطرم والأباريق تحمل كلما فرغ منها شيء، وإذا الأخرى تهيأ فلذلك كان مجلسه عامراً ينتابه القريب والبعيد وكل من يقصده فإنه يحصل على الدنيا والدين، وقد أمر طاهيه أن يذبح في كل ليلة شاة فلما رأى أنها لا تكفي جعل يذبح ذبيحتين ودائماً يحثه على الزيادة في المطعم.

ذكر تدريسه وسعة علمه

كان له مجلس في بيته فإذا جلس للتدريس فإن العلماء والجهابذة وطلاب العلم يترددون إليه ويتعلمون منه، وكان لهم كهفاً ووالداً ورئيساً وجعل الله في تعليمه بركة حتى أنه ليؤثر نفعه في كل من جالسه ولو مرة واحدة، وجميع الذين تعلموا منه وتخرجوا عليه وفقهم الله للعلم والدين، حتى أنه ليرى على تلامذته ومجالسيه آثار البهاء والإجلال، وهذه بحوثه ومسائله وفوائده تطلعك على ما حواه من العرفان وانطوى عليه ذلك الجنان، فكان علماء نجد ونحاريرها ترجع في العلوم إليه

وتجثوا للتعلم بين يديه، فهو شيخ المشايخ ورئيس القضاة في نجد؛ وضربت إليه آباط الإبل وقصده الطلاب من سائر الأقطار واحتاج إلى تفريغ منطوقه القاصي والداني إذا رأيته فإنك لا تستطيع أن تحد النظر إليه إجلالاً وهيبةً ومحبةً، فمن أجل هذا هابته الملوك وأذعنت له ووقره الصغير والكبير والصديق والعدو وانقلبت إليه الأمة وألفه الخاص والعام، والعالم والجاهل، وكان المتعلمون يسيرون إليه من كل جهة ويذهبون إلى الرياض رجالاً وركباناً من القصيم وغيره، حتى حدثني بعض إخواننا من أهل القصيم أن منهم من سار على رجليه من القصيم إلى الرياض مرات ليتعلم ويدرس.

فمن تلامذته الشيخ سليمان بن سحمان أخذ عنه وتعلم منه أخوه إبراهيم بين يديه ومنهم الشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعبداللطيف بن إبراهيم، والشيخ عبدالملك بن إبراهيم، وأخذ عنه اخوته الشيخ محمد بن عبداللطيف، وعبدالرحمن بن عبداللطيف، وعمر بن عبداللطيف.

وأخذ عنه الشيخ سعد بن عتيق، وأخذ عنه الشيخ عمر بن حسن، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن اسحق، وأخذ عنه الشيخ صالح بن سالم بن بنيان، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالله بن محمد بن فداء، وأخذ عنه أيضاً ابنه الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن فداء، وكل هؤلاء أئمة علماء أقلهم يصلح للقضاء والفتيا، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان وأخوه محمد بن حمد بن مضيان، وأخذ عنه آل عتيق أنجال الشيخ حمد، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن رشيدان، وأخذ عنه أيضاً الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن عيسى صاحب أشيقر، وأخذ عنه أيضاً الأخ في الله والمحب فيه سليمان بن علي الوهيبي، وأخذ عنه أيضاً الأخ المحب عبدالرحمن بن غيث، وأخذ عنه أيضاً صاحب الأصل والدين سليمان بن عبدالله بن حميد، وأخذ عنه أيضاً الحافظ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد، وأخذ عنه أيضاً الشيخ الكبير العالم المحقق عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وأخذ عنه أيضاً رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين؛ وناهيك بهما من حبرين جليلين.

وأخذ عنه الأخ الفاضل صالح بن كريديس، وأخذ عنه أيضاً الزاهد عبدالله بن محمد أبا الخيل، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالله بن حسين أبا الخيل، وأخذ عنه غير هؤلاء جم غفير، وخلق كثير غير أنه لا يحضرني الآن أسماؤهم.

أما مشايخه الذين أخذ عنهم فمنهم والده الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وجده عبدالرحمن بن حسن صاحب شرح التوحيد، وأخذ المترجم عن الشيخ حمد ابن عتيق وغيرهم.

ذكر شجاعته ونباهته وصفته ومقاماته في الإسلام

لما كان في أيام الحاكم عبدالعزيز بن متعب كثرت الوشاية من المنافقين به عند الحاكم وأكثروا في مسبته فبعث إليه رسولاً ينهاه عن التدريس وقال للرسول أخبره أنا في غناً عن تدريسه، فلما بلغه رسول ابن رشيد مقالته أجاب بقوله: أخبر الحاكم إني سأدرس وأعلم وأخبره أن الأمر من ها هنا ويشير إلى السماء: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال:١٠]، وكان يوماً من الأيام جالساً في المسجد الجامع في الرياض فسمع غناء وأصواتاً من جهة الجنوب أتى بنغمتها هبوب الرياح فلما سمع ذلك وعظ الناس موعظة بليغة شفت وكفت ثم قام من فوره إلى ذلك المنكر وخرج من الباب الجنوبي فأزال المنكر في لحظة.

وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر لا يهاب الملوك ولا العظماء وذا هيبة ووقار وإجلال ولين جانب متودداً إلى الناس كافة على اختلاف طبقاتهم لا يغضب إلا لله ولا ينتصر لنفسه، وكان بيته لا يخلو من عشرة أنفس إلى خمسين نفساً من الغرباء الذين يفدون لطلب العلم ويطعمهم ويتفقد أحوالهم ويقوم بمصالحهم بنفسه، ولقد رحل إلى الأفلاج للأخذ عن الشيخ حمد بن عتيق، وأخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن عدوان؛ والشيخ عبدالله بن حسين المخضوب، وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود، والشيخ عبدالعزيز المرشدي، فمهر في الفقه والفرائض، والحديث؛ والتفسير وظهر أمره، ونيل قدره، وبعد وصيته وصار رفيع القدر وانتهت إليه الرئاسة في العلم والرأي والكرم.

وكان لا يوفر جانبه عمن قصده قريباً كان أو بعيداً ولا يدخر شفاعته عمن اعتمده ضعيفاً أو شديداً، وينتابه الأمراء والملوك والعلماء.

ولقد وعظ مرة في أحد الجامع الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأغلظ في الموعظة كعادة آل عتيق في الصدع بأوامر الله تعالى لا يخشون إلا الله كائناً من كان ومن عامل الله لم يفقد شيئاً، وكان فيما ذكر في الموعظة دخول الأجانب في المملكة واختلاط الطيب بالخبيث، فانبعث أناس من أهل الأغراض والمقاصد وأوقعوا في مسبته لدى صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز رفع الله درجاته في الجنات العالية فأحدث ذلك له سرعة انفعال، وذهب الملك إلى الشيخ عبدالله يبدي له بعض ما صدر من المذكور وكيف يهاجم ولا يبالي عظمة السلطان، وكان قد غضب غضباً شديداً، وناهيك بالليث في ثورته، والضرغام في وثبته، فلما فرغ من كلامه تكلم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف قائلاً: يا عبدالعزيز: احلم هداك الله فمن عادتك الحلم يا أبا تركي، واعلم بأن الشيخ سعد بن عتيق إنسان العين ولا نرضى أن يناله سوء فاستعذ بالله من الشيطان يا عبدالعزيز، وإن كنت لا ترعى لنا حرمة ولا توقر العلماء فإن الله من فوق الجميع وما من يد إلا يد الله فوقها فسكن غضب الملك ونزل عن فرسه إلى الأرض وأبدى ندمه قائلاً: توكلنا على الله إئت بالقهوة يا شيخ، وجلس مطمئناً وذهب ما في نفسه، ثم أن الشيخ عبدالله دعى بالشيخ بعد ذلك وحثه على الرفق.

ولو ذهبنا نتتبع مآثره ومحاسنه وفضائله لخرجنا عن المقصود، أما ولادته فقد ولد في الإحساء سنة ١٢٦٥هـ، وقدم إلى الرياض ١٢٧٢هـ، وقد قدمنا ذكر بعض تلامذته وإليك بقية منهم.

فممن أخذ عنه اسحق بن عبدالرحمن، وأخوه عبدالعزيز، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن داود، والشيخ عبدالله بن سليمان السياري، وأخذ عنه عبدالله بن حمد الدوسري، وأخذ عنه الشيخ سالم الحناكي، والشيخ محمد الحناكي، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن عودان، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عثمان الشاوي،

وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن بشر؛ وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن سالم، وأخذ عنه عبدالله بن فيصل؛ وأخذ عنه الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى، وأخذ عنه الشيخ مبارك بن عبدالمحسن، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن زاحم؛ وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله النمر، وأخذ عنه فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك، وأخذ عنه الشيخ إبراهيم بن سليمان بن راشد وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن عتيق، والشيخ عبداللطيف بن عتيق؛ وأخذ عنه الشيخ سليمان بن حمدان، وأخذ عنه الشيخ محمد بن علي البيز، وأخذ عنه الشيخ فالح بن عثمان بن صغير، وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز الشتري، وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن مرشد، وأخذ عنه إبراهيم وعبدالرحمن ابنا حسين، وأخذ عنه عبدالرحمن بن الشيخ محمد وغيرهم.

ذكر ثناء العلماء عليه وميل الناس إليه

اعلم أن الشيخ المترجم كان متسماً بأخلاق يندر مثلها ذلك بأنه مع علو مرتبته ورفعة مقامه لا يمل جليسه حديثه ويسبق من لقيه بالسلام ويعرض نفسه لقضاء الحاجات قبل أن تعرض عليه فيبادر في قضائها بماله وجاهه؛ وإذا من الله على عبد فليفعل ما شاء من خصال الخير، قال الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى يمتدحه ويثني عليه:

صحا القلب عن ذكر الحمى والأخاشب ... وعن ندب أطلال عفت بالذنائب
وأقلعت عن شوق ووجد من ينب ... وإن تيمت قلبي بزج الحواجب
وأبدلت من وصف اللواء وضيائه ... حسان الوجوه الناعمات الكواعب
بمدح إمام الدين والحق والهدى ... إلا ذاك عبدالله فرع الأطائب
هو العالم النحرير والماجد الذي ... سما مجده أوج النجوم الثواقب
هو العلم الفرد الذي سار ذكره ... بكل القرى من شرقها والمغارب
حليف التقى والعلم والحلم والنها ... حميد السجايا الشهم جم المناقب
شقيق الندي عف الأزار أخو الثنا ... رحيب الفنا جزل الحبا والمواهب

كـريم المحيـا باسـم متهلـل ثمـال لمعـتر وكنـز لراغـب
ضياء علوم إن دجا ليل مشكل وغيث سماح هاطل بالرغائب
نصـيح بليـغ مـتقن متفـنن همام له في الفضل أعلى المراتب
لقد نال من نهج البلاغة رتبةً يقصر عنها كل ساع وراكب
إذا قام يوماً فوق أعواد منبر خطيباً فيالله من وعظ خاطب
مهيب عليه للوقار سكينة حباه بها الرحمن أكرم واهب
إليه لأخذ العلم من كل بلدة يشد رجال القوم نجب الركائب
فيلقون حبراً في العلوم مهذباً يجلي بشمس العلم ليل الغياهب
يحل الذي أعيا ويكشف ما خفى بفكر كعضب للإصابة صائب
يجيب على الفتيا جواباً مسدداً يزيح بها الأشكال عن فكر طالب
فيالك من شهم إذا قال لم يدع مقالاً لأرباب العلى والمناصب
هو الندب وضاح الجبين كأنما أنامله مخلوقة من سحائب
أشم عصامي من النفر الألى فضائلهم لم يحصها عد حاسب
مقادم من عليا تميم توارثوا كرام المساعي عن جدود مناجب

وقال الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن عيسى صاحب أشيقر يمتدحه ويثني عليه وعلى آباءه وأجداده:

ألا خليـاني مـن زرود وحـاجر ومن قاعة الوعسا ومن شعب عامر
ومن ندب أطلال العذيب وبارق ومن غزل في وصف تلك الجادر
وما حب ذات الخال مهضومة الحشا مدملجة الساقين بدر الدياجر
موردة الخدين معسولة اللما بديعة حسن مخجل للزواهر
مهفهفة هيفاء يلعب لحظها بألباب أرباب النهى والبصائر
بأفضل عندي من مسامرة العلي ومدح كريم من كرام أكابر
هو الشهم عبدالله ذو الجود والتقى شهاب سماء المجد ليث المحاجر
إمام الهدى قالي الخفا شامخ الذرا بعيد المدى تاج العلى والمفاخر

فصـــيح بليـــغ فيصـــل متبحـــر | أمـــير المعـــالي الغرقســـي المنـــابر
فريـــد وحيـــد عـــالم متفـــنن | نبيـــه نبيـــل مـــا لـــه مـــن منـــاظر
أديـب أريـب ثاقـب الـرأي مصـقع | فوائـــده تـــبري كلـــوم الضـــمائر
حلـيم كـريم مشـفق متعطـف | سـليم طبـاع بـل سـليم سـرائر
وريث أثيل المجد ذو البذل والندى | فضـائلها لم يحصـها حصـر حاصـر
فيالـك مـن نـدب همـام سميـدع | حميـد المسـاعي كلـها والمـآثر
نجيـب لبيـب لـو ذعـي مهـذب | تقـي نقـي مخلـص القلـب طـاهر
تفـرع مـن قـوم صـدور أئمـة | جهابـذة غـر كـرام العناصـر
هـم القـادة الشـهم الأثيـل فخـارهم | حـديث علاهـم في صـدور الـدفاتر
نجـوم الهـدى أهـل المكـارم والوفـا | هداة الـورى مـن كـل بـاد وحاضـر
لقـد نصـروا ديـن الإلـه وحـذروا | مـن الشـرك طـرا واقتحـام الكبـائر
فكـم هزمـوا جنـد الضـلال ومزقـوا | جموع الأعـادي بالنصـوص الظـواهر
وكم دهمـوا ضـداً بشـهب علـومهم | وذادوا عـن الإسـلام كـل مكـابر
فيا ابن الرضا عبـداللطيف الـذي حـوى | علومـاً عظامـاً كـالبحور الزواخـر
ويـا أيهـا الحـبر الـذي كـان دأبـه | يري نصرة الإسـلام أسـنى الـذخائر
إليـك مـن البحـر الطويـل قوافيـا | أجـل وأبهـى مـن عقـود الجـواهر
أتـت مـن محـب للإخـاء مـلازم | حليـف وفـاء لـيس يومـاً بغـادر
حباك بها من خـالص الـود ذا النهـا | وإن تـر تقصـيراً فكـن خـير سـاتر
فـلا زلـت في خـير وعـز ورفعـة | وعافيـة مـن كـل بـؤس وضـائر
وعشـت حميـداً في سـرور وغبطـة | تـدوم علـى رغـم الحسـود المـدابر

ولما أن وردت هذه القصيدة على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف كان حاضراً في المجلس حسان السنة في وقته الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله وعفا عنه، فأجابه على لسان الشيخ عبدالله بالجواب الوافي السديد مادحاً للناظم ومثنياً عليه.

أهاجـك رسـم بالـديار الـدواثر | ببرقـة فالوعسـا فأكنـاف حـاجر

فغـــور فحليـــت فســـلع فبـــارق ... فـوادي الحمـى فـالمنحنى فـالظواهر
ديـــار فتـــات كالمهـــات لحاظهـــا ... أحـد مـن البيض المواضـي البـواتر
معندمـــة الخـــدين بدريـــة الســـنا ... وداجي الدياجي مـن فـروع الغـدائر
مخضـــبة الكفـــين رحضـــاوتيهما ... مدلجـة السـاقين دعجـا النـواظر
برهرهـــة في حســـن قـــد وقامـــة ... كـأنبوب بـان مائـد بـالأزاهر
مهضـــمة الكشـــحين غيـــداء بضـــة ... مهفهفـة الأحشـاء مـلأ المـآزر
وتســـفر عـــن در نضـــيد موشـــر ... كـألطف أزهـار الأقـاح الزواهـر
ويـــومض برقـــاً ثغرهـــا إن تبســـمت ... ولا شـيء أبهـى مـن ثغـور الجـآذر
ويشفي إذا تسقي لعمري من الصدى ... رضـاب ثناياهـا الحسـان لزائـر
ويعبـــق مـــن فيهـــا أريـــج كأنـــه ... قسيمة مسك فـاح مـن نشـر تـاجر
ويكلـــم قلـــب المســـتهام كلامهـــا ... بلفـظ رخـيم يسـتبي ذي البصـائر
لئن أصبحت قد حازت الحسن والبها ... لقـد حـاز إبـراهيم جـم المـآثر
فتـى بلتـع بـل مصـقع لـيس صـلقعا ... ولا بلقعـا بـل لـوذعي لسـابر
وفـاق بترصـين القـريض الـذي نمـا ... وأفصـح مـذأ بـدى مـودة خـانر
وأبـدى بـديعاً مـن عـويص غويصـه ... فشـام المعـالي المحكمـات لنـاظر
فللـه مـن نـدب فصـيح ومنطـق ... فصـيح حـوى مـا لم يهيـأ لشـاعر
معـاني مبانيـه الطـوامح في العلـى ... لئـالئ أصـداف البحـور الزواخـر
ويحتـار فيهمـا مطـاويح مـا انطـوى ... عليـه مـن الترصـيع قسـر المحاضـر
فيـــا أيهـــا الأخ الأكيـــد إخـــاؤه ... تمسك بأصل الـدين سـامي الشـعائر
وكـن بـاذلاً للجـد في طلـب الهـدى ... مـن العلـم إن العلـم خـير الـذخائر
وبالعلم ينجو المرء من شـرك الـردي ... ويسـمق بـالتقوى لشـأو المفـاخر
ويرسـب في قعـر الخضـيض مجانـب ... لأسـبابه اللائـي سمـت بالأطـاهر
ومـــا العلـــم إلا الاتبـــاع وضـــده ... فـذاك ابتـداع مـن عضـال الكبـائر
وتقديمـــه شـــرط وقـــد قيـــل أنـــه ... لثالـث أركـان التوحيـد قـاهر

وتقـديم آراء الرجـال وخرصـها ... عليـه ضـلال موبـق في النهـاير
وملـة إبـراهيم فاسـلك سـبيلها ... فمهيعهـا المنجـي لأهـل البصـائر
هـي العـروة الـوثقى فكـن متمسـكاً ... بجـذر عراهـا مـن جهـول مقـامر
وما الـدين إلا الحـب والـبغض والـولا ... كـذاك الـبرا مـن كـل طـاغ وكـافر
ومهما ذكرت الشم ذوي الفضـل والنـدا ... أولى العلـم والحلـم الهـداة الأكـابر
فـانهموا أهـل لكـل مديحـة ... تسـامى بهـم نحـو النجـوم الزواهـر
فكم فتحوا بـالعلم والـدين والهـدى ... قلوبـاً لعمـري مقفـلات البصـائر
وكم شيدوا ركناً من الـدين قـد هـوى ... وأقـوى ففـازوا بالهنـا والبشـائر
وكم هـدموا بنيـان شـرك قـد اعتلـى ... وشـادوا مـن الإسـلام كـل الشـعائر
وكـم كشـفوا مـن شـبهة وتصـدروا ... لحـل عـويص المشـكلات البـوادر
وكـم سـنن أحيـوا وكـم بـدع نفـوا ... وكم أرشدوا نحـو الهـدى كـل حـائر
لقد أطدوا الإسـلام بـالعلم والهـدى ... وبالسـمر والبـيض المواضـي البـواتر
تغمـدهم رب العبـاد بفضـله ... وإحسـانه والله أقـدر قـادر
وجوزيـت مـن مـولاك عنـا وعـنهم ... بأفضـل مـا يجـزي بـه كـل شـاكر
ولا زلـت مسـروراً بارفـة حـبرة ... معافى من الأسواء ومـن كـل ضـائر
لأن كنـت قـد أديـت حقـاً مؤكـدا ... بمدحـة أشـياخ كـرام العناصـر
وحـررت دراً مـن نظامـك مـبرزا ... أجـل وأبهـى مـن عقـود الجـواهر
لقد نلـت حمـدا يخـرس النطـق دونـه ... ويقصـر عـن تعـداده كـل حاصـر
ولم أر تقصـيراً وأنـي وإنمـا ... سمـوت لشـأو يسـتبين لسـابر
ومـن أجلـه كـان الجـواب مطـولاً ... ليجـبر مـن نظمـي إذا كـل قاصـر
وصـل إلهـي كلمـا ذر شـارق ... ومـا انهلـت الجـون الفـوادي بمـاطر
ومـا مـاض بـرق أو تنسـمت الصـبا ... سـحيراً علـى روض زهـي الأزاهـر
ومـا لاح نجـم في دجـا الليـل طـافح ... ومـا أم بيـت الله مـن كـل سـائر
ومـا انبعثـت تبكـي هـديلاً حمـائم ... علـى الأيـك في آصـالها والبـواكر

على السيد المعصوم والآل كلهم وأصحابه الغر الكرام الأطاهر

وكان العلماء والرؤساء من الملوك والأمراء يعظمونه ويقفون عند أوامره ونواهيه، ولا يستطيع أحد من الناس مجاوزتها لأنه قطب رحى الدين في وقته يرجع إليه في مهمات الأمور إذا انسدت أبوابها وحاربها فكر الأنجاب، فيجدون عنده كشفها، وله مؤلفات مفيدة، وأجوبة سديدة عباراتها عذبة المجتنى وفصاحتها قد بلغت الغاية والمنتهى تدل على سبقه ونباهته وكمال غوصه ودرايته، ويلهج بها أهل العلم والدين، ويهجم بها مردة الشياطين من الكفار والمنافقين، ولقد كان في ناحية العارض بل في نجد كلها عظيماً بموته يصاب الإسلام وأهله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولما أصابه طارق الموت والفنا، ونزل به مبيد الأمم الذي لا يفوته هارب ولا يرده ممتنع، بَكتْهُ محارب العلماء ودروس الفقه والتوحيد، ورزئت به الأمة ورثى بمراثي كثيرة حسنة، فمن ذلك ما رثاه به الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم بن عبداللطيف، وهي:

على عالم الأعلام زاكي المناقب بكيت طويلاً بالدموع السواكب
وحقّ لعيني أن بريق دموعها وللأنس أن يزور عني بجانب
وحقّ لقلبي أن يرى متصدعاً لخطبٍ دهانا بالهموم اللوازب
فأعظم به من فادحٍ جلَّ خطبه ورزءٍ دها من معضلات المصائب
به أظلمت أرجاء نجدٍ جميعها لما عمها من فادحات النوائب
فوا الله إن العيش عاد منغصاً لدن غيبوا بالرمس جم الرغائب
وأعني به الشيخ الإمام الذي له مآثر مجدٍ عاليات المراتب
هو الشيخ عبدالله ذو الجود والتقى وذو الحلم والإحسان صافي المشارب
إمام لدين الله كان مجدداً شهابٌ على الأعداء من كل ناكب
إمامٌ لعمري كان بالعلم عاملاً وكهفاً لأيتامٍ وغيثاً لطالب
إمامٌ همامٌ ماجدٌ ذو تورع وبذّال جودٍ في ليالٍ سواغب

أديبٌ مهيبٌ قانتٌ ذو تبسم ... وليس لأرباب الضلال يصاحب
حسامٌ على الكفار من كل مبطلٍ ... وليس على أهل الهداء بعائب
حليمٌ عليه للوقار مهابةٌ ... وثابت رأيٍ في اشتداد النوائب
تقيٌّ نقيٌّ صادقٌ ذو سماحةٍ ... وذو خلقٍ زاك وليس بناكب
أبي وفيٌّ ماله من مماثل ... ولا مشبه في شرقها والمغارب
تفرد في التقوى وفي العلم والحجا ... وكان لعمري ماله من مقارب
يرى نصرة الإسلام حقاً وواجباً ... ويحمي حما السمحاء عن ثلب ثالب
مناقبه في الناس أضحت شهيرةً ... وليس بمحصيها يراع لكاتب
فوائده ذاعت بشرقٍ ومغربٍ ... وسارت بها الركبان فوق النجائب
له مجلسٌ بالعلم يزهر دائماً ... تشد إليه مضمرات الركائب
ترى حوله من مبتغي الخير عصبةً ... يحفونه من مستفيدٍ وطالب
إليه أتى الطلاب من كل وجهةٍ ... لكي يردوا من صافيات المشارب
ويلقون ما قد أملوه وزائداً ... من العلم والتحقيق خير المكاسب
لقد كان بدراً في البسيطة ساطعاً ... ورداً على الأعداء أهل المشاغب
له همةٌ تسمو إلى المنتهى العلى ... فحل على هاماتها والغوارب
تفرع من قومٍ كرامٍ أعزةٍ ... لهم همةٌ فوق النجوم الثواقب
سعوا جهدهم في نصر سنة أحمد ... وحاطوا سياج الدين من كل جانب
جزاهم إله العرش عنا بفضله ... وفازوا من المولى بخير العواقب
أقول ودمع العين جارٍ بعبرةٍ ... على الخد مني مثل هطالٍ ساكب
إلا ذهب الشيخ التقي أخو الندى ... وكشافٍ وهمٍ مد لهم الغياهب
قضاءٌ قضاه الله جل جلاله ... وكان قضاء الله أغلب غالب
وإن عاش في الدنيا عزيزاً منعماً ... فنرجوا له الجنات أعلى المطالب
فلا زال رضوان الإله يحفه ... وفاز بخيراتٍ حسان كواعب
ويا رب يا مولاي بوأه منزلاً ... بأعلى جنان الخلد مع كل صاحب

وأســـألك اللـــهم غفـــر ذنوبـــه وعفـــوك عنـــه يـــا سميعـــاً لطالـــب
لأن كان شيخ العلم أضـحى مفارقـاً ففينـا أخـو السـمحاء غـيظ المحـارب
وذاك إمـام الـدين مـن شـاع ذكـره وفاق الورى من عجمهـا والأعـارب
عنيـت بـه عبـدالعزيز الـذي غـدى يحامي علـى ديـن الهـدى بالقواضـب
فــلا زال في حفــظٍ وعــزٍ ورفعــةٍ من الملـك الـرحمن مسـدي المواهـب
وأبقـــاه ربـــي في أمـــان وغبطـــةٍ وبلغـــه مـــا يبتغـــي مـــن مـــأرب
وصـــل إلهـــي كـــل حـــين وســـاعة على خـاتم الرسـل الكـرام الأطايـب
وآل وأصـــحاب ومـــن كـــان تابعـــاً على نهجهم ما أنهل ودق السـحائب

ومما قال الفقير إلى الله تعالى حمد بن مزيد يرثي الشيخ عبدالله بن عبداللطيف قدس الله روحه ونور ضريحه وتغمده برحمته إنه أرحم الراحمين:

أيا عـين جـودي بالـدموع السـواجم ونحـي الكـرى عـني فلسـت بنـائم
ويـا حزنـي لا تـبرح الـدهر نـازلاً ويـا شـجوتي دومـي وللقلـب لازم
ويـــا حـــر قلـــبي لا تـــزل متلـــهباً ويـا لـوعتي حلـي فـؤادي وداومـي
ويـا كبـدي ذوبـي أسـاً وتصـدعي ويـا نفـس كفـي عـن لذيـذ المطـاعم
ويـا فرحـي مـع سـلوتي ومسـرتي ويـا طيـب نفسـي فـارقيني وصـارم
فقد مات شمس الدين قطب رحى الهدي حليـف العلـى بحـر النـدى والمكـارم
إمام الهدى بدر الـدجى معـدن الوفـا ومصـــباح ديـــن الله بـــين العـــوالم
وشيخ الورى بل قدوة النـاس كلـهم بـــه يقتـــدى بـــل يهتـــدى للمعـــالم
وصفوة أهـل العصـر طـراً وخيرهـم ســـلالة ســـاداتٍ هـــداةٍ أكـــارم
هموا جددوا دين الهدى بعد أن عفـت مـــآثره في عربهـــا والأعـــاجم
وأحيـوا رسـوماً دائـراتٍ وأطـدوا قواعــد رشــدٍ هــدها كــل ظــالم
جـزاهم إلـه النـاس روحـاً ورحمـةً وأسـكنهم في الخلـد أرحـم راحـم
فســـار علـــى منـــاهجهم وطـــريقهم يشـدُّ ويرفـا مـا وهـي مـن دعـائم
إلى أن توفـــاه الإلـــه علـــى الهـــدى فللــه ربــي الحمــد أحكــم حــاكم

فوالهفاً من فادحٍ جل أمره — وهد لركن الدين إحدى القواصم
فمن مثل عبدالله يرجى لمشكل — ويقصد عند المعضلات العظائم
ومن مثله في العلم والحلم والتقى — وزهدٍ وكفٍ عن جميع المآثم
لقد كان ذا صبرٍ وصدقٍ وعفةٍ — فليس له في عصره من مقاوم
وقد كان زيناً للهداة ومفخراً — وغيظاً وإرغاماً لكل مراغم
وكان شجى في حلق كل منافق — قذا وأذىً في كل عين مخاصم
وكان له حظٌ من العلم وافراً — يقصر عن تحصيله كل عالم
وقد كان في الإتقان والضبط آيةً — وتقريره التوحيد بين العوالم
يقضي بتدريس العلوم نهاره — وتوضيحه النهج القويم لرائم
وإن جنه داجي الدجى كان قائماً — مناجي إله العرش أرحم راحم
وكان تقياً ناسكاً متورعاً — كريماً سليم القلب غيظ المصادم
أبياً وفياً فاق في الجود والندى — وحل على هام السهى والنعائم
أديباً أريباً المعيا مهذباً — لنيل العلى مستيقظاً غير نائم
محباً لأهل الدين والصدق والوفا — وذا نفرةٍ في كل خبٍ وظالم
يعز ذوي التقى ويدنيهموا ولا — يداني لأهل الزيغ من كل آثم
وقد كان ذا عقلٍ رزين وفطنةٍ — يقصر عنها كل شهم وحازم
وكان لأهل العلم كهفاً وموئلاً — إذا أعجمتهم معضلات المخاصم
يحل عويص المشكلات بفهمه — ووقاد ذهنٍ ما له من مقاوم
له في فنون العلم باعٌ طويلةٌ — وفي الرأي مع بذل الجدا والمكارم
فلله من حبرٍ إمامٍ موفقٍ — حميد المساعي ذي النهى والعزائم
لقد عاش فينا يأمر الناس بالتقى — وينهى الورى عن موبقات الجرائم
وجاهد في مولاه حق جهاده — وما خاف في الرحمن لومة لائم
ومطلوبه إظهار دين إلهه — وما قصده الدنيا وجمع الدراهم
فأكرم به بحراً خضماً وجهبذاً — سأذكره بين الورى في الأقالم

فلست أرى أن يوجد اليوم مثله بكل الورى من عربها والأعاجم
لقد أظلمت نجدٌ وقلَّ بهائها وقد أصبح الإسلام واهي القوائم
وقد كسفت شمس الهدى بعد ضوئه وبدر الدجى غطاه إحدى العمائم
لدن غيبو شمس الهدى داخل الثرى ووارو لشخص الحبر عالي الدعائم
فما مرَّ دهرٌ للورى من مصيبةٍ ورزءٍ فظيعٍ قد أتى بالقواصم
بأعظم من خطب أتانا بموته فأعول كل بالبكاء والتلاوم
فضج أولوا الإسلام ضجة واحد وسالت جفونٌ بالدموع السواجم
وأضحت ربوع العلم ثكلاً بواكيا لفقد الإمام الحبر زين العوالم
فلو ينفع المرء البكا لوجدتني أجود بدمعٍ مثل صوب الغمائم
ولو يقبل الموت الفداء لواحدٍ بخلقٍ كثيرٍ أو كثير الدراهم
لفدَّيته أهلي ونفسي وعصبتي ومالي وأولادي وخل مصادم
ولكن أسى الإنسان ليس بنافعٍ ولا مانع مما قضى أو مصادم
فصبراً بني الإسلام صبراً لما دهى من المزعجات الفظعات العظائم
فذا قدرٌ ولا بد كائناً وأمرٌ قضاه الله أحكم حاكم
وذي سنةٌ في العالمين جميعهم قضى بالفنى ربي على كل عالم
ولو قد قضى بالخلد ربي على امرءٍ لخلَّدَ خير الخلق صفوة آدم
عسى ربنا الرحمن جل جلاله إله الورى ذو الكبريا والمراحم
يقدس روح الشيخ في الفوز والرضى ويسكنه الفردوس مع كل ناعم
ويجبر صدع المسلمين وشجوهم بإصلاح آل الشيخ أهل المكارم
ويجعلهم في العلم والخير قادةً كآبائهم من جددوا للمعالم
ويحفظ نجل الشيخ أعني محمداً حليف المعالي ذو الوفاء الملازم
ويرزقه علماً وفهماً وحكمةً يفوق بها الأقران من كل عالم
ويبقي لنا بدر الدجى علم الهدى حليف التقى سامي الذرا والدعائم
يلم به شعث الهداة وشملهم ويحميهموا من كيد باغٍ وغاشم

ويجعلهم في الدين والخير إخوةً ... ويمنعهم من فرقةٍ وتصادم
وأعني بذا عبدالعزيز أخا العلى ... مبيد العدا بالمرهفات الصوارم
ومن جدد الدين الحنيفي والهدى ... وأفنى جموع الزيغ من كل ظالم
فأكرم به من ذي نهى وشهامةٍ ... سلالة أمجادٍ هداةٍ ضراغم
إمامٌ تحلى بالشجاعة والندى ... وبالبر والتقوى وصدق العزائم
فإقدامه آزا بإقدام عنترٍ ... وفي جوده أربا على جود حاتم
فلا زال محفوظ الجناب مؤيداً ... له النقض والإبرام بين العوالم
وأزكى صلاة الله ثم سلامه ... على المصطفى المختار من آل هاشم
كذا الآل والأصحاب مع كل تابعٍ ... وتابعهم ما أنهل صوب الغمائم
وما لاح نجمٌ أو تألق بارق ... وما أطرب الأسماع نوح الحمائم

وقال الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحالي في نجد يرثي علم الأعلام والهادي إلى سنة سيد الأنام الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن:

على الحبر بحر العلم شمس المعالم ... وبدر الدجى فَليبكِ كل العوالم
بكاءً بدمعٍ وكفها مترادف ... بعدٍّ هتون المدجنات السواجم
فحقٌ لذي لبٍ يبيت مفارقاً ... لذيذ الكرى مما به غير سالم
أحق به همٌ وغمٌ وفادحٌ ... وخطبٌ جسيمٌ من دواه قواصم
لفقد فريد العصر غوث زمانه ... وقطبُ رحى ذا الدين فرع الأكارم
ورب الحجا مرد العدى باذل الندى ... بحلٍ عويص المشكلات العظائم
تقيٌ نقيٌ المعي وعالمٌ ... بنص رسول الله صفوة آدم
عنيت به شمس الهدى علم التقى ... وحامي الحمى عن كل باغٍ وظالم
هو الشيخ عبدالله حجة دهرنا ... أقرت له بالفضل كل العوالم
تفرع من أصلٍ أصيل مؤثلٍ ... هم السادة الأنجاب أهل العزائم
أقام لدين الله في الخلق معلناً ... على أنف راضٍ من معادٍ وراغم

ويحمي حمى الإسلام عن جب ساقها ... ولم يثنه عن ذا ملامة لائم
يقرر توحيداً وينشر سنةً ... وينهى عن الفحشا وفعل الذمائم
يقرب ذا التوحيد ويبعد ذا الخنا ... ويزجر من لا يرعوي عن مآثم
يناضل عن ذا الدين بالعلم والهدى ... ويكدح في نحر العدو المخاصم
وذاك بقال الله قال رسوله ... فمنهله عذبٌ زلالاً لطاعم
يحف به قومٌ على كل صائحٍ ... بمجلسه الأسنى لنيل المكارم
يفيدهموا طوراً وطوراً مؤدياً ... بآداب أهل العلم من كل حازم
يغوص بفهمٍ ثاقبٍ متوقد ... يبحر خضم زاخرٍ متلاطم
لسل فنونٍ في العلوم غوامضٍ ... دلائلها تخفى على غير فاهم
وقد كان للطلاب كهفاً ومعقلاً ... وركناً شديداً في الأمور الدواهم
جليلاً نبيلاً فاضلاً ذا درايةٍ ... به يقتدي بل يهتدي كل عالم
وقد كان ذا عقلٍ رزينٍ مسدد ... وليس بسخاب جهولٍ وغاشم
ولكنه حبر تصدى للعلى ... وحاذي لعمري للسها والنعائم
فلله من حبر أحوذي ومسقع ... أغاض العدى من عربها والأعاجم
أدبٍ أريبٍ أحوذيٍ ومسقع ... زهيٌ بهيٌ فاضلٌ بل وقاصم
لظهر مريد الشر من كان قصده ... ذميماً وللنكران والفسق رائم
تراه إذا ما جئته متللاً ... رحيباً رسيباً ماله من مقاوم
لقد جد في نصر الشريعة جهده ... وإعلاء دين الله في ذي الأقالم
لعمري لقد أعطاه ربي فضائلاً ... يقصر في تعدادها كل ناظم
قفا آثار آباء حشام أئمةٍ ... أولي العلم والسبق الهداة الأكارم
لقد أطدوا الإسلام بالنور والهدى ... وقاموا بأصل الدين عالي الدعائم
عليهم من المولى شآبيب رحمةٍ ... تسح كومق المعصرات الغمائم
ولم نر في ذا الدهر رزءٍ أصابنا ... بمثل وفاة الشيخ محي العوالم
أحل جمال الدين في اللحد ربه ... فأظلم من نجدٍ سطيع المعالم

فــآه علــى بــدرٍ تبــدى بضــوئه فهــدَّ صــريعاً في الجــدوث المظــالم
أرى مــوت هــذا ثلمــةً لا يســدها فئــامٌ كــثيرٌ مــن فحــولٍ أعــالم
ســقى قــبره مــولاي وابــل رحمــةٍ وهتــان عفــو مــن مليــكٍ وراحــم
ويــا رب أدخلــه الجنــان برحمــةٍ ومتعــه فيهــا بالحســان النــواعم
فصــبراً بــني الإســلام صــبراً فإنمــا ينال الرضــى مــن ربنــا ذي الكــرائم
فمن كــان ذا صــدقٍ ولــيس بســاخطٍ ويســكن للبلــوي بــذلٍ مــلازم
ومــن كــان ذا ســخطٍ كفــورٍ بربنــا فــذاك لــه ســخط بــذلٍ مــداوم
لأن كــان رب العــرش عنــا أماتــه ففينــا مــن الأحــرار بــدر الأقــالم
إمــامٌ همــامٌ بلتعــيٌ مهــذبٌ وليــثٌ عظــيمٌ مــا لــه مــن مصــادم
إمــام الهــدى عبــدالعزيز أخــو النــدى مذيق العدى كأس الردى في الملاحم
صــفيٌ وفيٌ لــوذعيٌ وصــارمٍ يحامي علــى الإســلام عنــد التــزاحم
سريع إلي الهيجاء جرى علــى العــدا مبيــد عــداة الــدين مــن كــل غاشــم
بــه أمــن الله الــبلاد وأهلــها وأنقــذهم مــن رق بــاغٍ وظــالم
وأظهر هذا الــدين مــن بعــدما عفــت معالمــه في الأرض بــين العــوالم
لــه فتكــاتٌ بالعــدى شــاع ذكرهــا علــى جنــد عبــاد القبــور الــذمائم
يصــول علــى الأعــدا بهمــةً ضــيغمٍ بفتيــان صــدقٍ في اللقــا والتــزاحم
ويــنهض للعلــى إذا الحــرب شمــرت فيطفئهــا قهــراً بــبتر صــوارم
ويحمي جناب الشرع بالسيف ســالكاً لهــدي الــنبي الأبطحــي ابــن هشــام
هو الشهم وابن الشهم من طاب أصله حليف العلــى بــدر النهــى والعــزائم
ولا غــرو مــن هــذا فــإن جــدوده ذوو الســبق في نصــرالهدى والعــزائم
فيــا رب ثبتنــا بفضــلٍ ورحمــةٍ علــى الملــة الســمحاء ذات الــدعائم
وأيــد إمــام الــدين بــالعز والتقــى وساعده بالإســعاف يــا خــير حــاكم
وصــل إلهــي مــا تــألق بــارق وما ســبحت بــالغرد جــون الحمــائم
وما هبت النكباء وما أغسوسق الــدجا وما أنهــل ودق مــن خــلال الغمــائم

علـى السـيد المعصـوم والآل بعـده وأتبـاعهم أهـل النهـى والمكـارم

وهذه أيضاً مرثية في الشيخ عبدالله قيلت فيه ويظهر أن قائلها سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ:

علـى الشـيخ عبـدالله بـدر المحافـل نريـق كصـوب الغاديـات الهواطـل
دموعـاً علـى الخـدمين تجـري بعـبرةً ولوعـة محـزون مهـاج البلابـل
فقـد حـق أن العـين تهـراق مائهـا وتسكب دمعـاً بالضـحى والأصـائل
وآن لكبـدي أن تـذوب وينطـوي فـؤادي علـى حـزب بـه متواصـل
وللأنـس أن يـزور عـني جانبـاً فإني مصاب القلـب مـذكى الغلائـل
فمـا مرنـا يـومٌ فضـيعٌ علـى الـورى كيـوم وفـاة الشـيخ زاكـي الشـمائل
فـأعظم بـه مـن فـادح جـل خطبـه بـه الكـل مفجـوع مصـاب المقاتـل
ويالـك مـن رزءٍ بـه أنبـت حبلنـا وداهيـةٍ مـن قاصـمات الكواهـل
ويالـك مـن نقـصٍ عظـيم وثلمـةٍ وهـد بسـور الـدين صـافي المناهـل
فهـل أحـد يرجـى لسـد انثلامـه وفرجتـه هيهـات ذا غـير حاصـل
فمـا أم بكـرٍ قـد أظلتـه أمـه تحـنُّ علـى فقدانـه في المنـازل
بـأعظم مـني لوعـةً ومصـيبةً لدن قيل مات الشيخ جم الفضائل
هـو العـالم النحريـر والجهبـذ الـذي يـبين الهـدى في مشـكلات المسـائل
هو الناصح البذّال في النصـح وسـعه وغايتـه كـي ينتهـي عـن أباطـل
إمـام لعمـري عـارفٌ أهـل وقتـه طبيـب زمـانٍ مالـه مـن مماثـل
تقـيٌ نقـيٌ حـازمٌ ذو رزانـةٍ وثابـت جـأشٍ في اشـتداد النـوازل
حلـيمٌ ذكـيٌ ذو دهـا وسماحـةً وذو خلـقٍ زاكٍ وحسـن شمائـل
فقيـهٌ نبيـهٌ ناسـك متـورع وذو نصـفٍ في أمـره غـير مائـل
مهيـبٌ إذا مـا جئتـه ذو تبسـم وذو شـبهٍ بالسـالفين الأمائـل
قفـا إثـرهم بالصـالحات ونصـرهم لدين الهدى العالي علـى كـل طائـلٍ
إليـه تشـد الـيعملات وتمتطـي ظهـور الفـلا مـن شاسـعات المنـازل

وصـــول لأرحـــام إن قطعـــت بـــه
صفوح عن الزلات من جهل جاهـل

عفـــو عـــن الجـــاني عليـــه وجـــارم
وعـــن نائـــلٍ مـــن عرضـــه أي نائـــل

وقـــد كـــان شمـــسٌ للأنـــام مـــنيرةٌ
وكفهـــاً لعمـــري للهـــداة الأفاضـــل

وكـــان شـــهاباً محرقـــاً لـــذوي الـــردى
وأجنـــاد ابلـــيس اللعـــين المخاتـــل

يـــرد علـــى ذي الابتـــداع ابتداعـــه
ويثنيـــه مغلـــولاً علـــى غـــير حاصـــل

وسيفاً علـى الكفـار قـد سـل نصـله
يفلـــق مـــن هامـــاتهم كـــل طائـــل

من الـترك والأرفـاض أخبـث شـيعةٍ
وعبـــاد أوثـــان مـــن اهـــل الغوائـــل

وجهميـــةٍ في غيرهـــم مـــن طوائـــفٍ
وأحـــزاب ســـوء قـــد أقـــاموا لباطـــل

وقـــد كـــان ردمـــاً دون كـــل كريهـــةٍ
تنـــوب شـــجاً في حلـــق كـــل مماطـــل

وقـــد كـــان قصـــداً للعنـــاة ومجتـــداً
ووالـــــد أيتـــــامٍ وغيـــــث أرامـــــل

إذا منصـــفٌ يومـــاً تأمـــل حالـــه
وبهجتـــــه للارتيـــــاح لنائـــــل

تـــيقن أن الشـــيخ قـــد أحـــرز العـــلا
بأجمعهـــا ســـبحان مـــولي الفضـــائل

ومـــا قلتـــه مـــن زاكيـــات خصـــاله
فـــو الله نـــزر مـــن أقـــل القلائـــل

وشـــــهرته تكفـــــي وأخبـــــاره الـــــتي
يســـار بهـــا في الضـــاعنين ونـــازل

فيـــا عـــين ســـحي أدمعـــاً بعـــد أدمـــعٍ
علـــى وجنـــاتي واســـتمري وواصـــل

ســـأبكيه جهـــدي مـــا حييـــت بحرقـــةٍ
ويبكيه غـــيري مـــن شـــريف وفاضـــل

ويبكيه أصل الدين قطب رحا الهـدى
ويشـــجو علـــى تقريـــره في المحافـــل

ونشـــر لـــه مـــن بعـــد لـــف يـــبين مـــا
أراد بـــه الإعـــلام مـــن كـــل فاضـــل

ويبكيه فروعٍ طـال مـا كـان موضـحاً
لمرجوحهـــا مـــن راجحـــات المســـائل

ويبكيـــه حقـــاً كـــل صـــاحب ســـنةٍ
مـــن العلمـــاء العـــاملين الأماثـــل

ويبكيـــه طـــلاب العلـــوم بلوعـــةٍ
وأعيـــــنهم كالمســـــتهل بوابـــــل

علـــى مجلـــسٍ ينتابـــه كـــل مبتـــغٍ
لدين الهدى من ذي استماع رسـائل

ومـــــن حـــــافظٍ تقريـــــره بفـــــؤاده
وآخـــــر بـــــالأقلام راو وناقـــــل

ومن قـارئٍ مـا يشـتهي مـن مصـنفٍ
ولا ســـيما الأصـــل المنـــافي لباطـــل

وكتب حديث للبخاري ومسلمٍ وغيرهما من أمهات الدلائل
فكان لعمري جنَّةً قد تزخرفت وقد أدنيت منه القطوف لنائل
فهل عوض منها فنقطف مثلما قطفناه منها عاجل غير آجل
ويا ليت شعري إنني كنت واجداً كمجلسه يوماً فأروي غلائلي
فهيهات هيهات انقضى وتصرمت لياليه بالحسنى وجم الفضائل
جزاه إله الناس عنا بجنةٍ وأسكنه الفردوس أعلى المنازل
وأخلفه بخيرٍ في عقب وفي عشيرته والله مولي الفضائل
وأبقاهموا دهراً يذبون جهدهم عن الملة السمحا برد الأباطل
ووفقهم للصالحات فإنه قريب لداعٍ مستجيبٌ لسائل
وأحيالنا أشياخنا أنجم الهدى لإرشاد غاوٍ بل وتعليم جاهل

وبما قال الشيخ سليما بن سحمان بل الله ثراه بوابل الغفران ونعمه في فرادس الجنان مرثيةً في الشيخ عبدالله بن عبداللطيف أتينا بما وجدنا منها:

لقد كسفت شمس العلا والمفاخر وقد صاب أهل الدين إحدى الفواقر
وقد فتقت في الدين أعظم ثلمةً لدن غيبوا في الرمس بدر المنابر
عنيت به شيخ الهدى معدن الندى وجالي الصدا بالقاطعات الظواهر
جمال الورى جزل القرى شامخ الذرا ومفتي القرى شيخ الشيوخ الأكابر
هو الشيخ عبدالله من عم صيته لدى كل صقعٍ في بعيد الجزائر
سليل الرضا عبدالله اللطيف الذي له مآثرٌ تزهو كالنجوم الزواهر
سلالة من أحيوا لدين محمدٍ نبي الهدى أكرم بهم من أطاهر
لقد أشرقت نجد بنور ضيائهم وقاموا بنشر الدين بين العشائر
تغمدهم رب العباد بفضله ورحمته والله أكرم غافرِ
هموا جددوا دين الهدى بعدما عفت بصدقٍ وجدٍ قامع للمكابر
فأصبح أصل الدين يزهو بنوره على رغم أهل الشرك من كل كافر
وآزرهم في نصرة الدين والهدى عصابة حقٍ من كرام العناصر

ليوثٌ إذا الهيجاء شب ضرامها بهم تقري غرثى السباع الضوامر
بآل سعود أظهر الله دينه فقد جردوا في نصره للبواتر
وقد جاهدوا في الله حق جهاده بحزمٍ وعزمٍ في الوغى والتشاجر
إلى أن أعاد الله دين نبينا على حالةٍ يرضى لها كل شاكر
فلا زال من أبنائهم نصرةً له ولا زال حزب الله أهل تناصر
أقول ودمع العين يهمي بعبرةً على الخد مني مثل تسكاب ماطر
وفي القلب نار الحزن تذكي ضرامها لواهبها أورت أليم السعائر
أرقت ومالي في الدجا من مسامرٍ يرى فيض دمعي والنجوم الزواهر
أروم لنفسي في دجى الليل راحةً وكيف ونومي لا يلم بخاطر
ألا ذهب الحبر المحبب في الورى مجدد أصل الدين غيظ المناظر
مضيِّفُ من بقصده يلق بشاشةً وبشراً وجوداً في الليالي العسائر
به الجود طبعاً لا يفارق كفه ومن طبعه حسن الوثوق بقادر
له السبق في غايات مجدٍ وسؤدد وعلمٍ وإنصافٍ وعفة صابر
وحلم عن الجاني وصدق مودة وإرشاد ذي جهل وقمع مقامر
ورأي سديد يستضاء بنوره لدى الحادثات المنصعات البوادر
أبى وخذ ما شئت من لين جانب لدى الصحب والإخوان أو ذي أطامر
ولكنه ليث عليه مهابة ولا سيما عند الغواة الغوادر
وكم من مزايا لا يطاق عدادها وليس بمحصيها يراع لحاصر
وليس بمحتاج إلى مدح نادب شمائله مشهورة في العشائر
ولكن لنا بعض التسلي بذكرها وحق بأن يرثى له كل شاعر
وما مات إلا بانقضاء لمدة من الأجل المحدود في علم قاهر
فلا جزع مما قضى الله ربنا وقد منح المولى مثوبة صابر

ولقد فجع الناس بموته وصلى عليه في جامع الرياض جمع لا يعهد مثله وحملت جنازته وغصت الأسواق بالناس المشيعين له ودفن بمقبرة العود وهذه مرثية قالها فيه بعض المحبين:

على الحبر بحر العلم نسل الأكارم سلالة أمجاد سموا في العوالم
إمام همام المعي مهذب أبي وفي ذي علوم عظائم
على الحبر ذي التحقيق لا زلت باكياً بدمع غزير ما حييت وساجم
على الشيخ ابكوا ما حييتم وكثروا فقد غاب نجم الحق حقاً لرائم
لقد أفلت شمس العلوم وأدبرت فيالهف نفسي من خطوب القواصم
فأضحت ربوع العلم أقفر رسمها لفقدانه أعظم بها من مصادم
لقد وجد الإسلام يوم فراقه مصائب لا تحصى وإحدى القواصم
لقد نصر الإسلام جهراً بعلمه ولم تثنه في الله لومة لائم
وشاد منار الدين والله فانمحت دياجي الردى من كل أهل المآثم
يقرر توحيد الإله بجهده وينشر دين الله بين العوالم
فآها على هذي وآهاً لفقده وآهاً على بدر القرى والأقالم
لأن مات شمس الدين علامة الورى مكارمه ليست تموت لرائم
فيا من علا فوق الخلائق واستوى على عرشه أحصى جميع العوالم
وقام بتدبير الورى جل شأنه أنله الرضى والعفو يا خير عالم
وبوئه في الجنات أكرم منزل ونعمه مع حور حسان نواعم
فيا أيها الإخوان قوموا لربكم جميعاً وضجوا بالدعاء لعالم
وأوصيكموا بالصبر أيضاً مع التقى كذا الزهد بالدنيا وصدق العزائم
ودرس علوم الدين والفقه والنهى وتحقيق علم الدين عالي الدعائم
فذي سنة الله الكريم بخلقه فذو العدل والإنصاف ليس بظالم
فيا حاكماً بين العباد بعدله أجب لدعائي يا إله العوالم
وابق حماة الدين وانصر رواته ولا سيما التوحيد عالي الدعائم
شموس النهى أهل التقى معدن الوفا بدور الدجا أهل العلى والعزائم
همو جددوا دين الإله بدأ بهم أقاموا بنشر الحق بين العوالم
فأضحى بذا التوحيد تزهو رياضه وأمسا ظلام الشرك أبعد شائم

مجالسهم أضحت رياض وجنة / لأهل التقى والفقه أزكى المناعم
فأيدهمو ربي وأصلح قلوبهم / ووفقهمو للرشد يا خير قائم
وأصلح إله العالمين إمامنا / إمام الهدى نجم التقى والمكارم
ووفقه للإنصاف والعدل والتقى / وبوئه في الفردوس أعلى المقائم
وصل إله العالمين مسلماً / على المصطفى المعصوم صفوة آدم
كذا إله مع صحبه ثم من قفى / على أثرهم من كل حبر وعالم

إمارة عبدالله بن متعب بن رشيد وقتال أهل حائل بساحة دارهم

لما قتل عمه سعود تولى الإمارة بعده فأركب رسل السلام إلى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن يريد تجديد عهد الصلح والولاء فجعل ابن سعود يشدد في شروطه بأن قال لرسل حائل إني مجيبكم في كل ما تطلبون ولكني ألفت نظركم إلى ما بدا من أمراءكم السابقين فهذه كتبهم إلى الشريف ينكثون العهد بيننا وبينهم ويرموننا بأشنع التهم يقولون إننا خوارج وإننا و إننا فعلى هذا تكون شئون شمر الداخلية إلى أهلها فلا أتدخل فيها وأما الخارجية فيهمني أمرها فقد طالما أضرت سياستها بنجد ومصالحها فلا بد إذن من تنازلكم عن إدارة الشئون الخارجية في شمر واعترافكم لي بذلك ويكون الاعتراف بذلك تحريرياً لينشر بين جميع الناس ويكون معلوماً، فعاد الوفد إلى حائل يحمل شروط ابن سعود إلى أهلها وإلى أولي الأمر فيها فقبل الأهالي وأكثر المقدمين في شمر لهذه الشروط وأجمعوا على القبول لأنهم قد طالما تعبوا وملوا الحروب وأبى أولوا الأمر من آل رشيد وآل سبهان وبعض الزعماء «كعقال بن عجل، وضاري بن طوالة» ناهيك بعبيد القصر وسيدتهم فاطمة بنت سبهان فأعلنوا الحرب ولم يذعنوا لابن سعود ولا لشروطه، فعند ذلك استنفر عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل أهالي نجد وزحف إلى القصيم في شوال بجيش بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل فأقام هناك وجعل على قسم من الجيش أخاه محمداً وأمره أن يهاجم حائلاً وأن يطوقها بالحصار وولى نجله سعوداً على القسم

الآخر وأمره أن يزحف ببقية الجيش إلى شمر فيناوشهم القتال فزحفت الجيوش وأحاطت بحائل فعندها قام الأمير عبدالله وأهل حائل يستأذنون الأمير محمد بن عبدالرحمن بإرسال وفد من قبلهم إلى صاحب الجلالة عبدالعزيز فأذن بذلك فجاء الوفد إلى الملك يطلب الصلح على أساس الشروط المفروضة غير أنه وافق وقتاً ليس أمامه إلا الحرب أو التسليم فلم يقبل الملك بما كان قد عرض عليه وأجاب بأن قال اعلموا أن الرئاسة القائمة بين عبد وإمرأة لا تدوم وكتب كتاباً إلى أهل حائل وهو هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب الكرام عبدالله آل متعب وعثمان آل عبدالكريم وكافة أهل حائل سلمهم الله تعالى آمين سلام على من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك الخط وصل الجماعة خدام وخوياً وصلوا وتفاوضنا معهم بحضرة من علماء المسلمين وأكابرهم ولا بد من أن يبلغوكم ما حصل بيننا وبينهم من الكلام شفهياً ولكن حقيقة الأمر أنا طلبنا منهم كما أنكم قد أمضيتموهم وكلاء أن يخاصمونا عند الحاكم الشرعي وأن اجعل وكيلاً من جهتي وهم وكلاء عنكم ويعملوا ما تحكم به الشريعة، فلما أن سمعوا ما تكلم به علماء المسلمين وأكابرهم من أنه لا يصلح ولا يرتضا أن يكون لآل رشيد إمارة على شيء من أمور المسلمين إلا أن يكون لهم حجة شرعية، فأجابوا أن ليس لنا وكالة مطلقة بموجب عزل آل رشيد عن الإمارة وإنما أتينا لأمر غير هذا وهو مجرد السمع والطاعة وإننا ندخل فيما دخل فيه المسلمون فشهدوا وأفتى الحاضرون من علماء المسلمين بأنه لا يحل ذلك لابن سعود ولا نجيزه فأجاب الجماعة إنا لا نقيد المحاكمة على ذلك بل نراجع ابن رشيد، بقي الآن في الحاضر أنتم تفهمون أن الأمر يومئذ لله، وأن الدنيا دول فأحببنا إخباركم بما يلزم، فإن أجبتم فنرجوا أن الله سبحانه أن يحقن الدماء ويوفق الجميع لاتباع هذه الشريعة، وإن أبيتم فتكون الذمة بريئة، فبموجب فتوى المشايخ ونظرنا في عواقب الأمور ومصالح المسلمين رأينا أنه ما يصلح أمر ولا يكون بيننا اتفاق إلا على شرطين.

الأول: نزع إمارة آل رشيد من الجبل.

والثاني: تسليم شوكة الحرب من جميع آلاتها فإن كان الأمر ثابتاً عندكم معلوماً أنه الحقيقة وأنكم مجيبون للأخذ بما أفتى به علماء المسلمين على عدم إمارتكم وحضوركم تحت أيدينا وتسليم شوكة الحرب فأجيبونا على ذلك واطلبوا لأنفسكم غير هذين الأمرين مما تريدون، فإن كان عندكم إشكال أو أن لكم حجة شرعية تفلجون بها فيجب أن تحضر أنت يا ابن رشيد ومن ترى أنه عارف أو ناصح لكم من أهل الجبل وحكم الشرع باذلونه لكم فأي حاكم شرعي تريدونه ندفعكم إليه وأنا معطيكم وجهي وأمان الله وعهد الله والخائن عليه ألف لعنة من الله إني لأمضين حكم الشريعة بأي حال تكون فلو تحكم الشريعة بنزع إمارتي وإمارتك يا ابن رشيد لأمتثل لذلك، فإن كنتم منقادين لفتوى علماء المسلمين وتدرون أن ليس لكم علينا حجة، وما ثم إلا تسليم الأمر وطلب الراحة فأنا معطيكم وجهي يا ابن رشيد وأمان الله وعهد الله على دمائكم وأموالكم غير شوكة الحرب من أي جنس يكون، إنكم بأنفسكم من سائر أولادي ومحرمكم من سائر محرمي أحامي عليكم وإني ما أرضى فيكم بجميع أمر تكرهونه إلا بما أرضى في ديني وأولادي فأما أنتم يا أهل حائل لكم وجهي وأمان الله على دمائكم وأموالكم وأعراضكم وعلى أنكم ما تباحثون في جميع أمر فائت إلا أن كان معاملة بينكم وبين المسلمين ففيها حكم الشرع، وأما الأمور الفائتة من قتل رجال وأخذ أموال وغير ذلك من الأمور التي بينكم وبين أهل نجد أو فيما بينكم قبل ولايتنا إنه مدفون ولا له باعث وأن جميع ما قلت لكم وأمضيت إنه تام وبنية خالصة، ولا يكون لها نقض إلا أن تنقضوا أنتم إما بخيانة تخل على المسلمين في أمر دينهم أو دنياهم أو غلول في شوكة الحرب أو غير ذلك فآمنوا بالله إن شاء الله؛ فإن كان تريدون زيادة أمان أو شيء غير ذلك فبينوه لنا وإن أبيتم قبول ما ذكرنا فلا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثم قال جلالة الملك للوفد شفاهياً فإذا رفضتم ذلك ولم تعملوا بشروطي

فاعلموا بأني زاحف بنفسي إليكم بعد ثلاثة أشهر، فقام الوفد من عنده قائلين سنعرض الأمر على صاحب الأمر فإذا قبل كان خيراً وإلا فأنت بريء الذمة.

وبعد أن عاد الوفد بالكتاب رفضت تلك الشروط ولم يعمل بها وخرج ابن طوالة غازياً بعض قبائل ابن سعود في مكان قريب من حائل على مسافة خمس ساعات منها بمسير الجمال ولكنه لم يعد من تلك الغزوة سالماً بل أخذه الله فمات ولم يحصل على طائل وحدثت بين المحاصرين والمرابطين مناوشات ومصادمات في جهة حائل، ثم أنه استدعا جلالة الملك بأخيه محمد ووحد القيادة تحت إمرة نجله سعود فعاد محمد إلى أخيه الملك واشتد الحصار بحائل وانقطعت السبل عنها لأنه حاصرها سعود شهرين، غير أنه لم يكن النجاح في الأمر زائداً على من تقدمه، وقد لاح في حائل شبح المجاعة المخيف، هذا والأمير عبدالله بن متعب قد عزم على الدفاع حتى النفس الأخير، ولكنه رمي بطامة كبرى لم تكن في الحسبان وهي أنه قدم محمد بن طلال ابن عم الأمير وأخو قاتل عمه، وكان قدومه من الجوف بالدفاع عن قومه ووطنه فلما قدم محمد بن طلال أوجس في نفسه خيفة الأمير عبدالله لأنه لا يأمنه أن يفعل مثل أخيه توصلاً إلى الإمارة ولو في ذلك الوقت العصيب فوقع عبدالله بن متعب بين نارين نار في الخارج محيطة به ونار كامنة في جوفه لا يعلم متى يمنه لهيبها فتلتهمه، فالمسألة الآن مسألة موت أو حياة ولا يدري أيدافع خصمه عن بلاده، أم يدافع ابن عمه الأدنى عن حياته.

وبما أن الحياة لديه أعز من الإمارة لأن سنه لا يتجاوز عشرين سنة فقد التجأ إلى الخصم لأن وجود السلامة عنده أيسر، ففر إلى سعود بن عبدالعزيز وألقى نفسه عليه فرحب به وأخذه إلى الرياض غنيمة باردة ورجع به في شهر ذي الحجة من هذه السنة فرجع سعود بن عبدالعزيز بعد حصاره لحائل بأميرها الشاب عبدالله بن متعب آل رشيد وبسمت الرياض لطلائع النصر في الحرب ولبشائر الفوز بالظفر، وكان رجوع القائد سعود بن عبدالعزيز من حائل امتثالاً لأوامر والده لأنه عاد من القصيم إلى العاصمة وأمر نجله سعوداً بالرجوع من الجبل لأنه فقد هناك بسبب القيظ وقلة المرعى عدداً كبيراً من رواحله.

ذكر إمارة محمد بن طلال

لما أن تنازل عبدالله بن متعب عن الإمارة ظناً بنفسه عن القتل وخلى الجو في حائل تولى الإمارة فيها محمد بن طلال، وكان هذا الرجل شاباً شجاعاً باسلاً إلى حد التهور وفيه أشياء من خصال عبدالعزيز بن متعب الفاتك الجريء وناهيك به من أسد صائل تولى الإمارة بأعباء الدفاع وقد تنفس نوعاً ما لرحيل سعود إلى الرياض فباشر القتال وحمل على قرى حائل التي كان أهلها موالين لابن سعود حملات شعواء فهدمها وقتل أغلب رجالها صبراً عياذاً بالله، ويكفيك ما أوقعه الله به من الذل والقتل بعد ذلك، فعندها أمر صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن أميره فيصل الدويش بالزحف إلى حائل وزوده بالتدابير اللازمة بأن يحاصرها إلى أن يجيئها هو بنفسه مباشرة.

كما قيل «لا يفل الحديد إلا الحديد» فزحف الدويش بألفين من رجاله ونزل على ماء ياطب القريب من حائل، فلما أقام أربعة أيام بلغه أن طلال خارج بقواته إلى الجثامية وهي على مسيرة ثلاث ساعات من المدينة فشد مسرعاً ومشى إليها فاحتلها قبل أن يصل ابن طلال إلى النيصية القرية المجاورة لها، ولما وصل النيصية عسكر فيها وكان معه ألف وخمسمائة مقاتل من الحضر وسبعمائة من البدو ومعه مدفعان وكان معسكره بالنيصية جيداً لأنها محصنة بتلال هي متاريس يصعب التغلب عليها إلا بقوة من الجيش كافية.

أما الجثامية التي عسكر فيها الدويش وإخوانه فهي في منبسط من الأرض تقل فيه المكامن ولم يتمكن من احتلال حصنها لأن ابن طلال كان يضربه بالمدافع ضرباً متواصلاً.

فلما كان بعد عيد الأضحى بيومين زحف السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن بعشرة آلاف مقاتل ومعه بضعة من المدافع، ولما أن اجتاز «بأم جريف» الواقعة بين قبة وجراب بلغه أن الدويش مشتبك مع ابن طلال في الحرب فترك في الحال جملة الجيش وراءه وخف مسرعاً، وهذا كان قبل دخول شهر محرم بيوم واحد.

وفيها عقد مؤتمر القاهرة البريطاني وتقرر أن يكون الأمير فيصل بن الملك حسين الشريف ملكاً على العراق، ولما تقرر ذلك وتوج كما قدمنا عقد مؤتمر في الرياض حضره العلماء والرؤساء وقرر أن يتخذ حاكم نجد الأمير عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ومن يخلفه بعده لقب «سلطان» فكتب عبدالعزيز كتاباً إلى المفوض السامي لدولة بريطانية العظمى في العراق يخبره بما تقرر، ويرجو أن يكون ذلك مستحسناً لدى الحكومة البريطانية، فذهب هذا الكتاب إلى المفوض وقدم من حضرة المندوب في بغداد كتاب إلى ابن سعود يخبره فيه أن قد تقرر انتخاب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق ويرجو أن يكون ذلك مستحسناً لديه فأجاب أنه يكون مسروراً بما يريده العراق والدولة البريطانية للأمير فيصل بشرط أن يكون ذلك غير مجحفاً بحقوق نجد ومضراً بمصالحه، فلما كان في ٢٧ من ذي الحجة اعترفت الحكومة البريطانية لابن سعود ولمن يخلفه من ذريته بلقب «سلطان».

وفي هذه السنة بعث الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن علماء يرأسهم الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ إلى أهل اليمن، وعسير، وتهامة، وشهران، وبني شهر، وقحطان، وغامد، وزهران وغيرهم من بلاد الحجاز لينشروا التوحيد ويعظوا ويرشدوا ويبينوا للناس طريقة الرسول ﷺ وأصحابه، ويا حبذا هذا الفعل الذي يرد الخلائق عن طريق الغواية والضلال ويهديهم طريقة رسول الله ﷺ وما أحسن تلك الحالة التي ينصر الله عز وجل القائمين بها والداعين إليها، وما قام شعب بأوامر الله واجتناب نواهيه إلا زاده الله قوة ومنعة ونصرة.

وفيها وفاة الشيخ عبدالله بن راشد؛ وهو عبدالله بن محمد بن راشد بن جلعود العنزي العالم الفاضل الفقيه الفرضي، كان مقره «باية» في بلد القصب إحدى قرى الوشم، ثم أن والده انتقل إلى بلدة الروضى إحدى قرى سدير فاستوطنها ثم انتقل الشيخ بعد مدة من الروضة إلى بلد الرياض وكانت له اليد الطولى في علم الفرائض وانتفع به خلق كثير فيها، وممن أخذ عن المترجم من العلماء.

الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين، وأخذ عنه غيره من العلماء، وكان من معلوماته الفرائض، وقد سبق أقرانه في معرفتها.

وممن توفى فيها من الأعيان أحمد بن عيسى وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم العلامة القدوة الفهامة، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبدالله بن عيسى، ولد في بلدة شقراء سنة ثلاث وخمسين ومائتين وألف، أخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، وعن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين، ثم بعدما أقام في مدينة الرياض لطلب العلم عاد إلى بلده ثم توجه إلى مكة المكرمة للحج وجاور بها، وكان يمارس التجارة في تلك المدة واجتمع بعلمائها والقادمين إليها وحصل بينه وبينهم مناظرات في دعاء الأموات والغائبين وسؤالهم قضاء الحوائج وتفريج الكربات فأدحض حججهم الباطلة بالأدلة القاطعة، وألف في ذلك ورد على «دحلان، والمدراسي، وغيرهما» وله أجوبة سديدة ونظم جيد وحصل له قبول فانتفع به خلق كثير منهم: الشيخ عبدالستار الهندي الدهلوي، والشيخ بكر خوقير الحنبلي، والشيخ سعد بن عتيق.

وكان معظماً عند والي مكة وأميرها الشريف عون فكان يجله ويحترمه، وجعل الله على يديه وبأسبابه هدم بعض القباب والبنايات التي على القبور في مكة المشرفة، وكان رحمه الله متواضعاً حتى كان إذا طلبه الشريف أرسل مع خادمه إليه حصاناً ليركبه فيأبى إلا إذا كانت المسافة بعيدة فإنه يركب في المواضع التي لا يمر فيها أحد فإذا قارب الأسواق نزل وذهب ماشياً على قدميه وأمر الخادم أن يذهب بالحصان.

وكان ذات يوم جالساً عند الشريف فمر ذكر أصحاب الطرق وما يفعلونه من الأذكار المبتدعة فبين الشيخ قبح فعلهم وقال: إن أفعالهم أمور مبتدعة لا أصل لها في الشرع، فإن مجرد ذلك التكرار للنط الاثبات في قولهم «إلا الله» لا يكون ذكراً وهم ما اقتصروا على ذلك بل كرروا الضمير فقط فقالوا «هو» «هو» فعجب الشريف من كلامه، ثم قال له أفأضرب لك مثلاً لو أن خدامك وحاشيتك وقفوا ببابك وجعلوا ينادون جميعهم بصوت عال يقولون «عون» «عون» أيسرك هذا ويكون لديك حسناً، قال: لا، قال فماذا تصنع بهم قال آمر

بتأديبهم على فعلهم قال أفتأمر بتأديبهم على استهانتهم باسمك ولا تؤذيهم على استهانتهم بذكر الله وأسمائه فمن ذلك الوقت فرق شملهم ولم يترك منهم أحداً يجتمع على شيء من ذلك.

وكان مكباً على المطالعة والتأليف وإذا مر على شيء يحتاج إلى توضيح أو تعقيب أو رد كتب عليه بخطه النير الذي لا يشتبه بغيره، وكان بينه وبين الشيخ صديق حسن القنوجي مكاتبات وأرسل إليه صديق تفسيره ليطالعه ويبدي ما عنده من ملاحظات عليه: فكتب على جملة مواضع أصلح فيها.

وبقي في مكة حتى توفى الشريف عون فرجع إلى بلده شقراء وأخذ في التعليق على نونية ابن القيم، وكان له اطلاع تام على الملل والنحل وأسماء الرجال فلم يقدر له إتمامه لاشتغاله بالقضاء في بلد المجمعة وملحقاتها من قبل الحاكم إذ ذاك محمد بن عبدالله بن رشيد؛ وكان مشكور السيرة في القضاء.

ولما استولى ابن سعود على المجمعة ولى بدلاً عنه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري وظيفة القضاء فقاسى المترجم بعد عزله وانقطاع ما كان يجري له من المكافئات حاجة شديدة، وكان في صفته أنه طويل نحيف الجسم يخضب بالحناء وعليه سكينة ووقار: هذا والله المسؤل المرجو أن يبقي لنا علماء الدين ويحفظهم بالإسلام ويحفظ الإسلام بهم لأن بهم صلاح الأمة ويكفينا ما قام به شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب والأمير الشريف محمد بن سعود وما نشر الله لهما من الذكر الجميل وما منحهما من العز والتمكين فأعزهم الله تعالى بعد الذلة وأغناهم بعد القلة: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠]، ووصيتي لعلماء المسلمين وأئمتهم بتقوى الله تعالى ونصرة دينه فإن من قام لله قام الله معه ومن توكل على الله كفاه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، ومهما قام أهل هذه الدعوة بما قام به سلفهم فإن الله تبارك وتعالى سينصرهم ويظفرهم بعدوهم ويعاملهم بالتوفيق.

وفيها أو في التي قبلها توفى الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ قدس الله روحه وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم الفاضل العابد الزاهد الفقيه الفهامة ذو الفضائل الكثيرة والمناقب الشهيرة، حسن بن الشيخ حسين العالم المحبوب صاحب القصيدة العظيمة في شرح أسماء الله الحسنى ابن الشيخ العالم علي بن الحسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كان لعلي هذا قصيدة عظيمة لما أدار الله الدائرة على أهل نجد بطلعة من لا يفلح «إبراهيم بن محمد علي المصري» وذلك حين ما شتت علماء نجد وحكامها فأنشأ الشيخ علي قصيدة باح بما في مكنونه نأتي بأبيات منها:

خليلي عوجا عن طريق العواذل ... بمهجور ليلى فابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي غليل البلابل
أرى عبرة غبراء تتبع أختها ... على أثر أخرى أو تستهل بوابل
تهيج ذكر الأمور التي جرت ... تشيب النواصي واللحى للأماثل
ويسقط من بطن الحوامل حملها ... وتذهل أضيار النساء المطافل
فبينا نسود الناس والأمر أمرنا ... وتنفذ أحكام لنا في القبائل
وتخفق رايات الجهاد شهيرة ... بشرق وغرب يمنة والشمائل
تبدلت النعماء بؤساً وأصبحت ... طغاة عتاة فحاء للأراذل
وبث عتاة الدين في الأرض بغيهم ... وريعت قلوب المؤمنين الغوافل
وأقبل قادات الضلالة والردى ... وساداتها في عسكر وجحافل

ولد المترجم سنة ١٢٥٦هـ، في بلد الرياض ونشأ بها نشأة حسنة فأخذ العلم عن الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه الشيخ عبداللطيف، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن حسين المخضوب، وأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن عدوان، وأخذ عن الشيخ محمد بن محمود، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بابطين، وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس علم الفرائض، وأخذ عن الشيخ حمد بن عتيق وبرع في فنون العلم.

وكان فاضلاً حسن السمت دائم البشر كريم النفس مشتغلاً بإلقاء الدروس المفيدة، حسن الخلق والخلق قد أكب على المطالعة حتى فاق أقرانه، فولاه محمد بن عبدالله بن رشيد حال كونه حاكماً في بلاد نجد قضاء الأفلاج ثم نقله إلى المجمعة

وجعله على قضاء كافة قرى سدير ثم ولاه القضاء في بلد الرياض كما ولي القضاء في تلك النواحي للإمام عبدالله بن فيصل، وكان في صفته ونعته من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير نحيف الجسم منور الشيبة يخضب بشيء من الصفرة، وكان قوياً في أمر الله تعالى وله هيبة وعليه سكينة ووقار، وله رسائل وأجوبة وفتاوى وله نظم رائق، وكان ينظر إليه في حل المشكلات حتى أن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لما اضطر إلى جمع العلماء المعول عليهم للمؤتمر الكبير الذي عقده في الرياض لتنظر في الأمر الذي كاد أن يكون بسببه الفوضى بنجد وذلك بسبب الخلاف الناشئ بين الإخوان «البدو» وبين الحضر قبل هذه السنة بسنتين دعاه من جملة العلماء والرؤساء كما قدمنا، وأخذ عنه من العلماء أبناؤه الشيخ حسن، والشيخ عبدالله، والشيخ عمر؛ وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ إبراهيم بن عبداللطيف، والشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ عبدالله بن فيصل، والشيخ عبدالرحمن بن سالم، والشيخ إبراهيم بن ناصر، والشيخ سعد بن سعود، والشيخ إبراهيم السياري، والشيخ حسن بن إبراهيم؛ والشيخ مبارك أبو حسين، والشيخ فالح؛ والشيخ سالم ومحمد بن حميد وخلق كثير وطال عمره ونفع الله به الخلق، وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة، وصلى عليه بعد العصر في جامع الرياض، وأم الناس في الصلاة عليه الشيخ حمد بن فارس وشيعه خلق كثير من الأعيان والعلماء ودفن في مقبرة «العود» رحمه الله.

وبذلك نختم المجلد الثاني من هذا التاريخ الحافل أثاب الله جامعه، وسدد أقواله وأفعاله إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ويليه الجزء الثالث إن شاء الله تعالى ومبتداه دخول سنة ١٣٤٠هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

تم الفهرس للجزء الثاني

تذكرة أولي النهى والعرفان
بأيام الله الواحد الديان
وذكر حوادث الزمان

تأليف
فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن
"من علماء أهل القصيم"

الجزء الثالث

مكتبة الرشد
ناشرون

ⓗ مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./ إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. ــ الرياض، ١٤٢٧هـ

٣٢٠ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨ -٦٢١-٠١-٩٩٦٠ (ج ٣)

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم أ- العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٢٧/٤٧٩٢

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٨ -٦٢١-٠١-٩٩٦٠ (ج ٣)

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



مكتبة الرشد - ناشرون

المملكة العربية السعودية ــ الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ــ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ــ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

★ الرياض: فرع طريق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ ـ فاكس: ٢٠٥٢٣٠١

★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ ـ فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦

★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ ـ فاكس: ٨٣٨٣٤٢٧

★ فرع جدة: ميدان الطائرة: هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ ـ فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤

★ فرع القصيم: بريدة ـ طريق المدينة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ ـ فاكس: ٣٢٤١٣٥٨

★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧

★ فرع الدمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ ـ فاكس: ٨٤١٨٤٧٣

★ فرع حائل: هاتف: ٥٣٢٢٢٤٦ ـ فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالخارج

★ القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ ـ موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣

★ بيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ ـ موبايل: ٠٣/٥٥٤٣٥٣ ـ فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ثم دخلت سنة ١٣٤٠هـ

ففيها فتح حائل أو سقوط حائل بلغة العامة وذلك لأنه لما زحف السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن بعشرة آلاف من قومه لمباشرة قتال محمد بن طلال بلغه خبر اشتباك الدويش بابن طلال فخف مسرعًا بخفيف الجيش والباقي على الساقة، فوصل في ٤ محرم إلى بقعا وهي قرية من قرى حائل فالتقى هناك برسول من الدويش يحمل كتابًا ضمنه كتاب من ابن طلال، يقول فيه: «إننا جميعًا مسلمون وبيننا كتاب الله وسنة رسوله» فقبل الدويش منخدعًا لذلك، وما كأنه مر عليه خدع سالم بن صباح، وكتب إلى ابن طلال يلبي الدعوة للتحكيم ويسأله أن يرسل وفده لهذه الغاية، وقد دفعت به الثقة الطائشة إلى إهمال الجانب الشمالي من معسكره فلم يستحرسه، فاغتنم ابن طلال الفرصة وأرسل ثلة من جنوده في الليل فاحتلوا ذلك المكان وأشرفوا على معسكر الدويش وشرعوا عند انبلاج الفجر يرمون الإخوان بالرصاص فأركب الدويش نجابًا آخر إلى السلطان عبدالعزيز يخبره بأنه وابن طلال مشتبكان في القتال وأنه خسر عشرة من رجاله وجرح عشرون منهم أيضاً.

فلما وصل الرسول في وقت العصر إلى مخيم السلطان وأخبره غضب لما حدث وأمر ابنه سعودًا أن يركب الخيل ويتقدمه مسرعًا، ثم وصل الرسول الثالث من جهة الدويش يخبر أن الإخوان كسروا جيش ابن طلال فأرسل السلطان عبدالعزيز إلى الدويش يأمره بأن ينزل مكانه وألا يأتي بحركة أخرى إلى أن يصل إليه ثم بعد ذلك زحف السلطان وقصده الهجوم على ابن طلال ونيته أن يبيته تلك الليلة ولكنه اضطر إلى انتظار الحملة والمدافع التي تأخر وصولها ولم يكن من المستطاع الهجوم في

النهار لأن العدو في حصون حصينة ولأن بين الحصون والمهاجمين سهل لا يحميهم فيه شيء ولأن جبل أجا وهو حصن طبيعي قريب منهم لا يلذون به ساعة الفرار فيقدم القائد العام جلالة الملك تدريجياً إلى مركز الدويش في ساعة لم ينتبه لها ابن طلال وجموعه. ومن العجائب عدم علمه بقدوم ابن سعود على قربة منه.

ذكر همة عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل

فنقول لما فتح الرياض والقصيم والأحساء وسطا سطوات يشيب لهولها المولود لم تقنع نفسه بما قد حصل عليه إلا بالتوسع مهما كلف الثمن فإن من كانت همته عاليةلا يرضى لنفسه بالدنايا وكيف تطيب نفسه أن يشاركه في حكم نجد أحد ولله در القائل:

ومـــن تكـــن العليـــاء همـــة نفســـه ... فكـــل الـــذي يلقـــاه فيهـــا محبـــب
إذا أنـــا لم أعـــط المكـــارم حقهـــا ... فـــلا عزنـــي خـــال ولا ضـــمني أب
خلقــت عيوفــا لا أرى لابــن حــرة ... لــدي يــدا أغضــي لهــا حــين يغضــب
فلســـت لأمـــر لم يكـــن متوقعـــا ... ولســت علــى شــيء مضــى أتعتــب
أسير علـى نهـج يـرى النـاس غـيره ... لكــل امــريء فيمــا يحــاول مــذهب

ولما أن كان ابن طلال معسكرا في النيصية وقد تحصن بها اجتمع ابن سعود في عصر اليوم الخامس من محرم بقواد جنوده ورؤساء قومه وشاورهم في الأمر وكيفية الهجوم ومتى يكون موعده فقرروا أن يكون الهجوم في الهزيع الثاني من الليل.

إن صاحب الجلالة قد حظي بقواد محنكين وظهر من رجاله زعماء صقلتهم التجارب من هؤلاء محمد بن هندي العتيبي وقدمنا شيئاً من شجاعته ومنهم فيحان بن قاعد بن زريبا من كبار قبيلة مطير من الرخمان قتل في حرب الاحساء سنة ١٣٣٣ في الطراد وقاتله على ما يقال ناصر بن سرحان من العجمان وكان مشهوراً بالشجاعة والكرم ويمتدحه الشاعر ابن سبيل بقوله:

وين أنت يااللي توصـل الخـط ملفـاه ... فيحـان شـوق اللـي تـنقض جعـوده

عوق الخصيم وستر من تـذهل غطـاه | لا هـج مـن عـج السـبايا قعـوده
ولا يسـند الامـروي حـد شـلفاه | يمنـى علـى نثـر الـدمى محمـوده

ويمتدحه بقصيدة أخرى من أبياتها قوله بعد تصوره ركاب عشر من المطايا العمانيات لم تشق أنيابها لقوات أسداس مشملة لم يطرقها الفحل حرائر أصل قد رعين بالحمى عامين لا تقدر قيمتها بالاثمان ثم يقول:

وإلى نطحكـم واحـد للميـات | قولـوا نخطـرهن علـى بـن زريـان
ردوا سـلامًا بكاغـد مـن دوات | علـى ذوي ناصـر وخصـوه فيحـان
أهـل بيـوت بالقسـا بينـات | يفـرح بهـن إللـي مـن بعـد صـلفان
أربـاعهم مـدهل أهـل الموصـفات | ولا شـدن إلا مسـتردات وبـدان
أهـل صـحون للفضـائل مـواتي | يرمي بهن أذنـاب حيـل مـن الضـان
نـدوه بشـر نـدوه يجـون سـيحات | ولا يفهـق إلا محـتري السـور شـبعان
الراويـة تـدهن مـن الفارغـات | والبيـت يـاكف مقدمـه دثـر الإيمـان
ومنـارة كنهـا نثيلـة هبـاة | ونـار ثناهـا مثـل صـبح إلى بـان
مركـي دلال نجـرهن مـا يبـاتي | محامسـهن دايـم علـى النـار حميـان
من البن يصـفق بـه ثـلاث غـرازات | تنشف علـى المبراد والكـيس مليـان
وإن فـرغ الطبخـة وإلى ذيـك تـأتي | ولا مـازح المجلـس عليهـا بشـفقان

ومن رجاله المحنكين فهد بن معمر أمير بريدة بعد عبدالله بن جلوي وكان قائداً لا بأس به قتل في السنة التي قبل هذه رحمه الله. من قواد ابن سعود وأمراءه عبد الله ابن جلوي وسيأتي له بقية ذكر.

ومنهم الأمير منصور اللواء صاحب السمو عبد العزيز بن مساعد بن جلوي أمير بريدة بعد ابن معمر ثم كان أميراً في منطقة حائل وكان الأمير عبد العزيز موضع الإعجاب في الصرامة والقوة والمقدرة والسياسة والعفة والدين والأخلاق الطيبة ومنهم صاحب السمو سعود بن عبد الله بن جلوي وسيأتي له بقية ذكر.

ومن قواده صحن بن الجعباء المشهور بالشجاعة والإقدام.

ومنهم سلطان بن بجاد بن حميد.

ومنهم فيصل الدويش.

ومنهم عبد المحسن الفرم هذا ولا نطيل بذكر البقية الكرام فشهرتهم تغني عن ذكرهم ومن مشاهير شجعان العرب فيصل بن سقيان.

رجعنا إلى ما نحن بصدده فنقول: لما كان في منتصف الليل تقدم سلطان بن بجاد معه جنود الغطغط ثم تقد فيصل الدويش ومعه جنود مطير وتقدم عبد المحسن الفرم ومن معه من حرب وتقدم بن نحيث ومن معه من حرب أيضا ثم تقدم بقية جنود أهل الهجر من قحطان وعتيبة وغيرهم فطوقوا النيصية االتي قد تحصن فيها ابن طلال وجيشه طوقوها من كل الجهات وقطعوا خط الرجعة على المحاصرين.

أما صاحب الجلالة فقد ظل في مكانه ومعه الحضر وثبتوا في مركزهم الرئيسي ولما كان ميعاد الهجوم أطلقت نيران المدافع على النيصية وذلك من آخر الليل ثم هجم الأخوان هجمة واحدة وفتكوا بجنود ابن طلال وأبادوا صفوفه فالتحمت المعركة وكانت موتاً أحمر على ابن طلال وأهل حائل وفتك الأخوان بجيش ابن طلال فتكا هائلا وعمل السلاح الأبيض عمله الجبار في رقابم وكان ذلك على الرغم مما كانت قنابل العدو تأز فوق رؤسهم ففر الأمير ابن طلال ومن قدر له الفرار إلى جبل أجا ثم إلى حائل ولاذ الآخرون بحصون النيصة فعندها ركبت المدافع السعودية على المتحصنين وجعلت تضرب بقنابلها الذين تحصنوا بها حتى أبادت معظمهم وسلم البقية وهم قليل لعبد العزيز بن عبد الرحمن وكان يقول أحد الذين سلموا للسلطان عبد العزيز وهو يخاطبه بعد التسليم طبجتكم ماهرون يا مولانا فقال له السلطان لا بل كنا نضرب على النية والظلام ولكنه توفيق من الله.

ولما أن تقهقر ابن طلال إلى حائل أرسل الملك عبد العزيز إلى أهل مدينة حائل يقول سلموا فجاء التسليم منهم على شرط أن يؤمر عليهم ابن طلال وكان هذا موحى به منه لأنه كان لا يزال سائداً بمن ثبت معه من الجند وحزب آل رشيد ولم

يكن لأهل حائل زعيم يوحد كلمتهم ويعززها فأنفد ابن طلال فيهم سهام أرادته على أن المغلوب لا يشترط الشروط.

ولما بلغنا إلى هذه الغاية فلا أن نذكر حائل هذه بحدودها: فنقول حائل كائنة بين جبلي أجا وسلمى لها سهل يتسع إلى الغرب ويضيق إلى الشمال فيفتح من الجهة الشمالية الشرقية طريقا إلى النجف ويتقلص في الجهة الشرقية وفي شطر من الجنوبية هي إذاً محاطة من جهاتها الثلاث بالجبال ولا يمكن الاستيلاء عليها من غير الجهة الغربية والشطر الجنوبي الغربي يمتد منه الطريق إلى نجد فجاء مع هذا الطريق السلطان عبد العزيز ناقلا من الجثامية بعد ما تقهقر ابن طلال إلى حائل ولما زحف صاحب الجلالة أمر بحمل المدافع والقنابل والبرود والذخيرة أمامه ثم نزل بين حائل وبين النيصية ثم قسم جيشه هناك قسمين فرقة جعلها عنده والأخرى تقدمت إلى جبل أجا فملكت مركزاً منه حصينا وهناك مركز آخر يدعى عقده غرب البلد يحسبه أهل حائل أحصن حصونهم فتقدمت الجنود وهم يضربون العربان النازلين في الجبل ضربا هائلا فيقتلون ويشتتون ويغنمون الغنائم فاستولوا في اليوم السابع على عقدة واستمروا زاحفين إلى حائل وهم يتترسون بأكياس من الرمل حتى وصلوا إلى مكان بينها وبين جبل أجا اتخذوه خطاً أولاً للدفاع وكان الهاجمون ورائهم قد أحاطوا بالمدينة من جهتها الغربية وأحاطوا إلى الجهة الجنوبية فطوق الجيش السعودي مدينة حائل من جميع الجهات وكانوا لما طوقوها شددوا الحصار عليها فجعل أهل حائل يئنون من شدة الحصار وكانوا لما طلبوا التسليم بشرط ان يكون ابن طلال هو الأمير عليهم كان الأكثر منهم متكرهين لإمارته وذلك لظلمه وطغيانه فعند ذلك أرسلوا إلى صاحب الجلالة يقولون لا تتركنا فريسة لابن طلال وكانوا على وجل شديد في ذلك الوقت من أن يضرب حائل بالمدافع فتتهدم بيوتها.

ولما أن رأى ابن طلال أن البلاد قد استهدفت للسحق والمحق وأدرك أنها لا تصل إليه الإمارة بواسطتهم وأن ابن سعود قد عزم على تنفيذ إرادته في استيلائه

على حائل كتب إلى المفوض السامي للدولة البريطانية العظمى في العراق يسأله التوسط بينه وبين ابن سعود وكان من حينما سلم الأميرعبدالله بن متعب وأخذه سعود بن عبد العزيز ورجع به إلى الرياض لآمه والده الملك وعنف عليه في كونه لم يتقدم إلى حائل فيحتلها غير أن الأمور مرهونة لأوقاتها ولقد كانت من الواجب المتحتم على أهلى حائل وأمراء حائل ألا ينازعوا ابن سعود مثلا ذلك لأن المنطقة تابعة لآل سعود وهم أهل الحق الشرعي في ملكها لأننا علمنا من التاريخ أن والد هذه الأسرة المتغلبة عليها أمير من أمراء آل سعود قد جعله الحاكم فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود أميراً عليها مكافأة على إخلاصه له حينما أراد أن يأخذ بالثأر من قاتل أبيه ولكنه قيل والأمثال تضرب للناس.

أعــلمــه الرمايــة كــل وقــت فـلمـا اشتـد ساعـده رمـانـي

وبما أن حكام آل سعود من لدن وفاة الإمام فيصل إلى أن تولى عبدالعزيز هذا ضعفاء لم يستطيعوا أن يستردوا هذه الباعة التي غلبوا عليها ولانشغالهم بالمخالفات بينهم فإن آل رشيد تنفسوا الصعداء وتغلبوا على بلاد حائل وغيرها، وبولاية الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن أخذ ظلهم يتقلص حتى انحصروا في مدينة حائل.

ومن الغرائب التي تذكر أن الأمير عبدالله بن متعب الذي سلم نفسه لابن سعود خوفًا من محمد بن طلال، كان قد أرسل محمد المواجهة لوضع البائس في الشمال حيث كان الجوف في خطر الاحتلال من قبل نوري الشعلان، فأطلق محمد بن طلال من السجن ليقود جيشًا لإنقاذها ولدى عودة ابن طلال إلى حائل دبر ثورة ضد ابن متعب ففر هذا الضعيف إلى ابن سعود والتجاء إليه حيث عاش ضيفًا مكرمًا إلى أن وافته المنية بعد ذلك بسبع وعشرين سنة.

ولما هيأ ابن سعود مدافعه لضرب مدينة حائل وقصفها بالقنابل طلب منه بعض عقلاء المواطنين البارزين، ومنهم الزعيم إبراهيم بن سالم بن سبهان أن يتريث عن القصف حتى يتمكنوا من وضع الترتيبات لتسليم المدينة.

وبما أن المفوض السامي في العراق قد ألح عليه ابن طلال فإنه كان يقول ـ أعني

السربرسي كوكس ـ أني قد عرضت الوساطة على ابن سعود غير أنه رفض ذلك، وقد بذل الأمير محمد بن طلال جهودًا جبارة لدى السلطات البريطانية والملك فيصل بن الحسين الشريف فلم يفلح وكان من حينما سلم الأمير عبدالله بن متعب وتولى الإمارة هو تابع الكتب إلى السربرسي كوكس يطلب منه أن يتوسط بينه وبين ابن سعودن فجعلت الأنباء تأتي من عند السربرسي كوكس إلى جلالة الملك عبدالعزيز فأبى أن يقبل شيئًا إلا التسليم أو بضرب حائل.

فلما دنت مدة الحصار من الشهر الثالث كتب السلطان عبدالعزيز إلى أصدقاه في حائل وقال في كتابه قد طال الحصار وأقبل الشتاء فليعذرنا الأهالي إذا أنذرناهم لهم ثلاثة أيام ليسلموا المدينة وعائلة آل رشيد فإذا تم ذلك ولم يمتثلوا فإنا إلى غرضنا مسرعون، سنمطرهم نارًا ورصاصًا فليستعدوا للموت، فجاء الجواب أن الأهالي ينفضون أيديهم من ابن طلال وبيت آل رشيد، وسيسلمون الحصون المحوطة بالبلاد لسراياه إذا جائتهم، فعد ذلك بعث الملك عبدالعزيز ألفي مقاتل لتنفيذ الخطة المرسومة، وما كان إلاَّ أن فتحت لهم الحصون الخارجية المشرفة على حائل، ثم أمن الناس على أرواحهم وأموالهم فخرجوا إليه أفواجًا شاكرين له ويستبشرون، أما ابن طلال فإنه لما رأى الأمر قاب قوسين أو أدنى وأن يديه تفلتتا من جميع العلاقات تحصن وحاشيته في القصر وشوهد منه إقدام وبسالة عجيبة لأنه كان فارسًا شجاعًا غير أنه أتاه أمر من حيث لا يحتسب فبعث إليه السلطان يدعوه أن يستسلم ويؤمنه على حياته وهذا كعادة الجلالة والرحمة، فلم ير ابن طلال بدًا من أن يسلم فسلم لجلالة الملك ابن سعود وذلك في ٢٩ من صفر.

وكانت مدة الحصار من حين ما وصل عبدالعزيز بن سعود إلى حائل إلى التسليم خمسة وخمسين يومًا أما بداية الحرب فلها أكثر من سنة قبل ذلك، فسبحان من بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

ذكر معاملة ابن سعود لأهل حائل ورأفته بهم لما انقطعت القوافل من الكويت والعراق وغيرها عن بلدة حائل وشمل أهلها الضيق والجوع والمشاغب لشدة الحصار،

وكان حقها التنكيل بأهلها وشدة الوطأة عليهم لمقاومتهم ومعاداتهم ومنابذتهم عشرين سنة في حرب وخيانة وأمور لا تنبغي ولا تليق يعاهدون ويغدرون وتحت راية كل أمير لهم يقاتلون ما كانت إساءتهم ومعاداتهم لتمنع عنهم عفو بن سعود وتحرمهم رأفته فما قتل مجرمًا ولا نهب مالاً ولم يبح المدينة كعادة كل أمير فاتح مسلط بل دخلها وقد شمل أهلها الضيق والحرج ففرق عليهم المؤن والأرزاق لعلمه بما هم فيه من الحاجة وشدة المؤنة وجاءهم بالثياب والمال فقسمها بينهم وأجزل للناس العطاء ووزع ألوفًا من أكياس الأرز وألوفًا من الثياب حتى قال أحد الذين سلموا لمن يخبره: كنا ليلة الحصار الأخيرة على آخر رمق شبح المجاعة والموت فأمسينا ليلة التسليم الأولى كلنا شباع مكتسون مطمئنون، ثم بعد ذلك شاورهم الفاتح فيمن يكون عليهم أميرًا ومن يريدون أن يؤمروه عليهم، فأجابوا قائلين واحد من آل سعود أو كبار رجالك، فقال الفاتح لست من رأيكم فقد كنا وإياكم قومًا أعداء مدة طويلة فلا يجوز أن نحكمكم الآن مباشرة وأنا أعرفكم يا أهل حائل أنكم أهل قيل وقال وأصحاب فتن ولكني لا أخشى أن أؤمر عليكم واحدًا منكم وأني أريد أن أحافظ على كرامتكم، هذا إبراهيم السبهان فهو منكم ورجل عاقل جعلته أميرًا عليكم وأني واثق بالله وعادته معي جميلة فهو سبحانه وتعالى ينصفني ممن يغدر أو يخون.

أما إبراهيم بن سبهان فهو الذي مهد السبيل لتسليم الحصون واتفق وابن سعود على ذلك فأمره بعد ذلك على حائل وما قال الشيخ عبدالرحمن بن سلمان بن ملق هذه القصيدة يعلن بها المودة ويمتدح الملك عبدالعزيز:

يا صاح قم فاستمع إن كنت يقظانا	ولا تكن عند داع الخير وسنانا
انظر أمورًا وأحوالاً تدور بنا	ما كنت تأملها لو كنت يقظانا
انظر لشمس الهدى قد أشرقت وصحت	من بعد ما غربت في الأفق أزمانا
سادت بنا قادة يا صاح ما عدلت	صمًا عن الخير والمعروف عميانا
الحمد لله لم يبقَ لهم أثر	فينا بمجد أمام الخير من جانا
من جاءنا بجنود الله يقدمها	كالليث عند اللقا تلقاه غر ثانا

مـن كـان كهفًـا لأهـل الخير أجمعهـم ... من كان عن سمت أهل الجور عريانـا
مـن كـان بـرًا بأيتـام وأرملـة ... قـد كـان يوليهمـو فضـلاً وإحسـانا
مـن كـان في طاعـة الـرحمن مجتهـدًا ... وكـان فيهـا قريـر العـين جـذلانا
مـن كـان في نصـرة التوحيـد ذا جلـد ... وقمـع أهـل الـردى والظلـم مشـتانا
فالحمـد لله زال الظلـم أجمعـه ... بعـدلـه أصـبح الملـهوف جـذلانا
وأشـرقت حائـل بالعـدل وافتخـرت ... والجـور زال سـريعًا بعـد أن كـان

إلى أن قال:

بشـراك يـا بلـدة حـل الإمـام بهـا ... بشراك بشراك عصـر العـدل قـد آنـا
هـذا الإمـام الـذي نجـد بـه افتخـرت ... وشـاد فيهـا لأهـل الـدين أركانـا
أضـحى بهـا الـدين في عـز وفي دعـة ... وصاحب الشر أضحى اليـوم حزنانـا

ثم هنأه بهذا الفتح وقال:

فالشـكر منـا جميعًـا والخصـوص لكـم ... إن كـان فينـا ولـي الأمـر أولانـا
يـا ابـن الأماجـد يـا مـن فـاق في كـرم ... أجواد طي ومن يدعى بـن جـدعانا
أنـت الإمـام الـذي ديـن مودتـه ... ونصـحه هكـذا الوغـاض أشـقانا
أرخ السـتور علـى مـا كـان مـن زلـل ... لا زلت كهفًا لأهـل الـدين معوانـا
هـذا وخـتم نظـامي بالصـلاة علـى ... محمـد المصـطفى مـن نسـل عـدنانا
وآلـه والصـحاب الكـائنين لـه ... علـى المحجـة أنصـارًا وأعوانـا

وقال سالم بن سالم بن صالح آل بنيان هذه القصيدة تهنئة للفاتح ومدحًا له بما من الله عليه به من فتح حائل:

بـدأت بحمـد الله مبيـدي الفضـائل ... فلـيس سـوى المـولى بـاراج وسـائل
ولله آلاء علينـا كـثيرة ... وأنعامـه تـترى بكـل الفواضـل
فكـم ظلـم جلـى وكـم فـتن وقـى ... وكـم كـف عنـا معضـلات النـوازل
فللـه رب الحمـد والشـكر والثنـا ... يقصـر عـن إدراكـه كـل فاضـل
على نصـر أعـلام الشـريعة والهـدى ... وإعـزاز ديـن الله بعـد التضـاؤل

لك الحمد مولانا على نصر حزبنا ... على كل طاغ في البلاد وخاتل
لك الحمد ما هب النسيم من الصبا ... وما أنهل ودق المعصرات الهواطل
على الفتح والنصر الذي كان فاعتلى ... فقرت به والله عين لآمل
فمن مبلغ عني الإمام هدية ... إماما لأهل العصر بحر الفضائل
إمام الهدى عبد العزيز أخا التقى ... إمام هز برا ما له من مماثل
ليهنك هذا الفتح والعز والهنا ... ونيل المنى في كل مصر وحائل
فسر به أهل التقى وذود الهدى ... وغاض لعمري كل فدم وجاهل
ملكت ديار القوم أقطار حائل ... فنلت فخرا لم يكن للأوائل
فلا زلت فينا واطا هامة العدى ... ولا زلت محفوظا شرور النوازل
ولا زلت منصور اللواء مؤيدا ... على كل باغ من رفيع وخامل
ويا أيها الوالي الذي شاع فضله ... وحاز الثنا من بيت تلك القبائل
عليك بتقوى الله والحلم والوفا ... وإكرام أهل العلم أهل الفضائل
وشكرا لمولاك الذي عز قدره ... فلله رب الحمد معطي الجزائل
فلا زلت بالأسعاف والنصر مسعدا ... على خير مطلوب ونيل الفضائل
ولا زلت للإسلام والدين معقلا ... ووفقت للخير يا ابن الأفاضل
ولا زلت للإخوان والدين ناصرا ... وحصنا حصينا من شرور الأسافل
فدونك من نظمي الذي أنت سامع ... فسامح قصورا إن رأيت لقائل
وكل امريء يهدي على قدر وسعه ... وهذا الذي نهدي إلى خير فاضل
وختمي صلاة الله ثم سلامه ... على السيد المعصوم بدر الفضائل
محمد المختار والصحب بعده ... كذا الآل والأتباع زين المحافل

وقال الشيخ محمد بن عبد الله بن عثيمين شاعر نجد الكبير مهنئاً الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بما منّ الله به عليه من فتح حائل قال في معرض قصيدة له:

فلولا التقى والصفح عنكم لاصبحت ... منازلكم يشتو بها الربد والعفر
وإلا ففيها قد جرى أهل حائل ... عليكم لكم من غيكم والهوى غجر

وقــدما أقــام المســلمين دعــاكم … إلى رشــدكم لكــن بــاذانكم وقــر

هـو الملـك الوهـاب والضـيم الـذي … لـه العزمـات الشـيم والفتكـة البكـر

هـو الملـك السـامي الـذي سـطواته … تبيح حمـى مـن كـان في خـده صـعر

بجيش يغيـب الشـمس عـثير خيلـه … ويحمـده بعـد القـا الـذئب والنسـر

كــان اشــتغال البـيض في جنباتــه … سنا البرق والرعـد الهمـاهم والزجـر

وصــادق عــزم أن طمــا لـيـل فتنــة … تــبلج حفــد في حفادســـها فجــر

ثم أطال إلى أن قال منذراً للحسين الشريف:

فقـل لحسـين دام في القـوس منـزع … ألا ترعوي من قبل أن يقصـم الظهـر

زجرت طيـور الـنحس تحسـب أنهـا … سـعود فـلا طـرق إفسـاد ولا زجـر

أمـــاني مخـــدوع يعلـــل نفســـه … ومن دون هاتيـك المـني المشـرب المر

وضرب كأن أفـواه المخـاض مجاجـة … دم تمـت بـه البـيض والذتـه السـمر

ترقــب لهــا ملمومــة تمــلا الفضــا … يسوق إليك الوحش من لغطها الـذر

تظـل عليهـا سـغب الطيرعكفـا … معـــودة أن القبيـــل لهـــا جـــزر

يــدبرها عزمــا و دراى و منفصــلا … مــدير رحاهــا لا كهــام ولا غمــر

إمام الهدى عبد العزيـز الـذي رنـت … إليـه المعـاني قبـل أن تكمـل العشـر

أتانـــا بـــه الله الكـــريم بلطفـــه … على حين ماج الناس واسفحل الشر

وشـــعبت الأهـــواء ديـــن محمـــد … ولم يـك نهـي عـن فسـاد ولا أمـر

وولي أمور النـاس مـن لا يسوسـهم … بشـرع وخـاف الفـاجر المـؤمن الـبر

فاسـفر صـبح المسـلمين وأشـرقت … بطلعتـــه أنـــواره وانتـــى العســـر

إلى آخرها وهي طويلة جميلة.

وقال أيضًا قصيدة في ذلك وهي هـذه:

منـــال العلـــي إلا عليـــك محـــرم … وكـــل مـــديح في ســـواك يـــذمم

ولا مجـــد إلا قـــد حويـــت لجلـــة … ولا فضـــل إلا أنـــت فيـــه المقـــدم

ومن يعتقد غير الذي جاء نصه | لكم في كتاب الله لا شك يأثم
ألستم أقمتم ميل نهج محمد | وقد كاد يعفو أو يبيد ويهرم
سيأتي قتيل الطف في الحشر شاهدا | بهذا وحجر والمقام وزمزم
غداة كسوتم كعبة الله واعتلى | بابطحها الدين القويم المعظم
ولم يبق فيها قبة أو ذريعة | إلى الشرك ألا وهي تمحى وتهدم
معال متى تذكر تصاغر عندها | معالي ملوك أخروا أو تقدموا
فلا مجد إلا خشية الله والتقى | ولا فخر إلا الشرع فيه المقدم
ليهنك يا عبد العزيز بن فيصل | مغانم تدعي وهي في الأجر مغنم
إذا شق أمر المسلمين مضلل | فأنت له الموت الزؤام المحتم
دلفت له قبل الشروق بفيلق | إحم الرحى فيه المنايا تقسم
فأسقيتهم سما زعافا يشوبه | بأفواههم بالموت صاب وعلقم
تظل به غرث السباع نواهلا | وعقبانه منها وقوع وحوم
كما قد جرى يوما على أهل حائل | وقد صرفوا عن منهج الرشد أو عموا
وظنوا بأن الدار كالاسم حائل | نفور عن الإزاج جداء معرم
فانكحتها حم الرماح فأصبحت | كشافًا بعيد الحمل بالشر تلتئم
فكم كاعب حسناء تلطم وجهها | وأخرى تشق الجيب بالثكل أيم
وكم نصحوا لو كان للنصح موضع | وكم عدل لو كان فيهم محلم
ولكن أبوا إلاَّ شقاق لم يكن | لهم وزر إلاَّ حسام ولهذم
وقال زعيم القوم لا بل شقيهم | ابن طلال أرسلوا فهو أحزم
فلما أتاهم زادهم مع خبالهم | خبالاً وعقبى ما أتوه التندم
وظنوا بأن الله يخلف وعده | وهيهات وعد الصادق الوعد أحكم
وقد قال جندي غالب لا محالة | بذاك قضائي في البرية مبرم
أطل عليهم واحد في كماله | ولكنه في الباس جيش عرمرم
بفتيان صدق في اللقاء أعزة | لهم نسب ما شابه قط أعجم

على ضمر بين الوجيه ولاحق   تعارض ما أبقي الجديل وشدقم
أولائك بنو الإسلام حي هلابهم   وأكرم بهم أكرم بهم حيث يمموا
هم عرفوا حق الإله ورسله   وحق ولاة المسلمين وعظموا
رأو أنه لا دين إلا بطاعة   لمن هو بالدين الحنيفي قيم
وذاك أمير المؤمنين بن فيصل   أمام الهدى للمكرمات متمم
فلما رأو حزب الإله يقوده   إليهم ربيط الجأش في الهول مقدم
تولوا سراعا والسيوف شوارع   بأكتافهم والسمهري تحطم
ومن قد نجا منهم إذا سمع الندا   يراع وبالأموات في الليل يحلم
إليك إمام المسلمين تواهقت   بها ضمر تطوي المهامة عليهم

إلى أن قال:

فحسبكم عند المهيمن قربة   ونصحكم فرض علينا محتم
ومن لا يراه فهو إما مغفل   وإما على تكذيبه الوحي مقدم
وما إنس لا إنس بن سلطان فيصلا   له ما بقي مني الثناء المنمنم
أخ الحرب إن عاضت به الحرب لم يكن   جزوعًا ولا من مسها يتألم
وزير إمام المسلمين للذين له   نشاهد فيها معطس الفسق يرغم
إذا ناكث أو ماذق مرقت به   عن الدين نفس للشقاوة ترام
سما مشمعلا فيصل نحو داره   يخوض بحارًا بعض خلجانها دم
بأمر إمام المسلمين ورأيه   ولا عز إلا بالإمامة يعصم
وإخوانه في الله لا تنس فضلهم   هم نصرة الإسلام والله يعلم
قبائل فيها من رجال عتيبة   أسودًا إذا حمي الوطيس تقحم
يسومون في الهيجا نفوساً عزيزة   ولكنها بالقتل في الله تكرم
وفي الحرب من حرب ليوث ضراغم   أشدا على الباغين في الله رحم

إلى آخرها وهي حسنة جميلة.

وقال الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر تهنئة للإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل لما فتح الله على يديه بلدة حايل وولاه الله شوكتهم، وفي هذه أبيات متكسرة فأقمنا ما تكسر من أبياتها بدون تصرف وحذفنا بعض أبياتها للمصلحة.

لـك الحمـد اللـهم يـاذا الفضـائل ... عل كل حال في الضـحى والأصـائل
لـك الحمـد حمـدًا يمـلأ الكـون كلـه ... بعــد هتــون المــدجنات الهواطــل
فللـه ربـي الحمـد والشـكر والثنـا ... علــى نعــم تــترى بعــد الجنــادل
فقـد جـاءت البشـرى بعلـم يسـرنا ... ويخزى ذوي الأضغان أهـل الغوائـل
فبشــرنا أن الإمــام قــد احتــوى ... وولاه رب النــاس شــوكة حائــل
ومـن قبـل في الرؤيـا رأيـت بشـارة ... كــان الإمــام فــاتح ســور حائــل
لأنهــم قــوم عــن الحــق قـد أبـوا ... وولـوا سـفيهًا أمـرهم غـير عاقـل
فلم يفلـح المـأفون بـل خـاب سـعيه ... فمـذ قتـل الإخـوان أهـل الفضـائل
علـى غـير جـرم غـير توحيـد ربنـا ... فمــا الله عمــا يعملــون بغافــل
جــزاه الإلــه الحــق مــا يســتحقه ... وبــاء مــن المــولى بخـزي الأوائــل
وأتباعــه مــن كــل قــدم وجاهــل ... يعمهــم ربــي بشــر العواضــل

وأطال ثم أنه أتى على العدو الآخر فقال:

حسـين الـذي قـد بـان للنـاس شـره ... فلـم يختفـي إلا علـى كـل جاهـل
فيـا ربنـا احشـره ومـن قـد أحبـه ... مــع آل فرعــون بشــر المنــازل
فإنـك يـا ربـي علـى الكـل قـادر ... وأمــرك غــلاب لكــل مماطــل
فلـم يفلحـوا والحمـد لله بـل أتـى ... علـيهم عقـاب عاجـل غـير آجـل
وأخـرجهم للمـوت مـن لا أفـادهم ... وهـرب مخـذولاً علـى غـير طائـل
فخمـس مـئين عـدة القتـل فـيهم ... بنصــية تــدعى قريبًــا لحائــل
فاضـحوا ركامًـا في البقـاع تـزورهم ... سباع الفلا والطـير خمـص الحواصـل
علـى يـد مـأمون السـريرة مـن غـدا ... حميـد السـجايا مـا لـه مـن مماثـل
وأعنـى بـه عبـدالعزيز أخـا النـدى ... وغيـث اليتـامى عصـمته للأرامـل

إمامًـــا همامنـــا المعيـــا مهـــذبًا يحـامي علـى ديـن الهـدى بالبواسـل
وإخوان صدق من ذوي الباس في اللقا يريـــدون عنـــد الله أعلـــى المنـــازل
حمـاهم إلـه العـرش مـن كـل بدعـة ووفقهـــم للصـــالحات الكوامـــل
والفهـم ربـي علـى الحـق والهـدى يـذودون عـن ذا الـدين كـل مماطـل
وأحيـا لنـا أشـياخنا أنجـم الـدجى لإرشـــاد حـــيران وتعلـــيم جاهـــل

إلى أن قال:

فيـا راكبًـا مـن فـوق قـوادا ضـامر صـبورًا علـى الشـدات يبغـي لحائـل
تحمـــل هـــداك الله مـــني تحيـــة إلى الملـك الضـرغام زاكـي الشـمائل
وسلم علـى نسـل الكـرام وقـل لـه هنيئًـا لـك الإقبـال يـابن الأفاضـل
هنيئًا لـك النصـر الـذي شـاع ذكـره بكـل النـواحي عنـد كـل القبائـل
فقـد تمـت النعمـا فقابـل بشـكرها لمـولاك مـن يعطـي الجزيـل لسـائل
وعاملـه بالإنصـاف فـيمن وليتـه وكـن تابعًـا للشـرع في كـل نـازل

إلى آخرها وهي طويلة تضمنت المديح والدعاء للمشائخ الكرام والعلماء العظام وقد أكثر الشعراء من القصيد والمديح لصاحب الجلالة تهنئة له ودعاء له بالتسديد، وقال أيضًا الشيخ عثمان بن أحمد هذه القصيدة في فتح حائل وقد أقمنا بعض ما تكسر منها.

وقول شاعرنا رحمه الله ولاه الله برزان المراد به قصر آل رشيد الذي يسكنه الحاكم فيهم، وكان قصرًا منيعًا فسيحًا كثير الغرف محكم البناء، وقد أقيم من طين وحيطانه ضخمة في وسط البلد، ولا تزال أثاره أطلالاً موجودة إلى الآن يسكنها البوم، ثم أنه استطرد الشاعر حتى أخذ يدعوا للفاتح ويمتدح أصحابه وشيعته بقوله:

حمـاه إلـه العـرش مـن كـل محنـة وبـواه في الخلـد أسـنى المفـاخر
وإخواننـا أهـل المـودة والصـفا حمـاهم إلـه العـرش مـن كيـد فـاجر
وليس لهم قصـد سـوى نصـرة الهـدى يـذودون عـن ديـن الهـدى كـل مـاكر
فيـا أيهـا الغـادي علـى ظهـر جلعـد عرنـد سنة مـن طيـب العـيس ضـامر

إلى الملك السامي إلى منهج العلى — له همة فوق النجوم الزواهر
فأبلغه تسليمًا كثيرًا وقل له — محبكموا يدعو لكم بالسرائر
ويمتر فيما نالكم من مسرة — ويشكر ربًا عالمًا بالضمائر
هنيئًا لكم ذا الفتح يا أهل ودنا — هنيئًا لأصحاب النهى والبصائر
فهذا هو الفتح الذي شاع ذكره — بكل النواحي بين بدو وحاضر
وهذا هو الفتح الذي منه زلزلت — اربًا وبلدان الغوات الكوافر
فأصبح مسرورًا به كل مسلم — وأصبح مغموضًا به كل فاجر
وإنا لنرجو فتح مكة بعده — بحول إلهٍ للخلائق قاهر

الخ وهي طويلة نضرب عنها للاختصار.

ولما أن سلم آل رشيد نقلوا إلى الرياض؛ وكان محمد بن طلال بن نائف آخر الذين سلموا من أهل حائل وقد نقل من جملة الذين نقلوا، ونذكر عنه قصة رأيتها في تاريخ الريحاني: وذلك بأنه خرج مرة من بيت في الرياض بالليل وهو مختف في ثوب إمرأة فلما رآه أحد رجال السلطان قبض عليه وجاء به إلى السلطان فأمر بنقله إلى القصر واسر مدة طويلة ثم أطلق سراحه، فلما جلس جلالة الملك عبدالعزيز مرة في المجلس العالي بالقصر على الديوان كان عصا الشوحط بيده وإلى يمينه ويساره رجال بيت الرشيد وعلى الدواوين والكراسي خمسون ونيف من وجهاء الرياض وعلمائها، فأمر العبيد أن يدخلوا المجلس ومعهم ابن طلال، فأجلسه السلطان إلى يمينه ثم قال: اعلموا يا آل رشيد أنكم عندي مثل أولادي وأنتم في الرياض تعيشون كما أعيش أنا وأولادي لا أقل ولا أكثر، ثيابكم مثل ثيابنا وطعامكم مثل طعامنا، وشرابكم مثل شرابنا، وخيلكم مثل خيلنا وأحسن، وليس في القصر أو في البلاد شيء تحت يدي تريدونه إلا وهو حاصل لكم، وهل منكم من يشك في ذلك فتكلموا، فلم ينطق منهم أحد، ثم قال خطابًا لمحمد بن طلال: يا محمد إنه ما جر عليك الأسر غير نفسك، غير عملك السيء، كن عاقلاً حكيمًا ولا تعر أذنك النساء إني عالم بما تعمل وبما تقول فاعقل لصالح نفسك وتجنب الطرق التي فيها القيل والقال، والتي تؤدي إلى الفتن كن صادقًا مخلصًا، تكرم كل الإكرام

مثل أهلك هؤلاء والله وبالله وتالله إن الضرر الذي يمسكم يا آل رشيد يحرك قلبي قبل لساني إلى مساعدتكم أنت يا محمد واحد من بيتي الآن وكل ما عندي للدفاع عن بيتي عن العيال والحريم أقدمه إذا اقتضى الأمر في الدفاع عنك في الدفاع عنكم كلكم، وهناك وقف السلطان فوقف من في المجلس وأعطى يده إلى ابن طلال قائلاً أعطيك عهد الله مازلت مخلصًا لنا فصافحه ابن طلال وهو يقول: إذا حدت عن الطريق الذي أمرت به فاقطع رأسي ثم قبل عظمته في أنفه وفي جبينه، ثم صوت يهتف بالدعاء أدامك ووطد أركان ملكك، هذا هو صوت كبير بيت آل رشيد يومئذ، وهذه آخرة آل رشيد الذين سطر لهم التاريخ سطورًا من الدم حمراء ليس لهم سواها يذكر، وكان مدة حكمهم أربعاً وثلاثين سنة دانت لهم نجد من أدناها إلى أقصاها ومدة إمارتهم في حائل ما يقرب تسعين سنة.

ولما استقرت عائلة الرشيد في الرياض بقي جلالة الملك ابن سعود يعامل أفرادها معاملة أفراد آل سعود فأصبحوا في عيشة لم يروا مثلها أيام حكمهم وسيطرتهم المملوءة بالحروب والمغازي والمخاوف، واستراح أهل حائل من مكابدة الفقر والذبح والزعازع، حتى أنه نقل لنا عن شيخ طاعن السن في حائل أنه وجد ايام آل رشيد يغسل كرشًا وينظفها بيده، فسئل عن تلك الحالة؟ فقال: ذهبت أموالنا وقلت أرزاقنا لما نكابده من عسف آل رشيد، ثم دعا الله أن لا يبقى منهم رجل ولا إمرأة، فانظر يا أخي إلى شدة هذه المبالغة.. نسأل الله العافية والسلامة.

ولقد حرص جلالة الملك على عقد الصلة والألفة بين بيته وبيت آل رشيد حتى تزوج من أسرتهم، وفيها وفاة عبدالكريم بن ناصر بن سليمان بن جربوع ـ رحمه الله تعالى ـ وعفى عنه، وكان من رجال الدين، وأسرة آل جربوع من شمر.

ذكر آل عائض وما جرى منهم

آل عائض هؤلاء يدعون أنهم من سلالة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وأنهم نزحوا إلى عسير بعد سقود الدولة الأموية في الشام ولكنهم لم يكونوا قبل الفتح السعودي أمراء عسير، ولما أمر سعود الكبير في تلك الجبال رجلاً يدعى

ابن مجثل كان عائض جد الأسرة من الرعاة، وهذا كان في سنة ١٢٢٨، ثم لما جاءت الجنود المصرية وجاء محمد علي بنفسه يقود الحملة على أهل عسير كان آل يزيد من المتقدمين المستبسلين في القتال، وكان عائض بطل آل يزيد فأمره ابن مجثل مكانه وكتب إلى ابن سعود يوصيه به فأثبته في الإمارة، ثم خلفه بعد وفاته ابنه محمد الفاتح الذي بسط سيادة آل عائض، فوصل إلى بيشة شرقًا وإلى حدود الحجاز شمالاً وجنوبًا بغرب إلى المخافي تهامة، ولما تضعضعت في وقته حكومة آل سعود وعادت الدولة العثمانية إلى اليمن جهزت على عسير حملة بقيادة المشير رديف باشا فقتل الأمير محمد بن عائض غدرًا، وآخر من تولى هذه الوظيفة منهم هو حسن بن علي حفيد الأمير محمد الذي عينه المتصرف سليمان شفيق كمال باشا في سنة ١٣٣٠ المتقدمة، فلما شبت الحرب العظمى وجلا الترك عقب الحرب عن عسير تولى حسن هذه الإمارة استقلالاً مستبدًا وكان ظالمًا فنفرت منه القبائل خصوصًا قحطان وزهران وأرسلت وفودها شاكية إلى ابن سعود، فبعث إليهم عبدالعزيز بن عبدالرحمن ستة من علماء نجد، وكتب إلى الأمير حسن وإلى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسالمة ويدعوهم للرجوع إلى ما كان عليه أجدادهم ولكن الأمير حسنًا استمر في عصيانه فأبى توسط العلماء وردهم مكابرًا، قال: إذا كان ابن سعود يتدخل في شئون قبائل عسير فسنمشي إلى بيشة النخل قلعة بيشة ونستولي عليها، فعندها أرسل الملك عبدالعزيز إليه ابن عمه عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي أمير حائل ومعه ألفان من الجنود، وأمره أن يدعو ابن عائض أولاً للسلم فيكون مع ابن سعود كما كان أجداده الأولون، ولقد كان الأولى بنا ذكر هذه الأمور في مواضيعها كعادتنا ولكن لأجل الضرورة جعلناها على حدة لاستغراق ما تقدم بذكر آل صباح وابن رشيد والشريف، ولكن تستفيد من ذلك ما كابده عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود من كثرة المشاق وتكبد الأخطار وصعوبة العقبات في تأسيس هذه المملكة.

ذكر التعريف بعسير وجباله

لما دفعنا التاريخ إلى تلك الناحية فلا بد من معرفتها فنقول عسير بين الحجاز واليمن في أعالي تهامة، وهناك جبالها التي قد كساها الاخضرار فتوفرت فيها الأشجار وغزرت المياه وتنوعت الثمار، ناهيك بهوائها الطيب الذي هو في الطيب والاعتدال مثل هواء الطائف.

وكانت جبالها أحصن الجبال للدفاع ورجالها من صفوة العرب في البأس والبسالة، ولكن أهل عسير أشد العرب نفرةً من الأجانب ويحبون الاستقلال، فلا يدينون لصحاب اليمن ولا لصاحب الحجاز، ولا سيما الأعراب منهم، فيوجد هناك أعراب لا يدينون حتى ولا لصاحب عسير، وكان أهل عسير قد أقبلوا في أيام آل سعود الأولين على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قدس الله روحه ونور ضريحه، فترى مساجدهم قد خلت من الزخارف وقبورهم قد سلمت من البنايا والقباب وهم موحدون ولا يجري منهم شيء من التوسلات بمخلوق، وكانوا يدفعون الزكاة للإمام في الدرعية مثلما يدفعونها اليوم للملك عبدالعزيز، وقاعدة هذه المقاطعة هي أبها التي تعلو سبعة آلاف وثلثمائة قدم عن البحر فهي قائمة على رأسي وادي ضلاع ووادي شهران بين آكام وقمم تنتصب كالحراس حولها وهي مؤلفة من ثلاث قرى وحواليها ثمان قلاع صغيرة، تسع القلعة الواحدة عشرة رجال، وحوالي أبها بنو حفيظ وبنو دليم وبنو مالك وبنو زيد، وشمالاً منها بنو شهر، وشرقًا خميس مشيط يبعد عنها خمسة عشر ميلاً، وهو قاعدة زهران، وفي هذه الناحية وادي شعاف الذي يقطنه آل يزيد ومنهم آل عائض هؤلاء، فلما جرى من هذا الأمير حسن ما جرى من التمرد بعث إليه ابن سعود عبدالعزيز ابن مساعد، فمشى إليه ابن مساعد في شعبان من سنة ١٣٣٨، وعندما دنا من أبها في رمضان لم يحتج ابن عائض إلى دعوة السلم بل خرج إليه بجنوده.

ذكر هزيمة آل عائض

لما ركبوا مطيعة العصيان وخرجوا لقتال ابن مساعد تصادموا في مكان يدعى حجلة بين العاصمة وخميس مشيط، فكانت الواقعة شديدة جداً فجعل الله عز وجل الهزيمة على أهل عسير، ثم دخل جيش بن مساعد أبها وواصل سيره غربًا جنوب، فاستولى على السراة وغيرها من النواحي التي تتصل بحدود الإدريسي، وكان الإدريسي مواليًا لابن سعود فأسر بعض آل عائض الفارين ورجع حسن وابن عمه محمد إلى ابن مساعد مستأمنين مستسلمين، فأمنهما وأرسلهما إلى الرياض فلبثا شهرًا بضيافة السلطان عبدالعزيز واتفقا وإياه على أن يكونا معه كما كان أجدادهما مع أجداده، فقال لهما عبدالعزيز: ما تخلينا أبدًا عنكم يا أهل عائض، وعندما سأل الترك الشريف عبدالله بن عون أن يهاجمكم وينكل بكم أرسل الشريف يستنجد عمي الإمام عبدالله فأجابه قائلاً: ابن عائض رجل منا فكيف نساعدك عليه، ثم عرض السلطان إمارة عسير على حسن بالشروط التي تقيد بها أجداده فرفضها قائلاً: قد عادينا الناس ونخشى إذا أمرتنا أن يقوموا علينا ولكنا نكون معاونين لمن تؤمرون أيدكم الله ولا تقصروا عنا من جهة الدنيا، فلم يقصر ابن سعود وقد أعطاهما خمسة وستين ألف ريال وخصهما وأهلهما بالمشاهرات المالية ثم عاد الأميران إلى بلادهما راضيين مغبوطين، فأقام محمد في أبها عند حاكمها وكانت سيرته حسنة، أما حسن فاستأذن بأن يسافر إلى حرملة بلدته ليجيء بعائلته إلى العاصمة فأذن له بذلك ولكنه عندما وصلها تمنع فيها وشرع يدس الدسائس على ابن مسعود، ثم مشى بعد فتنة آثارها بقوة من قومه على أبها فحاصر الأمير فيها عشرة أيام واضطره إلى التسليم فسلم فأسر في خميس مشيط.

فلما أن عصى حسن وضرب بعهوده مع ابن سعود عرض الحائط واستولى على أبها وأسر أميرها قام الشريف حسين بن علي يمد حبائله في عسير وأرسل إلى قبائل شهران وغيرها يستحثها للانضمام إلى حسن بن عائض ويستنهضها ويمدها

بالذخائر والأموال فتفاقم الأمر وأعلن حسن العصيان واشتد الخطر على الحكومة السعودية فاستمرت هذه الحال قريبًا من شهرين، وكان ابن سعود مشغولاً بفتح حائل وبعد سقوط حائل ببضعة أشهر أعني في هذه السنة جهز السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن ابنه فيصل بحملة على عسير مؤلفة من ستة آلاف مقاتل من جنود نجد من الإخوان وأربعة آلاف من عرب قحطان وزهران انضموا إليهم عندما دخلوا تلك الجبال فزحف الأمير فيصل في شوال من هذه السنة بعشرة آلاف مقاتل يؤم عسير، فلما أن وصل بيشة كان بنو شهر زاحفين إليها يريدون مهاجمتها فأمر فيصل بابتداء القتال فهجمت عليهم كتيبة من الجيش فقتلت مائتين منهم وشتت الباقون وكان محمد بن عائض مرابطًا بجيشه في خميس مشيط، فلما علم بدنو فيصل تقهقر إلى حجلة فتقفته سرية من الفرسان فتراجع وجنوده إلى أبها بدون قتال.

وقد سأل بعض الجلساء الأمير فيصل هل كان في أبها عندما دخلتموها أحد من المقاومة، فقال: ما وجدنا فيها غير الكلاب والحريم، فر آل عائض وقومهم وفر معهم هاربًا من استطاع الفرار؛ فأرسل الأمير فيصل يؤمن الناس بشرط أن يسلموا شوكة الحرب، فسلم فريق من الذين كانوا ثائرين وظل فريق مع الأمير حسن الذي لجأ إلى بلدته حرملة وتحصن فيها، وحرملة هذه هي في معقل من الجبال يستحيل ارتقؤها إلا من منافذ معلومة لا يعرفها غير أهلها، وكان آل عائض في محاربتهم يلجئون إليها لأنها حصنهم المنيع.

أما الأمير محمد فقد هرب إلى القنفذة ومنها إلى الحجاز ليستنجد بالشريف حسينًا فأنجده بحملة صغيرة يقودها الشريف عبدالله بن حمزة الفعر ومعها مائتان من الجنود النظامية وبعض المدافع والرشاشات بقيادة الملازم حمدي بك.

ولما أن بلغ الأمير فيصل ما آل إليه أمر آل عائض حسن ومحمد أرسل على حسن في معقله بحرملة سرايا من الجيش يتلو بعضها بعضًا وبعد تذليل العقبات ومعركة دامت ست ساعات استمر الإخوان في التصعيد حتى وصلوا حرملة فلم يجدوا حسنًا فيها، فهدموا قصورها وحصونها وعادوا إلى أبها، وأرسل أيضًا الأمير

فيصل قوة من الجيش إلى تهامة لمحاربة القادمين من الحجاز، ولكن تهامة شديدة الحر على الإخوان ولم يطيقوا حمايتها فلم يمنعوا فيها بل عادوا منهزمين، هزمتهم الحمى إلى الجبال فتقفى جيش الحجاز أثرهم.

أما قيادة الجيش الحجازي فغير متفق عليها بين حمدي بك، والشريف عبدالله بن حمزة، فقال أحدهما في خطه والآخر في أخرى، فمشي الشريف عبدالله بالجيش في الطريق التي حذره منها حمدي بك فكان صيدًا للإخوان حيث لم يشعر إلا وهو في الشبكة بينهم فأحاطوا به ومن معه وكادوا يفنون جيشه بالرصاص والسيف، وفي آخر نفس نجا القائدان بقسم من رجالهما يسير من بقية النظام وبقية البدو ففروا ولاذوا ببارق فتعقبهم الإخوان ففروا منها منحدرين إلى تهامة متقهقرين إلى القنفذة.

وفيها في جمادى الثانية نقل يوسف بك السعدون بفرقة الهجانة إلى أبي الغار على مسيرة يوم من سوق الشيوخ غربي سكة الحديد بين البصرة والناصرية، فزاره المتصرف هناك وأمر العربان بأن لا يؤدوا الزكاة إلى ابن سعود، وذلك له سبب وهو أنه لما فر بعض أهل الجبل أوان حصارها إلى العراق دخلوا هناك في العشائر المعادية لعشائر نجد واشتركوا في الإغارات التي تكررت، خصوصًا من عربان المنتفق والظفير فأنهم جعلوا يسطون على عشائر نجد وكان صويط على عداء قديم هو وابن سعدون وكلاهما عدوان لابن سعود.

ومن سوء التدبير أن عيّن ملك العراق فيصل بن الحسين يوسف بك السعدون قائد الفرقة الهجانة على الحدود وبينه وبين ابن صويط عداوة قديمة فأهاج ذلك خاطر شيخ الظفير حمود بن صويط ورحل إلى الرياض فكتب المندوب السامي السربرسي كوكس إلى ابن سعود يسأله أن لا يستقبله لأن حكومة العراق غير راضية عنه فلأجل أن ابن سعود لم يكن راضيًا على الحكومة العراقية لتعيين يوسف قائدًا لهذه الهجانة وسوء قيادته التي ليست على ظاهرها رحب الملك ابن سعود بشيخ الظفير بن صويط عند ما جاءه مستغفرًا وأعطاه الأمان على شرط أن ترد عربانه كل ما نهبت من أهل نجد وأن لا يشمل العفو غيرهم من المذنبين ثم

أجزل له العطاء وأرسل معه أحد رجاله وهو عبدالرحمن بن معمر للتامين ولجمع الزكاة من أهل الظفير المسلمين فلما فعل ما فعل يوسف بك علم السلطان عبدالعزيز بأفعاله وأمر فيصل الدويش أمير الأرطاوية أن يمشي إلى الحفر ويعسكر هناك للدفاع عن عشائر نجد.

أما ابن صويط فقام ينفذ في عربانه أوامر ابن سعود فعصاه رجال من المقدمين فيهم اسمه أبوذراع وخرج إلى آل طوالة من شمر العصاة وشرع يشن الغارات وإياهم على عشائر نجد، فلما علم فيصل الدويش بذلك وهو على الحفر شد على ابن طوالة وأبي ذراع، وكان الخبيث يوسف بك السعدون قد زحف بهجانته على ابن صويط ومن معه من رجال ابن سعود فنزل ليلة ذاك النهار في مكان قريب من مناخ أبي ذراع وابن طوالة، فهجم الدويش على هذين الزعيمين ورجالها فغلبها وغنم أموالهما فبادرت هجانة يوسف إلى الدفاع عن المغلوبين فما كان إلا قليل حتى صاروا مثلهم فضربهم الدويش دفاعًا فانقلب ذلك الدفاع هجومًا لأن الإخوان المنتصرين ظلوا ماشين إلى أبي الغار فدخلوها ونهبوها ثم اتبعوا أثر جيش ابن سعدون فأدركوه في شقرة التي تبعد عشرين ميلاً من أبي الغار إلى الجنوب فضربوه ضربة ذهبت بأكثر أولئك الهجانة وشتت الباقين.

ثم خيم الإخوان في تلك الناحية بضعة أيام فضجت كربلاء والنجف بل ضج العراق بأجمعه ففعلت الحكومة البريطانية بالدويش وجنوده فعلها الأول المتقدم في الصبيحية حيث أرسلت عليهم الطائرات القاذفة المدمرة.

وترجع هذه المغامرات وخوض معامع هذه الحروب إلى شجاعة صاحب الجلالة وعظم حظه.

وكذلك أيضًا تعرف بها جراءة الدويش وتقدمه وما كتب له من النصر والظفر بكونه يغير بالجنود الحنيفية ويضرب بها المخالفين وذلك في حين سيره بأمر جلالة الملك ابن سعود وسيأتي له بقية ذكر في هذا التاريخ إن شاء الله تعالى.

ولما رعدت الطائرات المدمرة عليه وعلى جنوده توالت رسائل الأسف بين

المندوب السامي السير برسي كوكس وبين ابن سعود، ويقول في رسائله لا تؤاخذوا طائراتنا ولكن لا مبرر لهجوم الإخوان على عشائر العراق والسلطان عبدالعزيز يقول: لا تؤاخذوا الإخوان ولكن التبعة على الحكومة التي لا تستطيع أن تكبح جماح العشائر ضمن حدودها هذا جزاء الضعف والإهمال وبعد هذا الحادث عقد مؤتمر المحمرة لتسوية الخلاف بين البلدين فحضره أحمد بن ثنيان من قبل السلطان عبدالعزيز ومندوبان من قبل الحكومة والمفوضية في بغداد ولكن السلطان لم يصدق على ما قرر هناك فعقد المؤتمر الثاني بعد بضعة أشهر في العقير.

ثم دخلت سنة ١٣٤١هـ

استهلت هذه السنة وحسين بن علي الشريف على مقاومته لابن سعود ولا يزال يغري عليه القبائل ويختلق له المشاكل وينصب الحبائل فمنع أهل نجد من الحج في هذه السنة وأغلق في وجوههم أبواب الحجاز وأضرم عليه نيران الأعداء من كل جانب وقد حج أهل نجد فما جرى منهم إلا الخير وعدم الحركة، ولما بعث ابن سعود إلى بريطانيا العظمى يسألها أن تضع حدًا لمشاكل الشريف حققت بريطانيا الطلب على الشريف وسألته أن يأذن لأهل نجد في الحج أسوة بالمسلمين فما استجاب على الفور ليرى خصمه تعاليه، ثم أذن لأهل نجد بالحج في السنة التي خرجت.

فأقبل وفود بيت الله الحرام من النجديين تحت أمرة مساعد بن سويلم فأدوا فرائضهم في هدوء وسكون ورجعوا بخير ويأبى الله أن يحدثوا ما يفسد العلائق كما يظنه بهم العدو الذي يرى أهل نجد بعين السخط كما قيل.

فعين الرضا عن كل عيب كليلة كما أن عين السخط تبدي المساويا

ولما أذن بالحج بعث ابن سعود إلى ابنه علي أن الحسين يثني على أبيه ويمتدحه ولكن أين الصلح، أين الهدنة يا عباد الله ولا يقتنع الحسين بالقول ويرى الفعل نفسه تمنية ببسط ملكه على كل عربي في الأرض وخصمه عاهل الجزيرة قد احتل خيبر وتيما وأخذ يتوسع في الجزيرة وقد قضى على الفتن في جنوب نجد وشمالها

ومحا دولة آل رشيد وأخضع آل عائض، فوربك ما بقي إلا الحجاز وهذا مؤذن بدنو الخطر بل أغرى قبائله فأطاعه بعضهم ورجع الخرمة وتربة في ملكه، فإذا لا يطيق الحسين أعمال ابن سعود.

ولما أن منع أهل نجد من الحج في هذه السنة وتوسلت بريطانيا إليه بأن يأذن في الحج ويبرم معاهدة مع ابن سعود، فجرت مفاوضات طويلة اشترط الحسين فيها بأن لا يسمح بالحج في هذه السنة حتى يتم جلاء ابن سعود عن الجوف ورنية وبيشة وتربة والخرمة وكل بلد اغتصبها على حد زعمه، فيقال يا عجبًا لذلك أفلا يرد الشام والعراق والحجاز التي أخذتها بريطانيا من الأتراك وجعلته وأبناءه فيها وبهذا تعلم سوء سياسة الحسين بن علي فإنه بعد انتهاء الحرب العظمى لوحظ أنه بصفته الوحيد المرشح للخلافة لما فيه من الصفات المؤهلة لها وأنه ناصر الحلفاء وانضم إليهم في ساعة الشدة، فلا تجد بريطانيا من المروءة أن تتخلى عنه، وأيضًا قد بسط ملكه وسلطانه على كل من العراق وسوريا بواسطة اعتلاء أبنائه على عرش الملك في تلك البلاد فأخذ يطالب بريطانيا أن تقنعه بأنه على غير حق في مطالبه، ولكنه أصر على عناده وأخذ يتهددها غير مرة بترك البلاد والتخلي عن الملك فلتعين من يستلم البلاد منه فتحيرت بريطانيا وعجز ساستها عن فهم هذه العقلية الغريبة فبينما هو يطالب باستقلال العرب أجمعين ويدعي لنفسه الزعامة عليهم ومن مصلحتها هي أن تظهره بهذا المظهر أمام العالم إذا هو يكتب لها بأنه سيترك البلاد لتسلمها إلى من تختاره بدلاً عنه فكأنه بذلك يعترف بأنه عامل من عمالها، ولقد حاولت فعلاً أن تصلح سياسته معها وتحتفظ به فلم تشعر إلا به أصدر منشورًا إلى الشعب الإنجليزي باللغة الانجليزية يشكو إليه حكومته فضاقت به ذرعًا وتوترت العلاقات بينها وبينه ورأت من المصلحة أن تتركه وشأنه مع ابن سعود وتتخلى عنه دون أن تتدخل بينهما فيما بعد ذلك، ثم جرت مفاوضات طويلة في هذه السنة

بين ابن سعود وبين المندوب السامي السير برسي كوكس وعقد مؤتمر لوزان ومؤتمر العقير، اما مؤتمر العقير فانتهى إلى خمسة ايام وأما مؤتمر لوزان فاستمر بضعة أشهر.

ذكر مؤتمر العقير

وما حصل فيه وذلك بأنه لما كان في خامس ربيع الثاني من هذه السنة نصبت الخيام للمؤتمر وذلك على كثيب إلى جنوب القصر في العقير، فجعل قسم الخيام وهي البيضاء الهرمية المزركشة من الداخل بالآيات والرسوم إلى الجانب الشرقي لوفد العراق للإنجليز، والقسم الأكبر وأكثره من بيوت الشعر إلى الجانب الغربي لأهل نجد من المرافقين لعظمة السلطان عبدالعزيز، وكان سرادق عظمته مقابل سرادق الاجتماع سرادق الطعام ووراءه المطبخ، وإلى جانبه قافلة من الجمال وقد أناخت بأحمالها.

وكانت شمس العقير فاترة لا تجفف هواء العقير وهواءه رطب كثيف ثقيل لا يصلح مزاج من جاء مزاجه معكر ليصلح مجاري السياسة بينه وبين جيرانه.

وكان السلطان عبدالعزيز قد علم في الطريق من الحساء بقدوم فهد بن هزال شيخ العمارات مع المفوض السامي السير برسي كوكس فغاظه ذلك لأنه لم يجيء العقير لحل مشاكل العشائر، وقد كان فوق ذلك ناقمًا على الشيخ فهد لأنه أنزل عرب شمر الذين فروا من الجبل في أثناء الحصار لحائل فكتب إليه يذكره بأنهم من رعاياه وأن عرب عنزه والعمارات منها هم أبناء عم ابن سعود وأنهم لا يودون أعداءه ولا يساعدونهم عليه بل أنت يا فهد وعشائرك من رعايانا ولك علينا حق الحماية، هذا إذا كنت من المخلصين، ولكن فهد بن هذال يفضل على ما يظهر الحماية الانجليزية، وقد جاء محتميًا بالمندوب السامي ليسترضي السلطان عبدالعزيز، وكان عبدالعزيز يقول نحن دعونا السير برسي كوكس إلى العقير للنظر في أمرين، أحدهما الشريف وأولاده؛ والثاني الأتراك الطامعون الآن بالموصل، أما مسألة العمارات والظفير محلها لا يستوجب مجيئنا إلى هذا المكان، ولكن السير برسي

كوكس اغتنم هذه الفرصة ليعيد البحث في اتفاق المحمرة ويحدد الحدود بين نجد والكويت وبين العراق ونجد، فجاء ومعه فريق من السياسيين والأخصائيين وكتبة السر والخدم.

فلما كان في اليوم السابع من ربيع الأول مساء وصل اليخت الذي أقلهم من البحرين فأمر السلطان عبدالعزيز بإرسال الخيل إلى الرصيف ونزل هو وحاشيته يلاقون الوفود ويستقبلونهم، ثم عادوا بعد نصف ساعة إلى المخيم فترجلوا أمام سرادق الاجتماع الذي أنير بأنار اللوكس، وبعد أن استقروا بالمجلس اعتذر المندوب السامي عن بطئه في السفر فقبل السلطان العذر وشرع يفصح عما كان يتقد في صدره، فجاءت الكلمة الأولى قنبلة زعزعت المكان وهي: أنا لا أخشى إلا الرجل الذي لا شرف له ولا دين، ثم قال لا ندري يا حضرة المندوب ما خفي المقاصد ولكننا نرجو منها الخير ومما نعلم علم اليقين أن العشائر خصوصًا عشائر العراق لا ترتاح إلى حكومة قوية بل لا تبغيها لأن الحكومة إذا كانت قوية تضربهم وتؤدبهم، أما إذا كانت ضعيفة فتسترضيهم كما هي الحال اليوم أن العشائر يا خضرة المندوب لا يفهمون إلا بالسيف، فهم إذا عاملتهم بالحسنى يتحكمون بالحكومة؛ اشهروا السيف يرتدعوا يتادبوا، أغمدوا السيف ينهبوا ويقتلوا ويتقاضوكم فوق ذلك المشاهرات.

كان السلطان عبدالعزيز يتكلم بهذه الكلمات وهو مدير ظهره لفهد بن هذال، ثم مال بوجهه إليه؛ وقال مبتسمًا أليس كذلك يا فهد فإنا نعرف بعضنا، فضحك كل من كان في المجلس سوى شيخ العمارات فإنه كان محدقًا بنظره في السجادة، ثم رفع نظره إلى المندوب السامي كأنه يقول لا بارك الله في ساعة جئت فيها.

هذه أول جلسة من مؤتمر العقير وإن كانت غير رسمية ثم تبعها جلسات خصوصية بين السلطان والمندوب السامي، وجلسات عمومية حضرها رئيس وفد العراق صبيح بك نشئت والوكيل السياسي الميجر مور في الكويت والشيخ فهد آل هذال، وكان الكتاب والمترجمون والأخصائيون من العرب في معرفة الآبار والطرق والمراعي يؤمون خيمة المترجم أمين الريحاني من حين إلى حين وكانت خيمة صغيرة.

ثم في ٨ ربيع الثاني اجتمع في الصباح حضرة السلطان عبدالعزيز والمندوب السامي فخرج من هذا المجلس المندوب ومعه في جيبه تقرير طويل باللغة العربية، ولما أن وصل إلى مجلسه دعى بأمين الريحاني بعد أن استقر في مجلسه قريبًا من ثلاثين دقيقة ليترجم له تلك الرقعة التي فيها التقرير، فإذا هو يتعلق بقبيلتي العمارات والظفير كان قد قد أعده السلطان لمندوبه في مؤتمر المحمرة وهو مكتوب في صورة السؤال والجواب إذا سألوك كذا وكذا أجب كذا وكذا، وإذا ألح المندوب الإنجليزي في أمر من الأمور اساله إذا هل يتكلم بلسان حكومته أو بلسان حكومة العراق، فإذا كان بلسان حكومة العراق فالجواب هو أننا لا نتساهل بحقوقنا، وإذا كان بلسان حكومة بريطانيا فجاوب إكرامًا لحكومة بريطانيا، هذا إذا كان من الأمور الثانوية، أما إذا كان من الأمور الجوهرية فالجواب أننا لا نسلم إلا مكرهين، والحكومة البريطانية تفهم أن عاقبة الإكراه وخيمة، فلما قرأ عليه ما تقدم وترجمه كلمة كلمة لم يظهر السير برسي كوكس شيئًا من الاكتراث، وكان من هذه المحاورة قول السلطان للمترجم إذا سألوك عن العمارات قل إنها من عنزة كلها من أبناء عم ابن سعود ومن رعاياه، ولقد كانت هذه المفاجآت المزعجة التي تصدر من جلالة الملك، فأجاب السير برسي كوكس عنزة العراق يعني العمارات تفضل أن تكون من رعايا العراق، أما عنزة سورية يعني الرولة فقد تفضل أن تكون من رعايا ابن سعود وله ما يشاء ولقد كانت هذه مضحكة عجيبة كأنه يقول الذي عندنا هو لنا والذي عند غيرنا من الفرنسيين هو لك يا عبدالعزيز إذا استطعت أن تستولي عليه، ثم في ربيع الثاني جلس المندوب السامي جلسة طويلة هو وعظمة السلطان، وكان المندوب قد زل زلة كبرى وذلك باستدعائه إليه عبداللطيف باشا المنديل أحد المستشارين يومئذ لابن سعود ففاوضه مفاوضة استمرت نصف ساعة وأعطاه صورة كتابين مكتوبين بقلم الرصاص باللغة الانجليزية ليسلمها إلى السلطان، فأرسل السلطان عبدالعزيز إلى أمين الريحاني يدعوه ليترجمها له، وكان ينبغي أن يكون بينهما مترجم رسمي للغة العربية واللغة الانجليزية فترجم الكتابين

والسلطان عبدالعزيز يتزحزح في مجلسه ويضرب السجادة بعصاه وصورة الكتابين هو أنه يريد مجاوبة للملك فيصل بن الحسين الذي يقول في كتابه: بناء على تعهدات الحكومة البريطانية في معاهدتي وأياها أقبل الاتفاق الذي عقد في مؤتمر المحمرة، والثاني يريد أن يكتب له جلالة الملك عبدالعزيز صورة الكتاب الذي كتبه إلى الملك فيصل ويعيده عما بان واحدة من التعهدات المذكورة في ذاك الكتاب تتعلق بالمادة الأخرى من المعاهدات وفيها أن أية دولة أجنبية يجب أن تشمل أيضًا حكومات الحجاز والشرق العربي والعراق أي أن الحكومة البريطانية تتعهد أن تحمي بلاد نجد إذا ما تعدت عليها إحدى الحكومات الثلاث، فقال السلطان عبدالعزيز وهو يتميز غيظًا ومن قال للمندوب السامي أن ابن سعود يخاف الشريف وأولاده لا والله نحن في غنى عن الحمايات إذا كان المعتدي علينا من العرب، وقد ساءه قول المندوب له بقلم من الرصاص على قصاصة من الورق، ماذا يجب أن يكتب للملك فيصل أو إلى الحكومة البريطانية، فلما دخل بعض رجال السلطان عليه وما كان عنده سوى المترجم في الفسطاط أومأ إلى الداخلين أن أخرجوا فخرجوا مسارعين وعاد هو إلى بقية حديثه قائلاً: لا نخاف إلا الله، فلما أن أذن المؤذن لصلاة الظهر نهض يلبي الدعوة وهو يقول سنصلي سنصلي فلما كان في آخر النهار من ذلك اليوم رفض السلطان عبدالعزيز بتاتًا أن يكتب الكتابين الذين اشار بكتابتهما المندوب السامي، فلما كان في اليوم ١٢ من ربيع الثاني تم الاتفاق بين من ابن سعود وبين مندوب العــراق على الحــدود النجديــة العراقية وتقررت بقعة الحياد بين البلدين، بقعة تدعى العونية، وفي هذا التحديد تقرر أيضًا مصير العمارات والظفير الداخلتين في أرض العراق المعدودتين الآن من عشائره.

والحقيقة أن هذه التحديدات ليست من الأمور التي يعتنى بها لا سيما في مثل هذا المؤتمر الملحوظ بعين التعظيم.

ثم في ١٣ ربيع الثاني تم الاتفاق بين السلطان والمندوب السامي والوكيل

السياسي في الكويت الميجر مور على بقعة الحياد بين البلدين لتقي عربان الكويت وعربان نجد شر التصادم وهل يدري العربان بالمعاهدات وهل يحترمونها إذا ما أجدبت الأرض وخرجوا كلهم ينشدون الحيا، يطلبون المرعى والماء، وهذا أيضًا صلح صغير، وكان السلطان قد طلب توسيع حدود الجوف مقابل تنازله عن العمارات والظفير، ويظهر أن السير برسي وعده بذلك، وفي هذا اليوم أيضًا ورد كتاب من الملك فيصل أمير العراق وهو من بشائر المؤتمر خطه فيصل بيده إلى السلطان عبدالعزيز، قال فيه: إلى أخي العزيز وأرسله مع رسوله الخاص عبدالله بن مسفر جار فهد الهذال في المخيم الأوربي، وكان مدبجًا بارق العبارات الولائية؛ وفيه ما يدل على أن جلالة الملك يرغب رغبة حقيقية في الصلح وأنه ليس بين العراق ونجد فقط، بل بين نجد والحجاز خلاف فهل ينبذ فيصل بن الحسين خطة والده ، وهل يستطيع أن يوفق بينه وبين السلطان عبدالعزيز ها هنا أساس الصلح الكبير والسلم الثابت في البلاد العربية، وكان جواب السلطان على كتاب فيصل ينبئ بالخير عسى أن يتوفقا إلى اجتماع شخصي خاص، ولا يخفى أن عبدالعزيز راغب في ذلك ولكنه في الوقت الحاضر منحرف المزاج، وقد طالت إقامته في الحساء فهو يبغي الرجوع إلى الرياض ولا بأس بذكر الحال على وجهها وهي أنه يرجح رغبة الاجتماع بدون واسطة الحكومة البريطانية وآخر ما ترجم من المؤتمرات برقية أرسلها السير برسي كوكس إلى المستر تشرشل وزير خارجية بريطانيا يقول فيها: أن ابن سعود طلب أن تكون قريات الملح في الجوف تابعة لتلك الناحية من المملكة السعودية ويشير بالقبول، بل يقول: أكدت لعظمته أن ذلك يكون مقبولاً لدى حكومة جلالة الملك نأخذ من ابن سعود لنعطي العراق ونأخذ من شرقي الأردن لنعطي ابن سعود ونأخذ من الحجاز العقبة لنعطي شرقي الأردن وممن نأخذ لنرضي الحجاز؛ هذا ما دار في هذا المؤتمر، ثم بعد بضعة أشهر من مؤتمر العقير بل بعد أقل من ذلك عادت تلك العشائر في العراق تفسد ما أصلحه المصلحون وتثير ما سكنه المسكنون.

ذكر ما جرى من أهل العراق ومن التجأ إليهم من العشائر

لما اجتمع الفارون من حائل وقت الحصار والتجاؤوا إلى العراق كآل عبده التابعين لعجيل الياور قاموا في العراق يرحبون بإخوانهم الفارين من نجد ويشاركونهم في شن الغارات على قبائل ابن سعود، فكتب السلطان عبدالعزيز إلى المفوض السامي وإلى جلالة الملك فيصل بن الحسين يشتكي هؤلاء ويطلب من الحكومة أن تردع هؤلاء وترجع ما نهبوه من أهالي نجد ويحذرهما من عواقب الاعتداء، فكان جواب أولي الأمر هناك ما يثبت دعوى حكومة نجد وعجز حكومة العراق عن تنفيذ ما رأته واجبًا عليها، وبعث الملك فيصل بن الحسين جوابًا لابن سعود يقول فيه: تلقيت كتابكم المرسل مع خادمكم الأمين عبدالرحمن الرباعي، فكان أعز واصل، أما بخصوص التفاوض فقد أجرينا اللازم وأخبرنا حامله شفهيًا بما يسهل الأمور، وقال وزير الداخلية يومئذ عبدالمحسن بك السعدون في كتاب أرسله إلى المفوض السامي قد أصدرت الأوامر إلى متصرف الموصل لكي يرسل رؤساء شمر نجد وخصوصًا أولئك الذين اشتركوا في هذه الغارات وقد وعد عجيل الياور باسترجاع الأموال المنهوبة وتعهد بقبول المسؤولية عن وقوع الغارات في المستقبل ثم كتب الوزير إلى متصرف الموصل كتابًا شديد اللهجة جاء فيه أن التأثير الذي ينجم عن هذه الغزوات يغضب ابن سعود فإن لم تتخذوا الإجراء المستعجل فأقل ما ينتظر هو حدوث غزوات جسيمة مقابلة ذلك، ومما لا يطاق احتماله اتخاذ شمر مملكة العراق مركزًا لحركاتهم الحربية على ابن سعود فالحكومة عازمة على اتخاذ التدابير لكبح جماحهم ولطردهم إذا اقتضى الأمر.

وكان قد كتب عبدالمحسن بك إلى المفوض السامي يسأله إذا كان في وسعه مساعدة الحكومة العراقية بالطيارات والسيارات المدرعة إذا كانت القوات الموجودة لديها غير كافية ولكن عجز الحكومة العراقية لكم يكن سوى مظهر من عجز حكومة الانتداب وبعث السير برسي كوكس كتابًا إلى عظمة السلطان بعد ذلك في آخر هذه السنة يثبت ذلك، وأنه أي المفوض السامي لم يقصر في الإسراع إلى لفت نظر الحكومة العراقية إلى هذه الحركات السيئة من قبل رجال شمر المقيمين داخل

حدودها وأنه سينظر مع الحكومة العراقية في أمر إمكان وضع دوريات منظمة في أطراف العراق لأجل منع حدوث مثل هذه الأمور وأنه واثق من التمكن قبل مدة طويلة من القيام بضمانات وافية ترضي كلا الحكومتين ومن اتخاذ تدابير من شأنها أن تمنع العشائر من تكرار هذه الأعمال ولكن الدوريات لم تنظم في السنة ولا التالية هذه في لها.

وفيها في ٢١ من جمادى الأولى عاد الأمير فيصل بن عبدالعزيز بجيشه الظافر إلى الرياض من عسير بعد ما أمر في أبها بن عفيصان وأقام في أبها حامية عددها خمسمائة جندي وذلك بعد ما فر حسن ومحمد آل عائض وانكسر جيش الحجاز.

ولما أن رجع الأمير فيصل عاد الشريف حسين بن علي فجهز حملة أخرى إلى أبها وكان مع هذه الحملة حسن بن عائض فحاصرت بن عفيصان والجنود النجديين فيها فاستنجد الأمير سعد بن عفيصان بمن حوله من أهل الصبيحة وتثليث من عرب قحطان فجاؤا لنجدته مع رئيسهم بن شفلوت فزحف بن عفيصان بعد ما وصلت إليه النجدة فاشتبك مع الحملة في قتال مرير تقهقر بعده جنود الشريف ومن معهم من قبائل عسير إلى محايل والقنفذة، وتوفي بعد ذلك الأمير سعد بن عفيصان ـ رحمه الله ـ بعد فك الحصار عن أبها بايام قلائل، فبعث السلطان عبدالعزيز بدلاً عنه عبدالعزيز بن إبراهيم أميرًا عن مقاطعة عسير؛ وكان ابن إبراهيم هذا حازمًا قويًا شديد البطش ذا دهاء وحسن تصرف، يعد من أفذاذ الرجال، ففاوض حسنًا فطلب منه حسن أن يصل إليه في مقره المذكور وبذل ما اطمأن له حسن وجميع أسرته، ثم جاء بهم جميعًا إلى ابها ثم أنه رأى الأمير عبدالعزيز بن إبراهيم أنه من المستحسن إبعاد حسن وذويه عن أبها إلى الرياض فأرسلهم إليها وعندما وصلوا إليها عفى عنهم السلطان عبدالعزيز وأجزل لهم العطاء وخصص لهم شيئًا من المال شهريًا وعاش حسن بعد تلك المقاومة في الرياض مدة ثم توفاه الله تعالى وتوفي بعده بمدة يسيرة ابن عمه محمد بن عائض وأخوه ناصر ومحمد بن مسلط، وبهذا تعلم شدة عداء الحسين بن علي الشريف وأنه لم يقصر في الإيذاء.

ولما أن أظفر الله ابن سعود في واقعة تربة جعل فيها أميرًا من قبله عليها عبدالرحمن بن معمر مؤيدًا بسرية أغلبها من عبيد بن رشيد الذي قد فروا إليه من حائل، غير أنهم ما لبثوا إلا ثلاثة أشهر حتى قتلوا ابن معمر وفروا إلى الشريف فأكرمهم وقربهم ولعله بإيعاز منه، والدليل على ما ينطوي عليه أن أهل نجد لما حجوا في هذه السنة تحت إمارة ابن سويلم كما قدمنا ليؤدوا فرائضهم بعد ما منعوا من الحج عدة سنين وكان أمير حاج أهل القصيم الهمام النبيه إبراهيم بن عبدالرحمن بن شريدة اختاره الأهالي وقدموه على من سواه، وكان موجودًا إذ ذاك زعماء من القصيم غير أنها اقتضت المصلحة تقديمه على من سواه فجاءهم لما قربوا من الحجاز مطية من الشريف حسين بن علي تحمل نجابًا يحمل الأوامر وهي الأمر لأهل نجد بأن يطووا البيارق وينكسوا السلاح ولا يكبروا، فمنعهم حتى من التكبير الذي هو شعار الإسلام عياذًا بالله من ذلك.

وفي هذا الموضع نذكر نبذة في التعريف بآل شريدة فنقول هم أسرة يسكنون مدينة بريدة في القصيم، من أشهرهم زعيم بريدة محمد بن عبدالرحمن بن شريدة [1] وأخوه منصور بن عبدالرحمن بن شريدة، وكان رجلاً من خيار عقيل الذين كانوا يسافرون إلى الشام ومصر والعراق للتجارة وكان متمسكًا بدينه ويأمر اصحابه ومن في معيته بأداء الصلاة والمحافظة عليها علنًا.

ومنهم إبراهيم بن عبدالرحمن بن شريدة أمير حاج القصيم.

ومنهم يحيى بن عبدالرحمن بن شريدة ويلقب بأبي الأيتام لأنه يحنو على الفقراء والمساكين وله تِمسك في العقيدة وابوهم عبدالرحمن بن يحيى بن شريدة، وكان شريدة هذا عالمًا بعثه ابن سعود إلى الجوف ثم حمله عبيد بن رشيد معه إلى حائل فسكنها وتزوج بها وولد له يحيى وكان ليحيى هذا عدة أبناء وفي شريدة جد الأسرة يقول الشاعر معرضًا بأنه عالم ليس له همة في الدنيا:

---

(١) قتل في واقعة جراب عام ١٣٣٣هـ عن عمر يناهز السبعين.

ربــــح القبــائـــــل والنشـامـــــا أحــب إلــي مــن منــاجي شــريدة

ومن هؤلاء الأبناء عبدالله وعثمان وفهد وصالح ويحيى وحمود وسليمان وعبدالعزيز وعلي وراشد وموسى.

وفي هذه السنة ولد الأمير بندر بن جلالة الملك عبدالعزيز.

وفيها وفاة الأمير محمد بن علي الإدريسي في نيسان وكان رجلاً سياسيًا وذا معرفة وغور بعيد وسيدًا كبيرًا في قومه فالله المستعان.

ثم أن تولى بعده ابنه علي بن محمد فلم يحسن التصرف وما كان له ما لأبيه من السياسة لأن أباه محمد استطاع أن تعترف له الحلفاء بسيادته على تهامة واحتفظ بملكه رغم تهديد الشريف حسين بن علي له من الشمال والإمام يحيى من الجنوب اعتماداً على تحالفه مع بن سعود وتقدم شيء ترجمته في سنة ولادته وعمره ثمان وقيل تسع وأربعون فالله المستعان.

وفيها وقع خلاف بين الحكومة المصرية وبين الشريف حسين ملك الحجاز وذلك لأنه رد المحمل المصري لما جاء في باخرة خاصة إلى جدة ومعه كسوة الكعبة وحنطة الجراية وحرس المحمل وبعثة طبية فلما أن منعهم من دخول مكة المكرمة توترت العلاقات ورجع المحمل من ثغر جدة في مركبة بكل ما معه من الكسوة والصدقات والمرتبات وذلك في آخر ذي القعدة من هذه السنة فلما رأى الشريف ذلك أبرق إلى المدينة المنورة وأمر أميرها بأن يرسل الكسوة التي أودعتها الحكومة التركية بها إلى ثغر رابغ على الفور ثم أرسل أحد بواخره لنقل الكسوة من رابغ إلى جدة فنقلت في سرعة عجيبة إلى مكة ووصلت في اليوم العاشر من ذي الحجة اليوم الذي تكسى فيه الكعبة المعظمة فكسيت بها الكعبة وقد حدث من ذلك ضجة عظيمة في مصر وصاروا في حيرة من اجراء إحضار كسوة الكعبة في تلك السرعة المدهشة ولم يعلموا أنها كانت حاضرة المدينة المنورة منذ بضع سنين حتى أن بعض جرائد مصر ذكرت أنها بحثت في عموم أساكل البحر الأحمر عن معامل تصنع كسوة الكعبة في عشرة أيام يعني من رجوع المحمل بالكسوة فاتفقوا على أنه لا

يستطاع عمل الكسوة في عشرة أيام حتى ولا في معامل أوربا وإنما هذا عمل مدبر وكانت هذه الكسوة من الحرير الأخضر قد صنعت بالأستانة في زمن خروج الأتراك من مكة وجعلوها بالمدينة المنورة إنتظاراً للفرصة صنعتها يوم كان عزمها لفتح مكة بمناسبة تأليف جيش الصاعقة الذي كان يأمل فتح ما سقط من الأراضي الحجازية وقد نشر الشريف حيدر الذي كان ابن عمه ينتظر فتح مكة المشرفة منشوراً طويلاً وكان قد منته نفسه بغرور من الأتراك أن يسترد إمارة مكة سنة ١٣٣٦، وقد أخطأت الحكومة المصرية في استرجاع الكسوة والصدقات والأوقاف التي ليس لها تعلق بالحكومة ولا بالرضى والسخط كما قد أخطأت في استرجاع رجال المحمل بعد ما أحرموا ووالله لما يذيب القلب حزناً وأسفاً اتخاذ أعمال الحج ألعوبة كألاعيب الصبيان يلعب بها كل من أراد ذلك وإذا كان هناك سوء تفاهم ولم يوفق المقام لحل فلا ينبغي أن تحرم الكعبة ثوبها ولا فقراء الحرمين ما أعطاهم الله صدقة من الأجواد التي جعلت تصرف مصرفها فيا للجهالة العميا استرجاع ما ذكر لأجل التشفي من أمير مكة.

ثم دخلت سنة ١٣٤٢ هـ

في هذه السنة عمل الشريف حسين بن علي كسوة للكعبة من القيلان نسجت بالعراق وهذا إنما فعله احتياطا لما عساه أن جاء وقت كسوة الكعبة يوم عيد الأضحى ولم يحل الخلاف الواقع بينه وبين الحكومة المصرية وامتنعت من إرسال الكسوة أن يكسوها بها لكنها جاءت الكسوة في هذه السنة وبقيت كسوة القيلان محفوظة.

وفي هذه السنة خلطت المؤتمرات وحصلت المفاوضات في شأن السلطان بن سعود والشريف الحسين وذلك لما كان يرسل صرر الذهب من الأموال لديه لمساعدة رجال ثورته وبعث إلى جلالة الملك عبد العزيز بصرر منها وبعد ما فهم ابن سعود قصده وما يبيته له من الكيد وخاب كل تدبير يدبره له الحسين ولم تفلح حملاته عليه لجأ إلى الدسائس في استفزاز ابن رشيد واستنهاض آل عائض ثم أوعز إلى إبنيه في العراق وشرقي الأردن الرقيم أن يحرضا عليه القبائل الموالية لهما ويشن الغارات

على البلاد النجدية، فأقلق راحة ابن سعود من كل الجهات ولم يترك وسيلة إلا لجأ إليها هذا، وابن سعود يقابل أعماله بالسكوت والمجاملات الوديةولا تقابل مجاملات ابن سعود إلا بالرد الشنيع الازدراء فضلاً عن اضطهاد الشريف لكل من هو نجدي في بلاد الحجاز ومن يتحدث عن نجد وعن الإخوان عنده أو ذكر اسمهم فإنه يمقته أشد المقت مع نشره مسبتهم في جريدة القبلة، ولم يكتف حتى منع أهل نجد عن الحج وصدهم عن البيت الحرام الذي جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد، كأنه ملك له ولأبيه يفتحه لمن يشاء ويصد عنه من شاء، فأين الجلالة الهاشمية وما يدعيه ما بالها لا تعمل بالكتاب والسنة.

فلما أن ضاق نطاق أهل نجد عما يقاسونه من الأذى وكلت كواهلهم من حمل ما يكابدونه من الشقاء فزعوا إلى صاحب الجلالة السعودية وأبدوا بما عندهم قائلين يا الإمام ما على هذا من صبر فأذن لنا في الشريف لنغزوه في عقر داره، فجعل السلطان عبدالعزيز يسكنهم ويعدهم بحسم الأمور بالوسائل السلمية قبل الالتجاء إلى امتشاق الحسام.

ولما كان في تلك الأيام ذهب جلالة الملك الحسين بن علي الشريف إلى فلسطين وشرقي الأردن وعمان ليشرف على جميع البلاد المقدسة ويزور الأماكن التي فيها مراكز للحكومة ويوطد السيادة العربية في الشرق العربي، هذا ما زعم برأيه وحدثته أمنيته به، وهناك ألزم أنصاره أن يبايعوه بالخلافة العظمى ليجعلها حجة في إخضاع ابن سعود وغيره من أمراء العرب، ولكنه بذلك حني على نفسه فأغضب العالم الإسلامي أجمع وعجل في القضا على مملكته وعلى نفسها تجني براقش، فلما رأى ابن سعود ما صدر من الشريف لم ير أن يقدم على إعلان الحرب عليه حتى يرى العالم كافة موقف الحسين السلبي نحوه فعقد مؤتمر الكويت في هذه السنة الذي كان يشبه مؤتمر صلح الحديبية وما أشبهه به إذا كان بين الفتحين ثلاثة عشر قرنًا وثلث وتذكره وإن كان قد اعترض لقصة الشريف.

ذكر مؤتمر الكويت

لما كان في جمادى الأولى من هذه السنة عقد المؤتمر واستمرت المفاوضات إلى أربعة أشهر انتدبت بريطانيا العظمى مندوبها في الخليج العربي الكولونيل نوكس لفض الخلاف بين حكومة نجد وحكومات الحجاز والعراق وشرقي الأردن، أو بين عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود وبين الحسين وأولاده، فاشترط عبدالعزيز مبتدئًا أن لا يتدخل وفد أية حكومة من الحكومات الثلاث في المباحث مع غيرها، فقبل هذا الشرط وعليه؟ انعقد مؤتمر الكويت ولم يرسل الحسين مندوبًا عنه وأصر على أن خصمه يجلو عن تربة والخرمة قبل المفاوضات وكاد الاتفاق يتم بين نجد والعراق لولا أن الوفد العراقي خالف الشرط المبتدأ وعلق نفوذ معاهدته على الاتفاق بين نجد والحجاز.

أما وفد شرقي الأردن فكان موقفه عجيباً؟ فلم يكتف بالمطالبة بالجوف وقريات الملح بل شرط إرجاع إمارتي آل رشيد وآل عائض والتنازل عن تربة والخرمة، فكان هذا يخوض فيما لا يعنيه، ولما عقد هذا المؤتمر للبحث في مسألة حدود نجد وشرق الأردن والبحث في المواد الباقية بين نجد والعراق.

ومن جملتها قبائل شمر الملتجئين إلى هذا القطر والبحث في المشاكل التي بين نجد والحجاز، وقد قال الوكيل في كتابه إلى عظمة السلطان أن الحكومة البريطانية مستعدة أن تعرض الأمر على الملك حسين وأن غرضها من عقد هذا المؤتمر هو إزالة سوء التفاهم وحل جميع المشاكل التي بين الممالك المتجاورة.

فأول جلسة عقدت في ٧ جمادى الأولى من هذه السنة فتلتها أربع جلسات دار فيها البحث بين وفد نجد ووفد العراق، فتم الاتفاق بينهم على بضع مواد تختص بمعاقبة الذين يشنون الغارات في أطراف البلاد وبكيفية المعاقبة وبطريقة المراسلة بين الحكومتين فيما يختص بالعشائر وتم الاتفاق. أو كاد أن يتم لولا تدخل وفد العراق فيما لا يعنيه، أن الوفد ساعة التوقيع طلب أن يضاف إلى المعاهدة أنها لا تكون نافذة ما لم يتم الاتفاق مع الحجاز وبين الحسين، ولذلك فقد اشترط في أول الأمر

شروطًا منها: إرجاع إمارة آل رشيد وإمارة آل عائض وإمارة الجوف، وأن يرسل ابنه يزيداً بعد ذلك ينوب عنه في المؤتمر وأن يرجع ابن سعود الخرمة وتربه، وطلب أن يرسل ابن سعود ابنه عنه فأبى ذلك ابن سعود، وقدمنا أنه لم يحضر الحجاز وفد، فأين الحسين أين وفده لقد سار بنفسه متوجهًا إلى عمان يخطب الخلافة في اليوم الذي جلس فيه الوفد فلما علق وفد العراق مشكلته بمشكلة الحجاز رفض الوفد النجدي المادة الشرطية، فعندها بعث رئيس المؤتمر برقية إلى حكومته، كان فيها أنه لا يكمن البت في شأن من الشئون ما لم يوفد الحجاز مندوبه، فتأخر المؤتمر إلى غرة جماى الثانية ليتمكن الوفدان الرجوع إلى بلاديهما ليستشيروا حكومتيهما في المسائل المختلف فيها.

وكان الخلاف بين نجد وحكومة عمان هو الجوف وقريات الملح، وفي خلال هذا المؤتمر أرسل الأمير عبدالله قوة احتلت القريات لما علم بما كان من الاتفاق بين ابن سعود وبين بريطانيا العظمى، فهم عبدالعزيز بن سعود أن يجهز حملة تخرج تلك القوة منها، فلجأ الأمير إلى الحكومة البريطانية فطلبت من ابن سعود عدم المعاجلة بالزحف إلى الجوف ووعدت بتسوية المسألة بالوسائط السلمية.

أما قريات الملح فهي تتألف من قريتين كبيرتين ويتبعهما ثلاث مزارع وفي أراضيها معادن ملح كثيرة، يشحن أكثر منتوجها إلى حوران وغيره، وقد استهل رئيس الوفد الأردني يخطب بإطراء صاحب الجلالة الهاشمية والنهضة العربية والحكومة البريطانية التي ساعدت في استقلال العرب، ثم قال متجرئًا أن شرقي الأردن هي من ثمار هذا الاستقلاق وأن الجوف وسكاكة وما يتبعهما هي لازمة له وهي ضرورية للمواصلات بين شرقي الأردن والعراق، فيجب إذن أن تكون تحت إشراف حكومة الأمير، وقال في الجلسة الثانية أن الجوف وسكاكة وتوابعها هي من الأراضي السورية التي تبدأ حدودها من مدائن صالح وتنتهي عند أوكمال على نهر الفرات، وأن حكومة شرقي الأردن هي من سوريا فيجب أن يكوه الجوف بأجمعه تحت إدارتها، فأجابه المندوب النجدي أن الجوف وسكاكة ووادي السرحان

بأجمعه تتبع التطورات في نجد بينما أن تشكيلات الأردن الإدارية لم تكن سوى أقضية تابعة للكرك والقدس ولم يكن الجوف تابعًا لها إداريًا أو سياسيًا.

ثم قال رئيس الوفد: لا نوافق مطلقًا على اتصال حكومة شرقي الأردن بالعراق، ونطلب أن تكون حكومة نجد متصلة حدودها بسورية حتى تكون تجارتها آمنة، فحفظًا لكياننا الاقتصادي وحماية لروحنا التجارية نطلب أن يكون الاتصال بسوريا أساسًا للاتفاق بيننا وبين شرقي الأردن؛ لقد كان ظاهر هذا الخلاف بين القطرين هو الجوف ونحوه وحقيقة الأمر أن الخلاف الحقيقي هو ما بين آل سعود والبيت الهاشمي من العداء المتأصل، وقد صرح به رئيس الوفد بعد إطرائه جلالة الملك حسين حيث قال اسمحوا لي أن أصرح لحضراتكم بأنه إذا لم تتخلى حكومة نجد عن الجوف ووادي سرحان بأجمعه وعن الأراضي الحجازية التي احتلتها يعني تربة والخرمة وخيبر وغيرها، وتجعل تحديد الحدود بين الحجاز ونجد على أن يكون الحد الفاصل هو الصحراء القاحلة، فلا يمكن أن يحصل بيننا اتفاق، فتكلم رئيس المؤتمر الكولونيل نوكس قائلاً: لا يحق لوفد العراق أو وفد شرقي الأردن أن يتكلم عن الحجاز فتوقفت المفاوضات بين نجد وشرقي الأردن كما قد توقفت سابقًا بين نجد والعراق، فانفض هذا المجلس وما كانت المفاوضات التي حصلت لتغير الحال أو تلطفها فعاد وفد العراق يحمل قرارته وفيها أنه لا يمكن لحكومة العراق أن تسلم شمر نجد حالاً، وأنها غير مسئولة عن المنهوبات التي سيق تاريخها، وقد قدمت حكومة نجد لائحة بالمنهوبات التي نهبت بعد توقيع معاهدة العقير، وفيها أسماء المعتدين والمعتدى عليهم، فبلغ عدد من قتل من رعايا نجد سبعة وعشرين رجلاً، وعدد ما نهب من الإبل ٤٦٠ وقيمة ما سلب من المال ٥٠٠ ليرة و٤٠٠٠ ريال، ما عدا ٣٥٠ حملاً من الدهن، و١٠٠ حمل من البن.

وكذلك أيضًا قرر وفد العراق أن حكومته لا تقبل بمبدأ إخراج العشائر الملتجئين إليها لأن ذلك يولد ارتباكات في الحدود العراقية مع سوريا وتركيا وإيران وأهم ما يكون مسألة العشائر، فإذا كانت حكومة العراق لا تسكن الحركات العدائية التي تقوم بها تلك العشائر المجرمة فالوفد لا يمضي معاهدة.

أما وفد شرقي الأردن فقد صمم على متطلباته ولم يتنازل عن شيء منها، وقد اقترح رئيس الوفود استفتاء الأهالي في القريات، فقبل الوفد النجدي بذلك على شرط أن يعمل بهذا المبدأ في الأماكن المتنازع عليها بين نجد والحجاز، أي في تربة والخرمة، فلم يقبل الوفد الأردني بذلك بل طلب أن يكون الجوف ووادي سرحان منطقة حياد بين القطرين فرفض الوفد النجدي وأرفض المؤتمر وتأجل أيضًا إلى شعبان ليتمكن الرئيس من مفاوضة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن.

وقد كان يأمل في سعة الوقت أن يغير الحسين الشريف رأيه فيرسل مندوبه في المؤتمر، نعم قد غير رأيه الشريف فعين نجله الأمير زيداً ممثلاً للحجاز ولكنه لم يحضر، وبينما كان وفد العراق قد عاد للمرة الثانية يستشير حكومته قادماً للمرة الثالثة إلى الكويت خرج فيصل الدويش وقد فرغ صبر عربانه غازيًا في أطراف العراق، فعندها غضبت الحكومة وأمرت وفدها بالرجوع إلى بغداد فلم يعقد لذلك اجتماع ثالث.

ولما كتب بعض الأدباء إلى حضرة صاحب الجلالة عبدالعزيز ساعيًا في الوفاق بين البلدين وعقد معاهدة نجدية عراقية أوسع نطاقًا مما سبقها في العقير وفي المحمرة بعث عبدالعزيز إليه بهذا الجواب: أما ما ذكرته عن اتفاق مع حكومة العراق فكنت أرغب به من صميم قلبي ولكن حكومة العراق لا تزال تعمل ضدنا في تأليف العصابات من مجرمي العشائر لمهاجمة رعايانا الآمنين وقطع الطرق على القوافل، يعلم الله أن جل مقصدي هو أن أعيش بسلام مع جيراني وأن نتحد كلنا على مافيه خير العرب، ولكن الأشراف لا يروقهم ذلك فحسبنا الله.

وبعث أيضًا جلالة الملك كتابًا من القصيم في ١٤ رمضان في هذه السنة يقول: قد جئنا القصيم بأمور لا بد منها، منها: الاستعداد للطوارئ قد عينا عبدالعزيز بن مساعد الجلوي أميرًا في حائل وجعلنا المنطقة الشمالية بما فيها القصيم والجوف وخيبر تحت إمارته وزودناها بالتعلميات الكاملة والقوة الكافية والصلاحية الواسعة وبدلنا أمير الجوف، فعينا مكانه عبدالله بن محمد بن عقيل، وأصحبناه بما

يلزم من القوة. هذا جواب عظمة السلطان على مطالب سمو الأمير عبدالله وجلالة والده، وقد وعظوا بتربة لو كانوا يعقلون، بل كانت تلك التعاليم التي دبرها صاحب الجلالة عبدالعزيز هي نتيجة مؤتمر الكويت وقد قيل في كلام الحكم أعط أخاك تمرة، فإن أبى فجمرة.

ذكر الخلافة وما استقبل به الحسين في عمان من الاحتفال

لما كان في جمادى الثانية وصل القطار الملكي إلى العاصمة عمان، وكان قد جاء ليقرب من الأقطار ليجس نبضها في هذه المسألة الكبرى مسألة الخلافة، فلما جاء شاهد جلالته في المحطة مشهداً فريداً مجيداً خفقت له قلوب السيادة، ورفرفت فوقه آمال الملك كلها في انتظاره، وكانت الوفود والجموع هناك، وفد سوريا وفلسطين ومشايخ العربان، من نواحي الشرق العربي، ورجال الحكومة من عرب وانكليز والصحافيون من مصر والقدس وبيروت والشام والجموع والجنود والأعداد من بدو وحضر في الثياب العربية، والأفرنجية والجركسية؛ فلما أطل جلالته من القطار رفع الناس أصواتهم هاتفين ليحي ملك العرب ليحي الفذ الأعظم وقد كان الاستقبال حاراً باهراً اصطفت جنود الجيش العربي على الطريق من المحطة إلى المدينة وجال العربان من فرسان وهجانه وهم يهزجون الأهازيج البدوية، ورفع تلاميذ المدارس أصواتهم بالهتاف والأناشيد وشاركت في الترحيب الطيارات الإنكليزية التي تغمغم في الفضاء؛ ثم صعد الخطباء والسفراء منصة البيان، وطفقوا يخطبون وينشدون مهللين مكبرين ومهددين الإنكليز والفرنسيين بل الأوربيين أجمعين ليحي ملك العرب المنقذ الأعظم لتحيي النهضة العربية، وليسقط كل من يسعى ضدها وضده، ليسقط الإستعماريون والمستعبدون، وكان جلالته يسمع الخطباء والشعراء من شرفة البيت الذي أعد له البيت القابل للأثر التاريخي الجليل الملعب الروماني المتهدم، وللزمان في ذلك هزة، بلاغة تعجز دونها الشعراء والخطباء، لقد كان يوماً عظيماً ومحفلاً رائعاً، ثم قابل جلالته الوفود فقال تكراراً: أنه لايتنازل عن مبدء واحد من المباديء التي هي أركان النهضة لا أتنازل عن حق واحد من حقوق البلاد، لا أقبل إلا أن فلسطين لأهلها العرب أقول لأهلها العرب

لا أقبل بالتجزئة، ولا أقبل بالانتداب ولا أسكت وفي عروقي دم عربي، عن مطالبة الحكومة البريطانية بالوفاء بالعهود التي قطعتها للعرب إذا رفضت الحكومة البريطانية التعديل الذي أطلبه فإني أرفض المعاهدة كلها، أقول المعاهدة كلها، لا أوقع المعاهدة قبل أخذ رأي الأمة إني عامل دائما في سبيل الإتفاق وأمراء العرب، إني عامل دائما في سبيل الوحدة العربية والاستقلال التام، أقول الاستقلال التام للأقطار العربية كلها ولا فرق عندي إذا كان مركز الحكومة العربية في الحجاز أو في سوريا أو في العراق أو في نجد، ولا عجب بعد هذه التصريحات المدهشة إذا تمت المبايعة بالخلافة، فبعد المآدب والاجتماعات العامة المتعددة، وبعد الاجتماعات الخاصة وحضور رؤساء الوفود وكبار موظفي الإنكليز، نودي بالملك حسين بن علي خليفة على المسلمين، وأمير المؤمنين، فبايعه السوريون والفلسطينيون الذين كانوا هناك ورؤساء عرب الأردن والحجازيون الذين كانوا مع جلالته وفريق من العراقيين وبعض من الهند والسند، وسيان كان ذلك عن كره أو رضى منهم فقد وصل إلى بغيته ونال أمنيته وفعل أفاعيل تقرر خلافته ورجع إلى مكة في يوم السبت ٢٣ شعبان، فأعدت الزينات واستقبله أهالي جدة ومكة استقبالاً باهراً.

ولما صنع الشريف ما ذكرنا عقد في غرة ذي القعدة اجتماع عام برئاسة الإمام عبد الرحمن بن فيصل، وذلك بمدينة الرياض عاصمة المملكة السعودية حضره العلماء ورؤساء القبائل وكان صاحب الجلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن قد عاد إذ ذاك إلى الرياض بعد إقامته في الأحساء أثناء مؤتمر الكويت يراقب نتائجه فلما حضرت الأمة واجتمعت إفتتح الإمام عبد الرحمن الجلسة قائلاً:(قد جاءني كتب عديدة من الإخوان [1] وهم يريدون الحج وقد أرسلت هذه الكتب في حينها إلى ولدنا عبد العزيز وها هو أمامكم فسألوه عما يبدو لكم فتكلم عبد العزيز قائلا: وصلني كل ما كتبتموه وأحطت علما بكل ما شكوتموه، إن لكل شيء نهاية، فلا تيأسوا وإن الأمور مرهونة لأوقاتها.

---

(١) هم البدو.

فتكلم سلطان بن بجاد المدعو سلطان الدين قائلا: يا للإمام نحن نبغي الحج، ولا نريد أن نصبر أكثر مما صبرنا على ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتنا عليه، ليست مكة ملكا لأحد، ولا يحق لأحد أن يمنع المسلمين ،أو يصد المؤمنين عن أداء فريضة الحج، نريد أن نحج يا عبد العزيز فإذا منعنا الشريف حسين، دخلنا مكة بالقوة، وإذا كنتم ترون أن من المصلحة تأجيل الحج في هذا العام، فلا بد من غزو الحجاز لنخلص البيت الحرام من أيديهم، فأجاب السلطان عبد العزيز قائلا: إن مسألة الحج من المسائل التي يرجع الفصل فيها إلى علمائنا وها هم حاضرون فليتكلموا: تكلم الشيخ الورع سعد بن عتيق ـ رحمه الله ـ أن الحج من أركان الإسلام، ومسلموا نجد والحمد لله يستطيعون أن يؤدوا هذا الركن على الوجه الأتم بالرضى أو بالقوة، ولكن من أصول الشريعة النظر إلى المصالح والمفاسد، فالأمر الذي قد يؤدي إلى ضرر أو مفسدة يدفع ويؤجل من أجله الحج، فهل هناك مفسدة أو مضرة قد تنتج عن الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب إلى بيت الله، ذلك ما نريد أن نقف عليه من الواقفين على السياسة. ولقد كان السلطان عبد العزيز في الخمس السنين الماضية يجيب على هذا السؤال بالإيجاب فيمنع أهل نجد عن الحج خوف أن يحدث ما لا تحمد عقباه، وقد كان يعالج مشاكل أهل نجد مع الحجاز بالطرق السلمية السياسية.

أما في هذا الاجتماع فقد قال عظمته مخاطبا العلماء والإخون، نحن لا نود أن نحارب من يسالمنا، ولا نمتنع عن موالاة من يوالينا، ولكن شريف مكة دائما كما تعلمون يزرع جذور الشقاق بين عشائرنا، وهو الوارث من أسلافه بغضنا، ومع ذلك فقد بلغت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا وبين الحجاز بالتي هي أحسن، وكنت كلما دنوت من الحسين تباعد، وكلما لنت له جفاني، إي ورب الكعبة، ولست أرى في تطور الأمور ما ينعش الأمل، بل أرى الأمور تزداد شدة وارتباكا، ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعزز حقوقنا، ومصالحنا، فوقف السلطان عند هذه الكلمة، فلما سمع الإخوان كلامه، هتف الجميع يقولون: توكلنا على الله

إلى الحجاز، فنظرا من السلطان عبد العزيز إلى عدم حل مشاكل الشريف إلا بالقوة، وإجابة لطلب أهل نجد في هذا الاجتماع الذي ثاروا فيه، وطلبوا أمراً لا مفر منه، أجابهم إلى طلبهم، ومن أراد أن يطاع فليسأل ما يستطاع.

أما الشريف حسين فإنه بعدما قدم إلى مكة عائدا من عمان، أضاف إلى لقبيه الكبيرين لقباً ثالثاً، فأصبح يلقب نفسه أمير المؤمنين، وخليفة المسلمين وملك العرب، فالله المستعان.

سنة الغرق في القصيم

وفيها في رمضان في العشر الأواخر منه هطلت أمطار عظيمة على القصيم كادت أن تهلك الناس، وتلف بسببها أموال وضاعت أموال أخرجتها السيول من وسط المنازل، لما دخلت البيوت وجاء الوادي المسمى بالفاجرة من مجراه مع الخبيب الكاين في بريدة يمتد من الشمال إلى الجنوب، وكان هذا الوادي لا يجري إلا بتكاثر السيول وأنهارها، وقد أدركت ذلك وأنا في الثامنة من العمر، في حال الدراسة بعد صلاة الظهر على المؤدب، ومعي لوح من خشب، كتب فيه المؤدب آيات من أول سورة المعارج، فرأيت الماء يصب من السماء كهيئة العزالى أفواة القرب، وتعرف هذه السنة بسنة الغرقه، في لغة العامة تأنيث الغرق، وقد رأى رجل من الصالحين في منامه قبيل الغرق، آتيا أتاه في النوم فتكلم سائلاً: أتكون الواقعة في الأموال، أم في الأرواح؟ فسمع مجيباً له يقول: لا بل بالأموال، فكان كما ذكر.

وفيها في ٢٥ من رمضان ولي الأمير مبارك بن مبيريك إمارة بريدة، وكان رجلاً حليماً سكيناً.

وفيها وفاة الشاعر النبطي محمد بن عبد الله العوني وهذه ترجمته: هو شاعر الحرب والسياسة المهيج المتقلب ولد في بريدة.

وكان أبوه بناء ولم يكن من ذوي البيوت والشهرة، ولكنه نبغ بالشعر السياسي، فطارصيته، وسارت بأشعاره الركبان.

وقد نشأ في عهد حروب وفتن وتطاحن، وذلك في عهد حروب أبناء فيصل فيما بينهم حتى أضاعوا ملك آل سعود.

وكان محمد بن رشيد قد انتهز هذه الفرصة للإستيلاء على نجد، وكان القصيم هو محور الدائرة لتلك الحروب، ففيه واقعة المليداء والبكيرية ومئات من الوقائع، شهدها كلها العوني وشارك في كثير منها بشعره الذي له وقع السيف والمدفع، وكان الشعر في تلك الحروب يمثل دور الصحافة ويمتلك عنان الدعاية فيهتم له الأمراء المتحاربون.

ولما جرت واقعة المليدا جلى العوني مع من جلى من أهل القصيم إلى الكويت، وكان العوني مولعاً بآل مهنا فكان صديقاً لعبد العزيز بن عبد الله بن مهنا، وبعد قتله وفرار أخيه محمد بن عبد الله آل أبي الخيل وأهل بيته إلى الكويت من حبس ابن رشيد، اتخذه العوني صاحبه وكان ذلك قبل وقعة الطرفية، ثم لما جرت الطرفية وجلى رؤساء أهل القصيم إلى الكويت فراراً من ابن رشيد، اجتمع رجال عقيل واقترحوا على العوني أن ينظم قصيدة يثير بها ساكنهم، ويستجيش بها هممهم، ليقوموا باسترجاع وطنهم بعد ما شتتوا عنه، في دمشق والكويت، فأنشأ قصيدة سماها الخلوج، وهي الناقة التي فقدت ولدها فهي لا تهدأ من الحنين.

ولما أنشأها كعادته في التهييج، وقرئت عليهم بكوا، وصفوا تجارتهم وتجهزوا على حسابهم الخاص، وجعلوا يحاربون تحت راية ابن سعود إلى أن تم استرجاع القصيم كما قدمنا وما زال العوني متردداً بين سعدون وابن رشيد، وبعد سعدون ابنه عجيمي، ثم بقي عند ابن الرشيد في حائل، يثير الفتن حتى تم فتحها فطلب الأمان من ابن سعود فأمنه ورجع إلى الرياض، غير أنه لم يكف عن التهييج وإثارة الفتن، فقبض عليه ابن سعود، وأمر بزجه في السجن في الأحساء، فقال في ذلك السجن قصيدته التي كتوبة، وبعد ذلك توفى في هذه السنة وقصائده موجودة.

ثم دخلت سنة ١٣٤٣ هـ

في افتتاح هذه السنة زحفت جيوش نجد غرباً من الجنوب والشمال، ولكن

صاحب العظمة عبد العزيز أمر أولاً بغزو الشرق العربي قبل الزحف إلى الحجاز وهذا الغرض حربي، لإنها لم تكن هذه الغزوة بدون أسباب تبررها. قد تقدم البيان فيما كان بين حكومتي نجد وشرقي الأردن من النزاع المتواصل، وحجت الحكومة الأردنية استرجاع الجوف وقرى الملح، وإذا كانت جنود ابن سعود قد احتلت تلك القرى فما الداعي إذاً إلى تجاوزها إلى الحد وإلى الغرو فيقال: الداعي أن هناك تعديات وجرائم ذكرت في مطالب نجد في مؤتمر الكويت، فقد أغار ابن سليمان بن جازي من شيوخ الحويطات على قافلة من تجار نجد في طريقهم إلى الشام، فقتلوا ثمانية من رجالها، ونهبوا ما يزيد على سبعمائة بعير، وكذا تكررت الإغارات على أهل نجد من عربان الحويطات وبني صخر الذين كان الأمير عبد الله يقربهم منه ويجز لهم العطايا فبلغت المنهوبات ألف بعير، وأربعين فرسا من الخيل ما عدا الأحمال التي تقدر بثمانيين ألف ليرة عثمانية.

ولما أن طلب السلطان عبد العزيز أن تغرم قبيلة بني صخر بمئتي ألف ليرة ضمانة لسلامة التجارة والتجار بين نجد وسوريا، لم تكترث الحكومة الأردنية لهذا الطلب، ولم تعره اهتماماً، وذلك احتقار للخصم، وعدم مبالاة بما يوغر الصدور، فعندها عمد السلطان إلى القوة.

ذكر غزوة البلقا وما جرى للإخوان حين وصلوا أبواب عمان

لما كان في أوائل محرم زحف الإخوان من أطراف وادي سرحان وعددهم يتراوح بين الألفين والثلاثة آلاف، فالتقوا في طريقهم بثلة من جنود شرق الأردن، عددهم مع رجال الحملة خمسة وعشرون، وهم سائرون إلى القصر الأزرق، فيحملون المؤن والذخير، إلى الحامية فيه، فذبحوهم إلا واحداً وغنموا الحملة كلها، ثم تقدوا غرباً، فهجموا على الطنيب وأم العمد والقسطل ويادودة، وكادوا بعد أن اجتاز فريق منهم سكة الحديد، أن يصلوا العاصمة أولئك الإخوان [1] وربك لا يعرفون نظاماً، ولا يخافون دولة، ولا يهابون موتاً، وما كان إلا أن أذن لهم في الغزو، فطاروا مجاهدين، فليسوا بأهمية من سطوة شريف ولا ضيع، فلما حصل

---

(١) قوله الإخوان إذا أطلق هذا اللفظ فالمراد به البدو المتطوعون المتدينون يعصبون رؤسهم بالعمائم الكبار فوق الشماغ ويقومون يقتلون ولا يخافون من أحد كائن من كان.

هذا الإقدام، وهذه الجراءة كان الأمير عبد الله يومئذ متغيباً، فعندها صدرت أوامر الحكومة بالدفاع، فبادر العربان وفي مقدمتهم الصخور والحويطات إلى محاربتهم، فاشتبكوا في معركة دامية، واستمروا بضع ساعات، وكان بيك باشا القائد الإنكليزي للجند النظامي قد أرسل الطيارات، والسيارات المدرعة على الإخوان، فحلقت الطيارات فوق العربان المتلاحمين، وشرعت ترميهم كلهم بالقذائف، كما أن السيارات أطلقت عليهم جزافاً مدافعها الرشاشة، كأني بأولئك الإنكليز يقولون من أين لنا أن نعرف النجدي من الأردني، والعرب في القيافة لا يفرقون بعضهم عن بعض، نعم كلهم عرب أغمض عينيك يا ابن جانبول، واضرب فكانت القتلى بين الفريقين قبل مجيء الطيارات والسيارات نحوا من مائة رجل، فلما رعدت الطيارات والسيارات، وألقت قنابلها على المتلاحمين، انفصلت هذه الواقعة عن أربعمائة قتيل من الإخوان وعربان عمان، واختلط الحابل بالنابل، وكان بعض الأسرى من الأخوان، يحملون علباً من التنك الإنكليزي الصنع، فيها لحم مقدد، حتى قال بعض أهل المعرفة من تلك الناحية: من ينكر بعد ذلك أن الإنكليز يساعدون ابن سعود هذا لحمهم المقدد يأكله الإخوان، وكان هذا اللحم من الحملة التي غنمها الإخوان في طريقهم، نعم إنه لحم من لحم الإنكليز ومن بلاد الإنكليز، ولولا القوة الهائلة التي كانت تديرها الأيدي الإنكليزية،لاكتسح النجديون الشرق العربي، ولرفعوا العلم السعودي فوق ربى عمان.

أما الأمير عبد الله فبعدما عاد إلى عاصمته شكر الإنكليز التي لا تزال إلا تكلى بعينها الزرقاء البيت الهاشمي، وأما سيد هذا البيت الأكبر الملك حسين فقد كان في قصره بمكة متوسداً وسادة الخلافة، مطمئناً واثقاً بما تضمره الأيام، ويدبج المقالات لجريدة القبلة، نحن نشكر كمالات حكومة بريطانيا العظمى على ما أظهرته من الحمية في الشرق العربي، ولكننا مع ذلك لا نتنازل عن حق من حقوقنا، إن سورية جزء من البلاد العربية وإن فلسطين للعرب، ولا نوقع معاهدة فيها، ما ينفي هذا القول بل هذا الحق، ومن أعرف من بالبدو وبالمتدينة قنبلة من مدفع تبددهم، وطيارة واحدة تشتت شملهم، والبرهان في الشرق العربي، وكان يفكر في تعزيز ملكه في الشرق الأوسط أيضاً، فعين وزير خارجيته الشيخ فؤاد الخطيب سفيراً للحجاز في طهران.

قلت يا عجباً لأمر الشريف، ومبلغ عقله، حيث يغوص في هذه البحار العميقة، وتحدثه أمنيته إلى هذه الغاية، وأغفل إرادة الله، وأمره الغالب لكل مغالب وسطوة، من لا يفوته شارد ولاهارب، فلو علم ما حبلت به الأيام والليالي من العجائب لكان له غير هذه الحالة، ومن عاش فسوف يرى.

وبينما هو كان يحلم بسيادة أعظم من السيادة العربية، بسيادة شاملة إسلامية، جالساً على فراش الملك، والخلافة والنصر رافعاً يده بزعمه على العرب بالقهر، إذا بالإخوان يدبرون الأمر، في غزوة بعقر داره وأخذ الحجاز منه، ومما هو جدير بالذكر أن الشريف لم يحسب لهم حسباناً ولم يجر في خلده ذلك.

ذكر فتح الطائف سنة ١٣٤٣هـ

لما رجع الإخوان من غزو الشمال زحفوا إلى الطائف يقودهم القائد سلطان بن بجاد بن حميد، والشريف خالد بن منصور بن لؤي أمير الخرمة، بجيش من الإخوان مؤلف من خمسة عشر راية من رايات الغطغط، والخرمة، وتربة، ورنية، وعتيبة، وقحطان، وبني تميم، فانضم إليهم بعدئذ من أشراف الحجاز وعربانة، كالحرث، وبني ثقيف، عدد لا يبلغ هو والجيش أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل، وكان مركز الاجتماع في تربة، فزحف هذا الجيش بأجمعه، وما كان قد علم بزحفه أحد في مكة أو في الطائف بل لم تشعر الحكومة بهجومهم قبل أن يصلوا إلى قرية الحوية التي تبعد عن الطائف بضعة أميال.

فلما أن وصلت سراياهم الحوية في غرة صفر، استيقظت الحكومة عند ذلك، فأصدر ناظر الحربية الهاشمية أمير اللواء صبري باشا أوامره إلى جنود النظام بالدفاع، فخرجوا من الطائف وهم نحو أربعمائة ومعهم بعض المدافع الجبلية والرشاشة وقصدوا الحوية، ليصدوا الإخوان فاستعرت بينهم وبين سرايا الجيش هناك معركة دامت بضع ساعات كانت الغلبة فيها للإخوان، فتقهقر النظاميون إلى جهة الطائف، وانضم إليهم جند من البدو فرابطوا معهم في الهضاب الغربية من

البلد إلى الشمال، ووقفوا ثانية لسرايا الجيش الزاحف، وشرعوا يطلقون عليهم المدافع، فاستمروا في مناوشتهم دون أن يتمكنوا من ردهم ثلاثة أيام، كما أنه انضم قسم من البدو والذين كانوا في المراكز الأمامية الإخوان وسلم الباقون.

أما الجنود النظامية فبعدما ولو الأدبار، وتحصنوا في الهضاب للدفاع، لم يتمكنوا من شيء، ولم يحصلوا على طائل، وما حسبوا لهذه الجراءة حساباً، بل كانت حكومة الحسين تظن نفسها قادرة على إخضاع كل أمير عربي لسيطرتها.

فلما أن وصلت أخبار الهزيمة إلى مكة، أمر الملك حسين نجله علياً بإنجاد جيش المدافع، فجاء الأمير مسرعاً بسرية من الخيالة وأخرى من الهجانة.

أما النجدة التي مشت في طريق السيل فلم تصل إلا بعد سقوط الطائف، فوصل الأمير علي يوم الخميس الموافق ٦ صفر، فدخل الطائف ليلاً، وخرج منها في عصر ذلك اليوم، ليعسكر بالهدي الذي هو على مسافة أربع ساعات من الطائف، وكان الجيش النجدي يزداد قوة وعدداً، فاضطرت الجنود النظامية أن يتقهقروا إلى مدينة الطائف في صباح يوم الجمعة، فتقدم الإخوان وصار رصاصهم قرب الظهر يسقط داخل السور، فاستولى الذعر والخوف على الأهالي، وكان الأشراف في مقدمة الهاربين فقد خرج آخر ذلك اليوم أمير الطائف الشريف شرف عدنان، ووزير الحربية وجنوده النظاميون، وسائر الأمراء والموظفين من الطائف، لأنهم رأو كما قيل: أنه خير لسلامتها ولسهولة استردادها فلحقوا بالأمير علي.

فلما شرد الأشراف وتشتت الجيش في الساعة الثانية ليلاً من ثامنة صفر، دخل الإخوان مدينة الطائف في غسق الدجا كالسيل الجارف وهم يكبرون ويعتزون ويطلقون بنادقهم في الفضا، ثم طفقوا يطلقونها في الأسواق وهم يطوفون في المدينة، فقتلوا عدداً من الأثرياء الذين لم يسارعوا مثل غيرهم من الأهالي إلى بيوتهم مستأمنين.

وكان قد تخلف في مدينة الطائف جماعات من عرب الحجاز من الطويرق والنمور والعقوم وغيرهم، ناهيك بمن دخل مع الجيش من البدو والذين جل

قصدهم النهب والسلب، فاختلطت هذه الجموع في ظلمات الليل، وكانت ساعة هول مزعج، وشرع العربان والبدو يطوقون الأبواب ويكسرونها ويدخلون البيوت إما قهراً وإما بعد أن يؤمنوا أصحابها، ثم يعملون فيها أيدي النهب والسلب، وكانوا يقتلون في سبيل السلب من يتعرض لهم ولكنهم لم يقتلوا من النساء سوى امرأة واحدة، ولا كانوا يتعرضون لهن إلا إذا أَبَيْنَ أن يدللنهم على الكنوز والسلاح.

وكان لهذا الحادث أعني كسر البيوت والسلب ألم في نفس السلطان عبدالعزيز، وحين بلغه ذلك أمر بتأليف لجنة لتقرير الخسائر والتعويض على المنكوبين من الأهالي من الهنود والجاويين وغيرهم، ودفع عشرة آلاف ليرة من التعويضات، وأقامت اللجنَة مدة من الزمان تواصل عملها، ولكن ذلك له مسوغ:

أولاً: يعلم أن الحروب لاشك عمياء، ولا بد لها من ضحايا خصوصاً، إذا دخل الهاجمون ليلاً.

ثانياً: تسبب بعض الأهالي لذلك لأنهم جعلوا يطلقون على الإخوان البنادق من شبابيك البيوت ونوافذها، فحملهم على أن دخلوا البيوت عنوة وفتكوا برجالها، وإنما ذكرنا ذلك لأن دعاة البيت الهاشمي اتخذوا حادثة الطائف آلة للتشهير بعدوهم، واخذوا يصفون فظائعها وأهوالها، حتى بالغت الدعاة بأن الوهابيين شقوا بطون النساء وأخرجوا أولادها، وكل هذا كذب لا أصل له، ولو كان أمراء الجيش حاضرين لما وقع سيء من الضرر، وشاهد على ذلك فتح حائل فقد كانت أقرب إلى أن تخرب وتقتل رجالها، لما هناك من الضغائن القديمة فراجعه هل وقع شيء من التدمير والشراسة، بل غمرهم الفاتح بعطفه وإحسانه، وقسم عليهم الثياب والأرزاق، فقبح الله دعاة السوء ما أمقتهم وأرذلهم وأكذبهم.

ذكر أعيان المقتولين في هذه الحرب العمياء

كان منهم مفتي الشافعية الزواوي، وقد قيل أنه قتل بقنبلة من مدافع الأشراف،

وقتل أيضاً في هذه الواقعة أبناء الشيبي السادتين للكعبة حسن بن عبد القادر بن علي، وجعفر بن عبد الرحمن بن عبد الله.

أما الشيخ عبد القادر الشيبي سادن الكعبة فقد نجا من الإخوان بحيلة ظريفة وذلك أنه لما وقع بين أيديهم بكى وجعلت دموعه تساقط على الأرض، فسأله أحدهم وقد سل السيف فوق عنقه قائلاً له: ليش تبكي يا كافر؟ فأجابه الشيخ يقول أبكي والله من شدة الفرح أبكي يا إخوان لأني قضيت حياتي كلها في الشرك بالله والكفر ولم يشأ الله أن أموت إلا مؤمنا موحداً الله أكبر لا إله إلا الله فانخدعوا لذلك، وبكوا لبكائه ثم طفقوا يقبلونه ويهنئونه بالإسلام، وبذلك تعرف حسن نيتهم وأنهم يطلبون إعلاء كلمة الله لا غير.

وبما أنه انضم إلى الجيش النجدي فريق من عرب الحجاز وأشرافه نفرة من الحسين، وابتغاء لسقوطه، كذلك كان أشراف الحرس في مقدمة الثائرين وتبع الجيش النجدي فئات من الجيش الهاشمي، فاستولى الإخوان على بلاد الطائف، فقد كان مع هذه الأمور متكئاً على أمانيه، ولم يثبت عزمه ولا حوله ذلك مقدار ذرة عن مقصده، ولما وصل الأشراف هاربين ومن معهم بالأمير علي بن الحسن إلى عرفات، علم الملك حسين وغضب غضبة مضرية، وشرع يعد العدة لإعادة الكرة على الإخوان، ولاسترجاع الطائف بزعمه، وما علم أن منال الثريا دون منالها، والتدرع بالأكفان دون التدرع بثوب احتلالها، وعناق القنا دون عناقها، والأخذ بساق الأسد دون الأخذ بساقها، فهيهات وهيهات وأين الثريا من يد الملتمس والأماني راس مال المفلس.

قام الحسين وجمع شتات الجند وجمع ما استطاع من البدو، وجرد نهضة جديدة مؤلفة من ٥٠٠ من النظام و٩٠٠ من قبائل الحجاز الموالين من هذيل وقريش وبني سفيان و٢٠٠ من أهل مكة، ثم أمر عليا على الجميع وأمره بالرجوع إلى ساحة الحرب فمشي الأمير علي بن الحسين على رأس هذا الجيش الذي بلغ عدده ألف وثلثمائة وقصد الهدي، وكان الإخوان قد علموا بزحفه وانتبهوا لذلك فحمل منهم

ألفان على الجيش الهاشمي، واشتبكوا وإياهم في ٢٦ من سهر صفر، في معركة استمرت من نصف الليل إلى الساعة العاشرة صباحاً.

وكان القائد علي يدير جيشه وهو في قصر يبعد عن ساحة القتال بألف وخمسمائة متر في هذا الهاتف يصله بوسطة مركز الارتباط في سفح جبل كرا بقصر جلالة والده الحسين، فكانت الأنباء تأتي وتذهب مراجعة وتكليما بالتليفون إلى الديوان الهاشمى مثل هجم المتدينة علينا فرددناهم خاسرين ومثل أعاد المتدينة الكرة فأمطرتهم مدافعنا وابلاً من الرصاص فعادوا مدحورين.

فلما كان في الثالثة من الهجمات هجم سلطان الدين بإناس من الإخوان فضربوا الجبهة ضربة ثلتها، وكان في وسطها سرية من الفرسان من عرب عتيبة فتقهقر فدخل الإخوان من تلك الثلة، وأول من انهزم من بدو الحجاز هذيل وسفيان، ثم أهل مكة ثم جنود النظام، وفي هذه الساعة عند صلاة الفجر سكتت بنادق الإخوان ففرح موظف الهاتف وهتف يخاطب ضابط الارتباط في الكر بسفح جبل كرا وهذا يخاطب الديوان الهاشمي بمكة انهزم المتدينة سكتت بنادقهم وما علموا أنهم يصلون الفجر.

ذكر واقعة الهدى

لما فرغ الإخوان من صلاة الفجر، عادوا مستبسلين فتقهقر الأمير علي بشرذمة من الجيش إلى الكرى، وعند وصوله إلى سفح الجبل في الساعة الثامنة صباحاً من بعد نصف الليل، أمره والده الحسين بالهاتف أن يرجع إلى الهدي وأكد عليه الطاعة ولو ذبحت، قال هذا وعاد ورجاله كارين، فما كادوا يصلون إلى منتصف الطريق حتى انهال عليهم رصاص الإخوان كالمطر، وكان ضابط الارتباط في الكرى، وقد لحقهم بنجاب يقول فانقطع التليفون بيننا وبين الهدي فقفل الأمير ورجاله راجعين، وتوقفت الإخوان بعد هذا النصر في الهدي فلم يتعقبوا فلول الجيش الهاشمي ولا هاجموا مكة يومئذ اجتنابا للقتال في الحرم.

وقد قال الشيخ حمود بن حسين الشغدلي قاضي مدينة حائل في الوقت الحاضر يهنيء الإمام الأعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل بفتح الطائف له على يد الإخوان في هذه السنة:

لـه الحمـد مولانـا إلـه البريـة ... كمـا ينبغـي لله في كـل حالـة
لـه الحمـد إذ أردى حسينـاً وجنـده ... وحـل بـه مـن بطشـه شـر نقمـة
فما بيـن مقتـول ومـا بيـن شـارد ... ومـا بيـن مـا سـور بقهـر وذلـة
بأيدي ذوي التوحيد من شع ذكرهم ... أولئـك إخـوان الصـفا والمـودة
ومـن بـذلوا لله صـدقاً نفوسـهم ... فـأعظم بـه بـذلاً وأكـرم بخصـلة
وهـم جند من فـاق الجنـود شـهامة ... وعلمًـا وعـدلاً مـع سـخاء وخشـية
إمـام الهـدي عبـد العزيـز بـن فيصـل ... مـذيق العـدى كاسـات سـم المنيـة
فأثـاره في العـالمين شـهيرة ... ويحمـدها أهـل النُّهـى والبصـيرة
أطـال لنـا رب العبـاد بقـاءه ... يعـيش زمانًـا في حبـور وغبطـة
ومـن بعـد أن ألفـى البشـير مبشـراً ... بـذل الأعـادي وانتصـار الأحبـة
وضـبطه تلـك الحصـون بطـائف ... على رغـم أصحاب الخنا والشقاوة
وشـق أسمـاع المحـبين ذكـره ... وسـيرته لأهـل التقـى في الحقيقـة
تبـدي لنـا أن نحمـد الله جهـرة ... مهـنين للـوالي بـإدارك منيـة
فهنـاك يـا شمـس الـبلاد وبـدرها ... بلـوغ المنـى مـن كـل بـاغ لفتنـة
فـلا زلـت تسمو إلى المعـالي والعلـى ... تؤيـد منهـاج التقـى والهدايـة
ولا زال تأييـد الإلـه قـرينكم ... ولا زلـت ملحوظًـا بعـين العنايـة
وشكرالذي أعطى المنى وكفـى الـردى ... هـو القيـد للنعمـا واصـل الرايـدة
فكـن مولعًـا في شـكره متـذلاً ... لسـلطانه فـالعز في ذا المذلـة
وعنوانـه والحمـد لله ظـاهر ... وتـذكيركم لا عـن جفـاء وغفلـة
ولكنمـا نشـكر المـولى عنـد فضلـه ... لا مفـر شـيء لا يـوافي بنعمـة
علـى أننـا نرجـو الكـريم بلطفـه ... لام القـرى تسـليمها بسـهولة

ويعلـــو بهـــا أمـــر الإلـــه وشـــرعه وتـــدرس مـــن أرجائهـــا كـــل بدعـــة
وتبـــدو بهـــا لله يومًـــا رؤوســـنا ملـــبين للمـــولى بحـــج وعمـــرة
وتعلـــو لمرضـــاة الإلـــه وجوهنـــا مهلـــين في لبيـــك مـــن كـــل وجهـــة
نعظـــم فيهـــا البيـــت والحـــرم الـــذي بتحريمـــه أي الكتـــاب تجلـــت
فلأجـــل ذا مـــال الجنـــود لغـــيرة فإهراضـــهم عـــن ذا لعلـــم وخـــبرة
ومـــا ذاك مـــن خـــوف الحســـين وآلـــه ولا مـــن بهـــا مـــن ذي جفـــاء وغفلـــة
ولكنـــه خـــوف مـــن الله وحـــده لتحريمـــه أرجـــاء بيـــت بمكـــة
ويـــارب فـــاقطع مـــن يـــروم جنايـــة تـــدس علـــى الإســـلام أدنـــى دسيســـة
وأزكى صـلاة مـع سـلام علـى الـذي بـه كـان خـتم الرسـل خـير البريـة
كذا لـلآل والأصـحاب مـا قـال قائـل لـــك الحمـــد مولانـــا إلـــه البريـــة

ولما أن دارت الدائرة على الأمير على مرة ثانية، وفر تاركا وراءه بعض القتلى والجرحى مخلفا أجود مدافعه وسلاحه بعد أن خانه جنده وأنصاره وذلك لما رأى أقدام الإخوان والنيران مستعرة نجى بمن معه من الجنود، كما فعل في وقعة الطائف، حين أراد الأهالي الخروج منه لما رأوا قرب الخطر، فمنعهم وطمأنهم وأبدى أن لا يخرج كل الأهالي ويكون آخر من يخرج، ثم أنه فر كفعله الأول تاركا وراءه بعضا من قومه، وجميع الأهالي المساكين الذين لم يعلموا بخروجه إلا بعد ما رأوا الأيادي تلعب بهم والرؤوس تتساقط .

ذكر خلع الحسين بن علي

لما جرت واقعة الهدى وانهزم جيشه، جعل يظهر الشجاعة، ويضرم نيرانها، واستبسل لمن بقي من جيشه، ويمد حبال الأمل، ويظن أنه قادر على إخراج المتدينة وابن سعود من الطائف بل من الحجاز متى شاء، وقد طالما قال ابن سعود من الدرجة الخامسة بين أمراء العرب؛ فقال أحد رجال الديوان لما رأى من أفعال الجنود السعودية بفتكهم في الديار الحجازية يا مولاي، ومعنى الدرجة الخامسة يا مولانا هو أن ابن سعود صاعد إلينا ولم يبق بينه وبيننا غير خمس درجات أو خمس ساعات أو خمسة أيام إنما النتيجة واحدة، فقد جاء يوم الحجاز وهو المقدمة ليوم ابن سعود .

وفي نفس الوقت نشرت الصحف برقية من مكة، أن الـواهبيين اسـتولوا علـى الطائف، وبقروا البطون، وقتلـوا الشـيوخ، وسـلبوا الأمـوال، فاسـتعبد المعتمـد في مصر، وكان أنذاك في حل مشكلة بين الحسين والحكومـة المصـرية، وهـم بتكـذيب الخبر لأنه لم يتلق خبرا رسميا به، ولكنه رأى أن يبرق ألى الحسين مسـتطلعا حقيقـة الأمر، فتلقى منه برقية في ٢٧صفر قال فيه معتمد مصر نعم هو كـذلك لا تكـن يـا عبد الملك ممن يقعقع له بالشنان، تقدم جيشنا للهدى ستسمع ما يسرك ـ حسين.

ولما انهزم علي في موقعة الهدى وفر إلى بازان في أعلي مكة؛ بعـث الحسـين إلى معتمده برقية بتاريخ ٢٩صفر وهذا نصها:

رحنا يا عبد الملك، تراجع جيشنا إلى بازان، قابل المندوب السـامي الإنكليـزي وبلغه أننا نعتبر إعتداء ابن سعود علينا هو من جانب الإنكليز، وأني سأتولى الدفاع بنفسي عن مكة ولـو حـول جـدار الكعبـة، وأحملـهم مسـؤولية ذلـك أمـام العـالم الإسلامي؛ ولقد بالغ المندوب عندما قابله المعتمد بأنه لا دخل لبريطانيـا في الأمـر، وتنصل من كل تلك الحوادث، وأنه كان بودها أن تسوي ما بين البلدين من خلاف فأبى قبل ذلك الحسين، وليس لها الآن شأن في الموضوع، فأبلغه المعتمد ذلك فاعتبر الحسين ذلك شماتة من الإنكليز وأجاب بقوله الله المستعان، وصـمم علـى القتـال حتى النفس الأخير.

ولما رأى أهل الحجاز تصميم الحسين علـى مقاتلـة الوهـابيين في شـوارع مكـة حول جدار الكعبة، تملك عليهم الذعر، وأخذوا يهربون إلى جـدة ومصـر وسـوريا ومصوع وغيرها طلبا للنجاة وفرارا من الخطر الذي أحاط بهم حتى لم يبق في مكـة أحد من ذوي اليسار، وإرتفعت أجور النقل فقام أولـوا الحـل والعقـد يفكـرون في الطريقة التي يعالجون بها الموقف.

ولما كان بعـد سـتة أيـام، كـان الحسـين في أثنائهـا يفكـر أن هـذا الإقـدام مـن الوهابيين على الحجاز بإيعاز من الإنكليز لمجرد إرهابه والتـأثير عليـه، لـيترخص في بعض مقررات النهضة، وبغض الطرف عن وعد بلفور أيد له هذه الفكـرة، توقـف

الوهابيين عن استمرار الزحف إلى مكة إذا به يتلقى في ٤ربيع الأول هذه البرقية التي أرسلها إليه الأشراف والعلماء والرؤساء بأجمعهم وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة، بما أن الشعب الحجازي بأجمعه واقع الآن في الفوضى العامة بعد فناء الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الأرواح والأموال، وبما أن الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد، مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة، وبما أن الحجاز بلد مقدس يعني أمره جميع المسلمين لذلك قررت الأمة نهائيًا تنازل الشريف وتنصيب ابنه الشريف على ملكا على الحجاز فقط مقيدًا بدستور ومجلسين وطنيين على شريطة أن ينزل على رأي المسلمين وأهل الحجاز في تحقيق أمالهم ورغباتهم، فنرجو التكرم بتنفيذ هذه الرغبة لتضيفوا هذه المكرمة إلى سابق خدماتكم للإسلام والأمة مولاي، ثم وقع على هذه البرقية مائة وأربعون من الأعيان والكبراء، وأرسلت هذه البرقية بعد الظهر من اليوم المذكور، فدعا بابنه علي وأخذ رأيه في الموضوع، ثم أمر برئيس ديوانه فحضروا وأملى عليه في الحال برقية جوابًا للأمة وهي هذه.

مكة ٥٤٠ نوفمبر ٥/ ٤/ ٣ الساعة ٣ ليلاً عدد ٦٨ بواسطة قائم مقام جدة إلى الهيئة الموقرة مع الممنونية والشكر هذا أساس رغبتنا التي أصرح بها منذ النهضة وإلى تاريخه، وقد صرحت قبله ببضع دقائق إني مستعد لذلك بكل ارتياح إذا عينتم غير علي، وإني منتظر هذا بكل سرعة وارتياح، الإمضاء حسين؛ بعث بهذه البرقية ولكنه لم يرض المجلس بهذا الجواب، وبينما هو كذلك إذا بجرس التيلفون يقرع وإذا بالمتحدث رئيس بلدية جدة سليمان قابل أحد الموقعين يردد طلب التنازل فكبر على الحسين أن يجرؤ على مخاطبته بهذا الأمر، وانتهره قائلا أنت موظف من قبلي فلا تخاطبني بهذا الشأن، ووضع السماعة والدم يغلي في عروقه وإذا بالجرس يدق ثانيا يكلمه الشيخ محمد نصيف في التنازل عن العرش أيضا فأجابه أنه من رجال حكومتي فلا أسمح لك بمخاطبتي في هذا الأمر.

وما كاد يلقي السماعة حتى دق الجرس فوضع السماعة على أذنه وقال

من؟ فأجابه المتحدث بلهجة صارمة: أنا سكرتير الحزب الوطني الحجازي، وهذا هو طاهر الدباغ. أجابه الحسين ماذا تريد؟ فأجابه الدباغ: مولاي بناء على المركز الحرج الذي وصلت إليه البلاد، قررت الأمة طلب تنازل جلالتكم لسمو الأمير علي، فقاطعه الحسين أنا وابني واحد ، وإذا كنت أنا قد صرت عندكم بطالاً فلا بأس، ولكني لا أفهم ما القصد من هذا أنا لا يهمني أمر الملك في أي شخص كان ولكني لا أتنازل لولدي علي أبدا، لأني إذا كنت أنا بطال فولدي بطال، الدباغ يجيب: كلا يا مولاي لا ننسب لجلالتكم شيئا من ذلك، وإنما نريد أن نسلك سياسة غير السياسة التي سرتم عليها عسى أن نتمكن من تخليص البلاد من مأزقها الحرج، والأمة قد اجتمعت على طلب ذلك من جلالتكم، وأرجو إجابة رغبتها، أجاب الحسين: يا ابني لكم أن تفعلوا ما تشاؤن، اما أنا فلا أتنازل لولدي علي أبداً، عندكم الشريف علي أمير مكة السابق، وأخي ناصر، وعندكم خديوي مصر عباس حلمي، وعندكم الأشراف كثيرون، اختاروا أي واحد تشاؤن، وأنا مستعد للتنازل له.

أما ولدي علي فلا يمكن لأني أنا وهو شيء واحد خيره وشره عائد لي، أجابه الدباغ: مولاي إن الأمة التي قد سهرتم على مصالحها وحرصتم على إرضائها، هي التي اختارت الأمير علي، فنرجو من جلالتكم الموافقة. أجاب الحسين: لا يمكن قطعيا، انظروا غير ابني وأنا مستعد، أجابه الدباغ: يقول سأخبر الهيئة ثم نعلم جلالتكم.

ولما بلغ الهيئة كانت هذه الهيئة ذاك النهار والليل في مناقشاتها، واجتماع رأيها، وسرعة تقاريرها، وامضاء عزمها آية من أعجب ما دون في تاريخ الشرق حتى أنها أقفلت أبواب مدينة جدة أثناء هذه المفاوضات، ليبقى الأمير علي فيها ويقبل البيعة.

ثم بعد المحادثة بالهاتف، أرسلت الأمة البرقية التالية، وفيها البلاغ النهائي والتهديد «صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة الحالة حرجة جدا، وليس الوقت وقت مفاوضات، فإذا كنتم لا تتنازلون للأمير علي، فنسترحم بلسان الإنسانية أن

تتنازلوا جلالتكم، لتتمكن الأمة من تشكيل حكومة مؤقتة وإذا تأخرتم عن إجابة هذا الطلب فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم».

فما صدرت هذه النكتة تحول بعد مراجعتها في الهاتف عن رأيه وفكرته الأولى لما رأى الإمضاء تحتها، الحزب الوطني الحجازي، لم ير بدا من الجواب في هذه البرقية.

مكة في ٤ ربيع الأول الساعة ٤ ليلا، لا بأس قد قبلنا التنازل بكل ارتياح إذ ليس لنا رغبة إلا في سكينة البلاد وراحتها وسعادتها، فالآن عينوا لنا مأمورين من هنا يستلمون البلاد بكل سرعة ونحن نتوجه في الحال، إذ ا تأخرتم ووقع حادث فأنتم المسؤولون، والأشراف عندكم كثير، أرسلوا واحدا منهم أو من سواهم، علاوة على هذا إذا قبل منكم على الأمر عينوه رأسا الحسين.

ثم أبرق إلى معتمده بمصر، يقول: أن أصحابك يعني الإنكليز لم يرضهم أن على الملك ورغبوا في تعيين ابننا علي، فلا بأس، اعتمدوا ما يأتيكم منه حسين.

وما كادت الأمة تتلقى تنازله حتى بعثت إليه هذه البرقية، في ٥/ ٣ صاحب الشرف الأسمى الشريف حسين المعظم برقيتكم رقم ١٧ بحمد الله، ومساعي مولاي، قد تمت البيعة لجلالة نجلكم المعظم، وقد فاوض جلالته من يلزم في استلام البلاد، وإدارة شئونها فالمنتظر من مولاي مبارحتها بكل احترام تهدئة للأحوال.

وكتب الحزب الوطني هذا الخطاب الآتي: إلى حضرت صاحب الجلالة الملك علي بن الحسين المعظم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد بناء على طلب لأمة قد تنازل جلالة والدكم بموجب البرقية رقم ١٩ المؤرخة في ٤ ربيع الأول، وقد قررت الأمة نهائيا البيعة لجلالتكم مالكاً دسورياً على الحجز فقط، وأن يكون للبلد مجلس نيابي وطني وقانون أساسي، تضعه جمعية تأسيسية، كما هو جاري في الأمم المتمدنة، وبما أن الوقت ضيق يضيق الآن دون تأسيس المجلس النيابي الوطني، فقد قررت الأمة أن تشكل هيئة لمراقبة أعمال الحكومة، وإنا نبايعكم على ذلك وعلى كتاب الله وسنة رسوله.

وقد وقع على هذا الخطاب جمع من الحاضرين، بصفتهم أعضاء الحزب الوطني الذي تقرر فيما بينهم وحمله إلى علي، وكان إذ ذاك في جدة وأكدوا لجلالته البيعة بأنفسهم، ولقد تلقى الناس خبر التنازل والبيعة بكل تحفظ، ولم يصدقوا بأنها حقيقة واقعة، وذهب الكثير منهم إلى أن هذه السياسة مدبرة من الحسين إذ انه لا يزال في قصره محتفظا بكل مظاهر العظمة، إلا أن الهرج والمرج قد عمّ البلاد، وحتى أن من يحمل الغيظ والحقد على الحسين أرادوا أن يعتدوا على قصره، وينكلوا به، لما هناك من البغض الدفين، فخاف الحسين، وأبرق من الغد ٣/٥ برقية إلى رئيس الحزب الوطني الحجازي: يقول فيها أن الفوضى الذي ذكرتموها وقعت بداعي إشهاركم رغبة التنازل وأني لا أقبل أية مسؤولية تقع إذا لم تسرعوا اليوم، في تعيين من يتولى الأمر، لأتوجه في الحال إلى الجهة التي يختارها الباري على طريق جده، وهذا ليس هربا من أي شيء تتصورونه كلا، ثم قل كلا بل لئلا تتضاعف التصورات والظنون بنا.

ثم أنه توجه الملك علي ابن الحسين إلى مكة بعد المبايعة بيوم وبقي الحزب يفعل ما شاء من النقض والإبرام، واجتمع الملك الجديد بوالده بمكة، مرات على حساب الأمة واتفقا على وضع برنامج سيسيران عليه، غير أنه ما شيع والده ولا سار معه عند ذهابه.

ولما كان بعد أربعة أيام من قدوم علي وصلت القافلة الحاملة أمتعة الحسين إلى جدة، وفيها عشرون جملا تحمل اربعين صفحة من صفائح البترول مملوءة ذهبا، وقد قدرت على التحقيق بمائة وستين ألف ليرة، وأقام الحسين أياما في جدة، ابى أن يقابل أحدا من الناس، فأثمرت هذه العزلة بلاغا أرسله إلى فخامة رئيس وكلاء الحكومة العربية الهاشمية، وفيه يحتج على الحكومة الدستورية، ويعدد طغاوي ابن سعود، ومطامع الإمام يحيى صاحب اليمن.

وقال في بلاغه أما الحكومة الدستورية سيما في الحرمين الشريفين، فالعمل فيهما ينبذ أحكام كتاب الله وسنة رسوله، وأن العمل في البلاد المقدسة بالقوانين البشرية مما تأباه شعائر الإسلام وفرائض الدين والأخلاق الشريفة مادة ومعنى؛ ثم

قال الشريف محتجا على سلطة الحجاز بالحجاز، لو لم يكن في هذا التحديد إلا تأملنا ما في مساعي الحضرة السعودية من الاستيلاء على حائل قاعدة إمارة الرشيد والجوف مقر الشعلان، وتشبثه في ضبط الكويت، وتعرضه في عسير لإمارة آل عائض بل تجاوزه على مكة المكرمة ومساعي إمام صنعاء لضم بلاد حاشد وتهامة الشوافع وحضرة الإدريسي على الحديدة وما حولها ثم قطع جواب الشرط على عادته ثم قال: وعليه بلغوا الهيئة الموقرة احتجاجي القطعي أولا: على تحديد نفوذ الحجاز، ثانيا: على ما فيه إبدال العمل بكتاب الله، ولذا فإني أحتفظ بحقوق اعتراضي وإنكاري بالمادة والمعنى بكل ما ذكر، تحرر في ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٤٣.

أعمال الحزب الوطني وتدابيره

كانت مهمة هذا الحزب لثلاثة أمور:

أولا: السعي بكل الوسائل لحفظ البلاد من الكارثة الساحقة المحدقة.

ثانيا: المحافظة على جعل البلاد سالمة من كل شوائب الدسائس والنفوذ الأجنبي.

ثالثا: النزول على ما يرتئيه العالم الإسلامي لمصلحة البلاد والعباد وكيفية إدارة البلاد.

ثم أقسم أعضاء الهيئة الإدارية للحزب اليمني الآتي: أشهد الله وملائكته وأقسم بالله الكريم، أن أكون مخلصا للوطن، وأن أدافع عن كل فرد من أفراد الحزب كدفاعي عن نفسي، وإني أعاهد الله على ذلك، والله على ما أقول شهيد.

أما تأسيس هذا الحزب الوطني الحجازي فإنه لما تنازل الحسين وخلى الجو من تعكيراته، اجتمعت أعيان الأمة في دار الشيخ «محمد نصيف» بجدة لينتخبوا حزبا يمثلهم، وهذا قبل قبول علي للملكية، فانتخبت اثني عشر شخصا يرأسهم، محمد طويا ناظر الجمارك، وبعده محمد طاهر الدباغ، سليمان قابل، قاسم زينل، عبد الله رضا، محمد نصيف، صالح شطا، محمد صالح نصيف، عبد الرؤوف الصبان، محمود شلهوب، شرف بن راجح، علي سلامة، ماجد كردي، وجعلوا طاهر الدباغ سكرتيرا للحزب، وعينوا لهذه الهيئة كاتبا محمد با جبير.

وكانت الأمة قبل ذلك لما رأت امتناع الحسين وعدم قبوله أن يكون ابنه الملك، أسست الحزب ولم يدر الحزب إلا ورئيسه محمد طويل الذي كلم الحزب بالتليفون بأن الأمير عليا قبل الملك، فأجابه الحزب بأن المسألة قد تمت ولا هنا لزوم لعلي ولا خلافه، وأن الحزب يكفي لإدارة الأمور إلى حين انتهاء الحال.

فلم يرض الطويل ولم يقبل إلزامهم بالبيعة لعلي، ثم انه أقسم بقية الأفراد للهيئة الإدارية، نعاهد الحزب الحجازي الوطني معاهدة طوع وإيثار وإخلاص من طويتنا، وصدق نيتنا، طائعين غير مكرهين، ونحلف بالله وعظيم آياته أن نكون طائعين للحزب في كل ما ينفع الأمة وأن نحفظ أسراره، ونكون له عينا على كل أعداءه، نعادي من عاداه، ونوالي من والاه، علينا بهذا العهد عهد الله؛ إن عهد الله كان مسئولا، وما أخذه الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام، وعلى من أخذ من عباده مواثيق ومحكمات عهوده أن نتمسك بهذا العهد، وأن نستقيم ولا نميل، وإن نكثنا هذا العهد أو بدلنا شرطا من شروطه معلنين أو مسرين أو محتالين أو متأولين، خذلنا الله يوم نحتاج إليه وبرأنا من حوله وقوته والجئنا إلى حولنا وقوتنا، والله عز وجل بذلك شهيد وكفى بالله شهيدا ليلة الإثنين ٧ربيع الأول سنة ١٣٤٣.

فقام رئيس الحزب محمد طويل ولبس عقالا ذهبيا (شطفه) وانتفخت أشداقه، وصعر خده يبحلق عينيه، ويرخي ويزبد على كرسيه ينكت الأرض بقضيبه يتهدد ويتوعد، ونشر الحزب للأمة التدابير في منشورات تحث على التعاون والتعاضد، وصدرت التدابيرفي منشورات يمضي عليها محمد الطويل، فلا تسأل عما كان يديره من الأعمال العجيبة، لكنها مع الأسف لم تسمن ولم تغن من جوع.

ورفع الحزب برقيات عديدة إلى العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها، وصرخوا صرخة رنت لها شعاب مصر والشام والهند والسند وتركيا وإيران، ودوت إلى لندن وغيرها أخبارا بأن الحجاز بلاد مقدسة، وقد تنازل الحسين وولواابنه عليا، فبما أن الشعب الحجازي بأجمعه الواقع الآن في فوضى العامة بعد فناء الجيش المدافع وعموم البلاد الحجازية مستهدفة لخطر كارثة ساحقة خلعوا ونصبوا.

وبعد هذا البلاغ يلقي كل مسؤولية على عاتق المسلمين إذا لم يسارعوا في إنقاذ البلاد لإيقاف جيوش الإمام ابن سعود، وعند آخر نقطة وصلت إليها، وإرسال المندوبين بكل ما يمكن من السرعة، فجاءت الجوابات من رئيس جمعية الخلافة بالهند بأنها لا ترضى الحكومة يكون على رأسها أحد أبناء الحسين، وأن الحجازيجب أن تكون خاضعة لرأي العالم الإسلامي، وأكد شوكت علي رئيس الجمعية بأن سعى جهده لحمل بريطانيا على عدم التدخل في مشكلة الحجاز ورفع في ٣٠ ربيع الأول خطابا وتقريرات إلى حكومة الهند، يذكر فيها أن جمعية الخلافة تضع ثقتها فيها لأنها في مركز يؤهلها لفهم مقاصد المسلمين في البلاد المقدسة أكثر من حكومة لندن، لهذا يطلب منها أن تمنعها في مسألة الحجاز.

أما مجلس فلسطين فقبل الوساطة، وكتب الرئيس أمين الحسيني برقية رفعها من المجلس الإسلامي الأعلى بالقدس إلى السلطان عبدالعزيز بن سعود متوسطا بالسلم بينه وبين الملك الشريف، فأرسل إليه السلطان عبدالعزيز بهذا الجواب.

إلى سماحة المفتي رئيس المجلس الأعلى بالقدس يحزننا أن تكون جاءت وساطتكم في وقت متأخر، فأنا منذ سبع سنين نتوسل بجميع الوسائل لإحلال الصلح والوفاق محل الجفا والشقاق، فلم تثمر مساعينا وكنا كلما لنا للحسين تجافى، فتصرفاته المتكررة في شرقي الأردن التي تبرهن عن نواياه الأكيدة في بلادنا من عسير وغيرها، ومعاملته كافة حجاج بيت الله وعجزه عن تقرير الأمن في الحجاز مما أجبرنا أن نتخذ التدابير الفعالة لتستقر الحالة في بلاد الحرمين وليأمن مستقبل بلادنا، وإنا نرغب في وجود إدارة في الحجاز تكفل حقوق جميع المسلمين بوجه المساوات، وتضمن راحة الحجاج، وتزيل عنهم المظالم كلها.

ثم أنه رفع الحزب كتابا عظيماً إلى سلطان نجد فيه تمام الحفاوة والوقار وهذا معناه.

إنا معشر العرب أمة واحدة شرفها الله بالإسلام، وذكروا حرمة البلاد السعودية لما ذكروا أنه قد وقع بينه وبين الحسين سوء تفاهم ومنازعات بأسباب

عائدة لشخص الحسين، وليس للأمة الحجازية علاقة بها لأن السلطة المطلقة بيده ولا تزر وازرة وزر أخرى، وأنه يتكلم بلسان الأمة وينسب لهم ما لا يوافقون عليه، إذ ليس بينه وبين الأمة المجاورة لهم من سكان نجد ما يوجب المقاطعة والعداوة مع وحدة الدين والمذهب أنهم هبوا إلى خلعه لما جنى تلك الجنايات، وكلفوه التنازل عن ملكه لما ظهر من امتناعه عن تلافي هذا القتال بالطرق السلمية، وبايعوا عليا بشرط أن ينزل على رأي الأمم الإسلامية، فبلسان هذه الأمة وباسم الإسلام الذي قمتم لنصرته وأوقفتم حياتكم لرفعة شأنه وعلو مكانته نخاطبكم ونرغب من شهامتكم العربية بإيقاف الجيوش عند آخر نقطة وصلت إليها، والموافقة على إرسال المندوبين من طرفنا للمفاوضة معكم فيما يجب عمله، ثم ذكروه بالله ورسوله أن يستوصي بهم خيرا، وذكروا أنهم مسلمون متقيدون بالكتاب والسنة، وبينوا اعتقادهم الذي يربطهم معه، وختموا الكتاب بهذه العبارة، هذا ونلتجأ إلى الله تعالى ثم إلى عدلكم وشهامتكم أن تأمروا بإجابة رغائب الأمة الحجازية المستعدة لقبول طلباتكم العادلة، والله على ما نقول وكيل، وإنا نحمد الله إليكم أولا وآخرا والسلام ٥/ ٤/ ٤٣/ و٧/ ٤/ ٤٣.

وقد ذكر لنا أن هذا الكتاب وقع في يد الحسين، وأنه سكت عليه فلم يصل إلى ابن سعود، في خلال ذلك كان الملك علي في مكة يعمل على تهدئة الخواطر لما وجد أهلها في أشد حالات الذعرلما كانوا يتوقعونه من القتل على يد الواهبيين فطمنهم بوعوده وأنه على تفاهم مع ابن سعود والإنكليز إلى تسوية الخلاف.

وأبرق لابن سعو برقية رفعها عن طريق البحرين وذلك طلبا للصلح وإن كان عليه بعض الهضم، وهذه صورة برقية لابن سعود.

إن أقصى رغبتي أن سود السلام في الجزيرة وأن تعود السكينة ما بين نجد والحجاز، وإني باسط لك رأيي في السلم ومقترح عليك عقد مؤتمر فيه إتمام المفاوضات التي بدأت في مؤتمر الكويت ينتهي بحول الله إلى حل يرضي الجميع، وذلك بعد سحب الجنود النجديين.

فكان جواب السلطان عليها بالإيجاز هي أن شروطي الأخيرة أن لا صلح ما دام أبناء الحسين يتوارثون الملك في الحجاز، وأنتم تعلمون أن الحجاز للعالم الإسلامي لا يختص به طائفة من المسلمين على طائفة.

وكان الحزب الوطني قد بلغ القناصل والوكلاء للدول الأجنبية في جدة بتنازل الحسين، ورفعوا برقياته إليهم برهاناً على صدقهم، وإنما فعل الحزب الوطني هذه الأفاعيل العجيبة السريعة لأن الإخوان أحاطت بهم، وبما ان الجهود قد بذلت، فنظر إلى خيبة الأمل أيقن على أنه لا طاقة له على المقاومة في مكة، لأن جيشه لا يتجاوز أربعمائة جندي، فخرج منها ليلا على حين غفلة بما لديه من قوة، ذلك بأن شراذم من الجيش النجدي قد وصلت إلى قريب مكة في ١٥ ربيع الأول، فما بزغت الشمس يوم الأربعاء ١٦ ربيع الأول إلا وقد انتشرت الإشاعات في طول مكة وعرضها بأن الحسين قد ركب الباخرة، وأن ابنه الملك علي قد بارح مكة بجشيه إلى جدة ولا يعلم إذا كان ينوي البقاء فيها أم مغادرتها أيضاً، فهلعت القلوب ووقف كل رجل حيال داره، وأخذت بادية الحجاز القريبة من مكة تفد إليها، وهاجمت دور الحكومة لسلبها وكادت تسطو على البيوت لولا أن الشريف حمزة الفعر أحد أشراف مكة أخذ ينادي فيهم بأن البلاد في أمن ابن مسعود وأنه سيتوقع أشد الجزاء على كل معتد فهدأت الحال إلى حد ما.

ذكر فتح مكة الرعب الذي ألقى الله في قلوب أهلها

لما قرب الإخوان من مكة استولى على أهلها الرعب والقلق، لما كانوا يسمعونه عن الإخوان من أنهم قساة غلاظ كما نشرت الحكومة الهاشمية في الجرائد، وزادهم هلعا القادمون من الطائف حينما كانوا يرون أخبار عجيبة مخيفة فحصل لهم كالمأتم واشتد بكاؤهم، وفي كل دار استعداد للسفر إلى جدة بل قد جلا الأغنياء وأسرتهم، وأخذوا معهم أموالهم لأنهم ظنوا الإخوان سيفعلون بهم فعلهم بالطائف، حتى كان طريق جدة كالمحشر أطفالا ونساء ورجالا وصبيانا يحملون الطعام والنقود، وما غلا ثمنا وخفَّ وزنا، حتى جاء في نقل من رآها على تلك

الحالة، قالوا وجدنا مكة كالمقبرة في الصمت الرهيب والسكون الشامل وألفينا الدكاكين مغلقة.

وكان زحف الإخوان من الطائف في يوم الأثنين الموافق ١٤ ربيع الأول، وفي هذا اليوم المبارك زحفت القوات النجدية إلى مكة من الطائف، وكانوا قد بعثوا سؤالا إلى علماء الرياض في أن يحرموا ويدخلوا مكة منكسي البنادق فإن لاقوا من يصدهم عن البيت قاتلوه، وان لم يلقوا أحدا دخلوا، فمنعتهم العلماء عن ذلك، بدليل عدم جواز قصد القتال في الحرم.

وكان خروج علي حين وصولهم إلى قرية الزيمة التي تبعد ست ساعات عن مكة، وقد صمموا على الحصار واستبسلوا كأنهم الأسود في شدة السورة خيال التوحيد أخو من أطاع الله.

وما أسفر صباح اليوم ١٧ الموافق ليوم الخميس إلا وقد دخل الإخوان مكة محرمين لهم زجل بالتلبية وقد نكسوا البنادق، فطافوا وسعوا واستولوا بعد حل الإحرام على البلد المقدس وهم ينادون فيه الأمان، فساد السكون بمكة بخلاف تلك الفرصة التي بين خروج علي ودخول قوات الجيش السعودي، فإن بعضا من أوباش مكة ونزرا يسيرا من أهل الغطغط كادوا أن يجوسوا خلالها وانبعثوا يسألون أهل مكة أين بيت أبي خيشة ولكن المكيين لا يعرفون من أبي خيشة فكانوا يجيبون لا نعرف و أخيرا عرفوا صاحب هذه الكنية وأنهم يريدون الحسين سموه أبا خيشة.

فلا غرابة من خشونة البدو، وأنهم أجلاف، فنهبوا ما وجدوا في بيت الحسين من علب المربيات، والساعات والمفروشات وكل غال ورخيص، وباعوا بثمن بخس، ولولا أنهم كانوا في مكة منكمشين لا يستطيعون أن يقتلوا أو ينهبوا كما فعلوا بالطائف، لأن أوامر ابن سعود قاسية شديدة إلى القائدين، خالد وسلطان وبلغاها الجيش ونصحاه بلزوم السكينة والهدوء، فمن أذنب وأجرم فلا يلومن إلا نفسه، لكانت لهم غير هذه الحالة، ولكنهم يرقبون القائد الأعظم لأنهم عرفوا أن عين الأسد حمراء.

وأما ما حصل من خوف الأهالي وظنهم السيء فيأبى الله لصاحب الجلالة والمهابة أن يهمل أمر البوادي ويتركهم سدى، بل دخل الإخوان أم القرى حاسرين الرؤوس قد ملؤا الفجاج بالتلبية، ما بين تال لكتاب الله ومصل، وطائف وراكع، وساجد، وجعلوا يصرخون بالأمان وما جرى منهم أذى على أحد، ولو استمرت القيادة يومئذ في الزحف غربا لدخلت جدة بسرية صغيرة دون أن تلقى من الحكومة فيها أو من الأهالي أقل مقاومة ولكنها وقفت في مكة عملا بالأوامر العالية التي كانت مجهولة في جدة.

أما غالب الذين فروا من مكة إلى جدة ومن ضمنهم بعض الجنود فجعلوا ينتظرون الباخرة الأولى للفرار، ولكن الباخرة الأولى وصلت في ١٩ ربيع الأول من العقبة «رضوى» نقل كتيبة من الجنود عددهم ثلثمائة قدموا من شرقي الأردن، ومائة من عرب شمر النازحين إلى الشرق العربي بقيادة أمير اللواء تحسين باشا الفقير؛ قد جندهم الأمير عبد الله بمساعدة بعض الأنصار في فلسطين نجدة للملك علي، فأنعشت هذه النجدة آمال الملك علي فشدت أزر جنوده المنهزمين إلا أنها لم تغير في نفسية المدينة، ولا أضرمت في الأهالي شيئا من الحماسة، وما كان قولهم إلا أن قالوا الإخوان ظافرون والجنود منهزمون وعلي متأهب للرحيل فما لنا أذن غير التسليم وخير البر عاجله.

ولما رأى القناصل الذين في جدة خطورة الأمر كتبوا إلى قواد الجيش النجدى كتابا معناه انه لا دخل لهم بأحد، ومن واجباتهم احترام أشخاص رعاياهم فإذا وقع عليهم ما يسوؤهم فهي على عاتق جيشكم لأننا على الحياد.

فجاءهم الجواب من قواد الجيش النجدي ما معناه: بإنه وصل إلينا كتابكم ولا يخفاكم أنا معاشر العرب لم نقصد ملككم ولا رعاياكم، بل قصدنا محاربة من حال بيننا وبين البيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، سنبذل في حمايته المال والنفس، وأهل مكة مؤمنون على دمائهم وأموالهم وجدة وأقطارها لا غرض لنا فيها وإن حصل على شيء منها تعدي فعرفونا نمنعه.

وبعث خالد بن منصور وسلطان بن ابجاد بشخصيتهما كتابا آخر إلى القناصل معناه: أن ليس لنا في رعاياكم قصد، بقي مسألة، وهي وجود علي بن الحسين ومكثه الذي هو ساع بالفساد وقطع السبل، وغير ذلك، إن كان لكم قدرة على إخراجه من جدة فأخرجوه، وإلا ميزوا رعاياكم ومن التحق بهم، عرفونا بمحلهم ونحن به أبصر .. إلخ. الجواب مطلوب بحال السرعة، فجاءهما الجواب.

بعد الاحترام وصلنا كتابكم ولا يخفا كما أن حكوماتنا ملتزمة الحياد التام في الحرب القائمة بين نجد والحجاز وعلى ذلك فنحن محايدون ولا يمكننا التدخل بأي وجه كان في هذا الخصام، وقد أخذنا عليكما أمراً محكما بأن ليس لكما نظر في رعايانا، ونؤيد مضمون كتابنا الأول والآخر بهم والسلام، ٤ نوفمبر معتمد قنصل جلالة ملك بريطانيا، نايب قنصل ملك هولندا، قنصل جنرال جلالة ملك إيطاليا، وكيل قنصل جلالة شاه إيران.

ثم أنه بعث الحزب الوطني إلى خالد بن منصور المنشور الذي فيه القسم المغلظ تاريخ٧/ ٣ الذي قدمنا فبعث الجواب الآتي:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إلى محمد الطويل واتباعه من الأعضاء المذكورين وكافة أهل جدة وسكانها، سلام على عباد الله الصالحين، أما بعد.

فقد وصل إلينا منشوركم وما أشرتم به كان لدينا معلوم، وتعلمون أن ليس لنا معشر المسلمين قصد إلا امتثال أمر الله تعالى وفرائضه التي أمرنا بها، ومحبة من قام بها وإن كان عبدا حبشيا، وإن كان أبعد الأبعدين ومعاداة الكفار والمشركين؛ وإن كانوا أقرب الأقربين، ثم ذكر آيات من آيات الولاء والبراء، فقال بعدها فمن قام منكم بما ذكرتم فطريقه طريق المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وأما تأمينكم فقد أتاكم كتاب الإمام وبه الكفاية وهذا زيادة تأكيد منا لخواطركم كافة لمن أتى أو بقي فعلية ذمة المسلمين، يكون آمنا مطمئنا يكون معلوما حرر في ٢٠/ ٣ وبعث في طيه

خطاب جلالة الملك عبد العزيز بن سعود الذي قد وجه إلى أهل الحجاز قاطبة قبل أن يتم له الاستيلاء على مكة وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى كافة من يراه من إخواننا، أهالي مكة وجدة وتوابعها من الأشراف والأعيان والمجاورين والسكان وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه آمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد.

فإن الموجب لهذا الكتاب هو شفقتنا على المسلمين، والصلاح في أحوالهم، في أمر دينهم ودنياهم، ولم نزل نكرر على الحسين النصائح على ما يجمع شمل العرب لتكون كلمتهم واحدة، ولكن الطبع يغلب التطبع ولا يحتاج تطويل الشرح بما انطوى عليه، إن أكبر شاهد على ذلك ما رأيتموه منه، وشاهدتموه من أقواله وأفعاله في هذه البقع المباركة التي هي مهابط الوحي، مما ينكره عقل كل مسلم، وعلاوة على ذلك ينكره كل من يحب المسلمين ولو لم يكن منهم، فالرجل ترك مزايا الانصاف وهي ما انتسب في هذا البيت الكريم؛ وأهمل حقوق هذه البقعة المباركة عليه في عدم ركوب طريقة السلف الصالح التي هي شرفه وشرف المسلمين خصوصاً وشرف العرب عموما، ولاشك انه من ترك ما كان عليه النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وخلفائه وأصحابه، وهو يتسمى باسم الإسلام، وبالخصوص إن كان من أهل البيت الشريف وطمح إلى غيره من الزخارف التي هى أكبر شؤم على الإسلام خصوصاً وعلى العرب عموما فهو لا خير فيه، فمنذ دخل الحجاز يجعل أكبر همه الإيقاع بنجد والنجديين، وقد تظاهر بذلك منذ أن تفرد بالحكم، وقبض على زمام الأمور فيها، وقد بلغ منه التهور أن قد منع أهل نجد قاطبة عن حج بيت الله الحرام، وهو أحد الأركان الخمسة، فهذا فضلا عما يأتيه هو وعماله من المظالم والمعاملات القاسية تجاه حججاج بيت الله الحرام الذين يأتون من مشارق الأرض ومغاربها، وفي هذه المدة قد تركنا التدخل في أمور الحجاز لأجل احترام هذا البيت ورجاءاً للسلم والأمان، ولكن من الأسف أننا لم

نحظ منه بذلك، وفي هذه الأيام الماضية في سفره إلى الأردن بانت نواياه ومقاصده للمسلمين نحونا حينما طلب تجزئة بلادنا وتشتيت شملنا، حتى لقد يئسنا من الوصول إلى حسن التفاهم معه لجمع كلمة العرب، ولا والله نعلم شيئا له من النقم علينا إلا كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ ولكننا ولله الحمد لسنا بآسفين على شيء إذا سلم لنا شرفنا في أمر ديننا ودنيانا، فليس لنا قصد في زخارف الحسين وأتباعه لا في ملك ولا في خلافه، ولكن غاية قصدنا وما ندعوا إليه هي أن تكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر، ويسلم شرف العرب، فلذلك لحقتنا الغيرة الإسلامية والحمية العربية أن نفدي في أموالنا وأنفسنا فيما يقوم به دين الله، ويحمي به حرمه الشريف الذي أمر بتطهيره وتعظيمه كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ وقد أرسلنا سرية من المسلمين لاحتلال الطائف لأجل القرب للتفاهم بيننا وبين إخواننا، فأحببت أن أعرض عليكم ما عندي فإن أجبتمونا فنعم المطلوب، وإن أبيتم فهذا الذي يعذرنا عند الله وعند المسلمين، وأبرء إلى الله أن أتجاوز شيئا منها حرمته الشريعة خصوصا في هذا الحرم الشريف الذي قال الله فيه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وحرمة هذا البيت معلومة حتى عند المشركين الأولين كما قال الشاعر:

إن الفضـــول تعاقـــدوا وتـعاهــــدوا ... أن لا يقـر ببطـــن مكـــة ظــــالم

وأما الأمر الذي عندي لكم فهو أني أقول عليكم يا أهل مكة وأتباعها من أشراف، وأهل البلد عموما والمجاورين والملتجئين من جميع الأقطار، عهد الله وميثاقه على أموالكم ودمائكم، وأن تحترموا بحرمة هذا البيت كما حرمه الله على لساني خليله إبراهيم ومحمد عليهما أفضل الصلاة والتسليم، وأن لا نعاملكم بعمل تكرهونه، وأن لا يمضي فيكم دقيق أو جليل إلا بحكم مشروع لا في عاجل الأمر ولا في آجله، وأن نبذل جدنا وجهدنا فيما يؤمن هذا الحرم الشريف وسكانه وطرقه للوافدين إليه، الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا، وأن لا نولي عليكم من

تكرهونه، وأن لا نعاملكم معاملة الملك والجبروت، بل نعاملكم معاملة النصح والسكينة والراحة، وأن يكون أمر هذين الحرمين شورى بين المسلمين، وأن لا يمضي فيهما أمر يضر بهما أو بشر فيهما أو بأهلهما إلا ما توافق عليه المسلمين وأمضته الشريعة، وهذا الكتاب شاهد لي وعلي عند الله ثم عند جميع المسلمين، وعلى ما قلته أعلاه أيضا عهد الله وميثاقه، فهذا الذي يلزمنا، ولا بد إنشاء الله ترون ما يسر خواطركم أكثر مما ذكر، ونرجواالله أن يهدينا وإياكم لما يحب ويرضا ويصلح بنا وبكم البلاد والعباد، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، ويمنعنا وإياكم من سوء الفتن، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته ويذل أعدائه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثير الختم، عبدالعزيز بن عبدالرحمن ٢٢صفر١٣٤٣.

الإشارة إلى الكتب المتبادلة بين الفريقين وجهود ضائعة

لما تلقى الحزب الوطني الحجازي خطاب خالد بن لؤي مشغوعا بكتاب ابن سعود، كتب الحزب إلى خالد كتابا ذكر فيه أن قد وصل إليهم كتاب ابن سعود، وأنهم تلقوا ذلك بالإكرام، وأن الأمة بايعت لعلي بن الحسين لما يعرفونه من حسن، أخلاقه وحبه للمسالمة لعموم من في جزيرة العرب، واشترطوا النزول على رأي المسلمين فيما يقررونه لسعادة البلاد واستقرارها، وذلك بعدما تنازل الحسين؛ وحيث أن الإمام عبدالعزيز قد ذكر في كتابه أنه سيجعل أمر هذه البلاد المقدسة شورى بين المسلمين،فقد اتفقنا والحمد لله نحن وإياه في نقطة واحدة، ثم قالوا فنرى أنه لم يبق موجب للقتال وسفك الدماء، وأصبح الحل المطلوب من الطرفين واضحا جليا؛ وحيث أن الأمر كما ذكر نكلف سيادتكم بالموافقة على إرسال مندوبين من طرفنا إليكم يكونون في أمان الله ثم أمان الإمام عبدالعزيز بن السعود وأمانكم لعقد هدنة توقف القتال وتصون الطرفبن عن سفك الدماء، إلى أن تحضر الوفود التي طلبنا حضورها من جميع الأقطار الإسلامية، وعلى الخصوص من جمعية

الخلافة بالهند، وبعد اجتماع الوفود ننزل على ما تقرره وتراه هذا ما ندعوكم إليه ونكلفكم بقبوله طبقا لما جاء بكتاب الإمام عبدالعزيز بن السعود؛ ولا شك أنكم توافقون عليه والله ولي التوفيق.

السكرتير السيد طاهر الدباغ، رئيس الحزب الوطني الحجازي محمد الطويل، الجواب عليه:

من خالد بن منصور بن لؤي إلى محمد الطويل وكافة الأعضاء، السلام على عباد الله الصالحين؛ أما بعد:

خطابكم وصل، وفهمنا مضمونه بعده من طرف بيت الله الحرام وأتباعه، جاء الله به عنوة للمسلمين، وطهر الله بيته من الحسين وأولاده بسبب إلحادهم في حرم الله وتعديهم حدود الله وظلمهم في كل قطر، والذي يثني عليه ويتعلق بمحبته ومعاونته ماله عندنا إلاالقوامة بحول الله وقوته، وإن بغى علي بن الحسين الأمان فيقبل ويواجهنا مأمونا والمجالس والمخابرة لها راع، وهو الإمام عبدالعزيز حفظه الله ورعاه ومع وصول الخبر يستوي علم زين ومقام علي عندكم من غير مواجهة بيننا وبينه نتيجة الفساد يكون معلوم، وصلى الله على محمد وصحبه وسلم٢٢/ ٣.

من محمد الطويل وجميع الأعضاء إلى حضرة الأمير خالد بن منصور بن لؤي قائد الجيوش، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

فقد وصل كتابكم وجميع ما به علم، وسنرسل لكم بعد باكر أربعة أشخاص بالنيابة عن جميع الأهالي الموجودين بجدة،السلام عليكم، وإفهامكم الحقائق وأخذ الحقائق منكم رأسا، وأما ما ذكرتموه من المحبة والتعلق بالرجل فليس عندنا من هذا شيء لا لنا تعلق إلا بما فيه مصلحة المسلمين، والله على ما نقول وكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ٢٣/ ٣/ ١٣٤٣. الإمضاءات سليمان قابل،صالح أبو بكر شطا، محمد شلهوب، عبدالرؤوف الصبان، عبدالله رضا.

وقد جاءهم الجواب بالقبول، هذا وكان ناجي الأصيل في لندن، يبذل كل جهوده لحمل الحكومة البريطانية على حماية الحجاز بما لها من نفوذ قوي من ابن

سعود، فقد اعتذرت بريطانيا بأعذار باردة، فكان ناجي يعالج بأن الحسين إذا اعتزل الملك وبارح البلاد، فالحجاز ما يزال مكانه وملكه الحاضر، علي لم يشترك في التعديلات التي قام بها أبوه وهو موافق على تلك المعاهدة إلى غير ذلك، فانتهى الأمر على أن بريطانيا لا تستطيع عمل أي شيء مع حكومة علي قبل أن ينجلي الموقف الحاضر؛ فطلبت حكومة علي من بريطانيا أن تتدخل في الصلح بين عاهل نجد وعاهل الحجاز الجديد فأبت، كما تقدم أنها بعثت إلى العالم الإسلامي تناشدهم الوساطة لحل الموضوع، ودرء الخطر الوهابي عن البلاد المقدسة.

ولما أن كان في يوم الأربعاء ٢٣/ ٣ توجه الوفد إلى مكة المكرمة لمفاوضة الأمير خالد مشكلات من ستة أشخاص، رئيسه الشيخ محمد أفندي نصيف في معيته عبدالرؤوف الصبان، وعلي سلامة، وسليمان عزاية، ومحمود شلهوب، وصالح شطا، وقصد الوفد مكة يحمل كل مفاوضة تعود بحقن الدماء؛ ولما كان في أثناء سفره لحقه سيارة تحمل كتابا من الحزب الأساسي يفيد أن الأمة حررت بعد توجههم مضبطة تحتوي على طلب عدم الدفاع، وأنه لا قبل لهم بالجيوش النجدية، وعرضوها على رئيس الوكلاء؛ وصورتها أنه لما جاءهم الكتاب الأخير من الأمير خالد كتبوا تلك المضبطة (بناء على ما بلغ الأمة من تشييد الخنادق والمعاقل والحصون، والإستعداد للحرب، وتحضير كل ما يلزم من الجبخان وآلات الحرب، فهم يسخطون عن كل مشروع كهذا، يكون نتائجه إراقة الدماء وإزهاق الأرواح البريئة، وبالعكس قوات الجيش الهاشمي في عدم استطاعتها الثبات، وقرروا بعدم الدفاع الذي استعد له الملك علي في ٢٣/ ٣.

ولما قدمها رئيس الوكلاء للملك علي، أصر علي أنه لا بد من الدفاع عن البلاد، بلاد أبيه وجده وجميع الموقعين على المضبطة وغيرهم، أخلاط لا أهمية لهم بالبلاد، فبعث الحزب كتابا إلى الوفد، فيه البيان النهائي من الملك أنه لا بد من الدفاع، ولضعفهم وقوته طلبوا منه أن يكتب كتابا للأمير خالد بالموافقة على توقيف الحرب، والأخذ في أسباب التفاهم بينه وبين خالد أن يكون

مفوضا، وإن لم يكن مفوضا يمهل خصمه بدون حركة حتى يقدم الإمام عبدالعزيز، وأن عليا يأمل وصول الإمداد إليه والدبابات والطيارات، فإن وافق على ذلك خاله وإلا تأخذوا في أسباب رجوعكم إلى جدة حالاً، قبل وصول كتاب الملك للأمير، والحذر من التأخير.

ولما أن وصل الوفد إلى مكة المكرمة، ووضع المسألة على بساط البحث مع الأمير خالد بن منصور، لم يدع الأمير لهم مجالا للبحث بل تصلب وخيّرهم بين ثلاث مسائل، إما أن يقبضوا على الملك علي، وإما أن يجبروه على مبارحة الحجاز، وأما أن لا يقدروا لضعفهم، فلديهم خارج البلدة قوة من الجيش النجدي المرابط يساعدونهم على ما يريدون، وكان مع الوفد رجل اسمه عثمان باعثمان جاء في معيتهم موفدا وهو جاسوس من رئيس الحزب محمد طويل ليترصد حركاتهم وأعمالهم، ولا عجب من نصح الطويل وإخلاصه للبيت الهاشمي، لأنهم سبب تقدمه وغناه ورفعته، ولما أن رجع الوفد يحمل شروط خالد ليعرضها عى الأمة لترى المصلحة التي تتلافى بها منفعتها وصل إلى جدة في ٢٦/٣ الموافق ليوم السبت، فاجتمت الأمة في الثانية عشر ليلا من ذلك اليوم، وعزموا على الهجوم على دار الملك ليجبروه على التنازل، لكن الرئيس محمدا لما علم بالهجوم الذي سيحصل على الملك علي أرسل رسولا في تلك الساعة إلى مولاه، فاستعد الملك بالحرس على بيته ورأت الأمة أن تؤجل المسألة إلى الغد؛ فلما إجتمعت الأمة قام حضرة الرئيس وسأل الأمة عن إجتماعها، فقالوا لدعوتك لنا وتقرير مصيرنا، فقام وهددهم وصاح وأرغى وأزبد، ثم قال من الآن أعد نفسي منفصلا عن الحزب، فألغي الحزب، وصارت الأمة في وجل والأعضاء في جدال، فانحل الحزب في تلك الساعة من اليوم ٢٧من ربيع الأول المواقف للأحد.

ثم أمر الملك علي بالقبض على بعض رجال الحزب وهم صالح شطا، وقاسم زينل، وعبدالرحمن باجنيد، وعلي سلامة؛ وسليمان عزابة، وقدمهم للمحكمة العسكرية بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم، فامتثل الأمر وزير الحربية، وطلبهم

إلى الثكنة العسكرية وحاكمهم، فقضت عليهم المحكمة بسجن بعضهم، وقتل الآخرين، وذلك في ٩/ ٤.

ولما عرض الحكم على الملك علي أظهر لهم أنه حليم وغفور عن الزلات، فأحضرهم وعفا عنهم ونصح لهم عن التكلم في الحكومة، وأطلق سراحهم يوم الخميس الموافق ١٦/ ٤ ثم أنه كتب بعدما اطلع على شروط الإخوان كتابا لخالد وهذا نصه:

المحترم الشريف خالد بن لؤي، وبعد: اطلعنا إلى عدة كتب منكم لأهالي جدة عموما وخصوصا وفيها التهديد والوعيد، وحيث أن أهالي جدة محكومين بحكام رؤساء ليس في استطاعتهم تنفيذ ما تطلبوا منهم، وليس من شيمتهم إجراء ذلك، رأينا أن نحرر لك كتابنا هذا بأنك إن كنت مفوضا من قبل حضرة الأخ السلطان عبدالعزيز في المذاكرة فيما يختص بحقن دماء المسلمين وبدفع السحق والمحق عن البلاد، فعين لنا مندوبين من طرفك ومندوبين من طرفنا عينهم ويجتمعون عندك في مكة أو في بحرة، وإن كنت غير مفوض من الأخ سلطان نجد فتخبر عظمته يفوضك أو يفوض من يراه للمذاكرة في ذلك، وتكون الحركات الحربية موقوفة من طرفك ومن طرفنا إلى أن يأتي الجواب من حضرة الأخ السلطان، وإن كنت تقول لا هذا ولا هذا فالأمر مفوض لمن بيده العزة والقدرة، وفي ذلك الوقت جاء من ابن سعود برقية إلى الحزب قبل أن ينحل، وكانت جوابا لبرقية بعثوها إليه لما أبطأ الجواب عن الكتاب الذي رفع إليه بالتودد والحنان تاريخ ٥- ربيع الأول ظنا منهم أنه وصله، فجاء الجواب برقيا في ٢٦ ربيع الأول عن طريق البحرين، طاهر الدباغ سكرتير الحزب الوطني الحجازي بجدة وصل تلغرافكم العمومي، أما رسالتكم الرسمية الخاصة المتعلقة بالصلح، فلم تصل لا يمكن نشر روح السلام في الجزيرة مطلقا ما دام الحسين وأولاده حكام الحجاز لا نقصد الطمع في امتلاك الحجاز والتسلط عليه، ولهذا فهي تترك للعالم الإسلامي وهذا ما نراه من البداية بتلك البلاد المقدسة، وإذا خرج الحسين وأولاده فأنتم آمنون في بلادكم، ولقد أرسلنا التعليمات اللازمة المتعلقة بذلك إلى رؤساء جيشنا ـ السكرتير الخصوصي لسلطان نجد عن طريق البحرين.

سفر الحسين إلى العقبة

لما كان في ليلة ١٦ ربيع الأول، نزل هو وحرمه وعبيده إلى البحر بذهبه وأمواله، ولم يجد من يمنعه أو يطالب بحقوق الأمة المسكينة التي أثقل كاهلها بالضرائب، ويجمع باسمها يرافقه للوداع أحمد السقاف رئيس ديوانه السابق وناظر الجماركمحمد الطويل، فامتطى الباخرة التي تدعى بعدئذ «الرقمتين»، فقال معجبا به سنسافر فيه يوما من الأيام سفرة بعيدة نعم إنه سافر سفرة بعيدة إلى العقبة، وكان الذي زين له السفر قبل ذلك ابنه علي، وأنهم لا يقصدون من سفره إلا حل الموضوع إذا بارح البلاد، وأنهم اختاروا له السفر إلى العقبة لاعتبارها إحدى البلاد التابعة له، ليستطيع تزويدهم من هناك بآرائه ويمدهم بمساعداته حتى ينالوا النصر النهائي، فيرجع إذ ذاك إلى مكة مكرما معززا، وقد سعى رشدي باشا لدى الملك فؤاد ولدى رئيس الوزارة المصرية سعد باشا بأن يسمحا لعاهل الحجاز السابق أن يسكن مصر فأبيا خشية من حدوث مالا تحمد عقباه.

ولما استقر بالعقبة جعل يرسل الإمداد والذخيرة والمال إلى ابنه علي، ولقد قام الحسين بتجنيد بعض العربان من شرقي الأردن وإرسالهم إلى جدة كما أرسل طبيبه الخاص الدكتور «ثابت نعمان» لإبتياع بعض المهمات للحكومة من مصرفا كلها عليه وظل في مصر، واشترى بواسطة معتمده بمصر عبدالملك الخطيب بعض السلاح، ولكنه حجز في جمرك السويس، كما عهدت الحكومة إلى السيد عبدالملك الخطيب بمصر في مقاولة بعض الشركات لإحضار كمية من السلاح لها من الخارج وأبرقت إلى كل من الملك فيصل في العراق والأمير عبدالله بشرق الأردن بطلب المساعدة بالمال والرجال والعتاد، وباتوا ينتظرون النتائج.

ولما انقطع كل أمل للحكومة الحجازية في التفاهم مع ابن سعود ولم تجد التوسلات شيئا، وجاءت إلى جدة بعض النجدات للملك علي رأي أن يظهر لخصمه الجلد والثبات، ويلوح له بما لديه من قوات فربما كان في ذلك ما يحمله

على تعديل خطته، فكتب هذه المرة خطابا لابن سعود فيه التهديد والوعيد، من علي بن الحسين إلى صاحب العظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود. أما بعد:

فإني على يقين منأن التسافك في الجزيرة يقطع الأرحام، وذهب بالأحلام، ويغري عدو العرب على الإستفادة من الخصام، وأنت تعلم أنه عدو شديد عنيد لا يستنيم إلى رعاية العهود ولا يطمئن إلى السكينة، فماذا أنت فاعل وقد بسطت لك الحالة كما هي من غير تشويه في حقيقتها أو لبس في مظاهرها وأن أقصى رغبتي هي أن يسود السلام في الجزيرة، وأن تعود السكينة ما بين نجد والحجاز، وإني لباسط لك رأيي في السلم، ومقترح عليك عقد مؤتمر لإزالة بواعث الخلاف وينبغي أن تعلم عظمتك أن تدخل الأجانب بين الأمم المسلمة ضار بنا وبمصلحة بلادنا وهذا التدخل لا يبعد أن يجر إلى تشاحن عظيم، وهذا أمر لا أرغب فيه ولا أوافقك عليه، وما شأن الأعاجم [1] في بلادنا، وأنت تعلم أن لهم من مشاغلهم في بلادهم ما يضطرهم إلى التنحي عن الإهتمام بمصير الحجاز، فإذا هم جدوا في استقلال بلادهم كان ذلك أحرى لهم من كل أمر لذلك، فإني أقترح عليك عقد مؤتمر يحضره مندوبوا الطرفين للصلح، والرجوع إلى إتمام المفاوضات التي دارت في مؤتمر الكويت من قبل، وأرغب إليك جلاء النجديين من الأراضي الحجازية المحتلة، وإلا فسنردها بالسيف، فإذا لم يبلغك صوتي ويصلك نذيري فإني مضطر إلى الإطلاء بنار الحرب بلا شفقة ولا رحمة، وللتاريخ بعد ذلك حكمه الذي لا يرد في الباغي منا، وإذا كنت باغيا فلا يذكرني التاريخ بخير، وإن كنت أنت الباغي حقت عليك كلمة الله «وما الله بغافل عما يعمل الظالمون»، فتلقى ابن سعود هذا الخطاب يتبسم وعرف أن القلق قد أزعجه وفر من قلبه الثبات، وما وسعه إلا أن يرد عليه ردا قاسيا على علي بن الشريف حسين.

---

(١) يقصد بالأعاجم علماء الهند الذين فوض ابن سعود الأمر إلى حكمهم عند عقد المؤتمر الإسلامي، والمذكورون هم الذين طلبت وساطتهم في صلح الحكومة الحجازية من الأساس.

جدة ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٤م، إني أحترم شخصكم احتراما عظيما ولكن معاملة والدكم لأهل نجد وسائر المسلمين هي التي جعلتنا نقف هذا الموقف، فإذا كنتم تحبون السلام وحقن الدماء، فاخلوا الحجاز وانتظروا حكم العالم الإسلامي، فإن اختاركم أو اختار غيركم فنحن نقبل حكمه بكل ارتياح، أما إذا بقيتم في أرض الحجاز فإن مسؤولية ما يقع من الحوادث تقع على عاتق غيرنا ـ عبدالعزيز.

وقد بذلت حكومة علي جهودا جبارة لإطالة أمد الحرب استجلابا للأمداد، ولعل الحكومات الأخرى تحل هذا النزاع، واستعدت للقتال وقامت تعمل بجد في تنظيم خط دفاعها والمحافظة على كيانها بكل ما تملك، فنصبت الأسلاك الشائكة خارج جدة وبثت الألغام من حولها، وأخذت تنفق في هذا السبيل من جيوب أعضاء الحزب المؤسسين، ودأب محمد الطويل في هذا السبيل، فكان أعظم مساهمة حيث بذل كل ما لديه وما ادخره من مال في عهد الحسين، وبذل الملك علي كل ما لديه حتى باع حلي أهله وباع أطيانه وأطيان عمته في مصر لسد حاجة الدولة، وحاولت الحكومة أن تحصل على قرض من بعض الدول والشركات الأجنبية، فلم تفلح لعدم وجود الضمانة الكافية لديها.

ذكر سفر صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى الحجاز

لما كان في العشر الأول من ربيع الثاني، تأهب الملك عبدالعزيز بن سعود للسفر إلى الحجاز هذا وكل من في جدة يجهل مقر السلطان ومقاصده الحربية أو السلمية، وقد انتظروا ماذا يبدوا من هذا العاهل العظيم، ثم أنه أم العاصمة الرياض رؤساء القبائل والأعيان ليدعوه.

فخطب فيهم خطبة بليغة تجذب القلوب وتسحر العقول، قال فيها إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم التي أرهقت كل العباد، إني مسافر إلى مهبط الوحي لبسط أحكام الشريعة وتأييدها، إن مكة للمسلمين كافة، وسنجتمع هناك بوفود العالم الإسلامي فنتبادل وإياهم الرأي في الوسائل التي تجعل بيت الله بعيدا عن الشهوات السياسية، وسيكون الحجاز مفتوحًا لكل من يريد عمل الخير

من الأفراد والجماعات، ثم أرسل إلى الإمام يحيى وغيره من أمراء الإسلام المستقلين هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد، فقد استقبلت الطريق إلى مكة غير باغ ولا آثم، فليتفضل الأخ العظيم بإرسال من يمثله في مؤتمر مكة حبًا لنشر السلام بين الأمم الإسلامية.

سلطان نجد/ عبدالعزيز

هذا فيما يختص بشؤون البلاد الخارجية فكان لكلامه أبلغ الأثر في قلوب العالم الإسلامي، حتى أن جريدة البلاغ التي تصدر في الأسكندرية علقت على كلمة ابن سعود البليغة قائلة بهذا المنهج، يذهب سلطان نجد إلى أم القرى مشهداً لله والناس على أنه لا يتردد في تنفيذ ما صحت نيته على تنفيذه وما انتوى عمله، فما أسمى الغاية التي ينشدها، وما أحراه بتأييد العالم الإسلامي قاطبة له في تلك المهمة الشاقة التي عهدت الظروف أدائها، وأن لهجة السلطان لتذكرنا بلهجة السلف الصالح، ثم أطال بإبلاغ وإفصاح في مدح ابن سعود، وأنهم يثقون بأقواله ويؤمنون بإخلاصه وصدق طويته.

أما شؤون اليلاد الداخلية فإنه جعل على حدود العراق ابن عمه عبد الله بن جلوي، لرد عاديته إن جاء منه شر، وناهيك به من رجل باقعه صلب العود شديد البطش، يستطيع أن يوقف كل معتد عند حده، وجعل على حدود سوريا الأمير الخطير وما أدراك ما هو إنه عبد العزيز بن مساعد، اليقظ الحزم القدير يراقب أعمال الأمير عبد الله بن حسين، ويمنع مساعداته إذا وردت لأخيه علي، وجعل ابنه سعود على العارض يدبر شؤونه، وأقام والده عبد الرحمن مرجعها إلى علي، وضبط شؤون بلاده لئلا ينتهز باغ فرصة غيابه عنها فأمر خيرة رجاله وأعظمهم حنكة وشجاعة وسياسة في مواقع الخطر، فإليك أيها الغر عن الوقوع في المهالك فإن في الحياض من يزود عنها، كلا والله إن الليث مفترش على برائنه للوثوب على من يقرب من الحمى وقاطنه.

ثم كتب إلى أهل بريدة وعنيزة وإلى بعض الهجر من الإخوان أن يوافوه بألويتهم وجموعهم إلى أماكن عينها، فلما كان في ١٣/ ٤ استقل موكبه من الرياض بما في ذلك من الفرسان وحاشيته المؤلفة من كتاب السر وبعض العلماء وفيهم من آل الشيخ العالم الشيخ عبد الله بن حسن قاضي جيشه إذ ذاك ورئيس القضاة اليوم وفيهم الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف أمامه، وقد رافقه في هذه الرحلة أخواه محمد وعبد الله وأبناه محمد وخالد وغيرهم من آل بيته ونفر من آل سبهان وآل رشيد وغيرهم من وجهاء نجد، ثم انضم إلى الموكب الشاعر عبد الرحمن بن نفيسه وراويه نجد المشهور عبد الله العجيري، وكان مع عظمته من المستشارين السوريين الدكتور محمد حمدي، ومحمد النحاس، ويوسف ياسين، وجمال الغزي.

أما الألوية التي لحقت بالموكب السلطاني في الطريق فعددها خمسة عشر لواء، خمسة ألوية من أهل القصيم من بريدة، وعنيزة، والبكرية، والمذنب، والخبراء، وهؤلاء الحضر، وعشرة ألوية من هجر دخنة، والداهنة، ونفي، والشبيكة وغيرها.

كيفية ذلك السفر الميمون

لما كانت الطرق المعروفة بين نجد والحجاز كثيرة، أقصرها من الرياض بعد الخروج من وادي حنيفة هي الطريق الجنوبية التي تبدأ من ضرمة فتمر بالركبة، مسافتها إلى مكة نحو خمسمائة ميل فإن السلطان اختار الطريق الشمالية التي تمر بالوشم وأطراف وادي السر ثم الشعراء، وهذه الطريق تزيد على الأولى نحو مائة ميل وهي مسيرة عشرين يوماً للقوافل، ومن ٢٥ إلى ٣٠ يوماً للجند، أما النجاب حامل البريد فيمكنه قطع مسافة ما بين الرياض والحجاز ونعني مكة بعشرة أيام، زد على ذلك في السرعة سير السيارات، فإنها تقطعها بيومين والمستعجلة بيوم واحد، وأعلى في السرعة الطائرة فإنها تقطعها بساعتين و٢٠ دقيقة.

فلما سار الموكب كان سيره معتدلا لا كالقوافل ولا كالجيش، وكان يقف يوما أو يومين على بعض المياة القريبة من العمران، فتجيء الوفود تسلم على الإمام وتجيء معهم في بعض الأحايين الشكايات التي كان يسمعها، ويمهد لسبيل العدالة

لأصحابها فأربعة وعشرون يوما كان سير الموكب في الطريق، وكان يمشي سيرا وسراء من الثمان ساعات إلى الخمس عشرة ساعة كل يوم ويمشي حتى في البادية بنظام عسكري.

هذا ولم يكن في هذا الموكب ما يدل على الحرب ولا أثر للحرب من صفوف وغيرها سوى النظام، ما هو إلا رهط من الناس خرجوا للسياحة يحملون في حقائبهم الكتب يطالعونها في ساعات السفر من الكتب الدينية والتاريخية للمطالعة في الليل والنهار، إذا ما طال الليل ومل الحادي تكلم السلطان ينادي العجيري وقد يكون العجيري معتزلا الركب كما هي عادة رواية نجد فيكرر أحد الرجال كلمة السلطان، العجيري يا عجيري يقدم فبحث العجيري راحلته، وبعد أن يدنو من السلطان يسلم ويشرع في القراءة إذا ما سمعته تظنه يقرأ في كتاب وإنما يقرأ عن ظهر قلب لأنه لا يحمل كتابا بل كان يحفظ الأدب والشعر من كتاب الأغاني، والكامل والبيان والتبيين والكشكول، وكان له ذاكرة وخاطر سريع، وله أدب وصوت ونطق وطريقة في الإلقاء تدهش أكبر الممثلين.

ماذا يبغي الإمام فصلا في نوادر في مكارم الأخلاق، فصلا في الشجاعة والاقدام، في البر والتقوى، وإذا ما بدا في الرواية كان كالساحر يتمشى في حدائق الأدب والشعر والتاريخ، فينقلها بأزهارها ويطيب شذاها، فتنعش الركبان وتطرد النعاس من الأجفان، وفي ساعة الأدلاج بعد أن تمشي الحملة وأمامها العلم وإلى جانبه راكب يحمل قنديلا منيرا.

قال الراوي: نسمع الصوت ينادي العجيري فيدنوا الراوية من عظمة السلطان فيرتل طائفة من الذكر ترتيلا جميلا أنيقا تكاد تعد منه حروفه، ثم يؤذن المؤذن لصلاة الفجر وبعد الصلاة والقهوة يستأنف الموكب السير فينادي السلطان أين الشيخ؟ فيليه أحد العلماء ويشرع يتلو شيئا من القرآن، ثم بعد الضحى يدعوه ثانية أو يدعو غيره من العلماء فيسلم هذا قياد راحلته إلى خادم يقودها ويتناول من حقيبته السيرة النبوية أو صحيح مسلم، أو تاريخ ابن الأثير، أو كتاب الترغيب والترهيب، فيقرأ ساعة أو ساعتين بصرت عال يسمعه المتقدمون في الموكب

والمتأخرون، ويظل الموكب سائراً بنظام لا يخرج في الصورة الإجمالية عنه، تتقدمه كوكبة الفرسان وتكاد أحيانا تختفي عن الأنظار، فأحرى بها أن تدعى كوكبة الكشافة؛ وبعدها علم السلطان وبعده الحملة التي فيها المؤن والأمتعة والأواني، وهي تمشي قبل الموكب السلطاني بساعة أو ساعتين فتختفي بعض الأحايين مثل كوكبة الفرسان، أما الموكب فتقدمه الإعلام ورايات الجيوش المنظمة إليه، وكلها تمشي في صف واحد، وبعدها الموكب والسلطان حينا على رأسه، وحينا في الوسط، فيسير أمامه أو وراءه الكبير والصغير بدون تمييز وبدون نظام.

وها هو ذا قد أناخ في مرات بلدة امريء القيس فجاءته الوفود من الوشم وسدير مسلمة عليه وها هو إذا جالس في فسطاطه يسمع أحد الشعراء يتلو قصيدة في مديح الإمام وانتصار جيش التوحيد في الحجاز، وها هو إذا في صراحته المعتادة يقول للشاعر: أحب سماع الشعر، ولكن نوعين منه لا أحبهما، الهجو، والغلو في المديح، ولا وقت له لدينا لنقف نبكي من ذكرى الأحباء والمنازل، ولكننا نمر في بسقط اللواء؛ والعجيري يتلو علينا شيئا من أخبارك يا بن حجر الكندي.

فإذا تم المجلس تكلم الإمام توكلنا على الله؛ اركب يا بن مطرف، اركب يا عبد الرحمن؛ وعبد الرحمن بن مطرف هو حامل راية ابن سعود فأول من يعلو فوق راحلة في الموكب ابن مطرف، قال الراوي وها نحن بعد خروجنا من بلدة امريء القيس نشرف على أماكن نشاطرها ولو في الكتب جلال القدم والذكرى.

هذه الجبال والشعاب والمياه وضح الحمى، والنير، والخفاف قد طالما زانت في غابر الزمان قوافي الشعراء وأفسدت عيش سادة العرب، هاهنا كانت تتطاحن القبائل، وها هنا كانت تندب الشعراء المنازل والأحباب، وهو ذا (ربع الريان) ذا الشعب الخصيب الذي تخرج إليه من الشعر محط رحال التجار والقوافل بين الحجاز والقصيم والعارض وما دون الشعب الجبل الذي قال فيه جرير:

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

وهو الذي حن كذلك إلىلا أهله الشريف الرضي:

أيـا جبــل الريـــان إن تعــر منهـــم فإنــي سأكسـوك الدمــوع الجواريـا

ولا نزال مسندين مصعدين من الريان إلى وادي الرشا بين جبال شهلان والخوار فتبدو أعالي نجد في أبهى الحلل من الاخضرار، تلك البلاد التي يتغنى الشعراء بعرارها وبطيب هوائها وبفسيح أرجائها.

حنينــــا إلى أرض كـــأن ترابهـــا إذا أمطـرت عـود مســك وعنــبر
بـــلاد كـــان الاقحـــوان بروضـــه ونـور الأقـاحي وشـي بـرد محـبر
أحن إلى أرض الحجـاز وحاجتي خيام بنجـد دونـها الطـرف يقصر

أما وادي الرشا فيعلو نحو ألف وأربعمائة قدم عن البحر، ونستمر مسندين فنصل إلى ماء يدعى المصلوم، وهناك التقوا بنجاب من مكة يحمل البريد إلى السلطان وفي البريد كتاب قناصل الدول الذي بعثوه إلى قواد الجيش النجدي بعثه خالد وسلطان إلى عظمة السلطان فزاد إعجاب السلطان بقدرة الله التي حملت تلك الدول على التزام جانب الحياد، هذا وقد حضرت رسل السلام في الحجاز للتوفيق بين عظمة السلطان وبين الملك علي بن الحسين؛ وحضرت الاجتماعات والمفاوضات، ولكن العاهل العظيم المتوقف على حضوره أمر المفاوضات لم يحضر ولا يعلم ما قصده هل التوجه إلى مكة، أم البقاء في العاصمة مركز الحكم في الرياض، أم كان يريد التوجه عن قريب أو بعيد ومتى يتحرك من عاصمة نجد إلى الحجاز فما كان في جدة لا في الحكومة ولا في القناصل ولا بين التجار من يستطيع أن يجيب عليها، وما كان في جدة شخص أو أحد يعرف شيئاً عن ابن سعود.

وقد كان ممن قدم لهذه الغاية المستر فلبي فكتب عند ذلك إلى أحد قائدي الجيش النجدي بمكة مستخبراً غير أنه لم يحظ بجواب؛ وكتب أيضا الأديب أمين الريحاني إلى القائدين كليهما فما جاء منهما جواب، ولا عاد الرسول مع ان سلطان ابن بجاد قد يتبادر إلى علمه أن الريحاني يتظاهر بصداقة ابن مسعود فرأى أمين الريحاني أن يبعث برقية إلى عبد العزيز بواسطة وكيله في البحرين، وتباحث هو

والمستر فلبي في السفر إلى الرياض براً عن طريق الطائف لعلمها يجتمعان بعظمته في العاصمة أو في الطريق وعقدا النية على ذلك، فأبرق للقصيبي في البحرين أولا وثانيا وجاء منه الجواب برقيتين إحداهما بالعربية وهو أرسلنا برقيتك إلى الإمام والثاني باللغة الإنكليزية، قد سافر الإمام إلى الحجاز وهذه البرقية الإنكليزية أول نبأ وصل إلى جدة ينبيء بسفر السلطان، فسر به الملك علي، وسرت الحكومة والقناصل، بل سرت المدينة بأسرها، كيف لا وهو السلطان الأعظم، والرئيس الأفخم، والرجل العاقل الحكيم، فلا بد في قدوم جلالته أن تتغير الحال، ويضع حداً لتلك الفظائع التي كانت تروى أخبارها في جدة ويتفاهم وإياه الرسل.

ثم أنه بعث السلطان عبد العزيز من مكانه كتابا إلى قناصل الدول في جدة.

بسم الله الرحمن الرحيم: السلطنة النجدية وملحقاتها في ٢٤ ربيع الثاني ١٣٤٣هـ ٢٢ نوفمبر ١٩٢٤م من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرات الكرام قناصل الدول العظام في جدة معتمد الدول البهية البريطانية، وقنصل جنرال الدول الإيطالية، ووكيل جنرال الجمهورية الفرنسية، ونائب قنصل مملكة هولندة، ووكيل قنصل شاه إيران المحترمين، بعد إهداء ما يليق بجنابكم من الاحترام نحيط علمكم بأننا أحطنا علما بكتابكم المؤرخ في ٤ نوفمبر المرسل إلى أمراء جيشنا خالد بن منصور، وسلطان بن بجاد، بخصوص موقف حكوماتكم إزاء الحرب الواقعة بين نجد والحجاز، ولقد كنت أود من صميم قلبي أن تحقن الدماء، وتنفذ رغائب العالم الاسلامي الذي ذاق المتاعب في السنوات الثماني الأخيرة ولكن الشريف عليا بن الحسين بموقعه في جده لم يجعل لنا مجالا للوصول إلى أغراضنا الشريفه، ولذلك فإني حبا لسلامة رعاياكم ومحافظة على أرواحهم وأملاكهم وما قد يحدث لهم من الأضرار أحببنا أن نعرض عليكم ما يأتي.

أولاً: أن تخصصوا مكانا ملائما لرعاياكم في داخل جده أو خارجها وتخبرونا بذلك المكان لنرسل إليهم من رجالنا من يقوم بحفظهم ورعايتهم.

ثانياً: إذا أحببتم أن ترسلوهم إلى مكة ليكونوا في جوار حرم الله بعيدين عن

غوائل الحرب وأخطارها فإننا نقبلهم على الرحب والسعة، وننزلهم المنزلة اللائقة بهم، وإننا نرجوكم أن ترسلوا كتابا طيه إلى أهل جدة حتى يكونوا على بينة من أمورهم، وإننا لا نعد أنفسنا مسؤولين عن شيء يقع بعد بياننا، هذا وتقبلوا في الختام تحية خالصة مني ـ الختم.

وهذا نص الكتاب الذي في طي كتاب التفاضل: بسم الله الرحمن الرحيم، السلطنة النجدية وملحقاتها، من عبد العزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، إلى أهالي جدة كافة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فلا بد أنه بلغكم أن أغلب العالم الإسلامي قد أبدى عدم رضاه عن حكم الحجاز بواسطة الحسين وأولاده، وحبا لسيادة السلام وحقن الدماء، نعرض عليكم أنكم في عهد الله وأمانة على أموالكم وأنفسكم إذا سلكتم مسلك أهل مكة، وبالنظر إلى وجود الأمير علي بين أظهركم وخروجه عن الرأي الإسلامي، فإنا نعرض عليكم الخروج من البلد إلى مكان معين، أو القدوم إلى مكة سلامة لأرواحكم وأموالكم، أو الضغط على الشريف علي وإخراجه من بلادكم، فإن فعلتم غير ذلك بمساعدة المذكور أو موالاته فنحن معذورون أمام العالم الإسلامي، وتبعة ما قد يقع من الحوادث تكون على المسبب، والسلام الختم ٢٤ ربيع الثاني ٤٣ عدد ١١٥.

ثم أرسل الكتابين إلى القناصل وأمر ثلاثة منحاشيته بأن يتقدموه إلى مكة فيطمئنون الناس، فراحوا يبشرون بقدومه وسار الموكب بعد أن اجتازوا جبل النير جنوبا بغرب إل الدفينة وهي في رأس الحرة التي تعلو نحو أربعة آلاف قدم عن البحر وفيها بقية طريق معبدة غير السكة السلطانية أي سكة زبيدة القديمة، وفي هذه الحرة أعلام منصوبة تدل على الأرض الوعرة التي لا تسلك بل تحذر القوافل من أخطارها؛ وهناك بعد أن نجتاز الحرة سالمين نجد بيوتا متهدمة في وسط بساتين من الأثل ونخيل الدوم هي مران التي وصفها ياقوت بقوله إنها قرية غناء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل، وقد كانت لبني هلال ولكنها اليوم للاضمحلال.

مررنا على مران ليلا فلم نعج على أهل آجام بها ونخيل.

وفي ٢٩ وصل الموكب عشيرة التي تتناهى إليها طرق نجد كلها وتعلو أربعة آلاف قدم عن البحر، فأقام السلطان فيها يوما يستقبل الوفود التي جاءت من جهات الحجاز للسلام يتقدمهم القائد سلطان بن بجاد وفيهم عدد كبير من أشراف الحجاز وعظمائه، جاءوا لإستقبال السلطان وتقديم الطاعة له.

ثم أدلج الموكب من عشيرة مصعدين إلى قرية السيل وهو الميقات فأحرموا هناك وانحدروا في وادي السيل بين جبال جرداء ملساء سمحاء،فمروا بالزيمة وأناخوا في مكان يبعد ساعتين عن الأميال، ثم تقدموا بعد الظهر مكبرين ملبين، لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، ملأت تلك الجموع الشعاب، وتزاحمت بين الهضاب؛ وتصاعدت أصوات الملبين، فتصادمت في الفضاء، فرددت صداها الجبال والوهاد.

ذكر قدوم ابن سعود إلى مكة

لما كان في مساء الخميس ٧/ ٥ وصل جلالة الملك إلى الأبطح وحط رحاله في أعالي مكة، فأناخ ذلوله واستقبله هناك الأهلون بالتهليل والترحيب، وبعد أن استراح قليلا ركب حصانا وامتطى حاشيته ظهور الخيل إلى قلب مكة، فترجلوا عندما قربوا من المسعى ومشوا إلى الحرم فدخلوه من باب السلام وطافوا وصلوا وسعوا تلك الليلة، ثم عادوا إلى المخيم في المعابدة.

فلما كان من الغد في صباح الجمعة استعرض السلطان الجيش من خيالة ومشاة ثم جلس في السرداق الكبير الذي نصبته البلدية وفرشته بالطنافس، وحرقت فيه البخور، فاستقبل أولا الإخوان وكان منهم أناس كثيرون لا يعرفون الإمام فكانت المشاهدة الأولى، وقد تهافتوا عليه يصافحونه ويقبلونه في خشمه(أنفه) وفي جبينه وهم يبكون من شدة الفرح والسرور، لم جاء من أهل مكة أعيانها وتجارها يسلمون ولم يفرق الناس بينه وبين رجاله لبساطة ملبسه وعظيم تواضعه، وهكذا يكون من أراد الملك فإن الملك بيد الله يؤتيه أهل التواضع والعدل

الذين لايهمهم ترف أبدانهم ولا لين ملبوسهم إنما يهمهم أمرالرعية والسهر على مصالحها ورعيتها ولما التفوا حوله وأرادوا تقبيل يديه على حسب ما عودهم الأشراف في عهدهم منعهم بعبارة قال فيها المصافحة من عادات العرب وعادة التقبيل لليد جاءتنا من الأجانب هذا ما يفعله الأعاجم بملوكهم فكان لهذه الكلمات أحسن الأثر في نفوس القوم واستبشروا منها خيراً وأعجبهم ذلك كثيراً فمن قائل ياله من سلطان متواضع لا يريد أن يسلم أحد عليه، ومن قائل حقا أنه على فطرة العربي وسليقته يكرهالملق ويمقت المداهنة، ومن قائل أنه يشعر بالعظمة في نفسه فلا يحتاج إلى من يعظمه، ومن قائل: اليوم تذوقنا لذة الحرية وشعرنا بالخلاص من رق الاستعباد، ومن قائل يقول لقد ورمت شفاهنا من كثرة تقبيل الأيدي والركب فلنهنأ بالراحة الدائمة.

ولما سمعوه يقول أن المصافحة عادتنا كما كان يصنع النبي ﷺ وأصحابه جعل يقول قائلهم أسمعتم أنه يصلي على النبي بعكس ما فهمنا من قبل أنه يكرهه عليه الصلاة والسلام، ومن قائل أنه لا يريد بنا السوء بل إنه يعلمنا كيف نحتفظ بعزة العربي وكرامته والتمسك بأخلاقه وعاداته.

ولما استقر السلطان في مكانه وقف الشيخ عبدالقادر الشيبي عميد بني شيبة سادن الكعبة وعين أعيان أهل مكة فأخذ يقدم له كبار الشخصيات والأعيان؛ ثم وقف ابن سعود وبين لهم أنه لم يأتهم مقاتلا ولا ظالما وإنما جاء ليخلصهم من جور الحسين وعسفه وليبسر للمسلمين سبيل الحج إلى بيت الله الحرام، جاء ليدعو الناس إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويبسط لهم حقيقة الوهابية ليفهم الناس عنها فكرة صحيحة بعيدة عن الأغراض وأقوال الكاذبين وأبدى أسفه لما حدث في الطائف ووعد بتعويض المصابين بضياع الأموال، فتقدم إليه الشيخ عبدالقادر الشيبي وقال هل لكم يا عظمة السلطان أن تتفضلوا بتعيين موعد تجتمعون فيه بعلماء المسجد الحرام وتوضحون لهم ما خفي عليهم من حقيقة عقيدة الوهابية فقد كثر حولها الكلام ونفر منها العوام فأجابه ابن سعود لكم ذلك ووعدهم من الغد في الساعة الثامنة بدار الحكومة.

ولما كان في ظهر يوم السبت في الوقت المعلوم كان الاجتماع في الحميدية وحضر لذلك العلماء وذوا الرأي من أهل مكة والمهاجرين فحياهم السلطان وتقدم حافظ وهبه فألقى عليهم كلمة جميلة أفادت أن ابن سعود جاء ليطهر تلك البلاد المقدسة من البدع، وليجعل الأمر شورى فلا يستبد بأمر، وبابه مفتوح لنصيحة كل ناصح، ولا يكون هذا البيت الحرام ملكاً لأحد، وأن التجارب السابقة دلت على أن الحسين وآله غير صالحين لإدارة هذه البلاد ولذلك فإنا سنضحي بنفوسنا وأموالنا في تطهير البلاد المقدسة منهم؛ وهنا قام «حبيب الله الشنقطي» فقال ولينصرن الله من ينصره، وما دامت غاية السلطان عبدالعزيز نصرة الإسلام فإن الله ينصره ويؤيده.

فوقف السلطان عبدالعزيز ثم خطب فيهم خطبة دينية، حمد الله وصلى على نبيه، ثم قال إن الأمور كلها بيد الله، وأن الله قد ضرب الأمثال في القرآن ولم يترك شيئا لتأديبنا إلا ذكره في كتابه؛ ولقد كان رسول الله ﷺ الذي من أحبه فقد أحب الله، ومن أطاعه فقد أطاع الله، يأخذ نفسه بآداب القرآن الذي نزل به أمين السماء جبريل على أمين الأرض محمد صلى الله عليه وسلم ولا أظن رجلاً عنده ذرة من عقل وعرف ما جاء في كتاب الله إلا قدر هذه الآداب حق قدرها، ورأى أن الخير كل الخير في اتباع الهدى الحكيم، وأنتم تعلمون أن نبينا محمداً ﷺ ما جاء إلا ليدلنا على طريق الخير ويبين لنا السبيل الأقوم، ثم قال إن أفضل البقاع بقاع يقام فيها شرع الله، وأفضل الناس من اتبع أمر الله وعمل به، فهل تعلمون قبيلة أفضل من قريش ومع فضلهم قاتلهم الرسول لما عصوا الله ورسوله وأعرضوا عن الحق، ألم يشرف بلال الحبشي وسلمان الفارسي بالإسلام والأول عبد حبشي والآخر رجل فارسي؛ ألم يذل أبو لهب بالكفر وهو عم رسول الله ﷺ فالشرف ليس بالحسب ولا بالنسب وإنما هو بالعمل الصالح.

إن هذا البيت هو شرف الإسلام الخالد، وما عمل فيه من الأعمال الحميدة يضاعف الله أجره، وما عمل فيه من السيئات يضاعف الله وزره، إن لهذا البيت

شرفه ومقامه منذ رفع سمكه سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد عظم العرب شأنه في جاهليتهم فتحالفوا وتعاقدوا ألا يقروا ببطن مكة ظالم صيانة لهذا البيت أن يقع الظلم فيه.

إن الفضــول تعاقــدوا وتعاهــدوا ألا يـقـــر ببــطن مكـــة ظـــالم

فتعالوا نتعاقد ونتحد، والله وبالله وتالله ورب هذا البيت لقد كان من أحب الأمور إلي أن يقيم الحسين شرع الله في هذا البيت المبارك، ولا يعمل لإبادتنا من الوجود، فأفد عليه مع الوافدين، أقبل يده وأساعده على كل شيء يريده، ولكن هكذا شاءت إرادة الله، ولو لم يلحق الأمر الأديان والنفوس لما أقدمنا على ما أقدمنا عليه، فقد قرر الحسين تقسيم بلادنا وتوزيعها وأصر عليه وأخذ يعمل له، وهذه جريدة القبلة أمامكم تعرفكم نياته نحونا، فإن الحسين أتى إلى هذه الديار مؤمراً من قبل الترك وأقام فيها ثم خلع طاعتهم فنحن في ديارنا لم يأمرنا غير سيوفنا واتباع ما أمر الله لا ينفعنا غير الاخلاص في كل شيء؛ الاخلاص لله بالعبادة.

ثم قال: أنا بذمتكم وأنتم بذمتي، أنا منكم وانتم مني، هـذه عقيـدتنا في الكتـب التي بين أيديكم، فإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فمردنا إليه، إننا لم نطع ابن عبـد الوهاب ولا غيره إلا فيما أيدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أما أحكامنا فسنسير فيها طبق اجتهاد الإمام أحمد بن حنبل.

لقد أشاع الترك عنا كثيراً وقالوا في جملة ما كـذبوه علينـا إننـا لا نصـلي علـى محمد وإننا نعد الصلاة عليه شركاً بالله نعوذ بالله من ذلك، أو ليست الصلاة علـى محمد ﷺ ركنا من أركان الصلاة لا تتم إلا بها، ويقولون إننا ننكر شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة معاذ الله أن نقول هذا، وإنما نطلب من الله أن يشفع فينـا نبينـا ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ بل ندعو الله أن يشفع فينا الولد الصغير ونقوا اللـهم اجعله فرطا لأبويه وشفيعا مجابا ولا نطلب الشفاعة من الطفل.

وأما محبة الأولياء والصالحين فمـن ذا الـذي يبغضـهم منـا فـإن كـان هـذا

مقبولا عندكم فتعالوا نتبايع على كتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، فأجاب الحاضرون كلنا نبايع، كلنا نبايع، فقال السلطان: قولوا لنا بصريح القول ما عندكم فرد الحاضرون ما عندنا غير هذا، فقال السلطان: أعيذكم بالله من التقية فلا تكتمون شيئاً، فتكلم الشيخ الشنقيطي قائلا: إنا نريد أن نجتمع بعلماء نجد فنتباحث في الأصول والفروع ونقرر ما نتفق عليه، فأجابه السلطان قائلاً: جميلاً، قريبا تجتمعون، واستأنف الشنقيطي الكلام فقال: إذا أردنا المناظرة مع علماء نجد فيقتضي أن يعرف كل منا طبيعة الآخر حتى إذا أقيمت الحجة عليه أذعن بدون سخط ولا غضب، فأجابه السلطان: ما دام المرجع كتاب الله فلا سخط ولا غضب.

ولما كان في يوم الأثنين ١١ جمادى الأولى، اجتمع ستة عشر عالما من علماء الحجاز من بينهم محمد المرزوقي، وعباس مالكي، ومحمد جمال مالكي، ودرويش عجيمي، بسبعة علماء من نجد من بينهم الشيخ عبد الله بن حسن، والشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، والشيخ محمد بن عثمان الشاوي؛ والشيخ عبدالرحمن بن داود، والشيخ عبدالله بن زاحم، والشيخ مبارك بن باز؛ فتباحثوا في الأصول والفروع، وتبين أن ما يدعوا الوهابية هو الحق الذي دعى إليه جميع الأئمة، وصرحت به كتب كافة المذاهب وقرروا ما يأتي:

قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجد في مسائل أصولية، من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع أو دفع ضر، فهذا كافر يستتاب ثلاثا، فإن تاب وإلا قتل، ومنها تحريم البناء على القبور وإسراجها وإقامة الصلاة عندها، لأن في ذلك بدعة محرمة في الشريعة، وزيارة القبور إنما هي للدعاء للميت والتذكير بالآخرة، ومنها من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب حراماً، في هذه المسائل تباحثنا واتفقنا فاتفقت بذلك العقيدة بيننا معاشر علماء الحرم الشريف وبين إخواننا أهل نجد، ثم وقعوا عليها بإمضاآتهم، وهذا البيان طويل أذاعوا به بيانا للأمة لتقتنع بأن كل ما كان يذاع عن الوهابيين من اختراق

المشاكل إنما هو مجرد دعاية لا صحة له، وقد طبع في مطبعة جريدة أم القرى معه خطاب رئيس القضاه الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وكان هذا تقريرا عظيما للمسائل الجوهرية في المذهب الحنبلي، هذه المطبعة للأتراك يطبعون فيها جريدة الحجاز الرسمية، ثم استولى عليها الحسين وشرع يطبع فيها جريدة القبلة، ثم استولى عليها ابن سعود وأصدر جريدة أم القرى، ثم أصدر ابن سعود بيانا رسميا إلى أهل الحجاز الحاضرة والبادية وهو هذا.

يا سكان الحجاز من حضر وبدو إننا لم نقدم من ديارنا إليكم إلا انتصارا لدين الله الذي انتهكت محارمه، ودفعا للشرور التي كان يكيدها لنا ولديارنا من استبد فيكم بالأمر قبلنا، وسنجعل الأمر شورى بين المسلمين في شأن هذه البلاد المقدسة، فلذلك أبرقنا لكافة المسلمين في سائرالأنحاء أن يرسلوا وفودهم لعقد مؤتمر إسلامي عام يقرر شكل الحكومة التي يرونها صالحة لأحكام الله في هذه البلاد المطهرة، إن مصدر التشريع في الأحكام بينكم يجب أن لا يكون إلا من كتاب الله، ومما جاء عن رسول الله ﷺ، أو ما أقره علماء الإسلام عن طريق القياس أو أجمعوا عليه مما لم يكن في كتاب الله أو سنة نبيه، كل من كان من العلماء في هذه الديار من موظفي الحرم الشريف أو المطوفين ذا راتب معين فهو له على ما كان عليه من قبل، إن لم نزده فلا ننقصه إلا رجلا أقام الناس عليه الحجة أن لا يصلح لما هو قائم عليه فهو ممنوع مما كان له من قبل، وكل من له حق ثابت في بيت مال المسلمين أعطيناه حقه لا كبير عندي إلا الضعيف حتى آخذ الحق له، ولا ضعيف عندي إلا الظالم حتى آخذ الحق منه، وليس عندي في إقامة حدود الله هوادة ولا أقبل فيها شفاعة.

ولقد كان لكلام ابن سعود هذا وقع عظيم في قلوب أهل الحجاز وفتح به أغلاقا محكمة، وملك به قلوبهم وعملوا على مناصرته لا سيما حين أقرهم في وظائفهم ولو سلم هذا البيان من ذكر جعل الأمر شورى بين سائر المسلمين كما أشار إليه في مبتداه لملك به سائر الحجاز ولكنه لا يعجب الحجازيين تدخل الأجانب في أمرهم ولكن، ااالسلطان رأيه من وراء ذلك كله أن يرضي سائر

المسلمين ويوقفهم عند حدهم، غير أنه أدرك بثاقب رأيه أن أهل الحجاز أحبوه وتعلقوا به، غير أنهم استاءوا لذلك فأسرع إلى دعوة العلماء وذوي الرأي في البلاد وألقى عليهم خطابا عدل، خطته الأولى فقال: يا أبناء الحجاز ويا جيرة البيت الحرام إن ديارا كدياركم تحتاج إلى اهتمام زائد في إدارة شؤونها عندنا مثل يعرفه الناس جميعا وهو أن أهل مكة أدرى بشعابها فأنتم أعلم ببلدكم من البعيدين عنكم وما أرى لكم أحسن من أن تلقى مسؤوليات الأعمال على عواتقكم، وأطال في هذا الموضوع إلى أن قال أريد رجالا يعملون بصدق وعلم وإخلاص، فإذا اجتمع أولئك المنتخبون وأشكل على أمر من الأمور رجعت إليهم في حله، وعملت بشؤونهم فتكون ذمتي سالمة وتكون المسؤولية عليهم وأريد الصراحة في القول، لأن ثلاثة أكرههم ولا أقبلهم، رجل كذاب يكذب علي عن تعمد، ورجل ذو هوى، ورجل متملق، هؤلاء أبغض الناس عندي، وطلب الانتخاب بسرعة.

فما كاد يتكلم بذا الخطاب حتى قام العلماء والأعيان والتجار لتأسيس مجلس شورى تنفيذاً لإدارة السلطان، واجتمعوا في دار البلدية، وانتخبوا من الأعيان والعلماء والتجار مجلساً مؤلفا من أربعة عشر عضوا برئاسة الشيخ عبدالقادر الشيبي.

وفي اليوم ١٥ من جمادى الأول أصدرت الحكومة السعودية صحيفة مكة أسمتها جريدة أم القرى وهي لسان الحكومة السعودية، ومحررها يوسف ياسين لاذقي الأصل، وعندما عرض نتيجة الانتخاب على ابن سعود أقرها، ودعا المنتخبين وأوصاهم بتقوى الله، ورغب إليهم أن يعملوا على عدم تخلف الناس عن الصلاة في الجماعة، فنادى مناد في البلاد يا معشر المسلمين سكان البلد الأمين على كل واحد منكم إذا سمع المؤذن أن يجيب داعي الله ويبادر إلى الصلاة في الحرم، ومن كان بعيدا عنه فليصل في أقرب مسجد منه.

كما أصدر السلطان أمره بتعيين حافظ وهبه محافظا على مكة، والشريف هزاع العبدلي أميرا على بدو الحجاز، وخصص خالد بن لؤي بشؤون نجد، فهدأت الأحوال وسرت الخواطر.

ذكر الإشاعات المكذوبة على الإخوان قبل ذلك

لقد مرض رؤساء أهالي جدة مرضا حسيا ومعنويا أما الحسي فنعم مرضوا بالأمراض السارية كالملاريا وغيرها من الأمراض، وأما المعنوي فيما كانوا يسمعونه من الأخبار التي شوهت بالإخوان وكذبت عليهم ما كان يحدذ الكربة ويزيدها بالهول الإخوان ويا للفظاعة ويا للعار قد عاهدوا بني جابر وبعض الأشراف الذين دينوا وأمنوهم، ثم حملوا عليهم فذبحوهم كلهم الرجال منهم والنساء والأطفال قد عاهدوا الجداعين وأمنوهم على حياتهم وأموالهم ثم ذبحوهم عن بكرة أبيهم، الإخوان يضربون أهل جاوة في الحرم، ويمنعونهم عن الصلاة وعن التدريس في الحرم، الويل لمن يرى الإخوان سكاره بيده فإنهم يشبعونه شتما وضربا، الإخوان يحجزون البيوت بمكة ويبيعونها، الإخوان يهدمون بيت المولد النبوي، وبيت السيدة فاطمة الزهراء، وضريح السيدة خديجة، الإخوان هدموا كل قبور الصحابة والأولياء وآل البيت في المعلاة، وهدموا مسجد حمزة ومسجد أبي قبيس، وهدموا وفعلوا، وما هي إلا إشاعات مكذوبة صدرت عن السنة تبهرج وتنفر الناس عن اسم الوهابية، ومن لم يراقب الله ولم يستح من خلقه فليفعل ما شاء .

ونزيد المقام توضيحا فنقول عندما دخل الإخوان مكة، جاء عربان الجدعان وبني جابر وبعض الأشراف إلى الأمير خالد بن لؤي موحدين طائعين دخلوا في دين التوحيد، ودينوا فأعطاهم خالد الأمان على أرواحهم وأموالهم وأذنهم بالرجوع إلى منازلهم التي تبعد مرحلة ومرحلتين عن جدة إلى الشرق الجنوبي، ولكنهم بعد أن عادوا من مكة جاءوا يقدمون الطاعة للملك علي وشرع بعضهم يقطع الطريق بين جدة ومكة، فأرسلت القيادة النجدية سرية عليهم للتأديب، ولجمع السلاح فأبى الجدعان أن يسلموا سلاحهم، فنشبت بينهم وبين الإخوان معركو دامية انتهت بهزيمة الجدعان وفرارهم في السنابيك إلى جدة.

أما بنو جابر فمنهم من سلموا سلاحهم ومنهم من فروا هاربين فركبوا البحر

مثل الجدعان، وجاءوا جدة بحريتهم وعيالهم فأنزلهم الملك علي خارج السور وبذل في سبيل المستطاع.

أما أهل جاوة فما ضربهم الإخوان ولا منعوهم عن الصلاة والتدريس في الحرم وليس الخبر كالعيان بل سأل بعض المثبتين أهل جاوة هل ضربكم الإخوان وفعلوا وفعلوا؟ فقالوا: إنا أقمنا حفلة لنتلوا المولد النبوي، كما هي عادتنا كل سنة فنصبنا قبة الاجتماع، وعندما حضر عالمنا لتلاوة سيرة المصطفى جاء الإخوان فطردونا هدموا القبة، لا ولم يضربوا أحداً ولكنهم كانوا يشتمونا ويدعوننا، نعم التدخين ممنوع في الأسواق، ولكنني ما رأيتهم يضربون أحدا يدخن لهم يشتمون من يدخن ويدفعون جزاء ربع مجيدي، كذلك أيضا قال بعض أهل الإنصاف التقينا ذات يوم عند السور في جدة باثنين عائدين من مكة أحدهما: ضابط تركي كان من خدم الحسين؛ والثاني كان أعرابيا فسألناهما عن فظائع الإخوان فقال الضابط: إنهم حجزوا البيوت ونهبوها وباعوها والله وهدموا المقامات كلها حتى مقام إبراهيم عليه السلام، فقاطعه الأعرابي قائلا: لا والله الذنب ذنبنا نحن والخيانة منا، يجيء الوالد إلى خالد يقول هذا بيت الشريف، وهذا بيت عم الشريف، وهذا بيت أحد عبيد الشريف، فيحجز الإخوان هذه البيوت ويبيعونها بعد ما يخرجون منها الأثاث، والله ما مسوا غير أملاك الشريف ودور الحكومة.

أما هدمهم القبور والمقامات فأمرها واضح هذه المقامات لم تهدم والمساجد معمورة إلا مسجد أبي قبيس فهدم قسم منه، لما كان الجهال ينتابون ويجعلونه مزارا، لا سيما وقد أسف جلالة الملك لذلك وأمر بعد ذلك بترميمه، وأما القباب والحجر على القبور، فهي الداء العضال والبدعة العمياء من الجهال فتن بها عباد القبور ووضعوا عليها البناية والستور وكبر على العامة هدم ضريح السيدة خديجة وبيت السيدة فاطمة والمولد النبوي لما قرره الأتراك ونحوهم، ولكن ما المانع من هدمها، أما قال علي لأبي الهياج الأسدي ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته، فلا يجوز تركها مع القدرة على إزالتها.

ومن المتعصبين لهذه البدع الشركية من يزعم أن هذه البنايا التي على القبور شرف للمقبورين وتعظيم لأهلها وأنها تضيء على أهل الدنيا إضاءة الكواكب،ولقد كان من المعلوم من شريعة الإسلام التي جاءت من طريق المشرع صلوات الله وسلامه عليه، أن الرسول لعن المتخذين على القبور المساجد والسرج وأمر بإزالة البنايا، وما كان ذلك تعظيما لأهلها إنما تعظيمهم محبتهم والدعاء لهم والترضي عنهم وتنفيذ رغباتهم بعدم الغلو فيهم والاطراء؛ كما حرق أمير المؤمنين علي الذين غلو فيه.

فهلموا بنا عباد الله نتمشى على هدي الرسول وندع كل بدعة تخالفه، ومن هذه الإشاعات الباطلة اختلاق أدعية: كقول الملك علي بن الحسين لقائد فرقة النصر تحسين باشا الفقير، جاءنا اليوم الإثبات من عمان أن حائل سقطت بيد قبائل شمر وإن سلطان الدويش قد استولى عليها بمساعدة شمر.

ولقد كان الأولى بتحسين باشا أن يكون قائد فرقة البوار لأنه قاد الحملة في سنة البكيرية على ابن سعود فخاب، وبعد عشرين سنة قاد هذه الحملة من سوريا على ابن سعود في الحجاز، فخاب أيضا وباء بالبوار.

أعمال ابن سعود لتموين مكة

لما تم خط الدفاع الذي سواه الملك علي في جدة حال ذلك الخط دون تموين مكة من ثغرها الأقرب لها، ولقد عمل ابن سعود على احتلال الليث ورابغ قبل أن يسافر من الرياض، وأصدر الأوامر إلى قواده بفتح القنفذة التي هي أول الثغور الداخلة في حوزة ابن سعود حينما مشت جيوشه إلى عسير بعيدة، والليث كان أقرب منها لذلك بادرت القيادة في الحجازإلى احتلالها، ولكنها لما مشت السرية إلى ذلك الثغر لقيت من أشراف ذوي حسن بعض المقاومة، فاشتبكت وإياهم في معركة دامت بضع ساعات وانفصلت عن كسرة ذوي حسن، ففر منهم البعض وسلم الآخرون، وأصبحت الليث في حوزة ابن سعود.

أما إسماعيل بن مبيريك وأهل رابغ فقد كان فعلهم مع ابن سعود والشريف علي كله ملقا، وسلوكا كسلوك الثعالب عصوا حكومة جدة فأرسل عليهم الشريف علي خمسين جنديا بقيادة حمدي بك فلما ظفر بهم أقسموا لعلي يمينا على الطاعة والولاء فعفا عنهم ورجعوا إلى بلدهم.

وفي هذا الأثناء تصادم الإخوان وفريقا آخر من العربان في الطريق بين مكة ورابغ وهؤلاء العربان بطون من عرب يقطنون في تهامة الحجاز، وكانو في مواسم الحج يعتدون على الحجاج وينهبون القوافل، قاتلهم الله، وتتقاضى الحكومة فوق ذلك رواتب معلومة.

فلما دخل الجيش النجدي مكة جاء بعض هؤلاء إلى الشريف خالد بن لؤي يطالبون بما ادعوا أنه حقهم الشرعي، فقال لهم خالد إذا دينتم كنتم وكافة المسلمين سواء وإلا فعندنا الكتاب والسنة والسيف، فاستمروا عاصين، فأرسل عليهم خالد سرية من الإخوان فالتقوا بجماعة منهم في عسفان بين مكة ورابغ على طريق المدينة، فضربهم الإخوان ضربة قاصمة فرقتهم من ذلك المكان، ثم قرب الإخوان من رابغ ففرر إسماعيل بن مبيريك إلى مكة أولا وثانيا، وجعل يعاهد الشريف خالد ويوحد الله، ولبث ينتظر قدوم السلطان فعين لهم السلطان رواتب على شرط أن يمنعوا التعدي على الحجاج ويحملوا الطريق من البحر إلى مكة، فهذا ما جرى من أمر أهل رابغ وإتيانهم هذا وذلك، يحلفون لهذا تارة ولهذا أخرى، حتى تبعوا الأقوى والأكرم، وعلى هذا كان غيرهم من الأشراف الحرث والقصور، فإنهم تهافتوا عل السلطان عبدالعزيز عند وصوله إلى مكة، وجاءوا يشكون القلة والغلاء والشدة والضيق، فأجابهم بما اطمأنت به نفوسهم بقوله قد اتخذنا التدابير لمنع الإحتكار وإنا فتحنا لجلب الأقوات طريقا، وهو الليث وإنه ورجاله وجيوشه لا يكلفونهم من هذا القبيل شيئا، لأن الأقوات تجيئهم من نجد.

ثم إن أهل مكة بعثوا خطابا إلى الملك علي في جدة بتاريخ ١٨ جمادى، بعد عرضه على ابن سعود يطلبون فيه عدم منع الأرزاق الواردة عن طريق جدة وهذا نصه:

إلى حضرة صاحب السمو الأمير علي بن الحسين وفقه الله بعد السلام اللائق بالمقام لا يخفاكم أننا جيران بيت الله الحرام الذين قال الله في حقهم ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ وقال أيضا ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ فأين عملكم من توصية الله بنا وما السبب في إقدامكم على منع القوت عنا وإيصال الأضرار إلينا لأن قوة نجد وجيوشها دخلت مكة ولسنا نحن المسؤولين عن ذلك بل أنتم المسؤولون عنه عند الله وعند خلقه، أولا:لأنكم لم تعملوا على الإصلاح ذات بينكم ولا لإزالة أسباب الخلاف بينكم وبين نجد وأمامها وغيرهم حتى يكون حرم الله آمنا، ثانيا: عند دخول جيوش حكومة نجد الطائف طلبنا منكم تخليص عائلاتنا ومحارمنا وأموالنا من الطائف فأبيتم ذلك وأعطيتمونا العهد بالمحافظة ثم شردتم وتركتمونا؛ فلا أنتم حافظتم علينا ولا سمحتم لنا بالخروج حتى كان ما كان ثم لما قدمتم راجعناكم أنت ووالدك مراراً، فوعدتمونا بالدفاع عنا برقابكم، ثم شردتم وتركتمونا فوضى، وإننا نخشى عليكم عقوبة ما جرى على بيت الله الحرام من الخوف والهلع، وبعد ذلك أعلنتم أنكم ما خرجتم من مكة إلا حقنا للدماء، فسموكم تورعتم عن قتل أهل نجد، وأبحتم المصيبة لجيران بيت الله بمنعكم الأرزاق عنهم، وحجزكم معايشهم، والآن نسأل سموكم إن كان جيران بيت الله مجرمين! فأنبئونا نستغفر الله، وإن كنا فقراء ضعفاء لاجئين إلى بيته فما السبب في التضييق علينا في أرزاقنا وأنفسنا؟ فإن كنا مجرمين من جهة الحكومة النجدية فليس لنا يد في دخولهم، ولا طاقة لنا على إخراجهم، ولكننا نرجو الله ثم سموكم أن تفعلوا أحد أمرين: إما أن تقدموا بجيوشكم وتخرجوا الحكومة النجدية حتى تتفتح لنا طرق أرزاقنا، وإما أن تتركونا وتتركوا جدة محل معائشنا، ثم إنه وقع لعى هذا الكتاب ستون من أعيان أهل مكة، وعنما وصل الكتاب إلى علي الشريف ثارت ثائرته، وكتب ردا عليه بتاريخ ١٨ جمادى الأول، وبعثه في منشور بإحدى طائراته فألقته على مكة. (لم نمنع الأرزاق عنكم إلا مكرهين فالقواعد الحربية تقضي بذلك، ولا قصدنا إلا إحراج مراكز العدو، وعدم تموين جيوشه ولئلا يغدر بكم العدو بوضع يده عليها، ونحن

على يقين أن كتابكم الذي وصلنا لم تحرروه إلاَّ مرغمين وعلمنا من فحواه أن العدو لم يضطركم إلى هذا إلا لضعفه وعجزه، إنني لم أترك مكة إلا لأمرين: أولهما: عدم القتال فيها حرمة لها، والثاني: حفظكم من مثل ما حصل في الطائف، وإني عاهدت الله على الموت في سبيلكم وإنقاذكم بعون الله فاصبروا، صبر الكرام، وقريبا إن شاء الله يكون الاجتماع بكم في حرم الله على أسر حال.

وقد شكا الأهالي إلى السلطان عبدالعزيز تضييق الإخوان على الناس، وشتمهم خصوصا أهل الغطغط يخاطبون من يدخن بقولهم: يا مشركين وقد يضربون المدخن في بعض الأحيان، فطيب بالهم السلطان، ولكنه سمع من الإخوان مسوغا لذلك «يا الإمام إنهم يدخنون يشربون التتن يا عبدالعزيز ولا يصلون» فأمر السلطان بالمنع من الضرب والشتم، ولما أن جعل السلطان خالد بن لؤي على شؤون الإخوان، جلس خالد أميرا في مكة، كما أنه جعل الشريف هزاعا على بدو الحجاز، وجعل كذلك حافظ وهبه بينه وبين أهالي مكة وجعل مقره في الحميدية، وفرغ ابن سعود من الشؤون الداخلية تفرغ للشؤون الخارجية.

ذكر المفاوضات بين ابن سعود ووسطاء الصلح

قد قدمنا أن الشريف حسينا قبيل سقوط الطائف عين وزير خارجيته فؤاد الخطيب سفيرا لدى حكومة إيران فبادر السفير الجديد إلى التأهب للسفر مسرورا بوظيفته هذه، وما سافر عن طريق البحر من جدة مصحوبا بكاتب سره وترجمانه ومرافقه كلها من عبيد وغيرها، ووصل إلى عمان في طريقه إلى بغداد فطهران حتى وصلته دفعة واحدة أخبار الحجاز كلها فجاءه بعد ذلك أمر من الحكومة الجديدة، حكومة علي ان يرجع إلى وظيفته السابقة، فحدثته نفسه أن يسعى في السلم بين نجد والحجاز سعيا موفقا، واتفق ببعض الأذكياء وهو أمين الريحاني فتفاوضا ثم اتفقا بالأمير عبدالله في مقر بعمان، فرغب بالتوسط بين أخيه وعظمة السلطان، ووافق لذلك برقية جاءت لفؤاد الخطيب من الملك علي لذلك الموضوع فقبل

الريحاني، وظن الأمر قد تعين عليه فسافرا إلى السويس، ثم إلى جدة في اليوم الذي هو ٧ ربيع الثاني، فوجد المستر فلبي رسولا قد سبق إليها.

إن فلبي هو المستعرب الإنكليزي وقد يكون مندوبا من الحكومة البريطاية للتوسط بين الملكين، ولكن المعتمد الإنكليزي بجدة «المستر بولارد»، قد كذب ذلك بل حقق أنه متطوع بالصلح لا موفدا فأعجب الشريف عليا وساطة فلبي، قائلا: هو صديق لابن سعود وصديق لنا وقد عرض فلبي سعيه بواسطة وكيل الحكومة العربية السابق بلندن فقبلت، ثم قدم إلى جدة رسول آخر هو «طالب النقيب» الذي كان يومئذ في الأسكندرية، وطالب هذا قد مر ذكره في هذا التاريخ، ويعتبر صديقا لابن سعود، فإذا كان ابن سعود لا يقبل وساطة فلبي ولا غيره، فلا بد أن يأذن بالزيارة في الأقل لمن اجتمع به مراراً في الكويت وفي البصرة، وكان ضيفه في القصيم، وتوسط بينه وبين الترك، وهو صديقه طالب النقيب وقد تدخل في عرض الصلح غير هؤلاء كالإمام يحيى، ووفد الهند، والسنوسي، وإمام مسقط، وإمام عمان، وسليمان الباروني، وحكومة إيران، وحكومة مصر، ذلك لأن حكومة علي لما يئست من تدخل بريطانيا رغم صلة الملك فيصل والأمير عبدالله بها عمدت إلى بعض الشخصيات المحبوبة لدى ابن سعود تناشدها الوساطة في الأمر؛ فلبى نداءها من العراق طالب النقيب ومن الشام الأديب الريحاني ومن شرق الأردن المستر فلبي، وهؤلاء منهم من جاء مدفوعاً بدافع العاطفة فقط، ومنهم من جاء موفدا رسميا من قبل حكومته أو بإيعاز من الشريف علي لأن جلهم من أولى الشخصيات البارزة في العالم، هذا وقد تم خط الدفاع حول جدة بما فيه من الاستحكامات والمتاريس والخنادق والأسلاك الشائكة والألغام، وكان على شكل هلال طوله من البحر إلى نحو ستة أميال؛ وكان الملك علي قد استعاد شيئا من الأمل والاطمئنان بل كانت ثقته بالفوز سلماً أو حرباً تزداد يوما فيوماً مع ازدياد الجيش النظامي وقوته لأن والده وأخاه عبدالله يبذلان له المال والهمة في الدفاع عن الحجاز قد اشترى بعض الأسلحة من الخارج كطيارات ودبابات ومدافع وذخيرة،

واجتمعت لديه قوة، وبينما صاحب الجلالة والمهابة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل يجهز جنوده ويستعد لمهاجمة جدة وإنهاء الموضوع، إذا بكتاب القناصل في جدة يصل إليه.

من ممثل الدول «الموقعين أدناه» إلى حضرة صاحب العظمة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود سلطان نجد الأكرم بعد تقديم واجبات الاحترام قد وصلنا كتابكم المؤرخ في ٢٤ ربيع الثاني عدد ١١٤ وما ذكرتموه صار معلوما لدينا، أما بخصوص الاقتراحات المتعلقة بحفظ رعايانا وتأمينهم من خطر الحرب نرى من اللازم أن نذكر عظمتكم بأن احترام رعايانا مبني على حقوق دولة متبعة في أيام الحرب فبناءاً عليه ندعوكم باسم حكوماتنا جميعها إلى احترام أشخاص رعايانامع أموالهم وإلا تكونون مسؤولين بجميع ما يقع عليهم في أي وقت كان وفي أي مكان كان، أما بخصوص الكتاب المرسل باسم أهل جدة فنحن لا يمكننا تسليمه نظرا لقاعدة الحياد التي نتبعها والتي لا تسمح لنا بالتدخل في أي وجه كان فعليه نعيده إليكم، وفي الختام تقبلوا فائق الإحترام:

القائم بشئون القنصلية الفرنسية ـ وكيل قنصل جلالة شاه إيران.

معتمد وقنصل بريطانية العظمى ـ قنصل جنرال ملك إيطالية.

وكيل قنصل هولانده.

وجاءت أيضاً كتب رجال الصلح مع كتاب القناصل من طالب؛ وفلبي، والريحاني، أما كتاب ابن سعود الذي بعثه لأهل جدة بواسطة القناصل ورجع إليه فما كان بحاجة إلى القناصل في إبلاغهم، بل قد نشر رسمياً في جريدة أم القرى، ولقد تضجر ابن سعود من كتاب القناصل الذي كالتعجيز في تحميله المسؤولية يتغلغلون في وسط المدينة ويحملونه المسؤولية، كما تضجر أيضاً من كتب رجال السلم وقطب منها، غير أنه رأى من الأصلح أن يصدهم عن هذا الغرض، فهتف الهاتف يكلم من القشلة للحارس على الباب الشرقي لخط الدفاع؛ عاد النجاب من مكة ومعه كتب إلى القناصل، وإلى طالب والريحاني وفلبي، فكلم بالهاتف رئيس

الديوان الهاشمي بالقصر، عاد النجاب فبادروا إلى القصر وأدخلهم الحاجب غرفة الملك علي الخاصة، فاستقبلهم وزير الخارجية ودخل الملك علي معه ثلاثة كتب مختومة، فوزعها عليهم وقرأ كل واحد كتابه وأعاده، ثم اطلع بعضهم بعضاً على الكتب وهم ساكتون، وهذه صور الكتب التي بعثها السلطان(إلى الصديق العزيز المستر فلبي إذا كنتم حضرتم لمقابلتنا ومباحثتنا في بعض الشؤون الخاصة بنا، فعلى الرحب والسعة وسنسهل الطريق للإجتماع بكم خارج الحرم، أما إذا كنتم تنوون التدخل في مسائل الحجاز فلا أرى في البحث فائدة وأنه ليس من مصلحتي الخاصة ومصلحتك يا صديقنا، جعلكم وسيطا في هذه المسألة الإسلامية المختصة).

حضرة الأخ المحترم السيد طالب النقيب، لقد ذكرتم أنكم تودون مقابلتنا فنحن نرحب بكم ولكن يجب أن نعرف هل المقابلة شخصية ودية أم هي الوساطة، فإني لا أرى فائدة من ذلك وإذا كان الشريف علي يود حقن الدماء فعليه أن يتخلى عن جدة، أما إذا قبله العالم الإسلامي وانتخبه حاكماً فمحله غير مجهول).

وقال في كتابه إلى الريحاني ذكرتم أنكم من قبل جماعة في سوريا، وأنكم تحملون كتاباً منهم إلينا وإني أرحب في كل حال بصديقنا العزيز أمين الريحاني، ولكن أحب أن ألفت نظركم إلى أمر هام وهو إذا كان البحث يتناول المسألة الحجازية فلا أرى فيه فائدة، لأن مشكلة الحجاز يجب أن يحلها المسلمون، وترك الأمر لهوى أنفسنا ليس مما تجيزه المصلحة الإسلامية ولا العربية، وفي كل حال إن توضيح الأمر وجلاءه قبل المقابلة.

هذه أجوبة السلطان، وهي عبارة عن أن لا سبيل للتوسط، فأما فلبي فتأكد أن السلطان لا يوقف في طريقه، وجعل ينتظر أول باخرة للسفر وكتب يودع السلطان، وأما طالب فبقى فيه بقية أمل حيث لا يعدم في الأقل لو الزيارة لابن سعود في مكة بحجة أنه مسلم ومتى حصلت المواجهة فهي نصف الحجة؛ وأما الريحاني فإن السلطان قد ترك له الباب مفتوحاً، ولما طلب النقيب الزيارة ملحاً بإسراع لأنه مضطر أن يعود إلى مصر استراب لذلك بعض أصدقاء علي

وقال أن السيد طالب النقيب خصم الملك فيصل أخي علي وصديق لابن سعود فلا يستغرب أن يتفقا عليهما.

وقد كتب الريحاني كتاباً إلى السلطان، يقول إن لصديقي حسين العويني التاجر السوري في جدة علاقات تجارية في مكة المكرمة وهو يحضر للتجارة والزيارة فيتشرف بمقابلتكم إذا أذنتم وسينوب عني بما يغني عن البيان، فإذا أذنتم بقدومه مروا من يلاقيه إلى منتصف الطريق، وكتب الآخران ثم أرسلت الكتب إلى السلطان في ١٢/ ٥؛ فما جاء لها من رد أسبوعا كاملاً فأرسل علي إلى رجال الصلح فحضر الثلاثة عنده في مجلسه، ولما أن حضروا افتتح الكلام قائلاً: دعوتكم لأبسط الحالة واستشيركم قد جئتم أيها الأفاضل إل جدة لخير الفريقين بل لخير العرب ويسوءني والله أن تمس كرامتكم من أجل أحد منا، أنا والله مخجول ، قد مر الأسبوع ولم يجئكم الجواب من ابن سعود والرجل متحرك فهو الآن يفسد القبائل علينا ورجاله منعوا عرباتنا من إرسال الفحم كالعادة إلى جدة ونحن هنا ماسكون أنفسنا، خط الدفاع يزداد منعة كل يوم وجنودنا مستعدون للحرب والطيارات كلها أصبحت صالحة للعمل لذلك قد قررنا أن نرسل غداً بلاغاً إلى أهل مكة بالطيارة ثم نرسل سرب الطيارات لرمي القنابل في الأبطح عل ذلك يوصلنا إلى نتيجة فاصلة وقد دعوتكم لأستشيركم في المسألة، فقال طالب النقيب أولاً فهل قنابلكم صالحة هل أنتم متأكدون أنها تنفجر فإذا كانت قديمة ولا تنفجر تعود بالضرر عليكم فلا يخشى العدو بعدئذ الطيارات يجب أن تجربوها قبل أن تقدموا على العمل، ثم تكلم فلبي قائلاً: من رأيي يا جلالة الملك أن تنتظروا إلى أن يجيء الجواب ومثل هذا العمل الحربي قبل ذلك في الأقل لا يأتي بفائدة، كذلك أشار الريحاني بأن رمي القنابل يالأبطح يشوه سمعة الأشراف في العالم وتنشره الجرائد المعادية بالقلم العريض فاقتنع علي أنه دام على فكرته أن الطيارات تخرج ابن سعود من مكة وتحمله على الفصل في الأمر فطلبوا منه تأجيل العمل ثلاثة أيام فأجاب الطلب.

والذي حمل الملك علياً على هذا الغرور كأنه آنس من جواب ابن سعود للريحاني ليناً، فلما كان في ٢٠ من جمادى الأولى صباحاً قدم النجاب يحمل الأجوبة من السلطان فيها لفلبي الدعاء بالسفر الميمون بأمان الله وللأخ طالب أن مكة في حال من الاضطراب لا تجوز معها المخاطرة براحته وستصلكم وأنتم في مصر أخبارنا الطيبة إن شاء الله، وفيها للريحاني قد سمحت لصديقكم حسين العويني بالقدوم إلينا فزودوه بكل ما لديكم من الكتب والأفكار والأراء وإننا نرجوا أن يحسن نقل أفكار صديقنا أمين الريحاني وإني أشكرك على تجشمك المشاق الجسيمة في خدمة العرب وفي سبيل قضيتهم فسر ذلك جميع القادة والوزراء والملك علياً والجند وإن كانوا لا يرغبون السلم واستبشروا فكتب الريحاني مع صديقه مذكرة خاصة من ضمنها بعض آرائه وقال في آخرها فإن كنت مصيباً فمولاي وصديقي عبدالعزيز لا يتبع غير الصواب وإن كنت مخطئاً فحبي وإخلاصي يشفعان بما قد يعد نقصاً في علمي أما إذا كان فيما قدمته مزيج من الخطأ والصواب فأنا أول من يرغب في التمحيص وإني أقبل الحقيقة من السوقة فكيف لا أقبلها من الملوك، أعلموني يا طويل العمر إذا كنت مخطئاً واسمحوا لي إذا كنت مصيباً، وزود ذلك بخطاب من وجهاء المسلمين في بيروت.

ولما تجهز العويني أحرم وأشفقوا عليه من البرد خصوصاً إذ كان سفره بليل وأبى أن يذهب إلا محرماً يقول لوجه الله وللقضية العربية وأعطى رفيقه الريحاني ساعة الوداع غلافاً مختوماً فقال إذا لم أرجع يا أمين فهذا الغلاف لأمي في بيروت فخيف عليه من الطوارق، وكان أديباً عربياً صريح الكلمة صادق اللهجة صلب العود، وودع الملك وركب بغلته يصحبه خادمه ورفيقاه، هذا ولم تكن الطريق آمنة فقد لقي في قهوة بحرة المهجورة حينما ألجأهم المبيت بها نصف الليل جثة أعرابي قد سال دمه على الأرض وفرغ منه فاستولى عليهم الذعر فقام ومن معه وأدلجوا مسرعين فوصلوا من الغد وقت الظهر إلى المخيم السلطاني بالشهداء، وكان قد نقل من الأبطح إلى الشهداء فاجتمع مع السلطان ورجع في ظرف ثلاثة أيام ذهاباً وإياباً.

ولما أن وصل إلى جدة مساءً وجدهم ينتظرونه في ساعة اجتمع فيها الملك علي ورئيس حكومته عبدالله سراج ووزير الخارجية فؤاد الخطيب، ورئيس الديوان الهاشمي أحمد السقاف فسلم العويني وجلس على السجادة فأخرج من حقيبته كتاب السلطان ودفعه إلى الريحاني فقرأه وناوله الملك علي فطالعه وسر به وجعل يقول أشهد أني لا أحب أن تراق نقطة واحدة من دم العرب ونزع عن رأسه العقال والكوفية ويظهر من ذلك حبه للسلم، ولكن ما الحيلة وفي الرعايا الهاشمية أناس لا يرضون بالسلم، كما أن في الرعايا السعودية الإخوان وبعض الأشراف أناس يريدون تطهير الحجاز من لوث العصيان وأذية الحجاج؛ وهذا متوقف على محق الحسين وعقبه وآثارهم، وكان من وجهاء البيت الهاشمي جماعة لا تزال تغلي مراجل حقدهم للانتقام والمعاقبة غيوم لعمر الهك في سماء السلم لا يزيلها واسطة ولا صلح وقد أرسل السلطان يستدعي الرسول العويني إليه.

ذكر حرب جدة

كان الأمير علي بن الحسين قد كتب منشوراً لأهل مكة، ولما بعث السلطان ابن سعود يستدعي العويني سار في آخر يوم من جمادى الأولى إلى مكة، فقام الأمير علي يؤكد على القيادة العليا عنده أن تؤجل إرسال المنشورات الحربية حتى يصدر أمراً آخر بخصوصه وأن تحتفظ بالنسخ فلا تأذن بنشر شيء منها وأن تشدد على الطيارين بأن لا يتجاوزوا في اكتشافهم بحرة عله أن يحصل السلم، غير أن القيادة خانت وتجاوزت الأمر الملكي، فإنه في غرة جمادى الثانية بعد سفر النجاب بيوم واحد إلى صاحب الجلالة عبدالعزيز طار بعد الظهر طيارة من قوات الجيش الهاشمي فرمت بالأبطح وفي مخيم السلطان بالشهداء نسخاً من المنشورات الحربية إلى الأهالي: لقد جمعنا شعثنا وأقبل إخوانكم إلينا من كل حدب وصوب حتى أصبح لدينا والحمد لله من الرجال والعتاد ما يرد كيد العدو في نحره، ولقد جهزنا

جندنا بكل الوسائل الفنية والمعدات الحربية، وها نحن على أهبة الرحيل إليكم وتطهير بلادنا من المغتصب لها ستبدأ طياراتنا بالتحليق في جوكم لتمطر العدو وابلاً من القذائف النارية كونوا على ما نعهد فيكم من الثبات والطمأنينة والشجاعة ولا تجعلوا للعدو سبيلاً إلى الفرار، واعملوا لتخليص وطنكم بكل ما أوتيتم فالوطن أغلى من كل شيء لديكم.

وأما منعنا الأرزاق فإن كان هو يعني ابن سعود وأذنابه يحترمون حرم الله وجيرانه ويعملون مثل عملي ويخرجون إلى خارج الحرم فهناك نظهر حقائقهم إن شاء الله ويرون كيف يكون الذود عن الحياض والدفاع عن الحوزة وإن لم يخرجوا ولبثوا مكانهم جامدين، فإننا سنوافيهم من بين أيديهم ومن خلفهم ومن فوقهم بالطيارات حتى تكون كلمة الله هي العليا.

فلما جرى هذا الأمر الفادح الذي يثير السواكن عاد العويني بخبره إلى جدة، وكان قد شاهد الطيارة بعد خروجه من المخيم السلطاني فلما أخبر الملك علياً اندهش لذلك، وبكل حال فإنه مخطئ من كلا الخطتين، فإن كان صدر ذلك عن أمره فقبيح؛ وإن كان من غير أوامره فيعتبر عاجزاً مغلوباً، وإذا التمسنا عذراً وجعلناه جاهلاً بالأمر هو ورئيس حكومته، وما كان الوزراء عالمين فقد قرع علي الجرس الصغير على المأدبة الصغيرة أمامه فجاء أحد كتبة الديوان فقال له ناد تحسين باشا ليحضر حالاً فجاء تحسين وأقر أن الطيارة تجاوزت بحرة، ولكنه أنكر أنها رمت شيئاً من المنشورات فسأله عن السبب في تجاوز الأوامر فأجابه قائلاً: إن خللاً صغيراً في المحرك حمل السائق على الإسراع في السير ليقي الطيارة من السقوط إلى الأرض فطارت بحكم الاستمرار في خط مستقيم طيرة طويلة إنه كاذب، لأنه لما بدره أحد الحاضرين بقوله يا باشا لا أظن إلا أنه عن قصد أجابه جهاراً ما هو بالأمر المهم فثبت بعد ذلك أنه جرى عن قصد، واتخذ الملك علي إجراءات ضد هذا التعدي.

الحكومة السعودية وإجراء تدابيرها للحرب

لما عاين ابن سعود المنشورات استشاط غضباً وعدل عن السلم إلى الحرب، ودعى بالعويني فأبقاه عنده، ثم جمع الإخوان في ٤ جمادى الثانية وعقد مجلس بالشهداء حربي، فلما حضر الإخوان وجميع القواد في الجيش السعودي تكلم سلطان بن بجاد بن حميد، الذي يسمى سلطان الدين، فقال: يا عبدالعزيز إننا نعلم أن لا صلاح في أمر دين ولا دنيا للمسلمين عموماً، ولهذا البيت وأهله خصوصاً بوجود الحسين وأولاده في الحجاز، فإذا كان ثابتاً عندنا ونعتقده ديناً فما المانع من الزحف عليهم وقتالهم، فإن كنت تخاف على أحد من رعايا الأجانب أو أحد من أهل جدة فلك منا العهد والمثاق أننا لا نمسهم بشر إلا من برز منهم لقتالنا أو بلانا بنفسه، ونحن كما تعلم نتجنب ما تأمرنا بتجنبه، والآن فلا بد لنا من أحد أمرين، الأول أن تعلمنا الطريق الذي يجب أن نسير فيه ونحن نكفيك مؤونة الأمر، الثاني إذا كنت لا توافق في الزحف لما تراه من الأمور التي أنت أعلم بها منا، فلا يجوز أن نظل بعدين عن أعداء الله هذا البعد، بل يجب علينا أن نقترب منهم ونضيق عليهم الخناق حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

أما الأمر الأول فهو مرامنا، وأما الثاني فليس إلا مرضاة لخاطرك بالإمام، لأن الله أوجب علينا طاعتك، ثم تكلم خالد بن لؤي فقال: يا عبدالعزيز إني أقول كلمة وإن كانت تغيظك، كنا نتحدث فيما بيننا ونقول: قد بدّل عبدالعزيز الشجاعة بالجبانة، وكنا قبل قدومه نتمنى قدومه، أما اليوم فصرنا نقول ليته ظل في بلده بعيداً عنا، فإن كان هناك دليل شرعي يؤخرنا عن القوم فبينه لنا حتى نتبعه وما نحن إلا خدّام الشرع، وإذا كان لا قصد لك غير الشح بأنفسنا عن الموت فما من أحد يموت قبل يومه، وما نتمنى والله أن نموت إلا شهداء، فأي قتال تراه أفضل من قتال الحسين وأولاده، هذا خطابهما لجلالة الملك، وما كان فيه أعني الملك من جبانة، فأجابهما قائلاً: الرأي، الرأي، الآناة، الآناة، وهذا يعد من دهائه وبصيرته

بل شجاعته، لأن المقام ضخم جداً، فالمؤاخذة بالعجلة قبل المعذرة من كل جهات العالم الإسلامي الذي ملأ أذنيه الحسين وأبنائه كذباً وزوراً مما يخول لذلك قبولاً.

وبذلك استطاع بالرغم من كل الدعايات أن يقف كل الدول وفيها حلفاء الحسين نفسه، ويقف البلدان التي يتولى شؤونها إخوة ملك الحجاز علي بن الحسين وقفة المكتوف، فلا يسعها عونه وهم ينظرون سقوطه شيئاً فشيئاً.

فلما كان في ٦/٧ جاء كتاب من مكة إلى الملك علي أرسله أحد أنصاره في مكة سراً، فيه أن جنود خالد نقلت من الأبطح ولا يدري أين وجهت، وأن خالداً هو عند السلطان بالشهداء، وأن السلطان يتأهب لنقل المخيم إلى بحرة، فلما قرأه الملك علي عبس واضطرب وجعل يدخله في جيبه ويخرجه ويقرأه بمسمع من رئيس الحكومة ووزير الخارجية وأمين الريحاني.

ثم قدم في آخر اليوم مساء جماعة من أهل جاوة إلى جدة، فأخبروا أنهم أتوا من مكة وأن ابن سعود بألف من جنوده وصلوا إلى حداء، وكان الذي بعث السلطان على إعلان الحرب ثلاثة أمور:

الأول: الأشراف الذين عنده مثل شرف عدنان، والشريف باشا العبدلي، والشريف هزاع بن فتن بن منصور، اجتمعوا وقالوا للسلطان: إذاً قد ناصرناك وواليناك فإنا نخاف على أنفسنا من الملك علي إن عاد تصالح من عاديناه من أجلك اتتركنا في بلادنا ينكل بنا ونحن الآن من رجالك.

الثاني: الإخوان قاموا يستبسلون ويرغون ويزبدون، خلنا عليهم يا إمام أولئك الإخوان الذين فضلهم لا ينكر يشهد لهم التاريخ بالفتوحات الإسلامية والجراءة العجيبة العربية، أولئك الأسود في العرين الذين فرائسهم الأمراء والملوك، فلا عيب فيهم في تلك الآونة سوى أن ساستها أعظمت قيودها وإذا حطمت قيودهم فيا ويل من كان أمامهم.

الثالث: المنشور الذي ألقته الطائرة على مخيمه، فما كان لسطوته أن يستهان بها وما هو بالذي يوقف في طريقه أو يصبر على الضيم، وما كان العدو في محاولاته إلا أنه يقوم بحركة مذبوح.

ولما أن جاءت الأنباء بزحف ابن سعود بجيوشه، دخل تحسين باشا الفقير وعارف باشا الإدلبي وزير الحربية والبحرية على الملك علي فجلسا وعليهما سيماء الغضب والاضطراب فتكلم أحدهما قائلاً: علمنا أن الإخوان مشوا من بحرة وقريباً يصلون إلى الرغامة وقال الآخر: يجب أن نرسل عليهم الطيارات لعنهم الله ولعن أجدادهم، ثم قالا بعد ذلك غداً صباحاً سنرسل الطيارات كلها عليهم فتمطرهم النار والرصاص وتفنيهم إن شاء الله، ثم حصلت محاورات بينهما وبين الريحاني هما ينهضان الملك وهو يثبطه حتى طلب الريحاني تأجيل المسألة إلى يوم الأحد الموافق ٩، فكتب السلطان عبدالعزيز في ٦/٧ أن الحكومة والجند وأصحابي في قلق وارتياب مما شاع هذا المساء بخصوص تقدمكم إلى جدة وهم يأبون التربص والامتناع عن الحركات العسكرية الحربية ولكني تمكنت من توقيفهم يومين آخرين أي إلى مساء الأحد، فأرجوكم إذن أن تخابروني حالما يصلكم كتابي هذا ليصلني الجواب مساء الأحد وإذا كان النجاب لا يرجع في اليوم الثاني فأرسلوا الجواب مع نجاب آخر من عندكم في كل حال أنتظر جوابكم مساء الأحد في ٩ الجاري فلا تخيبوا أملي، فأجابه السلطان بكتابه الآتي:

من عبدالعزيز عبدالرحمن الفيصل إلى أمين الريحاني كتابك وصل وما عرضت كان معلوماً، من خصوص كتابك السابق وهذا مضمونه تراه طي الكتاب، وأما كونه وصل إليكم أو لم يصل فلا بد أنك تتحقق عن ذلك من أصدقائك الموجودين عندك، وأما ما ذكرت في الملحق عن تحمس الجنود لما بلغهم منزلنا حداء وإغارة بعض الرايات عليهم وأنك طلبت منهم أن يتأخروا، فلا نقول إلا ما قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ ونقول أيضاً يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين، وأما رجاؤك أنهم يتأخرون فكما قال الشاعر:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

إن كنت تعرف الحقيقة كما نظن إنك تعرفها عن القوم وعنا وتتجاهلها فتلك

مصيبةٌ، وإن كنت لا تعرف الحال وأن القوم يتهكمون عليك فالمصيبة أعظم، ولكن رجائك لتوقيفهم عن الزحف علينا لا نرى لجنابك في فضلاً وإنما نرجوك أن ترخص لهم كما نرجوك أن تبلغ الأمير أنه بلغني أنه يستحرمنا حرمة الحرم، وإننا إذا لم نخرج منه يقاتلنا فيه وليس بذلك حرج، أما نحن فقد خرجنا فالرجاء فيه أن الكريم إذا قال وفي ونرجوا من الله تعالى أن ينصر جند الرحمن على جند الشيطان والسلام على من اتبع الهدى.

فلما كان في صباح السبت الموافق ٦/٨ طارت طيارة إلى وادي فاطمة، وحلقت فوق بحرة وحداء والشميسي، فعاد القائد يقول: ما رأيت ابن سعود ولا جنوده ولا أحداً من البشر أو الحيوان في الطريق، نعم قد حالت الغيوم عن رؤية الإخوان، كيف لا وقد أطلقوا عليها البنادق والرصاص في وقت رؤيتها، وما علم القائد ولا المراقب بهم، وما علموا إلا في غد لما وصل جماعة جدة قادمين من مكة، وهو أن الإخوان قد زحفوا بمائتين من الخيام معهم ثلاثة مدافع وقد خيموا قريباً من حداء وقد أرسلوا الرصاص على الطيارة، لكن بعدها في الجو حال بين الطائرتين وبين الشعور بذلك.

ثم إنه دخل تحسين باشا على الملك علي وعنده الوكيل الإنكليزي يهنيه بصحته، فكلم تحسين للملك يقول: أستأذن بكلمة خاصة، فأجابه الملك بقوله: مهمة؟ أجاب مهمة جداً، فذهب علي يمشي وتحسين خلفه، حتى ظهرا على غرفة محاذية للمجلس، فرجعا سريعاً يقولان: جائوا نحو مائتين من الخيالة، رأتهم القيادة خارجين من بين الجبال، وتحسين يقول: رأيتهم بعيني صاروا في السهل فعند ذلك صدر الأمر بإطلاق المدافع عليهم، وبادر كل من في القصر من صغير وكبير وشريف ووضيع إلى البنادق وزنار الخرطوش، ووقف الملك علي مذعوراً ينظر ومن معه من حاشيته في شرفة القصر يراقبون السهل بالنظارات، فخاف كل من في جدة وظنوا أن الإخوان سيهاجمون خط الدفاع في هذا اليوم ٦/٩ الموافق ليوم الأحد من سنة ١٣٤٣هـ، وإذا هاجموه يخترقونه لما كانوا يعرفون من صلابتهم

وشجاعتهم فلا تنسى يوم تربة وما فعلوا بجنود الشريف يوم الطائف، وما ظهر منهم من البسالة في الوقعات التي تتلاشى دونها كل قوة.

فعند ذلك أقفلت المخازن ولجأوا أكثر الأهالي إلى بيوتهم، أما المدافع الهاشمية فكانت تطلق الطلقة تلو الأخرى على الإخوان، وما كان لها من التأثير إلا غبار تثيره القنابل إذا انفجرت وما حواليها أحد من الإخوان، ثم خرجت الخيالة من بين الجبال فعادت اتجاه الخط إلى الجنوب، وظهرت فرقة أخرى في الشمال الشرقي من السهل هي خيالة التوحيد، نحو ثلاثمائة منهم، فجالوا في ذلك السهل ضحى عدة جولات، فأخذوا غنماً وجدوها فساقوها أمامهم وهم يتراجعون، فلما كان وقت الظهر من هذا اليوم وصل النجاب من ابن سعود يحمل ذلك الجواب الهادم لما تقدمه من الأجوبة السلطانية، فرجع السيد طالب النقيب بخفي حنين، وعاد المستر فلبي مريضاً حانقاً على جدة وأهلها بعدما اجتمع بابن سعود بالقرب من جدة فلم يفلح، وقرر الريحاني السفر في ٩ رجب مبارحاً البلاد إلى مصر، ثم حصل انكفاف عن المناجزة بضعة أيام سعت في ذلك الوقت بعثة مصرية في السلم، غير أن الوقت جرى فيه فصل الخطاب من السلطان، ثم بدأت المناوشات بين الجيوش النجدية وأهل جدة، حتى جاءت القوات النجدية بالمدافع والرشاشات من مكة فوجهها الإخوان على العدو، وهذه المدافع والرشاشات هي التي تركها علي بن الحسين في الطائف والهدا فصارت غنيمة باردة للحكومة السعودية، فصارت المدافع من كلا الفريقين تضرب بشدة، وشرعت الرشاشات والبنادق فاحتل الإخوان في النصف الأخير من جمادى الثانية النزلة اليمانية مرتين، واحتلوا نزلة بني مالك والرويس واستولوا عليهما، ثم خرجت وضربها تحسين باشا بالمدافع، وحرق الإخوان قسماً منها، فأخلاها الفريقان.

ظل الإخوان مرابطين في الجهة الجنوبية أمام الجناح الأيمن، فاصطدموا مراراً بثلل من الجيش الهاشمي كانت تخرج تارة للكشف وطوراً لاحتلال آبار الماء في تلك الناحية.

وبعد أن استولى الإخوان على هذه المراكز خارج خط الدفاع تقدموا في العراء وباشروا حفر الخنادق، ثم أقاموا عندها استحكامات حصنوها بأكياس من الرمل، فصاروا يحاربون الجنود النظامية بالرشاشات والبنادق معاً، ثم تقدم الإخوان وجروا الأطواب فشرعت تضرب في آخر جمادى الثانية، ولكنه لم يتفرد فريق من الطائفتين بالمفاجئات، وقد خسرت الحكومة الهاشمية في آخر نهار ٦/٢٣ خسارة فظيعة، بل إنها جسيمة، ذلك بأنها سيرت طيارة للدهش والإرهاب للعدو، ولما طارت الطيارة وفيها المراقب الضابط اللاذقي والكاتب عمر شاكر يقودها القائد الروسي «تشاريكوف» واتفقوا على ضرب الإخوان ولو بقنبلة واحدة، وحينما دنوا من المعسكر وهي على قدر ألفي قدم عن الأرض انفجرت القنبلة في الطيارة فتحطمت في الجو وسقطت ومن فيها على آخر رمق وقد تلفوا وطيارتهم، وهؤلاء الثلاثة ثلم كبير في الجيش الهاشمي، فصاروا هدفاً للمنية على حالة فظيعة.

أما الإخوان فإنهم جعلوا يهجمون غالباً في الليالي المظلمة هجمات هوجاء مستبسلين مستشهدين، وأحدثوا رعباً وذعراً في قلوب الأهالي، وكانوا مع ما يريدونه من الرعب للأهالي يسببون أسباباً علها أن تسرف الجنود بإتلاف الذخيرة، وقد كانوا يقربون جداً من الخط، حتى أن رصاص بنادقهم يقع قرب قصر الملك، وحتى أنهم قطعوا بعض الشريط وأخذوه إلى المعسكر العام، ولولا اختلاط القناصل مع الأهالي اختلاطاً لا يستطاع ضمان سلامتهم في الهجوم لكان أدنى أقدام من الإخوان يبدد شمل معسكر أهل جدة، ولكن مراعات للحالة الراهنة رأى ابن سعود تطويق جدة ومضايقة الحكومة القائمة بها حتى تضطر إلى التسلم.

ذكر قوى الفريقين

كانت الحكومة الهاشمية بعد تنازل الحسين قد أرسلت إلى الأمير عبدالله في عمان أربعين ألف ليرة ليبذلها في التجنيد وشراء العدد الحربية من أوربا مثل الطيارات والسيارات المصفحة، فباشر الأمير عبدالله التجنيد بمساعدة بعض الزعماء بفلسطين، فجاءت فرقة المتطوعين وتلتها فرقة أخرى حتى بلغ الجند

النظامي نحو ألف جندي، هذا كان في نصف هذه السنة، ثم جاء أيضاً في شهر رجب فرقة عددها مائتان وثلاثون، ثم جاء في رمضان فرقة أخرى عددها خمسمائة، ولكن هذا الجيش كان معرضاً لعاملين مستمرين في تنقيص عدده، هما الملاريا والدنتاريا، أما المال فلم يكن للحكومة بعد أن نفدت خزينتها، غير مصدر واحد وهو الحسين في العقبة، فإنه بعث الرقمتين في شهر رجب من هذه السنة تحمل صندوقين فيهما خمسة عشر ألف ليرة، وجاءت في رمضان تحمل خمسة آلاف أخرى ثم في شوال أبحرت رضوي منا العقبة وهي تحمل لمساعدة الجيش الهاشمي عشرين ألفاً من الذهب، وفي هذه الأثناء فرضت الحكومة على التجار قرضاً قدرناه قدره اثنا عشر ألف ليرة، ثم نقل الحسين من العقبة وأبعد عن جدة والبعد جفاء، فلم يرسل بعد ذلك غير دفعة واحدة صغيرة خمسة آلاف ليرة، فأخذ العسر بعد ذلك يشتد يوماً فيوماً، وسنذكره فيما بعد إنشاء الله في موضعه، فاضطر الملك علي في صيف هذا العام أن يرهن أطيانه الخاصة في مصر لقاء قرض قيمته خمسة عشرة ألف جنيه، وكان الذي صرفه في سنة واحدة مجموعه لا يتجاوز مائتي ألف ليرة جنيه أعني على قوات الحرب، لكنه ابتلى بخيانة الوكلاء والسماسرة والاختلاس بحيث لما دفع مرة سبعة آلاف ليرة إنكليزية ثمناً لثلاث طيارات قديمة جاءته من لندن لا تساوي أكثر من ألف وخمسمائة ليرة، وكان عند الحكومة الهاشمية خمس طيارات أيطاليات قبل مجيء هذه الثلاث اللندنيات، ثم جاء للحكومة الهاشمية من ألمانيا في الصيف ست طائرات جديدة تحمل الواحدة من البنزين ما يكفيها لتطير ست ساعات، وهي مجهزة بالمدافع الرشاشة ومعها قنابلها الخاصة بها، أخيراً اجتمع لدى الملك على أربعة عشر طيارة، لكن هنا نكتة وهي أن أربعاً من الطيارات لا تصلح للعمل، وأيضاً كان الطيارون أولاً في الحرب روسيين من الحزب القيصري، وكانوا في آخرها من الألمان، فكان الطيار لا يقدم على المخاطرات لأنه حريص على حياته وأيضاً كان في هذا السلاح نقص وعدم كفاءة، وما كان هناك قنابل خاصة فاصطنع لها من القذائف مالا تأثير لها كبير لأنها تنفجر قبل وقتها المعين أو

بعده ناهيك بالبنزين فلم يكن عند الحكومة دائماً الكمية الكافية منه، أما المصفحات فيه أيضاً ضعيفة تأثيرها لغلاء الثمن وقلة الفائدة، فخمس سيارات من المصفحات من اللواتي خاضت معارك الحرب العظمى جاءت وصفائحاً مفككة فظل العمال في الورشة يعملون شهراً في تشغيلها وتأليفها وتركيبها وهي لا تسير غير ساعتين سيراً متواصلاً فتحتاج إذ ذاك إلى الماء وأما سيارتان جاءتا بعد ذلك، فنعم أنهما جديدتان ومجهزتان بالرشاشات فلأجل ذلك كانت القيادة تبني آمالها العالية عليهما، أما الدبابات فثلاث جلبت من ألمانيا مستعملة ولم تجد نفعاً وقد صنعت دبابة في ورشة جدة أنشأها تحسين باشا شبه سيارة مدرعة بمحرك قديم مصفحة بالتنك، وجعل لها فوهات المدافع الرشاشة ولكن لم توجد لها مدافع رشاشة، وقد طافت هذه الدبابة في جدة ولكن الذين يسوقونها تركوها في منتصف المدينة لأنها لا تصلح للسير وأصبحت ضحكة للساخرين فجيء بجمل يجرها إلى كراج السيارات وأخيراً كانت كالاعيب الصبيان.

فيا عجباً لقواد الجيش الهاشمي، أيظنون أنهم يقاتلون أطفالاً، أما المدافع فهي اثنا عشر وعشرة رشاشات كلها صالحة للعمل، ثم جاء من ينبع ومن العقبة إمداد وقوات من مدافع صحراوية وجبلية ورشاشة فأصبح على خط الدفاع عشرون مدفعاً وثلاثون رشاشاً، وقد كان لدى الجيش الهاشمي القنابل الكشافة التي تنير المكان الذي تنفجر فيه وتكشف حركات العدو في الليل أضف إلى ذلك كله ما وضع عند أبواب خط الدفاع أمام الأسلاك الشائكة من الألغام ثم الأسلاك نفسها وقد مدت هذه الأسلاك على عمد من خشب طولها متر واحد، فكان الخط شكل الهلال طوله ستة أميال ممتداً من البحر شمالاً إلى الكندرة شرقاً بجنوب ومنها جنوباً ثم غرباً بجنوب إلى البحر، ثم حفرت وراء الشريط الخنادق وأقيمت الاستحكامات، وبين الخنادق وورواءها ربى ومكامن من استخدمت للكشف والدفاع.

وقد قسم هذا الخط إلى مراكز ستة مرتبطة كلها بواسطة الهاتف بالقيادة العامة

في القشلة، وهذه المراكز هي أبو بصيلة، والشرفية، والكندرة، والمشاط، والعقم، والطابية اليمانية، فالطابية هي جناح الجيش الأيمن وأبو بصيلة جناحه الأيسر، وهناك خارج الخط النزلة اليمانية وهي مهجورة على مسافة ميلين من جدة إلى الشرق الجنوبي وفيها حامية من البدو صغيرة مائة نفر لا غير، ونزلة بني مالك على مسافة ميلين من جدة إلى الشمال الشرقي وفيها حامية أخرى صغيرة من البدو، ثم الرويس وهي أقرب القرى إلى جدة من الشمال، فهذه قوة الجيش الهاشمي.

أما عدد الجيش النجدي فقد كانت محصورة بالمدفعية والبنادق والرشاشات، ولقد كان في خزانة الرياض مدافع كثيرة من أنواع مختلفة ولكن السلطان عبدالعزيز لم يأمر بإحضار شيء منها إلى الحجاز بل كانت المدافع التي استخدمها في هذه الحرب الذي غنمها جيشه في الطائف والهدى، وما وجد في مكة وكلها أسلحة طيبة صالحة للعمل صحراوية وجبلية لا يقل عددها عن عشرين مدفعاً كانت تظهر تدريجياً أو بقدر ما يمكن الاستعمال منها في وقت واحد، أضف إلى ذلك الرشاشات الكثيرة والذخيرة الوافرة التي وجد أكثرها في قلعة جياد بمكة.

أما الجنود فقد كانت القوة في العسكر يوم الزحف الأول أربعة آلاف والقوة الزاحفة مثلها وفيها الإخوان من أهل الغطغط، وأهل ساجر، وأهل دخنة، وقحطان، والداهنة، وركبة وغيرهم وفيها من الحضر الوية من أهل القصيم وأهل العارض، ثم جاء في رمضان فيصل الدويش أمير الأرطاوية بجيش من مطير وتلاه سبيع والسهول وبعد هؤلاء وصل الأمير فيصل عائداً من نجد بنجدة كبيرة، فبلغ عدد الجيش في الجبهة وورائها نحو عشرة آلاف، أضف إلى ذلك الجنود الذين كانوا محاصرين للمدينة والسرايا التي كانت مرابطة حول ينبع والوجه والعلا بما كان مجموع العدد قد أصبح يبلغ اثني عشر ألف مقاتل ولا طيارة ولا سيارة، بل يغيرون على الخيل والمطايا، ومع هذا فقد فاق جند نجد بالبسالة والتقدم لأنهم يدافعون عن اعتقادات ووطنية بدون جعل ولا مقاضاة.

أما جند الحجاز فبالعكس لا يقبض السلاح بيد إلا واليد الأخرى فيها المرتب، زد على ذلك جهلهم بالحرب وضعف قلوبهم، وكان توزيع الجيش النجدي أن

كانت فرقة الغطغط قد عسكرت في الجناح الأيمن المقابل لجناح العدو الأيسر، وأهل دخنة في الجناح الأيسر المقابل لجناح العدو الأيمن؛ وأهل ساجر عوناً للجناح الأيسر، ثم عسكر في القلب لواء قحطان من الهيائم ووراء هؤلاء كلهم سرية من الخيالة، ثم التحق بهم الجيش الذي كان في اليمن من أهل الداهنة وركبة فأصبح في الجبهة نحو أربعة آلاف مقاتل، وكان لما مشى هذا الجيش من مكة معه الأوامر بأن يحيط بجدة ويهاجم خط الدفاع، أما الهجوم بقصد اختراق خط الدفاع والدخول إلى جدة فلم يكن ليقدم عليه الجيش بدون إذن من القيادة العليا.

أما أهالي جدة فقد كان الرعب سميرهم والذعر جليسهم في تلك الليالي لأنهم جهلوا القصد الحقيقي من الغارات فظنوا أن الإخوان يحاولون اختراق الخط لذلك كانوا يسمرون كل ليلة على أنغام الرشاشات والبنادق وهم يقولون: الليلة يدخلون البلد، وما ذاك إلا لما يشاهدون من الأهوال المقلقة والإفزاع المزعجة من هذه الحرب البدوية، فإذا أرسلت المدافع الهاشمية على السعوديين القنابل الكشافة أنارت في السهل ضياءً عظيماً يهتدي بها الإخوان إلى الطريق في أبواب الأسلاك الشائكة وإلى الألغام وهناك تسمع الإخوان ينادون يا إخواننا يا أهل الشام ويا شمر ويا عرب ويا عقيلات اخرجوا من الخط وأنتم في وجه الله ووجه ابن سعود لا تخافوا والله ما نريد لكم غير الخير تعالوا فنحن إخوانكم تعالوا إلينا ونحن والله وبالله، ولكن كثيراً من أولئك الجنود كانوا يحاربون عملاً باعتقادهم أن النهضة العربية لا تقوم إلا بالبيت الهاشمي، أما الذين قد التفوا من عمان والعقبة وغيرهم فإنهم صاروا بين نارين ولم يكن لهم يومئذ أن يختاروا أصغر الشرين، ثم يأخذ كل فريق بما يفوه به من البلاغات الرسمية، كقول فريق علي تعرضت قوة من البدو على جناحنا الأيسر في الساعة الخامسة من الليل فأصلتها مدافعنا ورشاشاتنا ناراً شديدة فانهزمت من حيث أتت تاركة عدداً من القتلى بدأت مدافع العدو ساعة الفجر بالرمي العتاد فقابلتها مدافعنا قدر ساعتين وأسكتتها طارت الطيارة في الساعة الواحدة صباحاً لضرب معسكرات العدو وموضع مدافعه فألقت أربع قنابل وعادت، وكقول فريق ابن سعود: في هذه الليلة سرت طائفة من جندنا إلى

حدود العدو فأطلقت عليه النار فظن أن الإخوان يهاجمون على طول الجبهة فأخذ يوالي إطلاق المدافع والرشاشات والبنادق من جميع المراكز واستمرت كذلك ثلاث ساعات دون أن يصيب أحداً من المهاجمين، أخرجت القيادة الهاشمية ثلة لكشف مراكز الإخوان فخرجوا من مكامنهم إليها وأعملوا فيها النار فسقط منها سبعة قتلى وفر الباقون، إلى غير ذلك من البلاغات ولقد كانت ليالي رجب وشعبان المظلمة تحيا بين المتحاربين كل يحرس حاشيته من الآخر أما في النهار فقد استعرت بينهما حرب المدفعية التي استغوت في بادئ أمرها أهل جدة فكانوا يسارعون إلى خارج السور ليشاهدوا قنابلها تنفجر عند الأسلاك الشائكة وفي أطراف السهل بظل الجبال.

ثم نصبت المدافع السعودية في أول شهر من سنة الحصار فجعلت قنابلها تتساقط خارج السور وداخله وقد حلقت فوق خط الدفاع تتساقط في قلب البلد فأصيب مرتين بيت الوكالة البريطانية بقنبلة خرقت جدار غرفة النوم وقنبلة دخلت مكتب الوكيل، وقد أصيب أيضاً بيت وكالة السوفيتي فتكسر العلم فوق السطح واستمرت تتقدم في تقدم المدفعية حتى وصلت إلى الطرف الغربي من المدينة إلى شاطئ البحر فزارت القنصلية الفرنسية وتفجرت في مخيم الهلال الأحمر، فعندما أصيبت الوكالة البريطانية والوكالة الروسية عقد القناصل مجلساً للبحث في المسألة فقرروا أن يظلوا رغم هذه الحال على الحياد، وقد أبرق رئيس الهلال الأحمر إلى الجمعية المركزية في القاهرة يستأذن بالرحيل فلم تأذن الجمعية بذلك وكان الضرب يبدء صباحاً فيصلي الفريقان الفجر ويتبادلا بالقنابل ساعتين أو ثلاث ساعات، ثم يستأنف العمل بعد الظهر فيستمر حتى غروب الشمس، ولما اشتدت هذه الحرب المدفعية في شهر رجب وشعبان نصب النجديون مدفعاً في الرويس فصارت قنابلهم تقع في الجبهة البحرية من المدينة وفي قلبها فجرح وقتل عدد من الناس واستولى الرعب على الأهالي فشد كثيرون منهم للرحيل وبدأت الهجرة إلى سواكن ومصوع وعدن في المراكب التجارية، ثم طفق الناس يرحلون في السنابيك إلى الليث ومنها

يرجعون إلى مكة، وكانت الحكومة غير كارهة للهجرة لما فيها من التوفير للماء والزاد للجنود على أن تلك الحرب التي كان يتفرج أهل جدة عليها ثم صاروا يفرون إلى البلدان عنها ليست بشيء بالنسبة إلى ما بعدها من الموت الأحمر لأن جميع ما هم فيه مناوشات، لأن ما بين الأسلاك الشائكة وما بين سور جدة مسافة ثلث ساعة للأقدام.

ولما كان في اليوم الحادي عشر من شهر رجب دعا علي بن الحسين بالشيخ محمد نصيف واعتقل هو وأحد أعضاء الحزب وثلاثة آخرون هم سليمان عزابه، وسعيد باخشوين، وعبدالرحمن باجنيد، فأودعوا السجن ثلاثة أيام ثم أحضروا بين يدي علي فصدرت الإدارة أن ينفوا إلى العقبة فأخذوا في الساعة السادسة من ليلة ١٤ رجب ونفوا إلى العقبة، ولما وصلوا إلى الحسين ألقاهم في قبر لا منفذ فيه ولا نور ولا فراش فوجدوا من الضيق وضنك العيش ما لا يرضاه كل حر أبي وهذا لأجل تهمة في حق المذكور، وما كان قدر الشيخ محمد حسين نصيف أن يهان تلك الإهانة ويبالغ في التضييق عليه، ذلك بأنه رجل عظيم وعالم فاضل كثير الاطلاع واسع المعرفة وله مكتبة عظيمة في جدة ومن أكبر أغنياءها أيضاً، ولولا صلة علمية بينه وبين شيخ العروبة أحمد زكي باشا من أهل مصر فقام لما علم بالتضييق عليه وسعى نحو الأمير عبدالله في شرقي الأردن بهذه البرقية: «صاحب السمو الأمير عبدالله أرجو أن يتجلى حلم الرسول ويتجدد عفو المأمون بشخصكم المحبوب فتتوسطون لصديقي السيد محمد حسين نصيف فقد ساءني جداً ما بلغني اليوم بنفيه من جدة إلى العقبة مع تضييق الخناق عليه والإساءة إليه من واليها فآمالي عظيمة فيمن أعظم فيها وهو سيدي الأمير بقبول شفاعتي وتنازله بالتوسل بوالد الجميع لإرساله لمصر بمنزلي وأنا أتعهد بامتناعه مطلقاً عما لا يرضيكم وأنتم تعرفون صدق إخلاصي لسموكم ولبيتكم الكريم» فأطلق الشيخ وأنقذه الله من شرهم وعاد إلى جدة برفقته في يوم الأربعاء ثامن رمضان، ولولا ما ذكر لكان أفظع من هذا، ولما قدم اعتذر إليه علي بن الحسين وذكر أن ذلك مقدر قد كتب عليه وقد ثبتت براءته أيضاً.

ذكر وقعة المصفحات

لما كان في ثامن عشر شعبان في الساعة الرابعة نهاراً برز القسم الأكبر من جيش الحجاز لمنازلة الإخوان وكانت القيادة الهاشمية قد أملت في هذه الهجمة أن تضرب الإخوان المرابطين فتقضي عليهم أمام جناحها الأيسر وتعود شرقاً بجنوب بعد ما أمنت مؤخرها فتزحف إلى المعسكر في الرغامة فتستولي عليه وتمشي مستمرة ظافرة إلى مكة وكانت كلمتهم: سنعيد رمضان بمكة حتى كان أحد الضباط يقول لمن يثق به من الأجانب قبيل هذه الوقعة: غداً ندعوك لزيارتنا في الطائف، ولما أن برزت هذه القوة من الجيش الحجازي وكان هذا الإقدام الذي برز به القسم الأوفر منه لمناجزة النجديين والقضاء عليهم شرع الخط قبل خروج المصفحات يطلق مدافعه الكبار والصغار على الإخوان في الرويس وبعد نصف ساعة من هذا الضرب المتواصل الشديد خرجت خمس مصفحات من بوابة الكندرة فسارت ثلاث منها تجاه نزلة بني مالك واثنتين تجاه الرويس ثم مشى من مركزي الكندرة وأبي بصيلة نحو ألف من جنود النظام والبدو مقسومين إلى ثلاثة أقسام تتبعهم سرية من الخيالة.

أما الإخوان فقد كانت فرقة من أهل دخنة في الرويس وفرقة أخرى في بني مالك وكان أهل العارض والغطغط في الخط الثاني، أما الجبهة الأمامية التي فيها الخنادق فكان فيها من الفريقين عدد لا يتجاوز الألفين فتقدمت القوة الاحتياطية النجدية نحو مراكز الجيش المرابط ولكنهم لم يباشروا الرمي لا هم ولا المخندقون حتى خرجت العساكر الهاشمية كلها إلى السهل وكادت المصفحات أن تصل إلى النزلة فدارت تلك الساعة رحى الحرب ودوت البنادق والرشاشات وسارت المصفحات شرقاً بشمال تاركة النزلة إلى يسارها لتمنع وصول المدد إلى الجبهة الأمامية وتصد أهل الغطغط والعارض عن الهجوم فاشتبكت وإياهم في قتال عنيف ولكنها لم تتمكن من صدهم، فلو رأيت الإخوان كيف يصارعون تلك المصفحات التي تهدي عليهم الرصاص وترش من رشاشاتها في كل جانب وهم ثابتون مستشهدون ويدورون عليها كأنهم الأسود في غابها ويطلقون البنادق عليها

وعلى من فيها حتى أن عبداً من العتاريس دنا من إحداها بعد أن جال حولها كأنها فارس من الفرسان فتمسك بها وصعد إلى سطحها يدس مسدسه على من فيها، فأصيب وهو هناك برصاصة وهوى إلى الأرض، أثابه الله وأعظم له الأجر والثواب، وظل الإخوان يعاركون هذه المصفحات حتى أبطلوا رشاشاتها، فصار الجنود داخلها يطلقون الرصاص من مسدساتهم، وقد أصيب بعضهم برصاص الإخوان الذي يدخل من الكوى وجرح جراحاً بليغاً اثنان من السواق الروس، فتراجعت المصفحات وقد تمزقت وتكسرت جوانب بعضها، وسارع أهل الغطغط والعارض إلى النجدة لإخوانهم فخاضوا معركة دامت ساعتين في أشد حال، ثم ساعتين في قتال متقطع حتى انتهت الساعة الثالثة بعد الظهر برجوع الجنود الحجازية والمصفحات إلى داخل الأسلاك، ورجوع الإخوان إلى مراكزهم، أما من بقى في ساحة القتال وهم القتلى فلا يقل عددهم عن ثلاثمائة قتيل على التحقيق، أما التخمين، فإن أهل الحجاز يقولون في التقرير أن خسارة العدو بين قتيل وجريح أكثر من مائتين، وخسر جيشنا خمسة عشر قتيلاً وأصيب خمسون، والنجديون يقولون في التقرير الرسمي، قد تحقق أن خسارة العدو كانت في الأقل ثلاثمائة وعشرين قتيلاً بدليل بنداقهم التي غنمها جيشنا وأحضروها إلى المعسكر العام، أما خسائرنا فقد كانت خمسة قتلى وخمسة جرحى فقط، وانتهت وقعة المصفحات هذه بعدم فوز أهلها، ولم ينجح لهم عمل لا بقطع المدد، ولا قابلت بسالة الإخوان وشدة بأسهم، بل قلت ذخيرتها ونفد الماء الذي فيها، فرجعت خائبة مدحورة وقضت عليها وعلى أهلها هذه الوقعة بالعجز والضعف.

ثم بعد ذلك سكنت المتحركات وخمدت نار الحرب بين الفريقين وخف ضرب المدافع وقل الهجوم في الليل إكراماً لرمضان، فكان فيه شبه هدنة تبعها في شوال مناوشات في الليالي المظلمة، ومع أنه كان قد شاع في جدة أن المعركة الفاصلة ستكون في شوال، وقد ولى شوال والتقارير الرسمية تقول: سكون تام على الخط، ثم استأنف القتال في الشمال.

ذكر الحرب والحصار للسواحل الحجازية

لما فتحت الجيوش النجدية موانئ لجلب الأرزاق إلى مكة صارت تأتي الأرزاق والأقوات إلى مكة بكثرة حتى انقشع الضيق، ونزلت الأرزاق إلى درجة زهيدة، اعتدى بعض عربان جهينة على قوافل تحمل أرزاقاً إلى مكة، فأرسلت القيادة النجدية حملة إلى ينبع لتأديب المعتدين، وكان إبراهيم بن رفادة كبير مشايخ جهينة قد خرج على الملك علي وعاهد ابن سعود على السمع والطاعة، فأرسلت حكومة جدة إلى قائم مقام الوجه وهو «الشريف حامد» ثلة من الجنود النظامية وبعض الرشاشات لتأديب ابن رفادة وجماعته، وأرسلت الأمير شاكر إلى ينبع ليحمل على الإخوان في بدر ويستردها.

أما المدينة المنورة فقد كان صالح العذل معسكراً في الحناكية وقد التحق بجيشه لواء جاء من جهة حائل، وكان قسم من هذا الجيش أو أكثره من الحضر بقيادة إبراهيم النشمي وكيل ابن عذل مرابطاً حول المدينة، وهو مأمور بأن يحصرها فقط ولا يدخلها بدون أمر من القيادة العليا، وكانت ترد على الحكومة الهاشمية برقيات في تلك الأيام: «المدينة ٢١ ذي القعدة جلالة الملك المعظم جهزنا عبدكم ولدنا مع عسكره وبعض من حرب على النشمي فكسروه وأسروا أربعة أنفار من جماعته، أبشركم بذلك سيدي قائم مقام العلا «شحاتة» العلاء ٢٧ ذي القعدة جلالة الملك المعظم صباح اليوم الجمعة هجمت على مدائن صالح ثلاثة بيارق ودامت الحرب بينهم وبين العدو إلى العصر، والحمد لله انقلب العدو خاسراً تاركاً جرحاه وقتلاه مولاي» ينبع ٢٦ ذي القعدة جلالة الملك المعظم احتللنا بدراً وغنمنا جميع ما فيها، انهزم احمد سالم صاحب بدر ومعه أربعون بعيراً محملة.

الإمضاء شاكر

نعم إنه انهزم أحمد بن سالم صاحب بدر ومعه أربعون بعيراً، ولكن صاحب الجلالة السلطان عبدالعزيز جهز في هذا الشهر حملة إلى الشمال بقيادة ابن عمه

سعود بن عبدالعزيز العرافة والأمير خالد بن لؤي، فالتقت هذه الحملة في طريقها بأحمد بن سالم، وبعد ما قص على القيادة حوقل خالد وأمر سالماً بالرجوع، فمشى مع الحملة التي استمرت في طريقها إلى بدر، وبعدما اشتبكت في وقعة مع المدافعين رجال شاكر ضربتهم فيها ضربة كتب لها النصر، واستولت عليها ثم أعادت أحمد بن سالم إلى مركزه، ومشت إلى ينبع فعسكرت هناك تنتظر الأوامر الجديدة من القيادة العليا، وكانت قد أرسلت تلك القيادة فيصل الدويش أيضاً إلى الشمال فاحتل بجيشه العوالي حوالي المدينة بدون مقاومة، وأصبحت الجيوش السعودية محاصرة للمدينة بالضغط الشديد على أهلها ليحملوا أولي الأمر فيها على التسليم، كما قد ظلت تلك الجيوش مرابطة حول الوجه وينبع، وسعود العرافة وخالد بن لؤي معسكران في ينبع النخل، وفيصل الدويش في العوالي، وصالح بن عذل في الحناكية، هذا ولم تكن الجيوش هنالك مسلحة بغير البنادق، وإنما رجح السلطان عبدالعزيز الحصار ليتمكن جنوده من الحج، ولقد كان اهتمامه بالحج في هذين الشهرين أكثر من اهتمامه بالحرب لأنه جعل يمهد قبل الحج بثلاثة أشهر للسهل، فأرسل في غرة شعبان نداء إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يصيح للحج ويخبرهم بأن النظام قد ساد في البلدة المطهرة واستتب الأمن فيها، وأنه يرحب بحجاج بيت الله الحرام من المسلمين كافة في موسم هذه السنة، ويتكفل بتأمين راحتهم والمحافظة على جميع حقوقهم وبتسهيل سفرهم إلى مكة المكرمة من أحد الموانئ الثلاثة وهي: رابغ، والليث، القنفذة، فعند ذلك غمرت البواخر تنقل الأرزاق من الهندية والخديوية وإيطاليا تجيء من عدن ومصوع، والسويس، ولم تتمكن الحكومة الهاشمية التي ضربت النطاق أن تصادر شيئاً منها.

ولما بعثت الحكومة الهاشمية إحدى بواخرها وهي المسلحة الطويل وصادرت خمسة سنابيك إيطالية مشحونة من مصرع إلى الليث وجاءت بها إلى جدة، قامت إيطاليا واحتجت بواسطة قنصلها السنيور فارس على هذا العمل، وأنذرت الحكومة الهاشمية بأنها تسحب قنصلها من جدة وتتخذ الطرق القانونية لحفظ

حقوقها إذا كانت لا تعيد كلما صادرته من السنابيك الرافعة العلم الإيطالي، فعقد الوزراء مجلساً للنظر في الأمر وقرروا بعد البحث أن يجيبوا طلب الحكومة الإيطالية، فعد هذا الحادث نصراً سياسياً لابن سعود وهدة في جانب علي، كما أن قدوم ثلاثة آلاف من الهند حجاجاً ورجوعهم سالمين بعد الحج عن طريق رابغ هو نصر سياسي آخر، أضف إلى ذلك الحادث الذي كسر شوكة الهاشمين وهو نقل الحسين والد الأسرة إلى قبرص.

ولما قام الجيش السعودي من الجبهة في ٢٧ ذي القعدة للذهاب للحج وأخلى الجيش محلاته في ٣٠ ذي القعدة، استبشرت حكومة علي لما رأت الجنود النجدية منازحة عن القتال ظناً منها أن ذلك عجز وأملت الفوز مع ما هي فيه من العسر، وكان لم يبق في جبهة جده من النجديين غير قوة صغيرة من الخيالة والهجانة لتشرف على الرغامة.

ولما كان بعد ساعتين من إخلائه توجه جند الملك علي وحصنوا تلك المحلات لأنهم ذاقوا منها ضرباً وقتلاً، وقد روي أن تحسين وزير الحربية قال للملك علي يوم قيام الجند النجدية لو كان عندي مائتا خيال للحقتهم ومحوتهم عن آخرهم، ثم بلغ به هذا الهوس أن جمع المتطوعين اليمانيين والنظامية فأرسلهم ولبث بمركز القيادة ينتظر النتيجة فما وصلت تلك القوة نقطة الرغامة إلا وقد التف جند نجد عليهم ومحاهم عن آخرهم، ولم يسلم منهم سوى اثنين لاذا بالفرار وأسر واحد.

ذكر نقل الحسين بن علي من العقبة

لما كان الحسين في العقبة يجند الجنود ويجيش مدداً لابنه علي ويرسل إليه المال والأرزاق، رأى ابن سعود أن وجوده قريباً منه خطر عليه، فبعث صاحب الجلالة السلطان عبدالعزيز جيشاً إلى حائل لمهاجمتها، وكان الأمير عبدالله بن الحسين يكتب قبل ذلك إلى أخيه علي بأن السر في عدم رضا ابن سعود عن حكومة الحجاز، وامتناع الإنكليز عن مساعدتها ووقوفها موقف الحياد من هذه الحرب القائمة، هو أنها لم تصدق بعد بصحة ذلك التنازل من الحسين بسبب وجوده بالعقبة وإمداده

للحكومة الحجازية بالمال والرجال، وأنه لا سبيل إلى فوزها إلا بإخراج الحسين منها، حتى أدخل في روع أخيه على ذلك وحمله على أن يتوسل إليه بهذه المهمة ففعل علي وقام بدور الناصح، غير أن الحسين أصرَّ على عدم مبارحة البلاد إلا أن يخرج منها بالقوة، فلم يجد الأمير عبدالله بداً إلا أن يشير إلى بريطانيا بضرورة إخراج والده من العقبة باعتبارها من البلاد التابعة له والمشمول بالانتداب البريطاني ووجوده والده فيها قد يضر بمصالحها ويعرضها لغزو ابن سعود لها، وهذه تعد من أكبر الغش والقطيعة في حق الوالدين، فما وسع بريطانيا إلا أن تبعث إلى الحسين باخرة حربية إلى العقبة تحمل إليه البلاغ الآتي:

لما كان في يوم الخميس ٥ ذي القعدة تلقى الحسين هذا البلاغ:

إلى جلالة الملك حسين من وكيل خارجية بريطانيا العظمى تبلغت حكومة جلالة ملك بريطانيا أن سلطان نجد هيأ قوة لمهاجمة العقبة وذلك لأن حكومة جلالتكم بها، ولأن حكومة الحجاز جعلت معان والعقبة بحالة عسكرية ضد ابن سعود، ولا يخفى أن حكومة جلالة ملك بريطانيا مسؤولة عن الأمن العام بفلسطين وشرقي الأردن مع معان التي تعد تحت انتدابها فهي تدعوكم إلى مغادرة العقبة لكي لا تكونوا سبباً لحصول مشاكل جديدة بين بريطانيا وسلطان نجد وتصر بإلحاح على وجوب مغادرتكم العقبة إذ لا يمكنها أن تسمح لكم بالبقاء أكثر من ثلاثة أسابيع، وكان هذا الإنذار شديد الوقع على الحسين وقد جاء في باخرة حربية بريطانية «تسمى فون فلاور» وكان قائد المدرعة قد طلب من الحسين الجواب النهائي فثار الحسين ثورة المهزوم الذي لا مفر له فما معنى هذه الملاحقة أينما ذهب ابن سعود، فيا لعثر الحظ وخيبة الأمل.

أجاب بريطانيا: بأنني ما زلت محافظاً على الود ومخلصاً في الولاء لحكومة جلالة ملك بريطانيا وأنه إلى أن قال وأني فاديت بكل شيء وتخليت عن الملك وغادرت وطني حباً في السلم وحقن الدماء وأتيت العقبة لأبرهن للعالم أجمع بأنه

لا مطمع لي سوى سعادة أقوامي وتحرير بلادي بعد أن قمت بواجباتي ولم آل جهداً في سبيل المحافظة على حقوق العرب والسعي وراء الوحدة العربية والتمسك بنص المعاهدة وانتظار تنفيذها، ولم ينقطع الأمل من الحكومة البريطانية بشأن إنجاز وعدها والوفاء بعهدها استناداً على شرف تقاليدها، وها أنا اليوم كما تراني مقيم في إحدى قرى الحجاز معتزلاً عن العالم ومبتعداً عن كل ما من شأنه أن يوجب الشغب وسوء التفاهم، ولما كان هذا الاعتزال والابتعاد لم يخلصني من أمثال تلك الشوائب فلا شك في أنني أينما ذهبت لا يخلو الأمر من حدوث شيء مما في التبليغات الأخيرة وربما كنت أشد هولاً من موقفي الحالي إذ لا أضمن هياج الشعب العربي وقتئذٍ وحدوث مالا تحمد عقباه نحو الحليفة وغيرها، ولهذا فإنني لا أرى مندوحة من بقائي في مكاني، وإن شاءت حكومة جلالة الملك فلتبعث بي إلى عالم المريخ فإني مستعد لإنفاذ رأيها في هذه البعثة في أول دقيقة التبليغ أو أنها إذا نسيت ورأت عظمتها لأن تبعث إحدى وسائطها الحربية لتهلكني وعائلتي وخلاص الجميع من هذه الغوائل، ولن أزال أساعد الحكومة الحجازية بمالي الخاص الذي ادخرته لمستقبلي المجهول، لأن من لا خير فيه لوطنه لا يرجى منه الخير لحلفائه وأصدقائه، ولي الشرف أيضاً بكوني ثبت على مبدئي وأخلصت في عملي وقمت بواجباتي، فما علي من غيري فيما إذا لم يف بوعده ولم يقم بإنجاز عهده، ونفذ مطامعه بقوة مدرعاته وبرؤوس حربه، فهناك يكون الحكم لمن غلب، ثم احتج على بريطانيا بأمور وإن ابن سعود قد هاجم شرقي الأردن غير مرة في أواخر العام المنصرم دون أن يكون لحكومة الحجاز أو لحكومة معان أقل دخل فيها.

فماذا لم تعرفه حده لتوقفه عنده، ثم صرح بأنه لم يعترف بالانتداب على البلاد العربية من أساسه، وأنه ما زال يحتج على الحكومة البريطانية التي جعلت فلسطين وطناً قومياً ليهود ـ وشمالي سوريا تحت الانتداب ومأوى للأرمن، وأنه ليعجب من تغافل الحكومة البريطانية عما حل بالحجاز بل بالطائف من السحق

والمحق في الأموال والأنفس والدمار الذي لا يمكن تلا فيه إلا بعد عشرات السنين، ثم اهتمامها بمحافظة معان والعقبة الأمر الذي لا يبقى محل لإطالة البحث فيه، ثم قال ولا يمكنني مغادرة العقبة إلا بعد إبلاغي لغوه وبعدئذ أذهب إلى حيث تريد حكومة جلالة الملك بشرط أن يكون محل إقامتي ضمن البلاد العربية وأن لا أكون مسؤولاً عما عساه قد يحدث من شغب أو هياج شعب تطمع نفسه لرفع نير الاستعمار وتجديد النهضة فيما إذا مست الحاج وإلا فإني لا أبرح العقبة ولو أدى الأمر لهلاكي ومحو عائلتي من الوجود.

وقد حاول أصدقائه وابنه عبدالله على أن يقبل الإنذار البريطاني، ولكنه ظل حتى الدقيقة الأخيرة متمسكاً برأيه حتى همس في أذنه أحد رجال شرقي الأردن أنه يجدر به أن لا يكون سبباً في نكبة شرق الأردن، كما كان سبباً في نكبة الحجاز فأذعن وانقاد، ثم أتت مدرعة على أثر ذلك اسمها «دلهي» وكانت أكبر من الأولى في يوم السبت ٧ ذي القعدة، فلما رست في مياه العقبة قبيل الظهر وبعد مضي ١٧ يوماً أبلغه قائد المدرعة البريطانية في يوم الثلاثاء ٢٤ ذي القعدة أن يستعد للسفر إلى الجهة التي اختيرت له في يوم غد وقال له مشافهةً: إذا أبى وقاوم فسيتخذ تدابير أخرى، فطلب الحسين حيفا، أو يافا، فأبرق القائد إلى لندن فجاءه الجواب بذهابه إلى قبرص، ولما طلب إمهال يومين أجبره القائد على السفر يوم الخميس فأجاب بأنه مستعد للسفر إلى المريخ إذا أرادت بريطانيا وما دامت تريد إرساله إلى قبرص فهو لا يعارض لأن المسألة قوة، وإنما طلب إمهاله يومين ليعد فيهما عدة السفر، فلم يمكنه القائد البريطاني وأجبره على السفر في اليوم المذكور وبينما «رضوى» و«الرقمتين» تنتظران لحمله إلى جدة حسب ما طلب إذا بالقائد يلزمه بأن لا عدول عن السفر بالبارجة دلهي المخصصة لركوبه.

ولما كان في صبيحة يوم الأربعاء نزل الحسين بن علي من منزله الذي كان يقيم فيه بالعقبة ومعه حرمه التركية وبنتاه منها وكاتب بسيط كان قد ثبت على خدمته وطاهية وخدمه، ورافقه اللواء جميل باشا الراوي، وعند صعوده إلى الباخرة استقبل

فيها بكل ترحاب وخصص له جناح خاص له ولعائلته، وسارت بهم الباخرة إلى قبرص، وعندما رست الباخرة في ميناء السويس صعد إليها عبدالملك الخطيب معتمده بمصر، وأخوه عبدالحميد وحبيب لطف الله الذي أنعم عليه الحسين من قبل بلقب الإمارة واعتبره أمير هاشمياً واسكندر بك طراد وكيل إدارة أطيانه في مصر فقابلهم رجال الباخرة وحاشية الملك بكل احترام وأبلغوهم أنه آوى إلى فراشه وسيستقبلهم في صباح الغد فناموا، وفي الصباح أقلعت الباخرة وهي تسير الهوينا وتعبر قنال السويس فاستيقظ من نومه وصلى الفجر، ثم دعا بضيوفه لمقابلته، فكان أول كلمة تكلم بها مخاطباً لهم:

مشـــيناها خطـــاً كتبــت علينـــا ومـــن كتبــت عليــه خطــا مشــاها

ثم وجه خطابه إلى معتمده بمصر فقال له هكذا شاء أصحابك يعني الإنكليز يا عبدالملك وأنا أعترف أن ذنبي معهم إنما هو عدم تساهلي معهم في أمر المعاهدة التي جاء بها «ناجي الأصيل» وعدم إقراري بوعد بلفور ولأن أضحي بالتاج خير لي من أن يسجل التاريخ تفريطي في شيء من حقوق العرب أو اعترافي بالوطن القومي لليهود في فلسطين، ولكن لا يظن أصحابك أن ما رفضته أن سيقبله عربي واحد في الوجود، ولئن يتم لهم ما يريدون وما أنا إلاَّ ضحية بريئة ولقد كنت مخلصاً لهم عندما نصحتهم بالوفاء بتعهداتهم للعرب وتنفيذ مقررات النهضة ولكن لا يحبون الناصحين يقولون أن وجودي في العقبة هو السبب في عدم التفاهم مع ابن سعود والإنكليز وها أنا ذاهب وسأرى ما يكون.

وهنا أراد السيد عبدالملك أن يعجم عوده: فقال له حقاً يا مولاي ما تقول ولكني أعلم أن الإنكليز كانوا يقولون لنا أن مثلنا معكم كمثل دائن ومدين يقول المدين للدائن خذ هذا القدر الذي أستطيع دفعه لك الآن وانتظر حتى أعطيك الباقي على التراخي، فهلا ترون جلالتكم أننا لو رضينا بذلك وأتبعنا سياسة إيجابية، أما كان خيراً لنا من اتباع تلك السياسة السلبية التي سلكناها، فأجابه الحسين لا، لا يا بني إن التساهل في الحقوق سبب لضياعها، أم زوال الملك فإنه لا

يؤثر في الحق شيئاً، وإني لم أتعاقد مع بريطانيا باسمي بل باسم العرب أجمعين، فماذا أقول لهم إذا أن فرطت في حقوقهم تثبيتاً لعرشي واحتفاظاً بملكي، فهل سبعة عشر عاماً مررت بهذا القنال في طريقي إلى الحجاز لأتولى الإمارة فيه، وإذا كنت قد تركته اليوم واعتزلت الحكم فإن للبيت ربٌ يحميه وفي العرب ولله الحمد من يستطيع أن يجاهد في سبيل تشييد ما أسست، وإكمال ما به بدأت على أنني أعرف نفسي أنني ما أخطأت في سياستي إلا لأني وثقت بوعود بريطانيا، وحسبت من أخلاق الأوربيين مراعاة الشهامة وتقدير قيمة الإخلاص، ومع كلٍ فإن ذلك لم يكن مني إلا عن حسن نية.

وهنا تكلم عبدالملك الخطيب قائلاً: لقد كانت الخلافة يا مولاي شؤماً علينا لأنها أثارت الرأي العام الإسلامي ضدنا فلم تجد بريطانيا من مصلحتها تأييدنا بعد أن اتهمت بأنها هي التي تريد ذلك، فأجابه الحسين ألا تعلم أنني لم أطلب الخلافة، وإنما العرب في شرق الأردن وسوريا هم الذين اختاروني لها، وعبدالله هو الذي ألح علي بقبولها وقال إنها تعزز مركزنا وتحمل بريطانيا على الوفاء بتعهداتها لنا والإذعان لمقررات النهضة فقبولي لها ما كان إلا لخدمة القضية العربية، وفي سبيل نجاحها، ودعا الحسين ضيوفه للغداء معه على ظهر الباخرة، ودعا معهم قائد البارجة التي أعرب عن تقدير البريطانيين لموقف الملك الحسين من الحلفاء في الحرب العامة وأنه بتنازله بقبوله السفر إلى أي جهة تعينها له بريطانيا لدليل على عظيم ثقته بها ولذلك فإنه سيكون موضع الإجلال والاحترام في أي بلد يحل فيها كما أن في نقله على هذه الباخرة التي سبق أن استقلها جلالة الملك جورج الخامس أثناء زيارته للهند لدليل على إكبار بريطانيا لجلالة الملك الحسين وفي المساء ودع المعتمد ورفاقه الحسين في مشهد أليم حيث كانت الدموع تتقاطر من عيون الجميع، ونزلوا من الباخرة وهم يرددون: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾. إلى آخر الآية.

رجعنا إلى ما نحن في صدده فنقول: كان الأمير عبدالله بعدما انتقل والده

الحسين إلى العقبة قد شعر بقرب زوال الملك الهاشمي عنه فكتب إلى أخيه علي يطلب إليه أن يتنازل له عن العقبة ومعان لما في ذلك من عدة فوائد أهمها أن يكون في مأمن من زحف ابن سعود إليها خوفاً من الإنكليز بحكم المعاهدة التي تربطها وأنه في حالة ما إذا تم النصر للحكومة الحجازية فقد تعهد بإعادتهما إلى الحكومة الحجازية فقنع علي، ووافق على ضم معان والعقبة إلى شرق الأردن على شروط منها أن لا يتم تسليمها ما دام الحسين باقياً في العقبة حرصاً على عدم إغضابه وتعهد أيضاً الأمير عبدالله في إحدى مذكراته إلى جلالة أخيه ما معناه سلموا بضم العقبة ومعان وأنا أضمن لكم من الإنكليز ثلاثمائة ألف ليرة يعقد حالاً ثم إبعاد ابن سعود عن الحجاز حتى تربة والخرمة وجعل الخط الحجازي رهن إشارتكم في كل وقت، وغير ذلك من الأرقام ولكنها في كتاب الأحلام، وما كاد الحسين يلقي عصا تسياره في قبرص حتى كتب الملك علي إلى أخيه عبدالله يستنجزه الوعود التي منها تدخل الإنكليز في حل الخلاف وإنهاء الحرب بعد إقصاء الحسين عن تلك المنطقة نهائياً ولا يخشى من عودته إلى الحكم ثانياً، فطلب الأمير عبدالله من أولياء أمره مساعدة أخيه والتوسط في أمر الصلح فقبلت بريطانيا وكتبت إلى ابن سعود غير أنها لم تحظ منه بالقبول وأجاب بأن الأمر عائد إلى العالم الإسلامي فهو صاحب الحق في أمر تقرير الحجاز فلم ترى بريطانيا مصادمة العالم الإسلامي لرضاء عاملها بشرق الأردن، وختمت هذه السنة بطلائع النصر لابن سعود.

وفيها وفاة الأمير أحمد بن ثنيان رحمه الله وعفا عنه، وكان أحد رجال ابن سعود المقدمين العصريين ورسوله إلى جمال باشا التركي ومندوبه إلى لندن في صحبة الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وكان ماهراً مسدداً ووفاته في الرياض.

ثم دخلت سنة ١٣٤٤هـ

استهلت هذه السنة والحرب قد شمّرت عن ساق بين صاحب الجلالة والعظمة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل وبين الملك علي بن الحسين الشريف وقد عاد

الجيش السعودي النجدي بعد الحج إلى الرغامة وشدد الوطأة على العدو وضغطه ضغطاً شديداً بالحصار، وفيها فتح ابن سعود أبوابه للوفود، وأول من استأذنه لزيارة الحرم والحج والعمرة هم القناصل الذين يدعون الإسلام في جدة، عبدالكريم حكمين معتمد حكومة السوفيتي، ورادين برا ويرى نائب قنصل هولندا وأحمد أفندي لأرى وكيل قنصل إيران، فأذن لهم السلطان وبعد الأذن والزيارة للحرم دعاهم لزيارته في مقره بالوزيرية.

وبينما كانوا هناك يتكالمون بالصلح لعل الأمور ترتقي والحال تستقيم إذا بالإخوان قد هجموا في الليل على جناح خط الدفاع الأيسر من البحر إلى الكندرة هجمة هو جاء قبيحة وجعلت بنادقهم ورشاشاتهم تدوي دوياً منقطعاً كل الليل حتى الفجر، وجعلت الجبال لها عواء عظيم تجيب الصدا، وهذه كعادة الإخوان إذا صالوا فإنهم لا يهابون عدداً ولا عدة، «خيال التوحيد أخو من أطاع الله» فما كان لزيارة القناصل فائدة والحرب يعجز عن كشفها الجن والإنس، فتكلم القناصل مع السلطان قائلين إننا نتكلم مع عظمتكم في هذه المسألة بصفتنا الشخصية لا بلسان حكوماتنا لأننا شرقيون يهمنا الإصلاح والاتفاق بين الشرقيين، فأجاب السلطان قائلاً: كأن القوم لم يدركوا حتى اليوم غايتنا ومرامنا، فما زال الشريف علي في جدة، فلا سبيل إلى الصلح، أما إذا أخلاها وترك المسألة للعالم الإسلامي، فنحن نقبل بما يقرره بشأن الحجاز، ثم سأل السلطان قناصل الدول المذكورين هل يأذن بقدوم وزير الخارجية فؤاد الخطيب، وطلبوا أن يسمح له بالمثول بين يديه في البحث في المسألة لعله يصل إلى حل يرضي الجميع، فأجاب أنه يرحب بمن أراد القدوم عليه سواء كان فؤاداً أو غيره، فرجع القناصل إلى جدة يحملون الأذن بزيارة الخطيب، فكتب فؤاد إلى عظمته يذكر أن بعض الأصحاب أنبأه بما حقق الأمل المعقود، ويطلب منه تعيين يوم للمقابلة، فأجابه السلطان بالإيجاب على شرط أن يكون الوزير مفوضاً ليوافق علي ما يملي عليه من الشروط ثقلت وطأتها أم خفت فرد الوزير فؤاد يقول أن المأمول من قدومه أولاً شرف التعرف إلى شخصكم الجليل العظيم، ثانياً: التمهيد لإيجاد صلح تسود فيه

الطمأنينة المنشودة ليكون صور الأعمال فيما يحسن التفاهم عليه، فقال عظمة السلطان في كتابه الأخير أكون مسروراً بمواجهتكم، فسر فؤاد بمثل هذا السرور لكنه خشي أن لا يقوم بكل الأعمال.

ولما قدم على ابن سعود وحصل الاتفاق رأى المندوب شخصاً خطيراً لا يقعقع له بالشنان، وكان قدومه قبل دخول السنة بثلاثة أشهر فجرى بينهما من الكلام ما ملخصه، قدمت إليكم يا سيدي للتعرف بكم ولإصلاح ذات البين.

فأجابه السلطان: أما تعرفك بشخصي فإن أحب كل عربي مخلص لدينه ووطنه، وأما إصلاح ذات البين فإني أحب ذلك ولكن أين الطريق الذي يوصلنا إليه، إننا لم نجدها لفقدان الأمان في العاجل والآجل، ومن تكون صداقتنا معه بعد الإصلاح فذكر الخطيب، بينكم وبين علي؟ أجابه ابن سعود: أليس علي ولداً للحسين وأخاً لعبدالله وفيصل؟ فتكلم الخطيب مجيباً: نعم إنه ولد الرجل وأخو الرجلين ولكنه غيرهم، وإن له لنية طيبة، أجابه ابن سعود: ولم أقل في الرجل شيئاً وأبرأ إلى الله من أن أتكلم فيه بما لا أعلمه، ولكن يكفي فيه أنه ولد الرجل وأخو الرجلين، ولست آمناً منه كما أنه ليس هناك من يضمن لي بعض ما أشترط، فتكلم الخطيب: الضامن هو أنت لأنك أنت الغالب والعادة أن الغالب هو الضامن، أجابه ابن سعود: لا أعلم ضامناً له سلطة يكفل ما أطلب وأثق به، فالدول كلها على الحياد ولا نقبل تدخلها في الأماكن المقدسة وأمر العالم الإسلامي كما ترى، فأجاب الخطيب: إن ضمنت فأنت خير ضامن ونحن تحت سيطرتك، وإن ابتغيت ضامناً غير ذلك فنحن نفكر فيه، أجابه ابن سعود: إني أقول لك بصراحة أن المسلمين من قومنا اجتمعوا وتفكروا في أمر دينهم ودنياهم فلم يجدوا للصلح مع الحسين وأولاده ما يرضيهم، فأرجوك تركه ونسيانه فإن كان أمر غير ذلك فأنا مستعد، فتكلم الخطيب مجيباً ما هو ذلك الأمر، أجاب السلطان: إذا كان علي يريد شيئاً من أمور الدنيا فأنا أتعهد له به في العاجل أو الآجل، ولكنني أريد أن أسألك سؤالاً عن الأمر الذي دعاك إلى رجوعك إلى جدة بعد ذهابك منها؟ وما الذي دعا

بعض السوريين والفلسطينيين إلى أن يأتوا إلى جدة لقتالنا، أقتالهم لنا قتال ديني أو حمية وطنية أم الحسين وأولاده قاموا بأمر منتظم يرون أننا أتينا لتخريبه؟ فتكلم الخطيب مجيباً بقوله: لا أعلم شيئاً من ذلك إلا أنهم يدعون أن الحجاز مستقل ويرجون له دوام ذلك الاستقلال.

وجرت بينهما مكالمات حتى قال له ابن سعود: هل أطلعتم أو أطلع أحد على المعاهدة التي بين الحسين والحكومة الإنكليزية، فأجابه الخطيب وهو وزير الخارجية بقوله:لا، فردَّ عليه ابن سعود: ألم تكن وزيراً للخارجية؟ وهل يخفى عليك شيء من ذلك؟ ومن الذي يحيينا بعدك عن هذا؟ فأجاب الخطيب: إنني وزير خاجية للإمضاء لا للفعل، وهناك وقف ابن سعود ليستمع لما يمليه الخطيب ويعجب، واستمر الخطيب يروي لابن سعود وظيفته التي يقوم بها قائلاً: وأغلب الأخبار لم أطلع عليها إلا بالسماع من الناس، ولقد أقمت سنوات في المدة الأخيرة أشتغل بالأدب وهذه وظيفتي، تكلم ابن سعود يقول: نعم لدي شاهد على ما تقول فلقد وجدنا في أوراق الديوان الهاشمي كتاباً من بعض القناصل للحسين يقول له فيه: وصلنا كتابكم باسم وزارة الخارجية فمضي باسم فؤاد الخطيب، ولكن الإمضاء ليس إمضاء الشيخ فؤاد المعروف، فما حقيقة الأمر؟ أجاب الخطيب يقول: نعم لقد وقع مثل هذا، فقال ابن سعود: فإذا كانت الحجج والدولة المنظمة هذه شؤونها فلا شك أن هذا يدل على أن الأمور كلها قائمة على الباطل والتمويه، فكيف يا شيخ فؤاد تؤيد مثل هذه الحكومة، ولما احتج الخطيب أنه لم يأت للحكومة البائدة وإنما يتحدث من جهة الشريف علي، أجابه ابن سعود بقوله: من جهة علي فقد أجبتك عنه بما يكفي عن الإعادة.

ثم إنه عاد من الوزيرية راكباً بغلته حاملاً مظلته قد امتلأ من عظمة ابن سعود وسمو خلقه وصلابة رأيه، فقامت القناصل والحكومة والجنود في جدة يتسائلون ماذا عسى أن يكون تحت تلك المظلة من الآمال؟ فناولهم الخيبة التي رجع بها وكاشف بعض من وجد من رجال الحزب الوطني في جده بأنه لا سبيل إلى بقاء

الحكومة الحجازية إلا أذا أمكن التخلص من الملك علي وقطع صلتها بالأشراف نهائياً، فنصحوا له بأن لا يتكلم بهذا حتى لا يظن أن ابن سعود قد استماله إليه ويظن به أنه يسعى لقلب نظام الحكم.

ولما سافر القناصل المسلمون للعمرة كما قدمنا قلق زملائهم المسيحيون، فأرسل الوكيل الإنكليزي كاتبه الهندي الذي يدين بالإسلام «منشي المعروف إحسان الله» إلى مكة لأشغال تختص بالحجاج الهنود، فأقام هناك أسبوعاً، وعرج في رجوعه على المقر العالي بالوزيرية، فنزل ضيفاً على السلطان، وكانت المكالمة سرية حاصلها أن الحكومة البريطانية نقلت الحسين من العقبة فلا حاجة إلى أن يرسل ابن سعود حملة لاحتلالها إذ الهدف هو إبعاد الحسين.

وفي هذه السنة قدم ثلاثة وفود من المسلمين، ووفد من المسيحيين، ووفد الإمام ويحيى، ووفد الملك فؤاد الأول صاحب مصر، ووفد إيران، فأما وفد مصر فكان مؤلفاً من الشيخ محمد مصطفى المراغي رئيس المحكمة الشرعية العليا في مصر، ومحمد بك عبدالوهاب طلعت سكرتير الملك الخاص، وله غرض غير ما يظهر فإن الخلافة كانت تثقل يومئذٍ بال الملك فؤاد وقلبه فأحب أن يستطلع في أمرها رأي ابن سعود، أما وفد إيران فكان مؤلفاً من سفير مصر وقنصل سوريا العام ولا غرض له سوى البحث في مسائل الطائف والمدينة، وبعد أن زار الوفد مكة وتكلم مع السلطان فيما انتدب له عاد السفير إلى مصر وسافر القنصل «حبيب الله خان» عين الملك إلى المدينة ليتم مهمته.

أما إمام صنعاء يحيى حميد الدين المتوكل على الله فقد بعث برقيتين بواسطة قنصل إيطاليا بجدة، إحداهما للسلطان عبدالعزيز والأخرى لعلي يطلب منهما إيقاف القتال واحترام الأراضي المقدسة، وأن يكون واسطة وحكماً، وكان بعثهما في ٣/ ٤ منها، فأجاب علي وأبى السلطان وكان جوابه: إننا دعونا المسلمين لمؤتمر للبحث في أمر الحجاز، فنرجوا حضور مندوبكم معهم، وكان الموجب لقدوم هذه الوفود إشاعات بشعة تشاع عن ابن سعود، فلثقة العالم الإسلامي به وبشاعة تلك

الإشاعات يبعثون للاطلاع ويأملون إيجاد صلح، لأن وفد إيران يتأكد من صحة ما أشيع عن ضرب القبة النبوية بالقنابل، وبعدما رحب به ابن سعود وأرسله إلى مكة في صحبة عبدالله الفضل بلغها في يوم الأربعاء ٣/ ٤ واتصل الوفد بكثير من الإيرانيين المجاورين حول البيت الحرام، وتبين الحقائق من أفراد الشعب، واقتنع بما باحوا به من الفارق العظيم بين العهد السعودي والعهد الهاشمي، وأنه لا صحة لما قيل من ضرب القبة النبوية بالقنابل، بل هو خبر مكذوب، فرجع مغتبطاً معرجاً على المدينة.

أما ملك مصر فؤاد الأول فقد تبودلت البرقيات بينه وبين ابن سعود وبينه وبين الشريف علي، فقد بعث البرقية لابن سعود.

١١ صفر ١٣٤٤هـ ـ ٣٠ أغسطس ١٩٢٥م عظمة السلطان عبدالعزيز سلطان نجد: إن الحرب القائمة حول المدينة قد أقلقت خواطر المسلمين قاطبةً لما عساه يحدث من تأثيرها في الأماكن النبوية المقدسة التي نجلها جميعاً ونحافظ على آثارها المكرمة، ولا يخفى على عظمتكم ما لهذه الأماكن من الحرمة التي يجب أن تكون بعيدة عن كل أذى رغم ما يقتضيه أي نزاع أو خلاف، ولكن ما نعتقده في شديد غيرتكم الدينية لما يطمئن قلوبنا والمسلمين عامة على صيانة الحرم النبوي الشريف وآثار السلف الصالح بالمدينة والسلام عليكم ورحمة الله.

التوقيع فؤاد

«أجابه ابن سعود بما نصه»:

برقياً ١٦ صفر ١٣٤٤هـ ـ ٤ سبتمبر ١٩٢٥م حضرة صاحب الجلالة ملك مصر المعظم الملك فؤاد دامت معاليه: إني أشكركم من صميم فؤادي على غيرتكم الدينية، وإني أقدّر ما شرحتموه في برقيتكم حق قدره أن حرم المدينة كحرم مكة نفديه بأرواحنا وكل ما نملك، وأن ديننا يحمينا عن الإتيان بأي حدث في المدينة المنورة، وسنحافظ على آثار السلف وكل ما هو في المدينة بما يهم كل مسلم المحافظة عليه، إن العدو يحاول أن يشوه وجهة جهادنا بما يفتريه من الكذب والبهتان، يحاول

أن ينال بالبهتان ما عجز عنه بالسنان، ولكن الحق أبلج والله مؤيد دينه، وأخذ بناصية أهله ولو كره المبطلون، هذا وأرجو أن تقبلوا تحياتي واحتراماتي.

عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود

أما الملك علي ففرح بتلك الغيرة وانتعش بها وبعث إليه بهذه البرقية:

١٣ صفر ١٣٤٤هـ - أول سبتمبر ١٩٢٥م صاحب الجلالة فؤاد الأول ملك مصر المعظم: أهدي جلالتكم الملوكية أعظم الشكر على غيرتكم الإسلامية الجديرة بذاتكم العالية ومقامكم السامي فيما رغبتم فيه من تنزه البقاع المقدسة أن تكون ساحة قتال، ولا يستكثر ذلك من سليل محمد علي باشا الكبير الذي سبقت له خدمة هذه الديار المباركة في مثل هذه الكارثة نفسها مادة ومعنى، ونبرأ إلى الله أن يكون أحد منا نحن أبناء الحرمين الشريفين أراد القتال أو أخذ على الاستمرار فيه سواء ذلك في مكة المشرفة أو المدينة المنورة، وسنسجل على المتسبب مسؤولية ما تهدم فيها من الآثار، وما يزال يعنيها من آذى كجعل القبة الخضراء النبوية هدفاً للرصاص وسائر قبب وقبور آل البيت بالبقيع، وتخريب قبة سيدنا حمزة وهدم ضريحه الشريف طبقاً للأساس الذي قام عليه التوحيد، وبهذه المناسبة نؤكد لجلالتكم إننا قائمون بالواجب الديني والوطني من بذل النفس والنفيس في صيانة ما بقي من تلك الآثار وترميم ما خرب منه حتى يتم إخراج المعتدي بحول الله وقوته من الوطن المقدس كله، ونثق أن العالم الإسلامي يشد أزرنا في ذلك وفي مقدمته جلالتكم الملوكية بصفتكم أكبر ملوك المسلمين وأعزهم غيرةً على الله والدين، أدام الله جلالتكم مؤيدين بالتوفيق والنصر.

التوقيع: علي

إنَّ الشريف علي قد فضح نفسه باعتراضه على الدعوة الوهابية، فلو أنه اكتفى بمسبة خصمه لوجدنا مسوغاً وقلنا للرجل أن يقول ما شاء في عدوه المحنق عليه، إذ الهدف إنما هو التأليب عليه والتأشير وتشويه السمعة لا سيما في مثل هذه الحالة التي هي الطمع في الملك وانتزاعه من الآخر.

فأما إذا أوقع بالدعوة الوهابية التي هي الهدى المحمدي، فلا حباً ولا كرامة، وقبّحه الله ومقته وأقصاه، ويكفيك ما أوقعه الله به من الهوان كيف كشف عورته بيديه وأظهر عيوبه للناظر إليه، ولما جاء وفد الملك فؤاد الذي أشرنا إليه، كان قدوم الوفد في يوم الاثنين ٣ ربيع الأول للفصل بين المتنازعين والحكم بين الفريقين مزوداً بكلام رقيق وخطاب رشيق كانت فرصة نادرة لابن سعود، فهو يحترم فؤاداً ويجله ويقدّره ويحترم مصر ويعترف لها بالزعامة والتفرد في الثقافة والحضارة ولا يستطيع أن يزور عنه مهما كانت الظروف والأحوال، غير أنه إذا كانت الوساطة بينه وبين الأشراف فلا، ذلك بأنه قد حار به للدين، وطالما كان معهم في شقاء وعناء، فوقع في حيرة أيقبل الوساطة أم كيف لايرضى بوساطة مصر فيكون فيه بعض الجفاء! ولكنه وكل الأمر إلى أحد رجاله الممتازين وهو حافظ وهبة مصري الأصل، ومن علماء الأزهر، فقام المذكور بهمته يعالج الأمور بالحكمة والرفق والأناة، وبعد مفاوضة الوفد لحافظ وهبة اتفق بالسلطان فأرضى فؤاد ورد وساطته وقفل الوفد راجعاً في صباح الاثنين ١٠/ ٣، وقد قنع بنزاهة ابن سعود وبعد نظره وشرف غايته.

ولم تمض على سفر وفد مصر بضعة أيام حتى وصل إلى جدة وفد إنكليزي مؤلف من «الجنرال جلبرت كلايتون» والخواجة جورج، المفتش الأول في أدرة معارف فلسطين، وتوفيق بك السويدي مندوب العراق ومستشاره، وكاتب إنكليزي هو «المستر هارفي» أحد الموظفين بحكومة فلسطين، فاستبشرت حكومة جدة ظناً منها أنه جاء لحل المشكلة بعد مبارحته الحسين للعقبة كما تقتضيه وعود الأمير عبدالله، فسهلت له أمر السفر إلى السلطان ابن سعود وأملت من ورائه خيراً، وقد بعث السلطان لاستقباله حافظ وهبة من النزلة اليمانية، فسافر إلى بحرة في ٢٢ ربيع الأول، وعند وصول الوفد إلى بحرة استقبله عظمة السلطان بما يليق به من الاحترام، فكان أول كلمة قالها المندوب: أن بريطانيا لا تزال محافظة على حيادها التام في المسألة الحجازية النجدية، ولكنه يهمها أن تتفاهم معه على بعض أمور تتعلق بالعراق وشرق الأردن المشمولتين بالانتداب البريطاني، فأعرب له السلطان عن استعداده البحث في هذه الأمور، واستمر البحث بينهم خمسة

وعشرين يوماً حضر خلالها توفيق بك السويدي الذي تخلف عن زملائه بجدة، وأسفرت النتيجة عن وضع اتفاقيتين سنذكرهما برمتهما.

ذكر عقد الاتفاقيتين وإبرام المعاهدتين

وتسمى إحداهما اتفاقية بحرة والثانية أطلق عليها اتفاقية حداء، فأما اتفاقية بحرة فهي هذه نظراً للمعاهدة المعقودة بين حكومتي العراق ونجد ابتغاء تأمين الصلات الحسنة بينهما والمعروفة بمعاهدة المحمرة التي قد وقعت في اليوم السابع من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٤٠هـ الموافق ٥ مايو سنة ١٩٢٢م ونظراً للبروتوكولين المعروفين بالبروتوكول رقم ١ والبرتوكول رقم ٢ اللذين أضيفا إلى معاهدة المحمرة المذكورة أعلاه والموقع عليهما في العقير في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الثاني المبارك سنة ١٣٤١هـ الموافق ٢ ديسمبر ١٩٢٢م، ونظراً لإبرام المعاهدة والبروتوكولين المذكورين آنفاً طبقاً للعادة من قبل حكومتي العراق ونجد في المادة الأولى في معاهدة المحمرة المذكور بأن يمنع كل منهما عشائره عن التعدي على عشائر الحكومة الأخرى وأن يعاقب كل من الحكومتين من يتعدى عن العشائر التابعة للحكومة الأخرى وأن تتذاكر الحكومتان إذا حالت الظروف دون قيام إحداهما بالتأديب اللائق في إمكان اتخاذ تدابير مشتركة طبقاً للصلات الحسنة السائد بينهما ونظراً لاعتقاد حكومة صاحب الجلالة البريطانية والحكومتين المذكورتين بأنه يحسن فهاتين الحكومتين حرصاً على الصداقة وحسن الصلات بين العراق ونجد وضع اتفاقية بخصوص بعض المسائل المعلقة بينهما.

نحن الموقعين أدناه سلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود والسر جلبرت كلايتون المندوب المفوض من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية والمخول بأن ينوب عن الحكومة العراقية في الاتفاق والتوقيع، قد اتفقنا على المواد الآتية:

المادة الأولى: تعترف كل من دولتي العراق ونجد أن الغزو من قبل العشائر القاطنة في أراضيها على أراضي الدولة الأخرى اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه

عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها، وأن رئيس العشيرة المتعدية يعد مسؤولاً.

المادة الثانية:

أ ـ تؤلف محكمة خاصة بالاتفاق بين حكومتي العراق ونجد تلتئم من حين إلى آخر للنظر في تفاصيل أي تعدي يقع من وراء حدود الدولتين، ولإحصاء الأضرار والخسائر وتعيين المسؤولية، ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساوي من ممثلي حكومتي العراق ونجد، وتعهد رئاستها إلى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين تتفق على اختياره الحكومتان وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونافذة.

ب ـ بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الأضرار أو الخسائر الناشئة عن الغزو وإصدار المحكمة قرارها بذلك تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات العشائر، وبمعاقبة المحكوم عليه كما جاء في المادة الأولى من هذه الاتفاقية.

المادة الثالثة: لا يجوز لعشائر إحدى الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الأخرى إلا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم وبعد موافقة الحكومة الأخرى مع العلم أنه لا يحق لإحدى الحكومتين أن تمتنع عن إعطاء الرخصة أو الموافقة إذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المراعي عملاً بمبدأ حرية المرعى.

المادة الرابعة: تتعهد حكومتا نجد والعراق بأن تتفقا بكل ما لديهما من الوسائل غير الطرد واستعمال القوة في سبيل كل عشيرة أو فخذ من إحدى القطرين إلى الآخر إلا إذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومتهم ورضاهما، وتتعهد الحكومتان بأن تمتنعا عن تقديم الهدايا أياً كان نوعها للملتجئين من البلاد التابعة للحكومة الأخرى، وبأن تنظرا بعين السخط على كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعين للحكومة الأخرى أو تشجيعهم على الانتقال من بلادهم إلى البلاد الأخرى.

المادة الخامسة: ليس لحكومتي العراق ونجد أن يتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشائر الدولة الأخرى في الأمور الرسمية أو السياسية.

المادة السادسة: لا يجوز لقوات العراق ونجد أن تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقب المجرمين إلا برضاء الحكومتين.

المادة السابعة: لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية أولهم رايات تدل على أنهم قواد لقوات مسلحة أن يظهروا راياتهم في أراضي الدولة الأخرى.

المادة الثامنة: إذا طلبت إحدى الحكومتين من عشائرها النازلة في أراضي الدولة الأخرى تجريدات مسلحة، فالعشائر المذكورة أحرار في تلبية دعوة حكومتهم على أن يرحلوا بعائلاتهم وأموالهم بكل سكينة.

المادة التاسعة: إذا انتقلت عشيرة من أراضي إحدى الحكومتين إلى الأراضي التابعة للحكومة الأخرى وشنت الغارات بعد انتقالها على البلاد التي كانت تقطن فيها يحق للحكومة التي تقيم العشيرة في أراضيها أن تأخذ منها ضمانات كافية حتى إذا تكرر منها مثل ذلك الاعتداء تكون هذه الضمانات عرضة للمصادرة وذلك عدى العقاب المنصوص عليه في المادة الأولى، وعدا ما قد تفرضه المحكمة المنصوص عليها في المادة الثانية من هذه الاتفاقية.

المادة العاشرة: تتعهد حكومتا العراق ونجد بأن تقوما بمذكرات ودية لعقد اتفاقية خاصة بشأن تسليم المجرمين طبقاً للعادات المرعية بين الدول المتحابة، وذلك في مدة لا تتجاوز السنة اعتباراً من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة من قبل حكومة العراق.

المادة الحادية عشرة: النص العربي هو النص الرسمي الذي يرجع إليه في تفسير مواد هذه الاتفاقية.

المادة الثانية عشرة: تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية بحرة.

وقعت هذه الاتفاقية في مخيم بحرة في ١٤ من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٤هـ الموافق أول نوفمبر ١٩٢٥م. الإمضاء

وهذه اتفاقية حداء وهي بين نجد وشرقي الأردن

نظراً للعلاقات الودية السائدة بن الحكومة البريطانية السامية من جهة وسلطنة

نجد وملحقاتها من جهة أخرى، ونظراً لرغبتهما في تعيين الحدود بين نجد وشرقي الأردن وتسوية بعض المسائل المتعلقة بذلك اختارت الحكومة البريطانية السامية «السير جلبرت كلايتون» «كي بي أي سي بي سي أم جي» وعينته مندوباً مفوضاً عنها ليعقد اتفاقية في هذا الشأن مع السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود تعاهدا على المواد الآتية:

المادة الأولى: يبتدي الحد بين نجد وشرقي الأردن في الجهة الشمالية الشرقية من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٩ شرقي ودائرة العرض ٣٢ شمالي حيث تنتهي الحدود بين العراق ونجد ويمتد على خط مستقيم إلى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٧ شرقي بدائرة العرض ٣٠/ ٣١ شمالي فيتبع دائرة الطول ٣٧ شرقي إلى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٢٥/ ٣١ شمالي ثم يمتد من هذه النقطة على خط مستقيم إلى نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ شرقي بدائرة العرض ٣٠ شمالي تاركاً ما برز من أطراف وادي سرحان لنجد ثم يتبع دائرة الطول ٣٨ شرقي إلى نقطة تقاطعها بدائرة العرض ٣٥/ ٢٩ شمالي أما الخارطة التي يرجع إليها في هذه الاتفاقية فهي الخارطة المعروفة بالدولية آسيا، مقياس واحد على مليون.

المادة الثانية: تتعهد حكومة نجد بأن لا تقيم أي حصن في أي موضع كان وألا تستعملها والمنطقة في جوارها كنقطة عسكرية، أما إذا رأت حاجة في حين من الأحيان إلى اتخاذ تدابير استثنائية بجوار الحدود للمحافظة على الأمن أو لأي غرض آخر يستوجب حشد القوات العسكرية المسلحة فتتعهد بأن تخبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية بذلك في أقرب وقت وعلاوة على ذلك تتعهد بأن تمنع قواتها من التعدي على أراضي شرقي الأردن بكل ما لديها من الوسائل.

المادة الثالثة: منعاً لسوء التفاهم الذي قد يحصل في الحوادث التي تقع قرب الحدود وتوثيقاً لعرى الثقة المتبادلة بين الطرفين والتعاون الكلي بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة نجد يتفق الطرفان على القيام بمذكرات متواصلة بين المعتمد البريطاني في شرقي الأردن أو مندوبه وبين حاكم وادي سرحان.

المادة الرابعة: تتعهد حكومة نجد بصيانة جميع الحقوق التي تتمتع بها في وادي سرحان القبائل غير التابعة لنجد سواء كانت حقوق الرعي أو السكن أو الملكية أو ما يشبه ذلك من الحقوق الثابتة بشرط أن تخضع تلك القبائل ما دامت نازلة ضمن حدود نجد للقوانين الداخلية التي لا تمس هذه الحقوق وتعامل حكومة شرقي الأردن نفس المعاملة رعايا نجد المتمتعين بحقوق ثابتة في شرقي الأردن شبيهة بالحقوق المذكورة.

المادة الخامسة: تعترف كل من نجد وشرقي الأردن أن الغزو من قبل العشائر القاطنة في أراضيهما على أراضي الحكومة الأخرى، اعتداء يستلزم عقاب مرتكبيه عقاباً صارماً من قبل الحكومة التابعة لها وأن رئيس العشيرة المتعدية يعد مسؤولاً.

المادة السادسة:

أ ـ تؤلف محكمة خاصة بالاتفاق بين حكومتي نجد وشرقي الأردن تلتئم من حين إلى أخر للنظر لي تفاصيل أي تعد يقع من وراء الحدود ولإحصاء الأضرار والخسائر وتعيين المسؤولية ويكون تأليف هذه المحكمة من عدد متساوي من ممثلي حكومتي نجد وشرقي الأردن وتعهد رئاستها إلى شخص آخر من غير الممثلين المذكورين تتفق على اختياره الحكومتان وتكون قرارات هذه المحكمة قطعية ونافذة.

ب ـ بعد تعيين المسؤولية وتحقيق الأضرار والخسائر الناشئة عن الغزو وإصدار المحكمة قرارها بذلك، تقوم الحكومة التابع لها المحكوم عليه بتنفيذ القرار المذكور وفقاً لعادات العشائر بمعاقبة المحكوم عليه كما جاء في المادة الخامسة من هذه الاتفاقية.

المادة السابعة: لا يجوز لعشائر إحدى الحكومتين اجتياز حدود الحكومة الأخرى إلا بعد الحصول على رخصة من حكومتهم وبعد موافقة الحكومة الأخرى مع العلم أنه لا يحق لإحدى الحكومتين أن تمنع عن إعطاء الرخصة أو الموافقة إذا كان السبب في انتقال العشيرة لداعي المرعى عملاً بمبدأ حرية المرعى.

المادة الثامنة: تتعهد حكومتا نجد وشرقي الأردن بأن تقفا بكل ما لديهما من الوسائل غير الطرد واستعمال القوة في سبيل انتقال كل عشيرة أو فخذ من أحد القطرين إلى الآخر إلا إذا جرى هذا الانتقال بمعرفة حكومتهم ورضاها، وتتعهد

الحكومتان بأن تمتنع عن تقديم الهدايا أياً كان نوعها للملتجئين من البلاد التابعة للحكومة الأخرى وبأن تنظرا بعين السخط إلى كل شخص من رعاياهما يسعى لاستجلاب العشائر التابعين للحكومة الأخرى أو تشجيعهم على الانتقال من بلادهم إلى البلاد الأخرى.

المادة التاسعة: ليس لحكومتي نجد وشرقي الأردن أن تتفاوضا مع رؤساء وشيوخ عشائر الحكومة الأخرى في الأمور الرسمية أو السياسية.

المادة العاشرة: لا يجوز لحكومتي نجد وشرقي الأردن أن تتجاوز حدود بعضها البعض بقصد تعقب المجرمين إلا برضا الحكومتين.

المادة الحادية عشرة: لا يجوز لشيوخ العشائر الذين لهم صفة رسمية أولهم رايات تدل على أنهم قواد قوات مسلحة أن يظهروا راياتهم في أراضي الحكومة الأخرى.

المادة الثانية عشرة: على كل من حكومتي نجد وشرقي الأردن أن تمنح حرية المرور لجميع المسافرين والحجاج بشرط أن يخضع هؤلاء للقوانين الخاصة بالسفر والحج المرعية في نجد وشرقي الأردن وعلى كل من هاتين الحكومتين أن تخبر الحكومة الأخرى بأي قانون قد تسنه في هذا الخصوص.

المادة الثالثة عشرة: تتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية أن تضمن حرية المرور في كل حين للتجار من رعايا نجد لقضاء تجارتهم بين نجد وسورية ذهاباً وإياباً وأن تحصل على الإعفاء من الضرائب الجمركية وغيرها لجميع الأموال التي تجتاز منطقة الانتداب في مرورها من نجد إلى سوريا أو من سوريا إلى نجد على أن يخضع التجار وقوافلهم لما قد يلزم من التفتيش الجمركي وأن يكونوا حاملين وثيقة من حكومتهم تشهد أنهم تجار مشروعين، ويشترط أن تتبع القوافل التجارية ذات الأموال المحملة طرقاً معروفة سيتفق عليها فيما بعد للدخول في منطقة الانتداب والخروج منها مع العلم أن هذه القيود لا تسري على القوافل التجارية التي تقتصر تجارتها على الإبل والحيوانات ولا على العشائر التي تنتقل بمقتضى المواد السابقة من هذه الاتفاقية.

وتتعهد حكومة صاحب الجلالة البريطانية بأن تحصل على غير ذلك من التسهيلات الممكنة للتجار من رعايا نجد المارين بمنطقة انتدابها.

المادة الرابعة عشرة: تبقي هذه الاتفاقية نافذة ما دامت حكومة صاحب الجلالة البريطانية مكلفة بالانتداب على شرقي الأردن.

المادة الخامسة عشرة: قد دونت هذه الاتفاقية باللغة الإنكليزية واللغة العربية ووقع كلا الطرفين المتعاقدين نسختين من النص العربي ونسختين من النص الإنكليزي ويكون للنص قيمة رسمية واحدة، ولكن إذا وقع اختلاف بين النصين في تفسير مادة من مواد هذه الاتفاقية فيرجع إلى النص الإنكليزي.

المادة السادسة عشرة: تعرف هذه الاتفاقية باتفاقية حداء، وقعت هذه الاتفاقية في حداء في ١٥من شهر ربيع الثاني ١٣٤٤هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٢٥م.

الإمضاءات

ولما أن حصل الاجتماع بين العاهل العظيم صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود وبين مندوب بريطانيا «جلبرت كلايتون» أظهر ابن سعود أمام المندوب إعجابه بالإنكليز وسعة ملكهم فأجابه قائلاً أن ما ذكرت صحيح ولكن هذا الملك الواسع لم يؤسس إلا في مئات السنين ولكن يحق لنا نحن الإنكليز أن نعجب بك فإنك في ثلاثين سنة قد أسست ملكاً واسعاً وإذا أطرد لك هذا الفتح وهذا التقدم فأظن أنه في نصف المدة التي أسسنا فيها ملكنا تؤسس أنت إمبراطورية مثل أو أكبر من إمبراطوريتنا وهذا ليس ببعيد إذا ساعدتكم تصرفات الزمان وأخذتم أنتم سنن التقدم فإن أسلافكم العرب قد شيدوا إمبراطورية عظيمة في مدة قصيرة جداً لم يعرف التاريخ مثلها.

ذكر تسليم المدينة المنورة

رجعنا إلى ذكر الحرب وما أصبح فيه الشريف علي، لما اشتدت الضائقة المالية به ويقومه حتى أضطر الملك علي لبيع سيفه وملبوساته لتأمين نفقة بيته، وأخذ

رجال حكومته يتشاورون معه فيما ينبغي عمله، وتوالت البرقيات من حامية المدينة بطلب الأرزاق اللازمة للجند وإلا اضطروا إلى التسليم فضاقت عليه الأرض بما رحبت ولم يجد ما يجيبهم به غير المطل والتسويف فبعث أمير المدينة «الشريف شحات» رسولاً إلى جلالة الملك عبدالعزيز في بحرة واسم الرسول «مصطفى عبدالعالي» بكتاب يعرض فيه التسليم على شرط أن يؤمن الأهلون والموظفون على أرواحهم وأموالهم ثم يسأل السلطان أن يرسل أحد أفراد العائلة السعودية لهذه الغاية فعاد السلطان إلى مكة وجهز نجله الأمير محمداً فزحف بفرقة من الجند إلى المدينة في ٢٣ ربيع الثاني ودنا من أسوارها فلما عرض على الحكومة والأهالي ما كان قادماً من أجله أبت قيادة الحامية التسلم لأنها كانت تنتظر المدد من جده، وقد أبرقت في ٥ جمادى الأولى إلى جلالة علي الشريف تقول الذي يهمنا الأرزاق للجند وعدتمونا بإرسال الدراهم المتيسرة بالطيارة وإلى الآن لم نرى أثراً لها دبروا وأرسلوا لنا دراهم ولو بيع إحدى البواخر فترون منا ما يسركم.

وكان الأمير محمد بن عبدالعزيز يشدد الحصار على المدينة بدون قتال عملاً بأوامر والده، فلما كان في ١٣ من هذا الشهر أبرقت القيادة إلى جلالة الملك علي بجدة تقول انقضى الأمر ولم يبق في اليد حيلة، الجنود ما عندهم أرزاق إلا لثلاثة أيام إذا لم تصل الطيارة غداً الظهر فسنفاوض العدو.   الإمضاءات

عزت عبدالله عمير، عبدالمجيد حمد

فجاء الجواب أنه يستحيل إرسال الطيارة قبل عشرة أيام لعدم وجود بنزين ثم مرت الأيام الثلاثة فنفدت مؤونة الحامية ومع ذلك فقد صبر الجنود ثلاثة أيام أخرى ثم في صباح الجمعة اضطر قائد حامية المدينة المنورة عبدالمجيد المدفعي، ورئيس ديوان الإمارة عبدالله عمير، وعزت أفندي مدير الخط الحجازي إلى مفاوضة الأمير محمد بن عبدالعزيز بكتاب طلبوا فيه ملاقاته فأرسل الأمير خيالة لاستقبالهم وقد فاوضوه بالتسليم على شرط أن يعطى الجنود والضباط والأهالي الأمان ويعلن العفو العام.

ولما كان في صباح اليوم ١٩ من جمادى الأولى الموافق ليوم السبت ٥ ديسمبر ١٩٢٥م، سلمت المدينة المنورة بعد حصار دام عشرة أشهر واستراح أهلها من الحصار ودخلت تحت ولاية ابن سعود وقد استقبل أهلها الأمير محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود فدخلها وأم المسجد النبوي فصلى وسلم على قبر رسول الله ﷺ وقبري صاحبيه ثم غادر المسجد إلى دار الحكومة وبعد التحية والاستقبال وزع على أهلها ألف كيس من الأرز وألفي كيس من الدقيق بعث بها صاحب الجلالة والده إسعافاً لهم من المجاعة التي ذاقوا مرارتها وقت الحصار.

ذكر ما جرى على أهل جدة من الضيق وانحلال الحكومة الهاشمية

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، وقال جل ذكره: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]، وقال عز من قائل: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]، فنقول عم أهلها ضيق وعسر وشدة وانسدت منافذها من كل الوجوه وأصبح أهل جدة قد عمهم الضنك والبؤس وازداد العسر من كل الوجوه فكانوا في شر حال قد ضرب البوار أطنابه في الجنود وأصبحوا لا مال ولا ذخيرة ولا زاد يكفي لحفظ جند ولا مال في الأسواق ولا آمال تروح القلوب، وإذا كان الحجاز على ما يعمله كل من له دراية به مورده الحجاج فيه يعيش وبه يتحرك ويقوم فما بالك بأمة لم تروجه الحاج سنة ونصفاً وانقطعت عنها الأسباب وامتنع عنها ورود الرزق كيف تكون حالتها وكيف تعيش أمة هذه حالتها وصفتها على أن الملك علياً لم ينظر إلى هذا كله بل لبث ينهب أموال الأهالي من أرزاق ودراهم وخشب، فيوماً ترى الضرائب، ويوماً ترى طلب الأرزاق إجبارياً، وطوراً يكلف الأمة أن تشتري ما تركه أبوه من عقار وأثاث، وهكذا تتشكل الضرائب على اختلاف أنواعها حتى أفقر الأمة وجعلها في حالة يرثى لها فترى البعض من أهل الطبقة الوسطى يجول في

الشوارع طالباً ما يمسك الرمق ويسد الخلة، فكيف الفقراء الضعاف مع أن لدى وزرائه ورؤساء ديوانه المال الذي يكفيه هو وجنوده فلو أخذ منهم لما وقع عليه اللوم لأنهم لم يغتنوا إلا منه ولم يربحوا إلا باسمه.

ولما قلت المرتبات على الجند بدأ يقترض من التجار ثم لما أقرضوا ولم يوفوا ديونهم أبوا أن يقرضوا، ولما لم يجد الجند ما يسد به حاجته قاموا ينهبون كل ما يجدونه أمامهم ثم وجهوا قوتهم إلى محال الناس الخالية من السكان فكسروها وأخذوا أخشابها مما تحتويه من سقف وجدر وأرض وباعوها حتى خربوا محلات تبلغ قيمتها عشرين ألف جنيه وبعد ما نفد ما لدى الجند ولم يروا حيلة يقدرون عليها شرعوا يشحذون فتراهم في الشوارع زرافات ووحداناً، ثم طالبوا ولاة أمورهم بمرتبهم فلم يلبوا فصاحوا وناحوا فلم يجابوا، فلما ضاقت صدورهم توجهوا بسلاحهم إلى دار الملك علي وبدءوا يطلقون الرصاص ليرهبوه وذلك بعد ما اضطر لبيع سيفه وملبوساته لتأمين نفقة بيته فخاف الملك ونزل إليهم ووعدهم لمدة أسبوع ولكنه لم يف فثار الجند من الجبهة الحربية في ١٣ جمادى الأولى ودخلوا البلدة وجالوا في الأسواق يطلقون الرصاص فهاجت الأهالي وماجت فبين فار ومختبئ وبين واقف يشاهد ما وصلت إليه الحالة، ثم دخلوا المسجد وأغلقوا الأبواب وأخرجوا البنادق من المنافذ فأتاهم وزير الحربية تحسين باشا الفقير فهددوه بالقتل فتوسطت قناصل الدول في المسألة وأخيراً أتى إليهم الملك علي وأرضاهم على أن يسافروا إلى بلادهم فسافروا.

فسبحان القادر الذي له الأمر كله وله الحكم كله وبيده تدابير الأشياء، وهذه والله حالة يعجب لها غير أن الأمور مرهونة لأوقاتها ولو أنهم إذ وصلوا إلى تلك المشقة خرجوا وسلموا للمتغلب إذ لا محيد لهم عن ذلك لاستراحوا، غير أن الله وهو الحكيم في أمره وخلقه يرينا ذلك ويسمعنا لنعتبر ونعترف له بالوحدانية في التدبير، ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر:٢]، هذا والجنود النجدية قابعة في مكانها تدافع وتناضل غير وجلة ولا مشاغبة راضية بما يفعله ولاة أمرها.

ولقد كان العسر والمجاعة التي خيمت بين بيوت أهل جدة أشد عليهم من الحرب وكادت الأرزاق أن تنفد، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ثم أعلن صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن العفو العام وهو كل من كان في خدمة الحسين أو غيره هو في أمان الله إذا أراد أن يرجع إلى مكة.

وبما أن الطريق انفتحت بين أم القرى وجدة فقد أخذ يزداد عدد الفارين عن طريق الليث، ورابغ إلى أم القرى ونفر الجند إلى التمرد والعصيان خصوصاً من ضباط وجنود إذا هم أحبوا الخروج إلى معسكره، وعرض فوق ذلك المساعدة المالية على من أحب منهم السفر إلى وطنه وكان لهذا البلاغ التأثير السريع المطلوب فسرحت القيادة الهاشمية عدداً كبيراً من الجنود الفلسطينيين وسافروا إلى العقبة وعاد الإخوان إلى معسكرهم في الرغامة وفي سفح الجبال بأمر السلطان عبدالعزيز يقودهم أخوه عبدالله وابنه الأمير فيصل.

وكان صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن كثيراً ما يقول في مجالسه الحربية التي كان يحضرها أمراء الجيش والعلماء، ثلاثة أخرتني عن الهجوم وحملتني على تفضيل الحصار على القتال وهي: الحرص على جنودي، والمحافظة على الأجانب، والفرصة المنتظرة، أضف إلى ذلك ثقته بالنتيجة المرغوبة فيما أقدم عليه كيف وقد دنت تلك الفرصة وحان وقتها، فوا أسفاً للملك علي هذه فرص النصر تنقص يوماً فيوماً والإخوان قد طوقوا بلاد جدة وجنوده يهددونه ويطالبونه بالنفقة فهل يجيء هذا اليوم بالسلم، أم بالهجوم العام هيهات لا مفر ولا محيص أين من يكشف الغمة إذ ليس في وسع أحد أن يجيب السؤال غير واحد في القيادة العامة كلها، ألا وهو السلطان عبدالعزيز فلا تسأل عن حالة علي فقد كانت حواسه في اضطراب دائم وأعصابه في هياج مستمر مما كان يسمعه ويشاهده في قصره وفي حكومته وفي جنده وفي بلده كل يوم بل كل ساعة فلم ير مهرباً والحالة هذه من ذلك العمل الأخير الذي فيه راحة باله في الأقل وصون صحته وشرفه، ففكر في هذا الأسبوع ورأى أن جميع المصائب التي حلت به وبأبيه إنما جاءت من قبل أخيه عبدالله الذي

كان يزين لأبيه محاربة ابن سعود وقومه والاستخفاف بهم وهو الذي قال بضرورة إبعاد الحسين عن العقبة وزين له إبعاده أيضاً عن البحر الأحمر وتبين له أنه لم يقصد إلا تثبيت العقبة لنفسه، ورأى أن أخاه الثاني فيصل كان يدعو إلى مسالمة ابن سعود وينقم على سياسة والده وأخيه عبدالله ويتنبأ بكل ما حصل، وقد صارح والده بحقيقة الإنكليز وأنه لا أمل في مساعدتهم له.

ولقد حنق علي على أخويه عبدالله وفيصل لعدم اهتمامهما بأمره وتقصيرهما في إمداده بالمال اللازم لبلدتين صغيرتين هما المدينة، وجدة إذ الواجب يقضي على أخويه بمساعدته ولو من مالهما الخاص إن لم يكن في خزينة الدولة ما يؤمن حربهما، وجعل يفكر ماذا يكون مصيره إذا هو سلم البلاد لخصمه وأين يقيم ومن أين ينفق على أهله إذ لا يوجد لديه من حطام الدنيا ما يمكن أن يعتمد عليه، أيسلم نفسه إلى خصمه ابن سعود، إنها لكبيرة عليه فالموت أحب إليه أم يذهب إلى أبيه وهو أشبه بأسير في يد الإنكليز، أم يذهب إلى أخويه وقد ضنا عليه بالمساعدة في كل شيء، ثم دعا برجال حكومته واعترف أمامهم ببعد نظر أخيه فيصل وأنه قرر أن يبرق له يستفتيه في الموضوع فجاءه الرد منه يدعوه إلى تشريف العراق إلى أن تنجلي السحب وتتحسن الأحوال فتلى عليهم البرقية وأخبرهم أنه لذلك قرر السفر إلى العراق، فلما كان في مساء الثلاثاء الموافق ٢٩ جمادى الأولى جاء إلى دار الاعتماد البريطاني يعرض على المعتمد البريطاني أن يتوسط في الصلح حقناً للدماء ودفعاً للعسر المستحوذ على البلد والأهالي ثم ذكر له شروط الصلح والباعث له على ذلك أنه لم ير بدأ من التسليم فقبل المعتمد البريطاني هذه المهمة وأبرق إلى حكومته في الحال يستأذنها بالتوسط وبعد أن أخذ الرخصة من حكومته أرسل أحد موظفي دائرته واسمه «منشي إحسان الله» بكتاب إلى السلطان عبدالعزيز، وكان السلطان قد خرج في ظهر اليوم ٣٠ من جمادى الأولى من مكة قاصداً مقره الحربي في الرغامة قد امتطى سيارته وتبعته الحاشية وفصيلة من الجند، فلما كان في منتصف الطريق التقى بسيارة قادمة من جدة وهي تنشر العلم البريطاني وفيها

رجل يلوح بالعلم الأبيض فوقفت سيارة السلطان ونزل الرجل من سيارته فإذا هو رسول المعتمد يحمل هذا الكتاب وإليك نصه:

عدد ٢٥ جدة في ١٦ ديسمبر ١٩٢٥م:

حضرة صاحب العظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود سلطان نجد بعد الاحترام مراعاة للإنسانية ولأجل تسهيل عودة السلام والرفاهية في الحجاز أكون مسروراً إذا تفضلتم عظمتكم بالموافقة على مقابلتي في الرغامة غداً يوم الخميس قبل الظهر أو بعد ذلك بأسرع ما يمكن هذا وتفضلوا بقبول وافر التحية وعظيم الاحترام.

نائب معتمد وقنصل بريطانية العظمى ـ وكيل قنصل جوردن

فلما وصل السلطان إلى الرغامة أجاب بهذا الجواب: الرغامة ٣٠ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ.

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى سعادة المعتمد البريطاني «المستر جوردن» المفخم تحية وسلاماً قد تناولت كتابكم المؤرخ في ١٦ ديسمبر ١٩٢٥م وفهمت ما تضمنه وقد حضرنا لمقابلتكم في المحل الذي يخبركم به «المنشي إحسان الله» هذا وتقبلوا فائق احتراماتي. الختم السلطان.

سمع بعض الأهالي عن وساطة القنصل الإنكليزي في الأمر فأبوا ذلك وذهبوا لدار علي واحتجوا وطلبوا أن يسلمهم البلاد وهم يسلمونها لابن سعود ولا دخل ولا وساطة لأجنبي في بلادهم فوعدهم وأخلف.

ولما كان صباح الخميس من الغد غرة جمادى الثانية في الساعة العاشرة وصل المعتمد البريطاني إلى مقر السلطان في الرغامة موضع الاجتماع وبعد ما تشرف بمقابلة السلطان قال بعد التحية: أن الحكومة البريطانية لا تزال مقيمة على الحياد في قضية الحجاز ولكنه بالنظر إلى ما تجسم من حالة جدة وبالنظر لمعرفة أن عظمتكم يفضل السلم على الحرب ويرغب في راحة المسلمين وحقن دماء الأجانب فبناء على طلب الملك علي وحكومته التسليم أتوسط في تقديم شروطه وهذا لغاية إنسانية صافية، فلما ألقيت الشروط بين يديه أقرها بعد التعديل في شيء منها.

اتفاقية تسليم جدة في سبعة عشر تعهداً نسجلها أمام القارئ:

١- بالنظر لتنازل الملك علي ومبارحته للحجاز وتسليم بلدة جدة يضمن السلطان عبدالعزيز لكل الموظفين الملكيين والحربيين، والأشراف وأهالي جدة عموماً والعرب والسكان القبائل سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم.

٢- يتعهد الملك علي أن يسلم في الحال أسرى الحرب الموجودين بجدة إن وجد.

٣- يتعهد السلطان عبدالعزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين أعلاه.

٤- يجب على جميع الضباط والعساكر أن يسلموا في الحال إلى السلطان عبدالعزيز جميع أسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطيارات وخلافه وجميع المهمات الحربية.

٥- يتعهد الملك علي وجميع ضباطه بأن لا يخربوا أو يتصرفوا في أي شيء من الأسلحة والمهمات الحربية جميعها.

٦- يتعهد السلطان عبدالعزيز بأن يرحل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة إلى أوطانهم ويتعهد بإعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم.

٧- يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة مبلغ خمسة آلاف جنيه.

٨- يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يبقي جميع موظفي الحكومة الملكيين الذين يجد فيهم الكفاءة في تأدية واجباتهم بأمانة في مراكزهم.

٩- يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح الملك علي في أن يأخذ معه من الأمتعة الشخصية التي في حوزته بما في ذلك سيارته وسجاجيده وخيوله.

١٠- يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز بشرط أن هذه الممتلكات تكون فعلاً من الورثة ولا تشتمل على الأملاك الثابتة المحولة من الأوقاف بمعرفة الحسين إلى شخصه ولا على المباني التي يكون الحسين قد بناها في أثناء ملكه لما كان ملكاً على الحجاز.

١١- يتعهد الملك علي أن يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساءً.

١٢- جميع البواخر التي في ملك الحجاز وهي الطويل، ورشدي، والرقمتين، ورضوى، تصير ملكاً للسلطان عبدالعزيز ولكن السلطان يسمح إن لزم الأمر للباخرة «رقمتين» أن تستعمل لنقل الأمتعة الشخصية التابعة للملك علي المتنازل ثم ترجع.

١٣- يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة بأن لا يبيعوا أو يخربوا أي شيء من أملاك الحكومة مثل اللنشات والسنابيك وخلافه.

١٤ـ يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين بينبع الحقوق والامتيازات المذكورة سابقاً إلا فيما يختص بتوزيع النقود.

١٥ـ يتعهد السلطان عبدالعزيز أن يمنح العفو للأشخاص المذكورة أسمائهم أدناه أيضاً ضمن العفو العام، وهم عبدالوهاب، ومحسن، وبكري أبناء يحيى قزاز، والشيخ محمد علي صالح بتاوي وإخوانه إبراهيم، وعبدالرحمن بتاوي أبناء محمد علي صالح بتاوي، وأبنائهم وأبناء عمهم حسن، وزين بتاوي، وأبناء محمد نور، والشيخ يوسف خشيرم، والشيخ عباس ولد يوسف خشيرم، والشيخ ياسين بسيوني، والسيد أحمد السقاف وعائلات وأموال جميع المذكورين آنفاً.

١٦ـ إن كان الملك علي أو رجاله في حال من الأحوال يخالفون أو يقصرون في تنفيذ أي مادة من المواد التي تقدم ذكرها فإن السلطان عبدالعزيز لا يعتبر نفسه في تلك الحالة مسؤولاً عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية.

١٧ـ يتعهد الطرفان السلطان عبدالعزيز والملك علي أن يكف عن أي حركة عدائية أثناء سير هذه المفاوضات.

الخميس في ١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٢٥م.

الإمضاءات

أمضى هذه الاتفاقية السلطان في عصر اليوم المذكور وأمضاها علي مساءً في الساعة السادسة ليلاً، واعتبرت نافذة المفعول من ذلك الوقت، ثم مضى بعد هذه الاتفاقية ثلاثة أيام هادئة قد سادت الطمأنينة فيها.

ولما كان في صباح يوم الأحد الموافق ٤ جمادى الثانية ركب الشريف علي زورقاً إلى الباخرة «كورن فلاور» التي أقلت والده من العقبة إلى قبرص، وعاد المعتمد في مساء ذلك اليوم إلى الرغامة ليخبر السلطان بأن الأمير علياً في الباخرة وأنه قرر السفر إلى عدن ومنها إلى العراق، ثم إنه أحضر من الغد صباحاً «عبدالله زينل» قائم مقام جدة، وكان قد جعله علي الشريف رئيساً للحكومة المؤقتة، وأحضر أيضاً رئيس العسكرية الضابط «صادق» فخاطب السلطان قائلاً: إن مهمته في التوسط قد انتهت وأنه يقدم رئيس الملكية، ورئيس العسكرية ليكونا مسؤولين أمام عظمته، ثم عاد الوكيل إلى جدة وظل الرئيسان عند السلطان للمذاكرة في تسليم ممتلكات الحكومة.

وقد كتب علي الشريف أشعار لقناصل الدول عن سفره وهذا نص ما كتبه، معتمد بريطانيا، معتمد السوفيت، قنصل إيطاليا، قنصل فرنسا، قنصل هولندا، قنصل إيران، قنصل مصر:

حضرة صاحب السعادة بعد التحية التكريم حباً للسلامة وصيانة الأموال والأرواح وحقناً للدماء وتقصيراً لمدة الحرب التي نال البلاد منها شقاء وخراباً وعناء رجحت الانسحاب وقررت السفر من جدة يوم الثلاثاء الموافق ٦ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ الموافق ديسمبر ١٩٢٥م، وشكلت حكومة مؤقتة أهلية لإدارة الشؤون والأمور تحت رئاسة قائم مقام جدة الشيخ «عبدالله علي رضا» مع بقاء كبار الموظفين والأهلين ولإحاطة علم سعادتكم سارعنا بتحرير ٣ جمادى الآخر ٤٤، علي ثم إنه نشر منشوراً عند سفره ذكر في هذا المنشور خطته في هذه الحرب ونحن نسوقه بحروفه، «المنشور»:

إلى جيشي الباسل وشعبي الكريم إني أحمد الله حمداً كثيراً وأشكره شكراً جزيلاً في السراء والضراء منذ تشرفت بالقدوم إلى هذه البلاد المقدسة مع جلالة والدي حرسه الله، وأنا أعتبر نفسي فرداً من أفرادها العاملين لخدمة وطني وبلادي وعندما قضت إرادته جل شأنه بتحول مركز البلاد من الحكومية إلى الحاكمية بنهضتها المعلومة التي نالت بها استقلالها التام ودخلت في صفوف الدول

المستقلة من الحقوق في الداخل والخارج بفضل جهاد أبنائها وما سفكوه فيها من الدماء الغالية كنت متنقلاً في فيافيها وصحاريها مفارقاً لأهلي وأولادي مدة بعد مدة وفرقة أشر فرقة مجاهداً كجندي يؤدي واجباته لوطنه وبلاده وعامل لطمأنينتها وراحة سكانها متبعاً كل مسلك يوصل إلى الوفاق والاتفاق والاتحاد ما استطعت يعلم كل ذوي الفنون العالية من ذوي الاختصاص في الداخل حتى جاء اليوم الذي تنازل فيه جلالة والدي عن الأمر فكلفتموني بتولي الأمر بعده في ذلك اليوم العصيب والخطب العظيم والعدو على الأبواب وأصررتم علي كل الإصرار بالقبول ورغماً عن إرادتي لعدم قبول هذا الأمر وتحمل أعبائه الثقيلة الخطيرة لما عرفته من فقدان كل الوسائل اللازمة لمثل هذا الموقف الشريف الرهيب وتكرر رفضي لتوليه، قبلته مستعيناً بحوله تعالى وقوته قياماً بواجبي أمام بلادي وأهل بلادي ووطني وشعبي الكريم ومعتمداً على غيرتكم وحبكم لبلادكم وتعهدكم بمعاضدتي ومساعدتي بالمادة والمعنى ونهضت مستمداً من لدن العزة الأحدية العون والتوفيق مشمراً عن ساعدي الجد مرتدياً برداء الثبات والصبر وأعددت للحرب عدتها وأحضرت كلما في إمكاني مما رأيتموه من جند وأسلحة وسهرت الليالي الطوال وصابرة هذا الحرب وما انتابها من العقبات داخلاً وخارجاً حتى فزتم والحمد لله وانهزم عدوكم من عموم ساحات القتال التي نازلكم فيها بفضل ثبات وجهاد جندكم الباسل الصادق الأمين وصبرتم يا أهل هذه البلاد معي على الكوارث وشاطرتموني في ويلاتها ومشاقها وشقاقها وخسائرها مما جعلني مديوناً لواجبكم إلى الممات ومسارعاً لإزالة هذه الحالة السيئة التي سببها العدو والذي لا ناقة له فيها ولا جمل.

وبعد أن حاولت قطعها بكل الوسائل السلمية ولم يرد عدوكم إلا أن يتملككم ويغتصب بلادكم ويقضي على استقلالكم صممت على التجاوز على عدوكم لإخراجه من بلادكم وقطع دابر هذه الحرب التي جعلت البلاد في حالة البؤس والشقاء لكن نفد كل ما في اليد من المال مما أملكه وأعنتموني وجلالة

والدي به، واستهلك كلما في القدرة والمستطاع ولم نجد مساعداً على دفاعنا عن أوطاننا وبلادنا، وحرم الله المقدس، وقبر نبيه الشريف، مما حل بها لا بالمال ولا بالعمل بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات:٩]، إلى آخر الأمر الذي أزعجني عن إتمام واجبي أمام الله، وأمامكم وأمام جندكم الباسل وأمام بلادي العزيزة ووطني الشريف المقدس، فها أن اليوم مضطر لأن أصرح لكم بأن لهذه الاعتبارات، وحباً في رفع ما سببته هذه الحرب الضروري من الضرر والوبال على البلاد وحقنا لما تسببه لو طالت من سفك الدماء والأنفس الغالية وفتحا للباب الذي أو صد بسببها في وجه الوفاد والقصاد رجحت الانسحاب من الحرب، ودخلت في مفاوضة تضمن السلام وتصون الحقوق لكم جميعاً، فكونوا على معلوم، فآمركم وأرجوكم تطبيق كل ما جرى عليه القرار وتنفيذه لحفظ السكينة والحقوق العمومية والشخصية، وإني أرجو لكم مستقبلاً حميداً وراجياً منكم الصفح عن الزلات والخطأ والهفوات، وإني أشكركم من صميم فؤادي وخصوصاً من وقف إلى الآن بهذه البلدة التي لها الصفحة البيضاء في تاريخها المجيد، بل الأمة العربية أجمع تشكركم على ثباتكم الشريف ووقوفكم الحميد ونضالكم الحسن دون استقلال بلادكم وتمتع شعبكم وتطلبكم في قضيتكم المقدسة التي لا تنسى لكم بين دفتي التاريخ، تلك القضية التي ستبقى لكم لؤلؤة بيضاء تلمع في جبين الدهر وجوهرة نقية تضيء في تاج هذا العصر، ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا، وقد شكلت حكومة مؤقتة أهلية للنظر في الأمور، يرأسها قائم مقام «الشيخ عبدالله زينل» مع بقاء جميع كبار الوظفين الأهليين.

نسأله تعالى أن يلطف بنا وبعباده المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أنه على ما يشاء قدير وإني أستودعكم الله وأودعكم بعينه التي لا تنام وقد قمت بواجبي والله ولي ووليكم في كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

علي بن الحسين

ثم أبحرت الباخرة «كورن فلاور» في صباح يوم الثلاثاء الموافق ٦ جمادى الثانية تقل علي بن الحسين إلى المنفى الذي اختاره لنفسه، هذه آخرة الحسين وآله من الحجاز، فسبحان من لا انقضاء لملكه ولا نهاية لأبديته.

فيا عجب لتصرم الليالي والأيام ومداولتها الملوك والحكام، تالله إنها لعبرةً لمن له أذن واعيه وآية يتفكر فيها من نفسه لله خاشية.

رجعنا إلى ذكر ابن سعود وما ألان الله له الصعوبات، ولله الحكمة البالغة والحجة الدامغة وهو أعلم حيث يجعل رسالاته إذ هو الحكيم العليم، ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيٍّ عن بينة وأن الله لسميع عليم﴾، ولقد ظهرت محاسن نوايا ابن سعود وما تكنه نفسه الطيبة من مكارم الأخلاق ومعالي الشيم بحيث لو أتاه علي بن الحسين سامعاً مطيعاً يدين له بالإخلاص والوفاء لأقره على إمارته أو لجعله موضع الإكرام، كما عامل أمراء آل رشيد وعسير وغيرهم من الأعداء الذين غمرهم بمعروفه وعطفه، حتى ملك قلوبهم وستر عيوبهم.

ذكر ما جرى من التدابير بعد فتح جدة

في صباح يوم الثلاثاء الموافق ٦/ ٦ أرسل عظمة السلطان طليعة من جيشه إلى جدة وهم عبدالعزيز العتيبي، ويوسف ياسين، وخالد الحكيم، وحسن بك، وفقي، فاستلموا ما نصت عليه الاتفاقية ومن الغد أعني ٧ منه نقل الإمام عبدالعزيز من الرغامة إلى الكندرة، وكان قد تقدمه فريق من جند المشاة ورهط من الخيالة بقيادة أخيه عبدالله بن عبدالرحمن، وكان موضع الكندرة محلاً داخل الأسلاك الشائكة بالقرب من البلدة، فرفع العلم السعودي وأطلق مائة مدفع ومدفع تحية البلاد واستقبله الأهلون يهرعون وقناصل الدول، ثم جلس السلطان عبدالعزيز للوفود المسلمين والمهنئين في ذلك السرادق الذي أعده الأهالي بجهة الكندرة لاستقبال عظمته، وأخذ رئيس الحكومة المؤقتة «عبدالله زينل» يقدم لعظمته قناصل الدول ومندوبي الشركات الأجنبية، ثم ضباط الجند ثم أعيان المدينة، وقد تكلم قنصل إيطاليا «السنيور فارس» باللغة العربية مهنئاً السلطان بهذا الكلام.

نظراً لكوني كبير القناصل سناً تقدم بالنيابة عن نفسي وبالوكالة عن رفاقي بتقديم تهنئتنا لعظمتكم بدخولكم جدة في هذه الطريقة السلمية التي حقنت بها الدماء ونتمنى لعظمتكم التوفيق الدائم والسعادة، فأجابه السلطان قائلاً أنه لم يبطئ في الأعمال الحربية ألا لهذه النتائج السلمية، ثم شكر للمعتمد البريطاني مسعاه وأعرب للقناصل عن سروره بما كان من موقفهم في الانقلاب الأخير فتم سلماً كما تمناه، ثم أقام بقية يومه في الكندرة ودخل جدة في صباح الخميس الموافق ٨ من الشهر المذكور ونزل في دار الوجيه العالم الشيخ «محمد نصيف» وهرع له الأهلون أفواجاً أفواجاً لمقابلته وألقت الخطباء أمامه الخطب والأناشيد، وكان ما بين يوم إشرافه على الرغامة للحرب ويوم دخولها تحت رعايته سنة واحدة كاملة، ثم إنه باشر العمل بعد ذلك في إعادة اليسر والطمأنينة إلى الحجاز، وفاه عظمته عن رأيه نحو البلاد ودعى الناس إلى الوئام، ثم نشر هذا المنشور.

بسم الله الرحمن الرحيم

«بلاغ عام»

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل السعود إلى إخواننا أهل الحجاز سلمهم الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإني أحمد الله إليكم وحده الذي صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأهنئكم وأهني نفسي بما من الله به علينا وعليكم من هذا الفتح الذي أزال الله به الشر وحقن دماء المسلمين وحفظ أموالهم وأرجو من الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويجعلنا وإياكم من أنصار دينه ومتبعي هداه.

إخواني تفهمون أني بذلت جهدي وما تحت يدي في تخليص الحجاز لراحة أهله وأمن الوافدين إليه طاعة لأمر الله قال جل من قائل: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ

بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الحج:٢٥]، ولقد كان من فضل الله علينا وعلى الناس أن ساد السكون والأمن في الحجاز من أقصاه إلى أقصاه بعد هذه المدة الطويلة التي ذاق الناس فيها ضر الحياة وأتعابها ولما منَّ الله بما منَّ من الفتح السلمي الذي كنا ننتظره ونتوخاه أعلنت العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد، وأما الجرائم الأخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعي لينظر بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو، وإني أبشركم بحول الله وقوته أن بلد الله الحرام في إقبال وخير وأمن وراحة، وإنني إن شاء الله تعالى سأبذل جهدي فيما يؤمن البلاد المقدسة ويجلب الراحة والاطمئنان لها، لقد مضى يوم القول ووصلنا إلى يوم البدء في العمل فأوصيكم ونفسي بتقوى الله واتباع مرضاته والحث على طاعته فإنه من تمسك بالله كفاه ومن عاداه والعياذ بالله باء بالخيبة والخذلان، إن لكم علينا حقوقاً، ولنا عليكم حقوق، فمن حقوقكم علينا النصح لكم في الباطن والظاهر واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم إلا بحق الشريعة، وحقنا عليكم المناصحة، والمسلم مرآة أخيه، فمن رأى منكم منكراً في أمر دينه ودنياه فليناصحنا فيه، فإن كان في الدين فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول إن شاء الله للجميع على السواء.

إن البلاد لا يصلحها غير الأمن والسكون لذلك أطلب من الجميع أن يخلدوا للراحة والطمأنينة، وإني أحذر الجميع من نزغات الشياطين والاسترسال وراء الأهواء التي ينتج عنها إفساد الأمن في هذه الديار فإني لا أراعي في هذا الباب صغيراً ولا كبيراً وليحذر كل إنسان أن تكون العبرة فيه لغيره، هذا ما يتعلق بأمر اليوم الحاضر، وأما مستقبل البلد فلا بد لتقريره في مؤتمر يشترك المسلمون فينا فيه مع أهل الحجاز لينظروا في مستقبل الحجاز ومصالحها، وإني أسأل الله أن يعيننا جميعا ويوفقنا لما فيه الخير والسداد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
تحريراً بجدة في ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٤٤هـ

عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود

لقد دعا جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لتقرير مصير الحجاز العالم

الإسلامي، وكررها مراراً ثم عززها في ١٠ربيع الثاني من هذه السنة بكتاب خاص أرسله إلى الحكومات والشعوب الإسلامية فكانت صرخة في واد لم يلبها أحد غير فريق من مسلمي الهند وجمعية الخلافة هناك، ولكن أولئك يريدون للحجاز مالا يريده أهله ولا يوافق عليه الحجازيون فما كان هذا الرأي مقبولاً لدى الشريفيين ولا السعوديين، بل الحجاز للحجازيين هي كلمة الجميع.

ولما أن أحب أهل الحجاز ابن سعود ووجدوا لديه أسمى الأخلاق وأكملها وذاقوا حلاوة الحرية كان يقض مضاجعهم ما يسمعونه من نشراته للعالم الإسلامي يدعوهم إلى عقد مؤتمر يقرر مصير الحجاز لذلك قام الأعيان من أهالي جدة ورؤسائها وذهبوا إلى مكة المكرمة فاتفقوا بأعيانها ورؤسائها وجرت مفاوضة اتفقوا في آخرها على بيعة ابن سعود بأن يكون ملكاً على الحجاز لكلماته الخالدة وهي: أنا منكم وأنتم مني، أنا بذمتكم وأنتم بذمتي، وقوله: «إن أهل مكة أدرى بشعابها» فأنتم أعلم ببلادكم من البعيدين عنه وما أرى لكم أحسن من أن تلقى مسؤوليات الأعمال على عواتقكم، وخافوا من أحكام المعاهدة التي بينه وبين بريطانيا أن تمس بالحجاز وهم يريدون استقلاله عن الإنكليز، وبعدما اتفقوا بالسلطان أعربوا له عن ما تكنه ضمائرهم فقرر بأن يكون ملكاً على الحجاز وسلطان على نجد وملحقاتها، فأذاع ابن سعود ذلك وبعثه بلاغاً رسمياً ذكر فيه ما معناه بأنه قد بلغ القاصي والداني ما كان من أمر الحسين وأولاده الأمر الذي اضطرنا إلى امتشاق الحسام دفاعاً عن أرواحنا وأوطاننا ودفاعاً عن حرمات الله ومحارمه، وبعدما بذلت النفس والنفيس في هذا السبيل يسر الله فتح البلاد واستتب الأمن فيها، وبعدما أذعت غير مرة للحكوم الإسلامية ونشرت كتاباً في سائر صحف العالم ومضى مدة لم أتلق جواباً من أحد جاءني أهل الحجاز جماعات ووحدانا يطلبون مني أن أمنحهم حريتهم التي وعدتهم بها في تقرير مصيرهم فلم يسعني أمام طلباتهم المتكررة إلا أن أمنحهم هذه الحرية ليقرروا في شأن بلادهم ما يشتهون بعدما ظهر من العالم الإسلامي هذا الصد والإعراض وأمضى عليه.

مؤرخاً في ٢٢ جمادى الثانية من هذه السنة

ذكر البيعة والنداء لابن سعود في العالم بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها

لما تألف لجنة من أعيان أهل جدة عددها عشرون وسافروا إلى مكة واجتمعوا هناك بلجنة من أهلها عددها ثلاثون، عقد أعضاء اللجنتين في ٢٢ من جمادى الثانية مجلساً قرروا فيه باجتماع الرأي مبايعة السلطان عبدالعزيز ملكاً على الحجاز واتفقوا على شروط البيعة ونصها ثم قدموها إلى عظمة السلطان ليرى رأيه فيها وطلبوا منه إذا حازت القبول أن يعين الوقت لعقد البيعة، فأجاب الطلب، ولما كان بعد صلاة الجمعة في اليوم ٢٥ من جمادى الثانية من ١٣٤٤هـ الموافق ١٠ يناير ١٩٢٦م اجتمع الناس في المكان المعد للحفلة عند باب الصفا من المسجد الحرام، وجاء عظمة السلطان في موكبه في الساعة التي بعد صلاة الجمعة، وكان المشهد عربياً صافياً - أي بسيطاً - فلم يكن هناك غير سجادة وقف عليها السلطان وكرسي للخطيب الذي تقدمه المنادي قائلاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، ثم اعتلى الكرسي الخطيب فحمد رب البيت المعظم وشكر وسبح، وبعد ذلك قال: أيها الإخوان أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا بالأمن بعد الخوف وبالرخاء بعد الشدة، فقد انقشعت غمة الحروب وقد توحدت الكلمة بحول الله تعالى وقوته فتعطف علينا عظمة هذا السلطان المحبوب بقبول البيعة المشروعة الواجبة علينا وأني أتلوها على مسامعكم.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده: نبايعك يا عظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود على أن تكون ملكاً على الحجاز على كتاب الله وسنة رسول ﷺ وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله، وأن يكون الحجاز للحجازيين وأن أهله هم الذين يقومون بإدارة شؤونه وأن تكون مكة المكرمة عاصمة الحجاز والحجاز جميعه تحت رعاية الله ثم رعايتكم.

وفي حال تلاوة البيعة في ذلك المجمع كانت قلاع مكة لها رنين ودوي بإطلاق المدافع، فأطلقت مائة مدفع ومدفع، وكان وقتاً هائلاً باهراً والناس أثناء ذلك يتزاحمون حول تلك السجادة الواقف عليها السلطان ليتقبل البيعة، فتقدم أولاً الأشراف، ثم الوجهاء والأعيان وتلاهم المجلس الأهلي، فالمحكمة الشرعية، فالأئمة، والخطباء، فالمجلس البلدي، فأهل المدينة المنورة، فأهل جدة، فبقية خدم الحرم، فالمطوفون، والزمازمة، فمشايخ جاوة، فأهل الحرف، فمشايخ الحارات وأهل المحلات.

وقد جاءت بعدئذٍ برقيات بالمبايعة من المدينة المنورة، ومن ينبع، والوجه، وضبا، والعلاء، وكانت حكومة السوفيت الروسية أول الدول التي اعترفت بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، ثم اعترفت بملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، ثم اعترفت به حكومات بريطانيا العظمى، والجمهورية الفرنسية، وهولندا، والجمهورية التركية، ثم بعد الحفلة مشى جلالة الملك المعظم إلى الكعبة البيت الحرام فطاف بها سبعاً وصلى في المقام، ثم جلس في سرادق دار الحكومة للمهنئين والخطباء، ثم تكلم الخطباء وأبدوا خطباً بديعة.

قال أحدهم: لا بد للحجاز من ملك مستقل يكون قادراً على صيانة الحجاز من الداخل والخارج، والذي يستطيع القيام بهذا الأمر هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وقال أحدهم: وما أعطاك الله هذا العطا يا عبدالعزيز إلا لأنك سائر في مرضاته وقال الآخر بعد إطرائه الامة العربية في زمن السلف الصالح.

علينا أن نتمسك بذلك الحبل المتين، ليرجع للمسلمين ما كان لهم من السؤدد والعز، فيا عجباً لهذا الكلام وما فيه من الفصاحة والبلاغة، فإن في هذه الكلمات مثالاً من عقلية القوم ونزعتهم السياسة، ثم خطب صاحب الجلالة والمهابة الملك المعظم والسطلان المفخم، وألقى عليهم من درره وسحره الحلال ما كان أشد وقعاً من جاذبية الكهرباء، وبهر بخطابه الحاضرين وشقق آذان السامعين وأطلق لسان الداعيين والمهنئين فقال:

أسمع خطبائكم يقولون هذا إمام عادل وهذا كذا وكذا فاعلموا أنه ما من رجل مهماً بلغ من المنازل العالية يستطيع أن يكون له أثر وأن يقوم بعمل جيد جداً إذا كان لا يخشى الله، وإني أحذركم من اتباع الشهوات التي فيها خراب الدين والدنيا وأحثكم على الصراحة والصدق في القول وعلى ترك الرياء والملق في الحديث: لم يفسد الممالك إلا الملوك وأحفادهم وخدامهم والعلماء المتملقون وأعوانهم، ومتى اتفق الأمراء والعلماء على أن يستر كل منهم على الأخر فيمنح الأمير الرواتب والعلماء يدلسون، ضاعت حقوق الناس وفقدنا والعياذ بالله الأخرة والأولى، إلى أن قال خاتماً كلامه.

وإني لأحمد الله الذي جمع الشمل وأمن الأوطان ولكم علي عهد الله وميثاقه أني أنصح لكم كما أنصح لنفسي وأولادي، فهتف الناس إذ ذاك قائلين: جزاك الله خيراً، جزاك الله خيراً، وفي مساء ذلك اليوم دعا جلالته إلى قصره أعضاء المجلس الأهلي والوفد الذي قدم من جدة وبعض أهل الوجاهة في أم القرى فخاطبهم بما معناه:

إننا الآن في وقت العمل وفي ساعة التأسيس ولا يستقيم الأمر إلا بحسن التدبير والصدق والنزاهة، أنتم أرباب الرأي والفكر في بلادكم فعليكم أن تقرروا شكل الحكومة، وتضعوا دستوراً لها وتحددوا العلاقات بين نجد والحجاز، وتبحثوا فيما ينبغي أن يكون موقف الحجاز تجاه الدول، ثم أمر بأن يؤلف من مندوبي مكة وجدة مجلس تأسيسي فينضم إليه مندوبون من بلدان الحجاز الأخرى للنظر فيما ذكر من المسائل وتقريرها.

وبعد أن تألف هذا المجلس انتخب بالاقتراح السري لجنة لوضع القانون الأساسي ثم عرض أسماؤها على جلالة الملك فأمر بأن يرأس اللجنة الشيخ «عبد القادر الشيبي» حامل مفتاح بيت الله الحرام وأن يضم إليها خمسة آخرون انتخبهم جلالته من الأشراف والتجار كذلك في هذا الشرف الجديد يصلح التعيين بالاقتراع ويكمل الحاكم الفرد ما ينقص في حكم الشورى، أما الهيئة التأسيسية

فأعضاؤها ثلاثة عشر، هم: الشيخ محمد حسين نصيف، صالح شطا، حسين با سلامة، محمد شلهوب، محمد المرزوقي، محمد سعيد أبو الخير، الشريف شرف عدنان من آل غالب، علي كنبي، محمد ماجد الكردي، عبدالله زينل، الرئيس المؤقت فيما ذكرنا، عبدالله الدهلوي، سليمان قابل، الشريف حسين عدنان، وهكذا أخذ ابن سعود ينظم شؤون الحجاز.

وقد قال الشيخ محمد بن عثمان الشاوي قصيدة طويلة يهنئ بها جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل بفتح مكة المشرفة تركنا إيرادها خشية الإطالة ولعل الله يسهل إيراد شيء من قصائده في ترجمته.

وممن توفى فيها من الأعيان رجل الدين والفضل التقي الشجاع عبدالرحمن بن عبدالله بن محمد بن فداء كان رحمه الله تقياً ناسكاً شجاعاً مجداً في طلب العلم وخلف أباه في إمامة مسجده في شرقي بريدة وله فضائل ومحاسن وكان له أخ يدعى بعبدالعزيز بن عبدالله وله زهد وورع ونهمة عظيمة في طلب العلم وتحصيله وهمة عالية وهو الذي التحق في معية الشيخ محمد عبدالله بن سليم وابنه عمر في منفاهما إلى قرية «النبهانية» وفوق ما قيل فيه عفة وذكاء وخشية وإنابة.

أما المترجم فقد بلغ بضعاً وثلاثين سنة وله أبناء ذكور قام في تربيتهم والسعي في تهذيبهم وله إناث؛ أما عبدالعزيز فلا عقب له.

وفيها في ٤ شوال وفاة الشيخ العجاجي وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم الزاهد أحد الأئمة الأعلام والعارف الحبر المقدام الذي علا ذكره في الآفاق واتفق على تقديمه أهل المعرفة والوفاق وانتشر ذكره في كل الآفاق: أبو عبدالله محمد بن عبدالعزيز بن سليمان بن ناصر بن سليمان آل عجاجي كان من العرب من آل كثير، وقبيلته عنزة، وله همة عالية في نيل العلم والسعي في طلبه وما مات حتى نال الإجازة من مشايخه آل سليم فجلس للتدريس في أحد مساجد بريدة والتفت عليه حلق الذكر ومهر في العلوم حتى أصبح من خيرة تلامذة آل سليم علماً ومعرفة.

ولد في سنة ١٣٠٩هـ وتوفي في هذه السنة عن عمر بلغ ٣٥ سنة، وكان مقبولاً

عند الناس وألفه طلاب العلم وأهل الدين، وفاق الأقران، وسبق أبناء الزمان وأقر بفضله القاصي والدان، وكان من زملاء أخينا عبدالرحمن بن عبيد ويلقب «بالحميدي» وله شهرة عظيمة، يقر له بالفضل قرناؤه وأصحابه وهذه صفته رحمه الله.

كان ربعة أبيض اللون مشرباً بحمرة كث اللحية يعلوه البهاء والنور، أخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم؛ وسيرته حسنة ومعاملته جميلة لمحاسن ولين عريكته أضف إلى ذلك عقلاً وأدباً، وكان الشيخ عمر يقدمه ويحترمه، وجمع كتباً كثيرة فكان لديه مكتبة، وكان محبوباً عند الناس يألفونه ويعظمونه ومن أسرة كبيرة في القصيم، وأخذ عنه أخونا عبدالمحسن بن عبيد، وأخذ عنه أيضاً أخواه صالح بن عبدالعزيز وعلي، وكان مرضه شبيهاً بالسل مع ألم أثر في إصبع يده من آثار لدغة حية حتى سقط إصبعه نسأل الله تعالى أن يخلفها في النشأة الآخرة خيراً منها ويرفع درجاته في الجنة، ويا لعثر الحظ أن مثل هذا يكون هدفاً للموت في سن الشبيبة وتصاب به الأمة وتخلوا منه المحاريب وتندبه خلق الله «فإنا لله وإنا إليه راجعون» بعثه آل سليم إماماً ومبيناً ومعلماً للأمير فيصل الدويش في الأرطاوية فذهب إليها ثم جعل قاضياً هناك.

ولما مات فجعت الأمة بموته ورثاه أهل العلم والدين؛ فمن ذلك ما رثاه به الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر لأنه صديقه الخاص وزميله، بل كان شيخاً لرائيه وهي هذه:

إلى الله أشكو وأبتهل بدعائيا	وأطلب رب العرش يحسن عزائيا
فقد جاءنا خطب ملم وفادح	ورزء كبير من عظيم الدواهيا
أتاني كتاب من حبيب ومشفق	يعزي بموت الحبيب المصافيا
وأعني به الشيخ «الحميدي» أخا الحجا	تقياً نقياً طاهر العرض زاكيا
أديباً أريباً خائفاً متواضعا	فمن مثله فينا وأين المساويا
يحب ذوي التقى ويبغض ذا الردى	لقد كان كهفاً للهدى وداعيا
يقضي بتدريس العلوم نهاره	وبالليل في بحث الفنون مساميا

لقـد كـان للأخـوان ركنـاً ومـوئلا وغيظاً لأهل الزيـغ مـن كـل طاغيـا
سـقا قـبره مـولاي وابـل رحمـة وهتـان عفـو مـع رضـا متواليـا
وأسـكنه في جنـة الخلـد منـزلا وبـوأه في الفـردوس مـا كـان عاليـا
فـوا حسـرتي والـوعتي وامصـيبتي على فقد أهل العلم مـن كـل هاديـا
فموت رعـاة الشـرع في الـدين ثلمـة ونقـص علـى كـل البريـة آتيـا
على العلم فليبكي ذوو الدين والهـدى فـلا رغبـة في حضـرها والبواديـا
فحـق لعـيني أن تريـق دموعهـا علـى السـادة الأمجـاد أهـل المعاليـا
لقـد قـل أهـل العلـم في كـل بلـدة وقـل بهـا الطـلاب والجهـل فاشـيا
وقـد صـار إقبـال الـورى واحتيـالهم علـى هـذه الـدنيا فيـا عظـم مـا بيـا
ويا أيها الإخـوان صـبراً علـى الـذي يقـدره الـرحمن مـن كـل ماضـيا
فـذى سـنة المـولى الكـريم بخلقـه قضـاء مـن الـرحمن والكـل فانيـا
ويا رب يا مـولاي يـا مالـك الـورى ويـا خـير مرجـو لكشـف الـدواهيا
تمتعنـا بأشـياخنا أنجـم الهـدى يفيدون أهل الجهـل مـن كـل غاويـا
فلولا هموا مـا كـان في العـيش لـذة ولم نعـرف الحـق ولا كيـف نأتيـا
ولو لا همـوا في الأرض مـادت أهلـها ولكـنهم كـانوا لهـا كالرواسـيا
ولـولا همـوا كانـت ظلامـاً بأهلـها ولكـنهم مثـل النجـوم الـدراريا
ولولا هموا ما كـان في الأرض مسـلم فيـا ويـح مـن كـان حـيران سـاهيا
فكـم جاهـل أحبـوه بـالعلم والهـدى وكم قمعوا مـن مشـرك كـان طاغيـا
جـزاهم إلـه النـاس خـيراً ورحمـة وأسكنهم الفـردوس أعلـى العلاليـا
ويـا رب وفـق للسـداد إمامنـا إمـام همـام فـائق الصـيت عاليـا
ويـا رب تبقيـه علـى الـدين والتقـى علـى سـنة المعصـوم أفضـل هاديـا
ينفـذ أحكـام الشـريعة في الـورى ويحمي حمى الإسلام مـن كـل باغيـا
ويجمـع شمـل المسـلمين بعدلـه ويـدأب في قمـع الخبيـث المعاديـا
فإنـك يـا ربـي علـى الكـل قـادر وأمـرك قهـار لكـل مناويـا

واســـتغفر الله العظـــيم لـــزلتي وذنـــبي ومـــا يجـــني علـــي لســـانيا
وصـــل علـــى خـــير البريـــة أحمـــد نـــبي الهـــدى مـــن قـــام لله داعيـــا
وآل وأصـــحاب ومـــن كـــان تابعـــا طـــريقهم يـــا رب فاقبـــل دعائيـــا

خلف الشيخ رحمه الله ابنين وبنات وكان له أخوة من أشهرهم صالح الذي توفى بعده.

وفيها صدرت إرادة الملك عبدالعزيز بعمارة المسجد الحرام وذلك أنه أمر مدير الأوقاف السابق «محمد سعيد» بترخيم عموم المسجد الحرام وإصلاح كل ما يقتضي إصلاحه من ترميم عموم الخراب الواقع في جدار المسجد الحرام وأرضه وأعمدته وإصلاح المماشي وحاشية المطاف وعموم الأبواب وطلاء مقام إبراهيم الخليل عليه السلام بالدهان الأخضر وكذلك الأساطين النحاسية الواقعة حوالي المطاف وغير ذلك من الإصلاحات اللازمة للمسجد الحرام وتمت هذه العمارة بكامل السرعة لحلول موسم الحج سنة ١٣٤٤هـ، فشكر الله سعيه على هذا العمل الحسن وكم له من أمثاله من أعمال الخير.

وفيها جرت وقعة المحمل، وهذه الحادثة في ليلة ٩ ذي الحجة ليلة الوقف بعرفة، وكان حجاج بيت الله تعالى مكتظين بين منى وعرفات وذلك أنه لما كان في آخر ذي القعدة وصل ركب المحمل المصري إلى جدة واستقبل فيها بكل ترحيب ثم سافر إلى مكة المكرمة ولم يتعرض الملك ابن سعود لمنعه بل أقر ذلك جلباً للمحبة.

ولما أن سار المحمل في مساء اليوم الثامن قاصداً عرفات يحيط به حرسه في راحة وهناء كان رجاله في أبواقهم تتراجع صداها في بطن الوادي فأنكر ذلك البدو من أهل نجد بألسنتهم وأن تلك الساعات ساعات عبادة ونسك وفي مشعر عظيم من المشاعر المعظمة فردهم رجال المحمل بعنف وشدة وآخر ذلك أطلق رجال المحمل الرشاشات والبنادق فلم يشعر الناس إلا والنار تقذف والمدافع تمطر نيرانها من هنا وهناك فعظم الخطب وبعث صاحب الجلالة ابنه فيصل وأمره أن يبادر لإطفاء هذه الفتنة ولما تقدم سموه ما كان معه قوة تضاد تلك المهمة وجعل يكافح ويهدأ روع

رجال المحمل كذلك تقدم نجل جلالة الملك الأكبر سعود بقوة للنجدة غير أن الأمر في ظلام الليل زاد ارتباكاً وجعلت قنابل حرس المحمل تضرب يمنة ويسرة تقتل الآمنين المطمئنين هذا وما كانت قوة المحمل تزيد عدة رجالها عن أربعمائة ويقابل هؤلاء تسعون ألفاً من النجديين وقفوا مكتوفي الأيدي لأن لا يحدث قدح زناد يقضي على الحجيج كله وقد استهدفوا لأن تحصدهم النيران ولم يبق إلا مقابلة الشر بمثله من أولئك الأقوياء أهل البأس الشديد فثار جلالة الملك عبدالعزيز في تلك الساعة الرهيبة تاركاً نساء آل سعود وأطفالهم وأرخص حياته ليحمي الحجاج بنفسه يتبعه من يطيق السعي من القرابة والأسرة فأحاط به الإخوان يسألونه أمره ويخبرونه بالجرحى المضرجين بدمائهم وكان في أشد التأثر فالتفت إلى الإخوان وقال أذكركم الله وهذا الموقف، أذكركم دينكم، أذكركم حميتكم الإسلامية وشيمتكم العربية، يا رجال التوحيد إن حجاج بيت الله ضيوفنا وهم في وجوهنا فلا تمد إليه يد بسوء وفي هذا العنق دم يجري.

ولما أن سمع الإخوان كلامه انطفأت نار غضبهم وكفوا راجعين وحملوا سيوفهم يردون إخوانهم عن الإحاطة بالمحمل ومن الأمراء من تقدم يرد الإخوان حتى رجعوا إلى خيامهم ومنازلهم، ومن ضمن أولئك الأمراء حشر بن مقعد بن حميد من مشايخ الغطغط جعل يرد الجموع عن المحمل والرصاص يتساقط عليه من رجال المحمل فقتلت فرسه وكسرت يده وسقط على الأرض وأصيب غيره برصاص حرس المحمل وما كان إلا قليل حتى سكنت الفتنة ولم يوتر أحد من رجال المحمل سوى رجل أصيب بحجر في أنفه وآخر أصابته رصاصة طائشة في يده، وقد بلغ عدد الذين قتلوا من أهل نجد خمسة وعشرين بين رجل وامرأة وطفل، وقتل من إبلهم أربعون بعيراً وعاد المحمل إلى هدوء وسكينة بعد وقوفه بعرفة ومنى ثم إلى مكة المكرمة.

وبذلك تبين فضل أهل نجد وكظمهم للغيظ وسعة صدورهم، ولولا ذلك الموقف الذي وقفه ابن سعود أمام المحمل بحيث ما كان لأحد أن يقف ذلك الموقف سواه لكان للأمر شأن غير هذا.

وإني لأحمل أهل مصر تبعة ما جرى وعدم احترام المشاعر المعظمة وعملهم ذلك بتسرع وعدم كرامة فليسطر التاريخ ما عملوه، أما الكسوة للكعبة المحمولة معه فقد لبستها في موسم ذلك العام.

وفيها نصب الملك عبدالعزيز فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد رئيساً في قضاة مكة، وفي رجب منها جمع الشيخ رسالة نصيحة بليغة طبعت ونشرت في جريدة أم القرى وكانت حسنة وجميلة رائعة مطلعها بعد البسملة:

الحمد لله على آلائه والشكر له على نعمائه، ثم ذكر الآيات في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن الله امتدح هذه الأمة وأخذ الميثاق على أهل العلم أن يعلموا ويبينوا وصاح بها صيحة تضعضعت لها قلوب أهل الإيمان ورجفت لها أفئدة ذوي العرفان، وحث فيها على الاجتماع وتوحيد الكلمة والنهي عن التنازع والتفرق، وبين فيها أمور المشاهد والبناء على القبور فشفى وكفى، وكانت تبلغ قدراً من نصف كراسة وعلى من أحب معرفة هذا الحبر ومقامه فليراجع مؤلفاته وختمت هذه السنة بخير والحمد لله رب العالمين.

ثم دخلت سنة ١٣٤٥هـ

ففيها طبع كتاب الفروع لابن مفلح قد حلى أسفل صحائفه بكتاب تصحيح الفروع لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المقدسي، وكان طبعه في مطبعة المنار بمصر وكان قد شق طبعه وامتد زمانه فقد شرع في طبعه ١٣٣٥هـ، ولم يتم إلا في هذه السنة وذلك بواسطة الغلاء الذي حصل بتأثير الحرب العظمى التي شغلت مصانع الورق وغيره وغلي بسببها كل شيء أضف إلى ذلك كبر الكتاب وضخامته حيث جعل في ثلاث مجلدات ضخمة بلغ عدد صحائف الأول ٩٩٨، والثاني كان في ١٠٥٦ صحيفة، والثالث عدد صحائفه ٩٧٣ فجاء على أبدع ما يكون من حسن الحروف وجودة الورق، وقد طبع على نفقة الأمير الموفق عبدالله ابن الشيخ قاسم بن ثاني وجعله وقفاً لوجه الله تعالى وحرص على كتمان عمله

ليكون مدخوراً له عند الله تعالى فلأجل ذلك لم يوضع اسمه في طرة الأجزاء ولو علم الطابع لذكره كما أشار إليه، فيا لها من يد بيضاء لابن ثاني كما طبع أيضاً كتاب المقنع ولواقح الأنوار فشكر الله سعي كل مسلم محسن.

وفيها عقدت معاهدة مكة المكرمة بين ملك الحجاز وسلطان نجد وبين الإدريسي وهذا نصها:

الحمد لله وحده، بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين الإمام السيد الحسن بن علي الإدريسي، رغبة في توحيد الكلمة وحفظاً لكيان البلاد العربية وتقوية للروابط بين أمراء جزيرة العرب، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود، وصاحب السيادة إمام عسير السيد الحسن بن علي الإدريسي على عقد المعاهدة الآتية:

المادة الأولى: يعترف سيادة الإمام الحسن بن علي الإدريسي بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر ١٣٣٩هـ، المنعقدة بين سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي والتي كانت خاضعة للدراسة في ذلك التاريخ هي تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه المعاهدة.

المادة الثانية: لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية مع أي حكومة وكذلك لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الثالثة: لا يجوز لإمام عسير إشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الرابعة: لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضي عسير المبينة في المادة الأولى.

المادة الخامسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إما عسير الحالي وأهل الحل والعقد التابعين لإمامته.

المادة السادسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد

عسير الداخلية والنظر في شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هي في الحكومتين.

المادة السابعة: يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضي عسير المبينة في المادة الأولى وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعي المصلحة.

المادة الثامنة: يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

المادة التاسعة: تكون هذه المعاهدة معمولاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

المادة العاشرة: دونت هذه المعاهدة باللغة العربية في صورتين تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقدتين.

المادة الحادية عشرة: تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة، وقعت هذه المعاهدة في تاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ، الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٢٦م.

تم ذلك بحضور راقم هذه الأحرف خادم الإسلام أحمد الشريف السنوسي الختم ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود.

الختم الملكي

إمام عسير الحسن بن علي الإدريسي الختم

وفيها عمل جلالة الملك عبدالعزيز سبيلاً للشاربين من ماء زمزم وجعله مما يلي حجرة الأغوات بشكل بديع وجعل له ثلاث فوهات نعني نوافذ مرتفعة على قد قامة الواقف إلى صدره فكان في ذلك راحة للشاربين، كما جدد أيضاً عمارة السبيل القديم وعمله بشكل بديع يماثل الذي بجواره، وقد كتب على السبيل الذي يلي حجرة الأغوات هذه الكتابة: «أنشأ هذا السبيل الإمام عبدالعزيز بن

عبدالرحمن السعود» وكتب على الذي يليه «جدد هذا السبيل الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود» وكانت هذه الكتابة بخط عربي بديع بارز قد خطت على أعلاهما وطلي بالذهب والألوان البديعة، وتم هذا العمل في هذه السنة.

وفيها أيضاً أمر جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن خلد الله ملكه بأن يفرش شارع المسعى من الصفا والمروة فشكل لذلك هيئة بأمانة العاصمة في رئاسة أمين العاصمة السابق عبدالوهاب بن حمد نائب الحرم الذي كان قد استقر عضواً في مجلس الشورى، وفي معاونة مدير المالية محمد سرور الصبان وتشكلت الهيئة من مندوب جلالة الملك المعظم الوزير عبدالله بن سليمان آل حمدان وبعض أعضاء مجلس الشورى وأفراد من أعيان البلاد ممن لهم خبرة ودراية بفن العمارة المطلوبة وتقرر في ذلك الاجتماع بأن يكون فرش شارع المسعى بالحجر الصوان المربع وأن يبنى بالنورة ويكون الصرف ابتداء من صندوق أمانة العاصمة مؤقتاً ثم يسدد من المالية العمومية، فابتدأ العمل أولاً بهدم عموم النواتي التي على ضفتي شارع المسعى من مبتداه إلى منتهاه فلما تم إزالة تلك النواتي ابتدأ العمل بالرصيف من الحصى وعمل لذلك احتفال عظيم حضره صاحب السمو الملكي النائب العام الأمير فيصل بن جلالة الملك ووضع الحجر الأساسي بيده ثم تلا الدعاء الشيخ محمد عبدالظاهر أبو السمح خطيب المسجد الحرام وإمامه لجلالة الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن آل سعود بدوام النصر والظفر له واستمر العمل بهمة عالية وانتهى العمل في آخر ذي القعدة من هذه السنة فأصبح شارع المسعى في غاية الاستقامة وحسن المنظر وصار المتطوفون بين الصفا والمروة يؤدون نسكهم بكمال الراحة من وحل الشارع والغبار.

وكان جلالة الملك أول ملك اعتنى به لأنه ما قد فرش كذلك منذ فرض الله عز وجل الحج بل منذ سكن الحجاز ولقد كثر عدد الحجاج في موسم هذه السنة، فورد من طريق البحر ووجهته مائة وأربعون ألفاً، أما الذين قدموا من البر فكان عددهم يربون على ثلاثمائة ألف وهذا شيء يندر وقوعه في تلك الأزمان، فلذلك ضاق المسجد الحرام بالمصلين فاضطرت الحكومة السعودية إلى أن تضع المظلات

عن الشمس، ولقد قام ابن سعود بأعمال طيبة يشكره عليها أهل البسيطة ويخلد ذكرها وذلك لما جبل عليه من الإصلاح ونصرة الدين ورفع قواعد الملة المحمدية ومضادة البدع والمخالفات وإرادة الخير للإسلام وأهله ومن كان هذا شأنه فإنه جدير بالتوفيق.

فمن ذلك أنه أبطل تعدد الجماعات بالمسجد الحرام والمسجد النبوي وغير تلك البدعة التي شتت شمل المسلمين وفرقت جماعتهم في شأن تعدد الأئمة، فيا ليت شعري من أمرهم بهذا التفرق والاختلاف حتى كأنهم كانوا أهل أديان مختلفة وشرائع مؤتلفة بل بأي حجة أسست هذه المقامات التي نصبت لتفريق المجتمعين وتشتيت المؤتلفين وقد بين العلماء أمر هذه البدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان وشنعوا على من قام بها كما ذكره الشيخ الهمام الهندي العارف «صديق بن حسن القنوجي» وأن الذي أحدثها شر ملوك الجراكسة واسمه «فرج بن برقوق» في أوائل المائة التاسعة من الهجرة وأنكر ذلك العلماء في ذلك العصر ووضعوا فيه مؤلفات نقل ذلك عن شيخه محمد بن علي الشوكاني وقال بعده: ويا لله العجب من بدعة يحدثها من هو شر ملوك المسلمين في خير بقاع الأرض كيف لم يغضب لها من جاء من الملوك المائلين إلى الخير، لذلك قام ملك الإسلام عاهل العرب صاحب الجلالة السعودية ومظهر أعلام الشريعة النبوية وأزال تلك البدع وجمع المصلين على إمام واحد في الصلوات الخمس والتراويح واستمر الأمر إلى العصر الحاضر فكان يقوم بخطبة الجمعة والأعياد فضيلة الشيخ محمد عبدالظاهر أبو السمح مدير مدرسة دار الحديث بمكة المكرمة فهو إمام المسجد الحرام، وعين لصلاة الظهر يؤم في المسجد الحرام عضو هيئة رئاسة القضاء الشرعية الشيخ محمد نور الكتبي، وعين لمساعدة الشيخ أبي السمح في صلاة التراويح أيضاً مدير مدرسة حارة الباب الأميرية الشيخ عبدالله خياط.

ثم إنه قام صاحب الجلالة عبدالعزيز فأمر بهدم القباب التي على القبور لأنها أسست على مضادة الشريعة قبح الله من بناها، وإن الذي ساعد على بناية تلك القباب هو غفلة ملوك آل عثمان ومن قبلهم من الملوك الذين ليس لهم عناية في

الدين، فهلا قاموا بنصرة الدين وحمايته والضرب على أيدي العابثين الذين يسعون ضده وينشرون المقالات في الجرائد والمجلات مسبةً وتنقصاً له ولأهله، وكأنهم لا يسمعون، وتنقض عرى الإسلام عروةً عروة وهم معرضون، ولو نقص أحدهم رغيف من أمور الدنيا لقام وتخبط وأرغى وأزبد، فبعداً للقوم الظالمين.

ولما هدم ابن سعود تلك القباب المشيدة على الجهل والضلال وامتثل أوامر الرسول ﷺ الأمر بهدمها قام بعض المنافقين والذين في قلوبهم مرض مستنكراً لذلك ومستعظماً لشأنه بقصيدة نشرها ونسبها إلى نفسه «فتى البطحاء» وأعلن المسبة والهجاء على من أزالها وأرخى زمام لسانه يشتم ويسب من أفتى بذلك ويهجن هذا العمل الحسن، فيا ويحه إذا لقي ما كتبت يداه غداة الحشر ولم ينفعه جهله، فمن أبيات القصيدة قوله:

وكم هدموا قبراً شريفاً ومشهداً ... لخير نبيٍ أو لأفضل صاحب
وما تلك أوثانٌ سررتم بكسرها ... ولكن قبورٌ قد أشيدت لذاهب
تذكر أهليه مواضع دفنه ... وتبقى لنا ذكرى فقيدٌ وغائب
إلى أن قال: ... تضيء على الدنيا ضياء الكواكب

وقد ردَّ على هذه القصيدة فضيلة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي بقصيدة طويلة، وناقش المعترض عن كل بيت منها، فجزاه الله خيراً، ولولا خشية الإطالة لأتينا بها، ولكننا نبدي رده على هذه الأبيات لا أقل ولا أكثر.

أقول لعمري إنها لعظيمةً ... ومعضلةً شنعاً وأدهى المصائب
فهيء دليلاً واضحاً نهتدي به ... وإلا فبؤ بالخزي يا شر خائب
أما أمر المبعوث للناس رحمةً ... علياً أبا الشبلين ليث الكتائب
بأن لا يدع قبراً منيفاً وصورةً ... فبادر بل أوصي بذا كل صاحب
رواه أبو الهياج قال فقال لي ... علي إلا بعدي تقوم بواجبي
أما في سياق الموت أعقب لعنةً ... لأهل الكتاب الأبعدين الأجانب
وذا محض تحذيرٍ لنا عن فعالهم ... عليه صلاةٌ مع سلام مصاحب

أمـا صـحت الأخبـار عنـه بـأنهم — إذا مـات مـن صـلاحهم كـل دائـب
بنـو قـبره بـل صـيروه كنيسـةً — فقال شـرار الخلـق هـم عنـد واهـب
وقولـك عـن تلـك القبـاب بأنهـا — تضيء على الـدنيا ضـياء الكواكـب
فتلـك وربـي وصـمةً وعظيمـةً — تكـاد لهـا تنـدك صـم الرواسـب
مقالـة زنـديقٍ كفـورٍ محـرفٍ — يبـدل شـرع المصـطفى بالأكـاذب
ولو قلـت يـا هـذا وكنـت مسـدداً — تضيء لنا السـمحا ضـياء الكواكـب
لكـان بكـم أولى وأهـدى طريقـةً — وقلنـا لكـم أنعـم بهـا مـن ثواقـب

وقد زادت أبيات قصيدة الشيخ محمد بن عثمان على ثلاثمائة بيت، ولقد بعث صاحب الجلالة عبدالعزيز سؤالاً لعلماء المدينة يستفتيهم عن هذه القباب التي على القبور، وهل بنايتها جائزة؟ وهل يجب هدمها؟ وهل يجوز التمسح بحجرة الرسول ﷺ والطواف بها وتقبيلها؟ وعن الترحيم في المسجد الشريف؟ وكان الذي وجه هذا السؤال فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد رئيس القضاة، فأجبوا عن هذه الأسئلة بالتحريم استدلالاً على ذلك بالأحاديث الواردة في الصحاح والسنن، واجتمعت الكلمة واتفق إخواننا أهل الحجاز على ذلك فلله الحمد، كما بعث صاحب الجلالة نبأ برقياً إلى وزارة الداخلية بمصر يطلب منها استفتاء علماء الأزهر عن هذه المسائل، وعن شرب الدخان وسماع الموسيقى؟ فأجابوا بالمنع عن ذلك، وأما الدخان فآخر كلمة تقال عنه في أجوبتهم: أنه مكروه وينبغي تركه وعدم الإصرار على تعاطيه، لأن الإصرار على الصغائر يقلبها كبائر، فهذا على القول في تركه، أما على الصحيح فإنه محرم لمفاسده الجمة التي لا يتسع لها هذا الموضع.

ولما أن حان وقت مجيء الكسوة من مصر كما هي العادة في إرسال كسوة الكعبة، منعت الحكومة المصرية من إرسال الكسوة مع عموم العوائد مثل الحنطة والصرر وما شاكل ذلك التي هي من أوقاف أصحاب الخير على أهل الحرمين منذ مئات السنين، ولم تملك الحكومة المصرية منها شيئاً سوى النظارة عليها بسبب أنها الحاكمة على البلاد، ولم تشعر الحكومة السعودية بالمنع إلا في غرة شهر ذي الحجة

من هذه السنة، فأصدر صاحب الجلالة عبدالعزيز أوامره بعمل كسوة للكعبة بغاية السرعة، فسارع رجال العمل ممن تخصصوا لهذا الأمر وفي مقدمتهم وزير المالية عبدالله بن سليمان بن حمدان وعملوا كسوة من الجوخ الأسود الفاخر مبطنة بالقلع القوي، وعمل حزام الكعبة بآلة التطريز، وكتبت الآيات عليه بالقصب الفضي المموهة بالذهب الوهاج مع ستارة الباب «البرقع» ولم يأت اليوم الموعود لكسوة الكعبة وهو يوم النحر ١٠ ذي الحجة إلى والكعبة المعظمة لابسة تلك الكسوة التي عملت في بضعة أيام.

ومما وفق الله جلالة الملك المعظم له، وكان من أكبر حسناته إقامة شعائر الدين في الحجاز، فمنها كل من يترك صلاة الجماعة عمداً يحبس من أربعة وعشرين ساعة إلى عشرة أيام ويغرم غرامة مالية رادعة له، ومنها كل من يصنع الخمر أو يبيعه أو يعد محله للشرب يحبس من ستة أشهر إلى سنتين، ويصادر محله بكل ما فيه، وإذا تكرر منه ذلك فإنه ينفى من بلد الله الحرام من سنتين إلى ثلاثة سنوات، ومنها: كل من يشرب الخمر يحد الحد الشرعي ويحبس من شهر إلى ستة أشهر ويغرم غرامة مالية رادعة، وإذا ثبت أنه مدمن على شربه فإنه ينفى من بلد الله الحرام مدة سنتين.

ومنه كل من يشرب الدخان «النتن» علناً يحبس من أربعة وعشرين ساعة إلى ثلاثة أيام ويغرم غرامة مالية رادعة، والهدف هو تطهير البلاد المقدسة من انتهاك حرمات الدين، ومنها تتبع الأمور من جهة المعاملات والعادات، فما وافق الشرع يقر وما خالفه يزال، ومنها منع البذاءة اللسانية التي اعتادها بعض السوقة، ومنها مراقبة المساجد والنظر في جهة الأئمة والمؤذنين، فبما أن الحجاز بلاد مقدسة وأهله يجب أن يكونوا قدوة حسنة، فإن الحكومة رأت أن تحمل أهله على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه إذا لم يفد مجرد النصح.

وفيها في الساعة العاشرة بعد العصر من اليوم الثامن والعشرين من جمادى الآخرة وفاة الشيخ حمد بن فارس رحمة الله تعالى عليه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العلامة الفقيه الوجيه حمد بن فارس بن محمد بن رميح، أخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن حسين المخضوب صاحب الخطب، وأخذ عن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، أخذ عنه علم النحو وعلم الفقه وغيرهما، وأخذ عن جملة من الأكابر حتى اشتهر وبعد صيته، وكان نحوياً فرضياً فلكياً حيسوباً وما زال يتقدم حتى أصبح سيبويه زمانه في علم النحو ومرجعاً لطلاب العلم، وضربت إليه أكباد الإبل من أطراف نجد.

ولد في سنة ثلاث وستين ومائتين وألف، فنشأ نشأةً طيبة وتهذب على يدي والده، ورباه تربية حسنة، ولزمه وتخصص عليه في علم الفرائض والحساب وغيرهما من العلوم، ثم إنه أخذ في التعليم وداوم على ذلك في مسجد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بعد صلاة الصبح إلى الساعة الرابعة نهاراً لا يخل بذلك، وكان رجلاً طويلاً نحيف الجسم، مهيباً عند الخاص والعام، ويخضب بالحناء، وكان كثير الصيام قل ما تراه مفطراً، وكان ملازماً على الصف الأول في صلاة الجماعة خلف الإمام، وكان كثير الأوراد والأذكار، وتولى حفظ بيت المال للإمام عبدالله بن فيصل ثم للإمام عبدالرحمن بن فيصل ثم للملك عبدالعزيز، فقام بهذه المهمة خير قيام وأدى واجباً يشكر عليه في النزاهة والعفة والأمانة، وكان يبذل للفقراء من طلاب العلم وأهل الدين مساعدات من بيت المال ما تقوم به كفايتهم، ويتفقد أحوالهم ويعطف عليهم، وبالجملة فإنه عون في الشدائد وذخر في النوائب ويقل مثله في الإحسان والعطف، وكان قد كفَّ بصره قبل وفاته، وبتخليه عن العمل فقده أهل الفضل والفقراء والمحتاجون، وقد أخذ عنه العلم خلق كثير من العلماء وانتفعوا به «فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

ولما توفى أسف لموته الخلاق وصليَّ عليه صلاة الغائب في المغارب والمشارق، وبكاه العلماء، وانتحبت عليه الأمة، وصليَّ عليه في جامع الرياض وأمَّ الناس في الصلاة عليه فضيلة الشيخ محمد بن عبداللطيف، وشيعه خلق كثير من الأمراء والأعيان.

وممن أخذ عنه من العلماء الشيخ حسن بن حسين، والشيخ عبدالله بن حسن، وأخذ عنه الشيخ سليمان بن سحمان وغير هؤلاء.

ولما توفى دفن في مقبرة «العود» في مدينة الرياض، ولم يخلف من الأولاد سوى ابنه محمد، ومن مناقبه عطفه وإحسانه إلى الفقراء والمحتاجين والعلماء والمدرسين، ومن مناقبه أنه كان يجلس في مصلاه لصلاة فجر يوم الجمعة يتلو القرآن حتى يخرج الإمام لصلاة الجمعة، فإذا خرج الإمام على الناس وإذا به ختم القرآن، ووجد تحتد وسادته مكتوباً في ورقة: أقول أنا حمد بن فارس بأني لا أعلم عن ابني محمد إلا خيراً، فرحمة الله عليه، ونسأل من بيده الضر والنفع أن يسكنه الجنة ويتجاوز عنه إنه جواد كريم، شعراً:

على حمد تبكي وتندب جهرةً   هداة الورى من فقدها خير عالم
إمامٌ به كسر أصيبيت محافل   وحل بها من موجعات الدواهم
فمن بعده يولي ذوي الفقر رفده   ويكشف من شداتهم كل صارم
ويمنح أهل الفضل من كل مؤمنٍ   ويسدي إلى الخلق جم المكارم

وفيها قام أهل الحل والعقد والضبط والربط وقرروا إعلان ملكية نجد، فصدر الأمر الملكي في ٧/٢٥ بإبدال اسم السلطنة النجدية وملحقاتها «بالمملكة وملحقاتها»، وكاتب ابن سعود الحكومة البريطانية طالباً إلغاء المعاهدة القديمة وعقد معاهدة جديدة تتناسب مع حالته الحاضرة، وأكد عليها، فأجابته إلى طلبه، ذلك بأنه لما اتسعت فتوحاته وخدمته الأيام والليالي وكان فوزه الحاسم يوم حائل وتقويضه إمارة آل رشيد جعله سيد نجد، غير مدافع وصاحب الكلمة العليا فيها، فانصرف إلى تعزيز نفوذه في خارجها فاحتل جانباً من عسير بلا عناء، وحالف الأدارسة في تهامة، كما وسع حدوده من جهة الشرق، ومد نفوذه إلى الحجاز واستولى عليه، وأقام ينتظر الفرص ليضرب ضربته الكبرى وليبسط نفوذه على الجزيرة كلها ويدخلها في طاعته، وهو الحلم الجميل الذي يحلم به ويطمع أن يوفق إلى تحقيقه على أنه لا بد لنا من الاعتراف بأنه كان للصدف والحظ، وبكل حال فإن عبدالعزيز بن سعود محظوظ كما يقول عن نفسه وحسبك أنه لما بشر باحتلال

أنصاره للطائف لم يصدق الخبر، بل أعاد الكرة مستفهماً ومتثبتاً فأيدوه له، فظل على تردده حتى جاءه من مصدر وثيق فأزمع الرحيل على الفور إلى مكة ليتولى بنفسه قيادة الجيش خوفاً من الغشم.

وفي هذه الساعة ينتشر المبشرون في أنحاء المملكة يطلقون البنادق على الفضا وينادون بفتح مكة والمدينة وجدة، ولما أن طلب من بريطانيا تعديل الاتفاقية، بعثت مندوبها لذلك بين جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود وبين جلالة ملك بريطانيا، وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، جلالة ملك بريطانيا وإيرلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار إمبراطور الهند، من جهة وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة أخرى، رغبةً في توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين محالهما وتقويتها قد عزما على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم، لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة «السر جلبرت فلكنجهام كلايتون» مندوباً مفوضاً، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكي الأمير «فيصل بن عبدالعزيز» نجله ونائبه في الحجاز مندوباً مفوضاً عنه.

بناء على ما تقدم وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادها والتثبت من صحتها قد اتفق حضرة الأمير «فيصل بن عبدالعزيز» وحضرة «السر جلبرت كلايتون» على المواد التالية:

المادة الأولى: يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.

المادة الثانية: يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر، وبأن يسعى بكل ما لديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلام والسكينة في بلاد الفريق الآخر.

المادة الثالثة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل أداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والأشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين أسوةً بسائر الحجاج، ويعلن جلالة الملك بأنهم يكونون آمنين على أموالهم وأنفسهم أثناء إقامتهم في الحجاز.

المادة الرابعة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى في البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفاً والذين ليس لهم في بلاد جلالته أوصياء شرعيون، إلى المعتمد البريطاني في جدة أو من ينتدبه لهذا الغرض لإيصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين بشرط أن لا يكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطاني إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة، وتستوفى عليها الرسوم المقررة في القوانين الحجازية أو النجدية.

المادة الخامسة: يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية والنجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة البريطانية أو البلاد المشمولة بحماية جلالته، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ولجميع الأشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون في بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، على أن تراعى قواعد القانون الدولي المرعي بين الحكومات المستقلة.

المادة السادسة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على الصلات الودية والسلمية مع الكويت، والبحرين، ومشايخ قطر، والساحل العماني الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية.

المادة السابعة: يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية في القضاء على الاتجار بالرقيق.

المادة الثامنة: على الفريقين المتعاقدين إبرام هذه المعاهدة وتبادل قرارات الإبرام بأقرب وقت وتصير المعاهدة نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الإبرام، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ، وإن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريد إبطال المعاهدة تبقى نافذة ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضي ستة أشهر من اليوم الذي يعلن فيه إبطالها من أحد الفريقين إلى الفريق الآخر.

المادة التاسعة: تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها في ٢٦ ديسمبر ١٩١٥م يوم كان جلالته حاكماً لنجد وما كان ملحقاً بها، إذ ذاك ملغاة ابتداء من تاريخ إبرام هذه المعاهدة.

المادة العاشرة: دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية وللنصين قيمة واحدة، أما إذا وقع اختلاف في تفسير أي قسم منها فيرجع إلى النص الإنكليزي.

المادة الحادية عشرة: تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة، وقعت هذه المعاهدة في جدة يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة ١٣٤٥هـ الموافق عشرين من أيار ١٩٢٧م.

جلبرت فلكنجهام كلايتون فيصل بن عبدالعزيز السعود

ولما أن اطلع عليها صاحب الجلالة قال: بعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر، وأمعنا النظر فيها صدقناها وقبلناها وأقررناها جملةً في مجموعها مفردةً في كل مادة وفقرة منها، كما أننا نصدقها ونقبلها ونثبتها ونبرمها ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها، ونلاحظه بكمال الأمانة والإخلاص، وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك، وزيادةً في تثبيت صحة كل ما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا والله خير الشاهدين.

حرر في اليوم الحادي والعشرون من شهر ربيع الأول ١٣٤٦هـ الموافق ١٧ من شهر سبتمبر ١٩٢٧م.

الختم الملكي

عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود

وهذا تصديق ملك بريطانيا:

جورج بنعمة الله ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار، حامي الإيمان وإمبراطور الهند، إلى كل من يطلع على كتابنا هذا سلام.

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها معاهدة وقعت في جدة من قبل مندوبنا المفوض ومندوب جلالته الحائزين للصلاحية التامة المتقابلة، وذلك في اليوم العشرين من شهر مارس سنة ١٩٢٧م لتثبيت وتقوية العلاقات الودية وحسن التفاهم الموجود والحمد لله بين بلدينا وهي كلمة بكلمة كما يلي، فنحن بعد أن اطلعنا وأمعنا النظر في المعاهدة المتقدمة صدقناها وقبلناها ونثبتها ونبرمها عن أنفسنا وعن خلفائنا وورثتنا ونتعهد ونعد وعداً ملوكياً صادقاً بأننا سنقوم ونلاحظ بكمال الأمانة والإخلاص ما ورد فيها جملةً وإفراداً من الأشياء الموجودة والمبينة في المعاهدة المذكورة، وبأننا لا نسمح لأحد بالإخلال بها أو مناقضتها بأي وجه كان طالما نحن قادرون على ذلك، وزيادةً في الاستشهاد والصحة في كل ما ذكر فيها أمرنا بوضع خاتمنا الكبير على هذه المستندات ووقعناها بيدنا الملكية.

ثم دخلت سنة ١٣٤٦هـ

استهلت هذه السنة والملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود يوطد ملكه ويرفع شأنه، وذلك لأنه لما أعطاه الله زمام الملك واستولى على البلدان، رأى أنه لا يستطيع حكم بلاد واسعة عظيمة دون ما أن يكون لديه تلفون وراديو وتلغرافات وسيارات تقرب البعيد وتمكن من القبض بالسرعة على كل مفسد من المعتدين، وما كان بعمر بن الخطاب بأن يسمع سارية أن يلزم الجبل من مسافة بعيدة،

فلضرورة المواصلات تحدث إلى العلماء بمنافع تلك المخترعات وأن لكل زمان دولة ورجال، فكان ردُّ هؤلاء أن أقروا عمله وأيدوا اقتراحه، وذلك لما رأوا أنه لا ينتظم الأمر على مطلوبه إلا بذلك، فعند ذلك دخلت ألوان المدينة النافعة إلى الجزيرة وأصبح سيد الجزيرة يعمل لرفع مستوى التقدم والحضارة في مملكته، فنقل صاحب الجلالة وزارته الخارجية وأكثر دواوينه الرسمية إلى مكة لأنها أقرب إلى أوربا والخارج من الرياض، وقسم مملكته إلى قسمين الحجاز ونجد، فترك للأمير فيصل أمر الحجاز بالنيابة، ولولي عهده سعود حكم نجد، وكان يسمى كل منهما بنائب الملك، ورأى أيضاً صاحب الجلالة أنه بحاجة إلى جند منظم يكون جديد السلاح حديث البنادق، ولم يتأخر عن ذلك صارفاً جل اهتمامه، ووجد أن الحاجة ماسة إلى سيارات تنقل له جنده من مكان إلى آخر فيما إذا حدثت ثورة وكانت الضرورة تقتضي قمعها حالاً، فاشترى مائة للنقل من ورادات الحج التي كانت وفيرة، وهذا في أول هذه السنة وآخر التي قبلها، كما أنه أعطى بعض المصريين امتيازاً بنقل الحجاج بالسيارات بين مكة وجدة، وكانت الدول قد اعترفت بأنه ملك الحجاز ونجد وملحقاتها إلا ما كان من إيطاليا، فإنها ما اعترفت إلا بعد ذلك، وما كان بحاجة إلى أن تعترف له هي أو غيرها، بل لما تم له الاستيلاء على جدة قال له أحد الذين قابلوه أنه لا بد له من الحصول على اعتراف الدول به ملكاً على الحجاز، فأجابه بهذا الجواب البليغ:

نحن في جدة، ومن لا يقبل فليتقدم ليخرجنا، ثم رأى صاحب الجلالة بعد ما سعى في تقدم بلاده أن يبعث بنجله الأمير فيصل للمرة الثانية إلى أوربا، فركب الأمير البحر إلى لندن واستقبل هذه المرة استقبالاً يختلف عن استقباله في المرة الفائتة، فقد استقبله جورج الخامس وقلده وساماً رفيعاً وأكرمه الإنكليز كل الإكرام، وكان الفرنسيون غير الفرنسيين من الذين زار الأمير بلادهم مثل الإنكليز في إكرامه والاهتمام بزيارته، ورأى الأمير بأم عينيه وكان قد أصبح شاباً مثقفاً منافع الاختراعات الحديثة وضرورة الطائرات، فعاد إلى بلاده وأخذ يقنع والده

بضرورة عدة طائرات كما قد أقنعه بلزوم شراء مكنات لحفر الآبار وغيرها من الأمور التي تعود بكثير من الفوائد على الجزيرة وسكانها، ولضرورة الحكومة إلى المصالح اشترى صاحب الجلالة فعلاً بعض الطيارات في هذه السنة، كما أخذ ينتفع بكثير من المخترعات الغربية، ثم إنه أرسل ابن سعود بعد رجوع نجله فيصل بعض الشباب النجديين إلى لندن لدرس كيفية استعمال الراديو والتلفون اللاسلكي وغيرها، كما أنه أخذ يستعمل السيارات في قمع الثورات والقبض على اللصوص والمجرمين، مما زاد في استتباب السلام في الجزيرة واطمأن الناس فيها على أنفسهم كل الاطمئنان، وهو شيء جديد لم تره الجزيرة قبل أيام ابن سعود، بل ولا في سالف الأعوام، وجعل في مكة محطة راديو للإذاعة بقوة ستة كيلوات، وهناك مثلها في الرياض، ولدى جلالة الملك عدة سيارات كبيرة تحمل التلغراف اللاسلكي، وكل هذه المكائن والمخترعات أصبح يديرها شباب من سكان الحجاز ونجد ومن الذين أرسلتهم الحكومة النجدية الحجازية إلى لندن فتعلموا استعمال هذه المخترعات وعادوا إلى بلادهم كموظفين لدى الحكومة وبواسطة هذا يستطيع ابن سعود أن يكون في كل مكان وأن يقمع الثورة عند ظهورها.

ذكر تأسيس دار الكسوة

لما كان في شهر محرم من هذه السنة، بل في مستهلها شرعت الحكومة السعودية في تأسيس دار الكسوة للكعبة المعظمة، وكان ذلك خشيةً من مضايقة الوقت بأن تكون الحكومة ساهرة عينها خشيةً من طوارئ الحكومة المصرية في منع الكسوة كما سلف منها، فصدرت الأوامر السعودية بإنشاء هذه الدار الخصوصية لعمل الكسوة، فقام وزير المالية مبادراً لتنفيذ هذا العمل مبادراً واختط لها موضع بحارة جياد، أمام دار وزارة المالية العمومية، فكانت مساحة الأرض التي أنشئت عليها تلك الدار نحو من ١٥٠٠ متر مربع، وأخذ العمال يعملون بغاية السرعة، فتمت عمارتها في نحو ستة أشهر على دور واحد وعلى حسب المقتضى لعمل الكسوة

بغاية الإبداع والحسن، فكانت هذه الدار أول دار أسست خصيصاً لحياكة كسوة الكعبة المعظمة بمكة المكرمة في عصر جلالة الملك عبدالعزيز، ثم صدرت إرادة الملك عبدالعزيز المعظم بإحضار العمال اللازمين لحياكة الكسوة المشار إليها وعمل التطريز اللازم للحزام وستارة الباب وما يقتضي عمله للكسوة وتوابعها من بلاد الهند، فوصل العمال والأنوال من الهند في ابتداء شهر رجب من هذه السنة إلى مكة المكرمة بواسطة إسماعيل الغزنوي أحد علماء الهند ووجهائها وفضلائها مع الحرير والصباغ وكل ما يلزم لعمل الكسوة المذكورة، ثم صدر أمر صاحب السمو الملكي النائب العام لجلالة الملك المعظم، الأمير فيصل بن عبدالعزيز بإسناد إدارة معمل الكسوة الشريفة إلى الشهم عبدالرحمن مظهر المترجم بوزارة الخارجية السعودية في ذلك الوقت ورئيس مطوفي الهنود حالاً، فقام المذكور بمساعدة وزير المالية عبدالله بن سليمان بإتمام بناء دار الكسوة، ولما تم البناء قام بترتيب رؤساء العمال الواردين لعمل الكسوة كلاً بحسب وظيفته، وكان عددهم عشرين من الخدم وأربعين معلماً، فمجموعهم يكون ستين شخصاً، ولما أن كان في نهاية شهر ذي القعدة من هذه السنة تم عمل الكسوة الشريفة على غاية ما يرام من حسن الحياكة وإتقان الصنعة، وكتب على الحزام الذي في أعلاها ما نصه:

هذه الكسوة صنعت في مكة المباركة العظيمة بأمر خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية أيده الله تعالى بنصره سنة ١٣٤٦ هجرية على صاحبها أفضل التحية وأتم التسليم، فلما كان يوم النحو وهو اليوم الذي تلبس به الكعبة ثوبها الجديد كسيت بها الكعبة المعظمة لا زالت تكسى عاماً بعد عام معظمةً بعز الإسلام، وظهرت عليها في غاية الحسن والجمال، وكانت محل إعجاب العموم ومفخرة خالدة لجلالة ملك المملكة العربية السعودية أدام الله رفعته وأعلى منزلته، وكان هذا بتوفيق الله له بحيث أنه صنعت بمكة المكرمة ولم يصنع قبلها في أم القرى منذ خلق الله الكعبة إلى ذلك اليوم، وقد حاز مدير معمل دار الكسوة عبدالرحمن مظهر جائزة سنية من الحكومة السعودية وشهادة تقدير على عمله ذلك.

وفيها أيضاً تم عمل السبيل الذي يلي باب قبة زمزم بالجهة الشرقية، وهذا صنع على حساب جلالة الملك عبدالعزيز، فعمل بالحجر الرخام المرمر على شكل بديع الصنع، وله ست فوهات على قدر من صدر الرجل الربعة، وهذا هو الثالث من أسبال ماء زمزم لأنا قد قدمنا ذكر اثنين، وقد صرف جلالة الملك عبدالعزيز على إنشائهما وتجديده ما يربو على ثلاثمائة جنيه ذهب، وكتب على هذا الثالث، هذا السبيل أنشأه الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعود.

وفيها أيضاً تم تركيب الكهرباء لإضاءة المسجد الحرام، وهي التي تبرع بها أحد تجار الهند للمسجد، وهي كبيرة بقوة ثلاثين كيلو، وكان تمام التركيب في غرة ذي القعدة، وهذا المتبرع اسمه داود أتبا من أهالي رنكون.

وفيها تم طبع مجموعة التوحيد في مطبعة المنار مبتدأة بكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم بعده كشف الشبهات، ثم جملة رسائل في التوحيد، ثم كتاب الكلمات النافعة، ثم ختمت بحاشية التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وهي المسماة «بقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» وكان طبعها بنفقة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود جزاه الله خير الجزاء، وكم له من يد بيضاء تجود بمثل هذه الأعمال الطيبة، وسيأتي ذكر شيء من مطبوعاته القيمة التي من أعلاها كتاب المغني والشرح الكبير والتفسير وغيرهما.

ذكر ثورة الدويش وأتباعه من البدو المغترين

قد أسلفنا ذكر استعمال ابن سعود للمخترعات الحديثة لتوقف المصلحة على استعمالها، ولكن أعماله تلك ليست بمرضية لدى الدويش وأتباعه، فثاروا على ابن سعود، وكان الدويش بزعمه يظن أنه يستطيع أن يضطر ابن سعود إلى البقاء في البداوة، ويظهر أعمال الدويش أنه يحب عادات البدو من النهب والغارة، وأخذوا أتباعه يحاولون العودة إلى عادتهم القديمة لأن الطبع يغلب التطبع، كما أن بعد ابن سعود عن الرياض لما استناب عليها نجله سعود وجعله في مكانه معيناً أثار عليه الدويش ولم يرض حضارة الحجاز وتمدن أهله، وأسخطه ترحيب ابن سعود

بالمخترعات الجديدة وعقد المعاهدات مع الأوربيين وغير الأوربيين لأنهم بزعمه كفار، وكل معاهدة معهم موالاة يحرمها الدين، ونقموا عليه منعهم من الحدود الشمالية والعراقية أن يقاتلوا أهلها لما مضى من المعاهدات المتقدمة، فهذان أمران.

وثالثهما: أنه أدخل الأجانب على المسلمين مثل فلبي وغيره.

ورابعاً: اتخاذه المكوس إلى غير ذلك، ودين الدويش لا يقبل ذلك، ولقد استطاع أن يصيد بأشراكه هذه، فأما من الإخوان فاستجاب له أمير الغطغط ومن أتبعهم من مطير وعتيبة، فأهم ذلك ابن سعود لما لهذين القائدين من الشجاعة والصرامة وأسف أن يخسرهما جيشه، وأنظم إليهما ابن لامي وابن حثلين، واستفحل الشر وتفتحت أبوابه، ولقد كان أولئك رجالاً أهل صدق في اللقاء، وثبات وجراءة، فلا ننسى ما لاقاه الشريف في وقعة تربة، والطائف، ومكة، وما جرى منهم في وقعة عمان والجهراء، حتى أرهبوا القاصي والداني فغرهم ما جرى على أيديهم، وأعجبوا بأنفسهم وأخذوا يطلبون الأغراض على ابن سعود، واعتدوا على اتفاقياته، وقد انضاف إلى الحمى آلام أخرى، وهي تحرك ملك العراق وأمير شرقي الأردن نجلي الشريف حسين، إذ كانا لا يستطيعان صبراً على الملك الذي فقده والدهما، فلما أحسا بمشاكل ابن سعود في نجد، وأحاطا علماً بثورة الإخوان عليه اغتنما الفرص وأثارا قبائل الحدود، فاشتعلت النار في الجزيرة من جديد.

التعريف بالدويش

كان هذا الرجل أحد قواد البدو الذين يحرزون النصر، ويسير تحت ظل راية ابن سعود، ويسارع في النجدات، غير أنه كان معجباً بنفسه ومعجباً به أتباعه من مطير، وقد يتجاوز الأمر الذي رسم له ويتعدى طوره لفرط غشمته ونكاية ضربته، ، نسأل الله العافية، وما أسرّ عبد سريرة إلا ألبسه الله ثوبها علانية، فيصل وما فيصل كان وربك يطلب الملك لنفسه سخر عمله لإدراك مطلوبه، فقد سأل مرة من يثق به هل كان في المتقدمين بدوي قد ملك.

ولما أن عمرت هجرة الأرطاوية التي هو أميرها بنى فيها مسجداً فرأى بعض الأخيار في منامه منادياً ينادي في ذلك المسجد لما وصل الحيعلة قال : «حي على الضلال» وكذلك يجري منه في بعض الأحيان أمور تدل على ضلاله، ويظهر فلتات لسانه وجراءته ما يبين على أنه مغموص بالغلضة ، فقد يسخر بأحكام الشريعة، كما حكم الشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي على رجل من مطير شج رأس رجل من قبيلة حرب موضحة بخمس من الإبل، فجعل الدويش يغطرس ويستهزئ بقوله: إذاً فليشجه ثانيةً وثالثةً حتى يكون له ذود يا حرب، وكان لا يخاطب جلالة الملك عبدالعزيز إلا باسمه، وينتقد سياسته، ولما أن جعله صاحب الجلالة محاصراً للمدينة المنورة، كان أهلها متحرجين منه كارهين له لما شاهدوه من ضغطه وبطشه وسفكه، حتى شاع أنه أطلق النار على قبة الرسول المعظم مما أثار العالم فاضطر صاحب الجلالة إلى إرساله إلى نجد تخلصاً من شره وتطميناً لسكان الحجاز وجعل مكانه نجله الأمير محمداً، ولما علم سكان المدينة بذهاب الدويش استسلموا للأمير محمد بن عبدالعزيز، وكان الدويش لم يتورع في هذه الفترة عن إثارة كل عرب الحدود من الإخوان وسواهم وغزو الحدود العراقية غير مرة يقتل وينهب ويفعل ما يشاء، وأثخن من لاقاه بالقتل والضرب والنهب حتى قتل بعض الرجال السعوديين لما ذهبوا للتجارة نحو الكويت والعراق، ولما وصل الدويش برجاله إلى حوالي البصرة لم يترك في طريقه منزلاً إلا هده ولا نخيلاً إلا حرقه ولا قريةً إلا هدها، فضجت بريطانيا لذلك، وأصدر ملك العراق فيصل أوامره بإقامة الحصون على الحدود في منطقة كثيرة الآبار وفيرة الماء، وكان هذا باتفاق مع الإنكليز، وكان المهم في هذا الأمر الذي لا خطورة ظاهرة من حدوثه هو فيما إذا كانت هذه المنطقة من المناطق التي اتفق الفريقان على حيادها وتركها مرعى لمواشي القبائل وموطناً للاستسقاء من مائها الغزير.

ومن سوء الحظ أنه كان ابن لفيصل الدويش يرعى مع بعض أفراد قبيلته في هذه المنطقة، فلما رأى العملة الذين أرسلوا لإقامة الحصون فيها، بعث إلى والده

بالخبر، فزحف الدويش وسقط على العراقيين يمعن فيهم قتلاً وفتكاً، فلما هاجم بأتباعه مخفر البصية على الحدود العراقية، قامت السلطات البريطانية تنذرهم وتأمرهم بالابتعاد عنها والذهاب إلى نجد لأنهم رأوا مهاجمات الدويش هوجاء، وقامت بريطانيا تفاوض ابن سعود في مشكلاتهم ويواعدهم بكل خير وأنه عازم على الرحيل إلى نجد لحل المسائل المعلقة حلاً سلمياً وآخر ذلك بعثت بريطانيا سرباً من الطائرات وسيارات مصفحة لضرب الدويش وأصحابه ولكنها توقفت، وذلك بسبب الرمال والرياح القوية، ولأنه وأصحابه قد تعلموا الاختفاء من الطائرات حين يرونها فلا يستطيع منهم نيلاً ولا كيداً فساعة سمعوا رعودها بعثوا حادياً للإبل لتتبعها الطائرات ورصدوا لها في الطريق.

ولما أن مرت الطائرات من فوقهم تريد أشباح الإبل اعملوا عليه البنادق فتحطم بعضها في الجو سقطت ولم يسلم منها إلا القليل غير أنه تمكن بعض الطائرات من السير حتى وصلت الأرطاوية وألقت القنابل والقذائف على ما مرت عليه فرجع ابن سعود مسارعاً إلى الرياض لما بلغه خبر الاضطرابات وأن الطائرات البريطانية قد لحقت بالمعتدين، وحلقت فوق البلاد النجدية السعودية نفسها لنضرب الإخوان، فلما رأى الدويش الطائرات الإنكليزية فوق البلاد السعودية اغتنمها فرصة بقوله أن ابن سعود قد باع نفسه للإنكليز، وجعل ينال بالمسبه ويقول انظروا إلى هذا الكافر يمنع الناس من غزو المدن المجاورة وهؤلاء الإنكليز الذين يمنعنا عن مهاجمتهم لا يتورعون عن مهاجمة النجديين في عقر دارهم، وإذا كان ابن سعود لا يعلن الحرب حالاً على الإنكليز فمن الواجب خلعه، فعندها بعث ابن سعود نبأ برقياً إلى بريطانيا واعمل حيلته حتى تمكن من مراجعة البصرة وطلب إيقاف الطائرات ومنعها من الهجوم، وجعل يسعى في إيقاف القبائل الجائرة، ويمرس النوائب ويعركها وأحس بالخطر لكنه لا يمكنه الاجتماع بالدويش الذي كان بعيداً بل ثائراً، فطلب جلالة الملك من العلماء أن يبذلوا النصيحة ويرشدوا ويبينوا لهؤلاء العتاة الثائرين قبح مصير الإفساد ويخوفوهم من مغبة المعاصي

والتفرق والبغي وأن يكشفوا شبهتهم التي انتقدوه لأجلها وعابوا وخرجوا عليه، فقام العلماء وألفوا الرسائل وبذلوا النصائح وحذروهم من ارتكاب تلك الفضائح، وها نحن نذكر قليلاً من كثير ونشير إشارة وجيزة، فمنها هذا الكتاب الذي نذكره بحروفه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبداللطيف، وسعد بن حمد بن عتيق، وسليمان بن سحمان، وعبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وعمر بن سليم، وصالح بن عبدالعزيز، وعبدالعزيز بن عبداللطيف، وعمر بن عبداللطيف، وعبدالله بن حسن، وعبدالرحمن بن عبداللطيف، ومحمد بن إبراهيم، ومحمد بن عبدالله، إلى من يراه من كافة الإخوان وفقهم الله لما يحب ويرضاه، وجعلنا وإياهم ممن اتبع هداه، آمين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد ذلك أشرفنا على بعض مكاتيب للإمام عبدالعزيز وفقه الله وحفظه من بعض الإخوان، ورأينا فيها بعض الكلام في مسألة الأتيال اللاسلكي وأجناسها وكأنه مشكل عليكم توقفنا العام الماضي عن الجزم بالتحليل وظننتم أن عندنا أمراً قد كتمناه عنكم، وهذا الظن ما ينبغي منكم بنايا إخوانكم، لأن الواجب عليكم أن لا تظنوا أننا نتوقف عن شيء وقد ظهر لنا حكمه مراعاة لوجه أحد من الناس، فنعوذ بالله أن نكون كذلك، وإنما توقفنا اتباعاً لأمر الله وما جاء في سنة رسول الله ﷺ وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل:١١٦]، ونحن ما نقول ولا نعمل إن شاء الله إلا بما ظهر لنا من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأقوال السلف رضي الناس أم غضبوا، وعند العلماء قاعدة مشهورة وهي أن العلماء إذا توقفوا في شيء واختلفوا فيه فلا يعاب على فاعله ولا يعاب على تاركه إلا بدليل شرعي.

فأما مسألة الأتيال وأجناسها فلا والله ونبرأ إلى الله أن يكون قد ظهر لنا فيها أمر محرم من كتاب الله وسنة رسوله، ومن أقوال العلماء ومن أهل الخبرة ممن نثق به فنقول:

من تكلم في مسألة الأتيال بتحريم أو عاب على الإمام بسببها فقد أخطأ وارتكب معصية، وخالف أمر الشريعة، هذا الذي ندين الله به وهو الحق، ونبرأ إلى الله من غير ذلك هذا الذي عندنا ومن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها، نرجوا أن الله سبحانه وتعالى يلهمنا وإياكم رشدنا ويعذنا وإياكم من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا والله على ما نقول وكيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ١٣٤٦هـ، ثم وقع العلماء أسماءهم في أسفله وهم المذكورون بعاليه.

وكتب أيضاً الشيخ سعد بن حمد بن عتيق رسالة مطولة إلى أهل الأرطاوية، والغطغط وغيرهم من عتيبة، ومطير، وقحطان وغيرهم من الإخوان، وآتى بالآيات والأحاديث الدالة على لزوم التمسك بالكتاب والسنة والجماعة والنهي عن التفرق وذكر فيها تحريم الإفتاء بدين الله بلا علم، إلى أن قال: ومما انتحله هؤلاء الجهلة المغرورون الاستخفاف بولاية المسلمين والتساهل بمخالفة إمام المسلمين والخروج على طاعته والإفتيات عليه بالغزو وغيره، وهذا من الجهل والسعي في الأرض بالفساد وحث على لزوم الجماعة وعدم الفرقة، وقال: لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمامة ولا إمامة إلا بسمع وطاعة، وقد وجدت الرسالة محررة في ٣٠ ربيع الأول من هذه السنة.

وكتب أيضاً الشيخان الجليلان محمد بن عبداللطيف والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري رسالة مفيدة ونصيحة سديدة في التحذير من نزغات الشيطان وأنه يأخذ العبد من طريق الشدة إن شم من قلبه صلابة وقوة حتى يخرجه عن الصراط المستقيم أو يأخذه من طريق الجفاء إن شم من قلبه تساهلاً وكسلاً وبينا فيها تحريم إساءة الظن بالعلماء وتحريم عدم الأخذ عنهم بحيث أن الإنسان يكون عمدته مجموعة التوحيد وهو جاهل بما وضع فيها، وتكلما بتحريم إساءة الظن بولي الأمر والخروج عليه وعدم السمع والطاعة له، وإن هذا من دين الجاهلية وأسهبا بالتعريف في حق الإمام الأعظم وأطالا، وقد رأيتها أيضاً محررة في هذه

السنة، ثم إنه عقد صاحب الجلالة مؤتمراً دعا إليه العلماء والأمراء والقواد والرؤساء وبعض الإخوان والشيوخ وغيرهم من كل ناقم عليه منتقد لسياسته، فحضر أولئك المدعوون في أحد أروقة القصر الملكي، وبلغ عدد الحاضرين ثمانمائة من الطبقات، فلم يتخلف أحد من الرؤساء غير هؤلاء الثلاثة: وهم الدويش، وسلطان بن بجاد، وابن حثلين، وهؤلاء هم رؤساء الفتنة، وهم أقوياء كبار لهم أثر في الجزيرة، فعدم حضورهم والحالة هذه يدل على أنهم ينكرون سياسته ولا يريدون الاتفاق معه ولا الرضا بسلطانه، فعند ذلك تجلى صاحب الجلالة عبدالعزيز أمام المؤتمر وأظهر شفقته على وطنه ومحبته لبلاده ورعيته وعطفه على شعبه، فاستمرت المجادلات وطالت المناقشات، ولم يترك الحضور باباً إلا بحثوه، والإمام لا يترك انتقاداً دون ما جواب، ولا رأياً دون ما نقد ولا حجة لا يقرعها بحجة أقوى وأضخم وأخيراً وقف يخطب الحضور فقال:

إني لم أطلب منكم أن تجتمعوا اليوم في هذا المكان خشيةً منكم، فإني قد أسست هذه المملكة بقدرة الله وحده الذي عاضدني وساعدني والذي كتب لي الفوز وكتب لي التوفيق، وإن خوفي من الله وحده، هو الذي حدا بي لأن أجمع شملكم اليوم لنتباحث معاً، وقد فعلت ذلك حتى لا أقع في نقيصة الإعجاب بالنفس والكبرياء، فذابت قلوب النجديين أمام أقوال هذا الرجل العظيم الذي يهاب الله إلى هذا الحد ويخشاه إلى هذا المقدار، ولا شك بأن هذا الملك موفق في كلامه موفق في أقواله وفي أفعاله بحيث ضرب على الوتر الحساس الذي يطرب له البدوي الذي كان يريد من قائده أن يكون باسلاً كل البسالة، واثقاً بنفسه كل الثقة، ولكن البدوي يريده أن يكون خاشعاً أمام الله كل الخشوع ورعاً كل الورع، جعل يتكلم صاحب الجلالة فسحر بكلامه مسامعهم وأدهشهم بفصاحته حتى بهر السامعين، واقتنع الجاهلين، وسكب العبرات من عيون الحاضرين، ثم قال: أيها الإخوان تعلمون عظم المنة التي منَّ الله بها علينا بدين الإسلام، إذ جمعنا به بعد الفرقة، وأعزنا به بعد الذلة، واذكروا قوله تعالى: ﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾

[التوبة:١٠٥]، إن شفقتي عليكم وعلى ما منَّ الله به علينا، وخوفي من تحذيره سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١]، كل هذا دعاني لأن أجمعكم في هذا المكان لتذكروا:

أولاً: ما أنعم الله به علينا فنرى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة.

وثانياً: لأمرٍ بدا في نفسي وهو أنني خشيت أن يكون في صدر أحد شيء يشكوه مني أو من أحد نوابي وأمرائي بإساءة كانت عليه أو بمنعه حقاً من حقوقه، فأردت أن أعرف ذلك منكم لأخرج أمام الله بمعذرةٍ من ذلك وأكون قد أديت ما علي من واجب.

وثالثاً: لأسألكم عما في خواطركم ومالديكم من الآراء، ومما ترونه يصلحكم في أمر دينكم ودنياكم.

أيها الإخوان: إن القوة لله جميعاً وكلكم يذكر أنني يوم خرجت عليكم كنتم فرقاً وأحزاباً يقتل بعضكم بعضاً، وينهب بعضكم بعضاً، وجميع من ولاه الله أمركم من عربي أو أجنبي كانوا يدسون لكم الدسائس لتفريق كلمتكم وإضعاف قوتكم لذهاب أمركم، ويوم خرجت كنت محل الضعف وليس لي من عضد وساعد إلى الله وحده، ولا أملك من القوة إلى أربعين رجلاً تعلمونهم ولا أريد أن أقص عليكم ما منَّ الله به علي من فتوح ولا بما فعلت من أعمال معكم كانت لخيركم، إن تاريخ ذلك منقوش في صدر كل واحد منكم وأنتم تعلمون جميعاً وكما قيل:

«السيرة تبين السريرة» إنني لم أجمعكم اليوم في هذا المكان خوفاً أو رهباً من أحد منكم، فقد كنت وحدي من قبل وليس لي مساعد إلا الله فما باليت الجموع والله هو الذي نصرني وإنما جمعتكم كما قلت لكم خوفاً من ربي ومخافةً من نفسي أن يصيبها زهو أو استكبار، جمعتكم هنا في هذا المكان لأمر واحد ولا أجيز لأحد أن يتكلم في غيره، ذلك هو النظر في أمر شخصي وحدي فيجب أن تجتنبوا في هذا المجلس الشذوذ عن هذا الموضوع أما الأشياء الخارجة عن هذا فسأعين لكم اجتماعات خاصة وعامة ننظر فيها، أريد منكم أن تنظروا أولاً فيمن يتولى أمركم

غيري وهؤلاء أفراد الأسرة أمامكم فاختاروا واحداً منهم ومن اتفقتم عليه فأنا أقره وأساعده وكونوا على يقين بأنني لم أقل هذا القول استخباراً لأنني ولله الحمد لا أرى لأحد منكم منةً علي في مقامي هذا، بل المنة لله وحد، ولست في شيء من مواقف الضعف حتى أترك الأمر لمنازع بقوة ولا يحملني على هذا القول إلا أمران:

الأول: محبة راحتي في ديني ودنياي، والثاني إني أعوذ بالله من أن أتولى قوماً وهم لي كارهون، فإن أجبتموني إلى هذا فذلك مطلبي ولكم أمان الله فإن من يتكلم في هذا فهو آمن ولا أعاتبه لا آجلاً ولا عاجلاً فإن قبلتم طلبي هذا فالحمد لله، وإن كنتم لا تزالون مصرين على ما كلمتموني به على أثر دعوتي لكم فإني أبرأ إلى الله أن أخالف أمر الشرعي في اتباع ما تجمعون عليه مما يؤيد شرع الله، فصاح الحضور على نفس واحد وتعالت الأصوات لا نريد بك بدلاً يا عبدالعزيز كلا لا نرضى بغيرك ملكاً ثم صمت ثم استمر في الخطبة، فإذا لم يحصل ذلك منكم فابحثوا في شخصي وأعمالي، من كان له علي أنا عبدالعزيز شكوى أو حق أو انتقاد في أمر دين أو دنيا فليبينه ولكل من أراد الكلام عهد الله وميثاقه وأمانة إنه حر في كل نقد بينه ولا مسؤولية عليه، وإني لا أبيح لإنسان من العلماء ولا من غيرهم أن يكتم شيئاً من النقد في صورة، وكل من كان عنده شيء فليبينه ولكم علي أن كل نقد تذكرونه أسمعه، فما كان واقعاً أقررت به وبينت سببه وأحلت حكمه للشرع يحكم فيه، وما كان غير بين وهو عندكم من قبيل الظنون فلكم علي عهد الله وميثاقه أنني أبينه ولا أكتم عليكم منه شيئاً، وأما الذي تظنونه مما لم يقم فأنا أنقيه لكم وأحكم في كل ما تقدم شرع الله فما أثبته، وما نفاه نفيته.

أنتم أيها الإخوان: أبدوا ما بدا لكم وتكلموا بما سمعتموه وبما يقوله الناس من نقد ولي أمركم أو من نقد موظفيه المسؤول عنهم وأنتم أيها العلماء اذكروا أن الله سيوقفكم يوم العرض وستسألون عما سألتم عنه اليوم وعما أمنكم عليه المسلمون فأبدوا الحق في كل ما تسألون عنه ولا تبالوا بكبير ولا صغير وبينوا ما أوجب الله للرعية على الراعي وما أوجب للراعي علي الرعية في أمر الدين والدنيا

وما تجب فيه طاعة ولي الأمر، وما تجب فيه معصيته وإياكم وكتمان ما في صدوركم في أمر من الأمور التي تسألون عنها ولكل من تلكم بالحق عهد الله وميثاقه أنني لا أعاتبه أني أكون مسروراً منه وإني أنفذ قوله الذي يجمع عليه العلماء والقول الذي يقع الخلاف بينكم فيه أيها العلماء فإني أعمل فيه عمل السلف الصالح إذ أقبل ما كان أقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أو أقول أحد العلماء الأعلام المعتمد عليهم عند أهل السنة والجماعة وإياكم أيها العلماء أن تكتموا شيئاً من الحق تبتغون بذلك مرضاة وجهي فمن كتم أمراً يعتقد أنه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة، وأظهروا الحق وبينوه وتكلموا بما عندكم، فرد العلماء بأنهم يبرءون إلى الله من كتمان ما ظهر لهم من الحق ويعلنون أنهم ما نصحوه إلا انتصح ولو رأوا في عمله ما يخالف الشرع لما سكتوا عنه وهم ما رأوا منه إلا الحرص على إقامة شعائر الدين واتباع ما أمر الله ورسوله به، ثم نهض بعض الحضور وقال لا نعرف ما ينتقد إلا الأتيال «اللاسلكي» فيقال أنه سحر ولا يخفى حكم السحر والسحرة في الإسلام.

الثاني: القصور المخافر التي تبنيها حكومة العراق على الحدود وهذا ضرر على أرواحنا وأوطاننا، فأجابه صاحب الجلالة قائلاً: ليس في الشريعة ما يمنعنا من الانتفاع بطرق المواصلات الحديثة والتمشي مع التقدم العلمي ومع هذا فإني أترك هذه الأمور للعلماء والتفت إلى العلماء فأفتى العلماء بأنهم لم يجدوا في الكتاب ولا في السنة ولا أقوال العلماء العارفين دليلاً بالتحريم وإن من يقول بالتحريم يفتري على الله الكذب ونبرأ إلى الله منه، ثم أجاب ابن سعود، إن الحامل على بناء المخافر دعوى أنكم أنتم الذين بدأتم بالعدوان وذلك بقتل السرية التي أرسلها الدويش لأهل «بصية» ثم غزوات الدويش التي تبعتها في حين أني أنا يا ابن سعود ما قمت بذلك وأنتم يا أهل نجد ما حميتم ذمة والي أمركم وإنهم يزعمون أن الباعث على بنائها المخافة من خطركم فصاح الإخوان وضجوا: بأننا نبرء إلى الله من الدويش وقاطعناه هو ومن معه وإنا على استعداد لمهاجمته ومجازاته، يا

عبدالعزيز إننا نبايعك على السمع والطاعة وأن نقاتل من تشاء عن يمينك وشمالك ولو دفعتنا إلى البحر لخضناه، إنا نبايعك على مقاتلة من ينازعك ومعاداة من عاداك ونقوم معك ما أقمت فينا الشريعة.

أولئك الإخوان الذين لما عرفوا حسن قصده وما يكنه ضميره من النصح لهم والشفقة عليهم قدموا نفوسهم أمام تنفيذ إرادته وعادت ثقة الناس به واطمأن إلى إخلاصه الإخوان فذهب كل جماعة إلى قبيلتهم دعاة لابن سعود وينشرون العداوة لعدوه، فانظر إلى مكارم أخلاق ابن سعود بما أبداه إلى شعبه وإن كان ليس بفقير إليهم فإن كلامه هذا استطاع به أن يجمع حوله الشعب كله ولقد كان عرضه التنازل عليهم سبباً في تقوية نفوذه وإعلاء مكانته واشتداد التعلق به فكان بإمكانه يومئذ أن يضرب خصومه الثلاثة الضربة القاضية ولكنه تركهم يبحثون عن حتفهم.

وقد رأت الحكومة الإنكليزية أن توفد «السير جلبرت كلايتون» إلى جدة في هذه السنة يحمل النيابة عن الإنكليز، وقد تمكن ابن سعود من ضبط تلك القبائل الجائرة وإيقافها عند حدها كما أنه طلب أيضاً من بريطانيا الاصطبار ريثما يتفق بالوفد لتسوية المسائل المختلف عليها، ولما أن اتفق به الوفد البريطاني وقد أحس أنه جاءه ناقماً غاضباً وأن لندن غاضبة ناقمة لم يترك لخصمه أن يبدأه بالكلام بل تكلم هو بالشكوى من خطأ السياسة الإنكليزية وكيف أنها أخذت تهاجم أرضه بطائراتها مع أنه تربطها معه معاهدة ولاء وصداقة وقد ساعدت الظروف السياسية ابن سعود كما أنه ساعده البترول وقرب منابعه من مواطن ابن سعود والوهابيين فتراجع كلايتون وانتهى الأمر بعد أخذ ورد بالاتفاق، وكان المندوب البريطاني يحمل تقريراً عظيماً في أول مجيئه وهذا معناه:

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بعد التحية لا يستقيم إتيان بدوان من رعيتكم تقتل أهل العراق، والكويت وتفعل تلك الأفاعيل الوحشية فلا بد من عرض أمور أربعة على حضرتكم:

أولاً: هؤلاء رعيتك يلزمك أن تمنع اعتدائهم.

ثانياً: تكون عاجزاً عن إيقافهم فإن الحكومة البريطانية قادرة بنشاط على محوهم فعين لنا أمكنتكم وسترسل عليهم الطيارات لتمطرهم النار والقذائف.

ثالثاً: يكون هذا عن إرادتك وتدابيرك فيعتبر غدراً وإذا كنتم تغدرون ودين الإسلام يتحاشى عن ذلك فجزاء السيئة سيئة مثلها.

رابعاً: تقول هذا أمر مقدر وكل شيء بقدر وما مضى لا يمكن رده فمن هذه الساعة فأتوا بالخيط والمخيط وضعوا حداً لهذا الاعتداء وقوموا بضمان ما أتلفته تلك القبائل الجائرة.

ولقد استطاع ابن سعود أن يقنع بريطانيا ويرجع مندوبها قانعاً، أما أولئك الأعداء الثائرون فإنهم أجلاف قاموا يبحثون في عزل ابن سعود وخلفه وإذا خلعوه فمن يكون في مقامه وطفقوا يسألون عن الوالي الذي يولونه بعده وانبعثوا يتفاوضون وأخذت مشاكل الدرويش، وابن حميد، وابن حثلين وأتباعهم ممن التف إليهم تتطور وتنذر بالشر والويل، فرأى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن سعود أن لا فائدة في التريث عن النهوض في أقرب وقت لوضع حد لقطع هذه الثائرة غير أنه أشار عليه بعض الأصدقاء في القصيم وهذا المشير هو النبيه المصقع «فهد بن علي الرشودي» وكان من أهل الرأي والمعرفة والإخلاص أن يدافعهم ليتمكن من إحضار السلاح والذخيرة على مهل ولكن من أين لهم أن يندفعوا وقد وثقوا كل الثقة أنهم غالبون ليسوا بمغلوبين وأنهم قاهرون لمن سواهم من العالمين فطلب منهم صاحب الجلالة أن ينظروا في أمرهم ويفكروا في شأنهم فلعلهم أن يتراجعوا عن تلك الفكرة.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

فمن ذلك أنه سار صاحب الجلالة عبدالعزيز بموكبه العظيم إلى بريدة عاصمة القصيم فنزل فيها بقصر الحكم ولما آنس الأهالي بقدومه على أثر تلك الزعازع تهيئوا للاستقبال وأغلقوا الدكاكين وعطلوا جميع أعمالهم وخرجوا من حينما

فرغوا من صلاة الفجر إلى ساحة البلاد وصفوا صفوفاً لا يتخلون عن مكانهم إلا أن تقام صلاة فريضة فيذهبون لأدائها ويرجعون مسارعين، ولقد شاهدت ذلك الاستقبال في حال صغر سني فما رأيت استقبالاً أعظم ولا أبهى ولا أهيب منه وما زالوا على تلك الحال المرهبة حتى قدم إلى بريدة بعد غروب الشمس على سيارته وقد أعد لها كراج في وسط البلد وقام الأهالي يرحبون ويقدمون له كل غال وثمين وقد جلس في صباح تلك الليلة في ظرف ثلاث ساعات بأربعة عشر بيتاً من بيوت أهالي بريدة يتناول القهوة العربية وبعد ذلك عزل وولى ونفذ تدابير واحتاط للأمر وجعل على إمارة بريدة «مشاري بن جلوي» وكان فاتكاً شجاعاً مهاباً يقول ويفعل ويبطش بطشاً عظيماً فهابه جميع أهالي مقاطعة القصيم وذلك لجرأته وفتكه ولأن تلك المقاطعة على مقربة من البغاة وأحضر ابن سعود فيها السلاح والذخيرة وأذاع للأمة بأنها سكة جديدة للتعامل في النقود، وبذل للبغاة النقود والكسوة والعطايا الجمة ونفذ رغباتهم في الطلب، حتى أن عبدالعزيز بن فيصل الدويش جعل يطلب من جلالته بطلبات «من الطيب وعود الند» ونحو ذلك مما لا يعرف وزنه ولا كيله فمنها أنه طلب قنطاراً من العود الند وثلاث مصفحات «تنك» من العطر فتكلم أحد خزان جلالة الملك على الفور مخاطباً للملك بأن الأمير إنما أراد رطلاً من العود وثلاثين تولة من العطر فأجاب الجلف نعم يا عبدالعزيز هو كما قال لأنه لا يفرق بين المذكورات، وأخذوا تلك الجوائز وانصرفوا شاتمين ناقمين.

وفاة الأمير عبدالرحمن الفيصل

وكانت وفاته يوم الجمعة ١٣/ ١٢ من هذه السنة وهذه ترجمته:

هو الإمام الهمام العاهل المقدام سلالة الأفاضل الكرام ذو الرأي السديد والدين والكرم والعلم والفضل عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد سعود والد جلالة الملك عبدالعزيز، وعبدالرحمن هذا أصغر أنجال الإمام فيصل تأمر على الرياض في وقت فتن ومحن بين آل سعود، ولما أن بزغ نجم آل رشيد

وجرت واقعة المليداء وتمكن ابن رشيد أخذ المترجم أولاده وأهله وذهب إلى الكويت فاستقر بها بعد شد و رحيل في الصحراء، ثم لما أظهر الله نجله عبدالعزيز موضع الإكرام والاحترام فيها لما قام بذلك النجل من البر والصلة والاحتشام فعاش بخير ومرجعاً لنجله في المشورة بعدما تنازل له نجله عن الملك ليكون هو الحاكم في نجد فأبى واختار أن يكون والداً حنوناً يكرم العلماء ويوقرهم ويقربهم وكان عفيفاً كريماً غيوراً شجاعاً قوياً وكهفاً منيعاً لأهل الدين وقد أسلفنا شيئاً من ترجمته وكان يربي أنجاله ويهذب أخلاقهم ويعلمهم العلوم الدينية ويحرص على تقدمهم وها قد حصلوا على ما كان يطلب، وقد امتدحه الشعراء بالقصيد وأثنوا عليه فمن ذلك ما قاله الشيخ سليمان بن سحمان رحمة الله عليه تهنئة له بالنصر على ابن متعب لما انتهز فرصة غياب صاحب الجلالة فسطى العدو على الرياض وثار عليه أهل الرياض بقيادة الإمام عبدالرحمن وهي هذه:

فيا نجل سادات الملوك ذوي التقى ... ومن فاق في جود أطيد وفي مجد
عليك بشكر الله والحمد والثنا ... وإظهار دين الله جهراً على عمد
ملكت فأسجح وأبذل العفو والندى ... فبالعدل تنجو في غد نائل القصد
لقد كنت يا شمس البلاد مسدداً ... ورأيك محمود وعقباك للحمد
فلا زلت وطاء على هامة العداء ... لك النقض والإبرام في الحل والعقد
ولا زلت مسرور الفؤاد مؤيدا ... وضدك في كبت وكمت وفي ضهد

وقال أيضاً الشاعر حسين بن علي بن نفيسة يهنئه لما عاد إلى الرياض بعد مبارحتها مدة طويلة ويذكره مآثره وأخلاقه السامية:

خليلي شدا اليعملات لرحلة ... كرحلة بيت الله لطالب النجا
ولا ترفقا في السير بورك فيكما ... بعقب كما حثا المطايا لتدلجا
إلى عابد الرحمن جرثومة الهدى ... وحصن اللجا منجي الركاب على الوجه
وهنا إمام المسلمين بمنزل ... بأرجائه المعروف والدين والرجا
سمام العدى إن ألم البأس في المدى ... وفي الأمن للمنتاب يحظى بمارجا

هو الغيث لو صابة سحائب جوده — على البحر كان البحر عذبا مثلجا
وفي وجهه سيما التعبد دائماً — مناقبه فاقت أولي الحلم والحجا
حريص على إحياء سنة أحمد — حري بأن يجعل له الله مخرجا
وفياً سخياً فاضلاً وابن فاضل — يجازي الندى لا زال أجرى والهجا
فكل خصال الخير كانت به معاً — منيعاً مطيعاً مرتجاً وملتجا
سلالة من أبدى المحاسن فيصل — إمام التقى عن كل عيب تحرجا

أما أنجاله فمنهم الرجل العظيم الذي افتخرت به الأواخر على الأوائل، وفاق على أقرانه بالجد والفضائل، صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي أخضع البلدان وغلب على الأقران وأباد عجلان وأبطل عبادة الأوثان.

ومنهم صاحب السمو محمد بن عبدالرحمن الذي ما زال معاضداً لأخيه ومناصراً له وكان فاضلاً محترماً محتشماً، ومنهم سعد وقد توفي بعد فتح الإحساء وكان مثقفاً ومنهم عبدالله بن عبدالرحمن وكان نبيهاً فاضلاً مستشاراً لدى أخيه الملك، ومنهم أحمد بن عبدالرحمن وكان وديعاً حسن الخلق، ومنهم مساعد بن عبدالرحمن، ومنهم سعد بن عبدالرحمن وهو أصغرهم.

أما الإناث فمنهن «الأنور» ابنة عبدالرحمن وكانت ناسكة عاقلة ذات شأن كبير ولها مقامات في الفضل وسعة الرأي وكثيراً ما ينتخي ويعتزي جلالة الملك بأخوتها، أما أخوة المترجم فقد تقدم ذكرهم.

وممن توفي فيها من الأعيان «عبدالقادر بن بدران» وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم العلامة المحقق المفسر المحدث الأصولي الكبير الفقيه المتبحر النحوي المتفنن، عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد بن عبدالرحيم الأثري الحنبلي الدومي ثم الدمشقي المعروف لقباً بابن بدران، ولد ببلدة «دوما» من أعمال دمشق وتلقى العلوم مدة لا تزيد عن ست سنوات عن جهابذة المشايخ أشهرهم الشيخ العلامة محمد بن عثمان الحنبلي المشهور بخطيب «دوما» المتوفى بالمدينة المنورة، ثم بعد ذلك عكف

على المطالعة لنفسه حتى برع في الكتاب والسنة والأصليين والمذهب ومعرفة الخلاف وسائر العلوم العقلية والأدبية والرياضية، وكانت وفاته في ربيع الثاني من هذه السنة، وكان رحمه الله شيخاً جليلاً متقفياً لطريقة السلف الصالح مدافعاً عنها، صابراً على أذى الأعداء فيها تاركاً للتعصب، مع الدين والتقوى والعفة والصلاح زاهداً في حطام الدنيا متقللاً منها متقشفاً في ملبسه ومسكنه ومعيشته كثير التنقل بين قرى غوطة الشام لتبليغ العلم للعامة وتعليمه للطلبة الذين لا يستطيعون الرحلة، لأن أكثر أهل هذه القرى حنابلة المذهب وارتحل إليه آخرون من الفازان وغيرهما فكانوا يسألونه عن المشكلات فيحلها لهم بأجوبة مفصلة، كان فيما مضى يدرس تحت قبة النسر في الجامع الأموي التفسير، والحديث، والفقه، ثم انتقل أخيراً إلى مدرسة عبدالله باشا العظم المشرفة على القلعة الفرنساوية، وكان شافعياً ثم تحنبل، وسبب ذلك كما قال بعض الخواص كنت في أول عمري ملازماً لمذهب الإمام الشافعي رحمه الله سالكاً فيه سبيل التقليد ثم من الله علي فحبب إلي الاطلاع على كتب التفسير والحديث وشروحها وأمهات كتب المذاهب الأربعة وعلى مصنفات شيخ الإسلام وتلميذه الحافظ بن القيم وعلى كتب الحنابلة فما هو إلا أن فتح الله بصيرتي وهداني للبحث عن الحق من غير تحزب لمذهب دون مذهب فرأيت أن مذهب الحنابلة أشد تمسكاً بمنطوق الكتاب العزيز والسنة المطهرة ومفهومهما فكنت حنبلياً من ذلك الوقت، وكان المترجم رحمه الله يلوح على كلامه علم الإخلاص ونور اليقين فكان قد وضعه بوضع المتقدمين.

ذكر مؤلفاته

ألف المؤلفات التي تشهد له بالفضل وسعة الاطلاع غير أن بعضها لم يكمل، ووجهه فيما يظهر ما أصيب به من داء الفالج في آخر عمره حتى خدرت يمناه عن

الكتابة واستعان عليها باليسرى، فمنها كتاب جواهر الأفكار ومعادن الأسرار في التفسير لم يكمل، وكتاب شرح سنن النسائي لم يكمل، وشرح العمدة سماه مورد الأفهام من سلسبيل عمدة الأحكام جزءان، وشرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، وشرح الأربعين حديثاً المنذرية في جزء، وشرح الشهاب القضاعي في الحديث في جزء، وشرح النونية لابن القيم في التوحيد، وشرح روضة الأصول للموفق بن قدامة في مجلدين، كتاب المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل وهو كتاب عظيم النفع جليل القدر، وحاشية على شرح المنتهى جزءان بلغ فيها إلى باب السلم، وحاشية على شرح الزاد، وحاشية على أخصر المختصرات، وتعليق على مختصر الإفادات، وكلا الكتابين للشيخ بدر الدين البلباني ودرة الغواص في حكم الزكاة بالرصاص، وحاشية على رسالة الشيخ الموفق في ذم الموسوسين، وشرحان على منظومتي الفرائض، وله كتاب طبقات الحنابلة لم يكمل وكتاب سبيل الرشاد إلى حقيقة الوعظ والإرشاد، جزءان وتهذيب تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر في ثلاثة عشر مجلداً اعتنى فيه بتخريج أحاديثه، وكتاب الآثار الدمشقية والمعاهد العلمية في جزء، وإيضاح المعالم من شرح الألفية لابن الناظم جزءان، ولخص الفرائد السنية في الفوائد النحوية للشيخ أحمد المنيني الدمشقي في رسالة سماها آداب المطالعة.

وله شرح الكافي في العروض والقوافي في جزء لطيف، والعقود الدرية في الفتاوى الكونية في مجلد، والعقود المرجانية في جيد الأسئلة القازانية كبرى وصغرى في مجلد وتلخيص كتاب الدارس في المدارس للنعيمي، ورسالتان في أعمال الربعين المجيب والمقنطر، وديوان خطب منبرية، وديوان شعر اسمه تسلية الكئيب عن ذكرى الحبيب.

هذا سوى ما كان من الفتاوى والرسائل في أصناف العلوم مما لو جمع لبلغ مجلدات وبالجملة فقد كان غرة عصره ونادرة دهره فرحمه الله رحمة واسعة وقد رثاه بعض معاصريه بأبيات وهي قوله:

نار الجوى قد سرت في الجسم بالسقم فالدمع ما بين مسجون ومنسجم
عم الأسى وعلا السيل الربى وربا وكدت لولا الحيا أصبو من الألم
أيحسب الغمران العمر لا نحس به فيا قرب هذا الوهم للوهم
يا عين جودي دماً سحا على أدم واستنزلي عبراً أدهى من الديم
لام العذول بإلحاح فقلت له إليك عني فلو أصبت لم تلم
إني كفاني من أمر دهمت به فالحزن مني ودائي غير منجسم
بالله دعني أنوح هائماً وأقل والهف نفسي لفقد البدر في الظلم
بحر العلوم بحور العلم تغبطه وابن الكريم فقل ما شئت من كرم
لاح اسمه قمراً في اللحد منخسفاً حسا ومعنى فحال القلب في ضرم
هو الذي تشرق الدنيا بطلعته لا شمسها وأبو إسحاق ذو الشيم
سقى ضريح حماه صوب مغفرة من الإله مزيل الكرب والنقم
يا نفس لا تجزعي مما دهى فلكم لله من فرج يشفيك من ألم
فاستسلمي ودعي الأقدار جارية فأنت صائرة لا شك في العدم
وأنهي صلاة بتسليم يقارنها على شفيع الورى في مجمع الأمم

ومنهم العارف الماهر المجد في طلب العلم ذا المعرفة بأصول الدين العالم علي بن محمد الوقيصي كان رحمه الله ومن خيرة تلامذة الشيخ عمر بن محمد ابن سليم وله شهرة ومنزلة عالية وعليه آثار السكينة ونور العلم وبهاء الطاعة وكان في صفته ربعة من الرجال ناتئ الجبهة نحيف الجسم يحب أهل الدين ويميل إليهم وله معاملة في البيع والشراء لتأمين معيشته.

وقد توفى في هذا المجال حبران عالمان زاهدان هما عبدالله بن صالح الجوعي ذو العلوم الدينية والفتوحات الربانية وكان حافظاً للقرآن حسن القراءة عفيفاً تقياً متواضعاً يحب الخمول ويؤثر التقشف ويعامل الله بالطاعة ويقرب المتقين وينتمي إليهم ويحبهم ويظهر عداوة من حاد الله ورسوله.

والحبر الثاني الزاهد العفيف الناسك «عثمان بن عبدالله بن محمد بن دخيل»

والده قاضي المذنب وكان المترجم سمحاً لين العريكة عاقلاً وديعاً وكلاهما من خيرة تلامذة الشيخ عمر بن سليم رحمة الله عليهما وقد توفاهما الله تعالى في سن الشباب وفي حال طلب العلم وعلى أحسن حالة تسر المحب الوفاة عليها وقد أصيب الدين وأهله بوفاتهم فإنا لله وإنا إليه راجعون ولي من أبيات في رثائهم:

لهـم في فنـون العلـم بـاع طويلـة ... بهمـة منهـوم لنيـل الفضـائل
وتغـدوا إلى نحـو العـلا همـم لهـم ... تسـرح أفكـاراً وتـأتي بالمسـائل
إذا قيـل مـن للمشـكلات يحلـها ... ويكشـف خـاف بـالبحوث الجزائـل
ويحمي حما التوحيـد من كـل غـادر ... جهـول خبيـث مـن عتـاة الأراذل
بنحـو وقـرآن وفقـه وحجـة ... يقررهـا الوحيـان طبـق المشـاكل
تجـدهم بمـا حـازوا يفوقـون قـرنهم ... بعـزم وإقـدام صـفات الأماثـل
وإن أشـكلت يومـاً غمـوض بحوثهـا ... وضل بهـا النحريـر سبل الأفاضـل
ودام علـى إشـكاله كـل غـامض ... وأعيـا فخباهـا كـبير المحافـل
فيكشـف كـل قنـاع عويصـها ... ويجلـو محياهـا سـريعاً بعاجـل
وتلـك لعمـري للخصـال حميـدة ... تقربهـا عـين اللبيـب وكامـل
حيـاة بـلا علـم حيـاة ذميمـة ... كحـال ذوي الجهـل أهيـل التغافـل
إذا قيـل قـال الله قـال رسـوله ... تجـدهم صـدوداً عـاقهم كـل شـاغل
فسـحقاً لمـن قـد فاتـه رقـي رتبـة ... لهـا شمخـت أعـلام أهـل الفضـائل

إن الحكومة السعودية قد مكن الله لها في الأرض وأصبحت في نعمة وعز وكرامة غير أنها أصيبت بهذه المحنة وهي ثورة الإخوان وما يترتب من صنيعهم لأنهم قد أخافوا الشعب وأحدثوا هذه المشاغبة وأصبح صاحب العظمة حائراً في معالجتهم ومعاملتهم وأشد شيء إنما هو شماتة الأعداء بهذا الانشقاق وما أحسن ما قيل:

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد ... وهب لصروف الدهر ما أنت واجد
إذا خانك الأدنى الذي أنت خله ... فـوا عجبـاً إن سـالمتك الأباعـد

وإذا كان عبدالعزيز يريد أن يسير بالمملكة إلى الأمام بتعمير المساجد وطبع الكتب وبعث بعثات من الشبان النجديين والحجازيين إلى أوربا ومصر لتلقى العلوم والصناعات وأسس دار الكسوة للكعبة المعظمة وغير ذلك فما يصنع بهذه الأحجار التي وقفت في الطريق وحيرت الألباب.

ولما أن رأى ابن سعود حروجة الموقف اضطر إلى امتشاق الحسام ضرورة وفي شهر شعبان قدم وافداً على صاحب الجلالة الملك المعظم يريد أن ينشد بين يديه هذه القصيدة الأستاذ الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين بمناسبة الجمعية العمومية في الرياض:

أجل إنه ربع الحبيب فسلم ... وقف نتبين ضاعنا من مخيم
معاهد حل الحسن فيها نطاقه ... وقرة عين الناعم المتنعم
عهدت بها بيضا أوانس كالدمى ... غرائر ملهى للمحب المتيم
عوابث بالألباب من غير ريبة ... نوافر بالأبدان عن كل مأثم
وقفنا جنوحاً بالربوع فواجم ... وآخر قد أدمى الأصابع بالفم
فقلت لصحبي رفعوا العيس والطموا ... بأخفافها ظهر الصعيد المركم
نجائب لولا أن عرفنا فحولها ... لقلنا لهيق خاضب الساق أصلم
طوينا بها حزن الفلا وسهوله ... وقد خضبته من ظلاف ومنسم
إذا ما أدرنا كأس ذكرك بيننا ... يكدن يطرن بين نسر ومرزم
يردن المكان الخصب والملك الذي ... إليه بنوا الآمال بالقصد ترتمي
أمام بني الدنيا الذي شهدت له ... على رغمها أملاكها بالتقدم
هو الملك الحامي حمى الدين بالتقى ... وسمر العوالي ركبت كل لهذم
له هزة في الجود تفني عفاته ... وأخرى بها حتف الكمي المعلم
له سلف يعلو المنابر ذكرهم ... وينحط عنه قدر كل معظم
هم أوضحوا للناس نهج نبيهم ... بمحكم آيات وشفرة مخذم
ليوث إذا لاقوا بدور إذا انتدوا ... غيوث إذا أعطوا جبال لمحتم

وإن وعدوا أوفوا وإن قدروا عفوا ... وإن حكموهم أقسطوا في المحكم
يصونون بالأموال أعراض مجدهم ... إذا ظن بالأحوال كل مذمم
وهم يرخصون الروح في حومة الوغى ... إذا كع عنها كل ليث غشمشم
أولئك أوتاد البلاد ونورها ... صنائعهم فيها مواقع أنجم
مضوا وهم للناس في الدين قادة ... مفاتيح للخيرات في كل موسم
فلما غشانا بعدهم ليل فتنة ... به عم نهب المال والسفك للدم
أغاث إله العالمين عباده ... بمن شاد ركن الدين بعد التثلم
إمام الهدى عبدالعزيز بن فيصل ... سمام العدى بحر الندى والتكرم
همام أفادته القنا وسيوفه ... وهماته أن يمتطي كل معظم
هو القائد الجرود العناجيج شزبا ... وكل فتى يحمي الحقيقة ضيغم
جحافل يغشى الطير في الجو نقعها ... ويزعجن وحش الأرض من كل مجثم
فأمنها بالله من أرض جلق ... إلى عدن مستسلماً كل مجرم
فلا متهم يخشى ظلامة منجد ... ولا منجد يخشى ظلامة منهم
فما أعظم النعمى علينا بملكه ... ولكن بعض الناس عن رشده عمي
لك الفضل لو ترغم أنوف معاشر ... سروا في دجا من حالك مظلم
يعيبون بالشيء الذي يأخذونه ... فوا عجباً من ظالم متظلم
تنزهت عن فعل الملوك الذين هم ... دعوا أمراء المؤمنين بمحكم
فلا شارباً خمراً ولا سامعاً غنى ... إذا نقرت أوتاره للترنم
ولا قول مأمون نحلت ولا الذي ... أتى بعده في عصره المتقدم
وكلهم يدعى خليفة وقته ... وطاعته فرضٌ على كل مسلم
ولكن نصرت الحق جهدك واعتلت ... بك السنة الغراء في كل معلم
فأصبحت الدنيا وريفاً ظلالها ... عروساً تباهي كل بكرٍ وأيم
وألفت شمل المسلمين وقد غدوا ... أيادي سبا ما بين فذٍ وتوأم
عفوت عن الجاني وأرضيت محسنا ... وعدت بإفضالٍ على كل معدم

فلو أنهم أعطوا المنى في حياتهم وقوك الردى منهم بكل مطهم
فلولاك لم تحل الحياة ولم يكن إليهم لذيذاً كل شربٍ مطعم
بنيت بيوت المجد بالبيض والقنا وسدت بني الدنيا بفضل التكرم
وما الجود إلا صورةً أنت روحها ولولاك أضحى كالرميم المرمم
وطاب لأهل المكتين مقامهم وقبلك كانوا بين ذلٍ ومغرم
يسومونهم أعرابهم وولاتهم من الخسف سوم المستهان المهضم
فأضحوا وهم عن ذا وذاك بنجوةٍ محلهم في أمنه مثل محرم
فسمعاً بني الإسلام سمعاً فما لكم رشادٌ سوى في طاعة المتيم
أديموا عباد الله تحديق ناظرٍ بعيني فؤادٍ لا بعين التوهم

إلى أن قال:

ففي رأيه إصلاح ما قد جهلتم وفي سيفه سمٌ يداف بعلقم
أليس الذي قد قعقع البيض بالقنا وخضبها من كل هامٍ ولهذم
وأنعل جرد الخيل هام عداته كان حواميها خضبن بعندم
دعوا الليث لا تستغضبوه فربما يهيج بدهياً تقصم الظهر صيلم
فما هو إلا ما علمتم وما جرى بأسماعكم لا بالحديث المرجم
وقائع لا ما كان بالشعب ندها ولا يوم ذي قار ولا يوم ملهم
يحدث عنها شاهدٌ ومبلغٌ وينقلها مستأخر عن مقدم
لها أخواتٌ عنده أن تصعرت خدود بتسويل الغرور المرجم
جوادٌ بما يحوي بخيلٍ بعرضه وإن ضرسته الحرب لم يتألم
أخوها وما أوفت على العشر سنه يحش لظاها بالوشيج المقوم
إليك إمام المسلمين زفتها لها بك فخرٌ بين عربٍ وأعجم

وقال شاعر نجد محمد بن عثيمين قبل هذه قصيدة عظيمة منوها بمناقب صاحب الجلالة ومذكراً للدويش وقومه بسطواته، وإنه ينبغي أن يتراجعوا عن غيهم وبغيهم لئلا يكونوا عبرةً لغيرهم، ويشرح صفات عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل:

فقـل للـذي قـد غـره منـه حلمـه
متـى كافـأ الـذئب الهزبـر ينازلـه

ألم تـرَ أن البحـر يسـلك سـاكناً
وإن حركته الـريح جاشـت زلازلـه

فـلا تخرجـوه عـن سـجية حلمـه
فتكثـر في السـاعي بـذاك ثواكلـه

ولا تسـتطيبوا مركـب البغـي إنـه
إذا مـا امتطـاه المـرء فـالله خاذلـه

ضـمنت لبـاغي فضـله أن ينالـه
ومـن يطلـب الـلأوا تثيـم حلائلـه

وما نـال هـذا الملـك حتـى تقصدت
صـدور عواليـه وفلـت مفاصـله[1]

وأنعـل أيـدي الجـرد هـام عداتـه
وزلزلـت الأرض البعيـد قنابلـه

ومـا زاده تيـه الخلافـة قسـوةً
نعـم زاد عفـواً حـين زاد تطاولـه

مـن القـوم بسـامين والوقـت أكـدر
مـن النفـع وهـابين والجـدب شـامله

علينـا لـك الـرحمن أوجـب طاعـةً
بـنصٍ وبرهـانٍ تلـوح دلائلـه

فقـال أطيعـوا الله ثـم رسـوله
وذا الأمـر يدريـه الـذي هـو عاقلـه

وقـال رسـول الله سمعـاً وطاعـةً
لذي أمركم لو شط في الحكم عامله

ومـن مـات مـا في عنقـه لـك بيعـةً
فميتـة أهـل الجهـل يرويـه ناقلـه

فيـا معشـر القـراء دعـوة صـارخٍ
بكـم إن يكـن فـيكم حلـيمٌ نسـائله

أمـا أخـذ الميثـاق ربـي علـيكم
بإرشـادنا للأمـر كيـف نعاملـه

فقومـوا بأعبـاء الأمانـة إنمـا
بأعنـاقكم طـوقٌ يعانيـه حاملـه

وقولـوا لقـومٍ لـيس فـيهم رويـةً
ولا نظـر فيمـا يحـاذر آجلـه

إذا عقـد الصـلح الإمـام لكـافرٍ
يـرى أنـه لا يسـتطيع يطاولـه

وفيـه لـدنيانا صـلاح وديننـا
ودفـع أذى عنـا تخـاف غوائلـه

فذا جـائزٌ في الشـرع مـن غـير شبهةٍ
فياليـت شـعري هـل يفنـد فاعلـه

الـيكم بـني الإسـلام شـرقاً ومغربـاً
نصـيحةً مـن تهـدي إلـيكم رسـائله

---

(١) يقول ما نال هذا الملك بالهوينا أو إعطاء أحد هذا الملك ما ناله حتى تكسرت رماحه وتثلمت سيوفه وجعل هام أعدائه نعالاً لخيله، فاحذروا أن تكونوا من جملة تلك النعال.

هلمـوا إلى داعـي الهـدى وتعـاونوا　　على الـبر والتقـوى فـأنتم أماثلـه
وقومـوا فـرادى ثـم مثنـى وفكـروا　　تروا أن نصحي لا اغتشـاش بداخلـه
بـأن إمـام المسـلمين ابـن فيصـل　　هـو القـائم الهـادي بمـا هـو فاصلـه
فقـد كـان في نجـد قبيـل ظهـوره　　من الهرج مـا يبكـي العيـون تفاصلـه
تهـاوش هـذا النـاس في كـل بلـدةٍ　　ومـن يتعـد السـور فالـذئب أكلـه
فمـا بـين مسـلوب ومـا بـين سـالب　　وآخـر مقتـول وهـذاك قاتلـه
فأبـد لكـم ربـي مـن الفقـر دولـةً　　وبالـذل عـزا؟ خصـماً يناضلـه
بـيمنِ إمـام أنـتم في ظلالـه　　يـدافع عـنكم رأيـه وذوابلـه
بـه الله أعطانـا حيـاةً جديـدةٍ　　رفهنا بها مـن ضـنك بـؤس نطاولـه

لا بد ونحن في ذكر الأمن الذي أشار إليه الشاعر وأنه نعمةٌ من الله جل ثنائه يشكر عليه الذي كان سبباً في وجوده، وقد قال صلى الله عليه وسلم : «من أصبح منكم أمناً في وطنه معافاً في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» وبذلك نشكر الله تعالى ونسأله المزيد من فضله، ولا يعرف قدر الأمن إلا من أرهقته المخاوف، وأنه يجب على أمة الإسلام أن يتساعدوا ويتعاضدوا ويتكاتفوا لنشر هذه النعمة وتوطيدها قال الله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [التوبة:٢]، ولما جاء إليه النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يشكون إليه ما يلاقونه من أذى قريش في أول الإسلام فقال: «والله ليظهرن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه» فقال بعض الصحابة في نفسه عجباً لذلك فأين دعار طيء الذين أخافوا السبل.

ولقد جرى في أيام الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود من الأمن إن كانت مزاود الدراهم يجعلها المسافرون أطناباً لخيامهم بالليل، وإن رجالاً من سراق الأعراب وجدوا عنزاً ضالة في نفود السر في نجد وهم جياع، قد مر عليهم يومان

أو ثلاثة طاوين من الجوع فجعلوا يتراجعون كل واحد يلح على الثاني إن ينزل من بعيره فيذبحها ليأكلوها فلم يستطيعوا ذلك خوفاً من سطوة الوالي، ولما ألحوا على أحدهم قال دعوها فإن عبدالعزيز بن محمد يرعاها وتركوها وهم في أشد الحاجة إليها، وقال تعالى ممتناً على عباده بالأمن: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٦]، ثم قال شاعرنا محذراً عاقبة البغي ومنوها بمآثر صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز:

فيومـاك يـوم بالمواهـب مـاطر ... ويـوم بـه الأسـياف يـرعفن بالـدما
فكـم ناكـث أهـوى لسيفك ساجدا ... ولم يـك ذا ظهـر ولا متيمـا
وان أمـير المـؤمنين لكافـل ... لبـاغي الهـدى التعليـم حتـى يفهمـا
ومـن لا يـرد إلا الشـقاق فإنـه ... كفيـل لـه أن يجعـل السـوط مخـدما
فـلا يغـترر قـوم رفعـت جـدودهم ... وأوليتهم مـن سيب جـدواك أنعمـاً
فكـم شـرق بعـد الـزلال وغصـة ... تذيق العدى من جرعة الموت علقما
ومن ثـاور الأسـد الضـواري جعلنـه ... لأشـبالها تحـت الأظـافر مطعمـا
ومن سل سيف البغـي أصبح حتفـه ... بشفرة ما قـد سـل أو سـهم مـا رمـا
وكـم قـادح نـاراً فكـان وقودهـا ... إذا حسـه منهـا شـواظ تنـدما

وفيها صدرت أوامر جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بإجراء عمارة عموم المسجد الحرام داخلاً وخارجاً على حسابه الخاص وعهد بتلك العمارة إلى حضرة الشيخ عبدالله الدهلوي الذي قد عمل عدة سنين في عمارة عين زبيدة وظهر من أحسن أعماله ما دفع جلالة الملك إلى أن يعهد إليه بعمارة المسجد الحرام فقام عبدالله الدهلوي بتحضير اللوازم واستعان ببعض رجال العمل من هيئة عين زبيدة وابتدأ العمل في مستهل جمادى الأولى من هذه السنة فرمم عموم فرش أروقة المسجد الحرام من جهاته الأربع مع زيادتي دار الندوة وباب إبراهيم وعموم المماشي والفرش الحجري الذي عليه المقامات الأربعة حول مدار المطاف وعموم

بلاط الأبواب وجدار المسجد الحرام داخلاً وخارجاً والدرج المصعدة لأبواب المسجد الحرام ونظف القبب باطناً وظاهراً وأصلح كل خراب وقع في أبواب المسجد الحرام الخشبية وطلى بأنواع الأصبغة عموم عقود وجدران وأعمدة المسجد الحرام العلوية كل لون بحسب لونه الأصلي داخلاً وخارجاً ما يناسب ألوان الحجر الشمسي، من أسود، وأصفر برتقالي، وأحمر عنابي، ورمادي وكذلك مسح عموم الاسطوانات بالرخام وأزيل عنها ما كان متراكماً عليها من الغبار حتى عادت إلى لونها الأصلي البراق حيث أنه قد مضى عليها منذ عمارة السلطان عبدالحميد المتقدمة إلى هذه السنة قدراً من اثنين وثلاثين سنة، وأصلحت مظلة مقام الحنفي وغير بعض أخشابها وكسي سقفها بالمعدن الأبيض، وأصلحت مظلة مقام إبراهيم الخليل عليه السلام وكسيت أيضاً بالمعدن الأبيض ثم طليت باللون الأخضر، وأصلحت مظلة قبة زمزم إصلاحاً جيداً وكسيت بالمعدن الأبيض وطليت بالدهان الأخضر حسب المقامات الأخرى، وطليت الأساطين النحاس المحاطة بمدار المطاف التي تعلق فيها مصابيح الكهرباء بلون أخضر وطليت رءوسها بلون ذهبي وأصلح شاذروان الكعبة المعظمة فجبس بعض أحجاره بالجبس وملئ الفراغ الذي بين الأحجار وأحكم إحكاماً جيداً، وفرش حصاوي المسجد الحرام بالحصبة بعد أن أزال ما فيه من الأتربة المتراكمة ثم بعد الفراغ من عموم ما تقدم رخم عموم جدار المسجد الحرام داخلاً وخارجاً السفلي منه الذي كان عادة يرخم بالرخام الأبيض الناصع، وكذلك رخم منتصف الأعمدة الثخينة المبنية بالحجر الصوان الأسفل منها، وعموم أبواب المسجد، ودار الندوة، وفسحة باب إبراهيم وبطون القبب والطواجن وأضاف إلى الرخام زهرة النيل الزرقاء لزيادته رونقاً وجمالاً واستمر العمل في ذلك إلى أن دخلت السنة التي بعدها.

وختمت هذه السنة بخبط ورهب للمسلمين، لما جرى من أولئك البغاة المفسدين حتى أن أهالي المقاطعات حجوا تحت قيادة إمارات وأعلام خشية من قطعهم السبل.

ثم دخلت سنة ١٣٤٧هـ

استهلت والدويش وأتباعه قد صعب أمرهم وازداد شرهم قولاً وفعلاً، ويمرون على بلدان نجد والقرى فيقتسمونها إذا غلبوا بعد ذلك ويزعمون بأنها قصور شامخة أسست على غير تقوى فيجيبه صاحبه بقوله بشر المسلمين بهذه الغنائم غداً نأخذها منهم، لأنهم يرون أن أهل نجد كفار.

أيا عجباً لك يا فيصل الدويش ماذا عملت من السوء وفعلت من الأفعال الذميمة وسلكت من الطرق التي كانت غير مستقيمة، شققت العصا وفرقت الجماعة وعصيت إمام المسلمين وخرجت على الرعية والأجانب تقتل برها وفاجرها، هذا وأنت بزعمك تريد رضا الله نعوذ بالله من الجهل.

أما أمير الغطغط سلطان بن بجاد فما كنت أظن قصده إلا حسناً واجتهاداً وليس كل مجتهد مصيباً، وكان سلطان بن بجاد بن حميد عبداً تقياً حمله الجهل وغرور الدويش على أن انتظم في سلكه وسلك مسلكه، ولقد حدثني بعض الأحباب من طلاب العلم الموسومين بالدين والفضل أنع ذهب إليه أثناء ثورته ليعظه وليرده عن قصده وكان ذكره يملأ المسامع قال فلما وصلت هجرته سألت عن قصره ومحلته فدللت عليه فلما دخلت إلى المجلس العام رأيت الرجال الكثيرين غارقين بالسلاح وما أرى من بينهم رئيساً وكنت لا أعرفه شخصياً قال فسلمت وجلست وكان إلى جنبي رجل قليل اللحم دقيق الأطراف عليه سمت وتواضع فسألته عن الأمير سلطان بن بجاد فأشار إلي بعض الحاضرين أنه هو، قال فعجبت من مجلسه في طرف القوم فقلت له: يا سلطان اتق الله عز وجل وخفه واحذر من عقوبته ولا تغرنك الدنيا وزخرفها واعلم أن الله لا يفوته هارب ولا يعجزه مغالب، وراقب عقوبته فإن عاقبة البغي وخيمة واعلم أنما أريق من قطرة دم في هذه المحنة بسبب ثورتكم على إمامكم سواء كان ذلك منكم أو من المسلمين فأنت المسؤول عنها بين يدي الله عز وجل لأنك السبب في ذلك، قال فما استتم كلامي حتى بدرته العبرة وذرفت دموعه على صدره وجعل يقول: «كيف أصنع إن قمنا ضربنا السقف وإن جلسنا أكلتنا النار» قال فحسنت به ظني وعلمت إنه مغرور.

ذكر تصميم صاحب الجلالة على القتال

لما رأى ابن سعود أن الشعب كله ضد الدويش ومن تبعه وأنهم لا يزالون في تماديهم وطغيانهم زحف بموكبه العظيم إلى بريدة عاصمة القصيم في هذه السنة ومعه مائتا سيارة فنزل في قصر الحكم فيها ووزع بعض البيوت التي كانت معه في بيوت من بيوت أهالي بريدة وجمع الرؤساء وخطب خطبة بليغة عدد فيها محاسنه ومقاماته في الإسلام وجعل يدعو على نفسه إن كان غاشاً للمسلمين، وأنه نصر علماء الإسلام ورفع قدرهم وأذل ضدهم وقتل طاغية من الطواغي حينما قام يسعى ضدهم ويستجيش عليهم كل هذا نصرة للدين، ثم أنه بعث صاحب الجلالة إلى العدو في مكانه حضرة الشيخين الفاضلين عبدالله بن محمد بن سليم، وعمر بن محمد بن سليم وأمرهما أن يبذلا في نصيحتهم الجد والاجتهاد فذهب الشيخان على راحلتين إلى البغاة في «الصريف» للمفاوضة وإزالة سوء التفاهم ولما شرعا في الوعظ والتحذير من البغي جعل الدويش يضرب بيده على بطن الشيخ عبدالله ويقول: «يا فلوس انطقي» أيها الإخوان إن ابن سعود كذاب ومشايخه يتكلمون بما يريده فانفض المجلس عن غير فائدة وعقد مجلس آخر يكون خاصاً بالليل يحضره العلماء والأمراء فجلسوا وانفض المجلس عن غير شيء، وبينما الشيخان ينتظران الجلسة الثالثة الموعود بها صباحاً إذا البغاة يشدون راحلين ونبذوا العلماء ونصائحهم خلف ظهورهم فرجع العالمان الشيخان يشكوان إلى الله حالهم.

وكان قد رأى رجل من الصالحين في تلك الآونة في منامه «كأن الأسواق مملوءة دماً» فعبرها معبر بأنه سيجري ملحمة بين المسلمين، وحدثني الأخ الفاضل عبدالمحسن بن عبيد قدس الله روحه قال سمعت تكبير حميدان وهو في ناحية المسجد، وحميدان هذا أعرابي جاء يتعلم القرآن والسنة ويتردد بين أهل العلم للتعلم وكان محباً لأهل الدين سمحاً ذكياً قال فلما سمعت تكبيره أتيت نحوه فسألته عن ذلك الفزع فقال رأيت في النوم بيوت الشعر تدور على الإمام

عبدالعزيز وجعل يبكي ويصف ذلك الدوران قال فدهشت لذلك، ورأى بعضهم ملائكة تطير بين السماء والأرض بعضهم على صورة الغنم، وكل هذه المنامات حوالي الوقعة.

ذكر وقعة السبلة سنة ١٣٤٧هـ

لما نزل ابن سعود القصيم وكان قد ضرب لأعوانه وأحزابه من الحضر والبدو ميعاداً ليوافوه بها وكان ذلك بعد عيد الفطر، ولما اجتمعت الجموع عبأ جيشه وعزم على المسير من بريدة إلى العصاة في موضعهم في حين أن زعماء الفتنة قد جمعوا جموعهم واستعدوا لخوض غمار الحرب ضد ابن سعود حتى يقهروه، وكان ولي العهد سعود بن عبدالعزيز في «النبقية» معه ثمانية آلاف من الجيوش الحضرية وعشرون ألفاً من الهجر انتظاراً لأبيه فسار صاحب الجلالة بنفسه حتى قدم على سعود ثم أنه قام البطل الغلاب عبدالعزيز بن عبدالرحمن فقاد الجيش بنفسه وعسكر بالزلفي في حين أن الدويش وابن بجاد قد عسكرا بالسبلة وبين المنزلين ثلاث ساعات، هذا وما كان ابن سعود لينسى جميل أحد وماضيه بل ما زال يدخر في نفسه السمحة الطيبة وداً لفيصل وابن بجاد ولم يقطع الرجاء ما دام يجد للصلح موضعاً فبعث إليهما بطلب منهما أن ينزلا على أمر الله ورسوله فيما أتيا من الأعمال وأخذ الرسل يروحون ويغدون بين الطرفين ثم غادر ابن سعود الزلفي إلى السبلة[1] نفسها ونزل على مقربة من جموع العصاة وقد كان العدو تحصنوا وراء جدار حصين قد تمنعوا، وجيشهم يبلغ أربعة آلاف أو يزيد.

---

(١) السبلة تقع في مستوى أرض يعلوه حصباء بنية يقدر طولها شمالاً وجنوباً باثني عشر كيلو وشرقاً وغرباً بعشرة كيلو مترات ويقع في شرقيها تلال فيها مزابن اتخذها البدو البغاة، ومتاريسهم عبارة عن أكوام حجارة فوق التلال نصب الملك عبدالعزيز خيامه في مستوى من الأرض يسمى «السملق» ثم مشت الجنود السعودية من الخيام إلى جهة البغاة، تحد السبلة شمالاً بكثب رمال، وجنوباً بوادي مرخ المشهور، وغرباً بجبل يدعى طويق يخترقه الطريق بينها وبين الزلفي عشرون كيلو تقع عنه شرقاً وعن يسار الذاهب إليها من الزلفي في جبل طويق مرتفع يسمى أم الذر.

أما جيش صاحب الجلالة فقد بلغ أربعين ألف مقاتل، عشرة أضعاف جيشهم.

فبينما كان في مجلسه إذ دخل عليه رسول من سلطان بن بجاد يحمل إليه كتاباً منه فلما دخل لم يسلم على ابن سعود لأنه في زعمهم مبتدع هذا الذي حمله على عدم السلام فثار ابن سعود لهذه الإهانة أنفاً على ما صدر وصاح بالرسول من أنت ألست «ماجد بن خثيلة» وأخذ يسرد عليه تاريخه أتدخل علي ولا تسلم اذهب من فورك إلى الذي أرسلك وأخبره أننا قادمون عليهم للهجوم غداً فإذا أرادوا أن يحقنوا دماءهم فليستسلموا بلا قيد ولا شرط والشريعة هي الحكم بيني وبينهم وهؤلاء العلماء حاضرون قم واذهب إلى رفيقك فمضى ماجد إلى سلطان بن بجاد وأخبره بجواب ابن سعود الذي صمم على الحرب أو استسلام خصومه بدون قيد ولا شرط، فرأى الدويش المخادع أن يذهب بنفسه إلى ابن سعود ليرى ما عنده ويختبر قوته فلما أن وصل إلى مخيم السلطان أخذ يتملق ابن سعود ومن معه وتظاهر بالرضا والغبطة ثم طلب إليه أن يعفو عنه وعمن معه عفواً عاماً حتى رضي بأن يعفو عن دمائهم وعن أموالهم يدع أعمالهم إلى الشرع يحكم فيها فشكره الدويش وأثنى عليه وطلب أن يبيت عنده ليبرهن على توبته وإخلاصه وعدم مشاطرته سلطاناً رأيه وعرف ابن سعود أن ذلك خدعة منه فقال له قم واذهب إلى قومك ونم عند أهلك وموعدكم شروق الشمس من غد فإن كنت صادقاً فتنح عنهم وإن لم تكن صادقاً فسترى وخامة العاقبة والله ولي الصابرين، فغادر الدويش المعسكر واعداً بالجواب فجراً فما رآه قومه حتى استقبلوه وسألوه عما رأى فوقف أمام الجموع شامخاً متغطرشاً، وقال لما سألوه ماذا رأيت مجيباً لهم.

يا قوم رأيت حضرياً ترتعد فرائصه من الخوف وكل من معه طباببخ لا يعرفون إلا النوم على الدواشح ابشروا يا إخوان بالغنائم بالكسب فلقد وجدت لديهم حلالاً كثيراً يعني أنعاماً ورأيت عندهم أموالاً عظيمة فابشروا بالغنيمة التي لم تغنموها من قبل ابشروا بالكسب الذي لا تحلمون به غداً سنقهر هذا الطاغوت ونستولي على ماله، وانتظر ابن سعود جواب الدويش حتى الصباح حتى الشروق

فلم يأته جوابه بل رأى جموع الأشقياء مستعدة للقتال، أين الدويش أين الجواب تالله إنها لحالة مزعجة فعند ذلك أمر ابن سعود جنوده بالاستعداد وعبأ جيوشه ونشر راياته المنصورة فوثب هو إلى فرسه وتقلد بندقيته وشد على وسطه حزامه وتمنطق بسيفه المشهور «رقبان» الذي مزق به كل خصومه، وجمع جنوده ورتبهم ترتيباً عسكرياً فجعلهم صفاً واحداً على مسافة طولها ثلاث ساعات، وأما الخيالة فقد قسمهم قسمين قسماً جعله جناحاً أيسر تحت قيادة أخيه البطل الشجاع محمد بن عبدالرحمن وقسماً آخر جناحاً أيمن وجعله تحت قيادة ابنه الليث الباسل سعود وأشار إليهما أن لا يدخلا المعركة إلا بأمر منه، أما هو فقد وضع نفسه في القلب وحوله أبناؤه الصناديد المغاوير وأبناء اخوته والأمراء من آل سعود والمماليك.

وكان ترتيب العصاة كذلك خط طويل عليه جنودهم وجناحان للخيالة وقد عزموا على أن لا تردد غير أنه ما ثم إلا الواقعة ثم يظفرون، ولمن سواهم سيغلبون، ولمن في وجوههم سيقهرون وامتلأت تلك الصدور من الأماني وهيئوا الأسلحة التي بزعمهم القواضي، فلما كان في الساعة الأولى من صباح يوم السبت الموافق ١٩ شوال برز ابن سعود على «الصوتية» أحب أفراسه إليه يختال في السير بين الصفين «ورقبان» الصمصامة يهتز في يده ثم تراجع بفرسه خطوات ثم تقدم ثم تأخر ثم صاح بها صيحة الحرب المدوية فإذا «بالصوتية» كالبرق وخلفها الأبطال آل سعود المقدمين على خيولهم العربية الكريمة يطيرون، وكان قد عزم على أن يتولى القيادة، ولما رأى أبناء الملك واخوته وأسرته أنه يريد أن يخوض المعركة بنفسه لم يقدروا على مصارحته ثم اجتمعوا وبكوا أمامه وإنهم سيكفونه ذلك إن شاء الله فذهب إلى ربوة وأحرم بركعتين، وهجم الجيش السعودي خلف القائد العام فالتحمت المعركة ووصلت في الدقيقة العاشرة وقد حمى الوطيس واستعرت الحرب وثبت العصاة للوثبة الأولى ولم ينكسر صفهم المتماسك ثم صاح الجيش السعودي صيحة أخرى أشد دوياً وهولاً وأعظم رعباً من الأولى وجالت قواد الجيش السعودي في الميدان فجعلت بنادق الجيش السعودي وسلاحه تفلق الهام وتطيح الرءوس وتسيل الأرواح في وقت أظلم فيه الجو وطاشت سهام العدو بين السماء

والأرض وجعلت السهام السعودية تسدد إلى العدو فما تقع إلا على لحم فما كان إلا نصف ساعة حتى صارت الهزيمة على الدويش وأتباعه فولوا الأدبار منهزمين لا يلوي أحد على أحد بعد ما كادت القوات تحصدهم حصداً، وأراد الجيش الباسل السعودي المنصور أن يلتهم العدو التهاماً وأن يتتبع الفارين فمنع صاحب الجلالة من ذلك تأدباً مع الشريعة في قتال البغاة، وولى سلطان بن بجاد ناجياً بنفسه ويصيح للمنهزمين بالفرار، وتقدم «صالح بن محمد المردسي» حامل راية أهل بريدة بأمر الأمير لجيشها وقائد غزاتها حمود بن صالح بن مشيقح فنصبت الراية بين خيام العدو، وقد ظن صاحب الجلالة أن هذه الضربة قاضية على العدو.

وكان «رقبان» سيف ابن سعود لما ضرب رجلاً من العدو على عنقه نفذه السيف كلمح البصر والرأس في مكانه فظن ابن سعود أن الضربة أخطأته فرفع السيف وقبل أن يهوي به انتفض القتيل وسقط الرأس لكنه لما ضربه أخرى مرادفة بعد سقوط الرأس عن جسمه قدته نصفين وشطرت القلب شطرين، وقد أبيد معظم البغاة.

ولما فر القائدان فيصل الدويش وسلطان بن بجاد قصدا الأرطاوية ثم رأى الفارون منهم أن لا ملجأ لهم من ابن سعود بعد الله إلا إليه وهم رءوس الشر والفتنة فكتبوا إليه يطلبون العفو والأمان ويذكرونه بماضيهم الجميل وبعثوا إليه يستعطفونه ويتوسلون فأجابهم ابن سعود بأنه لا ينكر ماضيهم الجميل ولا ينسى حاضرهم القبيح وذكر لهم أنه عفو كريم ولا سيما عند القدرة على أخذهم ومحو آثارهم وسيكل أمر عملهم إلى الشرع الشريف.

ولما جاءهم الجواب خافوا على أنفسهم كما قيل «أسأت لي فاستوحشت مني» فبعث الدويش وابنه النساء والأطفال إلى ابن سعود في مقره بالسبلة مستشفعين مستعطفين ولما أن وصل النساء والذرية في صباح اليوم العشرين من شوال إلى مقر ابن سعود في بكاء وعويل رق قلبه لهم ولم يتمالك نفسه من البكاء فأصدر أمره

السامي بالعفو عن الدويش وابنه[1] واشترط عليه أن يسلم ابنه حالاً وأن يبقى هو بالأرطاوية حتى يشفي من جراحه ثم يسلم نفسه وأن لا تكون له علاقة ما بعد الآن بقبيلة مطير، فرضي الدويش واستسلم ابنه عبدالعزيز فسلّم نفسه إلى ابن سعود، وظل فيصل الدويش المثخن بالجراح يعالجه طبيب ابن سعود الخاص يعنى بأمره ويسهر عليه.

أما سلطان بن بجاد فإنه لما علم بعفو ابن سعود عن زميله، وأن سيد الجزيرة قد منَّ عليه استسلم هو إلى ابن سعود وبعث إليه بكتاب يستأذنه فيه بأن يسمح له بمقابلته، وليصنع به بعد ما يشاء، فأجابه ابن سعود بأن الجنود حانقون عليه ومتبرمون، ويخشى إن قدم عليه أن يناله منهم مكروه، فإن كان صادقاً في طلبه وكلامه فليمض إلى شقراء أو ليسر إلى الرياض فيسلم نفسه لحاكمها، فذهب ابن بجاد إلى شقراء وسلم نفسه، فأمر ابن سعود أن يسجن لأنه كان خطراً على الأمن العام ويخشى انتفاضه، لأنه قد طالما كابد منه ومن أمثاله نكث العهود وتمزيق المواثيق، ففي إطلاقه ومنحه الحرية تمهيد للعبث والفتنة من جديد، فرأى أن يبقيه معتقلاً اكتفاء لشره حتى يتوب، وقد كفانا فعل زميله، فقضى في السجن بقية حياته رحمه الله تعالى، ثم مضى بعد ذلك ابن سعود إلى الحجاز للحج.

---

(١) سيأتي في الجزء الخامس في ترجمة الملك عبدالعزيز لما ذكرنا أخلاقه ومعاملته لأعدائه قصة عجيبة في معاهدة الدويش لما استجار بابن سعود وانطرح بين يديه تشفه له نسائه وأطفاله، وكيف عامله الله بنقيض قصده وهي حالة مزعجة، نسأل الله العافية، فعلى من عاهد بالله وأطعا به أن يفي بالعهد لأن لا يحيق به مكره لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [الإسراء:٢٦]، ويقول ﷺ عن الله تبارك وتعالى: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه، رجلٌ أعطى بي ثم غدر .... الخ.

ذكر انتقاض الدويش، عياذاً بالله

وقد قال بعض أدباء الشعر بيتاً جميلاً وأحسن ما قيل في إكرام اللئيم:

ومن يصنع المعروف في غير أهله   يلاقي الذي لاقى مجير أم عام

لما سار صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل قدس الله روحه وجعل الجنة مثواه، وذهب إلى الحجاز ليشهد الحج في موسم هذه السنة، وكان قد تمكن من أعدائه لأن الله تعالى أباد خصراهم وعاملهم بنقيض قصدهم، ثار الدويش بعما شفي من جراحه الخطرة واستعاد قوته ونشاطه، كما استعاد ابنه الحرية واتصل بأبيه، ومن أعظم فساداً من الدويش وابنه، ومن أشد منهما جحوداً للجميل ونكراناً للصفح، وكان لما عفا عنهما صاحب الجلالة ومن عليهما بعد إلحاح، وهم شر الجناة، لم يستمرئا طعم العفو لأنهما فطرا على النهب والسلب، فأعاد المفسدون الكرة وظنوا أن الجو في نجد قد خلا لهم، فما ثم من بأس أن طاروا أو حلقوا وسعوا بالفساد، فغادر الشقي وابنه الأرطاوية بجنودهما وأقاما بين الكويت والإحساء وانضم إليهما «ضيدان بن حثلين» فأخذوا يشنون الغارة على الآمنين ويقتلون ويسلبون وينهبون الأموال والأنعام حتى أمسوا وربك خطرها على الأمن، وما أفاد فيهم النصح والإرشاد ولا الزجر والتهديد، بل انقطع الطريق بين نجد والإحساء وبين نجد والحجاز، حتى كادت المواصلات تنقطع بين مدن المملكة العربية السعودية، وقامت عتيبة تغير على القوافل وتقتل الرجال والنساء والأطفال، وكذلك الدويش ومن معه، وأصبحت ثوراتهم تنذر بالويل والخراب، لذلك انتدب الأمير فهد بن عبدالله بن جلوي وخرج بنفسه ودعى بضيدان بن حثلين إليه في معسكره، ولما أن جاء إليه ولبث عنده قريباً من الزوال إلى حوالي الساعة الثالثة ليلاً خاف العجمان على رئيسهم ولم يشكوا في قتله لأنه لم يتأخر عن ميعاده الذي ضربه لهم إلا لعائق الموت، فثاروا متحمسين وتبايعوا على المود وتجردوا من ثيابهم وخرجوا عراة غير مبالين، أولئك العجمان الذين شرهم أشهر من أن يذكرو وخياناتهم تذكر ولا تنكر، فأعظم بهم غدراً وجراءة ونكايةً.

كان ضيدان بن حثلين رئيس قبيلة العجمان ثالثة الأثافي، وكان من المتآمرين ضد الملك عبدالعزيز، وكانت الرسل تتردد بينه وبين الدرويش، إلا أنه لم يحضر واقعة السبلة ولا أحد من قبيلته، وكان أمير المنطقة الشرقية عبدالله بن جلوي بن تركي يعرف دخيلة نفسه وما ينطوي عليه، فجهز ابنه فهداً في سرية ومعه «نايف أبوالكلاب» أفراد أسرة الحثلين إلى «الصرار» هجرة ضيدان بن حثلين للقبض على ضيدان لإطفاء جمرة البغاة والقضاء عليهم، فسار فهد بن عبدالله في ذي القعدة من هذه السنة ونزل على بعد مسيرة أربع ساعات من الصرار، وأرسل إلى ضيدان كتاباً يقول فيه: إنه يريد الغزو على بعض القبائل المتمردة ويرغب في مقابلته لمشاورته والأخذ برأيه، فكتب له ضيدان يدعوه لدخول الصرار للضيافة والمشاورة، فأبى إلا أن يأتيه بنفسه، فاستشار ضيدان بعض جلسائه فأشاروا عليه بعدم مقابلته، فأجابهم بأني لم أدخل الفتنة ولا أحب إظهار المخالفة، وخرج من الصرار معه خمسة رجال على خيولهم، وقدموا على فهد بن عبدالله، وبعد تناول القهوة دعاهم رجل من خاصة فهد لتناول القهوة في خيمة خاصة، ولما استقروا فيها أمر فهد بتقييدهم بالحديد لإرسالهم إلى والده، وبقوا مكبلين بالحديد بقية يومهم، ولما أن كان بعد صلاة العشاء الآخرة لم يرجع ضيدان إلى بلده، فأيقن قومه بالشر وخرجوا عن بكرة أبيهم لمهاجمة فهد وفك ضيدان بالقوة، ولما قربوا من السرية أحاطوا بها وأطلقوا عليها الرصاص، وحينئذٍ أمر فهد بن عبدالله بقتل ضيدان ومن معه، فضربت أعناقهم والتحم الفريقان، فقام «نايف بن حثلين» والذين معه من العجمان الذين خرجوا مع فهد بن عبدالله من الإحساء حين علموا بقتل ضيدان وقتلوا فهد بن عبدالله وتحيزوا إلى قومهم وقضوا على السرية وأخذوا جميع معداتها وذخائرها وأسلحتها واقتسموها، وأنظم «نائف أبو الكلاب» إلى قبيلة للعجمان وتزعمها ثم غادروا هجرتهم الصرار، ولما انضموا إلى الدويش الذي سارع بعدما عادت إليه صحته واندمل جراحه ونقض عهده، جاءهم «ابن مشهور» في جماعته من عنزة وعقدوا الرأي على احتلال الإحساء والمدن الساحلية كالجبيل والقطيف،

وفي طريقهم ذلك قيل لهم أن أحياء من العوازم نازلون على ماء يقال له «رضي» فطمعوا في أخذهم وسلب أموالهم، فساروا إليهم وصبحوهم وهم غادون لا يعلمون بما بيتوا لهم من المكر، فثارت العوازم في وجوههم مدافعين عن الأنفس والأهل والمال فأعملوا في الدويش والعجمان الرصاص والسيوف والسكاكين وعمد البيوت والحجارة، وأنزل الله عليهم النصر من السماء فقتلوا أهل الرايات وهزمهم العوازم شر هزيمة لا ينمحي عارها، لأنهم يرون أن العوازم لا يكافئونهم في الشرف والشجاعة، وما النصر إلا من عند الله.

ولما أن كان بعد مدة يسيرة لا تزيد على شهرين أعادوا الكرة على العوازم، وليستعيدوا شرفهم وسمعتهم وهيبتهم، فجمعوا فلولهم، وكانت العوازم تترقب غزوهم فاجتمعوا على ماء يدعى «نقير» وسار إليهم العجمان والدويش وابن مشهور، فالتقوا على ذلك الماء وجرت واقعة هزم فيها الدويش والعجمان وأتباعهم شر هزيمة، وقتل كثير من رجالهم وعادوا خائبين.

وفي هذه الآونة قتل الشيخ عبدالرحمن بن صعب، قتله جماعة ابن مطيوي، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم القاضي أبو سليمان عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن الشيخ صعب آل تويجري وآل تويجر من عنزة يسكنون المجمعة، ثم تفرقوا إلى سائر البلدان، وفيهم كتاب وعلماء وأدباء رحمه الله تعالى وعفى عنه، ويلقب «دحيم»، كان المترجم مربوع القامة وجميل الصورة جداً، أبيض اللون مشرباً بالحمرة، حسناً حليماً محبباً إلى الناس، ولد في سنة ألف وثلاثمائة وأربع عشرة، وتوفى عن عمر يناهز الثالث والثلاثين، وكان من خيرة تلامذة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وقد لازمه في الحضر والسفر، وله همة في طلب العلم النافع السعي في تحصيله، ولديه كتب كثيرة قد استحصلها، وكان جهوري الصوت، حسن القراءة إذا أخذ في القراءة، وددت أن لا يسكت لفصاحته وجودة لفظه وتولى قضاء إحدى الجهات الحجازية، وكان قتله غيلة، نسأل الله العافية، وكان مسكنه في مدينة بريدة.

وفيها بل في مستهلها عين الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين رئيساً للقضاة في الحجاز، فباشر مهمته بجد ونشاط، وكان قوياً متواضعاً لا يحمله التواضع على الضعف، ولا تحمله القوة على الجبروت، وكان محظياً لدى الملك عبدالعزيز يكرمه ويعظمه، وسيأتي للشيخ بقية ذكر في ترجمته في سنة وفاته.

وفيها تم طبع تفسير الحافظ ابن كثير وتفسير البغوي وقد جعل الأول في عالي الصحيفة، والثاني بأسفلها والطبعة حسنة جميلة جداً إذ لم يطبع التفسير أن إلى الآن كمثل تلك الطباعة مفصولاً بينهما بجدول فجاء على أحسن وضع وبلغا تسع مجلدات كبار طبعاً بمطبعة المنار بمصر، وبمصر وذلك بنفقة الملك الصالح الموفق «صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود» أثابه الله تعالى الجنة.

وفيها في نهاية ربيع الثاني تم العمل في إصلاح المسجد الحرام وعاد متقناً على رونق وبهجة وجمال وقد صرف جلالة الملك على ذلك العمل ما يربو على ألفي جنيه ذهب، وكان هذا التبرع من جلالة الملك أيده الله، ونال القائم بهذا العمل وهو الفاضل عبدالله الدهلوي من الأمام عبدالعزيز القدر اللائق بعمله لأنه قام بما يرام، كما قام أيضاً بعمارة عين الوزير بجدة بعد اندثارها نحو ستين عاماً حتى أعادها إلى كانت عليه من الجريان المطلوب.

إضاءة المسجد الحرام بالكهرباء

لما كان في ابتداء شعبان من هذه السنة أمر جلالة الملك عبدالعزيز بتجديد عموم اللمبات التي بالمسجد وبزيادتها وبلغوها ألف لمبة، فعمل ذلك فعلاً في تلك السنة ولم يهل شهر رمضان حتى صار المسجد الحرام مضاءً عمومه بالكهرباء، وكانت تستعمل الماكنة الكبيرة من قبل الغروب إلى الساعة الرابعة ليلاً، ثم توقف الكبيرة وتستعمل الماكنة الصغيرة من الساعة الرابعة ليلاً إلى قبيل أذان الفجر بنصف ساعة ثم توقف الصغيرة، وتستعمل الماكنة الكبيرة إلى وقت الأسفار وعلى ذلك يكون باستمرار

العمل من ابتداء شهر المحرم إلى نهاية شهر شعبان، فإذا دخل شهر رمضان ابتدأت الإنارة بالماكنة الكبيرة تضيء الليل كله من قبل الغروب إلى الإسفار، ويستمر العمل على ذلك شهر رمضان وشوال وذي القعدة وذي الحجة، فلما استمر السير على ذلك ظهر أن الماكنة الكبيرة لا تكفي قوتها بأن تضيء ألف لمبة كما ينبغي، فصدر أمر جلالة الملك ابن سعود قدس الله روحه بأن يضم على الكهرباء عدة لمبات لوكس لأجل أن تصير الإضاءة كافية لإنارة المسجد الحرام، فضم نحو ثلاثين لمبة في قوة ثلاثمائة شمعة، واستمرت الإضاءة إلى ما سنذكره بعد ذلك إن شاء الله تعالى، وبذلك نحيط علماً بجلالة هذا الملك العظيم وسعة تدابيره وأعماله، فما كان ليشغل باله العمران وإصلاحات الحرمين الشريفين عن طبع كتب أهل السنة، وتكبد الخسائر على ذلك عن الجهاد والقتال وإطفاء الثورات الداخلية.

ثم دخلت سنة ١٣٤٨هـ

استهلت هذه السنة والدويش مقيم على العناد والتمرد، وقد عاد الكرة على المسلمين وظن أنه أصبح ذا شأن وأراد أن يكون كابن سعود أو أعظم منه، وحسده ونفس عليه ملكه، وبعث ابنه عبدالعزيز إلى «لينة» للنهب والسلب والإفساد، وأصحبه بكبار مطير وبرجال آخرين شجعان حتى بلغ عددهم ٧٠٩، فما رأى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن السعود صنيع عتيبة وما ارتكبته من القتل والنهب جردَّ حملةً قوية من عتيبة الموالية له وضرب بها عتيبة المعادية ضربةً دوختها، وقوى الحامية في نجد والإحساء والحجاز، ثم طفق يفكر في الوسيلة التي تمكنه من المتمرد العنيد الباغي فيصل الدويش الذي لا ينفع فيه عفو ولا إحسان، ولا يعبأ بعهد ولا ميثاق مهما كان، فلم يجد إلى القوة فهي وحدها الكفيلة بأن تقضي على الفتن والشرور، لكن كيف الحال وقد صعب أمره واجتمع على رأيه بقية أذنابه وسار بانه عبدالعزيز بتلك الجموع للإفساد والتدمير.

ولما أن بلغ عبدالعزيز بن الدويش بأرذاله «لينة» لم يجدوا فيها أحداً فغادروها

إلى الحزول فوجدوا بها إبلاً وأنعاماً كثيرة فنهبوها ومضوا فرحين بغنائمهم التي ظفروا بها بدون قتال، فلما سمع صاحب السمو الملكي عبدالعزيز بن مساعد بخبرهم، وكان على «قبة» ومعه «الفرم» و«ابن نهير» خرجوا نحوهم، وكان ابن مساعد لما بلغه أمرهم لم يطق صبراً بل نهض مجداً في السير بجنوده، وكان أحزم الثلاثة، ولما زحف الأمير ابن مساعد بما معه من الجنود يتبع آثار الجناة الذاهبين لم يجدوهم حتى وصلوا «البشوك» فاستراحوا قليلاً ثم غادروه إلى «أم أرضمة» وأقاموا بها ثلاثة أيام يستطلعون فيها أنباء الأشرار، فلم يقفوا لهم على خبر، فاضطروا إلى مبارحتها إلى لينة، فلما كان يوم السبت ٤ ربيع الثاني سار ابن مساعد بجيوشه يقطع القفار في طلب أولئك، فلما أشرف على خرق رغيب يسمى «طيارات» أبصر على البعد ولد الدويش ومن معه آيبين من الحزول معه الغنائم الكثيرة يريدون ورد «أم أرضمة» فكانت عليهم حملة شديدة وطوقهم، فدام القتال خمس ساعات، ثم انتهت المعركة بقتل عبدالعزيز الدويش وجماعة ابن مشهور.

أما فرحان بن مشهور فقد كان غائباً لحسن حظه وسلم من القتل، وقتل رجال مطير وفر الأحياء منهزمين، إلا أن الجنود والفرسان السعودية طوقتهم فقبضوا على جميعهم، وكانوا مائتين من المقاتلة، فقدموا إلى المحكمة العسكرية التي يرأسها ابن مساعد، فحكم عليهم بالإعدام ذلك بأنهم بغاة جناة عاهدوا ثم نكثوا، ثم عاهدو ثم غدروا، ثم عاهدوا ثم نقضوا وقتلوا الأبرياء، وما نفع فيهم عفو ولا صفح فأطار سيف الحق والعدالة مائتي رأس من رؤوس البغاة ليشاركوا إخوانهم في المعركة، وما نجى إلا رجلان استطاعا الفرار على فرسيهما من المعركة ومضيا إلى الدرويش، تلك وقعة «أم أرضمة» التي قتل فيها سبعمائة مقاتل من الفئة الباغية، وعادت على الدويش بالخيبة والفشل.

وقد أكثر الشعراء من القصيدة تهنئة الظافر في تلك الوقعات عربياً ونبطياً، فمن ذلك قصيدة أنشأها الأديب صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين، ومنها قصيدة نبطية طويلة أنشأها ابن زيد صاحب الداخلة، ومنه قصيدة أنشأها الأخ في الله

الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر فقال: ومما قال الفقير إلى الله عثمان بن أحمد بن بشر تهنئة للأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي لما قتل الله على يديه ولد الدويش خبيث النية وقومه المرتدين في أم أرضمة عام ١٣٤٨هـ، وقد استفصلته عنه كلمة كلمة، فذكر لي فتوى العلماء في ذلك:

لـك الحمـد يـا مـولي العطـاء ... ويـا خـيرٌ مرجـو لكـل الوسـائل
لك الحمد مولانا على نصـر حزبنـا ... علـى كـل بـاغٍ نـاقض العهـد خاتـل
أتانـا بشـيرٌ مـن أمـير مؤيـد ... مبـاركٌ ميمـون الشـمائل فاضـل
كـريمٌ جـوادٌ ذو تقـى وشـهامةً ... صـبورٌ جسـورٌ في اللقـى ذو فضـائل
وأعـني بـه الضـرغام نجـل مسـاعد ... أديـبٌ رحيـبٌ مـن كـرامٍ أفاضـل
يقـود جنـود المسـلمين بعزمـه ... وهمتـه العليـا إلى كـل طائـل
فـوفقهم ربـي لحـزبٍ ذوي الـردى ... ذوي الزيـغ والطغيـان نسـل الأسـافل
فعـدتهم سـبع مـئين مقاتـل ... أبـادهم المـولى بأسـدٍ بواسـل
فمـنهم رئـيس الشـر قائـد جمعهـم ... عبيـد عبـدالعزيز ذو الخنـا والـدغائل
فأضـحوا جثاثـاً في البقـاع تـزورهم ... سباع الفـلا والطـير خمـص الحواصـل
فطـوبى لمـن ولاه ربـي قتـالهم ... يريـد مـن المـولى جزيـل الفضـائل
فحـيهم نـال السـعادة والمنـى ... وعـزاً وذكـراً لم يكـن للأوائـل
ومقتولهم نرجـوا لـه الفـوز والرضـا ... مـع الشـهداء حـيٌ بـأعلى المنـازل
فللـه ربـي الحمـد والشـكر والثنـاء ... على كبت أهل الزيـغ مـن كـل خاتـل
وذلـك مـن فضـل الإلـه وحمـده ... بطلقـه مـأمون السـريرة فاضـل
إمام الهـدى عبـدالعزيز أخـي التقـى ... إمـامٌ همـامٌ مالـه مـن مماثـل
إمام الهـدى عبـدالعزيز أخـي النـدى ... ثمـال اليتامـا عصـمةً للأرامـل
يصـدق أقـوالاً بصـدق فعالـه ... ويحمي حمى السمحاء عـن كـل باطـل
فيـا رب تبقيـه علـى الحـق والهـدى ... ويـا رب تكفيـه سـهام المقاتـل
ويا رب يـا مـولاي يـا فـالق النـوى ... ويـا سـامع النجـوى مجيـب المسـائل

أعذنا من الطغيان والزيغ والردى   وخذ بنواصينا لأسنى الفضائل
وأصلح لنا النيات فيما تقوله   ونفعله يا مستجب الأرامل

تنبيه

قد قدمنا أن الدويش لما أن خذله الله تعالى وأثخن بالجراح جاء نسائه وأطفاله يشفعون له لدى ابن سعود، فرقّ له وعفى عنه وألزم طبيبه الخاص «مدحت شيخ الأرض» أن يداوي جراحه ويتعاهد صحته، كما أن الأمير سلطان بن بجاد سلم نفسه إلى ابن سعود بعد فراره من موضع الواقعة «السبلة» إلى الغطغط، فأمر به ابن سعود وأناس معه أن يودعوا في السجن، ولما لبث في سجن الرياض عدة سنين نقلوا إلى سجن الإحساء ووافتهم المنية هناك فالله المستعان.

وكان صاحب الجلالة عبدالعزيز بعدما انتهت الواقعة عاد إلى شقراء، وبعدما ألقي القبض على ابن حميد أمر ابنه سعوداً أن يذهب إلى هجرته الغطغط ويأخذ جميع ما فيها من السلاح، ثم يهدم الهجرة ويبيدها، فنفذت الأوامر بسرعة ذلك جزاء بما كسبت يداه، ثم إنه بعدما رجع ابن سعود من الحج سيَّر خالد بن محمد بن عبدالرحمن الفيصل ومعه سريةً من الجند إلى عتيبة لتأديب «مقعد الدهينة» ومن تبعه من عتيبة وبني عبدالله وأمر عمر بن ربيعان رئيس قبائل عتيبة الموالين لابن سعود أن يسير لمساعدة الأمير وخرج خالد بن منصور بن لؤي ومعه جند كثير من أهل الخرمة ورنية وما حولها لتأديب الخارجين كما أنه زحف محمد بن سحيمي أحد رؤساء قحطان ومعه جند كثير من أهل الحجاز لهذه الغاية فلما رأى «الدهينة» وأصحابه من عتيبة وبني عبدالله من مطير أن الأخطار قد أحاطت بهم تشتتوا وفر الدهينة وجماعة معه من العصاة فانضموا إلى الدويش وأبي الكلاب، والعجمان غير أن الله تعالى ألقى عليه الذل فكسروا وعادوا خائبين كما تقدمت الإشارة إلى ما صنعه بهم العوازم.

وقال الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين الأديب الشاعر من أهالي بريدة

مهنئاً الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل في واقعة السبلة التي بينه وبين الإخوان سنة ١٣٤٧هـ التي تقدمت:

أهـذا ضـحى عيـد يلـي ليلـة القـدر ... أم البشر أن الـدين قـد حـف بالنصـر
لقد جاءت البشرى بـأن ذوي الهـدى ... أبـادوا العـدا مـن ذي الخيانـة والمكـر
فكـــاد لهـــا عقلـــي يطـــير مســـرةً ... وبـــادرت نحـــو الأرض لله بالشـــكر
لـك الحمـد يـا مـن لا يخيـب آمـلاً ... كما أنت أهل الحمـد يـا والـي الأمـر
لقـد كنـت أوعـدت الطغـاة مذلـة ... وأن بلغـوا عـدا الجـراد مـن النشـر
ولكـــن وعـــدت المـــتقين وإن بلـــوا ... ليجـزوا بمـا قاسـوه بـالفوز والظفـر
فصـــار كمـــا أوعـــدتهم ووعـــدتنا ... ففزنـا وبـاءوا بالعنـاء مـع الخسـر
أراد بغـــــاةٌ أن يعيثـــــوا بـــــديننا ... وأن يفسدوا في الأرض في البر والبحـر
وأن يســـتبيحوا مـــا لنـــا ودمائنـــا ... وأن يهتكـوا مـا للعبـاد مـن السـتر
فقـــام إمـــام المســـلمين يـــؤمهم ... ونـاداهموا حيـاً علـى أمـة النكـر
أجيبوا الذي قـال اشـتريت نفوسـكم ... بجنـات خلـد لا تبيـد مـدى الـدهر
فبيعـــوا فمـــا وازى الشـــهادة رتبـــةً ... ومـن يعشـق الحـوراء يبـذل المهـر
فـــإن تقتلـــوهم تظفـــروا بســـعادة ... ويشقوا ألـيس الجـبن قاصـمة الظهـر
أجـــابوه في لبيـــك فالكـــل بـــائع ... على الله لا يبغي جزاءً سـوى الأجـر
لننصـــر ديـــن الله فـــامض لمـــا تـــرى ... ولا تبتـئس فيمـا أتـت عصـبة الشـر
فمـــن لم يمـــت قـــتلاً يمـــوت بغـــيره ... ومـن لم يجاهـد ذل في ربقـة الأسـر
فقـــال ســـندعوهم إلى ســـبل الهـــدى ... عسـى أن ينيبـوا للنصـوص وللـذكر
ونادى بهـم يـا قـومي[1] اتئـدوا ولا ... تشقوا عصا الإسلام بـالبغي والـدعر
وهـــذا كتـــاب الله يحكـــم بيننـــا ... وسـنة هـادي العـالمين مـن الكفـر

---

(١) تكسر الميم والياء ضرورة للوزن.

وأن تقصدوا مالاً فمدوا أيديكموا … إلى ما تريدوا من عروض ومن تبر
فلم يرعووا عن غيهم وضلالهم … فقال وأنى بعد هذا من النذر
فصال عليهم صولةً فأبادهم … كأن لم يكونوا بالمهندة البتر
وسل بهاتيك اليمين مصمماً … لهم تقذف الأمواج شعلاً من الجمر
وأسقاهموا كأساً من السم ناقعاً … فاسكنهم بعد الفضاء ظلمة القبر
وصاد أسود الخيل وهي عديدةً … وكربهم إذ أحجم الأسد عن كر
فبين قتيلٍ أو طريدٍ مشره … وبين كسير ليس للكسر من جبر
وكل رئيس مد عنقاً تطاولا … إلى الملك صار العنق من بعد للجزر
وأضحى صريعاً بين أظفار ضيغم … وإفلاذه دارت على الناب والظفر
وباقيهموا ظلوا يتيهوا ولو بقوا … لا لحقهم رغماً بسيدهم عمري
وأجلاهموا في رغمهم عن ديارهم … وما ظنهم هذا يكون إلى الحشر
فيا ساعةً فيها الثكالى جيوبها … تشق ولكن مفرح الذيب والنسر
سلي الخيل عن فعل النهيك بحافظٍ … تجد عضبه قدايهم الجون بالشقر
هزبر إذا ما قد رأته تفردت … تطير إذا انحت بأجنحة الكدر
وما نكلها يستطاعها بأعنة … من الروع فرت كالظليم من الذعر
فيا معشر الإسلام طراً هنيئكم … بنصر يحل المغلقات من الأمر
هلموا قنوتاً في بقاع سميدع … أزاح ظلام الظلم كالليل والفجر
جوادٌ خضمٌ أريحيٌ منجد … حسيب قفا أصلاهموا منيع الفخر
وتابعه في كل هذا سلائل … فأخلاقهم بالدر إن قستها تزري
لقاصده سهل الجناب وللعدا … يجرع كاسات أمرٍ من الصبر
حمى الدين والدنيا جميعاً عن الخنا … وصانهما عمن بغى بالقنا السمر
وأظهر دين الله حسب كتابه … وللسنة الغراء يقفوا على الأثر
وبالخلفاء الراشدين له اقتدا … ولم يرضى خلفاً في ذراعٍ ولا شبر
وأوهب كل المذنبين نفوسهم … لعفو وإحسانٍ عليهم مع القدر

وقابــل بــالرفق الضــعيف تكرمــاً ولاقــى بعــز القهــر طائفــة الكــبر
فــإن تفتخــر فــرس علينــا بقيصــر فخرنــا بــه فيرفعــة الأنجــم الزهــر
وإن قـــدمت روم هرقـــل بحليـــة يجــيء سـكيتاً في الـورود وفي الصـدر
ولـو كـان في نـادي الوفـاء سموئـل يوافي وفا الشهم ارتضى سمة الغـدر
ومــا اجتمــع الاثنــان إلا لواحــد كعلـمٍ ومجـدٍ ثـم حلـمٍ مـع القسـر
وقـد كـان معـن في السـخاء وحـاتم فـرادى ولكـن ذاك في العـد لا النشر
فلـــو أن أربـــاب الـــدرادي بكفـــة دروا لاكتفوا عن خوضهم لجج البحر
وإن خضت في بحر الفصـاحة لا تقـل لسحبان إلا صـاحب العـي والحصـر
فـــدونك يـــا عبـــدالعزيز لمخلـــص لــدولتكم بالنصــح في الســر والجهــر
دعـــاء بـــإخلاص الـــوداد فـــدمتم ولا زالت الأقدار في حكمكـم تجـري
ولا زلـــت محـــروس الجنـــاب موفقـــاً لإخمـــاد نـــار البغـــي بالـــذل والقهــر
ولا زلـــت إن عـــد الملـــوك برفعـــة كفاتحـــة القـــرآن يـــا زينـــة العصــر
ولا زال نـــادي المســـلمين معطـــراً يــدم عــزه في ذكــركم فــائح العطــر
وهـــاك قريضـــي قـــد أبـــان انتقـــاده وجاء على استحياء كخودٍ من العـذر
يقبـــل أرضـــاً خالعـــاً لنعالـــه وحليتــه عقــد التنصــل في النحــر
وها أنا أبدي العذر يا خير مـن أتـت إليـه مطـي الوافـدين فخـذ عـذري
فمـــا أنـــا حســـان ولا ابـــن ربيعـــة ولكـــنني أبـــديت مـــا صـــاغه فكــري
فهـــذا وإنـــي في حـــوادث مشـــتت لي الذهن ثـم القـرن في رابـع العشـر
وأفـــات دنيـــا ثـــم ضـــيق معيشـــةٍ لسبعٍ وعشرين مضت من سني عمـري
سـيقبل عـذري كـل حـر وأن يكـن فريضي لما قـدمت هـذياً لـذي سـكر
ومـــا صـــغت هـــذا للقـــراء فـــإنني بــه مظهــر مــن ودكــم للــهوى العــذر
أقـــر بـــأني كـــالطفلي بمـــدحكم فمن لـي بمـا آتي بمـا قلـت في الشـعر
فلـــو أن بـــدر الـــتم أبعثـــه لكـــم قريضاً وباقي النجم في عنق الشـعري
علمـــت قصـــوري في المـــديح وإنـــن أسـودّ قرطاسـاً مـن الشـعر والنثـر

ولكـن هـذا مـا أطقـت ومـن أتـى ... بمـا عنـده فـالعفو مـن شـيم الحـر
أتتـك قصـيدي مثـل حسـناءٍ غـادةٍ ... وقد صنتها عـن أن يحـام حمـى الخـدر
بسـاحتكم تلقـي العصـاء فريـدةً ... وفيهـا فقـد ترمـي اللثـام عـن الثغـر
فـإن تقبلوهـا يـا سـعادة حظنـا ... وإن ترجعوها فالأسى لي مـع الخسـر
وخـذ عـدها سـبعون بيتـاً وخمسـةً ... بمدد حكمـوا كالمسك فائحـة العطـر
وصـلي إلهـي كلمـا هبـت الصـبا ... ومـا مـاضٍ بـرقٍ فوقـه وابـل القطـر
على أحمـد المختـار مـن نسـل هاشـم ... وآلٍ وصـحبٍ مـا أضـاء سـنا البـدر
ولمـا انتهـت أرخ لشـعر مهـذبٍ ... وفي الكاف من شوال فاستفت من يدري

ومما قال الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن سوداء مهنئاً للظافر قال من أبيات القصيدة:

فـلا تـبن للأعـراب مجـداً فـيطغهم ... ولـو لبسـوا عمـاتهم بالـذوائب
فمـا الـدين إلا بـالقلوب محلـه ... على وفـق شـرع الله رب الكواكـب
وصـادقهم أكرمـه غـير مبـالغٌ ... وخـائنهم فاردعـه لـو بالقواضـب
فلايسـتقيم الملـك إلا بسـطوةٍ ... علـى كـل بـاغٍ خـائنٍ ومشـاغب
فـذو البغـي والإفسـاد يقتـل جهـرةً ... إذا لم يتـب مـن فعلـه والمثالـب

وقال أيضاً الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن سوداء:

بـدأت بحمـد الله مرسـي الـدعائم ... على نعمة الإسلام مـن ذي المـراحم
أهـني إمـام المسـلمين بقمعـه ... ذوي البغي والطغيان من كل غاشـم
أهـني إمـام المسـلمين بقهـره ... أولي الجهـل والإفـراط بـين العـوالم
أهـني إمـام المسـلمين بحملـه ... علـى كـل بـاغٍ خـائنٍ ومصـارم
إلى أن أبـان الله كـل خفيـةً ... فجـرد سيف العـدل لا سـيف ظـالم
دعـاهم إلى حكـم الإلـه وعبـده ... محمـد المبعـوث صـفوة آدم
فحادوا عن التحكيم للشرع والهـدى ... فأعـذر مـنهم طالبـاً للتحـاكم

إلى آخر القصيدة، وقال الشاعر المشهور محمد بن عبدالله بن عثيمين مهنئاً الإمام الأفخم صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل:

أبى الله إلا أن تكون لك العتبى ... ستملك شرق الأرض بالله والغربا
أراد بك الأعداء ما الله دافعٌ ... كفاكهم لما رشيت به ربا
هم بدلوا نعماك كفراً وبوئوا ... نفوسهم دار البوار فما أغبا
بغاثٍ تصدت للصقور سفاهةً ... فأضحت جزافاً في مخالبها نهبا
أرادوا شقاق المسلمين شقاوةً ... فصب الشقا ربي على أهله صبا
هموا أضرموا ناراً فكانوا وقودها ... وهم جردوا سيفاً فكانوا به خدبا
دعاهم إلى الأمر الرشيد إمامهم ... وقال هلموا للكتاب واللعتبى
وما كان من وهنٍ ولكن تحنناً ... عليهم رجا أن تمحو التوبة الذنبا
وما كان بالنزق العجول وإنما ... يدبرهم تدبير من طب من حبا
فلما أبوا إلى الشقاق وأصبحوا ... على شيعة الإسلام في زعمهم ألبا
أتاهم سليل الغاب يصرف نابه ... زماجره قبل اللقا ترعب القلبا
له هممٌ لا تنتهي دون قصده ... ولو كان ما يبغيه في نفسه صعبا
بجيشٍ يسوق الطير والوحش زجره ... فلم ترى وكراً عامراً لا ولا سربا
وجرٌ عليها كل أغلبٍ باسلٍ ... إذا ما دعي في معرك للقنا لبا
فعاد غبار الجو بالنقع قاتماً ... تظن اشتعال البيض في ليلةٍ شهبا
وأضحوا هدايا للسباع تنوشهم ... تنوبهم يوماً وتعتادهم غبا
وراحت لطير الجو عيشي ونقري ... ونادي وحوشاً في مكامنها سغبا
فقل للبغاة المستحلين جهرةً ... دماء بني الإسلام تباً لكم تباً
نبذتم كتاب الله حين دعيتم ... إليه وقلتم بالكتابين لا نعبا
وقلدتم أشقاكم امر دينكم ... فأصبحتم عن شرعة المصطفى نكبا
نعم ثبت الله الذين تبوءوا ... من الدين والإيمان منزلةً رحبا
هم حفظوا العهد الذي خنتم به ... فكانوا لأهل الدين منذ هاجروا وأصبحا
وهم صدقوا الله العهود وأمنوا ... إمامهم صدقاً فلا لا ولا كذبا

إمــام الهــدى إن العــدو إذا رأى | لــه فرصــةً في الـدهر بنزولهـا وثبـا
ومــن ألجأتــه للصــداقة علــةٌ | يكــن سـلمه مـن بعـد علتهـا حربـا
فعاقب وعاتـب كـل شـخصٍ بذنبـه | فلولا العقوبات استخف الـورى الـذنبا
وقــد رتــب الله الحــدود لتنتهــي | مخافتهــا عمــا بــه يغضــب الربــا
إذا أنــت جازيــت المســيء بفعلــه | فــلا حــرجٌ فيمــا أتيــت ولا ذنبــا
فمن سلّ سيف البغي فاجعله نسـكه | ومـن شـب نـاراً فارمـه وسـط ماشـبا
بـذا يسـتقيم الأمـر شـرعاً وحكمـةً | وينزجــر البــاغي إذا هــم أوهبــا
ومن تاب منهم فـاعف عنـه تفضـلاً | فحسـبهم مـا قـد لقـوا مـنكم حسـبا

إلى آخرها وهي جميلة، ولما أن انتهى الرجلان إلى فيصل الدويش ونعيا له ولده وجنوده الخائبين سقط مغشياً عليه وأيقن أنه مقضى عليه لا محالة، فهذا ابنه يقتل على يدي الأمير ابن مساعد وهؤلاء خير رجال مطير ذبحوا معه، ولم ينج منهم إلا رجلان، أضف إلى ذلك وقعة السبلة التي أكلت أشجع شجعان قبيلته ولم يبق معه إلى النفايات، لكنه جعل يظهر الشجاعة وقام مجتهداً على جميع الأنصار ضد ابن سعود وذلك لأمرٍ يريده الله به، فعياذاً بالله من شر كل شرير قام وهو يقول: وهل كان قتيلهم إلا قطرةً من بولي وجعل يتجبر.

فلما رأى صاحب الجلالة أعمال الدويش وما ارتكبه من الخاطرات في إثارة الفتن أهمه أمره وشدد في طلبه حتى خرج بنفسه في هذه السنة لطلبه والقبض عليه مهما كلفه الأمر، ولن يعود بدونه ليضرب ضربته القاضية ثم زحف صاحب الجلالة عبدالعزيز ابن السعود بجيش خميس يبلغ عشرة آلاف مقاتل، وبينما كان في الطريق وصل إليه خبر يفيد أن محسناً الفرم ومعه من عربان العراق ابن طواله وابن سويط هجموا على الدويش لأنهم موتورون منه ومن قومه، فنهبوا ما استطاعوا وأشعلوا النار في خيمة الدويش نفسه ثم غادروا وهم لا يعلمون بمسير ابن سعود فأمسى الإدبار ملازماً للدويش حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت وتنكرت له المدن الكبار والصغار ثم القرى ثم أنكرته

الصحرى ولم تسعه على رحبها ومناكبها وصار المسكين طريداً في الفلوات والجبال، فبعث وفداً إلى ابن سعود برئاسة «الحميدي بن مفلوح» ومعه كتاب لابن سعود بتاريخ ٩ رجب ١٣٤٨هـ معناه: أن خروجه كان مقدراً عليه ويرجو أن يعفو عنه ولا يلجئه إلى الكفر بإصراره على الانتقام منه وهو الضعيف العاجز، فأجابه ابن سعود بتاريخ ٢٨ رجب بكتاب قال فيه:

لا شك أن الأمور كلها بيد الله والإيمان بالقدر واجب، ولكن الحجة به باطلة وأنك بعثت هذا الوفد وأنت تريد منه أربعة أمور:

أولاً: الالتجاء إلى بعد أن سد الله في وجهك الطريق وأراك عجزك ومقته إياك، ولم تبق لك حيلة تستطيع أن تحتالها فلجأت.

ثانياً: عدت إلى المكر فتقول للناس بعد ذلك إذا أردت أن تمكر بي ثانيةً أني أفعل ما أشتهي ثم أركب لابن سعود راعي ذلول يأتيني منه بما أشتهي.

ثالثاً: تريد أن تكون صادقاً عند من طلبتهم المساعدة، فلم يمدوها إليك أن قلت لهم إذا لم تعطوني مطلبي فسأمضي إلى ابن سعود وأصالحه ثم أغير عليكم وأفعل بكم ما أريد.

رابعاً: تريد بحياتك يا فيصل الدويش غيظاً للمسلمين الذين قتل بعضهم بعضاً بسببك إن عفوت عنك، كنت أحب أن لا يصلني خطابك ووفدك لأضربك الضربة القاضية، ولكن وقد جائني فلا مانع من أن أعطيك الأمان لتقوم الحجة عليك، أعطيك الأمان فإن قبلت سلمت ذمتي وإن رفضت أعان الله عليك، وإن كان لديك بقيةً من الشر تستطيع أن تتمادى فيها، فالله خير كافٍ وإلا فاقبل أنت ومن معك في جهي وأمان الله على دمائكم.

لكنه كان عنده والعياذ بالله بقايا من الشرور، فبعث إلى ابن سعود أنه في شك من أمانه وعفوه، ويهدده بأن الطريق لم ينسد في وجهه كما يظن، فالحكومات تخطب وده وترجو أن يكون من رعاياها فهو مستطيع أن يلتجئ إليها إن أراد، ولكنه لا يريد ويؤثره لأنه مسلم وتلك حكومات كفار، وفي الوقت نفسه عثر في

أوراق الدويش حينما فتش فيها لأنها من ضمن المنهوبات التي نهبها الفرم وأتباعه لما هجموا عليه في الوقعة التي تقدم ذكرها قريباً إن وجد من بينها مسودات من ضمنها مسودة كتاب باسم الملك فيصل ملك العراق يقول له فيه:

إنه خرج على ابن سعود كما يعلم إلا أن الطيارات التابعة لسلاح الطيران البريطاني في العراق طردته من الأراضي العراقية، فيطلب من جلالته أن يكفيه شرها ليتفرغ لابن سعود أو فليأمره بما يريد.

وعثر على مسودة أخرى بكتاب باسم السير «كلوب» المفتش الإداري للبادية الجنوبية في العراق المشهور عند العرب «بأبي حنيك» يقول فيه أنه يطلب أن يصير من رعيته وجنده وأنه تحت أمره الأن، وتاريخ المسودتين كان في ١٣ رجب من هذه السنة.

وهكذا أخذ ينافق ويمكر حتى حاق به مكره ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

ذكر التجاء الدويش إلى الكفار وتشديد ابن سعود في طلبه

لما أن سمع ابن سعود بأن الدويش في الأراضي العراقية ثار ثائرة لذلك وبعث في تاريخ ٢٤ رجب من هذه السنة كتاب احتجاج إلى المندوب السامي في العراق بعثه عن طريق الجبيل يقول له فيه:

إننا سرنا لتأديب البغاة الذين قامت عليهم قيامة الحكومة البريطانية والعراقية والكويتية لأنهم قتلوا رعاياها وعاثوا في أراضيها فساداً وهاهم اليوم ينعمون فيها ويعتصمون بها، فأين التعهدات التي تجهر بأنها لن تقبلهم ولن تجيرهم، أين التعهدات بأنها ستطردهم إن دخلوا أرضاً غير سعودية، ثم سار ابن سعود حتى نزل في شعيب الباطن الواقع أمام العرجا ولقد كان نزوله فيه في ٥ شعبان بجيشه وعساكره وهو يبعد عن ملتقى شعيب العرجا، بالباطن حيث تلتقي الحدود بين العراق والكويت ونجد بسبعة كيلو مترات، وعلم أن المخفر المسمى مخفر العبيد الذي به الحرس العراقي على بعد ثلاث كيلوا مترات عن نقطة التقاء الحدود، وشاهد من شعيب الباطن الطائرات الإنكليزية تطير فوق

الحدود العرقية ورأى السيارات العسكرية التابعة لحكومة العراق على أرضها فأمر جلالة الملك على يوسف ياسين أن يكشف له خبر السيارات، ويستنشق خبر العصاة، فمضى يوسف المذكور بسيارة الملك حتى وصل مخفر العبيد والتقى فيه بحسن بك المدفعي مدير شرطة بادية الجنوب العراقية غير أن المدفعي ليس بيده الأمر كله فنقل ما حدث به إلى بغداد، فلما كان في الساعة العاشرة بعد العصر أقبلت سيارة محروسة بسيارتين مدرعتين وبها الكابتن «كلوب» فتحدث إلى مندوب ابن سعود طويلاً وقال له: إن مع الدويش نساء وأطفالاً لهذا لم تأذن الحكومة البريطانية بضربه ولكن كان نصيبه الطرد كلما جاء إلى الأراضي العراقية، ولا يمكن وضع حد لأعماله إلا بضربه، ولقد طلب الرعوية العراقية فلم أقبل ثم طلبته فجاء إلي هو وابن حثلين وأنذرتهما بمغادرة حدود العراق في يومين وإلا فلن أزهد في ضربهما، ويظهر أن الدويش عليم بقدوم ابن سعود، ففر لأني تعقبته بالدبابات فألفيته قد تجاوز الجهراء ودخل الكويت ولا يمكنني أن أتعقبه فيها، وأنا موظف عراقي وبذلك لم يبق في العراق من العصاة إلا فرحان بن مشهور السجين هناك ريثما تنتهي المفاوضات بشأنه، فبعث ابن سعود برقية في ٥ شعبان إلى المندوب السامي في العراق يخبره بأن بريطانا قد تعهدت بطرد العصاة من أراضي العراق والكويت وشرق الأردن، وهاهم في الكويت، فأما أن تطردهم الحكومة البريطانية، وأما أن تسمح للسعوديين بمطاردتهم أينما ذهبوا أو تعلن حمايتها للعصاة.

فلما أن كان من الغد ٦ شعبان ورد إليه الجواب من المندوب السامي يخبره أن الحكومة البريطانية جادة في الترتيبات اللازمة لإخراج العصاة من حدود الكويت إلا أن ابن سعود أراد الجواب القاطع في أمرهم، ثم رحل ابن سعود في ٨ شعبان من «الرقعي» لعدم وجود الماء الكافي بها للجنود الذين معه وبعث «يوسف ياسين» الرجل السياسي العظيم إلى مخفر العبيد ليرى ماجد.

ولما أن أمضى يوسف وجد برقية من رئيس المعتمدين السياسيين في خليج فارس يطلب فيها باسم الحكومة البريطانية مقابلة ابن سعود لحل مشكلة العصاة

الذين منع إخراجهم بالقوة وجود الأطفال والنساء معهم فوافق الملك ابن سعود وأخبر رئيس المعتمدين بأن منزله دون المسناة وغداً في «جو الحوار» وبعد غد في «بنية عيفان» وكان ابن سعود في طريقه يؤدب كل من صادف من العصاة وأتباعهم، ولما أن كان في ١٠ شعبان وصل «بنية عيفان» وبينما هو راكب سيارته الخاصة ومعه يوسف ياسين، والشيخ عبدالله بن حسن، والدكتور مدحت، وسائق سيارة الملك صديق الهندي أبصر سرباً من الظبا يبلغ الخمسة فأمر السائق بأن يعدو بالسيارة خلفها وصاد أربعة منها وطار الخامس والسيارة على ساقته إلا أن الظبي المذعور مال في عدوه إلى اليمين محرفاً عن طريق السيارة المطاردة فمالت هي أيضاً فرأى ابن سعود جمعاً كثيراً ولم يحقق النظر فيه لاشتغاله بالظبي الفار حتى أصابه وصاده ثم انثنى يرقب الجمع فظنه في بادئ أمره بعض جنده غير أنه التفت إلى جانب منه فرأى نساءً وأطفالاً وأغناماً فعجب لها لأنه ليس مع جنده نساء ولا أطفال ولم يكن أحد معه غير رفقته في السيارة الثلاثة وسائقها فارتد بها إلى الورى قليلاً فأبصر سيارة ابنه محمد قادمة إليه فاركب فيها أحد رجال مطير ليكشف له الأمر، فإن كانوا من أحزاب ابن سعود فلا خوف على المطيري لأنه رسوله وإن كانوا من العصاة فهو من جماعتهم ظاهراً ويستطيع خداعهم فلما وصلهم الرسول إذا ذلك الجمع قبيلة الصقهان أحد بطون العجمان الخارجة على ابن سعود فسألها المطيري فأجابته أنها الصقهان وبعض مطير فروا من وجه ابن سعود فطمأنهم المطيري أنه لا بأس عليهم وأخبرهم أنه يريد الصيد ثم تركهم وعاد يخبرهم فما كاد يتمم كلامه حتى تحمس نجل جلالة الملك محمد بن عبدالعزيز لقتالهم فمنعه أبوه غير أنه أصر وقاد رتلاً من السيارات المسلحة وعليها بعض آل سعود الشجعان فأسرع محمد بن عبدالعزيز إلى الصقهان فتقابلوا وتقاتلوا دقائق حتى أبيد المحاربون.

وكان جلالة الملك في المعسكر يهيئ الإمداد لنجدة ابنه محمد ثم أسرع إلى المعركة بنفسه قد امتطى سيارته فوجد ابنه محمداً راجعاً بالنساء والأطفال والغنائم وكان عمره إذ ذاك ثماني عشرة سنة.

ولما كان في مساء ذلك اليوم قدم إلى ابن سعود أحد أمرائه وهو «تركي بن ماضي» من مخفر العبيد بكتاب ضمنه برقية من المندوب السامي ببغداد يخبر ابن سعود فيها بأن فيصل الدويش ورفيقه، نايف بن حثلين، وجاسر بن لامي، معتقلون في باخرة بريطانية فبعث إليه ابن سعود في اليوم ١١ من شهر شعبان الموافق ليوم السبت سنة ١٣٤٨هـ يطلب إليه تسليم المجرمين تنفيذاً لتعهدات الحكومة البريطانية عدم إيواء أحد منهم في أراضي العراق، والكويت وشرقي الأردن.

فتلقى ابن سعود في ١٣ شعبان خطاباً من المعتمد السياسي «الكولونيل ويكسون» يخبره أن سيقدم إليه مندوب عن الحكومة البريطانية لحل مشكلة العصاة، وتلقى أيضاً في ١٧ شعبان كتاباً من رئيس المعتمدين في الخليج العربي وكبير القناصل هناك «الكولونيل بيسكو» فحواه أن الحكومة البريطانية كلفته بأن يرأس البعثة البريطانية القادمة إليه للمفاوضة في شأن العصاة اللاجئين، وطلب ابن سعود السماح بالقدوم بالطائرات، فأجابه ابن سعود في ١٨ شعبان بقبول انتدابه وقدومه وأخبره أن الاجتماع سيكون في «خباري وضحا» إذ قرر الرحيل إليها.

ذكر تحقيق الطلب والأتيان بالدويش وصاحبيه بالرغم من كل واحد

لقد حقق ابن سعود الطلب في أمر الدويش حتى انفض من حول الدويش من العشائر وتفرقوا عنه وإن كان لا يزال يكذب بوجود ابن سعود قريباً منه، ولكن بالرغم من تكذيب الدويش تفرق أتباعه ولجأ بعضهم إلى الحدود العراقية، ومنهم من فرَّ إلى نجد، ولما كان في عشرين من شعبان الموافق ليوم الاثنين نزل ابن سعود بجيشه في «خباري وضحا» استعداداً للاجتماع والمفاوضة في شأن العصاة وإزالة سوء التفاهم الذي أوجده التجاء الدويش إلى العراق.

إن «خباري وضحا» تبعد عن «بنية عفيان» بعشر ساعات كائنة في جنوبي

الكويت، وكان ابن سعود قد وثق في بريطانيا أنها لن تنكر له ولن تخلف وعده، فلما كان بعد الظهر حلقت في سماء خباري وضحا ست طائرات بريطانية ثم هبطت إلى الأرض وبرز منها رئيس المعتمدين السياسيين في الخليج العربي «الكولونيل بيسكو» والمعتمد السياسي في الكويت «الكولونيل ديكسون» وقائد الطيران في العراق «الكومند وبرنت» ومعهم المترجمون والكتاب والخدم، كما أن حافظ وهبة قد حضر في إحدى الطائرات، وما أدراك ما هو إنه مندوب ابن سعود في الكويت، وسفير المملكة العربية السعودية في إنكلترا وقد صدر الأمر إليه بأن يرافق البعثة الإنكليزية.

ولما أن جلس صاحب الجلالة السعودية كان عن يمينه رئيس الوفد، وعن يساره قائد الطيران، وعلى رؤوسهم الرجال السعوديون والبريطانيون، وبعدما استقر برجال البعثة المقام بدأت المفاوضات، أولئك كانوا عن الجهة البريطانية وحافظ وهبة ويوسف ياسين عن الجهة النجدية بإشراف الملك نفسه، فامتدت المفاوضات واستمر المؤتمر أسبوعاً كاملاً انتهى بموافقة الحكومة الإنكليزية على تسليم الدويش ورفاقه، وكان هذا يعد انتصاراً لابن سعود، ولقد شدد صاحب الجلالة وألح على بريطانيا العظمى في طلب الدويش حتى جعل يضرب السجادة بالعصا ضرباً يكاد يمزقها ويقسم بالله لأن لم يحضر الدويش وصاحبيه ليحدثن ما لا تحمد عقباه وجعل يرغي ويزيد، فلذا تم الاتفاق في ٢٧ من شعبان على أن تحمل إحدى الطائرات الإنكليزية الدويش وابن لامي وابن حثلين في ٢٨ شعبان الموافق ليوم الثلاثاء إلى مخيم ابن سعود وأن تسوق العجمان ومطيراً بالدبابات والطائرات حتى تدخلهم حدود نجد، وبعث ابن سعود سرية قوية تحت قيادة الرجل الحازم «عبدالرحمن الطبيشي» ليتسلم العجمان ومطيراً، وقد قادهم المذكور إلى مخيم الملك المنصور فأمنهم.

ولما كان في الساعة الخامسة من يوم الثلاثاء الموافق ٢٨ من شعبان سنة ١٣٤٨هـ الموافق ٢٨ يناير ١٩٣٠م هبطت طائرة تقل «الكولونيل ديكسون» وقائد

البارجة الحربية البريطانية ومعهما المجرمون الثلاثة رؤوس الشر والبلاء والفتنة، فيصل الدويش ونائف بن حثلين وجاسر بن لامي، فاستقبلهم حافظ وهبة باسم جلالة الملك ابن سعود وأقلتهم السيارات إلى خيمة جلالة الملك، ولما وصلوا الخيمة بعدما اخترقوا المعسكر، كانت اللعنات من الجند تصوب إلى الدويش، غير أن مسير السيارة يمنع سماعها، فقدم حافظ وهبة إلى جلالة الملك قائد البارجة ثم ديكسون بالنيابة عن حكومة بريطانيا وقال أنهما قدما لتسليم المجرمين إليه، فشكرهما جلالة الملك وشكر بريطانيا التي برهنت على وفائها معه وصداقتها له ومصافاته ودها، ثم استأذن القائد والقنصل ديكسون ومن معهما وخرجوا منصرفين شاكرين لابن السعود، فوقف الثلاثة بين يدي ابن سعود، يتقدمهم الدويش حقيراً ذليلاً كاسفاً مطرق الرأس مغمض العينين لا يكاد يرفع رأسه حياءً وخجلاً، دامع العينين قد أرخى شماغه على وجهه والتحف بعباءته متمسكناً ذليلاً.

ولقد كان قبل ذلك إذا زار الملك في الرياض يصحبه نحو مائة وخمسين رجلاً مسلحين، ويدخل الرياض كقائد عظيم له منزلة عظمى في نفوس أهل الرياض وعلمائها وملك نجد، وإذا جلس فلا يجلس إلا بجوار ابن سعود يعتبره الملك كصديق قديم وقائد قواده العظام، واليوم يقف ذلك الموقف فما أعظم الفرق بين الحالتين.

فتكلم صاحب الجلالة قائلاً: أما تخاف رب العزة ما الذي حملك على هذه المخازي فتلعثم الدويش ولم يدري ما يقول، غير أنه استجمع قواه وصرخ باكياً صاغراً وقال: لم يبق شيء من الخزي لم أفعله وما تريد أعظم من هذا الخزي وهذا الجزاء أمام سائر أهل نجد، فبدره ابن سعود قائلاً: إنك تعلم يا فيصل ما عملت من أجلك في الماضي فاعترف الدويش بقوله: نعم أعلم، فقال صاحب الجلالة مقرراً نعمه عليه: لقد كنت يا فيصل في حرب مع أهل نجد من أجلكم فاعترف وهو منتحب قائلاً صدقت يا أبا تركي، واستمر ابن سعود قائلاً: فهل هذا جزائي منكم هل كنتم تريدون الملك لقد كنتم ملوكاً في الجهات التي كنتم فيها، من منكم له

الفضل علي؟ الفضل لله وحده، من منكم لم آخذه بسيفي؟ ليس منكم إلا من قتلت أباه أو أخاه ولم أخضعكم إلا بالله ثم بالسيف قد كنت أنفذ رغائبكم فكنت أشقى لأجلكم وأواصل الليل والنهار لراحتكم وسعادتكم، الا تخاف الله حينما تكتب «لجلوب»[1] أنك تريد الهجرة للعراق وإنك تحب أن تكون تابعاً له فهل تظن أنك ستكون في منزلة أعلى من منزلتك التي كنت فيها.

كان ابن سعود يتكلم والدويش يبكي ويئن ويرسل الزفرات التي كاد قلبه أن يتصدع منها، ثم تكلم مجيباً بهذا الجواب:

يعلم الله يا عبدالعزيز أنك لم تقصر معنا، وقد فعلت ما يبيض وجهك، وقد قابلنا معروفك بالإساءة، لقد فررنا من وجهك إلى الكفار فحملونا إليك في طيارة من طياراتهم ويكفي ما أشعر به من الهوان والصغار أمام الإخوان بعدما كنت عزيزاً محترماً، قاتل الله الشيطان لقد أخزانا وزين لنا سيء أعمالنا فأوصلنا إلى ما نحن فيه الآن.

وأخذ الدويش يبكي كالنساء لأول مرة في حياته وأخذ يستعطفه وكذا تكلم ابن لامي وابن حثلين يفصحان عن محبتهما الأكيدة لابن سعود أشد من محبتهما نفسيهما ويستغفران عما سلف وينويان التوبة وهما في بكاء وعويل، وحقاً، وحقاً أن يحرق الكمد والحزن أفئدتهم لأن ناصرهم هو الذي بعث بهم إلى من فروا عنه.

ثم أمر بهم ابن سعود إلى سرادق خاص لهم حول خيمته فخرجوا مطرقي الرءوس لا يرون الطريق، هذا والجنود على جانبيه يكادون التهام المجرمين لولا صدور الأمر السامي من جلالة الملك أن لا يساء إليهم فكانت الجنود لم تتمكن إلا من السخرية وتسديد اللعنات والتهكم، فأنزل العصاة في السرادق وقام عليهم حرس قوي قد أحاط بهم.

---

(١) هو أبو حنيك المفتش الإداري هناك.

ولما كان في اليوم الثاني من شهر رمضان نقل المجرمون الثلاثة إلى الرياض وأودعوا في السجن مصفودين بالحديد ليقضوا بقية حياتهم في السجن، فهذه آخرة الدويش الذي رعب ذكره أهل الآفاق، وخرق البلدان وحطم الجموع حتى أصبح خطراً عظيماً على الأمن وتعدى طوره فصرعه بغيه، ويعتبر القبض عليه والأمن من حركاته وقتاً أشرقت فيه شمس الهناء وساد الأمن في سائر نجد بل وغيرها وأصبح المسلمون في سرور وراحة وأمن من الفوضى التي قاسوا الشر الكثير بسببه، فما ظنك به لو عرف قدر نفسه وتأدب مع إمامه وساعد في أداء الواجبات وأكرم نفسه بطاعة ولي أمره وعدم الخروج.

وكان يتحمل منه الأذى ابن سعود وله غطرسة وجفاء ترفعه عن السلام لأي مخلوق يضمه قصر جلالة الملك ما عدى العلماء طبعاً، فحدث عن كبره وتعاظمه و لا حرج، وكان كل من يعرف الدويش ويعرف أخلاقه الشخصية يجزم بأنه طالب دنيا وأن ما يظهر من الشدة والغلو مصطنع.

أما إذا استأذن الدويش للملك في الرجوع إلى الأرطاوية فإن القائمة التي اعتاد تقديمها للملك تبتدأ من حبال الآبار ونعاله، إلى السلاح، والجواري وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته والطيب والعود وكل قائد من قواد الإخوان يطلب هذه الطلبات ولكن قائمته تكون محلاً للرفض أو التحوير، أما قائمة الدويش فلا يدخلها أي تحوير أو تعديل، واليوم هذا يقف الدويش هذا الموقف ذليلاً أمام سائر قواد الجيش لا أحد أنزل منه درجة.

ولقد استراح ابن سعود بعد القبض وقال من اليوم سنحيا حياة جديدة فقد ربط بلاده بالتلغرافات اللاسلكية وربط مكة والرياض بالتلفون اللاسلكي وأصبح الإخوان في السمع والطاعة للملك كسائر الرعية.

وقد سئل أئمة علماء هذه الدعوة ما قولكم في الدويش والعجمان ومن تبعهم حيث خرجوا من بلدان المسلمين يدعون أنهم مقتدون «بجعفر بن أبي طالب» وأصحابه رضي الله عنهم حين خرجوا من مكة مهاجرين إلى الحبشة، فكان جواب

العلماء أن العجمان والدويش، ومن تبعهم لا شك في ضلالهم إلى أن قالوا وأما من أبى عن جهادهم يدعي أنهم اخوان له وأنهم على حق فهذا حكمه حكمهم لأنه صوب رأيهم واعتقد ما اعتقدوه لا سيما بعد علمه بما صدر منهم.

وأما الدهينة، والخضري، وولد فيصل بن حميد وأتباعهم الذين قدموا من عند ولد الشريف يدعون إلى ولايته فهؤلاء لا شك في خطرهم، والحال ما ذكر لأنهم دعاة إلى الدخول تحت ولاية الظالمين فيجب على جميع المسلمين جهادهم وقتالهم وكذلك من آواهم ونصرهم فحكمه حكمهم وحسبنا الله ونعم الوكيل - قال ذلك وأملاه الفقراء إلى الله: محمد بن عبداللطيف، وسليمان بن سحمان، وصالح بن عبدالعزيز، وعبدالعزيز بن عبداللطيف، وعمر بن عبداللطيف، ومحمد بن إبراهيم، وعبدالملك بن إبراهيم بن عبدالملك، وعبدالرحمن بن سالم، وعبدالعزيز الشثري، ومحمد بن عبدالله بن عبداللطيف، وأسفله إمضاءاتهم.

ولقد أمر صاحب الجلالة بتلاوة ما أفتى به العلماء في مؤتمر «الدوادمي» المعقود في أول هذه السنة بعدما اجتمع الأعيان وكبار الشخصيات عنده فأبدى وأعاد، وذكر لهم خروجه بأربعين راكباً وأمامه عبدالعزيز بن رشيد في جموعه وجنوده، ومن ورائه الترك يمدونه بالجنود والمدافع والأموال، ثم كانت حكومة الحجاز تناصره وتساعده، ومساعدي منكم قليل وذلك القليل كان يساعدني بقلبه دون فعله فأعانني الله وقتلت الراعي وملكت الرعية، وتفهمون أننا سادتكم ملكنا بالله ثم بكلمة التوحيد والسيف فرحمنا الصغير ووقرنا الكبير وواسيناكم بأنفسنا، وأصبحتم أعزاء بعد الذلة وأغنياء بعد الفقر، كل ذلك بأسباب الله ثم أسبابنا، فبعد أن نلتم من أسباب العز والظفر ما نلتم غرتكم أنفسكم ونفخ الشيطان في أنوفكم وظننتم أنكم صرتم فوق الناس، فأخذتم تفتاتون في الأمر على غير علم وهدى، تحرمون وتحللون.

وقد أمر في ذلك المجتمع الذي كان قبل القبض على العدو باستئصال شأفة البقية من البغاة والمسير إليهم، وقال: لا أقبل من إنسان حضر واقعة السبلة وقاتل

معنا البغاة أن يتخلف عن المسير إليهم[1] وتقرر أيضاً في مؤتمر الشعراء المعقود فيها أيضاً لما حضر للموعد المعين في ٣٠ ربيع الثاني مالا يحصى من الرجال، ووصل إلى جلالة الملك كبار المجاهدين من القادة يهنئونه بالفوز الذي ناله، قد تقرر أن جميع الذين قاموا بالعصيان من عتيبة وبني عبدالله من مطير قد تم القضاء عليهم ولم يبق أحد عنده فضل قوة يستطيع أن يأتي بأي عمل منكر، وإن جميع من اشترك في الفتنة وبقي حياً يؤخذ ماله وجميع ما لديه من جيش وسلاح، وتحكم الشريعة في رقبته، وإنَّ من كان متهماً بممالاة أهل الفساد ولم يجاهدهم مع المسلمين تؤخذ شوكة الحرب منه، وشوكة الحرب هي ما كان من ذلول وفرس، وبندق وإن الإمام يمنح المجاهدين الصادقين ما يؤخذ من الأشرار المفسدين ليتقووا بما يأخذون من المفسدين، وإن كل شجرةٍ فيها أناس من أهل الفساد يرسل إليها أمير معه قوة لينظر في أمر المفسدين بما تقضي به الشريعة والمصلحة العامة، وإن كل هجرة غلب الفساد على أهلها فإنهم يطردون منها ويفرقون بين القبائل، ولا يسمح لأحد منهم بالاجتماع في مكان واحد، وإن تنفذ هذه القرارات في ظرف عشرة أيام أثناء وجود الملك في الشعراء، وإن جميع الرايات تنحدر بعد تنفيذ القرارات في الحال إلى الحدود حيث يقيم الأشقياء من العجمان والدويش.

وبذلك استطاع ابن سعود أن يطرد العصاة من العراق ويؤتي بالدويش وصاحبيه على متن طائرة بريطانية إليه.

ذكر أشياء عجيبة وأمور غريبة في عدم قبول المخترعات الحديثة

إن الإخوان من البدو عجزت أفكارهم أن تحيط علماً في تلك المخترعات، فمن ذلك أنهم ضربوا خادماً يركب «بسكليت» ويسمونه عربة الشيطان، أو حصان إبليس بدعوى أنها بدعة وأنها تسير بقوة السحر وعمل الشيطان، وكثيراً ما قطعوا أسلاك التليفونات لما مدها جلالة الملك عبدالعزيز حال حرب جدة ليكون على

---

(١) وتدعى هذه السنة بسنة «الدبدبة» لأن ابن سعود نزل فيها.

اتصال تام فيما بين مكة ومقره، فيتحمل السلطان تلك الفعال على مضض وينزل على رأيهم اتقاء الفتنة.

ومن العجائب كونهم لا يهابون الموت، بل يندفعون إليه اندفاعاً طلباً للشهادة، وأصبحت الأم حينما تودع ابنها تودعه بهذه الكلمات «الله يجمعنا وإياك في الجنة».

أما الآلة اللاسلكية التي جعلت للمخابرات والتليفونات فقد كانوا لا يعرفون عنها إلا أنها أبالسة وشياطين، وليس العجب من شأنهم وجهلهم، بل كان بعض العلماء الذين قلت بضاعتهم من العلم ينكرها نهجهم، فقد ذكر حافظ وهبة ما سأذكره، قال:

أوفدني جلالة الملك للمدينة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م مع عالم من علماء نجد للتفتيش الإداري والديني، فجرى ذكر التلغراف اللاسلكي وما يتصل به من المستحدثات، فقال العالم: لا شك أن هذه الأشياء ناشئة من استخدام الجن، وقد أخبره ثقةٌ أن التلغراف اللاسلكي لا يشتغل إلا بعد أن تذبح عنده ذبيحة ويذكر عليها اسم الشيطان، ثم أخذ يذكر لي بعض القصص عن استخدام بني آدم للشيطان، ولقد كان شرحي لنظرية التلغراف اللاسلكي وتاريخ استكشافه ليس له نصيب من إقناع الشيخ، فلم أجد أي فائدة من وراء البحث، فسكتت على مضض، وفي يوم من الأيام دعاني الشيخ لمرافقته لزيارة قبر حمزة عم الرسول ﷺ عند جبل أحد، وهو يبعد عن المدينة بالسيارة نحو نصف ساعة، فلبيت الدعوة وسرنا من المدينة بعد صلاة العصر، وفي أثناء الطريق أوقفت السيارة عند محطة التلغراف اللاسلكي، وهنا دار بين وبينه الحديث التالي:

سأل الشيخ لماذا أوقفت السيارة؟ فأجبته لنرى التلغراف اللاسلكي فإن كان هنا لك ذبائح ودعوة لغير الله فإني سأحرقه مهما كانت النتيجة، فالدين لله لا لابن سعود، وقد يكون الملك مخدوعاً في أمر هذه التلغرافات، وتذكر له الأشياء على غير حقيقتها، فقال الشيخ: بارك الله فيك، فدخلت المحطة وبعد البحث لم يجد الشيخ أي أثر لعظام الذبائح وقرونها أو صوفها، ثم أراه العامل طريقة المخابرة، وفي دقائق تبودلت المخابرات والتحيات بينه وبين جلالة الملك في جدة.

كانت هذه الزيارة البسيطة مدعاة للشك فيما كان يعتقده من عمل الشيطان في المخابرات ولكنه ظن أني ربما دبرت هذه المكيدة بإيعاز الملك، فزار الشيخ محطة التلغراف بضع مرات منفرداً في أوقات مختلفة بدون أن يخبر أحداً بعزمه، فكان يفاجئ العامل بالزيارة ويسأله عن كل ما يغمض عليه، وقد أخبرني الشيخ ونحن في طريقنا إلى مكة بأنه يستغفر الله ويتوب إليه عما كان يعتقده ويتهم به بعض الناس، وربما كان يقصدني في هذا الأمر، ختمت الموضوع بقولي: ما قولكم يا حضرة الشيخ في رواية أولئك الثقات، أخشى أن تكون رواياتهم لكم عن أكثر المسائل العلمية كرواياتهم عن التلغراف، فقال حسبي الله ونعم الوكيل.

وقد أخبرني جلالة الملك في شعبان ١٣٥١هـ ديسمبر ١٩٣٢م أثناء زيارتي للرياض أن المشايخ ـ أي رجال الدين ـ حضروا عنده سنة ١٣٣١هـ لما علموا بعزمه إنشاء محطات لاسلكية في الرياض وبعض المدن الكبيرة في نجد فقالوا له:

يا طويل العمر: لقد غشك من أشار عليك باستعمال التلغراف وإدخاله إلى بلادنا، وإن «فلبي» سيجر علينا المصائب، ونخشى أن يسلم بلادنا للإنكليز، فقال لهم الملك: لقد أخطأتم، فلم يغشنا أحد ولست ولله الحمد بضعيف العقل أو قصير النظر لأخدع بخداع المخادعين، وما فلبي إلا تاجر، وكان وسيطاً في هذه الصفقة، وإن بلادنا عزيزة علينا لا نسلمها لأحد إلا بالثمن الذي أسلمناها له.

إخواني المشايخ: أنتم فوق رأسي، تماسكوا بعضكم ببعض ولا تدعوني أهز رأسي فيقع بعضكم أو أكثركم وأنتم تعلمون أن من وقف على الأرض لا يمكن أن يوضع فوق رأسي مرةً ثانية.

مسألتان لا أسمع فيهما كلام أحد لظهور فائدتهما لي ولبلادي، وليس هناك من دليل في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ يمنع من إحداث اللاسلكي والسيارات، وعندما وضعت الآلة اللاسلكية في الرياض واستعملت كان الناس يغري بعضهم بعضاً بأن إنشاء هذه المحطة هو الحد بين الخير والشر، وكان العلماء يرسلون من يأتمنونهم لزيارة المحطة ورؤية الشياطين والذبائح التي تقدم لهم، فلم يجدوا شيئاً.

وقد أخبرني عامل المحطة بأن المشايخ الصغار كانوا يترددون عليه من وقت لآخر لسؤاله عن موعد زيارة الشياطين، وهل الشيطان الكبير في مكة أو الرياض؟ وكم عدد أولاد الذين يساعدونه في مهمة نقل الأخبار؟ فكان يجيبهم بأن ليس للشيطان دخل في علمه، وكان بعضهم يغريه بالنقود وإنهم سيكتمون هذا السر، ولكن العالم يأخذ الأخبار ويرسلها إلى إمامهم ويخبرهم أن الموضوع صناعي محض، هذا كلامه بحروفه إلى أن قال في ذكر المستخدمات: تذكرنا هذه القصة ما حدث في نجد قبل ستين سنة، فإن أول ساعة دقاقة كسرت وعدت من عمل الشيطان.

وفاة أمير بريدة

ففيها توفى الأمير مشاري بن جلوي آل سعود رحمه الله وعفا عنه، وهو الأمير الشهير الحازم الفاتك، وهذه ترجمته:

هو مشاري بن سعود بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود آل مقرن، وكان شجاعاً مهاباً له إقدام وجراءة، قدم إلى مدينة بريدة لما كان البغاة قريباً منها، واختاره ابن سعود لإمارة القصيم ليقوي الحامية هناك، فقام بالأمر قياماً شديداً حتى هابه أهل القصيم وما يليه، وأرعد من هيبته الأشقياء، وكان فظاً غليظاً جباراً عنيداً فانتدبه الملك عبدالعزيز للإمارة، وقد باشر قبل ذلك الأعمال ومارسها، وكان عمره حين وفاته يبلغ الخمسين، ولما قدم بريدة وتولى إمارة القصيم أزعج بسطوته من كان في تلك المقاطعة، وذلك خشيةً من الطوارئ، كيف لا وقد اجتمع البغاة حوالي القصيم وهموا بالهجوم على مدنه، فانتدب صاحب الجلالة ذلك الليث في براثنه، ولما أن قيل أن الدويش في «القاعية» وذلك قبيل الواقعة قام وبث رجاله ليأتوا بجميع سروح الإبل من كل جهة وصاح بالنفير العام، فما كان إلا قليل حتى حشرت الإبل والركاب إلى العاصمة كأنها السيل المنهمر، ولما أراد بعث الأمة جاء الخبر الأخير بأن الدويش رحل عنها.

ولقد دعا بأربعة من سائقي سيارات جلالة الملك بدعوى أنهم ضربوا خادماً له جاء إليهم يبلغهم أوامر الأمير، وأساءوا الرد عليه، فألقى القبض عليهم وبعث أناساً يأتونه بجريد النخل الرطب، فأمرهم فضربوا ضرباً بليغاً حتى هلك بعضهم تحت السياط وسلم اثنان بعد مرض طويل.

وجاء إليه أهل القرية يشكون أميراً من أمراء القصيم بأنه بعث إلى أدباشهم خادماً أخذها كلها فاستاقها وحبسها في موضع، فسأل عن كيفية أخذها فأخبروه أنها رعت في حماه، فاقتضى رأيه أخذها وقد عطشت الزروع وأشرفت على الهلاك، وقد سعوا في طلبها بكل حيلة فما وجدوا إلى ذلك سبيلا، فدعا الأمير مشاري بعبد من عبيده وقال له: اذهب إليه فإن لم يخرجها فخذ المنشار واقطع به قفل الباب «المجرى» وأتبع ذلك بمشط رصاص أطلقه على موضع الغلق، ثم أخرجها وسلمها إلى أربابها، فما كان إلا بقدر ما ذهب ورجع منفذاً أو أمر سيده، وهذه صفته:

كان ربعةً من الرجال يميل إلى القصر، يبدو على وجهه آثار الجدري، وكان مرضه في أنثيه سبب عجيب بل وغريب، وذلك لعضة خنفساء حوالي أنثيه فما زالت تتقرح بسرعة حتى انتفختا وهلك، وقد صلى عليه فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم في جامع بريدة وهو ثقيل من آثار السقم، غير أنه طلب منه ذلك، ودفن في المقبرة الجنوبية المعروفة «فلاجة» ثم إنه جعل جلالة الملك أميراً في بريدة بعده، تركي بن عبدالعزيز بن تركي بن ذعار، فلبث في الإمارة ثمانية شهور ثم أعيد مبارك بن مبيرك.

وفيها هطلت أمطار كثيرة على سائر نجد فكثر الكلأ والعشب وأنواع الكمأة، ونزلت قيمتها إلى درجة زهيدة حتى بيعت الكمأة تسع وزنات بريال، وكثر الإقط والسمن، وظهر الجراد والدباء حتى أكل الأشجار والنخيل، وآخر ذلك دخل الدباء في بيوت الناس، وتأذى الأهالي بذلك وسقط في الآبار حتى أنتنت وجفت وامتلأت المنازل والسقوف من ثيابه وجلوده عياذاً بالله من ذلك.

وفيها شرع في طبع البداية والنهاية تاريخ ابن كثير، وذلك بقيام صاحب

الجلالة في هذا المشروع الخيري، وقد امتد طبعه إلى تمام عشر سنوات ولم يكمل منه سوى أربع عشرة مجلدة.

وفي هذه السنة ارتفعت منزلة الوزير عبدالله بن سلمان بن حمدان لدى جلالة الملك عبدالعزيز وذلك لقيامه بكل طلب يأتي من الملك لنفقات الحروب.

ذكر التقاء الملكين ١٣٤٨هـ

لما كان ابن سعود قرب الحدود العراقية رغبت حكومة بغداد أن تنتهز الفرصة فتعمل على تأكيد الصلات بين نجد والعراق، فوسطت المندوب السامي لذلك، فكتب هذا إلى ابن سعود في ٩ شعبان من هذه السنة يخبره عن رغبة الحكومة العراقية التي تؤيدها الحكومة البريطانية في عقد مؤتمر يجمع بين عاهلي العراق والمملكة العربية السعودية، ورجال الحكومتين والمندوب السامي نفسه في مكان محايد أو على الحدود ويخبره أن العراق مستعدة لأن يكون عقد المؤتمر في ٢٠ رمضان سنة ١٣٤٨هـ، فوافق صاحب الجلالة السعودية ثم تلقى من المندوب السامي خطاباً يخبره فيه بأنه يقترح أن يكون الاجتماع في «الرضمية» المنطقة المحايدة بين العراق ونجد، فاعتذر ابن سعود ببعد المسافة بين المكان الذي هو فيه وبين المكن الذي اقترح فيه الاجتماع، كما اعتذر بقلة الماء في الطريق، ورأى أن يكون الاجتماع في الوفرة، المنطقة المحايدة بين الكويت ونجد، ومن السهل على الملك فيصل الوصول إليها بدون مشقة لأنه يستقل طائرة في رحلته تلك، فبعث فيصل إلى جلالة الملك عبدالعزيز يدعوه أن يكون في ضيافته «بالرضمية» فاعتذر بلطف بما اعتذر به من قبل، وقد كان كلا الملكين حريصاً على هذا الاجتماع الذي يستثمر منه الصلات وحسن الجوار ويمحق ما بالقلوب من ذكرى الحوادث القديمة، ثم لما كان في ٢٥ من شعبان ورد ابن سعود كتاب من رئيس المعتمدين بالخليج العربي يقترح فيه أن يكون الاجتماع في البحر على باخرة بريطانية خارج المياه النجدية والعراقية، فأجاب إلى ذلك لسهولة الطريق وقرب المسافة، وتقرر أن يكون

الاجتماع في ٢٠ من رمضان، وأخذ الملكان والمندوب السامي يستعدون لليوم الموعود بفارغ الصبر، لكن ابن سعود اقترح أن يعقد مؤتمر لتمهيد جو صالح للاجتماع والبحث في المسائل، فانتخب العراق وفداً برئاسة «ناجي بك آل شوكت»» وزير الداخلية، وانتدب ابن سعود ثلاثة من خيرة رجاله وهم: حافظ وهبة، ويوسف ياسين، وإبراهيم بن معمر، للمفاوضة والبحث، فاجتمع المندوبون في الكويت في ١١ رمضان، إلا أن وفد العراق لم يفوض التفويض التام في البت في القضايا، فلم يكن الحل مستطاعاً، فعاد الوفد النجدي في ١٦ رمضان لمرافقة جلالة الملك ابن السعود وبقي ابن معمر في الكويت للنظر في المتخلفين من أتباع العصاة وتقرير ما يجب بشأنهم، وأمر ابن سعود بأن تقف الباخرة التي أعدتها بريطانيا لنقله إلى مكان الاجتماع في البحرين ليزودهم وكلائه آل القصيبي بما تحتاج إليه من فرش وأثاث وأمتعة ومأكل ومشرب، فلما كان في الساعة الرابعة من ٢١ من شهر رمضان، ركب ابن سعود وحاشيته زورقاً بخارياً من الجبيل إلى رأس تنورة انتظاراً للباخرة، وفي الساعة ٨ قدمت الباخرة البريطانية «بتريك ستيورات» فاستقلها ابن سعود بحاشيته واستقبله قوادها استقبالاً حماسياً رائعاً، وأطلقت المدافع تحيةً للملك العظيم وسارت على اسم الله إلى المكان المعد للاجتماع، وكان من المقرر وصول الباخرتين إلى الموعد في وقت واحد إلا أن أمراً غير عادي آخر «بتريك» التي أقلت ابن سعود قليلاً، فوصلت في فجر اليوم ٢٣ من رمضان وكانت الباخرة «نرجس» المقلة للملك فيصل «ولوبن» المقلة للمندوب السامي قد أخذتا مكانهما، وقد تسلم ابن سعود وهو بالباخرة برقية من المندوب السامي يدعوه فيها إلى تناول طعام الغداء على مائدته مع الملك فيصل بباخرته لوبن، فأبرق إليه بقبول الدعوة ودعاه إلى مأدبة العشاء التي سيقيمها لعاهل العراق، وفي الوقت المحدد للاجتماع ركب ابن سعود زورقه ومعه يوسف ياسين، وحافظ وهبة، وفؤاد حمزة، وعبدالعزيز القصيبي، ومدحت شيخ الأرض، وعبدالرحمن الطبيشي، حتى إذا دنا الزورق من لوبن رفع عليها علم المملكة العربية السعودية، وأطلقت منها المدافع تحيةً لعاهلها، فاستقبله

على سلم الباخرة المندوب السامي وقائد الباخرة ومن معهما استقبالاً حماسياً، وإذ ملك العراق مقبل بزورقه فرفع علم العراق العربي وأطلقت المدافع تحية له، واستقبل استقبالاً فخماً ثم سعى كل من الملكين إلى الآخر وتصافحا وتعانقا ثم تبادلا ألفاظ التحية والمودة، وقدم الملك فيصل إلى الملك عبدالعزيز رجاله وهم: ناجي باشا السويدي رئيس وزراء العراق، ومحمد رستم بك صدر رئيس ديوان الملك فيصل، والكولونيل «كورنوليس» مستشار وزير الداخلية، وتحسين بك قدري مرافق الملك، وقدم الملك ابن السعود رجاله المتقدم ذكرهم، ثم دخل الملكان البهو المعد للجلوس، معهما المندوب السامي ورجال الحاشيتين، وتكلم فيصل كلمة موجزة بليغة معربة عن شكر الحكومة البريطانية وفخامة المندوب السامي على هذا السعي النبيل، حتى كان هذا الاجتماع المبارك الذي يبشر بالتآخي بين الأمم العربية، ثم تكلم صاحب الجلالة عبدالعزيز شاكراً الحكومة البريطانية والمندوب السامي وقال:

إن الواجب على العرب وأمرائهم أن يسعوا سعياً متواصلاً للاتحاد والاتفاق، ثم انبرى المندوب السامي للكلام وأعرب عن سروره وسرور الحكومة البريطانية بعقد هذا الاجتماع المنتظر من روائه كل خير للبلاد العربية، ثم رأى الجميع إخلاء المكان للملكين ليبث كل منهما ذات نفسه للآخر، فكان الوقت رائقاً ذهبت فيه آمال الملكين تمرح طرباً وابتهاجاً لكل منهما ابتسامة يعجب لها على ظهر الباخرة لوبن، ثم استدعيا السويدي، وكور نوليس، ورستم وحافظ ويوسف وفؤاد، واستطاع الطرفان في هذا الاجتماع بت المسائل المعلقة وإرجاء ما بقي إلى مندوبي البلدين، وبعد تناول المآدب التي كانت فيها الحفلات الأنيقة الجميلة لدى المندوب، ثم لدى جلالة الملك عبدالعزيز، ثم لدى الملك فيصل، توادع الملكان وداعاً حاراً وافترقا، وفي نفس كلٍ منهما شوق إلى الآخر وإكبار له وإعجاب به، وبقي وفد نجد ووفد العراق حتى صلاة العشاء الأخيرة يتناقشان في المسائل الهامة ثم افترقا، إلا أن الوفد السعودي كان مسروراً بموقف رئيس وزراء العراق ناجي باشا السويدي

ومعجباً بغيرته على مصالحة العرب ولطفه، ولما كان في ليلة الاثنين تناول المندوب السامي طعام العشاء لدى الملك ابن سعود وتحدثا طويلاً، فلما كان من الغد نهار الاثنين ٢٥ رمضان أقلت باخرة ابن السعود جلالته إلى مياه البحرين ليستقل الزورق إلى العقير، إلا أن الرياح حالت دون ذلك، فانتهز ابن السعود الفرصة لزيارة شيخ البحرين عيسى بن خليفة إذ بين أمراء البحرين وآل سعود صلات ودية كبيرة، فلما مضى صاحب الجلالة عبدالعزيز يصحبه حرسه إلى البحرين استقبلته جموع كثيرة من أهلها، ولبست البحرين أبهى حللها استقبالاً للملك العربي الكبير، وسارت الجماعات تحييه وتهتف بحياته هتافاً عالياً، وبعدما التقى بالشيخ عيسى بن خليفة كان موقفاً من أجمل المواقف، ومرَّ بدار القصيبي تكريماً لهم، ثم استقل الزورق إلى العقير.

ثم دخلت سنة ١٣٤٩هـ

استهلت هذه السنة والدولة التركية يرأسها مصطفى كمال وقد فصلت الجمهورية الدين عن الدنيا وألغت القوانين القديمة واستبدلتها بقوانين ونظم جديدة مقتبسة من القوانين الأوربية الحديثة، وصارت الجمهورية علمانية لا دينية، وكان يبلغ عدد سكان تلك المقاطعات أربعة عشر مليوناً، ولا يزالون في ازدياد، وكان ولي عهد السلطة العثمانية «محمد السادس وحيد الدين» لا يزال يشنع على مصطفى كمال، وذلك بعدما تغلب عليه ونازعه فغلب مصطفى حزب الخليفة محمد وصارت السلطنة بيد مصطفى، وهاهو ذا بلباسه ورسمه الجديد أوربي متلبساً بالمدنية الغربية، أوصافه:

مربوع القامة إلى الطول أقرب، عريض الكتفين، نحيف اليديين والساقين، أزرق العينين، حاد النظر، قصير الشارب، مهيب الطلعة مشرب الوجه بحمرة، له قوة إرادة وثبات عزيمة وإقدام واستقلال بالرأي، ثابت في اللقاء، صريح لا يعرف المداهنة، يجهر بآرائه ولا يهاب كبيراً ولا يخاف عظيماً.

وكان على اليمن وأعمالها الإمام يحيى بن محمد حميد الدين.

وفيها طبعت رسائل أئمة هذه الدعوة من آل الشيخ وغيرهم في مطبعة المنار بمصر لصاحبها «محمد رشيد رضا» فجاءت في ثلاث مجلدات منشورة، بلغ الجزء الأول ٧٦٣ صحيفة، وكان الثاني في جزأين أحدهما مستقلاً برسائل الشيخ الإمام عبداللطيف، وبلغت صحائف المجلدة الثالثة من المجموعة ٨٧٦ صحيفة، فيا حسنها والبهاءُ يلوح فيها ونور القبول يبدو عليها.

وفيها أيضاً تم طبع كتاب الآداب الشرعية الكبرى لابن مفلح في ثلاث مجلدات كأحسن ما يكون في الورق والطبع، وذلك في مطبعة المنار أيضاً، وكلا الكتابين من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي آثار الملة المحمدية الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود أثابه الله.

كما أنه تم فيها طبع كتاب روضة المحبين لشمس الدين ابن القيم رحمه الله، وذلك في مطبعة الترقي بدمشق، فجاءت على أحسن وضع في ورقها وطبعها، وقد تصرف فيها المصحح بحذف بعض البحوث اليسيرة منها وهذا اجتهاد منه، وكنت أرى أنه لو تركها على وضعها لكان أحسن، لأن منزلة الإمام ابن القيم أعلى من أن يتصرف في مؤلفه من هو بالنسبة إليه كقطرة في بحر، ولعل أحمد عبيد مجتهد في ذلك وله أجر واحد، وهي أيضاً من مطبوعات الملك عبدالعزيز بن سعود.

وكذا أيضاً طبع في هذه السنة عنوان المجد في تاريخ نجد للعلامة ابن بشر رحمه الله، وكان طبعه في المطبعة السلفية بمكة المشرفة، فجاء في جزأين بمجلد واحد، وقد بلغني أنه حذف منه مواضع كثيرة لأسباب سوغت ذلك، وهذا يعد أيضاً خطأ لأن العلم أمانة وتبعة ما يثبت في الكتاب تعود إلى مؤلفه.

وفيها وفاة الشيخ سعد بن عتيق قدس الله روحه

ونور مرقده وضريحه، وهذه ترجمته:

هو العالم البارع الحافظ الورع الزكي الصارم البتار لأعناق المنافقين والكفار، الذي لا يزال ذكره مقبولاً لنصرته شريعة الرسول ﷺ ولم يستره التقشف

والخمول، الحبر الكبير والعلم الشهير، الشيخ ابن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وقد قدمنا ذكر نسبه في ترجمة أبيه، ولد رحمه الله ببلدة «الحلوة» القرية المعروفة في حوطة بني تميم سنة ١٢٧٩هـ، ونشأ بها وقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب، وجدَّ في طلب علم الحديث، فسافر إلى بلد الهند في زمن كثرت فيه الفتن وترادفت فيه المحن وانقطعت فيه السبل، فتارةً يسير مع ركبان الإبل وطوراً مع المشاة على الأقدام، وأخرى يقطع البحار على السفن فكابد المشاق والعذاب، واحتسب الثواب من رب الأرباب، وقد وجدت من ذكر سفره ما أثبته عن نفسه بقوله يروي لنا قصته فقال:

ركبنا في قارب ـ وهي سفينة صغيرة ـ متوجهين إلى بلد من بلدان فارس تسمى «شارك»، وكان ركوبنا قبيل غروب الشمس يوم السبت سابع عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٤١هـ وصاحبنا في تلك الليلة التوفيق من الله تعالى والإسعاف، فلذلك قدمنا البلد في أول تلك الليلة، فلما أصبحنا يوم الأحد اجتمعنا بالأخ علي بن سلمان وخرجنا من تلك البلاد بعد صلاة الظهر متوجهين إلى «لنية» نمشي على أقدامنا لأن البحر في تلك الأيام مضطرب اضطراباً شديداً وبعد خروجنا من البلاد المذكورة قدمنا البلاد المسماة «باوردان» عند رجال صالحين منهم الأخ سلمان بن خميس، وابراهيم ين ياقوت ووجدنا عندهم شيئاً من كتب التفسير وبعض كتب شيخ الإسلام وأقمنا عندهم آخر يوم الأحد، ويوم الاثنين، فلما كان يوم الثلاثاء أجمعت على المسير وتخلف الأخ علي عند أصحابه لأنه كان مريضاً وخرجت من تلك البلاد ومعي غلام أرسله معي أهل البلاد لهداية السبيل، وكان اسمه «بلال»، وأصابنا في ذلك المسير مطر بلَّ ثيابنا بللاً كثيراً، ثم أخذ معي ما شاء الله، ثم رجع إلى وطنه وبقيت في تلك الطريق وحدي متوكلاً على الله معتمداً عليه، فحصل بحمد الله من الإعانة والتسديد في ذلك الطريق ما لم أظن، وقدمت «مغوة» في وقت الظهر ثم بعد الصلاة خرجت من المسجد لبعض الأغراض، فارتفعت لي السماة «ذوان»

فتوجهت إليها في الحال وصليت فيها العصر، ثم بعد السلام من الصلاة سألت رجالاً عندي عن مسألة، فكان في جوابهم ما اقتضى التعجل، فخرجت في الحال قاصداً «لنية» مستقبلاً الليل، فمشيت آخر يومي وأول ليلتي، فبينما أنا أمشي إذ رأيت ناراً فعشوت إلى ضوئها فإذا أنا برجال على شاطئ البحر ألقتهم سفينتهم وعددهم ٤٥ بعد القرب إلى ذلك المكان، فبت عندهم تلك الليلة، وكانت ليلة مطيرة وصان الله تعالى الكتب التي معي بسبب أولئك، فإني بت عندهم في مثل الخيمة وهو شراع سفينتهم أصلحوه حتى عصمنا الله به من المطر، فلما كان الصباح سرت من عندهم متوجهاً إلى لنية، فلما كان وقت العصر دخلت تلك البلاد وهي «لنجة» المذكورة، وذلك اليوم يوم الأربعاء حادي وعشرين من جمادى الأولى، وصادفنا الأخ إبراهيم بن سيف المقدم ذكره، وأقمت عنده في تلك البلاد آخر ذلك اليوم وأول الغد، ثم وصل إلى لنية المركب ـ أعني مركب العجم ـ قاصداً الهند، فركبت فيه وبقينا في ذلك المركب قبل وصوله الهند تسعة أيام لأنه ـ أعني المركب ـ وقف قريباً من «بندر عباس» يومين وقد رأينا فيما أتينا عليه من آيات الله تعالى الكبار وآثار قدرته وعجيب صنعه مما يدل أوضح دلالة وينادي أعظم نداء أنه تعالى هو الإله الحق المتفرد بالعبادة الذي لا تصلح لغيره ولا تنبغي لسواه، آمنا به وعليه توكلنا هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب، وقدمنا «البندر بمبي» مستهل جمادى الآخرة وهو الشهر السادس من شهور السنة المحررة أعني ١٣٠١هـ.

ذكر مشايخه الذين أخذ عنهم

من هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم من أهل الهند: الشيخ نذير حسين الدهلوي، وكان الشيخ إسحاق يعظمه ويقول: إنه حامل لواء أهل الحديث بلا نزاع وحلية أهل الدراية والرواية والسماع، ومنهم ابنه الفاضل شريف حسين بن نذير حسين، وأخذ أيضاً عن الشيخ العالم الفاضل صديق حسن القنوجي صاحب المؤلفات المفيدة، وكل من هؤلاء قد أجازه وكتب له الإجازة بقلمه، وأخذ أيضاً

عن الشيخ الفاضل حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي، وأخذ أيضاً عن العلامة الشيخ محمد بشير الهندي، وأخذ عن الشيخ العلامة سلامة الله الهندي، وقد أجازوه بما رووه وأخذوه وسمعوه من المشايخ الكرام المحدثين الأعلام، وأقام في بلاد الهند يتعلم ويدرس ويتردد بين أولئك الأئمة الأعلام، ثم إنه سافر من الهند إلى مكة المكرمة وأقام بها ستة أشهر درس فيها على علماء مكة.

فمنهم الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى قرأ عليه شرح زاد المستقنع بكماله، وقرأ عليه أيضاً كثيراً من المؤلفات النافعة لا سيما الكتب المتعلقة بالحديث وقد أجازه بما رواه وسمعه، وأخذه عن مشايخه الأعلام الذين من أجلهم الشيخ العالم العلامة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ أيضاً عن جماعة من علماء مكة المشرفة منهم الشيخ حسب الله الهندي، والشيخ عبدالله الزواوي، والشيخ أحمد أبو الخير، وقد كتب في رحلته لطلب العلم كتباً كثيرة نافعة منها في الهند «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم»، ومنها «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار»، ومنها بمكة المكرمة «تجريد التوحيد المفيد للمقريزي»، ثم إنه رجع إلى وطنه الأفلاج وأقام بها مدة ثم عزم على السفر إلى الهند لأن يزداد من العلم، فسار حتى بلغ الإحساء فأصابه مرض في عينه فرجع إلى وطنه.

وقد ولاه صاحب الجلالة عبدالعزيز بن السعود قضاء بلد الأفلاج ثم نقله منها إلى الرياض فجعله قاضياً فيها حتى توفاه الله تعالى.

ذكر الذين أخذوا عنه من العلماء والأحبار

أما تلامذته الذين تخرجوا عليه وأخذوا عنه، فهم كثيرون ولكننا نذكر بعضهم إذ لا يمكن استيعابهم.

فمنهم: الشيخ العالم العلامة الذي افتخرت به الأواخر على الأوائل، ذو الأجوبة السديدة والمؤلفات المفيدة، حبر زمانه والنابغ من بين أقرانه «عبدالله بن

عبدالعزيز العنقري» وناهيك به علما وشرفاً، ومنهم الشيخ المفتي الأكبر في هذا الزمان ورئيس قضاة نجد العالم «محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، ومنهم الشيخ الفاضل عمر بن حسن بن حسين آل الشيخ رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نجد، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن عتيق أخوه، وأخذ عنه أيضاً أخوه الشيخ العالم عبدالله بن حمد بن عتيق، وأخذ عنه أيضاً أخوه الشيخ الذكي إسحق بن حمد بن عتيق، وأخذ عنه الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، وأخذ عنه أيضاً الشيخ العلامة سعود بن رشود، وأخذ عنه أيضاً الشيخ فيصل بن عبدالعزيز بن مبارك، وأخذ عنه الشيخ سعد بن سعود، وغير هؤلاء خلق كثير وجم غفير.

وكان رحمه الله لا يداري ولا يداهن بل يظهر دينه ويصدع بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم ولا يبالي في نصرة الحق رضي الناس أم سخطوا، أما مؤلفاته ورسائله فكثيرة منها: حجة التحريض على النهي عن الذبح للمريض، ومنها نظم المفاتيح التي ذكرها ابن القيم في كتابه حادي الأرواح، ومنها نظم نواقض الإسلام العشرة، ومنها رسالته إلى أهل الغطغط والأرطاوية ينصح ويحذر فيها من الخروج على ولي الأمر وغير ذلك، ولولا خشية الإطالة لأتينا بها إلى هذا الموضع لكن على من أحب مراجعتها فليطلبها في مجموع الرسائل النجدية.

وكان الشيخ عبدالله بن عبداللطيف يجله ويعظمه وينصر أقواله ويقر له بالفضل، بل كان عضده الأشد وخير مساعد له ومعين، ولما كان في ١٣ جمادى الأولى من هذه السنة توفاه الله تعالى ونقله إلى رحمته، نسأل الله تعالى أن يجعل الجنة مثواه، فرثاه جماعة من علماء نجد من هؤلاء الشيخ عبدالملك بن إبراهيم، والشيخ سعود بن رشود، والأخ عبدالمحسن بن عبيد، ونكتفي من ذلك بما رثاه به شاعر نجد الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين حيث قال هذه القصيدة البليغة التي كفت وشفت:

أهكــذا البــدر تخفــى نــوره الحفــر ويفقــد العلــم لا عــين ولا أثــر

خبـت مصـابيح كنـا نستضـيء بهـا ... وطوحـت للمغيـب الأنجـم الزهـر
واستحكمت غربة الإسلام وانكسـفت ... شمس العلوم التي يهدى بهـا البشـر
تخـرم الصـالحون المقتـدى بهـم ... وقـام مـنهم مقـام المبتـدأ الخـبر
فلسـت تسـمع إلا كـان ثـم مضـى ... ويلحـق الفـارط البـاقي كمـا غـبروا
والناس في سـكرةً مـن خمـر جهلـهم ... والصحو في عسكر الأموات لو شـعروا
نلهو بزخرف هـذا العيـش مـن سـفه ... لهـو المنبـت عـوداً مالـه ثمـر
وتسـتحث منايانـا رواحلنـا ... لموقـف مالنـا مـن ورده صـدر
إلا إلى موقـفٍ تبـدو سـرائرنا ... فيـه ويظهـر للعاصـين مـا سـتروا
فيالـه مصـدرٌ مـا كـان أعظمـه ... الناس من هوله سكرى وما سـكروا
فكـن أخـي عـابراً لا عـامراً فلقـد ... رأيت مصرع من شادوا ومن عمـروا
اسـتنزلوا بعـد عـزٍ عـن معاقلـهم ... كـأنهم مـا نهـوا فيهـا ولا أمـروا
تغـل أيـديهم يـوم القيامـة إن ... بـرواً تفـكُ وفي الأغـلال إن فجـروا
ونح على العلم نوح الشـاكلات وقـل ... والهف نفسـي علـى أهـلٍ لـه قـبروا
الصـادعين بـأمر الله لـو سـخطوا ... أهـل البسـيطة مـا بـالوا ولـو كثـروا
والسالكين على نهـج الرسـول علـى ... مـا قـررت محكـم الآيـات والسـور
والعـادلين عـن الـدنيا وزهرتهـا ... والآمـرين بخـيرٍ بعـدما ائتمـروا
لم يجعلـوا سـلماً للمـال علمهـم ... بـل نزهـوه فلـم يعلـق بـه وضـر
فحيـي أهـلاً بهـم أهـلاً بـذكرهم ... الطيـبين ثنـاءً أينمـا ذكـروا
أشخاصهم تحت أطباق التراب وهـم ... كـأنهم بـين أهـل العلـم قـد نشـروا
هـذي المكـارم لا تزويـق أبنيـةٍ ... ولا الشغوف التي تكسي بهـا الجـدر
وابك على العلم الفرد الذي حسنت ... بـذكر أفعالـه الأخبـار والسـير
مـن لم يبـال بحـق الله لائمـه ... ولا يحـابي امـرءواً في خـده صـعر
بحرٌ مـن العلـم قـد فاضـت جداولـه ... أضـحى وقـد ضـمه في بطنـه المـدر
فليـت شـعري مـن للمشـكلات إذا ... حـارت بغامضـها الأفهـام والفكـر

مـن للمـدارس بـالتعليم يعمرهـا — يتنابهـا زمـر مـن بعـدها زمـر
هـذي رسـوم علـوم الـدين تندبـه — ثكـلاً عليـه ولكـن عزهـا القـدر
طوتـك يـا سـعد أيـام طـوت أمماً — كـانوا فبـانوا وفي الماضـيين معتـبر
إن كـان شخصـك قـد واراه ملحـده — فعلمـك الجـم في الآفـاق منتشـر
والأسوة المصطفى نفسي الفـداء لـه — بموتـه يتأسـى البـدو والحضـر
بـني لكـم حمـد يـا للعتيـق عـلا — لم يبنهـا لكـم مـالٌ ولا خطـر
لكنـه العلـم يسـمو مـن يسـود بـه — على الجهـول ولـو مـن جـده مضـر
والعلـم إن كـان أقـوالاً بـلا عمـل — فليـت صـاحبه بالجهـل منغمـر
يـا حامـل العلـم والقـرآن إن لنـا — يومـاً تضـم بـه الماضـون والأخـر
فيسـأل الله كـلاً عـن وظيفتـه — فليـت شـعري بمـاذا منـه يعتـذر
ومـا الجـواب إذا قـال العلـيم إذا — قـال الرسـول أو الصـديق أو عمـر
والكـل يأتيـه مغلـول اليـدين فمـن — نـاجٍ ومـن هالـك قـد لوحـت سـقر
فجـددوا نيـةً لله خالصـةً — قوموا فرادى ومثنى واصبروا ومـروا
وناصحوا وأنصحوا من ولي أموركم — فالصـفو لا بـد يـأتي بعـده كـدر
والله يلطـف في الـدنيا بنـا وبكـم — ويـوم يشـخص مـن أهوالـه البصـر
وصـل ربـي علـى المختـار سـيدنا — شـفيعنا يـوم نـار الكـرب تسـتعر
محمـد خـير مبعـوثٍ وشـيعته — وصـحبه مـا بـدا مـن أفقـه قمـر

وممن توفى فيها من الأعيان الشيخ سليمان بن سحمان صاحب الردود والشعر الحسن رحمة الله عليه

وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم الشاعر الماهر الذكي المتفنن في العلم والشعر والنحو والفقه والأصول والفروع، سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن عامر، كان أصله من «تبالة» التي تقع على شاطئ بيشة الشمالي، وهي وادٍ

مجاور لوادي بيشة ينصب من جهة الغرب إلى جهة الشرق، بأعلاه قصور ومزارع وأسفله مرعى للبوادي.

كان الشيخ سليمان بن سحمان قارعاً للشعر حتى أطلق عليه «حسان السنة في وقته» وله في ذلك ديوان حسن، وينقسم ديوانه إلى ثلاثة أقسام: قسم في الردّ على أعداء الشريعة الذين شرقوا بهذه الدعوة، فرد عليهم بما أدحض به حججهم وثلّ به عرشهم وألقاهم إلى قعر الحضيض، فقد ردَّ على قريب من خمسين ضالاً مبتدعاً فأفاد وأجاد وبلغ في الغاية فوق ما يراد حتى كان سداً عظيماً دون حمى الدين، وسفاً مسلولاً على أعناق المبتدعين، وجاهد بحجته ولسانه العابثين والمروجين الذين هم كفار السفين، وما زال يناضل ويحامي حتى أتاه اليقين.

القسم الثاني: من قصائده من عقائد لأهل السنة في معرفة التوحيد وأقسامه وما يضاهيه من الشرك والتنديد، وأوضح معالم الدين وأشاد مناره وأبطل الزخارف والتمويهات وأجلب على ذلك بخيله ورجله، فجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، لقد أحسنت يا سليمان في بيانك وأوضحت وبينت، وإنا لنرجوا أن يجود الزمان بمثلك.

القسم الثالث: من قصائده مجاوبات ومراسلات ومدائح لأهل الدين والعلم والفضل، وتشكي من حالة الزمان، ورثاء لأهل العلم، ومنادمةً لإخوانه وأحبابه، وعلى من أحب أن يعرف قدره فليراجع ديوانه فإنه قد احتوى على العجب العجاب:

هو النجم للساري ضياءً وأنسةً ... وشهبٌ على هام الطغاة وجحد
ملاه قصيداً فائقات نظائراً ... وعلماً وتحقيقاً يبين لمهتد
فرده وأمعن في اقتناء عقائد ... تنجي لعمر الله من كل مفسد

هذا وإنا لنأمل في أحبابه أن يعيدوا طبعه ويحسنوا وضعه ويأتوا بما قد فات جامعه من القصائد الكثيرة للمؤلف، وقد أحببت أن أنقل هنا بعض أبياتٍ له جواباً لأبيات وردت عليه، قال بعد البسملة:

من سليمان بن سحمان إلى حضرة جناب اللوذعي الأديب، والألمعي المصقع الأريب، المحب المقدم، والأخ المكرم «ناصر بن سعود» لا زال بالعلم والآداب في صعود، وأيامه في فوز وهناء وسعود أمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فالموجب للخط هو إبلاغ السلام والتحية والاحترام ثم السؤال عن صحة أحوالكم واعتدال أوقاتكم، ونحن بحمد الله في أحسن حال وأنعم بال والخط الشريف والجواب اللائق الرائق المنيف، وصل إلينا وكان من أكبر المنن علينا، ولكني أقول:

أتاني على عظم الخطوب الشواغل ... الوكـة ذي ودٍ نصيحٍ مواصل
يـذكرني عهـد المحبـة والإخـا ... وعصـراً مضـى بـالطيبين الأفاضل
ويبكي على نصر الهدى بعدما عفت ... معالمـه وأبلوجـت بـالنوازل
ويهـدي خـلال الخـير نصـحاً لخلـه ... علـى أنهـا تعلـى يفـاع المنـازل
فـأهلاً بهـا أهـلاً وسـهلاً ومرحبـا ... هديـة مـأمونٍ سـليم الـدغائل
ولكـنني لا أسـتطيع جوابهـا ... ومـا الله عمـا يعملـون بغافـل
ولـي كبـد مكلومـةٌ لـو أبحـت مـا ... أجنته لأستعدي العـداء كـل جاهـل
فأعف أخـاك اليوم عـن درك الـذي ... تؤملـه مـني لعظـم الشـواغل
وأبلـغ لإخـوانٍ وصـحبٍ أجلـةٍ ... سلاماً كصـوب المعصـرات الهواطـل
عداداً ومـا لاحـت مـن الأفـق أنجـمٌ ... وهـب نسـيم بالضـحى والأصـائل
وإني وإن قصـرت عـن نيـل سـعيهم ... وخلفـني ذنـبي وسـوء التكاسـل
أود لهـم خـيراً وأرجـو بحـبهم ... لحوقـاً بهـم في عاليـات المنـازل
فمـن طلـب العلـم الشـريف بنيـةٍ ... تسـامى إلى شـأو العلـى والفضـائل
ونـال المنـى واسـتر بـالفوز والهنـاء ... فطـوبى لـه إذ نـال خـير الوسـائل
وصـل علـى خـير الأنـام محمـدٍ ... وأصـحابه والآل أهـل الفضـائل

ثم قال: هذا والمأمول المسامحة، فإني كتبت ارتجالاً وسودتها عجالاً، ولا يسمع بها إلا من هو من أهل المحبة والصفا، فأنا في محل وزمان ربما يخفى عليكم غايته،

وبلغ السلام المشايخ والإخوان كافة منا عموماً ومنك خصوصاً ومن لدينا الشيخ عبدالله وعياله وإخوانه يسلمون عليك والسلام.

أما مشايخه الذين أخذ عنهم فإنه أخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأخذ أيضاً عن ابنه الشيخ العالم العلامة عبداللطيف ابن عبدالرحمن، وأخذ أيضاً عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن، وناهيك بهؤلاء فضلاً وعلماً وذكاءً، وأخذ عن الشيخ حمد بن عتيق، وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس، وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وغيرهم، وجدَّ واجتهد حتى علا نجم ذكره في الآفاق، ونصر دين الله من افتراء أهل الشقاق، فيا طوبى له غدا يوم التلاق.

ذكر ما جرى عليه من الامتحان وثقته بالله الواحد الديان

كان له من ذلك حظ وافر ونصيب جزيل، وذلك لأن زمانه وافق اختلاف آل سعود فيما بينهم، واختلاف الكلمة وتشتت البال ومكابدة المخاوف والأهوال، واندلع إذ ذاك فتن تغدو وتروح، وأنياب الشر هناك تبدو وتلوح، فأصبح أهل الدين مخوفين بالزلازل، ومفزعين ومخذولين لا يقر لمؤمن قرار ولا يسترعن طغاة الأشرار سور ولا جدار، فقد حبس المترجم وأوذي في ذات الله ومنع وهدد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال قصيدته الميمية التي تقدم ذكرها، وأنشأ قصيدتين في شأن سجنه وأنه لا مبرر لذلك، غير أنه لا بد ولأعدائه من المحاكمة بين يدي الذي لا يغادر صغيرةً ولا كبيرة إلا أحصاها ولا يظلم ربك أحدا.

فيا لعباد الله من أقوال الوشاة وأهل الخوض في أعراض العلماء الذين لحومهم مسمومة، وبراءتهم لدى الله ولدى خلقه معلومة، فلا يرتدعون ويفكرون فيما يقولون وأنهم بمرأى من الله ومسمع وأن الله هو الثائر لأوليائه لا يكل نصرتهم إلى غيره، ويكفينا حسن العاقبة له، وأن أعداءه لا يزالون في تأخر وتمزيق وانحلال.

ومنها تشتت شمل العلماء وطلاب العلم في ولاية آل رشيد، حتى تناءت بهم

البلدان وتفرقوا في كل مكان، وأنبت نظام الدين، وانتشرت دعاة الشياطين، فأنشأ في ذلك قصيدة خرجت عن حرارة الجوى، وباح بما لديه وقال الذين أمنوا بالله ورسوله: «متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب» وما زال وإخوانه وأحبابه موبورين حتى أغاث الله خلقه ونصر أولياءه، وأتى بأمرٍ من عنده ونفحةٍ من نفحات لطفه، وذلك بظهور صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود.

ومنها لما بيته اللصوص المعتدون في الموضع الذي يدعى «طلحا» فنجاه الله من شر هذه المكيدة فقال في ذلك قصيدة عظيمة بعث بها إلى المشايخ الإخوان يخبرهم بما جرى عليه، ويشكر الله على ما منَّ به عليه من دفع الأذى وخلصه من ذلك الشر والبلاء، وهي موجودة بالديوان.

ومنها أن الله تعالى أخذ حبيبتيه وسقط الماء في عينيه، فسار إلى دكتور النصارى في البحرين، فلم يفد فيه شيئاً، غير أن لاقى الأهوال والشدائد في ركوب البحر وأمواجه وألم العلاج، وتقدم ذكر ذلك في سنة سفره، أضف إلى ذلك قلة ذات اليد وضيق معيشته في أول نشأته، فكان في كل هذه الأمور صابراً لله محتسباً فيما عنده، فلله دره ما أعرفه بربه وأصبره في حال الضراء وأشكره في حال السراء.

ولقد امتحن الله النجديين بتصدي العثمانيين لعداوتهم وتأليب العرب وأشراف الحجاز والمصريين عليهم، لئلا يعيدوا ملك العرب وسلطانهم الذي سلبوه منهم، فحاربوهم باسم الإسلام ونشروا الكتب والفتاوى في رميهم بالكفر والابتداع، فلذلك قام هذا الشيخ ورد على كل مفتر وأجلب عليهم وجاهد في الله حق جهاده.

ذكر مؤلفاته رحمه الله

كان رحمه الله آية من آيات الله تعالى في إنشاء الشعر وسبكه ووزنه والفصاحة والبلاغة.

فمن ذلك رده نظماً على «زيني دحلان» لما أقذع والعياذ بالله في مسبة أهل هذه الدعوة، وأرخى لسانه في عيب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فردَّ عليه الشيخ سليمان وشفى وكفى، وكل مؤلفاته كانت في بيان الحق وإبطال الباطل.

ومنها كشف الغياهب، ردَّ فيه على أحمد باشا العظمي لما سلك سبيل أهل الضلال.

ومنها الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد.

ومنها الضياء الشارق في الرد على جميل الزهاوي في تجازفه وكفره.

ومنها تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة.

ومنها كتاب تبرئة الشيخين الجليلين من تزوير أهل الكذب والمين.

ومنها الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية، وهو كتاب بناه من خمس رسائل لأئمة هذه الدعوة من كبار علماء نجد، ثم أعقبها بقصيدة بليغة عظيمة احتوت على نكت بديعة في العقيدة السلفية، فما رأيت أحسن من موضوعها، ويختم الكتاب بقصيدة ملا عمران وأرجوزة محمد بن أحمد الحفظي الحجازي اليمني، وله كتاب في الرد على بابصيل.

ومنها كتاب الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية رد فيه على الكسم، ومنها رده على عبدالكريم البغدادي في حل ذبائح الطب وكفار البوادي.

ومنها كشف الأوهام والالتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس.

ومنها رده على ابن عمرو، وله الجيوش الربانية في كشف الشبه العمرية.

وقد رأيت رسالة من تأليفه رد فيها على منكر الساعة التي تدل على الأوقات، وذلك لأن المعترض يدعي أنها سحر وأنها من عمل الشيطان، وكان هذا المنكر لها يزعم أنها إذا تليت عليها الآيات القرآنية يبطل عملها آيات من القرآن وينفث فتقف عن الدقات، فتبين أنه يملؤها ببصاقة فتقف، فإذا أزيل البصاق عن آلاتها الدقيقة تسير.

ولما كان لكلامه أشد الوقع وأعظم التأثير على المخالفين، بعث إليه علماء أهل الجبيل يسألونه أن ينظر في اعتراض الملاحي على الشيخ صالح بن سالم، فإن كان الحق معه فالرجوع إلى الحق أحق وأولى من التمادي في الباطل، وإن كان الحق معهم فالمطلوب منه المناصرة والمساعدة، ولما أن نظر في حالة الفريقين ورأى حمل الملاحي عليهم وعلى شيخهم بما لا مبرر لفعله رد عليه بما شفى وكفى وبين

وفصل، وذلك لأن الشيخ صالحاً أكبر وأفضل من أن يرمى بأنه أخلد إلى الأرض واتبع هوى الأتراك ومن نحا نحوهم مستجلباً مودتهم ولاهياً بلذة العيش وطول الأمل، وقد امتدحه العلماء وأثنوا عليه.

فمن ذلك ما قاله الشيخ صالح تشجيعاً له لما بعث المترجم قصيدة لآل فوزان تضمن الرد على أهل الزيغ والتحذير من سلوك سبل الجحيم، فقال الشيخ صالح بن سالم ين بنيان في مدح المترجم والثناء عليه والدعاء له لقيامه في نحور أعداء الله:

فالله يجزيك الذي ترضى به ... من جنة المأوى مع الرضوان
ويؤيد الإسلام دهراً طائلاً ... ببقائك فينا يا أخا العرفان
ويذلُّ بالمنثور والمنظوم من ... إنشائك أهل الزيغ والطغيان
أو ما علمت بأن هذا خير ما ... تلقاه في صحف لدى الميزان
وكذا يسرك أن رأيت موسداً ... ترباً وقد أدرجت في الأكفان
فلقد أتى والله كل منافقٍ ... بقوارع زادت على الحسبان
قعدوا يصدون العباد عن الذي ... خلقوا له من طاعة الرحمن
وسعوا بهدم قواعد ما بعدها ... والله للإسلام من بنيان
فجهادهم فرضٌ على كل امرئٍ ... لا للكفاية بل على الأعيان
هذا ولو قد قلت مختص بكم ... لندور من يسعى بهذا الشان
لعذرتمونا عن ملامة لائم ... لمقالتي بالزور والبهتان
إذ كان غيركم فإما خائفٌ ... أو عاجزٌ أو من له الوصفان
فاجعله ديدنك الذي لا تنتهي ... عن فعله ما دمت ذا إمكان
واقصد به وجه الإله واخلصن ... متمسكاً بحقيقة التكلان
ودع المثبط عنك في قيد الهوى ... ما زال في تخويف ذا الشيطان
هذا وأول قولتي وختامها ... هو رفع أيدينا بكل أوان
أن لا تزال تذب عن دين الرسو ... ل وعسكر الإيمان والقرآن

أما بقية مؤلفاته فمنها:

الجواب المنكي في الرد على الكفكي، كتاب إقامة الحجة والدليل، وإيضاح المحجة والسبيل على ما موه به أهل الكذب والمين من زنادقة البحرين.

ومنها كشف الشبهتين عن رسالة يوسف بن شبيب والقصيدتين.

ومنها الجواب المستطاب عما أورده الجاهل المرتاب المسمى بمتروك الجواب الفارق بين العمامة والعصائب.

ومنها حل الوثاق في إحكام الطلاق، نبذة في الزيارة، وإرشاد الطالب إلى أهم المطالب، منهاج الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع.

وكان له رسائل ونصائح وأجوبة، واشتهرت مؤلفاته بين الأمة، وكان شهماً هماماً مقداماً مجتهداً، وما زال يحمل على أعداء الشريعة حتى أدحض حججهم وأرغم أنوفهم، وهتك أستارهم وأظهر أسرارهم وقوض أخبارهم، فهو قامع المبتدعين، وكاشف شبهات المشبهين والمبطلين، لأنه البليغ المصقع، والعالم النحرير البلتع، وأثنى عليه العلماء وباحوا بفضله وتقدمه، قال الشيخ حمود بن حسين الشغدلي:

هو الألمعي الندب من فاض علمه	فأقواله فينا تفوق الدراريا
هو الشهم من يسمو المعالي بعدله	فتلقاه عن داء الهوى متجافيا
وذاك سليمان الذي ذاع فضله	وصار لهذا الدين والله حاميا
فلا زال فينا واطأ هامة العداء	ولا زال محروساً وللضدِّ راميا
فكم من أخي جهلٍ تردى برده	وأصبح بعد العجب بالقهر عانيا
وكم مستفيدٍ يطلب الرشد جاهداً	فأبدى له شمس الهدى في الدياجيا
فجوزي بالإحسان والعفو والرضا	على رغم أنف المعتدي والمعاديا

وقال أيضاً الشيخ صالح بن سالم لما رأى رداً له على بعض المعارضين مادحاً للمترجم وكيف أنه قائم على ثغرة المرمى يذود عن حمى الشريعة وأهلها:

تصدى له قس الزمان وحبره	سليمان من ينشي القريض بلا خجل
ويرمي أخا الإلحاد في ثغر نحره	ولا سيما أن فوق السهم وانتضل

وقـرر حكـم الـدار تقريـر منصـف | وفصل مـا أبـداه مـن مطلـق الجمـل
وأوضح حكم الـترك في ذا وكفـرهم | وحكـم التـولي والمـوالاة للـدول
وكم من ردود واضـحات فكـن بهـا | ضنيناً وحاول فهم مـا قـال واشـتغل
وكم عارض رمـح الضـلالة يعتـدي | نكـاه بمسـلولٍ مـن العلـم فانجـدل
فـلا زال فينـا واطـأ هامـة العـدا | ومقعـده أعلـى ذرى الشـم والقلـل
وإخـوان صـدقٍ وافقـوه وأوضـحوا | بنثـر ونظـم بهـت مـا قالـه الأقـل

وقال الشيخ فوزان بن عبدالعزيز في مدحه لما ألف الصواعق المرسلة على الرجل المسمى الكسم وأصحابه:

وانظر صـواعق علـمٍ أحرقـت شـبهاً | ملفقـات لهـم نـالوا بهـا الشـللا
الجهبـذ الفاضـل الموهـوب تكرمـةً | مردى العداة الذي للحـق قـد عقـلا
ومـن حمـى ملـة الإسـلام وانتشـرت | منه الردود علـى الأعـدا ومـا غفـلا
بـالظم حقـاً وبـالمنثور فاتضـحت | معـالم الحـق إذ أحيـا لـه سـبلا
أعـني سـليمان مـن سـارت فضـائله | مسيرة الشمس في الأقطـار إذ فضـلا
فانظر لحزب الردى حقاً فقـد غرقـوا | في بحـره وانجلـى بـالحق مـا انسـللا

وكانت ولادته رحمه الله في قرية «السقا» من بلدان أبها سنة ١٢٦٨هـ، ونشأ بها حتى راهق البلوغ، قال رحمه الله:

وأرضٍ بهـا نيطـت علـى تمـائمي | تسمى السقا دار الهـداة أولـي الأمـر
بـلاد بـني تمـام حيـث توطنـوا | وآل يزيـدٍ مـن صـميم ذوي الفخـر

ثم انتقل منها إلى الرياض، والرجل فوق ما قيل فيه ديناً وزهداً وعلماً ومعرفةً وجهاداً لأعداء الشريعة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ونشهد الله على حبه وندعوا له ونثني عليه ونسأل الله تعالى أن يجبر الإسلام على فقده وأمثاله.

وإنها لمصيبةٍ عظمى أن يهلك هذا العالم ولا نجد من يسد ثلمته، وأملنا عظيم في رجال الدين وحماة الشريعة أن يقوموا بواجبهم لينالوا حسن الثواب ويؤدوا واجباً.

ذكر تلامذته ووفاته

أما تلامذته والذين أخذوا العلم عنه فمنهم: الشيخ عبدالله بن العزيز العنقري، والشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد، والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ إبراهيم بن حسين وغيرهم خلق كثير وجم غفير.

كما أنه أخذ عنه سليمان بن حمدان وأكثر الأخذ عنه، وذلك لأنه بعد وفاة مشايخه تصدى للتدريس ونشر العلم، ودعى الله تعالى، وكذا أخذ عنه أبنائه أيضاً صالح وعبدالعزيز وعبدالله.

ومن عجائب ما روي عنه أنها لما خرجت روحه، شموا من جسده رائحة مسكٍ طيبة لا يعهدون مثلها، وكان زاهداً في الدنيا، لم يجد خلفه سوى مسكن صغير وأربعة عشر ريالاً، ورؤيت له منامات حسنة، ورثاه غير واحد من العلماء والأدباء، وشيع جنازته خلقٌ كثير وجموع غفيرة، وصلي عليه في جامع الرياض الكبير، وأمَّ الناس في الصلاة عليه الشيخ محمد بن عبداللطيف، ودفن في مقبرة العود بين قبري الشيخ عبداللطيف وابنه الشيخ عبدالله، وتأسف الناس لفقده وجعلت الأمة تلهج بالثناء والترحم عليه.

قال الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل يرثيه بهذه المرثية:

ما بال دمعك يهمي طول أزمان … وأنت دايم أشجانٍ وأحزان
والقلب منك نبا والهم متقد … كأنه مرجلٌ من فوق نيران
تنوح طول الدياجي من أساً وضنا … قد طال ما أرقاك نوح ثكلان
كم ليلةٍ بتها ترعى النجوم بها … لم تغتمض قط منك الليل عينان
إذ ذاك من ذكر عهدٍ للصبا سلفت … أيامه عند أهل الرند والبان
أمن تذكر غزلانٍ بذي سلمٍ … حور العيون كياقوتٍ ومرجان
لا والإله الذي لم تخف خافيةٌ … عليه علا إخفاءٍ وإعلان

ما إن ذكرت ولم أذكر وما سفحت عيناي من ذكر أطلالٍ وجيران
بل من تذكر شيخٍ عالم علمٍ حبرٌ تقيٌ من الأحبار رباني
علامة علمت حقاً فضائله بحر العلوم سليمان بن سحمان
من فاق في الفهم والتوحيد مع لغةٍ والنحو ثم تفاسيرٌ لقرآن
وفي الأحاديث والآداب مع سيرٍ والنظم والنثر حقاً كل أقران
نال العلا فعلى فوق الذرا رتبا حتى سما في سما مجدٍ وعرفان
لسانه صارمٌ في شعره فلقد أعاد في وقته إنشاد حسان
يذكر الناس قساً في خطابته وفي بلاغته وضعاً لسحبان
وانظر فوائد في البستان الفها مثل الفواكه بل أحلى لدى الجاني
واقرأ رسائل في التوحيد أرسلها براً وبحراً وفي سكان بلدان
وسل خبيراً به يتبيك عنه وقل لله در سليمان بن سحمان

وقد رثاه أيضاً الأديب الفاضل حمد بن محمد بن جاسر.

أما صفة الشيخ: فإنه كان أسمر اللون، قصيراً له لحية كثيفة يعلوها الشيب، متوقد الفهم، حازماً في الأمور، وقد قدمنا نبذة من قصائده فلا حاجة إلى الإطالة.

وقد خلف أولاداً صالحين من أشهرهم: الشيخ صالح بن سليمان، وعبدالعزيز.

وفيها هلك عبدالمحسن بك السعدون وزير داخلية العراق، قتل نفسه والعياذ بالله.

وفيها صدر أمر صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل بشراء ماكنة قوية لإضاءة المسجد الحرام، بحيث يستطيع القارئ أن يقرأ كتابه على نور المصابيح الكهربائية في أي موضع شاء في سائر المسجد الحرام لأجل أن تضم إلى الماكنة الأولى الكبيرة، فأحضر ماتوراً آخر كبيراً بقوة ثلاثة عشر حصاناً ونصف، ووضع مع الماتور السابق ذكره في عين المستودع المعروف، وزيد في تعميم الإضاءة بمصابيح الكهرباء بالمسجد الحرام، فوضع على حطيم حجر إسماعيل ستة شماعدين وعمل على شمعدان منها ثلاثة أغصان، وعلق في كل غصن مصباح كهربائي، ووضع

أيضاً ستة وعشرون اسطوانة في حصاوي المسجد الحرام صنعت بالإسمنت المسلح على قاعدة لطيفة، وعملت على شكل شجرة لطيفة ذات أربعة أغصان، وطول الاسطوانة قدر ثلاثة أمتار، وعلق على كل غصن من الأغصان الأربعة المتفرعة من كل اسطوانة مصباح كهربائي، فصارت تلك الأساطين حال إضاءتها بالكهرباء شبه الثريا، فجاءت على أحسن وضع، واستغنى بذلك عن استعمال اللوكسات.

ثم دخلت سنة ١٣٥٠هـ

استهلت هذه السنة والشيخ عمر بن محمد بن سليم قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه لا يزال في جدّ ونشاط في التدريس بالمسجد المعروف في بريدة «بمسجد ناصر» فكانت أوقاته عامرة بالذكر والحلق، مترادفة في التعلم غدوة وصباحاً وظهراً ومساءً ومغرباً وعتمة، وذلك في الحديث والفقه والتوحيد والتاريخ، والنحو والفرائض وحساباتها، كما أن الشيخ العالم عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي لا تزال مجالسه عامرة، وطلاب العلم يزدحمون بركبهم لاستفراغ منطوقه، ويردون على تلك الموارد التي تروي من الصدى، وكنت إذ ذاك أتردد بينهما، أتعلم ولا أنسى لهما الفضل علي بصفتهما يعلمان بدون مقرر لروايتهما.

فأما شيخنا عمر فإنه قليل التفسير، كثير البركة في التعليم، ولا أنسى هيبته في التعليم فأكثر ولا حرج.

أما الشيخ عبدالعزيز: فإنه لا يكاد يمر به لفظه إلا يقف يفسرها، وكان ضرير البصر لذلك يكب على تعليمه عامة الناس.

هذا وقد كان القاضي في بريدة فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، ولكنه كثير التأثر بالمرض، فيستخلف أخاه الشيخ عمر ويستنيبه،ولما أن كان الشيخ عبدالله لا يسأم التدريس ولا يمله، آنس من نفسه نشاطاً وصحةً في شعبان من هذه السنة فجلس للتدريس واستبشر الناس بذلك، ثم اغتنم تلك الفرصة شيخنا عمر فسافر إلى مكة المشرفة للعمرة في رمضان، واستقل سيارتين يصحبه أناس من الإخوان طلاب العلم، ولقد شيعه الأهالي من سائر القصيم وودعوه وداعاً حاراً.

هذا وقد كان أمير بريدة إذ ذاك «مبارك بن مبيريك» الورع الحليم العاقل المتعفف جزاه الله خيراً، وكان هذا الرجل يستر العورات وينصح للأمة فأعيد في إمارة بريدة للمرة الثانية بعدما عزل عنها الأمير «تركي بن ذعار» ولما أن كان في شوال قدم الشيخ عمر إلى بريدة عائداً من الحجاز فابتهجت به وجوه الأهالي.

وفيها أنشئ في بريدة عاصمة القصيم محطة التلغراف اللاسلكي، فانزعج الناس لذلك وأحدث عند العامة تشويشاً فذهبوا إلى القاضي عبدالله بن محمد بن سليم يأخذون رأيه فطمنهم وأمرهم بالسكينة فقاموا مقتنعين وقد ذهب كل ما يجدونه في نفوسهم، ولما جاءت به أخبار الأهلة والطلاق والأحداد عرفوا تلك المصالح التي وفرت للأمة شيئاً كثيراً فنسأل الله البصيرة في أمور ديننا ودنيانا.

ذكر ثورة الأدارسة وابن رفادة

قد بيّت أعداء الحكومة السعودية لها نية القيام بثورتين في وقت واحد حتى استوفوا شرائطهما ـ الأولى كانت في الشمال وهي فتنة ابن رفادة، والثانية في الجنوب وهي فتنة الأدارسة، ولكن من توفيق الله للحكومة السعودية اختلاف الثورتين في الميعاد، فنقل إلى الحكومة في شوال من هذه السنة أن أعداءها بيتوا النية على الثورة، واتخذوا سبيلاً لذلك فأخذ ابن سعود التدابير، وقضى على فتنة ابن رفادة.

كان حامد بن سالم بن رفادة من سكان الحجاز وقطن به إلى سنة ١٣٤٧هـ، ثم قام بفتنة في الوجه فضربته الحكومة السعودية ضربة فرَّ على أثرها إلى الديار المصرية، واتخذ له مسكناً بالقاهرة، وظل مقيماً بها حتى غادرها للقيام بهذه الحركة، ولم يكن حامد قد نسي الضربة التي أقصته عن بلاده، ولم يعد كما كان شيخاً لقبيلة «بلي» فأضمر العداء لحكومة بلاده وأخذ يتصل بالعدو آملاً في النهوض بثورة على الحكومة طمعاً في السيادة والانتقام وأطمعهم في الكسب حتى استطاع أن يجمع بضع مئات بمساعدة «محمد بن عبدالرحيم أبي

طقيقة»، وكان هذا الغبي الذي يظن أنه متى ما قام بثورته ضد ابن سعود لبته قبائل الحجاز وثارت معه، فمشى بمن معه من البدو إلى النصب بين السويس والطور وأبقاهم فيه ورجع إلى القاهرة لتصفية أعماله بها.

أما الأدارسة فتقريب مسألتهم: أنه لما مات محمد بن علي الإدريسي الذي كان وفق كل التوفيق إلى تأسيس إمارته على قواعد ثابتة، تولى ابنه علي بن محمد الذي لم يكن كأبيه في الأخلاق والصفات، بل كان ضعيفاً فاتر العزيمة بالنسبة إلى أبيه حتى احتل الإمام يحيى الحديدة، ووصل إلى ميدي فثار عليه الأدارسة لئلا ينفلت من أيديهم الملك والسلطان وأخرجوه، فلجأ إلى ابن سعود وما يزال باقياً عنده فتولى السيد الحسن الإدريسي وأراد أن يكون كأخيه محمد، ولكن لم تكن فيه مؤهلات ذاك وكفاءته فارتبك وفاوض يحيى وإيطاليا والإنكليز، فلم يتم الاتفاق إلا بينه وبين الإنكليز، فمنحهم امتيازاً من جزيرة «فراسان» بشروط مجحفة على البلاد، وتم الاتفاق مع ابن سعود بواسطة مندوبه السيد «مرغني الإدريسي» على بسط الحمية السعودية على تهامة التي يحكمها الإدريسي وذلك في ١٤/ ٤/ ١٣٤٥هـ، ومن أهم شروطها: ألا يفاوض الحسن مفاوضات سياسية مع أية حكومة كانت، وألا يمنح امتيازاً اقتصادياً ولا يعلن حرباً أو يبرم صلحاً إلا بعد موافقة ابن سعود، وألا يتنازل عن جزء من أراضي مقاطعته، وقد تقدم، وفي الوقت نفسه تعهد ابن سعود بالدفاع عن ممتلكات الإدريسي، وكان أول عمل لابن سعود مفاوضة بريطانيا في شأن الامتياز، حتى استطاع إلغاءه، ثم بعث بعض رجاله يعينون الحسن في إدارة البلاد، غير أنه شعر بالعجز، وتأخرت البلاد وعصت الرعية حتى اضطر في ١٧ جمادى الأولى من سنة ١٣٤٩هـ إلى أن يقول لابن سعود في برقيته التي بعثها إليه.

تقرر بموافقتنا ورضائنا إسناد إدارة بلادنا وماليتنا إلى عهدة جلالتكم، وقبل ابن سعود التنازل بموجب الأمر الملكي الصادر في ٢٩ جمادى الثانية من السنة المذكورة، وبذلك انتهى أمر الإدريسي وحكومته.

ولكن ابن سعود لم يرَ اعتزاله الحكم مع كرامة الأسرة الإدريسة، فجعل له

مقاماً ممتازاً في بلاده، وجعل أمراءه السعوديين تحت سيادة الحسن صوناً لكرامته، وإعلاء لشأنه، وأخذ يعطيه سنوياً مائتي ألف إلى ٢٥٠ ألف ريال كنفقات إدارة عسير، إلا أن الحسن لم يرضه استقرار بلاده وهدوءه والرخاء والسلم فاغتر بدسائس الأمير «عبدالله بن الحسين الشريف» وأذنا به من أعداء ابن سعود، وبما أنه لم يحسن في عين الأمير عبدالله تصرف أخيه الملك فيصل وظل يستهجن عمله ويعجب كيف سوغ للملك فيصل إبائه وشممه العربي أن يضع يده في اليد التي دكت عرش والده وأقصته عن وطنه، وأزعجه أن تطبق الأمة على حب ابن سعود، فأخذ على نفسه الانفراد وحده بمقاومة ابن سعود، وأخذ يبحث عن أنصار يستخدمهم لغاياته، وها قد حصل على أحزاب يرأسهم «حسين الدباغ»، وبعدما تألف الحزب أسندت الرئاسة إلى طاهر الدباغ وتعهد عبدالله لهم بالمال والعتاد، فنشأ عن ذلك هاتان الثورتان.

ولقد سافر إلى اليمن حسين الدباغ وحاول أن يستميل الإمام يحيى فلم يفلح، وحمل الحسن الإدريسي على أن يطلق يديه من ابن سعود ويثور عليه، فاطمأن الحسن ونقض عهوده مع ابن سعود، وأخذ يعمل في الخفاء ليوم الانقلاب المنتظر، واشترى الأسلحة سراً، ولكن الله خذله لحسن نية ابن سعود وتقواه، وما زال ابن سعود يحفظه الله ويصونه.

فلما رأى أمير جيزان ما يريبه رفع إلى صاحب الجلالة بأن جنود الإمام يحيى تقدمت إلى جبل «العرو» التابع للإدريسي، وأخذت الرهائن من أهله، وأن عمال الإمام يرسلون الكتب إلى رؤساء قبائل المقاطعة يدعونهم إلى الطاعة للإمام يحيى، ونقض عهدهم مع جلالة الملك بصورة صريحة.

فأبرق جلالة الملك ابن السعود للإمام يحيى يعلمه بذلك ويستبعد أن يكون صدور ذلك عن أمره، وأن ذلك كان بأمره «فلا حول ولا قوة إلا بالله»، فأجاب الإمام: أن أهل جبل العرو هم الذين طلبوا منه احتلال بلادهم لتعليمهم الدين، وأنه إذا كان وقع من ناظرة ساقين أو غيره بعض تجوز، فحلم جلالة الملك أوسع

من ذلك، فعندها بعث جلالة الملك إليه بجواب يقترح عليه عقد مؤتمر من مندوبين من الطرفين لحل المشكل، وبعد مفاوضات طويلة أبدى فيها كل من الطرفين حجته في جبل العرو، ولكنهم لم يحصلوا على نتيجة، وفي النهاية أبرق يحيى إلى جلالة الملك أنها قضية متروكة لجلالته، وأنه يحكم فيها بالذي يراه، فكان جواب جلالة الملك المنع البات عن أن يتنازل عن جبل العرو للإمام يحيى.

هذا وقد كان الإمام يحيى من حينما عقدت اتفاقية مكة المكرمة بين حضرة صاحب الجلالة ابن سعود، وبين الحسين الإدريسي سنة ١٣٤٥هـ لم تكن العلاقات السياسية بين يحيى وابن سعود على ما يرام، فقد خيف من نشوب حرب بينهما، ولما أوفد ابن سعود وفداً متألفاً من ثلاثة أشخاص، هم سعيد بن عبدالعزيز بن مشيط، وعبدالوهاب بن محمد أبو ملحة، وتركي بن محمد بن ماضي، وسافر هذا الوفد إلى صنعاء دارت بين الوفد وبين الإمام يحيى مباحث عديدة خلال سبع عشرة جلسة تجلت عن كون الأدارسة دخلاء وغاصبين، وإن مقاطعتهم في تهامة ليس للإدريسي فيها أي حق من الحقوق، وأن الإدريسي رجل دخيل مغتصب لتلك القطعة، ثم حصلت جلسات بلغت خمسة عشر جلسة على غير طائل، ثم حصلت مراجعات ووثائق عديدة بين ابن سعود وبين يحيى من لدن تلك السنة إلى هذه السنة.

هذا ولم يوفق المندوبون إلى بلوغ تسوية يمكن القول بها لتمسك اليمانيين وإصرارهم على البقاء في الأماكن التي احتلوها، وحينما تعقدت الأمور حل ابن سعود مشكلها واجتمع المندوبون من جديد ووقعوا على معاهدة في ثمان مواد صدّقها الإمام يحيى وجلالة الملك، وهذا نصها:

بعد البسملة، حسب الأمر من سيادة الإمام الأعظم يحيى بن محمد حميد الدين، وجلالة الملك المعظم عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، قد اجتمعنا من طرف الملكين لعقد اتفاقية بين الحكومتين بموجب المواد المبينة أدناه:

المادة الأولى: يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن الجوار وتوثيق عرى المحبة، وعدم إدخال الضرر ببلاد كل منهما على الآخر.

المادة الثانية: يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين وغير السياسين المحدثين بعد هذه الاتفاقية، كل حكومة عند طلب حكومته له.

المادة الثالثة: يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة الأخرى في بلادها في جميع الحقوق طبق الأحكام الشرعية.

المادة الرابعة: تكون على كل من الدولتين الضبط والتسليم لرعايا الدولة الأخرى في كل الحقوق الشرعية، فما أشكل ولم ينهه الأمراء ولا العمال فمرجعه إلى الملك والإمام.

المادة الخامسة: على كل من الدولتين عدم قبول من يفر عن طاعة دولته كبيراً أو صغيراً مستخدماً أو غير مستخدم وإرجاعه إلى دولته حالاً.

المادة السادسة: إذا أحدث أحد من رعايا الحكومتين في بلاد الآخر فعلى المحدث أن يحاكم في المحاكم التي وقع فيها الحادث.

المادة السابعة: منع الأمراء والعمال من التداخل بالرعايا بما يحدث القلق ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين.

المادة الثامنة: إن كل من يسكن من رعايا الطرفين في بلاد الآخر بعد هذه الاتفاقية، وتطلبه حكومته، فإنه يساق إلى حكومته حالاً.

هذا ما حصل به التراضي بين المندوبين من طرف سيادة الإمام، ومندوبي جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود على أن يكون العمل بهذه الثمان المواد بعد موافقة ومصادقة الملكين المعظمين عليها وتحرر ما ذكر أعلاه من صورتين بيد كل فريق صورة بتاريخ ١٥/ ٨/ ١٣٥٠هـ.

فجاء تقرير صاحب الجلالة لذلك وأنه مسرور بذلك، ثم جاء الجواب من الإمام يحيى وأنه مقرر لذلك والمواد مرعية من قبل ومن بعد، ولكنه يطلب من صاحب الجلالة بعض المراجعة بينه وبين مندوبي صاحب الجلالة، فجاء الجواب إليه من صاحب الجلالة في ٥ شوال: أن لابأس بذلك، ولكن لا بد من تأخير إرسال المندوبين إلى وقت الحج، وذلك لأن المندوبين الذين حضروا المفاوضات

الأولى غير نشيطين في الوقت الحاضر، واحد منهم الذي أمرناه في جيزان بدل الشويعر قدر الله عليه وانكسرت رجله، والآن الحمد لله طيب، وابن معمر، وعبدالوهاب أصابهما مرض الحمى وتكلفوا كثيراً، فإذا وافقتم على تأجيل المسألة فنحن مستعدون لإرسالهم لأي مكان تريدونه مع توسيع النطاق لهم كما طلبتم، وهذا كله راجع لأنظاركم ومنتظرون رأيكم حفظكم الله وأبقاكم.

وبهذا يتبين موقف الفريقين وأن الخلاف الآتي مصدره كان من يحيى وإلا فقد حافظ ابن سعود على الوفاء وفيها وفاة الحسين بن علي الشريف.

وفيها معاهدة ابن سعود وفرنسا، ففي ٢٩ من جمادى الأخرة من هذه السنة حضر مندوب رئيس الجمهورية الفرنسية بالنيابة عن سوريا ولبنان واسم المعتمد «فيفرة» وحضر من جهة ابن سعود نجله فيصل وزير الخارجية، فعقدت المعاهة في جدة وبلغت ثماني عشرة مادة.

كما عقدت معاهدة العراق مع الحكومة السعودية في ٢٠ ذي القعدة من السنة التي قبل هذه، أوفد فيصل الشريف لها «نوري السعيد» وأوفد ابن سعود نجله فيصل بالنيابة عنه، وكانت في عشر مواد، وموضع عقدها في مكة المكرمة.

وفيها تم طبع كتاب مختصر طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى اختصار للشيخ شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالقادر بن عثمان النابلسي، وكانت طباعتها في مطبعة الاعتدال ما عدا الفهارس وكلمة المصحح، وهي من مطبوعات صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود أثابه الله تعالى فجاءت على أحسن وضع وأبدع شكل، وكنت أرى أنها لو كانت على وضع المؤلف لكان أحسن، وهذه قد ذيلت بذيل وضعه الشيخ ابن رجب رحمه الله.

ثم دخلت سنة ١٣٥١هـ

استهلت هذه السنة وابن رفادة يعد العدة لثورته، ففي أوائل محرم سار إلى النصب واجتمع برفاقه، وسار منه إلى الخضر، ثم إلى درب الزلفة، ثم سلك الطريق

السامي بين البحر والجبال، حتى وصل طابة آخر نقطة في الحدود المصرية، وأرى جنود المخفر المصريين الوثائق الرسمية التي استخرجها له ولرجاله أحد أعوانه بالسويس وهو «محمد رشيد فتوح الكبير»، ونزلوا قرب العقبة ودخلها ابن رفادة وأبو طفيقة لقضاء بعض حوائجهما، ثم غادراها بمن معهما إلى الشريح، ولبثوا بها أياماً، وهي تبعد عن العقبة أربع ساعات.

هذا والأمير عبدالله بن الحسين على اتصال بهم يزودهم بالأرزاق والعتاد، ولما أثقل كاهل الأمير عبدالله بن الحسين بالديون اضطرت بريطانيا أن تتدخل في أمره وتعين له موظفاً خاصاً يقبض رواتبه ويسدد ديونه ويتولى الإنفاق عليه وعلى قصره بحسب ما تسمح ظروف ميزانيته، ولقد حدا بعبد الله بن الحسين غروره إلى أن أعلن بنواياه ضد ابن سعود فطلب من الأستاذ إحسان سامي أستاذ اللغة العربية في جامعة «عليكر» بالهند أن يبلغ ابن سعود كرهه له، وأنه يعتبره عدوه اللدود، وأنه سوف لا يترك فرصة يستطيع بها البطش بابن سعود إلا انتهزها، وقد بلغ الأستاذ المذكور الرسالة إلى ابن سعود في مقال نشره في صحيفة «المقطم» بتاريخ ١٥ ربيع الأول من هذه السنة، ولم يكتف عبدالله بن الحسين بهذا بل قد رأى من مصلحته أن يقنع الخديوي عباس بجدية الأمر لينال منه ما يريد من مال، فأخذ يذيع عن انتصارات ابن رفادة، بينما كان ابن رفادة المسكين ثائراً في عمله يعد للثورة سراً ولا يعلم عما يذيعه الأمير عبدالله وحزبه، مما أدى إلى تنبيه الأفكار إلى حركاته.

ولما كان في صباح اليوم الرابع عشر من المحرم بلغت المفوضية البريطانية حكومة ابن سعود أن «حامد بن رفادة الأعور» خرج من أراضي سيناء ومن شمال العقبة مع بدو يتراوح عددهم بين ٤٠٠ إلى ٤٥٠ ودخلوا الأراضي الحجازية، وكانت الأنباء قد وصلت الحكومة السعودية كما مرَّ، ولما أبلغتها الحكومة البريطانية بجدة تأكد لديها الخبر واهتمت للأمر وسيرت قوة برية بالسيارات، وقوة بحرية إلى ضبا، كما أمرت قرى الهجر من شمّر وعنزة أن تسير إلى الشمال، وبعثت الحكومة السعودية

سرية من حائل لمرافقة هذه القوات إلى الحدود والانتظار هناك حتى تتلقى أمراً من ابن سعود بالعمل، ونشرت الصحف بلاغاً من ابن رفادة زعم فيه أن احتل الخريبة وحاصر المويلح وأسر ضباطاً وجنوداً من خفر السواحل، وحاصر ضبا وسيّر قوةً إلى الوجه، وأخرى إلى ينبع فانتشرت هذه الأخبار المكذوبة في البلدان العربية وروجها المغرضون والذين في قلوبهم مرض من الأعداء والمتربصين.

ذكرى القضاء على هذه الثورة وإخمادها

لما جعل أصحاب الزور والغي ينشرون تلك الأخبار، كانت الظروف تكذبها، إذ ما زال ابن رفادة قابعاً بالشريح قرب العقبة، ثم إنها اهتمت بريطانيا العظمى بهذه الفتنة التي يساعد عليها أمير شرقي الأردن، وخشيت أن تظن الحكومة السعودية أن لها يداً فيها، فأعلنت أنها أغلقت في أوجه الثوار الأشقياء أبواب الحدود ومنعت دخول الأرزاق والأسلحة والمهمات الحربية إليهم عن طريق شرق الأردن إلى الحجاز، وبعثت دوريات إلى وادي عربة لمراقبة الحدود ووقف كل من يشتبه فيه، فأرسلت باخرة حربية إلى العقبة لمساعدة المندوب السامي بها حتى يستطيع التضييق على ابن رفادة وقطع يد من يريد عونه.

ونشر «اللفتننت جنرال» من «السير آرثر جرنيقل لوب» المندوب السامي لشرق الأردن بلاغاً رسمياً يتضمن أنه منع كل المساعدات من طريقها عمن يناوي الحكومة الحجازية، وأنه أمر القوات البريطانية باتخاذ جميع الإجراءات لمساعدة جيش ابن سعود، وأكره الأمير عبدالله بن الحسين على أن يصدر بلاغاً مثله، ولقد شدد على عبدالله بأن يمنع كل شخص من الاقتراب من الحدود، وعين الأمير بالرغم في بلاغه أسماء الأماكن، وأنذر بأن من خاطر بنفسه فسيطلق عليه البوليس النار.

ولما رأى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن أنه لا سبيل إلى هرب ابن رفادة من طريق شرق الأردن ووثق أن ليس للحجاز يد في تدابير ابن

رفادة إلا أن قبائل حرب وجهينة كتبت إلى ابن سعود ترجوه بأن يأذن لها بأن يكون لها شرف القضاء على فتنة ابن رفادة.

كما كتبت إليه قبيلة بلي التي يرأسها إبراهيم بن سليمان باشا بن رفادة تستهجن حركة ابن رفادة الأعور الثائر وتتبرأ من عمله وتطلب أن تنتدب لقتاله.

كما أن أهل الحجاز أعلنوا التفافهم إلى ابن سعود وإخلاصهم له ما طمأنه إلى أنه ليس لأحد من الرعية دخل في هذه الثورة، ثم إنه ألقى القبض على أناس في الحجاز تقع عليهم التهمة في هذا التآمر وحملوا إلى الرياض، ونفي شخصان إلى خارج المملكة وهما: حسونة المغربي وعبدالله صغير.

وكان صاحب الجلالة قد بعث إلى بريطانيا العظمى ينبهها عما اتصل به من تصرفات صاحب شرق الأردن، فقامت بريطانية بدورها وحالت بين الأمير عبدالله وبين تدابيره وتحزبه في الخفاء، فعندها أراد ابن سعود أن يدبر الأمر في هدوء وسكينة، وكتم أمور التجهيز وبعث الجيش من عديد النقاط للإحداق بالأشقياء كيلا يفر منهم أحد.

وكانت القوة التي بعثها ابن سعود عظيمة مزودة بأحدث الآلات والذخائر، وأوعز إلى رجل من قبيلة جهينة «وبلي» أن يكتبوا إلى ابن رفادة بأنهم معه ويطلبوا إليه أن يتقدم إليهم استدراجاً له، فخدع المغفل ومشى من الشريح إلى الحقل إلى البدع فالخريبة فشريم، وأخذ ابن رفادة ينشر في الصحف أنه استطاع أن يضم القبائل الحجازية الساخطة على ابن سعود، وأنه احتل البلدان الشمالية وأسر أمراءها السعوديين، وقتل الجنود الوهابية، وأنه سيد الموقف كله، وغير ذلك مما حسنه له الأمير عبدالله أو نشره عنه، ونشر بلاغاً آخراً ببعض الجرائد السورية يقول فيه:

أن السعوديين زعموا أنهم قتلوه وألقوا برأسه إلى أطفال أهل ضبا واتخذوه كرةً تتلقفها أرجلهم، ثم علق في سوق ضبا في حين أنه حي يرزق وبلاغه شاهد على ذلك مما يكذب مزاعم السعوديين المفترين.

والواقع أن السعوديين لم يسبقوا الحوادث قط بالأخبار المخيلة، ولم يذكروا عن

ابن رفادة شيئاً مما زعم، بل كل ما ذكروا أنه اجتاز الحدود إلى الأراضي الحجازية وأن قوات سعودية سارت إليه.

هذا ما ذكرته الحكومة السعودية، ولكن الدافعين لابن رفادة أرادوا التهويل ببلاغاته المكذوبة، وبينما هو في شريم يحلم بالمجد والسيادة تكاملت القوات السعودية في ضبا وحواليها فشعر ابن رفادة ثم إنه تراجع إلى وادي تريم.

ولما بلغ ابن سعود أن ابن رفادة يريد الفرار أصدر أمره برقياً إلى قواده بأن يسرعوا في المسير خلفه ويطوقوه، وألا يتركوا أحداً منهم يسلك طريق النجاة، وأعلمهم بالخطة ليسيروا عليها، فوزع القواد والجنود في الطريق المفضية إلى حقل والبدع والخريبة وشريم ليكتمل التطويق، كما أمر ابن سعود في خطته المرسومة، وأخذت القوة الباقية في السرعة خلف الهارب الجد، وتتبعت آثاره فوجدته قد انتقل من وادي تريم وعرفت أنه سلك الطريق إلى جبل شار، فأخذت القوات السعودية في ألا يجلف، وباتت الليل في الصحراء وبعثت القائفين ليقصوا الأثر، فأخبروا أنه نازل بسفح جبل شار، فنهضت بالسيارات المسلحة والخيول إلى حيث نزل، فلما كان في ظهر يوم السبت ٢٩ ربيع الأول من هذه السنة أدركت ابن رفادة ومن معه وهم يستعدون للرحيل فأحدقت بهم القوات السعودية وأحاطت بهم وهاجمتهم هجوماً قاسياً عنيفاً حتى المغرب فقضت عليهم عن آخرهم، وقتل حامد بن رفادة وأبنائه فالح وحماد، وسليمان بن حمد أبو طقيقة، ومحمد بن عبدالرحيم أبو طقيقة، ومسعود الدباغ، وأحد الشرفاء، وأخذ رأس ابن رفادة إلى بلدة ضبا فلعب به الأطفال ثم علق في سوقها الكبير.

وكان المسكين لما نشر بلاغه المتقدم المختلق قد اطلع على ما يصير إليه أمره في المستقبل، فقد وقع ما تصور وصار ذلك التخيل أمراً مشهوداً، وهذا من غرائب المصادفات، فإن القواد ما كانوا يعلمون ببلاغ ابن رفادة، وقد تجلت هذه المعركة عن ثلاثمائة وخمسين قتيلاً، أما من فرَّ من أصحابه فشتتوا في الطريق، غير أن القوات السعودية الممسكة بالطرق تقفوهم وقتلوهم عن آخرهم، ولم ينج واحد منهم وأخمدت الفتنة.

وهذه الثورات الثلاثة الداخلية، أعني الدويش وثورة ابن رفادة وثورة الأدارسة لقي ابن سعود نصباً في إخمادها، وقد قضى عليها ونكل بدعاتها، ثم أمر ابن سعود رئيس تحرير جريدة أم القرى: أن يرد في ٢ ربيع الثاني من هذه السنة على مقالة الأمير عبدالله المنشورة في المقطم بقوله:

إنه إن كان الشريف عبدالله يرى نفسه العدو اللدود لابن السعود فإن جلالته على العكس من ذلك يرى الشريف عبدالله صديقه الودود، لأن جميع الأعمال التي عملها الشريف عبدالله من أجل ابن سعود كان لها أحسن النتائج لتأييد ابن سعود وتقوية مركزه، فقد سبق للشريف عبدالله أن جهز الشريف شاكر والشريف حمود بقوة لاحتلال تربة والخرمة فكسرت تلك القوة وغنم ما معها، حتى تقوى أهلها على القتال في يوم تربة المشهورة، ولما انتهى الشريف عبدالله ووالده من حرب الترك جمع كل ما كسبه من الترك والألمان، وكل ما أهداه لهم الإنكليز وسار بهم مع اثني عشر ألف مقاتل ليقدمهم هدية في تربة، وكان ابن سعود أرسل إليهم يطلب التآخي والتصادق قبل المعركة، فرفض سيادته ذلك وأبى إلا تقديم تلك الهدايا بنفسه فكانت تلك المعركة، وفر سيادته وغنم ابن سعود كل تلك الذخائر والأموال وتقوى بها إلى أن أنتجت تلك المساعي احتلال الحجاز من قبل جلالته، وآخر هدايا سيادته هو ابن رفادة وأوباشه الذين أخذه الله أخذ عزيزٍ مقتدر، وأن ابن سعود يعترف بهذه الفضائل لسيادة الشريف عبدالله ويرجوا من الله أن يكون ما يأتي به المستقبل كما كان في الماضي وأن يديم الله بقاء سيادته لمثل هذه الهدايا والنتائج.

ثم أطلق ابن سعود سراح المبعدين في الرياض من أهل الحجاز وأعادهم إلى بلادهم، بل عين جلّهم في وظائف الدولة.

أما نهاية ثورة الأدارسة: فإنه لما علم ابن سعود بأعمال الحسن الإدريسي رفع إليه برقية يحذره مغبة ذلك، وكان بعثها في ٢٨ جمادى الثانية، فأجابه الإدريسي مؤكداً إخلاصه وولائه، غير أنه ينقم من فهد بن زعير أمير المنطقة وتركي بن

ماضي مفتش المنطقة لسوء معاملتهما له، ويؤكد الولاء والإخلاص، وظل يراوغ ويعمل في الخفاء لتنفيذ ما اتفق عليه هو وأصحابه، ولما كان في ٥ رجب انقض رجال الإدريسي على ابن زعير أمير المنطقة واعتقلوه في مكان خاص واستأثر الحسن بالحكم في البلاد، ووصلت في تلك الأوانة ساعية من قبل الأمير عبدالله بن الحسين فيها بعض الأرزاق والعتاد مدداً للإدريسي، فلما اتصل الخبر بجلالة الملك ما وسعه إلا أن يجهز قوة من قبله في جيزان، فزحفت القوة ودخلتها عنوةً في ١٨ رجب من هذه السنة، ففرَّ مندوبا حزب الأمير عبدالله وهما علي الدباغ وعبدالعزيز اليماني، فأما علي الدباغ فإنه ألقى بنفسه في البحر فغرق، وأما الآخر فقبض عليه وزج في السجن.

وبما أن الإمام يحيى طلب من جلالة الملك ابن السعود أن يبعث الوفد المتقدم ذكرهم إلى صنعاء عزم على ذلك، لكن ظهور حوادث ابن رفادة في الشمال أخرَّ إرسال الوفد في بداية هذا العام إلى أن تنجلي تلك الغمامة، ولكن ماذا يصنع بحركة المفسدين الذين اتخذوا بلاد اليمن مقراً لحركاتهم للقيام بفتنة أخرى في الجنوب في نفس الوقت الذي كانت فتنة الشمال فيه هائجة، وكانت «اللحية» الواقعة بين ميدي والحديدة مركزاً لنشاط هؤلاء المفسدين، فكتب صاحب الجلالة ابن السعود إلى الإمام يحيى كتاباً لطيفاً يهنيه بأن الله تبارك وتعالى قد دمر أولئك المفسدين وأحاط بهم المسلمون حتى استأصلوهم عن آخرهم وطهروا منهم البلاد، ثم قال: وقد بلغنا أن أناساً منهم وصلوا إلى بلاد الأخ فأرجو قطعاً لدابر الإفساد في بلاد العرب وإنفاذاً للعهد الذي كان بيننا وبين الأخ مؤخراً بأن يأمر بإلقاء القبض على الموجودين منهم في بلاده وتسليمهم إلينا، وأن يأمر بمنع دخول الباقين منهم إلى بلاده، إلى آخر ما في الوثيقة، فكان جواب الإمام يحيى بديعاً بسروره بما كان من إخماد الثورة المدفوعة من أعداء الإسلام، ثم أظهر ملقاً من الكلام وقال: لو قدر أن أحداً منهم وصل إلينا لكان المطلوب من الأخ أن يقول لأخيه قد أجرنا من أجرت.

ولما ضم ابن سعود بلاد عسير إلى أملاكه امتدت حدود المملكة السعودية إلى شمال اليمن، وما زالت تمتد حدود المملكة السعودية إلى شمال، وقد اضطر يحيى في أول الأمر للقبول بالأمر الواقع فلم يحرك ساكناً لأنه في الوقت الذي استولى فيه ابن السعود على عسير كان يحيى مشغولاً بخصومته مع الإنكليز على بعض المناطق اليمنية الجنوبية المجاورة لعدن، وقد احتلها الإنكليز بحجة أنها اختارت الحماية الإنكليزية، وأغارت أسرابهم الجوية على اليمن مراراً وألقت قنابلها على صنعاء.

ولما طارت الطائرات البريطانية وألقت قنابلها على صنعاء وألقت وابلاً من القنابل على الضالع وقعطبة وذمار وبريم وتعز ومأوية وآب أحدثت ضرراً كبيراً، فسببت الحرائق في البلدان، وقتل نحو من ستين شخصاً، مما كان له أسوأ الأثر في النفوس، كان ذلك هو الحامل له على السكون، ولما سكنت الأمور بينه وبين الإنكليز كان أول ما يهمه نفوذ ابن سعود الذي بلغ منطقة نجران التي كان يحيى يدعى أن قسمها الشمالي داخل في أراضيه، وأيضاً رأى أن استيلاء ابن سعود على إمارة الأدارسة أبعد من استيلاء يحيى، لأن يحيى كان يعتقد أنه أولى وأقدر على ضم هذه الأرض إلى أملاكه من ابن سعود، لأن له نفوذاً قوياً على الأدارسة أقوى من نفوذ ابن سعود الذي قصدها من قلب الجزيرة، فما زال يحيى بالإدريسي حتى انقلب على ابن سعود.

ولما جهز ابن سعود القوات إلى الإدريسي ورأى أن أمره قد اكتشف بعد أن احتلت جيزان هرب منها إلى صبيا وأمر أتباعه بتخريب طريق السيارات، إلا أن القوات السعودية دخلت جيزان وزحفت إلى الإمام واستولت على صبيا، ففرَّ إلى الجنوب واضطرمت في عسير ثورة خطرة وهوجمت القوات السعودية بشدة، فبادر ابن سعود بإرسال النجدات القوية إلى عسير وخشي أن يكون خلف الإدريسي أحد من الملوك يعينه ويشد أزره، فاستعد للحرب ولكنه أذاع أيضاً بأنه معط الأمان للإدريسي ومن معه من الثوار والقبائل إذا أخلدوا للسكينة، وأمهلهم ستة أيام، وإلا فليأذنوا بحرب لا قبل لهم بها، ثم إنه انتدب الأمير عبدالعزيز بن مساعد البطل

العظيم، وبعث معه قوة عظيمة وجعله الحاكم العام على عسير، وأخرى مع الأمير خالد بن لؤي ولكنه توفى رحمه الله تعالى في الطريق بمرض ألم به، فأسندت أعماله إلى ابنه الأكبر سعد بن خالد، وجعل ابن سعود القيادة العليا للجيوش السعودية في مقاطعة عسير إلى الأمير عبدالعزيز بن مساعد، وأخذت القوات السعودية بقيادة سعد تطارد الإدريسي، فاحتلت الضايا وتعشر وبلجرشي، ومضى الإدريسي إلى قبيلة المسارحة وبني شبل ثم العارضة، فطورد فاعتصم بقرية أبي حجر، وتبعد عن أبي عريش ثماني ساعات، وعلمت القوات السعودية بوجود عبدالوهاب الإدريسي أحد الثائرين في وادي المحصم، فزحفت إليه في ١٥ رمضان من هذه السنة وأحاطت برجاله وقوته وأبادتهم ما عدى ستة من الفرسان تمكنوا من الفرار إلى عين دابي في سفح جبال فيفاء فتبعتهم، ولكنهم نجوا وصدر الأمر إلى ابن مساعد أن يتعقب العصاة ويخمد الثورة، فغادر أبها تاركاً فيها نائباً له، وسمع أن قوة إدريسية في بلحرث أخذت تتضخم، فبادرها وأبادها وأخذ البطل العظيم ابن مساعد يطارد الإدريسي ويضيق عليه الخناق ويبيد رجاله وقواته ويرهقه بالمفاجئات ويثخنه جراحاً حتى كان على الحدود، ولكن ابن مساعد لم يمهله لحظة بل طارده، فاجتازها إلى الأراضي اليمانية.

ولما وصل الإدريسي إلى ميدي التجأ إلى الإمام يحيى فطلب ابن سعود من عاهل اليمن تسليم الفارين إليه إنفاذاً للمعاهدة القاضية بذلك، فرجاه يحيى أن يعفو عنهم لما التجأوا إليه بأهليهم وأتباعهم وأن يمنحهم عفواً شاملاً مطلقاً عن كل ما حدث في هذه الفتنة الشيطانية، سواء كان بين الحكومة والأدارسة أو بينهم وبين الرعية، فأجاب ابن سعود بأن كل من التجأ إليه فله أمان الله على ماله ودمه وأنه قد عفا عن الإدريسي عفواً شاملاً مطلقاً من جميع ما مضى وحدث، فلما عفى عنهم وأمنهم سأله الإمام يحيى أن يأذن لهم في البقاء لديه وهو كفيل على حسن تصرفهم وعدم قيامهم بأي عمل يعرق أعمال الحكومة في حدود جلالة الملك، فرضي جلالته بهذا المطلب أيضاً زيادةً في التقرب وسعياً لحسن التفاهم، ثم تمادى الإمام في مطالبه من ابن سعود أن يعطف على العائلة الإدريسية وأن يمنّ عليها

بنفقات تقوم بأودها لأن الخزينة اليمنية لا تتحمل ذلك، فقدر ابن سعود له مبلغ ٢٥٠ ألف ريال شهرياً، ثم كتب يحيى يخبره أن عبدالوهاب الإدريسي سيعود إليه مع كل الفارين، ولن يبقَ مع الحسن إلا أسرته، فأجابه ابن سعود بأنه ينظر إلى الإمام يحيى نظرته إلى أخ كريم فليعمل ما يريد.

هذا وقد أبقاهم يحيى عنده آلة يستعملها عند الحاجة، قابل إخلاص ابن سعود وإحسانه بالمماطلة والمخادعة، ولما انتهت الثورة حرص ابن سعود على حصوله ما كان مؤملاً من الاتفاق وأن يرسل وفداً لحل المشاكل، فأجابه يحيى بالقبول وأنه يؤمل من جلالته أن يرى الوفد في صنعاء وأن يطلق له العنان لحل كافة الأمور بين الجانبين وبالأخص المسائل العائدة إلى الحدود، فلما أن ذهب هذا الوفد تلقاه بكل مكروه وإساءة.

ذكرى ما لقيه وفد ابن سعود من الإهانة

لقد كان يحيى من دهاة الرجال ومن أكبر أمراء العرب، بل من سادات ملوكهم، غير أن فيه خصلتين مذمومتين، كان بخيلاً ومخادعاً، وهما وربك صفتان مذمومتان شرعاً وعقلاً، ولما أن سار وفد جلالة الملك ابن سعود إلى صنعاء محفوفاً بالإكرام والاحترام، ما كاد يصل الحدود اليمانية من جهة ميدي حتى شاهد معالم الزينات والفرح تعلنها الحكومة اليمانية رسمياً ابتهاجاً باحتلال نجران، غير ناظرة إلى ما في ذلك العمل من عدم اللياقة والإنصاف، وأنها لعثرة قوية في طريق الصداقة والألفة التي تعمل الحكومة السعودية لغرسها، فلما شاهدوا ذلك وهو احتلال الجنود اليمانية لنجران ما كان هذا برادهم شيئاً عما هم فيه من السعي لتحصيله.

وكان هذا الوفد مؤلفاً من: تركي بن ماضي، وخالد بك أبو الوليد القرقني، وحمد السليمان، فلم يقل أعضاء الوفد شيئاً، بل واصلوا السير غير ناظرين إلا إلى الغاية العليا التي يسعون للحصول عليها، لأنهم كانوا يسعون وراء عمل أعظم وأشرف من هذا، فلما أن قدموا صنعاء لقوا حظاً وافراً من الإساءة

المتعمدة، فإنه لم يسبق لذلك مثيل في تاريخ العلاقات السياسية الدولية، ولا في تاريخ دول الإسلام، وقد بانت الضغينة السيئة والأطماع الأشعبية، وعلم الوفد على الحقيقة أن اليمن يستصغر شأن بلاده ويحتقر أمرها، ويظن بها الضعف وعدم القوة، وتحقق عند الوفد أن إمام اليمن يرمي بنظره إلى ما وراء الحدود ويطمع بالاستيلاء على نجران وعسير وتهامة، وخلاصة الأمر صريحاً أنه ينبغي العودة إلى بلاده، فمنع من ذلك وحيل دونه، فعندها أمعن الوفد في إيصال الخبر سراً إلى جلالة الملك بذلك، هذا ما كان عليه يحيى، فلما علم ابن سعود بذلك سمح يحيى لوفده بالعودة بعد طول الحجر والقهر، فعادوا في السنة الآتية وجرى ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها وفاة الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم

وكان خروج روحه في الساعة الثانية من اليوم ١١ من محرم رحمه الله وعفا عنه ووقاه عذاب الجحيم، ورفع منازله في جنات النعيم، فلقد والله أصيب به الإسلام وفقده هداة الأنام فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهذه ترجمته:

هو العالم العابد الزاهد الألمعي العلم، الوفي الزكي، قاضي ناحية القصيم الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليم، أبو محمد، شيخنا الحبر الماهر في العلوم، كان رزيناً مصقعاً سميدعاً، حليماً عاقلاً، له سعة اطلاع وفراسة، إذا أخذ يقرر التوحيد والفقه قلت لا نظير له في الناس، وإن أخذ في الوعظ والتذكير فإنه بغيره لا يقاس، أو أخذ في التواضع والأدب، فسبحان من خلع عليه أحسن اللباس، يصيح بالخلق إلى اتباع الرسول والتمسك بسنته ودموعه تسكب كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم، وكان له وجد وذوق في المعارف الإلهية حتى إنه ليكاد يحبو من مكانه حبواً إذا جعل يتكلم على معاني العقيدة السلفية لما له من الحظ الأوفر من تلك البضاعة.

وكان فقيهاً متواضعاً قوياً في أمر الله، له مقدرة على حسم مواد الشر ومعه تواضع ولين عريكة، وينزل الناس منازلهم ويعاملهم على قدر عقولهم.

قال مرة لبعض إخوانه: يا فلان تغافل عن شر الناس، إذا سمعت من يغتابك فقل لنفسك مكذباً لها هذا ليس يريدني ويعنيني، وإذا رميت بحجر فقل لعل ذلك يريد الطيور فأخطأ به إليه، فإنك تستريح.

صفته وأخلاقه

كان شيخاً كث اللحية يخضب بالحناء، رزيناً أبيض أصبح ممتلئ الجسم، مربوع القامة، طلق المحيا، عاقلاً، مهيباً من دون بغض محبباً من دون ضعف، عليه شعار البهاء حتى كأنه الشمس بين عينيه، رحيماً بالضعفاء والمساكين، فأما عقله وسمته فوا الذي خلقه ما رأيت قبله ولا بعده أعقل منه ولا أسمت منه، وإذا مشى في الأسواق والشوارع فلو أنها تدكدكت الجبال من خلفه لما التفت إليها.

وكانت ولادته حوالي ١٢٨٧هـ، فأخذ العلم عن والده الشيخ محمد بن عبدالله، والشيخ محمد بن عمر، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وجدَّ واجتهد حتى نال درجة عالية في العلوم، ودرس في التوحيد والفقه والحديث.

فلما كان في صدر ولاية عبدالعزيز بن متعب بن رشيد وشرد أهل الدين وشتت شملهم كان المترجم مبعداً من بريدة إلى البكيرية، ولما أن لبث بها عشر سنين لا يخرج إلا لزيارة والده الشيخ محمد، عين في قضاء بريدة كما أسلفنا، وكان مسدداً في قضائه وأجوبته، مسدداً في سائر أعماله، وجاء إليه أهالي القصيم لما أن أراد الملك عبدالعزيز أن يؤسس محطة اللاسلكي في بريدة مستنكرين لذلك، فلما أن كلموه في الأمر ليأخذوا رأيه فيه قال لهم برفق وحكمة: يا أولادي إياكم والشقاق، فلا خير فيه، يا أولادي إن ابن سعود ملك نسأل الله أن لا يسلطه علينا، فادعوا له واسألوا الله له الهداية، فقاموا من عنده وقد طابت أنفسهم يقولون: إن الشيخ أعلم منا وأتقى منّا لربه، وما كان لهم بعد مقالته التفات.

ذكر شيء من أجوبته وفوائده

اتفق في أيامه أن امرأةً عجوزاً في إحدى قرى القصيم رأت في منامها آتياً أتاها وقال: توبوا إلى ربكم أيها الناس وصوموا من الغد، فلما هبت المرأة من رقدتها آخر الليل صاحت بالجيران ومن حولها من العامة والنساء، وأخبرتهم فصام بعض أهل القرية وامتنع آخرون، وتحير أناس لم يتسحروا، فقام مطوع القرية وبعث رسولاً إلى الشيخ عبدالله يستفتيه بذلك، وكانت المسافة قدراً من ميلين، غير أن الرسول استطاع أن يجعلها ١٥ دقيقة، فلما كان بعد طلوع الشمس إذا به يستأذن على الشيخ في بيته مرعوباً مدهوشاً، فأخبره بالقصة وشكى إليه هذه الواقعة، فتبسم الشيخ ضاحكاً متعجباً وقال له: يا بني أخبر قومك بأن العبادات قد شرعت على لسان النبي محمد ﷺ ليس عجوزكم هي المشرعة، فأخبرهم أن لا يصوموا، فرجع رسول أهل القرية يسكنهم ويبشرهم وقد وافاه الفلول في منتصف الطريق فأخبرهم هو ورجعوا مطمئنين.

وكان كلامه مقبولاً عند الناس جداً لما له من النية الحسنة، وقد قرر التوحيد في حلق التدريس وذكر المكفرات للمسلم إذا صدرت منه فقال: من دعا الأموات كفر ومن لم يكفر الكافر فهو كافر، فتكلم جاهل من العامة مع من يليه من الحضور فقال إذاً صار التكفير هدم جدر وإلقاء حيطان، فنقل الشيخ كلامه فعرض بذلك في التدريس من الغد وقال: إن هنا أناساً لا يقرون تكفير الكفار، وإذا لم يكفر الكفار لكفرهم فهل تكفر الجمادات، نسأل الله العافية.

وكان يعبر الرؤيا فكان إذا جاءه من يقص عليه رؤياه عبّرها إن كانت حسنة وإن رأى صاحب الرؤيا مهموماً لما رأى قال: يا سبحان الله إذا لعب الشيطان بأحدهم في منامه لم يعلم به أحد جاء يفضح نفسه.

وكان إذا أخذ يفسر العبارات في التدريس فربما لبث نصف ساعة يذكر الأدلة وكلام العلماء على ذلك ويطيل ويسهب.

وقرأ عليه بعض الطلاب كلام الإمام ابن القيم في إساءة الظن بالله وهو الذي ذكره شيخ الإسلام وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، فأخذ في شرح العبارة وتفسيرها وأطال وأفاد وأجاد وجعلت دموعه تجري على خديه حتى رحمه من حوله ولبث أربعين دقيقة.

وقرأ عليه قارئ في فتح المجيد، فلما بلغ ذكر الشفاعة جعل يبكي ويتكلم ويأتي بالعجب العجاب حتى تقدم عن مكانه الذي هو جالس فيه، وكاد أن يصل إلى وسط الحلقة حتى خشي القارئ من أن يصل إليه.

وقرأ عليه بعض الإخوان من الطلاب بكتاب الصيب الهطال في الرد على ابن كمال، فقال رحمه الله أن الاسم مشتق من الفعل يعني الكتلاني هو مؤلف الكتاب، وكان إذا سمع الجملة تنحنح ثم شرع يتكلم.

وقرأ عليه بعض الإخوان من طلاب العلم بمسائل الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن فتكلم معرباً عن فضل المؤلف ومكانته في العلم وجعل يثني عليه ويمتدحه ويذكر ما لآل الشيخ من الفضائل والمناقب التي بنوا بها ما تهدم من قواعد الإسلام وإشادة ما اندثر منها وأطال وأسهب.

وقرأت عليه في حاشية التوحيد للشيخ عبدالرحمن فلما بلغت رواه وكيع فقال: وكيع هذا هو ابن الجراح بن وكيع عالم كبير، شكى إليه الشافعي سوء حفظه فقال له اترك المعاصي، وأنت يا ولدي إن أردت طلب العلم فاترك المعاصي، اترك المعاصي إن كنت تريد طلب العلم، فإن المعاصي تمنع من تحصيل العلم، وجعل يرددها علي ويحثني على طاعة الله ورسوله فتأثرت لذلك ووجدت لكلامه وقعاً بحيث أني والله لأجد لكلامه موقعاً حتى أنه مثل العافية على الجسم السقيم.

ومهما كانت الأحوال والظروف فإن اللسان يعجز عن التعبير عما في الجنان من براعته ونبله ونصحه وإرشاده.

ودخل عجل في المسجد الجامع حال التدريس فالتفت إليه بعض الطلاب، فأخذ الشيخ عصاه ونعاله وقام مولياً فلحقه التلامذة والإخوان يعتذرون، وإن الوالد من شيمته الصفح عن عثران أبنائه فقال: فاتكم مجلسنا يومكم هذا فالتفتوا إلى هذه البهيمة العجماء ودعوا العلم والمعلم، بقوله توبيخاً وتقريعاً.

ذكر ورعه وزهده

أما ورعه فحدّث عنه ولا حرج، كان لا يمسك شيئاً في الدنيا غير كفايته، ولم يستقطع من الملوك الأراضي ولم يجمع مالاً لنفسه غير بيته الذي يسكنه، وإذا جاءه مرتبه وعنده شيء من بقية الأول فرق الأول.

وجاء إليه أهل هجرة من البدو يطلبون منه أن يجعل لديهم مطوعاً ديانته حقيقة صدقاً، وجعلوا يسألونه ويلحون فقال: يا هؤلاء إن وجدتم ذلك فاطلبوا لنا ولكم الله المستعان.

وطلب منه أهل هجرة مطوعاً عينوه، غير أنه لا يعرفه فقال: حتى نسأل عنه شيخه الذي يعرفه، يعني به أخاه عمر.

وأتاه رجل يسب وكيلاً وينال من عرضه لأمر لا يعنيه فقال له: كأنك تريد الوكالة لنفسك وتطلبها، فاستحيا الرجل وسكت.

وقال مرة لأحد كبار التلامذة أقرأ علينا بالفروع لابن مفلح نقرر ما نعرف منها وما لا نعرفه نكله إلى من يعرفه وهذا منه من باب الهضم لنفسه ورؤيتها بعين الاحتقار وإلا فهو العالم الكبير والبحر الغزير.

وكان من سجيته أنه لا يقبل هدية ولا يستجيب لأحد، بل كان يأكل في بيته ويقتصد في معيشته ويمازح إخوانه ويخفض لهم الجناح، وأوذي في ذات الله فصبر وارتفع شأنه وعلت رتبته فما بطر ولا تكبر بل يحب طالب العلم والمستفيد ويقرب الغريب.

وكان يأتي بالنجار إذا احتاج إليه ولو لعمل بسيط كإصلاح مفتاح، ورحى ونحو ذلك من الأمور الزهيدة، فيحضر عنده يحادثه، فإذا فرغ أطعمه وسقاه وأعطاه

أجرته كاملة، فيأسف النجار عند دفعه الأجرة فيقول: هذه أجرتك فهي حقك يا ولدي فإن لم تأخذها لم نأت بك فيما بعد، فيأخذها على مضض، وكان رحمه الله وعفا عنه متواضعاً يحمل حوائجه على رأسه.

هذا وقد خدمته الليالي والأيام وقدمه الملوك والحكام وبذلت له ما لا يجري على الأوهام، فرد ما زاد على الكفاية، وأبى عليه فضله ودينه أن يكون مكاثراً، فرحمة الله عليه من إمام عبر الدنيا وما عمرها، وقل والله من كان متصفاً بصفاته من علماء زمانه.

ذكر أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وحلمه وعفوه وسعة رأيه

أما أمره ونهيه فقد كان على بصيرة يدعو إلى الله وما همه منصب ولا يراعي جانب أحد كائناً من كان، وقد ساعدته الظروف من قبل صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز، فكان يرفع قدره وينفذ أوامره بسرعة، أضف إلى ذلك أن وافق زمانه في القضاء هدوء وسكينة وقلة مشاغبة، فكان يكفي أهل زمانه القليل أمراً ونهياً ولم يظهر في زمانه ما كان قد ظهر فيما بعد من كثرة الحيل وعدم الانقياد، وما ذاك إلا لحسن نيته وخوفاً من سطوة الوالي.

فمن ذلك أنه مر عليه في الدرس أثر خلق الله ألف أمة وتكفل برزق الجميع، فأخذ يتكلم على هذا الأثر ملوحاً على المسافرين إلى بلدان الكفار فقال: خلق الله عز وجل ألف أمة، ستمائة في البحر وأربعمائة في البر وتكفل الله برزق الجميع إلى ابن آدم لا يرزق حتى يذهب الكفار ويكون حماراً لهم، عياذاً بالله، وبكلامه هذا يشنع على الذين يذهبون إلى الكفار ويخدمونهم.

ونقل إليه بعض العامة يستعظم تكفير المسلمين، وإن فعلوا ما فعلوا، فلما جلس للتدريس والتف حواليه ما يزيد على أربعمائة ما بين متعلم ومستمع، أخذ يبين وجوب عداوة أعداء الله ويوضح تكفير الكافرين ثم قال:

غير أن أناساً أعمى الله قلوبهم لا يكفرون الكافرين، وإذا لم يكفر من

كفره الله ورسوله فمن يقع عليه التكفير الكفر هذه الاسطوانة ويضرب بيده عليها أم كفر البهائم، وهؤلاء العمي ليسوا ببعيدين أرفع قدمك لا تطأهم، فخجل المعترض وتاب وقضى مرة على شخص، فلما كان ذات يوم لقيه في الطريق فلما حاذاه قال: أخزاك الله في الدنيا والأخرة كما خيبتني من حقي، فلحظه بعين الرحمة وقال: يا بني الله لا يخزين ولا يخزيك فذهب الرجل قد احترق من الخجل والحياء.

وبينما هو يمشي مرة وإلى جانبه أحد أحبابه مرّ من بينهما منافق ولم يسلم، وكان ذلك داعية ضلال، فلما أن ولى الرجل التفت الشيخ إلى من جانبه وقال: الله المستعان والله ما كان مثل هذا الرجل الضال له مؤلفات في ضلالته إلا كان من الله أن يتلفها الله قبله.

وأتى إليه رجل من خاصة إخوانه، وكان في هم وغم وجعل يشكو إليه، فعال قريبه وإساءته إليه ومقاطعته منه لا من قبلك، واعلم يا بني أن الله لا يضيع أحداً، فإن كان قد خرج من الاجتماع وفقدت مساعدته في النفقة فسيرزقك الله ويغنيك من سعته، فقال من عنده منشرح الصدر وكانت عاقبته حميدة.

وجاء إليه بعض إخوانه وقد عزم على الزواج، فطلب منه الوصية فقال:

يا بني إذا أتيت أهلك فقل لهم هذه زوجتي قد شق علي مهرها فيجب أن تتحملوا منها ما يصدر منها، وإذا خلوت بزوجتك فأوصها بحشمة أهلك وقل هؤلاء أهلي وأقربائي ويجب عليك إكرامهم، أما إذا كنت مع أهلك على زوجتك أو كنت مع زوجتك على أهلك فإنك لا تسوسهم، ويا بني يوماً ثم يوماً والأجل قريب.

فهذه نبذة من مناقبه تدلك على فضله، وكان فوق ما قيل فيه زهداً وورعاً وتواضعاً.

وكان يرضي المجانين والمرأة والطفل على قدر عقولهم، وكم كربةٍ فرجّها برأيه، ومشكلةٍ أوضحها بالحجج والبراهين، فهو طبيب القلوب، ومن فوائده تنجلي الكروب.

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فخلق كثير، فمنهم: الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز

ابن عبدان قاضي الزلفي، والأخ في الله ذو الأصل والتوحيد محمد بن صالح المطوع، وأخذ عنه الشيخ سليمان المشعلي، وأخذ عنه الحافظ فهد العيسى قاضي الشبيكبة، وأخذ عنه عثمان بن حمد بن مضيان قاضي أبو عريش، وأخذ عنه محمد ابن حمد بن مضيان، وأخذ عنه خلق كثير، وسيأتي في ترجمة أخيه عمر ذكر تلامذتها، ومن أشهرهم: الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، ورجل الدين والعلم عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد.

ولما توفاه الله تعالى صلى عليه المسلمون ضحى في جامع بريدة وازدحم الرجال والنساء وأقبلوا كأنهم السيل المنهمر، وقد حضر جنازته خلق كثير، ودفن في المقبرة الجنوبية، وكان الذي تولى إمامة الناس أخوه فضيلة الشيخ عمر، وحزن لموته أهل الإسلام في المشارق والمغارب، وصلى عليه بالنية في أنحاء المملكة العربية.

وقد قيل فيه مراثي كثيرة فنذكر منها قليلاً من كثير، فمنها ما رثاه به تلميذه أخونا عبدالمحسن بن عبيد، وهي هذه:

أعـــبني جـــوداً بالـــدموع الهواطـــل ... ولا تعـــدا وعـــد العـــذول المماطـــل
فســحاً لـــدمع العـــين بـــالله وابكيـــا ... بـــدمعٍ غزيـــرٍ عاجـــلٍ غـــير آجـــل
على شـيخنا شمـس الـبلاد وبـدرها ... ونجم الهدى السـامي جميـل الشـمائل
هـــو الشـــيخ عبـــدالله نجـــل محمـــد ... إمـــامٌ همـــامٌ فاضـــلٌ وابـــن فاضـــل
فـــوا أســـفا مـــن فقـــده وفراقـــه ... فمـــن مثلـــه في الخلـــق بـــين القبائـــل
لقـــد كـــان طـــوداً للعلـــوم وفاضـــلاً ... فثلمتـــه كـــبرى لـــدى كـــل عاقـــل
فتبـــاً لعـــينٍ لا تجـــود بـــدمعها ... علـى مثـل شـيخ المسـلمين الأماثـل
لقـــد ريعـــت الأنـــام طـــراً بموتـــه ... وســالت جفــونٌ بالــدموع الهواطــل
وطـــارت قلـــوب المســـلمين لفقـــده ... لـدى غيّبـوا في القـبر فـرد الفضـائل
فكـــلاً تـــرى يبكـــي وتهمـــي دموعـــه ... لمـــا حـــل فـــيهم مـــن عظـــيم البلابـــل
وصـــلى عليـــه المســـلمون جمـــيعهم ... بكـــل ربـــا نجـــدٍ بكـــل المحافـــل
ســرى نعشــه فــوق الأنامــل مســرعاً ... تـــؤم بـــه الأقـــوام نحـــو الجنـــادل

إلى الله نشكو ما دهى من مصيبةٍ ... وما مسنا من فادحات النوازل
فحمداً على مر القضاء وحلواه ... وشكراً لمولانا على كل نازل
صبرنا وسلمنا له الأمر كله ... على كل حالٍ في الرخا والنوازل
لقد عمنا كربٌ شديدٌ ومفظعٌ ... وقدنا لنا رزء وإحدى البلابل
سقى قبره ربي من الروح ديمةً ... مع العفو والرضوان هتان هاطل
وألحقه بالسالفين على الهدى ... على الشرعة الغرّاء بأعلى المنازل
لقد كان في الدنيا وحيد زمانه ... يقيم منارات الهدى بالدلائل
مجالسه طابت فعادةً بحكمةٍ ... مؤيدةً بالله عن كل باطل
عليها البهاء والنور كالشمس ساطعاً ... مسددةً محروسةً عن غوائل
يقص علينا من رقائق وعظه ... كما الصيب الهطال يهمي بوابل
يقرر توحيد العبادة معلناً ... ويشرحه بين الورى في المحافل
ويدعو إلى التوحيد لله مخلصاً ... يريد الجزاء يوم اللقا والتعامل
يدين بقال الله قال رسوله ... وقول ذوي التحقيق من كل فاضل
على السنة الغراء يسير بعزمة ... ولم يثنه في الله عذل العواذل
وما صدّه خوفٌ من الخلق أو رجا ... لما عندهم من تالد المال عاجل
له همةٌ تأبى الدنية والردى ... وتنأى عن الفحشاء وقرب الرذائل
كساه إليها مولاه أجمل حلةً ... له هيبةٌ عند الملوك الأماثل
لقد كان بكاءً وقد كان خائفاً ... وقد كان مأمون الأذى والغوائل
مديماً على بذل النصيحة جهده ... على كل حالٍ في الضحى والأصائل
وقد كان في الدنيا لنا خير مؤنسٍ ... يرغب في الأخرى وحسن الشمائل
يقص علينا من كلام إلهنا ... ومن سنة المختار أسنى الدلائل
يرغبنا قولاً وفعلاً بجهده ... إلى السنة الغراء ورفض الرذائل
ويحكي لنا جل الظرائف آثراً ... عن العلماء العاملين الأماثل
إذا قرر التوحيد أطرب من له ... فؤادٌ يسلم نوره كالمشاعل

لــه منطــقٌ عــذبٌ فصــيحٌ مهــذبٌ فســبحان مــن قــد خصــه بالفضــائل
وإن جــاء في التزهيــد أبكــى بقولــه وزهَّـــد في الـــدنيا وإيثـــار آجـــل
وإن مـــازح الإخـــوان تقســـم أنـــه لـــه أســـوةً بالمصـــطفى غـــير ماثـــل
وإن أمَّ في المحـــراب يتلـــو كـــلام مـــن تقــدس عــن مثــل وعــن كــل باطــل
عرفـــــت يقينـــــاً فضـــــله ومحلـــــه ورتبتـــه في الفضـــل بـــين القبائـــل
لـــه خلـــقٌ سمـــحٌ جميـــلٌ مؤيـــدٌ مـــن الله لا يصـــغى إلى كـــل عـــاذل
لـــه ســـطوةٌ بـــين الـــورى بلســـانه يســـــدده ربـــــي بســـــرد الـــــدلائل
يعامــل أهــل الزيــغ بالبعــد والقلــى ويـــرميهم شـــزراً بقـــوس المســـائل
ومــا قصــده جــاهٌ ولا مدحــة الــورى ومـــا صـــده ميـــلٌ إلى كـــل باطـــل
شمائلـــــه جـــــمٌّ فلســـــت أعـــــدها بكــل القــرى تســمع بهــا والقبائــل
كـــذا الحضـــر تلقاهـــا بكـــل محلـــةٍ كـــذا البـــدو ترويهـــا بكـــل المحافـــل
عليـــــه ســـــلام الله حيـــــاً وميتـــــاً ورحمـــة ربـــي عـــاجلاً غـــير آجـــل
مع العفــو والغفــران والفــوز والرضــا كــذا الــروح والريحــان يــوم التعامــل
ولمــا قضــى قــولي توجهــت مــالكي سميع الدعاء مُسدِي جميـع الفضـائل
يلـــم لشـــمل الـــدين فرعـــاً أُصـــله ويبقـــي لنـــا بـــدر القـــرى والقبائـــل
سمـــــيٌّ أبـــــي حفـــــص فـــــالله دره لنـــا يشـــرح الغـــراء بغـــير تكاســـل
يحـــل لإشـــكال المســـائل جاهـــداً بعـــزمٍ وحـــزمٍ مـــبرزٍ للـــدلائل
لقـــد كـــان أســـتاذاً لنـــا ومعلمـــاً يعيــد دروســاً بالضــحى والأصــائل
ويحمـــي حمـــا الســـمحاء عمـــن أرادهـــا بنقــصٍ وهضــمٍ مــن خبيــثٍ وجاهــل
أعـــز بـــه المـــولى لـــدين محمـــدٍ وأعــلاه في الفــردوس أعلــى المنــازل
وســـدد إخوانـــاً لنـــا طـــاب خـــيمهم ووفقهـــم فهـــم الهـــدى والمســـائل
وجنـــبهم ربـــي لكـــلِّ مضـــلةٍ وطهـــرهم مـــن ســـاقطات الرذائـــل
وصـــل إلهـــي مـــع ســـلامٍ مضـــاعفٍ على المصطفى والآل مع كـل فاضـل
بعـد الحصـى والرمـل والقطـر كلـه ومـــا شـــاء ربـــي دقهـــا والجلائـــل

وقال الأديب الذكي صالح بن عبدالعزيز العثيمين راثياً المترجم بهذه القصيدة العظيمة، وهي من أعظم ما قيل فيه:

إلى الله في كشف الملمات أفزع ... فليس لذا أرجو سواه وأضرع
ففي كل يوم للعباد رزيةٍ ... وفي كل عامٍ في خيارنا يشرع
وأعظم بهذا الرزء وأي مصيبةٍ ... كهذا سوى أن قيل مات المشفع
لقد مات عبدالله نجل محمدٍ ... فتىً نحوه الأعلام للرأس ترفع
به انكسفت شمس العلوم فبعده ... فمن نحوه في العلم يرفع أصبع
به فقد الناس الدعاة إلى الهدى ... فمن بعده داعٍ إذا قال يسمع
به فقدوا فوق المنابر واعظاً ... إذا يبد وعظاً في الخطابة مصقع
به فقدوا شيخاً فقيهاً مفقهاً ... سيهجر إقناعٌ ومغني ومقنع
به فقدوا من حين تقرأ فروعهم ... تقول له تصنيفها إذ يفرع
به فقدوا نحواً فماضيه قد مضى ... وفي قبره أضحى المضارع يضرع
به فقدوا شيخ الفرائض بعده ... فمن ذا سهام الأنصباء يوزع
إذا أشكلت طرق الصواب فقوله ... لمسترشد الفتياء في الحق مقنع
به صار روض العلم والحق مزهراً ... وأرواحنا عن جهلها فيه ترتع
ربى في تقى فيناً وحسن عبادةٍ ... وما صده مالٌ وما ضم برقع
إذا جئته جنح الدعاء وجدته ... بمحرابه باب المهيمن يقرع
تلاوة آيات الكتاب شعاره ... فما انفك عنها غير ماحين يركع
يلاقي بترحيبٍ وبشرٍ ورقةٍ ... فلم تلقه إلا لذي الذل يخضع
وما نفسه يوماً أراد انتصارها ... ولا عن ذوي الفقر اعتراه الترفع
ويمنع أهل الظلم أخذ مظالم ... وعن ظلمهم لله قد كان يمنع
وعن ما أتى عن ربنا ورسوله ... مشاغب أهل الزيغ قد كان يدفع
فأسيافه في البحث قاطعة الضبا ... وجوهرها حد الصياقل يقطع

أبـــان عويصـــات المســـائل كلـــها وأوضـــح منهـــا مـــا يســـن ويشـــرع
إذا يتـــل تفســـير الكتـــاب فقولـــه علـــى كـــل مقبـــولٍ ومـــا رد يطلـــع
تنـــزه عـــن دنيـــا فلـــم تســـتفزه بزخرفهـــا أو في خـــداعها يخـــدع
ومـــا مـــد عينـــاً نحوهـــا إذ تبرجـــت بلـــى إنـــه في الهجـــر للكـــل مولـــع
لقـــد نـــال أســـباب الســـماء بعلمـــه ينادي لمـــن رام الصـــعود إلا ارجعـــوا
قفـــا أحمـــداً قـــولاً وفعـــلاً فلـــو رأى شـــوافعهم ذا الشـــيخ لم يتشـــفعوا
حوى العلم والعلياء والجود والتقـى وســـار بهاتيـــك الفضـــائل مســـرع
وليـداً حـوى تلـك الخصـال جميعهـا إلى يومنـــا مـــن درهـــا وهـــو يرضـــع
ختـــامٌ نقـــول إن أفـــاد نقولهـــا وإن يعزهـــا في صـــدقه الكـــل أجمـــع
لقـــد حـــل في ذي العـــام مفقـــد عـــالمٍ بـه الكرب للإسـلام قـد حـل مفظـع
أتينـــاه قصـــد الـــدرس نجـــني فوائـــداً محـــررةً في الـــدرس حـــين يفـــرعُ
فقيـــل لنـــا نجـــم الهدايـــة قـــد هـــوى من الأفق قوموا أيهـا الخلـق شـيعوا
فللحـــزنِ للأذقـــان خـــرٌ جميعنـــا وسالت لـذاك الحـزن في الخـد أدمـع
تنهـــد إبكـــار وصـــاح عجـــائزٌ وحوقـــل أشـــياخٌ وأدهـــش رضـــع
حيـارى مـن الإدهـاش جـلَّ مقـالهم إلهـي بهـذا الشـيخ لا الخلـق تفجـع
إلهـي قضـيت المـوت فـادفع منيَّـةً ومـــن شـــوقنا في رد روحـــه نطمـــع
فلمـــا تيقنـــا الممـــات مـــن الأســـى عليـه قلـوب النـاس كـادت تقطـع
وقمـت أنـادي في الطلـول وأدمعـي تـــروي الثـــرى إذ منـــه واراه بلقـــع
ســـأبكيه في نطقـــي ودمعـــي وأنـــةٍ إذا زفـــرت منهـــا تكســـر أضـــلع
أجـاوب ورقـاء الحمامـة في البكـا ويغلبهـا صـوتي أسـاً حـين تسـجع
فلن أنس إذ حفت بـه جملـة الـورى كبـــدرٍ بـــه حـــف الكواكـــب طلـــع
ترنمـــت في إمداحـــه بحياتـــه فأطربـــت في إنشـــادها إذ أرجـــع
فلـــهفي إذا حولـــت تلـــك مراثيـــاً أطوف بهـا هـل ذاك في الـرزء ينفـع
ولهفي على فقدان شيخ ذوي النهـى فقـد كنـت حيرانـاً فمـا ذاك أصـنع

ولهفي فقد قل اصطباري فليتني ... يردت غليلاً إن جزعت فأجزع
أعزي محاريب العلى بإمامها ... فناظرها من فقده الدم يدمع
أعزي دروس الفقه بعد دروسها ... فمقلتها من حزن فقده تهمع
تنكرت الدنيا ولكن تعرفت ... بطيب ثنا أبقاه في الخلق يسطع
وأقلامنا شقت عليه تأسفاً ... على فقد خد الطرس كم فيه ترصع
بريدة فأبكي إن فخرك قد ثوى ... بلحدٍ ولن يرجى لبدرك مطلع
بريدة للحزن السواد إلا البسي ... فعنك بذا أمر الملامة يرفع
به صرت في الأمصار تاجاً بمفرقٍ ... فعادت تعزيك إذا التاج ينزع
جعلتي له الأحداق موضع رجله ... فكيف سمحت أنْ ببطنك يوضع
قفوا خبِّرونا هل بنا اليوم مثله ... وهل صار في الماضي بمثله يسمع
قفوا خبِّرونا أي شيخ مهذب ... يقوم مقام الشيخ إن ذاك تدعوا
قفوا خبِّرونا من يشابه شيخنا ... ومن كان من علم الهدى متضلع
قفوا خبِّرونا من يمازح طفلنا ... سواه وجلباب الحيا متدرع
أهلنا عليها الترب آهي ولوعتي ... فهل فيكم مثلي فتى يتوجع
أهالت عليه الترب في القبر راحتي ... فما راحتي يدري لها اليوم موضع
تركنا علوماً في الثرى إذ ثوى به ... وعدنا ببرقٍ خلبٍ حين يلمع
لقد مزج البحرين علماً كذا ندى ... فلهفي ضريح ماء بحريه يبلع
لئن نهبت أيدي المنون لجسمه ... فذى سنة ما الموت في ذاك مبدع
فهذا طريقٌ كلنا له صائر ... فذاك مضى قدماً وذا ذاك يتبع
تسير قفول العالمين جميعهم ... لذاك وللأرواح في الخلد مجمع
وإني لأرجو أن يكون مقامه ... بعدنٍ إذا يبدو به يتشعشع
فيا ربِّ حقق ظن عبدك واقبلن ... دعائي لذاك الشيخ فيها يمتع
والحق محباً قال ذاك بحبه ... فعفوك من ذنبي وإن جل أوسع
لفقدان شيخي ليتني لم أكن ... وإلا ففي لحدٍ ثوى فيه أوضع

فيــا نــوم عــيني لا تلــم بمقلــتي | فعـينٌ كعـيني بـالكرى لـيس تهجـع
ويا صـبر فارحـل لـيس قلـبي فارغـاً | أصـيب بـأحزانٍ وحاشـاه يقلـع
ويـا نـار شـوقي بـالفراق تـأججي | وعقربـه قـولي لهـا القلـب تلسـع
ويـا نفـس صـبراً فالتأسـي لائـقٌ | بمـوت الـذي في كفـه المـاء ينبـع
هـو المصـطفى زيـن النبـيين أحمـدٌ | شفيع الـورى يـوم الصـحائف ترفـع
عليـه صـلاة الله مـا هبـت الصـبا | ومـا هـل ودق فيـه رعـدٌ مقعقـع
كذا الأهل والأصحاب أيضـاً وتـابعٌ | مضـى علـى خلـف وللأمـر طيـع
وأرخّ لشــهرٍ في حبـا مــن محـرم | للعـام طـاب القـبر فيـه السـميدع

وقد رثاه الأخ عثمان بن احمد بن بشر، وعبدالرحمن بن عبدالكريم بن عودة بن محيميد، وقيل فيه شيء كثير من المديح أضربنا عن ذكرها لضيق الموضع، ولأن غالبها لم يتزن.

ثم إنها جاءت التعزية لأخيه وذريته وأقربائه من قبل صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز، وفي ٢٥ من الشهر المذكور جاء الأمر السامي من قبله بتنصيب أخيه الشيخ عمر بن محمد قاضياً في القصيم، فتولى الشيخ إمامة المسجد الجامع في بريدة واستمر في القضاء.

أما ذرية الشيخ عبدالله فكان له من الذكور محمد فقط، وكان صالحاً ناسكاً، توفى وهو شاب، وله بنات.

وممن توفى فيها من الأعيان والدنا السعيد وهذه ترجمته:

هو العارف العاقل الناسك السخي الكريم أبو عبدالرحمن عبيد بن عبدالمحسين آل عبيد، ولد رحمه الله سنة ١٢٦٧هـ فنشأ في حجر والده ـ جدي ـ وكان في قلةٍ من الدنيا، ووافق ذلك حروباً ومحناً ومخاوف، وتوفى والده قبل زواجه لأن زواجه تأخر إلى واقعة المليداء، وكان ممن شهد الوقعة فعزم على أنه إذا رجع إلى وطنه سالماً ليتزوجن، فتزوج وله من العمر أربعون سنة.

وكان رحمه الله حسن الكتابة، ولجودة خطه كان كاتباً للأمير حسن بن مهنا

وقد يسير في رفقة الرجل المدعو الحصان خارص الأمير حسن، ومن زملائه في الكتابة محمد بن عيدان، كان والدنا يحدثنا أنه لم يكن في زمانهما أحسن منهما خطاً، فقدر أنه جاء أعرابي إليهما وجعل يسألهما هل يحسنان الكتابة؟ فازداد عجبهما به وكيف سولت له نفسه أن يبحث في هذا الموضوع حيث لم يدع القوس لباريها والسهم لراميها، فلما رأى الأعرابي أنهما ينكران علمه بالكتابة طلب قلماً وورقة، ولما أن رأى القلم طلب أن يتولى هو بريه بنفسه، فأخذ سكيناً وبرى القلم مرتين وقطع في الثالثة رأسه ـ أعني القلم ـ وقال: أريد أن أكتب لكما فائدة، فكتب هذه الكلمات «الحمد لله الواحد القهار العزيز الغفار الملك الجبار» ثم ناولهما كتابته، فإذا هي آية في الحسن والجودة، وحقرا أنفسهما واستصغراها.

وكان والدنا رحمه الله جواداً كريماً محسناً إلى الناس، شكوراً لنعم الله تعالى، ولقد أعطاه الله بسطةً في الرزق وسعة من المال في النصف الأخير من عمره، فكان يتمنى أن لو كان ذلك في حياة والده ليواسيه ويوسع عليه، وكان يأكل من كسب يده وعنده ثروة عظيمة، ويبذل الأموال في سبيل الخير والإحسان وصلة الأقارب، وله مقامات في الإحسان.

سمع مرةً وهو جالس في دكانه رجلين يختصمان فاستمع إلى كلاهما فإذا قد اشترى أحدهما ناقةً من صاحبه ولم يجد لها ثمناً، وقد تبعه صاحبها يقول: ناقتي أو ثمنها وجعل المشتري يسائله بالله أ ن يصبر حتى يأتيه الله برزقٍ من عنده، فإنه لا يجد في الحال الثمن، فتعلق به صاحبها وأخذ خطامها من يده، فوقف المشتري مقهوراً لأن الناقة لها موضع عنده وما لديه قيمة لها، فقام الوالد وعد قيمتها «وكانت ١٣٠ ريالاً» فرنسياً وجعلها في كيس وخرج يقول أين المشتري؟ خذ القيمة وادفعها إليه واذهب بناقتك، هذا وما كان يعرف البائع ولا المشتري غير أنه أحب أن يفرج عنه كربته ويبرد حرارة الطلب وحملته الأنفة العربية والمروءة الإنسانية إلى تلك الأريحية، وجادت يمينه أن تقرضه وهو لا يعرف شخصه، وكان يقول: يا ليتني سألته عن اسمه ومن أي جهةٍ كان.

وكنت أظن أن الله رد عليه قرضه بعد ثلاثة أشهر، ولما دفع الرجل إلى الوالد هدية جزاءً له على إحسانه ومعروفه ردها وأبى أن يقبلها.

ولقد أسكن أخاه وأخته في أبيات حسنة وجعل ينفق عليهما، ولما ماتا قبله طلب منا أن لا نضايق الذرية في إخراجهم من البيوت ما داموا محتاجين إلى السكنى، ولما وقعت المسغبة التي قدمنا ذكرها كان إذا خرج من بيته إلى السوق يحمل على رأسه الزبلان فيها التمر والدقيق يوزعه على من مرَّ به من الواقعين على ظهر الأرض من الجوع.

وكان يخرج إلى أصحابه وغرمائه فيحمل على دابتين طعاماً وكسوةً ولحماً وقهوةً وسكراً يكفي من يخرج إليه ضيافة ويزيد إلى ممر الأسبوع.

وأهدى له بعض أصحابه حمل بعير عشباً طيباً وجعل في أعلى الحمل جذعاً عظيماً من الحطب الغضى، وكان يعجبه الشيء الحسن، فلما ورد عليه أعجب به وجعل ذلك الجذع فرجةً لأصحابه، ثم إنه دعا برسول المهدي وكان ابنه فناوله كسوةً لجميع عائلتهم ونصف ذبيحة كبش وقهوة وسكراً وأرزاً وعشرة ريالات فرنسية، وكان الحمل لا يساوي خمس ذلك الجزاء.

وبعث أمير بريدة إلى فلاح يأمره أن يحمل إليه جميع ما لديه من الخضرة فإن عنده مائدة ضخمة، فقام الفلاح وحمل ما لديه على حمار قوي وأمر أكبر أبنائه أن يقصد به قصر الإمارة فتقفاه ابنه وأتى به إلى الوالد يقول هذا هدية من أبي فلان فأخذه الوالد وشدَّ على الحمار ما يطيقه من الحمل أرزاقا وكسوةً، فرجع الفتى إلى أبيه فسأله لما رأى الجزاء: قال يا بني أخزاك الله إلى من ذهبت به إليه؟ فأجابه قائلاً «عمنا عبيد» أما كنت بعثتني إليه؟ فتراجع الأب عندما رأى الأرزاق بين يديه وقال: أتدري يا بني أصبت والله في صنيعك ذلك، فقال له: يا أبت إنك غاوٍ في رأيك تريد بعثه إلى الأمير فلعله يسخطه ويستقله، وانظر الآن ما قابلك به هذا الجواد.

ودخل عليه مرةً رجل أشمط عليه سيماء الصلاح وأنا حاضر عنده في وقت المساء فسأله عن اسمه فعرفه الوالد بنفسه فقال: إني كنت البارحة نائماً في سطح مسجد جامع بريدة فأتاني ملكان جلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال لي أحدهما: بشر عبيد بن عبدالمحسن بالجنة فقال الملك الآخر بم نال ذلك،

فأجابه الملك الأول بقوله: «أفلا يكون عبداً شكوراً» فدعا له الوالد وذكر له أنه قد تكرر رؤية ذلك قبلها، ونسأل الله أن يمن علينا وعليك بفضله.

وكنت أشاهد من أعماله وأخلاقه الطيبة ما يرجى له معه الفوز بالجنة والنجاة من النار، فقد لبث عشرين سنة لا يصلي إلا خلف الإمام في الصف الأول فلا تفوته تكبيرة الإحرام، وله عادات مستحسنة: فكان يفطر الصوام في شهر رمضان، ويطعم المعتكفين في العشر الأواخر منه، وقد يضحي بسبع ضحايا لنفسه وأقربائه، وكان مكرماً لأنجاله وأحسن تربيتهم وقدمهم لتعلم القرآن والسنة، وإذا رأى منهم مجتهداً فرغ باله وقد كفاهم مؤونة الدنيا، وزوج البالغين، وقام بحجهم فجزاه الله خيراً، وكان له ذوق في شراء الكتب الدينية وتقديمها لهم ويطالع، وكان مولعاً بتلاوة القرآن ويحب الصوت الحسن وقد يجعل جائزة لمن حفظ من أبنائه القرآن عن ظهر قلب، ويحب الشعر النبطي، ويلهج بالحكمة، وكانت وفاته في آخر رمضان من هذه السنة وخلف أبناء صالحين، فمنهم: الشيخ عبدالمحسن وسيأتي ذكر ترجمته، وأما الشيخ عبدالرحمن فقد توفى قبله ومرَّ شيء من ترجمته، ومنهم المؤرخ وغيرهم، وتوفى قبله عبدالعزيز، وكان له خمس بنات، مات عن أربع منهن، وغالب ذريته كانوا صالحين.

وممن توفى فيها من الأعيان: سادن الكعبة «عبدالقادر الشيبي»[1] وهذه ترجمته:

---

(١) الشيبي نسبةً إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب: شيبة بن عثمان بن عبدالدار بن قصي القرشي العبدري الحجبي المكي يكنى أبا عثمان وقيل أبا صفية، وأبوه عثمان بن أبي طلحة يعرف بالأوقص، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم أحد كافراً، أسلم شيبة بن عثمان يوم فتح مكة وشهد حنيناً وقيل أسلم بحنين ودفع رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وقال: خذها خالدة تالدة إلى يوم القيامة يا بني أبي طلحة لا يأخذها منكم إلا ظالم، قال ابن عبدالبر: شيبة هذا هو جد بني شيبة حجبة الكعبة إلى اليوم دون سائر الناس أجمعين وهو أبو صفية بنت شيبة توفى في آخر خلافة معاوية سنة ٥٩هـ وقيل بل توفى في أيام يزيد.

هو الشيخ عبدالقادر بن علي بن محمد الشيبي، ولد سنة ١٢٧١هـ وتولى سدانة الكعبة سنة ١٣٣٥هـ كان شهماً هماماً وديعاً سموحاً له إقبال على الناس، محباً للخير وجيهاً، وقد باشر عدة وظائف منها: رئاسة مجلس الشيوخ في عهد الملك الشريف الحسين بن علي، وترأس عدة مجالس في حكومة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وكانت له منزلةٌ عالية لدى الملك، ومكث رئيساً للسدنة ست عشرة سنة إلى أن توفى في اليوم العاشر من شهر رمضان في هذه السنة، وكانت وفاته بمكة المكرمة وعمره ثمانون سنة، ثم تولى بعده السدانة محمد بن محمد صالح بن أحمد بن محمد بن زين العابدين الشيبي، وذلك من الغد، والمترجم هو الذي سلَّ على عنقه سيف الإخوان البدو في واقعة الطائف.

وفيها وفاة شاعر النيل أحمد شوقي، كان من أشعر الشعراء في زمانه، وله ديوان شعر.

وفيها وفاة الدويش، وهو فيصل بن سلطان الدويش الشهم البطل الغاشم، كان في بادئ أمره من قواد الجيوش السعودية، وكان لا يهاب الموت ويلقي بإخوانه المهاجرين إلى التهلكة.

وكان صاحب الجلالة يسيره للغزوات، وقد يسير هو من تلقاء نفسه، نازل سالم بن صباح في واقعة الجهراء وشوهد منه إقدام غير أنه انخدع له، وكذلك أيضاً لما نازل محمد بن طلال في فتح حائل شوهد منه جراءة وشجاعة كسر لأجلها جيش ابن طلال غير أنه انخدع له أيضاً، ولكنه كثير التقلب، شديد الإعجاب بنفسه مع ما فيه من الغشمة والنفاق، غره غلو أهله وقومه فيه لأنهم يرونه «المنجنيق» الذي يبيد الأعداء ويفرق الجموع، ولقد رعب بشراسته وفتكه أهل العراق والكويت، وآخر ذلك ثار على الحكومة فأحاط الله به وصرعه بغيه، فالتجأ إلى أبي حنيك في العراق بعدما خذله الله تعالى، وبعدما أكد ابن سعود على بريطانيا أن تحضره بين يديه أو تسمح له بمطارته، رأت أنه لا بد من ذلك فخدعوه وأخذوه في طائرة ليبعثوا به إلى لندن فيأمن من ابن سعود، وبينما يتطلع إلى لندن إذا به أمام مخيم ابن سعود، فاعتقل في سجن الرياض إلى أن توفى في هذه السنة بعد ثلاث سنين قضاها في السجن.

ووالله إنه لما يذيب حبة القلب أن يجد المؤرخ نفسه مضطراً بعامل الإخلاص للتاريخ الذي يوجب على الكاتب أن يسوق الحقائق في ثوبها عاريةً من الكذب فيذكر للقارئ ذلك، والله المستعان.

المملكة العربية السعودية على أثر حادثة ابن رفادة وما صنعه المغرضون

رأى أهل الحجاز أن يقدموا طلباً إلى صاحب الجلالة أن يحول اسم ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها إلى توحيد الكلمة، وأن يحول اسم المملكة الحجازية النجدية إلى اسم المملكة العربية السعودية، وطارت البرقيات من كبراء البلاد ومن أفراد الأمة ومن البلدان والقرى والحضر والبوادي إلى الملك العظيم فأجابهم إلى ما طلبوا، وأصدر مرسوماً ملكياً برقم ٢٧١٦ أمر فيه بتحويل اسم المملكة القديم إلى هذا الاسم الرائع القوي ابتداءً من يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١هـ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩٣٢م، وكان إصدار الأمر قبل الابتداء بأربعة أيام، وما كاد هذا النبأ يصل إلى الأمة حتى استعدت لإقامة مهرجانات استقبالاً ليوم الخميس تعبّر فيه عن سرورها بهذا اليوم التاريخي المجيد الذي نالت فيه رغبتها، وظهرت بمظهر الوحدة أمام الأمم الأخرى، وخطب الخطباء، وكتب الكاتبون، ونظم الشعراء حتى انطلقت المملكة تصيح بالهتاف والتكبير والتصفيق، وتكلم صاحب السمو الملكي الأمير فيصل في صدر المهرجان بكلمة قال فيها:

لا أستطيع أن أعبر لكم عما يخالجني من السرور في هذا اليوم الذي منَّ الله به على هذه الأمة العربية المسلمة بتوحيدها ضمن مملكة واحدة، إن جلالة الملك يشكركم على هذه الغيرة التي أبديتموها والإخلاص الذي أظهرتموه، وقد تفضل جلالة مولاي نزولاً على رأي الأمة فأصدر أمره الكريم بالموافقة على رغباتكم، ثم إنها أطلقت المدافع واختالت البلاد في أجمل الحلي ابتهاجاً بيوم الوحدة، وختمت الحفلات بخطاب ألقاه الأمير سعود بن عبدالعزيز في شدة الفرح بهذا الاتحاد.

الاعتداء على الحجر الأسود

ففيها في آخر محرم جاء رجل فارسي من بلاد الأفغان فاقتلع قطعة من الحجر الأسود، وسرق أيضاً قطعة من ستارة الكعبة، وقطعة فضة من مدرج الكعبة الذي بين بئر زمزم وباب بني شيبة.

وصفة أخذه لقطعة الحجر، أنه لما أكب عليه ليقبله أخرج من جيبه بارية من المغناطيس فقطع به منه فشعر به حرس المسجد وألقوا القبض عليه، ثم قتل شر قتلة والعياذ بالله، ولما كان في ٢٨ من ربيع الثاني حضر جلالة الملك عبدالعزيز من مصيفه الطائف قبل توجهه إلى الرياض فدخل المسجد الحرام وحضر معه رئيس هيئة القضاء الشرعي عبدالله بن حسن، وحضر أيضاً عبدالله بن عبدالقادر نيابةً عن أبيه قبل وفاته، وحضر بعض الأعيان، ثم أحضر مدير الشرطة العام مهدي بك تلك القطعة الذي اقتلعها ذلك الفارسي الخاسر، وأحضر المسك والعنبر مركباً كيماوياً عمله الأخصائيون، فوضع ذلك المركب موضع القطعة ثم أخذها جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود بيده ووضعها في محلها تيمناً وأثبتها الأخصائيون إثباتاً محكماً.

وفيها في رمضان نزل غيث عظيم وهطلت أمطار غزيرة، فسالت الأودية منها سيلاً عظيماً، ومن أعظمها سيلا وادي بني حنيفة فإنه جرى جرياً لم ير مثله في أزمتنا هذه ولا قريب منها بحيث فاض يميناً وشمالاً حتى دخل بلد السلمية ليلاً لأربع عشر خلت من رمضان، فانزعج أهلها وهربوا خوفاً على أنفسهم، وتلف به أموال كثيرة ومواشٍ، وغرق به سبع نسوة وشيخ كبير.

وقد قال الشاب الشيخ محمد بن عبدالعزيز آل هليل قصيدة في هذا الموضوع يرثي بها أولئك الغرقى الذين ذهبوا ضحيةً لذلك:

كلٌ يزول وكلٌ هالك فان ... إلا الإله وما لله من ثان

قضى وقدر تقديراً فأتقنه ... سبحانه هو ذو عزٍ وسلطان

أقــول للركــب لـمــا ســيروا نجبــاً ... عيســاً عتاقــاً مراســيلاً كظلمـــان
حثوا الركائب كـي تطـوى لأحـزان ... نحــو الــبلاد الــتي تسـقى بفــرزان
بعد الوصـول قفـوا نبكـي بهـا زمنـاً ... نبكــي بــدمعٍ مــن العيــنين هتــان
أيــن الــبلاد الــتي شـيدت مسـاكنه ... أيـن القصــور الـتي قامـت بعمـران
تلــك الــبلاد بــأمر الله فرقهـــا ... وادي حنيفــة جــاء لــيلاً بطوفــان
والناس في غفلـةٍ بالليـل قـد هجعـوا ... فصــاح صــائحهم بصــوت يقظــان
دعــوا الـبلاد ولا تبقـوا بهـا أحـداً ... إن السـيول أتـت تجـري بصـوان(1)
فالكـل قـام وذاك الخطـب أزعجهـم ... وســار أجمعهــم شــتى لكثبــان
ومــات مــن غــرق ســت وواحــدةً ... من النساء ومـن يـدعى ابـن عمـران
وأصبحت بمـرور السيل قـد خفيـت ... تلـك الـبلاد ومـا أمسـت لسـكان
كأنهــا قــط لم تســكن مســاكنها ... كأنهــا قــط لم يــبن بهــا بــان
تــالله إن بــذا أخــي لمعتــبراً ... للعــاقلين ومــن ليســوا بعميــان
يا من أصيبوا بهـدم الـدار مـع غـرقٍ ... صــبراً بمــا قــدر الــرحمن إخـواني
هــذا القضــاء قضــاه الله في أزلٍ ... قبــل الخلائــق تقــديراً بإتقــان
فارضــوا بمـا قـدر الجبـار واحتسـبوا ... إن الرضــى بالقضــاء حـق لــديان
وبــادروا بثنــاء الله وارتجعـــوا ... عنـد المصــائب في ســرٍ وإعــلان
لا تأسفن على مـا فـات مـن عـرضٍ ... فــالرب يخلفــه فضــلاً بإحســان
هــذي الحيــاة وربـي صـفوها كـدر ... لا بــد زائلــةً عــن كــل إنســان
يشقى اللبيـب بهـا ويمسـي ذا عطـبٍ ... تبــاً لهــا دار أكــدارٍ وأحــزان
إن المصـاب الـذي يـأتي بـلا عمـل ... يــوم المعــاد ومــن يجـزى بحرمـان
وما أصـاب جميـع النـاس مـن ضـررٍ ... إلا بظلمهمـــوا وشـــؤم عصـــيان

---

(1) الصوان: الحجر، أي لقوة السيل حملا الحجارة.

نستغفر الله قد بانت جراءتنا | على الإله ولم نسخط لشيطان
نحن المسيئون نحن التابعون هوى | نحن الأولى خلطوا ذنباً بطغيان
ونحن في غفلةٍ عما أريد بنا | والكل في سكرةٍ ويحا لسكران
ولم نراقب إله العرش في عملٍ | وذا وربك منا ضعف إيمان
والله نسأله يمحو معائبنا | والله نسأله لطفاً بغفران
وصل ربي على أزكى الورى شرفاً | خير البرايا وداعيهم ببرهان
والصحب والآل ثم التابعين لهم | ما غرد الطير فوق الدوح والبان

ثم دخلت سنة ١٣٥٢هـ

استهلت هذه السنة والعلاقات قد توترت بين المملكة السعودية وبين اليمن، وإذا أمعنا النظر وجدنا يحيى منشأ الخلاف.

هذا وقد كان ملوك الإسلام والعرب على ممالكهم، فكان على مصر وأعمالها الملك فؤاد الأول بن إسماعيل الخديوي، وعلى تركيا الغازي مصطفى كمال، وعلى العراق الملك فيصل بن الحسين، وعلى الكويت شيخها أحمد الجابر بن صباح، وعلى البحرين شيخها أحمد بن عيسى بن خليفة، وعلى جمهورية سوريا الأمير محمد العابد، وعلى شرقي الأردن الأمير عبدالله بن الحسين، وعلى نجد والحجاز والإحساء صاحب الجلالة وصقر الجزيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ولما أن كان في ٩ محرم منها بعث جلالة الملك برقية إلى الإمام يحيى في شأن وفده وهذا نصها:

أدام الله بقاء الأخ، فقد سبق أن أخبرناه باستعدادنا بإرسال المندوبين إلى ناديه، والآن رأينا أن أحسن من ننتدبهم لهذا الغرض، ولهم إلمام بالحالة بين البلدين هم خالد أبو الوليد، وحمد السليمان، وتركي بن ماضي، وهم الآن مستعدون للسفر من جيزان عند ورود جواب الأخ، ونرجوا أن يكون وصولهم إليكم عن طريق الحديدة بالسيارات، ولا شك أنهم سيلقون من سيادة الأخ كل ما يسهل طريق

وصولهم إليكم، ونحن مع انتظار الجواب، فما جاء لها من جواب حتى ٢٥ محرم، فأرسل صاحب الجلالة السعودية هذه البرقية التالية في ٢٥ محرم:

أخبرناكم بتاريخ ٩ الجاري باستعداد مندوبينا للتوجه لطرفكم وانتظرنا جواب سيادتكم، والآن لم نتلق ذلك، والحقيقة أن لا فائدة من التأخير، حيث أن مندوبينا المذكورين لهم أعمال بطرفنا كثيرة والمدة التي يمضونها بعيدين عن أعمالهم تضر بها، فإذا ترون سيادتكم قدومهم الآن لحضرتكم فهم مستعدون كما أخبرناكم، فإذا ترون تأخير قدومهم فلا بأس فبأي وقت تشاءون قدومهم مستعدون، نرجوا الجواب، ثم جاء الجواب من يحيى في ٢٦ منه:

سبحان الله كيف يكون منا تأخير جوابنا لأخينا العزيز أو إهمال له إذاً فلا رفعت سوطي إلى يدي، وإنا أجبناكم بتاريخ ١١ الجاري بما لفظه:

مرحباً بوفدكم المكرم وآداب مروره على الحديدة لا يجد منا إلا الإكرام فكونوا مطمئنين ولكم الفضل بإرخاء العنان لهم ودمتم والسلام: وما كان يحسن من الأخ السكوت وظن الإهمال، بل كان يلزم إعادة برقية على جهة السؤال أنه سبق من حضرتكم إلينا برقية لم يصل جوابنا لنسرع بالإفادة، وأنه حدث معنا في هذا الشهر عارض شق بنا جداً، وقد منَّ الله تعالى بزواله ولله الحمد على كل حال، وقد أمرنا الآن بالتعقيب الشديد بعد مأموري البرق حتى نعرف من أين كان التأخر والسلام، فأجابه جلالة الملك بما نصه:

نشكر حضرة الأخ العزيز على ما أبداه من مكارم الأخلاق التي هو أهله، وظن أخيكم في تأخيركم الجواب فإنه لم يشكل علينا، وإنما رأينا الوقت طال فاغتنمنا الفرصة لسؤالكم عنه، وأما إجابتكم بتاريخ ١١ فإنها لم تصلنا أبداً وتحققنا من مراكزنا اللاسلكية فعلمنا أنه لم يصلها منكم شيء إلا في ١ أو ٢٩ ذي الحجة، أما ترحيبكم بالوفد فهذا من سجاياكم الكريمة، ونرجوا الله تعالى أن يتم ما يكون به راحةً للإسلام والمسلمين عموماً، ولكم ولنا خصوصاً، وأما المانع الذي شق بكم فنرجوا الله أن يزيل عنكم كل مكروه، وقد أسفنا لسماعنا ذلك الخبر، ونسأل الله أن يصحبكم السلامة والعافية.

أما من جهة إرخاء العنان لمندوبينا فمعلوم لدى الأخ أننا ما أرسلناهم إلا وثوقاً بالله ثم بهم، وهم بأنفسهم حريصون على إصلاح ذات البين وتقريب ما بيننا، ونحن أطلعناهم على الذي جرى وتقرر بيننا وبينكم في السابق واللاحق، وحرصنا على حسن التفاهم، وإن شاء الله ترون منهم ما يسركم ونسمع ما يسر الجميع عن حصول الاتفاق ودوام الصلات الطيبة، وقد أمرناهم بأن يتهيئوا للسفر، وعند مسيرهم سنخبر حضرة الأخ، كما أنهم سيخبرون مأموريكم لا عدمنا بقائكم.

هذا جواب ابن سعود ونحن نجزم بصدقه ووفائه وحرصه على السلم، كما نجزم بأن خصمه بضد ذلك.

فلما كان في ١٧ ربيع الأول من هذه السنة جلس الوفد في صنعاء وذلك يوم الاثنين، وقد تألف الوفد العربي السعودي من خالد أبي الوليد وحمد السليمان، وتركي بن ماضي، وتألف الوفد اليماني من القاضي عبدالله العمري، والقاضي عبدالكريم المطهر، فانعقدت الجلسة الأولى وحصل السؤال والجواب والمحاورة الطويلة على جهة البسط، وحصلت الجلسة الثانية في يوم الأربعاء ١٩ ربيع الأول، وطال النزاع والكلام، ثم حصلت الجلسة الثالثة في يوم الاثنين الموافق ٢٤ منه، وطال النزاع عن غير شيء، وما تلخص من هذه المفاوضات إلا أن آل أمرها إلى الفشل، ثم جعل الوفد العربي السعودي يتراجع الكلام مع الإمام يحيى حتى ملّ وفد ابن سعود، ورفع حمد السليمان لما انتهى الأمر برقية جفرية إلى مكة المكرمة عدد ٥٩ تاريخ ١٣٥٢/٤/١٤هـ، الأخ عبدالله السليمان سيدي نرجوكم أن ترفعوا لجلالة الملك بأنهم منعوا سحب برقياتنا إلى جلالته، وقد منعونا عن السفر ولا نعرف قصدهم نحونا، لكن نيتهم رديئة أردنا تعريفك مختراً لئلا يشتبهوا، ثم بعث جلالة الملك برقية رأساً إلى يحيى بتاريخ ١١ ربيع الثاني فيها استفصال وبعض معاتبة على طريق الرأفة واللين من جهة منع برقيات وفده، مع أنه ليس عليهم جناية، فتكون الإهانة لأعضاء الوفد وعدم مراجعتهم شيئاً عجيباً وختمها بقوله: لم

يبق للسكوت مجال، فاقتضى أن نعرف حقيقة مقاصدكم التي نرجو أن تكون حسنة وفيها عز الإسلام والمسلمين.

والثاني: استنقاذ الوفد الذي ليس لإهانته موجب، ولا لانقطاع أخباره موجب أيضاً عافاكم الله، فجاء الجواب من الإمام يحيى بما معناه:

إن عذره هو المرض الذي بلغ به الغاية، وقد منَّ الله بالعافية وبقي بقية يسأل الله زوالها، ثم ذكر أنه عند اشتداد المرض كان عبدالله العمري قد طلب حكماء من حكومة مصر، ومن حكومة العراق، فوصلوا وقد كان منهم البحث وشرعوا بالمعالجة لزوال العلة والله هو الشافي، ثم أجاب عن تأخر تلغرافات وفدكم إلى حضرتكم فذلك واقع كان قد رفع إلينا الوفد، وكان منا سؤال القاضي عبدالله العمري فأفاد: أن طائر هواء الحديدة غير صالح، وإنه قد أرسل من يصلحه وذلك صحيحاً، ثم قال في آخر كلامه:

أما منع التلغراف إليكم فهذا لا يكون قطعياً وقد توجه الوفد إلى حضرتكم أمس الخميس وحررنا إلى حضرتكم ما سترونه إن شاء الله، وقد كتبنا الآن إلى الحديدة ليكون عرض طائر هواء الحديدة على الوفد ليعرفوا الحقيقة، وكونوا من صداقتنا على يقين لا يتزلزل ما دمنا على قيد الحياة، فليس بيننا وبين حضرتكم إلا كل جميل ولله الحمد والمنة والسلام عليكم.

نعم إنه قد مرض يحيى وبعث إليه فؤاد ملك مصر طبيبين من أطباء الحكومة المصرية، فسارا إلى صنعاء وقاما على الوجه الأكمل، فأجابه جلالة الملك عبدالعزيز بهذا الجواب عن برقيته المتقدمة:

أخي برقيتكم وصلت وسرنا صحتكم، الحقيقة والله المطلع أن مرضكم مرض لنا لأننا نحب كل شخص من العرب يهمه أمر الإسلام والعرب، أما اعتذاركم من قبل برقيات الوفد فمقبول، وكما قيل «وكل ما يفعل المحبوب محبوب» والوفد خدامكم، والأخ أخوكم، والمصلحة عائدة للجميع، ثم تكلم بكلام لطيف في استجلاب الصداقة والمودة إلى أن قال:

وأخوكم يعطيكم أمان الله على ذلك ما زال الأمر ما يحوج للدفاع عن النفس والشرف، ثم ختم الجواب بما ابتدأ به.

ولما سار الوفد السعودي راجعاً من صنعاء في يوم الخميس الموافق حادي عشر ربيع الثاني عن تشديد منه على الإمام يحيى في طلب الأذن بالعودة لما لم يمكن للوصول إلى نتيجة مرضية للجانبين، ووصل الوفد إلى جيزان كتب الإمام يحيى إلى جلالة الملك بما حاصله أن قال:

وآخر ما كان عليه بيننا وبين الوفد المكرم في شأن الأراضي التهامية والعسيرية أن يكون إبقاؤهما على ما هي عليه الآن، وفي مسألة قتلى تنومة أن يكون تأخير الخوض فيها للمراجعة بيننا وبين حضرتكم، وفي شأن الإدريسي جعلناه بوجهنا وذمتنا أن لا نساعده على شقاق ولا نرضى له، فإن حدث منه حادث فيدنا مع يدكم عليه، ولا نراه يحدث نفسه بشقاق فقد عرف قدر نفسه وقدر أصحابه وأعوانه، وهو الآن منقطع بنفسه لا يخوض في شيء ويشكو لقلة المخصص له من حضرتكم فبالله تفضلوا بزيادة ألف ريال شهرياً له، ولعبدالوهاب وعائلاتهم وحاشيتهم فهم ذوو تكاليف ويعتادون كثرة الإنفاق فتفضلوا بتلك الزيادة ولكم الفضل، أما مسألة يام ونجران يا حضرة الملك عافاكم الله فأنتم تعلمون أنهم جزء من اليمن ما له مفصل بل هم مصاصة قبائل اليمن، وأطال بما لا فائدة فيه، فبعث إليه ابن سعود بهذا الجواب في ١٦ ربيع الثاني من هذه السنة:

أخي تقدم إليكم قبل هذا برقية عرفناكم فيها أن بوصول الوفد إلى جيزان وإخبارهم لنا بمضمون كتابكم نراجعكم بشأنه، ثم قال بعد ذلك:

أخي تفهمون أن الملك لله ليس لأحد، وإن الأمور ليست بالوراثة ولو دامت لغيرك ما اتصلت إليك، إلى أن قال:

أخي تعلمون أننا ما نعذر من جهة الله ولا من جهة الأمانة التي برقابنا، ولا من قبل الصداقة التي بيننا وبينكم حتى نقوم بالواجب، فإما أن ندرك المطلوب أو نعذر، وتعلمون أن شرفنا وشرفكم وديننا ما يسعنا إزائهم إلا القيام باللازم على

أمر واضح وبرهان بيّن، أرسلنا وفدنا وأعطيناه التعليمات اللازمة وحصل أمران أحزننا أحدهما وآسفنا الآخر، أما ما أحزننا فهو اختلاف صحتكم نسأل الله العافية لنا ولكم، وأما الذي آسفنا فهو التأخر من عدم الاتفاق، والآن فإن البنيان الذي على غير أساس ولا ثقة ما يصلح لديننا وشرفنا، لا منا ولا منكم، ثم أطنب وأطال في ذكر الأمور التي بها صلاح الطرفين وأفصح عما في ضميره من حبه للائتلاف وبغضه للاختلاف إلى أن قال:

وإني أعاهد الله أن لا أتعدى الخطة التي تسيرون عليها، وإن أعاملكم بالمعاملة التي تعاملونا بها، وإني لا أبدأكم بشر إلا أن يكون دفاع عن الدين والشرف، وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم للخير.

ثم بعد ذلك تبودلت البرقيات، جاء من يحيى اثنتان وأجاب عليها ابن سعود بخمس وكلها تتعلق في شأن الحدود والرغبة في تسكين الثوائر، واستمرت الحال هائجة مائجة، وسنعود إلى ذلك عن قريب، ونسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويظهر الهدى ودين الحق على الدين كله.

وبذلك نختم المجلد الثالث من تاريخنا على يد مؤلفه أثابه الله وسدد أقواله وأفعاله، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

آخر المجلد الثالث ويليه إن شاء الله المجلد الرابع وأوله بيعة ولي العهد سعود

فهرس الموضوعات

تذكرة أولي النهى والعرفان

بأيام الله الواحد الديان

وذكر حوادث الزمان

تأليف

فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن

"من علماء أهل القصيم"

الجزء الرابع

مكتبة الرشد

ناشرون

ح مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./ إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. ـ الرياض، ١٤٢٧هـ

٣٩٢ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٦-٦٢٢-٠١-٩٩٦٠ (ج ٤)

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم أ- العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٢٧/٤٧٩٢

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٦-٦٢٢-٠١-٩٩٦٠ (ج ٤)

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



مكتبة الرشد ـ ناشرون

المملكة العربية السعودية ـ الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ـ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ـ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

★ الرياض: فرع طريق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ ـ فاكس: ٢٠٥٢٣٠١

★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ ـ فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦

★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ ـ فاكس: ٨٣٨٣٤٢٧

★ فرع جدة: ميدان الطائرة: هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ ـ فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤

★ فرع القصيم: بريدة ـ طريق المدينة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ ـ فاكس: ٣٢٤١٣٥٨

★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧

★ فرع الدمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ ـ فاكس: ٨٤١٨٤٧٣

★ فرع حائل: هاتف: ٥٣٢٢٢٤٦ ـ فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالخارج

★ القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ ـ موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣

★ بيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ ـ موبايل: ٠٣/٥٥٤٣٥٣ ـ فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

ذكر بيعة ولي العهد سعود بن عبدالعزيز سنة ١٣٥٢هـ

لما رأى بعض أقطاب الحكومة السعودية أن الأفضل لمصلحة حكومتهم أخذ البيعة بولاية العهد للأمير سعود أكبر أنجال جلالة الملك ونائبه في الرياض، دفعاً للقيل والقال، وحذراً من أن يكون مجال للعبث والفساد والتناحر من أجل العرش، فكروا في هذه الخطوة العائدة بسبيل السلام والأمن وتثبيت قواعد الحكم، وقد لاقت هذه الفكرة قبولاً وارتياحاً، فأقرها مجلس الشورى للحكومة، ورفعها إلى عتبة صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن، فأقرها وكان هذا عن مجلس الوكلاء والشورى ورئاسة القضاء والمحاكم؛ وكان قرارها التاريخي في يوم الخميس الموافق ١٦ محرم من هذه السنة ١١ مايو ١٩٣٣م، وهذا نصها:

لما كان حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود، النجل الأكبر لحضرة صاحب الجلالة قد تحلى بكافة الأوصاف الشرعية الواجب توفرها فيمن يخلف ولي الأمر أمدَّ الله في عمره، وقد اشتهرت عدالته وصفاته الممتازة بين الجميع، فإننا عملاً بالمأثور من المبايعات نبايعه ولياً لعهد المملكة العربية السعودية، ونبايعه على السمع والطاعة على كتاب الله وسنة رسوله، ونسأل الله له الهداية والتوفيق، ونضرع إليه تعالى أن يمد في عمره وعمر والده الملك العادل الموفق خلد الله ملكه، وقد أخذنا هذه البيعة على أنفسنا لسموه وعلقناها بأعناقنا، ونشهد الله على ذلك وهو خير الشاهدين.

وقد وقّع عليها رئيس مجلس الوكلاء؛ ومجلس الشورى، وقاضي القضاة، وأعضاء مجلس الوكلاء؛ ومجلس الشورى، ولما اجتمعت الكلمة وأجمعت الحكومة علي بيعة سعود بعث إليهم الأنباء يقول فيها أني أتقدم إلى شعب مملكتنا العربية السعودية بالشكر لها لاجتماع كلمتها على مبايعتي بولاية العهد، وإني أعاهد الله

على أنني سأقوم بما أوجبه علي من العدل والنصح لهم ولولايتهم ظاهراً وباطناً، وأقيمت الحفلات في مدن المملكة العربية السعودية إعلاناً للبيعة، وأطاروا برقيات بذلك إلى الملك وإلى ولي عهده، وابتهجت البلاد ابتهاجاً بهذا الحدث المجيد الذي أثبت الأمن في الحاضر والمستقبل، وقطع كل ما كان يخشى وقوعه في المستقبل.

مواعظ جلالة الملك لابنه سعود ولي عهده

لما تمت البيعة لسعود أرسل جلالة الملك إليه هذه البرقية الآتية:

الرياض ـ الابن سعود: لقد احطت علماً بما ذكرت؛ أما من قبل ولاية العهد فأرجو من الله أن يوفقك للخير؛ تفهم أننا نحن والناس جميعاً ما نعز أحداً ولا نذل احداً، وإنما المعز والمذل هو الله سبحانه وتعالى؛ ومن التجأ أليه نجا، ومن اعتز بغيره عياذاً بالله وقع وهلك، موقفك اليوم غير موقفك بالأمس، ينبغي أن تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

أولاً: نية صالحة، وعزم على أن تكون حياتك وأن يكون دينك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله، وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك؛ تعبد إلى الله في الرخاء تجده في الشدة، وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر، وصدق في العزيمة، ولا يصلح مع الله سبحانه وتعالى إلى الصدق والعمل الخفي الذي بين المرء وربه.

ثانياً: عليك أن تجدّ وتجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سراً وعلانية، والعدل في المحب والمبغض، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً؛ وينبغي أن لا تأخذك في الله لومة لائم.

ثالثاً: عليك أن تنظر في أمور المسلمين عامة، وفي أمر أسرتك خاصة، اجعل كبيرهم والداً ومتوسطهم أخاً وصغيرهم ولداً، وهن نفسك لرضاهم، وامح زلتهم، وأقل عثرته، وانصح لهم، واقض لوازمهم بقدر إمكانك، فإذا فهمت وصيتي هذه ولازمت الصدق والإخلاص في العمل فابشر بالخير.

أوصيك بعلماء المسلمين خيراً، احرص على توقيرهم ومجالستهم وأخذ نصائحهم، واحرص على تعلم العلم لأن الناس ليسو بشيء إلا بالله ثم بالعلم ومعرفة العقيدة، احفظ الله يحفظك، هذه مقدمة نصيحتي إليك والباقي يصلك إن شاء الله في غير هذا، سيبايعك الناس في الحجاز يوم الاثنين، وسيقبل البيعة عنك أخوك فيصل، وسيصل إليك هو وأفراد الأسرة لتبليغك بيعة أهل الحجاز، وليبايعوك عن أنفسهم، وأرجو من الله أن يوفقك للخير.

الإمضاء عبدالعزيز

فأجابه سعود بهذه البرقية:

جلالة مولاي الملك المعظم أيده الله: جواباً على برقية مولاي عدد ٢٧٥ المؤرخة ١٨ منه، فإن جميع ما ذكره مولاي لخادمه هو عين الصواب، وإنه لا قوام لديننا ودنيانا إلا بالله ثم به، من اتبعه نجا بنفسه ونجا من ولاه الله عليه، وإنني إن شاء الله سأجتهد وأعتمد ما ذكره مولاي من النصائح الدينية والدنيوية، وأرجو إن كان الله يعلم مني ذلك أن يوفقني لرضاه ثم لرضا جلالتكم، وأن يوفقني لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين وولايتهم، وإن كان يعلم مني ضد ذلك فأسأله تعالى أن يكفي المسلمين شرّي، وأن يرد كيدي وكيد كل كائد على المسلمين إلى نحره، وسأبذل الاجتهاد إن شاء الله في سبيل كلمة التوحيد وتقويم الشريعة المحمدية، والنصح للإسلام والمسلمين ظاهراً وباطناً، والنصح لولايتهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة ذلك على كائن من كان، أرجو من الله أن يعيننا على ذلك ويمنحنا التوفيق والسداد، إن النية التي ينطوي عليها خادمكم إن شاء الله هي:

أولاً: إعلاء شأن كلمة التوحيد، وتأييد الشريعة الإسلامية، والنصح لولاية المسلمين، وإنزال الناس منازلهم خصوصاً أسرتنا كبيرهم وصغيرهم، كما تفضل به مولاي، كبيرهم أب وأوسطهم أخ وصغيرهم ولد، والعدل بين الرعية، وإني أعاهد الله على ذلك، وإني ما ألبس ثوب عافية دونها، وسأكون إن شاء

الله مقيلاً لعثرتهم، حليماً على جاهلهم، وهذا إن شاء الله هو العمدة في الدين والدنيا.

ثانياً: سأتخذ الصدق إن شاء الله والإخلاص والجدّ في العمل، وسأوقّر علماء المسلمين وأجالسهم وآخذ نصائحهم وأحضهم على تعلم العلم والتعليم، هذه العقيدة والتوفيق بيد الله تعالى.

ثالثاً: إن ما ذكره مولاي عن موقفي أمس وموقفي اليوم وإن الأمر لا يصلح إلا بالعمل الصالح والخالص لوجه الله، وعبادة الله وحده، والتضرع إليه في الخلوات، والالتجاء إليه وحده فهذا الذي فيه النجاة، إلى أن قال: وإني لا علم بأن الله لم يظهركم إلا بسبب كلمة التوحيد والعقيدة الصالحة التي بين الإنسان وربه، وأرجو من الله أن يوفقنا لذلك، وإن شاء الله إن صلاحك سيصلحنا، وإن نيتك الطيبة إن شاء الله تعمنا، والأمور التي أوصيتني بها أضعها نصب عيني، وسأبذل جهدي إن شاء الله بما يعود منه المصلحة لديننا والتوفيق بيد الله، وأرجو من مولاي الدعاء لخادمه بالبيت الشريف، وأرجو من الله أن يديم لكافة المسلمين بقاءكم، ولا يرينا فيكم ما نكره، والله يا طويل العمر إني يوم قرأت برقيتكم ما قدرت على إتمامها لتردد عبرتي وضيق صدري، والله أسأل أن يطيل عمركم ويجزيكم عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء، أوصيت فأبلغت وستظل وصيتك في قلبي راسخة إن شاء الله ما حييت؛ أرجو أن يمد الله لنا في حياتك، ذكر مولاي أن البيعة تكون يوم الاثنين في الحجاز وأن الأخ فيصل والعائلة سيقدمون إلينا بالبيعة فحياهم الله، والذي يراه مولاي هو المبارك إن شاء الله، وإني أنتظر ما سيتفضل به على مولاي بعد هذا، وأرجو من الله لا يخلينا منك، وأن يمتعنا وجميع المسلمين بحياتك.

الإمضاء الابن سعود

ثم إنه بعث إليه جلالة الملك المعظم بخطاب مفصل ينصحه فيه بتقوى الله، والعمل بمكرم الأخلاق، والسعي بالعرب والمسلمين في طرق الخير والفلاح، وينصحه أيضاً بالحزم في أموره، والعدل في أحكامه، والبر بالعلماء، وحفظ العهود

والمواثيق، والنظر في مصالح المسلمين وولايتهم في السلم والحرب والصلح، والنظر في المعاملة الداخلية والخارجية، وأن يعرف الحكومات وموقفها ونياتها وسياستها، وينصحه بالحذر والتأني في تلقي ما ينقل من الأخبار عن الأفراد والدول، وأخذه بالعقل والأناة، والبعد عن حكم الهوى.

فأجابه صاحب السمو ولي العهد بأنه سامع مطيع، وآخذ بنصائحه الثمينة، ويدعو الله أن يوفقه للعمل الصالح.

ولما انتهت البيعة من مكة التي أخذها بالنيابة عنه أخوه فيصل توجه بوفد الحجاز إلى الرياض، فأقيمت فيها يوم ١٦ محرم ١٣٥٢هـ حفلة إعلان البيعة.

وفي الساعة الثانية عشر من صباح ذلك اليوم اجتمع في القصر الملكي الأمراء آل سعود والمشايخ والعلماء وأقطاب المملكة، وتصدّر هذا الحفل العظيم الأمير محمد بن عبدالرحمن أخو جلالة الملك، وبجانبه الأمير سعود بن عبدالعزيز بن عم الملك وزوج أخته، ثم أمراء آل سعود الأكبر فالأكبر، ثم الأمراء من آل رشيد، وجلس على اليسار المشايخ والعلماء ووفد مجلس الشورى، وتليت برقية الملك وكتابه الملكي اللذان أرسلهما إلى ولي العهد مع وفد البيعة.

ثم وقف الشيخ الكبير محمد بن عبداللطيف آل الشيخ ووعظ الناس وشكر الملك ونصح الأمة باتباع الدين، ثم وقف محمد بن عبدالرحمن، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ألقى كلمة بليغة أثنى فيها على أخيه الملك وامتدح فعاله في السابق واللاحق ودعا له بالتأييد والنصر وطول العمر، ثم عدد خدماته ومآثره التي آخرها هذا العمل المبارك العظيم، وهو إعلان البيعة بولاية العرش للأمير سعود، ورجا أن يكون وراء ذلك الخير كل الخير لـ آل سعود وأهل نجد والمملكة العربية السعودية، ثم مدَّ إخوته عبدالله وسعود وأحمد ومساعد وسعد ثم الأمراء فيصل ومحمد وخالد وآل الشيخ أجمع، وآل الرشيد، وفي مقدمتهم عبدالله بن متعب، وبعد أن تمت المبايعة شكر ولي العهد أصحاب السمو الأمراء وأعمامه وإخوته وأبناء عمومته، وخصَّ أباه الملك بالدعاء وختم خطابه بقوله إنني لا أدخر وسعاً

في خدمة هذه الأمة العربية الإسلامية والسير بها في طريق الفلاح والرشاد على ما كان عليه السلف الصالح، وإني أشكر الشعب الحجازي لما أبداه من الحب والإخلاص والثقة، وأرجو الوفد أن يبلغ عني شكري، ثم دعا له الحاضرون والغائبون بالنصر والتمكين.

ذكر وفاة ملك العراق

لما كان في الساعة الثانية عشرة تزيد خمس دقائق من ليلة الجمعة ١٩ جمادة ١٣٥٢هـ فاضت روحه، وكان في فندق بلغي من برن سويسرا حيث كان يستشفي على أثر نوبة قلبية لم تمهله؛ فلما كان في صباح الغد قصد رئيس الوزراء رشيد عالي الكيلاني وياسين باشا الهاشمي وزير المالية ومعهما وزير الدفاع ووزير المعارف وغيرهم إلى قصر الحريم فقابلوا نجله غازي، وهذه ترجمة الملك المتوفى:

هو فيصل بن الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن أبي نمي بن بركات بن محمد بن بركات بن حسين بن علي بن عجلان بن رشيد بن أبي نمي بن حسن بن علي بن قتادة، أول الأمراء في مكة، بن إدريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى بن حسبن بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد الثائر بن موسى بن عبدالله بن محمد الثائر بن يونس بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، وتقدم ذكر ولادته والتعريف بوالدته، كان فيصل بن الحسين والحق يقال أدهى إخوته وأنبلهم، بل إنه كان أدهى من أبيه وأخيه عبدالله، وكان يمتاز بالبر لأهله والصلة، ولا يزال يعامل شقيقه الملك علياً لما حل عنده ضيفاً في العراق نفس المعاملة التي كان يعامله بها حينما كان في الحجاز، فلا يتقدم عليه، ولما زار والده الحسين في قبرص جلس متأدباً بين يديه، كما كان يجلس وهو فتى، وكان رزيناً منذ صغره واسع الصدر، جم النشاط، طويل القامة منتصبها، حنطي اللون، أشهل

العينين براقهما جذاب الملامح، طويل الوجه، ذا لحية صغيرة، وخطها الشيب، ويغلب عليه التواضع، وتزينه المهابة والوقار، يفضل اللين على الشدة، ويحرص على استمالة خصومه، ويأبى أخذهم بالقسوة، ويميل إلى الصبر، ويحب الأسفار وكثرة الحركة والتجول، أضف إلى ذلك جوداً وكرماً؛ وقد سافر لزيارة أوربا ثماني مرات، وزار أنقرة وحل ضيفاً على الغازي مصطفى كمال، وزار فلسطين ومصر وشرقي الأردن، وكان لما بلغ ست سنين أرسله والده إلى قرية رحاب ليتطبع بطابع البداوة، وينشأ على الكر والفر ويركب الخيل والإبل، فلبث ست سنين ثم بعث إلى مكة، وجيء له بمعلمين، غير أنه لم يطل مقامه فيها بل غادرها إلى الأستانة في رفقة والده بعد إقامته سنتين، ولما تولى والده إمارة مكة عاد إلى الحجاز وظهرت رجولته ومواهبه فأدناه والده وولاه قيادة السرايا، وكان موفقاً وشجاعاً فأحبته العرب، والعرب تحب الشجاعة، وقد مرَّ بقية ترجمته في كتابنا هذا.

ولما توفاه الله تعالى وقابل رجال الدولة المتقدم ذكرهم نجله الأمير غازي وجدوه يذرف منه الدمع سخيناً فعزوه، ثم طلبوا إليه أن يقسم اليمين الدستوري «وهذه اليمين يقسمها الملك أمام مجلس النواب والأعيان للمحافظة على الدستور واستقلال البلاد والإخلاص للوطن» وبعدما أقسمها أعلن رئيس الوزراء تتويجه ملكاً على العراق وأطلقت حينئذ المدافع مائة طلقة وطلقة إيذاناً بجلوس الملك الجديد، ثم أذيع البلاغ الرسمي الآتي:

جرى تحليف سمو ولي العهد في الساعة ١٠ من هذا اليوم ١٩ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ و٨ سبتمبر أيلول ١٩٣٣م، وفقاً للمادة الحادية والعشرين من القانون الأساسي الدستوري، وأصبح متوجاً ملكاً على العراق باسم الملك غازي الأول بن الملك فيصل الأول، وكانت ولادة غازي في مكة المكرمة حينما كان والده يقود حملة أبها لتأديب السيد محمد بن علي الإدريسي في عسير فسمي غازي تيمناً بغزو أبيه.

ذكر الاضطرابات والمشاغبات بين الحكومة اليمنية والحكومة السعودية

لقد كان من المعلوم أن الإمام يحيى له أطماع سولت له ضم مستعمرات ليست له، كما أنه أخطأ في إيوائه الأدارسة، وقد بعث إليه ابن سعود جواباً على برقياته خمس برقيات، قال في الخامسة منها ما نصه:

ذكر الأخ من قبل مسألة الإدريسي يطمننا أنه لا يعمل شيئاً ضدنا، أخي نحن ما اشتكينا عليكم من الإدريسي خوفاً من سنانه وعنانه، وهو بحمد الله وقوته أصغر وأقل من ذلك، وقد أخرجه الله من بلاده وقبائله بغدره وكذبه وذلك بثلاثمائة من جنود المسلمين إلى أن تكاملت جنود المسلمين وأجرى الله ما أجرى، ولكن راجعناكم بشأنه لأن المعاهدة التي بيننا وبينكم تنص نصاً صريحاً على وجوب تسليم الإدريسي وأجناسه، وقد تركنا المطالبة به لأمرين:

الأول: إكراماً لكم وإجلالاً.

والثاني: مخافة أن يقع شقاق بيننا وبينكم، ونرى أن المصلحة واحدة، أما الآن فقد تبين أن بقاءه في ذلك الطرف مشكل، فالعدو يحسب بقاءه في ذلك لمقاصد تحريك الفتن، والصديق يرى أن ذلك ينافي الصداقة بيننا وبينكم، على أن الإدريسي لم يقصر هذه الأيام في حركاته وإفساداته، فقد أرسل لبعض الأوباش من العبادل بعض دراهم وأشاع بينهم أن مندوبه أحمد الأهدل وصل إليكم وأنكم أجبتموه بوصول الأهدل لناديكم، وأن المراجعة تكون بينكم وبينه، وأنكم أجبتموه بتشجيع الناس على الفتنة، وكذلك إذناً به من مثيري الفتنة لم ينقطعوا بين مصوع واللحية والحديدة باسم التجارة، ويتصلون به ثم ينشرون في الصحف ما اطلعتم عليه من أكاذيبه وافتراءاته، فماذا تريدون أن يكون موقفنا إزاء هذا؟ هل نقف ونترك الحبل على الغارب، وهذا غير ممكن، أو نجزم أمرنا، فإذا جزمنا أمرنا فكافينا صاحب الفعل الجميل بجميله، وصاحب الشر بشره، انتقض ما قد اجتهدنا فيه نحن،

وأنتم من حب السكون والعفو، وأنه لا بد أن نجازي كل من يبدي منه أي بادرة شر بنا يجب أن تقتل النفوس وتؤخذ الأموال، فهل يرى الأخ أن هذه طريقة حسنة يؤخذ خاطر الإدريسي لأجله وتقتل النفوس، وأنتم تحضوننا أيضاً على ذلك، ليس من الصواب ولا الإنصاف، وإني لا أكتم الأخ وأعرفه بالصراحة أننا عملنا الحزم والاستعداد للطوارئ في المقاطعة إن شاء الله، وأصدرنا الأوامر أن كل من ظهر منه نقض للعهد بعد العفو أن يعامل كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المائدة:٣٣]، فإن كان الأخ يرى هذا فنحن قد عملناه ويعذرنا فيما نجريه، وإن كان يرى الأخ غير هذا وهو المأمول فيه فيجب إبعاد المفسد حتى يستريح المسلم الذي يحب العافية وييأس صاحب الفساد، وهذا ظننا بالأخ، وهذا ما نرى أن العهد والصداقة التي بيننا تقضي به، وقد أحببنا إعلام الأخ بهذا لنعلم رأيه في قطع دابر المفسد، وأن نكون معذورين عند الله ثم عند خلقه بما نجريه على الجاني.

ولما بلغ ذلك يحيى أجاب بثلاث برقيات يظهر فيها الجميل، وقال في أثناء الثانية منها:

ليس المانع لنا عما أشرتم إليه إلا نفورنا عن تجزئة اليمن، ومثل هذا المانع منذ عشرين سنة لإكمال معاهدة بيننا وبين الحكومة البريطانية لإرادتها تقرير الحدود في تلك الأراضي الجنوبية، ولا نساعد إلى ذلك، ثم قال كلاماً ما معناه أنه يتأخر الخوض في تلك الأراضي الجنوبية، ويتأخر البت وتكون المراجعة في مدة المعاهدة، هذا وقد وافقنا على أن تبقى الحالة بيننا وبين حضرتكم كما هي عليه لأننا غير متربصين أمر غير غلط الجفر..الخ.

ثم إنها ظهرت جيوش الإمام يحيى في نجران وأخذت شكلاً جديداً معيناً من إحراق القرى والاعتداء على الأهالي والتوغل في أطراف البلاد، وإعمال السيف والنار في الأبرياء والآمنين.

وكذلك حدثت مراسلات عديدة من اليمن إلى بعض رجال القبائل في حدود

المملكة العربية السعودية من جهة تهامة وعسير للتحريض على الفتنة، والحض على الالتحاق باليمن، وثبت مع ذلك أيضاً وصول بعض الجواسيس والدعاة إلى بعض القبائل لتحريضها على القيام بأعمال الفساد.

فلما أضرم يحيى نار الفتنة والحركة واندلعت نيرانها تنذر بالشر والويل، عند ذلك أصدر جلالة الملك عبدالعزيز أوامره إلى بعض القوات من جنده بالتوجه إلى الحدود، والمرابطة على مقربة منها، واتخاذ التدابير اللازمة للدفاع عن البلاد عن وقوع مفاجئات أو مباغتات غير منتظرة من وراء الحدود، وعيَّن صاحب الجلالة ابن أخيه فيصل بن سعد بن عبدالرحمن وجعله قائداً عاماً للجند السعودي، وكان قائداً حربياً قوياً وثاباً، واسع الحيلة، بارع القيادة، منصور اللواء، يخوض المعارك والحروب بنفسه، ولا يقنع بالدون، فيري الأعداء بطولته وشجاعته التي تذوب أمامها الشجعان المغاوير، ويهزمون أمام هجماته وصدماته، ولا يطيقون الصبر اتجاه سيفه الذي يفلق الهام ويطيح الرؤوس، وقد أبلى في الحرب اليمانية هذه بلاءً حسناً، وكان تحت قيادته ٧٠٠٠ مقاتل، فعسكر فيصل بن سعد بخميس مشيط، ومكث ستة أشهر، فقام هذا الجيش العرمرم بواجب المحافظة على الحدود، كل هذا لأجل الطمأنينة للرعايا ومنعاً عن اصطدام يقع بين القوات من جهة أخرى، ولما أن وصل الوفد العربي السعودي إلى الرياض قادماً من صنعاء، وهذا في أواخر جمادى الثانية من هذه السنة أذاعوا ما حصل بينهم وبين الإمام يحيى ومندوبيه، وباحوا بما كانوا عليه من الدسائس السيئة والمماطلة القبيحة، وبلغوها على الحقيقة، وكان من كلام الوفد لصاحب الجلالة:

قد رأينا الإمام يحيى غير صافي النية من جهة جلالتكم بصورة غير مأمولة من ملك عربي مسلم نحو بلاد عربية إسلامية مجاورة له، إلى أن قال الوفد: وقد أدهشنا وأيم الحق هذا الشعور العدائي الذي لم نكن نتوقعه من مسلم عربي، وقد عجزنا عن ذلك العداء الكامن بالرغم من أنه من الممكن حمله على محمل العقيدة الزيدية من جهة، والطموح والحسد الشخصي لجلالتكم من جهة أخرى، إن الإمام يحيى

يكرهنا ويخافنا، ولكنه يحترز من محاربتنا ومجابهتنا وجهاً لوجه، وآخر قولهم أن قالوا أنه يعمل على إفساد القبائل والأهالي التابعين لنا، ويستعمل من أجل ذلك الغرض وسائل عديدة، منها بعض اللاجئين إليه من رعايانا، ومنها دعاة المذهب الزيدي الذين لهم صلات مع أشخاص في بلادنا، ثم إذا اعتقد أن الفرصة سانحة أجهز على قطعة من أملاكنا سواء بالحرب أو بالدسائس أو بالتظاهر بتحكيم جلالتكم، كما حصل له في مسألة العرو والمماطلة والمراوغة والتسويف من الوسائل الفعالة التي يلجأ إليها، غير أن غايته القصوى مرتكزة على انتظار فرصة الفتن الداخلية والاشتباك مع أحد الدول للوصول إلى ما يتمناه من أغراض لا حققها الله، فهذا كلام الوفد بحروفه، ولا ريب أنه كلام يثير السواكن ويبعث الهمم إلى الأخذ بالحزم كل الحزم، لا سيما وقد كان في أول الكلام المعذرة حيث قالوا أن جميع مجهوداتنا معه ضاعت سدى، فكنا كمن حاور عجمان أو نادى صخرة صماء، فهل ترى مع هذا الكلام الذي هو أشد وقعاً من السهام على سويداء القلب، أن يحجم ملك عظيم أزعجت هيبته سكن المعمورة عن بث القوات وما لديه لحفظ ملكه، وقمع كل من يريد السوء من شريف أو وضيع.

ذكر ما جرى بعد ذلك

لما اتخذ ابن سعود التدابير ضد حركات الإمام يحيى العدائية فزع يحيى وخاف خوفاً شديداً، وبعث إلى ابن سعود جواباً برقياً في ٢٠ رجب لما سمع بوصول القوات إلى منطقة الحدود، فقال بلغ إلينا تحشيدكم الجنود إلى الحدود ولم نعرف سبباً لذلك، فلم يكن منا غير المحافظة على الصداقة كما أوضحناه لحضرتكم مكرراً، وكل ما يبلغ إليكم مما يخالف ذلك وهو محض الافتراء، فاحذروا الانخداع لمن يريد طمس الإسلام وهلاك الجميع، فلا خير في الشقاق لنا ولكم، والغالب نحن أو أنتم خاسر خاسر والسلام.

ولا ريب أن هذا يعتبر من الإمام يحيى خوفاً من سطوة ابن سعود وما لديه من الفتك والتدمير.

ولم أن جاء هذا الاستفصال من يحيى كان الجواب من ابن سعود أن نعم والباعث لذلك أنه حديث عدة أمر للريبة، فرأينا الواجب يقضي بالاستعداد لها، في كلام طويل، وذكر أنه لا بد من ثلاثة أمور:

الأول: الاعتراف بالحدود، والثاني: إعادة الأدارسة، والثالث: مسألة نجران، فإن تم الاتفاق بيننا وبين حضرتكم فذاك ونتفق بعده المعاهدة وإلا فلا، ثم تراجع الكلام بينهما، وقال ابن سعود في جوابه:

يعلم الأخ أنه لنا عدة سنوات ونحن وهو نتبادل إرسال الرسل لحل المشاكل، ولم تغن الوفود شيئاً، وتعلمون أن المسألة متعلقة بشخصكم وبشخصنا، ولا يمكن أن تحل عاجلاً وآجلاً إلا بما نتفق عليه بيننا بأشخاصنا إن شاء الله، وتطويل الأمر ليس منه أي فائدة بل بالعكس فإن التطويل يزيد في تعقيد الأمور ويزيد في المشاكل، والذي نقترحه ونراه الأصلح، ولا نرى سبيلاً لحل المشكل بدونه، وهو البت في المواد الثلاث التي عرفناكم بها، فلا يستقيم الأمر إلا بذلك، فإن وافق الأخ على ذلك وأعطانا عليه الجواب الذي نثق بالله ثم به، فتقديم الوفد منا أو منكم سهل لتسوية الأحوال في أي مكان يكون، ثم إنها ما زالت المراجعات مستمرة بين الطرفين وكلها برفق ولين، وطلب يحيى من ابن سعود أن يتفضل في منع رؤساء أجناده عن تجاوز الحدود التي فيها محطاتهم وهم فيها، وقال تفضلوا أكدوا على أمير جيزان ليترك التجاوز والتهديد لأهل المخالف، فإنهم غاية من الخوف وهم على وشك النفور، وأطال في الكلام، فأجابه ابن سعود بجواب حسن لائق أكد فيه ثلاثة الأمور المطلوبة منه، وأنه لا يليق إعادة الجنود عن رباطاتهم بعد حشدهم وجميع قواتهم خوفاً من التقلب بعدما يرجعون، وذكر أن جميع رعاياه وأهل أطرافه لا يحبون الفتن، وقال بعد كلام: والحقيقة أنه كما قال رسول الله ﷺ «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها» ثم حصلت مراجعات أقرَّ بها يحيى من كون مسألة الأدارسة والحدود قد انحلتا، فشكره جلالة الملك

وطلب منه أن تنحل الثالثة، وهذا كان في ٢رمضان من هذه السنة، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك.

يحيى يبرم بيد وينقض بالأخرى

بينما يحيى يفاوض ابن سعود في السلم، وأنه تم تحديد الحدود إذا جنوده وسعاته يتقدمون في الجبال ويحتلونها، وهذه أنباء أمراء ابن سعود يراجعونه بما صدر من يحيى، فبعث أمير عسير تهامة حمد الشويعر ببرقية بتاريخ ٢٨ شعبان تنبي بخيانة يحيى، وهذا نصها:

أنتم اتخذتم الإمام يحيى على صلاح، ونحن نكثر عليكم الكلام أول وثاني، وفي هذا اليوم وصلنا رجالنا الذين أرسلناهم للكشف على حالة بني مالك، فوجدوا آل خالد وآل سلمة محاصرين ربعنا، وقد رهنت القبيلتان المذكورتان عند ولد الإمام يحيى عشرة أنفار وأعطاهم عشرة صناديق مؤونة حربية وأوعدهم بعسكر، وهذا محقق.

وأيضاً وردنا كتاب من أمير بني مالك بواسطة أمير فيفاء يؤكد ما ذكر ويطلب منا الفزعة التامة بسرعة، وأنتم منعتمونا عن أدنى حركة، ونحن اعتمدنا أمركم لا فزعنا لربعنا ولا أدخلنا من كان يجيئنا من رعايا الإمام يحيى، أوقفتمونا وخليتم الإمام يلعب بالحدود، وهذا الأمر ما غرنا أخبرناكم يوم فيصل في تربة، ونحن ننخاكم على مسك الحدود لأن الجبال وخيمة، فإذا دخل فيها الشر قعد يحيى كما ذكرنا لكم هذه الحقيقة، واليوم يجب أن تفطنوا للحال إن كانت مراجعة يحيى لكم صحيحة، فهذا أول ما تخابرونه فقد أوقفتنا وأياديه تشتغل بالحرب.

وأيضاً ذكر أمير بني مالك أنه وصل عند السادة التابعين ليحيى المحاددين المفسدين من بني مالك ريثة ولا بينهم وبين الريثة المذكورة سوى رمية البندق، وغرض الإمام يحيى من تحريض الجبال لكي نوقع بهم فيكونون أعداءً لنا من جهة، ومن جهة ثانية يريد أن يشغلنا بهم عن نفسه، فنرجو أمركم لنا بالذي ترونه.

فلما أن ورد هذا الكلام أسماع ابن سعود بعث جوابه من الغد إلى أمير عسير

ما ذكرتم كله صحيح، ونحن ليس لنا مقصد ما إلا كما عرفناكم سابقاً ولاحقاً وهو أننا ما نحب حرب يحيى ولا غيره، وقد كتبنا ليحيى برقية جواب برقيته التي وردتنا اليوم، وكتبنا له برقية بخصوص حادث بني مالك، ولا بد أن القوة التي نزلت من أبها أنها عندكم قريب، ونحن الآن ننتظر برقية يحيى وأنت أعمل الحزم وأخبرنا برأيك في جميع الحالات كلها حتى نكون على بينة وبصيرة.

ثم جاءت برقية من حمد الشويعر أمير عسير أيضاً إلى جلالة الملك في ٢٩ شعبان، وهي هذه تقدم لجلالتكم أمس الماضي ما يكفي عن أخبار بني مالك.

وبتاريخه وردنا كتاب من أمير بني مالك يذكر أن المفسدين آل خالد وآل سلمة والظلمة مضايقينه بالمركز، وأنه وصل العبادل جنود الإمام يحيى عددهم ألف، وما يتنافر، فلما رأينا الحالة أرسلنا موترين إلى بلغازي وحرضناهم على المفزاع، وأيضاً لأمير بلغازي لإيصالها لربعنا، وبحول الله إن العدو معثور، وأحببنا إشعاركم.

ثم بعث أيضاً تعزيزاً لذلك إلى جلالة الملك: نحن ما منعنا عن بعض الأسباب إلا ملاحظة لخاطركم، وإن شاء الله إن العاقبة لكم، روحنا موترين كما عرفناكم، وبها رجال معهم مؤونة إلى بلغازي وأهل فيفاء يأمرون عليهم بالمفزاع ويحزمونهم على المرجلة، وأخبرناهم إن رأوا منهم صدقاً وقومة فيعطون أمير بلغازي ويصلبونه ويمشونه مع بلغازي ليوصلوه لربعنا، فإن رأوا تراخي وعدم ثقة بهم يراجعوننا حتى نروح من عندنا قوة ونحن نبذل الأسباب لمباشرة المسألة الله يقسم ما كان الأصلح.

ثم إنه بعث إليه الملك عبدالعزيز الجواب عاجلاً في غرة رمضان وهذا نصه:

أمير عسير بارك الله فيكم، ما ورائكم حسوفة، لكن تذكر من طرف العبادل ووصول عسكر من يحيى عددهم ألف ومائتان فهذا تعجبنا منه كثيراً.

أولاً: إن الخبر وردكم من بني مالك، وأنت ذاكر لنا أنكم أرسلتم لجهة العبادل قوة وضبطتموهم، وأيضاً أنهم طلبوا منكم الأمان، إلى أن قال: وإنا قد عرفناكم أن جميع الحدود تجعلون فيها رجالاً طيبين عليهم عمدة وسيارات ودواب طيبة

يواصلونكم الأخبار بالدقة بارك الله فيكم، أما الأخبار التي تجيئكم من الناس من الخارج بأنكم تخبروننا بها أو تجعلونها على بالكم فهذا واجب سواء من جاسوس أو من مخبر، وأما العمل الذي يعمل به ويعتمدون عليه الناس والعلم الذي يؤخذ ويكون مدار عمل فهذا يجب أن يكون من طورافكم ورجالكم الذين يعتمدونهم، المقصود أن العمدة على ما يصلكم من طوارفكم والعمدة على ما عرفناكم به سابقاً بأن تكونوا مستعدين حاضرين، وأنتم راقبوا قبائل يحيى من طرف ما ذكرتم، أخيراً فالعمدة عليه ومنتظرون أخباركم السارة إن شاء الله.

ثم بعث جلالة الملك برقية أيضاً إلى أمير عسير حمد الشويعر يحرضه فيها على الاستعداد التام والحزم في الأمور، وهذا نصها:

٩ رمضان تعريفكم لنا من جهة وصول جند يحيى لآل خالد أهمني كثيراً وأقلق فكري، ليس خوفاً من خطرهم فهم بحول الله معثورين إن شاء الله، لكن قلقي لثلاثة أسباب:

الأول: أني ما ظننت أن هذا يصير أبداً.

الثاني: أن كثيراً من الأخبار التي تجيء في مثل هذه الأمور مالها صحة.

الثالث: بعد ورود برقيتكم هذه وردتنا برقية من فيصل بن سعد بوصول خبر إليه من جابر يبغي هذه المسألة، فأنت ما فيك شك ولا حصل منك تقصير، عليك أن تبلغنا بجميع ما يبلغك، وهذا هو الواجب فيصل حرصناه يرسل من يجيب لنا حقيقة الخبر، ويرسل إنساناً بصيراً عند ابن طاسان حتى يعطينا حقيقة الخبر ويسعى في الإصلاح إذا حصل المقصود بارك الله فيك، رأيي أنه إن كان ما فيه مانع تراه فشد وانزل أبو عريش واجعل قوة على الساحل ومعها سيارات وأنت تروا في المسألة لأننا بين طريقين إن كان هذا الأمر قد فعله بجي فنحن قد لزمنا الأمر، ولا بد من الهجوم عليه، ذلك إذا كان حقيقة قد أرسل جنود لبني مالك، لكن أنت اعصب نفسك وأحضر قوتك بلا تعد على الحدود حتى تتضح المسألة تماماً، وتعرف كيفيتنا بالضبط سواء كانت كذباً أو حقيقة، لأنه إن هجمنا على يحيى

بموجب كذب ابن طاسان فهذا يكون خطأ منا ونكثاً للعهود والمواثيق التي بيننا وبينه، ويكون ابتداء الأمر اعتداء منا عليه وفتح شر ما للمسلمين منه صالح، ونحن ما خلصت مراجعتنا معه، فإن كان يحيى فعل المسألة حقيقة فيجب الاستعداد ويكون هجوم المسلمين عليه مرة واحدة في يوم واحد، أنت اجمع عزمك وحزمك مرة واحدة بالسياسة والتروي، لا تخلينا نقع في خطر إما هجوم على غرور أو ترك الحزم، وكلامي هذا ما هو شك في همتك وحزمك، لكن تعرف أن هذا الأمر يهمني، ومن النقص على المسلمين إذا كان حقيقة ولم نفعل، وإذا صار غير حقيقي وفعلناه يكون نقصاً أيضاً فبما أنك باذل نفسك دون المسلمين اهتم للمسألة بالتحقيق وتدبر برقياتي هذا جيداً والله يوفقك للخير.

ثم جاء الجواب من حمد الشويعر برقياً إلى ابن سعود بتاريخ ١١ رمضان، وهو هذا: تذكر أنك تكدرت وأقلق فكرك ما ذكرناه لكم من وصول جند الإمام يحيى لآل خالد فهذا إن شاء الله مما يعينكم على عدوكم، لأن قصدك الصلاح، وأبشرك أن العاقبة لجلالتكم إن شاء الله، أما الخبر فهذا من ابن طاسان وقد تحققنا من جهات كثيرة ونحن آخذون بالحزم ومنتظرون أمركم بالحركة.

وهذا جواب الملك لحمد الشويعر في اليوم المؤرخ: ما ذكرتم كان معلوماً وأنا ممنون من أخبارك، وإني يوم أكثر عليك الكلام فلشيء معلوم أني واثق منك إلى حد النهاية أنك تفدي بما عندك وتحت يدك العزيزة المسلمين، ولا كلفت عليك في هذا الموقف إلا أبغيك لمثل هذا الموسم، وأثق بالله ثم بك، وإن شاء الله إنك موفق فأنت إن شاء الله تجعل عملك في ثلاثة أمور:

أولاً: الوثوق بالله والحزم في الأمور كلها.

ثانياً: مراعاة العدو وحركاته.

ثالثاً: تثبيت كل علم يجيئك لا من جهة العدو ولا من جهة الرعية، وأما المنازل ومصلحتها والأمر الذي يصدر العدو وفيه مصلحة فالرأي رأيك ويرى الحاضر مالا يرى الغائب، وأنت أدرى بالمصلحة، وإن شاء الله أخبارك ما تنقطع عنا يومياً،

صار شيء أو ما صار شيء أخبارك ترفعها يومياً، وبالله ثم بكم كفاية هذه المجاوبات بين الملك وبين أمراءه.

وكان عبدالعزيز بن سعود يجاوب أيضاً الإمام يحيى بجميع ما بلغه من أمور الخلاف التي تصدر على موظفيه ويعيذه بالله من الشقاق فيجاوبه يحيى باللطف واللين وأنه كذلك.

ثم إنه في يوم ١٦ من رمضان جاءت برقية من حمد الشويعر يذكر لجلالة الملك أن في الساعة السادسة ليلاً جاءه كتاب من أمير صامطة، ومن شيخ بني شبيل تحملها سيارة يذكرون له فيها أنه وصلهم نذير باجتماع جنود الإمام يحيى برئاسة ابن الوزير ومحمد بن سعد، وعبدالوهاب الإدريسي، وأنهم قد تواعدوا لمهاجمة صامطة يوم الأربعاء، وأنه قد قبض أمير صامطة على كتاب من حسن الإدريسي بختمه تاريخه ٨ رمضان إلى محمد بن أحمد ساوي وهذا نصه:

من الحسن بن علي بن إدريس إلى الشهم الكامل العاقل أخينا محمد بن أحمد ساوي عافاه الله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: حال يصلكم هذا خذوا حذركم من السعودي لا يقبض عليكم، واتفقوا مع قبائلكم ومن تعرفونه من جميع أهل الجهة، فالفرج تحقق طبق المطلوب سريعاً انتظروا قريباً.

وهذا جواب ابن سعود لحمد الشويعر على الفور: لم تصلنا برقيتكم إلا في الساعة الثالثة ليلاً، أخبرنا أي ساعة دفعتموها لمركز اللاسلكي، أنت أخبرتنا بهذا الخبر ولكن لم تخبرنا ماذا ستعمل أنت، الآن مالك إلا النجدة، أجمع جموعك وانحر صامطة، تحقق الخبر ودبر تدبير الحرب واضبط نفسك عن التعدي، وانظر في الأمر إن كان الأمر حقيقة فما دون الحلق إلا اليدان، استعن بالله وأخبرنا بجميع حركاتك، فإن كان الأمر ماله حقيقة فأنت صرّ في المكان الذي ترى النزول فيه.

ثم جاء خبر برقي أيضاً من حمد الشويعر أمير عسير تهامة إلى جلالة الملك في ١٧ رمضان فيه أنه جاءه كتاب من أمير العارضة يذكر أنه وصل جبل العبادل أربعمائة نفر من جند يحيى زيادة عن الذين أتوا من قبل، وأن قصدهم في هذين اليومين مهاجمة

صامطة والموسم، حتى إذا مشينا إليهم قطعوا خط الرجعة علينا من القوات التي رتبوها في الجبال كما أخبرناكم سابقاً، ولذلك ننتظر أمركم في الحركة التي ترونها.

فجاءه الجواب برقياً على الفور من صاحب الجلالة إلى حمد الشويعر علمنا برقيتكم وكل عدو إن شاء الله معثور ولا يتأسف غير فاعل السوء، ولا بد اطلعت على برقيتنا إلى يحيى وأنت خذ بالحزم والعزم ولا تفتر همتك، وليس عليك قاصر الجند الذي عندك من نجد ومن عسير كثير ولله الحمد، والجند متواصل من الرياض إلى فيصل، أوله عند فيصل والثاني في بيشة والثالث يمشي من الرياض، وتعرف أن الأمور كلها بالله ثم بالحزم والعزم والهمة القوية، وأنتم أجمعوا جموعكم على الحدود واضبطوا نفوسكم عن التعدي إلا أن هاجمكم أحد فلا حول ولا قوة إلا بالله، لا تهاجموا أحداً حتى يبدأكم بالهجوم، وأبشر بأن الله خاذل كل عدو.

وهذه أيضاً برقية من ابن سلطان في أبو عريش إلى جلالة الملك جاءت في ٢٣ رمضان وردنا خط من أمير العارضة سعيدان بن محمد يفيد أن أهل سلا والمعين مع جند الإمام يحيى هاجموهم في العارضة، ويطلب الإمداد منا وقد أرسلنا خبراً إلى حمد الشويعر في صامطة وسنمدهم بما يلزم، أحببنا إخباركم بذلك والعدو إن شاء الله معثور.

فجاءه الجواب من جلالة الملك إلى ابن سلطان في ٢٣ رمضان: تراجعوا مع الشويعر بما يلزم، وقد أمرنا بزيادة الجند الذي عندكم، ومشى إليكم حالاً قوة من البحر، وقوة ستصلكم قريباً من أبها، اعملوا الحزم وانظروا في اللازم بغير اعتداء.

وهذا نبأ أيضاً من حمد الشويعر إلى جلالة الملك بتاريخ ٢٥ رمضان: لقد أخبرنا جلالتكم بما وقع وقدرة الله على سعيدان في العارضة، كذلك وردنا خط من علي أم يحيى راعي فيفاء يذكر أنه وصل بني مالك أحد عمال يحيى بالعزي ومعه جند ليحيى، أحببنا إعلامكم بذلك، وهذا قليل من كثير مما ورد من أمراء صاحب الجلالة السعودية في تلك الجهات من اعتداءات يحيى وجنوده على المملكة العربية السعودية.

ذكر تقدم الجيوش السعودية في الحرب اليمنية

لما كان يحيى يجهز الجنود التي عاثت في الفساد، ويراجع ابن سعود بالسلم ويتودد، وكثرت الشكايات من الأمراء السعوديين، جهز ابن سعود الجنود وبعث البعوث وأصدر أمره السامي لابنه فيصل أن يتقدم على رأس ثمانمائة سيارة، وجهز ولي العهد سعود بن عبدالعزيز بجيوش هائلة كقطع الليل المظلم، أضف إلى ذلك ما كان مع الأمير فيصل بن سعد من الجنود، وما لدى الأمير حمد الشويعر، فزحفت تلك الجيوش نحو الجيش اليمني وأخذت في الوقت نفسه تتقدم حتى احتلت جيوش الأمير فيصل بن عبدالعزيز تهامة ولحية والحديدة على البحر الأحمر.

وكتب صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن إلى يحيى يصارحه في هذه المرة أنه لا يترك من يستطيع حمل السلاح في ناحية القصيم إلا جهزه وقال ليس ذلك بإرجاف ولكن لما فطرت عليه من الصراحة، وقد كان في الجيش السعودي حماسة وشهامة، ولديهم القوات الهائلة، أما الإمام يحيى فقد كان لديه قوة عسكرية لابأس بها، ومدافع قد اشتراها من أحد المصانع الإيطالية، وكان جيشه يقدر فيما قيل بخمسة وثلاثين ألف مقاتل مجهزاً تجهيزاً جيداً، ومدرباً على أيدي ضباط من الترك قد تخرجوا من الكلية العسكرية في الأستانة وظلوا في اليمن بعد انهيار الإمبراطورية التركية مفضلين الحياة فيها، ولكن هذا الجيش الحسن ليس بشيء بجانب الجيوش السعودية، ولما جاءت الجنود السعودية وزحفت القوات الإسلامية التي لا قبل ليحيى بها طوقت اليمن واحتلت نجران وتهامة وميدي والحديدة وغيرها، وانهارت في الحال كل التدابير التي اتخذها يحيى، وأضحت الجنود السعودية قد طوقت اليمن من الشمال والغرب، وجعلت اليمن تتوقع ماذا يحل بها، هذا ولي العهد أقبل من تلك بمجموعة، وهذا فيصل جاء من الجهة الأخرى، وهذه عشرة آلاف مقاتل قد وقفوا على الحدود يدافعون مستعدين بالسلاح الكامل، وهذه سرية قدرها أربعمائة في سيارات، وسرية مثلها، وسرية هاجمت

وبددت ما أمامها، وسرية قدرها مائتان في زورق من الزوارق البخارية، فقام يحيى يجاوب جلالة الملك ويسأله إيقاف تلك الجنود، فتحصلت المجاوبات بقدر من ثمانية عشر برقية نشر يحيى فيها كمال الصلة والمحبة والمواخات، ويجاوبه ابن سعود بأنه على حرص عظيم على السلم وحقن الدماء، ويعاهد الله على ذلك سراً وجهاراً، ولكنه لا يمكن سلم ولا معاهدة ولا صلح وأنت تسوق الجند من جهات، وكتب الإدريسي توقد الفتنة وتحرض الناس عليها، فإن كان لحضرتكم رغبة في الصلح والسلم فاعملوا عمله أو يرفع الجند منا ومنكم لاماكنه وتتم المراجعة بيننا وبينكم في الحال الذي يصلح للجميع.

وفي معرض كلام صاحب الجلالة أن قال وإني أدخلكم على الله ثم أدخلكم عليه ثم أحملكم مسؤولية الحرب أمام الله ثم أمام العالم عن الوقوع في هذا الشر الذي ما نؤمله من حضرتكم، وقد سبق أن تركنا جميع ما يقال ونحن نرى الحقيقة ونكذبها وثوقاً بالله ثم بوعودكم وعهودكم فإن كان المقصد من هذه الحركات نشوب الحرب فقد بلغ الأمر منتهاه، وإن كان القصد السلم فطريق السلم كما عرفناكم والله يحفظكم.

فأجاب يحيى بجواب يدل على ضعفه، وكان من جوابه أن قال: وقد انحلت العقدتان الأدارسة والمعاهدة المشتملة على الحدود، ولله الحمد، ولم يبقَ إلا إفادة الأخ من ترك بلاد يام في الحياد.

إلى أن قال: وإذا كان الأخ يسعى للسلم ورفع الأحقاد فنحن نهرول إليه هرولةً، وتفضلوا بسرعة الإفادة لحل هذه المادة الثالثة ..إلخ.

وكان الباعث له على هذا الجواب ما رآه من سطوة القواد السعوديين، ولما جهز الملك عبدالعزيز نجله وولي عهده وأمره بالتقدم إلى الحدود اليمانية لاسترجاع البلدان التي احتلها الجيش اليمني أكد عليه بعد الاسترجاع أن يقف انتظاراً لأمره الأخير، وكان هو القائد العام للجيوش السعودية التي سارت من نجد إلى عسير، أما فيصل بن عبدالعزيز فهو القائد العام للجيوش والقوات السعودية التي زحفت من

الحجاز، وناهيك به من عبقري قد صقلته التجارب، وكان جيشه مزوداً بالسلاح الكافي من بطاريات ومدافع جبلية ورشاشات وسيارات مصفحة، وكذا أخذ القائد العظيم فيصل بن سعد يتقدم، كما أن ابن أخي جلالة الملك خالد بن محمد أخذ في قيادته يتقدم إلى نجران.

ثم إن جلالة الملك أجاب يحيى لما بعث إليه بالبرقية الأخيرة بالشكر له على حبه للسلم، ولكن كيف يمكن السلم وماذا نقول إذا كان أصحابكم يسيرون جنداً من رزاح على أطراف العبادل، فبهذا يعتبر أن الكلام ضاع وأنكم قد أعلنتم الحرب وبدأتم به، وهذا الذي كان يحذرنا الناس منه، وكانوا يؤكدون لنا أنكم عازمون عليه، وأن الكلام الذي بيننا وبينكم مخادعة، ولكن ديننا وشيمتنا أبت علينا أن نقبل ذلك، وإنما قبلنا عهودكم ورضينا بالله رباً، وجاء الفعل الأخير مصدقاً لما قاله الناس، ولم يبقَ في اليد حيلة فإن كان الأخ صادقاً في قوله فليمنع جميع الحركات، وليباعد الجند إلى آخر درجة من الحدود، فإن كانت المراجعة ستكون وجندكم يمشي والإدريسي يكتب ويحرك كما رأينا كتبه لأهل المقاطعة فهذا أمر لا يرضاه الله، ولا تقبله النفوس الطيبة، فإن كان الأمر على ما قلتم فالواجب يقضي بالتباعد عن الحدود، وإن كان المقصد إغفالنا وأنتم عازمون على ما عزمتم عليه فلا نقول إلا حسبنا الله ونعم الوكيل، يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين.

ثم جاء الجواب من الإمام يحيى فيه إجابة طلبات جلالة الملك، وأنه سيكتب حالاً، بل كتب إلى ولده سيف الإسلام ومنعه عن كل حركة، ويطلب من جلالة الملك أن يبين وقتاً لاجتماع المندوبين بميدي أو غيره، ويطلب من جلالة الملك العفو العام وأنه سيكون إن شاء الله توقيع المعاهدة بينهما ونشرها في الجرائد، ثم قال وسبحان الله ما أحلى نشرها لدن ذوي الديانة الإسلامية، وأكثر سرورهم واستغرابهم وتعجبهم لذلك، وأطال بلين الخطاب وغاية التلطف، وجعل يراجع ابن سعود في إيقاف العساكر والجنود السعودية وأن أهل كذا ضربتهم المدافع

وحصل على العساكر قتل، وجاءنا من ولدنا سيف الإسلام كذا فأجابه ابن سعود بكل جميل وقال: في البرقية المؤرخة في ٢٧ رمضان بأن ولي العهد سعوداً قد سار على السيارات قبل وصول برقيتكم الأخيرة بثلاث أيام، وكان قد تجهز الابن فيصل من الحجاز ليسير على الساحل ببعض القوى التي عنده، وإننا تمكنا من تدارك سير الابن فيصل من الحجاز نظراً للمواصلات البرقية بيننا وبينه، وأرجعناه إلى محله، وأما سعود فنظراً لعدم وجود المواصلات البرقية بيننا وبينه لم نتمكن من إرجاعه إذ يكون اليوم تقريباً في بيشة، ثم إنها ما زالت المراجعات والمفاوضات بين ابن سعود وبين يحيى آخر رمضان وطيلة شوال، وكلها تعرب عن كامل المحبة والولاء.

ولما أن كان في ٢ ذي القعدة وصل المندوبون المرسلون من قبل يحيى إلى أبها برئاسة عبدالله بن الوزير، وهذه وصية جلالة الملك لوفده لما بعثوا نبأ إليه يخبرونه في ٢ ذي القعدة علمنا باجتماعكم، ونرجو أن يقسم الله ما فيه الخير، وما دام هناك سبيلاً للسلم فلا تدخروا جميع جهودكم في سبيل الوصول إليه مما لم يتعد الأمر الحد، ويكون هناك ما ضرره أكبر من نفعه، وبالله ثم بكم الكفاية وجميع ما عندي أبلغتكم به من قبل، أسأل الله أن يوفقكم للخير، وكان وفد ابن سعود يرأسه فؤاد بك حمزة ثم جلس المندوبون للمفاوضات، وجرى من ابن الوزير المندوب من قبل يحيى تعاظم وحدة وذكر أن الإمام يحيى قد اشترى كذا وكذا من المدافع والرشاشات، وأنه وأنه وتحامق ابن الوزير، وجرى منه فظاظة الأولى بنا تركها واستمرت المفاوضات حتى تاريخ ٢٤ من ذي الحجة.

وفي هذه المدة التي اتفق فيها مندوبو الطرفين لتسكين الحرب والنظر في حل المشكلات جعلت تتقدم جنود يحيى وتعيث فساداً، وكنت أظن أن اختلافه لبعث هذه الوفود ليسكن سورة ابن سعود وجيوشه، وجاءت البرقيات من أمراء الجيوش السعودية تفيد بما ارتكبه جند يحيى، فجاءت برقية من ابن سلطان في أبو عريش إلى جلالة الملك بما نصحه بتاريخ ٧ ذي القعدة وردنا كتاب من راعي فيفاء يفيد أن

المشايخ وعلى أم يحيى جاءهم طلب من ولد يحيى السيف لمقابلته في صعدة، وأن عمال يحيى في فيفاء قد أخذوا زكاة الحبوب والمواشي وضربوا الجزية على أهلها من ذكر وأنثى، وصغير وكبير، وجعلوا على كل نفر ربع ريال، وأما شيوخ بلغازي فهم الآن عند ناظرة فيفاء المنصوب من قبل يحيى.

وجاء من حمد الشويعر أيضاً في صامطة ما نصه إلى جلالة الملك بتاريخ ٧ ذي القعدة وردتنا الأخبار من فيفاء أن أهلها في أشد ضيق من يحيى وجنده لأنه أنزل عندهم ثلاثة آلاف من الجند، وجعل في كل بيت من بيوتهم أربعة أنفار، وأهل البيوت مكلفون بمصرف الجند من طعامهم وشرابهم ولوازمهم، وقد أخذوا على كل رأس من البقر نصف ريال، وريالاً على كل رأس من الإبل، وعلى كل نفس من النفوس من النفوس من ذكر وأنثى، وكبير وصغير ربع ريال، وقد طلبوا المشايخ إلى صعدة ليجبروهم على أن يكتبوا على أنهم لا يريدون ولايتكم، وقد كتبنا كتباً لهم ما يلزم فأحببنا إحاطة جلالتكم بذلك.

فبعث جلالة الملك جواباً ليحيى قال فيه: ولذلك وقعت في حيرة من أمرين، إذا راجعنا برقياتكم ووعودكم فيها ومواثيقكم استراح خاطري ورجوت، وإن رأيت الأفعال التي فعلت تأسفت وأمرت بالاستعداد والحزم، والأفعال التي فعلت في أطرافنا لا تخفى عليكم ولا أحب أن أقول أنكم علتم بما فعل ورأيتم أننا بقينا مكتوفي الأيدي حباً للسلم الذي هو عادتي، وحباً بالصداقة معكم، ورجاء وفائكم بعهدكم، فالأمر أخي وصل حده من جميع الجهات وحل الأمر وتركه بأيديكم، وأقسم لكم برب السموات والأرض أولاً: أن الحوادث التي جرت في أطرافنا كتمتها على جماعتي، وأعز ما عندي من إخوتي مخافة أنهم إذا اطلعوا ..إلخ.

وقال أيضاً في مجاوبته ليحيى في تاريخ ١٧ ذي الحجة: أخي إن هذا موجب للأسف وقد صار الشك يقيناً وأيد سوء القصد، وأنكم تريدون أعمالكم السابقة، فلا ابن الوزير ولا غيره من كبير أو صغير، لا يمكن أن يحل المشكل

دون أن ينفذ الطلب الذي طلبناه، وهو فرض علينا إدراكه، ولا يمكننا تركه، فإذا كنتم تحبون الإنصاف والصلح والسلم، وحقن الدماء فلا يكون إلا به، ونحن لم نطلب شططاً، ولم نطلب إلا حقاً تجاوزتم عليه، إن العهود التي بيننا وبينكم نكثت دخلتم حدود بلادنا، واستوليتم عليها، ونقضتم العهد الأول الذي كان بيننا وبينكم أيام قدم إليكم ابن دليم وابن ماضي، ونقضتم معاهدة عرو الذي عاهدتمونا عليها، ثم نقضتم العهد الذي بيننا وبينكم في تحديد الحدود، وعمل المعاهدة لمدة عشرين سنة، ولم يكن لهذه العهود من جواب إلا استيلائكم على فيفاء وبني مالك والعبادل، وتقديم الإدريسي يشتغل بالفساد، وقد أشرفنا على كتاب منه بتاريخ ٧ ذي الحجة ١٣٥٢هـ لمحمد بن حمود صاحب الحسينية وغيره يحثهم فيه على الفتنة ويهدهم ويوعدهم، إن مطلبنا الذي طلبناه منكم يقره كل منصف يخاف الله تعالى، ثم ذكر مطالبه وهي سحب جنده عن بلاده لأنهم دخلوا عليها بعد العهد، وأن يطلقوا الرهائن ولا يتدخلوا بشؤون بلادنا، وقد أعطيناكم الأمان الذي طلبتموه لهم، وعفونا عنهم ولم نعاتبهم على ما فات منهم، ثانياً: طلبنا منكم الإنصاف في نجران، أما أن يكون محايداً بيننا وبينكم، وأن يكون ما بجنوبه لكم وما بشماله لنا مثل بدر وهواده وحبونة وما بينهما، فإن كنتم لا توافقون على حياده، فاقترحنا أن يكون أيديكم من أهل نجران لكم هم وبلدانهم، ومن كان تحت أيدينا من أهل نجران هم وبلادهم لنا، إلى أن قال أما إيقاف العمل بغير شيء ظاهر واضح غير قابل للتأويل، مستعجل فوق العادة ليس بالإمكان لأن الأمر قد فرط، وباب السلم مفتوح إذا عزمتم على إتمام ما كان تقرر بيننا، وقد مضى علينا عدة أشهر والعدوان يتمادى علينا، ولم تجدنا جميع المراجعات فائدة، فلم يكن لنا مندوحة عن الدفاع الذي أمرنا به، أما ابن الوزير فهو تحت أمركم إن أردتم قدومه إلينا يقدم، وهو ولد كريم بين جماعته ورفاقه وأمره إليكم، أما المراجعة بالتعليل والتطويل، فلا فائدة ولا نجاح لها، والمسؤولية أمام الله، ثم أمام الرعية، ثم أمام

الناس، على من تسبب وماطل عافاكم الله، ثم جاء الجواب من يحيى في ١٩ ذي الحجة بكلام ظاهره الخديعة والملق، وأظهر أنه قادم متعهداً بعقد المعاهدة عشرين سنة، وإبقاء الحدود كما هي عليه الآن، ورفع الأدارسة كما انتهت المراجعة، وإطلاق رهائن الجبال، وإرجاع الجبال إلى حضرة صاحب الجلالة كل هذا يلتزم به، ثم أخذ يسب المكارمة لولاهم لما كان كذا، ولولاهم لكان كذا وأطال، إلى أن قال وحسب إفادتكم العلية كتبنا للسيد عبدالله بن الوزير ورفقته وصولهم إلينا، وإذا رأيتم وصوله إلى حضرتكم لإكمال المعاهدة وإمضاءها فهو الأولى والسلام عليكم.

ولما رأى ابن سعود أعمال يحيى التي كان يدبرها وأن جنوده جادون في تقدمهم غير أنه يسكن خصمه بالخديعة والمكر، عندها أصدر أو امره إلى قواده، واضطر إلى ذلك للدفاع عن مملكته فتقدمت الجيوش السعودية وجعلت توالي الزحف إلى الإمام، فيصل بن سعد تقدم إلى باقم وأطرافها، والأمير خالد بن محمد تقدم إلى نجران وصعدة، والأمير حمد الشويعر تقدم إلى حرض، وأمر نجله فيصل بن عبدالعزيز أن يتقدم ويتولى القيادة، وتقدم سمو الأمير محمد بن عبدالعزيز زاحفاً بنجدة من نجد وقوة احتياطية لأخيه سعود، ونشرت جريدة أم القرى في يوم السبت الموافق ٨ ذي الحجة مقالة ألقاها جلالة الملك ابن سعود في المأدبة الكبرى التي أقيمت في القصر الملكي بين فيه خطته في هذه الحرب اليمانية، وأنه امتشق الحسام فيها ضرورة، ولولا خشية الإطالة لأتينا به، وهو تفسير لأعمال يحيى التي تقدم ذكرها، وقال في أخره.

فكان جوابه ملقاً وتملصاً ووعوداً، وآخر الأمر أبرق لي بأنه لا يفعل معي إلا ما يفعله الأخ مع أخيه والصديق مع صديقه، وهكذا سلسلة حوادث له معي أخجل من ذكرها إذ لا يعملها إنسان عنده مروءة، ولا يقبل بها رجل ذو شرف وشيمة، لم أترك وسيلة للصلح والسلام إلا فعلتها، ولكني ما رأيت غير المحاولة، لذلك أمرت ولي العهد ليتقدم بجنوده إلى الإمام فيستخلص البلاد التي

غدر بها يحيى، ويدافع عن بلادنا وكياننا وشرفنا، وأبرقت ليحيى بأننا لا نريد إلا السلم، ولا نريد الحرب، وأن باب السلم لا يزال مفتوحاً متى أراد أن يجنح له وأن ينسحب من بلادنا، ولا يتدخل بشؤوننا، وهذا التدبير لم ألجأ إليه إلا مضطراً، وبعد أن أعيتني جميع الوسائل، ولا أعذر أمام الله ولا أمام خلقه إذا لم أقم بواجب الدفاع عن مملكتي وبلادي، لنا أكثر من عشرة أشهر ونحن نقابل يحيى ونجادله، وانتشر خبر ذلك في سائر الأنحاء فلم يظهر من المسلمين ملوكهم وأمرائهم وأحزابهم من يتقدم لإصلاح ذات البين أو يطلع على حقيقة ما بيننا ويعلم من الصادق ومن الكاذب، ولم يردنا غير برقيات التمني التي لا تنتج شيئاً، هذا أخر كلامه، ومن أراد الاطلاع على المقالة فليراجعها في جريدة أم القرى.

رجوع وفد يحيى

لما امتدت المفاوضات شهرين إلا ثمانية أيام ولم تسفر عن شيء ولم يظهر نتيجة، ولاحظ الوفد السعودي محاولة اليمن التنصل من شروط المعاهدة تارةً بزعم أن الإمام يحيى لم يوقع عليها بالذات، وأخرى بأنها لم يقصد بها تحديد الحدود أو الاعتراف بالوضع الحاضر في الحجاز، أضف إلى ذلك سوء نوايا الإمام يحيى بتجهيزه في هذه الفترة على الحدود، لم يكن لهذا الاجتماع فائدة فسافر وفد يحيى في ٢٤ ذي الحجة عن أمر يحيى وطلبوا السفر عن طريق ظهران، وحيث أن خط الحرب ممتد على طول خط الجبهة لم يرَ صاحب الجلالة حفظاً لكرامة الوفد وصيانة لحياته أن يسمح لهم عن ذلك الطريق، فاقترح عليهم أن يكون سفرهم إلى الساحل وأن يركبوا إلى موانئ الإمام يحيى.

فبعث ابن الوزير برقية إلى جلالة الملك بواسطة فؤاد حمزة ما معناه أنكم استحسنتم أن تكون خطة عودتنا إلى اليمن من جهة القنفذة والبحر، وهذه خطة صعبة بعيدة، ومعنا جملة خيل وذلول يتعذر ركوبها في البحر، ومن البعيد أن لا يكون في وسع مقدرتكم خطة عودتنا هي خطة سفرنا أولاً فلم يكن قبلنا إلا جندكم الذين هم تحت أمركم ونهيكم إقداماً وإحجاماً، وسمو الأمير سعود

والأمراء من آل فيصل ومحال أن لا يكون في مقدرة الجميع بلاغ ما تريدون من عودتنا بأحسن حال، فنرجوكم الإسراع بأوامركم الكافية والطريقة واضحة، وأصحابكم معنا، والأمر جلي ليس فيه خفاء عند أحد، مع أن لنا أغراضنا في الاتفاق بسمو الأمير سعود كما سيعرض عليكم إن شاء الله، وليس لنا إرادة إلا في كل خير للجميع والسلام عليكم ورحمة الله.

فأجاب الملك عبدالعزيز وفد الإمام يحيى بكل جميل، ولا يخفى ما فيه من الفصاحة التي تسحر العقول، بل هذا لعمر إلهك السحر الحلال وذلك بتاريخ ٢٤ منه.

إن الباعث على ذلك والقصد هي المحافظة على راحتكم ومنع المشقة عليكم في الحالة الراهنة، ولا تخفى عليكم خطة الحرب، وطريقكم الذي تريدون السير معه هو محل المعارك الحربية، ولو كان المقصد الخوف عليكم من جندنا فالجند الحمد لله تحت السمع والطاعة وتحت قيادة أبنائنا كما ذكرتم، ولا خطر عليكم منهم ولكن الذي نحاذره هو أن يكون في الجبال أحد من الهاربين أو أناس أعطوا الأمان في الطريق، ونخشى أن يقع عليكم أي حادث منهم يكدركم ويكدرنا، وأنتم تعرفون أن لكم علينا حقوقاً كثيرة منها أنكم ضيوف أعزاء علينا، ومنها نسبتكم لسيادة الأخ الإمام يحيى، والله المطلع أننا لا نزال نجله ونجل من انتسب إليه، ونأسف كثيراً لما وقع مما لم يكن يخطر لنا على بال، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، ومنها أن لشرفكم ومقامكم منزلة عالية عندنا وأنا نحافظ على شرفكم ومقامكم وراحتكم، كما نحافظ على شرفنا وراحتنا، ومن أجل ذلك أمرنا فؤاد أن يراجع الولد سعود وإن كان يجد طريقاً سلمياً فتؤمن به راحتكم أن يبذل في ذلك جهده، وكونوا مطمئنين الخاطر أننا سنعمل كل ما يمكن لما يحفظ راحتكم، فإن أردتم طريقة أخرى فإنا مستعدون لأن نحظر لكم أحد الزوارق البخارية التي عندنا، أو نعد مركباً خاصاً ينقلكم من إحدى الموانئ، فنحن مستعدون لذلك، أما ما معكم من الدواب فنحن نتعهد بإيصالها إلى المحل التي

تريدون، ولا شك أن درايتكم ومعرفتكم بالأمور تجعلكم لا تشكون في أن كل ما قدمته لكم هو الحرص على راحتكم وشرفكم شفقة مني على ذلك، أما رغبتكم في مقابلة ولدنا سعود فإن كان هناك مصلحة أو أمر جديد فيمكن تعيين وقت لمقابلتكم، ونحن ممنون من كل أمر فيه راحة وإصلاح للجميع، وقد أمرنا فؤاد أن يتراجع مع الولد سعود، وأن يراجعكم في كل ما يؤمن راحتكم ويحفظ المصلحة في ذلك والسلام.

ولما أن تقدمت القوات السعودية وجعلت توالي الزحف على اليمن ما كان إلا القليل، بل لم يمضِ إلا بضعة أيام حتى استولت على كثير من البلاد اليمانية، وقام يحيى وأبرق إلى جميع الدول الإسلامية يناشدهم الوساطة لإيقاف الحرب، وحل الخلاف، فبادر المؤتمر الإسلامي بانتداب وفد من قبله لحل هذا الخلاف، وانتصر ابن سعود وخدمته الأيام، وقلبت لأعدائه ظهر المجن فعززوا بأنفسهم، وتداعوا بقواتهم، وكان جيش الأمير فيصل بن عبدالعزيز الذي زحف به من الحجاز يقدر عدده بستة عشر ألف مقاتل مجهزاً بأقصى ما يستطاع من القوات المستحدثة، وقدمنا عدة جيش الأمير فيصل بن سعد البالغ سبعة آلاف مقاتل مرابطاً على الحدود واستعداد للطورئ، كما أصدر صاحب الجلالة أوامره على نجله سعود بالزحف في ٦ ذي الحجة يقود خمسة آلاف مقاتل، وتقدم الأمير محمد بن عبدالعزيز بقوة احتياطية لمساعدة أخيه سعود، وصدرت الأوامر على الأمير خالد بن محمد ابن أخي جلالة الملك أن يزحف بجيش وينضم إلى ولي العهد سعود.

وما زالت الجنود تتوافد على القائدين حتى بلغ جيش ولي العهد ستة وثلاثين ألفاً، أما جيش فيصل بن عبدالعزيز فقد بلغ أربعة وثلاثين ألفاً فبذلك بلغ مجموع الجيش سبعين ألف مقاتل.

ولما أن وصل سعود إلى بلاد وادعة، أمر على ابن عمه فيصل بن سعد المرابط في خميس مشيط أن يتقدم بقسم من الجند إلى باقم فتقدم وحاصرها وشدد الحصار

عليها، وكان فيها قوة من الجيش اليمني وأصدر أمره أيضاً إلى ابن عمه خالد بن محمد أن يسير بقسم آخر من الجند إلى بلد نفعة، وناهيك به من قائد محنك استولى على بعض البلدان وحاز انتصاراً عظيماً.

ولما زحف إلى بلد نفعة وفيها قوة من قبل يحيى احتلها بعد أن سلمت الجنود اليمنية فأمنهم على أرواحهم، وتقدم الأمير محمد بن عبدالعزيز بقوة فاحتل بقواته مدناً وقرى، ثم أخذت القوات السعودية في تقدمها إلى نجران، وأخرجت الجنود اليمانية منها واحتلتها واستولت على نجران استيلاءً تاماً، وأصدر صاحب الجلالة أو أمره على حمد الشويعر أن يتقدم بقوات إلى حرض، وذلك عن طريق تهامة، كما صدرت الأوامر على صاحب السمو فيصل بن عبدالعزيز أن يتقدم بالجنود النظامية وغيرها، فزحف بالبطاريات والمدافع والرشاشات على تهامة عن طريق الساحل، وأن يتولى القيادة في تهامة فتقدم ووالى زحفه حتى استولى على كثير من بلدان الساحل التابعة ليحيى، وهجم على ميدي وأسر كثيراً من جنود اليمن، وفيها عامل الإمام يحيى على ميدي عبدالله عرشي، وبعد ما احتلها تقدم فاحتل الحديدة، وسنذكر صفة احتلالها في السنة التالية لهذه إن شاء الله تعالى، وبهذا يتحقق معنى كلام الملك الذي باح به في ١٦ محرم من السنة المتقدمة، حيث يقول: «إني والله أحب السلم وأسعى إليه، فإذا ما بليت صبرت حتى إذا لم يبقَ في القوس منزع، وحان وقت الدفاع عن الدين والوطن فعلت:

إذا لم يكــن إلا الأســنة مركــبٌ فمــا حيلــة المضــطر إلا ركوبهــا

وهنا لا يكون إلا إحدى الحسنيين، إما السعادة، وإما الشهادة، وكلاهما نعمةٌ من الله، ونحن نقابل أيهما بصدر رحبة ووجوه باشة وهذه سنة رسول الله وأصحابه من بعده رضوان الله عليهم، والناس معنا ثلاث، إما محب ومساعد، وإما لا محب ولا مساعد، وإما معاند فقط.

فأما الأول: فله ما لنا وعليه ما علينا.

وأما الثاني: فنسعى جهدنا في إفهامه الطريق الذي نسير عليه، فإذا اتبعنا فالحمد

لله وإذا أبى فالأمر لله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص:٥٦].

وأما الثالث: فهذا ليس له قصد إلا الفساد في الأرض وهذا جزاءه ما جاء في الآية الشريف: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٣]، ويذكر المؤرخ فلبي في تاريخ نجد أنه استغرق احتلال الحديدة ومنطقة تهامة الواقعة شمالاً ثلاثة أسابيع، وكان ثلاثة أسابيع أخرى كافية لإضافة اليمن إلى الممتلكات الوهابية، غير أنها صدرت الأوامر على فيصل تلك الأوامر بينما أمر سعود بأن يبقى في المكان الذي اتفق عليه سابقاً كي يكون حداً بين السعودية واليمن، وذكر أنه في أثناء ذلك سارعت السفن الحربية الإنكليزية والإيطالية والفرنسية إلى الحديدة منتحلة أعذاراً مختلفة، إلا أنها لم تكن تهدف إلى تهنئة القائد الوهابي المنتصر على فوزه، أو جعل مهام السلطة المحتلة أسهل من ذي قبل، وربما كان لهذا الاهتمام المفاجئ باليمن من جانب الدول الكبرى أثر كبير في منع الملك من انتهاج سياسة صريحة، غير أنه أصرَّ على أن يستمر احتلال قواته للمناطق التي استولت عليها إلى أن تجري مفاوضات أخرى في الطائف تحت حمايته وإشرافه، فأعلنت الهدنة للتمكن من البدء في هذه المحادثات، وسنعود إلى آخر القصة عن قريب، وإنه لمن العجب العجاب انتصار الجيوش السعودية في تلك الجبال الصعبة المرتقا المجهولة الطرق، ولقد كان ولي العهد سعود يقود جيش الصحراء المتمركز في أبها ونجران، وكان بطيئاً بسبب طبيعة البلاد الوعرة وضرورة السير مع قوافل التموين التي كانت سيارات نقلها تدلي بالحبال من فوق الصخور العالية في أكثر من مناسبة، ولقد ثارت عاصفة رملية استمرت ثلاثة أيام متوالية، وكان من جرائها أن تعطلت المواصلات اللاسلكية بين القائدين، وكانت هذه الغضبة من الملك ابن سعود لما نفد صبره من عناد جاره، وأرسل إليه الإنذار النهائي، وبما أن أراضي اليمن مخوفة

ومملوءة بالثوار فإن بعضها لا تخلو من الحمى لا سيما الذين لم يعتادوا طقسها، وطال لبثهم فيها من السعوديين.

ومما أنشد الأديب محمد بن الحسين بن أحمد بن الطيب يذكر بلاد الغربة:

إذا اغترب الحر الكريم بدت له ثلاث خصال كلهن صعاب
تفرق أحباب وبذل لهيبة وإن مات لم تشقق عليه ثياب

وفيها وقع الوزير عبدالله بن سليمان بن حمدان عن الحكومة السعودية اتفاقية التنقيب عن الذهب في المملكة العربية السعودية والمعادن، وعن الشركة «ولوديهملتن» وذلك بعد أخذ ورد ومساومات، ومن ضمن ذلك منجم المهد، ولكن هذا نفد إنتاجه بعد عشرين عاماً، بعد أن ساهم مساهمة متواضعة في واردات الدولة إذ عاد عليها بربح صافي بلغ العشرة ملايين من الدولارات، وفيها عثر العمال بينما هم يحفرون أساس القسم الشمالي لمدرسة العلوم الشرعية في المدينة المنورة الواقعة بقرب باب النساء بعد عمق أربعة أمتار على مصباح زيت قديم، ووجدوا هناك بركة صغيرة ومجاري مياه وقطعاً من قلل الماء.

ونحن نوردها هنا كلمات خالدة عن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن حينما قام خطيباً في المأدبة الملكية التي أقيمت لتكريم وفود بيت الله مساء يوم الجمعة ٥ ذي الحجة من السنة التي قبل هذه حيث يقول أنا مبشر أدعو لدين الإسلام ونشره بين الأقوام، أنا داعية لعقيدة السلف الصالح، وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وما جاء عن الخلفاء الراشدين.

أنا مسلم وأحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين ولو على يد عبد حبشي، وإنني لا أتأخر عن تقديم نفسي وأسرتي ضحية في سبيل ذلك، أنا عربي وأحب عز قومي والتآلف بينهم، وتوحيد كلمتهم، وأبذل في ذلك مجهوداتي، أنا مسالم ومدافع، أنا مسالم للناس وأحب النصيحة قبل كل شيء، لأن الدين النصيحة لله وللرسول ولأئمة المسلمين وعامتهم، أنا مدافع لأنني ما حاولت في وقت من الأوقات أن أعتدي على إخواني

وأبناء قومي، وكنت في كل وقت أقابل ما يصدر إلي منهم من إساءة أو خطيئة بصدر رحب على أمل أن يرجعوا إلى الصواب، ولكنني إذا رأيت تمادياً في الغي والإساءة اضطر حينئذ للدفاع، أنا عربي ومن خيار الأسر العربية ولست متطفلاً على الرياسة والملك، فإن آبائي وأجدادي معروفون منذ القدم بالرئاسة والملك، ولست ممن يتكلمون على سواعد الغير في النهوض والقيام، وإنما اتكالي على الله ثم على سواعدنا يتكئ الآخرون ويستندون إلى آخر كلمة.

وفيها وفاة الشيخ عبدالله بن احمد العجيري تغمده الله برحمته وأسكنه بفضله فردوس جنته، وكان يسمى «راوية نجد» لما قام به من جمال الصوت وحسن الإلقاء، كما اشتهر بقوة الحافظة العجيبة، وبسعة اطلاعه على آدابالعرب وأخبارها وعلومها وآثارها، حتى نشرت جريدة أم القرى ترجمة له وسمته «أديب نجد» وكان يختصه الملك عبدالعزيز للسفر في معيته لما لديه من العلوم والأخبار، ولقد رثاه الشيخ الأديب محمد بن عبدالله بن عثيمين بمرثية بديعة، وذكر فيها شيئاً من صفات المترجم، ذلك لما كان بينهما من تقارب السن ورابطة الجوار، وتماثل الفضل، ولأنه من خلصاء الشاعر ورواة شعره، وأعز أصدقائه، فقد عاش خدنين تجمعهما أواصر العلم والآدب:

هو الموت ما منه ملاذٌ ومهربٌ ... متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب
نشاهد ذا عين اليقين حقيقةً ... عليه مضى طفلٌ وكهلٌ وأشيب
ولكن على الران القلوب كأننا ... بما قد علمناه يقيناً نكذب
نؤمل آمالاً ونرجو نتاجها ... وعلى الردى مما نرجيه أقرب
ونبني القصور المشمخرات في الهوى ... وفي علمنا أنا نموت وتخرب
ونسعى لجمع المال حلاً ومأثماً ... وبالرغم يحويه البعيد وأقرب
نحاسب عنه داخلاً ثم وخارجاً ... وفيم صرفناه ومن أين يكسب
ويسعد فيه وارثٌ متعففُ ... تقيٌ ويشقى فيه آخر يلعب
وأول ما تبدو ندامة مسرفٍ ... إذا اشتد فيه الكرب والروح تجذب

ويشفق من وضع الكتاب ويمتني لو أن رد للدنيا وهيهات تطلب
ويشهد منا كل عضو بفعله وليس على الجبار يخفى المغيب
إذا قيل أنتم قد علمتم فما الذي عملتم وكلٌ في الكتاب مرتب
وماذا كسبتم في شبابٍ وصحةٍ وفي عمر أنفاسكم فيه تحسب
فيا ليت شعري ما نقول وما الذي نجيبُ به والأمر إذ ذاك أصعب
إلى الله نشكو قسوةً في قلوبنا وفي كل يومٍ واعظ الموت يندب
ولله كم غادٍ حبيبٍ ورائحٍ نشيعه للقبر والدمع يسكب
أخٌ أو حميمٌ أو تقيٌ مهذبٌ يواصل في نصح العباد ويدأب
نهيل عليه الترب حتى كأنه عدوٌ وفي الأحشاء نارٌ تلهَّب
سقى جدثاً وارى ابن أحمد وابلٍ من العفو رجاس العشيات صيب
وأنزله الغفران والفوز والرضى يطاف عليه بالرحيق ويشرب
فقد كان في صدر المجالس بهجةً به تحدق الأبصار والقلب يرهب
فطوراً تراه منذراً ومحذراً عواقب ما تجني الذنوب وتجلب
وطوراً بآلاء الإله مذكراً وطوراً إلى دار النعيم يرغب
ولم يشتغل عن ذا ببيعٍ ولا شرا نعمٌ في ابتناء المجد للبذل يطرب
فلو كان يفدى بالنفوس وما غلا لطبنا نفوساً بالذي كان يطلب
ولكن إذا تم المدى نفذ القضاء وما لامرءٍ عما قضى الله مهرب
أخٌ كان لي نعم المعين على التقى به تنجلي عني الهموم وتذهب
فطوراً بأخبار الرسول وصحبه وطوراً بآدابٍ تلذ وتعذب
على ذا مضى عمري كذاك وعمره صفيين لا نجفو ولا نتعتب
وما الحال إلا مثل ما قال من مضى وبالجملة الأمثال للناس تضرب
لكل اجتماعٍ من خليلين فرقةً ولو بينهم قد طاب عيشٌ ومشرب
ومن بعد ذا حشرٌ ونشرٌ وموقفٌ ويوم به يكسى المذلة مذنب
إذا فرَّ كلٌ من أبيه وأمه كذا الأم لم تنظر إليه ولا الأب

وكـم ظـالمٍ يـدمي مـن العـض كفـه ... مقالتـه يـا ويلتـى أيـن أذهـب
إذا اقتسـموا أعمالـه غرمـاؤه ... وقيـل لـه هـذا بمـا كنـت تكسـب
وصـك لـه صـكٌ إلى النـار بعـدما ... يحمـل مـن أوزارهـم ويعـذب
وكـم قائـلٍ واحسـرتا ليـت أننـا ... نـرد إلى الـدنيا ننيـب ونرهـب
فمـا نحـن في دار المنـى غـير أننـا ... شـغفنا بـدنيا تضـمحل وتـذهب
فحثـوا مطايـا الارتحـال وشمّـروا ... إلى الله والـدار الـتي لـيس تخـرب
فمـا أقـرب الآتـي وأبعـد مـا مضـى ... وهـذا غـراب الـبين في الـدار ينعـب
وصلِّ إلهـي مـا همـى الـودق أو شـدا ... علـى الأيـك سـجاع الحمـام المطـرب
علـى سـيد السـادات والآل كلـهم ... وأصـحابه مـا لاح في الأفـق كوكـب

وفي هذه السنة مرض الشيخ العالم العلامة محمد بن عثمان الشاوي، وهو مقيم في مكة المشرفة، فألجأته الأحوال إلى أن يدرس مضطجعاً إجابةً لطلب تلامذته وأحبابه، وكان مرضه في فخذه بداء السرطان، فقال في ذلك قصيدةً عظيمة شكى إلى ربه حالته ويسأله كشف ضره، ولما قال هذه القصيدة سعى الملك عبدالعزيز في علاجه وبذل جهوداً جبارة لعلاجه في المملكة العربية السعودية وخارجها، غير أن الله لم يأذن جزاه الله خيراً، وهذه القصيدة المشار إليها:

أسـير الخطايـا عنـد بابـك يقـرع ... يخـاف ويرجـو الفضـل فالفضـل أوسـع
مقـرٌ بأثقـال الـذنوب ومكثـر ... ويرجـوك في غفرانهـا فهـو يطمـع
فإنـك ذو الإحسـان والجـود والعطـا ... لـك المجـد والإفضـال والمـنُّ أجمـع
فكم من قبيحٍ قـد سـترت عـن الـورى ... وكـم مـن نعيـمٍ تـترى علينـا وتتبـع
ومـن ذا الـذي يرجـى سـواك ويتقـى ... وأنـت إلـه الخلـق مـا شـئت تصـنع
فيـا مـن هـو القـدوس لا ربَّ غـيره ... تباركـت أنـت الله للخلـق مرجـع
ويا من على العـرش استوى فـوق خلقـه ... تباركـت تعطـي مـن تشـاء وتمنـع
بأسمائـك الحسـنى وأوصـافك العلـى ... توسـل عبـدٌ بـائسٌ يتضـرع
أعـني علـى المـوت المريـرة كأسـه ... إذا الـروح مـن بـين الجـوانح تنـزع

وكـن مؤنسـي في ظلمـة القـبر عنـدما يـركم مـن فـوقي الـتراب وأودع
وثبـت جنـاني للسـؤال وحجـتي إذا قيـل مـن ربٌّ ومـن كنـت تتبـع
ومـن هـول يـوم الحشـر والكـرب نجني إذا الرسـل والأمـلاك والنـاس خشـع
ويـا سـيدي لا تخزنـي في صـحيفتي إذا الصـحف بـين العـالمين تـوزع
وهـب لـي كتـابي بـاليمين وثقلـن لميـزان عبـدٍ في رجائـك يطمـع
ويـا رب خلصـني مـن النـار إنهـا لبـئس مقـراً للغـواة ومرجـع
أجرنـي أجرنـي يـا إلهـي فلـيس لـي سـواك مفـرٌّ أو مـلاذٌ ومفـزع
ويـا سـيدي هـب لـي مـن الخلـد منـزلاً فـإن عطـاء شـئته لـيس يمنـع
وإنـك تعطـي الجـزل فضـلاً وتغفـر الـ عظـيم وفضـل الله أعلـى وأوسـع
وهـب لـي شـفاءً منـك ربـي وسـيدي فمـن ذا الـذي للضـر غـيرك يـدفع
فأنـت الـذي ترجـى لكشـف ملمـةٍ وتسـمع مضـطراً لبابـك يقـرع
فقـد أعيـت الأسـباب وانقطـع الرجـا سـوى منـك يـا مـن للخلائـق مفـزع
إليـك إلهـي قـد رفعـت شـكايتي وأنـت بمـا ألقـاه تـدري وتسـمع
ففـرجّ لنـا خطبـاً عظيمـاً ومعضـلاً وكربـاً يكـاد القلـب منـه يصـدع
ومـاذا علـى ربـي عزيـزٍ وفضـله علينـا مـدى الأنفـاس يهمـي ويهمـع
فكـم مـنح أعطـى وكـم محـن كفـى لـه الحمـد والشـكران والمـن أجمـع
وأزكـى صـلاة الله ثـم سـلامه علـى المصـطفى مـن في القيامـة يشـفع
محمـد المختـار مـن نسـل هاشـم وآلٍ وأصـحابٍ ومـن كـان يتبـع

ولقد كانت هذه القصيدة عظيمة تدل على عظمة منشئها وما لديه من العلم والمعرفة، وقوة الإيمان، ورسوخ العقيدة، ولا ننسى مآثر صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن وما بذله من الأعمال الطيبة التي سيجازيه الله عليها.

وفيها صدرت إرادة الملك عبدالعزيز بإحضار ساعة عظيمة ضخمة، فركبت على قاعدة فوق دار الحكومة المسماة بالحميدية، وكان ارتفاعها خمسة عشر متراً عن سطح دار الحكومة، كما أنه يبلغ ارتفاعها عن سطح أرض الشارع الفاصل

بين دار الحكومة وبين المسجد الحرام أكثر من خمسة وعشرين متراً، وصارت بهذا الارتفاع تضاهي منائر المسجد الحرام، وهي ذات وجهتين إحداهما مطلة على المسجد الحرام وشارع المسعى، والأخرى مطلة على محلة أجياد، ويسمع صوت دقات جرسها كل من كان في المسجد الحرام، وشارع المسعى وسكان المدارس التي حول المسجد الحرام وما جاوره، وتضاء مينتها ليلاً بالكهرباء، وقد شدت قاعدتها بالآجر والنورة والحديد وأحكمت إحكاماً متقناً، ولا شك أن هذه الساعة أول ساعة وجدت بالحجاز بهذه الصفة ضخامةً وضبطاً وقوةً وبهاءً، وأصبحت هذه الساعة هي الوحيدة للمسجد الحرام يعتمد عليها في التوقيت، ولما أن أحضرها وزير المالية عبدالله بن سليمان عهد إلى أمين العاصمة إذ ذاك عباس قطان بوضعها في الموضع المذكور.

وفيها جمع العلماء رسالة نصيحة في الحث على طلب العلم، جاءت بعد البسملة: من عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وعمر بن محمد بن سليم، وصالح بن عبدالعزيز، ومحمد بن إبراهيم آل عبداللطيف، إلى كافة المنتسبين لطلب العلم من أهل نجد، وفقهم الله تعالى وهداهم وتولانا وإياهم، ثم ذكروا الآداب التي ينبغي لطالب العلم أن يتأدب بها، وحثوا على التشمير في الطلب والجد والاجتهاد، وكان تحرير كتابتها في ١٧ ذي القعدة من هذه السنة ثم إنه سجل عليها جلالة الملك وصدق في أسفلها بأن ما كتب المشايخ هو الحق ونصح، وأبلغ وألزم من كان أهلاً لطلب العلم أن يطلبه، وأكد في ذلك وختمها بتاريخ ما تقدم، فجزى الله من أعان الإسلام وأهله ولو بشطر كلمة، وسدد إمام المسلمين ومشايخ الإسلام الأئمة الأعلام، وكان لهذه النصيحة أعظم الوقع في القلوب، وفعلاً قد بادر العلماء إلى القيام على الطلاب، ولكنها قد غلبت الفترة والكسل على أكثر النفوس فأوثرت الدنيا على الآخرى، فما كأنها تبصر ولا تسمع وأصبح الخلق في نقص في أمور دينهم، ووقع الوهن وضعفت العزائم والهمم، وحلت مصيبةً عمت فأعمت، وعظمت فأصمت، وأصيب المسلمون بنقص العلماء، وكثرة السفهاء وزهد أبناء

العلماء ببضاعة آبائهم، وقلَّ العلماء، وعدم الاعتناء من المرسومين في هذا الرسم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العي العظيم، وهذا أمر قضاه الله وقدره، ومن سبر حالة طالب العلم في زمننا هذا فإنه لا بد أن يصده عن الطلب حقيقة، أما جمع الدنيا والسعي في نيل حطامها والانهماك في تحصيلها من كل الجهات فتشغله عما هو في صدده، وأما أن يختطفه الموت فتصاب به الأمة ولا يخلفه غيره، فبذلك انتزع العلم بموت العلماء وزهد بنو الزمان بتلك البضاعة والسير في طريق الإضاعة، وإذا رأيت حالتنا فإنها تؤسف، فقيرنا لا يرحم، وغنينا لا يعطف، وكبيرنا لا يتواضع، وصغيرنا لا يتأدب، ونسيت الحقوق، وأهملت التقاليد الطيبة، وعشقت التقاليد الأجنبية، فعياذاً بالله من السوء.

وفي هذه السنة تعين أحمد سالم الجوهري مديراً لمعمل كسوة الكعبة المعظمة، فقام بأحسن القيام بها، وكسيت الكعبة في هذه السنة بكسوة في غاية الجمال والإتقان على نفقة الحكومة السعودية، فازداد سرور الجميع بذلك، وحج بالناس جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وحج من أعيان أهل نجد الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف، والشيخ عمر بن محمد بن سليم قاضي بريدة، وفيها حجتنا للفرض، ولله الحمد والمنة.

ثم دخلت سنة ١٣٥٣هـ

استهلت هذه السنة بانتصار سيد الجزيرة، ففي ٢ محرم الموافق للاثنين قدم الوفد الموفد من جميع الدول الإسلامية بأسباب مناشدة يحيى للوساطة في إيقاف الحرب بينه وبين ابن سعود، فبادر المؤتمر الإسلامي بانتداب وفد مكون من صاحب السماحة أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين، وصاحب الدولة هاشم بك الأتاسي رئيس الوزارة السورية سابقاً، ومحمد علي علوبه باشا وزير الأوقاف المصرية سابقاً، والأمير شكيب أرسلان، يرافق الجميع الأستاذ علي أفندي رشيد سكرتيراً للوفد، ولما أن قدم هذا الوفد إلى جدة في اليوم

المذكور استقبل من قبل الحكومة السعودية استقبالاً فائقاً، ووردت برقية في نفس الوقت من الإمام يحيى إلى صاحب الجلالة الملك يطلب فيها إيقاف القتال وأنه على استعداد لقبول شروطه، فوافق جلالة الملك على ذلك بشروط أهمها إخلاء نجران، وتخليه الجبال، وفك الرهائن السجناء، وتسليمه الأدارسة، فتلكأ يحيى، ومضت جنود ابن سعود في تقدمها حتى استولت بقيادة الأمير فيصل على مدينة الحديدة، كما استولت على بلدة الطائف الواقعة جنوب الحديدة التي تعد مرفأ للزرانيق، وكذلك استولت على بيت الفقيه، والزيدية، والقطعية، وقدمت له قبائل الزرانيق الطاعة، فلم يسع الإمام يحيى إلا أن يرضخ في النهاية.

صفة سقوط الحديدة

كان الإمام يحيى عندما بدت المناقشات بينه وبين جلالة الملك عبدالعزيز في قضية عسير أرسل إلى الحديدة نجله الأصغر حسيناً ليرابط هناك مع كتائبه، وكان الأمير عليها من قبله رجلاً يدعى سليم بك، كان لديه معرفة وجديراً بالرجولة، فلما شاء الله الذي لا يرد قضاءه أن تسقط الحديدة، أقبل في أحدى الليالي إلى الحديدة رسول سري يحمل نبأ وفاة الإمام يحيى في صنعاء فانضاف إلى ذلك أن الأمطار قد بللت السلك التلفوني فانقطعت المخابرات بين الحديدة والعاصمة، فأخذ الأمير سليم بك ينصح لحسين بن الإمام يحيى بأن يمشي في كتائبه في الحال إلى صنعاء، فأخذ الشاب نصيحته على القبول لأنه لا يخالف رأيه.

وأيضاً إنه قد سئم حسين الإقامة بمدينة الحديدة، فاغتنم هذه الفرصة وغادر الحديدة حذراً عما سيتوقع من الاقتحام على ملكهم والاستيلاء على الأموال.

ثم فرَّ الأمير سليم بك بعدما حمل المال، فالتقى في الطريق بزميله أمير ميدي، وكان عبداً محرراً، وقد صنع كصنعه، فرَّ بالمال معه، فمضيا إلى كمران، وهي جزيرة إنكليزية، وقد أملا أن يستقبلا فيها استقبالاً حسناً، فتم لهما ذلك، وتمكنا بسهولة من الذهاب إلى عدن على مركب إنكليزي صغير، فلما وصلا إلى عدن اعتقلهما المقيم الإنكليزي فانتزع منهما المال وأودعهما السجن.

ثم إن الأمير فيصل بن عبدالعزيز احتل الحديدة بعدما أخلاها جيش الإمام إخلاء تام قبيل احتلاله بعشرين يوماً، فدخلها فيصل بنفسه من الغد يوم السبت ٢١ محرم، وأقام فيها آلة اللاسلكي للاتصال بالمملكة العربية السعودية، وكان قد استصحبها كما استصحب آلات أخرى لذلك، وأنشأ فيها مركز للشرطة والمالية والأوقاف، وموضعاً للمعارف تمهيداً لجعلها سعودية، بل قد أرسل مدير ماليته لترتيب شؤونها المالية، وأصدر أمره بالاحتفاظ بجميع الموظفين اليمنيين مع زيادة رواتبهم، فكان الفرح والجذل لا يوصف، فلما أدرك الإمام يحيى خطورة الموقف وعبث المقاومة والقتال أقرَّ مطالب جلالة الملك التي اشترطها حيث أخلى الجبال، وفكَّ الرهائن، وأمر بتسليم الأدارسة، فعندها أمر ابن سعود جيوشه بالاحتفاظ بالأماكن التي احتلتها، وتوقيف القتال في جميع الجهات.

وأرسل الإمام وفده إلى الطائف للدخول في مفاوضات الصلح، وكان ابتدائه في التنفيذ في أوائل صفر، وفي ٢٤ منه سلمَّ عائلات الأدارسة وحاشيتها إلى الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وكانت نحواً من ثلاثمائة شخص وعلى رأسهم الحسن الإدريسي، وعبدالعزيز الإدريسي، فأكرم الأمير وفادتهم وجرى إخلاء معظم الجبال.

ذكر عقد الاتفاقية وانتصار ابن سعود

فنقول كانت إيطاليا أرادت أن تبحث لها عن منفذ في بلاد العرب، راحت تسلك سياسة نفوذ في اليمن، فتلقاها الإمام يحيى في أول الأمر بكثير من التحفظ، وكان قبل أن يتعاقد مع الإيطاليين حاول أن يفاوض الحاكم الفرنسي في جيبوتي بعقد علاقات تجارية وشراء ذخائر للحرب، والاستعانة بالمهندسين الفرنسيين، وأرباب الصنائع الفرنسية، على أن مسيو باشون للساك الحاكم الفرنسي في جيبوتي رفض أن يعقد مع الإمام يحيى علاقات كهذه جاهلاً ما وراءها من الفوائد، لأنها صحت عزيمة يحيى على فتح ذراعيه للإيطاليين، ومنذ ذلك الحين أخذ هؤلاء

يبذلون جميع المساعي لإرضاء رغائب اليمنيين، حتى لم يجد الإمام يحيى بداً من مكافأتهم على الخدم التي أدوها إلى بلاده، فوعدهم بمقاطعة عسير، وكان وعده هذا سبباً لما وقع بينه وبين المملكة العربية السعودية، وأيضاً ما حدث بعد ذلك وما جعل الحرب واقعة حتماً فهو اتفاق يحيى والأدارسة حكام عسير على مساعدتهم للرجوع إلى إمارتهم، والآن فإن إيطاليا قد خسرت بعد الحرب والمعاهدة نفوذهم في اليمن بعدما أنفقوا الملايين لبسط هذا النفوذ، وبعدما هللت إيطاليا واستبشرت بعقد المعاهدة بينها وبين الإمام يحيى، ومنحوا عاقدها السنيور غاسباريني الرتب والأوسمة، مضى بعد عقدها نحو ثماني سنين لم ينالوا من يحيى منالاً، وها قد فقدوا آخر أمل مقاطعة عسير، فانتصار ابن سعود على اليمن قد قضى على آمال إيطاليا في عسير وغير عسير، وكان يحيى قد لجأ إلى إيطاليا لما طوقت بلاده القوات السعودية، وخسر غالبها فجاءت الإمدادات من قبلها مالاً ورجالاً، غير أنها لم تفلح، وذلك لأن الحكومة قابلت إيطاليا بإيقاف تلك الإمدادات وأرشدتها إلى حسن التفاهم بأنها إن كانت الحرب بين العرب فلا دخول لأجنبي فيها، وإن كانت إيطاليا تريد أن تتدخل بما لا يعنيها فلا بد من اتخاذ تدابير أخرى والسعي لدى الحلفاء بمضادتها، فوقفت إيطاليا مكتوفة اليدين، وما كان بوسعها أن تسعى لما يضر بأمرها، وقد انتصر القائد العظيم فيصل بن عبدالعزيز الانتصار المؤزر في هذه الحرب حتى دوى ذكره بين الخافقين وطرد الجيوش اليمنية من الأراضي السعودية التي احتلتها، واحتل بلداناً وقرى كثيرة في حرب أدهشت اليمنيين، بل أدهشت العالم فخسروا المال والرجال والعتاد، كما خسروا المدن والقرى.

وكان الأمير محمد بن عبدالعزيز في خميس مشيط بما تحت يده من الجنود، ولما أن التقى ابن الوزير بجلالة الملك عبدالعزيز شوهد من عاهل الجزيرة شجاعة تتلاشى دونها الأبطال، وترجف لها أفئدة الصناديد من الرجال.

ولما أن كلم ابن الوزير مندوب يحيى وجعل يعدد طلباته، أجاب ابن الوزير بأن جميعها منفذة، وطلب من صاحب الجلالة أن يرد على يحيى مدينة الحديدة

والتلغراف الذي فيها فأجابه بقوله هي له، وأرد عليه أيضاً ميدي، وبذلك ظهر للعالم عدل ابن سعود، وعجبوا من سماحته ورحابة صدره ومحافظته على كل رعاياه على السواء، وأصبح الناس الذين يكرهون الوهابيين ويعدونهم قساة عتاه قد أبدلوا رأيهم، بعدما شاهدوا من أفعال جلالة الملك تلك الأفعال، فإن انتصاراته قد أثارت العواطف في سوريا والعراق وشرقي الأردن، ولا يبعد أن تجتمع هذه الجماعات العربية في أمرها على طلب حكمه وتفضيله على سواه، بل حصلت الجامعة العربية بعد ذلك وأصبح ابن سعود خطراً داهماً قوياً، ولقد كان بإمكانه أن يكتسح مواطن يحيى وأمصاره وانتهت الحال إلى عقد معاهدة شديدة قوية، ولكانت عاسفة فهو المنتصر وهو الفاتح، وباستطاعته أن يفعل ما يشاء وإن يقرر ما يريد.

ومما لا ريب فيه أن الله تعالى نصره بحسن نيته وعفوه وحلمه على من جهل عليه، وبذلك ظهر ابن سعود سياسي بارع شذبته الأيام وصقلته الصعاب والحوادث، وعلمته التجارب، وقد أظهر حقاً أنه قوي وأنه عادل، وأظهر أنه سريع البطش، صادق العفو، وأنه يستطيع ساعة الظفر وعند الثورة أنه يعتدل في موقفه، وأن يقنع بما يعتبر أنه ممكن وأنه ليس فوق الطاقة ولا فوق الإمكان، كما قد ظهر للعالم أجمع ما كان من أمر تعدي على جلالته في مسألة الحدود.

معاهدة الطائف

لما كان في ٦ صفر وقعت معاهدة الطائف بين ابن سعود وبين يحيى، فقام بالنيابة عن ابن سعود نجله خالد بن عبدالعزيز، وعن يحيى بالنيابة عنه عبدالله بن الوزير، وقد فوض الملكان لمندوبيهما المذكورين الصلاحية التامة والتفويض المطلق، وسميت هذه المعاهدة معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية، وهذا نص ما تيسر منها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة على من لا نبي بعده، نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، بما أنه عقدت بيننا وبين حضرة

صاحب الجلالة الملك الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك المملكة اليمانية معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية لإنهاء حالة الحرب الواقعة لسوء الحظ بيننا وبين جلالته، ولتأسيس علاقات الصداقة الإسلامية بين بلدينا وقعها مندوب مفوض من قبلنا، ومندوب مفوض من قبل جلالته، وكلاهما حائزان على صلاحية تامة متقابلة، وذلك في مدينة جدة في اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف، وهي مدرجة مع عهد التحكيم والكتب الملحقة بها فيما يلي معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية بين المملكة العربية السعودية وبين من جهة المملكة اليمانية، حضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية من جهة، وحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن من جهة أخرى، رغبةً منهما في إنهاء حالة الحرب التي كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما وبين حكومتيهما وشعبيهما، ورغبةً في جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها، وحفظ كرامتها واستقلالها، ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلاديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة، وحباً في تثبيت الحدود بين بلاديهما، وإنشاء علاقات حسن الجوار وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما، وتقوية دعائم السلم والسكينة بين بلاديهما وشعبيهما، ورغبةً في أن يكون عضداً واحداً أمام الملمات المفاجئة وبنياناً متراصاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية قررا عقد معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما، وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضَين عنهما وهما: عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية حضرة صاحب السمو الملكي الأمير خالد بن عبدالعزيز نجل جلالته، ونائب رئيس مجلس الوكلاء، وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن السيد عبدالله بن أحمد الوزير، وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الأنفي الذكر الصلاحية التامة والتفويض المطلق.

وبعد أن اطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض التي بيد كل منهما فوجداها موافقة للأصول، قرر باسم ملكيهما الاتفاق على المواد الآتية:

«انتهاء حالة الحرب»

المادة الأولى: تنتهي حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة، وتنشأ فوراً بين جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم وصداقة وطيدة، وأخوة إسلامية عربية دائمة لا يمكن الإخلال بها جميعها أو بعضها، ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الود والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما، وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات، ويشهدان الله على حسن نواياهما ورغبتهما الصادقة في الوفاق والاتفاقات سراً وعلناً، ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القويمة التي فيها رضاء الخالق، وعز قومهما ودينهما، وتبادل احترام الاستقلال والحدود.

المادة الثانية: يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر بالاستقلال كل من المملكتين استقلالاً تاماً مطلقاً، وبملكيته عليها فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى، ولخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تاماً مطلقاً، وبالملكية على مملكة اليمن، ويعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حمد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز ولخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تاماً مطلقاً، وبملكيته على المملكة العربية السعودية، ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية المبينة في صلب هذه المعاهدة، إن جلالة الإمام الملك عبدالعزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو استقلال أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة وغيرهما، كما أن جلالة الإمام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو استقلال أو غيرهما في البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاد يام.

«صلات المتعاقدين»

المادة الثالثة: يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات بما فيه حفظ مصالح الطرفين، وبما لا ضرر فيه على أيهما على أن لا يكون ما يمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث، ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله.

«خط الحدود»

المادة الرابعة: خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفسير الكافي فيما يلي، ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التي تخضع لكل منهما، يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية، ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بني جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود نفعة ووعار التابعتين لقبيلة وائلة، وبين حدود يام، ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعيبة بن فادة، ثم ينحرف من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عد أيام من همدان بن زائد وابلي وغيره وبين يام، فكلما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التي على ساحل البحر إلى منتهى الحدود في جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية، وكلما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية، فما هو من جهة اليمين المذكورة هو ميدي وحرض وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العمادي وجميع بلاد وجبال رازخ، ومنبه مع عرو آل مشيخ، وجميع بلاد وجبال بني جماعة، وسحار الشام يباد وما يليها ومحل مريصفة من سحار الشام وعموم سحار، ونقمة ووعار وعموم وائلة، وكذا الفرع مع عقبة نهوقة وعموم من عدا يام، ووادعة ظهران من همدان بن زيد

هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة، وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو في جهة اليمين، فهو من المملكة اليمانية، وما هو في جهة اليسار المذكورة وهو الموسم ووعلان وأكثر الحرث والخوية والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفاء وبني مالك وبني حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وتزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة، وكلما هو تحت عقبة نهوقة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق، هؤلاء المذكورون وبلادهم بحدودها المعلومة، وكلما هو بين الجهات المذكورة وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢هـ، كل ذلك هو في جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية.

التحكيم في الحدود وما ذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو في نجران من وائلة فهو بناء على ما كان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبدالعزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية، وحيث أن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائل في نجران هم من وائلة، ولم يكن دخولهم في المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر فذلك لا يمنعهم ولا يمنع إخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به، ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية الخ.

«عدم تحصين الحدود»

المادة الخامسة: نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين في دوام السلم والطمأنينة والسكون وعدم إيجاد أي شيء يشوش الأفكار بين المملكتين فإنهما يتعهدان تعهداً متقابلاً بعدم إحداث أي بناء محصن في مسافة خمسة كيلو مترات في كل جانب من جانبي الحدود في كل المواقع والجهات على طول خط الحدود.

«سحب الجنود»

المادة السادسة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فوراً عن البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر مع صون الأهلين والجند عن كل ضرر.

«منع الغزو والعدوان»

المادة السابعة: يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالي مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالي المملكة الأخرى في كل جهة وطريق الخ.

ثم كانت المادة الثامنة: في حل المشاكل سلمياً الخ.

ثم كانت المادة التاسعة: في التحالف في دفاع الهجوم: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يمنع بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لأي عمل عدواني، أو شروع فيه أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر، كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر الخ، ثم ضبطت هذه المادة وأحكمت إحكاماً تاماً، وعلى قياس ذلك بقية المواد التي بلغت عقد العشرين، ولولا الإطالة لأتينا بها كلها.

وفيها بعث حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود إلى رؤساء العلماء، وهم: الشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ يطلب منهم قضاة ومرشدين وأئمة مساجد لبلدان اليمن التي استقرت يده عليها، فقام العلماء وألقوا أناساً فضلاء من أهل العلم وطلابه، وهؤلاء هم:

الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان، والشيخ عبدالرحمن بن عقيل صاحب عنيزة، وعبدالله بن عودة آل سعوي، وإبراهيم العمود، وعبدالله بن محمد بن عامر، وصالح بن سليمان بن حميدة، وعلي بن عبدالرحمن بن عطية، وعبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل، وعبدالرحمن بن طرباق، فذهب هؤلاء وغيرهم كابن سلطان، وابن طاسان للحج، وبعد الحج بعثوا إلى مقر أعمالهم.

وكان قد شجعهم جلالة الملك لما أن استلموا مرتباتهم، وأخبرهم أن القليل من علمهم كثير لأنهم سيقدمون على أمم جهال فاستقر كل منهم ببلدة، واستمروا في أعمالهم، فكان على قضاء أبو عريش الشيخ عثمان، وعلى جيزان الشيخ ابن عقيل، وعلى قضاء صبيا الشيخ ابن عودة وهكذا، وجعلوا يعلمون ويرشدون وينهون عن الشرك بالله والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، ويوضحون إخلاص العبادة لله وتوحيده، فكان لدعوتهم أثر عظيم يذكر، وأبانوا لأولئك الناس الذين طال عليهم الأمد واندرست فيهم معالم الشريعة لضعف الداعي وقلة الاعتناء بتقاليد الملة، فأصبحوا مبصرين وعن غيهم مرتدعين، وجعلوا يغرسون فيهم بذور الحق، ويدأبون في محق الباطل.

وما أحسن الغاية التي يقصدونها، والخطة التي يسلكونها، والضالة التي ينشدونها، نسأل الله تعالى أن يظهر دينه وينصر حزبه، ويرشد الجاهلين، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، هذا وإني ألفت نظر القارئ إلى ما لهؤلاء الأئمة الأمجاد والسادة الكرام الذين هم كانوا ذخراً في الأزمات والأهوال والأنكاد، وهم آل سعود الذين طهر الله بهم الأرض من المصائب، ورفع بهم أعلام الهدى، حتى نالت أعلى المراتب، وجدوا في نصرة الدين، وبذلوا مهجهم في الجهاد لكبح المشركين، نسأل الله تعالى أن يجزيهم عن الإسلام والمسلمين خيراً، وأذكرك بالله أيها المسلم ما قام به محمد بن سعود ونجله وحفيده، وما سار به على نهجهم الإمام تركي بن عبدالله ونجله فيصل، وسار على نهجهم أمير المؤمنين وخليفة المهتدين أبو تركي عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي ذكرنا بعدله وهدايته ودينه وتوفيقه وآثار آبائه وأجداده، وإنها لمفخرة عالية لهذه المملكة وأهلها أن يقوم من بين ظهرانهم أولئك الأئمة الذين رفع الله قدرهم وأشاد في العالمين ذكرهم، أولئك الأسود الغطارفة الذين بنوا في الدنيا فخراً لا ينسى، ونسأل الله تعالى أن يوفق أبناءهم ويهديهم لمكارم الأخلاق والتأسي بآبائهم وأجدادهم.

هذا ويعلم الله أني لست متآكلاً ولا مستجلباً لعطاء، بل كنت أقرّ بالفضل

لأهله واضح المديح لمن يستحقه، وإني لأشكر الملك الراحل عبدالعزيز على ما اتصف به من الفضائل والمكارم، ولله در الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين، حيث يقول في مرثية الإمام عبدالرحمن بن الإمام فيصل بن تركي تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته، وإن كان الأولى بها أن تذكر في ترجمته ذلك بأنه إمام المسلمين وقدوة الموحدين، وسلالة الأمجاد الأكرمين:

تعز وإني والمصاب جليل ... فخل الجموع الجامدات تسيل
رزئنا زمام الفضل والدين والتقى ... نعم نجله الميمون منه بديل
بدور علا هذا هوى لمغيبه ... وذا في سماء المكرمات يجول
فيالك بدراً أطلع الشمس بعده ... وثجاج مزن أعقبته سيول
دعا عابد الرحمن للفوز ربه ... وجنات عدنٍ ظلهن ظليل
مضى طاهر الأعراض والشيم التي ... بجسم العوالي غرةٍ وحجول
مضى كافل الأيتام في كل شتوةٍ ... إذا عمَّ أقطار البلاد محول
مضى هضبة الدنيا التي يلتجي بها ... طريد جنايات جفاه قبيل
ترجع فيه المكرمات حنينها ... كما رددت رجع الحنين عجول
فلا ذخر بعد اليوم للدمع والأسى ... وإن كان لا يشفى بذاك غليل
فلله كم عين تحلب دمعها ... وكم زفرةٍ إثر البكاء وعويل
فلو كان يفدى بالنفوس ولو غلت ... فداه همام أشوس ونبيل
ولو كان من خصم تنمردونه ... رجالٌ بأيديهم قنا ونصول
إذا ما اعتلوا قب الأباطل لم يكن ... لهم أوبة أو يستباح قتيل
ولكن قضاء مبرمٌ يستوي به ... مليكٌ عزيزٌ في الورى وذليل
نؤمل في الدنيا بقاءً وصحةً ... وهذا محال لو صحون عقول
وفي سيد الكونين للناس أسوةً ... مصابٌ به كل الأنام ثكول
هو المرء في الدنيا غريبٌ مسافرٌ ... ولا بد من بعد الرحيل نزول
سقى جدثاً وارى المكارم والعلا ... من العفو رجاس السحاب همول

ملث إذا ما راث حنت عشاره وحل عراه أزيبٌ وقبول
إمام الهدى صبراً عزاء وحسبةً فعاقبة الصبر الجميل جميل
فإن يك طود الفضل زعزعه الردى وأضحى له تحت الرجام مقيل
ففيك ولا نعدمك من كل فائتٍ لنا خلفٌ للمعضلات حمول
فأنت الذي مهدت ذا الملك بعدما تلاشى وجثت من قواه أصول
وعادت بك الأيام غضاً شبابها وقد مسها بعد العتي قحول
وما مات من كنت الخليفة بعده له بك عمراً آخراً ستطول
ولولاك أقفرن المعالي ولم يكن لها بعده في الغابرين سبيل
فلا زلت في عزٍ أنيقٍ مسلماً وغال الذي يبغي الردى لك غول
وأزكى صلاة الله ثم سلامه يدومان ما ساق الغدو أصيل
على سيد السادات نفسي فداؤه إمامٌ إلى طرق النجاة دليل

ذكر الاعتداء على ابن سعود بأيدٍ يمانية

قال الله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الاحزاب:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء:٧٠].

الحمد لله ناصر عبده ومؤيد حزبه، ومهلك الظالمين بحكمته وعدله، لقد شاء الله وهو الحكم العدل أن يخذل أعداءه في كل موقف من مواقف خزيهم، وأن يحصحص الحق ويعلي كلمته، شاءت قدرته أن يذيق الذين أجمعوا أمرهم عشاء لهتك حرمات الله في أيام الله أمام بيت الله، شاءت قدرته أن يذيقهم جزاء فعلتهم موتاً زؤاماً، وكأساً علقماً مصابا.

ففي صباح اليوم العاشر من ذي الحجة يوم عيد الأضحى في الساعة الواحدة عربية سنة ١٣٥٣هـ، غادر جلالة الملك عبدالعزيز منى إلى مكة ليطوف بالبيت طواف الإفاضة قبل أن تتم الساعة الواحدة بدقائق، وقبل أن تشرق الشمس من

مخبأها، وكانت مكة هادئة صامتة، فكل من فيها قد اندفعوا إلى منى وعرفات، فعل كل حاج من مكة وغيرها، ولما أن وصل إلى المسجد الحرام يوم الجمعة وعيد بيوم الخلائق، فيه خشع منكسر الرؤوس قد استوى ملكهم وعبيدهم في اللباس والتواضع، شرع جلالة الملك في الطواف معه ولي عهده سعود ورجال حاشيتهما وحرسهما الخاص، وثلة من الشرطة بقيادة مفوض شرطة الحرم، وكان الحرس والشرطة تواكب جلالة الملك وولي عهده من الأمام واليمين والخلف والبيت على اليسار، ولا يفصل بين الملك ونجله أحد من الحرس، فعندما انتهى الشوط الرابع أكب الملك على الحجر الأسود يقبله، ثم تقدم في الشوط الخامس، ولما أن حاذى باب الكعبة إذا برجل يخرج من فجوة حجر إسماعيل الشامية منضياً خنجره وهو يصيح بصوت مرتفع صياحاً منكراً بكلام غير مفهوم تماماً، فقابل لدى خروجه أفراد الشرطة الذين يسيرون في مقدمة الموكب الملكي فمسك به أحدهم قاصداً رده، ولكن المجرم عاجله بطعنة من خنجره فوقع الشرطي الشجاع أحمد بن موسى العسيري على الأرض ودمه يقطر، فأمسك بالمجرم شرطي آخر هو مجدوع بن شبياب، ولكنه أصيب أيضاً بطعنة من خنجر المجرم، فمال إلى جانب رفيقه، وفي هذه اللحظة شوهد رفيق المجرم الأول يتقدم من خلف الموكب، والظاهر أنه خرج من الفجوة الأخرى لحجر إسماعيل، وجاء من جهة الركن اليماني إلى قرب الحجر الأسود، فاستعد رجال الحرس الملكي ببنادقهم، إلا أن جلالة الملك أصدر أمره المطاع في تلك الساعة الرهيبة الحرجة، بأن لا يستعمل الحرس البنادق والرصاص إلا حين الضرورة القصوى، فلما تبين أن المجرم الأول قد طعن شرطيين باسلين، وأن المجرم الثاني على وشك أن يصل إلى سمو ولي العهد، تقدم عبيد الله البرقاوي أحد الحارسين الخصوصيين لجلالة الملك فأطلق بندقيته على المجرم الأول قبل أن يتمكن من ارتكاب جنايات أخرى فخر صريعاً عند مدخل حجر إسماعيل.

أما المجرم الثاني فإنه تقدم مشهراً خنجره، وكاد أن يطعن سعوداً طعنة نجلاء، وإذا قد بدره الحارس لسموه برمية من بندقيته فأردته قتيلاً في الوقت الذي لامس

خنجره أسفل الكتف اليسرى للأمير سعود، فلم تحدث لقوة المبادرة سوى خدش بسيط ولله الحمد.

وحينما رأى المجرم الثالث ما حل برفيقيه، وكان قد خرج من مخرج الجرم الثاني، واستدار من جهة الركن اليماني، أطلق رجليه للريح قاصداً النجاة بنفسه فصرعه رصاص الشرطة والحرس الملكي فسقط على الأرض وهو ينازع، وظل على قيد الحياة ما يقرب من ساعة، تمكن المحققون في أثنائها من معرفة اسمه، وهو علي، ولم يمكن أن يعرف عن الجناة ساعة الحادثة ما يدل على شأنهم إلا أن ملابسهم وخناجرهم تدل على أنهم من الزيود اليمانيين، وتتراوح أعمارهم بين ٣٥ و٤٥ سنة.

ثم إن جلالة الملك وولي عهده أتما مناسكهما وعادا إلى منى في خير وعافية، وجلسا للوفود والمهنئين، وفي هذه الأثناء قام مدير الأمن العام مهدي بك مدير العسكر وأخطر بالأمر في منى، وحضر على رأس قوة كافية من الشرطة، وشرع في إجراء التحريات والتحقيقات لمعرفة شخصية الجناة والتحقق عن الأسباب الدافعة لهم على ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء وسط بيت الله الحرام، وبقرب الكعبة الشريفة في ذلك اليوم العظيم المبارك، وبث عيونه وأرصاده بين حجاج اليمن الذين ثبت أن الجناة منهم، وما كاد الشعب السعودي يعلم أن الجناة من الزيود اليمانيين حتى اشتد غضبه على الجناة المفسدين لولا أن تدارك ابن سعود الأمر بحكمته وأصدر أمره الكريم إلى قواد جنده بالاهتمام بصيانة أرواح الحجاج من الاعتداء، واتخاذ كافة التدابير التي تقضي على كل من يحدث أي تشويش على الحجاج، فكف الناس احتراماً للأمر وطاعة له على مضض، إلا أن السخط بلغ منهم مبلغاً لا حدَّ له وثار الحجاج المصريون يهتفون بحياة الملك ونجله، وتنادوا بالانتقام من المعتدين، لأن الجناة الزيدية ارتكبوا أشنع الجرائم في أقدس مكان، وأرادوا الانتقام على زعيم العرب، وعلى ولي العهد المحبوب، وشاركهم كل الحجاج، فشكرهم جلالة الملك على شعورهم النبيل.

ولما أن قام مدير الأمن العام مهدي بك في إجراء التحريات والتحقيقات، توصل قبل كل شيء إلى معرفة ثلاثة من الزيود كانوا يقيمون دون سائر جماعتهم الزيود عند امرأة في جبل أبي قبيس، فهاجم دار المرأة وسئلت عن نزلائها فقالت إنهم متغيبون من يوم الوقعة، ولم يحضروا بعد، فقامت القوة وفتشت غرفتهم التي كانوا فيها فعثر على ملابسهم وفيها جوازات باسم ثلاثة أشخاص وهم هؤلاء: النقيب «علي بن علي حزام الحاضري»: مستخدم في الجيش اليماني المتوكلي ورقم جوازه ٩٨ تاريخ ١ شوال ١٣٥٣هـ وهو صادر من مأمور الجوازات ومصدق عليه من عامل صنعاء، و«صالح بن علي الحاضري»: شقيق الأول جوازه رقم ٣٤ بتاريخ شوال ١٣٥٣هـ وحرفة المذكور مزارع، والجواز صادر من مأمور الجوازات ومصدق عليه من عامل صنعاء، و«مسعد بن علي مسعد»: من حجير برقم ٦٣ تاريخ ٥ ذي القعدة ١٣٥٣هـ والجواز صادر من أمير الحج اليماني السيد محمد فخان وصاحبه عسكري في الجيش اليماني المتوكلي.

ولذا عرضت جثث القتلى على المرأة التي كانوا في دارها فعرفت أحدهم اسمه صالحاً، وميزت ملابس الاثنين الآخرين نظراً لتغير الوجه في الاثنين المذكورين، وذكرت: أن أخت مطوف الشوافع أسكنتهم عندها، ولدى التحقيق مع هذه صادقت على أقوال الأولى، وقد أجرى مدير الشرطة العام التحقيق من جهة أخرى مع شيخ اليمانيين بجدة، فاعترف بأنه أعطى ورقة التصريح للسفر من جدة باسم مبخوت، وذلك بواسطة أخيه علي بن علي مبخوت الفران بجدة، وقد استجلب هذا وحقق معه وعرضت عليه جثث القتلى وصورهم الفوتوغرافية، فعرفهم واحداً واحداً، وذكر أن أحدهم مبخوت بن مبخوت الحاضري هو شقيقه بينما الاثنان الآخران هما صالح بن علي وعلي بن الحاضري، وكلاهما شقيقان، وشهد هذا الفران بأنه اجتمع مع أخيه بجدة وبات أخوه عنده ثم حضر معه إلى مكة وبات مع أخيه والاثنين الآخرين من الجناة في جبل أبي قبيس وهو ذهب إلى عرفات، أما الثلاثة فإنهم تأخروا في مكة ولم يحجوا، ولم يجتمع بهم إلا يوم العيد في الطواف،

وبعد الطواف ذهب هو إلى مقام إبراهيم بينما الثلاثة ذهبوا ومكثوا في داخل حجر إسماعيل، وقد عفى جلالة الملك عن الفران وأطلق سراحه.

ولما سأل الصحفيون جلالة الملك عن هذا الحادث المشؤوم وأثره في نفسه أجاب بقوله: إن الذين أقدموا على هذا العمل قوم ليس فيهم دين يمنعهم، وأنا شخص ليس يهمني إلا إقامة كلمة التوحيد والمحافظة على ما بيدي، والحافظ هو الله، ولما وقع وقدر الله من فضله وعنايته النجاة لم يكن همي غير المحافظة على الحجاج، ومنع تسرب أخبار الحادث إلى خارج الحرم، فأمرت بإغلاق أبواب الحرم ومنع سفك الدماء، وأتممت الطواف وخرجنا عائدين إلى منى.

وقد سأله الصحفيون هل كان يظن بأحد مثل يحيى أو ابنه أحمد؟ فأجاب بأنه لا يأخذ بالإشاعات وأقوال الناس، ثم قال: ووالله إن هذا الحادث الذي وقع في الحرم وقر في نفسي وأنا في عرفات وكأني أشعر به، ولكن قلت في نفسي إن سيكفيني الله هذا الشر، وكنت أحدّث نفسي كيف يمكن القبض على الجاني إذا تغلغل بين الناس، وبعد أن نزلت من عرفات كان الله قد أنساني ذلك الذي وقر في نفسي، ونحن مالنا في شيء من أعمالنا إلا الاعتماد على الله.

ولما سئل عن تأثر أهل مصر من هذا الحادث شكر لهم ثم قال: إنا لنشكر الله سبحانه وتعالى على ما أولانا من نعمائه، ثم نشكر وفود بيت الله الحرام والشعب على هذه العواطف النبيلة التي تجلت بمناسبة الحادث، إن الله قد جعل هذا البيت آمناً للناس، والحجاج هم ضيوف الله وإخواننا، فمن واجبنا أن نعنى براحتهم ليتمكنوا من أداء مناسكهم، وقد منَّ الله علينا بأن ساد الهدوء في جميع أنحاء المملكة، وقد لعب الشيطان في رؤوس بعض الناس فحاولوا تعكير صفو الأمن وتعطيل شعائر الله في بيت الله، ولكن الله عز وجل الحافظ لدينه قد رد كيدهم في نحرهم فأبطل دسائسهم ووقى المسلمين فتنتهم، وسيلقى المجرمون جزاء ما صنعت أيديهم إن شاء الله تعالى، الناس يبلونا والله يعيننا عليهم، أنا لا يهمني شخصي ولا أسرتي ولا أولادي، أنا

لا يهمني إلا نصرة الدين الحنيف، وأن يجعل الله كلمته هي العليا وأن يؤيد المسلمين ويعزهم في الدنيا والأخرة.

أما أولئك الذين في قلوبهم مرض فسيكفينا الله شر ما صنعوا هدانا الله وإياكم إلى السبيل القويم.

وقد دوت أسلاك البرق بخبر ذلك الحادث واشتغلت الصحف على اختلافها وتغاير أجناسها ولغاتها، وتباين مبادئها باستنكار الفعلة نداء لواجب الضمير، نداء لواجب الحق لا أقل ولا أكثر، فانهالت مئات البرقيات على الديوان الملكي بالتهنئة على سلامة جلالة الملك المعظم من تلك المكيدة المدبرة، وباح الشعراء والخطباء بالقصيد والخطب والنشيد، وأحسن ما قيل في الموضوع ما ألقاه الشاعر الزركلي في قصيدة، من أبياتها:

ضل الجناة سبيل النيل من ملكٍ ... لولاه ما صين بيت الله والحرم
عبدالعزيز الإمام الحق تكلؤه ... عينٌ من الله لا جندٌ ولا جشم
البغي والكيد مدا حوله شركاً ... فكان في شرك الجانين حتفهم
سلت يد البغي نصلاً دون طعنته ... جبريل يرغي وميكائيل يحتدم
وقى سعود فتى الفتيان خير أب ... فردها طعنةً نجلاء تخترم
وقال بابنك إن كان الفداء فدا ... هذي يدي وزنادي القزم لا الضرم
تناول الفاتك الجياش يرفعه ... كالصخر بالزبد الهدار مصطدم
لولا الإناءة ولولا الحلم لانعقدت ... سحابة النقع وانهلت دماً ديم

وقال الشاعر الفصيح أحمد بن إبراهيم الغزاوي شاعر جلالة الملك:

أبى الله إلا أن يتم ضياءه ... ويرفع للدين الحنيف لواءه
ويحفظ في عبدالعزيز وشبله ... على رغم كيد الخائنين بناءه
فإن عظمت يوم الإفاضة كربةٌ ... وخف لها التوحيد يحمي ذماءه

وروع فيـــه المســـلمون جمـــيعهم بثالثـــةٍ كـــادت[1] تريـــق دمـــاءه
فقـــد لطـــف الله العزيـــز بعبـــده وأنفـــذ في قلـــب العـــدو قضـــاءه
وكمـــل حـــج المـــؤمنين وصـــانهم مـــن الشـــر واســـتبقى علـــيهم هنـــاءه
وراحـــوا وقـــد نجـــى الإلـــه وليـــه يطيلـــون بالشـــكر العمـــيم نـــداءه
وقـــد وعـــد الله المطيـــع بنصـــره وخوَّلـــه أجـــر التقـــى وحبـــاءه
ودافـــع عنـــه بالكتـــاب ولم يـــزل يحقـــق للإســـلام فيـــه رجـــاءه
وأقســـم لـــو أن الأخاشـــب زلزلـــت ومـــاد ثـــبير أو شـــهدنا انكفـــاءه
لمـــا كـــان مـــن تـــأثيره في قلوبنـــا كرجفـــة غـــاو قـــد فريـــت حشـــاءه
فقـــرت بمـــا اســـتلهمت أركـــان بيتـــه وقـــد كـــاد يعـــدو للقصـــاص وراءه
ولـــو أننـــا نهـــوي إلى الله ســـجداً مـــدى الـــدهر شـــكراً لم نـــؤد ثنـــاءه
فقـــد ســـلمت فيـــك الجزيـــرة كلـــها وديـــن الهـــدى منـــذ استجبت دعـــاءه
وكـــم حـــادثٍ يبـــدو لأول وهلـــةٍ كريهـــاً ويجـــد الله فيـــك صـــفاءه

إلى أخرها، ولا يمكن استقصاء بقية القصائد، فلو أتينا بها لضاق الوسع، ولا بدع ولا غرو إذ يجري ذلك الاستنكار، ويجري من سكان الجزيرة كمال السرور والهناء بسلامة زعيم العرب وباعث مجدها والساعي في رفعة شأنها.

ذكر تنصل اليمن من الحادث

أما الإمام يحيى فقد أبرق يهنئ بالسلامة مستنكراً هذا الحادث، ساخطاً على مرتكبيه، مستنزلاً اللعنة على الباغين الملحدين بظلم في الحرم الشريف، وتبرأ من هذا الحادث بكل ما يطيق من البراءة براءة الذئب من دم ولد يعقوب، وأقسم بالله أنه من حين بلغ بالحادث من جلالته لم يستقر له قرار، وجعل ينفض يديه على حد

---

(1) قوله بثالثة إشارة إلى حادثة أبي لؤلؤة وابن ملجم الخاسرين، الأول قاتل عمر، والثاني قاتل علي.

تعبيره أن قلبه يتقطع أساً وكمداً، وأبرق إلى ابن الوزير الذي كان بمكة حاجاً في هذه السنة يأمره أن يضع نفسه تحت تصرف أخيه الملك ابن سعود، ويمتثل أوامره ويجدّ في البحث حتى يصل إلى الحقيقة، وقامت حكومة اليمن لما علمت بأن المعتدين باسم يمانية، فألفت لجنة خاصة بتحقيقات واسعة النطاق، وأفادت بأن علي بن علي الحاضري كان ضابطاً صغيراً في الجيش المتوكلي، وقد استأذن تلك السنة لأداء فريضة الحج، أما صالح بن علي الحاضري فقد كان متغيباً في خارج القطر ثم عاد في تلك السنة وحث أخاه التقدم على الحج، كما أن مبخوت بن مبخوت كان مستخدماً في الجيش المتوكلي وقد سافر إلى الحج بدون رخصة، فيعد هارباً وتقع التهمة على صالح بن علي بصفته متغيباً زمناً طويلاً، ثم عاد وشوق الاثنين إلى الحج، كما أن محمد راغب وزير خارجية اليمن بعث ببرقية إلى وكيل وزير خارجية المملكة العربية السعودية يقسم فيها بالله ثلاثاً بالبراءة التامة من الحادث والجهل به، كذلك بعث عبدالله بن يحيى جواباً يقسم فيه بالله أن أباه وأخوته يبرؤون إلى الله من هذا الحادث الذي لا يقدم عليه إلا من فقد إنسانيته.

ومهما كانت الأحوال فإن المجرمين كانوا من أهل اليمن، بل ومن رجال الجيش، ويتطرق إلى الأوهام أنه بتدبير سيف الإسلام أحمد بن يحيى، كذا يذكرون بأنه على اتصال برجال حزب الأحرار الحجازي، أو يكون بتدبير حسين الدباغ الذي بعثه أمير الأردن عبدالله بن الحسين إلى اليمن يسعى بالفساد.

وفيها في ابتداء المحرم سافر مهندس الكهرباء إسماعيل الذبيح لاستلام ماكنة كهرباء أهداها رجل من أهل الهند اسم سر محمد خان نواب بهادر رئيس أعظم بهيكم، أهداها للمسجد الحرام بأدواتها، وكانت ماكنة عظيمة تحتوي على قوة اثنين وخمسين حصاناً، ولها دينامو قوة ٢٢٠ فولت ٣٤ كيلوات تضيء ألف لمبة، فسافر المهندس من مكة إلى الهند وأقام بالهند بضعة أشهر لأجل أن يقف على تركيب أدواتها، وقدم بها في أوائل شهر ذي القعهدة من هذه السنة يصحبها ما أهداه أهل الفضل من الهنود من أهالي كانفور، ولكنو، وكراتشي للمسجد الحرام من أسلاك

ولمبات وثريات، وثمانية كشافات كهرباء قوة كل لمبة ألف وخمسمائة شمعة، ولا شك أن هذا عمل طيب، نسأل الله القبول والإثابة.

ثم دخلت سنة ١٣٥٤هـ

ففيها استقر القضاة والمرشدون والأئمة الذين بعثهم ابن سعود إلى جيزان وأبها ونجران وصبيا وصامطة وأبو عريش وفراسان ومحايل وبارق وفيفاء والبرك وغيرها، وقاموا ينشرون دعوتهم إلى الله عز وجل، وينهون عن المنكر الذي وجدوا أهالي تلك المقاطعات عليه من السحر وعبادة الأوثان والسلخ الذي اعتادوه، وكانوا إذا كسف القمر أشعلوا نيراناً عظيمة ظناً منهم بأن القمر يضل منازله فيضيئون له، وكانت النساء سافرات الوجوه مع الرجال، مختلطات وممتزجات، فحصل بسبب هذه الخلطة مفاسد كثيرة حتى قام الدعاة بإبطال ذلك.

أما السلخ المذكور فكانوا قد اعتادوا من خرافاتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان أنه إذا أوشك المراهق على البلوغ رفع على دكة أو موضع عالٍ لختانه، وسلخ ذكره إلى سرته وما حوالي ذلك بزعمهم لأن لا ينبت الشعر على ذلك الموضع، عادة سلكوها وطريقة ضلوا فيها ما أنزل الله بها من سلطان، فإذا رفع ذلك المختون ودعي إليه الخاتن الذي أعد عدته للسلخ حضر أقرباؤه وعصبته وذو رحمه، فيقوم المسلوخ وقت السلخ قد انتضى سيفه، وكذا سائر أقربائه، ويؤتى بزوجته التي سيعقد له عليها فتجلس أمامه، تقوم الأسرة تشجعه على الصبر وعدم الاستكانة لذلك، ومن عاداتهم أنه لو يجبن أو يبكي أو يتأثر لهذا العمل فإن زوجته لا تقبل زواجه، وقد دأب جلالة الملك الراحل في إزالة هذه البدع حتى قضى عليها، فآخر عمل عمله ضد هذا السلخ أن قطع أيادي من لم ينزجر عن السلخ حتى ارتدعوا عن ذلك، فعياذاً بالله من الجهل وغرور الشيطان، إن الشريعة المحمدية جاءت بمشروعية الختان، وهو أن تؤخذ جلدة الحشفة لا غير، والواجب علينا أن نتقيد بالسنة ونحافظ عليها، وأن لا نلتفت إلى ما اخترعه الأغيار، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١].

ذكر إمارة عبدالله بن فيصل في بريدة ١٣٥٤هـ

لما كان في هذه السنة عزل جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن عن إمارة بريدة مبارك بن مبيريك، وجعل مكانه عبدالله بن فيصل بن فرحان من آل سعود، وكان شاباً عاقلاً، ولما أن قدم بسياراته إلى المدينة ذهب مبادراً بالسلام على القاضي عمر بن محمد بن سليم في بيته، وسعى إلى الملأ من الأهالي في بيوتهم، وكان قدومه في منتصف السنة يصحبه أهله، وفي صحبته أخوه الأمير فهد بن فيصل، وكان رجلاً حازماً مؤازراً لأخيه، وقد قام لذلك الأمر الأمير الكبير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي أمير ناحية الجبل يؤطد المسألة، واستقر الأمير عبدالله في إمارة بريدة، وكان في مبتدأ الإمارة له تدابير حسنة، وسياسة جميلة، ولبث في الإمارة اثنتي عشرة سنة.

وفيها في ٩ رجب وفاة الشيخ محمد بن عثمان الشاوي قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه، وهذه ترجمته:

هو العالم العلامة الفاضل الزكي البارع في العلم والمعرفة، محمد بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن سليمان البقمي الأزدي من أزد شنوءة، وقد اشتهر بلقبه، ولد في بلدة البكيرية سنة ١٣١٣هـ، ونشأ فيها، وفي السنة الثالثة من عمره أصابه الجدري فذهب بصره بسببه، وقرأ القرآن وحفظه وله من العمر ١٤ سنة على يد الشيخ محمد بن علي بن محمود، ثم تلقى مبادئ العلوم على يد الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم في البكيرية، ثم إنه رحل إلى الرياض لطلب العلم، فأخذ عن علماء وقته في الرياض عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ عبدالله بن راشد، وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس، وعن الشيخ محمد بن عبداللطيف وغيرهم من آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ عبدالله بن سليمان آل بليهد.

أما الذين أخذوا عنه العلم فمنهم: الشيخ عبدالله بن يوسف الوابل، وأخذ عنه

الشيخ إبراهيم بن راشد الحديثي، وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن سبيل، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن المقوشي، وأخذ عنه الشيخ محمد بن صالح الخزيم، وأخذ عنه أيضاً الشيخ سليمان بن صالح الخزيم، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز الخضيري، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن سليمان السديس، والشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز الخضيري، وهؤلاء من أبناء وطنه، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل، وأخذ عنه عدد كثير، وكان رحمه الله عالماً ورعا حسن السيرة، دمث الأخلاق، سخياً كريماً ومشهوراً بعلم الأدب، وله في علم العروض اليد الطولى، وله قصائد مشهور، فمنها قصيدته في فتح مكة المشرفة، وتهنئة الفاتح قال في معرض أبياتها:

فأم القرى تدعوك قد مسها الضنا ... وقد مرضت من فعل طاغٍ وناكب
أتتك تجر الذيل هيفا مليحةً ... معندمة الخدين أجمل كاعب
وقد عزفت عن كل بعلٍ وخاطبٍ ... لأجلك يابن الأمجدين الأطائب
فهيء لها مهراً من البر والتقى ... وطهر حماها من جميع المعائب
وحكم بها شرع الإله ودينه ... تنل من إله العرش أسنى المطالب
فكن شاكراً لله جل جلاله ... فقير الأيادي شكر مسدى المواهب

إلى أن قال:

فإنا بحمد الله لا رب غيره ... على المنهج المختار ختم الأطائب
فلا ندع غير الله جل جلاله ... تقدس عن ندٍ مقولٍ لكاذب
وندعو إلى التوحيد سراً وجهرةً ... إلى أن يكون الدين خالي الشوائب
ونأمر بالتقوى وننهي عن الردى ... وندعو لحج البيت لا فعل كاذب
ومن صد عن ذا أو تمرد واعتدى ... سنسقيه كأساً من سموم العقارب
ونلقمه صخراً ونشدخ رأسه ... إلى أن يرى للدين أول لاحب
وقل للعدى في كل قطرٍ وجانبٍ ... وكل النواحي عجمها والأعارب
أنيبوا وإلا فاستعدوا وأجمعوا ... لبيضٍ وفرسانٍ وجرد شوارب

جنود تريكم في ضيا الشمس ظلمةً ... ترى البيض فيها كالنجوم الثواقب
إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتدي بعصائب

إلى آخرها، ومنها قصيدة في الرد على فتى البطحاء، وتقدم نزر يسير منها، وهي طويلة، وقد قدمنا له أيضاً، وقد تولى القضاء وله من العمر ٢٣ سنة في هجرة سنام المشهورة للعصمة من أعمال العرض، ونقل إلى قضاء الغطغط، وقد حضر عدداً من الفتوحات للحجاز ثم جعل مدرساً في المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة مع التدرس في تلك الجهات، وكان من أشهر رجال العلم والدين والأدب والأخلاق الطيبة، ثم تولى القضاء في تربة ثم نقل إلى قضاء شقراء، وبها توفى وله من العمر أربعون سنة، وقد خلف ستة بنين، واهتم لوفاته صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بعد جهود بذلها لعلاجه، وقد رثاه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل بهذه القصيدة:

نرضى بما قدر الرحمن مولانا ... وما يكون وما من أمره كان
والحمد لله حمد الصابرين على ... أقدار ذي العرش تسليماً وإيمانا
إلا فأنا له ماضٍ تصرفه ... فينا لعمري إلا إليه رجعانا
قضى وقدر أن الموت دائرةٌ ... كؤوسه في الورى لم تبق إنسانا
فأين عادٌ وكسرى وابن ذي يزن ... ومن يؤآزرهم ومن لهم عانا
لم يمنع الموت عنهم حاجبون ولم ... يقَ البلى لهم صياحاً وإيوانا
بل أين صفوة خلق الله قاطبةً ... وأرجح الناس عند الله ميزانا
تجرع الكل كأس الموت وانتقلوا ... عن هذه الدار شيباناً وشبانا
فتلك موعظةٌ لأنفسٍ فجعت ... أضحت وقد لقيت هماً وأحزانا
على تقيٍ نقيٍ عالمٍ علمٍ ... شيخٌ ذكيٌ حييٌ حاز عرفانا
هو الذي حمدت في الناس سيرته ... محمد شيخنا الشاوي ابن عثمانا
أكرم به من فتى ما كان أكرمه ... جوداً ومجداً وأخلاقاً وإيمانا
ساعٍ إلى الذكر والخيرات متبعاً ... داعٍ إلى الله إسراراً وإعلانا

لكـــل ذي ثقـــةٍ صـــفت مودتـــه ... مـــا شـــابها كـــدرٌ أو شـــائنٌ شـــانا
وواصـــل مـــع بـــر الوالـــدين ولم ... يضـــمر لإخوانـــه حقـــداً وأضـــغانا
من الـدعاة الأولى للـدين قـد نصـروا ... وهـــدموا مـــن بنـــاء الشـــرك أوثانـــا
نالوا مـن الفقـه والتوحيـد مـع أدبٍ ... كـــانوا وربـــي لهـــذا الـــدين أركـــان
ففـاق في الفقـه والتوحيـد مـع أدب ... والحفـــظ والفهـــم للمعلـــوم أقرانـــا
فـــذكره يغـــني عـــن عـــدي مناقبـــه ... كفـــى بـــذلك عمـــا قلـــت برهانـــاً
يا لهف نفسـي ويـا حزنـاه يـا أسـفي ... على فتـى فاضـلٍ أضـحى وقـد بانـا
قد كان لي والداً بالنصـح ينصـح لـي ... حـــانٍ علـــيَّ رقيـــق القلـــب حنانـــا
فعـــيني رؤيتـــه وسمعـــي نغمتـــه ... وكفـــي راحتـــه يـــبكين فقـــدانا
فمـــا حمـــام علـــى أيـــك مـــرزءةٍ ... مرجعـــاتٍ بطـــول الـــدهر أشـــجانا
يـــدلكن بـــالأرض أكبـــاداً مليعـــةٍ ... يسـبلن دمعـاً كسـفح المـزن هتانـا
يندبن فرخـاً مـن الأفـراخ ذا زغـبٍ ... لا يســـتطيع مـــع الأطيـــار طيرانـــا
تخطفتـــه مـــن العقبـــان جارحـــةً ... ومـــا بـــه قصـــدت رحمـــاً وإحســـانا
يومـــاً بـــأحزن مـــني حـــين غيبـــه ... لحـــدٌ وسُـــربلَ بعـــد النـــزع أكفانـــا
فـــالله يســـقي ضـــريحاً حلـــه ديمـــا ... من سحب عفو ويرضـى عـن رضـوانا
يـــا رب أبـــقِ لنـــا أشـــياخ ملتنـــا ... للـــدين والعلـــم والإســـلام أزمانـــا
أعـــلام حـــقٍ نجـــوم الجـــد ثاقبـــةً ... أفـــق الهدايـــة مـــن أنـــوارهم زانـــا
تنفـــع بهـــم طالبـــاً للعلـــم مجتهـــداً ... وتهـــدي ذا حـــيرةٍ وتـــرم شـــيطانا
ثـــم الصـــلاة علـــى الهـــادي بســـنته ... والصـــحب والآل مـــن بدينـــه دانـــا
والتـــابعين لهـــم مـــا قـــال قائلنـــا ... نرضـــى بمـــا قـــدر الـــرحمن مولانـــا

وممن توفي فيها من الأعيان أيضاً الشيخ التقي الأديب الفاضل محمد بن عبدالله آل خنين رحمه الله تعالى وعفا عنه، وكان تقياً ورعاً زاهداً، وقد طلبت من أخيه لأمه الشيخ الفاضل راشد بن صالح بن خنين أن يجود علينا بترجمة أخيه عبدالله، فبعث إلي بهذه الترجمة التي سأجعلها على سبك تأليفنا:

هو الشيخ الورع الزاهد التقي الفاهم النبيه محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن خنين العائذي القحطاني من عبيدة قحطان، ولد في بلد الدلم من الخرج في العام الثامن والعشرين بعد الثلاثمائة والألف تقريباً، وقرأ القرآن في باكورة عمره، وحفظه عن ظهر قلب، ولما أن كان عمره نحو تسع سنوات توفى والده، فبقي المترجم في حضانة أمه، وبعد مضي فترة من الزمن تزوجت والدته بصالح بن خنين، فوهب الله لها منه راشد بن صالح، وكانت قارئة للقرآن كثيرة الخوف من الله تعالى، مع ما جلبت عليه من السخاء وجودة الرأي فأحسنت تربية ابنها محمد وتوجيهه، وكانت تجود بما تقدر عليه من الإحسان إلى المعلم، وتحرضه على ملاحظة ابنها وتشجيعه، وتحذره من ضربه، وتشترط عليه أن يكون ابنها بجانبه ليهاب ويجتنب العبث، فكان من حسن تلك التربية أن نشأ الابن على حالة جميلة، وهكذا كانت حالتها في تربيتها لابنها راشد، فبقي المترجم بعد حفظه القرآن يتذاكر مع بعض طلبة العلم في وطنه، حتى عين الشيخ العلامة الفقيه عبدالرحمن بن عبدالله بن سالم قاضياً بالدلم، فدرس عليه في التوحيد، والفقه والحديث، ولازمه كثيراً حتى نبغ من بين أقرانه، وكان شيخه المذكور يجله ويقدره لما يرى من أكبابه على الطلب وعظمة اجتهاده، ولما يتخايله فيه من الذكاء وحسن السلوك، ثم إنه غادر بلده إلى الرياض فدرس بها على شيخنا علامة المملكة العربية السعودية ومفتيها ورئيس قضاتها الشيخ محمد بن إبراهيم، فقرأ عليه في التوحيد والعقائد والفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه، والنحو، وكان من زملائه حال دراسته عليه جماعة من المشايخ من بينهم الشيخ الفاضل عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالله بن حميد، والشيخ عبدالله بن يوسف، والشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش وغيرهم.

وكان المترجم رحمه الله موضع الثقة والتقدير عند شيخه وزملائه لذكائه وتواضعه وحسن خلقه، ولما أن كان في أثناء عام ١٣٥٣هـ عين قاضياً لبلد الحريق، فعظم عليه ذلك واشتد خوفه وقلقه، وطال بكاؤه، وذلك لورعه وخوفه، وحاول الخلاص واجتهد في طلب العافية من القضاة، فأصرَّ ولاة أمره على إلزامه بهذه

الرتبة، وإن كان لها كارهاً عفى الله عنهم، فسافر مكرهاً وقدم على أهله في الدلم البلد المعروف في الخرج، لأنه لم يتمكن من المخالفة، وأقام بين أقاربه ومحبيه محفوفاً بالإكرام والاحتشام، وجعل يواصل الإرشاد والوعظ بالمسجد الأوسط بالدلم، وكان كثيراً ما يقول: «اللهم رد بي خيراً» ولما كان في شهر ذي القعدة من تلك السنة عزم على الذهاب إلى بلد الحريق مكرهاً وهو بغاية الخوف، وواعد الجمالة وأعد الأثاث للنقل، وفي صبيحة يوم الجمعة الموافق لليوم الأول من شهر محرم ١٣٥٤، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة، وقد خرج مع جنازته الجم الغفير، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته، وكان يقول لوالدته وهو في مرضه ابنك هذا الضعيف سيولى على الآلاف من الرجال والنساء والصبيان، وهذا مما دل على ورعه وشدة تخوفه من تولي القضاء، وخطر منصبه وإني لأرجو أن يكون ممن قال الله فيهم: ولمن خاف مقام ربه جنتان، هذا وقد كانت حالته تحزن وتبعث الأسى والترحم، قال الشيخ راشد: وكنت حال وفاته صغير السن ولكني عند كتابتي لهذه الترجمة أثارت ذكرياته رحمه الله شيئاً في نفسي فقلت هذه الأبيات الآتية:

كل الخلائق للفناء مصيرهم ... والكل يجزي في المعاد بكسبه
ما في الحياة مخلدٌ لو كان ذا ... ما مات أفضل ناصحٍ ومنبه
إني أعزي النفس في فقد الذي ... جمع الزهادة والتقى أكرم به
طلب العلوم فنالها بتفوقٍ ... وقلى المناصب خشيةً من ربه
برح الرياض مفارقاً أقرانه ... والخوف يسكن في قرارة قلبه
علم الكريم بصدقه فأجابه ... ومضى محمد راغباً في قربه
رحم الإله محمداً وأثابه ... بالأمن من غضب الإله وحربه
يا رب وامنن بالثبات على الهدى ... واسلك بنا نهج النبي وصحبه

وعندما تم لابن سعود القضاء على جميع الثورات رغب أنصار ابن سعود وعلى رأسهم إبراهيم بن معمر الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية في بغداد أن ينضم تحت لواء ابن سعود الذين شردوا من الحجاز كطاهر الدباغ،

وعبدالرؤوف الصبان، ومحمد عبدالله صادق، وعبدالحميد الخطيب، ومحمد الطويل، وعبدالوهاب قزاز، وعبدالقادر غزاوي، فأصدر صاحب الجلالة مرسوماً ملكياً رقم ٢٣/ ١/ ١٩ :

نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بعد الاعتماد على الله:

نظراً لرغبتنا في أن يكون جميع أبناء شعبنا متكاتفين متعاضدين على ما فيه خدمة وطنهم وأمتهم، ونظراً لزوال الأسباب التي أوجبت في السابق وضع بعض القيود والتوقيعات ضد أبناء هذه البلاد من رعايانا المقيمين في الخارج من منعهم من العودة إلى البلاد والإقامة فيها، فإننا نأمر بما يأتي:

المادة الأولى: تلغى التدابير المتخذة ضد بعض رعايانا الممنوعين من دخول البلاد والإقامة فيها والعودة إليها، ويسمح لمن أراد العودة منهم بالدخول والإقامة إذا قام بالشروط الموضوعة لذلك.

المادة الثانية: على من أراد أن يشمله العفو الممنوح بالمادة الأولى أن يراجع الحكومة بذلك رأساً أو بواسطة ممثليها في الخارج لأجل إتمام المعاملة اللازمة لذلك.

المادة الثالثة: على وزيري الداخلية والخارجية إنفاذ مفعول أمرنا هذا.

صدر في اليوم ٧ من شهر شوال سنة ١٣٥٣هـ

فبادر بالعودة إلى الحجاز كل من الشيخ محمد الطويل، وعبدالوهاب قزاز، وعبدالقادر غزاوي، فشمل ابن سعود رئيس الحزب محمد الطويل بعطفه وأكرم مثواه وعينه ناظراً لعموم الجمارك، وأقطعه أراضي زراعية واسعة، وعين الثاني رئيساً لنقابة السيارات، وإنما أصدر جلالة الملك عبدالعزيز مرسوماً ملكياً فيه العفو عنهم، والسماح لهم بدخول المملكة إظهاراً لحلمه ولتمام دهائه، وغوره في السياسة إغاظة للأعداء، ولعل أن يكونوا كولي حميم، وكان قدومهم في هذه السنة فقدموا وذهبوا إلى الرياض لمقابلة الملك، وكانوا على وجل شديد خشية أن ينكل بهم،

فأكرمهم غاية الإكرام وجعلهم في الوظائف الضخمة قائلاً لهم: عفوت عنكم عن الماضي، فعاهدوا على الإخلاص، وقاموا في الدعاء والمديح والثناء على جلالته، وجعلوا يخطبون أمامه ويعتذرون بكل ما يستطيعونه، وصدقوا معه وأخلصوا وسعدوا.

وفيها تم تركيب الماكنة المتقدمة ذكرها، وذلك في آخر شعبان، فأضيء بها المسجد الحرام في ابتداء شهر رمضان، وأصبح مدار المطاف من قوة نورها كأن الشمس لم تغب عنه، ووضعت الثريات الكهربائية أمام أبواب المسجد الحرام، وأمام المقامات، ووضع في مقابلة الحجر الأسود كشافة كهربائية بقوة ألف وخمسماية شمعة، وقد ضبط النور الذي في عموم الأروقة والأبواب والمقامات والثريات وإدارة المطاف فبلغ تقدير إضاءته خمساً وثلاثين ألف شمعة، أما اللمبات فإنها تبلغ ألفاً وثلاثمائة لمبة على اختلاف حجمها وتفاوت قوتها، وزادت الإضاءة في المسجد الحرام قريباً من عشرين ضعفاً عما هي عليه زمن الدولة العثمانية، بل عما هي عليه من مدة عشرين سنة من حين ركب الكهرباء واللوكس.

ذكر عمارة المسجد الحرام ١٣٥٤هـ

فيها صدر أمر صاحب الجلالة السعودية الملك عبدالعزيز بإحضار عمال يصلحون جميع ما يلزم للمسجد الحرام من عمارة وإصلاح وتجديد كل ما يلزم تجديده من أبواب وطبطاب وغير ذلك، وعهد بهذا الأمر إلى نجله فيصل، وكان ذلك في ١٢ شعبان، فأصلحت الأرض وفرش ما حوالي المطاف بالحجر الصوان والمماشي، ورصفت رصفاً جيداً متقناً، وأصلحت الحصاوي وأرضية الأروقة، ورصفت وأزيل كلما كان قد خرب فيما قبل ذلك، ثم نقض جميع ما أسبخ من جص جدر المسجد الحرام، فأصلح وجصصت بالإسمنت والنورة لكي تمنع تسرب الرطوبة إلى الجدر المذكورة، وأصلح العقد الموالي لباب الصفا إصلاحاً تاماً، ورخم عموم المسجد الحرام من داخله وخارج الأبواب، وبيت زمزم، ورممت الشقوق

الواقعة في بعض قباب المسجد الحرام، وصبغت الأساطين والأبواب، وداخل الأروقة بالصبغ الأسود والأصفر والأحمر العنابي، وأساطين النحاس التي حوالي المطاف صبغت باللون الأخضر، ورأس كل اسطوانة منها ووسطها بلون الذهبي، وكذلك المقامات الأربعة جددت صباغها على حسب ما هي عليه سابقاً، وكذلك أصلح باب بني شيبة ونقشه بالأصبغة المناسبة، وكذلك له صبغ واجهة عموم أبواب المسجد الحرام، وباب بئر زمزم باللون المناسب لها، ثم أصلحت أبواب المسجد الحرام بالخشب القوي وإزالة ما بها كان من العطب والخراب، وكذلك أزيلت الأتربة الواقعة في حصاوي المسجد الحرام، ونظفت وفرشت بالحصباء النقية، فبلغ ما أنفق على هذا العمل الصالح «١٢٤٨٣» ريالاً عربياً سعودياً، تفضل بنصف المبلغ المذكور صاحب الجلالة من بذله، والنصف الآخر من أوقاف الحرمين، ولقد كان الأولى أن يكون من مديرية الأوقاف صرف جميع ما يلزم، هذا هو ما جرت به العادة القديمة، ولكن لما حبست الأوقاف التي ترد من أهل الخير وكرماء المسلمين والأجواد الفضلاء المحتسبين من الملوك والسلاطين، وأهل الإحسان في مشارق الأرض ومغاربها، وجارت عليها الأيدي الغاصبة، وحبس ذلك الريع، وأكل وانقطع وروده أصبحت إدارة الأوقاف عاجزة عن القيام بهذه العمارة، واستمر العمل من ١٥ شعبان إلى ٢٤ شوال، فكان على غاية من السرعة، ولا يزال الإصلاح دائماً ولله الحمد والعمل جارياً بهمة ونشاط على الدوام، نسأل الله تعالى أن يعمرها بطاعته.

وفيها شرع في عمارة مسجدين في جنوبي بريدة قام بعمارة أحدهما قاضي المقاطعة الشيخ عمر بن محمد بن سليم متبرعاً به من نفقته الخاصة، وقام بعمارة المسجد الثاني الواقع عنه غرباً رجل من آل بطين كان محباً للخير، ويعدّ من ذوي الثروة، وجعل هذا لمسجده ثلاثة بيوت: بيتاً للإمام، والثاني للمؤذن، والثالث لإصلاح بئر المسجد وحنفيات الوضوء، فجزى الله المحسنين خيراً، وكانا متجاورين وعمارتهما معاً.

وفاة الأمير عبدالله بن جلوي أمير الأحساء رحمه الله وعفا عنه

وهذه ترجمته:

هو الأمير الكبير العظيم الخطير، والعلم السامي الشهير الشجاع المقدام، والباسل الهمام، الذي رجفت هيبته القلوب، وكشف بصارمه غياهب الخطوب، أبو فهد عبدالله بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود آل مقرن، ولد في سنة ١٢٨٧هـ، وكان أحد النقباء الذين اختارهم صاحب الجلالة عبدالعزيز في أول ظهوره، فسطى المترجم حينما هجم على الرياض، وشوهد من الأمير عبدالله جراءة وبسالة تضمحل دونها شجاعة الأبطال، وكان هو الذي أمسك عجلان، فأصبح موضع الثقة من ابن سعود بصفته ابن عمه وعضده الأشد في أول أمره، ويعده للنوائب لما له من الصرامة والفتك الشديد، وكان يحصد الرؤوس حصداً تضرب به الأمثال، حتى أخاف المفسدين وأرعب المجرمين، وأمّن المسافرين، أضف إلى ذلك عدلاً وإنصافاً، وقوةً في الدين، وحباً لأهل الفضل، وناهيك بهذه الأوصاف التي يندر مثلها في سائر العالمين، ولما دخلت بريدة في ولاية ابن سعود للمرة الثانية وأخذ عنها تجربة لما كان أمراء آل مهنا عليه من الخلاف، وكثرة التمرد، جعل عليها عبدالله بن جلوي لما يعرفه عنه من المقدرة والصلاحية التي تؤهله لعلو المناصب، ولما أن قدمها وجد الأهالي يعانون التعب والمشقة لحفظ أموالهم، فمنع النظارة وأعلن للأمة أن من سرق له شيء فليأتي إليه، فهابته الأمة وسكنت المتحركات، وأمنت السبل.

ولما استولى صاحب الجلالة على مقاطعة الأحساء والقطيف، ورأى أهل تلك النواحي عتاة قساة نقله من إمارة مقاطعة القصيم وجعله في الإحساء، ورماهم بهذا الأسد في براثنه، وقد خلد في إمارة القصيم آثاراً لا تنسى إلى آخر الدهر، فمن ذلك: أن رجلاً سبَّ عنده أهالي القصيم ليتزلف بذلك لديه، فلما قام من عنده بعث إليه رسولاً وقال له: إن الأمير يقسم بالله لأن عاد إلى تلك المسبة

لأقتلنه، وهو على وسادته في بيته، وكان رحمه الله له يد شديدة يضرب بها المثل في طول الجزيرة وعرضها، فلا يذكر اسمه أمام البدوي إلا ويضطرب قلبه خوفاً ووجلاً، وهذا لعمر الله الأمر الذي يستقيم به الملك وترتدع الظلمة، وتهدأ الأحوال، وتستريح به البررة، وتصفد منه الفجرة، فمن يدخن يؤدب، ومن لا يصلي يبسط على الأرض ويضرب بالرطب من عسيب النخل، ومن يختلس أو ينهب فإنه يقطع، وأوامره تنفذ بسرعة ودون محاباة ولا تردد، وقد كان استتباب الأمن في الجزيرة أول مظهر هذا العدل الشديد القوي، فقد يسير المسافر وحده ومعه الأموال على الجمال لا يعرض له في طريقه أحد، ولا يسأله عن شأنه بدوي، بل كان المسافر يمشي وحده بأحمال الذهب والفضة ولا يخشى إلا الله، وقد كان منذ أعوام خلت لا يستطيع أحد أن يسير إلا في عصبة من الرجال ومعهم الحديد والسلاح، ثم لا يوفقون إلى السلامة، وما لم يكن هنا سطوة تخشى على البعد، وتجتنب لأجلها أسباب الريبة، والوقوع في المظالم، فلا بد من وقوع النهب والسلب والقتل، فحيا الله رجال العمل والإخلاص والعدل، الذين يدأبون في سبيل راحة الشعب وأمنه الذين يسعون في بناء مجد أمتهم ويسهرون لمصالحها وإشادة عزها، وما تقدم شعب إلا برجال من أبنائه يؤمنون الخائف، ويردعون الظالم، ويعدلون في القضية، ويحكمون بالسوية، ويتفقدون أحوال الرعية، فلا تحفظ الدماء والأموال والأعراض، وتصلح البلاد ويسود فيها الأمن والطمأنينة إلا بإقامة الحدود وقطع الأكف الأثيمة، وسد أفواه الذين لا يعرفون ما يدخلون فيها ولا ما يخرجون منها، فبذلك يكف عن العدوان وقتل النفوس البريئة وإثكال الأهالي وترميل النساء وإيتام الأطفال، وينقطع دابر الفساد وانتشار الفوضى، وإحداث القلاقل والاضطرابات.

ذكر شيء من صرامته وبطشه بالمجرمين

لما كانت أمراء بني أمية فيها الشجعان وأهل الصرامة والقوة والمقدرة «كزياد بن

أبيه» وابنه عبيدالله، والحجاج، وموسى بن نصير، والبطال، فلا ننسى ما لهذا الأمير من الشجاعة والجراءة والأخذ على أيدي العتاه والمفسدين، وإليك بعضها:

جاء ذات يوم إلى قصر جلالة الملك في الرياض بضعة رجال من بني مرة يطلبون عيشاً وكسوةً، فكان لهم ما يبغون ثم ارتحلوا فمروا في طريقهم ببعض الأباعر ترعى فساقوها أمامهم نهباً وقهراً لأهلها، فشكى أهالي الأباعر إلى جلالة الملك عبدالعزيز، فبعث بنجاب يحمل الخبر إلى أمير الحساء عبدالله بن جلوي، فما وصل إليه الخبر حتى تحركت أسباب السعي في إحضارهم والبحث عن الأشقياء اللصوص، فما هو إلى أربعة وعشرون ساعة حتى جاءوا بهم والأباعر المسروقة ومثلوا أمام عبدالله بن جلوي، فكان سؤال وجواب، ثم أمر بهم إلى الساحة، وساحة الإعدام شيء هائل فظيع يركعون فيها المذنب على ركبتيه ثم يرقص أمامه معاون الجلاد ليلهيه عن السيف المرفوع فوق رأسه، ثم يكزه السياف وكزة سريعة يتحرك معها الرأس إلى الأمام فيتقلص عصب الرقبة فيضربها السياف إذ ذاك ضربة واحدة يطيح معها الرأس إلى الأرض، وفي ذلك اليوم لمع سيف الأمن لمعات ثمان في ساحة الهفوف فوقعت على الأرض ثمانية رؤوس من يني مرة.

وأتي إليه لص فأخبره أنه رأى كيس أرز قد سقط في موضع كذا، فقال له وما أدراك بأنه أرز؟ قال: حسسته بإبهام رجلي، فأمر به فقطعت رجله التي مسه بها.

وسقط حمل بعير على الأرض وتعلقت الحبال به فما قدر أحد الدنو منه خشية أن يسرق فتكون التبعة عليه، وهلك البعير لما لم يكن صاحبه موجوداً.

وذهب العمال مرة لخرص الثمار وتزكية المواشي، فلما قربوا من بعض القبائل قام رجل من القبيلة وركب فرسه وجعل يتهدد ويتوعد العمال أن لا يزكوا، فأحجم العمال وكفوا خشية أن يكون ذلك عن ممالاة من القبيلة كلها، فقام إلى العمال قبيلة الرجل وهم العجمان قائلين: اتركوه وجهله وزكوا الأموال فإنه رجل جاهل مسكين، ووقف العجمان يطالبون بالتزكية وليس من العدل أن تؤاخذ بجريمته، فقام العمال بشأنهم وزكوا الأموال ورجعوا يخبرون أمير الإحساء بما صدر

من الرجل الفارس، فبعث بالحال إليه وأتي به مقيداً بالحديد، وجاء العجمان على أثره ليشفعوا له، فأبى إلا أخذ فرسه منه، ولما سلبها بعث الرجل أسباباً يستجلبها، وكثرت الشفعاء لدى الأمير فناوله إياه، وبعدما أخذ بلجامها مغنماً السلامة بعث معه برجل من رجاله وأوعز إليه بأن يشق بطنها ويقتلها.

وجاء إليه فلاح يشكو جمالاً بأنه أرسل بعيره وأكل ثمرة إحدى نخله، فدعى به إليه فأنكر ذلك، فقال: سنشق بطن البعير فإن كان البسر فيه فقد خسرته، وإن لم يكن كذلك فسيقوم صاحبك بغرامته، ففعل ووجد ذلك صحيحاً، وكان ثمرة ذلك أن أصبحت القوافل عن حديث هذا البطش الشديد والعدل السريع، تسير ثمانمائة ميل شرقاً وغرباً وثمانمائة ميل جنوباً وشمالاً في ملك ابن سعود ثم لا يتعرض لها أحد بخير ولا شر، ولقد كان المترجم من أشهر أمراء ابن سعود وأكبرهم همة، وأشدهم تعصباً للعدل، يجلس في كرسي القضاء والنظر في الجرائم وحده فلا تجلس معه الرحمة ولا المحاباة، فيأمر بالقطع والنطع ولا يبالي، وكان اسمه يرعب المجرمين وذكره يثير الخوف في قلوب العالمين:

فمن مثل عهد الله في الناس كلهم ... له سطوةٌ بين الورى في المشاغب
وكان لعمري آية في زمانه ... وذا همةٍ تسمو لعالي المناقب
له في التقى حظٌ وفي الحزم سورةٌ ... تظل لها صرعى رقاب الأجانب
وأهل الحمى تخشى بوادر بطشه ... فكلاً ترى من حادثات النوائب
يقضي زماناً في المعيشة جاهداً ... وليس له هم بفعل المعائب
يراقب ليثاً حامياً لعرينه ... ثقيلاً على أهل الخنا ذا مخالب
له شيمةٌ تأبى الدنايا وهمةٌ ... تسامى بها فوق النجوم الثواقب
فحدّث عن الشهم الهمام فإنه ... بذكر العلا أوصافه بالعجائب
لقد أمن الله البلاد بعدله ... وسيفٌ على الفجار عطب المضارب
أبى الله أن يرضى عزيزٌ بخطه ... تخوله غير العلا في المطالب
لأن كنت يا عبدالإله معظماً ... بذكر سرى بين الورى والسباسب

فقــد كنــت فخــراً للعروبــة كلــها ... ورد مــاً عظيمــاً هابــه كــل خائــب
تغمــدك الــرحمن منــه برحمــةً ... وعفــو وغفــران مــن الله ســاكب
ونرجــوا لــك المــن الجزيــل برأفــةٍ ... تقيــك مــن المــولى شــديد اللــهائب

ثم دخلت سنة ١٣٥٥هـ

ففيها تمت عمارة مسجد الشيخ عمر بن سليم وعمارة مسجد أبي بطين جزاهما الله خيراً، وأخذت مدينة بريدة تمتد من جهاتها الأربع وتسير قدماً تريد أن تشق الطريق لسائر مدن القصيم، وأخذ حزب الأحرار القادمون إلى وطنهم يعرضون آراءهم ويمهدون سبيل تقدم المملكة لدى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ويعملون له بإخلاص، وأصبحوا بعدما كانوا الأعداء الألداء أبناءً كراماً تحت خدمة مليكهم، فعين صاحب الجلالة طاهر الدباغ مديراً للمعارف وأسند أليه إدارتها العامة، وأسند مديرية إحصاء النفوس العامة في المملكة إلى محمد عبدالله صادق، وعين عبدالرؤوف الصبان عضواً في مجلس الشورى، فبث أمير الأردن بكتاب إلى عبدالحميد الخطيب مستنكراً رجوع طاهر وأصحابه إلى الحجاز، وكيف جرى منهم ذلك، فأجابه الخطيب أن نعم وقد انحل حزب الأحرار وانضم إلى مليكه ابن سعود، لأنه عرف كيف يستميل خصومه، بينما أنكم لم تستطيعوا الاحتفاظ بأصدقائكم.

وفيها في يوم الثلاثاء ٧ صفر ولى أهل مصر الملك فاروق بن الملك فؤاد بن عظيم مصر الخديوي إسماعيل، وذلك في موافقة ٢٨ ابريل عام ١٩٣٦م، وتولى سلطاته الملكية في ٢١ جمادى الأولى من السنة القادمة الموافق ٢٩ يولية ١٣٣٧هـ، فخلف والده فؤاد الأول على عرش مصر، وهللت مصر لذلك واستبشرت بصفته إذ ذاك فخر شباب مصر وممثل مجدها الطارف والتليد، وصفوة أخيار ملوكها الغر الميامين، ولد فاروق الأول بسراي عابدين بمصر يوم الأربعاء ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨هـ، وجعل الشعراء المصريون يمتدحونه ويهنؤنه:

خشعت لفيض جلالك الأبصار وزكت بمسكٍ خلالك الأشعار
وتوسمت مصر العلا في طلعةٍ قد حفها الإجلال والإكبار
ملكٌ تغار النيرات إذا بدا أسمعت أن النيرات تغار
ودت لو اشتملت بفضل ردائه هيهات ثوب المجد ليس بعار
شتان بين النيرات ومن به سبل البطولة والحياة تنار
تهدى العيون بضوئهن؟ وضوؤه تهدى البصائر فيه الأبصار
من حسنه اختلس الأصيل جماله وببشره تتبسم الأسحار
أنعم بما أوتيت واهنأ شاكراً نعم الإله فإنهن غزار
لا زلت بالنصر المبين متوجاً تحيا بك الأوطان والأوطار

وقال أحمد الهاشمي في تلك المناسبة:

سبِّح وغرِّد يا حمام الوادي وأرفع تهانينا لشبل فؤاد
فاروق قد ملك القلوب بأسرها وله على كل الأنام أيادي
ملك عليه من الجلالة شارةً برعاية الله الحفيظ الهادي
ملكٌ عظيمٌ قد توطد عرشه بسيوف آباء له أجواد
فالشعب بين مكبرٍ ومهللٍ يدعوا بطول حياته وينادي
قل للمليك وقد تسامى نجمه بين الكواكب بالسناء البادي
لا زلت مرفوع العماد مؤيداً بالنصر والإقبال والإسعاد

إلى غير ذلك من التهاني كعادة الناس في المديح إذا أقبلت وعادتهم الذم إذا أدبرت، فالله المستعان.

وفيها لا تزال الحرب طاحنة بين إيطاليا والحبشة، وذلك لأنه لما أعلن «موسليني» أيطاليا الحرب على الحبشة نتيجة اشتباك دموي جرى بين القوات الحبشية وكتيبة من قوات الصومال الإيطالية على مقربة من قرية والوال، وقتل في هذه المعركة عشرات من الجند الإيطاليين على الرغم من أنهما عقدتا معاهدة قبل هذا الاشتباك بسبع سنين تعهدتا فيها بإقامة صلح دائم وصداقة أبدية بينهما.

ولما أعلنت إيطاليا الحرب على الحبشة استصرخ النجاشي «هيلاسلاسي» عصبة الأمم في حسم الخلاف، ومد الغوث لبلاده، ولكنه لما كان في سنة ١٩٣٥م زحفت إيطاليا على الحبشة وكانت نتيجة القتال أمراً مفروغاً منه، وتركت الدول الكبرى الحبشة تصارع بمفردها غريمها القوي، وهي تكاد تكون عزلاء، ومع أن الإيطاليين لم يحرزوا انتصارات حاسمة في الأشهر الثلاثة الأولى من القتال، إلا أنه ما وافى شهر مارس سنة ١٩٣٦م حتى كان الإيطاليون قد قضوا على كل مقاومة حربية جدية من جانب الحبشة، ولاذ في أول مايو الإمبراطور هيلاسلاسي بالفرار إلى انكلترا، وبهروبه انهارت كل مقاومة منظمة، وعمت البلاد الفوضى، واحتلت الجنود الإيطالية أديس أبابا، وفي التاسع من مايو سنة ١٩٣٦م الموافق ليوم السبت ١٨ صفر من هذه السنة نودي بعمانوئيل ملك إيطاليا امبراطوراً على الحبشة وهذا بعد حرب طاحنة امتدت حوالي ثمانية أشهر، ولقد أيدّ هتلر زميله الإيطالي تأييداً قوياً خلال هذه المغامرة الاستعمارية، وجاءت الحرب الأهلية الإسبانية في هذا السنة فقربت بين هتلر ورئيس إيطاليا وحددت صفوفهما وأصدر الفوهرر هتلر أمره في ٧ من مارس سنة ١٩٣٦م باحتلال منطقة الرين وإعادة تحصينها، وأخذ يفكر بعين طامحة إلى ضم النمسا إليه، فلما رأت بريطانيا أعمال هتلر عادت إلى توثيق تحالفها مع فرنسا، ورصدت في هذه الأيام أربعمائة مليون جنيه للتسلح على أن يزداد هذا المبلغ إلى ألف مليون وخمسمائة مليون جنيه، ذلك لأن الدول أخذت تستعد لوقوع حرب عالمية ثانية، ورأت تحت الرماد وميض جمر يوشك أن يكون لها ضرام.

وفيها انفجرت ثورة في فلسطين ضد اليهود والانجليز الذين مكنوا اليهود من اتخاذ فلسطين وطناً قومياً لهم، وحدد أهل فلسطين أهدافهم في ثلاثة أمور:

إلغاء وعد بلفور، ورفض الانتداب البريطاني، واستقلال فلسطين، واستمرت هذه الثورة ثلاث سنين فلم تتوقف إلا عند نشوب الحرب العظمى الثانية، لأن الحكومة الانكليزية لجأت إلى تهدئة الأمور وعقد مؤتمر سمي مؤتمر المائدة المستديرة في لندن يخدرون به أعصاب الفلسطينين.

عمارة قصر المربع في الرياض

لما استراح صاحب الجلالة من إخماد الثورات الداخلية والخارجية رأى ـ أيده الله ـ أن يجمع العائلة الملكية في قصر، فأنشأ المربع في شمال مدينة الرياض، وكان ذلك القصر عظيماً وساحته واسعة جداً، وجعل لكل نجل من انجاله قصراً مستقلاً، فأصبح المربع يعتبر كمدينة جميلة تحتوي على جوامع ومساكن، وكانت عمارته بالحجارة والطين غير أن تطريزه ممتاز، وقد أحضر لذلك المهندسون والعمال بحيث لا يقل عدد المشتغلين فيه عن تسعمائة عامل، وبعدما فرغ العمل سكنه صاحب الجلالة وأنجاله وحاشيته، وكان المربع إذ ذاك له أبهة ورونق زاهر، وختمت هذه السنة بخير والحمد لله رب العالمين.

ثم دخلت سنة ١٣٥٦هـ

استهلت هذه السنة والعالم في مشاكل متعددة، فهذه فلسطين قد انفجرت بالثورات والدول الكبرى تتكهن وقوع حروب طاحنة لما رأت مطامع رئيس ألمانيا تتضخم.

وفيها أنشأت مدارس حكومية في عواصم المملكة العربية السعودية، وأنشئ في مدينة بريدة مدرسة تأسست فيها إذ ذاك.

وفيها كثرت فتن اليهود في فلسطين ومدوا أيديهم على المسجد الأقصى، بل وضعوا عليه الشعار اليهودي، فقام العرب من أهالي فلسطين يحاولون كشف هذه المهمة العظيمة ويصادمون تلك التدابير التي سلبتهم عزهم وفخرهم، وأذاقتهم مرارة الحياة، وأوصلتهم نيراناً حامية، وبعثوا يصرخون للعالم الإسلامي ويضجون مما هم فيه من الضغط، واستغاثوا بكل من في الوجود ممن تظله راية الرسول محمد ﷺ يطلبون النجدة والحامات على بيضة الإسلام أن ترض؛ ونشروا في صحفهم مقالات يطالبون بها المسلمين أن يساعدوهم على هذا الفادح الكارث، وصوروا المسجد الأقصى قد وضع عليه الشعار اليهودي.

أيا أمة الهادي أما تنظرون إلى ما حل بأولى القبلتين، ودهى إخوانكم من الهوان والشين ذلك الهول الذي بلغ القلوب والحناجر، وسكب الدموع من المحاجر، فهل من ناصر لله ولرسوله ولكتابه والمسلمين، أما كان المسلمون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، وأعظموا الأمر وأكبروا الهول، ويحق لهم ذلك، فلما أسمعوا جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود ضاق بذلك ذرعاً ولم يجد مندوحة عن الإجابة، وبعث يستشير شعبه ليقف أمام هذا التيار الجارف، ويخمد نيران تلك الفتن المتأججة، وأن يضرب بيد من حديد على أيدي هؤلاء المتمردين على النواميس السماوية، ودعاة السوء والرذيلة الذين يغرسون بذور الكفر والشرك والخبث، ويشقون الطريق أمام الاستعمار والمستعمرين، ولما أن قدم الأمر للشيخ عمر بن سليم بأن يجتمع بأهل العلم والدين والرأي من الملأ والمشايخ وطلاب العلم، عقد لذلك مجلس للمفاوضة في هذا الموضوع والمقصود منه هو أنه هل تجب مساعدة أهل فلسطين والانخراط في صفهم ضد أعداء الله ورسوله اليهود الصهيونيين مدافعين عن الأوطان والإخوان في الدين والعروبة، أم يتركون وشأنهم لأن البلاد ليست سعودية، وكان من بين هؤلاء الحاضرين رئيس البلد فهد بن علي الرشودي وأخوه إبراهيم بن علي، والرجل العظيم الشأن عبدالعزيز بن حمود بن مشيقح، وأمير المقاطعة عبدالله بن فيصل، والشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، والشيخ محمد بن عبدالله بن حسين، والشيخ عبدالعزيز الصالح بن سليم، والشيخ عبدالله بن رشيد خطيب الجامع، وعبدالله بن عيسى، وابن جربوع، ومحمد الربدي بن عبدالله، وغير هؤلاء، وتبادلت الآراء والأنظار وكثر الجدال والمناقشات بين من يقول بالمناصرة وضدها، وارتفعت الأصوات وعلت الصيحات، وآخر ذلك حصل الاتفاق على أنه إذا أمر الوالي على الرعية بنصرة المسجد الأقصى وحفظه وحفظ حماه لأنه ثالث المسجدين وأولى القبلتين فإنهم يقدمون في نصرته أنفسهم وأموالهم

طاعةً لولي الأمر وامتثالاً لأمر الله تعالى، فوقع على هذا الاتفاق المذكورون ورفع الجواب إلى عتبة صاحب الجلالة والمهابة الملك عبدالعزيز، فكان له أحسن الوقع والقبول.

ونسأل من بيده أزمة الأمور أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويذل أعداءه الكافرين.

وفيها أيضاً ولد مولود في صنعاء نشأ نشأةً عجيبة في خلقه وخلقه واسمه محمد ابن عبدالله، فذهبت الظنون حائمة هناك أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان، فالله أعلم، وقد انقطع خبره بعد ذلك.

وفيها قدم على نجد عالم من أهل فارس يقص في المساجد، فاغترت به العامة ومشوا خلفه ووطأوا عقبه، وقد يحضر لقصصه ألف شخص أو يزيدون، وكان يدعى محمد بن عبدالعزيز الفارسي، إذا أخذ في الوعظ بدأ بخطبة من مختصر التبصرة، ثم يأخذ في الوعظ والقصص الإسرائيلية، ويخرج عن المقصود ويطيل.

وختمت هذه السنة والموظفون في وظائفهم، فكان على رئاسة القضاء في الحجاز الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، وعلى قضاء حائل وما يليها الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وعلى قضاء الرياض عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن بشر، وعلى قضاء البكيرية الشيخ محمد بن مقبل، وقد نقل الشيخ سليمان بن عبدالرحمن العمري من المدينة المنورة إلى بلد الإحساء، وكان على قضاء بريدة فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وعلى قضاء عنيزة الشيخ عبدالله بن مانع، وهكذا الأمراء.

ثم دخلت سنة ١٣٥٧هـ

ففيها طبعت مطبعة أم القرى كتاب أهوال القبور، وكتاب التخويف من النار، كلاهما للحافظ ابن رجب، وكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، وتاريخ ابن لعبون، وقد خدمها بالتعليق عليها الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، كما تفضل بترتيب مجموع الرسائل والمسائل لعلماء نجد وجعله أجزاء الأول في التوحيد، والثاني في

الفقه، والثالث في جملة رسائل لأمة الدعوة، وكان طبعه في مطبعة أم القرى، فجزاه الله خيراً على هذا العمل الصالح الذي سما به على الأقران، وفاق أبناء الزمان.

وفيها خرج صاحب الجلالة والمهابة زعيم العرب وإمام المسلمين وأمير المؤمنين عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل من العاصمة الرياض بموكبه العظيم يصحبه من أنجاله ثلاثون، ومعه جنود عظيمة مسلحون بالسلاح الكافي، وأشاع أنه تجرد لنصرة أهل فلسطين، فبعث نبأ إلى أمير مقاطعة القصيم، وكان الوكيل على تصريف المالية فيها هو محمد بن مرشد، وحقق الأمر على صاحب المالية بأن يسهل طريق السيارات، ويقوم بإصلاح الخط لأن الطريق فيها رمال عظيمة، وتحتاج إلى عمل كثير، فلضيق الوقت وعدم الآلات المستحدثة لم يتمكن المصلحون من إكمالها على الوجه المطلوب، فحصل لذلك تغريز شديد وقدم مقدمة السيارات في وقت الغروب، ولم تتكامل البقية إلا بعد منتصف الليل، ولما بلغ التغيرة الموضع المعروف في شمال البلد من بريدة نصب خيامه فيها فوق تلك الرمال الحمراء، وكان معه من الخيام خمسة آلاف، ومعه من الجنود ثلاثون ألفاً، ومن السيارات ما يزيد عن ألفي سيارة على اختلاف أنواعها، فأقام في بريدة أياماً ثم زحف بتلك الجنود إلى حائل، ولما أن أراد السير وقوضت الخيام صفت السيارات وهيأت وجلس في وقت الصباح يقسم العطايا والمنح ويدبر تدابيره، وكانت سيارات النقل على حدتها كذلك سيارات الركوب والتلغرافات والبترول والماء وغيرها، وكانت الجنود واقفة تنتظر الأوامر إذ سار في خلال ذلك سيارتان من سيارات أنجاله تقلهما، فسلكت الطريق الأيسر فأمر بأن يردا وأمر بإحضار العصي فجيء بالسائقين فضربا ضرباً شديداً حتى غشي عليهما، وأمر بنجليه الصغيرين أن يبقيا في بريدة تأديباً لهما.

ولما سار إلى حائل كانت رعود السيارات في جو تلك الصحراء كهيئة الرعد القاصف، وبعد أن وصل إلى حائل ولبث فيها أياماً قلائل رجع بعد ذلك إلى الرياض نائلاً مطلوبه ومدركاً مقصوده، وكان رجوعه عن غير طريق بريدة.

وفي هذه السنة بدئ في استخراج البترول في المملكة العربية السعودية بواسطة شركة الزيت العربية الأمريكية «أرامكو».

وفيها وقع برد مخشرم له شعب على مدينة بريدة مساء، وكانت سحابته قد أقبلت من الجهة الجنوبية، فجعلت تنساق بإذن الله تعالى إلى جهة الشمال حتى توسطت الجو، فسمع لها وجبة عظيمة، ثم إنها ألقت وابلاً من البرد على قدر بيض الدجاج، غير أن الله وقى بفضله الثمار عن ضرره.

وفيها رجع الفارسي المشار إليه في السنة المتقدمة، وقد كان سافر فأعاد الكرة على القصيم واستمر في قصصه، غير أنه شوش على العامة في العقيدة، وكان ضرره أكبر فبادرت الحكومة إلى سحبه من القصيم نزولاً لرأي الأمة، فغادر القصيم إلى فارس.

ثم دخلت سنة ١٣٥٨هـ

ففي تلك الآونة جرت ثورة في الكويت وذلك بممالاة الأهالي يريدون بها خلع حاكم الكويت أحمد بن جابر بن صباح، فسعوا ضده لتنظيم حكومة جديدة، واغتنموا فرصة غيابه للنزهة والفرجة ففتحوا الخزائن وعينوا أميراً وسنوا نظاماً جديداً، فلما أن علم أمير الكويت بما جرى وأن الأمر قد قضي بليل فزع إلى ابن سعود يطلب منه المناصرة على ما دهمه، وكان يخشى أن يأتي إمداد من العراق لمساعدة الثائرين، لأنه قد لا يؤمن أن يكون ثم مؤاطة، فقام جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لمساعدة ابن صباح الذي قد تحسن ما بينه وبينه من الجوار، وقد طالما تربى قديماً بساحتهم فساق قوة كافية سدَّ بها طريق العراق، وأخذ يدأب في قمع الثائرين ضد ابن صباح، ولما قدم بعض المدافع والرشاشات والمصفحات ورأى الأهالي سلاح ابن سعود لم يجدوا بداً من التسليم، فسكنت الثائرات ودخل الأمير أحمد بن جابر بن صباح البلد ظافر وفاتحاً، ومما هو جدير بالذكر بأن الأمير المشار إليه لم ينكل بأولئك الثائرين، بل عفى عنهم وانطفأت الفتنة بحول الله تعالى وتوفيقه.

ذكر وفاة الشيخ العبادي ١٣٥٨هـ رحمة الله عليه

ففيها في عاشر صفر وقت طلوع الفجر منه، وذلك بكرة يوم الجمعة توفى الشيخ وهذه ترجمته:

هو العالم العلامة اللوذعي الماهر في العلوم والواثق بالله الحي القيوم، شيخنا الشيخ أبو إبراهيم عبدالعزيز بن إبراهيم بن عبدالعزيز العبادي رحمه الله وعفا عنه، ولد حوالي سنة ١٣١٤هـ وكان والده كاتباً فنشأ على العفة والعبادة والزهد والورع، وكان قليل ذات اليد وأمه ابنة الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، فأخواله آل سليم، وكان ذا عقيدة سلفية يحب أهل الدين ويميل إليهم، ويبغض أهل الشر ويعيبهم، وكان شجاعاً حازماً له محفوظات كثيرة، وذوق في العلوم، وإدراك ونهمة وهمة عالية تتضاءل عندها همم ذوي الهمم، ولازم الشيخ عمر بن محمد بن سليم فأخذ عنه وتتلمذ له وجعل يدأب في طلب العلم حتى بلغ رتبة تقتصر عنها سورة كل مطاول وتتلاشى دونها وثبة كل مماثل، وناهيك به من حبر يقل مثله بين أهل هذا الزمان، وتجثوا على الركب بين يديه الأقران، وكان صبوراً على حلو الزمان ومره، وله محبة في القلوب، وقبول لدى الخاص والعام، وله مؤهلات بلغته إلى رتب عالية بلغ بها إلى أن كان في النيابة في قضاء بريدة، إذا تغيب القاضي عنها، ولولا حرارة المزاج لقلت فريد زمانه ووحيد وقته، فنسأل الله الكريم المنان ذا الجود والإحسان الذي غمر خلقه بلطفه، وتفضل عليهم بجوده وعطفه أن يتغمده بغفرانه ويسكنه فسيح جنانه، ويؤمنه من نيرانه.

ذكر مشايخه الذين أخذ عنهم وتدريساته

رحمة الله عليك يا أبا إبراهيم، لقد كنت متأسياً بالسلف ومتمسكاً بأخلاقهم في الصبر والاحتساب ومكابدة مرارة العيش ومعرفة الدنيا وزوالها والآخرة وبقاءها، فلم تأخذك العزة ولم يلهك زخرف الدنيا وزينتها، طلبت العلم بدون مساعدة في المرتب، وعلّمت إخوانك وما طمحت نفسك إلى وظيفة، بل كنت تطلب العلم لله وتعلمه الناس رجاء مثوبته.

أما مشايخه فإنه أخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وأخذ عن غيره من العلماء، وأخذ أيضاً عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأكثر الأخذ عنه،

وتخرج عليه وشرب من عذب زلالهما، وجدَّ واجتهد حتى برع في علم التوحيد والأصول والفروع، وكان لا يحقر أحداً أن يأخذ منه الفائدة، ولو شئت لقلت إنه كان إذا سألته عن مسألة وأنس مني إلماماً بها يحرج مقامي في المصادر التي عثرت عليها فيها، وكثيراً ما يبعث السؤال للعلماء كالشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، ويأخذ رأي العلماء في المشاكل ولا يتكبر ولا يتجبر.

ولما بلغ من العمر خمساً وعشرين سنة جلس للتدريس بإجازة من شيخه عمر بن محمد فجعل يعلم في تجويد القرآن ويدرس فيه على طريقة التجويد والضبط، ويعلم في بقية العلوم فازدحم على مجلسه خلق كثير وجم غفير، وجثت التلامذة والأقران والشيوخ أمامه على الركب يقتبسون من فوائده، ويستفرغون منطوقه، وكان لا يسأم التدريس ولا يملّ، مكرماً للإخوان، ويحب الكتب ويجمعها ويجعل لكل كتاب غلافاً من القماش، ولا يزال يقلب كتبه ويكثر لمسها ويحشمها ولا يثق على كتبه شريفاً ولا وضيعاً، وقد هيأ لها دواليب من الخشب، وكانت مجالسه عامرة بالتدريس ليلاً ونهاراً ينتابها الأهالي والأجانب وهذه كيفيتها:

جلس للتدريس في بداية الأمر في المسجد الجامع في بريدة بعد صلاة العصر في تجويد القرآن، فكل تلميذ يقرأ ورقة، وغالب التلاميذ يدرسون في القرآن حفظاً، فإذا فرغت حلقة أهل القرآن شرع أناس يدرسون في كتب الحنابلة وغيرهم، ثم جلس بعد ذلك في مسجد آل مشيقح للتدريس، فكان إذا صلى الغداة تحلقت عليه حلقة لأخذ علم النحو ثم حلقة أخرى في علم قسمة المواريث، فإذا ما طلعت الشمس قام يتوضأ ويتناول شراب القهوة في بيته، وكان قد طلب منه الفاضل الجواد عبدالعزيز بن حمود بن مشيقح والد الأسرة أن يشرف محله وبيته كل صباح لتناول القهوة في بيته لبعد بيت الشيخ عن المسجد المذكور، ولما لهذا الجواد الكريم من أريحية يده البيضاء التي لا تزال إذ ذاك تفيض على أهل العلم بالإكرام والاحتشام، ولما منحه الله من توفير العلماء وأهل الدين والفضل، غير أن الشيخ يفضل الذهاب إلى بيته لقضاء الحاجة والوضوء، وقد لا يبعد أن هذا الجواد الكريم

يبعث إلى بيت الشيخ معونة ومساعدة على مؤونة الدنيا فجزاه الله خيراً على أعماله الطيبة، فإذا كان بعد طلوع الشمس وانتشارها عاد إلى المسجد ثم يجلس يدرس في سائر فنون العلم إلى قريب زوال الشمس، ثم يعود إلى بيته، فإذا ما صلى الظهر في المسجد المذكور جلس للتدريس إلى أذان العصر، وأشهد لرايته مرةً أذّن مؤذن صلاة العصر، وقد بقي ثلاثة من التلامذة لم يقرءوا، فإذا صلى العصر جلس في المسجد الجامع يدرس إلى أن توارى في الحجاب، وقد تغرب الشمس وقد بقي بقية لم يصل إليهم الدور، ولما كثر الطلاب وبلغ عدد الذين يدرسون في القرآن خمسة وثلاثين جعل لكل تلميذ صحيفة، وكان يتقيد بآخر الصفحات من المصحف العثماني الذي رتب الجزء منه عشر ورقات.

أما الكتب التي يدرس بها عليه فإليك بعضها:

درسنا عليه كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين، وكتاب حادي الأرواح في صفة الجنة، وكشاف القناع عن متن الإقناع، والروضة الندية لصديق بن حسن القنوجي، ويدرس عليه في المغني لابن قدامة، والشرح الكبير، وشرح المنتهى والمقنع، والفروع والصحاح، والمسانيد، والشروح، والسنن، والمختصرات، ومدارج السالكين، وزاد المستنقع وشروحه، ودليل الطالب وشروحه، وكتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وشرح الطحاوية وغيرها، ويطيل ويفسر الكلام ويشبع ويسهب ويجرح ويعدل ويلهج بذكر الخلاف.

ولما علم الله صدق نيته رزقه كتباً كثيرة وحصل على شيء عجيب منها، وأصبحت ترد عليه من مصر والحجاز، والشام وغيرها، ثم بعدما يصلي المغرب يذهب إلى بيته يتناول العشاء الآخرة، قام للصلاة في المسجد الجامع ثم ينتقل ما شاء الله ويوتر وينام، فهذه حالته إلى أن لف بأكفانه، وبكاه كل جيرانه وفقدته أبناء زمانه، وكان فيه مؤهلات للقضاء والفتيا، وله سعة وقدرة في استجراح مسائل العلم، هذه صفته:

كان مربوع القامة، ضرير البصر عيناه نائتان، أبيض اللون، أسود الشعر، في

لسانه لثة، فكان إذا تكلم جعل يستعين بيده على الكلام ويومئ بها مضمومة الأصابع، شجاعاً متواضعاً متقشفاً، دائم البشر وطلاقة الوجه، وله غيرة وقت الحاجة، وكان ذا معرفة بالتوحيد، عفيفاً متقللاً من الدنيا، سمح العريكة، لين الجانب مع ما منَّ الله به عليه من الصبر على قوارع الدهر والفقر والحاجة، ومات ولم يولد له أولاد، وكان يلهج بالدعاء في خلواته لربه بأن يهب له ذرية طيبة، والله غالب على أمره وحكيم في أفعاله، ولا ريب أن مصيبته ثلم كبير في أهل الإسلام.

ذكر تلامذته والآخذين عنه

أما تلامذته الذين أخذوا عنه فلا يمكن استيعابهم لكثرتهم، ومنهم من هو أسن منه، ومن هؤلاء من تعلم قبله ومعه، ولكن قد قال العلي العظيم: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [الجمعة:٤]، وأنا أذكرهم على حسب معرفتي لهم، فممن أخذ عنه: عبدالله بن رشيد الفرج خطيب جامع بريدة ذو الفضل والزهد والورع، وكان فوق ما يقال عنه، وممن أخذ عنه الشيخ صالح بن أحمد الخريصي رئيس محكمة بريدة في الوقت الحاضر، وأخذ عنه سليمان بن عبيد، وأخذ عنه صالح بن عبدالرحمن السكيتي مدرس العلوم الدينية في معهد بريدة العلمي، وأخذ عنه صالح بن إبراهيم البليهي مدرس العلوم الدينية في المعهد نفسه أيضاً، وأخذ عنه ودرس عليه الشيخ محمد بن صالح بن سليم قاضي الخبر في المقاطعة الشرقية، وأخذ عنه سليمان بن حمود بن عبيدان، وكان شاباً قوياً في معلوماته، غير أنه اختطفته المنية في شبابه رحمه الله، وأخذ عنه علي بن إبراهيم بن صالح المشيقح، وأخذ عنه صالح بن إبراهيم الرسيني، وأخذ عنه صالح بن محمد التويجري قاضي تبوك، وأخذ عنه إبراهيم بن عبدالعزيز الجبيلي، وكل هؤلاء أهل للقضاء والفتيا، وأخذ عنه الشاب الناسك الورع محمد بن عبدالله سليم بن خال المترجم، وأخذ عنه محمد بن موسى الحمود، وأخذ عنه علي بن مرشد، وأخذ عنه علي بن عبدالرحمن بن غضية قاضي الأسياح، وأخذ عنه نصيان الحمد، وأخذ عنه عبدالله بن محمد العجاجي، وأخذ عنه عثمان بن عبدالله بن معارك، وكان قد نال درجة القضاء في إحدى الجهات الشمالية، وأخذ عنه حمود

وصالح ومحمد أنجال عبدالعزيز بن حمود بن مشيقح، وأخذ عنه عبدالله بن صالح بن حسين، وأخذ عنه فهد بن عبدالعزيز بن سعيد مدير مدرسة رياض الخبراء، وأخذ عنه عبدالعزيز بن عبدالله بن غصن وهو الذي كان يختصه لما بين العشائين في مراجعات المسائل من مصادرها، وأخذ عنه محمد بن عبدالرحمن بن فداء، وأخذ عنه حميدان بن عبدالعزيز بن حميدان، وأخذ عنه ربيبه محمد بن سليمان بن عبدالرحمن بن سليم، واخذ عنه غانم بن سدلان، وأخذ عنه محمد بن عبيد بن سلمي، وأخذ عنه محمد بن ناصر الهلالي، وأخذ عنه سليمان بن عتيق، وأخذ عنه سليمان بن عبدالله بن مشيقح، وأخذ عنه صالح بن محمد بن غانم، وأخذ عنه سعد ابن مرزوق العديم، وأخذنا عنه وتعلمنا منه وانتفعنا بعلومه وتقريراته، وجلسنا في حياته للتدريس في فني النحو والفرائض بإجازته وكان يختصني لأسراره ويقدمني على سائر الطلاب في الأوقات التي كنت أدرس فيها عليه، ويستشيرني في بعض أموره كقوله لي مرة:

إني أكثرت من حفظ متون الفقه الموجزة كالعمدة والمختصر، وأخصر المختصرات، ودليل الطالب، أفلا أكتفي بحفظ الإقناع وأترك ما سواه من المختصرات، وناولني مرة كتاباً وقال لي: انظر فيه فإن كان يصلح لي فأحبكه[1] وإلا فشأنك به، وكان يناصحني كثيراً فرأى مرة معي جريدة أم القرى فسألني عنها؟ فأخبرته أني أخذتها لأرى صفة الواقعة على الملك في المسجد الحرام لا غير، فنهاني عن النظر في الجرائد لأنه لا طائل تحيها، وأشار علي أن لا أعتني بالجرائد فإنها تصد في الغالب عن العلم الشرعي المحمدي، وتضيع الوقت في غير فائدة، وصدق والله في مقالته فإن الوقت من ذهب، فكيف يضيع في الجرائد والمقالات والمجون والمضحكات، فلو عمر الإنسان وقته في تلاوة القرآن ومراجعة الصحاح والسنن والمسانيد والتواريخ التي سلمت من الكذب لكان خيراً له، وأهدى سبيلا، وإنا لنرى غالب المفتونين بالنظر في الصحف والمجلات والجرائد قد اشتغلوا بها عما هو أهم منها، والله ولي التوفيق لا رب غيره ولا إله سواه.

---

(1) أحبكه يعني جلده جلداً وقماشاً.

ذكر محفوظاته وسعة علمه

كان قد حفظ القرآن عن ظهر قلب، وحفظ مختصر المقنع، والعمدة، وألفية ابن مالك في النحو والصرف، وملحة الإعراب، ومتن الأجرومية والبيقونية والجزرية، ومفردات الذهب، وإذا أخذ يلهج في قراءتها بقوة وشجاعة ونهمة في الحفظ، وجدّ واجتهاد فإنه لا يوجد له مثيل، وأقسم بالله ما رأيت قبله ولا بعده إلى موضع هذه الكلمات مثله في الاجتهاد فكان آية من آيات الله في الجد والاجتهاد، وحدّث عن البحر ولا حرج، ذلك بأنه عشق طلب العلم فكان لا يشبع من العلم لفرط نهمته فيه، وشدة رغبته في تلك البضاعة، ولله حكمة في وفاته فإنها من قبض العلم الذي أخبر به الرسول ﷺ .

وأما في الإفتاء وبيان الحلال والحرام فقد خسرته أمة الإسلام، فكان إذا ذهب إلى بيته أو جلس فيه فإنه لا يكاد يستريح من كثرة السؤال، ولا تزال النساء ببابه يسألنه عن الحيض والنفاس والصلاة والنجاسة والطهارة، ومن عادته حب الكتب وخدمتها وتقليبها، ولا يثق أحداً عليها، فكان إذا ناول من يراجع له المسائل يجعل يده أسفل الكتاب، ولا يعير شيئاً من كتبه ولو أدى الأمر إلى أكبر ضرر، ولقد طلبته إعارة كتاب أسبوعاً فأبى، فتوسلت إليه بكل حق فأبى وأقسم بالله بعدما طلبته يومين أن لا يعيره ولا ساعتين، وكان يحب البحث ومعرفة الخلاف، ولما سمع عبارة البهوتي في شرح مختصر المقنع وهي قوله: «فلم أتعرض للخلاف طلباً للاختصار» قال: يا ليته تعرض، ولبث مرة يفسر الترجمة التي في كتاب التوحيد قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ [سبأ:٢٣]، فأطال حتى أتم ثلاثين دقيقة وقيل له إن من التلاميذ من لا يلم بالإطالة في التفسير فلو اختصرت له، فقال: إني أفسر لأفيد نفسي والحاضرين، وقرأ عليه طالب علم في القرآن الكريم، وكان الطالب هذا موسوماً بالصلاح فلا يتمالك من البكاء في القراءة فتحرج لكثرة وقوفه، ولما

علم بما أوقفه وجعله لا يستمر كان يراعيه ويأخذ له إناءة حتى يخلص وهو يسأل الله الذي رزقه الخشوع أن يمن على من لا يخشع، ومن العجب أن كل من قرأ عليه وأخذ عنه أو غالبهم فإنهم أهل صلاح، وتمسك في الدين، ولهم علم ومعرفة لبركة مساعيه وحسن نيته، وإذا منَّ الله على عبد فليفعل ما شاء من خصال الخير.

ذكر مقدمات وفاته

رأى بعض الصالحين قبيل وفاته قمراً مبدراً توسط السماء ثم غاب فإذا خلفه قمر آخر ضعيف النور، فقصت عليه الرؤيا قبل مرضه فقال: الحمد لله إذا لم يفقد النور، ورأى بعض الصالحين مصباحاً مضيئاً في المسجد الذي كان يدرس فيه، فبينما الناس يمشون في ضيائه إذا انكسرت زجاجته وانطفأ فكان الناس بعده في ظلمة، فأولت بوفاته رحمه الله، ومن رأى سبقه وتقدمه ونهمته في التدريس وغربته تيقن أن ذلك لا يطابق حالة الزمان، والله المستعان، وكان مرضه خمسة عشر يوماً انحبس فيها عن الخروج، وفي ثالث الأيام علم أن بدنه في انحطاط، وجوفه متألم لأن ألمه في جوفه، وفي اليوم الثامن اصفر وجهه وأكثر لزوم الفراش وجعل يقول: الحمد لله الذي له تمام الإرادة، وكل خلقه فقراء إليه، وفي الثاني عشر جعل يسأل الله حسن الاختيار له، فلما كان في مساء الخميس الموافق ٩ صفر قال لمن حوله بفصاحة ونشاط: إني لا أعلم ما يجري علي ولكن إذا أراد الله الوفاة فلا يغسلني غير فلان لصديق له من أحبابه وخاصته ألا وهو الأخ عبدالمحسن بن عبيد، فلما كان السحر من يوم الجمعة ١٠ صفر توفى بداء الغاشية وانتقل إلى رحمة الله مخفاً من الدنيا واستراح من همومها وغمومها، وفجعت به الخليقة وبكته مجالس الذكر، وشقت عليه أقلام الشعراء في المراثي، وصلي عليه في المسجد الجامع في بريدة، ودفن في المقبرة الجنوبية فلاجة، وحضر جنازته خلائق كثيرة، ومما قيل فيه من المراثي ما رثاه به الأخ عبدالمحسن بن عبيد الفاضل المشهور:

إلى الله رب العـرش أشـكو مصـيبتي | وما حـل فينـا مـن عظـيم المصـائب
إلى الله أشـكو لا إلى النـاس حـالتي | فهب لي اصطباراً منك يـا خـير واهـب
مصـابٌ دهـى قلـبي فهـيج عبرتـي | سـأبكيه دهـري بالـدموع السـواكب
فجعـت بـه فـالله يـبرد لـوعتي | وينعشـني بالصـبر أسـنى المراتـب
فآهـا علـى عبـدالعزيز وفقـده | وآهـا علـى فقـد العلـى والمراتـب
وأهـا علـى تلـك المجـالس والبهـا | فمن مثلـه في الشـرق بـل في المغـارب
رزئنـا بـه طـراً فيـا عظـم فـادح | فـأعظم بـه صـدعاً عظـيم النوائـب
فثلمتـه كـبرى لـدى كـل عاقـل | مصيبته عظمـى مـن أعلـى المصـائب
فمـن مثلـه فينـا وأيـن نظـيره | مـديماً علـى التعلـيم أسـنى المراتـب
حريصاً علـى نفـع الـورى واهتـدائهم | عزيـزاً عليـه الميـل نحـو المعائـب
يعيـد دروسـاً زانهـا الله بالبهـا | علـى عـدد السـاعات لـيس براغـب
صـبورٌ علـى حلـو الزمـان ومـره | شكورٌ لفضـل الله مسـدي المواهـب
لقـد كـان يحنـو للفقـير برقـةٍ | إذا عـام في الـتطلاب صـافي المشـارب
يقـر بـه طـوراً وطـوراً يحثـه | علـى السـعي في نيـل العلـى والمكاسـب
بـه الغربـاء تهتـف مـن كـل جانـبٍ | يشـجعهم للفقـه في كـل واجـب
قضـى عمـره درسـاً وتعلـيم جاهـل | ونصـحاً وإرشـاداً لـدى كـل صـاحب
مـديماً علـى بحـث الغـوامض جهـده | بفكـرٍ وفهـمٍ مسـتنير وثاقـب
لقـد كـان في علـم الفـرائض آيـة | فسـبحان مـن قـد خصـه بالمواهـب
يفكـك تركيباتهـا وحسـابها | لـه نظـر في فقههـا والغرائـب
إذا خـاض في أبوابهـا وعلومهـا | وإحكامهـا يومـاً أتـى بالعجائـب
لـه همـةٌ في النحـو ليسـت لغـيره | لـه نهمـةٌ يـدري بهـا كـل طالـب
لـه البحـث والتقريـر للعلـم والهـدى | ألـذ وأشـهى مـن وصـال الحبائـب
ينـافس في كسـب العلـوم وحفظهـا | بعيـدٌ عـن الفحشـا وقـرب المعائـب
فكـم مـن سـؤال حلـه بجوابـه | بفهـمٍ دقيـقٍ جيـد غـير عـازب

مجالســه كانــت علومــاً وحكمــةً وفقهــاً وتحقيقــاً لذيــذ المشــارب
فهمتـه في العلـم يـدري بهـا الـورى فسل منصـفاً ينبيـك عـن ذي المناقـب
لقـد كـان منهومـاً وقـد كـان مولعـاً وقـد كـان مشـغوفاً بنيـل المـآرب
وكـــان عفيفـــاً قانعـــاً متواضـــعاً فمـا همـه تطـلاب نيـل المناصـب
ولا رفعـــةً بـــين الـــورى ورياســـة يريـد بهـا الـدنيا ونيـل المكاسـب
لــه همــةٌ تســعى إلى طلــب العلــى ومذهبـــه والله خـــير المـــذاهب
مشـــايخه قـــومٌ هـــداة أجلـــةٌ لقـد خصـهم ربـي بخـير المواهـب
يوالـون في الـرحمن مـن كـان مخلصـاً يعادون أهـل الزيـغ مـن كـل ناكـب
يحبـون في ذات الإلـه ذوي الهـدى ويهـدونهم عـن مقحمـات المعاطـب
ويـدعونهم بـالقول والفعـل جهـدهم إلى الله رب العـرش مـن كـل جانـب
ســجيتهم بــث النصــائح بيــنهم فهم قـدوة السـاري نجـوم الغياهـب
وهــم زينــة الــدنيا مصــابيح ليلــها مشـــارقها طـــراً كـــذا والمغـــارب
علـيهم سـلام الله يـترى مضـاعفاً بعـد هتـون الغيـث بـين السـحائب
ويــا معشــر الإخــوان إن وصــيتي إلـيكم بتقـوى الله أعلـى المطالـب
علـيكم بـإخلاص المقاصـد جهـدكم علـيكم بـدرس العلـم أسـنى المراتـب
ولا تبعــدوا عــن شــيخنا ودروســه فمشـــربه والله عـــذب المشـــارب
وأوصـيكم بالصـبر وادعـوا لشـيخكم فربـــي سميـــعٌ يســـتجيب لطالـــب
عســـى رحمـــة المـــولى تعـــم لذاتـــه فهبه الرضا والعفـو يـا خـير واهـب
عســى جنــة الفــردوس تجمعنــا بــه ويأجرنـا فيمـا دهـا مـن مصـائب
عســـى دارنـــا يـــوم المعـــاد وداره بـدار البقـا والخلـد أعلـى المطالـب
وصـــلِ وســـلم دائمـــاً بتصـــاعفٍ على المصـطفى والآل مـع كـل صـاحب
صـــلاةً وتســـليماً يفـــوق لعـــدنا يفـوق لعـد القطـر مـن ذي السـحائب

وهذه مرثية في المتوفى قدس الله روحه أنشأها المحب في الله الأخ نصيان بن حمد آل نصيان، وهي حسنة قوية، قال رحمه الله:

أعـينيَ جـودا بالـدموع السـواكب … علـى مـن دهانـا موتـه بالمصـائب
علـى شـيخنا عبـدالعزيز لفقـده … تبدت كلوم القلـب مـن كـل جانـب
ففـي موتـه منـا القلـوب تصـدعت … وحارت دمـوع العـين بـين الجوانـب
لقـد كـان ذا علـمٍ وكـان مسـدداً … بنحـو وقـرآن وإرشـاد طالـب
وقـد كـان شـيخاً في العلـوم جميعهـا … بهمتـه يسـمو لأعلـى المراتـب
إلى مسـلك التوحيـد قـد صـار آيـةً … بهطـال وبـل العلـم مثـل السـحائب
فصـار لنيـل العلـم مرقـىً وسـلماً … بتسـهيل حـل المشـكلات الغرائـب
وصـار إمامـاً حاذقـاً متفننـاً … لـه القـدم الطـولى بحـل الغرائـب
إلى الله نشـكو مـا دهانـا بموتـه … فـلا غـيره يرجـى لجـبر المصـائب
عليـه توكلنـا بتسـليم أمرنـا … مـددنا يـداً نحـو السـماء بالمطالـب
فـلا نلتجـي إلا إليـه ولا لنـا … سـوى ربنـا المعبـود جـزل المواهـب
لقـد هالنـا يـوم دهتنـا خطوبـه … بمـوت جليـل القـدر سـامي المناقـب
فيـا ثلمـةً هـدت مـن العلـم جانبـاً … ويا لوعـة الإخـوان مـن كـل صـاحب
ويـا فرجـة التـدريس مـن بعـد أنـه … محافلـه محفوفـةٌ بالمكاتـب
لفقـد إمـامٍ كـان يبـدي دروسـها … ويهـدي مخباهـا إلى كـل راغـب
نعتـه خطـوب المـوت مـن بـين أهلـه … ومن بين جيران ومـن بـين صـاحب
فكـم قبلـه جتـه المنيـة بغتـةً … فعضـت عليـه في حـداد القواضـب
وكـم قـد دهتنـا قبلـه مـن رزيـةٍ … نسـينا بـذكرى موتـه كـل صـاعب
لقـد خمـدت تلـك الـدروس لفقـده … وسـفت عليهـا الـريح رمـل الكثائـب
فنبكـي عليـه لوعـةً في قلوبنـا … وفي القلـب حـرٌ شـاعل بالملاهـب
لقـد جـدد الأحـزان مـن بعـد سـليها … وأجرى دمـوع العـين فـوق الحواجـب
وقـد أوجعتنـا فرجـة الحـبر شـيخنا … وناهـت رزاياهـا بهـد الجوانـب
لعشـرٍ خلـت في طلعـة الفجـر موتـه … سـينبيك عـن تحريرهـا خـط كاتـب
بشـهر صـفر في جمعـةٍ مـن صـباحها … علـى نعـشٍ نحـو المقـابر ذاهـب

ثمان سنين بعد خمسين قد تلت ثلاث مئين بعد ألف لحاسب
وعجل في التجهيز من كان غاسلا وسجاه ثوباً بعد شد العصائب
ليبكي على التحقيق من كان باكيا لأن ذويه ذاهب بعد ذاهب
فقد جاء في الأخبار عن سيد الورى بأن ذهاب العلم موت الأطائب
فيا ربنا يا ملتجانا وجبرنا أغث قبره من مدك بالمواهب
وأسكنه جنات النعيم تكرماً ونور له في القبر يا خير واهب
وأنهله من حوض النبي محمد بكأسٍ رويٍ سائغ للمشارب
وافرغ علينا الصبر يا خير من دعي لجبر قلوب هدمت بالمصائب
وابق لنا بحر العلوم إمامنا يزيل الصدى جالي ظلام الغياهب
وشيخٌ لنا يحكي المهمات كلها ولم يثنه في الله شوب الشوائب
سمي ابن خطابٍ عفيفٌ وذو تقى وحامي حمى السمحاء عن كل ناكب
ومن معدن بالعلم قد طاب أصله من آل سليم من كرام أطائب
وإخواننا من كان للعلم طالباً ومن قرر التوحيد أعلى المذاهب
ومن كان في الإسلام يبدي ودادنا على القرب أو في شرقها والمغارب
وصل على المبعوث من آل هاشم محمد المختار من نسل غالب
بعد الحصى والرمل والحب والنوى وما هل في الغبراء وبل السحائب
وما غردت طيرٌ بأغصان دوحةٍ وما وقع العصفور فوق الذوائب
وما أم بيت الله من كل ناسك على نجب تطوي قفار السباسب
وأصحابه والتابعين على الهدى وأنصار دين الله من كل صاحب

وهذه مرثية قلتها في المترجم وبعثت بها إلى بعض أصدقائنا بهذه المقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فإنه لما كان في ١٠ صفر سنة ١٣٥٨هـ توفى الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي غفر الله لنا وله، فوجل المسلمون لوفاته ومصابه، لما أن أودعوه قبره وأهالوا ترابه وعظمت لفراقه الأحزان، وهاجب له الهموم والأشجان، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلما أن

رأيت مصيبته تجدد بفراقه والقلب قد زادت شجونه لشدة احتراقه، أبديت هذه الأبيات وإن كنت لست من أهل هذا الشأن ولا ممن يسابق في الميدان، ولكن لعظم ما جرى وما حل بأهل الإسلام ودهى:

إلى الله أشكو طارقات النوائب ... ورزء كبير من عظيم المصائب
وما قد عرى أهل الديانة والتقى ... فحقّ على خل دهي بالمعاطب
يريق دموع العين سحاً ودائماً ... ويبكي طويلاً بالدموع السواكب
لموت إمامٍ قام لله داعياً ... شمائله تسمو لعالي المراتب
فأعظم بهذا الرزء أي مصيبةٍ ... وخطبٌ دهى بالمزعجات اللوازب
تنادي بها السكان في كل مشهدٍ ... وسارت بها الركبان فوق النجائب
لموتك يا عبدالعزيز مصائبٌ ... تهون على أربابها في الأقارب
لأن كنت يا عبدالعزيز فجعتنا ... وجسمك أضحى في تخوم السباسب
وربعك أمسى دائراً ومعطلاً ... عليه رياحٌ تعتلي بالكثائب
فوا أسفاً من فقده وفراقه ... فمن مثله في شرقها والمغارب
إمامٌ لشرع الله يبدي مفسراً ... يحل عويص المشكلات النوادب
يدين بقال الله قال رسوله ... فوائده يهدى بها كل طالب
يقضي بتدريس العلوم نهاره ... مديماً عليها في الضيا والغياهب
يقرر توحيد الإله بجهده ... ولم يكترث يوماً بكل مشاغب
لقد كان حبراً للأنام ومفتياً ... تحيط به الطلاب من كل جانب
يبين لهم حقاً ويردي لباطل ... فمورده عذبٌ زلال لشارب
يعامل أهل الخير بالود والصفا ... ويرجم أعداء الهدى بالثواقب
وفي سنة المعصوم أضحى موضحاً ... لتقرير مسنون وتبيان واجب
كما فاق في علم الفرائض غيره ... وفي النحو والقرآن قد جاء بالعجائب
فمن مثله في الخلق يؤتى لمشكلٍ ... ويجلو ظلاماً من عضال الغياهب
وفي كل فن فكره متجول ... يعيد ويبدي غامضات المصاعب

فسبحان ربي يمنح العلم من يشاء مواهبه ليست ترى في التلاعب
فوا حر قلبي من فقيد مفارقٍ إلى عسكر الأموات أضحى بذاهب
مجالسه قد عطلت عرصاتها وقد أفلت أنوار تلك الكواكب
أرى ثلمه والله ليس يسده فثام كثير قد سعوا في المراتب
فيا ثلمةً عادت علينا بحسرةٍ وعمت مصاباً عجمها والأعارب
فيا رب يا مولاي يا خير منجدٍ أنله الرضا والعفو يا ذا المواهب
وبوءه في الجنات ارفع غبطةً تقر له عينٌ بعالي المراتب
لأن كان رب العرش عنا أماته سقته المنايا من كؤوس المصايب
فحمداً لمولانا على كل حالةٍ مقاديره فينا تصيب لهارب
وما من بقاء يرتجى لمؤملٍ وفينا من الأحبار عالي المناقب
وأعني به الحبر الهمام الذي له مناقب مجدٍ ساميات المراتب
هو الشيخ ذو العرفان نجل محمدٍ تفرع من غر كرامٍ أطائب
جزاه إله الخلق عنا بفضله فقد كان أستاذاً أتى بالرغائب
وأرغم أهل الزيغ من كل ملحدٍ وكشف أستاراً لغمض المذاهب
وصل إلهي كلما هب ناسم وما ماض برق من خلال السحائب
على المصطفى بل سيد الرسل كلهم وآلٍ وأصحاب سموا في المناقب
بعد هتون القطر من وابل السماء وما حج بيت الله من كل راكب

وهذه مرثية أنشأها الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر في المترجم وقد أقمنا ما تكسر من أبياتها من غير تصرف لطلب الناظم منا لذلك:

إلى الله أشكو لوعتي ومصيبتي على فقد أهل العلم من كل ماجد
فهذه علامات الدبور بوقتنا إذا مات منهم واحد بعد واحد
فقد حل مصداق ما قال ربنا ففي الوعد قد جاء بنقص الأماجد
كذلك ما قد قاله سيد الورى بموت رعاة الدين أهل التعاضد
كمثل الفتى عبدالعزيز أخي الحجا تقيٌ نقيٌ طيب العرض زاهد

يقطـع سـاعات النهـار بدرسـه ... ويبديـه جهـراً في زوايـا المسـاجد
إذا خـاض في علـم الأصـول رأيتـه ... بصـيراً خـبيراً مرشـداً كـل وارد
يقـرر توحيـد العبـادة جهـرةً ... ويبذلـه لكـل بـاغٍ وقاصـد
وإن خـاض في علـم الفـرائض خلتـه ... ففيهـا عليمـاً قـد حـوى كـل شـارد
وإن خـاض في علـم الفـروع وجدتـه ... خـبيراً بـأقوال الهـداة الأماجـد
ويحكـي خلافـاً قالـه كـل عـالمٍ ... ويسـرده عـن واحـد بعـد واحـد
وأمـا علـوم النحـو فهـو مسـدد ... يعيـد ويبـدي مظهـراً للفوائـد
فيـا رب تنفعـه بمـا قـد منحتـه ... يكـون لـه يـوم اللقـا خـير شـاهد
ويـا رب بـوءه مـن الخلـد منـزلاً ... مـع السـابقين الأطيـبين الأماجـد

ثم أخذ يدعو للمشايخ، فلولا هم لأظلمت البسيطة، ولولا هم لمادت بأهلها الخ، وهي تبلغ واحداً وثلاثين بيتاً، تركناها خشية الإطالة.

وقال الأخ المحب عمر الوسيدي مرثية في الفقيد جعل لها مقدمة، ثم أتى بها، وهذا نص القصيدة المشار إليها:

أتانـا كتـابٌ مـن صـديقٍ وصـادقِ ... قريـبٍ وصـاف بـالوداد المقـارب
فلمـا قـرأت الكتـاب وجدتـه ... يعـزي بمـوت مـن دهـى بالمصـائب
خـررت صـريعاً باكيـاً عظـم مـا بـدا ... ونـيران حزنـي أوقـدت باللـهائب
هـو الشـيخ عبـدالعزيز وحبرنـا ... إمـام الهـدى نسـل الكـرام الأطائـب
سـلالة إبـراهيم[1] العبـادي ونجلـه ... فقد جـاد نفعـاً في الـورى كـل طالـب
وقـد كـان ردء في القضـاء لشـيخنا ... وتـدريس سـكان بهـا وأجانـب
لـه مجلـسٌ مـن رونـق الحسـن والبهـا ... يلـوح ويزهـو زانـه كـل طالـب
وفيـه مـن الأحكـام در نفيسـةٌ ... كروضـة مربـاع زهـت بالجوانـب

(1) فيه زيادة سبب خفيف

فكل بها وقت الصباح وفي المساء ... يروح ويغدو زانها كل راغب
أحاط بها أمر المليك فأصبحت ... معطلةً تبكي على فقد طالب
فآها على تلك الرياض قد أقفرت ... رياح بها تسفوا على كل جانب
فيا عين جودي من الدمع هاتفاً ... وسحي دموعاً كالسحاب السواكب
على عالم حبرٍ لدى القبر قد ثوى ... وحيداً وخال من جليس مصاحب
سوى ما مضى من صالح السعي خالصاً ... بريئاً من الأشرار خالي الشوائب
سقى قبره الرحمن وابل رحمةٍ ... وهتان عفو من جزيل المواهب
وبوأه ربي من الخلد منزلاً ... ووصل حسان ناعمات كواعب
ولو كان يجدينا كثير من البكا ... بكينا عليه من دم القلب رائب
فما نفع الخنسا بكاء لصخرها ... ولا ثاكلاً مجروحةً بالمصائب
ولو كان نفديه بمالٍ وأنفسٍ ... وجاه أتينا بالعجيب العجائب
ولكن حكم الله لا بد نافذ ... وأمره غلاب على كل غالب
فما كان للمرء يقيناً يصيبه ... وما أخطأ الإنسان ليس بصائب
فأعظم به خطباً ورزء ومحنةً ... وليلٍ بهيم مدلهم الغياهب
فأحسن ربي جميعاً عزاكمو ... مع الغفر للميت وجبر المصائب
وهذا اقترابٌ للزمان خطوبه ... كسلك نظام مثلت بالتقارب
تموت خيار الناس تبقى شرارها ... وهذا قريب من ظهور العجائب
وقد أخبر المعصوم عن قبض علمنا ... بموت الرواة والهداة الأطائب
وموت عليم في الخليقة ثلمة ... وليس لها سدٌ يطاق لطالبٍ
كذا قيل في المنقول موت قبيلةٍ ... لأيسر من قبض الفقيه وطالب
فيا معشر الإخوان جدوا وشمروا ... إلى طلب العلى وخير المكاسب

---

(1) لو قال .. وقد قيل لو بالصين فاسعوا بجهدكم، ولسلم من الانكسار.

هــو العلــم قــال الله قــال رســوله وأهـل الهـدى مـن كـل آل وصـاحب
ولا تـؤثروا يومـاً علـى العلـم شـهوةً ولا لــذة مطعومنـــاً والمشـــارب
أكبـــوا عليـــه باجتهـــادٍ ورغبـــةٍ وبحـثٍ طويـلٍ عـن مبـاحٍ وواجـب
ولا تقتـدوا بـي بالبطالـة والـردى فـإن اقتـداء بـالردى غـير صـائب
فآهـاً علـى عمـرٍ مضـى لـي سـبهللاً وآهـا علـى التفـريط يـا ويـح كـاذب
فيـا رب وفقـني تـدارك مـا مضـى مـن العمـر والتفـريط تبـاً لخائـب
وقد قيل لـو بالصـين فـاطلبوه[1] بجهـدكم وسـيروا لــه بـاليعملات النجائـب
وللعـالم فضـل علـى كـل عابـد كبـدر تمـام مضـلةٍ للكواكـب
فمـن في السـماء والأرض تـدعوا جميعهـا بغفـران ذنـبٍ للهـداة الأطائـب
وحيتـــان بحـــرٍ والســـباع جميعهـــا كـذا نملـةٍ في الجحـر تـدعو لطالـب
وعـــالم صـــدقٍ يستضـــاء بنـــوره أشـد وأقـوى مـن لــه ألـف راهـب
علـى ذلـك الشـيطان يحـرق نـوره جميـع العتـاة مـن رجـيمٍ وكـاذب

ثم أخذ يمتدح الشيخ عمر بن محمد بن سليم ويدعو له بالبقاء، ويذكر مآثره وما له من المقامات بين أهل الإسلام التي فاق بها من سواه فقال:

فيـا فـالق الحـب ويـا فـالق النـوى ويـا خـير مسـؤول برغبـة طالـب
تفضـــل علينـــا بامتنـــان بشـــيخنا وفاروقنـا بـدر الـدجى والغياهـب
وشمـــس تضـــيء للأنـــام مـــنيرةً إذا مـا غشـى ديجورهـا كـل ثاقـب
وحـان بنـا مـن حـادث الـدهر محنـةً وأظلمـت أرجـاء لنـا بالنوائـب
أزال لهــا بــالعلم نــوراً وحكمـــةً بتبيـان مسـنون وحضـر وواجـب
فســـيرته في المســـلمين جميلـــةً وأفعالـــه محمـــودةً في العواقـــب
أدام لنـــا منـــه علومـــاً كـــثيرةً وصـالح نسـل عاقبـاً بعـد عاقـب
ومـد لــه في العمـر طـولاً وفسـحةً علـى عمـل يرضـي جزيـل المواهـب
يكـون لنـا كهفـاً منيعـاً عـن العـدى نلـوذ بـه عنـد اشـتداد النوائـب
فضـــجوا جميعـــاً بالـــدعاء برغبـــةً وتـأمين بعـض يسـتجاب لطالـب

كـذاك صـلوا علـى خـاتم الـورى ... نـبيٌ أتـى مـن لـؤي بـن غالـب
وأزكـى صـلاة الله جـل ثنـاؤه ... على خـاتم الرسـل الكـرام الأطائـب
محمـد المبعـوث للنـاس رحمـةً ... بشـيراً نـذيراً لعجمهـا والأعـارب
وأصـحابه والآل مـا هبـت الصـبا ... ومـا أنهـل ودق مـن خـلال السـحائب

ومن مرثية قالها فيه تلميذه محمد بن صالح بن سليم مادحاً للمترجم ومنوهاً بفضله:

فتـىً قـد سمـا مجـداً وقـد فـاق نهمـةً ... عليـه وقـار كـاللالئ نـاثر
لقـد كـان ذا علـمٍ وبالفقـه حاذقـاً ... مقيمـاً علـى التـدريس لله صـابر
يعيـد دروسـاً مـرةً بعـد مـرةً ... سـناها كضـوء الشـمس بـالأفق ناشـر
إذا قـرر التوحيـد يومـاً رأيتـه ... علـى مـنهج الأبـرار باقصـد عـابر
ومـا ضـره غمـد ولكـن مصـيبةً ... بفقدانـه دمـع علـى الأرض قـاطر
إلى الله نشـكو جميـع بلائنـا ... ومـا لاعنـا مـن فـادح الـدهر بـاهر
وقد جاء عـن المعصـوم نـصٌ مصـرحٌ ... رواه ابـن عمـرو في الصـحيحين صـائر
فلـيس ذهـاب العلـم نفـس انتزاعـه ... ولكـن بمـوت مـن عليـه يصـابر
وذي سـنة مـن ربنـا قـد قضـى بهـا ... وكـل لتقـادير الإلـه يبـادر
فكـم متعـب في الـدين والعلـم نفسـه ... بجـد وإقبـال علـى العلـم سـاهر
يمـوت وكـم مفـني لعمـر سـبهللا ... يعمـر دهـراً وهـو للحـق بـاطر
فيـا ربنـا يـا مـن إليـه ابتهالنـا ... ويـا مـن لـزلات المسـيء سـاتر
ويـا منقـذاً ذا النـون مـن وسـط لجـةٍ ... عليـه طبـاق البحـر بـالموج زاخـر
ويـا راحمـاً أيـوب مـن بعـد ضـره ... أغـث قـبره جـوداً رذاذاً يبـادر
وأسـكنه مـن أعلـى الجنـان محلـةً ... يـنعم فيهـا يـوم تبلـى السـرائر
فيـا أيهـا الأخـوان جـدوا بجهـدكم ... علـى طلـب الأربـاح ذاك التفـاخر
أقيمـوا علـى نيـل العلـوم نهـاركم ... كـذا لـيلكم سمـراً ولله بـادروا

الخ وهي حسنة، وقد قيلت فيه قصائد رثي بها غير ما تقدم تركنا إيرادها

لضيق الموضع، ولأن غالبيتها لم يتزن، ومهما كانت الأحوال فإن مصيبته عظيمة وموته خطب جسيم، ولا نزيد على ذلك.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

صالح بن محمد الصقعبي، كان مؤدباً للصبيان ومعلماً للقرآن والكتابة، وهو مؤدبنا ومدرسنا، وتعلم منه خلائق كثيرون في الحساب والكتابة وفاقوا بجودة القلم وضبط القرآن وحفظه، وجعل الله في تعليمه بركة، فكل من درس عليه فإنه ينال ذكرى حسنة، ومن لم يطلب العلم منهم فلا بد أن يتفوق على بني جنسه في القراءة والكتابة، وكانت مدرسته تحتوي على أربعمائة طالب.

وصفة تدريسه أنه يكتب للأولاد حروف الهجاء في ألواح من الخشب، فإذا حذق الصبي الهجاء فإنه يعطى جزء عم فيشرع في الفاتحة، ثم الناس ثم الفلق ثم الإخلاص ويصعد كذلك، فإذا اجتمع الأولاد صباحاً فإنهم يأخذون جميعاً الدراسة، وبعد ساعتين يقرأ عليه اثنا عشر طالباً، وكلما قرأ واحد فإنه يقيم معه خمسة يقرأون عليه، ومن قرأ فإنه يأتي إلى المؤدب فيجعل معه خمسة وهكذا حتى تتم الدراسة في حوالي أربع ساعات، فإذا كان بعد الظهر حضر الأولاد يمرون ما درسوا صباحاً ويخرجون قبيل العصر بدقائق ثم يأمر من كان من الدرجة الثالثة أن يكتبوا لأهل الهجاء في ألواحهم، ويحضر كبار الطلاب بعد صلاة العصر في دكاكين في السوق لتعلم الكتابة والحساب، وقد وافق في زمنه حظاً وافراً وقبولاً عند الناس فكان في بلدة بريدة محترماً وموقراً، وكان له صوت حسن ويمتاز ببره بوالدته، وقد امتد مرضه زمناً يقرب من ثلاثة أشهر فالله المستعان.

أما والده فهو إمام مسجد عودة الرديني زمن آل رشيد، وهو محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله الصقعبي يحسن جودة الخط، وله قلم جيد في الكتابة، وقد نسخ كتباً كثيرة ومصاحف بيده لخلو زمنه من المطابع، وكان جهوري الصوت، حسن التلاوة، يصلي إماماً في مسجده المشار إليه في ليالي رمضان، فيحضر للصلاة خلفه خلق كثير وجم غفير من الرجال والنساء، حتى ربما امتلأ المسجد.

ومن توفى فيها عبدالله بن صالح بن هزاع، كان تلميذاً للأول ومؤدباً للصبيان، قليل الشر قد اشتغل بصلاح نفسه، وكان شاباً رزيناً نشأ على العفاف والبر والصلة، فرحمة الله عليه، وكان سنه حين توفى خمساً وعشرين سنة.

ومن توفى فيها نصيان بن حمد آل نصيان، كان طالب علم، وتلميذاً للشيخ عبدالعزيز العبادي، وله فهم عظيم وجودة حفظ، حتى أنه ليحفظ عن ظهر قلبه كلما رآه، وله يد في الشعر، وقد قدمنا له قصيدة رثى بها شيخه عبدالعزيز، وكان يبيع ويشتري ويأكل من كسبه، ويحب أهل الدين ويألفهم ويألفونه، وهذه صفته:

كان شاباً طوالاً متوقد الذهن، واعياً سكيناً، وسنه حين وفاته ست وعشرون سنة، ومن العجائب ويجدر بنا ذكره أن صالحاً الصقعبي خرج يحمل حجراً على عاتقه ليعلم به قبر ابن هزاع، فقال له الذي يحفر القبور، إذ ذاك علي بن عبدالعزيز الحوطي: يا مطوع إنك جعلت لقبر تلميذك حجراً واحداً فلو جعلت حجرين كعادة الناس، فأجابه بقوله: سأخرج بآخر في الجمعة المقبلة، فمرض ومات ولم يخرج إلى المقبرة إلا محمولاً بنعشه، ففي ذلك عبرةً لمن يخشى.

ومن توفى فيها براك بن منصور بن براك كان رحمه الله طالب علم ضرير البصر، وقد امتد مرضه بقروح كانت في صدره رحمه الله وعفى عنه، وكان محباً لأهل الدين يميل إليهم ويحبهم، وتوفى أيضاً أناس كثيرون من الأخيار في ذلك الوقت.

ومن توفى فيها من الأعيان أيضاً وفاتنا أن نقدمه على غيره، صاحب السمو الملكي الأمير الباسل خالد بن محمد بن عبدالرحمن بن سعود، وهذه ترجمته:

هو خالد بن أخي جلالة الملك محمد بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن مقرن، الأمير ابن الأمير الشجاع الباسل؛ كان مقدماً موقراً عند عمه الملك عبدالعزيز، لا يزال خادماً لعمه سامعاً مطيعاً متأدباً مع أبيه

وعمه، وله قوة نفس وشجاعة، والشبل من الأسود، وقد اختلف في سبب وفاته فقيل أنه طرد ضبيا وساق مفره سيارته فانقلبت به سيارته، وقيل كانت وفاته حينما قفل من الحج في اصطدام سيارته ولا ريب أنه توفى بحادث سيارته انقلاباً أو اصطداماً، فالله المستعان، وكان موضع الإعجاب من والده الأمير محمد بن عبدالرحمن أديباً مقدماً ومحترماً.

ذكر وفاة ملك العراق

ففيها توفى ملك العراق الشاب النبيل غازي بن فيصل الشريف رحمة الله على أموات المسلمين، وهذه ترجمته:

هو غازي بن فيصل بن الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون الشريف الهاشمي القرشي، ولد سنة ١٣٢٩هـ وأبوه يقود الحملة إلى أبها لتأديب الأدريسي فسمي غازي تيمناً بغزو أبيه، ونشأ في حجر والدته تحت رعاية جده الحسين بن علي لغياب والده زمن طفولته عن مكة يعالج الأحداث التي تتالت على بلاد العرب من إعلان الحرب العظمى إلى إعلان الثورة العربية، وما حصل في خلال ذلك وبعده، وقد تولى الشيخ ياسين البسيوني إمام الملك حسين الخاص، إقرائه القرآن وتعليمه الكتابة والقراءة، ثم جيء له بحسن العلوي ليعلمه قواعد اللغة العربية وعلوم الدين الإسلامي، ثم إنه سافر بعد ذلك إلى بغداد فكان تحت إشراف والده مباشرةً، واختار له أساتذة ومعلمين يؤدبونه، فنشأ نشواً طيباً ونبت نباتاً حسناً، وأعده والده لهذا المنصب الخطير وهيأه لهذا العمل الكبير.

ولما مات والده وله من العمر اثنتان وعشرون سنة توج ملكاً على العراق، وكان قد درس في اللغة الإنكليزية وركب إلى انكلترا، واستقبل في كل مصر وبلد استقبالاً فخماً، ودخل المدرسة الحربية في بغداد كل ذلك في حياة والده، ولقد أصدر والده تعليمات خاصة إلى مدير المدرسة بأن لا يميزه في معاملة ولا يفرق بينه وبين زملائه، وكان في صفته وأخلاقه أشهل العينين، جذاب الملامح، قوي البنية،

مفتول العضد ممشوق القامة، منتصبها، كثير التواضع، جم الحياء، وكان أهل العراق يعظمونه لما يرجونه له في النهضة والاستقبال، ولما مات غازي في هذه السنة عين ابنه فيصل الثاني تحت وصاية ابن عمه عبدالإله بن علي بن الحسين.

وفيها توفى رئيس جمهورية تركيا مصطفى كما باشا، وقد قدمنا في سنة ولادته نشاته ودراسته، وذلك في حوادث ١٢٩٨هـ، ونذكر هنا شيئاً من أخلاقه وجراءته وأعماله، كان يمتاز بقوة الإرادة، وثبات العزيمة، والإقدام، والاستقلال بالرأي، وهو قليل الكلام إلا إذا كان الموضوع يهمه، فيتدفق تدفقاً، وينقلب إلى محامٍ بارع، وخطيب لسن، وقد روي عن والدته أنها جاءته على أثر اجتماعه مع إخوانه الضباط في بيته يعقدون آراء ضد السلطان عبدالحميد قبيل إعلان الدستور، فقالت له: بعد أن تبينت الغاية من الاجتماع: يا ولدي أريد أن تبين لي هل تحاول أنت وإخوانك أن تشقوا عصا الطاعة على السلطان، وله قوة سبعة أولياء، ولما أفهمها الغاية الحقيقية قالت له يجب التماس الحيطة يا بني، وتوفيت والدته قريرة العين بما بلغه من مجد ورفعة، وكان مصطفى صريحاً لا يعرف المداهنة، وله حظ في تقلباته وانتصاراته.

فمنها أن عصابة تألفت لاغتياله فرصدت له الطريق في بعض تنقلاته وأطلقت النار على رجل تظنه المترجم فأردت الرجل قتيلاً فأرادوا مصطفى وأراد الله سواه، ولم تقدر العصابة عليه، وذلك قبل وفاته بسبع سنين، فاتخذ البوليس بعد ذلك قوة الاحتياطات الشديدة للمحافظة على حياته، ولقد ضاد مصطفى كمال للسلطات وحيد الدين محمد وقام بتركيا فسطى سطوات تشيب الوليد، وما زال يضرب اليونان حتى كان آخر أمره أن نصب المدافع العظيمة على حصون أفيون، وكانت محكمة حيث ظن اليونان أنها لن تنال، فلما صبت المدافع نيرانها الحامية على الحصون احتل المدينة ودخلها وحمل اليونان خسائر بلغت عشرين ألف قتيل وواحد وستين ألف أسيراً، ومن ضمنهم القائد العام، وكبير من الضباط، وخسر اليونان المدافع كلها، وكان يبلغ عددها سبعمائة مدفع، وجميع الطيارات، ومائة وستين ألف بندقية، وكمية عظيمة من الذخائر والمعدات.

وكان في مدة رئاسته لجمهورية تركيا لا يتجاسر أحد على معارضته ولا يرتفع في وجهه صوت، ولقد قام بتركيا بعناية فائقة بترقية اقتصاديات بلاده وتعزيز الصناعات، فأنشأ ٤ معامل للسكر، و٣٢ معملاً لنسيج الحرير والجوخ، و٨ معامل للكبريت، و١٩ للكحول، و٨٠ للتجارة، كل ذلك من دون أن يستقرض قرشاً واحداً أو يهيب امتيازاً لأجنبي.

وبالجملة فإنه عمر الدنيا وأعرض عن الدين، فلا حول ولا قوة إلا بالله والله المستعان، وفي هذه السنة غشت الآفاق ظلمة بدون رياح، بل أقبلت الظلمة من الجنوبي الغربي فكانت الدنيا كأنها فحمة في السواد، واستمرت كذلك عشرين دقيقة فوقفت الدواب عن السير وما استطاع أحد السير لأن الإنسان لا يبصر صاحبه إلى جنبه، وكان ذلك في ابتداء الساعة الثانية ليلاً من إحدى ليالي ربيع الأول في فصل الربيع، ثم تجلت الظلمة والله على كل شيء قدير.

وفيها عادت القضاة والأئمة المبعوثون إلى اليمن من نجد بعدما لبثوا هناك أربع سنين، وبما أنهم طلبوا من الحكومة الرجوع إلى أهاليهم لطول الغياب واختلاف الهوى الذي أملهم، فإن الحكومة سمحت لهم بالإياب وبعثت بأناس غيرهم، فمن هؤلاء الشيخ محمد بن عبدالله التويجري، ومنهم الشيخ عبدالله بن يوسف، وعبدالعزيز العريفي فمسكوا أعمالهم.

ذكر الحرب العالمية الثانية سنة ١٣٥٨هـ ١٩٣٩٨م

كانت ألمانيا قبل هذه السنة بإحدى وعشرين سنة مهزومة ذليلة وذلك لأنه بعدما انتهت الحرب العالمية الأولى وعقدت معاهدة فرساي وميثاق عصبة الأمم، وعادت هذه الدولة مغلوبة ولم تحل مشاكلها بل زادت عليها مشاكل جديدة مثل التعويضات، وديون الحرب، ونزع السلاح، والأمن الاجتماعي، والأزمة الاقتصادية، والبطالة المنتشرة على نطاق واسع، ولما كانت بهذه المثابة وافق أن الرئيس هندنبرغ قد بلغ من العمر ستاً وثمانين سنة، فعين هتلراً مستشاراً وذلك في ٣٠ يناير ١٩٣٣م، وكان هذا المنصب هو أعلى منصب تنفيذي في ألمانيا، ويماثل

منصب رئيس الوزراء، وقام فرق الصاعقة يلبسون لباساً بنياً، واستولوا بالرعب وحلوا البرلمان، واستولى هتلر ووزرائه على كل السلطات في ألمانيا، وكانوا يستطيعون أن يسنوا أي قانون ويعملوا ما يريدون، وكانت ألمانيا عبارة عن جمهوريات يضمها اتحاد فدرالي فأنهوا الاتحاد وركزوا كل السلطات في برلين وعينوا دكتاتوريين في كل مكان، وكل واحد من هؤلاء مسؤول أمام الدكتاتور الذي فوقه وهكذا، وكان هتلر بالطبع هو الدكتاتور الأعلى.

ولما مات رئيس ألمانيا هندنبرغ في أغسطس ١٩٣٤هـ تسلم هتلر مركزه وقتل زعماء من جملتهم الجنرال شليشر الذي كان في يوم من الأيام مستشاراً، ولما قتل هتلر خصومه في ألمانيا وجمع بين الرئاسة والمستشارية وأصبحت جميع القوات مركزة بين يديه أصبح يدعى بلغو هرر أو قائد الشعب الألماني، فانتشر العاطلون الشقاء بين السكان، كما أنشئت معسكرات للعمل الإجباري، وأرسل إليها العمال، وخفت البطالة غير أن الحالة الاقتصادية لم تتحسن، وبدأت ألمانيا تتسلح سريا مما أثار مخاوف الدول الأخرى، ولم يحدث في العالم أحداث توازي نحو قوة ألمانيا النازية وزيادة تأثيرها في ظل هتلر، فهتلر اليوم يسيطر على أوربا، وكانت الدول الكبرى تنحني له اليوم وترتعد فرائضها لتهديداته، ولقد انتصرت ألمانيا لما خلق منها هتلر دون أن يكلفها أي انتصار عسكري أو أية حرب، وأصبحت دولة منتصرة قوية، وماتت معاهدة فرساي ودفنت.

ولما كان في مايو ١٩٣٥م أعلن هتلر بصورة عنيفة إلغاء الفقرات الخاصة بعدم التسلح، كما أعلن الخدمة العسكرية الإجبارية، ثم أخذ ينفذ أكبر مشروع للتسلح، ولم تفعل عصبة الأمم أي شيء اتجاه هذه الأعمال، فلقد كان الخوف يسيطر على أعضاءها وخصوصاً فرنسا، ولذلك فقد تفاوضت مع الاتحاد السوفيتي لعقد تحالف بينهما، ولقد قامت فرق الصاعقة بالعنف والإرهاب والتعذيب والضرب، وأشد حملاتهم على الشيوعيين، واستأصلوا جميع اليهود في الوظائف والأعمال وطردوا ألوفاً من الزعماء والأطباء والممرضات من اليهود، وأحلوا مكانهم ألمانيين،

وحدثت حماسة وكان الذين يؤيدون ذلك ٥٢ في المائة و٤٨ مخوفون، وآخر ذلك خضع البقية وإن كانوا مرغمين، فأصبح الألمان يستطيعون التنفس بحرية مرة أخرى، ويشعرون أن الإهانة التي لحقتهم قد غسلت، وقد أحدث طرد اليهود واضطهادهم هزة عنيفة في أوربا وأمريكا بصفة أن المطرودين رجالاً اشتهروا في جميع أنحاء العالم بالعلم والطب والمحامات والكتابة والموسيقى، ومنهم من يعتبر ألمانيا وطناً لهم، وتسابق العالم إلى الترحيب بهم، وقد أعلنت اليهود العالمية المنتشرة في جميع أنحاء العالم مقاطعتهم للبضائع الألمانية والمواد والمنتجات، وكل عمل يعود على مساعدة ألمانيا، وذلك بمجلس عقد في نيويورك، وقد ساعدت خطابات هتلر النازية وتهديده بإعادة تسليح ألمانيا على إخافة أوربا، وتكتلت دول أوربا لما خشيت قوة ألمانيا، وبدأت كفرنسا تتودد إلى الاتحاد السوفييتي كبولندا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا ورومانيا، وطفقت يتقرب بعضها من بعض، وذلك لما استفادته من معاهدة فرساي التي قام هتلر بنقضها.

ولما أن احتلت ألمانيا حوض السار في يناير ١٩٢٥م على أثر الاستفتاء الذي أجري هناك، ونقض هتلر شروط عدم التسلح وغير ذلك خافت فرنسا وفزعت، أما إنكترا فقد قبلت هذه الأعمال ولم تكتف بذلك، بل زادت عليها بأن وقعت معاهدة سرية بحرية مع ألمانيا تعبتر هذه المعاهدة بحد ذاتها نقضاً لمعاهدة فرساي، وهكذا نرى أن إنكلترا تجاهلت معاهدة الصلح، ومن العجب أنها عملت كل ذلك دون أن تستشير حليفتها فرنسا في الوقت الذي كانت فيه ألمانيا تتسلح بشكل أفزع كل أوربا، وكان هتلر يعتمد على مناصرة إيطاليا، وكان عداءه لروسيا مع تصريح صرح به أن من أكبر الكوارث أن تتخلى إنكلترا عن استعمارها للهند، مما يحسن الصلات بينه وبين إنكلترا ويجذبها نحوه، ولكن ماذا تصنع إنكلترا وقد أفزعها الإرهاب في ألمانيا، ومما قال هتلر في خطاب له في نورمبرج عام ١٩٣٧م:

إذا أردت مهاجمة خصمي فإنني لا ألجأ للمفاوضة وإضاعة الوقت، وقضاء عدة أشهر فيهما ولكنني أعمل ما علمته دائماً أخرج في جنح الظلام وأنقض عليه

كالبرق الخاطف، وكان لما أن زحف هتلر على النمسا وضمها إليه وأعلن اتحادها مع ألمانيا وذلك في مارس ١٩٣٨م، لم تنبس هذه المرة عصبة الأمم ببنت شفة، وبدأ النازيون في النمسا في شن حملة إرهابية عنيفة استمرت مشكلة الألمان تشغل بال أوربا عدة أشهر، وقد صرح تشمبر لن رئيس الوزارة البريطانية بأن إنكلترا لن تتدخل لإنقاذ النمسا، ولما ضمت ألمانيا النمسا اعتقد كثير من الناس أن دور غزوهم لتشيكوسلوفاكيا آن أوانه ولا سيما وقد ذهلت أوربا عندما رأت انتصار ألمانيا في النمسا.

وكانت تشيكوسلوفاكيا أكثر بلاد أوربا ذهولاً إذ أنها أصبحت الآن محاطة من ثلاث جهات بألمانيا النازية، وكان مركز هذه الدولة من الناحية الدولية قوياً جداً، فقد كانت دولة صناعية متقدمة وتملك جيشاً قوياً مدرباً، وترتبط بمحالفات مع فرنسا والاتحاد السوفييتي، كما كان المفروض في إنكلترا أن تقف إلى جانبها في حالة دخولها في نزاع مسلح، ولما كانت هذه الدولة الوحيدة الباقية في وسط أوربا موضع عطف الديمقراطيين في جميع أنحاء العالم بما فيهم أمريكا، وأصبح كيان الدولة نفسها في خطر لما ظهر واضحاً أن هدف هتلر هو القضاء عليها لأنها كانت بمثابة شوكة في ظهره، فإن السياسة الإنكليزية قد شجعت هتلر في عدوانه عليها متظاهرةً أنها إنما تسعى إلى إيجاد حل سلمي، لذلك أرسلت الحكومة البريطانية اللورد نسمان كوسيط، ولكنه في الواقع كان يضغط بصورة مستمرة على الحكومة التشيكية لقبول طلبات ألمانيا، وأخيراً قبل التشيكيون اقتراحاته برغم ضررها الكبير لهم، ولكنهم ما كادوا يقبلونها حتى طلبت ألمانيا منهم طلبات جديدة، ولم يكتفوا بذلك بل أعلنوا التعبئة العامة، وعندئذٍ ذهب المستر تشمبرلن بنفسه وقابل هتلر في بر ختسجادن، وهناك قبل إنذاره الذي طلب به تسليم مساحات واسعة من تشيكوسلوفاكيا بأن تقبل إنذار هتلر وشروطه وإلا تخلياً عنها كلياً؛ ولما سمع الشعب التشيكي بهذه الخيانة أصيب بصدمة عنيفة أذهلته، وأضطرت الحكومة أن تقبل الإنذار والحزن

والأسى يملآن كل نفس عندها، ذهب تشمبر لن مرة أخرى وقابل هتلر في جود سبرج على نهر الراين فوجد أن الدكتاتور يريد الآن أكثر مما أخذ فلم يستطع تشمبر الموافقة على ذلك فعلم أنه اقترب شبح الحرب وظلل سماء أوربا في أواخر سبتمبر ١٩٣٨م، وأخذ الناس يتسابقون لاقتناء الكمامات الواقية من الغازات السامة وحفر الخنادق في المنتزهات والجنائن خوفاً من الغارات الجوية، وثم ذهب المستر تشمبر لن مرة أخرى إلى ميونخ وقابل هتلر وحضر الاجتماع أيضاً المسي دلادينه والسنيور موسوليني زعيم إيطاليا، ولم تدع روسيا كما أن تشيكوسلوفاكيا لم تدع ولم تستشر، وإن كان الخير أو الشر راجعاً عليها، وقبلت جميع طلبات هتلر في هذا الاجتماع، وقد هدد الغو هرر المجتمعين بأن عدم قبولها سيثير الحرب، ووقعت الدول الأربع اتفاق ميونخ في ٢٩ سبتمبر، ولا يخفى أن ذلك فعلته الدول الأربع وإن كان فيه العار والشنار عليها تسكيناً كهدنة أخذت فيها تعد نفسها لحرب طاحنة.

التعريف بهتلر

لما أن كان هذا الرجل هو المثير للحرب العالمية الثانية أحببنا التعريف به إذ كان جباراً متعاظماً، ولضخامة الحرب فلا غرابة إذا عرفنا بمثيرها:

هتلر كان رجلاً عظيماً، ومن أخلاق ألمانيا وعاداتهم أنهم عرفوا بعلو الهمة والنشاط وقوة الإقدام، وغاية التبصر والتأني، والرسوخ والفطنة والشجاعة والبسالة، ودقة السياسة، ولولا فقرهم بالنسبة إلى أمم أوربا لدانت لسطوتهم بقية الأمم، وكان هتلر يؤثر القسوة والوحشة ويأخذ بالأمثال التي ينتج عنها ذلك، كان في أول أمره صعلوكاً، فتشبث بالعمل بالإجرة وكان لا يزال محتقراً لأنه من غير بيت حاكم، ولم يكن مواطناً ألمانياً إلا قبل تسلمه الحكم بسنة أو سنتين، بل كان ألمانياً نمساوياً، وقد اشترك في ثورة فاشلة ضد الجمهورية الألمانية وحكم عليه بالسجن، ولكن الحكم قد خفف عنه ثم ألّف حزبه المسمى الحزب الوطني

الإشتراكي، وكان يؤيده في مبدأ أمره طبقة من ألمانيا، وكان جندياً في صف ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، فنال وساماً بدائياً، وله من العمر إذ ذاك عشرون سنة، ثم بعد ذلك قام يتطلب المجد فانضم إلى ستة أنفار ثم زاد أتباعه إلى مائة واحد عشر، ثم إلى مائتين، ثم إنه ما زال يخدع الناس حتى أصبح أتباعه في خمسة آلاف، ثم بلغوا إلى مائة ألف، فلما عظم شأنه وعلا ذكره استجاب له أتباعه الذين وعدهم بالقيام بألمانيا والتقدم بها إلى الأمام وإنقاذها من رق الضرائب، وكان أسباب حبسه يرجع إلى ما تقدم من اشتراكه في الثورة، وكان ذلك وله من العمر ثلاثون سنة إلى خمس وثلاثين، وما زال يخطب الخطب الرائعة حتى استمال قولب العالم بها، ولخطبه وقع في النفوس لما له من الفصاحة وجودة اللفظ، وقوة الإرادة، حتى صوت له سبعة ملايين ولم ير أعظم من نفسه، كما في كلامه المشهور.

إن أمي مثلاً كانت تبدو تافهة في مجتمع نسائنا المثقفات فيه قد عاشت لزوجها وأولادها، وهذا كان عالمها الوحيد، ولكنها وهبت ألمانيا ابناً.

وذكر مرة أن الرئيس هند نبرغ انتقد شبيبة يقولون له استيقظ استيقظ وهو ليس بنائم في الحقيقة، ففهم من ذلك الكلام أنهم يوجهون ذلك إلى ألمانيا، استيقظي يا ألمانيا لا يوجهون الكلام إلى شخصه.

فلما تولى هتلر الرئاسة قام بألمانيا خلال هذه السنوات الخمس وأخرجها من قالب الذل إلى درجة شخصت لها العالم بأبصارها، هتلر وما هتلر، كان عاملاً يطلي الجدران بالأصباغ في بلاده النمسا، ثم صار عريفاً في الجيش الألماني، واشترك في الحرب العالمية الأولى، ولما أن جرح وأصيب في المثانة وسرحته فرنسا من الأسر بعد الحرب راح يشتغل بالرسم في ميونخ، وما زال يتطلب المجد حتى أصبح ذلك الرجل العظيم الذي دوخ العالم، وبهرت شهرته الدنيا بأسرها، وقد كان يولي فلسطين العربية أهمية كبرى في منهجه الخاص المرسوم لتحطيم اليهود العالمية والقضاء على النفوذ البريطاني المنتشر في الشرق الأوسط والعربي قضاء لا رجعة فيه، لذلك طمع به ملوك العرب وأوفد ابن سعود إليه وفداً برئاسة خالد أبي

الوليد للمفاوضة في شأن تسليح المملكة العربية السعودية بأحدث الأسلحة الألمانية التي طبقت شهرتها الخافقين، كما قد طلب منه الملك غازي تسليح العراق بأسلحة حربية حديثة، كان أخطرها المدافع المضادة للطائرات التي أهداها هتلر إلى الجيش العراقي سنة ١٩٣٩م.

ولما أن قدم وفد ابن سعود على هتلر سأل هتلر رئيس إذاعته يونس بحري عن خالد هذا بعدما أبدى إعجابه بالملك ابن سعود وأنه رجل عصامي خلق في الصحراء مملكة ووحد القبائل والإمارات، وإنه رجل يستحق كل الاحترام، ولما أن أراد هتلر العظيم زعيم ألمانيا أن ينفذ خطته أمر الغو هرر في ليلة ٢٠ نوفمبر الموافق تشرين الثاني جيشه بالزحف على بولندا، فاخترق الجيش الألماني الممر الكوريدور الكاين بين ألمانيا وبولندا، واحتل مدينة وميناء دانزيك في حرب خاطفة صاعقية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً بدون أن يعلن الحرب عليها، بل زحف فجأة وبدون سابق إنذار، وراحت القوات الجوية الحربية تقصف المدن والحصون الحربية البولندية تمهيداً لتمكين الجيش الذي أطبق على قوات المارشال بلسوديسكي البولندي من كل حدب وصوب من تنفيذ الخطة التي رسمها هتلر ورؤساء أركان حربه بصورة محكمة، وقد استمات الجيش البولندي القوي في سبيل الدفاع عن مواقعه، غير أن السلاح الألماني الآلي الفتاك اكتسح ما يعترض في سبيله من معاقل حربية وحصون، وطحن الجيش البولندي الصامد في وجه ألمانيا طحناً، فكانت الدبابات تمر على جثث ألوف المؤلفة من القتل.

وفي ١٨ يوماً انتهت معركة بولندا بدون قيد أو شرط أو تسليم، وأخمدت هذه الضربة كل مقاومة في أرجاء البلاد الشاسعة، ولما أن جرى ذلك كان قد عزم هتلر على إزالة بولندا من عالم الوجود ومسح اسمها من على الخارطة الأوربية مهما كلف الثمن، ثم إنه اقتسمها هو وروسيا بعد ذلك، وفي فجر اليوم السابع عشر من سبتمبر دخل الروس شرق بولندا، وما انصرم الشهر

حتى كان الصليب المقوف فوق نصف بولندا الغربي، والمطرقة والمنجل فوق نصفها الشرقي، وكانت الأساطيل الجوية الألمانية قد حولت مدن بولندا إلى ركام وأنقاض، ولما اقتسمها ظن هتلر وزعماؤه أن ذلك يضمن عدم قيام ستالين بعمل ضد ألمانيا إلى الأبد، وما عملوا أنه كان يفاوض بريطانيا لعقد معاهدة دفاع مشترك مع الحلفاء لخبثه ومكره، وكانت حملة هتلر على بولندا قضت على جيوش المارشال بلسوديسكي واقتيد الكولونيل بيك وزير خارجية بولندا أسيراً، ولعبت قوات غورينغ اللوفتوافا الدور الرئيسي في تصديع الجبهة البولندية، ولقد أثارت تلك العاصفة اهتمام العالم عامة وخبراء الطيران الدوليين خاصة، فقد قضت طائرات الرائخ على السلاح الجوي البولندي، وشلت حركته بسرعة متناهية بالرغم من قوته ومتانة أسلحته، فكانت التجربة قاسية للأسلحة الجوية البريطانية الفرنسية لأن أسلحة القوات الجوية البولندية كانت من منشأ بريطاني فرنسي أضف إلى ذلك كثرة عدد أهل بولندا، فقد قيل أنهم كانوا ثلاثين مليوناً من البشر.

وفي هذه السنة قامت بريطانيا ولجأت إلى تسكين ثورات عرب فلسطين التي ظلت تتلاحق وذلك تهدئه للأحوال، وعقدت مؤتمراً سمي مؤتمر المائدة المستديرة في لندن اشترك فيه زعماء عرب فلسطين ومندوبون عن الدول العربية، واشترك فيه اليهود أيضاً لكن هذا المؤتمر منيَ بالفشل وإنما كان هذا من بريطانيا تخديراً لأعصاب العرب في فلسطين حتى تضع الحرب أوزارها فيحكمون فيها بما يشاءون.

ثم دخلت سنة ١٣٥٩هـ

استهلت هذه السنة ورحى الحرب العالمية الثانية طاحنة، وكانت بريطانيا لما رأت رئيس وزرائها تشمبر لن يميل إلى السلام، ويرجو هتلر باسم حكومته وباسم الإنسانية المعذبة أن يحفظ أوربا والعالم من شرور الحرب، اتهمته بالضعف وجعلت

مكانه تشرشل فلم تطل المدة بعد احتلال بولندا أكثر من سبعة أشهر حتى زحفت قوات الرايخ الثالث إلى الغرب حتى وقفت مرابطة على طول خط الدفاع الغربي الممتد من بحر الشمال إلى حدود سويسرا، وأخذوا يبدون تذمراً صريحاً من جراء حالتهم المفجعة.

وفي صباح يوم ١٠ مارس ١٩٤٠م أطلق هتلر رصاصة الانطلاق فانقضت الطائرات الألمانية الشتوكا على المعاقل والحصون الهولندية والبلجيكية والفرنسية واحتلت جيوش الرايخ الدانمارك بدون أن تلقى مقاومة، بل اكتفى ملك الدانمارك بتسجيل احتجاجه على خرق ألمانيا حياد الدانمارك، وكان الجنرال رومل يوقد القوات الألمانية، والجنرال غودريان يقود الدبابات التي اشتهرت في خلال الحرب الأخيرة بقوتها ومتانتها ومناعة دروعها الواقية، وراحت قوات الرايخ المسلحة لا تخرج من نصر إلا لتدخل في نصر جديد، واحتل الجنرال غودريان خط ما جينوا إذ وصل إليه من خلفه بطريق بلجيكا من حصن ليبج فقيردان، وسيدان، وانتهت هذه الحملة بتسليم فرنسا في ١٧ حزيران، وتم الاتفاق بين هتلر والمرشال بيتان على اقتسام فرنسا، فيحتل الجيش الألماني شمال فرنسا بما فيها باريس، ويبقى القسم الجنوبي من فرنسا تحت إدارة بيتان، على أن تكون عاصمته مدينة فيشي الشهيرة بمياهها المعدنية الصالحة لمعالجة الأمراض على اختلافها، ووقعت بينهما الهدنة على ذلك.

إن هتلر لعجيبة تصرفاته، فكيف يقر رئيس فرنسا ولم يحتلها بعد أن ألقت السلاح واستسلمت، كما أنه لم يحتل المغرب العربي بل أعطى هتلر المارشال بيتان القسم الأكبر من فرنسا واحتفظ لنفسه بالقسم الأقل، وسمح لبيتان بأن يستمر في حكم المغرب العربي، والاحتفاظ بالمستعمرات الفرنسية وبالبلاد الواقعة تحت الانتداب كسوريا ولبنان ونحومها، وأقوى احتمال قيل في ذلك هو أن هتلر يعرف بيتان من قديم ويفظ شجاعته في الحرب العالمية الأولى وظفره وانتصاراته، ولا ينسى له يداً تقدمت في الحرب الأولى إلى هتلر لما سقط هتلر جريحاً في المعركة في

مثانته واقتيد إلى المستشفى العسكرية بمدينة ليل، فأجريت له عملية جراحية في المثانة ثم أطلق سراحه بعد الأسر، فصارت هذه عقدة لن ينساها أبد الدهر يعظم بيتان ويحترمه حتى حانت فرصة المكافأة، فيراه شيخاً أشيب مطأطأ رأسه أمامه فيتفضل عليه ويسلمه عصا المارشالية، هذا الذي حمل هتلر على أن يفرط في مقدرات جيشه هذا التفريط، فلم يتم احتلال فرنسا، وترك الباب مفتوحاً، وهذا يعد من أخطائه الفاحشة، وقد أتيحت له فرص ينبغي له أن ينتهزها كما أهمل الاستيلاء على جبل طارق بإقفاله وإسبانيا، واعتبروا إحجامه خطأ عسكرياً يضاف إلى سلسلة الأخطاء التي ارتكبها أثناء الحرب، وكان واثقاً كل الثقة بأن النصر صائر إليه، وبما أن فرنسا العظيمة التي تقف في مصاف الدول الكبرى قد ألقت السلاح أمامه وسقطت تحت قوات هتلر وذلك لما قام سلاح ألمانيا الجوي محلقاً في جو فرنسا ونزل جنود المظلات في أسطحتها لم ترى بدأ من أن تسلم أمام قوات ألمانيا فإنه عزم على أن إنكلترا لن تستطيع الوقوف في وجهه وأمام قواته، وقد خاطب تشرشل في ١٩ تموز عام ١٩٤٠م يقول:

على المستر تشرشل أن يصدقني حين أقول له أني أتوقع انهيار إمبراطورية عظيمة لم يكن بودي أن أعمل على تهديمها وتمزيقها وإني لواثق من أنه إذا طال هذا النزاع بيننا فإن أحد الفريقين سوف ينهار حتماً والمستر تشرشل يعتقد أن هذا الفريق هو ألمانيا، وأما أنا فأعتقد أنه سيكون إنكلترا، ولهذا أجد من واجبي في هذه اللحظة وأمام ضميري أن أتقدم بالنصيحة إلى بريطانيا العظمى لتدرس الموقف في ضوء الحكمة والعقل، وأعتقد أن من حقي أن أتقدم بهذه الدعوة لأني لست المغلوب في هذه المعركة، ولا أرى سبباً لدوام هذه الحرب وامتدادها، وإني لحزين جداً حين أفكر بالضحايا الكثيرة التي تسقط فيها، ولهذا أريد من كل قلبي أن أضع لكل هذه الأمور حداً رحمةً بشعبي وبالشعوب الأخرى، وكان جواب تشرشل على هذه الدعوة التصميم على المضي في الحرب إلى النهاية.

وكان المستر ونستون تشرشل رئيس الوزراء في الحكومة البريطانية جهاراً عنيداً

وقاسياً صلباً وخطيباً بارعاً، فأثار بقوته واندفاعه وصلابته ووقوفه متحدياً القوات الألمانية، وروح المقاومة في الشعب الإنكليزي، وبذلك تمكن من الثبات والدفاع المستميت لما بدأ الألمان في إرسال غارات جوية هائلة على إنكلترا تمطر أهلها موتاً ودماراً في هجمات مروعة لما رفض تشرشل عروض هتلر واستعد غورينغ المارشال للطيران الألماني، فوجه ضرباته الشديدة وغاراته الجوية الساحقة على السلاح الجوي البريطاني وعلى المراكز العسكرية في الجزر الإنكليزية، وبدأت المعارك بهجمات قام بها سلاح الجو الألماني فضرب موانئ لندن والمطارات الإنكليزية، ثم بدأ الهجوم على لندن نفسها ثم على المدن الصناعية الإنكليزية، وبذلك أصبحت معركة بريطانيا أعظم معركة جوية في تاريخ العالم، وكان غرض الهجوم الألماني الجوي الأول تدمير المطارات الإنكليزية والقضاء على أكبر عدد ممكن من الطائرات والطيارين، وقد ابتدأت المعركة في آب من ١٩٤٠م وامتدت إلى أواخر شهر تشرين الثاني، وكان هجوم الألمان شديداً في شهر آب، وتتابعت موجاتهم واحدة تلو الأخرى، فلما اعتقدوا في أوائل شهر أيلول أن قد تم لهم ما أرادوه وقضوا على المطارات أو أكثرها توجهوا إلى لندن لضربها ظناً منهم أنه لم يبق هناك قوة جوية كافية لحمايتها.

ولما كان في سابع شهر أيلول هاجمت ٣٧٥ طائرة ألمانية مدينة لندن في وضح النهار وألقت عليها القنابل المتفجرة والمحرقة دون هوادة ولا رحمة فدهشت لندن لجسامة الخطب وهول الهجوم، وقامت بريطانيا في هذه المعركة التي قلبت مصائر الحرب رأساً على عقب وحاربت حرب المستميت، وقابلت السلاح الجوي الألماني بما تستطيعه من طياريها وطيارين الأميركان والكنديين والإيرلنديين واستعملت المدافع المضادة للطائرات حتى تمكنت من إسقاط كمية من الطائرات المحلقة فوق جوها يقدرها بعض الناس بمائة وخمس وثمانين طائرة بينما كانت سيارات الإطفاء تعمل ليلاً ونهاراً لإطفاء الحرائق التي كانت تنشب في العاصمة من جراء هذه الغارات الألمانية فعدل الألمان من الغارات النهارية إلى الغارات الليلية وهذه وإن

كانت لا تأتي بالغاية المطلوبة منها تماماً وهي إصابة الأهداف المقررة، إلا أنها لا تقل عن الغارات النهارية خسائر في الأرواح والممتلكات، وأحلت ببريطانيا خسائر من القتلى تقدر بعشرات الألوف من المنازل ودمرت ما مرت عليه، وتركت مئات الألوف جرحى، وكانت معارك البحر في تدمير بريطانيا كمعارك الجو هولاً وتدميراً، وبالرغم من هذه الخسائر العظيمة التي أصيبت بها الدولة البريطانية فإنها جمعت أعصابها وكانت تعمل ليلاً ونهاراً لإصلاح ما أفسده العدو في مطاراتهم ومراكزهم العسكرية مع مضايقة هجمات العدو هذه، وجعلت تؤكد أنها لم تضعف وأن هجمات العدو قد دربتها على المقاومة والثبات أبداً، وتابع الألمان هجومهم حتى انقطعت المواصلات بين بريطانيا والقارة الأوربية بسبب استيلاء الألمان على فرنسا وسيطرتهم على أكثر أوربا.

وبما أن الأسطول الفرنسي قد شارك الأسطول البريطاني في حماية البحار أول الحرب فإن الأسطول الفرنسي انسحب من المعركة بعد سقوط فرنسا وأصبح الأسطول البريطاني يكابد وحده تلك المهمات الصعبة الشديدة، وتمكنت قوات هتلر من إصابة عدد كبير من سفن الحلفاء، كما أصابت بعض السفن الحربية الكبيرة كحاملة الطائرات كوارجس والمدرعة رويال أوك وأغرقتها الغواصات الألمانية، أضف إلى ذلك أن إيطاليا قد انضمت إلى ألمانيا ودخلت في الحرب وكان لديها أسطول لا يستهان به، فأصبح الإنكليز مستهدفة للقصف الجوي وللحصار البحري الذي فرضه الألمان حول جزرها، ولقد حاولت بلغاريا الوقوف على الحياد في هذه الحرب، ولكن الضغط الألماني كان شديداً عليها فاضطرت آخر الأمر إلى الاستسلام، وعقدت معاهدة صداقة مع المحور بحضور هتلر نفسه، وبعد إمضاء معاهدة الاتفاق والتعاون التي صدرت بين المحور وبلغاريا سارت الدبابات الألمانية في شوارع صوفيا تأييداً وتأكيداً للإعلان أن الجيش الألماني قد أصبح في داخل بلغاريا.

ولما كان في ٢٧ من شهر أيلول ١٩٤٠م عقدت اليابان مع دولتي المحور وإيطاليا ميثاق صداقة ومساعدة لمدة عشرة أعوام، وقد نص هذا الاتفاق على أن

يساعد هذا التاريخ، وكان الغرض منه تحذير الولايات المتحدة من الانضمام إلى صفوف الحلفاء، وقد هاجم الإنكليز بعض السفن الحربية الألمانية فتمكنوا من بعضها وأغرقوا طراد ألمانيا، ولكن بعدما أغرقت الألمان طرداً كبيراً إنكليزياً يسمى هود، وعطبت غيره، ولكن الخسائر التي حلت بالإنكليز أضعاف أضعاف الخسائر التي تلحق بالألمان، لأن الألمان لم يكونوا يعتمدون على البحر في نقل ما يحتاجونه، بينما كان كل اعتماد الإنكليز على البحر في كل شيء، وسنعود عن قريب، ولما كونت حكومة فرنسية في فيشي خاضعة لألمانيا وتحت انتدابها ارتاحت نفوس السوريين الذين استمرت ثوراتهم تقض مضجع فرنسا.

ثم إنه ألف بعض الضباط ورجال السياسة الفرنسية حكومة فرنسا الحرة برئاسة الجنرال ديجول، لكن الإدارة الفرنسية في سوريا تبعت حكومة فيشي فانتشر عملاء المحور الألمانيون في المنطقة وسيطروا على مطاراتها واتخذوها قاعدة لألمانيا في الشرق فبادرت إنكلترا إلى العمل متعاونة مع قوات فرنسا الحرة وزحف الجنرال ويلسن الإنكليزي والجنرال كاترو الفرنسي على سوريا بعد هذه السنة بل في السنة التي بعدها واستولوا عليها من قوات حكومة فيشي وأعلن الجنرال كاترو استقلال كل من سوريا ولبنان، فاعترفت بهذا الاستقلال إنكلترا والدول العربية رغم وجود جيش الاحتلال الفرنسي في البلاد.

ذكر ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق

فنقول انتشرت الدعاية الألمانية ضد بريطانيا في صفوف الجيش العراقي حتى قام بعض الضباط بانقلاب عسكري في هذه السنة بعدما مهدت الثورة في التي قبلها، وذلك بتشجيع هتلر للعراقيين، وكان بعض ساسة العراق الذين كان يقودهم الحاج أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني يعملون مع ضباط الجيش العراقي الأربعة الثائرين ضد بريطانيا للقيام بثورة في العراق وجعل أمين الحسيني يرسل رسله إلى برلين وأنقرة وروما للاتفاق مع ألمانيا وإيطاليا على إرسال الأسلحة اللازمة لتجهيز الجيش العراقي، وجعله قادراً بأسلحته المحورية على مقارعة بريطانيا

وطردها من العراق، وإذا سمحت الظروف من الجزيرة العربية لذلك قرر الحاج أمين الحسيني وهو ببغداد الاتصال بروسيا لكي تسمح للضباط الثائرين أن يحصلوا على السلاح الألماني المرسل منها عبر روسيا، فالقفقاس فإيران فالعراق بطريق راوندوز العراقية، وقرر الزعيم رشيد عالي الواقع تحت سيطرة المفتي وتأثيره المباشر، وقد ارتكب الكيلاني حسب إرشاد المفتي الحاج أمين وتوجهه خطأ كلفه وكلف العراق ثمناً غالياً وطلب من أخيه كامل الكيلاني بصفته سفير العراق في أنقرة أن يقابل السفير الروسي ويخبره بأن الحكومة العراقية التي هو رئيسها يومئذٍ قررت إعادة العلاقات الدبلوماسية بين العراق وروسيا وتبادل السفراء بين البلدين، فوافقت بدون تردد في الوقت التي تعمل فيه سراً للتحالف مع بريطانيا وحلفائها، وبعدما وافق ستالين ما طلب بالسماح بمرور السلاح الألماني إلى العراق عبر روسيا.

أما ملك العراق فيصل الثاني بن غازي الذي كان له من العمر إذ ذاك خمس سنين فقد قرر فر لذلك الانقلاب، وفر الوصي عبدالإله بن علي بن الحسين خال الملك وولي عهده، وفر بعض السياسيين إلى خارج البلاد واحتمى بعضهم بالمعسكرات البريطانية، ثم إنه كون رشيد عالي الكيلاني حكومة وطنية تحت نفوذ الضباط وأعلن خلع الوصي، واختير مكانه وصي آخر من الأشراف، وحاول رشيد عالي الاحتفاظ بصداقة بريطانيا لكنها رفضت الاعتراف بحكومته فتأزمت الأمور بينهما، ووجهت الحكومة العراقية قوات من الجيش للاستيلاء على مطار الحبانية أكبر قاعدة جوية بريطانية في العراق، فقامت القوات الإنكليزية وتأهبت للقتال ووصلتها إمدادات من الهند ومن شرق الأردن، وبعدما كانت حكومة رشيد تنتظر إمداداً من ألمانيا تأخر وصول الإمدادات فاصطدمت بها القوات البريطانية في الفلوجة فهزمت الكيلاني وجنوده واحتلت بغداد فسقطت حكومة رشيد عالي، وفرَّ الحاج أمين الحسيني وفرَّ على أثره رشيد الكيلاني هارباً إلى ألمانيا، وبعد القضاء على الثورة عاد الوصي عبدالإله وفيصل إلى العرش وحكم بإعدام كثير من

الضباط الثائرين، وشكلت حكومة موالية للإنكليز، وإنما اختير هذا الصبي ملكاً على العراق بوصاية خاله إجابةً لرغبة الأنكليز التي سخطت أعمال والده غازي، حيث عارض المشروعات البريطانية وانتهج سياسة تحريرية فقتل في حجة اصطدام سيارته، وهكذا تصنع السيارات بمن يخالف تعاليم بريطانيا، وبعد ذلك قطعت حكومة العراق علاقتها مع ألمانيا وألقت القبض على الرعايا الألمانيين الموجودين في العراق وسلمتهم إلى الحكومة البريطانية فألقتهم حيث أقاموا في معتقلات الأسر طول مدة الحرب.

ولما قدم المفتي والكيلاني إلى ألمانيا في الربع الأخير من سنة ١٩٤١م قدم أولاً المفتي وبعد أربعين يوماً قدم الكيلاني مع أركان حربه جزمي سليمان وحكمت سامي ونجدت الشواف، فحلوا ضيوفاً لدى المفتي الحاج أمين الحسيني، غير أن رشيد عالي لم يلق إكرامية بينما هو في ضيافته، قال يونس بحري جئت أزوره وكنت أنتظر أن أرى الكيلاني مرحاً كعادته عندما كان رئيساً للديوان الملكي ببغداد في هاتيك الأيام التي كنا فيها تحت راية الملك غازي نقارع الاستعمار، فرأيت هذه المرة أمامي رجلاً قد أنهكت الأيام قواه، لقد كان يبكي وهو يقطع شعور رأسه بكلتا يديه، ثم التفت إلي وهو يقول: لقد سجنني، لقد مضى علي عشرون يوماً وأنا على هذه الحالة، لقد منعني من الاتصال بأحد يا أخ يونس، أرجوك أن تنقذني أريد حريتي وإلا أعيدوني إلى بغداد وسلموني للحكومة، وهناك دعوهم يشنقوني، إنني أفضل الموت على مثل هذه الحياة، ثم إنها أذيعت في ألمانيا أنباء مجيئه إلى برلين وأكرم مثواه، ولقد حافظ صاحب الجلالة الملك العظيم عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود في هذه الحرب العالمية على الحياد والمودة كما فعل في الحرب العالمية الأولى، فكان هذا من حسن حظ البريطانيين لأنه لو كان ابن سعود قد انضم قبل الحرب إلى المحور الذي لم يدخر جهداً لحمله على ذلك لكان من العسير أو من المستحيل إخراج الإيطاليين من الحبشة وأرتيريا، ولو أن ابن سعود تردد لكان من المحتمل أن تقضي الثورة التي قام بها

الكيلاني في العراق إلى نتائج أخرى مختلفة جداً، ولكنها تحولت فصارت تمهيداً لدخول العراق في الحرب إلى جانب الأمم المتحدة وصار ابن سعود بجانب عظيم من شكر الولايات المتحدة والإنكليز له وشكر رعاياه الذين ينتظرون منه في مقابلة السلطة التي يتولاها أن يكون ركيناً حصيفاً لا خلل في تدبيره وأن يجنو أهم ثمار عقله وحكمته.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

ففيها في ١٥ رجب توفى الشيخ الماهر عبدالله بن سليمان بن بليهد قاضي حايل رحمه الله، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ أبو عبدالرحمن عبدالله بن سليمان آل بليهد، كانت قبيلته من بني خالد يتسلسل نسبه إلى مضر بن نزار، أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وعن الشيخ الإمام عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، وعن الشيخ عبدالله بن محمد بن فداء، وجميع بين العلم والشجاعة والعقل والذكاء والبصيرة، وجدَّ واجتهد حتى بلغ شأو المفاخر، وأصبح موضع الإعجاب من أمته وحكومته، ألف مناسكه التي صدق عليها قول القائل في مدحها من أبيات فيها:

قد أوضح الدين الحنيفي نهجها ... لأئمةٍ سادوا بنيل سماكها
وتمسكوا بأدلة كالشمس في ... إشراقها فالسعد في إمساكها
تسعى إليك هديةً من خادمٍ ... للعلم كي يحظى بحسن دراكها
فأرشد بها غاوي الطريق فإنها ... شمسٌ تنير وأنت من أفلاكها

وألف أيضاً رسالة نصيحة لأهل مكة وغيرها صاح بها صيحة في دعوة الناس إلى التوحيد لله بلغت الأفاق، وكانت مختصرة تبلغ نصف كراسة، وله رسالة في هذا النمط وله غير ذلك.

ذكر الوظائف التي نالها

جلس للتدريس في مدينة بريدة وأخذ عنه جهابذة من العلماء، فمن أخذ عنه الأخ الفاضل عبدالمحسن بن عبيد، وأخذ عنه أيضاً الشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي، وأخذ عنه من أهل حائل الشيخ حمود بن حسين الشغدلي، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن ملق وغيرهم، وتولى وظيفة التدريس أيضاً في البدائع المعروفة في القصيم، وكان يؤم في مسجد هناك، وتولى أيضاً التدريس في البكيرية، وشغل وظيفة الإمامة في أحد مساجدها وكان ذلك قد وافق زمن اختلاف ومحن من ولاية آل رشيد فيعلّم ويرشد وقد يذهب إلى الفوارة الهجرة المشهورة، فلما أن دخلت أم القرى تحت ولاية ابن سعود جعله الملك رئيساً للقضاة هناك لما قام به من المؤهلات، وسعة الرأي، وكمال العقل، فكان في رئاسة القضاء معظماً ومحترماً، وقام بدين الله أتم القيام وحرق كتباً كثيرة في بعض مكاتب مكة موجودة بعد عهد الأتراك قد تداولتها الأيدي من كتب الضلال، وانتصر لدين الله ورسوله انتصاراً لم ينله في زمنه سواه، وانتصر لأهل الحق وقام بتوقيرهم، ثم إنه نقل منها وجعل على قضاء حائل فكان لدى الأمير الشهم فيها عبدالعزيز بن مساعد رئيساً للقضاة في الجبل، وكان يحب النزهة والفرجة لأمراض تختلف على بدنه في حالة إقامته، فلكثرة ذهابه وإيابه وأسفاره قلَّ تدريس آخر عمره، وكان مقيماً لدعائم الملة الحنيفية، ومحبباً إلى أهل الملة المحمدية كهفاً للإخوان، وغيظاً لأهل الضلال والطغيان، فلله ما أحسن حاله وما أنعم باله، وما أقل أمثاله، أضف إلى ذلك سخاءً وكرماً وجوداً، فحدّث عنه في الفضل ولا حرج، وإن عميت أعين الخفاش في وسط النهار فللشمس أعين تراها وماذا على البدر من نباح الكلاب وعواها، وقد كان بعض الأعراب المتدينين ينالون من عرضه لركوبه السيارات في أول ظهورها وتعاطيه الأخبار في آلة اللاسلكي ويرونه متسامحاً في أمور الدين، ومترخصاً وهذه صفته:

كان قصير القامة، قليل اللحم، يخضب لحيته بالحناء بعدما علاها الشيب، ويظهر من وجهه البشر ويبرق بالسرور والطلاقة، ليس بالعبوس ولا المقطب، وكان أصله من القرائن ثم انتقل بعض أسرته إلى القرعاء القرية التابعة لبريدة، وكنت أظن أن نقله من الحجاز لأن الجو لم يوافق له هناك.

ذكر أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ومقاماته في الإسلام

كان الشيخ عبدالله بن بليهد من أعظم المقربين عند الملك عبدالعزيز، وكثير المناصحة له، إذ هو المقدم على رأس المجتمعات العظيمة، ولما كان في بعض الأيام دعى صاحب الجلالة بالعلماء واستوفدهم إليه في الرياض، وجعل يشكو زهد الناس في العلم وطلبه وأنه لا يطلب العلم إلا متعطل الأسباب كأعمى وقاصر في أمور الدنيا، فأجابه الشيخ عبدالله بقوله: نعم يا طويل العمر وما بال أهل العلم لا يكون عددهم قليل وهم لا يجدون الكفاية في أمر معيشتهم، فلو كان لديهم كفاية لفرغوا أوقاتهم للطلب، وأكبوا على الدراسة، وحصلوا على معلومات كثيرة، فلما أصبح طالب العلم فقيراً لا يجد ما يسد به حوائجه وحقيراً لدى الناس ضيق المعيشة، لا يجد ما ينفقه على نفسه ولا على أهله، فإن أعطيتموه شيئاً من بيت المسلمين فإن حقه نذر يسير، وإن حضر فإنه في آخر المجالس لا يلتفت إليه ولا يراعى ولا يقرب، كانت بضاعة العلم كاسدة بين الناس ولا يصبر على مكابدة مرارته إلا أفذاذ الرجال، فإذا أحببتم العلم وأردتم أن ترفعوا مستواه فأسسوا مدارس ومعاهد وشجعوا الطلاب بالمكافآت الشهرية، وأكرموا العلماء وقدروهم وارفعوا من شأنهم، وجعل يحث على رفعة العلم والعلماء وإكرام العلم، وطلب من صاحب الجلالة تأسيس مدرسة كبرى لطلاب العلم في بريدة تكون داراً للحديث والعلوم الدينية، وأن يصرف لأهلها كفاية من المطعم والمشرب والملبوسات، وأن يكون الشيخ عمر بن سليم إماماً في مسجد وسط البلد وأشياء طلبها، فبادر الملك إلى ذلك وأسست هذه المدرسة حوالي سنة ١٣٤٥هـ ولكنها لم تنتظم والقصد من هذه المدرسة أن تكون مأوى

لكل غريب وفقير من طلاب العلم، ويا ليتها انتظمت وأصبحت يتردد إليها كل غريب وفقير، ولكنها ويا للأسف تأخرت وأملنا عظيم بحكومتنا أن تقوم بإكرام أهل الدين وفتح ملاجىء وبيوت للعجزة، وإنشاء مستشفيات وإصلاح طرق وغير ذلك مما يعود نفعه على البلاد.

وكان جلالة الملك عبدالعزيز يصبر على ما ينال جانبه ويتحمل العنف من المشايخ إذا ما بدت غيرتهم لله ولدينه، وذلك لما منحه الله من الخصال الجميلة والمكارم، وكنت أظن أن الله جلت قدرته إنما مكن له في الأرض وبسط ملكه وأعلى شأنه لإكرامه العلماء والعفو عن زلاتهم وأخذ نصائحهم، وكان المترجم يغلظ في النصيحة، حتى قال مرة: يا عبدالعزيز إن بيت المال للعلماء والقضاة والمفتيين والأئمة والمؤذنين ليس بيت مال المسلمين خاصاً لجنودكم، وسمع جلالة الملك سيارة لحديدها وأخشابها قعقعة في مسيرها فجعل ينظر إليها من النافذة استنكاراً لصوتها وإلى جانبه الشيخ عبدالله، فسأل الملك عن هذه السيارة بعض من حواليه؟ فأجابه الشيخ قائلاً: هذه سيارة المشايخ التي تبعثونها إليهم إذا أرتم حضورهم.

وكان الشيخ يحبذ للعامة ركوب السيارات والانتفاع بهذه المخترعات الحديثة، ويبين أنه لا مانع من ذلك ولا ينبغي للإنسان أن يتجاهل ويكون غبياً، فإن الإنسان عدو ما جهل.

أما كرمه وجوده فقد جعل موضعاً للضيافة، وحدثني من رأى بذله وجوده أنه كان في ضيافته ثلاثة أيام ولقي هناك أنواعاً من الأطعمة والأشربة كاللحم والأرز والخبز واللبن والشاي والبن، قال ثم استأذنته بالرحيل وودعته فسألني عن الإقامة في حائل وهل كان لي أهل؟ فلما تبين له أني أريد الإقامة ولا أهل لي في البلد طلب أن أتردد شهراً كاملاً، وقال يا بين إن الشيء خارج لك أو لغيرك وهذه عادتنا فلا نتكلف للضيوف، وكان لديه سيارات ويحمل من استحمله، وكم له من يد بيضاء تجود بنفع المحتاج وكسوة العاري وإطعام الجائع، ومن فوائده أنه وعظ مرة فقال في موعظته:

ما أحرص الشيطان على حرمان ابن آدم من الأجر، إني رأيت مرة رجلاً صلى مع الجماعة، فساعة سلم الإمام قام ليخرج مسرعاً، فلما خرجت قدمه الأولى وقف يفكر إلى أين يذهب، ولبث كذلك بين السوق والمسجد فعجبت كيف أقامه الشيطان من موضعه ذلك الذي ما دام فيه فإنه في صلاة وفوت عليه الثواب والحسنات، فيا له من حبر أديب شهدت له بالفضل محاريب العلا، وعرفه بالمكارم أهل الخبرة والنهى، فيا ليت شعري من مثل هذا الشيخ ومن يباريه في الفضل أدباً وعلماً وديناً وعقلاً، وأنى لنا مثله، ولكنه من رجال كانوا فبانوا، وقد امتدحه الأدباء والأفاضل وترنموا بمديحه نظماً ونثراً في حياته وبعد وفاته، قال بعض المدنيين في قصيدة يمتدحه:

إمامٌ له في المشكلات إذا دجت ... مقال لدى التحقيق يسفر عن فجر
يجدد من تلك العلوم رسيسها ... ويحي به ميت الفؤاد مدى الدهر
فلا غرو أن عاد الحجاز به سناً ... وجر ذيول الفخر تيهاً على مصر
هو الشهم عبدالله آل بليهد ... مؤيد دين الحق بالعز والنصر
فمن ذا يضاهيه سمواً ورفعةً ... وفضلاً ومجداً وهو أوحد في العصر
وماذا يقول الواصفون وفضله ... تجلى فحلى فائق النظم والنثر
إذا رام شخصٌ مادحٌ حصر وصفه ... فقولوا له قصر فقد جل عن حصر

ولما مات رثاه العلماء والأدباء بمراثي كثيرة حسان، وباحوا بما عندهم ونحن نسوق بعضاً من كل، فمن ذلك ما قلناه فيه لما فجعنا بموته، بل الله ثراه بوابل العفو والغفران وأسكنه عاليات الجنان يمتع في جوار سيد ولد عدنان ويطوف عليه بالأباريق والأكواب فيها الولدان:

على الحبر بحر العلم فرد الفضائل ... وبدر الدجى فالبيك كل القبائل
على عالم التوحيد لا زلت باكياً ... بدمعٍ غزيرٍ ساكب بل وهاطل
عنيت به ذا الحزم بل كامل الحجا ... يعز علينا فقده في القبائل
فأعظم بهذا الرزء أي مصيبة ... كفقدٍ لعبد الله زين المحافل

هو الحبر ذو التحقيق نجل بليهد ... سليل سليمان كريم الشمائل
حبيب رحيب بالوداد ومكرم ... لأهل العلوم الطيبين الأفاضل
فيا أسفا من فقد ذي الجود والندى ... ومروي الصدى من غامضات المسائل
لقد كان ذا قلبٍ سليم سرائر ... سؤول لمولانا جزل الفضائل
يحب ذوي الإيمان من كل مخلصٍ ... ويبغض أهل الزيغ من كل جاهل
يحامي على الإسلام من كيد مارق ... ويدمغ يافوخاً لأهل الأباطل
له غيرةٌ لله تحمي محارماً ... لدين الهدى إن رامه كل خاتل
له في علوم الشرع باع طويلةٌ ... يقصر عنها خطو كل مماثل
وفي كل الفنون أمسى محققاً ... بفهم منيرٍ واقد في المسائل
يبين أحكام الشريعة جاهداً ... بتقرير مندوب وحظر لباطل
وكم بدع أردى بشهب علومه ... وقطع أعراقاً لها بالمعاول
إذا جئته بالليل تلقاه خاضعاً ... ملحاً على المولى وليس بكاسل
وفي كل آناء النهار بعلمه ... يبصر حيراناً ويهدي لجاهل
إمامٌ لعمر الله يسطو بحجةٍ ... ويجلي داجي مظلمات المشاكل
وإن جئته في الجود تبغي لنيله ... فسبحان من يعطي جزيل الفضائل
له خلق زاك يميل إلى العلى ... ويبذل مما عنده غير باخل
إذا جاءه من مبتغي الفضل عاجزٌ ... يجد عنده كشف الهموم النوازل
يجود ببذل المال لله وحده ... سجيته بذل الندا في القبائل
وما همه جمع الحطام لوارثٍ ... وتحصيل مشرباتها والمآكل
به تشهد الوفاد إن كنت سائلاً ... فسل ساكناً في طيئها وأهل حائل
فيأتيك بالأخبار من قاطن الحمى ... وضيف ثوى والمحصنات الأرامل
له نهمةٌ في الجود والعلم والنهى ... فسل منصفاً عماله من فضائل
ودع أحمقاً في غيه وضلاله ... ومن كان شريراً كثير الغوائل
وخنزير طبع بالسواقط مولعاً ... فهمته كسب القذا في المزابل

فنشكوا إلى الله الخطوب جميعها ... فيا محنة الإسلام من كل عاطل
وقد جاءنا عن سيد الرسل أحمد ... نبيٌ أتى بالمعجزات الدلائل
بأن ذهاب العلم موت رعاته ... وبعدهم تبقى شرار الرذائل
فمن مثل عبدالله في الناس كلهم ... خبيرٌ بصيرٌ ماهرٌ في المسائل
يغوص بفهم حاضرٍ متوقد ... لحل عويص المشكلات النوازل
تغمده رب العباد بعفوه ... وإحسانه والله أقدر فاعل
فيا من هو العالي على كل خلقه ... تمد الأيادي نحوه في المسائل
ويا قاهراً فوق العباد بقدرةٍ ... تباركت خلاقاً تجيب لسائل
أغث قبره بالمن منك تفضلاً ... ونعمه في الجنات مع كل نازل
لأن كان أمسى رهيناً بقبره ... فنرجوا له العقبى بدار الأفاضل
ونسأل رب العرش يحسن عزاءنا ... ويجبر مكسوراً دهي بالمهاول
ويبقى لنا حبر البلاد وشيخها ... فتى من سليم عالماً بالدلائل
فيا رب متعنا به وعلومه ... وتكفيه شر الطارقات النوازل
وصلِّ إلهي ما تألق بارقٌ ... وما اهتزت الأزهار في صبح هاطل
وما أمَّ بيت الله من كل سائر ... وما هل في الغبرا رذاذ الزواجل
على أحمد الهادي إلى خير شرعةٍ ... وآل وأصحاب كرام فاضل

وقال أيضاً الشاعر الحجازي أحمد بن إبراهيم الغزاوي يرثي الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وكان يعرف عن أخلاقه وشهامته حينما كان الشيخ قاضياً في مكة:

في مثلك الصبر عند الله يحتسب ... والعلم يرفع والأشجان تصطخب
يا ويح كل فؤادٍ أنت موقظه ... أمسى بفقدك في أعماقه يجب
ويا رزية هذا النعي في ملأ ... كأنما الدمع من أعماقه عبب
ترمض عبراته حزناً على جدثٍ ... فيه السماحة والأخلاق والأدب
ما للجفون أراها فيك دامية ... كأنما هي بالأحشاء تنسكب

هيهات أودى الردى في غير ما لجب ... بمشمخرٍ من الأطواد ينشعب
حبرٌ من الصفوة الأولى علقت به ... فما فتئت أعاني فيه ما يجب
هوى به الموت في لجي غمرته ... فأين لا أين ذاك المدرة الذرب
في ذمة الله ما ألقى به وله ... من رحمة الله ما نرجو ونرتقب
ما كان إلا جناناً ثابتاً ويداً ... تشد أزر الهدى والوعد مقترب
تبلو الشريعة فيه حاذقاً فطناً ... من الذين لهم في شملها دأب
يجيش كالموج أو كالبحر منطقه ... ولا تباريه في آفاقه السحب
في قلبه من ضحى الإسلام ألويةً ... خفاقةً وهي في غاراته خطب
وفي سويدائه التوحيد مدرعٌ ... حسن اليقين غير أنه لهب
إذا انبرى في مجال من مواقفه ... حسبت سحبان تجثو حوله الركب
عجبت للحد هل في اللحد متسعٌ ... حتى انزوى فيه رضوى فهو محتجب
بشد ما ضاقت الدنيا به أبداً ... فكيف وأراه شبرٌ وهو منقلب
ما لي وللندب فيمن خطبه جلل ... ومن عليه حدود الله تنتحب
لا نملك اليوم إلا زفرةً ورضا ... بما قضى الله فيه ثم تحتسب
وما قضى من له في ربه أمل ... ولا قضى من له في دينه نصب
فإن ذكراه في الآصال باقيةً ... والموت حق وما من دونه هرب
فضاعف الله أجر المؤتسين به ... في جنة الخلد وليعظم به السبب
وعوّض الدين عنه خير ما طلعت ... عليه شمس الضحى أو غارت الحقب

وقيل فيه مراثي كثيرة رثاه بها الشعراء والأدباء وأطالوا، فمن الذين رثوه الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر، ورثاه أيضاً الأخ في الله والمحب فيه عمر الوسيدي وغيرهم، ولا نطيل بذكرها.

ولما مات أحصي ما عليه من الديون فإذا هي كثيرة جداً فتولى قضائها جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود، وصليَّ عليه في الآفاق بالنية، وله أنجال كرام ليس فيهم من يسد ثلمة والده، ثم إنه جعل الملك عبدالعزيز مكانه في قضاء حائل وما يليها فضيلة الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش، وكان رزيناً صالحاً وذا شخصية بارزة.

ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ عبدالعزيز بن بشر، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم القاضي العارف المتفنن في العلوم عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل بشر من بني زيد من شقراء، وكان فيه صلاحية للقضاء ومؤهلات للأعمال، فجعله ابن سعود قاضياً في بريدة لما دخلت في ولايته للمرة الثانية، وكان القاضي قبله إبراهيم بن حمد بن جاسر، فلما قدم الشيخ المترجم تولى القضاء وأخذ يدرس في العلوم الدينية، ومما نقل عنه أنه لما قدم إلى ضواحي البلد مساء استضافه رجل من أهالي الصوير القرية المجاورة للبلد إلى جهة الشرق، فلبى طلبه وقال: سندخل البلد صباحاً ونسلم في آخر النهار من تبعات المسؤولية، ومعنى هذه الكلمة كل واقعة من القضايا تحل ويسلم القاضي منها تعد غنيمة، وكان سخياً كريماً مبذالاً، واتخذ كاتباً من أهالي بريدة وهو عبدالله بن ناصر بن سليمان بن سيف نجل الشيخ ناصر ابن سليمان، ووافق قدومه المسغبة التي جرت على نجد، فألّف رسالة مختصرة فصيحة للمسلمين في هذا الموضوع فاستمر في القضاء ثلاث سنين، ثم إنه لعدم معرفته بالناس وتمييزه لطبقاتهم اختلط لديه الحابل بالنابل وسعى بعض أهل الأغراض فتوترت العلاقات بينه وبين بعض العلماء، فساءت الحال إلى أن نقل من القصيم إلى الإحساء فتولى القضاء هناك وقام بهذه الوظيفة قياماً حسناً، ولبث في الإحساء مدة طويلة، ثم إنه نقل إلى قضاء الرياض، ثم إنه أسنَّ وهرم فكان من المعمّرين لأن ولادته حوالي سنة ١٢٧٣هـ، وقد رأيت له تقريراً لتضعيف إمامة المرأة للرجال في صلاة النافلة وهذه المسألة التي قال بضعفها من مفردات الإمام أحمد، وقد انتقد الشيخ عبدالعزيز بعض العلماء بشأن هذه المسألة، ولما مات صلى عليه المسلمون في سائر الأقطار بالنية، وكان الذي خلفه على قضاء الإحساء الشيخ سليمان العمري، أما القاضي بعده في الرياض فقد جعلت الحكومة بعده الشيخ ابن زاحم والشيخ عبدالله بن حميد.

وفيها أمر الشيخ القاضي عمر بن محمد سليم بنقض بناية المسجد الجامع في مدينة بريدة وإعادة بنايته لأن المسجد قد تضعضع بعض بنائه لكثرة ما يتردد عليه

من السيول على مر السنين، فشرع في هدمه وأضيف له سعة من جهة الشمال، وقام الشيخ بأعباء العمل، وكان قد شاور الأعيان من الأهالي فوافقوه على ذلك، غير أن الشيخ هو الذي باشر المهمة بنفسه وبعث بالأخبار إلى جلالة الملك، فبعث الملك أيده الله ورفع قدره مساعدة على العمل، وهذه المساعدة قدرها خمسة عشر ألف ريال فرنسي، وتقدر بخمسة وأربعين ألف ريال سعودي، وكم لهذا الملك من الأعمال الطيبة والمسارعة إلى كل مشروع ديني، ولما أن هدم إلى اسه عدل الشيخ جهته وأقيمت العمد كأحسن ما يكون في القوة والحسن، وجعل محل السقف الخشبي عقوداً من الحصا وكان الشروع في العمل في ١٥ جمادى الأولى، ثم إنه جلب إليه مهندسين وأكثر من العمال في بنائه فاستقام من طين وأحكم بنائه إحكاماً مبرماً، وقام الشيخ أكمل القيام فكان يباشر وضع العمد والجدر ويرشد المهندسين إلى إكمال العمل، وقد وزع الأهالي وقت بنائه في أربعة مساجد من بريدة، وكان انتهاء العمل في ٩ شعبان إذ امتد وقت العمارة ثلاثة أشهر إلا قليلاً، وتعتبر هذه المدة قصيرة لكبر المسجد ولأنه أصبح يسع خمسة آلاف من المصلين، وتعد هذه الخطة حسنة خالدة في تاريخ الشيخ المذكور والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وقد قام أهالي عنيزة فعمّروا مسجد الجامع في مدينتهم وأتقنوا صنعته، وقد امتاز علمهم الخيري بأن غالب النفقة كانت من الأهالي وفقهم الله وأكثر القائمين بالأعمال الدينية.

وفيها طلب أهالي مكة من جلالة الملك عبدالعزيز أن يسنّ بهم سنته في أهل نجد بأن يجعل عندهم من ينظر في مشكلات القضاء، وشكوا إليه ما يقاسونه من ضياع أموالهم في طول المراجعات والتردد إلى المحاكم، فأتحفهم بالشيخ العالم العاقل محمد بن عبدالعزيز بن مانع صاحب شرح عقيدة السفاريني، وكان عالماً حسن الخلق ذا بصيرة وسياسة وتجربة في الأمور، أشمط اللون، قصير القامة، فجلس المذكور في مكة على كرسي العدالة، وطلبت منه الحكومة رجالاً من المنتسبين إلى العلم في نجد يكونون مرشدين يعظون في مساجد مكة المشرفة ويدّرسون في كتب

الحنابلة على الشيخ المذكور، ويكون يضاف إليهم من الأعمال كونهم أعضاء في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هناك بشرط أن يكون أولئك المذكورون من تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ومن تلامذة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، فذهب المذكورون إلى مقر أعمالهم التي طلبوا إليها، ولما أن وصلوا في هذه السنة إلى أم القرى أخذوا في الدراسة على الشيخ محمد وانبعثوا يرشدون في مساجد مكة وما يليها، كان يذهب المرشد إلى أحد المساجد فيصلي مأموماً ثم يأخذ بعد الصلاة في الموعظة والإرشاد، ويا حبذا هذا العمل الخيري، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يقوم به الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع والأعضاء الذين معه فكانوا في قوة وعزيمة ونشاط، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ومن الأعضاء من لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد كان يجلس الرئيس محمد بن مانع وإلى جانبيه الأعضاء من الحجازيين والنجديين فيؤتى بالجرم فيوقف أمام الهيئة يسوقه العسكري، فيقرر على جنايته هذا شتم، وهذا لم يشهد الجماعة، وهذا يشتكي جاره، وذلك مؤذن يشكو زميله يقول أقام للصلاة ولم يؤذن، وهذا شرب مسكراً، وذا عثر على أنه يفتح الراديو في الملهى إلى غير ذلك، فيعزر العاصي بما يستحق ويردع المعتدي، وكثيراً ما يجري الخلاف في كثير من المسائل، هذا وقد جعل لكل شخص مرتب شهري يصرف له من الأرز والسمن والتمر واللبن والسكر والشاي والنفقة والسكنى والكسوة.

وفيها نزل غيث عظيم على مكة المشرفة حتى سقط منها مائة وأربعون بيتاً، وخرب لذلك بعض مجاري عين زبيدة، ودخل السيل في المسجد الحرام حتى كان على قدر قامة الإنسان، وبلغ حوالي باب الكعبة المعظمة، وخرّب أسلاك الكهرباء بعدما دخل إلى أعمدتها فاضطرت الحكومة السعودية إلى وضع اسطوانات من حديد يجعل من بينها ألواح خشبية في أبواب المسجد الحرام للوقاية من دخول السيل فيه، لكن الله دافع عن الأنفس البشرية، كذلك قامت الحكومة بإنشاء سد في أعالي مكة ليصرف الوادي عن البلد.

وفيها حصل تمرد من شرار في مكة يريدون زعزعة نظام الحكم بحسب ما يتصورون، وكان القائمون بهذا الأمر بعض أحفاد الشريف عون الرفيق أمير مكة في العهد العثماني، وهم الشريف حسن والشريف عبدالحميد طلبا من الملك في العام الماضي الحضور إلى الحجاز لإدارة شؤون أملاكهما الخاصة فيها، فأذن لهم جلالة الملك بذلك وأكرم مثواهم فحضروا إلى الحجاز بهذه الدعوى، وأخذوا يعملون للقيام بثورة داخلية، وأخذوا يتصلون برجال البادية ويوزعون الأموال على بعض زعماء القبائل بواسطة عامل من عمالهم يقال له عابد الديب، ثبت في النتيجة أنه هو الذي كان يحرضهم على ذلك ويسول لهم إمكان نجاحهم في مهمتهم دون أن يعلم المفتون أن حب المليك قد تغلغل في كل قلب من قلوب الشعب، ولذلك قام زعماء القبائل المشار إليهم يطلعون سمو الأمير فيصل نائب الملك ويخبرونه بالخفاء بجميع حركات الثائرين وسكناتهم وما يقبضونه من أموال في هذا السبيل، حتى حان وقت موعد التنفيذات الموهومة، فعند ذلك عاجلهم جلالة الملك فأمر بالقبض على كل من الشريف عبدالحميد والشريف حسن، وعابد الديب وبعض من كان له بهم صلة وأودعهم في مكان خاص بدار الأيتام بمكة المكرمة، وشرع مدير الأمن العام مهدي بك الصلح في إجراء التحقيق معهم حتى ثبتت إدانة عابد الديب باعتباره اليد المباشرة في الأمر فحكم عليه بإعدامه، وبعدما أراد الملك إعدام الشريف عبدالحميد وسجن الشريف حسن سجناً مؤبداً لكونه لم يعارض في الأمر قضت إرادته بأن يمثلا بين يديه، ولما جيء بهما أنبئهما على فعلهما ثم عفى عنهما، وأمر لهما بجوائز وصرفهما إلى مصر، وحج بالناس في هذه السنة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وممن حج فيها من الأعيان الشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وقاضي جيزان محمد بن عبدالله التويجري، وكان قد تأثر هذا بمرض أصابه، ويظهر لي أنه شبيه بالسل، لأنه مات على أثره رحمه الله.

وفيها حجتنا الثانية على ظهور الإبل، ولم يحج من الإبل إلا قليل لأن الأمة قد

استبدلت بها السيارات لتوفر الراحة والطمأنينة فيها، وكانت المسافة التي قطعت بها الطريق من القصيم إلى مكة عشرين يوماً، وتمر في سيرها على ذات عرق، الميقات المعلوم، وقد رأينا من أسباب الأمن والصحة شيئاً عجيباً لأن الطريق مطمئنة والسبل آمنة، وقد ضبطت ضبطاً لا مزيد عليه ورجعنا بالسيارات.

تغيير السكة

لما كان في هذه السنة صدر الأمر السامي بتعطيل السكة القديمة المتعامل بها، وكانت قطعاً من النحاس مضروبة في قسطنطينية، وأبدلت بقروش من النيكل سعودية، وكان ذلك برغبة من جلالة الملك جعل الأولى بنكاً يقبضها ويبدلها بجديدة، كل ذلك مراعاة للشعب لأن لا تكسد الأولى لدى أفراد الأمة، ولقد كان صاحب الجلالة يعالج في ذلك من قد يم غير أنه استطاع بحكمته أن يبدلها عن رغبة الشعب وطمأنينته إليها، أما الريال العربي فلم ينصرف مفعوله إلا في السنة التي بعدها، وكانت العاقبة إلى خير.

ثم دخلت سنة ١٣٦٠هـ

استهلت هذه السنة والأمور هائجة مائجة بين ألمانيا وحلفائها، وبين الحلفاء، وأصبحت الحرب العالمية الثانية تنذر بشرها وويلاتها، وقد انتصرت الجيوش الألمانية واحتلت الدانمارك وهولندا وبلجيكا، وطردت قوات التحالف من نارفيك، واصلت النرويج وطردت القوات البريطانية من فرنسا، والبلجيك وأكرهتها على الفرار من دنكرك بشمال فرنسا بعدما ألقت فرنسا سلاحها وسلمت إلى هتلر، وتقدم الكابتن برين يخترق بغواصته البحرية الحواجز والأسلاك المكهربة في موانئ سكايافلو، وفرث أوف نورث بشمال بريطانيا، وينسف البوارج والدوارع البريطانية في عقر دارها، ويعود إلى قواعده في ميناء كييل سالماً، وكذلك الجنرال غالاند قائد أسراب الشتوكا الألمانية ينقض في كل يوم على بريطانيا فيدمر ويخرب ويضرب مدينة كونتري من أعلى وجه الأرض

حتى مسحها وأزالها من عالم الوجود، وتقدم المارشال رومل يسحق الجيش البريطاني الثامن سحقاً ويطرده من الصحراء الغربية ويقف عند العلمين على بعد سبعين كيلو متراً من القاهرة والاسكندرية، وكان النصر إذ ذاك حليف ألمانيا إذ كانت قد أعدت لهذه الحرب الضروس عدتها سراً من سنين خلت في غفلة الدول جميعها ورصدت لها مجهودات أبنائها عمالاً وصناعاً ومخترعين ومحاربين، وظل هتلر الطاغية في أوجه تنشر أنباء انتصاراته في جو مشبع بالرهبة والذعر، وتروي الأخبار عن عجائب آلاته الميكانيكية التي لم يسمع بمثلها، حتى غزت هذه الأخبار القرى واقتحمت كل مملكة، وسولت له نفسه أن سيسيطر على العالم، فلم يبقَ إلا الاستسلام له أو رد كيده.

ذكر جهود بذلتها بريطانيا أمام تلك الأهوال الساحقة

لما كادت بريطانيا بعد أن جابهت عدوها الظافر الشديد المراس تكون عزلاء من السلاح قبضت الأقدار لها أن يمسك بزمام أمورها في أحلك ساعات الشدائد بطل صنديد وهو تشرشل، فأعلن أن بلاده ستقاتل هتلر حتى تنتصر أو تموت كريمة في ساحة الهيجاء، فاشتعلت مصانع بريطانيا الحربية ليلاً ونهاراً لإنتاج ما كانوا في أمس الحاجة إليه من عتاد الحرب، وجندوا على الفور جيشاً كبيراً، وكان هتلر قد ظهر بمظهر المنتصر وأعطى بريطانيا فرصة للتسليم قبل أن يقضي عليها نهائياً، وكان قد توسع في فتوحاته فزادت مساحة ألمانيا من ١٨٠,٩٧٦ ميل مربع إلى ٣٢٣,٣٦٠ ميل مربع بالإضافة إلى ٢٩٠,٠٠٠ ميل مربع من الأراضي المحتلة غير الملحقة، وكان تحت تصرف هتلر أربعون ألف طائرة و١٨٠ غواصة، ولما رأت بريطانيا خطورة الموقف بعثت تستصرخ الولايات المتحدة، ولقد تشجع موسوليني فجرد حملة كبيرة مكونة من ٣٠٠ ألف جندي بقيادة المارشال جراذياني عبرت حدود مصر في سبتمبر ١٩٤٠م، وواصلت زحفها جنوب وادي النيل، ولكن الجنرال ويغل قائد القوات البريطانية أوقف زحف الإيطاليين عند سيدي براني.

وفي ٩ ديسمبر ١٩٤٠م بدأ هجوماً مضاداً جرف أمامه الجيش الإيطالي الجرار، ووقع في قبضته نحو ١٥٠ ألف أسير، وأنزلوا بالجيوش الإيطالية في أفريقيا هزائم منكرة وسقطت أديس أبابا فعاد إليها الإمبراطور هيلاسلاسي، وكان بريطانيا قد أوقعت بالأسطول الفرنسي خشية انضمامه إلى قوات المحور، ولما اطمأنت من خطره تمكنت من السيطرة حينئذٍ على البحر الأبيض المتوسط إلى انتهاء الحرب، ثم قامت تهاجم الأسطول الإيطالي، وقام سلاح الجو البريطاني يمطر الأسطولات الإيطالية وابلاً من القنابل والقذائف النارية فعطب وأغرق، وذلك في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني ١٩٤٠م.

ولما كان في ٢٩ من شهر مارس ١٩٤١ التقى الأسطول الإنكليزي ليلاً ببعض السفن من الأسطول الإيطالي فأصلاها ناراً حامية وتمكن من إغراق بعضها، وبذلك تمكن الإنكليز من إضعاف الأسطول الإيطالي بحيث فقد القدرة على الهجوم، ولكن هذا لم يجعل الأسطول الإنكليزي في مأمن من غارات العدو، فقد كانت إيطاليا تملك عدداً كبيراً من الغواصات تقلق الأسطول الإنكليزي، كما أنها تملك عدداً محترماً من الطائرات فكانت المواصلات الإنكليزية في البحر المتوسط مهددة بمهمات إيطالية.

ولثقة هتلر بقوة أسطول إيطاليا البحري وما لها من الغواصات واستطاعة سلاح الطيران الجوي الإيطالي اعتقد أنه سيغلق البحر، وقد يجوز هذا لولا وجود مالطة التي كانت تقاوم وتضرب قلاعها بالمدافع رغم الهجمات الجوية التي تعرضت لها، وربما أن الإغارات الجوية عليها بلغت ثلاثة آلاف غارة، فإنها لم تسقط ولم تسكت قلاعها.

وكان الواجب على هتلر أن يسكت قلاعها ويدكها ومراكزها العسكرية والجوية، وبما أن إيطاليا فشلت في تقدمها لغزو اليونان بحيث اضطرت بريطانيا إلى نجدتها واستقرت جيوشهم في كريت، فقد جعلت المصادر البريطانية تقول أن من واجب هتلر احتلال هذه الجزيرة لتأمين الأرض التي استولى عليها من الهجمات الجوية القريبة، وإذا لم يتمكن المحور من الاستيلاء على مالطة الضعيفة فكيف

يستطيع احتلال كريت التي تعج بالجنود، واليت كانت السفن الإنكليزية تحميها من جميع الجهات، واعتبرت الإنكليز في ذلك الوقت أن الاستيلاء على الجزيرة من المستحيلات، ثم تقدمت إيطاليا وبدأ هجومها في شمالي أفريقيا، ذلك بأنه قد انضم أكثر دول البلقان إلى المحور، بل راح بعضها يحارب معه، وكانت إيطاليا تملك في ليبيا وأفريقيا ما يقارب نصف مليون جندي، بينما لم يكن بمقدور الإنكليز أن يضعوا أمامهم أكثر من مئة ألف جندي، وتعرضت المواصلات الإنكليزية لأشد الأخطار وأقصاها.

وكانت الخطة الإيطالية لغزو مصر تقوم على أن تبدأ الحملة في جبهتين، الأولى من طرابلس الغرب والثانية من الحبشة بقيادة الدوق أوف أوستا، وأما الحملة الأفريقية من طرابلس الغرب فكانت بقيادة المارشال غرازياني، وتم لهم بعض ما يريدون لولا أن حملة الإنكليز بقيادة الجنرال ويغل في ٩ كانون الأول ١٩٤٠م على مواقع الإيطاليين فارتدوا من حيث أتوا، وسقطت البردية وطبرق ودرنة وبنغازي في أيدي الإنكليز، وأسر من جنود إيطاليا ١٣٠ ألف إيطالي، ولما أخذت الإنكليز تهاجم بمدافعها الثقيلة البردية لتدمير مراكزها العسكرية واستحكاماتها شوهت الأراضي التي حولها من ضرب القنابل والانفجارات النارية، وقد قام الطراد الإيطالي يدافع عن طبرق بواسطة مدافعه البعيدة المدى والمدافع الأخرى المضادة للطائرات، غير أنه أصيب ببعض القنابل البريطانية من الجو فاشتعلت فيه النار وأصيب بالعطب.

موقف أمريكا

لما نشبت الحرب أقرَّ الرئيس روزفلت قانون الحياد الأميركي الذي حظر فيه تصدير الأسلحة على اختلاف أنواعها إلى جميع الدول المتحاربة ودون استثناء، وكان هذا القانون بالتأكيد ضربة شديدة لإنكلترا وفرنسا، ولكن موقف الحكومة الأميركية ما لبث أن تبدل بعد شهرين من إعلان الحرب، وبعد أن ربحت ألمانيا

الجولة الأولى وهذا لأن أميركا كما هو معلوم ومشهور منحازة بعواطفها إلى جانب الحلفاء، وقد قدمت لهم مساعدات عظيمة من اقتصادية وحربية ومالية، وتعمل جاهدة لتقوية سلاحها وتعزيز دفاعها، كأنما هي تتوقع الحرب بين لحظة وأخرى مما يقطع بأن السياسة الأميركية أخذت تسير باطراد نحو المشاركة في الحرب إلى جانب إنكلترا، فأخذ الرئيس روزفلت يحض الكونغرس على تعديل أحكام هذا القانون، فأقرَّ الكونغرس قانوناً سمح فيه للدولة المتحاربة أن تبتاع نقداً من الأميركيين ما تحتاجه من الأسلحة، ولما وقفت إنكلترا ومستعمراتها تحارب بمفردها القوة الألمانية الظافرة تعاظم اهتمام أميركا بمصير بريطانيا وخشيت أن يتمكن الألمان من إبادتها وسحقها، فأعلن الرئيس الأميركي في خطاب ألقاه: بأننا سنمد أعداء العدوان بجميع الموارد المادية التي تملكها أمتنا، كما أعلن أن قيامه ذلك يحول دون انتقال مستعمرات فرنسا وهولندا بعد استسلام هاتين الدولتين في أمريكا الجنوبية إلى قبضة الألمان، وبعد قيام الحرب بسنة تم الاتفاق بين الولايات المتحدة وإنكلترا على أن تقرض الأولى الثانية خمسين مدمرة أميركية مقابل تأجير بريطانيا إلى الولايات المتحدة عدداً من القواعد البحرية والجوية في جزر الهند الغربية وجزيرة نيوفوند لاند لمدة تسعة وتسعين سنة، وآخر ذلك أن اعتمد المستر روزفلت قانون الإعارة والتأجير الذي جعل من الولايات المتحدة مصنعاً لتزويد الحلفاء بكل ما يحتاجونه، وسنعود عن قريب.

أما ما كان من أمر هتلر فإنه تقدم بمهماته وملأ رعبه كل قلب وكل بيت، وتوهم المتوهمون لفرط ما ظفر به من انتصارات أنه متصل بالسماء قبحهم الله أنى يؤفكون، وقد ظل علمه المعقوص خفاقاً في جميع ميادين القتال التي امتدت جبهاتها إلى أميال بعيدة من شرق أوربا إلى غربها، كما ظلت جيوشه ومدرعاته تجوب جميع الميادين في البر والبحر والجو تكتسح الممالك وتدمر وتقصف بسرعة عجيبة حتى وصلت إلى اليونان بعدما دمرت في طريقها ما تقدم ذكره، واحتلت جميعها احتلالاً عسكرياً صارماً بعد أن دكت حصونها ونسفت قلاعها وأزالت خطوط دفاعها من الوجود.

وكانت اليونان إذ ذاك مشتبكة في حرب مع إيطاليا حلفاء ألمانيا، وكان المظنون أن تكون إيطاليا هي الغالبة لوفرة جيوشها وكثرة عتادها واعتمادها على مساندة حليفتها الجبارة، وبما أن إيطاليا هي البادئة بالعدوان فإن اليونان ردتها على أعقابها على رغم ما يظهره الدتشي زعيم إيطاليا من الجعجعة الجوفاء، حتى أنه كان يخطب مزهواً فخوراً بكثرة جيوشه وهو واقف على ظهر المدفع يهدد ويرغي ويزبد ويسمي البحر الأبيض الذي يقف عليه بحرنا.

ولما أن وصلت جيوش الألمان في الزحف إلى الحدود اليونانية لم ترَ أن تسلم حليفتها إيطاليا الخسف، بل عزمت على أن تقيمها من كبوتها وتنهضها من عثراتها وترد إليها شرفها واعتبارها بالاستيلاء على اليونان وضمها إلى قائمة الدول التي سقطت تحت عجلات مدرعاتها.

فكر هتلر ورجاله في أيسر طريق إلى بلوغ تلك الغاية فاتجهت أنظارهم إلى جزيرة كريت القائمة في الجنوب الشرقي من البحر الأبيض، وكانت مملوكة لليونان، وباستيلائهم على هذه الجزيرة يضربون عصفورين بحجر واحد إذ يجعلون منها أيضاً قاعدة حربية لغزو الجزر البريطانية وتهديد قوافل الإنكليز أعدائهم الألداء حين تمر في البحر محملة بالمؤن والذخائر ويقطعون الطريق على أسطولهم الحربي والتجاري، وفطنت إنكلترا إلى الأهداف التي ترمي إليها ألمانيا من سعيها في الاستيلاء على هذه الجزيرة، فوقفت بجانب حليفتها اليونان تساندها وتساعدها وتمدها بجيوشها لصد الغزاة عنا بأي ثمن إذ لم يفتها أن غزو كريت مقدمة لغزو موعده الجزر البريطانية.

ولما كانت ألمانيا لا تملك الأسطول البحري القوي الذي يمهد لها غزو جزيرة كريت عن طريق البحر، وكان الأسطول الإنكليزي الضخم غول البحر يجول ويصول شمالاً ويميناً طول الجزيرة فلا يمكنها من بلوغ ما تريد، فقد تركت البحر للإنكليز يجولون فيه ويصولون بأسطولهم وأعدت لغزو الجزيرة خطة جهنمية لم يسمع بمثلها في التاريخ من قديم الزمان وحديثه، ففي ذات صباح كان أهل الجزيرة

ماضين إلى أعمالهم آمنين مطمئنين في حراسة الأسطول الإنكليزي الرهيب فما راعهم إلا أن سمعوا من فوقهم دوياً كقصف الرعد يصم الآذان ويبعث الفزع في القلوب تنهد له الجبال الرواسي وتشيب منه النواصي، فتطلعوا إلى السماء مذعورين مأخوذين لينظروا ما دهاهم، فإذا السماء تمور موراً وإذا جو الجزيرة كله ملئ بالطائرات، وما هي إلا لحظات قصار حتى هبط عليهم جنود المظلات ألوفاً مؤلفة بأسلحتهم المختلفة فملؤا آفاق الأرض وسدوا منافذ الطرق، ونظر أهل الجزيرة فإذا أرضهم وديارهم تموج بالعجلات والدبابات والسيارات والمراكب المختلفة التي تحمل الذخائر والمؤن والعتاد، ولم يمضِ على هذا الجيش العجيب غير دقائق معدودات حتى صارت الجزيرة في قبضته، وسرت الجنود كالجراد المنتشر يملأون الطرق يتجولون يطلقون المدافع فتنبعث نيرانها ذات اليمين وذات الشمال حتى غدت الجزيرة الآمنة المطمئنة كبركان منفجر، واستولوا على المطارات، وبما أن سرباً من طائرات الإنكليز شرعت تضرب الغزاة فقد قابلته ألمانيا في معركة رهيبة فوق الجزيرة وجعلت قاذفات القنابل تتهافت ساقطة محرقة فوق الأرض أو غائصة في أعماق البحر.

ولما قام أهل الجزيرة يكافحون مستميتين ضربتها ألمانيا ضرباً مزعجاً حتى طفئت الأسماك على ظهر البحر وأصلتهم نيراناً حامية، وامتد اللهيب وأظلم الجو ثم نشر الألمان عيونهم وأرصادهم وبثوا طابورهم الخامس وأقلام استعلاماتهم في كل مكان حتى لم يبقَ شبر واحد من الأرض بعيداً عن أعينهم الراصدة.

ولما أن استسلمت فرنسا في ١٧ حزيران ١٩٤٠م دخلها هتلر على رأس جيشه الظافر المنتصر ووقف تحت قوس النصر الحافل بأسماء مواقع انتصاراته يستعرض جيشه الألماني المنتصر الظافر الذي تدفقت أفواجه وفرقه من شارع الجيش الكبير على ما سوى ذلك من الشوارع إلى مختلف الثكنات والمواقع التي أعدت لإيواء جيوش الرائخ، واحتلت القوات الألمانية بذلك الهجوم الخاطف على الجبهة الغربية في مدة لا تزيد على ٣٥ يوماً خصص منها ١٧ يوماً لاحتلال فرنسا.

ولما أن سحقت ألمانيا فرنسا التفت هتلر إلى بريطانيا التي أصبحت وحدها

عدوة الرايخ الألماني الثالث رقم ١، وبما أن روسيا لم تكن في نظر هتلر بقضها وقضيضها وبجيوشها ومعداتها سوى قصة يمكن أن تطوى صفحاتها في أيام معدودات، ولكن هتلر كان يعلم علم اليقين أن بريطانيا وحده هي القادرة على تغيير وجه الحرب فأمريكا لم تدخل الحرب بعد، واليابان تراقب التطورات عن كثب، وستالين يقف وقفة الحائر المرتجف الذي لا يعرف كيف يتحرك وما هي الخطوة التي ينبغي له أن يخطوها وفي أي اتجاه.

وكانت بريطانيا تشعر في قرارة نفسها بأن الوقوف وجهاً لوجه أمام قوات المحور المنتصرة ليس من الأمور الهينة وقد رأت الضرب المدوخ وأن تلك الجيوش الألمانية بعدما تذوقوا النصر وطعم المكاسب والمغانم صاروا يندفعون بكل قواهم نحو غزو جديد.

ضرب لندن وفتح الجباه على هتلر

إن هتلر كان يحترم بريطانيا ويحاول جاهداً استمالة ساستها إليه، غير أن بعض زعماء الألمان مثل غوبلز يكره بريطانيا ومثله من الزعماء غورينغ، ولما قامت القيادة الألمانية بوضع خطة لغزو بريطانيا وإعداد أساطيل بحرية ضخمة نزلت الجيوش الألمانية على سواحل بريطانيا الشرقية والجنوبية وجاء الجنرال فون برا وخينش رئيس أركان حرب القوات المسلحة العامة يستشير الزعيم في تحديد موعد الإنزال صرخ هتلر بوجهه قائلاً: دعونا من هذه المهزلة أنا لا أريد سحق بريطانيا، ومن أجل هذا أمر هتلر يوم انسحاب الجيش البريطاني من دنكرك بأن لا تتعدى جيوشه حدود دنكرك إلى أن تنتهي عملية الانسحاب، غير أن غوبلز وغورينغ لم يتفقا على شيء في حياتهما كاتفاقهما على مهاجمة بريطانيا بقوة وعنف زائدين فما أمر هتلر بإلغاء عملية الإنزال ببريطانيا إلا قام غورينغ مصمماً على الهجوم عليها، وراحت طائرات الرائخ تصلي لندن وأمهات المدن البريطانية نيراناً حامية بلا هوادة أولين، وكان الضعف والقلق يسودان إذاعاتها وصحفها إلى درجة أنها ما كانت لتحسن التعبير حتى في الدفاع عن نفسها، فضلاً عن الرد على الإذاعات الصاخبة منها.

ولما شرع غورينغ بقصف لندن وأمهات المدن البريطانية وبدأ بمعركة بريطانيا يسحق قواها المادية والمعنوية أعلن للملأ بأن معركة بريطانيا قد بدأت، وراح الدكتور غوبلز يذيع بأن ألمانيا قد كسبت الجولة الأولى في بريطانيا وأن بريطانيا تتردد حائرة بين الفناء الأبدي أو التسليم، ولقد فعل اللوفتوافا مفعوله الشديد الأثر في لندن والمدن البريطانية التي أغار عليها ودمرها وصيرها ركاماً، وانتظرت الأمة بعد ذلك بأن اللوفتوافا سيحرق لندن ويكره بريطانيا على التسليم وهي صاغرة، ولقد حدى بغورينغ جنونه إلى أن ألقى خطاباً من تلقاء نفسه بأنه يعطي ضماناً للشعب الألماني بأنه لا تستيطيع أي طائرة من طائرات العدو والحلفاء أن تطير على أرض الرايخ وهو موجود على قيد الحياة.

ولما أن أهدى الإمام يحيى إلى هتلر كمية من القهوة اليمنية قهوة المخا لعلمه بأن هتلر يحب ارتشاف جرعاتها لتوحي إليه ما توحي من أفكار صاعقية، صادرتها مدمرة بريطانية في البحر الأحمر وأذاع راديو لندن بذلك متهكماً فتأثر هتلر من هذا الحادث البسيط وبلغ من تأثره أن أمر المارشال غورينغ بأن يزيد في قصف بريطانيا، فمسحت قنابله بعض مدنها وإزالتها من على وجه الأرض، وأضعف الإمام يحيى الهدية بأن بعث إلى هتلر خمسة آلاف طن من القهوة، وبما أن بريطانيا لم تتوفق مع روسيا فيما قيل، بل قد طرد ستالين وفدها وتحسنت الحال فيما بينه وبين ألمانيا فإنه اليوم يخاف ألمانيا على شعبه، فإذا كانت بريطانيا تقف أمام عدو واحد في الجبهة الغربية وهي كفأر مختبىء في جحر ذي منفذين يقف على باب منفذ واحد قط ضخم في حين أن المنفذ الثاني مفتوح يستطيع الفأر أن يفر منه، فهكذا بريطانيا يمكنها الفرار إلى كندا والولايات المتحدة، فإن ستالين كذب حائر يقف بين صيادين ماهرين لذلك جعل يفاوض بريطانيا، ورأى قبل أن يستحقد هتلر أن يوعز إلى سفيره في أنقرة ليتصل بالسفير البريطاني فيها، فما كان رد بريطانيا عليه إلا مرضياً سريعاً وأنه لم يحدث بين الدولتين روسيا وبريطانيا ما يستحق الذكر، ولا يمكن أن يكون حائلاً دون استئناف المفاوضات، ولما شعر فون بابن صراحة منذ شهر أيلول

١٩٤٠م بأن السفارة الروسية في أنقرة على اتصال دائم مستمر بالسفارة البريطانية أبرق إلى زعيمه هتلر يخبره بالحقيقة ويحذره من مغبة هذه الاتصالات ونتائجها الوخيمة على ألمانيا، فما على هتلر إلا أن يعبئ ألمانيا لمواجهة الخطر الأكبر لهذه الجبهة الشرقية، وهذا الذي يريده تشرشل في فتح هذه الجبهة لتستعيد بريطانيا قوتها بعد أن تستجم من هول هذه الحرب، وسنعود عن قريب إن شاء الله.

وفيها خرج صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود ملك المملكة العربية السعودية بموكبه وجنوده من عاصمة المملكة الرياض وسار يريد مقاطعة القصيم، وكان في صحبته نجله وولي عهده سعود وبقية الأنجال المحترمين، وقبل سيره أصلحت الطريق الرملية لسياراته وقدم الفراشون والخدم ينصبون الخيام في الموضع الكائن في بريدة المعروف بالتغيرة يبعد عن البلد بقدر كيلو ونصف كيلو، فقدمها في موكبه العظيم يحيط به نظام عسكري، وهذا لأول مرة يقدم عاصمة القصيم بالنظام العسكري، وأضيء مخيمه الزاهر بالكهرباء فاستقبله الأهالي استقبالاً عظيماً على حسب ما لديهم من الاستقبال، وهرعت الأمة للسلام عليه والترحيب بقدومه، وكنت فيمن قدم عليه بجملة من التلامذة وطلاب العلم، فقام لأداء السلام كعادته في التواضع، وبعدما أديرت القهوة العربية أخذ يتكلم ويلقي علينا من جواهره فقال:

يا إخواني سبحان من يغير ولا يتغير، وإن الدنيا مآلها إلى الفناء والزوال، ويكفينا عبرةً سكان هذه البقاع الخاوية ـ ويشير إلى جهة الغرب يريد الشماس الموضع المعروف شمالي البلد الذي كان موضع السكنى في الأزمنة الغابرة ـ يا إخواني كأنه لم يسكن، إخواني: إن العز في طاعة الله تعالى، أما الدنيا فإنها تمضي على ما كانت حلاوة ومرارة، نحن لا نخشى من الناس وإنما نخشى من أنفسنا، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وهذه الدنيا وإن حذرنا منها فكلنا لا ننتهي عن الركون أليها كما قيل «الدنيا دواهي وكل عنها ناهي وهو غير متناهي» انتهى، فأحببت أن أشجعه على القيام بأوامر الله وإن كان لم يقصر، رفع الله منازله

في جنات النعيم وجزاه عن الإسلام وأهله خيراً، فقلت له: إن إمام هذه الدعوة محمد بن عبدالوهاب قال لجدكم محمد بن سعود: إن قمتم بهذا الأمر فلا يقاومكم أحد إلا إن كانت هذه العنز تقاوم هذا الجبل، فأعجبه ذلك وتأثر قليلاً: نخشى عدم القيام بهذا الأمر، غير أننا نسأل الله المعونة.

وبعدما تمتعنا برؤية واغتنمنا فرصة مشاهدته قمنا مودعين، فأقام في بريدة أياماً ثم ارتحل منها وخلف ضيافة في بريدة بمرتب عشرة أكياس أرز وأربع صفائح سمن وبعير كل يوم فأصبح فقراء أهل القصيم يترددون إلى الضيافة كل يوم، منهم المتناول بيده والحامل بآنيته، ونفع الله الفقراء بهذا المضيف، وقد فرق نقوداً كثيرة.

ثم إنها عطلت السكة الأولى المتعامل بها وهي الريال الفرنسي وأبدلت بالريال العربي، وجعل لذلك بنك يقبض ويبدل وكان الريال العربي بقدر خمسي الريال الفرنسي، وله نصف وربع كلها من الفضة، أما القرش فكذلك من النيكل.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

فمنهم قاضي عنيزة الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع رحمه الله وعفا عنه، كان شيخاً كبيراً فاضلاً ناسكاً ورعاً سكيناً، فمن روعه أنه كان إذا جلس للقضاء قد يحضر الكتاب للمراجعة ويطيب أنفس المتخاصمين ويحرص على الإصلاح، وقد يرضي أحد الخصمين بشيء من ماله، وكان في صفته أنه يخضب لحيته بالحناء، ومربوع القامة، وبعد وفاته لبثت عنيزة أياماً بلا قاضي.

وممن توفى فيها أيضاً الشيخ حسين باسلامة الحضرمي مؤلف كتاب حياة سيد العرب، وتاريخ النهضة، وتاريخ المسجد الحرام، وتاريخ الكعبة المعظمة، وله غير ذلك، وهذه ترجمته:

هو حسين بن عبدالله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامة آل باداس الكندي الحضرمي المكي، تقدم ذكر ولادته، وتوفى عن عمر ناهز إحدى وستين

سنة، أخذ القرآن والتجويد والكتابة والإملاء والخط والحساب عن الشيخ فرج بن عبدالله سوداني، والشيخ علي المنصوري، والشيخ سليمان بن محمد فرج الغزاوي، وأكمل دراسته على الشيخ محمد الفارسي، والشيخ يوسف اليماني، وتعلم من الشيخ محمد عبيدالله أفندي علم التاريخ والجغرافيا، واتصل بالشيخ محمد شعيب المغربي فأخذ عنه علم مصطلح الحديث والتفسير والحديث وأصول الفقه، ثم بعد ذلك شرع في التأليف، فمنها ما ذكرنا ومنها الجوهر اللماع، والناسخ والمنسوخ من القرآن، وألّف كتاباً في وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير، وكتاباً في تحريم المتعة، وكتاباً في معنى كرامة الأولياء، ونال عدة وظائف منها سكرتير مجلس الشيوخ في عهد الحسين بن علي الشريف ١٣٣٥هـ، وانتخب عضو في المجلس التأسيسي الذي وضع للنظام الأساسي لحكومة جلالة الملك عبدالعزيز ١٣٤٤هـ، ثم انتخب عضواً في المجلس الاستشاري، بعدها بسنة ثم كان عضواً في مجلس الشورى، ثم عين عضواً في لجنة الحج في بدء تأسيسها، ثم كان عضواً في مجلس الشورى، وانتخب عضواً في مجلس المعارف وذلك في سنة ١٣٥٠هـ، ثم انتخب عضواً في هيئة المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين، وذلك في سنة ١٣٥٤هـ، وقد استمر في هذه المجالس الثلاثة يشغل وظيفتها.

وفيها حدث سعال عظيم في الصبيان الصغار وهلك بسببه عدد كثير، فنسأل الله تعالى أن يجبر المصاب ويجعلهم شفعاء لوالديهم.

وفيها وقع خسف عظيم في فلسطين هلك بسببه أموال تقدر بسبعمائة طن، وسقط مائة وأربعون بيتاً، واختلف بسببه من الأنفس البشرية مائة ألف وثلاثون ألفاً، وتشققت الأرض، وجعل يفور منها دخان الكبريت.

وفيها في ليلة ١٥ ذي الحجة كثر الجراد جداً في القصيم وخرج الناس لطلبه، وكثر أذاه.

وحج بالناس في تلك السنة نائب جلالة الملك ونجله فيصل بن عبدالعزيز، وقد عني جلالة الملك بأمر الحجاج، فكان يبعث البرقيات تترى إلى سمو الأمير فيصل للسؤال عن الحجاج وراحتهم في كل مكان نزلوه، وذلك لشدة اهتمامه بشأنهم.

وفيها زحف الجنرال الإنكليزي ويلسن والجنرال كاترو الفرنسي على سوريا فاستولوا عليها وذلك بعدما رأت انكلترا أن تبادر إلى ذلك متعاونة مع قوات فرنسا الحرة، وأعلن كاترو استقلال كل من سوريا ولبنان، فاعترفت انكلترا بهذا الاستقلال، واعترفت الدول العربية بذلك رغم وجود جيش الاحتلال الفرنسي في البلاد.

ثم دخلت سنة ١٣٦١هـ

في أوائل شهر ربيع الأول استسقى المسلمون وسألوا الله الغيث، فلما كان في ٢٥ منه نزل غيث عظيم وهطلت أمطار علىالقصيم، فجرت الأودية حتى تجرفت من السيول، وامتلأت المحاجر وجرى وادي الفاجرة بعدما مرَّ عليه عشرون سنة لم يجرِ، فلم يشعر الأهالي من سكان تلك المواضع إلا بها قد زخرت كالبحر، فانقطعت السابلة من الجهة الشرقية والشمالية عن العاصمة، ودمرت الفاجرة كلما مرت عليه من البيوت والمساكن الكائنة بالخبيب، فعميت آثارها وكان يوضع في تلك المواضع أخشاب كبيرة كثيرة للبيع، فبعدما سقطت البيوت كانت الأخشاب المنصوبة والموضوعة هناك بما فيه من جريد النخل وغيره غثاء من جوانب الوادي، واختلط الحابل بالنابل وامتد الوادي كالبحر تجري به السفن، ولما أن بلغت الفاجرة إلى السادة الحارة المعلومة في بريدة وأشفى أهلها على الهلاك تحيط بالماء كثبان الرمال من الغرب والشرق، والبيوت من الجنوب أوقفها الله اللطيف بعباده، وانقطع جريها من الشمال، وبعث الله ريحاً من مطلع سهيل فتوقفت، وهكذا يصنع كل وادي يجري فإنه يدمر ما في طريقه، ونأمل من الأهالي إجراء ما يلزم نحو هذه الفادحة بأن يتخذوا سداً لتصريف هذه السيول الجارفة أو إجراءها بالأنابيب من منتهاها إلى جهة الشرق لتتمشى إلى العيون.

ولولا قيام أمير بريدة إذ ذاك وترحيله السكان عن البيوت لكان الأمر أشد من ذلك، ومما يجدر بنا ذكره أن أناساً اتفقوا في موضع قبل مجيء ذلك الوادي بخمسة

أيام ودار الحديث بشأن الفاجرة فيما بينهم، فمن قائل: تمنعها السواقي، ومن قائل: تمنعها الحفر التي في طريقها فلا تأتي، حتى أقسم من بينهم رجل جريء بأن لا تجري في الخبيب بعدما جرت من قديم، فما كان سوى خمسة أيام حتى صنع الله ذلك الأمر والله على كل شيء قدير.

وكان القاضي فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم قد سافر إلى الرياض بدعوة من الملك عبدالعزيز لبعض الأمور الهامة فلم يشعر أمام جلالة الملك إلا وهو يحدث الملك بهذه الحادثة التي لم يعلم بها لكونها بعد سفره، وأخبره بأنها هدمت المستشفى في بريدة مبشراً له بهطول الأمطار هناك، وإن المستشفى لا يظن به أمام السيول، وذلك المستشفى المشار إليه كان عبارة عن موضعين في الخبيب يفصل بينهما الشارع العمومي قد جلبت الحكومة إليه أطباء ماهرين في السنة الماضية من ضمنهم محمد علي الطباع، كان جراحاً له في القصيم أحسن الأثر في أعماله، وآخر يدعى الشواف يعالج في البصر ويلتحق بهما مساعدون وفراشون وخدم، وقد أعيد بعد ذلك المستشفى وأبعد عن مواقع الخطر، غير أنه فقد أولئك المهرة وخلفهم أناس أقل منهم.

وفيها جعل الملك عبدالعزيز في قضاء عنيزة محمد بن عبدالله بن حسين أباالخيل، فسار إلى البلد وباشر مهمته فيها، وكان يروم معالي الأمور ويريد من الأمة بها القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غير أنه لما لم تساعده الظروف استقال من وظيفته وحصلت له العافية، ثم إنه جعل جلالة الملك على قضاء عنيزة فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عودان من أهالي الجنوب، ولما أن قدمها استطاع بسياسته ولين عريكته أن يتحبب إلى الأهالي ويسودهم بعقله وعلمه، واستمر في القضاء، وقد أكمل المسجد الجامع في عنيزة وتمت العمارة في هذه السنة.

وفيها بعث الملك عبد العزيز مساعدات للمزارعين على طريق القرض ذهباً وقمحاً لكل كيس من القمح ثلاثون ريالاً، فانتعش المزارعون فجعلت هيئة

للتقسيم، وكان قدومها في مبدأ شهر شوال، ورجعت السيارات الضخمة التي حملت المساعدات المذكورة في ١٩ منه تحمل كمية من الحجاج بأجر زهيد، فسبحان من منح ذلك الملك التوفيق، ولقد كانت الأسعار إذ ذاك مناسبة في الرخص بحيث كان كيس الأرز من الفورة الطيبة لا تزيد قيمته عن ستة وثلاثين ريالاً، أضف إلى ذلك بقية الأسعار، وهذا غريب في وقت الحرب العظمى التي لا تزال طاحنة رحاها، وحج بالمسلمين في هذه السنة جلالة الملك عبدالعزيز، وممن حج فيها من الأعيان أخواه سعود بن عبدالرحمن، وأحمد بن عبدالرحمن، ونجل الملك محمد بن عبدالعزيز، وسعود بن عبدالله آل سعود، وعبدالعزيز بن فيصل آل سعود، ومحمد بن سعود، وفيصل بن تركي، وفيصل بن عبدالله، ومحمد بن تركي وغيرهم.

وممن حج فيها من الأعيان: الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وهذه آخر حجة حجها رحمه الله على ظهور النجائب هو ورفقته.

تنبيه

قد أشرنا فيما تقدم إلى انضمام اليابان إلى المحور وذلك منها تحذيراً للولايات المتحدة من الانضمام إلى الحلفاء، ولما رأت تصميم روزفلت على مد الحلفاء أرسلت اليابان وفداً رسمياً للمفاوضات وإزالة أسباب الاحتكاك بين الدولتين، وبينما كانت المفاوضات دائرة بين الفريقين انقضت قاذفات القنابل اليابانية على حاملات الطائرات في صباح ٧ ديسمبر ١٩٤١م دون إنذار، وأمطرت بالقنابل الأسطول الأمريكي الراسي ساعتئذٍ بقاعدته البحرية الكبرى في بيرل هاربر بجزر هاواي، فحطمت أكثر قطعه، وبذلك قضت اليابان بضربة واحدة على التفوق البحري الأمريكي في ذلك المحيط وقامت كتائبها تبحر على جناح السرعة من مستعمرة الهند الصينية الفرنسية وتنزل دون مقاومة في شمال شرق الملايو وفي سيام، فأعلنت الولايات المتحدة الحرب فوراً على اليابان، وذلك في الحادي عشر من كانون الأول ١٩٤١م، فأعلن هتلر في اليوم نفسه الحرب على أمريكا، كما أن

إيطاليا أعلنت الحرب عليها، وبذلك أصبح القتال يعم قارات العالم كلها ما عدا أمريكا الجنوبية، وتقدم اليابان حتى أصبحت جيوشهم تطرق أبواب الهند، وطرد اليابان القوات الأمريكية بعد نضال عنيف من جزر الفلبين واستسلمت قواتها للعدو الظافر، ولكن القوات الأمريكية بعد سقوط أول قنبلة على مينا بيرل هاربر جندت جميع إمكانياتها للحرب فبدأت معامل الصناعات تعمل لمدة ٢٤ ساعة كل يوم، ووجه روزفلت إلى الكونغرس الأمريكي في كانون الثاني للكشف عن منهاج التسلح الذي لم يجهله العالم، فأنتجت معامل أمريكا ستين ألف طائرة وخمساً وأربعين ألف دبابة وعشرين ألف مدفع مضادة للطائرات، وجندت خمسة وعشرين مليون مقاتل في هذه السنة المذكورة، ولسان روزفلت الحالي يقول:

ألا لا يجهلـــــن أحـــــداً علينـــــا　　　فنجهـــل فـــوق جهـــل الجاهلينـــا

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم الأمير أخو جلالة الملك عبدالعزيز وهو محمد بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي الهمام المقدام وابن السادة الكرام، كان شجاعاً فاضلاً، وممن باشروا الفتوحات مع أخيه الملك، بل هو أحد النقباء الذين سطوا على عجلان وذويه وجرعوهم كؤوس الحمام، كان أسنّ من الملك ومأمون التقلبات، تقياً ناسكاً مهيباً، يسير بأوامر صاحب الجلالة أخيه، بل كان عوناً له في مهمات الأمور وعضده الأشد، وحضر معه جميع حروبه، وعاش عزيزاً ومات عظيماً، ولما توفي صلى عليه المسلمون في سائر الأقطار بالنية، وكتب الملك كتاباً إلى سائر الرعية بأن من كان له دين على أخيه أو حق قديم أو حديث فليتقدم بحجته لقبض ماله عليه، وكان له من الأولاد خالد، وقد توفي قبله كما تقدم، وله فهد بن محمد، وكان فهد صائداً ماهراً، ومن أنبل آل سعود، وهذه صفة المترجم:

كان ضخماً طويلاً عليه آثار النجابة والمكارم والشجاعة والعظمة والتقدير.

وممن توفي فيها من الأعيان أيضاً نائب الحرم الشريف ومدير الأوقاف العام،

ورئيس لجنة الصدقات في مكة المشرفة عبدالوهاب، وكانت وفاته يوم عيد الأضحى، فالله المستعان.

ذكر الحرب مع روسيا

قد أشرنا فيما تقدم أن ستالين زعيم روسيا قد جس نبض تشرشل في حمأة هذه الحرب الجوية الطاحنة بغية استئناف المفاوضات معه، وكان تشرشل قد ضاق ذرعاً بالغارات الجوية الألمانية، فلقد أصيب البرلمان والمتحف بأضرار بالغة .. لندن تحترق وزالت مدينة كوفنتري من عالم الوجود، والمستقبل لا يبشر بخير، حتى أن تشرشل نقل الماغنا كارتاً نص الدستور البريطاني إلى كندا، ولما أن انتهت معركة الجبهة الغربية بانتصار ألماني ساحق، وخرج هتلر من هذه المعارك ظافراً منتصراً أدهش ذلك ستالين الذي لم يعقد مع هتلر معاهدة الدفاع المشترك إلا ليورطه في معارك طاحنة مع الدول الغربية تكون وسيلة لإضعاف قوى ألمانيا العسكرية، وتوزيع الجيش الألماني على جبهات متعددة طويلة الخطوط، فهتلر ظهر بهذا المظهر يقول لبريطانيا: هلمي بنا إلى كلمة سواء بيننا، فإما صلح وسلام دائم، وإما حرب وخراب دائم، كان ستالين يحترق غيظاً وحنقاً على هتلر في تلك الانتصارات الصاعقية الخاطفة وقلب ظهر المجن، وما كان هتلر ليتجاهل بأن ستالين إمام المذهب الشيوعي أفسق وأكذب سياسي عرفه العالم في التاريخ الحديث، ولكنه لما رأى رفض تشرشل مفاوضة النازيينساير ستالين وعامله معاملة ظاهرة ينوي تنفيذها وإن كان رفيقه بضدها، وكان الذي اكتشف نوايا ستالين بأنه يسعى لعقد تحالف مع بريطانيا وحلفائها هو الحاج أمين الحسيني، ورشيد عالي الكيلاني، لذلك قرر هتلر الهجوم على روسيا وتعبئة الجيش الألماني وحشده ضد ستالين، وأصدر أمره الرسمي رقم ٢٠ بتاريخ ١٠ كانون الأول ١٩٤٠م إلى قادة جيوش الرايخ بلزوم الاستعداد للهجوم على روسيا الشيوعية الخائنة، وعقد الزعيم هتلر مؤتمراً دعا إليه قادة الجيوش الألمانية وعلى رأسهم الجنرال فون براوخيتش رئيس أركان

الحرب العامة في قصر المستشارية يوم ٢ شباط ١٩٤١م، ولما عرض عليهم مشروعه الجبار ساد الصمت قاعة الاجتماع، ولم يتجرأ قائد ألماني على أن ينبس ببنت شفة، واتجهت الأنظار إلى الجنرال فون براوخيتش الذي كان يخط بقلم الرصاص الذي بيده عبارة غيرت مجرى التاريخ، فالتفت إليه هتلر وهو يصيح بصوت عالي وبعصبية ظاهرة: ماذا تقول يا جنرال؟ فقام فون براوخيتش رئيس أركان الحرب العامة الألمانية وأدى التحية العسكرية لهتلر ثم تقدم إلى منصة الزعيم والأبصار شاخصة إليه، والجمع ساكت كأن على رأسه الطير، وقدم إلى هتلر الورقة التي كتب عليها بقلمه الرصاص، وهنا انفجرت مراجل غيظ الزعيم هتلر وهبَّ من مقعده ساخطاً ناقماً وهو يصيح لقد صدق ظني فيكم يا أيها الجنرالات، إنكم تخونونني في وقت الحاجة إليكم، أنا لا أقبل استقالتك يا جنرال فون براوخيتش، إن استقالتك طعنة نجلاء في صدر جيوش الرايخ، طعنة لا يستطيع ستالين أن يركز مثلها في صدر جيشي لا أقبل .. أفهمت لا أقبل، وصمم على الاستقالة، ولما لم يفد الكلام شيئاً وأبدى الجنرال عذره عيّن هتلر مكانه الجنرال كايتل، وفي الخفاء تقرر الهجوم على روسيا في ٢ شباط ١٩٤١م، ولا يلام هتلر فإن هؤلاء الحمر يأتمرون منذ عدة أشهر بهتلر للهجوم عليه، فأراد هتلر أن يتغدى بستالين قبل أن يتعشا به، وأعتقد أنه على أثر انتصاراته الصاعقية الخاطفة في الجبهة الغربية قد كانت الجبهة الشرقية الروسية مفتوحة أمامه.

ذكر نصيحة قواد الجيوش الألمانية لهتلر ورفضه ذلك

لقد كانت الجيوش الألمانية موزعة تحت قيادة الجنرالات الهتلرية في الغرب والشرق ينفذون الخطة التي رسمها لهم ويتعاونون تعاوناً تاماً يدعو إلى التقدير والإعجاب، ولما أصدر أمره بالزحف على روسيا صار الرأي العام السديد عندهم بأن الحرب مع روسيا ستكون حرباً خاسرة، واجتمع القادة وعلى رأسهم الفيلد مارشال فون روندشتيت، والفيلد مارشال فون براوخيتش، والجنرال هالدر،

والجنرال كوسترينغ الذي كان ملحقاً عسكرياً لألمانيا في موسكو، وعرف روسيا جيداً، وارتبط مع ستالين بصداقة شخصية وأجمعوا على الوقوف ضد الهجوم على روسيا منذ البداية، وقدموا نصيحة خالصة لهتلر بأنه إذا كان مصمماً تصميماً جدياً للهجوم على روسيا الشيوعية فإن عليه قبل كل شيء أن يعقد صلحاً عاجلاً مع بريطانيا، وبناء على ما تقدم فإنه وقف هتلر أمام أعضاء الرايخشتاغ النازي يلقي خطابه المشهور الذي عرض فيه لأول مرة بعد تسليم فرنسا على بريطانيا الصلح حقناً للدماء في الغرب، وكان يعتقد بأن في استطاعته أن يصنع ميونخ جديدة يحمل فيها بريطانيا على التسليم بمطالبه وعقد صلح معها، ولكن المستر تشرشل الذي تسلم الحكم في بريطانيا بعد حكومة سلفه تشمرلن قد تعلم الدرس الكافي من محاولة ميونخ، وأصرَّ على مواصلة القتال، ولقد صرح الفيلد مارشال فون روندشتيت بأن الحرب مع روسيا هي فكرة جنونية، وإذا كان هتلر لا يتجنب هذه الحرب فلمرارتها وقسوتها تكون بضعة أشهر لا تكفي لقهر روسيا، فعلينا أن نستعد لحرب طويلة، وأن نسير نحو أهدافنا خطوة خطوة، وإن صيفاً واحداً لا يكفي لكسب النصر، وفي ذلك الحين زار برلين الرحالة الأسوجي الشهير سفن هيدين وكان من أكبر الشخصيات الأوربية التي تعطف على ألمانيا، فروى أنه التقى في ستوكهلم بتاجر إنكليزي كبير استنكر الحرب بين ألمانيا وإنكلترا وطلب هذا التاجر إلى سفن هيدين أن يدبر له زيارة خفية إلى برلين لكي يقابل هتلر ويقول له: اركب إلى لندن وقابل وزرائنا وقل لهم هائنذا، إن الاستمرار على القتال فيما بيننا هو ضرب من الجنون لا يفيد منه إلا روسيا عدوتنا وعدوتكم لكي تسحقنا فيما بعد الواحد تلو الآخر، هلموا فلنضع يدنا بأيديكم ولنتعاون بإخلاص من جديد، وهنا سأله سفن هيدين حسناً ولكن ماذا يحدث إذا اعتقل الإنكليز هتلر حتى نهاية الحرب؟ فأجابه الإنكليزي أبداً إن الإنكليز سيتأثرون بشجاعة هتلر ويتفقون معه، فلما أن سمعها هيس اغتر بها وبدأت الفكرة تجول في دماغه ليطير إلى الإنكليز فمنعه هتلر، وكاد بالرغم من ذلك أن يسافر على أثر زيارة مولوتوف وزير خارجية

ستالين لبلين، ولما أن صعد هيس الطائرة في كانون الأول ١٩٤٠م أصيبت بعطب بعد قليل فعاد بها إلى المطار وأوعز بتعديل بعض أجهزتها، ولما بدأ التوتر يشتد بين ألمانيا وروسيا اعتقد أن ساعة الصفر قد اقتربت، فطار نهائياً في ١١ أيار ١٩٤١م وحلق نحو اسكتلندا ليهبط هناك بالمظلة قرب قصر دوق هاملتون وهو يتخيل أنه سيجتمع بأركان الحرب ويعقد الصلح على أهون سبب، ولما نزل منكسر الساق بالمظلة وعرض الصلح اعتقله الإنكليز وسجن، ولما علم هتلر بسفره جعل يهز قبضتيه بعدما أيس من إدراكه قبل نزوله هناك، واستمر هياجه هذا المعتوه .. هذا المعتوه لن يستطيع في هذه الحركة أن يتوصل إلى اتفاق مع إنكلترا.

ولا ريب أن استقالة رئيس أركان حربه الذي لم يخسر معركة واحدة في خلال سنتين قد أثرت تأثيراً شديداً في نفسية هتلر، فلقد تخلى عنه القائد الفحل وأصرَّ هتلر على الهجوم على روسيا لما قام به ستالين من التآمر ضد الرايخ لفتح جبهة ثانية في الشرق لغزو ألمانيا غزواً مفاجئاً وطعنها من الوراء شأن الجبار الغادر الرعديد، لذلك قام هتلر يدرس مع أركان حربه خطة هجوم على روسيا في قاعة الخرائط، ولا نهمل حزمه وسياسته فإنه أراد أن يسكن روسيا حتى يسيطر على الغرب ثم يلتفت إلى الشرق، وكان نجاحه باهراً، ولما ضايقته خيانة ستالين ولم يتوفق لعقد الصلح مع بريطانيا التي أصرت على مواصلة القتال بالرغم عن ضعفها المهلك إذ ذاك وقوة هتلر المخيفة، أدار هتلر سفينة الرايخ الثالث نحو الشرق وسلطها على رمال روسيا ووحولها وثلوجها، وحشد خمسة ملايين من فلول الجيوش الألمانية ووضعها أمام الجيوش الشيوعية التي كان عدد جنودها سبعة ملايين، وهم ليس كالجنود الألمانية الذين أهلكت قواهم حروب الغرب، فأربعة وعشرين شهراً في المعارك الغربية هدت حيل الجيوش وأنهكت قواها، فكيف يراد منها أن تكلل جهودها في الجبهة الروسية، كان السلاح الجوي الألماني في حالة إرهاق بعد أن دوّخ الغرب فيحتاج لوقت طويل للراحة وإعادة التنظيم.

ولقد قام هتلر يشجع قواده ويعدهم بالنصر تارةً ويتهدد ويتوعد أخرى، وقد

يرغي ويزبد، حتى قال لغوبلز: إنني سأنتزع النصر انتزاعاً في روسيا وأسحق ستالين والحزب الشيوعي وأدخلك موسكو لتذيع أنباء النصر الألماني الأكبر، ولكنني سأهدم الكرملين وأزيل أثره من عالم الوجود، أفهمت .. غير أن غوبلز كغيره من زعماء الألمان يبدي الهلع والخوف من الحملة على روسيا، بل كان يعتبر الرايخ منذ الآن فصاعداً في خطر، ومن كلام رئيس أركان الحرب الجنرال فون براوخيتش لما سأله هتلر عن أسباب استقالته لما استقال أن حشرج وأطلق حسرة من فمه كحشرجة المحتضر وقال:

يا زعيمي يقول بسمارك إن من يهاجم روسيا مصيره الزوال، إن أمامنا مثل نابليون وجيشه الكبير، فأجابه هتلر: ومن بسمارك، إن العهد الذي أوصى فيه بسمارك قد تبدل اليوم، فلقد مضت على وصيته نصف قرن وتبدل وجه روسيا.

ضرب روسيا وانتصار الزعيم هتلر

نشير إلى جيش الفريقين فنقول:

يقدر جيش روسيا في تلك الجبهة بـ ١٦٠ فرقة للمشاة و٣٠ فرقة فرسان و٣٥ فرقة آلية ودبابات، وإن قسماً من هذه القوات يرابط في جبهة الشرق الأقصى أمام اليابان ويقول التقرير بأن مجموع الجنود الروس الذين يمكن سوقهم إلى صفوف القتال يقدر باثني عشر مليون جندي، وأن قوة الدبابات والسيارات الآلية تفوق عدد دبابات الرايخ ولكنها تقل عنها فنياً وحربياً.

أما الأجهزة الحربية الأخرى قيل عنها بأنها جيدة غير أن القوات الجوية والقوات البحرية الروسية لم تكن بذات أهمية، ونشير إلى أن المعلومات عن الحالة الداخلية لها كانت ناقصة فلا يمكن الوصول إليها، والمجاهدون في هذه الجبهة سبعة ملايين، أما الجبهة الألمانية فمجموعة جيوش الجنوب بقيادة الفيلد مارشال فون روندشتيت وهي تتألف من جيش الدبابات الأول الذي يقوده الجنرال فون كلايست يدخل في ذلك الجيش الحادي عشر المرابط والجيش الهنغاري والجيش

الألماني السابع عشر المرابط في شمال جبال الكاربات بقيادة الجنرال فون شتو ليناغل والجيش الألماني السادس إلى غير ذلك.

أما جيش الوسط فبقيادة الفيلد مارشال فون بوك وكان مجموعة تعتبر من أقوى وأنظم الجيوش الألمانية المزعجة، غير أن القيادة الشيوعية لم تجرؤ على القيام بمثل الكبرى المؤدية إلى موسكو، وكان مجموع جنودها يتألف من ٣٠ فرقة للمشاة و١٥ فرقة للقوات الآلية وللدبابات وللفرسان، وكان يقف أمام هذه القوات المخيفة المارشال الروسي الشيوعي تيموشنكو بقواته التي تزيد على القوات النازية من الناحية العددية، أما مجموعة الجيوش الشمالية فيقودها الفيلد مارشال ريترفون ليب يساعده قادة الجيش الألمانيين السادس عشر والثامن عشر بقيادة الجنرالين بوخ وبوشلر، وكذلك الجيش الآلي الرابع بقيادة الجنرال هوبنر، وكانت مواقع هذه الجيوش الألمانية تمتد من ميناء ميميل على بحر سوالكي، وكان المفروض على هذه الجيوش احتلال مدينة لينيغراد والتقدم منها نحو الجنوب.

القوة البحرية

إن كل مجموعة من الجيوش الثلاثة الآنفة الذكر كانت لها قوة جوية خاصة، وكانت هذه القوات الجوية مؤلفة من الأسطول الجوي الرابع بقيادة الجنرال لوهر وهو ملحق بمجموعة الجيوش الجنوبية والأسطول الجوي الثاني وهو الأقوى في هذه القوات الجوية بقيادة الفيلد مارشال كيسلرينغ لمساندة مجموعة جيوش الوسط، ومجموعة جيوش الجنوب المتقدمة تتألف من ٢٥ فرقة للمشاة، ومن ٤ فرق آلية و٤ فرق للدبابات، ومن ٤ فرق للمشاة الجبليين القناصة.

ولما وقعت الواقعة كانت شديدة الوطأة علىروسيا، فلقد انهارت خطوط الدفاع الروسية في ساعات معدودة وتغلغلت قوات الرايخ الألماني داخل أوكرانيا بسرعة البرق الخاطف، وكانت الدلائل كلها تشير إلى أن الرايخ الثالث بقواته الفتاكة كان ينتقل من نصر إلى نصر على طول خطوط القتال، وأصبح هتلر نفسه

شديد الاعتقاد بأن النصر النهائي حليفه، كما أصبح في متناول يده، وبأن روسيا لن تقوى على المقاومة أكثر من شهر أو شهرين.

وكانت النتيجة في واقعة فياسما اقتياد ٦٥٠ ألف أسير من روسيا واغتنام خمسة آلاف مدفع و١٢٠٠ دبابة، وأمر هتلر على المارشال فون بوك أن يعد فرق الهندسة لتقوم بتخريب الكرملين ساعة دخول الجيش الألماني إليها ظافراً، واعتقد الجيش بعد هذه الكارثة أن الجيش الأحمر في طريق الإبادة والفناء، وبأن أبواب موسكو قد انفتحت لاستقبال جيوش هتلر، وألقى الله الرعب في قلوب الجنود الروسية وبقوا واجمين بدون حراك في انتظار التسليم، فالأسر ولكن أنى وهيهات وأمر الله واقع لا محالة.

ولما أن انتقلت القيادة العامة من مدينة إلى مدينة وتقدمت حتى لم يكن بينها وبين موسكو عاصمة روسيا سوى مائة ميل وذلك بتاريخ ٢ أيلول ١٩٤١م، ولم يبق أمام قوات الرايخ الثالث إلا عدد هزيل من مواقع الدفاع وجعل الجيش الألماني يمني نفسه وهو على أبواب موسكو بقضاء عطلة عيد الميلاد وعيد رأس السنة بين الأهل والأصحاب في برلين إذا بعدوين أحاطا بجيش ألمانيا هما تساقط الثلوج وإمداد بريطانيا لحليفتها الروس، هذا وقد كانت الجيوش الألمانية في حالة يرثى لها من شدة التعب والنصب واستمرار قراع الكتائب والجحافل، وصار لسان الحال فيهم يردد قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

ولما احتلت جيوش هتلر روسيا الأوربية وشبه جزيرة القريم، وثلاثة أرباع القفقاس اتجهت الحركات الاستقلالية التي كانت تعمل سراً في تركستان المسلمة، وفي أيبيل أورال وشبه جزيرة القريم نحو الزعيم هتلر يعلقون آمالهم بعد الله عليه، ذلك لما قاسوه من جبروت ستالين ومظالم الشيوعية وتنكيلها بأربعين مليوناً من المسلمين، ورأوا هتلر كمنقذ هبط عليهم من السماء ليساعدهم على التحرر والتخلص من كابوس الاستعمار الشيوعي، ووصلت برلين عدة وفود لمفاوضة

حكومة الرايخ الثالث وهم يتعهدون بمساعدة ألمانيا بكل ما يملكون لسحق روسيا، ورفعوا وثيقة إلى هتلر يشكون إليه فيها الشيوعية وما ارتكبوه من الأفعال الوحشية ضد الإسلام وأهله من حرمان العلماء والأئمة والمؤذنين حقهم، وإغلاق المساجد وغير ذلك من الضغط الشديد، ولسوء حظ هتلر رفض مفاوضة الوفود ووضع في أذنيه وقراً عن سماع شكاياتهم، ولو أن هتلر بادر في إبادة روسيا لنجح ولكنه أضاع ستة أسابيع تمكن فيها ستالين من إقامة جيوشه خطوط دفاع عميقة وسط الأدغال والأحراش المحيطة بموسكو من جهتها الغربية، وحشر الألوف المؤلفة من العمال لذلك بعدما نقل السفارات والمفوضيات الأجنبية منها إلى مكان ما في الشرق، وأصرَّ هو على البقاء في موسكو وصمم على الدفاع عنها حتى النفس الأخير، هذا والجنود الألمانية محاصرة لموسكو فلم يكن بينها وبين العاصمة أكثر من طلقة مدفع، وفي هذه المحنة ظهرت في ميادين القتال لأول مرة الأسلحة المرسلة من بريطانيا وحليفاتها إلى روسيا، وجاءت معونة بريطانيا وحليفاتها إلى ستالين المنهزم المغلوب وأنقذته وجيوشه من الفناء المحتم وتساقط الثلوج، وأصبح جيش الألمان يلتحف السماء ويمشي على الأرض ودرجة برودتها ٣٠ تحت الصفر في الأوحال والأمطار والزمهرير لأن شتاء روسيا قاتل.

ولما هجم الشتاء بقره وببرده وثلوجه وصقيعه على الجيوش الألمانية وصارت تغطس إلى الأذقان في الوحول والمياه والمستنقعات المجمدة ما كان هتلر يحلم إلا بنصر عاجل شامل في خلال بضعة أسابيع، ولم يكن قد أعد عدته لتجهيز جيوشه بملابس الشتاء، فلقد كان ينقص جيشه الغازي الملابس الدافئة والغذاء الدافئ الذي لم يستحضر سلفاً لهذه المعارك الدائرة على خط قتال يبلغ طوله ثلاثة آلاف كيلومتر، وبما أن قادة الجيش الألماني كانوا قد فكروا في إعداد ملابس شتوية وتهيئة أكثر من عشرة ملايين ملابس للجنود وذلك في حين الزحف فإن هتلر لم يوافق لظنه أنه يكسب الحرب والانتصار في حرب صاعقية خاطفة، كما تم له في الغرب، وما كان في حسبانه أن يعود عشرات

الألوف من جنوده قد بترت أيديهم وأرجلهم من البرد الذي جمد أطرافهم، فلم يفدها الطب الحديث بعلاج ولم ينفعها إلا البتر، وإن الواجب أن تعبأ السكك الحديدية والطائرات لتغذية وتجهيز الجيوش النازية، فقد تعبت الحيوانات التي تجر عربات نقل الذخائر بين الأوحال والثلوج، فجيوش المشاة التي قطعت أراضي روسيا من واشو على نهر الفيستولا في بولندا إلى نهر نافا المتاخم لموسكو قد مشت هذه الطريق الوعرة الجرداء المهلكة سيراً على الأقدام تتبعها المؤن والذخائر المنقولة على ظهور الخيل التي هدت الأبعاد الشاسعة حيلها وأفناها طول المدى وقلة العلف وندرته قد صارت في حالة يرثى لها، فقد تساوى الإنسان والحيوان، وفي مساء ٢١ كانون الثاني أذاعت ألمانيا بياناً للدكتور غوبلز يحث فيه الشعب الألماني والشعوب الصديقة بجمع الملابس الشتوية لجنود ألمانيا المرابطين، فهبَّ الشعب الألماني وتبرع بمائة مليون كسوة للجيش الألماني المرابط في روسيا.

معركة موسكو

لما جاءت الإمدادات من بريطانيا لموسكو عن طريق الإعارة والتأجير أحدثت الأسلحة البريطانية من الدبابات والمدافع الثقيلة خوفاً سيئاً لدى جيوش الرايخ الألماني، فلقد شعرت القوات الألمانية بأنها عارية وغير قادرة على الدفاع أمام هذه الأسلحة الجديدة، ففي مدينة فيريا اجتاحت الدبابات البريطانية خطوط الدفاع الألمانية وهي لا تلوي على شيء، ولم تستطع القوات الألمانية التحرش بها، وبقيت القوات الألمانية التي كانت تتوثب لدخول موسكو مذهولة وعاجزة عن أن تتقدم خطوة، وبالرغم عن ذلك فإن الفيلد مارشال فون كلوغة أمر قواته الآلية بالتقدم نحو موسكو فاحتلت مدينة كلين الواقعة على بعد ٥٠ ميلاً من موسكو، ووصلت طلائع قواته موسكو، بل أقامت لها جسراً على قناة موسكو فافولفا في شمال موسكو العاصمة، وصارت قوات هتلر تشاهد أسوار موسكو القيصرية القديمة

وجدران الكرملين العالية من ضاحية أوسرتيكوي، غير أنه صدر أمره بعد ذلك بوقف القتال علماً منه بأن مواصلة القتال في ظروف ثلجية قاسية ليس من المصلحة، هذا وقد احتلت بريطانيا وروسيا بلاد إيران عقب حركة مارس العراقية ١٩٤١م، تلك الحركة التي كلفت العراق غالياً من الرجال والأموال وحطمت قوى الجيش العراقي كما أسلفنا، وشرعوا في الحال بإنشاء سكة حديدية من البصرة إلى أذربيجان عبر إيران لإمداد الجيوش الشيوعية بالأجهزة والإمدادات الحربية الثقيلة خاصة، ثم بعد أن رؤى بأن هجوم كانون الأول المتقدم على الجيوش الهتلرية لم يؤدِ إلى النتيجة المطلوبة، ولم يسحق قوات هتلر بل فشل ستالين وعاد أدراجه وهو يحمل إلى الكرملين خفي حنين، قامت قيامة روسيا وراحت تطالب الحلفاء بريطانيا وأمريكا بفتح جبهة ثانية على هتلر، فأخذت إمدادات الحلفاء في خريف عام ١٩٤٢م طوفاناً هائلاً توقف لها الزحف الياباني على أبواب الهند وحدث مثل هذا في ميدان شمال أفريقيا، فقد توقف زحف روميل عند العلمين وأنزل الأمريكيون والبريطانيون قوات كبيرة هناك، ولما أن تراجع القائد الألماني المارشال فون كلوغة قام المارشال الروسي جوكوف بعد تراجعه بثلاثة أيام وهجم على جيوش هتلر وقادها من معركة ستالينغراد، وكان هجومه عنيفاً إلى درجة بعيدة، حتى أنه حطم أجزاء الجبهة النازية المرابطة في العراء أمام موسكو.

ومن العجائب أن هتلر أهمل تقوية الجبهة، فبالنظر إلى هذه الحالة القاسية التي لا تبشر بخير قرر المارشال فون كلوغة بعد اجتماع عقده مع رؤساء أركان حربه أن يأمر الجيش النازي الرابع بالانسحاب، غير أن هتلر أصدر أمراً جديداً إلى قيادة الجيش النازي الرابع بالهاتف اللاسلكي يقول فيه:

إن على الجيش الرابع أن لا يتراجع شبراً واحداً إلى الوراء مهما كلف الثمن، وبما أنها هبطت درجة الحرارة إلى ٤٢ تحت الصفر فإن جيوش ستالين كان حظها في أوحال الشتاء وثلوجه ومصائبه لم يكن بأقل من حظ جيوش هتلر في التعاسة والنكبة، فلقد كانت الكفة متوازية، غير أن الشيوعيين يتحملون برد بلادهم

ويعرفون شعابهم، وما زالت تلك المعارك متطاحنة، فلا المارشال جوكوف قد استطاع أن يسحق القوات النازية ويجلوها عن حصار موسكو، ولا المارشال فون كلوغة قد تمكن من احتلال العاصمة الشيوعية موسكو، هذا وما كان الشعب الألماني ليعلم حقيقة الحال، غير أن الزعيم هتلر قد عجت إذاعته بنصر ألمانيا، واستمرت الحال إلى مساء ٢١ من تشرين الأول ١٩٤٢م.

فهذا ما يتعلق ببعض المقصود، ونرجع إلى بقية أخبار السنة.

ففي آخرها نقل الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش من قضاء حائل إلى مكة المكرمة وشفع بالشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع يشاركه النظر في مسائل القضايا الشرعية في الحجاز، فكانا متعاضدين في العمل الذي يباشره ابن مانع وخلفه في قضاء حائل الشيخ حمود بن حسين الشغدلي، فالله المستعان.

ثم دخلت سنة ١٣٦٢هـ

ففيها أعيدت في سوريا الحياة النيابية وشكلت حكومة وطنية وانتخب الرئيس شكري القوتلي رئيس للجمهورية، فاستمرت الحال حتى انتهت الحرب.

وفيها توالت الغارات التي شنها السلاح الجوي البريطاني على برلين وعلى أمهات المدن الألمانية، وهي أول غارة شنيعة من نوعها خربت زهاء خمسة آلاف عمارة، وكانت تحاول في أول الأمر شل أيدي العمال عن العمل لأن جلّ مصانع الأسلحة والذخيرة كانت قد نقلت إلى سراديب شيدت خصيصاً تحت الأرض، وبقيت حتى نهاية الحرب سالمة، وجعل هتلر يتظاهر بأنه لا يعبأ بذلك وأنه سيتخذ وسائل من السلاح الحديث ما يبطل تلك الغارات.

هذا وقد انصبغت الثلوج فوق أرض روسيا الحمراء بالدماء من الفريقين، ولما أن أنزلت الحلفاء قواتها في فرنسا وتغلب الجنرال مونغمري قائد الجيش البريطاني الثامن في طرابلس ليبيا على الفيلد مارشال رومل وأكرهه على أن يتراجع بجيشه إلى تونس العربية، أمر هتلر بتخريب باريس وإحراقها يوم أن أبلغ الحاكمان

العسكري والمدني بلزوم انسحاب القوات الألمانية المسلحة منها والتراجع أمام جيوش الحلفاء بقيادة الجنرال إيزنهاور المتقدمة ببطئ نحو باريس، فسارع الرجال إلى وضع الألغام والمفرقعات والقنابل المؤقتة تحت جميع مداخل باريس والثكنات والجسور، وفي كل مكان هناك، وأراد هتلر أن يمحق جيوش الحلفاء في قلب باريس ويخربها ويدفنهم فيها، غير أن هذا الأمر لم ينفذ وأزيلت الألغام ورفعت القنابل والمفرقعات قبل ست ساعات من دخول جيش الحلفاء.

وفيها اشتدت المؤونة وغلت الأسعار جداً، وتناهت الأطعمة في الغلاء حتى بلغت قيمة صاع الأرز عشرة ريالات، وبيع البعير بـ ٧٧٠ ريال بعدما كانت القيمة ٣٠٠ ريال، وصاع البر بثلاثة ريالات بعدما كان بريال ونصف، وهكذا البقر والغنم، وانتهت الثياب والقماش بالغلاء وانسدت أبواب البحور، لأن البواخر والسفن على خطر من العطب، ومن الأسعار ما زادت قيمته أربعة أضعاف، وقد بعث صاحب الجلالة عبدالعزيز بن سعود مساعدات للفلاحين والمزارعين، كما قد بعث سيارات يحج فيها الفقراء، وهذا الغلاء واشتداد المؤونة إنما وقع بسبب شؤم الذنوب والمعاصي، نستغفر الله ونتوب إليه.

ذكر وفاة قاضي بريدة الشيخ عمر بن سليم

رفع الله منازله في جنات النعيم ووقاه بمنه حر الجحيم، ففي شهر محرم ابتدأ مرضه وكان شبيهاً بالسل، فما زال جسمه في انحطاط حتى توفاه الله في يوم ١٦ ذي الحجة، وهذه ترجمته:

هو الشيخ القاضي الإمام العالم العلامة أبو عبدالله عمر بن محمد بن عبدالله بن سليم، وتقدم ذكر نسبه، الحبر النبيل والألمعي الجليل، الإمام البلتع، والجهبذ الكبير الذي اتفق على تقديمه الخاص والعام، العظيم السميدع المقدام، الماهر في العلوم والنابغ في المنثور منها والمنظوم، شيخنا وأستاذنا فأعظم بمصابه على أهل الإسلام لأنه ركن عظيم آل إلى الانهدام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد:٤١]، وقد أحببت أن أرتب ترجمته في عشرة أبواب.

الباب الأول: في ولادته ونشأته

ولد رحمه الله عام ١٢٩٨هـ، فتربى في كنف والده الكبير الشيخ محمد، وكان محبباً لديه فنشأ على العفاف والذكاء وحسن الأخلاق والطهارة والعبادة، فتعلم القرآن حتى مهر فيه، وحفظه عن ظهر قلب، وأخذ في الدراسة على والده الشيخ محمد بن عبدالله، وشرب من ذلك الزلال حتى نبغ من بين الأقران وفاق أهل الزمان، فلما رأى والده مؤهلاته وصلاحه قدمه إماماً في صلاة التراويح وعمره إذ ذاك ١٨ سنة، ثم إنه اتفق أن كان في وقته فتن ومحن من بعض الحكام، فذهب به والده إلى النبهانية فكان في صحبته، وتفرد بالأخذ عنه حتى برع في العلوم نحواً وصرفاً وفقهاً وحديثاً وأدباً، وتعلم في علم المواريث حتى كان آية من آيات الله تعالى، ولما أن أعاد الله الكرة للمسلمين وظهر نجم آل سعود بعبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل جزاه الله عن الإسلام خيراً رجع به والده إلى بريدة فكان فيها على قصر ذات يد وفقر وحاجة، وما كان له هم في جميع الدنيا أن همه إلا طلب العلم والجد والاجتهاد في تحصيل مسائله، هذا وألسنة أعدائه متلوثة في حسبته حسداً ونفوراً ولله حكمة بالغة في تسلط الأعداء على أولياء الله وحزبه، وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، وقد بعث به والده إلى الشيخ العظيم عبدالله بن عبداللطيف في بلد الرياض ليأخذ عنه، ولما أن جلس للتعلم من الشيخ عبدالله أعجب به ورأى ذكاءه وكمال عقله ونبله ومعرفته، فقضى له بالإجازة وشهد له بالبراعة والتقدم فرجع إلى وطنه بريدة محفوظاً بعناية الله وأصبح موضع الإعجاب على رغم حاسديه، ولقد كفانا ما جرى في قديم الدهر على الرسل وأتباعهم كما جرى على إمام المتقين وسيد ولد آدم من قريش، ولا ريب أن كل صاحب نعمة محسود.

الباب الثاني: في ذكر الوظائف التي نالها

تقدم أنه إمام المسلمين في المسجد الجامع وهو شاب من بينهم قدمه فضله وعلمه، ولما كان له من العمر ٢٩ سنة جعل إماماً في مسجد عودة الرديني في بريدة فاجتمع عليه خلائق كثيرون من طلاب العلم وجثوا بين يديه من كل جانب وازدحموا بين يديه بالركب حلقاً حلقاً حتى أصبح ذلك المسجد لا نظير له في العالم، وكان له نبأ عظيم، وتخرج على يديه أناس كثيرون، وكان لتعليمه أثر عجيب لأنه نشأ عن نية طيبة، ثم إنه نال القضاء في هجرة دخنة، وأفاد وضح الحق هناك، فلما تأسست الأرطاوية سنة ١٣٣٠هـ بعثه إليها جلالة الملك المعظم فكان على قضاءها وقد تهذب عنده رجال لهم مؤهلات وذوق وتقدم، وهؤلاء من أهل بريدة سنذكرهم عن قريب، ولما جرى على قلب الجزيرة العربية الوباء المشهور بسنة الرحمة عند العامة كان الشيخ فيها فاختار الله للشهادة ثلاثة من أعظم تلامذته وهم النقباء الذين تشهد لهم بالفضل محاريب العلى ومنابر الفخر، ثم إنه نقل من الأرطاوية إلى مسجد في قلب بريدة وذلك بإيعاز من الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد لأسباب ترجحها السياسة هناك، ونقضي بأن يكون هذا الركن العظيم إماماً للمسجد ومدرساً فيه، وكان هذا المسجد يقال له مسجد ناصر بن سليمان بن سيف، ولما تعين مدرساً فيه أقبل الناس إليه مهطعين وأصبح ذلك المسجد مأوى لكل طالب ومستفيد، فسبحان من يحي العظام بعد موتها، وكان روضة من يرتع فيه أهل الإيمان والذوق والمعرفة والدين، وتضرب له أكباد الإبل من كل جهة، وتأتيه الطلاب زرافات ووحداناً، فامتلأت حجر المسجد من الأجانب والأهالي، وكان لا يزال عامراً بالتدريس كل وقت من ليل أو نهار حتى كان عدد الحلق ثمان حلق للذكر وغالبهم علماء أجلاء، وجلسوا يتعلمون عليه، ورأينا من الإقبال والرغبة مالا يخطر على الأوهام، وقد درسنا عليه فيه أربع سنين وشاهدنا من الأكباب على التدريس مالا تبلغه العبارة، فيا لذلك الوقت والزمان ما أحلاه وما

أعظم الأنس، وما أحسن ذلك الاجتماع، فاستمر على تلك الحالة دهراً طويلاً، وينوب عن أخيه في القضاء بعض الأحيان إذا مرض ويقوم بصلاة الجمعة والأعياد في حال تخلف أخيه، فلما توفى الشيخ عبدالله أخو المترجم ولي الشيخ قضاء مقاطعة القصيم، وكان جلوسه في العاصمة بريدة كرئيس قضاة تلك المنطقة، وتولى إمامة المسجد الجامع والخطب والأعياد والاستسقاء، وقد ينوب عنه تلميذه عبدالله بن رشيد في الجمعة والأعياد، واستمر في تدريساته فكان قاضياً وإماماً ومدرساً وخطيباً، أضف إلى ذلك أنه غني كبير وله ثروة عظيمة.

الباب الثالث: في مجالسه وتدريساته وما ناله من العجب العجاب

جلس للتدريس وهو في سن الشباب، بل في عترته فالتف عليه الإخوان وصار غرة الزمان وأتته الطلاب من كل مكان، الأجانب والسكان، وانتفع بعلمه القاص والدان، فكان مفيداً للمتعلمين ومرشاً للمستمعين، وشجا في حلوق المنافقين، وكانت الدروس التي يقوم بها كلها نافعة في غاية النفع، فكان إذا صلى الغداة جلس يقرأ ورده قليلاً ثم يلقي درس النحو والقواعد إلى طلوع الشمس، وغالب ما يدرس به في الآجرومية، وقطر الندى وبل الصدى، وملحة الأعراب، وألفية ابن مالك، ثم إنه يذهب إلى بيته للاستراحة والوضوء ثم يرجع إلى المسجد فيصلي تحية المسجد ويجلس في ناحيته الشرقية، فهناك الأمة مجتمعون لانتظاره والتلاميذ متحلقون، والمستمعون محدقون، وكان يحب أن يستفتح في تلاوة القرآن ثم يشرع الطلاب في العلوم الدينية حديثاً وفقهاً وتوحيداً وأصولاً وفروعاً وآداباً، ويحضر مجلسه من القراء والمستمعين ما يربو عدده عن ألف مسلم، وقل ما شئت من الازدهار والرغبة والإكباب على الطلب، وكانت الكتب التي يدرسون بها مثل المغني والشرح الكبير، والآداب الشرعية الكبرى، وصحيح البخاري ومسلم، والسنن والمسانيد، والمقنع ومختصره وشرحه، والعمدة في الفقه، ومدارج السالكين، والتواريخ على

رأسها البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، وفتح الباري والمنتقى، والتوحيد لابن خزيمة، ومن المختصرات دليل الطلاب، وعمدة الأحكام، وشرح التوحيد، وكتب الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب وأنجاله وأحفاده، وهناك تجد التلاميذ يزدحمون مطرقي الرؤوس بين يديه، وترى المستمعين حوالي مجلسه كأن على رؤوسهم الطير لما له من الهيبة العظيمة، فإذا انتهى التدريس ذهب إلى بيته لتناول الغداء، ثم يجلس للقضاء إلى قريب من وقت الظهر، ثم يجلس بعد صلاة الظهر للتدريس إلى قدر ساعتين، ثم يجلس يدرس بعد صلاة العصر، وكان هذا التدريس يجعله لمتن الورقات في الفقه، وأصول الفقه، وبعد ذلك يأخذ التلاميذ في الدراسة عليه، في بلوغ المرام في الحديث حفظاً، وقد يدرس في هذا الوقت في مصطلح علوم الحديث، ثم يقوم للقضاء فيجلس للفصل بين الناس في الدماء، والأموال، والحدود، فإذا فرغ من صلاة المغرب وسنتها جلس في فن المواريث والفرائض وقسمة التركات، وكان الذين يدرسون بعد المغرب ثلاثين تلميذاً، وإذا وصل إلى المناسخات والرد، وذوي الأرحام والخنثى، والقسمة فقد تستمر الدراسة إلى حوالي الساعة الثانية ليلاً، فما شئت خذه من حساب وتصحيح وقسمة إذا جلس مستقبل القبلة، وقد يكون جلوسه في ذلك الوقت مستقبل الجنوب، فإذا فرغ الأذان يقوم إلى المحراب للصلاة ويقرأ عليه قبلها ثلاثة من التلاميذ الفضلاء في التفسير والتاريخ، فإذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة وسنتها يذهب إلى بيت عبدالعزيز بن مشيقح وأولاده فيجد الأنوار قد أعدت والقهوة العربية تدار على القارئين والمستمعين، فيدرس عليه هناك خمسة عشر تلميذاً، وبعد ذلك يقوم ذاهباً إلى بيته، فهذه دروسه على الدوام، وقد يجعل مجلساً وقت الضحى في بيته زيادة على ما تقدم، وكان لتعليمه أثر عظيم، وفيه بركة شاملة وإن كان لا يكثر التفسير، ومن العجائب بركة جعلها الله في وقته وقوة في جسمه، ومثابرة عظيمة على الدراسة.

الباب الرابع: في مشايخه وتلامذته الآخذين عنه

أما مشايخه فإنه أخذ العلم عن والده الشيخ محمد بن عبدالله، وناهيك به من إمام تفرد به وشرب من عذب زلاله ونعم المورد، قال شيخنا عمر فيما قصه علينا:

كنت مع والدي في النبهانية أيام عبدالعزيز متعب، وكنا إذا أردنا الدراسة نخرج إلى البرية حذراً من عيون ابن رشيد، لأنه منعنا من القراءة والدراسة، فلما أن كان ذات يوم من الأيام إذا بالباب غريب يستأذن استئذاناً شرعياً ففتحنا فإذا به الشيخ عبدالله بن فداء جاء فاراً بدينه يريد الاجتماع بالوالد، وأخذ أيضاً شيخنا عمر عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ عبدالعزيز بن بشر في حال إقامته في قضاء بريدة، وكان جلوسه للدراسة على الأخير مجاملةً لتتحسن الحالة وتهدأ الأمور.

أما تلامذته والآخذون عنه فخلق كثير وجم غفير ملأوا القرى والأمصار، وقد حدثني الأخ المحب في الله الورع الصادق الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي عن تلامذة المترجم يقول: إن الله تعالى كسا تلامذة الشيخ عمر بن سليم البهاء، وجعل عليهم سيما الهيبة عند الناس.

فممن أخذ عن الشيخ الفاضل الرزين سليمان بن عبدالله المشعلي نال قضاء الفوارة، ثم نقل منها إلى قضاء الشبيكية، ثم جعل قاضياً في بلد المذنب، ثم نقل إلى قضاء البكيرية، وقد ينوب عن المترجم في قضاء بريدة، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي، وكان عالماً قاضياً ومفتياً، وأخذ عنه الشيخ الشاب أخونا عبدالرحمن بن عبيد، وكان فيه مؤهلات وقوة ملكة وإدراك وتقدم، وأخذ عنه العالم الجليل عبدالله بن محمد بن جربوع، وأخذ عنه الحبر العالم عبدالله بن صالح الربدي، وهؤلاء الأربعة على الدوام في معيته حتى توفاهم الله، وأخذ عنه الشيخ الكبير والورع الشهير عثمان بن أحمد بن بشر شيخ الأجفر والأسياح، وأخذ عنه الماهر في الطلب والساعي إلى أعلى الرتب الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن

صعب، وقد نال درجة القضاء وأخذ عنه الفاضل التقي الملازم له في المدخل والمخرج عبدالله بن رشيد بن فرج خطيب جامع بريدة، وأخذ عنه صالح بن عبدالعزيز العجاجي وكان فاضلاً، وأخذ عنه العالم الناصح عمر بن صالح الأسيدي، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدان قاضي أبها، ثم كان على قضاء الزلفي،[1] وأخذ عنه الحافظ فهد بن عيسى، وأخذ عنه محمد بن صالح المطوع إمام مسجد في بريدة وواعظ ومرشد، وأخذ عنه الفصيح الأديب صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين الشاعر المشهور، وأخذ عنه شيخ أبي عريش وقاضي تلك الجهة الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان، وكان ذا فضل وعقل، وأخذ عنه أخونا عبدالمحسن بن عبيد، وكان من أفاضل تلامذته، ويأتي له بقية ذكر، وأخذ عنه محمد بن حمد بن مضيان، وأخذ عنه سليمان بن عبدالله بن حميد، وأخذ عنه ابنه الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد قاضي البرك، ثم كان في قضاء جيزان، ثم كان في قضاء الأسياح، وأخذ عنه الشيخ سليمان بن محمد بن جربوع قاضي العظيم، ثم كان قاضياً في الأرطاوية، وأخذ عنه الزاهد الصابر على الفقر في نيل الأرباح عبدالرحمن بن عبدالله بن بداح، وأخذ عنه الشيخ الموصوف بالخير عبدالله بن سليمان بن نقير مطوع هجرة «النعي» بالتصغير، وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن دخيل قاضي لينة، وأخذ عنه الفاضل الجد في الطلب أخوه عثمان بن عبدالله بن دخيل، وأخذ عنه المطوع الناسك ذو الأصل والفصل عبدالعزيز بن عثمان بن مضيان مطوع السباخ في بريدة، وتخرج عليه الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالله التويجري قاضي جيزان، وأخذ عنه الشيخ صالح بن أحمد الخريصي قاضي الأسياح قبل ثم كان على قضاء الخرج، ثم كان رئيس محكمة بريدة، وأخذ عنه الشيخ صالح بن عبدالرحمن السكيتي، وأخذ عنه علي بن إبراهيم

---

(1) هذا في حال وضع التاريخ ثم إنه نقل بعد ذلك إلى قضاء عنيزة، ولا يزال يزاول مهمة القضاء فيها.

بن مشيقح وكان فاضلاً وقد نال درجة مساعد في محكمة بريدة، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن محمد بن عامر، وأخذ عنه الفاضل تلميذه علي بن محمد الخراز شيخ إحدى الهجر، وأخذ عنه القنوع بالقليل الأخ محمد بن عقيل، وأخذ عنه المطوع عبدالرحمن بن عبدالله بن فداء، وأخذ عنه علي بن عبدالعزيز العجاجي كان ملازماً له في الإقامة والسفر، وقد نال وظيفة في الأمر بالمعروف سابقاً، وأخذ عنه الشيخ ابن عم المترجم عبدالعزيز بن صالح بن سليم، وكان عالماً لا بأس به في العلم، وقد نال عدة وظائف، وأخذ عنه الشيخ محمد بن صالح بن سليم أحد أعضاء المحكمة الشرعية في المدينة المنورة، ثم كان قاضياً في الخبر من أعمال الظهران،[1] وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن مضيان قاضي الشبكية، وأخذ عنه العاقل الفاضل الرحمن صالح بن محمد بن مقبل، وأخذ عنه علي بن عبدالرحمن بن غضبة مطوع الفوارة، وكان ذا أصل وسلامة صدر، وأخذ عنه آل مشيقح عبدالله بن عبدالعزيز، وحمود بن عبدالعزيز، وصالح بن عبدالعزيز، ومحمد بن عبدالعزيز آل حمود بن مشيقح، وأخذ عنه التقي الناسك إبراهيم بن صالح بن مشيقح، وأخذ عنه غانم بن سدلان، وأخذ عنه عبدالله العجلاني، ومحمد العجلاني، وأخذ عنه عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن عويد، وكان ذا أصل عظيم، وأخذ عنه عبدالرحمن بن صالح القرعاوي، وأخذ عنه عبدالله بن سعد الشبرمي وحمد بن سعد الشبرمي.

واعلم وفقني الله وإياك أني سقت هؤلاء التلاميذ على قد سبقهم في السنين والملازمة له في بادئ أمره، ولم أسقهم على قدر درجاتهم في العلم والمعرفة، وأخذ عنه الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن فوزان قاضي جيزان، وأخذ عنه سليمان بن حمود بن عبيدان، وأخذ عنه الشيخ سليمان بن عبيد بن سلمي رئيس المحكمة الشرعية في الرياض، وقد كان قبل ذلك قاضياً في المقاطعة الشرقية، وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن عودة آل سعوي قاضي

---

(1) ثم جعل عضواً في هيئة التمييز.

جيزان سابقاً، ثم كان قاضياً في الدمام، وأخذ عنه الشيخ علي بن سليمان الضالع، وأخذ عنه حمد بن عقيل، وأخذ عنه صالح بن عبدالعزيز بن مقبل وإخوته عبدالرحمن وسليمان، وأخذ عنه محمد بن رشيد آل ربيش، وأخذ عنه علي بن صالح بن مرشد، وأخذ عنه الشيخ صالح بن سليمان بن حميد، وكان لوذعياً، وتولى وظيفة في البلاد اليمنية، وقد توفاه الله تعالى، وأخذ عنه عثمان بن محمد العجلاني، وأخذ عنه محمد بن صالح بن خليفة، وأخذ عنه صالح بن إبراهيم الرسيني، وأخذ عنه عبدالله بن صالح بن حسين، وأخذ عنه إبراهيم بن عبدالعزيز الجبيلي قاضي رياض الخبراء، وأخذ عنه الزاهد ابن أخيه محمد بن عبدالله بن سليم، وكان شاباً وقد توفاه الله، وأخذ عنه عبدالله بن محمد العجاجي، وأخذ عنه سعد بن مرزوق العديم، وتخرج عليه الشيخ محمد بن عبدالرحمن البليهي، كان قد تولى القضاء في نجران، ثم كان قاضياً في أعمال تبوك، وأخذ عنه الشيخ صالح بن محمد التويجري قاضي تبوك، وأخذ عنه عبدالرحمن بن عبدالله بن طرباق، كان قد تولى بعض أعمال القضاء، وأخذ عنه محمد بن راشد وعلي بن راشد آل رقيبة، وأخذ عنه عقلا بن موسى، وأخذ عنه سليمان بن عبدالله بن مشيقح، وأخذ عنه سبطه صالح بن سليمان العمري، وأخذ عنه حميدان بن عبدالعزيز، وأخذ عنه محمد بن عبدالرحمن بن فداء، وأخذ عنه عبدالكريم بن فداء، وأخذ عنه عبدالله بن معتق، وأخذ عنه محمد بن رويسان، وأخذ عنه قاضي البكيرية عبدالعزيز بن عبدالله بن سبيل، وأخذ عنه عبدالله بن محمد بن مسفر، وأخذ عنه علي بن محمد السكاكر، وعبدالله بن محمد السكاكر، وأخذ عنه الشقاوي، وابن سعدون، وابن غنيم وغير هؤلاء خلق كثير وجم غفير، وغالب من أخذ عنه أهل للقضاء والتدريس.

وممن أخذ عنه أيضاً الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، ومحمد بن موسى الحمود، وعبدالله بن عقيل قاضي الحناكية، وقد هلك غالب الذين التموا واجتمعوا وأدركوا السبق من رؤساء التلامذة اقتطفهم هادم اللذات ومفرق الجماعات، لأن

العلماء أصبحوا غرضاً للموت، وهذا أكبر دليل على أسباب نزع العلم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولو أنني أتيت بكل من جلس إليه وقرأ عليه من العامة لضاق الموسع.

الباب الخامس: في سعة علمه وورعه في قضائه وفتياه

أما علمه واطلاعه على نصوص الوحيين فهو البحر الخضم الذي لا ساحل له، وكان لا يحتاج إلى مراجعة كتبه ولا تفتيشها في القضاء والفتيا بل علمه في صدره لا في قمطره، وقد شاهدت من تقريراته وتفسيره للجمل ما يفيد ويسكت كل متكلم ويقف عندها كل مستفيد، وكان يحب الاختصار ويجيب جواباً مختصراً ويفيد فائدة حسنة، ولا يثاره للاختصار كان قليل الكلام، ويا ليت شيخنا ألّف مؤلفات تفيد الأمة وتقتبس منها العلماء فلا تموت بموته، وكان فقيهاً أصولياً محدثاً لغوياً فرضياً نحوياً، وذا معرفة بعلم التوحيد، ويحامي على دين الله وشرعه على قدر طاقته، ولا يتسامح بشيء، ويحب ذكر الخلاف الذي بين العلماء في مسائل العلم، وقد سألته مرةً عمن صلى وعليه نجاسة لم يعلم بها إلا بعد الصلاة؟ فأجابني بالروايتين، وكان إذا أفتى بمسألة فإنه يأتي بأدلتها حتى كأن لم يكن بالباب غيرها، ويحب الإصلاح بين الناس، ويتحرى العدل في القضاء، ويرحم الفقير، ويلطف فيمن لا يحسن أن يخاصم، وربما أقام وكيلاً عمن لا يحسن إقامة الحجة إذا رأى خصمه جدلياً، وتقنع الأنفس بقضائه، أضف إلى ذلك أنه كان بصيراً في أمر دينه، ضليعاً قوياً لا يقعقع له بالشنان، وإذا وقع عليه وقف لأحد أوصية فإنه يحتفظ بذلك ويبرئ ذمته عن المشتبهات، فيا ليت شعري من يقوم بهذه الخصال، وأنى وهيهات كلا فلا والله لا يسد مقامه فئة من الناس، وله غيرة وطنية وحمية عربية تأبى له أن يضام موظفوه الذين أقامهم في الأعمال.

الباب السادس: في عبادته ونسكه وتلاوته

لما كان هذا الحبر النحرير قد أعطاه الله حظاً وافراً من العلم كان متقيداً

بالعمل به ويعبد ربه، وله معه معاملة، وإذا منَّ الله على عبد فليفعل ما شاء من خصال الخير، فأما تلاوته للقرآن فإنه كان يتلوه قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وما كان في زمنه مثله في التلاوة، وكثيراً ما يسمع أوائل النهار في أوقات العبادة يتلوه من أوله وفي آخره قد ختمه، ثم شرع في أوائله، ولقد سهل الله عليه التلاوة والحفظ فكان لا يريد حفظ شيء إلا ويحصل عليه، وقد عجب أصحابه ورفقته من محبته للتلاوة، فكان إذا خرج إلى قرية أوخب من الخبوب أو سافر فإنه يرتب رفقته في دراسة القرآن حال السير، فإذا قربهم المكان فلا يمكنهم من كثرة الكلام بل يشغلهم بالقراءة، ولقد كان له حظ من قيام الليل ويحب الخلوة بربه في حنادس الظلام، ويعامل الله بالعبادة والطاعة، ويكثر الصلاة بالنهار، وإذا أصيب بمصيبة فإنه يستعين عليها بكثرة الصلاة، وقد يترك التدريس بين العشائين إذا أصيب بمصيبة ويفزع إلى الصلاة من المغرب إلى العشاء، وكثيراً ما يفعل ذلك إذا مات له مولود.

وكان مولعاً بالحج والعمرة، ويكثر الطواف حتى يمل من يطوف معه فقد يشرع في الطواف من صلاة الغداة إلى ارتفاع الشمس، وقد يجمع أربعة وعشرين أسبوعاً في وقت واحد، ويداوم على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، وإذا اعتكف فإنه يفرّ عن مخالطة الناس بحيث لا يجالسه أحد ولا يكلم أحداً، ويقول لمن يثق به إن بطن الأرض خير من ظهرها في هذا الزمان، وكثيراً ما يقول إذا رأى التغييرات متأسفاً الله المستعان، وبكل حال فإنه يعتبر أعظم العباد في زمانه، وقد يبكي في أوقات الدراسة ويخضب لحيته بالدموع على خفية من الناس، ولا يحب الطنطنة، ولا ينافق، وأكثر جلوسه مستقبل القبلة، ويحب الطهارة والوضوء، وهذا والله نادر في الناس أن يكون عالم متصفاً بهذه الصفات، فما أقل جنسه في الخلق، بل ما أقله وإني لأعجب لوقته بحيث يتسع لأعماله غير أن الله تعالى بارك له في أوقاته.

الباب السابع: في سجاياه وكيفيته وهيبته

اعلم أن شيخنا أشهر من أن يذكر، وفضله أعظم مما يقال فيه وأكبر، وأخلاقه السامية تشهد بها الخلائق ولا تنكر، وذلك لرفعة قدره وعلو مكانته وشهرته التي هي كنار على علم، فكان عاقلاً عقلاً طبيعياً مراقباً لله، منصفاً مدارياً، يؤثر السكون وعدم التشويش، وله غوص طويل على غامض الأمور، وله نظر في العواقب، فقلما يصدر أمر إلا وقد عرف غايته ومنتهاه، فلا جل هذا أصبحت تدابيره حسنة ومحمودة العواقب كما قيل فيه:

فسيرته في المسلمين جميلة   وأفعاله محمودة في العواقب

فلا تكاد ترى من موظفيه وأفعاله إلا مطابقاً لما جعل له، وله فراسة عظيمة ورأي ثاقب.

وكان يتواضع من غير ذل، وله عزة نفس من غير تكبر، فأما هيبته فأمر عظيم حتى أنه والذي خلقه لتهابه الأمة أعظم من هيبة الملوك والأمراء، ولا يستطيع أحد أن يحد النظر إليه بل تهابه الملوك والأمراء والنظراء، ويهابه القريب والبعيد، وإذا جلس للتدريس فإن التلامذة قد أنصتوا كأن على رؤوسهم الطير، ولا ترى في مجلسه من يلتفت يمنةً أو يسرة، وإذا قضى بين الخصمين قاما راضيين مقتنعين، ويستطيع أن لا يكون للخصومة لغط ولا أصوات في مجلس الخصومة، وكنت في حال التدريس عند رؤيته أرى من الهيبة له شيئاً عجيباً، وقد وعدني مرة أن يتفضل علي ويمنحني كتاب الآداب الشرعية لابن مفلح، فكنت لا أطيق سؤاله عنها حتى بعث إليَّ يستحثني على أن ألقاه لأقبضها لئلا يسبقني عليها أحد، فسألت أهل بيته وأقربائه عما ألاقيه من هيبته فجعلوا يروون شيئاً عجيباً من هيبته وأنهم أعظم هيبة له من بعيد الناس، ولعلي أكون أجرأ منهم عليه، وهذه صفته:

كان ربعة من الرجال، رزيناً، حاد المزاج، قليل اللحم، مستقيم الخلقة، عليه البهاء العظيم، وسمت العلماء، وقد كساه الله عز وجل ثوباً من الوقار والسكينة، طويل الأنف مستقيمة، وفيه غنة يميل لونه إلى الصفرة، يؤثر الكسوة

الجميلة ولا يصل إلى سره أحد، هذا وفيه انقباض وقلة عشرة في الغالب، والله يغفر له، ولولا الإخلاص للتاريخ والالتزام بالصدق لما ذكرت ذلك، ولكن لا بد لشخص يقوم في مقامه أن يكون مراً في بعض الأحيان لئلا يجترئ الجهال عليه، لأنه لا خير في حلم لا يكون له بوادر من القوة تحمي الحمى عن جراءة اللئام، وناهيك بقوته وشجاعته، فقد كان شجاعاً مقدماً فيصلاً يوقف كل معتد عند حده، ولا يصغي إلى الغيبة والقيل والقال، ويبغض النمام ولا يحب أن يذكر عنده أحد بسوء، فإذا أخذ من حوله بالقيل والقال قطع كلامه وقال هات ثمرة الكلام ودع مالا يعنيك، وكثيراً ما يقول ائت بالشاهد، وكان يأكل تحت يده أيادي كثيرة، ويحتشم أقرباؤه لحشمته، ويكرمون لكرامته، وإذا دعي إلى مأدبة أو تكرمة خاصة به فلا والله لا يهيأ للملوك ولا الأمراء مثلها، ومن عادته أن يستجيب لدعوة أهالي الخبوب وقت الثمار في القيظ للنزهة والفسحة والنظر المباشر في المشاكل، فكان إذا واعدهم يتهيأون ويرتقبون لمجيء الشيخ، ويعدون المجالس والفرش والخيرات والأنعام، فإذا كان بكرة النهار خرجت الأمة من النخل والمساكن يستقبلونه الشيوخ قبل الشباب والكهول، وقد تخرج المخدرات من بيوتهن والعوتق من خدورهن فرحةً بقدوم القادم، ويتطلعن من السطوح والأبواب والنوافذ، فلا إله إلا الله لا ترى إلا غبرةً تثور وأولئك الشيوخ يتوكأون على العصي، والطيب والبخور يستقبل به، ومن الفقراء من يبكي ويمسكون بأشلائه يا شيخ إذا لم نحصل على جلوسكم في بيوتنا فلا نحرم من أن تتوضأ من الماء أو تمر مع السوق، فتشبع الفقراء بسببه وتخصب أرضهم ذلك اليوم، وقد يستمسك به المسلمون فلا يدعونه يرجع أسبوعاً كاملاً محبةً وطلباً للشرف في حله بين أظهرهم.

الباب الثامن : في جوده ومكارم أخلاقه

كان سخياً كريماً جواداً مبذالاً، فلذلك ترى بيته كأنه قصر حاكم، إذا خرج من المسجد مع طلوع الشمس ففي معيته جماعة من المسلمين فيدخل الديوان في بيته

فيجد القهوة والشاي والحليب قد هيء فيجلس بهم هناك ويتناولون الشراب بغبطة وكرامة، وفي وقت الضحى إذا رجع إلى بيته للغداء فقد حدثني من يصاحبه من رفقته أنهم يجدون الأرز والخبز واللبن والبطيخ والفواكه من عنب وتمر، قد هيئ فكل من يدخل فإنه يلقى من الأطعمة شيئاً كثيراً، وكان بيته مرادفاً للمسجد الجامع إلى جهة الشرق، فسيحاً واسع الأرجاء ينتابه القريب والبعيد ذلك لما أولاه الله من النعم الكثيرة والعقارات العظيمة، ولقد كان أقرباؤه وذوو رحمه وأنسابه لا يزالون يتقلبون في نعمه محتشمين لديه مكرمين لأنه مكرم لأقربائه وصول لرحمه، وكان من عادته دعوة أناس معينين لطعام العشاء في ليالي رمضان من دخول الشهر إلى خروجه يأكلون في بيته، وله غرماء يستدينون منه، فكان يواضعهم ويلطف بهم وييسر عليهم ويتجاوز عنهم.

وكان رحيماً بالناس يعود المرضى ويشهد الجنائز، وله رفقة يلازمونه في الغداء والعشاء، وقد يلبث أحدهم شهرين وثلاثة أشهر لا يأكل من طعام أهله لأنهم قد اكتفوا بما يجدونه بأسباب الشيخ.

ولقد حضرت معهم مرة إذ وافيته بالوادي المسمى ألودي المعروف، وقد خرج معه اثنا عشر رجلاً من الأحباب والطلاب، ولما رآني أظهر بشاشة وأخذ بيدي، وكنت لا أحب متابعته في الموائد فأجلسني إلى جانب خمسة من أصحابه، ونزل في الغدير يغتسل، وبعد فراغه أقبل إلينا ونحن في انتظاره فأمرهم أن يغتسلوا وذهب بي إلى مقر خيامهم حوالي الجبل فوقف هناك وصلى ما كتب له من النوافل، وذلك في وقت الضحى، ولما فرغنا من الصلاة طلب مني أن أكون معهم فاعتذرت بأن لي رفقة لا يزالون في انتظاري، غير أن طاعته ألزم علي فجلست معه وكنت وإياه في حديث وحسن عشرة ويقلب طرفه في السماء ويريني السحاب والرباب ويمازحني ممازحة أجد لها لذة، وما كان عليه سوى نعلين وثلاثة أثواب بيض وشماغ، فكان من كلامي له أن قلت له: يا شيخ قد توفي العبادي وأهل العلم لا يزالون ينقصون فإنا لله وإنا إليه راجعون، فأجاب بقوله: يا إبراهيم الله المستعان، وجعل يسألني عن أهل بيتنا واستقامتهم وهل لي من ذرية فذكرت له إذ ذاك أن

هنا أبناً وأصيب بالداء المعروف بأم الصبيان، وقدم إلى ربه فأجاب بأن الخيرة بما اختاره الله، وسألته عن أم الصبيان فأجاب بأنه يكثر معها صياح الطفل.

وقد رأيت لديهم في ذلك المخيم خيراً ونعمة، ومن أبرز من وجدت رفقته عبدالله بن رشيد، وإبراهيم البليهي، ومن عادته أنه قليل الأكل فترى ما حواليه من الطعام يتساقط على الخوان ويرده بيده، ويلبث جالساً ليتمكن الأضياف من الأكل.

وخرج مع جنازة مؤذنه محمد بن عضيب فلما دفن جعل ابنه يبكي بكاءً شديداً في حال التعزية، فتناول يده برفق وقال له: يا بني اصبر واحتسب فقد قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، فكان كلامه أعظم الوقع، ثم إنه جعله مؤذناً بعد أبيه، وكثيراً ما يصدر أموراً يعجب لها الناس ويرونها غير موافقة فتكون عاقبتها حميدة، وكثيراً ما يتفرس فتقع فراسته خيراً أو شراً، فلقد توفى مرةً صبي فشاع بين الناس أن فلاناً مات، الرجل مغموص بالنفاق، ودعي لجنازة ذلك الرجل فقال للرسول: ليس هذا بفلان، ولا يموت فلان بين أظهر المسلمين فوقع كما أخبر كانت الجنازة صبياً ومات فلان بين ظهراني الكفار بعد الإشاعة بشهرين، ولو تتبعت فراسته لخرجنا عن المطلوب.

الباب التاسع: في المحن التي جرت عليه

قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥]، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢-٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]، اعلم أن الدنيا لما كانت دار ممر وليست بدار مقر وقنطرة عبور لا موضع حبور قضى الله على أهلها بالهموم والغموم والمحن والمصائب والأحزان لتزعجهم عن

الركون إليها ذلك بأنها خوانة فكل من حلت له فلا بد أن تذيقه العلاقم، ويكفيك شاهد الحال من موت قريب وتسلط عدو وأمراض وهموم وغموم، ولله تمام الحكمة، ولا بد لكل أحد من محن ولا يخلو شخص من شجن والابتلاء والامتحان عادة الله في خلقه ولا سيما أهل الدين والعلم، فأول ذلك ما جرى عليه من آل رشيد لما أجلى إلى النبهانية، وبعد عودته إلى وطنه ابتلي بمنافسة من بعض المعاصرين سبب ذلك سعي ذوي الأغراض من المفسدين، وما ذاك إلا لما قام به من الفضل والعلم، فبغى له الأعداء الغوائل واختلقوا له المشاكل فلا يجدون ما يتوصلون إليه إلا بالتحرش والمسبة لدى الرؤساء، وآخرة ذلك كانت العاقبة له، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٥٤].

ومن ذلك أنه رأى الناس في عادة سيئة تخالف الشريعة وهي عدم تزويج بعضهم من بعض بدعوى قبيلي وضده، ولا تزال هذه العادة القبيحة جارية في نجد، فأراد رحمة الله عليه أن يجتث تلك البدعة ويقضي عليها، وبذل أسباباً لذلك رحمةً للأمة وكشفاً لهذه العادة التي ما أنزل الله بها من سلطان، غير أن جهوده فشلت وما زال أهل الخير يجاهدون في هذا السبيل، غير أن الأمور لا تزال على وضعها وأملنا عظيم في الأمة الإسلامية أن يدعوا هذه العادة ترغيباً لهم في المساواة والدين والوضع الديني والعربي لأن دينهم واحد وقبلتهم واحدة.

ومن ذلك أنه جرى بين رجلين منتسبين إلى الدين والخير نزاع في شأن سكنى بلدان الشرك أحدهما يحرم الإقامة في البلد المذكور لتأويلات ومسوغات جزاه الله خيراً، وأكثر في المسلمين الرجال المتمسكين بأهداب الشريعة، والآخر يرى خلاف ذلك، وكان هذا الأخير قد تعاظم وتكلم على صاحبه بما يجرح العواطف ويسيء المجتمع، ولم يرع له حرمة فأصلح بينهما الحاضرون وسكنت المتحركات برهة من الزمن، فلما كان بعد ذلك انبعث من جديد مقصوده المشاغبة وإثارة الفتن والمحن، وقام ليسوى ثورة بدعوى نصرة الدين وأهله، وهكذا يدرك المغرضون أهدافهم

التي يرمون إليها ويدخلون السم في الشهد ليفسدوا في الأرض ويحدثوا الشغب والمشاكل، فاستجاش أهل الدين والفضل وطلبوا من الشيخ رحمه الله النظر في شأن هذا المعارض وأحرجوا موقف الشيخ، ورفعوا أصواتهم لأول مرة بين يديه وشوش الحاضرون جو الصفاء ونيتهم طيبة ومغزاهم حسن، فمن قائل يردع هذا المعارض، ومن قائل بنفيه، غير أن الشيخ له رأي من وراء ذلك كله، فطمأنهم ووعدهم بخير، وتحمل تلك المشاق التي لا ينبغي مواجهته بها، وكان المقام يقتضي عدم التشويش وأن لا يغتروا بأقوال المخادعين وتأثر لهذه الجراءة، ومن كلامه لأولئك الحاضرين أن قال:

يا أولادي ألا تعلمون أن هذا المعترض لا يؤبه له، ومن عادتنا ردع الأشرار تارة بعدم المبالاة بهم، وتارةً بردعهم سراً، وتارةً بالإرشاد والنصيحة إذا كان بالقوس منزع وأنكم تعلمون أننا موضع الثقة منكم، ثم إنه بعث إلى أمير البلد وأصدر أوامره بأن يؤخذ عليه التعهد وأن لا يعود إلى مثلها، وأغلظ عليه بالتوبيخ، وأدى واجباً يشكر عليه نحو هذا المعترض، وقد يعامله بعض من تحت تصرفه بما يكره، ولو شاء لعاقبه أشد العقوبة لأنه قوي وله تمام القدرة عليه، لكنه يجعلها في نفسه ولا يبديها لأحد، ويصبر على ما ناله في ذات الله، وأنه يجب على الأمة توقير العلماء وتنفيذ إرادتهم والخضوع لأوامرهم، وترك الاعتراض عليهم، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٥]، فتبين بهذا وجوب طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية الله ورسوله، وأن الشريعة محكمة بين الأمة ينفذها العلماء الموقعون عن رب العالمين، قال بعض العلماء في شأن القضاة وعلو درجتهم وأنه ينبغي مراعاة تلك الوظيفة:

ويـا قاضـياً لم يـر عاقبـة القضـاء ... وأن محـيط العلـم راء وسـامع

أحلـــك مـــولاك الجليـــل محلـــه لفصل القضاء إن هم إليـك تنـازعوا

وقال الإمام أحمد بن علي بن مشرف في فضل العلم والعلماء:

فجالس رواة العلم واسمـع كلامهـم فكـم كلـم مـنهم بـه يـبرأ الكلـم
وإن أمـروا فـاسمع لهـم وأطـع فهـم أولو الأمر لا من شأنه الفتك والظلم

هذا وإن المترجم قد منح تمام التنفيذ، غير أن الأمور التي قد كتبت على العبد لا بد أن تصيبه.

الباب العاشر: في مرضه ووفاته وما رثي به

قد أشرنا إلى أنه ابتدأ مرضه في مستهل هذه السنة، وسبب هذا المرض ما يتردد في جاشه من الأشجان، وكان لا يحب الانتقام لنفسه، فضعف لذلك جسمه وتكسف باله لما يقاسيه من الهموم والغموم، ونكد الزمان، وكثرة الفتن والمحن، وكان لا يشتكي إلى على ربه وفاطره وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً، فتهدم لذلك جسمه وانحلت قواه، وقد أشار عليه بعض أحبابه أن يتخلى عن بعض الإرهاقات ككثرة التدريس وأن يتخلى عن القضاء ويستريح بقية عمره فرفض فأشاروا عليه بأن يذهب للعلاج قبل أن يجيده المرض ويقضي عليه فرفض، وقد رأيته لآخر مرة وهو جالس مستقبل القبلة مصفر اللون نحيف البدن عليه ثياب نظيفة فسألته عن صحته فذكر لي أنه بحاجة إلى العافية ويسأل الله كشف ضره، وكان قد أثر المرض في صوته فسألت الله له أمامه أن يكفيه ما أهمه، فبكى لذلك رحمه الله تعالى وبكيت أمامه وسألت الله له أخرى أن لا يريه ما يكره، فجعل يرفع يديه ويؤمن على دعائي، وكان يوضع له قليل من العسل فيتحساه إذا عجز ريقه أن يستطلق، وقد خرج لصلاة عيد الفطر راكباً لعجزه عن المشي، واستمر في ضعفه.

ذكر المنامات والمرائي

رأى بعضهم في منامه الشمس قد طلعت، فلما توسطت السماء انكسفت وأظلم الكون، وذلك قبيل وفاته بشهر، ورأى بعضهم قمراً مبدراً طلع من الشرق

فلما توسط السماء غاب عن الأبصار فطلع من خلفه نجم، قال الرائي فحمدت الله وأنا نائم إذ طلع هذا الكوكب ولم نعدم الإضاءة قطعاً، ورأى بعضهم كأن باب بيته نزع وجعل مكانه بويب صغير قدره ذراع بذراع، فلما كان في ليلة هلال الحجة رأى هو إنساناً أتاه في منامه فناوله ستة عشر كأساً وقال له: هذه وتستريح فلما استيقظ ذكر الله واستعاذ به من الشيطان وقال لمن حوله من أهله هكذا رأيت فأحصوا هذه الأيام.

وكان يستصحب حقاً فيه عسل ويستعين بذلك على ريقه لمرارة ويبوسة، قال بعضهم دخلت عليه وقد تضاعفت بنيته وكلت قواه وذلك قبل وفاته بيوم وهو يتلمظ شفتيه بلسان ويقول: إيهاً الحمد لله حسبنا الله ونعم الوكيل على من آذانا، ولم يصل منا إلا الخير، وهذا والله منظر مزعج، فيا ليت شعري ماذا يصنع الأحباب ومن يتولى غرسه بعد الذهاب، ومن يطيق ألم الفراق، وهذا شيخ المسلمين في كرب السياق، فلما أصبح تنظف ولبس ثياباً جدداً وذلك بكرة الاثنين الموافق ١٦ ذي الحجة، وجعل يقول وهو على تلك الصفة: هل أذن المؤذن ما باله أبطأ، ويتقلب ثم يقول أقرأ سم بالله كأنه جالس للتدريس في الحلقة ثم يغشى عليه فإذا أفاق أخذ يتكلم بما سبق، ثم جعل يتكلم بكلمة التوحيد حتى خرجت روحه في الساعة السادسة من اليوم المذكور.

وقد بعث أمير بريدة قبل ذلك نبأ برقياً في ١٤ من الشهر قبل وفاته بيومين لجلالة الملك يخبره بمرض الشيخ ابن سليم، وقد كان الملك لم يعلم بما آل إليه فقام من فوره وبعث بدكتور ماهر إليه يدعى عفيف المحمصاني، ركب سيارة فورد جديدة وسار مسارعاً إلى القصيم فلم يصل إلى بريدة إلا بعد وفاته بساعات، وكان قد أوصى أن يغسله تلميذه الأخ عبدالمحسن بن عبيد، فغسل وكفن وصلى عليه المسلمون بعد صلاة العصر في المسجد الجامع، فامتلأ المسجد بالرجال والنساء وامتلأت الأزقة والشوارع وازدحمت رجالاً ونساءً وأطفالاً يبكون ويندبون، وعلت الأصوات بالنشيج والجشع، ولا والله لم يصابوا بمثل هذه المصيبة في أهليهم ولا

أولادهم، ودوى ذكر وفاته في أقطار الأرض وصلي عليه في سائر أقطارها بالنية وبلغت شامها ويمنها، فيا لها مصيبة عظيمة وفادحة جسيمة، بلغت القلوب الحناجر وسكبت الدموع من المحاجر، ولا شك أن ثلمته كبرى بين العالمين، ورزء عظيم أصيب به أهل العلم والدين فأصبح أهل مقاطعة القصيم كأنهم غنم بلا راعٍ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

وقد رثاه العلماء والأدباء في سائر نجد، واليمن وغيرها، ولما بلغتنا وفاته ونحن في مكة المشرفة أتينا بما يأتي:

الحمد لله الملك المجيد الفعال لما يريد، المؤمل لكشف كل صعب شديد، الباقي ملكه فلا يفنى ولا يبيد، و الصلاة والسلام على المبعوث إلى كافة الأحرار والعبيد، المؤيد بدرع العصمة لا بدرع الحديد، وعلى آله وأصحابه ذوي المفاخر والبأس الشديد، والدعوة إلى الله بالإيمان والتوحيد.

أما بعد: فإنه لما كان في موسم الحج سنة ١٣٦٢هـ أتانا نعي شيخنا وأستاذنا الشيخ عمر بن محمد بن سليم غفر الله له وأسكنه فسيح جنته فانبعثت بنا دواعي الهموم والغموم، وكادت الأرواح تبلغ الحلقوم وذلك لكبر ثلمته بين العالمين، وعظم مصيبته بين المسلمين، وهل ذلك إلا من النقص على أهل الإسلام ونزع العلم من بين الأنام، ولما فجعنا بهذا الرزء أصابنا من الهم والكآبة ما الله به عليم، فقلت هذه المرثية تسليةً للنفس وتعزيةً للإخوان، وأسأل الله تعالى أن يرفع منازله في الجنان ويسكن روعه يوم نصب الميزان:

بكينا عويلاً بالدموع الهوامع ... لخطبٍ دهانا بالهموم القواطع
غداة أتانا من قصيم مخبرٌ ... ويبني بأخبارٍ تغم لسامع
أتانا بأخبارٍ عظيمٍ خطوبها ... بهد ونقص للعلى والمنافع
فيا صاحبي حقق كلاماً سمعته ... رويداً فلا تعجل بنقل المذائع
لعل إله العرش يخلف ظنهم ... فما زال مناناً لطيفاً بخاضع
فما هذه الدنيا بدار إقامةٍ ... فتباً لها كم آذنت بالفجائع

فلـو أنهـا تصـفو لصـافت ملوكهـا ... وأحبارهـا أهـل النهـا والمرافـع
ولكنهـا غـدارةٌ في فعالهـا ... كمـا غرَّغِـرٌ في سـراب البلاقـع
فمـا نالنـا في ذا الزمـان مصـيبةً ... ورزء دهـا مـن معضـلات القـوارع
غـداة سمعنـا بانهـدام لعرشـنا ... وكسر لأهـل الحـق مـن كـل سـامع
وذاك لعمـر الله مـوت محقـقٍ ... حكـيم بصـيرٍ عامـلٍ بـل وجـامع
لأشـتات علـمٍ طالمـا حـار أهلـه ... فأبـدى مخبـأ معضـلات البـدائع
هـو العلـم المشـهور في كـل محفـلٍ ... حليف العلـى والفضـل للشـر قـامع
تسلسـل مـن قـومٍ هـداةٍ أجلـةٍ ... ذوي العلم والتحقيق أهـل التواضـع
عنيـت بـه حـبر الـبلاد وبـدرها ... فتـى مـن سـليمٍ فائقـاً في الجـامع
وذا عمـر قـل لـي هـو ابـن محمـدٍ ... تقـيٌ نقـيٌ علمـه خـير نـافع
إمـامٌ همـامٌ ألمعـيٌ محقـقٌ ... جـرى علـى قمـع الـردى والمخـادع
حبيـبٌ منيـبٌ بالعبـادة ناسـكٌ ... مجالسـه يسـعى لهـا كـل راتـع
خـبيرٌ بأصـناف العلـوم جميعهـا ... مفيـدٌ لطـلاب العلـوم التوابـع
فمـن لعلـوم الشـرع يشـرح أصـلها ... ويحمي حما الإسـلام مـن كـل قـاطع
ومـن لبحـوثٍ بعـده مـن مجاهـد ... يقـوم بنصـر الحـق مـن كـل خـادع
فمن لعلـوم الأصـل يشـفي لسـقمنا ... ويهـدي لحـيرانٍ جهـولٍ وضـائع
ومـن لفنـون الإرث يقسـم بيننـا ... ومـن لعلـوم النحـو يكفـي لسـامع
فيـا لـوعتي مـن فقـده وفراقـه ... وثلمتـه في الخلـق بـين الجـامع
ويـا حزنـي مـن بعـده في ضـريحه ... فمـن مثلـه فينـا لبـذل المنـافع
ويا جزعـي مـن نـزع شيخٍ مهـذبٍ ... يعيـد ويبـدي ديننـا غـير نـازع
ترى حولـه الطلاب من كـل وجهـةٍ ... يؤمونـه بالكتـب كـل مسـارع
فيعطيهمـو مـن كـل فـنٍ لطالـب ... كمـا هـل قطـر بانصـباب الهوامـع
ولمـا فجعنـا بالممـات لحبرنـا ... وفقـد نبيـه القـدر نـافي المطـامع
ترانـا بهـم بـاهتين لرزئـه ... وعبراتنـا تجـري كحـد اللوامـع

وكـــلٍ يبكـــي بانكســـار خـــواطر	لـدى عمهـم فقـد الحبيـب الممـانع
وقـــاضٍ لإقلـــيم هـــداة قطينـــه	فأضـحى طلـولاً طامسـاتٍ بلاقـع
يحق لنـا نرمـي علـى الأرض خشـعاً	وننفـي لذيـذ النـوم عنـد المضـاجع
فلـو كانـت الأمـوال تفـدي لشـيخنا	لجـدنا بهـا في فكـه بالتسـارع
ولكـــن حكـــم الله لا بـــد نافـــذ	ومـا قـدر الـرحمن لا بـد واقـع
قضـــاء قضـــاه الله جـــلا جلالـــه	ومـا أمـره إلا علـى رغـم جـازع
صـبرنا لحكـم الله مـن غـير سـخطةٍ	وكـــلٍ إلى مـــولاه لا بـــد راجـــع
فقـد جـاء عـن خـير الهـداة محمـدٍ	بـنقص لأهـل العلـم مـن كـل نـافع
وهـــذا هـــو التصـــديق حقـــاً فإنـــه	صـحيح أتـى بـالنص خـذه وراجـع
فيـــا أيهـــا الإخـــوان صـــبراً فإنـــه	مضـــى لطريـــقٍ كلنـــا فيـــه واقـــع
وقومـــوا جميعـــاً بالســـؤال لـــربكم	يلـم لشـمل الـدين عنـد الفجـائع
فأحســـن مـــولاي الجليـــل عـــزائكم	كـذا جـبر المصـاب مـن كـل رائـع
ووفقكـــم ربـــي طريقـــة شـــيخكم	بجـــدٍ وتشـــميرٍ وكســـب المنـــافع
لأن كان حـبر النـاس أمسـى مفارقـاً	سـقاه الـردى كأسـاً مريـر الجـارع
وكـــانوا بـــلا راعٍ يلـــم لشـــملهم	وخلفهـــم حقـــاً كأغنـــام رواتـــع
فـذى عـادة الـدنيا بخـلٍ وصـاحبٍ	وكـم آذنـت أهـلاً بتشـتيت الجـامع
فيـــا فـــارج الهـــم الشـــديد كروبـــه	ويـا منجـي الغرقـا رؤوفـاً بخاضـع
ويـا سـامع النجـوى قريبـاً لمـن دعـا	مجيـب دعـاء مـن سـؤول وطـائع
تفضـل بنصـرٍ عاجـلٍ غـير آجـل	ومـن بإسـعافٍ علـى كـل ضـارع
وصـلَّ إلهـي كـل حـينٍ وسـاعةٍ	على خير مبعـوثٍ كـذا خـير شـارع
محمـــد الهـــادي إلى خـــير شـــرعةٍ	نـبيٌ أتـى حقـاً بخـير الشـرائع
وآلٍ وأصـــحابٍ هـــداةٍ أجلـــةٍ	ينـادون بـالإخلاص فـوق الجـامع

وقال الشيخ حمد بن مزيد قاضي قبة يرثي المترجم:

علـى العـالم النحريـر شمـس المعـالم	نريـق دموعـاً مثـل صـوب الغمـائم

فمــا قــد دهانــا ســاعةً بمصيبةٍ ورزءٍ فظيـــعٍ مـــزعجٍ للعـــوالم
يمثــل مصــابٍ قــد دهانــا بروعــةٍ وشــدة لوعــاتٍ أتــت بالعظــائم
وغـــم وأحـــزانٍ وغـــمٍ وكربـــةٍ وبــؤسٍ وتنكيــدٍ لحلــو المطــاعم
لدن قيل مات الشيخ قطب رحا الهدى حليف التقى سامي الذرى والدعائم
وأعني بـه بـدر الـدجى علـم الهـدى وذا الفضل والإحسـان وافي المكـارم
هــو ابــن ســليم واسمــه عمــر لقــد سمــى ذكــره فــوق السُّهى والنعــائم
لقــد أظلمــت أرض القصــيم بموتــه وعـــمَّ الـــدجا في نجــدها والتهــائم
فــأعظم بــه مــن فــادحٍ جــلَّ أمــره وهــدَّ لــركن الــدين للقلــب كــالم
فيالــك مــن رزءٍ فظيــعٍ ومــزعجٍ وخطبٍ مهـولٍ قـاطع الظهـر قاصـم
فمــن مثلــه يرجــى لحــل مشــاكل إذا أعجزتنــا مشــكلات المخاصــم
ومــن مثلــه في بــذل علــمٍ وحكمــةٍ وإرشـــاد طـــلابٍ ونصـــحٍ لعـــالم
لقــد كــان ذا عقــلٍ وعلــمٍ وعفــةٍ وقلــب ســليم مــن جميــع المــآثم
فللــه مــن حــبرٍ جليــلٍ وضــيغمٍ هزبـر علـى الأعـداء غـيظ المـراغم
حلــيمٍ رحــيمٍ ألمعـــيٍّ مهـــذبٍ فصيحٍ نصيحٍ صـادق القـول حـازم
تقـــيٍّ نقـــيٍّ ناســـكٍ مـــتروعٍ عفيـفٍ نظيـفٍ مـن جميـع اللـوائم
غيـــورٍ لـــدين الله ســـيفٍ مهنـــدٍ علـى الضـد لا يخشـى ملامـة لائـم
وقـد كـان عـدلاً في قضـاياه منصـفاً وفي الحكم بين الناس أحسـن حـاكم
ويقضي بعلـمٍ لا بجهـل وغـر هـوى ولــيس بطيــاشٍ عجــولٍ وغاشــم
ونهمتــه في العلــم مــذ شــب يافعــاً ومــا همــه الــدنيا وجمــع الــدراهم
لــه في فنــون العلــم بــاعٌ طويلــةٌ يقصــر عــن إدراكهــا كــل عــالم
يحــل عــويص المشــكلات بفقهــه ووقـــاد ذهـــنٍ للغـــوامض فـــاهم
يقضـــي بتـــدريس العلـــوم نهـــاره ويحيـــى الليـــالي قائمـــاً غـــير نـــائم
فـــوا لهفـــي واحـــر قلـــبي ومهجـــتي علـى فقـد بـدر الـدين زيـن العـوالم
مجالســـه للعلـــم عـــادت خواليـــا وأمســـت قفـــاراً دارســـات المعـــالم

كــأن لم تكــن يومــاً رياضــاً أنيقــةً ... زهــت بزهــور مطربــات نــواعم
وإن وفــاة الشــيخ ثلــم بــدينننا ... وهــدمٌ عظــيم مالــه مــن ملائــم
فقــل للــذي يقليــه أو مــبغضٍ لــه ... هلمــوا فسـدوا منـه لـو ثقـب خـاتم
فمــا مــبغضٍ للشــيخ غــير منــافقٍ ... خبيـث الطوايـا فاسـد القلـب آثـم
فصبراً بني الإسـلام صـبراً لمـا دهـى ... مـن المعضـلات المفظعـات العظـائم
فــإن إلــه النــاس منفــذ أمــره ... علـى كـل راضٍ بالقضـاء وراغـم
ولــو كتــب الله الخلــود علــى امــرؤ ... لخلـد خـير الخلـق صـفوة هاشـم
ولكــن مــوت المــرء حــقٌ محــتمٌ ... وذو العرش رب الناس أحكم حاكم
ســلوا الله أن يوليــه عفــواً ورحمــةً ... ويحضـى بفـوز خالـد فيـه حـائم
ويخلفــه فينــا بخــيرٍ وعصــمةٍ ... مـن الفـتن الـدهيا وسـوء الخـواتم
ويبقــى لنــا أعــلام ديــن محمــدٍ ... مشـايخنا الأخيـار مـن كـل عـالم
ويحي بهم ما مـات مـن هـدي أحمـدٍ ... ويمحـو بهـم سـبل الـردى والمـآثم
ويجعلــهم في الـدين والخـير قـادةً ... تحـث علـى التقـوى وتـرك المحارم
وأمـر بمعـروفٍ ونهـي عـن الـردى ... وإرشــاد جهــالٍ وردع المخاصــم
ويبقى لنا بدر الـدجا سـامي الـذرى ... إمـام الهـدى بحـر النـدى والمكـارم
ويجعلــه للــدين والشــرع نصــرةً ... ويـردي بـه الأعـداء مـن كـل ظـالم
ويحــي بــه الإســلام ممــن يرومــه ... بســوءٍ وشــرٍ مــن جميــع العــوالم
فــأكرم بــه مــن ذي تقــى وشــهامةٍ ... وليــثٍ هزبــرٍ في الحــروب وحــازم
رحــيم حلــيم عــادلٍ متفضــلٍ ... ســجيته التقــوى وهجــر المــآثم
لأهــل الهــدى ذي رحمــةٍ وتواضــع ... شـديدٍ علـى أهـل الـردى والجـرائم
فــلا زال إســعاد الإلــه يمــده ... وأعــداؤه في كبــتٍ وذلٍ مــلازم
ويبقــى ولــي العهــد نصــراً لــديننا ... وقمعـاً لأهـل الزيـغ مـن كـل ظـالم
يشــد بــه أزر الإمــام مســاعداً ... لــه في شــؤون المســلمين اللــوازم
لقــد كــان ذا عقــلٍ ورأيٍ وســؤدد ... لوالــده بــرٌ مطيــعٌ وخــادم

فطلعتــــه ميمونـــــة خـــير طلعـــةٍ ومسـعاه في كسـب العـلا والمكـارم
فـلا زال بـالتوفيق والنصـر مسـعداً وعـــزاً وتمكينـــاً مـــن الله دائـــم
وأزكـــى صـــلاة الله ثـــم ســـلامه علـى السـيد المختـار مـن نسـل آدم
كـذا آلـه والصـحب مـع تـابعيهمو وتـابعهم مـن عربهـا والأعـاجم
بعدِّ نبـات الأرض والرمـل والحصـا وما أنهل من وبل السحاب السواجم
ومـا هبـت النكبـا ومـا ذرّ شـارق وما أطـرب الأسمـاع نـوح الحمـائم

وقال السيد أحمد بن عبدالفتاح ساكن ناحية اليمن:

مـــا للمـــدامع كالطوفـــان تنحـــدر والناس سكرى وأيم الله مـا سـكروا
مـاذا الـذي طـم فاسـتكت مسـامعنا وطـاش مـن هولـه البـاب والفكـر
وزلزلـت عنـده الأقطـار واضـطربت منـه الأقـاليم يـا للنـاس فـاعتبروا
هـل هـذه نفخـةٌ في الصـور راجفـةٌ أضـحت تصـيح لهـا المـوتى فتنتشـر
مـــاذا الـــتحير والأحـــوال قارعـــةً مـن الحـوادث يعمـى عنـدها الخـبر
بـل هـذه صـدمة الأقـدار وا أسـفاً تكـاد تفقـد عـين العلـم والأثـر
بمـوت حـافظ هـذا العصـر ناشـره كـذلك المـوت لا يبقـى ولا يـذر
حـبر العلـوم كمـا دلـت مرافقـه وجهبـذاً نخبتـه لأعصـر الأخـر
فـذا يعـز علـى العليـاء فرقتـه فقـد يطيـب لهـا مـع مثلـه السـمر
شـهمٌ تجـافى عـن الـدنيا وزخرفهـا واختـار داراً إليهـا ضـمه السـفر
دار الكرامـة والإجـلال حيـث بهـا حـور الجنـان إلى لقيـاه تبتـدر
فيهـا تطـوف بـه الأكـواب داهقـةً إذ يحتسـيها ولا لغـوٌ ولا سـكر
فيهـا يشـاهد مـالا أعـينٍ نظـرت بـين الحقـائق يجـري تحتهـا الزهـر
حيث المواهب تعطى لا حسـاب بهـا حيـث الصـفا ولا هـم ولا كـدر
مع الأولى وحدوا الـرحمن واجتهـدوا وقطعـوا الليـل بالتسـبيح وابتكـروا
راضـوا النفـوس فخلنـاهم ملائكـةً عنـد المناجـات إلا أنهـم بشـر
الله أكـــبر إذ نـــادى مودعـــه في رحمـة الله والغفـران يـا عمـر

فاض الدموع وفاض الشعر فاستبقا ... وصرت أنظم حين الدمع ينتثر
من غير سبكٍ لأن الفكر مندهشٌ ... أما يحق لها أن تدهش الفكر
وقد قلبت نظام الشعر آونةً ... من محدثات أمور كلها عبر
دع عنك ذكرى الذي قد كان أسكتني ... في مثل موقفنا لا تذكر الفجر
وابكِ الفنون وقد مات ابن بجدتها ... وزال عن طالبيها السمع والبصر
من للعويص إذا دجا دياجره ... ولم يكن في علمٍ منه ينتشر
من للتلاميذ كالوراد من ظمئ ... لفيض بحرٍ به الأمواج تزدخر
ظلوا حيارى غداة النعي فاجأهم ... وبيتوا القول هل يقضي لهم وطر
مات الذي غرست يمناه غرسهم ... فمن يعذيه حتى يطلع الثمر
من للمواعظ يمليها مرتلةً ... من كل معنى لديه يخشع الحجر
وحسبنا الله هل يدري مشيعه ... من غيبوه ومن في التُّرب قد قبروا
وإنما الآية الكبرى لمعتبر ... إن تحوي بحراً عجاجاً هذه الحفر
وتهبط الشمس للبيدا فتسكنها ... ويختفي اليوم في أطباقها القمر
أين الذي يصدر الفتوى مكللةً ... من الأدلة بالبرهان تزدهر
أودى وغادر أذهاناً مشتتةً ... من هول مصرعه قد حفها الخطر
لأن تغيب منه في الثرى جسدٌ ... فما تغيب منه الذكر والأثر
لم تتحد يعرب إلى عليه أسا ... ولم يضمهم في ذاك مؤتمر
فكل فردٍ من التبريح فيه حوى ... قلباً ترامى به الأحزان والضجر
يا أهل نجدٍ وقيتم كل كارثةٍ ... ونلتم أجر من عند البلا صبروا
إن المصاب ولو جلت فوادحه ... يهون في مصرع المختار فادكروا
واستشعروا الصبر وارتادوا العلوم ولا ... تألوا اقتراباً إلى نهج الأولى غبروا
وامشوا على سنن الأسلاف حيث مشوا ... مع الدليل وقد فازوا وقد ظفروا
وحبذوا فكر الطلاب واستبقوا ... ونابذوا خطة العصري وانتهروا
بثوا النصائح واصلوا كل مبتدعٍ ... صواعقاً من سماء الشرع تنفجر

وثــابروا وأنشــروا الــدعوى تؤيــدها ... مــن المليــك ســيوف الهنــد والســمر
عبـــدالعزيز أطــــال الله مدتـــــه ... في نصــرة الحــق إن الحــق منتصــر
من أتعب الـنفس في تكميـل راحتنـا ... حتــى يلــذ لـــه في نومنـا الســهر
بــراً بأمتــه ســهل الحجـاب لهــم ... رمــز التواضــع مـا في خــده صـعر
مــن وطــد الأمــن والــدنيا مروعــةً ... مـــن المخــاوف والهيجــاء تســتعر
لا هــم أيــده بالنصــر المــبين علــى ... أعــداء دينـك مــن يحـدوهم البطـر
واشــدد بأنجالــه مـــن أزره وهـــم ... أهــل المعــالي ونعــم القــادة الغـرر
وأسـبل شـآبيب رضـوانٍ ومغفــرةٍ ... علــى الفقيــد وعفــو منـك ينهمـر
من مات في صفر من صدر عامٍ وقـل ... أمســـيت دارك علـــيين يـــا عمـــر

كذا ذكر الناظم في تاريخه، والصحيح ما ذكرنا ولعله لم يبلغه خبر وفاته إلا في صدر العام، وممن رثاه الفاضل الشيخ عبدالمحسن بن عبيد بهذه القصيدة:

أشـــكو إلى الله عـــلام الخفيـــات ... مصـــيبةً عظمـــت لا كالمصـــيبات
مـــوت التقـــى الإمـــام قـــدوتنا ... المــاهر البطـــل العــالم الــرات
محقـق العصـر مفـتي الوقـت عالمنـا ... فقيـــه نجـــدٍ بـــإطلاق البريـــات
محـي العلـوم وقاضـي عصـره عمـر ... ذو العقل والدين مع حسن السـجيات
مفـتي الـبلاد وحيـد العصـر فاضـله ... أخـــو المعـــارف فينـــا والســعادات
العــالم الفاضــل ابــن الشــيخ عالمنـا ... علامــة الوقــت مــأمون الســريرات
مصـيبة الشـيخ لـيس كالمصـيبات ... لكن على ذي التقى مـن كـل قنـات
نجـمٌ هـوى في الثـرى فـالله يجبرنـا ... على مصابٍ ثـوى مـن بـين أمـوات
رزءٌ ثقيــلٌ علــى الإســلام قاطبــةً ... والمســـلمين كـــذا كـــل البريـــات
خطــبٌ جسـيمٌ علـى نجـد وسـاكنها ... أعظـم بـه مـن خطـوب الماجريـات
ريعت لــه مـن ذوي التوحيـد أفئـدةً ... فكـم دمـوعٍ جـرت تتلـو لعـبرات
فيـا لعـين بهطـل الـدمع قـد بخلـت ... متـى تهـل مـع العـبرات قطـرات
يا عين فابكي على شيخي ولا تهـني ... واهمي من الـدمع كـرات عديـدات

فالحمـد لله لا نشكو إلى أحدٍ ... سوى العليم بأسرار الخفيات
حمداً كثيراً كما يرضاه فاطرنا ... على القضاء كذا كل الذي يأت
صبرٌ جميلٌ وتسليمٌ لمالكنا ... يا رب لطفاً لدى كل المهمات
فقد عرتنا أمورٌ أنت تعلمها ... يا عالم السر مع كل الجليات
فاجبر عزانا بلطفٍ منك يا أملي ... والمسلمين كذا كل البريات
واخلف لنا فاضلاً يحيي مجالسه ... يحيي من السنة الغراء لميتات
موفقاً مخلصاً لله همته ... نصح الخلائق مع تصحيح نيات
إذا تذكرت أحوالاً لعالمنا ... فاضت دموعي على خدي بعبرات
كم سنة شادها يوماً بهمته ... كم حجةٍ صدرت منه وآيات
كم من نصائح سارت في الورى غرراً ... بين الملاء أرباب الولايات
الله أكبر من ذا يحصى مناقبه ... مع عد أحواله الغر السنيات
كانت مجالسه بالعلم عامرةً ... يؤمها معشر القراء كرات
من كل قطرٍ تراهم حوله زمراً ... يا لهف نفسي عليه بين أموات
لو كان يقبل منا الموت فديته ... كنا افتدينا أبا حفص بما نأت
بالنفس والمال والأهلين كلهم ... طراً جميعاً كذا كل القرابات
لكنه الموت لا يبقي على أحدٍ ... كل البرية تفنى بالمنيات
لا يسأم الدرس لا حضراً ولا سفراً ... في كل حينٍ يحيي وساعات
من للمجالس بعد الشيخ يعمرها ... كأن مجلسه روضات جنات
من للتصانيف والأجزاء يحللها ... والمشكلات لدى هذي البريات
من للفرائض يبدي من غوامضها ... من ذا يفيد لأرباب السؤالات
من يصطبر صبره للعلم محتسباً ... يدعو إلى الله علام الخفيات
من مثله في علوم الشرق نقصده ... إذا ادلهمت خطوب الماجريات
الحمد لله حمداً دائماً وكفى ... حمداً كثيراً على كل الذي يأتي
يا رب نوّر ضريحاً كان ساكنه ... وحفه بالرضا مع محوزلات

واخلفـه في آلـه والمسـلمين معـاً | يا رب فاسمع دعـائي مـع شـكاياتي
آنـس لوحدتـه وارحـم لغربتـه | واجعـل ملاحـده روضـات جنـات
يا ربِّ صلِّ وسلم على المختار سيدنا | محمـد المصـطفى مـن ذي البريـات
والآل والصحب ما هب النسيم ومـا | كـر الجديـدان مـع كـل القرابـات

وقال الشاعر الأديب صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين راثياً الفقيد الشيخ عمر بن محمد بن سليم قدس الله روحه:

مصـابٌ عظـيمٌ حـق فيـه التلـهف | وصـارت بـه عينـاي بالـدمع تـذرف
ولا بـدع أن اسـتبدل الـدمع في دمٍ | فمـا نـاظر يبكـي الـدم الآن مسـرف
فيا عين فابكي واحذري من تكاسلٍ | وخـلٌ الهوينـا إن صـبري ليضـعف
ويا موت زر لا خير لي بعـد في البقـا | إذا ارتحـل الأخيـار لم نتخلـف
إذا أنـت أسـرعت ارتحـال خيارنـا | وأبقـت قومـاً لـيس في الخـير تعـرف
فمـني علـى الـدنيا السـلام جميعهـا | ولسـت علـى أبنائهـا أتأسـف
لقـد حـلَّ في ذا العـام مفقـد عـالمٍ | بمفقـده شمـسٌ مـن العلـم تكسـف
لقـد حـلَّ في ذا العـام مفقـد عـالمٍ | بـه حـل في أطـراف أرضٍ تخـوف
فقـدنا بهـذا العـام نجـل محمـدٍ | هـو ابـن سـليم الزاهـد المتصـوف
فقـدنا بهـذا العـام بـدر هدايـةٍ | فيـا عمـر مـن ذاك بعـدك يخلـف
فلـو أن فيـك المـوت يقبـل فديـةً | لكنـت بهـذا الأمـر للـروح أصـرف
فيـا عمـر أفـديك روحـي ومهجـتي | فأفعالـك الحسـنى بنـا لا تكيـف
فأنـت الـذي في العلـم مـدت أنامـل | إليـك فعـادت بعـد مـد تكفكـف
فحقـاً وجـوه الفقـه زال جمالهـا | وعن جسمها طوى القميص المفـوف
وحقـاً فمـا الفقـه بقـى مفـرع | وأسمـاع طـلاب لـه لا تكشـف
وحقـاً طريـق المـذهب الآن هابـه | جسـورٌ بمـا أبـداه أحمـد يكلـف
وحقـاً عويصـات المسـائل أبقيـت | كـآي صـفات بـالتلاوة تتحـف

وحقـاً بكـى المغـني وكـافي وغايـةٌ وإقنـاعهم شـرحاً أراد المصـنف
وحقاً فمغـني النحـو أصبح مشـكلاً وكـل غريـبٍ فيـه لـيس يعـرف
وحقـاً فجـار الله[1] دق اعتزالـه ومـا دس في كشـافه لـيس يكشـف
وحقـاً فلـن ينهـى مـراد نهايـةً عليـه غريـب فهمـه سـتوقف
فأسـيافه في البحـث قاطعـة الضـبا بها امتاز مـا قـد صـححوا والمزيـف
يقـوم بإيضـاح المسـائل جاهـداً وأشـتاتها بعـد افـتراق يؤلـف
وأقلامـه فيـه الأوابـد لم تـزل بتقييـد علـمٍ مـن مـداده تغـرف
لـه قـدمٌ في الفقـه سـابقة الخطـى كما في كمال الدين والعقل يوصـف
فكـم كـان يحـي فيـه لـيلاً كأنمـا يصـيد بفـخ الفهـم دراً ويكتـف
أبـان الخفايـا بـل إذا لبيانـه أردت اختبـاراً سـحر بابـل يـردف
مثقفـةٌ ألفاظـه عذبـة الجنـا فمـا غـير ذاك اللفـظ قيـل المثقـف
طـوى المـوت حقـاً حنبلـي زمانـه طوى الموت حقـاً مـن هـو المتعفـف
طوى الموت من في العلم أصبح سـاعياً بعـزمٍ صـحيحٍ مقـدماً لا يسـوف
قفـوا خبرونـا مـن يقـوم مقامـه ومـن ذا بمحـراب الهدايـة يعكـف
قفـوا خبرونـا مـن يوقـف طالبـاً علـى غـامض الآيـات لا يتكلـف
قفـوا خبرونـا مـن إذا ولـي القضـا فميزانـه القسـطاس لـيس يطفـف
ومن ذا تطيـب الـنفس يومـاً بقولـه سـواه ومـن ذا بعـده قيـل منصـف
هـو الجبـل الراسـي تهـدم ركنـه قفـوا نبكـه يـا أمـة المصـطفى قفـوا
حـوى مـن مواريـث النبـوة إرثـه وصـارت بـه أعـلام علـمٍ ترفـرف
وفي موته الأعـلام عـادت إلى الثـرى ورد بـه الأعـلام مـا منـه خلفـوا

---

(1) يعني أن الزمخشري محمود المسمى جار الله دس في تفسيره المسمى الكشاف أموراً من الاعتزال وهي دقيقة لا يعرفها إلا ذو المعرفة من العلماء يشير بأن نقاد العقائد قليلون ومن يعرف الاعتزال بعد الشيخ عمر بن محمد بن سليم.

تنكـر هـذا العصـر لكـن فإنـه بطيـبٍ ثنـا أبقـاه فينـا معـرف
وقـد لبسـت نجـد ثيـاب حـدادها على زوج فضلٍ لا عن الحق ينكـف
لأن مهـد التمهيـد مضـجعه لـه فكوكب ما أبقى مـن العلـم مشـرف
سـأبكيه بالـدرين دمعـي ومنطقـي بسـلك تـآبين عليـه تؤلـف
أجـاوب ورقـاء الحمـام بشـجوها وأغلبهـا في لـوعتي حـين أهتـف
سأنشـد قـبراً حـل فيـه رثـاءه وأعصي عذولاً شاء عن ذاك يصدف
فلـهفي لا مـداحي عليـه تحولـت رثـاء بهـا تلـك المـدامع تنطـف
ولكـن فمـا بعـد الـنبي محمـدٍ رجـاء بقـا والخلـد لا يتشـوف
فمـا نحـن إلا ركـب مـوتٍ إلى الـبلا صـروف الليـالي للمنيـة تقـذف
فهـذا سـبيل العـالمين جمـيعهم فـذا لا حـق هـذا وهـذاك يسـلف
فيا رب روي الروح في صـوب رحمـةً فقـد كـان في الـدنيا بهـا يتعطـف
وروحـه بالريحـان والـروح والرضـا والحق به في الحشـر مـن فيه يشـفف
وأرخّ فقيـه العصـر حـين رثائـه قضـى عـالم الـدنيا لمـولاي يـأزف

وهذه قصيدة رثائية للشاب الفاضل وابن الأكرمين الأفاضل عبدالعزيز بن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ قالها في المترجم:

الـدمع مـن عـيني ذو همـلان والقلـب مملـوء بـذي الأحـزان
والجسـم أصـبح مسـتدقاً نـاحلاً والنـوم حـارب مقلـتي وجفـاني
والليـل طـال وبـدلت نعماؤنـا بؤسـاً لفقـد العـالم الربـاني
عمـر الـذي عمـر المجالس بـالتقى والـدرس والتحقيـق والعرفـان
رب المعـارف والحقـائق والعلـى والحلـم والإرشـاد والإحسـان
ورث المكـارم كـابراً عـن كـابر بنـو سـليم هـم أولـو الإتقـان
يتقشـفون علـى كثافـة قـدرهم يتواضـعون وهـم عظيمـو الشـأن
مـن للمجـالس في بريـدة بعـده مـن للعلـوم وسـنة العـدنان
يـا رب فارحمـه واسـق ضـريحه صـوباً مـن الرضـوان والغفـران

مولاي ابق لنا إمام الدين ذا التحق.. .....يـق ناصـر شـرعة الـرحمن
قمـر الـدجا رب العلـى زيـن المـلا بحـر العلـوم وترجمـان قـرآن
شـيخ المشـايخ سـيد العلمـاء في هـذا الزمـان بلـى وكـل زمـان
هـو والـدين والحـق يشـهد أنـني فيمـا أقـول مقصـر ببيـان
يـا رب فاحفظـه ومتعنـا بـه يـا دائـم المعـروف والإحسـان
وامـنن علـي ببـره ورضـائه وكـذاك أولادي كـذا إخـوان
وأفـض علينـا منـه علمـاً نافعـاً يـا سـيدي يـا منـزل الفرقـان
وكـذاك ابـقِ لنـا مشـايخنا فهـم فينـا البـدور تضـيء للعميـان
واغـرس لهـذا الـدين غرسـاً واحمـه مـن كيـد كـل ملـددٍ شـيطان
ثـم الصـلاة علـى الحبيـب شـفيعنا والآل والأصـحاب والأعـوان
مـا سـحَّ ودقٌ أو تغنـى منشـداً الـدمع مـن عـيني ذو همـلان

وهذه مرثية الشيخ الأديب محمد بن عبدالعزيز بن هليل للشيخ عمر بن محمد ابن سليم، وهي حسنة جميلة من البسيط:

رضا وصبراً وحمداً لـيس منحصـراً علـى قضـاء مليـكٍ للـورى فطـرا
سـبحانه وتعـالى لا مـردَّ لمـا أراده لجميـع الخلـق قـد قهـرا
إنـا لـه وإليـه أمـر مرجعنـا وكـل شـيءٍ فمنـه محكـم قـدرا
مصـارع المـوت للألبـاب واعظـةٌ في كـل حـينٍ ترينـا الهـول والعـبرا
لكننـا غلبـت والله غفلتنـا نسـتغفر الله ربـي خـير مـن غفـرا
فـاليوم ظلـت وقـد جلـت مصـيبتنا سـحائب الـدمع منـا تقـذف العـبرا
علـى إمـامٍ همـامٍ عـالمٍ علـمٍ حـبرٍ تقـيٍ قضـي وقـد قضـى العمـرا
في خدمـة الـدين والتوحيـد مجتهـداً عن حسن قصدٍ وقلـبٍ بـالتقى عمـرا
محـارب عصـب الأشـرار قـامعهم وللمسـاجد بالأذكـار قـد عمـرا
مجاهـد ناسـك إلى المناسـك ذي شـوق متابعهـا حجـا كـذا عمـرا
محقـقٍ فاضـلٍ بـالعلم ذي عمـلٍ موفـق السـعي أعـني شـيخنا عمـرا

ابـن سـليم الـذي لله قـد سـلمت لـه العقيـدة في الإسـلام واشـتهرا
الناشـر العلـم بـالتعليم محتسـباً ملازمـاً حضـرا لـذاك أو سـفرا
إليـه تضـرب أكبـاد المطـي لأخ.... ...ذ العلم عنه تجوب السهل والوعرا
القـائم الليـل للـرحمن نافلـةً مـرتلاً خاشـعاً لربـه السـورا
ينهى عـن المنكـر والآثـام يـأمر بالمـ ـعروف مـن بعـدما بفعلـه ائتمـرا
فنـور الله قـبراً حلـه كرمـاً وجـاده صـيب الرضـوان منهمـرا
وفقـد أهـل التقـى والعلـم سـادتنا رزيـه تـورث النقصـان والضـررا
فـنحن في زمـنٍ زادت مصـائبه والخير أصـبح مـن تحـت الثـرى قـبرا
فـالعلم يرفـع والجهـل المضـرطما بحـرٌ لـه ظـلٌ فيـه المـرء منغمـرا
ورفعـه بممـات الحـاملين لـه قـد جـاء ذلـك فيمـا قـد روى خـبرا
عـن الـنبي عليـه الله خالقنـا صـلي وسـلم مـا نجـم بـدا وسـرا
والآل والصحب أهل الصدق أجمعهـم والتـابعين ومـن للـدين قـد نصـرا

وقال السيد علي السنوسي قاضي جيزان السابق هذه المرثية البديعة في شيخنا المترجم، وهي من بحر الطويل:

أحقـاً تـوفى في ريـا النجـد عـالمٌ وضـمته أقطـار الثـرى والمعـالم
نعـم عمـر الفـاروق ابـن محمـدٍ تـوفى فمـا حـيٌ سـوى الحـق دائـم
فكـم أمـم قـد أصـرع المـوت قبلـه فلـم تغـنِ عـنهم دورهـم والعواصـم
وآثـارهم مـا بـين شـرق ومغـربٍ لنـا عـبرةٌ منهـا حصـيد وقـائم
فكيف بقـاء الفـرع والأصـل ذاهـبٌ بما قـد مضـى مـن أعصـر فهـو أدهـم
ونعلـم أن المـوت حـقٌ وإنمـا لنـا أمـلٌ في فسـحة العمـر هـائم
ويغتر في غصن الشباب أخـو الهـوى وينسـى لمـا تجنـى عليـه الجـرائم
ولا يرعوي فيمـا يـرى مـن مصـارعٍ لأقرانـه حتـى يفاجيـه هـاجم
فـلا أسـف أن مـات يومـاً فإنـه كمـا عـاش في الـدنيا تعيش البهـائم
ولكـن يمـوت العلـم في مـوت أهلـه ويقـبض حتـى يعـوز النـاس عـالم

وما موت فاروق الزمان بعلمه ... سوى فزعٌ ترتج منه العواصم
ولما أتاني نعيه رجفت بي ... الأرض وانسدت بقلبي المناسم
وأوجب لي فيه المصاب لدهشةٍ ... عرتني إنكاماتها وأنا واجم
فلا تعجبوا أن غاب فكري ... بمن شط عني في ربى النجد حائم
وصرت إذا ما رحت أرثيه حائراً ... من المدمع السيال والطرف ساجم
وانفض كفي من تشوش فكرتي ... أفي يقظةٍ لم أدرِ أم أنا حالم
وتبت يدا موت رمته فأقصدت ... على أنه ابن العلا وهو خادم
بكى النجد من حزنٍ عليه وأغلقت ... على موته أسواقه والمحاكم
وقد لبست ثوب الحداد تفجعاً ... عليه السماء والأرض والجو قاتم
فمن للفتاوى بعده من محررٍ ... لأقلامه فيها تسوح مراسم
ويوردها في الحال دون توقفٍ ... على رقةٍ تغتار منها النسائم
قضى العمر في نشر العلوم وحكمةٍ ... بديعية تهوى حلاها المباسم
وإن رام إظهار الخمول ليتقي ... به حاسداً تأبى عليه الشكائم
يفوح عبير المسك وهو مختم ... ويسري برياه الدجى وهو كاتم
وكان وقوراً بالجلال إذا اجتنى ... لفصل القضاء لم يرفع الصوت ظالم
ويطرق كل رأسه في تأدب ... بدون انقباضٍ حوله وهو باسم
وكان على سمت الصلاح شعاره ... بقلبٍ خوى فيه التقى والقوادم
وقد فقدت في موته كوكب الهدى ... عريب النقا يوم القضا والأعاجم
وجاوز أهل العلم والفضل والتقى ... إلى رتبةٍ قد أعجزت من يزاحم
وقد كان يقضي حيث يمضي محرراً ... لأحكامه لا يعتريه التساؤم
ويقضي على ما عنده غير باحث ... بتفتيشه كتباً كمن هو واهم
ويوحي إليه القلب ما يستمده ... لسانٌ فصيحٌ كلما سل صارم
وغالطنا هذا الزمان الذي به ... تساوى أخو الجهل ومن هو عالم
فلم نرَ فرقاً بين قاضٍ وغيره ... وقد كثرت فوق الرؤوس القمائم

ولـولا إمـام الحـق عاهـل يعـرب | بتوفيـق رب العـرش بـالحق قـائم
لأصبح علـمٌ في الحضـيض وأهلـه | لكثـرة مـن في صـرحه اليـوم هـادم
وبـث رجـال العلـم في كـل بلـدةٍ | وقـد نهضـت بالنـابغين العواصـم
ولا سـيما جـازان مركـز عدلـه | وأنعامـه فـيمن تضـم التهـائم
وكافـأه الـرحمن عنـا بمثـل مـا | أجـاز بـه مـن للنبـيين خـاتم
وأيـده في دولـةٍ عربيـةٍ | قواعـدها ديـن الهـدى والـدعائم
وأنجالـه والـرافلين بظلـه | علـى نعـم خطـت ثراهـا المكـارم

ومن مرثية الشيخ عمر بن صالح الوسيدي في شيخنا المترجم نذكر أبياتاً:

فـلا خـير في الـدنيا وهـذه حالهـا | تقضـت سـريعاً آذنـت التناقـل
وهـذا زمـانٌ قـد أبيـد خيـاره | كسـلك نظـام فاضـلاً بعـد فاضـل
ومفضول هذا الناس أصبح فاضـلاً | وفاضـلنا قـد صـار تحـت الجنـادل
هو الشيخ من سمـي بفـاروق وقتنـا | سمـي أبـي حفـص كـثير الفضـائل
سـلالة آل مـن سـليم أطـاهر | تقيـاً نقيـاً ناسـكاً غـير كاسـل
تبحـر في فـن العلـوم جميعهـا | يقررهـا في النـاس بـين المحافـل
أصـولاً وفقهـاً والفـرائض بعـدها | علـوم الحـديث عـالم بالـدلائل
كـذلك نحـو والحسـاب وغـيره | خـبيرٌ بتـدقيقها والجلائـل
فكـم بدعـةٍ شـنعاً أزال ظلامهـا | وكـم سـنة أحيـا بهـا مـوت جاهـل
مجالسـه معمـورة كـل لحظـةٍ | بليـل نهـار في الضـحى والأصـائل
وينتابهـا الطـلاب مـن كـل وجهـةٍ | فكـم باحـث فيهـا وتـال وسـائل
فوا لهف نفسي من رسوم قد انمحت | وأقفـرت منـا ريـاض المسـائل
سـقتها ريـاحٌ للشـمال وبعـدها | ريـاح جنـوب والصـبا والمقابـل
فـواحر قلـبي ويـا عظـم حسـرتي | تفتـت كبـدي بـل وهاجـت بلابـل
أقلـب جسـمي في الفـراش كـأنني | لـديغ بسـم مـن أفـاع قواتـل

فكيف يطيب العيش من بعد شيخنا   وكيــف لنــا نســتمتعن بالحلائــل
فيا عين جودي مـن الـدمع واسكبي   دموعــاً غــزاراً كالســحاب الهواطــل
وبعــد الــدموع بالــدماء فبــادري   وبعــد الــدما نفــسٌ تفــيض بعاجــل
كذاك السماء تبكي على كـل مـؤمنٍ   برفــع أعمــال مــن صــعود ونــازل

وقد أصلحنا ما تكسر من هذه الأبيات وحذفنا أول القصيدة وآخرها لعدم الاستقامة، ولما كان بعد وفاة الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن سليم جاء إلى الشيخ المفتي محمد بن إبراهيم آل الشيخ أحد تلامذته يحمل إليه نبأ وفاة قاضي بريدة الشيخ عمر بن محمد، فاسترجع الشيخ محمد، وبعد قليل قال له ذلك التلميذ: وأيضاً توفى فلان لكاتب من كتاب الدوائر، فتنفس الشيخ محمد الصعداء وأمر أحد بنيه أن يكتب هذه الأبيات رثاء للشيخ عمر رحمه الله تعالى:

إن المصــيبة حقــاً فقــدنا عمــراً   أعظــــم بميتتــــه رزء بنــــا كــــبراً
قطب القصيم وما دون القصـيم ومـا   خلف القصيم وما جرى القصيم جـرا
عليـــه دار الهـــدى والحـــق بيتـــه   كـان الحيـاة وكـان السـمع والبصـرا
ارزقـــه يـــا ربنـــا عفـــواً ومغفـــرةً   واجـبر مصـيبتنا يـا خـير مـن جـبرا

وقد رثاه الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر وغيره بمراثي كثيرة تركناها لأن غالبها لم يتزن، ونكتفي بما تقدم، ودفن في المقبرة الجنوبية، وقد خلف أموالاً كثيرة من أراضي وضيعات ونحوها.

ولما توفى الشيخ عمر وانتقل إلى رحمة الله اجتمع الأعيان والرؤساء وطفقوا يبحثون في مسألة قضاء بريدة ومن يكون خلفاً للشيخ، ومن يصلح لذلك، ومن لا يصلح، حتى وقع السهم على الشيخ محمد بن مقبل قاضي البكيرية بصفته عالماً عاقلاً ذا أصل ودين وبصيرة، وذا تجربة، غير أنه كان كبير السن ويشق عليه تحمل أعباء المسألة، ورفعوا إلى صاحب الجلالة يطلبون تنصيبه وأنهم يرتضونه، فبعث إليه الملك عبدالعزيز أمراً بأن يقوم بقضاء بريدة، وأعلمهم بذلك فذهب الأعيان إليه مباشرةً يستحثونه على القدوم فاعتذر بكبر السن ورقة العظم، وبكى أمامهم

بعدم الاستطاعة، فصار قضاء بريدة نيابةً إلى أن يوجد قاضٍ لها، وحصل بسبب ذلك اختلاف بين من يقول هذا وذاك حتى وقع الاختيار على الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، فهو الذي يقوم بالقضاء والتدريس ويسد مقام ابن سليم، وبما أن الشيخ عبدالعزيز كان في قضاء الخرج فقد أجابهم الملك بأنه في عمل كبير هناك، وعرض جلالته بالشيخ عبدالله بن محمد بن حميد مشيراً بأن يكون خلفاً من القاضي الراحل، وجرى ما سنذكره فيما بعد.

وممن توفى فيها من الأعيان: سليمان بن محمد بن عمر آل سليم ابن عم شيخنا، وكان رجلاً طوالاً نبيهاً فطيناً وله خبرة بالأمور الدينية والدنيوية، وذا شهامة وقوة ذاكرة.

وممن توفى فيها أيضاً: عبدالله بن عبدالعزيز بن صعب، كان حفيد الشيخ صعب، وأخاً للشيخ عبدالرحمن آل صعب آل تويجري، والمذكور محبوب عند الناس، وتال لكتاب الله، وكان من سكان بريدة، وقد يسكن في السباخ النخيل الذي يبلغ بعده في التقدير عن البلد بكيلوين، وفيه مكارم أخلاق ورجولة، وكان موته بداء الغاشية في جوفه، المرض المعروف، ودفن إلى جانب الشيخ عمر.

وختمت هذه السنة بهطول أمطار على سائر نواحي المملكة العربية السعودية، وحج بالناس صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ولما قدم مكة استقبل استقبالاً عظيماً وأطلقت المدافع التحية، وأطلقت الألسن في مدحه والثناء عليه نظماً ونثراً، وتبارى الشعراء بالقصيد، ومن أراد الاطلاع على ذلك فليراجع جريدة أم القرى.

وفي هذه السنة ابتداء بإطلاق مدفعين للإعلام بطلوع الفجر وزوال الشمس، وكان لذلك أحسن الوضع في مزدلفة ومنى تيسير للناس لأن بعض الحجاج من يرمي قبل الزوال ويصلي قبل طلوع الفجر، فمراعاة للأمة أحدثت الحكومة هذا المشروع.

وفي هذه السنة حج أناس من العجم إيرانيين رفضة فكان منهم من لا

يتابع الإمام في الصلاة ولا يقتدي به حتى صدر الأمر من الحكومة بالإنكار عليهم من كل من رآهم، وجرى منهم مفاسد حتى شوهد منهم من يلقي النجاسات في صحن المطاف، وقد عثر في ١٢ ذي الحجة على رجل من الإيرانيين وهو متلبس بأقذر الجرائم وأقبحها وهي حمل القاذورات من العذرة يلقيها في المطاف حول الكعبة بقصد إيذاء الطائفين وإهانة هذا المكان المقدس، فلما ثبت ذلك وتحقق أمر صدر الحكم الشرعي بقتله، فقتل في اليوم ١٤ من ذي الحجة جزاءً له على فعله الذميم.

وقد شاهدنا من أمر هؤلاء العجم ما هو من أكبر المنكرات، فرأينا مجتمعاً في الحطيم للوداع كانوا يدعون بدعاء منكر حتى جعلوا يشركون بالله الشرك الأكبر، ويأتون بمنكر من القول وزور، وفعلاً أنكرت الحكومة عليهم بجلب عساكر طردتهم وشتت مجتمعهم، وأنه ليتعين على ولي الأمر منعهم من المسجد الحرام.

وفيها ظهر بمكة رجل ادعى أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان، واتخذ وزيراً له يدعي أنه الخضر، فاستجاب إلى تدجيلهما جمع من الغوغاء وهيأ سبعاً وعشرين راية، واتخذ ذلك المهدي شعاراً لأتباعه ثلاثمائة سبحة، فقبضت الحكومة عليهما وزجت المشعوذ بالسجن، وكان شيخاً هرماً متقوس الظهر، وانتهت المسألة بأن كان ضحكةً لكل ساخر.

ثم دخلت سنة ١٣٦٣هـ

استهلت هذه السنة وأهالي بريدة في طلب قاضي ومدرس يكونان خلفاً من الماضي، فاتصلت الأمة برقياً بجلالة الملك وطلبوا أن يكون الشيخ محمد بن عبدالله بن حسين قاضياً في العاصمة فاتخذت الحكومة له بيتاً في وسط البلد، وباشر القضاء في اليوم ١٨ من ربيع الثاني، وبعث الملك عبدالعزيز فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد ابن حميد مدرساً لتلامذة الشيخ ابن سليم فقدم الشيخ عبدالله لأول مرة بلدة بريدة في يوم الجمعة ٢٠ ربيع الثاني، ومن هذه السنة وباشر التدريس، فكان الخطيب في المسجد الجامع عبدالله بن رشيد، كان خطيباً وإماماً، والشيخ محمد قاضياً، والشيخ

عبدالله بن حميد مدرساً، وعزل الشيخ محمد بن مقبل عن قضاء البكيرية وجعل مكانه الشيخ عبدالعزيز بن سبيل، وكان شاباً عاقلاً حسن الخلق، وقد تخرج على الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي ساكن عنيزة.

وفيها قدم أصحاب السمو الملكي الأمير فيصل والأمير خالد، والأمير منصور ابن عبدالعزيز من أمريكا، وكان عودة الثالث من فلسطين ومصر للعلاج هناك، وكان سفر أصحاب السمو في السنة التي قبلها، فأقيمت حفلة في الزاهر احتفاءً بالقادمين، وتقدم الشعراء والخطباء معبرين عن شعورهم القوي بهذه المناسبة، ونذكر قصيدة نظمها وألقاها الأستاذ حسين فطاني، وقد امتازت بحسنها وقوة إلقائها:

سل الجوهل يدري علام ترقصت ... سحائبه تيها بمن كان مسعدا
سل الشعر عن أفنانه وفنونه ... وعن كل معنى كان فيه محددا
وسائل بلاد العرب عن لهفةٍ بها ... وعن سيفها البتار كيف تجردا
وسائل عقاب الطير كيف سموه ... وكيف يود النجم لو كان مقعدا
وسائل أميركا كيف منه تودعت ... وسائل جميل الذكر كيف تخلدا
وسائل أميركا عن معاهد علمها ... بمن حل ضيفاً في رباها فأسعدا
وسل لندا عنه عشية غارةٍ ... يراقب طياريها مترصدا
كأني بذاك البرح مذحل شخصه ... به راح حصناً لم تنله بد العدا
لأن كان فيها للحروب مشاعل ... ففيصل يوم الروع قد كان أجلدا
لقد شهد التاميز فيك بطولةً ... وفذاً نبيلاً في الوفادة مفردا
وفي المغرب الأقصى نزلت مكرماً ... فأحييت ذكر العرب عزاً ومحتدا
ومصر رأت فيك العظيم وإنها ... لقطرٌ شقيقٌ بالوداد تقيدا
فما قبلة الإسلام إلا بمكة ... هنا شع نور الحق فالعالم اهتدا
إذا اتحد الإسلام عاد ضياؤه ... فإني عهدت العود أجلى وأحمدا
وما تسعد الأوطان إلا بنهضةٍ ... تشق لها بين الحضارات منفدا

وما تنهض الأوطان إلا إذا ارتدت ... من العلم والأخلاق درعاً مسردا
وما تنهض الأوطان إن لم يكن لها ... مدارس تحمي حرثها أن يبددا
وما تنهض الأوطان إن لم يكن لها ... مصانع تحمي مجدها أن يهددا
وما تنهض الأوطان إلا بماجدٍ ... إذا ما ادلهم الخطب كان المسددا
فما فيصل فينا سوى الأمل الذي ... يراح له في الحادثات ويغتدا
وما فيصل فينا سوى المنهل الذي ... عرفناه عذباً مذ قصدناه موردا
وما فيصل فينا سوى النور زاهياً ... يبيت لظلم الحالكات مبددا
لئن كان في الأمريكيتين شواهق ... فإن له في المجد حصناً مشيدا
وإن كان فيها للحديد مصانع ... فإن صنيعاً منه ما زال أجودا
وإن كان فيها للزهور معارض ... فما هو إلا الزهر بلله الندا
وإن كان فيها للحسان ملاعب ... فإن له من نفسه الطهر والهدا
ومن باتت العلياء تخطب وده ... حقيق بأن يسلو سواها فيقتدا
ومن ناب عن شعب لإظهار فضله ... حقيقٌ بأن تغدو النفوس له فدا
إذا قيل من للمجد يرفع شأوه ... تلفتت الدنيا ومدت له اليدا
وإن قيل من يهدي السيوف سليلةً ... أجابت سمي السيف فيصل سيدا
على الرحب يا شمس السياسة والحجى ... على الرحب يا من حل فينا ممجدا
على الرحب ملء القلب والسمع نوركم ... وملء عيون في غيابك سهدا
بعثت مع الأنسام أسمى تحيةً ... بنت من عظيم الود صرحاً ممردا
وجئت على متن الهواء محلقاً ... كطيفٍ من الآمال قد لاح مسعدا
فلله ما أبهى مطيتك التي ... تهادت بأكناف الفضاء تأودا
وقد بسطت منه الجناح وأرسلت ... حنيا هو البشرى بمن قد تفردا
وكانت قلوب الشعب في نظراتهم ... تحاول أن ترقى السماء تصعدا
ورفت بنود البشر وازدهر الحمى ... وراحت وفوت البيت نحوك قصدا
وأبرعت لحني ليس يدرك شأوه ... وحسبي من الإخلاص أني لك الفدا

لأن خنقتني في الوداع عواطفي   فإني بلقياك المشوق مغردا
فدع كل صوت غير صوتي فإنني   أنا الطائر المحكي والآخر الصدا
نظمت قلوب الشعب عقداً منظداً   بحبك ما أسماه عقداً منضدا
جميل بأن تهفو القلوب لمجدكم   وتهتز وجداً حينما خالدٌ بدا
فما خالد أن قيل من هو خالدٌ   سوى الفضل والأخلاق والنبل والندا
إذا قيل من تهوى السيوف يمينه   تنادت به الأيام لا زلت أوحدا
وإن قيل من يعتاد للعز منصبا   أجابت أرى في خالد من تعودا
أميران في الدنيا الجديدة أشرقا   وسيفان من غمد العروبة جردا
فحدث عن الإجلال ما شئت معلناً   وحدث عن الإكبار ما شئت منشدا
وبين بلاد الإنكليز حفاوةٌ   بضيفين كانا للمحامد منتدى
وفي غرب إفريقية وشمالها   ودادٌ قديمٌ بالوصال تأكدا
لقد عدتما والشوق ملىء ربوعنا   فأضحى نشيد اليمن فيها مرددا
أعدا لنا من خير ما قد شهدتما   فإن من الإصلاح أن تتعهدا
وإن بلاد العرب ظمأى لنهضةٍ   يحدث عنها كل من راح أو غدا
فسيرا بها نحو العلاء بهمةٍ   وكونا لها قلباً وكونا لها يدا
ويا ثالث البدرين أحسب بعودةٍ   أفاضت علينا من بهائك عسجدا
ويا قائد الجيش المظفر إنه   غدا كأسمك المنصور والمتأبدا
ألست الذي أمسى بحد حسامه   طريق العلا والمجد سهلاً معبدا
فبالأمس أرض الشام كانت بفضلكم   تنادي ومصر خلدت ذلك الندا
وكم هو خلاب وكم هو رائع   بأن نجتلي شمساً وبدراً وفرقدا
جميل بأن يبدو مع العلم نوركم   فما هو إلا العيد حتى تجددا
فما أنتموا إلا سلالة عاهلٍ   ببيتٍ له عرش القلوب ممهدا
قد اعتاد أن يسمو بأمة يعربٍ   لكل امرئٍ من دهره ما تعودا
له من كتاب الله أوضح منهجٍ   وأمسى بتوفيق الإله مزودا

إذا رفعت رايات عزٍ وسؤددٍ فإن له في الشرق عزاً وسؤددا
وإن أنشدت فينا أهازيج مجده تردد في الكون الفسيح لها صدا
أعز إلهي عرشه وحماكموا من الكيد والتفريق والشر والعدا
وأبقى جميع المسلمين بعزةٍ وخص إلهي بالصلاة محمدا

وفي هذه السنة وقع في الناس سعال شديد، ومن أبلغ ما كانوا يصنعونه ضده من العلاج أخذ كاسات من الهوى الذي تزعم الدكاترة أنه داخل الأحشاء، لذلك توضع كهيئة المحاجم في الظهر وتمتص ذلك الهوى.

ولما أن كان في شعبان من هذه السنة كثرت الشكايات ضد القاضي محمد بن عبدالله بن حسين، فجاء الأمر من قبل جلالة الملك عبدالعزيز بعزله وإقامة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضياً في بريدة، فلما صدر الأمر السامي بذلك باشر القضاء وذهب في شهر رمضان ليأتي بأهله إلى بريدة، وقد أناب في غيابه أحد المنتسبين للعلم، فلما كان في شهر ذي القعدة قدم بأهله وأولاده وأسكنته الحكومة بيتاً فسيحاً في وسط بريدة، وكان ضرير البصر، وسنه إذ ذاك لايتجاوز خمساً وثلاثين سنة.

ذكر سفر الشيخ ابن مانع للعلاج

ففي العشر الأواخر من رمضان اشتد بالشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع ألم البواسير وانضاف إلى حصر البول، فأمر صاحب الجلالة بأن تباشر الصحية الكبرى بمكة المشرفة علاج الشيخ المذكور وبذل كلما في وسعها، وتابع البرقيات، وبعدما أجري الكشف عليه قرر الدكاترة أن علاجه في مصر، فأمر صاحب الجلالة ببعثه إليها، فسار على متن طائرة للعلاج هناك، وأوصى صاحب الجلالة بالمبادرة إليه، وهناك دخل المستشفى وبرء بتوفيق الله تعالى.

وفيها نقل الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش من مكة المشرفة إلى قضاء الرياض

فباشر عمله، ونقل الشيخ ابن زاحم، والشيخ الذي يدعى محمد الخيال إلى القضاء في المدينة المنورة.

وفيها عين الشيخ عبدالله بن عودة السعوي قاضياً في جيزان فسارع إلى مباشرة عمله هناك.

وزارة الدفاع

في هذه السنة عين الأمير منصور بن جلالة الملك وزير للدفاع ومفتشاً للأمور العسكرية، وألغيت وكالة الدفاع ونشر البلاغ الرسمي الصادر بنص الإرادة الملكية، ولما كان في غاية ذي القعدة وغرة ذي الحجة هطلت أمطار غزيرة على مكة، وفي اليوم الثاني هطلت أمطار والناس في صلاة الجمعة، ووافق لذلك ظلمة وعظم وقع المطر حتى تشوش المصلون وازدحموا ازدحاماً شديداً فلم يسمع التكبير، واختلط الحابل بالنابل وتقدموا من جهة الإمام وهم لا يشعرون، وحج بالمسلمين صاحب السمو الملكي النائب العام فيصل بن الملك، لأن الملك لم يحج هذا العام، وممن حج من الأعيان الشيخ العالم العلامة عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، وقد شاهدته في الطواف فرأيته شيخاً كبيراً متهدم الأركان، ناحل الجسم، وبصره ضعيف، وحج أيضاً الشيخ الفاضل محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والشيخ ابن زاحم، والشيخ محمد الخيال، وحج من الأعيان أيضاً أمير جيزان خالد السديري، وأمير الحدود الشمالية عبدالعزيز السديري، وممن حج فيها الشيخ عبدالله بن علي القصيمي النجدي ساكن مصر، وكان لم يظهر ردته عن الإسلام في هذه السنة، نسأل الله العافية، وحججنا في هذه السنة حجتنا الخامسة، وقد رأينا في هذه السنة عجائب وكلها في الحج وسفره.

فمنها أننا لما بلغنا إلى عشيرة ونزلنا تحت تلك الأشجار المظلة حوالي الآبار، ووافق نزولنا وقت الهاجرة في ساعة كنا بحاجة إلى الراحة والنوم فيا لمشاق السفر، ولأن الأمة في حاجة إلى الهدوء والسعي لمرمة الجهاز إذا بصوت

امرأة تستغيث استغاثة احتراق وتصرخ بويلها وثبورها، وهناك خصومة تسمع الأصوات ولا نرى إلا الأشجار لكثرتها في ذلك الموضع، ولما أن أنصتنا مستمعين إلى صوت المرأة إذا بها تقول بأعلى صوتها: يا معشر المسلمين، ويا حجاج بيت الله، ألا تنصرون مظلوماً، ألا تأخذون حق الضعيف، وتردد ذلك بصوت شجي يقلق الراحة ويبعث على النجدة، فرأى أصحابنا عدم الدخول في شأنهم وتركهم لأنهم في موضع الشيابين الذي يهون عليهم القتل والسلب، غير أن تلك الاستغاثة تستجيش وتحرك الساكنات، فلا يقر القرار لصاحب أنفة أن يسمعها إلا يقوم للنجدة وحل النزاع:

إلـيكم عبـاد الله صـرخة صـارخ	يـرن صـداها في تخـوم السياسـب
تجاوبهـا الأحجـار والأرض والسـما	بكـاءٌ حـزين قـد دهـي بالمصـائب
أمـا فيكمـو مـن يرتجـي لمـرزء	حريـق فـؤاد مـن همـوم نواكـب
فيـا ويـح مقهـور بقتـل حبيبـه	وعينـاه في مـرأى قريـبٍ لنـادب
أحجـاج بيـت الله فكـوا لمسـلمٍ	أحـاط بـه أعدائـه فعـل خائـب
علـى رأسـه الأعـداء تفـري أيمـه	بعضـب يمـان دامـغٌ في المضـارب
وقـد حيـل بـيني أن أنـال فكاكـه	فيا ويـل مقهـورٍ غاضـه كـل غالـب
فـإن لم تجيبـوا غوثنـا وتسـارعوا	فعمـا قريـب موتـه بالمعاطـب

فطلبت من أصحابنا النظر في المسألة، غير أني لم أتمالك أن قمت من بينهم وسمحت بعدم المساعدة منهم، ولما رأوا تصميمي لم يسعهم إلى أن يمشوا أمامي نحو الصياح، ولما أن قربنا منهم إذا محفل لا يقل عدده عن أربعين رجلاً من بينهم شاب قائم على رأسه صاحبه وهو شاب مثله وقد علاه بالخنجر يطعنه في ظهره وكاهله وكتفه الأيسر، وقد وطئ برجله اليسرى على صفحة عنقه، وكانت أم المغلوب على قدر ثلاثة أمتار وقد شد أحد الحاضرين يديها إلى ظهرها وأمسكها عن ابنها فكانت على هذه الصفة وحظها الصياح، وأولئك الحاضرون يتفكهون على تلك الدماء التي تجري كالمرازيب، فعجبت لتلك القسوة وتقدم أصحابنا إليهم، فقام الخبيث قد انتضى خنجره يتهدد ويتوعد فلم يتقدم أحد، وأحجم القوم لهذا المنظر

البشع وخشيةً من الفوضى فلم أعبأ بتهديداته، فلما رأى ذلك فرَّ عن صاحبه وفرَّ الحاضرون، جاءت الأم إلى ولدها فوقعت عليه كطائر قد رمي فوقع، ولما رمت بنفسها عليه جعلت تقبله وتمسح عنه الدم والتزمته تبكي وتقول: يا عبدالله بسم الله عليك ثم أقامته بعضديه حتى اعتدل قائماً، غير أن ظهره قد أصيب بعشرين طعنة من خنجر المعتدي، وكان الدم يجري على عقبيه، وولت به إلى مركز التفتيش الذي لا يتجاوز قدراً من مسافة كيلو متر، وبينما هي تهدئه إذ جاء إعرابي جلف غليظ عليه ثوب وسخ له أردان وقد أعطي بسطة في الطول يحمل قناة[1] كأنها رأس بعير، فأراد أن يحول بينها وبين المركز، وله وثبة كوثبة الأسد، وجعل يقول لنا يا حجاج إنهم أبنائنا يتخاصمون ويصطلحون هذا والمرأة تستعيذ وتقول لنا احجزوه فإنهم يريدون القضاء على ابني، فبتوفيق الله تمكنا من رده عن المرأة وابنها وعاد خاسئاً حيث لا ندري أين ذهب.

ومن عجيب ما رأيت أننا لما نزلنا من الريع إلى الميقات السيل انكسرت السستة أي أضلاع الحديد التي تكون مؤخر السيارة حوالي الكفرات، فأقمنا لذلك آخر النهار ١٧ ذي القعدة، فصلينا المغرب وقد اشترينا شاة للذبح فضاعت بين تلك الجبال في وقت الصلاة فذهب بعض الرفقة وضربوا يمنةً ويسرة لطلبها حتى اهتدوا إلى خيمة أعراب بين تلك الحجارة فسألوهم عنها وألقوا التبعة عليهم، وأنثوا راجعين، وبينما تشد الرحل للسير إذا بأعرابي جاء بالشاة من مسافة ثلاثة كيلو مترات يقودها بحبل في رقبتها وسلمها إلينا.

تالله إنها لغريبة عجيبة، فمنذ عشرين سنة والحجاج كانوا صيداً للحرامية ولا يدري الإنسان متى يختطف بعيره، متى يختطف رحله وتنهب الأواني والقدور وهي فوق ظهور الإبل، وهذه السنة يؤتى بعنز من أقاصي جبال الحجاز تقاد بالليل

---

(1) القناة معروفة عند العامة من أهالي نجد، وهي عصا غليظة، أحد طرفيها مستدير كالكرة وهي تكون من خشب، تسمى باللغة العربية الدبوس فتقول الأمة إذا وصفت قوياً مسلطاً: فلان دبوس معلق.

ويخبط صاحبها الهوام والحجارة خوفاً من سطوة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل فيؤتى بالضالة التي ألجأها المبيت إلى بعض البيوت فيا للعجب العجاب، إنها لنكتة يجب علينا أن نحلي بها تاريخنا.

عجيبة ثالثة

حج في هذه السنة رجل من أهل حلب أشمط كان طوله قدراً من ذراع ونصف ذراع، وجهه وجه رجل، وقدر جلوسه كابن أربع سنين، ومن مرفقه إلى أنامله قدر من تسع أصابع، أما قدر وركيه وساقيه فثلثا ذراع، وكان أبيض اللون، سميناً، قارئاً للقرآن، فصيحاً عربياً، ولما أن ورد إلى المملكة العربية السعودية للحج مانعت الحكومة من دخوله خشية أن يكون من ياجوج وماجوج، وبعد سؤال وجواب وبحث ومراجعات سمح له بالدخول، ولقد افتتن به الناس ينظرون إلى خلقته ويعجبون من رؤيته، فسبحان الخالق لما يشاء والقادر العظيم، كذلك رأينا رجلاً أسمر اللون مقعداً وله في ذراعه يدان والذراع الأخرى فيها يد ليس فيها سوى إصبعين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وممن توفى فيها من الأعيان الزاهد العابد: علي بن منديل، كان حلو النصائح كثير التسبيح والحمد والتهليل والتكبير، فتراه يمشي على تلك العصاء الضخمة الغليظة رجلاه مسترخيتان، فإذا لقي أحداً من الناس قال له: قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، يغرس لك بها شجرة في الجنة، ثم يذهب إلى النساء اللواتي ينقلن الماء العذب للبيوت في مجامعهن على الآبار فيقف ويتكلم قائلاً: لا تكثرن الكلام بغير ذكر الله، أكثرن التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير يغرس لكن شجر في الجنة، وإذا رأى من يحب حمله السلام إلى والدته وأن يبلغها ذلك، وما زال يلهج بالموت وذكره والرحيل إلى الآخرة حتى مات ونقل إليها، وكان فقيراً ومحبوباً لدى الناس، تسمع موعظته وإن كان أمياً، وذلك لأنه كهل طلق المحيا.

مرَّ عليه ذات يوم غني من الزكرت قد لبس عقالاً وكسوة فاخرة من الصوف وفوق ذلك بشت من الوبر الطيب، وقد ثنى عطفه فلم يسلم على زاهدنا، فوقف على العصا فقال: رويدك يا مسكين ترفق اقصد في مشيك فإنك مخلوق من طين وخرجت من موضع البول مرتين، وقد حملت البهائم الصوف الذي على ظهرك فلم تتكبر وتطغى، فاستحيا منه الغني ووقف يعتذر.

وكان يحب الأذان للصلوات الخمس فيؤذن ويقيم ويعظ وينصح، وقد سلم المسلمون من شره، فيا طوبى له إذا لقي رب الأرباب وفاز بما عنده من الثواب، نقول ذلك ولا نعلم إلا خيراً فالله المستعان.

وفي هذه السنة لا تزال الحرب مستمرة بين ألمانيا والحلفاء، وقد تراجعت ألمانيا بعدما وصلت إلى أبواب العلمين وظهرت انتصارات الحلفاء، وتغلبت القوات البريطانية بعدما كان الجميع في اضطراب مستمر والله على كل شيء قدير، وأمره بين الكاف والنون، ومما لا ريب فيه أن ألمانيا لا تطيق حرب أوربا بأجمعها إذا انضمت أمريكا إليها، أضف إلى ذلك أن هتلر أضاع الفرصة متمتعاً في حفلات صاخبة مزهواً بنشوة النصر مع الآنسات والحريم الهتلري، وترك ستالين يعد عدته وينظم صفوفه بالاتفاق مع الحلفاء الذين أخذوا يغدقون عليه الأجهزة والمعدات الحربية الثقيلة والخفيفة.

هذا وقد استقر الحاج أمين الحسيني في برلين، وبعده قدم رشيد عالي الكيلاني، وكان قدومهما من العراق، ولقد ثارت ثائرة هتلر على مجموع القادة الألمان في الجبهة الشرقية لتفريطهم في واجباتهم العسكرية، ولم ينتزعوا له النصر النهائي في الجبهة الشرقية الشيوعية قبل حلول الشتاء، ثم قرر قراراً لا رجعة فيه ولا يقبل نقضاً ولا إبراماً، فقبض بيده على أعنة القيادة وانتزع السلطات من أيدي قادة الجيوش برمتها، حتى أن قائد جيش لو أراد نقل سرية من مكان إلى مكان ما يجب أن يستأذن برقياً القائد الأعلى، ولقد كان ينبغي أن يكون القائد هو الذي ينفذ الخطط المرسومة من القيادة العليا، غير أنه يجب أن يكون مطلق الحرية في التصرف يرى الحاضر مالا يرى الغائب.

هتلر والتطورات

كانت أسلحة ألمانيا وحليفتها اليابان قوية، فمنها الغواصات المدمرة للأسطولات البحرية لا سيما العتاد الألماني فإنه جيد، وجانب منه يدل على طول العناية وإتقان الصنعة، حتى أن مهمات المحور أكثر من ستمائة ألف صنف كلها حربية، ومنها الصواريخ التي تطلق على مسافة ٧٨٠٠ ياردة فتسقط كيفما اتفق وتحدث رجة عنيفة، وكانت الألمان تخترع في مدة قليلة مدمرات هائلة، فمن ذلك الصواريخ الصارخة، فقد تسنى لهم استخراج طراز أقوى من البازوكا، وكان هذا السلاح مدمراً هائلاً يستعملونه في محاربة دبابات الحلفاء على أن الشرر الذي يخرج من مؤخرة الصاروخ شديد جداً بحيث أن حياة الجندي الذي يطلقه تتوقف على ثوب يلبسه، ثم شرعوا يطلقون الصواريخ من الطائرات، وإذا سقط في يد البريطانيين إحدى دبابات الألمان الجديدة فإنهم يغتنمونها لفحص طرازها، وقد تعقبت الطائرات الألمانية ضباطاً بريطانيين في مصلحة الاستخبارات سقطوا على دبابة جديدة من دباباتهم الجديدة وجعلت الطائرات تمطر الضباط والدبابة قذائف لتدمير الدبابة قبل أن يتمكنوا من معرفة أسرارها، وإن هندسة الطائرات الألمانية والطائرات اليابانية أيضاً في تحسن لا في تأخر، وقد ألقت القوات الألمانية ألغاماً على مدن أعدائها فأحدثت خراباً لم يعهد له مثيل من قبل.

وقد كانت مقادير المواد المتفجرة كبيرة، وكانت تنفجر حين تمس جسماً ما فتحدث دوياً راعداً من فورها، وكانت مدافع الألمان من عيار ٨٨ تضرب الطرق وتدمر ما أمامها، وكذلك الطربيد المائي الحديث، فقد ظن أنه سيقضي على السفن التي تسير على سطح البحر إذ تمضي طوائف الطرابيد الموجهة باللاسلكي باحثةً في الماء عن السفن المعادية فتدمرها وتقابلها الحلفاء بمثلها، غير أن قوات ألمانيا متفوقة في الصناعة، وبالرغم من ذلك كله فإن قوات الحلفاء تقدمت، ففي خلال ثلاث ليال من ليلة ٢٥ تموز ١٩٤٣م أغارت في كل ليلة ٧٠٠ طائرة من طائرات الحلفاء على ميناء ومدينة همبورغ فدكتها دكاً وقلبت عاليها سافلها، واستحالت برلين إلى بحر لجب من الدخان وامتلأت الملاجئ بجثث الموتى الذين تعفنت أجسامهم.

وصارت الشوارع جداول وأنهار من دخان قذر لم تفد معه الأقنعة الواقية من الغازات السامة.

إن هتلر والحق يقال رجل عظيم يوازي ستالين أو يفوق عليه في الذكاء والخديعة، ولكنه لم يكن سياسياً واقعياً، بل يعتمد على استعمال العنف والقوة لتحقيق مطامعه وأهدافه وغاياته التوسعية، وقد نسي أن ألمانيا بكل كفاءاتها ونبوغ قادتها وفيضان مصانعها الحربية ليست إلا رقعة صغيرة من هذه الكرة الأرضية التي تعج بالدول ذات الكفاءات والإمكانات التي تؤلف بمجموعها كتلة ضخمة تقف ألمانيا أمامها خاشعة وهي حسيرة.

ولقد كان عليه عندما زار وزير خارجية روسيا برلين وعرض على هتلر عدداً غير يسير من القضاة التي كان على هتلر الموافقة عليها وهي تتعلق بسياسة ألمانيا في بلاد البلقان وفي المضايق بتركيا، كان عليه أن يرضخ له لأنه رأى المخاوف تتضخم وما لا يدرك كله لا يترك كله، لأن ستالين لم يتم استعداده لمواجهة الخطر الألماني إلا بعد أن أعلن هتلر الحرب على أمريكا، ولكنه أبى ولو نزلت السماء على الأرض، كما أن قادة جيشه أجمعوا على الوقوف ضد الهجوم على روسيا منذ البداية وقدموا له نصيحة إن كان ولا بد فعليه أن يعقد قبل كل شيء صلحاً عاجلاً مع بريطانيا، ولسوء الحظ لم تقبل بريطانيا.

وبما أن قوات الحلفاء من دبابات ومصفحات وقاذفات أمريكية دمرت وأعطبت في خطوط المواصلات، وقامت الغارات الجوية بغارات عنيفة على ثمانين مركزاً للخطوط الحديدة في شمال غرب أوربا، وألقت ما يزيد على ستة وستين ألف طن في خلال اثنتين وعشرين ألف رحلة من رحلاتها الجوية على خطوط الدفاع الألمانية، فإن هتلر ينتظر من مصانعه السرية التي كان يعمل فيها فطاحل العلماء وأساطنة المخترعين أن ينتهي صنع السلاح السري المنتظر الذي سيغير به وجه التاريخ، ألم يقذف بريطانيا بسلاح ٧/ ١، وأتبعه بسلاح ٧/ ٢، ويفكر في إيجاد حل لهذه المشكلة.

ثم دخلت سنة ١٣٦٤هـ

استهلت هذه السنة والأبطال تتقارع وجو أوربا قد قامت قيامته بالضرب والحرب، ولقد ابتدأت اقتصاديات ألمانيا في الهبوط حيث قلَّ إنتاج البنزين الذي هو وقود الطائرات والبتروجين بمقدار ٩٠ بالمائة، وبعده بقليل قلت حمولة العربات بمقدار ٧٥ في المائة نتيجة الهجمات على وسائل النقل الألمانية، كما قلَّ إنتاج الصلب بمقدار ٨٠ في المائة، وتقدمت الدبابات على مراكز الألمان منطلقة شاقة طريقها خلال إحدى الغابات في جبهة الإلزاس مطلقة نيرانها الحامية على تلك المراكز، ودبابات أخرى زاحفة وخلفها المشاة على أتم أهبة، هذا وهتلر يظهر التجلد، غير أنه تخلى عن نظريته وتحول عن تفكيره وذلك لعوامل شتى ومنها: محاولة ٢٠ تموز ١٩٤٤م: حاول بعض العسكريين اغتياله، ومنها انهيار صحته وجهازه العصبي، ومنها أن أنصاره بدأوا ينفضون أيديهم من حوله.

ومنها أخيراً اقتناعه بأنه خسر الحرب، فقال لبعض أخصائه بعدما دعاه إليه في بروسيا وسهر الليلة إلى الصباح هذا الكلام:

عندما تتخلى العناية عن الإنسان وتنهار معنوياته لا يبقى أمامه إلا أن يتوارى، وقد لازمه ذلك الرجل ثلاثة أسابيع قال: كان يشكو ألماً في معدته، وكلما شعر بالآلام يناشد طبيبه أن يسعفه بعقار مخدر، واتفق ذات ليلة أن تعذر إيجاد المخدر واشتدت وطأة الألم على الغو هرر هتلر، فقام إلى دولاب صغير مثلث الجدار وأخرج مسدساً يريد الانتحار، غير أن ذلك الرجل الملازم له أدرك ما يجول في رأسه فاختطف المسدس من يده فقال هتلر وهو يتهالك على سريره: لم يبق للحياة معنى، وقد أشار عليه الأطباء ونصحوا له بالاستجمام وناشده كبار معاونيه أن يكل العبء إليهم بعض الوقت، ولكنه ضرب بالنصائح والمناشدات عرض الأفق، وكان يقول لزوجته إيفا برون كلما توسلت إليه أن يرفق بنفسه: دعك من هذا الهذر إن ألمانيا لتنهار دفعة واحدة يوم أبتعد أنا عن الدفة، واقترحت عليه زوجته ذات يوم قضاء أسبوعين في جبال بافاريا.

وكانت الجيوش الحليفة أتمت تحرير فرنسا والبلجيك وراح الجيش يدق أبواب بروسيا الشرقية، فبدأ عليه قبول الاقتراح وقام ألبرت زوللر الذي لازمه في آخر وقته، وقامت زوجته الغو هرر لإعداد الحقائب وعرض الأوراق، فضحك هتلر ضحكة عصبية كادت تفصم أوصاله وجعل يتمتم كمن يخاطب نفسه، لماذا يريدون مني أن أستجم في بافاريا، إنهم يظنون بحياتي وقد فاتهم أني سئمت تكاليف الحياة، وكرر هذه العبارة ثلاث مرات، ثم أبلغ زوجته أنه لن ينتقل إلى الجبال البافارية.

وفي ذلك التاريخ قدم وزير التسليح الحربي في ألمانيا الهر ألبرت شبير تقريراً بأن الاقتصاد الألماني معرض للانهيار ما بين ثلاثة إلى أربعة أسابيع، ورغم ذلك فقد استمر الضرب الاستراتيجي إلى ١٦ إبريل فوق ألمانيا محققاً النصر.

إعلان الحكومة السعودية الحرب على ألمانيا

طلبت الحلفاء من عاهل الجزيرة العربية أن يعلن الحرب على ألمانيا، وألحت بريطانيا وأكدت الطلب، فنزولاً تحت إرادة الحلفاء أعلنت الحكومة ذلك بصورة أسمية، وعرضت بلادها للحرب بوقت لا تملك فيه مدفعاً مضاداً للطائرات، ولا طائرة مقاتلة تدفع عنها صولة من يعتدي عليها، كل ذلك كان مروءة ووفاء للصداقة التقليدية التي تربطها بها، وأني لأعجب لهذه الدولة الخائبة بريطانيا بصفتها لا تقدر الأعمال، وتعرف الذي حق حقه، فإن من واجبها نحو جيرانها المحافظين على الولاء والصداقة وحسن الصلاة ألا تحدث ما يجرح العواطف ويثير الضغائن كما في واحة البريمي في إجراء المفاجئات هناك.

وكان إعلان الحكومة السعودية الحرب في ١٥/ ٣ الموافق لأول مارس ١٩٤٥م بلاغ رسمي: إن الحكومة العربية السعودية أصبحت ابتداء من أول مارس سنة ١٩٤٥م في حالة حرب مع دولتي ألمانيا واليابان، وذلك باستثناء الأماكن المقدسة فهي لا تزال على حيادها لا تحارب ولا تحارب، ولقد تأثر هتلر لذلك منتقداً الحكومة السعودية بذلك.

زيارة ملك مصر فاروق للمملكة السعودية

لما كان في أوائل صفر من هذه السنة استقل ملك مصر فاروق الأول على ظهر فخر البحار اليخت في البحر متجهاً إلى الميناء، وكان قد تهيأ لذلك صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية، وسار إلى سفح رضوى الجبل المشهور يعد العدة لاستقبال ضيفه العظيم، فنصبت السرداقات الرحيبة والخيام الكبيرة المزخرفة على صفين متقابلين، وزينت بمصابيح الكهرباء، وفرشت بالبسط المنقوشة الجميلة، وزودت بكل ما يحتاجه إليه الملوك من وسائل الراحة والرفاهية والمسرات بما يليق بمقامهم الرفيع، وكان أحد الصفين جعل للضيف العظيم والآخر للملك عبدالعزيز، فلما كان في الساعة الخامسة من يوم الأربعاء ١٠/ ٢ قدم الضيف ومعه الطوافة فوزية، فاستقبله الملك عبدالعزيز وفي معيته أخوته الأمراء عبدالله ومساعد وسعد، وأبنائه فيصل ومحمد ومنصور وسعد وفهد وبندر وغيرهم، وحفيده عبدالله الفيصل، ويوسف ياسين، وحافظ وهبة، كما أن مع الملك فاروق سبعة من أعيان حكومته، وقد حصل استقبال عظيم ودي تعانق فيه الملكان في حين أن فخر البحار أطلق إحدى وعشرين طلقة كتحية، فأطلق الميناء السعودي جواباً لها مائة طلقة، ولما ركب فاروق في معية جلالة الملك في السيارة السعودية كانا بين صفوف الجند المتراصة لأداء التحية، وبعد الجلوس في السرادق الفخم المعد لهما وتناول القهوة العربية وكؤوس المرطبات، وتناول المآدب، سار فاروق من الغد إلى المدينة المنورة مودعاً لجلالة الملك عبدالعزيز يريد السلام على الرسول ﷺ وصاحبيه، وقد رافقه فيصل ومحمد وسعد وفهد وعبدالله ويوسف ياسين، فبات بين ينبع والمدينة.

وفي صباح الجمعة دخل المدينة فاستقبل فيها استقبالاً حماسياً رائعاً، واحتفى به أهل بلد الرسول ﷺ فأقام فيها يوم الجمعة وليلة السبت، وبذل

أموالاً عظيمة ثم عاد من المدينة إلى سرادق جلالة الملك بعدما ودع فيها وداعاً حاراً، فوصل إلى المخيم عصراً وبعد الأكل والشرب وكمال اللذة جلسا في سرادق جلالة الملك، ولبثا إلى منتصف الليل، فكانت ليلة من أروع الليالي وأجلها في تاريخ الأمة العربية.

ولما كان في صباح يوم الأحد الموافق ١٤/ ٢ تلاقى العاهلان بسرادق الملك فاروق، وكان يوماً تاريخياً مشهوداً خرج الناس والجنود في الميدان العام يتطلعون إليهما، فقدم عاهل المملكة العربية السعودية إلى فاروق سيفاً عربياً وخنجراً مرصعين بالجواهر والأحجار الكريمة تخليداً لذكرى هذا الاجتماع، كما أن فاروق قدم إلى ابن سعود قلادة محمد علي الكبير رمزاً على الصداقة المتينة التي تربط الأسرتين المالكتين برباط الود الوثيق، ثم تبودل العلمان المصري والسعودي باحتفال عسكري رائع اشترك فيه جيش البحرية المصرية والجيش السعودي، وأقيمت مناورة عجيبة من قبل الجيش العربي السعودي اشترك فيها الأمراء السعوديون وهزجوا بنشيد حماسي حيوا به عاهل مصر، وانتهى هذا الاحتفال في الساعة السادسة والنصف، ثم سار فاروق يشيعه جلالة الملك والأعيان إلى الميناء فتوادع الملكان وتعانقا وأكدا الحرص على الوفاء والصداقة والمحبة والولاء بينهما وبين بلديهما، وامتطى فاروق ظهر اليخت وغادر الميناء في الساعة العاشرة والنصف من يوم الأحد إلى مصر.

ذكر الاتفاق بين الأقطاب الثلاثة وسفر ابن سعود إلى مصر

فنقول ركب عاهل الجزيرة ابن سعود البحر في هذه السنة للمرة الثانية للاجتماع بقطبي الديمقراطية فرانكلين روزفلت رئيس أمريكا والمستر تشرشل رئيس الوزارة البريطانية وبغيرهما من الملوك والرؤساء، ولو لم تكن هناك مباحثات مهمة، ولو لم تكن لهؤلاء منزلة سامية في نفس ابن سعود لما قام بهذه الرحلة من الرياض، وقد كانت تبعد عن مكة بألف كيلو متر، إلى الفيوم التي تبعد بأكثر من ألفي ميل

من مكة، ولما حرص على الاجتماع بركوب البحر وقطع مئات الأميال براً وبحراً إنه حرص على الاجتماع بقطبي الديمقراطية ليعرفهما حقيقة العرب والمسلمين إذ ليس هناك من هو أحق بتمثيل العرب من جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود، إن ابن سعود بينه وبين بريطانيا معاهدات صداقة وولاء لا يمكن بحال من الأحوال أن يستدبر بعض ما فيها أو يتنكر لها عند المحن والشدائد، فقد ضل وفياً لها في رخائها وشدائدها لذلك فإنه وقف في هذه الحرب الكبرى الثانية في الحياد ولم يدخل في الحرب إلا لإرضائها.

أما علاقته بأمريكا الديمقراطية فهي صداقة لما استمنحت لبض شركاتها امتيازاً في أرضه وحافظت على العهود والمواثيق، وتقربت منه وتزلفت طلباً لمودته الغالية، استقبلها بترحاب وسرور وبسط لها جناحه وأخذت الصداقة كل يوم تنمو لأن كلا الفريقين ينميها بالإخلاص والمزاورة وتبادل النفع والتجارة، ولقد جاء كثير من أقطاب بريطانيا إلى بلاد ابن سعود وزاروه في دياره فأعجبوا به أيما إعجاب وصادقوه، بل زراه خال ملك الإنكليز وزوجته وذهبا يبشران العالم بعظمته وعبقريته وكرمه ونبله وأصالة طبعه ومتانة أخلاقه وصدق زعامته ومؤهلاته.

وقد كثرت الكتب المؤلفة باللغة الإنكليزية الدالة على حفاوة البريطانيين بهذا الملك العظيم الذي يشترك في تقديره المسلم وغير المسلم، والعربي وغير العربي، والشرقي وغير الشرقي، ثم جاء كثير من الأمريكيين إلى المملكة السعودية فقابلوه في الرياض وغيره وأعجبوا بشخصيته إعجاباً لا حد له سمواً وحيوية ونبوغاً وعبقريةً وعظمةً وخلائق لا يوهبها إلا الزعماء الذين يخلقون لنقل الأمم من حال إلى حال.

وقد حرص الحلفاء في هذه الحرب على الأخص أن يبرهنوا لابن سعود على إخلاصهم له وحبهم إياه وتقديرهم له، ولقد بعث هو نجليه فيصلاً وخالداً إلى أمريكا وبريطانيا لزيارة قطبي الديمقراطية الكبيرين روزفلت وتشرشل، فاستقبلا هناك استقبالاً عظيماً فخماً في السنتين اللتين قبل هذه، كما قد زار الملك فاروق

ابن سعود في مملكته للاجتماع به، وإن ابن سعود ليجل مصر ويقدر ملوكها ويعنى بأمرها، حتى قال في مجلسه الحافل بوفود بيت الله الحرام في أوائل هذه الحرب للأستاذ الكبير محمد لطفي جمعة ما معناه:

حينما زحف المحور بقواته المدرعة الميكانيكية وانتهى إلى العلمين وضرب مصر بالطائرات كان كأنما ضرب بلاده.

ولقد وضع الرئيس روزفلت مدمرة أمريكية لتقل ابن سعود، فأمر بأن تزود بكل ما يحتاج إليه ملك في رحلة خطيرة كهذه الرحلة، واصطحب جلالة الملك معه طاهيه وساقيه وما يحتاج إليه، كما اصطحب معه حرسه الخاص، وبعد أو زودت المدمرة بكل ما تحتاج استقبلها جلالة الملك، وما يعلم أحد بمقصوده غير ابنيه سعود وفيصل، حتى أن حاشيته ما كانت لتعلم شيئاً عن الرحلة، ولا عن الاتجاه، ولا عن الغرض حتى اختفت اليابسة عن الأنظار، هنا لك علم رجال الحاشية فدهشوا لذلك كثيراً، وكان عدد من معه في الرحلة ثمانية وأربعون رجلاً، منهم شقيقه الأمير عبدالله، وابناه محمد ومنصور، ووزير المالية عبدالله بن سليمان، وحافظ وهبة وزير المملكة المفوض في لندن، ويوسف ياسين نائب وزير الخارجية، وعبدالله بلخير مترجم جلالته، وبعض أركان حربه، كما كان معه بعض الفنيين من رجال المواصلات اللاسلكية مهمتهم الاتصال بمكة المكرمة كل نصف ساعة خلال الرحلة كلها، وكان يرافق جلالته الكولونيل دليم أدي وزير الولايات المتحدة المفوض بالمملكة السعودية الذي تولى الترجمة الرسمية في الاجتماع.

ولما أن استقل جلالة الملك المدمرة آثر أن يقيم على ظهرها استمتاعاً بمنظر البحر الجميل وهوائه الرخي الرقراق، فنصب له عند برج المدفعية الأمامي خيمة مزينة بالنقوش والزخارف، ودعا الملك في مساء اليوم الأول جميع ضباط المدمرة وبحارتها لتناول العشاء، ولعلها أول جلسة يجلسها هؤلاء الأمريكيون لتناول الطعام، جلسة عربية، وفي اليوم الثاني شاهد جلالته قوة المدمرة الهجومية عندما أطلقت مدافعها المضادة للطائرات، وقذفت قنابل الأعماق الخاصة

لمقاومة الغواصات، وكان منظراً عجيباً بحيث يذوب كل آلات الفتك والتدمير في هذا الخصم.

ولقد اعجب السعوديون بالبحارة الأمريكان وهم في ملابسهم الزرق البحرية، كما أعجب أبناء الدنيا الجديدة بالعرب وهم يرفلون في ثيابهم الفضفاضة الرحيبة المزخرفة، يروحون ويغدون في خفةٍ ونشاط، والكل في سرور بهذه الفرصة التي أتاحت لهم هذا الاجتماع.

وفي صباح الخميس الموافق ٢/ ٣/ ١٣٦٤هـ فبراير ١٩٤٥م، كانت المدمرة في البحيرات المرة حيث ينتظر الرئيس روزفلت في الطرادة الأمريكية كونيري استقبالاً لضيفه العظيم، وكان الرئيس على سطح الطرادة يرقب المدمرة حينما تهادت بالملك العظيم فتبادل بحارة السفينة التحيات والنداءات البحرية بالبوق، وأخذت المدمرة مرساها اتجاه كونيري، ومد بينهما جسر عبره الملك، فاستقبله البحارة وكبار الضباط ورؤساء أركان الحرب المرافقين للرئيس استقبالاً حماسياً رائعاً، ثم سعى إلى جلالته الرئيس وصافحه وحياه واحتفى به احتفاء جداً، وتبادلا عبارات التحية والمودة، وأعجب روزفلت بابن سعود إعجاباً لا حد له، فلقد ملأته شخصية الزعيم العربي الأكبر، وقد طابق ما سمع عنه، بل زاد عظماً في رؤيته ثم قال له: كنت أود أن أجتمع بك قبل هذا.

ولما تناولا طعام الغداء وفرغا بدأا حديثهما في جو يسوده الود والتقدير والإعجاب، واستعرضا فيه ما بين المملكة السعودية والولايات المتحدة من روابط كثيرة يحرص عليها الطرفان ويبذلان الجهد في سبيل المصالح المشتركة بينهما، وتنمية الصلات الودية، وقال روزفلت: يجب أن يتاح لرؤساء العالم فرصة تبادل الآراء لكي يزداد تفاهمهم وتقدير كل منهم لمشاكل الآخر، ثم تناول الملك والرئيس شؤوناً أخرى إقليمية وعالمية.

وكان جلالة الملك أيده الله كثير الاهتمام بقضية فلسطين، فأبان للرئيس وجهة نظره، كما دلَّ على عدالتها وصحتها ما أقنعه، فوعد بأن ينظر في ذلك، ثم تناولا بالبحث شؤوناً عربية هامة لها شأنها.

وكان الملك المعظم صريحاً كعادته في مخاطبة الرئيس، ومن الكلمات الخالدة التي قالها أنه قال: لا أريد كتابات بل أريد أن تعطى الكلمة من عبدالعزيز لروزفلت، ومن روزفلت لعبدالعزيز وهذا حق، فكلمة من عبدالعزيز فوق الكتابات والمعاهدات لأنه رجل شريف، ثم أبدى الرئيس روزفلت لجلالة الملك رغبته في تقديم طائرة أمريكية هدية تذكارية لهذا الاجتماع التاريخي، فقبل جلالته الهدية، ثم بعد ذلك سار جلالة الملك إلى ضفاف النيل فسلك الطريق براً إلى الفيوم حيث نزل بفندقها الشهير أويرج دولاك القائم على بحيرة قارون المتربع في مكان جميل هادئ يعطره أرج الورد والرياحين ويلفه النسيم، إنه لموضع حسن يسحر الألباب فشرّفه ابن سعود كما شرّفه أقطاب العروبة، وكان قد أحيط بقوات بريطانية تحرسه ليلاً ونهاراً وقد أبعد عنه كل أحد، فما بقي غير المدير أبقي للاستعانة به عند الضرورة، فكان الناس بعد ذلك يغدون ويروحون دهشين ولا يعلمون ما سيجري من مباحثات خطيرة في سبيل العروبة، وفي سبيل الإسلام، وقد زود ذلك الفندق بكل ما يلزم للملك العظيم ولمرافقيه من رجال الحاشية، كما أعد نظام واسع للتلغراف حتى يتسنى لجلالته أن يتصل بمملكته المترامية الأطراف، فكان يستقبل كل يوم عديداً من المرات التقارير ويصدر الأوامر إلى رجال دولته، كما لو كان في مكة والرياض.

ولما قدم الأوبرج ٣/ ٣/ ١٣٦٤هـ وقت العصر من يوم الجمعة ما كان يشرفه حتى أسرع إليه فاروق ومعه الرئيس شكري القوتلي فاستقبلهما ابن سعود استقبالاً رائعاً وعانقهما وأبدى ما يضمر لهما من المحبة، وقضوا بضع ساعات في تناول الحديث والبحث في الشؤون العربية الهامة، وقد طاب الحديث بين هؤلاء الأقطاب الثلاثة، ولقد طال الحديث في الموضوعات حتى تأخروا عن مأدبة العشاء التي أقامها الرئيس شكري مساء الجمعة بدار المفوضية السورية لخطورة الموضوعات التي تناولوها وانهماكهم في الحديث، ثم غادر فاروق والرئيس مودعين جلالة الملك عبدالعزيز خير وداع.

ولما كان في صباح غد يوم السبت ٣/٤ ، ١٧ فبراير ١٩٤٥م ركب المستر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية ممتطياً سيارة مرتدياً بدلة الكولونيل الأول بفرقة الهوسار الرابعة يصحبه المستر أنطوني أيدن وزير الخارجية البريطانية، واللورد موران طبيب رئيس الوزارة البريطانية الخاص وهيئة مكتبه التي رافقته في مؤتمر القرم ووجهتهم الفيوم، ولما أن وصلوا لأوبرج استقبلهم جلالة الملك ابن سعود ومن معه من كبار دولته الذين تقدم ذكرهم استقبالاً رائعاً وتبادلوا عبارات التحية والولاء، وكانت البسمات تتألق على ثغورهم، وقد كان صاحب الجلالة عبدالعزيز مرتدياً في هذه المقابلة ثيابه العربية عليها دثاره الرسمي الأحمر الموشح بالذهب ويشع على رأسه عقال مقصب جميل، فبادل الفريقان النظر، ودنى كل منهما إلى صاحبه، وأعجب تشرشل ومن معه بعظمة ابن سعود الملك العربي المسلم الكبير إعجاباً لا حد له، ودار بينهم الحديث الودي، ثم اختلى الملك ورئيس وزراء بريطانيا وقد تولى مترجم جلالة الملك مهمة الترجمة بينهما ومكثا أكثر من ساعة يتباحثان في مسائل شتى أهمها ما يتعلق بالعرب ومستقبلهم ثم غادرا غرفة الاجتماع وكل منهم مسرور من هذه المقابلة الودية، وبينما كان في المحادثة مدت أخونة الغداء في ردهة الفندق المستطيلة الملونة باللونين الأزرق والأحمر المشرفة على بحيرة قارون الهادئة الصافية، ولما خرجا جلسا على المائدة وحضر جمع من الجانب البريطاني على المائدة من بينهم أيدن وموران والمستر جوردن الوزير البريطاني المفوض سابقاً في جدة، والقائد العام لقوات الشرق الأوسط، والوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط، والسفير البريطاني بالقاهرة، والمستشار الشرقي بالسفارة البريطانية بالقاهرة، ووكيل وزارة الخارجية، وقائد القوات الجوية في الشرق الأوسط، والوزير الإنكليزي المفوض في جدة، والمستر لسي روان السكرتير الخاص لرئيس الوزارة، وسكرتير مكتب وزير الدولة، والبريجادر كلايتون، والماجور راندولف بن تشرشل، وبعد تناول الأطعمة خرج الملك والرئيس واجتمعا بالحاشية من الطرفين في الأوبرج، وتبادلوا الهدايا التذكارية الثمينة.

ولقد بهت تشرشل من ضخامة أمر ابن سعود وتكلم قائلاً له: إني سأعتز بهذا دائماً لا لقيمته، لكنه تذكار لهذا الاجتماع، وقام مدهوشاً ليأتي بهديته له، فجاء مقبلاً ومعه صندوقان من العطر الشذي المستحضر من أحسن الخلاصات العطرية، وبكل صندوق ست زجاجات وقدمهما هدية إلى الملك ابن سعود فتقبلهما منه شاكراً، وكانت هدية ابن سعود لتشرشل سيفاً عربياً وخنجراً فاخرين مطعمين بالذهب، مرصعين بالأحجار الكريمة، منقوشين بنقوش فنية جميلة، وقدم له ملابس عربية ممتازة وعباءة ثمينة جداً في حقيبة من الجلد، وأهدى ابن سعود أيضاً للمستر أيدن سيفاً كالسيف الذي أهداه لتشرشل، وقدم إلى صحبه مجموعات كثيرة من الملابس العربية.

وختمت الجلسة بين ملك العرب وبين تشرشل بالود والصفا والوداع الحار.

وقد قلنا أبياتاً بمناسبة تلك السفرة التي في وقت لم تضع الحرب فيها أوزارها:

فيا مخبراً أبشر وأنعم بعودة ... يعود بها من سعيه وهو غانم

لعلك تحظى بالسعادة والهنا ... لتكشف هما للقلوب يلازم

وكيف يطيب النوم من كل ذاهل ... وكيف يطيق الصبر حيران هائم

إذا كان فخر العرب عنا مباعداً ... وما علمنا في حاله كيف قادم

فيا حافظاً ذا النون في بطن حوته ... ومخرجه مما حوته الظلائم

تفضل علينا بالإياب لعاهل ... بما شاء من آماله وهو سالم

تقر لنا عينٌ تسح بذرفها ... أحاط بها من قارعاتٍ عظائم

فمن مثلنا يا صاح في فقد عاهل ... لمفقده أمسى ينوح الحمائم

أليس الذي أمسى لأمة يعربٍ ... زعيماً عظيماً سده متراكم

يدافع عنها جهده غير وانيء ... بتقديم نفسٍ مقدماً وهو حازم

فسائل لأمريكا وسائل للندن ... سينبيك عن أخباره من أعاظم

فتى همه يجلي عن العرب نكبةً ... إذا سامها سوء العذاب الأظالم

هلموا بنا يا قوم ندعو لربنا ... يغيث به البلدان إن رام هاضم

ومن نتائج هذا الاجتماع إعلان ابن سعود الحرب على ألمانيا كما تقدم، وكان

من المصادفات الغريبة أن الله عز وجل ألقى الذلة على ألمانيا ورفع يده عنها من حينما أعلن ابن سعود الحرب عليها، ثم إنه بعث ابن سعود بكتاب إلى روزفلت رئيس الولايات المتحدة في ٣/٢٦ من هذه السنة يناشده بحق العرب في فلسطين، وأن يوضع حد لأعمال اليهود هناك، والكتاب طويل فصل فيه صاحب الجلالة تاريخ فلسطين، فأجاب عليه الرئيس بكتاب طيب اللهجة قال فيه:

تتذكرون جلالتكم أنه في مناسبات سابقة أبلغتكم موقف الحكومة الأمريكية اتجاه فلسطين، وأوضحت رغبتنا بأن لا يتخذ قرار فيما يختص بالوضع الأساسي في تلك البلاد بدون استشارة تامة مع كل من العرب واليهود، ولا شك أن جلالتكم تذكرون أيضاً أن خلال الحادثات الأخيرة أكدت لكم إني سوف لا اتخذ أي عمل بصفتي رئيساً للفرع التنفيذي لهذه الحكومة يبرهن أنه عدائي للشعب العربي، وإنه لما يسرني أن أجدد لجلالتكم التأكيدات التي تلقيتموها جلالتكم سابقاً بخصوص موقف حكومتي، وموقفي كرئيس للسلطة التنفيذية فيما يتعلق بقضية فلسطين، وإن علمكم بأن سياسة هذه الحكومة في هذا الخصوص غير متغيرة، وقد كتب هذا الكتاب بتاريخ ٥ أبريل ١٩٤٥م قبل وفاته بأسبوع.

وفاة رئيس أمريكا روزفلت

لقد فوجئ العالم بهزة كان لها وقعٌ عظيم في سائر القلوب، وهي وفاة الرئيس روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وافته المنية على حين بغتة في وقت كان العالم ينتظر نتيجة هذا التطاحن العالمي، وإن المتوفى غني عن التعريف بشخصيته التي لعبت دورها الهام في تغيير وجهة التاريخ في هذا النزاع القائم، أضف إلى ذلك صداقة تأسست بينه وبين عاهل الجزيرة الملك عبدالعزيز بن سعود، وكان من النتائج الباهرة في تاريخ الأمة العربية ذلك الاجتماع العظيم الذي كان بين جلالة الملك وبين الرئيس في مياه الإسماعيلية

حيث تجلى فيه ما انطوت عليه روح الفقيد من حب العدل والإنصاف، وإن مساعيه كانت ولا تزال لنصرة العدل في سائر الأقطار والمواطن ليعيش الناس كلهم في سلام ووئام، ولذلك كان لنعيه أثر عظيم، وقد أبرق حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم برقية لعائلة الفقيد يعزيهم بها، كما أبرق الملك الرئيس الجديد هاري ترومان يعزي الولايات المتحدة بهذا الفقيد الذي كان فقيد للعالم، وكان تحديد وصول الطائرة المهداة منه للملك عبدالعزيز إلى مطار جدة يوم السبت ٢/ ٥ قبل الخبر المفاجئ، ولكن ذلك النبأ المؤسف لم يغير البرنامج، فقدمت في اليوم المذكور تنفيذاً لرغبة الفقيد، وقد قدم قبلها في طائرة خاصة أربعة أمريكان للاشتراك في تقديم الطائرة، ولما كان في الساعة التاسع والنصف من يوم السبت قدمت لنائب الملك ونجله منصور بن عبدالعزيز فأبدى قبول الملك لها، وأنها ذكرى خالدة، وقد قامت صباح الجمعة برحلة إلى المخيم الملكي لتعرض على جلالة الملك، وهي من نوع دوجلاس ذات مقاعد وثيرة ومجهزة بأحدث الوسائط الفنية للراحة، وقد كانت هذه الطائرة كما ذكر سمو الأمير منصور في خطابه ذات أهمية خاصة لأنها رمز لذلك الاجتماع التاريخي الذي بين جلالة الملك والرئيس روزفلت.

الجامعة العربية ١٣٦٤ـ هجري

إن الجامعة العربية مطلوبة لأن العرب لا يحسن بهم التنازع والتخاذل، بل ينبغي لهم التعاضد والاعتصام بحبل الله جميعاً، وقد فكر ابن سعود بها في الحرب العظمى الماضية وبعث بها إلى حكام العرب كيحيى وابن صباح وابن رشيد يطلب أن يتحدون في ذلك الوقت العصيب، لكنهم أعرضوا، ففكرت الأمة في هذه السنة بجعل جامعة عربية اشترك فيها مصر والمملكة العربية السعودية والعراق وسوريا وشرق الأردن ولبنان واليمن.

وكان اجتماع رضوى ثم اجتماع أم القرى بين الزعيم شكري القوتلي رئيس

جمهورية سوريا والملك ابن سعود، ثم سافر فخامة الرئيس شكري إلى العراق واجتماعه بالوصي على عرشه الأمير عبدالإله أعظم إبرام لميثاق الجامعة العربية، وقد أنابت كل دولة عنها مفوضين والقصد من هذه الجامعة هو تثبيت العلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين الدول العربية، وحرصاً على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها وتوجيهاً لجهودها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبةً وصلاح أحوالها، وتأمين مستقبلها، وتحقق أمانيها وآمالها، فاتفقت هذه الدول على عقد اتفاقية وميثاق لهذه الغاية وإباحة الدخول لكل دولة عربية مستقلة، وقد تألف هذا الميثاق من عشرين مادة وحرر في ٨ ربيع الثاني ١٣٦٤هـ ٢٢ مارس ١٩٤٥م، وكان باللغة العربية في القاهرة بصفتها المقر الدائم لجامعة الدول العربية.

وقد ألحق بذلك مشكلة فلسطين وأن يوضع حل لذلك، ثم إنها اتفقت الدول الموقعة على هذا الميثاق على تعيين عبدالرحمن عزام بك أميناً عاماً لجامعة الدول العربية لمدة سنتين، وقد أقيم احتفال بقصر الزعفران بمصر واحتشدت الأمة لهذا المهرجان، وألقيت خطب من كل مندوب، وأعلى ما قيل خطاب ألقاه يوسف ياسين، فقد قوبل بالتصفيق والاستحسان.

ذكر سكون الحرب وسقوط ألمانيا وتسليم اليابان

ولما كان في شهر فبراير الموافق لآخر صفر وأول ربيع الأول حققت الحلفاء الضرب على ألمانيا وانطلقت عليها القنابل من الجو كوقع المطر، وتقدم المارشال الجوي السيرار ثرتيدر الذي عين أخيراً لتنسيق التعاون بين قوات الحلفاء الجوية البريطانية والأمريكية والروسية في المرحلة الأخيرة من الهجوم، فلو رأيت تلك القنابل تنقض على برلين وبلاد ألمانيا وثغورها فرجمت درسدن وليبزج، وميونخ، وهمبرج، وشتن، وغيرها، ولما صبت عليها القنابل كان في مبتدأ كانون الثاني قد قام عديد من حكام المناطق المحتلة ينتحرون مؤثرين هذه النهاية على تسليم أنفسهم للأعداء، وكان هتلر يتلقى أنباء الانتحارات وهو على فراش المرض فيعلق على

كل منها بكلمتين اثنتين: حسناً فعل .. ولكنه انفجر باكياً عندما أبلغه غورنغ أن غوليتر فيينا صرع امرأته وأولاده الأربعة قبل أن ينتحر، ثم التفت إلى زوجته إيفابرون وقال لها همساً إنها نهاية شعرية، وأثرت حالة هتلر الصحية في حالته النفسية فأضحى سويدائي المزاج ولكنه لم يفقد الأمل بإنقاذ ألمانيا حتى عندما شرع الحمر في دق أبواب المدن الصغيرة القائمة إلى الشرق من برلين، بيد أنه في مساء ٣ كانون الثاني يقول لفون ريبنتروب أن الدبلوماسية الألمانية لم تنجح في بذر بذور الشقاق في صفوف الحلفاء، وهاهم الغربيون يتدفقون على ألمانيا محاولين بلوغ برلين قبل حلفائهم الروس.

وقد اقترح الجنرال زيللر هذا الصباح اللجوء إلى الغارات السامة وحرب الجراثيم، ولكني رفضت لأن هذه الأسلحة الفتاكة لن تؤخر القضاء المحتوم.

أما الأسطولات البحرية فقد تقدم أسطول الولايات المتحدة في المحيط الهادي، وقام بهجوم ناجح على اليابان في جزر مارشال وجزائر جلبرت وأوقع خسائر باليابان، كما هاجمت طائرات الولايات المتحدة بقذائفها الأراضي اليابانية فانسحب الأسطول الياباني بعد أن خسر ١٥ بارجة غرقت في بحر المرجان، ولقد ألقت قاذفات الحلفاء على الجسور والموانئ والمصانع القنوات والسكك الحديدية في ألمانيا وفرنسا دون هوادة مليونين وسبعمائة ألف طن من القنابل والمتفجرات خلال غزواتها وغاراتها الهائلة الفتاكة، وتتابعت هزائم الألمان، وقد استسلم من قوات المحور في بعض الأماكن مائتا ألف وخمسون ألف يعدون من صفوة الفرق الألمانية والإيطالية، واستقال موسوليني من رئاسة الحكومة، فأمر ملك إيطاليا فكتور عمانوئيل بالقبض عليه ثم غيب في السجن، وقامت الوزارة الجديدة في إيطاليا تفاوض الحلفاء سراً لعقد هدنة، وبمقتضاها استسلم الإيطاليون دون قيد، وسلموا أسطولهم البحري والجوي إلى الحلفاء، وقد قامت سرية من جنود المظلات الألمانية فأنقذت موسوليني، فقبض عليه مع نفر من أنصاره وأجريت له محاكمة صورية وحكم عليه بالإعدام مع بعض رفاقه، وعلقت جثثهم في بعض ميادين ميلانو، هذا وما كان يدور في الخلد أن يتقدم الألمان على مدينة عظيمة وهي ستالينغراد

فيدخلوها ويلتقوا بالروس فتجري حرب عصابات في الشوارع والبيوت، ويتماسك الفريقان ويتقابل الغريمان في وحشية وبسالة نادرتين، حتى كانت هذه المدينة مقبرة هائلة للجنود الألمان إذ كلفتهم من الأرواح نحو مليون مقاتل، فلقد تضاربت الأقران بالحديد والفؤوس والخناجر وسائر السلاح الأبيض، حتى لم يتمكنوا من النار وتواثبوا وتصارعوا، وجرت معركة لم يجرِ مثلها في التاريخ القديم ولا الحديث، ولما جرى على ألمانيا من أمر الله ما لا يطاق وأكرهوا على الارتداد انهارت قوتها دفعة واحدة.

ضربة قاضية وسلاح فتاك

لما بدأت الطائرات الأمريكية تشن غارتها على اليابان وتوقف اليابان عن محاولات إيقاف الإنزال الأمريكي في تلك الجزر كان على الرغم من هذه الانتصارات السريعة التي أحرزها الحلفاء أن قام الرئيس ترومان وشعر بأن الحرب مع اليابانيين قد تطول وتكلف غالياً، فعند ذلك أمر باستخدام القنبلة الذرية التي كانت قد توصلت إلى صنعها، فرمت القاصفات الأمريكية أول قنبلة على مدينة هيروشيما في ٦ أب ١٩٤٥م فدمرت هذه القنبلة ثلاثة أرباع المدينة، وسببت وفاة ٧٨١٥٠ من السكان، وأدت نتائجها إلى كوارث وخيمة، وجرحت مائة وعشرين ألفاً من الشيوخ والنساء والأطفال، وكان تدميرها الذي دمرت من المدينة أربعة أميال مربعة، وفي الثامن من أغسطس أعلنت روسيا الحرب على اليابان وشرعت في غزو منشوريا.

وفي ٩ أب أسقط الأمريكيون قنبلة ذرية أخرى على ناجازاكي فأنزلت بها خسائر مروعة في الأرواح والأملاك مماثلة لما حديث في هيروشيما، فتأكد اليابان أن المقاومة عديمة الجدوى، وطلبت فتح باب المفاوضات لعقد الهدنة، وقبلوا شروط الحلفاء ووقعوا على وثيقة استسلام في ٢ أيلول ١٩٤٥م، ولما وصلت الحال بهتلر رئيس ألمانيا إلى أن ينتحر أمر أحد ملازميه الذين لا يتخلون عنه بمغادرة برلين قبيل

سقوطها بثلاثة أيام، ومع أنه كان يعلم أن الروس أتموا تطويق العاصمة، فما تمت لهجته وهو يخاطبه عن ذلك اليأس الذي يدفع فريسته إلى الانتحار، وكان قد اختار زوجته النهاية التي اختارها من قبل غوليترفيانا، وكان ذلك الملازم يروي إلزام هتلر له بمبارحة برلين فعجز عن الخروج لأنها قد حصرت، قال: وكانت برلين شعلة من نار وهبت فيها الحرائق ملتهبة وغادرت القصر عند الفجر لألجأ إلى سرداب، فألتقيت الجنود يحتلون السرداب فقضيت نهاري في ملجأ، ولما أرخى الليل سدوله على العاصمة تسللت عائداً إلى قصر المستشارية وجعلت أتطلع الأخبار عن التطورات الأخيرة، وكل من التقيت به الجنود فإني أرى قد على وجوههم الوجوم، ولم أجرء على مقابلة هتلر، ولما هممت بالصعود من الطابق الأعلى اعترض سبيلي جنديان من رجال الحرس الخاص فأخبراني أن القصر يحترق لأن القنابل الروسية الناسفة والحارقة قد أشعلت النار فيه.

أما أخرة هتلر فقد نقل لنا عن مرافقيه وسائق سيارته أنه قتل زوجته برصاصة وانتحر بعدها، وذلك لأنه أفهمها الحقيقة فقتلها وأتبعها نفسه، وقد قيل أنه أمر أحد الأطباء بحقنهما سماً ففعل الطبيب ذلك نزولاً على رغبته، قال الضابط فرانز بوهلو يروي قصته أنه استدعاه في ساعة مبكرة من الصباح أول أيار ١٩٤٥م، وقال له أنه قرر الانتحار بعد أن أفلت من يده زمام النصر، وأفهمه بحضور إيفابرون أنه سيطلق النار عليها رصاصة واحدة ثم ينتحر بدوره، فخرج الضابط لينقل ما سمع إلى معاوني الغوهرر علهم يتداركون الأمر، وقبل أن يبلغ الخبر الهام إلى أقربهم منه دوى طلق ناري فثان فثالث، فهرع الضابط والطبيب بوهارت وكانا على بضعة أمتار من حجرة الغو هرر إليها فوجدا هتلر وزوجته إيفابرون جثتين هامدتين وقد امتزجت دماؤهما، وكان قد أوصى قبل هلاكه الضابط بأن تنقل الجثتان ملفوفتين بالعلم الألماني إلى فناء القصر وتحرقان في حفرة قليلة العمق، وفعلاً جرى ذلك في وقت انهار به الطابق الثاني كله، وملأت

الأنقاض الفناء المذكور، ثم إنها سلمت ألمانيا في الأسبوع الأول من أيار وقام خليفة هتلر الأميرال دونتز ينفذ اتفاق التسليم.

أما زعماء الألمان مثل هيس الذي طار إلى بريطانيا ليسعى بالصلح بينهما وبين هتلر فاعتقلته وكذا شبير، وفون شيراخ، وفونك ونحوهم فقد ألقت الحلفاء القبض عليهم وحبسوا في أشيندو يعذبون بأنواع الإهانات وعلى رأسهم الأميرال دونتز ورئيس الدولة الألمانية ومستشارها، والقائد الأعلى للقوات المسلحة يبدو وهو يحمل على ظهره كيس السماد أثناء العمل في الحديقة.

أما بقية الزعماء فقد انتحروا، ففي ٣٠ نيسان من ١٩٤٥م حرق غوبلز نفسه وزوجته ماجدة وأطفاله السبعة في قصر المستشارية، وهذا اليوم هو يوم العبوس القمطرير الذي قرر فيه هتلر استحالة كسب النصر واعترف وهو موقن بالنصر حتى اللحظة الأخيرة بأنه قد خسر الحرب نهائياً فالله المستعان، وإنها لتكسبنا الأيام تذكر تمام قدرة الله تعالى وأنه المتصرف في خلقه على وفق مراده.

جهود ضائعة ويأبى الله إلا ما أراد

لقد كان هتلر قطعة من حديد لا يبالي بأحد ولا يوقف في طريقه، ومن جبروته أمره عندما بلغه أن قواته انسحبت من فرنسا بأن تحشى الألغام في باريس بالقنابل المؤقتة والمفرقعات، فإذا دخلها جيش الحلفاء نسفتها عليهم فتخرب باريس وتكون قبراً لجيوش الحلفاء، غير أنه خانه الحاكم العسكري الألماني والحاكم المدني سفيره وأزالوها وأنقذوا باريس.

ومن عجائبه الطرق التي تتفرع من برلين شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً يكون مجموع طولها سبعة آلاف كيلو متر، وإقامة سور على سواحل الأطلسي لحفظ أوربا من قوات الحلفاء، وقد استخدم لهذا العمل الجبار أكثر من ثلاثة ملايين عامل ومهندس وخبير، وقد أمر هتلر منظمة فريتزترت بتشييد خطوط

دفاع أخرى استنزفت من ألمانيا قوى لو صرفتها على الجبهة الشرقية لكان لها الحظ الأوفر في الانتصار.

فمن ذلك خط دفاعي يمتد من حدود إسبانيا إلى حدود إيطاليا على شواطئ البحر الأبيض المتوسط بفرنسا، وأمر ببناء خط غوستاف وخط غويتك، وخط هتلر في إيطاليا، وخطوط أخرى، وقد تطلب هذا العمل الشاق لتحقيقه عشرة آلاف سيارة للنقل، وكانت المبالغ التي تدفع خزانة الدولة للعمال هناك ولعائلاتهم في ألمانيا وفي أوربا ضخمة تستنزف قواها، ولكن مطابع النقد الورقي الألماني مستعدة في طبع الملايين من الماركات لسد حاجة الناس وتسديد طلبات الجميع.

وكان امتداد الجبهات الحربية والأبعاد الشاسعة الطويلة لطرق المواصلات التي تحتاجها القوات الألمانية المسلحة للتموين وتجديد العتاد والمؤن الحربية يتطلب وجود ملايين من العمال للسهر على إبقاء هذه الطرق صالحة للعمل، ففي انتصار ألمانيا تكون هذه الطرق تنشئ لها وسائل الراحة والاطمئنان، أما في التراجع والانكسار فلقد كانت تقطع على العدو سبيل اللحاق بالقوات النازية بنسف الجسور وتخريب الطرق.

ولقد قاست ألمانيا خطراً من خيانة بعض العمال الذين سخروا كالعبيد للعمل في مختلف الجهات من الأجانب الأوربيين، فقد كانوا يقومون بضد ما أمروا به من تصليح الخطوط فجعلوا يقومون بأعمال التخريب والتدمير في كل مناسبة، وهذه خطة مرة أثيمة ومنشأها من الأسرى الروس الحمر الذين جيء بهم من الجهات الشرقية واختلطوا بالعمال الأوربيين، وبالرغم من التنكيل بهم فإنهم مستمرون سراً في العناد، ويدعون إلى الخيانة حتى شاركهم البولنديون والفرنسيون من العمال بعدما عملوا في خلال سنتين كاملتين بكل طاعة ونظام قبل انضمام الأسرى من الروس، وهذه نكبة في حق ألمانيا.

ولما أن تقهقر الألمان في الجبهة الغربية أغرقوا أثناء تقهقرهم الأراضي حتى

غدت كالبحار وتراكمت على الأرض طبقات من الوحل، حتى كادت دبابات الحلفاء ومصفحاتهم تغوص فيها، ودمروا السدود.

أما ما كان هتلر يمني به نفسه ويشجع ألمانيا حال كون طائرات الحلفاء تصب على برلين القنابل آناء الليل والنهار وهي تتهدم وتحترق وتأتيها القنابل الذرية، فهو السلاح السري الجديد الذي سيبدل وجه الدنيا ويغير مجرى التاريخ، غير أنها سلمت قبل انتهائه.

وكان يقول أن الجو لا يمكن حفظه أمام التطورات الفنية، ولكن وسائل الدفاع التي ستتخذها على ضوء العلم الحديث ستكفينا مؤونة هذه الغارات الجوية التافهة، وقد أبرم أمره على ضرب الحلفاء بها غير أن الظروف لم تساعد على إكمالها.

ولما سلمت ألمانيا وسكنت الحرب اهتزت أسلاك البرق في العشر الأواخر من جمادى الأولى من هذه السنة وخفقت الأفئدة، وطربت النفوس فرحة بانتهاء الحرب في أوربا.

ولقد كانت الأمم واجمة خلال هذه الست سنوات لما قاست من ويلات الحرب ومصائبها، وفي هذا اليوم تقف مستبشرة بمستقبل زاهر، فقد آن للعالم أن يعود إلى حياة السلم والطمأنينة بعد أن قضى فترة هذه الحرب الضروس وهو يئن تحت وطأة كابوسها وأهوالها المريعة.

ذكر ما جرى بعد سكون الحرب

لما انتهت الحرب حاولت فرنسا ربط سوريا بلبنان بمعاهدة تنال بها امتيازات عسكرية فرفضتها الحكومتان السورية واللبنانية، وأضربت المدن في الدولتين فضربتها القوات الفرنسية بالمدافع حتى تدخلت بريطانيا وأرغمت القوات الفرنسية إلى العودة إلى ثكناتها، ثم رفعت لبنان شكوى إلى مجلس الأمن كما فعلت سوريا، فاضطرت فرنسا إلى الجلاء واحتفلت دمشق

باستقلالها، ثم نالت لبنان استقلالها، وذلك بعد جهاد شريف في جمادى من هذه السنة رغم المدافع التي صوبها الجرمون إلى قلب العمران والآمنين من السكان في دمشق وحماة وحمص.

ولما أن عقد مؤتمر الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو في ١٣ جمادى الأولى ١٣٦٤هـ ودعي له مندوبو الحكومات للاشتراك في السلام والطمأنينة، لم تمضِ سنة حتى بدأ الخصام بين أقطابها، هذا يبغي مغنماً يروي به غلة دولته وإشباع نهمها، وذاك يحاول إحباط مساعي غيره في احتكار النفوذ في الجامعة، وغير ذلك من الأغراض.

ومن أعظم المشكلات مهمة فلسطين التي هي من أهم ما يشغل أفكار المسلمين والعرب، ولقد تكلم عنها صاحب الجلالة المعظم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ابن سعود على رؤوس الأشهاد في نحو من خمسمائة من أعيان حجاج بيت الله الحرام بدعوة عقدت لذلك، وباح بما عنده وقوبل من الحاضرين بالانتباه والتقدير وحسن الإصغاء، ومن كلامه أنه قال:

إن مسألة فلسطين هي أهم ما يشغل أفكار المسلمين والعرب في هذه الأيام، وهي المسألة التي يجب أن تكون موضع عناية الجميع ومدار اهتمامهم، ومع أنني لا أحب كثرة الكلام وأفضل على الدعاية للعمل الصامت المثمر فإنني أقول بصراحة أن السكوت عن قضية فلسطين لا يوافق المصلحة، وقد سبق لي أن تكلمت مع أركان الحكومة البريطانية، كما تحدثت مطولاً مع الرئيس روزفلت، وذكرت بكل صراحة الحيف الذي أصاب به إخواننا عرب فلسطين والإعنات والقهر الذين أخضعوا لهما، وطلبت وطالبت من الرئيس الراحل إنصاف عرب فلسطين إن لم يكن بالمساعدات الفعلية فعلى الأقل بالوقوف على الحياد وعدم مساعدة اليهود عليهم إلى آخر كلامه الطويل البليغ الذي يدل على عظمته، كيف وقد وقع ما كان يتوقعه.

وفيها كثر الجراد في نجد وكثر الدباء، فقام لذلك أهالي القصيم يكافحونه بالقتل والزبي، وجعل أهل بريدة يخرجون كل يوم لضواحي القصيم ألفاً وخمسمائة من الرجال لذلك.

وفيها في غرة جمادى الثانية انتخبت الحكومة السعودية نشأ من أبناء نجد وبعثتهم إلى دار التوحيد في الطائف ليتعلموا العلم ويدرسوا هناك، وجلب إلى تلك المدرسة أساتذة من مصر وسوريا، وشروط هؤلاء النشء أن تكون سنوهم بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة، وأن يكونوا متأهلين للدراسة، فبادرت الأمة لتلبية الطلب خاضعين لأوامر الحكومة.

وفيها عينت الحكومة فضيلة الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مديراً للمعارف في الحكومة السعودية، وأسندت إليه إدارتها في ٢٧ ذي الحجة، وكان الشيخ محمد من تلامذة الشيخ العالم محمد بن عبدالله بن سليم، ويمتاز مدير المعارف على غالب أقرانه بالعقل والمدارة، فعدل المنهج الابتدائي والثانوي بزيادة المواد الدينية وزيادة شعب للتخصص في العلوم الدينية والعربية والاجتماعية، وطلب مدرسين من مصر ونهض بالمعارف.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

ففيها في ١٧ ذي القعدة توفى الشيخ عبدالمحسين بن عبيد أخونا وشقيقنا قدس الله روحه ونور ضريحه، وهذه ترجمته:

هو الحبر الذكي العالم الموفق الصابر على حلو الزمان ومره، الزاهد التقي المتقشف صاحب الورع، والخمول والزاهد في الدنيا، والمقبل على الآخرة، العاقل السليم الصدر عبدالمحسن بن عبيد بن عبدالمحسن بن عبيد، ولد رحمه الله عام ١٣١٩هـ، فنشأ بين والديه في عيش طيب رخي، وعافية في دينه ودنياه، فتعلم القراءة على معلم يدعى علي بن عبدالعزيز الحوطي، ودرس على المعلم المؤدب عبدالله بن إبراهيم بن معارك، وكان هذا المؤدب إماماً في أحد مساجد بريدة، ثم أخذ المترجم يطلب العلم من الشيخين الإمامين عبدالله بن محمد بن سليم، وعمر بن محمد بن سليم، وقد أحببت ذكر ترجمته في خمسة أبواب:

الباب الأول: في نشأته وطلبه للعلم

نشأ رحمه الله على طهارة وعفاف، وتقى وصلاح، فكان في معية أخيه وشقيقه الشيخ عبدالرحمن، لأن أخاه أسن منه، فكان يدرس عليه ويتعلم منه ويستخلفه على مكتبته إذا سافر، وقد أوقف عليه كتباً نفيسة، وكان يألف المسجد ويتخلى في حجرة فيه يطالع كتبه ويكتب، وقد حببت إليه الخلوة والتردد إلى المسجد، وبعدما حفظ القرآن لزم الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وأخذ عن الشيخ عمر بن سليم، وأكثر الأخذ عنه، ثم أخذ أيضاً عن الشيخ عبدالله بن محمد بن فداء، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، ومما درس به على الشيخ عمر بن سليم كتاب بلوغ المرام، فكان يقرأ حديثين ثم يطبق الكتاب، وقد يستزيده الشيخ فلا يتجاوزهما، ثم إنه حج فرضة في أواخر ولاية الشريف الحسين بن علي، فلما تم له من العمر خمس وعشرون سنة تزوج بامرأة فأقامت عنده مدة غير طويلة فطلقها، ثم تزوج بعدها بثيب وذلك في ٤ شوال ١٣٤٩هـ، وكل هذه الأعمال بسعي والدنا وأسبابه فإنه قد كفاه مؤونة الدنيا وفرغ باله لطلب العلم جزاه الله خيراً، فلتهنه هذه الخطة التي سيجازيه الله عليها الإثابة، ثم إنه حج في ١٣٥١هـ وكان مكباً على طلب العلم منافساً في نيله بحب العزلة، وأولع في جمع الكتب فرحمة الله عليه رحمةً واسعة.

الباب الثاني: في عبادته وورعه وصبره

كان يكثر تلاوة القرآن وله حظ من قيام الليل فكان يقوم من آخر الليل عند طلوع الفجر الأول ويتطهر ويصلي ما كتب له على الدوام، ويلازم الجمع والجماعة، وغالب صلواته يكون يلي الإمام في مقدمة الصفوف ولا سيما صلاة الفجر والمغرب والعشاء، فإنه لا يكاد يتخلى عن محاذاة الإمام في الصف، وكان يعجبه أن يكون مأموماً، ويحب الخمول والتقشف.

وقد عرض عليه الشيخ وظيفة الإمامة فرفض أيضاً، وجرى له مع الشيخ محاورة

في مسألة جعله قاضياً في شقراء حتى جعل يبكي أمام الشيخ ويسأله العافية، فبكى الشيخ لبكائه وعذره، ثم إنه عرض عليه آخر وظيفة هي أن يكون إماماً في مسجد كبير من مساجد بريدة ويتولى أعمال مدرسة علمية كانت حواليه فأبى ورفض.

وكان يتواضع للإخوان وطلاب العلم ويخفض جناحه لهم، ويصبر على ما يناله من الأذى فيجلس معهم ويحدثهم ويؤنسهم بما تتم به العشرة، ولا يمل مع ذلك حديثه وإن طال، ويكلم الناس على قدر عقولهم ومراتبهم، فيتحدث مع اللئيم وأهل البطش بما يلائمهم ويوافق لهم ليدفع شرهم، ويتحدث مع خاصته من طلاب العلم والدين والأحباب والأصدقاء، ويميل إليهم ويألفهم ويألفونه، ويكلم الأعيان والكبراء بكلام يليق بهم، ويحرص على المداراة مهما أمكنه، فلأجل ذلك لا يرى له كبير أمر بالمعروف ولا نهى عن منكر إلا عند الضرورة.

وكثيراً ما يشكو إلي سراً ما يقاسيه من بعض من يوافقهم للسلامة من شرهم ويحثني على المداراة كثيراً.

الباب الثالث في طريقة تعليمه ومحبة الناس له وصفته

كان أسمر اللون طوالاً، شثن اليدين والرجلين، يحب التقشف ويعيب حب الجاه والرياسة والملابس الحسنة، قوي البنية، قليل اللحم، له لحية حسنة بعارضين، تعلوه السكينة وبهاء العلم والحياء، كبير الجبهة، ولم يكن له اشتغال في الدنيا، غير أنه ينسكب بيده فيصل إليه من ذلك نزرٌ يسير من طريق الكتابة والنسخ بيده وإصلاح الكتب والمجلدات بالتجليد، ويباشر الأعمال الشاقة بنفسه ولا يرى لنفسه قدراً، وكان حليماً في غالب أموره، وذا سمت حسن وعقل رزين.

وقد خط كتباً كثيرة بيده، فمنها كتاب الهداية لأبي الخطاب، والرعاية الصغرى، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، وكتاب التنقيح، وكتاب المحرر في الفقه، وشرح الطحاوية، وقواعد ابن رجب وغيرها.

وكان شكوراً لنعم الله تعالى وذلك لما منَّ الله عليه من القناعة فإنه يرى نفسه

بنعمة لم تحصل لأحد ولا للملوك، وقد يكون في بعض الأيام بأعلى كرامة، وفي بعضها بأدنى مهونة فلا يتأثر لذلك بل يصبر على حلو الزمان ومره، ولست أقول أنه كامل الصفات، بل كل بني آدم خطاء، غير أننا إذا سبرنا حالة أبناء الزمان فإنه من خيارهم، قد عافاه الله من أكل أموال الناس ظلماً ومن أذية المسلمين، بل كان محسناً إلى الفقراء ومكرماً لرفقته، فقلَّ أن يصاحب أحداً فتنقلب صحبته عداوة، وكان في طريقته للتعليم والإفادة أنه لا يجلس للتعليم فيتحلق عليه الطلاب، إنما كان يأتيه المتعلم فيجلس إلى جانبه ويمر عليه القطعة التي يريد أخذها من التوحيد، أو الفقه، أو الحديث وغيرهما فيفيده عن إعرابها ويوضحها ويبين له الغوامض من ألفاظها، وقلَّ أن يوجد أحد من أقرانه أو أقل منه سناً إلا ويستفيد منه برفق ولين، ويتواضع لمن يتعلم منه.

وكان ينتابه الأصحاب والطلاب من كل قادم ومقيم فيجتمعون به ويظهر لهم الود والمحبة، وقد جعل الله له قبولاً ومحبةً في قلوب الناس وذلك لما وقر في نفسه من التواضع وسعة الرأي بعد النظر، ولولا ما قام به من كراهته للرئاسة لكان له شأن غير هذا، بل كان ورعاً همه إصلاح دينه ونفسه وتهذيبها، وكان ذا أصل عظيم وبصيرة في دينه، وله يد طولى في علم الرجال والعروض.

الباب الرابع: في علمه ومؤلفاته

أما علمه ومعرفته فكان عالماً بالتوحيد والفقه والحديث والرجال والنحو، ومن أشهر مؤلفاته رسالته المطبوعة بمصر المسماة الهداية والإرشاد إلى طريق الهدى والرشاد في هذا الزمان الذي عم فيه الفساد وضل فيه أكثر العباد وحرموا فيه السداد، وهي مفيدة تقع في ٤٠ صفحة.

ومنها تهذيب مناقب الإمام أحمد بن حنبل تأليف ابن الجوزي، وقد شطر ميمية الشيخ سليمان بن سحمان، وخمس أبيات ابن رجب في وداع رمضان، ومنها قصيدة في غربة الدين دالية تورد من أبياتها البعض وهي قوله:

إلى الله نشكو الحال لا رب غيره ... ونفزع في رفع الأكف ونعتمد
ونسأله التوفيق للرشد والهدى ... وتبصرةً نحذوا عليها ونستند
عسى وعسى أن ينصر الله دينه ... كذا المصطفى الهادي إلى الحق والرشد
وبعد فقد عم البلى وتوفرت ... أمور الردى بين الملا بلا فند
فهذا زمان الصبر طوبى لعاملٍ ... على السنة الغراء مقيماً قد اعتمد
زمانٌ به الأحوال حالت بكلها ... فلست ترى إلا الخيانة والنكد
فلا آمر بالعرف يوماً وناهياً ... عن المنكر المشؤوم في أغلب البدد
ترى الأمر بالمعروف أقفر رسمه ... كذا المنكر استعلا جهاراً وقد وجد
خلت من شفيق قام لله داعياً ... إلى السنة المثلى مُجداً قد اجتهد
يقرر آيات الكتاب بعزمه ... ويشرح للغراء سليماً من اللدد
فقد طالما ربع الشريعة مقفراً ... فسوق الهدى والخير والله قد كسد
تبدلت الأحوال من بعد حسنها ... فلست ترى إلا النميمة والحقد
مع الفحش في الأقوال والسوء والبغاء ... شمائلهم بث الفساد مع الحسد
وكلٌ قد استغنى بعادات أصله ... يرى أنها أحرى الطرائق والرشد
وظن الذي يهوى صواباً وسنةً ... تراه لما يهوى مكباً على عمد
إذا قيل قال الله قال رسوله ... تغيظ من سوء الطوية والحقد
وما همه أمر المعاد وهوله ... فيا ويل عبدٌ للهداية قد فقد
ينافس في الدنيا لأبناء جنسه ... يعوم بتيار البطالة قد مرد
وأعرض عن يوم التغابن عامداً ... وضيع أمر الله يا بئسما قصد

.. الخ وهي حسنة، وله قصيدة من هذا النمط لامية تحث على الجد والاجتهاد والتشمير وترك التكاسل في طلب العلم نذكر بعضاً منها:

تقضت ليالينا وضاعت حياتنا ... بلا عمل يجدي على غير طائل
فوا أسفاً للعمر يمضي سبهللاً ... فيا ضيعة الأعمار في غير حاصل
فآهاً على التفريط في زمن الصبا ... وآهاً على فوت العلى والفضائل

ويا حسرتا كيف اطمأنت نفوسنا ... إلى الميل في الدنيا وكسب الرذائل
فذا الغبن كل الغبن يا قوم فاعلموا ... ألا تعجبوا من ذا الردى والتكاسل
فيا معشر الإخوان يا زينة الورى ... ويا أنجم السارين من كل فاضل
ويا عصبة الإسلام هبوا توكلوا ... على الملك الأعلى لسرد الدلائل
ولا تدنسوا العلم الشريف بريبةٍ ... ولا تسئموا بث الهدى في القبائل

إلى أن قال:

أما آن أن نصغي إلى طلب العلى ... ونعمر أطلال العلا والمسائل
نسرح أفكاراً لنا وفهومنا ... ونبحث في علم الهدى بالمحافل
ولا سيما التوحيد أزكى علومنا ... وننهض في كسب العلى والفضائل
ونعمر أطلالاً لقول مليكنا ... كذا شرعة المختار بين القبائل

.. الخ وهي حسنة ولولا خشية الإطالة لأتينا بها، ومنها قصيدة تائية نظمها تسليةً لبعض إخوانه في الله لما أصيب بموت أقربائه، وقد قدمنا جملة من قصائده في رثاء العلماء، ومنها قصيدة في ماء القويطير، وله تعليقات على بعض المسائل، ولقد أهمل أهل القصيم ذكر عظمائهم وعلمائهم وشعرائهم فلم يدونوا شيئاً من ذلك، ويعتبر هذا من التفريط.

الباب الخامس: في مرضه ووفاته

كان أول مرضه رحمة الله عليه في محرم من هذه السنة، وهو قلة هضم وهزال، فما زال جسمه ينهدم وتنحل قواه فصام شهر رمضان، غير أنه كان يصلي جالساً، ولما كان في منتصفه أصابه فهاق شديد أعقبه نفث دم كثير، وكان يذهب ويجيء فلم يلزم الفراش، وصلى صلاة عيد الفطر في المصلى، هذا وقد نقص بدنه وانحلت قواه فاتخذ عصاً يتوكأ عليها ويستعين بها على المشي، فلما كان في غرة ذي القعدة ضعفت بنيته وشق عليه السعي إلى المسجد، وفي خامس ذي القعدة لزم البيت ويستطيع الصعود والنزول، ثم إنه جعل يستعد للموت ويوصي بماله وما عليه، أما

وصيته وحفر قبره واستعداده للآخرة فكان من قديم، ثم إنه جلس للزوار من أحبائه في الديوان، وفي عاشر ذي القعدة اشتد به الألم وعجز عن النزول والصعود فلزم الفرش في غرفة، وكان في خلال ذلك مديماً على تلاوة القرآن وعبادة ربه، حريصاً على الطهارة والنظافة، ولازمه بعض إخواني فكان يدعو له من يتفقد أضلاعه خشية أن يكون مرضه بذات الجنب فكواه بعض أهل المعرفة على جنبه فلم يفد شيئاً، ثم دعي إليه آخر فكواه في بطنه ولم يفد شيئاً، وكان يتجلد ويظهر القوة، غير أن كية الأخير أحدث له ألماً شديداً فاشتد أنينه لذلك، وكان لا يعرف بعده عواده، لكنه مع ما يقاسيه يلهج بحمد ربه ويثني عليه ويكثر الاستغفار والتوبة، فلما كان في ليلة سابع عشر ذي القعدة حصل له ضجر شديد وانكسف باله، وفي صباحها وجه إلى القبلة وبدت به علامات الموت وسكراته، نسأل الله تعالى أن يثبتنا على قوله الثابت في الحياة وفي الآخرة، ولقد شدد عليه في النزع، وما كان ليتخلى من التسبيح والذكر حتى في أضيق الحالات، وكان ينطق خفوتاً بصوت ضعيف:

يريد لأخذ الزاد في وقت مهلةٍ ... دقائق تحصى وهنَّ قلائل
على ذكر رب الخلق قد مات محركاً ... شفاها له كيما تجاب المسائل
وما الدهر إلا هكذا فانتبه له ... منايا تجيء كالطارقات تنازل

فلما كان في الساعة الرابعة انتقل إلى رحمة مولاه وخرج من الدنيا مقلاً متقللاً مخفاً منها، فرحمة الله تعالى عليه، ونسأل الله له الغفران، ثم إنه جهز وصلى عليه في المسجد الجامع في بريدة بعد صلاة الظهر، وحزن عليه المسلمون وبكوا لذلك وانتحبوا، وحمل إلى ضريحه في المقبرة الجنوبية ووضع في قبره الذي اختار أن يكون إلى جانب قبر والده، وكان لم يخلف عقباً لأنه كان عقيماً.

ولقد أصيب به المسلمون وحزن لفراقه المؤمنون ورثاه بعض الأدباء، وهذه قلتها لما فدحنا بمصيبته ورزئنا بفقده قدس الله روحه وأسكنه الجنة بفضله ورحمته:

تبارك مولانا فيقضي ويحكم ... له الخلق والتدبير والله أرحم

تفــرد في تصــريف كــل مكــون | فمــن ذا لــه عمـا قضـى الله مهـزم
رضــينا بــه ربــاً مليكــاً مــدبراً | لأملاكــه والــرب بــالخلق أعلــم
فمــا قــدم الــرحمن لــيس مــؤخراً | ومــا أخــر الــرحمن لــيس يقــدم
فيا نفس صبراً،فاستريحي مـن الهـوى | فـإن إلـه الخلـق لـيس هـو يظلـم
لقـد كتـب الله الفنـاء علـى الـورى | ألا كــل حــي حبلــه متصــرم
فهـذا مضـى قـدماً وذا فهـو لاحـق | وكـلّ لكـأس المـوت لا بـد يطعـم
ويبقــى إلــه الحــق جــل جلالــه | جليــل تعــالى وجهــه ومكــرم
فلــو كــان حــي في الحيــاة مخلــداً | لكــان رســول الله حيــاً يــنعم
لكنهــا الآجــال تــأتي ببغتـــةٍ | ومـا ليسـت الأسـباب منهـا تسـلم
ولــو كــان مِــن ريــب المنيــة مـدفع | لكــان محــب عــن حبيــب يكلــم
ويفديـه بالغـالي بمـا قـد حـوى لـه | بمــالٍ وجــاهٍ إذ لديــه يســلم
فمــا طرقتنــا دهرنــا مــن مصــيبةٍ | عليها دموع العين في الخـد تسـجم
ترانــا بحــزن بــاهتين بلوعــةٍ | ونــار الأســى في حرهــا تتضــرم
لسبعٍ مـن الأيـام مـن بعـد عشـرها | بـذي قعـدةٍ مـن أشـهر قـد تحـرم
لأربـع سـاعات مضـت مـن نهارهـا | بيــوم الثلاثــا بعــد ألــفٍ محكــم
وفي رابع الستين مـن ضـبط هجـرةٍ | ثــلاث مــئين قــد تعــد وتــرقم
بــأعظم منهــا نكبــةً ومصــيبةً | فأســبل كــلّ دمعــه يتســجم
ومــذ ســار نعشــه إلى نحــو جــامع | فـإن قلـوب النـاس يـذبها التـألم
ومنــه إلى نحــو القبــور مشــيعاً | تريـق دمـوع العـين سـحاً مـنظم
علـى ابـن عبيـد واسمـه عبدمحسـنٍ | فتـى مـن كـرام فضـله لـيس يـبهم
لقــد كــان ذا قلــب قنــوعٍ برزقــه | صبوراً علـى الشـدات إذ حـل مـؤلم
يكابــد آلامــاً ويــثني لربــه | بخـير وللشـكوى عـن الخلـق يكـتم
تــدرع جلبــاب الخمــول بمــرةٍ | فمــا نفســه يومــاً عراهــا التقــدم
لـه في كمـال العقـل حـظ ومسـمت | ولــيس بطيــاش يصــول ويشــتم

بـل إنـه مـذ شـب في العلـم مولـعٌ بفهـم مـنيرٍ حاضـر لـيس يسـأم
ينـافس في جمـع العلـوم ونسـخها فهمتـه تسـمو وتسـعى وتغـنم
يلاقـي لمـن لاقـى ببشـرٍ وعشـرةٍ ويغضـي حيـاء عـن جفـاء ويحلـم
لأن كان في الـدنيا علـى الحالـة الـتي تسـر لـذي ود مـن النـاس يفهـم
مكبـاً علـى درس الكتـاب مـرتلاً نهـاراً ولـيلاً في الـدجى يـترنم
ومـن زهـرة الـدنيا مقـل مقلـل علـى حـذرٍ منهـا بـأخراه مغـرم
فنرجوا لـه الزلفـى مـن الله والرضـا بـدار الجـزاء والأمـن يعلـى ويكـرم
ولمـا فرغنـا حـين وقـت رحيلـه لإنجـاز تجهيـزٍ ونسـعى نقـدم
سـكبنا دموعـاً مـن جفـان عيوننـا ونرفـع طرفـاً للإلـه متـيم
فيـا ربنـا أبدلـه خـيراً مـن أهلـه وداراً بـدار الخلـد فيهـا يـنعم
فهـا هـو ذا عبـدٌ نـزل بفنـائكم ومـن شـأنكم إكـرام ضـيفٍ يقـدم
وأحسـن عزانـا ربنـا بمصـابنا وجـبرٍ لمكسـورٍ تغيـث وتـرحم
فأنـت الـذي ترجـى لكشـف ملمـةٍ وأنـت الـذي في بابـك تـرحم
وصـل إلهـي كـل مـا ذر شـارقٌ علـى أفـق دهـراً ومـا غـاب أنجـم
ومـا سـبح الأطيـار واهتـزت الربـا بويـل ومـا قـد طـاف بالبيـت محـرم
علـى أحمـد خـير الأنـام شـفاعةً وآلٍ وأصـحاب مضـوا وتقـدموا

وفيها في شهر شعبان وكانت الشمس في برج السرطان هطلت سيول على القصيم في شدة القيظ وصلاح الثمرة، فأحدث ذلك للناس عجباً لأنه نادر الوقوع في تلك المقاطعة، فلم يعهد مثله منذ زمن طويل، وتذكر الناس قول الرسول ﷺ : «إذا كان المطر قيظاً والولد غيظاً والمال فيضاً فانتظروا الساعة».

وفيها وفاة الشيخ عبدالعزيز بن مقرن رحمة الله عليه، وهذه ترجمته:

هو الحبر الذكي العارف الموفق الصابر المحتسب مصائبه جنب ثواب الله عز وجل، الشيخ الزاهد عبدالعزيز بن مقرن من بلدة حريملا المشهورة، ولد في سنة ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين هجرية، فنشأ في طلب العلم وحبب إليه قراءة

الذكر الحكيم ودراسة أحاديث الرسول ﷺ من الأمهات، وجعل يتنقل في طلب العلم ويسعى في نيله لدى العلماء، حتى كان من خيرة تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فجعل من ضمن الأعضاء الذين ضموا إلى الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع يرشدون في مساجد الحجاز ويعظون فيها، مضافاً إلى ذلك أنهم أعضاء في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم إنه جعل إماماً في مسجد الأبطح الذي يقع أمام قصر جلالة الملك في مكة المشرفة، وكان ذلك المسجد يمتاز إذ ذاك في حسن العمارة وقوة البناء بالإسمنت المسلح.

وكان المترجم نابغة في العلم والمعرفة وله ذوق عظيم، يحب البحث في مسائل العلم، وله حظ في الديانة والصلاح، أضف إلى ذلك أنه صبور على أنواع البلايا في بدنه حتى مات في هذه السنة وانتقل إلى رحمة الله، وكان يفوق على زملائه بالعلم، بل كان من خيرهم وأفضلهم.

وفي آخر هذه السنة توفى العابد الزاهد محمد النجيدي رحمه الله تعالى وعفا عنه، وهذه ترجمته:

هو العارف الفاضل التقي الذكي محمد بن إبراهيم بن سليمان بن سعود النجيدي، من عنزة المصاليخ والأصل بقرية القرعاء من قرى بريدة، ولد رحمه الله في سنة الف وثلاثمائة وأربع عشرة، أخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، ونشأ يتيماً في حضانة أخيه سليمان، وكان مقبلاً على الله والدار الآخرة، حليماً سكيناً يألف المسجد، وقد جعل له حجرة فيه يأوي إليها، ولا يمل دراسة الكتب والنظر في مسائل العلم وفنونه، وقد سلم من الكبر والإعجاب، بل كان غنياً شكوراً، وكان دائم الخوف والخشوع، فلا يتأثر في الأفراح ولا في الهموم والغموم، وقد ملك لسانه عن القيل والقال وأعرض عن الممدوح والمذموم، وأقبل على خدمة الواحد الحي القيوم، واعتزل الخلائق وقطع من الناس العلائق، فإذا دخل العشر الأواخر من رمضان اعتكف ولم يتكلم إلا في تلاوة القرآن والذكر، ويؤم في مسجد أهل حارته وأسرته، فإذا أقبل موسم الحج ركب ناقته وذهب يؤم الكعبة البيت الحرام، فكان على هذه الحالة حجاً واعتكافاً وعبادةً وذكراً وصلاةً.

وكان له أخوة ولديهم ثروة عظيمة، فكان يجمع زكاتها ويقسمها على فقراء طلاب العلم، وموضعه في حارة السادة من بريدة لأن لهم هناك البيوت والنخيل، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويرحم الضعيف والفقير، ويزوره المحبون للخير فيبش لهم ويذهب بهم إلى بيته لتناول القهوة والرطب وما يستطيعه.

ويحب الوحدة والعزلة فإذا جئته تجده إما راكعاً أو ساجداً أو متوضئاً أو تالياً للقرآن أو مطالعاً أو مفتشاً في كتب أهل السنة، وقد حج سبعاً وعشرين حجة، وله سمت وحياء، وهذه صفته:

كان قصير القامة، نحيف البدن، أسمر اللون، عاقلاً وقوراً يظهر البشر، ويعلوه بهاء الطاعة ونور العبادة، كث اللحية أشمط، وكان يكثر صيام النفل، وكان مرضه بالسل، ولبث مريضاً أربعة أشهر، وأصيب ببلغم شديد ثم مات على حالة حسنة، وحزن لفراقه أهل الدين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبالجملة فإنه يعد من زهاد أهل هذا الزمان وخيرة خلق الرحمن، وقد يبحث إخوانه في أمور الدنيا والأخذ والإعطاء فلا يشاطرهم بكلمة تتعلق في أمور الدنيا.

فنسأل من بيده الضر والنفع والرفع والوصل والقطع أن يتغمده بفضله ورحمته ويسكنه بحبوح جنته.

ومما قلت في مناسبة وفيات جرت في هذه السنين قصيدة أنشدتها في هذه السنة، وذلك لما توفى أناس من إخواننا وخاصة أحبابنا، فعظمت لذلك الأشجان وهاجت لفراقهم الأحزان، وتتابعت المصائب آخذاً بعضها ببعض، فإنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا واخلف لنا خيراً منها، وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ من تقارب الزمان وظهور الفتن وانتزاع العلم وذهاب الصالحين وكثرة الأشرار والجاهلين، فلما رأيت هذه المصائب العظام وذهاب الصالحين كسلك النظام أبديت ما ترى من هذا القريض الذي باح به اللسان وعجز عن كظمه الجنان، نسأل الله أن يجبر كسر المنكسرين ويجمعنا وأحبابنا في دار المقربين:

على الفقد للأحباب أهل المكارم	بكيت طويلاً بالدموع السواجم
بكيت على الأصحاب جهداً بعبرةٍ	وبحت بما عندي فلست بكاتم
يحق لعيني أن تهيل دموعها	بهم وغمٍ من حلول العظائم
ففي كل يوم قد رزئنا بفادحٍ	فراق حبيبٍ من قريبٍ وعالم
كذاك صروف الدهر إن كنت صابراً	وإلا ستسلون سلو البهائم
إلى الله نشكوها مصائب جمة	وحزناً طويلاً للقلوب ملازم
وما المرء في الحياة إلا معذبٌ	يكابد أنكاداً ويرمي بالدواهم
لقد نالنا في ذا الزمان مصائبٌ	ورزء كبير من دواه قواصم
على فقد أحبابٍ لنا طاب ذكرهم	بفعلٍ جميلٍ مع صفات كرائم
بهم طاب أوقات الزمان وأهله	تعزى بهم أهل النهى والمكارم
فلو كان آخذاً بالأيادي وبالقوى	لكنا نحامي دونهم كالضياغم
وقمنا سراعاً كي ندافع دونهم	بضربٍ وحربٍ شاهر للصوارم
وقلنا لمن بالسوء قد كان قاصداً	لكي يرعوي أهل الشقا والجرائم
تأخر فدون القوم إن كنت رائماً	دفاعٌ شديدٌ من عظيم الملاحم
ودونك عنهم أنفساً يفتدوا بها	ونفديهمو في جاهنا والدراهم
ووالله إن كنا نجود بنصرهم	ونهرع في إبقائهم في العوالم
جديرٌ بنا إذ كان حقاً ودادهم	خلاصة أحباب سموا في المكارم
فلما رأينا الأمر قد جاء من السما	بأمر إلهٍ قاهرٍ بل وحاكم
وليس لأمرٍ قد قضاه مليكنا	دفاعٌ بأسبابٍ وكتب تمائم
صبرنا بتسليم لأمر الهنا	رضينا به والله أرحم راحم
فقمنا بإنجازٍ وجمع لفائق	نحث لغسالٍ بتجهيزٍ قادم
فاعجل في تغسيل من كان راحلاً	وسرنا بهم نحو العرى والهشائم
فيا فرقةً هل يرتجي منك أوبةٌ	ويجمعنا ربٌ بدار الأكارم
فيا من هو القهار لا رب غيره	تباركت مولانا جزيل المكارم

ويـا مـن هـو الجبـار جـل جلالـه ... له الأخذ والإعطاء وكشف العظائم
تفضـل علينـا بالرضـاء تفضـلاً ... مع الجبر للمكسور يا ذا المراحم
إليـك إلهـي نشـتكي لمصـابنا ... فأنت الذي ترجى لكشف الدواهم
إلى الله نشكو ما دهانا وغمنا ... بدمعٍ غزيرٍ ساكب بل وساجم
لموت خيار الخلق من كل جهبذٍ ... هداةٍ تقاةٍ من خيار العوالم
كذاك بقاء الشر ينمو وأهله ... فأظلمت الأقطار من كل ظالم
وهذا أوان غربة الدين قد فشت ... فعادت خراباً طامسات المعالم
وكيف وقد جاءت ثقات بنقلهم ... عن السيد المعصوم صفوة آدم
برفع علوم الشرع في موت أهلها ... ونقصٍ لأهل العلم من كل حازم
وذي سنة الله الحكيم بخلقه ... قضاء قضاه الله في نسل آدم
فكل ابن أنثى لا محالة راحلٌ ... ولو عاش في الدنيا فليس بدائم
وكلٌ وإن طال الثواء مصيره ... إلى مصرع الهلكى وطحن الرمائم
على الخلق طرا قد قضى الله وحده ... بموتٍ وضيع القدر مع كل حازم
فكن عابراً بل لا تكن عامراً لها ... فما هي إلا مثل أحلام نائم
فمن ذاقها يوماً من الدهر صفوةً ... سقته سريعاً من كؤوس العلاقم
فما هي إلا كالسراب بقيعةً ... يغر بها الجهال شبه البهائم
فلا تغترر بالمال لو زاد كثرةً ... ولا تحش بطناً من كثير المطاعم
ولا تثقن فيها بكل جميلةٍ ... وأكب على علم الثقاة الأكارم
ولو كان شخصٌ في الحياة مخلداً ... لكان رسول الله صفوة آدم
ولكنها الآجال تأتي ببغتةً ... وليس يردها كثير العزائم
سيمضي على هذا الخلائق كلهم ... كما قد مضى الأخيار من كل عالم
عليهم سلام الله ما هبت الصبا ... وما أطرب الأسماع صوت الحمائم
فيا قاهراً فوق العباد بقهره ... على عرشه استوى معيد العوالم
ويا غامراً كل العباد بفضله ... ويا حاكماً قهراً على كل حاكم

ويا ناصراً من كيدهم لخليله   وقد شد مكتوفاً إلى حر جاحم
يريدون في النار الخليل بكيدهم   فريداً وحيداً هاضه كل ظالم
وقد ضجت الأملاك لله بالدعا   وليس له وجةٌ يميل لناقم
فقلت لها كوني فعادت بلحظةٍ   سلاماً وبرداً لا تفيد لطاعم
ويا عائداً على سليمان ملكه   وقد كان مسلوباً على فقد وخاتم
وسخرت ريحاً منك تجري بأمره   رخاءً ولطفاً من جزيل المكارم
ويا كاشفاً ضراً لأيوب موجعاً   وعاد فقيراً بعد طول السقائم
ومن بعد ذا عافيته من بلائه   وعدت بمفقودٍ وخير مكارم
ويا منجياً ذا النون من كرب غمه   وفي بطن حوتٍ تحت يم ملاطم
عليه طباق البحر في وسط لجةٍ   فجدت بإخراجٍ له فعل راحم
ويا مظهراً من كان للكون سيداً   سلالة عبدالله صفوة آدم
وأيدته بالمعجزات التي بها   أقرت جميع الخلق عرب وعاجم
بأسمائك الحسنى وأوصافك العلى   بلطفك يا ذخراً لكشف الدواهم
إلى بابك الأعلى رفعت لحاجتي   وكل إلى المولى فقير المظالم
تعطف بجمعٍ للحبائب رحمةً   بدار نعيمٍ مع خيار النواعم
إلهي وأحسن في الجنان لحظنا   ننعم فيها باجتناء المطاعم
ولا تخزنا يوم القيام لحشرنا   بيومٍ به يشقى إذاً كل ظالم
وذلك يوم ليس يجدي عشائر   به يذهل الأولاد هول العظائم
فيا ويح من كانت عذاباً حياته   بداريها يجزي العتاة الأجارم
ويا رب متعنا بكل موفقٍ   حكيمٍ عليمٍ من هداة العوالم
أولئك أهل العلم من كل جهبذٍ   هداة الورى أهل النهى والمكارم
فإنهموا للساكنين أئمةً   بهم يهتدي بل تقتدي ذو العوالم
فكم جاهلٍ قد حار في طرق الردى   فجدوا بإنقاذٍ له عن مآثم
وكم سننٍ أحيوا وكم بدعٍ نفوا   وكم سارعوا جهداً لنفع العوالم

لقــد خصــهم ربــي بكــل مزيــةٍ وأعلاهمــو فــوق الســها والنعــائم
وصـــلّ إلهـــي مـــا تـــألق بـــارقٌ وما سحت الأمطار من جون الغمائم
على المصطفي المبعوث للنـاس رحمـةً نـبي الهـدى والأبطحـي ابـن هاشـم
محمـــد الهـــادي إلى خـــير نحلـــةٍ وما حي الردى المعصوم من كل ظالم
وآلٍ وأصـــحابٍ هـــداةٍ أجلـــةٍ ومتبـــع يقفواهمـــوا في العـــزائم
وســـلم تســـليماً كـــثيراً مضـــاعفاً يفوق لعـد الرمـل مـع قطـر ساجم

وكان لنا أخٌ في الله يدعى صالح بن إبراهيم الرسيني من تلامذة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، ومن تلامذة الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، أصيب بوفاة والدته ثم والده ثم بأخيه، وبعد ذلك أصيب بوفاة زوجته وأولاده، فعزيته بهذه القصيدة في هذه السنة، وتوفى بعدها بخمس سنين:

رســـالةُ ذي ودٍ شـــفيقٍ مناصـــح لمـــن كـــان ذا رزءٍ عظـــيم البلابـــل
يسـليه عمـا قـد دهـى مـن مصـائب يحـث علـى التقـوى وتـرك الرذائـل
وكـم مـن مصـيبةٍ تمـر علـى الفتـى يكـاد لهـا قلـب الفتـى مـن زلازل
يطـير لهـول الـبين نـاس ثوابهـا لما قد دهـى مـن مزعجـات القلاقـل
فيكشـــفها ربـــي ويـــأتي بضـــدها تعـــالى إلـــهٌ لـــيس عنـــا بغافـــل
فكـن صـابراً مهمـا دهتـك مصـيبةٌ صبوراً على الشـدات عنـد النـوازل
إذا كنـــت مفجوعـــاً بفقـــد أحبـــةٍ مـن الأقربـا أهـل الوفـا والتعامـل
فحمداً لمولانا وشـكراً علـى القضـاء ونســـأل مولانـــا جزيـــل الفضـــائل
يمـــن علينـــا بالرضـــاء بحكمـــةٍ وبالصـبر للمقـدور مـن كـل نـازل
وكلٌ سيمضـي ذاهبـاً خلـف ذاهـب وكـلٌ إلى الأجـداث لا شـك راحـل
وهـــذا بآجـــالٍ تـــتم جميعهـــا قضـاها حكـيمٌ ملكـه غـير زائـل
إذا جـاءت الآجـال لـيس تـأخر كمـا هـو في التنزيـل تبـاً لجاهـل
فـلا يـأمن الـدنيا مـن النـاس عاقـل ولا بـــد يومـــاً للنعـــيم بزائـــل
وكـل اجتمـاعٍ عـن قريـبٍ مفـرقٌ وكـل جديـدٍ عـن قريـبٍ بسـامل

كـذا هـذه الـدنيا تقلـب بأهلـها تسـر قلـيلاً صـفوها كالحبائـل
تغـر أخـا جهـلٍ بصـفو نعيمهـا وعمـا قليـلٍ بـالهموم القواتـل
وذي سـنة الله الحكـيم بخلقـه قضـاءً مـن الـرحمن أحكـم عـادل
وكم قـد رأينـا مـن جهـولٍ وغاشـمٍ بطـورٍ لحـق الله لاهٍ وغافـل
فصـادته أشـراك المنيـات بغتـةً وخـر صـريعاً مـن مشـيد المنـازل
وفـارق أهـلاً مـن قريـبٍ ومعشـرٍ إلى جـدث يبليـه تحـت الجنـادل
فـإن كنـت ترجـو أن تعـيش محـبراً بعيـداً مـن الـردى رفيـع المنـازل
فكن راضـياً فيمـا قضـى الله وحـده بلقـبٍ سـليمٍ مـن قبـيح الـدغائل
صـبوراً علـى كـرب الزمـان ومـره وذا جلـدٍ فيمـا دهـى مـن مهـاول
وحبٌ وأبغض وآل مـن كـان مؤمنـاً وعـاد لأهـل الزيـغ مـن كـل خاتـل
ولازم علـى التقـوى لتحمـد غبهـا بيـومٍ بـه يجـزي إذاً كـل عامـل
بـه يسـعد الأخيـار مـن كـل متـقٍ وكـم ظـالمٍ يـدمي بعـض الأنامـل
وخـذ أهبـةً للمـوت قبـل نزولـه فعمـا قليـلٍ راحـلٌ بعـد راحـل
وصـلٌ إلهـي مـع سـلامٍ مضـاعفٍ علـى خـير مبعـوثٍ بحسـن الـدلائل
محمـد المختـار مـن آل هاشـم وآلٍ وأصـحابٍ كـرامٍ أفاضـل
بعد نـزول القطـر مـن وابـل السـما وما ماضَ برق من خـلال الزواجـل

وفيها كسفت الشمس والقمر في شهر واحد، وهذا نادر الوقوع، وحج بالناس في هذه السنة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سعود، وأيضاً حج فيها أناس من الأعيان.

وفي ١٤ من شوال فاجأ الملك فاروق الأول صاحب مصر بزيارة ملكية للمملكة العربية السعودية عن طريق البحر الأحمر، فاستقبل في جدة ثم إنه أدى صلاة الجمعة في المسجد الحنفي بجدة وذلك في ١٥ من شوال، ثم عاد بعد ذلك راجعاً إلى مصر.

وفيها في ١٧ من جمادى الأولى أعني ١٣٦٤هـ وفاة الزعيم في بريدة إبراهيم

بن علي الرشودي، وسيأتي ذكر نسبه وقبيلته في وفاة أخيه عن عمر بلغ الحادية والسبعين، وكان إبراهيم رجلاً سخياً جواداً كريماً، وله قوة نفس وصراحة بحيث لا يراعي أحداً، وله إلمام بمسائل العلم لأنه أخذ عن الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وأخذ عن عبدالله بن عمرو آل رشيد، ودرس بالأزهر في مصر وفي الجامع الأموي بدمشق، وكان شجاعاً، وحضر بعض الوقعات مجاهداً في سنة السباخ، وفي واقعة جراب وغير ذلك، ولديه ثروة لأنه من ذوي اليسار، وكان يميل إلى عدد الزوجات، ويلبس فاخر الكسوة ويستصحب دائماً العصا لا ليتوكأ عليها لكنه ليستعين بها في الكلام، وربما جعلها على عاتقيه ممسكاً بيديه على طرفيها، وقد مات عن عدة أولاد ذكور بحيث بلغوا سبعة عشر ذكراً، وله إناث تزوجن برجال أشراف، ومن أشهر أنجاله يوسف بن إبراهيم الذي لا يزال في مهمة الجمارك في شمالي المملكة.

وبالجملة فإن المترجم رجل قوي شجاع لا يوقف في طريقه، وكان مناصراً لابن سعود يقاتل تحت رايته، وكان في صفته ربع القامة، أبيض مشرباً بحمرة، ولا يصبغ لحيته بل لا تزال مشرقاً بياضها.

ثم دخلت سنة ١٣٦٥هـ

ففيها في الساعة العاشرة والدقيقة ٤٥ من يوم الخميس الموافق ٧ صفر ١٠ يناير ١٩٤٦م قدم جلالة الملك عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية إلى مصر في ضيافة الملك فاروق فرسى اليخت الملكي المحروسة مقلاً عاهل العرب الأكبر عبدالعزيز بن سعود في ميناء بور توفيق، فاستقبله على ظهر اليخت عاهل مصر الملك فاروق ومعه أصحاب المقام الرفيع والدولة ورئيس الديوان الملكي أحمد حسنين، ورئيس الوزارة محمود فهمي النقراشي باشا، والوزير المفوض للمملكة العربية السعودية بالقاهرة، وكبار موظفي المفوضية، وحيوا جلالة الملك ابن سعود تحية حارة وتعانق الملكان ثم قصدا سرادق الاحتفال يحف بهما الوزراء والعظماء

ورجال الحاشيتين، وفي الساعة الحادية عشرة تزيد خمس دقائق أطلقت طابية السويس واحداً وعشرين مدفعاً إيذاناً بتحرك القطار الملكي الذي أخذ يتهادى في سيره بين صفوف من الجماعات لأعداد لها تحيي الملكين وهما يردان التحية بخير منها، والهتافات تدوي في كل مكان، وكانت هذه الزيارة رداً لزيارة فاروق في آخر السنة المتقدمة.

ذكر الاستقبال العظيم لابن سعود

لما أوفد الملك فاروق بدعوة رسمية يخته الملكي المحروسة يحرس اليخت المذكور الطوافة الأميرة فوزية والطوافة فاروق سار ابن سعود في عصر يوم الاثنين ٤ صفر الموافق ٧ يناير، فرسى في اليوم المذكور واستقبل في مصر استقبالاً عظيماً، إن الأقلام لا تستطيع مهما كانت بالبلاغة أن تعبر عن زينة مصر وابتهاجها واستعدادها لاستقبال ضيفها ابن سعود، ولقد بالغ الكتاب ووصفوا هذه الزينة فما وصلوا إلى حدها لأنها لم تشهد مصر منذ نشأت إلى عصر التاريخ مثل هذا الاستقبال، وقد استوى الكبير والصغير في الاستعداد العظيم لابن سعود قبيل دخوله، فلقد كان هناك آلاف الأعلام السعودية تخفق وكذا الزينات تسعى إلى الشوارع والبيوت والمحال التجارية سعياً استعدادياً، وبدت القاهرة كأنها في عرس لم يشهد التاريخ مثله، ولقد كانت شرفات البيوت ملأى بالرجال والنساء والأطفال، وازدحمت الشوارع بالناس وكان الهتاف الجهبذ يتصاعد إلى السماء، ومشى الموكب الملكي من المحطة إلى قصر عابدين العامر، وكانت مصر كلها تهتف أهلوها وضيوفها حتى بحت الأصوات ودميت الأكف من التصفيق، ولبث ابن سعود في مصر أكثر من أسبوع في ضيافة الملك فاروق مسروراً غاية السرور، وزار المؤسسات العلمية والصناعية والمستشفيات، فزار جامعة فؤاد الأول والبرلمان والجامع الأزهر، والجامعة العربية، وسلاح المدفعية الملكي، وحديقة الحيوانات والقناطر الخيرية،

والمحلة الكبرى، وإصلاحية الأحداث، وزار الاسكندرية، كما أن جلالته استعرض الجيش المصري الباسل وأبدى إعجابه بكل ما رأى وسمع، ولقد أحصي ما أنفق فاروق لمأدبة جلالة الملك ابن سعود فبلغ مليونين بالنقود السعودية، وقد قام الملك ابن سعود وفرق أموالاً طائلة في مصر، وتبرع بما بلغ مجموعه أربعة ملايين، ثم إنه خطب الخطيب في مصر خطبة الجمعة بمجد الملكين فيها بجامع الأزهر، وألقيت في الإذاعة، ولما كان يوم الثلاثاء الموافق ١٩ صفر غادر اين سعود القاهرة راجعاً إلى بلاده المتعطشة إليه، وقد استعدت لاستقباله خير استعداد، وعلى أثر مغادرة ابن سعود البلاد المصرية أذاع الملك فاروق المعظم الكلمة الآتية إلى الشعب المصري:

شعبي الكريم في الوقت الذي يغادر فيه أخي صاحب الجلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود مملكتكم عائداً في رعاية الله إلى مملكته، يطيب لي أن أوجه شكري لكم فقد أكرمتموني في ضيفي، بل ضيفكم استقبلتموه بقلوبكم وأحطتموه بحبكم، ثم أطال في أن زيارته للمملكة العربية السعودية ما كان بها غريباً، فكأنه لم يفارق وطنه ولم يفارق شعبه، وإن جلالة الملك ابن سعود في حال زيارته لمصر كان بين وطنه وأهله، وإن أيام المجد تتشابه به إلى أن قال:

شعبي المحبوب ليس أطيب عندي من أكرر شكري لكم فقد أكرمتم في شخص الملك عبدالعزيز شخصي، أكرمتم مصر والعروبة والإسلام.

ولما وصل ابن سعود إلى ميناء جدة في صبيحة يوم الجمعة ٢٢ صفر وأشرقت النفوس برؤيا محياه أقيمت الزينات ثم أذاع نداء أعرب فيه عما قام به أهل مصر من الإكرام والإحتفاء، وقال: ليس البيان بمسعف في وصف ما لاقيت في مملكة أخي الفاروق، ولكن اعتزازي أني كنت أشعر أن جيش مصر العربي هو جيشكم وجيشكم هو جيش مصر، وحضارة مصر هي حضارتكم وحضارتكم هي حضارة مصر، والجيشان والحضارتان جند العرب وركن من أركان حضارتهما، ولقد أكثر الشعر من القصيد لهذه المناسبات.

وفي هذه السنة ولدة امرأة ببيروت خمسة أطفال، ثلاثة ذكور وبنتين، وتسمى هذه المرأة زكية زهران، وعاش المواليد يتمتعون بصحة جيدة.

وفيها توفى عالم في مكة يسمى عيسى رواس، كان مدرساً في مدرسة الفلاح بمكة، ثم رأى أن يكسب رزقه بعمل يده، فكان يعمل أول النهار ثم يدرس بالمسجد الحرام آخر النهار وأوائل الليل رحمة الله على أموات المسلمين.

وفيها في شهر صفر في آخر الأربعانية وأول نوء النعائم اشتد البرد جداً ونزل في غرة جمادى الأولى برد عظيم الحجم فأصيب به ركاب ونيت في الموضع المعروف بالمستوي فقتلهم كلهم وخمدوا جميعاً، ولم يسلم إلا راعي لغنم هناك على البعد منهم، وفي ١٥ من الشهر المذكور نزل من السماء مطر عظيم على الحناكية وما يليها فغرق فيه أموال كثيرة وأدباش، حتى بلغ ارتفاع الماء على الأرض إلى رؤوس النخل.

وفيها في ١٥ رجب خسف القمر خسوفاً عظيماً وانطمس قدراً من أربع ساعات وذلك في أول الليل.

وفيها أصيبت ثمرة النخل بنقص وفساد حتى لم يتحصل منها إلا على نصف ثمن ثمرة العادة، نستغفر الله ونتوب إليه من الذنوب والمعاصي، وغلت الأسعار واشتدت المؤونة جداً، وقد رأت امرأة من الصالحات في شهر شوال في منامها ملكين جلس أحدهما عند رأسها والآخر عند رجليها فأسمعاها هذا الكلام «تاب تاب نزعت البركة من التراب، تاب تاب نزع الحيا من الشباب، تاب تاب نزعت الرحمة من بين الأقراب، تاب تاب هجر الكتاب».

ذكر عجائب من الحوادث غير ما تقدم

ففيها في ليلة ٢٤ من ذي الحجة جرى على أهل قصر في روضة مهنا أنه خرج امرأتان إلى نحو الجابية للوضوء فسمعتا خشخشة في الماء فذعرتا لذلك، وبينما المرأتان تنظران تلك الخشخشة إذ رجمتا بالحجارة والعظام ففرتا إلى القصر، واستمر

الرمي حتى تأذى سكان القصر من وقع الحجارة والعظام، وبعدما فتشوا وجد الرمي الذي أصابهم من طريق الجن، ولما كان في الليلة المقبلة اشتد الرمي والقذف حتى امتلأ القصر من العظام والحجارة، وكادت أن تقع قرون البئر، فخرج الرجال وصاحوا بمن حواليهم من أهل القصور الأخرى وفزعوا بالسلاح والحديد، فكانوا يرجمون ولا يرون أيد عاملة بل تأتيهم القذف من حيث لا يعلمون، فلما كان في الليلة ٢٦ قام غالب أهل القرية فزعين بسلاحهم فشرع الرمي على العادة، غير أنه قليل ثم إنه زال بعد ذلك.

وفيها في شعبان ورمضان خرج كلب في هجرته ـ قبة ـ وآذى كل من مرَّ عليه بالعض، وكان من الناس من يسلم من العضة إذا عالج نفسه، ومنهم من يتلف، وممن تلف رجل ذهب إلى موضع ذلك الكلب يحمل البندقية ليقتله، فجلس أمام جحره وجعل ينادي الكلب، كأنه يخاطبه، ولما أقبل إليه الكلب بادره بطلقة من البندقية فحبسها الله تعالى، ثم وثب عليه الكلب فعضه على يده فكلب، وجعل الناس يشيرون عليه أن يعالج العضة فأبى وصمم على ترك العلاج مسلماً أمره إلى الله تعالى، فلبث أربعين يوماً لم ينكر نفسه شيئاً، فلما كان من الغد جعل يشكو الماً في يده ويصرخ ويشكو الظمأ، فلما شرب من الماء مات في الحال.

وفي قرية في الأناضول عثر اثنان من سكانها في شهر شوال على مغارة للذئاب وقتلا ثلاثة من الذئاب المولودة حديثاً، ولكن الأم هاجمتهما بعد قليل فتمكنا من صدها ودخلت الذئبة القرية بعد بضعة أيام فهاجمت صبياً في الثالثة عشرة من عمره فمزقته تمزيقاً، وأعادت الكرة مرة ثانية وثالثة ورابعة، وكانت في كل مرة تفترس واحداً من صبيان القرية، وقد طلب السكان مساعدة البوليس على إنقاذ قريتهم من هذا العدو المنتقم.

وفيها أنشئ في عنيزة محطة لاسلكي، ومحطة أخرى في شقراء، ومحطة أخرى في الأفلاج، ورابعة في السليل.

وفيها ظهر إعلان من هتلر بأنه سيظهر استعمال الطاقة الذرية في طور بينات

الغاز، ثم قال: ويلوح أننا على وشك النهوض بالبحرية نهوضاً كاملاً سيكون أتم وأعظم مما قمنا به في نصف القرن الأخير، وهذا إنما هو في استخدام الطاقة الذرية في دفع السفن القوية التي تبلغ طول كل منها حوالي ألف قدم، وقد أصبح هذا يلوح لنا في الأفق أ.هـ. وهذا غريب.

وفيها توفى الأمير البطل عبدالعزيز بن إبراهيم بن معمر أمير المدينة سابقاً رحمة الله عليه، وكان في حال إمارته على المدينة مهاباً مسدداً فلذلك كانت المدينة المنورة حال إمارته عليها في غاية ما يرام من تأديب الجناة وتأمين السبل وحسن القيام بالأعمال، ثم إنه نقل منها وجعل عضواً في مجلس الشورى بمكة المكرمة، فاستمر في عمله إلى أن مات.

وفيها بعث ابن سعود رسالة ملكية إلى أميركا مقدمة إلى الرئيس ترومان رئيس الولايات المتحدة، وكانت عن طريق وزير الملك ابن سعود المفوض في واشنطن، وهي بشأن قضية فلسطين قال:

يا صاحب الفخامة إن الصداقة التي تربط بلادي ببلاد الولايات المتحدة والصداقة التي تأسست بيني وبين الرئيس روزفلت، والصداقة التي تجددت بيني وبين فخامتكم تجعلني شديد الحرص في المحافظة على هذه الصداقة وتغذيتها، والعمل على تقويتها بكل الوسائل الممكنة، ولذلك تجددوني فخامتكم ،، الخ، وأكرر في كل مناسبة أشعر فيها بما يخل بصداقة الولايات المتحدة مع بلادي ومع سائر البلاد العربية، لكي أزيل ما يمكن أن يعرقل الصفاء، ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم عن حقيقة الموقف في فلسطين والحق الطبيعي للعرب فيها، وإن ذلك يرجع إلى آلاف السنين، وإن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية اعتدت في أول الأمر باسم الإنسانية، ثم أخذت تظهر عنوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان، مما ليس يخفى على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحدة، أضف إلى ذلك أطماعهم التي بيتوها ليس لفلسطين وحدها بل لسائر البلاد العربية المجاورة، ومنها أماكن في البلاد المقدسة.

لقد دهشت للإذاعات الأخيرة التي نسبت تصريحاً لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود في فلسطين وتأييد هجرتهم إليها بما يؤثر على الوضعية الحاضرة خلافاً للتعهدات السابقة، ولقد زاد في دهشتي أن التصريح الذي نسب أخيراً لفخامتكم يتناقض مع البيان الذي طلبت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية في جدة، ثم إنه أطال ابن سعود بالموضوع وشجع اترومان لحل هذه المشكلة، وناشده بحق العدل الذي جاهدت الولايات المتحدة لأجله كل عدوان غاشم، ولقد أوفدت أمريكا وبريطانيا إلى ابن سعود لجنة لحل هذا الموضوع، وسنذكر ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفيها وفاة الشيخ القاضي في الحجاز المرزوقي، وذلك في شهر صفر، وكان فيما ينسب عن فضيلته أنه قام بالقضاء زهاء نصف قرن فكان مثالاً في العدل والإنصاف، وامتاز بعلو كعبه في الفقه الإسلامي، وطول باعه في المسائل القفهية واشتغاله بهذه الشؤون، ووافق له جو صالح لنمو مواهبه، ويعد من خيرة العلماء الحجازيين، وأن موته خسارة وفراغ كبير، فرحمة الله على علماء الإسلام، ونشكو إلى الله ما نلاقيه من موت العلماء واندثار الشمل، وقلة الرغبة في العلوم الدينية، أليس من الخسران إن نزع العلماء من القبائل وفشو الجهل وقلة الاعتناء بهذه البضاعة.

وفيها اغتيل ملك سيام وقد ألقى البوليس القبض على عدد من المدنيين السياميين للتحقيق معهم في تهمة الاغتيال.

وفيها وصل فجأة إلى مصر وحل في قصر عابدين مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، وكان وصوله في ٢٠/ ٤ من هذه السنة، فتشرف بالسلام على ملك مصر فاروق.

وفيها عين الرجل المثقف عبدالله البراهيم الفضل قنصلاً عاماً للمملكة العربية السعودية في مصر، وصدرت الموافقة الملوكية بتعيينه في رابع شعبان من هذه السنة.

وحج بالناس ابن سعود ملك العرب العظيم، وكان عن طريق الجو، وحج

غالب البيوت السعودية بالطائرات، وكثرت الطائرات في هذه السنة وبلغ عدد الحجاج ربع مليون، وقد جرى تنظيم وتيسير وإدارة حسنة للحج، وأكثر الشعراء من المديح لصاحب الجلالة، ونورد هنا قصيدة ألقاها الشاعر عبدالهادي الطويل هذا نصها تحية لعاهل الجزيرة:

سنا مستمد من سنا الله باهر ... يرف كما رفت نجوم زواهر
أفاض الهدى في الخافقين رفيفه ... فلم يبقَ في صقعٍ من الأرض حائر
وضوء أرجاء الجزيرة مثلما ... يضوي صبحٌ مشرق الوجه سائر
إذا ما طويل العمر لاح تألقت ... على الأفق أنوار وولت دياجر
وهلل نجديّ وكبر منهم ... وسارت بأنحاء الحجاز البشائر
مليكٌ له نصر اللواء على السها ... وفي كفه سيفٌ من الحق باتر
قلوب بني الإسلام طراً سريرةٌ ... وأفواههم أعواده والمنابر
ولم تقف العليا إلا ببابه ... ولم تجتمع إلا لديه المآثر
وما تجلت قط العروبة مثله ... ولا انعقدت إلا عليه الخناصر
يحف به الإخلاص من كل جانبٍ ... وتغشاه بالحب العميق الخواطر
ويبدو فتسري في النفوس مهابةً ... فتخشع من فرط الجلال النواظر
ويهتز للمعروف والخير والندا ... كما اهتز غصن في الحمائل ناظر
وبين شعوب الضاد ينفح ذكره ... كما نفحت بالطيبات الأزاهر
به نيطت الآمال في الشرق والمنى ... وعادت به أمجاده والمفاخر
يذكرني عصر الرشيد زمانه ... وقد عز فيه المسلمون الأواخر
حسام بني عدنان والأمر حارب ... ودرع الأماني والمنايا دوائر
وإن جد جِدٌّ أو ألمت ملمةٌ ... فعبدالعزيز الحصن ممن نحاذر
أخو الحرب إِما كشرت عن نيوبها ... ورئباً لبها والنقع للنجم ثائر
غدته صغيراً ناشئاً بلبانها ... وربته في ميدانها وهو كابر
تتيه به البيض الصوارم في الوغى ... وتزهى به الجرد المذاكي الضوامر

ويـأتي إليـه النصـر مـن عنـد ربـه فيرجع من ساح الوغى وهـو ظـافر
أمـولاي جـاد الـدهر وافـترت المنى وجاءك يسعى من بـني مصـر شـاعر
لقـد سـنحت لـي فرصـةٌ ذهبيـةٌ فهـا أنـا للقصـر المشـيد أبـادر
وقـد ملكـتني مـن جلالـك روعـةٌ فهـل أنـت لـي يـا ذا الجلالـة عـاذر
أسـائل نفسـي أيـن أنـت وعنـد مـن نزلـت ومـن هـذا الكـريم المـوازر
أفي زمـن المـأمون أم أنـا حـالم وفي أي قصـرٍ يـا تـرى أنـا حاضـر
ومـا هـذه الـدنيا قـد بلغتهـا وتلـك الأمـاني الباسمـات النـواظر
بلى نحن في صحو لدى خير عاهـل بجانبـه الطـائي في الجـود مـادر
أياديه قـد فاضـت علـى كـل مسلم وآلاؤه غـرٌ جسـامٌ غـوامر
هـو البحـر إلا أن للبحـر سـاحلاً ومـا لعطايـا ذلـك البحـر آخـر
سـأثني عليـه بالعشـيات والضـحى إذا مـا أقلـتني لمصـر البـواخر
بنفسـي وأهلـي مـن هـداني جبينـه إلى حيـث قامـت للإلـه الشـعائر
فطرت وفي صدري من الشـوق علـةٌ يضـيق بهـا القلـب الجـريء المغـامر
وأقبلـت للبيـت الحـرام ملبيـاً وطفـت بـه والقلـب جـذلان شـاكر
حنانيـك ربـي إنـي جئـت تائبـاً ومـالي سـواك اليـوم للـذنب غـافر
فجـد لـي بغفـرانٍ كـريم ورحمـةٍ تقـر بهـا عـيني ويهـدأ خـاطر
تباركـت هـادي العـالمين للكعبـة ثراهـا ثريـاً بـل حصـاها جـواهر
بهـا طـاف إبـراهيم مـن قبـل وابنـه كمـا طـاف مـن بعـد الـنبي المهـاجر
علـيهم سـلام الله مـا ذر شـارق وغنـى علـى أفنائـه اللـدن طـائر
أمـولاي حيـاك الإلـه تحيـةً كما حيت الروض الغيوث البـواكر
دعا باسمك الداعي إلى المجـد والعـلا وسار على ضوء الهـدى منـك سـائر
وأنـت الـذي أحيـا تعـاليم دينـه وقـام بشـرع الله فينـا يجـاهر
أقمـت حـدوداً طالمـا قـد تعطلـت وتعطيلـها مـا فيـه إلا الفـواقر
ودسـتورك الـذكر الحكـيم وإنـه لطـبٍ بـه تشـفى النفـوس الجـوائر

فليت بلاد الشرق سارت بهديه لينجاب ديجور وينهض عاثر
وما دهي الإسلام إلا بتركه ولا غزيت أمصاره والحواضر
خطوب كبارٍ في فلسطين والحمى ولم تنجو منها تونس والجزائر
وما نبه الآمال بعد هجوعها كجامعةٍ فيها تجلى التظافر
بها الأمم اللاتي امتلأن حماسةً وفيها من العرب الليوث الكواسر
وأنا لأبناء الغطارفة الأولى نباهي بهم طول المدى ونفاخر
همو ملكوا الدنيا وساسوا أمورها فلا الأمن مفقودٌ ولا الحكم جائر
رخاءٌ وأمنٌ مستتب مؤطد وعدل كما تهوى الرعية وافر
فمن شاطئ الأطلنطي للصين دولةً لها في ربوع الأرض تسري الأوامر
أكاسرة الفرس أنضووا تحت حكمها وألقت إليها بالزمام القياصر
أمولاي جدد ما عفى من رسومها فليس لها إلاك للغرب قاهر
أمولاي ما للشرق غيرك يرتجي إذا ما دعى داعيه أين التناصر
أمولاي إن الأمر جاوز حده وطول احتمال الذل والأسر ضائر
أمولاي حطم للأسود قيودها وذد عن حياض الدين فالله ناصر
دعى الله أن يرعاك حجاج بيته وزوار روض المصطفى والعشائر
وقالت بلاد الشرق أمين كلها فدم أنت والعرب الكرام الأكابر
وعش حرماً للمكرمات يؤمه عضات الندى والملهمون العباقر
ولا زال للبيت السعودي آله فهم للعدالي والمعالي ذخائر
وللملك الفاروق منا تحيةٌ على البعد تزجيها إليه الخواطر

ثم دخلت سنة ١٣٦٦هـ

استهلت هذه السنة وقد استمر صدور جريدة البلاد السعودية، ومجلة المنهل وجريدة المدينة المنورة بعدما اختفت السنين المتقدمة.

هذا وقد كانت القضاة والأمراء في وظائفهم، فكان في رئاسة القضاء بالحجاز

فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، وعلى قضاء حائل الشيخ حمود بن حسين الشغدلي، وعلى قضاء بريدة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، وعلى قضاء عنيزة الشيخ عبدالرحمن بن عودان، وعلى قضاء مدينة الرياض الشيخ بن سليمان، وعلى قضاء المجمعة الشيخ ابن السوداء، وعلى قضاء الدوادمي الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل، وعلى قضاء الإحساء الشيخ سليمان بن عبدالرحمن العمري، وعلى قضاء الخرج الشيخ الزاهد عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وعلى قضاء البكيرية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن سبيل، وعلى قضاء جيزان الشيخ عبدالله بن عودة السعوي، وعلى قضاء البرك الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد، وعلى قضاء الزلفي الشيخ سليمان بن عبيد، ثم نقل إلى قضاء المجمعة، وهكذا قضاة عسير، وكذا قضاة الهجر.

أما الأمراء فكان على الإحساء وما يليها الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي، وقد جعل مقر عمله في مقاطعة الظهران الشرقية، واختير لذلك لما له من الصرامة والقوة، وكان على إمارة جبل طيء ما يليه الأمير عبدالعزيز بن مساعد، وناهيك به، وكان علىبريدة عاصمة القصيم الأمير عبدالله بن فيصل بن فرحان، وعلى عنيزة عبدالله بن خالد بن سليم، وعلى إمارة مكة ونيابتها الأميرفيصل بن عبدالعزيز نجل جلالة الملك، وعلى المدينة المنورة السديري، وهكذا.

وفيها أمر ابن سعود بتأسيس مطار في مدينة بريدة في القصيم، وبعث لهذا العمل ضابط الحرس الخاص محمد الذيب، فشرع العمال في تعبيد صحن المطار ومسحه، وجعل لذلك وكيل وعمال وعلى رأسهم أمير المقاطعة والضابط يرشدانهم ويبينان الخطة المرسومة، وكان ذلك في غرة ربيع الأول، ولما كان بعد شهر أعني في غرة ربيع الثاني شحنت السيارات النقلية بالأرزاق والأطعمة وقامت من الحجاز والرياض متماسكة إلى بريدة عاصمة القصيم، واستمرت في النقل من غرة الشهر إلى ١٥ منه حتى بلغ عدة ما ورد من الأرز والدقيق والسكر واللبن والشاي والهيل قريباً من ستين ألف كيس، ولا يعلم أحد حقيقة الأمر، غير

أن تلك الأرزاق وما يتبعها من المعدات الحربية التي قدمت بعد ذلك مع الجنود تنبيء بأمر مهم شخصت الأبصار لها وقامت العاصمة تستعد باحتفالاتها لقدوم الملك، ولما أن كان في ١٢ من الشهر قدمت الدبابات والمصفحات ونصب على كثب الرمل الحمراء في الموضع المسمى التغيرة ما يقرب من ألفي خيمة، وامتد بناء الخيام حتى بلغت مساحة الأرض التي نصبت فيها مع الخيام الأخرى التي نصبت بعد ذلك ما يزيد عن تسعمائة ألف متر مربع، ثم قدمت السيارات النقلية وسيارات الركوب بعد ذلك، ولما أن كان في صباح ١٧ ربيع الثاني خرج أهالي القصيم إلى المطار للاستقبال، ففي تمام الساعة الثانية عربية صباحاً أقلت الطائرات عاهل الجزيرة من الرياض وعدتها ثمان طائرات من بينها الطائرة الخاصة الملكية يصحبه أنجاله والحرس الخاص، ثم إنها هبطت في الثالثة تزيد خمس عشرة دقيقة، ولما هبطت الطائرات في القصيم كانت ساعة مشهودة استعد فيها أهالي القصيم باحتفالهم البديع فملئوا الصحاري، وجلس صاحب الجلالة في موضع الاستقبال حتى قرت العيون بالسلام عليه ورؤيته، ثم إنه سار إلى موضعه في المخيم المنصور.

ذكر الاستعراض وما جرى من استبسال أهل القصيم وشجاعتهم

إن أهل القصيم والحق يقال كانوا رجالاً أهل دين وسمت، وفيهم نخوة عربية دينية، فلذلك كان صاحب الجلالة عبدالعزيز بن سعود يختصهم بالثقة والحشمة والشيمة، أضف إلى ذلك أن لهم سوابق في الشجاعة والتقدم، وطالما صفوا تحت راية ابن سعود وجاهدوا عدوه كما في وقعات مرت بنا بهذا التاريخ، فهم يتمسكون بشرفهم ويخدمون مليكهم، ويبتعدون من الشقاق ولو أدى ذلك إلى اجتثاث أصلهم، فما أقواهم في الدين، وما أشجعهم في اللقاء، وكلا الخصلتين محمودتان عند الله وأطائب خلقه، فلقد قاموا بقيادة أمير بريدة باستعراض أمام جلالة الملك يهزجون بالأناشيد ويضربون الدفوف ليلة ١٨ ربيع الأول، ثم لما كان

من الصباح تأهبوا مستبسلين وكل شخص قد استعد بسيفه أو بندقيته، فكانوا صفين أمام قصر الحكم في بريدة، وبعدما استكمل عددهم مشوا من ذلك الموضع ووقفوا صفين في بطن الخبيب بطول أربع كيلو، فقامت الدفوف لها لجبة عظيمة يسمع قرعها من مسافة بعيدة، وقامت فرقة السلاح الأبيض تتمايل خلف العلم السعودي، وقامت كعاب البنادق يسمع لها قعقعة، واستمر الاستعراض ست ساعات من الزمن، ثم أطلقت البنادق في الفضا، وهذا وصاحب الجلالة الملك المعظم يشاهد ذلك، ثم إنه كمل الاستعراض، ولما أن كان من الغد أعيد الاستعراض للمرة الثانية، وقامت فرق المتطوعين تعرض على صاحب الجلالة وقد استبسل أهالي القصيم وفدوا إمامهم الملك العظيم والقائد المحنك بما عز عليهم من الأنفس والأموال، وإنهم يسيرون تحت رايته الخفاقة، ولو خاض بهم البحر الخضم، ولو أمامهم النار لوقعوا فيها.

أولئك رجال القصيم الذين فضلهم لا ينكر، يشهد لهم بالتقدم في المعارك والفتوحات الإسلامية التاريخ والوقعات التي دوخت كل مكايد تقف أمام جلالة الملك ابن سعود، أو يريد الإسلام بسوء، ثم إنها أطلقت البنادق في الفضا، وانتهى الاستعراض في الساعة السادسة نهاراً تزيد ثلاثين دقيقة.

وكان عدد الذين شهدوا الاستعراض واشتركوا فيه من أهل القصيم ستين ألف مقاتل من الرجال الشجعان.

ولقد أعجب الملك بهذه الشجاعة وسره ما أبداه الأهالي من التحمس والتقدم، فياله من استعراض يذيب القلوب ويشحذ الهمم، ويثير السواكن، ثم إنه نقل المطار إلى موضع العودة الذي لا يزيد مسافته عن البلد بكيلوين.

وكان الموكب عظيماً طنبت فيه خيام ابن سعود، وصفت السيارات والمدرعات والمصفحات والمدافع والرشاشات والمكائن النارية، ومدت أسلاك الكهرباء المنيرة موزعاً على ذلك الموضع، ونظمت العساكر والجنود ونصبت القدور، وجلبت الأدباش.

وكان خيام النساء والجواري والوصائف على اتحاد في موضعها وما يتبع كل نجل من الخدم والأولاد والأثاث على اتحاد، وسيارات البترول واللاسلكي على اتحاد، وسيارات الركوب كذلك، وسيارات النقل كذلك، ويحف بالموضع من أقاصي أرجائه الجيش النظامي، وبالرغم من وجود صاحب الجلالة الملك المعظم فإن الفواكه قد بلغت غاية في الغلاء، حتى بلغت وزنة الطماطا أربعة عشر ريالاً، وانتهت قيمة الحطب إلى قدر عظيم في الغلاء حتى بيع الحطب الذي يقدر بحمل بعير بثلاثين ريالاً بعد أن كانت القيمة أربعة ريالات، ولولا ما اتخذته مديرية مالية بريدة من جلب الأسباب قبل ذلك في شحن السيارات والسعي في نيله لكان الأمر أعجب وكان يأتي إلى ذلك المخيم يومياً أربعمائة حمل من الحطب، وقد بلغت قيمة الحطب الذي استهلكه المخيم العظيم مائتي ألف وثلاثين ألف ريال في شهر واحد، وبما أن الفواكه ترد من مصر والشام وغيرها عن طريق الطائرات يومياً فإنها لا تزال في الغلاء، أما بقية الأسعار فإنها تحسنت قيمتها.

ثم إنه قسم الملك ابن سعود على أهل بريدة ألف كيس من البر والدقيق، ومائة ألف وخمسين ألف من النقود، وعلى بقية قرى القصيم مائة ألف من النقود، هذا الذي كان في الظاهر، وأما ما كان سراً فإنه لا يحصى، ولما كان في ٢٩/ ٤ سار على سبعين من السيارات لزيارة عنيزة يصحبه بعض أنجاله، فأقام فيها يوماً واحداً ورجع آخر النهار، وفي يوم الاثنين الموافق ٢ جمادى الأولى سافر إلى بلاد حائل على ظهر ثلاث طائرات، وقد سار أمامه بعض النقليات والمصفحات إليها فقدمها وأقام فيها يومين، ثم إنه رجع مسروراً وقد خرج الأهالي من بريدة لاستقباله في المطار لما رجع إليها، ولما نزل من الطائرة الملكية وقف للناس وهم يزدحمون للسلام عليه ويبتسم عجباً من محبتهم له، ثم إنه أقام في بريدة إلى ١٧ جمادى الأولى الموافق ليوم الثلاثاء، ولقد سر سروراً بشجاعة أهل القصيم، وما يكنون في أنفسهم من النصح له والمحبة، وزاد إعجابه بهم.

ذكر عودة جلالته إلى الرياض

لما كان في ١٧/ ٥ تحرك الموكب من بريدة للسفر إلى الرياض فقوضت الخيام، وجمعت السيارات، وتأهبت الجنود للسير، وقد كان في ليلة ١٦ من الشهر أن سار بعض النساء من البيت المالك على بعض الطائرات، ولما أن كان في يومها طار أربع طائرات تقل بقية الأميرات وخدمهن، ثم سارت النقليات في ذلك اليوم، وبات الموكب على أهبة الرحيل، وفي صباح اليوم ١٧ الموافق الثلاثاء طارت طائرتان بما بقي من الأسرة وخرجت الأمة تتقدمها الأعيان والرؤساء لوداع جلالته، فجلسوا أمامه على تلك الكراسي الجميلة في ذلك السرادق العظيم، وجعل يلقي على الأرض عليهم من كلامه ما هو أحلى من الشهد، بحيث سر ضمائرهم وأطلق ألسنتهم بالثناء والشكر له، ومن كلامه حفظه الله قوله:

إن الأمر في الحقيقة يرجع إلى النية والقلب، فإن كان قلبك ينكر المنكر ويكرهه ويقشعر عندما يسخط الله فذلك عنوان الخير، وإن كان قلبك يميل مع كل شيء فلست بشيء، إني قلت لرئيس من رؤساء الكفر نحن أيها المسلمون خير منكم فأجاب يستفهم عن ذلك، فقلت له: لو أننا سمعنا أحداً يسب نبينا قتلناه وإنكم تسمعون اليهود تشتم عيسى وتقذف مريم ولا تغارون لذلك، إني لما قدمت مصر أذنت وصليت بمن معي، فتعجبت أهل مصر من ذلك يقولون هذا الملك ابن سعود يؤذن، فقلت نعم إنيَ أؤذن وأشهد أن لا إله إلا الله، وكانت عمتي غفر الله لها تقول: الله يا عبدالعزيز، إنك أذنت فقلت لها نعم والحمد لله، فأجابه أحد العلماء الحاضرين على الفور بقوله: هذه عمرية يا طويل العمر، ثم إنه أخذ يذم طريقة الكفر ونحل الكفار وما هم عليه من سفالة الأخلاق ورذالة الأمور، مستهجناً لهم ومحذراً من سلوك طرائفهم، لأنهم كانوا على غير هدى، وحقاً فإنهم كانوا عن سبيل الله معرضين، وللشيطان متبعين، وعن الفضائح متجردين، وذكر الملوك ثم

ذكر أن الرئيس روزفلت قد كان حسن المعاملة معه، وقال: إنه وعدني مكائن وقوات، غير أن الله لم يتم ذلك بل هلك الرئيس قبل أن ينفذ إرادته.

ثم تكلم عن الطائرات وصيانتها، وأن فيها توفيراً وراحة، وأنه يريد أن يجعل شركة فيها، وقال: لو شئنا لأتينا بمائة طائرة، وإنما نأتي بما تدعو الحاجة إليه.

ثم تكلم في أمر عبدالله بن علي القصيمي الذي سكن مصر وأظهر زيفه فيها بكتابة الأغلال، وكان قد قطع مرتبه الذي جعله له وتبرأ منه ومن عمله، فتكلم بعض العلماء بشأن هذا الرجل وأنه قليل العقل بحيث أنه يمتدح نفسه ويطريها، فأشار الملك بأن عقله صحيح غير أن دينه فاسد خبيث.

وبعد ذلك قام واقفاً وودع الحاضرين وهم يبكون لفراقه، وأعرب عما في ضميره وبما يكنه لهم من المحبة يقبلون يده وجبينه، ثم سار بعد ذلك بالسيارات إلى المطار وقد هيئ له أربع طائرات أقلته إلى الرياض.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها جعل على إمارة الرياض الأمير سلطان بن عبدالعزيز نجل جلالة الملك بدلاً عن النجل الثاني ناصر بن جلالة الملك.

وفيها في شهر شعبان عزل أمير بريدة عبدالله بن فيصل وجعل مكانه الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن مساعد، فرحل الأول بأهله إلى الرياض، وقدم الأمير الشاب عبدالله بن عبدالعزيز، وكان قد قدم الأمير العظيم عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي في ٢٥ شعبان ليؤطد إمارة نجله في القصيم، فكان مبتدأ إمارة عبدالله في غرة شهر رمضان مباشرةً وعمره إذ ذاك لا يتجاوز ١٨ سنة، ولما أن قدم بطائرة من الرياض مزوداً من قبل جلالة الملك بما يلزم من العلوم والآداب التي تعود مصلحتها على الجميع، فرح به الأهالي ورجوا خيراً لما يأملون به من الذكاء والحزم والنشاط والشهامة، وكان عند حسن ظنهم به، والشبل ولد الأسد، ومن أشبه أباه فما ظلم.

وفيها عزل ابن سعود قاضي البكيرية الشيخ عبدالعزيز بن سبيل وجعل مكانه الشيخ سليمان بن عبدالله المشعلي، وكان شيخاً رزيناً ومن خيرة تلامذة آل سليم، فباشر عمله هناك.

وكذلك أيضاً نقل قاضي دخنة وهو الشيخ محمد بن صالح بن سليم.

وفيها أيضاً نقل الشيخ سليمان بن عبيد من قضاء الزلفي إلى قضاء بلدة المجمعة، وذلك لطلب من الأهالي له.

ذكر ردة عبدالله بن علي القصيمي الصعيدي

نسأل الله العافية والسلامة

كان هذا الرجل من أهالي خب من خبوب القصيم، ثم إنه نشأ في مصر واكتسب من العلوم حتى كان ينافح عن دين الله، وله ردود على أهل الضلال الذين نابذوا دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وضادوها، حتى هتك أستارهم، وله فصاحة في الأقوال وقوة في الإنشاء، يعرف ذلك من كتبه، غير أنه كان معجباً بنفسه، فعنَّ له بعد ذلك أن يتوسع في العقيدة ويأتي بأمور يظهر منها علامات النفاق والخبث، ولو ثبت على ما كان عليه في أول أمره في كتبه التي ألفها في نصرة الدين ـ كالفصل الحاسم، والبروق النجدية، والصراع بين الإسلام والوثنية ـ لكان خيراً له، وقد يستنشق من مؤلفاته الأخير رائحة النفاق، فلما كان في هذه السنة أظهر كتابه الأغلال الذي تعرى به من دين الإسلام، وخلع ريقته من عنقه، وسمى شرائع الإسلام أغلالاً غلت المسلمين عن التقدم وحسن طريقة الكفر، وزاغ عن الهدى، ورمى الإسلام بالقصور والتأخر، وشن عليهم الغارة، وفضل طريقة الكفر والشرك على طريقة المسلمين، فقام لذلك أهل التوحيد والدين وصاحوا به من أقطار الأرض وكفروه وضللوه وبدعوه وفسقوه، وأجلبوا عليه بخيلهم ورجلهم وهتكوا ستره، وصاحوا بناديه.

فيا عجباً له أيظن أنه ليس في الحياض من يذود عنها، وإن حمى الإسلام خال

من المدافعين والمرابطين كلا والله إن أسد العرين مفترشة براثنها لمحق كل ثعلب سوء من المبطلين، فلله الحمد على ذلك، ولكن ويا للأسف عن هذا الفارس بينما هو في صف المسلمين يدافع عنهم وإذا به يصول عليهم ويكون في نحورهم فإنها لخسارة ونقص فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها كثرت الحصبة في الأطفال ومات بسببها خلق كثير وجم غفير.

وفيها حدث في مصر وباء يدعى الكوليرا، وكان يصيب الأمعاء، ووافق ذلك في موسم الحج فمنع بقية الحاج المصري خشية انتشار الوباء، وحج بالناس ولي العهد إذ ذاك سعود بن عبدالعزيز، ولما أن كان في ١٣ ذي الحجة شرع في تركيب باب جديد للكعبة المشرفة، وتم عمل التركيب في ١٦ منه، وكان ذكراً خالداً لجلالة الملك عبدالعزيز وقد باشر وضعه سعود بن عبدالعزيز بالنيابة عن والده الملك، ذلك لأن بابها الأول بسبب تقادم عهده أخذ في التضعضع والاختلال لأنه قد ركب عليها سنة ١٠٤٥هـ في يوم الخميس الموافق ٢٠ رمضان، وكان الذي ركبه السلطان مراد خان بن السلطان أحمد خان والي مصر، وقد عين لذلك الأمير رضوان بك المعماري، وأضاف إليه يوسف المعماري مهندس العمارة سابقاً، فوصلا إلى مكة في موسم السنة التي قبلها، ثم لما كان في ١٧ ربيع الأول من سنة ١٠٤٥هـ وصل إلى الكعبة المشرفة وفتح آل الشيبي بابها، فعلقوه وركبوا غيره عوضاً عنه باباً من خشب، لم يكن عليه شيء من الحلية، وإنما عليه ثوب قطني أبيض، وبعدما ركب الباب المذكور في اليوم المذكور من السنة المذكورة أرسل الباب القديم إلى السلطان مراد، وقد حصل احتفال لذلك، فلما تضعضع هذا الباب وبلغ مسامع جلالة الملك أصدر أمره العالي بأن يصنع على حسابه الخاص باب جديد للكعبة المشرفة بدل القديم على أحسن ما يكون، فصنع هذا الباب الجديد فعلاً بصورة بديعة جداً لم يسبق لها مثيل في تاريخ الكعبة المشرفة.

وقد صنع هذا الباب بصفائح من خالص الفضة محلاة بكتابات آيات من القرآن بأحرف ونقوش من خالص الذهب، كما أن حلقتي الباب العظيمتين صنعتا

من خالص الذهب صنعة بديعة لم يسبق لها مثيل، وقد كسيت بتلك الصفائح الفضية والأحرف والنقوش الذهبية ألواح من طيب العود الذي هو أزكى أنواع الطيب، وأقيم لذلك احتفال رسمي عظيم حضره صاحب السمو الملكي ولي العهد إذ ذاك سعود، بل وضعه بيده تيمناً وحضره وزير الدفاع منصور بن جلالة الملك عبدالعزيز ووكيل نائب جلالة الملك على مكة عبدالله بن فيصل حفيد الملك، وحضره العلماء على رأسهم رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، وحضره الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، والشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مانع مدير المعارف العام، وأمراء المقاطعات، وسدنة الكعبة، ووزير المالية، ووزير الخارجية، ومدير الأمن العام، ومدير الأوقاف، وموظفوا المسجد الحرام وخدمه وأعوانه، وكبار الموظفين والرؤساء وغيرهم، والحفل عظيم باهر، وقد خطب ولي العهد سعود خطبة حينما قدم لتركيبه في ذلك المساء، وبعدما فرغ القارئ من تلاوة آيات من القرآن الحكيم، وخطب الخطباء البلغاء خطباً جميلة في مآثر صاحب الجلالة ومناقبه ومقاماته في الإسلام التي قامها جزاه الله الجنة، تقدم بالنيابة عنه نجله سعود فركب حلقة باب الكعبة الذهبية في الباب بعد أن رفع عنه الستار، وفتح باب الكعبة بيده.

هذا والمدعوون والحاضرون يهللون ويكبرون قد احتشدوا أمام الكعبة، فدخل سعود الكعبة المشرفة خلفه الجماهير من الكبراء، ومكث في جوف الكعبة مدة يدعو الله بدعوات مباركات خص بالكثير منها المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ونحن نسوق خطبة ولي العهد بنصها قال:

شعبي العزيز ووفود بيت الله الحرام: أحييكم بتحية الإسلام والحمد لله الذي شرفنا بخدمة بيته، وشرفني بوضع هذا الباب لهذا البيت العتيق، فهذا فضلٌ من الله منَّ به علينا، وتلك مأثرة من مآثر جلالة الملك والدي العظيم حفظه الله وأبقاه، وإني أسأل الله في هذا الموقف العظيم أن يجعل عملنا كله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبل منا ومنكم، وأن يرفع الكرب عن شقيقتنا

مصر وعن سائر بلاد المسلمين، وأن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكانت جميع الخطب تذاع بمكبر الصوت «المكرفون» في ساعة كانت السماء تمطر رذاذاً، وذلك من حينما دخل ولي العهد سعود في المسجد الحرام إلى أن رجع إلى قصره العام، فسر الحاضرون بذلك رجاء أن يكون الله قد اطلع عليهم.

وقد قال الشاعر الفصيح شاعر جلالة الملك أحمد بن إبراهيم الغزاوي هذه الأبيات بمناسبة هذا الباب للكعبة، وبعثها برقية لجلالة الملك عبدالعزيز في الرياض:

عبـــدالعزيز حبـــاك الله مـــأثرةً	تجديـدك البـاب بعـد الـركن تنشـيه
شـــدا بحبــك بيــت الله وانطلقــت	وفــوده لــك بــالإخلاص تزجيــه
ســبكته يبهــر الأبصـــار رونقـــه	برهــان صــدقٍ بفضــل الله تســديه
ونــاب عنــك السـعود اليـوم يرفعـه	مــع الخشــوع وأدى فرضـــه فيـــه
وحولـــــه حنفـــاء الأرض قاطبـــةً	قــد أكــبروا لــك مــا تــبني وتعليـه
وقــد دعــوا لــك بـالتوفيق وابتهلـوا	ورتلـــوا الشـــكر حقـــاً في مثانيـــه
قد خصك الله بالبر الذي احتجـزت	عنـــه الملـــوك وفيـــك الله يفضـــيه
فــاسمع لتاريخــه قــد جـاء منسـجماً	أســعد بهـــا قربـــةً نـــادت بمهديـــه

وقد أكثر الخطباء والشعراء من الخطب والقصائد في ذكر مآثر الملك ابن السعود وولي عهده المعظم وآل بيته نظماً ونثراً، وحصل الشعراء على قدر عظيم من ذلك بحيث أنه ما قد قيل في ملك من ملوك الدنيا من أولها إلى وقتنا هذا ما قيل في مديح الملك عبدالعزيز، ولو ذكرنا البعض لضاق الموسع.

ذكر فرقة الإطفاء واستعراضها

لما كانت الحرائق وقودها الأموال والأنفس البشرية فإن جلالة الملك

عبدالعزيز طلب شيئاً من المخترعات الحديثة ضد الحرائق، فتنفيذاً لرغبات جلالته الذي ما زال حريصاً على سلامة شعبه ووقايته من كل سوء ومكروه، استقدم وزير المالية عبدالله بن سليمان من أميركا قطعاً متعددة من سيارات الإطفاء الحديثة بكامل أدواتها الحديثة لتستخدمها الأمة في سرعة إخماد الحرائق والإنقاذ منها.

وهذه القطع هي من أحدث ما اخترعته أمريكا، ولا توجد حتى ذلك الوقت في الشرق الأوسط كله، لأنها لعزتها لم تسمح بها أمريكا لغير حكومتنا، ولهذا قام لها استعراض لما قدمت في هذه السنة في ذي الحجة إلى مكة المشرفة، فاخترقت شارع مكة العام من جرول إلى المعابدة مارة بجميع المحلات بشكلها البديع ونظامها الدقيق المتقن فكان لها أحسن وقع في نفوس الجماهير المحتشدة على جانبي الطريق من الأهالي والحجاج، ودهشوا لهذا المنظر الرائع الذي لم يشهدوا مثله، فكانوا يصفقون لهذا المنظر.

الاستعراض العسكري

لما كان في ١٢/١٥ أقبلت كتائب الجيش العربي السعودي وقوات الشرطة، فقوات أهل الجهاد، وكان ذلك في الساعة الرابعة من يوم الأربعاء المذكور يتقدمها وزير الدفاع صاحب السمو الملكي منصور بن عبدالعزيز طيب الله ثراه وأحسن في الجنة منقلبه ومثواه.

وكان ترتيبها في الاستعراض بهذه الصفة، المشاة فالمدرعات فالمصفحات فالمدفعية فالرشاشات فسيارات الإطفاء، وقد كان النظارة يصفقون ويهتفون حماساً وإعجاباً برجال الجيش العربي السعودي، وقد اطلع سعود المعظم من شرفة القصر، ثم تقدمت أفواج الشرطة فالخيالة، وكانت تتكون من المشاة فالخيالة فسيارات الجيب تحمل رجال التفتيش والمرور، وبعد انتهاء العرض العسكري بدأت العرضة العربية يتقدمها أصحاب السمو الملكي أحفاد جلالة الملك: عبدالله الفيصل، وفيصل بن تركي، والأمير مساعد بن سعود، والأمير محمد بن سعود، والأمير عبدالله بن سعود، وكانت أهازيجهم

الحماسية تشق عنان الفضاء، ورقصاتهم الحربية تدهش المشاهدين وتثير شعور العزة والعظمة في النفوس، وكان في طليعة المشرفين صاحبا السمو الملكي وزير الدفاع منصور بن عبدالعزيز، وعبدالله الفيصل، وانطلقت الصيحات من الحناجر تخالط أزيز طلقات البنادق وهتافات الجماهير وتصفيقهم، وقد ازداد الحماس عندما وصلت الراية المظفرة أمام صاحب السمو الملكي سعود المعظم، وقد أذيعت الحفلة الرائعة بتمامها بواسطة مكبرات الصوت.

وقد كان العرض مسوقاً حمل الشباب على التفكير في طلب الانخراط في سلك العسكرية، وقد قيل في هذه المناسبة خطب وقصائد نورد منها قصيدة الشاعر حسان جلالة الملك أحمد بن إبراهيم الغزاوي، وكان له قصائد جمة تدل على فضله وأدبه، والمذكور عضو في مجلس الشورى، وهذه القصيدة ألقاها في الحفلة الكبرى بمنى بين يدي ولي العهد المعظم سعود بن الملك عبدالعزيز:

العيد أنت وفيك العيد يأتلف ... والوفد يهتف والنعماء تكتنف
والخيف تبدو به في كل مطلع ... مواكب لك بالتبريك تختلف
بفيضها الحب والإخلاص لا ملق ... فيه ولا رهبةٌ تخشى ولا جنف
من كل أبلج وضاح خلائقه ... كهالة البدر لم يعلق به كلف
كأنهم وضحى الإسلام يغمرهم ... على جوانبك الأملاك إذ وقفوا
قلوبهم بجلال الله خافقةٌ ... ومالهم غير ما يرضى به هدف
تجمعوا من أقاصي الأرض واقتحموا ... عرض البحار ومتن الجو واعتسفوا
وأخلصوا في سبيل الله والتمسوا ... منه النجاة وعاذوا فيه وانصرفوا
يا حبذا الحج من أفياء وارفةٍ ... ومن مناسكٍ فيها العز والشرف
وحبذا الأمن مضروباً سرادقه ... به استقر الهدى واستعصم السلف
وحبذا موكبٌ يحدوا السعود به ... ويستضيء به التاريخ والصحف

* * *

يا ابن المفدى لعمر الله ما انطلقوا | إليك إلا وهم في شخصك الدنف
بذلت من أجلهم ما ليس يجحده | إلا الذي هو سوء الكيل والحشف
وذدت عنهم ذئاباً طالما افترست | أحشائهم واحتوتهم أيما ثقفوا
ولم تزل في الدجى ترعى مضاجعهم | وفي بطون الصحاري حين تتقف

* * *

وهبت منك قلباً رق وازدحمت | من خشية الله في أعماقه الغرف
بكل محنيةٍ فيها لهم سكن | وكل مرقبةٍ منه لهم ترف

* * *

سلوا المشاعر كم من محرمٍ هتكت | أستاره وملسب بات يختطب
وكم منيبٍ شهيدٍ قد قضى ظمأ | وحوله الماء إلا أنه اللعف
ورحله لا تساوي درهماً سفكت | دماً حراماً له الأركان ترتجف

* * *

همو الوحوش وهل للوحش من سبب | إلا البراثن في أشداقها الجيف
قامت عليهم حدود الله فانقرضوا | وما همو غير ما يطوي به الصلف
وأصبحت رحبات الوحي طاهرةً | من الجناة وما اغتالوا وما اقترفوا

* * *

فلا غرابةَ والأمثال يضربها | بك الثقاة ومن بالفضل يعترف
بذلت فيها من الأموال أكرمها | من دون منٍّ وأغرت غيرك الطرف
والخير عندك أغلى ما ظفرت به | والبر بالناس فيه يحسن السرف

* * *

مواهب الله في كفيك هاميةٌ | ومن حياض أبيك الشعب يغترف
وأنت في المجد دنيا نستظل بها | وبين برديك دين الله يعتكف

* * *

هــذا لوائــك تمشــي تحتــه فــرق | مـن الأسـود تـراءى وهـي تزدلـف
فيــه الصــوارم كالغابــات مطبقــةً | على الذي بضمير السـوء ينخسـف
خاضـوا وراءك نـيران الـوغى زمـراً | ومزقـوا الظلـم أشـلاء ومـا ضـعفوا
يســتعذبون منايــاهم كــانهموا | لا يخرجــون مــن الــدنيا إذا تلفــوا

* * *

يـا عصبة الخير في الإسـلام قاطبةً | ويـا ضـيوفاً لهـم أحشـاؤنا كنـف
مرحى لكم يوم عيـد النحـر نشـهده | كأنــه رفــرف للخلــد أو طنــف
وقــد لجأنــا إلى الــرحمن نســأله | تضــرعاً ودمــوع العــين تنــذرف
أن يحفـظ النيــل في مهـوى كنانتـه | مــن الوبــاء ومما فيــه قــد رسـفوا
وأن يبــدّلهم منــه برحمتــه | خــيراً ويكلاهمــو طـراً بمـا هتفـوا
هذا الـدعاء لهـم مـن كـل ذي شـفةٍ | ورحمـة الله عمـت كـل مـن وقفـوا

* * *

فـاهن بحجـك يـا مـولاي مغتبطـاً | وللمكاشح منـك السيف والأسـف
وليحيي عاهلنا المحبـوب مـا خفقـت | راياتـه الخضـر أو كـرت بنـا الزلـف
وانعـم فمـا أنـت إلى الغـال متسـقا | والنصـر مؤتلقـاً والعـدل ينتصـف

وقال الشاعر حسين عرب في قصيدة له تتعلق في مشكلات الأمة:

يــا فــالق الصــبح المــنير وخــالق الكــون الكـبير
ومجمــع الأشــتات مــن أقصــى العــوالم في شــفير
رحمــــاك بالــــدنيا يروعهــــا بــــلاءٌ مســــتطير
لبيــــك قــــد عبــــث فيهــــا ولم يــــرع الضــــمير

* * *

في مصــر مغتصــبٌ يبــث الشــر فيهــا والــبلاء
في القــدس محتقــبٌ مــن الصــهيون يصــليها الفنــاء
في الهنــد أو في المغــرب الأقصــى بجــورٌ مــن دمــاء

لبيـــك واحفـــظ دينـــك الســـامي واخـــزِ الأشـــقياء

* * *

ســـبحانك اللـــهم يـــا حـــامي البيـــت الأمـــين

يـــا مســـبل الرحمـــات تغســـل مـــن خطايـــا المـــذنبين

إيـــاك نعبـــد مخلصـــين ولا بغـــيرك نســـتعين

لبيـــك ســـبحنا بحمـــدك فاهـــدنا نهـــج الـــيقين

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها وفاة الشيخ عثمان بن مضيان، وهذه ترجمته:

هو العاقل البصير العالم المقبل على ربه، المعرض عمن سواه، رجل الخير والدين والصلاح، الموسوم في وسم أهل الحق والنجاح عثمان بن حمد آل مضيان، وله ذوق في العلوم الدينية، وبصيرة نافذة في تمييز الطيب من الخبيث، سكيناً عاقلاً متقشفاً، ضعيف البنية، وقد تعلم وتخرج على الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وابن عمه محمد بن عمر بن سليم، وكان إماماً في القرية الواقعة شرقي بريدة المعروفة بوهطان، ولبث على تلك الصفة دهراً طويلاً، ثم إنه سكن بريدة وبضاعته العلم.

وقد كان في نشأته كابد محناً من ولاية آل رشيد وأمرائهم، لأنه كان موالياً لأهل الدين والعدل، فصبر وما استكان، ثم إن الحكومة جعلته قاضياً في أبي عريش سنة ١٣٥٣هـ، فاستمر في قضاء تلك الجهة بسياسة وتسديد مبيضاً وجه صحيفته، وموضع التقدير هناك، ثم إنه طلب من الحكومة إعفاءه من قضاء تلك الجهة بصفة جوها لم يلائم صحته، فعاد إلى وطنه القصيم سنة ١٣٥٨هـ واستقر في الموضع المسمى السباخ مؤثراً للراحة، ثم إنه حج سنة ١٣٥٩هـ، وبعد الحج جعل في وظيفة القضاء في موضع يدعى محائل في عسير، فاستمر في القضاء حتى مات في حال غربته.

ومما جرى في حال قضاءه في أبي عريش أن بعض الأئمة الذين كانوا في معيته في أبي عريش أنكر على بعض الجامع التي تكون في أوقات الزواج هناك من اختلاط الرجال والنساء، وأزال المنكر بيده، فوافق أن ضرب امرأة بالعصا فقام أقرباؤها وبعثوا بشكاية إلى الحكومة بشأن ذلك الرجل، فبعثت الحكومة هيئة للنظر في هذه المشكلة، وقد أعظم الخصماء الأمر بأن المرأة ألقت جنينها الذي في بطنها، وبعدما وضعت الهيئة سؤالاً وجواباً وقدمته للمحاكمة أمام القاضي عثمان المذكور أخذ المعاملة فضيلته ومزقها وأجاب الهيئة بأنه إذا كانت الحكومة قد ارتضيت هذا الإمام ووثقت به يسد هذا المقام، فما فائدة الاعتراض عليه، فانحل النزاع وقنعت الهيئة.

وقد أخذ المترجم عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ الزاهد عبدالله بن محمد بن فدا ولازمه، وكنت أظن أنه تولى وظيفة في بلد نفي، وذلك في الفترة التي بين ٣٧ و٤٥ من الهجرة النبوية.

أما ولادته فإنها حوالي سنة ١٢٩١هـ فيكون له من العمر خمس وسبعون سنة رحمه الله وعفا عنه، ويعد من خيرة أهل زمانه، ورعاً وزهداً وعفةً وديناً وعلماً، وكان له أخلاق وحسن معاشرة، وليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب، ولا يمل جليسه مجادلته، أضف إلى ذلك تواضعاً ولين عريكة، فالله المستعان.

وممن توفى فيها الشاب الناسك رشيد بن عبدالله الحميضي، كان شاباً نشأ في طاعة الله وقلبه معلق بالمساجد، وما زال يدأب في طلب العلم، وله إكباب على المطالعة في الكتب الدينية ويعتكف العشر الأواخر من رمضان، وله صلاح وعبادة وحظ من قيام الليل وصيام النهار وزهد وزكاة وعفة، وقد سلم المسلمون من شره، وقد قال ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، وقد مات ولم يتزوج، وكان عمره إذ ذاك إحدى وثلاثون سنة، نسأل الله تعالى أن يزوجه الحور الحسان وأن يجعله من جيرانه في أعالي الجنان، وقد كان فقيراً محتسباً متعففاً صابراً خاشعاً.

وفيها توفى الأمير شكيب أرسلان المؤرخ صاحب التعليق والحفاوة بتاريخ حاضر العالم الإسلامي، قالت إحدى الألسن:

شاء الله ولا راد لمشيئته أن يخبو نور طالما شع في ميادين الأدب والعلم والتاريخ، فأضاء سبل السالكين، وإن يخفت صوت دوى في منابر الدفاع عن العروبة فأصاخ له العالمان الشرقي والغربي، وأن يكبو سيف طالما نزل كالصاعقة في الذود عن حمى الأمة العربية الإسلامية، وذلك بانتقال صاحب العطوفة أمير البيان شكيب أرسلان إلى الدار الآخرة بعد جهاد ٨٠ عاماً قضى الكثير منها في الكتابة والتأليف والذود عن حمى العروبة، وخدمة قضيتها، فرحمة الله على أموات المسلمين.

وفيها أي سنة ١٣٦٦هـ وفاة الشيخ الفاضل عبدالرحمن بن عبداللطيف رحمة الله تعالى عليه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الإمام العالم العلامة عبدالرحمن بن عبداللطيف عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد في مدينة الرياض ١٢٨٨هـ، وتربى في بيت والده الشيخ عبداللطيف، وبعد وفاة والده تولاه أخوه عبدالعزيز بن عبداللطيف، وفي أول سن التميز أدخله مدرسة تحفيظ القرآن المعروفة باسم مدرسة ابن مفيريج، ودرس القرآن الكريم وحفظه عن ظهر قلب، ودرس مبادئ العلوم الدينية على أخيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، ثم إنه أخذ في الدراسة على أخيه الشيخ عبدالله في الكتب المطولة كأعلام الموقعين عن رب العالمين، وإغاثة اللهفان، وأقسام القرآن لابن القيم رحمه الله، ودرس عليه في الأصل، والفقه وأمر الكتب، ودرس في عمدة الفقه، وتفقه ودرس في الفقه على الشيخ محمد بن محمود، والشيخ عبدالله الخرجي، والشيخ حمد بن فارس، أخذ عن الأخير علم النحو والفقه، وجدَّ واجتهد ثم إنه عين قاضياً في الهجرة المعروفة في السر، وهي بلدة ساجر عند الروقة، ولبث فيها أربع سنوات قاضياً ومدرساً وخطيباً، ويشهد معهم عدة غزوات بأمر من ولي الأمر، بحيث لا يمكن أن يغيروا

على أحد حتى يتحققوا خروجه عن طاعة ولي الأمر فيما يجب عليهم، كمنع زكاة أو نقض عهد، أو اعتداء بغير حق.

ثم إنه وفد على الإمام في الرياض وصادف ذلك مرض أخيه الشيخ عبدالله سنة ١٣٣٩هـ، فتولى الخطابة عنه، ثم إنه توفى الشيخ عبدالله رحمه الله تعالى، وصدر الأمر بأن يكون خلفاً للشيخ عبدالله في التدريس في بيت الشيخ والخطابة في الجامع مستمر مدة نصف سنة، فألح أهل ساجر على الملك عبدالعزيز بإعادته إليهم، فأعاده إليهم واستمر بعد عودته إليهم ثلاث سنوات، وطلب الإقالة من القضاء عندهم، ثم إنه رجع إلى الرياض عام ١٣٤٢هـ، وعين في أخر السنة المذكورة في عروى لدى سلطان بن حميد.

ولما زحف ابن سعود إلى مكة المكرمة ليثبت جيشه الزاحف إليها، كان الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف من جملة رفقته، ثم إنه أقام بعد ذلك في عروى خمس سنوات قاضياً ومدرساً وخطيباً، حتى جرت واقعة السبلة بحيث لم يشهد أهل عروة واقعة السبلة من أجل أنه قام القيام اللائق به من بيان حقوق ولي أمر المسلمين، فكفهم عن الخروج وكانوا على بصيرة في أمر دينهم، وبعد وفاة سلطان بن حميد بن محمد بن هندي كان الأمير بعده جهجاه بن بجاد أخو سلطان بن بجاد أمير الغطغط، فاقتضت الأمور أن طلب الإقالة من عروى، وكانت السنون الماضية حافلة بأعماله ونصحه لإمام المسلمين وللمسلمين، والجهاد في سبيل الله، وقد شهد عدة مشاهد منها حصار حائل، ومنها حصار جدة، ومنها فتح البلد المعروف بالحجاز باسم بالجرشي، وسبق أن شهد واقعة البكيرية المشهورة، وشهد عدة غزوات.

وأصيب بجراح، وبعد إعفاءه من عروى عين قاضياً في الخرج وجميع قراه، ومقره في الدلم، وذلك عام ١٣٥٠هـ، وتخلل بين إعفاءه من عروى وتولية قضاء الخرج فترة استقر فيها في الرياض، وعين إماماً لمسجد الحلة المعروف في الرياض، ومدرساً، ثم إنه استمر في قضاء الدلم حتى عام ١٣٥٧هـ فطلب الإقالة واستقر في الرياض مدرساً في مسجد الوسيط، وخطيباً للجامع الكبير، حتى توفاه الله تعالى عن عمر يناهز الثامنة والسبعين.

وكان رحمه الله كريماً عفيفاً شجاعاً سخياً، يرق للفقير ولا يصل أحداً منه أذى، وكل من عرفه يثني عليه ويدعو له ويذكره بخير، فالله المستعان.

وفيها صدرت الإرادة الملكية الكريمة بتعيين الأمير لاي علي بك جميل مديراً للأمن العام خلفاً للسابق مهدي بك الذي يدعونه بالمصلح، وكان مهدي قد عهد إليه صاحب الجلالة بإدارة الأمن العام، فسهر على صيانته حتى صار مضرب الأمثال وملأ رعبه قلوب المجرمين في المدن والبوادي، وحتى لم تكد تراود المجرمين نفوسهم بالإقدام على أي أمر يخالف الشرع أو يسيء الدولة، ولقد قام بوظيفته تلك بخير قيام، ولما أن كان في ذلك الوقت انحرفت صحته وطلب من صاحب الجلالة الاعتزال عن العمل حسب إرشادات الأطباء، فأمر جلالة الملك باستمرار رواتبه ومخصصاته كما هي، ولقب بوزير دولة إنعاماً عليه بهذه الرتبة، وتقديراً لأعماله السابقة، وخلفه في هذه السنة علي بك جميل.

وفي هذه الآونة عين جلالة الملك عبدالرؤوف الصبان مديراً للأوقاف العامة، وأميناً للعاصمة بدلاً عن الأمين السابق عباس قطان.

ذكر الإصلاحات التي عملتها الحكومة السعودية في تلك الآونة

فمنها تجديد باب الكعبة لما تضعضع، ومنها جعل مضلات للمسجد الحرام تقي عن حر الشمس، ومنها جعل سقف للمسعى جاء على أحسن الطرق الفنية، بحيث أنه يقي عن الشمس ولا يستر ضياء النهار، فما وضع على شكل قط أحسن منه، وقد أنفق لذلك قدر عظيم من النفقة.

ومنها ترصيف درجات باب السلام بدرج حسن مذلل، ومنها ما قامت به من سحب الماء لمدينة جدة، وكل ذلك يعد من حسنات الملك.

وفيها أسست الإذاعة السعودية وركب المكرفون، وكل هذه الأشياء وقعت في هذه السنة.

وفيها عقدت اتفاقية خط الأنابيب عبر البلاد العربية بين الوزير عبدالله بن

سليمان بن حمدان من جهة الحكومة السعودية وبين المستر وليم ج لنهان المندوب في الشرق الأوسط لشركة خط الأنابيب عبر البلاد العربية السعودية في ولاية ديلادير في الولايات المتحدة الأمريكية، والكائن مكتبها الرئيسي بشارع وست تنث ١٠٠ بمدينة ولنجتون، وقعت في تسع وعشرين مادة، وكانت في جدة، والاتفاقية برمتها نشرتها جريدة أم القرى رسمياً رقم ٤٥٨٩/ ٦٩ بتاريخ ٢٢/ ٨/ ١٣٦٦هـ الموافق ١١ من يوليو ١٩٤٧م.

وفي هذه السنة عرضت مشكلة فلسطين على هيئة الأمم، وذلك في جمادى الآخرة ورجب، وتألفت لجنة محايدة لحلها فأوحت بتقسيمها إلى ثلاثة أقسام: دولة عربية وأخرى يهودية تمنحان الاستقلال بعد وصاية مدتها عامان، والثالثة منطقة دولية تشمل القدس والأماكن الدينية المقدسة، وفاز قرار التقسيم هذا بأغلبية الأصوات في هيئة الأمم وذلك بتأييد ٣٣ دولة، ومعارضة ١٣ دولة، وامتناع الباقين عن التصويت، وبذلك تقررت الموافقة على التقسيم بأغلبية ثلثي الأعضاء.

وقد جرى على مسلمي أهل الهند أشد العذاب وأفدح الظلم، ودار عليهم دور خطير في تاريخهم وحياتهم، وقتل منهم عشرات الألوف ومئات الألوف، فمنهم أصبحوا لا مأوى لهم، وهم يهاجرون إلى الباكستان، وقد استولى الأعداء على أموالهم وأراضيهم، ولم يتركوا وسيلة لأذيتهم والبطش بهم والفتك بهم إلا أتوا بها، فلهذا قاموا يصرخون في الجامع العظام لا سيما في الحرم الشريف أمام بيت الله بمناسبة اجتماع المسلمين فيه وقت الموسم، وبالأخص حجاج بيت الله الحرام، وقاموا يعرضون ما يقاسونه على المسلمين مستمدين منهم الدعاء والنصرة على أعدائهم، مشكلات ومصائب أمامها عقبات صعبة لا يعيدها ويحلها إلا القوة، ولكن أين القوة، أين المكاتفة، أين المعاضدة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونسأله تعالى المعونة والنصرة على كل مكائد.

ثم دخلت سنة ١٣٦٧هـ

استهلت هذه السنة والعمال يكدحون في عملهم العظيم الذي كانوا يديرونه

في بذل الجهود لسحب الماء من عيون وادي فاطمة إلى جدة، وذلك أن صاحب الجلالة السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لما رأى ما يكابده أهل جدة ووفود بيت الله الحرام من قلة الماء العذب الذي لا يتحصل إلا من الكنداسة، وهي الآلة الفنية الحديثة فيما يستقطر من قصبها المصفية للماء العذب من مياه البحر المالحة، أو ما يستنقع ويجتمع من مياه الأمطار في الصهاريج، فكانت جدة محرومة من ماء معين يشرب منه سكانها، فعاشت هذه المدينة تلك السنوات كلها تقاسي آلام الحرمان من مادة الحياة التي لا حياة للناس بأمر الله إلا بها، ولا استقرار لهم إلا بتوفيرها ووجودها، فقد صدرت أوامر صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بأن يشتري المقادير الكافية لشرب مدينة جدة من عيون وادي فاطمة، وأن يسحب هذا الماء منه على بعد خمسة وستين كيلو متر من تلك المسافة إلى داخل جدة ليستقي منه سكان البلاد والحجاج والزوار كل ذلك على حسابه وعلى نفقته الخاصة.

وإن هذا لشيء عجاب ومزية خصه الله بها، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، فسبحان من منحه هذا التوفيق، وقد تولى ذلك الأمر الوزير المسدد عبدالله بن سليمان تنفيذاً لرغبة صاحب الجلالة بما لديه من نشاط وهمة بكل ما تدعو إليه من جهود.

ولما كان في يوم الثلاثاء خامس محرم من هذه السنة وصل الماء إلى مدينة جدة وقد احتفل به الأهالي والمجاورون، وحصل لهم فرحة كبرى لنجاح هذا المشروع الخيري تحت رعاية صاحب السمو الملكي ولي العهد سعود، وقام أهل جدة يهتزون طرباً في محفل عظيم حضر فيه الأعيان وتبارى الشعراء والخطباء بما يضيق عنه الموسع، وسجلوها وثيقة تاريخية ودعوا لصاحب الجلالة أن يطيل الله عمره وأن يجزل له الثواب الأوفى والجزاء الحسن، وأن يتولى مكافئته عن المسلمين بالجنة أمين الله أمين.

وكان المحفل والمهرجان العظيم له ضجة في الشوارع والأزقة والممرات في جدة وشقوا جيوبهم يدعون من صميم الأفئدة بالأدعية المتوالية لجلالة الملك ولولي

عهده والأسرة السعودية المالكة، وأنهم لا يسطيعون مقابلة هذه المنة العظيمة من جلالته إلا بالدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، وأن يتولى مكافأته، ثم إنه رفع كبراء الحجاز برقية لجلالة الملك المعظم في الرياض يشكرون له هذا الصنيع ويدعون له، وقد وقع عليها من الأعيان والضباط والوزراء والقواد والكبراء ما يزيد عددهم عن مائتين، وكان بعض منابيع تلك المياه المسحوبة ما يبعد عن جدة ثمانين كيلو، وبلغ الماء غاية في الرخص بحيث كانت الزفة بقرشين دارجين، وقد بلغ مجموع المصاريف لهذا المشروع ستة ملايين ريال عربي، وبهذا يكثر عمران جدة وتقبل الأمة إلى سكناها.

ذكر مشكلة فلسطين

هذه المشكلة أعجزت الجامعة العربية، وإن الذي زادها ارتباكاً هو أن فلسطين جزء من المملكة العثمانية، وعندما انتزع الإنكليز في ١٣٣٦هـ الشام من الأتراك كانوا قد سبق أن وعدوا العرب بتكوين دولة عربية تضم الأجزاء العربية الخاضعة لتركيا، وفي الوقت ذاته وعد بلفور وزير خارجية إنكلترا اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، فكان هذا الوعد أساساً لمشكلة فلسطين القائمة إلى اليوم، فبعد انتداب بريطانيا لإدارة فلسطين عمل الإنكليز على تهويدها، وسلكوا لذلك طريقتين: تشجيع هجرة اليهود من جميع أنحاء العالم إليها، وتشجيع انتقال الأراضي من يد العرب أصحابها الأصليين إلى أيدي اليهود، فانفجرت عرب فلسطين في ثورة قوية ضد الإنكليز والصهيونية من ١٣٣٨هـ، وجعلوا أهدافهم ثلاثة أمور هي: أولاً إلغاء وعد بلفور، وثانياً رفض الانتداب البريطاني، وثالثاً استقلال فلسطين، ثم إنها ظلت الثورات تتابع، وأخطرها الثورة التي استمرت ثلاث سنوات قبل الحرب العالمية الثانية.

وقد أشرنا إلى أن بريطانيا سكنت الثورة هذه ومنت العرب، وخدرت أعصابهم، ولما سكنت الحرب هذه أصبح للعرب شأن مرتفع واستقل كثير من

دولهم، غير أنهم غلبوا على أمرهم في فلسطين، وما زال صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز يدأب في نصرة أهالي فلسطين، تارةً يخاطب رئيس الولايات المتحدة روزفلت، ورئيس الوزارة البريطانية تشرشل، وتارةً يبعث الرسائل إلى أمريكا وبريطانيا يناشدهم بحقوق العرب ويكرر ذكر أعمال اليهود المعتدين بالقوة والجبروت والطغيان، وآخر ذلك بعثت الدولتان إليه وفداً لجنته مؤلفة من الرئيس السير جون سنجلتون، وعضوين هما أين ميجر مانتجهام بولور والمستر باكستون، ولما وصلت اللجنة إلى الرياض وحصلت المقابلة، قدم الملك عبدالعزيز إليها مذكرة أعربت عن قضية فلسطين الحاضر، وكيف أبدى لرؤساء أمريكا وبريطانيا ضرورة حلها، ثم باح بما لديه من الاستنكار لهجرة اليهود إلى فلسطين.

فيا للعدالة النكراء، إن الأراضي الواسعة الخالية في الكرة الأرضية مثل استراليا، ونيوزلندا، والأمريكيتين وغيرها من المستعمرات والممتلكات التي يمكنها أن تؤوي وتسع أضعاف أضعاف مقدار يهود العالم، ولكن لكون مالكي هذه الأراضي أقوياء ويسندهم حق القوة لا يكلفون بإيوائهم ولا يلامون إذا كلفوا على رفضهم لمثل هذا الطلب الأماني الذي يعد فضيلة ووطنية، ثم إنه أدلى بصفته صديقاً لبريطانيا وصديقاً لأمريكا بأن لا يحرجوا مقامه على أن يكون عدواً لهما، وحقق الطلب وأطال جداً بينه وبين اللجنة سؤال وجواب، وذكر خطته في الحرب العالمية وأنه أيد سياسة بريطانيا وسياسة حلفائها، وأنه منذ أوجده الله وقام يسعى لاستعادة ملك آبائه وأجداده، كان صديقاً لبريطانيا وقد رأى منها ما سره، ورأت منه ما سرها، ثم عرض في كلامه بأن الوزير البريطاني المفوض بجدة زاره بعد انتهاء الحرب بمدة وجيزة وقال له: إن حكومة بريطانيا ترى أن حركات اليهود الحاضرة ربما أن تكون من حظ العرب لأنه كلما ازدادت حركاتهم انكشفت نياتهم ورجاه أن يبذل جهده لدى العرب لالتزام الهدوء، وأقنعه بأن هذا هو خير لمصلحتهم، فلم يدخر ابن سعود وسعاً في هذا السبيل إلى أن وصلت الحال إلى الموقف الذي كانت المشاكل فيه ثم قال:

لقد وقعت الآن في مشكل خطير أمام شعبي وجماعتي وأمام العرب والمسلمين، فإذا كانت بريطانيا تريد أن تعدل عن الحق الواضح وأن تذهب مواعيدها أدراج الرياح، فليس أمامي إلا أن أقول للمسلمين دونكم ونفسي اقتلوني أو أنزلوني عن الملك لأني مستحق لذلك، وأنا الذي جنيت عليكم وثبطت عزمكم.

وأطال بذلك جهوداً جبارة، ورد على جميع أسئلتهم، ودحض حججهم، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين والعرب جميعاً خيراً.

ذكر صيحة العرب وارتجاف الشرق الأوسط لأهل فلسطين

لما كان في يوم الأحد ١٧ محرم ١٣٦٧هـ الموافق ٢٦ نوفمبر ١٩٤٧م أذاعت المحطات اللاسلكية قرار هيئة الأمم المتحدة مشروع تقسيم فلسطين فأعلن ممثلوا الدول العربية على منبر الجلسة سخطهم على القرار واحتفاظهم بحقهم ومضيهم في خطتهم واحتجاجهم على أنواع الأغراء المختلفة للحصول على تلك الأغلبية، وصرح رئيس وفد المملكة العربية السعودية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل إمام الأمة بأن قرار الأغلبية بدد جميع آمال العرب فيها، وأن بلاده غير ملزمة به، ثم قال:

هناك أمر واحد لا سبيل إلى فهمه أو تسويغه ذلك هو تدخل حكومة الولايات المتحدة في مسألة فلسطين وتأييدها الصهيونيين، كما أنه لا يمكن فهم الصمت الذي تلوذ به إزاء اعتداء الصهيونيين وأساليبهم الإرهابية، فإذا كانت البواعيث الإنسانية هي التي تدفع الولايات المتحدة إلى هذه السياسة فلم لا تفتح أبوابها للاجئين البؤساء وهي أغنى وأوسع رحاباً من فلسطين التي اكتظت وابتليت بأولئك المعتدين الغرباء، وماذا سيكون موقف حكومة الولايات المتحدة وشعبها إذا جاء برلمان إحدى الدول الأجنبية وأقر قانوناً بفتح الأبواب أمام الهجرة اليهودية اللاجئين منهم وغير اللاجئين، لا لشيء إلا لأن الولايات المتحدة رحبة في إمكانها أن تستوعب الملايين، ألا تنهض الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي في هذه

الحالة، ويندادان بمثل هذا التدخل، وما خطب ميثاق الأطلنطي وميثاق هيئة الأمم المتحدة أن المداد الذي كتبت به هذه المواد لم يجف بعد.

إننا نرى مندوب الولايات المتحدة يحاول إثارة العالم كله من أجل المسألة اليونانية، فما ظنه بفلسطين هل نسي مبادئ الميثاق أم أنه ينكر تلك المبادئ، إني لأعجب لشعب يمنع الهجرة إلى بلده ولكنه يفرضها على بلد غيره، وقد جاء نبأ هذه الخطة من ليك سكينيس وعارض ذلك التقسيم مندوبوا العرب منكرين، وأنهم سيقومون بواجب الدفاع عن فلسطين من براثن اليهود، تالله ما كانت فلسطين باللقمة السائغة في حلوق الآكلين، إنها حسك وقتاد ونار مصهورة تهري الأفواه وتقطع الأمعاء، أتحسب اليهود واليونان ومن يشابههم ويساعدهم ويعاضدهم إنها في مقام هوان، وإنه ليس في الحياض من يذود عنها ولا في الحمى من هو في ثغرة المرمى، إن زحزحة الجبال الراسيات لأهون من زحزحة العرب عن موقفهم الرائع الذي اتخذوه لأنفسهم منذ أن دخل النزاع في طوره الأخير، حتى أوشك أن يكون صراعاً.

إن فلسطين العزيزة تغلي غليان المرجل لأن النيران تحتوشها من كل جانب، فلا تدعوها أيها العرب تحترق.

يا للعدالة النكراء فلسطين العربية منذ عشرات القرون تقطع أوصالها ويمزق أديمها ويشتت أهلها إرضاء لشذاذ آفاق وحثالات أمم، ومحترفي إجرام، اللهم إن هذا بهتان عظيم، هل أفلس المنطق إلى حد الثرثرة والإبهات، هل مسحت الحقائق إلى حد الخيلات، أين شجاعة العرب المعهودة، تالله إن العرب ليسوا بالجبناء، فكيف وهم على ما هم عليه من الوحدة العربية.

ولما جرى قرار التقسيم تكلم مندوب سوريا بأن سيقوم من سوريا مائة وخمسون ألفاً من الرجال، ثم تكلم مندوب اليمن بأن سيقوم من اليمن مائة ألف مقاتل، وتكلم مندوب لبنان بأن سيقوم من لبنان تسعة آلاف مقاتل، ثم سافر أولئك المنتدبون إلى القاهرة لتأسيس الحرب وللمراودة في أعمال الحرب، غير أن فيصلاً تأخر في أمريكا، وقد عزم ملوك العرب على أن يأخذوا بالحزم،

فذكروا أنه سينوب عن الأمير فيصل في التمثيل يوسف ياسين، وسيعقد مجلس بعد الظهر من يوم الثلاثاء ٢٦/ ١.

وباشر الزحف متطوعو لبنان على الحدود الفلسطينية حيث رابطوا هناك بقيادة فوزي القاووجي، وقد قابل الحاج أمين الحسيني القائد المغربي المعروف طارق الإفريقي في لبنان وعرض نفسه للتطوع كما تقدم عدد كبير من أهل برقة وطرابلس يريدون الدفاع عن فلسطين، وقد قرعت الطبول في العراق وسوريا ولبنان وقراها استنفاراً للحرب، فتهافت المتطوعة على مكاتب التجنيد من كل حدب وصوب، وبلغ عدد المتطوعين من رجال العشائر في العراق ما يزيد على المليونين، هذا ولا تزال الاضطرابات مستمرة في فلسطين، وقد امتدت النيران على مسافة بالغة من تل أبيب إلى يافا ليلة ٢٤ محرم، ولم يستطع رجال المطافئ إخمادها بسبب طلقات الرصاص المصوبة من الجانبين، وقد أجريت مظاهرات عامة في القاهرة وذلك في الاجتماع الخطير الذي أقيم في الأزهر عقب صلاة الجمعة، وتعاقب فيه الخطباء وكان أبرزهم فضيلة الشيخ حسن البنا المرشد العام لجمعية الإخوان المسلمين، واللواء صالح باشا رئيس جميعة الشبان المسلمين، ولما كان من الغد قام مائة ألف من أهل مصر معه ألوية وطبول يصرخون بعالي أصواتهم التي ملأت الفضاء يقولون لتسقط أمريكا، لتسقط روسيا، وزحفوا مستعدين للسفر حالاً إلى فلسطين للانضمام إلى إخوانهم العرب هناك.

ذكر سطوة العاهل الضرغام والضيغم المقدام ملك المملكة العربية السعودية عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود

لما قام العرب يرغون ويزبدون حميةً لأهل فلسطين كانوا في مراقبة شديدة لسطوة هذا الأسد في غابه، وهل يقوم بالمناصرة التي يقتضيها مقامه الأسنى لما توجبه الوحدة العربية، أو يكون عنده سياسة لم تحط بها آراؤهم، وبينما تظهر البلاد

بكامل سخطها على قرار التقسيم الجائر وقيامها قومة رجل واحد للدفاع عن فلسطين، فترى الجزيرة العربية تتحضر للوثوب لنصرة عرب فلسطين، إذ بليثها الغضنفر الذي عودً الناس أن يسبق لهم بالقول والفعل، فيثب وثبة الأسد للدفاع عن عرينه، فأصدر تعليمات إلى الأمير فيصل نجله وسائر أنجاله بمغادرة نيويورك خلافاً للترتيب الذي كان مقرراً للأمير فيصل في زيارة واشنطن، ثم إنه استدعا جلالته وزير أمريكا المفوض في جدة إلى الرياض على عجل وأفضى إليه ببعض تصريحات عاد على أثرها إلى جدة، ثم إنه رفع مجلس الشورى في المملكة العربية السعودية لجلالته هذه الرقعة:

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المفدى أمده الله بنصره:

قياماً بواجب التضحية في سبيل الله ومشاطرة للشعور العام الذي تبديه كافة الشعوب والأقطار العربية، واقتداء بسيرة جلالتكم الرائعة في البطولة، والإقدام واستنكاراً لما يذيعه المغرضون وذوو الأهواء، والذين في قلوبهم مرض من جهة ما يبيت لمصير فلسطين الشقيقة، وتفادياً من الأخطار التي تحيق بالشرق العربي فيها لو فتحت أبوابها لشذاذ الآفاق ومتشردي اليهود لا نرى بداً من أن نتقدم إلى جلالتكم بطلب الترخيص بالإسراع إلى نجدة ثاني القبلتين وثالث الحرمين، وأن مجلس الشورى ليبادر بهذا الالتماس إباءً للضيم، ورغبةً في الكفاح، وطلباً لإحدى الحسنيين، وشعاره الذي يتمسك به مع كل من تظله راياتكم المظفرة ولوائكم الخفاق، «مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين»، ومهما كانت الظروف والأحوال فإننا وكافة أفراد الشعب رهن إشارة جلالتكم، وإننا لنضرع إلى الله أمام بيته الحرام أن يأخذ بيدكم إلى ما فيه إنقاذ الأراضي المقدسة وطمأنينة العرب، وعز المسلمين، والأمر لله ثم لجلالتكم فيما ترونه في ذلك، أدام الله توفيقكم، مولاي.

عن مجلس الشورى ـ صالح شطا

الجواب الملكي:

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل إلى جناب المكرم السيد صالح شطا وإخوانه أعضاء مجلس الشورى حفظكم الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فقد تلقينا كتابكم المؤرخ في ٢٥/ ١٢/ ١٣٦٦هـ والمتضمن قرار مجلس الشورى بشأن قضية فلسطين، فنحن نشكركم على ذلك ونقدر غيرتكم ومساعيكم الطيبة، ونحن كما تعهدون لم ندخر جهداً في هذا السبيل، نسأل الله أن يقدر ما فيه الخير والسلام.

عبدالعزيز

ولقد هاج الشعب وماج وقصد نوابه أعضاء مجلس الشورى القصر الملكي في مكة، حيث قابلوا صاحب السمو الملكي ولي العهد سعود وعرضوا استعداد الأمة لبذل النفس والنفيس تحت اللواء السعودي لإنقاذ فلسطين، فألقى سعود هذه الكلمة:

إننا مهتمون بقضية فلسطين أكثر من كل أحد، ونحن جادون في إنقاذها بحكمة بالغة، وهمة نادرة، وقد تعودنا العمل بصمت، وأن تكون أعمالنا أكثر من أقوالنا، كما تشهد بذلك سيرتنا متأسين في هذه الخطبة بالسلف الصالح، وبمقتضى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف:٢]، وأؤكد لكم أننا لا نود أن نكلف أحداً من سكان هذه البلاد المقدسة بشيء، وإننا مستعدون لإنقاذ فلسطين بأموالنا وأنفسنا متكلين على الله الذي نستمد العون منه وحده.

الجهاد بالنفس والمال لإنقاذ فلسطين

لقد عقد مجلس في دار الوزير عبدالله بن سليمان مساء يوم السبت ٢٣ محرم، دعي إليه الوجهاء والأعيان من الحجاز بعد صلاة المغرب، فخطب الوزير بتوفيق ولي العهد، وأنه لم يكلف الناس خصوصاً البلاد المقدسة، ثم شرع في الموضوع نفسه مشنعاً على اليهود، وأنهم لا يريدون فلسطين وحدها وإنما يريدون البلاد

العربية جميعها، وذكر أنهم يرمون بخطوتهم هذه إلى المواطن التي نزحوا إليها قبل الإسلام للتوطن، ثم أخرجهم الرسول الأعظم ﷺ، حتى جاء عمر فلم يبقِ منهم أحداً، إنهم يريدون إخراج العرب من مواطنهم، وسيضحون في سبيل ذلك.

ثم تكلم بعده بعض الخطباء، ثم إنه وقف محمد شطا مدير الإذاعة السعودية التي تأسست في السنة التي قبل هذه فخطب خطبةً بليغة استجاش بها الهمم، وأثار الحمية حتى سكبت الدموع من المحاجر، وباحت بما تكنه الضمائر فقال:

لقد جاءكم خبر فلسطين، لقد أتاكم نبأ ذلك الوطن الحزين، وقد زحف اليهود عليه من الأرض والسماء وساموا أهله أنواع البغي والاعتداء، ذلك الوطن الجريح وفلسطين الدامية التي صدر عليها بالأمس حكم الفئة الباغية بأن يقطعوا أوصالها ويفرقوا أجزاءها، ويمنحوا اليهود منها المروج الخضراء والجنان الفيحاء، ويتركوا للعرب القفار الصماء والجبال الجرداء، ناصروا أذل الأمم وأحط الشعوب، واقاموا لليهود دولة، وقد ضرب الله عليهم المسكنة والذلة فامتهنوا العرب في ديارهم، والمسلمين في أرضهم وأوطانهم، فواذلاه يا أبناء العرب، واذلاه يا فوارس محمد بن عبدالله، واذلاه يا حماة الدين، واذلاه يا أنصار العروبة وقادة المسلمين.

هذه صرخات فلسطين، وهذه أنات العرب المفجوعين فجعوا في أوطانهم، وفجعوا في دينهم وإيمانهم، فجعوا في نساءهم وأعراضهم.

وإني لكأني أنظر الساعة إلى المرأة العربية وقد سقط أبناؤها مضرجين بدمائهم في سبيل الشرف، يحاول اليهود الفتك بعرضها فتناضل وتدافع وتجاهد وتكافح ثم تسقط صريعة الشرف شهيدة الكرامة.

وإني لكأني أنظر الساعة إلى القوافل من العوائل العربية يسوقها العلوج والأولاد يخرجونهم من ديارهم وأراضيهم ليحتلوها ويطردونهم من مواطن آبائهم وأجدادهم، ليغتصبوها وليسلبوهم مواريث أمجادهم ليمتهنوها، فيا لهول الفاجعة، ويا لفداحة النكبة، ويا لعظم المصيبة، وأطال ثم إنه جعل يصرخ ويصيح فيقول:

اين الشهامة العربية، أين النجدة الإسلامية، أين الغيرة والحمية، حتى أبكى

السامعين واستجاش الحاضرين، فتأثروا من كلامه، ثم إنه قام شاعر جلالة الملك وعضو مجلس الشعب الأستاذ أحمد بن إبراهيم الغزاوي فألقى قصيدة مهيجة، وكان هو الذي أخذه أول الموقف فأعلن تبرعه بألفي ريال، ثم إنه قام حسن شربتلي فأعلن تبرعه بمائتي ألف ريال باسمه، وخمسة وعشرين ألف ريال باسم عائلته، وأعلن صدقه الكعكي تبرعه بمائتين وخمسين ألفاً من الفضة، وتألفت لجان في الرياض والإحساء وغيرها، فبلغت التبرعات في أول وهلة مليونين وثلاثمائة ألف وواحد وتسعين ألفاً تزيد مئات، حتى تبرع النساء بحليهن، وهكذا اندفعت التبرعات سيلاً، وأسرعت اللجنة العليا بتحويل أول دفعة إلى مجلس جامعة الدول العربية، وذلك في أوائل ربيع الأول من هذه السنة، ودفعت اللجنة أخرى في أواخر جمادى الأولى.

ولقد نشرت جرائد البلاد العربية وصحفها فظائع اليهود، وخرجوا عليهم وأعلنوا طردهم، وأصدرت رئاسة القضاء في المملكة العربية السعودية فتوى شرعية بتاريخ ٢٧ محرم بوجوب الجهاد على جميع المسلمين ضد اليهود المعتدين.

وكثرت التبرعات بالسيارات والأرزاق، وأخذ المتطوعون من كافة أنحاء المملكة والممالك العربية الأخرى يسارعون للسفر إلى فلسطين، وقد ذهب أولئك المجاهدون الأبطال وانضموا إلى فرقة اليرموك فكونوا الأغلبية الساحقة فيها بنسبة ٨٠ في المائة، وقامت هذه الفرقة بواجبها الديني ببطولة فائقة أقضت مضجع اليهود وأفسدت خططهم، حتى تمركزوا في أهم المراكز المنيعة وسيطروا على أغلب المواقع الإستراتيجية بمهارة وشجاعة نادرة.

ولما كان في ٦ رجب صدر بلاغ في مكة المكرمة رسمي رقم ١٢٠ ينص على تأييد جلالة الملك التام لجميع ما اتخذ من قرارات للدفاع عن فلسطين متضامناً والاحتفاظ بعروبتها ووحدتها واستقلالها، وإقرار الأمن والسلام في ربوعها، وإن جلالته قرر اشتراك المملكة العربية السعودية مع شقيقاتها في الدفاع عسكرياً عن فلسطين متضامناً مع الدول العربية إلى أن تظفر فلسطين بحقها وعروبتها بحول الله مهما طال الأمل.

وكانت بريطانيا قد أعلنت في ٥ رجب أنها ستنسحب من فلسطين فنشطت المنظمات اليهودية في فلسطين، ولما أن قال الخطيب الأول في مجلس العموم البريطاني أنه لا يمكن أن نعرض أبناءنا للاغتيال والقتل على حساب الغير انتقد حكومة العمال، واستفسر عن سبب بقاء الجنود الإنكليز في فلسطين، وطالب بسحب الجنود البريطانيين حالاً عن فلسطين، فانتهى الانتداب البريطاني على فلسطين وانسحب الجيش البريطاني منها في يوم السبت ٧ رجب، ولما أعلنت بريطانيا انتهاء انتدابها على فلسطين أعلن اليهود من تل أبيب قيام دولتهم إسرائيل، ومن العجائب مبادرة أمريكا بالاعتراف بها فإنه لم يمضِ على إعلان اليهود بقيام دولة إسرائيل ست عشرة دقيقة حتى اعترفت بها.

ولقد تعصب رئيس أمريكا ترومان اليهودي لليهود ولم يرع للعرب حقاً.

ولما تدفقت الجيوش العربية على فلسطين اشترط صاحب الجلالة عبدالعزيز ابن السعود ملك المملكة العربية السعودية أن لا يحارب جيشه إلا إلى جانب مصر وعن طريق مصر لا عن طريق شرق الأردن، وذلك لتوتر العلاقات بينه وبين الشريف عبدالله بن الحسين، فأرسلت بعض وحدات الجيش النظامي من المملكة العربية السعودية بمعداتها الخفيفة بالطائرات بقيادة العقيد سعيد بك الكردي، ووكيل القائد عبدالله بن نامي، مع هيئة أركان الحرب إلى مصر، ولحقت بها السرايا الثقيلة بالبواخر إلى ميناء السويس، وساهمت بألف طن من المحروقات، ثم تحرك الجميع مع الجيش المصري إلى ميدان القتال في فلسطين، وهناك أطبقت جيوش الدول العربية باليهود وأحاطوا بهم من كل جانب، حتى أشرفوا على مدينة تل أبيب، وتقدمت فرق المتطوعين وأبلوا بلاءً حسناً، واستشهد في ميدان الشرف كثير من زهرة رجال العرب، وفي مقدمتهم القائد العظيم عبدالقادر الحسيني، وبالرغم من ذلك فإن العرب أشرفوا في الجبهة الداخلية على القدس، واحتل بعضهم طولكرم قريباً من الساحل، وأصبحت نهاية اليهود وشيكة، فقامت أمريكا وحملت مجلس الأمن على إصدار قرار بوقف القتال لمدة شهر، وقرر أنصار اليهود انتداب

لجنة للوساطة بين الطرفين برئاسة الكونت برنادوت، فقام بمهمته وطار إلى مصر وبيروت وبغداد وعمان وتل أبيب وحيفا، واقترح عقد هدنة، كما مرَّ ابتداءً من ٤ شعبان ١٣٦٧هـ، على أن تظل فلسطين على وضعها الحالي حتى يتم وضع حل نهائي لمشكلتها، وفي خلال هذا الشهر تسلح اليهود بالعتاد الحربي الحديث، بينما العرب ينتظرون حلاً لهذه المشكلة، وكان العرب لم يغفلوا هذه الخيانة بل تشاوروا عند وقف القتال في الأمر، وأظهر الملك عبدالله رغبته في قبول الهدنة، وإن قائد جيشه مضطر إلى قبولها، فرأت الدول العربية أن الانشقاق ليس من مصلحة العرب، وجرى ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

ذكر زيارة الملك عبدالله للمملكة العربية السعودية

لما عقدت الهدنة سعى ملك مصر فاروق الأول لإزالة ما بين الملكين من جفاء دفين، وعمل لأن يمهد السبل لزيارة الملك عبدالله لصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وعرض على الملك عبدالله أن يتناسى الأمر الذي جرى ويؤمن بأن إرادة الله لا تغالب، وأن المصلحة أن يضع يده إلى يد جلالة الملك عبدالعزيز للعمل لخير العرب وتمام وحدتهم، فبادر جلالة الملك عبدالعزيز بإيفاد فؤاد حمزة إلى شرق الأردن لتقديم دعوة رسمية للملك عبدالله من قبل عاهل الجزيرة العربية، فقبلها وتحدد لتلك الزيارة يوم معين، ووضعت الحكومة لذلك برنامجاً حافلاً، ولبست الرياض ثوباً فاخراً من الزينات، واستعدت الحكومة باستقبال رائع فيه أبهة وفخامة، ثم أمر صاحب الجلالة عبدالعزيز بإرسال طائرتين من الطائرات الملكية الخاصة في صباح يوم الخميس ١٧ شعبان إلى المفرق في شرق الأردن لنقل جلالة الملك عبدالله من عاصمة ملكه إلى مطار الظهران، ولما كان قبيل ظهر يوم السبت ١٩ شعبان هبط الضيف في مطار الظهران واستقبل هناك، وأمضى بقية يومه فيه، حيث أقام لجلالته صاحب السمو أمير المقاطعة الشرقية سعود بن جلوي مأدبة، وفي مساء الأحد ٢٠ من الشهر المذكور سافر إلى الرياض فأطلقت المدفعية ٢١

مدفعاً تحية، واستقبل استقبالاً يليق بأكبر الملوك، وأقيم مأدبة عشاء كبرى تكريماً للضيف الكريم، وأعد له قصر خاص.

وقد تبادل الملكان أرق العبارات وأجمل العواطف، وكل واحد صرح للآخر أنها فرصة جاد بها الدهر، وأقسم له ابن سعود أنه ما مرَّ على الرياض وعلى آل سعود ليلة أعظم من هذه الليلة، وأكد أنه صادق، وأظهر الملك عبدالله سروره الكامل بهذا الاجتماع وشدة اغتباطه بزيارة أخيه.

ثم إنه ذهب إليه الملك عبدالعزيز في قصره صباح الاثنين ٢١ شعبان واختليا ودرسا ما يهم العرب من الشؤون، وأصدر الملكان بياناً رسمياً بتوقيعهما أنهما متفقان بصورة خاصة في أفكارهم وآراءهم وأهدافهم، ورجا العرب من هذا الاتفاق كل خير، ويأملون من ورائه كل معاضدة وسرور إذ هي فرصة سانحة، وظل الملك عبدالله مقيماً في ضيافة ابن سعود حتى صبيحة يوم الأربعاء ٢٣ شعبان، ثم إنه رجع على الطائرات السعودية إلى العراق بغداد مودعاً بكل حفاوة، وقدم له جلالة الملك عبدالعزيز هدية مكونة من اثني عشر رأساً من الخيل الأصائل، وأربع سيارات فخمة من ماركات متنوعة.

ولقد كانت آخرة عبدالله بن الحسين سيئة، وجرى منه غير ما يتوقع.

رجعنا إلى ما نحن بصدده فنقول:

لما مضى شهر من وقف القتال استؤنف القتال في غرة رمضان، وقد رجحت كفة اليهود في الطيران والمدرعات والمدافع، وهكذا تريد أمريكا في هذه الهدنة، ولقد صرح بذلك وسيط هيئة الأمم المتحدة الكونت برنادوت حيث قال في مجلس الأمن:

إن العرب لم يستفيدوا من الهدنة التي دامت أربعة أسابيع، بينما استفاد اليهود منها لتحسين مركزهم الدفاعي، فقد قاموا بتهريب بعض الأسلحة وإدخال ٢٧ ألف مهاجر يهودي ممن هم في سن الجندية.

ولما أن عادت الحرب ثانياً بين اليهود والعرب صار لليهود طائرات يوجهونها إلى مصر وسوريا ولبنان، ويعملون على تقتيل العرب وإقصائهم من أماكنهم،

وتركهم مشردين في الآفاق محاولين بذلك التأثير على الدول العربية وإرغامها على الاعتراف بها، غير أن الدولة العربية لم تعبأ بكل ذلك، بل استمرت في تقدمها، مما حمل هيئة الأمم على أن تطلب بشدة من العرب إيقاف الحرب والدخول في مفاوضة مع دولة إسرائيل التي اعترفوا بها، واختيار مكاناً للمفاوضة من جديد في سبيل حل مشكلة فلسطين حلاً سلمياً:

أولاً: قرار هدنة دائمة بين الطرفين وإلا فإن الدول سوف تحرم تصدير السلاح إلى الدول العربية بتاتاً.

ولما أن فرضت هذه الهدنة الثانية لم يحترمها اليهود واغتالوا الوسيط الدولي الكونت برنادوت، وزحفوا صوب غزة فعزلوا قوة مصرية في الفلوجة، وجرى ما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ذكر قتل الإمام يحيى

لما كان في آخر ربيع الأول من هذه السنة فشى بين الناس موت الإمام يحيى موتاً طبيعياً وذلك يوم السبت ٢٨ منه، وكان ذلك كذباً، والذي حمل القائلين هو أن من عادته استعراض الجيش بعد الصلاة، ولما لم يجرِ في هذه المرة استعراض أشيع بموته، فلما فشى الخبر علم به يحيى وبحث عن شأن ذلك، فأخبر بصريح الأمر ما كانت الحكومة الجديدة تبيته لليمن، فخاف عبدالله بن الوزير الذي كان قد عزم على تتويجه بعد الإمام يحيى، وخاف أتباعه وذووه، فقدر أن الإمام استقل سيارته الخاصة وبرفقته رئيس وزرائه عبدالله العمري وثلاثة من حفدته لابنه الحسن وحفيد لابنه المحسن، ومعهم جندي ومرافق، وسائق السيارة، يقصد الإشراف على مزارعه التي تبعد عشرين ميلاً جنوبي صنعاء، فطلب الأخوة الثلاثة أبناء الأمير حسن من جدهم النزول إلى الأرض لانتظاره في موضع يدعى الوادي، يبعد على قدر من عشرة أميال منها، فنزلوا واستمر الإمام ذاهباً إلى مزارعه ليعود إليهم بعد ساعة، ولكنها انقضت ثلاث

ساعات دون أن يعود، وهنا مرَّ بهم أحد الرعاة فأخبر الأكبر منهم أنه رأى الإمام مقتولاً هو ورئيس وزرائه وحفيده الذي معه ومرافقه وسائق السيارة على بعد سبعة عشر ميلاً من صنعاء، فأسرعوا بإرسال النبأ بذلك إلى صنعاء، واستقلوا سيارة أخرى من سيارات الإمام إلى مكان الحادث، وهناك وجدوا سيارة الإمام مصابة بأكثر من مائة طلقة، وزجاج السيارة محطماً من جميع الجهات، ووجدا أن الطلقات صوبت على السيارة من أمامها، ورأوا يحيى مصاباً بأكثر من خمسين رصاصة، وقد انكفأ على وجهه وسقط فوق جثته حفيده، كما رأوا رئيس الوزراء مشوه الوجه مقتولاً بفعل الرصاص، وكذلك شاهدوا المرافق وسائق السيارة مقتولين، وكان عدد كبير من رجال القبائل قد التف حول السيارة، وقد قدموا على صوت طلقات الرصاص.

وقال بعضهم إنه شاهد سيارة تعدو مسرعة بعد سماعه أصوات الطلقات، ويرجح أن القتل حدث بواسطة مدفع رشاش سريع كان في السيارة، وكان ذلك الاغتيال في ٧ ربيع الثاني الموافق ١٧ فبراير، ولم يكد الخبر يصل إلى صنعاء حتى ماج الناس وعمَّ الاضطراب، وقام الجماهير وفكروا سريعاً في الهجوم على قصر السعادة الذي فيه مستودع النقود ومقر العائلة الحاكمة، وسارع سيوف الإسلام الأمراء محسن والحسين ويحيى إلى القصر وهو مقر خزانة أموال الإمام، وهنا كان مدير الأمن العام وهو ضابط عراقي يدعى جمال بك جميل، وقد جمع جنوده وسار بهم إلى القصر لحفظه عن هجوم الجماهير، فما كان من أبناء الإمام إلا أن أمروا الضابط بفك الحصار والعودة مع جنوده من حيث أتوا، وكان يعززهم في هذا حرس القصر، ولكن الضابط رفض وأفهمهم أنه إنما جاء للمحافظة على حياتهم وعلى محتويات القصر خشية الفوضى، فأصرَّ الأمراء على أمرهم وأمروا الحرس بإطلاق النار على الضابط وجنوده، فجرت معركة لم تدم طويلاً قتل فيها الأميران الحسن ومحسن، ثم قام زعيم الحكومة الجديدة عبدالله الوزير ينظم شؤونه، وجدد تعين مدير الأمن العام مستشرفاً

التأييد له من سائر الحكومات، ولما كان من الغد ٨ ربيع الثاني الموافق ليوم الأربعاء أذاع راديو صنعاء نعي الإمام يحيى وتنصيب عبدالله الوزير إماماً لليمن، وكان في زعمه أن الأمة قد اجتمعت على ذلك قبل وفاة الإمام يحيى لصلاحيته للوطن، ولكن أنى وهيهات ومن سلَّ سيف البغي قتل به قضاءً وحكمة.

ذكر آمال عبدالله بن الوزير وقتله

لما تولى المذكور اعتصم أحمد بن يحيى بالحجة وأبى أن يسمع لابن الوزير أو ينقاد، فبعث عبدالله بن الوزير إنذاراً لأحمد جاء فيه:

نرى من واجبنا أن نعد العدة لملاقاته، فإن انقاد للحق الذي نحاوله كما أوجب الله سبحانه وتعالى وترك العناد الذي يغريه به الشيطان، ودخل فيما دخل فيه المسلمون فذلك فضل من الله ورحمة له يستوجب به منا كل ما يليق بمثله من تعزيز وتكريم، وإن اختار العناد فالواجب علينا يقضي بأن نقاومه أشد المقاومة.

فكان الجواب أن جاء المسافرون من الحجة إلى صنعاء يروون جمع الأنصار، وأن الأمير أحمد يعد عدته ويثيرهم مستنفراً فيهم روح الانتقام، ويريد أخذ الثأر وقتل قاتل أبيه الشيخ الطاعن في السن، ويقولون أنه ليس بمستبعد إطلاقاً أن يعمد إلى مهاجمة صنعاء نفسها.

هذا وقد كان أحمد رجلاً في الخامسة والخمسين من العمر، كريماً بعكس أبيه، يوصف بأنه حميد الأخلاق، عادل، ولكنه عاطفي جداً لا يقف في طريقه شيء فهو لا بد أن يحصل على ما أراده ولو كلفه هذا كل غالٍ من الثمن، وبما أنه أرسل الإمام الجديد إنذاراً إلى الأمير أحمد في حجة بأنه إذا لم يستسلم لقوات العهد الجديد ويعلن ولاءه له فإن هذه القوات ستعلن عليه حرباً لا هوادة فيها حتى الموت، فإن الإمام الجديد أيضاً بعث إلى ناحية عدن يريد إرسال طائرات إنكليزية لتحلق فوق أنحاء اليمن فتلقي منشورات من قبله على اليمن، وفعلاً قد جاءت مدمرة وأطلقت مدافعها وعادت مبحرة إلى

عدن، أيضاً بعث ابن الوزير إلى دول الجامعة العربية يريد السلاح والذخيرة وأهمها الطائرات والدبابات والسيارات المصفحة مستعيناً في هذا أنه يريد تأديب البدو الطامعين في أموال الإمام يحيى، ويريد منهم أيضاً الحصول على اعترافهم له رسمياً، لكنه لم يحصل منهم على شيء.

وقد أكد وفده وكتبه على جلالة الملك ابن سعود نشكو سوء حالة اليمن وتمرد الأمير أحمد في الإغارة على صنعاء ونهب ما فيها من أموال وسلاح، وأن الحكومة اليمنية الآن تطلب مساعدة جلالتكم والجامعة العربية بإرسال الطائرات القاذفة والدبابات لإرهاب هؤلاء اللصوص، وقد حاول الفضيل الورتلاني أحد أعضاء الوفد أن يطعن في الجامعة العربية، فهبَّ جلالة الملك غاضباً وقال له: بل أنت اللص، أنت وزملاؤك الذين قتلتم الإمام يحيى ولم تراعوا سنيه التسعين ولا جهاده في سبيل استقلال اليمن وحمايتها من الأجنبي أربعين سنة، فما وجد الوفد أذناً صاغية، بل وجد الملك السعودي غضب عن استنكاره لخطة ابن الوزير، وظلَّ على الحياد في نزاع أحمد وابن الوزير.

ولما أن كان في ١٨ ربيع الثاني بدأ الأمير أحمد يهاجم صنعاء بعدما أبرق إلى ذوي القدر في مصر بواسطة المندوب ينذر أن لا تقوم أية طائرة إلى صنعاء لأن القبائل كلها والجيش ثائر معنا يقول في مناطق لا تبعد عن صنعاء بأكثر من كيلو مترين، هذا وقد كان راديو صنعاء يواصل إذاعته أن الأمن استتب في العاصمة وما حولها، كما أن الجيوش التابعة لابن الوزير، لكنها كانت خاطئة.

أما أحمد فبعث في ٢٥ من الجاري إلى جلالة الملك عبدالعزيز في الرياض يرجوه أن لا يقدم وفد الجامعة العربية إلى اليمن، بل يظل في جدة حتى تحتل قواته صنعاء، ثم إنها تحرجت الحالة في صنعاء، واشتد الضغط لها من قوات أحمد حتى خيف على المدرسين المصريين في اليمن.

ولما قدمت طائرتان حربيتان إلى صنعاء لنقل هؤلاء المدرسين تعذر الوصول إلى الأرض والهبوط في صنعاء للأخطار، وشوهدت القبائل المغيرة تحيط بأسوار المدينة لأن أبوابها كانت مغلقة، فعادت الطائرتان إلى جدة وأبرقتا بذلك إلى رئيس الوزراء في مصر تنتظر تعليماته.

وما زال ابن الوزير يستغيث بالجامعة العربية حتى سألها وقف القبائل بإرسال طائرات تفرق شملهم وتنقذ عشرات الآلاف من سكان صنعاء، فما استجاب له أحد وسقطت صنعاء في يد قوات الإمام أحمد، ونودي به ملكاً وإماماً لليمن، ولقب بالناصر لدين الله، وكان ذلك في ٤ جمادى الأولى الموافق ليوم الأحد ١٤ مارس ١٩٤٩م، وبعد ٢٩ يوماً من ذلك أعدم عبدالله بن الوزير، وحسين الكبسي بالسيف، وانتهت الثورة، وهذه ترجمة الإمام يحيى:

هو الإمام يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين بن القاسم بن محمد، ويتصل نسبه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مقر أبي الشبلين ومثواه، كان المترجم ماهراً وذا دهاء وعلم، ولد في صنعاء في شهر ربيع الأول ١٢٨٦هـ وكان تمام سبعة وثمانين إماماً من الزيود، ربع القامة، أسمر اللون، عالي الجبين، مستدير الوجه، وتقدم ذكر صفاته في سنة ولايته، وكان في تعلمه ودراسته أنه أخذ فنون العلم والأدب عن والده المنصور، وعن القاضي العلامة محمد بن عبدالملك الآنسي، والقاضي العلامة النحوي أحمد بن رزق السياني، والشيخ العلامة محمد بن أحمد العراسي وغيرهم، وقضى أيام صباه في صنعاء مكباً على العلم والدراسة لا يزاول غيرها، وظل هذا شأنه حتى بلغ العشرين من عمره، ثم إنه غادرها مع والده في شوال ١٣٠٧هـ إلى جبل الأهنوم فانصرف إلى طلب العلم مواصلاً الاجتماع إلى حملته وأقطابه، حتى ذاع صيته وفضله، ثم إنه بويع بالإمام بعد وفاة أبيه ١٣٢٢هـ، وله قصائد حسنة، فمنها مرثيته في ابنه محمد الذي توفى غريقاً، ومن قصيدة له يدعو إلى نصرة الشريعة والدين ويحث قومه على ذلك، وهي طويلة نذكر منها:

فلت سيوفي عند حومات الوغى | وكبت جيادي عند أن جد السرا
وعدمت أرمامي بمشتجر القنا | وجبنت عن غزوي عدوي مبكرا

وخلعت ثوب الحزم خلعة عاجز ... ولبست للتسويف ثوباً منكرا
إن لم أكن للظالمين مقارعاً ... أو لم أكن للكافرين مصغرا
وعلى فعل المستطاع منادياً ... للناس إن الله يا قوم اشترا
قوموا معي ننفي الضلال ونثبت الإيـ ... ـمان والشرع الشريف الأنورا
قوموا معي نبني حصوناً للهدى ... والعدل والإحسان شامخة الذرا

إلى أخرها وهي جميلة، ولولا خشية الإطالة لأتينا بها وببعض قصائده، فرحمة الله على أموات المسلمين، ونسأل الله تعالى أن يرفع أهل طاعته في درجات الآخرة، ولما أن تولى الإمام يحيى كانت عاصمة اليمن صنعاء، ثم إنه اتخذ الإمام أحمد ين يحيى مدينة تعز وهي كبيرة تقع في جنوب اليمن، وكان اتخاذه لها عاصمة في هذه السنة.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

فمنهم هؤلاء محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، وعثمان بن أحمد بن بشر، وفهد بن على الرشودي، ومحمد بن عبدالله بن سليم، وسنذكر لكل واحد ترجمة.

فأما محمد بن عبداللطيف فهو الشيخ الإمام العالم العلامة، أبو عبدالرحمن محمد ابن الشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام وكاشف الأوهام، ومجدد دين الله بعدما اندرس بين الأنام محمد بن عبدالوهاب، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وغفر لهم ورحمهم وجبر المسلمين بما أصيب به من فقدهم، وكان المترجم عالماً كبيراً، وبدراً منيراً، سلفياً له خطوة سابقة في علم التوحيد، فلله دره من كريم تضرب الأمثال بكرمه وجوده وسخائه وبذله، فكان يبذل الأموال ويضيف وينفع طلاب العلم والمحتاجين، فكان ممتازاً بالتواضع وسلامة الصدر ولين الجانب، ولما أن توفى الله أخاه عبدالله كان جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن يحترمه ويوقره ويصدره في المجالس.

ولما أن عزمت الحكومة على طبع رسائل أئمة هذه الدعوة للمرة الأولى جعل الملك أمر ذلك إليه فقام بالتعهد لها، وجرى بينه وبين مدير المطبعة وصاحبها محمد رشيد رضا صاحب مصر مجاوبات في شأنها، وأخذ عليه أن لا يتصرف بشيء من ألفاظها وكلماتها تعهدات، وقد برزت الرسائل المطبوعة بمطبعة المنار على أحسن ما يرام ولله الحمد، وكل ذلك بمساعي صاحب الجلالة عبدالعزيز، وكم له من يد بيضاء، ومن أراد أن ينظر إلى مناقبه ويعرف فضائله فليراجع العقيدة التي جمعها وبعثها إلى رؤساء القبائل من أهل اليمن وعسير وتهامة وشهران وبني شهر وقحطان وغامد وزهران، وكافة أهل الحجاز، وذلك سنة ١٣٣٩هـ بأمر من جلالة الملك ابن السعود، وكان لها أحسن وقع، فلذلك جعلها الشيخ سليمان من جملة رسائل الهدية السنية، وكم لهذا العالم من رسالة أشاد بها التوحيد وهدم الشرك فجزاه الله عن المسلمين خيراً، ولما مات رثاه الشعراء والأدباء، وهذه مرثية أنشأها الأديب ابن أخيه عبدالله بن الشيخ عمر بن الشيخ عبداللطيف آل الشيخ لما توفاه الله في ٤/٦، وقد أثبتنا ما وجدناه منها، نسأل الله تعالى أن يرفع درجاته في دار الآخرة:

على الشيخ فليبكي محبٌ مولعٌ ... بكاء حزينٍ قلبه يتصدع
وينشر دمعاً من عيون غريقةٍ ... فإن قلصت ماء فبالدم تدمع
وميتةٌ خير الخلق للناس كلهم ... عزاءٌ به يسلو المصاب المفجع
فقد رحل الحبر الفقيه الذي به ... قواعد دين الله تتلى وترفع
له همةٌ تسمو إلى هامة العلى ... تقلدها مذ كان في الحجر يرضع
إمامٌ همامٌ ألمعيٌ مهذبٌ ... فقيهٌ نبيهٌ حافظٌ متضلع
مجالسه بالعلم أضحت منيرةً ... بها أمهات الدين تقرأ وتسمع
مرابعه تبكيه من بعدما غدت ... معطلةً أرجاؤها تترجع
ويبكيه أهل الدين إذ كان دأبه ... مجداً على تبيينه فهو يصدع

وحــقٌّ لهــا تبكيــه إذ كــان قائمــاً ... بغـرس علـوم الـدين أيضـاً ويجمـع
أصــولاً وتوحيــداً وفهمــاً وكلمــا ... رأى حســـناً منهـــا لهـــا يتتبـــع
فتلـــك جمـــادات غـــدونَ بفقـــده ... يـــرجعن أصـــواتاً لهـــا تتنـــوع
فيــا ليــتني أرويــت قلــبي بمجلــسٍ ... فـــاحفظ منـــه الجـــم إذلاً أضـــيع
فهيهات هيهات انقضـت وتصـرمت ... لياليـــه بالإحســـان فـــالله يجمـــع
فآهــاً علــى العلــم الشــريف فإنــه ... يتيمــاً غــدا مــن بعــدما كــان يرفــع
ومـــا مثلـــه في الجـــود إلا كحـــاتمٍ ... جميع خصـال الخـير والفضـل مـودع
وصــول لا رحــام وإن قطعــت لــه ... عفـــوٌ حلـــيمٌ ذو تقـــى متخشـــع
فيــا حــي يــا قيــوم يــا سـامع الـدعا ... ويــا مــن لــه كــل الخلائــق تفــزع
أنله الرضا وأحسن جميعاً لنـا العـزا ... وأســـكنه جنـــاتٌ بهـــا يتمتـــع
وابقِ لنـا شـيخ الهـدى علـم الـورى ... يقــرر هــذا الأصــل لا يتضعضــع
وأعـــني بـــه الحـــبر التقـــي محمـــداً ... ســلالةَ مــن للــدين شــادوا ويرفعــوا
ويـــا أيهـــا الأبنـــاء للشـــيخ إنـــني ... أوصـــيكم بـــالعلم فيـــه تولعـــوا
فمـــن فاتـــه العلـــم الشـــريف فإنمـــا ... بضـــاعته المزجـــاة دومـــاً يخـــدع
ويـــارب ثبتنـــا جميعـــاً وكـــن لنـــا ... معينــاً علــى فهــم الــذي هــو أنفــع
وصـــلِّ إلهـــي كـــل وقـــتٍ وســـاعةٍ ... على المصـطفى مـن للخلائـق يشـفع
وآلٍ كـــرامٍ ثـــم صـــحبٍ ومـــن علـــى ... طـــريقتهم يقفـــوا وللرســـل يتبـــع

عثمان بن أحمد بن بشر

هو الشيخ الإمام العالم الزاهد السلفي أبو أحمد، عثمان بن أحمد بن عثمان بن بشر النجدي الحنبلي، من رؤساء قبيلة بني زيد، أصله من أهل بلدة شقراء، كان المترجم متسماً بصفات أهل العلم والديانة، يعلوه البهاء وتزينه السكينة والوقار، وقد خالط الأعراب للإرشاد والبيان، وقد يعتم بعمامة كعادة بعض المتنسكين وأهل الديانة، ولأنه كثير الأسفار، ثم إنه تركها قطعاً قبل وفاته بسبع سنين.

أما مشائخه الذي أخذ عنهم فإنه أخذ عن الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد، وذلك في بلدة حائل حين كان ابن بليهد فيها، وجثا بين يدي علماء هذه الدعوة، وأخذ عن الشيخ الإمام محمد بن عمر بن سليم، ولم يكثر، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليم، وأخذ عن أخيه الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وجدّ واجتهد وزاحم العلماء، اتصف بصفاة المتقين.

وكان مولعاً في رثاء أهل العلم، وله قصائد، منها مرثيته في الشيخ محمد بن عبدالعزيز العجاجي، ومنها مرثية أنشأها في الشيخ عبدالعزيز العبادي، وقصيدة واقعة البلقا، وقصيدة في تهنئة الملك عبدالعزيز بفتح حائل، وقصيدة في الموضوع هذا، وقصيدة في تهنئة الأمير عبدالعزيز بن مساعد لما نصره الله على ابن الدرويش وأصحابه فأبادهم الله في أم رضمة، ومرثية في الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، ومرثية في الشيخ عمر بن محمد بن سليم، ومرثية في الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد.

وكان يلهج بذكر أهل الدين ومحبتهم ويظهر البشاشة، ويتواضع من غير ضعف، وله سمت حسن ووقار وعزة نفس.

وكان عاقلاً حليماً قليل الغضب، وله شيمة، ويألف الناس ويألفونه يخضب لحيته بالحناء وهذه صفته:

كان طوالاً ضخماً تام الخلقة، كث اللحية قد اتخذ بعدما كبر أسناناً من العظم، نظيف الملابس، طيب الرائحة، يحب أهل الدين ويميل إليهم، ويبغض أهل الشر ويمقتهم ولا يداري في قصائده بل يشنع على المنافقين ويسبهم وينال منهم، وتلك خصال جميلة محمودة، وقد قدمنا شيئاً من قصائده.

وكان معاشراً لعلماء هذه الدعوة ومحباً لآل سعود، ولا يزال يتقلب في وظائفهم، وقد نال وظيفتين شريفتين في زمن طويل وشغلهما وهم قضاء الأسياح، وقضاء الأجفر، ونال مقام الثقة من حكومته وأمته.

أما ولادته فقد ولد سنة ١٢٩٤هـ، ونشأ نشأةً حسنة مكباً على الدراسة والطلب، ولما كان في تلك الوظائف كان يقضي بعض أوقاته في الأسياح ، وبعضها في الأجفر، وقد يأتي لزيارة بريدة ويجلس فيها لأنه قد تزوج بها، وله فيها أولاد ومسكن، وتوفى في هذه السنة عن ٧٣ سنة رحمه الله وعفا عنه، ولقد كان يظهر لنا الوداد والمحبة والبشر، ويضع ثقته الكاملة بنا، فأحببنا أن نرثاه بهذه المرثية، ووفاته كانت في اليوم ١٩ من ذي الحجة من هذه السنة:

على الشيخ عثمان الدموع تصبب	لمفقده أضحى ذوو العلم تندب
حبيبٌ منيبٌ للمكارم جامع	وللعلم والخيرات يسعى ويدأب
يميل له أهل الديانة والتقى	وما زال سباقاً به المثل تضرب
يدين بقال الله قال رسوله	وما قرر الأصحاب يوماً وهذبوا
وما كان في الدين الحنيف مداهناً	لأهل الردى كلا بل الحق يطلب
لقد كان منهوماً بطاعة ربه	سؤولاً له نحو العبادة يذهب
يناجي لمولاه الجليل برغبةً	ويشفق من تعذيبه بل ويرهب
قضى عمره في طاعة الله وحده	وما همه دنيا تزيد وتكسب
وقد كان مأمون السريرة والأذى	أديباً أريباً للعلى يترقب
فمن بعده تهوى النفوس لرشدها	ويهدي لحيران شفيقاً يقرب
لأن كنت يا عثمان خير بقيةٍ	لأهل الهدى حتماً مضيت محبب
فأنا لمأساك المرير غدت بنا	همومٌ وأحزانٌ بها نتقلب
عليك من الرحمن أوفى تحيةٍ	وروحٍ وريحانٍ يحف ويسكب

وكان قد خلف بعده عقباً من الذكور أربعة وواحدة من الإناث، فقدس الله روحه.

فهد بن علي الرشودي

وهذه ترجمته: هو أبو علي فهد بن علي بن عبدالله بن علي بن فهد بن عبدالله آل رشودي، كان من قبيلة عتيبة، وأصله من قرية الشقة المعروفة شمالي مدينة بريدة من القصيم، ولد سنة ١٢٨٣هـ، وكان رجلاً شريفاً رفيع

القدر، ومن العرب المشاهير، ثم سكن مدينة بريدة وارتفع شأنه وعلا أمره، وما زال يتقدم ويتفوق حتى أصبح رئيس أعضاء أهل الضبط والربط في القصيم، وله مقامات عظيمة في الحروب التي جرت بين آل سعود وآل رشيد لا سيما في واقعة البكيرية والشنانة، وفي جراب، فإنه رسول ابن سعود إلى ابن رشيد في واقعة الشنانة، بعثه ابن سعود حسب الثقة به إلى ابن رشيد لأنه كان موالياً لآل سعود، ولما أن اتصل عبدالعزيز بن متعب بن رشيد ووجده حانقاً على أهل نجد ويريد أن ينزل بهم بأسه وعقابه لما كان متصفاً به من الجبروت والعنف، رجع المترجم إلى ابن سعود يحمل تهديداته وتقريعاته، وباح بما عنده أمام صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وأمام أهل نجد وذمرهم وحذرهم من الكيد الذي يبيته ابن رشيد لهم إن ظفر بهم، فلقونه وتنفيذ إرادته تبايع قوم ابن سعود على الموت، وصدقوا اللقاء والحملة على ابن رشيد حتى هزمه الله وطرده.

وأشار على أهل القصيم بمشورة في واقعة جراب عجيبة عادت عليهم بتمام الراحة لهم.

وكان صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن سعود يثق به ويأخذ من آرائه، ويختصه بأشياء يكتمها عن غالب الناس، وقد أخذ بيده مرة وهو يطوف بالكعبة المشرفة، فكان عن يمينه في ساعة لم يكن في الطواف سواه والحرس أمام الملك، وخلفه وعن يمينه وشماله، فوجهت الأبصار إلى هذا الرجل الذي يطوف في معية الملك بينما أن الخلائق قد كشفت عن صحن المطاف، ولقد شخصت الأبصار لرجل نحيف الجسم متقشف يطوف في معية الملك عبدالعزيز، وكثر سؤال المصريين والشاميين عن هذا الرجل ومن أي جهة كان، ولقد حظي عنده حتى كان لا يرد له طلباً، بل ينفذ أوامره بكل سرعة، وما هي طلباته؟ فما كان يطلب نقوداً ولا يطلب اقتطاعات الأراضي إنما يشفع لمسجون أو يشفع لجاهل لم يتقيد بأوامر الحكومة، فيطبق عليه النظام وتنقطع أسباب نجاته فيطلب الصفح عنه.

ولقد جرى على أناس من عقيل ذهبوا في التجارة بدون تقيد مع الشروط التي وضعتها الحكومة ليخضع لها كل مسافر، فكان جزاء أولئك أن حبسوا في السجن وصودرت أموالهم جزاء بما كسبت أيديهم، ولما أن حج هذا الرجل العظيم وأراد الإياب إلى وطنه فزعت الأمة إليه يطلبونه السعي في خلاصهم، فما كان منه إلا أنه لما ودع جلالة الملك وأمر له بسيارة وكرامة عرض عليه الملك أن ينظر في شأن هؤلاء المجرمين، وهل يجوز الصفح عنهم، فتكلم فهد على الفور قائلاً:

يا طويل العمر إن تجاركم وشعبكم بمنزلة الأقدام التي تحمل الجسم، فإن استقامت استقام وإن ضعفت فإنها لا تحمله، ولعل هذه تردعهم وأمثالهم ويكفيهم الشيء القليل من العقوبة، فأصدر جلالة الملك الأوامر بالعفو عنهم، ورد أموالهم إليهم.

ولما نودي بالجهاد لنصرة أهل فلسطين قام بالنيابة عن أهل القصيم ورفع خطاباً لجلالة الملك بأن الرجال والأموال تحت إشارتكم، وأن الطريق إلى فلسطين تمر على القصيم، فإذا قدم غزاة جنوبي المملكة فهم على أتم أهبة، فسر بذلك جلالته كثيراً وشكر لأهل مقاطعة القصيم ذلك.

ولقد اتخذ موضعاً يقع شرقي بريدة قريباً منها واختاره سعة للبلد فلا يوهب ولا يبني فيه، وطلب تأييد الملك لذلك فحقق رغبته وأن لا تمتد إليه يد، بل يكون كما رسم، وما زال يدافع عنه حتى توفاه الله تعالى فبطل ذلك الاختصاص، ورأت الحكومة الحاضرة أيدها الله تعالى أن يكون في ذلك الموضع المشار إليه مستشفى كبير يضم عدداً غير قليل من المجالس والغرف والمستودعات والأسرة، يشغله أطباء ماهرون، كما أنشيء فيه أيضاً مدرستان كبيرتان إحداهما المدرسة الصناعية، والثانية المدرسة الثانوية، ومعهد المعلمين وإدارة التعليم، وكل هذه المواضع قد بني بالإسمنت المسلح على أحدث طراز.

وكان المترجم عاقلاً رزيناً، قوي الإرادة، سديد الرأي، عظيماً لا يقعقع له بالشنان، وله غور بعيد، وجميع آرائه سديدة، وقلما تنسد أبواب الرشد

في مهمات الأمور إلا ويوجد لديه ما يكشفها، أضف إلى ذلك تواضعاً وخفض جناح لأهل الفضل، وأدباً ومعرفةً، وقد اجتمعت الكلمة في أيامه وقلت المشاغبات.

ومن مناقبه أن طبع كتبا عدة الصابرين للحافظ ابن القيم رحمه الله بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٠هـ على نفقته الخاصة، ووزعها وقفاً على المسلمين جزاه الله خيراً.

كان يختصني فيسال عن مسائل الدين والعبادات، ويأتي بمسائل تدل على عظمة الرجل وأنه فوق ما قيل فيه، ولما أن توفى الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي المتقدم ذكره جاء بعد ذلك المترجم يسأل من للمشكاة بعد يفتي الناس ويرشدهم، لأن القاضي مشغول بعمله، ومن جهة أخرى فإن ضعفاء الناس من النساء والضعفة لا يجدون مثله مفيداً ومعلماً ومبيناً، فأجبته أن أمثال الشيخ عبدالعزيز في الناس قليل، فجعل يسترجع ويقول: من للحيض يرشدهن ويفتيهن؟ ومن ومن.

كان رحمه الله ذا ثروة عظيمة، ولديه أموال كثيرة، وبيته يقع في وسط البلد، وما كان فخوراً ولا متكبراً، وهذه صفته:

كان طوالاً، قليل اللحم، قوي البدن، لأنه يؤثر المشي، أبيض اللون مشرباً بحمرة، دائم التفكير، شعر لحيته أبيض، ولا يحب خضبها بالحناء، ولا يضع العصا عن يده، وأمره نافذ على الشريف والوضيع، فقد كانت الإمارة تخضع له، وقد قلنا فيه مرثية، بل الله ثراه بوابل الغفران، ورفع منازله في الجنان، وقد خرجت من كبد حرى وفؤآد موجوع، وقلب بألم الفراق ملسوع، وذلك لما فجعت الخليفة برزئه، وعمت الأقطار مصيبته فجادت القريحة بهذه القصيدة لما قام بهذا الشخص العظيم من المصالح العامة لسائر المسلمين.

ولقد تفضل بعض الأدباء نحوي بإلقاء سؤال عن المترجم هل يستحق هذا المديح ولم يكن ملكاً ولا قاضياً ولا مفتياً، بل قصاراه أنه رجل يصلح بين الناس

إذا اختلفوا، ويجمع شملهم إذا تفرقوا، ويعدل بينهم بالقسط؟ فأجبته أنه فوق ما قيل فيه، وفعلاً وافق بعد مضي زمان لما لم يكن هنا من يقوم مقامه، فنسأل الله تعالى أن يجبر المسلمين ويحسن عزاءهم على فقد رجال أكفاء أصيبت بهم الأمة، وعظمت لفراقهم الغمة، وما كل إنسان يعوضك غيره:

على الشهم ذي العرفان من كان ينفع ... ومن كان يجلي للخطوب ويدفع
تسح دموعاً من قصيم محافل ... لفرقته أمست من البين تجزع
وحق لها تبكي وتندب دائماً ... على فقد حر في علاها مولع
تريق دموعاً وكفها مترادف ... وتبكيه أقطار كثير وأربع
فما فهد فينا سوى الأمل الذي ... يراح له في النائبات وينفع
وما فهد فينا سوى الكهف إن غدا ... إليه ذوو الحاجات يقضي ويشفع
وما فهد في الناس إلا مدافعاً ... فمطلبه يحصل وما رد يقمع
فمن بعده يرعى الضعفاء ويحمهم ... إذا ما دهتهم معضلات وضيعوا
إلى من له تأتي العناة وتشتكي ... وتقصده فيما عراها لينفعوا
إلى من له يؤتى لكشف ملمةٍ ... وكارثةٍ تبدو وخرقٌ يرقع
إذا ما ادلهم الخطب فرج رأيه ... بأمرٍ ونهيٍ في المطالب يسمع
فمن مثله في الناس يرجى لنفعه ... لقد قلَّ أهل النبل حقاً ونزعوا
فكم كربةٍ لله فرج جاهه ... يكاد لها القلب الرصين يقطع
بمالٍ وجاهٍ يفتدي كل من يرى ... مضاماً ومغلوباً له ظلٌ يفزع
لقد كان ذا عقلٍ رزينٍ مسدداً ... وكان لعمري في البراعة مصقع
برأيٍ سديد ليس يوماً بطائشٍ ... فأنى لنا ركنٌ سواه سميدع
أروني أخا عدلٍ يقوم مقامه ... ومن ذا الذي أمسى به الشمل يجمع
ومن ذا الذي يقضي الحوائج جاهداً ... ومن هابه أهل الشقاء وقرعوا
فآهاً على نجمٍ تبدى بضوئه ... عسى الله بالجبران يرفو ويرقع
فهيهات لا ننساه في كل نازلٍ ... قفوا نبكه حزناً عليه ونهمع

ستبكيه نجد في الصباح وفي المسا ... وتندب شهماً للكروب يقشع
بريدة تبكي عزها وفخارها ... فيا سؤتاً كيف الثرى فيه يودع
لأن كان أمسى في الضريح مقامه ... فقد طالما ينعى وذكراه ترفع
فما كان فينا ظله وبقاؤه ... سوى الأمن مما شره يتوقع
لقد كان والي المسلمين يخصه ... بتدبير آراء بها ظلٌ ينفع
ونقض وإبرام وحل مشاكلٍ ... بها ضلت الأفكار والندب يبرع
لقد كان فخراً للبلاد وأهلها ... فحسبك من ذكراه عزٌ ومرفع
وقد أصبحت تنعاه في فقد ذاته ... رياضٌ بها عادت قفاراً وبلقع
أبوها فلا ننساه في كل شدةٍ ... لها بعد مولانا لقد ظل يدفع
عليه سلام الله ما حنَّ راعد ... وما لاح في الآفاق برقٌ يلمع
ولا زال غفران الإله لروحه ... ولله أولى بالجميل وأوسع
وأزكى صلاة الله ثم سلامه ... على المصطفى من في القيامة يشفع
محمد الهادي وآلٍ وصحبه ... وأتباعهم ما لاح في الشرق طلع

وكانت وفاته في ٣ ذي القعدة ظهراً، فصليَّ عليه بعد العصر في جامع بريدة ودفن في المقبرة الجنوبية المعروفة باسم فلاجة، وأصيبت الأمة به وبكاه المسلمون.

محمد بن عبدالله بن سليم

هذا هو حفيد والد الأسرة الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكان المترجم توفى شاباً رحمة الله عليه، وهذه ترجمته:

هو الزاهد الورع الجدّ المجتهد في طلب العلم، العفيف الناسك، الذكي الفاضل، وسلالة الأكرمين الأفاضل محمد بن الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، ولد في آخر سنة ١٣٣٩هـ، فنشأ في حجر والده الشيخ القاضي عبدالله بن محمد، وأنبته الله نباتاً حسناً، وكانت أمه أعرابية، ولما تم له سبع سنين أدخله والده على المؤدب صالح بن محمد الصقعبي فقرأ القرآن وتعلم الكتابة، ثم إنه لازم والده

حتى مات، ثم لازم عمه الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأخذ عنه وأخذ أيضاً عن الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، وكان عاقلاً سكيناً أديباً ليس بفظ ولا غليظ، وجعلت العيون ترمقه، ورجي أن يكون خلفاً بعد آبائه وأجداده، ذلك لما قام به من آداب أهل العلم والدين ورحمة الضعفاء والمساكين، والعمل بما علم، ثم إنه وليَّ إمامة مسجد عمه الشيخ عمر المعروف بمسجد ناصر في قلب بريدة، وتزوج غير مرة، وحج عدة مرات، وكان عمه الشيخ عمر يقدره ويجله، وقد مرض مرةً بألم البواسير، فسعى جلالة الملك عبدالعزيز بن سعود في جلب العلاج له وأدخل المستشفى فعافاه الله من علته.

ومما يجدر بنا ذكره أنه لما أراد أن يحج حجته الثانية حرص على أن يمتطي بعيراً وقال: إني حججت الفرض ووافق حجي بأني لم تبرأ ذمتي بأداء الفرض على الوجه المطلوب، فلما أن كان في غرة ربيع الأول أصيب بمرض شديد، ثم إنه مات في ٦ الشهر المذكور، فالله المستعان، وقد صلى عليه المسلمون بعد صلاة العصر من ذلك اليوم وحزنوا وبكوا، وكان له من العمر ٢٦ وأشهر رحمة الله عليه، فلا حول ولا قوة إلى بالله.

وفيها في محرم نقل قاضي الدمام عبدالله بن محمد عامر إلى قضاء المويه القرية المعروفة في طريق مكة من جهة الشرق، ونقل قاضي جيزان عبدالله بن عودة السعوي إلى قضاء الدمام المذكور، ويقع في المقاطعة الشرقية، وكان قد قدم مندوب الباكستان مالك فيروز نون خان من الشرق الأوسط إلى جدة في طيارة وقابل ولي العهد سعود، وأعرب عن رئيس دولة الباكستان أنه يطلب من جلالة الملك المعظم أن يؤيد قضية فلسطين خاصة وقضايا المسلمين عامة، فهذه من رئيس دولة الباكستان محمد علي جناح نخوة حسنة، لا سيما وقد حصل على مسلمي أهل الهند أشد العذاب وأفدح الظلم، ودار عليهم دور خطير في تاريخهم وحياتهم، وقتل منهم عشرات الألوف، ومئات الألوف منهم أصبحوا لا مأوى لهم، وهم يهاجرون إلى الباكستان، وقد استولى الأعداء على أموالهم

وأراضيهم، ولم يتركوا وسيلة لأذيتهم والبطش بهم والفتك بهم إلى أتوا بها، فمن أجل هذا قاموا يصرخون في الحرم المكي الشريف بمناسبة اجتماع المسلمين فيه بالموسم، وبالأخص حجاج بيت الله الحرام، ويشكون ما يقاسونه مستمدين من المسلمين الدعاء والنصرة لهم على أعدائهم.

وفيها وقع في شمال إيران زلزال عنيف هدم كثيراً من الدور، وأسفر عن قتل مائتي شخص وجرح كثيرين، وكانت الخسائر فادحة في تلك الجهة.

ثم دخلت سنة ١٣٦٨هـ

استهلت هذه السنة والعالم العربي وغيره في حروب وزعازع، لا سيما مشكلة فلسطين فإنها قد بلغت الذروة في الصعوبة، وأصبحت تنذر بشر مستطير يوشك أن يصطلي بنارها الصغير والكبير، وتالله إنه لأحسن للمظلوم أن يدرع ويقاوم بالصبر والجلد، ويشمر عن ساق الجد والعزم والحزم حتى يأذن الله عز وجل بنصر من عنده، أو أمر من نفحاته، فإنها لحالة عجيبة ونكتة غريبة أن تقوم أمة ضرب الله عليها الذلة والمسكنة وتوعدها بإطفاء نارها، وذلك لأنهم كانوا أقل من ذكرهم فتطرد العرب عن بلدانهم وتسومهم سوء العذاب بالقتل والأسر والنهب والتشريد، وأنواع العبث، فيا ليت شعري أين العرب؟ أين القوة؟ أين الشجاعة؟ أين العدل؟

وكان الأمير فيصل بن عبدالعزيز نجل الملك لما خطب وأبان إبطال تقسيم فلسطين الذي صوت له الكثير وضح أن المصوتين بالتقسيم مرشيون، وأن العرب لا تقرّ التقسيم، أجاب بعض المغرضين بقوله: إذا لم ترضَ العرب ولا تقرّ ذلك فكيف تصنع؟ فتكلم الأمير فيصل بصفته منتدباً من قبل الحكومة السعودية وجعل يرغي ويزبد يقول:

سوف نقوم بواجب الوحدة لأخذ حق العرب ممن ظلمهم، سيقوم العرب قياماً يعرف به واجب حقهم، إن العرب أصبحوا أحراراً فيما يعملون، ومن حقهم

أن ينظروا إلى مصالحهم ويدافعوا عن حقوقهم بما يختارون من الوسائل معتمدين على الله ثم على أنفسهم، متمثلين بقول شاعرهم:

وإنما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعول في الدنيا على أحد

وقد علمتهم الحوادث أن حقوق الشعوب في نظر الدول القوية حبر على ورق، وأن الحكمة للقوة وحدها في كل زمان ومكان:

متى تجمع الرأي الصحيح وصارماً   وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

وستبقى فلسطين عربية على رغم الصهيونية، ثم تكلم كل مندوب عربي بتقرير كلام فيصل.

ومما قال بعض الشعراء هذه القصيدة وقد عزاها بعضهم إلى الأستاذ فؤاد شاكر في دار الوزارة، وقد نالت الاستحسان واستعيد أكثر أبياتها:

ذر الدمع واذرف سائل القلب بالدم   فلا مأتم فيما مضى مثل مأتم
وأقبل على سيل الحوادث عابساً   غضوباً بزار الغاضب المتجهم
فأين إباة الضيم من كل سيد   يصول على الظلام صولة ضيغم
وأين رعاة الحق من كل صيد   يذود عن الأوطان جور التحكم
لقد آن للموتور أن يدفع الأذى   ويدفع ظلام الحقوق بميسم
لقد آن أن يردي الضلال بعزمة   وأن لا يطأ الباغي بشع ومنسم
أبى الحق أن نمشي الغداة أذلةً   نسام هوانا من بغيٍ ومجرمٍ
يعز على العليا أن يفقد الحمى   كرامته أو أن يذل ويرتم
سخياً على رغم اليهود أعزةً   ونسحق بالأقدام ذل التقسم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه   يكن كيهود الأرض ذلة مغنم
طغت بفلسطين الهموم مبيدةً   فمادت بقايا ركنها المتهدم
طغت بفلسطين الرزايا وإنها   لها الله كالبيت العتيق المحرم
رماها بغاة السوء والشر والأذى   بكل غويٍ فاجر متأثم
رويداً بغاة الظلم فالدهر قلب   وما ظالمٌ إلا سيبلى بأظلم
لقد طال ليل الظالمين وعسفهم   ويا رب ليلٍ للمظالم أسحم

تجشـم فيـه العـرب كـل رزيـة ... إلى أن نفضوا عـنهم كـلال التجشـم
ونـاءوا بأعبـاءٍ جسـامٍ تصـرمت ... أواصــر دنياهــا ولم تتصـرم
وسيموا من الخسف المبرح جاحماً ... مـن الهـول فيـه الويـل للمتـبرم
فإمـا رضـاءٌ بالـذي فيـه حـتفهم ... وإلا فويـل الضـارع المـتكلم
فإمـا هـوانٌ للـبلاد وأهلـها ... وإلا فمـن ينـبس بـذلك يعـدم
فـأي هـوان مـن مهـينٍ محقـرٍ ... أشـد بـلاءً مـن هـوان المـزحم
حمى القدس يمسي مستباحاً مهشماً ... ومـن حولـه أشـلاء كـل مهشـم
وروعتمـوا فيـه الكلـيم نبـيكم ... وأغضـبتموا مـن كـل قـومٍ وقـيم
وأغضـبتموا فيـه الـنبي محمـداً ... وأغضـبتموا فيـه المسيح ابن مـريم
لقـد طـال صـبر المسـلمين وأنـه ... للكـا لجـبنٍ عنـد النـاظر المترسـم
فمـالكمو إلا الحديـد مسـوماً ... نزمجـر فيـه بالحديـد المسـوم

* * *

فـإن شـئتموا فـالجو غضـبان مرعـدٌ ... عليـه دوي المرعـد المتهـزم
وإن شـئتموا فـالبحر نـارٌ وشـعلةٌ ... وأمواجـه الحمـراء تصـخب بالـدم
وما الحـرب إلا مـا علمـتم وذقتمـوا ... ومـا هـو عنهـا بالحـديث المـرجم

* * *

رويـداً يهـود الأرض مـني نصـيحةٌ ... إليكم خذوها فهي من نصـح مسـلمٍ
مشت بفجاج الأرض منكم بسـرعةٍ ... مظللـة الأفيـاء للمتنسـم
وماجـت بكـم في كـل صـقعٍ وبقعـةٍ ... جمـوع رفـاقٍ في المـدائن حـوم
فولوا إلى الضرب السـحيق جمـوعكم ... ففيـه لشـذاذ الـورى ألـف مجـثم
فـدونكم إن كـان فـيكم رجولـةٌ ... لبـؤتم بعجـز الثاكـل المتـأيم
فإن ضـاقت الأمريكتـان وأوصـدت ... بـأوجهكم دنيـا الفضـاء المخـيم
فـإن لكـم والـرأي عنـدي مكانـةً ... تليـق بكـم والله صـدر جهـنم
فـإن لم يكـن هـذا ولا ذاك فاحـذروا ... لأنفسـكم فالسـيف خـير محكـم
ودونكموا فالسيف جـذلانٌ مصـلتٌ ... سـيبرئ مـن جـاء الضـلوع المكـتم

* * *

هلموا بني الإسلام فالأمر حازبٌ ... ولا بد من حزم الجريء المقدم
هو الجد إن اليوم يوم وثوبكم ... فإن الجهاد اليوم للمتقدم
فدونكم هبوا لنصرة دينكم ... بحزمٍ فمن يغفل عن الحزم يندم
وجودوا لها بالمال والنفس طيبةً ... وما هو إلا بذل نفسٍ ودرهم
وسيروا ففي عبدالعزيز لواؤكم ... وقائدكم في الحادث المتهجم

وقد أكثر الشعراء من القصيد في فضائح اليهود، ولو أتينا بكل ما قيل لضاق الموسع، كما أن صحف البلاد العربية شنعت على اليهود وباحت بمسبتهم، ودوت الإذاعات في سائر الأقطار العربية وغيرها بشأن قضية فلسطين.

وبالرغم من ذلك كله فإن اليهود حصلوا على مطلوبهم ونالوا أمانيهم، وباء العرب بالفشل، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وذلك لأمور:

- منها قيام بريطانيا وأمريكا إلى جانب اليهود، فأصبح العرب يجاهدون أمريكا وبريطانيا.

- ومنها تخاذل العرب وعدم وقوفهم صفاً واحداً في نحر العدو، فإنه شوهد من بعض ملوك العرب أكبر خيانة وأبلغ طعنة وقعت في نحورهم، ولا نصرح بذلك.

- ومنها أن الملك عبدالله بن الحسين ظهر خائناً للعرب، وتكشفت نواياه عن أمور لم تكن في الحسبان، وذلك بأن ثبت أنه كان على اتصال باليهود طول مدة الحرب في فلسطين، وذلك بخمس وثائق كتبها بخطه عثرَ عليها المنقبون، بينما كان يدعي أنه القائد الأعلى للجيوش العربية إذا به يرسل الوفود إلى أسرائيل يعترف بها وبحكومتها وبوزير خارجيتها.

ولقد بذلت العراق كل جهد لحمل الحكومة الأردنية على تغيير سياستها، ولكن مساعيها في ذلك لم تنجح، ولقد استدعت شخصية كبيرة في عمان وزير العراق المفوض هناك وأبلغته رسالة إلى حكومته تتضمن عدم الموافقة على أن يهب الجيش العراقي لإسداء العون للجيش المصري، وإذا لم يلبَّ هذا الطلب فإن الجيش العربي الأردني على استعداد تام لقطع خطوط مواصلات الجيش العراقي والالتحام معه.

ولقد اجتمع مجلس الوزراء العراقي لبحث القضية حتى صوت عدد بضرورة إنقاذ جيش مصر وإن أدى ذلك إلى اصطدام الجيش العراقي بالأردني.

ومن قائل بضرورة الاتصال بالمسؤولين في الأردن لحملهم على إعادة النظر في الأمر، فصمم الأردن على عدم المساعدة وقرر عبدالله بن الحسين خطة اليهود لماله من المطامع الأشعبية، وقرر عزل سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني عن مقامه في فلسطين، وحرم نجله طلال بن عبدالله ولاية العهد بعده.

ومما جرى من اليهود عليهم لعائن الله أن هجموا على قرية من قرى فلسطين فقتلوا أهلها أجمعين، النساء والرجال والأطفال، ونكب أهالي فلسطين وأجلوا عن بلادهم، وقد طلبت الجامعة العربية مليوني جنيه لإعانة اللاجئين العرب، ونصف مليون لشراء خيام وملاجئ لهم، وشرد أهالي فلسطين إلى البلاد العربية يسألون ويشحدون، وقد استمرت الحالة بين أخذ ورد في إعادة اللاجئين إلى ديارهم.

ولما أن سافر الأمير فيصل من الحجاز لحضور اجتماع هيئة الأمم المتحدة في آخر السنة المتقدمة والنظر في قضية فلسطين ظل هناك يناضل ويدافع مع زملائه ممثلي الدول العربية، وما زالوا يدافعون عن حقوق فلسطين أمام تلك الهيئة حتى يئسوا من عدالتها.

وفي خلال شهر صفر من هذه السنة فوجئ العرب بأمور دبرت في أريحا وهي إلحاق قسم بشرق الأردن، وصدر تصريح مشترك من وزارة الخارجية الأمريكية والبريطانية متضامنين على السعي في إقرار السلم بفلسطين، وانهما يرتقبان المحادثة الجارية في ردوس، وقد رجع الأمير فيصل المعظم إلى جدة في يوم الأحد ٣ ربيع الأول من هذه السنة يعرض على الملك نتيجة مسعاه في هيئة الأمم المتحدة ويبين للأمة حقيقة الموقف، وقد خطب خطبةً بلغها ألوف المستقبلين لسموه في مكة إبان أن الأمر يومئذٍ لله، وقال في معرض كلامه:

لكن الذين نحاربهم الآن ليسوا اليهود، إنما هم دول الاستعمار الغاشمة التي تتجاذب مطامعها بلاد العالم لتخضع الضعيف لنفوذها واستغلال، وأكبر دليل على ذلك أن أمريكا التي لم تتفق مع روسيا في أية مسألة قد اتفقت معها في فلسطين، وأطال موضحاً سياسات الدول في هذه القضية، وبذلك تعلم سوء تصرفات عبدالله بن الحسين الشريف وخيانته للجامعة العربية، وما الله بغافلٍ عما يعمل الظالمون.

ذكر ما جرى بعد الجهاد في فلسطين

أعلنت وزارة الدفاع السعودية لعموم عوائل الضباط، وضباط الصف والجنود الذين استشهدوا في فلسطين، ونشرت أسمائهم سابقاً في الصحف المحلية في العام الماضي بلزوم مراجعتهم المحاكم الشرعية في الجهات المقيمين فيها حالياً، وإثبات وراثتهم الشرعية لكل من له مورث من هؤلاء الشهداء وإرسال صورة من صك الوراثة بعد إرفاقه بمعروض رسمي يرسل بعنوان هذه الوزارة لإحالته لوزارة المالية إنفاذاً للإرادة الملكية التي تفضل بها جلالة الملك المعظم، وأمر باستمرار صرف رواتب هؤلاء الشهداء لعوائلهم شهرياً، ثم إنها قامت ملوك العرب الذين باتوا بلا مأوى بعدما أخذت اليهود أوطانهم ومساكنهم فأمسوا ضائعين مشردين، الأرض فراشهم والسماء غطائهم، أضف إلى ذلك إهانة المسجد الأقصى الذي هو أولى القبلتين، حيث كان هدفاً لقنابل مدافع اليهود، فأصبح بنائه متصدعاً.

فيا أمة الإسلام، ويا جيش محمد بن عبدالله ﷺ أين شجاعتكم؟ أين صرامتكم؟ أين حميتكم؟ أين أنفتكم؟ أما كان آباؤكم الأقدمون أولئك الضراغم الذين أخافوا فارس والروم ودانت لهم الأمم الأخرى.

ولقد فشلت هيئة الأمم المتحدة في حل قضية فلسطين، وترتب على قيام دولة إسرائيل تشريد سبعمائة ألف وسبعة وخمسين ألفاً من عرب فلسطين وجلائهم عن بلادهم.

وفيها في آخر الحميم الأول نزل غيث عظيم على نجد، وكان شدة وقعه

على القصيم، حتى أشفى بعض المحلات على الهلاك، وتوالى هطول الأمطار وكثر الكلأ والعشب، وأخذت الأرض زخرفها بحيث أنه لم يجرِ في هذه السنين الأخيرة مثله، وقد حرث الناس ووفقوا من البعل بحيث أن ثلاثين صاعاً بلغت ألف صاع، وامتلأت الأمكنة من الأعشاب، فلله الحمد والشكر لا نحصي ثناء عليه.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

ففيها في ١١ ربيع الأول توفى الشيخ إبراهيم بن محمد الوهيبي التميمي من أهل شقراء، رحمة الله تعالى عليه، وكان رجلاً طيباً، اشتهر بين قومه بالعبادة والورع، وكان مع ذلك غيوراً محباً لدعوة التوحيد، مخلصاً لمولاه، مدافعاً عن هذا الدين الحنيف.

وكانت وفاته بمكة المشرفة عن عمر يناهز السبعين عاماً قضاها في خدمة الله ومرضاته، فرحمة الله عليه، فنعزي أهل الدين بوفاته، وقد وافق موته ليلة الاثنين، وانتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية.

وممن توفى فيها من الأعيان الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن سليم، وهذه ترجمته:

هو الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن الشيخ الإمام محمد بن عبدالله بن سليم حفيد عالم مقاطعة القصيم وعلامة تلك المقاطعة، وقد تقدم ذكر نسبه في ترجمة جده رحمه الله.

وكانت وفاته في ٢٩ جمادى الآخرة، وكان رجلاً طيباً ذكياً سكيناً أريباً عاقلاً، ذا دين وورع وأصل في علم التوحيد، وله قوة إدراك وسعة اطلاع على غامض المسائل، يحب الخمول والتقشف، وقد حج في صحبة عمه الشيخ عمر بن محمد بن سليم فأصيب بنكبة من الحرامية الذين يقطعون الطريق في جبال الحجاز زمن ولاية حسين الشريف على مكة المكرمة، وكان قد اختصه الشيخ

عمه عمر بأن جعله ككاتب صكوك في آخر عمره، فعاش بخير وتولى مهمة وظيفتين هما: إمامة مسجد في بريدة، ووظيفة التدريس في المدرسة الفيصلية ببريدة، فقام بالإمامة في مسجد ابن عمه الشيخ محمد بن عمر بن سليم، وأخذ يعلم أبناء وطنه في علوم الفقه والتوحيد والحديث، وكان قد حصل عليهما في سنة وفاته، ثم إنه أصيب بذات الجنب وتوفاه الله تعالى في هذه السنة عن عمر يناهز الخمسين، فرحمة الله عليه، وقد قضى عمره في طاعة الله ورسوله، وطلب العلم والعبادة والصبر على ما يصيبه، فنرجوا له الغفران.

محمد بن عبدالله آل ربدي

كان هذا الرجل من الزعماء، ومن أكبر قبائل أهل القصيم، وكان وصولاً لرحمه مكرماً لأقربائه، ولا يزال بيته يعيش فيه فقراء قرابته لأنه غني وذو ثروة، أضف إلى ذلك محبته لأهل الدين والانتماء إليهم ونصرتهم، وإكرامهم فجزاه الله خيراً.

إبراهيم الحبيب بفتح الحاء وكسر الباء

كان مولعاً بالأذان للصلوات الخمس، ومحباً لأهل الدين، وينتمي إليهم، وكثيرا ما يلهج بعلماء هذه الدعوة الوهابية، ويثني عليهم ويذكر ما منَّ الله به عليهم من التوفيق ومناصرة الدين، وقد شاب في آخر عمره وفقد بصره، غير أنه لا يزال في آذانه وعبادته حتى أتاه اليقين.

وختمت هذه السنة بحروب وزعازع بين الدول الأجنبية، فاستعملت الدبابات في فرنسا لإخراج العمال المضربين من المناجم، وحاولت أمريكا حل مشكلة ألمانيا ومطالبة روسيا والدول الغربية بالجلاء، حتى تكون ألمانيا تحكم نفسها بنفسها، أضف إلى ذلك مشكلة إسبانيا وما عليه اليهود من إحراقهم قرية صلحاء وقتلهم سكانها لرفضهم تسليم أسلحتهم، وإطلاقهم النار على المواقع المصرية، وقد كثرت واردات أمريكا إلى المملكة العربية السعودية من مصنوعات ومكائن، وحفارات للمياه، وجعل آبار ارتوازية.

وجادت عاطفة صاحب الجلالة عبدالعزيز بن السعود على أهل بريدة بأن جعل عمالاً ينقبون عن الماء في موضعين من البلد: أحدهما يقع غربي قصر الحكم في وسط بريدة، والثاني يقع في مجرى وادي الخبيب الجنوبي المعروف بالصقعاء، وقد استمر العمل بالمكائن الارتوازية، غير أنه لم ينجح إلا بعد أربع سنين، وكانت واردات أمريكا من القماش والحبوب وأنواع السيارات تفوق بكثير على ما سواها، هذا وقد عجت الإذاعة السعودية في مدينة جدة بالإذاعة والأخبار تذيع الأخبار وتنشر شيئاً من الأدب والتفسير وتلاوة القرآن.

ولما حججنا في هذه السنة رأينا من نشر الأمن وبذل الجهود في راحة الحجاج شيئاً عجيباً، وبلغ عدد الحجاج الذين وقفوا بعرفات أربعمائة ألف وخمسين ألفاً، وحج بالناس في هذه السنة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن سعود.

هذا وقد تغلبت روسيا في هذه السنة على الصين وبسطت حماية ملكها عليه، وتفوقت في الصناعات، وظهرت مظهراً عجيباً في التقدم، وجعلت تتقرب إلى المسلمين لتزيل الأثر الذي علق في نفوسهم من مناصرة الصهيونيين وميلهم إلى المناصرة للعدوان الصهيوني.

أما بريطانيا فإنه لما كان قبل هذه السنة بعشرين عاماً بدئ في استخراج البترول بواسطة الشركة الأمريكية، واتخذت مدينة الظهران قاعدة رئيسية لحقوله، وبما أن كمية استخراجه جعلت تزداد يوماً عن يوم مما يبشر بمستقبل زاهر وحصول على مال منه وفير، كما مدت أنابيب من أبقيق إلى ميناء صيداء بلبنان قبل هذه السنة بسنتين تسهيلاً للنقل، حتى بلغ طول هذه الأنابيب سبعمائة واثنين وخمسين ميلاً، فإن بريطانيا لا تزال تتجرع مرارة فوات هذه الشركة، وكيف أنها لا تحل مكان أمريكا، ولقد كانت تبيت عرقلة المساعي لنجاح هذه الشركة بإزالة جهدها، غير أن الحكومة السعودية لا تزال متيقظة لدسائسها، وساهرة على شعبها، وسنلوح لذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى عند ذكر معادن المملكة وحاصلاتها.

ثم دخلت سنة ١٣٦٩هـ

ففيها كمل خمسون عاماً من ولاية صاحب الجلالة والمهابة الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، وذلك في ٤ شوال منها، فهبَّ الشعب من أقصاه إلى أقصاه وقامت البلاد معلنةً سرورها وابتهاجها بمضي خمسين عاماً على فتح الرياض وتأسيس هذه المملكة السلفية العظمى التي بها علا دين الإسلام ونصر، وقضى بها على البدع والخرافات وعبادة الأوثان والتمسح بحجر الأولياء والصالحين، وناهيك بهذه النهضة التي قام بها، فلو أنها توفرت في زمن الأمويين والعباسيين للهجت بها الألسن وملئت بها التواريخ.

إن عبدالعزيز بن عبدالرحمن رجل عظيم أشرب منذ نعومة أظفاره بما جرى عليه السلف الصالح من توطيد دين الإسلام، وإخلاص العبادة لله وحده، ونصرة الدين وأهله، فمن أجل ذلك أعانه الله تعالى وأيده ونصره، وأعزه، ولينصرن الله من ينصره، ومكن له في الأرض ومن كان مع الله كان الله معه، ففتحت له كنوز الأرض، وجمع شتات العرب، ونشر الأمن في ربوع الجزيرة، وأمن الله به بعد الذلة، وكثر به بعد القلة، وبينما كانت الأمة تهيئ الاحتفالات وتعد المهرجانات لإقامة عيد ذهبي إذا بصاحب الجلالة ينشر أوامره برفض ذلك العيد نزولاً على حكم الإسلام بأنه لا يشرع أعياداً إلا ما شرعه الله ورسوله، كعيد الفطر والأضحى، غير أنه تمكن بعض الجهات من توزيع الصدقات، وتعالت الأصوات بالحمد والثناء لله الذي منَّ على المسلمين بهذا الملك الذي فضائله كنار على علم، فإجابةً للطلب ونزولاً تحت الرغبة ثنت الأمة عزمها واتخذت الدعاء له والثناء عليه عوضاً عن العيد، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله، ويكفي شرفاً له قوله في بعض خطبه: يقولون أننا وهابية، والحقيقة أننا سلفيون محافظون على ديننا، نتبع كتاب الله وسنة رسوله، وليس بيننا وبين المسلمين إلا كتاب الله وسنة رسوله، ولقد صدق القائل:

فليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خراب

ونحن جميعاً مقصرون في أمور ديننا، ولكن الله غفور رحيم.

وفي حديث قدسي ما معناه: «يا عبادي لو لم تذنبوا وتستغفروا لخلقت عباداً يذنبون فيستغفرون فأغفر لكم».

أما عن فلسطين فنحن لا نقصر عنها إن شاء الله، وها نحن مجاهدون في سبيلها بحول الله، وأنا لا أحب أن أقول عملت ولا أن أقول سأعمل، بل ولا أحب الأقوال مطلقاً، ولكن متى صلحت النية فالعمل حاصل إن شاء الله، وها هي ذي الجامعة العربية سنوالي تأييدها بكل ما نستطيع، وقد اتفقت فيها كلمة العرب، والذي أرجوه أن يكون العرب جميعاً يداً واحدة، وأن لا يشذ منهم أحد، وإلا فقد صح فينا قول القائل:

تجافى عن العتبى فما الذنب واحدٌ وهب لصروف الدهر ما أنت واجد

إذا خانك الأدنى الذي أنت حزبه فوا عجباً إن سالمتك إلا باعدُ

ولا زلت أوصي المسلمين بالاتحاد والتعاضد إلى آخر كلامه الذي ألقاه في عيد الأضحى سنة ١٣٦٥هـ، أما في البلاد الأخرى فقد أقيم ذلك العيد الذهبي لجلالة الملك ابن السعود واتسعت الاحتفالات والموائد، ووزع على سبعمائة مدعو في الباكستان من الأعيان والكبراء رسالة موجزة عن سيرة الملك ابن السعود مطبوعة بثلاث لغات هي: العربية والأوردية والإنكليزية.

وفي هذه السنة فتح القصيم عدة مدارس، ففتح في روضة الربيعية، وفي قرية القصيعة، وفي البدائع، وعيون الجواء، وفي المذنب، والشماسية، والرياض الخبراء، الرس، وقصر ابن عقيل قبل ذلك، كما فتح في مدينة بريدة مدرستان زيادة على الأولى.

أما عنيزة ففيها إذ ذاك أربع مدارس، وكلها لا تتجاوز الابتدائيات إلا ما كان من عنيزة، فقد نشأ فيها معهد، ولا تزال تلك المقاطعة في ازدياد ونشاط.

وفيها زاد جلالة الملك عبدالعزيز في رواتب الموظفين، فبلغ راتب القاضي إلى ألف ريال وأقلهم من له خمسمائة ريال شهرياً، وجعل للمتطوعين في هجر البدو

رواتب شهرية بقدر مائتين ريال، وقد رخصت الأسعار فاكن صاع البر في ريال ونصف بعدما كان في أربعة ريالات، وصاع الذرة في ريال بعدما كان في ريالين ونصف، كذلك الأرز فقد نزلت قيمته إلى ثلاث ريالات، كما أن السكر والشاي وسائر الأشياء قد نزلت قيمتها وسهل تناولها.

وفيها في برج الدلو وقع برد شديد جمدت له المياه، وصعب أمره على الخلق، حتى جاءت الأنباء على التحقيق من أهل الخبرة والمعرفة والرصد أنه لم يأت في هذه السنين المتأخرة قبل هذه السنة منذ خمس وعشرين سنة مثله، ونزل على ناحية الشمال في محادة المملكة السعودية ثلج كثير هلك لأجله أمم كثيرة، فسبحان من غلبت قدرته قدرة كل مقدور، هذا وقد توالت الصدقات من الحكومة للشعب براً وذرة وتمراً وغير ذلك.

هذا وقد كان أهل الوظائف في رتبهم، فكان على وزارة المالية عبدالله بن سليمان بن حمدان، وقد نال تمام الثقة لدى جلالة الملك عبدالعزيز، ويعتبر رجلاً عظيماً نبيهاً ماهراً، أضف إلى ذلك أنه حظي في مقامه ذلك، وكان على إمارة المقاطعة الشرقية صاحب السمو سعود بن عبدالله بن جلوي، وكان ندباً حازماً قد سلَّ السيف على عنق كل معتدٍ، حتى أصبحت تلك المقاطعة تتمتع بالأمن والطمأنينة، ومن أعظم الأمراء الذين في معيته تركي بن عبدالله بن عطيشان، وكان من أهالي بريدة في القصيم، وكان على إمارة المقاطعة الشمالية صاحب السمو الأمير عبدالعزيز بن مساعد، وكان رئيساً على عدة إمارات في تلك المقاطعة، وكان الأمير فيصل بن جلالة الملك هو النائب العام على مكة المشرفة وما يليها، وكان على إمارة مقاطعة القصيم صاحب السمو عبدالله بن الأمير عبدالعزيز بن مساعد، وهكذا.

أما القضاة والعلماء فكان في رئاسة القضاء في الحجاز والمنطقة الغربية فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ.

وأما فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فكان في الرياض ينتابه الأهالي والغرباء ويترددون إليه لاستفراغ منطوقه، وكان وفقه الله فوق ما يقال عنه علماً وأدباً وصبراً.

وكان في قضاء الخرج وتلك النواحي الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن آل باز النجدي.

وكان في قضاء بريدة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد.

وكان في مدينة عنيزة من بلاد القصيم فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي، وكان حليماً وقوراً عفيفاً سكيناً، فيه مكارم أخلاق، وله قوة ملكة في التفسير والتأليف، وقد طبع من مؤلفاته عدد كثير، وهي موجودة فجزى الله من أعان الإسلام وأهله ولو بشطر كلمة، وإن عالماً كمثل الشيخ عبدالرحمن في حكمته ودماثة أخلاقه لقليل.

أما القاضي في عنيزة إذ ذاك فكان فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عودان.

وفيها، بل في مستهلها افتتحت كلية الشريعة في مكة المشرفة، وكان موضعها في شارع القشاشية قريباً من دار الأرقم، وقريباً من منزل حبر الأمة عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وإن تأسيسها ليبشر بخير لأنها تضم الناجحين من المعاهد وغيرها، فأقبل إليها الطلاب، وعلقت الآمال على طلابها.

وفيها انتهى طبع مصحف مكة المكرمة، وكان هذا المصحف قد قام بطبعه شركة من الحجاز، وقام بهذه الفكرة بعض الأدباء، ففوض الأستاذ محمد طاهر الكردي الخطاط، وجرى الاتفاق معه على كتابته، فأكمل نسخه بهمة عالية، وصححته لجنة مؤلفة من بعض أفاضل العلماء بمكة، وبعث به إلى مشيخة القراء بمصر، ثم إنه جلبت له مطبعة كبيرة حديثة من أمريكا فبوشر طبعه في السنة التي قبلها وانتهى في هذه السنة، ولقد سرت الأمة كثيراً بمصحف مكة المكرمة، وبأنه صدر من هذه البلاد المقدسة التي أنزل فيها القرآن لأول مرة، واعتبرت هذه الوثبة التي وثبتها البلاد بهذا المشروع مظهراً رائعاً من مظاهر انبعاث المجد لهذه المملكة.

وفيها في موسم الحج عشية عرفة والساعة في الحادية عشرة تزيد ثلاثين دقيقة أصاب الحجاج وهم وقوف في عرفات مطر ممزوج بحجارة ـ أعني برداً ـ واتفق أنه كان معه ريح شديدة جداً، فتأذى المسلمون بذلك بعدما رجمهم البرد

وعصفت العاصفة، فلم يتمكنوا من ضبط الخيام لتقيهم ذلك، غير أن الله تعالى لطف بالحجاج بأن أقلعت سريعاً، وكان البرد يقدر بعضه بمثل بيض الدجاج.

ومما شوهد من العجائب أن أعرابياً جعل يتمرغ في الأرض ويقول: إلهي ما هكذا تصنع بحجاج بيتك وزوارك، فرحمه من حوله والله أرحم الراحمين.

وفيها في يوم الاثنين ٧ رجب افتتح الملك عبدالله البرلمان الأردني، واستصدر منه قراراً يقضي بضم القسم العربي من فلسطين إلى شرق الأردن تحت تاج الملك عبدالله بن الحسين، وصرح بأن قرار الجامعة العربية الذي صدر في إبريل سنة ١٩٤٨م وقضى بانسحاب الجيوش العربية من فلسطين وتسليم البلاد لسكانها الأصليين أصبح لاغياً.

ولما أن قسمت القدس بين الأردن وإسرائيل وأدركت الحكومات العربية خطر قيام دولة إسرائيل في المنطقة، عملت على التكتل والاتحاد لمواجهة هذا الخطر، فعقدت ميثاق الضمان الجماعي لتقوية أواصر التعاون الحربي والاقتصادي فيما بينها، وقد أصيب أهالي فلسطين من أعمال اليهود الوحشية، وشدة النكاية بهم، ومعاملتهم بأنواع البطش والتعذيب، بحيث لم يرحموا صغيراً، ولم يوقروا كبيراً، ولم يرعوا فيهم إلا ولا ذمة، مع أن اليهود أقل من ذكرهم وأحقر من ذلك خسةً وذلةً مع ما توعدهم الله تعالى به من اللعن وإلقاء العداوة فيما بينهم، والبغضاء إلى يوم القيامة، غير أن الأمور مرهونة لأوقاتها، ولا شك أن هذا الهوان لأهالي فلسطين وإجلائهم عن أوطانهم، وقتلهم وتعذيبهم بأنواع العذاب كله بشؤم الذنوب والمعاصي، كما قص الله علينا في كتابه معاملة بختنصر لبني إسرائيل لما أفسدوا في الأرض وعلوا علواً كبيراً، فأقبل بجنوده حتى نزل بساحتهم وحاصرهم، فنزلوا على حكمه، فحكم فيهم بحكم الجاهلية، وبطش بهم بطشاً عظيماً، فقتل منهم الثلث، وسبى الثلث، وترك الزمنى والشيوخ والعجائز، ثم وطأهم بالخيل وهدم بيت المقدس وساق الصبيان، وأوقف النساء في الأسواس حاسرات، وقتل المقاتلة، وخرب

الحصون، وهدم المساجد، وحرق التوراة، ثم انصرف راجعاً، وحمل الأموال التي كانت في الشام، وساق السبايا، فبلغ عدة صبيانهم الذين سبأ من أبناء الأحبار والملوك تسعين ألف غلام، وقذف الكناسات في بيت المقدس، وذبح فيه الخنازير، ونظر بعض أنبياء بني إسرائيل إلى ما يصنع بهم بختنصر من العجائب وأنواع التعديات فقال مخاطباً ربه تبارك وتعالى بما كسبت أيدينا سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا.

وقال بختنصر لدانيال ما الذي سلطني على قومك قال عظم خطيئتك، وظلم قومي أنفسهم، فهذا مما يخيف الأمة في هذا الزمان، ويبعث الخوف والقلق، وإني لأنصح وأحذر المسلمين من عقوبات الذنوب والمعاصي فإن الله عز وجل يغار فيجب على المسلمين أن لا ينهمكوا في تقليد الأمم الأخرى ويقلعوا عما هم عليه، لأن غالب المنتسبين إلى الإسلام اليوم في أقطار الأرض إلا من شاء الله حدث فيهم الانحلال وخف عليهم أمر دينهم، ولم يتقيدوا بتعاليم الشريعة بحيث سلب ذلك وقارهم وجعلهم ضحكة للأجانب فلا حول ولا قوة إلا بالله، ومن عاش فسوف يرى.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم الأمير محمد الرعوجي، وهذه ترجمته:

هو الهمام التقي الأمير الجواد السخي الكريم، أمير الأسياح، البطل الشجاع، ذو المناقب العلية والفضائل الجلية، أبو زيد محمد بن رعوجي بن زيد ابن محمد بن فهيد بن فهيد بن راشد بن صالح بن ناصر بن قراض بن سعود بن محمد بن جلهم بن روق، ينتهي نسبه إلى الأساعدة من عتيبة، كان يجتمع نسب آل فهيد هؤلاء ونسب آل فوزان في راشد بن صالح، وسمي فهيد باسم أبيه لأن أباه توفي وهو حمل، فسمي باسم أبيه، فيكون فوزان وفهيد أخوين، أما والد الأسرة محمد بن فهيد فهو أمير الأسياح إذ ذاك، وكان له مماليك وخيل،

ومشهوراً بالكرم والجود، فلقد وفد عليه مرة ألف راكب، فقام بضيافتهم وإكرامهم وزودهم بالطعام عند رحيلهم، وله أربعة بنين: زيد وهو الأمير بعده، وعلي، وعبدالعزيز، وعبدالمحسن، فذرية زيد الرعوجي فهد وفيصل.

وأما فهد بن زيد فذريته نائف وتركي وراشد.

وأما فيصل بن زيد فله ابن يدعى حمد بن فيصل، وأما علي بن محمد فأرث بداحاً ومنديلاً.

وأما عبدالمحسن فأرث ناصراً وعبدالله وفهيد ومحمد.

وكان لنائف بن فهد راشد النايف ومنديل ومحمد وفهد وعبدالله.

وكان لتركي بن فهد أيضاً ابنان فهد وراشد، وكان لراشد هذا ابن يدعى محمد الراشد.

أما عبدالعزيز بن محمد الفهيد فله ابن يدعى حمد، ولحمد هذا أبناء يسكنون البرقاء.

وأما منديل العلي فله من البنين مشاري وفهيد ومحمد.

وكان لمنديل بن نائف ابن يسمى صالح بن منديل، وكان رجلاً طيباً مشهوراً بالرجولة، وفيه مكارم أخلاق وتقدم، كما أنه كان لفهد بن نايف ابنان عبدالعزيز وتركي، وكان لراشد بن نايف أولاد منهم عبدالله وتركي وفهد ونايف، وكان لحمد ابن نايف ابن يسمى عبدالعزيز، أما الذين تولو الإمارة منهم: فعبدالمحسن بن محمد، وعلي بن محمد، ومنديل بن علي، وحمد بن عبدالعزيز، ونائف، وتركي بن فهد بن زيد، وكان تركي مشهوراً بالكرم والجود، حتى قال فيه الشاعر:

تركـــي كـــريم وبحجاجــه نــدى　　　حكــام نجــد مــا يلادونـــه[1]

ذكــره هــوى مصــر هــو والحســا　　　والبـــاب عيـــا لا يصـــكونه[2]

رجعنا إلى ذكر الأمير محمد الروعجي فنقول: كان له أخ يدعى ناصر، وكان

---

(1) يلادونه: أي لا يماثلونه في الكرم.

(2) عيا: يعني أبى، ويصكونه: يغلقونه.

محمد فوق ما قيل عنه كرماً وجوداً ورجولةً، ولقد زارني في صحبة الشيخ عثمان ابن أحمد بن بشر، وكان إذ ذاك قاضياً في بلاد الأسياح، وجاء بالأمير للسلام علي وعمري يومئذٍ لا يتجاوز الحادي والعشرين، فرأيت الرجل من أفذاذ الرجال، ومن خيرة أهل زمانه، وكان عاقلاً شريفاً.

ولد المترجم في سنة ١٣٠١هـ ونشأ على العفاف والسخاء، يطعم الطعام، ويتصدق على الفقراء، ويحنو على ابن السبيل، ويساعد المحتاجين، ويحب أهل الدين، ويميل إليهم، ويمقت الشر وأهله، فأما عطفه على الفقراء والمحتاجين فحدثّ ولا حرج، وكان محترماً في قومه وعشيرته.

ونورد قصة تدل على عطفه وإحسانه، وماله من الأيادي الجميلة، فإنه لما كان في المسغبة التي وقعت في سنة ١٣٢٧هـ ركب حصانه في إحدى الليالي من آخر الليل لحماية زرعه من السرقة فوجد أربعة من الرجال قد دخلوا في الزرع وأكلوا ما حواليهم من السنبل لما هم فيه من شدة الجوع، فلما رأى حياضاً في وسط الزرع خالية من النبات أقبل عليها يهتدي بنور القمر، فوجد أولئك البؤساء، فخجلوا لما رأوا الأمير وقالوا هذا الرعوجي فكيف نصنع؟ ووجموا وسكنت حركاتهم خوفاً منه، فلما رأهم بهذه الصفة رق لحالتهم وسكن روعهم وتكلم قائلاً: يا أولادي خذوا لأولادكم فأنتم مني في حلّ، خذوا وأكثروا، اللهم ارفع ما أنزلت بالمسلمين وارحم ضعفهم، لا بأس عليكم يا أولادي، فنزع كل واحد منهم ثوباً من ثيابه وملأه سنبلاً وذهبوا يحملونه على رؤوسهم إلى أهاليهم، وكثيراً ما يمنح الضيف إذا ارتحل عدل بر لأولاده، وله مناقب كثيرة.

ولما مات خلفه في الإمارة ابنه زيد بن محمد.

وممن توفى في هذه السنة من الأعيان رجل الدين والعلم والفضل الشيخ محمد ابن مقبل رحمة الله تعالى عليه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم الزاهد، ذو الصدق والمعرفة، الرزين الألمعي، محمد بن مقبل ابن علي آل مقبل.

كان المترجم ابن أخي الشيخ سليمان بن علي بن مقبل قاضي بريدة منذ مائة

ستة في أيام عبدالعزيز بن محمد بن عليان، ولد المترجم سنة ١٢٨١هـ، فيكون له من العمر سنة وفاته ٨٨ سنة قضاها في طاعة الله وعبادته، فنشأ في طلب العلم، وجدَّ واجتهد، وكان يتردد إلى قرية المريدسية المشهورة في القصيم من قرى بريدة للأخذ عن الشيخ الزاهد عبدالله بن حسين حيث يعلم فيها بصفته يدرس، وتخرج عليه طلاب كثيرون، فكان الشيخ محمد يعمل في فلاحته ويأكل من كسب يده، فإذا ذرى زرعه في البصر والمنسي في فصل الربيع فإنه ينحدر مسافراً من البصر إلى الريدسية لطلب العلم، وكان يصحبه زميل له يدعى رشيد آل إبراهيم بن محيميد، فيأخذون في الدراسة لدى الشيخ المذكور، فأما المترجم فإنه لا يرجع إلا إذا يبس التمر في رؤوس النخل وقت الصرام إذا حلت الشمس في برج الميزان.

وأما رشيد بن إبراهيم فإنه يرجع في آخر نهار الخميس ليؤم جماعة أهل البصر في صلاة الجمعة، ثم يعود من آخر النهار.

أما مشايخ المترجم: فإنه أخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن سليمان العريني، وكان عالماً من علماء القرية، غير أنه خامل الذكر، وأخذ عن الشيخ الزاهد الورع عبدالله بن محمد فدا، وذلك في حال إقامته في المريدسية أيام آل رشيد، وناهيك به علماً وعبادةً وزهادةً، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن حسين آل أبي الخيل، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكان من زملائه صالح اللهيمي وعبدالعزيز بن عودة السعوي، وسليمان بن ناصر السعوي، وأخذ عن المترجم خلائق كثيرون:

فمنهم الشيخ عبدالعزيز بن سبيل، وآل حديثي، وأخذ عنه ابنه صالح بن محمد ابن مقبل، ودرّس في البكيرية بعدما توظف في قضائها، ودرّس في البصر، وتولى الخطابة فيها، وتخرج عليه طلاب كثيرون، وكان يحب عدم الشهرة، ولا يحب الجاه والرئاسة.

ولما توفى قاضي مقاطعة القصيم الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن سليم، رغب الأهالي وذوو الحل والعقد في أن يكون خلفاً عنه، وساروا إليه من

بريدة يطلبون منه أن يجيبهم إلى ما رغبوا، فرفض وأبى ذلك، فرفعوا إلى صاحب الجلالة الملك خطاباً يطلبون منه أن يتولى قضاء المقاطعة، فبكى واعتذر بكبر سنه، ففاز بالعافية، ولما أن ولاه ابن سعود قضاء البكيرية سنة ١٣٤٧هـ أمر وكيل مالية بريدة أن ينفذ له ثمانمائة صاع بر وألفي وزنة تمر، وألف ريال سنوياً، فأبى أن يقبلها وقال لوكيل المالية: ابقها في المالية حتى أحتاج إليها، أما اليوم فإنني بغنى عنها، وأبى أن يقبلها، وحج فعلم الملك عبدالعزيز بقدومه، فبعث إليه بكسوة وأمره أن يأتي إليه للسلام عليه، فرد الكسوة وجاء صباحاً للسلام على جلالته، فقال له: نفرش لك بيتاً ونؤثثه، فأبى واعتذر بأنه هناك بيت وكل ما يشتهي، فهو عنده، فطلب منه الملك أن يبعث إليه بناقة ليشرب لبنها فقبل، غير أنه لم يتناوله بل كان يشربه أصحابه.

وكان إذا سمع تلاوة القرآن أمر القارئ أن يتدبره، وصلى فقرأ بأصحابه في العشاء الآخرة سورة عم والنازعات فسقط مغشياً عليه رحمه الله.

وممن توفى أيضاً فيها من الأعيان صالح شطا رئيس مجلس الشورى في النيابة، كانت ولادته سنة ١٣٠٢هـ، ودرس بالمسجد الحرام، وله رحلات متفرقة بين الأقطار، عاد في أعقابها إلى بلاده، ونفي في عهد الحكم السابق، ثم عاد حين تسلسل في وظائف حكومية عالية، منها: إدارة المعارف، وآخرها رئاسة مجلس الشورى بالنيابة، وله عديد نافع من المحاضرات والتهميشات والمقالات الروائع، وكان صريحاً ومثال التضحية والإخلاص والنشاط، ويعتبره أهل الحجاز من أجلة العلماء، لذلك يلقبونه السيد صالح، ويعتبرونه علماً من أعلام البلاد، حتى قالت إحدى الصحف: أنه كان ملئ السمع والبصر روحاً ونشاطاً وتفكيراً وحيويةً، مما جعله محل التقدير الخاص والعام، ومحل رضاء الملك عبدالعزيز وآل بيته، وإعجاب الشعب على اختلاف طبقاته.

ذلك لأنه كان يعمل على ما يحقق للعروبة عزها، وللإسلام قوته، وكان أوفر ما يكون نشاطاً وصفاء ذهن في سنواته الأخيرة، بل حتى يومه الأخير.

وقد روى عنه أنه لما كان في يوم الاثنين ٢٨ صفر كان على عادته يصرف أعمال المجلس ويدير جلساته، وظل حاله هكذا طول يومه، حتى إنه كان يستعد للنزول إلى جدة في ليلة الثلاثاء لإذاعة حديثه من محطة الإذاعة اللاسلكية، ولكن الموت الذي هو غاية كل مخلوق عاجله بعد أن أدى صلاة المغرب، فأصيب بسكتة قلبية، وشيعت جنازته في الساعة الثالثة والنصف من صباح يوم الثلاثاء آخر صفر، وكان خروج روحه قبل أن تتم الساعة الواحدة بدقائق من الليلة المذكورة، فرحمة الله على أموات المسلمين، وإنه ليؤلمنا كثيراً أن نفقد رجال الدين ورجال الأعمال الذين كانوا مثالاً في الإخلاص والعلم والمعرفة، فتصاب الأمة بمصيبتهم، وينهدّ ركن من أركان الشعب بموته، نسأل الله تعالى أن يسدد الأحياء ويرزقهم العلم والمعرفة والبصيرة.

وممن توفى فيها أمير الكويت أحمد الجابر بن مبارك بن صباح، وكان موته طبيعياً، وهذه ترجمته:

هو الأمير شيخ الكويت وحاكمها أحمد بن جابر بن مبارك آل صباح، ولد في الكويت في رأس القرن، وكان كاتباً قارئاً متواضعاً يعالج الأمور باللين والحكمة، بعيداً عن العنف وسفك الدماء، يميل إلى الاقتصاد، ولديه ثروة، وكان متأدباً واسع الاطلاع، ربعة القامة، حنطي اللون، ممتلئ الجسم، كث الشعر، بهي المنظر، جذاب الملامح، يلبس الملابس العربية ويضع العقال على رأسه، ويتدثر بالعباءة، ويتمنطق بخنجر في وسطه، ويضاف إلى ذلك أنه كان يرقب سير الحركة الأدبية والعلمية والسياسية في الشرق العربي عن كثب، ويقرأ الكتب والصحف معجباً بالمدنية الأوربية، ميالاً إليها.

ولما حج للمرة الأولى في ١٣٣٦هـ أكرم الحسين وفادته ودعته الحكومة الإنكليزية على أثر ختام الحرب العظمى، وهو ولي العهد، فسافر إلى زيارة عاصمتها لندن، وبلغها في شهر صفر ١٣٣٨هـ، وأهدى إلى ملك الإنكليز حصاناً عربياً، وسيفاً وخنجراً مذهبين، فقبل الإمبراطور هديته شاكراً، كما سافر إلى مسقط والرياض وغيرها، ولما نعي له وفاة عمه سالم في شهر رجب ١٣٣٩هـ وهو في نجد

عاد إلى الكويت وتقلد زمامها، وكان هو التاسع من آل صباح الذين تتابعوا على إمارة الكويت، فأولهم الشيخ عبدالله بن صباح وهو مؤسس البيت، ثم ابنه جابر فصباح، فعبدالله، فحمد، فمبارك، فسالم، وأصلهم كانوا من ربيعة، ولقد كانت الحكومة في زمن جدهم الأعلى صباح عبارة عن بيوت صغيرة حقيرة لبني خالد، وما زالت في زيادة حتى عظم قدرها، ومن خصاله التي يحمد عليها أنه قد حافظ في كل مساء على أن يوافيه أحد شيوخ الدين فيتلو دراساً في الفقه أو الحديث والعلوم الإسلامية، فيستمع إليه مع من يكون هناك من ضيوفه وزواره حتى أذان العشاء الأخيرة، ويسكن قصر دسمان الذي يقع على ثلاثة كيلوات من الكويت، وقد أثثه بكل الوسائل الجالبة للراحة، وجهزه بالأثاث الفاخر الحديث، وقد أنير بالكهرباء القوي.

وكان صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ملك المملكة العربية السعودية يعجب بأخلاقه، وقال له مرة حينما التقيا: أنا سيف مسلول بيدك، فاضرب به كما تشاء.

سليمان بن علي الوهيبي

كان قد ناهز التسعين من عمره وقضى جزءاً كثيراً من عمره في طاعة الله وحده، ولازم وظيفة الأذان في أحد مساجد بريدة ثلاثين سنة، وكان ذا أصل عظيم في التوحيد، محباً لأهل الدين، وقد جدَّ في طلب العلم، بيد أنه لم يحصل على كثير منه، وقد لازم الشيخ عمر بن محمد بن سليم وخدمه قدراً من عشرين سنة، وكان مكباً على دراسة القرآن، فما كان يتخلى عن التلاوة ويعتكف في العشر الأواخر من رمضان على الدوام، ومن عادته أنه كان يلبس عمامة ليلة أحدى وعشرين منه، ثم يكب على المصحف، فيعجب كل من يراه من كثرة اجتهاده، وسيلقى ما قدمه موفوراً له، وكانت وفاته في ٧ جمادى الأولى، فرحمة الله عليه، ونسأله أن يتغمده برحمته ويسكنه بحبوح جنته، وكان عابداً مجتهداً.

ومن غرائب ما وجدت منه: أنه يتوكل على ربه في أمر معيشته، ويلهج بقول

بعض السلف الصالح: والله ما أبالي لو كانت الحبة بدرهم، وقول بعض السلف أيضاً عن أمر المعيشة، وأن الله تعالى هو الرزاق لخلقه منه الثمن والمثمن.

وفيها وفاة رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بريدة رجل الدين والخير عبدالعزيز بن علي بن مقبل، وذلك في ٢٠/ ١١ من هذه السنة، وكان قوياً مهاباً جداً.

وفيها في شوال وقعت حريقة في جدة وكادت أن تهلك ما مرت عليه في البلد لولا عناية الله جلت عظمته، فسخر أطفائها على أيدي أناس من الأمريكيين، واستعملوا أشياء لإطفائها، وفي الشهر أيضاً نزل على مكة المشرفة خريف كاد أن يغرق أهلها.

وفيها حصل انقلاب في سوريا واستعملت لذلك الأسلحة، وقتل بعض الزعماء.

وفيها قدم ملك الأفغان لزيارة رسمية للمملكة العربية السعودية، واستقبل استقبالاً يليق بفخامته، وعاد بعد الزيارة إلى وطنه، ويؤمل من هذه الزيارة عقد الأخوة بين ملوك الإسلام والعرب للنظر في أمور السياسة.

ثم دخلت سنة ١٣٧٠هـ

استهلت هذه السنة وعمال الشركة يدأبون في التنقيب عن المعادن في المملكة العربية السعودية من ذهب وفضة، وسائر المعادن والبترول، وحصلت على قدر عظيم من ذلك وأصبح الظهران وما يله من البلدان كالدمام والخبر ورحيمة وغيرها قد امتدت عمارتها وغمرتها الخلائق من كل حدب وجهة، فملأوا تلك الأراضي التي كان مستقبلها لا يزال في ازدهار وتقدم ونشاط، وذلك لما قام بتلك المقاطعة من المصالح الدنيوية، حتى رتعت بحلل الثقافة والرقي، وإن بلاداً يستخرج منها البترول بأنواعه بكثرة لجديرة بالتقدم، ولقد استطاع وزير المالية عبدالله بن سليمان بن حمدان خلال العشر سنوات أن يفيد المملكة امتيازات شركة أرامكو، فجنى بها من الأموال ما لم تكن تنتظره، وأنفق معظمها، ولا يزال على المشاريع العمرانية والاجتماعية والصحية، على

إعداد الجيش القوي محققاً في ذلك النهضة الأولى في جزيرة العرب، تلك النهضة التي أسسها جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود سيد الجزيرة عندما اكتشف البترول لأول مرة في الظهران تقدمت لاستثماره شركات بريطانية وأمريكية، فقال ابن سليمان، إن من يعطي شروطاً أفضل يمنح له الامتياز، وتقدمت بهذه الشروط أمريكا فمنحت الامتياز، وعندما تفجرت تلك الثروة من الأرض فأحالت التراب ذهباً طلب الوزير عبدالله بن سليمان إلى الشركات الأمريكية تعديل شروط الامتياز، فعدلها أولاً وثانياً حتى بلغت ميزانية الدولة لهذا العام سبعمائة وسبعة وخمسين مليوناً.

ذكر وفاة وزير الدفاع منصور بن جلالة الملك عبدالعزيز

ففي اليوم ٧/٢٤ توفي الوزير، وهذه ترجمته:

هو الأمير الكبير والعلم الشهير صاحب السمو الملكي منصور بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه، الشاب الأديب المثقف الألمعي، طيب الذكر، القائد العظيم، الماهر في القيادة.

ولد رحمه الله في سنة ١٣٣٨هـ، وكانت أمه تركية، وقد أعجب به والده وأولع به لما يتفرسه به من المؤهلات، ولقد صدقت فراسة والده به، وكان عند حسن الظن، فظهر مظهراً رائعاً في البطولة والسياسة وحسن التدبير، وله ذوق طيب في الآداب، وكان ذكياً إلى حد بعيد، حتى أنه ليدرك الأمر الصعب البعيد بالبداهة في لمح البصر مالا يدركه غيره، كريم النفس، وكان يشبه أباه الملك في وثاقة التركيب وقوة البنيان، وارتفاع الذرى، وكان قائداً حربياً مولعاً بالفنون العسكرية والمخترعات الحديثة، طموحاً وثاباً حتى وصل إلى غاية بلغت به أن أسند إليه أبوه وزارة الدفاع لتمام كفاءته في إصلاحها، والسير بها إلى الأمام والتقدم، فهو خبير بآلات الحرب الحديثة من دبابات وطائرات ومدافع، وأسلحة، حتى أن القادة البريطانيين وعلى رأسهم القائد الشهير أوكنلك

أعجب بعبقريته وكفاءته ومؤهلاته الحربية والعسكرية حينما زار الصحراء العربية في هذه الحرب.

وما زال يدرب من وكل إليه أمرهم من النود تدريباً فنياً جيداً حتى أصبح الجندي السعودي، له شأن عظيم لا يفقد شيئاً من أمور البطولة والشجاعة، وان وجود قائد كمنصور على وزارة الدفاع بهذه البراعة ليؤذن بتقدم الجيش السعودية وقوته، وإنه يبلغ مبلغاً طيباً، ولا ريب عند أهل المعرفة أن وفاته هدّ عظيم في جانب هذه المملكة، ولقد حزن عليه والده وبكاه، وتأثر لموته، وأصيب به المسلمون، وخسرته الحكومة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله وما شاء فعل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولقد أسس مساجد، وطبع كتباً على نفقته، وقام بمشاريع عظيمة، غير أن المنية لم تمهله يعمل ولا يكمل، فيا للفادحة الكارثة، ويا للرزء الكبير، ولقد أمر صاحب الجلالة الملك بتنفيذ جميع ما أسسه إكراماً له، ومساعدة لأعماله الخيرية التي قام بها، وما زال يتقدم بالجيش حتى أصيب في هذه السنة بمرض مخوف، فبعث به والده الملك إلى باريس للمعالجة، ولما قدمها لم يفد فيه العلاج شيئاً، بل اشتد ألمه، وبعد ذلك خرجت روحه هناك، وكان قد أوصى والده بوصيتين حينما أراد الذهاب وأحسَّ بأن المرض قد أجاه، وخشي أن لا يرجع أوصاه بأولاده، ثم أوصاه أن يهتم بقوة الجيش وإعداد السلاح، وقال إن الحكومة هي الجيش، فبقوته تقوى الحكومة، ولما توفاه الله تعالى هناك دعى والده بجثمانه إلى المملكة ليأنس بقربه للزيارة، فأتى به وجهز وصليَّ عَليه ثم دفن في الطائف.

ولقد حرصت حال وضع ترجمته على إثبات قصيدة رثائية لهذا القائد العظيم فلم أجد شيئاً، ولولا ضيق الوقت لأتينا بمرثاة تعدد شيئاً من مناقبه وأخلاقه.

ونبرز هنا كلمته التي ألقاها في استقبال القوى السعودية المجاهدة في فلسطين بعد أن أدت واجب الجهاد في تلك الأرض المقدسة، ثم قدمت في الشهر الخامس من السنة المتقدمة، فوافاها في ميناء جدة على رأس كثير من

رجال الجيش وأعيان البلاد، ورؤساء الدوائر والوجهاء، وأساتذة المدارس، ورجال الكشافة، وعمد المحلات، وهي هذه:

أبناء وطني العزيز، حضرات الضباط والجنود، أيها المجاهدون الأكرمون، إنه ليملأ قلبي سروراً حين أحييكم جميعاً وأحيي فيكم روح الشجاعة وروح التفاني لحماية الوطن، والذود عنه، عن هذه القلوب من أبناء الوطن التي احتشدت لتحي المجاهدين في سبيل الله لتوحي إلي وإلى هذا الجيش الذي أتشرف بإدارة أمره بروح الاعتزاز والفخر، وتبعث في نفوسنا روحاً وثابة للعمل في تنظيم قواتنا وإعداد عدتنا للدفاع عن هذا الوطن المقدس، إن الجيش هو سياج الوطن وهو بعد الله حامي حماه، والجيش ليس إلا مظهراً من مظاهر الأمة، وهو عنوان مجدها وفخارها التي لا يكون الجيش مفاخراً لنفسه إلا إذا رأى الأمة بشبابها وكهولها وشيوخها تمده بأكبادها وقلوبها، لقد انبثقت قوة الإسلام من هذه البلاد المقدسة، ففتحت المدن والأمصار وشباب اليوم هم نسل آباء الصدق الذين خلقوا لهذه الأمة ذلك التراث العظيم من المجد والفخار، ولا ينقصنا للوصول إلى ما وصلوا إليه إلا صدق العزيمة للسير على الطريق الذي ساروا عليه.

أبناء وطني، أمامنا مستقبل حافل بالأحداث، ومن لا يكون ذئباً أكلته الذئاب، وإني أنتهز هذه الفرصة السعيدة فأدعو جميع من يستطيع من أبناء وطني الإنخراط في سلك الجندية لحفظ كيان البلاد والدفاع عن السلام، ولنأمن على أنفسنا في أوطاننا، نحن لا نريد العدوان على أحد، ولم نكن يوماً ولله الحمد من المعتدين، إنني أنتهز هذه الفرصة لأشيد بالمساعدات العظيمة التي لقيها جند مولاي الملك عبدالعزيز من عطف ورعاية حباها به جلالة الفاروق ملك مصر، وكذلك المساعدات العظيمة التي لقيها من حكومة مصر وشعبها، وإن الصلات التي توثقت بيننا وبين مصر حكومةً وشعباً واشترك فيها الدم القاني في سبيل غاية واحدة في السراء والضراء كالبنيان المرصوص تعمل لخير

الإسلام والعرب، ولنصرة مبادئ الجامعة العربية، وفي الختام أسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير لأمتنا، ولتقوية جيشنا المحبوب في ظل قائدنا الأعلى جلالة الملك عبدالعزيز ومعاضدة سمو ولي عهده، وأن يديم نصره وتأييده لرفع كلمة الإسلام والمسلمين والعرب.

ولما زار المترجم منصور بن عبدالعزيز القوات السعودية المجاهدة المرابطة بالسويس أنشأ هذه الأبيات تحيةً له الأستاذ محمد سعيد بابصيل عضو البعثة السعودية بمعهد مصر للطيران:

العيـــد في رؤيـــاك أكـــرم وافـــد ... يـــا قلـــب فاهنـــأ بـــالأمير الوافـــد
ســـعدت بلقيـــاه العيـــون وطالمـــا ... ســـعت القلـــوب إليـــه ســـعي مجاهـــد
منصـــور قـــد زرعـــت يـــداك أمانيـــاً ... للناشـــئين فكنـــت أكـــرم حاصـــد
فلكـــم أيـــادٍ حملـــت بمفـــاخر ... غـــرٍّ وأخـــرى طوقـــت بمحامـــد
أنت الذي بعـث البعـوث فكنـت في ... إيفادهـــا للمجـــد أصـــدق رائـــد
منصـــور فعـــل محنـــك ومســـود ... لخطـــي موفقـــة ورأي ســـائد
قـــدت النفـــوس بحكمـــةٍ ورويـــةٍ ... لا بـــدع ذلـــك فعـــل أعظـــم قائـــد
لهفـــي عليـــك وفي يمينـــك رايـــةٌ ... تـــدعو لخـــير مناهـــلٍ ومقاصـــد
لهفـــي عليـــك وفي اعتزامـــك صـــرخة ... دوت بأقـــدس جـــامعٍ ومعابـــد
تهفـــو إليـــك قلوبنـــا وعيوننـــا ... والله في الحـــالين أعظـــم شـــاهد
فلـــو النجـــوم الزهـــر تســـعى بيننـــا ... لنظمتهـــا لعـــلاك خـــير قلائـــد
ســـلمت يـــداك وعـــدت فينـــا ســـالماً ... روحي فداك على المـدى وقصـائدي

وقال الأستاذ محمد فدا عضو البعثة السعودية:

منصـــور اسمـــك في الـــوغى ... لحـــن يـــردده الجنـــود
منصـــور اسمـــك نشـــوة ... تســـري فتضـــطرم الجهـــود
لـــك في البطولـــة آيـــة ... يفنـــى الزمـــان ولا تبيـــد
مـــا أنـــت بالرجـــل الغلـــيظ ... ولا بـــذي الطبـــع العنيـــد

أوتيــــت قـــــدرة طـــــارق ومـــــؤهلات ابـــــن الوليـــــد
عـــــش للعروبـــــة حاميـــــاً للـــــدين والـــــوطن المجيـــــد

ومن كلام الأمير منصور الذي حفظ عنه وخلد ذكره قوله:

أمنيتي في الحياة أن أخدم مليكي وبلادي وأمتي خدمة حقة، وأن أعمل في سبيل عزة الإسلام ومجد العروبة، وأسير على نهج والدي، وأنهض بالجيش السعودي.

ولما أن توفاه الله وانتقل إلى رحمته جعل الأمير مشعل بن عبدالعزيز وزيراً مكانه في الدفاع، وزوده والده الملك بوصايا، وحثه على أن يسير بالجيش على خطة منصور حتى كأنه لم يمت.

وفيها وفاة خطيب المسجد الحرام الشيخ أبي السمح محمد عبدالظاهر في عهد جلالة الملك عبدالعزيز، وكان أبو السمح شيخاً فاضلاً، ذا علم ودين، وله بعض مؤلفات تدل على تمسكه بالدين والميل إلى السنة، وكان مصرياً، وقد تولى إمامة مسجد أبي هاشم بالرمل، فكان فيه إماماً وخطيباً وذلك في الإسكندرية، ومن أبياته الحسنة قوله في قصيدة البائية التي بينت من عقيدته وما يدين الله به:

فيــا داعيــاً غــير الإلــه وعاكفــاً على القبر تشكو ما عـراك وتنـدب
ألــيس إلــه العــرش للعبــد كافيــاً كفــيلاً بمــا يرجــوه منــه ويرغــب
ألــيس هــو الــرب اللطيــف بخلقــه فمــن غــيره للخلــق أدنــى وأقــرب
ومــن مثلــه حــيٌ سميــعٌ لمــن دعــى قــديرٌ علــى إعطــاء مــا منــه يطلــب

إلى أن قال:

وحــب رســول الله أرجــى وســيلةٍ وأعظــم قربــى للــذي يتقــرب
ويشـفع يـوم الحشـر في النـاس كلـهم كمـا صـح في الأخبـار يـروي ويكتـب
فيســجد تحــت العــرش لله داعيــاً بكــل خضــوعٍ يقتضــيه التــأدب
فبـإذن رب الخلـق في الفصـل والقضـا وسِــيقَ إلى النــار الغــواة فكبكبــوا
وقـام علـى الحـوض الشـريف نبينـا وطــار إليــه النــاس عطشــاً ليشــربوا

وكان قد تولى إدارة دار الحديث في مكة المشرفة، وقد رأيته غير مرة في

مكة المشرفة زادها الله تشريفاً، وجالسته وحادثته، فكان رجلاً عاقلاً أديباً، ذا بشاشةٍ وتواضع، رزيناً له لحية كثة بيضاء قد أعفاها، ممتلئ الجسم، بهي المنظر، وقد يجلس على كرسي في الحرم الشريف للوعظ، ولكلامه وخطبته وقراءته وقعٌ عظيم في النفوس، وتطمئن إليها، فنسأل الله أن يتغمده برحمته ويسكنه في جنته، وقد حظي لدى جلالة الملك عبدالعزيز واختصه لهذه الوظيفة، فقام بها خير قيام.

ذكر مصرع الملك عبدالله

كان لقتل الملك عبدالله أسباب، وذلك بأنه دعى لديه رئيس الوزارة اللبنانية رياض الصلح، وكان الملك عبدالله لما مرَّ ببيروت في طريق عودته من تركيا، لم يكن رياض الصلح في استقباله، فقيل له أن رياض الصلح وهو خارج الوزارة لم يشأ أن يفرض نفسه على استقبال رسمي يقام للملك عبدالله، فقال: إني أريد أن أراه لأمر هام، وكان رياض الصلح يستجم في برمانا، ولما علم الملك عبدالله أنه خارج بيروت طلب إبلاغه بضرورة الذهاب إليه في عمان، واتصل رياض الصلح تليفونياً بالملك عبدالله في قصر الرغدان يشكر له اهتمامه بالسؤال عنه، وقال له الملك عبدالله: إني أريدك في أمر هام، فتعال عندي غداً، واعتذر رياض الصلح بأنه لا يستطيع، وضرب الملك موعداً آخر، ثم ضرب الملك موعداً ثالثاً يحل في ليلة القدر، وقال لرياض الصلح في التليفون: أريدك أن تقضي معي ليلة القدر، واعتذر رياض بك وقال للملك: هل يأذن لي سيدنا في أن أجيء في العيد بدلاً من ليلة القدر؟ ووافق الملك عبدالله، ولما أن كان في يوم العيد اتصل رياض الصلح بقصر رغدان يعتذر للملك عبدالله ويرجو منه تأجيل موعده مع جلالته أسبوعاً.

ولما أن أراد السفر على مضض قال لمن حوله: الواقع أني لا أعلم لماذا يريدني الملك، ولكني خجلت من إلحاحه، ومع أني غير مستريح إلى هذه

السفرة فإني سأذهب، ولما أن قدم على الملك عبدالله كان أول عبارة قالها الملك له:

والله ما كرهتك قط برغم كل ما مرَّ بيننا من خلافات ومن تباعد في بعض وجهات النظر، وعلق الملك على صدر رياض الصلح أرقى وسام أردني وقال له: أمنيتي أن تحمل هذا الوشاح في جميع الحفلات التي تحضرها، وقال رياض بك: سيزين هذا الوشاح صدري طوال عمري يا صاحب الجلالة، فرد عليه الملك بقوله: بل إن صدرك هو الذي سيزين الوشاح يا رياض بك.

ولما أن كان في ساعة الوداع قال له الملك عبدالله: بالله يا رياض بك ابق معي لنصلي الجمعة معاً في المسجد الأقصى، فأجابه شكراً يا سيدنا، لا بد أن أعود اليوم إلى بيروت، لقد ارتبطت بحضور جلسة مجلس النواب يوم الأربعاء لأتكلم في مسألة هامة، ولما افترقا من الوداع اتجه رياض الصلح إلى فندق فيلاديفيا، ثم إلى طريق مطار عمان حيث كان الموت يتربص له، وبينما هو يسير بسيارته على مهل وفي رفقة سيارة أخرى تحرسه، ومعه بعض رفقته إذ تقدمت فجأة سيارة خضراء قد أطلقت أبواقها، فأعطاها سائق السيارة الطريق، ومشت بين السيارتين في وقت تحقق الريب منها مرافقوا سيارة رياض وهموا بصدها، ولو أثر ذلك تصادماً لكنها أطلقت الرصاص على سيارة رياض الصلح، واستمرت في سيرها، أما سيارة الرئيس فقد وقفت وأقبل عليه أحد الذين معه يكلمه فإذا به لا يجيب، وإذا بالرصاصة الثانية قد أصابت رفيقه.

أما هو فإنه أصيب بالرصاصة الأولى ودخلت في قبله فلم يتحرك من مكانه، ولما نزل بعض حراسه مهرولاً من السيارة الثانية وجد جليسه ملقى على أرض السيارة يتلوى، ورياض الصلح جالساً ووجهه ملوث بالدم، وعيناه مغمضتان نصف إغماضة، فأخذه على صدره يصيح للسائق أسرع به إلى المستشفى، ولم يكد يكمل كلامه حتى سال دم أسود من فم رياض الصلح، ثم تدلى لسانه من فمه وشرع بقية حراسه يطاردون القاتلين.

وكان قتله في تمام الساعة الرابعة والربع من يوم الاثنين ظهراً الموافق ١٣ شوال من هذه السنة، ولما جرى ذلك ذهب أحد رفقته يخبر الملك عبدالله بن الحسين في قصر الرغدان، ولما وقف أمامه وأخبره بما دبر من الكيد له نهض واقفاً يسأل ماذا جرى؟ فأجابه بقوله أطلقوا الرصاص على رياض الصلح، فتكلم مذهولاً من هم؟ وصاح وهو يخبط يديه ويشد شعر لحيته هاتوا السيارة، أريد أن أذهب، وصاح بياوره ها الفرد؟ هات المسدس؟ ثم أخذ ينادي بعصبية وبدون وعي: يا حرس؟ يا حرس؟ هاتوا السلاح واتبعوني، وجعل يقول وهو يشد شعر لحيته ويضرب كفاً بكف: ظلموك يا رياض، ظلموك يا رياض، ثم ركب الملك سيارته وخرج يبحث بنفسه عن المستشفى الذي نقل إليه جثمان رياض بك، ثم علم أخيراً أنه المستشفى الإيطالي، وتقدم الأطباء من الملك يعزونه، وكان التأثير قد بلغ به مبلغاً شديداً، فصاح في الأطباء وهم يعزونه: ضعوه في سيارتي، فوضع فيها وانطلق عبدالله بن الحسين عائداً بجثته، ثم جلس بجوارها في صالون القصر يصلي ويبتهل.

ثم قام يباشر التحقيق سائلاً رئيس الديوان الملكي فرحان الشبيلات أنه يجب أن يتضح الحق، وجعل يقول: كان الرجل عزيزاً علي، وكان ضيفي، وجعل يقول: لقد ألححت عليه أن يبقى هنا ليصلي معي الجمعة في المسجد الأقصى، ولو أنه قبل رجائي ما قتلوه، ولقد قبض على قاتلين فأصيبا بالرصاص وقتلا وحصل الثالث على الفرار وشدد في طلبه، حتى قام ألف جندي يحاصرونه.

ثورة في بيروت

لما قتل رياض الصلح كانت المظاهرات فيها لا تزال هائجة تهدر كالأعاصير صائحة، وكان الشعور في لبنان جامحاً ضد الملك عبدالله، وكان هناك من يمضي به الجموح إلى حد القول بأن رياض الصلح دعي إلى عمان لكي يقتل، فقد كان من المستحيل التخلص منه وهو في بيروت، على أن بعض

المعتدلين في بيروت يقولون أن عبدالله بن الحسين بريء من دم رياض الصلح، بل كان ضحية الذين دبروا المؤامرة، وأنهم هؤلاء المجهولين هم الذين ألقوا في ذهن جلالته فكرة دعوة رياض الصلح إلى عمان، ولكن هنا من يقول: لماذا دعا الملك عبدالله رياض الصلح إلى عمان؟ ولماذا ألحَّ عليه في الدعوة، وصمم على أن يذهب إليه رياض الصلح؟

ولما أن أحسَّ الملك عبدالله أن الكثيرين في بيروت ينظرون إليه بريبة سأل رئيس الوزارة سمير الرفاعي على أثر عودته من بيروت، هل يتهمونه بأنه دبر مقتله؟ ففهم أن الذين يوجهون هذا الاتهام قلة، ولا يعتد برأيهم، ولكن هناك كثيرون يقولون أنه حدث تقصير في حراسة رياض الصلح في عمان، وخصوصاً وقد كان من المعروف أن الحزب السوري القومي قد رتب أن يقتل رياض الصلح ثأراً لإعدام أنطون سعادة، ذلك بأن أرملته ظنت أن رياض الصلح هو المسؤول عن إعدام زوجها المذكور، وأقسمت أن تثأر له، وكانت هي إحدى الأيادي التي حركت المؤامرة لقتل رياض.

فتبين الملك عبدالله أن الشعور في لبنان ضده قد ازداد جموحاً، وأن الجماهير الثائرة تطالبه برياض الصلح تطالبه بأن يرده لها سليماً على الأقل كما دعاه إليه سليماً، وقد اتصل مسؤول رسمي في الحكومة اللبنانية بقصر الرغدان وقال: لقد علمنا أن جلالة الملك عبدالله يريد أن يرسل ابنه الأمير نايف في صحبة جثة رياض الصلح، ونحن ننصح أن لا يجيء الأمير إلى بيروت لأن الرأي العام هائج.

وأصدر الملك عبدالله أمره إلى ابنه نايف بأن يبقى في عمان، وحدث بعد ذلك أن رافقت جثمان رياض الصلح إلى بيروت بعثة شرف، ولكن المسؤولين اللبنانيين نصحوا البعثة بأن تعود على الفور، وان لا تبقى في بيروت ولا دقيقة واحدة، وعادت البعثة.

ثم اتصل الملك عبدالله مرة أخرى ببيروت يقول: ثقوا أن المصاب الوحيد في هذا الحادث هو أنا، لأنه بالإضافة إلى إيثاري لرياض الصلح فقد خرَّ صريعاً في

سيارتي الخاصة، وفي بلدي، وفي ضيافتي، وهذا أمر ماس بشرفي، ولقد وقفت علية الصلح كبرى بنات رياض الصلح في المسجد أثناء الصلاة على والدها بعدما أبدت أسفاً شديداً، وجزعاً مهلكاً فقالت: لي كلمة واحد:

لقد أعطاكم أبي الاستقلال، فأعطوه الثأر، فهاجت بيروت وارتفع هدير الآلاف المؤلفة أمام المسجد الذي أقيمت فيه الصلاة: يا عبدالله وين رياض ... يا عبدالله وين رياض ...، ثم أقسمت علية الصلح ابنة رياض الصلح لتثأرن لوالدها حتى جعل يقسم أهل المعرفة أنه سيقتل الملك عبدالله قبل أسبوع.

ولما وقع سؤال لبعض أولئك المشنعين، هل تتهم الملك؟ قال: لا أعلم ولكن رياض الصلح ذهب في ضيافته، وفي ضيافته قتل، وجعل لبنان كله يتوقع قتل الملك عبدالله قبل مقتله بأربعة أيام، يا عبدالله وين رياض ... يا عبدالله وين رياض.

صفة قتل الشريف عبدالله

لما دخل الملك عبدالله ليؤدي فريضة الجمعة في المسجد الأقصى في ١٦ شوال قبل الأذان بعشرة دقائق، امتدت يد من وراء باب البهو الثاني وأفرغت رصاص مسدسها في صدره، فسقط الملك عبدالله على الأرض يجود بنفسه، ويده لا تزال على قلبه، فكان مضرجاً بدمائه، ودوى صوت الرصاص في المسجد وصاح الحراس قائلين: اقتلوه اقتلوه، وتتابع الرصاص وسقط القاتل دون أن يفتح فمه، وحدث هرج ومرج، وتقدم الوزراء والحراس يصيحون: طبيب .. طبيب .. وبينما هم كذلك إذ بأحدهم ينادي: مات عبدالله، وأجهش الوزراء ورجال الحرس بالبكاء، واجتمع مجلس الوزراء فوراً، وأصدر بلاغاً رسمياً بتعيين الأمير نايف بن عبدالله وصياً على العرش لعدم وجود ولي العهد طلال، في صفته خارج المملكة في حال استشفاء تحت عناية الأطباء مدة مؤقتة.

وقد نكست الأعلام هناك أسبوعاً لموته، وأعلن الحداد العام مدة ثلاثة أشهر، ونقل جثمانه في طائرة خاصة من القدس إلى عمان، وكان قاتله شاباً من أهل

فلسطين يدعى مصطفى شكري في الحادية والعشرين من عمره، ويقال أن له شركاء، وقد دفن الملك في المدافن الملكية الخاصة في عمان، ولما أن علم الأمير طلال بوفاة والده الملك عبدالله حاول أن يسافر فوراً إلى عمان ليتولى الملك، ولكن أطباءه منعوه من هذه المحاولة، ونصحوه بالانتظار، وليست هذه أول مرة يحاول فيها الأمير طلال العودة إلى عمان، فقد سافر فعلاً من لندن إلى عمان فجأة، ثم أعاده الملك عبدالله إلى سويسرا بعد أيام من وصوله إلى بلاده.

والمعروف هنا أن الحكومة البريطانية كانت على اتفاق مع الملك عبدالله بأن لا يتولى الأمير طلال العرش بسبب حالته العصبية، وقد غضب الأمير طلال من أن حكومة شرق الأردن لم تعلنه ملكاً كما تجري التقاليد، وأنها أصرت على تسميته ولي العهد حتى بعد وفاة والده، غير أن المحيطين به ينادونه بعد ذلك بصاحب الجلالة، ثم إنه عاد إلى عمان وتولى الملك بعد أبيه، وهذه ترجمة عبدالله:

هو الملك عبدالله بن الحسين بن علي بن محمد بن عبدالمعين بن عون الشريف، وقد تقدم غالبها في سنة تسع وثلاثين.

أما الوصي عبدالإله فقد أذيع في لندن بأنه سيقطع إجازته في لندن ويعود حالاً إلى بغداد، ثم إلى عمان ليشترك في تشييع جنازة الملك عبدالله، وسترسل وزارة الخارجية وقصر بكنجهام تعازيها الليلة إلى عائلة الملك الراحل وتدرس وزارة الخارجية البريطانية الآن، فيما إذا كانت سترسل مندوباً خاصاً للاشتراك في تشييع جنازة ذلك الرجل الذي حكم شرق الأردن مدة ثمان وعشرين سنة، وزار بريطانيا للمرة الأولى في سنة ٣٧ ليشترك في حفلات التتويج، والثانية في سنة ١٩٤٩م الميلاديتين كضيف على الحكومة البريطانية، وقال الدكتور رالف بونش الوسيط السابق في فلسطين: لقد هزني الألم فقد كنت أعرفه جيداً، وكنت أقدره وأحترمه جداً، ولقد كان جلالته شخصية فريدة في عصره، كما كان فيلسوفاً وشاعراً وسياسياً واقعياً.

صدى الحادث في فرنسا

أثار اغتيال الملك عبدالله اهتمام الدوائر الدبلوماسية الفرنسية، وقال متحدث

رسمي بلسان وزارة الخارجية الفرنسية أن فرنسا قد استنكرت هذا الاعتداء الدامي استنكاراً بالغاً، كما أنها ترى أن هذا الحادث يعتبر إنذاراً خطيراً بازدياد حالة التوتر وعدم الاستقرار في دول الشرق الأوسط، وخاصةً لأنه جاء في أعقاب حادث اغتيال رياض الصلح في عمان، هذا وقد نكّس فوزي الملقى العلم فوق المفوضية بعد أن تلقى برقية من الأمير نايف جاء فيها:

أبلغكم بمزيد من الأسف بنبأ الكارثة التي حلت بنا باستشهاد جلالة الملك الراحل، ووصف الملقي باشا حادث الاغتيال فقال: إنه سوف تعقبه نتائج خطيرة، وأن الموقف الداخلي في شرق الأردن قد يتعقد بسبب ذلك الحادث، وذكر أن جلالة الملك الراحل كان قد أوصى بإجراء انتخابات عامة في ٢٩ أغسطس، وقال أن هذه الانتخابات قد تؤجل لبضعة أشهر ريثما تهدأ الحالة، وقال الملقي باشا: أن الأمير طلال هو الوريث الدستوري للعرش، ومن بعده ابنه الأمير حسين البالغ من العمر ١٤ عاماً وهو طالب بكلية فيكتوريا بالإسكندرية، وأن العرش لا يؤول لأحد غيرهما.

ولقد أنعم الملك عبدالله قبل وفاته بوسام الكوكب الأردني من الدرجة الأولى على الأمير حسين نجل الأمير طلال، أما الحكومة المصرية فإنها تستنكر هذه الجرائم، فأدلى رفعت النحاس باشا بمناسبة مصرع الملك عبدالله بالتصريح التالي:

تلقت الحكومة المصرية بمنته الألم هذا النبأ الفاجع، وهي تشاطر الأسرة الهاشمية، والحكومة الأردنية حزنهما على الملك الراحل وتستنكر أشد الاستنكار، هذه الجرائم السياسة التي هي أسوأ ما تبتلى به الشعوب هدى الله أمة العرب سواء السبيل، وجنبها كل مكروه، كما أن السفارة المصرية في واشنطن أذاعت بياناً رسمياً جاء فيه:

لا شك أن حادث اغتيال الملك عبدالله مؤسف ومؤلم، ولا شك أنه يدل على أن منطقة الشرق قد أصبحت حساسة، وأنه ينبغي معالجة مشاكلها بعناية تامة، وقد أبدى دبلوماسيو الأمم المتحدة قلقهم الشديد خشية أن يؤدي اغتيال الملك عبدالله إلى إنهاء الهدنة الفلسطينية.

وقال متحدث بلسان وزارة الخارجية الأمريكية أن السلطات الأمريكية المختصة تدرس بعناية تامة حادث اغتيال الملك عبدالله، وأثر ذلك في الموقف السياسي الدقيق في دول الشرق الأوسط.

أما المحاولات السابقة لاغتياله فقد حدثت فيما مضى عدة محاولات عديدة لاغتياله، ففي عام ١٩٤١م أشيع أن الأمير طلال ولي العهد أطلق الرصاص على والده وأصابه بجراح بالغة، ولكن الملك عبدالله كذّب هذه الأنباء.

وفي أبريل عام ١٩٤٩م حكم بإعدام على ثلاثة من الفلسطينيين وأردني واحد لتآمرهم على قتل الملك، وذلك بوضعهم الألغام في الطريق الذي كان معروفاً أنه سيمر منه، كما حكم بالسجن المؤبد على رجلين سوريين وآخرين فلسطينيين، وكانت الدوائر الرسمية بالحكومة البريطانية تتهم اتهاماً قوياً الحاج أمين الحسيني بأنه هو المسؤول عن اغتيال الملك عبدالله، وبأنه يحاول القضاء على الوحدة العربية، وأمين الحسيني هو المفتي الأعلى رئيس مجلس الأمة الفلسطينية العربية.

أما صفات عبدالله الجسمانية:

فكان ربعة يميل إلى السمنة، أبيض اللون مشرب بحمرة، مليح الطلعة، ذو وجه باسم، وكثير الشبه بوالده، غير أنه كان أبلغ في السياسة من أبيه، وكان سخياً، بلغت به الحالة إلى أنه كان يستدين وينفق إذا لم يجد ما يهبه لزواره وقاصديه، فاضطرت الحكومة الإنكليزية على التدخل لما كثرت ديونه، فأرصدت له راتباً من راتبه معلوماً في أول الشهر.

أما الباقي من راتبه السنوي فإنه أرصد لقضاء دينه، وقد تزوج سنة ١٣٢٠هـ بالشريفة مصباح كريمة عمه ناصر باشا، فولدت له الأمير طلال وبنتاً، وتزوج بشركسية فولدت له الأمير نايف وابنتين، وهو فصيح في الخطابة، فإنه لما جاءه المعزون بعد نعي أخيه فيصل خطب فيهم فقال:

إن المصاب هو مصاب العرب، أما نحن فذو مصابين، مصاب خاص، ومصاب عام، وأنتم تعرفون المرحوم، فلا حاجة إلى من يعرفكم عليه، ندعو الله أن يعوض

الإسلام والعرب عن فيصل، وقد ما كان الله للجميع، فليأخذ الله بيدنا ويصبرنا على هذا المصاب الجليل.

وخطب أيضاً فقال: لا حي يدوم إلا وجهه الكريم، لقد استرد الله فيصلاً، وإن هذا الاسترداد ليصعب على القلوب والعرب أحوج ما يكونون إليه، ولكنا نحن آل زيد دائماً مصابون والله لا ينساكم، ولكم برسول الله أسوة حسنة، بارك الله فيكم، واسيتمونا وعزيتمونا جزاكم الله خيراً عن كل عين دمعت، وعن كل قلب رجف، استغفروا للمرحوم، أرجو الله أن لا يسيئكم بعزيز.

ولما أن توج الملك طلال بن عبدالله كان محباً للعرب، وله ميل إليهم، فجلس على العرش بعد والده في هذه السنة.

وفيها وفاة رجل الدين والخير صالح بن فوزان الملقب العويدة، وهذه ترجمته:

هو صالح بن إبراهيم بن صالح بن فوزان بن راشد بن صالح بن ناصر، ويجتمع نسب آل فوزان، ونسب آل فهيد في راشد بن صالح بن ناصر المتقدم ذكره.

أما فوزان والد الأسرة فكان له ابنان صالح وعلي، فأبناء صالح هم فوزان ومحمد وعبدالله وسليمان وإبراهيم والد المترجم وحمد وعبدالعزيز وحمود وعبدالكريم وناصر وابنتان.

أما آل علي فأربعة: بنين فوزان بن علي، ومحمد وإبراهيم وعبدالله.

أما ما كان عن المترجم: فإن وفاته في شهر ذي القعدة من هذه السنة، وكان ذا أصل عظيم، ولازم خاله الشيخ عبدالله بن محمد بن فداء العالم المشهور بالزهد، فقد أخذ عنه واستمسك بغرزه، وناهيك به من إمام زاهد، وقد قدمنا من ذكر ترجمته.

رحل المترجم إلى مدينة الرياض للأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، فتعلم بين يديه وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم، وكان لهؤلاء العلماء في عقيدته الصالحة أحسن تأثير، وكان يلهج بعقيدة السلف الصالح، ومولعاً بذكر الصالحين، يحن إليهم، ويبكي عند ذكرهم، ويحث على التمسك بهدي الصالحين، وبكل حال فإنه من أولياء الله الذين ترجى لهم النجاة.

وفيها في شعبان هطلت أمطار غزيرة على ملهم فمحتها، وكثر السيل حتى لم يبق فيها ساكن، غير أن الله تعالى لطف بسكانها في أرواحهم، فلم يهلك من الأهالي سوى امرأة واحدة، وهذا شيء عجيب، حتى جاء في بعض الأخبار أنه لم يبقَ لها أثر، والله على كل شيء قدير، وقد بعثت الحكومة مساعدات لأهلها من الأطعمة والخيام شيئاً كثيراً.

وفيها في ٩ شوال هبت رياح سموم حار يكاد أن تحرق ما مرت عليه من الحرث وغيره، وذلك في ٢٠ من برج السرطان، واشتد الحر جداً حتى كاد الناس ألا ينامون من الحر، وهذا في نجد، ثم إنه اشتد الحر في مكة المكرمة في موسم الحج، وهلك بسببه خلائق كثيرة، وذلك من شدة ضربة الشمس.

ثم دخلت سنة ١٣٧١هـ

ففيها في أواخر شهر رمضان صدر أمر ملكي إلى مأموري البرق والبريد بأن ترفع كل شكاية من أي شخص كان ينصها بدون تحريف، ولا يجوز تأخيرها ولا إخبار المشتكى منه سواء كان أميراً أو وزيراً أو أدنى أو أكبر، وذلك بخمس مواد جاء في الخامسة منها:

إنه ينبغي على كل أمير في سائر أنحاء المملكة أن يعلن هذا البيان لسائر الرعية، بسائر طرق النشر، حتى لا تكون ظلامة لمتظلم إلا رفعت إلى أعتاب جلالة الملك ليتسنى إنصاف المظلوم من الظالم، وليتمكن كل أحد بسائر أنواع البيانات على اختلاف أنواعها في الصحف والجوامع، وأكد الملك أن بلداً ليس فيها صحف تقرأ هذه الإعلانات على رؤوس الأمة حتى يتبين للعموم أن باب الحكومة مفتوح لكل ذي ظلامة، وأنه سيلقى المظلوم نصره، وسيلقى الظالم ما يستحقه من العقوبة، وبهذا تبرأ ذمة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن أمام الله بشأن الراعي والرعية:

تالله إنها للفتة سامية، وخطة قام بها لم يوفق لها كثير من الملوك، فجزاه الله خير الجزاء، فبذلك يستطيع كل مظلوم أن يتصل بالملك ويرفع له شكواه، ولا يمكن لظالم أن يتمكن من الظلم.

إلغاء رسوم الحجاج

ففيها دعى صاحب الجلالة عبدالعزيز بن سعود ملك المملكة العربية السعودية بنجله وولي عهده سعود، فأخذ القلم بيده وهو يناوله الدواة، فكتب إلغاء رسوم الحجاج التي تؤخذ منهم، ووقعها، وذلك رأفةً بحجاج الآفاق الذين يردون إلى المملكة من سائر الجهات.

ولما سئل الوزير عبدالله بن سليمان بأن هذا الأمر من صاحب الجلالة، أحدث أثر طيباً في الأوساط كافة، فما هي الأسباب التي حملته على هذا الإعفاء، أجاب أن هذه الرسوم لم تكن من وضع الحكومة العربية السعودية، بل كانت من وضع الحومات السابقة، وقد كان من أعز أماني حضرة صاحب الجلالة مولاي الملك المعظم إلغاء تلك الرسوم، وإنما كانت قلة الواردات وضرورة الصرف على تأمين الحجاج في أرواحهم وأموالهم، والعمل على تسهيل سبل الحج من الضرورات التي أبقت على تلك الرسوم، فلما أذن الله وهو العليم بنوايا جلالته، وسهل أمر الموارد بادر جلالته بتحقيق هذه الأمنية التي كانت تختلج في نفسه، فكانت لجلالته هذه المفخرة العظمى حفظه الله تعالى وأبقاه.

أما مقدار هذه الرسوم عن العام الواحد فهي تعادل خمسة وعشرين مليوناً من الريالات، وقد نشرت إحدى الجرائد المصرية وهي المصري في عددها الصادر في ٣/ ٨/ ١٣٧١هـ ما يلي:

صدر أمر جلالة الملك المعظم عبدالعزيز آل سعود بإلغاء الرسوم التي تؤخذ على الحج باسم رسوم الحج اعتباراً من هذا العام، ومن أخذت منه في هذه السنة ترد إليه، أما ما يتعلق بالخدمات الخاصة بالحجاج من أجور المطوفين وتنقلاتهم ومنازلهم وما يتبع ذلك، فتجري حسب العادة هذه السنة وفي المستقبل يرتب الأمر بين الحاج وأهل الخدمات حسبما يسير الاتفاق عليه، ونرجوا أن يكون في هذا ما ييسر أداء هذا الركن من أركان الإسلام، وقالت

أيضاً لا شك أن هذه خطوة كبرى نحو تيسير الحج لكل من يسعده الله عز وجل بزيارة بيته الكريم، وإننا بالنيابة عن جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها نحيي في عاهل الجزيرة تلك الروح النبيلة داعين راجين منه سبحانه وتعالى أن يتقبل الدعوات الصالحات التي ستنطلق بها السنة الفقراء من المسلمين شاكرةً للعاهل الكبير تلك الخطوة المباركة.

ذكر الاحتفالات الرائعة بزيارة الملك الهاشمي طلال بن عبدالله بن الحسين الشريف ملك الأردن للمملكة العربية السعودية

لما أن كان في أوائل هذه السنة صدر البلاغ الرسمي رقم ١٥٣ شهر صفر بأن المملكة العربية السعودية تتشرف بهذه الزيارة الخاصة، وذلك لأنه لما تولى الملك طلال عرش الملك لم يرَ بداً من زيارة هذه المملكة لما يكنه في نفسه من حب العرب وملوكهم وممالكهم، وهذه الزيارة لتأدية مناسك العمرة، وزيارة مسجد الرسول ﷺ ، ثم بعد ذلك يزور الرياض، وذلك في يوم الخميس الموافق ١٥ صفر ١٣٧١هـ، فاستقبل في تلك المدن استقبالاً رائعاً يليق بمقام أكبر ملك يكون، وكانت الأعلام الأردنية وهي ترفرف معانقة الأعلام السعودية، تشير إلى الألفة والمودة، كما لبست البلاد بأجمعها حلة قشيبة من الزينة، ونصبت أقواس النصر في ساحة المطار وأمام القصر الملكي العامر.

وركب صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن ملك المملكة العربية السعودية إلى مطار الرياض لاستقبال ضيفه، يتقدمه الدراجات النارية فسيارات الجيب، وتتبعه سيارات الحاشية، والحرس الملكي، فلما كان في الساعة الخامسة والنصف من اليوم المذكور هبطت الطائرة الملكية تقل العائلة المالكة ومن فيها من الحاشية، وبعدها بقليل هبطت الطائرة الملكية التي تقل جلالة الملك الضيف ونجليه الأميرين محمد والحسين.

وقد أقيمت المآدب العظيمة في قصر المربع، ثم في الناصرية، وقد أقام الضيف

أيضاً مائدة في قصره وأقام في الرياض بقية يوم الخميس والجمعة والسبت، وطار من الرياض في صباح يوم الأحد الموافق ٢/١٨ بعدما ودع فيها وداعاً حاراً، وأطلقت المدفعية للوداع إحدى وعشرين طلقة، ثم قصد المدينة ومنها إلى الأردن، وقد أهدى إليه صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز ساعته الخاصة أخرجها من جيبه قائلاً للملك طلال أن هذه الساعة تمتاز بعدم التقديم والتأخير، وهي من صنع سويسرا، وإنها هدية متواضعة تذكار الصاحب للصاحب، فقبلها الملك طلال شاكراً لجلالة الملك ومقدراً لهديته الثمينة.

وكان الملك طلال في أثناء مخاطباته لجلالة الملك يقول: أنت يا صاحب الجلالة بمثابة الوالد من الولد، وقد قال الملك طلال لمراسل وكالة الأنباء الغربية: لا أستطيع أن أشكر لوالدي الملك عبدالعزيز وسمو ولي عهده ما لقيته منهما من حفاوة بالغة، ولكن سأدعو الله لهما عقب زيارتي للروضة الشريفة والسلام على رسول الله ﷺ ، وكذلك أذاعت محطة الإذاعة السعودية كلمة عنه أعربت عن شكره لوالده عبدالعزيز بما شمله به بمحبته الأبوية، وأفاض عليه من معين خلقه الصافي، وشكر لآل بيته ولكل فرد من أفراد شعبه، ويا حسن تلك الزيارة، وبالتمام والفرح والسرور بذلك لو دام، ولكنه خلع بعد يسير من هذه الزيارة وكانت أيام ذلك الملك قليلة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي هذه السنة قتل وكيل القنصل البريطاني وذلك مساء سادس عشر صفر الموافق ١٦ نوفمبر، وهذا هو المستر أوزمان، وكان قاتله من الشخصيات البارزة، فما يتعلق بين القاتل والمقتول ولا دخل له في السياسة، وقد ألقي القبض على القاتل وزج في السجن إتماماً للوفاء بالعهود، وهذا من كمال الإنصاف.

سكة الحديد السعودية

لما كان في ١/١٩ من هذه السنة احتفلت الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية لوصول سكة الحديد إليها من الدمام، وكان ذلك في يوم السبت

الموافق للعدد المذكور، وقد بدأت هذه السكة تعمل بين الدمام والرياض، فسجل وصول الخط إلى هذه العاصمة الرياض نصراً عظيماً جديداً للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن عاهل المملكة العربية السعودية الذي ما فتئ طول حكمه المديد يجد دون كلل أو ملل في سبيل رقي بلاده وتحضيرها.

إن إقرار النظام وتوفير الخدمات الطبية، وإنشاء المدارس، وإقامة شبكات للمواصلات بالراديو، وتشجيع الزراعة، وإيجاد قوة الطيران، ونشر السيارات على نطاق واسع، وإعداد المشاريع للطرق وإنشائها ليس هذه كلها سوى جزء يسير من الأعمال العظيمة التي قام بها صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز، وها هو الآن تفضل بإنشاء سكة حديد الحكومة السعودية.

وكان لما بدأ يفكر منذ سنوات خلت في مشروع سكة الحديد قال له الكثيرون: إن هذا لمشروع سابق لأوانه، أو غير عملي، لكنه عمل برأيه ولم يكن لأولئك الذين أرادوا أن يثبطوه عن عزمه أثر عليه، فسار إلى الأمام يدفعه الأمل بالمستقبل والثقة بالله تعالى.

إن سكة الحديد تتألف من أساسات سكة الحديد، وهي الخطوط الفولاذية المتوازية التي تقطع أراضي مستوية سبخة فيها من مستنقعات ورمال متنقلة، وتسير فوق السهول والمنحدرات والدهناء المتماوجة، ثم الأربطة المقاطعة المثبتة تحت الخطوط، والتي تستطيع احتمال أثقال هائلة، وأخيراً أرضية الخط التي رصفت خصيصاً بحيث تكون دعامة مستوية، وتسير القطارات فوق أرضية السكة، وعلى الأربطة والخطوط، تدفع القاطرات التي تسير بقوة الزيت المحترق، والتي تبلغ قوة جر كل منها ألف حصان، فتجر هذه القاطرات أنواعاً شتى من عربات الشحن الركاب التي حلت الآن إلى حد كبير محل الجمال وسيارات الشحن في النقل للمسافات الطويلة.

إن سيارات الشحن والجمال لا تستطيعأن تحمل إلا ما خفّ من الشحنات نسبياً فأصبحت حمولة عربة صهريج واحدة تبلغ تسعة آلاف وخمسمائة جالون

من الزيت والبنزين، وهذه الكمية كافية لتسيير حوالي خمسمائة سيارة مسافة ثمانمائة كيلو متر.

إن سكة حديد الحكومة السعودية مشروع عظيم من جميع النواحي، فهي تبدأ من ميناء الدمام على الخليج العربي، وتسير مسافة ٥٥٦ كيلو متر عبر جزء شاسع من النصف الشرقي لبلادنا، إنها تسير من الدمام إلى حقول الزيت في الجنوب والغرب، ثم تمتد إلى مدينة الهفوف التي تعتبر من أكبر مدننا ازدحاماً بالسكان، ومن الهفوف يسير الخط جنوباً إلى عين حرض، وهي حقل آخر للزيت، ومنطقة غنية بثروتها الزراعية الكامنة، ومن عين حرض تعبر اتجاهها إلى الغرب، وبعد أن تقطع رمال الدهناء تصل إلى الخرج حيث يزرع أكثر من ثلاثمائة فدان بالفواكه والخضراوات والحبوب والعلف لاستهلاكها في الرياض، وأخيراً بعد أن تقطع سكة الحديد أرضاً وعرة تحيط بها صخور منحدرة تصل إلى الرياض عاصمة البلاد، وعندما تنتهي سكة الحديد تكون تكاليفها قد بلغت ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ ريال سعودي، وإن من أكبر نعم الله علينا بعد نعم كثيرة هي أن نقطع على متن هذا القطار سبعمائة وثلاثة وأربعين كيلو من الرياض إلى الظهران بظرف سبع ساعات من الزمن.

ذكر خلع الملك فاروق الأول

ففيها قام الجيش المصري بقلب نظام الحكم، فأبعد الملك فاروق عن مصر لاتهامه بالخيانة، ثم ألغيت الملكية وأعلنت الجمهورية في العام القادم، وقد طالب رجال الثوار الإنكليز بالجلاء عن قناة السويس حتى تمكنوا من عقد اتفاقية بينهم وبين الإنكليز في آخر شهر ذي القعدة بعد هذه السنة بسنتين بموجبها جلاء الجيوش الأجنبية عن قاعدة قناة السويس، وجرى ما سنذكره فيما بعد، ومن عاش فسوف يرى، فبينما الملك فاروق في لهوته وغفلته وتمسكه بالملك واثقاً بما تزينه له نفسه من الغرور والتمادي إذا بمحمد نجيب قائد عام القوات المسلحة يثور بالحركة العسكرية، فطوق القصر الملكي بالقوات والجيش، وقام زعماء الأحزاب السياسية

وغيرها من الهيئات في مصر مؤيدين تلك الحركة التي قام بها الجيش المصري بقيادة المذكور بالتساند مع وزارة رفعت علي ماهر باشا.

كما أيدها زعماء الأحزاب السودانية في مئات البرقيات التي أرسلوها إلى اللواء محمد نجيب بك.

ولما أن طوق الجيش قصر الملك فاروق أرغم على التنازل ومبارحة البلاد، وأنذر بالخطر فما كان بوسعه إلا أن تنازل عن الملك، وذلك في ظهر يوم الأحد الموافق ٤ ذي القعدة من سنة ١٣٧١هـ الموافق ٢٦ يولية سنة ١٩٥٢م.

وتعد هذه من أعظم الحوادث التي تمخضت عنها مصر، وكان لها صداها العميق في جميع الأوساط والمحافل السياسية في العالم شرقاً وغرباً، وتناقلته أسلاك البرق ومحطات الإذاعات في العالم باهتمام بالغ.

وهذا نص الوثيقة الرسمية التي تنازل فيها الملك فاروق عن عرشه لولي عهده:

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان، لما كنا نتطلب الخير دائماً لأمتنا وسعادتها ورقيها، ولما كنا نرغب رغبةً أكيدة في تجنيب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة، ونزولاً على إرادة الشعب قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد، وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه.

ثم إنه في عشية اليوم المذكور غادر الأراضي المصرية على الباخرة المحروسة قاصداً إلى المياه الإيطالية مصطحباً معه نجله المذكور أحمد فؤاد الذي نودي به ملكاً على مصر والسودان، وقد أجريت له مراسم التوديع المعتادة في مثل هذه الحالة وفقاً للتقاليد الدستورية هذا وما كان بوسعه إلا أن يتنازل لما صوبت المدافع إلى قصره، بل طوقت جميع أسلحة الجيش برية وبحرية وجوية القصور الملكية، وأرغم أن يبارح مصر بظرف ساعات معدودة.

ومن العجائب أنه كان على غير انتظار، بل كان في جو من الهدوء قبل ذلك، فما شعر إلا بتلك المظاهرات الرائعة بنظام تام، وبسرعة لا تضارعها إلا سرعة تحركات الجيوش في ميادين القتال بهدوء لا تراق فيه نقطة دم واحدة.

أما الوحشة والنظر في مصيره فإنه قد أنذره بعض ملوك العرب بخيانة مصر قبل ذلك له، وإنها تبيت له مالا يرضى من الأعمال، وقد أخرج وزوجته حاملاً ابنه فؤاد بيده اليمنى على صدره بحالة محزنة، ورؤية تسيء كل من رآها، وآخر رسم أخذ له وهو يمشي في كابري، وجاء في أخر الأنباء أنه وصل إلى ميناء نابولي الإيطالي، وأنه حجزت له ولأفراد أسرته الملكية الغرف الكافية في فندق هناك، وأن الحكومة الإيطالية وافقت على أن يقيم بصفته الشخصية في إيطاليا، وفي أنباء إيطاليا أنه سيبرحها بعد بضعة أيام، وقد تضاربت الأنباء في الجهة التي يقصدها فيما بعد، وقد صرح في منفاه بأنه رجل فقير قد يضطر إلى البحث عن عمل عن طريق الإعلانات الصغيرة في الصحف، غير أنه أقام مأدبة عشاء لستمائة شخص.

ولما أن تنازل فاروق عن العرش وبارح مصر، قام رفعت علي ماهر باشا بصفته رئيس مجلس الوزراء فأصدر هذا البيان للأمة المصرية:

بناء على ما تقدم في الوقت الذي نزل فيه الملك فاروق الأول عن العرش لولي عهد مصر وغادر البلاد المصرية، ينادي مجلس الوزراء بحضرة صاحب الجلالة أحمد فؤاد الثاني ملكاً لمصر والسودان، ويدعو الله أن تنعم البلاد في عهده بما تصبو إليه من رقي ومجد وسعادة، كما أصدر مجلس الوزراء المصري بياناً للأمة المصرية أن مجلس الوزراء قد تولى منذ اليوم سلطات الملك الدستورية باسم الأمة وتحت المسؤولية إلى أن يحين الوقت الذي يجب عليه فيه أن يسلم مقاليدها إلى مجلس الوصاية، وكان الملك فاروق قد كتب قبل أن يغادر الأراضي المصرية أسماء الأوصياء في ظرفين: أحدهما أودع في خزانة الديوان الملكي، والثاني برئاسة مجلس الوزراء، فتألفت هيئة وصاية على العرش من ثلاثة، ثم اكتفى بوصي واحد، وهؤلاء الثلاثة هم الأمير عبدالمنعم، وبهي الدين بركات، ورشاد مهنا.

ذكر البرنامج الذي تمشى عليه الرئيس علي ماهر

هو جيش قوي مستعد، تعديل النظام الحربي، القضاء على الاستعمار، القضاء

على الإقطاع، فتكون أراضي الوطن للمصريين، التزام سياسة عربية، وقام الرئيس بتنفيذ ذلك والعمل بما تقتضيه هذه المواد.

أما الرئيس اللواء محمد نجيب فقد قام بتحبب إلى الناس ويمازح أطفالهم، ويتواضع لضعفائهم، وجعل يلقي خطبه الرائعة في آلاف الجموع المحتشدة، ويستوقفه الفلاحون فيقف في موكبه العظيم يخاطبهم ويستمع لخطبهم، وقد خرج مرةً وسط عشرين ألف نسمة يرشدهم إلى النظام ويطالبهم باحترام النظام، ولا يفوتنا في هذا المقام ذكر قتال المصريين للإنكليز، وذلك في شهر ربيع الأول والثاني من هذه السنة، وقد انتصرت الإنكليز على مصر وحصرت رجال البوليس المصري، وقد شددت بريطانيا الوطأة على مصر، وقد اضطرت وزارة مصطفى النحاس تحت ضغط الرأي العام إلى إلغاء معاهدة ١٩٣٦م، فهاجمت معسكرات الإنكليز، وحمل الفدائيون على على المعسكرات الإنكليزية في منطقة القناة ونسفوا منشأتهم بالقنابل والمتفجرات، وعطلوا مواصلاتهم، وعطلوا عنهم التموين، وترك العمال المصريون العمل بالمعسكرات البريطاينة فاشتد الأمر على الإنكليز حتى انتقموا من الفدائيين والعمال ورجال البوليس المصري انتقاماً شديداً، وخربوا المزارع المحيطة بمعسكراتهم، وأزالوا بعض القرى إزالة تامة، واعتدوا على المسالمين من الأهالي، فتعقدت الأمور أمام الحكومة وتزعزعت مكانتها، واضطرب الأمن، وأحرقت بعض الأحياء التجارية والمصارف الأجنبية في القاهرة، وذلك قبل خلع فاروق بسبعة شهور، فعزل فاروق مصطفى النحاس بدعوى أنه لم يقم بما يجب من أعمال الحرب، وكان عزله في غرة جمادى الأولى وخلفه وزارة الهلالي.

وفيها في ليلة ١٠/ ٥ من هذه السنة توفى ملك الإنكليز، ووفاته فجأة بأن ذهب إلى فراشه فنام ولم ينتبه بعد رقدته.

وفيها في ٢٦ رجب نزل غيث على نجد بوقت جدب وقحط، سقطت البادية في تلك السنة من الهزل والضعف حتى أقامهم الله بذلك الربيع، فلله الحمد.

ولما كان في الساعة الحادية عشرة من ثالث شعبان مساء هبت رياح شديدة

وأظلم الجو وامتدت الظلمة والرياح الحاصبة قدراً من ثلاث ساعات، ثم إن الله تعالى كشفها عن المسلمين.

وفيها جعل ابن سعود في قضاء أبها فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدان من أهالي بريدة، ونقل قاضي جيزان عبدالله بن سليمان بن حميد من تلك الناحية إلى بعض القرى المجاورة لحائل.

وفيها عثر المنقبون في الشمال الغربي من المملكة العربية السعودية على مناجم غنية بالحديد والكبريت، وتستخدم الحكومة الوسائط اللازمة لاستثمار هذين المعدنين.

وفيها أعلنت مصادر الوطنيين في تونس أن جلالة الباي قد قرر أن يعارض علانية مشروع ما سمي الإصلاحات الفرنسية التي تريد فرنسا أن تفرضها على تونس، وذكرت هذه المصادر أن جلالته قد أرسل برقية احتجاج إلى الرئيس منسان أوريول رئيس الجمهورية الفرنسية على الطريقة التي عولجت بها مسألة الإصلاحات .. الخ.

وفيه هذه السنة بل في شهر رمضان جمع الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل باز رسالة نصيحة، وهي ثمينة تحث على القيام بأوامر الله تعالى وترك نواهيه، وتدل بمفهومها على حسن طوية هذا العالم جزاه الله خيراً، وهي طويلة نشرتها إحدى الصحف السعودية.

ثم دخلت سنة ١٣٧٢هـ

ففي ١٧/٢ سقط ترومان رئيس الولايات المتحدة ونودي بإيزنهاور رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية.

وفيها صدر البلاغ الرسمي رقم ١٦٤ بتمديد معاهدة الطائف بين صاحب الجلالة عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية وبين ملك اليمن أحمد بن يحيى لمدة عشرين سنة أخرى، لأن المعاهدة المذكورة كانت على وشك الانتهاء باعتبارها بتاريخ ربيع الأول سنة ١٣٥٣هـ،

فبذلك أصبح البلدان يستقبلان هذا الحادث من تأييد المودة بين البلادين بكل سرور وهناء.

ذكر جبل ظلم

كان منجم ظلم هذا واقعاً في صحراء واسعة وسط سهل منبسط يبعد عن مكة بحوالي ٤٤٧ كيلو متر، ويبعد عن جدة حوالي ٤٢٠ كيلو متر، ويبعد عن المويه جنوباً بحوالي ٦٥ كيلو متر، ويرتفع عن سطح البحر بما يقرب من ألف متر، وقد بدأت الأعمال فيه منذ ثلاثة أعوام ونصف، وكانت مقتصرة على الإنشاءات والاستعدادات، ولكن عملية الحفر لم تبدأ فيه إلا قبل بضعة شهور، وكان لما كان عمقه مائة قدم ومعدل ما يستخرج منه في اليوم من المواد الخام ٧٥ طناً، وكل طن من هذه المواد يستخلص منه نصف أوقية ذهب خالص، ويزداد ما يستخرج منه حتى بلغ عمقه ثلاثمائة قدم، وكان يقوم بالعمل به في هذه السنة ٥٤٠ عاملاً.

وقد أقيم احتفال عظيم في يوم الجمعة ٢٧/ ٦/ ١٣٧٢هـ برئاسة وزير الدولة حمد السليمان وحضر لذلك الأعيان والكبراء، وكان رؤساء المدعوين قدموا إلى المنجم بطائرة ثم أقلتهم السيارات، ولما أن هبطوا إلى قاع المنجم شد الجميع حينئذٍ ما كانوا يصبون إليه شهدوا نفقاً طويلاً على شكل سرداب ورأوا الجبل من جميع جوانبه في تخوم الأرض أحمر اللون براقاً، إنه لذهب ولكنه ذهب بين أحضان التراب، وشهدوا الماء ينهمل من هذا الجبل كأنه رذاذ كما شهدوا العمال السعوديين يتولون مهمة الحفر في هذا الجبل، وشهدوا قضباناً حديدية ممتدة على أرض المنجم، تسير عليها عربة حديدة يملأها العمال من ذلك التراب الخام الذهبي، ثم يصعد بها أصنصير إلى سطح الأرض حيث تأخذ طريقها إلى المطاحن، ثم صعد الجميع إلى سطح الأرض عند فوهة المنجم ليشاهدوا عملية الطحن في مطاحن الحديد تديرها مكائن صخمة، وشاهدوا بعد ذلك صهر الذهب في بواتق كثيرة في مكان أعد للصهر يبعد عن المنجم بضعة أمتار، وعملية الصهر هذه في البواتق هي

التي تخلص الذهب لكنه ذهب مخلوط بالفضة والحديد، ويقوم بهذه العملية سعوديون أيضاً.

وألقيت في هذا الاحتفال خطب من بينها خطبة المستر بترز رئيس الخبراء الأمريكيين لمنجم ظلم، ألقاها ارتجالاً وشكر فيها معالي وزير المالية ونائبه، وتحدث فيها عن المنجم ومنتوجاته، ترجمها إلى اللغة العربية الأستاذ عبدالله الطريفي، وقد أذيعت الخطابات من محطة الإذاعة السعودية ونشرتها الجرائد، وكان يشرف على أعمال هذا المعدن ثمانية خبراء أجانب، وبعد تركيز الذهب وصهره في ظلم يشحن إلى جدة لإجراء عملية تصفيته النهائية في المخبر السعودي الذي أنشأته الحكومة العربية السعودية بجدة، ومنجم ظلم هذا ملك خالص للحكومة العربية السعودية، تتولى استثماره بنفسها مباشرةً، وستتولى بنفسها في القريب العاجل إنشاء الله استخراج ما في المناجم المتعددة المحيطة بهذا المنجم.

في ذمة الله، تنعي بريدة فقيدها العظيم

ففي الساعة الخامسة والنصف من ليلة الخميس سادس عشر ربيع الثاني من هذه السنة توفى عبدالعزيز بن مشيقح رحمة الله عليه، وهذه ترجمته:

هو أبو عبدالله بن حمود بن مشيقح بن عبدالله آل مشيقح كانت أسرة آل مشيقح قديماً من أهالي وشيقر، ثم إنهم انتقلوا من مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم، وذلك سنة ٩٠٠ هجرية، ثم بعد ذلك انتقلوا إلى مدينة بريدة في القرن الحادي عشر الهجري تقريباً.

ولادته ونشأته

أما ولادة المترجم فقد ولد في مدينة بريدة عاصمة القصيم في زمننا هذا، وذلك في سنة ١٢٨٠هـ، وتوفى والده وله من العمر تسع سنين، أعني سنة ١٢٨٩هـ فنشأ في التجارة سنة ١٣٠٠هـ، وأخذ يطلب العلم ويدرس على خاله الشيخ الفاضل محمد بن عمر بن سليم علامة القصيم، ذي الفضائل

الجلية والمواهب الربانية، وما زال المترجم يجدّ في طلب العلم حتى أصبح منتظماً في سلك أهل الدين، ومنتمياً إليهم، ومحباً لهم، ومقدراً ذلك لمكارم أخلاقه وعلو همته ونبل معرفته، وكم لهذا الرجل العظيم من مآثر في الإسلام ودفاع عن الوطن، وجهاد في تقدمه، ونجاحه بما كان به موضع الإعجاب من بين سائر البلدان، وإن بلاداً يقوم بها رجال الدين والبصيرة والعلم والمعرفة لجديرة بالنجاح والتقدم والرقي وبلوغ شأو العلى والمفاخر.

ذكر شيء من مقاماته التي بذل مهجته فيها لصالح الأمة

لقد قام ابن مشيقح هذا وزميله الرجل العظيم فهد بن علي الرشودي بأمور هامة، وكان له رأي ومعرفة وتجربة، وله جاه عند الملوك والأمراء فيسمع له ويطاع، ويتمشى على ضوء آرائه وأفكاره، وبلغت به همته أن كان من أكبر الزعماء في القصيم.

فمن ذلك لما كان قبيل واقعة السبلة المتقدمة بين صاحب الجلالة وبين البغاة من البدو أصحاب الدويش وابن حميد أبدى حكماً وآراء جميلة، فإنه خرج هو وفهد بن علي واتفقا بصاحب الجلالة فطلبا أن تكون الواقعة مؤجلة بعدما عزم صاحب الجلالة على القتال سنة ١٣٤٦هـ فأجلت إلى السنة القادمة، وطلبا أن يكون ميدان القتال حوالي القصيم وذلك لإمداده بالمياه، وخشية أن يقطع عليه العدو خط الرجعة، فنزولاً على الرغبة وافق على هذا الرأي، وبذلا مهجهما لطلبه فكان لا ينساها لهما، وجعل الله في ذلك النصرة وحسن العاقبة، وكان الملك الراحل يستأنس بآرائه ويميل إليها لنصحه ومعرفته، ولقد قام على أنجاله فهذبهم وثقفهم ورباهم أحسن تربية كانوا بها طلاب علم يسعون في الطلب ويدأبون في نيل الفضائل والعلم، وأبان لهم ما ينبغي لطلاب العلم أن يتصفوا به حتى كانوا هبة من الله تعالى أقرَّ بها عينه.

وقد قام في عمران مسجده الكبير الواقع غربي بريدة واستجلب إليه طلاب العلم، حتى مرَّ عليه طور وله كضيض من الزحام، فامتلأ بطلاب العلم وطلب من

الشيخ عبدالعزيز العبادي أن يدرس فيه ويعلم، فأحاطت بهذا الشيخ طلاب العلم من كل جهة وقصدوه من كل جانب، وكنت أظن أنه يبذل لفقراء الطلبة مساعدات مالية ويشجعهم ويحثهم ويبذل نفسه ونفيسه في ذلك.

ولقد طلب من الشيخ القاضي عمر بن محمد بن سليم أن يدرس في بيته بعد العشاء الآخرة فكان يجلس إلى جانب الشيخ ويستمع التدريس، ولا تزال القهوة العربية والشاي يدار على جميع الحاضرين من الطلاب والمستمعين، وبذلك أمسى بيته العامر الكبير مأوى لطلاب العلم والمستمعين.

وكان يقدر العلماء ويوقرهم ويؤيدهم ويقيم المآدب الكبار على الدوام للعلماء والكبراء، فقلَّ من زائر يقدم بريدة إلا ويدعوه إلى بيته وكرامته، وله عادات حسنة يقوم بها ويجمع الأخيار ويأنس برؤيتهم، ويطمأن إلى حديثهم، فبذلك كان سخياً جواداً مبذالاً، ويختص أهل العلم والدين ويقدم مجالسهم ويقربهم، ويميل إليهم بتواضع ولين عريكة وخفض جناح، وإذا منَّ الله على عبدٍ فليفعل ما شاء من خصال الخير.

وكان المترجم تاجراً كبيراً وحصل على شيء عظيم من البيوت والأراضي والدكاكين، وساعدته الظروف والأحوال في زمنه فكان له جاه ومنزلة عند الخاص والعام.

ومما عرف عنه أنه يدقق في إحصاء أمواله، فإذا كان في شهر رمضان أخرج زكوات كثيرة، ويعتبر بيته في القصيم من أكبر بيت، فإنه قد امتلأ بأولاده وبناته وأبنائهم وأبناء أبنائهم، حتى روي لنا أنه أخرج عن بيته في صدقة الفطر ستين فطيرة، ويرى على أبنائه وأحفاده آثار النعيم والبهجة، وقد ثقل في آخر عمره لأنه عاش اثنتين وتسعين سنة، فكان يحمل في عربة أهداها له جلالة الملك المعظم عبدالعزيز بن عبدالرحمن، وكانت جميلة تدف من خلفها، وهذه مما أهداها لجلالته رئيس الولايات المتحدة روزفلت.

ومما يؤثر عن المترجم أنه ذكر لجميع أنجاله وأحفاده أن من كان مشتغلاً منهم

بطلب العلم فإنه مكفي المؤونة، ولا عليه إن كان فارغاً من جميع أشغال الدنيا، وقد زوج جميع البالغين وجعلهم يترددون زرافات كل سنة لحج بيت الله الحرام، وأكرم جميع أسرته وسد خلتهم، وسيرهم لحج بيت الله الحرام، وقد يتطاول بالمساعدات المالية والتجهيز للحج من يراه بحاجة إلى ذلك.

فنسأل الله تعالى أن يرفع درجاته في دار الآخرة وأن يصب عليه من الغفران سحباً ماطرة، وأن يجعله من وجوه ناضرة إلى ربها ناظرة، ولي من أبيات رثائية قلتها في بعض الأحباب لما فجعت بموته، وما أولي بمناسبتها في هذا الموضع لأن هذا الرجل الهمام يجدر بنا أن ننوه بذكره ونخلد مآثره التي قلَّ من يتصف بها من أهل الإسلام ويجاريه فيها غالب الأنام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم:

رأيتك في الدنيا مقيماً وواثقاً ... تروح وتغدو ناسياً كل نازل
أتعمر داراً آذنت برحيلها ... وتصرخ في ويلاتها بالزلازل
أما قد تراها في شتات وخدعةً ... تغر ذويها بالخداع الأباطل
تذيق محباً من حلاوة شهدها ... وفي طيتها سمٌ لها كالحبائل
ألم ترها ترقي ذوي الحب رتبةً ... فترميهموا من شاهقات المنازل
لك الله ما طابت فترضى بموطنٍ ... وقلبك مشغوفٌ على غير حاصل
تجر الدواهي والبلايا خطوبها ... ويسأمها أهل النهى والفضائل
بنفسي وأهلي من حبيب مفارقٍ ... أديبٍ نجيبٍ ماهرٍ في المسائل
دهينا به وأسوأتا كيف أننا ... نكبنا به رغماً على كل عامل
فلو أن فيه الموت يقبل فديةً ... لكنا بها نسعى سريعاً بعاجل
وقمنا سراعاً كي ندافع دونه ... بجاهٍ وأموالٍ كذا كل طائل
فما قد دهانا مثلها من مصيبةٍ ... ولا قد عرى من مزعجات الزلازل
فيا للمنايا كم أبادت لمثله ... فخرَّ صريعاً في العرا والجنادل
ويا ما أمرَّ البين والله إنه ... فراق حبيبٍ قد دهى بالعواضل

وقائلــةٍ مــا لــي أراك مفجعــاً ... كــثير همــوم بــالفؤاد شــواعل
وذا فكــرةٍ تصــبو إلى كــل فائــت ... كأنــك موكــولٌ برعــي المنــازل
فقلــت ذريــني قــد عراني كــوارث ... وهــمٌ طويــلٌ دائــمٌ غــير زائــل
دعــيني فــلا والله مــا بعــد هــذه ... مصــابٌ كــبيرٌ مــن عظــام البلابــل
أينســى شــفيقٌ نــافعٌ غــير ضــائر ... كــريمٌ وصــولٌ نــابغٌ في الأمائــل
له في الندى رسمٌ يطول على الــورى ... ويعلــو علــى أقرانــه في الفضــائل

ومنها:

علــى مثلــه يبكــي محــبٌ ووامــق ... كفــى الله شــر الطارقــات النــوازل
أعلــل نفســي بــالتلاقي وقربــه ... وأوهمهــا لكنهــا في التغافــل
أقــول لهــا كفــي عــن الــبين إنــه ... مضــى لطريــق كلنــا فيــه داخــل
وذي مــن تقــادير الإلــه مصــيبةٌ ... قضــاها حكــيم ملكــه غــير زائــل
فحمداً لمولانا وشكراً علــى القضــاء ... ونرجوا لــه الزلفــى بــدار الأفاضــل
ونســأل رب العــرش يجــبر كســرنا ... ويفــرغ صــبراً عــاجلاً غــير آجــل

مات المترجم عن سبعة بنين، ولكل ابن نسل كثير، وعن بنتين، ومن أشهر أبنائه عبدالله وحمود وغالب أبنائه وأحفاده وأسباطه تلامذة لآل سليم، وقد مرَّ ذكر بعضهم ولا نطيل هنا لأننا نؤثر الاختصار.

ولما مات صلى عليه المسلمون وحمل إلى المقبرة الجنوبية في بريدة فلاجة، ولا يزال قبره يزار ويتردد إليه كل جمعة، وأصيبت به الأمة وفقده أهل الإسلام، واتفق على تعظيمه والدعاء له الخاص والعام، فنسأل الله تعالى أن يجبر المصاب بفقده ويرفع منازله في دار كرامته.

وفي هذه السنة نشأ خلاف عظيم ونزاع طويل في شأن واحة البريمي وذلك بدعوى أنها مشمولة بالحماية البريطانية وهي تدين أولاً بالسمع والطاعة لآل سعود حكام نجد، وبالنظر لأن الحكومة السعودية تستند في ملكية هذه المنطقة إلى التاريخ، والواقع لأنها تدين من قبل لآل سعود فقد ظلت هذه المنطقة تحت حكم آل سعود أيام سلطانهم.

وقد غاب آل سعود عن قلب الجزيرة العربية إحدى عشرة سنة ثم عاد جلالة الملك وبسط سلطانه ونفذه على تلك الأماكن منذ أكثر من اثنتين وخمسين سنة من غير منازع، إلى أن قامت السلطات البريطانية بأعمالها العدوانية في تلك المنطقة.

ولما أن اعتدت بريطانيا في الخليج العربي على بعض المناطق في الجنوب الشرقي من المملكة العربية السعودية بدعوى الدفاع عن مطالب لسلطان مسقط، عقدت اتفاقية في الرياض سميت اتفاقية التوقف في المنطقة المختلف عليها، ووقع السفير البريطاني بجدة مع سمو وزير خارجية المملكة العربية السعودية على هذه الاتفاقية، وقد التزم بموجبها الجانبان السعودي والبريطاني التزامات خاصة، غير أن السلطات البريطانية لم تراعي تلك الاتفاقية، وبدأت سلسلة من الاعتداءات المتكررة بأن وصل البريمي الضابط السياسي البريطاني ٢٣ صفر ١٣٧٢هـ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٥٢م ومعه سيارتان وعشرة جنود مسلحين، ووصل البريمي أيضاً الضابط السياسي في ١ ربيع أول من هذه السنة ومعه ثلاثون جندياً، وبقي خمس ساعات يحاول فيها أخذ صقر بن سلطان بعدما قدم الضابط المذكور قبل ذلك وأخذ صقر بن سلطان بالقوة، ولكنه هرب.

واستمرت الاعتداءات من بريطانيا بسيارات مسلحة وأعادت طائراتها التحليق المنخفض فوق المنطقة، واستعملت بريطانيا القوات المسلحة ضد القبائل الآمنة، واستدعيت قوات من بعض البلدان العربية المجاورة لتستخدمها الحكومة البريطانية في احتلال مناطق جديدة، وللقبض على الأهلين وسجنهم وتقييدهم بالأغلال، واعترافهم بأن ذلك إجراءات لازمة.

كل ذلك لإرهاب الأهلين والتأثير عليه، ولإرغامهم بالقوة على الخضوع للسلطات البريطانية.

وبالرغم من قرارت المادة الثانية والثالثة من مواد اتفاقية التوقف فإن الحكومة البريطانية لا تزال في غيها، وآخر شيء قامت تصادر جميع الأرزاق الواردة على إمارة البريمي، واتخذت كل الوسائل لفرض حصار شديد، وأخرجت سيارات

مسلحة إلى تلك المناطق تصادر ما مرت عليه من إبل وتمر وغير ذلك.

فبذلك اضطرت الحكومة السعودية لتوسيط حكومة الولايات المتحدة في الأمر طبقاً للمادة ٣٣ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة، وأعلنت هذه المعلومات للرأي العام في العالم، واستمر الخلاف وطال النزاع، وسنعرج على هذه المسألة عن قريب.

ظهور آثار البترول بين المملكة السعودية والكويت

في هذه السنة وردت أنباء بأنه نتيجة للحفريات التي قامت بها الشركتان المختصتان بالمنطقة المحايدة بين المملكة العربية السعودية والكويت ظهرت آثار البترول فيها على عمق يجاوز ثلاثة آلاف وثلاثمائة قدم، وتستمر الحفريات في مختلف بقاع المنطقة المنوه عنه، وتقع على ساحل الخليج بين الكويت والمملكة العربية السعودية، وهي مشتركة بينهما، وهذا يعتبر من أكبر الغنى لهاتين الحكومتين إذ كانتا بذلك أعظم الممالك منتوجاً.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها هبت رياح تقدر سرعتها بمائة وأربعين كيلو متراً في الساعة، أصابت إيطاليا وجزيرتي سردينيا وصقلية بخسائر، وأدت الأمطار والثلوج والفيضانات إلى وقوع ضحايا عديدة وخسائر مادية كبيرة.

وفي مدينة مودينا قطع التيار الكهربائي بسبب الأضرار التي أحدثتها العاصفة على شبكة توزيع الكهرباء، وبلغت كثافة الثلوج في الشوارع ثلاثين سنتمتراً، وقد سدت معظم المنافذ في جبال الابنين، ووقعت عدة حوادث سيارات بسبب الثلوج مما أدى إلى إصابة نحو ١٥ شخصاً.

وفي صقلية انقلب عدد من أعمدة التلغراف بالقرب من سراقسطة بفعل الرياح العنيفة، وفي سردينيا تساقطت الثلوج بوفرة وقطعت المواصلات مع شبه الجزيرة الإيطالية من جهة، كما قطعت بين بعض الأجزاء الداخلية من جهة

أخرى، ووقعت فيضانات تغرق الأراض، وفي منطقة جروسيتو فاضت مياه نهر أمبروني وأغرقت آلاف الهكتارات من الأراضي، وفاضت مياه البحر حتى اكتسحت الساحل.

وفي ليلة ٢٩ صفر فشت ظلمة شديدة في القصيم حتى كان الإنسان لا يبصر شيئاً، وكان وقتها رعود وبروق وصواعق، حتى توقفت الأمة عن السير.

ولما أن كان في النصف الأخير من محرم دعى جلالة الملك بأناس من العلماء إلى مكة المشرفة، ومن هؤلاء العلماء الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، والشيخ الفاضل عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ، ومنهم الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد يساعده الشيخ الفاضل ناصر الوهيبي، جعل الأخران كهيئة تميز للنظر في الأحكام التي طالما قام أهلوها يتظلمون أمام صاحب الجلالة.

كما أن آل الشيخ جلبوا هناك لتعزيز جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضيف إليهم أعضاء وعلى رأسهم فضيلة الشيخ علي بن فراج، فلبث الشيخان عبدالله وناصر يزاولان تلك الأعمال ثمانية شهور ويتنقلان في مكة والمدينة وجدة والطائف، ومن في صحبتهما من الأعضاء الملتحقين بهما.

ولما أن كان في جمادى الثانية في برج الحوت هطلت أمطار غزيرة على القصيم، وتوالى وقعها بعد جدب وقحط، ولحصوله حوالي فصل الربيع فإن الأرض اهتزت لذلك وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، وأخرجت الأرض أنواع الكلأ حتى جمع الناس من العشب شيئاً لم يعهد مثله في هذه الأزمان القريبة.

ولقد رأيت بعض رياض البطين في حال ازدهارها بالأعشاب، ومن ذلك روضة سليمان في البطين المشهورة لدى العامة، قد بنيت فيها الخيام ويتدفق فيها الماء النازل من السماء، والأمة إذ ذاك تحصد أنواع الأعشاب، فكان الجالس فيها يواريه العشب، ومن الناس من يستحصل في ضحوة واحدة حمل ستة حمر، وهذا شيء نادر الوقوع، فسبحان القادر على كل شيء:

رياض سليمان تفوق بحسنها   كساها إله العرش ثوب الأزاهر

على خدها قل لي من الحسن برقع — يرق لها قلب الفتى في المناظر
ترفرف أطيار بها طال سجعها — ترجع الحاناً لها بالتواتر
وينعش قلب المستهام هواؤها — ولا شيء أحلى من ثغور الأزاهر
بها عصبةٌ قد كابدوا في اقتطافهم — لأنواعِ نبت الأرض هل من مثابر
وينتابها قومٌ يريدون نزهةً — وأخذة أجمامٍ تريح لصابر
فإن كنت تبغي فرجةً عج بظلها — ففيها لعمري من عجيب المقادر
وإن شئت رعياً للمواشي فإنها — لتكسب من أعشابها كل حاضر
فسبحان ربي من جليلٍ معظم — تدل لنا أنعامه في التذاكر
وجدنا بها من عصبة الناس أمةً — ينادون بالخيرات هل من مبادر
فقلنا لهم يا قوم نحن أعزةٌ — كرام نفوسٍ أولعت بالمفاخر
نرحب في أضيافنا بل وندعهم — إلى كل ما يبدي به كل خاطر
ونهرع في إكرام من كان قاصداً — ونرغب في التقوى على قدر قادر

وفيها وفاة الأخ في الله فهد بن عيسى رحمة الله تعالى عليه، وهذه ترجمته:

هو الحافظ المتعفف النزيه، ذو الأصل العظيم والإكباب على طلب العلم، ولد في سنة ١٣٢٠هـ فنشأ في الزهد وقلة ذات يد من الدنيا، بل كان فقيراً محتسباً، وأخذ في تعلم القرآن ودراسته حتى حفظه عن ظهر قلب، وكان تالياً لكتاب الله، وحسن الصوت، خفف الله عليه تلاوة القرآن وسهلها، فكان يدارس في القرآن ويلهج فيه، وفي حال حفظه آلى على نفسه أن يحفظ كل ليلة ورقة من كتاب الله، فكان لا يتعشى حتى يحفظ تلك الورقة عن ظهر قلب.

وربما جاءته والدته بطعام العشاء إليه فيأبى أن يتناول شيئاً حتى يحفظ الورقة، ولقد بلغت الساعة في السابعة ليلاً بالعربي وهو لم يتعشَ ووالدته عنده بالطعام فيأبى ويقول سلي الله أن يلهمني حفظها فلا آكل حتى أنال ذلك ولو طلع الفجر، ثم إنه لزم الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأكثر الأخذ عنه والتردد على حلق الذكر بين يديه، ولحسن رعاية الشيخ عمر كان يقدر له جهوده.

وكان المترجم صبوراً على المحن والشدائد، وابتلاه الله فصبر لأنه كان ممتحناً بأنواع المصائب، ويرجى أن يكون له ثواب الصابرين، ولقد جرى له أن توفى أقرباؤه من زوجة وابن وأم مع ما يكابده من الحاجة، وكان رأى رسول الله ﷺ مرةً في المنام فقال: يا رسول الله ادع الله لي، فرفع الرسول ﷺ يديه ودعا له، ثم قال مع بلوى تصيبك، ولقد كان يجري بينه وبين أحبابه وزملائه مجاوبات حسنة، من ذلك أنه بعث إليه الشيخ عبدالمحسن بن عبيد يسليه ويخفف عنه بقصيدة طويلة من أبياتها قوله:

إليك إله العرش أشكو بلابلاً ... أناخت بقلبي فاستبدت بفكرتي
ففرجّ الهي كربتي بتفضلٍ ... وكن بي رؤوفاً يا مليكي وبغيتي
فقد جلَّ بي ما قد علمت وماله ... سواك إله العرش فاكشف لغمتي
وإلا فجد بالصبر يا منتهى المنى ... واجزل ثوابي واغفرن لزلتي
أنخت ركابي عند بابك سيدي ... فكن راحماً فقري وذلي وعبرتي
ويسر إلهي كل صعبٍ قضيته ... ويسر حسابي يوم حشري وبعثتي

إلى أن قال:

ففي كل حينٍ يطرق القلب فادحٍ ... من الغم فافرج يا إلهي لكربتي
فلا والداً أرجو سواك ولا أخاً ... ولا عمي الأدنى وخالي وعترتي
إلهي وخلاقي وسولي ومالكي ... تعطف بفضلٍ منك بادي البرية

فأجابه الشيخ فهد بن عيسى رحمه الله بقصيدة يقول فيها:

وقفت على نظمٍ لبعض أحبتي ... بصيرٍ بأحوالٍ لدنيا وخبرة
يخاطب به من كان لله عاصياً ... على علمه لا عن غرورٍ وغفلة
وينهاه بل يزجره عن كل حالةٍ ... يخالف فيها الفعل قولاً بلفظه
وينصحه بالرفق مع لين جانب ... وهذا لعمري فعل أهل المودة
ويخبر أن الصبر أجمل للفتى ... إذا وقع المقدور فينا بعسرة
كما جاءنا نص بذاك مبشرٌ ... بما عوض الله المصاب بنكبة

إذا كان عن صبرٍ جميلٍ وعن رضا ... بما قدر الباري علينا بحكمة
له الحمد إذ كل الأمور جميعها ... يحيط بها علماً وحكماً وقدرةً
ولولا الرجا كادت تطير قلوبنا ... من الحزن إذ لا نستطيع الرزية

الخ وهي حسنة جميلة.

وللمترجم قصائد حسنة من ذلك أنه طلب من أخيه في الله عبدالمحسن بن عبيد أن ينظم قول الشافعي رحمه الله: «صحبت الصوفية مدة ودهراً طويلاً فما استفدت منهم إلا كلمتين: الوقت سيفٌ قاطع فإن قطعته وإلا قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل»، فقال عبدالمحسن:

فوقتك سيفٌ قاطعٌ إن قطعته ... بجدٍ وتشميرٍ وإلا سيقطعك
وبالحق إن لم تشغل النفس جاهداً ... فبالباطل الأردى سريعاً ستشغلك
كذا قاله الحبر ابن إدريس ناقلاً ... عن السادة العبّاد قادة من سلك

فأجابه المترجم مذيلاً عليهن بهذه الأبيات:

فقال صحبت القوم دهراً ومدةً ... فلم أستفد منهم سوى ما ذكرت لك
هما كلمتا حقٍ لمن كان قامعاً ... هواه الذي يورده مورد من هلك
فمن جاهد النفس استقامت وبادرت ... وسارت به حقاً إلى طاعة الملك
ومن لم يجاهدها فسوف يلومها ... إذ اللوم لا يجدي وهيهات لو ملك
رجوعاً وقد فات الرجوع وأحضرت ... صحائف املأها قديماً على الملك
فأحصاه رب العرش حين نسيته ... وكان شهيداً عالماً حين أمهلك
فغفرانه والحلم قد وسع الورى ... ولولاهما زال السماء مع الفلك
فوحده بالأفعال جل جلاله ... كما أنه الخلاق والرب قد ملك
وقل ناطقاً بالحق لا متردداً ... ولا معرضاً أو مبغضاً لا شريك لك
بكل الذي نأتي من الخوف والرجا ... كذا الحب مع أنواع ما يستحق لك
فأنواعها أعني العبادة كلها ... سنبذلها من غير ندٍ يكون لك
فمعبودنا فردٌ فنفرده بها ... وأنواعها هذي طريقة من سلك

إلى آخر القصيدة وهي حسنة.

وله قصيدة ذيل بها بيتين أحدهما لابن رجب والآخر للأخ عبدالمحسن:

سـبيلك في الـدنيا سـبيل مسـافرٍ ... ولا بـد مـن زادٍ لكـل مسـافر
فمـا الـزاد إلا طاعـة الله وحـده ... ولا بـد يومـاً مـن حلـول المقـابر

قال المترجم:

فإن كنت ذا عقلٍ سليمٍ من الردى ... فقـم فـاغتنم أيـام عمـرك صـابر
علـى هـذه الـدنيا وسـوء فعالهـا ... بأهـل التقـى والحـزم أهـل التناصـر
تهـين أخـا علـمٍ وترفـع جـاهلاً ... كـذا فعلـها بالصـادقين السـرائر
وذا سـنة الله الحكـيم بخلقـه ... بـديل علـى هـذا وذا فعـل قـادر
فيعطـي بفضـلٍ منـه مـن يسـتحقه ... ويمنـع أقوامـاً وربـك قـاهر

إلى آخر القصيدة، وهي حسنة لولا خشية الإطالة لأتينا بها:

وكان رحمه الله ظريفاً، مليح المذاكرة، وله مناقشة في بعض المسائل، ويحب البحث في العلم.

أما نسبه فهو فهد بن عيسى بن عبدالكريم آل عيسى من بني زيد ويرجعون إلى عبيدة قحطان، وكانت وفاته في عشرين من شهر رجب على أثر انقلاب سيارة بينما هو موظف في قرية الشبيكية للإقامة والوعظ والإرشاد فيها، وكان قبل ذلك في قرية القرعاء.

وفي هذه السنة في ١٤ جمادى الثانية الموافق ٢٨ شباط ١٩٥٣ توفى ستالين روسيا، وهو الرجل السياسي الماهر الذي وقف في وجه قوات المحور حتى قضى عليها، وكان سبب وفاته أنه كان كلما تقدمت به السن ازداد شكا وقلقاً من زوجته روزا، حتى كان عام ١٩٥٢م إذ وصل بينهما الأمر إلى الخصام، ولذلك تآمرت عليه مع ١٦ طبيباً من أطباء الكرملين اليهود والتفقوا مع العازار أخي روزا بأن يدسوا السم لستالين، فلما عرف ذلك اعتقلهم، ولما أراد قتلهم تآمر عليه اليهود في مجلس السوفيات الأعلى بمساعدة المارشال جولوف فاحتلوا الكرملين وقتلوا ستالين، وأعلنوا أن ستالين قد

أصيب بنوبة نزيف في العمود الفقري أودت بحياته، وكان رجلاً حازماً ويشرف على سائر الأعمال بنفسه.

وفي هذه السنة أمرت الحكومة أيدها الله تعالى بأناس من العلماء لسد وظائف القضاء، ومن هؤلاء مؤلف هذا التاريخ لقضاء تيماء، ومنهم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدان لقضاء أبها، ومنهم الشيخ صالح بن أحمد الخريصي لقضاء الدلم في الخرج، أما بلدة السيح في الخرج فلا يزال على وظيفة القضاء فيها فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن عبدالرحمن الشعبي، وهذه نبذة من سيرته ونسبه:

ولد الشيخ عبدالعزيز في بلدة منفوحة القديمة جنوبي الرياض سنة ١٣١٤هـ، ذلك لأن آباءه وأجداده قد انتقلوا من ملكهم الفويتة ـ بالفاء والواو والياء التحتية والتاء بعدها تاء التأنيث ـ وهي معكال المعروف بالرياض إلى بني عمهم أهل منفوحة، وذلك في زمن الإمام عبدالله بن فيصل.

نشأته ودراسته

نشأ الشيخ عبدالعزيز يتيماً في كفالة والدته، لأن والده انتقل مع الإمام عبدالرحمن الفيصل إلى الكويت في أيام محمد بن عبدالله بن رشيد فتوفى هناك، والشيخ صبي، فأخذ يتعلم القرآن من الشيخ سعد بن عنبر معلم أهل البلدة في وقته حتى حفظه عن ظهر قلب، وتلقى علم التجويد عن الشيوخ الحفاظ ومراجعة الكتب، وكان معرضاً عن الدنيا ومقبلاً على الدراسة والعلم، ثم إنه رحل إلى الإحساء لتلقي العلم من عالمها الشيخ عيسى بن عكاس، فدرس عليه في كتاب التوحيد لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبعد مضي عامين رجع إلى مسقط رأسه فتزوج عام ١٣٣٧هـ من آل سيف من بني هاجر القبيلة المعروفة في صياح من بلد الرياض.

وجعل يواصل دراسته على علماء وطنه، فأخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن سالم

من قبيلة آل عيد الدواسر، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن حميد علم الفرائض، وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، درس عليه في بلوغ المرام في الحديث، وأخذ عن علامة نجد ومفتي المملكة السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، درس عليه في زاد المستقنع، والبلوغ، وألفية ابن مالك، ومنتقى الأخبار، والعقيدة الواسطية، ولمعة الاعتقاد، والحموية، وكان مع ذلك أديباً وذا حافظة للشعر، وقارعاً للشعر، فمن شعره قوله في حق عبدالله بن علي الصعيدي من بحر الرجز:

قال ابن سعدي ناصراً للحق ... بهمةٍ ونيةٍ وصدق
رداً على مؤلف الأغلال ... مبيناً ما فيه من ضلال
محذراً مما به قد ارتكب ... وما على الإسلام فيه قد جلب
وهو الصعيدي الذي قد اشتهر ... في مصر أو هناك أمره ظهر
وكان هذا الشخص من قد أتى ... في سالف الأيام بعض الحكمة
وكان في الفروع والأصول ... وعلمي المعقول والمنقول
يعدُّ من فحول أهل العلم ... في الحذق والفهامة والفهم
فرجع على قفاه القهقرا ... ونزل من الثريا للثراء
نعوذ بالله من الخذلان ... والحور بعد الكور والحرمان

ومن شعره قوله لما عافاه الله من القضاء:

الحمد لله الذي عافاني ... من القضاء وشره كفاني
أراح منه بدني وقلبي ... وعرض من مسبةٍ وثلبي
فله الحمد أولاً وآخراً ... وله الشكر باطناً وظاهراً
وأسأله الصفح عن زلاتي ... والعفو عن ذنبي وعن عثراتي
فإنه الغفار للذنوب ... وإنه الستار للعيوب
ربّ فأحيني على الإسلام ... وثبت يا رب عليه أقدامي

واختم لي يا رب بصالح العمل وعافني من الخطايا والزلل

إلى أن قال:

فنحن في زمان خيره ذهب والخبث قد فشا والشر قد غلب
لم يبقَ في الإسلام غير الاسم ولا من القران غير الرسم
فريضة الصلاة فيه ضيعت والمنكرات والملاهي أعلنت
وشرب الدخان فيه جهراً من غير إنكارٍ وغير نكرا
في كل مجلسٍ ونادٍ يشربه وكل شارعٍ وسوق يجلب

إلى أن قال:

وهو حرام دون شك عندي وشربه فموجب للحد
ومن يبعه أو يَشْرِيه أو يتعاطا للتجارة فيه
فإنه يسمى بالسفيه عند ذوي الألباب والتنبيه

وله أبيات حسنة غيرها جميلة، ولقد قضى خمساً وعشرين سنة في طلب العلم، وكان يمشي على رجليه من منفوحة الرياض خمس كيلوات صباحاً ومساءاً، وكانت دراسته على الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن سالم في الفرائض، والبخاري والترمذي والنسائي، وتفسير ابن كثير والبغوي، ومختصر الشرح للشيخ محمد.

أما الوظائف التي نالها، فإنه عين إماماً لجامع المنفوحة في سنة ١٣٤٠هـ، وفي ١٣٤٥هـ عين عضواً في هيئة الأمر بالمعروف في منفوحة، وفي عام ١٣٥٦هـ عين خطيباً في الجامع المذكور، ومرشداً في منفوحة ومفتياً.

ولما أن كان في هذه الوظائف لم يمنعه ذلك عن الاتصال بالرياض يومياً، وإنا لنقدر للشيخ مجهوداته ونمتدحه ونثني عليه، ونسأل الله له الإثابة ذلك بأنه رجل طيب متواضع، دمث الأخلاق، واجتماعي.

ولما أن كان في سنة ١٣٦٥م عين قاضياً في الخرج في السيح فاستمر يزاول مهنة القضاء أربع عشرة سنة تقريباً، ثم إن الحكومة أيدها الله رأت العطف عليه بإحالته

إلى التقاعد، وذلك في شهر شعبان سنة ١٣٧٩ الآتية، وبعد ذلك استمر في التدريس في الخرج والإمامة في الجامع، والخطابة فيه، فكان مستمراً في هذا العمل، وكان ينتهي نسبه إلى الشعيبي من شعب همدان القبيلة اليمنية المشهورة، ومن آل شعيبي سليمان الشعيبي الذي هاجر من منفوحة إلى الدرعية في زمن إمام الدعوة في فتن دهام بن دواس بن عبدالله بن شعلان الذي تغلب على الرياض وتصدى لعداوة أهل التوحيد، واشتهر بالظلم والجبروت، فهاجر سليمان هذا وأناس من رؤساء أهل منفوحة.

وكان من ظلم دهام بن دواس أنه غضب يوماً على امرأة فأمر أن يخاط فمها، ومنها أنه غضب يوماً على رجل مسجون فك بأسنانه قيد الحديد، فأمر بضرب أسنانه بالحديد حتى تساقطت والعياذ بالله.

وفيها تم العمل من العين الجديدة العزيزية بضمها إلى عين زبيدة لمكة المكرمة، وذلك لأن الحكومة السعودية أيدها الله تعالى لما رأت كثرة الحجاج الواردين إلى مكة المشرفة، ومن جهة أخرى كثرة السكان بمكة اشترت عيناً في طريق المضيق إحدى القرى القريبة من الشرائع في طريق الطائف، وأمرت بجلب مائها إلى مكة لتوفير الماء بها، وقد شرع المهندسون منذ رمضان من سنة سبعين هجرية بنوا لأجلاها خزانين كبيرين للتصفية عند مصدرها، وفي أواخر السنة المتقدمة وصلت العين المذكورة إلى محلة المعابدة وضمت إدراتها إلى إدارة عين زبيدة، وفي هذه تم العمل وأصبحت مكة المكرمة تتمتع بوفرة المياه الغزيرة، واتسعت العينان لكفاية الحجاج والعمار والسكان، فجزى الله المحسنين خيراً، وإنها لحسنة خالدة لصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل، وبعدما كان يطلق على عين مكة اسم عين زبيدة أصبح يطلق عين زبيدة والعزيزية.

وفيها في رمضان وقيل في التي قبلها وفاة رجل الدين والصلاح حمد بن سعد بن راشد بن حمد الشبرمي قدس الله روحه، ويأتي بقية نسبه في ترجمة أخيه عبدالله، وهذه ترجمته:

نشأ في حضانة والديه، ثم إنه تعلم القرآن وجدَّ ونافس في طلب العلم، فكان يذهب هو وصاحبه محمد بن عبدالله التويجري إمام قرية القصيعة العالم المشهور الذي تولى قضاء جيزان يذهبان إلى بريدة للأخذ عن آل سليم الشيخين عبدالله بن محمد بن سليم وأخيه الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأكثر من الأخذ عن الشيخ عمر، وكان هو الذي يتولى الخطابة في القرية المذكورة والإمامة فيها، ثم إنه ترك ذلك لزميله محمد التويجري، وكان فلاحاً في القصيعة ويأكل من كسب يده، ويؤم في أحد مساجدها، وله حارة في جنوبي القرية يرجع إليه فيها، ولا يزال الناس يعظمونه لمكانته في الهدى والمعرفة والإصلاح بين المتخاصمين، وكان موضع الثقة من العلماء والقضاة، ومن أهل الولاء والبراء الذين يحبون في الله ويعادون فيه.

وكانت ولادته عام ١٢٩١هـ، ويعتبر من خيرة أهل زمانه في الدين والصلاح والإقبال على الله تعالى والاتكال عليه، وقد يؤتى إليه بالمصابين بالأرواح الشريرة فيعالجهم بتلاوة القرآن والأوراد فيعافيهم الله تبارك وتعالى، وكان يمقت أهل الأذى والظلم ويعيبهم وله إخوان من بينهم المطوع المشهور عبدالله بن سعد وإبراهيم وعبدالعزيز.

وفي هذه السنة عزز جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأقيم هيئة رسمية إداريون وأعضاء يدأبون في القيام بالمعروف والنهي عن المنكر فيها بجد ونشاط، وأمرهم نافذ على الصغير والكبير.

وكان رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز فضيلة الشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ، والمساعد له الشيخ علي بن فراج من أهالي الهلالية القرية الكبيرة في القصيم، وكان له تقدم وشجاعة وقوة في دين الله تعالى، كما أن الشيخ عبدالملك يمتاز بالبصيرة والعلم والمعرفة، وطول التأني، وفيه مكارم، وله حكمة وحسن معاملة.

وفيها تقدم الشيخ عبدالله بن عودة آل سعوي بطلب العافية من قضاء الدمام لطول مكثه في القضاء، ولضعف جسمه، فلبت الحكومة طلبه وأحالوه على التقاعد، ثم إنه جعل مكانه في قضاء الدمام الشيخ إبراهيم العمود.

ذكر الآبار الأرتوازية في منطقة القصيم

ففي ١٤ شوال من هذه السنة انفجرت عين في قرية عين الزرقاء المعروفة بالشمال الغربي عن بريدة، وكانت هذه العين أول عين عذبة انفجرت في القصيم فأقبل الناس إليها زرافات ووحداناً لتناول الماء منها، وحدث من ذلك فرح واستبشار في الأهالي لوجود البحور العذبة عندهم، هذا وقد زعم بعض الخبراء قبل ذلك أنه لا يوجد في القصيم مياه عذبة، وبذلك تبين كذب هؤلاء الخبراء وغشهم، ثم إنه انفجر بعد ذلك في القصيم عيون عظيمة، وسيمر بنا ذكرها.

جمهورية مصر

لما كان في ٤/ ١٠ من هذه السنة الموافق ١٨ يونية ١٩٥٣م ألغي نظام الملك وأعلنت الجمهورية فيها، وأسندت رئاستها إلى محمد نجيب زعيم الثورة، وإن محمد نجيب هذا يعتبر متواضعاً لشعبه وفيه عدل، وقد اصطحب الإنصاف.

ولما حج في هذه السنة شوهد منه عبادة وبكاء، وعندما كان يخرج من خيمته في عرفات ظهراً كان بعض مرافقيه يحاولون أن يحموه من حرارة الشمس بالمظلة غير أنه كان يأبى عليهم دائماً أن يحموه عن الشمس مع أن مكبرات الصوت تحذر الحجاج من التعرض للشمس وإصراره على الإباء هو أنه يرى من بين الحجاج من لا يحمل مظلة فلماذا يحمل هو مظلة، وكان رفقته لم يستطيعوا أن يجاروه في ذلك فوقفوا حوله يرددون ابتهالاته والمظلات فوق رؤوسهم، ومما نسب عنه الإكثار من تلاوة القرآن، فقد كان يتلو في المصحف وهو مستلقي على فراشه.

ولما سئل وهو في مكة المكرمة لأداء الحج بأنه قد اشتهرت إشاعات منذ أعلن اعتزامه على الحج أن الغرض إنما هو عقد معاهدة مالية مع الحكومة السعودية لتدعيم الخزينة المصرية؟ أجاب بعدما أبدى ابتسامته على شفتيه:

إلى هذا الحد يريدون أن يشوهوا سمعة مصر المالية، وهل ميزانيتنا أقل شأناً من القطر الشقيق.

إن الذي حدث هو أنني تلقيت دعوة من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود لزيارة الحجاز، كما تلقيت دعوات أخرى لزيارة بعض الأقطار الشقيقة، ولما كان الملك عبدالعزيز فينا جميعاً بمثابة الوالد فقد رأيت أن أبدأ بتلبية دعوته الكريمة في موسم الحج فأحج وأزوره في وقت معاً.

ونظراً لأني أكره الرسميات فقد اعتذرت عن أن تكون هذه الزيارة رسمية، ولكنهم مع ذلك قد استقبلونا واحتفوا بنا احتفاء يفوق كل المظاهر الرسمية، وتصدق بصدقات على الفقراء الذين في طريقه بسيره إلى المساجد، حتى ذكر أنه لما فرغ ما معه من النقود في أثناء زيارته لمسجد قباء بالمدينة المنورة أسف لذلك أسفاً وسأل من حوله عن نقود، فتقدم بعض رفقته وقدم له كل ما كان معه، فلما كان من الغد وفاه حقه شاكراً له، وبعدما طلب منه الرفيق أن يرجع ردها حتى يعود من الزارة أبى ذلك وصلى في كل مسجد ركعين.

ولما كان بعض المساجد في أماكن مرتفعة في المدينة وأحسَّ أن بعض مرافقيه يجدون صعوبة في الصعود إليها جعل يشجعهم ويقول كل شيء بثوابه وهذه فرص لا ينبغي أن تفوت، وهذا النبي ﷺ كان يصلي هنا.

ولما عاد من البلاد السعودية تلقى ٢٢٦٩٢ برقية تهنئة و٦٢٧١٨ رسالة، ومن بين هذه البرقيات والرسائل ورد من خارج القطر ٤٩١٨ برقية و٩٣١٤ رسالة، وقد نشر منشوراً إلى حجاج بيت الله الحرام، وبالجملة فإنها جعلت تلهج به السنة المصريين ويهتف باسمه كبيرهم وصغيرهم، حتى جعلت الأطفال تدعوه بابا نجيب.

حادث مفزع في مصر

لما كان في آخر ليلة من ليالي هذه السنة تقدم أربعة من الأشقياء الذين اصطحبوا للسرقة ونهب الأموال بمسدساتهم والناس نائمون والدنيا سكون إلى موضع، وقد شهروا المسدسات في وجوه كل من في الحانة، وصاح واحد منهم

ارفعوا الأيدي وأخرجوا النقود وبدت من أحد المظلومين وهو أحمد علي حسين الجرسون حركة فهموا منها أنه يحاول الاستغاثة، فسارع أحد المجرمين يفرغ رصاص مسدسه في قلب الرجل، وتتابعت طلقات الرصاص بعد ذلك.

وكان الطريق خالياً من المارة، وكان أحد الأشقياء يراقب الطريق، وقد أعدو سيارة تاكسي قد قتلوا صاحبها وزوجه وأحد الزبائن، وقد رآهم منادي السيارات، ثم تجمع الناس ولجأ المعتدون إلى استعمال الرصاص مرة أخرى، غير أنه ألقي القبض عليهم بعد جهد ومشقة، وقد تلف من اعتدائهم ضحايا من بينهم الرجل المذكور تاركاً وراءه زوجته وأولاده الثمانية بدون عائل، وأصيب منادي السيارات وترك أولاده يذرفون الدمع، ولا يجدون القوت، والأمة المصرية تطالب الحكومة بأن تهتم بهذه المشاكل، ووضع حد لهذا اللين والرأفة بالمجرمين، ولو أنهم عرفوا تماماً أن حبل المشنقة هو المصير المحتوم للمعتدين لما أقدموا على فعلتهم هذه، لأن العقاب يردع ويخيف، فإذا لم يكن هناك خوف فلا ارتداع ولا خوف، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾، فلا بد من وسيلة ما لإيقاف هذا التيار.

ولقد اغتيل أحمد ماهر في مصر وهو في البرلمان سابقاً يدافع عن فكرة دخول مصر الحرب ضد المحور حتى يضمن لمصر مقعد في مؤتمر الصلح.

واغتيل أيضاً محمود فهمي النقراشي الرئيس الثاني لحزب السعديين قتل بقنبلة يدوية وهو يدخل وزارة الداخلية بعد أسبوع من حل جمعية الإخوان المسلمين، وكان النقراشي هذا مثلاً للنزاهة فيما ذكر عنه، وأول من صرخ في وجه الملك فاروق ومنعه من ارتياد الملاهي العامة.

وكان أول من قال للإنكليز في مجلس الأمن اخرجوا من بلادنا، وأول من وصفهم بالقراصنة، وأول من عارض دخول الجيش المصري معركة فلسطين، لأن الجيش لم يكن مستعداً، ولقد سمعت أو ذكر لي أن أحد فحول شعراء مصر رثاه بمرثية عظيمة، ولما أن ألقاها ابنه في الإذاعة وسمعها ذلك الشاعر انتحب ومات.

زيارة حاكم باكستان

إن باكستان فيما ذكر عنها بلاد أسسها مسلموا الهند ليكونوا فيها أحراراً في إقامة شعائر الدين الإسلامي، حتى نقل مؤسسها القائد الأعظم محمد علي جناح، إننا لم نؤسس باكستان لمسلمي الهند فحسب بل لتكون مقراً للدعوة الإسلامية، وينسب إليهم شدة التمسك بالدين، ويا حبذا هذه الخصلة.

وإن الهدف الأساسي الذي من أجله أنشئت باكستان هو إتاحة الفرصة لمائة مليون من البشر حتى يعبدوا الله في حرمه ويحققوا العدالة فيما بينهم، كما جاء بها الإسلام وعاصمتها كراتشي، وإن المرأة متمسكة بتعاليم دينها محافظةً على تقاليدها، متصفةً بالأخلاق الفاضلة، وقد نالت قسطاً وافراً من التعليم والتهذيب، وتمقت الخلاعة، وتنكر تقاليد الأوربيات في أزيائهن وتبرجهن، وأكثر نساء الباكستان يحافظن على الحجاب الشرعي.

ولما توفى القائد الأعظم محمد علي جناح أسف جلالة الملك عبدالعزيز لوفاته جداً وأمر أن تقام على روحه صلاة الغائب في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، رحمة الله على أموات المسلمين.

ثم إن باكستان قد انتدبت قبل هذه السنة بأربع سنين وفداً من قبلها لزيارة المملكة العربية السعودية برئاسة صاحب المعالي الخواجا وزير الداخلية، فكان موضع تقدير جلالة الملك ورجال حكومته.

ولما أن كان في هذه السنة في يوم الأربعاء ١٨/٦ الموافق ١٩٥٣/٣/٤م قدم حاكم الباكستان صاحب الفخامة السيد غلام محمد بزيارة رسمية إلى المملكة العربية السعودية.

وكان قدومه في الرياض، فأطلقت المدفعية لقدومه إحدى وعشرين، واستقبل استقبالاً باهراً، ورتب السير كهذا الدراجات النارية، وسيارات الجيب، والسيارات الملكية الخاصة، وسيارات أصحاب السمو الأمراء، وسيارات رجال الحاشية والحكومة.

وينبغي أن يكون السير بطيئاً ويرفع العلم الباكستاني إلى جانب العلم السعودي، ثم بعد ذلك أقلته الطائرة إلى جدة وأطلقت المدفعية ٢١ مدفعاً، ثم توجه إلى مكة المكرمة، وكانت أقواس النصر قد رفعت من مسافة طويلة، ثم إلى المدينة المنورة، وقد زار منى وعرفات بعدما أدى العمرة، وقد أطلقت المدفعية في المدينة لقدومه واحداً وعشرين مدفعاً، ثم زار المسجد النبوي، وبعد ذلك استقل الطائرة إلى جدة، ثم منها إلى بلاده، وقد لقي في كل موضع حفاوة وإكراماً عظيماً، وكان عمره إذ ذاك ثمانياً وخمسين سنة.

أما نشأته وأعماله فإنه تلقى تعليمه في مدارس وجامعات مختلفة، وآخر ذلك قضى مدة قصيرة في ولاية بهوبال ١٩٣٢ ـ ١٩٣٤م.

ثم عين وكيلاً لمدير الحسابات العام بمديرية البرق والبريد بحكومة الهند، ثم عين في منصب هام بوزارة التموين عند بدء الحرب العالمية الثانية، ثم ارتقى إلى منصب السكرتارية، فعين سكرتيراً ملحقاً، وقد قدرته الحكومة وعرفت لخدماته العظيمة حق معرفتها وقدرتها حق قدرها فمنحه لقب بطل الإمبراطورية الهندية، ثم منحته لقب الفروسية فيما بعد.

ثم تولى منصب وزارة المالية، ثم تولى شركة تاتا المشهورة، وهي شركة تجارية ذات مصالح جسيمة، ثم عين وزيراً لمالية باكستان في عام ١٩٤٧م، فكان أول وزير مالية فيها، ثم عين وزيراً للشؤون الاقتصادية والمالية وهي الوزارةالتي أسست لتنظيم شؤون باكستان الاقتصادية، ثم إنه اختير بعد ذلك حاكماً عاماً للباكستان في أكتوبر ١٩٥١م الموافق لمحرم ١٣٧١هـ بعد أن اعتزل هذا المنصب سلفه الحاكم العام خواجه، وكان غلام محمد هذا هو الساعد الأيمن لمحمد بن علي جناح مؤسس دولة الباكستان، وكان أديباً ويعرف اللغات ويجيد الأوردية إجادة عظيمة إلى جانب إجادته الإنكليزية والفارسية، وله إلمام بالعربية، وكانت زيارته للملمكة السعودية قد استغرقت أسبوعاً كاملاً.

وفي هذه السنة نشرت إحدى الجرائد السعودية نشرة في جمادى الثانية لبعض

الأدباء مستنكراً كثرة التسول من بعض الحجاج الذين يقدمون من بلادهم خالي الحقائب، وقال إنه يجب على الحكومات الأجنبية ألا تسمح لأحد بالخروج من بلاده مالم يحمل ما يكفيه من النقود، وعلق على ذلك بأن إلغاء الرسوم عن الحجاج سيجعلنا أمام مشكلة كبرى هي مشكلة إقدام كل من هبَّ ودبَّ على الخروج إلى الحج بمجرد مقدرته على دفع أجرة الركوب فقط، فأمام هذه المشكلة يجب أن يذاع وينشر بالصحف المحلية والأجنبية ويطلب من الحكومات الأجنبية ألا تسمح لأحد بالخروج من بلادها ما لم يحمل من النقود ما يؤمن سفرته، وتالله إنها لفكرة صالحة.

وفيها قام رئيس جمهورية مصر محمد نجيب يطالب بالجلاء عن قناة السويس، وأنه يجب على القوات البريطانية الجلاء عن القناة بلا قيد ولا شرط، وقدم مذكرة تمهيدية إلى السفير البريطاني، ولم يتم بعد تحديد موعد لفتح باب المفاوضات، ولكن الجانب المصري مشغول باختيار الفريق الذي يمثله فيها، وتقول الصحف المصرية إنه سينضم إلى اللواء محمد نجيب ووزير الخارجية في وفد المفاوضات المصري البكباشي جمال عبدالناصر الرجل الثاني في مجلس الثورة، والصاغ صلاح سالم الذي قام بدور هام في مفاوضات السودان، وكانت بعض الصحف البريطانية أيضاً تؤيد الجلاء إلى حد ما، غير أن غالب صحفها تعارض أشد المعارضة.

وفيها صدر أمر الحكومة السعودية برقم ١٠٩ في ٢٤ محرم بإلغاء نظام المرافعات السابق وإبداله بتعليمات إدارية من شأنها تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية رغبةً من الحكومة في تنفيذ الأحكام الشرعية حسبما يأمر به الشرع بدون تغيير أو تأخير أو تبديل، ونشرت هذه التعليمات بـ ٩٦ مادة، ومن أراد مراجعتها فإنه يجدها في العدد ١٤٣٥ من جريدة أم القرى، وفي ٣ صفر من هذه السنة صدر التعامل بالجنيه الذهبي السعودي بسعر أربعين ريالاً.

المشروع الزراعي وتربية الدواجن

نشير هنا إشارة فنقول: بما أنه مرَّ على آثار نجد فتن وحروب قضت على

الحرث والنسل حتى قيّض الله سيد الجزيرة وعاهلها عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل، فأبدل من خوف البلاد أمناً، ونشر في ربوع شعبه العلم، وبث فيه الإقبال على العمل والكد، فعمَّ الإصلاح طول البلاد وعرضها.

وكان من ذلك هذا المشروع الزراعي الضخم بالخرج الذي بوشر في تأسيسه وتوجيهه منذ أربع عشرة سنة، وكان القائمون به إذ ذاك عراقيين وسعوديين وفلسطينيين ومصريين، وقد استخرجت الحكومة وادخرت من الثار مبالغ لا بأس بها ورغبةً في زيادة أرقام المحصول في هذا المشروع، ومسايرةً للتطورات الجديدة في فنون الزراعة رأت حكومة جلالة الملك المعظم عبدالعزيز أن تستوفد بعد التأسيس بخمس سنوات من الولايات المتحدة بعثة للزراعة لتعليم السعوديين وإرشادهم إلى ما يجهلونه من النواحي الفنية للزراعة الحديثة، فوصلت هذه البعثة وهي مكونة من ثلاثة خبراء: رئيس وهو روجرز دايفد وكواس، مدير مزارع السهباء، ومدير مزارع السيح مستر أمرك، وبعد مدة وجيزة من وصولهم أمنوا جميع وسائل الحراثة، ومن ثم شرعوا في توسيع نطاق الزراعة من الحبوب والخضراوات والعلف، علاوةً على المغروسات الثابتة من الأشجار والنخيل والأثل، وإنه لحق إذا قيل أنهم عملوا عملاً يذكرون به نظراً لما أسسوه، وما قاموا به من تعمير وإصلاح إنتاجه ظاهر، وحينما انتهت مدتهم وتسلم العلم بعدهم بعثة ثالثة برئاسة سام تي لوقن الذي كان محافظاً على عمله، محبوباً من العمال والمزارعين والموظفين، وبعدما استقال باشر العمل خلفه الرئيس فرنك بروك شير الذي عرف عنه الحزم والجد والإخلاص في العمل، وبتوفيق الله ثم اهتمامه أنتجت المزارع هناك إنتاجاً كثيراً، ويمتاز هذا الرئيس الأخير أنه أفسح المجال لبعض السعوديين ممن عرفهم ودربهم على شؤون الإدارة والعمل قبل توليه الرئاسة العامة للمزارع، وجعلهم يقومون بالأعمال إبدالاً عن أناس أمريكيين، وقد كثر المنتوج، وتقوم الزراعة جميعها على الآلات الحديثة من حراثات وبذارات وحصادات وذراءات وسمادات، وغير ذلك من آلات أخرى أحضرها.

أما عن الري فيجري الماء لمزارع السيح والسهباء التي تقدر بثلاثة آلاف وخمسمائة فدان بواسطة قناة رئيسية، تبدأ من مصب عند الضلع مارة بمزارع السيح للسهباء، وطولها خمسة وعشرون كيلو متراً وعرضها عشرون قدماً، وعمقها خمسة عشر، وقد ركب على حافة العين أربع مضخات قوة كل واحدة ٤٥٠ حصاناً، وسعة أنبوبها ٣٠ بوصة، وتدفع كل واحدة في الدقيقة خمسة عشر ألف جالون، وهي مستمرة ليلاً ونهاراً بدون توقف سوى واحدة للمناوبة ولتأمين الماء وغزارته من جهة، واتساع الأراضي وصلاحها للزراعة من جهة أخرى، وتوفر الآلات الحديثة ووجودها للعمل في المشروع، وإن بعض الرياض هناك لتمتاز بجودة التربة وطيب المناخ، ولا يزال هذا الرئيس منذ تولي العمل في العام الماضي يدأب في تقدم الزراعة في هذه السنة.

أما تربية الدواجن، فإنه لما كان من المعتاد أنها لا تنمو وتنتج إنتاجاً مثمراً مالم تكن مقرونة بالزراعة، وقد جعلها الغربيون جزء من مقومات الزراعة، ومن أسباب نهوضها ونجاحها، فاعتنوا بها اعتناءهم بالحراثة، وهيأوا لها جميع الوسائل الحديثة التي تكفل لها التربية والنمو.

لذلك أمرت الحكومة مسايرةً للتطور الحديث في كل المشروعات التي تشجع على النهوض بالشعب بتربية الدواجن والأبقار، واسند ولي العهد سعود الأمر إلى الرئيس سام تي لوقن بإدخال مشروع جديد على الزراعة، وهو تربية الدواجن والأبقار، فنفذ الفكرة حسب رغبته، ووسد أمرها إلى شاب نشيط خبير بتربية الدواجن والأبقار وهو معاونه حينذاك جين كب، فقام بهذا العمل خير قيام، وابتدأ بتحويط أرض مزروعة بين حقول البرسيم والنخيل والأشجار الأخرى السهباء لتكون مرتعاً ومرعى للدواجن، وقد عمر بها مساكن عديدة للدجاج والأوز والبط والدجاج الرومي والأرانب، وشيدا بروجاً للحمام، وبنى مستودعات للأغذية، وأمكنة للتفريخ، ومحلات خاصة بالفراخ الصغيرة الحديثة العهد بالتفقيس، وأخرى بالفراخ التي بدأ ينمو الريش عليها وتدلف للسعي، وقد روعيَ في جميع مساكن

الدواجن والأبقار جميع الأسباب الصحية في تأمين التهوية والتدفئة والنور الطبيعي، والتنوير الاصطناعي ليلاً ونهاراً، وقد غطيت جميع المنافذ بأسلاك لا تمكن نفوذ الحشرات، ووضعت داخل مستودعات التفريخ عدة مكائن من نوع إن كربيور، وتسع الحضانة الواحدة ألف بيضة، ويمكث بها البيض من ٢١ إلى ٢٧ يوماً، وقد أحضر البيض من الولايات المتحدة بالطائرة، وهو من أرقى أنواع البيض هناك، وبعد أن ثم تفقيسه خلال السنة الماضية وضعت كل مائتي فرخة في حجرة طولها ٤٠ قدماً، وعرضها ٢٠ قدماً، وأمام كل حجرة مظلة، وأمام كل مظلة قطعة أرض مزروعة طولها ٤٠٠ قدم، وعرضها ١٠٠ قدم، وقد بلغ في هذه السنة إنتاج الدجاج الذي كمل نموه وبدأ أكثره يعطي البيض تسعة آلاف دجاجة، عدا الفراخ الصغيرة، ومما يلفت النظر ويزيد عجباً أن هذا المشروع السريع الإنتاج لم يمضِ عليه سوى عام ونصف العام.

هذا ويصدر من الإنتاج يومياً للقصور الملكية بالرياض بمعدل تسعمائة بيضة وثلاثين دجاجة، وتختلف الدجاج في النوع والوزن، حتى أن بعضها ليبلغ اثني عشر رطلاً وبعضه ستة أرطال.

أما الدجاج الرومي فبلغ الموجود منه في هذه السنة بالسهباء تحت إشراف مستر جين كب مائتين وخمسين، والتفريخ من نوعه مستمر وتزن الواحدة خمسة وعشرين رطلاً، ويزن البط ستة أرطال، وهي والأرانب والحمام حديثة العهد بالتربية، ويتكون غذاء الصغيرة من حبوب الحنطة والشعير والذرة المجروشة مضافاً إليها الحليب المجفف وصفار البيض المجفف، والبرسيم، ويعطى لكبار الدجاج غذاء يتكون من جريش الفاصولياء واللوبياء والأرز والبطاطس والبسكويت والبيض المجفف وعظام البحر واللحم المجفف والبرسيم مضافاً إليها مواد أخرى تحتوي على فيتامينات، وللعناية والشراب صنعت على هيئة أحواض مستطيلة من معدن الزنك، وعرض الحوض قدم واحد، وطوله ستة أقدام، وقد وضع على كل حوض غطاء من الأسلاك يمكن رأس الدجاجة

وحده من تناول الغذاء من خلال الأسلاك، أما أواني الشرب فقد وضعت بطريقة صحية صناعية تحفظ الماء من التلوث.

وهكذا أيضاً فقد وصلت في مبتدأ هذه السنة بقر أمريكية عدتها تسع وخمسون بقرة من الولايات المتحدة، وقد أعد لها الخبير المختص مباني خاصة وسط المزارع مستقلة بمستودعات العلف، وقد أعد لها أرضاً واسعة مرتعاً لها، وبنى فيها مباني حديثة بها أقسام خاصة جهزت بالآلات الخاصة بالحلب، وصنع الألبان وتعبئتها على الطريقة الحديثة، وكل شيء على حدة من الحليب ومشتقاته، والبقر ثلاثة أنواع:

نوعان للحليب، ونوع خاص للحوم، ويسمى النوع الأول براون وهو سويسري، ويسمى الثاني جرسي، ويسمى الثالث سانتاجر ترودي، ويمتاز نوع براون بضخامة الجسم وجمال الشكل، ويزن ألفاً ومائة رطل، ويحلب من سبعة إلى ثمانية جالونات، ويزن النوع الثاني جرسي ثمانمائة وخمسين رطلاً ويحلب من خمسة إلى ستة جالونات في اليوم، ويمتاز عن نوع براون بزيادة المواد الدهنية، أما النوع الثالث فهو وحشي الشكل وغير صالح للحلب، ولكنه مخصص للذبح، ويزن ألفاً وثلاثمائة رطل، وقد خصص لبقر الذبح مزرعة محاطة بجدار بلغ كيلو طولاً وعرضاً ليتناسل فيها، وقد رأيتها ووقفت عليها في زيارتنا للخرج في السنة التي بعد هذه، فجلنا في تلك المنشأة الحديثة والمعدات الحسنة، ومن أعجب ما رأيت ذلك الماء الذي تخرجه تلك المضخات بقوة خارقة، وإنها لفرصة سنحت لنا هناك لنتمتع بتلك المرائي الحسنة.

وحج بالناس في هذه السنة ولي العهد سعود بن عبدالعزيز لأن جلالة الملك بعد قدومه إلى الحجاز اختار أن يقيم في الحوية فتأخر عن الحج وقد ثقل، فاختار أن يلبث هناك، فالله المستعان وعليه التكلان.

ثم إنه نشر هذه النشرة رقم ٥/٢/٤٩٠٠ بتاريخ ١٥ ذي الحجة ١٣٧٢هـ، نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ملك المملكة العربية

السعودية بعد الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، ونظراً لاقتضاء المصلحة فقد أسندنا بموجب أمرنا هذا للابن سعود ولي عهد مملكتنا العربية السعودية القيادة العليا العامة، وبذلك تكون سائر القوات المسلحة في مملكتنا من قوات الدفاع والحرس والأمن العام، وأهل الجهاد والمجاهدين، كل هذه القوات تابعة له، تسير بموجب أوامره، والتعليمات التي يسنها لها، وليس لأي من هذه القوات القيام بأي حركات حربية إلا طبقاً للأوامر التي يصدرها لها، ونسأل الله له التوفيق والنجاح، كما نسأله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته.

عبدالعزيز

وفيها خلع ملك الأردن طلال بن عبدالله الشريف، وأسباب خلعه أنه كان محبوباً من العشائر البدوية في الأردن، ومن العرب، لأنه يميل إلى التحرر من نفوذ الإنكليز والتخلص من سيطرتهم خاصةً فيما يتعلق بالجيش، فلما وصل إلى العرش بعد مقتل أبيه حاول تنفيذ سياسته العربية، فعارض كثيراً من المشروعات الإنكليزية، وخالف أمورهم السياسية، وتقرب إلى جيرانه من الدول العربية، فقام بسلسلة من الزيارات للملوك والرؤساء فيها، وأحست بريطانيا بخطر هذه السياسة على مركزها ونفوذها في الأردن، فعملت على التخلص منه بوسائل عدة حتى أرغمته على التنازل عن العرش لابنه وولي عهده الملك حسين، وأبعدته عن الأردن إلى تركيا بحجة العلاج، ولا يزال فيها إلى الآن.

ثم إنه تولى بعده ابنه حسين بن طلال في هذه السنة، وجلس على العرش فانتهج سياسة عربية ووطد صلاته بالدول العربية، ثم قام بزيارات كثيرة لها، ومن هذه الزيارات زيارته للمملكة العربية السعويدة في شهر ذي القعدة من هذه السنة حيث التقى بصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل.

وهذه نبذة من ذكر طلال المذكور: ولد في عام ١٩١٠م في مكة المكرمة، وتلقى علومه الأولى مع أبناء عمومته وهما غازي بن فيصل وعبدالإله بن علي

بن الحسين، ثم انتقل إلى شرق الأردن مع والده عبدالله لما أسندت الإمارة هناك إليه، فواصل إتمام دراسته الثانوية، ثم التحق بكلية هارو العسكرية بإنكلترا، وتخرج فيها سنة ١٩٣٠م بعد دراسة دامت ثلاث سنوات، ثم التحق بفرقة المدفعية بالمدرسة الحربية في العراق، واشتغل بعدها ضابط بالجيش العراقي برتبة ملازم ثاني، وكان ذلك سنة ١٩٣٢م، ثم أيد الثورة التي نشبت في الأردن سنة ١٩٣٦م مطالبةً بإباحة دخول الثوار الفلسطينيين إلى شرق الأردن، وكان الإنكليز قد صدوهم عن الدخول وهذه بتزعم الثورة إذا لم بُلغَ القرار الإنكليزي فأجيب مطلبه.

وفي سنة ١٩٣٥م تزوج من ابنة خاله الشريف جميل ناصر وهي الأميرة زين التي تلقت علومها في القاهرة عندما كان والدها من نزلائها، واقتصر حفل الزفاف على أعضاء البيت الهاشمي.

أما أولاده فهم أربعة أكبرهم الملك حسين الذي في السابعة عشرة من عمره، وتلقى علومه في كلية فكتوريا بالإسكندرية، ومحمد وعلي، وطفلة صغيرة، وكان طلال يهوى الرماية والفروسية واقتناء الخيول الأصيلة، وله دراية واسعة بأنساب الخيل، ويهتم بالحركة الرياضية في الأردن، ويحضر كثيراً مباريات كرة القدم، وقد يرتدي الملابس المدنية فهو عسكري بطبعه، ولذا يرتدي في أغلب الأوقات سترة عسكرية تحمل رتبة اللواء، ويرتدي في بعض الأحيان زيه العربي، وكان سنه حينما تولى الملك اثنتين وأربعين سنة.

وفيها وفاة الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان قاضياً في بلدة الرياض، ولا تأخذه في الله لومة لائم.

وفي هذه السنة عقدت اتفاقية السودان مع الحكومة البريطانية وذلك في ٢٦ جمادى الأولى جاء من ضمن شروطها أنه عند نهاية فترة الانتقال التي تتمتع فيها السودان تنسحب القوات المصرية والبريطانية، وتقرر السودان مصيرها إما بالانضمام إلى مصر، أو الاستقلال التام، وقد أجريت الانتخابات فيما بعد ذلك.

وبذلك نختم الجزء الرابع من تاريخنا ونسأل الله تعالى أن يسدد أقوالنا وأعمالنا وينصر دينه ويعلي كلمته، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وذلك بقلم مؤلفه أثابه الله تعالى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين

تم الجزء الرابع بتوفيق الله ومنته

ويليه الجزء الخامس إن شاء الله تعالى.

فهرس الجزء الرابع من تذكرة أولي النهى والعرفان

«تم الفهرس»

تذكرة أولي النهى والعرفان

بأيام الله الواحد الديان

وذكر حوادث الزمان

تأليف

فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن

"من علماء أهل القصيم"

الجزء الخامس

مكتبة الرشد

ناشرون

ⓗ مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./

إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. ــ الرياض، ١٤٢٧هـ

٣٧٦ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٤-٦٢٣-٠١-٩٩٦٠ (ج ٥)

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم أ- العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٢٧/٤٧٩٢

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٤-٦٢٣-٠١-٩٩٦٠ (ج ٥)

 الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م



مكتبة الرشد ـ ناشرون

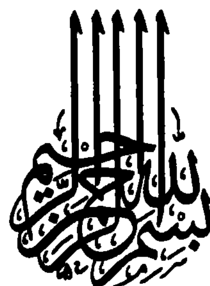
المملكة العربية السعودية ــ الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ــ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ــ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه نتوكل

ثم دخلت سنة ١٣٧٣ هـ

استهلت هذه السنة والمملكة العربية السعودية قد بلغت في الأمن والطمأنينة والثروة العظيمة الذروة العليا وتعيش في رغدها تحت ظلّ العاهلِ الملك عبد العزيز وهنا مشكلات في العالم العربي فهذه واحة البريمي تريد بريطانيا الاستيلاء عليها بدعوى أنَّها من ممتلكاتها فلا يزال صدى الاعتداءات البريطانية في العالمين العربي والإسلامي متردداً وقد نشرت الأهرام عن الأستاذ الشقيري تحدثه عن موقف عاهل الجزيرة وولي عهده والأمير فيصل من العدوان البريطاني على البريمي النهاية للستار الحديدي البريطاني في جزيرة العرب ما نصه: «اهتزت البلاد العربية للأنباء الدامية التي تحدث عنها بلاغ المملكة العربية السعودية بشأن اعتداءات الإِنجليز على واحة البريمي السعودية، وقد اهتمت الدوائر العربية لهذا النبأ اهتماماً بالغاً وبادر مندوب الأهرام لأداء واجبه بإطلاع الرأي العام العربي على حقيقة الموقف إذ قضية البريمي. وقد رأى مندوب الأهرام أن يستطلع رأي الأستاذ أحمد الشقيري الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية في هذه القضية العربية الجديدة وموقف العالم العربي فقال: «سعودية في الصميم» واحة البريمي أرض عربية في الصميم وهي سعودية في الصميم تقع في الجهة الشرقية من المملكة العربية السعودية. وللبيت السعودي فيها تاريخ حافل بالوقائع والحوادث ولا شأن للإِنجليز فيها إلاَّ أن يكون بحر المانش قد انتقل إلى الخليج الفارسي بقدرة قادر وسحر ساحر، ويومئذٍ تبدَّل الأرض غير

الأرض والتاريخ غير التاريخ «السخرية الفاضحة»: وتكلم الأستاذ الشقيري عن حوادث العدوان فقال: هذا عدوان صارخ أثيم وإجرام دولي عريق يثير في النفس الإِنسانية كل معاني النقمة والاستنكار وإنَّه لمما يدعو إلى الأسف الساخر أن تقع تلك الحوادث البربرية في هذه الآونة وفي الجانب الآخر من العالم الجديد يتعاقد ساسة العالم على منبر الأمم المتحدة ينادون بالحق والسلام ويدعون إلى الإِخاء والمساواة بل لعله مما يحمل على السخرية الفاضحة أن يقوم رئيس الوفد البريطاني في الأمم المتحدة فيتحدث عن هيئة القانون وسلطان الأخلاق ورفعة الفضائل الإِنسانية والقيم الرُّوحية على حين يداهم الجنود البريطانيون واحة البريمي فيمعنون في أهلها بأبشع ألوان التقتيل والترويع لا فرق بين طفل راضع ولا شيخ راكع. ثم ذكر ما قد ارتكبوه في الفضائح بأنَّهم يعيثون فساداً في واحة البريمي فأفشوا في ربوعها القلق والفزع وضربوا حولها سوراً من الحصار فمنعوا عن أهلها المؤن وأسباب العيش. وأطال إلى أن قال: وفي ربيع هذا العام تشرفت بزيارة الديار المقدسة وكان أن مثلت بين يدي جلالة الملك عبد العزيز فأخذ يتحدث عن البريمي وما يدور حولها من فظائع وكان حديث جلالته في الحلم والحزم وغاية في الثقة والشجاعة ولقد راعني جلالته حينما قال في جملة ما قال: «أنا أرضى باستفتاء سكان البريمي فإن أرادوني فأنا لهم وهم لي وإن أرادوا غيري فقد قضى الأمر الذي فيه تستفتيان» ولما أن وقع هذا الاستنكار لظلم بريطانيا لأهل البريمي وكيف أنذر قائد القوات البريطانية المرابطة في المنطقة المذكورة بوجوب إخلاء قريتهم في خلال ساعتين وهي قرية حاسمة. وبعد انقضاء ساعتين من وقت الإِنذار صبت نيرانها في ١/١٩ من هذه السنة على القرية المذكورة وحاولت بعض الجهات المسؤولة أن تنفي صحة ذلك أمام العالم العربي والإِسلامي فعلق المصدر الرسمي السعودي تأكيد ذلك وأن صحته أكيدة ويضاف إلى ذلك أعمال أخرى بلغت

في الفظاعة أوجها من إلقاء الطائرات قنابلها على القرى الآمنة وإطلاق المدافع والرشاشات وقتل الأبرياء والضعفاء وتعذيبهم وارتكاب وسائل الإرهاب ومصادرة الأرزاق. وهكذا أخذت المسألة يتطور أشكالها وسيأتي بقية ذكرها إن شاء الله تعالى. ولما إن كان في مبتدأ هذه السنة قامت إسرائيل بعدوان صارخ على منطقة العوجة المجردة من السلاح وكانت هذه المنطقة واقعة على حدود مصر فأقامت استحكامات وأسلاكاً شائكة بهذه المنطقة وقد وصل مراقب الأمم المتحدة في تلك المنطقة إلى القاهرة ليقدم تقريره عن الحالة فيها فبادرت الحكومة السعودية بتأييد مصر إزاء هذا الاعتداء وأن وفدها الدائم لذى الأمم المتحدة سيكون إلى جانب الوفد المصري في القضية ويؤيده كل التأييد.

وفيها في آخر محرم قدم بطريق الجو من الرياض إلى الطائف سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد أمير منطقة حائل للسلام على صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ثم طار الأمير من الطائف بعدما تشرف برؤيته إلى جدة للسلام على ولي العهد وهذه آخر لقيا بينه وبين الملك عبد العزيز.

ذكر مرض عاهل الجزيرة وفقيد العروبة

كان قد أصيب في تلك الحروب التي خاضها برصاصة في إحدى ركبتيه فكان في آخر حياته يتألم من القيام بعد الجلوس ويتألم كذلك من الجلوس إذا نهض غير أنَّه كان يتجلد وربما عمل له تدليكات ويرتاح إلى بعض العيون الساخنة، وقد أهدى له روزفلت الرئيس الأمريكي عربة فكان يركبها وتدف من خلفها وهي وإن كانت مريحة غير أنَّه فقد رياضة المشي والحركة ثم أنَّه أصيب قبل وفاته بمرض قلبي وكان إذ ذاك في الحجاز يتردد بين الحوية والطائف ألزمه مرضه الأخير الفراش شهراً ودعي له طبيب ماهر فقرر الطبيب أن لا يكون على جسمه شيء من المعادن حتى ولا خاتمه كأنَّه رأى

بعلمه أن ذلك يؤثر على جوهر القلب، ولما نزع منه الخاتم ضحك رحمه الله وقال: هذا لأول مرة ينزع الخاتم. فتأثر الطبيب لذلك وقد بذلوا أسباباً لشفائه ولكنه لم يغن ذلك من شيء.

مصاب أليم والبقاء لله وحده

مات الملك عبد العزيز مات ملك البلاد أحقيقة أنَّ ذلك الرجل العظيم قد مات ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، في ذمة الله الحي الباقي عند الظهر من يوم الإِثنين الموافق ٢ ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ أذاع الديوان الملكي العالي البلاغ الآتي:

بـــلاغ رقـــم (١):

«كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإِكرام. سبحان الحي الذي لا يموت. ننعى إلى العالمين العربي والإِسلامي والأسى يحز في نفوسنا وفاة حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية. فقد توفاه الله في الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين من صباح يوم الإِثنين ٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٣هـ الموافق ٩ نوفمبر ١٩٥٣م على أثر مرض ألزمه الفراش مدة شهر. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته. وألهم الأمة الصبر والسُّلوان. و﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ وهذا المرض هو تصلب في الشرايين فاشتدَّ به المرض وهو في مدينة الطائف وفاضت روحه ووافاه أجله المحتوم. رحمة الله عليك يا أبا تركي فقد كنت أباً رحيماً لكل فرد من أفراد شعبك، أكرمت العلماء ورحمت الفقراء والضعفاء وكنت شفيقاً على رعيتك تحوطها برعايتك وتسهر لمصالحها وتنصف المظْلوم من الظالم وتمنع الظلم وتطيع ربك وتصل رحمك وتعطف على الملتجئين إليك.

الأمة الإسلامية تنعي فقيدها الأعظم

البقاء لله وحده وكل شيء هالك إلاَّ وجهه. لقد مات صاحب الجلالة الملك العربي عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأصيبت الأمة بفقده الملك الذي نشر التوحيد وأعزه وهدم الأوثان والقباب والذي شهرته كنار على علم، هذا البطل الهمام الذي افتخرت به الأواخر على الأوائل وصدق عليه قول الشاعر:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

مات عبد العزيز الرجل الذي قاد السفينة بأمته في خضم الأحداث حتى ألقت مراسها على ساحل السلامة وبرِّ الأمان. مات عبد العزيز فتصاعدت في صمت الليل الرهيب آهات الأيامى وشهقات الثكالى وزفرات المنكوبين. مات عبد العزيز فانتشرت على خد الزمن دمعة الإسلام على حاميه وشقت العروبة جيبها على راعيها وسيدها وابن بجدتها. أجل مات ملك كانت حياته تاريخاً يشع بالنور وتكتظ جنباته بالفضيلة والكرم والفداء. مات الرجل الذي أشاد بحنكته وأصالة رأيه أساطين السياسة فامتدحه روزفلت وتشرشل في لقائهم التاريخي الشهير. مات عبد العزيز الذي قال عنه رئيس دورة هيئة الأمم المتحدة ساعة نعيه: إنَّ جلالة الملك عبد العزيز من أعظم الرجال المكافحين عن مبادىء هيئة الأمم فمن كعبد العزيز ملك ظلت حياته حتى آخر لحظة مُلكاً لغيره فأقام بحدِّ السيف مملكة واسعة الأرجاء رخية العيش مرهوبة الجانب آمنة السّرْب. مات عبد العزيز الرجل الذي أنس أعداؤه ضغينتهم فاشترى قلوبهم بالحب واستقرَّ في أعماق نفوسهم بما كان يوليهم إيَّاه من عطف ورعاية وكرم. مات عبد العزيز الرجل الذي كان موته فاجعة تتقاصر دونها الفواجع ونكبة دونها كل النكبات وخسارة لا توازيها خسارة. رحمك الله يا عبد العزيز وأسبغ عليك من عفوه ورضاه قدر ما رقأت من دموع وشبعت من بطون وقدر ما قمت الليل عابداً متهجداً وقدر ما كنت

عفيفاً ظاهراً كريماً. فبالله قولوا لي من ذا الذي نكست الأعلام لموته ولبست البلدان ثياب الحداد على فقده، ومن ذا الذي توقفت الإذاعات في الكرة الأرضية عن الأغاني والدعارة لفاجعة مصابة وأبدلت الأفراح بالأحزان وبلغ مصابه القاصي والدان وبكته المساكن والسكان.

بـــلاغ رقـــم (٢):

على إثر وفاة حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية تغمده الله برحمته والتفاف أفراد الأسرة المالكة الكريمة حول جثمانه الطاهر خرجوا من عنده وبايعوا حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز المعظم ملكاً على البلاد العربية السعودية على طاعة الله ورسوله والسمع والطاعة، فنودي بحضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكاً للمملكة العربية السعودية. وعلى إثر ذلك أعلن حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز ولاية عهده لأخيه حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز ولياً للعهد كما بايع سموه على إثر ذلك أفراد الأسرة المالكة».

الصلاة على صاحب الجلالة الملك الراحل

لما كان من آخر النهار انتقلت الجماهير الكثيرة من أهل الرياض ومن سكن فيه إلى المطار لاستقبال جثمان الفقيد. وقد تجلت اللوعة والحسرة بصورة تفوق التعبير على تلك الوجوه الموتورة وكانت دموعهم تخالط دعواتهم وقد تساوى في ذلك الشيخ والمرأة والشاب والطفل يقدمون عزاءهم إلى صاحب السمو الملكي أمير الرياض نايف بن عبد العزيز وكان من جملة الذين خرجوا لاستقبال الجثمان الطاهر في المطار فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والعلماء والوجهاء فأقبلوا يعزون الأمير نايف بن

عبد العزيز ويواسونه وأقبلت الأمة يعزون الشيخ والعلماء ثم أقبل يعزي بعضهم بعضاً. ولما كانت الساعة في الحادية عشرة والنصف هبطت طائرة ملكية تقل جثمان الملك عبد العزيز يرافقه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل وإخوانه فأقبل الأمير نايف وفضيلة الشيخ محمد والعلماء والأعيان يعزون فيصلاً وأصواتهم تختلط بالبكاء على فقيد العروبة والإِسلام ثم إنَّه وضع الجثمان في السيارة يرافقه الأمير فيصل وإخوانه إلى مسجد العيد الذي غصَّ بالجماهير الغفيرة من رجال ونساء وبعد ما فرغوا من صلاة المغرب صلَّى المسلمون وجميع الحاضرين على صاحب الجلالة يؤمهم الشيخ محمد بن إبراهيم. ولمَّا فرغوا من الصلاة تصاعدت الدعوات وأجهشوا بالبكاء والدعاء للراحل والتوفيق لخليفته سعود وصرخت الأيامى وسمع لُجبة شديدة في المصلى وخارجه جزعاً على فقد والدهم البار الحنون. ثم نقل الجثمان الطاهر على السيارة يرافقه سمو الأمير فيصل وإخوانه الأمراء إلى المقبرة. وقد كانت السيارة تمشي الهوينا من شدة الزحام الذين انطلقوا حول السيارة يواكبون الجثمان إلى مقره الأخير فدفن حيث دفن آباؤه وأجداده. وقد تولَّى إنزاله إلى القبر صاحب السمو الملكي الأمير فيصل وإخوانه الأمراء. وبعدما تمَّ الدفن تصاعدت الدعوات من كل حدب وصوب لجلالة الفقيد. نسأل الله تعالى أن يسبل عليه الرحمة والرضوان والعفو والغفران والفضل والامتنان. وهذه ترجمته: هو الإِمام العالم العادل الهمام البطل الرئيس السياسي الأسد في براثنه، الرجل العظيم الذي اتفقت الأمة بأسرها على عظمته وكبر شأنه، الذي افتخرت به العرب على من سواها بل افتخرت به الأواخر على الأوائل وأقرت له بالتقدم كل ملوك العالم، أبو تركي عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن. وتقدم ذكر نسبه وولادته وشيء من صفاته في سنة ولادته وفتحه الرياض، وكان أكبر زعماء العرب

والمسلمين وأعظم شخصية إسلامية في هذه الأزمنة الأخيرة.

قال شاعر نجد محمد بن عبدالله بن عثيمين:

عبد العزيز الذي نالت به شرفاً بنو نزار وعزت منه قحطان
مقدم في المعالي ذكره أبداً كما يقدم باسم الله عنوان
ملك تجسد في أثناء بردته غيث وليث وإعطاء وحرمان
خبيئة الله في ذا الوقت أخرجها وللمهيمن في تأخيرها شان
ودعوة وجبت للمسلمين به أما ترى عمهم أمن وإيمان
حاط الرعية من بصرى إلى عدن ومن تهامة حتى ارتاح جعلان

وكان بطلاً من أبطال التاريخ وعظيماً من عظماء العالم. ولد في الرياض ببيت أبيه فنشأ على الدين والتقوى والاعتصام بالله وحده وترعرع في ظلِّ أبويه وهو لا يرى إلاَّ ما تعمر به النفس من الإِيمان المتين والتوحيد الخالص وامتلأ قلبه بالإِيمان، فملك عليه حسه، .وامتلك مشاعر نفسه لذلك كان عفيفاً وتولاه الله برعايته وكلاءته، فما قارف ريبة قط بل كان نزيهاً تقياً ذلك الإِيمان هو الذي أخرجه للجزيرة العربية بطلاً من أبطالها وفارساً من فرسانها ومصلحاً من مصلحيها ودعاتها.

طاعته وعبادته

لازم الطاعة لربه في كل ما أمر فأقام الصلوات الخمس في جماعة ولم يعرف أنَّه تخلف عن الجماعة في وقت من الأوقات. وأقام أركان الإِسلام كما أمر الله وكان له مع ذلك خلوات مع ربه في دجى الليل ووقت السحر والنَّاس نيام يقف الوقت الطويل بين يدي ربِّه قائماً يطلب هدايته وراكعاً يعظم ربه ويقدسه وساجداً خاضعاً متذللاً بين يدي ربِّه يستغفره. وسر عظمته وسر توفيقه، جاء من هذا الخضوع لله والاعتماد عليه، ومن كان

مع الله كان الله معه ومن وجد الله فما فقد شيئاً. واصطحب الطاعة واتخذ القرآن نديماً حتى لقد عظمت فيه هذه الخصال في أيام ملكه حتى جعل نفسه تحب القرآن وتلاوته واعتاد أن يتلو القرآن في الصباح والمساء مما يملأ قلبه إيماناً وأكب على الأوراد وكان يلهج بترتيل كتاب الله والأوراد أضف إلى ذلك أنَّه يستمع كل يوم مرتين أو أكثر إلى قارىء يقرأ قسماً من تفسير ابن كثير وبعضاً من كتب الحديث وكتب الوعظ وآداب القرآن يفقه بها نفسه ويتعظ بها كل من حوله من زائر أو حارس أو خدم. ولقد تقيد بتعاليم الإِسلام فأقام الحدود وألزم النَّاس القيام بما أمر الله به. وإذا تتبعت سيرته وجدت القائد له فيما يورد ويصدر وينوي ويعيد هو الإِسلام ومبادىء القرآن مبادىء ثلاثة حب الله وخوف الله ورجاء الله وثقة به يعرف ذلك منه كل من رافقه أو عاش معه أو سمع خطبه في المجالس والمجتمعات، ولو أردنا أن نستقصي أمر هذا البطل لضاق بنا نطاق هذا المقال ولكننا نجتزىء ليدرك القارىء السرّ في هذا النجاح الذي أحرزه عبد العزيز بين أفذاذ أبطال العالم.

تجـرده ونهضتـه

لمَّا انتقل به والده وهو صبي إلى الكويت من جملة عائلته كانت نفسه توحي إليه بمعالي الأمور فكان يلبس العقال بغيبة من والده ثم يأخذ محجاناً بيده ويجلس بين صحبه وخدمه فيأخذ يضرب الأرض بشدة حتى يطير التراب من شدة الضرب كأنَّه ينتقم ثم يقول: أترون صاحب هذا المحجان سيملك نجداً. ولما أن أراد أن ينهض لم يكن لديه مال قد ادخره من أبويه ليسترجع به ملك آبائه وأجداده ولا قوة من رجال ولا عدة من عدد الحرب وكل ما ورثه من آبائه وما استعده إلاَّ شيئاً واحداً لا ثاني له هو إيمانه وثقته بربه واعتماده عليه. فلقى أباه على انفراد في مكان خال خارج المدينة واستوقفه. فقال والده: ما تريد؟ فقال أريد الحديث معك، وألقى عباءته

على الأرض. وقال: إجلس يا عبد الرحمن. فعلم والده أنَّ هنا بادرة. جلس الإمام عبد الرحمن الفيصل فقال عبد العزيز: أنت بين خطتين، إمَّا أن تأمر أحد عبيدك بانتزاع رأسي فأستريح من هذه الحياة، وإمَّا أن تنهض إلى مبارك بن صباح فلا تخرج من منزله إلاَّ بوعد في تسهيل خروجي للقتال في بطن نجد. فشقَّ ذلك على والده شفقة عليه لأنَّ الظروف لا تساعد على طلبه وذهب إلى أم الفتى يستعرض عليها ما وقد في قلب عبد العزيز فتوسطت أمه إلى أبيه لما ترى من نزعة الفتى وهي بين عاملين: حب الابن والإِشفاق عليه من تلك المغامرة لأنَّه يريد أن يزج نفسه في المعارك والنزول على طلبه لفتح الباب له على مصراعيه. فوافق الوالد على مضض لما رأى من تصميم عبد العزيز وسعى إلى مبارك يسأله تسهيل الأمر له ثم قال: يا عبد العزيز ترى أنَّ ليس لي قصد في الوقوف في سبيلك إلاَّ كما ترى من حالتنا، وبكى وذرفت عيناه بالعبرة ودعا له بالعزِّ والظفر فأعطاه مبارك بن صباح أربعين ذلولاً وثلاثين بندقاً ومأتى ريال وبعض الزاد. فخرج من الكويت بعدما استأذن أباه ليسمح له بهذا الخروج، فما كان يهاب موتاً ولا حلو الحياة ولا مرها إنَّما يهمه أن يرفض والده طلبه وهو لقاء الأعداء ومنازلة الخصوم، ذلك لما يكنه من الحب والاحترام والطاعة لأبيه. ولما سمح له ودعا له غامر ولاقى من الانتصارات عذبها ومن الانكسارات آلامها، فما اغترَّ بانتصار ولا هان لانسكار وكان إيمانه بربه يخلق في نفسه من الضعف قوة وإقداماً. وأمام الشدائد والمحن ثباتاً ينبهر له عقل الحكيم. كان في الكويت لا يملك غير قوت يومه الذي يتناوله في بيت أبيه وآل رشيد لهم الحكم والسيطرة على نجد صنديدُهم عبد العزيز بن متعب قد ملك نجداً بطولها وعرضها والدولة العثمانية بسلطانها تكتنف الجزيرة العربية من أطرافها والحكومة البريطانية وطريق الهند وأمراء العرب. فالدنيا كلها مقفلة بين عدو عنيد ورقيب عتيد ومشفق حاسد وهازيء ومستهتر حتى كان

يتحدث إلى رؤساء أهل القصيم لما فتحه وهو الذي لا يخشى إلاَّ الله عزَّ وجلَّ. قال: لما أردت الخروج من الكويت فللت الراية وتحتها أربعون رجلاً لا أملك غيرهم فسمعت رجلاً من أهالي الكويت أعرفه يقول: من هذا الذي قام برايته فحقه والله أن تكسر ويضرب بها أو كلاماً أقبح منها فبكيت وسألت الله النصرة كان يرى العقبات والصعاب أمامه ويبصر وهو الرجل العظيم الذي لا ترق لمخيلته الأوهام والأحلام ولكن التي يمتلكها لا يرى لها حداً تقف عنده ولا يرى لها مقاوماً يستطيع ردها والتغلب عليها تلك القوة التي بها عمر قلبه والثقة بربه التي اكتسبها.

غزواته وجهاده

كان قد تعلم تجشم المشاق وحارب الراحة ومن طلب المفاخر تحمل الأخطار. ولما أن خرج من الكويت لفتح الرياض وله من العمر إحدى وعشرون سنة بأولئك الأربعين الأشاوس وأصحروا واجتازوا المفاوز إلى الغرض في أواسط نجد بعد قطع ما يقرب من ستمائة كيلومتر أو يزيد ما كان يهمهم العدو الذي كانت كل تلك الأراضي محكومة له وكان عدوه ذا بأس شديد فصبح المترجم بعد السير والسُّرى فريقاً من قبائل قحطان الموالية لخصمه ابن رشيد وأخذهم وعاد فائزاً ثم أعاد الكرة ولا نطيل هنا فمن أراد الاطلاع على بطولة هذا العبقري فليراجع المعارك المتقدمة التي شهدها أو دبرها ولقد خاض بضعاً وثمانين غزوة بنفسه وهذا غير ما دبر من معارك أرسل عليها قادة من أبنائه وإخوته وقادته. وكان إنساناً وأي إنسان أنشأ مملكة عظيمة مترامية الأطراف بجهاده وعزيمته الصادقة وبنى مجداً تالداً للأمة السعودية خاصة وللأمم العربية والإسلامية عامة. وكان لما زحف من الكويت لفتح الرياض اجتمع عليه عدد من العجمان وآل مرة والسهول وسبيع فلما تذوقوا المغانم قبل فتح الرياض استيقظ النائم وعمل ما عمل لمقاومته كما مرَّ فشعر من التفّ حوله أنَّ القضية ليست قضية غزوات تجر

لهم المغانم ففرَّ من فرَّ منهم ممن رغب الراحة ولم يبقَّ معه سوى الأربعين الذين كانوا معه أولاً. وكانت سيرته الحربية سيرة مملوءة بالعبر تتجلَّى فيها الأمور الآتية:

أولاً: إعداد أقصى ما يمكن عداده من قوة.

ثانياً: الحذر وبث العيون والإرصاد، وقد كان في هذا الأمر ولا يزال صاحب القوس المعلى وهو الذي ساعده على تفهم الأمور وتداركها في وقتها.

ثالثاً: لا يقدم على المعركة إلاَّ وهو مضطر لها وترى أثر هذا فيه قبل المعارك الفاصلة إذ كان يسعى مع خصمه لاجتناب المعركة وإحلال السلام فإذا لم يجد مركباً غير الأسنة تقدم غير هياب ولا وجل.

حلمه وعفوه

أمَّا حلمه وعفوه فإنَّه قد امتاز بمزية فريدة في عصره ولم يورد التاريخ لها مثيلاً إلاَّ ما كان في صدر الإسلام. وكان بعدما يفوز بالنصر يلقى العدو من جلالته من الرعاية والكرم ما لا يلقى الصديق الصدوق وجميع الذين حاربوه وقاتلوه بعد أن ظفر بهم يعيشون معه كما يعيش معه أقرب المقربين إليه لأنَّ جلالته وقد خاض معركة الحياة كان عليه أن يواجه من الأصدقاء والخصوم عدداً غير قليل وأنَّه ليس أعظم بالسرور إذا قدر له أن يظفر بخصمه ثم يعفو عنه وهذا ناشىء من أمرين أحدهما أنَّه جبل على عدم الحقد في نفسه لأحد ما والثاني عملاً بقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ وكان يقول عاهدوني على الإخلاص لله والعمل على سعادة المسلمين، وأمَّا شخصي فدعوه جانباً فيعفو عمن قدر عليه ويقول: من خدعنا بالله انخدعنا له وحسابه على الله والله من ورائه محيط. ولقد أساء إليه بيت آل رشيد فعفا عنهم بعد القدرة وأسكنهم في القصور الشامخة

في الرياض وأجرى عليهم المال الكثير وذلك بعد ما استسلموا له وجعل بعض آل أبى الخيل أمراء فانقلبوا أعداء وذلك في وقت التقلبات فعفا عن زعيمهم محمد بن عبدالله بعد القدرة عليه وأطلق سراحه يذهب إلى العراق بعدما خيره في البقاء محتشماً كغيره وعفا عن الهزازند بعدما استسلموا وكانوا قد شقوا عصي الجماعة وكذلك آل عايض وعفا أولاً عن الدويش بعدما استسلم إليه فلما نكث مرة أخرى بعد العفو ورأى أنَّه لم يفد فيه العفو أخذه أخذاً صارماً[١] ولمَّا تولى الحجاز كان فيه أناس لا يزالون على الولاء للبيت الهاشمي فشردوا إلى مصر وغيرها وأخذوا يعملون على مناواة حكومة ابن سعود بمساعدة بعض الأعداء والاتصال به فلم يكترث بهؤلاء ولم يبال بأمرهم وآخر ذلك أصدر عفوه العام عن جميع من أراد العودة إلى المملكة من أبنائها فرجعوا مستسلمين تائبين وألقوا نفوسهم بين يديه فغمرهم بعطفه

(١) وقد ذكر لنا من حضر الواقعة وهو الأخ حمد بن عبد المحسن وكان ثقة بأنَّه لما جرح الدويش في واقعة السبلة واستجار بابن سعود يتقدمه نساؤه وأطفاله يشفعون له لدى الملك عبد العزيز ذهب إليه صاحب الجلالة في خيمته وفي الخيمة نساؤه وأطفاله من بينهم ابنه عبد العزيز وكان في صحبة الملك ستة من رجاله الملازمين له وأحدهم الراوي فوقف الملك لأصحابه وقال: إنَّ أمامك نساء وأطفالاً فقالوا له: لا بدَّ من دخولنا معك مهما كلف الأمر فأمرهم أن يجلسوا خارج الخيمة والجريح في نعشه فدخل عليه بنفسه وقال لا بأس عليك يا أبا عبد العزيز حسبنا الله ونعم الوكيل والله إنَّه ليس بودي أنَّ الأمور جرت على هذا الوضع فتكلم الدويش قائلاً: يا أبا تركي أنا مولي (ذاهب) عن الحياة وتاركها ولكن والله ليس بودي إلاَّ أن أعيش فأوالي من واليت وأعادي من عاديت وأريد أن أعاهدك يا عبد العزيز فقال له صاحب الجلالة: لا تعاهدني فإني أخشى أن تنكث فيحيط بك العهد فقال: بلى أعاهدك بالله الذي رفع السموات السبع وبسط الأرضين السبع بأني صديق صديقك وعدو عدوك ولو كان ابني عبد العزيز هذا فنهاه ابن سعود عن ذلك العهد ثم استمرَّ فقال: فإن كنت كاذباً أو مخادعاً فإني أسأل الله الطالب الغالب الذي لا مفر منه أن خنته أو بدلت أن يلقيني بين يديك أذل من إبليس عشية يوم عرفة فسمح عنه ابن سعود وأمر طبيبه الخاص أن يعالجه ثم قال: يا طويل العمر لا بعير ولا خيمة ولا زاد ولا مزاد ولا سلاح فأمر له ابن سعود بذلك كله ولما نكث والعياذ بالله ترى كيف أنَّ الله سبحانه وتعالى ألقاه بين يدي ابن سعود كما دعى أذل من إبليس عشية يوم عرفة وفي ذلك عبرة لمن يخشى.

وإحسانه وجعلهم في الوظائف الكبار وقال لهم: على ما تخسركم بلادكم وأمتكم كونوا متكاتفين ومتعاضدين فملكهم ملكاً عظيماً بهذه الرأفة وهذا العطف وقاموا بالنصح والإِخلاص والدعاء والمديح لجلالته.

حزمه ومقدرته

كان يشرف بنفسه على كافة شؤون رعيته فكان رئيس ديوانه يعرض عليه كل صباح ومساء خلاصة القضايا وعرائض النَّاس، فلا يجرؤ أحد على ظلم أحد خوفاً من وصول الخبر إلى مسامعه وكان إذا تبين الخطأ فإنَّه يعاقب عقاباً أليماً وكثيراً ما يجيئه البدوي فيقول له: يا عبد العزيز اتقي الله وتراني في ذمتك فيبكي ويأمر بانتداب لجنة للتحقيق في أمر ظلامته. ولقد جعل مجلس الشورى الذي كان اسمه أول ما أقامه المجلس الاستشاري مرجعه إليه والقول الفصل فيه لجلالته وكان مهمة هذا المجلس أن يكون إلى جانب نجله فيصل ينظر في جميع شؤون الدولة صغيرها وكبيرها ويبدي رأيه فيما يجب اتباعه نحوها ثم سنَّ لهذا المجلس نظام خاص وقد نصَّ في هذا النظام أنَّ للمجلس الحق في أن يلفت نظر الحكومة إلى أي خطأ وقع في تطبيق القوانين والأنظمة وأنَّه إذا عرضت الحكومة مشروعاً على المجلس فرفضه أو عدل فيه تعديلاً لم توافق عليه الحكومة فللنائب العام أن يعيد المشروع إلى المجلس مع ملاحظات كافية لإِقناعه بوجهة نظر الحكومة فإن أصرَّ المجلس على الرفض أو التعديل السابق فالمرجع إلى الملك وحده وأنَّ للمجلس الحق في مراجعة جلالة الملك للتصديق على قراراته السابقة إذا مضت عليها مدة أشهر دون حصول الموافقة وقد أضيف إلى اختصاص المجلس بعد ذلك حق تمييز الصكوك التجارية وترقية الموظفين وتأديبهم والنظر في جميع ما تحيله إليه الحكومة من المعاملات الخاصة والشؤون الفردية الأمر الذي أثقل كاهل أعضائه حتى صار العمل فيه يومياً. هذا من ناحية الأمور الإِدارية، أمَّا المعاملات والظلامات فمرجعها جميعاً إلى الشرع

الشريف يحكم فيه القضاة بكتاب الله وسنَّة رسوله وفق ما هو معتمد في مذهب الإِمام أحمد بن حنبل رحمه الله وكان لا يتساهل قط في الحدود فإذا علم بحادث قتل فإنَّه لا يهنأ له بال حتى يقيم حدَّ الله ويأخذ حق المقتول من القاتل وإذا حدث أمر لا يرضى الله استفتى العلماء فيه ونفذ في الفاعل له ما يفتي به العلماء فيقطع يد السارق ويحد من يتعاطى المسكرات فانتشرت مهابته في كل مكان ورفرفت ألوية الأمن في قلب الصحراء وأثبت للعالم مزية العمل بكتاب الله. ولقد أبلغ رجل في مكة المكرمة حكومة جلالته بأنَّ ابنه قد اختفى ولم يعلم مقره فأمر بإجراء تحريات شديدة عنه وأخذ مدير الأمن العام يجدُّ في البحث حتى أوصله التحقيق إلى اكتشاف جثته وثبت أنَّ ثلاثة من أصدقائه قد اشتركوا في قتله فأمر بإعدامهم في الحال شنقاً وأن تسير جنازة القتيل من تحت جثمانهم فكان ذلك وكان منه أعظم رادع لارتكاب مثل هذا الحادث. وثبت أنَّ جماعة من كبار الأشقياء جلسوا في طريق جدة وهددوا الحجاج بالقتل إذا لم يدفعوا إليهم أتاوة فأمر بإحضارهم وشكل لهم محكمة خاصة لمحاكمتهم حتى ثبتت إدانتهم فصدر الحكم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف لأنَّهم ممن يعيثون في الأرض فساداً ونفذ الحكم فيهم بمكة المكرمة. واتصل بعلمه أنَّ رجلاً من كبار قبيلة شمر كان مغتراً بنفسه يزعم أنَّ لا سلطة للملك عليه وأنَّه يجاهر بهذا أمام النَّاس فأرسل إليه جلالة الملك يستدعيه ففرَّ إلى العراق وقد عمل جلالة الملك على إحضاره فأحضر رغم أنفه. ولما أن مثل أمام جلالته قال: أرأيت أني قدرت عليك وأحضرتك بين يدي قال: نعم. قال: ومن يمنعك مني الآن؟ قال: لا أحد، قال: لقد عفوت عنك وأنت مخير في أن تظل في مقرك أو تعود إلى العراق. فقال: بل لا أفارق ساحتك ولا أترك حماك. فأمر له بجائزة وأجرى عليه وافر النعم. وأمثال ذلك يطول ذكره.

شفقته على الرعية

أمَّا شفقته وعطفه على الرعية فإنَّه قام بأمور لا يشاركه فيها أحد في الأزمان المتأخرة نسأل الله المنان أن يتولى جزاءه على ذلك بخير ما جوزي محسن على إحسانه. فمن مثله في ذلك عطفاً وديناً وحلماً وحزماً وصرامةً وتواضعاً فإنَّه لآية من آيات الله وعبرة لمن اعتبر. قال الشيخ محمد بن عبدالله بن عثيمين في فتح حائل:

تداركـكـم حـلـم الإمـام وعـفـوه ... وقد بلغ السيل الزبى وطما البحر
فأصبحتمو عنه بنجوة منعم ... عليكم فهل يلقى لديكم له شكر
فلا تكفروها نعمة مقرنية ... فإن كفرت كانت هي الغل والأصر
فكم حول النعماء قوماً تربصوا ... فأرداهم خبث الطوية والغدر
فلولا التقى والصفح عنكم لأصبحت ... منازلكم يشتو بها الربد والعفر

وقال في فتح مكة المكرمة والمدينة المنورة:

سفر الزمان بغرّة المستبشر ... وكسى شباباً بعد ذاك المكبر
وتأرجت أرجاؤه بشذائه ... حتى لخلنا الترب شيب بعنبر
وتألقت في طيبة سرج الهدى ... ما بين روضة سيدي والمنبر
وتألقت من قبل ذاك بمكة ... إذ قدست من كل رجس مفتر
وتجددت من جدة أعلامه ... وتقشعت منها رسوم المنكر
وجرت ينابيع الهدى في ينبع ... هذى السعادة يا لها من مفخر
بفتوح مؤتمر الإله لدينه ... ملك تسلسل من كريم العنصر
ليت الذي سكن الثرى ممن مضى ... من أهل بدر والبقيع المنور
نظروا صنيعك في المدينة والتي ... يهوى إليها كل أشعث أغبر
كي يشهدوا أنَّ الفضائل قسمت ... بالفضل بين مقدم ومؤخر
ويسرهم إحياؤك الشرع الذي ... قد كان قبلك مثل روح مغرغر

قال بعض حجابه عنه: قام جلالة الملك للتهجد في بعض الليالي فلما توضأ وأراد أن يكبر إذا بأنين مريض سمعه على البعد فسأل عنه فقيل مسكين خارج سور المربع أصابه حصر البول فألقى بنفسه هناك يئن لما يقاسيه من شدة الألم. فقال للحاجب: إحمله في سيارة واذهب به إلى المستشفى ولا تبرح مكانك حتى يعالج. قال الحاجب فقمت مبادراً أقول في نفسي: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون أذهب به فلعلي لا أدخل الرياض إلاَّ بشدة لأنَّ الأبواب مغلقة أو قد لا تفتح لنا بليل ثم إذا دخلنا فمن يوقظ الأطباء في هذه الساعة وما عساهم يقومون إلاَّ بالنهار ثم إنِّي التزمت المريض وحملته معي في السيارة قال فما وصلت السيارة الدروازة إلاَّ وقد سبق الأمر العالي بفتحها فدخلنا من دون استئذان ولما قربنا من المستشفى إذا أنوار المصابيح والكهرباء في تلك الساعة من منتصف الليل وهذا خلاف العادة فساعة وصلنا إذا بهم يحملون المريض ويباشرونه في الحال تنفيذاً للخطة المرسومة لهم من قبل الهاتف ونحن في الطريق وباشره الأطباء مباشرة حارة فما لبث أن قام كأنَّما نشط من عقال فأخذته ورجعت به إلى موضعه ثم دخلت وصعدت إلى جلالة الملك فوجدته واضعاً يده على خده جالساً فبدرني بقوله: ما صنع المريض قلت شفاه الله تعالى فبدرته العبرة وقال: الحمد لله الذي عافاه وسر لذلك كثيراً. وخرج مرة لصلاة الاستسقاء وكان يستصحب أكياس الذهب والفضة والنقود إذا خرج ليقسمها على الفقراء فتراه في ذهابه يمشي موكبه مطمئناً وينثر بيديه المال يحثوه حثواً فلما كان في أثناء سيره مرَّ شيخ كبير يريد أن يراه أمام سيارته الخاصة فلم تمهله المقادير أن يجتاز ولم يملك السائق السيارة فحطمت ساق الرجل الهرم وألقته على الأرض فأوقف الملك سيارته ونزل إلى الأرض منكسف البال وألقى بنفسه على الشيخ الهرم المصاب يبكي ودموعه تسكب على وجه الشيخ قد التزمه يبكي ويقول: بسم الله عليك يا أبي يصغرها كعادة أهل نجد

ثم صاح مبادراً بالأطباء فما كان إلاً لحظة حتى أقبلوا كالسيل المنهمر وجعلوا يضمدون الساق ويبذلون وسعهم في العلاج. أمَّا المصاب فنسي ألمه وقبض على عنق الملك يدعو له ويقبله ويبكي لبكائه منادياً بأعلى صوته قد سمحت يا طويل العمر. ولمَّا أن رجع من صلاة الاستسقاء أمر له بصرة ذهب تقدر بمائة وخمسين جنيهاً ذهباً وأن يشتري له بيت يسكنه وعائلته ونفذ له أمراً بسيارة يركبها. فعاش في أرغد عيش. ومرَّ في بعض الأيام وكان قد خرج من الرياض يريد المربع بجمَّال أعرج يمشي خلف بعير على ظهره حمل من الحطب وكان يوماً شديد البرد. فوقف يسائله ويعجب لحالته يا عبدالله ما الذي أخرجك في هذا اليوم الشاتي فهلا جلست في بيتك هذا اليوم فربما يأتي الله برزق فأجاب الجمَّال يا طويل العمر أخرجتني الحاجة فوالله إنَّ طعام العائلة والبعير لمن ما على ظهره من الحطب ولو وجدنا كفاية يومنا لما خرجت في هذا البرد الشديد فناوله صرة يظنها ريالات ولمَّا ولَّى الجمَّال مدبراً أخبره السائق أنَّها صرة الجنيهات لا الريالات الفضية وأنَّها ثلثمائة جنيه ذهبي فنادى الجمَّال فأقبل إليه كاسف البال ظناً منه أنَّه يستردها فقال له ابن سعود: أردت أن أهبك ريالات وما نويت إلاً هذا ولكن الله عزَّ وجلَّ هو الذي وهبك هذا الذهب. إنِّي أخطأت فأعطيتك صرة الذهب وبها ثلثمائة جنيه ذهبي فخذها واشكر الله وحده واعلم أنَّ هذه القطعة الصغيرة تساوي أربعين ريالاً من الفضة وذلك لأنَّ هذا الفقير لا يعرف قدر الذهب ثم قال: أشير عليك يا ولدي بالعقار وأعمل ولا تكسل. فاشترى بها نخلاً وزرع وأصبح ذلك الصعلوك غنياً وما يزال الرجل موجوداً. ولمَّا كان بعد منتصف القرن الرابع عشر أسس الموضع المعروف بالمربع وكان موضعاً اختار سكناه لتكون الحاشية كلها فيه فكان العمال الذين في بنايته تسعمائة من الرعية. فقال الوزير له: إنَّ هذا القدر من العمال كثير. فقال: إنِّي لمَّا عزمت على ذلك المشروع كان من نيتي أن يتعلق

هؤلاء العمال في طلب الرزق وكان المربع مشهوراً بالعاصمة وقد أودع فيه من الغرف والرفعة والزينات ما لا تبلغه العبارة ويحتوي على جوامع ومساجد وتجد سيارات الأجرة في مواقفها ينادي أربابها في الركوب إلى حلة القصمات إلى المربع إلى دخنه إلى الدرعية وغير ذلك. وكان إذا سار من جهة إلى أخرى فإنَّه يحيط به من العساكر والجموع في موكبه شيء عظيم وكل موكبه غارق بالقوة والحديد فلا يستطيع أحد الدنو منه غير أنَّه إذا رأى الفقراء لا يتمالك من القرب منهم لا سيما إذا سمع مظلوماً فإنَّه لا يتجاوز مكانه حتى يكشف مظلمته فتجد المظلوم يتحين لمروره فيقف في الطريق فكان الملك لا يهاب قوياً ولا شديداً كما يهاب المظلوم حتى ينصفه ويباشر مسألته بنفسه. ولقد رأيت مرة في مكة المكرمة في موسم الحج سنة ألف ١٣٦٣ رجلاً أقبل من مكة يمشي حتى إذا ما توسط من قصر السقاف قصر جلالة الملك في المعابدة وظنَّ أنَّه يسمع صوته وقف وصاح ينادي بأعلى صوته مظلوم وجعل يبكي وينادي بأعلى الصوت. وكانت تلك الرحبة قد رشت بالماء ولا يقربها سوى الحرس أو الأمراء وفيها بعض السيارات الحكومية. فلما تكلم بكلامه المتقدم اندفعت إليه الجنود كأنَّهم السيل المنهمر لأنَّ لا يحدث تشويشاً على الملك، غير أنَّه تمكن من الصياح بصفته رجلاً قوياً وكان حجازياً ليس على رأسه سوى قلنسوة. فنزل صاحب الجلالة إليه بنفسه على السيارة وكان لمبادرته بالنزول لم يتمكن الحرس من اللحاق به سوى قدر من خمسين حارساً، فأمر بأن يحضر المظلوم بين يديه بباب القصر فأركبه وصعد به إلى المجلس ثم سأله عن ظلامته فادعى بأنَّه دعس ابنه وضاع الذي دعسه ولم يؤخذ حقه وجعل يبكي ويسترحم ويلوذ بعدله عن الظلم. فسأله منذ كم أصيب ابنه فأجاب بأن مضى شهر وهو يطالب بدمه ولم يصل إلى الحقيقة. فما كان إلاَّ قليل حتى أحضر بين يديه المسؤولين عن أعمال مكة فأجلسهم أمامه وجعل يتهددهم ويتوعدهم حتى

ظهر أنَّ صاحب السيارة أحد أمراء البيت السعودي فأمر بأن يحضر بين يديه ولمَّا أن حضر نزع عباءته الوبر وأجلسه مع خصمه أمامه وقال له: إنَّ أول ما نأخذ الحق من أبناءنا فلما رأى هذا المُتظلم عدله وإنصافه وأنَّه لا يحابي جعل يبكي لهذا العدل والإِنصاف وقنع وطابت نفسه. فقال له: لا تبكِ فلك عليَّ أحد ثلاثة أمور أتريد الشرع أحلتكما عليه فهو مبذول أم تريد أن أكون أنا الحكم بينكما أو تعفو عن صاحبك فمن عفا وأصلح فأجره على الله تكلم يا بني فالحق لك فعجز المتظلم عن الكلام غير أنَّه زحف حتى وصل إلى قدمي الملك فجعل يقبلهما ويبكي ويقول: يا طويل العمر قد عفوت وسمحت فإذا كان الداعس نجلكم فأنا وابني أولادكم غير أنَّه جعل يردد عليه كلمة العفو وهو يجيب بقد عفوت قد عفوت وكنت أظن فيما يظهر لي أنَّه لم يعلم أنَّ صاحبه من البيت المالك، فلما تبلغ جميع الحاضرين عفوه قال له: جزاك الله خيراً ورضاؤك حاصل. فأمر له بجاريتين وغلام وثلاثين ألف ريال بينما كانت الدِّية إذ ذاك أقل منها بكثير وسيارة من مركوبات الأمراء تساوي ستة عشر ألف ريال وأربعة مشالح من الوبر الطيب وكسوة فاخرة. فانظر إلى توفيق هذا الملك العادل المنصف، ولقد كان في ذلك عبرة ولقد بعث إلى كل المقاطعات في المملكة لما أن وقعت الحرب العظمى الثانية ودخلت إيطاليا الحرب قرضا من البر والذهب والإِبل مساعدة للفلاحين وذلك على توالي سني الحرب وآخر ذلك عفا عن استرجاعها مراعاة للرعية.

ولمَّا لاح للنَّاس شبح الموت نتيجة امتناع المسلمين عن الحج بسبب الحروب التي سببتها الحرب العالمية، وخشية توقف سير السفن في البحر الأحمر وأخذ كل واحد يعمل لإدخار الأرزاق في بيته ولسان حال كل فرد منهم يقول نفسي نفسي. قام وجمع الزعماء وطمأنهم على حياتهم قائلاً: لا تخافوا سنشاطركم ما لدينا من مال وأرزاق ثم أجرى مبرة ملكية من الخبز

في سائر المدن والقرى، ويتألف اللجان لذلك في مختلف البلاد وتقرر رغيفاً واحداً لكل فرد من أفراد الشعب. إذا كان ممن لا عمل له أو إنَّ عمله لا يسد حاجته ولا حاجة عياله حتى بلغ ما يوزع عليهم في جميع أنحاء المدن ربع مليون رغيف يومياً زنة كل رغيف خمس أواق وبلغ ما كان ينفق في مكة المكرمة من عيش المبرة يومياً ١٢٥ ألف قرص. ولم يقف به الأمر عند هذا الحد حتى أمر بأن تخصص لكل فرد من أفراد رجال البادية ونسائها كل شهر ثلاث كيلات من الأرز ونصف ريال مضافاً إليها كسوة كاملة في الصيف وأخرى في الشتاء ترسل إليهم في قراهم بواسطة السيارات ويوزعها رجال أمناء من قبله. ولقد كنت حاضراً في مكة المكرمة لأداء الحج عام إحدى وستين بعد الألف وثلاثمائة فشاع للأمة أنَّ صاحب الجلالة سيحج مبكراً أو يقدم إلى مكة فأقبلت جموع من البادية وبنوا بيوت من الشعر في الأبطح من مكة على طريقه وكانت تلك البيوت على صفة مدينة مستقلة ذلك لما قام بالمسلمين من خوف الجوع والعري. ولما أن وصل إلى عشيرة كانت سيارات الكسوة للفقراء تبلغ ثماني عشرة سيارة من سيارات النقل محملة بها وفرحت الأمة بقدومه وكنت أسمع من يقول على جهة التعظيم أنَّه سيقدم على ألفي سيارة فأطلقت قلاع مكة من منتصف نهار اليوم ١٥ من ذي القعدة إلى منتصف الليل مائة طلقة مدفع وطلقة. ولمَّا أن قدم الموكب قبل غروب الشمس بثلاثين دقيقة ورأى كثرة المجتمعين أمر بأن يشتغل على نفقة الحكومة ثلاثمائة ماكنة خياطة زيادة على ما جاء به وكانت ساعة للخلائق ينظرون إلى تلك العظمة، وكان النائب قد صفَّ الجنود من قصر السقاف إلى الكعبة المشرفة صفين ولقد حاولت امرأة من أهالي مكة أن تنظر إلى الملك فلم تستطع لكثرة الزحام فانصرفت مرخية الجلباب على وجهها تقول بأعلى صوتها: هذا الملك ابن سعود اللَّهُمَّ اجعل عدوه في قبضته فعجبت لذلك وذكرت قوله ﷺ: «خيار أئمتكم الذين

تدعون لهم ويدعون لكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم».

ذكر عدله وإنصافه

أمَّا عدله وإنصافه فإنَّه موضع الإعجاب وتضرب الأمثال في عدله فلقد كان ينصف من نفسه ويعاقب أولاده وأهل بيته إذا اعتدى منهم أحد أشد العقوبة ولقد ضرب أحد أنجاله ضرباً مبرحاً، وأمر به إلى القلعة يسجن فيها على انفراد فسجن ومكث في السجن مدة حتى أطلقه برجاء ولي العهد وهذا بسبب أنَّ النجل ضرب بدوياً فشكاه البدوي على أبيه وهو لا يعرفه فأحضر أبناءه ليتبين ضاربه فلما تبين غضب عليه غضباً شديداً وقال له: أضربته فصمت الابن ولم يرد جواباً وعرف أنَّ إنكاره واعترافه سيان وليس أحدهما بمنجيه عن العقاب فصمت ثم نظر ابن سعود إلى المعتدى عليه وسأله بمَّ ضربك فأجاب البدوي قائلاً: بالعصا يا طويل العمر، فقال له: قم فاضربه واقتص منه فاستجمع هذا الأعرابي باكياً لعدل هذا الإمام وقال: لا أستطيع، فقال: قُم هداك الله قُم يا رجل لا تخف إنَّ العدل سوى بينك وبينه بل أنت أعظم منه لأنَّ الحق لك وهو أصغر منك لأنَّ الحق عليه. فأجاب الأعرابي إنِّي متنازل عن حقي ويكفيني هذا العدل فلما تنازل المظلوم عن حقه ظنَّ الابن أنَّه سيسلم من العقاب فنظر ابن سعود إلى من بالمجلس نظرة ارتاعوا لها وصاح بابنه أتظن أنَّ انتسابك إليَّ يمحو عنك العقاب أو يخولك الاعتداء قد بقي الحق العام ثم أدبه تأديباً بليغاً. وتفقد مرة بعد صلاة الجمعة ابناً له فلم يجده في المسجد ووجده في البيت فسأله عن سبب تأخره عن الصلاة فأجاب بأنَّه تأخر عن غير قصد فجاء ولم يدركها ورجع فأمر بسجنه وسجن خدمه جزاء لهم على هذا التأخُّر وليأتوا مبادرين إلى الجمعة. وقد عثر مرة على أناس كانوا في لهو ولعب ويجتمعون في موضع بلا مراعاة لحضور الصلوات فضربوا ضرباً مبرحاً وأزال تلك الحديقة التي كانوا يجلسون فيها ولقد وقفت على قصره ذات يوم امرأة مسنة تشكو إليه أمر قضية لها في

ميراث وقالت: ليس لي من يدافع عن حقوقي فناداها وأخذ ما بيدها من الأوراق وقال: أنا وكيلك وأدافع عن حقوقك فنظر في الحجج التي بيدها وأرسل بالقضية للمحكمة الشرعية وأخذ يسأل كل يوم عن تلك القضية حتى قررت المحكمة الشرعية في شأنها وأبلغ المرأة الحكم وأمر بإنفاذه.

فرحمة الله عليك من إمام عادل وليسجل التاريخ ما شاء من هذا العجب العجاب. ونمى إلى مسامعه أن تلاعباً حصل في كتابة عقد من العقود في المحكمة الشرعية الكبرى بمكة وصودق عليه فما كان منه إلاَّ أن بعث خدمه إلى المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة وأحضر ما هو في متداول أيدي القضاة من دفاتر وحقق أمامه موضوع التلاعب حتى كان على يقين من ذلك فأمر بعزل جميع موظفي المحكمة واستبدالهم بآخرين ولم يكتفِ بذلك بل عزل معهم رئيس القضاة إذاك سماحة الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد كذا قيل(١) وكان الشيخ موضع التقدير من جلالة الملك ولكنه لما كان لا يطلع على التلاعب لم يراع شيئاً أمام الله وأمام خلقه وكان يوظف في الوظائف الكبار من يرى فيه المؤهلات سواء كان كبيراً أو صغيراً ويضع في كل أمر من يسده وهو إلى جانب هذا يجمع ذوي الحل والعقد من سائر البلدان في المملكة ولا سيما كبار العلماء لكل مناسبة ويأخذ رأيهم ويدعوهم إلى التناصح ويبعث اللجان ويؤلفها وينتدب الهيئات إلى عموم الجهات للنظر والتحقيق في الشكايات التي ترفع إليه حتى يتضح الأمر جلياً وينفق من مال الدولة الشيء الكثير في هذا السبيل ويختار لهذه المهام من يثق به من ذوي الخبرة والنزاهة ويوصيهم بتقوى الله وتحري الحقائق والأخذ بيد المظلوم وحدثني طالب علم من الذين يدرسون سابقاً على فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم بأنَّها تأخرت مكافئاتهم الشهرية فبعثوا بكتاب إليه وطلبوا من جلالته

---

(١) ذكر ذلك عبد الحميد الخطيب في تاريخه «الإمام العادل».

الأمر على من يلزم بصرفها ولكنهم احتاروا فيمن يوصله إليه لصعوبة ذلك فقدر أنَّ أحدهم أخذ الكتاب وفكر في أن يجعله ملفوفاً بحصاة تثقله ويرميه في سيارته ولكن الكتاب وقع في جبهة الملك لما رمى في السيارة فكشفه ودعي بصاحبه ولكن فأين صاحبه لقد فرَّ إلى مسافة بعيدة حينما رآه وقع في وجه الملك خوفاً وخجلاً، فأحضر بين يديه وأمره أن يراجعوا شلهوب لصرفها سريعاً بعد ما تبسم ضاحكاً من تصرفه ولم يغضب بل علم مقصده.

ولمَّا كان في بعض الأيام جرى من محكمة الطائف في آخر رمضان عدم اهتمام بإنجاز المعاملات في القضاء ونجم عن عدم هذا الاهتمام بقاء بعض المتداعين في السجن حتى يتم شهر رمضان، فبساعة وصل الخبر إلى مسامعه أصدر أمره الصارم بحجز القاضي وجميع رجال المحكمة في دار المحكمة ليلاً ونهاراً حتى ينجزوا الفصل فيما لديهم من قضايا وترتب على ذلك أن انكبَّ القاضي ومن معه على نظر القضايا أواخر شهر رمضان وأيام عيد الفطر وما بعده حتى أنجزوا ما لديهم من القضايا وفصلوا فيها. وكان لا يبالي في الحق أحداً وكثيراً ما يلهج بهذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾.

كرمه وجوده

أمَّا كرمه وجوده فحدث عن البحر ولا حرج فوالله الذي لا رب غيره لو كان في عصرنا هذا من يولع بتسجيل حوادث الكرم والجود والحلم والعفو والعدل كما كان في العصور السابقة لخفيت أسماء أجواد العرب المتقدمين ولزاحم الملوك كهارون الرشيد والمأمون وسيف الدولة ولظهر ابن سعود عليهم. كيف لا وهو يعطي كل من قصده غنياً كان أو فقيراً ولمَّا كانت النفوس قد جبلت على حب المال لأنَّه قوام الحياة وكان كل جواد لا بدَّ أن يمسك كما قيل:

ولو سئل النَّاس التراب لأوشكوا　　إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

فكان المترجم له لا يمسك قليلاً ولا كثيراً وبذلك ملك القلوب وأحبته الأمة حباً جماً وكان يقول وما أغنت عن عبد الحميد كنوزه فمن ذلك أنَّ خمسة من الأعراب وفدوا على قصره في الرياض وكان البدوي قنعاً بما يناله فأمر لكل واحد بنصف كيس أرز وقلة تمر وعباءة وخمسين ريالاً فلما قبضها الأعراب ركبوا إبلهم وساروا راجعين إلى أهاليهم وقد عجزت الألسن أن تعبر عن المديح والثناء فلما كانوا في الدرعية جعلوا يتحدثون في شأنه فقال أحدهم لأصحابه أترون هذا ملكاً بفتح اللام وبالغوا في الإطراء والمديح وكان من بين الذين يتقلبون بفضله بقية آل رشيد وآل مهنا وهم الذين كانوا قبل ذلك أعداء فلما حلوا في ضيافته منَّ عليهم بالإكرام وغمرهم بالجود فتجد الفرد من هؤلاء يسكن القصور العالية ويركب مراكب الملوك كأنجال الملك ولكل فرد خدم واحتشام وجعل لهم المرتبات من ألوف النقود شهرياً وأكياس الأرز والقهوة والسكر والهيل ومصفحات العسل والسمن ومشالح الوبر وغير ذلك. وأكرم العلماء ورفع من أقدارهم وقرر لهم رواتب وأرزاقاً تجري عليهم كل ذلك شهرياً. وأكرم آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأجزل لهم العطاء وأكرم عشيرته ورفع من أقدارهم وأجزل لهم المرتبات ووصل قرابته وذوي رحمه وأوسع لهم في النفقات فكان بذلك موضع التقدير والإجلال. وكان هؤلاء في الحشمة كالملوك بل كان خدمهم كالملوك، وكان يحرص على نفع الضعفاء والمساكين ويعطف عليهم فكان إذا رأى أعمى داعبه لأنَّ يكون مطوعاً لإحدى البنات أو القصور حتى كان أمة من هؤلاء يتلون القرآن في تلك القصور ويتمتعون بالنعم والكرامة ويؤمون النساء في صلاة التراويح في شهر رمضان. ولا يزالون محترمين تجرى عليهم النفقات ويلبسون الكسوة الفاخرة ويركبون السيارات الفاخرة ويتقلبون في تلك النعمة والحبرة. وطبع على نفقته الألوف من كتب أهل

السنَّة والجماعة وجعلها وقفاً تبذل مجاناً لطلاب العلم، ونذكر شيئاً منها فمن ذلك تفسير الحافظ ابن كثير وتفسير الإمام الحسين بن مسعود البغوي، جعل الأول في أعالي الصفحات والثاني أسفل مفصولاً بينهما بحاجز، فبلغت تسع مجلدات وظهر التفسيران في رونق حسن حتى أنَّهما لم يطبعا قبل ولا بعد بأحسن من تلك الطباعة وكان طبعهما بمطبعة المنار، وطبع المغني وكتاب الشرح الكبير للمقنع طباعة حسنة كان الأول في أعالي الصفحات والثاني أسفل مفصولاً بينهما بفاصل، فظهرت الطباعة كأحسن ما يكون وهما من أكبر كتب الفقه وكان يعد طبعهما إذ ذاك معجزة للإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن لقلة المادة بين أيدي النَّاس حتى قال الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مطبعة المنار التي طبعتهما في مديح الملك عبد العزيز لولاه لما أقدمنا على طبعهما ولم يقدم غيرنا وقال: لا يسعنا إلاَّ أن نعود في هذه الخاتمة إلى الثناء على مسدي هذا الخير العظيم إلى الأمة الإسلامية بالأمر بطبعه والإنفاق عليه من ماله الخاص به إمام السنة ومحيي عدل الخلفاء وعلوم الأئمة مؤسس المملكتين وخادم الحرمين الشريفين عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وعاهل العرب في كل غور ونجد أعزه الله تعالى وأعزَّ به العرب والإسلام ونفع به الأنام. وذكر أنَّه هو السبب في وجود الكتاب. وذكر في المقدمة قوله ما زلت أفكر في السعي لطبعه إلى أن هداني الله تعالى إلى تبليغ أمنيتي هذه إلى السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إمام نجد وملحقاتها. وذكر صاحب المطبعة أنَّه شرع في طبع الكتابين وغيرهما من مطبوعات صاحب الجلالة والمطبعة غير مستعدة لإنجاز مطبوعات كبيرة كثيرة وطبع المترجم له الآداب الشرعية الكبرى لابن مفلح وطبع مجموع الرسائل والمسائل لأئمة هذه الدعوة الإسلامية الذين قاموا بالحق وبه يعدلون آل الشيخ ومن اقتفى أثرهم وقد بلغت مجلدات المغني والشرح الكبير اثني عشر مجلداً كلها

ضخمة كما أنَّ الآداب الشرعية كانت في ثلاثة مجلدات. ومن مطبوعاته أجزل الله له الأجر والثواب شرح الطحاوية توحيد الإمام ابن خزيمة مختصر طبقات الحنابلة لأبي يعلى وروضة المحبين لابن قيم الجوزية مجموعة التوحيد مجموعة الحديث مجموع المتون في كتب كثيرة البداية والنهاية للحافظ ابن كثير وغيرها. ونحيل القارىء إلى مواضع ذكرها هناك من هذا التاريخ.

ولقد كانت الأعراب تفد عليه كل يوم ينزل على القصر الملكي عدد منها فينزلون في دور الضيافة وبعد أن يقضي القادمون أيام الضيافة وهي ثلاثة في الغالب يرفع وكيل بيت المال إلى الملك كشفاً بأسمائهم ليأمر لهم بإعطياتهم فيكتب إلى جانب اسم كل واحد منهم المبلغ الذي يعطى له مراعياً حالته ومقامه، فهذا يأخذ ٥٠ ريالاً، وهذا ١٠٠ مائة ريالاً، وهذا خمسمائة ريال، وهذا يأمر له بعشر نياق، وذاك بخمسة أكياس أرز. ومن تقاليده أن يمنح كل زائر كسوة عدا الطعام، والعطاء والكسوة عبارة عن عباءة وبدلة كاملة وغترة صوف. وتختلف الجوائز على حسب الوفود، فما يعطى للأمير أو لشيخ القبيلة لا يعطى للزائر العادي فيعطى بعض الأمراء سيارات وألوفاً. ومن أعجب ما نذكره أنَّه بعث إلى شيخ قبيلة من قبائله لما كانت الأرض مجدبة وجهته بعيدة أن لا يقدم هذه السنة مراعاة لحالته، بل تأتيه كسوته وشرهته في جهته فأمر بسيارة خمس طن وملأها نقوداً وسكراً وقهوة وشاي وهيل وأرزاً وبعثها إليه ووهبها له. ويمنح كبار الضيوف وعظماؤهم السيوف المذهبة أو الخناجر المطعمة أو الساعات الثمينة، كل بمرتبته ودرجته، ولا يغادر قصره زائر من دون هدية وقد يغتنم البدو فرصة خروجه من مكان إلى مكان فيلحقون به فيدنو أحدهم منه ويهمس في أذنه من الوراء أنَّه في حاجة إلى مال ليتزوج فيقول: لمن يكون وراءه من رجاله أعطوه جهازاً (الجهاز في لغة نجد المهر الكافي للزواج). ثم يأتي غيره ويهمس في أذنه يا طويل

العمر (وهي كلمة دعاء في نجد) أريد بشتاً ويأتي آخر يقول أريد ناقة فيعطى كل سائل ما سأل. وكان في وقت الشرهات يفد على قصره من العلماء والأمراء والرؤساء وأصحاب العوائد ما يزيد عن خمسمائة ألف. أمَّا البيوت التي تصرف لها الرواتب الشهرية من الأشراف والسادة والأئمة والخطباء السابقين فتقدر بثلاثة آلاف بيت، هذا عدى ما يصرف في حنادس الظلم سراً على الأرامل وذوي الحاجات وما يوزع على العموم في سائر البلدان. وكان الموزع يسير في منتصف الليالي المظلمة فيطرق البيت سراً فيدخل يده في الكوة ويعطيهم ما لا يعلمه إلاَّ الله ويوصي أهل البيت أن لا يبوحوا بمصدر تلك الصدقات، ولقد جاء إليه رجل من أهل مسقط فقدم لجلالته نوقاً عمانية أصيلة فأمر له بشرهة قدرها عشرة آلاف ريال وقيد اسمه ضمن ضيوف ذلك اليوم فكان يعطى كل سنة عشرة آلاف ريال. فقدر أنَّ رجلاً شابه اسم هذا الرجل مرة من السنين فأعطي العشر الآلاف، فأخذها وانصرف. وفي صبيحة اليوم الثاني جاء صاحب النوق وسلم على جلالته فقال له المغفور له: هل أعطيت شرهتك؟ فقال: لا. فغضب وسأل عن سبب ذلك. فقال أمين المال: إنَّه دفع المبلغ وأخذ إيصالاً من صاحبه. ولدى البحث عن صحة ذلك. ظهر لهم تشابه الاسم وأرسلوا خلف البدوي وأحضروه فلما حضر وفهم بما حصل خشي أن يسترجع منه المبلغ الذي أعطي له غلطاً لتشابه الاسم، ولكنهم لم يفعلوا بل جاؤوا به إلى الملك. فقال له جلالته: كم أخذت؟ قال: عشرة آلاف. فقال له الملك: هي لك من عند الله. فخرج من مجلسه يحمد الله ويدعو للملك. وأمر لصاحب النوق بمثلها أيضاً. واستوقفته امرأة عجوز مرة في الطريق وقالت: يا عبد العزيز أسأل الله أن يعطيك في آخرتك كما أعطاك في دنياك. فسر لهذه الدعوات أعظم السرور وأمر أن يعطى لها كل ما كان لديه في السيارة فإذا بها عشرة أكياس، كل كيس فيه خمسمائة ريال، الجميع خمسة آلاف ريال.

فلما أعطيت لها عجزت عن حملها فأمر لها بذلول تحمل عليها هذا المبلغ وأمر لها بخادم يوصلها إلى منزلها في قلب الصحراء.

وترفع له كل يوم مئات الطلبات من كثير من طبقات الشعب فلا يخيب طالباً، فمنهم من يعطه أرضاً، ومنهم من يبنى له داراً، ومنهم من ييسر له سبيل الزواج، ومنهم من يرسله إلى خارج المملكة للعلاج إذا استعصى شفاؤه. ولقد بعث بعالم من العلماء إلى مصر وكان قد أصيب بداء عجزت عن كشفه الأطباء فأجريت له هناك عملية وأخذ عليه أن لا يقرب النساء شهرين فقدر أنَّه بعد وصوله أنس من نفسه العافية ولم يلتزم بالحمية فانتقض عليه جرحه فجعل الملك يأسى على حالته ويقول: لو أنني توليت حميته. وكان يبعث من يريد التزود في طلب أنواع العلوم إلى الخارج ويخصص لهم مرتبات ولقد كان موضع ضيافة ثليم في الرياض أعدت فيه الأطعمة للفقراء والمسافرين ورجال البادية وينتابه ألوف من الوافدين وكان من أوانيه قدر يسع عشرة أكياس من الأرز وكان يصعد إليه بسلالم من حديد وإذا أرادوا غسل هذا القدر فإنَّه ينزل إليه بدرج وكنت قد تحدثت إلى صاحب الضيافة عن صحة هذا الخبر فقال: صحيح وأنَّه يوجد في المربع قدر آخر يسع خمسة جمال تلقى فيه جميعاً وجعل يروي عن الخبز الذي يخبز يومياً على نفقة الحكومة في الرياض أنَّه بلغ ستة وتسعين كيساً من الدقيق وكان له مكارم يضايق بها أجواد العرب الأقدمين وإذا سألت كل من له صلة بديوان جلالته ففي كل يوم يرون العجائب من أنواع الحاجات والطلبات ومختلف الرغبات. ومما يروى عنه أنَّ رجلاً شكى إليه مضايقة الغرماء له وإنَّ عليه مائة جنيه ذهباً وطلب من جلالته المساعدة لسدادها فأمر أن يحقق عن مقدار الدين فثبت أنَّه كما ذكر فكتب الملك بخطه على الطلب بإعطائه مائة جنيه ولكنه تغلب عليه الكرم فكتبت يمناه ثلاثة أصفار بدلاً من صفرين يعني ألف جنيه ولما وصل الأمر إلى شلهوب مدير مال الخاصة الملكية لاحظ ذلك

فذهب إلى جلالته مستفسراً فقال: ليس القلم بأكرم مني فاصرفوا له ما قسمه الله له فأعطى الرجل الألف جنيه فأخذها وانصرف داعياً.

أخلاقه وبراعته

أمَّا أخلاقه فإنِّي أقول يندر أن يوجد مثله في الملوك والعظماء فكان تغلب عليه الوداعة والمرونة مع شدة وقسوة عند الحاجة فهو يعرف كيف يضع السيف كما يعرف كيف يضع الندى وهو متسامح مع خصومة وأعدائه واسع الصدر وكريم اليد فإذا جاؤوه تائبين أو نادمين عفا عنهم ورحب بهم وأجزل لهم العطايا وأنزلهم أحسن المنازل، ويكون انتقامه شديداً ممن ينتقض عليه أو يحاربه بعد أن دخل في طاعته، وله بوادر عند الغضب تذوب لها مهج الرجال وتلاشى عندها سورة الأبطال، ولكنه سريعاً ما يفي إذا زال الغضب ويتوسط العلماء والأقرباء بطلب العفو عن الجاني فيقبل الشفاعة ويعفو ولا يخيب رجاءهم. ومن عجائب ما وجدته في بعض التواريخ عنه أنَّه بينما هو ذاهب إلى مكة حاجاً على عادته كل سنة انفجرت عجلة في سيارته (الباكار) فجلس جلالته على الرمل ريثما تصلح فمرَّ به راع على جمل وسأل عن الملك هل مرَّ فسأله ابن سعود وقد رأى أنَّ البدوي لم يعرفه عن الباعث له على استفساره فقال الرجل: إني سمعت أنَّه في طريقه إلى مكة فقلت عسى أن يجود عليَّ بشيء من المال فأحج أنا أيضاً ففتح الملك كيساً فيه نقود ذهبية يحتفظ به لمثل هذا الطارىء ونفحه بحفنة فحدق الرجل فيها ثم نظر إلى الملك وقال: شكراً لك يا عبد العزيز لم أعرف وجهك ولكن جودك عرفني بك .تالله أنَّها لغريبة في تاريخ الملوك ولله در القائل حيث يقول:

هو العون بعد الله في رفع نازل وكشف كروب أو قضاء حوائج
تكاد ترى فيه المروءة والندى له حسنان دونها رمل عالج

فأضعف الله لك الأجر يا أبا تركي وأكثر من أمثالك وإنَّه لواجب على التاريخ أن ينشر هذه الفضيلة ويسطر ما شاء من تلك المناقب ويشنف الأسماع بتلك الأخبار. وكان من مزاياه الحميدة اعترافه بأنَّه لم يتعلم العلوم ولم يرزق حظ الإِحاطة بها وهو يكرر ذلك دائماً في معظم المناسبات ويقول: (حنا) أي نحن ما تعلمنا فيجب على الذين تعلموا أن يساعدونا ويرشدونا.

هذا وقد كان عالماً واسع الاطلاع غير أنَّه لا يحب تزويق الكلام وتشقيق العبارات بل كانت سليقته ولهجته لهجة العلماء الصادقين السلفيين وخطبه في المواسم والمناسبات كثيرة موجودة يستشهد بالآيات والأحاديث. ومن عادته أنَّه يخطب جالساً ويشير بسبابة يده اليمنى أو بقضيب صغير يحمله في يده على أداء ما في فكرته، ويرسل الكلام إرسالاً من دون أن يتقيد بأساليب البلغاء أو بقواعد اللغة بل يخطب بلهجة أهل نجد، وتغلب على خطبه النزعة الدينية وكثيراً ما يستشهد بآيات قرآنية وأحاديث نبويَّة في خلالها. ولقد تغلب على الفصحاء وحيرت سياسته جميع السياسيين وخضعوا لهيبته وأقروا له بالتقدم ونظروا إليه بعين التعظيم والاحترام والإِعجاب.

سطوته وشجاعته

قد تمَّ له بفضل سياسة الحزم والعزم والشدة التي يسير عليها في إدارة بلاده وأقطاره الواسعة إقرار الأمن على منوال غير معروف في أعظم البلاد رقياً وحضارة فاطمأنَّ النَّاس على أرواحهم وأموالهم في غدوهم ورواحهم حتى أصبحت المرأة تسير على قدميها وحدها بين القرى والضواحي تحمل على رأسها الأشياء الثمينة فلا يتعرض لها بر ولا فاجر حتى لقد ندر وقوع الحوادث العادية. والباعث لذلك هو يقظته الزائدة وأخذه المجرمين بالشدة والبطش الشديد بقطاع الطريق والعابثين بالأمن العام فلا يرحمهم ولا يشفق

عليهم ولا تنفع عنده فيهم شفاعة. ولم يخلد إلى الدعة والسكينة منذ ما أصبح قادراً على تقلد الحسام وامتطاء الجواد بل واصل الحرب والقتال مدة أربع وثلاثين سنة تمَّ له فيها وفي خلالها إنشاء هذه المملكة الطويلة العريضة من الشام إلى اليمَن ومن البحر الأحمر إلى الخليج العربي. وقد قاتل على كل شبر أرض منها كما يقول عن نفسه ولم يشرق نجمه ويتألق إلاً بعد الحرب العظمى، ولم يتلألأ كوكب مجده إلاً بعد الانتصارين العظيمين الذين أدركهما في وقت يكاد يكون واحداً. فقد قضى في تربة على جيش الحسين الشريف فأصبح بذلك يملك أكبر قوة عسكرية في شمال الجزيرة، كما أنَّ فوزه الحاسم يوم فتح حايل وتقويضه إمارة آل رشيد جعله سيد نجد غير مدافع وصاحب الكلمة العليا فيها فانصرف إلى ضم الحجاز وإلى تعزيز نفوذه في خارج نجد فاحتلَّ منطقة عسير بلا عناء ووسع حدوده من جهة الشرق وأقام ينتظر الفرص ليضرب ضربته الكبرى وليبسط نفوذه على الجزيرة كلها ويدخلها في طاعته وهو الحلم الذي يحلم به ويطمع أن يوفق إلى تحقيقه على أنَّه كان ذا حظ، فهو محظوظ كما يقول عن نفسه، وشاهد هذا فتح الطائف وبعض الفتوحات التي سهلها الله العلي الكبير بدون كبير أمر يذكر غير أنَّها ترجع لإظهاره القوة وصدق العزيمة وكان بابه مفتوحاً للضيف والمظلوم وكيسه مفتوحاً للبذل والعطاء. كما أنَّ سيفه مسلول للتأديب.

وقد ساد قومه بهذه المزايا الثلاث: العدل والكرم والشجاعة، ونال ما لم ينله غيره من آل سعود.

ولقد سطا في استرجاع الملك من آل رشيد سطوات يشيب من هولها الوليد، وألقى نفسه في المعاطف، فكان لا يهاب أحداً ولو أنَّ النَّار في وجهه لألقى نفسه فيها ولكن بحسن تدبير وسياسة مجندل عجلان. وكان يتحدث عن فتح الرياض وما جرى في تلك الساعة من الأهوال قال: لم

يكن معي في تلك اللحظة غير بندقي ومعه سيفه فردَّ لي السيف وهو يرمي إليَّ به ووجه السيف ما هو طيب فغطيت وجهي وهجمت بالبندق ولكنها لم تقض عليه بل ثارت وسمعت طيحة السيف في الأرض ومن تدبر هجومه على عجلان ورجاله رأى العجب العجاب ولاحق الصنديد عبد العزيز بن متعب حتى ألقاه مضرجاً بدمائه على وجه الأرض بعد هول شديد وما زال يشن الغارة على الشريف وأبنائه حتى طردهم عن الحجاز وحلَّ مكانهم.

وكان طويل القامة ضخم الجثة واسع الفم إذا تكلم وهو غاضب ظننت أنَّ الجمل يهدر ويندر في نجد أنَّه يوجد من يدانيه في الطول فكأنَّه المفرد العلم إذا وقف بينهم ويرى في جسمه كثير من الجروح التي أصيب بها في المعارك وإحدى أصابعه مشلولة.

ولقد نَزل على حدود العراق لما فرَّ منه الدويش وابن حثلين وابن لامي والتجأوا إلى حكومتها وجعل يتهدد ويتوعد المسؤولين ويحتج حتى حملتهم الحكومة الإِنجليزية بطائرة وألقتهم بين يديه.

ولمَّا أن تولى الحجاز كانت السبل هناك غير آمنة وقوي الأعراب ينهب الضعيف وحجاج بيت الله غير مطمئنين من نهب الحرامية وقطاع الطريق. فاستطاع بشدة سطوته وضروب سياسته أن يضرب على أيدي العابثين ويكف أيدي قطاع الطريق حتى أصبح السائر بين تلك الجبال كأنَّما يسير بصحن بيته.

ومن النكت أنَّه سجن جماعة من قبل قاضي تحقيق بغير حق بل كان سجنهم ظلماً فقدموا لصاحب الجلالة شكوى فبعث هيئة تدرس الموضوع جيداً. وبعد ما تبين ظلم الآمر بسجنهم أمر بأن يخرجوا من السجن ويسجن الآمر مدة توازي مدتهم.

وقام ثلاثة من الأشقياء بسيارتهم فنهبوا صبياً وفروا به إلى البر ليفعلوا به

الفاحشة. فما كان إلاً قليل حتى قامت الدوريات وأحاطت بهم، فما هي إلاً دقائق حتى أُلقي القبض عليهم وصدر الأمر بإعدامهم.

ونقل إليه أنَّ أناساً أفطروا في شهر رمضان فأمر بالقبض عليهم وكانوا قد خرجوا إلى البرية لأنَّ لا يطلع على إفطارهم أحد، ثم أمر بأن يطاف بهم في أسواق الرياض على الحالة التي وجدوا فيها، فجيء بهم وكان أحدهم يحمل طستاً، والآخر يحمل إبريقاً وأكواباً، والثالث يحمل القدر على رأسه. ولما أن طيف بهم على هذه الصفة الشنيعة التي تنبىء عن انتهاكهم لحرمة شهر رمضان أمر بضربهم بالخشب في الصفاة وتعذيبهم بأبلغ العقوبات حتى نجم عن ذلك أن كان كل شخص على العموم يطيق الصيام فإنَّه لا يفطر، كائناً من كان، اللَّهُمَّ إلاً مريضاً أو مسافراً.

وكان إذا غضب فإنَّه لا يوقف في طريقه، وإذا اعترى فإنَّ الحاضرين والسامعين ومن بلغه الأمر يشتغل كل بنفسه في التفكير في أعماله وذنوبه.

لباسه وسجيته

كان لباسه عربياً فيضع الكوفية والعقال الذهبي (الشطفة) على رأسه ويلبس قميصاً أبيض طويلاً فوق جسمه وتحته السراويل الواسعة ويضع فوقه ثوباً وفوق الثوب عباءة، ويكون الثوب من الجوخ في الشتاء، ومن القماش الأبيض في الصيف. وألبسته غالباً تنسج وتخاط في دمشق وترسل إليه وليس فيها ما يفضله أو يميزه على أحد عماله أو رجاله الآخرين ويلبس الشرابات وفوقها الخف على طريقة أهل الحجاز ونجد، وقد ينزعه عند ركوبه الخيل، وشعاره البساطة التامَّة في كل شيء، ويحب المباسطة على المائدة خلال تناول الطعام، وطعامه اليومي المعتاد هو الأرز واللحم المسلوق واللبن الرائب ولبن الإبل والخبز ويأكل الفواكه إذا وجدت ويحب القهوة العربية ويجلس إلى مائدته التي مدت على الأرض وحوله ضيوف

ويأكل بيده إذا كانوا من أهل نجد والحجاز، أمَّا إذا كانوا أجانب أو هناك رجال رسميون فيأكل بالملعقة ويجلس إلى موائد نظمت على الطراز الحديث.

أمَّا في الأسفار والحروب والغزوات فإنَّه يحارب الراحة وتمر به ليال لا ينام في خلالها إلاَّ غراراً على ظهور الإِبل أو الخيل مواصلاً سرى الليل بسير النهار لا يأكل إلاَّ قليلاً ولا يشرب إلاَّ نادراً.

وقد اضطر في بعض غزواته إلى شق بطون النياق لاستخراج ما فيها من ماء وشربه لندرة الماء. وكثيراً ما قضى الأيام والليالي طاوياً لعدم وجود ما يأكله.

ولقد أكرم جميع الذين ساهموا معه في استعادة الملك لما فتح الله عليه وحرص على مكافآتهم وحشمتهم وأفسح لهم المجال. وكثيراً ما يستعرض ماضيه ويذكر أصدقاءه القدماء ويتحدث بنعمة الله عليه.

وكان له تهجد من آخر الليل. فإذا صلَّى ما كتب له وقرأ ما تيسر من القرآن وأوتر إذا قد حضر وقت الفريضة فيصلي الغداة ثم يظل في ورده وقراءته لأنَّه كان له حضر من الورد فيقرأ في ورد الشيخ سليمان بن سحمان. ثم أنَّه ألف ورده المشهور بالورد المصفَّى المختار من كلام الله تعالى وكلام سيد الأبرار ويتحصن به. وقد طبع عدة مرات ووزع بكثرة فيلبث حتى قرب طلوع الشمس فينام وبعد ما يستيقظ يتناول القهوة ويجرع كميات من لبن الإِبل ثم يخرج إلى الديوان فينظر في الشؤون المعروضة عليه ويوافيه عامل اللاسلكي كل صباح بتقارير عماله وأمراءه وكل حاكم مدينة عندهم يسمى أميراً يتصل به عن طريق البرق فيوافيه بجميع ما جرى من آخر نهار أمس في منطقته فلا يكاد يفوته شيء مما يقع بل يطلع على كل ما جرى حتى أنَّ المملكة تكون بين يديه كأنَّها دكان بقالة، ويبلغه عماله

أخبار الشد والرحيل من السياح حتى أنَّه لا يستطيع أحد أن ينتقل إلاً بإذن منه فينقل إليه من فتنة بين قبائل الشمال إلى سيارة تعطلت في الوحل في الطريق الفلاني ثم يأتيه المترجمون للأخبار الخارجية كما سمعوها فيعرضونها عليه حتى أنَّه ليتبلغ السياسة لمعرفته بالحرب أعظم مما يتبلغها معظم الموظفين في تلك المملكة وكان يتسقط أخبار الحكومات والبلاد المجاورة ولديه مصلحة استخبارات منظمة تنقل إليه جميع ما يحدث بالضبط والتفصيل، فلا يكاد يفوته شيء ويأتيه عماله بتقارير سرية يوافونه بها، وله عناية عظيمة بالصحف على اختلاف أنواعها وقد يأتيه مترجموه للأخبار الخارجية عند وقوعها بشيء لا تبلغه العبارة في التدقيق.

ومن عادته في رحلاته أن يقف اثنان من رجاله وبيد كل واحد منهما بندقية على سيارته هذا من اليمين وذاك من الشمال خوف وقوع حادث مفاجىء وتكون إلى جانبه في السيارة بندقية خاصة به، ويضع سائق سيارته الخاصة بندقية في جانبه. وكان يمازح جلساءه ورجال خاصته ويحادثهم أحاديث طلية، لا أثر فيها للكلفة، ويعاملهم معاملة الصديق للصديق والند للند ويحبونه حباً عظيماً. فلقد كان محبوباً جداً وموضع التقدير، على أنَّه لا يتأخر عند الحاجة من تأديب بعض من يذنب منهم بيده، وهو مشهور بالإفاضة في الحديث فإذا بدأ بموضوع لا يتركه قبل أن يلم به من جميع نواحيه ولا يدع زيادة لمستزيد، فإذا قاطعه جليسه أو محدثه مستدركاً على شيء أو مبدياً رأياً لاح له أو فكرة مرت بخاطره قال له: إسمع أنا أعلمك أي أخبرك أو إسمع، اسمع الله يهديك أو ما تسمع الله يسلمك ويردد هذه الجمل كثيراً في محادثاته اليومية.

فقد عرفت أيُها القارىء أنَّه معظَم ومحبوب ومن النَّاس من يكون معظَماً غير محبوب ومنهم من يكون محبوباً غير معظم وأن أكمل الصفات محبة يصحبها التعظيم.

ذكر حالاته الزوجية

كان يتقيد بالشريعة المطهرة في أمور زواجه فلا ينكح امرأة حتى تتم عدة الزوجة الرابعة، وكثيراً ما يصاهر القبائل لمودتهم واستجلاب محبتهم، فقل مدينة في نجد لم يتزوج فيها تقرباً إليهم واستمالة لهم، وإذا طلق امرأة فإن كانت حاملاً أو ذات أولاد فإنَّها تبقى بإكرام وعناية ولها من المرتبات ما للزوجات الأخرى من المأكل والملبس. وأمَّا التي لم تلد ولم تحمل فترجع إلى أهلها مع جهازها ولباسها وما يكون الملك أجرى لها مدة وجودها في قصره، ومن مطلقاته من لا تتزوج بغيره ومنهن من يتزوجن بعد انقضاء المدة الشرعية ولا بأس في ذلك. وفي القصر الملكي عدا النساء الحرائر طائفة من الجواري السود والإماء وهناك طائفة من السراري الكرجيات عددهن غير قليل وهن قد حملن إلى نجد في زمن الحرب العظمى الأولى فاشتراهن وتسراهن وهو يستمتع بهن. وقد اشتهرن بالجمال ومن بينهن ثنتان ولدن له أولاداً وكانت الباقية منهما محترمة ومكرمة تعنى بملابسه الخاصة وتسهر على ترتيبها.

فكانت والدة بكره تركي المتوفَّى في عام ١٣٣٧ هـ وابنه سعود وأختهما الشقيقة هي وضحا ابنة محمد بن برغش آل عريعر، وصاهر الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف فكانت ابنة الشيخ طرفة بنت عبدالله والدة الملك فيصل وأخته نورة، وصاهر آل جلوى، وصاهر ابن شعلان فكانت حفيدة نوري الشعلان نوْف الشعلانية والدة ثامر وممدوح ومشهور، وصاهر العجمان، وصاهر آل السديري وأنجبت نساء آل السديري فأنجبت له حصة ابنة أحمد السديري فهد بن عبد العزيز وسعد الأول وسلطان وعبد الرحمن وتركي الثاني ونايف وسلمان وأحمد. كما أنَّ الجوهرة ابنة سعد السديري أنجبت له سعد الثاني ومساعد وعبد المحسن. كما صاهر المترجم العاصي بن شريم الشمري فأنجبت له عبدالله بن عبد العزيز وأخواته. كما أنَّ هيا ابنة سعد السديري

أنجبت له بدر بن عبد العزيز وعبد الإله وعبد المجيد وأخوات لهم شقيقات. فأمَّا سعود فهو ولي العهد بعد أبيه. وأمَّا فيصل فتولَّى الملك بعد أخيه. وأمَّا خالد فقد تولَّى الملك بعد أخيه. وأمَّا فهد فقد تولى الملك بعد وفاة أخيه. ومن الأنجال محمد بن عبد العزيز شقيق الملك خالد والدتهما الجوهرة بنت مساعد بن جلوي بن تركي، ولهما أخت شقيقة هي العنود. فأمَّا عن المتوفين رحمة الله عليهم فتأتي ترجمتهم.

وأمَّا عن الأحياء فنذكر طرفاً عن حياتهم.

ذكرى أنجال الملك عبد العزيز

تقدم ذكر الملوك ومن أنجاله محمد وتقدم ذكر ولادته وكان شجاعاً بل يعد من شجعان العرب الأشاوس، وشجاعته مشهورة فلقد كانت الشجعان يضطربون خوفاً إذا علموا به، ولا يطيق الإخلاد إلى الراحة والدعة إن دعى للحرب داعي، أضف إلى ذلك سخاء وكرماً. وله مواقف في الحروب. وقد سافر مع أخيه سعود لحضور حفلة تتويج ملك بريطانيا، كما سافر مع أخيه فيصل في رحلته إلى أمريكا لحضور مؤتمر فرانسيسكو.

وأمَّا ناصر بن عبد العزيز فقد جعله والده أميراً في الرياض وهي ليست بالأمر الهين اليسير، بل من أشق الأعمال وأعظمها لما يجب على القائم بهذا المنصب الخطير أن يكون له إلمام بشؤون الدولة وأمور الشرع والنظام، ولا يلحقه عجز ولا ضعف ولا رعونة.

وأمَّا سلطان بن عبد العزيز فقد تولَّى إمارة الرياض بعد أخيه ناصر، وكان رزيناً نزيهاً وله فضل وإحسان في مساعدة المنكوبين والمرضى. وقد وسد إليه ثلاثة أشياء: وزارة الدفاع، وكان نائب جلالة الملك الثاني والمفتش العام.

أمَّا منصور بن عبد العزيز فقد تقدمت ترجمته في سنة وفاته. وكان وزير

الدفاع قبل ذلك، ومشعل بن عبد العزيز، وكان شاباً أديباً محنكاً ولاه والده وزارة الدفاع بعد أخيه منصور، فقام بأعباء هذه الوظيفة ست سنوات قياماً أسفر عن كفاءته ومؤهلاته. غير أنَّه طلب الإِقالة منها.

ومن الأنجال سلمان بن عبد العزيز أمير الرياض وهو ذو شجاعة وتقدم، ومنهم متعب بن عبد العزيز، وكان فتى نجيباً وتقدم في خدمة بلاده بهمة ونشاط فأصبح نائباً في مكة المكرمة. قام بالإِمارة خير قيام بعد حفيد المترجم عبدالله بن فيصل، وباشر مهمته بجد وصدق وكان أهلاً لذلك.

ومن أبناء جلالة الملك تركي بن عبد العزيز البطل الهمام وكان سباقاً إلى الخيرات وفتى نجيباً قضى له جوده وكرمه أن يتولى منصباً حساساً في خدمة المملكة.

ومن الأنجال عبد الله بن عبد العزيز رئيس الحرس الوطني والنائب الأول لجلالة الملك وولي العهد. وكان عند حسن الظن.

وأمَّا نايف بن عبد العزيز فكان وزير الداخلية وفيه مؤهلات ورجولة ومعرفة قضت له أن يكون بهذه المنزلة مع علم بالرجال وتقدير لأهل الفضل والعلم والقبض على العابثين بأيد من حديد.

أمَّا أحمد بن عبد العزيز فكان نائباً عن أمير مكة ثم كان وكيلاً لوزير الداخلية، وسطام بن عبد العزيز الذي كان وكيلاً لأمير الرياض.

وأمَّا بدر بن عبد العزيز فكان نائباً عن رئيس الحرس الوطني. ومنهم بندر بن عبد العزيز كان نبيل الخلق سمحاً طيباً ذكياً عربياً متحمساً يحب رقى العرب وأن يكونوا متمسكين بسيرة السلف ويحب القراءة وكان متواضعاً كريم الأخلاق.

وأمَّا سعد بن عبد العزيز فكان فاضلاً متعلماً ذا أخلاق فاضلة. وأمَّا مساعد بن عبد العزيز فله ميل إلى الأدب وقرض الشعر. أمَّا عبد المحسن بن

عبد العزيز فقد كان أمير المدينة المنورة وقام فيها خير قيام. ومنهم فواز بن عبد العزيز تولّى إمارة الرياض في عهد الملك سعود ثمَّ كان أميراً في مكة المكرمة.

ومنهم طلال بن عبد العزيز عين سفيراً في باريس ثم كان وزيراً للمالية فترة في زمن الملك سعود.

ومنهم نواف بن عبد العزيز تولّى إمارة القصور والحرس الملكي ورئاسة الديوان الملكي فترة في زمن الملك سعود ثم أعيد إليها في عهد الملك فيصل ثم كان المستشار الخاص للملك فيصل.

ومنهم عبد الرحمن ومشاري وثامر وممدوح ومشهور وهذلول وعبد الإله وعبد المجيد ومقرن وماجد وحمود.

وكل من أنجاله فإنَّهم مهذبون ومثقفون ورجال[1] وكل منهم فإنَّه ينمي نمواً حسناً فترى أجسامهم أكبر من السن التي هم فيها كأبيهم البادن المهيب، فمن كان في العاشرة كمن في الخامسة عشرة، ومن في الخامسة عشرة كمن في العشرين، ومن في العشرين يخيل لرائيه كأنَّه في الثلاثين. ولقد رأيت نوافاً وماجداً في مكة المكرمة وعمر الأول لا يتجاوز السابعة، والثاني لا يتجاوز سنه أربع سنين في القصور الملكية فوجدت لدى كل واحد منهما رجالاً كراماً مؤدبين يسمون الخويا غارقين بالسلاح ولا يقل رجال أحدهما عن ستين رجلاً ووجدت على رأس الرجال الأمير أديباً مهذباً بالرغم من صغر أسنانهم، ولديهم تواضع وحسن أخلاق كما أنَّ الخويا الذين في معيتهم أعمارهم بين العشرين والأربعين لديهم تواضع وأدب وتقدير للعلماء. وكانوا يسألون عن مسائل الحج بأدب وتقدير وإنزال النَّاس

---

(١) كان ذكر الأنجال هكذا في وقت وضع التاريخ وإلاَّ فقد ترفع بعضهم إلى مناصب سامية ولا ريب أنَّ هذا التوفيق عائد إلى حسن نية والدهم غفر له.

في منازلهم. ولا ريب أنَّ هذا بتوجيه من رائدهم الأعلى جلالة الملك عبد العزيز.

وقد صاهر الملك عبد العزيز قبيلة الرشيد غير مرة. وذلك لاستجلاب المحبَّة والمودة. نسأل الله تعالى أن يوفق بنيه ويهديهم ويرزقهم اقتفاء طريقة والدهم، كما نسأله التوفيق والهداية لسائر المسلمين.

ذكر قواته وذخائره

لما كان لا قوام للأمة إلاَّ بالسلاح القوي تدافع به الأعداء وتخيف به البغاة والظلمة، فإنَّ المسلمين يجب عليهم اتخاذ القوة والسلاح الذي يتناسب مع كل جيل ويستعد به من بنادق ومدافع وآلة نسف ونقل في البر والبحر والجو وطيارات وغواصات ودبابات يأمر القرآن بها في عموم قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾، فهذه القوة يجب اتخاذها وإرصادها لمن حارب الله ورسوله. وما ترك قوم الجهاد إلاَّ ذلوا وتلك المعدات وإن عظمت وكبر شأنها فلا بدَّ لها من سواعد تحملها تارة وتدفعها أخرى وأدمغة تخترعها وقلوب لا ترهبها ونفوس ترى الموت وشرف الحرية خيراً من الحياة في ذلِّ العبودية للدول الأخرى.

فعلى المسلمين متى ما أرادوا الرقي وعز الدين والتقدم تربية الجنود والأبطال المخلصين وتكوين فرق الشجعان البواسل لتغذية الروح العسكرية وبناية المدارس الحربية والإتيان بالأساتذة الخبراء وجلب التلاميذ بمختلف وسائل الترغيب إليها.

لذلك رأى عبد العزيز بن عبد الرحمن بثاقب نظره لما أناله الله الملك وفتح له كنوز الأرض من الذهب الأسود والذهب الأصفر فأغناه عمَّا سواه أن يعهد بهذا الأمر إلى أحد أنجاله وهو منصور بن عبد العزيز فقام بتدريب فني للجنود حتى أصبح الجندي السعودي له شأن عظيم.

ولما اختطفه أيدي المنون وخسرته الحكومة بسبب مرض مخوف وبعد وفاته عهد الملك بهذا الأمر إلى أخيه الوزير مشعل بن عبد العزيز فعينه وزيراً للحربية فلبس اللباس العسكري حتى حببه إلى نفوس النَّاس لأنَّ العرب في اللباس العسكري في البلاد السعودية لم يألفوا التعاليم العسكرية ولم يتعودوا لباسها فأخذ وزير الدفاع يعني بالتعليم العسكري وأسس مدارس عسكرية في البلاد واستقدم بعثة من كبار ضباط الإنجليز لتعليم الجند التمارين العسكرية وطريقة استعمال الأسلحة الحديثة كما استقدم بعثة أخرى من أمريكا لتعليم الجند استعمال المصفحات وأحدث المخترعات من سلاح وعتاد وأنواع الطائرات.

وكان من نتائج هذه الروح المتقدة في شخصية وزير الدفاع، وحسن إرشادات جلالة والده العظيم الحريص على تقدم شعبه في جميع الشؤون الحيوية، وخصوصاً منها الشؤون العسكرية أن صدرت إرادة جلالة الملك المغفور له المطاعة بابتعاث البعثات إلى لندن وأمريكا.

وقامت وزارة الدفاع تشجع الطلبة للالتحاق بالمدارس العسكرية بتخصيص الرواتب والإعاشات وذلك ببذل رواتب وإعاشات تبذل. فللطالب ١٥٠ ريالاً و٤٠ ريالاً إعاشة. ومتى تخرج الطالب من المدرسة يتخرج برتبة ملازم ثانٍ وتعطيه الحكومة راتباً شهرياً قدره ٢٥٣ ريالاً و٤٠ ريالاً إعاشة.

ثم أنَّ الحكومة جعلت لمساعد الطيار ٦٠٠ ريال وإعاشة ٤٠ ريالاً وللقائد ٩٠٠ ريال و٤٠ إعاشة ما عدا نفقات السفر للخارج والداخل بموجب نظام الطيران. أمَّا درجة المساعد الثانية فله ٧٠٠ والأولى ٨٠٠، وهذا ما عدا الإعاشة. وما زالت الرواتب في علو وارتفاع بعد ذلك.

وما مات حتى كان عنده أكبر قوة عسكرية. فلقد تقرر عند العالم أجمع

ما أصبح لديه من القوة والسلاح فعنده قوة هائلة من العدد والعدة فعنده البنادق (البندقيات) على اختلاف أنواعها وأشكالها فمنها أمهات خمس القصار الألمانية والبلجيكا والشرفاء والشوزن امهات خمس والسلاح الأبيض من السيوف والخناجر وغيرها.

وكان قد أهدى إلى روزفلت رئيس أمريكا في اجتماعه به سيفين مرصّعين قيل إن أحداهما يقدر بمبلغ مائة ألف دولار وهدايا تذكارية كساوي أربع مكونة كل منها من بيشت وعقال وغترة وخنجر ذهب وساعة جيب ذهبية أرسلت إلى الرئيس على طائرة قامت من القاهرة ضحى الاثنين ٦ ربيع الأول ١٣٦٤هـ أي بعد مغادرة الرئيس. كما أهدى الرئيس الملك كرسيه الخاص الذي كان جالساً عليه تعبيراً عن امتنانه وطائرة فخمة تقدم ذكرها.

كما أنَّ لدى جلالة الملك المسدسات على اختلاف أنواعها وعنده الرشاشات الناريَّة والبطاريات والسيارات المصفحة والمدافع الجبلية ومدافع الهاون والمدافع المضادة للطائرات، ولديه الطائرات الحربية والنفاثة وغير ذلك من الأسلحة الكافية. وعنده الجيش المزود بالرجال الذين يتفانون في سبيله ويحبونه حباً جماً.

فكان رجال شعبه يسيرون تحت إرشاداته ولو قذفهم في جحيم النَّار، ويستطيع أن يجند ثمانمائة ألف مقاتل لا يقفون دون ما يريد، ولديه الدبابات، ولديه المدرعات.

ولديه علاوة على ذلك المال والكنوز.

فأمَّا البندقيات والمسدسات والسيوف فإنَّه قد توفر من كل أنواعها عشرات الملايين كما أنَّ المدافع والدبابات والرشاشات والطائرات المجهزة بالقنابل الكافية لتعتبر من أحدث أنواع الأسلحة وأحسنها مزوداً هذا الجيش بأقصى ما يستطاع ومدرباً تدريباً أصبح موضع الإِعجاب.

وناهيك به من سلاح قوي لا بأس به أضف إلى ذلك ما استوردته الحكومة بعد ذلك من المدافع الضخمة بعيدة المدى وأنواع الأسلحة.

وما كنت أظن من قام بهذه المهمات قد استكمل القوة. ولقد جدَّ في طلب أنواع الفنون الحربية والنظام السياسي والعسكري والاستعداد بالقادة المحنكين الذين أثبتت لهم التجارب حكمة وتقدماً ببراعة فاقوا بها سائر الأمم. وأملنا عظيم في حكوماتنا أن يجدوا ويجتهدوا بصناعة الأسلحة وتعلم الرمي والركوب بما يناسب الزمان وأخذ الحذر والحيطة ما أمكن من الأعداء بالتحرز وبذل المستطاع بالاستعداد من قوة عقلية وسياسية وحسية ومعنوية، ولا يخفى أنَّه لا يتم التحرز من أضرار الأمم الأجنبية والتوقي من شرورها إلاَّ بالوقوف على مقاصدهم ودرس أحوالهم وسياستهم وخصوصاً السياسة الموجهة منهم على المسلمين، فإنَّ السياسة الدولية قد أسست على المكر والخداع وعدم الوفاء واستعباد الأمم الضعيفة بكل وسائل الاستعباد لأنَّ جهل المسلمين بها نقص كبير وضرر خطير. ولقد وفق الله هذا الملك بلفت النظر إلى ذلك. وفي الحقيقة عنده سلاح أعظم من كل سلاح وأنكى في نحر العدو وأمضى وقعاً وقمعاً للمفسدين. فإن قيل وما هذا السلاح الذي غلب على الديناميت الناسف والدخان الخانق والقنابل المدمرة والطائرات القاذفة وما ترميه من القنابل والقذائف النارية وتمطر به الأعداء من النيران المحرقة المهلكة وما الذي غلب على المفرقعات والرشاشات والمدافع الثقيلة ومدافع الهاون وما إلى ذلك من الأهوال التي حدثت وستحدث كالقنابل الذرية والهيدروجينية قيل كان عنده معاملة الله في حنادس الظلم انطراحه بين يديه ومعرفته به بحيث يسر الله له الأمور وفتح له مغاليقها كما قال تعالى لموسى لما بعثه إلى فرعون أنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي أيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أو يظن الذي يغازيني أن يعجزني أو يظن الذي يبارزني أن يستغني كيف وأنا الثائر لأوليائي في الدنيا والآخرة.

ولهذا لما قيل لبعض العلماء: لو أنَّ النَّاس كلهم مثل بشر الحافي يصومون ويصلون فمن للثغور يسدها ومن للأعداء يصدها فقال: والله لو كان النَّاس مثل بشر الحافي لكبروا تكبيرة تسقط لها أسوار قسطنطينية.

نعم لدينا والحمد لله قوة حسية وقوة معنويَّة وقوة ماديَّة. نعم كان عند إمامنا الملك عبد العزيز قدس الله روحه نصرة الشريعة وتحكيمها والتحاكم إليها يظهر أعلامها ويحمي حماها ويؤيِّد حماتها وينعم عليهم بأنواع الكرامات.

أمَّا نصب القضاة والمفتين والعلماء والمدرسين وأجرى لهم المخصصات والمرتبات وقام بمساعدة هيئات الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلو سألت في أقصى مشارق الأرض ومغاربها وبحثت في تركيا وإيران والعراق والحبش والسودان وبلاد الصعيد والشام واليمن والهند والسند والصين بل طفت في روسيا وآسيا الكبرى والصغرى وأوروبا وأفريقيا وأستراليا والأمريكتين وما في خلال ذلك من المحيط الهادي والأطلنطي والمحيط الأطلسي والمحيط الهندي وغيرها عن الدين الذي لم تشبه التغييرات من دستور وغيره وطلبت حكومة تتقيد بالأديان السماوية ولا تخاف أحداً في تمسكها لدلوك على الحكومة العربية السعودية وقالوا: إنَّ أردت ذلك فاطلبه لدى الملك السعودي.

فمرحباً بهذه الحكومة وغفر الله لهذا الملك المسلم العربي الذي لا يوجد شرع الله الحقيقي إلاَّ في حماه مع أننا نعتقد أنَّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحججه وبيناته ولكن أنى وكيف وهيهات وكلا أفمن يخشى من كثرة الأعداء الذين هم محنقون عليه لا يستطيع أن يرفع لسانه ويعرب عمَّا في حنانه مما كأنَّه بين أولئك الأعداء والأغيار إلاَّ كالشاة بين جماعة الذئاب فتجد المسكين إن تكلم فإنَّه يرتقب كل ساعة ماذا يحل به وإن سكت فإنَّه

يتردد الحزن والكمد في صدره كمن هو آمن مطمئن منصور بالمساعدة القولية والفعلية.

فلا إلٰه إلاَّ الله ماذا أصبح به أهل الإِسلام من العزة والتمكين والنصرة والقوة والشرف الدنيوي والأخروي ولكنه مع الأسف كيف لا يتحد المسلمون ويتقاصدون ويتكاتفون حتى يكونوا كاليد الواحدة على الأعداء. وسنذكر بقية لذلك في غير هذا الموضع.

ولمَّا مات وفجعت الخليقة بوفاته كانوا لا يملكون إلاَّ ذرف الدموع وانتحاب الصدور وأعلنت سائر الدول الإِسلامية العالمية بما في ذلك أمريكا وغيرها الحداد عليه ونكست الأعلام لموته وتوقفت الحركة في مشارق الأرض ومغاربها لذلك.

فمما قيل في رثائه ما باح به الشاعر الأستاذ خالد الفرج صاحب دمشق وهي هذه القصيدة: ـ

أمم البسيطة نكست أعلامها ... مثل القلوب إذا شكت آلامها
حزناً وإكباراً لذكرى راحل ... ملأ البلاد جنوبها وشامها
وتساءلت شمس الشروق وقد رأت ... سحب الأسى: ما إذا أثار قتامها
ولم الجزيرة والبسيطة كلها ... سوداء لم أسطع أنير ظلامها
وتساءلت كل البروق بلهفة ... ما للإذاعة أسكتت أنغامها
قالوا قضى عبد العزيز ويا له ... هول يهدّ من الأمور جسامها
رجل قضى فبكى الوجود لفقده ... ثكلت به دنيا الكرام إمامها
وتساوت الأديان في تأبينه ... فترى النصارى شاركت إسلامها
رجل على التاريخ سجل اسمه ... بتحلة قد صغرت أعلامها
بطل العروبة والعروبة شهمها ... سيان أعلن حربها وسلامها
قصص البطولة قد حوتها سيرة ... عبد العزيز بساعديه أقامها

لا ألف ليلة حام حول عجيبها حيث الوقائع حققت أحلامها
شقت سواعده الطريق إلى العلا حتى تبوء في العلاء مقامها
كالنور يبدأ نقطة في موضع وينير بعد وراءها وأمامها
نال المعالي بالفعال وحازها إرثاً فكان عريقها وعصامها
فرد وهمته جموع أسست أساً فكان مليكها وإمامها
يا للخسارة للحمام فكيف لم يرهب حماه بضربه أرقامها
يا للخسارة للجزيرة والمنى لو لم يخلف ليثها ضرغامها
عبد العزيز مضى وخلف بعده للمكرمات سعودها وهمامها
أسد الجزيرة وابنها وسعودها حامي حماها دائماً وذمامها
أسعود ما مات الذي أنت ابنه كالشمس تبدلّ للورى أيامها
فيك العزاء لأمة قد علقت آمالها بك ترتجى إتمامها

ومما قلت في رثاء المترجم عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل لما نكبت به الخليقة وفدحت بوفاته العالم وهذه خرجت من حرارة الجوى ومنزلته في الجنات ويسيل على ضريحه وابل الغفران والرحمات وأن يجبر كسر المسلمين ويلطف بالحال فمصيبته كبرى وثلمته عظمى فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

لمن طلل به الإِلف يندب بذرف دموع العين يهمى ويسكب
يثير هموماً ساكنات إلى الفضا تكاد لهم صُمّ الجبال تكبكب
على فقد أحباب له طال نعيه غراماً بهم كيما يرقوا ويقربوا
يهدم أركان الجسوم فراقهم وما فرقة الأحباب إلاّ تعذب
أمن فقد ليلى والرباب وزينب تحن طويلاً نحوهم ثم تندب
وتنسى مصاباً معضلات خطوبه فكل مصاب دونه ليس ينسب
مصاب به أهل البسيطة روّعوا وطاشت عقول في الأنام وأرعبوا
مصاب به قد أرجفت كل أرضنا مشارقها رنت جميعاً ومغرب

مـصـاب بـه أرواحـنـا قـد تـزلـزلـت فيا هل ترى مثل المصاب وأصعب
لقد مات كهف الخائفين وحصنهم إذا عظـمـت أهـوالـهـم ثـم خـيبوا
لـقـد مات ذخـر الـلاجـئين وأنسـهـم إذا أزمـت غـيـر الـسـنـين وأجـدبـوا
لـقـد مـات من في ظـلـه أمْن خـائف ثمال اليتامى عيشهم حين يسغبوا
لقد مات من في كفه عدل منصف وبـر وإحـسـان إذا الـنَّـاس جـنـبـوا
لـقـد مـات من قـد هـابه كـل عـابـث وخـافـتـه قـطـاع الـطـريـق وتـبـبـوا
لقد مات طود العلم والفضل والنهي وحامي حمى السمحا وعاهل يعرب
لـقـد مـات ليث فـي المعـارك يـتـقـى يـلـوذ بـه المسـكـين يخشاه مـذنـب
ويـقـات بـه أهـل المدائـن والـقـرى وفـيـه لـعـمـري لـلـرعـيـة مخـصـب
سـهـام الـرزايا قـد أجادت بـزخـرهـا وحـر لـظـاهـا في الجـوانـب يـلـهـب
ودين الـهـدى أضحى مريضاً مدنّفاً حـزيـنـاً كـئـيـبـاً ضـره مـتـصـعـب
عـلى فـقـده يـبـكـي ظـهـيراً مـسـاعـداً وحـق لـه يـبـكـي دوامـاً ويـنـدب
فـيـا عين جـودي بـالـبـكـاء وبـالأسـى وسـجـي دمـوعـاً وكـفـهـا يـتـحـلـب
وأسعف دموع العين يا صاح جاهداً بـذرف دمـاء فـوقـهـا تـتـسـكـب
وناد بأعلى الصوت إن كنت صارخاً سلام على الـدنـيا إذا كـان يـذهـب
لموت أبي تــركــي تــراق مــدامــع ويـعـلـو نـحـيـب حـره يـتـلـهـب
فـآهـاً عـلى عـبـد الـعـزيـز الـذي بـه بناء الـهـدى سيم خسفاً وينكب
هو الليث في اللقا إذا الحرب شمرت وقد هابها شوس الرجال وأرعبوا
فمن مثله في النَّاس يخشى ويرتجى هو العارض الهطال يرجى ويرهب
فـخـذ مـنـه مـا أمـلـتـه وهـو مـقـبـل وإياك واليوم الـذي فيه يـغـضـب
حـبـيـب إذا سـالمـتـه مـتـعـطـف شـديـد إذا عـاديـتـه يـتـرقـب
لـه رايـة تـردى الأعـادي إلى الـورى ووثـبـة ضـرغـام إذا الـبـأس يـنـشـب
يـصـول بـعـزم بـاسـل مـتـوقـد بعضب يمان للجماجم يسلب
لـقـد كـان ذا قـلـب سـؤل لـربـه مـطـيـعـاً منيباً قـانـتـاً يـتـقـرب

له في الدجى ورد إذا الليل قد سجى وما صده جاه عريض ومنصب
ويحثو صنوف المال حثواً بكفه إلى جوده تسعى الأنام وتطلب
فما حاتم يعطى عطاه جوده ولا ابن لجدعان الذي كان ينسب
فيعطى جزيل المال لله وحده يريد به أمناً إذا الوزن ينصب
وكم جمع الأيتام في عقر داره وأطعمهم من نيله إذ يقربوا
بلين مقال يجبر الضعف رفقه حريصاً على إطعامهم يتحبب
فدع ذكر من بانوا إلى ذكر جوده لقد كان إلى أعلى المكارم ينسب
يشن على الأعداء غارات محنق بصدق لقاء في المعارك يعطب
أبي سياسي قدير وضيغم هزبر أبو شبلين يسطو ويغلب
بهمة منهوم يخوض لظى الوغى بيوم به أهل الشجاعة يغلبوا
هو البطل الغلاب والعاهل الذي أقرت له بالسبق عجم وأعرب
سياسته أعيت جميع مقدم برأي سديد ماهر ليس يغلب
له وثبات بالأعادي شهيرة فسل كل من يروي ومن كان يكتب
وسائل بلاد العرب عن سطوة بها وعن سيفه البتار كيف يقلّب
وسائل هذيلاً في الجبال إذا رْعَووا وكفوا أكف البغي رغماً وخيبوا
به أمّن الله البلاد وأهلها ولولاه ما ساروا بها وتقلبوا
ولما ذاعت الأخبار أذكار موته وقام بنا ناعيه يشدو ويندب
رثيناه جبراً للقلوب لما بها من الحزن والأشجان تغلي وتلهب
عليه من الرحمن أزكى تحية وعفو وغفران يجود ويسكب
لأن كان رب العرش عنّا أماته ففينا من الأنجال شهم مهذب
أولئك قوم أشبهوا بفعالهم مليكاً وبالسبق القديم تهذبوا
لقد أشبهت أفعالهم وخصالهم سجايا حووها من أب يتعصبوا
وقد سرّت الأخبار عنهم بما أتوا وسادوا به حيث الإمامة يرقبو
ومن شابه الآباء يوماً فإنّه بحق بلا ظلم أصيل منجب

وصلِّ إلهي عدَّ ما أنت خالق وما ماض برق في السماء وكوكب
على أحمد خير الأنام ومن له جميع البرايا في القيامة تذهب
وأصحابه مع آله ثم من قفى جميعاً على منهاجهم يتطلب

وقال الشاعر الحجازي محمد صالح جمال يرثي المترجم ويهنىء خليفته الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه:

راع العروبة في الجزيرة مصرع إذ مات سيدها الهمام الأورع
لأعز مفقود وأعظم راحل أودى فكل نادب متفجع
ودها المصاب الشرق في الرجل الذي قد كان في الجلي إليه يفزع
فجفون من فيه عليه لتدمع وقلوبهم كادت أسى تتصدع
ومضى الذي لم يخل من أثاره بلد ولا جدواه منها موضع
رب الأيادي البيض ليس لعدها حصر وأعمال أجل وأبدع
كم سجل التاريخ في صفحاته ذكرى له بأريجها تتضوع
شمس وقد أفلت ولكن خلّفت سعد السعود لضوئها يتتبع
نور من الرحمن جلَّ جلاله بدا لآل سعود دهرا يسطع
تالله ما عبد العزيز قد انقضى وسعود يبنى المكرمات ويرفع
أخليفة الملك الفقيد عزاؤنا ورجاؤنا وإليك إذا نتطلع
ما أنت إلاً مصلح ما تأتلى في الخير جهداً مؤثراً ما ينفع
عش للعروبة موئلا وأسلم لها خلفاً كريماً خيره متوقع
إذ تتبع السلف العظيم وتقتدي بفعاله متحرياً ما يصنع

وقال محمد علي قطب من سكان مكة المشرفة هذه المرثية التي كانت دمعة حارة على فقيد العروبة والإسلام جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود:

فجع الحجاز وناحت البلدان فتقوضت من نفسي الأركان

وطغت على أرض العروبة لوعة طاشت لهول بلائها الأذهان
نقل الأثير إليه من عبر الفضا موت المليك فصمت الآذان
ما دار في خلد البرية كلها أن الفخار يموت والإحسان
والمجد والشرف الرفيع على المدى يطويهما خطب ولا حد ثان
عبد العزيز لأنَّ غزتك منية لا يستطيع دفاعها الإنسان
فالفضل باق في النفوس على المدى يشدو به التاريخ والأزمان
فلكم أسرت بجود كفك أنفساً ملتاعة يقسو بها الحرمان
ولكم أفضت على الفقير نوائلا يحدو بك الإيمان والتحنان
فغدا الفقير بفضل جودك هانئاً بالشكر تلفح قلبه الولهان
ولكم جهول ليس يعرف ما التقى والدين قد أضحى له عرفان
فبدا بفضلك للفضيلة داعياً يدعو لها قلب له ولسان
ولكم أقمت مساجداً ومدارساً فيها الصلاة تقام والفرقان
ولكم عمرت منازلاً وملاجئاً يأوي إليها البائس الجوعان
فيقيم من أود ويروى من ظمأ ودموعه من شكره إعلان
عبد العزيز لأنت أعظم فارس ركب الجواد وضمه الميدان
ليث الكريهة كنت لا تخشى العدا شهد الخصوم بذاك والأعوان
وتضيء في أفق الحوادث كوكبا وضياء يذكي نوره الإيمان
فتجنبت هول الحوادث أمة واستسلمت لسدادك الأذهان
الناس في حرب ضروس ساعر تصليهمو الآلام والنيران
وملاء شعبك غبطة وسعادة تذكو بما تحظى به وتعان
الشعب من وله يردد هاتفاً باسم المليك تنوءه الأحزان
بالدمع يعرب عن جواه فهل ترى يجدي البكاء والمدمع الهتان
مات المليك فمن ترى من بعده يرجي لدفع الخطب وهو عوان
لا غرو إن ناح الجميع صبابة وبكى الوليد علاك والشبان

فقدوا بموتك محسناً بل والداً الجود يمثل فيه والإحسان
أسعود أنت وحي العروبة كلها بعد المليك وكلها أوطان
فاهنأ بملك قد أقام بناءه شهم تهاب لقاءه الشجعان
واحكم بما فرض الإله وسر بنا نحو الفخار فكلنا أعوان
وليغمر الله الفقيد برحمة فياضة ما ماست الأغصان
ويثبكم من أجره وثوابه فيه يرجّى الصبر والسلوان
ولتحيى موفور السعادة هانئاً وبك الحقوق على الزمان تصان
وليحيى آل سعود ما شع السنا وأهل غيث صيب هتان

وهذه أبيات بعثها عن طريق البرق الشيخ فيصل بن مبارك عضو مجلس الشورى إلى جلالة الملك سعود يرثى بها الفقيد العظيم:

أبكيه ـ يا دنيا ـ الرياسة والسيا سة والكياسة في الخروج وفي الورود
ما أن شهدت مفاخراً ومفاوضاً ومحاولاً حفظ المواثق والعهود
كمليكنا وزعيمنا وإمامنا وفقيدنا عبد العزيز بن السعود
إن غاب عنّا ذلك البدر المنير فلقد أضاء الكون عن سعد السعود
أو راح عنّا ذلك البر الرحيم فلقد أتانا بعده البر الودود

وقال حسان زمانه وشاعر جلالة الملك أحمد إبراهيم الغزاوي يرثي الفقيد بهذه القصيدة ويذكر هول الفاجعة والحادث الأليم:

فدح الخطب واستطار المصاب وبكى الشعب حسرة والشعاب
وكأنَّ القلوب توقد ناراً وكأن العيون مهل تذاب
ما يقول النعاة ويحي أرجف زلزل الأرض أين مني الصواب
إنه الحق هكذا الموت فيه تتساوى الفروق والأنساب
مات عبد العزيز رحماك ربي أتغيض البحور وهي عباب
مات عبد العزيز إذ هو طوْدٌ تفتديه شوامخ وهضاب

ما رأت مثله العصور عظيماً عبقرياً ولا تهادي الركاب
عاهل وطأ الجزيرة مجداً لبسته البلاد والأحقاب
طأطأت دونه العروش وألقت بعصاها الخطوب والأسباب
واستقرَّ التوحيد فيه هزبراً تتهادى بسيفه الأنصاب
أنجز وعد الله فيه حتى أسلمته زمامها الآراب
يقف النصر والعتاد يقين واقتضى الدهر ما طواه التراب
فإذا الصعب في يديه ذلول وإذا الجدب في ذراه اختصاب
وإذا الدين للهداة منال وإذا العلم في ضحاه قباب
وإذا العرب دولة ذات بأس وهي من قبله لقى ويباب
وإذا الناقمون من كل قبل وقبيل بشدقه أنياب
وإذا البأس والشقاء نعيم وإذا الشاء والذئاب صحاب
وإذا الأرض بالكنوز تنزي وإذا المال والثراء وطاب
وإذا البيد بالحدائق زهر وإذا الغيد عفة وحجاب
جمع الله في هواه شتاتاً وأباة ولم يعزه العقاب
وبه استمسك البناء وزانت شرعة الحق وازدهى المحراب
أين أمضي وكيف لي بالمعاني وسعت كل ما أحاط الكتاب
إنَّه للغرور، كل يراع فيه يكبو ويعجز الإِطناب
لكأني أحس قلبي صلداً أو جماداً طغى فيه الضباب
إنَّ خير البيان عندي صمت هو في معرض الرثاء العجاب
فاقوي عليه إذ هو جمر فيه ألقي وبالشواط أذاب

إلى أن قال:

ما مصابي كواحد من معد بل معد بأسرها الانتحاب
بالعظيم العظيم يرتد عنه كل طرف وتقصر الاحساب
بالذي فيه كل عين وقلب لهب وافر وحزن صلاب

بـالإمـام الملـك بـابـن سـعـود قـاهـر الخـصـم إذ هـو الـوثـاب
إيـه يـا عـبـرة تحـور اختـنـافـاً أنـت لا الـنـزع لـلـحـيـاة استـلاب
صـاعـق لم يـذر ولم يـبـق مـاء فـي جـفـون غـمـادهـن الـسـحـاب
آه آه الله مـا قـضـى وإليه يـرجـع الأمـر كـلـه والمتـاب
أمـة كـالـغـمـام تـبـكـي فـقـيـداً هـو منـهـا الـضـحـى ومنـهـا الـربـاب
بـوغـتـت بـالمنـون لم يـنـج مـنـهـا ذو احـتـيـال ولا نـبـي مجـاب
جمـد الـدمـع فـي الـعـيـون وذابـت بـالـسـعـير الـقـلـوب فـهـي انسـكـاب

إلى آخرها وهي طويلة أبان فيها الغزاوي ما فدحت به الأمة وما أصيبت بوفاته وكانت مبكية بتعداد مناقب الراحل العظيم.

وهذه مرثية قوية أنشأها الأديب عبدالله بن محمد بن خميس بالفقيد الراحل تغمده الله برحمته وكان الأوْلى بنا تقديمها وهي من بحر الكامل:

لا غـرو وإن تـلـقـى أخـاك حـزيـنـاً فـالـيـوم ـ حـتـمـاً ـ يـكـثـر ـ الـبـاكـونـا
الـيـوم تـسـتـمـري الـدمـوع وإنهـا أدنـى سـبـيـلاً لـلـعـزا يـأسـونـا
فاجهش بدمعك ما استطعت وهاته حـران يـلـتـذع الخـدود ثـخـيـنـا
ليس الـدمـوع وإن عـلـون مـكـانـة يـا عـز مـن مـهـج الـقـلـوب يـقـيـنـا
لله أفـئـدة تـذوب وأنـفـس ثـكـلـى عـلى المصـاب طـويـنـا
صـعـقـت بهـول لـو يـصـاب بمـثـلـه رضـوى لا مـسى فـي الـتـراب دفـيـنـا
لـولا الـيـقـين بـأن كـلا راحـل وإلى سـبـيـل واحـد يـغـدونـا
والمصـطـفـى لـلـنَّـاس أكـبـر قـدوة يهـدى بهـا المـاضـون والـبـاقـونـا
لأبـى الأولى عـرفـوا الحـيـاة سـعـيـدة لم تمـتـزج بـالحـادثـات سـنـيـنـا
أن يـشـهـدوا عـبـد الـعـزيـز وقـد قـضـى ولأقـسـمـوا ألا يـمـوت يـمـيـنـا
هـل مـثـلـه بـعـد الخـلافـة قـد أتـى أو مـثـلـه هـل قـد رأى الـراؤونـا
إن كـان فـي شـرع الـطـبـيـعـة فـلـتـة تـأتي بـأمـر لم يـكـن مـضـنـونـا

فهو الذي أعيا الزمان قرينه ... وبمثله كان الزمان ضنينا
لو كان حي قد بكى حياله ... خوف الممات لأكثروا التأبينا
من قبل أن يعلو المناكب نعشه ... ولأسبلوا الدمع السخين هتونا
سل عنه أرجاء الجزيرة إذ أتى ... وقد احتذت شرع الضراعم دينا
في كل صقع من حماها ناعق ... ولكل نهج قادة يدعونا
في حيرة حاقت بها وضراعة ... أودت بمجد رجالها الماضينا
فأراد أن تحيا حياة حرة ... يشدو بخالد مجدها الشادونا
وانصاع يبعثها بعزم ثابت ... مع قلة الأنصار والأهلينا
فتأمنت أرجاؤها وتفجرت ... باليمن من ماء الحياة عيونا
وسرى بها نور الحضارة واغتدت ... تبنى وتنشي قوة وفنونا
من ذا يظن بأنها في فترة ... لما يجاوز عدها الخمسينا
تغدو بابها حلة عرفت بها ... أمم سرى فيها الرقي قرونا
آثاره كالشمس في راد الضحى ... فبأيها يتحدث الراوونا
والله لو كان الفداء شريعة ... لفدته أرواح لنا وبنونا
لكنه لبى نداء مليكه ... كيما يلاقي الصفوة الماضينا
في مقعد لا تعتريه حوادث ... كلا ولا يخشى ذووه منونا
ولأن مضى بيد القضاء فإنه ... ما زال حياً في القلوب مصونا
ما دام أبقى صورة من شخصه ... عدلاً تسر به البلاد ودينا
في ماجد عرف الأنام به الحجا ... منذ اصطفاه لنا الفقيد أمينا
ملأ الإله به الجزيرة غبطة ... وحباه نصراً خالداً ومبينا

وهذه مرثية لعلي حسن غسال ألقاها بين يدي الملك سعود بن عبد العزيز في القصر الملكي العامر بمكة المكرمة فنالت الإعجاب:

دهى الأرض زرء فادح الوقع أوحد ... غداة نعى الناعي وعز التجلد
وباح اليتامى والأيامي واعولوا ... وفاضت عيون باكيات وأكبد

سرى نعيه في الأرض حتى اقضها وطاف بها لون من الحزن يكمد
نعاه ضحى الاثنين لا كان من ضحى فكل ضحى قد حالف الحزن أسود
فلم يبق من لم يحترق لوفاته ولم يبق من لم يخترمه التوجد
سل الجود كم أعطى وصدق واثقى وكم من يد أسدى تنافسها يد
سل العفو كم قد صير الخصم مخلصاً وماتت به كل السخائم والحقد
وكم قد عفى وهو القدير على الأذى ولكن نفس الحر بالعفو تسعد
وكم من صفات فيه كانت كريمة سيذكرها في الخالدات له الغد
عليه من الرحمن رحماته التي يفوز بها العبد الشكور الموحد

وقد أطنب في المديح ولما أن ذكر صفات الراحل أخذ في مديح اللاحق فقال:

وإنك أنت اليوم عاهل أمة تناهت ولاء منك والله يشهد
تعهدتها بالصالحات ومن يكن لامته يوماً يذبها التودد
لها منك عطف سابغ وتعهد ومنها لك الحب الوطيد المؤكد
وما الملك إلاّ العطف والعفو والتقى بذلك أوصانا النبي محمد
وكم أسر العطف القوب وكم عنا له كل جبار فغيظ المهند
فسر نحو ما تصبو وأنت موفق وشعبك للحب المقيم يجدد
يمينك في مسعاك فيصلك الذي هو اليوم في دنيا السياسة سيد
ولدت مع الملك العظيم سعوده وإنك أنت اليوم فيه المقلد
يباريك منّا الحب فاستكمل الذي بناه العصامي الفقيد المخلّد

مقدمة

وقال الأستاذ المعروف ضياء الدين رجب عضو مجلس الشورى هذه المرثية الرائعة التي جادت بها قريحته:

لا ينطوي المجد يا صمصامة العرب ولا يقيم الهدى في غمرة الحقب

صنعتها أمل التاريخ ناطقة عظائما أن تغب والله لم تغب
سباقة ركزت في الشهب رايتها أعظم به موكباً في داره الشهب
ست وسبعون قد أودعتها حقباً ضاقت بها سير الأجيال في الكتب
موصولة بالمعاني الغر واصلة مجد العروبة والإسلام في النسب
توحدت هدفاً واستنجزت أملاً كنت المناط له في وحدة العرب
هذي ظلال المنى في الخلد وارفة زمراً يقول لم أسلفت من قرب
وذي جموع الأسى أورثتها حرقاً ما بين مضطرم واه ومضطرب
تلفتوا ولهول الرزء جلجلة وللفجيعة فتك السمر والقضب
واستنطقوا مجدك الغالي فطمأنهم منك الصدى في وريث الملك والحسب
شاموا محياك طلقاً في طليعته شاموا النجابة في أعراقها النجب
تنوروك فما أقصتك قاصية ولا دلجت بك عنهم غفوة الحجب
هذا سعودك هذا سر مُنَجّبُه ابن نماه إلى الأمجاد خير أب
ورثته يقظة الراعي وحكمته وإنها في الجهاد الحر والدأب
وفي العدالة والرحمن ما جمعت لا في المظاهر والألقاب والرتب
فكان ما شئت آمالاً وتوصية وذاك مرجي الأماني البيض عن كثب
والفيصل العضب قد كانت ولايته للعهد أجمل مأمول ومرتقب
نجم السياسة لا زيف ولا ملق الواصل الأرب المرموق بالإرب
فيا سعود عزاء العرب قاطبة ما قد وليت من الأعباء والنصب
ومن يفز برضاء الله يكلؤه رضاه ثم رضاء الوالد الحدب
فطيب الله مثواه ومرقده بواكف الرحمات الهاطل السكب

وهذا آخر ما أردنا إيراده من القصائد التي رثي بها وقد تركنا غالبها خشية الإطالة. ونرجع إلى ما نحن في صدده فنقول: لما كان في عصر يوم وفاة الراحل العظيم استقبل صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز بالقصر الملكي بالطائف وفوداً كثيرة من مختلف الطبقات لتقديم تعازيها لوفاة

الرجل ورفع تهانيها لجلالة الملك الجديد ومبايعته على السمع والطاعة.

وفي صباح يوم الثلاثاء ٣ ربيع الأول حضر إلى القصر الملكي العامر بالطائف قواد الجيش وضباطه وموظفوه وعلى رأسهم حضرة صاحب السمو الملكي الأمير وزير الدفاع والطيران حيث تشرفوا بمقابلة جلالته وأقسموا له يمين الولاء والإخلاص والطاعة. وهذا نص اليمين التي أقسم بها مشعل «أقسم بالله العظيم أن أخلص في جميع أعمالي لجلالة الملك سعود ملك المملكة العربية وأن أكون مطيعاً في إنفاذ أوامر جلالته وصادقاً وأميناً في واجباتي الرسمية. والله على ما أقول وكيل».

فأجابه جلالة الملك بهذا الجواب الموجه إليه وإلى ضباط الجيش: «إنَّ ثقتي بالله ثم بك يا مشعل. وأنا لا أعتبرك أخاً بل وابناً من أبنائي. وكل ما يهمني هو أن أرى جيشنا العزيز بفضل مجهوداتك الموفقة ومجهودات هؤلاء الضباط ورجال الجيش السعودي الباسل على أحسن ما أرجوه في حياتي. سيروا على بركة الله. وسأذلل لكم بحول الله جميع الصعاب التي تصادفكم. والله ولي التوفيق».

ولمَّا كان في وقت شروق الشمس من يوم الأربعاء ٤/ ٣/ كان مطار جدة غاصاً بجموع المستقبلين الذين قدموا لاستقبال حضرة صاحب الجلالة الملك الجديد وكان في مقدمة المستقبلين صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن فيصل وسمو ولي عهد اليمن وكبار رجالات الدولة وكبار الشخصيات العربية والأجنبية وجماهير غفيرة من رجال الشعب. ثم إنَّه امتطى ومن معه الطائرات من مدينة الطائف وحلقت في الساعة الرابعة ونصف في سماء جدة الطائرات الملكية تقل حضرة صاحب الجلالة وصاحب السمو الملكي ولي العهد وأصحاب السمو الأمراء. وقوبل بالهتاف المدوي بحياة جلالته من الجماهير المحتشدة.

ولمَّا أن نزل من الطائرة تشرف المستقبلون بالسلام عليه ثم استقلَّ سيارته المكشوفة بين ترحيب وهتاف من الجميع من مطار جدة إلى قصره الملكي الذي كان زاخراً بالأمة الذين قدموا للسلام والتعزية والتهنئة له بتوليه عرش المملكة. ولما كان في عصر ذلك اليوم قدم سماحة المفتي فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ على رأس وفد من الرياض يتقدم الوفد أصحاب الفضيلة العلماء للسلام على الملك سعود وتقديم مسنون التعزية له في فقيد البلاد وتهنئة جلالته بتقلده شرف إمامة المسلمين. وبعدما حصلت المقابلة في وقت كان المجلس فيه غاصاً بحضرات أصحاب السمو الملكي أمراء البيت المالك والعلماء ورؤساء القبائل والوزراء وكبار موظفي الدولة وقواد الجيش والأمن العام تكلم الشيخ محمد بن إبراهيم موجهاً الكلام إلى صاحب الجلالة فقال: بايعتك بيعة قبول ورضاء على أن أسمع لك وأطيع على دين الله ورسوله من حماية حوزة الدين وتحكيم الشرع المطهر وإقامة العدل وإنصاف المظلوم والقيام بحقوق الأمانة .والله على ما أقول وكيل.

ثم تلاه إخوته وأنجاله ثم بقية العلماء من بينهم الشيخ محمد بن الشيخ حمد بن فارس.

ثم تلاهم الجميع على مثل بيعة المفتي الأكبر.

وقد تقبل البيعة جلالته بالتقدير وعلق عليها بأنَّه يستعين بالله وحده في تحمل هذا العبأ الكبير لخدمة أمته وشعبه في دينهم ودنياهم وأنَّه يتشرف برعاية هذين الحرمين ورعاية الشعب السعودي في كل أنحاء هذا الوطن الشاسع. ووالى عليهم قوله: «بأنني أرجو وآمل من الله تعالى المطلع على خائنة الأعين وما تخفي الصدور أن يوفقني لإحقاق الحق وإزهاق الباطل» إلى آخر كلامه.

فأقام في جدة حتى عصر الخميس ٣/٥ وقد كانت غاصة بالأمم على

اختلاف طبقاتها. ولما أن كان في الساعة العاشرة والنصف تحرك ركابه على السيارة الملكية الخاصة في موكب مهيب من جدة ميمماً مكة المكرمة تحف بسيارته دراجات الحرس النارية وسيارات الحرس العسكرية يرافقه ولي العهد وأمراء البيت الملك ويتبعهم رجال الديوان الملكي والحاشية الكريمة على رتل طويل من السيارات.

وقد ودع في جدة بحفاوة فخمة.

هذا وقد كانت الجماهير الحاشدة على جانبي الطريق من قصر جلالته بجدة إلى مكة المكرمة تحييه وتهتف بحياته. وكان قد وفد إلى القصر العالي بمكة في الساعة الثانية والنصف من صباح يوم الجمعة ٦ ربيع الأول رئيس القضاة فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ وفي معيته معاونوه وأعضاء رئاسة القضاء ورئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة والقضاة الشرعيون للسلام عليه مؤكدين لجلالته البيعة المسنونة.

فاستقبلهم بالترحيب والإِكرام وحادثهم بما هو معهود فيه من اللطف والبشر.

أمَّا ما كان من دخوله مكة المكرمة تلك الليلة فإنَّ أهالي مكة لما علموا بمسيره من جدة أقفلوا دكاكينهم وأبطلوا حركة الأعمال واندفعوا بجموعهم الحاشدة كالسيل المتدفق إلى ظاهر مكة المكرمة فاحتشدوا على جوانب الطريق التي يمر فيها إلى المسجد الحرام ومنه إلى القصر الملكي العامر بأعلى مكة بحيث لم يبق موضع شبر في جوانب هذا الطريق خالياً من الجماهير.

ولمَّا أن دخل مكة بين ذلك التصفيق المدوي في الفضا مصحوباً بالهتاف الذي يشق عنان السماء أدت الجنود المصطفة هناك التحية العسكرية وعزفت الموسيقى العسكرية وأطلقت مدفعية مكة إحدى وعشرين طلقة وكان حينئذٍ

سرب من الطائرات السعودية تحلق في سماء مكة احتفاء بمقدم جلالته الميمون وكان دخوله للمسجد الحرام وقت الغروب فطاف بالكعبة وأم جماهير المصلين فقرأ في الركعة الأولى بسورة والضحى وفي الثانية بسورة الإِنشراح.

بيعة أهل مكة

ففي صباح يوم الجمعة ٦/٣ أقبلت الخلائق إلى القصر الملكي حيث جلس جلالته في الصالة بعيون مترقبة ونفوس متلهفة وقلوب يغمرها الشوق والحب والولاء فقدم رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين آل الشيخ لجلالته وثيقة المبايعة على كتاب الله وسنَّة رسوله والسمع والطاعة في العسر واليسر والسراء والضراء.

وبعد أن اطلع عليها تقدم أحد أبناء الشيخ فتلاها على الجميع ثم قام رئيس القضاة فصافح جلالته مؤكداً له البيعة الشرعية التي بويع بها في عام ١٣٥٢ ومؤكداً لجلالته بأن الإِمامة منعقدة وثابتة شرعاً لجلالته من ذلك الحين وجعلت العلماء والمشائخ يندفعون يقدمهم على الترسل عبد العزيز بن رئيس القضاة. وهذا نص وثيقة المبايعة:

«الحمد لله رب العالمين. وصلَّى الله وسلم على خير خلقه نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد. فيا إمام المسلمين ملكنا المعظم سعود بن عبد العزيز آل سعود حيث أنَّ والدكم الملك الإِمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود المتوفَّى في يوم الاثنين الموافق ٢ ربيع الأول سنة ١٣٧٢هـ رحمه الله قد عهد بالإِمامة من بعده إليكم وأخذت لكم البيعة في عام ١٣٥٢هـ فإنَّ إمامتكم بذلك منعقدة وثابتة شرعاً وإننا بمناسبة وفاة والدكم الإِمام الملك عبد العزيز رحمه لله وتوليكم إمامة المسلمين من بعده نجدد ونؤكد بيعتكم التي في أعناقنا على العمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله

وإقامة العدل في كل شيء وتحكيم الشريعة الإسلامية. ولكم علينا السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره. ونسأل الله لكم الإعانة والتوفيق فيما حملتم من أمور المسلمين وأن يحقق على أيديكم ما ترجوه الأمة الإسلامية من مجد وتمكين». وقد وقع عليها الرئيس وجميع من تحت يده من القضاة والأعضاء وكان في وقت البيعة واقفاً يستقبلهم. ولقد كان أمراء البيت والوزراء وكبار رجال الحاشية والقصر يحاولون تنظيم هذه الجموع في صفوف ولكن اندفاع الشعب إلى صدر الصالة حيث يقف جلالته اندفاعاً وقف بكل واحد منهم بحيث زالت الفوارق من النفوس وتوحد الاتجاه من الجموع الذي يمثل الشعب السعودي تمثيلاً صادقاً.

فأمراء البيت المالك والوزراء وكبار رجال الدولة وأصحاب الأعمال والمتاجر والموظفون وأرباب الحرف ورجال العشائر والعربان والصناع والعمال والطوائف والأطفال والطلبة والضباط والجنود كلها في صفوف متلاحقة متراصة متتالية متتابعة شيوخاً وشباباً وأطفالاً تسير متجهة صوب قائدها وراعيها تقبل يديه وتعلن له البيعة صادقة الولاء مخلصة الحب. ولمَّا أن حان وقت صلاة الجمعة أذن لرئيس القضاة وأصحاب الفضيلة والأمة بالانصراف مؤكداً لهم أنَّ الكبير منهم والد والأوسط أخ والصغير ابن وحملهم نصيحته في الدين والدنيا جعلها أمانة في أعناقهم. ولمَّا أن صلَّى جلالته في المسجد الحرام صلاة الجمعة نودي بعدها بالصلاة على الغائب الصلاة على روح الفقيد الراحل العظيم فارتفعت الأكف مبتهلة إلى الله العلي الكبير أن يتغمده برحمته وغفرانه وأن يمتع الملك المفدى بالصحة والعافية وأن يحرسه بالرعاية الصمدية.

ثم أنَّه توجه راجعاً إلى قصره بمكة حيث تعطل السير من الجموع التي عطلت حركة المرور. وكان الموكب الملكي يسير في بطء من كثرة الجماهير التي ازدحمت في جوانب الطريق تهتف بحياته الغالية.

وبعد ذلك رجع إلى جدة وقد انهالت الجموع مصطفة من طبقات الشعب من مدخل القصر الملكي في جدة حتى الكيلومتر الرابع والعشرين. فترجل بعدما أوقف موكبه الميمون مصافحاً كبار الشعب والدولة.

ولمَّا كان في ضحى يوم السبت ٣/٧ قدم لمبايعته عدد كبير من العلماء من أهل الرياض وعلى رأسهم حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عمر بن حسن بن حسين رئيس هيئات الأمر بالمعروف في نجد فتلى الشيخ وثيقة البيعة ثم بايع الجميع ومن بين هؤلاء الشيخ عبد الرحمن بن إسحاق بن عبد الرحمن آل الشيخ والشيخ عبدالله بن الشيخ عمر بن عبد اللطيف وغيرهم.

بيعة أهل القصيم

لمَّا كان في يوم الأربعاء الموافق ٣/١١ ـ ١٨ نوفمبر تقدمت الأعيان والوجهاء من العلماء والأمراء والوجهاء وكل مسؤول من الموظفين وأرباب الدوائر وأهل الحل والعقد وعلى رأسهم صاحب السمو أمير مقاطعة القصيم عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد إلى بيت القاضي الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في وسط العاصمة بريدة حتى كان عدد الحاضرين من الرؤساء لا يقل عن ألف وجيه. وهؤلاء الذين يمثلون العاصمة وضواحيها فوقعوا وثيقة المعاهدة والمبايعة وهي أنَّه كان قد تقدم في سنة ١٣٥٢ هـ «لكم علينا مبايعة وإننا نؤكدها اليوم ونبايعك أيها الملك على طاعة الله ورسوله وعلى السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره. ونرجو لكم التوفيق».

ثم إنَّهم صافحوا يد وكيل نائبه على مقاطعة القصيم. وهكذا صنع سائر المقاطعات في المبايعة للملك الجديد. وقد ازدهرت البلاد وفرحت الأمة به سائلين الله أن يكون خير خلف من خير سلف وعلقوا آمالهم بعد الله عليه.

الوفود والتعازي

بعث إيزنهاور رئيس الولايات المتحدة برسالة إلى الملك سعود يعزيه ويهنئه بمناسبة اعتلائه العرش. وقال في معرض فحواها: «شعوري المفعم بالخسارة الفادحة أعبر عن عميق مشاركتي للعائلة المالكة والشعب العربي السعودي بوفاة والدهم المجيد وحاكمهم الملك عبد العزيز آل سعود وإن إدارته المحكمة وحكمته البالغة جعلته عزيزاً في قلوب النَّاس وأكسبته شهرة عالمية... الخ».

وبعث ملك اليمن وإمامها أحمد بن يحيى برسالة مع نجله محمد على رأس وفد يعزي بوفاة والد الجميع ويهنىء الملك الجديد، وهي جميلة جداً لولا الإطالة لأتينا بها. ووفدت مصر وفداً مكوناً من البكباشي جمال عبد الناصر نائب رئيس الجمهورية المصرية والصاغ كمال الدين حسين وسليمان حافظ معلنين شعور الأمة المصرية في مشاطرتها الأمة العربية السعودية أسفها وحاملين تهانيها وأملها الصادق في جلالة الملك سعود.

وتلقى جلالة الملك رسالة من الملكة إليزابيث الثانية ملكة المملكة المتحدة البريطانية تعزي بالراحل وتهنىء الملك الجديد.

ووردت برقيات من ملك العراق وملك المملكة الهاشمية الأردنية وبرقيات من سوريا ومن لبنان كما ردّدت جميع صحف العالم وإذاعاته صدى الحادث الأليم بوفاة فقيد العروبة والإِسلام بما لم يسبق له نظير.

ولا يزال سيل البرقيات يرد تباعاً من اليوم الأول لوفاة فقيد العروبة والإسلام فقد وردت ألوف البرقيات بالتعزية والتهنئة من سائر أنحاء العالم.

ورفع مجلس الشورى وسائر الهيئات الحكومية وكافة الوزراء والأمراء والموظفين والأهليين على اختلاف طبقاتهم وشيوخ القبائل وغيرهم برقيات التهاني والبيعة لجلالته.

أمر ملكي كريم

صدر الأمر الملكي الكريم الآتي بتثبيت الوزراء والأمراء والمديريين وجميع موظفي الدولة في مراكزهم وإبقاء ما كان قد أجراه جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله من عادات ورواتب ومساعدات وقواعد وصدقات.

وهذا نص الأمر الملكي: «في هذه الأيام الأولى من اضطلاعنا بأعباء الحكم نعلن ثقتنا وتثبيتنا لجميع الوزراء والقضاة والأمراء والمدراء وجميع موظفي الدولة الذين قاموا بخدمة والدنا وفقيدنا العظيم، فأحسنوا العمل وبذلوا الجهد وأخلصوا النية ونحن بما عزمنا عليه من اقتفاء ما رسمه لنا الراحل العظيم في إدارة الحكم والعمل بما أمرنا به وأنشأنا عليه من اتباع كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ والنهوض بالبلاد إلى ما تصبو إليه من مجد ورقي ورفاهية مما يتفق وشريعتنا السمحاء وبما عزمنا على القيام به من مشاريع عمرانية وأعمال نافعة ونشر العلم وبناء قوى الجيش نرجو أن نجد في كل منهم الخادم الأمين لبلاده والعامل المخلص لأمته والمجاهد المجد في الذب عن مملكته ومليكه المستميت في سبيل دينه مؤكدين أنَّهم سيجدون منَّا الأب الشفوق بهم المقدر لمجهودهم آملين أن نجد فيهم الأبناء البررة بأمتهم وبلادهم ومليكهم على أنَّا سنقوم بكل ما فرضه علينا الواجب لبلادنا والبر بأمتنا من مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته حتى نضع الحق في نصابه معتبرين القوي ضعيفاً حتى نأخذ الحق منه والضعيف قوياً حتى نأخذ الحق له، وقد عزمنا أيضاً على أن نثبت ما أجراه بائي مجد هذه الأمة ومؤسس كيانها من عادات ورواتب ومساعدات وقواعد وصدقات للرجال والنساء والأيتام والأرامل في طول البلاد وعرضها في داخلها وخارجها آملين لجميع أفراد هذه الأمة الكريمة أن يعمل كل من ناحيته وبقدر استطاعته على مساعدتنا في النهوض بأعباء الحكم مستمدين العون والتوفيق من الله، وهو ولينا وعليه اعتمادنا وفيه رجاؤنا وهو نعم المولى ونعم النصير.

مرسوم ملكي

«بعون الله نحن سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بمناسبة انتقال والدنا الملك عبد العزيز آل سعود تغمده الله برحمته للدار الآخرة أمرنا بما هو آت:

المادة الأولى ـ يعفى عن جميع المساجين الذين صدرت أحكام بسجنهم ويطلق سراحهم في الحال باستثناء من يلي:

أ ـ الذين حكموا أحكاماً شرعية في جرائم القتل.

ب ـ الذين حكموا أحكاماً شرعية بسبب ارتكابهم الجرائم الأخلاقية.

جـ ـ الذين سجنوا بسبب عدم أدائهم حق الغير.

المادة الثانية ـ تقوم الحكومة بدفع الدية عن المسجونين بسبب عجزهم عن دفعها من خزينة الدولة.

المادة الثالثة ـ تلغى الغرامات المستحقة للحكومة عن المسجونين بسبب عجزهم عن دفعها.

المادة الرابعة ـ يعفى عن المبعدين السياسيين على أن يقدموا كفالات حسن السلوك.

المادة الخامسة ـ تتألف في كل إمارة لجنة خاصة من القاضي والأمير وثلاثة من الوجهاء ينتخبانهم على أن تعمل في الحال للتحقيق والتثبت في صحة تطبيق هذا المرسوم بالسرعة الممكنة.

المادة السادسة ـ على وزير الداخلية تنفيذ أمرنا».

سعود

وكان الملك سعود لما دخل مكة ورأى سكانها في استقباله داخل البلدة

وخارجها مبتهجين بطلعته لم يتمالك أن ألقى عليهم كلمة عبر بها عن شكره لهم وما يغمره من النصح لهم والتقدير لعواطفهم.

مرسوم ملكي

أصدر الملك سعود مرسوماً ملكياً بتعيين محمد سرور الصبان مستشاراً للملك ووزيراً للدولة وعضواً في مجلس الوزراء وذلك برقم ٦ وتاريخ ٧/ ٣/ ١٣٧٣هـ تقديراً لخدماته التي كان بها موضع الثقة من حكومته. ولما أن بايعت الأمة العربية السعودية على العموم صاحب الجلالة الملك سعود الأول كتب منشوراً يشكرهم فيه على تأكيد ولائهم وتجديد بيعتهم وقال في آخره: «وها نحن نعاهدكم على اتباع سيرة والدنا العظيم متمسكين بسياسته الرشيدة في إدارة دفة الحكم متبعين في ذلك كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ وإقامة شعائر وشرائع الإِسلام وحماية دينكم ومحارمكم ودمائكم وأموالكم ونعاهد الله أن نبذل كل رخيص وغال لما فيه عز الدين وصلاح الإسلام والمسلمين ومراعاة حقوقهم ومصلحتهم التي قلدنا الله حمايتها ونرجو لنا ولكم التوفيق وأن ينصر دينه ويعلي كلمته ويذل أعداء دينه، وسأتمسك بشريعة الإِسلام الغراء فأدفع عنها بلساني وأكافح دونها بسناني جاعلاً رضوانه عزَّ وجلَّ غاية حياتي وإسعاد شعبي وأسمى أمانيى وسأعمل جهدي لإحقاق الحق وإقامة العدل بين أفرادكم بدون تفريق كما سأولي عنايتي لتقوية الجيش ونشر العلم واستثمار ثروات البلاد وبسط وسائل الرغد والسعة للجميع وسأسعى بكل قواي لتوثيق عرى الإِخاء بين العرب والمسلمين محتفظاً بصداقة الدول الأجنبية التي أولاها فقيدنا العظيم صداقته متعاوناً مع كل من أخلص لنا وبادلنا النفع بالنفع حتى تتوفر لأمتنا المكانة اللائقة بها بين الأمم... الخ».

في ٢٠ ربيع الأول ١٣٧٣ هـ

سعود

وفاة عالم كبير

ففيها وفاة الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقري رحمة الله عليه. وهذه ترجمته: هو الشيخ الإِمام العلامة العلم الشهير والبحر الغزير والحبر النحرير أبو عبد العزيز عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن ناصر العنقري. كانت أسرته من العناقر التي تنتمي إلى بطن يسمى أنف الناقة من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وأصل هذه التسمية أن جده جعفر بن قريع بن بطن بن سعد بن زيد مناة نحر والده جزوراً فقسم بين نسائه فبعث جعفر أمه إلى أبيه يطلبون نصيبهم من الجزور ولم يبق إلاَّ رأسها وعنقها فقال شأنك به فأدخل جعفر يده في أنفها وجعل يجرها فلقب به وكانوا يغضبون من هذا اللقب فقدر أن الحطيئة استضافهم فضيفوه فامتدحهم الحطيئة بقصيدة منها هذا البيت الذي قلب اللقب إلى الفخر: ـ

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

كانت ولادته رحمة الله عليه في مطلع عام ألف ومائتين وتسعين من الهجرة ببلدة ثرمدا إحدى بلاد الوشم وكان عبد العزيز والد المترجم يكدح لكسب قوته وقوت عائلته ولم تدم حياة والده فقد توفى ولم يبلغ المترجم السنة الأولى من عمره فانتقل إلى كفالة أحد أعمامه وتربى لدى من ذكر. ولما أن بلغ السابعة من العمر فقد بصره فأصبح ضرير البصر يتقلب في ضيق من العيش ويكابد قساوة الحياة وهو صابر محتسب فيا لهذه الحالة الراهنة التي كان الشيخ فيها وكانت ثرمدا كغيرها إذ ذاك من القرى محرومة من رجال العلم بل كان الشخص يكتفي بأن يحفظ ابنه القرآن الكريم في مدرسة البلدة وقد يتعلم الكتابة فحفظ الشيخ عبدالله القرآن الكريم وهو في الثانية عشرة من عمره وجعلت نفسه تميل إلى طلب العلم والجد والاجتهاد، فسئم الحياة في بلدته واضطرَّ إلى مبارحتها لطلب العلم فسافر

إلى الرياض وهو في سن العشرين من عمره يريد الأخذ عن علمائها وكانت الرياض إذ ذاك زاخرة بالعلماء.

ذكر صبره واحتسابه

لمَّا عزم على السفر كان لا يملك من أهبة السفر شيئاً ولم تكن أسرته لتساعده على نفقات الغربة أو تشجعه على السفر للطلب فما كان إذ ذاك سيارة ولا طيارة إن هي إلاَّ ركوب على الإبل أو الحمير يركب تارة ويمشي أخرى على القدمين حافياً أو ناعلاً ذلك أنَّ الأمة إذ ذاك في حالة فقر وقلة من الرغد أضف إلى ذلك محناً وإحناً تترادف وتزداد يوماً فيوماً، وبالرغم من ذلك فإنَّه تلقى تلك العقبات بفارغ الصبر ويمم شطر الرياض محط أنظار طلاب العلم لازدحامها بعدد وفير من العلماء، فقدمها وواصل دراسته وأخذ يتصل بالعلماء ويتنقل بين حلقات الدروس ويستغل الوقت ما أمكنه ذلك وكانت أحاديثه التي يرويها لمن يحدثه عن حياته التي عاشها من قسوة وخشونة عيش وكلفة ومشقة تكفي لأن تَفتَّ من عزمه لولا أنَّه عقد العزم على أن ينذر نفسه للدرس والتحصيل مثال ذلك أنَّه حدثني بعض الثقاة أنَّ خمسة من طلاب العلم قرموا على اللحم فاشتروا (قصابه) وهي عبارة عن رأس الكبش وكرشه والأكارع جمعوا من بينهم القيمة التي تقدر إذ ذاك بريال واقترحوا بأن يخرجوا بها إلى الفلاة لئلا يستنشقها الجيران فيشاركوهم فيها وكانوا كلهم عمياً، فسعوا وجمعوا لها حطباً ولما اكتمل الحطب كانت الوليمة لم تنضج فذهبوا يمنة ويسرة لطلب الحطب، فأضاعوا موضع قدرهم وما زالوا يلتمسونه حتى وقعت إحدى أيديهم عليه فتنادوا إليه ولما أن أرادوا أن يضرموا النَّار أسفل القدر إذا بصوت أغنام أقبلت من بعيد إليهم، فخافوا أن يزاحمهم الراعي وأكلوها وهي نيئة لم تنضج: فخذ أيها القارىء ما شئت من ضيق هذا العيش وقساوة الحياة. اللَّهُمَّ فشكراً لك حتى ترضى وشكراً إذا رضيت.

ذكر مشائخه وتلامذته

أمّا مشائخه الذين أخذ عنهم فمنهم الشيخ المعروف بالعلم والدين إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب والشيخ الجليل عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن والشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود والشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ حمد بن فارس. وناهيك بهؤلاء الأئمة الأعلام الذين فضلهم أشهر من أن يذكر ومقامهم في الدين ونصرته لا ينكر جزاهم الله عن الإسلام خيراً فلقد دأبوا وأدوا واجباً من نصرة الدين وهداية المسلمين ما يشكرون عليه. ودأبوا في قمع البدع وصاحوا بالتشنيع على أهلها وخدموا الشريعة المطهرة وعقدوا على عرى الإسلام بالخناصر وعضوا عليها بالنواجذ. وأخذ المترجم عن الشيخ العالم الرباني إبراهيم بن عبد اللطيف قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه، وأخذ عن الشيخ العالم حسن بن حسين آل الشيخ وهؤلاء أخذوا عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن وعن ابنه الشيخ عبد اللطيف، كما أخذ الشيخ عن بعض علماء الأزهر حينما كان بمصر، كما أخذ الشيخ إسحاق عن بعض علماء الهند فمنهم حسين بن محمد ونذير حسين ومحمد بشير، كما أخذ الشيخ ابن محمود عن الشيخ عبدالله أبابطين مفتي الديار النجدية. وقد منَّ الله علينا بذكر تراجم مشائخه هؤلاء الأخيار الأذكياء وذلك بوفيات الأعيان في هذا التاريخ. ونال المترجم شهادة مشائخه له بالتقدم والمعرفة. وقد تلقى الشيخ عبدالله عن هؤلاء علوم التفسير والفقه والحديث والأصول والتوحيد وعلوم البلاغة واللغة والنحو بخاصة عن الشيخ حمد بن فارس والبلاغة خاصة عن الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن. وقد روى بالإجازة المطلقة مع الأخذ عن الشيخ حمد بن عتيق والإجازة في سنة ١٣٣٦هـ كما روى بالإجازة المطلقة عن الشيخ عبد الستار الصديقي الحنفي وأمضى في مدينة الرياض قريباً من ثماني عشرة سنة يواصل دراسته وقد يزور وطنه في

فترات متباعدة.

أمَّا تلامذته والآخذون عنه فخلق كثير وجمع غفير فمنهم الشيخ الألمعي عبد العزيز بن صالح رئيس المحاكم الشرعية في المدينة المنورة ومنهم الشيخ محمد الخيال ومنهم الشيخ عبدالله بن مزاحم ومنهم الشيخ سليمان بن حمدان ومنهم الشيخ محمد التويجري، وهذان توليا القضاء ولكنهما اعتزلا عنه، وأخذ عنه الشيخ حمود التويجري صاحب المؤلفات في الرد على أهل البدع وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله التويجري وأخذ عنه الشيخ حمد بن مزيد وأخذ عنه الشيخ ناصر بن جعوان وأخذ عنه الشيخ عبد العزيز الثميري وكانا قاضيين بعسير وقد توفاهما الله، وأخذ عنه أيضاً الشيخ عبدالله بن إبراهيم الصانع وكان يعمل لدى فضيلة الشيخ المفتي محمد بن إبراهيم وأخذ عنه الشيخ الزاهد عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي وكان يفد إلى المجمعة ويقضي فيها فترات طويلة يدرس على المغفور له وأخذ عنه الشيخ علي بن زيد وقد توفي وكان قاضياً بالأرطاوية وأخذ عنه الشيخ عثمان بن ركبان وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن دهش وأخذ عنه الشيخ حمد بن إبراهيم الحقيل وأخذ عنه نجله الفاضل الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله وأخذ عنه الشيخ عثمان بن عبدالله بن عتيق تولَّى قضاء المستعجلة بالطائف وأخذ عنه الشيخ عبد العزيز بن ربيعة كان رئيساً لمحكمة الدوادمي وأخذ عنه عثمان بن إبراهيم الحقيل وكان شيخاً فاضلاً تولَّى رئاسة المحكمة الكبرى في المنطقة الشرقية بل رئاسة المحاكم هناك. وأخذ عنه غير أولئك ممن لا يحضرني الآن ذكرهم وجدوا واجتهدوا ونافسوا في طلب العلم.

ذكر الوظائف التي نالها

لمَّا كان في عام ألف وثلثمائة وإحدى وعشرين توفي إمام مسجد ثرمدا وهو حمد بن شعيل، فانتدبوه إماماً بدله لما يعرفون من صلاحه وصلاحيته

ثم جلس مدرساً في المسجد فانتفع به المسلمون ثم جعلوه في مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقام بأعمال أهل البلد من عقود الأنكحة وكتابة الوثائق في البيع والشراء والإِجارات. ولما أن تولّى صاحب الجلالة عبد العزيز على بلد المجمعة عينه قاضياً فيها ثم أضيف إليه البلدان المجاورة لها فكان هو القاضي على منطقة سدير وما يليها فتولّى تلك الأعمال بنزاهة وتسديد وتوفيق من الملك المجيد وأحبوه ووقفوا عند فصله بالأعمال ورضوا بأقضيته وتصديراته. وفي عام الأربعين بعثه الملك عبد العزيز إلى فيصل الدويش لمَّا تجمعت الأعراب من أتباعه على قتال أمير الكويت وجنوده وكان في معية الشيخ فضيلة الشيخ محمد بن عبد اللطيف لإقناع الدويش وإلانة شكيمته بأن بين ابن سعود وابن صباح علاقات تقتضي عدم اعتداء أحدهما على الآخر. فأفلح سعي الشيخين وكف الدويش عن اعتداءاته كما كلفه صاحب الجلالة بالذهاب إلى الدويش وأتباعه ومناصحتهم لما شقوا عصا الطاعة وفارقوا الجماعة في عام ست وأربعين. فقام الشيخ وعاضده جمع من العلماء يبذلون النصيحة ويوجهون أولئك الأعراف الذين سولت لهم أنفسهم ارتكاب تلك الجرائم، غير أنَّ الشر قد استفحل ولا يفل الحديد إلاَّ الحديد، ولكنها لم تنجح المهمة ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله. وثقة الملك عبد العزيز به وبعثه لهذه المهام يدل على مكانة الشيخ وعلو كعبه ذلك لما يتوسمه فيه صاحب الجلالة الذي هو جُذيلها المحكك وعُذيقها المرجّب في معرفة الرجال ووضع الأمور في مواضعها، ويكفيه شرفاً أن وسدت إليه هذه الأمور من رجل باقعة يزن الرجال ويعرف ما يقومون به ويتحلون به من أخلاق وسياسة وعقول راجحة. ولقد قام الشيخ بأمور هامة في سبل السلم والحرب والصلح وخدم أمته وحكومته وإنَّه لمما يبعث الأحزان ويستجيش الأشجان ويسكب العبرات على الوجنات أن تصاب الأمة بمثل هؤلاء الأركان الذين يقل وجودهم في

العالمين ولا يبقى بعد ذهابهم وخلو الأماكن منهم من يحافظ على طريقتهم ويتمسك بآثارهم في ثباتهم وصدق عزيمتهم وجمع صفات الرجولة من سياسة إلى ذكاء وفطنة وحب للخير وعطف على النَّاس. وكان لما أن رجع من الرياض يحمل نبراس العلم ومشعل الطريقة المحمدية عينه الإِمام عبد الرحمن الفيصل قاضياً في منطقة سدير وملحقاتها وتمَّ ذلك بمشاورة بين الإِمام وبين مشائخ عبدالله العنقري الذين توسموا فيه الذكاء وعرفوا قدره بما أصبح به موضع العناية من مشائخه. وكان لم يرغب في العمل على وجه العموم وإنَّما كان يود لو يمضي حياته في التحصيل بعيداً عن العمل ومشاكله. ولكنه تحت الإِلحاح من مشائخه ومن الإِمام رحمه الله تقبل ذلك وهناك استمرَّ قاضياً مدة ست وثلاثين عاماً يتنقل بين المجمعة وبين قرى سدير المختلفة. هذا ولم يكن القضاء ليشغله عن التعليم والعلم فقد كرس أوقات فراغه للتدريس في المسجد أو في بيته لعدد كبير من الراغبين. هذا وقد كان عدد كبير من تلامذته يشغلون مناصب قضائية وبعضهم رغب عن العمل بعدما قضى واجباً عظيماً في الفتيا والقضاء.

وبالرغم من كثرة أعماله فإنَّه كان في أثناء توليه القضاء ينتدب لبعض الأعمال المتعلقة بشؤون الإرشاد والقضاء والفصل بين المتنازعين كما انتدبه الملك عبد العزيز إلى الأرطاوية ليقوم بدرجة الموجه والمرشد، وقد يقيم في الانتداب الشهر والشهرين ليبت في المشاكل المعلقة.

مكانته في العلم

أمَّا مكانته في العلم فقد حلَّ ذروة السنَّام بحيث كانت النفوس تقنع بفتاويه ولهذا كانت رسائله مضمومة إلى رسائل أئمة الدعوة كما نجدها منشورة في مجموع الرسائل والمسائل النجدية. فمن أحب أن ينظر إلى سبقه ومكانته في العلم والدين فليراجعها ويسرح أفكاره فيها فإنَّها تفصح عن

قدر هذا العالم وما منَّ الله به عليه من الدراية وقوة الملكة. ولقد كانت النصائح والرسائل الموجهة إلى الأمَّة باسم العلماء من أئمة هذه الدعوة الإسلامية من علمائها المتأخرين مفتتحة باسمه في جملة أسمائهم إذ يعتبر أنَّه من أعظم أئمة هذه الدعوة كما مرَّ بنا في هذا التاريخ وكفى بها شرفاً، وكان لديه مكتبة حافلة بالمخطوطات والكتب النادرة واستطاع أن يبذل جهوداً جبارة في إبراز كتاب المغنى لابن قدامة بحيث سعى في استحصال بقية أجزائه من البلاد الأخرى ومن سائر المملكة حتى حصل على نسخة كاملة وسعى في طبعه مع الشرح الكبير لدى جلالة الملك عبد العزيز، فطبعا معاً، وقد أشرنا إلى طبعهما فيما سبق فكان له اليد الطولى في نشره ورأيت له رسالة جمعها نصيحة للأمة بمناسبة صلاة الاستسقاء بيَّن فيها الأشياء التي تمنع نزول المطر من السماء كمنع الزكاة والاستخفاف بالصلاة والشحناء، وبين فيها مضار التتن الذي ابتلى الله الأمة به وكيف أقدم الجهال على تناوله وهو محرم ويلتحق بالخمر. وقد نصح وأبلغ في تحريم المسكرات وكان حريصاً على نفع الأمَّة وبذل الفوائد لطلابه الذين نفعهم الله به وعلى إيصال العلم إليهم وعلى استفادتهم من الوقت، ويحذرهم من الكسل والتشاغل عن العلم ويلهج دائماً بهذه الكلمة «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك»، فهي نصيحته الدائمة. وقد ظهرت هذه التوجيهات على تلامذته وزرع زرعاً فأخرج شطأه واجتنيت ثمراته، فنجد غالب تلامذته مجدين ومجتهدين كالشيخ عبد الرحمن بن قاسم والشيخ حمود التويجري والشيخ عثمان الحقيل وغيرهم. ومن مؤلفاته حاشيته على الروض المربع شرح زاد المستقنع، وقد طبعت مرات وبرزت في ثلاثة أجزاء وكانت جوهرة الزمان أتى فيها بالعجب العجاب. وقد رأيته يطوف بالبيت الحرام في آخر حجة حجها قدس الله روحه، وقد بلغ من الكبر عتياً وأرهقته الشيخوخة. فرأيته فاضلاً سكيناً يعلوه الوقار وقد نحل جسمه وضعفت بنيته

ومع ذلك فإنَّه يؤدي العبادة كشاب قوي قد ابيض شعر لحيته وما كان يصبغ بالحناء ولا بغيره. كان طويل القامة فيه احدداب وعليه هيبة العلماء وسيماء الأتقياء.

ذكر أخلاقه وشمائله

كان حليماً إلى حد كبير وقوراً متواضعاً ومع كثرة الأشغال والمشاكل القضائية وإثارتها فإنَّه لم يشاهد في يوم ما قد استبدَّ به الغضب أو تملكه وكانت معاملته لأفراد أسرته مثالاً في العطف والرفق والحنان والتربية الحسنة والبعد عن القسوة في التربية، وكان وقوراً يميل إلى الاعتصام بالصمت حينما لا يكون ثم داع للكلام، وكثيراً ما تراه في بعض المجالس وهو يتلو القرآن أو يذكر الله. وهذا ما طبع مجاله بالطابع الجدي وكان متصفاً بالأناة والورع ويكثر من التهجد وتلاوة القرآن الحكيم ليلاً ومن النوافل نهاراً وخصوصاً بعد أن تقدمت به السن. وبالرغم من ضعفه وسنه المتقدمة فإنَّه لم يخل بشيء من عبادته أو تهجده، وكان رحمه الله لا يميل إلى الانتقام أو الأخذ لنفسه ممن يرتكب في حقه خطأ ولا يتأدب معه بل كان في الغالب يكل ذلك إلى الله سبحانه وتعالى. وهذه خصلة كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾. ومن النَّاس من إذا هضم حقه فإنَّه يقوم بما لديه من القدرة ويدأب في إرداء خصمه والإجلاب عليه بخيله ورجله ولو كلف ذلك مهما كان من الثمن. وقد طهر الله أخلاق المترجم من ذلك لما له من الفضل والرفعة التي لا تسمح له بهذه الدناءة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وفي عام ألف وثلثمائة وستين تخلى عن القضاء وذلك لكبر سنه فكان ذلك حافزاً له على الانقطاع عن العمل والتفرغ للتعليم والعبادة وألف في تلك الفترة حاشيته التي علقها على الروض المربع. وكان يعتزم إصدار تاريخ لنجد في الفترة الوسطى والأخيرة، وبينما هو يجمع المراجع ويسجل

الخطوط الأولى إذا وافاه أجله المحتوم على أثر مرض استمرَّ قريباً من أربعة أشهر، وتوفاه الله تعالى في ثاني صفر من هذه السنة. فرحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار.

فيا من هو القدوس لا رب غيره ... تباركت أنت الله للخلق مفزع
أنله الرضا والعفو فضلاً ورحمة ... فأنت الذي المعروف ليس يضيع
لديه بلى يبقى ذخيرة عامل ... وأنت الذي بالفضل تجزي وتنفع

وفيها وفاة الشيخ سعود بن رشود رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو العالم الفاضل الشجاع المجاهد في سبيل الله الشيخ سعود بن محمد بن عبد العزيز بن راشد بن رشود بن سعيد من قبيلة سبيع. ولد في مدينة الإفلاج مسكن أسرته وذويه وكان ذلك في عام ١٣٢٢ هـ. كان أبوه مزارعاً من كبار المزارعين في الإفلاح. أدخله والده عند معلم يدعى سعد بن سعود آل مفلح وبعدما أدرك الكتابة والقراءة ومباديء من الحساب فرغه والده للتعلم لما رأى من حرصه، فأخذ عن علماء بلدته ثم سافر إلى مدينة الرياض للأخذ عن المشائخ فيها فأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وعن الشيخ حمد بن فارس وكان نبيهاً ذكياً رآه الملك عبد العزيز لما مرَّ بوالده محمد بن عبد العزيز في بيته فتوسم فيه النجابة، وطلب من والده أن يفرغه لطلب العلم فنفذ والده رغبة الملك، وما زال المترجم يدأب في تحصيل العلم فأخذ عن مشائخ، سوى من ذكرنا، وهم الشيخ عبد العزيز بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم وأطال في التعلم والدراسة حتى نبغ من بين أقرانه. ولمَّا أن بلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين عينه الملك عبد العزيز قاضياً بوادي الدواسر وذلك بعدما شاور في شأنه شيخه محمد بن إبراهيم. وبعدها بسبع سنين نقل من وادي الدواسر إلى قضاء مدينة المجمعة أي عام ١٣٦٤ هـ فكان قاضياً لإقليم سدير، ثم أمر الملك بأن يوافيه في الرياض ثم أخذه في معيته إلى روضة خريم لإنهاء القضايا التي

لا تزال معلقة وحل المشاكل هناك. وبعدما أنهى القضايا أعجب الملك به لحسن حله للأحكام التي كانت معقدة وأمره بالبقاء في مدينة الرياض للقضاء بين البوادي في الدماء والأموال ثم عينه رئيساً لمحكمة الرياض بدلاً من الشيخ إبراهيم بن سليمان بن مبارك الذي نقل إلى محكمة وادي الدواسر. فاستمر فيها طيلة حياته رحمه الله وكان في جميع تقلباته موضع الإِعجاب وكان قارعاً للشعر حسن العقيدة مضافاً إلى ذلك أنَّه شجاع، فكان مع تحصيله للعلم شجاعاً مقداماً غزى في صحبة جلالة الملك عبد العزيز قتال جده وغزى في قتال اليمن عام ١٣٥٢هـ. وظهرت في هذه الغزوة منه شجاعة تجلت عن إقدامه وبسالته بحيث إنَّه لما قتل حامل الراية تلقفها وأخذها بيمينه ورفعها وتقدم بقوة وشجاعة فائقة أمام الغزاة حتى انهزم العدو. وقد استمرَّ رئيساً لمحكمة الرياض سبع سنين تقريباً إلى أن مرض مرضاً مخوفاً في منتصف عام ١٣٧٣هـ فنقل إلى المستشفى اللبناني بجدة ووافاه أجله المحتوم في سابع عشر شوال من هذه السنة فنقل إلى المسجد الحرام للصلاة عليه ودفن في مقابر العدل رحمة الله عليه. ولله در الشيخ حسين بن علي بن نفيسه حيث يقول في رثائه للشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف:

أولو العلم صاروا للحوادث عرضة ... وما ذاك إلا شوم ذنب تعظما
إذا مات عالم مات عالم ... وأصبح نور الحق بالجهل مسهما
على مثله نبكي جهاراً وخفية ... ونبكي على بنيان علم تهدما

اشتراك مديرية المعارف السعودية في مؤتمر وزراء معارف الدول العربية

ففي سادس عشر من ربيع الأول من هذه السنة الموافق ليوم الإِثنين سافر في وقت الفجر بطريق الجو الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف إذ ذاك ليمثل حكومة جلالة الملك المعظم في مؤتمر وزراء

معارف الدول العربية فساهم فضيلته في مناقشات المسائل المعروضة في ذلك المؤتمر كما اشترك أيضاً في قرارات هذا المؤتمر التي يرجى أن تؤدي إلى خير النتائج. ومما كان في هذه القرارات ترقية الثقافة والنهوض بشؤون التربية والتعليم إلى مستوى أعلى في جميع أقطار الدول العربية. وقد استقبل هناك بحفاوة فائقة من رجال المعارف. إنَّ الشيخ محمد بن مانع قد قضى عشر سنوات في الإِدارة العامة للمعارف السعودية وقد نهض بالتعليم إلى مستوى عال، ولكن الزمان يتطلب رقياً في التعليم لذلك رأت الحكومة بثاقب علمها أن تجعلها وزارة بعدما كانت إدارة.

تأسيس المعهد العلمي ببريدة

ففي ٣/٢٤ من هذه السنة فتح معهد بريدة العلمي لذلك قدم إلى بريدة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ بأساتذة من مصر وغيرها للتعليم في المعهد وكانت الحكومة قد اتخذت داراً لتكون معهداً في بريدة وأخذت في البحث عن موضع يكون فيه المعهد وتقام له بناية من الأسمنت المسلح. وهذا لأول مرة تقام المساكن من الأسمنت. فلضيق الوقت عن تمكن بناية مدارس ومعاهد في القصيم في العهد الزاهر استؤجر له موضع، وفي ٣/٢٦ تمَّ فتح معهد بريدة العلمي فأقبلت الطلاب من كل جهة وصوب للدخول فيه.

وفي ٥/١١ من هذه السنة الموافق ليوم السبت ابتدىء بصرف رواتب شهرية لأئمة المساجد ومؤذنيها في المملكة جعل للإِمام ١٢٥ ريالاً وللمؤذن ٧٥ ريالاً وألغى ما كان يصرف قبل ذلك من البر والتمر سنوياً. فقد كان راتب الإِمام ستين وزنة من التمر تصرف في وقت الموسم في جذاذ النخل وثلاثين صاعاً من البر تصرف في وقت حصاد الزروع وتصفيتها.

كما أنَّه يصرف مثلها للمؤذن، وكان هذا العمل متأسساً منذ زمن قديم. فلما أوسع الله على الحكومة صرفت بدل البر والتمر سنوياً نقوداً شهرية

وصرفت ربع الزكوات من البر والتمر في وقت تحصيلها موزعة على سائر البيوت من المستحقين لها. فجزى الله المحسنين خيراً. ثم أنها أخذت الرواتب فيما بعد تتحسن شيئاً فشيئاً.

المساواة في المراعي

أصدر الديوان الملكي أن جلالة الملك أمر بإلغاء المراعي والحمى التي كانت تحجز لرعي حيوانات ومواشي الحكومة وجعلها منذ الآن مباحة لعموم الرعايا رأفة بأصحاب الحيوانات ومساواة بين الحكومة والرعية. هذا ولا تزال مدينة جدة غاصة بالوفود من جميع أقطار العالم حتى مساء الثلاثاء ٣/١٧ حيث ودع الجميع ورجع الوفود وذلك باعتزام جلالته السفر إلى الرياض بطريق المدينة. وقد وجه إلى شعبه كلمة سامية في حفل التوديع. ولما أن قدم المدينة في ٣/١٨ استقبل فيها استقبالاً فاخراً واغتصّت المدينة المنورة بعشرات الألوف من الوافدين وكانوا قبل ذلك قد أوفدوا وفداً للمبايعة والسمع والطاعة وهكذا كان في شده وترحاله في كل عاصمة ومدينة من مدن المملكة قد اتجهت الخلائق إليه مظهرين الغبطة والسرور.

عدوان اليهود وفسادهم

اجتازت الليلة الثامنة من ربيع الثاني دورية يهودية خط الهدنة قرب قرية سلفيت في منطقة نابلس وتوغلت حتى حدود قرية الزاوية العربية وأطلقت نيران أسلحتها الأتوماتيكية على القرية كما قذفت بعض القنابل اليدوية. وقد رد رجال الحرس الوطني على النَّار بالمثل واستمرَّ تبادل إطلاق النَّار نحو ساعة. ويُعدّ هذا الاعتداء على الأردن من اليهود أعظم واقع يكون في مجلس الأمن الدولي. وهكذا أصبحت سوريا ولبنان والأردن تصرخ جميعها وتحتج من اعتداء إسرائيل بمحاولتها تهويد منطقة نهر الأردن وتطالب بأن يقف مجلس الأمن الدولي أمام أعمال إسرائيل. ولمَّا نظر مجلس الأمن

الدولي في شكوى الدول العربية جميعها من اعتداء إسرائيل على قرية قبية الأردنية وقتل نحو ستين عربياً من أهلها ونسف عدد كبير من منازلها ومتاجرها وما تبع ذلك من تيتيم للأطفال وترميل للنساء واستلاب للأموال وخراب للديار جاء قضاء المجلس الذي ينتظر منه الفرج قراراً يتضمن توجيه اللوم العنيف إلى إسرائيل على اعتدائها المذكور ولا شيء بعد ذلك من مطالبتها بتعويض المجنى عليهم، فأموالهم وأرواحهم وديارهم حلال لإسرائيل أو تُعدّ أشياءَ توافهَ لا تستحق الاهتمام بتعويض أو مواساة.

جمال عبد الناصر يعبر عن العرب

وقف نائب رئيس وزراء مصر مساء ثامن ربيع الثاني أي من غد ليلة الحادث يُلقي خطاباً في نادي فلسطين استهله بقوله: إننا السبب في ضياع فلسطين، وقادتنا هم العامل الرئيسي لفقدها، ولم نفعل شيئاً غير الخطب والاجتماعات، كنا نقول سنرمي اليهود في البحر ولكننا لم نفعل، ثم قيل عن إسرائيل أنَّها دولة مزعومة، ولكننا لم نفعل لها شيئاً أيضاً. وأكد أن بريطانيا والعالم الحر هم المسؤولون عن ضياع فلسطين. وقال: إذا كنا لا نخيف الغير فلا فائدة من وجودنا فيجب إذن أن نشهد أنفسنا بأن عندنا القوة المادية وأن مصالح الغرب في بلادنا كبيرة وأهمها البترول الذي يستخدمه الجيش الأوربي. فنحن نعرف إذن كيف نستخدم هذه القوة كلها في الوقت المناسب. وقال في ختام خطابه: إنا دفعنا لبريطانيا ثمن طائرات ودبابات منذ ثلاث سنوات ولكنها لم تسلم إلينا حتى اليوم، ولم تكتف بريطانيا بهذا بل منعت بلجيكا عن توريد الأسلحة لنا وبلغ جملة ما دفعنا نحو عشرة ملايين من الجنيهات ثمن أسلحة لم نتسلمها.

هذا خطاب جمال الذي ألقاه، وسنرى ما صنعه سيادته نحو إسرائيل لما تولى الرئاسة.

تبرعات الملك لتعمير قرية قبية المنكوبة

تبرع الملك سعود بن عبد العزيز في هذه السنة لتعمير قرية قبية بمبلغ عشرة آلاف جنيه إسترليني لهذه القرية التي هدمها اليهود في اعتدائهم الوحشي عليها، وذلك بتحويل الحكومة إلى الوزير المفوض في عمان بهذا المبلغ المذكور ليسلم ذلك إلى الجهة المختصة في الحكومة الأردنية الهاشمية. وتبرع أيضاً لتقوية الحرس الوطني الأردني. كما قرر مجلس الجامعة العربية في دورته الأخيرة التبرع بمبلغ ٧٧٥٠٠ جنيهاً استرلينياً.

تتويج ملك العراق

في شعبان من هذه السنة تمَّ تتويج فيصل الثاني بن غازي بن فيصل بن الحسين بن علي الشريف الهاشمي ملكاً على العراق، وكان شاباً أديباً ويشد أزره عبد الإِله بن علي بن الحسين الشريف. ولمَّا أن كان في هذه السنة أصيب العراق بالفيضان بأن فاضت المياه فسببت خسائر فيها وحلَّ بهم كارثة من جراء ذلك فسارع الملك سعود إلى التبرع لها بمبلغ مليون ريال ونصف مليون مواساة للمنكوبين في العراق. وبما أنَّ ذلك الفيضان يقلق ملوك العرب فقد أبرق الملك المعظم إلى ملك العراق بالموضوع، فبعث الثاني برقية جواباً له يشكر عطفه ويقدر اهتمامه بذلك.

وفود تفد على الملك

وفد أهل الأحساء للسلام على صاحب الجلالة سعود فوافوه بحدائق الناصرية وكان هذا الوفد يمثل حاضرة الأحساء وباديته يقدمون ولاءهم وطاعتهم ويبايعونه، كما استقبل الملك وفوداً عديدة من بوادي نجد قدموا للسلام والتعزية والبيعة، وكان ذلك في يوم الأربعاء ٢٤/ ٣. وبعد عصر هذا اليوم استقبل جلالته وفد أهالي بريدة من القصيم قدموا للسلام والتعزية والتهاني. وقد عبر خطيبهم عما يكنه الجميع من الإِخلاص والولاء والطاعة.

وقد دعاهم جلالته لتناول طعام العشاء في مساء هذا اليوم بالقصر الملكي العامر حيث لقى الجميع خلال ذلك كل الإكرام والعطف والتقدير من جلالته. ولا يزال القصر مقصداً للوافدين من شتى أنحاء الجزيرة العربية.

زيارة حاكم باكستان

لما كان في يوم الخميس ٣/٢٥ قدم غلام محمد حاكم الباكستان في طائرة خاصة إلى مطار الرياض وقد استقبل استقبالاً يليق به وكان قدومه لعقد الأخوة والمحبة وأبدى حزنه العميق وتأثره للخسارة الفادحة التي عمت، وهي وفاة صاحب الجلالة عبد العزيز التي لم يعوضها سوى تولي جلالة الملك سعود لعرش هذه البلاد، وبعدما أقيم له أنواع الاحتفالات والمسرات وانتهت الزيارة عاد إلى بلاده شاكراً بعد تبادل البرقيات بينه وبين صاحب الجلالة الملك سعود سدد الله خطا الجميع.

افتتاح محطة الكهرباء في مكة المكرمة والمسجد الحرام

كان الملك سعود قد تحرك موكبه في يوم الإثنين ٢/١١ من هذه السنة بعدما تشرف بتوديع والده في الطائف ليؤدي صلاة الاستسقاء في المسجد الحرام صباح يوم الخميس ثم إنَّه غادر قصره في الساعة العاشرة من آخر ذلك اليوم ميمماً التنعيم هناك ليفتتح إضاءة مكة المكرمة والمسجد الحرام بمحطة توليد الكهرباء التي أسستها الشركة السعودية برئاسة إبراهيم الجفالي. وكان قد دعى لهذه الحفلة الأمراء والوزراء ورؤساء الدوائر وكبار الموظفين والعلماء والتجار والأعيان والوجهاء من مكة وجدة والطائف وغيرها من أنحاء هذه المملكة ليشهدوا افتتاحها. وكان قد افتتحها الملك سعود في ولاية عهده بيده. وبعد أداء صلاة المغرب تصدر سموه مائدة العشاء الفخمة التي أعدت هناك وتناولها معه جميع الحاضرين، وهي من أفخم الموائد. وقد ألقى الشاعر نائب رئيس مجلس الشورى أحمد بن إبراهيم الغزاوي

قصيدة رائعة مناسبة للمقام. وقد أبدى سعود اغتباطه وسروره.

مجلة الرياض

ففي يوم الخميس ٨/٥ ابتدىء بإعداد مجلة الرياض وكانت من أجمل المجلات في العالم تخرج في ٤٢ صفحة تقريباً ويديرها الأستاذ أحمد عبيد. وكانت تطبع في جدة وتصدر شهرياً، وكذلك أصبحت جريدة البلاد السعودية تصدر يومياً.

مؤسسة النقد العربي السعودي

وهذه هي الورق المتعامل بها بدلاً عن الريال الفضي. وكانت فئة العشرة قد جرى إصدارها في نهاية رمضان، أمَّا فئة الخمسة فصدرت في نهاية شوال، وكذلك صدرت فئة الريال الواحد فكانت هي السكة المتعامل بها.

سياحة الملك وجولته

لمَّا أن انقضت أيام البيعة رأى جلالة الملك سعود أن يتجول في المملكة ليتفقد الشعب ويواسى الفقراء والمحتاجين بالصدقات والعطف عليهم بعدما تلقى جلالته التعازي والتهاني التي وردته من بلاد زنجبار وكندا وغيرها من سائر بلاد العالم. فسار موكبه العظيم من الرياض مؤثراً أن تكون رحلته على السيارات. فزار حائل والجوف والقصيم وشقرا والمجمعة وما في خلال تلك البلدان، فقد انتهى إلى الداهنة والغاط والقراين وأثيثيا وثرمدا ومرات والبره وثادج والحريق والقصب ومنفوحة وما في طريق هذه البلدان. كما أنَّه مرَّ سدوس والحوطة وكان ذلك في شهر جمادى الثانية وما يليه. ولبست نجد ثياب الزينة لعاهلها العظيم وازدادت كل مدينة أو قرية بألوان الزينة وأقواس النصر وكان إذا قدم على أية مدينة أو قرية فإنَّه يجد أهلها متأهبين للاستقبال بكل ما في وسعهم من الإكرام والاحتفال ودق الطبول والتصفيق

والهتاف باسمه، فيستقبل الأهالي على اختلاف طبقاتهم ويجيب دعوة الوجهاء ويمنح الفقراء الكسوة والنقود ويبذل لكل تكرمة أضعاف ما تستحقه، فكان لذلك أثر عظيم في ازدحام الخلائق حواليه. ونحن نذكر زيارته لمقاطعة القصيم فنقول:

احتفال أهل القصيم

لما كان في ٦/١ من هذه السنة هرع الأهالي في مدينة بريدة للاستعداد لزيارة جلالة الملك لأنهم ما كانوا ليعلموا بزيارته حتى قامت عاصمة القصيم مدينة بريدة وقراها ومدنها وضواحيها تستعد بالزينات وجُلب لذلك النجارون والخياطون لإعداد أقواس النصر، وعمل في كل مدخل وطريق دروازة جميلة مكسوة بستارات من القماش الأخضر الفاخر وأعمدة مزدانة وما إلى ذلك. فكان يوماً مشهوداً هو وما بعده من الأيام لعب فيه العمال دوراً في العمل، ومنهم المتبرع بعمل يده، ومنهم المشارك بتوجيهاته. وكان المهندسون والخياطون يدأبون هناك بعملهم الجاد. واستمروا كذلك عشرة أيام يعملون بعمل متواصل. وكان الزعماء يشرفون على العمل وقد غلقت الدكاكين وعطلت غالب الأعمال من أهل البيع والشراء. وكان موضع الاستقبال حوالى البطين شمالاً في روضة فسيحة الأرجاء. فلما كان في صباح الأحد الموافق ٦/١١ جمادى الثانية خرجت طلاب المدارس بأجمعها كل مدرسة تحمل لافتتها، وانضاف إلى مدارس العاصمة بعض مدارس/ مدن القصيم كالبكيرية والبدائع الثلاث والهلالية والمذنب ومدارس/ القرى كالقصيعة واللسيب وخضيراء والسباخ فيحان والقرعاء وغيرها واصطفت الخلائق صفين في موضع الاستقبال الذي يبلغ طوله ستة كيلوات وعرضه كذلك وكان الطلاب ممتازين عن الآباء ويقدر الحاضرون في عددهم بمائة ألف ما بين كبير وصغير من رجال وطلاب وقد شارك في الحضور في أماكن بعيدة عن الرجال النساء ليشهدن الفرحة. أمّا الصبيان

فقد كانوا متحمسين في ذلك الاحتفال يهزجون بأناشيدهم وعلى رأس المستقبلين أمير المقاطعة عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد وقد أحضر رجال الأمن الذين لا يقل عددهم عن أربعمائة وخمسين جندياً من بينهم فرقة الموسيقى تصدح أبواقها وقد ركبت سماعات الميكرفون وبينما الأمة شاخصة أبصارها إلى جهة الشمال إذا بالموسيقى تعزف لما تبدت طلائع سيارات جلالته فاستقبلت الأمة موكبه السامي بالحفاوة والتكريم رافعين أصواتهم بالهتاف والتصفيق يعيش جلالة الملك فكان مشهداً رائعاً تجلت فيه مظاهر الحب والإجلال واتسم بالنظام وحسن التنسيق وكان في مقدمة المستقبلين فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضي المدينة إذ ذاك ورئيس علماء المنطقة وفي صحبته كبار العلماء والوجهاء والزعماء من كل بلد، وكان أمراء القصيم من كل مدينة وقرية قد حضروا لذلك ويقدم الأمة للتعريف بالشخصيات الشهم المواطن عبدالله بن سليمان بن عيسى ثم تقدمت الأمة للسلام على جلالته والتمتع برؤيته ولما أخذ جلالته مكانه بين جموع المستقبلين تقدم الخطباء أمام جلالته يلقون الخطب والقصائد والكلمات المعبرة عن التعظيم والإجلال والمحبة ثم أديرت القهوة والشاي ومكث طويلاً بين أولئك الجموع على الرغم من طول الرحلة وشهد ومن معه في ذلك اليوم جهداً ملموساً تطالع فيه مدى الإخلاص ومدى الفرحة التي غمرت أبناء المنطقة ثم انتقل بعد ذلك إلى مائدة الغداء الغاصة بألوان الحلوى والفاكهة والنعيم والبهجة وغادر جلالته حفظه الله ذلك الموضع بعد ما لبث فيه من قدومه في الساعة السادسة إلى أن كانت الساعة في الثامنة غروبي وسار موكبه إلى البلد ليتناول القهوة في بيوت المشائخ والعلماء وكان الطريق من ذلك الموضع المعد للاستقبال يبلغ طوله إلى البلد أحد عشر كيلو وتلامذة المدارس قد اصطفوا من جانبيه ينشدون أبيات الحماسة ويهزجون بالأناشيد فنصب له مخيم كبير حوالي الشماس وأقيم فيه أنواع

الأبهة والعظمة ولبث في بريدة ثلاثة أيام يتردد في مواضع الاحتفالات يمنة ويسرة ثم إنَّه سار إلى عنيزة في ٦/١٤ حيث أقام أمير عنيزة عبدالله بن سليم حفلة عشاء كبرى على شرف حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم دعى إليها أهالي البلدة إحتفاء بقدوم جلالته ببساتين الجهيمية وقد تقدم بين يديه الخطباء وأهل الطبول وقام الأهالي بملابسهم العربية يستعرضون فرحين وبعد ذلك سار الموكب حتى انتهى إلى البدائع ثم إلى الرس ثم إلى البكيرية وقد أقام أهالي الرس سرادقاً كبيراً.

ورفعت الأعلام وألوان الزينة وأقواس النصر حيث كان جموعهم يستقبلونه بالهتاف والتصفيق. أما البكيرية فقد شهدت يوماً خالداً في حياتها استقبلت فيه عاهلها العظيم ورأت فيه كثيراً من أبنائها الذين تفرقوا منذ سنوات في مختلف أنحاء المملكة فاستمع إلى خطبائهم وتناول القهوة والشاي كما زار قصر بن عقيل وقد شهد في هذه الرحلة خصوبة مقاطعة القصيم ومزارعها الحافلة وما زال موضع التقدير في حله وترحاله وكانت العاصمة بريدة هي مركز الدائرة فإنَّه يعود إليها في كل ليلة من الليالي. هذا وقد رفعت الأعلام من أعالي القصور والشوارع والسيارات وكان يتفقد أحوال أهل المدن ويفيض على الخطباء والشعراء ويمنح الفقراء والمساكين ويكافىء المحسن على إحسانه ولما أن بلغ الزرقاء في بريدة وكانت شمال غربي البلد ورأى تدفق المياه العذبة وعد الأهالي بأن يحتفر آباراً ارتوازية ويسحب المياه في الأنابيب إلى البيوت وفعلاً جرى ذلك ولله الحمد. ولمَّا أن سار من القصيم إذا بمدينة شقرا ترحب بعاهلها العظيم فوصل إليها في الساعة الخامسة من صباح الأحد ٦/١٨ وهكذا كانت جولته.

العناية بشؤون الدين

لمَّا كان في بداية شهر شعبان من هذه السنة أمر صاحب الجلالة بتوجيهات لهيئات العلم أن تتجول في مختلف أنحاء البلاد لتتفقد شؤون الدين والتعليم وعمارة المساجد فقام فضيلة الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ بجولة في شمال المملكة للإِشراف على ذلك بعد أن انتهى من جولته للمناطق الشرقية والمناطق الجنوبية الشرقية حيث رتب هيئات من أهل الدين والاستقامة في كل بلدة وقرية لأجل المحافظة على أمور الدين والسير بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله كما أن فضيلة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم يقوم بجولة مماثلة في عسير والحجاز بعد عودته من جيزان وتهامة وبذلك يصبح ترتيبات هيئات الأمر بالمعروف قد نفذت إلى جميع أنحاء البلاد وأحصيت جميع المساجد وأمر بترميم ما يحتاج منها إلى ترميم وذلك لجعل مساعدات مالية للأئمة والمؤذنين فأجرى ذلك طبقاً لمنهاج جلالة الملك سعود القاضي بإقامة شعائر الدين وعزز جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل المدن والقرى وهذا منه تمشياً على طريقة آبائه وأجداده فيما تعاقدوا عليه مع إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في التمسك بعقيدة السلف الصالح. فنسأل الله المنان ذا الجود والإِحسان أن ينصر الدين وأهله وأن يقيم له من يرفع مناره ويعمر آثاره وأن ينصر من قام به ويعز أهل طاعته ويا حبذا هذه الخصال التي يبلغ بها الإِنسان أوج العلا والمكارم والنُّهى. وفي ٦/٢٥ من هذه السنة أسند الملك رئاسة بلدية الرياض إلى فهد بن فيصل فقام بأمانة عاصمة المملكة بجد ونشاط وفيها أُنشأت مظلة أمام بئر زمزم في المسجد الحرام وجدد فرش صحن المطاف والمماشي بالرخام الحسن والبلاط. وفيها كثر الجراد والدباء في نجد ففرغت الأمة إلى الخروج في البراري لإِبادته في الفضاء والقضاء عليه لئلا يتمكن من أكل الزروع والثمار وكان يخرج من مدينة فريدة في كل يوم ما لا يقل عدده عن سبع سيارات كبار تحمل الرجال.

تحويل مديرية المعارف إلى وزارة

لمَّا تضخمت حالة التعليم في المملكة وفتحت المدارس الكبار والمتوسطات والثانويات رأت الحكومة أن تحول هذه المديرية إلى وزارة فعين سمو الأمير فهد بن عبد العزيز وزيراً للمعارف فقام الوزير بجد ونشاط وتدرجت ميزانية المعارف في الزيادة من تسعة عشر مليوناً إلى أكثر من ثمانين مليوناً من الريالات في السنة لتوسيع الناحية العلمية حتى بلغت المدارس الابتدائية في المملكة حوالي سبعمائة مدرسة وأنشئت المدارس الثانوية في جميع المدن الكبرى. ولمَّا كانت كلية الشريعة في مكة المكرمة قد آن أن تخرج شطأها وتنشر طلابها لتستفيد منهم المملكة هؤلاء هم الذين كلفتهم الحكومة بالدراسة في دار التوحيد في الطائف لينتشر العلم وكان من هؤلاء المدراء والقضاة والمدرسون. وقد تأسس بعد ذلك في الرياض جامعة الملك سعود وأنشأ مدارس للمعلمين ومدارس مهنية في مختلف البلاد ودراسات صيفية في الطائف ومدارس ليلية في كثير من المدن وشجع الطلاب في المدارس الكبار بالمكافآت الشهرية فأصبح العلم في نهضة عظيمة.

حوادث وأخبار

ففيها جرت فيضانات بإيران ونكب أهالي طهران وضواحيها فتبرع الملك سعود بعشرة آلاف دولار للمنكوبين فرفع محمد رضا شاه بهلوي برقية للملك سعود بالموضوع يعبر عن شكره لذلك وكان الملك سعود قد رفع إليه برقية تعبر عن تأثره بذلك ولمَّا أن شكر ملك إيران لجلالة الملك سعود لجبره لقلوب أولئك المصابين ويدعو له بالتأييد دعاه لزيارة إيران.

وفيها وجدت طفلة بإيطاليا كانت لا تنقطع عن الأكل إلاَّ في ساعات النوم وكانت لما بلغت من العمر سنة واحدة جعلت تلتهم كل ما تجده

أمامها فعجَّ والدها وحملها إلى المستشفى حيث فحصها الأطباء واتضح أن مصرانها طويل إلى درجة غير مألوفة وأن جسمها يفرز الطعام بدون أن تهضمه المعدة وقرروا أن لا فائدة من علاجها وأنَّه يجب على أبيها أن يقدم إليها كميات الطعام التي تتطلبها حالتها وكانت تجلس وأمامها الأطباق وفي ملعقة بيدها تلتهم ما أمامها فهذا طبق يؤكل وآخر ينتظر الالتهام. ولمَّا تمَّ لها من العمر خمس سنوات أرسل والدها إلى السنيور أبنودي رئيس الجمهورية الإيطالية خطاباً يطلب فيه أن يعين له مرتباً شهرياً ليتمكن من تقديم الطعام اللازم لابنته وكانت اسمها لوشيانا. والله على كل شيء قدير.

وفيها في محرم انسابت حية في فم رجل نائم في الهند فلما أن وصلت أمعاءه أخذ بذنبها بعدما استيقظ وجذبها فلم تخرج بل نفثت سمها في جوفه فقام الرجل والعياذ بالله مرعوباً ثم هلك. وما أكثر الإصابات بهذه الثعابين وذوات السموم فتهلك المصاب أو تكاد تسبب أضراراً خطرة لإصابتها مفاجأة وكانت هذه الحيات موجودة بكثرة وبينها وبين بني آدم عداوة عظيمة ويخشى منها في البراري والمواضع المهجورة مما أصبحت الأمة في خوف منها. وإنَّا لنأمل من الجهات المسؤولة اتخاذ ما يلزم من الإجراءات حول هذه المؤذيات بطبعها وقد تكون في البيوت فيكون طريقة قتلها على الوجه المشروع أن تنذر ثلاثة أيام بمغادرة البيت. فإن لم ترحل قتلت لأنَّ ذوات البيوت قد تكون من جنان البيوت وساكنيها فوجب إنذارها.

زيارة الملك للبحرين وباكستان

لمَّا كان في ٧ شعبان الموافق ١٠ أبريل توجه في هذه السنة إلى الظهران في زيارة رسمية لأمير البحرين في طريقه لزيارة باكستان وقد كان في توديع جلالته بالمطار أصحاب السمو الأمراء من بيت آل سعود وفي مقدمتهم صاحب السمو الملكي ولي العهد. فودعت الرياض في الساعة الثالثة

والنصف عربي من صبيحة يوم السبت صاحب الجلالة الملك وداعاً حاراً فامتطى جلالته الطائرة الملكية الخاصة العقاب يرافقه بعض أفراد بيته الكريم وحاشيته وكبار موظفي الديوان قاصداً إلى الظهران وكان وصوله بعد ذلك إلى البحرين في الساعة الثامنة عربي والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح يوم الأحد ٨ شعبان فحيته حامية المطار بإطلاق إحدى وعشرين طلقة كما كانت أسراب من الطائرات الحربية تواكب الطائرة الملكية عند قدومها إلى تلك البلاد كما أطلقت باخرة القيادة البحرية الأمريكية المعقودة للأميرال بجه إحدى وعشرين طلقة تحية لضيف البحرين ولقد ألقى أمير البحرين خطاباً عبر فيه عن بعض ما يخالج نفوس آل خليفة من بهجة وسرور ويغمر أفئدتهم من غبطة وسعادة وأطال وقد زار صاحب الجلالة المدرسة الثانوية بالمنامة وتجول في الصفوف وهو يستمع إلى المدرسين وهم يلقون على شباب تلك البلاد ورجال مستقبلها الدروس كما أنَّه تناول القهوة عند الوجيه السعودي الوزير المفوض عبد الرحمن القصيبي واجتمع في اليوم الثاني بالمقيم السياسي البريطاني في الخليج ومعه المعتمد البريطاني حيث كانت زيارة الملك العظيم السعودي حدثاً عظيماً في تاريخ تلك البلاد وأنَّ الجميع هناك يذكرون بالاعتزاز والفخر والغبطة أنَّ بلادهم لم يسبق لها نظير هذا الاحتفال الذي أُقيم لحامي الحرمين الشريفين.

ولقد بلغت الحال بأنَّه لا توجد دار واحدة من دور هذه الجزر العربية لم ترفع العلم السعودي على شرفاتها ولا يوجد بها محل تجاري واحد لم تزين مدخله الأعلام والأنوار. ولما أن وصل إلى الباكستان استقبل فيها استقبالاً باهراً وتلقى فيها ألعاباً ضخمة جعلت الجماهير تهتف بهتاف مدوي بأنَّه أمير المؤمنين وخادم البيت الحرام وحامي الحرمين الشريفين وأمير العرب وكانت اللوحات التي زينت بها الشوارع في كل مكان تحمل مثل هذا التكريم وكانت الصحف الباكستانية عن بكرة أبيها تلقب جلالته بمثل ذلك وآخر

ذلك تقدم فخامة الحاكم العام للباكستان السيد غلام محمد فأعلن بالمذياع منحه درجة الدكتوراه وألقى خطاباً باللغة الإنجليزية عدّد فيه مآثر جلالة الملك على العلم والعلماء وذكر فيه بإسهاب المدارس والمعاهد التي أقامها جلالته في المدن والقرى على البلاد السعودية وعطفه على العلم وأهله وطبعه الكتب السلفية المفيدة وبعثه العلماء والدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر إلى مختلف البلدان والقرى وآخر شيء جاء في التكريم والإعظام أن قام رئيس البلدية بعد ما عدد مآثره أن أعلن أن هيئة أمانة العاصمة تمنح جلالته حرية هذه المدينة ثم قدم إلى جلالته صندوقاً من الذهب المبطن بالمخمل الأزرق يحتوي على مفتاح العاصمة الباكستانية كراتشي رمزاً لتقديرهم لجلالته واحتفائهم به وإكبارهم له فقبلها جلالته بالشكر والتقدير وعبر جلالته عن ذلك في خطاب ملكي كان رداً على خطاب أمين العاصمة ثمَّ وجه جلالته رسالة عظيمة أخوية طويلة قامت محطات الإذاعة في كراتشي تذيعها وقد أطلقت قلعة كراتشي القائمة على مدخل الميناء البحري تحية الوداع لضيفها إحدى وعشرين طلقة وكانت المكبرات المقامة على شرفاتها وعلى جوانب الميناء تهتف كلها (شاه عرب ونده باد) أي اللَّهُمَّ إحفظ ملك العرب ثم رجع ولمَّا أن كان في ليلة ٢٧ رمضان إذا به يؤدي عمرته ويطوف ويسعى ويتهجد بالبلد الحرام وكان يحيط به العلماء والأمراء وفي مقدمتهم سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وحج بالمسلمين جلالة الملك سعود بن عبد العزيز.

وممن حجَّ في هذه السنة من الأعيان جمال عبد الناصر وحج من الأعيان حاكم الباكستان غلام محمد فإنَّه قد أدى مناسك الحج واستقبله خادم الحرمين بكل ترحيب كما قد حجَّ محمد علي رئيس وزراء الباكستان وقد غادرا البلاد السعودية في ١٢/١٣ راجعين إلى باكستان شاكرين للملك سعود جهوده المبذولة. وقد تبادلا البرقيات بالشكر والثناء. هذا وما زالت

الوفود من عظماء المسلمين والعرب تتوافد على الملك سعود في الحجاز أيام الحج ترفع آيات التهاني والتبريك من الكويت والبحرين وتركيا والهند وبورما وسيلان وأندونيسيا والملايو والصين الوطنية وتونس والجزائر والسنغال والحبشة وأرتريا وعدن وحضرموت وزعماء العرب ومشائخ القبائل.

أمَّا عن زيارات الملك سعود في هذه السنة فقد زار بلاد مصر بدعوة رسمية من قبل الرئيس إذ ذاك محمد نجيب ولمَّا أن قدمها قام الرئيس محمد نجيب بكل ما يلزم من إكرام وإجلال نحو ضيف مصر العظيم وما زال الملك سعود يتجول في مصر ويتأمل الآثار هناك وإلى جانبه اللواء محمد نجيب وقد جددت به مصر ذيول افتخارها ولمَّا أن كان في آخر أيام الزيارة توجه الرئيس اللواء محمد نجيب إلى قصر الطاهرة الذي قد نزل فيه الضيف الكبير فقدم لضيفه هداياه وهي عبارة عن شمعدانين نادرين من الفضة الخالصة يرجع تاريخهما في الصنع إلى ثلاثة قرون مضت ويعدان من أروع التحف الفضية التاريخية وفازتين كبيرتين من الفضة مزينتين بنقوش ذهبية جميلة وسبحة من الكهرمان النقي ذي لون بني وقال: إنَّه يرجو أن يتقبل جلالته هذه الهدية على تواضعها رمزاً للأخوة والصداقة بين البلدين، فتقبلهما الملك سعود شاكراً ممتناً ثم قدم الرئيس للأمراء ولرجال الحاشية المرافقين لجلالته هدايا مختلفة.

إعانة الملك للفقراء لأداء الحج

بعث الملك سعود سيارات لسائر أقطار المملكة ممن لا يستطيعون السبيل إلى الحج حتى بلغ عدد الحجاج الذين حجوا في سيارات التبرع قدراً من أربعة آلاف حاج بميانتهم وتكليفاتهم من مأكل ومشرب ونفقة وغيرها وجعل لكل فرقة من فرق هذه السيارات وكلاء يقومون بما يلزم نحو الركاب

وهذا لأول مرة تجهز الحكومة حجاجاً يحجون على نفقتها.

ولمَّا كان في ١٧/ ١٢ من هذه السنة الموافق للإِثنين أُقيم في مدينة جدة استعراض رائع للجيش وكان يرأس هذا الاستعراض القائد الأعلى للجيش العربي السعودي الملك بنفسه بلباس رسمي عسكري ونحن نذكر ذلك الاستعراض على حسب الرواية فنقول وبالله التوفيق.

ذكر استعراض الجيش السعودي

لمَّا كان في غسق الليل من اليوم المذكور إذا بالأمة تنتظر نور السماء لمشاهدة الجيش السعودي وقد بدا يتدفق جموع الأمة من هنا وهناك لمشاهدة فرق الجيش تتبدى كوكباً فكوكباً وكان الميدان المعد لذلك في شرق خزام بمدينة جدة وكان قد أعد للمدعوين من الأمراء والعلماء والسفراء وممثلي الدول العربية والإسلامية ورؤساء البعثات سرادق فخم كبير يسع لأكثر من ثلاثة آلاف من المدعوين ليشاهدوا الاعتزاز في رحاب السياسة وأروقة الفهم والإدراك أنَّ الجيش سند وعماد ودرع ترس ووقاء هو الذخر في ميدان النضال، وهو الجبروت في لغة الحروب. فكانت الموسيقى ترن في القلوب وتعصف بالعقول ليس فيها حنان وتلهب الشجاعة وتبعث الحركات الحربية بينما وزير الدفاع والطيران مشعل بن عبد العزيز الذي هو كأسمه يقوم بتوجيه الاستعراض والإشراف عليه إذا بالملك يتبدى على الجموع المحتشدة في تمام الساعة الحادية عشرة إلاَّ ربعاً من صباح اليوم المذكور ثم ابتدأ العرض.

وفي الساعة الحادية عشرة فاشرأبت الأعناق وازدحمت المناكب وشخصت العيون والتهبت الأكف وكان الملك يرد على هذه التحايا في فرحة وتواضع وقد أخذ الطبيب التونسي أحد ضباط الجيش يذيع على جموع الشعب الغفيرة تحركات العرض خطوة خطوة في إلقاء رائع جميل

على النحو الآتي: بينما تطلق المدفعية تحاياها بإحدى وعشرين طلقة.

أولاً: الفرق الموسيقية الثلاث وتأخذ مكانها في وسط الميدان حيث يستمر عرضها على نغمات مختلفة طويلة ساعات العرض المتواصل ثم مجموعة الأعلام يحملها الجنود البواسل وفي خطوهم معنى التضامن والإِخاء وتتبعها تلامذة المدارس مدرسة العسكرية مدرسة الطيران مدارس الجيش للأسلحة المختلفة وكذلك وحدة من وحدات الحرس الملكي يشعرون بمعنى التفاني والإِخلاص نحو قائدهم الأعلى ثم ثلاثي سلاح المشاة يحملون بنادقهم وفي خطوهم الأنفة والصمود.

ثانياً: الطائرات سرب يتلوه سرب تقارب تباعد ارتفاع وانقضاض أزيز ووعيد قصف وهلاك.

ثالثاً: البوليس الحربي بدراجاته يعطيك معنى من معاني الرقابة والحذر ثم الأسلحة المساعدة للمشاة إنَّها من طراز جميل ممتاز. أمَّا سلاح الإِشارة فهذه التلفونات الخاصة بالميدان وآلات اللاسلكي الضخمة أنَّها تعبر عن دقة الاستعداد لمستلزمات الصراع والتقدم والكفاح. أمَّا فوج الاستطلاع فكله يقظة وانتباه ثم عرضت المدرعات الثقيلة التي هي أجمل كل شيء وأجمل ما فيها فخامتها إلى جانب ما تحمله من ذكريات خالدة لشهداء فلسطين أولئك الذين بذلوا أرواحهم في سبيل الإِسلام والعروبة ضد الطغيان وتحمل أسماء الدول العربية الشقيقة واسم منصور الأول مؤسس الجيش العربي السعودي وزملائه أمراء البيت المالك الذين أدوا من خدماتهم ما جعلهم في سجل الخالدين. أمَّا المدفعية فهي سلاح الصمود في الميدان تدك في قسوة لا ترحم ولا تلين إنَّها الفناء للعدو والوفاء للعرين. ثم عرضت سرية النقل والتموين تلاحق الجوعان والعطشان وهو في جهاده قدما كما أنَّ الوحدات الصحية ترى في العرض تجبر الكسير وتضمد الجروح وتواسي

المألوم وتريح المكدود، ثم أسلحة الصيانة في ختام هذا العرض ورش ضخمة هائلة وجرارات سريعة متكاثرة وونشات وسيارات إسعاف. إنَّه سلاح كامل العدة والعدد وله مكانة مرموقة.

ثم يأتي دور أهل الرياض فيتقدمون في الميدان ويقول المذيع عنهم: تتقدم فرقة أهل الرياض الذين قال الله فيهم وأمثالهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ هؤلاء أخذوا طبولهم يقرعون والسيوف مسلولة في ميامنهم كأنَّها شعل النَّار يبلون واجب الوطن ويسعون في سبيل إنهاضه، ويدخل فيهم أهل القصيم يتقدمهم صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سعود قائد حرس الخويا فشقت الحناجر بالهتاف وتقدم العرض الثاني سمو الأمير عبدالله الفيصل وزير الداخلية، فالتهبت الأكف بالتصفيق وهكذا جعلت الأمة تصفق ساعة في حماس بالغ ومعنوية كبيرة ثم أنَّه تقدم الإخوان وجاء دور أهل الجهاد بملابسهم البيضاء وعمائمهم التقليدية الجميلة فبينما الجو هادىء إذا بالمذيع يقول عنهم: تتقدم فرقة الإخوان الذين فضلهم لا ينكر يشهد لهم التاريخ بالفتوحات الإسلامية والمقامات الدينية فتقدموا في ثيابهم الناصعة البراقة يحملون أمهات خمس القصار وقد شدوا على أوساطهم الحزم الخرطوشية مملوؤة بأمشاط الفشق وهؤلاء الجيش الأبيض يبلغ عددهم ثمانية عشرة ألفاً أنَّهم الجيش الغاشم الذين لا يوقف في طريقهم وكان لرؤيتهم روعة عظيمة فسمع لهم لجبه تنهدُّ لها الجبال كان الفوج الأول يتلو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾. أمَّا الفوج الثاني فينادي: خيال التوحيد أخو من أطاع الله، والفوج الثالث ينادي: هبت هبوب الجنة أين أنت يا باغيها. ولقد أحدث اعتزاؤهم هزة عظيمة وكانوا على استعداد تام فوري للبذل والتضحية والفداء وكان المجاهد منهم يرفع البندقية برؤوس أصابع يده اليمنى في وسطها فتكون دوارة. وقد أحدث استعراضهم هزة عظيمة في القلوب أولئك البدو الذين رعبت هيبتهم جميع

الأمة ذلك لما أوتوا من الشجاعة وقوة البأس الشديد. وبعد استعراض الجيش الأبيض كمل للاستعراض ثلاث ساعات وربع والأمة كأنَّها في ميدان جهاد ونضال ثم نهض القائد الأعلى فودع كما استقبل بالحفاوة الرائعة والهتاف المتواصل والتصفيق الحاد بين الموسيقى التي صدحت بالسلام الملكي والمدفعية التي أطلقت تحاياها بإحدى وعشرين طلقة. وبذلك ختم الاستعراض.

ثم دخلت سنة ١٣٧٤ هـ

استهلت هذه السنة والعمال يكدحون في عمارة المسجد النبويِّ في المدينة المنورة وكان قد أتى بالمهندسين وأرباب الخبرة لهذا العمل المهم وكان المشروع في العمل عن أمر صاحب الجلالة الملك الراحل عبد العزيز بل الله ثراه بوابل الغفران ورفع درجاته في أعالي الجنان. وقد شاهدت العمال في جدهم واجتهادهم ورأيت آلات البناء من الرافعات والناقلات والهدم تقلب الحجارة وتصرفها بنشاط قوي وكانت الأسطوانة يحفر لها حتى يصلوا إلى الماء في قعر الأرض ثم تصب القاعدة الضخمة وإنَّه ليعد ذلك حسنة كبرى في صحيفة هذه الحكومة. وقد اشترت الحكومة البيوت والدكاكين المجاورة للمسجد من الجهة الشمالية بقيمة باهظة قيمتها خمسة وعشرون مليوناً من الريالات وتقدر هذه الزيادة التي ألحقت بالمسجد بـ ١٢٢٧١ متراً مربعاً وهذه التوسعة وضع لها الحجر الأساسي صاحب الجلالة الملك سعود ويوجد كتابه هناك إلى الجهة الغربية بني بذلك محفورة بالحجر الرخامي. أمَّا عن الجهة الجنوبية والشرقية فلم يتعرضوا لها لأنَّها تحتوي على المحاريب والحجرة الشريفة ولا تزال العمارة مستمرة. كما اشترت الحكومة البيوت والدكاكين المجاورة للمسجد من الجهة الغربية أيضاً. وسيأتي بقية ذكر لذلك.

وفيها قام عبدالله بن يحيى أخو ملك اليمن فدبر انقلاباً ضد الإمام أحمد بن يحيى ليغتصب به عرش اليمن غير أنَّ الإمام أحمد بن يحيى استطاع بما لديه من السياسة والحزم أن يقضي على هذا الانقلاب وأعدم مدبره ونكل بجميع الذين قاموا به وناهيك به من رجل لا يوقف في طريقه لما له من سعة الحيلة وقوة الإرادة. وكان لما أن زاره في اليمن صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز في آخر العام الماضي بدعوة رسمية استقبله استقبالاً ضخماً وحصل اجتماع تاريخي بينهما فيما يرفع شأن البلدين في الأمور التجارية والزراعية والصناعية وفيما يسهل سبيل التعاون بين أفراد الشعبين الشقيقين في جميع مرافق الحياة وتاريخي عائلي. ولمَّا أن جلسا جميعاً وقف على الخلف أمراء البلدين وحولهما الأسرة المالكة هذا والقبائل اليمنية واقفة قد مدت أياديها فيها الخناجر تعلن فرحتها بقدوم الملك سعود. وبعد تبادل الهدايا بين الملكين جعل يعبر كل منهما عن ما يكنه للآخر.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم: الشيخ العالم القاضي عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن عودان من بني زيد من الغيهب. ولد في سنة ١٣١٤هـ وتوفي في هذه السنة فيكون عمره إحدى وستين سنة وكانت ولادته في مدينة شقراء من الوشم وقد أصيب بالجدري وهو صغير فكف بصره أخذ عن الشيخ حمد بن فارس وعن الشيخ العالم الجليل عبدالله بن عبد اللطيف وعن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وعن الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود، أخذ عنه علم الفرائض وكان رجلاً مدارياً سهل الجناب طلق المحيا رزينا سياسياً يداعب إخوانه الذين يثق بهم ويثقون به ويمازحهم وكان مع ذلك سخياً كريماً جواداً متحبباً إلى النَّاس. تولَّى القضاء في عسيلة إحدى قرى السر ثم نقل منها إلى بلدة شقراء عاصمة بلدان الوشم وجلس فيها للتدريس فأخذ عنه رجال من العلماء منهم رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين الشيخ محمد بن سليمان البصيري وعبد المجيد حسن وعبدالله بن حمد بن خربوش. ثم نقل إلى قضاء عنيزة في القصيم فاستمرَّ فيها قاضياً من عام ١٣٦١هـ بعدما عزل عنها الشيخ ابن حسين إلى عام ١٣٦٩هـ. وكان موضع الإعجاب ثم أنَّه نقل منها بسبب خلاف بينه وبين بعض المدرسين المصريين فعين مدرساً في معهد الرياض ثم نقل إلى القضاء في محكمة الرياض فاستمرَّ في القضاء حتى مرض وتوفي في هذه السنة رحمة الله عليه.

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ ابن سوداء وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم القاضي عبد العزيز بن عبدالله بن مسْلم بإسكان السين ويلقبونه بابن سوداء. أخذ العلم عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين وكان له ديوان شعر في ذكر الفتوحات التي جرت على يدي الملك عبد العزيز تهنئة له وشكراً لله، فكان قارضاً للشعر ويعتبر من المحققين وكان من أهالي حريملا. وقد تولَّى قضاء قرية المسهورة ثم تولى قضاء الأرطاوية ثم تولى قضاء المجمعة وبكل حال فإنَّه يعد من رجال العلم والفضل والصلاح المنتمين إلى هذه الدعوة النجدية وديوانه موجود لكنه حتى الآن لم يطبع رحمه الله وعفا عنه بمنه وكرمه.

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ ابن زاحم وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الفاضل القاضي عبدالله بن عبد الوهاب بن زاحم. وقد أملى على العلماء نسبه فقال: العالم العامل الكريم الحليم الشيخ عبدالله بن عبد الوهاب بن عثمان به محمد بن عبد الوهاب بن زاحم. ولد رحمه الله في قرية القصب من أعمال الوشم سنة ألف وثلثمائة على رأس القرن ونشأ بها وتعلم القرآن ثم رحل إلى بلدة أشيقر وكان من قبيلة البقوم المعروفة بتربه. ولمَّا أن رحل إلى أشيقر أخذ عن عالمها المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ثم ذهب إلى الرياض فأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف علم

التوحيد والعقائد والحديث وغيرها وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود فقيه نجد، أخذ عنه علم الفقه وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس علم النحو وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقري ولازمه ملازمة في المجمعة وكان محل ثقته. ولمَّا أن كان في عام ١٣٣٦هـ جعله الملك قاضياً في هجرة الداهنة وبعد مضي زمن طويل يقدر بعشرين عاماً نال به موضع الإِعجاب في الانتداب في مهام الأمور نقل إلى قضاء مدينة الرياض ثم نقل إلى قضاء المدينة المنورة فكان رئيساً لمحكمتها وكان ينشر العلم في كل بلد حله ويلقى الدروس وظهر له تلامذة كثيرون منهم الشيخ ابن أخيه عبدالله بن محمد بن زاحم، والشيخ عبدالله بن إبراهيم بن فنتوخ عميد كلية الشريعة في مدينة الرياض ومنهم محمد بن إبراهيم وعبد الرحمن بن إبراهيم بن فنتوخ وما زال المترجم موضع التقدير من حكومته وأمته لما كان عليه من حسن الخلق والإِخلاص والقيام بالعمل حتى وافاه أجلهُ المحتوم في شهر رجب من هذه السنة رحمة الله عليه.

• وفيها وفاة الشيخ عمر الوسيدي. وهذه ترجمته: هو الشيخ العارف البصير اللوذعي العارف المنتمي إلى أهل الدين والعقيدة السلفية عمر بن صالح بن علي بن حامد الوسيدي من بني تميم. ولد في سنة ١٣٠٣ هـ فتعلم القرآن والكتابة عند كتاب لأنَّه لا يوجد إذ ذاك مدارس حكومية. ولما ترعرع في الأخذ بقراءة القرآن أخذ يطلب العلم من الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأكثر الأخذ عنه في وقت كان طلاب العلم يعيشون في فقر مدقع وما كان هناك مكافآت للطلاب وقد أخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم ولكن لترادف المحن وكثرة الأحن لم يتمكن من كثرة الأخذ عنه وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ

محمد بن عبد اللطيف وكان يظهر دينه صريحاً فلا تأخذه في الله لومة لائم مع حدة في طبعه ويظهر موالاة المؤمنين وعداوة المنافقين. ثم أنَّه بعثه الشيخ عمر بن سليم إماماً وخطيباً ومرشداً في قرية القرعاء فكان يدرس طلاب العلم فيها وله إقدام في الوعظ ويغشى النَّاس في مجالسهم بالمواعظ والتذكر ثم أنَّه طلب النقلة إلى الشقة السفلى المعروفة بالسفيلي فقام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل يدرس فيها بجد ونشاط صباحاً وظهراً وبعد صلاة المغرب والعشاء، وبذل نفسه في هذا السبيل وهناك أخذ عنه جمع غفير من سكان الشقة وكان قارعاً للشعر وقد قدمنا جملة من شعره.
وله قصيدة لامية دعا فيها العلماء إلى الجد والاجتهاد وهي هذه جواباً لقصيدة للشيخ عبد المحسن بن عبيد وردت على الأخ فهد بن عيسى فتناولها من يد الشيخ فهد بن عيسى ونظم ذلك فقال:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد فإنِّي لما قدمت زائراً للإخوان أهل القرعاء قدم على فهد بن عيسى من عبد المحسن بن عبيد منظومة مفيدة رائعة عقلاً وشرعاً فلما تأملها وجدتها تحث على طلب العلم والعمل والاجتهاد ناهية عن الكسل والغفلة والرقاد وذكرتني ما مضى لي من رغبة الطلب فضقت بذلك ذرعاً وهيجتني فضاقت مني المسالك فأبديت وبحت بما هنالك وإن كنت لست أهلاً لذلك فيا سامعها إن رأيت صواباً فاستبشر بذلك تربح إن رأيت زلة فاسترها فإن المؤمن يستر وينصح ولا تتصف بالمنافق الذي يهتك ويفضح وهذا بعض ما تيسر في عام ١٣٥٩هـ(١):

---

(١) يشير بذلك إلى كلام الإمام مالك لما جلس الشافعي بين يديه للتعلم رحمهما الله تعالى وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وقود فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه، فقال له الإمام مالك: إنِّي أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية وتحت ذلك سر بديع في كون المعاصي سبباً لحرمان العبد من العلم، وقصته مع وكيع مشهورة.

حضرت قريضاً من شفيق موفق		يحث على كسب العلا والفضائل
ويرثى علوماً قد تدارس رسمها		وأقفرت أطلال لها بالتكاسل
قصيدة أهداها خليل لخله		فهد بن عيسى زاكى الأصل فاضل
فأكرم به خلا وأنعم به أخا		يؤدي حقوق الخل ليس بغافل
فأكرم مثواها قبولاً ومرحباً		وأحسن منها للقرى والتعامل
فهيج أشجاني وبحت بضامري		وأظهر مكنون الحشا والبلابل
وأوقدت نيران الأسى وتجمعت		على همومي بالضنا والشواغل
عنيت به أخا الندى عبد محسن		فتى من عبيد من كرام أماثل
وذكرني بحثاً وصدقاً ورغبة		ودرس علوم بالضحى والأصائل
وأحبار صدق في القبور تفرقوا		يحلون مناخاً في عويص المسائل
يؤمهم الطلاب من كل بلدة		أحب إليهم من قريب ونازل
فوا حر قلبي ويا عظم حسرتي		على ما مضى من سالف العمر أول
فما أولاً أدركت فيه مسرة		ولا آخراً أقنيته في الفضائل
وذلك أسباب الردى قد توفرت		وذلك أسباب الذنوب القواتل
فرانت على تلك القلوب بأسرها		وقطعت أعراقاً لها بالمعاول
وهذا لعمري من قبيل نفوسنا		كم هو معلوم لدى كل عاقل
وقد يطفىء الإنسان بالذنب نوره		فيا نعم محمول ويا بئس حامل
ولو يعمل الإنسان بالذي كان عالماً		لأورثه الباري جزيل الفضائل
فنسأل الله الكريم بفضله		يمن علينا بالهدى والفضائل
ويمنحنا فهماً وعلماً وحكمة		كذاك اجتهاداً في فنون المسائل
مع العمل الزاكي لوجه مليكنا		خليٍّ من الإشراك يا ويل فاعل
فإنَّ الذي بالعلم لله عامل		يبوء في الجنات أعلى المنازل
كما صرح فيه كتاب إلهنا		وسنة من قد جاءنا بالدلائل
كما أنَّ من لم يعمل به قد أهانه		مع عابد الأوثان أخبث نازل

نعوذ بالباري عما يخالف قولنا   من الفعل أو قول فبعداً لقائل
ونستغفر أيضاً من ذنوب وزلة   وما عمدنا والجهل يا خير قابل
فيا سامع النجوى ويا قابل الدعا   ويا خير مسؤول برغبة سائل
تفضل علينا بالقبول وبالرضا   مع الأمن من أهوال يوم الزلازل
ويا رب متعنا بفاروق وقتنا   سلالة من سليم عالماً غير جاهل
تقياً نقياً ناسكاً متورعاً   حريصاً على الطاعات ليس بكاسل
يقرر توحيد العبادة جهرة   ويشره في النَّاس بين القبائل
فلا يسئمن إن طال درس بمجلس   حريصاً عليه بالضحى والأصائل
كذا عابد الله نجل بليهد   سلالة أمجاد كرام أفاضل
فكم أدحض يوماً لصاحب بدعة   إذا جاءه مدل بشبهة باطل
فيرميه منكوساً على أم رأسه   بحجته مصحوبة بالدلائل
كذلك أشياخ لنا طاب ذكرهم   عموماً حماهم من عظيم المهاول
وأبقاهمو ربي حماة لدينه   يذبون عن السمحاء كل باطل
واصلح إلهي والياً قد أقمته   على المنهج الأسناء عذب المناهل
وقاه إله العرش من ردى الظلم للورى   وأعوان سوء تستشار بباطل
فلا زال مصحوباً بعز وغبطة   وعدل وإحسان بكل القبائل
ونصر لدين الله ما دام مسعداً   لأهل الهدى والدين قمعاً لباطل
فيا سامعاً نظمي زففت خريدة   وخودة حسن في ثياب مرافل
أتت من قريب من سفيلاء شقة   تريد لها كفواً كريم الشمائل
فأحسن إليها بالقبول ووصلها   وستر لها من ساقطات الرذائل
فإنَّ كريم النَّاس يستر ما رأى   من العيب والنقص بحسن التغافل
وأختم نظمي بالصلاة مسلماً   على خاتم الرسل الكرام الأفاضل
محمد الهادي إلى خير شرعه   وأفضل مبعوث وأصدق قائل
وأصحابه والآل ما هبت الصبا   وما انهلَّ ودق من سحاب هواطل

وله أيضاً قصيدة من هذا النمط تحث على الجد والاجتهاد وجهها نصيحة للمشائخ والطلاب خصَّ فيها وعمَّ فقال في عام ١٣٥٨ هـ/ ٨/ ٧:

لك الحمد اللَّهُمَّ يا ذا الفضائل ... ويا خير مأمول لكل النوائل
ومن بعد حمد الله والشكر والثناء ... صلاة وتسليماً على خير فاضل
ويا راكباً بلغ سلامي أحبتي ... خلاصة إخواني هداة القبائل
وقل رافعاً بالصوت وقل لهم ... عموماً وتخصيصاً بكل المحافل
عليكم بتقوى الله ربي فإنَّها ... وصية مولانا لنا والأوائل
فيا معشر الإخوان راعوا نصيحتي ... ولا تنظروا قول العذول وغافل
ويا سليمان المشعلي نلت مفخراً ... وعلماً على حسب الورى والأماثل
فكن فيه منهوماً مفيداً مباحثاً ... يزيد مع الإنفاق منه لباذل
ولا تسئمن البحث فيه ولا تكن ... جباناً إذا دارت فنون المسائل
فمن فعلك الأحجام طبعاً وإنَّما ... لك خبرة في قاطعات الدلائل
ومعرفة رأجح من مرجوحها ... من المذهب المشهود عند الأفاضل
خف الله وانهز فرصة متداركاً ... لما فات في باقي الليالي القلائل
ويا صاحبي قل للحميدي مطوع ... لقد فقت أقراناً لك في الفضائل
فلازم على أصل سلكت ومنهجاً ... على نهج الهداة الأفاضل
خصوصاً على التوحيد فاصدع مجاهراً ... ولا تخف في الله لومة جاهل
ولا بدَّ من عرض ينال مع الأذى ... فصبراً على قول العذول وغافل
ففي سورة العصر دليل مصرح ... نجاة عن الخسران يوم المهاول
وراع حقوق النَّاس طراً وقل لهم ... برفق ولين يستجيبوا لقائل
ففي شرعنا درء الفساد مقدم ... على جلب إصلاح لنا والفضائل
ويا عابد الله قطب أحبتي ... هو ابن رشيد عاقل كل عاقل
سل الله منهما من لطيف وحكمة ... مع الحلم مقروناً صفات الكوامل
وداوم على حسن لخلق رزقته ... هو أثقل ميزان من القسط عادل

ويا ضالع ثم العجاجي وعمه   علي حليف للعلى والفضائل
فهبوا سراعاً من سني النوم والكرى   بجد وتشمير وعزم لفاعل
تنالوا بداً عزاً وجاهاً ورفعة   وأجراً عظيماً من جزيل الفضائل
ولا تؤثر وصلاً لبيض كواعب   ولا لذة مشروبنا والمآكل
لعلَّ إله العرش يلطف بالورى   ويظهر منكم فاضلاً بعد فاضل
ويا عابداً للمحسن انهض برغبة   وإخوتك ما لكم من مماثل
فقد خصكم ربي بخير فضيلة   وفهم منير حاضر غير ذاهل
عليكم لزوم مجلس الشيخ جهدكم   دواماً عليه بالضحى والأصائل
تزادون علماً مع نزول سكينة   ورحمة تغشى لطالب العلم آمل
ملائكة تأتي تحف بمجلس   بأجنحة ما بين سبع كوامل
وذكر لكم عند الإله مليكنا   فيا حبذا ذكر الإله لفاعل
ويا صاحبي عبد العزيز بن صالح   تنبه هداك الله تباً لكاسل
تيقض فلا تترك دروساً نفيسة   مكررة يشتاقها كل عاقل
فتشمر مجداً سالكاً نحو منهج   لجد وأعمام لك في الفضائل
فقد شيدوا ديناً تناثر نظمه   وقد جددوا من ثوبه كل سامل
وقل للحميدي والحميد بن صالح   حفيدي لحبر سابق في الفضائل
فقد نلتما من واحد جلَّ ذكره   نباهة فكر في اكتساب الفضائل
وجداً وتشميراً كذاك وطاعة   فمن بيت علم أنتما في القبائل
فلا تطفئوا نوراً بشيء من الجفا   وشائب محظور قبيح الفعائل
تكونوا هداة للأنام عن العمى   وقادة صدق عند فقد الدلائل
كذا ابن عبيد في البدائع موطناً   وأمَّا جسمه يسعى لكسب المسائل
وقل للخريص والسكيتي وثالث   يبش بمن يلقاه عند التقابل
عنيت به عبد العزيز بن صالح   سلالة فوزان صافي المناهل
كذا ابن رشيد والفتى بن غضية   صديق شفيق صادق في التخالل

كذا ابن حسين مع علي بن مرشد   سكاكر لا تنساهم في الفضائل

إلى أن قال متذكر حالة الأجواد الذين عاش بين أظهرهم:

كمثل همام جاد نسل مشيقح   وأبناؤه جادوا على نهج فاعل
خصوصاً مع الطلاب جادوا بمالهم   وجاه لم يحتاجهم في النوازل
وقد عمروا بعض المساجد طاعة   صلاة وتدريساً وبذلاً لفاعل

وهي طويلة بلغت أبياتها ثلاثة وسبعين بيتاً وله قصيدة بائية في آداب العلم وما ينبغي للطالب أن يتأدب به وذكر فيها آفات العلم. وقد جاوب عليها زميله الشيخ عبد الرحمن بن عبيد بن عبد المحسن ذكرنا قصيدة الشيخ عبد الرحمن في سنة وفاته، فمن أبيات قصيدة المترجم قوله في مطلعها:

يقول الذي قد ضيع الوقت بالمنى   ويبغي ارتقاء للذرى والمراتب
ويبغي اقتناء للعلوم سفاهة   وأنَّى يقتنيها بالوعود الكواذب
كمثل الذي خال سراباً بقيعة   ويحسبه المغرور عذب المشارب
تفكر في نفس له وصنيعها   رأى إذا فيها كثير العجائب
من الجهل والتفريط أيضاً مع الجفا   ومن قلة التوفيق آت مقارب
فليس من ربي أتاني مظالم   ولكن من نفسي أتت بالمصائب
فواهاً على قلب عليل مصفح   أحاطت به الآفات من كل جانب
فآفة العلم الجدال مع المراء   وأيضاً انتصار للهوى والتغالب
وقال وقيل لا يفيد حصولها   سوى كثرة البغضا وقل التحابب
وقلة آداب وضحك مجاوز   لما قاله المختار أزكى الأطائب
وأيضاً نهى عنه حديث مصحح   ومن بعده نهى علي بن طالب
وحث على كسب العلوم وصونها   من الشوب بالضحك الكثير المعائب
فإذا تعلمتم وأيضاً كضمتموا   ففيه اعملوا حتماً على كل طالب

فإن الذي بالعلم ليس بعالم فأعماله فعل اليهود الأخايب
وأيضاً نهى عن كثرة الضحك والمرا فأسبابه مذمومة في العواقب
وهذا خلاف الهدي هدي محمد فما كان في صدق فقله وذاعب

إلى أن قال مبشراً للمتقين ومنذراً للغافلين:

فذو العلم بين أمرين إما لجنة وحور حسان ناعمات كواعب
وأمَّا إلى نار شديد سعيرها وحر اللظى أيضاً وخبث المشارب
فيا أيها المغرور تلعب دائماً وأيضاً عن العصيان لست بتائب
ترى أنك يا مغرور تعمل صالحاً ترى غب ذا عند غفور محاسب

إلى آخرها وهي حسنة ثم أنَّه انتقل في آخر حياته إلى مدينة الرياض فكان يحضر مجالس الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ويلازمه لتذكر أحوال العلماء الماضين وكان قد تولى إذاك إمامة مسجد من مساجد الرياض رحمه الله.

وممن توفي فيها أيضاً الشيخ خالد الفرج مؤلف أحسن القصص وهو تاريخ وجيز بناه من قصيدة رائية شرح كل جملة منها بشرح من الكلام النثر في حياة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن كان خالد الفرج من آل طراد من فخذ الناديل من قبيلة الدواسر ووالدته من أسرة آل ثنيان الغانم ولد في ١٣١٦ هـ ونشأ في الأدب فهو خالد بن محمد الفرج الدوسري شاعر طويل النفس، وهو الذي فسر ديوان حميدان الشويعر وديوان ابن ربيعة وديوان ابن لعبون وديوان ابن سبيل صاحب نفي كما أنَّه باشر طبعها وطبع دواوين آل قاضي والعوني وصحح هذه الدواوين وعلق عليها وقال عن نفسه: قد كنت قمت بطبع ديوان عبدالله بن محمد الفرج سنة ١٣٣٩هـ فنفذت طبعته وفي نيتي إعادة طبعه إلى أن قال: وفي أوائل هذا العام ويريد به (٧١) صدر ديوان الشيخ محمد بن بليهد أحد أدباء نجد المعروفين ثم ذكر أنَّه في عام ١٣٧٠ كان بحضرة وزير المالية عبدالله بن سليمان الحمدان فجرى ذكر لهذا

الوضع فرغب إليه المذكور أن يجمع شيئاً من ذلك ويذيله بما يحل غوامضه فقام بطبع هذه الدواوين وقد أتى في ضبط الكلمات العامية بما يدل على براعته في الأدب وما لديه من ذوق وولع في هذه البضاعة.

وتوفي في هذه السنة أيضاً الدكتور الماهر في علاج البصر محمد بن علي الشواف وقد فاق كثيراً من الذين يعالجون في المملكة السعودية، وقد أشرنا إلى مجيئه إلى بريدة عاصمة القصيم في سنة ١٣٦١هـ وكان يقوم بجد واجتهاد ولا سيما إذا كان في عيادته لما يرجوه. فرحمة الله على أموات المسلمين.

ذكر شيء من التعريف بجمال عبد الناصر وأخباره

كان هذا الرجل لا تغادر الابتسامة الرقيقة شفتيه، وكانت ولادته في ١٥ يناير ١٩١٨ ميلادي في مدينة الإسكندرية. أمَّا والده فقد كان من أسيوط من بلد اسمها بني مرّ، وكان موظفاً بمصلحة البريد. وفي ذلك الوقت لم تكن هناك مدارس روضة إنَّما كانت هناك كتاتيب ومدارس أولية، وكان يقول عن نفسه: (إنَّ آخر مدرسة أولية التحقت بها كانت في الخطاطبة ١٩٢٦م). وكان والده وكيل بوستة الخطاطبة. وعندما نقل والده إلى مصر بدأ جمال دراسته الابتدائية في مدرسة النحاسين فقضى فيها عاماً ثم أنَّه نقل إلى مدرسة العطارين، ثم عاد مرة أخرى إلى النحاسين حيث نال شهادة إتمام الدراسة الابتدائية. وبعد الابتدائية نقل إلى مدرسة حلوان الثانوية بالقسم الداخلي ومكث فيها عاماً واحداً وبعد ذلك نقل إلى مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية ونال البكالوريا من مدرسة النهضة عام ١٩٣٦م ثم التحق بكلية الحقوق بالجامعة المصرية في نفس العام وما لبث إلاَّ قليلاً حتى غادرها إلى الكلية الحربية في مارس ١٩٣٧م على إثر إعلان الكلية عن دفعة في منتصف العام.

وممّا ذكره عن نفسه في قصة حياته أنّه قدم في أول العام الدراسي طلباً إلى الكلية الحربية فلم يقبل نظراً للعدد المحدود الذي كان يقبل ثم تخرج في أول يوليو ١٩٣٨م والتحق بالكتيبة الخامسة، وعندما أعلن طلب ضباط يسافرون إلى السودان طلب نقله وألحق بالكتيبة الثالثة في ديسمبر ١٩٣٩م. وهناك قابل صديقه وزميله عبد الحكيم عامر ومن يومها صارا صديقين وكان لهذه الصداقة دور كبير في حياتهما معاً. وقد مكث جمال في السودان حتى مايو ١٩٤١م ثم انتقل مدرساً بعد ذلك بالكلية الحربية عام ١٩٤٢م، ثم بمدرسة الأسلحة الصغيرة حتى نهاية ١٩٤٢م. وفي نفس الوقت كان يدرس بكلية أركان الحرب فنجح في الدفعة التاسعة والتحق بالكلية وهناك التقى أيضاً بعبد الحكيم عامر ثم أنّه تخرج في كلية أركان حرب يوم ١٢ مايو ١٩٤٨م والتحق بالكتيبة السادسة في فلسطين. وبقي في هذه الكتيبة حتى انتهت حرب فلسطين وبعد ذلك عادت الكتيبة إلى القاهرة وانتقل هو إلى مدرسة الشؤون الإدارية. ولقد كان قائماً بأركان حرب الكتيبة فاحتلت في وسط أرض اليهود. وفي ١١ يوليو أصيب في إحدى المواقع خلف المستعمرة ونقل إلى المستشفى وكانت إصابته عبارة عن جرح غير نافذ بأعلى الصدر من الجهة اليسرى. ولكنه ما لبث أن عاد إلى الميدان واشترك في معركة عراق المنشية بجوار الفالوجا في سبتمبر. ولمّا عاد من فلسطين انتقل مدرساً بكلية أركان حرب وظلّ في هذه الكلية حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م. وكان قد تزوج عام ١٩٣٣ ولديه خمسة أولاد هدى ومنى وخالد وعبد الحكيم كذا قال عن نفسه، وله نفس وهمة تمنيه الصعود إلى المعالي. ولما سئل ما هو مثلك الأعلى قال: العمل يجب أن نعمل حتى تتحقق أهدافنا بأية وسيلة ممكنة أو غير ممكنة، وأنّه يحب أن تكون لكل دولة سيادتها على نفسها كاملة وإن وجود أي عسكري أجنبي في دولة ينقص من سيادتها. ولمّا أن قامت مصر تغلي مراجلها لمعاملة الإنكليز لها من

معاهدة ١٩٣٦م وطالبوا بتعديلها، وقام أناس فأمسكوا عن الطعام والشراب أربعة عشر يوماً جزعاً وعزموا على أن لا يذوقوا طعاماً ولا شراباً إلى أن تلغى تلك المعاهدة حتى بدا الضعف الشديد على أجسامهم رجالاً ونساء، قام رجال الثورة بثورتهم ضد الملك فاروق، كان من بين الثائرين جمال عبد الناصر. فاختاروا رجلاً يكون مثالاً في النزاهة بعد ما خلعوا الملك فاروق وأعلنوها جمهورية، فوقع اختيارهم على الرئيس محمد نجيب وكان من هؤلاء من يريدون توطيد الجمهورية ويريدون لها جمال عبد الناصر بعد ذلك وإنَّما أقاموا أولاً محمد نجيب لما يعرفه عنه الشعب المصري في النزاهة والدين ومحبة الشعب له. ولمَّا أن أرادوا إبداله جرى في الشعب ارتباك وقام الإخوان المسلمون لا يعدلون بنجيب سواه وذلك في ٢٦ ذي القعدة من السنة المتقدمة الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٤م.

جلاء الإنجليز عن مصر

ما زال أهالي مصر منذ زمن طويل بحكوماتهم يطالبون بتعديل معاهدة ١٩٣٦م المتقدمة وهذه المعاهدة تقتضي بقاء الإنجليز في منطقة القناة واستمرار قيام الحكم الثنائي في السودان وتركزت المطالب في جلاء الإنجليز عن وادي النيل وفي وحدة مصر والسودان. وتفاوض الطرفان فلم يتوصلا إلى حل واضطرت مصر إلى رفع النزاع لمجلس الأمن وكان ذلك بعد انضمام مصر إلى هيئة الأمم المتحدة. وقد حاولوا قبل ذلك إلغاء المعاهدة واضطرت وزارة مصطفى النحاس تحت ضغط الرأي العام إلى إلغاء هذه المعاهدة في أكتوبر ١٩٥١م، وهاجم الفدائيون معسكرات الإنجليز في منطقة القناة فنسفوا منشآتهم بالقنابل والمتفجرات وعطلوا مواصلاتهم وقطعوا عنهم التموين، وترك العمال المصريون العمل بالمعسكرات البريطانية فاشتدَّ الأمر على الإنجليز وانتقموا من الفدائيين والعمال ورجال البوليس المصري انتقاماً شديداً وخربوا المزارع المحيطة

بمعسكراتهم وأزالوا بعض القرى إزالة تامة وتعقدت الأمور واضطرب الأمن. ولمَّا أن رفعت مصر في هذه السنة لمجلس الأمن لم يصل فيه إلى حل إيجابي أو يتخذ المجلس فيه قراراً مراعاة لنفوذ الإِنجليز فيه. وما زال المصريون كذلك حتى فاوض قادة الثورة بريطانيا للجلاء عن مصر في وقت عبأوا فيه قوى الشعب ضد الاستعمار فترددت المفاوضات بين قطع ووصل وسارت بجانبها حركة القناة بين الفدائيين من رجال الحرس الوطني وكتائب التحرير ومنظمات الشباب وبين الإِنجليز. فأدركت بريطانيا روح البعث الجديد وسلمت بمطالب مصر فعقدت اتفاقية الجلاء في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤م فغادر ميناء بورسعيد في هذه السنة ٥٠٠ جندي بريطاني تنفيذاً لهذه الاتفاقية وذلك في آخر صفر من هذه السنة ولكن بريطانيا جعلت تتربص بمصر الدوائر.

وفيها قام الوزير عبدالله بن سليمان بن حمدان بتقديم استقالته من وزارة المالية محتجاً بكبر سنه وطلب الراحة فقبلت الحكومة استقالته وأجرت له مرتباته لخدمته الدولة والقيام بواجبه واحتفظت بكرامته ثم أنَّه جعل مكانه وزيراً في المالية والاقتصاد محمد سرور الصبان ونودي به وزير المالية والاقتصاد الوطني.

جولة وكيل وزير المعارف
الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن حسن آل الشيخ

في هذه السنة بعثت الحكومة وكيل وزارة المعارف ليتجول ويتفقد شؤون المدارس في المملكة فقام بجولة تفقدية في نجد والحجاز وغيرهما.

وفيها هطلت أمطار غزيرة على سائر بلدان نجد وذلك في الموسمي واستمرَّ نزول الأمطار قريباً من شهرين. وجرى وادي الرمة جرياً عظيماً لم يعهد مثله في هذه الأزمان الأخيرة بحيث دمر ما مرَّ عليه من العمران

واستمرَّ يجري عشرين يوماً حتى بلغ في الغاية إن كان مثل البحر. ولمَّا كان في ليلة ٦/ ٥ هطلت أمطار غزيرة على مدينة الرياض وضواحيها من الساعة الرابعة ليلاً بالتوقيت الغروبي حتى الصباح وسال وادي حنيفة فالأودية الأخرى، كما وردت أنباء أخرى عن هطول أمطار غزيرة على القرى القريبة ونزل على الحوطة في ٨/ ٥ سيل عظيم ديمة استمرت سبع ساعات من النهار وجرى شعب الحوطة كما أنَّه نزل في يوم الأحد المذكور ٨/ ٥ مطر على شعيب ملهم إلى علاوى بوصبا فجرت على أثر ذلك الأودية كلها كذلك هطلت أمطار على جنوب المجمعة مشت لها الأودية واستمرَّ نزول الأمطار يميناً وشمالاً حتى جرى شعيب الكلب وعمت الأمطار والسيول جميع نخيل صرمة وهطلت أمطار غزيرة على أشيقر وشقراء والقرعة وجرى السيل المنهمر من شمال قليب القران في شقراء.

وجاء من ظهران اليمن أخبار تفيد بأنَّه في الثامن من جمادى الأولى هطلت على ظهران اليمن وضواحيه أمطار غزيرة سالت منها الأودية والشعاب والمزارع وأنَّ السحاب واسع وما زال متراكماً على الجهات هناك وكذلك على أبها ونجران هطلت في ١١ منه أمطار عليها وعلى ضواحيها وقد استمرَّ على أبها من ٨/ ٥ إلى اليوم المذكور وقد وصلت سيارة من تثليت إلى نجران يعبر ركابها عن كثرة السيول والأمطار وأن السيل تثليت إلى مركز الحصينية الذي يبعد عن نجران ستين كيلو.

سياحة الملك

في هذه السنة قام الملك سعود بجولة كالعام الماضي لزيارة جميع المدن والقرى والقبائل المحيطة بالدوادمي والموصلة إليه كالقويعية والشعراء وخف ومرات وذلك في جمادى الأولى بوقت كانت الأمطار تهطل والأودية تجري وقد أقيمت له المسرات والاحتفالات لجلالته، وكان يكافىء على تلك

الكرامات ويعطى الجوائز ويمنح الفقراء والمساكين أنواع الملبوسات والنقود ولقد تيمنت الأمة بطلعته واستبشرت بهطول الأمطار واستمرَّ نزول الأمطار واشتدَّ وقعها على القصيم حتى بلغت الحال في أواخر رجب إلى أن تهدمت البيوت وجعلت رؤوس الحيطان تنهار لذلك وبعثت الحكومة هيئة تفقدية لتعويض المنكوبين من جراء السيول.

وفيها فتح في مدينة بريدة أربع مدارس زيادة على الثلاث الأولى وهي الفيصلية والمنصورية والعزيزية فكان فيها سبع مدارس ابتدائية كما أنَّه أسس في مدينة بريدة مدرستان ليليتان لمحو الأمية. وفي آخر هذه السنة فتح معهد المعلمين في بريدة ونقل لإِدارته عبدالله بن إبراهيم بن سليم من المدرسة التذكارية في الرياض.

أمَّا عن معتمد المعارف في القصيم فهو صالح بن سليمان العمري سبط الشيخ عمر بن محمد بن سليم. ولي هذه الوظيفة منذ عام ١٣٦٩هـ، ثم أنَّها جعلت المعتمدية إدارة فسميت إدارة التعليم ونقل العمري إلى الرياض وجعل مكانه عبد العزيز بن محمد بن عبدالله التويجري، وكان شاباً من متخرجي كلية الشريعة في مكة المكرمة فباشر عمله في القصيم في هذه السنة. أمَّا عن الأول فجعل في إدارة الرعاية الاجتماعية هناك.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها سطا وحش على أطراف العلا شمالي المملكة في إحدى الليالي فاختطفت مولوداً وقام الإِسعاف لإِدراك المولود في الحال ففرَّ الوحش وألقى بالمولود ولما كان بعد ليلتين اختطف الوحش نفسه ابنة صغيرة لأحد أهل البادية الفلاحين القاطنين بأطراف العلا وفوراً استنجد والد الإِبنة بالقائد (المري) ليقص الأثر في الصحراء ويتحقق عن الحادث فاتضح له أنَّها ذئبة ولها جملة أولاد وقد وصفها المري تماماً لوالد الإِبنة الأعرابي وكانت الذئبة

في باديء الأمر تأكل الأغنام أمَّا الإبنة فقد افترستها على بعد بضع كيلومترات من مكان اختطافها وأكلتها بعد ما مزقت ثيابها ولم تبق منها إلاَّ عظماً صغيراً عثر عليه القائد أمَّا أهل البنت فقد عمهم الحزن والأسى وشاركهم أهل البادية والعلا وقد قعد والد البنت لهذه الذئبة كل مرصد وبعد أسبوع تمكن من قتلها بواسطة فخ نصب لها في طريقها فاستراح النَّاس من هذه الآفة المفترسة ولكنهم خائفون من أولادها لأنَّهم لا بدَّ أن يحتذوا حذو أمهم لا سيما وقد عرفوا الطريق. هذا وقد توجد حول العلا ذئاب وداخلها كلاب تدور طول الليالي في الشوارع وتؤذي المارة.

وفيها انتحر مفوض شرطة رأس تنورة وهو فوزي العسيري البالغ رتبة رئيس بأن سدد رصاصة من مسدسه إلى قلبه فخر صريعاً في الحال، وكان يقال عنه أنَّه كان مولعاً بمشاهدة الأفلام الأمريكية التي تشجع على الانتحار في الأزمات النفسية الحرجة ويبلغ من العمر ٤٠ سنة ولديه زوجتان وأطفال ثلاثة. فالله المستعان. وهذا من الابتلاء نسأل الله العافية وإلاَّ فيحرم على الإنسان قتل نفسه لأنَّ الله تعالى حرم ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾. والحكمة في ذلك أن نفسه ملك لله ليست ملكاً له، ومن ابتلاه الله بشيء من المضايقات فيجب عليه أن لا يفعل ذلك والصبر واجب وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد. وفي الحديث الصحيح عن جندب بن عبدالله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحزَّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات». قال الله عزَّ وجلَّ: عبدي بادرني بنفسه فحرمت عليه الجنة ولا يصلي الإمام الأعظم على قاتل نفسه كما لا يصلى على الغالي من الغنيمة.

وفيها جعل في جامع بريدة ميكروفون مكبر الصوت وكان ذلك في ٨/٢٠ كما أنَّه أضيء بالكهرباء قبل ذلك في آخر رجب وهذا بجعل ماطور خاص.

وفيها تبرع الملك سعود لكل من حفظ القرآن عن ظهر قلب بألفي ريال ممن أتى ببينة من قبل القاضي صرفت له. وهذا للتشجيع والعناية بالقرآن الحكيم.

وفيها جرت محاولة في الهند لاغتيال زعيم الهند جواهر لال نهرو غير أنَّه سلم وقد كان لذلك أثر سيىء واستنكار في قلوب جميع المواطنين في دلهي وغيرها الذين يقدرون في ذلك الإنسان روحه السلمية وأفكاره التقدمية.

وفيها سافر سمو الأمير سعود بن عبدالله بن جلوي أمير المقاطعة الشرقية برحلة قصيرة إلى قطر وقد عاد بالسلامة وقد رفع الأستاذ سعود الدغيثر إلى منصب وكيل وزارة المالية في المنطقة الشرقية.

أمَّا ما كان عن مشكلة البريمي فلا يزال الخلاف مستمراً فيها ولم تتوفق لحل فيها غير أنَّ الحكومة السعودية والحكومة البريطانية اقترحتا على إحالة النزاع حول الحدود بين المملكة العربية السعودية ومشيخة أبو ظبي وعلى السياد في منطقة البريمي إلى التحكيم فاختير من الجانب البريطاني السير ديدربولارد ومن الجانب السعودي الأستاذ يوسف ياسين كعضوين في هيئة التحكيم وانتهت المباحثات بين المندوبين المذكورين إلى اختيار الدكتور شارلز ديقرش البلجيكي رئيساً محايداً للهيئة كما اختير الدكتور محمود حسن الباكستاني وغيرهم. غير أنَّ الأمور لا تزال في تعقيد وسنعود عن قريب.

وفيها قام الملك سعود بزيارة لإِيران فسار في آخر ذي الحجة يوم ١٩ الجاري من مطار جدة بعدما ودع هناك من الأهالي والأجانب، وقد ازدحم المطار بجماهير غفيرة وأدت ثلة من الجيش والشرطة التحية حيث عزفت الموسيقى السلام الملكي ثم تتابع بين يدي جلالته كبار المودعين وفي مقدمتهم الأمير محمد البدر ولي عهد اليمن ورئيس مجلس الوزراء ورجال

الدولة والأعيان والوجهاء وكان في معيته وزير إيران فمرَّ في طريقه بالظهران بحيث درجت الطائرة الملكية في الساعة الثالثة والربع صباحاً وبعدما تناول طعام الغداء والعشاء لدى أمير المقاطعة الشرقية سعود بن جلوي، وفي الساعة الحادية عشر من صباح ٢٠/ ١٢ تحركت الطائرة الملكية الخاصة من مطار الظهران بعد وداع حافل اشتركت فيه جميع الهيئات الرسمية والأهلية والأجنبية إلى طهران (بالطاء المهملة) وعند الحدود الإيرانية استقبل بشرف من الطائرات الإيرانية وكانت من سلاح الطيران ترافق الطائرات الملكية عبر الأراضي الإيرانية حتى هبطت الطائرة الملكية في مطار مهرآباد بطهران فكان المطار غاصاً بجموع المستقبلين وعلى رأسهم ملك إيران الشاه وصاحب السمو الأمير عبد الرضا شقيقه ورئيس مجلس الوزراء وسائر الوجهاء والأعيان وبعدما تمت الزيارة رجع إلى مملكته مغتبطاً بالسرور.

حلف نوري السعيد

كانت معاهدة سنة ١٩٤٨ م لم تحقق الآمال لذلك رفض الوصي عبد الإله ومجلس الوزراء التصديق عليها وظلت معاهدة ١٩٣٠م قائمة حتى ألغيت في هذه السنة عندما عقد حلف بغداد بين العراق وكل من تركيا وبريطانيا وباكستان. وقد قام نوري السعيد في بغداد بحلف يضرب بمصالح العرب فقامت العرب ضده وأجلبوا على نوري مندريس وصاحوا به من أقطار الأرض. ولقد جرَّ عليه هذا الحلف شراً كبيراً وإن حلفه هذا ليؤيد إسرائيل ويعترف لها وذلك لأنَّه أوحى به إليه الاستعمار الغربي وكان من نتيجته أن اعتدت اليهود على غزة اعتداءً أثيماً.

ثم دخلت سنة ١٣٧٥ هـ استهلت هذه السنة والمهندسون يدأبون في سحب مواصير المياه العذبة في مدينة بريدة لإدخال دورات المياه في بيوتها وذلك بأنَّه أمر الملك سعود بحفر بئر ارتوازية تكون في الغاف الموضع

الكائن في الغرب عن المدينة. ولمَّا أن تمَّ سحب الماء من البئر المذكورة في السنة المتقدمة قام مدير فرع الزراعة بالقصيم عبد المحسن بن محمد بن سيف مع المهندس أبى العز فهمي المنتدب من قبل وزارة الزراعة بمد الأنابيب من العين العزيزية التي كان جلالة الملك قد أمر بمدها لتزويد بريدة بالماء العذب. وكان قد وصلت المياه العذبة إلى أمدية في مواضع الوضوء في جوار المساجد وإلى الشوارع الكبار، والآن يقوم الأهالي بإدخالها في البيوت على العموم وإنشاء دورات مائية لتباري مدينة بريدة كبار المدن الأخرى. وقد تمَّ قبل ذلك مد أنابيب مماثلة من عين العجيبة إلى الحارات الغربية والجنوبية من مدينة بريدة ولقد توصلت الأحوال ببعض الأهالي إلى أن كان يجعل الماسورة في الوجار بين الدلال والأباريق فيفر البازات ويصب الماء في تلك الأواني. ولقد تحدث أهل الخبرة والتنقيب عن هذه المياه لما كثر التساؤل عنها هل هي مستديمة أعواماً طويلة أم عمرها قصير تنتهي بعد سنوات قليلة فكانت بعد الفحص عنها أنَّها مياه مستديمة بكميات وافرة وذلك لتوالي الحفر منذ سنين فلم يؤثر بعضها على البعض شيئاً وبذلك أصبحت مدينة بريدة التي تعلو عن سطح البحر بمقدار خمسمائة وستين متراً تكون مخزناً لمياه غزيرة وقد أيقن المهندسون الفرنسيون إنَّ بجوف الجزيرة مياهاً مخزونة غزيرة وتكوين الأرض الجيولوجي يدل على أنَّ منبعها غزير إذ باختراق الأرض للوصول إلى الماء النابع يتخلل المنطقة خمس طبقات صخرية سمك كل منها يتراوح ما بين نصف متر ومتر ونصف وأن بين كل طبقة وأخرى حوالي عشرة أمتار أو خمسة عشر متراً مواد رملية وطينية ومعظم المهندسين الأمريكان يرجحون أنَّها آتية من الجهة الشمالية مثل جبال الأورال أو جبال دجلة والفرات أو أنهار الأردن وطبرية كما قرر الخبراء أنَّه يستغل من هذا الماء توليد الكهرباء وأن تلك الطاقة الكهربائية يمكن استغلالها في إمارة القصيم كله وإنشاء بعض الصناعات التي تحتاج

إلى الكهرباء ولكن وياللأسف إنّها ثروة ضائعة فلا يلفت النظر إليها ولم تعرها الحكومة اهتماماً.

ذكر ما جرى في مشكلة البريمي

إنَّ الحكومة السعودية حرصت كل الحرص على حل مشكلة البريمي وكانت قد جعلت قبل ذلك في منطقة البريمي الأمير تركي بن عبدالله بن عطيشان على رأس قوة بسيطة هناك وما زالت الحكومة الإنجليزية تطالب بسحب تركي بن عطيشان بصفته يستجلب القبائل هناك ويخطب ودهم للحكومة السعودية وأنَّه بسحب تركي بن عطيشان من منطقة البريمي إلى أرض سعودية غير متنازع عليها يحصل التفاهم والوصول إلى المقصود والحصول على النتيجة إذ وجود تركي بن عطيشان هناك يحول بزعمهم بين الحل لهذا النزاع فإجابة للطلب ونزولاً تحت الرغبة رأت الحكومة السعودية أن تسحب الأمير تركي وجماعته وأرسلت بدلاً عنهم الأمير عبدالله بن نامي فاتفق مع قائد الفرقة البوليسية الإنجليزية على أن يكون مقر إقامتها قريباً من سفح جبل حفيت على بعد خمسة كيلومترات من أقرب قرية وكان يصحب الأمير عبدالله بن نامي أربعة عشر رجلاً من قومه. وكانت بريطانيا تود أن توالي أعمالها العدوانية داخلها غير أنَّ اتفاقية التحكيم تحول بينها وبين ما تريد وكان تشن غاراتها العدوانية بين فترة وأخرى حول حدود الواحة فكم دمرت من القرى وكم أزهقت من الأرواح وكم أيتمت أطفالاً وأرملت نساء. ولمّا أن جلست الهيئة المتقدم ذكرها في بتس ٢٢ يناير ١٩٥٥م ثم استؤنفت في جنيف بتاريخ سبتمبر ١٩٥٥م ورأت المحكمة أن تصد قرارها في صالح الحكومة السعودية أوعزت بريطانيا إلى مندوبها ديدر بولارد بالانسحاب خوفاً من صدور الحكم ضدها فشلت حركة المحكمة وبينما الحكومة السعودية تنتظر حلاً لهذا النزاع إذا ببريطانيا تقوم بهجوم على القوة البوليسية السعودية في البريمي وهذه تعتبر أكبر زلة وخطيئة من بريطانيا

الجائرة الخائنة المعتدية والعياذ بالله.

اعتداء أثيم

لمَّا كانت الساعة الحادية عشرة من يوم الأربعاء الموافق ٩ ربيع الأول ١٣٧٥هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٩٥٥م وذلك قبل صلاة الصبح بساعة تقريباً استيقظ بعض من بالمركز على سماع جلبة عظيمة تخترق سكون ذلك الليل الرهيب وإذا بخمس وأربعين سيارة قد أحاطت بالمركز على هيئة دائرة وبضع طائرات تحلق على بعد منخفض فوق المركز فاعتقلوا خمسة خارج مضاجعهم بعد أن أشبعوهم ضرباً بأعقاب البنادق حتى كادوا أن يفقدوا الوعي فاشتبك الأمير عبدالله بن نامي مع قائد القوة الميجر سميت فأصيب الأمير عبدالله برصاصة في فخذه اليسرى أمَّا البقية فقد ألقي القبض عليهم وهم نيام وأقلتهم طائرة إلى مطار الشارقة ثم نقلوا إلى ميناء دبي بالسيارات فوضعوا في سفينة حربية وضعوا فوق سطحها المكشوف الحديدي تحت وطأة الحر الشديد والشمس المحرقة داخل دائرة من الرشاشات لا يبلغ قطرها مترين وخلف كل رشاش جلس صاحبه من الإنجليز ينظر إليهم شرراً كأنَّ أولئك الضعفاء يحاولون الاستيلاء على لندن وبقوا طوال ذلك اليوم في الميناء في حالة محزنة وفي المساء أبحرت السفينة حيث قطعت الطريق إلى البحرين في ست وعشرين ساعة ومن البحرين نقلوا بطائرة أرسلتها الحكومة السعودية فوصلوا إلى مطار الظهران يوم الجمعة ١١/ ٣/ ١٣٧٥هـ ولمَّا أن جرى ذلك الأمر الشنيع ثار الشعب السعودي ليسعى كتلة واحدة لتخليص ذلك الجزء من المملكة وقدم أهالي المدن والقرى والهجر أنفسهم لغزو بريطانيا في عقر دارهم ورفعوا ألوف البرقيات لصاحب الجلالة سعود بن عبد العزيز أنَّهم تحت أدنى إشارته. ولقد تدفقت البرقيات من الرياض وبريدة وحائل وعنيزة وسائر مقاطعة القصيم وغيرها وتقدم من بني عطية أربعون ألفاً من تلامذة القرعاوي في اليمن عشرة آلاف مدربون من بين ستين

ألفاً وتقدم أهالي الحوطة ورجال بني تميم وأهل رفحا وقبائل مطير وأهل تبوك وأهالي الأسياح وكل مدينة وقرية ولا نطيل فكلها قدمت رجالها حتى بلغ عدد الذين ضحوا بحياتهم إن دعوا تسعمائة ألف. ونحن نسوق برقيتين من البرقيات كنموذج لبقيتها: (جلالة الملك سعود المعظم نقل إلى أسماعنا الاعتداء البريطاني الغاشم على واحة البريمي السعودية وحيث يا مولاي أنَّ ذلك أثر في نفوسنا أبلغ الأثر فإنَّا نتقدم لجلالتكم بأنفسنا وجماعتنا ونرجو صدور أمركم الكريم بالجهاد في سبيل الله ولا لذة لحياتنا والإِنكليز في أوطان العرب أيدكم الله ونصركم).

وقالت القبيلة الأخرى في برقيتها: (نقدم أنفسنا للجهاد في سبيل الله تحت لواء جلالتكم للدفاع عن وطننا المقدس نسترحم يا مولاي قبولنا حيث أننا منتظرون الإِشارة من جلالتكم للتقدم إلى جهة القتال أدامكم الله).

جواب الملك للشعب

إنَّ الملك لم يسمح بالجهاد بل أجاب الشعب بعدما جعل يعدد المراحل في الإِصلاح والعمل الدائم الذي تسير فيه المشاريع ثم أنَّه أبَّان عن عدوان الإِنكليز الغادر في احتلال منطقة البريمي بشكل مفاجيء وبدون سابق إنذار ثم قال: ولا نعلم لذلك سبباً فقد كنا أوفياء بعهودنا حينما عقدنا اتفاقية التحكيم معهم ولكنهم نقضوا لاتفاقية التحكيم بأنفسهم في مناسبات عدة من ضغط واستعمال القوة وإرهاب الأهلين بشتى وسائل الإِرهاب لكن أعيتهم الحيل للوصول لأغراضهم وأهدافهم ولم نعلم سبباً موجباً لأن ينقض الإِنكليز عهودهم ومواثيقهم، ولم أجد تعليلاً لهذا إلاَّ أنَّهم ضاقوا ذرعاً بنا فلم يتمكنوا أن يجعلونا متكأً لهم في أغراضهم الاستعمارية وأغراضهم الحربية التي لا تتفق مع مصالح بلادنا ولا مصالح المسلمين والعرب، فقد دعونا للدخول في أحلافهم ودعونا أن نسير في ركابهم فأبينا إلاَّ أن نكون

في ركاب المصالح العربية والإسلامية غير عابئين إلاَّ بما يمليه علينا صالح ديننا وبلادنا وعروبتنا فبيتوا هذا العدوان لنا انتقاماً منّا ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ هذا ولا يفوتنا أن نشير هنا بصورة وجيزة لما قمنا به مع الإنكليز في وقت نشوب الحرب العالمية إذ فتحنا لهم بلادنا لمساعدتهم وقمنا بتأييدهم بكل ما كان في إمكاننا وقد عرضنا بلادنا للانتقام إذ كنا لا نملك أي مدفع مضاد للطائرات أو طائرة مقاتلة تدفع عنّا صولة من يعتدي علينا كل ذلك كان مروءة منّا ووفاء للصداقة التقليدية التي تربطنا بهم وكان جزاؤنا من هذه الصداقة وهذا الوفاء انتهاك حرمة بلادنا والاعتداء على كياننا في الوقت الذي يدعون فيه محبتهم للسلام وتأييد ميثاق هيئة الأمم ومجلس الأمن. وإننا لنهيب بالشعب البريطاني بأن يعي ما قلناه ويتساءل عن الحقيقة وما تنسبه حكومته إلينا من اتهام باطل وما قامت به ضدنا من أعمال ثم يوازن بين الاثنين كما أننا نزلنا على رغبتها بقبول التحكيم بعدما كنا نصر على الاستفتاء كل ذلك رغبة منّا للوصول إلى حل شريف ودي معها ولا زلنا نبغي التحكيم إذا أعيدت الأمور إلى ما كانت عليه بالبريمي قبل الحادث الغادر. شعبي العزيز لقد أبهج قلبي ما لقيت من حماس وغيرة واستعداد للتضحية أمام هذا الاعتداء الغاشم وإننا لعاملون بحول الله وقوته لإرجاع حقوقنا كاملة غير منقوصة مستنفذين الوسائل السلمية للوصول لأهدافنا وسنعمل في كل مجال لرد العدوان عن بلادنا بكل ما نستطيع من جهد وقوة هذا وإن تلك الاعتداءات التي ما زال اليهود يقومون بها على البلاد العربية المتاخمة لفلسطين قد أثارت اهتمامنا وشدت عزيمتنا على المضي في الاستعداد لكل عون يتطلبه الموقف إذا حزب الأمر وأرجو الله أن يمن علينا وعليكم بهديه وتوفيقه وأن يجمع كلمتنا مع إخواننا العرب والمسلمين لما فيه عزنا جميعاً ولما فيه دفع العدوان عنّا جميعاً والسلام عليكم ورحمة الله.

وفيها أنشأت الحكومة السعودية فئة الريال الواحد ورقاً وقد صنع على

ألواح فولاذية محفورة باليد وذلك بمناسبة حلول موسم الحج رأت الحكومة ذلك تيسيراً للحجاج.

وفيها قام وزير الدفاع مشعل بن عبد العزيز فوجه دعوة إلى وجهاء الأمة في جميع أنحاء المملكة من مكة والمدينة وجدة والطائف وجازان وبريدة وعنيزة والرس وحايل والجوف والإحساء والدمام والخبر والظهران والقطيف وشقراء والمجمعة ونجران وأبها وغيرها من المدن لافتتاح الكلية الحربية في مدينة الرياض ودعيت وفود من البلاد العربية من علية القوم وأشرافهم. وفي عصر يوم الخميس الموافق ٧/ ٥/ ١٣٧٥هـ جرى الاحتفال بافتتاح هذه الكلية برئاسة صاحب الجلالة الملك سعود القائد الأعلى للقوات المسلحة وقد بلغ عدد المدعوين من وجهاء الأمة العربية وأعيان البلاد من الأمراء والوزراء والعلماء والقواد والضباط ورؤساء القبائل ما يزيد عن ألفي مدعو وأربى الحاضرون الآخرون على عشرات الآلاف وقد لبست مباني الكلية حلة جميلة وأحيط ما حولها بمعالم الزينة وقام رجال الكلية ورؤساء الجيش وضباطه بتنظيم الاحتفال وعلى رأسهم سمو وزير الدفاع. وفي الساعة العاشرة وصل حضرة صاحب الجلالة إلى مبنى الكلية وبعد الاستقبال تقدم وقص الشريط مؤذناً بافتتاح الكلية ثم تقدم جلالته إلى ساحتها حيث أدى لجلالته طلبة الكلية السلام الملكي ثم تقدم وأزاح الستار عن اللوحة التذكارية التي سجل فوقها تاريخ إنشاء هذه الكلية ثم رفع جلالته العلم فوق الكلية وبعد الخطب تفضل فسلم علم الكلية لسمو وزير الدفاع والطيران وفي خلال ذلك كانت الهتافات تشق عنان السماء والتصفيق يدوي في جميع أرجاء ذلك المكان الفسيح. وبعد أن استعرض جلالته طلبة الكلية زار أقسام الكلية الآتية:

١ - نادي الطلبة ومكتبهم.

٢ ـ مضجعاً من مضاجع نومهم.

٣ ـ البهو التذكاري حيث أزاح الستار عن صورة البطل خالد الذكر (عبد العزيز رحمه الله).

٤ ـ غرفة نضد الرمل للهجوم الليلي.

٥ ـ غرفة الإِشارة.

٦ ـ القسم الإِعدادي في درس اللغة العبرية.

٧ ـ غرفة هندسة الميدان.

٨ ـ معمل الكيمياء.

وبعد صلاة المغرب تناول الحضور طعام العشاء في داخل الكلية وعلى رأسه الملك. ثم تقدم جلالته إلى بهو النشاط الاجتماعي حيث ألقى مدير الكلية القائد زين العابدين قصيدة ثم شاهد الحضور تمثيل (مسرحية الانتقام). وبعدما انتهى الحفل انطلقت الصواريخ النارية في سماء الكلية عند مغادرة الملك مبناها في طريقه إلى قصره ومن أبيات القصيدة التي ألقاها القائد مدير الكلية:

نحن ماضون للعروبة نحميها ... ونفني كتائب الاحتلال
نحن ماضون للبريمي بعزم ... ينزع الصخر من قلوب الجبال
ما البريمي رخيصة حين تدهى ... إنَّما لمسها عزيز المنال
ما البريمي غنيمة لدخيل ... أو مقاماً لغادر محتال
إنَّما أرضها مرابض أسد ... ليست الغاب مسرحاً للسعالي
إنَّما أرضها العزيزة قدس ... دون تدنيسها مرير القتال
ليس سهلاً تسليمها لعدو ... هل يجود الإِنسان بالأوصال
إنَّما أمة أبوها معد ... كبرت أن تدين بالأذلال

أمَّا ما كان من البريمي فإنَّ الإِنكليز قد استولوا عليه ورفعوا العلم الإِنجليزي على بيوت المشائخ ومراكز إدارتهم عدداً من الأيام. وقد قام غالب الأهالي هناك يفرون من تلك المنطقة وقد حاول الإِنكليز أن يسكنوهم بتوزيع خمسين روبية على كل شخص يبقى في تلك المنطقة ولمَّا أن رأوا كثرة المهاجرين منه لاجئين إلى الديار العربية فرضت الإِنكليز على كل من يخرج عشرة روبيات وآخر من وصل في تلك الأيام إلى المملكة العربية السعودية من هؤلاء المنكوبين الشيخ عبد العزيز بن سلطان أحد مشائخ أبو شامي ومعه ست وأربعون عائلة وكانوا يبالغون في أذى الإِنكليز لهم حتى أنَّهم اضطروهم إلى أن يكنسوا البيوت التي استولوا عليها وينظفوها لاتخاذها لهم مساكن ثم طرأ للإِنجليز أن أنزلوا أعلامهم ووضعوا بدل الأعلام الإِنجليزية أعلام سلطان مسقط وشيخ أبو ظبي وتارة يجلبون قوة كبرى وأخرى يسحبونها كفعل المرتبك.

ذكر استنكار العالم لسياسة بريطانيا

لمَّا أن استولت بريطانيا على منطقة البريمي بالقوة وفعلوا تلك الأفعال التي لا تكاد تصدر من ذي شيمة إنسانية وقام أهالي تلك المنطقة بما في ذلك منطقة عمان مصممين على الدفاع عن بلادهم بكل ما لديهم من قُوة وجعلوا يصلون الإِنكليز نيراناً حامية وحملوهم خسارة فادحة.

ولقد قام أهالي الرستاك وضنك فاشتبكوا مع الإِنكليز في قتال عنيف تمكنوا على أثره من رد البريطانيين على أعقابهم منهزمين وقتلوا مائة شخص من الإِنكليز كل هذا من أسباب العسف والسياسة العمياء التي قامت بها بريطانيا. وما زال الأهالي يدافعون الظلم عن أنفسهم وأوطانهم حتى قامت الطائرات البريطانية مستمرة في نقل الجرحى إلى الشارقة طيلة ذلك اليوم غير أنَّ بريطانيا فاجأت أهل ضنك بقوة كبيرة لا قبل لأهلها فاحتلوها ونكلوا

بأهلها وهكذا فعل الظالم المستبد وقد صمم شيخها سيف بن عامر على الدفاع عن بلاده بكل ما يملك من قوة فقامت الصحف الهندية وبورما وسيلان تستنكر هذا الاعتداء على السعوديين وجعلت حكومة الهند تدرس قضية البريمي كما أنَّ جميع الصحافة الباكستانية على اختلاف أحزابها وميولها تهاجم السياسة البريطانية الاستعمارية الجديدة في جزيرة العرب على أثر احتلال القوات الإِنكليزية لواحة البريمي وقد أحدثت هذه الحوادث هزة عنيفة في جميع الأوساط الشعبية في هذه البلاد وبعثت جمعيات كثيرة برقيات التأييد لجلالة الملك سعود مستنكرة هذه الحملة الاستعمارية الجديدة في جزيرة العرب وبذلك ساءت العلاقات بين الحكومة السعودية وبين الإِنجليز.

تحمس أهالي المنطقة الشرقية

ففيها قام الملك سعود برحلة تفقدية للمنطقة الشرقية وذلك في ٦/ ٤ من هذه السنة وقد استقلَّ القطار في هذه المرة ولمَّا أن وصل إلى الخرج توقف القطار لدى بلدة الخرج حيث احتشدت جموع الأهالي لتحيته وقد احتفلت الأمة باستقباله في الخرج والإِحساء وبقيق والدمام. ولمَّا أن استقر في الدمام إذا قد احتشدت الجموع عن بكرة أبيها قد رفعوا أقواس النصر وألقوا الخطب وتحمسوا فلم يبق إلاَّ مقابلة الشر بالشر فأخذ صاحب الجلالة بالحكمة وضبط النفس وأن لا يعاملوا الإِنجليز بمثل معاملتهم، كما قيل:

إذا جاريت في خلق دنيئاً ... فأنت ومن تجاريه سواء

رأيت الحر يجتنب المخازي ... ويحميه من الغدر الوفاء

فقام وألقى خطاباً جاء فيه: (أما عن اعتداء البريطانيين على هذا الجزء من بلادي العزيزة وبلادكم أنتم قبل كل شيء فإنني سأبذل كل ما في وسعي وكل جهودي السياسية السلمية متفادياً كل وطأة بل كل قطرة من دم أي فرد

من أفراد شعبي فإن تحققت الأمنية وجلا البريطانيون من بلادي فهو الأمل بالصديق مع صديقه وإن ظلوا على ما هم عليه فإني أول جندي سيذهب إلى هذه المنطقة ولا أبخل بنفسي دون نفوسكم فأنتم مني وأنا منكم وآمالي آمالكم وآلامي آلامكم. . . الخ. ولقد تحمست تلك المنطقة حتى قدم أهل الخبر دبابة عند باب قصر الإمارة وكانت ضخمة مرفوعة المدفع مضاءة بأنوار النيون وقد كتب عليها إلى البريمي من الخبر وعلى جوانبها العلم السعودي الخفاق فتفقد جلالته هذه الدبابة العظيمة بين هتاف قوي من الأهالي وأبدى سروره بهذه الهدية الرائعة التي تدل على ما وراءها من روح أبية.

ذكر المدارس والمعاهد ومراحل التعليم

لقد بلغ عدد المدارس التي تمَّ بناء دور صالحة لها أو شرع في بنائها هذه السنة في المنطقة الشرقية من البلاد السعودية أوفر نصيب فكان عددها ٥٧ مدرسة بينما عدد المدارس في هذه الجهة لا يتجاوز أربعين مدرسة وشيدت هذه المدارس على طراز مدرسي جميل تملكها الدولة وأن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل يتجاوزه إلى أعداد دور من هذا القبيل ولقد حظيت هذه الناحية من بلادنا بأمور كثيرة لم تحظ بها بقية النواحي منها ما هيأ الله فيها من منابع الثروة التي كان لها أكبر الأثر في نشاط الحركة العمرانية نشاطاً امتازت به على ما سواها من أجزاء المملكة الأخرى فكان حظ التعليم من هذا النشاط مناسباً لما يبذل في الإِصلاح العمراني الأخرى ومنها أنَّ الله هيأ لهذه المنطقة من الرجال الذين يتولون إدارة شؤونها العامة من أدرك أنَّ العلم من أولى ما يجب أن يعنى به أولاً فحظي بالعون والتأييد وكانت المعارف حينما تتلقى من معتمدها في تلك الجهة المشار إليها طلباً لبناء مدرسة أو إصلاحها تطلب من وزارة المالية ذلك فتكل الأمر وزارة المالية إلى رئيس أموال الإِحساء وهو في ذلك العهد صالح إسلام ثم خليفة

عبدالله بن عدوان فكانا يبادران بالإسراع بتحقيق رغبة المعارف مبادرة مبعثها حب الخير والإصلاح العام ومن تلك المدارس اثنتان وعشرون مدرسة شرع في إنشائها في خلال هذه السنة والتي قبلها من قبل هيئة المشاريع العمرانية التي أمر حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم بتعيينها لتقوم على إنشاء المشروعات العمرانية الإصلاحية التي تحت إشراف سمو الأمير سعود بن جلوي ووفق إرشادات صاحب الجلالة وتوجيهاته وكان لسعود بن جلوي اليد الطولى في تقرير إنشاء هذه المدارس بعد صاحب الجلالة. يضاف إلى ذلك عشر مدارس قامت شركة الزيت العربية الأمريكية ببنائها في المدن التي يكثر فيها عمال الشركة.

فتح مدارس بالقصيم

ففي هذه السنة توالى فتح المدارس في مقاطعة القصيم فكان في هذه المقاطعة ما لا يقل عن خمس وسبعين مدرسة وكان في خلال ثلاث سنين أن فتح في النبهانية وصبيح والقوعي ووثال والعيون المعروفة بالجوى والأسياح وروضة الربيعي والشماسية والغماس واللسيب وخضيراء وحويلان الشحية والهلالية والقرعاء والشقة وضراس وخب الحلوة والقويع والبصر والشنانة، كما قد فتح قبل ذلك في القصيعة والمريدسية وخب روضان والعريمضي والمذنب والرس وقصر بن عقيل والبدائع ورياض الخبراء والخبراء والبكيرية وغيرها. وبما أنَّ هذه المنطقة المترامية الأطراف الواسعة الأرجاء كثيرة المدن والقرى منذ عشرين سنة لا يوجد فيها سوى مدرسة واحدة أميرية، فإنَّها تضم ثلاث مدارس ثانوية في بريدة وعنيزة والرس، وتضم عدداً من المعاهد العلمية ومعاهد إعداد المعلمين النهارية والليلية ومدارس مكافحة الأمية التي تكتظ بكبار السن مما هو أكبر دليل على انتشار الوعي الثقافي. وبما أنَّ موضع معتمدية القصيم كان ضيق الأرجاء يتولى أعماله كاتب فرد فقد نقل إلى موضع فسيح وأضيف إليه كتاب وموظفون.

أمّا حائل فإنّه يوجد فيها تسع مدارس ابتدائية ومعهد لإعداد المعلمين ومدرسة ثانوية ويوجد مؤسسات مدرسية أخرى في القرى حولها. ولا شك أنَّ منطقة تعليمية مثل تلك المنطقة لحرية بجعل معتمد خاص بها. ومن العجائب أنّه في هذه السنة لم يكن لها معتمد خاص وكان لطلاب المدارس فيها نشاط ملموس في نواحي شتى. وحرصاً من إدارة التعليم بالقصيم على تهيئة مساكن صحية لمدارس العاصمة بريدة في العام القادم بعد هذه السنة فقد تعاقدت حالياً مع بعض المواطنين على عمارة المدرسة الفيصلية والخالدية والمنصورية ومدرسة العجيبة والعزيزية. وأقامت مدينة عنيزة ناديا في ١٠/ ٤ دعت إليه خمسمائة من الأعيان، وحضره ألوف على رأسهم الأمير خالد بن عبد العزيز السليم والشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ومدراء المدارس والمعاهد. وقد ظهر ذلك الاحتفال في ثوب قشيب كما أنَّه أقيم في تلك الليلة المتقدمة احتفال في نادي الإحساء وألقيت به خطب ومقالات مشبعة بروح الحماسة والتأثر من عدوان الإنكليز على الأراضي السعودية وكثر في هذه السنة مباريات الطلاب في الألعاب الرياضية.

ومن أبدع شيء ما قامت به إدارة التعليم في القصيم في شهر جمادى الأولى من هذه السنة بحيث أقامت مباراة رياضية بين منتخب المدرسة الثانوية وفريق المدرسة المنصورية وقد دعت الجماهير للحضور وعلى رأسهم أمير منطقة القصيم سمو الأمير عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد وقد ابتدأت المباراة بعد عصر يوم الجمعة وانتهت قبيل الغروب وأسفرت عن تعادل الفريقين وقد امتلأت ساحة المباراة بالمتفرجين وقد سلم أفراد الفريقين على الأمير عبدالله بن عبد العزيز فأهدى كل واحد من المتبارين ساعة يدوية ثمينة وهذا لأول مرة تقام المباريات في مدينة بريدة.

وفيها قامت قبيلة الريث بعناد للحكومة وسبب ذلك أنَّ رجلاً من القبيلة قتل نفساً معصومة بغير حق فقامت إمارة جيزان تريد القبض على القاتل

لتحكم الشريعة فيه، فأبت القبيلة وحالت بين الأمن وبين ذاك وتمردت ثم اعتصمت في حصنها المنيع جبل القهر الأشم وكان هذا الجبل لا يطاق الوصول إلى من اعتصم به لصعوبته ولأنَّه حصن حصين فسير لهم الملك سعود القوات وجند لهم الجنود حتى ضيقت المسالك والطرق وباتوا قاب قوسين أو أدنى من الجبل المنيع ولما أن أحاطت بهم الدبابات والرشاشات بجريمتهم السيئة، وهي أنَّهم لما أبوا أن يسلموا القاتل وعصوا وتمردوا صمم جلالة الملك على أن لا يذهب دم القتيل هدراً وتظهر هذه القبيلة عصيانها فعند ذلك رأى صاحب الجلالة قبل ضربهم بالمدافع والطائرات القاذفة المدمرة أن يرسل إليهم الرسل تبصرهم بالعواقب وتدعوهم إلى الطاعة وتعرض عليهم الأمان فعند ذلك فاؤوا إلى الحق والصواب وأعلنوا الاستسلام والطاعة والامتثال وكتبوا وثيقة أعلنوا فيها استسلامهم ونزولهم عند شروط جلالته التي هي تسليم القاتل وتسليم السلاح والعتاد وتحكيم الشرع وكانت الرسل التي أنذرتهم العقوبة قاضي جيزان والشيخ عبدالله القرعاوي ومدير التعليم في جيزان وأمراء المقاطعات تركي بن ماضي وسلمان بن جبرين وكبار قبائل عسير وتهامة ورؤساء القوات المرابطة من الجيش والإِخوان المجاهدين. فعاد رئيس قبيلة الريث إلى قومه وهو مداوي بن مشاهر يحمل وثيقة التسليم وبينما يظن النَّاس أنَّ المسألة قد انتهت وأنَّ المياه عادت إلى مجاريها إذا بهم يعلنون العصيان ويتمردون ونكثوا إيمانهم من بعد عهدهم ظناً منهم أنَّ ذلك العفو من الحكومة عجز، وقاموا من جديد بإطلاق النَّار فعاودتهم الرسل فلم تفلح فعند ذلك رأت الحكومة أنَّه لا بدَّ من الحزم والشدة فأمر الملك بزحف القوات المرابطة لاحتلال الجبل وإعطاء سكانه المكابرين درساً لن ينسوه فما هي إلاَّ ساعتان من الصباح ثم رفع العلم السعودي على قمة جبل القهر يعلن لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله ولمَّا أن أوقعت بهم القوات السعودية بطشاً شديداً خضعوا

راغمين وسلموا السلاح وكانت الضربة قاسية جداً قتلت رجالهم وسلبت أموالهم وتركتهم أذلة بعد أن كانوا شامخين. وناهيك بالطائرات لما كشفت حصنهم من الجو وأمطرتهم وابلاً من النيران المحرقة ولم يفدهم جبلهم المنيع شيئاً.

وفيها تمَّ بناء المكتبة السعودية في بريدة وكانت نفقتها مبذولة من جلالة الملك سعود بتوجيه من فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد فجاءت بنايتها على الطراز الحديث من الأسمنت المسلح وتبرع لها جلالة الملك بعشرة آلاف كتاب مضافة إلى الكتب التي فيها وكانت المكتبة قد أقيمت قبل ذلك في نفس المسجد الجامع الكبير في شرقيه وتبرع لها الأجواد بكتب ولا سيما مكتبة الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي فقد ضمت إليها وكان موقع بنايتها الحديثة شرقاً عن الجامع الكبير بينها وبينه الشارع وقد أقيمت من طابقين كان أسفلهما دكاكين على جهة الشارع الشمالي والشارع الغربي وقاعة واسعة. أمَّا الطابق الثاني فيحتوي على صالتين كبيرتين حسنتين وعريش أمام الشرقية. وقد تولَّى إدارتها الشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي بمرتب ضئيل ثمَّ تولى إدارتها الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي ويجتمع فيها الطلاب ولمَّا أن نقلت إلى الموضع الجديد كان نقلها من أكبر الإصلاحات في البلدة غير أنَّها لم تنتظم في فتح وموظفين يقومون بأعمالها إلى أن ضمت إلى وزارة المعارف وقد ركب فيها مولد موتور كهربائي خاص قبل انتشار الكهرباء بالبلد وزودت بدورة المياه والحمامات الحديثة التي تكفل راحة الزائرين والمطالعين.

وفيها شرع المقاولان فهمي أبو العز وسليمان بن فوزان العثمان ببناية المعهد العلمي في شرقي مدينة بريدة وكان واسعاً وبنايته بالأسمنت المسلح. وتعتبر هذه البناية للمكتبة ابتداء بالبناية الحجرية.

وفيها فتح المدرسة الثانوية بمدينة بريدة وكان موضعها بحارة الخبيب قد عمر هذه المدرسة آل راشد الأسرة الكائنة في بريدة. وفي هذه السنة اشترت إدارة التعليم في بريدة من معرض الراشد سيارتين حافلتين أوتوبيس لرحلات طلاب المدارس إلى الصحراء والتمريضات الرياضية.

وفيها صدر أمر صاحب الجلالة الملك سعود بإسناد منصب وزارة الزراعة إلى خالد السديري خلفاً للوزير السابق عبد العزيز السديري الذي توفاه الله وهو مضطلع بأعباء هذه المنصب الخطير على خير ما كانت الآمال معقودة عليه ونسأل الله التوفيق إنَّه جواد كريم.

حفل يقام بمدينة الرس من أعمال القصيم

ففيها خرج الأهالي لاستقبال وزير الدفاع مشعل بن عبد العزيز وكان قدومه لفتح المدرسة العسكرية بالرس حيث أقيم هناك مهرجان ثقافي واحتفال وحضر لذلك وجهاء القصيم وعلى رأسهم وكيل الإمارة محمد بن صغير وخالد بن سليم وعبدالله بن سليم والأمراء ثم أنَّه تبارى الخطباء بالخطب وبعد انتهاء الحفل تكرم الوزير فأهدى إلى كل من في المدرسة ساعة أو قلما ولقد حضر وجهاء العاصمة (بريدة) لاستقبال القائد وزير الدفاع وتقديم الدعوة لزيارة بريدة وإعادة فتح المدرسة العسكرية فيها وكان أن سبق أن أغلقت لوقوعها في وسط المدينة فلقوا من سموه كل عطف وترحيب ووعدهم بعمل ما يلزم نحو إعادة فتح المدرسة العسكرية في بريدة ونحن نشير إلى مهمة وهي إنَّما تنهض البلاد بأهلها فقد كان في الرس حمد المالك الرجل المواطن وقد حضر مدير التعليم في مقاطعة القصيم ومدير الثانوية ببريدة ومدير مطار بريدة ومدير مكتب التفتيش فيها وقد أقام للوزير أمير الرس وآمر المطار فيها حفلتي شاي ثم التمس منه أهالي الرس توسيع المطار فيها وتأسيس مستشفى عسكري فوعد بذلك ثم أنَّه غادر الرس إلى

مدينة الخبراء لمشاهدة بناية المدرسة العسكرية التي يزمع فتحها قريباً وقد أقام له الوجيه صالح الميمان حفلة شاي فخمة فيها ثم غادرها إلى عنيزة حيث استقبله فيها رجال التربية والتعليم ثم زار المدرسة العسكرية وشاهد التمثيليات واستمع إلى الخطب والقصائد وشجع الجهات المسؤولة هناك.

ذكر الاحتفال لإكمال عمارة مسجد المصطفى في المدينة المنورة صلوات الله وسلامه عليه

قد أسلفنا عن قريب إشارة إلى عمارته وفي هذه السنة تمت العمارة ففي ٣/٢ من هذه السنة استقبلت المدينة المنورة في صباح الأربعاء من اليوم المذكور صاحب الجلالة حامي الحرمين الشريفين وقد خرج طلبة المدارس الحكومية والأهلية يأخذون أماكنهم من الشوارع واصطف جنود الشرطة على طول الطريق أمَّا قوات الإخوان المجاهدين فقد احتشدوا صفاً واحداً متماسكاً قوياً من أول مدخل المدينة المنورة إلى المسجد النبوي الشريف بكامل قوتهم وأسلحتهم وقد حضر وفد مجلس الشورى ووزير المالية والاقتصاد محمد سرور الصبان وحضر أيضاً لذلك كثير من الأعيان والوجهاء دعوا من البلاد الأخرى، وكان يوم الاحتفال بانتهاء العمارة ٣/٥ الموافق ليوم السبت وممن حضر من العلماء المفتي ورئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ ورئيس المحاكم الشرعية في المدينة المنورة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح وكذلك فقد دعي لهذا الاحتفال شيخ الجامع الأزهر في مصر ودعي مفتي كل دولة من دول أعضاء الجامعة العربية الدينية. ولمَّا كان هذا العمل الجليل ممَّا يبهج نفوس المسلمين ويثلج صدورهم فقد حضروا لهذه الدعوة وقاموا بالدعاء لصاحب الجلالة بالتأييد والتوفيق ولا ريب أنَّ هذه المكرمة السامية الجديدة والمفخرة الكريمة سيضيفها التاريخ إلى مكرمات الدولة السعودية العديدة ولقد كانت هذه العمارة الحسنة الجميلة من أبدع ما كان في التاريخ ولها روعة فإنَّ

عمارة الحكومة السعودية قد امتازت بالقوة وسعة الفضاء وإقامة تلك الأعمدة التي تفوق بحسن المنظر وقوة التركيب فقد أُقيمت من أس كان على الماء وارتفعت حتى أُقيم عليها السقف الجميل والسطح الحسن وجعل في أعلى كل عمود أربعة وجوه من لمبات الكهرباء وجعل مضافاً إلى ذلك في المسجد أقلام من اللمبات المثلجة حتى كان نوره في الليل أحسن منه في النهار وبالجملة فما رأيت أحسن منه عمارة في سائر المساجد ولحسنه ترتاح فيه النفوس ولا تمل الجلوس فيه وكانت تقدر قيمة تكاليفه بخمسين مليوناً من الريالات وأصبحت تلك العمارة تفخر على عمارة الدولة العثمانية بكثير ولقد جعل حوالي المسجد إلى الجهة الغربية مراحيض وحمامات كافية بعيدة عن المسجد ووسع ما حواليه من الشوارع، وفرش بالبلاط المرخم ولا سيما الجهة الغربية حتى كان المسجد وما يليه قرة للعيون ومسلياً للقلب المحزون وذلك لأنَّ الحكومة اشترت تلك البيوت وهدمتها للتوسعة.

النهضة الثقافية في نجد

لمَّا دفعنا التاريخ إلى هذا التقدم فلا بدَّ وأن نشير إلى ما قامت به الحكومة السعودية من النهوض الزراعي والنهوض الديني والنهوض العسكري والنهوض الثقافي وأن حكومة تقوم بهذه النهضة الشريفة ليبشر مستقبلها بقوة وتقدم ونشاط وتشجيع لكل فرد من أفراد الشعب ليلقى عنه رداء الكسل ويسير إلى الإمام والتقدم ومساهمة الدول الأخرى وأنَّها لبارقة أمل كريمة يلوح من ورائها صرح المجد الإسلامي التالد يعود مأوى للمسلمين على أصوات تلك اليقظة التي تدق أجراسها يد قوية هي يد جلالة الملك سعود بن عبد العزيز وإخوانه قادة الأمة الإسلامية أدام الله توفيقهم وتسديدهم وأيدهم بروح منه يؤذن بالخير والرشد والسعادة ونصر الأمة العربية إن شاء الله تعالى. فأمَّا عن النهضة الدينية فهي قوام السعادة ونور الحياة إذ لا حياة إلاَّ بها ولا تقدم ولا رقي إلاَّ بسلوك طريقها وهي الاعتصام

بالكتاب والسنة وتحكيمها والتحاكم إليها قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾. وما تقدم شعب وما نهضت أمة إلاَّ بالقيام بدين الله جلت عظمته والثبات على النواميس السماوية. إنَّ الإِسلام دين ودنيا فلا راحة للنفس ولا طمأنينة لها حتى تؤمن قوتها وإنَّ الدين لا يتنافى عن طلب المعيشة والسعي في مصالح الحياة. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا يقعدن أحدكم عن جانب طلب الرزق ويقول: اللَّهُمَّ ارزقني وقد علم أنَّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وإنَّما يرزق الله النَّاس بعضهم من بعض).
وحث الرسول ﷺ على السعي في طلب الرزق فعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رجلاً من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله فقال: أما في بيتك شيء. قال: بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء. قال: إئتني بهما فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: من يشتري مني هذين؟ قال: رجل أنا آخذهما بدرهم. قال رسول الله ﷺ: من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثاً: قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه. فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوماً فائتني به فأتاه فشدَّ فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده ثم قال: اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً ففعل، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً. فقال له رسول الله ﷺ: «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة». رواه أبو داود والنسائي والترمذي. فصلوات الله وسلامه عليك يا نبي الرحمة ويا رسول الهدى، علمتنا كيف نعيش أنَّه لا وجود للقدوم إلاَّ بصانع وحداد ولا وجود للعود إلاَّ بسقي ولا وجود للثوب إلاَّ بنسيج ولا وجود للطعام إلا بزراعة فإن لم يسع بنو آدم للإِنسان بوجودها فمن أين.

فأمَّا عن النهضة الدينية فقد قدمنا شيئاً عن إقامة هيئات للأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر ومكافأة حفاظ القرآن بالألوف من النقود وتشجيع الأئمة والمؤذنين. وها قد بذلت الحكومة جهداً في طباعة كتب السنة كمجموعة التوحيد ومجموعة الحديث وكتاب الإنصاف للمرداوي الذي فاق بكثرة صفحاته باهظة نفقاته واستجلبت كتاب كشاف القناع وطبع عدة مرات. كما قد طبع مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وشرح السنة للبغوي، وتحفة الأشراف للمزّي وجامع الأصول وشرعت في استجلاب مسند الإمام أحمد وتفسير ابن جرير الطبري وتفسير الحافظ ابن كثير والبغوي وطبع مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وأنجاله وأهل بيته، وقامت الوكلاء توزع هذه الكتب بالمئات والألوف مبذولة للعلماء والطلاب. فإنَّ جلالة الملك أسس نهضة ثقافية لتعليم النشىء ما يعود عليهم وعلى بلادهم بالمصلحة العامة بعدما خفت صوتها زمناً لا يقل عن خمسمائة سنة فعادت نجد زمننا هذا لتتمتع بالحضارة والرقي بعدما كان لا يوجد فيها سيارة ولا طيارة وأورد تذكرة للمعتبر بأيام الله أنَّه قدم سيارة إلى بريدة في سنة ١٣٤٤هـ فشخصت إليها الأبصار وعطلت الأمة أعمالها وخرجوا لرؤيتها والتفكر عليها. ومن أعجب ما رأيت أنَّ تلك السيارة التي قدمت إلى بريدة في السنة المذكورة لما علم الأهالي بأنَّها ستقوم من بريدة ظهراً مسافرة بعد لبثها خمسة عشر يوماً في كراج أعدَّ لها كانت فيه مزاراً لرؤيتها من خلف الأبواب فعطلت المدارس الأهلية وخرج الآباء والأبناء لرؤيتها لما برزت أمام قصر الحكم في بريدة فكانت ترى كنجم يلوح على البعد وأحدثت انزعاجاً بصفتهم لم يعرفوها ولم يعتادوا رؤيتها. ولقد كانت الأمة محيطة بها فكان المتخلف عن الحضور في وقت بروزها يحول بينه وبينها ما لا يقل عن مائتي متر مملوءة بالرجال والصبيان وكنت أذكر أنَّ أهالي نجد في ذلك الزمان وقبله كانوا يذهبون مسافرين إلى مصر والشام والعراق والكويت يطلبون الرزق في تلك الأعصار ويؤلفون رعايا الإِبل والغنم من نجد لبيعها

على تلك الأمصار وهم العقيلات.

وفي هذه الأزمنة الأخيرة انعكس الأمر وتغيرت الأحوال والله على كل شيء قدير. فأصبح أهل مصر والشام واليمن يسافرون من أمصارهم وديارهم إلى نجد يطلبون الرزق والمعيشة فيها تاركين أهاليهم وأولادهم يسترزقون الله في المملكة السعودية، هذا بوظيفة التعليم في المدارس والمعاهد، وآخر في البناء والتعمير، وذاك بخبز في أفران نجد، والعاطلون من أهل الشام واليمن يشحذون في المساجد والأسواق وجلبت إليها الإبل من تلك الجهات والأغنام والأدهان وشحنت الطائرات والسيارات بعلب المربيات وأنواع الفواكه من مصر والشام ولبنان والأردن وبيروت، وإنَّها لنكتة غريبة عجيبة أن يؤتى بالعوائل من مصر والعراق والشام تاركين نيلها وفراتها ودجلة إلى نجد يسكنون فيها ويؤثرونها موطناً ومقراً. ولولا أنَّ الحكومة قامت برد هذا التيار الجارف لامتلئت المدن السعودية من أولئك الأجانب، غير أنَّ الحكومة مانعت من تلك الهجرة ولا تزال ترحل من لا مصلحة فيها عائدة للشعب فسبحان القادر على كل شيء لا رب غيره ولا إله سواه وقدرة الله صالحة والدنيا دول فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وفيها قام أمين مدينة الرياض فهد بن فيصل بن فرحان بأعباء منصبه فقفز بمدينة الرياض قفزة في ميادين الإِصلاح والتنظيم فأحال أزقتها الضيقة إلى شوارع واسعة منسقة وإنشاء الميادين الفسيحة والحدائق الغناء وشاد داراً فخمة لأمانة مدينة الرياض وأنشأ منتزهاً من أجمل المنتزهات في منطقة سباق الخيل وجمع أهل البادية في مكان خصصه لهم مزوداً بالماء العذب والمراكز الاجتماعية وأماكن العبادة.

ومن هذه المشاريع الضخمة التي تمت في عهده وصول مياه الجائر المكان الذي يبعد ٣٨ كيلو عن الرياض وكان لنبإ وصول ماء الجائر إلى

الخزان الرئيسي الواقع في محلة الشميسي من مدينة الرياض طلائع البشائر وهو من المشروعات الإِصلاحية العظيمة التي أولاها صاحب الجلالة كبير عنايته واهتمامه لا سيما وقد احتفل بوصول المياه العذبة بحضور صاحب الجلالة احتفالاً جميلاً وقام سمو الأمير فهد بن فيصل أمين مدينة الرياض فغرس الأشجار ونظم الحدائق حتى قيل إنَّه غرس في هذه السنة الموسمية ما يقارب من ثلاثين ألف شجرة وكان موظفو الزراعة في البلدية يشتغلون ليلاً ونهاراً في تنسيق الحدائق وتنظيمها. ومن الأعمال التي تمت سفلتة الشوارع الرئيسية بعد تعبيدها، وكانت هذه الشوارع قد فتحت حديثاً وأصلح مجرى السيل العظيم الذي يخترق شارع الملك سعود وأخذ أمين العاصمة يدرس هو وموظفوه إنشاء ثلاثة خزانات للمياه كل واحد منها لثلاثة ملايين جالون من المياه. وهذه المشاريع تعتبر من أبدع ما يكون لأنَّها بعد عامين من إسناد الرئاسة إليه. وكانت مدينة الرياض قبل ذلك محاطة بسور حولها ليس بها شارع واحد على طريقة منظمة وكل ما كان بها إنَّما هي أزقة ضيفة تضطر السيارة للرجوع مرات حتى تفسح الطريق للسيارة الآتية أمامها ولم يكن داخل المدينة سوى ميدان واحد يسمى ساحة دخنة تباع فيه الماشية والتمور.

وفيها قام الأمير محمد بن سعود الكبير بإمداد بلدة السيح في الخرج بالماء العذب بإجرائه في الأنابيب من بئر يملكها تبعد عن البلدة بما يقارب عشرة كيلوات وقد وصل الماء إليها ووزع في أحيائها جزاه الله خيراً. وقد أقيم لذلك احتفال حضره الوجهاء والأعيان تحت رعاية صاحب الجلالة الملك سعود.

عمارة المسجد الحرام سنة ١٣٧٥ هـ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾. لمَّا فرغت عمارة المسجد النبويّ كما قدمنا أخذت الحكومة السعودية في بناية مسجد مكة المكرمة ففي ٢٣ شعبان من هذه السنة وضع الحجر الأساسي لبناية المسجد الحرام وتولى العمل شركة بن لادن وذلك بأنَّه لما فرغ العمال والمهندسون من عمارة حرم المدينة ومسجد رسول الله ﷺ أمر الملك سعود بأن تصرف جميع المعدات إلى المسجد الحرام وعمارته فقامت الشركة بمهاتها وأهوالها وجراراتها وآلات الهدم للتوسعة وما إلى ذلك مما تطيقه القدرة البشرية وكان المشروع ضخماً جداً غير أنَّه يتلاشى كل أمر صعب بتوفيق الله ثم قوة العزيمة وصدق النية وحسن العقيدة. فأخذت الحكومة جميع ما حوالي المسجد شراء وتقويماً بحيث تطلب المشروع إلى مئات الملايين. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. وإنَّها لحسنة خالدة في تاريخ المملكة العربية السعودية. وقد جعل لذلك المشروع موازنة وقدرت النفقات وقيم البيوت والمساكن التي هُدّمت وأخذت آلات الهدم في مسحها وإزالتها بخمسمائة مليون ريال وثلاثة عشر مليوناً. غير أنَّ العمارة لا تزال تتضخم جداً، ويقول ذوو التقدير والمعرفة بأنَّه يحتاج ضعفها. وكان أول شيء بداية المسعى وما يليه بحيث أقيم له سطح على وضعه مساوياً لسطح المسجد الأسفل. وسنأتي بشيء عن العمارة بعد انتهائها.

وفيها في محرم وصل معتمد المعارف عبد العزيز بن الشيخ محمد بن عبدالله التويجري والده قاضي جيزان السابق وقد قام برفقة المعتمد الجديد الأستاذ عبد الرحيم صدقي المفتش بوزارة المعارف ليستلم من ذاك ويسلم هذا.

وفيها وصل إلى بريدة فرقة الإطفاء بقيادة الشاب الضابط علي أسعد للعمل في مدينة بريدة وأدت هذه المدينة شكرها لوزير الداخلية لهذا العمل والاهتمام والرعاية وقد بحّت أصوات الشباب والمدنيين في طلب تأسيس بلدية في مدينة بريدة سوى أنَّ بعض الأهالي يرجحون ضدها.

وفيها في العشر الأولى من شهر رمضان قدم الإمام أحمد بن يحيى ملك اليمن والمملكة المتوكلية كما قدم لزيارة المملكة أيضاً رئيس مجلس الوزراء في مصر جمال عبد الناصر وذلك في ١٠ رمضان وقد استقبلا من جهة الملك في مطار جدة استقبالاً رائعاً تجلت فيه أواصر الأخوة والمحبة.

ومما يجمل بنا ذكره صدور نصيحتين لسماحة المفتي المحقق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وكانتا ثمينتين كانتا موضع التقدير.

وفيها نقل قاضي عنيزة الشيخ عبدالله بن عقيل إلى وظيفة عضو في دار الإفتاء في الرياض ونقل الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع قاضي المجمعة إلى وظيفة قاضي في عنيزة وقد وصل كل منهما إلى مقر عمله الجديد وباشر عمله.

وفيها فتح مدرسة الخبراء العسكرية وأقام آمر المدرسة محمد بن عمرو حفلة عشاء فخمة فيها دعى إليها عدداً من الوجهاء ورجال البلاد وعلى رأسهم الأمير وصالح بن ميمان وآمر مدرسة الرس العسكرية وبعض المدرسين هناك. هذا وأن فتح المدارس لمستمر، ولا نكون مبالغين إذا قلنا بأن هذه النهضة لا يوجد مثلها في كثير من البلاد المجاورة التي تقدمتنا في مضمار الحضارة والعلوم. وليس هذا ببدع أو غريب من فعل حكومة مُصلحة يوجه دفة سيرها نحو التقدم للحياة الصالحة ملك جعل غايته العظمى إسعاد شعبه وإحلال أمته المكان اللائق بها في مصاف أمم العالم الحية.

وفيها أمر الملك سعود بن عبد العزيز بهدم قصر الحكم القديم في مدينة بريدة وهو الذي بناه حسن بن مهنا وذلك بعدما أقيم بدلاً عنه قصر جديد إلى جهة الشرق على بعد أربعمائة متر تقريباً، ولمَّا أن هدم القصر جعل موضعه توسعة لبيع الخضار وما إلى ذلك من اللحوم بحيث أقامت بلدية مدينة بريدة من موضعه بعد ذلك دكاكين لهذا الغرض وكان ذلك القصر من الآثار القديمة وفيه بروج قوية على حسب البناية القديمة وأدركت في أوائل عمري في أعلى المقصورة الشرقية الجنوبية خشبة عالية معقوفة يعلق فيها سراج مادته من الشمع، وقد قدمنا شيئاً من ذكره في حوادث ١٣٠٤هـ.

وفيها جرت زيارات متبادلة بين مصر والحكومة السعودية والهند والأردن. فقد زار الملك سعود مصر في ٢٣/ ٧ واجتمع الأقطاب الثلاثة فيها سعود بن عبد العزيز وجمال عبد الناصر والرئيس شكري القوتلي وكان قد تقدم قبل ذلك بسبعة عشر يوماً زيارة وزير الدفاع مشعل بن عبد العزيز لمصر وكان قد زار المملكة العربية السعودية عبد الحكيم عامر وذلك في ٥/ ٧. كما أنَّ الملك سعود قد زار الهند في ١٠/ ٤ من هذه السنة وزار الملك حسين بن طلال الهاشمي المملكة العربية السعودية وزار وزير المعارف إذ ذاك الأمير فهد بن عبد العزيز الجامعة السورية والمنشآت العلمية في دمشق.

إسناد الرئاسة إلى جمال عبد الناصر

لمَّا أن كان في يوم الاثنين ١٦ ذي القعدة من هذه السنة الموافق ٢٥ يونيه ١٩٥٦م. أسفرت النتائج قبل ظهر ذلك اليوم بانتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية المصرية بأغلبية ٩٩,١٠,٩ فحاز ٥٤٩٦٩٦٥ من مجموع ٥٥٠٨٢٩١ والموافقة على الدستور بنسبة ٩٩,١٠,٨ المصري وقد تهافتت جموع الشعب المصري من جميع الطبقات والهيئات على دار

رئاسة مجلس الوزراء لتهنئة الرئيس جمال عبد الناصر فبعثت إليه الملوك والرؤساء برقيات التهاني وهللت مصر قائلة اليوم يعلم أهل الشرق والغرب أنَّ المصريين أحرار يختارون فيحسنون الاختيار، وإذا كان جمال قائد ثورة مصر ومحرره من الاحتلال والاستبداد والإقطاع فإنَّ الشعب المصري يحتفظ له بالوفاء والإخلاص لأنَّه زعيم الشعب وكان أهل مصر قد أعجبوا به ورأوا أنَّه سينيلهم استقلالاً تاماً ويحررهم من قيود التبعية لأحد كائناً من كان وأنَّه سيعيد لهم مجد السابقين وعز الغابرين وعاونوه على نهضته بكل ما استطاعوا.

المهرجانات الكبرى بعيد الجلاء

كانت بريطانيا العظمى قد جعلت من جنودها ثمانين ألفاً في مصر يهددون الهدوء والاستقرار في البلاد ويعيثون في الأرض فساداً وفي آخر هذه السنة تقوم الحركة المصرية بإزالة هذه الجنود مع قواتها البرية والبحرية والجوية وكانت الأيام التي تخللتها رئاسة جمال أعني ١١/١٨ وما بعده حافلة بأعياد ومهرجانات الجلاء جلاء آخر جندي بريطاني عن أرض الكنانة بعد أن جثم على صدرها نيفاً وسبعين عاماً يسلب حريتها ويحد من سلطاتها ويقيد نفوذها وإنَّ هذا ليدل على تأييد الشعب المصري لجمال عبد الناصر تأييداً مطلقاً وصحبه رجال الثورة الذين يعملون على تطهير بلادهم من ظلم البريطانيين. ولقد أُقيم مهرجان شعبي عظيم في ميدان الجمهورية حضره ما ينوف على مائة ألف شخص ووقف جمال عبد الناصر في هذا الحشد العظيم ثلاث ساعات كاملة يخطب فيه ويقارن بين الماضي والحاضر ويبين مراحل جهاد رجال الثورة الإصلاحية ولقد شهدت مصر مؤتمراً شعبياً لم تشهد مثله قط وحضر الألوف من المدعوين من البلاد العربية وجميع أنحاء الدنيا. وقد جلس وزير خارجية روسيا شبيلوف إلى جانب قائد القوات البريطانية روبرتسون ولكل نظرته الخاصة إلى هذه المهرجانات والحفلات.

وقد استمرَّ العرض أربع ساعات كاملة وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وقائد القوات البرية والبحرية والجوية واقفون على أقدامهم فوق منصة خاصة يحيون رجال العرض العسكري. وقد مرت أمام الجماهير المحتشدة القوات البحرية والبرية والبراشوت ومرت الأسلحة الميكانيكية الخفيفة والثقيلة وشاهد النَّاس لأول مرة الأسلحة التشكيلة الجديدة، شاهدوا الدبابات الضخمة دبابات ستالين التي دكت الأرض دكا بجنزير عجلاتها وستدك حصون العدو بفوهاة مدافعها وكان الملك سعود قد بعث ابنه فهداً منتدباً عن الحكومة السعودية لحضور هذا الاحتفال.

وفيها في أوائل شهر شوال قدم على المملكة العربية السعودية حاكم قطر علي بن عبدالله بن ثاني ضيفاً فرحبت به الرياض لأنَّ الصلات القوية المتينة التي تربط بين سكان هذه المملكة وبين الضيف صلات قامت على أُسس قوية من الود والإِخاء وأن بمقدمه ذلك لتذكر أعمال جده قاسم بن ثاني وما قام به من إيقاف الأموال العظيمة ونشر العلم والكتب التي طبعوها وغيرها من الأعمال الخيرية.

وفيها فتح شارع جديد خلف الصفا من أجياد إلى سوق الليل وقد تكلف فتحه لهدم بيوت ودكاكين وأحواش ذلك لما لفتحه من المصالح التي تمنع اصطدام السعاة بين الصفا والمروة بالسيارات ويجعل الحجاج مستريحين. وكان هذا الشارع حوالي الصفا يدخل المسعى من جهة الجنوب الشرقي إلى الجهة الغربية الشمالية فبينا أنَّ السعاة متوجهون إلى الصفا إذا بالحمر الأهلية تهز أجراسها والإبل الحجازية مقطورة تمنع مواصلة السعي وتوقف السعاة فينتظرونها حتى تخلص ولا سيما السيارات التي أوجدت وكان من الأعيان من يسعى بين الصفا والمروة ممتطياً السيارة وهذا للضرورة. وقد شاهدت تلك مراراً في حجاتي الأولى فتفضلت الحكومة بصرف هذا الشارع إلى جهة الجنوب وأصبح السعاة في راحة من قطع الطريق إلى الصفا، وإنَّها

لحسنة خالدة نظمها الله في أيام الملك سعود فسمى باسمه وقام أهل العربات الصغيرة يحملون العجزة في قلب شارع المسعى بممرات جعلت لذلك، وتعتبر هذه اللفتة من أعظم الحسنات. كما أصدر جلالة الملك إرادته إلى محمد بن لادن بإنشاء سبعة عشر مركزاً للشرطة وسبعة مراكز للإسعاف على طول طريق المدينة المنورة للإشراف على راحة الحجاج والزوار وتنظيم حركة المرور والعمل على تفادي الحوادث. وقد باشرت هذه المراكز والدوريات أعمالها منذ صباح يوم الأربعاء الموافق ١١/١١/ ١٣٧٥.

إصلاح أخلاقي

نشرت الإذاعة السعودية حديثاً عن المجلات الخليعة التي تحمل بين صفحاتها صور النساء العاريات وشبه العاريات على هيئات توقظ الغرائز الجنسية في نفوس الشباب بأنَّ إطالة النظر إليها على شكل فاضح ومهيج للغاية من صورة الضم والتقبيل والاحتضان يسبب الفوضى الجنسية بين من يشاهدونها من الشبان والشابات. فيجب على من يهمهم مستقبل أبنائهم وبناتهم أن لا يسمحوا بدخول هذه المجلات المصورة اللعينة إلى بيوتهم ثم أنَّها مانعت الحكومة من دخول بعض المجلات إلى المملكة كما منعت صدور صحيفة تصدر منها بصفتها مملوءة بالتصاوير.

وحجَّ بالنَّاس صاحب الجلالة سعود بن عبد العزيز وقد وجه خطاباً عظيماً يوم عرفة إلى جميع أهل الموقف يدعوهم إلى التمسك بالدين والتكاتف والتعاضد. وقد نشر ووزع ووضع في صفحات الجرائد.

ومن أعيان الحجاج في هذه السنة محمد علي رئيس وزراء باكستان وكان رجلاً معروفاً بالكفاءة، وقد قاد الأمة قيادة رشيدة ناجحة لمَّا تولى منصبه ذلك حتى اعترف له بذلك رئيس الجمهورية الباكستانية بقوله: «إنَّ الشعب

لن ينسى صدق بلائه وجميل أياديه».

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ سليمان العمري رحمه الله وعفا عنه. وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الورع القاضي الناسك أبو عبد الرحمن سليمان بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن مبارك العمري. ولد في رأس القرن الرابع عشر ولمّا بلغ من العمر ثمان سنين تقريباً توفي والده عبد الرحمن قتيلاً في واقعة الميلداء عام ١٣٠٨هـ وهي الواقعة المشؤومة على أهل القصيم فشبَّ الفتى وأخذ في الدراسة حتى تعلم القرآن وحفظه ثم أنَّه أخذ في الدراسة في البلد الذي ولد فيه وهو عنيزة على الشيخ صالح بن عثمان القاضي ثم نزح إلى مدينة بريدة فأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم ثم ذهب إلى الرياض للأخذ عن علمائها فأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف وأخذ عن غيره من علماء الرياض وكانت إذ ذاك كاظة بالعلماء وكان له مجالس مع الطلاب والزملاء وبحث ومذاكرة. أمَّا جده فهو الشيخ محمد بن عمر العمري تولى القضاء في مدينة الخبراء من أعمال القصيم. أمَّا عن المترجم فقد لازم علماء هذه الدعوة وممن أخذ عنه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق فهو من مشائخ المترجم وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف وسلمان بن سحمان ثم أنَّه رجع إلى القصيم وتولى إمامة مسجد القاع في عنيزة وجلس فيه للطلاب فالتفَّ عليه حلقة كبيرة وكان فيها موضع الثقة في عقود الأنكحة ووثائق البيع والشراء وداعية إلى الله عزَّ وجلَّ يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر. ولمَّا استولى الملك عبد العزيز على الحجاز بعثه في جملة من العلماء إلى المدينة المنورة وذلك في عام ١٣٤٥هـ فكان زملاؤه يعظون ويرشدون في المسجد النبوي، أمَّا هو فكان قاضياً فيها وإماماً في المسجد النبويِّ.

وقام بهذه الأعمال مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في

الله لومة لائم ولتدريسه قبول عند الأمة ثم أنَّه نقل إلى قضاء بلدة حريملاء فباشر عمله بجد ونشاط وتدريس غير أنَّ هذه الفترة ليست طويلة بحيث كانت بقدر سنة ونصف سنة ثم أنَّه نقل إلى قضاء الإحساء وذلك في عام ١٣٥٩هـ بدلاً عن الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش وذلك لأنَّ الشيخ ابن دهيش ولاه الملك عبد العزيز قضاء مدينة حائل لمَّا توفي قاضيها في السنة المذكورة. فباشر المترجم القضاء في الإحساء وكان معظماً لدى أمير تلك المنطقة سعود بن عبدالله بن جلوي كما كان موضع التقدير من أمير المدينة قبل ذلك عبد العزيز بن إبراهيم وما زال يزاول وظيفة القضاء في الإحساء حتى أسن وكبر وأرهقته الشيخوخة فطلب الإحالة على المعاش والإعفاء من القضاء والاستراحة، وتفرغ للعبادة والتلاوة والأذكار حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة وقد رأيته عام ١٣٥٠هـ في مدينة بريدة يمشي عن يمين الشيخ عمر بن محمد بن سليم لما قدم الثاني من أداء مناسك العمرة تلك السنة في شوال منها فكان واسع الجبين أبيض الوجه كان وجهه قنديلاً من النور مربوع القامة يتخلل لحيته خيوط قليلة من الشيب فسلمت عليهما. فأمَّا هو فإني قبلت جبهته وأمَّا شيخنا عمر فلم أستطع تقبيله إجلالاً ولعظم هيبته في القلوب. وكان على العمري أثار العلم من الخشية والطمأنينة والبهاء وما يلبسه الله أولياءه من الشعار الحسن والمحبة ومن سجيته أنَّها لا تلين قناته مداراة لأحد في الحق كائناً من كان. فعرفت الملوك والأمراء قدره وخضعوا لأحكامه وقد رأيت له كتاباً في وظائف شهر رمضان بلغت صفحات طبعته الأخيرة ٢٣٨ كما رأيت له رسائل في التوسل وما يجوز منها وما لا يجوز ورداً على من خالف سنة التراويح. أمَّا تلامذته فخلق كثير أخذ عنه رجل الوطن حسن العبدالله بن نعيم من مدينة عنيزة. كنت جلست معه صحبة الشيخ محمد بن عبدالله بن حسين على مائدة الغداء التي أعدها للشيخ وذلك في عام ١٣٦١هـ فكان رجلاً طيباً متمسكاً بدينه. ومنهم الشيخ

محمد بن عبد العزيز المطوع والشيخ عبدالله بن عبد العزيز المطوع. وأخذ عنه الشيخ ناصر المحمد الوهيبي. وأخذ عنه الشيخ عبد العزيز العلي الغفيلي. وأخذ عنه عبدالله بن حمد الخربوش وكان من المشائخ المحترمين وأخذ عنه الشيخ عبدالله المحمد المطرودي. وأخذ عنه الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي في آخرين.

جهاد الجزائر لفرنسا

هذا ولا تزال نيران الحرب مستمرة الوقود بين الجزائر وفرنسا. وقد انتصرت الجزائر في هذه السنة انتصاراً عظيماً وأحرزوا تفوقاً رد فرنسا خاسئة حسيرة. ولقد قامت فرنسا بقوتها تحصد سكان مراكش وتونس والجزائر ومع ذلك فإنَّ الأهالي ثابتون يدافعون ولا يهابون مهات فرنسا ومفرقعاتها ولا يخشون دمدمة قاذفات القنابل الضخمة ولا لعلعة المدافع الثقيلة وهي تسد منافذ الأفق بدخانها الكثيف المتصاعد. وهكذا فعل المدافع عن نفسه وماله وأهله. ولقد قام الملك سعود بن عبد العزيز بصفته أكبر ملوك العرب والمسلمين فأمر مستشاره خالد أبو الوليد باستقدام القائم بأعمال الحكومة الفرنسية إلى دار وزارة الخارجية وإبلاغه أن حكومته بصفتها محافظة على حسن العلاقات بينها وبين فرنسا والتي تود بكل ما في وسعها استمرارها وتوثيقها ليؤسفها جد الأسف ما تراه واقعاً في المغرب الأقصى من الأعمال التي تقوم بها فرنسا نحو إخواننا المسلمين المغاربة من تقتيل وتشريد وتحريق والتي أقل ما يقال فيها أنَّه لا يقبل الضمير الإنساني في هذا العصر الحديث تلك الأفعال وأنَّ العالم العربي خاصة والإسلامي عامة ليشجب هذه القسوة العاتية ويأمل من الحكومة الفرنسية ورجالها أن تُغير موقفها ويكفوا عن ذلك ويعيدوا النظر فيما يجب عمله من إعطاء النَّاس حقوقها الطبيعية التي هي حق لها لا يغصبه المعتدي. وجلالة الملك المعظم يأمل أن تضع الحكومة الفرنسية حداً لهذه الأعمال حتى لا تتسع الهوة بين العالم

العربي وفرنسا. كذلك استقدم مستشار الملك المذكور بأمر صاحب الجلالة السفير الأمريكي وأبلغه مثل ذلك لكي يرفعاه إلى حكومتيهما راجياً من الحكومة الأمريكية أن تستعمل نفوذها باسم الإنسانية والحرية حسب ما هو معلوم لدينا من تقاليدها وتاريخها المجيد لكي تمنع هذا التدخل الصارخ من ميثاق الأطلنطي وتنصح فرنسا بأن تكف عن أعمالها القاسية التي يشمئز منها الضمير الإنساني وأن تعترف لإخواننا المغاربة بحقوقهم واستقلالهم.

مشاكل متنوعة وأمراض أعيت كل طبيب فأين عدالة مجلس الأمن وأين نتائج ميثاق الأمم المتحدة تسمع الشكايات على اختلافها والأعضاء لا يتوجعون ولا يشعرون بسوء الأحوال وكأنَّهم ما يسمعون وكلما خرجوا من مصيبة نزلت بهم أخرى وكلما حاولوا أن يحلوا مشكلة ظهرت مشاكل أخرى لأنَّهم متفرقون وبالعدل لا يوصفون.

مفاسد حلف نوري السعيد

قد أشرنا فيما تقدم إلى ما تقدم به رئيس وزراء العراق وسنزيد المقام إيضاحاً بأنَّه نتج عن ذلك الحلف أن امتلأت السجون في العراق بالأحرار الوطنيين وعذبوا تعذيباً بليغاً وأنَّ سياسة نوري السعيد التي أحدثت العداوة والبغضاء بينه وبين العرب وعزل العراق حكومة وشعباً عن إخوانه في العروبة كانت طعنة نجلاء في القضية العربية من الخلف. وأكبر ما نجم عن هذا الرجل إضاعة قضية فلسطين وذهابها على يديه بمساعيه ضد العرب واتفاقه مع الآخرين. ولقد أهمل جانب العرب ورماهم عن قوس العداوة وأكثر السبّ والثلب، وآخر شيء منعه المفوضية السعودية في العراق من توزيع النشرة الإخبارية للمملكة العربية التي تصدرها المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر وتوزعها في جميع أنحاء العالم بواسطة السفارات وذلك سخطاً من اتفاقية الدفاع المشترك بين رؤساء العرب الثلاثة سعود وجمال

وأحمد بن يحيى الواقعة في مدينة جدة بتاريخ ١١/٩/ ١٣٧٥هـ الموافق ٢١ من أبريل ١٩٥٦م واليوم قبله. وكان هذا الاجتماع أسفر عن عقد اتفاقية دفاع مشترك ثلاثي. وقد حرص الجميع على تمكين أواصر الإخاء والتعاون فيما بين دولهم وتوحيد الجبهة العربية. وكان من نتائج حلف نوري السعيد أن جرَّ عليه وعلى الملك فيصل الثاني والوصي عبد الإله ما سنذكره بعد ذلك إن شاء الله تعالى. وهناك أمور أخرى وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وفي هذه السنة طرد ملك الأردن الحسين مندوب بريطانيا المستر كلوب أبو حنيك المعروف بهذا اللقب عند العرب ولمَّا أن طرد قام الملك سعود بعدة مخابرات مع الرئيس جمال عبد الناصر ورئيس جمهورية سوريا للتعاون مع ملك الأردن وحكومته فتمَّ الاتفاق بين هذه الدول الثلاث على تقديم معونة مالية للأردن يكون بحالة من القوة والمنعة بحيث يستطيع المساهمة في دفع العدوان عنه ضد إسرائيل وتكون هذه المعونة تحل محل المعونة البريطانية للجيش الأردني والحرس الوطني. وسيأتي في التي بعدها صفة ما جرى في طرد كلوب وتفصيله.

الفيضان في الهند وباكستان

لقد حدث فيضان في تلك الجهات فأحدثت تلك الفيضانات على الأهالي كوارث تضرّر منها جزء في بلدانهم، وإنَّها الفادحة عظمى ونكبة نكبوا بها وأمر الله واقع لا محالة. وقد عطف الملك سعود على تلك الجهات وبعث ببرقيتين للحكومتين يعبر عن تأثره لذلك فكان الجواب منهما يفيض بالشكر والدعوات المباركة. وكان قد نشأ خلاف بين حكومتي باكستان وأفغانستان، فتوسط الملك سعود بينهما وزال الخلاف وانشلت حركته وعادت المياه إلى مجاريها بين الحكومتين. وقدمت وزارة الخارجية الباكستانية بواسطة السفير السعودي في كراتشي الشكر العميق لجلالة العاهل السعودي على توسطه في حل الخلاف السابق كما أرسل الملك محمد ظاهر

شاه ملك أفغانستان تقدير مجهودات جلالة الملك سعود التي بذلها في إتاحة الطريقة الودية بينه وبين باكستان الدالة على أنَّه صديق مخلص وَفِيٌّ. وفيها افتتاح مدينة الملك سعود وكان لها شأن عظيم لكثرة الذين التحقوا بها.

ثم دخلت سنة ١٣٧٦ هـ

استهلت هذه السنة وبريطانيا تغلي مراجلها على العرب فهذه مصر طردت الجنود البريطانيين وعيدت عيد الجلاء وتحررت وأصبحت تسيطر على نفسها وهذا الأردن طرد في السنة المتقدمة أبا فراس المستر كلوب (أبو حنيك) وكان لما جاء تميلر ليحمل الأردن على توقيع حلف بغداد وثارت ثائرة كلوب الذي كان صاحب الفكرة التي جاء تميلر لتحقيقها وأمر ضباطه بإطلاق الرصاص على جماهير الشعب الثائر فرفضوا وزجَّ العشرات منهم في السجون ووقع في حيرة لأنَّ خططه وبرامجه تقضي بتسليم جزء كبير من الضفة الغربية لليهود حتى قام بإِشاعات هجوم الربيع الذي ما زال ملك الأردن ينتظره والذي حار أهل الأردن وحارت معهم له وكالات الأنباء في العالم في معرفة المصدر الذي استقى منه الملك الحسين معلوماته. وبعد ذلك وردت رسالة الرؤساء لبلديات مدن جنين وطول كرم وقلقيلية بتوقيع ضابط حر يخطرهم فيها بأنَّ تسليم مدنهم قد تمَّ الاتفاق عليه في السابع عشر من آذار وعليهم الاهتمام بأمن مدنهم ومناطقهم وشك الرؤساء الثلاثة في إخبار هذا الضابط وظنوها أوهام مهوس. ثم حدث ما حدث في الأردن من مظاهرات ومصادمات يوم جاء تميلر ليحمل الأردن على ما تقدم. ولكن الملك حسين لم يوافق على خطط كلوب وأمره أن يدافع عن البلاد شبراً شبراً. ولمَّا لم يوافق لآراء كلوب أخذ يجهر في مجالسه وأحاديثه بانتقاد ملك البلاد وينعته بنعوت مختلفة واتفق مع رجاله على اعتقال الحسين وإجباره على توقيع حلف بغداد ووضع لذلك خطة تقضي بالقيام بغارة وهمية على مدينة عمان وخلالها يستطيع أن ينفذ برنامجه المقرر. فقام

الملك ودبر خطة معاكسة لطرد أبي حنيك واحتال بأن يبلغ أبا حنيك استعداده لتوقيع الحلف وأنَّه بانتظاره في القصر الملكي لتوقيع الحلف المذكور فطار الجنرال فرحاً وسار بلا حرس ولمَّا أن دخل على الملك دخول الظافر وقدم الأوراق لتوقيعها، وبينما هو في غطرسته إذ قام الضباط بالمسدسات مصوبة إلى رأسه ثم إنَّ الملك قدم له كتاباً يقضي بطرده من الجيش العربي وخروجه من البلاد في الصباح الباكر. وهذا مما يدل على نباهة العرب وسعة آرائهم ووفور حيلهم. فالتفت يمنة ويسرة فلم يرَ غير المسدسات مصوبة إلى رأسه، ومن هؤلاء الضباط ضابط يعلق عليه آماله فرآه أعظم أصحابه حماسة فوقع الكتاب القاضي بطرده وخروجه من البلاد في الصباح الباكر ثم أنَّه أخرج إلى بيته تحت حراسة قوية. أمَّا أصحابه من الإنكليز فقد كانوا في مدينة الزرقاء يعبون من الخمر التي أسكرت عقولهم تلك الليلة وقد طلب من الحرس واستعطفهم أن يسمحوا له بالذهاب إلى الزرقاء لحضور حفلة وعد بحضورها وأكّد. غير أنَّهم لم يصغوا إلى توسلاتهم وفي تلك الليلة ذهب الملك إلى وزرائه المجتمعين وطلب منهم التوقيع على طرد كلوب ليصبح قانونياً. فتردد الوزراء وظنوا أنَّ الملك مازح ولكنه خيرهم في حزم بين التوقيع على أمر الطرد أو على الاستقالة حالاً ولم يسمح لواحد منهم بالخروج من قاعة الاجتماع إلاَّ بعد البت في الأمر. وهنا ظهرت لهم الحقيقة فوقعوا الأمر ولمَّا أن كان من الصباح أخرج هذا الصنم إلى مطار عمان تحت الحراسة الشديدة بصحبته غود فري وأم داود. ولم تغن عنه أمواله الطائلة التي أنفقها ولا دسائسه التي أحكم تدبيرها. وهذه الشجاعة وهذا الفلاح نتائج تحالف العرب وتكاتفهم وإن أولئك الرجال استطاعوا أن يباروا أجدادهم الذين حاربوا أجداده الصليبيين.

ذكر قناة السويس وما نال مصر بشأنها

قد قدمنا في حوادث ١٢٨٦ هـ شيئاً من ذكرها أو مشكلتها في هذه الأزمة لتتطور، ولمَّا كان في يوم الخميس ٩/ ١ من هذه السنة عقد مؤتمر لندن وانتهى في يوم الخميس ٢٥/ ١/ ١٣٧٦هـ وكان قد حضره مندوبو اثنتين وعشرين دولة. وقد عقد لبحث موضوع تأميم شركة قناة السويس وقد أرادت بريطانيا أن يقرر هذا المؤتمر بأنَّ مصر في تأميمها شركة القناة ارتكبت جرماً عظيماً نحو العالم أجمع يجب أن تحل عليها بسببه أعظم العقوبات التي اتخذت بريطانيا كل الوسائل لتنفيذها وعملت ذلك فأمرت بإرسال قطع من أسطولها البري والجوي والبحري إلى البحر الأبيض المتوسط وأوعزت إلى رعاياها في مصر بأن يغادروها خوفاً عليهم وأمرت هي ومن سار خلفها من دول الاستعمار بحصار مصر اقتصادياً وكأنَّها تريد بذلك كسر مصر وإرغامها بالقوة والقهر على التخلي عن حقها في قناتها خانعة ذليلة وكانت بريطانيا وفرنسا ومن جارى هاتين الدولتين يرون أنَّ من شعوب الشرق من لا يستحق أن يعيش سوى عيشة العبودية والاستعمار. وقد ضربت بريطانيا بجمعية الأمم وعهودها ومواثيقها عرض الحائط وتجاهلت هذه الجمعية فعقدت هذا المؤتمر بدون الرجوع إليها ودعت إليه من أرادت من الدول وطرحت على المؤتمرين قرارات منتهية للموافقة عليها. ولمَّا قدمت للمؤتمرين بلسان المستر دلس قراراً جائراً هو أن قناة السويس وإن كانت حقاً لمصر لا يشاركها فيه أحد إلاَّ أنَّ للدول الأخرى الحق بأن تكون هيئة دولية تتولى شؤون القناة. لماذا هذا الرأي المخذول لأنَّ هذه القناة ممر مائي له أهمية عظيمة. وبما أنَّ مندوب الهند لم يوافق قياماً بالعدل كما أنَّ مندوب الاتحاد السوڤياتي ديمتري شبيلوف قد وجه إلى المؤتمر ضربة قاضية حينما وصفه بأنَّه غير قانوني وأنَّه ليس من حقه معالجة هذه القضية ومصر صاحبة الشأن غير ممثلة فيه. وآخر شيء فشل هذا

المؤتمر لأنَّ من بين المؤتمرين المستعمرين وأذنابهم فطاحل رجال ذوو ضمائر حيَّة يسعون ليسود العالم روح العدل وتغلبت حكمتهم على صولة الباطل ولجاجته فإن (إيدن) رئيس وزراء بريطانيا لا يزال مصمماً على عناده ولم يتخذ من حكمة تشرشل وسياسته ما يزجره عن هواه. ولقد قام الشعب البريطاني يصيح في وجه (إيدن) منذراً له عن الحرب العالمية كما وجه نواب الإنجليز إليه صيحاتهم: استقل يا إيدن، إن تشرشل العجوز وإن كان ينظر إلى العرب بعين السخرية والاستهزاء وطالما لعب بها في سهولة ويسر لأنَّه عرفها بأنها لم تعرف صديقها من عدوها ولا نفعها من ضررها فإنَّه لم يقدم على أعمال (إيدن) محقاً أن يقال: استقل يا إيدن، وأمَّا سمعت ما يقوله نهرو عن مشروعك الأحمق وما يقترحه رئيس وزراء سيلان. وها أنت ترى كيف طار رئيس وزراء دولة عن كرسي الرئاسة حينما خالف رغبات شعب مسلم ولم يحسن التعبير عن شعوره وأفكاره. وقد عزمت روسيا على أن تبعث المتطوعين إلى مصر وقام العرب جميعاً ليقفوا وراء المصريين والحق يقال: «إنَّ إرغام مصر على ترك حقها لطريق يقود إلى الهاوية».

اجتماعات ومفاوضات

إنَّ العرب إذا صدقوا الحملة فإنَّهم نقمة على عدوهم غير أنَّ الذي فكَّ قواهم وأذهب ريحهم وأوجد الفشل فيهم تخاذلهم وتنازعهم ولقد أحسن القائل حيث يقول:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
إذن لقام بنصري معشر خشن ... عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النائبات على ما قال برهانا
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا

زيارة الشاب ملك العراق

ففي ٢/١٥ وصل إلى ميناء الدمام اليخت الملكي (الملكة عالية) يقل ملك العراق فيصل الثاني ابن غازي بن فيصل بدعوة من الملك سعود. وكان الملك سعود قد غادر الرياض قبل ذلك بيومين إلى الدمام وما أن وصلها الضيف حتى استقبله رجال الدولة وأعيانها، كان من أبرز المستقبلين بعد جلالة الملك وأخيه فيصل ولي العهد يوسف ياسين وجمال الحسيني ومحمد بن دغيثر فأطلقت المدافع لذلك وقام أمير المنطقة الشرقية سعود بن جلوي وبقية أصحاب السمو الملكي والأمراء والوجهاء والأعيان يستقبلون مهنئين. وبعدما ألقيت القصائد والخطب المعبرة عن آمال العروبة والذهاب والإياب وتناول المآدب عاد إلى بلاده.

زيارة الბانديت جواهر لال نهرو

ففي ٢/١٩ قدم إلى الظهران زائراً رئيس وزراء الهند الბانديت جواهر لال نهرو وكان من عظماء العالم وثم توجه من الظهران إلى الرياض. وقد استقبل في الظهران والرياض استقبالاً عظيماً فخماً، وقد وضع لذلك برنامج رسمي مرتباً من ٢٤ فقرة وقد طار إلى جدة وبعد ذلك رجع إلى الظهران وودع بمثل ما استقبل به وكان لبثه في المملكة العربية السعودية لمَّا قدمها على متن طائرة هندية من يوم الاثنين ٢/١٩ الموافق ٢٤/٩/ ١٩٥٦م إلى يوم الخميس ٢/٢٢ وأنَّ هذا الاجتماع بين هذين الملكين ليبشر بخير لتبادل وجهات النظر فيما يخصُ خير البلدين كما أنَّ اجتماع الملك سعود بهذا الرجل العظيم الباقعة نهرو وتبادلهما الحديث ليفيد من لا تزال مخالب الاستعمار قابضة عليه من العرب. وإذا كان هؤلاء المستعمرون قد تركوا الصين وشأنها وأطلقوا سراح أسراهم من الهنود وفكوا حبل المشنقة عن رقاب ثمانين مليوناً من أهل أندونيسية مختارين بزعمهم بل إنَّهم مكرهون

في الحقيقة فلِمَ لا يتركوا بلاد العرب ولِمَ لا يكفون عن عدائهم سبحان الله ما أعظم شأنه.

غدر اليهود وأمور تحاك في الباطن

في هذه الآونة غدرت اليهود في ميدان قلقيلية: غير أنَّ الملك حسين صمد هو وجيشه وحرسه أمام هذا العدوان اليهودي الغادر فأبرق الملك سعود للملك حسين يشكره والشعب الأردني على ذلك النضال وقد أعلن رئيس الديوان الملكي الأردني بهجت التلهوني عن زيارة الملك سعود للأردن في خامس نوفمبر. فمن العجائب أنَّه في هذه اللحظات الحرجة في تاريخ الأردن بل في هذه الأيام التي تحاك فيها المؤامرات ضد الأردن وضد استقلاله وببيت أهله كل ليلة على جناح الخوف يتوقعون في كل لحظة أن يدهمهم العدو الغادر بدباباته وطائراته بل في هذه الأيام التي يشيع فيها قوافل الشهداء يعتزم صاحب الجلالة على زيارة الأردن فلسان حاله يقول: إننا معكم فلا تبتئسوا إننا إلى جانبكم ولا تهنوا فإننا نضع كل ما نملك إلى جانبكم فلا تشعروا بحاجة أبداً ونقف بأجسادنا مع أجسادكم سوراً منيعاً دون بيوتكم وأهليكم وأقول وكنت المؤرخ إني أرى أنها لو وضعت الأمور عن تخطيط وحكمة وتمهل من حكومة مصر لما وقع الأمر على ما جرى على مصر ولكن الأمور وقعت عن غير تخطيط وبينما بريطانيا بخداعها تذيع بنصر الأردن وقام مذياع إسرائيل يذيع بأن ابن غوريون رئيس وزرائها يشكر أمريكا وفرنسا ويقول: إنَّ بريطانيا لا تستحق الشكر بل تستحق اللؤم لإرسالها الأسلحة لأعدائنا يريد الأردن إذاً في خلال ذلك يذيع مذياع موسكو أنَّ بريطانيا وشريكتها فرنسا هما اللتان دفعتا إسرائيل للاعتداء على الأردن وسر ذلك إظهار مصر أمام العرب بمظهر العاجز عن مساعدة الأردن وبذلك تبين خزي بريطانيا بإظهار روسيا لهذه الحقائق فإنَّ قلم المخابرات الروسي يحصى على الإنكليز أنفاسهم، والدليل على ذلك أنَّها لمَّا صممت

مصر على المحافظة على القناة لجأت بريطانيا وفرنسا إلى الضغط عليها لترغمها على إلغاء قرار التأميم واتخذتا من قبرص قاعدة للعمليات العسكرية المشتركة ومن إسرائيل ذريعة لإعلان الحرب عليها فأوعزوا إلى إسرائيل بشن هجوم على القوات المصرية في سيناء في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م.

ذكر ضرب مصر سنة ١٩٥٦ ميلادي

لما أن أوعزت بريطانيا وفرنسا إلى إسرائيل بشن هجوم على مصر وجهتا لذر الرماد على العيون إنذاراً مشتركاً في ٣٠ أكتوبر إلى كل من مصر وإسرائيل طلبتا فيه وقف القتال والانسحاب عشرة أميال بعيداً عن قناة السويس واحتلال بورسعيد والإسماعيلية والسويس فإذا لم توافق مصر على تنفيذ هذا الإنذار فإنَّ القوات الإنجليزية الفرنسية تنفذه بالقوة فرفضت مصر الإنذار فعند ذلك ضربتها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بالقنابل المدمرة ضرباً قاسياً بعنف لا رحمة فيه ولا شفقة وكان ذلك في يوم الأربعاء ٢٦ ربيع الأول الموافق ٣١ أكتوبر وأنزلوا بأسهم في مصر وضربوا المطار العالمي في ٢٧ الجاري وكان الضرب من حنق وغيظ وقد حاولوا تطويق الجيش المصري بسيناء ثم أنَّه جاء الإنذار للأهالي أن يبتعدوا عن مراكز الإذاعة في القاهرة وأسكندرية وبورسعيد واحتلت القوات البريطانية الفرنسية غزة والعريش فتجهزت القوات من سوريا لنصرة مصر وأمدت الحكومة السعودية مصر بعشرة ملايين دولار ولقد أنزلت الطائرات القنابل الثقيلة ولم ترقب فيهم إلاً ذلة والعياذ بالله ولم يبق إلاً القنابل الذرية. وبكل حال فإنَّ مصر وقفت متحيرة غير أنَّ الرئيس جمال عبد الناصر جعل يدبر الحيلة ورأى إخلاء سيناء والانسحاب العام ليفسد على الحلفاء خطتهم وهاجمت الأسطولات سواحل مصر من ناحية السويس فكبدتها البحرية المصرية خسائر فادحة وكذلك أغرقت طراداً فرنسياً في البحر الأبيض لكن جنود المظلات الفرنسيين والإنجليز بمعاضدة الأسطولات والطابور الخامس

استطاعوا السيطرة على بورسعيد وتعطلت الملاحة في القناة، وكان هذا الغزو يسمى (العدوان الثلاثي على مصر) في ٣١ أكتوبر ١٩٥٦م الموافق ٢٦/٣/ ١٣٧٦هـ. ولمَّا أن جرى هذا الأمر الفظيع تدخلت هيئة الأمم المتحدة واتخذت قراراً في ٢/١١/ ١٩٥٦م بوقف القتال فوراً. لكن العدو لم يكترث ولم يوقف القتال. ولمَّا لم تخضع بريطانيا وفرنسا وعجت إذاعة روسيا بالإنذارات نصرة لمصر وأكدت أن تقف الحركة قبل أن ترسل الصواريخ على لندن وعلى باريس وقالت حكومة السوڤياتي أن بإمكانها أن تقضي على أمهات المدن البريطانية والفرنسية والعواصم بالصواريخ فلا حاجة إلى استعمال السلاح الثقيل عليها. وكان الإنذار الروسي على الدولتين أعظم من نزول الصاعقة، فأصابهم الهلع والذعر وأوقفتا إطلاق النَّار. أولئك الروس الذين لا يستهان بأمرهم، فتقهقرت فرنسا وبريطانيا ووقفتا على الفور مكتوفتي اليدين فتوقف القتال في ٤/١١/ ١٩٥٦م الموافق ليوم الأحد ١/٤/ ١٣٧٦هـ وكان الإنذار ليلة ذلك اليوم. فانسحبت قوات العدو مدحورة وخرجت مصر من هذه الحرب مرفوعة الرأس وانتصرت مصر على قوى الاستعمار والصهيونية. وأقول صراحة لولا أنَّ الله تعالى أغاث مصر بفزعة روسيا فأنذرت كلاً من بريطانيا وفرنسا وتهددت بأنَّها سترسل الصواريخ على العواصم فتسحقها إذا لم تكفا عن عدوانهما لكانت مصر خراباً يباباً. أمَّا الفظائع التي ارتكبوها في أربعة أيام فقد أمطروا المدن والقرى المصرية بوابل من مدافعهم الرشاشة وقاذفات القنابل وغيرها من كل وسيلة من وسائل الحرق والتدمير والإبادة ولقد كانوا لا يتورعون من ارتكاب أفظع الجرائم واستعمال كل وسيلة من وسائل الحرق والتدمير ولم يميزوا بين المقاتلين والمدنيين العزل وفعلوا أفعالاً وحشية تتحاشى عنها أفعال الوحوش فقطعوا مياه الشرب عن المدن الآمنة ودكوا المستشفيات والسجون والمدارس والمساجد ولم يعبأوا بأي وسيلة

مهما كانت. ولقد قامت مصر تطالب لدى هيئة الأمم المتحدة وتقدم شكواها للنظر فيما حلَّ بالأراضي المصرية من التدمير والنسف والأعمال التي تناقض الأديان والأخلاق والإِنسانية بحيث إنَّ ذلك الإفساد لا يلتئم إلاَّ بعد سنين. وقد أصدر صاحب الجلالة الملك سعود أمره بتحويل مبلغ مليونين من الريالات العربية أي مقدار مئتي ألف جنيه مصري لإِدارة الهلال الأحمر في مصر لإنفاقها لإِسعاف ومداواة الجرحى الذين أصيبوا من ضرب القنابل على الأراضي المصرية، وكانت الضربة شديدة جداً هدمت المساكن وعطلت المصالح وأرملت النساء وأيتمت الأطفال. وقد افتتح مكتب قبول المتطوعين في مدينة الرياض فتوافدت عليه جموع غفيرة من أبناء الشعب السعودي تحدوهم جميعاً الرغبة الصادقة الأكيدة في رد كيد المعتدين والذود عن الوطن الغالي، وحينما كان الضباط والموظفون المختصون يسجلون طلبات التطوع فوجئوا بأنَّ بين المتطوعين أصحاب السمو الملكي الأمراء فهد بن عبد العزيز وزير المعارف إذ ذاك والأمير سلطان بن عبد العزيز وزير المواصلات إذ ذاك وسلمان أمير الرياض وتركي بن عبد العزيز وسطام بن عبد العزيز وأحمد بن عبد العزيز وخالد بن عبد العزيز وبدر بن سعود وفيصل بن سعود وبندر بن سعود وخالد بن سعود. وقد بلغ عدد الذين سجلوا أسماءهم في خلال أربع وعشرين ساعة أربعمائة متطوع، ولا يزال الإِقبال على مكاتب التطوع مستمراً كل ذلك دفاعاً عن المليك والوطن.

قطع العلاقات السياسية مع بريطانيا وفرنسا

قالت المديرية العامة هذا البلاغ: بناء على الاعتداء المسلح الواقع من حكومتي بريطانيا وفرنسا على الشقيقة مصر في حالة كونها المعتدى عليها من إسرائيل وبناء على عدم قبول الدولتين المذكورتين قرار هيئة الأمم المتحدة لتوقيف إطلاق النَّار وإصرارهما بالاعتداء بدون مبرر فإنَّ حكومة صاحب الجلالة قررت قطع علاقاتها السياسية مع الحكومتين المذكورتين

اعتباراً من تاريخ تبليغه: ثم أذاعت المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر البيان الآتي: بالنظر للاعتداء الصارخ الذي قامت به إنجلترا وفرنسا على الشقيقة مصر بدون مبرر على الاطلاع في حالة كونها ضحية للاعتداء الإسرائيلي فإنَّ الحكومة العربية السعودية أصدرت أوامرها إلى الجهات المختصة بمنع شحن وتموين جميع السفن الإنجليزية والفرنسية وأيضاً الأخرى التي تتجه بحمولتها إلى هذين البلدين من جميع منتجات البترول السعودي. كذلك أذاعت الإذاعة السعودية بلاغاً رسمياً من وزارة الدفاع السعودي أنَّه تحرك الجيش السعودي إلى الأردن وهو الآن على وشك الدخول إلى الحدود الأردنية.

إمارة محمد بن بتال في القصيم

لمَّا كان في يوم الخميس ١٣٧٦/٣/٢٠ هـ قدم الأمير محمد بن عبدالله بن بتال المطيري أميراً في منطقة القصيم ونقل صاحب السمو الأمير عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد إلى إمارة الحدود الشمالية. وقد صدر الأمر الملكي بتعيينه هناك بعد إلغاء محافظة خط الأنابيب وربط المراكز التي كانت مرتبطة بهذه الحدود به. وكان عبدالله بن عبد العزيز هو أمير بريدة قبل ذلك فقد قضى عشر سنين فيها فرحل إلى عرعر بعدما أدى واجباً في أعماله، وقد اشتهر بالعدل والإنصاف فلا يطمع القوي بالتزلف إليه ولا الضعيف يخاف من حيفه هكذا وصفه بعض المواطنين فهو الأمير الأمين في نفسه والنزيه في أخلاقه ومعاملته وقد سجل له التاريخ صحيفة بيضاء ولأخلاقه الكريمة وأفعاله الحميدة فلا يحمل الحقد ولا يستطيع الواشي أن يوحي بكلمة نحوه تستثيره. وبكل حال فإنَّ مدينة بريدة قد خسرته فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

وفيها بعثت الحكومة إلى منطقة الظفير هيئة مكونة من ثلاثة أعضاء

للتفتيش على مدارس القرعاوي هناك وقد سبق في عام ١٣٧٢هـ مثل ذلك والباعث لهذا التفتيش هو أنَّه قد وشى به بعض الحساد المغرضين بإدعاء أن غالب هذه المدارس التي يزعمها ولا أساس لها وقد شوش عليه أعداؤه وحاولوا إبطال غالب هذه المدارس بشتى الحيل فرأت الحكومة أن تبعث إليها هيئة للكشف عنها والوقوف على حقيقتها: إنَّ الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي والحق يقال رجل طيب ومن المخلصين الناصحين لله ولرسوله ولحكومته وشعبه، وقد صبر على نشر دعوة الحق وصابر الأعداء محتسباً لله تعالى فقد كان في بلدته عنيزة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعلم ويرشد ثم سافر إلى الرياض لطلب العلم فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم رحل إلى الهند لطلب العلم وأقام مدة هناك ثم قدر الله له أن يذهب إلى مقاطعة جيزان جنوب المملكة العربية السعودية فقام هناك يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأسس مدارس في صامطة والجرادية وبذل ما يملكه من المال في هذا السبيل ثم فرق من هذه المدارس المعلمين على بقية القرى التابعة لجيزان وجعلهم أئمة للمساجد ومعلمين في العقيدة ومرشدين بالأسواق ومجامع النَّاس.

وكانت الحكومة تسمع عن هذه المدارس وترسل المساعدات المالية متوالية إليها ولمَّا اتسعت المدارس وتحقق الملك سعود حفظه الله من معلوماتهم وكان إذ ذاك ولي عهد صرف لهم رواتب شهرية من مصروفه الخاص تسلم بيد الشيخ القرعاوي يوزعها على المعلمين والمتعلمين على حسب درجاتهم وحاجاتهم ويصرف منها على الطلبة الغرباء المحتاجين ويجهز المدارس بالأدوات المدرسية من دفاتر وأقلام وقد وافق عمله قبولاً من الأهالي ولمَّا أن تولى سعود وتوسع في نشر العلم ومساعدة المعلمين والمرشدين وبذل في ذلك المال الكثير فتح القرعاوي معهداً علمياً بصامطة فرعاً لمعهد الرياض وفتح المدارس في القرى والبوادي من نجران إلى

الطائف ومن الموسم إلى جدة ما يزيد عن ألفي مدرسة ونشر المال على المعلمين والمتعلمين وبنى المدارس والمساجد واشترى الكتب والمصاحف وطبع بعض الرسائل النافعة على نفقته لتوزيعها عليهم وعين في كل جهة وكيلاً يراقب سير هذه المدارس ويوزع عليهم الرواتب وقد كان يشتري السيارات للمراقبين المتجولين وكان قبل ذلك يشرف بنفسه ممتطياً الحمر.

وقد حدثني الأخ الشيخ عبد الرحمن بن عبدالله بن طرباق وكان تولى الإِرشاد هناك في ضمن الذين بعثتهم الحكومة ثم تولى القضاء في إحدى مدن تلك الجهات قال: كان الشيخ يتجول على مدارسه ويتفقدها ويشرف عليها ممتطياً الحمر ولا يمل الصعود والنزول في تلك الجبال حتى تكسرت حوافر الحمر ودبرت ظهورها أي أصابها دبر من كثرة الذهاب والإِياب، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. وسيجد هذه الدعوة في ميزان حسناته.

وجميع هذه المصروفات باشتراك مندوب من وزارة المالية وكان من ثمرة هذه النهضة أن قام عدد من المتعلمين بمؤازرة القرعاوي ومنهم من تولى القضاء والوعظ والإِرشاد ومنهم أئمة مساجد ومنهم رؤساء هيئات وكتاب محاكم. فقام أناس ضده يقولون: لا يمكن تصور هذا وكيف يزيد المعلمون عن ثلاثة آلاف والمتعلمون عن ستين ألفاً وأنَّ هذا ليس بمعقول. وكثر القيل والقال وهذا البلاء قديم وجوده وهو الوقيعة وتشويه السمعة فرأت الحكومة بعث هيئة للكشف عن هذه الحقائق والنظر في تلك المشاكل وأقول أنا بصفتي أحسن الظن بالشيخ القرعاوي وأقدر أعماله وأنظر إليها بعين الاحترام والتشجيع: أنَّه يستحق الشكر على أعماله التي قام بها وألوم الذين قاموا ضده وذلك نظراً إلى ما يتطلبه الموقف من النفقات والأجور والخسائر، وكنت أظن أنَّ الهيئة بررت موقفه وظهرت فضائله والعاقبة للمتقين. وستأتي ترجمته في سنة وفاته إن شاء الله تعالى.

أمطار تجتاح القصيم وتهدم البيوت

لمَّا كان في ٥/١٢ الموافق ٢٢ من برج القوس من هذه السنة هطلت أمطار على القصيم واستمرت طيلة ذلك اليوم ومن الغد وبعد الغد وهكذا خمسة أيام لم يتوقف نزول الماء حتى انماعت روس الحيطان وجعلت تنهار من كثرة نزول مياه الأمطار، فلقد مضى على الأمَّة خمسة أيام متوالية والأهالي في القصيم ينتظرون بفارغ الصبر أن يمسك الله السماء عنهم وبما أنَّ بريدة وضواحيها لا تزال مهددة من خطر السيول نتيجة ١٢٠ ساعة لم تتوقف الديمة عنها وكانت سائر القصيم كذلك غير أنَّ شدة وقعة كانت على بريدة وضواحيها. كان مما يعجب له خوف أوقعه الله في القلوب من سكنى البيوت حيث كانوا يتوقعون أنَّها ستنطبق عليهم. وفي يوم الأربعاء ١٧ جمادى الأولى هطلت أمطار وسيول زيادة عما هم فيه من الديمة المتواصلة فتعطلت الدراسة منذ ذلك اليوم ولم يستطع البشر الجلوس داخل المنازل لشدة خرير السقوف وهذا مما يدل على قدرة الخالق وضعف المخلوق. وإذا كانت البلاد قد أُقيمت من لبن وطين ومرَّ عليها سنون لم تنزل عليها تلك الأمطار واعتادوا نزول الماء على قدر والآن لم يتوقف المطر ستة أيام عن الانهمار عليها فكيف تكون حالتهم. ولمَّا كان في ٥/١٨ خرجت الأمَّة إلى البراري خوفاً من سقوط البيوت وأصبحوا مهددين بالأخطار. هذا ولا تزال السماء منطلقة الوكاء تصب المياه صباً وكان قد انخاط الجو وأظلمت الدنيا لفقدهم ضياء الشمس وكان القوي من يملك بساطاً يرفعه بأعواد فيجلس وعائلته تحته. وفي ليلة ١٩ ليلة الجمعة أقبلت سحب متراكمة وجعل البرق يخرج من خلالها زيادة على ما هم فيه وقعقعت الصواعق ولمعت البروق وجعلت البيوت تتساقط يسمع لها دوي عظيم كصوت المدافع ولـمَّا أن اشتدت الضربة ووقعت الكربة وضاقت الحيلة فتح المسلمون أبواب البيوت وفروا هاربين إلى الصحراء لا يلوي أحد على أحد

وذهلوا أموالهم ونسوا أولادهم وهنالك لا ترى أحداً يلتفت إلى أحد، وعجت الخليقة إلى ربها وفاطرها فلا تسمع بإذن من الصراخ والبكاء والضجة واختلط الحابل بالنابل وقام ضعفاء النَّاس متشوشين فصعدوا إلى رؤوس المنائر وجعلوا يكبرون وينادون بالأذان في منتصف الليل وسمعت ضجة عظيمة للخلائق هذا يؤذن وذاك يصرخ والآخر يئن ويصيح من البلل وشدة البرد ونزلوا في الفضاء والتجأوا إلى شجر الإثل الذي لا يغني عنهم شيئاً يهطل عليهم الماء من فوقهم ويفيض من تحتهم، والقليل منهم التجأوا إلى ظل خيام صارت أشبه شيء بزرائب الحيوانات من كثرة من ينطوي تحت سقوفها. وكنت لمَّا ذهبت إلى مسجدي لصلاة الفجر وجدت القوم صفوفاً في رحبة المسجد تهطل الأمطار عليهم فلما استفهمت منهم أجابوا بأنَّ العوائل من النساء والأطفال في الخلوة والمصابيح لا تغني شيئاً من الخرير ولمَّا خرجت الأمة إلى الصحاري افترشوا الغبراء فكان غالبهم الأرض فراشهم والسماء غطاؤهم بعد التقلب على الآرائك الأثيرة وأصبحوا جياعاً بعد التلذذ بصنوف المأكولات وأصبحت منازلهم أطلالاً بعدما كانت قصوراً شامخة وانقطعت بهم السبل فلا السيارات تصلهم ولا الطائرات تهبط عليهم. هذا وقد تهدمت مساكنهم على أموالهم وأثاثهم وأرزاقهم وأصبحوا معدمين إلاَّ من رحمة الله ربهم ثم عطف حكومتهم وبني جنسهم ممن لم يصابوا بمثل مصيبتهم وقد اختطوا مساجد في الفضاء بعدما تهدمت بعض المساجد وبقيتها لا تكنهم سقوفها بعد ما كانت عامرة. وسقط المسجد الجامع في بريدة فوزع الأهالي في صلاة الجمعة في ثمانية مساجد لأنَّه لم يبقَ من الجامع إلاَّ أكواخ قليلة، واستمرَّ هطول الأمطار إلى اليوم ٢٧/ ٥ ثم أعقب ذلك ظلٌّ وغيوم. هذا وما كان النَّاس يستطيعون دخول البيوت إلاَّ لأخذ الطعام ثم يعودون وهجرت البيوت والمساكن وظلت خاوية على عروشها. ولقد حاول البريد الجوي الهبوط في مطار بريدة فلم يستطع إلى

ذلك سبيلاً وانقطع البريد. وقد بعثت الحكومة بعض الخيام والمأكولات إلى المنكوبين في غرة جمادى الثانية ومن ضمنها خيمتان عظيمتان تكن المصلين في الجامع الكبير أوقات الصلوات فضربتا في رحبة المسجد لما لم يبقَ منه ما يكن صفين وذلك في ٦/٨. فكانوا يصلون فيهما نهاراً وفي الليل لا يستطيعون الجلوس فيهما لشدة البرد القارس واستمرت السحب متلاحمة قد انخاط الجو كقطعة من حديد ويتوقف المطر ثم يعود. فلا إلٰه إلاَّ الله لو رأيت ساحة البلاد وقد نضدت بالخيام والبسط والحصير واستمرَّ المطر والطل إلى ٦/١٨ ولـمَّا كان في ٦/٢١ الموافق ليوم الثلاثاء اشتدَّ البرد وتراكم السحاب ثم نزل في غده جليد وبرد بسكون الراء لم يعهد مثله ثم في ٧/٤ تراكمت الغيوم وهطلت أمطار واشتدَّ البرد ثلاثة أيام فشهران سوى يومين لم ترَ الشمس فيها هذا والفقير لا يدري إلى أين يذهب بل كانت الأرض فراش الفقراء والسماء غطاءهم وتقدر البيوت التي سقطت من هذه السيول في العاصمة بريدة نفسها بثلاث آلاف بيت هذا سوى ما كان بسيطاً من جدار وشيء يسير. ومن العجائب أنَّ الله تعالى وقى النفوس البشرية. فمن النَّاس من إذا دخل بيته وأخذ ما يصلحه من بلغة الطعام والشراب ثم خرج سقط البيت لأنَّ الضربة كانت في الأموال. وقد جرى وادي الرمة وكان جريه عظيماً وكان لا يجري إلاَّ إذا عظم هطول الأمطار كما أنَّ وادي الفاجرة الذي كان مجراه في قلب الخبيب جرى ومنع الداخلات والخارجات من السيارات. وقد كثر نزول الأمطار في سائر الجهات. وكانت غالب مدن القصيم قد نكبت بخسائر من هذه السيول كعنيزة والرس والكيرية وغيرها.
كما هطلت أمطار على الزلقي من تاريخ نزول الأمطار على القصيم ٥/١٢ إلى تاريخ ٦/٢ فنتج عنها ما لم يرَ مثله منذ عشرات السنين من أضرار بالغة في المباني والأموال فقد انهار كثير من البيوت والدكاكين وغيرهما كما أنَّه هطل في يوم الأحد الموافق ٥/٢٨ صيب من الأمطار على الغاط وضواحيها

سالت على أثر ذلك جميع الأودية وقبله في ١٤/ ٥ استمرت الأمطار لمدة ثمانية أيام وحصل بعض الأضرار على المزارع والسدود. أمَّا البيوت فقد خرج الكثير من أهالي البلدة عن مساكنهم نظراً لما حصل من سقوط الكثير من المنازل ولهذا كان من دعاء الخطباء في صلاة الاستسقاء: اللَّهُمَّ سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا بلاء ولا هدم ولا غرق. وقد بعثت الحكومة من الخيام والطعام لمنكوبي السيول الذين أصبحوا بلا مأوى ولا طعام كما بعثت لجنة لتقويم الخسائر التي نجمت عن تلك الكوارث.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم شيخنا سليمان المشعلي وهذه ترجمته: هو العالم الكبير والفاضل الشهير والألمعي الجليل الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن علي المشعل وكان أهل نجد يسمونه المشعلي ويقال إنَّ المشعل من قبيلة كبيرة وأبوه عبدالله كان ذا أملاك بخب الخلوة من ضواحي بريدة ولديه ثروة وكان وجيهاً. كما أنَّ له في عنيزة أملاكاً وقد طال عمره حتى بلغ المائة أو زيادة عليها وفي آخر عمره تلاشت ثروته وكثرت ديونه. وكان المترجم أصغر أولاده فمرض بالجدري وفقد بصره وكان مما يهم والده حالة ابنه الصغير الذي أصبح فاقد البصر فكان يوصي إخوته به. ولمَّا بلغ المترجم الثامنة من عمره توفي والده وكانت والدته من آل جمعة وله إخوة أشقاء أكبرهم محمد حنى عليه لأنَّه كان في حضانة أمه وحنو أخيه.

نشأتـه: نشأ رحمه الله يتيماً فقيراً أعمى وكان فطناً نبيهاً مفكراً يعجب كل من شاهده أو جلس معه من نباهته. وفي يوم من الأيام قال لأمه: أدعي الله لي فقد عزمت على طلب العلم فشمر وجد واجتهد وجعل يختلف إلى أئمة المساجد في خب الخلوة ويتعلم حتى حفظ القرآن وعمره إذ ذاك اثنتا عشرة سنة ثم سافر إلى بلد المذنب للطلب فأخذ في طلب العلم على الشيخ

عبدالله بن محمد بن دخيل وبقي مدة هو والشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع هناك في بلد المذنب وكانت إذ ذاك آهلة بالعلم وطلابه ذلك لما قام به الشيخ عبدالله بن دخيل من التعليم والتشجيع لطلابه بحيث حصلت نهضة على يديه في بلد المذنب وأقبل الطلاب إليه من كل جهة وصوب وبذلت الولائم وحصل للطلاب ما يساعدهم في بذل القوت. وهناك كانت محبة لله وزيارات من مدينة حائل حتى بلد المذنب. حدثني بذلك المترجم والشيخ عثمان بن حمد بن مضان وأخوه رجل الدين والخير محمد بن حمد بن مضان. وقد سبق في ترجمة الشيخ عبدالله بن دخيل ما فيه كفاية. ثم رحل المترجم إلى الرياض ماشياً على قدميه هو وبعض إخوانه يحملون متاعهم على حمار فأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف وعن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف، وأخذ عن الشيخ سعد بن عتيق كما أخذ عن الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم وعن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وعن الشيخ عمر بن محمد بن سليم. أمّا ولادته فكانت في سنة ١٣٠٠هـ في خب الخلوة المذكور الكائن حوالي الدعيسة يقع غربي مدينة بريدة على مسافة ٧ كيلو. أمّا المشعل الذي ينسبون إليه فإنّه من أهالي حرمه بلد في سدير.

ذكر الوظائف التي نالها

كانت أول وظيفة قام بها أن جعل في عام ١٣٣٦هـ قاضياً في المستعجلة بمدينة الرياض فشغل هذه الوظيفة ثم طلب من المشائخ إعفاءه عن القضاء بين مشائخه ثم كان قاضياً في نفي ثم نقل منها إلى دخنة ثم إلى الفوارة ثم إلى الشبيكية ثم إلى قضاء المذنب ثم إلى قضاء البكيرية. وكان في هذه الوظائف موضع الثقة والتقدير وكنت لمّا تولى القضاء في البكيرية وأراد الذهاب إليها بناء على ما أسمعه منه من أنّه يحب سكناها ولو لم يتولَ وظيفة فيها. فقلت له: لقد حلمت وقرت الآن عينك فيها فأوصيك بنشر العلم فيها ولا تأل أن تكثر التعليم هناك فقال: الله المستعان وأنَّ فلاناً

القاضي يقول: لو وجدت من يتعلم مني بأجرة لبذلتها. وكان يخلفه في قضاء بريدة جلالة الملك إذ غاب القاضي.

أخلاقه وشمائله

كان صموتاً قليل الكلام محباً للعزلة قليل الضحك لا يكذب وإن كان مازحاً. ويقدر أهل العلم وله أدب ومعرفة بفنون الشعر والحكم وأقوال العلماء والتاريخ ومعرفة الرجال والجرح والتعديل، ولا يحب الشهرة وعلى جانب من العبادة وكان ذا سمت عظيم حتى يخيل إلى من رآه أنَّه يسكت على أمر عظيم من الدهاء والمعرفة. ولهذا قال في مدحه الشيخ عمر الوسيذي من قصيدة مرَّ بنا ذكرها:

ويا سليمان المشعلي نلت مفخراً   وعلماً على حسب الورى والأماثل
فلا تسأمن البحث فيه ولا تكن   جباناً إذا دارت فنون المسائل
فمن فعلك الأحجام طيعاً وإنَّما   لك خبرة في قاطعات الدلائل

وقد نفعته تلك الرزانة بحيث كان عاقلاً يعالج المشاكل بحكمة. وبمَّا أنَّ القاضي عمر بن محمد بن سليم يستنيبه في القضاء فقد كان الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد يستنيبه أيضاً إذا كان موجوداً وكان جبلاً عظيماً في القضاء لرزانته وقلة كلامه فيوقف عند توجيهاته. وفي صفته كان قصير القامة أقل من الربعة ممتلىء الجسم قد لوحته الشمس إلى السمرة وكان معظماً ومحترماً ومهاباً ولا يحب المزح. كثير التفكير. ومن كلماته الخالدة قوله: إنَّ العالم في هذا الزمن كالحلتيت إن احتاج النَّاس إليه طلبوه وسعوا في تحصيله وإن استغنوا عنه لم يعبأوا به. ثمَّ أنَّها تداركت عليه أمراض في آخر عمره لأنَّه يغلب عليه السعال المخاطي البلغمي وأقعدته الأمراض وكبر سنه فلما كان ذات ليلة قال لابنه عبدالله: إنِّي موصيك بوصية وقد أشهدت عليها عبدالله بن رشيد الفرج وفلاناً لرجل سماه ولعلي ألقى الله في هذه الليلة.

وتوفي من آخر الليل ٩ رجب رحمه الله وعفا عنه. وكان يكثر البكاء في آخر عمره ويذكر الرعيل الأول والسلف الصالح حتى لحق بهم وتوفاه الله على حالة طيبة. خلف ابنين أحدهما عبدالله كان رجلاً طيباً وذا أخلاق كريمة تولَّى إدارة مدرسة المذنب ثمَّ إدارة مدرسة أحمد بن حنبل في بريدة ثم كان مفتشاً في إدارة التعليم بالقصيم وغيرها، وله ابن يسمى أحمد وهما جامعيان.

وممن توفي فيها من الأعيان
الشيخ عبد الرحمن بن سعدي عالم عنيزة وفقيهها

وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم العلامة الفقيه المفسر عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله بن ناصر آل سعدي من قبيلة بني تميم. ولد في بلدة عنيزة في القصيم ١٢ محرم عام ١٣٠٧هـ وتوفيت والدته وله أربع سنين وتوفي والده وله سبع سنين فنشأ يتيماً تقلبه العناية الربانية وكانت أمه من آل عثيمين. وبعد وفاة أمه عطفت عليه زوجة والده وكانت نشأته حينة تعلم القرآن وحفظه وله من العمر إحدى عشرة سنة ثم أخذ يطلب العلم واشتغل في الدراسة فأخذ عن علماء بلده وعمن قدم إليها من العلماء. وممن أخذ عنه الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر كان أول من أخذ عنه المترجم ومن أكبر مشائخه ويصفه الشيخ عبد الرحمن بحفظ الحديث والورع ومحبة الفقراء ومواساتهم. وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الكريم بن شعل قرأ عليه في الفقه وعلوم العربية وغيرها وأخذ عن الشيخ صالح العثمان القاضي قاضي عنيزة قرأ عليه في التوحيد والتفسير والفقه وأصوله وفروعه وعلوم العربية وأكثر الأخذ عنه ولازمه ملازمة تامة حتى توفي رحمه الله، وأخذ عن الشيخ صعب التويجري، وأخذ عن الشيخ علي السناني وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عايض، وأخذ عن الشيخ علي الناصر بن وادي قرأ عليه في الحديث والأمهات الست وغيرها وأجازه في ذلك، وأخذ عن الشيخ

محمد بن عبد العزيز بن مانع مدير المعارف في المملكة السعودية سابقاً. وأخذ عن الشيخ محمد الشنقيطي نزيل الحجاز قديماً ثم الزبير. أمَّا تلامذته والآخذون عنه فخلق كثير وجم غفير. وإليك ذكر من نعرفه منهم الشيخ محمد بن منصور بن زامل. الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع، الشيخ محمد الصالح بن عثيمين. وكان هذا هو الذي خلفه بإمامة الجامع الكبير، الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العقيل، الشيخ عبد المحسن الخريدلي، الشيخ محمد العبد الرحمن العبدلي، الشيخ إبراهيم المحمد العمود، الشيخ محمد الناصر الحناكي، الشيخ عبد الرحمن بن عقيل، الشيخ عبدالله بن عبد العزيز المطوع، الشيخ محمد بن سليمان البسام، محمد بن عبدالله بن مانع، الشيخ محمد الصالح الفضيلي، الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام، عبدالله بن محمد العوهلي، حمد بن محمد البسام، عبدالله بن حسن بن بريكان، الشيخ عبد العزيز بن محمد بن سلمان، حمد المحمد المرزوقي، محمد بن عثمان القاضي، الشيخ الوجيه عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل السليم، الشيخ علي الحمد الصالحي، الشيخ محمد الصالح بن خزيم، الشيخ عبد العزيز بن سبيل، الشيخ عبد الرحمن المحمد المقوشي، الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، عبدالله الزامل العفيسان، الشيخ سليمان بن إبراهيم البسام، وغير هؤلاء، وكان لتعليمه قبول في عنيزة ويعظمونه ويحترمونه لمكانته العالية في العلم ويميل تلامذته إلى دروسه ولا يملّونها بل يتلذذون في مجالسه ومن طريقته في التدريس. إنَّه يتشاور مع تلامذته في اختيار الأنفع من كتب الدراسة ويرجح ما عليه رغبة أكثره وقد يعمل المناظرات بين تلامذته لشحذ أفكارهم ولديه معرفة بالفقه وأصوله وفروعه.

أخلاقه وتواضعه

كان الشيخ عبد الرحمن على جانب عظيم من مكارم الأخلاق متواضعاً اجتماعياً دمث الأخلاق متحبباً إلى الكبير والصغير ويتكلم مع كل فرد بما يناسبه ويبحث معه في المواضيع النافعة له دنيا وأخرى. وكان ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء يساعدهم بالمساعدات المالية على قدر استطاعته ويستعطف لهم المحسنين ممن يعرف عنهم الإحسان. هذا هو عبد الرحمن الناصر بن سعدي العالم المشهور في الأخلاق الحسنة والفضائل الجمة.

زرته مرة في عنيزة وكنت إذ ذاك أسعى في طلب مطبوعات مقبل الذكير التي جادت بها أريحيته وجعلها وقفاً على المسلمين فاتخذت الشيخ عبد الرحمن وسيلة إلى عبد الرحمن المقبل الذكير فذهبت أنا وصاحبي عبد الرحمن بن عبدالله بن وائل إمام الطرفية وكان رحمه الله من جملة الدارسين عليَّ من كبراء السن يكبرني بخمس وعشرين سنة ولخفة روحه ومحبته اتخذته صاحباً. امتطينا حمارين وسرنا إلى عنيزة في إحدى ليالي العشر الأولى من شهر رجب عام ١٣٦١هـ فبتنا في النفود الكائن بين قرية الخضر والوادي ومن آخر الليل ركبنا الحمر تحمل قربة ماء وشيئاً من أواني الطبخ، وفي الصباح قدمنا عنيزة فطفقنا نسأل عن بيت الشيخ ابن سعدي حتى وصلنا إلى بيت متواضع من الطين ولمَّا أن طرقنا الباب نزل إلينا مع الدرج شيخ قصير القامة أبيض اللون ممتلىء الجسم يعلوه الوقار لأنَّ القهوة أو المجلس في الطابق الثاني فسلمنا عليه وأبدى بشاشة وترحيباً وجعل يقول: كتب الله خطاكم تفضلوا فبدرته بقولي: استعد لما أتيناك له فقال: لا يمكن أن نتكلم بحاجتنا حتى نشرب القهوة ونستأنس بكم. فعجبت لهذه الأخلاق وقد أقسم أن لا نتكلم حتى نفرغ من القهوة ثم نتكلم بالموضوع وكان يعمل القهوة بنفسه ويردد هذه الكلمات «وأفوض أمري إلى الله إنَّ الله بصير بالعباد» ثم يرجع إلى كلامه كتب الله خطاكم. وجعل في قهوة البن شيئاً من الحبة

السوداء الشونيز لأني كنت أظن أنَّه ينتفع بها لوصاية الرسول عليه الصلاة والسلام بها. ولمَّا أن فرغنا أخبرناه بخبرنا فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي إلى الابن الكريم عبد الرحمن المقبل الذكير. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الواصل إليكم فلان قد جاء لهذا الموضوع وأنَّه لم يخرج من باب بريدة الجنوبي أبداً إلاَّ لهذه الحاجة أرجو قضاء حاجته وإتحافه بمطلوبه. ثم قال الغداء هنا بعد الظهر كتب الله خطاكم. فاعتذرنا بموعد سابق وخرجنا من عنده شاكرين داعين وطال تعجبي لهذه الأخلاق التي يبخل الزمان بمثلها وكان لم يسمح عن دعوته حتى أقسمنا له أنَّ الركاب عند المغرب. ولمَّا جئنا إلى بيت الذكير وجدنا رجلاً بشوشاً فناولته الخطاب فقرأه ثم أقسم بالله لو أنَّ صاحب هذا الخطاب بعث إليَّ وهو في بريدة ولم يجعل ابن سعدي واسطة ولم يسعَ بنفسه لبعثتها له وهو جالس. ودعانا إلى طعام الغداء فاعتذرنا شاكرين ومقدرين وكان قد جعل خادماً يعد القهوة العربية ويصب من الدلال للزوار وناولني ما تيسر من الكتب الموجودة ولا ريب أن المترجم له قد تمخضت عنه مدينة عنيزة وافتخرت به على ما سواها.

مؤلفات الشيخ

كان يشتغل في كتب الشيخين الإِمامين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى وكان حنبلياً، ثم بعد ذلك صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي بل يأخذ بالراجح من حيث الدليل تقليداً لهذين الإمامين. وله يد طولى في التفسير. وقد ألف تفسيراً في ثمانية أجزاء طبع مراراً وذلك لأنَّ له ذوقاً في تفسير القرآن ويستطرد ويبين من معاني القرآن وفوائده ويستنبط منه الفوائد البديعة وله فصاحة وجزالة في اللفظ. وقد تكلم في مسألة يأجوج ومأجوج بكلام حمل عليه أعداؤه بسببه حملات شعواء وأنَّه خالف الجمهور ورفع أمره إلى والي الأمر واستقدم إلى الرياض للتحقيق معه وجرى معه البحث وخافت

الأمة عليه لكنه رجع محترماً. ومن مؤلفاته: الرياض الناضرة، ومختصر في الفقه سماه منهج السالكين، ومختصر في أصول الفقه، وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني، تنزيه الدين ورجاله، مما افتراه الصعيدي في أغلاله توضيح الكافية الشافية جعله كشرح لطيف لنونية ابن القيم وهو مختصر يقرب للأذهان معرفتها القواعد الحسان لتفسير القرآن، ديوان الخطب العصرية وخطب أخرى سماها الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والدرة المختصرة في محاسن الإِسلام. وكتاب سماه القواعد والأصول الجامعة ورسالة لطيفة سماها الوسائل المفيدة في الحياة السعيدة، الفتاوى السعدية مجلد كبير على أبواب الفقه، بهجة قلوب الأبرار وشرح جوامع الأخبار وله مؤلفات أخرى وإنَّه ليشكر على انتصاره للإِسلام والذب عنه في غالب كتبه وإبراز محاسنه. وقد عرض عليه قضاء عنيزة عدة مرات فلم يقبل بل كان يؤم في المسجد الجامع فيها ويدرس فيه ولا ريب أنَّ عنيزة خسرته لأنَّها فقدت عالمها الكبير. ولمَّا كان في يوم الخميس ٢٣ جمادى الآخرة من هذه السنة اختطفته يد المنون على إثر ضغط وتصلب الشرايين كان يعاوده هذا المرض حتى قضى عليه. وقد جاءت طائرة تلك الليلة لإِسعافه لما أغمي عليه من أول الليل ولكنها لم تتمكن من الهبوط لتعكر الجو فرجفت القلوب عليه حزناً وأسى وصلَّى عليه في سائر الآفاق رحمه الله وعفا عنه وقد رثي بمراثي حسنة.

وممن توفي فيها من الأعيان فؤاد الخطيب الشاعر العربي وكانت وفاته في منتصف شهر رمضان من هذه السنة وهذه ترجمته: هو الأديب الشاعر، ولد المترجم في سنة ١٣٠٢هـ وعاش في ربوع وطنه وعندما بدأت الحركات التحريرية التي تهدف إلى تحرير الأمَّة العربية من النير الأجنبي كان من أول المسارعين إلى الانضمام إليها فكان عضواً في جمعية المنتدى العربي ثم حكم عليه بالإعدام ففرَّ إلى مصر فالسودان حيث اشتغل فيه

بالتدريس ثم لما قام الشريف الحسين بالثورة ضد الحكم التركي اتصل به فعينه وزيراً للخارجية ثم رافق الأمير فيصل بن الحسين حينما دخل دمشق وتولى في حكومته وزارة الخارحية وصار فيما بعد مستشاراً للأمير عبدالله في شرق الأردن. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى استقال من وظيفته وعاد إلى لبنان. وفي سنة ١٣٤٩هـ وفد على الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن لما سمع من وفائه وكرمه فلقى من عطفه وبره ما هو أهل له وعينه وزيراً مفوضاً في الأفغان. ولقي من عطف الملك سعود وتقديره الشيء الكثير. وقد توفي المترجم وهو سفير للمملكة العربية السعودية في بلاد الأفغان عن عمر بلغ ٧٤. ومن آثاره: ديوان شعر مطبوع في مجلد لطيف يسمى (ديوان الخطيب) وديوان شعر مخطوط يقع في مجلدين وغير ذلك.

دور الأيتـام

في هذه السنة قامت الحكومة السعودية بفتح دور لليتامى تحت رئاسة المفتي العام فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فكان يبعث وكيله لفتحها في المدن فمن ذلك فتح دارين لليتامى في ضرما وفي الدلم فبذلك كان في عاصمة الخرج ما يربي أبناءهم العاجزين، كما أنَّ الثانية في إقليم بطين العارض تفيد العجزة هناك وكذلك استمرَّ أيضاً الفتح لهذه المدارس التي كانت دوراً لليتامى في بريدة والمجمعة وعنيزة وحائل وتبوك والجوف والقريات والزلفي وشقراء والدوادمي وينبع. أمَّا عن مكة والمدينة المنورة والرياض فقد فتح فيها قبل ذلك وظهرت النتيجة في مكة المشرفة بما يسر الحكومة ويعود على أولئك اليتامى ونحوهم بالخير والنجاح نسأل الله تعالى أن يجعل العاقبة إلى خير.

وفيها في ربيع الثاني قدم إلى المملكة العربية السعودية رئيس جمهورية الباكستان الجنرال إسكندر ميرزا زائراً لها فازدحم مطار الرياض بجماهير

كثيرة وأقيمت أقواس النصر واستقبله صاحب الجلالة الملك سعود وجماهير الشعب المحتشدة وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي ولي العهد فيصل.

وفيها في ٦/٢٧ قدم الملك سعود إلى واشنطن للاجتماع بالرئيس إيزنهاور. وبعدما أتمَّ الزيارة ذهب لزيارة مدريد عاصمة إسبانيا للاجتماع بسلطان مراكش محمد بن يوسف والجنرال فرانكو وذلك في ٧/١٠. وزار أيضاً الملك سعود القاهرة للاجتماع بالرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين وصبري العسلي وذلك في ٦/١٧. وكان قد سار قبل ذلك في ٤/١٠ إلى بيروت للاجتماع برؤساء الدول العربية شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية وكميل شمعون رئيس جمهورية لبنان والملك الحسين الشريف وولي عهد اليمن محمد البدر وعبد الفتاح محمد المغربي رئيس مجلس السيادة بالسودان ومصطفى بن حكيم رئيس وزراء ليبيا وعبد الحميد غالب سفير مصر في بيروت. ثم زار الملك سعود مراكش في ٧/١٧ للاجتماع بالسلطان محمد بن يوسف سلطان مراكش كذلك زار الملك سعود في ٧/٢١ تونس للاجتماع بباي تونس محمد الأمين. ومن الغد زار أيضاً طرابلس الغرب للاجتماع بملكها إدريس السنوسي. وفي ٧/٢٤ زار الملك سعود القاهرة للاجتماع بالأقطاب الثلاثة شكري القوتلي وجمال عبد الناصر وحسين ملك الأردن. كما أنَّ الأمير فيصل ولي العهد زار تونس في ٨/١٧ للاشتراك في الاحتفال بالعيد الأول لاستقلال تونس.

وفيها في ١٣٧٦/٨/١٠ هـ قدم ملك العجم محمد رضا شاه بهلوي صاحب إيران إلى الرياض زائراً.

وفيها فجر في بريدة وضواحيها آبار إرتوازية وكثرت المياه فيها فمن ذلك عين جديدة نبعت في حارة الخبيب تدفق منها ماء غزير يماثل في الكمية ما تنتجه العين العزيزية ومنها عين أخرى نبعت في واحة الصبيحية قرب مدينة

بريدة من جهة الشمال وكثرت هذه الآبار في خب البريدي والجرية والزرقاء. ولا تزال الأيادي مشتغلة في آلات الحفر.

أمَّا ما كان عن عنيزة فإنَّه قام الوزير السابق عبدالله بن سليمان بسحب أنابيب في المدينة باستعمال ماكنة هناك في أنَّهم حتى الآن لم يتوصلوا إلى استخراج الماء نابعاً وهناك في منطقة الرس لم يتوصلوا أيضاً إلى الينابيع العذبة وأملنا عظيم بأن يفتح الله لهم تلك الطبقة.

وفيها في ٣/١٤ صدر مرسوم ملكي بإعفاء أكثر المواد الضرورية من الرسوم مع تعديلات في تعرفة الرسوم الجمركية وقد جاء ذلك في ثلاث مواد.

وفيها وفاة السفير السعودي في مصر وليبيا عبدالله بن إبراهيم الفضل وذلك في أواسط شهر رمضان من هذه السنة وكانت وفاته في مدينة لوزان بسويسرا حيث كان يتعالج هناك من داء لم ينفع فيه طب الأطباء. وقد نقل جثمانه بطائرة من المدينة المذكورة إلى القاهرة ثم إلى جدة ومن جدة بالسيارات إلى مكة المكرمة حيث صلَّى عليه في المسجد الحرام وشيع إلى مثواه الأخير في موكب رسمي مهيب مشى فيه جمهور غفير من كبار رجال الدولة والوجهاء والأعيان يتقدمهم الأمير عبدالله بن فيصل ولمَّا أن واراه المشيعون حدث لهم حزن عميق وتأثروا لشدة الأسى وتقدموا يعزون إبراهيم السليمان وبقية آل الفضل ويترحمون عليه ذلك لما يعرفونه عنه من مكانة سامية ومحبة فائقة في قلوب جميع من عرفة في حياته ومما يؤثر عنه النزاهة واللطف واللباقة. وقد اشتهر طيلة مدته التي قضاها في الإخلاص لمليكه وكانت مدة خدمته للحكومة تزيد على إحدى وثلاثين عاماً تقلب خلالها في عدة مناصب رحمه الله وعفا عنه.

ممن توفي فيها من الأعيان الشيخ فيصل بن مبارك

وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم العلامة الزاهد الورع قاضي الجوف فيصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد بن مبارك بن عبد الرحمن بن حسن بن عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن بن راشد، ينتهي نسبه إلى العمارات من قبيلة عنزة. ولد في حريملاء من بلدان نجد سنة ١٣١٣هـ وتوفي في ذي القعدة من هذه السنة قدس الله روحه ونور ضريحه. وكان له معرفة وبصيرة انتقل مع أسرته إلى الرياض سنة ١٣٢٠هـ وتعلم القرآن على الشيخ عبد العزيز الخيال. وقد استشهد والده رحمه الله في واقعة البكيرية المشهورة بين ابن سعود وابن رشيد وهو طفل، فكفله عمه محمد.

مشائخه وتلقيه للعلم

أخذ في الدراسة بكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثلاثة الأصول وكتاب التوحيد وآداب المشي إلى الصلاة وكشف الشبهات ومفيد المستفيد ورسائل أئمة هذه الدعوة التي تدل بمفهومها على أن المتشبث بها من أهل العقيدة السلفية درس بها على الشيخ جده لأمه ناصر بن محمد بن ناصر وعلى عمه الشيخ محمد بن فيصل بعدما أتم حفظ كتاب الله تعالى وذلك بعدما رجع إلى مسقط رأسه حريملاء وله من العمر ثماني عشرة سنة، وأخذ عن قاضي تلك المنطقة الشيخ عبدالله بن حمد الحجازي، ويوصف عبدالله بالعلم والمعرفة، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن فيصل بن سلطان رحمه الله. ثم سافر إلى الرياض مرة أخرى فقرأ التوحيد والعقيدة الواسطية والطحاوية على رئيس القضاة الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف آل الشيخ ونهل من ينبوعه وأخذ علم النحو عن الشيخ حمد بن فارس وأخذ عن الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأوصاه الشيخ بلزوم صحيح البخاري ومسلم وأجازه في التفسير وتدريس الأمهات الست

كما أوصاه بلزوم مذهب الإِمام أحمد فهو حنبلي المذهب وله المكان اللامع في الأخلاق الفاضلة، وأخذ عن الشيخ علي بن داود وقد غزا مع جلالة الملك عبد العزيز في واقعة جراب، وفي هذه السنة أخذ عن الشيخ النمر وسافر إلى الإحساء فأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن بشر وسافر إلى قطر فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع ثم سافر إلى الرياض وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. وإن أخذه عن هؤلاء العلماء الفطاحل الذين حازوا قصب السبق لأكبر دليل على توفيق الله له وعنايته به وجده واجتهاده في تحصيل العلوم من مظانها وعلو مكانته في العلم.

أمَّا الوظائف التي نالها فقد انتدبه الملك عبد العزيز هو وعبدالله بن راشد وابن جار الله إلى تهامة بالحجاز مرشدين ثم جعل قاضياً في تثليث ثم نقل منها إلى أبها قاعدة عسير وانتفع في صحبة الشيخ عبدالله بن راشد وأكثر الأخذ عنه ولا سيما في الفرائض ثم نقل من أبها إلى بيشة ثم نقل منها إلى تربة ثم نقل منها إلى الخرمة ثم أعيد إلى أبها ومنها نقل إلى القنفذة ثم نقل منها إلى قرية ومنها نقل إلى ضرما ثم نقل إلى الجوف مقر عمله. وكان يحب مواساة الفقراء من جيبه وأديباً وعفيفاً ونزيهاً ومحبوباً وذا لسان ناطق وفكر ثاقب ومجالسه بحوث علمية واجتماعية ولا يحب الهزل مع تواضع ويكلم الكبير والصغير والغني والفقير بما يناسبه وقليل الاهتمام في حطام الدنيا.

مكانته في العلم ومؤلفاته

أمام مؤلفاته فمنها (بستان الأخبار مختصر نيل الأوطار) يقع في مجلدتين، وشرح عمدة الأحكام مطولاً ثم اختصره في جزئين ثم اختصرها فكانت في مجلد. مختصر الكلام في شرح بلوغ المرام وهو شرح وجيز

مفيد شرح الأربعين النووية سماه «محاسن الدين على متن الأربعين»، مفتاح العربية على متن الأجرومية، مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد، غذاء القلوب ومفرج الكروب، الدلائل القاطعة في المواريث الواقعة، كلمات السداد على متن الزاد، السبيكة الذهبية على متن الرحبية. القول في الكرة الجسمة الموافق للفطر السليمة. كتاب المرقع المشبع من الروض المربع في أربع مجلدات. مختصر فتح الباري على صحيح البخاري، سماه لذة القارىء يقع في ثمانية مجلدات. وله مؤلفات لم تنشر وما زال في جده واجتهاده وأخذ عنه طلاب كثيرون وفي آخر عمره اقتصر في بيته وانزوى لمرض أصابه حتى أتاه اليقين رحمة الله عليه. وقد قيل إن وفاته في السنة التي بعدها والصحيح ما أثبتناه.

وفي هذه السنة بعثت الحكومة رجالاً من جيش الجهاد إلى بريدة وغيرها كهيئة المرابطين وذلك لمصلحة رأتها الحكومة في ذلك فنزلت هذه القوات في بيوت في حارة الخبيب.

وقد بدىء في هذه السنة بتصدير زيت السقانية إلى الخارج فقد حملت الباخرة في صباح الأحد خامس شوال في خزاناتها ١٢٦٠٠٠ برميل من هذا الزيت الخام الحلو متوجهة به إلى اليابان، وقد أقيم لهذا احتفال رسمي حضره سمو الأمير عبد المحسن بن جلوي نائباً عن سمو الأمير سعود بن جلوي وفي معية النائب الأمراء والوجهاء والأعيان ورؤساء العمال هناك. ولا تزال العمال في التنقيب وقد فاق عدد آبار الزيت التي استعملت في الإِنتاج في الكثرة.

وفي غرة شهر ذي الحجة من هذه السنة تفشى مرض كهيئة الحمى يصيب الكبار والصغار وقضى على كثير من الأطفال وكان يلبث المريض بهذا المرض ثلاثة أيام فبين سالم وعاطب. وحجَّ بالمسلمين في هذه السنة

صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز وكانت التنظيمات في أحسن ما يكون، وذلك لما أقيم في السنة المتقدمة أميال في منى لمعرفة الشوارع فيها مرقمة وبينها قطع تهدي الحجاج وترشدهم إلى خيامهم وأمكنتهم فكان لذلك أثر طيب. وما زالت الحكومة جادة في إنشاء المستشفيات في منازل الحجاج ومواضع إقامتهم في مكة والمشاعر المعظمة. وفي هذه السنة تقدمت الرياضة البدنية وقررتها وزارة المعارف في مدارس نجد وأصبحت تعتبر في المنهج درساً كبقية الدروس وأكبَّ طلاب المدارس الحكومية عليها بصفتها لديهم تقوي العضلات وتشد العزم وتشرح الصدور وتروح عن النفوس وتبعث النشاط ولذا أقيمت المباريات والملاعب في الفضاء لذلك ونسأل الله أن يجعل العاقبة إلى خير. وبكل حال فإنَّها لا تزال في تقدم ونهوض.

ثم دخلت سنة ١٣٧٧ هـ استهلت هذه السنة والجزائر في مناضلتها لفرنسا ولا تزال تجاهد في سبيل طلب حريتها رغم ما كان يسعى الفرنسيون له، فإن فرنسا سعت كل السعي وبكل الوسائل لجعل الجزائر وطناً فرنسياً غير أنَّ الأهالي في الجزائر لا يزالون دائبين في التخلص من فرنسا وهبوا عن بكرة أبيهم مجاهدين في هذه الثورة التي لا تزال نيرانها متأججة وما زالوا يجاهدون حتى النفس الأخير، وهذه هي الجزائر المجاهدة ومن مدنها وهران وعنابة وأم العسكر وهذه المدينة أعني أم العسكر هي التي لعبت دوراً هاماً في ميدان البطولة والتضحية وهي بلدة المجاهد العربي الكبير عبد القادر الجزائري الذي خلد له التاريخ صفحات كلها جهاد وبطولة ويتألف شعب الجزائر من ثلاثة أقاليم: إقليم التل في الشمال وإقليم الهضاب العالية في الوسط والصحراء في الجنوب ومساحة الجزائر بما يتبعها من الصحارى ٨٩٠ ألف كيلومتر مربع تقريباً وعدد شعب الجزائر لا يقل عن سبعة ملايين عربي وفيها ما يقرب من ٩٠٠ ألف نسمة من الأوروبيين والمستعمرين ولقد

كانوا يواجهون في هذه السنة والتي قبلها اعتداءات الفرنسيين بثبات وصمود لا تزعزعه قاذفات الصواريخ المحرقة ولا المدمرات الهدامة ولا نيران المدافع إذا كان الجزائري يقع على الأرض شهيداً وما زال أهل الجزائر صامدين أمام دولة كبرى عريقة في الجلاد خبيرة في القتال والحرب وليس لديها ذرة من رحمة ولا هوادة ولا عطف بل كانت وحشاً كاسرة تقتل الشيخ الهرم في متعبده انتقاماً والعجوز الفانية والطفل في مهده وتستبيح كل المحارم وليس لديها ذرة من خلق ولا خردلة من شفقة ولا جناح بعوضة من إنسانية.

وفي أخريات رجب اشتدت الوطأة على الجزائر من ضرب فرنسا وقاسى الأهالي تقتيلاً وتدميراً وإرهاباً وتعذيباً وتشريداً ولكنهم مع ذلك مستميتون في سبيل الدفاع والنضال ثابتون ثبات الرواسي الشوامخ وقد حملوا السلاح عن بكرة أبيهم رجالاً ونساء. حتى جاء عن مواطن جزائري لصديق له في المملكة العربية السعودية رسالة يصف فيه الفظائع التي فعلتها فرنسا قال فيها: لا يخفى عليكم حالتنا اليوم في الوطن الجزائري أن جسدي كله مطعون بخناجر الاستعمار الغاشم الفرنسي ولم يسلم منه أحد من الأسرة ونعرفكم باستشهاد الأخ الأستاذ أحمد رضا وسبب إعدامه أنَّه وجهت إليه تهمة المستعمرين باغتيال مدير شرطة قسطنطينية هو وثلاثة وخمسون شخصاً معه كلهم أعدمهم الفرنسيون عن بكرة أبيهم كما أعرفكم بابنه مصطفى إنَّهم أعدموه أيضاً ومعه تسعة من الأسرة. أمَّا الأسرة فكل من يستطع حمل السلاح صعد به إلى الجبل مع جيش التحرير وبعضهم في السجون وما بقي في البلد إلاَّ النساء وحدهن. ومما قال الشاعر اللبناني وديع ديب يصف حالة بعض البؤساء ويبوح بذكر الآلام المجتمعة وتحسسه بها، وبذلك تتجلى إنسانية هذا الشاعر في وصفه لبائع البسكوت:

يا بائع البسكوت ما طعمه — هلا كفاك العيش يا بائع

لمن تنادي الحلو يا مشتري | وأنت موهون القوى جائع
يا طفل من ألقاك في عالم | لا وازع فيه ولا رادع
غنيه من تخمة يشتكي | وجاره في فاقة راتع
يا جائعاً والزاد في كفه | شبيه شعب خانه الطالع
بالله لا تعتب على موطن | ما فيه إلاَّ الشارد الضائع

ولمَّا أن نكبت الجزائر هذه النكبة ورأت العرب أنَّ أرض الجزائر العربية أرض خصبة حوت من كنوز المعادن ووفير الغلال والمحصولات ما يسيل له لعاب المستعمرين ولا سيما فرنسا فإنَّها غزتها أولاً سلمياً فلما سنحت لها الفرصة لابتلاعها لم تتوان عن ذلك القصد، وإنَّ أهلها في كفاحهم المرير. عند ذلك قام العرب والمسلمون لمعونة الجزائر ومساعدتها في جمع الأموال وبعثها إليهم على عجل لتسد حاجاتهم الهائلة في كفاحهم المرير إلى الغذاء والكساء إلى المأوى وإلى البندقية والطلقة وإلى المدفع بل وإلى الطائرة النفاثة والدبابة الخفيفة والثقيلة والمصفحة والفرس والناقة وكل ما يمت إلى ميدان الجهاد البطولي بسبب حتى تتقوى معنوياتهم ويستطيعوا دفع هذا التيار الجارف.

التضحية بالأموال

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لما كانت مساعدة المسلمين مطلوبة وذلك لأنَّه لو تساند الإخوان في المبادىء لهان كل عسير وتمَّ كل مراد. وفي الأمثال (ما تعاونت عليه الرجال خف) لأنَّ ديننا يريد منَّا أن نكون أشداء على الكفار رحماء بيننا وأنَّ ديننا يأمرنا بمكارم الأخلاق والحنو على الضعيف ولكننا بالعكس، فأين البصيرة يا مسلمون وأين المعرفة يا مؤمنون؟ ومن ضعف نصيره وقلَّ ظهيره وخذله إخوانه وأسلمه للنائبات خلانه وأعوانه يبس عوده وذهب معدوده

ومحدوده وعضه الزمان بنابه، لذلك فإنَّه قد هب المسلمون للتعاون مع شعب الجزائر فكان يوم ١٥/ من شعبان يوماً لمساعدة الجزائر واجتمعت الأمة وصعد الخطباء فوق المنصات ينادون بالتبرع لشعب الجزائر المنكوب وقد رأيت بعد صلاة العصر من ذلك اليوم رجلاً منطبقاً يستغيث على المنصة ويبكي يقول: أيها المسلمون انظروا إلى فعال فرنسا بأهل الجزائر أمَّا فيكم من فزعة أمَّا فيكم من فزعة. واستغرق في الاستغاثة حتى جعل مما يجده في صدره يقول: إيتوني برشاش لإعدام فرنسا أيها المسلمون لا يحقرن أحدكم من المعروف شيئاً إن شعب الجزائر بحاجة إلى دينار، إلى درهم، إلى قميص إلى كساء، إلى سكين. فانفعل الحاضرون وقام الرجل يقدم أحسن ما يملك، وتقدم المرأة أقراطها وأساورها، ويقدم الطفل ما في حصالته من دراهم، ويقدم الغني ما تجود به نفسه. وهكذا جعل الشيوخ والشباب يتدافعون ويتسابقون إلى لجان جمع التبرعات ولقد كان منظراً مؤثراً لأنَّ تلاميذ المدارس على حداثة سنهم يسارعون إلى إخراج ما في جيوبهم. كما أنَّ الآباء يحملون أطفالهم ليضعوا بين أيدي المتطوعين ما ادَّخروه لهذا اليوم المجيد. واستمرَّ إلقاء المحاضرات زهاء ساعتين من الزمن في كل مدينة. وكان للرياض وبريدة يوم مشهود وكل مدينة أو قرية فإنَّها هبت عن بكرة أبيها لمد يد المساعدة والعون للمجاهدين في الجزائر. وقد ساهمت جميع الطبقات وقامت فرق الكشافة ببذل جهود في ذلك حيث قاموا بملابسهم الكشفية بجولات عديدة على المدارس وعلى مختلف المحلات لتبصير المواطنين.

وفيها قام رجال من أبناء الوطن وأهل المعرفة في بريدة لبث الزراعة في رياض البطين الواقع عند مدينة بريدة شمالاً من هؤلاء آل راشد التجار في الدغمانيات وغيرهم ومنها ما كان في رياض النقيب الواقع عن مدينة بريدة في الشمال الشرقي على مسافة ١٨ كيلومتر وكان من هؤلاء محمد بن

عبدالله الخضيري من الخضران أهل حوطة بني تميم وينتمون إلى آل عنبر من آل حسين من تميم.

وإليك نسب الأسرة: محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن سلب سليمان بن مانع الخضيري يجتمعون مع الأسرة الكائنة في البكيرية في جدهم حمد بن محمد المذكور، ويجتمعون مع الأسرة الكائنة في الحواطة في مانع الخضيري لأنَّه جدهم الأعلى، وكانت ذريته آل عبد المحسن وآل حمد وآل سليمان.

وقد انتقل آل سليمان إلى الشقة بعد السطوة التي جرت في الحوطة وكان يسكن مدينة الزبير من أعمال العراق عدد لا يقلون عن خمسة عشر من بني العنبر كما أنَّه يسكن في الحوطة الجنوبية عدد لا يقلون عن خمسة وعشرين أمَّا الخضارى في القرائن والوشم فليسوا من هذه الأسرة بل كانوا خوالد الأصل وكان من أسرة العنبر من آل أبي حسين أناس قد استوطنوا مدينة بريدة وقرية الدعيسة والحمر والوطاة والطرفية من أعمال بريدة ومن هذه الأسرة السكيكري الذين منهم محمد بن علي السكاكر المشهور بالدين والزهد. وفي القصيم أسرة يدعون آل سكاكر منهم آل طعيس ومنشأهم من قرية خضيراء حوالي بريدة إلى الشرق الجنوبي. ومن العجائب مرور آلاف السنين على البطين وهو صحاري محرومة من الماء والسكان لا يوجد فيه سوى الوحوش والسباع والهوام ولا مقام فيه لأحد وكان الحطابون والجمالون ومن يذهب لطلب رعي المواشي والكلاء فإنَّهم يحملون الماء ويدخرونه في البراميل ونحوها لتأمين أرواحهم من العطش هناك. فما كان إلاَّ عشية أو ضحاها حتى أصبح مروجاً وأنهاراً، وصدق الهادي الذي لا ينطق عن الهوى حيث يقول: لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً[1] والله على كل شيء

---

(١) أخرجه مسلم.

قدير ولقد أصبحت تلك الفياض والرياض في البطين مياهاً عذبة متدفقة تجري على وجه الأرض ذلك لقوة العيون المتفجرة فيها. وهناك تجد العمال والمزارعين يواصلون العمل ليلاً ونهاراً فهؤلاء يحصدون، وهؤلاء يقطفون، وأولئك يجمعون، وأولئك يشحنون السيارات قد جدوا في التحميل من البطيخ والجزر والبطاطس والطماطم والخس وغير ذلك من منتوجات الأرض من البصل والقثاء والعنب والرمان والقمح والذرة. فلقد أنتجت إحدى المزارع من القمح في وقت الحصاد سبعة عشر مليوناً من الكيلوغرام ١٧٠٠٠٠٠٠ وهذا شيء نادر الوقوع حتى أنَّها لتصدر تلك الفياض يومياً ما لا يقل عن حمولة مائة سيارة مرسيدس من الشاحنات إلى سائر الجهات من نجد وغيرها مثل الكويت والحجاز ودمشق وقطر وبيعت منتوجات القصيم في لبنان وبيروت وغيرها. وحدثني مزارع أنَّه باع من الطماطم في مزرعته بسبعين ألف ريال وساقية واحدة من إحدى العيون بيع بصلها بثلاثين ألفاً.

عيون تنبع في القصيم

في العشر الأولى من رمضان نبعت عينان إحداهما في رياض البطين بأمر من جلالة الملك والأخرى في الجهة الشمالية من بريدة للتاجرين محمد العلي الصانع وصالح العلي الصانع. كما قد نبعت قبل ذلك عين في وهطان المعروف ببريدة من عمق ١٨٠٠ قدم وكانت وفيرة الماء حتى كان يزيد إنتاج الواحدة عن مليون جالون في الأربع والعشرين ساعة وبذلك تكون قرية وهطان قبلة للزراعة بعد ما كان ماؤها القديم ملحاً أجاجاً. أن وهطان المذكور قرية تقع في الشرق الجنوبي عن مدينة بريدة على مسافة ثلاثة كيلوات فيما مضى ولكنها في الأعوام الأخيرة تكاد تتصل ببريدة لزحف العاصمة من كل جهة وهي روضة محيطة بالآبار والمزارع وتمتد شمالاً وجنوباً بين كثبين من الرمل غرباً وشرقاً وتقدر مسافة طولها جنوباً وشمالاً بميلين وكانت في غابر الأزمان قوية الحراثة وفيها النخيل الكثير فكانت

الواجهة فيها مظلمة وقد يصطاد فريق الصيف من الطيور بالأيدي بين تلك الواحات المتراكمة وفيها أشجار العنب والتين ثم إنَّها ما والت في انحطاط لتغير الماء فيها بالملوحة والنضوب. وفي هذه الأزمنة لا ترى فيها غير قليل من النخيل الطوال وشيئاً من شجر الأثل القديم وكان من الأسر هناك آل نغيمشي وآل مضيان وآل بديوي وآل حجيلاني وآل حفير وآل فوزان في أناس آخرين وآل حميد وقد هلك معظمهم وفرَّ بقيتهم لما رأوا من البوار والفقر هناك. ويروي لنا التاريخ أنَّ تلك القرية مشهورة بالغنى إذ ذاك أعني في الربع الأول من القرن الرابع عشر الهجري، فإنَّه أصبح بالتقير لجهاد عساكر الأتراك الذين جرهم على القصيم الأمير عبد العزيز بن متعب بن رشيد وزحف غزو أهالي العكيرشة القرية الأخرى المجاورة لوهطان من الجهة الشمالية قالوا لأمير بريدة إذ ذاك صالح بن مهنا زودنا فلسنا كأهالي وهطان الذين لا يأكلون إلاَّ تمراً عبارة أنَّه لم يحصل لهم من المأكولات ولا تمر النخل لأنَّ من يحصل له قوت من التمر فيعد من الأغنياء وكانت قرية وهطان تحتوي على سبعة مساجد أحدها الجامع الذي تقام فيه صلاة الجمعة وقد امتلأت بالمصلين ومنذ واقعة السباخ التي تقدم ذكرها فإنَّها أخذت بالانحطاط وإنَّ ظهور الماء العذب فيها ليبشر بالخير إمَّا للزراعة أو لسقيا القاطنين فيها. أمَّا عن العكيرشة فكانت في موضع استراتيجي وكانت منذ خمسين عاماً مأهولة بالسكان وذات مزارع ومساجد كثيرة وفيها أمة من النَّاس من بين تلك الأسر آل عثيمين وآل حسين وآل الدغيري وآل دخيل وآل عياف وآل القعير وآل الربيش وآل حميد وآل سيف وآل مرزوق في أُناس آخرين ولهم ميل في العقيدة والمحبة إلى أهل الدين وكان من الأعيان فيها عبدالله بن إبراهيم الباحوث عالماً مشهوراً بالعبادة والزهد، ومن العلماء العاملين. وكانت بقية الآثار والأطلال فيها تدل على قوتها ففيها المساجد والقصور المتهدمة وكانت في متسع من الأرض وأرضها للزراعة ثم أنَّها

أخذت في الانحطاط عام ١٣٣٠هـ لتغير المياه إلى الملوحة وجلى أهلها الذين كانوا ساكنين فيها وما زالت في تأخر حتى لم يبق فيها ساكن ولا مساكن ولا ديار ولا نافخ نار ولا ترى فيها إلاّ البوم والثعالب وأصبحت تلك النخيل خاوية على عروشها وبئراً معطلة وآثار قصر مشيد. قال الله تعالى في ذكر تقلب الأيام: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ وتفرق أهلها بعد مرور الجوع والفقر عليهم وهجرت وأصبحت مساجدهم وقصورهم جاثمة خاوية على أصولها.

ويحدثنا التاريخ عن بئر الحاكم حسن بن مهنا الواقعة في شرقيها وكيف كانت أثراً بعد عين ولقد خرجت صحبة والدي قدس الله روحه في عام ١٣٤٦هـ وعمري يناهز الحادية عشرة وكان قد دعي إلى وليمة الغداء في خب القبر المعروف لدى علي عبد الرحمن بن سلمى فكنا نسير على أقدامنا ولما نزلنا على العكيرشة من موضع يسمى الجادول نظرت إلى تلك الخربات والأطلال الدامرة وجذوع النخل الخاوية هناك فنفج ثعلب من بين تلك الخربات فضحك الوالد رحمه الله متعجباً وقال لي: انظر أملاك الدغارا وكيف كانت بعض القصور مأوى للثعالب فأخذنا بذات اليمن إلى أن وصلنا مزرعة من بقية مزارع وهطان كان صاحبها قد طلب من الوالد المرور عليه فيها لأنّه في طريق من كنا ذهبنا لدعوته فجلسنا لديه للراحة وتناول شراب القهوة ورؤية تلك الآثار. وفي عام ١٣٨٠ هجرية دبت فيها روح الحياة وأقبل عليها النّاس يقيمونها قصوراً ومساكن بعدما كانت مزارع مهجورة وذلك لما زحفت الجهة الشرقية من العاصمة إليها واتصلت بها المساكن بعدما كان ما بينها وبين المدينة قرابة كيلوين. وكانت المحكمة الشرعية بمدينة بريدة قد وسدت إليَّ الأمر بتوزيعها على الورثة المستحقين لها لكوني

عالماً بقسمة المواريث فقمت بتوفيق من الله تعالى ثم جعلت أوقاف آبائهم وأجدادهم على حلتها في الجهة الغربية وأقيم لها وكيل يصبرها لمدة خمسين سنة قطعاً قطعاً جعل على كل متر ريالاً وقسمت أملاكاً كثيرة بالمتر والسنتمتر وعرف كل وارث حقه فأقيم فيها بيوت ومساجد ومدارس ولا سيما موضع إحدى المدارس فإنَّه اشترته الحكومة بمبلغ سبعة ملايين وأقيم فيها مسكن كبير جداً لكلية الشريعة واللغة العربية استأجرته الحكومة بمبلغ مليونين وستمائة ألف ريال. أمَّا عن الأوقاف التي كانت عليها بعد سبع سنين فيما مضى لا تزيد عن مائة ريال وخمسين ريالاً فإنَّها بعد القسمة والتأجير والتعمير أصبح ريعها أو غلتها ثلاثين ألف ريال تقتسمها الأسرة فيما بينهم بعد نوائب الموصين وأصبحت أراضي العكيرشة حارات كالفاضلية والفاخرية والرفيعة والرفيعة بالتصغير والقوارة وما إلى ذلك بحيث أقيمت فيها بعض القصور التي تضاهي في العظمة قصور مدينة جدة.

رجعنا إلى ذكر المياه والعيون العذبة التي نبعت في القصيم فقد نبعت عين أيضاً في واحة التغيرة شمالي بريدة وكان ظهورها من عمق ٥٠٠ قدم وكانت مساوية لعين وهطان في كثرة الماء وأنهما لتعدان من أعظم ما ظهر من العيون قبل ذلك كما ظهرت عيون أخرى منها واحدة في حارة السادة من بريدة والثانية في شمال بريدة. وهاتان العينان تمدان المدينة بالماء بالإضافة إلى العيون المتقدمة. وفي أوائل شهر ربيع الثاني نبعت عين في واحات السباخ فيحان القريب من مدينة بريدة، وهذه العين ظهرت لأول مرة في السباخ المعروف وكانت على نفقة الملك سعود ليتزود السكان من مائها العذب الزلال. ونحن نشير هنا إشارة لطيفة عن التغيرة الموضع الواقع عن مدينة بريدة إلى جهة الشمال عن طريق الوادي فنقول عنها كانت صحراء قاحلة تبعد عن نفس المدينة بكيلوين ونصف كيلو وذلك في عام ألف وثلاثمائة وست وخمسين هجرية ولكنها ما زالت المدينة تزحف شمالاً حتى

تجاوزتها بسبع كيلوات فأصبحت من جملة حاراتها ولما أن اشتراها الرجلان المواطنان إبراهيم بن محمد البليهي وصالح عبد الكريم بن طويان بثمن بخس وجدوا فيها آثاراً من الفخار وكان أول من احتفر منها بئراً غادية محمد بن محمد السديري ابن أمير بريدة بعد محمد بن عبدالله أبا الخيل فقام بقية آل أبي عليان وهم آل أبو حشرم يدعون ملكيتها وانتهت المشكلة بتعويضهم عنها بسبعين ريالاً نقدها لهم محمد السديري فاشترياها منه بأربعمائة وخمسين ريالاً فكانت صبية إبراهيم منها الشرقية وإلى جانبها من جهة الجنوب كثيب من الرمال. كان جلالة الملك عبد العزيز ينزل فيه بخيمه إذا قدم إلى مدينة بريدة لنظافته وعلوه وحسن موقعه. وقد احتجز لمجيئه مدة ثم وزعته الإمارة على جملة من المواطنين ولما أن منَّ الله على المسلمين بتلك المياه المتدفقة بدون رافعات احتفر المذكوران آباراً ارتوازية كغيرهم وتدفقت المياه هناك وغرسوا أنواع النخيل والأشجار والبساتين وكانت الأرض قابلة للحراثة والزراعة ولما أن حرثوها وجدوا فيها جملة من الآثار وأواني الفخار والبرم التي كانت آثار الطبخ فيها وقد حدثني إبراهيم البليهي أنَّه وجد مهراساً من الحجارة وأواني مكسرة من الفخار ووجد بكثرة أحجاراً تقوم عليها أرجل الأبواب مما يسميه العامة دوّاسات الأبواب وهناك أحجار للدق وأحجار خضر غريبة لسن الأقواس والسكاكين. وسيأتي بقية لذكر التغيرة بعد خمس سنين في ترجمة المذكور إن شاء الله تعالى. وقد نبعت عين جديدة في وادي الرمة بين بريدة وعنيزة وتدفق ماؤها هناك وجميع هذه العيون قد حفرت بواسطة الحفارات الإرتوازية الدريل التابعة لشركة مشروع الري الزراعي ببريدة.

وفيها عملت الحكومة السعودية فئة الأربعة قروش وهي عملة معدنية منقوش عليها اسم حضرة صاحب الجلالة الملك سعود.

وفيها في ٧ جمادى الأولى واليوم الذي بعده هطلت أمطار على شمالي

المملكة وجنوبيها مشت منها الأودية واستمرت ديمه على القصيم في ليلة ٨/ ٥ سبع ساعات وخرج المسلمون للبعل في رياض القصيم.

وفيها قام الملك سعود بزيارة للقصيم فقدم بريدة في يوم الأربعاء الموافق ٢٦ من جمادى الأولى وقام أهالي مدينة بريدة باحتفال عظيم في المطار والشماس ودعي لذلك الأعيان من كل مدينة وقرية. ولمَّا أن هبطت الطائرة المقلة لجلالته ولرفقته وخدمه فتح باب الطائرة وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة تحية لقدومه وقامت الموسيقى العسكرية تعزف لإبداء التحية وبعدما تقدم الأهالي على اختلاف الطبقات للسلام عليه والتحية جلس في ذلك السرادق المعدّ له فألقيت الخطب والقصائد وكان ذلك يوماً مشهوداً تزينت فيه البلاد واجتمع أهالي القصيم بأبهة عظيمة ثم نهض للمجلس العظيم الذي هيأه له الأهالي في الشماس فألقيت هناك خطب وقصائد وجلس على المائدة الفخمة هناك ثم إنَّه قام إلى مخيمه ولمَّا أن كان في وقت صلاة العصر دخل مدينة بريدة وجلس في دار القاضي الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد ومنها زار المكتبة الكبرى العلمية وبعض الأعيان ثم ظهر لاحتفال هيئة التعليم في ربعة وهطان وشاهد المباريات الرياضية في وقت كانت الأمة مزدحمة في ذلك الملعب ثم ذهب إلى عين آل راشد هناك ليرى تدفق المياه فصلَّى المغرب وشاهد تدفق المياه من عين وهطان ثم أنَّه سار بموكبه إلى تناول طعام العشاء في قصر الأمير محمد بن بتال.

ولمَّا أن كان من الغد الموافق ليوم الخميس ذهب إلى المعهد العلمي وجلس فيه ريثما سمع الخطب والكلمات. ومما يجمل بنا ذكره أنَّ الجزارين في بريدة أقاموا له احتفالاً في شارعهم وعطلوا أعمالهم ثلاثة أيام حتى لم يذبح للبيع شيء في ظرف يومين لاشتغالهم بهذا الاحتفال فسار من المعهد العلمي إلى حفل الجزارين وجلس في بيتهم لتناول الطيب والقهوة وقدموا له عشرين من النياق فقبلها شاكراً ثم أنَّه ذهب

لزيارة بعض الأعيان والعلماء وأجاب دعوة الوجهاء فجلس في بيوتهم. هذا ولا تزال السيارات المسلحة تراقبه وتسايره وما زال كذلك إلى وقت الغداء فذهب إلى مخيمه للراحة، وفي آخر النهار ذهب إلى دعوة الوجيه التاجر صالح بن طويان في التغيرة وشاهد تدفق المياه هناك ثم زار بقية الأعيان في بريدة ورجع إلى مخيمه لتناول العشاء ثم أنَّه صلَّى صلاة الجمعة في جامع بريدة وسار في الساعة الثانية صباحاً من يوم السبت إلى عنيزة فلبث فيها إلى وقت العصر ثم سار منها قبل الأذان إلى بريدة فودع الأمة في بريدة وسار على السيارات إلى البطين.

عمارة المسجد الجامع ببريدة

لمَّا كان في رابع من ربيع الأول من هذه السنة شرع العمال بعد صدور الأمر من صاحب الجلالة في نقض عمارة جامع بريدة وهدّه لأنَّ هذه العمارة التي قام بها الشيخ عمر بن محمد بن سليم قدس الله روحه منذ ثماني عشرة سنة عمارة لا بأس بها وأدى فضيلته في كونه إذ ذاك القاضي والمشرف على الأعمال جهوداً يشكر عليها سوى أنَّ السقف لم يتقن البناؤون الذين يعملون تحت إشراف المهندسين محمد العبيدي وابن حامد وضبعة وحيثما اختلَّ بعض السقف تداعى بقيته. ولـمَّا كان في السنة المتقدمة واشتدَّ وقع السيول على مدينة بريدة سقط غالب المسجد ولم يبق منه سوى أكواخ قليلة كالأطلال لذلك قام الملك سعود بن عبد العزيز برجاء من الشيخ عبدالله بن حميد وأمر بعمارته وإعادته من الأسمنت المسلح بعدما قدرت تكاليفه بمليون وثلاثين ألف ريال وأضيف إلى بقعة المسجد بيوت آل ربدي اشترتها الحكومة بثلاثمائة ألف ريال إلى جهة الشمال وذلك لتوسعته من الجهة الشرقية ليكون شرقيه مساوياً لغربيه وقد انتدب لعمارته المقاولان فهمي أبو العز المصري وسليمان بن فوزان العثمان فشرع المذكوران في جد واجتهاد وجلبوا له العمال والمهندسين الفنيين ليقوم

المسجد على طراز البناية الحديثة وجزى الله المحسنين خيراً قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

ذكر تنازل الشيخ ابن حميد عن قضاء بريدة

لمَّا كان في ٢٩ من شعبان ١٣٧٧ هـ تنازل الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد عن القضاء وذلك لأنَّه لما رأى تصميم أولي الأمر على جعل محاكم في نجد ومن ضمنها القصيم رأى أنَّ ذلك مما يعوق سير القضايا ويؤخر البت فيها ويحمل الأمة على تأخر القضايا والمعاملات وهناك ظروف أخرى فجعلت الحكومة رئيس المحكمة الشيخ صالح بن أحمد الخريصي فتلقاها فضيلته وشغل هذه الوظيفة. إنَّ الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قد زاول القضاء في مدينة الرياض وفي المجمعة ثم أتى به لقضاء القصيم لاختيار صاحب الجلالة الملك عبد العزيز له ذلك لأنَّه رآه رزيناً وقوياً ذا أنفة وأمانة فرأى أنَّه لا يسد تنمة الشيخ عمر بن محمد بن سليم بعد وفاته سواه في القضاء والتدريس وفعلاً كان عند حسن الظن به على حسب مقدرته لأنَّه يقنع الخصمين بحكمته وينزل النَّاس منازلهم فقد أدى هذه الوظيفة أربعة عشر عاماً في القصيم وكان موضع الثقة مضاف إلى ذلك التدريس في المسجد الجامع الكبير وفي بيته كما أنَّه المفتي إذ ذاك وظهر على يديه تلامذة كثيرون. وقد ساعدته الظروف بمساندة الدولة له بأن كان إليه المرجع في الأمور الدينية والدنيوية فكانت الإمارة تخضع لأوامره وكذلك هيأت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمور المساجد والفتيا وقضى واجباً ثم أنَّه استمرَّ في إمامة المسجد الجامع والخطابة فيه وفي التدريس وأمر المكتبة العلمية فليس له منازع حتى غاية إحدى وعشرين سنة من مجيئه إلى القصيم بحيث نقل إلى الإشراف في المسجد الحرام ومسجد المدينة المنورة وسيأتي بقية ذكره في سنة وفاته.

ذكر زيارة ملك العراق وما جرى بعدها

لمَّا كان في منتصف هذه السنة قدم ملك العراق فيصل الثاني وولي عهده عبد الإِله إلى المملكة العربية السعودية وحلاً ضيفي شرف على حضرة صاحب الجلالة الملك سعود فأقاما في الرياض خمسة أيام ثم بعدها قدما إلى مطار الظهران وقد استقبلا في كل مدينة بالحفاوة والإِكرام وقد أدت ثلة من الجيش التحية العسكرية وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة تحية للقادم. وقام الملك فيصل أثناء زيارته بالتجول والزيارة للدمام وكان قد رافقه في تجولاته في المنطقة الشرقية صاحب السمو الملكي سعود بن جلوى وبعدما فرغ من تلك الزيارة عاد هو وولي عهده وحاشيتهما إلى العراق. ولمَّا أن كان بعد هذه الزيارة بأقل من شهر قام اتحاد عربي بين المملكة العراقية والمملكة الهاشمية الأردنية يوحد جيشهما وسياستهما الخارجية والثقافية والاقتصادية أسندت رئاسته إلى الملك فيصل الثاني ملك العراق ووكالته إلى الملك حسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية. وهذا رد على قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا واتحادهما مع اليمن وجرى من نتائج ذلك شر على بقية البيت الهاشمي وإليك ذلك.

ذكر مصرع الملك فيصل بن غازي ١٣٧٧ هـ
وقتل ولي عهده ونوري السعيد وإعلان العراق جمهورية

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ لـمَّا أن قام الملك وولي عهده ونوري السعيد بهذه السياسة جعلت الأمة العراقية تبيت الغدر بهم ثم أنَّ ضباط الجيش قاموا ضد هذه السياسة واشتركوا مع الأمة في القضاء على مبرميها لأنَّ هؤلاء كانوا يوالون الإِنجليز ولا ترضى الأمة

العراقية إلاً بالتخلص من الإِنجليز أليس مصر قد ثار وطرد الإِنجليز أليس الإِنجليز لا يزالون مستعمرين للعراق فنجحت هذه الثورة العراقية السرية وغيرت مجرى التاريخ. فبينما فيصل بن غازي وولي عهده عبد الإِله بن علي بن الحسين ونوري السعيد يغزلون سياستهم إذا بالأمة تثور وتنفذ إرادتها في البيت الهاشمي ففي ٢٧ ذي الحجة الموافق ليوم الاثنين نقل عبد الإِله وطبق به في الأسواق وأخذ الملك فيصل الثاني فصفد بالحديد وجعل يناشدهم بالله إذا ما كرهوا سياسته وملكه ورئاسته أن يخلوا سبيله يذهب إلى مشيئة الله له كما فعل بفاروق ملك مصر وجعل يطالب ويؤكد حتى أنَّه ألقى المصحف بينه وبينهم وسألهم بآياته ومعجزاته أن لا يمسوه بسوء غير أنَّ ذلك لم يغن عنه شيئاً بل قتلوه ولم يرعوا له إلاً ولا ذمة أولئك أهل العراق والذين قتلوا سلفه الحسين بن علي ولم يرهبوا في تلك الثورة أحداً ثم أنَّهم طلبوا نوري السعيد ونسفوا قصره فأدركوه من الغد ٢٧/ ١٢ الموافق ١٥ يونيه في بيت قد اختفي فيه ولبس ثياب امرأة وكان قد دلهم عليه صبي فطوقوا ذلك البيت ولمَّا رأى حروجة الموقف جعل يطلق عليهم النَّار وآخر ذلك أن قتل في ذلك اليوم وجر في الأسواق.

وما أغنى عنه ماله الذي جمعه شيئاً ثم أنَّها أعلنت الجمهورية في العراق وحدثت فظائع فيه وكثر القتل والهرج والفتن والزلازل والمحن. ولقد كان عبد الكريم قاسم رئيس الجمهورية يقوم بالعسف والبطش حتى دوخ كل من تسول له نفسه المعارضة وقضى على كل حركة. وتعتبر ثورة الجيش العراقي من أعجب ما روى التاريخ فإنَّ هذا الإقدام وهذه الثورة لم يسبق لها نظير حتى ذكر رجال المعرفة أنَّها قد فرغ منها وأبرم أمرها منذ زمن طويل.

فالله المستعان.

ذكر أشياء عن المملكة العربية السعودية

كان الملك سعود قد استهلَّ حكمه بإنشاء مجلس للوزراء وأسند رئاسته إلى ولي عهده سمو الأمير فيصل وحول المديريات العامة إلى وزارات وعين لها وزراء. ويتكون مجلس الوزراء من رئيس المجلس ونائبه والوزراء والمستشارين ومن مندوبين عن الأمانة العامة والمراقبة العامة وديوان المظالم والخبراء الفنيين. أمَّا النهضة التعليمية فتقدم شيء عنها وذلك لتواجه التوسع التعليمي ولرفع مستوى التعليم الديني في المملكة أمر جلالته بتأسيس المعاهد العلمية في المدن الرئيسية وكليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض برئاسة سماحة المفتي الأكبر. وقد بلغت تلك المعاهد وكلياتها رغم حداثتها مستوى علمياً رفيعاً جذب إليها الطلاب من مختلف الأقطار الإِسلامية.

أمَّا النهضة العمرانية فإنَّها أوسع نهضة عمرانية في العالم، ومن أعظم ذلك توسعة المسجد النبوي التي جاءت آية في الروعة والبهاء والجمال وتشهد بالمجهود وكثرة النفقات التي بذلت فيها وكذلك توسعة المسجد الحرام وعمارته التي يجري العمل فيها وكان بهذه التوسعة يتسع لنصف مليون مصل وتقدر تكاليفه بألف مليون ريال وقد أزالت الحكومة في هذه السنة المقامات الثلاثة التي هي مقام الحنفي ومقام المالكي ومقام الحنبلي توسعة للطائفين حوالي الكعبة المعظمة وذلك لأنَّ صحن المطاف أصبح يضيق بالطائفين ويكابدون من الضيق مشقة فرأت الحكومة إزالتها لقربها من البيت باستفتاء أهل العلم الشرعي ولأنَّ أصل وضعها على غير قاعدة شرعية وكذلك أرادت الحكومة نقل مقام إبراهيم عليه السلام عن موضعه الذي كان يزدحم الطائفون حواليه ويكون مسامتاً لموضعه إلى جهة الشرق وجعلت لذلك حجرة من أحسن ما يكون في القوة والمناعة غير أنَّه ثنى عزمها خشية عدم إجماع العلماء على ذلك فترك على وضعه وأن نقله عن مكانه قليلاً لمصالح عامة لا تخفى لأنَّ النَّاس أبناء زمانهم والحكم يدور مع العلة فإذا

كان عدد الحجاج فيما مضى لا يتجاوز ثلثمائة ألف إلاً نادراً فإنَّه بلغ في هذه السنين الأخيرة ما ينوف على مليونين وهلم جراً في الكثرة لتأمين السبل وتسهيل طرقه. وذكر الخوارزمي في حديث عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «يأتي على الناس زمان يحج أغنياء النَّاس للنزهة وأوساطهم للتجارة وقراؤهم للرياء والسمعة وفقراؤهم للمسألة». ومهما كانت الأحوال فقد انسدت الطرق وضاقت المشاعر بحجاج بيت الله الحرام رغم الإرشادات والتوجيهات وطلباً من الحكومة ممن تكرر حجه أن يسمح بمكانه لمن لم يحجوا أمَّا عن مقام إبراهيم ومشكلته لما أزيل المنبر الذي عمله السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان العثماني وكان من الحجر الرخام المرمر البراق الناصع البياض ويلي مقام إبراهيم الخليل من الجهة الشمالية وارتفاعه اثنا عشر متراً مقاماً من ثلاث عشرة درجة وكان آية في الجمال مطلاة قبته بالذهب وقد مضى عليه أربعمائة سنة وعشر سنين فكان المقام معترضاً للطائفين وقد شاهدت بعيني راسي في حجتي عام ١٣٧٨هـ أي بعد هذه السنة إني كنت فيها مفرداً. وفي صباح اليوم ١٣ من ذي الحجة خرجنا إلى التنعيم للإِتيان بالعمرة ولمَّا أن دخلنا في الطواف بالبيت ضحى كانت لتلك الساعة حرجة لكثرة من يطوف بالبيت فكانت الأمة منتشرة فإذا ما أقبلوا على المقام ازدحموا وفي أثناء الطواف لمَّا ازدحم الحجاج في تلك البقعة بين المقام والباب سقط عشرون هناك فكانوا عرضة لأن سقط معظم الطائفين فكانت واقعة فمن المسلمين من انجرحت قدماه وساقاه ومنهم من هلك وأشهد بالله لرأيت امرأة انشقَّ بطنها وطار فرثها فلوث ما حوله من جدار الكعبة والمنبر المذكور ومن شرد هارباً فإنَّه فقد ثياب إحرامه بحيث قام بعض الطائفين عراة ومنهم من خسر بزرته ومنهم من خسر رداءه وقد أفتى سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم وفطاحل من العلماء بوجوب نقل المقام عن موضعه سوى أنَّ بعض العلماء كان لديه معارضة وممن

عارضوا فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وفضيلة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان وألف في الموضوع كتاباً بلغ ١٨٩ صفحة كما ردَّ عليه الشيخ محمد بن إبراهيم بمؤلف بلغ ٩٣ صفحة وألف سماحة المفتي الشيخ محمد الجواب المستقيم في جوار نقل مقام إبراهيم في ٤٩ صفحة وسيأتي للمقام وذكره بقية.

وفي هذه السنة لوحظ أنَّ خزانة المالية مهددة بالتدهور لكثرة النفقات للتقدم على غير تخطيط نظامي. فقد أرهقت الصندوق كثرة النفقات الباهظة فاضطرت الجهات المسؤولة إلى النظر في الموضوع.

أمَّا عن مدينة الرياض فقد انقلبت خلال خمس سنوات من حالتها الأولى إلى مدينة عصرية حديثة تزينها قصور الناصرية العظيمة الوضع الغريبة الشكل وقصور الأمراء وقصور الضيافة والفنادق الضخمة ودور الوزارات والعمائر الضخمة والمساجد الواسعة المزودة بأكمليات العمارة الحديثة والمراوح والمصابيح الكهربائية ومكبرات الصوت وتشقها الشوارع الواسعة المشجرة المرصوفة تتوسطها المنتزهات النضرة ذات النافورات الجميلة وتضيئها الكهرباء وتمدها المياه المستنبطة في الحائر والتي تصلها عن طريق الأنابيب حتى أنَّ من رآها منذ خمس سنوات ثم رآها بعدها لا يكاد يصدق أنَّها هي ولا تزال في اتساع وتحسن وكذلك الحال في جدة ومكة وأمهات المدن السعودية.

أمَّا النهضة الصحية فقد زادت موازنتها عن خمسين مليوناً من الريالات وبذلك تمكنت الوزارة من تعميم المستشفيات والمستوصفات فأصبح عدد المستشفيات الحكومية الكبيرة خمسة عشر مستشفى عدا سبعة عسكرية وسبعة خاصة ونحو خمسين مستوصفاً وأنشأت مستشفيات صغيرة متنقلة لعلاج البدو في الصحراء وأسس المحجر الصحي الكبير بجدة لاستقبال

الحجاج والمحافظة على نظافة الحج وأسست كذلك مستشفيات أخرى واستعانت بالأطباء والفنيين من مصر والشام وألمانيا وتكفلت الحكومة بالإنفاق على المستشفيات والمرضى فالعلاج كله بالمجان.

أمَّا النهضة في المواصلات فإنَّ العبء الذي ألقاه اتساع المملكة وطبيعتها الصحراوية الرملية على عاتق وزارة المواصلات عبء ثقيل لكنها رغم ذلك نهضت به خير نهوض وقامت بمشروعات هامة ربطت البلاد ربطاً محكماً ومن أهمها تعبيد الطرق ورصفها بالحجارة والأسفلت كطريق المدينة الذي يمتد منها إلى جدة ثم إلى مكة ويتشعب في منى ومزدلفة وعرفات وطريق الرياض والخرج حتى بلغت الطرق التي تمَّ تعبيدها إلى هذه السنة ألفي كيلومتر وتقدم شيء عن سكة الحديد السعودية. وهنا مشروعات لطرق مكة إلى الطائف ومن الطائف إلى أبها وتعمل وزارة المواصلات في هذه السنة على تنفيذ مشروعين عظيمين: مشروع الخط الحديدي بين الرياض والبحر الأحمر ماراً بالوشم والقصيم والمدينة وينبع وجدة ومكة وإعادة تسيير خط الحجاز القديم بين دمشق والمدينة المنورة.

أمَّا المواصلات بالشبكة اللاسلكية فقد توسعت فيها وزارة المواصلات حتى زادت في عهد الملك سعود على سبعين مركزاً وكذلك مصلحة البرق والبريد التي اتسعت أعمالها وزادت أعباؤها بإقبال النَّاس عليها إقبالاً عظيماً وذلك لأنَّ من أهم عوامل ربط أجزاء المملكة بعضها ببعض وبالعاصمة وبالعالم الخارجي هو الشبكة اللاسلكية.

أمَّا النهضة الزراعية وإيجاد الوحدات الزراعية فكذلك في سبيل التقدم ولمَّا أن كان في ٦ رمضان ٢٦ مارس أصدر جلالته مرسوماً ملكياً خول فيه صاحب السمو الملكي الأمير فيصلاً ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء السلطات الكاملة لسياسة الدولة الداخلية والخارجية والمالية والإشراف على

تنفيذها وهذا نصه:

«بعد الاتكال على الله: نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية بعد الرجوع إلى نظام مجلس الوزراء ونظراً للخطوات التي سارت عليها حكومتنا الفتية لحد الآن ورغبة منَّا في تقوية جهاز الدولة وتركيز المسؤوليات على ضوء التجارب التي مرت بها حكومتنا في دور هذا الإنشاء نأمر بما هو آت: أولاً: يمنح رئيس وزرائنا السلطات الكاملة لرسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية والمالية والإشراف على تنفيذها. ثانياً: يعاد النظر في نظام مجلس الوزراء وما يجب تعديله من الأنظمة القائمة. ثالثاً: على رئيس وزرائنا تنفيذ إرادتنا هذه وبالله التوفيق. التوقيع الملكي الكريم».

سعود

ولمَّا أن جرى ذلك وجه فيصل كلمة تقدم فيها بالشكر بالجزيل لحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم على ثقته الغالية التي أولاها إياه وطلب من جميع موظفي الدولة ومن أبناء الشعب معاونته في هذا الأمر الخطير بما يرضي الله سبحانه وتعالى ثم ما يؤمن الغاية التي يرتجيها حضرة صاحب الجلالة من موظفي دولته وأبناء شعبه وطلب من كل فرد من موظفي الدولة أن يحاسب نفسه فمن كان محسناً فليزد في إحسانه ومن كان مسيئاً فليقلع عن إساءته وطلب من أبناء شعبه معاونته في هذه المهمة كل بحسب استطاعته بإبداء الآراء والنصائح.

ثم إنَّ جلالة الملك سعود وجه نصيحة عامة إلى أمراء الأقاليم والقضاة ورؤساء الهيئات حثهم فيها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على أيدي السفهاء وذكر أنَّه قد عزز الهيئات الآمرة بالمعروف وناصرها.

وقال في نصيحته: ولا أعلم أنَّهم رفعوا لنا شيئاً في ذلك وقصرنا وقد

فشت في النَّاس أمور كثيرة تسخط الله سبحانه وتسبب حلول النقم فيجب على الجميع إنكارها والأخذ على أيدي أهلها خوفاً عليهم وعلى المسلمين وقياماً بما أوجب الله على عباده.

ومن هذه الأمور التهاون بالصلاة والتخلف عنها في المساجد وهي عمود الدين، فالواجب الاهتمام بها وحث النَّاس على المحافظة عليها وتأديب من تخلف عنها ومنها حلق اللحى وتقصيرها مع ورود النهي الصريح في ذلك عن النبيِّ ﷺ حيث قال: «قصوا الشوارب ووفروا اللحى. خالفوا المشركين».

ومنها فتح الراديو على الأغاني والموسيقى المفسدة للقلوب والأخلاق الصادة عن ذكر الله وعن الصلاة. ومنها إعراض الكثير من النَّاس عن تلاوة القرآن وتدبر معانيه والعمل به... إلخ ومنها تبرج النساء وخروجهن بالزينة وسفور بعضهن، وهذا من أقبح المنكرات وأعظم أسباب الفساد والهلاك فيجب إنكار هذه المنكرات وغيرها وإزالتها بصدق وجزم وبصيرة والتعاون التام على ذلك من جميع أفراد الشعب عملاً بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصاً بالهيئات الرسمية بل هو واجب على كل مسلم ومسلمة ولا عذر لأحد في ذلك ولكن الواجب على الهيئات والعلماء والقضاة والأمراء من ذلك أكبر من غيرهم لأنَّ لهم من القدرة ما ليس كغيرهم وبالجملة فالذي أوصيكم به ونفسي تقوى الله تعالى وطاعته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساعدة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرتهم والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى على هدى وبصيرة ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ كما أوصيكم بالأخذ على أيدي السفهاء وإزالة جميع المنكرات والحذر من غضب الله وحلول عقابه لأنَّ النَّاس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه كما

قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ . . . إلخ.

وفيها في رجب فرغ من عمارة مستشفى بريدة الحجري فجاء في حسن التنسيق وجمال الوضع آية في هذه الآونة على الطراز الحديث وكان في سعته وموقعه كأحسن ما يكون ولمَّا أن كان في ٢٨ من هذا الشهر قام المهندسون الكهربائيون يركبون الآلات الكهربائية من مكيفات ومراوح ولمبات وأجهزة وغيرها مما يحتاجه المستشفى وكانت المعدات والتأثيثات قد قدمت في أربع وعشرين سيارة ثم أتي إليه بمدير ودكاترة وممرضات وخدم وأدوية وأسرة وكراسي وكان في بداية افتتاحه يحتوي على ٩٥ موضعاً وعلى ١٢٠ سريراً.

ذكر الأفعال الوحشية التي تعامل بها الجزائر من فرنسا

إنَّ الله تعالى ابتلى الجزائر بغزو فرنسا التي ما زالت تستدين من الدول الأخرى وتغزو الجزائر حتى كانت تصب القنابل عليها بدون رحمة ولا اعتبار للسن أو الجنس. فلقد قام أولئك الجنود المتعطشون للدماء لتنفيذ التعليمات فذبحوا قبيلة من الجزائر واستأصلوا أفرادها على حين غرة وعادوا يحملون جماجم الشهداء على رؤوس الأسنة فعل من فقد إنسانيته حتى جاء من ركن وثيق أنَّ عدد القتلى من شهداء الجزائر في حرب التحرير بلغ الآن نحو ثلاثمائة ألف شهيد بالإضافة إلى ١٢٥ ألف مجاهد يعيشون الآن في السجون. وإذا كانت فرنسا التي يدعونها بأم الحرية ويصفونها ببلد النور ويصفونها بأنها غمرت العالم بثقافتها ومدنيتها تعامل الجزائر هذه المعاملة القاسية فأي مدنية وأي حرية يرتجى منها. إنَّها لشريعة الغاب والمخلب والافتراس. ولقد أحسن الشيخ محمد العمري المولود ١٢٨٢ والمتوفَّى

١٣٦٥هـ يذم فرنسا وأنَّ الله تعالى أذلها في الحرب العالمية الأولى ذلك لأنَّ فرنسا هي أصل من أصول إدواء المسلمين. لقد استعمرت بلادهم الجزائر التي ولد فيها منذ مائة عام ووقعت فريسة لبراثن هذا الاستعمار الفرنسي الطاغي، فهاجر إلى بلد الرسول ﷺ شاباً تاركاً وراءه وطنه الحبيب والنعيم والأهلين واللذات والأقارب. فلا يزال جرحه لا ينكأ. فلما جاءت هزيمة فرنسا أم الاستعمار الشرس البغيض هلل الشاعر لما هزمت وكان الذي هزمها وأنزلها من عرش كبريائها إلى قعر الحضيض هم الألمان. فقد قال هذه القصيدة التي جاءت في ضياعة قوية وبيان حي مؤنباً لفرنسا وشاتماً لها مبيناً ضعفها لما لحقها الخزي والهزيمة النكرى والعار والشنار بحيث كان ذلك برداً وسلاماً على قلوب أهل المشرق العربي والإسلامي والعالم وأنَّ هزيمة فرنسا الضخمة بمؤازرة الطيران التي كانت مطمح أنظار دول الحلفاء وإنكلترا ومن شابههما لم يغن شيئاً إزاء بأس الألمان فجللت فرنسا برداء الخزي والهزيمة والعار. ويذكرنا ذلك ما جرى عليها لما غزاها هتلر في الحرب العالمية الثانية وسقطت تحت عجلات دباباته وتحت وطأة طائراته لما صبَّ عليها القنابل من الجو فما كان منها إلاَّ أن سلمت واستسلمت وخضعت لسطوته لما خصص لاحتلالها ١٧ يوماً. فاستولى عليها وكانوا بين يديه أذل من الحمير. قال محمد العمري:

ذوقي فرنسا وبال الخزي والعار ... وجربي بؤس أخذ الملك والثأر
وابكي على روسيا حزناً لما لقيت ... فقد أصيبت على رغم بمقدار
واستصرخي إنكلترا إن كانت تسمعه ... فقد أحاطها سيل من النَّار
يا ويل بلجيكا مما دسست لها ... أهكذا تفعل الجارات بالجار
فطأطي رأس عز حشوه صلف ... لتوسع الصقع فيه كف جبار
يا من رأى دولاً تطغي بما حشدت ... من جحفل يملأ الآفاق جرار
ظنت بما أنفقت أن لا يعادلها ... خلق وإن لها صرف القضا الجار

وإنَّها تملك الدنيا بسطوتها ولن تؤثر فيها سوء أثار
فجاءها من قضاء الله ما عجزت عن دفعه بكروب أو بطيار
أساد برلين عاثت في ممالككم فمزقتها بأنياب وأظفار
وكنتم في الوغا شاء رأت سبعاً فأجفلت حيث لا تلوي على دار
لم تغن عنكم أساطين ولا فتن من محكمات حصون ذات أخطار
ولا سلاح يفوق الحصر تحمله شر الجنود لكم في حربها الجار
أضحت مدافع باريس محطمة يهينها كل جرار وجزار
أضحت خزائن باريس مجمعة في بطن برلين تحت الختم بالقار

وبعد ما فرغ من السخرية بفرنسا المهزومة وكال لها من السخرية والشماتة ما يقابل هزيمتها أخذ يمتدح الألمان ويثني على قيصرها الذي سامها الهوان مخاطباً له إذ يقول مستنهضاً له ومشجعاً:

يا أيها الملك المرهوب سطوته في الحرب والسلم مبدي سطوة الباري
ويلهلم صاحب ذي الحرب التي اضطربت منها البسيطة من هول وإنذار
لم تبق قيد ذراع غير محترق منها ولا طود عز غير منهار
غليوم تغلي على غيظ مراجله ويل لهم منه في قهر وأضرار
حكم سيوفك لا شلت أناملها فيهم فإنهم عار على العار
شفيت غل صدور المسلمين بما فعلت لا تبق منهم أي ديار
فالله أيد دين المسلمين بكم فشكْرنا لك في جهر وإسرار

إنَّ هذا الشاعر موتور من أفعال فرنسا فأصبح يمتدح الألمان وقيصرها بصفتهم أذلوا فرنسا ودكوا حصونها ودمروها. ولذلك أفرط في مديح غليوم ووصفه بأوصاف لا يستحقها فالله المستعان.

القمر الصناعي

في هذه السنة اخترعت روسيا قمراً صناعياً يضاهون به القمر الدوار في السماء بزعمهم وكان إطلاقه في ليلة الجمعة ٢ ربيع الثاني ١٣٧٧هـ ٢٥ أكتوبر ١٩٥٧م. وهذا من آيات الله حيث تجد أناساً في غاية المهارة والذكاء في المخترعات وعلوم الكيمياء والطبيعة ونظام الكون ومع ذلك لم ينتفعوا بعقولهم في أظهر الأشياء ولم يهتدوا بها إلى أجلِّ المعارف وهو معرفة الله بأسمائه وصفاته ومعرفة دينه ورسوله وعبوديته الظاهرة والباطنة التي علومهم كلها من أولها إلى آخرها لا نسبة لها بوجه من الوجوه. قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾ فمن تكبر على الله ورسوله وتاه بعقله وكل إلى نفسه وعقله فلم ينتفع إلاَّ بأمور ضئيلة دنيوية. وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

ولله حكمة في إجراء هذه المستحدثات على يد أعدائه الدهرية الذين حاربوا الأديان السماوية وتمسكوا بقوانين اخترعوها من تلقاء أنفسهم ما أنزل الله بها من سلطان ولما ترقت معارف النَّاس في العلوم الطبيعية والكيماوية فوصلوا إلى علم الكهرباء واستخدامها من المواد الأرضية والمائية والنارية وغيرها من المواد المتنوعة والمخترعات الباهرة وحققوا علمها وفرعوا أعمالها ونتائجها بعدما اتقنوا أصولها وفرعوا أعمالها ونتائجها تارة بعد تارة ونجحت أنشأوا السيارات والطائرات والراديو واستخدموا الكهرباء للإضاءة ودفع السفن البرية والفضائية وتبليغ الأصوات وإيصالها إلى المواضع البعيدة الشاسعة في أسرع من لمح البصر فمن العجائب اختراع الكهرباء تارة تستخدم للطبخ وتارة لتجميد الماء وتثليجه وتبريده وتارة لتسخينه وتارة لتبريد الجو وتارة لتدفئة الأمكنة والمواضع وتسخينها وتارة للتغسيل وأخرى لتسجيل الكلام وغير ذلك من تكبير الأصوات والمصالح

التي لم يتوصل إليها المتقدمون في غابر الزمان بل لم تزل حقيقة الكهرباء ونتائجها الباهرة وأعمالها العجيبة في طي الخفاء والكتمان حتى ظهر المتأخرون على هذا العلم العظيم والكنز الثمين وإنَّ هذه المخترعات الناشئة عن الكهرباء يخبر بها الرسل عليهم الصلاة والسلام وتظل الأفكار حائرة بها كقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يطير الحديد». وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل فخده ونعله ويخبره عصاه بما فعل أهله». وقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله»(١). ويقول الله جلَّ ذكره: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

وأخبر عن تقارب البلدان في آخر الزمان وغير ذلك في أمور الغيب وقد تقاربت البلدان ووقع ما أخبر به الهادي الذي لا ينطق عن الهوى وذلك بواسطة التلغراف اللاسلكي وجهاز الراديو والتلفون الهوائي وأصبح من في مشارق الأرض يكلم من في مغاربها، ولا غرابة أن يعلم النَّاس بخروج الدجال إذا خرج في ساعة واحدة كما ثبت في الحديث الشريف وقد استبعد المتقدمون علم النَّاس بخروج الدجال في ساعة واحدة وها قد توفرت المخابرات ووسائل الإعلام وتقاربت البلدان بهذه الطائرات والسيارات واستعملت الآلة المسجلة بهذه الأشرطة حتى تمكن الرجل من أن يخبره مسجلة ما فعل أهله.

ويروي لنا التاريخ عن رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي لما زار موسكو وجلس مع رئيس وزراء روسيا خروتشوف جرى في محادثاتهما أن قال رئيس وزراء روسيا: إنَّكم يا معشر العرب لم تعلموا ولم تظهر لديكم علوم وسأريك شيئاً عن معلوماتنا فكشف له عن بلاد سوريا حتى رآها بين

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢١٨١.

يديه كأنها في مرآة فمرت سيارة في أحد شوارعها فدهست صبياً ثم فرت فقال له اضبط الدقيقة والساعة من اليوم والشهر فأخذها.

فلمَّا رجع الرئيس إلى بلده سأل عن الحوادث فذكروا له أن منها صبياً أصيب بحادث سيارة وفرَّ صاحبها ولم يتوصلوا إلى معرفته فسألهم عن وقت الحادث وأخرج الورقة من جيبه فيها رقم السيارة بعد مجيئه فوجدوها وألقوا القبض عليها وعلى صاحبها بعد تعذر الوصول إلى معرفتها في بلدها.

وكذلك التنقيب عن البترول واستخراجه من بطون الأرض فلم تتوصل إليه العقول البشرية إلاَّ بعد مضي مئات الألوف من السنين أمَّا عن القمر الصناعي ومركبة الفضاء فلا تنكر أن يكون دواراً باستعماله في الكهرباء فيكون كهيئة الطائرة تسير في الجو غير أنَّه لا ركاب فيه وتوصلت العقول البشرية إلى جعله على هذه الصفة ولا مانع من ذلك. أمَّا وزنه فقد قيل عن طريق الضبط بأنَّه ١٨٤,٣ رطلاً ويدور على ارتفاع نحو ٥٥٩ ميلاً من الأرض ويقول الخبراء: بأنَّه على بعد ٦٥ درجة من خط الاستواء وهذا بزعمهم يجعله فوق كل المعمورة تقريباً.

استطردت بعض الصحف في صفة إطلاقه بأنَّه لا يرى فوق أمريكا إلاَّ في وضح النهار أو في ظلام الليل، وفي كلا الوقتين تكون رؤيته متعذرة ففي النهار بسبب وهج الشمس الذي يحول دون الرؤية على مثل هذ الارتفاع الكبير الذي يدور فيه القمر وهو أكثر من ٥٠٠ ميل وفي الليل لا يمكن رؤيته أيضاً بسبب وقوعه في ظل الأرض والوقت المناسب لرؤيته هو عند الفجر فقط أو عند الغسق. أمَّا سرعته فنحو ١٨ ألف ميل في الساعة ويدور حول الأرض كما يقولون كل ٩٦,٢ دقيقة وكان من النَّاس من يقول: الفضل في ذلك للخبراء الألمانيين الذين كانوا قد استعملتهم روسيا لديها لأنَّ خبراء الألمان بعد الحرب الأخيرة كانوا قسمين قسماً لدى الأمريكيين وقسماً لدى

روسيا غير أنَّ روسيا تقول: إنَّ معظم الخبراء الألمان الذين كانوا في روسيا قد عادوا إلى الآن إلى وطنهم ألمانيا ومن بقي منهم في روسيا فلا يعد وعمله القيام بالتدريس وأنَّ العلم في روسيا قد نضج واستوى وأصبح في روسيا جيل من العلماء الأفذاذ وقد قامت أمريكا تملأ الدنيا ضجيجاً ودعاية عن أبحاثها الجبارة لغزو الفضاء وأطلقت كذلك قمراً صناعياً ويقدر أنَّ دوراته على ارتفاع ٣٠٠ ميل فوق الأرض وأنَّه بهذا الارتفاع عرضه لئلا يدوم إلاَّ قليلاً لاستهدافه للخطر بصفته لم يرتفع مثل القمر الروسي ولقد اهتزت أسلاك البرق تنشر ذلك الحدث الكبير إلى آذان النَّاس في كل مكان وتقبل النَّاس الخبر بين مصدقين ومكذبين وبكل حال فإنَّ ذلك واقعة تبلبلت لها الأفكار لأنَّ الدول الكبرى قد ركبها الغرور فأصبحت تنادي بأنَّها تمتلك من الأسلحة ما يجعل سلاح الدول الأخرى كلَّ شيء عندها وهذا محفوف بالخطر الأكيد.

ولقد تأهبت الدول جميعها لتوحيد حركة القمر الصناعي وقياس سرعته وغير ذلك ثم أنَّها تكاثرت الأقمار الصناعية بعد ذلك ولقد طلب مني الشيخ سليمان بن عبدالله المشعلي الذي تقدمت ترجمته رحمة الله عليه في عام ١٣٧٢هـ أي قبل وفاته بأربع سنوات أن أتتبع كلام العلماء الموثوق بهم على حديث: «لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه»... إلخ، وقد تقدم عن قريب ورجاني رجاء أن أنظر في كلام العلماء على شرحه والحديث رواه الترمذي وهل يصدق هذا التكليم على أشرطة التسجيلات التي حدثت أخيراً.

وبما أنَّ الحديث رواه أيضاً الإمام أحمد والحاكم في مستدركه ورواية أحمد عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «آيات تكون قبل الساعة والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده». وفي رواية: «وتخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده».

وقد وافق الذهبي على أنَّه شرط مسلم فلم أجد عالماً شفى عليلاً ولا أروى غليلاً بل قال: الذين لم يترووا من القواعد إنَّها تكلم حقيقة ولا مانع من ذلك.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري بينما راع في غنمه عدى الذئب فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غيري فقال النَّاس: سبحان الله، فقال النبيِّ ﷺ: «فإني أؤمن به» وأبو بكر وعمر وحديث الرجل الذي ركب البقرة فالتفتت إليه وقالت: لم أخلق لهذا خلقت للحراثة فإذا ثبت كلام البهائم. في قديم الزمان فوقوعه في آخر الزمان وأشراط الساعة لا يستغرب ولكن الذي يغلب على الظن ويفهم من مقاصد الرسول ﷺ في المغيبات وما حدث وما سيحدث أنَّ آلة التسجيل في هذا الزمان منطبقة عليها ولا ينافي كلام الشجر والحجر في آخر الزمان.

كما ورد في الحديث الصحيح الذي اتفق عليه الشيخان: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يختبىء اليهودي من وراء الحجر والشجر، فتقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلاَّ الفرقد فإنَّه من شجر اليهود» والفرقد نوع من شجر الشوك معروف ببيت المقدس وتلك الجهات وتأول بعض المتأخرين تكليم السباع للإنس ما تشير به الكلاب المعلمة لاستكشاف أهل الجرائم وما تقوم به السباع المعلمة وإنَّها تخاطب فتفهم. وتؤمر وتنهى هذا الذي انتهى إليه علمنا في هذه المسألة.

عمارة الكعبة عام ١٣٧٧ هـ

في غرة رجب من هذه السنة لوحظ أنَّ هناك تشققاً في سقف الكعبة المعظمة العلوي وتصدعاً في جدرانها فبادرت الحكومة السعودية بتجديد السقفين وترميم التصدع وما تفكك من حجارتها. وأناب صاحب الجلالة

لهذا العمل أخاه فيصل بن عبد العزيز فقام الأمير فيصل يعاونه جمع غفير من رجالات الشعب والإسلام فأصلح سقفها وأتقن العمل إتقاناً عظيماً وكان الانتهاء من العمل في ١٢ شعبان ١٣٧٧هـ وكانت ذكرى تاريخية وذلك يوم الأحد وقد حصل احتفال كبير في الساعة الثالثة صباحاً بالتوقيت العربي ودعي له سفراء الدول العربية والإسلامية بحيث حضر لذلك سبعة عشر قنصلاً ودعي هيئات من العلماء والقضاة وحضرات أصحاب السمو الأمراء والوزراء والمستشارون وجمع كبير من أعيان البلاد وعناصر إسلامية أخرى من شتى بقاع الأرض.

وفيها في ليلة ٣/٢ حدثت سرقة في بريدة وتأذى الأهالي من ذلك حتى غاية ٢٠/٦ فزالت ببذل الأسباب وبذلك نذكر قول الرسول ﷺ: «من أصبح منكم آمناً في وطنه معافاً في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها» وفي كلام الحكمة نعمتان مجحودتان الأمن في الأوطان والصحة في الأبدان ولا يعرف قدر الأمان إلاَّ من هددته المخاوف فيجب على الحكام والأمراء ومن وكل إليه أمر من الأمور أن يقوموا بما أوجب الله عليهم فإنَّ الله تعالى سائلهم عن ذلك ولا بدَّ وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ قال: لولا السلطان لأكل النَّاس بعضهم بعضاً ولولا العلماء لصار النَّاس كالبهائهم.

وفيها في شوال قدم أمير البحرين سلمان بن حمد الخليفة حاكم البحرين إلى الرياض لزيارة أخوية استجابة لدعوة الملك سعود فقضى في الرياض ثلاثة أيام كان فيها موضع الحفاوة والتكريم.

ولمَّا أن عاد إلى البحرين زار الظهران وتوقف لزيارة سمو الأمير سعود بن جلوي بمطار الظهران حيث كان في استقباله جمهور غفير من رجال

الحكومة ووجهاء البلاد وأعيانها يتقدمهم سعود بن جلوي فأقام له صاحب السمو حفلة عشاء في مدينة الدمام دعى إليها حاشية الأمير والوجهاء والأعيان في المنطقة الشرقية.

الوحدة بين مصر وسوريا

هذه الوحدة هي التي أشرنا إليها فيما سبق وأسبابها لما رفضت مصر وسوريا مشروع إيزنهاور الذي حاولت أمريكا فرضه على الدول العربية بحجة ملء الفراغ في الشرق الأوسط وقضت الحكومتان عليه عقدت وحدة اتفقت أهداف الدولتين لها وتوحدت الأغراض حتى أطلقت الوحدة للشعبين في دولة واحدة سميت الجمهورية العربية المتحدة. وأعلن ذلك في القاهرة بتاريخ ١ فبراير ١٩٥٨م الموافق ١٢ رجب من هذه السنة وأجرى الاستفتاء على دستورها المؤقت وعلى رئيسها في ٢١ فبراير في كل من مصر وسوريا فكانت الموافقة على الدستور وعلى انتخاب الرئيس جمال عبد الناصر لرئاسة الجمهورية العربية المتحدة إجماعياً. واختار رئيس الجمهورية له نواباً من صفوة المصريين والسوريين وأنشأ مجلسين تنفيذيين في كل من الإقليمين ليساعداه في الحكم. والذي حدى بسوريا على ذلك هو خشيتها من أمريكا التي قامت تدفع تركيا لغزوها.

وفيها هطل أمطار على جنوبي المملكة العربية السعودية وشمالها مشت منها الأودية وذلك في ٧/ ٥ ومن الغد هطلت أمطار على القصيم ديمة استمرت سبع ساعات وأكثر النَّاس من البعل في الصحراء. وحجَّ بالنَّاس في هذه السنة الملك سعود بن عبد العزيز وكانت الأحوال هادئة ولله الحمد والمنة والفضل.

ثم دخلت سنة ١٣٧٨ هـ استهلت هذه السنة وأمراء المملكة السعودية في وظائفهم فكان الأمير في مكة المكرمة عبدالله بن فيصل، وفي بريدة

محمد بن بتال، وفي الحدود الشمالية عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد، وعلى حائل وما يليها عبد العزيز بن مساعد بن جلوي، وعلى المقاطعة الشرقية سعود بن عبدالله بن جلوي، ووزير الدفاع إذ ذاك هو صاحب السمو الملكي فهد بن جلالة الملك سعود وعلى المدينة المنورة عبدالله السديري، وعلى جده عبد الرحمن السديري.

وهكذا ثم إنَّه عزل أمير بريدة وجعل مكانه في إمارة القصيم سعود بن هذلول فقدم إليها في الساعة الثانية غروبي تزيد خمس عشرة دقيقة صباحاً يوم السبت الموافق ٢٩ صفر. وكان سمو الأمير سعود بن هذلول بن ناصر بن سعود رجلاً عاقلاً أديباً وقد مارس الأعمال فباشر عمله وكان مؤرخاً وله التاريخ المسمى تاريخ ملوك آل سعود كان قبل ذلك أميراً في تبوك والحدود الشمالية الغربية ثم نقل إلى إمارة ينبع وما يليها ثم استقال وصار في معية الملك سعود ثم عين أميراً في مقاطعة القصيم في هذه السنة وعمره ثلاث وخمسون سنة.

وفيها جعلت الحكومة في إمارة مكة المكرمة سمو الأمير متعب بن عبد العزيز أخا الملك بدلاً من الأمير عبد بن فيصل.

وفيها نبعت عيون في ضواحي مدينة بريدة تشتعل ناراً منها عين حوالي النقيب وأخرى حوالي أسفل الجبل الممتد هناك موضع يدعى المزيريرة كانت في السابق ملكاً لابن حمزة تبعد شمالاً عن المدينة بعشرة كيلومتر وقد بلغ الحفر عند حدوث الظاهرة ١٣٤٠ قدماً وكان قطر المأسورة ١٢ بوصة. ومن عجائبها أنَّ الماء عندما يصل إلى الإناء يكون في بياض شديد ثم لا يلبث إلاَّ قليلاً حتى يتبخر وإذ أولع عود من الكبريت وألقى في مصبها فإنَّ الماء يتولع ناراً وبعدما ركبت القسامات والهواية في العين انقطع الهواء وصعب إشعال النَّار في الظاهرة ولكنه أمكن إشعال النَّار عن طريق الهواية

عندما يكون الهواء ساكناً فتشتعل النَّار ويرتفع لهيبها إلى ثلاثين متراً مع الماء. وهذا من آيات الله أن يجتمع الماء والنَّار بالرغم من كثرة البعثات الجيولوجية فإنَّه لم يظهر البيان الحقيقي عن بحثها وتنقيبها لتطمئن القلوب غير أنَّ هذه التجربة تؤكد على أنَّ أرض القصيم لا بدَّ أن تنطوي على شيء فهذه عيون تشتعل ناراً لما فيها من المادة الغازية وعيون أخرى أكثر من خمس كبريتية وكذلك يوجد جزء من أحجار بريدة تشع نوراً وفي تحت جزء من الأرض جبل من طين إذا وضعت قطعة منه على النَّار أحدثت صوت فرقعة الأمر الذي جعل النَّاس يفكرون في أنَّ هذا الطين لا بدَّ أن يكون فيه مادة بارودية.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففي شهري جمادى الأولى والثانية انتشرت الحصبة في نجد وكثرت الإصابة بها وكانت الأمة في قديم الدهر إذا انتشرت فإنَّهم يضادونها بالحمية وأشياء أخرى فما تلبث أن تفتك بالصبيان فما بين ناج وما بين هالك وتكون ضحاياها كثيرة غير أنَّ الأطباء استطاعوا بتوفيق من الله لهم أن يضادوها بإبر البنسلين ونحوها فيقل خطرها وقد نشرت إحدى الجرائد السعودية كلاماً لبعض الدكاترة في الحصبة لا يخلو من فائدة وقرر هذا الطبيب أنَّ الحصبة يبدأ موسمها في منتصف الشتاء وينتهي في أواخره وإني لأعجب لهؤلاء الأطباء الذين كانوا في أنحاء المعمورة بحيث مع تقدم الطب في هذا الزمان لم يجدوا لها تلقيحاً كما وضعوا للجدري فإنَّ النَّاس قد وجدوا راحة في استعمال التلقيح ضد الجدري. وفيها قام بعض المنتسبين إلى الخير بالإنكار على بعض رجال الجهاد المرابطين في بريدة شربهم الدخان وتجولهم في مواضع من البلد فحصل من هؤلاء سوء تفاهم أي إلى المضاربة فيما بينهم فرفع الفريقان شكايتهم إلى الحكومة فبعثت الحكومة هيئة من ديوان المظالم للتحقيق في المشكلة التي تطورت وكان ذلك في آخر شهر محرم فاستمرَّ

التحقيق إلى ٢٤ صفر بحيث قضت اللجنة بتأديب المعتدين من أهل الجهاد وتقويم ما جنوا على الخصم من الشجاج فنفذت الأوامر وانكفَّ النزاع وسكن كل متحرك ونظير ذلك ما جرى في السنة التي قبلها من قيام بعض آل سليم أمراء عنيزة على الأمير خالد وإطلاق النَّار عليه لضغائن قبل ذلك فبعثت الحكومة قوة يسيرة للنظر في الموضوع وانحسم الخلاف لسلامة الأمير وهدأت الأحوال كأن لم تكن وذلك بفضل ما استعملته الحكومة من السياسة نحو هذا الخلاف.

وفيها في آخر النهار من يوم الأحد ٥ شوال هبت رياح شديدة كموج البحر بظلمة شديدة أقبلت من الغرب فأظلم الجو جداً حتى أضيئت المصابيح واستعملت أنوار السيارات لتوقفها عن المسير ثم كانت صفرة شديدة واستمرت أربعين دقيقة من الساعة العاشرة مساء بالتوقيت العربي إلى تمام الدقائق المذكورة ثم انفصلت عن مطر شديد صبت منه المزاريب بقوة ثم تجلت.

وفيها في ليلة الأربعاء ٢٩ شوال هبت رياح كادت أن تدك البيوت في القصيم واستمرت من الساعة السادسة ليلاً إلى تمام الثامنة وثلاثين دقيقة.

وفيها في ٢٠ شعبان حصل برد شديد ورياح وغبرة ونزل جليد على رياض البطين شمالاً وذلك في ٩ الحوت والله على كل شيء قدير.

وفيها في يوم الأحد ٣ جمادى الثانية هطلت أمطار على القصيم واستمر الغيث وفي ٦ الجاري هطلت أمطار على سائر بلدان نجد والقرى.

وفيها في ١٠ رمضان وما يليه نشأت فوضى في العراق وكثر القتل والهرج وألصقت بالعراق أمور شوهت سمعته جداً وشنَّ عليه الأعداء الغارة واختلقوا له المشاكل وبغوا له الغوائل فإن كان ما قيل فيه صحيحاً فإنَّهم مستهدفون لعقوبة الله وبطشه وأن الله لا يهمل خلقه وإن كان كذباً فلعنة الله

على من افتراها وكنت أظن أنَّ الكاذبين يختلقون مثل ذلك.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

لقد توفي في هذه السنة فطاحل من العلماء والرجال فمنهم صاحب السمو الأمير سعود بن عبد العزيز بن سعود بن فيصل آل سعود. وهذا هو الذي يسمى سعود الكبير قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه. وكانت وفاته في مساء يوم الثلاثاء ١٦/٨/ ١٣٧٨هـ على إثر سكتة قلبية عن عمر تجاوز ٨٥ سنة وقد أحدثت وفاته أثراً عميقاً من الأسى في نفوس أهل هذه البلاد لما عرف به من حب الخير ومكارم الأخلاق والعطف على المحتاجين والتمسك بالشيم العربي. كان رحمه الله صاحب دين وعبادة. متواضعاً على رفعة قدره. رأيته في بريدة أوائل جمادى الثانية من سنة ١٣٧٦هـ في وقت كانت الأمطار قد غمرت المدينة فاستوقفني وجعل يسأل عن المشائخ وكان راكباً في سيارته سائراً إلى قصر الحكم في بريدة للاتصال بالأمير محمد بن بتال فسألته لأني لم أكن أعرفه قبل ذلك فقال: من المنتسبين إلى آل سعود من السموه يعني من الأسرة. فقال أحد رفقته لما أجلسني الأمير إلى جانبه في السيارة لأني كنت ذاهباً إذ ذاك إلى الأمير محمد. قال هذا سعود الكبير فعرفته، وكان شيخاً قليل اللحم قد لوحته الشمس وذلك لأنَّه كان مشهوراً بسعود العرافة فعجبت لمكارم أخلاقه وكان لما أن توفي في هذه المناسبة وافق أن جلالة الملك سعود كان غائباً عن الرياض فما أن وصل النبأ إليه حتى أمر أن تؤخر جنازته وقام مبادراً فتوجه ليلاً بالطائرة الخاصة فوصل في الساعة الثالثة إلاَّ ربعاً من صباح يوم الأربعاء ونزل مبادراً إلى المسجد الجامع الكبير في الرياض وذهب إلى المسجد الجامع على رأس أفراد الأسرة المالكة فصلى المسلمون على الفقيد وشيعت جنازته إلى مقرها الأخير والخلائق يسمع لهم نحيب وقد تلقى جلالة الملك ونجل الفقيد محمد بن سعود الكبير وإخوانه التعازي من أفراد الأسرة المالكة ورجال

الدين وأعيان ووجهاء الرياض وغيرهم من سائر المملكة.

وفاة رئيس القضاة

ففي الأسبوع الأول من شهر رجب سابع ٧ فقدت البلاد عالماً جليلاً وركناً كبيراً من أحفاد مجدد الدعوة الإسلامية في الجزيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو الشيخ عبدالله بن حسن وهذه ترجمته: هو الشيخ الإمام العالم العلامة عبدالله بن حسن بن حسين بن علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وعفا عنه. ولد رحمه الله في أواخر سنة ١٢٨٦ هـ فنشأ نشأة طيبة وأنبته الله نباتاً حسناً تحت رعاية والده الشيخ حسن بن حسين. ولمَّا أن ختم القرآن وأتقنه أخذ يطلب العلم ويتعلم من والده ثم سمت به همته إلى حلق المشائخ فأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن وأخذ عن الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود وكان هذا العالم مشهوراً بعلم الفرائض وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود وجد واجتهد فنبغ من بين الأقران وكان الملك عبد العزيز معجباً به لما يراه من نجابته وعقله فكان يستصحب الملك في أسفاره وينتدبه لمهام الأمور ثم كان رئيس القضاة في المملكة العربية السعودية فكان مصدر الهيبة والحب والتعظيم ذا رجولة وغيرة أضف إلى ذلك عقلاً رزيناً وكان يحمل بجانب هذا علماً وافراً ونفساً زكية طاهرة بعيدة عن الزخارف وسفاسف الأمور. ولمَّا أن تولى رئاسة القضاء أضيف إليه رئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هناك والإشراف العام على المسجد الحرام وتعيين القضاة والأئمة والمؤذنين ومراقبة الكتب الواردة وكان له سمت العلماء ومهابة العظماء وطهارة الزهاد وعاش زمناً طويلاً يقارب من قرن. لمَّا أن قدم مع جلالة الملك عبد العزيز إلى مكة المكرمة سنة ١٣٤٣هـ تقلد عدة وظائف دينية هامة وكان قبل ذلك إماماً في مسجد

الإمام عبد الرحمن الفيصل في الرياض ثم كان إماماً وخطيباً في المسجد الحرام وحضر قتال جدة في معية جلالة الملك وآخر الوظائف رئاسة القضاة أسندها إليه لمَّا استولى على الحجاز بعد فضيلة الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد تولاها ثلاثين سنة أو تزيد ولقد كان عالماً وداعية إلى الحق وصلباً في دين الله إذا اقتنع بعدالة قضية من القضايا لم يستطع أحدٌ كائناً من كان أن يحوله أو يحول دونه ودون تنفيذها وكان في أحكامه لا يتأثر باتجاه أحد أو رأيه مهما كانت مكانة أحد من النَّاس، وكان ذا جاه عظيم ويسمع كلامه ويخضع لأوامره ونواهيه ولقد شغل هذا المركز الكبير الخطير فكان موضع الإعجاب وصفة الأب الحنون والرئيس المنصف والحاكم العادل الذي لا تميل به الغرائز البشرية عن مناهج الحق والعدالة ولا تنطوي عليه مواطن الحيف والهوى. ولقد كان محبوباً ومرهوباً ولم يكن له أعداء بالرغم من وقته وهيبته وعاش عزيزاً كريماً مهاباً ومات عزيزاً كريماً مهاباً لم يستطع أحد أن سجل عليه طيلة حياته المديدة موقفاً واحداً من المواقف التي تعيب العلماء أو تنال من مكانتهم في النفوس وكان محظوظاً لدى آل سعود لما قام به من حسن السياسة ودماثة الخلق وطيب السريرة، أضف إلى حسن تدبيره أنَّه قوي وذو صلابة في الحق والغيرة على الحرمات والتمسك بالمثل العليا وثبات على المبدأ مهما بلغت قوة التيارات التي تتقاذف حوله وما كان في قسوته في بعض المواقف وصرامته في بعض الأحكام ليكون مكروهاً والسر في ذلك حسن نيته. وقد رأيته مرة جاء لتفقد واعظ في المسجد الحرام لم يؤذن له في الوعظ وسألني عن أي موضع كان يجلس فيه وقال: إن وجدته فأخبرني عن موضعه. فكان ربعة من الرجال قد لوحته الشمس عليه أثار الهيبة والتعظيم وحدثني الرجل الزكي المحب في الله عبد العزيز بن إبراهيم الحسين أنَّه اشترى بقرة له ولرفقته في الحج ضحى يوم عرفة ليذبحوها هدياً من الغد فوسمها في الرقبة وواعد الراعي أن يأتيه بها صباح الغد يوم العيد

سوى أن الأيادي قد اختلفت فيها. ولمَّا أن حضر لأخذ البقرة وجدها ولم يجد صاحبها فلما أن أراد أن يأخذها ويذهب بها امتنع الذي كانت بيده وذكر أنَّه اشتراها فوقعت خصومة واشتكى إلى بعض الدوائر فكانوا يماطلونه يوماً بعد يوم فذهب إلى الشيخ عبدالله وانطرح بين يديه وقال: هذه صبيحة رابع يواعدوني وقد انقضى زمن الذبح ونحن فقراء بعت بالأمس عباءة لإِحدى النساء وأكلنا ثمنها فكيف نصنع اليوم فبكى لحالته وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل ثم ناوله عشرين ريالاً فضة تناولها من عن يمينه من أسفل قطيفة كان جالساً في بيته عليها وقال: كلوها في هذا اليوم ودعى بأحد أنجاله كنت أظنه عبد العزيز ثم قال:

خذ بيد هذا الشايب ولا تفارقه حتى يسلم بقرته كائناً من كان. . . قال: فذهبنا من موضع إلى موضع ومن دائرة إلى أخرى وكان النجل يقول للمسؤولين عن أمر عبدالله بن حسن يسلم بقرته فما زال به من موضع إلى موضع حتى استلمها قال فقال لي آخرهم: أشكر فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن فلولا قيامه معك لم تحصل عليها إلاَّ بعد شهر كاملاً قال فذبحناها عن أمر الشيخ وطفنا طواف الوداع وسرنا مسافرين. وكانت مجالسة ندوة حافلة يجتمع فيها علماء المسلمين من المشرق والمغرب لا سيما في مواسم الحج ويختلف إليه العرب والعجم للتعارف والتفاهم معه في المسائل الدينية والأحكام الشرعية التي تختلف وجهة أنظارهم فيها أو التحقيق في الأقوال التي ينسبها دعاة السوء إلى أهل نجد، فيستمع إليهم وإلى أقوالهم بكل هدوء ويجيبهم بما يقنعهم ويزيل عنهم الشكوك والأوهام ويزودهم بالكتب التي تشرح عقائد السلف الصالح وتوضحها. ومن جاء مسترشداً أو مستوضحاً فإنَّه لا يخرج من عنده إلاَّ مقتنعاً مطمئناً على بصيرة وعلم. فرحمة الله عليه وجبر الله الإسلام بفقده. أمَّا تلامذته الذين أخذوا عنه فجم غفير فمنهم أخوه عمر بن حسن رئيس هيئات الحسبة في نجد وعالم كبير

وعلم شهير والشيخ محمد بن عثمان الشاوي وعبد العزيز الشتري المعروف أبو حبيب والشيخ عبد الرحمن بن عقلا والشيخ فالح بن عثمان والشيخ عبد الظاهر أبو السمح إمام وخطيب المسجد الحرام والشيخ علي بن زيد والشيخ صالح بن سليمان بن سيف قاضي المضيق والمؤرخ الأديب عبد الغفور عطار والشيخ محمد بن داود والشيخ سليمان أباظة والشيخ سليمان بن عبدالله المشعلي وأبناؤه الثلاثة الشيخ محمد بن عبدالله بن حسن والشيخ عبد العزيز بن عبدالله والشيخ حسن بن عبدالله والشيخ علي بن محمد الهندي ومحمود شويل وأناس كثيرون.

وممن توفي فيها من الأعيان عبدالله الرشيد، وهذه ترجمته: هو الشيخ الزاهد الورع الزكي الطاهر العالم المتعفف أبو صالح عبدالله بن رشيد الفرج بن إبراهيم بن زايد القفاري نسبه إلى قفار ولد في عام ١٣٠٨هـ وتوفي في يوم الخميس الموافق ٢١ محرم من هذه السنة نشأ في عبادة الله لأنَّ والده مؤذن المسجد الجامع الكبير في بريدة وشرب من زلال ينابيع الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم فأثرت هذه البركة في المترجم. وبعد ما حذق في معرفة القرآن أخذ يطلب العلم، فأخذ عن الشيخ المذكور وأخذ عن الشيخ عبدالله بن فداء وأحذ عن الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد. ثم لازم الشيخين الإمامين عبدالله بن محمد بن سليم والشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأكثر الأخذ عنهما ولازم الشيخ عمر بن محمد واستمسك بغرزه في الحضر والسفر وأحبته مشائخه وقدموه في المجالس وذلك لأنَّه كان ولياً لله محترماً، ذلك لمَّا قام بهذا العبد الصالح من سلامة الصدر والأمانة والصبر على حلو الزمان ومره وكان يدرس عليه في الكتب الكبار السامية كالمغني، والشرح الكبير، والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير وتفسير القرآن له، وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي وكان خطيب المسجد الجامع في بريدة، ولديه كتب كثيرة، غير أنَّه لم يتولَّ وظيفة في القضاء ولا غيره لورعه

وزهده ويحجم كثيراً عن الفتوى ولا يتجرأ عليها لورعه مع عذل مشائخه له في الأحجام لأنَّه في درجة الفتيا والقضاء ويؤم في المسجد الجامع بالنيابة عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم ويستخلفه الشيخ عمر لذلك وكان ملازماً للاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان وإذا أخذ في الخطبة أو القراءة فإنَّه يبكي ويُبكي من حوله وبكل حال فإنَّه من قوم كانوا فبانوا وختم به الزهاد وقلَّ أمثاله في العباد وأحبه الخاص والعام وقبله جميع أهل الإسلام فكان يتمتع بعقل وسمت عظيم. فأشهد بالله ما رأيت له عدواً وذلك بأنَّه لم يؤذِّ أحداً ولم يرزأ مسلماً ولم يعب صاحباً ولم يتكبر على أحد وربما ضمني وإياه مجلس فكان يقدمني ويحترمني كأستاذٍ له مع صغر سني فكنت بالنسبة إليه كحفيد له فسبحان من منَّ عليه بفضله ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ وقد توفي بكره صالح في ريعان الشباب وأعاضه الله بآخرين.

ذكر أخلاقه الزاهرة وصفاته الباهرة

رحمة الله عليك يا أبا صالح كنت مؤمناً تقياً وولياً لله زكياً متواضعاً لإِخوانك مرضياً لأهل زمانك لا فظاً غليظاً ولا مازحاً ولا متهكماً لا تغضب ولا تحرج ولا تحقد بل كنت حسن السريرة صبوراً على الفقر شكوراً لله في السراء تحب أهل الدين وتميل إليهم وتبغض في الله أهل معصيته وتشرف بك المجالس ويحبك القريب والبعيد ولا يملّك الجليس.

كان المترجم رحمة الله عليه حليماً وقوراً إذا رأيته ذكرت الرسول عليه الصلاة والسلام وذكرت الصحابة والتابعين لهم بإحسان وذكرت السلف الصالح ورق قلبك لرؤيته وكان نظيفاً حبيباً كريماً ليناً سمحاً طلق المحيا مربوع القامة يميل إلى الطول أبيض أزهر له لحية كثة جميلاً محبوباً كأنَّ الشمس تشرق من وجهه يتعفف في لباسه ويحب البياض من الثياب

والمشلح وعلى الدوام يلبس شماغاً ولباسه دائماً نظيف ولا يطلع على سره أحد وكان إذا جلس فإنَّه يقدم أهل الفضل على نفسه في المجلس ويتواضع ثم يأخذ في تذكر مشائخه وإخوانه الماضين ويترحم عليهم ويدعو لهم بشفقة ولهجة طهرها الله من النفاق والقلق فإذا ذكرهم فإنَّه يُبكي من حوله ولكلامه وقع في القلوب وقبول في النفوس ولا يحب القصص مثال ذلك أن يقول: كان الشيخ محمد بن عبدالله بن سليم عالماً رحمة الله عليه وألحقنا الله بآثاره كان يقول لأولاده كذا ويرشدهم ويبين لهم طريق الحق ويعظمه آل سعود ثم ينتحب ويقول الله المستعان قال النبيِّ ﷺ: «يذهب الصالحون الأول فالأول سبحان الله العظيم». يا أخي أن الحالة لتؤسف وأن الشيخ عمر كان محتسباً في كثرة تدريساته وأنَّ عبد العزيز العبادي غفر الله له كان صابراً محتسباً وأظهر الله من تعليمه فائدة وأنَّه يا أخي ينبغي مساعدة أهل الدين ويشير بذلك لطلاب العلم إذ ذاك فإنَّهم كانوا في فقر مدقع وينبغي يا أخي لطالب العلم أن يجتهد ويجعل له نية طيبة لأنَّه يسعى في طلب وراثة الرسل والله يا أخي إنَّا نحب طالب العلم ونفرح بمجلسه ونرحب به إذا جاء إلينا للمطالعة أو يريد إعارة كتاب هذا الذي نقدر عليه ويا ليت أننا نملك شيئاً للمساعدة ولكلامه ذوق بحيث لا يجهر في الكلام ولا يكلف السامع ولا يمل مجلسه ولقد يرجى له أن يكون ممن قال فيهم النبيِّ ﷺ في وصف أهل الجنة: «ورجل رخيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال»، ونذكره عند قوله ﷺ: «خيار عباد الله الذين إذا رأوا ذكر الله»، ونذكره عند قوله ﷺ: «أغبط أوليائي عندي المؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضاً في النَّاس يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك ثم نقر بيديه فقال: عجلت منيته. قلت بواكيه قل تراثه ولما قيل يا رسول الله أي النَّاس أفضل قال: كل مخموم القلب صادق اللسان قالوا: صدوق

اللسان نعرفه فما مخموم القلب قال: هو النقي التقي لا إثم عليه ولا بغي ولا غل ولا حسد وبالجملة فإنَّه من الرجال الذين يدافع الله بهم العذاب عن أهل الأرض». ولمَّا وقعت النكبة على أهل بريدة من جراء السيول التي ألقت البيوت على وجه الأرض مهدمة وتركتها خراباً يباباً حتى أنَّ المسلمين من قام يهدم أعالي بيته لعله أن يخف الحمل على الأساس واشتدت الكربة وعظمت الفادحة جعلت أتذكر أولياء الله الأحياء الذين يطفؤون غضب الرب ويرحم الله بهم العباد والبلاد فلم أرَ على وجه البسيطة ممن كنت أعرفهم سوى ثلاثة رجال هو أحدهم(١) ومن الغرباء الذين قال فيهم الرسول ﷺ: «طوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد النَّاس» وفي رواية: «يصلحون ما أفسد النَّاس» وفي رواية: «يصلحون ما أفسد النَّاس من سنتي» وكان يأكل من كسب يده لأنَّه كان خطاطاً ونسخ كتباً بيده كثيرة وكان موضع الثقة في العقود والوثائق ونفع النَّاس وقد تأتيه مساعدات قليلة على مونة الدنيا من بيت مال المسلمين ونزر يسير من الأجواد وبكل حال فإنَّه يظهر نعمة الله عليه ولا يطلب الدنيا من أحد وقد لبث في طلب العلم ما يقرب من أربعين سنة قضاها في الدراسة والمراجعة.

ولم تأخذه عزة النفس عن أن يأخذ العلم من أحد العلماء كائناً من كان

---

(١) فسر بعض العلماء قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أنَّه يدخل في ذلك دفع الله العذاب على العصاة بأهل الطاعة وورد في بعض الآثار يقول الله عزَّ وجلَّ: إذا أردت إنزال عذاب بأهل الأرض نظرت إلى المشائين على أقدامهم إلى الجمعات والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرين بالإسجاد فاصرف العذاب عن الناس ورأى بعض السلف فريقاً من ملائكة نزلت فقال بعضهم لبعض: أخسفوا بهذه القرية فقال بعضهم: كيف نخسف بها وفلان فيها قائم يصلي، ورأى بعض المتقدمين في منامه منشداً يقول:

لولا الذين لهم ورد يصلونا ... وآخرون لهم سرد يصومونا
لدكدكت أرضكم من تحتكم سحراً ... لأنكم قوم سوء ما تطيعونا

وآخر من أخذ عنه من المدرسين هو الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وقد جلس لتدريس تلامذة الشيخ عمر بن محمد بن سليم بعد وفاته حتى قدم الشيخ عبدالله بن حميد لذلك ولمَّا أن كان قبل وفاته بسنة حدث فيه ضعف وفقد كثيراً من قوته وعزمه واستمرَّ ضعفه ثم أنَّه أغمي عليه في وسط النهار من آخر أيامه وهو جالس يتحدث مع بعض أحبابه وتوفاه الله ظهر يوم الخميس المذكور عن عمر يناهز الحادية والسبعين رحمة الله عليه وكان قد خلف أربعة بنين وله أخ تولى وظيفة الأذان في المسجد الجامع بعد أبيه وهو محمد بن رشيد كان جهوري الصوت وشجاعاً مقداماً ولمَّا أن توفي المترجم تأخر تجهيزه لصلاة المغرب ونودي في الأسواق بوفاته واجتمعت الأمة من كل صوب وحدب وصلَّى عليه جمع لم يعهد مثله بحيث أنَّهم لما خرجوا به إلى المقبرة صلَّى عليه المسلمون الذين لم يحضروا الصلاة عليه في المسجد الجامع الكبير فلم يتمكن المصلون من متابعة الإمام في التكبير حتى كان هناك سبعة منبهين وضجَّ المسلمون وانتحبوا وبكوا عليه وترحموا وكان موضع قبره في المقبرة الجنوبية في بريدة فالله المستعان.

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ محمد حامد فقي رئيس جمعية أنصار السنة في مصر كان الشيخ محمد حامد ناصراً للسنة مجاهداً في سبيل العقيدة السلفية مدافعاً عنها باليد واللسان والجنان وقد بدأ حياته بذلك. وأنَّه ليشكر على ذلك وإذا كان منتسباً للسنة وناصراً لها ومعادياً لأعدائها ونجد في كلامه في مقدمة المنتقى وشرح التوحيد والبلوغ ما يدل على قوة تمسكه بالسنة وعيبه على أهل البدع، فما بال أعدائه من الحساد وأبناء جنسه ينالون من عرضه ويذمونه ويشوهون سمعته ولقد كانت مقدمته التي وضعها أمام شرح التوحيد آية في توحيد الله والثناء عليه ووصفه بما وصف به نفسه ووصفه به ورسوله ونعته الرسول محمداً ﷺ بما يليق به. ثم قال: أما بعد فإنَّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر قد قام

بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيل نصرة الدين الخالص صادقاً مخلصاً صابراً محتسباً وصمد لشياطين الجن والإنس يرد عن الإسلام كيدهم ويبطل بساطع حججه وثابت عزمه وصادق قوله أباطيلهم ويقضي تشهب حقه المؤسر على الكتاب والسنة على دجلهم وضلالهم ويظهر بشموس أدلته زيوف غيهم وزخارف غرورهم وظلمات بدعهم وفساد أكاذيبهم وهم يقابلون كل ذلك من شيخ الإسلام بكل ما استطاعوا من سماجة وصفاقة ويقابلونه بكل ما يملكونه من عصبية وجمود على ما يغلغل في قلوبهم المنتنة من إرث عن الآباء والأجداد والشيوخ الذين اتخذوهم من دون الله أرباباً يجمعون له جموعهم ويجلبون عليه بخيلهم ورجلهم وأباطيلهم ومخترعات كتبهم التي ضاهوا أصدق الحديث وخير الهدي ويرسلون من ألسنتهم وأقلامهم وأيديهم حمم الغيظ الذي يأكل قلوبهم ويحرصون الحرص كله على إطفاء نور الله الذي أشعله شيخ الإِسلام ليهدي به الضال ويرد به الحائر. . . إلخ. وأطال ثم إنَّه امتدح آل سعود بما قاموا به من مساعدته وبذل الجهد في نصرة دعوته وبذلهم سواعدهم تحمل السيوف لإِعلاء كلمة الله حتى أظهر الله التوحيد ونشر العلم على ألوية الجيوش السعودية المظفرة وكتب الله النصر لشيخ الإِسلام ولقد امتدح المترجم شيخ الإِسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية وانتصر له وصاح ينادي أعوانه وذكر ما منَّ الله به عليه من المقامات الدينية.

وأشاد بذكره حتى أخرش والبنية من لا يكون في صفه وساق له ترجمة حافلة في مقدمة اقتضاء الصراط المستقيم وذكر أنَّه خرج في زمان أطفئت فيه أنوار الرسالة فقام بجد واجتهاد ولنصرة دين الله ورسوله وما زال هذا شأنه حتى أتاه الله الإمامة ليهدي النَّاس بأمر ربه إلى صراطه المستقيم. ولكنَّ النَّاس تلقوه بمثل ما تلقى سلفهم رسل الله لأنَّ دعوته هي دعوة رسول الله إلى توحيد عبادة الواحد وإلى تخليص الإنسان من ذل عبادته

للإنسان وإلى رفع الإنسان إلى درجات الكمال بتخليصه من أغلال ظلم الإنسان وهوى الإنسان إلى أن قال: فصبر شيخ الإسلام وجاهد ونزل الميدان متسلحاً بقوة الحجة وذخائر كنوز الكتاب والسنة وفصاحة اللسان وثبات الجنان وشجاعة القلب وصدق العزيمة وقوة الإرادة وإخلاص القصد لوجه ربه. ثم ذكر نبذة مما جرى من أعداء الشريعة عليه إلى أن قال: أمَّا بعد فهذا كتاب اقتضاء الصراط المستقيم قنبلة من أقوى ما ألقى شيخ الإسلام على حزب الشيطان من قنابل الحق والهدى ثم أطال بذكر فضله إلى أن قال فيها: أيها الناصح لنفسه الحريص على نجاتها من غضب الله ولعنته في الدنيا والآخرة اقرأ كتاب اقتضاء الصراط المستقيم واحرص على قراءته بتدبر وفهم وعقل سليم لتعرف ما عمَّ مجتمعك من شرور البدع والأهواء والشهوات فتنفيها عن نفسك وتنأى عنها بجانبك وتنجى بعد ذلك إلى الركن الوثيق والحصن الحصين... إلخ. وكذلك أيضاً امتدح الإمام ابن القيم رحمة الله عليه وبما أنَّ هذين الإمامين هما الميزان لمعرفة صلاح العباد من فساده فلا يحبهما إلاَّ مؤمن ولا يبغضهما إلاَّ منافق فإنَّا نشكر المترجم على مسلكه ذلك وقد لقي في سبيل الدفاع عن السُّنَّة وانتصاره لها أذىً ومحناً فصبر واحتسب وظلَّ في كفاحه مستمراً وأنشأ مجلة الهدي النبوي فكان لها أثرها الفعال بين المنتسبين إلى الدين في مصر والسودان وغيرهما من البلاد الإسلامية كما أنَّه أقام في المملكة السعودية مدة من الزمن وأسهم عملياً في رفع مستوى الثقافة الدينية فيها بإصدار مجلة دينية أدبية اجتماعية كما أنَّها تهتم بنشر أخبار الحركة العلمية والأدبية في البلاد وكذلك اضطلع بهمة التدريس في المعهد العلمي الإسلامي والوعظ والإرشاد في الحرم الشريف زمناً طويلاً.

وزود المكتبة العربية الإسلامية البعيدة عن شوائب البدع والخرافات بكتب قيمة نادرة قديمة وتصحيحها وإعادة طبعها ونشرها في العالم العربي

الإسلامي ولقد حضرت وعظه وإرشاده في المسجد الحرام أوقات الموسم غير مرة فلم أنتقده بشيء بل كان سلفي العقيدة مجتهداً غير أنَّه والله يغفر له يتعاظم ويرى نفسه بالمكان الأسمى أضف إلى ذلك أني رأيت له كلاماً ذم به الشيخ الإمام العالم العلامة محمد منير آغا الدمشقي وسماه متعنتاً أو متطفلاً على العلماء وما حق محمد منير أن يسمى متعنتاً أليس الذي قد وقف نفسه لله تعالى وأشاد مباني السنة ونشر مؤلفات أهلها وعلق عليها تعليقات يشكر عليها وفسر مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتصر لها فهذه مآخذه بسيطة عليها ولكننا نقيم له عذراً بأنَّه كغيره من العلماء الذين يحسد بعضهم بعضاً وبما أنَّنا لا نسمع بالمترجم فكذلك لا نسمع تنقصه لغيره قال ابن عباس رضي الله عنهما استعملوا علم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض فوالذي نفسي بيده لهم أشد تغاوراً من التيوس في زربها رحمة الله على أموات المسلمين.

وممن توفي فيها من الأعيان فوزان العثمان من الشخصيات البارزة في مدينة بريدة وهو فوزان بن عثمان بن فوزان بن صالح بن عبد العزيز بن سابق بن صالح بن فوزان من قبيلة الوداعين من الدواسر كان عاقلاً ممتلىء الجسم أبيض اللون شهد الطرفية والبكيرية وجراب في صفوف المسلمين وكان في تجارة عقيل إلى الشام والعراق ومصر ومن رجالهم الذين يتقيدون بالصلوات الخمس وكان صاحب الجلالة الملك عبد العزيز يقدر له مواقفه ويواسيه. ومن أنجال المترجم سليمان بن فوزان الذي سبق ذكره في المقاولات للمعهد العلمي ببريدة والمسجد الجامع الكبير والمستشفى المركزي فيها والمكتبة العلمية. وكانت وفاة المترجم في آخر ذي الحجة من هذه السنة رحمة الله عليه.

إنَّ عقيلات المشهورين في تجارة الإبل وغيرها يسافرون على ظهور الإبل مستصحبين المواشي من الإبل والخيل كل بحسبه ويتخذون ما يتطلبه

السفر من قرب الماء والأحواض والمحال والحبال والخيام والأعمدة والفرش وأواني الطبخ وما إلى ذلك من الخدم كل على حسب مقدرته.

فقد قيل إنَّ محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام بلغت إبله التي ذهب بها مرة إلى الشام ستمائة رعية وكان زعيم العقيلات أو من زعمائهم ولكن الله سبحانه قدر على هذا التاجر بأن أصبح غنياً وأمسى فقيراً في لحظة ذلك بأنَّها كسدت السكة المتعامل بها وهي أكثر ثروته فكان لا شيء ويروي لنا التاريخ أنَّ رجلاً اسمه ابن رومي من أكبر تجار اللؤلؤ بين الكويت والبحرين وقطر وما إلى ذلك يبيع ويشتري فقدر أنَّهم لما توسطوا في اللجة وحان وقت الغداء قدموا طعام الغداء الذي كان مؤلفاً من أنواع القثاء والبطيخ وما إلى ذلك فوضع صرة عظيمة من اللؤلؤ أمامه ولمَّا أن فرغوا من الطعام وقام لتغسيل يديه ورجع إذا بالخادم قد احتمل الخوان لم يظنها فيه ولم يعلم بها وقد اختفت من بين القشور وألقى جميع الفضلات في اللجة فسأل الخادم عن الفضلات فأفاد بأنَّه رماها في البحر فأسرها في نفسه ولما أن قربوا من الساحل قال لرفقته الذين كانوا في السفينة معه ما ينبغي أن نكون فريسة للأمة فتكسد بضاعتنا بيعوا علي أو اشتروا مني فلمعرفتهم بغناه باعوا عليه جميع ما لديهم وأخبرهم أنَّ الوفاء بعد التصفية ولمَّا أن نزلوا في البحرين نفقت البضاعة لأنَّها لم توجد إلاَّ عنده وباع بأسعار باهظة جداً حتى أعاد الله له الكرة وجعل أصحابه يعجبون من حظه ويقولون: إنَّ الأموال تتبع الأموال وحسدوه فوفاهم حقوقهم بعدما أخبرهم بنكبته وكيف أنَّه جلس يتغدى من أغنى الخلق ثم رجع لا يملك من مال الله شيئاً. وكثيراً ما يجري على العقيلات مخاوف ومهالك فقد سار أناس من عقيل في زمن أسفارهم إلى مصر والشام والعراق فلما أن كانوا في الصمان وكانت إذ ذاك مهلكة ومقطعة لا ماء فيها ذهبوا لبعض حوائجهم وخلفوا أحد الرفقة وهو إبراهيم بن عمير الحجيلان في رحلهم ليحفظه وجعلوا بين يديه إبريقاً من

الماء لأنَّ الصمَّان مضماة في لغة العامة فمرَّ به راكب بعير يحمل ماء كثيراً فاعترض له إبراهيم وسأله قليلاً من الماء في إناء كان يحمله وقال له: انظر لحالتي في هذه الأرض المهلكة فردَّ عليه رداً قاسياً وأبى أن ينعشه بشيء من الماء فقال: أحسن إليَّ فقد ذهب رفقتي ولا أعلم متى يرجعون فلم يعره اهتماماً بل ذهب وتركه فرجع إلى رحله مكسوف البال ولمَّا أن وصل وجد كلباً قد خلفه واحتفر حفرة يتمرغ في الثرى من شدة العطش فعلم ما أصابه ورق لحالته وصب له من الإِبريق رحمة له وثقة بالله بأنَّه لا يضيعه فقدر أن غمامة ساقها الله عزَّ وجلَّ إلى المخيم فصبت ماءها بقدر منزلهم وجعل يغترف من الماء حتى ملأ جميع ما بين يديه من الأوعية ثم نشفت الأرض. أمَّا عن صاحب الجمل فقد عثر جمله بعد ذهابه ورجع إلى إبراهيم يقول: اشتروا الجمل فقد عثر وانكسرت بعض قوائمه فقال: إليك عني فلا رغبة لنا بالجمل وإنَّك معاقب بتركك رحمتي بهذه الأرض المهلكة فلما أيس الأعرابي من حياة الجمل تركه مسيباً وذهب لعلمه أنَّه سيهلك ولمَّا أن رجع الرفقة من آخر الليل وجدوا الجمل بآخر رمق فنحروه وأكلوه وفي ذلك عبرة لمن كان له قلب وأنَّ المسلم ينبغي له مساعدة أخيه إذا احتاج إليه ونظراً إلى أنَّ الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

رجعنا إلى ما نحن في صدده، فممن توفي فيها أيضاً من الأعيان الشيخ طاهر الدباغ وكانت وفاته في رجب وطاهر هذا هو الذي جعل يكلم الحسين الشريف بالتليفون ويتحدث معه بشأن تنازله بينا أنَّ الحسين يضرب أخماساً بأسداس بين مصدق ومكذب وكان طاهر مناصراً للبيت الهاشمي في أيام الحسين بن علي ولمَّا أن أرادوا خلع الحسين وتولية ابنه علي وتأسس الحزب الوطني الحجازي كان طاهر هو سكرتير الحزب ولمَّا أدار الله دوائر السوء على الحسين وأولاده ونزحوا عن الحجاز فرَّ طاهر وبعض الشخصيات الكبرى إلى الخارج إلى مصر وبورتسودان ومصوع وذلك لما

سلم علي بن الحسن لابن سعود فأقام مبعداً إلى ١٣٥٤هـ ولمَّا أن استصدر الوزير المفوض في بغداد إبراهيم بن معمر من صاحب الجلالة الملك عبد العزيز عفواً عاماً لطاهر وأصحابه لم يرَ الملك عبد العزيز بذلك بأساً فأصدر في ١٣٥٣هـ مرسوماً ملكياً برقم ١٩/١/٢٣ بالعفو عن جميع المبعدين وإلغاء التدابير المتخذة ضد بعض الممنوعين من دخول البلاد والإقامة بها أو العودة إليها فهاب جميع المبعدين خوفاً من أن ينكل بهم صاحب الجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن غير أنَّ طاهر الدباغ ومحمد عبدالله صادق رجعا ليلقيا بأيديهما إلى ابن سعود وينطرحا بأعتابه وذلك بعد ما نشر في الصحف المصرية حلَّ حزب الأحرار الحجازي وإنَّما خافوا قياساً على ما طبع عليه أمراء الحجاز من التنكيل بالمجرم ولكن رئيس الحزب طاهر الدباغ استعدَّ بأن يضحي بنفسه فيكون هو أول المسافرين ولما أن قدما على صاحب الجلالة تلقاهما بالعفو والترحيب وهكذا الرجال يعفون عند القدرة فخطب طاهر خطبة بليغة بين يدي صاحب الجلالة وعاهد على السمع والطاعة وأعرب بها عما قضاه الله وقدره عليه من الغواية وإن الخجل بلغ به إلى حد بعيد وأن الحيرة وسوء التدبير قضت بذلك وأنَّه تاب ونزع وقال في خطبته: إنَّ هذا الخادم المخلص الماثل الآن بين يدي جلالتكم والخجل أخذ منه كل مأخذ ليعترف في كثير من الأسف بأنَّه كان بعيداً عن معرفة ما خصَّ الله به جلالتكم من مزايا سامية وأخلاق عالية وسجايا علوية وشمائل مصطفوية جعلتكم أحق الناس طراً بتبوء هذا العرش العربي العزيز على الأمة العربية. وأطال إلى أن قال: فإذا أخطأنا محجة الصواب فيما مضى فوالله لنتمسكن بها إن شاء الله بعد إذ هدانا الله إليها تمسك من يعتقد أن في الخروج عنها خسران الدنيا والآخرة وأنا منذ وفقنا الله للعودة إلى أحضان الحق قد عرضنا عهدنا بالسمع والطاعة والإخلاص خطياً لا عتاب جلالتكم السامية بواسطة خادم جلالتكم المخلص القائم بأعمال مفوضية

جلالتكم ببغداد. واسمحوا لي يا صاحب الجلالة بأن أعيد هذا العهد بين يدي جلالتكم تقريراً لغرض ديني محتم وواجب وطني لازم فأقول لكم علي يا صاحب الجلالة عهد الله وميثاقه على السمع والطاعة في السر والعلن فيما أحببت وكرهت وعليَّ أن أكون مخلصاً لجلالتكم ولأولياء عهودكم ولهذا البيت السعودي الكريم إخلاصاً تاماً ظاهراً وباطناً في السراء والضراء في كل الأحوال أوالي من واليتم وأعادي من عاديتم وأسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم والله على ما أقول وكيل وهو حسبي وكفى بالله شهيداً إلى آخرها، والخطبة عجيبة غريبة. أمَّا ما كان من خطبة الشيخ عبد الرؤوف الصبان بين يدي جلالة الملك فإنَّه باح بما لديه من الاعتراف بخطئِه وأعرب عن صفات الملك عبد العزيز وقال في معرضها: إني يا مولاي الخادم المقر بذنبه والمعترف بإثمه والمذعن لأمر مولاه وها أنا بين يدي جلالتكم فإن عاقبتم فبعدلكم وإن عفوتم فبفضلكم وجلالتكم على كلتا الحالتين محمود العمل مشكور الفضل، وهي طويلة عظيمة لولا خشية الإِطالة لأتينا بها. وقال فيها: وإنَّا لنود يا مولاي لو كشف لكم عمَّا جعله الله في قلوبنا لجلالتكم من حب صادق وإخلاص تام وإجلال وإكبار لما خصكم الله به من مواهب عظيمة وأخلاق رضية كريمة حتى ننال الشرف الأعظم بنيل ثقتكم ورضاكم وهما غاية أمنيتنا ومنتهى ما نرجوه. إلى أن قال: والله على ما نقول وكيل، وأتى بشيء عظيم من الترحم والاستعطاف على ما تستطيعه الطاقة البشرية ولله در القائل:

رايتك محض الحلم في محض قدرة ... ولو شئت كان الحلم منك المهتدا
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ... ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقد بعث الأمير عبدالله من شرق الأردن إلى وكيل حزب الأحرار عبد الحميد الخطيب يستنكر هذا وهل رجوع طاهر على علم منه وأن ذلك

يجرح عواطف الهاشميين فبعث عبد الحميد للأمير يقول: نعم سافر لأن ابن سعود عرف كيف يستميل خصومه بينما إنكم لم تستطيعوا الاحتفاظ بأصدقائكم. ولما أن قدم طاهر الدباغ ومحمد عبدالله صادق ووقفا أمام حضرته مستغفرين ونادمين قال لهما: عفوت عنكما عن الماضي وإنّي أريد منكما أن تعاهداني على الإخلاص للدين والوطن وأمّا شخصي فدعوه جانباً. وبعد المعاهدة قال: لا شك إنَّ المعارف هي أساس نهضة الأمة وهي قلب الدولة النابض ولذلك فقد أمرت بإسناد مديرية المعارف العامة في المملكة العربية إليك ليعلم الناس إنا وضعناك في قلوبنا ثم أسند أيضاً مديرية إحصاء النفوس العامة في المملكة العربية إلى محمد عبدالله صادق.

ولمّا أن تولى المترجم إدارة المعارف أدارها إدارة حسنة وفي إدارته تأسست أول مدرسة ثانوية باسم تحضير البعثات ومهمتها إعداد شباب البلاد المتعلم للتعليم الجامعي وقد نمت هذه الدوحة وأثمرت وأنتجت جيلاً من الشباب المتعلم الذي شغل أعلى المناصب وأهم المراكز في الدولة وكان قد عُيِّن بعد ذلك عضواً في مجلس الشورى فشغل هذه الوظيفة. وما زال من أعيان الحجاز حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة.

وممن توفي فيها من الأعيان الأستاذ رشدي ملحس وكانت وفاته في يوم الأربعاء ١٢ رجب وكان وزيراً مفوضاً ومدير الشعبة السياسية ويسمى رشدي بك ملحس كان أديباً بحاثة بدأ حياته في هذه المملكة العربية السعودية كمدير ورئيس تحرير في جريدة أم القرى وكان مولعاً بالأبحاث التاريخية فنشر في جريدة أم القرى أبحاثاً تاريخية عن تاريخ هذه البلاد وحقق كتاب تاريخ مكة للأزرقي وأعاد طبعه ونشره بين النَّاس بعد أن كان الكتاب نادراً لا يحصل عليه إلاّ عند من يقتني المخطوطات النادرة وكانت مدته التي قضاها في جريدة أم القرى معبرة عن نشاطه وبعد أن انتقل إلى الشعبة السياسية بديوان الملك انصرف بكليته للأعمال الرسمية والشؤون السياسية

وبالرغم من انهماكه في الأعمال السياسية كان على صلة تامة بالمطبوعات الحديثة لا سيما ما يتعلق بالتاريخ. فالله المستعان.

وممن توفي فيها من الأعيان الدكتور عبد الوهاب عزام ذكر عنه أنَّه كان شخصية علمية راقية في العلم العربي والإِسلامي وأنها حزنت عليه الأمة العربية عامة لأعماله التي قام بها في حقول الإِسلام والعروبة والسياسة لكونه من القلائل الذين جمعوا بين ثقافة الشرق والغرب وإتقانه اللغات الغربية والشرقية والفارسية والأردية ويوصف بأنَّه كأول مدير لأول جامعة في البلاد السعودية إلى غير ذلك مما عرف عنه من الثقافة والوعي فالله المستعان.

وفيها في آخر يوم من محرم سافر رئيس مجلس الوزراء وولي العهد فيصل بن عبد العزيز إلى القاهرة فوصلها واستقبل استقبالاً حافلاً فاجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر وأمّل المسلمون من هذه الزيارة كل خير كما أنَّ العرب في شتى الأقطار ليعلقون على هذه الرحلة بعد الله أكبر آمالهم لخير بلادهم.

وفيها في يوم الاثنين ١٥ ذي الحجة نبعت عين في جنوبي مدينة بريدة وكان ظهورها والحفر في ١٤٠٠ دراع وكانت قوة الماء باهرة ونفقة هذه البئر مساهمة من بين القائمين والمشتركين فيها وهم أهل المحلة لسقيا بيوتهم وقد ساعدهم على ذلك بعض الأجواد من خارج المقاطعة .والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. وتكلفت مصروفات هذه البئر وشبكتها التي مدت إلى البيوت بتسعين ألفاً من الريالات كما أنَّها نبعت عين في واحة النخيل الجنوبية الغربية التي تتصل في موضع السباخ وكانت آية في قوتها وكثرة مياهها العذبة المتدفقة رغم أنَّها انفجرت من مبلغ ١٢٠٠ ذراع فللَّه الحمد على ذلك لا نحصي ثناء عليه.

وفيها وقع حوادث مؤسفة منها أنَّ الملك حسين بن طلال كان متوجهاً

من الأردن بطائرته الخاصة إلى سويسرا لقضاء ثلاثة أسابيع في أوروبا للاستجمام وقد توغلت طائرته قليلاً عرضاً في الأراضي السورية وهناك قامت بعض من طائرات الميج للجمهورية العربية المتحدة بالهجوم على طائرته مما اضطرها للعودة إلى الأردن. ولمَّا أن وصل إلى عمان أذاع بياناً حاراً يستنكر منه هذه المحاولة التي فهم منها كثيراً أنَّه سيتخذ إجراءات حاسمة لرد اعتباره واعتبار مملكته ثم دعى إلى البرلمان للاجتماع حالاً والنظر في هذا الموضوع الخطير. أمَّا راديو القاهرة فقد أذاع مكذباً هذا النبأ زاعماً أن طائرات الجمهورية العربية المتحدة كانت تقصد فقط إبعاد طائرته من سمائها حيث ولجتها من غير استئذانها ولا ريب أنَّ هذا النبأ يؤسف لصدوره بين ملوك العرب ورؤسائها.

وفيها عثر على أناس يقطعون السبيل ويأخذون أخاوة على الحجاج وغيرهم وكانوا يلبسون ثياباً رسمية فألقت الحكومة القبض عليهم وحوكموا ثم أعدموا وهكذا يصنع بمن فقد الإنسانية وعصى الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين.

ومن الأمور المؤسفة ذهاب رجال خدموا الدولة بإخلاص وصدق ورجال دين وعلم خسرتهم الدولة وخسرتهم البلاد في هذه السنة وأصبحوا هدفاً للموت مضافاً إلى ذلك استمرار الأذى والتقتيل والتشريد على أهل الجزائر الذين كانوا فريسة لمخالب فرنسا في هذه السنة والتي قبلها ولكن أهل الجزائر لا يزالون صامدين ولنصر الله منتظرين يدافعون عن النفس والأهل والوطن.

أمَّا ما يتعلق بالإصلاح والعطف فقد سار الملك سعود لزيارة المقاطعة الشرقية في ربيع الثاني ولمَّا أن وصل تفقد أهل تلك الجهة وأصدر عفواً شمل المسجونين بتلك المنطقة في قضايا الحقوق الشخصية والديات حيث

أمر جلالته بدفع المبالغ المطالبين بها من حسابه الخاص وأطلق سراحهم ولمَّا أن رجع إلى الرياض توافدت الجموع عليه وفي الساعة الثانية من صباح ٢١/ ٥ استقبل جلالته كبار المهنئين يتقدمهم رجال الدين وعلى رأسهم مفتي الديار السعودية صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم وأخوه عبد اللطيف وكان الحديث بينه وبين الشيخ محمد حول الجولة الملكية وكان يفيض بجميع ملاحظاته القيمة وفيما لاحظه أنَّ رجال الدين بحاجة إلى المزيد من المرشدين وذكر أنَّ كل شيء إلى زوال وما دمنا والحمد لله في نعمة جزيلة يجب علينا أن نشكر الله عليها وأن نحافظ على ديننا ونتمسك به لتدوم علينا. وبعد ما أديرت القهوة غادروا المكان فتلقاهم فوج آخر من الوافدين للسلام من بينهم وفد علماء الإحساء برئاسة فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم المبارك فتشرفوا بلقاء الملك وألقى الرئيس كلمة تضمنت التماس الفلاحين من أهالي الإحساء العفو عن القرض الملكي الذي منح لهم ١٣٧٤ فما كان من العاهل السعودي إلاً أن تفضل وأمر بإعفائهم من دفعه وقد شمل هذا العفو كل فلاح سبق أن اقترض في المملكة ويقدر هذا القرض بسبعة ملايين ريال وبعد ذلك تقدم عدد كبير من رجال القبائل للتشرف بالسلام على جلالته ومن بينهم ماجد بن فهد أمير الشيتين وسجدي الهضل أمير الدعاجين ثم تلا هؤلاء جماهير الشعب الذين اصطفوا على جانبي الطريق يرحبون ويهتفون بحياته وقد رفع المزارعون برقيات الشكر له على هذه المنحة التي ساعدتهم على الزراعة وشجعتهم على المثابرة عليها.

سد وادي حنيفة

ففيها قامت وزارة الزراعة بإنشاء سد وادي حنيفة وتخزين مياه السيول ويقع السد في وادي حنيفة غرب الرياض بمسافة ١٢ كيلو تقريباً عند تقابل وادي وبير بوادي حنيفة وقد كان ذلك السد محكماً ويتكون من خرسانة عادية بمؤنة الأسمنت والبطحاء يعلوها ديش بمؤنة الأسمنت أيضاً ويعلوها

طبقة من الخرسانة المسلحة ويمتد الفرش أمام السد ٢٩,٥ متر ويمتد الفرش خلف السد ٤٣٠,٠٠ متراً والطول كله شاملاً أساس الفيض ٧٨ كما أنَّ العرض ١٥٦ متراً وأنَّها لخطوة تشكر عليها وزارة الزراعة تحت أمر صاحب الجلالة الملك سعود أيده الله.

نشاط الحركة الزراعية

قد أشرنا فيما تقدم إلى نشاط الزراعة ونتكلم الآن عنها فنقول: لما كانت الأمة تعيش من أربع مواد في الغذاء وهي اللبن واللحم والماء ونوابت الأرض وها قد توفر الماء وأنبعته القدرة الإلهية من أسفل أطباق الأرض حتى ملأ الصحاري وكثرت المستنقعات لذلك بادرت الأمة إلى استثمار هذه الثروة ولكن ويا للأسف أنَّ هذه المياه لم تجد من يستغلها فأصبحت ثروة ضائعة بين الأمة لا يوجد من يهتدي إلى تصريفها سبيلاً. ولمَّا إن كان في صباح اليوم ٢٠ من ٤ في هذه السنة قام وكيل وزارة الزراعة المعروف بالشواء بجولة تفقدية لمنطقتي القصيم وحائل وقد رافقه فريد طه خبير الإرشاد الزراعي والمهندس الزراعي منير العجمي والمهندس الزراعي الشربيني وأنور زعلوك رئيس تحرير مجلة الزراعة، وما أن وصلوا إلى بريدة حتى اجتمعوا بأمير القصيم وأعيان البلاد ثم بمدير الوحدة الزراعية بالقصيم ثم توجه وكيل الوزارة لتفقد مزرعة الوزارة بالقصيم وكانت قد تأسست هذه المزرعة قبل هذه السنة بثلاث سنين غير أنَّها لا تزال متأخرة وتقع في أرض حكومية تجاور مدينة بريدة من الجهة الغربية وتمتد شمالاً وجنوباً ويحدها من الغرب والشرق كثبان من الرمال وتدعى أرضها الموطا وللوزارة أهداف عديدة في إنشاء المزارع النموذجية في المملكة منها إجراء التجارب الزراعية العملية على أنواع الأشجار لمعرفة أجودها، ومنها إرشاد المزارعين ليأخذوا من ذلك درساً ومنها إجراء التجارب باستعمال الأدوية الزراعية المختلفة لمكافحة الأمراض والحشرات التي تصيب الزروع على اختلاف أنواعها إلى

غير ذلك وأن مساحة الأرض التي أمكن إصلاحها واستثمارها وريها بالمياه المذكورة حوالي عشرة أفدنة ٤٠٠٠٠ متر مربع زرعت فيها أنواع الخضار كالطماطم المعروف بالبندورة والباذنجان والفلفل والباميا والبطيخ الحبحب والخيار وغير ذلك. ولقد حفر فيها بئر إرتوازية أخرى في زاوية الأرض الشمالية الغربية لعمق ٢١٦٠ قدماً وتفجرت المياه ساخنة نوعاً وكبريتية ووزعت الزراعة من المساعدات نوعاً ما وقد تفقد الوكيل مزارع البدائع والرس والخبراء ورياض الخبراء والهلالية والدغمانية حيث مزارع آل الراشد التي حازت كثيراً من الإعجاب بحيث أنَّها أنتجت من الحبحب وحده ما مقداره ١٠٠,٠٠٠ ريال في هذه السنة. ولقد قام آل الراشد بالقصيم بمشاريع زراعية واهتموا بذلك واستطاعوا أن يثبتوا مادياً وعلمياً لمَّا رأوا أنَّ استثمار الأموال في الزراعة يحقق أكبر الفوائد والأرباح وقد خصصوا جهازاً كاملاً يتكون من ٨ حفارات لأعماق ٢٣٥٠ قدماً و٢ حفارة لأعماق ٥٠٠٠ قدم وتعمل هذه الحفارات العشر بين الخبراء إلى بريدة وثلاثين تراكتور للحرث وإقامة العقوم و٤ حصادات كبيرة و٦ آلات تسوية وأراضيهم الزراعية في بريدة والبطين ولا تزال توسع تلك المعدات. إنَّ القصيم والحق يقال بلاد متفرقة واسعة الأرجاء مترامية الأطراف مجهولة القدر لم تعرها المواصلات في هذه السنة اهتماماً لكنها بعد ذلك لفتت النظر إليها لذلك شق في تلك الآونة على طريق سكان هذه المنطقة المواصلات لحيلولة الرمال بين بلدانها ولمَّا أن كان في هذه السنة طلبت الأمة من الحكومة منع الاستقطاعات وأن لا تكون تلك الرياض في البطين غنيمة قوم دون قوم بعدما رأت إقبال الأعيان على الرياض المجاورة لبريدة ورغبوا في أن تكون رياض البطين تباع على الأقوياء وترصد قيمتها لإصلاح الطرق وتوسعة الشوارع وتعبيد الطرق وإحاطة المقابر فأسس مكتب لبيع أراضي البطين في هذه السنة وبيع بعض مما تبقى منها وشرعوا في إحاطة المقابر وتوسعة بعض الشوارع وتعبيد

الطرق والعقبات التي لا تسلكها السيارات إلاَّ بنصب ومشقة وقامت سيارات البريد بين العاصمة والبلدان الأخرى من القصيم تتردد وتجيء وتذهب إلى الأسياح وعيون الجوى وعنيزة والبدائع والمذنب والرس والبكيرية والشحية والهلالية والنبهانية والقوعي والشماسية وروضة الربيعي ووثال والشقة والقرعا وغير ذلك كالمريدسية والقصيعة واللسيب وحويلان وفيحان أو السباخ وخضيراء وإنَّها لخطوة متقدمة ونهضة عالية أن تكون بلدان القصيم مرتبطاً بعضها ببعض لجلب الأطعمة ونقل الخضروات والذهاب والإِياب سريعاً(١) وإذا كان غويمض والطعميات والمتنيات ورياض البطين قد امتلئت بالحبوب من قمح وذرة ودخان وغير ذلك فإنَّ حملها إلى العاصمة يشق على أهلها لصعوبة الطرق ومشقتها ولا سيما في أوقات الأمطار والسيول إذ البطيخ والقثاء واليقطين يكون هدفاً للخراب والتمزق ولقد حظي القصيم بميل الأسرة المالكة إليه وحفر آبار إرتوازية في الباطن والبطين وغيرها ولقد كان لسمو الأمير محمد بن سعود الكبير بئر إرتوازية في الباطن تسقي مزارع عظيمة هناك حيث تتدفق المياه العذبة يمنة ويسرة ولسمو الأمير متعب بئر هناك تقع في شرقي الباطن وتسقي زراعة عظيمة له هناك قد ضمت شيئاً عجيباً من البرسيم والحبحب وشيئاً كثيراً من الأشجار على اختلاف أنواعها كما أنَّ لسمو الأمير مشعل آباراً في رياض القصيم مستقبلها زاهر كما قد احتفر الأمير فهد بن فيصل بن فرحان في البطين آباراً إرتوازية وقد رأيت بئراً إرتوازياً في روضة أم زهر في البطين للأمير محمد بن عبدالله بن بتال جاءت على أحسن ما يرام في المنتوجات حتى لقد حدثني المزارع فيها عن آيات عجيبة ظهرت في تلك الروضة من البطيخ والعنب والرمان والقثاء والطماطم والباذنجان والدباء وغير ذلك ونحن نشير لرحلة ساقها الأديب عثمان شوقي

---

(١) لقد قامت الحكومة أيدها الله بسفلتة الطرق عاماً بعد عام حتى سهل الله عزَّ وجلَّ للأمة المواصلات واتصلت مدن المملكة بعضها ببعض.

الصحفي في زيارته للقصيم بحيث امتدح المواطنين السعوديين وأنَّه لم يرَ مثل مالهم ونحلهم وأخلاقهم الكريمة وعواطفهم فقال في يوم السبت الموافق ٤/ ٤ يعني من هذه السنة ٧٨ تسنى لي أن أقوم في رحلة صحفية إلى بريدة رحلة خاصة إلى العين التي ظهرت فيها بعض البوادر التي تدل على أنَّ في جوفها شيئاً من البترول أو ما يشبه البترول فامتطيت السيارة الخاصة إلى هناك لهذا الغرض فمكثنا يوماً وبعض يوم وقد كان بودنا أن نمكث أسبوعاً بعد أن رأينا بريدة وما تستحقه من طول الرحلة ولكن ظروفي الخاصة حالت دون ذلك فعدت أدراجي إلى الرياض مسرعاً ولكن بعد أن جلت فيها بعض الشيء وأخذت عنها فكرة وصورة موجزة عن واقعها ولذا سنكتب عنها بقدر إلى أن تتاح لنا الفرصة مرة أخرى لزيارتها وزيارة أكبر جزء ممكن عن منطقة القصيم العظيم وقد رأيت الأستاذ عثمان شوقي وزارني وجلس معي وكان سوداني الأصل والوطن لكنه يفيض أدباً وبشاشة وعقلاً قال عن بريدة لما قدمها ورأى فيها ما يعجبه.

بريدة جنة فيحاء ولكنها مجهولة

ليست بريدة بحديثة العهد فيما نعتقد فإنَّها على أقل تقدير يرجع تاريخها إلى العهد القديم وإن لم يأت ذكرها في معجم البلدان والكتب التاريخية وربما جاءت هناك باسم آخر كما ذكرت بعض البلدان الأخرى القريبة منها. ويرجح بعض المطلعين على أن تاريخها يرجع إلى القرن العاشر ثم قال: تبلغ مساحة القصيم ٩٠٠٠٠ كيلومتر مربع كما يبلغ عدد سكانه برمته اليوم مليوناً بالتقريب أو يزيدون أو ينقصون قليلاً منهم مائة ألف يقطنون العاصمة بريدة التي كانت ولم تزل منذ عهد بعيد مرموقة المكانة في عالم الاقتصاد والتجارة والصناعة في أسواق الحبوب وصناعة النحاس والأحذية وإنتاج التمور وبيع الإبل والأغنام. ولهذه المناسبة فإنِّي أذكر أنَّ كثيراً من إخواننا السعوديين من أبناء القصيم ومنذ عهد طويل كانوا يزورون السودان زيارات

تجارية كثيرة لشراء الإِبل من هناك وتصديره إلى المملكة بل يكادون أن يكونوا هم وحدهم من أبناء هذه البلاد الذين يزورون ذاك القطر العربي الشقيق المجهول من كثير من المواطنين على الرغم من الجيرة القريبة والقريبة جداً لهذه البلاد ولذا فلا بدع إذا كان كثير منهم يعلم شيئاً عن السودان على الرغم من جهل الآخرين له ثم ذكر اتصاله بالأمير سعود بن هذلول أمير منطقة القصيم وذكر من أخلاقه الأمر الذي جعله يؤمن كثيراً بأنَّ شعب القصيم بأسره وأهل بريدة خاصة من ألمع نجوم شعب هذا البلد الكريم إلى أن قال: والماء في كل زمان ومكان من أهم العناصر التي تعني بها الحكومات والمسائل التي يهتم لها وبها حياة سائر النَّاس وقصة الماء في المملكة العربية السعودية من أكبر القصص التي تعتني السلطات الحكومية والجماعات والأفراد خاص عنايتها فانشغلت بها الأذهان ولا زالت منشغلة بها في كثير من المدن والقرى. ومنذ عهد ليس بالبعيد قرر بعض الخبراء الذين استقدمتهم السلطات الحكومية أنَّ ليس بأرض بريدة الماء الذي يكفي حاجتها أكثر مما كان عليه فخاب أمل أهلها وحزنوا كثيراً لهذه النتيجة وهم الذين يتطلعون إلى حياة أفضل وأوسع في مجال التطوير العمراني والزراعي. وما هي إلاَّ أعوام قصيرة حتى انبثقت أرض بريدة وتفجرت منها المياه الغزيرة دافقة أدهشت النَّاس جميعاً وخاصة عندما يتذكرون تقرير أولئك الخبراء القاطع بأنَّ ليس ببريدة الماء الكافي لسد حاجتها المطلوبة وعلى العكس من ذلك حدثني أحد أعيان بريدة البارزين في أنَّ لديه تقريراً خطياً من أحد المهندسين الجيولوجيين البريطانيين اجتمع به منذ عشرة أعوام تقريباً يشير إلى أن بريدة تنهض على نهر جار من الماء تحت الأرض وقد صدق عزم هذا المهندس بل كان أقل من الحقيقة التي شاهدتها بعيني وإني وإن لم أعرف شيئاً عن علم طبقات الأرض إلاَّ أني أكاد أجزم أن أرض بريدة تقوم على سطح إحدى المحيطات العذبة الحلوة هناك ببريدة لأن أكثر

من يأتي عين ـ أي بئر ـ كلها حلوة ذكرتني بالنيل الذي لم أذق ماءه منذ ثمانية أعوام ونصف حتى عادني الحنين إلى السودان ومنابع النيل العظيم ومرتع الأهل والأحباب شاهدت تلك العيون والماء يندفع من مواسيرها من غير أي قوة دافعة مواسير كان كل قطر لها ستة بوصات والماء ينساب من فوهاتها في قوة هائلة على امتداد الأرض يبلغ مداه الأدنى خمسة عشر متراً ومداه مرتفعاً إلى السماء إلى خمسة وثلاثين متراً ويقيني لو كانت هناك قوة دافعة كالكهرباء مثلاً لما فعلت واستطاعت أن تنقل مثل هذه الطبيعة الخارقة للعادة ولا أشك أبداً أن هذه القوة المائية الطبيعية إذا اجتمعت في صعيد واحد لولدت قوة كهربائية عظيمة يحسدها مشروع السد العالي المزمع بناؤه بمصر. ومن هذا الماء النمير ومن هذه العيون الدافقة قامت مزارع ومشاريع زراعية كبيرة ورياض وبساتين لم تحلم بها بريدة من قبل وسوف يأتي الحديث عن هذه المزارع ومن هذه العيون تسعة عيون فقط يشرب منها سكان بريدة خمسة منها حكومية وأربعة أهلية فلم يخل أي بيت هناك من ماسورة ماء وبثمن بخس جداً ٣٠ ريال فقط في السنة من العيون الأهلية ثم قال: وكانت هناك حوالى خمس عيون معدنية كبريتية كشفت عليها السلطات الحكومية الصحية وتأكدت من أنّها كبريتية. وهنا تذكرت حلوان الحمامات بمصر وتذكرت حماماتها المعدنية التي يؤمها عدد كبير من المصابين ببعض الأمراض الجلدية للاستحمام فيها من أجل الشفاء. والحالة هذه فإنّ بريدة اليوم هي أعظم من حلوان مصر بعيونها الكبريتية هذه ولكنها لم تجد العناية بهذه الناحية والدعاية لها فقد تكون المدينة الأولى لا في الشرق فحسب بل المدينة الأولى في العالم الغنية بالمياه الكبريتية القاضية على الأمراض الجسدية... إلخ. هذا ما ذكره الصحفي عثمان شوقي السوداني ولا تظن أيها المنصف أنَّ في كلامه مجازفة فهي المدينة المجهولة المحسودة وأراك إذا تجولت فيها ورأيت تلك الدوائر والمؤسسات والشركات والأمم من

الشام واليمن والهند والسند والفيليبين والكوريين والمصريين والعراقيين يطلبون الرزق فيها ويخدمون ويبنون تصدقني وأنَّها أصبحت الآن موضع الإعجاب. ولله در الحافظ ابن القيم رحمه الله حيث يقول في بعض المناسبات والأمثال تضرب للناس:

فيا محنة الحسناء تهدي إلى امرىء ضرير وعنين من الوجد خاليا
فقل للعيون الرمد إياك أن تري سنا الشمس فاستغشي ظلام اللياليا
خفافيش أعشاها النهار بضوئه ولاءمها قطع من الليل باديا

وقال أبو الأسود الدؤلي الذي وضع علم النحو بأمر الإمام علي بن أبي طالب له رضي الله عنه من قصيدة عظيمة:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم
وترى اللبيب محسداً لم يجترم شتم الرجال وعرضه مشتوم
وكذلك كل من عظمت عليه نعمة حساده سيف عليه صروم

ومن تأمل قصائد الشاعر العوني ولا سيما الخلوج فإنَّه يتبين له عظمة المدينة وقد قدمنا في ديباجة التاريخ شيئاً من ذكرها وتطورها.

رجعنا إلى ما نحن في صدده.

وفيها عين عبد المحسن الحمد التويجري مديراً لفرع الزراعة في القصيم بدلاً عن عبد المحسن بن محمد بن سيف نظراً إلى ما لعلَّ العناية في الزراعة تتحسن بمنطقة القصيم.

وفيها أعيد فتح المدرسة العسكرية في بريدة وافتتح باب القبول للطلاب حتى في السنة الخامسة الدراسية والسادسة وللطالب مكافأة مقدارها مائة ريال مع الإعاشة والملابس في القسم الابتدائي ومائتا ريال عدا الإعاشة والملبس للقسم المتوسط وكان رئيس المدرسة الأستاذ حسن مستور من أهالي مقاطعة عسير وفيه مؤهلات وقد اتسم بالأخلاق الفاضلة رأيته لما

زرت المدرسة وفي صحبتي الشيخ علي بن سليمان الضالع وأحد المشائخ ممتطين سيارتي الهيئة والمحكمة للوعظ والإِرشاد والتوجيه فكان مستوى طلبة المدرسة العسكرية حسناً في الأدب والتقدير لمَّا صفهم على الكراسي وجلسوا منصتين وشاكرين، فعجبت لأدبهم ونجابتهم ولا ريب أنَّ الفضل للمربي والمشرف على أعمال المدرسة كما أننا إذ ذاك نذهب إلى المستشفى المركزي للاجتماع بالأطباء والممرضين والمراقبين والبوابين بتكليف من المحكمة الشرعية للتوجيه الديني والوعظ والإرشاد وقد وافقنا قبولاً وامتثالاً وذلك للخضوع لهذه المواد الثلاث المحافظة على الصلاة في الجماعة في مسجد المستشفى وعدم دخول النساء في المستشفى إلاَّ بذوي محرم وعدم شرب الدخان جهرة، وجزى الله حكومتنا خيراً في كمال المساعدة والتنفيذ.

هذا ولا تزال الأمة في سبيل النشاط والنهضة المدنية الثقافية وقد دبت الحياة في الشعب السعودي وأقبل الأفراد يلتمسون الأعمال الهندسية من تلحيم في الأوكسجين وتصليح السيارات والمكائن وتصريف الحديد والقيام بالأعمال المهمة من النجارة الحديثة والصناعة وفتحت المعامل الحرة لصناعة الشبابيك والأبواب والديكور وأصبحت المدن والقرى تطالب وزارة الصحة ووزارة المعارف ووزارة الزراعة ووزارة المواصلات بحقوقها.

وحج بالنَّاس في هذه السنة الملك سعود.

اســـــــتدراك:

ذكرنا عودة طاهر الدباغ ومحمد عبدالله صادق وعبد الرؤوف الصبان وكيف نالوا العفو والثقة من جلالة الملك عبد العزيز فقد عاد أيضاً في تلك السنة المتقدمة كل من محمد الطويل رئيس الحزب الوطني الحجازي فشمله جلالة الملك بعطفه وأكرم مثواه وعينه ناظراً لعموم جمارك الإحصاء وأقطعه أراضي زراعية واسعة وعاد أيضاً عبد الوهاب قزاز وعبد القادر غزاوي من

سجناء الطائف فشملهما الملك برعايته وعين عبد القادر رئيساً لنقابة السيارات ثم عضواً في مجلس الشورى كما أنَّ عبد الرؤوف الصبان نال من جلال الملك كل عطف وتقدير وعينه عضواً في مجلس الشورى وكان لما قال صاحب الجلالة لطاهر الدباغ ومحمد عبدالله صادق: عفوت عنكم عن الماضي وإني أريد منكم أن تعاهدوني على الإخلاص للدين والوطن، وأمَّا شخصي فدعوه جانباً أجاباه إنَّا نعاهدكم على الإِخلاص لجلالتكم قبل كل شيء لأنَّ الإِخلاص لكم هو إخلاص للدين والوطن فسر بذلك جلالته ولا غرو أن تكون أعتاب الملك وأهل بيته مهوى أفئدة المؤمنين ومحط آمال طلاب المنعة من الموحدين كما ذكر هذه العبارة طاهر الدباغ في خطبته.

بيان عن حج الماضي والحاضر

إنَّ الله تعالى سهل الحج في آخر الأمر بل أنَّ الله تعالى سهل السفر ويسر طريقه وأنا أتكلم عن حجتنا للفرض عام ١٣٥٢هـ ذلك بأنَّا لما أن عزمنا على الحج في تلك السنة أخذنا في الاستعداد منذ ١١/٨ إلى أن امتطينا الإِبل في ١١/١٥ ثمانية أيام ونحن نعد العدة بخرز القرب وإصلاح الهوادج وكسيها بالستائر وإصلاح ما ينبغي حمله للمسافر من زاد ومزود وحبال ودلاء وخيام ورحل وإبل وغير ذلك ولا تزال الأمة منشغلة في السفر تسهر ليلها وتستعد في الهاون ومدقته وأواني الطعام والقهوة من أباريق ودلال حتى ظهر اليوم المذكور فسرنا والرفقة جميعهم أحد عشر نسمة أمَّا رفقة السابلة الآخرين الذين يجمعنا وإياهم الطريق فمجموعهم سبعة عشر مؤلفين من خمس خبر ولمَّا أن سرنا على بركة الله شيعنا بعض الأحباب إلى جهة الغرب مولين وجوهنا شطر الكعبة نزلنا في موضع يعرف بالمدوية ولمَّا أن أقمنا في ذلك القاع آخر اليوم بتنا فيه وكنت أذكر أن بعض الرفقة نسي بعض الحاجيات فرجع أحدهم إلى المدينة ليأتي بها وبعد ما بتنا في ذلك الموضع سرنا من الغد حتى انتهينا مساء إلى قرية البدائع فنزلنا حواليها ونحن

مطمئنون بوجود الماء وشراء علف للإبل التي كانت تحملنا إذ لا يشق في الأسفار كقلة الماء فهو الذي قد تجري المنازعات في تحصيله وربما حصل من بعض الأعراب أذى لدى الآبار ومصانع طريق مكة وقد كانت السابلة من الحجاج كذلك يسيرون وتختلف الأمة باليسر والعسر والركوب والمشي كل على حسب مقدرته. فمن الخلائق من يكون راكباً على الكور ورحله خرج مزركش ومزين بذباذب وميركه وخطام جميل ومنهم من هو أقل من ذلك حتى قد يكون الفقير يسير إلى مكة راجلاً فلا يحصل على الركوب بل يسير مع الأمة راجلاً. وقد نبه الله على ذلك بقوله: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ ومنَّا من يحتطب ومنَّا من يستقي الماء وآخرون يصلحون الطعام والقهوة ويحزمون العرى ويعلقون على الإبل. ولمَّا أن كان في غداة ١٦ سرنا متوجهين إلى وجهتنا كان الحجاج هناك تسمع منهم إذا مشوا صياحاً وقطعوا مسافة ثلاث ساعات أو أقل أو أكثر ينادون ضحوا يرددون هذه الكلمة فينزلون إلى الأرض والمطايا واقفة على ظهورها الحمول ويتناولون ما تيسر من القهوة وشيئاً من الأكل القليل ثم يواصلون السير. فوصلنا إلى الحجناوي وهذه ثالث مرحلة فنزلنا هناك حوالى مزرعة، هذا والحجاج في أتم أهبة لتكبد المشاق. وقد وافق هذا الوقت من الفصول آخر الشتاء وشدة البرد في أوائل برج الحوت، ثم سرنا من ذلك الموضع إلى شعيب الأرطاوي بعدما مررنا بالقشيعين وعبيل المرو، ثم سرنا من ذلك الموضع حتى جزنا بجبل كير والمرة فوصلنا إلى الشبيكية وكانت هجرة ضعيفة لما قدمنا إليها كانت إبل السانية هزيلة فأبدلها بإبل أخرى وذلك كمساعدة ليشرب النَّاس وإبلهم ونجتاز في تلك الطريق باللعاعة وطفخة وضرية وكانت هجرة للبادية ويوجد فيها إذ ذاك شيء قليل من بيع الأغراض في دكان أو دكانتين فتجد الحجاج إذا مروا بها يتغنمون تفقد زادهم ليأخذوا زيادة أو يُودّعوا عند المطوع فيها ما كان مثقلاً

لهم فيأخذوه في الرجعة لأنَّها آخر موضع يوجد فيه جلب الطعام والشراب لأنَّ ما بينها وبين مكة المكرمة إذ ذاك صحارى لا يوجد فيها شيء من الموجودات وهناك نمر بعريق الدسم وهو عبارة عن كثب من الرمال ثم الغثمة. أمَّا الشعب فإنَّها آبار بعيدة القعر بين جبال حجارتها سود ثم إذا سرنا فإنَّا نمر بالخال ثم الدفينة وكانت إذ ذاك آباراً لا قاطن فيها. وها قد مرَّ علينا عشرة أيام من حين خروجنا من بريدة وبعدها قباء وكانت آباراً في قطع من الصحاري يمتاز ماؤها بكثرة، وإذا تجاوزناها فإنَّا نصعد مع الحرة وكانت طريقاً ضيقاً صعب المرتقى قد يصعد في جزء منها بدرج. وإذا ما وصلها الحجاج فإنَّهم يعانون منها شدة ومشقة فإنَّها بحجارتها العظمى تكاد أن تحطم قوائم الإِبل وكم قد هلك فيها من جمل وحفيت منها من مطية وسقط من راكب وخاف من شجاع فإذا ما جاوزها النَّاس فإنَّهم يقفون يستريحون كأنَّما خرجوا من بحر لجي وبما أنَّ هذه الحرة هي مجمع الطرق إلى مكة فإنَّ الحجاج يأخذون في حفر الوسوم في روضة هناك ليعلم من يمر من أقربائهم بأنَّهم حجوا حتى يطلبوهم في مكة المكرمة ويرى آثار تنقية للطريق نوعاً ما قد قامت بها زبيدة زوج أمير المؤمنين هارون الرشيد وآثار جوابي من أعمالها أيضاً وآثار أعلام قد امتدت من العراق إلى ذلك الموضع يسميها المسافرون المنقى وهذه الآثار موجودة حوالي الوجه أيضاً ومركز بدى التي خلف مدائن صالح إلى جهة الشمال وتدل رؤيتها على عظم أسباب قامت بها زبيدة ثم انتهت بإجراء العين المنسوبة إليها لسقيا أهل مكة فندعو لها بالغفران ونترحم عليها. وهكذا نسير مع المنقى إلى موضع يسمى أم الصلابيخ ثم إلى مران المشهور بكثرة مياهه الغزيرة وفيه أشجار نخيل تنبت الدوم بكثرة. وفي سبيل الله ما يلاقي الحاج من الكلفة والمشقة تارة راكباً على الكور ويمل الركوب لطول السفر وربما انزعجت الراحلة فسارت على غير نظام حتى يخشى الراكب من السقوط على الأرض وهذا إذا ما

درهمت الراحلة ففي الصعود تسير ببطء وفي النزول تسير سيراً همجياً وتارة يمشي المسافر فيتعب جسمه وتتقرح قدماه من نسف الحجارة وصدمها وتتعرض للشوك والأذى ولا يضيع لدى الله عمل عامل. كيف وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام لعائشة في أمر الحج: «إنَّ لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك». وهذه عادة الله التي أجراها في الحج قبل وجود السيارات وقد وافق لذلك جدب وقحط ويبست الأشجار فغالب زاد الإِبل من قوت الحجاج الذي تحمله على ظهورها ومن مورد مران يستعد الحجاج لركبه ويأخذون أهبة من الماء لاستقبال ركبة التي لا يوجد فيها ماء إذ هي فلات من الأرض وقد تكون مرحلتين فإذا بدت جبال ذات عرق ـ الظريبة ـ.

فقد تمَّ للمسافر ستة عشر يوماً. وإن ركبة لمرتفعة جداً كان الأمة من مبتدأ السير يصعدون وقد ذكر بعض الجغرافيين أنَّها أعلى بقعة في الأرض ثم نأخذ في النزول إلى الميقات ذات عرق المذكورة وهي التي وقتها عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل العراق فإذا ما أحرم المسلمون منها كما قال العراقي في قصيدته:

ونادى منادٍ للحجيج ليرحموا   فلم يبق إلاَّ من أجاب ولباه
وجردت القمصان والكل أحرموا   ولا لبس لا طيب جميعاً هجرناه

فمن الميقات نسير إلى عين الليمون أو المضيق وهناك عقبة يجتازها ثم إلى البرود وإلى العدل ثم نصل مكة المشرفة فعشرون يوماً والحاج في شد ورحيل. أمَّا ما كان عن ركبة فهي أرض مستوية واسعة جداً وخالية من الجبال لا ترى فيها إلاَّ شجر الطلح والسلم وفيها نوع من الشجر المذموم في القرآن وهو الضريع وشجر العشر ولله الحكمة في جعل مكة من بين تلك الجبال والمضايق ولو شاء لكانت في ذلك المتسع. ولكن الحكمة قضت أن لا يكون الحج في موضع زراعة وموضع رفاهية بل موضع عبادة وزهادة بحيث يكون من قضى نسكه فإنَّه لا يقيم بل يرحل ويترك الموضع

للآخرين. وكان عدد الحجاج قليلاً بحيث لا يتجاوز ثلاثمائة ألف من سائر المعمورة وبذلك يتمكن الحاج من تقبيل الحجر الأسود ومسح الركن اليماني، وأنَّ الحج إذ ذاك لترق فيه القلوب وتذرف العيون ويوجد هناك تحنف وطمأنينة وذلة بين يدي الله عزَّ وجلَّ. وإذا كان آخر يوم عرفة في الوقوف أمام جبل الرحمة فإنَّك ترى عشرات الألوف من المطايا مشاهدة للجبل تحمل الحجاج الخاشعين فوق ظهورها. أمَّا في هذه الأزمان فقد يعزم الإِنسان على الحج صباحاً فما يكون من شأنه في الليلة المقبلة إلاَّ وقد وصل إلى مكة المكرمة ولا أعبر عن الطائرات التي تقطع المسافة في ساعتين من الوقت.

هذه نبذة عن حجتنا في هذه السنة فقد التفَّ حولي من الرفقة أربعون رجلاً للحج فاستأجرنا سيارة من ذوات النقل تصميم الشام من صاحبها سليمان الحبيب وكان أديباً عاقلاً صموتاً فكانت أجرة الراكب إلى مكة المشرفة خمسة عشر ريالاً ما عدا التندة فقد أخذتها بـ ٤٥ ريالاً. وكان من الرفقة الأخ عبد الكريم بن عبد الرحمن الفداء وابن حماد أمير ضيده ومحمد بن سليمان بن بليهد ومحمد بن عامر وسليمان بن إبراهيم بن شريدة وعبدالله بن إبراهيم الدوسري في أناس آخرين. فسرنا في آخر نهار يوم الخميس الموافق ١٢/٥ وكان عزمنا للحج ضحى ذلك اليوم فكان من الرفقة الذين فاتني ذكرهم من يحمل زاده خبزاً قد هيأه أهله ومنهم شبيبة يحملون زمزمية شاي وشيئاً من البسكوت. فجاء أحد الرفقة وهو الرجل المثقف عبد العزيز بن سليمان بن سلامة يشتكي من الشبيبة أنَّهم يدخنون ولا يحافظون على الصلوات مع الجماعة فبحسن توجيه ووعظ انقادوا وتركوا الدخان وأصبحوا كأحسن الرفقة جزاهم الله خيراً فكانوا يسابقون إلى أن يكونوا خلف الإمام. فبتنا ليلة الجمعة في الماء المعروف بالأشعرية وفي الصبح جزنا نشق البيد حتى بلغنا قرية عفيف وسط النهار فصلينا بها الظهر

والعصر جمع تقديم ولمَّا أن كان في الساعة التاسعة غروبي سرنا حتى بلغنا الدفينة الموضع المعروف وقت الغروب ومنها إلى المويه حتى ألجأنا المبيت إلى ركبة. ولمَّا أن صبحنا في ذلك الموضع سرنا بعدما تناولنا ما تيسر من قهوة البن والشاي وما يضاف إليها من وجبة الإفطار في سكينة وهدوء سرنا متوجهين إلى الميقات السيل الكبير حيث نمر بعشيرة ذات الطلح الحسن الكثير ونزلنا مع الريع وكان ذلك قبل تعبيد الخط وسفلتته فلبثنا في الميقات أربع ساعات من وسط النهار ثم أحرم الحجاج وسرنا تقبل الله من الجميع فنزلنا في مكة المشرفة في محلة جرول ليطوف الحجاج ويسعوا ويكملوا العمرة. ثم سرنا إلى الأبطح وكان صاحب السيارة قد تعاقد مع إحدى العائلات للذهاب إلى منى وعرفات فنزلنا آسفين واستأجرنا سيارة لرجل سوداني اسمه محمد بن عثمان وله رفيق يدعى محمد خير الله يساعده وكنت لم أر مثل الرجلين في صلاحهما وشيمتهما فكنا في حشمة وراحة. ووافق أن نزلنا في منى بجوار سمو الأمير مشعل بن عبد العزيز فأكرم مثوانا وقدم لنا خيمة فاخرة كبيرة جلسنا فيها وقام خدمه بإكرامنا أنَّه كان لدينا خيام لكنه رأى أن يتحفنا بها جزاه الله خيراً. وبعد نزولنا من عرفات ومزدلفة رأينا دعوته إلى مجلسنا وتشريفنا فأجاب مشكوراً وطلب مني أن أصلي به وبرفقته كجملة رفقتنا حيث خصص للصلاة سرادق في الوسط. وبعد انقضاء الحج سلمنا تلك الخيمة شاكرين وتمت مناسك الحج من وقوف ورمي وحلق ونحر وطواف وسعي. وبعد انقضاء الحج سرنا إلى المدينة المنورة ورجعنا بخير ولله الحمد بحيث لم تستكمل أيام الحج والزيارة سوى أقل من اثني عشر يوماً وإذا أردنا أن نقارن بين حج الماضي والحاضر فإنَّا نجد بوناً بعيداً ومما يجمل بنا ذكره توفر الأمن والراحة في مكة والمدينة وسائر الطرق وهناك قد سفلت الطريق بين مكة وجدة وبين جدة والمدينة وهناك قهاوٍ أعدت في الطريق ليستريح الحجاج والمسافرون فيها وكانت أجرة الركوب

للحج وإلى المدينة ذهاباً وإياباً خمسة وأربعين ريالاً غير أننا في الوقت الحاضر نكابد المشقة في مكة وشعابها من كثرة الحجاج الذين يقدمون من مشارق الأرض ومغاربها فكان الحاج لا يصل إلى الحجر الأسود للتقبيل أو الاستلام إلاً بكلفة ومشقة. أمَّا رمي الجمار ولا سيما يوم العيد عند جمرة العقبة فحدث عن المشقة ولا حرج. وإذا كان عدد الحجاج فيما مضى لا يتجاوزون ثلثمائة ألف فكيف به إذا تجاوز سبعمائة ألف في هذه السنة ولا يزال العدد في زيادة والله ولي التوفيق.

ثم دخلت سنة ١٣٧٩ هـ استهلت هذه السنة والعالم على العموم يتقلب في مشاكل جمة. فهذه الجزائر تصليها فرنسا نيرانها المتوالية والأهالي ثابتون في جهادهم وديارهم رغم ما يصب عليهم من القنابل المدمرة وما تعاملهم به هذه الدولة الخاسرة من المعاملة القاسية وإني لأعجب لمجلس الأمن الذي كان تأسيسه لإزالة المشاكل كيف لم تحظ الجزائر المظلومة منه بلفتة نظر وما كان باستطاعة العرب في مددهم إلاً بالتبرعات المالية ومن ملوك العرب من قطع علاقاته السياسية مع فرنسا.

هذا ولا تزال مشكلة فلسطين تتطور وأهلها يقاسون أنواع الأذى من اليهود وأصبحوا ما بين شريد وسجين، كما أنَّ مشكلة البريمي السعودي لا تزال في تعقيد ولم توفق لحل صريح. أمَّا ما كان من أمريكا وروسيا فلا تزال هاتان الدولتان في اختلاف عنيف ـ أنَّ روسيا وإن كانت تظهر في مظهر الغالب المتعاظم فإنَّها لا تريد الحرب الشاملة التي قد تفقدها ما كسبته من توسع وازدياد إلى اليوم بل تنادي بالسلم لأحبابه. وهذا هو الذي جعل زعيم الكرملين يكون هو البادىء في زيارة إيزنهاور. أمَّا أمريكا التي خرجت من عزلتها واشتبكت مصالحها بمصالح العالم كله فهي تنظر إلى التوسع الروسي على أنَّه ابتلع أسواقاً عظيمة وحصل على موارد لا تنضب في آسيا وأوروبا وحرمها من موارد الصين وإمكانياتها. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنَّ

أعمال روسيا أصبحت خطراً على مصالح أمريكا وتلاحقها وتهددها في كل مكان. أمَّا بريطانيا وفرنسا فقد وقعتا بالنتيجة بين توسعين أحدهما روسي والثاني أمريكي، وبكل حال فإنَّ أمريكا مع عظمتها لا تستطيع مهاجمة روسيا واستئصال النظام الشيوعي كما استئصلت النازية من ألمانيا وذلك لتفوق الاتحاد السوڤياتي بالعنصر البشري وتوزيع قواته توزيعاً طبيعياً متماسكاً من الداخل باتجاه أوروبا والشرق الأوسط والأقصى وكذلك أيضاً خوف الشعب الأمريكي من احتمال ضرب المدن الكبرى ومراكز الصناعة الهامة المحتشدة على الساحل الشرقي للولايات المتحدة بالقنابل الذرية والصواريخ الموجهة وذلك لعدم تكامل الأسباب السياسية والعسكرية لدى أمريكا التي تستطيع بها أن تفصل الصين الشعبية ودول شرقي أوروبا عن روسيا فلذلك خافت كلتا الدولتين من حرب طاحنة سلاحها الصواريخ والقنابل الهيدروجينية التي تكاد أن تقضي على غالب سكان المعمورة فبذلك يتعين إيراد قول الشاعر:

ولا بدَّ من شكوى إلى ذي مروءة   يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وفي هذه السنة يقسم خروتشوف زعيم روسيا فيقول: أقسم بإله أمريكا ويقول: إنَّ كان لها إله أنَّها لحكيمة وذلك لما رأى ضبطها النفس وحكمتها في تجنب العنف الذي بدأ من روسيا والذي نتيجته يوم شره مستطير.

وفي هذه السنة في أوائل جمادى الآخرة تمَّ عقد اتفاقية اقتصادية بين الولايات المتحدة وبين حكومة ألمانيا الغربية على ٥٠ ألف طن من البترول تصدرها أمريكا إلى ألمانيا.

وفيها في ١٢ من هذا الشهر قامت جمعية عمومية بعقد شركة الغاز الأهلية بالدمام وقد طلب بعض من الأعضاء المساهمين إدماج هذه الشركة في شركة الغاز والتصنيع السعودية المحدودة بالرياض فوافقت الجمعية العمومية على ذلك.

شركة كهرباء بريدة وضواحيها

تأسست هذه الشركة من قبل آل راشد الأثرياء وقد فتح باب الاكتتاب بعد أن تمت الإجراءات من قبل الحكومة السعودية ولما أن كان في مفتتح هذا العام قدم ثلاثة مهندسين للقيام بمسح البلد ووضع خريطة لها ولشوارعها والضواحي التي بالقرب منها ومدى احتياطاتها من الطاقة الكهربائية، فاستمرَّ أولئك المهندسون يدرسون الموضوع أربعين يوماً وبعد ذلك سافروا إلى هولندا لأنَّ الشركة الهندسية كانت هولندية تدعى شركة إتيم وهناك وضعوا مواصفات المشروع بعد الدراسات الضافية التي أجروها في بريدة بتاريخ ٢٨ محرم من هذه السنة، ولمَّا درست الشركة الاستشارية جميع العروضات أوصت بالاتفاق مع الشركة الهولندية لصناعة الكهرباء التي قدمت أنسب وأفضل عطاء وتمَّ ذلك في ٨/ ١٢/ ١٣٧٩هـ. ولا تزال هذه الشركة تولي هذه المهمة اهتماماً. وقد اتخذ لذلك أرض واسعة في الجهة الشرقية من بريدة وفي مكان مناسب لتقام عليها منشآت الشركة وذلك بجعل ثلاث فلل كبيرة لسكنى المهندسين. كما تمَّ حفر بئر إرتوازية بالأرض المذكورة لإمداد المساكن والمنشآت بالمياه العذبة الغزيرة وسورت الأرض جميعها بالحجر والأسمنت وامتدَّ العمل من مضي أربعة أشهر من السنة التي قبل هذه ولا تزال الأيدي تشتغل في تكميلها في طرف ثلاث سنين. وسيأتي لذلك بقية إن شاء الله تعالى.

وفي ربيع الثاني افتتحت المدرسة الصناعية ببريدة وبدأت تستقبل أفواج الطلاب الذين هرعوا جماعات للالتحاق بها. غير أنَّ وزارة المعارف حددت العدد إلى ٤٥ طالباً بينما تقدم من العدد ما يبلغ مائة طالب. وقد افتتح عدة مدارس صناعية بالمملكة السعودية وشوهد نشاط وتقدم في العمل.

هذا ولا يزال تدفق المياه العذبة في مقاطعة القصيم من الآبار الإرتوازية.

ومما يجدر ذكره انفجار عين إرتوازية في قرية الشقة المعروفة شمالي بريدة بسعي رجل مواطن من أهل الخير تبرع بنفقتها وجعلها وقفاً على المسلمين جزاه الله خيراً. ولقد انتفع أهالي تلك الجهات بها بعد ما كانوا محرومين من المياه العذبة.

وفيها افتتاح مستشفى مدينة عنيزة وذلك في ٢٩ من ربيع الثاني. وقد وافق افتتاحه تشجيعاً من الأهالي وتعاوناً وقبولاً وذلك لما قام به أهالي عنيزة من التكاتف والتعاضد والتساند والبشاشة ودماثة الأخلاق وإظهار الحسن، وقديماً ما قيل:

إنَّ المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما

وفيها في ٢٤/ ٤ الموافق ليوم الإثنين فرغ من عمارة المسجد الجامع في بريدة فجاء آية في الحسن والجمال وقوة التركيب وكان له منظر جميل وكانت عمارته قد امتدت في سنتين ويعتبر حسنة خالدة في ميزان صاحب الجلالة الملك سعود... ولمَّا أن فرغ من عمارته أضيىء بالكهرباء وجعل فيه ميكرفون مكبر الصوت لسماع الخطب والتكبير. كما أقيم في شرقيه الشمالي منارة بديعة في الحسن والقوة وفرش وجعل له موظفون يقومون بتنظيفه وتهيئة الفرش وتعاهدها والقيام بدورة المياه وبما يتطلبه الوضع. فجزى الله المحسنين خيراً. وقد أقيم في أسفل المسجد دكاكين كثيرة تستغل ويصرف محصولها على مصالح المسجد. وكان ذلك عن إشراف الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد. وقد قدمنا شيئاً من ذكر هذه العمارة وقدرها.

زيارة ملك الحبشة

ففي يوم السبت الموافق ١٠ رجب قدم إلى الرياض ضيف زائر هو الإمبراطور هيلا سيلاسي إمبراطور الحبشة في زيارة رسمية وقد احتفلت به المملكة العربية السعودية بصفته العاهل الوطني المكافح وكانت ولادته في

هرر ٢٣ يوليو ١٨٩٢م وأعلن إمبراطوراً في عام ١٩٣٠م وتخلف بعد ذلك فترات غادر فيها أديس أبابا بعد غزو إيطاليا للحبشة ١٩٣٥م، ثم أعيد تنصيبه في أديس أبابا عام ١٩٤١م. وقد حصل على عدد ضخم من الأوسمة والنياشين من دول كثيرة وعليه مآخذ سنذكرها في سنة وفاته.

هذا ولا تزال العمارة مستمرة في الحرم الشريف فقد قامت الحكومة السعودية في عمارة المسجد الحرام كما قدمنا وكانت هذه العمارة تبين من خلال العمل أنها أعظم عمارة كانت للمسجد منذ خلق الله الدنيا. وكان العمال الذين يكدحون في العمل ثلاثة آلاف عامل وخمسمائة مهندس فني وهدم لذلك بيوت كثيرة ودكاكين غير قليلة وستصبح مساحة المطاف ١٠٠٠٠ متر مربع ويكون عرض المسعى عشرين متراً.

وفيها قدم الملك محمد الخامس ملك المغرب إلى مدينة الرياض عاصمة المملكة بدعوة رسمية لزيارة المملكة وذلك في ٢٠ رجب الموافق ليوم الثلاثاء. فهبت الرياض تحيي هذا القادم الكريم، وكان على رأس المستقبلين صاحب الجلالة الملك. ولمَّا قضى يومين في الرياض سار إلى أم القرى ليعتمر ويطوف بالبيت. وإن هذا الملك محمداً ليمتدح بكونه أرغم الاستعمار على أن يحني له الرأس وأن يحمل عصاه ويرحل.

ذكر زيارة الملك سعود للقصيم في هذه السنة

ففي ٢٥/ ٤ الموافق للثلاثاء قدم الملك سعود إلى مدينة بريدة. فهبَّ أهالي القصيم واستقبل استقبالاً فخماً وخرجت الأمة عن بكرة أبيها للاستقبال. وبعدما زار الهيئات الرسمية وتناول إكراميات الأهالي وفرق النقود، لبث بها حتى صلَّى بالنَّاس صلاة الجمعة في الجامع الكبير، ثم سار إلى عنيزة ثم إلى الرس والبكيرية والهلالية. ثم رجع يوم الإثنين ١/ ٥ إلى بريدة فلبث بها آخر ذلك اليوم، ثم سار بالطائرات إلى مدينة حائل ثم إلى

شقراء، ثم سار في يوم الخميس والساعة في العاشرة تزيد ٣٠ دقيقة إلى الرياض فقدمها بعد العصر. وكان لما أن نزلت ست طائرات في صحن مطار بريدة القريب على مسافة ثلاثة كيلومترات في الجهة الشرقية الشمالية من مدينة بريدة وهو مطارها الفسيح القريب الجميل، كان بوجود ثمانين ألفاً من المستقبلين فيه وما يزيد على خمسة آلاف سيارة وما بين ذلك من الخيام والسرادق والكراسي وما إلى ذلك لم يضق على الطائرات بالنزول والصعود. ثم أنَّه نقل المطار عن مكانه لقربه من البلد إلى جهة المليداء ليكون عالمياً بين مدن القصيم وكان مسافة ما بينه وبين المدن تتراوح ما بين عشرين كيلو فما فوق.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها تكالبت الثعالب والكلاب وأصابها السعار فكانت تصول على من أمامها من نوع الإِنسان والحيوان والبهائم، وأحدث ذلك نوعاً من الأذى. وقد ينهش الثعلب ستة أشخاص في لحظة، وإذا لم يجد حيواناً فإنَّه يعض على أصل شجرة أو شيئاً من الإجرام ثم يهلك الثعلب. أمَّا عن المصاب فإذا لم يعالج فإنَّه بعد مضي أربعين يوماً يهلك وقد استمرت الحالة كذلك آخر هذه السنة وستة أشهر من السنة التي بعدها. ولا ريب أنَّ هذا من عقوبات الله التي يعاقب الله بها خلقه. وذكر العلماء العارفون أنَّ هذا السعار داء يصيب الكلاب والثعالب وتقول العرب: عضه المقلوث لأنَّهم يسمون الكلب المصاب أو الثعلب المقلوث وتقول العرب: كلب كَلِب. ولمَّا اشتكى الأنصار إلى رسول الله ﷺ جملهم الذي كانوا يسيرون عليه ويسقون وقالوا: إنَّه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل. فقال لأصحابه: «قوموا بنا إليه فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحيته فمشى النبيِّ ﷺ نحوه فقالت الأنصار: يا نبيَّ الله إنَّه قد صار مثل الكلب الكَلِب وإنَّا نخاف عليك صولته، فقال: ليس عليَّ منه بأس فلما نظر الجمل إلى

الرسول أقبل نحوه حتى خرَّ ساجداً بين يديه فأخذ بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل». وفي الحديث عنه ﷺ إنَّه قال: «سيخرج من أمتي قوم تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلاَّ دخله» وهذا العارض يصيب الكلاب كالجنون وهو مرض سوداني علامته أن تحمر عيناه وتسترخي أذناه ويندلع لسانه ويكثر لعابه وسيلان أنفه كأنَّه سكران ويطأطىء رأسه ويتحدب ظهره ولا يزال يدخل ذنبه بين رجليه فإذا عقر إنساناً عرض له أمراض رديئة ويمتنع من شرب الماء حتى يهلك عطشاً وإذا استحكمت هذه العلة فقعد للبول خرج منه على هيئة الكلاب الصغار ويرى وجهه في المرآة صورة كلب وربما إذا تمَّ له أربعون يوماً يطلب الماء فإذا شرب نبح ومات. وكانت الأعراب يتعالجون لذلك بدم البرزاني وهم طائفة من الأعراب يزعمون أنَّ دم أحد هذه القبيلة علاج لعضة الكلب الكَلِب. وقد طالبت الأمة بإبادة تلك الفئة المسعورة وإيجاد علاج لهذه الكارثة.

وفيها كسدت الأراضي وأصبح الذين يتاجرون في المساهمات وكانت رأس ماليهم بتدهور شديد جداً ونقص كبير وأرادت الجهات المسؤولة أن تسعى لتحسين الموضوع فلم توفق المسألة لحل. والله على كل شيء قدير. وهذا في الرياض وعم ذلك لجميع الذين ساهموا.

وفيها ولدت امرأة من أهل مطرية بالجمهورية العربية المتحدة أربع بنات توائم واسمها مبروكة كانت دعت الله أن يهبها بنتاً فاستجاب الله دعاءها ووهب لها أربع توائم والله على كل شيء قدير.

وفيها عزمت الحكومة على فتح مدارس للبنات وصدر الأمر الملكي بما نصه ـ الحمد لله وحده وبعد فقد صحت عزيمتنا على تنفيذ رغبة علماء الدين الحنيف في المملكة في فتح مدارس لتعليم البنات العلوم الدينية من

قرآن وعقائد وفقه وغير ذلك من العلوم التي تتمشى مع عقائدنا الدينية كإدارة المنزل وتربية الأولاد وتأديبهم مما لا يخشى منه عاجلاً أو آجلاً أي تغيير على معتقداتنا لتكون هذه المدارس في منأى عن كل شبهة عن المؤثرات التي تؤثر على النشء في أخلاقهم وصحة عقيدتهم وتقاليدهم وقد أمرنا بتشكيل هيئة من كبار العلماء الذين يتحلون بالغيرة على الدين لتسرف على تنشئة المسلمين في تنظيم هذه المدارس ووضع برامجها بمراقبة حسن سيرها بما أنشئت له وتكون هذه الهيئة مربوطة بوالدهم حضرة صاحب السماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم.

وفيها وفاة الشيخ عبدالله بن عودة رحمه الله تعالى وهذه ترجمته: هو العالم الزاهد ذو العقيدة والمعرفة الشيخ عبدالله بن عودة بن عبدالله بن علي بن سليمان آل سعوي يرجع نسبه إلى قبيلة عنزة وكان منشأه من قرية المريدسيّة من أعمال بريدة. ولد سنة ١٣٠٨هـ وفي السابعة من عمره أدخل مدرسة أهلية للدراسة وتعلم القرآن فأخذ يتعلم حتى ختم القرآن ثم تعلم مبادىء الكتابة والحساب على حسب سير الدراسة إذ ذاك. ولمَّا حفظ القرآن وكان قد بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة أخذ يطلب العلم من المشائخ فأخذ عن الشيخ عيسى الملاحي وأخذ عن الشيخ عبدالله بن حسين أبا الخيل وأخذ عن الشيخ عبدالله بن فداء العالم الزاهد وجعل يتردد إلى مدينة بريدة فأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم وعن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وكان ورعاً ناسكاً وعليه السكينة والوقار وله سمت حسن. وفي عام ١٣٤٦هـ عين إماماً وواعظاً ومرشداً في قرى بني مالك ولمَّا أن كان في ١٣٥٣هـ وطلبت الحكومة من الشيخ عمر بن محمد بن سليم قضاة وأئمة ووعاظاً إلى جهة عسير وجيزان كان من ضمن الذاهبين فكان قاضياً في صبياء ثم نقل إلى قضاء جيزان فكان رئيساً لمحاكمها هناك ثم أنَّه نقل إلى الدمام في المنطقة الشرقية فكان رئيساً للمحاكم هناك واستمرَّ على

سيرته وكان مسدداً في أقضيته ويحرص على الصلح لِيُرضي الخصمين وكان متأنياً ومعه خوف من الله تعالى مديماً على ذكره وصولاً لرحمة ويجب الإِصلاح بين النَّاس متحرياً العدل والإِنصاف إلى أن شعر بالشيخوخة فتقدم بطلب إحالته إلى المعاش فأجابت الحكومة طلبه وعاد إلى وطنه بريدة. كان له حظ في الوظائف التي نالها ومع مزاولة هذه الأعمال فإنَّه لم يشاغب أحداً ولم يتقدم خصم بشكاية ضده متظلماً بل كان موضع الإِعجاب من حكومته وأمته. وأسرة الشيخ عبدالله مشهورة في القصيم وكان للشيخ عبدالله أخ يدعى عبد العزيز بن عودة له تمسك في الديانة ومحبة لأولياء الله من أهل الدين والفضل وثبات في العقيدة السلفية وكان فلاحاً يأكل من كسب يده ويصل الفقراء ويواسيهم بماله. وفي بعض السنين أصيبت الأمة بسنة وجدب فقام وقسم مزرعته من البر والشعير نصفين بحبل فقال هذا الشطر لي ولمن أمونه والشطر الثاني لله عزَّ وجلَّ ثم وزعه على الفقراء والمساكين وكان في زمنه عالم كبير السن متعطل الأسباب ذو عائلة فكان يقوم بنصف مؤنته على الدوام وكان يبش بزواره من أهل الخير والصلاح ويقدم لهم ما تيسر من الموجود لديه في وقت كان قليل التمر واللبن والقهوة والبر أكبر ضيافة. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. وكان يزار ولا يزور أحد لأنَّه معتزل عن النَّاس إذا رأيته وجدته متقشفاً في لباسه وقد تصدعت يداه ورجلاه من مكابدة الأعمال مع تقدمه في السن ثم يذهب وقت العبادة إلى المسجد فيكون واقفاً أو راكعاً أو ساجداً بين يدي الله وللبيت حظ من عبادته لله تطوعاً ولبث ثماني عشرة سنة لم يقدم مدينة بريدة. لمَّا توفرت فيها المصنوعات المستحدثة لا لتحريمها ولكن للسلامة من المشتبهات وقد قدمنا أنَّه من زملاء محمد بن مقبل وصالح اللهيمي وسليمان بن ناصر السعوي. ومن أسرة المترجم رجال متمسكون بالديانة يوالون في الله أهل طاعته ويعادون أهل معصيته وينتمون إلى الفضل والصلاح من أشهرهم

الشيخ سليمان الناصر السعوي. كان محباً لأهل الدين وموالياً للمؤمنين ومقبولاً لدى أهل زمانه وهو إمام القرية ويأتي ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى. أمّا سبب وفاة المترجم فإنَّه أصيب بمرض مخوف فرأت الحكومة أيدها الله بعزه وتوفيقه أن تبعثه إلى مصر للعلاج ولكنه وافاه أجله المحتوم فيها فتوفي في يوم الاثنين سادس ذي القعدة من هذه السنة عن عمر يناهز ٧٢ سنة ودفن فيها. ومن صفاته أنَّه غر كريم دمث الأخلاق متواضع طلق المحيا ومما جرى بينه وبين واضع التاريخ من الاتصال أني زرت قريته منذ سبع وعشرين سنة لقبض كمية من التمر من إنسان يتعامل مع الوالد فوافيت المترجم وحصلت بيني وبينه ألفة ومحبة فكان يتواضع لي في المجلس وإن كنت إذ ذاك صغيراً ويخدمني وإن كان هو الأحق بالخدمة وينصح لي ويبشر بالاجتماع ووافيته حينما أراد السفر للحج عام ١٣٥٣هـ لمّا ابتعثته الحكومة لقضاء صبياء ضمن الذين بعثوا في تلك السنة فرأيته في حال استقامة وصلاح ووافيته لما رجع من تلك الجهات وكان لبيباً وغراً كريماً لا يحمل الحقد، ووافيته مرة في الحرم الشريف بمكة لدى مجلس علوي المالكي بعد المغرب في إحدى ليالي ذي القعدة من عام ١٣٦١هـ وجلسنا نستمع لتدريس الشيخ وهو يتكلم في حالة الأغنياء حيث يقول: إن صدقوا في المعاملات وسلموا من الرياء فقد قال عليه الصلاة والسلام: «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين، وإن كذبوا وغشوا فيصدق عليهم حديث أنَّ التجار هم الفجار». قالو يا رسول الله: أليس قد أحلَّ الله البيع. قال: «بلى، ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون». وذكر الجمع بين الحديثين بما فسراه من الأمر.

وفي الحرم وافيته عام ١٣٦٢ هـ مساء بعد المغرب من اليوم الذي توفي فيه الشيخ عمر بن محمد بن سليم فأخبرني بوفاته وأنَّه تأثر لذلك وقال: إني بكيت كثيراً لهذا النبأ وكان يزورني في بيتي ويوصيني بأولاده خيراً

لأنَّهم إذ ذاك يدرسون عليَّ وكان في صفته متواضعاً غير متزمت ولا متعاظم نحيفاً ولا يمل مجلسه.

وممن توفي فيها من الأعيان عبدالله الراشد الحميد وكانت وفاته على إثر سكتة قلبية من غير ما مرض في شهر ذي الحجة من هذه السنة فأحْدث ذلك رنة أسف في قلوب أحبابه وذويه وكان من أسرة الراشد الأثرياء وأخاً لإبراهيم وعبد العزيز وسليمان أبناء راشد المشهورين الذين تقدم نشاطهم في الزراعة والمشاريع. ويمتاز عبدالله بالكرم والسخاء ولقد رثاه بعض الشعراء النبطيين بمرثية باح فيها بما في مكنونه وأظهر أسفه الشديد لفقده ودعا له وأثنى عليه وعزى قرابته ونفسه بموته وكانت وفاته عن عمر يناهز السادسة والأربعين. نسأل الله تعالى أن يغفر له ويحسن عزاء المصاب. فمن أبيات القصيدة قول الشاعر وهو علي بن حمد الصفراني:

مرحوم يا من كل الأعيان تبكيك	وكل القصيم اهتز من شد فرقاك
مرحوم يا شيخ إلى حل طاريك	تبكى عيوني والحشا فيه تكاك
مرحوم يا من لا تعد حسانيك	وكل الخصال الطيبة ما تعداك
عبدالله الراشد عسى الله يجازيك	بالجنة الخضراء مقرك وسكناك
أنت الشهيد وربنا ما يخليك	عساك بالجنة مقرك ومثواك
في جنة الفردوس والحور تتليك	هذا جزاك وما عملته بدنياك
لو مت في قبرك فلا مات طاريك	يحيون ذكرك من مشوا مثل ممشاك

وفيها ارتفعت مهور النساء إلى حد عظيم وطالب أهل الأدب والعلم بوضع حد لهذا الأمر ونشرت المقالات في الصحف والمجلات والجرائد ونادى الخطباء على رؤوس المنابر بالتزام أوامر الشريعة. غير أنَّها لم تجد أذناً صاغية وطال النقاش حول هذه المهمة التي لا تزال متطلبات المهور في ازدياد وبما أن تكاليف الزواج منذ خمسة وعشرين عاماً لا تتجاوز مائة وخمسين ريالاً فقد بلغت في هذه السنة اثني عشر ألفاً من الريالات ولا تزال

في ارتفاع. وقام العلماء يفكرون في درس هذا الموضوع مما اضطر صاحب السماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم إلى وضع نشرة عظيمة أصدرها في النهي عن ذلك وغلظ وذكر أنَّه ينبغي جعل رقابة على من تجاوز الحد وأنَّ لولي الأمر أن يضع حداً وسيأتي ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى. وإنَّه لمما يؤسف ويندي له الجبين أن تكون المسألة تتطور إلى هذا الوضع وتقف الأمة هذا الموقف أمام تلك المشاكل التي ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ﴾. أما قال الرسول المشرع ﷺ: «لو أنَّ رجلاً أعطى امرأة صداقاً ملء يديه طعاماً كانت له حلالاً». أما قال لمن قال له: تزوجت امرأة على أربع أواق مُنكِراً عليه تزوجه بهذا المهر «كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل ما عندنا ما نعطيك». ولمَّا جاءت المرأة الواهبة إلى صفوة الخلق تهب نفسها له رغبة في صهره الشريف وكان إذ ذاك لم يكن له بها حاجة فقام رجل من الصحابة وطلب من الرسول أن يزوجه إياها. قال له الهادي صلوات الله وسلامه عليه: «هل عندك من شيء تصدقها». فقال: ما عندي إلاَّ إزاري هذا فقال: «إزارك إن أعطيتها إيَّاه جلست ولا إزار لك فالتمس شيئاً». فقال: «فالتمس ولو خاتماً من حديد». فالتمس فلم يجد شيئاً. فقال له رسول الله ﷺ: «زوجتكها بما معك من القرآن». وفي رواية «هل معك من القرآن شيء». قال: نعم سورة كذا أو سورة كذا لسور سماها. فقال: «قم فعلمها عشرين آية». وإنَّ بسبب غلاء المهور يكثر الفساد وتفسد الأخلاق وتذهب المروءات ويقل الحياء والشيمة من جانب الرجال والنساء وعلى من سن هذه البدعة ما يستحقه. ومن العجائب تجميد هذه المعضلة فلا الأولياء يزوجون ولا الأمة من ذلك يضجون ولا يوجد حل لهذه الأزمة. كيف وقد قال الهادي عليه الصلاة والسلام: «إذا أتاكم من ترضونه دينه وخلقه فزوجوه، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير». وأملنا عظيم بأهل العقد والحل أن يلفتوا النظر إلى

ذلك. ولكن الذي يفت العزم ما أخرجه عبد الرزاق أنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لا تغالوا في مهور النساء فقالت امرأة: ليس ذلك لك يا عمر إنَّ الله يقول: ﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً من ذهب﴾. وكانت هذه قراءة ابن مسعود. فقال عمر: امرأة خاصمت عمر فخصمته. وفي رواية أنَّه قال: امرأة أصابت ورجل أخطأ. فهذا هو الذي حمل الجهات المسؤولة وأهل الحل والعقد من عدم الإِلزام بذلك.

وفيها في رمضان ابتدى بإطلاق مدفعين للإِفطار والإِمساك في عاصمة القصيم وقامت المدن الأخرى إذا لم يكن هناك مدافع فإنَّهم يجعلون ألغاماً في الجبال تطلق وقت الحاجة للإِعلام بالإِمساك والإِفطار.

وفيها قام الأدباء من أهالي القصيم يطالبون الحكومة بجعل بلديات في مدنهم وقسم مرور وغير ذلك مما تطلبه البلاد ويساوون بقية مدن المملكة، ذلك لما دبَّ في نفوسهم من معرفة المصالح العائدة عليهم في بلدانهم ومعيشتهم، وأنَّ اليوم ليس كالأمس. ونشرت جريدة القصيم في العدد ٢٤ ما يأتي ـ إنَّ مدينة بريدة تلك المدينة التي تعد من أكبر مدن القصيم والتي تزخر بالسكان الذين يقدرون بمائة وعشرين ألف نسمة[١] وذلك كما جاء بإجابة سمو أمير القصيم سعود بن هذلول على سؤال سكرتير هذه الصحيفة الفتية والمنشور بالعدد الثالث من هذه الجريدة، ومع ذلك فإنَّه لا يوجد فيها بلدية تقوم برعاية شؤونها ومراقبة الجزارين وبائعي الفواكه إلى آخر المقال. كما أنَّ من المثقفين من يطالب بإيجاد مدارس للبنات فيها. ولا ريب في أنَّ الحكومة قد فتحت أبوابها لكل من يقترح اقتراحاً وجيهاً لا سيما إذا كان يعود على مصلحة البلاد فإنَّ الحكومة تؤيد ذلك غير أنَّه يوجد في البلاد من لا يحبذ هذه الفكرة وسنعود عن قريب.

---

(١) هذا في حال وضع التاريخ وإلاَّ فقد تضاعفت الكمية بحيث تزيد الآن عن مائتي ألف.

وفيها في يوم الجمعة الموافق ٢٦/ ٥ وفاة الشيخ محمد الذبيب قاضي بلدة رحيمة ومدير المدرسة الأولى بالزلفي سابقاً وذلك على إثر سكتة قلبية أصابته. وكان لموته رنة حزن وأسى في القلوب لما ذكر عنه من الأخلاق الفاضلة والصفات النبيلة رحمه الله وعفا عنه.

هذا ولا يزال مستشفى بريدة فاتحاً أبوابه لكل المراجعين والمرضى وكان يوجد فيه ثلاث حكيمات وخمس ممرضات وتسعة ممرضين منهم ثلاث سعوديون ومساعد فني للأشعة ومساعد فني للمختبر كما يوجد فيه ثمانية عشر موظفاً إدارياً وستة وخمسون خادماً منهم خمس خادمات اختصاصهم لقسم النساء وأناس مناوبون وكانت معداته من أحدث ما يوجد في العالم كما يوجد هناك بعض الأجهزة والمعدات الأخرى احتياطية في المستودع ويعمل فيه ستة أطباء اختصاصهم كما سيأتي: طبيب جراح للرجال وطبيبة جراحة للنساء وطبيب أطفال وطبيب باطني وطبيب عام وطبيب أسنان بالإضافة إلى صيدلي قانوني يعاونه اثنان من مساعدي الصيادلة وطبيب ألماني أخصائي بأمراض العيون من بينهم الطبيبة الدكتورة الألمانية جي توياولترز. وقد قرر الأطباء أنَّ جو بريدة وطقسها جيد جداً حيث هو معتدل صيفاً وشتاءً وهواؤها عليل حتى في أيام شدة الحر وخصوصاً بالليل وحالتها الصحية بوجه عام جيدة. أمَّا مساحة المستشفى من الشمال إلى الجنوب فتبلغ خمسمائة متر ومن الغرب إلى الشرق قريباً من ذلك هذا وإنَّ الأمة لتعلق آمالها بالله ثم بحكومتهم في استجلاب الأطباء الماهرين المخلصين الذين يسهرون لمصلحة الأمة وإيجاد ممرضين نزيهة أكفهم وأخلاقهم. وما ذاك على الله بعزيز. ومما يندى له الجبين ويجرح العواطف أن يؤتى بالمريض المدنف إلى بعض المستشفيات فلا يجد مباشرة ولا رأفة ولا رحمة ولا عطفاً. فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

ثم دخلت سنة ١٣٨٠ هـ استهلت هذه السنة والرئيس في أمريكا كندي

ويوصف بالقوة والشهامة والسياسة المتفوقة كما أنَّ رئيس الجمهورية السوفييتية هو خروتشوف وكان عظيماً في تلك الجهات وصاعقة في إذاعاته وخطبه. وقد زار أمريكا ويعتبر هذا الاجتماع الأول بين الرئيسين كما أنَّ الرئيس في السودان هو إبراهيم عبود. أمَّا رئيس الجمهورية العراقية فهو عبد الكريم قاسم، ورئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر. أمَّا عن الهند فكان الرئيس في الوزراء جواهر لال نهرو. ويقدرون شخصيته هناك لما فيه من المؤهلات. وكان على المملكة اليمانية الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين، وعلى أفغانستان الملك محمد ظاهر شاه، وفي الباكستان رئيساً على جمهوريتها الرئيس محمد أيوب خان، وعلى حكم الكويت الأمير عبدالله السالم بن صباح. هذا ولا تزال الحرب بين أهل الجزائر وفرنسا. وقد صمدت الجزائر وثبتت لتحقيق استقلالها ونضالها لا يزال مستمراً رغم ما تصليها فرنسا من التقتيل والأعمال الوحشية وكانت المعركة دامية مستمرة. وقد عينت العرب أسبوعاً للتبرع كل سنة للجزائر المظلومة واستمرت الدفعات للجزائر تقوية لها ومساندة من العرب.

وفيها في اليوم التاسع من ربيع الثاني توفي (فلبي) رحمة الله على أموات المسلمين وهذه ترجمته: هو هادي سانت جون فلبي ولد في جزيرة سيلان في ٣ من شهر أبريل ١٨٨٥م الموافق لسنة ١٣٠٠هـ، وكان أبوه إذ ذاك يعمل مزارعاً للشاي وعندما كبر قليلاً أدخله والده كلية دستمنستر بلندن وكلية ترينتي التابعة لجامعة أوكسفورد. وفي أوكسفورد تخصص في دراسة اللغات وفي عام ١٩٠٧م تخرج بشهادة بكالوريوس علوم. وفي نفس العام اجتاز اختبار الجامعة المدنية ثم سافر إلى الهند وتقلب فيها بعدة وظائف حتى وصل إلى منصب مساعد تفتيش مركز ثم إلى سكرتارية مقاطعة البنجاب. وبعد ذلك بعام عين عضواً بسكرتارية لجنة الامتحانات بكلكتا في الهند ثم نقلته حكومة بلاده إلى العراق حيث عين ضابطاً سياسياً في القوات

البريطانية في الشرق الأوسط. وكان مركز علمه البصرة وهناك وصلت بداءة صلته بالعالم العربي وتنقل في عدة مناصب منها منصب مساعد خاص لكبير الضباط السياسيين السير برسي كوكس. ولمَّا أن كان في عام ١٩١٧ ميلادي وقد أتى إلى المملكة العربية السعودية لأول مرة ضمن وفد بريطاني مرسل إلى الرياض وقابل جلالة الملك عبد العزيز. وأعجب بشخصية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن وبطولته وشجاعته ومن هناك سافر المستشرق فلبي إلى جدة ومكث فيها بعض الوقت. وفي أثناء بقائه هناك اختلف مع حكومته في السياسة التي كانت تريد اتباعها في الشرق الأوسط فترك جدة وعاد إلى الرياض عن طريق مصر وفلسطين. وبعد ذلك رجع إلى العراق ليقدم تقريراً عن مهمته التي أوفد من أجلها، ولنتيجة خلافه مع حكومته في سياستها في الشرق الأوسط استقال من وظيفته وعاد إلى إنجلترا بعد أن قضى أحد عشر عاماً بعيداً عنها. وهناك انتدبته الحكومة البريطانية ليرافق الوفد الدبلوماسي السعودي برئاسة صاحب السمو الملكي إذ ذاك الأمير فيصل إلى إنجلترا وألقى أثناء إقامته بإنجلترا عدة محاضرات بالجمعية الجغرافية وعمل على إنجاز خرائط كان قد أعدها أثناء تنقلاته في المملكة. وفي عام ١٩٢٠م رجع إلى الشرق الأوسط واشترك في مؤتمر العقير الذي عقد بين الملك عبد العزيز والسير برسي كوكسن. وفي السنة التالية عمل مستشاراً لوزارة الداخلية في حكومة العراق الانتقالية كما عمل أربع سنوات في منصب كبير ممثلي بريطانيا في شرق الأردن وتقدم إلى جدة أثناء حصارها مع السيد طالب كوسيط للصلح بين الملك عبد العزيز وبين الشريف علي. ولم تنجح الوساطة كما قدمنا. وقد قيل إنَّه مستشار غير رسمي للملك عبد العزيز. والصحيح أنَّه لم يكن كذلك بل كان صديقاً للملك عبد العزيز. وقد استقال من منصبه لخلافاته المستمرة مع حكومته حول سياستها في الشرق الأوسط ثم عاد مرة أخرى إلى إنجلترا وبعد أن

قضى عاماً هناك عاد إلى جدة كمواطن إنجليزي وذلك عام ١٩٢٦م وعاد بصفته مواطناً عادياً يعمل في التجارة وقام بشركات وجعل يؤلف تاريخاً لإلمامه بالمملكة العربية السعودية. ولمَّا أن كان في عام ١٩٣٠م أسلم وسمَّى نفسه عبدالله وقام في ظرف عشر سنوات بعدة رحلات استكشافية في المملكة العربية السعودية منها عبوره الربع الخالي. وقد ألف المستشرق عبدالله عن المملكة العربية السعودية حوالي اثني عشر مجلداً منها قلب الجزيرة، ومنها: جزيرة العرب في عهد الوهابيين، وجزيرة العرب والربع الخالي وبنات سبا وحاج في الجزيرة العربية وأيام العرب. وفيه سرد قصة حياته وتجاربه منذ طفولته وأعماله وتجولاته واكتشافاته في صحراء الجزيرة وأخيراً تخليه عن العمل مع الحكومة البريطانية. ومن مؤلفاته: مرتفعات الجزيرة العربية ومنها يوبيل الجزيرة العربية ومنها المملكة العربية السعودية ومنها أرض مدين ومنها أرض الأنبياء ومدائن صالح. ولا ريب أنَّه سياسي ماهر ومن أعيان القرن الرابع عشر .فالله المستعان.

وفيها شرع المهندسون في تركيب مكائن شركة الكهرباء لبريدة وضواحيها ولا يزال العمل مستمراً لإنهاء المشروع. وكان هذا العمل جباراً بالنسبة إلى تأخر مقاطعة القصيم عن سائر المملكة. وأمَّا بالنسبة إلى التطوُّر الحديث فلم تتقدم المملكة إلاَّ في تلك الآونة كانت قبل ذلك أي منذ خمس عشرة سنة من هذه السنة، تضاء شوارع مكة المكرمة بالفوانيس. ولم تدخل الدورات المائية في كثير من بيوتها. كما أنَّ بئر زمزم يستخرج ماؤها بالدلاء. وكانت مكائن الكهرباء في بريدة لما وضعت متقنة التصميم جداً. وكانت الشبكة الكهربائية يركبها مهندس ألماني. هذا وقد كانت الأمة بحاجة إلى الكهرباء لتطور الحياة وكانوا قبل ذلك بقليل يستخدمون مواتير صغيرة. كما قامت شركة الغاز بإيجاده في المملكة العربية السعودية لتوفير الراحة للأهالي. فكان لذلك أحسن وقع. وبما أنَّ العمال والمهندسين شرعوا في

مد الشبكة الكهربائية في مدينة بريدة ورفعت الخزانات الكهربائية على خط ٢٢٠ وخطت المدينة خطوات متقدمة. فقد شرع العمال الآخرون أيضاً في مد شبكة خطوط التليفونات السلكية لربط جهات ما يلي بريدة إليها كعنيزة والرس والبكيرية والخبراء ورياض الخبراء والبدائع وغيرها. وبهذا يسهل الاتصال بين أجزاء تلك المنطقة. وبما أنَّ الأمة قامت بتركيب أسطوانات الغاز وأجهزته المختلفة وبدأت الشركة بالتوزيع فإنَّ حوادث الانفجارات قليلة ولله الحمد.

وفيها تفضلت الحكومة بتجهيز أناس من الجنود لقتل الثعالب المسعورة وجعلت الحكومة مثوبة لمن قتل ثعلباً وإن من جاء إلى أمير بلدة من البلدان أو أمير قرية برأس ثعلب فله مكافأة. ولقد ضحت الأمة من أذى الثعالب وأصبحت تهدد حياة الإنسان وقد ظهرت نتائجه عندما بدأت بالهجوم على الفلاحين ومن استهدف لها وقد كان أحد المواطنين نائماً بإحدى المزارع في قرية البدائع بقرب مسكنه وإذا به يفاجأ وهو نائم بالثعلب يعضه فأدخل المستشفى وأصيب آخرون في مدينة الرس ماتوا نتيجة ذلك.

وفيها وفاة الشيخ ابن تركي، وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الزاهد محمد بن علي محمد بن منصور بن عبدالله بن تركي بن حميدان من قبيلة بني خالد. ولد المترجم عام ١٢٩٩م في مدينة عنيزة بلده وبلد عشيرته وأخذ في أول نشأته في الدراسة واشتغل في التجارة مع أخيه إبراهيم وذلك لأنَّه لم يكن لأهل نجد إذ ذاك ما يساعد على الدراسة من تأمين للمعيشة فكان ذلك حافزاً له على طلب الرزق لأنَّه انشغل بها في سن مبكرة قبل بلوغه. ولـمَّا تـمَّ له من العمر ما يقارب الأربعين قام برحلات إلى الشرق فزار الهند وما يضمه من المدن ومرَّ في سفره هذا عائداً على الخليج وذلك لأنَّه مولع في الأسفار والتعرف في الأمصار وذهب إلى فلسطين ومصر وألقى دروساً هناك، فأعجب به من رآه كما ذهب إلى سوريا ولبنان وما

حواليها من القرى والبلدان وقام بتجولات كثيرة في الإحساء والقطيف وما إلى ذلك من مدن الخليج. وقد أخذ العلم عن علماء مكة وأخذ عن علماء عنيزة. وكان له بحث ومناقشة في العلوم مع الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي ومع الشيخ صالح بن عثمان القاضي في عنيزة وغيرهما ويقدرونه لما يرون من حرصه واجتهاده وكان يحب كثرة المناقشة والجدل وله إلمام في الفقه والتفسير في الحديث وسائر العلوم العربية وله استشهادات بأبيات الشعراء والأدباء المتقدمين. ونال قضاء المدينة المنورة ووظيفة مساعد قاض في مكة المكرمة. وبما أنَّه كان صريحاً في القول ولا تأخذه لومة لائم ولا يداري فإنَّه لم يساعده الزمان بل تخلى عن الوظائف. وقد طلب للتدريس في معهد الرياض العلمي وكان إذ ذاك يدرس في مدرسة العلوم الشرعية. فاعتذر لأنَّه أبدى أن بقاءه في المدينة المنورة مدرساً في المدرسة المذكورة أكبر نفعاً وأجدى مصلحة وكان يحرص على إطابة مطعمه وطلب أن يكون زرقه من المالية من مصلحة البريد ويصل إليه مساعدات من أجواد الأمة داخل المملكة وخارجها ويفرق كثيراً منها على الفقراء والمحتاجين. وقد رأيت له ترجمة بقلم الشيخ فيصل بن محمد بن مبارك لما توفي فقال: مات العالم الزاهد طيب الله ثراك أيها المتوفَّى الحبيب وأسكنك فسيح جناته. حقاً لقد مات الشيخ محمد العلي التركي وواروه في التراب. إنَّها سُنة الله في خلقه، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾. حقاً لقد مات الشيخ بعد عمر مديد وسعيد قضاه في خدمة العلم وأهله. نعم مات بعد عمر مديد سعيد لم تلطخه المشاحنات على هذه الدنيا الفانية ولم ينخدع ببريق المناصب الرفيعة والرواتب الضخمة والمراكب الفارهة والقصور الأنيقة والعقار الفني بالدخل الثري. كل هذه وأكثر منها أتت إليه منقادة، فركلها برجله الطاهرة، مفضلاً عيش القناعة، متلذذاً بما ملأ الله به جوفه من جواهر العلوم النافعة متخذاً الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر

بطريقته المعهودة والمحببة إلى النفوس حتى نفوس مرتكبي الخطيئة، كان يرسلها إشارات عامة في دروسه العامة فكم معروف قام، وكم منكر زال بتلك الإِشارات الحكيمة. رحمه الله رحمة الأبرار. حقاً لقد مات الشيخ العالم العامل الورع الزاهد ذو اليد البيضاء التي ترفعت عن أكل الحرام أو المشتبه كما ترفع قلبه الكبير ونفسه الزكية عن الحقد والحسد وصغرت في عينيه الدنيا بما فيها. حقاً لقد مات العالم القدوة في الأعمال قبل الأقوال. حقاً لقد مات الشيخ محمد العلي التركي الذي يفخر الطالب بالانتساب إليه ولو لم يجلس معه إلاَّ مجلساً واحداً. مات الشيخ الذي يرى فيه طلابه أباً ودوداً ويراهم أبناء بررة. نعم غيب الشيخ محمد العلي رحمه الله في الثرى وغيبت معه كنوز العلم. وإنَّ موته خسارة لا تقدر كما قيل:

إذا ما مات ذو علم وتقوى   فقد ثلمت من الإِسلام ثلمه

مات الشيخ الذي لا يجابي ولا يخدع. كان رحمه الله صريحاً في أمره صريحاً في نهيه صريحاً في نصحه شجاعاً في ذلك كله. نعم إنَّك لتعجب إذا رأيته أمامك في أطمار وعباءة عمرها عشرون سنة ودريهمات حمر في جيبه يقتات بها قوت الزاهدين. نعم تعجب عندما ترى ذلك الجسد النحيل الذي لا يزن أكثر من ستين رطلاً في تلك الأطمار البالية كيف يضم بين جنبيه ذلك البحر العباب من العلم وذلك القلب الكبير والصدر الرحب الذي لا يضيق بالسائلين وما أكثرهم، فلا يخرج من بيته معتمداً المسجد ولا غيره إلاَّ ترى هذا عن يمينه وهذا من شماله يتناوبه السائلون في شتى الأسئلة حتى مشاكل دنياهم فيصدرون عن معين لا ينضب وهكذا حاله في المسجد ما أن يلتفت من صلاته إلاَّ هذا قائم من عنده وهذا جالس لديه فلست تراه إلاَّ مصلياً أو تالياً كتاب الله أو ذاكراً حزبه أو مجيباً على سؤال. وهذه ثروته ولم يخلف رحمه الله ديناراً ولا درهماً ولا عقاراً ولا شيئاً يقتنى، وإنَّما خلف الذكر الحسن الذي ستتناقله الأجيال ويبقى ما بقي ذكر أهل الخير.

وصفت جنازته في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بأنَّها أضخم جنازة عرفت في العصور الأخيرة. اللَّهُمَّ وفقنا تكثر من المصلين علينا والحاملين لنا إذا متنا واحرسنا من فتنة الدنيا وغرورها. إنَّ هذا الذي خرجت المدينة بأسرها مع جنازته لم يكن ثرياً ولا أميراً ولا وزيراً ولا قاضياً ولا موظفاً مرموقاً بل كان رجلاً فقيراً معدماً وصالحاً إذا ذكر الصالحون أو العباد والزهاد والأدباء والعلماء الصرحاء:

فلو كان الفداء يرد ميتاً ... فديتك بالطريف وبالتلاد
ولو كان البكاء يفيد شيئاً ... بكاك الأكثرون من العباد
ولكن البكاء يزيد نحواً ... يسر الشامقين من الأعادي

هكذا وجدت بقلم واضع هذه الترجمة فيصل المبارك وإني لأثني على من قامت به هذه الصفات التي هي الزهد والورع والتقشف وخفض الجناح والإِحسان إلى من قصده للسؤال والاسترشاد ولم يكن مشاحناً ولا حقوداً. فالله المستعان. وقد رأيته مرة في سباخ بريدة النخيل المسمى فيحان لأنَّه كان يزور القصيم في كل سنة إذا ما أينعت الثمار في الصيف ويوضع له بالليل فوق تلك الرمال العذبة مجلس حافل ويخرج إليه بالليل والنهار أناس يفرحون به ويحبون الاجتماع به فيكون موطوء العقب لأنَّه لا يقل عدد الذين يمشون خلفه إذا زار تلك المنطقة عن مائة وخمسين رجلاً فكان نحيف الجسم قصير القامة محدودباً أصفر الوجه، وذلك في عام ١٣٥٦هـ. والصحيح أنَّه أقل مما رفعه إليه في الدرجة بعض أحبابه وأفْرطوا في مديحه وغلوا فيه وأرفع درجة عما تنقصه بعض المتفرضين لأنَّه كان والله يغفر له معانداً ولا يبالي في مجالسة أحد من الخلق سواء كانوا صالحين أو طالحين، ولكل جواد عثرة. ومن جهة أخرى فقد كان يضرب في الأرض كثيراً ويسافر إلى الأمصار ويجلس بها ويجتمع بعلماء غير محققين، وعليه مآخذ، كان يلبس العقال فوق رأسه لأنَّه لا يداري ولا يبالي بأحد ومدارات

النَّاس أمر مطلوب وأيضاً كان اتصاله بآل سليم ضعيفاً بل معدوماً مضافاً إلى ما تقدم من الأشياء الأخيرة التي ذكرناها.

وفيها ارتفع مستوى الماء في الأرض المنخفضة في مدينة بريدة وتقدم الأهالي بطلب الإِغاثة من الحكومة عن خطر يهددهم منذ زمن بين الحين والآخر بسبب تكاثر المياه التي غمرت الكثير من المنخفضات. فأمر جلالة الملك بإرسال لجنة تتكون من وزير الصحة ووزير الزراعة يرافقهما خبراء فنيون وذلك لوضع حد لتسرب المياه التي أخذت كل عام تزداد وتهدد المدينة وليس هذا بالأمر الهين إذا كان بيوت المدينة من الطين والتّبن فإنَّه إذا ارتفع منسوب الماء إلى سطح الأرض فسيأتي على البيوت من قواعدها. وبعدما قدم أولئك أعضاء الوفد أخذوا يدرسون الوضع ولكنه لم ينته بصورة قطعية وسيأتي بقية ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفيها في اليوم الخامس من شهر ربيع الثاني هبطت طائرة خاصة تقل هيئة نظر منتدبة من قبل مصلحة الطيران للبحث عن موضع مناسب لأن يكون مطاراً للقصيم بالجملة وقررت الهيئة بعد التفكير وقضاء مهمتها أن يكون في المليداء وعادت لعرض المهمة على الجهات المختصة.

وفيها غارت المياه بمنطقة سدير ونضب أكثر الآبار فأصبح السكان يكابدون مصاعب الحياة ومتاعب جمة ويعيشون ظروفاً قاسية جداً مما أدى إلى عطش الزروع وموت الخضروات وهلاك النخيل والأشجار. والله على كل شيء قدير. ووصلت الحالة بهم إلى أن عدمت في تلك المنطقة بعض النخيل أو أكثرها وأصبح لها منظر مُؤلم ومُحزن.

وفيها في الساعة الثالثة عربي تزيد ثلاثين دقيقة من ليلة الأحد سادس ربيع الأول انقض كوكب فاستضاء له الجو حتى كان له أثر عظيم ولبث عشر دقائق ثم وقع على الأرض فسمع له وجنة عظيمة جداً لما وقع غير أننا لم

نصل إلى أي جهة وقع وكانت رؤية مخيفة لمّا رمى به من الجهة الشرقية فطاف إلى الغربية.

وفيها أمر جلالة الملك سعود بطبع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية لجعلها في مجموعة لتسهل مراجعتها وندب لذلك فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم فقام الشيخ بأعباء هذه المهمة وساعده ابنه محمد بن عبد الرحمن. ولمّا أن منَّ الله بإحياء هذا التراث كان من المتبادر إلى تأليفها وجمع شواردها لتكون مرتبة على ترتيب الفقهاء. إنَّ فتاوي شيخ الإِسلام يوجد منها أجزاء طبعها مقبل الذكير من ضمن مطبوعاته بمطبعة كردستان العلمية. كما أنَّه طبع منها أجزاء العالم محمد رشيد رضا ولقد سار الشيخ ابن قاسم إلى بيروت ودمشق والعراق ومصر وباريس وغيرها يتطلب من سائر مكاتب العالم فرتبها وطبعت بمطابع الرياض وقد تكلفت الطباعة فيها لعدد خمسة آلاف نسخة كل نسخة أربعة وثلاثون مجلداً والخامس والثلاثون، وبعده مجلدان للفهارس طبعت بمطبعة الحكومة فبلغ مجموعها سبعة وثلاثين مجلداً بلغت قيمة طبع الأربعة والثلاثين مليون ريال. وساهم جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز بطباعة الثلاثة الأخيرة. «والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً». فظهرت المجموعة كأحسن ما يكون في الحرف والورق وتقدم قبلها طباعة كتاب الإنصاف الذي بلغ اثني عشر مجلداً ووزعت على طلاب العلم، وإنَّها لحسنات خالدة لمن قام بها وبذل النفقات في طباعتها. ولا ننسى ما نشره آل ثاني حكام قطر جزاهم الله خيراً فقد جادوا بطباعة مجموعة التوحيد ومجموعة الحديث وغاية المنتهى وشرحها وكتاب المقنع والكافي لابن قدامة وتاريخ العصامي والفروع لابن مفلح ومشكاة المصابيح وتفسير ابن الجوزي وطباعة كتب أخرى كثيرة جليلة. وهذا بتوجيه من الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع. فيا أيها المحسنون ليهنكم ما بذلتموه في سبل الخيرات وأبشروا بالخلف من الله وحسن ثوابه،

وإنَّا لنرجو من أهل الثروة والجدة إنشاء الملاجىء وفتح أبواب التبرعات في سبيل الخير من عمارات المساجد وإعانة تدريس القرآن وتشجيع لطبع الكتب الشرعية والإحسان إلى العجزة البائسين والضعفاء المستحقين: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ وجاهدوا يا ذوي الأموال في سبيل الله ببناء المدارس والمساجد والمستشفيات وكفالة الأيتام وتشغيل العاطلين. وعلى ذوي الأموال أن ينفقوا في سبيل الله ولا يلقوا بأيديهم إلى التهلكة التي سببها الجبن والبخل وأن يساهموا في المشاريع الخيرية والأعمال الجليلة ويواسوا الفقراء والضعفاء ويقضوا حوائج النَّاس ويعينوا الملهوف وينصروا المظلوم ويحسنوا. إنَّ الله يحب المحسنين. فكم من عجوز وشيخ كبير وطفل صغير ومقعد وضرير ومريض لا يفارق فراشه تظنه بمظهره ومنظره من الأغنياء المياسير ويده فارغة وبطنه جائع وليس في محصوله غير ما يجمع من كراء البيت الذي لو تأخر عن دفعه لكانت الفرصة السانحة لإخراجه من بيته وحمله لفراشه وأثاثه على ظهره. وهؤلاء هم الذين تكون عليهم الصدقة وتمد إليهم يد المساعدة وإن الله ليدفع بالصدقة على مثل هؤلاء البلاء عن صاحبها. وقال ﷺ: «باكروا بالصدقة فإنَّ البلاء لا يتخطاها وكم من فقير متعفف يحسبه الجاهل بحالته غنياً من التعفف».

ويروي لنا التاريخ أنَّ خالد بن عقبة باع داره بسبب دين كان عليه على عبدالله بن عامر وكانت داراً في السوق بتسعين ألفاً وأمر أهله بالرحيل فلما كان الليل وجعل أهل خالد ينقلون متاعهم ويبكون قال لأهله: ما لهؤلاء قالوا: يبكون على دارهم. فقال يا غلام: ءاتهم فاعلمهم أنَّ الدار والمال لهم جميعاً. وكان لعبدالله بن المبارك جار يهودي فأراد أن يبيع داره فقيل له بكم تبيع قال: بألفين. فقيل له: إنَّها لا تساوي إلاَّ ألفاً. قال: صدقتم، ولكن ألف للدار وألف لجوار عبدالله.

فأخبر ابن المبارك فدعاه وسأله. قال: عليَّ دين فأعطاه ثمن الدار وقال:

لا تبعها. فرحمة الله على ابن عامر وعلى ابن المبارك، وما أحسن ما قالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يا ويح لبيد حيث يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

قالت: فكيف لو أدرك زماننا هذا.

وممن توفي فيها من الأعيان ملك المغرب محمد الخامس، وكانت وفاته ليلة الخميس ١٢ رمضان على إثر عملية أجريت له. وكان موصوفاً بالمواقف الصلبة في وجه الاستعمار والمستعمرين بحيث تحمل بسببها الطرد والتشريد عن وطن ومواطنيه. فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله ورحمة الله على أموات المسلمين. وكان قد عاد إلى العرش بعد ما سطر له التاريخ صحيفة من الفخر والشهامة. وإنَّها لمصيبة عظمى أن تفقد البلدان رجالها ورؤساءها المخلصين.

وفيها أعلنت الحكومة السعودية القرار رقم ٣٨٩ بتاريخ ٨/١٥ بمنع أعمال الحفر لأبيار إرتوازية حتى تنظر في شأن المياه لما أصبحت المياه لغزارتها تهدد بالأخطار المحيطة في مدينة بريدة ورحبت من جميع الأهالي وأرباب الحفارات التعاون مع مجلس الوزارة حول هذا الطلب.

وفيها تولى عرش إمارة قطر الحاكم أحمد بن علي بن عبدالله بن ثاني. فتنازل له والده عن العرش ليأخذ راحته فباشر الحاكم الجديد عمله.

وفيها في سادس عشر من شوال قام صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بزيارة للكويت بدعوة من أميرها عبدالله السالم بن صباح فكانت هذه الزيارة رمزاً للصداقة ودليلاً على حسن الصلات إذ كان مسقط رأس الملك سعود وفرصة سانحة لتقوية روابط الإِخاء والود بين البلدين وأنَّه لا يوجد بينهما فوارق وأظهرت الحكومة والشعب فرحتهم وغبطتهم بهذا الاجتماع. نسأل الله تعالى أن يوفق العرب

والمسلمين للصداقة والتضامن والمحبة وأن يجعل المسلمين يداً واحدة على من سواهم.

وفيها عزمت الحكومة السعودية على فتح مدارس للبنات في بقية المدن السعودية ومن ضمنها مدينة بريدة وتقدم آل الراشد إلى مدير عام مدارس البنات بخطاب ضمنوه تقديم أحد بيوتهم فيها وتأثيثه ليكون مقراً لمدرسة البنات المزمع افتتاحها. فشكر المدير لهم ذلك وهيأوا البيت المذكور الذي كان موقعه في قلب مدينة بريدة، ويعرف ببيت راشد الحميد.

وفيها نبعت في شمالي بريدة عين إرتوازية جديدة فوارة في موضع مزرعة سمو الأمير سعود بن هذلول. وتعتبر من أقوى الآبار الإرتوازية.

وفي هذه السنة قررت الاشتراكية في مصر عن أمر الرئيس جمال عبد الناصر واستمرَّ موضوعها هناك.

وفي هذه السنة اعترفت إيران بدولة إسرائيل وشق ذلك على العرب وعقد اجتماع في ١١ صفر الموافق ٤ أغسطس بمبنى الجامع الأزهر في مصر يضم علماء المسلمين للبحث في موقف الإسلام نحو ذلك استنكاراً لاعتراف إيران بها بصفة أنَّ العرب لم يرتضوا اتخاذ فلسطين موطناً لليهود وأن يتخذ مهاجراً لهم. وقد طال النقاش ونشر في الصحف والجرائد تركنا إيراده لأنَّه موجود.

بيان عن الصهاينة ومشكلة الشرق الأوسط

فنقول: إنَّ مقام اليهود في فلسطين ليهدد أمن العرب ويبعث الأحزان والهموم والغموم ذلك بأنَّها أمة مغتصبة وجبلت على البغي والكيد لأهل الإسلام. قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾. وقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا

نَصَـٰرَىٰۚ﴾. كلمة صهيون اسم لليهود لأنَّها نسبة إلى جبل صهيون المشرف على مدينة القدس، ونسبتهم إلى الصهيونية فكرة لها اتجاه ديني واتجاه سياسي هدفها المباشر هو الاستيلاء على فلسطين وإعادة بناء معبدهم الديني المسمَّى هيكل سليمان وممارسة العبادة فيه وإقامة عرش داود في القدس ثانية. وأمَّا الهدف الآخر فهو الكيد للإسلام والمسلمين والعمل على هدم كيان دين الإِسلام، فقد مزقوا المصاحف التي توصلت إليها أيديهم وهدموا منابر الخطب في المساجد التي هي بيوت الله وقد أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه وجرى منهم أذية للمسلمين كما في قصة بني قينقاع لما راود اليهودي الصائغ امرأة مسلمة على كشف وجهها فأبت فعمد إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فصاحت فضحكوا منها فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فحشدت اليهود على المسلم فقتلوه ووقع الشر بينهم وبين المسلمين والتجأوا إلى حصونهم. فسار إليهم رسول الله ﷺ بعد أن استخلف على المدينة أبا لبابة وسار معه المسلمون. فحاصرهم رسول الله ﷺ أشد الحصار ١٥ ليلة حتى نزلوا على حكمه بأنَّ له أموالهم ولهم النساء والذرية، وشفع فيهم عبدالله بن أبي بن سلول بعدما أمر الرسول بتكتيفهم... وَأَلَحَّ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: «خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم». فأجلاهم ولحقوا بأذرعات. وكما وقع عن يهود بني النضير لما أرادوا الكيد برسول الله ﷺ حينما خرج إليهم في نفر من أصحابه ليستعين بهم في دية قتيلين منهم وقع القتل عليهما من بعض الصحابة خطأ. فكلموه كلاماً ليناً حُلْواً وهم بخلاف ذلك وخلى بعضهم ببعض يقولون: إنَّكم لن تجدوه على مثل هذا الحال، وكان حوالي جانب جدار من بيوتهم، فعزم أحدهم على أن يلقي عليه صخرة من فوق السطح، فجاء الخبر من السماء وقام كأنَّه يريد أن يقضي حاجة فرجع إلى المدينة واستعمل عليها ابن أم مكتوم ثم سار بالنَّاس فحاصرهم وتحصنوا ﴿وَظَنُّوٓاْ

أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾. فوقع الصلح بعدما خضعوا لحكم رسول الله بأن يجليهم ويكف عن دمائهم وأن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلاَّ الحلقة وقاموا يهدمون بيوتهم حسداً للمسلمين ويحملون أبوابها وأخشابها إلى الشام. وكذلك ما وقع من يهود بني قريظة لما انضموا إلى الأحزاب ونكثوا إيمانهم من بعد عهدهم وحاربوا الله ورسوله فحاصرهم ﷺ بعدما انفك الأحزاب وهزمهم الله حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ بأن تقتل معَاملتهم وتُسْبى ذراريهم وتغنم أموالهم. فأبادهم ﷺ بالسيف ودفنوا بأخاديد حُدَّثْ لهم في المدينة. وهكذا ما زالوا مشردين ومطرودين ولكنهم لا يزالون يسعون في الأرض بالفساد ويكيدون للإسلام. وقد دخلوا فلسطين حينما كانت يسكنها الكنعانيون مع يوشع بن نون بعد أن عصوا نبيَّ الله موسى ﷺ. ثم جاءهم عهد داود عليه الصلاة والسلام الذي انتصر على جالوت وجنوده الكنعانيين، وتلاه عهد نبي الله سليمان بن داود فأظهر القوة عليهم باستمرار. فهذه العادة في معاملة اليهود منذ أن وجدوا قوم لا يجدي معهم غير القوة وبها وحدها يمكن السيطرة عليهم.

وبعد وفاته دب الخلاف بينهم كما ذكره الله عنهم بقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. ولما زادوا في عصيانهم سخر الله عليهم الدول المجاورة كالأشوريين والكلدانيين وغيرهم فقضوا عليهم وشتتوا شملهم. وبعد زوال اليهود استولى الفرس على فلسطين ثم اليونان والرومان الذين طردوا بقيتهم من فلسطين وشتتوهم لسوء أعمالهم وخبث نواياهم. ولمَّا جاء الإِسلام وفتح الله الشام على يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخليفة الراشد استسلمت اليهود ووضعت عليهم الجزية وسمح المسلمون لهم بأن يعيشوا في فلسطين رعايا مواطنين في ظل السيادة الإِسلامية. وهكذا

حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. ولقد كان الروس يقتلون اليهود نساء ورجالاً وأطفالاً وكانوا يشنقون الرجل وإلى جانبه رجل آخر ويشنقون بينهما كلباً مبالغة في الاحتقار. ويروي لنا التاريخ ما صنعه بهم رئيس الحكومة الألمانية لما جمع ثلاثة ملايين من اليهود وصهرهم بأفران الغازات السامة حتى أعدم جزءاً منهم كبيراً. ومن خبثهم ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان أنهم في العشر الأول من الشهر الأول في كل سنة يقولون في صلاتهم: (انتبه كم تنام يا رب استيقظ من رقدتك). فكيف تجرؤوا على الله عزَّ وجلَّ هذه الجرأة ويزعمون بأنَّ الله ندم على خلق البشر الذين في الأرض لما رأى فساد قوم نوح ويقولون: إنَّه بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة وأنَّه عضَّ على أنامله حتى جرى الدم ولم يقبلوا التوراة ولم يخضعوا لأوامر الله استكباراً وعتواً حتى أمر الله عزَّ وجلَّ جبريل فقلع جبلاً من أصله ثم رفعه فوق رؤوسهم وقيل لهم: إن لم تقبلوها ألقيناه عليكم. وهذا مذكور في القرآن. وقد أتينا بكتابنا الدرر البهية في يوم السبت من شأنهم ما فيه كفاية. ولقد أكرمهم الخليفة العثماني عبد الحميد بن عبد المجيد لما وفدوا إلى الحكومة العثمانية ونزلوا بضيافته مطرودين من روسيا وغيرها وذلك بعدما قامت روسيا تسومهم سوء العذاب وأعملوا فيهم أشنع القتلات رجالاً ونساءً وأطفالاً. وفي سنة ١٧٦٧ ميلادي حرقوهم بالنَّار وأعدموا بالحرق ألوفاً دون أن يرحموا صغيراً أو كبيراً ولقوا هناك الفضائع.
وبهذا يتضح بطلان مزاعم ادعاءات اليهود في أحقيتهم بامتلاك فلسطين بل عاشوا مطرودين مشتتين. ذلك بأنَّهم لا يرتبطون بأي مجتمع يعيشون فيه بل كانوا دعاة فتن وأهل دسائس ومؤامرات جبلوا عليها وعاشوا طوال حياتهم بلا وطن، وتكرههم الشعوب وتنبذهم أينما حلوا. وقد انضموا إلى بريطانيا وحليفاتها خلال الحرب العالمية الأولى وقدموا لهم جميع إمكاناتهم المادية والعلمية والرشا مقابل تأسيس وطن قومي في فلسطين فوعدهم بلفور بإنشاء

وطن لهم في فلسطين وأخذت بريطانيا تنفذ مخططاتها لتحقيق وعد بلفور وعينت هربرت صموئيل اليهودي المتعصب كأول مندوب سامي بريطاني على فلسطين عام ١٩٢٠م فقام بإرغام الفلاحين العرب على بيع أراضيهم وأملاكهم لليهود، وبشتى الوسائل شجع اليهود من جميع أنحاء العالم للهجرة إلى فلسطين وعين عدداً كبيراً من اليهود في المناصب الكبرى وبذلك كان بين الرماد وبيض جمر، وما أحسن ما قاله القائل:

أرى بين الرماد وبيض جمر ... فيوشك أن يكون لها ضرام
فإنَّ النَّار بالعيدان تذكى ... وإنَّ الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعري ... ءَأَيْقَاظ أمية أم نيام

ولمَّا أن نزلوا في الدولة العثمانية جاؤوا إلى السلطان عبد الحميد بكل وسيلة واستعانوا بوزراء بريطانيا بأن يجعل لليهود موطناً في فلسطين ولكنه رفض طلبهم واستعانوا أيضاً بسفيري بريطانيا وأمريكا على إقناع السلطان لتغيير موقفه ولكنه رفض وآخر ذلك أن منع في عام ١٨٩٣م من إقامة مملكة لليهود في فلسطين وكان لدهاء السلطان عبد الحميد لم ينخدع لتعطفات رجال بريطانيا واليهود وأصدر أوامر جديدة بمنع اليهود من شراء الأراضي في فلسطين، وحينما قال أحدهم: إنَّ عبيدك اليهود يا صاحب الجلالة مدينون لكم ولأجدادكم العظام وللشعب التركي المجيد بحسن الضيافة والمعاملة التي يلقونها، ولن ينسى التاريخ ما لقيه الشعب اليهودي من العطف والرعاية التي رأوها وهم يدعون لكم بطول العمر، لم يكترث ولم يعبأ بنفاقهم. وآخر ذلك أن قال أحدهم لما قال السلطان: هل لكم شكاية من معاملة غير عادلة كانت في مملكتنا، أجابه بخشوع ورهبة: استغفر الله يا صاحب الجلالة إن رعاياكم اليهود يتمتعون بكل طمأنينة وامتنان ولا يوجد لهم أي شكاية وكل ما هنالك أننا نسترحم منكم ولو قطعة

أرض رمزية تكون لهم مركزاً ويحجون إليه في ظل دولتكم وليقيموا فيه بالصلاة والدعاء والشكر لسدتكم، وآخر ذلك أن قالوا للسلطان: إنَّا نعرض على جلالتكم بأن تقدروا أن تحسبوا ما تستنسبونه من ثمن للأراضي التي تعود ملكيتها إلى جلالتكم يشرط أن يدفع اليهود بدلها نقداً مع الزيادة مهما بلغ وارتفع الثمن من ملايين الليرات الذهبية. فثار الدم وغلا في عروق السلطان وصاح بالمتفاوضين: هل وصل بكم الأمر لتعرضا عليَّ ثمناً لقطعة أرض عزيزة من الوطن. ولما أيسوا من مراودته ولم يخضع لمنحهم شيئاً ولم ينخدع لأطماعهم عدلوا إلى اللجوء إلى اغتياله والقيام بالمؤامرات ضده عليه. وهذا عندما فشلوا في محاولاتهم وسعوا بمؤازرة من استجاب لهم إلى خلع السلطان عبد الحميد. وفعلاً جرى خلعه بمؤامراتهم، وكانوا قد ألقوا قنبلة قبل ذلك في عربته للقضاء عليه، وذلك بعد ظهر يوم الجمعة ٢١ تموز عام ١٩٠٥م ولكنه قد توقف يتحدث مع أحد العلماء ويبادله بعض الحديث، فتأخر عن الوقت الذي انفجرت القنبلة فيه وسلم. ولمَّا لم يصلوا إلى غرضهم لفقوا حكايات وقصصاً يستميلون بها النَّاس وألصقوها به واستعانوا عليه بحزب الاتحاد والترقي حتى خلع وأبعد عن العرش بأن أوفد البرلمان العثماني في ١٤ نيسان ١٩٠٩م هيئة لإبلاغه قرار الخلع. فأجاب عبد الحميد: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾. وكان قد علم بتمرد بعض الجيش وأخبره الصدر الأعظم وسألوه مقاومة المتمردين، ولكنه رفض. ولقد جدَّ اليهود واجتهدوا في أذية المسلمين وبالغوا بالعداوة. وهكذا فعل مستعمر خسيس عداوته في الدين كما قيل:

كل العداوة قد ترجى مودتها ... إلاَّ عداوة من عاداك في الدين

فيا أمة الإسلام ويا أمناء العرب ويا فوارس محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه أمَّا فيكم من غيرة على وطن استلب من أربابه وتحكم فيه عدو الإسلام أين شجاعتكم. أين شهامتكم. أين دفاع الأسود عن عرينها؟ أمَّا

كنتم أبناء التبابع. أما كنتم أمة العروبة؟ أما كنتم فوارس العرب المغاوير أبناء خالد بن الوليد وقتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم وموسى بن نصير؟ إنَّ العزة لله جميعاً ولرسوله وللمؤمنين، ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾. ويا أيها الرجال البواسل يجب عليكم أن تفتكوا بالمستعمرين وتطردوهم عن أراضكم شر طردة وتستردوا كل ما أخذوه ثم عودوا عليهم فدكدكوا عروشهم واحتلوها وأقيموا فيها شرائع الله وعدالة دين الإسلام. فلن يخرج هؤلاء المستعمرون إلاَّ بحرب ضروس. ولن تقيموا دولة القرآن إلاَّ بغزو طويل مرير. فكيف يكون وعد بلفور مسوغاً لأخذ فلسطين واستلابه من العرب فيكون ذلك الوطن السليب ملكاً لإسرائيل نتيجة صك من إنجلترا قام به وزير خارجيتها بتصرف رجل أجنبي في أرض عربية. إنَّ هذا ليدعو إلى الدهشة على أن بريطانيا لتنظر بعين الرضا إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين العربية. أما كان اليهود يعرفون باليهود؟ فمن سماهم إسرائيل؟ أما كان أسطول بريطانيا يجول مياه العالم يرسو حيث شاء، فكل ميناء له مرسى، وكل بلد له تابع، وكل أمَّة له مستعبدة. واليوم هذا تحطم تاج الأسد البريطاني ونتف الزمان لبدته فتحررت الهند وعظمت الصين فصارت دولة عظمى ولم تعد بريطانيا بقادرة على شن الحرب عليها وتثاءبت إفريقيا بعد طول سبات فصارت تطارد بريطانيا. كما أنَّ مصر قامت بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر وأجلوا جيوش إنجلترا. وقامت العراق وتحررت منها. وتنفست الأردن الصعداء بعد طرد اجلوب والاستعمار عن ديارها. وهكذا تغير وجه الكون وحار الأسد البريطاني. وإذا كانت بقايا فلسطين مهددة من إسرائيل في اعتداءاتها على الأهالي بسفك الدماء وإخافة الآمنين وملئت السجون منهم فما هو المانع من إيقاف إسرائيل على حدها ولم لا يحل مجلس الأمن هذه المشكلة طيلة هذه الأزمان وآخر ذلك أخذ اليهود يذيقون العرب من سكان الأراضي المحتلة صنوف التعذيب والتنكيل

ليحملوهم على الهجرة من بلادهم التي عاشوا بها وهي مسقط رؤوسهم وبلاد آباءهم وأجدادهم. وقد سبق في سنتي ١٣٦٧ و ١٣٦٨هـ ما يشفى عن مطامع اليهود وخيانتهم والحرب التي بينهم وبين العرب، وسيأتي على ممر السنين ما حصل منهم والعياذ بالله من الأذى وسوء المعاملة للعرب بتأييد أمريكا وبريطانيا لها.

الحرب بين الجزائر وفرنسا

أما ما كان من الحروب بين فرنسا والجزائر فقد استمرت ست سنوات ذهب ضحيتها ما يزيد على مليون من أهل الجزائر واعتقل في السجون والتعذيب بأقسى معاملة ما يزيد على مليونين. هذا إلى العدد الكبير من المشردين واللاجئين في تونس والمغرب وغيرهما ذلك بأنَّ فرنسا المزود جيشها بأنواع الأسلحة الحديثة الفتاكة والمعدات الرهيبة لم تكتف بهذه المعدات القوية الرهيبة وإنما جاؤوا بمساندة الأوروبيين المسلحين واستطاعت الجزائر أن تحارب هذه الجنود المتظافرة التي هي عبارة عن حلف الأطلسي بكامله بطائراته ودباباته وجنوده ومساعداته المختلفة، ذلك الحلف المشؤوم الذي يناصر فرنسا الباغية ويضع تحت تصرفاتها قواته الضخمة لتنكل بالأحرار المجاهدين وليمعن في حرب الإِبادة التي تشنها في الجزائر. ومع هذا فلم يهنوا ولم يستكينوا وإنما ناضلوا بقوة إيمان وثبات جنان دفاعاً عن حقوق مسلوبة وصموداً أمام النساء أن تنتهك والذراري أن تعدم لم يتخاذلوا ولم يتقاعسوا وقد رأوا من الوحشية وصنوف العذاب والتعذيب ما لا يصدقه العقل. ولقد كانت الطائرات تصب عليهم القنابل كما فعلت بالسنين التي قبل هذه، فيقتلون النساء والأطفال والشيوخ بلا حساب، ويدكون القرى بكاملها. ولكنه خاب وفشل أمام صرختهم القوية السفاح ديجول وثبت أولئك الأسود الكاسرة الذين أدخلوا الرعب في قلوب الفرنسيين حتى في قلب عاصمتهم باريس الآمنة بتضحياتهم في سبيل الدفاع

عن بلادهم وتطهير أرضهم من الدخلاء والأنذال وامتشقوا الحسام وثبتوا في الحروب وكانوا يلاقون صنوفاً من العذاب على أيدي زبانية ديجول ولم يكونوا أمام خصم شريف يرعى للعهود والمواثيق حرمة بل كان غادراً. فلقد مضي على كفاح الجزائريين سنون طوال، وكان من الواجب أن يعطف عليهم من ليس في قلبه رحمة ولا إنسانية، وإنما خشية من العار، ومع هذا فإنَّ هيئة الأمم المتحدة لم تتخذ إزاء هذه المشكلات أي قرار من شأنه رد الحق إلى صاحبه وإعادة الجزائر عربية حرة. ولم تتحرك الأمم المتحدة وتضع حداً للدماء في الجزائر. فأين الحرية التي تزعم أنَّها تسعى لها؟ وأين الاسم الذي سموا به أنفسهم. هذا وقد قال العلي العظيم، الإله الملك الحكيم في محكم كتابه العزيز ومبرم كلامه البليغ الوجيز: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾. نعم أخرجوا من ديارهم وأوذوا وقتلوا وشردوا وسجنوا، ولم يكن أمام العدو الباغي من يذود عن أولئك الضعفاء المغلوبين الذين تغلب عليهم عدو لئيم منتقم كأنَّه جاء إلى فلسطين ليأخذ بالثأر لأصحابه الهالكين الذين أخرجتهم شجاعة رسول الله ﷺ وشجاعة أصحابه من المدينة المنورة لسوء فعالهم وقبح نواياهم فكأنهم بفعالهم بأهالي فلسطين في القرن الرابع عشر منتقمون. وإنَّ الله على نصر أولئك الضعفاء لقدير. وهذا إظهار القوة والمنعة والغلبة من جانب الله عزَّ وجلَّ لمن كان معه والتجأ إليه. فهو القادر على نصرة المغلوبين وفيه البشارة بأنَّه وإن ضعف عدد المؤمنين وعددهم وقوي عدد الكافرين وعددهم فإنَّه ركن المؤمنين والثائر لهم والمنتقم من عدوهم. فعليهم بذل الأسباب ومنه النصر. وقد يتأخر النصر لتبذل الأمة ما في طاقتها من قوة وما تملكه من

منعة لتعلم أنَّ النصر إنَّما يأتي من قبل الله عزَّ وجلَّ. وقد يتأخر النصر لحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى لتقوى صلة المؤمنين بربهم وليعرفوا أنَّه لا يجيب المضطر إلاَّ هو ولا يدفع البلوى سواه. وقد يتأخر النصر لكون الجهاد قد لا يكون دينياً بل يكون وطنياً أو يكون عن حمية أو يكون إظهاراً للشجاعة أمام العدو. ولهذا لما سُئل ﷺ عن الرجل يقاتل حمية أو يقاتل شجاعة أو يقاتل ليرى مَكَانَهُ أيها في سبيل الله. فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله». وقد تكون الأمور مرهونة لأوقاتها حتى تظل الحيلة ويعلم المغلوبون أنَّه لا نصر حتى يأذن الله به وإنَّ الله لقوي عزيز. فمن قوته وعزته تعالى ما قابل به قوم حبيب النجار مؤمن آل ياسين من العقوبة لما قتلوه شر قتلة حينما قال: إني آمنت بربكم فاسمعون بحيث ما كانوا بحاجة إلى أن ينزل الله عليهم جنداً من السماء أو ترسل عليهم حجارة من السماء أو جبال تدكهم وتهلكهم أو بحار تغرقهم. ما كان إلاَّ أن بعث الله ملكاً صاح بهم صيحة فتقطعت قلوبهم في صدورهم وأصبحوا خامدين. وقد يكون الانهزام بسبب الإعجاب بالكثرة والاتكال عليها لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وهذا شيء معلوم.

وفيها في مساء السبت الموافق ٣/ ٤ وصل إلى مطار الرياض رئيس جمهورية غينيا أحمد سيكوتوري بناء على الدعوة الموجهة إليه وكان في استقباله صاحب الجلالة الملك سعود وأصحاب السمو الأمراء ومعالي الوزراء والأعيان.

وفيها في حادي وعشرين رجب جلبت أسرة الراشد خبراء لمشروع الدغمانيات في البطين وهذه الدغمانية أو الدغمانيات عبارة عن رياض وفياض في البطين استولت عليها عن طريق المنحة. وتقدر مساحتها بدائرة مساحتها ٢٣ كيلومتر أراضي زراعية غرسوا فيها الأشجار والنخيل والخضر وما إلى ذلك ممَّا سخروا له الملايين في سبيل إحيائه وإظهارها بمظهر لم

يسبق له نظير في نجد بل في الشرق الأوسط، وعمدوا إلى السعي بالطريقة الحديثة وهي المطر الصناعي ويرجى إن تمَّ ذلك أن يكون له موقع عظيم، وقد كثر السقي في هذا وأمثاله في فياض البطين وغيرها مما أوجد أنواع البطيخ والقثاء والبقول وغيرها كالباذنجان والبطاطس واليقطين بأنواعه والكوسة وأشياء في القصيم لم يكونوا يعرفونها فيما قبل. وقد رأيت في إحدى مزارع عنيزة مزرعة سليمان بن حمد بن حويس مملوءة بالأترج والحمضيات التي هي البرتقال الحسن وكانت قناطر ممتدة مملوءة بهذا النعيم الكبير. وقد يجد المار بها والجالس فيها من صاحبها الترحيب والبشاشة والخلق الحسن. أمَّا عن آل راشد فلهم فضل كبير في الصبر على ما ينالهم من مضايقات أهل النزهة والفرجة ويُشكرون على ذلك. كما أن شركة الكهرباء هم الأصل في تأسيسها وقد قامت مزارع البطين والباطن من أعمال بريدة تصدر شحنات البطيخ والبرسيم واليقطين العسلي والبصل إلى الحجاز والرياض والظهران والكويت وغيرها وبيع بصل القصيم في بيروت والشام وغيرها. وكان البطيخ أعني الحبحب يباع بقيمة زهيدة. وختمت هذه السنة بمشاكل كثيرة في العالم ولا سيما الكنغو فإن فيها مجازر بشرية.

ثم دخلت سنة ١٣٨١ هـ

ففيها أعلن الكويت استقلاله عن بريطانيا وأنَّ الكويت بلد حرة عربية وذلك ليحصل على الاستقلال من سيطرة النفوذ البريطاني واستطاع الكويت الحصول على أعز متطلباته وهو الاستقال بدون سفك قطرة دم. ولمَّا شاع هذا النبأ قام زعيم العراق عبد الكريم قاسم يظهر نواياه من أن الكويت جزء من العراق وسيضمه إليه وأن ضم الكويت إلى العراق أمر لازم. ويا حبذا لو حصل ذلك للعراق فإنَّها غنيمة باردة ولكن دون الحياض من يذود عنها. فلقد صاح العرب بعبد الكريم قاسم وأجلبوا عليه وأنها بادرة سوء تبدر من العراق. وقام الملك سعود بن عبد العزيز ببعث قوات إلى الكويت فوصلت

طلائع القوات السعودية إلى إمارة الكويت لحمايتها كما بعثت الحكومات العربية قواتها إلى الكويت لتحل مكان القوات البريطانية المرابطة هناك عند جلائها. ولما كان في غاية محرم من هذه السنة جرت محاولة لاغتيال ديجول في باريس، لكنها فشلت بسبب عدم تكامل انفجار القنبلة تحت سيارته وكتبت له النجاة. هذا ولا يزال الوفد الكويتي يطوف بالبلاد العربية ليعرض وجهة نظر بلاده على المسؤولين العرب. وقد أيدت الدول العربية التي زارها استقلال الكويت. أمَّا عن الجزائر فقد شنوا حملات عديدة على البوليس الفرنسي في العاصمة الفرنسية وألحقوا عدة إصابات به. ويعتبر هذا نصراً مؤزراً للجزائر.

وقف الحرب في الجزائر

لمَّا أبت أن تلين قناة أهل الجزائر للاستسلام لفرنسا، بل استمروا مناضلين ومكافحين معتمدين على الله عزَّ وجلَّ، ثم على الحق لأنَّ الحق يعلو ولا يعلى عليه بصفتها مظلومة معتدى عليها لم تجد الأمم المسؤولة إلاَّ أن تؤيد موقفها فتقرر وقف إطلاق النَّار فيها وإعلان اتفاقية استقلالها. فتوقف القتال واستقلت الجزائر في هذه السنة بعد جهاد طويل مرير. وكان الملك سعود قد تبرع لها في هذه السنة بمبلغ مليون جنيه إسترليني مساعدة لها. وكان قد دعى الرئيس أبو رقيبة مستر همر شولد سكرتير الأمم المتحدة لزيارة تونس للاطلاع عن كثب على وحشية الفرنسيين للتباحث معه حول الأزمة القائمة بين تونس وفرنسا التي نشبت على أثر مطالبة تونس لفرنسا بإجلاء قواتها عن قاعدة بنزرت. وكان صاحب الجلالة الملك سعود من أول المسارعين إلى إبلاغ الحكومة التونسية تأييد المملكة العربية السعودية في كفاحها ضد الاحتلال الفرنسي. وقد طلب الملك سعود إلى وزير الدفاع السعودي ورئيس أركان حرب الجيش السعودي أن يكونا على استعداد في تأهب دائم نصراً للموقف الحرج بين تونس وفرنسا.

استقلال الجزائر

في كلام الحكمة: من عرف الحق عزَّ عليه أن يكون مهضوماً. لما كان في شهر شوال من هذه السنة في الساعة الثانية عشرة تزيد ثلاثين دقيقة ليلة ١٥ من الشهر المذكور نالت الجزائر استقلالها بعد حرب استمرت سبع سنوات وخمسة أشهر. وكان ابتداء الثورة في ٤ نوفمبر عام ١٩٥٤م الموافق ٩/٣/ ١٣٧٤هـ. كتب لها ذلك النضال صحيفة من المجد في وجه التاريخ. قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وقالت الحكماء: إياك والسآمة فتقذفك الرجال خلف أعقابها. وقد أثنى الله على الصابرين وبشرهم وحث على الصبر وأخبر أنَّه مع الصابرين.

وفيها تأسست رابطة العالم الإسلامي وذلك في اليوم الرابع عشر من شهر ذي الحجة واتخذ مقرها في مكة المكرمة وجعل لها مجلس مؤلف من كبار العلماء ورجال التفكير الإسلامي وأمين عام، وذلك لتوحيد صفوف المسلمين ضد كل من أراد الإسلام وأهله بسوء.

وفيها في يوم الأربعاء ٢٢ شوال صباحاً نزل الشيخ عبدالله السالم حاكم الكويت في مطار الرياض زائراً المملكة السعودية فكان في استقباله صاحب الجلالة وولي العهد وأصحاب السمو الأمراء ومعالي الوزراء وكبار رجال الدولة.

وفيها في غرة ربيع الأول تأسست بلدية مدينة بريدة برئاسة الرجل الطيب عبدالله بن حمود البراك. كان معروفاً بالأمانة والإخلاص والنزاهة. ولقد باشر مهمته بجد ونشاط وجعل يواصل أعماله الإصلاحية في المدينة ويلقي نظرته على الشارع الرئيسي في الخبيب تمهيداً لإجراء التعديلات عليه بحيث يكون متناسباً مع أوضاع البلد الحالية.

وفيها قام آل الراشد متبرعين بإصلاح مطار مؤقت لبريدة يبعد عنها شمالاً بخمس كيلومترات لأنَّ المطار الأول أصبح قريباً من البلد، كذا يقول الموجهون. ووافقت مصلحة الطيران على ذلك فشرع في تمهيد الأخير وتعبيده وذلك في يوم السبت ١٨/٣ من هذه السنة. وبعدما تمَّ إصلاحه كان البريد الجوي ينزل فيه.

تأسيس الجامعة الإسلامية في المدينة

كانت الدولة العثمانية قد فكرت في جعل كلية علمية إسلامية في المدينة لشباب الحجاز وغيرهم ووفدت لذلك وفداً لارتياد موضع لها وأرادوا الشروع في العمل. غير أنَّ خلع السلطان عبد الحميد ووقوع الحرب العالمية الأولى ثم الحرب بينها وبين الشريف حال بينها وبين هذه الخطوة وأدخرها الله للحكومة السعودية. فقد دارت المشاورات بين الملك سعود بن عبد العزيز وبين سماحة المفتي فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم حول إنشاء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وتبرع جلالته ببعض قصوره في المدينة لهذا الغرض. والجدير بالذكر أنَّ جلالة الملك المعظم قد أمر بافتتاح هذه الجامعة على حسابه الخاص وهي الآن تستقبل عدداً كبيراً من الطلاب وما زالت تتطور حتى اتسعت رقعتها وزاد في بنايتها الملوك بعد سعود واتسعت حتى لقد حدثني بعض الموظفين فيها أنَّها بلغت مساحتها سبعة ملايين متر مربع وأنَّ صالة الطعام اتسعت لثلاثة آلاف طالب. وإليك النشرة التي تتعلق بميزانيتها حالة التأسيس: بعونه تعالى نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية تقديراً منَّا لما لنشر العلوم الإسلامية من أثر نافع في تثبيت دعائم الدين والنهوض بالأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ورغبة في إبلاغ الرسالة الإسلامية من حيث أننا استهدينا لهذه الغاية ما زلنا عاملين على تشجيع التعليم ونشر المعارف، وحرصاً منَّا على السير على هدي القرآن وسنة رسول الله وسيرة السلف الصالح وابتغاء

مرضاة الله وثوابه، أمرنا بما هو آت:

المادة الأولى: إنشاء جامعة إسلامية بالمدينة المنورة تسمى الجامعة الإِسلامية.

المادة الثانية: تعتمد الجامعة الإِسلامية في مواردها على الأموال التي تقرر لها من خاصتنا الملكية.

المادة الثالثة: تقررت ميزانية الجامعة الإِسلامية في العام الدراسي ٨١ ـ ٨٢ بمبلغ ثلاثة ملايين ريال سعودي تؤدى من خاصتنا الملكية.

المادة الرابعة: يكون القبول للطلاب السعوديين وغير السعوديين بالجامعة الإِسلامية وسير الدراسة ومناهج العلوم التي تدرس فيها حسب الشروط والأوضاع الواردة في النظام الأساسي للجامعة الإِسلامية ولوائحها.

المادة الخامسة: يعمل بأمرنا هذا من تاريخ صدور ونشره في الجريدة الرسمية. التوقيع الملكي الكريم: سعود.

جرت تعديلات وزارية حسب الأمر الملكي يعين فيصل بن تركي بن عبد العزيز وزيراً للداخلية، ويضم إلى نجل الملك محمد بن سعود وزير الدفاع مهام وزارة المالية والاقتصاد الوطني بالنيابة لحين صدور أمر آخر، ويعهد إلى ناصر المنقور بوزارة العمل والعمال والشؤون الاجتماعية إلى جانب عمله، ويعين عبدالله السعد وزيراً للمواصلات، ويعين إبراهيم السويل وزيراً للخارجية، ويعين بدر بن سعود نجل الملك أميراً لمنطقة الرياض. وذلك بتاريخ ١/ ٤.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

الشيخ عبدالله الخليفي وهذه ترجمته: هو الشيخ عبدالله بن صالح بن عبد الرحمن بن منصور الخليفي قيل إنَّ قبيلة المترجم ينتمون إلى الأكراد وهي عشيرة في البكيرية. فخاله الشيخ محمد الخليفي وابن خاله الشيخ عبدالله بن محمد الخليفي إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة. ولد المترجم رحمه الله في مدينة البكيرية عام ١٣٠٠ فتعلم في مسقط رأسه على مقرىء فيها كتاب الله عزَّ وجلَّ ومبادىء الكتابة. وأخذ يتعلم على خاله محمد ثم أنَّه سار إلى مدينة حائل فأخذ عن علمائها ومن أخذ عنه الشيخ عبدالله بن مسلم التميمي، وهو وإن كان عالماً ويصفه بعض العلماء بالعلم والمعرفة أعني شيخه ابن مسلم هذا فإن بعض العلماء يصفه بمنافرته لعلماء نجد وميوله إلى آل رشيد لأنَّه كان قاضياً في حائل ومخلصاً لهم. وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن صالح المرشدي نزيل حائل وجد واجتهد حتى أدرك وجلس في مسجد العليا بحائل للتدريس ونشر العلم وكان مرحاً دمث الأخلاق حسن العقيدة والسلوك حنبلي المذهب. ولمَّا أن راوده الملك عبد العزيز على القضاء لأول مرة أبدى اعتذاراً لدين كان عليه فقال له: يا الخليفي إني إنَّما وظفتك رأفة بك، وإلاً فإني أجد سواك. أليس شيخك ابن مسلم. فانقاد ونال من حكومته كمال الثقة فقد جعل قاضياً في المدينة المنورة ثم نقل إلى قضاء الجوف ثم نقل إلى قضاء الطائف. وكان إلى جانب القضاء يدرس في مسجد الهادي بالطائف. ولمَّا أن أسست دار التوحيد عُين مدرساً فيها ثم كان مدرساً في المعهد العلمي، وآخر وظيفة نالها قضاء حائل. وكان قد اعتذر لكبر سنه ثم خضع لأوامر حكومته وبقي في القضاء حتى مرض في مدينة حائل فسافر إلى المنطقة الشرقية للعلاج، وتوفاه الله في الخامس والعشرين من شعبان رحمة الله عليه. وله مؤلفات منها تكملة الرحبية في الردّ وذوي الأرحام والقسمة ومنها مؤلف في

الفرائض مطبوع كما أنَّ له معرفة بعلم الفلك. أمَّا تلامذته الذين أخذوا عنه فخلق كثير وجم غفير نذكر بعضاً من كل: فمنهم عبد الكريم الخياط، وعلي بن محمد بن هندي، وعبد الرحمن بن محمد بن شعلان إمام المسجد الحرام وقاضي المستعجلة، وسليمان بن عطية، وعبد العزيز بن محمد العريفي صديق أخينا عبد المحسن وقاضي بارق، وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن مسند، وعثمان بن إبراهيم الحقيل، ومحمد الصالح المرشد، وعبد الرحمن بن محمد الدخيل، وصالح الناصر المفتي بالإِذاعة، وصالح بن عبد الرحمن العدل، وعبد العزيز بن عبدالله بن عبدان، وعبدالله بن جبير، وعبدالله بن خزيم، وعبدالله بن عبد الرحمن بن شلاش، وسليمان بن عبد الرحمن بن شلاش، وعبدالله بن عبد الرحمن البسام، وعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله بن عبد اللطيف، وحمد بن محمد الشاري، وأناس كثيرون. أمَّا عن صفته فكان طويل القامة، نحيف الجسم، قمحي اللون، نحيف الجسم، قمحي اللون، حلو المناقشة، جم التواضع، ولديه فكاهات مع الأحباب، ولديه علم غزير ومعرفة بأحكام الشريعة ولا سيما الفقه وله تمسك بالدين ومعرفة بعلم العروض فكان قارعاً للشعر.

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ ابن حسين، وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الفقيه الزاهد المتعفف أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن حسين بن صالح بن حسين بن عبدالله بن إبراهيم آل أبالخيل من المصاليخ من قبيلة عنزة. ولد عام ١٣٠٨هـ في قرية المريدسية من قرى بريدة في القصيم فعاش في أحضان والديه، فأبوه عبدالله الحسين عالم مشهور في القرية المذكورة. ولمَّا أن تمَّ له من العمر عشر سنين أدخله عند مؤدب القرية حتى حذق القراءة والكتابة ثم أنَّه لازم والده الشيخ عبدالله بن حسين وأخذ عنه مبادىء العلوم وجدّ واجتهد وأخذ عن الشيخ عيسى بن محمد الملاحي وكانت هناك فتن وزعازع ومحن وحروب حالت دون استمراره في مواصلة

الدراسة. ولما هدأت الأحوال وأمن الله عزَّ وجلَّ أهل نجد بولاية الملك عبد العزيز لم يلبث والده أن توفي فانتقل المترجم إلى مدينة بريدة حيث أخذ يطلب العلم ويدرس القرآن على الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم ولازمهما في تعلم التوحيد والفقه والحديث واللغة والنحو والفرائض وغيرها من سائر العلوم، وما زال يدأب في الطلب حتى بلغ الغاية القصوى في ذلك. وكان الشيخ عمر يستخلفه في القضاء في حال غيابه. أمَّا الوظائف التي نالها فقد جعل في هجرة تسفي وجعل في قرية الجعلة إماماً وخطيباً ومرشداً ويحل مشاكلها. ولمَّا أن توفي قاضي عنيزة عبدالله بن محمد بن نافع سنة ١٣٦٠هـ ولاه الملك عبد العزيز قضاء عنيزة ولكنه لم تدل إقامته فيها لخلاف حصل بينهم، فقد أعفي من قضائها في منتصف شعبان من العام المقبل بحيث رجع إلى بريدة. والباعث لذلك أنَّه أراد أن يقيم جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمر بتفقد الجماعات في صلاة الفجر وسلك طريقة الحزْم من دون حكمة فتوترت العلاقات وكثرت الشكايات ضده. وبعدما قدمت لجنة من الرياض للنظر في الموضوع طلب الإِعفاء من تلك الوظيفة، وذلك لأنَّه كان صريحاً قوياً. وقد أسف لفراقه رجال من الأهالي. ثم أنَّه لما توفي الشيخ القاضي عمر بن محمد بن سليم طلب كبراء مدينة بريدة من الملك عبد العزيز أن يولى قضاء القصيم فجاءت الموافقة على ذلك وباشر مهمته في ١٨/ ٤ عام ١٣٦٣هـ وشغل هذه الوظيفة واستمرَّ إلى شهر رمضان من السنة المذكورة أي أربعة أشهر و١٥ يوماً تقريباً حيث عزل عن القضاء وجعل مكانه الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد. فاختار لنفسه العافية وأن يكون معتزلاً ليقضي بقية حياته في إمامة مسجده بجوار بيته. وكان صريحاً في الحق لا يخشى ملامة لائم مع قوة وقلة مداراة وذا هيبة لأنَّ له شخصية بارزة. وقد لا تكفي القوة وحدها في بعض الأحيان لإِدراك المقصود. وكانت هذه الخصال هي السبب

الذي جعله لا يستمر في قضاء المدينتين بريدة وعنيزة وكان قليل الغضب سمح الخلق مقلاً من الدنيا من يجالسه لا يمل حديثه وكريماً يتفقد الضعفاء من جيرانه وأقربائه ويتعهد الفقراء والمساكين ويحب الوحدة والجلوس في المسجد والتفرغ للعبادة ويحج كل عام. وكان لما ترك القضاء في عنيزة وانسحب من دون تعزيز لموقفه رأى ولي الأمر من ذلك أنَّه بخلاف ما يظن فيه من الدهاء والمعرفة فلم يوافق على جعله قاضياً في العاصمة إلاَّ إجابة للأهالي الذين طلبوا ذلك. وفعلاً كثرت الشكايات والمخالفات ضده. ولمَّا أعفي من قضاء بريدة أجرى له الملك عبد العزيز مساعدة شهرية لتأمين معيشته وإكراماً له واحتفاظاً بكرامته. ثم أنَّه أخذ يؤلف حاشية وزوائد لزاد المستقنع وجعل من ذلك كتاباً ضخماً خدمة للعلم وطلاب العلم. ولمَّا أن أوشك أن يتمه عرض عليه بعض الأجواد أن يطبعه على نفقته وألح عليه آخرون، غير أنَّه أحب أن يطبع الكتاب من حاله الخاص وقام بجمع لطبعه نفقات منذ مدة طويلة ودفع النفقة كلها قبل وفاته وأمر أن يكون الكتاب وقفاً لوجه الله تعالى وأن يوزع على طلاب العلم وقد بدىء بطبع الكتاب قبل وفاته لشهر وأقر الله عينه بذلك لأنَّه عمل صالح. وفي الحديث عن النبيِّ ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له». وقد جمع شوارد في كتابه هذا المسمى الزوائب وبذل جهوداً يشكر عليها وأبرزه على وضعه ذلك ولكل إنسان نظر وذوق، وقد أعيد طبعه ولكنه لم يجد عناية وخدمة بحيث لو كان في ثلاث مجلدات بالحرف الكبير لكان أحسن. وجزى الله من أعاد طبعه.
وقد ذكر المؤلف أنَّه فرغ من حاشية الزاد في ١٣٧٢ ومن حاشية الزوائد في ١٣٧٣هـ. وكانت وفاة المترجم في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان من هذه السنة في مدينة بريدة فصلَّى عليه المسلمون في الجامع الكبير ودفن فيها. وأبدى المسلمون أسفهم الشديد لذلك. وقد خلف من الذرية بعد مماته

ذكراً واحداً وهو عبدالله وأربع بنات. رحمة الله على الشيخ محمد الحسين وغفر له وتغمده بمغفرته.

وممن توفي فيها من الأعيان الأجانب السكرتير العام للأمم المتحدة. داج همر شولد. كانت وفاته في شهر ربيع الثاني في عشره الأولى وتصف آلامه مصرعه بأنَّه كارثة قابلها العالم بصفته رجلاً محباً للسلام وموسوماً بالعدل بالحزن والأسى. ويذكرون له مواقف في العدل وخدمة قضية السلام وأنَّ من خدماته التي لا تنسى وأبرزها موقفه الرائع العظيم في الحرب الثلاثي العدواني على قناة السويس في سنة ١٣٧٦هـ حينما قدم استقالته من منصبه إذا لم ينفذ وقت إطلاق النَّار على مصر في ذلك القرار الذي اتخذته الأمم المتحدة يومذاك، هذا إلى جانب مواقفه الكثيرة من قضايا السلام. وقد حامت الظنون حول مقتله لأنَّ قتله فيما يزعم أهل الآراء خسارة لقضية السلام بصفته الأمين العام للأمم المتحدة ومن أين يكون مثله لمقامه.

وفيها سقط بيت في حارة الخبيب من بريدة في آخر الليل على أهله فكانوا ضحية لهذا الحادث وماتوا كلهم سوى صبي كتبت له النجاة وكان الذين هلكوا تحت أنقاض البيت أربعة وذلك في ليلة ٢٢/ ٧ الموافق للجمعة منتصف الليل يصلى على جنائزهم جميعاً في جامع بريدة الكبير بعد صلاة الجمعة. إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

إضاءة مدينة بريدة بالكهرباء

في هذه السنة بعدما أصدرت شركة كهرباء بريدة في مستهلها بعض التعليمات الخاصة بتسليك المنازل موضحة الوسائل التي يجب على المواطنين اتباعها في تسليك منازلهم وتجنبهم أخطار الكهرباء وذلك لقوة خط ٢٢٠ وتمهيداً لإيصال التيار الكهربائي إلى المنازل نظراً للانتهاء من تركيب المكائن الخاصة بالشركات وقرب العمل في انتهاء الشبكة. فكانت

الأمة جادة كل في تسليك منزله وكانت فرصة للعمال الأجانب الذين انتهزوا هذه الفرصة. أمَّا الذين يجلبون المعدات من أسلاك وقسامات وأكواع وطبلونات وأفياش وطفايات فهي فرصة أيضاً. وجلبت إلى القصيم لأول مرة أنواع الثريات والنجفات والمكيفات والثلاجات، وقام المهندسون يدأبون في مواصلة الأعمال. ولمَّا أن كان في أوائل شهر ذي القعدة عام ١٣٨١هـ لمعت أنوار الكهرباء في مدينة بريدة واستصبح النَّاس بها في الأسواق والشوارع والبيوت ورؤوس المنائر واستخدمت مكبرات الصوت للخطب والأذان. وقد لعب تجار الكهرباء وذوو التوريدات دوراً في ذلك وأصبحت المدينة تتمتع بضياء في الليل كضياء النهار واستوت المساجد والبيوت في هذه المصلحة كما استخدمت المراوح والبرادات والغسالات والدفاءات ومكبرات الصوت في النوادي والاحتفالات وجلبت الديموات لرفع الماء من الآبار ومن أسفل إلى علو، وخطت مدينة بريدة بذلك خطوات تقدمية. وبهذا تصبح مكائن الخياطة لا تحركها الجوارح بل يحركها التيار الكهربائي كما كان صالحاً لتشغيل المذياع وغيره فتكون الأفياش قابلة لأن تخرج البرودة والحرارة وتشغيل كل آلة تتصل بها من مخض الألبان وطحن البن والبهارات وأصبحت الكهرباء من ضروريات الحياة بحيث إذا انطفأت الكهرباء فإنَّها تتوقف المصالح. وقد سبق استخدام الكهرباء بمدينة الرياض والمنطقة الشرقية والحجاز في مكة المكرمة والمدينة المنورة وانتشر في سائر الجزيرة لوقت قريب. فقد رأيت في عام ١٣٥٢هـ في مكة المكرمة رحى يدوّر بها حمار قد حزمت عيناه بخرقة وهو يحرك تلك الرحى لطحن القمح وإخراج الدقيق لأنَّه لم يكن إذ ذاك فيها، وهي المتقدمة في الحضارة، شيء من هذه المستحدثات. فما كان إلاَّ عشية أو ضحاها حتى جلبت هذه المستحدثات التي وفرت للأمة راحتها. والله على كل شيء قدير وكانت السيارات قبل ذلك الوقت بسبع سنين لا يركبها إلاَّ الملوك والأمراء

والمعظمون فقد حدثني الثقة الأخ عبد العزيز بن محمد بن مضيان أنَّه في حال كونهم وعاظاً ومرشدين في المسجد النبوي عام ١٣٤٥هـ ينهون عن الحلف بالأمانة وينهون عن التوسل بالنبيّ أو ندائه كما هي حالة الحجازيين قبل ولاية الملك عبد العزيز إذا أراد شيوخهم النهوض للقيام يقول: يا رسول الله أن يقول بالنبي فكانوا ينهونهم عن ذلك ويبينون أنَّ الإستغاثة تكون بالله والحلف به أو بأسمائه وصفاته. قال: فقال لي أحدهم لله دركم يا أهل نجد حلفكم بالله واستغاثتكم به فوالله وبالله وتالله ليدخلن فساقكم الجنة على أتَنْبِيْلات بكرامتهم عند الله عزَّ وجلَّ. وبما أنَّ الكهرباء والماء قد توفروا في القصيم فهم يطالبون بوضع مصلحة التليفونات ومد خطوط تربط المدن بعضها ببعض. ونسأل الله تعالى أن يقوي جانب الدين ويرشد المسلمين لما فيه قوة الإسلام. وما تقدمت أمة إلاً بتحكيم كتاب الله وسُنة رسوله محمد ﷺ. ولو أخذ النَّاس بتعاليم الدين وثبتوا على مبادئهم وتركوا تعشق آراء الغربيين والمنحرفين عن الشريعة المحمدية لأفلحوا ونجحوا وقهروا عدوهم ولأصلح الله شأنهم. وأملنا عظيم في ملوك الإسلام أن ينشروا دعاية للإسلام وتحبيذ نهجه ويسيروا في أممهم على ما كان عليه سلفهم الصالح.

وفيها في أواخر السنة تمَّ تركيب الخطوط التليفونية ووضع السنترال في مدينة بريدة وأصبحوا يتخاطبون بها في الدوائر والمحطات والبيوت وغيرها ولا تزال الأمة تطلب التوسع في مصلحة التليفون. وقد أوجدت في هذه السنة أنواع المسجلات والمستحدثات الحديثة.

هذا ولا تزال العمادة مستمرة في المسجد الحرام زاده الله تشريفاً وتكريماً وقد أتى المقاول محمد بن عوض بن لادن بجميع ما يتطلبه الموقف من مهندسين وعمال واستقدم لذلك معدات تقوم بعمل جبار لإكمال الخطة التي رسمت له، ولا يزال العمل قائماً على قدم وساق وصرفت مبالغ لأصحاب

العقارات التي هدمت لتوسعة المسجد الحرام بما كانت مساحة التوسعة ٧٥٠٠٠ متر مربع ليتسع الحرم لحوالي نصف مليون من المصلين. ولقد أحس النَّاس من تلك الآونة بالراحة أثناء أدائهم للشعائر الإسلامية في تلك المواضع المقدسة ولا سيما المسعى الذي كان داخل الحرام مقاماً من طابقين وبفتوى العلماء كان الحجاج والعمار يسعون في الطابق الأعلى مع الأسفل وبلغت التعويضات التي دفعت لأصحاب الأملاك هناك ما يزيد على مائتي مليون ريال سعودي. وسيأتي لذلك بقية.

أمَّا عن الإصلاحات الأخرى في هذه السنة والتي قبلها فمنها مستشفيات متنقلة وعددها أربعة بلغت قيمتها مليون وثمانين ألف ريال وذلك للبادية والقرى النائية وبلغت تكاليف هذه المستشفيات المتنقلة سنوياً أربعمائة ألف ريال. أمَّا الابتعاث إلى الخارج فقد نفذت سياسة جديدة في العام الماضي من ابتعاث الطلبة إلى دول مختلفة فتوجهت بعثات علمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإيطاليا وألمانيا وسويسرا والجمهورية العربية حتى بلغ مجموع الطلاب السعوديين في الخارج حتى يوم ٢٠/ ٤ من العام الماضي ١٠٦٧ طالباً.

وفيها شرع في عمارة ثلاثة مساجد في القصيم أقيمت من الأسمنت المسلح.

وفيها جرت محاولة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر ولكنها فشلت وذلك لأنَّه قام ستة من الضباط المصريين أثناء إبحار جمال والرئيس تيتو على ظهر اليخت لتنفيذ هذه الخطة. وقد أُلقي القبض على الضباط الستة وأعدموا فوراً رمياً بالرصاص. وقد تقدم هذه المحاولة محاولتان في العام الماضي لكنهما أيضاً فشلتا، إحداهما في اليوم ٢٦ يوليو وهو يوم ذكرى الثورة المصرية. وقد أُعدم زعيم هذه المحاولة طارق مسعود والثانية بعد

انفصال سوريا عن مصر، وأُعدم الثائرون وعددهم خمسة عشر ضابطاً.

وفيها عاد الملك سعود بن عبد العزيز من سفره للعلاج. وكان قدومه في يوم الأربعاء ٢/ ١٠ فهرعت جموع الشعب واستقبل استقبالاً حافلاً وأقبلت إليه في جدة عن طريق الجو أصحاب السمو الأمراء كما أنَّه استقبل في مكة والرياض ولما أن كان في اليوم التاسع من شوال أصدر جلالته خطاباً إلى ولي عهده فيصل بن عبد العزيز برقم ٤٢: من سعود بن عبد العزيز إلى حضرة صاحب السمو الأخ المكرم فيصل بن عبد العزيز السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإننا نحمد الله الذي أعادنا إلى هذا الوطن بالصحة والعافية بعد أن قمتم عنَّا بالنيابة مقاماً محموداً أنتم جديرون به، ثم إننا رغبة منَّا في التعاون على ما فيه مصلحة الدولة، ونظراً لما نعهده فيكم من إخلاص ودراية وحكمة، وبالنظر لما تقتضيه المصلحة العامة، فأمر بما هو آت: أولاً: يشكل مجلس الوزراء برئاستنا. ثانياً: أن يكون سموكم نائباً عنَّا في مجلس الوزراء وشؤون الدولة في حضورنا وغيابنا. والله ولي التوفيق. التوقيع سعود؟

وصدر أمر ملكي أيضاً رقم ٤٣ تاريخ ٩ شوال من هذه السنة بأنَّه بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة بعد الاطلاع على المادة ١١ من نظام مجلس الوزراء الصادر بالمرسوم رقم ٢٨ تاريخ ٢٢ شوال سنة ١٣٧٧هـ، أمرنا بما هو آت... أولاً: يشكل مجلس الوزراء برئاستنا على الوجه الآتي. ثم قال: يكون فيصل نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للخارجية، ومساعد بن عبد الرحمن وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني، وفيصل بن تركي وزيراً للداخلية، ومحمد بن سعود وزيراً للدفاع، وأحمد جمجوم وزيراً للتجارة والصناعة وأحمد يماني وزيراً للبترول والثروة المعدنية، ومحمد المرشد الزغبي وزيراً للمواصلات، ومحمد الحمد الشبيلي وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية، وحسن بن عبدالله بن الشيخ وزيراً للمعارف وعبد الرحمن بن الشيخ وزيراً للزراعة، وحامد هرساني وزيراً للصحة، وحسين عرب وزيراً

لشؤون الحج والأوقاف ثم قال ثانياً: يلغي أمرنا هذا جميع ما يتعارض معه من أوامر سابقة ويعمل به من تاريخ صدوره. التوقيع الملكي سعود.

ثم أصدر أمراً ملكياً رقم ٤٥ تاريخ ١١ شوال منها بتعيين عبد الرحمن أبالخيل وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية.

وفيات الأعيان ذكر من توفي فيها فمنهم الأمير محمد بن سعود بن عبد الرحمن آل سعود بعد ظهر يوم الأحد الموافق ٢٠/ ١٠ ويوصف بالصلاح وحب الخير وقد شيعه العلماء والأمراء والأعيان إلى المسجد للصلاة عليه وإلى مثواه الأخير رحمه الله وعفا عنه.

وفاة علم في الحكومة لما كان في صباح يوم الخميس الموافق ١٥ ذي القعدة توفي يوسف ياسين رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته: هو العالم الأديب الحي النبيل ذو المعرفة والنباهة والإخلاص للحكومة السعودية يوسف ياسين اللاذقي السوري من أهالي سوريا سكرتير جلالة الملك الخاص ورئيس الشعبة السياسية الذي يسعى في عقد الاتفاقيات بين المملكة السعودية وسائر الدول. فقد عقد وأبرم أربعاً وستين اتفاقية مع الدول والحكومات ما كان به موضع الثقة والتقدير من جلالة الملك عبد العزيز. وناهيك به ناهية وعلماً وسياسة. وكان الشيخ يوسف قد عرف بالإخلاص للدولة السعودية وله جولات في السياسة والأدب تذكرها له المحافل الدولية وجريدة أم القرى حيث قام بإدارتها والإشراف عليها في أول عهد الملك عبد العزيز بالحجاز وقد سجل له التاريخ خدمة عظيمة لهذه البلاد أكثر من أربعين عاماً لم يعرف خسارة كبرى في حق المملكة، أضف إلى ذلك أنَّه نزيه العرض مخلص لدين الإسلام مع أنَّه كان متفانياً في حب الملك الراحل عبد العزيز وعقبه وكان رفيق الملك عبد العزيز في أسفاره ومهماته كما في طلب الدويش لما فرَّ إلى الإنكليز للاحتماء بها. وقد وضع مقدمة لفتاوى

شيخ الإِسلام ابن تيمية في طبعتها الأخيرة، ورأيت له كتاباً أدبياً عن المرحلة الملكية من الرياض إلى مكة المكرمة في فتحها ونزول الملك منزلاً منزلاً وشده ورحيله بموكبه الكريم. أمَّا عن حياته فهو يوسف ياسين بن محمد ياسين كانت ولادته في موطن آبائه وأجداده وعشيرته في اللاذقية من أعمال سوريا. أخذ في الدراسة بمدرسة ابتدائية ولما بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة وذلك في عام ١٣٢٢هـ دخل في دراسة دينية على عالم أزهري قدم إلى وطنه من مصر فتعلم منه القرآن والتجويد والنحو والصرف ثم أنَّه ذهب إلى مصر والتحق في مصر بدار الدعوة والإِرشاد التي كان المشرف على إدارتها العلامة محمد رشيد رضا. ولما أن وقعت الحرب العالمية الأولى وأغلقت هذه الدار رجع إلى سوريا حيث درس في الجامع الأموي ثم التحق بمدرسة صلاح الدين الأيوبي ثم اشترك في الثورة على الأتراك لتخليص بلاد الشام من حكمها والتفَّ مع الحسين ثم ذهب إلى ابنه عبدالله في شرق الأردن وبعد ذلك التحق بجلالة الملك عبد العزيز وذلك في أوائل سنة ١٣٤٣هـ وظلَّ في خدمته ونال منه الثقة وجد وجاهد وعمل في الحقل السياسي منذ أن خدم في الدولة السعودية وشارك الملك في جهاده وشارك رجال الملك في جهادهم وعمل أعمالاً يشكر عليها في تقدم البلاد ونهضتها. وما زال في نشاطه ودهائه وإخلاصه حتى ثقل في هذه السن فتوفاه الله تعالى بمدينة الدمام على إثر نوبة قلبية فنقل جثمانه إلى الرياض وصلَّى عليه جمع من العلماء والأوامر يتقدمهم سمو الأمير فيصل ولي العهد المعظم إذ ذاك وحضر جنازته جمع كثير من الأعيان وكان وزيراً مفوضاً في حكومة جلالة الملك ومستشاراً معظماً أكثر الله رجال الإِخلاص وغفر له. ثم أنَّه صدر أمر ملكي بتعيين إبراهيم السويل مستشاراً خاصاً لجلالة الملك المعظم ورئيساً للشعبة السياسية بالديوان الملكي وذلك برقم ٥١ تاريخ ٢٤ ذي القعدة من هذه السنة؟.

وفاة رجل من الرجال والرجال قليل

ففيها في ليلة الجمعة يوافق ٢٨ ربيع الأول توفي إبراهيم البليهي رحمة الله تعالى عليه. وهذه ترجمته: هو الأديب الحافظ النبيه أبو صالح إبراهيم بن محمد بن مانع بن محمد بن عبدالله البليهي من قبيلة الدواسر نسبة إلى دوسر من الفخذ المشهور بالوداعين وينتهي نسب دوسر إلى قحطان على ما ذكره كثير من علماء النسب. وهذا الفخذ نزلوا قديماً في بلد الشماس شمال بريدة منفصلاً عنها قديماً. أمَّا في هذا الزمان فقد اتصلت به بريدة وكان هذا الموضع له شهرة عظيمة بحيث يقول شاعرهم:

لي ديـرة عـنـهـا الموازيـن قـبـلـه   شر فيها المرقب ومجرى الفواجر
يـا مـا دخـلـنـا غـبـة الموت دونهـا   ويا ما ضربنا بالسيوف البواتر

ويبالغ بعض الرواة عن قوة بلد الشماس وقد يجري بينهم وبين أهالي بريدة قتال وذلك لأنَّ أهالي بريدة في بعض القتال كمنوا في المقطر لأهل الشماس في يوم عيد الأضحى وقتلوا من أهل الشماس عدة رجال من مشاهيرهم ويقول الشاعر الدريبي أمير بريدة يفتخر على أهل الشماس:

حـنـا ضـحـايـانـا مـهـنـا وكـديـان   وأنـتـم ضـحـيـاكـم كـبـاش سـمـان

ويقول أيضاً:

ضـحـيـة المقـطـر مـهـنـا وكـديـان   وعثمان الشيخ الشجاع العقيدة

والمراد بكديان جد البليهي بحيث نقول عبدالله بن بليهي بن كادي بن شماس بن فطاي الودعاني الدوسري وعثمان هو أمير الشماس وبقايا مرقب الشماس الذي ظلَّ قائماً ما يقرب من مائتي سنة تدل على قوة أهله وأنَّ فيهم عبرة بحيث لم يبق من آثار بلد الشماس بقية كأنَّهم ما أكلوا فيه ولا شربوا.

وقد قدمنا عن الفواجر واحدها فاجرة[1] وهي وادي يجري إذا ما كثرت الأمطار كما في عام ١٣٦١هـ. أمَّا عن الشماس فيقول ابن غنام في حوادث ١١٩٦هـ إنَّهم قاموا على أميرهم علي بن حوشان وقتلوه وقتل أهل الخبراء إمامهم في الصلاة منصور أبالخيل يوم الجمعة وهو ذاهب للصلاة، قطعوا منه الوريد وهو للصلاة مريد، وقتل أهل الجناح رجلاً من أهل الدين مكفوف البصر وصلبوه بعصبة رجله وفيه رمق من الحياة ويقول ابن عيسى في مقتطفاته: إنَّ الرجل الذي قتله أهل الجناح يقال له البكري وعلقوه بعصبة رجله في خشبة وأن حجيلان بن حمد خرج بأهل بريدة إلى بلدة الشماس فقاتل من وجده فيها وهرب أهلها ولما أن هرب آل بليهي من حملة الهاربين انتقلوا منه إلى الشماسية. رجعنا إلى ذكر المترجم فنقول: ولد سنة ١٣٠١هـ في بلد الشماسية التابعة لمدينة بريدة ثم إنَّ والده طلق زوجته والدة المترجم فتزوجها بعده عبد العزيز بن حنيشل من أهالي مدينة بريدة فكان المترجم مع والدته ونشأ نشأة طيبة فتعلم القرآن الكريم والكتابة في إحدى مدارس بريدة الأهلية وذلك في زمن قصير لما له من الذكاء والفطنة والفهم المتوقد ونال حظاً جسيماً من تقدير بني جنسه له ثم أخذ يتعلم في الأصول الثلاثة وكتاب التوحيد ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه على علماء القصيم الأجلاء محمد بن عبدالله بن سليم وعبدالله بن فداء وعبدالله بن محمد بن سليم وعمر بن محمد بن سليم، ونهل من معين هؤلاء المشائخ العلماء، وأخذ عن الشيخ ناصر بن سليمان بن سيف. وقد راوده الأمير صالح الحسن بن مهنا على أن يكون له كاتباً لأنَّ خطه كان جميلاً فلم يوافق. ولما أن توفي زوج والدته ابن حنيشل

(١) الفاجرة مشتقة من الانفجار لا من الفجور، وهي واد يأتي من جهة الشمال فإذا ما جاوز الشمال اتسع متجهاً إلى الجنوب فيهبط إلى شارع الخبيب ويحتاج إلى عناية وتعرْيف لتكون الأمة في مأمن منه.

المذكور رجع إلى مسقط رأسه قرية الشماسية فأقام فيها يمارس البيع والشراء، وقد يتولى أعمال الزراعة والحراثة والفلاحة ويزاول أعمالها لأنَّ أسرته إذ ذاك فيها. ولمَّا أن كان في سنة ١٣٣٨هـ انتقل بعائلته إلى مدينة بريدة لأنَّه قد تزوج إذ ذاك وولد له أولاد، فعمر بيتاً في جنوبي بريدة وسكنه وفتح دكاناً للبيع والشراء يسترزق الله ويستمطر سحائب كرمه، ثم أنَّه ترك ذلك وانتقل إلى الحراثة والمساقاة فسكن في مزرعة في صباخ بريدة المسمى فيحان وكانت هذه المزرعة من أكبر ضيعة إذ ذاك في فيحان، وتعرف بمزرعة عيسى فكان فيها ما شاء الله ثم أنَّه عَنَّ له بعد ذلك أن يمارس التجارة في السفر والضرب في الأرض لطلب الرزق فترك الزراعة وجعل يسافر بالتجول من بريدة إلى الرياض والإحساء وإلى الخليج العربي، وذلك في عام ١٣٤٦هـ. واستمرَّ على ذلك أربع سنوات ويصحبه نجله صالح بن إبراهيم. ولما أن كان في سنة ١٣٥٠هـ انتدبه الملك عبد العزيز لخرص نخيل الإحساء فكان يزاول هذا العمل بتمام المقدرة والعلم والمعرفة ثم أنَّه ترك ذلك ورأى أن يعمل في الحراثة والفلاحة لأنَّه يؤثر ذلك وله حظ من الزراعة والفلاحة ولما في ذلك العلم الخيري من صدقات وإحسان يجود بها الضمير وقد لا يجود لأنَّ بعضها يخرج بالغلية ويثيب الله صاحبه وتصل إلى كل ذي كبد رطبة من البشر والطيور والبهائم. ولما منحه الله تعالى من سخاوة النفس ورحابة الصدر في وقت كانت الأمة بحاجة إلى ذلك ففلح النخل المسمى بالشقيري ملكاً كان لمنصور بن رميح على ضفة مدينة بريدة الغربية. وبصفته كذلك فإنَّه أصبح مأوى لطلاب العلم وأهل الفضل ينتابونه للوضوء والاغتسال والزيارة والذكرى لأحاديث الرسول وسيرة السلف الصالح. وكان الشيخ عمر بن محمد بن سليم يخرج مساء في تلك الآونة فيتوضأ ويغتسل من تلك المياه وكان الفلاح إبراهيم بشوشاً بكل من يراه في النخل ثم أنَّه رأى أن يغرس غراساً وأشجاراً عملاً بقوله ﷺ: «من نصب

شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له في كل شيء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عزَّ وجلَّ». فمن توفيق الله له أن اشترى موضعاً في التغيرة من محمد السديري وهو نصف ملك العدوان بقيمة زهيدة ستين ريالاً وذلك لما سمع برغبتهم قبل ذلك في حفر بئر إرتوازية ليأتوا بمعدات من بعض الجهات الخارجية، ولعله أن يكون ذلك من أسبابه هو وكانت التغيرة المعروفة ببريدة إذ ذاك صحراء قاحلة تقع في الجهة الشمالية على مسافة نصف ساعة للراجل وفي سبيل الذين يذهبون إلى شعيب الودي للنزهة أوقات الأمطار، فاحْتفر بها بئراً عام ١٣٥٦هـ وعزم على حرثها وسكناها وكان يقول: كنت أخجل من أن يراني الناس في ذلك الموضع الذي لا أنيس فيه ولا ساكن وكانت مأوى للوحوش والسباع حتى انتقده بعض أهل الآراء والمعرفة قائلاً: (يا إبراهيم إنَّك لما خرجت من الشقيري قالت الأمة: لقد حلق هذا العقاب فعلى أي فريسة يقع فلم نشعر إلاَّ بك تهبط على صعيد تسكنه الوحوش). وقال لي مرة: أنَّها بلغت بي الحال حينما تبدَّى أناس يريدون شعيب الودي وكنا نحفر البئر إن ألقينا فيها الزنابيل والفؤوس والمساحي واختفينا بها حتى جاوزونا ثم خرجت وأولادي من البئر نعمل فعجب الله له وحقق أمنيته وسدد رميته وقارنه السعود فيها وأصبحت منظراً رائعاً تهتز نخيلها وأشجارها وتكفىء الرياح زروعها «واهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأنَّ الله هو الحق وأنَّه يحيي الموتى وأنَّه على كل شيء قدير». وبنى فيها القصور وحدث ولا حرج، وكانوا يبذرون فيها أنواع البذور فتأتي آية في الصلاح والنمو وفجرت فيها الأنهار وكانت الأرض قابلة لكل ما يودع فيها من القمح والبطيخ والقثاء والرمان والذرة والدخن وغير ذلك، ولا سيما النخل وسائر الفواكه. وقامت الأمة يتسابقون إلى مثل ما عمل، وهؤلاء كآل رواف وصالح بن عبد الكريم بن طويان. وما زالت العاصمة تزحف إليها حتى أصبحت إحدى حاراتها، وكانت عائلته لا تزال

مجدة في خدمته وطلب مرضاته ثم أنَّه بعث إليه جلالة الملك عبد العزيز ليكون مراقباً على إحدى فرق العمال الذين يقبضون الزكاة من قبائل عتيبة، فسافر ليكون مراقباً لهذه المهمة واستوعب هذا السفر قريباً من ثلاثة شهور ثم جعله أمير بريدة عبدالله بن فيصل بن فرحان مخططاً لشوارع الخبيب لما أقطعه أهالي بريدة بيوتاً وذلك في سنة ١٣٦١هـ.

ولما أسند إليه هذه المهمة خطط شوارعه على أحسن وضع وجعلها معتدلة واسعة على حسب ذلك الوقت ومنظمة تفوق على سائر شوارع المدينة وقد كان الشيخ عمر بن محمد بن سليم قدس الله روحه، وهو القاضي في القصيم، ينتدبه لمهام الأمور وقد يتولى الفصل بنفسه بين المتخاصمين إذا كان للصلح موضع وإلاً فيأتي بالقضية إليه لحكم الشرع. وبقي رئيساً في هيئة الأراضي حتى توفاه الله تعالى. وكان ينتدبه أمراء عاصمة القصيم في صدقات جلالة الملك وولي عهده لتقسم النقود والأرز والدقيق على القرى وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين. وبذلك كان موضع الثقة لصرفها على الوجه المطلوب. وله إلمام ومعرفة بالتاريخ وأنساب العرب والقبائل وشعوبها وقبائلها ويحفظ كثيراً من أشعار العرب. وقد كتب نبذة في التاريخ والوقعات لأنَّه يحب البطولة والشجاعة وهو من شجعان الرجال وذوي الرأي والمعرفة. وهذا الموضوع في الوقائع التي شاهدها غير أنَّه لم يواصل ذلك العمل وتوقف عنه حوالي عام الوباء الذي يدعى بسنة الرحمة ١٣٣٧هـ لكثرة أشغاله وطلب معيشة. وما زال موضع الإعجاب والثقة من أمته وحكومته لما كان متصفاً به من الرجولة والتواضع وعزة النفس والشجاعة والمروءة وقوة العزيمة والنزاهة والعقل. وهذه صفته: كان ربعة من الرجال مهيباً قوي البنية قليل اللحم إذا رأيته في نشاطه تظنه ابن عشرين، شثن اليدين والرجلين، أبيض قد لوحته الشمس، ولم يفرش طريقه بالرياحين، بل كان صابراً على صدمات الأحجار وملاقات الأهوال، ذا لحية

حسنة، عليه صفات الرجل العربي، ولا يتخلى دائماً عن لبس المشلح، ومقدماً لدى الملوك والحكام والقضاة، وكان ذا محبة لأهل الدين والفضل والخير والصلاح، ويقدر العلماء، ويوالي في الله، ويعادي فيه، وله معرفة بالعقيدة وبصيرة في دينه ودنياه، ويبغض أهل البغي والزيغ والضلال ولا يألفهم مع حنو على الفقراء والضعفاء. وبالجملة فإنَّه يعتبر من خيرة أهل زمانه رجولةً وديناً وكرماً ومعرفةً وبصيرةً. ويعتمد عليه في المهمات وحل المشكلات، ويقوم بقضاء الحاجات وتفريج الأزمات على حسب المقدرة البشرية ويقرض المحتاجين، وينظر المعسرين، ثم أنَّه مرض في آخر عمره مرضاً أورثه ضعفاً في قواه وهو لا يزال يثني على ربه ويديم الشكر له ويلهج بذكره وتلاوة كتابه. ثم إنَّه توفي في اليوم المذكور والتاريخ المتقدم عن عمر يناهز الحادية والثمانين رحمه الله برحمته الواسعة. وكان قد أوصى أن يدفن في مقبرة له قد أوقفها في التغيرة وقد خلف ثلاثة بنين صالحاً ومحمداً وعبدالله. فأمَّا صالح فهو عالم فقيه وله محاضرات يلقيها بين الأمة في المجامع والجوامع ومواعظ وإرشادات. وأمَّا محمد وعبدالله فرجلان صالحان متمسكان بدينهما.

وفيها وجهت وزارة المواصلات إلى أعيان العواصم والمدن في المملكة دعواتها لحضور حفل افتتاح ميناء الدمام الجديد الذي أقيم على شرف حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز. ولمَّا أن قدم هناك وفد مدينة بريدة تقدموا إلى الملك ببعض الطلبات التي تهم منطقة القصيم منها إنجاز خط الرياض إلى القصيم الذي سبق أن أمر جلالته بتعبيده وسفلتته، ومنها تشكيل لجنة لدراسة مهام مشاريع المنطقة وغير ذلك.

سفر الملك سعود لأوروبا

كان الملك قد عاد إلى مملكته ليحج بالمسلمين بالرغم من أنَّ الأطباء نصحوا له باستمرار الراحة استكمالاً للعلاج، ثم أنَّه بعدما تمَّ الموسم سافر إلى أوروبا لتوفر الحمامات الخاصة التي نصح الأطباء بها هناك فغادر مطار جدة في تمام الساعة الثانية والنصف عربي من صباح ٢٨/ ١٢ من هذه السنة إلى أوروبا لإِكمال العلاج.

وفي موسم الحج ألقيت مناشير كثيرة بين الحجاج من أهالي مصر وغيرها ووزعت بين الأمة إظهاراً لما يكنه جمال عبد الناصر ويبطنه من الكيد للإِسلام وأهله وبياناً لما كان يتعاطاه من الأعمال المضادة لدين الإِسلام. وأذاعت بعض الصحف العربية بأنَّه يخشى من انقلاب في مصر لما كان عليه رئيسها من الاستبداد وكثرة الناقمين عليه. وقد انضاف إلى ذلك أنَّه صد باخرة مصرية عن الحج بعدما أحرموا ولبسوا ثياب الإِحرام ولما رجعوا محصرين إلى السويس أبوا أن ينزلوا عن الباخرة وجعلوا يناشدونه أن يعودوا. فبعثت الحكومة السعودية طائرات لنقلهم وإعادتهم إلى مكة للحج.

ثم دخلت سنة ١٣٨٢ هـ

استهلت هذه السنة بتحسن العلاقات بين الحكومتين السعودية والحكومة السورية. وعلمت الأمة على التحقيق ما يقوم به الرئيس جمال عبد الناصر من الأعمال السرية ضد العرب وما يسعى به في إذاعاته من التحريش وما يعمله من تقتيل الأبرياء وبذله مئات الملايين في دعاياته. وقد نشرت إحدى الصحف مقالاً بعنوان: (الاشتراكية كفر بالله) للشيخ محمد بن صالح بن سليم رئيس هيئة التمييز في مكة المكرمة وتوابعها. وهذا المقال طويل أطنب فيه وساق فيه الأثر عن عمر وابن يثرب الضمري. قال: (شهدت خطبة رسول الله ﷺ بمنى فكان فيما خطب به أن قال: «ولا يحل لامرىء

من مال أخيه إلاً ما طابت به نفسه». قال: لما سمعت ذلك قلت: يا رسول الله أرأيت لو لقيت غنم ابن زعمي فأخذت منها شاة فاجتزرتها هل عليَّ في ذلك شيء. قال: «إن لقيت نعجة تحمل شفرة وزناداً فلا تمسها»). والمعنى إن وجدتها معها آلة الذبح والنَّار بحيث لا تتكلف لذبحها ولا لشيها فلا تأخذها ولا تمسها. وهذا مبالغة في عدم جواز أخذها. قلت: ويستفاد منه المبالغة في اجتناب ما ليس لك ولهذا ورد في الحديث الآخر: «من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النَّار وحرم عليه الجنة». فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله فقال: «وإن كان قضيباً من أراك». رواه مسلم. ولما خطب ﷺ يوم النحر في حجة الوداع بمشهد عظيم من الله ومن خلقه قال: «أي شهر هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظنوا أنَّه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس ذا الحجة؟ قالوا: بلى. قال: فأي بلد هذا. قالوا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظنوا أنَّه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس البلدة قالوا: بلى. قال: فأي يوم هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظنوا أنَّه سيسميه بغير اسمه. قال: أليس يوم النحر؟ قالوا: بلى. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا. وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم. ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا فليبلغ الشاهد الغائب فلعلَّ بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه. ثم قال: ألا هل بلغت ألا هل بلغت»، أما قال مدبر الأزمان ومصرف الأكوان في محكم آيات القرآن: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. وقال في الآية الأخرى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾. فقل للذين غيروا نظم السماء وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله: لقد اتبعتم أهواءكم وضللتم إذاً وما أنتم من المهتدين. فراجعوا دينكم وتمسكوا بشريعة نبيكم

عليه الصلاة والسلام. وفي قوله تعالى: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ﴾. وقال: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾. فهل قال: وإلا وضعنا عليكم الاشتراكية؟.

حادثة

في ليلة الثلاثاء من شهر محرم توافق ليلة ثالث الشهر المذكور الموافقة لرابع عشر من برج الجوزاء من هذه السنة، وفي الليلة التي بعدها ليلة الأربعاء هبت رياح شديدة بسموم محرق في منتصف الليلتين وكانت تلك الموجات العنيفة عجيبة بحيث تحدث الشيوخ أنَّهم لم يشاهدوا مثل تلك الموجات منذ ثمانين سنة. وذكر الذين شاهدوا تلك الحادثة في الليلتين أنَّهم رأوا ضوءاً في الأفق من آثار تلك الإعصارات النارية، غير أنَّ الله سبحانه وتعالى لطف بالمسلمين فلم يحصل من جراء ذلك هلاك أو شيء من الوفيات في تلك الليلتين على أحد من المخلوقين. كما أنَّها لم تهلك شيئاً من الأشجار أو من أكوام الزروع التي في البيادر. فللّه الحمد. وكانت تلك الرؤية في بريدة.

خسف حوالي بلدة المذنب

لما كان في يوم الأربعاء ٢٧/ ٤ من هذه السنة سمعت وجبة عظيمة اهتزت لها الأرض ثم ثار غبار على أثرها يشاهد على البعد فخرج أهالي المذنب وما حواليه لذلك وكان موضعه في جنوبي البلد إلى منتهى المزارع في الجهة الشرقية في الجبل. ولما أن خرجت الأمة ليشاهدوا الواقعة إذا بموضعه كالبئر يخسف بخسف منحنى ولا يرى له منتهى قعر بل يُلقى فيه الحجارة ولا تبلغ قعره بحيث لا يسمع لها منتهى. وقد شاهدته رؤية فوجدته مظلماً بانحناء لا يتوصل إلى قعره وكان قد خرج القاضي والأعيان لمشاهدة تلك الحادثة التي أفزعت السكان.

ثورة في سوريا

بتاريخ ١٤/ ١٠ وذلك بأنَّه لما انفصلت عن مصر وأنقذت نفسها لم تأمن الدسائس والكيد لها ولكنها فشلت وقد كثرت الثورات في آخر القرن الرابع عشر الهجري. ولا ريب أنَّ ذلك من أسباب النقص والعقوبات التي نهى عنها الشارع صلوات الله وسلامه عليه. وسنأتي عن قريب بثورة اليمن وانقلاب الحكم فيه بعد وفاة عاهله.

ثـورة العـراق

ففيها في ليلة ١٤/ ٩ قتل رئيس جمهورية العراق عبد الكريم قاسم قام عليه أعداؤه بهجوم عنيف وأعدم بالرصاص ثم أنَّه تولى بعده الرئاسة عبد السلام محمد عارف واتخذ وضعاً جديداً. نسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين لما فيه صلاحهم ويكفيهم شر شرارهم. وقد نجم عن ذلك إزهاق أنفس كثيرة في العراق ما بين ١٤/ ٩ إلى ٢٩ منه حتى قيل: إن الذين قتلوا في هذه الأيام تسعة وخمسون ألفاً.

هـزة فـي إيـران

وقع في شمالي إيران زلزال عظيم دمر أكثر من خمسين قرية وعلم أنَّ الوفيات بسبب هذا الزلزال قد بلغت خمسة آلاف وأنَّ الإِصابات أربعة آلاف ولم تحصر بعد جميع الوفيات والإِصابات التي زادت عن هذا القدر بسبب انقطاع المواصلات بين مكان الزلزال والعاصمة الإِيرانية لأنَّها انقطعت. والله على كل شيء قدير.

البقاء لله وكل شيء هالك إلا وجهه

هلك إمام اليمن. ففيها في اليوم ٢٠ الموافق ليوم الأربعاء من شهر ربيع الثاني توفي أحمد بن يحيى. وهذه ترجمته: هو الملك البطل الهمام

الشجاع الذي لا يوقف في طريقه صرامة وسياسة وبصيرة في أمور الملك وأمور المعرفة أحمد الناصر لدين الله ابن الإمام يحيى حميد الدين بن محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين بن القاسم بن محمد. تولّى زمام الحكم لما اغتيل والده فقام بهجمات عنيفة بصفته رجلاً عاطفياً لا يقف أحد في طريقه وقضى بالإعدام على قاتل أبيه وقلب عرشه المزعوم وكان الخصم قد استعدّ بجميع ما في مقدوره غير أنَّ أحمد لا يقعقع له بالشنان ولا يروع بشيء من الأهوال فشنَّ عليه حرباً ضروساً وأضرمها ناراً وسياسة على ابن الوزير حتى أظلها ليلاً في سادسة النهار، وما زال يضرب بالقنابل ويثير قتام الحرب حتى سلمت صنعاء واستسلم الجاني، ذلك بما لديه من كمال المقدرة وعلو الكعب. وتربع على عرش تحت الحكم وأخضع كل مزاعم وأذل كل مراغم. ولقد استعان خصمه ابن الوزير بكل عربي غير أنَّهم خذلوه وهكذا فرس الباغي عثور ولم يفلح ولم ينجح وتجلت الغمامة بأن كان المترجم استطاع أن يقضي على جميع حركاته وقد قال الشاعر العربي:

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة ما دام للسيف قائم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً ... وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم
تحالف أقوام علي ليسلموا ... وجروا علي الحرب إذ أنا سالم
أفي اليوم أدعى للهوادة بعد ما ... أجيل على الحي المذاكى الصلادم
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم ... فهل أنا في ذايال همدان ظالم
فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقتا ... وتضرب بالبيض الخفاف الجماجم
ولا أمن حتى تغشم الحرب جهرة ... عبيدة يوماً والحروب غواشم
امستبطىء عمرو بن نعمان غارتي ... وما يشبه اليقظان من هو نائم
وكيف ينام الليل من جلَّ ماله ... حسام كلون الملح أبيض صارم

ولد المترجم في عام ١٣١٤ هـ وهو بكر أبيه والقائد العام للجيش

اليماني وولي عهده. وتولى الإمامة سنة ١٣٦٧هـ وكانت العاصمة قبل ذلك صنعاء فاتخذ العاصمة تعز. وما زال قائداً عظيماً طوال سنوات حكمه متقدماً بأمته وبلاده. ولما قام أخوه عبدالله بانقلاب عسكري ضده ليغتصب به عرش اليمن استطاع أحمد القضاء على ذلك الإنقلاب وينكل بجميع الذين قاموا به. ولقد فجعت الأمة العربية والإسلامية بوفاته لأنَّه أحد قادتها وزعمائها وذلك لما أذاع راديو صنعاء بمزيد من الأسى وفاة هذا القائد العظيم. واستقبل العالمان العربي والإسلامي نبأ هذه الفاجعة بكثير من الأسى والحزن. فلقد كان من الزعماء الذين قدموا للأمة العربية والإسلامية جهودهم الكبرى وأعمالهم البناءة في سبيل الرفعة للعرب والمسلمين. وقد قيل إنَّ سبب وفاته أنَّه أطلق عليه الرصاص في العام الماضي بأيدي بعض القواد الذين يفسدون في الأرض فتأثر من رصاصة لم تخرج من بين لحمه وعصبه إلاَّ بشدة. وبينما الأمة في الوقت الذي نعي فيه خبر وفاته إذا هي تتطلع إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المنصور بالله أمير المؤمنين محمد البدر ابن الإمام أحمد داعين الله تعالى أن يجعله خير خلف لخير سلف وانهالت برقيات التعازي إلى حضرة صاحب الجلالة الملك الجديد وإلى أفراد العائلة الملكية اليمنية وإلى الشعب اليمني. وبعث الملك سعود ببرقية إلى جلالته: «حضرة صاحب الجلالة الأخ الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين محمد ابن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أحمد. كان لوفاة المغفور له جلالة والدكم الإمام أحمد وقع أليم في نفوسنا ولدى شعبنا وحكومتنا. فنبادر بالإعراب ولجلالتكم والشعب اليمني الشقيق عن مشاعر تعازينا الحارة راجين للمغفور له الملك الراحل الرحمة والرضوان ولجلالتكم طول العمر والصبر والسلوان. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته». التوقيع الملكي الكريم: سعود

فأجاب عليها رداً متبادلاً: «من أمير المؤمنين محمد ابن أمير المؤمنين

الناصر لدين الله أحمد إلى حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية. . . أرجو الله أن تكونوا مع الأسرة الكريمة في خير. أحيط جلالتكم والأسرة ما قد وصل إليَّ بما قضاه الله سبحانه وتعالى من وفاة والدنا صاحب الجلالة الإِمام أحمد بن يحيى حميد الدين في الساعة الثالثة من ليلة الأربعاء العشرين من ربيع الثاني. وإني، في الوقت الذي أنقل إلى جلالتكم وأنتم الأب والأخ والساعد، أعزيكم وأعزي جميع أسرتكم الكريمة بوفاة والدنا وأحيطكم أنَّ علماء البلاد ومشائخها ورؤساءها وأبناء البيت المالك قد أجمعوا على اختياري خليفة وإماماً لليمن. وإنني أسأل الله أن يأخذ بيدي لما فيه صالح اليمن والمسلمين أجمعين منتظراً لكريم عونكم كما كانت الحال وكما يجب منكم دائماً. والله نعم المولى ونعم النصير والسلام عليكم». وبعث الملك سعود إليه ببرقية قال فيها: «تلقيت برقية جلالتكم المعبرة عن مشاعركم الأخوية وقد بعثت لجلالتكم برقية لما بلغني الخبر تعزية ومواساة في فقيد الجميع تغمده الله برحمته. يا صاحب الجلالة إننا وأسرتنا نشارككم في السراء والضراء والصدق والمساندة وسالكون معكم إن شاء الله. فلزام علينا كإخوة وجيران أن نبذل كل عون ومساندة لجلالتكم ولبلادكم الشقيقة. هذا وأرجو الله أن يوفقكم لما فيه خير بلادكم وأمتكم ويمنحكم البطانة الصالحة. كما سرني وأثلج صدري ما نقله إلينا جلالة الأخ من التفاف أسرتكم وعلماء البلاد ومشائخها ورؤساء البيت المالك حول جلالتكم وإجماعهم على اختياركم خليفة وإماماً لليمن. فنهنىء أنفسنا وجلالتكم حفظكم الله وأبقاكم». التوقيع الملكي الكريم: سعود.

وبعث الملك سعود أيضاً ببرقية ثالثة من هذا البيان والشعور مهنئاً له بذلك. ثم أذاع راديو صنعاء أن جلالة الملك محمد البدر ملك المملكة المتوكلية قد قبل الليلة استقالة مجلس الوزراء ثم كلف المجلس بالاستمرار

في الحكم دون إجراء أي تعديل. ثم وصل إلى صنعاء بعد ثلاثة أيام الوفد السعودي لتقديم التعازي، يرأس الوفد الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز وعضوية حسين فطاني ممثلاً لوزارة الخارجية والشريف محمد الحارثي ممثلاً لمجلس الشورى. وستقوم البعثة بتقدم تهاني حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم لجلالة العاهل اليمني بمناسبة توليه عرش اليمن الشقيق. ثم أنَّه أصدر جلالته مرسوماً ملكياً بإلغاء نظام الرهائن كما أصدر مرسوماً ملكياً بزيادة رواتب الضباط والجنود بالجيش والبوليس ثم أعلن جلالته أنَّ أبواب اليمن مفتوحة أمام كل يمني يقيم في الخارج كلاجىء أو مغترب للمشاركة في بناء اليمن، كما أمر جلالته بإطلاق سراح المساجين المحكوم عليهم لأسباب مختلفة. ولما أن استبشرت الأمة بذلك بحيث لم يكن إلاً أن غاب نجم الناصر لدين الله وتولى المنصور بالله ما كانت إلا ومضة خفيفة أعقبها الظلام فقد ثار عليه الثوار بقيادة السلال وأطاحوا به وبحكومته. وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم الشيخ ناصر الوهيبي قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه. وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الفاضل القاضي ناصر ابن الشيخ محمد بن ناصر بن حسن الوهيبي. ولد عام ١٣٢٤هـ فنشأ في تربية والده حيث تعلم القرآن الحكيم عند كُتَّاب في بلدته التي ولد فيها، وهي الخبراء من أعمال بريدة في القصيم. وأخذ في الدراسة على والده الذي كان يدرس في جامع الخبراء حيث كان فيه إماماً أخذ عنه علم التوحيد في ثلاثة الأصول وكتاب التوحيد وآداب المشي إلى الصلاة وكشف الشبهات وغيرها من كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث كان والده مثالاً في العقيدة ومحباً لطريقة السلف الصالح وأخذ عنه علم الفقه والفرائض والحديث وغيرها من كتب الحنابلة. وكان الشيخ ناصر نبيهاً وذكياً وله نهمة في تحصيل العلم حيث

كان متوقد الفهم، وأخذ عن الشيخ العالم العلامة عبدالله بن سليمان بن بليهد حينما كان يدرس في تلك الجهات ولازمه ملازمة وأكثر الأخذ عنه، وأخذ عن آل سليم عبدالله وعمر الشيخين الإمامين الجليلين. ثم أنَّه ذهب إلى المدينة المنورة فأخذ عن الشيخ سليمان بن عبد الرحمن العمري وعن غيره من علماء المدينة، كما قد أخذ عن علماء مكة المكرمة. وقد تقلب في عدة وظائف في ضبيا وأم لج وتبوك ويتولى الوعظ والخطابة فيها والتدريس. ثم أنَّه جعل في قضاء مدينة الطائف، ثم كان عضواً في رئاسة القضاء بمكة، ثم إلى عضوية ديوان المظالم في الرياض، ثم كان نائباً للرئيس. وقد لبث في القضاء ما يزيد عن عشرين عاماً كان موضع العفة والعدل، ويصفه زميله الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل بالعقل والمقدرة والثبات. وقد رأيته عام ألف وثلاثمائة واثنتين وسبعين هجرية حينما استقدمتني الحكومة لقضاء تيماء في مكة المكرمة. وكانت الحكومة قد انتدبته لصحبة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد للنظر في مشكلات القضايا بمكة والمدينة وجدة والبت في مشكلاتها، فكان لبثهم وما يلحقهما من الكتاب ثلاثة شهور بمكة وشهرين في جدة وشهرين في المدينة. ولكمال الثقة كلفت الرجلين بهذه المهمة فكان المترجم في صفته إذ ذاك أشمط الشعر مربوع القامة نحيف البدن حنطي اللون يعلوه تلويح الشمس، عليه آثار الزهد والتقشف ويوقف المتخاصمين عند حد العدالة بهيبة وحسن تدبير. وقد كشفت مشكلات متعقدة هناك ببركة إنصاف الحكومة وإيصال الحقوق إلى أهلها[1].

---

(١) كانت وفاته في ليلة الخميس الموافق ٢٥ من جمادى الآخرة من السنة المذكورة على أثر نوبة حادة نقل على أثرها إلى المستشفى وكان يزور أحد المشائخ في بيته رحمه الله وعفا عنه.

وممن توفي فيها من الأعيان في مدينة بريدة

الهمام عبدالله بن علي بن مقبل العلي. كان والده الرجل الصالح الورع ذا الديانة والمروءة. أمَّا عن المترجم فقد ولد ١٣١٠ هـ وكان شجاعاً شهماً كريماً ذا عبادة وصلاح وله معرفة ومقدرة فتوسد إليه الحكومة بعض المهمات من عمارات المساجد والنظر في حل المشكلات وله همة في معالي الأمور ويترفع عن سفاسفها. كما أنَّه رجل وجيه لدى الأمراء والعلماء وله خبرة بالزراعة والفلاحة ولديه في قرية قضيباء عيون جارية وغراس. وقد اختطفته المنية وهو في نشاطه وصحته بحزم وعزم وعمره يناهز الاثنين والسبعين رحمه الله وعفا عنه. وكان ثالث أخويه الذين هم عبد العزيز كان رئيساً لهيئة الحسبة أيام الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم وأيام الشيخ عمر بن محمد بن سليم معروفاً كان بنصرة الحق ودفع الباطل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوة ولا تأخذه في الله لومة لائم. وثالثهم رجل الدين والبصيرة ويدعى في الفهم والمعرفة بهذا اللقب أبي حنيفة لما لديه من المعرفة والرواية، وهو سليمان بن علي بن مقبل لا يزال في نشاطه بالخير والدعوة إلى الله حياً مستقيماً. ونرجو له التوفيق. أمَّا عن عبد العزيز فتقدم ذكر وفاته.

وممن توفي فيها من الأعيان الأمير سعود بن ناصر آل سعود على إثر مرض ألزمه الفراش عن عمر يناهز الثمانين عاماً قضاها في الجهاد في سبيل الله والعبادة. وكان أحد النقباء الأربعين الذين اختارهم الملك عبد العزيز لاحتلال الرياض في قتال عجلان والهجوم عليه في قصره. وكان المترجم صالحاً تقياً مشهوداً له بالخير. وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة رحمه الله وعفا عنه وغفر له.

تنبيه

قد ذكرنا فيما تقدم وفيات الأعيان إمام اليمن وناصر الوهيبي، ونذكر بقيتهم: فممن توفي فيها من الأعيان أبو الأيتام يحيى بن عبد الرحمن بن شريدة رحمه الله وعفا عنه وهو يحيى بن عبد الرحمن بن يحيى بن شريدة كان من أسرة كبيرة في مدينة بريدة وله إخوة مشهورون في القصيم ومن كبراء عقيل الذين يتاجرون ببيع الإبل والخيل ويسافرون بها إلى العراق والشام ومصر. ويطلق عليهم لقب العقيلات. وقد تقدم ذكر آل شريدة منذ إحدى وأربعين سنة. كان المترجم يعطف على الفقراء ويحنو عليهم ويواسي المحتاجين. فقد كان يختلف إلى بيته ذوو الحاجة والفاقة فيجدون ما يصلحهم وكان ذا عبادة وصلاح وكرم وإحسان. وقد كان لوفاته رنة أسف بين المواطنين لما كان له ولإخوانه محمد الزعيم الكبير ومنصور وإبراهيم وفهد من السابقة الطيبة مع الحكومة السعودية في الإخلاص والولاء. وأصيبت به مدينة بريدة، وكانت وفاته في يوم الجمعة ٧/١٠ من هذه السنة عن عمر يناهز الثمانين عاماً قضاها في الديانة والرجولة والنزاهة. أسبل الله على قبره شآبيب المغفرة والرحمة والرضوان ورفع درجاته في فسيح الجنان. قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾.

وممن توفي فيها من الأعيان أحمد بن عبد العزيز الغصن. ففيها في أوائل شهر جمادى الأولى انتقل إلى جوار ربه الرجل الطيب ذو الرجولة والصلاح وحسن السيرة أحمد المذكور، وهو من أهالي مدينة بريدة. ثم انتقل إلى مدينة الرياض فكان في خدمة الدولة تبع الأعمال التي ضمت إلى عبد الرحمن الطبيشي. وقد قضى ثلاثين عاماً في خدمة الدولة كان فيها موضع الثقة والتقدير من المسؤولين لأنّه كان من خيرة بني جنسه صلاحاً وعفة. وكانت وفاته في بيروت عائداً من ألمانيا حيث أجريت له هناك الفحوص الطبية، وذلك عن علة مرض السكر. وعندما أدرك رحمه الله

قرب أجله حرص على العودة إلى الوطن لتكون وفاته قرب أولاده وذويه وليدفن في مقابر المسلمين. ولما أن توفي نقل جثمانه إلى دمشق، وكانت وفاته عن عمر يناهز الثالثة والخمسين. وكان عاقلاً محبباً إلى النَّاس لقضائه الحوائج وتسهيله الطرق لقضاء ما يستطيع التوصل إليه. تغمده الله برحمته وعفى عنه.

وممن توفي فيها عبد العزيز العبدلي مدير عام ديوان إمارة مكة المكرمة.

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبد العزيز بن عقيل من علماء عنيزة رحمه الله وغفر عنه. وهذه ترجمته: هو عبد العزيز بن عقيل بن عبدالله بن عقيل. كان جدهم قد نزح من شقراء إلى عنيزة فسكنوها واتخذوها وطناً. ولد المترجم عام ١٢٩٨هـ ودرس القرآن وتعلمه على معلم في عنيزة هو ابن دامغ، ثم أخذ العلم عن المشائخ. وممن أخذ عنه الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، وأخذ عن الشيخ ابن عائض، وأخذ عن الشيخ صالح بن عثمان القاضي، أخذ عنهم في الأصول والفروع وكان أديباً يقول الشعر العربي والنبطي ويتعاطى بالبيع والشراء. وقد تولى وظيفة في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد رأيته في عام ١٣٥٨هـ بعد وفاة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي فكان في صفته مربوع القامة كث اللحية، يحب المناقشة والبحث. وقد تجرد للعبادة والزهادة في آخر عمره وأصيب بأمراض في آخر عمره فذهب إلى الرياض للعلاج وتوفي فيه وصلَّى عليه جمع كثير من العلماء وطلاب العلم في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم تغمده الله برحمته[1] وكان له أنجال منهم الشيخ عبدالله بن عبد العزيز. كان

---

(١) كان لعبد العزيز أخ فاتنا أن نضع له ترجمة وهو الشيخ عبد الرحمن بن عقيل قاضي جيزان في عام ١٣٥٤هـ وقد تقدم له ذكر كانت وفاته ١٣٧٣هـ وقد استمرَّ في جيزان قاضياً خمس سنين.

تولى قضاء مدينة عنيزة فترة من الزمن ثم كان عضواً في دار الإِفتاء في الرياض وبعدها تولى عضوية في المجلس الأعلى للقضاء. وكان رجلاً طيباً ومن أصدقائنا المحبين. أمّا عن بقيتهم فهم عقيل توفي في حياة أبيه وحمد وسليمان. كما أنَّ له ابناً آخر يسمى عقيل. ومعرفتي بالشيخ عبدالله منذ زمن طويل.

وممن توفي فيها علي بن عبدالله الحصين. كان من الشباب المندفعين في مدينة بريدة ولد عام ١٣٥١هـ وكان نبيهاً فدخل المدرسة الفيصلية بمدينة بريدة عام ١٣٥٩هـ، وهي أول مدرسة حكومية فيها تأسست سنة ١٣٥٦هـ. فأخذ في الدراسة الابتدائية ومديرها إذ ذاك الأستاذ عبدالله بن إبراهيم بن سليم. وبعد نجاحه من الابتدائي كان مدرساً فيها وانتسب إلى المعهد العلمي فنال الشهادة الثانوية ثم انتسب في كلية الشريعة فنال شهادتها. وكان يتعلم من الشيخ الفاضل عبدالله بن محمد بن حميد قاضي مدينة بريدة فمن الذين يدرسون عليه ويلازم الشيخ ويقدر له اجتهاده وذكاءه. ثم أنَّه كان مساعداً لمدير التعليم في القصيم. ثم جعل في إدارة شركة الكهرباء في بريدة غير أنَّ لبثه فيها قليل بحيث اخترمته المنية: كانت وفاته بحادث سيارة انقلبت بطريق الدرعية خامس خمسة كان هو ضحيتهم لأنَّه خرج رأسه من الباب فقدرت له المنية. وكانت وفاته في ٢/٦ من هذه السنة رحمه الله وعفا عنه. وقد رثاه زميله عبد العزيز بن محمد النقيدان فقال: «دمعة على راحل» اختطفته يد المنون شاباً في رونق عمره، له باعه في المجال الأدبي وأياديه في الحلبة الاجتماعية. ذلك هو الأستاذ علي الحصين من طليعة شباب بريدة الناضج فإليه وإلى روحه الشهيدة هذه العبرات:

قلب يئن ومقلة تتألم ... وأسى به فيض الدموع يترجم
والنفس بادية الشحوب كئيبة ... حيرى مصدعة القوى تتألم

أزرت بها الأحداث في جريانها   تنأى بما يؤذي النرس ويؤلم
دنيا كما شاهدت في أكنافها   عبراً تساق غرائباً تتكلم
من كان بالأمس القريب منعماً   خضلاً بدنياه يتيه ويبسم
تأتيه من حمم الزمان قذيفة   ما كان فيها من بعيد يحلم
سكر بدنياه يخالجه الروى   نحو الحياة وما به يتنعم
فإذا مقاييس الحياة معادة   والمرء رهن للقضاء يتحكم
حقاً هي الآجال حد مرهف   مهما تعمر أو رحيلك يقدم
فإذا أقول وفي فؤادي عبرة   والعين بالدمع المقرح تسجم
ولقد فقدت خليل أعظم موطن   نفسي إليه من القديم تهمهم
رجل النضال لما سيسعد موطني   ليظل في عليائه يترنم
رجل مساعيه تحدث خبرها   للقاطنين فكيف بي أتلعثم
أنا إن أجود بعبرتي لفقيدنا   والنفس حراء واللهيب مخيِّم
ما كان ذلك غير فيض تأسف   مراً أكابده لروحي ملجم
هذا العزاء أزفه من مهجتي   ثراً لمجتمعي عقوداً تنظم
من مهبط الوحي المقدس راجياً   عفو الإله على ثراك يخيم
وعلى ضريحك مزنة هطالة   يندى بها الغفران فيها يلسم

ثورة السلال في اليمن

قد قدمنا إطلاق البدر سراح المساجين المحكوم عليهم لأسباب مختلفة. وفي كلام الحكمة: (اتّق شر من تحسن إليه)، هذه الكلمة من كلام الحكمة ولكننا ويا للأسف نصف الحكمة ولا نتصف بها. ولله در أبي الطيب أحمد بن الحسين حيث يقول:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ولمّا أن أصدر جلالة الملك اليمن عفوه عن المساجين كان من جملة من

أطلق سراحه عبدالله السلال لأنَّه من المساجين السياسيين ومن رؤساء الفتنة. ففي الفترة القصيرة التي تقلد فيها الإمام البدر مقاليد الملك قام وأعوانه من قواد الجيش الذين بايعوا الإمام محمد البدر على الطاعة والولاء فسووا انقلاباً واستولوا على الحكم وأعلنوا قتل جلالته وأعدموا جمع من طالته أيديهم من إخوانه وأفراد أسرته ووزراء وكبار موظفيه وغيرهم من رجالات اليمن.

من هو عبدالله السلال؟

كان من مواليد صنعاء وكان والده منادياً يصيح في الأسواق عن الحيوانات التي يفتقدها أربابها عند وصولهم إلى صنعاء يحملون منتوجاتهم الزراعية، ثم عمل فحاماً في الأعوام الأخيرة من عمره، وكان الابن يساعد أباه في أعماله في حداثة سنه ليدرّ عليه ما يكفيه لميانة عائلته. وقد شمله الإمام يحيى بعطفه وألحقه بمدرسة الأيتام المعروفة في اليمن باسم مكتب الأيتام، وفيه تعلم عبدالله القراءة والكتابة. وفي عام ١٣٥٦هـ أوفد الإمام يحيى بعثة للدراسة في العراق من خريجي مكتب الأيتام كان من أفرادها. وفي بغداد التحق بالمعهد العسكري وبعد رجوعه ألحق بإحدى كتائب الجيش وكان لما قام ابن الوزير بثورته عام ١٣٦٧هـ ضد الإمام يحيى وقتل فيها أثبت التحقيق اشتراكه بها بصفة معنوية فاعتقل وزج في سجن حجة حتى عمل الأمير محمد البدر على إطلاق سراحه عام ١٣٧٥هـ وأحاطه بعطفة وعينه في مفرزة حرسه الخاص. وتدرج السلال بفضل مساعدة الأمير البدر حتى أصبح مديراً لميناء الحديدة التي أعدت فيها سراً سنة ١٩٦١م مؤامرة لاغتيال الإمام أحمد بالاشتراك مع عبدالله السلال. وقد جرى تنفيذها ليلاً في المستشفى عندما كان الإمام يقوم بزيارة المرضى وأصيب بجراح خطيرة. ولما شكل الإمام أحمد لجنة للتحقيق مع المتهمين أكد أحد المتهمين للجنة بصراحة وهو يشير إلى السلال. فأنكر ذلك السلال ولكن

نفيه لم يبرر ساحته فأوقف يوماً واحداً ثم أخلي سبيله. وكان الأمير البدر إذ ذاك غائباً وبعد ما قدم ووجد والده الإمام بحالة خطيرة وعاده وخرج أعاد السلال إلى حرسه الخاص من جديد. ولمّا أن تولى محمد البدر عينه رئيساً للحرس الملكي ورئيساً لأركان القوات المسلحة ورفعه إلى أعلى المراتب.

صفة الإنقلاب

لما كان بعد وفاة الإمام أحمد بثمانية أيام ليلة ٢٦ أيلول سبتمبر ١٩٦٢م. الموافق لليلة الأربعاء ٢٧ ربيع الثاني ١٣٨٢هـ في ساعة متأخرة من تلك الليلة وهي الحادية عشرة قبل منتصف الليل لما انفض مجلس الوزراء وأخذ الإمام محمد البدر طريقه نحو الخروج إذا بأحد الضباط يحاول إطلاق النّار من خلفه عليه فشعر به وعاد إلى غرفته. ولم يهتم بالأمر حينما قيل له: إنَّ هذا الضابط مشتبه في أمره. ثم أمر بالتحقيق في تصرفه، ثم أنّه أتاه بعد نصف ساعة أحد الحراس وقال: إنّه يسمع أصوات دبابات تتحرك. ولم تلبث أنوار المدينة أن أطفئت وعند منتصف الليل أخذت الدبابات في القصف بالقصر الملكي.

هذا صورة ما جرى ومن العجائب أنَّ والد الإمام البدر قد حذره من السلال وأن لا يخرج من سجنه وتشدد عليه الرقابة. وذلك لما يعرفه عنه من الكيد والمكر. غير أنّه لا يغني حذر من قدر. ولمّا سئل البدر بعد قيام هذه الفتنة عما إذا كان قد شك يوماً في تصرفاته السيئة أجاب بأنّه كانت تبلغه أخبار عنه غير أنّه كان يتجاهلها، فسئل ما هو السبب في ذلك؟ فأجاب أنّه كان يظن أنّه وفي أمين وأنّه كان الوحيد الذي يقف إلى جانب السلال ويدافع عنه في أيام والده.

ذكر تطويق القصر

لما أخذت الدبابات في قصف القصر الملكي أخذت ضدها مقاومة الإِمام البدر واستمرت طوال الليل وجزءاً كبيراً من نهار اليوم التالي وكانت ست دبابات تقصف القصر وتقف وراءها عشرون دبابة أخرى. وفي عصر اليوم أخرجت من الناحية الجنوبية مدافع الميدان والمدافع المضادة للطائرات وأخذت تطلق قذائفها على القصر، وكانت قوات الإِمام تقاومها بالمدفع الرشاش ثم أنَّه انتقل من الدور الأعلى في القصر إلى الذي يليه بعد أن هدمته قذائف المتمردين. فلما اشتدَّ القصف وكاد القصر أن يتهدم على من فيه من السكان وهاجموا دار البشائر التي يقيم فيها الإِمام الجديد محاولين قتله. وبالرغم من أن داره لم تكن مصممة بطريقة تسمح للدفاع عنها فإنَّ الإِمام وحراسه دافعوا مدة ١٢ ساعة إلى أن نفذت الذخيرة وأدرك البدر أنَّ لا جدوى من الاستمرار في المقاومة فقرر الخروج من القصر بعد أن أخلاه من أهله وأولاده وخرج بملابس عادية متنقلاً إلى البيوت الملاصقة للقصر، وهناك أخذته امرأة من الشعب لا يعرفها فأدخلته في منزلها وأعطته ملابس وغيرت ملابسه، وخرج إلى الشارع ثم تسلل بالليل من صنعاء مع خمسة من الرجال وما أن بارح أسوار المدينة سائراً عبر الجبال في اتجاه بلدة حجة الواقعة نحو ٧٠ كيلومتراً من العاصمة حتى التفَّ حوله أربعمائة مقاتل، ثم زادوا في اليوم التالي ١٥٠٠ مقاتل وجعل يتنقل من مكان لآخر وأتباعه يزدادون في كل لحظة، وكلما مرَّ بقبيلة من القبائل تبعه رجالها ونساؤها وأطفالها. ولما تكاثرت القوى بين يديه أوجد مكاناً لقيادته. أمَّا عن السلال والمتآمرين معه فكانوا ينتظرون الإِمدادات من مصر وما أحسن ما قاله بعضهم:

أعلمه الرماية كل وقت ... فلما اشتدَّ ساعده رماني
أعلمه القوافي كل يوم ... فلما قال قافية هجاني

أعــلـــمــه المروءة كــل يــوم   فــلـمــا طـر شــاربـه جـفــاني

هذه معاملة عبدالله السلال للإمام البدر الذي قد غمره بعطفه ودافع عنه في جميع تورطاته ومؤامراته وتخليصه من براثن والده الإمام أحمد. وقد كان لهذه المؤامرات أسرار تحاك من قديم للإمامة في اليمن وما يبيت لها من الغدر كما قام زميل السلال وهو الدكتور عبد الرحمن البيضاني يوالي نشاطه بنشر العداء ضد الإمام أحمد. وهذا الرجل ليس في أصله يمنياً، إنَّما كان يحمل هذا الاسم، بل كان مصرياً وأمه مصرية عطف عليه شيخ يمني بالأزهر يدرس الطلبة اليمنيين وأسماه بهذا الاسم، وأنهى دراساته الثانوية وحصل على شهادة البكالوريا. ولمَّا حصلت الثورة على الإمام يحيى التي أودت بقتله وانتصر ابنه أحمد اغتنمها فرصة وقام بهذه المناسبة يمتدح أحمد وسجل كلمة في محطة الشرق الأدنى البريطانية أشاد فيها بمناقب الإمام أحمد سمعها وكافأه عليها. ثم حضر بين يديه وجثى أمامه يقول: يا صاحب الجلالة إنني بدون أب ولا معين سواكم وحدكم. فأشفق عليه وأعاده إلى القاهرة ليعمل ملحقاً في المفوضية اليمنية وقدر له راتباً قدره ٣٠ جنيهاً مصرياً. ولما أن كان في عام ١٣٧٩هـ عندما كان الإمام أحمد يتعالج في روما اكتشف أنَّ للبيضاني علاقة بالمخابرات المصرية فاستدعاه وحقق معه واستطاع البيضاني بلباقة ومهارة أن ينفي التهمة الموجهة إليه ويحصل على ثقة الإمام الذي اكتفى بنقله إلى المفوضية اليمنية بالخرطوم. ولمَّا كان في أوائل ١٣٨٠هـ استدعاه الإمام أحمد وعينه مديراً لمكتب مكافحة الجراد بالحديدة. ولكنه تمارض فأذن له بالسفر إلى القاهرة للعلاج ومنها ذهب إلى ألمانيا حيث أعلن عداءه للإمام. وبعد أن حصل على شهادة الدكتوراه من ألمانيا عاد إلى القاهرة وانكبَّ على الكتابة في مجلة روز اليوسف وإذاعة صوت العرب ضد الإمامة والإمام وظلَّ يواصل نشاطه العدائي حتى إعلان الانقلاب في اليمن. فأرسله عبد الناصر على الفور ليعمل مع السلال. وقد

تولى عدة مناصب منها منصب نائب رئيس حكومة السلال ولكنه وقع بينه وبينه نزاع أدى إلى إبعاده إلى القاهرة حيث وضع تحت الحراسة بعض الوقت.

محمد البدر حيّ يرزق

كانت ضحايا اليومين الأولين ٤٦ زعيماً وطنياً هذا بالإضافة إلى ٥٠٠ قتيل صرعوا في المدن الرئيسية. وقام جمال عبد الناصر ينشر في إذاعة القاهرة وصنعاء بأنَّ الإمام قد قتل ودفن جسده تحت الأنقاض، غير أنَّ المراسلين الأجانب الذين تدفقوا على صنعاء لم يصدقوا بموت الإمام ولكنهم كانوا مقتنعين أنَّ طبيعة الانقلاب كانت ناصرية. ولمَّا أن أشيع خبر وفاته انتخب الشعب اليماني الأمير حسن ينظم المقاومة. وقد جرى انتخابه إماماً بقرار من العلماء خلفاً للبدر اللذي كان يظن أنَّه قد مات. ولكن الإمام البدر تمكن من الوصول إلى مركز اليرق في المحايشة يرافقه جماعة من رجال القبائل المخلصين له فأرسل برقية على الفور إلى الأمم المتحدة والجامعة العربية لإعلامها بأنَّه لا يزال على قيد الحياة، وعن الاعتداء الناصري على اليمن. وكانت هذه البرقية بعد ثلاثة أسابيع من الحادث فتنازل الأمير الحسن وألغى القرار الذي اتخذته الأمة لما علم بوجوده وأبرق له مؤيداً له. ودام ينظم المقاومة على الثائرين. ولتأخر بلاغ الإمام البدر ببرقيته فقد تمكن جمال عبد الناصر من أن يبلغ سفيري روسيا وأمريكا ويخدعهما قبل إقدامه على المغامرة وإرساله القوات المصرية إلى اليمن فقال للسفير الروسي: إنَّ الثورة في اليمن لتحرير الشعب من الإقطاع والرجعية. الواجب يدعونا لمساندتها تلبية لنداء إخواننا اليمنيين. ومن الضروري إرسال قواتنا لحمايتها من الاستعمار المتربص لها والرجعية التي سنحاول خنقها. إنَّ هدفنا هو تحطيم قواعد الاستعمار والإقطاع وتحرير العامل والفلاح. فاقتنع السفير الروسي بصحة أقواله

ومزاعمه. وقال للسفير الأمريكي: إنَّكم تعلمون أكثر من غيركم أنَّ اليمن في حالة بؤس وفقر وتأخر خطير لا مثيل له في أي قطر عربي أو أسيوي، وهذا النوع من التأخر شكّل خطراً على الشعب اليمني ويدفعه نحو الشيوعية. هدفنا مساعدة الثورة التي على نجاحها يتوقف إنقاذ الشعب اليمني من الفقر وحكم الإقطاع. لقد مات الإمام البدر تحت أنقاض قصره وتألفت حكومة شعبية برئاسة الزعيم عبدالله السلال. خلال أيام تستقر الأوضاع، طمئنوا حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وبلغوا الرئيس كينيدي عن الوضع الذي شرحته لكم والهدف الذي نتوخاه من مساعدتنا لحكومة الثورة، ألا وهو استتباب الأمن والسلام في هذا البلد العربي الشقيق. وقال أيضاً للسفير الأمريكي: إنَّ اعتراف أمريكا بالسلال لا يتطلب منها جهوداً ولا أموالاً تنفقها وهي باعترافها تؤدي خدمة سامية وتنهي مشكلة تكلفنا أموالاً وأرواحاً. وبعد اعترافها سنسحب قواتنا من اليمن. وطلب اعتراف الدولتين روسيا وأمريكا بحكومة السلال فاعترفت روسيا والدول الشيوعية بذلك. واجتمع بسفير أمريكا وقال: أخشى أن يتحول الصراع في اليمن إلى حرب دولية ويكفي لإنهاء الصراع ومنع امتداد لهيبه أن تعترف أمريكا بحكومة عبدالله السلال، فاعترفت بذلك.

أمَّا بقية الدول فمنهم من وافق خشية من أبواق القاهرة كعبد الكريم قاسم ومنهم من امتنع. وبعد مضي ٤٨ ساعة من وقوع الانقلاب أي في ليلة ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢م أقلت البواخر من بور سعيد والسويس إلى الحديدة حاملة المصفحات والدبابات التي كتب على بعضها أسماء مدينة الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة. ومن هذه الأسماء يفهم أنَّ الطريق إلى قلب الجزيرة العربية كان مرسوماً على حسب تلك المزاعم، وكان يظن أنَّ طريق المغامرات مفروشة بالورود سهلة العبور أيامها معدودة لا تتجاوز الأسبوع ومكاسبها عظيمة تعوض عليه ما خسر في سوريا وتفتح أمامه

أبواب الجزيرة العربية ليسيطر عليها والانطلاق منها إلى سهول دجلة والفرات. ولمَّا رأت أمريكا سوء نواياه ذكرته ما أبداه أمامها أولاً وأنَّه سيسحب قواته من اليمن بعد اعتراف أمريكا بالسلال، وقامت بدور الوسيط لإِحلال السلام، فأرسل الرئيس كينيدي المستر بانكر إلى القاهرة يلح على عبد الناصر بوجوب سحب قواته من اليمن حيث وجودها فيه يهدد أمن المنطقة ويؤخر كل حركة إصلاحية وعمرانية فيها. فتظاهر بالقبول وهو بخلاف ذلك. ولمَّا أن قدمت الدبابات والمصفحات والطائرات والقوات إلى اليمن التي كانت ٢٥٠٠٠ جندي تدعمهم الطائرات الحربية و١٧٠ دبابة و٣٠٠ مصفحة و٢٠٠٠ سيارة لوري و٥٠٠ سيارة جيب أحدثت تقتيلاً وتخريباً وتشريداً. وبعد وساطة أمريكا بعث أضعاف هذه القوات فثار شعب اليمن لما رأى تلك المشاهد الرهيبة وجثث الضحايا البريئة وأخذ يبحث عن وسيلة المقاومة للقوات المصرية التي تدفقت على بلاده وأخذت تصب حمم نيران مدافعها وطائراتها على المدن والقرى الآهلة بالسكان وجرت بسالة من الشعب اليمني ضد الغزاة. ولولا دعم سلاح الطيران والغارات الجوية التي تشن على المجاهدين دون انقطاع لكانت القوات المصرية قد انتهى أمرها واستسلم من بقي منها على قيد الحياة(١) واستمرت الأحوال هائجة مائجة بحيث امتدَّ القتال بين الفريقين.

وفيها شبَّ حريق في الساعة السادسة والربع من ظهر يوم الخميس ٢/٢٤ في خيام وأكواخ كانت مجالس وملاجىء للبيع في الموضع الكائن في الناحية الغربية الجنوبية من الفسحة التي جعلت متسعاً بعد ما هدم قصر مدينة بريدة القديم وكانت النَّار ملتهبة فظيعة في زمجرتها والرياح تصفر في لهيبها

---

(١) أخذ ذلك عن كتاب الصراع الدامي في اليمن للدكتور إبراهيم الشريقي ببعض المعنى.

فهبَّ رجال المطافىء إلى ذلك المكان مرتدين حُلل الكفاح والعمل وجاؤوا ليدفعوا هذا الخطر المحدق وليقضوا على ألسنة النَّار المندلعة في ذلك الفضاء وقد اشترك الكهول والشباب وجعلوا يزاولون العمل بأيديهم في ذلك الوقت الملتهب بالحرارة من وهج الشمس ولفحات اللهيب وكان من بين المقدمين في هذه الأرتال والزرافات أمير القصيم كما أنَّ رئيس المطافىء حمود التركي كان متقدماً في هذا الميدان، وكما أنَّ مدير المطافىء محمد عمر قام بأسمى خدمة حيال هذا الموضوع وقد التهم هذا الحريق جميع ما في تلك الحوانيت من البضائع على اختلاف أنواعها وأحالها إلى ذرات من الرماد. غير أنَّ الله تعالى وقى أهلها من الهلاك ودافع عنهم فكانت كومة من الرماد هي وما فيها لأنَّها قد أقيمت من الخيام والعشش وأصبحوا فقراء ينتظرون عطف الله عزَّ وجلَّ ثم عطف أمتهم لبل ظمأهم ومواساتهم في هذه الكارثة المحزنة.

وفيها منع الرئيس المصري ريع الأوقاف الذي كان يرد سنوياً من أوقاف الحرمين: فتبرع الملك سعود بن عبد العزيز من جيبه الخاص بمائة ألف ريال لتوزع على فقراء الحرمين ستون ألفاً لفقراء مكة وأربعون ألفاً لفقراء المدينة المنورة. ولقد بين أكرم الحوراني نوايا عبد الناصر حينما سافر إلى روسيا وما جرى بينه وبين الرئيس خروتشوف وذلك في نيسان عام ١٩٥٨ ميلادي في زيارته لروسيا. وأطال الحوراني وأطنب والحق أنَّ جمال عبد الناصر له تفكيرات وتمنيه نفسه بأحلام لا يتصورها عاقل. ولو قنع برئاسة مصر وتخلى عما تمنيه به نفسه من السيطرة على سوريا ونحوها لكان به أجدر وأحسن.

وفيها أقيمت احتفالات في المدن والممالك بمناسبة استقلال الجزائر وذلك في أوائل شهر صفر من هذه السنة، وحضر الأمراء والوجهاء وخرج طلاب المدارس وأُلقيت الخطب والقصائد بهذه المناسبة وشهدت المدن

والعواصم تلك الاحتفالات بعد ما شاهدت يوم التبرع شاكرين الله على نصرة الجزائر وثمرة جهادهم بأموالهم.

وفيها في شهر محرم غادر الملك سعود بن عبد العزيز بلدة مونت كتيني بإيطاليا بعد ما تقدمت صحته بعد الحمامات التي أجراها فيها وتوجه إلى ڤيينا بالنمسا حسب إرشاد الأطباء لإجراء الفحوص الطبية اللازمة لجلالته. وقد باشر الأطباء الفحص عليه في يوم الخميس ٢٦ محرم. ولمَّا أن كان في أوائل ربيع الأول قدم إلى المملكة في مدينة الطائف راجعاً إلى بلاده بعد مغادرتها للعلاج فأطلقت المدفعية لقدومه ٢١ طلقة واستقبل استقبالاً رائعاً وأقيمت أقواس النصر والأعلام السعودية والاحتفالات لذلك.

وفيها طلب سمو الأمير فيصل بن تركي وزير الداخلية في المملكة السعودية من مصلحة البلديات الاهتمام بتنفيذ المشاريع الجديدة قبل نهاية السنة المالية الحالية. ومن هذه المشاريع الجديدة إنشاء مسالخ فنية على أحدث طراز مجهزة بالماء والوسائل الصحية. ولمَّا كان في ١٨/ ٥ من هذه السنة أمر جلالة الملك سعود بتشكيل هيئة الوزارة: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر ملكي كريم رقم ١٧ التاريخ ١٨/ ٥/ ١٣٨٢هـ. بعون الله تعالى نحن سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، بعد الاطلاع على نظام مجلس الوزراء الصادر بمرسومنا رقم ٣٨ وتاريخ ٢٢ شوال ١٣٧٧هـ وعلى أمرنا رقم ٤٣ الصادر بتاريخ ٩ شوال ١٣٨١هـ القاضي بتشكيل هيئة الوزارة. ونظراً لما اقتضته المصلحة وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء أمرنا بما هو آت:

المادة الأولى: إقالة الوزراء من مناصبهم.

المادة الثانية: يعمل بهذا الأمر الملكي الكريم: سعود».

خطاب ملكي كريم الرقم ١٨ التاريخ ١٨/ ٥/ ١٣٨٢هـ: «بسم الله

الرحمن الرحيم. بعون الله تعالى من سعود بن عبد العزيز آل سعود إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأخ فيصل بن عبد العزيز آل سعود سلمه الله. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد، ونظراً لما اقتضته المصلحة قد أصدرنا أمرنا الملكي رقم ١٧ وتاريخ ١٨ جمادى الأولى ١٣٨٢هـ بإقالة الوزراء من مناصبهم. ونظراً لما نعهده فيكم من أصالة رأي وحكمة ودراية وإخلاص، ولمَّا اقتضه المصلحة العامة فقد اقتضت إرادتنا الملكية إسناد منصب رئيس الوزراء إليكم. وقد وجهنا هذا الأمر الملكي إليكم لتقوموا باختيار الوزراء الذين ترشحونهم للتعاون معكم وتعرضوا ذلك علينا لصدور أمرنا بذلك. وخالص الرجاء أن يوفقنا الله وإيَّاكم لتحقيق أهداف أمتنا وشعبنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. التوقيع الملكي الكريم: سعود».

جلالته يشكر مجلس الوزراء السابق

تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فَوَجَّه إلى أعضاء مجلس الوزراء السابق كتاباً يشكر فيه جلالته المجلس على ما قام به من أعمال مفيدة وما تجلى من أعضائه من إخلاص يستحق التقدير كما طلب جلالته من الوزراء السابقين البقاء في تسيير أعمال وزاراتهم ريثما تشكل الوزارة الجديدة. ولمَّا أن كان في صباح الإِثنين ٧ رجب غادر مطار الظهران إلى سويسرا للعلاج، فاجتمعت الأمراء وأصحاب السمو من إخوانه لوداعه والسلام عليه. فوصل إلى جنيف واستقبل هناك وقد ألقى كلمة وجهها إلى شعبه وقد سجلت وأذيعت بصوته. ولمَّا أن كان في شعبان ورمضان صدرت مراسم ملكية عن تدابير نائب الملك وولي عهده بتعيين الأمير مشعل بن عبد العزيز أميراً في مكة المكرمة وتعيين الأمير عبدالله بن عبد العزيز أميراً للحرس الوطني وتعيين الأمير سلمان بن عبد العزيز أميراً في العاصمة الرياض بدلاً عن بدر بن سعود وتعيين صاحب السمو الأمير فهد بن

عبد العزيز وزيراً للداخلية وتعيين إبراهيم العنقري وكيلاً لوزارة الداخلية. وكانت مباشرة الأمير سلمان في ٩/١١. وفق الله الجميع وحفظهم وسددهم.

وفيها صدرت ميزانية عام ١٣٨٢ و١٣٨٣ هـ ألفين وأربعمائة واثنين وخمسين مليوناً ومائتي ألف ريال وصدق عليها الملك. وفي هذه السنة استطاعت حكومة جلالة الملك سعود نتيجة لسياستها المالية الرشيدة أن تسدد في نهاية العام المالي جميع ما عليها من ديون خارجية وداخلية. وكان دين الحكومة في نهاية عام ١٣٧٧هـ بعد تعديله بسعر الصرف الجديد يبلغ ١٧٨٦٣٩ مليون ريال وذلك بسبب الارتجال في استعجال نهضتها العمرانية دون تخطيط وباتباع سياسة غير سليمة. فبذلت منذ خمس سنوات جهود لإنقاذ البلاد من الهاوية التي كادت أن تتدهور فيها من النواحي الاقتصادية وأُعيدت الثقة بالعملة السعودية.

تعبيد جبل كراء

لمَّا عزمت الحكومة على تعبيد طريق يصل مكة بالطائف. رأت أن يكون الطريق من جبل كراء وشقه وتعبيده. وبمَّا أنَّ الطائف مدينة مرتفعة لا يمكن جعل الجبل نفقاً للعبور فإنَّ الهيئة جعلته يصعد في منحنيات وواجه ذلك صعوبة ومشاقاً بحيث يمر بالهدى والجيل، وإنِ كان أصعب الطرق في التعبيد فإنَّ ذلك العمل الجبار في النسف والحفر والشق والردم وإقامة الجسور لا يزال مستمراً في تقدمه بهذه السنة. وبما أنَّ تعبيده آية من المتاعب فإنَّه أصبح مريحاً في الصعود والهبوط وذلك لطول الجبل وارتفاعه، ولم تكن السيارات على اختلاف أنواعها تلاقي كلفة ومشقة بالنسبة إلى منظر جبل كراء الذي بلغ غاية في الارتفاع.

تعبيد طريق الرياض

كان هذا الطريق يمر بسدير فالوشم الذي قاعدته شقراء وتقع على مراة ماراً بالسر فالمذنب فعنيزة فبريدة. ففي أواخر شوال من هذه السنة عزمت وزارة المواصلات على سفلتة أربعة آلاف كيلومتر من طرق المملكة ومن ذلك هذا الطريق الذي يبلغ طوله ٤٤٠ كيلومتر، وسيمر هذا الطريق بالمذنب الذي يبلغ سكانه حوالي ثلاثة عشر ألف نسمة لحاجة هذا البلد إلى خط يربطه بالمدن الكبار. وإذا كان المذنب في هذه السنة فيه مدارس ومعهد للمعلمين لأنَّه مؤلف من أربع بلدان في كل منها جامع ومدرسة، وقد نبعت فيه آبار لفور مائها، وأراضيه على العموم قابلة للزراعة، فإنَّه يستحق الاهتمام. وقد ذكرنا أشياء عن تقدمها في العلم وما حظيت به في سابق الزمان ما أغنى عن إعادته.

دبرت مؤامرة ومحاولة في سوريا لاغتيال رئيس جمهوريتها الدكتور ناظم القدسي. وقد نشرته الصحف يوم الاثنين ٢٧/ ٣ بأخبار محزنة. وكان المتآمرون قد أقدموا على اغتيال الرئيس ونسف بعض الأمكنة في سوريا على أهلها المزدحمين فيها وعلى كبار ضباط الجيش السوري. وذكرت صحف سوريا أنَّ السفير المصري أفهمهم أنَّ شبكة أخرى ستتولى اغتيال بعض السياسيين وكبار ضباط سوريا لقاء خمسين ألف ليرة سورية لكل واحد منهم. وقد أحبطت سلطات الأمن السورية هذه المؤامرات وألقت القبض على المجرمين. وقد كثرت المؤامرات والدّسائس من حينما انفصلت سوريا عن مصر. ولمَّا أن استمرت المعارك العنيفة بين القوات المصرية الغازية لليمن وبين الأهالي بقيادة محمد البدر وقامت الطائرات المصرية توالي قصف المدن والقرى اليمنية بقنابل النابالم المحرم استعمالها دولياً وارتكبت الحكومة المصرية تلك الأخطاء نشرت الحكومة السعودية ما يلي:

بيان من رئيس مجلس الوزراء في السعودية:

«لمّا ارتكبت الحكومة المصرية تلك الأخطاء وما تعرضت له البلاد من الدعايات الظالمة والإذاعات الباطلة منذ أكثر من عام وإنَّ الدليل على تناقضها معاملتها لليمن بينما تهنىء جلالة الإمام البدر بتسلمه الملك لم تلبث إلاَّ بضعة أيام حتى قامت ضده مع أعدائه بدون مبرر، فأرسلت ضده القوات المسلحة والطائرات والدبابات والسفن الحربية وقامت تعمل تقتيلاً وتخريباً في أبناء اليمن وممتلكاتها مدعية أنَّ الحكومة السعودية بعثت قوات عسكرية لتأييد حكومة اليمن الشرعية. وبمّا أنَّ السعودية كذبت هذا الادعاء جملة وتفصيلاً واستمرت الحكومة المصرية في غيها وتخريبها في اليمن، وزادت على ذلك أن تواطأت مع الثوار على التهديد والعدوان ضد السعودية، آخر ذلك قصف مدينة نجران وما حولها من القرى التي تبعد عن الحدود اليمنية بحوالي مائة كيلومتر. فإنَّ الحكومة السعودية قررت بتاريخ ٧/٨/ ١٣٨٢هـ اتخاذ كافة التدابير والوسائل اللازمة بالنهوض بأعباء الدفاع عن مقدساتها وحرماتها وكيانها ورد كل اعتداء يقع على السكان والممتلكات التابعة لها... إلخ. في كلام طويل، واضطرت لشن هذا العدوان المسلح على بعض القرى والمواقع السعودية من الجو والبحر إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة القاهرة. ثم أنَّها قامت الحكومة السعودية وبعثت إلى الحدود الجنوبية قوات مسلحة وزودتها بجميع ما يلزم من المدافع والدبابات والمصفحات والقنابل والطائرات والرشاشات مما يجعل البلاد في أمن، وأصدرت لقوادها الأوامر بضبط النفس وعدم الاعتداء».

ولمّا أن شفي الملك سعود من الأمراض التي سافر من أجلها إلى سويسرا نصح له الطبيب الخاص وأوصاه مع الأساتذة المختصين والأطباء الآخرين أن يتم مدة الاستجمام في مصح الأستاذ دالين بباريس قبل العودة إلى بلاده وللتأكد من مفعول التغذية والأطعمة التي وضعت لجلالته هناك.

ولمَّا أن أزمع على السير قدم أمامه الأثاث لأول مرة يصحبه محمد بن مسفر ومحمد الدامر وعبد العزيز بن ونيان. ولـمَّا أن أقلت الطائرة الملكية تحطمت في الجو وهلك ما فيها من الرجال والأثاث وذهبوا ضحية هذا الحادث. وقد حامت حول وقوع هذا الحادث الظنون والشكوك، فمن قائل يقول: إنَّها اصطدمت بالجبال ومن قائل يقول: إنَّها انفجرت فيها قنبلة وضعها بعض المغرضين في طيات الأثاث. فالله أعلم وبه المستعان. ولمَّا قدرت له النجاة بعث ببرقيات التعازي إلى أهالي المفقودين في معيته ثم أنَّها انهالت البرقيات إليه من الشعب السعودي بمناسبة هذا الحادث وكلها تفيض بالغبطة والفرح والاستبشار بسلامته، وكان يتلقاها جلالته.

قدوم الملك سعود

لـمَّا أن سمع الشعب بقدوم الملك بدأت وفود المواطنين من البلدان القريبة من الرياض تصل إليها وتأخذ طريقها إلى المطار. وفي الساعة العاشرة من بعد عصر يوم السبت ٤/ ١٢/ ١٣٨٢هـ وصل الرياض فاستقبله أصحاب السمو الملكي الأمراء يتقدمهم عمه سمو الأمير عبدالله بن عبد الرحمن. ثم أنَّه سافر إلى ڤيينا ظهر الإِثنين الموافق ١٩ ذي الحجة للعلاج من قرحة الأمعاء حسب إرشادات الأطباء له. فودعه الأمراء ورجال الدولة.

وفاة أمير عفيف

ففيها وفاة الأمير سويلم بن ناصر بن شعلان رحمه الله. ولد المترجم عام ١٢٩٨هـ في مدينة حائل وتربى في نعومة أظفاره في أحضان والديه، وبعد وفاة والده تربى في بيت سالم السبهان، وبعد ذلك اشترك في آخر غزوات محمد العبدالله بن رشيد واشترك في غزوات عبد العزيز بن متعب ثم انتقل إلى الحجاز واشترك في حرب الأتراك ضد الأشراف ثم انتقل إلى

الشام واشترك في الحرب العالمية الأولى مع الأتراك ضد الحلفاء ثم عاد إلى نجد وانضمَّ إلى جيش ابن رشيد وبعد أن وضعت الحرب أوزارها في نجد على يدي المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن وسقطت حائل تحت قبضة ابن سعود فولي عليها سمو الأمير عبد العزيز مساعد اختار سويلم الشعلان أميراً على خيبر وبقي فيها مدة ثلاث عشرة سنة ثم انتقل إلى مكة المكرمة وانضمَّ إلى خدمة النائب فيها فيصل بن عبد العزيز، وبينما كان في خدمته رأى أن راتبه ضئيل بالنسبة إلى أنَّه ذو عائلة فلا يكفيه وعائلته، فقدر أنَّ الأمير فيصل كان قد أمر ببناء قصره في الحوية فقال لابنه: يا بني إنَّ راتبنا لدى الحكومة لا يكفينا فاذهب بنا في وقت الفراغ لنعمل مع العمال في قصر الحوية ونأخذ أجرة كغيرنا من العمال لنعول هذه الصبية عندنا. فكان يذهب هو وابنه إلى ذلك القصر فيعملان ويأخذان الأجرة. فقدر أنَّ الأمير فيصل خرج عند الانتهاء من العمارة ليرى ذلك القصر ويتفقده قبل الفراغ من عمارته فساعة دخوله ذلك القصر صادف لأول وهلة الأمير سويلم وفي يديه الطين الرطب يحمله. فوقف يقول بعد أسف: إلى هذه الدرجة يا سويلم. فتكلم يقول: أطال الله عمرك لي الشرف بذلك ويعلم الله أنَّ الحاجة الجأت إلى ما رأيت. فرق له صاحب الجلالة وهو الذي يقدر الرجال ويعرف مواقفهم. وكان سويلم يعمل في وقت الفراغ خفية ثم يأتي بعد ذلك فيغتسل ويتنظف ويتطيب ويأتي للخدمة بين يدي فيصل. وكان في صفته أسود اللون نحيف الجسم طوالاً يميل إلى السمرة نبس بالأسود تجتا أديباً شريف النفس له مؤهلات. فجهزه الأمير فيصل إلى الخاصرة من بلاد الشيابين ليكون أميراً فيها فلبث في إمارتها عشر سنوات كان فيها موضع الثقة والأمانة والمحبة من حكومته وأمته. وكان ينحر الإِبل في المناسبات وفي غيرها ويدعو جميع أهل البلد، وكان إلى ذلك يتعاطى الطب العربي وخصوصاً الكي والفصد والحمية مجاناً وبرأفة ورحمة. فمن

استعصى به المرض فقد يجد لديه من لطف الله فرجاً ويعطف على الأيتام والأرامل فكان يربي الأرامل في قصره ويتفقدهم. قال راوي الحديث: وقد شاهدت الأيتام متحلقين على الطعام وهو من بينهم يأكل معهم، ورأيته يخيط ثياب من يرى منهم متمزق الثياب، وكان يقوم من آخر الليل يسخن الماء في الأواني في الشتاء لِخَدَمِهِ ورجاله إذا قاموا لصلاة الفجر، ويهيىء لهم القهوة بنفسه مباشرة وتواضعاً. وبكل حال فإنَّ هذه صفات غريبة عجيبة فليسطر التاريخ ما شاء من المفاخر والمكارم.

صفاته الخلقية

كان تقياً ذكياً نزيهاً كريماً قوياً شجاعاً سلس الحديث، راوية لجميع الوقعات التي شاهدها وخاض غمارها، ويحفظ ما قيل من الشعر في هذه الوقعات، ولا يمل حديثه، فقد تأتي رجال البادية وشيوخها إلى مجالسه يتلقون الأخبار عنه وقد يأخذ في رواية بعض الحوادث من الصباح حتى يقوم رجاله لأداء صلاة الظهر، وكل إنسان من الجالسين لا يفارق مجلسه حتى يفرغ من الحديث. وأتى برجل قد انتفخ بطنه مبشوماً يحمله أهله إليه فذهب وجاء بقطعة حلتيت فأذابها وسقاه إياها، وقال: إذا تحركت أمعاؤه فأخبروني. فلم يفده ذلك من شيء فدعى بقطعة أخرى من الحلتيت وأذابها وسقاه إياها ثم أمر أن يذهب به للبراز فما كان إلاَّ أن خرج منه جميع الفضلات وعادت إليه صحته. وأتى برجل أصيب بعرق النساء وعجز الأطباء عن علاجه وكان محمولاً بنعش فأخذ حزاماً في بطن أحد الأعراب الذين في معيته وكان مجموعة من السيور مضفوراً طويلاً فأقام الرجل إلى عمود وشد على فخذه من أصلها إلى العرقوب ثم فصد ما تحت الكعب فخرج منه دم أسود وشفى من مرضه وكان ذلك المريض قد فصل من العمل لما أقعده مرضه فقام كأنَّما نشط من عقال فطلب منه الأمير سويلم أن يستقر عنده فأبى وقال: والله لا أبرح حتى آتي الذين قضوا بعدم صلاحيتي للعمل حتى يروا

عجزهم في الطب وكمال قدرة الله. وكان قاضي الخاصرة يقول عن الأمير: الحمد لله الذي وفقني لأمير تقي طبيب ومحسن وقاضٍ ومصلح وكريم. وكان قد جعل أكياس الأرز والسكر والهيل وصناديق الدهن وصناديق الشاي في الدهليز أمام رجاله وخدمه يتناولون ويأكلون ويشربون من غير مراقبة ومن جاء ضيفاً أو زائراً فإنَّه يتناول الطعام والشراب ويجد ترحيباً وانبساطاً. فكان الأمير لا يمسك شيئاً مما أتاه الله. ولمَّا أن لبث في إمارة الخاصرة تلك المدة نقل إلى أكبر منها وهي إمارة عفيف حيث لبث فيه مدة أربع سنين وتوفي وهو على رأس العمل في هذه السنة. وكان إلى ذلك نزيهاً متعففاً نظيف الملابس كثير التطيب يشم منه دائماً رائحة الطيب على البعد وله معاملة مع الله في صلاة الليل. وإنَّها لبادرة حسنة أن يكون من رجالنا وبني أوطاننا نحن العرب المسلمين من تشنف الأسماع بذكرهم ويسمر في أخبارهم.

وقد ذكرنا في هذه السنة ما حصل فيها من المؤامرات والثورات. ومما قال بعض الأدباء تبصرة وذكرى وتذكيراً وتأسفاً، وهذا القائل يدعى حسن بن حامد المحضار وهي تفيض بالنعي للفضائل والديانة والأخلاق وكيف وصلت الأحوال إلى هذا الوضع:

درني لأمزج دمها بدمائي ... فلعلَّ في ذرف الدموع شفائي
إنِّي تأمَّلْتُ الحياة فلم أجد ... إلاَّ عناء آخذاً بعناء
فسامتها حدثاً وعفت شؤونها ... في حين يجدر عيشها بولائي
ماذا رَأَيتُ رَأَيتُ كل كريهة ... شنعاء من حقد ومن بغضاء
ورأيتهم متنهمين لأكل لحـ ... ـم النَّاس أمواتاً بدون حياء
ورأيتهم أرخو العنان شقاوة ... لنفوسهم في الظلم والفحشاء
ورأيتهم طرحوا الفضائل والنُّهى ... ورضوا بكل رذيلة وعناء
ورأيتهم نبذوا الكتاب وحكمة ... سعياً مع الشيطان والأهواء
وأشد ما أذى الفؤاد وغاظه ... قوم بلوا بالضعف والخيلاء

ومع البلادة يحسبون بأنَّهم إن حدثوا فبحكمة الحكماء
والله لم نرم المرام متمماً ما لم نقم بالشرعة السمحاء
فهي الكفيل لنا بكل سعادة ستكون في الأخرى أو الدنياء
وهو المحيط وكل نهر جاري لم يجر إلاَّ بفضل هذا الماء
فإذا قرأت الذكر أي سكينة تلقى أو أي سعادة السعداء
ذكر يذكر بالجنان وأهلها ونعيمها ورياضها الفيحاء
يا أيها الإخوان فاتعظوا وعوا حتى متى في غفلة كالشاء
خلد الرجال وقد مضوا وعصورهم عنكم ومتم موتة الأحياء
يا غربة الدين الحنيف وغربة الساجيار والأبرار والفصحاء
أين البطولة والفحولة والحجى في قيمة الأعمال والآراء
أين الديانة والأمانة والوفا وصنائع الأجداد والآباء
أين الزهادة والعبادة والتقى وفضائل الأمجاد والعلماء
أين الأطمة والأئمة والهدى أم أنَّ هذا الدهر للغوغاء
فلقد تطاولت الرعاع سفاهة لتنال من أهل المقام الناء
يا ويلهم ظنوا بأنَّ نباحهم سيغادر الدنيا إلى الجوراء
من يبلغ الأنذال أن هواءهم عبث وإنَّ صنيعهم كهباء
أو أن تعرض للنصيحة فاضل قامت على قيامة الجهلاء
قالوا مضى عهد الخرافة وانقضى فتخل عن عقليه القدماء
ودع القديم واطوين بساطه واعلم بأنَّ العصر عصر قضاء
أو ما ترى الصاروخ يأخذ شكله رمز الدمار ولعنة الأمناء
هذا وعندك من غريب صنيعهم كم من أمور حار فيها الرائي
يا أيها الفطن النجيب كفاية بعض الذي قد كان من إملائي
وإليك من حكم الكلام نصائحاً أودعن ضمن خريدة عصماء
لا يدهشنك صنعهم فمآلهم شر المآل وخيبة الأرجاء

إلى آخرها وهي طويلة حسنة لولا خشية الإطالة لأتينا بها. والله المستعان. وعليه التكلان.

ثم دخلت سنة ١٣٨٣ هـ

استهلت هذه السنة والعالم في مشاكل عجزت الأمة عن حلها، فهذه كوبا نشبت لأجلها المشكلات والخلافات بين أمريكا وروسيا وأصبحت كلتا الدولتين تهدد الأخرى وما زالت روسيا تنذر وتحذر حتى دوت صيحات العالم خوفاً وهلعاً من اندلاع نار الحرب التي سببتها مشكلة كوبا المزودة بالصواريخ مما جعل أمريكا تفرض حصاراً محكماً عليها وأنذرت بأن كل سفينة محملة بالأسلحة سوف تغرق، وهبت روسيا لما رأت حليفتها بهذا الموقف لنجدتها مما جعل هاتين الدولتين العظميين تتسابقان في ميدان القوة الصاروخية. وهذه اليهود تفعل ما تشاء في فلسطين وتحكم ما تريد ولا وازع ولا رادع لأفعالها ضد العرب. أمَّا عن الحرب اليمانية التي ثارت في السنة المتقدمة وذهب ضحيتها خلق كثير من اليمنيين والمصريين وعمَّ بسببها الدمار وقتل الأطفال والعجزة فقد نصح المشير عبد الحكيم عامر رئيسه جمال بإنقاذ الجيش المصري من الكارثة المحتومة بنصيحة تتضمن ست مواد:

أولاً: صعوبة المواصلات في جهات القتال لأنَّ الملكيين في المناطق الجبلية فلا تصلها القوات الآلية.

ثانياً: الحرب في اليمن لا يمكن أن تنتهي بسهولة ولأن قوات البدر تزداد قوة وتسلحاً.

ثالثاً: ثبت بصورة قطعية عدم جدوى استخدام سلاح الطيران إذ أنَّ القوات الملكية تلجأ إلى المغاور والكهوف لحماية نفسها من قنابل الطائرات وصواريخها.

رابعاً: فداحة النفقات التي تكبدتها القوات المصرية في اليمن بحيث تقدر بمليون جنيه في تأمين المحروقات ومضاعفة الرواتب للجنود المحاربين.

خامساً: برودة الطقس وهطول الثلوج والأمطار بغزارة لأنَّ الجنود المصريين لم يعتادوا طقس ذلك.

سادساً: ازدياد نقمة اليمنيين الثوريين وغيرهم بسبب الغارات الانتقامية التي تشنها القوات المصرية على القرى ورجال القبائل العزل مما جعل اليمنيين أصبحوا يمقتونها وإن كانوا قبل ذلك يعطفون على الثورة نتيجة الأعمال الوحشية التي ترتكبها القوات المصرية من الدمار الرهيب. فقد تعرضت أغلب المدن والقسم الأكبر من القرى في الشمال والغرب والشرق إلى قصف من الجو من الحرب التي لا تزال دائرة رحاها ودمرت مائة وخمس عشرة قرية منها بلدة شهارة معقل الزيدية وأربعة آلاف منزل وأتلفت مساحات كبيرة من المزروعات. ويقدر عدد القنابل التي ألقتها الطائرات الحربية المصرية المؤلفة من عشرة أسراب وكل سرب من ست طائرات إلى عشر طائرات روسية جبارة بخمس وثلاثين ألف قنبلة خلال المرحلة الأولى وأحد عشر ألف قنبلة في المرحلة الثانية وسبعة آلاف قنبلة خلال المرحلة الثالثة من شتى القنابل المدمرة والمحرقة. أمَّا الخسائر المادية في الممتلكات التي تهدمت والمزروعات التي تلفت فتقدر بمائة مليون دولار. ومع ذلك فإنَّ قوات الإمام صامدة وأوقعت خسائر في الطائرات بحيث أسقطوا أربعين طائرة مصرية بنيران مدافعهم وساعدهم على تدمير الطائرات رداءة الجو وأخطاء الطيارين بحيث كان ملاحو الطائرات لا يهتدون إلى الملكيين لأنَّ لهم مكامن في الجبال. وكان من تلك القنابل التي تصب عليهم من الجو كيماوية قنابل الغازات السامة. ومع ذلك فقد أوقع الملكيون بالجيش المصري خسائر فادحة في الأرواح والقوات الآلية فدمروا ٢٨ مصفحة وثلاثاً وأربعين دبابة وغنمت اثنين وأربعين رشاشاً و٥ مدافع

و١٧٠ بندقية و٤ سيارات كما استولت على ٦٠ رشاشاً وأربعة مدافع هاون وبازوكا ودمرت ٢١ مصفحة وتسع دبابات واثنتين وثلاثين سيارة وطائرتين وقتلت ألفاً وثلاثمائة وخمسة وعشرين قتيلاً في ظرف ستة شهور. وما زالت توقع بالقوات المصرية حتى اضطرَّ المصريون إلى أنَّهم لا يخرجون في الليل وكان من الملكيين من ينضم في النهار إلى المصريين كأنَّهم معهم وفي الليل ينقلبون عليهم فيقتلونهم.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

فيها في يوم الأربعاء ٨/٩ اشتدَّ البرد برياح شمالية واستمرَّ الوضع ثلاثة أيام حتى تجمدت المياه وفي يوم الجمعة ١١ من الشهر المذكور استمرَّ جمود الماء إلى الظهر من ذلك اليوم وهذا شيء نادر الوقوع فقد كانت البرك كالحجارة، وهذا في القصيم. ولمَّا أن كان في اليوم المذكور نزلت درجة الحرارة إلى خمس تحت الصفر ولمَّا أن كان يوم الثلاثاء ٨/٢٢ نزل ثلج ارتفع فوق سطح الأرض قريباً من ثلاث سنتمتر ولم يعهد مثل هذا الثلج منذ زمن طويل. وفي ليلة الأحد ٩/٥ من هذه السنة هبت رياح شديدة باردة فنزلت لها درجة الحرارة إلى ٦ درجات تحت الصفر فتجمدت المياه وتوقفت بعض مواسير المياه عن الدفع للبيوت فكان من النَّاس من يوقد النَّار أسفل البزابير لتذوب الجمود، وفي بعض الأمكنة الباردة استمرَّ جمود الماء ثلاثة أيام لم يذب حتى كان الماء يهراق على الأرض ساخناً فيتجمد في الحال. وقد هلك بعض المسافرين من شدة البرد فقد تصبح حمولة بعض السيارات خاوية على ظهورها ولحق بعض السيارات أضرار من تجمد الماء في الأديرات وعدم جريانه وهذا البرد عام في جميع الجهات. نسأله تعالى أن يلطف في الحال. ولا ريب أنَّ مثل هذه النوادر من النقص وأتعاب الحياة.

حادثة من الحوادث

ففي شهر شوال من هذه السنة اعتدى قط على بيت أحد الموظفين في الوادي بين بريدة وعنيزة فصار يعبث بشراب أهل البيت وطعامهم ولم يجد صاحب البيت طريقة يتخلص من هذا القط إلاَّ قتله.

فكان في صفة قتله أن صبَّ الأطفال عليه كازاً وأحرقوه وبعد إحراقه اشتعلت نار في جهات من البيت وقام أصحاب البيت بإطفائها ثم كانت تشتعل من جديد وهكذا، ولا يعلمون عن مصدر النَّار. وبعد ذلك صاروا يجدون أوساخاً في بيتهم مما نكد عليهم معيشتهم ونغص حياتهم فانتقلوا من دارهم إلى دار أخرى فلم يتوقف ذلك الأذى بل استمرَّ على هذا الوضع فتفرقوا على أقاربهم فلحقهم الأذى ولم يجدوا بدّاً من الانتقال إلى الرياض. هكذا نشرتها جريدة القصيم في عددها ٢١٥. ويقرب من ذلك حادثة وقعت قبل هذه السنة بثمان سنين في بريدة وذلك أنَّ صبياً رأى قطاً في بيت أهله يريد وقت العشاء ما يسد رمقه فخاتله الصبي من خلفه بقضيب فيه نار فكواه من خلف رأسه ففر القط. ولمَّا كان في منتصف الليل في السابعة بالتوقيت الغروبي إذا بالصبي يصرخ من بين أهله وهو يقول: جاءني ناس بشهاب فكووني من خلف رأسي فكشفوا عن مؤخر رأسه فوجدوا آثار الكي ظاهراً فيه. هذه قصة متفق عليها ولها نظائر كثيرة. ولا ريب أنَّ هذا الأمر بين، إمَّا أن يكون هذا القط من الجن متصوراً في صورة قط ليقتص له ممن ناله بسوء أو تكون هذه عقوبة من الله للتعذيب بالنَّار لأنَّه لا ينبغي أن يعذب بالنَّار إلاَّ رب النَّار كما أرشد الشارع إلى ذلك. وفي رواية للبخاري: (وإنَّ النَّار لا يعذب بها إلاَّ الله). ولحديث: «إذا قتلتم فأحسنوا القتلة». فالطريقة الشرعية هي أن القط إذا حصل منه أذى يقتل. ولكنني أفضل أن ينذر قبل القتل.

تكذيب خبر

في شهر رمضان من هذه السنة ظهرت نشرة من رؤيا منسوبة إلى الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف بعنوان: هذه وصية من المدينة المنورة عن الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف قال فيها: كنت ساهراً ليلة الجمعة أتلو القرآن الكريم وبعد تلاوة أسماء الله الحسنى. فلما فرغت من ذلك تهيأت للنوم فأخذتني سنة من النوم فرأيت الطلعة البهية رسول الله ﷺ جالساً وهو الذي ظهرت له الآيات القرآنية والأحكام الشرعية رحمة للعالمين سيدنا ونبيِّنا رسول الله ﷺ، فقال: يا شيخ أحمد، فقلت: لبيك يا رسول الله ويا أكرم خلق الله. فقال: أنا خجلان من أفعال النَّاس القبيحة ولا أقدر أن أقابل ربي ولا الملائكة وأقف على قدم لأنَّه مات من الجمعة إلى الجمعة مائة وستون ألفاً على غير دين الإسلام فنعوذ بالله من شر ذلك، وصار غنيهم لا يرحم فقيرهم، وأصبح كل شخص لا يسأل إلاَّ عن نفسه، وقد ارتكبوا المعاصي والكبائر والزنا والخطأ الكبير والبطران وكثرة المعاصي، وكثر الرجس وشربوا الخمور وتركوا الصلاة ومنعوا الزكاة. بهذه الوصية رحمة لأجل أن يطيعوا الآن شدة الغضب، فأخبرهم يا شيخ أحمد قبل أن ينزل بهم العذاب من ربهم العزيز الجبَّار وتغلق أبواب الرحمة، فنعوذ بالله من شر هذا العرض، هذا لأنهم عن طريق الحق ضالون، وبالله تعالى يكفرون، وللدين الحنيف تاركون، ولآيات الله ينكرون، وبأديانهم الناطقة يجحدون، وإنَّ الساعة قد قربت، وعن قُريب تخرج النساء بغير إذن أزواجهن وتظهر علامة في السماء مثل بيضة الدجاجة، ومن علامات القيامة تغيب الشمس ثلاثة أيام، وبعد ذلك تشرق الشمس من المغرب وتغرب من المشرق، وتغلق أبواب التوبة، ويرفع القرآن العظيم من صدور الرجال، ويظهر المسيح الدجال تخافه النساء والرجال ويعود الإسلام كما كان قبل. أخبرهم يا شيخ أحمد بهذه الوصية وعرفهم أنَّها منقولة من لوح القدرة،

ومن يكتبها ويرسلها من بلدة إلى بلدة، ومن محل إلى محل كتب الله له قصراً في الجنة، ومن لا يكتبها ولا يرسلها حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة، ومن لا يكتب ولا يقرأ أن يقدم للكاتب ثلاثة دراهم إن كان فقيراً أو غنياً والله يكتب له ولوالديه الرحمة والبركة، ومن لا يكتبها من عباد الله بعد قراءتها اسودَّ وجهه في الدنيا والآخرة. قال الشيخ أحمد: والله العظيم هذه صحيحة وإن كذبت خرجت من الدنيا على غير دين الإِسلام، ومن صدق بها ينجو من النَّار، ومن كذب بها كفر، وصلَّى الله على سيدنا محمد النور البهي للأمَّة وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

هذا نصها بحروفها، وكانت هذه النشرة قد ظهرت لأول مرة في عام ١٣٤٧ هـ وتداولتها الأيدي، وذكر فيها بأنَّه يخرج في سنة ١٣٥٧هـ علامة في السماء كبيضة الدجاجة، وفي سنة ١٣٦٠هـ تخسف النجوم، وفي سنة ١٣٦٦هـ تقوم الساعة، ولم يقع شيء مما ذكره. وظهرت هذه النشرة في عام ١٣٧٥هـ، وظهرت في هذه السنة لثالث مرة، لكل مرة تظهر مطبوعة بآلة الطباعة ويظهر من طيات كلماتها وسطورها أنَّه لا أصل لها بل هي خرافة. وقد ردَّ عليها الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز لما ظهرت هذه المرة وبين أنَّها محض أكاذيب ملفقة وشنع على صاحبها، وقال: نشهد الله سبحانه ومن حضرنا من الملائكة ومن اطلع على هذه الكتابة من المسلمين شهادة نلقى الله بها أنَّها كذب وافتراء على رسول الله ﷺ، أخزى الله من كذبها وعامله بما يستحق وذكر أنَّ في هذه الوصية أموراً كلها تدل على بطلانها وكذبها ولو أقسم مفتريها ألف قسم أو أكثر على صحتها، ولو دعا على نفسه بأعظم العذاب وأشد النكال على أنَّه صادق لم يكن صادقاً ولم تكن صحيحة بل هي والله ثم والله من أعظم الكذب وأقبح الباطل. هذا ما ردَّ به الشيخ عبد العزيز على صاحبها.

وفيها من الغرائب عثر على حوت هائل الحجم على بعد مسافة سبع

كيلومترات جنوب الجبيل من نوع سمك العنبر وقد قدر طوله اثنين وأربعين قدماً وعرضه اثني عشر قدماً وزنته حوالي خمسة وثلاثين طناً. وقد تواترت الأخبار عن المسافرين تفيد أنّهم عثروا على نفس هذا الحوت عائماً حول شاطىء الجبيل، ولطوله وغرابة شكله هرع عموم سكان الجبيل لرؤية هذه الخلقة، وكان أصحاب السيارات ينقلون الناس من الخبر والدمام ورأس تنور لمشاهدة هذا الحوت العظيم. والله على كل شيء قدير. ويذكرنا هذا حوت أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الذي أقامت سريته شهراً وكانوا ثلاثمائة يأكلون من لحمه وذلك لما رفع لهم كهيئة الكثيب الضخم، وكانوا يغترفون من وقب عينيه بالقلال الدهن وجلس ثلاثة عشر رجلاً في عينيه.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم: إبراهيم بن طاسان رحمة الله عليه على أثر مرض استدعى سفره إلى بيروت ثم إلى لندن، وقد توفي بعد رجوعه في جدة بعد أن تأكد من عدم فائدة العلاج. ولله در القائل:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل عزيمة لا تنفع

وكان لموته أسف ورنة أسى في المجتمع لما له من خدمات وإخلاص لهذه الدولة ومليكها ولا سيما بين عارفيه ومقدري فضله. وقد أبلى بلاء حسناً في جهاد اليهود في فلسطين بحيث كان قائد القوات السعودية وشوهدت منه شجاعة وتقدم وبسالة خدم بها شعبه وأمته، وله منظر يفيض حماسة وتقدماً وأبدى في معركة فلسطين شجاعة وبطولة سجلها له التاريخ. نسأل الله تعالى أن يثيبه على جهاده. وقد بعث الملك سعود برقية إلى أبنائه صالح بن إبراهيم الطاسان وإخوانه معرباً عن تعازيه بوفاة والدهم إبراهيم ما نصها: (جدة: بلغنا وفاة والدكم إبراهيم الطاسان فتأثرنا كثيراً لما نعرفه عنه من رجولة ومحبة وإخلاص وتفاني للعمل سائلين الله تعالى أن يتغمده

برحمته وأن يلهمكم جميعاً جميل الصبر وحسن العزاء وسنكون عوضكم فيه إن شاء الله).

خدمات الفقيد

التحق رحمه الله بالسلك العسكري منذ نحو أربعين عاماً وكان مخلصاً لحكومته ووطنه محبوباً من جميع رؤسائه ومرؤسيه حتى نال إعجاب جلالة الملك الراحل وجلالة الملك سعود وكان موضع ثقتهما وتقديرهما، وآخر أعماله في السلك العسكري أن بلغ رتبة فريق. وقد كان رئيساً لأركان حرب الجيش ثم نقل إلى وظيفة مستشار عسكري لجلالة الملك المعظم. ووافته المنية وهو على رأس العمل وكان مع اضطلاعه بالقيام بالعمل العسكري يشرف على الطيران المدني والعسكري والخطوط السعودية إلى أن نقل من السلك العسكري. وكانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة عن عمر يناهز الخامسة والستين. فالله المستعان.

وممن توفي فيه من الأعيان العابد الزاهد عبد المحسن بن عبدالله القشعمي وذلك في ١٧ صفر من هذه السنة عن عمر يناهز ٨٣ سنة. وكان متعففاً وذا ورع وتقى وزهد، وله نهمة في المتابعة بين الحج والعمرة ومحباً لأهل الدين ويميل إليهم وذا بصيرة في النَّاس يوالي أولياء الله ويعادي أعداءه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكان من أهالي بلدة الزلفي، وقد يوجد في بلدة الزلفي أفذاذ من الرجال أهل الدين والصدق والفضل والمعرفة كالشيخ محمد بن عمر المطوع وكان رجلاً مشهوراً بالعبادة والزهد ومعرفة الحلال والحرام والإقبال على الله والدار الآخرة معرضاً عن الدنيا وله تردد على المقابر للسلام والتفكر في أحوال الموتى ويعظ ويرشد. وقد وضع الله له قبولاً في تلك الجهة ومعظماً فيها يحبه النَّاس ويقدرون مواقفه. ولتمام ورعه لم يتولَّ القضاء وإن كان فيه مؤهلات. ومن علماء الزلفي القاضي

الشيخ فالح بن عثمان، ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن سعد. أمَّا عن الشيخ محمد بن عمر فكانت وفاته بعد هذه السنة بست سنوات.

وممن توفي فيها رجل الدين والخير علي بن عبد العزيز العجاجي عفا الله عنه وتغمده برحمته. وهو علي بن عبد العزيز بن سليمان بن ناصر بن سليمان آل عجاجي من آل كثير وموطنه في بريدة. ولد في عام ١٣٢٢هـ ونشأ نشأة حسنة من بين والده وأخيه الشيخ محمد وكان مرسوماً بالعلم وطاعة الله ورسوله وكان ملازماً لطلب العلم. أخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وعن الشيخ عمر بن محمد بن سليم. وكان ملازماً خاله في الحضر والسفر وموضع سره وثقته. كما أنَّ له حظّاً في صحبة المشايخ فكان ملازماً للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد لما قدم إلى بريدة وموضع سره. أخذ عن أخيه الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم ويتولى بعض شؤونه ويختصه الشيخ في ذهابه وإيابه ويتولى القراءة في مجالسه الخاصة وفي القراءة عليه بين المصلين قبيل صلاة العشاء الآخرة وفي المجالس الخاصة ضمن أناس يختصهم الشيخ عمر، وكان سريع ذرف الدمعة من خشية الله تعالى. وقل أن يجلس الشيخ عمر مجلساً إلاَّ ويحضره. ولمَّا أن توفي رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولاه الشيخ عمر تلك الوظيفة وقام بها خير قيام. وبعد أن شغل هذه الوظيفة في آخر حياة الشيخ عمر وصدر أمر تولى الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد وملازمته حيث زاولها ١٤ سنة التحق بالمعهد العلمي في بريدة فكان مراقباً فيه وشغل هذه الوظيفة قرابة أربع سنين وكان قد خلفه في رئاسة الحسبة الشيخ عبدالله بن سليمان بن حميد فكان بعده. ثم أنَّ المترجم ولي إدارة دار التربية الاجتماعية ببريدة وكان عاقلاً مدارياً وذا أصل في العقيدة وما زال في صحبة العلماء في حلهم ورحيلهم حتى نال هذه الوظيفة فاقتنع بها مؤثراً

لوطنه وقانعاً بما قسم الله له بجعله في هذه الوظيفة. ولبث فيها ست سنوات ثم أنَّه أصيب بمرض مخوف وما زال يلهج بالذكر والاستغفار طيلة مرضه حتى توفاه الله تعالى في ٢٤/ ٥ من هذه السنة عن عمر يناهز الحادية والستين. وقد شيع جنازته جمع كثير من الأهالي حتى ضاق بهم الجامع الكبير بمدينة بريدة وشيعوه إلى مثواه الأخير ولم يخلف عقباً.

وممن توفي فيها من الأعيان أحمد العلي العييري. كان رجلاً من أثرياء بريدة وفيه رجولة ودين ومحبة لأهل الدين حسن المعاملة، طيب العشرة، محسناً إلى الفقراء والمساكين وذا عقل ومعرفة، مرضياً عنه من سائر طبقات النَّاس وأتاه الله مالاً وأولاداً، وكان شكور النعم لله. وكانت وفاته عن عمر يناهز الثمانين عاماً وقد شهد جنازته جموع كثيرة وأثنى عليه المسلمون يوم وفاته تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته.

وممن توفي فيها إبراهيم بن صالح بن محمد بن عبدالله بن سليم كان ابن أخ شيخنا عمر رحمه الله وعفا عنه وفيه دين وبصيرة، يحب في الله ويبغض فيه ولديه صلاح وكان ذا ثروة. وقد أمضى فترة في التدريس بإحدى المدارس الحكومية يدرس فيها العلوم الدينية. كانت وفاته في أواخر شعبان من هذه السنة عن عمر يناهز الخامسة والخمسين.

وفيها أعتق الأمير عبد الرحمن بن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن خمسة عشر مملوكاً ويعتبر هذا من فرد واحد كثيراً والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً. وكان قد رفض التعويض عنهم، بل جعل عتقهم قربة إلى الله تعالى فلتهنه هذه الحسنات. قال ﷺ: «أيما امرىء مسلم أعتق امرءاً مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النَّار». وفي الحديث الآخر: «أيما امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النَّار».

وفيها فتحت أول مدرسة للبنات في بريدة وذلك في ١٥/ ٦ من هذه السنة

وكان فتحها عن طلب من بعض الأهالي للحكومة بهذا الصدد وهنا معارضة من البعض لأنَّ المعارضين يرون عدم ذلك وأنَّه وسيلة إلى اختلاط النساء بالرجال والفتيات بالبنين كما جرى في بعض الأمصار. قال بعض العلماء: لتعلم أيها الرجل المحافظ على الحفاظ أنَّ الأمة إذا تركت تقاليدها أو تجاهلت حالة الأجانب في أمورهم وجرت معهم في اتباع المشيء من عاداتهم لم يمض عليها قليل من الزمن إلا وهي أثر بعد عين وانمحت معالمها أو ضاعت مدنيتها. أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّه قال: قالت النساء للنبيِّ ﷺ: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهنَّ يوماً يجتمعن فيه فوعظهنَّ وأمرهنَّ فكان فيما قال لهنَّ: «ما منكنَّ امرأة تقدم ثلاثاً من ولدها إلاَّ كانوا لها حجاباً من النَّار. فقالت امرأة: واثنين. قال: واثنين». فلو أنَّ السفور كان مباحاً وكذلك الاختلاط بالرجال كما يزعمه بعض النَّاس في هذه الأيام لدعاهن رسول الله ﷺ إلى حضور مجالس الرجال. ولما خصص لهنَّ يوماً خاصاً بهنَّ حرصاً على كرامتهنَّ ومنعاً من الافتتان بهنَّ. وهو القائل ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء». وهذا أبو العلاء المعري يوصي بالنساء فيقول:

علموهن الغزل والنسيج والرد ... ن وخلوا كتابة وقراءة
فصلاة الفتاة بالحمد والإخلا ... ص تجزي عن يونس وبراءة

فما أعظم الفارق بيننا إذ يدعو البعض منَّا إلى إخراج المرأة واختلاطها بالرجال ومزاحمتهم في كل الميادين وبين تلكم الأمة المجيدة الغيورة على أعراضها الحريصة على كرامتها، تلكم الأمة التي اختارها المولى عزَّ وجلَّ فجعلها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم وصفها بهذه الصفات ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، وبعث إليها أشرف الأنبياء والمرسلين، تلكم الأمة التي يقول شاعرها:

وحلت بيوتي في بقاع ممنع ... تخال به داعي الحمولة طائرا

خداراً على أن تنال مقادتي ولا نسوتي حين يمتن حرائرا

لا شكَّ أن أمة يقول شاعرها لذلك مبيناً مبلغ الغيرة على العرض والحفاظ عليه لجديرة أن تكون سناء الدعوة لنبي أتى بمكارم الأخلاق وأفاضل الشيم والخصال. وقد أفتى الإِمام أبو حنيفة وهو الذي يحتج دعاة السفور والاختلاط واشتراك المرأة في الأعمال العامة زوراً وبهتاناً بما في مذهبه من سماحة أفتى رضي الله عنه بأنَّه إذا وقفت المرأة بين الرجال بطلت صلاة من على يمينها ومن على شمالها ومن هو خلفها. وكان الذين يرون التعليم للبنات يحتجون بأنَّ الوقت قابل للعلم وإذ كان يؤتى بالنساء الأجنبيات لعلاج نساء الأهالي ويصرف لهنَّ الرواتب الطائلة فكون المصلحة للأهالي إذا أصبحوا قدراء أحسن، فتكون ثروة البلاد لأهلها لا ينبغي صرفها للأجانب. ومن جهة أخرى فإنَّ الشباب الذين أصبحوا مثقفين يتطلبون فتيات مثقفات لأنَّا قد رأينا منهم من يأتي بزوجة من سوريا ومصر وغيرها. ومن جهة ثالثة فإنَّ المعلمين الأجانب المنتدبين قد يأتوا بعوائلهم فيجد الذكور من العوائل المدارس والمعاهد والكليات مفتوحة الأبواب للطلاب، أمَّا الفتيات من عوائلهم فإنَّها تكون محرومة من التعلم لعدم وجود المدارس للبنات في السعودية. فرأت الحكومة أيدها الله تعالى فتح مدارس للبنات لا يمنع منها من أرادها ولا يدعى إليها من يأباها ونفذت هذه الفكرة بالقوة. ولمَّا أن فتحت المدارس جعلت الحكومة سيارات الأتوبيس لنقل الفتيات من البيوت إلى المدارس وأمرت بالاحتفاظ والصيانة واشترطت على السائق أن تكون زوجته إلى جانبه، وبعد الفراغ من الدراسة ترجع بهنَّ الأتوبيسات بالحفظ والصيانة والتستر يوزعن على بيوتهن، ولا يمكن أحد من الاتصال بالمدرسة ولو كان ولي فتاة، ولا يدخل المدرسة إلاَّ محض الإناث. وكان البوابون محافظين على أعمالهم أشد المحافظة واستمرَّ فتح المدارس بنشاط، وأقبلت الأمة عليها سواء من المستجلبين لها أو الممانعين، وكانت

العاقبة والحمد لله إلى خير. فالله الله أيها المسلمون في أوطانكم ودينكم وأعراضكم. إنَّ الأمر لكم في النهاية فاختاروا لأنفسكم ما يليق بشرفكم وعزتكم وكونوا رجالاً كما يريد لكم الله ورسوله، واحفظوا أمانة الله التي ائتمنكم عليها، وأحسنوا رعاية أبنائكم وبناتكم وأهليكم، وتفكروا في قوله تعالى خطاباً للنساء: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾.

وفيها في أواخر ربيع الأول وصل إلى مطار القصيم بالمليداء معدات الشركة التي رست عليها المناقصة ثم إنَّها أخذت العمال في المشروع الذي بلغت تكاليفه ستة ملايين ريال. وقد وضع هناك ليكون متوسطاً بين مدن القصيم والقرى ويبعد عن بعضها بمسافة ٤٠ كيلو. ولكنه خفف من بعده سفلتة طرقه.

وفيها في يوم الأربعاء الموافق ٢/١١ من هذه السنة قدم القائد سعيد حبيب مدير شرطة بريدة، وبعده في ٢/١٥ أي بعده بأربعة أيام قدم رجال الشرطة ويبلغ عددهم خمسين جندياً.

وفيها عمل تخطيط لشارع الخبيب في مدينة بريدة على أساس ثلاثين متراً وهَدَّ التوسعة مواضع سكنية من الجهة الشرقية والغربية وبذلك يكون هو الشارع الرئيسي الذي يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب، وبلغ عدد التعويضات لذلك مليونين من الريالات وكان شارع الخبيب قبل هذه السنة بخمسة وعشرين عاماً صحراء واسعة. وبهذا يعلم تقدم البلد بسرعة فائقة، وكان الشروع في العمل في غرة جمادى الثانية من هذه السنة.

وفيها أقام سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ حفلة غداء بمناسبة سكناه ببيته الذي أقامه من الأسمنت المسلح دعا إليها العلماء وطلاب العلم وذلك في آخر ربيع الثاني، وكان البيت ممتازاً. نسأل الله حسن التوفيق.

ولـمَّا أن كان في ٢٨ من هذا الشهر الموافق ليوم الاثنين بعد الظهر قدم الملك سعود إلى مطار الرياض عائداً من سفر العلاج وقد غصَّ المطار بالجموع الغفيرة من المستقبلين من الأمراء والوزراء وضباط الجيش وعلى رأسهم ولي العهد فيصل بن عبد العزيز وعمه عبدالله بن عبد الرحمن وأصحاب السمو وأصحاب الفضيلة العلماء. وما أن أطلت طلعته من باب الطائرة حتى دوى المطار بالهتاف والتصفيق الحار من جموع المستقبلين وأطلقت لذلك حامية مطار الرياض إحدى وعشرين طلقة تحية لجلالته. وبعد أن ترجل جلالته من الطائرة أدى رجال الحرس الملكي التحية الملكية ثم صدحت الموسيقى بالسلام الملكي. وبعد أن تفضل جلالته برد التحية أخذ يشق طريقه بين جموع المستقبلين.

وفيها قام العمال بالحرم المكي الشريف بتسقيف بئر زمزم ليتمكن مرور الطائفين من فوقها على أن يؤخذ الماء من تحت السقف مع الدرج، وهذا لأجل توسعة المطاف حوالي الكعبة المشرفة وما يستدعيه من مرور الأفواج هناك. ويستخرج ماء زمزم بواسطة موتور كهربائي، وكان الباعث لهدم المقامات الأربعة وإزالة بناية زمزم كثرة الحجاج والطائفين بحيث أصبحت المشاعر تضيق بالحجاج، وبذلت الحكومة أسباباً لجلب راحتهم. هذا ولا تزال المشاريع مستمرة في المملكة السعودية فستة مطارات في ست من المدن في القصيم والوجه وبيشة وسكاكا وجيزان وخميس مشيط مع توسعة مطار جدة والرياض والقريات والهفوف تكاليفها زادت على أكثر من ستة وأربعين مليوناً من الريالات. وطرح في المناقصة فعلاً مشروع التليفون الأتوماتيكي للمدن الهامة في المملكة وتقدر تكاليفه بمائة مليون وثلاثة ملايين ونصف.

وفيها في الساعة الثالثة من صباح الأربعاء ٨/١٦ وصل وزير الدفاع سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز إلى مدينة أبها ضمن جولته التفقدية فاستقبله

هناك الأمير تركي بن ماضي أمير المقاطعة ورجال الدين ورؤساء الإدارات وشيوخ القبائل وطلبة المدارس وجموع الشعب الغفيرة وأقيم حفل كبير لهذه الغاية تعاقب فيه الخطباء والشعراء بكلمات الترحيب والإعراب عن الولاء للحكومة.

وفيها أسس مصنع الكبريت في مدينة الرياض وكان المؤسس له مواطن اسمه محمد عمر باسودان وكان يعمل فيه خمسون عاملاً سعودياً وعشرة عمال من العرب من غير المملكة. ويعتبر هذا المصنع أنَّه الوحيد الأول من نوعه. ويقول مدير المصنع: إنَّه يكفي لسد حاجة المملكة من الكبريت وكانت تدار مكائنه ومحركاته على الكهرباء ويقع في طريق الخرج بالرياض.

وفيها افتتح وزير الدفاع سلطان بن عبد العزيز مطار خميس مشيط في حفل كبير أقامه الأهالي تكريماً لسموه بهذه المناسبة. ولا يزال هذا الوزير الجديد نشيطاً يوالي أعماله التقدمية، وفقه الله تعالى وسدد خطواته.

وإذا نظرنا إلى ما تقوم به فرق الإطفاء من الإسعافات وبذل الجهد في هذا السبيل فإنَّ الحكومة عينها ساهرة لمصلحة الأمة وإنَّ فرق الإطفاء لتشكر على أداء واجبها نحو الموتورين بالحريق ذلك لأنَّهم قد ألقوا السمع للاستغاثة فساعة ما يبلغهم الطلب إذا بهم يجوبون الشوارع مسارعين بكل مقدوراتهم لإنقاذ الهلكى وإطفاء الحريق يلقون أنفسهم لإخماد النيران بثيابهم المعدة لذلك ويتفانون في هذا السبيل، وأكثر ولا حرج من تعداد حسنات هذه الفرق وما تقوم به.

وفيها تمَّ تشييد سوق الجزارين وسوق الخضار المقامين في بعض موضع قصر الحكم القديم في بريدة ونقل إلى ذلك الموضع اللحوم وجالبو الخضروات، كما اعتزمت الأمة على إيجاد الإسعافات العاجلة الضرورية

وإنشاء فرع لجمعية الهلال الأحمر السعودي في مقاطعة القصيم لتوفير الإسعافات العاجلة الضرورية الطبية والاجتماعية تفادياً للنكبات عند نزول الحوادث وغير ذلك من مساعدات إنسانية واجتماعية. وإنَّها لخطوة تقدمية موفقة وأكثر الله أمثال هذه المشاريع العائدة على بني الإنسان بالراحة وقضاء الحاجات. هذا ونشير لكثرة الحركة في المدن السعودية في طلب الرزق ومثابرة الأعمال في المصانع من تصليح السيارات وإنشاء الأبواب الحديدية والمتاجر الأخرى وأنواع السمكرة وفتح الحفيزات ودكاكين البقالات ومحطات الوقود والبيع والشراء. ومن لم يكن من الأهالي يساهم في ذلك فإنَّه يتقلب في خدمة الدولة. ونأمل من الجهات المسؤولة تشغيل العاطلين لأنَّ الكسل نتيجته الفقر والخيبة. وقد أحسن القائل:

كان التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين زوجها مهرا
فراشاً وطيئاً ثم قال لها انكحي فإنكما لا بدَّ أن تلدا الفقرا

زيارة الملك لمصر لحضور مؤتمر القمة العربي

وذلك بعد ظهر الاثنين ٢٨/٨ يرافقه وزير الدفاع والطيران سلطان بن عبد العزيز ورئيس الديوان الملكي منصور بن سعود وعمر السقاف وكيل وزارة الخارجية واللواء عبدالله المطلق رئيس الأركان وغيرهم. فاستقبله الرئيس جمال وعبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية وعزفت الموسيقى وأطلقت حامية مطار القاهرة إحدى وعشرين طلقة. وقد لقي كل حفاوة وتقدير من قبل الجماهير الغفيرة هناك. فلبث في مصر خمسة أيام وعاد إلى الرياض في الساعة العاشرة والنصف من يوم السبت ٤/٩ فاستقبلته الأمراء إخوته وأبناؤه على رأسهم ولي العهد فيصل ومن بينهم قادة وضباط الجيش، كما أنَّه ودع في مصر من قبل الرئيس جمال وعبد الخالق حسونة وكبار رجال الدولة في الجمهورية العربية المتحدة.

إسناد الأمر إلى ولي العهد

كانت مشكلة كثرة أسفار الملك سعود وتأخر صحبته مما يعيق الأعمال ويعرقل حركة الإصلاح التي تأخذ مجراها السريع فقد اجتمع العلماء في الرياض في أوائل ذي القعدة من هذه السنة على أثر مخالفات جرت من الملك لأنَّ له رأياً قد لا يتوافق مع ولي العهد وكان من نتيجة هذا الاجتماع أن أصدر مجلس الوزراء قراراً برقم ٥٣/ ٧/ ١٧/ ١١ بشأن منح فيصل بن عبد العزيز السلطات التنظيمية بمقتضى المادتين ١٩ و٢٠ من نظام مجلس الوزراء الذي يملك حق إعداد الأنظمة وتنظيمها. وبعد استعراض الأوضاع الراهنة وما تقتضي به الضرورة من وضع حد لكل ما ينقص نعمة الاستقرار التي تستمتع بها البلاد أو يعرقل حركة الإصلاح التي تأخذ مجراها السريع واستناداً على الفتوى الشرعية الصادرة بتاريخ ١٦/ ١١/ ١٣٨٣هـ من اثني عشر عالماً من فقهاء هذه الأمة والتي جاء بها: (أنّه نظراً لحالة جلالة الملك الصحية وظروفه الشرعية الراهنة، ونظراً لأنَّ جلالته غير قادر على القيام بمهام أمور الدولة فقد صدر قرارهم متمشين على ما تقتضيه النصوص الشرعية المرعية للمصالح العامة بأن يقوم سمو الأمير فيصل ولي العهد بتصريف جميع شؤون الدولة الداخلية والخارجية في حضور الملك وغيابه بدون الرجوع إلى الملك في ذلك).

وبعد أن أطلع المجلس على القرار الذي اتخذه أعضاء الأسرة المالكة والذي أجمع فيه رأي الحاضرين منهم على وجوب قيام صاحب السمو الملكي ولي العهد بجميع الصلاحيات التي نصت الأنظمة على أن يمارسها جلالة الملك، وبناء على الأمر الملكي الصادر برقم وتاريخ ٩ شوال ١٣٨١هـ والذي أصبح بمقتضاه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل نائباً عن جلالة الملك في شؤون الدولة في حالة غيابه وحضوره وقرر مجلس الوزراء بناء على ما تقدم أمرين أحدهما أنّه مع بقاء صاحب الجلالة سعود بن عبد العزيز ملكاً للبلاد تناط جميع المسؤوليات والصلاحيات التنظيمية

والإدارية والقضائية التي يتمتع بها جلالته طبقاً لأحكام الشريعة الغراء والأنظمة المرعية في البلاد بصاحب السمو الملكي فيصل بن عبد العزيز، ويعتبر المسؤول الوحيد عن القيام بجميع المسؤوليات والصلاحيات.

ثانياً: كافة الأحكام الشرعية والنظامية التي تنيط صلاحيات بصاحب الجلالة الملك بوصفه رئيساً للدولة وقائداً أعلى للقوات المسلحة تعتبر بحكم هذا القرار مناطة بصاحب السمو الملكي الأمير فيصل نائب جلالة الملك، ويعتبر هذا بمثابة تعديل للأحكام في كافة الأنظمة وعلى وجه الخصوص المواد ـ ٨ و١١ و٢٣ و٢٧ و٤٤ من نظام مجلس الوزراء، وصدق على ذلك القرار فيصل برقم ٥٣ في ١٧/ ١١/ ١٣٨٣هـ ثم عمم ذلك لجميع الإِدارات في ٢٣/ ١٢/ ١٣٨٣هـ. وبهذا القرار الذي ذكر تولى فيصل منذ ذلك التاريخ جميع سلطات الدولة الداخلية والخارجية بصفته نائب الملك الدائم في حضوره وغيابه وولي العهد ورئيس مجلس الوزراء أي وصياً على العرش. ويبقى لسعود اسم الملك ومخصصاته واستمرت هذه الحالة بضعة أشهر.

ثم دخلت سنة ١٣٨٤ هـ

استهلت هذه السنة والأمراء والرؤساء على ما نبينه: فكان رئيس مجلس الوزراء في المملكة السعودية والمتصرف في شؤون الدولة داخليتها وخارجيتها سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز وأمير منطقة حائل الأمير عبد العزيز بن مساعد وأمير عرعر والحدود الشمالية نجله عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد وأمير المقاطعة الشرقية سعود بن عبدالله بن جلوي وأمير مكة مشعل بن عبد العزيز ووزير الداخلية فهد بن عبد العزيز ووزير الدفاع والطيران سلطان بن عبد العزيز وأمير الرياض سلمان بن عبد العزيز وأمير الحرس الوطني عبدالله بن عبد العزيز، وهكذا. . .

وفيها في اليوم الخامس عشر بعد العصر من شهر محرم هبت رياح

شديدة فثار لها غبره وقتره وأظلم الجو جداً فكان ذلك الوقت شديد الظلمة واستمرت الظلمة من الساعة العاشرة تزيد ٤٥ دقيقة عربي كقطع الليل المظلم فأضيئت أنوار السيارات لما عجزت عن المسير لشدة الظلمة وجرى شيء لم يعهد مثله في آخر هذا الزمان بحيث أمست الأمة في وقت العصر كالساعة الثانية من الليل البهيم. وكان ذلك في سادس برج الجوراء ثالث البطين ابتدأت هذه الظلمة بصفرة ثم تحولت إلى ظلمة شديدة وما زالت كذلك حتى تجلت الساعة الثانية من الليل أي قدراً من ثلاث ساعات وربع. وقد ذكر الأشياخ أنَّهم لم يعهدوا مثلها في أعمارهم التي مرت.

وفيها وفاة زعيم الهند حضرة صاحب الدولة البانديت جواهر لال نهرو رئيس وزراء الجمهورية الهندية. كانت ولادته ١٨٨٩م ولد من أبوين مشهورين بالكرم بمدينة الله آباد وتعلم بكلية هارو وجامعة كمبردج وانضمَّ بعد مذبحة ارمتزار ١٩١٩م إلى الوطنيين في النضال لنيل استقلال بلاده وتتلمذ لغاندي وانضمَّ إلى حركته الوطنية. ترأس على المؤتمر الوطني الهندي مداراً عدة خصَّ على تصنيع الهند بالطرق الحديثة. قضى معظم الفترة الواقعة من ١٩٣٠ ـ ١٩٣٦م في السجون لقيامه بحملات للعصيان المدني وسجن مرة أخرى في الحرب العالمية الثانية لمعارضته في تقديم أية مساعدة لبريطانيا. وألَّف في السجن عدة كتب منها: لمحات من تاريخ العالم، وسيرة ذاتية بعنوان: نحو الحرية وكشف الهند، وهي ضخمة تدل على تفوقه في الآداب والمعرفة وعلو الكعب وعين رئيساً للوزارة الهندية فشغلها حتى مات. ولـمَّا أن مات قاموا على جثمانه كعادة أهل الهند بعظمائهم ورؤسائهم فأحرقوه بالنَّار ثم طحنوه وحملوا ذلك الرماد بطائرة فذروه في الجو ليصل إلى كل موضع في البر والبحر جزء منه، وهي عادة سيئة في إقليم الهند، وربما فعلت زوجة الهالك ذلك الفعل القبيح كما ذكره الرحالة ابن بطوطة في رحلته. قال: (وإحراق المرأة بعد زوجها أمر

مستحب عندهم ولكنه غير واجب، ولكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفاً بذلك). ثم روى صفة ما رأى من ثلاث نسوة توفي أزواجهنَّ بأنهنَّ أقمن قبل ذلك بثلاثة أيام في غناء وطرب وأكل وشرب كأنَّهنَّ يودعن الدنيا وتأتي إليهنَّ النساء من كل جهة، وفي صبيحة اليوم الرابع أتيت واحدة منهنَّ بفرس فركبته وهي متزينة متعطرة وفي يمناها جوزة نارجيل تلعب بها وفي يسراها مرآة تنظر فيها وجهها والبراهمة يحفون بها وأقاربها معها وبين يديها الأطبال والأبواق والأنفار. وكان كل امرىء يقول لها: إبلغي السلام إلى ابني أو أخي أو أمي أو صاحبي، وهي تقول: نعم وتضحك إليهم إلى أن قال ابن بطوطة: وكان هناك حوالي خمسة عشر رجلاً في أيديهم حزم الحطب الرقيق ومعهم نحو عشرة رجال معهم قطع كبيرة من الخشب وأهل الأطبال والأبواق وقوفاً ينتظرون مجيء المرأة وقد حجبت النَّار بملحفة يمسكها الرجال بأيديهم لئلا ترتعب المرأة من رؤية اللهيب. رأيت إحدى أولئك النسوة لما وصلت إلى تلك الملحفة نزعتها من أيدي الرجال بعنف وقالت لهم وهي تضحك: (أبالنار تخوفونني ثم جمعت يديها على رأسها صلاة للنَّار ورمت نفسها فيها وعندئذٍ ضربت الأطبال والأنفار والأبواق ورمى الرجال ما بأيديهم من الحطب عليها لئلا تتحرك وارتفعت الأصوات وكثر الضجيج. ولما رأيت ذلك كدت أن أسقط عن فرسي لو لم يتداركني أصحابي بالماء فغسلوا وجهي وانصرفت).

وفيها في ليلة ٢٣ من رمضان وفاة تشرشل رئيس وزراء الحكومة البريطانية عن عمر يناهز تسعين عاماً وكانت وفاته بمنزله بلندن. فهو تشرشل وينستون تولَّى الرئاسة بعد تشمبرلن وكانت ولادته عام ١٨٧٤م في بلينهايم بإنكلترا، وكان من رجالات السياسة الإِنكليزية ومن أعظم السياسيين. تولَّى أعلى المناصب السياسية والإِدارية وترأس حزب المحافظين في البرلمان البريطاني وكان في طليعة الذين دبروا شؤون الحرب

العالمية الثانية. ولمَّا بدأت المعركة في الجبهة الغربية وتولَّى رئاسة الوزارة الإِنكليزية أعلن للعالم أنَّه لن يهادن هتلر ولن يسالمه وسيظل يحاربه حتى النهاية. والمعتقد أنَّه لولا ظهور تشرشل لكان بالإِمكان التفاهم مع إنكلترا، ومع انهيار كل القوى حوله ووقوفه وحده بعد زوال فرنسا، فإنَّه ظلَّ على عناده وكان جباراً عنيداً وقاسياً عتياً. وبالرغم من تقدمه في السن فإنَّه سياسي عظيم حتى سمى السياسي العجوز وقام بما استطاعه من الدفاع واتهم رئيس الوزراء السابق بالضعف وأنَّه لا يحب على إنكلترا الصبر على الضيم أمام عدو لا يوثق بكلامه ولا يؤمن جانبه.

وفيها في يوم السبت الموافق ١٠ رجب في الساعة السادسة عربي قدم وزير الدفاع سلطان بن عبد العزيز على متن طائرة فنزل في مطار القصيم العالمي الجديد الذي أقيم في المليداء فافتتحه. وقد اجتمعتَ الأمة وأقيمت الخيام هناك وجرى احتفال رائع ألقيت فيه الخطب والقصائد فكادت الأيدي تندمي من التصفيق وحضر الاحتفال جم غفير من العلماء والأمراء ورؤساء الدوائر من سائر مقاطعة القصيم وسائر الأمة وكان يوماً مشهوداً. وقد قدمنا أنَّه متوسط في قلب القصيم فكان ما بينه وبين عنيزة ٤٠ كيلومتراً ومسافة ما بينه وبين الرس ٦٥ كيلومتر وبينه وبين البكيرية ٢٢ كيلو وبينه وبين بريدة مسافة ٣٠ كيلو. أمَّا عن خدمات وزارة العمل والشؤون الاجتماعية فإنَّه لمَّا افتتح مكتب العمل ببريدة قبل هذه السنة بسنتين فقد بلغت الأسلاف والمساعدات مبلغاً عالياً.

وفي هذه السنة قامت وزارة المواصلات بإنشاء طرق تربط مدن القصيم بعضها ببعض ولا سيما الكبرى الواقعة بين بريدة وعنيزة في وادي أبي علي حيث أُقيم على وضع بديع لأول مرة من فوق ذلك الوادي بحيث وفر مصلحة مرموقة للناظرين وفيها إنشاء البنك الزراعي في القصيم وذلك للقيام بتوفير مختلف المتطلبات اللازمة للمزارعين كتوفير المكائن والطلمبات وأجهزة الري وغير ذلك من الآليات الزراعية كالحراثات والحصادات مما

يوفر الراحة للمزارعين.

ولاية الملك فيصل بن عبد العزيز

لمَّا كان في الساعة الرابعة وثلاثين دقيقة بالتوقيت العربي من صباح يوم الاثنين ٦/٢٧ من هذه السنة ٢ نوفمبر ١٩٦٤م أصدر مجلس الوزراء ومجلس الشورى برئاسة سمو الأمير خالد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء القرار الآتي:

أولاً: مبايعة فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملكاً شرعياً على المملكة العربية السعودية وإماماً للمسلمين.

ثانياً: يطلب من حضرته قبول البيعة فنودي بحضرة صاحب الجلالة فيصل بن عبد العزيز ملكاً على المملكة العربية السعودية وأقبلت الوفود من جميع نواحي المملكة تبايعه على طاعة الله ورسوله وعلى السمع والطاعة وانهالت برقيات التهاني من كل حدب ومن جميع أقطار العالم وفدت على المملكة وفود عديدة من مختلف الأقطار لتهنئة جلالته بتولية شؤون الإمامة وكان يتقبل ذلك وقام بمهمته أتم قيام. ثم استشار جلالته أخاه محمد بن عبد العزيز مع أفراد الأسرة في ولاية العهد فتنازل عنها الأمير محمد لأخيه خالد بن عبد العزيز فأعلن بالأمير خالد ولياً للعهد، نسأل الله لهم التوفيق. ثم انهالت برقيات التهاني من رؤساء الحكومات وكبار الشخصيات على جلالته لما هزها ارتقاؤه عرش المملكة السعودية ترحب أصدق ترحيب وتعبر عن سرورها الكبير، وشاركت دول الغرب وحكوماته وشعوبه العرب والمسلمين، وبادر ملوك العرب ورؤساؤها تترجم عن عواطفهم وتعبر عن مشاعرهم، فأبرق ملك اليونان وملك بلجيكا وملك إيران وملك الأردن وملك ليبيا وإمام اليمن محمد البدر وملك المغرب وإمبراطور أثيوبيا وحاكم الكويت وشاه الأفغان وشيخ البحرين وشيخ قطر وشيخ دبي وإمبراطور

اليابان وحاكم الشارقة وسلطان لحج وسلطان حضرموت ورئيس جمهورية الهند وشيخ أبو ظبي وأمير بيجان ورئيس الولايات المتحدة جونسون ورئيس جمهورية أندونيسيا ورئيس جمهورية باكستان ورئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية ورئيس الاتحاد السوفياتي ورئيس جمهورية ألمانيا الديمقراطية ورئيس جمهورية فرنسا ورئيس جمهورية الصين ورئيس الاتحاد السويسري ورئيس جمهورية النمسا الإتحادية ورئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال ورئيس الجمهورية الديمقراطية الشعبية الجزائرية ورئيس جمهورية العراق محمد عارف ورئيس جمهورية السودان ورئيس جمهورية لبنان ورئيس جمهورية سوريا محمد أمين الحافظ ورئيس جمهورية تونس ورئيس جمهورية الصومال ورئيس المجلس الأعلى لاتحاد الجنوب العربي ورئيس جمهورية النيجر ورئيس جمهورية غينيا ورئيس جمهورية موريتانيا ورئيس وزراء إيران ورئيس وزراء تركيا ورئيس منظمة تحرير فلسطين أحمد الشقيري والرئيس شكري القوتلي والرئيس ناظم القدسي ورئيس وزراء أفغانستان والمستر ديفيد روكفلر وشيخ الإسلام في تايلاند وشيخ الإسلام في يوغسلافيا ورئيس خارجية إيران ونائب رئيس جمهورية أندونيسيا ورئيس حكومة ليبيا والسيد علي الميرغني ورئيس وزراء عدن. ولم يكتف الكثيرون من الملوك والرؤساء والأمراء بإرسال البرقيات نحو جلالته حتى جاء معظمهم بالذات وأرسل آخرون وفوداً من كبار رجال دولتهم وبايع جميع أفراد الأسرة من بينهم أنجال الملك السابق وتقدم أصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب المعالي الوزراء كما تقدم الجيش السعودي يبايع جلالته في المقدمة عصر يوم الخميس أول رجب ١٣٨٤هـ يتقدمه الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران ومعه الفريق عبدالله المطلق رئيس هيئة أركان الجيش واللواء أحمد الشميمري رئيس هيئة إدارة الجيش واللواء محمد المطلق قائد قاعدة الطيران. وهذا نص القسم: (نقسم بالله العظيم أن

نكون مخلصين وموالين لحضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز نصادق من يصادقه ونعادي من يعاديه ونكون سلماً لمن يسالمه وحرباً لمن يحاربه وإننا نبايعه على كتاب الله وسُنة رسوله. والله خير الشاهدين). كما أنَّه بايع الملك السابق سعود بن عبد العزيز حرصاً على وحدة الكلمة وجمع الشمل بما نصه: (من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جانب الأخ جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز سلمه الله. بناء على ما أقرته الأسرة والعلماء بتنصيبكم ملكاً على البلاد فإنَّنا نبايعكم على كتاب الله وسُنَّة رسوله مليكاً على البلاد راجياً لكم التوفيق وللشعب السعودي الرفاهية والازدهار والتقدم والسلام). وغادر البلاد على الفور إلى النمسا للتداوي والاستشفاء حفظه الله وشفاه[1] ثم أنَّها أقيمت الحفلات في الرياض بهذه المناسبة، وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والمنطقة الشرقية وقد طلب أن لا يتكلفوا بمهرجانات ولا زينات بل تكون الحفلات بسيطة وعادية وخالية من كل تكليف وتصنع لا حاجة إليهما. وألقى جلالته خطاباً رائعاً حث على التعاون والتكاتف كما ألقيت أمامه الخطب الثمينة التي تعبر عن الإخلاص والبيعة وأسمى الفرحة والسرور بتبوئه عرش المملكة داعين له بالتوفيق والإعانة والتسديد. فكان الملك فيصل بذلك هو الإمام الأعظم الذي اجتمعت الأمة على اختياره وكفى بها شرفاً.

نرجع إلى الحرب في اليمن فنقول: اعتصم الإمام محمد البدر بالجبال هو وأتباعه وأوقعوا خسائر بالجيوش المصرية فقد بلغ عدد القتلى إلى شهر رجب من هذه السنة ٤٥٦ ضابطاً و١٤٣٥٩ جندياً و١٠٢٨ صف ضباط. أمَّا عن الخسائر المادية في خلال سنة وأربعة شهور فمائة وتسعة وثمانون مصفحة و٩٥ دبابة و٥١٤ سيارات متنوعة و٦٩ مدافع متنوعة و٣٠ طائرة

---

(١) لقد ضربنا صفحاً عن الخلافات التي جرت بين الأخوين قبل البيعة ترجيحاً للمصلحة كما قد تقتضيه الظروف ونشكر الله العلي القدير على توفيقه واجتماع الكلمة وحسن العاقبة.

و٢٧٤٦ رشاشات و٤٨٧٣ بندقية و٥٠٠٠ صندوق ذخيرة. وغنم الملكيون ٣١٦٢ بندقية و١٦٥٩ رشاشات و٧٨ مدافع و٧١ سيارة و٢٠٠٠ صندوق ذخيرة ووقع جملة عظيمة من الجيوش المصرية أسرى في أيدي الملكيين من هؤلاء من كتيبة المصفحات والدبابات التي دمرتها القوات الملكية وأغلبهم ضباط استسلموا وآخرون من كتائب المظلات استسلموا وآخرون من كتائب القوات المصرية.

ودمرت القوات الملكية مجموعة كبرى من السيارات وحطمت مصفحات ودبابات روسية ولا تزال رحى الحرب دائرة مثال ذلك أنَّه جاء مائتان من الملكيين إلى البدر فأمرهم أن ينظموا إلى أحد القواد فلما أن كانوا في معيته أعطاهم تعليمات بأن يكونوا في كهف من الجبال وأن لا يحدثوا أي حركة حتى يشير إليهم فكانوا ينتظرون الأوامر، فبينما هم كذلك إذ أقبلت طائرة مصرية فتطلعت هل ترى من أحد ثم هبطت قليلاً فأنزلت برميلاً مملوءاً ماء ثم أنزلت كيساً مملوءاً خبزاً ثم هبط ستون جندياً مصرياً. قال فنحن ننتظر الأوامر وكان القائد الذي أمرنا بالانضمام إليه أمامنا مختفياً خلف حجر. فجاءت طائرة أخرى وصنعت كصنع الأولى وهبط جنود المظلات ستون أيضاً وأقبلوا على الماء والخبز الذي نزل معهم فعبأ القائد رشاشه من دون أن يلتفت إلينا فحصدهم جميعاً وكانوا مائة وعشرين جندياً. ولقد شنت الطائرات المصرية الروسية هجوماً على المدن والقرى اليمانية وأسقطت القنابل الشديدة الانفجار وقنابل النابالم المحرقة والقنابل الكيماوية والغازات السامَّة وكانت الطائرات تلقي قنابل تبدو وكأنها قنابل صغيرة بأنابيب معدنية فإذا ما مرَّ رعاة الغنم والإِبل وجدوها على الأرض والتقطوها ليتفحصوها فتنفجر بين أيديهم فتقطعها وتهشم أجسامهم شر تهشيم. وقد أعلن جمال عبد الناصر في الخطبة التي خطبها في اجتماع المؤتمر الوطني لمنظمة فلسطين يوم ٢٨ مايو سنة ١٩٦٥م بأنَّ الجيش المصري الذي يقاتل في

اليمن يبلغ خمسين ألف جندي. ونحن نسوق كلامه حرفاً حرفاً عن جريدة الأهرام الصادرة يوم ١ يونيو عام ١٩٦٥م رقم ٢٨٦٦٢ (إحنا النهارده عندنا ٥٠ ألف جندي في اليمن يعني إذا كنت أقول إنِّي سأهاجم إسرائيل أول حاجة أعملها أجيب الخمسين ألف اللي في اليمن قبل ما أقول إني سأهاجم إسرائيل. . . إلخ) على أنَّ بعض المصادر تؤكد أنَّ عدد جنوده في اليمن بلغ سبعين ألفاً ولو أنَّ سعادته صرف تلك القوات إلى اليهود الذين احتلوا فلسطين لقلنا أنعم بك من مجاهد ولكن في الآية الثامنة من سورة فاطر وفي الآية ١٠٣ و١٠٤ من سورة الكهف ما فيه كفاية.

حادثة غريبة

في أحد أيام شوال من هذه السنة جرى نقاش في مكة المكرمة بين رجلين أحدهما يملك سيارة اسمه (محمد باوزير) والرجل الآخر سائق في سيارة الأول فترافعا إلى ضابط المنطقة الخامسة في مكة فأقسم مالك السيارة أمام الضابط إن كان قد ظلمه أن لا يخرجه الله من هذه المنطقة سالماً فلم يفرغ من ترديد كلماته حتى خرَّ ميتاً على وجه الأرض، فحركوه فإذا هو جثة هامدة .والله على كل شيء قدير.

وفيها فتح طريق ينفصل من خط الرياض الجنوبي فيتجه إلى الغرب شاقاً مدينة عنيزة يمر بالبدائع والرس حتى يتصل بطريق المدينة المنورة بطول ١٢٩ كيلومتراً.

وفيها افتتاح كلية البترول والمعادن في الظهران، وتقدم الملك فيصل يقص الشريط.

وفيها في شهر رجب الموافق لشهر تشرين الثاني من عام ١٩٦٤ م انتخب الرئيس جونسون رئيساً لجمهورية الولايات المتحدة وجرى لذلك احتفال في العاصمة الأمريكية ونودي به رئيساً. هذا ولا تزال إسرائيل تشن الغارات

السيئة ضد العرب فقد قامت تبدأ التحرش العسكري بالعرب في أوائل ذي القعدة وجعلت قواتها تضرب سوريا وقامت باعتداء جديد على حدود شبه جزيرة سينا واخترقت طائراتها حرمة الأجواء العربية ولكن الطائرات العربية صدتها وأجبرتها على الفرار.

هزات أرضية

تعرضت الأراضي التركية لثمان وأربعين هزة أرضية في ظرف تسع ساعات أصيب منها عدة منازل ودمرت أربعة بيوت أخرى وذلك في مستهل شهر ذي القعدة. وتقع هذه الزلازل في غرب تركيا وكانت هذه الزلازل تخيف أولياء الله تعالى حتى قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما تزلزلت الأرض في أيامه: (أيها النَّاس ما كانت هذه الزلزلة إلاَّ على شيء أحدثتموه. ثم قال: والذي نفسي بيده لئن عادت لا أساكنكم فيها أبداً). وتقول عائشة لما سئلت عن الزلزلة: (إذا استباحوا الزنا وشربوا الخمر وضربوا بالمعازف غار الله عزَّ وجلَّ في سمائه فقال للأرض: تزلزلي بهم. فإن تابوا ونزعوا وإلاَّ هدمها عليهم). وقد أصبحت هذه الزلازل عادة في بني الزمان فلا يتأثرون منها.

وفي هذه السنة في ٧/ ١٠ تمَّ تأسيس معهد الصم والبكم بالرياض عاصمة المملكة السعودية وحجَّ بالمسلمين الإمام فيصل بن عبد العزيز. وبذلك نختم المجلد الخامس من تاريخنا (تذكرة أولي النهى والعرفان). والحمد لله أولاً وأخيراً.

وصلّى الله على محمد نبينا وسيدنا وعلى آله وصحبه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

تم الجزء الخامس بتوفيق الله ومنته

ويليه الجزء السادس إن شاء الله تعالى أوله دخول سنة ١٣٨٥ هـ. سائلين الله حسن التوفيق

فهرس الجزء الخامس من تذكرة أولي النهى والعرفان

تذكرة أولي النهى والعرفان

بأيام الله الواحد الديان

وذكر حوادث الزمان

تأليف

فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن

"من علماء أهل القصيم"

الجزء السادس

مكتبة الرشد

ناشرون

ح مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./ إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. ـــ الرياض، ١٤٢٧هـ

٣٦٨ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)
٢-٦٢٤-٠١-٩٩٦٠ (ج ٦)

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم أ- العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٢٧/٤٧٩٢

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢
٢-٦٢٤-٠١-٩٩٦٠ (ج ٦)

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م



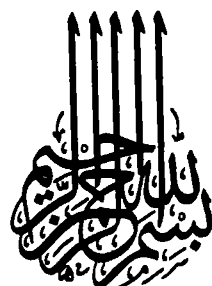
مكتبة الرشد ـ ناشرون
المملكة العربية السعودية ـــ الرياض
شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)
ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ـــ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ـــ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١
E-mail: alrushd@alrushdryh.com
Website: www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

★ الريــــــاض: فــرع طريـق الـملـك فهـد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ ـ فاكس: ٢٠٥٢٣٠١
★ فرع مكة المكرمة: شـــارع الطائـــف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ ـ فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦
★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ ـ فاكس: ٨٣٨٣٤٢٧
★ فـرع جـدة: ميـدان الطائـرة: هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ ـ فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤
★ فـرع القصيـم: بريـدة ـ طريـق المدينـة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ ـ فاكس: ٣٢٤١٣٥٨
★ فـرع أبهـا: شـارع الملـك فيصـل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧
★ فـرع الـدمـام: شـارع الخـزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ ـ فاكس: ٨٤١٨٤٧٣
★ فـرع حائـل: هـاتـف: ٥٣٢٢٢٤٦ ـ فـاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبـنا بالخـارج

★ القـاهـرة: مدينـة نصـر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ ـ موبايل: ٠١٠١٦٢٢٦٥٣
★ بـيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ ـ موبايل: ٠٣/٥٥٤٢٥٣ ـ فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل

ثم دخلت سنة (١٣٨٥هـ)

استهلت هذه السنة والفقراء والمساكن في المملكة العربية السعودية يعيشون بحالة تضمن كفايتهم في القوت فقد قامت الحكومة أيدها الله بتأسيس وزارة العدل والشؤون الاجتماعية وذلك الضمان الاجتماعي فأنشأت هذه الوزارة ثلاثة مكاتب رئيسية وخمسة وعشرين مكتباً فرعياً موزعة في المدن والقرى وصرفت الدولة عشرين مليوناً من الريالات لمكاتب الضمان الاجتماعي وكان الوزير عبد الرحمن أبا الخيل يشرح الخطة ويبين ما وسد إليه من هذا المبلغ العظيم وأنه زيد في هذه المكاتب ثلاثة أخرى وذلك لعام ٨٤ و٨٥ وهذه خطة تشكر الحكومة عليها فجزى الله إمام المسلمين خيراً. وكانت الحرب في فيتنام لا تزال مستمرة وشنت أمريكا عليها، حرباً جوية جبارة لا تزال تصب القنابل عليها فقامت طائرات الميج السوفيتية الصنع واشتركت في المعارك الأخيرة ضد الطائرات الأميريكية المغيرة على فيتنام يقودها طيارون من فيتنام الشمالية وقد خسرت فيتنام في أسبوع واحد ألفاً ومئتين ما بين قتيل وجريح وأربعمائة فقدوا ولا تزال الحروب تنذر بشرها وويلاتها والحالة في فيتنام قد أصبحت تتطور وقامت ألمانيا الغربية ترسل قواتها إلى فيتنام لشد أزرها ضد أمريكا فبذلك اشتدت المعارك وأصبح جو فيتنام بحالة خطرة.

أخطار تهدد بني الإنسان

لما كانت روسيا وأمريكا هما الدولتان الوحيدتان في العالم وكل منهما ينتزع العز والشرف فقد أذاع رئيس أمريكا جونسون بأنه إذا تبادلت أمريكا وروسيا

الهجوم الذري فإن الضربة الأولى ستكلف كل من الدولتين مائة مليون قتيل ذلك لما كان من قوة التدمير وما ستصل إليه الحال من الأخطار الشديدة أما عن إسرائيل فإنها لا تزال تشن غاراتها على العرب باستمرار. ثم إنها تأزمت الأمور في فيتنام وحشدت الصين مائتي ألف جندي صيني وقوات جوية ضخمة على حدود فيتنام الشمالية ونقلت أمريكا مزيداً من الصواريخ لتعزيز قواتها الجوية الضاربة على حدود فيتنام حتى بلغ عدد القتلى من فيتنام الشمالية سبعة وعشرين ألفاً، ومن فيتنام الجنوبية أحد عشر ألفاً وجرى صدام بين أمريكا والصين.

وفيها ولدت امرأة نيوزلندية خمسة توائم ذكر وأربع إناث وذلك في اليوم الأخير من شهر ربيع الأول الموافق ليوم الأربعاء في مستشفى أوكلاند النسائي وكان سنها ٢٦ سنة وكانت صحتها وأطفالها حسنة.

وفيها أصيبت مدينة يابانية والمناطق القريبة منها بزلزال عنيف وقد سجلت الأجهزة الحساسة الخاصة بالزلزال ألف هزة ولم يشعر السكان إلا بأربع وسبعين هزة. هذا وقد ذكر علماء المعرفة هناك أنه يخشى وقوع انفجار بركان في جزيرة (هيروشيما) اليابانية عن قريب فيها كما أنها أصيبت المناطق الشمالية من اليونان بهزتين أرضيتين يوم الاثنين ٢٧/ ٨ فأدى ذلك إلى انتشار جو من الفزع في القرى والمدن هناك فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها وفاة المدير العام للمعارف السعودية سابقاً الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع غفر الله له وهذه ترجمته: هو الشيخ العارف العالم الهمام النبيل والفاضل الجليل محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مانع الوهيبي التميمي كان والد المترجم قاضي بلدة عنيزة وسبط الشيخ الإمام عبد الله بن عبد الرحمن آل بطين ولما توفي في ٢٧ من جمادي الأولى سنة سبع وثلاثمائة وألف وقد قدمنا حدته في القضاء، رثاه أحد تلامذته بمرثية بديعة أفصحت عن علمه وفضله وزهده وبراعته في المعرفة وكان موصوفاً بالتقى والصلاح والتف إليه

طلاب كثيرون مع ما لديه من النباهة والتقدم ومكارم الأخلاق وكان حنبلي المذهب وهذه المرثية:

لذيذ الكرى ناء عن العين شاسع ... فـدا لها تنهل فيها المدامع
كحال عليل أو سليم من الورى ... تناوله سم على القلب ناقع
لئن قيل بحر العلم والجود قد ثوى ... تضمنه لحد وبيد بلا قع
حليف التقى عبد العزيز بن مانع ... إمام الهدى في المكرمات يسارع
إمام عليم متقن ومحقق ... أخو ثقة في النقل والقول بارع
إذا سمع الحبر اللبيب كلامه ... يحيره علم بدا منه واسع

ومنها:

قضاياه بالحق المبين جميعها ... لديه استوى فيها وضيع ورافع

ومنها:

أقرت له الأحبار بالعلم والتقى ... فكل لما يحكم مطيع وسامع
إذا الحكم أعيا كل قاض وعالم ... وعارضهم في أمرهم منه واقع
وجدت له فصلاً لدى الشيخ قاطعاً ... يضيء له نور من الحق ساطع

كما قد رثاه الشيخ إبراهيم بن محمد بن ضويان شارح الدليل بمرثية مبكية، أما عن المترجم ابنه محمد فقد ولد عام (١٣٠٠هـ) ببلدة عنيزة من أعمال القصيم كان عمه وجده ممن تولوا القضاء في نجد فهو من بيت مشهود بالعلم والفضل وأدخله والده عند مقرئ ولكنه ما لبث بعد ذلك إلا أياماً قلائل حتى توفي فكان الابن يتيماً لكنه كان مشغوفاً بطلب العلم ومحبة الكتب فأخذ عن علماء بلده ولما رأت والدته ابنة رشيد الشبيلي شغفه الزايد في طلب العلم رأت أن يذهب إلى الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم فيأخذ عنه فلازمه وأخذ عنده كما أخذ عن الشيخ صالح بن عثمان القاضي وأخذ عن الشيخ الإمام عبد الله بن محمد بن دخيل قاضي المذنب وشيخ المذنب والمدرس فيه وأخذ عن غير هؤلاء من علماء القصيم

ثم ذهب إلى العراق وأخذ عن العلماء هناك ومن أشهرهم الشيخ محمود شكري الألوسي والشيخ علي بن نعمان الألوسي وعن علماء الشام ومصر ودرس في الأزهر فأخذ عن الشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا والشيخ محمد الخضر حسين والشيخ محمد مصطفى المراغي والشيخ حسن البنا والشيخ محمد شلتوت وغيرهم. وقد مكث في العراق عدة أعوام يتلقى منها العلم وأقام فترة في الأزهر لذلك، ثم استقدمه إلى البحرين مقبل الذكير حيث بقي فيها أربع سنوات يعظ في المساجد ويدرس فيها واشتهر في منطقة الخليج بسعة الاطلاع وحُسن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فاستدعاه الشيخ حاكم قطر عبد الله بن قاسم آل ثاني إلى قطر في سنة (١٣٣٤هـ) فأقام فيها ٢٤ عاماً قاضياً ومفتياً وتزوج في قطر وأنجب أولاده الثلاثة عبد العزيز المفتش بوزارة المعارف السعودية سابقاً، وعبد الرحمن وكيل دار التوحيد سابقاً، وأحمد مدير البعثات العلمية بمصر وقد أنشأ المترجم أول مدرسة علمية في قطر حوالي (١٣٣٦هـ) واستمرت سبعة عشر عاماً وأخرجت جيلاً من العلماء والمثقفين في البلاد وخصوصاً في ساحل عُمان فتتلمذ على يديه عدة من المشايخ في قطر ومن تلامذته الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود والشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري والشيخ عبد الله بن تركي والحاج قاسم درويش فخرو والشيخ محمد حسن الجابر وابنه الشيخ حسن محمد والأستاذ أحمد بن يوسف الجابر وعبدالله بن صالح الغزالي ومبارك ابن نصر ومبارك بن نضار ومحمد بن عبد الله بن حسن الشيخ وعبد العزيز بن عبد الله ابن حسن آل الشيخ، وأخذ عنه ابنه عبدالعزيز بن محمد وأخذ عنه ابنه الثاني أحمد بن محمد بن مانع وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي عالم عنيزة وأخذ عنه الشيخ ناصر بن حمد بن راشد الرئيس العام لمدارس البنات وأخذ عنه الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد رئيس هيئة التمييز في نجد والمنطقة الشرقية والحدود الشمالية وأخذ عنه الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر الإحسائي صاحب التاريخ تحفة المستفيد وأخذ عنه الشيخ علي ابن محمد الهندي وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن شعلان إمام المسجد الحرام وقاضي المستعجلة وأخذ عنه غير هؤلاء خلق كثير وجم غفير.

ذكر الوظائف التي نالها

قد قضى زماناً طويلاً في قطر والتفت الأمة عليه هناك وبذل مجهوداً في التعليم وانتفع به أهل الخليج وكان موضع الثقة والتقدير هناك ويخضعون لتوجيهاته لأنه كان مسدداً ومحترماً لديهم ولما أن كان في سنة (١٣٥٨هـ) ذهب لزيارة المملكة العربية السعودية وتعرف على الملك عبد العزيز فاستبقاه عنده وجعله هيئة تمييز للقضايا الشرعية مضافاً إلى ذلك أن كان مدرساً في الحرم المكي الشريف ورئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ورئيساً للوعاظ الذين استقدمهم جلالة الملك للحجاز فهذه أربع وظائف تقلدها فقام بها أحسن قيام مع العلم والبصيرة وأن البصيرة من الفرائض وكان موضع الإعجاب. ولما أن كان في سنة (١٣٦٤هـ) فتحت دار التوحيد وجعل له الإشراف عليها فكان يتفقد سير الدراسة والمدرسين فيها، وفي ٢٧ ذي الحجة أسندت إليه إدارة المعارف العمومية وباشر هذه المهمة بجد ونشاط في آخر السنة المذكورة وقام بتنظيمها مدة طويلة كان فيها مثال الدأب والاجتهاد وقد أدخل تعديلات كثيرة على نظام التعليم، منها: استقدام العلماء الأزهريين من مصر لأول مرة، ومنها: أنه افتتح مدارس نظامية عديدة في مناطق نائية من المملكة ووضع نظاماً حسناً للتفتيش والمراقبة، ومنها: تحسين دار التوحيد وقام بها خير قيام ولما أن فتحت كلية الشريعة في مكة المكرمة التي تعتبر أول تعليم جامعي في المملكة وأسند إليه الإشراف عليها قام يجلب إلى ذلك أفاضل العلماء من المدرسين ويتأكد من استقامتهم وحسن عقائدهم وقد لا يكتفى بمجرد الشهادات في التوظيف بل يتأكد من صلاحيات المدرسين واتجاهاتهم ويبحث ويناقش ومن أحسن أفعاله وما اهتدى إليه بتوفيق من الله عز وجل له أن جعل مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب مقررات في المدارس لبث العقيدة وتوجيه النشئ إلى ذلك وأنها لخطة يشكر عليها وتدل على حسن معتقد الرجل. وكان يقول لي مرة أريد نهضة علمية ويكرر هذه اللفظة نعم أنه نهض بالمعارف لما هو عليه من حسن النية والعقيدة نهضة علمية وقد تخرج من دار التوحيد وكلية الشريعة رجال خدموا أمتهم وكان منهم من هو مثالاً في العلم والأدب ومن

أحسن الغراس فإنه يجتني الثمار الطيبة وكان في كل ذلك يتمتع بتأييد الملك عبد العزيز وإعجابه بأعماله ولما أن توفي الملك عبد العزيز أنزله الملك سعود نفس المنزلة التي كانت له عند أبيه لأنه جمع بين رئاسة التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي والعالي ولما أن خطا التعليم تلك الخطوات التقدمية وجعلت هذه الإدارة وزارة عين لها أديب من أنجال الملك عبد العزيز ألا وهو سمو الأمير إذ ذاك فهد بن عبد العزيز، عين الشيخ مستشاراً للمعارف واستمر كذلك حتى سنة (١٣٧٧هـ) حيث طلبه سمو الشيخ علي بن عبد الله بن ثاني حاكم قطر من الملك سعود فأصبح مرافقه ومستشاره الديني ومن أجل أعماله في هذه الفترة الاشتغال بتحقيق عدد من الكتب النادرة للطبع قام بن ثاني بطبعها ونشرها ولا زال بعضها تحت الطبع وتعتبر من مفاخر قطر أن تزيد في جملتها على ستين كتاباً تقع في مائة ألف وخمسين ألف مجلد توزع كلها في سبيل الله وله عدة مؤلفات دينية وأدبية وتاريخية وكان واسع الإلمام بالمؤلفات الشريفة القديمة دائم المطالعة والبحث حريصاً على انتهاز فرص العمر حريصاً على حضور الصلاة في المسجد جماعة إلى آخر وقت من حياته ولما أقعده المرض كان يؤتى به متوكئاً على عصا وقد سقط أحياناً بين الصفين من الإعياء بعد أن جاوز أربعاً وثمانين سنة ولكنه ظل دائماً متمتعاً بذاكرته القوية وقد توفي على إثر عملية جراحية في لبنان نقل إلى قطر وذلك في ١٢ رجب من هذه السنة فصلي عليه في مدينة قطر وحضر جنازته جم غفير وخلق كثير من الأعيان والعلماء وسائر الأمة وحزنوا عليه ودفن هناك رحمه الله رحمة الأبرار. وكان في صفته أنه قصير القامة، قمحي اللون، ذكي أديب حسن الخلق، متوقد الذهن، له شعر أشمط خفيف الشعر، وكان ذا رأي راجح وكان يرى الأمور من خلف الستار. وله عدة مؤلفات ونتف في التاريخ تدل على فضله وسبقه وقد أثنى عليه الشيخ العالم سيف الله على أعناق المبتدعين وسهمه الصائب أفئدة المارقين سلمان بن سحيمان حينما لاحظ عليه مواضع من كتابه الكواكب الدرية بحيث أن المترجم طلب منه ذلك فقال من سليمان ابن سحيمان إلى جناب عالي الجناب الأخ المكرم الأحشم الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع سلمه الله تعالى وهداه وحفظه وتولاه

وجعله من حزبه وأوليائه الذين يغضبون لغضبه ويرضون لرضاه آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأزكى وأطيب تحياته:

أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وهو للحمد أهل وهو على كل شيء قدير على ما أولاه من نعمه وصرف عنا نقمه والخط الشريف وصل وصلك الله إلى خيري الدنيا والأخرى، إلى أن قال وقد اجتمعنا بك في البحرين ولم نسمع منك إلا ما يسرنا من حسن العقيدة ومحبة هذه الدعوة وأهلها والسعي في نشر ما ذكره وألفه شيخ الإسلام وقدوة العلماء الأعلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب، فلا نقبل بعد ذلك إلا ما تحققناه وبان لنا كالشمس في نحر الظهيرة والقول السديد والكواكب الدرية وصلت إلينا إلى آخر كلامه، ثم أبان له ألفاظاً ذكرها السفاريني رحمه الله في عقيدته التي اختصر المترجم شرحها وكان قد لاحظ عليها العلماء المحققون مثل التعبير عن الصلاة بالرحمة والكلام على الجوهر والعرض والجسم والتعبير عن كلام الله بأنه قديم ووضح بأنه قديم النوع حادث الآحاد وأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته إذا شاء وبين أشياء غير واضحة في لوامع الأنوار البهية للشيخ محمد السفاريني رحمة الله على الجميع ومن مؤلفات المترجم تعليقه على متن الدليل وهو حاشية حسنة، ومنها شرح شواهد قطر الندى وبل الصداء، ومنها تحديق النظر في أخبار المهدي المنتظر، ومنها كشف الغطا عما في أعلام الورى من الخطا وإرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والآداب وإقامة البرهان وآداب البحث والمناظرة ومن أحسن تعليقاته بيانه عن صاحب السحب الوابلة وهو تعليق في مبدأ بيان المحجة للشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله وله مقدمات على الكتب وضعها حسن جميل وقد صلى عليه صلاة الغائب في الحرمين الشريفين وفي سائر أقطار العالم الإسلامية وبكته الأمة وترحموا عليه وأثنوا عليه في حياته وبعد وفاته قال المؤرخ محمد بن عبد الله بن عبد القادر الاحسائي يمتدح المترجم:

بمرآك ترتاح القلوب وتطرب   وكل امرئ يولي الجميل محبب

تحييــك أبنــاء الــبلاد بأســرها وتنشــر أشــعار المــديح وتخطــب
نهضــت بأعبــاء المعــارف والعــلا ونلـت مـن التوفيـق مـا كنـت ترغـب
فتحــت بأفضــال المليــك مدارســاً تزيـل ظـلام الجهـل عنـا وتـذهب
فيـا أيهـا الحـبر الـذي نـال رتبـة يقصــر عــن إدراكهــا المتطلــب
فبوركــت مفتاحــاً لكــل فضــيلة وخـير بـه الأمثـال للنـاس تضـرب

ولما أن قرر دراسة كشف الشبهات للصف السادس الابتدائي وعلق عليه حواشي لحل مشكلاته كتب الأديب الأستاذ حسين فطاني هذه الأبيات في طرة الكتاب تقريظاً وإشادة في حق المؤلف والمترجم..

أي علــم أرى وأي كتــاب قــد أبــان التوحيــد للطــلاب
(ابــن عبــد الوهــاب) وضــح فيــه قــوة الحــق في قــوى الجــواب
وأزال الشــبهات حتــى تــوارت مـن عظـيم البرهـان خلـف الحجـاب
وتــولى تحقيــق ذلــك حــبر قــد سمــا بــالعلوم والآداب
ذلــك الفاضــل ابــن مــانع أكــرم بتقــي موفــق للصــواب
زان منــه عقــوده بحــواش فشهدنا في (الكشف) فصل الخطاب

ولما أن قرر دراسة كتاب آداب المشي إلى الصلاة للصف الخامس والسادس الابتدائي جعل له مقدمة أشاد فيها بفضائل إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وماله من الفضل على المسلمين وبين ما لهذا الكتاب من الفوائد والنكت التي دفعته إلى جعله مقرراً في الفقه وقد قرظ في طرة الكتاب شاعر البعثات علي حسن غسال فقال:

هــذا كتــاب الأدب القــويم ومــنهج الســعادة العظــيم
يريــك ســبل المشــي للصــلاة بــأدب الحــديث والآيــات
صــححه محمــد بــن مــانع فجــاء للطــلاب خــير جــامع
فــاقرأه تلمــس فيــه كــل حِكــم وكــل قــول ســاطع منســجم

وقوله حققه وصححه أي تولى إبرازه على وضع المؤلف له خالياً من الأغلاط المطبعية وأغلاط النسخ لأن تصحيح الكتاب أمر مهم.

وممن توفي في هذه السنة من الأعيان وزير المالية السابق بن سليمان بن حمدان ولد عام (١٣٠٣هـ) فنشأ نشأة صبي من بيت غيور مشهور في الأمة ولم يسبق لذلك البيت تقدم في مهام الأمور ثم إنه بعد ما تعلم مبادئ من العلوم ذهب إلى البحرين واشتغل بالتجارة والبيع والشراء وتقدم في التجارة شيئاً ما وكان ذا دهاء ومعرفة ثم إنه بمناسبة كون أخيه محمد بن سليمان كاتباً في ديوان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن طلبه الملك لأن يكون كاتباً في الديوان فالتحق إذ ذاك في الديوان الملكي وباشر عمله بجد ونشاط وهمة وإخلاص فأعجب به صاحب الجلالة كعادة الملوك في تقدير الأعمال وقدمه وفوض إليه بعض مهام الأمور لصلاحيته ومقدرته وكانت والدته أخت محمد بن سليمان الرشيد فأخواله الرشيد وسكان عنيزة ولما أن أنشئت وكالة المالية في عام (١٣٤٧هـ) أسندت إليه رئاستها وقامت هذه الوكالة بعملها خير قيام في حينها دون الاستعانة بأحد من الخارج، ونظراً للاستقرار الذي حصل بعد تأسيس الحكومة وتطورات العامة فقد عدلت وكالة المالية في سنة (١٣٥١هـ) وحولت إلى وزارة المالية وعين وزيراً إذ ذاك الوقت للمالية وجعل أخاه حمد السليمان وكيلاً للوزارة ووضع للوزارة من التشكيلات ما اقتضته مهام الأمور والأعمال إذ ذاك ثم أخذت مهام الوزارة وأعباؤها تكبر وتنمو واستمرت الوزارة في مسايرة التطور ومواجهة حاجات البلاد وما يقتضيه سير العمل وكان يتقلب في الأعمال وله من القوة والنشاط والجلد الحظ الأوفر ونهض بمهام الأمور وأعمال ينوء ببعضها وزراء مجتمعون وكان مخلصاً للملك عبد العزيز متفانياً في الولاء له ولأنجاله حتى كان موضع الثقة من جلالته وقام بتوجيه همته إلى الزراعة فعمل على زرع مساحة كبيرة من الأرض في جهة الخرج وغيرها من منطقة الإحساء واستقدم المهندسين وأهل الخبرة الأخصائيين من الأمريكان والعراقيين والمصريين وأمر بإعفاء الآلات الزراعية من الرسوم الجمركية وقام

بمشاريع، منها: أنه سوى المشروع لإدخال الماء في بيوت أهالي عنيزة وإنشاء زراعة عظيمة في مساحة أرض واسعة في الزغيبية وغير ذلك وكان يتقلب في أعمال الوزارة وهو في سن الشيخوخة وله من القوة والنشاط والجلد الحظ الأوفر ولما أن تقدمت به السن طلب الاستقالة من العمل ولزم الزغيبية حوالي عنيزة حتى توفاه الله تعالى بعد ظهر يوم الأربعاء ١٧/ ٧ من هذه السنة عن عمر يناهز الثالثة والثمانين فالله المستعان.

وفاة رئيس الجمهورية العراقية

ففي مساء يوم الأربعاء الموافق ٢٣/ ١٢ من هذه السنة امتطى الرئيس عبدالسلام عارف رئيس جمهورية العراق طائرته يصحبه طائرتان من قرية قرناء يريد البصرة فلما حلقت الطائرات بالجو واستمرت بالسير أصيبت بعاصفة رملية شديدة وكانت طائرة الرئيس هي المقدمة في السير وكان من المفروض أن تكون هي الوسطى فلما جرت هذه العاصفة تمكنت الطائرة الأخيرة من الرجوع اتبعتها الطائرة التي تليها فما وصلتا إلى الأرض إلا بعد كلفة ومشقة أما طائرة الرئيس فإنها تغيبت في العاصفة ولما أذاع الخبر ركاب الطائرتين قامت الجهة المسؤولة في صحن المطار وأوقدت النيران والأنوار العظيمة حتى كأن الشمس لم تغب لعل الطائرة تهتدي إلى المطار ولما لم يحصلوا على نتيجة أبرق المطار الذي طار منه إلى البصرة هل عندهم خبر من تلك الطائرة التي غابت في العاصفة فجاءهم الجواب بأنهم لم يتوصلوا إلى خبر ولم يجدوا لها من أثر بل هم في انتظار الرئيس لتناول المائدة التي أعدت له وقام موظفو مطار البصرة فأشعلوا النيران والأنوار للطائرة إذا كانت في الجو لعلها تهتدي إليه سبيلاً واستمر ذلك إلى الصباح غير أنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة، فلما أن كان من الصباح ٢٤/ ١٢ طار من العراق عشر طائرات للكشف والوصول إلى الحقيقة فتمكنت إحدى الطائرات أن رأت جثمان الطائرة التي تحمل الرئيس ورفقته الذين هم عشرة من بينهم وزير الداخلية ووزير الصناعة ووكيل وزير الصناعة ومدير مصلحة الكهرباء فنزلت الطائرة إلى الأرض

وحصل لذلك الحادث أسف شديد ووجدوا وقد أصيبوا بجراحات خطيرة وهلكوا عن آخرهم، وقد تحطمت الطائرة لهذا السقوط فحملوا إلى بغداد من الغد يوم الخميس ومنع التجول في العراق حتى يتم انتخاب رئيس للجمهورية ونكست الأعلام في بغداد وفي سائر الممالك العربية ووقع الحداد في العراق شهراً كاملاً وفي مصر أسبوعاً وفي إيران خمسة أيام وجاءت وفود الدول العربية إلى العراق للاشتراك في تشييع جثمانه ظهر يوم السبت الموافق ٢٦/ ١٢/ ١٣٨٥ هـ أما رفقته العشرة فقد شيعوا قبله بيوم أعني يوم الجمعة ودفنوا وكان سن الرئيس حين وفاته خمساً وأربعين سنة ويحمدونه في سيرته بأنه رجل مسالم ثم أنه ولي الرئاسة بعده أخوه عبد الرحمن محمد عارف في يوم الأحد ٢٧/ ١٢ وصفقت الأمة العراقية له وجعلوه خير خلف لهم من خير سلف وتوالت برقيات التهاني من داخل العراق وخارجه يهنئونه بهذه الرئاسة.

وفيها في شهر رمضان وفاة العابد الزاهد المعروف بالجد والاجتهاد سليمان بن طلق ابن علي بن طلق من قبيلة حرب الفخذ غرابي ولد عام (١٣٠٨هـ) بقرية صبيح في القصيم ونشأ في أوقات محن وقلة ذات يد عيشة البداوة ولكنه مع ذلك أخذ فن القراءة على مقرئ حتى ختم القرآن وأخذ في الدراسة على الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم مع قوة في الدين وكان ملازماً على الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان ويخفي أعماله عن الناس في العبادة وأصيب بالشلل في آخر عمره لمدة خمس عشرة سنة ومات صائماً وهو يغرغر رحمه الله.

هذا ولا تزال الجماعة الخيرية في بيوت الله المساجد باذلة المجهود في تعليم القرآن وكان تأسيس هذه المهمة في بريدة وما يليها في السنة التي قبل هذه بسنتين وكان أول مؤسس لها هو الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد قاضي البرك، وسميت الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن يتبرع لها الأجواد صدقة من أموالهم لأن المدرسين الذين تولوا ذلك أو غالبهم كانوا من الهنود ويجعل لهم مرتبات شهرية إعانة لهم وقد يبذل للطلاب الذين يدرسون تشجيعات ومكافآت، ولقد قام المحسن

الكبير ببذل مكافآت للطلاب في مكة والمدينة المنورة أعني به حسن عباس الشربتلي لكل طالب مائتان وخمسون ريالاً وأثبتها في حياته وبعد وفاته في وصيته وما زالت تتضخم هذه الجماعة الخيرية حتى كان لها فروع في سائر مدن القصيم وساعد الشيخ عبد الله بن سليمان المذكور الأخ عبد الله المحمد العجاجي وكانت الجماعة تتلقى إيراداتها المالية من مصدرين هما ما تبذله جامعة الإمام محمد بن سعود وما يبذله المحسنون الذين يتسابقون إلى الخير ومن أهداف الجماعة ربط المسلم بكتاب الله علماً وعملاً وإحياء دور الإسلام في المسجد وتشجيع أبناء المسلمين على تلاوة كتاب الله وحفظه.

وفي هذه السَّنة تقدمت كلية الهندسة بالرياض وسارت بخطوات ثابتة نحو التقدم وذلك بأنها لما تأسست في السنة الثانية والثمانين بأربعة عشر طالباً بلغ عدد تلامذتها في هذه السنة مائة وخمسين طالباً وبلغت تكاليفها ١٩,٤٠٠,٠٠٠ ريال منها أربعة ملايين وثلاثة أرباع مليون تكاليف بنائها ومختبراتها والباقي تكاليف المعدات العلمية وغيرها.

وفيها في ٢٥/ ٤ الموافق ليوم الأحد قدم زائر للملكة رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر فاستقبله الملك فيصل لدى وصوله إلى ميناء جدة، ثم تكونت لجنة السلام في اليمن يرأس الجانب السعودي عبد الله السديري وكيل الداخلية وأشاد الجانب المصري بما عرفه ولمسه من المساعي الحثيثة التي يبذلها الجانب السعودي وذلك لبذل نقاط خلال أسبوع ثم تعرض على الحكومتين السعودية والمصرية في سبيل تنفيذ اتفاقية جدة.

وفيها زار الملك فيصل بن عبد العزيز بلاد الإحساء وأقيم له هناك احتفال رائع وأشاد بشأن الزراعة وأنه قرر لهذا المشروع في الإحساء مائة مليون ريال وكانت هذه الزيارة في أوائل شهر شوال من هذه السنة في اليوم الرابع منه. وفي هذه السنة رسم تخطيط لمكة المكرمة وقام أمين العاصمة عبد الله عريف بذلك وبلغت مشروعاتها ٢٣ مشروعاً.

وفيهـا في ٢٣ ربيـع الأول قامـت الحكومـة بمشـروع ضـخم لتطـوير التعلـيم الصناعي وذلك باعتماد تسعة ملايين ريـال لميزانيـة المعهـد الملكـي المهـني وتكملـة ورش المدارس الصناعية وتزويدها بأحدث المعدات واهتمت وزارة المعارف لذلك بتكوين القوى البشرية التي ستسخر المعدات والآلات لمباشـرتها فثمانيـة وعشـرون حرفة من بينها صناعة السجاد وصيانة المعدات وصياغة الذهب وسمكرة السيارات وغير ذلك مما يوفر للأمة مصلحتها وقامت الوزارة بابتعاث المدرسين القدراء حتى بلغ عدد المدرسين الصناعيين المبتعثين ثمانين مدرساً.

وفيها عقدت اتفاقية تقسم المنطقة المحايدة السعودية الكويتية وقـد وقعهـا نيابـة عن المملكة الكويتية جابر الأحمد وعن المملكة السعودية أحمد زكي يمـاني ثـم نـص المرسوم الملكي رقم ٣ تاريخ ١٢/ ٣/ ١٣٨٥ هـ بتوقيعها الإمضاء – فيصل - كمـا أنه تم توقيع اتفاقية الحدود بين المملكة السعودية وقطر وذلك لتعيين الحدود البريـة والبحرية بين المملكة السعودية وقطر وقد وقـع الاتفاقيـة نيابـة عـن حكومـة قطـر الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني نائب الحاكم وولي العهـد كمـا وقعهـا عـن حكومـة المملكة العربية السعودية أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية.

وفيها ارتفع مستوى المياه في مدينة بريدة في القصيم فسقطت بيوت في منخفض المدينة الغربي وانهارت فكانت نتيجة هذا الفيضـان أن عـادت بعـض المنخفضـات أطلالاً محزنة وقد بحثت الحكومـة عـن الموضـوع لمـا تكـررت اسـتغاثات الأهـالي وأقامت لجنة للنظر في الخسائر التي نجمت من جراء هذا الفيضان وجعلت تفكـر في حل أزمة تلك الفيضانات التي سببت تلك الأضرار وعمل لذلك خزانـات أرضـية بصفة جبارة هندسية تأخذه من بطن الأرض وتلقيـه إلى الفضـاء بعيـداً عـن البلـد تقدر قيمة أربعة من الخزانات بعشرين مليوناً من الريالات، هذا وقد امتدت عمارة مدينة بريدة شمالاً وغرباً وجنوباً وشرقاً إلى مدى بعيد.

وفيها وقع حريق في مدينة الرياض في حلة القصمان وارتفعت ألسنة اللهب إلى حوالي عشرين متراً والتهمت النيران ثلاثة متاجر وسقط أحد المنازل بينما انفجرت

أحدى المكائن المملوءة بالبنزين فهب الجيران من نومهم لهذا الانفجار وكان ذلك في الساعة السادسة ليلاً بالتوقيت الغروبي من ليلة الثلاثاء ٦/ ٤ حتى الساعة الثانية عشرة صباحاً وقد قامت المطافي وبعثت ثلاث فرق فقامت بجهد عظيم في إخماد النيران الملتهبة ولم تقع خسائر في الأرواح.

وفيها في ٧/ ٣ وفاة الأخ في الإسلام رجل الدين والفضل عبد الله بن سعد بن راشد بن حمد الشبرمي رحمه الله وعفا عنه وكان من الشبارمة أهل سميراء وآباؤه يسكنون في بلدة القصيعة من قرى بريدة في القصيم وينتسبون إلى محمد بن محمد بن علوي بن وهيب ولد في (١٣٠٩هـ) فنشأ في طلب القراءة وأخذ عن مدرس في بلده ثم أنه أخذ في الدراسة على الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وعلى الشيخ عمر بن محمد بن سليم وعلى العالم محمد بن صالح المطوع وأخذ عن مؤلف هذا التاريخ وكان صاحب دين ومعرفة محباً لأولياء الله ومن رجال الفضل والدين والإنصاف والشهامة وكثيراً ما ينتدب لحل المشاكل والإصلاح بين المتنازعين وقلمه سائر في كتابة الوثائق والعقود ويرجع إليه فيها في وطنه ولما أن أنشئت ا لمدرسة الحكومية في قرية القصيعة كان من ضمن المدرسين فيها في العلوم الدينية ويؤم في أحد مساجدها وله مكانة حسنة بين أمته مرموقة وكانت وفاته عن سكتة قلبية بينما كان قد تأهب للسفر إلى الرياض للزيارة؛ فتوفي وهو جالس في انتظار السيارة للركوب رحمه الله وعفا عنه عن عمر يناهز السادسة والسبعين.

وفيها وفاة الرجل النزيه العاقل الرزين حجيلان بن عمير بن حجيلان بن عمير الشايع من أهالي بريدة وكانت أسرته من وادي الدواسر وقد ارتحل جده الثالث من الوادي إلى الزلفي وكان قد طمع في إمارة العتبان هناك فاشتروا الإمارة منه بصاع نقود من المشاخص وهي العملة المتعامل بها إذ ذاك ثم إنه ارتحل إلى النبقية الواقعة شرقاً عن مدينة بريدة على مسافة خمسين كيلو، وبعدما استوطنها بمدة طويلة هربت له ناقتان واتجهتا إلى مدينة بريدة فأدركها في الموضع المعروف بغربي المدينة البوطة قد رتعتا حواليه وكانت ملكاً لمال الربدي الأسرة الكبرى في

بريدة فقال للربدي لعلك تهبني قطعة أرض زراعية فأكون لك جاراً، فقال له الربدي: لك من هذا الحد وجنوباً، فأعطاه إحدى الناقتين وارتحل من النبقية بأسرته إلى بريدة فأحيا ذلك الموضع وسكنه وكان هنا فاصل بين تلك النخيل وبين المدينة غير أنه باتساع المدينة قد أصبحت ملتصقة بها وكان المترجم حجيلان له أخوة من العقيلات الأثرياء يذهبون للبيع والشراء إلى الشام والعراق ومصر ويضربون في الأرض لطلب الرزق من أبرزهم صالح ابن عمير بن حجيلان كان شجاعاً وذا شخصية بارزة وفيهم عبد الرحمن وسليمان وكانوا أناساً صالحين ولد المترجم (١٣٠٩هـ) وتوفي في صباح يوم الجمعة الموافق ١٩/ ٧ من هذه السنة.

وفي هذه السنة وقع حريق في فرنسا واندلعت النيران تدمر ٢٥ ألف فدان فاجتاحت أربع قرى وقد وجد البوليس اثنين من الضحايا شيخاً وزوجته محترقين قرب منزلهما، وقد اشترك في الإنقاذ حوالي ألف شخص من رجال الإطفاء ولم يتمكنوا من السيطرة على النيران إلا بعد يوم وليلة وكان ذلك يوم الاثنين ٥/ ٤ وكان سبب ذلك ناراً شبت في الغابات.

إعادة السلام بين الهند وباكستان

في أواخر رمضان أي في اليوم ٢٠ منه توقفت الحرب بين الرئيسين أيوب خان وشاستري الزعيمين العظيمين للهند وباكستان واتفقت الحكومتان على أن تسحب كل دولة قواتها من أراضي الدولة الأخرى في موعد لا يتجاوز الخامس والعشرين من شهر فبراير الموافق يوم الجمعة ٥ ذي القعدة من هذه السنة ووافق الزعيمان الباكستاني والهندي على عودة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين بلديهما ووقع البيان المشترك الرئيسان.

إذاعة جديدة

بقوة ١٠٠ كيلو للمنطقة الشرقية في أواخر ربيع الأول من هذه السنة قام مجلس الوزراء باعتماد ٣,٢٥٠,٠٠٠ ثلاثة ملايين ومائتي ألف وخمسين ألف ريال لتنفيذ هذا المشروع في أقرب وقت ممكن وقامت شركة ألمانية عالمية ببناء المرسلة

الجديدة، كما أن العمل في الإذاعة الكبيرة في مدينة الرياض ذات ١٢٠٠ كيلو تتقدم بسرعة وأملنا عظيم في حكومتنا الرشيدة أيدها الله في أن تغمر أوقات الإذاعة بقراءة القرآن وتدبر آياته وتفسيرها للأمة بالبيان الأوفى ليفهموه على الحقيقة وذلك يكون عن علماء مضطلعين بالنصوص والإكثار من ذكر الخلفاء الراشدين في فتوحاتهم وجهادهم وتقدمهم وبذل نفوسهم في إعلاء كلمة الله تعالى ولمن جاء بعدهم من الملوك المجاهدين كهارون الرشيد وقبله الوليد بن عبد الملك وكذا بعدهم صلاح الدين الأيوبي ونحو ذلك من مواعظ وإرشادات تعود على الأمة بالإصلاح والنفع الديني والدنيوي إذ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

وفي هذه السنة ألغيت «الوزنة» المستعملة في نجد وهي تساوي نصف الصاع النبوي وجعلت الحكومة محلها الكيلو غرام فاعتمدت الأمة الوزن بذلك.

وفيها وفاة رشيد عالي الكيلاني الذي قام بثورته في العراق خلال الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤١م) ففشلت وفر إلى ألمانيا مستجيراً بها عن الحكومة البريطانية ولما أوشكت الحرب على الانتهاء وسقوط دولة ألمانيا دعي به هتلر وقال له يا رشيد إن ألمانيا على وشك السقوط والانهيار والتسليم وقد أخبرني قائد القوات بأنها لا تلبث زيادة على أربعين يوماً لعدم الوقود لدينا فانجُ بنفسك فقال إلى أين أذهب فقال له لا أعلم أحداً بعد الله تلجأ إليه غير ابن سعود وإني أستطيع أن ألقيك في باريس فلما وصلها سار بجواز مزور إلى بيروت فدمشق حتى قدم الرياض فألقى نفسه بين يدي الملك عبد العزيز يستجير به فقبله وبقي إلى أن توفي عن عمر بلغ ٧٦[1].

---

(١) كان لما قدم على الملك عبد العزيز في الرياض صلى معه الفجر وأخبره بخبره فتأثر الملك لقدومه لعلمه أنه مطلوب وما زال يسعى لدى الحكومة العراقية والحكومة البريطانية ووسط في الموضوع فاروق ملك مصر حتى لانت الحكومة البريطانية، إكراماً لابن سعود وكانت عائلته بالقاهرة ولما نجحت ثورة عبد الكريم قاسم ذهب إلى بغداد وكاد أن يعدم لكنه سلم وذهب بعائلته إلى بيروت ومات بها.

ثم دخلت سنة (١٣٨٦هـ)

استهلت هذه السنة والحرب في اليمن طاحنة بين الأهالي والجيش الغازي المصري وقد قامت السلطات المصرية ضد الأهالي الأحرار بأساليب التعذيب وقد غصت السجون باليمانيين لمعارضتهم الاستعمار المصري وقامت الصحف العربية السعودية بنشراتها تطالب هيئة الصليب الأحمر الدولية باسم حكومتها باتخاذ إجراءات تجاه هذه الأعمال التي لا تقرها الشرائع السماوية ولا القوانين الدولية والتي ذهب ضحيتها أكثر من مائة شخص في غارتين من بين رجل وامرأة وطفل من السكان الآمنين عدا مئات الأشخاص الذين أصيبوا بأعراض تسمم بالغاز السام ولا يزالون قيد المعالجة وبالرغم من هذه الشكايات والضجة إلى مجلس الأمن فإن الطائرات المصرية لا تزال تواصل غاراتها وتلقي قنابلها المتفجرة بالغازات السامة التي لولا هذه الهجمات بالطائرات لاستولى الإماميون على جميع تلك القوات المصرية كما استولوا ودمروا غالب تلك المصفحات والدبابات والسيارات والمدافع الثقيلة ولقد بعث الوزير اليماني إلى سكرتير الأمم المتحدة شكواه لوضع حد لهذه الغارات التي مر عليها اثنان وخمسون شهراً وإيقاف هذه الإبادة الوحشية التي يمارسها أهل اليمن ويكابدونها ويزاولونها وقد تقدم أن أمريكا انخدعت لطلب الرئيس المصري اعترافها بحكومة عبد الله السلال ليسحب قواته من اليمن ثم كان بخلاف ذلك ولما أن طالبته بسحب قواته بعد اعترافها بحكومة السلال أجابها لا يمكن انسحاب القوات المصرية قبل أن نضمن للحكومة الجديدة البقاء وتقوية مركزها الدولي ولا غرابة أن تعمل أمريكا ضد هذه الخدعة كما جرى على مصر فيما بعد ذلك ولقد حاولت أمريكا في هذه الآونة وجوب سحب قواته من اليمن وألحت عليه لما فهمت أنه جعلها تبقي وفقاً للخطة المرسومة.

وفيها أصدر صاحب الفضيلة سماحة المفتي للبلاد السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ فتوى عظيمة ورسالة طويلة بشأن غلاء المهور وساق الأدلة من

الكتاب والسُّنة في النهي عن ذلك وأطنب وأطال وذكر كلام العلماء في ذلك؛ ثم قال الذي نرى حمل الرعية على العمل به في هذا الصدد يتلخص فيما يلي:

أولاً: المدن الكبرى يكون الحد الأعلى للصداق فيها أربعة آلاف ريال الخ..

ثانياً: بالنسبة لغير من ذكر يرى أن يكتب لكل قاضي بلدة وأميرها أن يلزمهم بتخفيض المهور ويتفقون على ما يتناسب مع حالتهم وذكر أنه يلزم الجميع بمنع استعمال آلات اللهو والطرب والأغاني ما عدا الدف فيكون استعماله بصفة لا تخالف الشرع، إلى أن قال المادة الخامسة: يلاحظ القضاء على ما من شأنه الإسراف والبذخ والتطاول من تلك التكاليف التي كان لها السبب الأعظم في المغالات في المهور كالإسراف في الولائم والأثاث كغرف النوم والألبسة والعقود الثمينة ويكتفى بوليمة واحدة لا إسراف فيها سواء كانت عند الزوج أو عند أهل الزوجة إلخ المادة السابعة يجعل رقابة في كل بلد لعقوبة من يخالف ذلك بتغريمه غرامة مالية ومصادرة الزيادة، المادة الثامنة: إذا امتنع ولي المرأة من تزويجها بالكفء الذي رضيته بدافع الطمع والرغبة منه في الزيادة فلولي الأمر التدخل في الموضوع بالموجه الشرعي والرسالة طويلة ولكنه مع الأسف لم يجر الزام بذلك لأن الحكومة أيدها الله اكتفت بالوعظ والإرشاد ولم تحمل الشعب على التخفيض بالقوة كما تقدمت الإشارة إليه.

وفيها أصدرت المعارف السعودية أمراً بصرف ثلاثين ألف دولار لكلية التربية بالرياض المقرر افتتاحها في العام الدراسي.

شباب سعوديون يتخرجون من الجامعات الأمريكية

في هذه السنة عاد إلى المملكة العربية السعودية مائة وستة وثلاثون خريجاً من أبناء هذه المملكة تخرجوا من أكبر الجامعات في أمريكا ونالوا أعلى درجات علمية من عام (١٩٥٥م) إلى عام (١٩٦٥م) فاشتغل ستة عشر منهم بوزارة الخارجية

واثنا عشر أعضاء في كليات جامعة الرياض وستة عشر في وزارة البترول والثروة المعدنية وهكذا سدت بهم جهات في الوظائف الحكومية.

وفيها في أوائل ذي القعدة قدم الملك حسين عاهل الأردن زائراً المملكة العربية السعودية فقوبل جلالته بكل ترحاب وهب الشعب السعودي لاستقبال الضيف الكبير في مدن المملكة التي زارها كالرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة وفائدة هذه الزيارة التشديد في الدعوة إلى عقد مؤتمرات القمة العربية وتوثيقاً لوحدة النضال دفاعاً عن القضايا العربية ومقدسات الإسلام وإيماناً بضرورة اللقاءات العربية على مستوى الذروة وجدواها في مجابهة الأخطار التي تهدد كيان الأمة العربية، ولما أن كان في يوم الأربعاء ٦ ذي القعدة قام رجال القبائل اليمنية بهجوم على مقر القيادة المصرية في اليمن والسفارة الروسية هناك في صنعاء وقاموا بأسلحتهم الخفيفة ومدافع البازوكا فهدّموا البنايتين اللتين تحتلهما القيادة المصرية والسفارة السوفياتية وأصيب ستة لاقوا حتفهم نتيجة هذا الهجوم وهذا مقابل ما في أواخر شهر شوال من هذه السنة شنت القوات المصرية غارات جوية على مدينتي نجران وجيزان السعوديتين وبلغ الممثل للمملكة العربية السعودية هيئة الأمم المتحدة مذكرة تشير إلى الحق الدولي الذي تتمتع به المملكة في اتخاذ التدابير التي تراها ضرورية لحماية مصالحها ثم إنها أصدرت المملكة السعودية قراراً بإلغاء تراخيص العمل الممنوحة للمصريين العاملين في المملكة بنك مصر وبنك القاهرة.

وقد تقدم قبل ذلك إغارة شنيعة على اليمن ففي يوم الخميس الواقع في ٢٤ رمضان أغارت عشر طائرات مصرية على منطقة كتاف في شمال اليمن وألقت بقنابلها المحرقة والمتفجرة المحتوية على الغازات السامة المحرمة دولياً على تلك المنطقة فأودت بحياة مائة وعشرين شخصاً من بينهم نساء وأطفال وأصيب آخرون مما أدى إلى مقتل مائتين وخمسين شخصاً فأبادت قرية يسكنها الملكيون فصارت تلك القرية التي يسيطر عليها الملكيون بلدة الموت وقد أرسل الملكيون عدداً من مشوهي الغازات السامة إلى مستشفيات المملكة السعودية وبعث اليمنيون صراخاً إلى العالم

الإسلامي لإيقاف هذه الأعمال الآثمة الوحشية التي تريد بها مصر القضاء والإبادة دونما رحمة أو شفقة وبعثت المملكة المتوكلية رجاءها للصليب الأحمر الدولي والمنظمات الإنسانية في العالم إرسال مندوبين عنها لمشاهدة تلك الأعمال الوحشية وقرر الملكيون إرسال عدد من المشوهين إلى العواصم العالمية ليشاهدوا ما ارتكبته السلطات المصرية من أنواع البطش والإبادة.

إن الحكومة المصرية قد اعتدت على أهل اليمن الآمنين وحولت تلك المناظر الآمنة إلى مجازر تقشعر منها الجلود وتشمئز منها القلوب وتدخلت فيما ليس يعنيها ولكن الله تعالى وهو أحكم الحاكمين عاقبها بإسرائيل وهم اليهود بحيث غزوها في السنة القادمة وسيمر بك أيها المعتبر تصديق قول الشاعر وأن من الشعر لحكمة.

وما من يد إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سيجزى بظالم

حادثة غريبة

لما كان قبل مغيب الشمس يوم الجمعة ١٥ ذي القعدة انقض طائر على سيارة تسير في مدينة يقودها سعودي يدعى إبراهيم الدبيخي وكان هذا الطائر ضخماً جداً بحيث كان أكبر من السيارة وذلك في موضع قريب من مطار الرياض فلما رآه السائق طائراً رهيباً كاسراً يقترب من سيارته ورآه أكبر منها لامتداد جناحيه الكبيرين وقد حام هذا الطائر فوق المنطقة بسرعة عجيبة غريبة ثم أنه انقض على السيارة فعند ذلك نزل قائد السيارة إلى الأرض وبيده سلاحه وبينما كان الطائر يحوم بسرعة عظيمة اصطدم بالحواجز الحديدية التي تفصل منطقة المطار عن الشارع العام فأصيب بجروح وكسور ولم تمكنه من متابعة الطيران وهبط على الأرض يزمجر ويعربد وهنا قام صاحب السيارة واستغاث بالركاب المرافقين له فقيدوه بالحبال ونقلوه إلى الرياض وكان يقدر طوله لما مد جناحيه بسبعة أذرع ونصف ذراع وقد نشرته الصحف للناظرين. وقريب من هذا أنه خرج جماعة للصيد في إحدى رياض البطين التي تبعد حوالي ٧٥ كيلو شمالاً عن مدينة بريدة فرفع لأحدهم طيور كبار

كهيئة الغنم فلحق بأحدها يريد صيده لكنه بعدما أطلق البندقية الشوزن لم تحسبه فاستخدم لذلك أم خمس القصيرة فأصاب الطائر وإذا هو الطائر المسمى البجع وكان عظيم الجسم يقدر طول منقاره باثنين وخمسين سنتمتراً ودائرة حوصلته باثنين وسبعين سنتمتراً وكان آية من آيات الله في ضخامته.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

في هذه السنة فجعت الأمة لوفاة رجال من ذوي المقدرة والشخصيات البارزة ونحن نذكرهم فنقول: صحيفة طويت من صفحات العالم.

ففي الرابع من شهر شوال من هذه السنة وفاة الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى وعفى عنه وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الفاضل التقي المتواضع المحسن إلى خلق الله بعلمه وقلمه وجاهه الذي بكته أمة الإسلام وأبناء الشعب لقضائه الحاجات عبد اللطيف بن إبراهيم بن الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ المدير العام للمعاهد والكليات، ولد رحمة الله عليه في سنة (١٣١٥هـ) فنشأ في طلب العلم وتعليم مبادئ علم الشريعة المطهرة والدين الحنيف على علماء نجد ثم تلقى العلم عن الشيخ عمه عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ محمد بن فارس والشيخ سعد بن عتيق كما أخذ علم الفرائض عن الشيخ عبد الله بن راشد بن جنعود العنزي وبرع في علم الفرائض وزامل الشيخ أخاه محمد بن إبراهيم وكان يحضر له الدروس وله معرفة بالعروض وله قصائد مشهورة وهو إلى ذلك كان ذكياً سمح الأخلاق رضي النفس وقد تولى في عهد المغفور له الملك عبد العزيز إدارة معهد إمام الدعوة فكان مرجعاً لأهل الرياض في الإصلاح بينهم لثقة الناس بإخلاصه وأمانته ثم أسندت إليه إدارة المعاهد والكليات فأدارها بحكمته نعم طويت تلك الصفحة الناصعة وانطمست تلك الحروف البارزة وانطفأت تلك الشمعة المنيرة فإنا لله وإنا إليه راجعون، هذا الشيخ الذي عرفه طلاب العلم ورواد المعرفة يوم كان طلب العلم حَلقات في المساجد ثم امتدت هذه الحلقة الصغيرة

التي كانت تضم عشرات طلاب العلم بامتداد همة الشيخ عبد اللطيف حتى شملت أنحاء المملكة وظهرت آثارها في هذه النهضة العلمية التي تمثلت فيما أنتجته هذه المعاهد من شباب كان لهم أحسن الأثر في إدارة دفة الشؤون العامة علمياً وإدراياً وقضائياً سيذكرك الناس يا عبد اللطيف كذكرهم آباءهم لأنك الأب والموجه لهؤلاء فكم كربة لله كشفتها وكم مشكلة أزلتها وكم محنة فرجتها ولا غرابة فأنت سليل محمد بن عبد الوهاب الذي هز الدنيا في عصره ودعوته إلى توحيد رب العزة وما زالت صيحته تدوي في كل قُطر وستظل تدوي لأنها دعوة الحق، لقد كان الشيخ عبد اللطيف واحداً من أحفاد إمام الدعوة الذين ضحوا بكل شيء في سبيل نشر العلم وكل الناس يعرفون مجالسه العلمية بعد صلاة الفجر وبعد صلاة الظهر وبعد صلاة المغرب كل يوم ما عدا أيام الجمع وليس هذا فحسب بل إنه يعقد في بيته المجالس العلمية للإفتاء والتعليم وتوثيق العقود لا يقصد من وراءه سوى المثوبة من الله تعالى ولم تشغله أعماله الرسمية عن قضاء حاجات الناس كل هذا مع تواضع وحلم وصبر وتحمل فهو لا يثأر لنفسه ولا ينتقم من أحد، هذا شيء ملموس لكل أحد وإنه ليشكر على أعماله تلك التي سيلقاها موفورة له عند الله تعالى فنسأل الله أن يجبر المصاب بفقده ويحسن العزاء ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكانت وفاته عن عمر تجاوز السبعين رحمة الله عليك يا عبد اللطيف فُجِعت بك الأمة ليلة رابع شوال ففقدت عالماً وأي عالم كان يحنو على الضعفاء والمحتاجين وبيته بمثابة النادي العام لسائر الأمة من قادة الجميع ولا يتعالى ولا يتعاظم على أحد يؤمونه في كل وقت من ساعات الليل والنهار لقضاء حاجاتهم في كتابة عقود أنكحتهم ومبايعاتهم العقارية وفي استفتائه عن كيفية وتقسيم المواريث المعقدة فهو من أعظم البارعين في علم الفرائض وقسمة المواريث في هذا العصر ومهما كانت الأحوال والظروف فإن الأمة أصيبت به وبكاه رجال العلم وخلق حفه منابر الفضل ولا نطيل بذكره فشهرته أعظم من ذكره ولما خرجت روحه في تمام الساعة الثالثة والربع من ليلة السبت الموافق ٤/ ١٠

وفقدت مدينة الرياض علماً من أعلامها هرعت الأمة للصلاة عليه وتشييع جثمانه إلى مقره الأخير وحملوه على الأكتاف من الجامع الكبير إلى المقبرة وقد قيل أنها لم تحصل هذه الضجة خلف جنازة أحد في الرياض منذ ثلاث عشرة سنة إلا ما كان في تشييع جنازة الملك عبد العزيز ولما أن أقام صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز صلاة الجنازة على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم كان لهذا النبأ سمع في ملايين الخلق من هذه المملكة وما أحسن ما قيل:

لعمرك ما الرزية فقد مال ولا فرس يموت ولا بعير
بلى إن الرزية فقد حر يموت بموته بشر كثير

وفيها في يوم الأحد ١٧ ذي القعدة وفاة الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن عبد اللطيف أخي المفتي العام وأخي الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم المتقدم رحمه الله وعفى عنه كان أسن أخوته وذا دين وعلم ومعرفة وله يد طولى في علم التاريخ وبين وفاته ووفاة أخيه عبد اللطيف شهر وثلاثة عشر يوماً فالله المستعان.

قتل عالم من العلماء

قال الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ إن الإخوان المسلمين في مصر جماعة من المسلمين تآخوا في الله حول شريعة الله ممثلة في كتابه العزيز والذكر الحكيم والقرآن المجيد وسنة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ يعملون لإقامة حدود الله في الأرض والحكم بشريعة الله فيها تمهيداً لإعادة مجد الإسلام وتحرير أوطان المسلمين من كل مستبدٍ غاصب وكان «حسن البنا» أحد أولئك الذين لا يدرك الوصف ذكراهم وقد قتله كبار رجال وزارة الداخلية وسعت ممثلة في رئيس وزرائها إلى قبره وقد سعى الشهيد وحده إلى قبره منذ أربع سنوات وليس في جنازته إلا فئة من الجنود يمنعون الناس عن جنازته التي لم يمشِ فيها إلا والده وولده والآن يقتل عالم عظيم مفسر للقرآن وهو «سيد قطب» بعد تعذيبه في السجن بأنواع التعذيبات التي تقشعرّ منها الأبدان وتنكرها

الأديان ويضج لها الثقلان ويتأثر لها الإنس والجان تلك الجريمة الشنيعة التي لا يقرها أبيّ له إنسانية وخوف من الله عز وجل ففي شهر جمادي الأولى ٢٩/٨ أغسطس أصدر عبد الناصر من موسكو حيث كان في زيارة لأسياده الروس أمراً إلى لزبانيته بمصر بتنفيذ حكم الإعدام شنقاً بالكاتب الإسلامي الكبير الشهيد سيد قطب الرجل العابد المجاهد الصابر فقدم العالم الشهيد السيد قطب وزينب الغزالي قد أحاط بهما الحراس من كل جانب يستمعان إلى الحكم الصادر عليهما بإعدام قطب وبالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة بالنسبة لزينب الغزالي وقد ضجت الأمة لذلك.

الأوساط الإسلامية تناشد الرئيس جمال عبد الناصر

وجه عدد من الشخصيات السياسية والجامعية في المغرب وغيره نداءً إلى عبد الناصر رئيس الجمهورية المصرية لإلغاء أحكام الإعدام التي صدرت في مطلع الأسبوع الأول من جمادى الأولى بحق سيِّد قطب وستة أعضاء آخرين من جماعة الإخوان المسلمين ومن بين هذه الشخصيات التي قامت بالوجاهة علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المغربي والدكتور عبد الكريم الخطيب أحد زعماء الحركة الشعبية وزعماء في باكستان يطلبون تخفيف حكم الإعدام الذي صدر بحق سيد قطب وزملائه وتلقى الحبيب بورقيبة الرئيس التونسي برقية من اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا ناشده فيها الاتحاد التوسط لإنقاذ الإخوان المسلمين السبعة ويضم الاتحاد خمسة وعشرين طالباً ولقد تعالت صيحات المسلمين في كل مكان طالبين من السلطات المصرية الحاكمة العفو عنه أو التخفيف على الأقل فلم تجد تلك الصيحات آذاناً صاغية فضلاً عن أن تكون واعية، قال الأستاذ علال من أهل فاس لقد مضى القضاء وحق الأمر فحكم بالإعدام على الداعية الإسلامي الكبير المجاهد الشهيد سيد قطب وعلى ثلة من رفاقه إن ذلك مصير الدعاة إلى الخير ذلك ما يترقبه المجاهدون الذين يقولون الحق ولو كان مراً لقد اتهم سيد قطب وصحبه بالتآمر على الدولة وعلى قتل رئيسها ونحن لا نعلم من سيد

قطب إلا الدعوة بالحسنى والصدق في القول ثم قال لقد مات سيد قطب شهيداً وليس شأننا أن نبكي الشهداء ولا أن نتألم لما يصيب المناضلين فمن عرف ما قصد هان عليه ما وجد وأن ما نعلمه عن سيد قطب هو الدين المتين والعلم الواسع والنضال المستميت لا لشيء لا لدنيا يصيبها أو جاه يتبوأه أو عدو ينتقم منه ولكن لينجح القرآن ويسمو بنو الإنسان، ثم قال: كان سيد قطب مجاهداً نزيهاً حريصاً على الخير عامر القلب بالله طاهر النفس زكي الضمير يحب الخير للناس كما يحبه لنفسه وكان إلى جانب ذلك عالماً كبيراً وناقداً مقتدراً ومفسراً، لكتاب الله، أصدر كتاباً في النقد الأدبي وأخذ يتطور فاتصل بالقرآن وأصدر كتابيه العظيمين التصوير الفني في القرآن ومشاهد يوم القيامة في القرآن وأخذ يعدد ما له من المكارم والفضائل إلى أن قال: كما لقطب كتب كثيرة منها معالم في الطريق وقد حللت المجلة القوات المسلحة في مصر في عددها ٤٤٦ الصادرة في أول شهر تشرين الثاني سنة (١٩٦٥م) هذا الكتاب وذلك أثناء المحاكمة لسيد قطب وكان تحليلاً موضوعياً للكتاب واعتبرته قيادة جديدة للبشرية، ثم قال لقد وفى آل قطب بما يجب عليهم نحو ربهم ونحو وطنهم الإسلامي والعربي.

إعدام الشهيد

قالت بعض الصحف الإسلامية.. في فجر يوم الاثنين ١٣ جمادى الأولى من سنة ألف وثلاثمائة وست وثمانين هجرية نفذ حكم الإعدام بالسيد قطب في إحدى الثكنات العسكرية المصرية شنقاً ثم إنها أخذت في ذكرى استشهاده ذلك بأن قتله أدمى قلوب أهل الإسلام وأنكرته صلحاء الأنام ثم بعد شدة الأسف بما وقع من تلك الخسارة نقول وهي تحشرج هذه نفحة وجدان وعبق إيمان وتحملهما ومضة إخلاص يرسلها قلب مؤمن ويعبر عن معانيها البليلة تكلم الأستاذ الكبير أحمد عبيد «رحمة الله تغشاك وسلامه عليك يوم يلقاك وفي الشهداء والخالدين زمرتك في يوم الخلود كيف لمثلي أن ينعاك وأنت أكبر من النعي وأنى لي أن أرثيك وأنت أعظم من الرثا أفي الكلمات ما يفي بحقك أفي التفجع ما ينهض لك في كلمة

وداع أم أنها خفقات قلب تتلمذ على قلبك الطاهر وفجيعة نفس التقت بنفسك الزكية في ظلال القرآن بأرجل والرجال قليل أنت أكبر من أن تكون أرضاً تطأك الرجال إنما أنت سماء في دنياهم، فاشرأبت عنقك في السماء وهكذا أنت علو في الحياة وعلو في الممات، إيه سيد قطب أيها الأستاذ الكبير أيها العالم والمعلم العظيم من أرضك المسلمة العربية من أرض آبائك وأجدادك ومن وطن نبيك وبيت ربك من أرض الإسلام من أرض القداسات والنور من الأرض الذي سقط عليها أول شهيد في الإسلام من الأرض التي هي سماء في دنيا العالمين تتهادى إلى روحك بأجنحة نورانية ملائكة ربك تتلقاك تبلغك تحية الشهداء وترفعك عند ربك في ظلال عرشه يا من كتبت ظلال القرآن، أيها الشيهد لقد كتبت بدمك كلمة الحق في حياتك وستخلد كلمة الحق شعلة تضيء بدمك بعد مماتك فالعدالة الاجتماعية في ندائك نبراس يضيء وصيحة الإصلاح في كتابك معالم في الطريق، كنت رائداً لا تكذب أهلك ولكن أهلك قتلوك، وكنت هاتفاً لا تخدع وطنك ولكن أبناء وطنك سلموك، وكنت تريد لهم الحياة فأرسلوك للموت، وكنت تريد لهم الخلود فلم يستطيعوا أن يحولوا بينك وبين الخلود، إن يدك التي حملت القلم والكتاب لا تحمل الغدر ولا تطعن في الظلام، وإن قلبك الذي امتلأ بحب الله والوطن لا يخون عهد الله ولا يغدر بيعة الوطن الحبيب هذه هي عقيدتنا فيمن آمن بالقدر والوطن، وقال: كلمة الحق تحت سماء استقبلت منه أول صرخة من صرخاته في الحياة إلى أن قال: كنت في الدنيا شهيداً تمشي على قدمين وأنت الآن شهيداً تحلق بجناحين وعقيدة للمؤمنين في قلبك وكتاب العدالة في بدنك وستستمع الدنيا لك فيعطيك الناس يوماً ما. إلى أن قال: أيها الشهيد لقد تعلمت وعلمت واهتديت وهديت وأعطيت القدوة من نفسك معلماً كبيراً وارتفعت لم تبخل على شعبك في حياتك وكنت كريماً عليهم في مماتك تعلمهم ما هي العقيدة وما هو الدين وما هي المبادئ وأين المنهج القويم» وأطال وأطنب بما يبكي ويبعث الأشجان.

مولده وحياته

ولد سيد قطب في قرية صغيرة في صعيد مصر تابعة لمديرية أسيوط وذلك في سنة (١٣٢٤هـ) و(١٩٠٦م) ودرس العلوم الأولية بها وحفظ القرآن صغيراً وانتقل إلى القاهرة والتحق بدار العلوم سنة (١٩٢٩م) وتخرج منها سنة (١٩٣٣م) وعين مدرساً ثم ابتعث من قبل وزارة المعارف المصرية إلى أمريكا للدراسة وذلك عام (١٩٤٧م) وأصدر بها مجلة الفجر الجديد وفي عام (١٩٥٢م) عاد من أمريكا وكان ذهابه إليها نقطة تحول في حياته إذ ترك العمل الوظيفي واستبسل في الدعوة وجرد قلمه في الكتابة عن الإسلام وذلك لما رأى من انهيار الغربية وإخفاقها في تربية الوجدان تربية حية وفي عام (١٩٥٣م) انتدب إلى دمشق ليمثل مصر في مؤتمر الدراسات الاجتماعية والقرنية محاضرة بعنوان (التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكافل الاجتماعي) ونشر في كتابه دراسات إسلامية. وفي ١/ ٣/ ١٩٥٥م انتخب عضواً في مكتب الإرشاد لجماعة المسلمين وعين بعده رئيساً لقسم نشر الدعوة وفي ١٣/ ٧/ ١٩٥٥م صدر الحكم عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة وفي أوائل عام (١٩٦٤م) فرج عنه وفي عام (١٩٦٤م) خصصت مدارس الأقصى بعمان ميدالية للفكر الإسلامي باسم سيد قطب وفي عام (١٩٦٥م) أعيد إلى السجن وفي أغسطس آب سنة (١٩٦٥م) أصدر الحكم عليه بالإعدام ثم أعدم فارتفعت إلى السماء روح الشهيد مفكر القرن العشرين وعالم الدين والأدب والسياسة والاجتماع فأقيمت صلاة الغائب عليه في أكثر البلاد الإسلامية وفي المساجد الثلاثة يوم الجمعة ١٧ جمادى الأولى سنة (١٣٨٦هـ).

أما عن نسبه فهو سيد بن الحاج قطب إبراهيم، هاجر جده السادس عبيد الله إلى مصر من الهند وإذا كان الخصوم قد استطاعوا أن يقدموا وأن يصلوا إلى جسد الشهيد فيصلبونه وإلى دمه فيريقونه فإنهم لم يصلوا ولن يصلوا ولم يستطيعوا ولن يستطيعوا أن ينالوا من صدى دعوته في النفوس وأثرها في القلوب وشهرته في العلم والغيب على أعداء الحق وما زالت السلطات المصرية تواصل آثاره حتى

حذرت الأمة من كتابه معالم في الطريق وقامت أجهزة الإعلام في القاهرة تتوعد من يتهم بقراءة هذا الكتاب بإنزال العقوبة به وأقل عقوبة زجه في السجن مع الأشغال الشاقة لمدة سبع سنوات كما هو منشور في الأهرام في تلك المناسبات ويصف العلماء كتابه المسمى معالم في الطريق بأنه الكتاب الذي تتجلى فيه عظمة مؤلفه ونال الإعجاب من العلماء والأدباء بل فاخرت به مصر في معرض الكتاب العربي ولا يزال نبراساً لكل ناشد للخير وطالب عزة الأمة الإسلامية فالله المستعان.

تعذيب الإخوان المسلمين

لقد امتلأت السجون بالإخوان المسلمين وأمر الرئيس بإعدام ستة من أكبر وأعظم مفكري وعلماء مصر قبل ذلك بعشر سنين بعد ما لاقوا أسوأ أنواع التعذيب وأمر ببقية السجناء أن تلفق التهم عليهم وأمر بإفنائهم بإطلاق الرصاص عليهم أثناء خروجهم لقطع الأحجار التي كلفوا بقطعها بدعوى أنهم كانوا يحاولون الهرب من معتقلهم، وقد انكشفت الخطة ورفض المعتقلون الخروج في اليوم الذي حدد فيه فناؤهم فما كان من الزبانية إلا أن صوبوا رصاص مدافعهم الرشاشة إلى صدور الشهداء حتى أفنوهم جميعاً في نفس الوقت الذي كان أهل المسجونين خارجاً للسماح لهم بالزيارة ووقعت المجزرة، أما البقية الباقية من الإخوان المسلمين الذين امتلأت بهم السجون الأخرى فقد عذبوا بأنواع التعذيبات التي تمارس يومياً ما يسمى بطابور الصباح ومدته ثماني ساعات فبعض السجناء يعلقون بأرجلهم ويقوم الزبانية بملاكمتهم في رؤوسهم ويستخدمون الأسياخ المحماة بالنار لحرق أجزاء مختلفة من أجسامهم وخلع الأظافر ولسع الأماكن الحساسة جداً بسجائر الإرهابيين ثم هناك من آلات يستخدمونها لضغط الرأس وآلامها لا تطاق وممارسة الأعمال اللاأخلاقية مع السجناء فعياذاً بالله من هذا التسفل. أما في الليل فزج بالمسجونين في زنزانات صغيرة جداً مملوءة بالبق ومفروشة بالمياه القذرة ويحشر عدد كبير منهم حتى لا يستطيع أحدهم حتى مجرد الجلوس ويجبرون المسجونين على

شرب بولهم وإعطائهم الطعام العفن وعدم السماح لهم بارتياد دور المياه إلا مرة واحدة في الأسبوع حتى تضعف قواهم البدنية، ومما قال الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني المتوفى سنة (١١٨٢هـ) في التحذير من الظلم وكيف طاب لهم التنزه في الحدائق والمنتزهات وإخوانهم في السجون:

فيا عصبة ضلت عن الحق والهدى ... ومالت إلى أفعال طاغٍ وفاجر
بأي ملوك الأرض كان اقتداؤكم ... فما لكم في فعلكم من مناظر
أنافستم الحجاج في قبح فعله ... ففعلكم في الجور فعل مفاخر
ويا وزراء السوء يا شر فرقة ... وأخبث أعوان لناه وآمر
إلى أي حين في الضلالة أنتم ... جهلتم بأن الله أقدر قادرِ
فما يفعل الدجال مثل صنيعكم ... فلا تتشمتوا من بعد هذا بكافر
إذا كان هذا حال قاضٍ وعالم ... وحال وزير أو أمير مظاهر
ولم تنتهوا عن غيكم فترقبوا ... صواعق قهار وسطوة قادر
فما الله عما تعملون بغافل ... ولكنه يملي لطاغٍ وفاجر
وقد أرسل الآيات منه مخوفاً ... ولكن غفلتم عن سماع الزواجر
رماكم بقحط ما سمعنا مثله ... وحبس سحاب بالإغاثة ماطر

نوع آخر من التعذيب

كان يؤتى بالبعض منهم في أثناء طابور الصباح ويصفونهم في ساحة أمام زملائهم السجناء ويطلقون عليهم الكلاب المتوحشة التي سبق تجويعها لأيام عديدة لكي تنهش من لحوم المسجونين بينما يشاهد هذا المنظر المزعج الفجرة من حكام القاهرة وزبانيتهم، أما الأقوياء الذين صمدوا لكل أنواع هذا التعذيب فكان يؤتى لهم بالمومسات القذرات العاريات ليقمن بأعمال تتنافى والأخلاق وينهالون عليهم بالشتائم والإهانات والتهكم على الله سبحانه وتعالى وعلى الرسول الكريم ﷺ والصحابة الكرام بنكات وعبارات يقشعر لها البدن فعياذاً بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، أما الذين فشلت كل أنواع التعذيب فيهم فيرسلونهم إلى

أماكن بعيدة جداً في الصحراء الغربية حيث لا ماء ولا طعام لكي يموتوا جوعاً وعطشاً[1] قالت الناشرة لهذه الأوضاع ولقد شاء الله لي أن أقابل بعض هؤلاء والذين أفرج عنهم في عام (١٩٦٣م) فرأيت آثار التعذيب الوحشي على أجسامهم فأحدهم وهو مدرس لغة عربية بإحدى المدارس الثانوية رأيت أثر الكسر في أذنه من جراء وضع السيخ المحمي من الحديد فيها وآثار أخرى على ظهره من أثر الكي بالحديد المحمي وآخر رأيته وقد تشوه ظهره من آثار نهش الكلاب وآخرون كثيرون عذبوهم وأصيبوا بعاهات مستديمة هذا بعض مما روته الرواة الذين شاهدوا تلك المخازي ونحن نذكر قصة عن رئيس زبانية عبد الناصر وهو حمزة البسيوني أنه لما دفع إليه أحد الإخوان المسلمين للتعذيب فأمر برفعه بقدر متر عن الأرض وأوقد النار لشيِّه، قال المعذب: يا الله يا رب، يستغيث بالله، فقال المجرم استهتاراً بالله وتحدياً له: أقسم بحياته لو أن الرب نزل من فوق سبع سماوات لسجنته في زنزانة ١٤.

وفي رواية أنه قال: أقسم بشرفي وحياتي لو أن الله نزل من فوق سبع سماوات لسجنته سجناً اضطرارياً فقدِّر أنه انقلبت به سيارته فدخل الحديد في رقبته وذهبوا به إلى مستشفيات مصر لكنها رفضت علاجه فهلك ثم غسلوه وكفنوه وذهبوا به إلى أحد المساجد للصلاة عليه فلما حمل نعشه وأرادوا أن يدخلوه في المسجد امتنع المسجد من قبوله وعجزوا عن الدخول به في المسجد فوضعوه في الشارع للصلاة عليه هذه قصة أقسم رواتها بالله العظيم أنها معلومة مشهودة. أما خارج السجون فكان يرسل باستمرار بعملاء مدربين من النساء والرجال لأهالي المسجونين لإقناعهم وإرغامهم بالتخلي عن ذويهم وتوجيه الإهانات لهم وللزوجات بطلب الطلاق من أزواجهن، وللأسف قد نجحوا إلى حد ما ولكن بعضاً من الأسر عرفت مكرهم ورفضت ألاعيبهم مما حدى بعبد الناصر إلى أن يأمر بالاستيلاء على كل ما لدى هذه الأسر وطردهم من مساكنهم وتركهم بدون مأوى وطعام وعدم مد يد

---

(١) نشرت ذلك جريدة القدوة عن إحدى المرزوآت وهي إصلاح سهيل.

المساعدة لهم وفرض عقوبات إرهابية على كل من تسول له نفسه بمدهم بأي معونة، هذا بعض من كل وسنعود إلى المقصود[1].

ومن توفي فيها من أعيان أهالي بريدة إبراهيم السليمان الجربوع رحمه الله تعالى وعفا عنه وهذه ترجمته هو الشيخ البارع في الرجولة والدهاء والمعرفة والكرم والنبل والفضل رئيس العقيلات وأحد أعضاء أهل الضبط والربط في عاصمة القصيم إبراهيم بن سليمان بن عبد الله بن عبد الكريم بن سليمان بن محمد بن علي بن جربوع من قبيلة شمر من سنجارة من فخذ المختار رئيس الفخذ الحايق ولد في سنة (١٣١٠هـ) بمدينة بريدة فنشأ في رعاية والده وكان والده محباً للعلم وأهله فأدخله والده مدرسة الشيخ ناصر السليمان بن سيف وكانت المدارس إذ ذاك آهلة بالطلاب وكلها أهلية في تعليم حروف الهجاء بالألواح الخشبية ثم يتنقلون بالتدريج إلى السور القصار من القرآن الحكيم حتى تتصلب معلوماتهم فيعلمون الاستفتاح والتشهد والسير في تعلم القولين وهناك يجدون بعض المبادئ في الخط والحساب ثم تعلم من كتاب في بريدة عراقي كان يعلم إذ ذاك الصبيان وبعدما حفظ القرآن وتعلم الخط والحساب وبلغ الخامسة عشرة من العمر اشتغل بالتجارة في المواشي وجلبها من أنحاء المملكة إلى سوريا وفلسطين ومصر والعراق ودام على ذلك مشتغلاً بالمواشي ويجوب أقطار المملكة لهذا الغرض مما أورثه معرفة الطريق والهداية في ظلمات البر والبحر فكان خريتاً ماهراً في الدلالة يتساوى عنده السير بالليل أو النهار ولقد كان المترجم مشهوراً من بين العقيلات في أسفارهم يختارونه ليسير في مقدمة القوافل لمعرفته بالطرق ومتاهات الصحاري ولما كان ذات مرة يسيرون في الحماد قادمين من الشام إلى القصيم ثار الجدل بين الذي كان أميراً

---

(١) اعلم أن سبب ذكر هذا الابتلاء والامتحان ليتذكر الإنسان نعم الله سبحانه وتعالى وليوطن نفسه على نوائب الدهر ويعرضها على الحديث الشريف «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون الأمثل فالأمثل» نسأل الله تعالى أن لا يبتلينا وأن لا يمتحننا إنه جواد كريم.

للقافلة وبين بعض الرفقة المدعو عبد العزيز بن حماد الذي كان من كبراء العقيلات هذا يقول الطريق يميناً وإبراهيم يقول يساراً حتى حصل النزاع بينهما فعند ذلك أمر المترجم بنزول القافلة إلى الأرض للراحة ولما أن نزلوا جعل يقلب القربة ثم وجه كلامه إلى المعارض يقول الطريق يسار فوافق عبد العزيز لكنه بغير اقتناع، ولما أن سارت القاقلة ليلاً طويلاً مسافة غير قصيرة وطلع الفجر قال: إن أمامكم قوز وهي جبال مجتمعة وستكون موضع راحتنا بعد هذا السري نزولنا يمنة منها ولما أن نزلوا بالقرب منها وظهرت أشعة الشمس نادى بأعلى صوته أحد الرفقة قائلاً يا إبراهيم النودلي اذهب إلى ذلك الموضع لجبل من تلك الجبال فستجد فيه شداداً أي رحلاً وزمزمية سقطت فيه العام الماضي بسبب جفول حصل على الإبل فذهب وجاء بها فتأكد الرفقة واطمأنوا إلى كلامه وكان إلى ذلك مقداماً شجاعاً له مواقف مشهورة فيما يضطره إليه الزمان ومقدماً في أصحابه فإذا سافرت قوافل تجارية للبلدان المجاورة في المواشي وهو فيهم فهو الأمير لأنه مهيب ومحبوب وأديب ولما أن تلاشت تجارة المواشي في البلدان المذكورة ترك الأسفار وجلس في مدينة بريدة موقراً معززاً لدى الملوك والعلماء والوجهاء محترماً ووجيهاً لدى ولاة الأمور مقبول الشفاعة مقدماً ومعظماً أضف إلى ذلك أنه في عداد أهل الدين محافظاً على الصلوات مع الجماعة وما زال في حالاته التقدمية حتى وافاه الأجل في ١٧ ربيع الأول من هذه السنة.

ولقد حضرت إحدى دعواته لوليمة العشاء حينما وجه إلي دعوة فلما أن قال تفضلوا على الميسور قام يعتذر بقوله لقد كان من المعلوم بأن كل واحد منكم أحسن منا طعاماً وإنما أجبتم جبراً لخاطرنا فأسأل الله أن يثيبكم ويكتب خطواتكم فعجبت لهذا الأدب وحسن التواضع وكان له أخوة من بينهم عبد الله بن سليمان عليه آثار الصلاح وكان مرض المترجم بالضغط وخلف سبعة أبناء فالله المستعان.

وممن توفي فيها الزاهد العابد والعالم الفاضل أبو حماد عبد الله بن حماد الرسي من القبلان في بلدة الرس ولد في عام (١٣٠٨هـ) فنشأ في عبادة الله

متعففاً صالحاً صبوراً على حلو الزمان ومره، وكان قليل ذات اليد لكنه متكل على الله عز وجل ومفوض أمره إليه ويتمتع بحسن الخلق ورحابة النفس حتى لكأنه غني.

ومما جرى من خوارقه أن زوجته جاءت إليه من آخر النهار وهو يقرأ في مدارج السالكين للحافظ ابن القيم فشكت إليه أنهم لا يجدون قوتاً للأولاد تلك الليلة وكان مكباً على المطالعة لابساً نظارتيه فقال لها يأتيك رزقك واستمر في المطالعة ولم يلتفت إليها فلما أن أوشكت الشمس من الغروب رجعت إليه تقول يا أبا حماد التفت يمنة أو يسرة للصبية أما أنا وأنت فنصبر على الجوع فرد عليها برفق ولين يقول: يأتيك رزقك. يكرر هذه اللفظة ولا يزيد عليها ثم إنه قام للصلاة مع الجماعة ولما أن رجع من صلاة المغرب وجد صينية مملوءة من الأرز والجريش وعليها اللحم وأنواع الخضار وقد أهديت إليهم ذلك بأن رجلاً لديه ضيوف وقد أعد لهم طعاماً كثيراً فلم يأتِ إلا بعضهم وكان قد كفاهم صينية ففكر في الثاني وقال لزوجته اذهبي به إلى بيت الرسي فعسى أن يكونوا بحاجة إليه فذهبت به إليهم ولما رآه زاهدنا قال لزوجته قلت لك يأتيك رزقك فأكلوه هنيئاً مريئاً وحقق الله ظنه فيه وهذا من صدق اليقين وقوة التوكل. وركب ذات يوم في سيارة لزيارة أقرباء له في الرياض فكان سائق السيارة ممن ابتلاهم الله بتناول التتن ولديه وقاحة لأن بعض المبتلين به كالجعل الذي يدهده الخرء بأنفه لا يأنف من ذلك ويظن الناس مثله فنصحه بأن لا يجاهر به قائلاً يا أخي إنه مضر ولا تعجبنا رائحته فلم ينته ثم أنه امتص سيجارته ونفخ بالدخان في وجهه علاوة على رده للنصيحة فبكى لهذه الإهانة ورفع طرفه إلى السماء ودعا عليه بأنه يخصه الله بعقوبة من بين الركاب فقدر أنها توقفت السيارة عن السير فنزل ورفع الكبوت لتفقد المكينة فثارت النار في وجهه وصار مشوهاً بحرق حاجبيه وشعر عينيه وأهدابها، وما حصل على وجهه فذهب إلى المترجم يريه كيف صنع الله به ويسأله أن يسمح عنه ويعاهده أن لا يعود.

وهذه صفته: كان قصير القامة أبيض اللون ممتلئ الجسم شثن اليدين والرجلين قد تأثرت عيناه من كثرة المطالعة والبكاء من خشية الله باحمرار عليه آثار الصالحين وشعار المتقين وبما أنه هادئ الطبع وفقير فإنه لا يؤبه له ويصدق عليه وصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصف الدنيا بقوله: «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له» رواه أحمد والبيهقي وقوله: «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفَّع» رواه البخاري.

أما مشائخه الذين أخذ العلم منهم فقد لازم الشيخ عبد الله بن حسين أبا الخيل وأخذ عنه وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن دخيّل وأخذ عن الشيخ محمد بن مقبل وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد ابن سليم وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي وكان من جملة أحبابنا وزملائنا مع أنه يكبرني بستة وعشرين سنة وبيني وبينه صداقة فكنا نخرج إلى قرية المريدسية وخبِّ البريدي وغيرها لزيارة الأخوان هناك كآل سعوي وآل خضيري وآل سويد وغيرهم ممن يحبنا في ذات الله ونحبه وتحصل قراءة وتذكير ونجد هناك قبولاً وأخواناً لنا في الله ويحمل دائماً كتبه للوعظ والإرشاد والإفادة وقد تولى وظائف في الإمامة والخطابة في بعض الهجر وآخر وظيفة نالها إن كان في هجرة وثيلان من أعمال السر إماماً ومرشداً وفقيهاً ومدرساً في المساجد وكان رحب الصدر حليماً فلا يغضب ولا يحقد ويتعلم منه صغار طلاب العلم ويتحمل ما يناله من الأذى وقد أخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن فدا العالم الزاهد حينما كان الشيخ في المريدسية وقد أوذي في الله وصبر ثم أنه أسن ولزم بيته ويتردد إلى مجالس الذكر حتى توفي في هذه السنة عن عمر يناهز التاسعة والسبعين رحمه الله وعفا عنه.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد

اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ وهو نجل رئيس القضاة في المملكة ولد رحمه الله عام (١٢٩٧هـ) وتوفي في هذه السنة عن عمر يناهز التسعين كان المترجم من مشاهير العلماء من آل الشيخ وله مكارم أخلاق ورجولة وسخاء وكرم حاتمي فكان بيته مأوى للضيوف من الأعيان والعلماء فقد فتح بابه لكل زائر من أعيان أهل الدين وفقرائهم بتواضع وحسن خلق وقد اشتهر بالكرم والجود وهو خال الملك فيصل بن عبد العزيز وكان ذا جاه ومعظماً ومحترماً وله مقامات مع الملك عبد العزيز وشارك في الغزوات معه لا سيما في غزوة البكيرية وقد يجعله الملك مستشاراً لديه ويأخذ من رأيه ويرسله في جباية الزكوات لأن أمرها لدى الملك عبد العزيز مهم بحيث يخشى على المزارعين من الظلم فينتدبه لذلك وكان وجيهاً لدى الملوك أخذ العلم عن والده الشيخ عبد الله وعن عمه محمد بن عبد اللطيف وعن عمه عمر بن عبد اللطيف وعن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وكان أديباً بارعاً في التاريخ. ومن كرمه أنه يبذل معونة عظيمة لمن سأله فقد أتى إليه محتاج فذهب وطرق على جاره وقال: هل من أرز ونقود؟ فقال: نعم فيه مائتا ريال وكيس أرز أخذنا منه شيئاً قليلاً فأخذه وناوله ويبذل معونة لحجاج بيت الله الحرام وله شوق عظيم في الحج والعمرة وقد يجاور في مكة المكرمة ويبذل نفقات على الفقراء والمحتاجين قلَّ أن يباريه فيها أحد ثم أنه فقد بصره وضعف بدنه وأرهقته الشيخوخة حتى توفي في هذه السنة رحمه الله وعفا عنه ولم يتول شيئاً من الوظائف لعزة نفسه وكانت وفاته في ٢٣ من شهر شعبان وخلف أبناء ثلاثة عبد العزيز وتوفي بعده وعبد الله من خريجي كلية الشريعة وعبد الرحمن.

ركن ينهد في شرقي المملكة

ففيها في صباح يوم السبت الموافق ٧/ ١٢ وفاة أمير المنطقة الشرقية سعود بن جلوي وهذه ترجمته: هو الأمير الخطير والعلم الشهير أبو عبد العزيز سعود بن عبد الله بن جلوي بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن مقرن البطل الشجاع الذي رجفت لهيبته أهالي المنطقة وما جاورها فكان شديد البطش ومضرب الأمثال

في القوة والمقدرة والهيبة ولد في (١٣١٩هـ) وتولى إمارة الإحساء بعد وفاة والده عبد الله بن جلوي فقام بأعباء هذا المنصب خير قيام وخلف أباه في الحزم والشجاعة وكان جباراً قوياً وقاسياً لا يلين أضف إلى ذلك أنه رجل في الدين محافظ على تقاليد آبائه وأجداده ومتمسك بتعاليم الإسلام فلا يترك الصلاة جماعة ويكرم لحيته ويأخذ من شاربه هذا هو سعود بن جلوي الذي تضرب الأمثال بسطوته وتأمينه للسبل ولما أن نزلت شركة التنقيب في الظهران وكثر العمال هناك وتقدمت الحركة في المعادن انتدبه صاحب الجلالة الملك عبد العزيز لتلك الجهة ذلك بأنه لما اختلطت أنواع البشر من أحمر وأسود وكثر النهب والخيانة هناك استجاشه وحرك سواكنه وجرده فيها صارماً فقدم إليها ولما أن قدم تلك الجهة أعطى سكانها مهلة ثلاثة أيام لرد المنهوبات إلى أربابها فمن وجد عنده شيء من مال الغير بعد ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه ونادى المنادي بأن من سرق منه شيء فالمسؤول عنه سعود بن جلوي فألقيت السرقات والمنهوبات في الشوارع ليلاً تحت الظلام لا يعلم من ألقاها وما زال يبطش بالمجرمين والمفسدين حتى أصبحت تلك المقاطعة مضرب الأمثال في الأمن والطمأنينة وكان قاسياً على المعتدين ولا يقبل فيهم شفاعة بل يأخذهم أخذاً صارماً ويبطش بهم بطشاً عظيماً.

ولقد دهس سائق من الأمريكيين عربياً ولم يعبأ به قائلاً عربي بدله عربي وهذا وإن كان ليس متعمداً ولكنه ينبغي له غير هذا الجواب فنقل إلى صاحب السمو سعود بن جلوي كلامه وأنه يقول ندفع الدية فأمر بالسائق وأحضر بين يديه وأحضر أناساً من الأمريكيين هناك فبسط عرضاً أمام الدركتور ثم أنه أمر أن يجعل طولاً وأمر بالدركتور يمشي عليه بالجنزير. حتى تمزق قطعاً بين أضلاع الجنزير وأمر بأناس ضربوا خادماً له ذهب للنظر في شأنهم من قبله فجيء بهم مصفدين بالحديد قد انتفخت أيديهم من ضيق الأغلال فأمر بهم إلى السجن فهمس بأذنه أحد رجاله قائلاً لو أمرت بحلِّ الأغلال في هذه الليلة عن أيديهم فقال دعهم وشأنهم يسلمون أو يهلكون وما زال يزاول مشكلة الحوادث حتى هابه أهل شرقي المملكة وإذا

تحقق جناية الجاني فإنه لا يرحمه فبذلك كان ذكره يفزع من يسمعه ولا يزال نصب أعين أهل تلك المقاطعة.

رفع إليه صبي قد فر به قهراً ثلاثة من الأشقياء إلى الفلاة وفعلوا به الفاحشة فدعي بأهل القافة من مرة وأعطاهم مهلة ساعات معلومة ليأتوا بهم فما كان إلا أن لجأ أولئك إلى معرض من معارض السيارات وكان أولئك الأشقياء لما دخلوه بسيارتهم خلعوا كفراتها ولفوا عليها ورقاً وجعلوها في موضع غير معلوم وركبوا في السيارة كفرات أخرى وأخذ أهل القافة يفتشون بحيث لم تخرج السيارة بكفراتها الأولى حتى وقعوا على تلك الملفوفة وأحضروا صاحب المعرض وأحرجوا موقفه بأن يخبرهم بأهل تلك السيارة فأقر بأنهم جاءوا بالسيارة في الساعة السابعة ليلاً عربياً وخلعوا وركبوا من غير ذلك النوع فاتبعوا آثارهم حتى قبضوا عليهم فأتي بهم إلى الأمير سعود بن جلوي وبعد ثبوت إجرامهم أمر بهم من الغد فكان يحمل الرجل اثنان من العبيد أحدهما من عند رأسه والآخر من رجليه فيرفعانه جواً ثم يهوى إلى الأرض مرات حتى تفككت أوصالهم وتمزقت أجسادهم وكان العبد (خسارة) هو الجلاد بمساعدة بعض العبيد وما زال يبطش ويقطع ويقتل ويسجن ويعذب حتى استطاع من شدة بطشه أن يكون كل فرد في المقاطعة الشرقية لا يهمه إلا عمله ولا يلتفت ولا يقوم ولا يجلس إلا فيما يعنيه.

وجاء إليه متظلم بأنه اشتكى إلى رئيس دائرة هناك يريد منه إخراج حقه من صاحبه وأن ذلك المسؤول طلب منه رشوة قدرها كذا وكذا فغضب الأمير سعود وأمر بطرده فقال يا سعود بن جلوي إن وجهك لنور وبهاء فليس بوجه غضب والله لو كنت مؤسراً بدفع ما طلب لما أخبرتك ولأصلحت شأني بدفع ذلك استجلاباً لمالي ثم بكى أمامه فقال له تعالى إليّ وخلع الأمير ساعته الثمينة وقال له اذهب إليه وقل له إني لا أملك سواها وهي لك هدية وأخبرني هل يأخذها؟ فذهب ورجع يقول أخذها فلما كان بعد صلاة المغرب بعث بأناس إلى بيت الرجل المشكو يفتشون فوجدوا الساعة في يد إحدى بناته وأخبروا الأمير فقال ائتوني بها

فلما جاءوا بها أحضره بعد صلاة العشاء الآخرة أمام الناس ثم قام يتهدده ويتوعده بما جرى منه من هذه اللآمة والدناءة وكيف توصلت به نفسه إلى هذا التسفل ثم أنه عاقبه بين المسلمين عقاباً شديداً وطرده عن العمل.

ولما كان في بعض الأيام قدم ملك من الملوك إلى تلك المنطقة فأقيم له احتفال عظيم رائع غير أن بعض الشباب المندفعين من خلف المستقبلين جعلوا يتكلمون بألفاظ نابية وكلمات ساخرة في حق ذلك الملك بما يجرح العواطف ويسيء الوضع وكان الأمير غائباً عن المنطقة فقدر أنه حضر في اللحظات التي كان أولئك الأشقياء يستهترون كعادة من فقد إنسانيته وقل حياؤه فطلب من الملك سعود بن عبد العزيز أن يسمح له بتأديبهم فأمر بأن يلقي القبض عليهم وكان عددهم يتجاوز التسعين وعاقبهم بعقوبة تستحيل عندها العادة بحيث كانوا نكالاً للأمة وجيء بهم أفراداً من غيابات السجون فكان في حر الظهيرة ينقل اثنان بقي كل واحد منهم ويسحب على ملتهب الإسفلت عل فمه حتى سقطت أسنانهم وتآكلت أفواههم جزاء لهم على صنيعهم ذلك وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، وهكذا يرتدع من فقد إنسانيته وسولت له نفسه السوء. كل هذا وأمثاله يعامل به المعتدين.

ولما كان ذات مرة جاء إليه أقوام من الرافضة يطلبون بقعة ليتخدوها مسجداً فنزل الأمر من قبله على رئيس البلديات بمنحهم خمسة عشر متراً بطول ثلاثين فقاموا وضموا إليها أضعافها وأخذوا بعمارتها بصفة تقدمية بحيث واصلوا الليل مع النهار بما أحدث بهم سوء الظن وكانت أنوار اللوكس تضيء طوال الليل في تلك البناية فرأى رجل من الصالحين الأمير عبد الله بن جلوي في القيام متأسفاً على هذه البناية وحمله رسالة إلى ابنه سعود قائلاً قل له أن هؤلاء يبنون كنيسة لا مسجداً فليدمرها إن استطاع رأى ذلك الرجل هذه الرؤيا بالليل وبعد صلاة الفجر وفي القيلولة فعلم أنه لا بد من تبليغ هذه الرسالة وطلب الاتصال بصاحب السمو الأمير سعود، فلما أن بلغه ذلك النبأ بعث بالحال للكشف عليها فلما وجدها بهذا الوصف وقد تجاوزوا ما منحوا فتح البرق على الملك وأخبره بالواقع ثم أنه دعي

من فوره بخمسة دركتورات وساق خلقها اثني عشر رشاشاً وأن تهد وتساوى بالأرض وأعطى قواد الرشاشات النارية تعليمات بأن إذا حصل معارضة ولم تخضع العمال والمتآمرون فيها بأن تطلق فوهات الرشاشات وقذائفها عليهم فما كان إلا لحظة حتى أزالوها عن الوجود وركب أربابها إلى صاحب الجلالة يشتكون فغرزت سيارتهم وطردوا من الرياض خائبين.

ولما أن كان ذات يوم جاءت إليه أعرابية تشكو أن رجلاً قهرها وغلبها على نفسها وفعل بها الفاحشة وقالت يا سعود بن جلوي كأني بك تقول ائتني بشهود فهذه علامة فارقة بأن عضضت على ثديه يا ولد عبد الله فقال كان عندي من المعلوم أنه لم يفعل ذلك إلا لما عزم على مغادرة الظهران وسيمر بمركز التفتيش فاذهبوا بها وأجلسوها بعد العصر في المركز واعرضوا عليها كل مسافر ففعلوا وبينما هم في طلبه إذ قالت هذا وأشارت إليه وأخبرتهم بالعلامة الفارقة فجيء به مصفداً مغلولاً فلما مثل بين يدي الأمير كان بعد سؤال وجواب أن أقر بفعله الشنيع وكان سموه قد طلب من الملك عبد العزيز لما أن كلفه بهذه المهمة أن لا يتعرض أحد لأحكامه فأمر سموه بجذع نخلة أن يقام بين أربعة شوارع فصلب فيه وجعل في كل يد ورجل مسمار غليظ يثبت بها في الجذع وجعل مسماراً خامساً في حلقه ولبث ثلاثة أيام في هذا الوضع فكان الأعراب إذا مروا به يقولون لا أعادك الله من شهوة وفي رواية أنه أمر بقطع ذكره وأن يجعل في فمه هذا ولا ننسى معاملة سيد الكون محمد بن عبد الله ﷺ للعرنيين الذين استوبؤا المدينة فأمر لهم بإبل من إبل الصدقة أن يشربوا من أبوالها وألبانها خارج المدينة فلما صحُّوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا النعم التي أمر لهم بها فجاء الخبر في أول النهار فبعث ﷺ رجالاً في أثرهم فلما ارتفع النهار جيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وتركوا في الحرة يستسقون فلا يسقون.

وإنها لذكرى خالدة للأمير سعود بن عبد الله بن جلوي في الثبات وقوة الإرادة والصرامة وقد خلدت له صحيفة في الحزم والشجاعة لا تنسى إلى آخر

الدهر. ولقد اشتهر الأمير الراحل بحبه الشديد للإصلاح ورفع مستوى المنطقة بإرشادات توحيها إليه مؤهلاته وتجاربه كما كان رحمه الله مثلاً يحتذى في إقامة العدل وإحقاق الحق والوقوف في وجه الباطل ونصرة المظلوم فحيا الله رجال العمل والإخلاص نسأل الله تعالى أن يجبر الأمة بفقد رجالها المخلصين الذين يدأبون في سير الأعمال وتقدم الشعوب وبكل حال فإنا خسرنا رجلاً عظيماً جاهد المعاصي والشرك والضلال وأطر السفهاء على الحق أطراً وأخاف المعتدين وقمع المفسدين وأخباره في الحزم والمقدرة وكف الفساد كثيرة جداً لا تتسع لها هذه الأوراق فنسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته وأن يتجاوز عن زلته وأن المجتهد إذا أصاب له أجران وإن أخطأ فله أجر واحد وما يرتدع الذين فطروا على النهب والسلب والعبث بالأمن وإخافة المواطنين إلا بأن يقبض عليهم بأيد من حديد ويوطئوا بأرجل شثنة المناسم ويؤخذوا بالعذاب وما أحسن ما قاله أبو الطيب المتنبي في الشجاعة والمقدرة والرجولة:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم
يكلف سيف الدولة الجيش همه ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم
ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدعيه الضراغم
يفدي أتم الطير عمر سلاحه ... تسود الملا أحداثها والقشاعم
وما ضرها خلق بغير مخالب ... وقد خلقت أسيافه والقوائم
هل الحدث الحمراء تعرف لونها ... وتعلم أي الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغر قبل نزوله ... فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها فأعلى والقنا تقرع القنا ... وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دهر ساقها فرددتها ... على الدين بالخطى والدهور راغم
تعبت الليالي كل شيء أخذته ... وهن لما يأخذن منك غوارم

إذا كـان مـا تنويـه فعـلاً مضـارعا مضـى قبـل أن تلقـى عليـه الجـوازم
وكيف ترجّى الـروم والـروس هـدمها وذا الطعـن أسـاس لهـا ودعـائم
وقـد حاكموهـا والمنايـا حـواكم فمـا مـات مظلـوم ولا عـاش ظـالم
أتـوك يجـرون الحديـد كـأنهم سـروا بجيـاد مـا لهـن قـوادم
إذا برقـوا لم تعـرف البـيض منهم ثيـابهم مـن مثلـها والعمـائم
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجـوزاء منـه زمـازم
تجمـع فيـه كـل لسـن وأمـة فبمـا تفهـم الحـداث إلا التراجـم
فلله وقـت ذرَّب الغـش نـاده فلـم يبـق إلا صـارم أو ضـيارم
تُقطـع مـالا يقطـع الـدرع والقنـا وفـر مـن الأبطـال مـن لا يصـادم
وقفت وما في المـوت شـك لواقـف كأنـك في جفـن الـردى وهـو نـائم
تمـر بـك الأبطـال كلمـى هزيمـة ووجهـك وضـاح وثغـرك باسـم
تجـاوزت مقـدار الشـجاعة والنهـى إلى قـول قـوم أنـت بالغيـب عـالم
ضممت جناحيهم على القلب ضمة تمـوت الخـوافي تحتهـا والقـوادم
بضـرب إلى الهامـات والنصـر غائـب وصـار إلى اللبـات والنصـر قـادم
حقـرت الردينيـات حتـى طرحتهـا وحتـى كـان السـيف للـرمح شـاتم
ومـن طلـب الفـتح الجليـل فإنمـا مفاتيحـه البـيض الخفـاف والصـوارم
نشـرتهم فـوق الأحيـدب نشـرة كمـا نثـرت فـوق العـروس الـدراهم
تدوس بك الخيـل الوكـور علـى الـذرا وقـد كثـرت حـول الوكـور المطـاعم

تشييع جنازته

لما خرجت روحه في الساعة الأولى من صباح اليوم المذكور نعته جرائد المملكة وصحفها وكان لوفاته صدى بعث الحزن والأسى لأنه كان رحمه الله في مقدمة الرجال العاملين الذين كرسوا جهودهم ووقتهم لبناء هذا البلد فيما عُرف عنه من إخلاص وصدق وتفان لخدمة دينه وبلده وأناب صاحب الجلالة الملك فيصل أخاه وولي عهده خالد بن عبد العزيز بالمشاركة في تشييع جثمانه كما شارك عدد كبير

من أصحاب السمو الأمراء وكبار المسؤولين من مدنيين وعسكريين ومواطنين من أبناء المنطقة الشرقية وتوافد إلى المنطقة الشرقية عدد كبير من حكام إمارات الخليج العربي وأعيانها من هؤلاء خليفة بن حمد نائب حاكم قطر والشيخ خليفة بن سلمان مندوباً عن سمو حاكم البحرين كما وصل إلى الدمام الشيخ راشد بن
سلمان مندوباً عن سمو حاكم البحرين كما وصل إلى الدمام الشيخ راشد بن
مكتوم حاكم دبي ومن أعيان المواطنين الأمير محمد بن عبد العزيز والأمير فهد بن عبد العزيز والأمير متعب بن عبد العزيز والأمير فيصل بن سعد والأمير عبد المحسن بن جلوي والأمير محمد بن فهد وجماهير كثيرة من سكان المنطقة الشرقية وكان تشييع جنازته عصر يوم السبت عن عمر يناهز السابعة والستين عاماً رحمه الله وأسكنه فسيح جنته.

وممن توفي فيها من الأعيان في بريدة إبراهيم بن علي الضبيعي كان من أهل الهيئات البارزة وعضواً في هيئة النظر في الأراضي ومعروفاً بالعدل والإنصاف يرجع الناس إلى رأيه وله تقدم في حل المشكلات لسعة رأيه ورزانة عقله وحرصه على الإصلاح وكان وقوراً محبوباً عند الناس تحبه الأمة وتقدره وهو صهرنا إذ كان زوج إحدى الأخوات ومن أسرة كبيرة في مدينة بريدة ويعتبر رجلاً من الرجال ويتمتع بأدب ويتكسب ويأكل من عمل يده بحيث كان من أهل البيع والشراء ويتعاطى بالتجارة وكانت وفاته في ليلة ٢٥ شوال في الساعة العاشرة والربع بالتوقيت الغروبي رحمه الله وعفا عنه عن عمر يناهز الخامسة والسبعين فالله المستعان.

وهذه صفته كان ربعة من الرجال مملوء عقلاً من إبهام رجله إلى مفرق رأسه حسن الخلق لا يجد الغضب إليه سبيلاً ولما أن عقد له على الأخت وكان حوالي الدخول عليها أتى إلى الوالد وقال له يا عم كم أتى من أعداد الجنب والرفقة فقال له إن فنا جيلي سبعة فإن جئت بثامن فسيرجع وهذا مبالغة في ترك البذخ والإسراف رحمه الله عليهما وفعلاً جاء بأولئك ولما أن طرقوا الباب وفتح لهم

الوالد إذا معهم زيادة رجل واحد فقال يا عم إن الزائد على العدد فلان فإن شئت فأدخله أو يرجع فضحك الوالد وقال إن فلاناً كقطط مكة لا تأكل الحمام بل يدخل وكنت أثبت بذلك لقياس ما بين ذلك وهذا الزمن الذي حدثت فيه تلك التكاليف.

وممن توفي فيها الأخ في الله والمحب فيه الشاب صالح بن سليمان آل سعوي رحمه الله وعفا عنه كان مولعاً بطلب العلم وله ميل إلى محبة أهل الدين وتظهر عليه آثار البشاشة والرفق واللين وكان من جملة الذين درسوا علينا وقد افتتح مدرسة للصبيان في جنوبي مدينة بريدة لتعليم القرآن الحكيم وإذا أكمل التلميذ القرآن فإنه يزف وهذه الزفة يعملها غالب أولياء الطالب بحيث أنه إذا ختم القرآن يقوم والده بوليمة للطلاب فيحضرون كالعادة بملابسهم الجميلة ويكون المزفوف مهيئاً له حصان يركبه أو صندوق يحمله أربعة من الطلاب على رؤوسهم فيتقدمهم يتلو دعاء الختم والطلاب يؤمنون بضجة فإذا ما طافوا به في جميع أسواق المدينة أو غالبها ذهبوا به إلى بيت أهله الذي أعدت فيه المائدة التي أقيمت من أرز وتمر وقد يكون فيها لحم على حسب المقدرة ولا يتأخر أحد من طلاب المدرسة وعلى رأسهم المعلم وقد ينذر أولياء الصبي بذلك فتكون واجبة كما أنه يقدم للطلاب الشاي والحلويات إن تيسرت ثم يقدم ولي الصبي مبلغاً من المال للمؤدب وهذه من التقاليد العربية وقد انتهت بانتهاء المدارس الأهلية وكان محبوباً عند الناس وحسن الصوت عند تلاوة القرآن وقراءته بسبل السلام للأمير الصنعاني ولد في بلدة المريدسية وانتقل إلى مدينة بريدة بعد ما بلغ رشده وكانت وفاته في آخر نهار ٢٨/ ١١ من هذه السنة عن عمر يناهز الخامسة والأربعين فالله المستعان.

وفيها في يوم السبت الموافق ثاني جماد الثانية تم توقيع اتفاقية توريد الآلات وتركيبها وتشييد الأعمال المدنية لمشروع مياه الرياض بين وزارة الزراعة والمياه ويمثلها حسن الشادي وشركة يلينين ويمثلها مديرها العام المستر توتو ماكينن وكان عقدها في مدينة جدة وتنص هذه الاتفاقية على استيراد تركيب المعدات الخاصة

بالمرشحات ووحدات الترسيب ومحطات الضخ والمعدات الكهربائية ومعدات قياس كميات المواد الكيماوية اللازمة لتنفيذ المياه والمتعلقة بمشروع تنقية مياه الرياض كما تنص على القيام بالأعمال المدنية المتعلقة بإنشاء معامل تنقية المياه ومحطات الضخ وتقدر تكاليفه بحوالي خمسة وعشرين مليوناً من الريالات.

وفيها أسس المصنع السعودي الحديث للمفروشات وكان يحتوي على مائتي عامل ودوام العمل فيه ثماني ساعات على فترتين ومنتوجاته الكراسي بأنواعها والدواليب وغرف النوم والماصات وغير ذلك ومنتوجاته تستهلك داخل المملكة ولدى أهله فكرة لتصدير المنتوجات للخليج وسير العمل فيه ماشٍ وكان ما يتطلبه إذ ذاك من الخارج ٩٠٪ و١٠ من الداخل وهو لصاحبه محمد عبد الرحمن عويمر وشركائه هذا ولا يزال معمل البلاستيك يخرج منتوجاته الجميلة نم سائر أنواع الأواني وكان سيره يقدم وكل المعملين فيهما نشاط ولدى أصحابهما خبرة ومعرفة.

وفيها فتح المعهد العالي للقضاء بمدينة الرياض وذلك في يوم السبت ٦/٩ من هذه السنة الموافق ٢٧ سبتمبر (١٩٦٦هـ).

وفيها يوم الأربعاء ٨ جمادى الأولى عقد معاهدة صداقة وتعاون بين المملكة العربية السعودية وتونس.

وفيها قتل في أندونيسيا مائة ألف شيوعي وخمسون ألفاً وأربعمائة في أعقاب محاولة الانقلاب الشيوعية الفاشلة.

وفيها قامت الحكومة السعودية بإعادة تنظيم شبكة مياه المدينة المنورة وجعل سمو الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز يوالي اهتمامه بمتابعة تنفيذ المشروع وقد اعتمد لهذه المرحلة مبلغ ٢,٤٣٧,٦١٥ وأنشئ خزان كبير فيها وبهذا تتمتع مدينة الرسول بالرفاهية.

وفي هذه السنة قام مؤلف إنكليزي يدعى في كتابه انتقاص الإسلام ورسوله، سمي كتابه (البطل الشاعر) نشره في الهند يتهجم على الإسلام والقرآن وخاتم النبيين وأصبح هذا الكتاب يدرس في إحدى الجامعات الهندية للطلاب المسلمين وغير المسلمين مما كان له موجة استياء عنيفة لدى المسلمين في الهند مما دفعهم إلى رفع مذكرة احتجاج موجهة لرئيسة الوزراء فعياذاً بالله من قلة الدين وعدم المبالاة.

وفيها انتهى عمل الخط الذي بين أبها وجيزان بسفلت وبما أنه ربط بين أبها وجيزان والمدن والقرى الواقعة فيما بينهما فإن الأهالي هناك رفعوا إلى صاحب الجلالة فيصل بن عبد العزيز وولي عهده خالد بن عبد العزيز برقيات الشكر والدعاء كما أنه تم سفلتة الطريق بين الحجاز والرياض ويقترن بهذا خط القصيم فهذا الطريق من الطائف إلى نجد غير أنه قام بعض المواطنين بعد الشكر والدعاء بأن يكون هذا الطريق يتشعب منه شعبة إلى الميقات السيل بصفة وادي المحرم ضيقاً عن حجاج نجد والكويت والعراق وما إلى ذلك وحقاً إن وادي الحرم لضيق جداً وبما أن الله تعالى سهل الحج وأسبابه بما دفع الخليقة إلى أداء هذه الفريضة فإنه لا يسع الأمة سوى طريق السيل الكبير فيما أن هذه الحكومة أيدها الله تعالى قامت بأعمال جبارة لراحة حجاج بيت الله الحرام عامة ولراحة الشعب السعودي الذي كان جزء منه يمر مع هذا الطريق الضيق الذي كاد أن يفوته الحج بسبب ضيقه فإنه ينبغي لفت النظر إلى ذلك. هذا وقد وقعت التباشير بأن حكومة جلالة الملك ستولي هذا الموضوع اهتماماً.

وفيها كثرت الزيارات بين عاهل المملكة السعودية وبين ملوك الدول ورؤسائها فقد قام الملك فيصل بزيارة لأمريكا والحبيب بورقيبة وإيران وغيرها كما قدم لزيارة المملكة وتبادل المحبة ملوك ورؤساء من هؤلاء الرئيس ديوري هاماني ورئيس جمهورية النيجر وغيره ولقد لقي الملك فيصل بن عبد العزيز في زيارته تركيا كل ترحيب وتكريم لا سيما في احتفال مدينة استانبول حيث التقى برئيس الوزارة والرئيس التركي جودت بينوناي فلقي كل حفاوة وتعظيم.

وفي هذه السنة والتي قبلها كثرت الإصلاحات في مدينتي بريدة وعنيزة من أعمال القصيم فأضيئت الشوارع الرئيسية بالكهرباء ووسعت فيهما الشوارع وقام قلم المرور في كلتيهما بالتنظيمات كما أن البلديات في بريدة وعنيزة والرس قامت بدورها بأعمالها الموسودة إليها وقامت المدن الأخرى في القصيم كالبكيرية والبدائع ورياض الخبراء بالإضاءة ليلاً وبالتحسينات العامة فمن المشاريع التي قامت في مدينة بريدة هدم شارع الخبيب فيها وأنارته في السنتين المتقدمتين وكذلك توسعة شارع الملك فيصل في بريدة وإنارته وإنشاء أربع حدائق في بريدة وتسويرها وإنارة شارع الصالحية وشارع المستشفى وشوارع أخرى.

وفي هذه السنة نزع ملكية شارع الصناعة في بريدة ودراسة تصريف المياه الفيضانية إلى غير ذلك.

عواصف شديدة ورياح مزعجة تهب على الشرق الأوسط

في آخر هذه السنة في ١٥ ذي الحجة هبت رياح عاصفة شديدة فأغلق مطار عَمان والقدس لشدة الضربة لمدة ثلاث ساعات بعد ظهر يوم الأحد ١٥/ ١٢ وانقطع الاتصال التلفوني بين الأردن وسوريا والعراق بسببها واجتاحت المناطق الشمالية من مصر عاصفة قوية وقد أغلق ميناء الاسكندرية بعد أن بلغ ارتفاع الأمواج ستة أمتار ووصلت مياه البحر إلى الشوارع الرئيسية في المدينة وقالت مصادر دائرة الطيران الأردنية أن عدداً من الطائرات التي كان من المقرر هبوطها في المطار قد جرى تحويلها إلى بيروت، بينما تأخرت عدة طائرات عن موعد إقلاعها المقرر لها لهذا السبب.

عقوبات للمفسدين وتنكيل بالمخربين والمعتدين

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

في آخر هذه السنة قامت عصابة من المفسدين في الأرض يفجرون القنابل في مدينة الرياض بعثهم لهذا التخريب رئيس الجمهورية المصرية يدفنون القنابل بالبيوت والمساجد ويفجرونها مما أحدث الخوف والقلق في نفوس الأهالي الآمنين ولما أن جرى هذا الإفساد قامت الحكومة بالبحث والنقاش عن هؤلاء المجرمين حتى ألقت القبض عليهم ثم إنها قدمتهم أمام المحكمة الشرعية في الرياض لترى رأيها فيهم وهذه العصبة هم الذين قاموا بتفجير القنابل في مدينة الرياض هذا بعدما أصدرت وزارة الداخلية بياناً بتاريخ ٢٨/ ٩/ ١٣٨٦هـ) عن إلقاء القبض على هؤلاء اليمنيين الذين دربهم حكام مصر في القاهرة وتعز ودفعوا بهم إلى داخل المملكة العربية السعودية لإعمال التخريب ثم أصدرت بيان آخر بتاريخ ٢٤/ ١١/ ١٣٨٦هـ أوضحت فيه حقيقة هؤلاء المفسدين ومن الذي بعثهم ليعيثوا في المملكة فساداً ودفعهم لهذه الأعمال التخريبية واستمع المواطنون إلى اعترافاتهم الخطيرة وما فعلوه ولما أن قدموا إلى المحكمة الشرعية الكبرى أمام أصحاب الفضيلة القضاة الشيخ صالح بن محمد لحيران رئيس المحكمة الكبرى والشيخ محمد البدر مساعد رئيس المحكمة والشيخ عبد الرحمن بن عتبو القاضي بالمحكمة الكبرى بالرياض اعترفوا جميعاً بما قاموا به من تخريب اعترافات كاملة واضحة صريحة فصدر الحكم الشرعي بموجب الصك الصادر من المحمكة الكبرى بالرياض برقم

٩٥/ ١ تاريخ ١/ ١٢/ ١٣٨٦هـ بقتلهم والتشهير بجميع وسائل التشهير بقتلهم وهؤلاء هم عبده ناجي البدع ومحمد صالح البيضاني وناجي عبد الرحمن الغزالي وصالح أحمد حسن الجعفري ومحمد مصلح أتم البدوي الملقب دنيش وحزام أحمد الشجاع ومحمد علي حسن القماري ومحمد خالد البارع وعبد الله بن أحمد علي الحضوري وعبد الكريم بن محمد الربيعي ومحمد ناجي صالح البارع وحسين صالح أبو غوالة رئيس عصابة التخريب بنجران وحسين حسن قدري ومحمد عبد الله عريض وعلي جار الله اليماني وأحمد محمد الحريسي وأحمد صالح الخيامي الملقب أبي حسن وبعد أن استمع القضاة إلى اعترافاتهم الصريحة بقدومهم من أجل نسف المنشآت وقتل الأنفس وأنه لولا القبض عليهم لنفذوا ما قصدوا أنهم عازمون على التنفيذ والعودة إلى بلادهم وقد أيدت أحكام التنفيذ لعقوبتهم من صاحب السماحة مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بموجب خطاب سماحته رقم ٧٧٧١/ ٨٧/ ١ وتاريخ ٣/ ١٢/ ١٣٨٦هـ وجرى تنفيذها بإعدام من صدر الحكم بإعدامه هذا اليوم الموافق ٦/ ١٢/ ١٣٨٦هـ في ساحة العدل وأمام قصر الحكم بمدينة الرياض فأعدموا بالسيف أمام عشرات الألوف من المسلمين وحصل التشهير بقتلهم ففي ذلك اليوم لمع سيف الأمن لمعات سبع عشرة مرة أطاحت سبعة عشر رأساً أما البقية من المخربين والمفسدين فقضي عليهم بالسجن ست سنوات ومنهم من سيقدمون للمحكمة الشرعية لتقرير ما تراه بشأنهم. ومن العجائب أن رئيس عصابة التخريب المدعو عبده ناجي البدع كان آخر كلمة قالها أنتم ما قتلتمونا الذي قتلنا عبد الناصر إثمنا في رقبته وجعل يشتمه وكانت الحكومة السعودية لا تزال تذكر أياديها على جمال وإحسانها إليه وذلك لما ضرب المعتدون إذاعته وآخر سوها عن البث فقام يستجدي منها المعونة والمساعدة وكذلك لما أوت طائراته في مطاراتها وتحملت المخاطرة والنتائج المترتبة على هذا الإيواء إلى غير ذلك من كمال إحسانها إليه فكانت المكافئة منه على هذا الإيواء إلى غير ذلك من كمال إحسانها إليه فكانت المكافئة منه على هذا المعروف والإحسان بعثه عصابة للتخريب والإفساد في عواصمها وبلدانها.

ثم دخلت سنة (١٣٨٧هـ)

استهلت هذه السنة والعاهل السعودي فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية الذي كان سرطان العدو وريحانة الصديق يكابد تدابير المملكة ويحميها من شامها إلى يمنها ومن البحر الأحمر إلى خليج العرب برأي سديد وحنكة ذي تجارب ولقد أحسن الشاعر حيث يقول في الرأي والسياسة:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العلياء كل مكاني
ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان

وكانت حيله في مخاتلة الأعداء والقضاء عليهم مضرب الأمثال ربما أن مراجل الفتن في هذه السنة تغلي وأمواجها تلتطم فإنه لم يصده ذلك عن أن يسير بالمملكة قدماً وتتمشى المشاريع بنشاط كما قدمنا ولقد قام بكل ما لديه من الاستطاعة في تأمين الشعب وفتح معاهد النور للعميان وإيجاد الضمان الاجتماعي والإصلاحات العظيمة والدفاع عن المملكة والشعب سالكاً طريقة آبائه وأجداده الغر الميامين في تحكيم الشريعة والتحاكم إليها وكان باقعة في الدهاء والمقدرة والسياسة ويكفيك أنه أديب ناقد عبقري واستعمل ضروباً من الحزم والسياسة في مصادمة اعتداءات المعتدين على نجران ما حير به العقول وذهب المعتدون ما بين قتيل وأسير وشريد يجرون ذيل الهزيمة والفشل وهكذا يكون الرجال الأبطال الذين جمعوا صفات الولاية ومؤهلاتها من سياسة وذكاء وفطنة وحزم ومقدرة.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففي يوم الاثنين ٨ محرم سقطت ثلوج في حوالي الموضع المعروف بالنقرة بطريقة المدينة المنورة بينها وبين القصيم وكان سقوطه أمراً عجيباً بحيث نزل وجعل ينبني بناية متراكمة حتى بلغ ارتفاعه قريباً من خمسة أمتار وقتل نساء ثلاثاً وأولادها

وثلاثة رجال وثماني رعايا من القتم وامتد على مساحة أرض لا تقل ـ ن خمسـ كيلوات ولبث خمسة أيام لم يذب والله على كل شيء قدير ولا قوة إلا بالله.

حرب بين العرب وإسرائيل

لما كان في يوم الاثنين ٢٧/ ٢ الموافق ٥ يونيو حزيران (١٩٦٧هـ) ثارت الحرب بين العرب وإسرائيل وسبب ذلك أنه لما هزم العرب منذ عشرين سنة في الحرب المتقدمة بينهم وبين اليهود إسرائيل كانوا منذ انهزامهم في سنة (١٣٦٨هـ) يعدون العدة والكيد لليهود ولما أن حقق جمال عبد الناصر جلاء اليهود من غزة وأغلق خليج العقبة علمت العرب بحقيقة الأمر وما سينجم عن ذلك من البلاء والحروب فرابطوا في الجبهة وهذه الدول هي السعودية والعراق والأردن ومصر وسوريا، ولما أن كان في اليوم المذكور أطارت اليهود أربعمائة طائرة فضربت مصر والجباه المرابطة حوالي تل أبيب فنشبت الحرب واشتبكت العرب مع إسرائيل بحرب دامية وكانت الحالة حرجة جداً وأصيبت مصر بأن شنت عليها اليهود غاراتها الجوية وضربت في مصر سبعة عشر مطاراً ودمرتها تدميراً واستولت على سبعمائة وخمسين دبابة مصرية منها مائة دبابة صالحة للعمل وقتلت خمسة عشر ألفاً وجرح سبعة آلاف وأسر ثلاثة آلاف من الجنود المصرية وأسباب ذلك سوء التدابير من مصر لعدم التخطيط لخوض هذه الحرب فإن مثل هذا القتال يحتاج إلى تخطيط وهنا أمور سياسية تعمل في الخفاء من وراء الستار هذه هي حرب يونيو خامس حزيران التي عادت على العرب بالفشل والنكسة التي خسروا من أجلها صحراء سيناء والضفة الغربية والمسجد الأقصى، وقد أصيب الأردن بقصف الطائرات الإسرائيلية لأنه أصيب بغارتين إسرائيلية يوم الاثنين ٢٧/ ٢/ ١٣٨٧هـ، فاستولت على جزء كبير منه وهو القدس وضربت الصخرة وجعلت تهدد وتوعد.

ولما كان في يوم الجمعة ثاني ربيع الأول ضربت إسرائيل قناة السويس وأصيبت مصر بضربة ساحقة ماحقة من غارات اليهود عليها وتعطلت الملاحة في

القناة وأصبحت العرب بحالة يرثى لها وقد يحسن الاستشهاد في حق الرئيس جمال عبد الناصر وضربه لليمن وتقتيل أهاليه بأبيات قيلت في أبي مسلم الخراساني والأمثال تضرب للناس:

زعمت أن الدين لا يقتضي فاستوفِ بالكيل أبا مجرم
سقيت كأساً كنت تشربها أمر في الحلق من العلقم

ذنوب تحيط بأهلها وعقوبات عاجلة

لما قتل العالم «سيد قطب» في العام الماضي وهو يفسر القرآن وقتل إخوانه المسلمون بعد ما عذبوا بأنواع التعذيب ولم ترع تلك الأيادي التي عذبتهم سطوة خالق ولا مخلوق فقتل الأبرياء في اليمن بعد ما أوذوا في عقر دارهم وهتكت محارمهم فقد قتل من أهل اليمن مائتان وخمسون ألفاً وهلك ثلاثون ألفاً من الجيش المصري على حساب الحرب التي شنها الرئيس المصري بلا ناقة له فيها ولا جمل لم يمر بعد قتل العالم قطب تسعة أشهر ونصف شهر حتى أنزل الله على مصر بأسه ولما نزل بمصر من أمر الله ما لا يطاق أرغم الرئيس جمال على التنازل عن العرش فقرر تنازله عن الرئاسة وذلك في الساعة السابعة مساء بالزوال الموافق للساعة الواحدة ليلاً يوافق مساء يوم الجمعة ٢/ ٣ ويذكر أنه قد تنازل صباحاً وسجل ذلك فلم يذع إلا في هذا الوقت وقد قيل أنه أراد الفرار إلى مكان غير معلوم هذا وقد تخاذل بعض العرب مثل الأردن والعراق وسوريا لهذا النبأ وضعف شأن هذا الجهاد لأنه هو الذي قام بأعباء هذه الحرب وهو سببها ومن أسباب تنازله فشله بأن خسر هذه الحرب واستقالة عبد الحكيم عامر أكبر مسؤول بعد الرئيس وقائد القوات المصرية غير أن الله تعالى لم يقدر ذلك فقد تعلقت به العراق وبعض الموالين له فراجع الرئاسة تحت الضغط ذلك بأنهم قالوا لا تتخلى وأنت السبب فيما أصيبت به مصر فإما نجاحاً أو تهلك في هذا السبيل وكان ذلك يوم السبت الموافق ثالث ربيع الأول (١٣٨٧هـ) ولما تقدمت إسرائيل لم تجد أمامها أحداً واستهدفت سوريا لأنها توحدت في الجبهة أمام اليهود وأصيب العرب بضربات شديدة لا

يصلحها إلا وقت طويل وكان السبب في ضعف بقية العرب وفشلهم لما رأوا بأنهم يقاتلون أمريكا وفرنسا لتوفر إمداداتها لليهود بالطائرات التي بلغ عدتها حوالي ألف طائرة وقد تمكن العرب من أن يسقطوا منها مائة وخمساً وسبعين طائرة في هذه الحرب ولما أن انتصرت اليهود جعلت تهدد العرب بتهديدات عنيفة واتخذت من إذاعات القاهرة وأنبائها سخرية بمصر ورئيسها فاضطر مجلس الأمن إلى التدخل في وقف القتال فتوقف إطلاق النار بعدما أصيب العرب وقد طلب مجلس الأمن العرب وإسرائيل إيقاف إطلاق النار ستة أيام ريثما يسعى لحل الوضع في هذه الظروف فتوقف إطلاق النار من بين الفريقين في يوم السبت المذكور ولما أن نكبت الأردن هذه النكبة وخسرت جزءاً من ممتلكاتها ولجأ مائة ألف شريد تحت الحضائر والخيام بعد الأسرّة والمبارك قامت الأمة العربية لما أزعجها ذلك العدوان الصهيوني بجمع التبرعات فتبرع كل موظف في السعودية بربع راتبه الشهري للأردن واللاجئين هناك؟

تراجع العرب إلى جبهة القتال

لما انهزم العرب في حرب يونيو من هذه السنة بعدما أبدوا بسالة وشجاعة بحيث أن مدفعاً من مدافع الهاون في جيش السعودية لما أطلق شال عمارة إسرائيلية أمامه وزحفت ستة أمتار ثم سقطت وشوهد من العرب إقدام وحماسة وبسالة غير أن الله تعالى قضى في آخر الأمر بالانهزام فإنه ما كاد أن تضع الأمة السلاح حتى تراجع العرب إلى الجبهة وتبرعت السعودية للأردن بمائة وعشرين مليوناً وذلك إجابة لنداء عاهل السعودية حينما وجه النداء لشعبه بذلك، ذلك بأنه لما هاجمت إسرائيل بمساندة أذنابها وشنتها حرباً على الدول العربية في عقر دارها وحطمت المطارات والسلاح الجوي بحيث شلت الحركة الإيجابية لذلك السلاح وأمطرت عليه وابلاً من قنابلها المحرقة بحيث دمرتها تدميراً فلا ينسى العرب خيانة روسيا بحيث كانوا ينتظرون نصرتها فإذا هي تقف وقفة المتفرج على هذه الحرب وقد أشارت بعض الصحف إلى التعاون الخفي بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات

المتحدة والدليل على ذلك أنه بينما كان العرب في أصعب المواقف أمام إسرائيل إذا بقطع الأسطول الروسية كانت تتجول في شرق البحر الأبيض المتوسط تحيي من حين لآخر قطع الأسطول السادس الأمريكي التي تقابلها في طريقها تحية أخوية ولا ريب أن هذه خيانة واضحة وأنهم اشتركوا في مؤامرة واحدة مع الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل ضد العرب وكانت العرب لما تراجعت إلى الجبهة صمدوا لإسرائيل يريدون أن يغسلوا ما جرى في وجوههم من تلك المخازي وانضمت العراق إلى الأردن وبعثت السعودية إلى الجبهة في الأردن سبعة وثلاثين ألف مقاتل بمدافعها ورشاشاتها وقواتها وقام العاهل الأردني حسين بن طلال بالدفاع لما رأى عشرات الألوف من اللاجئين يبحثون عن عمل مشرف ولقمة عيش يقتاتون منها يترقبون وينتظرون بلهفة كبيرة اليوم الحاسم لاسترجاع أراضيهم وأملاكهم من أيدي المعتدين وكان يتقدم الصفوف مدافعاً بشجاعة نادرة شهد له بها الأعداء قبل الأصدقاء ليرد المعتدين على أعقابهم ولن يكون الحسين في هذه المرة وحده، بل سيكون إلى جانبه خمسمائة مليون مسلم في مختلف أقطار الدنيا واستفادت العرب بالتجارب أنه لا فائدة بالقول إنما الفائدة كما قيل:

إن الشجاعة في الكلام كثيرة ... وأظن شجعان القلوب قليل

إن الملك الراحل عبد العزيز بن عبد الرحمن وهو الماهر العظيم السياسي كان كثيراً ما يقول منذ عشرين عاماً إني أقترح ألا تدخل الجيوش العربية النظامية الميدان بل يمد الفلسطينيون بالمال والسلاح ليحرروا أوطانهم ويهزموا عدوهم وذلك لأن الجيوش النظامية تكون مقيدة بأوامر دولية أما الفدائي الفلسطيني فلن تستطيع أن تقيده بأوامر ما دام يسعى لتحرير وطنه وأرضه وها قد عادت الأحداث لتثبت سداد ذلك الرأي وها هم الفدائيون يسجلون صفحات البطولة سطور الكرامة لأمة الإسلام وهذه هي الطريقة في استرجاع فلسطين أما كون العدو يعبئ نفسه بهدوء وبدون ضجيج ويزيد إمكانياته العسكرية وغيرها والعرب منشغلون في زيارة بعض الدول التي تزعم مساندتها للدول العربية واستقبال الزوار منها

والتطبيل لهم وإثارة الضجيج حولهم بدون جدوى ولم يظهر بل ولـن يظهـر لتلـك الزيارات أي نتائج فإن هذا يحدث الأسف الشديد.

المرابطة في الجبهة

لما زحفت الجيوش العربية كان من بينها سبعة وثلاثـون ألـف مجاهـد سـعودي مستعدة لخوض المعركة مزودة بالتجهيزات الكاملة مـن آليـات ودبابـات ومدفعيـة ثقيلة وسواها يساندها سلاح جوي قوي وعـدة وحـدات مـن أسـلحة وصـواريخ الهوك وكانت تلك القوات مزودة تزويداً تاماً بالسلاح والذخيرة فرابطـت في أرض الأردن كما زحفت القوات الكويتية فرابطت في مصـر كمـا أن القـوات السـودانية ترابط في مصر وستظل في جبهة القتال لمواجهة أي طوارئ وأبـدت حكومـة الهنـد قلقها للموقف في الشرق الأوسط وقالت أن تأمين السـلام لـن يـتم إلا بانسـحاب القوات الإسرائيلية إلى المواقع التي كانت ترابط فيهـا قبـل يـوم خـامس يونيـو ثـم قدمت إسبانيا شحنة مكونة من ٥٠٠ طن دقيق و٥٠٠ طن بطـاطس إلى اللاجـئين الفلسطينيين كما بعثت طرود أقمشة وبطانيات من دول العرب وتدفقت التبرعـات ثم إنها نشبت الحرب من جديد بين العرب وإسرائيل وأسبابها أن إسرائيل انتهكت قرار وقف إطلاق النار فتقدمت في آخر اليوم ٢٤ مـن ربيـع الأول إلى شـرق قنـاة السويس واشتبكت مع القوات المصرية واستمرت المناوشات وجرت مذابح ومجازر وتقدم الفدائيون الفلسطينيون يفتكـون بإسـرائيل وعجـز مجلـس الأمـن عـن حـل الموضوع وذلك بالرغم من قرار جديد تبنته تسع عشر دولة علـى ضـرورة سـحب القوات المعتدية أما المناوشات بـين الأردن وإسـرائيل فإنهـا لا تـزال مسـتمرة لأن اليهود تأتي بهجمات عنيفة وتطلق نيران أسلحتها على الدوام مستخدمة الأسـلحة الثقيلة والخفيفة والمتوسطة ومـدافع المـورتر علـى القـوات الأردنيـة فـترد القـوات الأردنية عليها بالمثل وقد تقوم الطائرات الإسرائيلية بقصـف جـوي فـوق المنـاطق القريبة منها واستمر الوضع على ذلك.

أعمال الأسد الجريح

قام الملك الحسين بن طلال الشجاع الباسل بعدما أصيبت إحدى يديه بزيارات لعدد من عواصم الدول العربية والإسلامية يستبسلها ويستنهضها وثبت في المناضلة ولما أن كان في يوم الخميس ٢٢/ ١٢ صباحاً زحفت إسرائيل وتقدمت بدباباتها وطائراتها ورشاشاتها على الأردن وحصلت مناوشات عنيفة بعدما أطلقت نيرانها على الجيوش الأردنية المرابطة هناك لكنها ردت القوات العربية عليها بالمثل ورجعت خائبة بعدما أسقط منها خمس طائرات ودمر لها خمسون ما بين مدرعة وآلية وأصيبت بمائتين ما بين قتيل وجريح وكان الفدائيون العرب أثاروا لغماً برئيس وزراء إسرائيل فأصيب بجراحات بليغة وتساقطت الحجارة عليه وانخسفت به الأرض فأدرك وهو بآخر رمق، ثم أنها تقدمت إسرائيل بعد ظهر يوم الأحد ٢٥/ ١٢ برشاشاتها ومدافعها غير أنها أصيبت بنكبة أيضاً فقد أصيب منها نقطة كاملة وخمسة قتلوا ورجع البعض وقد قدمت الأردن احتجاجها لمجلس الأمن ضد هذا العدوان الغاشم وطالبت بوضع حد لهذا الاعتداء وطلبت من ملوك العرب ورؤسائها المساعدات وعقد مجتمع لذلك ولقد خسرت الأردن الضفة الغربية بما فيها المسجد الأقصى وكنيسة القيامة ومقام النبي داود واستولت اليهود على شبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان كما طردت قبل ذلك مليون فلسطيني إلى البلاد العربية وفي هذه الحرب طردت نصف مليون من الفلسطينيين عن بلادهم وهدمت أكثر من واحد وعشرين ألف مسكن في الضفة الغربية وغزة ليعيش أهلها في الصحراء والمخيمات ولا تظن أيها المسلم أن العدو غلب ولكن الصديق تخلى عن النصرة ويعرف أرباب السلوك والمعرفة هذه النكتة.

ونصيحتي للمسلمين خاصة وللعرب عامة أن يقوموا إلى الله سبحانه وتعالى ويحاسبوا أنفسهم ويرجعوا إلى ربهم فيا أيها المسلم اجعل موعظة الفاروق على بالك وهو القائد الأعظم وكيف وصى أميره على الجيش في غزوة القادسية سعد بن أبي وقاص ﵁ بهذه الوصايا لما أقبلت الفرس تريد اجتثاث الإسلام وإبادة أهله

فصمد عمر ﷺ وقال لسعد بن أبي وقاص لما شيعه وجعل يجهز الجيوش لمقابلة مائتي ألف من الفرس قال له يا سعد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحبه فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه فإنه الأمر، هذه عظتي إياك أن تركنها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين ولما أراد فراقه قال له إنك ستقدم على أمر شديد فالصبر الصبر على ما أصابك ونابك تجمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين في طاعته واجتناب معصيته وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة وإنما عصيان من عصاه بحب الدنيا وبغض الآخرة وللقلوب حقائق ينشئها الله إن شاء، منها السر ومنها العلانية فأما العلانية فأن يكون حامده وذامه في الحق سواء، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه وبمحبة الناس ومن محبة الناس فلا تزهد في التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم وأن الله إذا أحب عبداً حبّبه وإذا أبغض عبداً بغضه فاعتبر منزلتك عند الله بمنزلتك عند الناس، ثم قال له: مر الجيش أن يبدروهم بالضرب والشِّدة ولا يهولنك كثرة عددهم وعددهم فإنهم قوم خدعة مكره وإن صبرتم وأحسنتم ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم وأمره أن يحاسب نفسه ويعظ جيشه وأمرهم بالنية الحسنة والصبر فإن النصر يأتي من الله على قدر النية والأجر على قدر الحسبة وسلوا الله العافية وأكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قال: اكتب إلي بجميع أحوالكم وتفاصيلها وكيف تنزلون، وأين يكون منكم عدوكم واجعلني بكتبك إلي كأني أنظر إليكم واجعلني من أمركم على الجلية وخف الله وأرجه ولا تدل بشيء واعلم أن الله قد توكل لهذا الأمر بما لا خلف له فاحذر أن يصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم وجعل عمر يدعو لسعد خاصة وله وللمسلمين عامة ثم سار سعد وزحف بالجيوش الإسلامية إلى القادسية.

أما ما كان عن الرئيس المصري فقد قام يعد العدة ويتهم بعض قواده بأنهم هم أسباب الهزيمة وقامت ليبيا تستنكر ضم القدس لإسرائيل، وقام خطباء المساجد في ليبيا باتخاذ الإجراءات نحو الصهيونية ودعا علماء الدين في ليبيا العالم الإسلامي والعربي إلى الوقوف بوجه المخططات الصهيونية، وقام عشرة آلاف إندونيسي يتطوعون لتحرير المسجد الأقصى، وقامت سوريا تحتج على إسرائيل بأعمالها الوحشية ذلك بأن الإسرائيليين ركلوا شيخاً مسناً يبلغ المائة من العمر بدون رحمة لعجزه وأنها دمرت بانياس وجيباتا الزيت وكفار خريب والنخيلة عن بكرة أبيها بعد إيقاف إطلاق النار بين سوريا وإسرائيل وأن سكان القرى والمدن التي دمرت سلبوا من مالهم وأخذت بطاقاتهم الشخصية وجردت نساؤهم من حليهن كما تعرضنَّ لأعمال مشينة وأن عدداً من العرب حرموا من الطعام لإرغامهم على ترك ديارهم من المنطقة المحتلة كما أرغم بعضهم على التوقيع على بيانات يعلنون فيها عن تفضيلهم مغادرة أراضيهم وبيوتهم.

قتل المشير عبد الحكيم عامر

لما عزل الرئيس جمال عبد الناصر المشير عبد الحكيم عامر واعتقل أناساً آخرين بتهمة النكسة العسكرية وقعت مؤامرة ضد الرئيس من المشير ووزير الداخلية وأناس آخرين ونحن نذكر ما روته جريدة نداء الجنوب تاريخ ٢١/ ٦/ ٨٧هـ قالت: نقلاً عن صحيفتين بريطانيتين هما الديلي تلغراف والديلي إكسبرس في صفة قتله يستفاد من أعضاء حاشية المشير عبد الحكيم عامر أن اثنين من كبار ضباط الجيش الذين قاما باستجواب المشير بعد اعتقاله قالا له أنه إذا ابتلع خمساً من الحبوب السامة كانا قد أحضراها معهما فستقام له جنازة ومراسيم تشييع تليق ببطل ثورة كما وعداه بأنه بعد وفاته ستبقى الفيلا التي يسكن فيها والمزرعة التي يملكها بأيدي أرملته بعد وفاته، كما ستقرر الدولة رواتب شهرية لعائلته، وخرج المشير آخذاً الأقراص الخمسة من الضابطين الكبيرين مغادراً تلك الغرفة التي تحدثوا فيها ينوي ابتلاعها لإنهاء حياته غير أنه لم يبتلع كل الأقراص السامة الخمسة وإنما ابتلع واحداً

بعد أن طلب من أفراد عائلته أن يتصلوا بالرئيس جمال ويبلغوه بما حدث له ثم عاد إلى الغرفة التي كـان الضـابطان يجلسـان فيهـا وجـرى عـراك في الغرفـة بينـه وبـين الضابطين انتهى بأن غاب المشير عن وعيه وتمـدد علـى الأرض وعنـدما شـاهدت النساء والأطفال عبد الحكيم ممداً علـى الأرض فاقـداً الـوعي أخـذوا في الصـراخ والعويل فسمع أفراد الأسرة الذين يقفون على باب منزله هـذا الصـراخ فسـارعوا بالدخول إلى المنزل، عندها حدث قتال بين الحرس المذكور وبين القوة الـتي رافقـت الضابطين الكبيرين، وفي الحال استدعت عائلة المشير سيارة إسعاف فنقل المشـير في الحال إلى مستشفى المعادي حيث أعطي أدويـة مضـادة للسـم بعـد أن أجريـت لـه عملية غسل للمعدة فأفاق ونجى من الموت غير أنه بدلاً من أن يسمح له بالبقـاء في المستشفى إلى أن يستعيد كامل صحته أو يسمح له بالعودة إلى منزله نقـل قسـراً إلى منزل خاص في الجيزة حيث أجبر من جديد في غـداة اليـوم الثـاني أي مسـاء يـوم الخميس ١٠/ ٦ على تناول كمية من سم (الإيكونيتمن) كانت كافية لإنهـاء حياتـه وكان تناوله ذلك في حمام المنزل المـذكور حيـث مزقـت أحشـاءه وأمعـاءه وانتهـت حياته وعندما بلغت عائلة المشير نبأ وفاته جرت مناوشات بين حرسه الخاص وبين الجنود الذين ظلوا مرابطين حول منزله، ثم جرى دفنه في الظلام وبسرعة دونما أيـة مراسيم تشييع أو غيره وقام نجله البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة عندما بلغـه نبـأ وفاة أبيه يصرخ بألم ومرارة وتوجع يقول: عبد الناصر قتل أبي، ومن العجائب أنـه لم يحصل تشييع لجنازته ولم تسمح السلطات المصـرية بإقامـة أيـة مراسـيم تليـق بـه كقائد للجيش ونائب أول لرئيس الجمهورية وأحد رجال الثـورة الـذي يلـي عبـد الناصر في المنزلة مباشرة، هذا وهو القائد العـام للقـوات المسـلحة والنائـب الأول للرئيس والمسؤول الأول عن إدارة دفة معارك الإبادة الرهيبة في اليمن ولله في خلقه شؤون ولا يظلم ربك أحداً.

ونحن نسوق شيئاً من جواهر كلمات لابن الجوزي ثمينة مفيدة، قال رحمـة الله عليه:

فصل، العاقل من يحفظ جانب الله عز وجل وإن غضب الخلق وكل من يحفظ جانب المخلوقين ويضيع حق الخالق يقلب الله قلب الذي قصد أن ترضيه فيسخطه عليه، ثم ذكر كلاماً للخليفة المأمون حيث قال لبعض أصحابه: لا تعصِ الله بطاعتي فيسلطني عليك. ولما بالغ طاهر بن الحسين فيما فعل بالأمين وفتك به وصلب رأسه وإن كان ذلك عن إرادة المأمون ولكنه بقي أثر ذلك في قلبه فكان لا يقدر أن يراه، ولقد دخل عليه يوماً فبكى المأمون فقال له طاهر: لم تبكِ لا أبكى الله عينك فلقد دانت لك البلاد، فقال: أبكي لأمر ذكره ذل وسره حزن ولن يخلو أحد من شجن، ثم ساق رحمه الله تمام القصة بأسلوب بديع وكيف أضمر لطاهر بن الحسين طوية سيئة حتى قضى عليه، وخذ القصة من صيد الخاطر وراجع أبيات الصنعاني في المقدمة في السَّنة التي قبل هذه.

ذكر الأهوال والأحداث المريرة التي جرت من اليهود

لما استولت اليهود على الضفة الغربية من الأردن قامت تواصل أعمالها الإجرامية ضد الأهالي فجعلت تنسف العديد من البيوت وتعتقل المئات من السكان وجرى على أهل فلسطين مآس تقلق وتزعج، فهذا رب عائلة نزح عن الضفة الغربية وحمل معه بعض أطفاله بينما ترك الباقي في عهدة والدتهم وما أن حط في عمان وتفقد أسرته حتى اتضح له أن اثنين من الأطفال قد ضاعا في الطريق، وهذه امرأة لما فجعت بذهاب وطنها الحبيب حملت طفلتها على يدها وفرت تريد النجاة وعند وصولها اتضح أنها حملت وسادة بدلاً من الطفلة، وذو عائلة تعرض وهو في الطريق إلى القصف الجوي ففقد ثلاثة من أطفاله بينما أصيبت زوجته بحروق تدمي القلب وآخر هرب بأسرته من جحيم القصف والتدمير فاضطر إلى وضع أطفاله داخل كيس واستمر في مسيره إلى الضياع حتى وصل إلى الجسر فأوقفه اليهود سائلين عن حمولته وما أن وضع الكيس على الأرض وأشار إلى أنه يحمل أطفال وفتح الكيس لينظروا حتى أعدموهم خنقاً

وكانوا ثلاثة وما لبث رب العائلة بعد رؤيتهم صرعى على وجه الأرض حتى هام على وجهه مجنوناً قد سلب عقله، وقد حدثنا من رأى تلك الأهوال والمخازي التي تبعث الأحزان وتثير الأشجان وتقشعر لها الأبدان قال: وصلنا إلى مدينة عمّان فرأيت آثار الغارات الجوية الإسرائيلية الرهيبة على المنطقة، وظهر أن المنطقة تعرضت لقصف شديد جوي وكان مدرج المطار قد تعرض أيضاً لإحدى قنابل النابالم الجهنمية فتحول إلى كتلة من السواد وبدا منظره كئيباً ومن الأهالي من وجم ومنهم من يخاطب بلغة الملتاع والملهوف ومنهم من يهذي ويتحدث بلوعة المفجوع والمصاب ومن الناس من يقلب كفيه ونقول كيف وقع الأمر كذلك. قال: ورأيت الناس يبكون ورأيتهم في وجوم وفي وضع كريه وفي حالة من الإعياء شديدة وأسى، سكان الضفة الغربية من الأردن بحالة كريهة يرثى لها قد شتت شملهم وانتهبت أراضيهم وأملاكهم وهتكت محارمهم وجرى عليهم من أمر الله ما لا يطاق وجر الدهر عليهم من حوادثه ما لا تبلغه العبادة وأصيبت مصر بذهاب جزء كبير من أراضيها ولولا أن الأمم المتحدة أصدرت أوامرها بكف القتال ووقفه لاستولت اليهود على القاهرة نفسها فعند ذلك قام الرئيس الذي سولت نفسه الاستيلاء على بلاد العرب وأن يبسط يده على نيلها وفراتها ويمنها ونجدها يستجدي من ملوك العرب أن يحموه ويحموا بلاده وإلا فإنه سيستسلم لإسرائيل.

ذكر ما جرى بعد نكسة حزيران

لما جرت نكسة ٥ حزيران أشاع جمال عبد الناصر للملوك ورؤساء العرب في مؤتمر القمة الرابع بأنه لا بد من أمرين إما أن تسير مصر في طريق الاستسلام أو يعيشوا في طريق النضال الطويل والمرير، ثم علق أمام رؤساء العرب طريق النضال يحتاج إلى الدعم المالي لفناء القوات العسكرية لأن مصر أصبحت محرومة من مائة وسبعين مليون جنيه إسترليني هي عماد الجيش المصري وعماد ميزانيته بعد إضاعة مائة وعشرة ملايين جنيه من دخل قناة السويس وأربعين مليون جنيه من السياحة

وعشرين مليون جنيه من آبار بترول سيناء، ولكي تصمد مصر فهي بحاجة إلى خمسة وتسعين مليون جنيه إسترليني سنوياً، أما إذا استمرت الحال على ما هي عليه فإما أن نجوع أو نسلم بالواقع ونحن قادرون على أن نصبر ستة أشهر فقط إذا استمرت الحال هكذا وعندها تكلم الملك حسين قال: إن كلام الرئيس عبد الناصر لا يعبر عن الحال في مصر وحدها بل يعبر عن واقع الحال في الأردن أيضاً، ونحن الآن بدون مساعدات ولكي نتمكن من الصمود نحن بحاجة إلى ٤٠ مليون جنيه إسترليني سنوياً، وختم كلامه قائلاً: الأردن لا يستطيع أن يصمد أكثر من شهرين إذا بقيت الحالة على ما غدت عليه، ولما لم يكن الاستسلام مقبولاً أو سائغاً أصلاً في ذهن أحد من ملوك العرب ورؤسائها فقد اتجه تفكيرهم فيما هو المطلوب للصمود وحسم الملك فيصل النقاش عندما قال: القضية أصبحت واضحة لا بد من توفير مائة وخمسة وثلاثين مليون جنيه إسترليني إلى أن يزول آثار العدوان هو الذي طلبه الأخوان الملك حسين والرئيس عبد الناصر، فساد صمت في جو المؤتمر دام بضع دقائق قطعه الملك فيصل مجدداً بإعلانه أن المملكة العربية السعودية تتعهد بدفع ثلث المبلغ اعتباراً من السنة الحالية وكل سنة إلى أن تزول آثار العدوان ولما شرع مؤتمر القمة بمناقشة ما أعلنه الملك فيصل قال رئيس الوزراء السودانية المدعو بالسيد محجوب اقترح أن تدفع المملكة العربية السعودية خمسين مليون جنيه سنوياً وأن تدفع الكويت خمسة وخمسين مليوناً على أن تدفع ليبيا الباقي وقدره ثلاثون مليون جنيه إسترليني لدعم الصمود العربي وبقي فيصل من عام (١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ) يدفع التزامات الصمود لكل من مصر والأردن بل فعل أكثر من ذلك أن قدم للأردن خمسة عشر مليون جنيه اشترى بها أسلحة ثقيلة من بريطانيا لتقوية جيشه وأمد الجيش الأردني بالعديد من أسلحة الجيش السعودي بالإضافة إلى تحمل المملكة العربية السعودية نفقات مرابطة لواء عسكري سعودي مدرع مقابل إسرائيل على امتداد ١٦٠كيلو متر من الجهة الأردنية في الضفة الشرقية منذ عام (١٩٦٧م) ويمد الفيصل منطقة فتح بالعون وارتفع رقم التزام

الصمود الذي تدفعه المملكة إلى مصر من خمسين مليون جنيه إلى ٧٥ مليـون جنيـه استرليني لما خفضت قيمة الجنيه الإسترليني بالنسبة للدولار الأمريكي وبذلك غدت المملكة تقدم أكبر حصة عربية لدعم صمود مصر؛ لأن الكويت وليبيـا بقيتـا علـى تعهدهما بدفع حصصهما لم ترع حق هذا التخفيض وتم عقد مؤتمر في الخرطوم بين الملك فيصل والرئيس جمال على أن تسـحب مصـر قواتهـا مـن الـيمن فانسـحبت القوات المصرية من اليمن قبل نهاية عام (١٩٦٧م/ ١٣٨٧هـ) وكان عددها ينـاهز سبعين ألفاً بين ضابط وجندي بعد سنوات سـت قضـتها في خـوض معـارك فـوق تراب اليمن أريقت فيها الدماء الكثيرة بين المصريين واليمنيين ثم أن الـرئيس جمـال عبد الناصر منذ عام (١٩٦٧م) كرس جهوده للمشاكل الناشئة عن الحـرب فأعـاد تكوين وبناء القوات المسلحة بمسـاعدة الـروس اسـتعداداً لاحتمـال وقـوع حـرب أخرى ولكنه في نفس الوقت التزم السعي إلى حل سلمي سياسي إذا كان هذا ممكناً وظل يكابد شتى المشاكل الناشئة عنه نظـراً لأن الفـدائيين الفلسـطينيين ومؤيـديهم يعارضون أي حل من هذا النوع ومع أنه تورط في حرب طويلة شاقة لم تحرز نصراً فإنه مع ذلك قد أصبح زعيماً بارزاً حتى الوفاة.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم الشيخ محمد بن فارس رحمه الله وعفـا عنـه وهـذه ترجمتـه: هـو الشـيخ الزاهد الورع ذو الأخلاق الطيبة محمد بن الشيخ أحمد بن فارس بن محمد بن رميح ولد عام (١٣١٥هـ) توفي في يوم الأحد الموافق ١٦/ ٤ من هـذه السـنة عـن عمـر يناهز الثالثة والسبعين أخذ من الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأخـذ عـن الشـيخ إبراهيم بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ ابن راشد، وأخذ عـن الشـيخ سـعد بـن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف وأخذ عـن الشـيخ محمـد بـن إبراهيم آل الشيخ، وكان رحمه الله قد اشتغل مع والـده الشـيخ حمـد في بيـت المـال للملك عبد العزيز كمساعد له فترة من الزمن لأن الملك قد جعل والده إذ ذاك ثقة

به ولأنه يكون أحنى على الفقراء والمساكين ورغم اشتغال المترجم بذلك فإنه لم يمنعه ذلك عن طلب العلم ومزاحمة الطلاب في حلق الذكر وكان وجيهاً لدى الملك عبد العزيز وكثيراً ما يقبل شفاعته ويحترمه وكان ذا أخلاق زكية ومناقب علية يحب أهل الدين والصلاح ويميل إليهم ويؤثر عدم الخلطة ولقد اجتمعت به قبل وفاته بثلاث سنين لأسأله عن شيء من التاريخ في بيته الكائن في الرياض فوجدته مربوع القامة رزين العقل متواضعاً قد تأثرت قواه ونحل جسمه فأطلعني على تاريخ عظيم يظهر لي أنه من وضع الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى مؤرخ نجد وكان مجلداً خطياً كبير الحجم عظيم النفع لم أره عند أحد سواه ولكنه لم يحرص على أن يطلع عليه كل أحد وحدد لي أن أطلع عليه ثلاثة أيام لا أقل ولا أكثر فتناولته مع الشكر وكنت أجلس في المسجد الذي إلى جانبه وأنقل من دُرره مغتنماً الوقت القصير ورددته على شرطه جزاه الله خيراً، وقد استفدتُ منه وقد حدثني الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي عن وجود هذا التاريخ أو هداني إليه حتى منّ الله بالاطلاع عليه بعد ما أقسم بالله على عدم استطاعته على أن يسلمه بيدي فشكر الله المترجم وأسبل عليه من وابل كرامته.

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ أبو حبيب رحمه الله وتجاوز عنه وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم العامل السلفي عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم الشتري أبو ناصر من قبيلة بني تميم، ولد رحمه الله في حوطة بني تميم (١٣٠٣هـ) وتلقى العلم عن عدة مشائخ فمن أخذ عنه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود وأخذ عن الشيخ عبد الله بن حسن واشترك في عدة غزوات مع الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود كان فيها المجاهد بسيفه ولسانه ثم أن ولي القضاء لدى قحطان في الرين عام (١٣٣٦هـ) فكان إلى جانب عمله في القضاء مرشداً لهم ومدرساً لحلقة من الطلاب تضم مجموعة كبيرة من الطلبة وكان قوياً في دين الله في أمره ونهيه وله إقدام وشهامة

توقعه في أمور صعبة ولا تأخذه في الله لومة لائـم ولديـه نشـاط في الـدعوة إلى الله تعالى، وقد مكث في الرين لدى قبيلة قحطان سـتاً وثلاثـين سـنة قاضـياً ومصـلحاً ومرشداً ومفتياً ولطول المدة التي مكثها بين البادية فإنه تأثر بـأخلاقهم في التقشـف وخشونة العيش والكلام والهيئة واللباس سـوى أنـه كـان لا يعـتم بالعمامـة وفيـه جراءة وقلة مداراة وعدم تؤدة غالباً والله يغفر له لأنها عنصر أهـل الحوطـة الـذين تفوقوا بالشدة لذلك فإنه يظهر دينه في مخاطباته للملوك والأمراء والأمة ولا يداري أحداً كائناً من كان مع قوة وشجاعة عديمـة الـنظير وكانـت الأمـراء والرؤسـاء لمـا يعرفون من حسن نيته يتحملون منه ويغتفرون ما قد يصدر منه لغيرتـه الدينيـة وفي عام (١٣٧٢هـ) نقل إلى الرياض للتدريس وذلك لرغبته منه لأنها كلت قواه فجعل مدرساً في معهد إمام الدعوة وفي المساجد بعد الظهر والعصر والمغرب وقـام بطبـع كتب نفيسة منها الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ومختصر شعب الإيمان، وألف رسائل مختصرة وطبعها على حسابه الخاص في معرفة ثلاثة الأصول والتوحيد وأبدى عذره في تأليفها، ولقـد وافيتـه مـرة بمنـى في أحد أيام التشريق فبينما هو جالس إذ دخل عليه أمير من أمراء البادية وكـان شـاباً ضخماً فسلم عليه ثم جلس أمامـه يقلـب سـبحته وكـان إلى جانـب ذلـك متكـبراً فاغتفله الشيخ وأخذ بالسبحة ورمى بها خارج الخيمة في الشارع بشدة وقال بعـدما انتهره والله إن أباك رجل طيب كأنه لا يرضى له بالسبحة فخجل الرجـل وسـكت وبينما هو نائم بعد صلاة الظهر في الحرم المكي الشريف في الجهـة الجنوبيـة في يـوم شديد الحر من شهر رمضان المبارك إذ أقبل أفراد الشرطة ينبهـون النـوام في أروقـة المسجد الحرام فاستوى جالساً وقال لم توقظون هؤلاء الصوام فإنه لا بأس في النوم في المساجد فقد أقره رسول الله ﷺ ورخص فيه فأجاب الجندي بأن الضـابط بعثـه لذلك فقال له إن كنت لا تعرف إلا الضابط فإني أعرف إمام المسـلمين سـعود بـن عبد العزيز وأعرف ولي عهده ثم ألقى بوسادته الكبيرة على الأرض ونام هو ومن

حوالي الجهة الجنوبية فلم يتعرض لتلك الجهة أحد للتشويش فكان المسلمون يتنابون الجهة الجنوبية وكان محسناً إلى الفقراء والمساكين ويواسيهم ويصلهم، كما أنه يصل القرابة ويحن على الفقراء، ولديه كرم ومن خصائصه أنه يعد التمر صباحاً واللبن فمن جاء إليه فإنه يتناول التمر ويصب له اللبن ويقول خذ صبوحك وقد ظل يوالي وعظه وإرشاده بنشاط وقوة عزيمة ووفق في زمان كانت الظروف تساعده لأن حكومتنا لا تزال جادة في نصرة الدين وأهله وتشد من عزمهم رغم تيارات الأهواء واندفاع النفوس إلى ما يلائمها إلا من شاء الله ويلوم من يأمره باللين والرفق ويرى أن ذلك من المداهنة في دين الله وكثيراً ما يتصل برئيس الهيئات العام عمر بن حسن آل الشيخ ويرفع إليه أمور الخنا إذا لم يستطع بنفسه إزالتها، كما أن هيئة الحسبة كانوا يجلونه ويشدون أزره ويبتدرون لأمره وقد تخرج على يديه طلاب كثيرون منهم الشيخ عبد الرحمن بن فريان وعبد الله بن جبرين وعبد الرحمن بن مقرن. وكان إلى ذلك ينشر الدعوة إلى الله تعالى ويحث على الاستقامة وكان يديم الحج والعمرة ولما أن كان في أواخر شعبان من هذه السنة ذهب لأداء العمرة في شهر رمضان كعادته وكان ذهابه على أثر مرض أَلَمَّ به لأن الشيخوخة قد أرهقته ولما أن قدم إلى مكة المشرفة اشتدت عليه وطأة المرض فعاد إلى الرياض فلما أن علم الملك فيصل رحمه الله بمرض أمر بسفره للعلاج في لندن ولما أن سار للعلاج لم تمهله المنية وفاضت روحه إلى بارئها رحمه الله وعفا عنه وقد حدثني نجله ناصر بن عبد العزيز فإنه لما كان في غمرات الموت وسكراته قال له أعطني الملك فيصل لأكلمه قال فناولته التلفون غير أني حبست الحرارة فقال: يا فصيل اتق الله في الرعية وأحسن إلى من استرعاك الله عليهم ثم تشهد وقضى نحبه، لما أن توفي نقل جثمانه بطائرة لأنه أوصى بأن يدفن في مقابر المسلمين ولتسهل زيارته في بلده الرياض وكان له عقب حسن وكان إلى جانبه في المرض الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع من أهالي عنيزة، دفن هناك في لندن لأنه أوصى أن يدفن في البلد التي يموت

فيها إن كان فيها مقابر للمسلمين فدفن كما سيأتي وأما المترجم فإنه حسب وصيته ورغبته نفذت وحمل جثمانه بطائرة إلى الرياض حيث دفن فيها عن عمر يناهز الثالثة والثمانين وكانت وفاته ليلة ١٧ من رمضان المبارك الموافق للاثنين من هذه السنة وصلى عليه في الرياض جمع غفير على رأسهم جلالة الملك فيصل وأقيمت عليه صلاة الغائب في مدن وقرى المملكة رحمه الله. ولما بلغت وصيته الملك فيصل بكى وترحم عليه وقال: ذهب الصادقون وقد رثاه العالم الأديب الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل بهذه القصيدة:

فيض الدموع على الخدين مسكوب — يهمي غزيراً كما تهمى الشآبيب
والقلب من لاذع الأشجان متقد — والطرف عنه لذيذ النوم محجوب
لفادح الخطب أنباء مروعة — لها إلى الأرض تشريق وتغريب
رحيل أهل التقى والعلم فاجعة — ورزء به عالم الدنياء منكوب
أئمة جاهدوا في الله واجتهدوا — حقاً وما صدهم وهن وتأنيب
كواكب في سما العرفان ثاقبة — تهدي الورى وظلام الشر غربيب
أنس مجالسهم يلقى مجالسهم — خير الفوائد إن الخير مرغوب
منهم أديب أريب عالم علم — في راسخ المجد والأخلاق محسوب
الشيخ عبد العزيز الفذ ذو ورع — نعم التقى بخير الذكر مصحوب
أبو حبيب حبيب في سجيته — محقق فاضل في الله محبوب
مناصح ناصح في المسلمين له — لدى المحافل ترغيب وترهيب
من الأولى عمرو الأوقات فازدهرت — فالوقت حفظ وأعمال وترتيب
لله يدعو وذا في الدين مفترض — على البصيرة والإخلاص مطلوب
لحكمة الوعظ والتذكير أسلوب — كم حسن وعظ به تجدي الأساليب
سليم قلب كما دلت شمائله — منها الصراحة والوجدان والطيب
سمح كريم متى يزره زائره — يلقَ الندا ومكاناً فيه ترحيب

بمثلـــه عمـــرت مســـاجد فزهـــت بـــالعلم فيهـــا وبالـــذكر المحاريـــب
لله قلـــب قـــوي العـــزم متكـــل علـــى الإلـــه ســـعيد الحـــظ موهـــوب
صـــافي العقيـــدة فالوحيـــان منهجـــه نـــور ورشـــد وفرقـــان وتهـــذيب
جـادت ثـرى حـل في أحضـانه وثـرى مـن رحمـة الـراحم المـولى شـآبيب
والمـوت حـق ومحتـوم لـه أجـل وكـل شـيء بحكـم الله مكتـوب
والكـل فـانٍ سـوى الـرحمن خالقنـا فـأمره غالـب والخلـق مغلـوب
جـبر المصـاب وحسـن في العـزاء بـه إليـه يلجـأ ملـهوف ومكـروب
نـاه آه نـوح والخليـل كـذا نـادى الكلـيم وذو النـون وأيـوب
وكـل داعٍ دعـاه واسـتغاث بـه يرجو ويخشى وهول الخطب مرهـوب
وخـاتم الأنبيـاء عنـد الإلـه لـه أعلـى المقـام ومـا بـالحق تكـذيب
صـلى عليـه وكـل الأنبيـاء ومـن لهديـه اتبعـوا مـا انهـل مسـكوب

إن هذا العالم قد تأثر لوفاة المترجم فجادت قريحته بهذه الأبيات التي أبدت الأسف الشديد لوفاته لما كان يعلم عنه من مقامات قامها لله وفي طلب مرضاته.

أما عن صفاته الخَلقية فكان طوالاً، قليل اللحم قوياً كريماً مبذالاً، يحرص على إطعام كل من قصده ولو كان من التمر واللبن، فكان يصب في تلك الأواني من اللبن ويناول بيده قائلاً خذ صبوحك، وله قوة عزيمة وقلة مداراة غالباً والله يغفر له ومع هذا فكان له قبول بين الأمة، فكان علماء آل الشيخ كثيراً ما ينتدبونه لحل مشاكل البادية والقرى والوعظ والإرشاد ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يداري أحداً كائناً من كان مع تفقد المتخلفين عن حضور الصلوات في الجماعة، ويكثر المشي على قدميه كعادة العربي وله لحية كثة وله هيبة في القلوب بتأييد من حكومتنا التي لا تزال جادة في تأييد القائمين بشريعة سيد المرسلين وله إقدام وشجاعة فكان يذهب إلى الجامع السيئة ويشتت أهلها ويقطب في وجوههم ويناصح الملوك ويحثهم على القيام بما أوجب الله عليهم ولا يداهن في دينه.

وفيها في ١٨ / ٧ أعني رجب وفاة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع من أهالي عنيزة، وكان قد سافر إلى لندن لما اشتدّ به مرض الضغط وأتعبه فتوفي هناك ودفن لأنه أوصى أن يدفن في بلده الذي مات فيه إن كان هناك مقابر للملسمين وقد تولى عدة وظائف في القضاء في عنيزة وغيرها وقد تولى التدريس في المساجد وفي المدرسة العزيزية بعنيزة وصلى عليه في سائر المملكة. أخذ الشيخ العِلم عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وعن الشيخ عبد الله بن محمد بن مانع وعن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي وغيرهم، وتخرج عليه عدة من التلاميذ وكان موصوفاً بالدين ومعرفة العقيدة رحمة الله عليه.

وفيها وفاة شاعر لبنان بشارة الخوري، وهو: بشارة بن عبد الله الخوري ولد في (١٨٨٥م) في بيروت وهو أصلاً من بلدة أهج في بلاد جبيل جاء والداه إلى بيروت وكان طبيباً على مذهب ابن سينا فسكن في محلة الرميلة وبدأ المترجم دروسه في مدرسة مطرانية الروم الأرثوذوكس ثم أكملها في مدرسة الحكمة، بويع أميراً للشعراء سنة (١٩٦١م) في مهرجان كبير اشتركت فيه وفود عن البلاد العربية ومارس الصحافة وقال الشعر فأنشأ سنة (١٩٠٨م) جريدة البرق وبقي يحررها سنوات عدة وكانوا يسمونه الأخطل الصغير، ثم ذهب إلى بغداد للاشتراك في حفلة تأبين الملك فيصل بن الحسين حيث ألقى قصيدة مشهورة أغضبت سلطات الانتداب فعطلت جريدة البرق وفي عهد جريدة البرق انتدب الخوري نقيباً للصحفيين وكانت مكاتب ملتقى لكبار أدباء العربية وشعرائها وكانت جريدة البرق صوت لبنان المناضل يلتف حولها رجالاته من سياسيين وأدباء يعقدون فيها مجالسهم فيراقبون مصائر البلاد ويحاسبون حكامها حساباً عسيراً وكان أهل لبنان يعظمونه ويترحمون عليه بعد وفاته ويصفونه بأنه أديب ولا يعرف المجاملة أو التصنع، ولما توفي قالت إحدى صحف لبنان فيه مات أمير الشعراء الأخطل انطفأت جذوة الحياة فيمن أوقد طيلة حياته ويوقد بعد مماته جذوة الحياة في النفوس الطامحة سكت القلب الذي حرك القلوب وترك فيها.. الخ أما عن الحقيقة فهو ملحد زنديق نصراني وهو الذي يقول:

فقد مزقت هذي المذاهب شملنا وقد حطمتنا بين ناب ومنسم
بلادك غريبة قدمها على كل ملة ومن أجلها أفطر ومن أجلها صُمِ
سلام على كفر يوحد بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم

كائنة غريبة

وضعت امرأة في مدينة المكسيك في ١١ مارس (١٩٦٧م) الموافق لآخر يوم من شهر ذي القعدة من السنة المتقدمة ثمانية توائم دفعة واحدة أربعة ذكور وأربع إناث وقد أشرف الدكتور على وضعها فعاشوا إلى منتصف الليل لأن الولادة بعد غروب الشمس ثم مات أربعة وفي اليوم التالي توفي بقيتهم ولا تزال الأم تتمتع في صحة حسنة غير أنها شديدة الحزن على فقد أولادها وبناتها الثمانية.

وفيها في ٦ شعبان الموافق ليوم الأربعاء هطلت أمطار على القصيم واستمر نزولها ديمة وقد يتقطع نزول المطر ثم يعود واستمرت على ذلك إلى يوم السبت ١٦ شعبان ثم أنها نزلت أمطار وبعد الظهر من ذلك اليوم وبرقت البروق ورعدت الرعود وهطلت أمطار غزيرة خرج لأجلها غالب أهالي قرى القصيم ومدنه إلى الصحراء ثم اشتد نزول الأمطار من صلاة العصر من اليوم المذكور إلى الليل واكتظت الشوارع وامتلأت المسائل ورجع الماء إلى الشوارع ودخلت الفاجرة وهي واد يخترق مدينة بريدة في شارع الخبيب فكان كالبحر الخضم ودخلت المياه في بناية البلدية في شارع الخبيب فنقلت البلدية أثاثها من البناية بعدما كادت المياه أن تفرق الماصات وألجمتها إلجاماً فاضطروا إلى الرحيل وهكذا عمارات تكون في وادٍ قد سدت مجاريه ونبت الكلأ والعشب الكثير بحيث امتلأت المنازل والمواضع من نقل الأعشاب إليها وكان ذلك في سائر نجد بحيث لم يعهد العشب من زمن بعيد مثل ذلك واستفادت الأمة من بيع العشب وكنزه للأغنام والمواشي.

ذكر الحرب الأهلية في نيجيريا

كان وقوع هذه الحرب في أوائل هذه السنة ذلك بأن نيجيريا كانت أهم مستعمرة بريطانية في أفريقيا الغربية، وقد حصلت على استقلالها في أول تشرين الأول عام (١٩٦٠م) وفي عام (١٩٦٣م) تعب النيجيريون من بقائهم تابعين لمملكة بريطانيا فأقاموا نظاماً جمهورياً ولكنه لم يعش إلا ثلاث سنوات إذ أنه بينما كان مؤتمر الكومنولث منعقداً في لاغوس عاصمة نيجيريا في ١١ كانون الأول (١٩٦٦م) للنظر في الإجراءات الواجب اتخاذها لمعاقبة روسيا القيصرية ومع انقلاب عسكري في نيجيريا قتل فيه رئيسا وزارتي المقاطعتين الشمالية والشرقية أما رئيس الوزراء الاتحادي أبو بكر تفاوا بليوا فقد اختطف ثم قتل ولما حصل ذلك جرى ما يأتي.

ذكر ما حصل من القتل والتشريد

لما أن وقعت هذه الحرب الأهلية المشؤومة التي خيم فيها الجوع والفقر أصبح أهل بيافرا بسببها بحالة يرثى، فكانت الأطفال تمشي عراة فلا يجدون ما يسترون به سوءاتهم، وكم من فتاة أمض بها الجوع حتى كان ساقاها لا يستطيعان حملها من الجوع والإملاق، وقد سقط ثمانون ألفاً من أهل بيافرا قتلى على وجه الأرض من جراء ذلك الصراع المرير الدامي، وفرّ مئات الألوف إلى منطقتهم الأصلية خوفاً من الانتقام، وبعد ستة أشهر فقط أعلنها قائدها دولة مستقلة باسم بيافرا أما عدد سكان بيافرا فإنه يبلغ حوالي سبعة ملايين، ومن العجائب التي تستحق الذكر أنه قد ضرب عليها الحصار حال الحرب وتركوا يموتون جوعاً أطفالاً ونساءً وشيوخاً وصمد الشعب البيافري العنيد وهو يرى كل يوم أطفاله يموتون جوعاً والبالغين منه يأكلون الجرذان ومع ذلك يرفض إلقاء السلاح والإقرار بالهزيمة حتى كتب لهم النصر من الله تعالى، وفي آخر يوم من جمادي الثانية الموافق ليوم الأربعاء ينادى بجمهورية بيافرا.

وفيها وفاة صاحب المقاولات الضخمة محمد بن عوض بن لادن، وذلك في يوم السبت ٢٨/ ٥ سقطت به الطائرة من الجو بسبب اصطدامها بجبل فهلك، فالله المستعان، وكان له قوة نفس وهمة عالية ومن مغامراته العظمى تصدره لعمارة المسجد الحرام هذه العمارة الضخمة التي نالت الإعجاب، ومن حسناته طبعه لأضواء البيان في تفسير القرآن على نفقته الخاصة وهو مُؤَلَّف الشنقيطي وجعله وقفاً لوجه الله تعالى.

تلفزيون القصيم

في أواخر السنة الماضية وابتداء هذه السنة لا تزال الحكومة السعودية توالي اهتمامها في تركيب التلفزيون في عاصمة القصيم بريدة، وقد بلغت تكاليفه إلى غاية عظيمة بعد تخطيط موضعه في الصحراء الواقعة شمالاً عن مدينة بريدة، وهذا التلفزيون يخرج الصورة أمام مشاهده مع الصوت فالله المستعان.

ذكر مقام إبراهيم عليه السلام

في هذه السنة رأت الحكومة أيدها الله تعالى أن تزيل القبة عن مقام إبراهيم وتبقي الصخرة على وضعها القديم ثم تكسي الصخرة زجاجاً، وذلك لأجل توسعة صحن المطاف للطائفين وكانت الحكومة تفكر بهذه التوسعة من قديم غير أنها تريد أمراً تطمئن إليه الأمة، فرأت ذلك بعد مضي عشرين عاماً من هذا التفكير وقد أنيط هذا العمل بمكتب مشروع توسعة المسجد الحرام فابتدأ في العمل في يوم السبت الموافق حادي عشر رجب من هذه السنة بأن أحاطوا بمقصورة المقام بالأخشاب من جميع الجهات وجعلوا فيها باباً ليتمكن العمال من الاشتغال بدون تشويش ووجدوا داخل المقام قطعة من الخشب الساج طولها ٢٧ سنتمتراً وعرضها ١٦ سنتمتراً وسمكها اثنان من السنتمتر مكتوباً فيها حفراً بالحديد ما يأتي (سلطان عبد العزيز خان حضر تلري زمان سلطنلري أمارة مكة المكرمة الشريف عبد الله باشا تلري حقي باشازاده أحمد عزة باشا حصرتلري جدد مهندس عبد العزيز

نضارة معماري محمد صدقي كاملي معرفتنر خليل إبراهيم معلمي رصاص مصري محمد بن إبراهيم سنة ١٢٨١هـ) وكانت هذه القطعة من الساج من أقوى الساج ومر عليها مائة وست سنوات لم يدخلها السوس ولم يأكلها التراب وهذه الكتابة باللغة العربية والتركية فأزيلت المقصورة في ١٢ رجب وأزيلت الأتربة والأحجار في ١٣ رجب ووجد المقام مركباً على قاعدة من الحجر المربع طوله خمسون سنتمتراً وعرضه كذلك قد ضبط هذا الحجر بأربعة أسافين من الحجارة الضخمة تثبيتاً له، فلم يمس العمال هذا الحجر بسوء ولم يزل عن مكانه وهذا الحجر ينزل عن أرض المطاف بنصف متر ولم يحركوا حجر المقام بل كل شيء قديم بقي على ما هو عليه، ورأى الحاضرون أنه من وضع عمر بن الخطاب ﷺ ويظهر أن القطعة الخشبية من وضع السلطان عبد العزيز لما دفع فيه المقام في تلك السنة نحواً من ذراع ونصف ولما أن كان في يوم الثلاثاء ١٤ رجب رفعوا الغطاء الداخلي الذي كان موضوعاً فوق المقام وهو صندوق خشبي عليه ستارة من الحرير ثم عملوا حول المقام قاعدة من الرخام تحيط به وهي على شكل سداسي تقريباً طوله مائة وستون سنتمتراً ولما كان من الغد قام العمال يشتغلون بتكميل تركيب القاعدة الرخامية الجديدة المذكورة والرخام لونه أسود مأخوذ من جبال تبعد عن مكة المشرفة بنحو مائة كليو متر ولما كان في اليوم السادس عشر وضعوا قاعدة نحاسية مدورة مثقوبة من وسطها رنتها ستمائة كيلو والثقب على قدر ما يظهر المقام فقط وقطر الثقب أربعون سنتمتراً، وفوق هذه القاعدة النحاسية وضعوا الغطاء الزجاجي على نفس المقام ثم ركبوا عليه المقصورة الجديدة وطولها متر واحد وستون سنتمتراً وعرضها متر واحد وعشر سنتمترات وارتفاعها إلى الهلال ثلاثة أمتار وامتد العمل إلى منتصف ليلة الجمعة لتثبيت المقصورة بالأرض وقد صنع الغطاء البلوري في فرنسا واستغرقت صناعته هناك ستة آلاف ساعة وكلف أكثر من نصف مليون ريال ويبلغ وزن الغطاء ١٧٥٠ كيلوغرام وسمكه عشرون سنتمتراً من كل الجهات وأقيم احتفال رائع في آخر يوم السبت ١٨ رجب برفع الستارة عن مقام إبراهيم في آخر يوم

السبت ١٨ رجب يرفع الستارة عن مقام إبراهيم عليه السلام بحضور الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية وبحضور الأمراء والعلماء والوزراء وأعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلام كما أنه أزيل باب بني شيبة لتوسعة المطاف وجعل مكانه رخام أسود إشارة إلى موضعه.

وفيها تبرع الأمير عبد الله بن فيصل بساعة لمكة المكرمة تقدر قيمتها بأربعين ألف ريال ومائتين وخمسين ريالاً وتقدر قيمة تكاليف برج الساعة بمبلغ تسعة وخمسين ألف ريال ومائة ريال وعشرة ريالات، وهذه الساعة ناطقة ونوعها (هوام إتش) تشغيلها مربع مركبة على قياسها ١٠٠ × ١٠٠سم تضاء في الليل ست ساعات أوتوماتيكياً وأرقامها باللغة العربية ويمكنها أن تشغل قوتها عدة ساعات أخرى مركبة بجوارها ويسمع صوتها لمسافة ٢٠٠٠ متر وبالإمكان تخفيف الصوت ورفعه، يوجد لهذه الساعة جهاز معدني قوته ٤٠ وات وأربعة مكبرات للصوت مع أجهزة الدق وغطاء الميناء هو برواز حديد مربع يحتوي على وجه بلاستيك ٢ ملم مغطى بزجاج بلوري ٦ ملم أيضاً مع لمبات فلورنس علماً بأن العقارب الخاصة بهذه الساعة بها مادة تمنع تسرب المياه إلى داخلها عند هطول الأمطار وهذه الساعة تعمل على الكهرباء قوة ٢٢٠ وارتفاعها من القاعدة حتى نهاية البرج ١٨ متراً عدا القاعدة، وقد قام بوضع الخرائط والمواصفات الخاصة بها مكتب الخدمات العامة بجدة الذي يتولى إدارته المهندس السعودي الأستاذ محمد سعيد فارسي، وقد وضعت هذه الساعة الناطقة بريع الحجون وبلغت تكاليفها مائة ألف ريال تقريباً بما في ذلك العمال وإكمال عملها.

نافورة الريع

ففي هذه السنة انتهى العمال من مخططات نافورة الريع التي سبق أن تبرع بها الفقيد محمد بن لادن المتقدم ذكره وقد وضع لها المخطط اللازم وتسلمت أمانة العاصمة فعلاً هذه النافورة وبوشر العمل يوم ٢٣/ ١٠ في ترسيتها بعد أن وضعت

لها كافة الرسومات، هذا وقد أشرف على عملية الترسية المهندس خالد غزاوي وكيل الشؤون الفنية بالأمانة وبعض من المهندسين وفيها صدر أمر ملكي برقم ١/ ٦٨٠ وتاريخ ٧/ ١١/ ١٣٨٧ هـ بتعيين الأمير سطام بن عبد العزيز وكيلاً لأمير الرياض وكان سنه إذ ذاك ثمانياً وعشرين سنة وقد تلقى هذا النبأ بالفخر لثقة الملك به ويسأل الله أن يوفقه لخدمة وطنه والقيام بما ألقي على عاتقه.

وفيها هبت رياح بسموم محرق وحصل قتر حتى غابت الشمس في وسط النهار واشتد الحر حتى بلغت الدرجة ٤٤ في القصيم وذلك في ٩/ ٤ واشتدت وطأة الحر في جنوب إيران من بلاد فارس العجم حتى بلغت ٥٢ وذاب الإسفلت من حر الشمس حينما بلغت الدرجة إلى ذلك وبلغت موجة الحر إلى أن هلك عدة أشخاص ومرض مئات غيرهم هناك بينما هرب كثيرون من المنطقة وهبت عاصفة رملية شديدة زادت من متاعب سكان الأهواز وقد تحول الإسفلت إلى سائل في الشوارع كما أنه في ١٦ من الشهر نفسه جرت هزات وزلازل أرضية في تركيا وكان ذلك في يوم الأحد الموافق لليوم المذكور وفي تلك الآونة أي في ١٩/ ١٠ من السنة المتقدمة قتل كندي رئيس الولايات المتحدة، وقد حامت الآراء حول قتله كما أفادت ذلك جريدة عكاظ.

ثم دخلت سنة (١٣٨٨هـ)

استهلت هذه السنة والمهندسون يواصلون العمل في تركيب تلفزيون القصيم ويعملون التجارب والتمارين لذلك وقد فتحت معارض لبيع أجهزته وأقبل عليه أربابه متسابقين متدافعين ومندفعين، ولما أن كان في مساء يوم الأحد ١٨ ربيع الأول أقيم احتفال عظيم في مطار القصيم حضر فيه الأعيان من مدينة بريدة وغيرها بما في ذلك من رئيس المحاكم في القصيم والأعيان وأعضاء المحاكم وأمير المقاطعة سعود بن هذلول وسائر أمراء مدن القصيم وأعيانها فلما كان في تمام الساعة العاشرة بالغروبي من اليوم المذكور وهبطت الطائرة تقل وزير الداخلية

سمو الأمير فهد بن عبد العزيز يصحبه وزير الإعلام جميل حجيلان ومحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن العنقري ووكيل وزير الإعلام عبد الرحمن الشيباني وأناس من الأعيان وكان الوكيل قد تقدمهم بيومين، وذلك لفتح التلفزيون ولما أن نزل وزير الداخلية من سلم الطائرة إذا بالأمة قد اجتمعت وأعدت لذلك احتفالها، وقد نصبت الخيام في المطار باسم أمير مقاطعة القصيم وبلدية مدينة بريدة فألقى رئيس المحاكم الشرعية خطبة وتبارى الخطباء في إلقاء الخطب ثم أنه سار وزير الإعلام في الساعة العاشرة والنصف يهيئ الشريط ويفسح المجال لوزير الداخلية فسار على إثره يحف به الحرس والخدم والأعيان إلى محطة التلفزيون ولقد كانت السيارات قد امتدت على طول الخط من المطار إلى المحطة في منظر رائع ورونق جميع جداً وقد زاد جمع الأمة هناك فقص الشريط وأعجب سموه بما استقبل به من الحفاوة والإكرام، وكانت ساعة لأهل القصيم شاهدت فيها تلك الأبهة والازدهار والبذخ والفرح ثم أنه تناول طعام العشاء بعد المغرب لدى الأمير سعود بن هذلول واتصل ببعض الشخصيات في بريدة ثم أنه غادر مدينة بريدة في الساعة الثامنة ليلاً غروبي.

مكة المكرمة تستهدف لأمطار غزيرة

لما أن كان في ظهر يوم الخميس ١٣ محرم من هذه السنة هطلت أمطار على أم القرى لم تعرفها منذ أكثر من ٢٥ عاماً وبلغ ارتفاع السيل مترين إلا ربع متر تقريباً وفوجئت أم القرى ووادي إبراهيم في الساعة التاسعة إلا ربعاً من عصر يوم الخميس بسيل عارم استمر تدفقه من ذلك الحين حتى الساعة الحادية عشرة بقوة شديدة، هدأت بعد ذلك هذه في الساعة الواحدة والنصف مساءً وعلم أن مصدر السيل كان من بلاد رهجان وضواحي نعمان وشداد والكر وعرفات والشرائع والزيماء وسوله والعابدية وشهدت هذه الأخرى أمطار غزيرة وسيولاً منذ يوم الثلاثاء ١١ محرم حتى يوم الخميس ومن جهة أخرى فإنها وقعت حوادث مؤلمة من جرّاء ذلك السيل الذي جرف أشخاصاً وأمتعة وأرزاقاً وصناديق مرطبات كما

داهم السيل المحلات التجارية والدكاكين وكان مرور السيل في الأحياء والشوارع التالية: الششه، الروضة، المعابدة، الملاوي، الخانسة، الخريق، المعلاه، الفزة، القشاشية حتى أبواب المسجد الحرام داهمها السيل ومن جراء هذا السيل وقعت حوادث غرق استشهد فيها عدد من المواطنين وجرف السيل أكثر من ثلاثين سيارة متنوعة معظمها من السيارات الصغار.

ذكر ضحايا ذلك السيل

اعلم أيها الموفق، أن الخلائق بحاجة إلى لطف الله تعالى وأنهم لا غنى لهم عن لطفه طرفة عين كيف لا وقد خلق الإنسان ضعيفاً اللهم الطف بنا في قضائك وعافنا من بلائك فإنه بتأخر الأمطار وقلتها يحدث القحط والجدب ونشاف المياه وغورها وبكثرتها يحدث الغرق والهدم كما ترى ونحن نتكلم عما جرى فنقول لما نزلت السيول وهطلت تلك الأمطار قامت معدات ابن لادن لما خفت حدة السيل بإخراج السيارات التي جرفها السيل إلى كبرى باب الصفا، كما قامت فرق الإنقاذ بمديرية الدفاع المدني بواجبها حتى ساعة متأخرة من الليل واشتركت أجهزة أمانة العاصمة ومعداتها في عمليات الإنقاذ وقام المواطنون يشتركون في عمليات تنظيف المسجد الحرام من بقايا السيول ولقد كان أرباب السيارات القاطنون في عمائر الجفالي والأوقاف بشارع الفزة يشاهدونها والسيل يحملها فما استطاعوا إلى إنقاذها سبيلاً بل وجموا وتجرفت الطرق بين مكة وجدة حتى انقطعت المواصلات بالسيارات وتوقفت طوال ليلة الجمعة وعادت سيارات تريد مكة إلى جدة وبقيت أخرى معطلة في الطريق وكانت السيول قد جرفت الطريق عند الكيلو العاشر من السكة وما بعده لما تدفقت من الجبال والوديان المحيطة بمكة وسارعت فرقة مصلحة الطرق وأمانة العاصمة بإصلاح الطريق وإزالة أكوام التراب والحجارة التي جرفتها السيول إلى الإسفلت وكان قد وقع عدة حوادث انقلاب في السيارات الكبار وفقد خمسة أشخاص بكوبري الصفا لم يعرف مصيرهم وحمل السيل مواطناً يدعى عواض سلطان كان موظفاً بمشروع إدارة الحرم فألقاه إلى كبري الصفا ولطف الله

به بأن بقي معلقاً بطرف سيخ داخل الكوبري أكثر من ربع ساعة تمكن المنقذون له بعدها بسحبه بالحبال إلى خارج الكوبري، وقد أدخل مستشفى أجياد لإسعافه وانهار منزل في دحلة الجن بشعب عامر وحدث حريق في محلة ريع الرسام بجرول سببه التماس الكهرباء، ووقع حريق آخر في الفلق بسبب انفجار بوتوجاز وفجع شباب مكة المكرمة باستشهاد الشاب عبد الله حمزة من موظفي وزارة الخارجية وقد جرفه السيل بينما كان يحاول سحب سيارته فشيع جثمانه صباح الجمعة في موكب حزين، أما مدير شركة كهرباء مكة المكرمة فقد أصيب في طريقه من مكة والطائف بين عرفات والكراذ داهمته السيول هو وعائلته فسقطت سيارته في جرف غير أنه أنقذ هو وعائلته، وانفجر سد المعابدة وتدفقت مياه السيول إلى مكة وقد اتفق المسنون بمكة على أنهم لم يشاهدوا مثل هذا السيل منذ ٢٥ عاماً وتقدم إنسان يريد محاولة إنقاذ سيارته الواقفة أمام بيته فحمله السيل وعثر بعد ذلك على جثته في المسفلة وحمل السيل سيارة مواصلات سمع منها المنبه وقد جرفها السيل إلى كبري الصفا وسيارة تحمل أربع نساء وثلاثة رجال جرفها السيل إلى الكبري ومواطنان كانا يقومان بعمليات إنقاذ جرفها السيل إلى كبري الصفا فماتا وجرف السيل إلى الكبري ثلاث سيارات فولكس واجن دفعة واحدة وسيارة جيب وحدثني صاحب سيارة ونيت قال: أن السيل حمل سيارتي فلم أحصل منها على شيء في الكبري سوى المكينة والشاصي عرفتهما باللوحة وتم إنقاذ عائلة كانت تركب سيارة في شارع الحجون وأنقذت طلفة وطفل واجتاحت السيول شارع الجودرية واجتاحت سدريع اللصوص وسببت فيه خسائر وحملت السيول حيضات أجياد وميضات السوق الصغير وكانت السيول قد عمت بكثرة فهطلت على القوارة وضواحيها وعلى جبال تهامة والليث وضواحيها وعلى تربة وضواحيها فسال على أثرها وادي تربة سيلاً كثيراً كما هطلت الأمطار على الحرة وعلى عرعر وثادق والسليل والحوطة والأفلاج وضواحيها وجرت الأودية والشعاب.

وفيها بعد ظهر يوم الأربعاء ١٢ محرم الموافق ١٠ إبريل (١٩٦٨م) تم توقيع

على اتفاقيتين ملحقتين للاتفاقيات المتعلقة بمنح المؤسسة العامة للبترول والمعادن بترومين الرخصة والامتياز للكشف والتنقيب عن البترول في الربع الخالي في المملكة العربية السعودية والتي جرى التوقيع عليها في العشرين من شهر رمضان الماضي (١٣٨٧هـ) الموافق ٢١ ديسمبر (١٩٦٧م) قام بالنيابة عن المملكة أحمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية والدكتور عبد الهادي ظاهر محافظ المؤسسة ووقع الثانية أحمد زكي بالنيابة والدكتور أنطونيو سالم عن شركة (اجيب) الإيطالية وتحصل على ٩١٧٠ كيلو متر مربع والاتفاقية طويلة فتكون مساحة الأرض بما ذكر مضافة إلى المساحة المشمولة بالاتفاقيات الأولى البالغة ٨٦,٤٧٥ كيلو متر مربع.

وفيها جرت مظاهرات بالإسكندرية أغلقت لها الجامعات المصرية بل قفلت لها جميع الجامعات والمعاهد العليا في مصر إلى أجل غير مسمى وكان لك في يوم الأحد ٤ رمضان وكان قد تقدم هذه المظاهرة مظاهرة في يوم الخميس غرة رمضان من هذه السنة في المنصورة وقد أطلق رجال البوليس عيارات نارية في الهواء لتفرقة الطلبة المتظاهرين في الإسكندرية فقام الطلاب بعد أن تفرقوا بمظاهرة جلوس في الحرم الجامعي بالإسكندرية وقد خشي من وقوع اشتباكات بين الطلبة ورجال البوليس.

طعنة في الصميم

المسجد الأقصى وأولى القبلتين تعمل اليهود على تحويل بعضه كنيسة وآخرة ذلك تحرقه بالنار، ما زالت اليهود تتحدى شعور العرب والآن يقع المسجد الأقصى فريسة لليهود يضعون فيه القمامة ويحولون بعضه كنيسة وآخرة ذلك تحرقه بالنار فأين أسود الحِمى وأين أباة الضيم وأين ملوك الإسلام والعرب وأين فوارس محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وأين أهل الغيرة الذين يغارون على ذلك الملك السليب، أما أبناء القدس فإنهم عازمون على الكفاح حتى النهاية وأبوا أن يخنعوا ويستسلموا لليهود وفي كل يوم يقدمون على مذبح الفداء ضحايا جديدة

حتى يتم لهم النصر على عدوهم، وقد مضت سلطات الاحتلال في طريقها لإسكان اليهود بدلاً من العرب مطبقين كل الأعمال الوحشية لطرد أهل القدس واحتلال اليهود بدلاً عنهم. هذا وقد شرعت القوات الإسرائيلية في خامس ربيع الثاني بفتح نيرانها على القوات الأردنية واستمر إطلاق النار حوالي خمسين دقيقة ولا تزال اليهود تشن غاراتها على الأردن وتوالي اعتداءاتها وبقصف القرى والمدن فهدمت المساجد والمدارس ومنازل السكان، فقد شنت في شهر واحد على الأردن واحداً وخمسين اعتداءً داخل الأراضي الأردنية وقامت قوات إسرائيلية تهاجم وتحرق خيام بعض العشائر في سيناء بدعوى أنهم وفروا المأوى لرجال المقاومة العرب واعتقلت إسرائيل العشرات من أهالي سيناء.

احتلال اليهود مطار لبنان

لما كان في ١٠/ ١٠ من هذه السنة هاجمت اليهود المطار وحرقوا فيه ١٣ طائرة من هذه الطائرات طائرة من طراز بنج سعودية وكان ذلك ليلة الأحد من اليوم المذكور وذلك انتقاماً منها لما رأت نشاط الفدائيين ومغامراتهم في الإيقاع باليهود، وقام الفدائي يلقي نفسه في المعاطب ويحرق ويقتل وينسف ولا يهاب الموت ونسف الفدائيون هوائيات إذاعة اليهود فوق جبل المكبر في الجزء الجنوبي من مدينة القدس وألحقوا أضراراً بقاعدة هذا العمود وقامت قوات العاصفة في القدس توجه ضرباتها دوماً إلى أهداف العدو وقامت إحدى مجموعاتها بتوقيت كميات من المتفجرات وفي صباح اليوم الثاني والعشرين من شهر تشرين الثاني في تمام الساعة والنصف انفجرت تلك المواد مدمرة عدداً كبيراً من منازل المنطقة ومحلاتها فأصيب من جراء ذلك الانفجار أكثر من ١٢٠ ما بين قتيل وجريح وقامت القوات العاصفة بعدة ألغام انفجرت ثلاثة منها ونتج عن ذلك تدمير ناقلتين للجنود تدميراً تاماً وقتل وجرح عدد كبير وقامت وحدة الصواريخ التابعة لها بقصف آليات للعدو ودبابات ومدفعية فأصابت الصواريخ أهدافها وشوهدت النيران مشتعلة في

المنطقة وهكذا تكررت المهاجمات الفدائية وانفجر لغـم هـز مدينـة القـدس أدى إلى مقتل اثني عشر يهودياً وأصيب سبعون بإصابات خطرة ولما جرى ذلك جن جنـون اليهود وشددت إرهابها على القدس وحضروا التجول على مدينة القدس واعتقلوا أكثر من ١٥٠ عربياً وكان رجال بوليس اليهود قـد اعتقلـوا فـور وقـوع الانفجـار ٥٠٠ من مواطني القدس المحتلة وكان أشكول رئيس وزراء إسرائيل قد قطع إجازته فور سماعه بنبأ الانفجار وأسرع إلى القدس ولما قامت اليهـود بتعسـفاتها يهـاجمون المصلين يوم الجمعة بالمسجد الأقصى قامت القدس تقاوم المهـاجمين بالزيـت الحـار والماء المغلي تصبها صباً فوق رؤوس عـدة آلاف مـن اليهـود، وكانـت اليهـود قـد تجمعوا أمام أبواب المسجد الأقصى يرشقون المصلين بالحجارة فهل بعـد هـذا مـن أذى، يقوم أعداء الله وأعداء الإسلام يقذفون المصلين صلاة الجمعة وهم في نفـس العبادة، وكانت الخسائر التي نجمت عن هذا الانفجـار وأصـيبت بهـا المبـاني تقـدر بأكثر من نصف مليون ولما أن جرى من اليهود احتلال مطار لبنان وتحريـق مـا فيـه من الطائرات استنكرت الأمة ذلـك العـدوان وبعـث إسماعيـل الأزهـري رئـيس مجلـس السـادة السـوداني يسـتنكر ذلـك العـدوان وهاجمـت صـحيفة ديلـي نيـوز السيلانية، هذا الاعتداء وكانت تعطف على إسرائيل لكنها هذه المرة جعلت تقـول أن هذا عمل إرهابي تخريبي وأصدرت وزارة الخارجية السيلانية بياناً حول العدوان وأنه يقلل من إمكانيات التوصل إلى سلام في المنطقة ونددت حكومة الصومال بهذا الاعتداء الغادر وذلك في بيان أصدرته وزارة الخارجيـة الصـومالية كـذلك أعلنـت يوغسلافيا واستنكرته فرنسا قائلة أنه لن يستتب الأمن والسلام في الشرق الأوسط ما لم ينسحب الإسرائيليون من الأراضـي العربيـة. وقـام الـرئيس اللبنـاني المـدعو شارل الحلو بمذكرات إلى كل من فرنسـا والولايـات المتحـدة يحـتج علـى إسـرائيل وطالب بتعويض لبنان على خسائره في العدوان الغادر وعاد مجلس الأمـن الـدولي إلى الاجتماع فجر يوم ١١ شوال لمواصلة بحـث العـدوان الإسـرائيلي علـى مطـار لبنان ومع هذه المعمعة والصراخ والعويـل فـإن هـذه الاحتجاجـات ذهبـت أدراج

الرياح غير أنه أعلن رئيس لجنة الدفاع في مجلس النواب اللبناني عدنان الحكيم بوجوب تغيير جهاز الدفاع في لبنان والحصول على أحدث أجهزة الدفاع لإقامة شبكات دفاعية مزودة بالصواريخ المضادة للطائرات لصد أي عدوان مفاجئ.

خلع رئيس الجمهورية العراقية

كان الرئيس عبد الرحمن محمد عارف قد أمر مصلحة المنتجات النفطية العراقية بأن أربعة ملايين جالون غاز تم تصديرها إلى تركيا من أصل ٢٣ مليون جالون غاز جرى الاتفاق على أن تصدرها العراق إلى تركيا وأضافت المصلحة تقول أن ٤٥ مليون جالون من الديزل ستصدر إلى تركيا أيضاً بمقتضى اتفاق آخر عقد بين العراق وتركيا كما سيتم تصدير ٤٨٩٠ مليون طن من الإسفلت فعل ذلك لتحسين الصلات بين الحكومتين ولما أن كان في صباح اليوم الحادي والعشرين من ربيع الثاني من هذه السنة (١٣٨٨هـ) الموافق ١٧ يوليو تموز (١٩٦٨م) ثار الجيش العراقي وخلع الرئيس لجمهورية العراق عبد الرحمن محمد عارف وجرى تسفيره في اليوم المذكور وأقيم بدلاً عنه أحمد حسن البكر.

وفيها ١١/ ٢/ ١٨ من برج الثور هطلت أمطار على القصيم وكان قد تقدمها أمطار ابتدأت في ٥/ ٢ واستمر تكاثف السحب في آخر النهار وبحيث كان ما بعد الزوال وقتاً لنشوء السحب وارتكامها ثم تهطل الأمطار من آخر النهار واستمرت الحال حتى حلت الشمس في برج الجوزاء واستمر ذلك إلى ٥ الجوزاء وفي آخر نهار السبت ٢٨ صفر في الحادية عشرة أي قبل الغروب بساعة صعقت صواعق برعد شديد جداً كاد أن يذهل العقول وشوهدت صاعقة نزلت حوالي قرية الخضر الخب الواقع في الجنوبي الغربي عن مدينة بريدة ومعها لهب عظيم شديد كاد أن يؤثر على كهرباء بريدة بحيث ولعت النجفات ثم انطفأت وكادت البروق وشدة الرعد والصواعق أن تؤثر على التيارات الكهربائية لعظم اللهبات الناشئة والعياذ بالله.

ولما أن كان في برج السرطان من هذه السنة كثرت منتوجات البطيخ جداً للغاية بحيث امتلأت سوق مدينة بريدة كلها بما في ذلك موضع المبيع الأول ورخص السعر جداً بحيث كان عشرون حبة صالحة للأكل بريال وكان يصدر من بريدة يومياً إلى سائر البلاد المجاورة ما لا يقل عن حمولة أربعين سيارة موسيدس ما كان عن البصل والكوسة والطماطم فأمر لا تبلغه العبارة بحيث كانت الشحنات منها تملأ الآفاق وقد بلغت تلك المنتوجات إلى الكويت والبحرين ولبنان والأردن بل بيع بصل القصيم في لبنان وسوريا وأما إلى ذلك والله على كل شيء قدير.

وفيها في صباح يوم عرفة ٩ ذي الحجة قام الفدائيون في فلسطين فأطلقوا الصواريخ على مسكن اشكول رئيس الوزراء في دولة إسرائيل فأصيب بجروح خطرة وبعد الذهاب به إلى المستشفى لقي حتفه في اليوم نفسه وقد أصيبت به إسرائيل وأعلنت الحداد عليه هاجرة زينة العيد وأخذت تذيع خصاله المحمودة لديهم وما له من المقامات في دولته والتضحيات وبكل حال فإن هلاكه هدة عظيمة في جانب إسرائيل.

وفيها وقعت قيصيرة في أحد أسواق مدينة بريدة وكان ذلك في الساعة الرابعة نهاراً بالتوقيت الغروبي من اليوم ١٩ الموافق للثلاثا من شهر شوال بوقت الذهاب والمجيء والمرور وحينما كانت الأمة جالسة أسفلها تبيع وتشتري ولما أن سقطت بما فيها من الدكاكين وكانت الأموال تحت أنقاضها وقد سارع الدفاع المدني بإسعافاته وما لديه من القوة مستخدماً جميع إمكاناته لإنقاذ الأمة من تلك الورطة كما سارع رجال الأمن لحفظ الأموال فلم يفقد من جراء ذلك الهدم خيط ولا مخيط ومما هو جدير بالذكر أن الله تعالى وقى الأنفس البشرية وذلك بواسطة حمال سارع بالإنذار لما رآها تصدعت لتهوي إلى الأرض ولقد تأثر الجهاز الكهربائي من الالتماس وشوهد منه أنوار عظيمة وتعرف بقيصرية بن عيدان حوالي القشلة.

وفيها في ٧/ ١٢ وفاة الملك السابق سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل رحمه الله وعفا عنه وقد تقدم من ترجمته ما أغنى عن إعادته وكانت وفاته

في خارج المملكة بعيداً عن البلاد العربية فأمر الملك فيصل بن عبد العزيز أن يؤتى بجثمانه إلى مقابر آبائه وأجداده فغسل وكفن وصلي عليه في الحرم الشريف في مكة المكرمة ثم نقل جثمانه بطائرة إلى مدينة الرياض فدفن مشيعاً في جانب أبيه فالله المستعان وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون، وقد خلف أولاداً كثيرين وأموالاً طائلة.

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ محمد بن ناصر الوهيبي إمام جامع رياض الخبراء وهو محمد بن ناصر بن حسن الوهيبي ولد في بلدة الخبراء عام (١٢٩٩هـ) وأخذ عن علماء بلده منهم الشيخ محمد بن عمر العمري ثم ذهب إلى مدينة بريدة فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم كما أخذ عن ابنه الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم في حال إقامته في البكيرية وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد وجدّ ونافس فكان في عداد العلماء العاملين ومن جملة الأتقياء الصالحين وكان لم يتول القضاء بعدما عرض عليه بل كان زاهداً متعففاً ومدرساً أخذ عنه علماء أفاضل منهم ابنه ناصر الذي تقدمت ترجمته وكان عالماً فاضلاً وأخذ عنه حمد الناصر المقبل وأخذ عنه إمام أحد مساجد رياض الخبراء محمد بن علي الوهيبي وأخذ عنه عبد الرحمن بن صالح الغماس المدرس في إحدى مدارس رياض الخبراء وإمام قرية الغماس وأخذ عنه فهد بن عبد العزيز السعيد وأخذ عنه ناصر المحمد الخزيم وأناس آخرون. وقد قيل أنه لبث في الإمامة ستين سنة تقريباً ويقوم بعقد الأنكحة والإصلاح بين الناس والإفتاء والتدريس وكتاب الوثائق بين الناس.

وممن توفي فيها من الأعيان محمد أبو بكر با خشب وكانت وفاته في ليلة الخميس ٥ ذي القعدة حيث وافته المنية وهو في منزله في حالة حيوية ونشاط وقد حزنت عليه الأمة ونعته جامعة الملك عبد العزيز في جدة فقالت فقدت جامعة الملك عبد العزيز الأهلية بجدة عضواً من أبرز أعضاء هيئتها التأسيسية وأبعدهم أثراً في حياتها ونعني به سعادة الشيخ محمد أبو بكر باخشب الذي كان في طليعة المؤمنين

بفكرتها والعاملين على دعمها سواء بذلك المبلغ الكبير الذي قدمه لها وقدره مليون ريال وبجهده الشخصي في متابعة خطواتها وملاحقتها وتقول عنه إحدى الجرائد السعودية كان لوفاته رنة أسف واسعة هذا وقد تم دفن جثمان المترجم في مكة المكرمة بعد ظهر يوم الخميس حيث شيع من المسجد الحرام إلى في موكب مهيب اشترك فيه عدد كبير من المواطنين الخ.

وممن توفي فيها من رجال الدين والصّلاح والفضل عبد العزيز بن حسين وهذه ترجمته: هو العابد البصير في العقيدة عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن حسين رحمه الله وعفا عنه ولد في قرية العكيرشة التي كانت إذ ذاك ضاحية من ضواحي مدينة بريدة في عام (١٢٩٨هـ) ونشأ في رعاية والديه حيث كانا يزاولان الحراثة والزراعة ولانشغاله في طلب المعيشة وخدمة والديه كان لم يتمكن في الدراسة من تحصيل العلم غير أنه كان من أصل طيب يوالون في الله ويعادون لله فكان من أهل البصيرة والنقد والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان محباً لأهل الدين مبغضاً للمنافقين والكافرين والظالمين فلذلك كان يلهج بذكر الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم وآل سليم ويختصه الشيخ عمر بن محمد بن سليم لأسراره ويقدره ويعرف له فضله كما أن والدة المترجم من ذوات الدين والبصيرة فقد أقامت وليمة مكونة من جزور وما إليها لما رجع أولياء الله معززين من قبل الأمير سعد الحازمي لما أحضر لديه أناساً من المشائخ وطلاب العلم بأمر من ابن رشيد بسبب الوشاية بهم فوبخهم الأمير أفراداً وكانت الأمة قد خافت عليهم وترقبوا ماذا يحله بهم وآخر شيء تراجع الأمير عن رأيه وقلبهم إلى أهاليهم بخير واعتذر إليهم بأنه مأمور وكان المترجم صبوراً على حلو الزمان ومرّه وله ذاكرة وحفظ ويحب الخلطة بالعلماء الأفاضل ومديماً على الحج والعمرة في رمضان المعظّم سريع الدمعة عند الموعظة وتذكر العلماء وكانت أسرته متأصلة من بلد وشيقر من قبيلة النواصير وينتمون إلى بني تميم وما زال يزاول مهنة الزراعة ويسعى في اكتساب المعيشة في مزارع آبائه شرقي مدينة بريدة وفي أراضي النقع حتى عجز وكل عن العمل وعجزت قواه

وأسن وأرهقته الشيخوخة فاستراح في نفس مدينة بريدة ملازماً للصلاة مع الجماعة خلف الإمام ويتردد إلى حلق الذكر حتى أتاه اليقين وانتقل إلى رحمة أرحم الراحمين وكانت وفاته في اليوم الثاني من شهر رجب عن عمر يناهز التسعين فالله المستعان، أما عن قصة أولياء الله التي أشرنا إليها ها هنا فقد تمت في حوادث (١٣١٩هـ) فلتراجع مبسوطة هناك.

وفاة عالم ديني

ففي هذه السنة وفاة الشيخ سليمان الناصر السعدي وهذه ترجمته: هو العالم العامل ذو المناقب والفضائل الزاهد الورع المتعفف شيخ قرية المريدسية ومفتيها وإمام الجامع الخطيب المتمسك بدين الله والصابر على الكروب والشدائد أبو محمد سليمان بن ناصر بن علي السعدي قبيلته عنزة فهو من أحد أفخاذها كان رحمه الله إماماً واعظاً وخطيباً وموضع الثقة من القضاة والأمراء وصاحب إصلاح وإخلاص ونية قام بأهل قريته وما حواليها فأدخل في قلوبهم نور التوحيد ومعرفته والثبات عليه ومنعهم من الانخراط في الرذائل وكان لدعوته أثر في النفوس وكان محبوباً عند الخلائق ومرموقاً في أعينهم خلا منافقاً أو زنديقاً أو عدواً للشريعة وإذا أخذ في الخطبة فإنه يبكي ويبكي من حوله وقد قدمنا إشارة عن صلاحه ودينه وتوفيقه وكان يدرس ويعظ ويرشد وانتفع به في العقيدة والصلاح خلائق كثيرون وقد ناهز السادسة والثمانين من عمره وهو في وعظه وإرشاده وأسباب مرضه أن أصهاره دعوه لزيارتهم فامتطى حماراً وسار في صحبته أحد أحفاده غير أنه أسرع به حماره فتعثر الحمار وسقط على الأرض فتأثر بعد رجوعه بيوم بأن أصيب بعطش شديد وغثيان ثم أنه حج بعد ذلك غير أنه لا يزال يشكو لزوجة ريقه ويبوسة في فمه وكان قد أحب أن لا يتداوى ثقة بالله وتفويضاً لأموره إليه لعلمه أنه وإن تداوى فما قدر فسيكون كما صنع ذلك الصديق أبو بكر ﷺ شعراً:

قل للذي صنع الدواء بكفه أترد مقدوراً عليك قد جرا

مـات المـداوى والمـداوي والـذي صـنع الـدواء بكفـه ومـن اشـترا

ولما قيل لأبي بكر الصديق حينما مرض وعاده الناس ألا نـدعو لـك الطبيـب فقال قد رآني قالوا فأي شيء قال لك فقال إنه قال إني فعال لما أريد. وقيل للربيع بن خثيم لو تداويت وكان قد أصيب بفالج فقال لقد عرفت أن الدواء حق ولكـني ذكرت عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً كانت لهم أطبـاء فمـا بقـي المـداوي ولا المداوى، ولما أن كان المترجم في يوم الأربعاء ١٨ جمـادى الثانيـة توضـأ وذهـب إلى المسجد صباحاً وبعد رجوعه من التدريس في المسجد في الساعة الخامسة قبل الظهر بساعة وافا ضيوفاً من خب العريمضي جـاءوا لزيارتـه فأخـذ في الـوعظ والإرشـاد حتى كل لسانه عن النطق وشق عليه الكـلام فطلـب مـن أبنائـه أن يـذهبوا بـه إلى الجابية ليتوضأ ويغتسل فلم يتمكن من ذلك لضعفه ثم أنهم ساعدوه علـى الغسـل والوضوء وطلب منهم أن يـذهبوا بـه المسـجد وجعـل يهـذو بالصـلاة والتـدريس ويلهج بذكر الله واستغفاره ولما ذهبوا به عجز عن وصول المسـجد فرجعـوا بـه إلى البيت وشق عليه الكلام بحيث لم يفهموا كلامه إلا بشدة وذهل عن صلاة الظهر ثم أنه أمسك على لسانه ولم يكلم أحداً من أحبابـه وإخوانـه وذلـك مـن عصـر يـوم الأربعاء المذكور حتى توفاه الله تعالى في الساعة السادسـة قبـل صـلاة الجمعـة مـن اليوم ٢٠ من جمادى الثانية فتأخر تجهيزيه وصلى عليه المسلمون بعد صلاة العصـر من يوم الجمعة وحضر للصلاة عليه خلائق خرجوا مـن مدينـة بريـدة ونزلـوا مـن القرى والضواحي الغربية والشمالية والجنوبية وبكـوه وترحمـوا عليـه وأصـيب بـه المسلمون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

أخلاقه وشمائله

كان ربعة من الرجال أو أقل، متقشـفاً في لباسـه متواضـعاً في جلوسـه وهيئتـه كعادة العربي الذي لا يهمه لباسه وترفه إنما يهمه دينه وأخلاقه متواضعاً اجتماعيـاً يجيب الدعوة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويدارى ويأكل مـن كسـب يـده فكـان رزقه في الحراثة والزراعة على قدر استطاعته يصـعد إلى فـرع النخلـة وينـزل مـن

ثمرها حتى تصدعت يداه ورجلاه في طلب المعيشة ليستغني عن الناس وكان عليه عباءة بيضاء لا تساوي عشرين درهماً قد لبسها ومر عليها عشر سنين وليس ذلك عن قلة ولكنه متواضع ويصدع بالحق لا تأخذه لومة لائم وإذا أخذ في الخطبة والوعظ والإرشاد فإنها تكاد تفصم أوصاله مما يجده من فشو المخالفات والإكباب على الدنيا وذهاب الصالحين بصوت عالٍ جميل وترتيل وتخنقه العبرة ويحشرج صدره غير أنه يتمالك فلا يظهر منه ما يجرح العواطف ويسيء السمعة وذلك لسعة عقله وحسن معالجته للمشاكل فلا يؤذى بموعظته على جهة التخصيص بل كان لا يوجه أحداً بما يكره وهذه حالة النبي الأعظم في خطبه صلوات الله وسلامه عليه فإنه كان يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وما بال أقوام يفعلون كذا» ولا يعنيهم خشية أن يحصل لهم خجل واستحياء بين الناس وهذه هي الضالة المنشودة والغاية المطلوبة نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لحسن الإرشاد والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذا عكس ما كان يفعله العابد الزاهد أخونا في الله عبد الله بن محمد أبا الخيل فإنه زميل للمترجم ويجمعهما بلد واحد وكان عبد الله يغضب غضباً شديداً ويحمل في موعظته وإرشاده على المسافرين إلى مصر والشام والعراق حملة شعواء وعبارة جافة جداً وهو وإن كان مصيباً في ذلك ويقوم بعمل يشكر عليه غير أن المنحرفين قد لا يفيد فيهم العنف وقصة الحسن والحسين مع الشيخ الكبير الذي لا يحسن الوضوء معروفة ونصيحة الرسول عليه الصلاة والسلام وتوجيهه للرجل الذي أسلم وقال إني لا أترك الزنا مشهورة بحيث قبل إسلامه وبعدما لبث بين له الرسول مفاسد الزنا فعاهد الله على ترك الزنا وكذلك قصة صلة بن أشيم وعبد الله بن محمد بن عائشة معلومة ولما توفي الشيخ سليمان بن ناصر طلب مني أحد أنجاله أن أرثاه فكتبت هذه مرثية أنشأها الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عبيد العبد المحسن في الأخ في الله والمحب فيه سليمان بن ناصر بن سليمان السعوي قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه:

على علم أمسى رهين المقابر نريق دموعاً من جفون المحاجر

وحـــق لـــذي لـــب يـــديم بكـــاءه ... وحـق علـى الأحبـاب سـكب المـواطر
وحـق علـى الإخـوان يبكـوا وينـدبوا ... وحـــق علـــى قلـــب دهـــي بـــالفواقر
يريـــق دموعـــاً وكفهـــا مـــترادف ... لخطـب دهـى مـن معضـلات الزواجـر
فمـــا حـــل في ذا العـــام قـــط مصـيبة ... ورزء كفقـــــد للســـــليم الســـــرائر
لعشـــرين يومـــاً ثانيـــاً لجمادهـــا ... لســت مــن الســاعات في حــر هــاجر
ثمـــانٍ تلاهـــا مـــن ثمـــانين حجـــة ... ثـــلاث مـــئين بعـــد ألـــف لســـابر
فـــأعظم بهـــا هـــداً أصـــيبت معـــالم ... هنـــاك تعـــزى أمـــة مـــن معاشـــر
إمـــام بـــه أهـــل الفضـــائل قـــد قضـــوا ... واشـفوا علـى الفقـدان يـا عظـم بـاتر
وأعـــني بـــه مـــن كـــان لله مخلصـــاً ... تقيـــاً نقيـــاً صـــابراً ذا بصـــائر
أبـــا ناصـــر لقـــد قضـــى اليـــوم نحبـــه ... هلمـــوا بنـــا يـــا قـــوم نبكـــي للمفـــاخر
أبـــا ناصـــر أمســـى رهينـــاً للحـــدِه ... وســـاروا بـــه نحـــو القبـــور الـــدواثر
أبـــا ناصـــر هـــل كـــان إلا بقيـــة ... لقـــوم علـــى عهـــد وفـــوا بالتناصـــر
يـــدين بقـــال الله قـــال رســـوله ... وأقـــوال أهـــل الحـــق مـــن كـــل صـــابر
علـــى هـــذه الـــدنيا فلـــيس بعاشـــق ... ومـــا همـــه جمـــع وحـــب التكـــاثر
بلـــى إنـــه مُـــذ شـــب في العلـــم مولعـــاً ... بـــوعظ وإرشـــاد وكشـــف لضـــائر
يحـــب ذوي الإيمـــان طبعـــاً وفطـــرة ... ويـــبغض مـــن لا يرعـــوي عـــن جرائـــر
وكـــان لأهـــل الـــدين كهنـــاً ومعقـــلاً ... وثقـــلاً علـــى الأعـــداء أهـــل التنـــافر
لـــه في الـــولا بـــاع وفي الكـــره مثلـــه ... لقـــوم تولـــوا عـــن طريـــق المفـــاخر
وينشـــر للتوحيـــد في الخلـــق معلنـــاً ... يصـــيح بـــه فـــوق الربـــا والمنـــابر
ومـــا صـــده عـــن ذاك لومـــة لائـــم ... ولا خـــاف مخلوقـــاً عظـــيم البـــوادر
بقيـــة قـــوم عاهـــدوا الله وحـــده ... علـــى نصـــرة الإســـلام أعلـــى المفـــاخر
ينـــادون بالتوحيـــد جهـــراً بنيـــه ... ولم يثـــنهم عـــن ديـــنهم كـــل زاجـــر
وكـــان لعمـــري آيـــة في ثباتـــه ... علـــى الحـــق والإيمـــان غـــير مقـــامر
يجـــادل في الحـــق المـــبين تبصـــراً ... ويرشـــد حيرانـــاً بحكمـــة ســـابر

ويفــتح في حســن الدعايــة جهــده قلوبــاً لعمــري مقفــلات البصــائر
يخــالط خلــق الله لــيس بمعجــب بآرائــه فعــل الغــواة الأخاســر
ويصــبر فيمــا قــد دهــى مــن جهــولهم يريــد مــن المــولى جزيــل المــآثر
علــى حســن أخــلاق ولــين عريكــة أديــب أريــب لــيس يومــاً بطــائر
وقــد كــان في الأهــوال خــير مســاعد وكــان أخــاً في الله خــير مناصــر
لإن كــان في الــدنيا علــى خــير حالــة بعيــداً مــن الأهــواء ولــيس بغــادر
صــبوراً علــى أقــدار مــن جــل ذكــره ويــثني علــى المــولى مــديباً وشــاكر
فنرجــو لــه الزلفــى مــن الله والرضــا بــدار العلــى والله أقــدر قــادر
فيــا مــن لــه كــل الخلائــق قــد عنــت علــى عرشــه اســتوى علــيم الســرائر
ويــا مــن هــو الجبــار جــل جلالــه لــه الأخــذ والإعطــاء وجــبر الأكاســر
أنلــه الرضــا والعفــر فضــلاً ورحمــة ومــنَّ بإحســان لضــيف مجــاور
ألســت الــذي ربيتــه وخلقتــه وأنعمــت في أوقاتــه في التــذاكر
يخافــك دومــاً في الحيــاة وأنــه ليرجــوك في ذا الوقــت يــا خــير جــابر
وصــلّ إلهــي كلمــا هــل مــاطر ومــا اهتــزت الأغصــان في كــل زاهــر
وما انبعثت تبكــي علــى الأيــك طيرهــا ومــا حــج بيــت الله مــن كــل ســائر
علــى أحمــد أعلــى الأنــام وظيفــة وأفضــل مخلــوق شــفى البصــائر
وآل وأصــحاب ومــن كــان قابضــاً علــى إثــرهم في دينــه بالخناصــر

وفاة أمير القصيم سابقاً

ففيها في شهر ذي الحجة توفي الأمير مبارك بن مبيريك رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو الأمير العاقل البصير المحبوب الذي أعماله مشتقة من اسمه مبارك بن ناصر بن عبد الله بن مبيريك أبو صالح الذي شهرته تغني عن ذكره وكان فيه مؤهلات قضت له أن أوسد إليه الأعمال فقد انتدبه الملك عبد العزيز لزيارة تركيا صحبه صالح العذل سنة (١٣٢٤هـ) وفي صحبتهما محمد بن دافع من أهالي عنيزة

ومحمد بن حمدان مدير مالية بريدة وقد أشرنا إلى ذلك في تلك السنة ولد الأمير مبارك عام (١٢٩٩هـ)، وكان عاقلاً رزيناً مدارياً، له سمت عظيم ثم ولاه الملك عبد العزيز إمارة القصيم وكان في قصر الحكم في بريدة وكيلاً بالنيابة لما نقل الأمير عبد العزيز بن مساعد إلى إمارة حائل، وذلك في عام (١٣٤٠هـ) فقام بهذه الوظيفة خير قيام ولبث في الإمارة فيها موضع الإعجاب إلى عام (١٣٤٦هـ) حيث أنها لما تطورت مشكلة الدويش وابن بجاد ومن تبعهما من البادية فجعلت الحكومة في إمارة القصيم الأمير مشاري بن جلوي لأنها مركز الدائرة ولأن تلك المنطقة كانت مهددة من أولئك الأشقياء ولما زالت تلك السحابة وتوفي الأمير مشاري رحمه الله وولي بعده تركي بن عبد العزيز بن ذعار لم يلبث في الإمارة إلا يسيراً بحيث أعيد الأمير مبارك إلى الإمارة فيها وذلك في آخر سنة (١٣٤٨هـ) فباشر عمله فيها وكان حليماً عاقلاً فاستمر في الإمارة ست سنين لم يشاغب ولم يحدث في إمارته تشويش ثم نقل وجعل مكانه الأمير عبد الله بن فيصل بن فرحان وذلك في سنة (١٣٥٤هـ).

وكان المترجم أسمر اللون طوالاً عليه آثار السيادة والرجولة لا يضحك ولا يمزح ولا يغضب ومرضياً للجميع ويذكر بالحلم والصفح مع هيبة ووقار رأيته في سنة (١٣٤٦هـ) وقد خرج لاستقبال صاحب الجلالة لما قدم لمهمة الغزو فكان ممتطياً الفرس ميمماً روضة الربيعية عليه زبون من الكشمير فوق القميص والشال الصوفي المزركش وأرخى السراويل الذي خرجت أكمامه من أسفل والعقال على رأسه ورأيته قبل وفاته بسنتين إلى جانب فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز في بيت الشيخ بالرياض فسلم علي لما عرفه بي فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز.

عفوه وتجاوزه

خرج مرة في الساعة الرابعة ليلاً من دعوة أحد الأعيان ومعه أحد رجاله فرأى أحمالاً في الماقفة في بريدة في طريقه إلى القصر كان أصحابها قد هربوها وهي من البن والهيل فلما رأوا الأمير وجلوا وسقط في أيديهم ووجموا عن الكلام فوقف

عليها وجعل ينكتها بالعصا ويقول هذا كرمع (قرض) فزال الخوف عنهم وقالوا نعم يا طويل العمر فهمس الخادم بأذنه يقول إنها قهوة وهيل فقال اسكت فمن سألك وذهب كأن لم يرها فهنيئاً لك يا أبا صالح وأمن الله خوفك وهكذا الرجال يعفون مع القدرة.

ومن عطفه ورأفته التي سيجازيه الله عليها أنه نزل عليه أوامر من جلالة الملك بأن يقبض على رجل يدعى جميعان قدم إلى قرية من قرى القصيم فيسجنه ويصادر أمواله ذلك بأنها تكررت تهريباته ومخالفاته فسأل عن بيته وأمر الخدم والرجال أن يقبضوا عليه في وقت صلاة الفجر ثم ركب الفرس على خفية بعد صلاة العشاء الآخرة حتى طرق الباب عليه في قريته وقال له انجُ بنفسك أتعرفني قال نعم وأشكرك فأخبره بأنها نزلت عليه الأوامر من سيده ولا يسعه إلا تنفيذها وأرشده بأن يوزع البضاعة عند معارفه ويخرجها من بيته في ليلته ويفر إلى جهة غير معلومة فقام الرجل من فوره يسعى في خلاص نفسه لأنه إن وجد فإنه سيعاقب بما يستحقه من التأديب في نفسه وماله ونجى تحت ظلام الليل، ولما أن جرى التفتيش امتثالاً للأوامر في الوقت المعين كتب المحضر بأنه ليس موجوداً ولم يكن في بيته شيء هذا شيء من رحمته وعطفه ونزل عليه أمر من أحد أمراء البيت المالك بأن البندقية الموجودة بيد فلان قد سرقت من أحد رجالنا فاقبضها وكان هذا الرجل الموجودة بيده يدعى عبد الله بن علي الحمادي من أطايب الرجال فدعى به وقال يا ولدي هكذا جرى وإن فيصل بن عبد العزيز أقوى مني ومنك فأجاب بأنه لم يسرقها وإنما اشتراها بحر ماله من أعرابي بحضرة شهود فقال نعم، ولكن ما هو اسم ابنك فأجاب بقوله اسه صالح فقال يا أبا صالح أخبرتك بأن فلان ضلع حديد إن سقط علينا أهلكنا وإن سقطنا عليه هلكنا ولا بد من حضورها وسنعوضك بعض الشيء ونبعث لسمو الأمير يعوضك البقية إن شاء الله فقبضها ودفعها مرضياً لصاحبها فكان الرجل يمتدح الأمير ويثني عليه بحسن تصرفه، وقد أنجب أولاداً فمهم صالح النجل الأكبر وكان رصيناً عاقلاً ويجعله والده بالوكالة عنه إذا غاب وكان موظفاً

في مالية بريدة وعبد الله وعبد العزيز وناصر وسعد وقد توفي الأخير في حياة والـده وله أسباط من بناته منهم مدير المعهد الزراعي في القصيم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالعزيز بن مشيقح كان شاباً أديباً ومن أسباطه بعض أبناء سليمان بن علـي بـن حجي صاحب الأدب والرجولة في مدينة بريدة وكان مزارعاً في الجهات القريبة من بريدة وكان عمر المتوفى يناهز التسعين فالله المستعان.

وفيها وفاة الأديب المصري حبيب جامالي وقد أقيم له مأتم هناك كـبير اشـترك فيه جمهور كبير وكان مشتغلاً بالصحافة وكاتباً ومحرراً في مجلة المقطف ثم انتقـل إلى مجلة الهلال ثم شمل نشاطه الأدبي والصحفي جميـع صـحف دار الهـلال كـالاثنين والمصور وحواء وإيماج وكانت وفاته عن عمر يناهز السبعين قضى منهـا أكثـر مـن نصف قرن يعمل في الصحافة المصرية.

أخبار عن وزير الدولة شلهوب

ننقل ما أثبته الريحاني وغيره من المؤرخين بـالمعنى كـان شـلهوب واسمـه أبـو صالح محمد بن صالح بن شلهوب وزير الدولة ثلاثاً وأربعين سنة ولا يـزال حتـى هذه السنة يتقلب بالمرح والسرور مع تقدمه في السن فهو يهزأ بروح الشـباب مـرح ضاحك روحه شابة بل وأكثر من ذلك يجمع أبنائه ليحـدثهم عـن ذكرياتـه الحلـوة ويضحك مع الجميع صغيراً وكبيراً وكان طويـل القامـة هـذه صـفته يقـول: (بعـد منتصف الليل نشعل الشمعدان ونعد السـجادة والمصـحف للملـك عبـد العزيـز) ويقول عن حياته مع الملك: (ملأت المزاود بالحصا والجبخان للتخلص مما نحن فيه) ما هو شلهوب كان يجلس على الكرسي الكنب وعليه شماغ وعقال وبشـت وقـد أرخى وجهه وضم فمه مرور السنين وتقدم السن غير أنه في حديثه ملتفتاً متشـجعاً كأنه الصقر فيقول جميع الأشياء في الماليـة مرتبطـة في وهـذه كلـها مـن مهمـاتي في الدولة الشابة آنذاك الأمر يتحول رأساً من الملك عبد العزيز إلي ويقول عنه المؤرخ أمين الريحاني هو وزير المالية ووزير التموين عند السلطان عبد العزيز، وما الـوزارة

هناك غير صدى الإرادة السلطانية وآلة من آلات أحكامها إلا أن الشلهوب هو علم الشيوخ فيه عذاب وفيه خلاص وفيه إخلاص ولا ريب فيه مهماته متعددة تشمل الكبيرة والصغيرة من المدفع إلى عود الكبريت فهو يتولى أمر التوزيع العام الشامل يوزع الحطب ويوزع السمن ويوزع المال طريقته في الإدارة أولية يدوية وحساباته قروية قال لا فض فوه الذي يجيء نقيده والذي يروح نقيده والنتيجة لا شيء وليس في طريقته محاباة وتفضيل طوف بي ذات يوم في مخازنه فدهشت لما في ذمته من الأموال وفي ذاكرته من الأشياء هذا مخزن السلاح والذخيرة، وهذا بيت التموين وهذه الخوابي صنع الهند للسمن، وهذا التِمن[1] الأرز مئات من الأكياس مرصوصة بعضها فوق بعض ثم أدخلني غرفة كبيرة ذكرتني بمخازن الرهون بلندن وبنيويورك كل ما فيها مهمل مجهول ومكدس بعضه فوق بعض سألت شلهوب عنها فقال غنمناها في إحدى المواقع ولا أدري ما فيها هذا هو الشلهوب رجل الدولة كل شيء في الدولة يصرفها بعد أمر السلطان عبد العزيز ويواصل الأستاذ الريحاني يقول: مثل يوسف في مصر ادفع يا شلهوب وزع يا شلهوب رأيت العربان والإخوان ينتظرون في الرواق وشلهوب جالس وراء منضدته يعد الروبيات وإخوانه في المخازن حوله يوزعون الثياب وكنت أرى كل يوم عند غروب الشمس صفاً طويلاً من العبيد ساسة الخيل كل يحمل وعاءه ينتظر عند باب من أبواب شلهوب ليملأه شعيراً، إن لشلهوب منازل كثيرة ومهمات متعددة هو مثل يوسف في مصر الفراعنة ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾، ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ إلى آخر كلامه. نعم إنه رجل الدولة وأدى واجباً يشكر عليه، حدثني أحد الإخوان من أهل الرياض وكان ثقة رزيناً قال: دخلتُ مع الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ على شلهوب للزيارة في بيته فجلس يتحدث معنا وجعل يقص علينا أياماً مضت بينه وبين الملك عبد العزيز حيث كان ينفذ أوامر الملك،

---

(١) التمن بكسر التاء المثناة وتشديد الميم المفتوحة نوع من الأرز رديء يأكلونه.

قال كنت أختال إذا لم يكن في الخزائن شيء وأستسلف من التجار فدعى بي مرة وقال يا شلهوب هذا ابن عائض قدم من الجنوب وهو من الأعيان ولا أقل من مائتي جنيه ذهباً فاعتذرت بأنها غير موجودة يا طويل العمر، فقال يا شلهوب التفت يمنة ويسرة لعل الله أن يأتي برزق من هنا أو هناك، قال: فأخذت صندوقاً من الخشب وملأته حصاً وذهبت به إلى غني في الرياض وقلت له نريد مائتي جنيه وهذه خمسة آلاف من الجنيهات في هذا الصندوق إننا نخشى فتحه فكل نجل من الأنجال والأقرباء يستشرف لحقه فتذهب جميعاً فنرجو سلفة مايتين وترهن الصندوق فناولنيها وأدخل الصندوق في مخزنه وبعد مضي ثلاثة شهور جئته بها وأخذت الصندوق وما علم بما فيه، ولقد دخلتُ عليه مرة بعد العصر وقد أرخى الشماغ على وجهه وهو يتلو القرآن من المصحف ويبكي فسألته عن ذلك البكاء فقال يا شلهوب إن الوالدة سألتني خرجية قليلة وليست عندي فالتفت يمنة ويسرة يا شلهوب فعملت حيلة حتى حصلت عليها كما أن المكافآت التي تصرف لطلاب العلم يتولى صرفها وقد يتأخر الصرف فيقفون للملك ويشكون عليه فيأمرهم أن يراجعوا شلهوب.

وفيها في سابع ذي القعدة أصدر الملك فيصل بن عبد العزيز أمره السامي بتشكيل لجنة ثلاثية لدراسة أوضاع السيول في المنطقة الغربية والجنوبية فقامت اللجنة تباشر مهمتها في جدة ومكة لأنها هطلت يوم الأربعاء الموافق ٤ ذي القعدة من هذه السنة أمطار وسيول جارفة لم تشهد لها مثيلاً منذ ثلاثين عاماً استمر هطول الأمطار أكثر من ثلاث ساعات ونصف متواصلة داهمت السيول جميع الشوارع والطرق وغمرتها بالمياه وقد شلت حركة السير في الشوارع وانصرف الطلاب وموظفو المصالح والمؤسسات والدوائر إلى منازلهم وخلت الشوارع من المارة بعدما كانت مياه السيول تتدفق بغزارة من شرقي مدينة جدة وقد تهدمت بعض الدور القديمة وارتفع منسوب مياه السيول في الشوارع فجأة مما تعذر معه السير ولا تزال مياه السيول راكدة في بعض المناطق وقام أمير مكة المكرمة مشعل بن عبد العزيز حفظه الله بالإشراف شخصياً على أعمال الإنقاذ في شوارع مكة والطريق إلى جدة

وأمر بتجنيد كافة الإمكانيات لشفط المياه من المسجد الحرام وبذل رئيس البلديات جهوداً في ذلك وكان يتصل بالرياض هاتفياً لمتابعة الأوضاع وقد وقعت عدة حوادث من جراء هذه السيول بحيث انهار عدد من المنازل القديمة وتقلبت سيارات ولم ينفتح الطريق بين مكة وجدة إلا بعد جهد شديد لأن الرمال والحجارة قد غطت خط الإسفلت وخلفت هذه السيول بعدها حفراً ومطبات في شوارع جدة.

وفيها في وقت العصر من يوم العشرين من شعبان وصل إمبراطور إيران الشاهنشاه محمد رضا بهلوي إلى المملكة العربية السعودية زائراً وكانت زيارة أريا مهر لتوطيد الصلات وتبادل الرأي والمحبة لما سيكون في صالح قضية العرب وقد استقبل استقبالاً عظيماً في جدة وأطلقت له المدفعية إحدى وعشرين طلقة.

وفي ٨/٢ قام وزير المعارف ووزير الصحة بالنيابة حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ بزيارة لمنطقة القصيم لتفقد سير الدراسة وتفقد مستشفى بريدة فأقيم فيه احتفال رائع في بريدة وأقام له أمير منطقة القصيم سعود بن هذلول حفل عشاء تكريمي كما أقامت مدارس القصيم حفلات أخرى وقد اشتملت زيارته على مدينة بريدة وعنيزة والرستور البكيرية وقد قام بجولات تفقدية وفي يوم الجمعة ٨/٢٤ سار إلى منطقة الأفلاج إلى منطقة السليل وإلى وادي الدواسر.

مصائب تنزل بالعالم

إن العالم البشري يكابد آلاماً من المصائب في هذه الآونة فمن هذه المصائب التي لم توفق لحل ما أصبح به أهل فلسطين في وضعهم ذلك من هذه المجازر الدموية بينها وبين اليهود ولحقت الأضرار بالقدس والأردن ومصر والعراق وسوريا وتكلفت الجهات الأخرى بالنفقات ليقفوا أمام هذا التيار الجارف بالشر والويلات ولا ننسى المأساة التي جرت في لبنان فوالله لو كانت هذه الدماء تهراق من الكلاب والخنازير أو من أخس الحيوانات مثلاً لكان من يستطيع وضع حد لها ولا يقوم بذلك قد عدم الرحمة والإنسانية وكذلك حرب فيتنام وما سببت من

الأضرار الوحشية بحيث استمرت طوال هذه السنين والطائرات تضرب وتدمر وتفسد وتخرب وضحايا هذه الحرب قد جاوزت العد والحسبان وقد تهدمت الأماكن وتخربت الطرق وأصبح أهل تلك المناطق في حالة يرثى لها وكان نصيب مجلس الأمن أن يقف موقف المتفرج فلا وساطة ولا صلح ولا قدرة لإيقاف المعتدي فما فائدة هذا المجلس الذي هو اسم لا حقيقة ولا يدير الأمور بنفسه إنما تدمره الأيادي العاملة لهواها ومصالحها وكذلك ما جرى في نيجيريا من الحرب المشؤومة التي تركت غالب الأهالي عراة جياعاً لا يجدون ما يسدون به رمقهم ولا ما يسترون به عوراتهم حتى هلكت أطفالهم جوعاً وأكلوا الجرذان والجيف ولم يزالوا صامدين حتى كتب لهم النصر واستقلت بيافرا وهذا من عقوبات الله الدنيوية بحيث سلط الله بعضهم على بعض فأصبحوا يتاجرون وكان بأسهم بينهم، وكذلك ما جرى على اليمن من العذاب والتخريب والتقتيل والعبث بالأهالي المدنيين الآمنين فعياذاً بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، هذا ولا ننسى ما جرى بين الجزائريين وبين فرنسا من تلك الحروب التي تركت الذراري أرامل والوالدين ثكالاً واستمرت الحال بضع سنين حتى كتب لهم النصر بعد جهاد مرير وواصلوا القتال لإحدى الحسنيين الشهادة أو الظفر كما قيل:

لا تسقني ماء الحياة بذلة … بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كهنم … وجهنم بالعز أطيب منزل

وفي هيروشيما يقيمون المأتم في كل سنة عند ذكرى الضربة الساحقة الماحقة التي سببتها القنبلة الذرية في مدينتهم لما رمتها بها أمريكا بتدبير (ترومان) بحيث أهلكت ٧٨١٥٠ قتيلاً وجرحت وشوهت مائة ألف وعشرين ألفاً وذلك في ٦ آب (١٩٤٥م/ ١٣٦٤هـ) وكذلك الحرب في كوريا وما جرى من الشيوعيين بحيث تجلت عن قتل اثنين وعشرين ألف أمريكي وماتين وتسعة وجرح واحد وتسعين ألف جريح وسبعمائة وثلاثة وفقد عشرة آلاف وثمانمائة وخمسة عشر وبلغت خسائر الشيوعيين مليون وستمائة وتسعة وخمسين ألفاً وكذلك ما جرى في مصر

وسوريا من تقتيل العلماء والتشهير بالأولياء وما يعامل به الإخوان المسلمون هناك وهنا في هذه السنة تقع تلك الفظائع بأهالي فلسطين وما جاورها.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها ولدت امرأة طفلة لها رأسان وأربع أيدي كان هذا الرأس الزائد في يمين صدر البنت بعينين وأنف وأذنين وهو من قفاه إلى الأرض ووجهه إلى جهة الفوق على صفة الوجه الأصلي والله على كل شيء قدير وهذه أغرب ظاهرة ولادة تشهدها المملكة حدثت هذه الولادة في مدينة الرياض في شهر رجب وسميت المولودة سعاد وهي حية ترزق لها رأسان ملتصقان بالصدر برقبتين وأحد الرأسين كامل النمو واضح المعالم ذو عينين واسعتين وأنف عادي، وأما الوجه الآخر فيبدو فيه التشويه وهو مواجه للرأس الآخر ولا يلتصق به أما الأعضاء فللطفلة رجلان اثنتان، وكما قدمنا.

فيها حدثت هزات أرضية في إيران واستمرت الزلازل حتى ذكر الإحصائيون هناك أنه بلغ عدد القتلى اثني عشر ألفاً وعدد الجرحى ثمانية آلاف جريح وبلغ عدد المشردين سبعين ألفاً ولا يزال الزلازل حتى يوم الخميس ١٩ جمادى الثانية ابتداءً من ١٣ الشهر المذكور تهز الأرض في منطقة خراسان وأصيبت قريتا فردوس وطفس بحيث لم يبق في تلك المنطقة بناء واحد يخشى سقوطه لأن عامة الأبنية قد زالت من الوجود، وقام شاه إيران (أريا مهر) وزوجته بجولة تفقدية وقضيا الليل هناك يشرفان على أعمال الإنقاذ ويتفقدان الأسر المصابة ويصدران الأوامر والتوجيهات اللازمة من أجل إغاثة الجرحى والمشردين كما أن دولة رئيس الوزراء ووزير البلاط الدكتور علم وعدداً آخر من الوزراء شوهدوا هناك للتفقد وأقمت جمعية الأسد والشمس الأحمرين مستوصفات سيارة لإغاثة الجرحى ومستشفيين صحراويين وتستمر طائرات الجيش في إلقاء سيل من الأطعمة والأدوية من الجو فوق القرى المنكوبة وأعلنت الوزارة تقرير جمع التبرعات والمساعدات وتبرعت الملكة الوالدة بمليون ريال وخصصت الحكومة مبلغ مالي مليون ريال لإعادة تعمير

المناطق المصابة وتجديد بنائها كذلك تبرع جيمع أفراد الجيش من ضباط وجنود بيوم من رواتبهم وكانت قرية تدعى سربايان قد قتل جميع سكانها تقريباً ويبلغ عددهم ١٥٠٠ وقد ارتفعت صرخات الأمم ونداءات تفتت الأكباد مطالبة بإعادة المنازل المهدمة وألقت نساء باكيات أنفسهن عند أقدام الشاه فوعد بالقيام بما يرام وواصلت الطائرات عملية إسقاط العقاقير الطبية والخيام والأغذية فوق المناطق المنكوبة طوال ساعات اليوم الرابع والعشرين وبدأت مواد الإغاثة والأموال تتدفق على إيران المنكوبة من مختلف أنحاء العالم.

ذكر شيء من إصلاحات الملك فيصل

تقدم تكوين لجنة ثلاثية لإصلاح ما جرفته السيول وخربته وما نجم عن تلك الفادحة في الحجاز.

وفيها عزمت الحكومة السعودية على تشييد مستشفى أتوماتيكي في العاصمة الرياض وبلغت تكليف هذا المستشفى خمسة ملايين وخمسمائة ألف جنيه إسترليني ويمتاز هذا المستشفى بأحدث الأجهزة للمعاجلة بالأكسجين التي جاءت نتائج برنامج فيكرز للأبحاث وأجهزة المعالجة وتساند المرضى على البقاء على قيد الحياة بعد العمليات الجراحية الكبرى، وستقوم مجموعة شركات فيكرز الطبية البريطانية بتصميم هذا المستشفى الأوتوماتيكي وبنائه، هذا وقد أقيم مشروع مياه الرياض وتقدر تكاليفه بحوالي تسعين مليون ريال أن مدينة الرياض قد أخذت في التطور ولضخامة السير فيها جعلت جسور وكَباري للزحمة فيها وكانت مترامية الأطراف متسعة الأرجاء حتى حدثني من سافر إلى الغرب أنها تعتبر ثاني مدينة بعد لندن ومن نظر في تلك الحارات فيها ومواضع النزهة والحدائق وسعة الشوارع وما تحتوي عليه من الأشجار والنخيل وما أقيم فيها من المساجد والجوامع والمدارس والمعاهد والكليات والثانويات والمستشفيات والمستوصفات والفنادق والقصور الملكية والوزارات والسفارات فإنه يعلم علم اليقين أنها الوحيدة في الشرق الأوسط والجزيرة.

ثم دخلت سنة (١٣٨٩هـ)

استهلت هذه السنة والعرب في اشتباكاتها مع إسرائيل وقد لحقت خسائر بالأردن واستهدفت عمان لضربات إسرائيل كما قد أصيبت سوريا ومصر بغارات مقلقة وقد طرد ستة وخمسون ألف سوري عن أراضيهم التي استولت عليها اليهود خلال عدوانها الأخير على سوريا، ولجأ إلى الضفة الشرقية من اللاجئين مائتا ألف أردني وخمسة آلاف لجأوا في لبنان لحقهم تسعة آلاف فمايتان وسبعون ألفاً من العرب أصبحوا مشردين بلا مأوى السماء غطاؤهم والأرض فراشهم، واستعملت اليهود في سيناء قنابل النابالم فاحترق منها تسعون جندياً وقد بعث إلى أناس من المنتدبين للدراسة في عمان بمدرسة الشوبك الزراعية الثانوية يروون ما أصبحوا فيه من الأهوال وأحاط بهم من الأخطار قالوا إننا ندرس بوادي اليابس وعلى الخط الأول من إطلاق النار لقد لبثنا في هذا المكان مدة شهور وفي آخرها كثرت الاشتباكات عندنا وكنا معرضين للخطر حيث أنه ردم القرى المجاورة لنا يميناً وشمالاً ولم يبق إلا مكاننا بالضبط وخلال هذه الاعتداءات كنا نعيش في الجبال والخنادق والملاجئ حيث أنه في آخر الوقت استمرت طائرات العدو تقصف منطقتنا بالضبط حيث أننا مرات نوقن باليأس من الحياة وذلك من القنابل والمدافع واستمرت هذه الحالة لمدة أكثر من أسبوعين والدراسة عطلت أسباب عدم حضور المدرسين من هذه المخاوف والطلاب يعيشون في الجبال والمغارات وبعض منهم هاجروا إلى المدن وأصبحنا مشتتين هذا كله حصل في عشر ذي الحجة وعند قرب العيد بيومين سمعنا بوقوع أخطار على مكاننا بالضبط وكل المزارعين وأهل الأملاك هاجروا فهاجرنا مثلهم إلى المدن نقضي أيام العيد وفي ليلة عيد الأضحى استمر العدو بالقصف على مكاننا باليابس ونتيجة ذلك قتل ستة أشخاص وجرح كثيرون من جيراننا اجمل البيوت. وفي صباح العيد كانت تقربة ودفن أموات ولا نستطيع بالليل الجلوس في البيت لا بد نكون في خندق أو مغارة في الجبال أو نختبئ

بأي طريقة كانت هذا ولا تزال الطائرات فوق رؤوسنا تدور وقد وصلت بنا الأحوال إلى شكل ما أحد يتصوره ولكن والحمد لله مقسوم لنا بقية حياة مهما كانت الأخطار وبعد هذا بأيام سمعنا وأخبرنا أن فيه تحشدات وكنا نشاهدها أمامنا على بعد خمس كيلو غرباً ثم استمر يصف قصف الطائرات اليهودية فقال إنها تقدمت أربع طائرات يهودية فاستمرت تقصف إحدى المدن التي حوالينا حتى كانت الأرض كأنما أصيبت بالزلزال هدموا العمائر وحطموا الآلات والسيارات كلها فكنت لا تعرف حطائم العمائر من حطائم السيارات ونحن قد ساد علينا القلق والخوف الشديد وبعد عدة مرات نوقن باليأس من الحياة واستمرت هذه الأحوال هائجة مائجة.

عدوان صارخ أثيم

المسجد الأقصى يحرق بالنار لما كان في يوم الخميس الموافق ٨/٦ من هذه السنة عمل اليهود عملاً لا تستك له أسماع المؤمنين وتنكره فطر العالمين ذلك بأن اليهود حرقوا المسجد الأقصى وقع الحريق في جهته الجنوبية الشرقية وتجرؤوا هذه الجراءة العظمى ولما جرت تلك الجريمة الشنعاء اهتز لها العالم الإسلامي وشارك رجال الدين المسيحي العرب والإسلام في استنكار الحادث وصاحوا بأنه حادث جلل وعقدت على الفور اجتماعات طارئة في معظم العواصم العربية والأجنبية لدراسة نتائج الحادث وبكل حال فإن الله تعالى وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة لم ينتقم من أعداء الله وأعداء رسله ولم يأذن بنصر للعرب حتى كتابة هذه الأحرف، وهذا النصر ليس مجرد الإذاعات والأقوال فقط إنما النصر هو سحق اليهود وطردهم وقتلهم حيثما وجدوا وأخذهم وحصرهم ولا بد إن شاء الله من أن ينصر الله المسلمين والعرب وكان ذلك اليوم يوافق ٢١ أغسطس (١٩٦٩م). قال الأستاذ غازي فتحي محمد سليم أحد المنتدبين للتدريس في السعودية من فلسطين هذه القصيدة وأهداها إليّ يشكو زمانه وما توصلت الأحوال إليه:

كيـف السـبيل إلى السـعادة والربـى ... عاشــت بهـــا الأنـــذال والجبنـــاء
كيـف السـبيل إلى النعـيم وأرضنـا ... تاهــت بهـــا الكفـــار والســـفهاء
كيـــف الســـبيل إلى ســـعادتنا ولم ... تشـــمل عـــدوي غـــارة شـــهواء
تـنقض مضـجع جيشــه وجنــوده ... وتفـــر رعبـــاً غـــادة غـــذراء
والكهـل يشـكو صـارخاً ومولــولاً ... يبغـــي فـــراراً لـــيس منـــه نجـــاء
والأم تـــذهل عـــن صـــغار رضـــع ... لم يجـــدها يـــوم الفـــرار عنـــاء
فتعـــوم أرض بالـــدماء وترتـــوي ... مـــن غلـــة الصـــادي بهـــا الآبـــاء
والجنـــد تقتـــل بكـــرة وعشـــية ... وحـــريمهم خـــدم لنـــا وإمـــاء
يـــا مســـجد الأقصـــى وأول قبلـــة ... جابـــت حمـــاك رجالنـــا البســـلاء
حـــرم الخليـــل أتتـــك جنـــد محمـــد ... جـــاءوك شـــعثاً مـــا بهـــم خـــيلاء
وغـــدت زحـــوف المســـلمين منارهـــا ... ديـــن وبـــر والوفـــاء وفـــاء
ويظلـــها التوحيـــد لـــيس يضـــيرها ... أســـطولهم وعنـــادهم وفضـــاء
الله أكـــبر صـــيحة جبـــارة ... إن أطلقـــت خـــرت لهـــا ســـيناء
الله أكـــبر تمـــلأ الـــدنيا بهـــا ... رعبـــاً تخـــر لهولهـــا الجـــوزاء
وتزلزلـــت أركـــان صـــهيون لهـــا ... وتصـــدعت جنباتـــه الركنـــاء
يكفيـــك إســـرائيل منـــا نومـــة ... طالـــت وطـــال جحيمهـــا وشـــقاء
هـــذي جحافلنـــا بمعـــترك الوغـــا ... ضـــجت بهـــا أرض وضـــج سمـــاء

وقال مسلم غيور من موظفي المعهد العلمي ببريدة:

أتطفـــئ نـــور الله نفخـــة كـــافر ... تعـــالى الـــذي بالكبريـــاء تفـــردا
إذا جلجلـــت الله أكـــبر في الوغـــا ... تجادلـت الأصـوات غـرد لـك النـدا
هنـاك التقـى الجمعـان جمـع يقـوده ... غـــرور أبـــي جهـــل كهـــرٍ تأســـدا
وجمـــع عليـــه مـــن هـــداه مهابـــة ... وحاديـه بالآيـات في الصـبر قـد حـدا
وشمـر خـير الخلـق عـن سـاعد النـدا ... وهـــز علـــى رأس الطغـــاة المهنـــدا
وجبريـــل في الأفـــق القريـــب يكـــبر ... ليلقى الونـا والرعـب في أنفـس العـدا

وسرعان ما فرت قريش يجمعها وعاتت أبا جهل هناك ممدا
منكسة الرايات مغلولة العرى جريحة كبر قد طغى فتبددا

ولما أن جرى من اليهود ذلك الإجرام وهو تحريق المسجد الأقصى قام العرب وفقدوا وبعثوا صرخاتهم إلى العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها ورن صداء هذه الجريمة وطلبوا إنقاذ ثالث المسجدين وأولى القبلتين وطالبوا بحقوق المسلمين ومقدساتهم وحقوق الإسلام وطار صدى هذه الفعلة الذميمة والجريمة الشنيعة واهتم لذلك العاهل السعودي ملك المملكة العربية السعودية فيصل بن عبد العزيز ووجه نداء دعا فيه إلى الجهاد المقدس ثم توالت النداءات والتصريحات من كافة أرجاء الوطن الإسلامي الكبير من باكستان والصومال وتونس وتركيا وماليزيا وكشمير وموريتانيا وسيلان وقطر والكويت وقد لبى نداء الملك فيصل بن عبد العزيز سائر دول الإسلام وانهالت برقيات التأييد وهذه برقية من وزير الدفاع سلطان بن عبد العزيز (حضرة صاحب الجلالة مولاي القائد الأعلى للقوات المسلحة الملك فيصل بن عبد العزيز المعظم يتشرف الخادم بأن يرفع إلى علم جلالتكم بأنه ما أن سمعت قوات جلالتكم المسلحة للنداء الذي أعلنتموه بشرف الجهاد في سبيل الله بغية تخليص المقدسات في فلسطين المحتلة وحمايتها من بغي الظالمين المعتدين حتى انهالت علينا مئات البرقيات من رئيس أركان حرب الجيش وجميع قادة المناطق والأسلحة المختلفة في كافة أنحاء المملكة العربية السعودية وقد هبوا جميعاً لتلبية النداء وتأييد الدعوة التي تمتثلون فيها لأمر الله وتنصرون فيها دين الله وتعلون بها كلمة الحق ولواء التوحيد وهم بهذا إنما يعبرون لقائدهم ولمليكهم عن شعور إسلامي صادق وعقيدة راسخة متينة في ولاء وإخلاص لنتاج المفدى وللوطن العزيز أعز الله الإسلام ونصر المسلمين وحفظ جلالتكم وأيدكم بالنصر والتوفيق مولاي المعظم. سلطان بن عبد العزيز).

فأجابه الملك شاكراً لهذا الاستعداد وقال في الجواب أبلغوا الجيش العربي أن يكونوا دوماً على أهبة الاستعداد ليوم الجهاد بعد أن طال الانتظار وبعد المصير الإمضاء فيصل.

أما ما كان عن إسرائيل أو اليهود فإنها زعمت بأنها لم تقدم على حريق المسجد الأقصى وأنه لا يمكن أن يصدق بهذا إنسان في رأسه قليل من عقل وإنما جرى الاحتراق بقضية التماس كهربائي ثم عدلت عن هذا وزعمت أن شاباً مسيحياً أسترالياً خجولاً يحمل الإنجيل معه ويقرأه طوال الليل وآناء النهار من أتباع كنيسة الله وهم جماعة بروتستانتية متطرفة هو الذي قام بهذا العمل الإجرامي وأن هذا الشاب قضى بضعة أشهر في إسرائيل ويعمل في إحدى المستعمرات بالقرب من تل أبيب! أما عن الحسين بن طلال ملك الأردن فكما قيل:

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها   وإن شمرت يوماً به الحرب شمرا
كليث هزبر كان يحمي ذماره   رمته المنايا قصدها فتقطرا

وكان قد تقدم من اليهود في مستهل هذه السنة أعمال سيئة ففي ١٣ محرم أصيبت العرب بمحن منها واعتقل ١٢٠٠ ما بين شاب وفتاة في القدس ضمن حملة إرهابية شنتها سلطات الاحتلال وكذلك اعتقلت أربعين طالبة وفتاة ومن ضمن هؤلاء فتاة توفيت في إحدى السجون نتيجة التعذيب الذي تعرضت له على أيدي جنود الاحتلال، وكذلك اعتقلت سلطات الاحتلال أكثر من سبع عشر فتاة وشاباً من عائلة واحدة من ضمنهم شاب في العشرين من عمره وقد سئمت السلطات من تعذيبه وعدم اعترافه بالتهم الموجهة إليه فأخذوه إلى منزله وبدأ جنود الاحتلال بضربه أمام والدته العجوز وقد حاول الشاب القفز من نافذة المنزل فأطلق عليه الجنود النار وأصابوه بجروح مختلفة. هذه بعض من كل من قساوة اليهود وشدة عداوتهم للإسلام وأهله مما يدمي القلوب ويثير الأشجان ويبعث الأحزان ومما أنشده أحد الموتورين من هذه الأعمال في وقت عيد الفطر وأيامه:

في العيد يرقص كل قلب ناعم   إلا قلوباً بالعراء دوامي
اتخذت من الغبراء متفرشاً لها   وتسربلت بالعري والأسقام
تشكو ولكن لا يحس شكاتها   غير المليك الواحد العلام
تتعاقب المحن الشداد عليهم   كتعاقب الأيام والأعوام

قــد أثــرت تلــك المآســي فــيهم		شــــرقوا بــــدمعهم مـــن الآلام
هــم يــأكلون الجــوع مــن أملاقهــم		ويجرعـــون الـــذل كـــأس حمـــام
نثــروا كمــا ينثــر النجــوم وشــردوا		ســيقوا إلى البأســاء ســوق ســوام
كــم صــعدوا مــن حســرة ملتاعــة		قــد أضــرمت في القلــوب أي ضــرام
الـــبرد يلســـعهم ويلـــذع جســـمهم		يـــثير فـــيهم كـــامن الأســـقام
يـــا مســـلمون تفكـــروا إخـــوانكم		يتجرعـــــون مـــــرارة الأيــــام
وتفقـــدوا أحـــزانهم وشـــقاءهم		كـــي تكرمـــوا فـــيهم أبـــا الأيتـــام

أعمال الفدائيين

لما استولت اليهود على فلسطين بالقوة والقهر قام فدائيون كانوا موتورين من أفعال اليهود الذين سلبوهم أراضيهم وأموالهم وساموهم سوء العذاب فجعلوا ينتقمون من اليهود وكانت العرب تمدهم بالقوات والذخائر وتشجعهم ليسترجعوا أوطانهم فكان للفدائيين صولات ومغامرات للانتقام من اليهود ولا سيما إذا قامت الإذاعات العربية تحمسهم وتستجيشهم فيلقون بأنفسهم ويغامروا وكان لهم هيبة وأخافوا العدو..

نحـــن للـــدنيا دمـــاء خزنـــت		في جفـــون عينهـــا لم تحجـــب
فـــإذا مـــا صـــاح يومـــاً أمـــتي		جـــاوب الجـــرح بمـــاء ســـكب
أنـــت فينـــا يـــا فلســـطين هـــوى		رغـــم أنـــف الظـــلام المغتصـــب
وإذا العليـــاء أضـــيناها ا لظمـــا		نعصـــر الجـــرح يناديهـــا اشـــربي
قــد يمــوت المــوت قــد تفنــى الــدنا		حقنـــا في أرضـــنا لا يختـــبي

فقد قام الفدائيون بتنفيذ مائة عملية وعشر عمليات ناجحة داخل الأرض المحتلة وقتلوا وجرحوا حوالي ستمائة من جنود العدو ودمروا ثمانياً وثمانين ما بين دبابة وسيارة وكاسحة ألغام وعشرين محطة كهربائية مائية ومصنعين كبيرين ودمروا المبنى الرئيسي في مطار اللد وأشعلوا النار فيه ودمروا خمسة أبراج مراقبة ونسفوا

السكك الحديدية وجسوراً دمروها في ستة مناطق ودمروا أربعة عشر مدفعاً ثقيلاً ومتوسطاً وعشرة منشآت عسكرية ودمروا عدداً كبيراً من المنشآت، المدنية في عدة مستعمرات ومدن العدو ودمروا عدة منشآت بترولية بين خزانات وأنابيب وقتلوا وجرحوا آخرين وكان الفدائي يقذف نفسه في المهالك مما أحدث القلق والفزع في إسرائيل وملوا من تلك الحالة الراهنة وقامت مائة ألف وأربعون ألف عائلة في إسرائيل تطلب الهجرة من فلسطين لتعيش بسلام وأمن وعزموا على مغادرة منازلهم الأخيرة واللجوء إلى تل أبيب ذلك لأن أعضاء حركة التحرير الفلسطينية فتح شددت الوطأة بهجومها العنيف على حركة اليهود فقد توقف عدد كبير من مصانعها عن العمل بالنسف والتدمير وتخريب الآلات وأمسى الكثير من اليهود يفضلون سهراتهم في بيوتهم ومنازلهم لأن دور السينما والملاهي تعاني أزمة عمل عنيفة حتى أن الشوارع أصبحت خالية من جموع المشاة والمتنزهين في أيام العطل وساعات الراحة حيث أن جميع الإسرائيليين أصبحوا يعيشون في حالات عصبية مرهقة ولكن اليهود اقترحوا تعد ذلك بأن قابلوا تلك الأعمال بأن أخذوا الأدنى بالأقصى وقبضوا على بعض المدنيين الآمنين بجرائم غيرهم وكانوا يقبضون على الفلسطينيين بأعمال الفدائيين ولاحقوا أهالي فلسطين ملاحقة بكل وسيلة وبكل جهة كانوا، وهدموا مساكنهم وحملوهم على الرحيل من فلسطين ولم يكتفوا بذلك بل هاجموا لبنان وهاجموا حكومات المغرب بدعوى أن الفلسطينيين يلجؤون إليهم وحدثت زعازع واشتد أذاهم على أهل فلسطين معتقدين أن وجودهم يهدد أمن إسرائيل وسيأتي لذلك بقية إن شاء الله تعالى.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها في الساعة الحادية عشر غروبي من يوم الاثنين مساء ١٨/ ٢ هبت رياح شديدة في منطقة القصيم واقلعت بعض الحيطان وأخذت برجل قوي كان إذ ذاك في سطح بيته فألقته إلى بعد مسافة نصف كيلو واقتلعت أخرى فألقتها في أقاصي

الخبيب من موضعها حوالي خزان الماء أمام محطة التلغراف وكادت لقوتها أن تقلب بعض السيارات ويحدثنا الذين شاهدوها عن أمر عظيم.

إمارة فهد بن محمد بن عبد الرحمن

ففي هذه السنة اقتضت الإرادة الملكية بتعيين صاحب السمو فهد بن محمد بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أميراً على سائر مقاطعة القصيم فقدم بريدة في الساعة الثانية نهاراً من يوم الأربعاء ١٣/ ٧/ ١٣٨٩هـ وقام الأعيان يهرعون للسلام عليه والترحيب فلقوا من سموه حفاوة وتقديراً وقرر أوقاتاً للاجتماع بالعلماء والأعيان وعزل الأمير السابق سعود بن هذلول فرحل إلى الرياض بعدما أدى واجباً وسمعة طيبة وقام الأمير الجديد بزيارات وتفقدات للإمارات وطلب تأثيثاً لها.

وفيها في اليوم الرابع والعشرين الموافق للخميس من جمادي الأولى شهدت مدينة بريدة مهرجاناً كبيراً اشتركت فيه أندية منطقة القصيم كلها وهذا هو السباق في السياكل وعلى الأقدام والإبل ورصدت جوائز للفائزين وقد غصت قاعة السياق بالحاضرين وامتلأت ساحة السباق في الموضع الكائن مطاراً في السابق المعروف بالعودة حوالي التغيرة وكان من أبرز السباق الذي جرى سباق الجيش الذي كان له أبهة وتم وفق شروط من بينها موافقة المتسابقين على المسافة المحددة لهذا السباق وقدرها خمسة كيلوات وثلاثمائة متر مع ضرورة إحضار موافقة أولياء أمور المتسابقين لمن أعمارهم دون السابعة والعشرين وأن يقوم المتسابق بإحضار الجمل الذي سوف يمتطيه في السباق على أن إدارة المركز لن تكون مسؤولة عما ينجم له أو لراحلته من حوادث، وشوهدت الإبل في السباق يظهر عليها البهاء والحسن والهيبة لما أشرقت على الحاضرين قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ ولما انطلقت من الميدان بعلامة جعلت هناك وهي طلقات نارية من المسافة التي ذكرنا جعل المذياع ينادي بأعلى صوته قد شرعت الإبل في

السباق فرجاء عدم التصفيق من الحاضرين رجاء عدم التصفيق لأن لا يجفل الإبل وتشرد فيتأذى ركابها وذلك لأنه إذا ند البعير فيكون من الصعب وقوفه وجعل يتعالى صوته ويبكي ووقفت الأمة على الأقدام لترى سباق الإبل حتى تهافتت ولها روعة عظيمة وكان السباق ناجحاً للغاية.

وفيها انتهى العمل من الخط الذي أقيم مسفلتاً يربط الخبراء بالبدايع الذي يتفرع من خط المدينة إلى بريدة ويمتد جنوباً حتى يتصل بخط عنيزة والرس وكان قد واجه صعوبات بحيث يمر بوادي الرمة فاضطرت المواصلات إلى إقامة كوبري يقدر طوله شمالاً وجنوباً بمسافة كيلوين وكان ذلك الكوبري في وضعه وتركيبه وهندسته بديع المنظر بحيث بلغت تكاليفه إلى عدة ملايين وأن حكومتنا أيدها الله تعالى لا تزال جادة في خدمة الشعب والسعي في راحة المواطنين.

وفيها عاشر ربيع الأول من هذه السنة انتهى العمل من سفلتة طريق القصيم إلى المدينة المنورة وقد بلغت تكاليفه مائة مليون وثلاثين مليون وسبعمائة ألف وأربعة وثلاثين ألفاً وأربعمائة وتسعة وثلاثين ريالاً وكان بدأ العمل في أول مراحله في الرابع عشر من ذي الحجة عام (١٣٨٤هـ) وبلغ طوله سبعمائة وأربعة وعشرين كيلومتراً وهو يربط بين الرياض بطريق يتفرع من خط الحجاز بالقرب من الدوادمي وبين عنيزة بريدة الرس عقلة الصقور النقرة الحناكية المدينة المنورة.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

في ذمة الله تنعى المملكة السعودية رجلاً من دعاة الخير وهو عبد الله بن محمد القرعاوي ذلك الرجل الداعية إلى دين الله وشريعة رسوله وقام بأعمال في جنوبي المملكة يدعو سكان تلك الجهات إلى توحيد الله ولقد بث دعوة في عسير وما يلي تلك الجهات وفتح مدارس ونشر دعوته هناك فظهر له تلامذة كثيرون ومن هؤلاء الشاب العالم الأديب حافظ بن أحمد حكمي وكان لدعوته تأثير عظيم. وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم المعلم الموفق الداعي إلى الله تعالى عبد الله بن محمد بن حمد

بن محمد ابن عثمان بن علي بن محمد بن نجيد، ولد في ١١ ذي الحجة (١٣١٥هـ) كان محمد ابن نجيد في عنيزة بالجناح ثم باع أملاكه بعنيزة واشترى بدلها أملاكاً في القرعا وجاور أهلها وكان يسمى فيها ابن نجيد وكذلك أولاده وأولاد أولاده ثم أنه انتقل حمد بن محمد جد المترجم إلى عنيزة وكان لا يعرف إلا بابن نجد وذلك في مكاتباته وأسانيده فلما بنى بيوته في عنيزة وغرس نخله المشهور بالقرعاوية لقب بالقرعاوي لقباً بلفظ النسب ولكن في المكاتبات والأسانيد كان يكتب (ابن نجيد) فلما وقعت حرب عنيزة قلع الأشجار والنخل وباع الأرض والبئر وانتقل إلى جنوب بريدة وغرس نخله المشهور الآن بالفيضة. قال المترجم وهي ملكنا حتى الآن وبقيت بيوته وأولاده في عنيزة وهناك فروع لآل نجيد غيرهم كثيرون في عنيزة وبريدة والبكيرية والخبراء والبدايع وفي بغداد والشام لأن أجداد المترجم كانوا دائماً يسافرون إلى بغداد وإلى الشام وحلب جمالين يحملون البضائع من هناك ولم يشتهر أحد منهم بالقرعاوي إلا جد المترجم حمد المحمد لما ذكرنا آنفاً وفي عنيزة حمد العلي القرعاوي وإخوانه صالح وعبد الله وذريتهم أهل بيت كل واحد منهم يطلق عليه لقب القرعاوي، وهم منتقلون من القرعاء ولكنهم ليسوا من آل نجيد بل يرجعون إلى آل المطوع وأولئك آل نجيد وكان حمد جد المؤلف أولاً فلاحاً بالقرعاء ثم جمالاً ببغداد ثم في حلب ثم فلاحاً بعنيزة ثم فلاحاً بالجنوب ثم توفي في شهر رمضان سنة (١٣١٥هـ) بعد أن مرض بالفالج وبقي على فراش المرض أربع سنين.

وفي تلك السنة أيضاً توفي والد المترجم محمد بن حمد ولما أن كان بعد وفاة والده بشهرين تقريباً ولد المترجم في ١١ ذي الحجة (١٣١٥هـ) فنشأ اليتيم في عنيزة مسقط رأسه وقام بتربيته والدته وعمه عبد العزيز بن حمد وتأيمت والدته عن الزواج لرعايته فأدخل على مقرئ في عنيزة ثم أنه أخذ في طلب العلم وكان دائب الحركة خفيف الروح نشيطاً وتبدو في ملامحه إمارات الرضا والغبطة ويقول طلب العلم من المهد إلى اللحد ويتحدث أنه مع شبيبته لا يستنكف من تلقي دروس الحساب والخط مع صغار التلاميذ في مدرسة الأستاذ إبراهيم حلواني في مكة المشرفة.

وهذه صفته كان متواضعاً بشوشاً ربعة أصفر اللون مستطيل الوجه أقنى الأنف ناتئ الجبهة أزج الحواجب أقرنها غير واسع العينين وقد رأيته في العقد السابع من العمر وقد وخطة الشيب في عارضيه ولحيته أخذ العلم عن الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ وأخذ عن الشيخ عبد الله بن مانع في عنيزة وأخذ عن الشيخ صالح بن عثمان القاضي وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ صالح بن عثمان القاضي وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وذهب إلى الهند وهو كبير السن لاستكمال الدراسة ورحل إلى الأحساء فأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن بشر وذهب إلى المجمعة فأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد العزيز القنقري وكان في رحلته إلى الهند وإقامته هناك قد بلغه مرض والدته فرجع لذلك لأنها طلبت حضوره ولكنها توفيت قبل وصوله فرجع إلى الهند للمرة الثانية ليأخذ عن علماء الحديث هناك ثم رجع وكرر الدراسة على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وعرض عليه في سنة (١٣٥٧هـ) إدارة مدرسة المجمعة ثم عرض عليه إدارة مدرسة بريدة وعرض عليه أن يكون مدرساً في عنيزة وفي دار الحديث بمكة وأن يكون إماماً في أحد مساجدها فأبى وعزفت نفسه عن الوظائف أياً كانت أهلية أو حكومية وفضل أن يكون داعية إلى الله وإلى سبيله وأصبح كذلك بصفة لا يشاركه فيها أحد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده وله هيبة عند من يراه متخلفاً عن الصلاة أو امرأة متبرجة ويقول إني أستطيع أن أغير المنكر بيدي وله مكانة عند الناس ولما أن كان في اليوم العشرين من شهر صفر سنة (١٣٥٨هـ) توجه إلى جيزان وأخذ منه بضاعة وتوجه إلى سامطة فنزل دكاناً فيها وجعل يبيع ويعلم فيه وكان ذلك الدكان أول مدرسة فتحها ثم استمر في فتح المدارس في تلك الجهات في سامطة والجرادية وسائر أبها وبيشة وفيفا والدرب وجيزان وصبيا ولما أن كان في سنة (١٣٥٩هـ) ذهب إلى مكة فاستحصل كتباً كثيرة في الحديث والتفسير والتوحيد والأحكام ثم توجه بها إلى جيزان وذلك في ١٨ صفر وذهب إلى سامطة فبنى مدرسة في بيت

ناصر خلوفه وهي من الخشب والجريد والحبال والحشيش واتخذ للكتب خزانة ولما أن قدم خالد بن أحمد السديري أميراً على جيزان قدم على القرعاوي طلاب علم وطلب منه أهل مخلاف أن يتجول في جهاتهم لنشر الدعوة فذهب وكبار تلامذته يعظون ويرشدون ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكان هو الموجه للدعوة يبني لتلامذته طريقة التيسر والرفق واللين والبصيرة والبعد عن العنف والشدة والتعسير والتنفير وهذا ما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل لما بعثهما إلى اليمن بأن قال لهما «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا» ولما تجول هو وتلامذته أزالوا هناك أموراً من البدع المخالفة للشرع من تعظيم القبور والأشجار والأحجار وفر أناس من الدجالين والسحرة وأهل التنجيم والكهانة والتزوير والخط والشعوذة وأكثر هؤلاء أو كلهم من خارج المملكة السعودية وكان لجولته أثر عظيم بحيث أن الناس كأنهم راقدون فانتبهوا، قال رحمه الله وكان أمير سامطة يومئذ (سند الحماد) وكان مساعداً للدعوة ومحباً لها من كل وجه.

وفي هذه السنة وفد إلى سامطة طلبة علم من غامد وزهران ورجال المع وأتى إلى القرعاوي محمد بن أحمد الحكمي أخو حافظ بن أحمد برسالة من أخيه يطلب كتاباً في التوحيد ويعتذر عن عدم القدوم لاشتغاله في خدمة أبويه في رعي الغنم ويطلب من المترجم أن يزور تلامذته للقرية التي هو ساكن فيها فذهب الشيخ وإخوانه إليها وجعل يلقي الدروس ويتعلم منه حافظ أحمد تارة يذهب إليه القرعاوي وتارة يذهب هو إليهم في قرية الجاضع ومرض الشيخ بالجرادية مرضاً شديداً وقد عرض عليه الأمير خالد السديري قضاء سامطة واعتذر وعرض عليه قضاء المسارحة فأبى وكان الشيخ يبني مساجد ومدارس هناك لما أن كان في سنة (١٣٦٠هـ) تفرغ حافظ حكمي وطلب العلم بإذن من والديه لأن الشيخ استأجر راعياً للغنم بدلاً عن حافظ وبنى الشيخ مدرسة سامطة مرة أخرى بدلاً عن البناية الضعيفة وجعل فيها ستين مدرساً من كبار الطلبة واجتمع فيها تلامذة كثيرون

فاختتن كثيراً من الأطفال وفيهم حافظ وقد أولم الشيخ وليمة لختانه وقال للأولاد كل من اختتن وترك اللعب واللهو واختلاط الرجال بالنساء والإسراف بالنفقات الفارغة فإني مستعد له بإقامة وليمة وكان لهذه الدعاية والختان الذي جرى في المدرسة أمر عظيم ترك العادات القبيحة السيئة وأقبل الناس من كل جهة يدخلون أولادهم المدرسة يقرؤون ويتعلمون ويختتنون ومن كان من الطلبة محتاجاً يجد المأكل والمشرب والملبس وما زال يفتح المدارس ويبني المساجد ولما أن كان في هذه السنة تأخر بإذن الله خريف تهامة فأوجب الحال انتقال أهل تهامة لتتبع مساقط الأمطار في الوديان وكان الطلبة مع أهليهم وفي انتقالهم يبثون الدعوة فيما يتنقلون إليه من البلاد فكان لذلك أثر عظيم في تلك الجهات وكان بعضهم يفتح مدرسة ويعلم فيها وبعضهم يبني مسجداً ويؤذن فيه ويدعو الناس للصلاة ولما رأى الأمير خالد السديري أثر تلك الدعوة المباركة تسبب عند الحكومة لجملة من الطلبة بثلاثمائة ريال إكرامية توزع عليهم شهرياً وهذا من عام مساعداته التي يشكر عليها ولما أن كان في سنة (١٣٦٢هـ) تزوج الشيخ عبد الله من بيت محمد بن عثمان وكثر في هذه السنة الوافدون على الشيخ من الليث وتهامة وعسير وبيشه وبعث الملك السابق سعود بن عبد العزيز حال كونه ولي العهد بإعانة كبيرة للقرعاوي في السنة التي بعدها واستمر دفعها كل سنة ثم أشار الشيخ على حافظ حكمي أن ينشئ نظماً في التوحيد على موجب ما قرأه من كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، ولما كان في سنة (١٣٦٤هـ) حج الأمير خالد وجاء بعده لإمارة جيزان محمد بن محمد السديري وسلك خطة الأمير خالد بمساعدة الدعوة وطلب أمراء مقاطعة جيزان وقضاتها ومشائخ القبائل من الشيخ عبد الله القرعاوي أن يبعث إليهم معلمين يفتحون المدارس وهم يساعدونهم على نشر الدعوة ففتح مدارس كثيرة جداً وكان لمحبته نشر الدعوة لا يتوقف عن فتح المدارس إذا طلبوا منه وفي تلك الآونة أشار على الشيخ الشاب حافظ أحمد الحكمي أن ينشئ نظماً في الفقه والآداب ونظماً في ذم الدخان والقات

وأشباهها وفعلاً قام بذلك غفر الله له وطبعت ولما أن بلغ أسماع جلالة الملك عبد العزيز خبر نهضة القرعاوي وما فتحه من المدارس أرسل هيئة تكشف حقيقة الأمر ولما أن قدمت الهيئة في سنة (١٣٦٥هـ) أعجبت بتلك المدارس ورأوا من ثمراتها ما يسر الخاطر ووفقت بأن رجعوا يروون لجلالته ما شاهدوا وأخبروه بالوضع فأمر بأن يقرر للمعلمين والمتعلمين رواتب شهرية وقد كان الباعث لذلك هو أن أهل الأهواء يغزلون لإطفاء هذه الدعوة وإلغاء المدارس غير أنها خسرت في هذه المرة صفقتهم وخاب أملهم كما أشرنا إلى ذلك لطيفة فيما تقدم غير أنهم لا يزالون في ملاحقتها حتى أطفأوا تلك الشعلة فضمت المدارس إلى المعارف ولكنها لا تزال آثارها باقية والحمد لله وكان الشيخ إذ ذاك يتجول على تلك المدارس ويراقب سيرها ممتطياً الحمر حتى دبرت من كثرة سيرها في تلك الجبار وكان الأمير تركي السديري هناك يساعد القرعاوي وتلامذته مساعدة واسعة بحيث أمر صاحب دكان لديه أدوات المدارس بأن يسلم القرعاوي كل ما يريده على حسابه بدون حصر ولا قيد فكان لنهضته أمر عظيم في جهات أبها هذا وقد تعرضت دعوته عقبات وبعث أناس ضده يدعون أن هذه المدارس في صرفيتها غير معقولة وكانت الحكومة تبعث للكشف عن حقيقتها غير أن الله ينصره ويظفره بكل مرة ولكن الهيئة الأخيرة لم تفلح وغلبت على أمرها وكانت وفاة المترجم في ٢٣ جمادى الأولى الموافق ليوم الأربعاء من هذه السنة غفر الله له وتغمده برحمته والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وممن توفي فيها من الأعيان الرجل الهمام عبد الله بن سليمان بن عيسى البطل الشجاع كانت وفاته في آخر ليلة الأربعاء ٧/١٩ كان من بني زيد أهل شقراء ويلتحقون بقحطان وكان عبد الله قد اشترك في غزوات الحسين بن علي الشريف ولبث في خدمته مدة من الزمن ويروي لنا قصته في ليلة هجوم الإخوان بقيادة سلطان بن عباد بن حميد وأمير الخرمة خالد بن لوي علي عبد الله بن الحسين الشريف في قرية. قال: أنه جاءنا نذير وهي امرأة دخلت على قائد الجيش عبد الله في المجلس العام بين العشائين فقالت له تحذر يا شريف فقد أقبلت السلاطين إليك

سلطان بن بجاد وسلطان أب العوالي وجعلت تعدد السلاطين قال فكانت لفظاتها في الكلام أعظم علينا من قنابل المدافع وألقى الله الرعب في قلب القائد عبد الله بن الحسين ولكنه أظهر التجلد ثم أن المترجم بعدما فتح الله مكة لآل سعود ووضعت الحرب الحجازية أوزارها سكن في مكة فانضم إذ ذاك إلى الأمير فيصل بن عبد العزيز حال كونه نائباً هناك وهو لصرامته ينازع ابن سليمان الشرف حينما كان الأخير وزيراً في المالية فقضت الظروف بأن يكون ابن عيسى مزارعاً لنفع قومه وأمته ومنحته الحكومة ماكنة مائية فقدم إلى مدينة بريدة موطنه سابقاً وذلك لمحبته لوطنه فكانت لأول مرة يستخدمها الفلاح في بريدة ونزل في السياج المعروف وذلك في سنة (١٣٥٠هـ) ثم أنه انتقل بعد ذلك إلى موضع أوسع وهو المعروف بالنقع وكان أمير بريدة عبد الله بن فيصل صديقاً له فبذل جهوداً في الزراعة وحصل على شيء كثير ثم إن الحكومة جعلته في فرع الزراعة في القصيم ثم رأت أن تجعله في قيادة النظام كمدير أمن في المنطقة الشرقية الظهران تحت إمارة سعود بن جلوي فسار ولبث هناك ما شاء الله ثم رأى أن يتعاطى في الأعمال الحرة مفضلاً لها على الوظائف وطلب من حكومته السماح له وأن تمنحه أرضاً واسعة في وطنه بريدة فحصل على أراضٍ في الباطن في الموضع الجنوبي الشرقي عن مدينة بريدة واتخذها منزلاً وضيعة عظيمة تفيض على العاصمة بأنواع البرسيم والبطيخ والقثاء وكان في كل أعماله وتنقلاته عزيزاً شريفاً وجيهاً ومهاباً ومعظماً لماله من الهيبة وحسن التدابير وكان صريحاً وسياسياً لا يوقف في طرقه ومعه عزة نفس فلا يصبر على الضيم كما أنه جهوري الصوت مصقع لا يخلو من الجبروت وما زال يعمل في الحراثة ويستخدم الآلات لذلك حتى كان لديه أكبر ضيعة ثم أنه تجاوز الثمانين من العمر وكلت قواه وضعفت بنيته ولآثار نكبة جرت عليه حدث منها شجاج في الرأس وكسر في إحدى يديه ثم أصيب بمرض ألزمه الفراش حتى توفي في هذه السنة. وكان في صفته مربوع القامة قوي الإرادة شديد البأس ولا يتأثر لشيء من الأمور ولا يهاب أحداً ولا تلين قناته لمخلوق كائناً من كان رحمه الله وعفا عنه.

وفيها في آخر شهر ذي القعدة وفاة الوجيه عبد العزيز بن علي بن منصور الرجيفي رحمه الله تعالى كان من قبيلة سبيع من بني ثور ومن رجال الوطن في مدينة بريدة الذين لهم شرف خدمة بلادهم فهو أحد رجال هيئة الأراضي حيث يتمتع بالعقل الرزين والقلب الواعي وله غور بعيد ومعرفة وذو تجارب أتاه الله عقاراً وسعة في الرزق ويحب الفلاحة ولم يك ذا فخفخة إنما كان مقتصداً وثابتاً في الدين وملازماً للصلوات الخمس مع الجماعة وما زال في نشاطه وذاكرته مولعاً بالحج والعمرة حتى هرم وكلت قواه قبل وفاته بخمس سنين وتوفي عن عمر يناهز المائة عام وقد يشيع جثمانه إلى قبره المشائخ والعلماء فالله المستعان. وقد كان من أحبابنا ولديه خبرة بالأمور حتى كان يراها من وراء الحجاب نسأل الله أن يتغمده برحمته.

وممن توفي فيها من الأعيان للشيخ عبد الرحمن الخاقان كان قد تعلم القرآن الكريم ثم أخذ في الدراسة على أيدي مشائخ نجد فأخذ عن الشيخ سعود بن رشود قاضي وادي الدواسر سابقاً ثم التحق بمدينة الرياض مواصلاً دراسته العلمية على يد رئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وبعد ذلك انتقل إلى مكة المكرمة مواصلاً دراسته العلمية فأخذ عن الشيخ عبد الله بن حسن رئيس القضاة هناك ثم عين المترجم رئيساً للهيئة الدينية بعسير ثم رئيساً لهيئة الوعظ والإرشاد بعسير أيضاً ثم قام بتدريس العلوم الدينية في المدرسة الثانوية بأبها ثم عين مفتشاً للعلوم الدينية في وزارة المعارف بمنطقة الطائف ثم عين أميناً للمكتبات بوزارة المعارف بمنطقة الطائف إلى أن وافته المنية عن عمر يناهز اثنتين وخمسين سنة لأن ولادته في سنة (١٣٣٧هـ) في وادي الدواسر في بلدة اللدم وكان موصوفاً بحب المجد وأهله وحب الصدق وأهله وكان يعيش مع الحقيقة لا مع الخيال ويحب فعل الخير والعمل به ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في المنزل وفي الدكان وفي الشارع وفي المسجد لا يهمه إلا الإصلاح ما استطاع وله عدة رسائل وكراريس مخطوطة في الفقه والأدب، وله كتاب ضخم أسماه (تاريخ ما أهمله التاريخ) وكان عنده قدرة ومعرفة بعلم الأنساب العربية وخلف ابنين وأربع بنات تركهم على التربية

الإسلامية وعلمهم الأمانة وحسن الأخلاق واعلم أني كمؤرخ وجدت هذه الترجمة له في إحدى الجرائد السعودية فأثبتها وإلا فليس لدي إحاطة بترجمته.

اعتداء أثيم

لما كان في أواخر شهر رمضان قامت حكومة عدن باعتداء على مركز الوديعة تريد احتلاله والاستيلاء عليه وأخذت الحامية فيه على حين غرة ودون سابق إنذار فقام السلاح الجوي الملكي السعودي يوم الأربعاء الموافق لليوم الرابع والعشرين من رمضان ثالث ديسمبر (١٩٦٩م) بثلاث غارات جوية على مواقع القوات المعتدية وكان من نتائج هذه الغارات تدمير إحدى وعشرين سيارة نقل محملة بالمؤن والذخائر وسيارة مصفحة وصهريج الوقود وثلاثة مدافع من عيار ٢٥ رطلاً وقد عادت جميع الطائرات إلى قواعدها سالمة واتخذ الملك فيصل إجراءات جبارة لاسترداد ما سولت لحكومة عدن نفسها من الاستيلاء على تلك الأراضي فاستردها ونكل بحكومة عدن وضربها ضربة قاضية وإنها لخسارة عظيمة جسيمة على العرب في هذه التصرفات السيئة من حكومة عدن بينما تكون العرب في وقت أحوج ما يكونون فيه إلى الالتفاف والاجتماع في مواجهة العدو المشترك وإذا بالأيادي العابثة تعمل في الخفاء لتمزيق الصف العربي وتغتنم فرصة المفاجأة على غرة وغفلة ولكنه يكفي العدو ما أصابه.

المبنى الكبير للجامعة الإسلامية

في هذه السنة لا يزال العمال والمهندسون يكدحون في مواصلة الأعمال في بناية الجامعة المذكورة ولا نبالغ في هذه البناية إذا كان مباني مهاجع النوم مخصصة لأربعة آلاف طالب وبالقرب منها يوجد مطعم يضم أربع قاعات تتسع لألفي طالب وإلى الجهة الجنوبية من مباني المهاجع تمتد الأماكن المخصصة للملاعب المختلفة وبينها مستشفى يتسع لمائة سرير وهناك مباني سكنية وغير ذلك من المباني بحيث بلغت تكاليف المباني التي أنجزت لغاية جمادى الأولى من هذه السنة أربعة

ملايين وخمسمائة ألف ريال وتقدر المبالغ المختصة لإنجاز بقية المباني بحوالي ستة ملايين وأقيمت بين المباني بصورة عامة فسحات كي تغرس الأشجار وكي يساعد ظل هذه الأشجار في تعديل جو الغرف والمكاتب والفصول ولقد روعي في تصميم المباني بصورة عامة أن يكون توجيهها صحياً ومفيداً وغطيت بعض الفتحات بعاكسات حرارة الشمس بحيث يدخل من بينها ضوء الشمس دون أشعتها وأشياء أخرى تفوق الذكر ولا تزال الجامعة الإسلامية تتوسع ولا يستغرب بهذا إذ كانت في المدينة المنورة تعتبر إحدى قلاع التعليم الديني في المملكة السعودية.

مصاب عظيم وركن ينهد في عاصمة المملكة السعودية

ففي الساعة الرابعة تماماً في التوقيت الغروبي من صباح اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان الموافق ليوم الأربعاء (١٣٨٩هـ) ثالث ديسمبر كانون الأول (١٩٦٩م) اختلست أيدي المنون روح الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو العالم العلامة رئيس القضاة ومفتي الديار السعودية الشيخ النبيل والحبر الجليل محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ولد في مدينة الرياض ١٧/ ١ من عام (١٣١١هـ) بمنزل قرب منزل الشيخ حمد بن فارس في دخنه وكان من بيت أصيل آباؤه وأجداده على الطريقة المثلى فنشأ في العبادة والتقى ولم يرضَ لنفسه سوى الاقتفاء بآثار أولئك السلف الكرام فأخذ في الدراسة واجتهد في طلب العلم وتلقيه من أهل ذلك البيت وغيرهم من أئمة العلماء إلى أن نبغ وبزغ ونال المنى وبذل النفس في إعلاء كلمة الله ورفع شأنها وإدحاض كل ما يثار حولها من شكوك وشبهات، نبكيك لا نبكي عليك نبكيك يا فقيد الإسلام ولا نبكي عليك نبكيك لأنا خسرنا بوفاتك وانتقالك إلى الدار الآخرة عالماً عظيماً هو من أئمة العلماء ومصلحاً من أخلص المرشدين لقد كنت مصباحاً نستضيء بعلمه في هذا العصر الذي تكاثرت فيه المذاهب الهدامة وتفشى الإلحاد كتفشي النار في الهشيم

فلقد انطفأ ذلك السراج وفجعت الأمة بوفاتك وتركت أعمالك التي لا زلت تتعاهدها في أمة الإسلام فلقد كانت وفاتك خسارة عظمى لأن افتقار الأئمة ورجال العلم والرجال قليل خسارة لا تصل إلى مستواها أية خسارة أخرى لقد غيب في لحده علم من أعلام الإسلام الذين كرسوا حياتهم لخدمة دينهم ونشره فلتبك الأمة الإسلامية فقيدها الذي وافته المنية وهو يكافح البدع وينصر الإسلام قرابة نصف قرن وقد بذل مهجته في سبيل العلم ونشره والذياد عن حمى الإسلام وكان مرضه رحمه الله متساهلاً فيه أولاً ولكنه قضى عليه.

دروسه وتدريساته

درس القرآن على أحد القراء وهو عبد الرحمن بن مفيريج فأكمله قراءة وحفظه غيباً عن ظهر قلب وهو ابن تسع سنين كأحسن ما يكون في الحفظ والتجويد ودرس على أبيه إبراهيم بن عبد اللطيف في كتب التوحيد والفقه ومنذ ذلك الحين وبوادر الذكاء وعلامات العبقرية تبدو واضحة على تصرفاته وعند بلوغه السابعة عشرة من عمره فقد بصره على إثر رمدٍ أصابه فلم يفت ذلك من عزمه بل واصل الدراسة فأخذ عن عمه الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق أخذ عن هؤلاء علم التوحيد والفقه والنحو والحديث والأصول وأخذ عن الشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود العنزي علم الفرائض وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود وأخذ عن غيرهم من علماء العصر في شتى العلوم كما أنه حاز على إجازات من كثير من علماء نجد ومن مشائخ الأقطار الأخرى كالهند ومنهم الشيخ حسين بن محسن الأنصاري والشيخ عبد الستار الهندي الدهلوي اتصل به في حج عام (١٣٤٨هـ) وأجازه في رواية الحديث عنه وكذلك أجازه الشيخ سعد بن حمد بن عتيق كإجازة علماء الهند له وأجازه الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري أجازه تضمين لإجازة الشيخ سعد بن عتيق وأجازه كذلك الشيخ محمد بن عبد القادر الزلالي العراقي، وكان يذهب في حياة عمه عبد الله بعد صلاة الفجر إلى بيت الشيخ ليحضر مجالس

الدروس والتحصيل ويقضي بقية النهار في مراجعة ما أخذ سلك هذه الطريقة مع زملائه إلى أن توفي عمه وهذا يدل على شغفه بالعلم حيث كان رئيس تلامذة عمه عبد الله ولما أن مرض الشيخ عبد الله مرضه الأخير أشار على صاحب الجلالة الملك عبد العزيز به وأنه يتوسم فيه مؤهلات العلم والعقل والإدراك وسعة الرأي فولاه الملك عبد العزيز أمامة المسجد المشهور في دخنه والتدريس في أغلب أوقات يومه ثم أسندت إليه بعد وفاة عمه وظيفة الإفتاء لعموم نجد اختاره الملك عبد العزيز لذلك ثم عينه قاضياً للفطفط عام (١٣٤٥هـ) أبان سطوة الإخوان وجبروتهم لما غلوا في الدين وتجاوزوا الحد فمكث عندهم شهوراً يبين لهم الحق وينهاهم عن الجهل والغلو حتى ألان شكيمتهم ثم بعد ذلك رجع إلى الرياض.

مقامات المترجم في الإسلام

كان قلعة يهابها كل مبطل وأخذت بيده هذه الحكومة وفقها الله تعالى ومنحته ما يريد لينهض بهذه البلاد ويهتم بأمورها الدينية والإصلاحية وما أكثر المجالات التي أشرف عليها ووجهها وقامت في عهده في القضاء والإفتاء ورابطة العالم الإسلامي والجامعة الإسلامية والمؤتمرات التي لا تحصى انعقدت برئاسته وإشرافه وهذه الوظائف التي كان يشغلها:

(١) رئاسة القضاء. (٢) رئاسة دار الإفتاء. (٣) رئاسة الكليات والمعاهد العلمية. (٤) رئاسة الجامعة الإسلامية. (٥) رئاسة دور الأيتام والتي ضمت إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية. (٦) الإشراف على رئاسة تعليم البنات. (٧) رئاسة المعهد العالي للقضاء. (٨) رئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي. (٩) رئاسة المكتبة السعودية. (١٠) رئاسة المعهد الإسلامي في نيجيريا. (١١) رئاسة المجلس العالي للقضاء. (١٢) رئاسة معهد إمام الدعوة العلمي. (١٣) خطيب الجامع الكبير. (١٤) إمام مسجد دخنة الكبير من مدة خمسين سنة. (١٥) الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا. (١٦) رئيس مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية والتي تصدر عنها الآن جريدة الدعوة. (١٧) بدء

الإعداد لإنشاء مجلس هيئة كبار العلماء والذي اعتمد في ميزانية هذا العام ٨٩-٩٠ غير أن المنية وافته قبل أن يباشر المجلس أعماله. (١٨) الإشراف على ترشيح الأئمة والمؤذنين. (١٩) تعيين الوعاظ والمرشدين. (٢٠) إمامة العيدين والاستسقاء فهذه عشرون وظيفة كان تقلدها ولعمري لقد كانت الجبال تنوء عن حملها لو حملتها بجمعها هذا الذي تصدر منه الأهلة والصيام والإفطار والحج والأعياد وفتح المعاهد والكليات والتوظيفات والأمور الدينية فهو المسؤول الوحيد عنها وخدمته الليالي والأيام وخضعت الدولة لتوجهاته الشرعية وقلدته الأمة أمور دينها وناهيك به من يقظ فهم يباشر الأمور بنفسه ويسهر لكشف المشكلات ويزيل المظالم ويوقف كل معتد عند حده وكان لما رجع من قضاء الفطفط إلى الرياض جعل يدرس تدريسات من صلاة الفجر إلى أن يوتر وينام ليلاً في جميع فنون العلم توحيداً وفقهاً وأصولاً وحديثاً ونحواً وفرائض وغيرها قد جعل للطلاب ما يناسبهم فكبارهم في الأمهات والكتب الكبار وألفية ابن مالك ونحوها ومتوسطوهم بأقل من ذلك وصغارهم على ما تتحمله أفكارهم ويبتدئ الطلاب في بداية الأمر بكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثلاثة الأصول والتوحيد وكشف الشبهات وآداب المشي إلى الصلاة ومفيد المستفيد وما تحتوي عليه مجموعة التوحيد ومجموعة الحديث والأجرومية وقطر الندى حتى تتقوى معلوماتهم فأقبل إليه الطلاب من كل حدب وصوب وتخرج عليه علماء أفاضل ولما أنشئت دار الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية أسندت إليه رأستها وكان ذلك في سنة (١٣٧٣هـ) ولما أنشئت رئاسة القضاء في نجد وملحقاتها والمنطقة الشرقية والشمالية وذلك في سنة (١٣٧٦هـ) أسندت رئاستها إليه وبعد وفاة الشيخ عبد الله بن حسن ضمت رئاسة القضاة في الحجاز إليه وألقي على كاهله أعباء جسام تنوء بها العصبة من أولي القوة فنهض بها بحزم المؤمن وصبر المجاهد وروية الحكيم وبذل للمهام التي نيطت به نفسه فدانت له ومنحها وعيه وأولاها نصحه فسارت رشيدة شديدة لا تنحرف ولا تنحرف ولا تنحاز هذا وقد كان يمتاز لقوة عقله وسعة براعته أنه لم يكن إذناً سامعة فتستفزه

أهل الوشاية والتدجيلات بل يتبين ويتثبت ويتحرى وما أصيب الإسلام وأهله في هذا الزمان بل وكل زمان إلا من العجلة والتسرع بأخذ الأقوال من غير تثبت ولقد أدبنا الله تعالى بقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ وكان يعرف للناس أقدارهم وينزلهم في منازلهم فلا يرفع من لا يستحق الرفعة مهما كانت الملابسات ولا يضع من لا يستحق الوضع مهما كانت المؤثرات فأدرك بذلك درجة عالية من الحكمة ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرٗا كَثِيرٗاۗ ﴾ وكان أخواله هم آل هلالي لأن جده لأمه هو عبد العزيز الهلالي أمير عرقه آنذاك وأحد أخواله هو محمد بن عبد العزيز الهلالي من أدباء عصره وشعراء زمانه وقد تولى إمارة عرقة بعد والده.

تلامذة الشيخ محمد

أما تلامذة الشيخ محمد بن إبراهيم الذين أخذوا عنه فخلق كثير وجم غفير فنذكر بعضاً من كل فمنهم الشيخ الزاهد العلامة الورع عبد الرحمن بن قاسم، وستأتي ترجمته، ومنهم الشيخ محمد بن عبد الله بن خنين العابد الورع، وقد تقدم ذكره في سنة وفاته، ومنهم الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان العالم المجتهد الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، ومنهم العالم العلامة الذي نشر العلم في جنوبي المملكة وهو الشيخ عبد الله بن يوسف بن وابل قاضي الحلوة ثم كان في قضاء أبها ومنهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز نائبه في الجامعة الإسلامية وقد تولى عدة مناصب ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد قاضي المجمعة وبعدها في بريدة وتولى الإشراف على الحرمين ومنهم الشيخ عبد الله بن عمر دهيش قاضي حائل ثم كان عضواً في هيئة التمييز ثم كان رئيساً للمحكمة الشرعية بمكة المكرمة ومنهم الشيخ سليمان بن عبيد آل سلمي رئيس محاكم مكة وهو المشرف العام على الحرمين الشريفين، ومنهم العالم الداعية إلى دين الله الذي نشر الدعوة وسعى في هداية جنوبي المملكة وإزالة البدع عنها الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي

وتقدمت قريباً ترجمته وأخذ عنه الشيخ راشد بن صالح بن خنين النائب عن المترجم في رئاسة القضاء وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل تولى عدة وظائف في القضاء وآخرها التحقيق في ديوان المظالم وأخذ عنه الشيخ سعود بن محمد بن رشود وأخذ عنه الشيخ محمد بن حمد بن فارس وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن فارس وأخذ عنه الشيخ صالح بن جارد وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن هويمل وأخذ عنه الشيخ عبد العزيز بن مقرن من أهل القرن وأخذ عنه عبد الرحمن بن مقرن وأخذ عنه الشيخ حمود بن عبد الله التويجري الذي تصدى لرد البدع وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عباد مؤلف دواء القلوب وأخذ عنه أخوه الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم وأخذ عنه أخوه الشيخ عبد الملك بن إبراهيم وأخذ عنه الشيخ فالح بن مهدي وأخذ عنه الشيخ محمد بن مسلم بن عثيمين وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن مقرن آل سعود وأخذ عنه الشيخ عبدالرحمن بن عبد العزيز بن سحمان وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن ابن فريان وأخذ عنه فهد بن حمين العتيبي وأخذ عنه الشيخ علي بن دخيل وأخذ عنه محفوظ بن معيذر وأخذ عنه عبد العزيز السحيباني وأخذ عنه محمد بن صالح السحيباني وأخذ عنه صالح بن مرشد وأخذ عنه حمد بن راشد وأخذ عنه راشد بن فهد التويجري وأخذ عنه ابناه الشيخ عبد العزيز بن محمد والشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ وأخذ عنه الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان وأخذ عنه الشيخ صالح بن علي بن غصون رئيس محاكم الإحساء وأخذ العلم عنه الشيخ عبد العزيز بن ناصر الشعيبي قاضي السيح في الخرج وأخذ عنه الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري وأخذ عنه الأديب الرحالة الشيخ حمد الجاسر وأخذ عنه عبد العزيز بن ناصر بن رشيد وأخذ عنه صالح بن محمد بن لحيدان وكان هذا يعتبر من العلماء بحيث أنه نال وظيفة في المجلس الأعلى للقضاء وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن البليهي وأخذ عنه الشيخ علي بن فايز الدغيري وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم وأخذ عنه الشيخ زيد بن فياض وأخذ عنه عبد العزيز بن محمد بن صالح بن

شلهوب وأخذ عنه الشيخ محمد بن مهيزع وأخذ عنه الشيخ ناصر الحناكي وأخذ عنه الشيخ سعد بن محمد بن فيصل آل مبارك وأخذ عنه خلق كثير ممن لا يحضرني ذكرهم كأحفاد حمد بن عتيق وما زال يعلم ويرشد ويوجه ويرأس ويفصل في المنازعات ويدعو إلى الله حتى ألم به مرضه الأخير الذي وافته فيه المنية عن عمر يناهز التاسعة والسبعين ولا ريب أنه شمس انكسفت ومشكاة انطفأت نعم انطفأت مشكاة طالما كانت تنير للأمة طريق حياتها وذلك بأنه ألمعي سريع البديهة طويل الباع في علوم الشريعة والأدب ويحقق الكتب وينشرها ويحل للناس ما استعصى على العلماء والقضاة وغيرهم زرته مرة وكنت لا أزال إذا وصلت إلى الرياض أسلم عليه فدخل عليه رجل من أهل حوطة بني تميم وجلس أمامه على كرسي إلى جانب الماصة فقال يا شيخ إن القاضي فلان ظلمني وأنست منه تحدياً فتكلم الشيخ بصوت جهوري وانتهره قائلاً إن فلاناً ليس بطاغوت يظلمك إنما هو قاضٍ فقال اسمع مني يا ابن إبراهيم أنا لا أعرف القاضي بل أعرفك أنت فاحذر من تعلقي بك يوم القيامة فبكى الشيخ وقال كفانا الله شرك يرددها ثم قال: راجعني في دار الإفتاء بعد العصر، وكان إذ ذاك في كتب رئاسة القضاء وكان مع ما أوتي من العلم وما نتجت مجالسه من العلماء الذين سدت بهم الآفاق وملأ الأقطار أديباً ومحباً للشعر وله قصائد في المناسبات كقصيدته في مراسلاته لأخيه عبداللطيف لما سافر إلى المدينة المنورة وما وراءها وانقطعت أخباره فقال في ذلك قصيدة. وكرثائه لعمه الشيخ عبد الله ورثائه للشيخ عمر بن محمد بن سليم وتقدمت. ولما توفاه الله تعالى جرى للمسلمين رنة أسف عليه وخسرته البلاد السعودية وخرجت الأمة كلها لما هزتها وفاته لتشييع جثمانه على أكتافهم يتقدم الجمع صاحب الجلالة الملك فيصل والعلماء والأعيان والوزراء وكان الذي تولى الإمامة في الصلاة عليه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز وأقبل الناس يعزي بعضهم بعضاً وانهالت القصائد والكلمات الرثائية في الصحف والمجلات والجرائد فمما قيل فيه قصيدتنا الرثائية التي باحت بفضله ومناقبه:

الأقــل لأهــل الــبين حــين يروعــوا تســلوا ففــي هــذا يســلى المــروع
وكفوا عـن الخطب الجليـل فقـد دهـى مصــاب عظــيم أمــره لــيس يــدفع
سـهام المنايـا قـد أصـابت وأقصـدت وهـــدّت بنـــاء في العروبـــة ينفـــع
هـو الـدهر لا يبقـى علـى واثـق بـه لــه عثــرة بــالمرء عظمــى تضعضــع
فلـو كـان مـن ريـب المنيـة مهـرب لكـــان محـــب عـــن حبيـــب يـــدافع
ولكنهـــا الآجـــال تـــأتي ببغتـــةٍ ولـــيس لأمـــر قـــدر الله مـــدفع
مضـى عـالم الـدنيا وحيـد زمانـه ســـلالة أمجـــاد تقـــى سميـــدع
مضـى هضـبة الـدنيا وزينـة أهلـها حصـين رزيـن مـاهر بـل ومصـقع
مضـى طـاهر الأخـلاق زينـة وقتـه فيـا لـك مـن بـدر هـوى لـيس يطلـع
لقد مات حبر العلـم والفضـل والتقـى وحامي حمى السمحا الـذي هـو مولـع
بنشـر الهـدى نحـو الخليقـة جاهـداً وينهـى عـن الفحشـا مـديماً ويـردع
سـلالة إبـراهيم الـذي شـهدت لـه وفـــود وأضـــياف ودور ومربـــع
فمـــن للفتـــاوى بعـــده ولمشـــكل يـــبين المخبـــا كاشـــفاً إذ يفـــرع
ومـــن للخفايـــا إذ تنســـد مســـالك ومـــن للقضـــايا إذ يضـــيق الموســـع
إلى مـــن لـــه يـــؤتى لكشـــف ظلامـــة إلى مـــن لـــه تـــأتي العنـــاة وتفـــزع
ترعـرع في جـل الفضـائل وانتهـى إلى غايـــة عنهـــا الخلائـــق ترجـــع
مـــآثره كالشـــمس ليســـت خفيـــة ولـــيس يواريهـــا لثـــام وبرقـــع
فقـــدنا علومـــاً حينمـــا ضـــل نعيـــه وقـــام بنـــا النـــاعي يصـــيخ ويســـمع
ففـــي كـــل جفـــن حرقـــة ومـــدامع وفي كـــل نـــاد ضـــجة إذ يـــودع
وفي كـــل قلـــب أنّـــه مـــن فراقـــه فكـــاد لهـــا غمـــاً تكســـر أضـــلع
فقـــل لحمـــام الأيـــك مالـــك نـــائح والفـــك موجـــود وعشـــك مبـــدع
وغصـــنك ميـــاد وجـــوك ســـاكن وفرخـــك محفـــوظ ففيمـــا التوجـــع
ألا تـــذكر المفجـــوع في الخلـــق مثلنـــا فـــنحن إلى الأحـــزان أولى وأســـرع
فجعنـــا بحـــبر قـــد أقـــام معاهـــداً ودور علـــوم جامعـــات تـــوزع

ودوراً لأيتـــام تضـــم خلائقـــاً   لقــد كــان يرعــى لليتـامى وينفــع
يحـــث علـــى إحيـــاء ســـنة أحمـــد   ويــدعو البرايـا ناهضـاً بــل ويجمــع
وقــد بــذل المجهــود في نصــرة الهــدى   ويــردي بحــق كــل مــن كــان يخــدع
علــى هــذه الــدنيا العفــا بعــد فقــده   فمــن بعــد هــذا يرتجـي بــل وينفــع
أينســى عظــيم القــدر بــدر زمانــه   خـــبير بصـــير ألمعـــي ومصـــقع
بكــاه رجــال العلــم في كــل محفــل   وكـــلٌ علـــى فقدانـــه متوجـــع
بكتــه بقــاع الأرض وقــت رحيلــه   وحـــلَّ بهـــا كـــرب عظــيم ومفــزع
فيــا أســفاً يمضــي ويــترك غرســه   مضـــاعاً بـــلا راعٍ يفيـــد وينفـــع
فلـــهفي علـــى أرباعـــه إذ تعطلـــت   ويـــا أســـفاً فيمـــا دهـــا إذ تضـــيع
لقد كـان طـوداً في البسيطة قـد هـوى   فأهـــاً علـــى بـــدر يواريـــه بلقـــع
رعـــى الله آل الشـــيخ فينـــا لأ نهـــم   نجـــوم هـــدى أمســـوا رعـــاة ومرجـــع
ولا زال مـــن أبنـــائهم خلـــف لهـــم   يــذودون عــن ديــن الهــدى ويــدافعوا
أولئـــك أنجـــال الهـــداة ونســـلهم   ســلالة مــن أبــدى الهــدى فهــو أرفــع
أعزيكمـــو في الشـــيخ أعـــني محمـــداً   ومثلكمـــوا لا يعتريـــه تضعضـــع
ســقى الله قــبراً ضــمه وابــل الرضــا   وأســـكنه الفـــردوس فيهـــا يمتـــع
وأزكـــى صـــلاة مـــن جليـــل وقـــاهرٍ   علـــى مـــن لـــه كـــل الخلائـــق تفـــزع
بيـــوم عظـــيم شـــأنه متـــأزم   وتـــأبى أولـــو العـــزم الهــداة ليشــفعوا
وآل رســـول الله والصـــحب كلـــهم   وأتبـــاعهم مـــا نـــاح في الطـــير ســـجع

وقال الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن سحمان يرثي الفقيد:

بعثـــت نظـــامي والتعـــازي بعـــبرة   تفـــيض دمـــوع العـــين ســـحًّا كوابـــل
لفقـــد إمـــام جـــاء في العلـــم رتبـــة   يقصـــر عنهـــا كـــل حـــافٍ وناعـــل
وأعـــني بـــه شـــيخ المشـــائخ كلـــهم   رئـــيس قضـــاة والفتـــاوى لســـائل
إمـــام حـــوى علمـــاً وبـــث علومـــه   لطـــلاب علـــم في الضـــحى والأصـــائل
فللـــه كـــم مـــن مســـتفيد أفـــاده   علومـــاً جلـــيلات وأبهـــى مســـائل

لفقـــدان حـــبر عـــالم ومعلـــم　　وداع لأهـــدى مـــنهج للأوائـــل
لقـــد عمنـــا حـــزن مريـــر ولوعـــة　　لفقـــد إمـــام العلـــم بـــدر المحافـــل
فيـــا شـــيخنا نلـــت المزيـــد ورفعـــة　　لـــدى الله في دار الرضـــا والفضـــائل
ولـــو كـــان لـــي في الشـــعر بـــاع طويلـــة　　لحـــبرت تأبينـــا لـــزين الشـــمائل
يعـــبر عمـــا في الضـــمير مـــن الأســـى　　وأحـــزان قلـــب مـــن فقيـــد الأماثـــل

وقال الشيخ إسماعيل بن سعد بن عتيق في رثاء الفقيد:

الصـــبر أجمـــل والرضـــا لـــك أفضـــل　　فالكـــل يفنـــى عاجـــل ومؤجـــل
مـــا لابـــن آدم غـــير مـــا كتبـــت لـــه　　أيـــدي القضـــاء حقيقـــة لا تجهـــل
العـــين تبكـــي والفـــؤاد هـــوى بـــه　　نحـــو الكآبـــة رزء دهـــرٍ أخطـــل
مـــوت الإمـــام ســـليل مجـــد شـــامخ　　صـــرح المكـــارم حـــبر جيـــل أول
حمـــدت مســـاعي جهـــده وجهـــاده　　علـــم يلـــوذ بـــه الكئيـــب الأعـــزل
مـــا ماتـــت الـــنفس النفيســـة بعـــدها　　في جثـــة المفقـــود حـــين تزمـــل
بـــل قـــد تعـــدد خطبهـــا وكأنهـــا　　روح المـــلا متســـربل ومجنـــدل
طابـــت نفـــوس أحـــبتي وأخلـــتي　　أن يجعلـــوه بشـــق أرض ينـــزل
لكنـــه في روضـــة ورياضـــها　　فـــوق التصـــور لا يـــرى المتأمـــل
أرجوالـــة لا بـــالتقول خائضـــاً　　في عـــالم الغيـــب الرهيـــب محمـــل
لكـــن عنـــوان الســـعادة لائـــح　　فـــوق الجـــبين يجيـــب لمـــا يســـأل
خمســـون عامـــاً قـــد تحمـــل عبئهـــا　　بعـــد المجاهـــد عمـــه لا يغفـــل
طـــوراً يـــدرس في الحـــديث وفقهـــه　　وعلـــى العقيـــدة جـــادب مستبســـل
بحـــر تلاطـــم موجـــه وتـــدفقت　　خلجانـــه عـــبر الجزيـــرة تعمـــل

إلى أن قال:

لســـنا مـــن القـــوم الغوايـــة دأبهـــم　　شـــق الجيـــوب ولطـــم خـــد يفعـــل
لكننـــا نرضـــى ونســـلم أمرنـــا　　لله ربـــي مـــا يشـــاء ســـيفعل

ثم الترحم للفقيد مع الدعا بسنن عليها حافي ومنعل
ولنا العزاء بنائب هو نجله في مجلس الإفتاء لا يتعجل

وقد رثاه ابنه عبد العزيز وابنه إبراهيم بشعر ورثاه حسن بن عبد الله بن حسن ورثاه راشد بن صالح بن خنين وقال الدكتور محمد كامل الفقي يرثي المترجم بهذه القصيدة من بحر البسيط:

دهى الجزيرة خطب ليس يحتمل فلتنفطر مهج ولتنهمر مقل
الراحلون قرون والردى شعب وأقبح الموت ما ماتت به الملل
والناس إن فقدوا بالموت رائدهم ساد على حلك ضلت به السبل
من للشريعة والأخلاق يحرسها أو يستطيب لها أن لجت العلل
والهفتاه على الدنيا وبهجتها وهن يراع لها من فقده أجل
لا تحسبوا الناس أحياء أرأيتمو سيان إن غيبوا أو غيب الرجل
في كل بيت نحيب من فجيعته وبالمقابر في ترحاله شغل
والناس لو انصفوا ما انفصل مأتمهم بكاؤهم لمعين الرشد لو فعلوا
من رد كيداً عن البيضاء واعتصمت به فمنه لها ردؤ ومتكلموا
من ناصر السنة الغراء محتملاً فلم يَحِد عن سناها القول والعمل
أكبرت يومك والدنيا مشيعه بذاك الضيا وقد عامت بك الأصل
في موكب تزحم الأملاك ساحته للناس دمع وللأملاك ممفتل
يا صاحب الحزم لم يعرض له وهن وثاقب الرأي يخزى دونه الجزل
كنت الشجاع الذي في الله غضبته وكل جرح بما داويت يندمل
قهرت أعداء الله فانخذلوا لهفي عليك فهل يضحو لهم أمل
أنشأت للعلم دوراً في مخاملها يرى الجحافل لا هانوا أو تخذلوا
من كل ماضٍ لنشر الحق ومضته وكل قاضٍ بثوب الطهر مشتمل
كواكب تفضح الأهواء طلعتها لله ما قطعوا لله ما فعلوا
إن الرفاق أجدوا البين وارتحلوا يا ليتنا إثرهم نمضي ونرتحل

مـــاذا بـــدنياك إلا أنهـــا خـــدع   وفي حياتــــك إلا أنهــــا علــــل
والــذكر عمــر مديــد للعظــام ولا   تفنـى وفـاز بـدار الخلـد مـن عملـوا

هذه القصيدة من بحر البسيط وهي متكلفة ولكن لشدة الهول.

ورثاه الشيخ الأديب العالم محمد بن عبد العزيز بن هليل بهذه القصيدة:

علـى شـيخنا الحـبر الجليـل محمـد   حفيـــد إمــــام المســـلمين محمـــد
محقـــق توحيـــد الإلـــه بـــدعوة   تجلــــت بـــنهج مســـتنير محمـــد
على شيخنا الشيخ الأديب أخي الوفا   حميـد السـجايا ذي التقـى والتعبـد
هــو العــالم النحريـر نـبراس عصـره   وصـرح العلـى والـدين فخـر الموحـد
فتـى الشـيخ إبـراهيم مـن ذاع صـيته   بعلـــم وأخــــلاق ومجـــد وســـؤدد
تحـدر فـيض الـدمع ينهـل سـاكباً   علـــى كـــل خـــد بالـــدموع محـــدد
وأجـج للأشـجان والحـزن والأسـى   لهيـــب إلتيـــاع في الحســـنا متوقـــد
مصـــاب عظـــيم في المصـــائب فـــادح   علـــى عـــالم الإســـلام أدنـــى وأبعـــد
وخطـب بـه أضـحى الجميـع مفجعـاً   بحـــال كئيـــب في الـــدياجي مســـهد
رحيــــل إمــــام المعــــي مهــــذب   أخـــي ثقـــة صـــافي العقيـــدة مقتـــد
وبحــــر خضـــم في العلــــوم محقـــق   بأصــــل وفــــرع بالــــدليل المؤيـــد
تلقـى فنـون العلـم عـن كـل جهبـذ   ثقـــاة دعـــاة الخـــير مـــن كـــل مهتـــد
هــــو العـــالم الربـــاني ربـــى بعلمــــه   لأفــــواج طـــــلاب كـــثيري التعـــدد
مجالســـــه أنـــس الجلـــيس معاهـــد   للنشـــر الهـــدى والخـــير أفـــود معهـــد
تـــرى حلـــق الطـــلاب للعلـــم حولـــه   لأجـل التلقـي مـن صـحيح ومسـند
فمـــن وارد البحـــر الفـــرات وصـــادر   تروى فاروي في الورى الظامي الصد
هـو الشـامخ الطـود الأشـم فلـم تكـن   عواصـــف قـــد هبـــت لطـــود مؤطـــد
ثبــــات وصـــبر واســـتقامة موقـــف   بغــــير تخـــــل واتجــــاه مفنـــــد
وفصـــل وعـــدل في القضـــاء وفطنـــة   وصـــائب حكـــم دون أي تـــردد
عفـــاف وإنصـــاف وحـــزم وهيبـــة   وحكمـــة رأي في الأمـــور مســـدد

بكــــل اتـــزان لائـــق وسماحـــة لصــــالح حــــق مســـتبين مؤكـــد
وعطــف وجــود في المكــارم والعلــى ولطــف بــلا ضــعف يحــل بمقصــد
ورجحــان عقــل مــع عميــق تفكــر ولا ســيما بــالأمر العظــيم التأكــد
وترتيــــل آيــــات الكتــــاب تــــدبرا وإحيــاء جــنح في الــدجا بالتهجــد
وحــــب جهــــاد في ســــبيل إلهــــه وحســــن اجتهــــاد دون رأي مجــــرد
مــــع الأدب الراقــــي بخــــبر فنونــــه بنثــــر وشــــعر رائــــع الــــنظم جيــــد
وأمــــر بمعــــروف ودحــــر لمنكــــر بحكمــة راجــي الخــير لليــوم والغــد

إلى أن قال بعدما ذكر فضل السجايا الحسنة والأخلاق الطيبة:

فللــــه عــــزم الصــــالحين ودأبهــــم بــــأعلى وأرقــــى همــــة في التحــــدد
قضــــى شــــيخنا عمــــراً مديــــداً ممتعــــاً ســــعيداً عزيــــز القــــدر غــــير منكــــد
قضــــى ومضــــى والكــــل لله راجــــع ومــــا للقضــــا غــــير الرضــــا والتحمــــد
فمــــن لعــــويص المشــــكلات وحلــــها إذا حــــارت الأفهــــام عنــــد الــــتردد
ومــــن للمهمــــات الثقــــال وحملــــها بهمــــة شــــهم صــــادق العــــزم منجــــد
وفقــــدان أهــــل العلــــم أعظــــم نكبــــة وكارثــــة في الأرض تمــــور وأنجــــد
فهــم في سمــاء العلــم والحــق والهــدى نجــوم بهــا الحــيران في الســير يهتــد
رحيــــل ابــــن إبــــراهيم رزء وإنــــه تقــــوض صــــرح في الرشــــاد مشــــيد
سقى وابــل الغفــران والصــفو والرضــا مــــن الله رمســــاً حــــل فيــــه بملحــــد
وأنزلــــه الفــــردوس أعلــــى جنانــــه بمقعــــد صــــدق في النعــــيم المؤبــــد

إلى آخرها وهي مطولة وما أحسن ما قيل:

ســــيذكرني قــــومي إذا مــــا تــــركتهم وفي الليلــــة الظلمــــاء يفتقــــد البــــدر
محوت بذكري في الورى ذكر من مضى وســــدت فمــــا زَيــــد يقــــال ولا عمــــرو

وقد رثي بمراثي كثيرة ذكرت في الجرائد والمجلات ونعتذر عن عدم ذكر بقيتها وآخر كلمة نقولها عنه بأنه سد منيع وحصن يلوذ به العلماء عند الشدائد فيدافع

عن كل مغلوب بجاهه العريض ولا تلين قناته أو ينثني عزمه خصوصاً إذا ما وقع عالم غيور في أزمة فتخضع الحكومة لوجاهته وتقف عند أوامره ونواهيه فآهٍ ثم آهٍ على فقده وجبر الله المصاب بموته وإنا لله وإنا إليه راجعون!!

وفيها وفاة محب الدين الخطيب وذلك في شهر ذي القعدة من هذه السنة وكانت وفاته بالقاهرة عن عمر أربى على تسعين عاماً وكان أديباً بل هو صحفي عربي كبير أحد رواد الصحافة الإسلامية العربية في ربوع العالم العربي وكان سياسياً اجتماعياً اقتصادياً وأصدر في هذا السبيل مجلة الفتح الأسبوعية ومجلة الزهراء الشهرية وأصدر الموسوعة وغيرها ومن مؤلفاته مع الرعيل الأول وكان قد عين مديراً لجريدة القبلة بمكة المكرمة في أول عهد الملك حسين الشريف وكان له إسهام في تكوين بذور الأدب الحديث في هذه البلاد وقد عكف مؤخراً في دار الفتح التي أنشأها في النيل بالقاهرة يطبع ذخائر الكتب الإسلامية والعربية ويحققها ويؤلفها ولديه مكتبة كبيرة خاصة وكان أسلوبه سهلاً ممتعاً.

وممن توفي فيها أيضاً نجل أمين الرابطة الإسلامية محمد سرور وهو حسن بن فهد وكانت وفاته في صبيحة يوم الأحد الموافق ٢ ذي الحجة وقد دفن بالمعلاة بمكة المكرمة وقد شيع جنازته جمع غفير من المواطنين.

وممن توفي فيها أيضاً من الأعيان في بيروت رئيس مطافئها محمد الكردي ويذكر أنه هناك من الرجال القلائل في صلاحه واستقامته وتقواه وأخلاقه ومقدرته الفنية في عالم الإطفاء وله كتاب مطبوع في هذا الموضوع.

وفيها فتح معهد النور في مدينة بريدة وهذا المعهد وضع للعميان يتعلمون فيه القراءة والكتابة بسيرة هندسية يلمسون أحرفاً بأناملهم فيتمشون عليها.

وفيها تم افتتاح المعهد الفني بمدينة الظهران وكان أرقى المعاهد العسكرية في العالم وقد تكلف إنشاء المعهد مائة مليون ريال ويدرس فيه أكثر من ألف ومائة طالب وفيه أكثر من مائتي مدرس والهدف من إنشاء المعهد الفني بالظهران هو

إعداد فنيين من جميع تخصصات ويقبل في هذا المعهد حملة شهادة الكفاءة المتوسطة حيث يدرسون لمدة ثلاثين شهراً يتخرجون بعدها برتبة وكلاء فنيين ثم يمارسون التدريب العملي لمدة ستة أشهر في إحدى القواعد الجوية ثم يقودون إلى المعهد ليكملوا دورة متقدمة لمدة تسعة شهور وكان افتتاحه تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران حيث تخرجت في يوم الافتتاح الدفعة الأولى من طلبة المعهد.

وفيها وفاة علوي شطا وذلك في ٢٠ من شهر رمضان وهو علوي بن حسين شطا أحد أعيان مكة المكرمة ومن رجالات العلم فيها وكانت وفاته على أثر مرض لأزمة من مدة قالت مجلة رابطة العالم الإسلامي قد عرفه الجميع مثالاً للأخلاق العالية والسجايا الكريمة وقد شغل عدة مناصب معظمها في ميدان التربية والتعليم وكان والده السيد حسين شطا يرحمه الله من كبار علماء هذه البلاد ممن قاموا بالتدريس في الحرم المكي الشريف في الجيل السابق زمناً طويلاً وقد عرف أصدقاء السيد علوي شغفه بالقراءة وما تحتويه مكتبته الحافلة من أمهات الكتب في سائر العلوم والفنون وقد تفرغ لها في الأعوام الأخيرة وكان لا يعلم عن كتاب جديد وخاصة في العلوم الإسلامية إلا بادر باقتنائه وقراءته.

تنبيه

قد أشرنا إلى أن صاحب الجلالة الملك المعظم عاهل المملكة العربية السعودية قد تأثر من أعمال اليهود في تحريق المسجد الأقصى ووجه نداءً إلى العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها دعاهم فيه إلى الجهاد لإنقاذ ثالث المسجدين وأولى القبلتين ذلك بأن اليهود يريدون إعادة هيكل سليمان بن داود عليه السلام الذي بناه في القرن العاشر قبل الميلاد والذي دمره ملك بابل وحوّله إلى أكوام من التراب ولم يبق منه حجراً على حجر فسولت لليهود أنفسهم عليهم من الله ما يستحقونه لما كانوا يضمرونه من الكيد بالمسلمين أن يهدموا المسجد الأقصى ويجعلوا مكانه

هيكل سيلمان، الله أكبر مئات الألوف من المؤمنين عبر القرون الماضية تقصده للصلاة وهي تعيش في جو ممتع وصلاة فيه بخمسمائة صلاة ويقول سيد البشر «صلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة» ويقول «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» هو أحدها واليوم يصبح في قبضة اليهود ويحرق منبره في النار فإنه لا يحتاج إلى ترميم وإنما يحتاجه تحريره من أيدي هؤلاء اللصوص المغتصبين ولقد استجاب للنداء الذي وجهه الملك فيصل ملوك ورؤساء الدول الإسلامية ولبوا دعوة النداء لإنقاذ المسجد الأقصى من براثن اليهود ونسأل الله تعالى أن يحقق الأماني ولا سيما الباكستان. وعقد اجتماع إسلامي كبير في مدينة كلكتا بالهند يطالبون بشدة الأمم المتحدة بضرورة إرغام إسرائيل على الانسحاب من المقدسات الإسلامية وتلقى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي برقيات تجاوباً مع دعوة الجهاد.

وقد نشرت الصحف ما جرى على أحمد آباد من التحريق ونهب الأموال وأن هذه المدينة تحولت إلى ركام من الخراب وكومة من الرماد وأن النار أكلت عدة من حارات المسلمين فلم تذر فيها أثر من العمارات والمنازل وذهب ضحية ذلك أكثر من ألف نسمة عدى المنكوبين والجرحى وسيأتي تفاصيل ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة (١٣٩٠هـ)

ففيها وقعت مأساة عظيمة وحالة محزنة وهي أنه اشتبك الفدائيون من أهل فلسطين مع الأردن بقتال عنيف جداً وهذا على إثر اعتداءات الفلسطينيين على الأردنيين سخطاً على الملك حسين، وقاموا بإزعاجات وتهديدات وتخريبات اضطر لها الملك حسين لما كل كاهل حكومته عن حملها وحتى توصلت الأحوال بالفلسطينيين إلى أن قطعوا المياه عن الأردن فقد نشرت الإذاعة أن العطش بلغ بأهل الأردن أن شرب بعضهم بوله فغضبت الحكومة الأردنية لهذا التصرف

ووجهت القوات النارية على مخيم الفلسطينيين وأوقعت بهم إيقاعاً شديداً سقط عشرات الألوف من الفلسطينيين صرعى على وجه الأرض فقد قيل أن الذين ذهبوا ضحية ذلك أربعة وعشرون ألف فلسطيني كانت ساعة لليهود يتفرجون فيها على العرب يقتل بعضهم بعضاً ولا ريب أن ذلك يبعث الحزن والأسى وكان الذي حدى بحكومة الأردن أعمال اللاجئين حواليها بحيث أنهم قاموا بهدم بنايات وتقتيل رجال الأردن وغير ذلك من الفساد رغم أن الحسين قد آواهم وواساهم من تبرعات العرب والمسلمين فقام زعماء العرب ورؤساؤها وتدخلوا في الموضوع لحل ذلك النزاع واجتمعوا في مصر فتوقف القتال بين الأردن وفلسطين، وقرر زعماء العرب انسحاب الفلسطينيين عن الأردن وانفصلت الحالة عن أمر محزن وكان ذلك في منتصف النهار يوم الاثنين ٧/٢٨ من هذه السنة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها في ٢١ محرم وقعت هزات وزلازل في تركيا وهلك بسببها في أول وهلة ألف شخص غربي البلاد وتضرر السكان من ذلك.

ذكر وفاة الزعيم جمال عبد الناصر

لما انحسم النزاع بين الفدائيين والأردن وودع زعماء العرب بعضهم بعضاً وساروا من مصر ذهب الرئيس جمال ممتطياً سيارته يكابد شتى المشاكل ففي (١٩٥٨م) تمت الوحدة بين سوريا ومصر في إطار الجمهورية العربية التي كان جمال عبد الناصر يطلبها ولكن التجربة أثبتت أنها أصعب مما كان متوقعاً ولم تكن ثورة العراق (١٩٥٨م) عاملاً مساعداً بل عائقاً وفي (١٩٦١م) كان على الرئيس جمال عبد الناصر أن يعترف بانشقاق سوريا عن مصر وأعقبت هذه نكسة أخرى عندما أيدت مصر الثورة اليمنية (١٩٦٢م) ولم تحرز نصراً سريعاً بل تورطت في حرب طويلة شاقة، ومع كل هذا كان الرئيس جمال قد أصبح زعيماً بارزاً على المسرح العالمي عن طريق ارتباطه مع الرئيس تيتو والباندت نهرو في حركة عدم الانحياز

فظلت مكانته عالية لدى الذين يعظمونـه حتـى جـاءت الضـربات القاصـمة الـتي أصابت مصر والعالم العربي في حرب الأيام الستة عـام (١٩٦٧م) وأدرك الـرئيس جمال عبد الناصر أن شعبه كان ينتظر نتيجة غير هـذه للحـرب فقـدم اسـتقالته مـن الرئاسة ولكنه عاد فسحب استقالته تحت تأثير الضغط الشعبي ومنذ عام (١٩٦٧م) كرس كل جهوده للمشاكل الناشئة عن الحرب فأعاد تكوين وبناء القوات المسـلحة بمساعدة الروس استعداداً لاحتمال وقوع حـرب أخـرى، ولكنـه في نفـس الوقـت التزم بالسعي إلى حل سياسي إذا كان هذا ممكناً وظل على موقفه هذا وهـو يواجـه شتى المشاكل الناشئة عنه نظراً لأن الفدائيين الفلسطينيين ومؤيديهم يعارضـون أي حل من هذا النوع ولما أن ودّع زعماء العرب القادمين إلى مصر لحل هذا النزاع بين الفدائيين والأردنيين وسار ممتطياً سـيارته أصـيب بنزيـف شـديد في الأنـف أعقبـه ضعف شديد وبعدما وصل إلى قصره دعي له الأطباء وبعـد إجـراء الفحـص رأت الأطباء أن أحد الشرايين للقلب قد أصـيب بسـدد، وحينمـا أرادوا أن يعملـوا لـه عملية توفي قبل العملية وكانت وفاته في وقت صلاة العصر من يوم الاثنين ٢٨/٧ من هذه السنة فقامت إذاعات مصر تظهر الحداد وأخذت في تلاوة القرآن وهجرت جميع برامجها فأذيعت وفاته في الساعة الرابعة ليلاً وقامت غالب حكومـات العـرب وغير العرب تعلن الحداد عليـه فقـد أعلنـت مصـر الحـداد لأربعـين يومـاً هـاجرة الزينات والحفلات وأغلقت الدوائر وعطلت الأمة ثلاثة أيـام حتـى يشـيع جثمانـه يوم الخميس وأعلن الحداد عليه في الكويت أربعين يوماً وكذا في السودان وسـوريا ولبنان هذا وما أن سمع العالم العربي بنبأ وفاة الفقيد العربي الكبير كـذا تعـبر عنـه إنجلترا حتى أخذت الأنباء تتوالى عن وقع هذا النبأ في النفوس وأذاعت القاهرة أنها مدينة حزينة اليوم وفي حداد عميق على وفاة الرئيس جمـال عبـد النـاصـر واحتشـد آلاف المصريين حول الأسوار العالية للقصر الجمهوري بالقبة حيث يسجى جثمـان الرئيس الراحل بأن تصدق أنباء وفاة زعيمه وقام الأهالي يصرخون بأصوات عالية (خذونا إليه خذونا إليه) وصار آلاف السكان بالقاهرة يهتفون بالأسواق (لا إله إلا

الله عبد الناصر حبيب الله) (عبد الناصر حبيب الله) وقاموا يمسكون صور زعيمهم المتوفى وقد استدعيت قوات ودبابات للسيطرة على الجماهير العربية الذين قاموا يصرخون بأصوات عالية (خذونا إليه خذونا إليه) وقد أغمي على ٢٥٠ شخصاً وذكر أن امرأة توفيت بالسكتة القلبية إثر سماعها بنبأ وفاة الزعيم الراحل وفي لبنان اجتاحت الأهالي موجة من الحزن العميق هجروا مساكنهم وخرجوا إلى الشوارع قد احمرت أعينهم من شدة البكاء وحملت سيارات الإسعاف عدداً من الأشخاص إلى المستشفى لما أغمي عليها وأطلقت العيارات النارية بشدة هناك وعجت إذاعة بيروت بتلاوة القرآن وأعلن الحداد الرسمي في لبنان لمدة أسبوع وجاءت الأنباء من النواحي إلى نائب الرئيس أنور السادات يعزونه بوفاته ويقول سليمان فرنجية بتعزيته (الخطب جلل والمصاب كبير)، (لقد سقط في ساحة الشرف في سبيل القضايا العربية التي وقف حياته لها ولفظ آخر أنفاسه في خدمتها) وأقفلت أسواق بيروت وأشعلت حرائق في الشوارع وارتفع دخان أسود لهذه الحرائق بينما رفعت الأعلام السوداء وصور الراحل وكانت لعلعة رصاص الأسلحة الأوتوماتيكية لا تزال تسمع صباح ذلك اليوم في مختلف العاصمة اللبنانية وقام غالب الأهالي في سوريا وطاف آلاف في شوارع دمشق وهم يهتفون (ناصر حي.. ناصر حي) وعلقت لافتات فوق المحلات في دمشق مكتوباً فيها تتوقف عن العمل لمدة ثلاثة أيام وأعلن الحداد الرسمي لمدة أربعين يوماً وامتلأت السفارة العربية المتحدة بكبار المسؤولين وامتلأت شرفات السفارة بنساء الجالية المصرية وعضوات من الاتحاد النسائي السوري وكنَّ يلوحن بمناديل سوداء ويبكين بحرارة، وكذلك القدس حصل فيها مظاهرات لم يستطع رجال البوليس تفرقتها إلا بخراطيم الماء لتفرقة المتظاهرين، وفي قطاع غزة فتحت القوات الإسرائيلية النار على المتظاهرين وكان المتظاهرون يقذفون بالحجارة حداداً على الرئيس جمال وقام الرئيس نور الدين الأتاسي يرافقه الفريق الجوي حافظ الأسد والوزراء لتقديم التعازي ولما أن كان في يوم الخميس غرة شعبان قدمت الرؤساء والممثلون إلى مصر لتشييع جنازة الرئيس

وكان ذلك في الساعة الخامسة غروبي فلم يصل إلى قبره إلا في تمام الساعة الثامنة ظهراً وكادوا يهلكون من شدة الزحام وقامت نساء مصر يشددن شعروهن ويلطمن وجوههن من شدة الجزع واختل النظام وقام المصريون يصرخون تارة بالتأبين عليه وتارة بتلاوة القرآن عجز المذيع عن أن يعبر من شدة البكاء وبحت الأصوات في مصر ينادون أيها الأخوة المواطنون المشهد أكبر منا جميعاً وجعلوا يهتفون باسمه وينادونه جمال عبد الناصر تبكيه القلوب وداعاً يا جمال وداعاً يا أغنى الرجال وداعاً يا أعز الرجال وداعاً يا منيل الأمال وداعاً يا من غرست فينا العزة يا من غرست فينا الكرامة من لنا من بعدك يا جمال يا جمال إلى أين؟ مصر تناديك الأمة العربية كلها تنادي إلى غير ذلك من الجزع وأنواع الهذيان والحزن وهذه مبالغة لم يجرؤ عليها أحد في وفاة الأنبياء والرسل فقد مات سيد الرسل وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين محمد بن عبد الله ﷺ وما جرى ذلك التأبين عليه، وقد توفي عن عمر يناهز الثانية والخمسين مخلفاً ابنين وبنتين خالد وعبد الحكيم ومنى وهدى وعن زوجة فالله المستعان، وآخر شيء نقوله عنه أنه لا لعدو قهر ولا لصديق نصر ولا لشعب عمر وسيجازيه الله الذي لا يظلم النقير ولا القطمير بأعماله التي فعلها وأبشع جريمة تدخله بحرب اليمن وإزهاق عشرات الآلاف من البشر بسببه وتعذيبه للمسلمين في مصر وقتله العلماء الشرعيين كسيد قطب وحسن البناء وغيرهم وانتهت حياته المملوءة بالدماء مضافاً إلى ذلك إذاعاته السرية في مسبة ملوك العرب وبثه الجواسيس والمباحثين حتى كان القريب يتجسس على قريبه والوالد على ولده وعكسه والأخ على أخيه وبعثه المخربين وتسليطه زبانيته على خلق الله قالت صحيفة البعث الإسلامي في عددها الرابع المجلد الخامس عشر رمضان (١٣٩٠هـ) ما نصه قضى من حياته أكثر من خمس عشرة في سياسة ملؤها بلبلة واضطراب وتأييد وإنكار وتغيير وإرهاب فكانت حياة أزعجت كثيراً وأراحت قليلاً لقد مات والقدس الحزينة الواجمة تحت رحمة اليهود وسيناء وشرم الشيخ والضفة الغربية والجولان تحت حكمهم والمدن المصرية المدمرة المهدمة

تشهد بقصفهم ونيرانهم مات بعد أن ضيق على الشاب المغترب حياته في أوروبا وأمريكا حتى عز عليه أن يواجه الجمهور الساخر الشامت في أيام النكبة وبعدها مات بعد هزيمته فأصبح كذا وكذا وصار يحلف باسمه ويعكف لصورته فما ظنك به إذ لو كان منتصراً حقاً ترى ما تكون ألقابه إذا استرد سيناء مثلاً فالحمد لله الذي أنقذ مصر الحبيبة من الشرك السافر الجلي ومن عادة الصور والتماثيل والضرائح والقبور وأطال في التهكمات والسخرية[1] ونعود إلى التاريخ فنقول لما توفي خلفه في الرئاسة أنور السادات وكان حكيماً مسالماً في بداية أمره محمود السيرة.

وفيها عينت الحكومة السعودية أيدها الله لإمارة عسير وتلك المنطقة الأمير فهد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ففرحت الأهالي واستبشروا فقد أذيع هذا الخبر وصدر الأمر الملكي بتعيينه وتوجه عدد من كبار موظفي الدولة وحشد من المواطنين وأبناء منطقة عسير المقيمين بالرياض مهنئين سموه بالثقة الملكية التي أولاه إياها جلالة الملك فيصل وترجو له التوفيق. هذا ولا يزال تبادل إطلاق النار بين الأردن وإسرائيل تغير إسرائيل على الأردن وترد عليها الأردن بالمثل كما أن الطائرات الإسرائيلية تشن غاراتها على مواقع القوات المصرية فقد أغارت أربع وعشرون طائرة على مناطق السويس وبور توفيق والقنطرة والحرش.

وفيها في أوائل محرم يوم الجمعة ١٢ منه قام وزير المعارف السعودية حسن بن عبد الله آل الشيخ بزيارة رسمية للباكستان بصحبة عدد من الأعيان من بين أعضاء هذا الوفد عميد كلية الطب وعبد الوهاب أحمد عبد الواسع وكيل وزارة المعارف وكان الوزير حسن بن عبد الله إذ ذاك وزير الصحة بالنيابة واستغرقت الزيارة أسبوعاً كاملاً.

وفيها في يوم الأحد ٢ ربيع الثاني قام صاحب الجلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز بزيارة رسمية لماليزيا فاستقبل هناك بكل حفاوة وأطلقت المدفعية

---

(١) قد أسلفنا في سنة ١٣٧٤ نشأته ودراسته وأخلاقه كما مر فليراجع.

لقدومه إحدى وعشرين طلقة ونصبت هناك أقواس النصر وسار موكبه عبر شوارعها المحتشدة بالجماهير على امتداد الشوارع التي تعلوها عبارات الترحيب بجلالته بين طلبة المدارس والمعاهد والكليات والجامعات وكانت ساعة مشهودة وقد عزفت الموسيقى مرات للسلام والترحيب وكان قد عهد لولي العهد خالد بن عبد العزيز بتصريف أمور الدولة فترة غيابه وقد شملت هذه الزيارة بعد ماليزيا كلا من أفغانستان وإندونيسيا والجزائر وفق الله المسلمين للتعاون والتعاضد والتكاتف، وكانت مساعي فيصل هادفة لنشر الإسلام في سائر جهات الأرض وقد نجحت.

رياح تجتاح باكستان

ولا حول ولا قوة إلا بالله عصفت إعصارات على باكستان الشرقية وكان ضحيتها خمسة عشر ألفاً وتسعمائة وثلاثة وأربعون شخصاً ألقتهم صرعى على وجه الأرض وهذا الإعصار الرهيب يعتبر أسوأ كارثة تعرضت لها الباكستان وقد صاحب هذا الإعصار موجة عالية اجتاحت جزيرة هاني حتى ذكرت الأنباء أن نصف سكان الجزيرة قد هلكوا وذكر الهلال الأحمر في باكستان الشرقية أن نصف مليون شخص هم الآن في حاجة للعون لإبقائهم على قيد الحياة فقامت الأمة من سائر الأقاليم تجمع لهم المساعدات من ألبسة وحليب وتبرعات نقدية لشراء أطعمة وملابس وبادرت سويسرا بطائرة محملة بمواد الإغاثة من الصليب الأحمر.

أن الباكستان الشرقية استهدفت لقوارع الزمان فقد أصيبت أيضاً في ٢٢ جمادى الأولى من هذه السنة بهزة أرضية دامت عشر ثوان كما أنه أصيب أربع عشرة مقاطعة من ١٩ مقاطعة منها بالفيضانات ويقدر عدد الذين تضرروا بالفيضانات بما يقرب من نصف مليون وآخر ذلك الحرب التي وقعت بينها وبين الهند بعد ذلك وسيأتي ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وفيها وفاة مفتي الجمهورية التونسية الشيخ الفاضل محمد بن عاشور عضو المجلس التأسيسي للرابطة وكان ذلك في يوم الاثنين ثالث صفر من هذه السنة وقد وافاه الأجل المحتوم بمدينة تونس ونعته رابطة العالم الإسلام في مكة المكرمة إلى الأمة الإسلامية رحمة الله على أموات المسلمين.

وفيها في أواخر ربيع الأول توفي الوجيه علي بن فهد بن علي الرشودي أحد أعضاء رجال المجتمع في مدينة بريدة في القصيم قدس الله روحه ونوّر مرقده وضريحه، هو نجل رئيس مدينة بريدة وعظيمها المقدم في رجال الضبط والربط فهد بن علي الرشودي زعيم بريدة وضواحيها وكان علي بن فهد من خيرة أبناء والده وهو الذي خلفه في الزعامة. ولد المترجم في عام ثمان بعد الألف وثلاثمائة ولديه ثروة ورثها من والده وفيه مكارم الأخلاق من عقل وكرم وسماحة وثقة وأمانة محبوباً محترماً وذا عطف على الفقراء والمساكين وفيه رجولة وسداد في الرأي وكانت وفاته على إثر جلطة في الدماغ أودت به إلى الوفاة وكان له أخوة من بينهم أخوه عبد العزيز الفهد الذي خلفه في الزعامة ويمتاز المترجم بعزة النفس ومكارم وتقدير لأهل الفضل رحمة الله تعالى عليه.

وممن توفي فيها من الأعيان في مدينة دمشق الشيخ صبحي القضماني وكان موصوفاً بأنه من الرعيل الأول ومن المجاهدين الصناديد الذين قارعوا الاستعمار الفرنسي وكان موته مبكياً مواطنيه وذويه وعارفيه لأنه قضى أول حياته في الجهاد وآخرها في تلاوة القرآن والعكوف على العبادة والاشتغال بذكر الله والكف عن الناس وله من البنين بشير بن صبحي وكان يسكن في مدينة الرياض وقد غص منزل نجله الدكتور بشير بالمعزين والمواسين رحمة الله على أموات المسلمين!!

وفيها ولدت مولودة بإحدى الممالك الأخرى ليس لها رقبة وعيناها جاحظتان وفمها ترك مكانه الأصلي داخل الرأس وخرج لسيتقر على الجبهة والله على كل شيء قدير.

فصل المعاهد العلمية

في هذه السنة قررت الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية بالمملكة السعودية فصل الدراسة بالمعاهد العلمية إلى مرحلتين متوسطة وثانوية مدة كل منهما ثلاث سنين ابتداءً من حال إقرار هذا المشروع الذي وضعت مناهجه اللجنة الفرعية للتعليم وهذا المنهج يشمل المعاهد العلمية ودار التوحيد والجامعة الإسلامية بالمدينة وسيكون منهجاً مماثلاً لمنهج وزارة المعارف وقد صدرت موافقة جلالة الملك على تفويض الشيخ عبد العزيز بن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بالتوقيع على الشهادات الدراسية العالية والثانوية خلفاً لوالده رحمه الله.

كشف طبي

في هذه السنة والتي قبلها توصل أهل الفحص من الأطباء إلى أن الطيور الرحالة تنقل مكروب مرض خطير يصيب الرجال من صفات هذا المرض أنه حمى مصحوبة بصداع شديد متناوب تارة في هذا الجانب من الرأس وتارة في الجانب الآخر في فترات لا تزيد عن عشر إلى خمس عشرة دقيقة وكذلك دوخة وغثيان وإسهال شديد ثم جاءت التقارير المفزعة تشير إلى ارتفاع نسبة الوفيات بين المصابين وهذه ملاحظة دقيقة بأن هذا النوع من المرض انتقل من الهند إلى روسيا بواسطة هذه الطيور الرحالة وما أحسن التحرز والوقاية وبذل الأسباب ضد هذه الأمراض التي تنتشر بإذن الله بواسطة العدوى فقد قيل درهم وقاية خير من ألف درهم علاج.

رحلتنا إلى قطر عام (١٣٩٠هـ)

لما كان في ٩/ ٦ كنت في مدينة الرياض لقضاء بعض الحاجات وزيارة الأقارب فعرض علي المحب محمد بن منصور بن إبراهيم الصانع أن نقوم برحلة إلى قطر وضمن لي الخدمة التامة وقد كنت أفكر في الموضوع قبل ذلك لرؤية مدينة قطر

والتجول فيها فأمرته أن يأخذ سيارة تاكسي مريحة وقمنا في الساعة الثالثة صباحاً بالتوقيت الغروبي من يوم الثلاثاء الموافق لليوم المذكور ١٢ يوليو تموز (١٩٧٠م) بعد الاستعداد للسفر فسرنا متوجهين إلى الإحساء إذ الطريق يخترقها ولما أن قدمناها بعد صلاة الظهر طفقنا نسأل عن بيت الشيخ صالح بن عبد الرحمن القرعاوي قاضي مستعجلة القضاء في الإحساء وهذا بعدما وجدنا المحكمة الشرعية مغلقة الأبواب لانتهاء الدوام أن صالحاً القرعاوي من مدينة بريدة وتجمعنا به أواصر المحبة لأنه كان من تلامذتنا الأجلاء وما أن وصلنا إلى بيته حتى ألفيانه مستريحاً بعد العمل فاستقبلنا مرحباً بنا وأبدى بشاشة وترحيباً لسان مقاله تلك اللحظة:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل

فأجلسنا في الديوان من بيته المفروش بالزل والفرش وعلى جنبات المجلس كراسي الكنب وأخذ الهاتف يكلم أصحاب الفضيلة العلماء من بينهم الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز الخضيري وطلب حضورهم بعد صلاة العصر فأزلنا وعثاء السفر وما نالنا من بعض النصب ولما أن أخذنا راحتنا قمنا بعد الطمأنينة والنوم والراحة لأداء صلاة العصر وتناول القهوة والشاي وما تيسر من الطعام وبعد ذلك دخل أصحاب الفضيلة العلماء وبعدما اطمأن بنا المجلس قمنا لنأخذ فكرة عن مدينة الإحساء فذهبنا إلى مشروع المياه فيها وكان ذلك المشروع ضخماً قامت به الحكومة أيدها الله فوقفنا على الخزان العظيم وذلك العمل الجبار الذي مدت إليه الأنابيب من المضخات الضخمة وانطلقت منه الأنابيب للسقي والري ورأينا مجهوداً عظيماً أتيح لأهل تلك المنطقة ثم ذهبنا إلى السوق المملوء بالخضراوات والفواكه ويذكر عن الإحساء أن البيع والشراء يكون متنقلاً في أسواقها في كل سوق له يوم معلوم وذهبنا إلى الغارة في جبل القارة وهي عبارة عن ساروت يمتد في ذلك الجبل الشاهق الرفيع وكان ذلك الغار الملتوي في ذلك الجبل له منحنيات في أسفله ويعتبر من أعظم ما في المملكة العربية السعودية من الملاجىء والأكناف

والكهوف ينتابه الأهالي للفرجة والنزهة ويتجولون هناك في مغاراته لسعته ولما فيه من المواضع الباردة بين جنبتي ذلك الجبل المنشق الذي لطول منحياته لا يكاد يبصر الإنسان فيه إلا بنور في سادسة النهار وذلك لطول الجبل الذي يبلغ ارتفاعه قريباً من سبعين متراً وكان من أعجب ما رأيته فيه كثرة العوائل الذين لسعته لا يرى بعضهم بعضاً وتجدهم في تعب من الصغار لأن لا يضيعوا أو يتواصون بالذراري لكثرة منحنياته وفجاجه!! إن مدينة الإحساء برية واسعة الأرجاء وفي تلك المنطقة عيون كثيرة عظيمة منها عين نجم التي هدم قبتها الإمام فيصل بن تركي وكان ينتابها من بلي بوجع المفاصل والروماتيزم فيغتسلون فيها وقد تكون علاجاً لما في مائها من الحرارة والمادة المفيدة الكبريتية وكان من الجهال من يعتقد الشفاء فيها وإنما الشفاء من الله جل ذكره، وللشيخ أحمد بن علي بن مشرف قصيدة في ذم ذلك وامتدح الإمام فيصلاً بهدم قبتها بقوله من قصيدة أخرى:

إذ قام يحمي من الدين جانبه ... وما أصاخ لأهل الزور والمين
لكن أطاع هداة المسلمين بما ... أفتوا وسل حساماً ذا غرارين
فقام يعدو بلال وهو معتجر ... لحرب من لامه فيها ببردين
وسار في عصبة للهدم عامدة ... بآلة الهدم والتخريب والحين
فغادروها كبنيان الذين بنوا ... على شفا جرف للشك والرين

ومنها عين أم سبعة سميت بذلك لأن ماءها يجري في سبعة أنهار من منبعها وقد دفنت الرمال واحداً منها وماؤها في غاية الصفا والعذوبة وهي غزيرة الماء وهناك عيون أخرى كثيرة كعين الخدود ويقدر الخبراء الماء الخارج منها في الدقيقة الواحدة بثلاثين ألف جالون، ومن أعجب ما رأيت في الإحساء مسجد جواثي بضم الجيم وفتح الواو بعدها ثاء مثلثة يمد ويقصر مدينة لعبد القيس بهجر كثيرة الزروع والنخيل، قال أبو تمام:

زالت بعينيك الحمول كأنها ... نخل مواقر من نخيل جواثي

وكان هذا المسجد أول مسجد أديت فيه صلاة الجمعة بعد مسجد رسول الله ﷺ ولما وفدت على رسول الله ﷺ وفود العرب كان من بينها وفد من الجزء الشرقي من الجزيرة من الإحساء من عبد القيس برئاسة المنذر بن عائذ سنة سبع من الهجرة فأعلنوا إسلامهم وبعد عودتهم إلى بلدهم بنوا ذلك المسجد فكان أول مسجد صليت فيه الجمعة بعد مسجد الرسول والحديث في صحيح البخاري وبذلك يفخر بنو عبد القيس فيقول شاعرهم:

والمسجد الثالث الشرقي كان لنا   والمنبران وفصل القول في الخطب
أيام لا مسجد للناس تعرفه   إلا بطيبة والمحجوج ذو الحجب

ولم يزل موضع هذه المدينة موجوداً وهي شرقي قرية الكلابية بمسافة مسيرة ساعة ونصف على الأقدام تقريباً وكان هذا المسجد فيه بقية آثار من البناء القديم وهي رؤوس عقود كانت على مرتفع في المسجد ويظهر أن بنايتها من النورة والطين فعبارة لم يبق من المسجد سوى أطلال وفوهة العين وقد تراكمت في الموضع الرمال حتى أخفت معالم القرية وهذه البقية من آثار المسجد محاطة بجدار من الطابوق تضمن شرذمة من جداره الغربي وخمس أساطين من رواقيه الثاني والثالث في الجهة الجنوبية وقد غطت الرمال كثيراً من الباقي من آثاره وفي الشمال الغربي من المسجد بمسافة سبعين خطوة تقريباً يوجد آثار قبة مدورة الشكل طول محيطها خمس وثلاثون خطوة يزورها بعض أهالي القرى المجاورة يعتقدون أنها قبر أما العين ففي الشرقية من المسجد وتبعد عنه بقدر ٢٢٠ خطوة وقد بقيت فوهتها مملوءة بالماء يردها الصادر والوارد لتلك الجهات وقد صلينا فيها صلاة المغرب، وبعدها قمنا نقلب الطرف في بقية تلك الآثار وكانت العقود المتبقية أطلالاً وهناك بناية جديدة حديثة حوالي تلك العقود التي تركت كآثار ويشاهد هناك مبخر من الطين وحديثي عن قرى الإحساء وعيونه طويل لا تتسع له هذه الأوراق وغالب أهالي تلك القرى إنما هم شيعة وكان يباع في سوق الخميس الذي يعتبر كما قفة بريدة أنواع

الخضروات من بطيخ وقثاء وخوخ وبخارى وعنب وتفاح وبرتقال وغيرها وفيه حركة هادئة مع كثرة البائعين والمشترين. ولما أن رجعنا من مسجد جواثي ذهبنا لأداء صلاة العشاء الآخرة في الجامع الكبير بالإحساء وألقينا على الحاضرين موعظة عامة تتضمن الحث على الصلوات الخمس في الجماعة والتزام بقية أركان الإسلام وشعائره وما ينبغي للمسلم أن يتخلق به وكان ذلك بمكبر الصوت فوافقت قبولاً وسرنا بعد ذلك إلى مأدبة الشيخ القرعاوي في بيته الذي يرد عليه الجيران والأحبة وما أن صلينا صلاة الصبح وأخذنا وقتاً يتسع لزيارة فضيلة الشيخ صالح بن علي أبو غصون رئيس محاكم الإحساء حتى ذهبنا إليه في بيته فوجدناه يريد الذهاب إلى مقر عمله فما كان منه إلا أن قام يحيينا بأجمل تحية وأحر ترحيب أن الشيخ أبا غصون رجل قوي ومحبوب في الإحساء ويصفونه بالعدل والإنصاف ورحمة الضعيف ومواساة المحتاج وفيه محاسن أخلاق ومكارم وتواضع كان ضرير البصر بصير البصيرة صريحاً لا يملق في الحديث قد بلغ الستين من العمر دعانا بتأكيد لمائدته ظهراً وكنت أذكر أنه تقدم منه قبل هذه السنة دعوة لما مررنا بالأحساء قبل هذه السنة نريد الظهران فلم يقدر الله ذلك وقمنا بعد الجلوس مع فضيلة الرئيس لرؤية مشروع الري في الإحساء الذي تقدر تكالفه بأربعمائة مليون منها تعويضات الهد وإزالة النخيل التي مر بها ١٥٨٠٠٠٠٠٠ وتكاليف العمل والمعدات وما إلى ذلك مايتان واثنان وأربعون مليوناً وحضرنا مجلس الشيخ صالح القرعاوي فإذا هو يباشر أعماله القضائية بنشاط يهابه المبطل وربما قفز من الكرسي حتى يعلو الخاصة فأعجبتني قوته لإيقاف المعتدي وذلك لما يجده من التحمس وبعد صلاة الظهر ذهبنا لدعوة الرئيس وتمتعنا برؤيته وحديثه وكان لبقاً دمث الأخلاق طَلْق المحيا مرحاً فأخبرته أننا نريد بلاد قطر ونريد خطاباً منك كتعريف بنا لحاكم قطر فإننا لم نشعره فتوجهنا وإن كان قد تقدم منه دعوة غير معينة فأصحبنا الشيخ أبو غصون بكتاب واقترح أن يزودنا بمعلومات ظريفة بأن إذا قدمنا بلاد آل ثاني لا نطلب مبارحتها إلا برخصة من الحكومة القطرية ليكون الوقت واسعاً لأخذ

معلومات عن البلاد وأن تكون مغادرتنا لها على حسب رغبة الحكومة وكنت أقدر له ذلك الاقتراح الوجيه ثم إننا بعد مبادلة الحديث مع فضيلة الرئيس سرنا منه لمواصلة المسير إلى قطر وقلت لصاحبنا محمد بن منصور اذهب بنا إلى الاستيشن واطلب لنا سيارة مريحة ولكننا وياللأسف لم نغادر الحسا إلا بعد مضي وقت لقلة المسافرين وكان سيرنا قبل الغروب بساعة واحدة رغم حرصنا على الوصول مبكرين وكانت المسافة بين الإحسا وقطر تبلغ ٢٧٣ كيلو مع الخط المسفلت هناك وقد سرنا ١٧٤ كيلومتر لم نر ساكناً ولا مسكناً سوى عمال يقدرون بعشرة في تصليح ما تكلم عن الخط، وكنا نسير على درجة ١١٠ كيلو ثم نزلنا لأداء صلاة العشائين جمع تقديم نتناول ماء الوضوء من جالون ماء أعده السائق لمثل ذلك وبعد الأذان والإقامتين سرنا مواصلين سفرنا ولم نجد هناك عيناً تطرف حتى تبدت لنا سلوى مركز الحكومة السعودية في الحدود الجنوبية الشرقية وكانت الساعة تشير إلى الواحدة بعد الغروب، إن سلوى كانت موضعاً فيه بنايات قليلة وتضاء إذ ذاك بأنوار ضعيفة يسير الذاهب بين تلك البنايات وأبواب بين مواصير فتمر بمركز عن يمين الذاهب تجري فيه عرض الجوازات فجلسنا بقدر ما يؤدي المرابطون مهمتهم وبعد مسير السيارة بكيلو نقف بمركز أبو سمرة لحكومة قطر فعرضنا الجوازات قاموا بالتوثيق ضد الكوليرا والتفتيش على الداخل فقلنا لهم يا قوم إننا قوم أشراف ولسنا بعاديين ودونكم السيارة والحقائب وفعلاً اعتذروا وقدموا لنا احتراماً وكان في ذلك المركز مسجد حجري حسن البناء ويضاء ذلك المركز على العموم بالأنوار الكهربائية لقرية من مدينة قطر ووجدنا في المسجد خادماً يتعاهده ويقوم بنظافته وكان الخادم شيخاً قد بيضت شعره الليالي حسن اللحية والهيئة قد سكن في حجرة في المسجد فيها سرير وأدوات لقهوته وقد نصب كرسياً ورفع فوقه مصحفاً فكان إذا فرغ من العمل والقيام بنظافة المسجد يعود إلى تلاوته من ذلك المصحف الكبير المكشوف وكان باسم الوجه يعلو أسارير وجهه نور وبهاء فقام صاحبنا محمد يعانقه ويبكي لحالته ويهنئه بهذه الصفات ذلك لما قام بمحمد من الرقة وكان لديه إبريق

قد نصبه على اسطوانة الغاز فيه حليب ودعانا إلى مكرمته فكنا نتناول من ذلك الحليب حسب رغبته وبكل حال فحالته غريبة عجيبة نسأل الله له التوفيق. وغادرنا ذلك الموضع إلى قطر بحيث قدمناها في الساعة الثالثة ليلاً بالتوقيت الغروبي.

التعريف بقطر

كان موضعه يقع على الساحل الشرقي من شبه جزيرة العرب في رأس من الأرض محاذياً لشاطئ العقير وهو من المدن الواقعة على ضفة الخليج العربي استولى عليه البرتغاليون في سنة (٩٢٢هـ) وبعدها بإحدى وعشرين سنة جهز السلطان سليمان ابن سليم القالوني أسطولاً بقيادة سليمان باشا وزير مصر لمحاربة البرتغاليين فسار في سبعين سفينة مسلحة بالمدافع الضخمة ومعه عشرون ألفاً فطرد البرتغاليين منها ومن غيرها مما استولوا عليه كما جهزت الدولة العثمانية جيوشاً فتحت الإحساء واستولت على تلك الجهات فتم للدولة العثمانية الاستيلاء على جميع جزيرة العرب في السنة المذكورة ولكنه قام بنو خالد بحملة فاستولوا على الإحساء والقطيف وما جاورها وذلك بعد مائة وسبع عشرة سنة وبعد ولاية الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بعث إليها قوة لفتح قطر وبعد قتال شديد سقط فيه خلائق كثيرون أكثرهم من آل أبي رميح استولت القوات السعودية عليها وكان ذلك في سنة (١٢٠٨هـ) ولما أن جرى على الدرعية ما جرى بقتال إبراهيم باشا كانت قطر تحت نفوذ الخليفة ولكنه قام الإمام فيصل بن تركي بعد ما أعاد الله الكرة للمسلمين فزحف إلى قطر ونزل القادة ثم والى زحفه حتى نزل الماء المعروف بطريق سلوى وكان حاكم البحرين إذ ذاك علي بن خليفة قد نزل على قصر البدع ومعه قوة من رجاله وفي القصر كثير من الأطعمة والذخير والمدافع الضخمة فأصدر الإمام فيصل أوامره على ابنه عبد الله أن يحاصر القصر فحاصره واشتد الحصار فهرب لذلك علي بن خليفة وركب ومن معه سفنهم وفروا إلى البحرين فاستولى عبد الله بن فيصل على القصر وما فيه ولما علم أهل قطر بما جرى طلبوا

الأمان من الإمام فيصل فأمنهم وبايعوه على السمع والطاعة وكان رئيس قطر إذ ذاك محمد بن ثاني وبعد وفاة الإمام فيصل استولت الدولة العثمانية على الإحساء كما قدمنا ثم بعثت قوة من الجنود فاستولت على قطر وأصبحت تابعة لمتصرفية الإحساء وكان يقيم في قطر عدد من الجنود النظامية في ثكنتها الموجودة في الدوحة ويرسل إليها كل سنتين ونصف حاكم شرعي وقد استمر استيلاء الدولة العثمانية على قطر كهذا المنوال حتى سنة عشر بعد ألف وثلاثمائة وذلك لأنه لما توفي الشيخ محمد بن ثاني في سنة (١٢٩٥هـ) وخلفه ابنه قاسم بن ثاني كان له تجارة عظيمة في اللؤلؤ وله مرتب من الدولة سنوياً وكان مسموع الكلمة بين قبائله وعشائره كان بالإضافة إلى أنه يدين بالسمع والطاعة للدولة العثمانية متصلباً في دينه مواظباً على طاعة الله ورسوله ويصرف أكثر وارداته على الجوامع والخطباء والأئمة والمدرسين فأرادت الدولة أن تتخلص منه فأرسلت إلى قطر مأموراً اسمه محمد حافظ فأخذ يدبر في قطر ويتحين الفرص لأخذ الشيخ قاسم أسيراً وقد علم قاسم بما يبيته له الباشا فأخذ يحتاط لنفسه فرأت الدولة أخذه بالقوة فأرسلت سفناً حربية تحمل جنوداً شاهانية وأرسلت إلى حاكم الكويت محمد بن صباح وإلى خلف النقيب تطلب مساندة سفنها بجنود من عندها فأرسل محمد بن صباح جيشاً بقيادة أخيه مبارك بن صباح واشتبكت مع هذه القوات الشاهانية مع الشيخ قاسم ولحسن حظه كان الجيش الكويتي والإحسائي في سلوى التي تبعد عن موضع المعركة بمسيرة أربع ساعات بسير السيارة ولما أن دارت المعركة من وقت الصباح الباكر من يوم السادس من رمضان سنة عشر بعد ألف وثلاثمائة إلى غروب الشمس أسفرت عن انتصار قاسم بن ثاني فقتل من الجنود الشاهانية خمسمائة وأسر خمسمائة واستسلم محمد باشا وبقية الجنود للشيخ قاسم فعفى عنهم وبعد مدة أرسل السلطان عبد الحميد للشيخ قاسم ببرقية يأمره فيها بالإخلاد إلى السكون وعزل محمد باشا عن قطر أما الجيش الكويتي فحينما بلغته الهزيمة رجع أدراجه إلى الكويت وكان في أصله لا يحب الاشتباك مع قاسم وإنما سار ليظهر الطاعة للدولة العثمانية وقد

وقعت اشتباكات قبل ذلك أعني في (١٢٨١هـ) بين قاسم وبين محمد بن خليفة حاكم البحرين كان آخرها انتصار القطريين على ابن خليفة وبعد وفاة الشيخ قاسم تولى الرئاسة في قطر ابنه عبد الله ولما أن توفي عبد الله بن قاسم في سنة (١٣٧٦هـ) خامس وعشرين رمضان خلفه في الرئاسة والحكم ابنه علي بن عبد الله وكان ذا كرم وإحسان ثم أنه تولى بعده ابنه أحمد بن علي وكان لآل ثاني همة عالية في طبع الكتب الدينية النفيسة الثمينة وينافسون في المكارم والفضائل.

أما عن القضاء في قطر فأسبق من عرف بتقلد القضاء فيه هو الشيخ محمد بن حمدان وكان ذلك من عام (١٢٨٥هـ) إلى عام (١٣١٠هـ) وأسباب عزله أنه في حال الحروب الواقعة في سنة عشر من القرن الرابع عشر بين قاسم والعثمانيين نقم عليه شيء من ميوله إليهم فعزله قاسم عن القضاء فانتقل بأهله إلى دارين بالمملكة العربية السعودية وتوفي بها، ثم أنه تولى القضاء بعده الشيخ عبد الله بن أحمد بن درهم وهو من أهل الحوطة في نجد وكان قد درس وأخذ العلوم الشرعية عن علماء أهل الرياض ثم انتقل إلى قطر واستوطنها فعينه الحاكم قاسم بن ثاني قاضياً في قطر فكان يقضي بين الناس في بيته وفي المسجد وفي السوق كما هي حالة القضاة السابقين وقبل أن تظهر هذه المحاكم ثم أنه أسن وبلغ الشيخوخة فأقيل عن منصبه وفي عام (١٣٣٢هـ) تولى القضاء في قطر فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع وكان قد دعاه إليها الحاكم بعد الله بن قاسم من البحرين فقلده أمانة القضاء فيها وبنى له المحل المسمى المحكمة على نفقة بعض المحسنين وهي الكائنة في شارع القاضي بفريق الجسر بالدوحة فكان يجلس فيها للتدريس والقضاء ونال درجة الإعجاب من قومه وذوي الفضل هناك وبما أن الشيخ محمد بن عبد العزيز قضت له الظروف برحيله إلى السعودية لينال مقاماً أكبر مما هو فيه وذلك في (١٣٥٨هـ) فإنه حج الحاكم في قطر عبد الله بن قاسم بعدها بسنة فطلب ابنه حمد بالنيابة عن أبيه من صاحب الجلالة عبد العزيز بن عبد الرحمن ملك المملكة العربية السعودية أن يبعث إليهم قاضياً في قطر فبعث الملك عبد العزيز إليها أحد الرجال الذين

يدرسون على الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع وتحت إدارته في مكة المكرمة وهو عبد الله بن زيد بن محمود رأيته في مكة ضمن الذين يدرسون على الشيخ في مكة المشرفة عام (١٣٥٩هـ).

وهذا شيء من ذكره والتعريف بنسبه هو عبد الله بن زيد بن محمود بن راشد بن إبراهيم آل محمود يجتمع نسبه بنسب الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم فقيه نجد فإبراهيم وآل محمود وآل غامد أهل الشيخ في الأفلاج هما قبيلة واحدة من الأشراف وأولاد الحسن بن علي وكان محمود هذا قد خلف ابنين هما إبراهيم بن محمود وزيد بن محمود من ذرية إبراهيم الشيخ عبد الله هذا ويتفرع من ذريته أعني إبراهيم نسل كثيرون ومن آل زيد بن محمود بن يوسف بن إبراهيم بن سعد بن زيد بن عبيد بن زيد بن محمود وخلائق آخرون منهم الساكنون في الزلفى ولد الشيخ عبد الله بن زيد في حوطة بني تميم في ذي الحجة من (١٣٢٩هـ) فنشأ بين أبويه حتى ختم القرآن وحفظه عن ظهر قلب فكان يؤم الناس في رمضان وهو في الخامسة عشرة ثم أخذ يطلب العلم فابتدأ في القراءة على الشيخ عبد العزيز بن محمد الشتري أبو حبيب وأخذ عن الشيخ عبد الملك بن إبراهيم قاضي بلد الحوطة سابقاً، ثم سافر إلى قطر فأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع فلازمه ثلاث سنين وحفظ متوناً من الفقه والنحو ثم ذهب إلى الرياض في رجب سنة (١٣٥٨هـ) فلازم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ولما أن طلبت الحكومة من الشيخ محمد ومن الشيخ عمر بن محمد بن سليم أن يعينا لها ثمانية أشخاص من الطلاب المتقدمين العارفين ليكونوا على حسب الطلب عند الحاجة كان من جملتهم لدى الشيخ محمد بن مانع في مكة المكرمة وكان قد حج حاكم قطر عبد الله بن قاسم بن ثاني وقد طلبوا قاضياً فأشار الشيخ محمد بن مانع عليهم بالشيخ عبد الله بن زيد وقال لهم وإن كان صغير السن فسترون منه ما يسركم وما طلبوه من الملك عبد العزيز كان جوابه لهم أن قال والله لو طعتم ابن سعود لأرسلته إليكم وأصدر الأمر إلى الشيخ عبد الله بن حسن بصفة رئيس القضاة بأن يكف الشيخ عبد الله بن

زيد بالسفر مع آل ثاني إلى قطر فسار في ١٣ من شهر ذي الحجة سنة (١٣٥٩هـ) وتقلد أمانة القضاء فيها فكان يمارس أعمال القضاء ثم أنه عين الشيخ حسن بن محمد الجابر مساعداً ولكنه لصدور الأمر من فضيلة حاكم قطر الشيخ علي بن عبد الله بن قاسم عليه باستصحابه معه في أسفاره وملازمته له في البلد للصلاة به والقراءة في الكتب اشتغل بذلك لكثرة ملازمته فعين الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري عمدة قاضياً في منطقة الخور يتولى القضاء في المستعجلة ولما توفي الشيخ إبراهيم الأنصاري عين بدله إبراهيم بن يوسف على أنه لم يكن للقضاة قبل ذلك سجلات ولا كتاب تحفظ للناس سائر ما أصدروه من الأقضية والأحكام وإنما غاية القضاء عندهم هو أن يخبر القاضي للخصوم شفهياً بوجه الحكم فإن احتاج إلى تسجيل كتبه في رق ثم ناوله المحق بدون أن يحتفل بتخليده عنده. وفي عام (١٣٧٠هـ) اكتشف شركة إنكليزية في قطر حقلاً من الزيت وبوجود النفط زاد نمو قطر وازدهارها وثروتها وكان أهلها قبل ذلك يعيشون من استخراج اللؤلؤ من البحار فاتسع لذلك العمران وتكاثر بها السكان وأصبحت قطر غنية ورجع إليها أهلوها الذين أجلاهم الفقر عنها مسرورين بها فنشأت بها القرى والمناطق الكثيرة فلأجل هذا الحق بدائرة المحكمة الشرعية أشياء كثيرة من الأعمال الكبيرة الموجبة للتوسع في إدارة المحكمة وبناء على ما تقدم فإنها اقتضت ضرورة الحال مسايرة لهذا التطور أن أنشئت رئاسة المحاكم الشرعية في ١/ ١/ ١٣٧٨هـ وأسند رئاستها إلى فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود وصارت هي المرجع الوحيد لسائر الأقضية والأحكام الصادرة من المحاكم الشرعية أما نسب آل ثاني فينتهي إلى تميم بن مر بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ولما أن كان من المتبادر فعله الاجتماع برئيس المحاكم الشرعية وأصبح ذلك كواجب علينا فقد زرنا فضيلته في المحكمة الشرعية وكان نشيطاً في تأدية عمله وما وسد إليه من الأمور يباكر في الذهاب إليها سابقاً جميع الموظفين حتى لقد أخبرنا أن لديه مفتاحاً لأنه قد يأتي قبل البواب فيجلس مع طلوع الشمس ولا يزال جالساً فيها إلى وقت الزوال

ثم يقوم لصلاة الظهر وبعدها يجلس للناس من بعد صلاة العصر إلى قرب غروب الشمس إضافة إلى ذلك أنه يفتح باب المحكمة على مصراعيه بدون حاجب ولا شرطي فيتصل به كل من له حاجة من بدوي وحضري وقروي وكبير وصغير وذكر وأنثى فينظر في شئون الأمة ويجلس الخصوم على كراسي بالقرب منه مباشرة وقد جعل للنساء غرفة فلا يختلطن بالرجال تتصل بقاعة المحكمة بواسطة شباك بحيث يخاطب المرأة القاضي بمشكلتها بدون أن تزاحم الرجال وكنت جالساً إلى جانبه وإذا امرأة تطل من الشباك في النافذة من خلفنا لعرض مشكلتها ولا يترك حقاً وارداً إلى المحكمة إلا وينهي موضوعه مهما كلف الثمن فكانت الأعمال تجري يومياً فلا يترك شيئاً تفد إليهم إلا أن تتطلب القضية زيادة بيّنة فيضطر لذلك يقول نريد راحة المسلمين من كثرة التردد وراحة أنفسنا لأن الأعمال إذا تراكمت صعب حلها وقد دعانا لضيافته مرات وطلب منا أن نسكن في إحدى جهات المحكمة وأن يجعل لدينا خادماً يقوم بالحشمة والخدمة غير أن صاحبنا رأى أن لا نكلفه بذلك وأخبرنا أننا بالفندق وجلسنا مع فضيلته أمام قصره بعد العصر وكان قد أعد كراسي يجلس عليها هو وأنجاله والزائرون فيتحدث معهم إلى قريب من غروب الشمس فيقوم ممتطياً السيارة ليصلي بالناس في المسجد القريب منه أما الجُمع والأعياد فكان هو الخطيب والإمام فيها ولما أن كان يوم الجمعة ١٢/٦ أدينا صلاة الجمعة في الجامع الكبير الذي يؤم فيه فضيلته و ألقينا بعد الصلاة موعظة على الحاضرين تحث على التمسك بشعائر الدين وتعاليمه وطلب منا أن نتناول مأدبة العشاء في بيته وسار بنا من الغد في سيارته إلى الريان للسلام على النائب ولي العهد خليفة بن حمد آل ثاني وذلك في قصره الفخم المؤثث على الطراز الحديث وكان موضع الاستقبال بقدر طوله بعشرين متراً وعرضه عشرة فكان الخدم في استقباله فإذا ما جلس الحاكم أو نائبه جعل يسلم الحاضرون بعضهم على البعض ويؤدون لفظة كيف أنت وكيف حالك إلى الإمالة يعني كيف وكان النائب يمثل مقامه وتتخايل فيه الذكاء والمقدرة والدهاء وقد وقع ما نتوخاه به فقد غلب على العرش بعد ذلك وكان الحاكم إذ

ذاك غائباً للمصيف في لبنان وأهدينا للنائب أجزاء من تاريخنا وبعدما أديرت القهوة العربية أبدينا له رغبتنا في التجول بقطر وضواحيها وذكرنا له بأننا لم نحظَ بشيء من الكتب الكبار بدعوى أن مدير المكتبة فيما يذكرون غائب فأجاب ألم يقم بن محمود باللازم بصفته رئيس المحاكم فأقمنا له عذراً بأنه لم يقصر بواجبنا فيما يقدر عليه ولكن ما نريده لا يتم بدون مساعدة الحكومة فقام من فوره وأخذ الهاتف يؤكد على المسؤولين عن المكتبة بأنه إذا قُدِّر جدلاً أن المدير غائب فيجب تكسير الخزائن إذا لم توجد المفاتيح ونسلم ما نطلبه من الكتب وأصدر أوامر بالقيام بما يلزم نحونا من ضيافة وخدمة وركوب وإكرام وكلف أحد الرجال أن يوصلنا إلى الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري فقمنا شاكرين ووصى ذلك الخادم أن تنفذ الأوامر بسرعة فأركبنا الخادم بسيارة جيب واعتذر بأنه لم يحصل في تلك الساعة إلا عليها وما أن وصلنا إلى الشيخ الأنصاري حتى جاء ذلك الخادم بسيارة كذلك ممتازة مريحة بمكيفاتها يقودها سائقها وأخبرنا أن السائق والسيارة على حسابنا وتحت رغبتنا هذا وإنا لنشكر للحاكم خليفة بن حمد بما قام به من الحشمة والكرامة ولا سيما المسؤولون في الفندق حيث قدموا لنا ما نتطلبه سواء كان حاضراً أو غائباً حينما علموا أننا في ضيافة الحكومة ونزلت عليهم التدابير بذلك فكانوا يباشرون بحرارة واعتذار وجعل ذلك السائق الماهر يتردد على الفندق صباحاً ومساءً وعند أي طلب ولما أن كان في صباح الأحد الموافق ٦/١٤ سرنا إلى الريان القديم والجديد لنرى القرى المجاورة للعاصمة وضواحيها وهي هذه العرافة المريخ المرخية الخريطات الحيسة أم صلال محمد أم صلال على أم قرن الخور سميسمة الذخيرة الوعب المشرب الغشامية الغويرة الفادية عذبه الرويس عين سنان المدينة الجديدة أبا الظلوف الماجدة الغويرية النعمان راس عشيرة الزبارة الكرعانة روضة راشد الخرسعة الوكرة الخرارة ترينه روضة عشام النصراتية العوينة دخان ركريت الشيحانية العطورية الصنع الحميلية أم باب البصير مسيعيد مصنع الاسمنت ميناء دخان وهي قرى متفاوتة ومنها ما هو إطلال وهناك آبار قديمة واسعة قد ركب في

بعضها مضخات لسحب الماء وفيها نخيل ومزارع ولكن الزراعة هناك ضعيفة وتحد قطر من شمال بالخليج العربي، وجنوباً بالسبخات المتاخمة للربع الخالي، وشرقاً بالخليج وأبو ظبي، وغرباً عبر الإحساء وعاصمتها الدوحة. أما عن أسواقها مملوءة بالبضائع من الأقمشة وغيرها ونمر بمبيع الخضراوات والفواكه التي يوجد فيها عروق الزنجبيل الرطب وغصون التبغ الملعون فإنه موجود هناك بكثرة من أعجب ما رأيت في قطر، وأعجبني هدوء البلاد من الهيشات والخصومات فإنك لا تسمع اللغو فيها ولا كثرة المنازعات، وأعجبني فيها عدم اختلاط النساء بالرجال فلو قلت إني لم أر امرأة تسير مع الرجال لكنت صادقاً، وأعجبني نظافة البلد من الغبار والأوساخ والذباب، وكان النظام مستقيماً بدون أذى من الشرطة على المواطنين، وكذلك المساجد فقد كانت مفروشة وغالبها بالزل الثمين وركبت فيها المراوح الكهربائية والمكيفات وجعلت فيها ساعات الحائط وإذا أذن للصلاة فإنها تمتلئ المساجد بالمصلين ولديهم خصلة طيبة هي أنهم كانوا بعد الصلوات الخمس لا يبارحون المساجد سريعاً بل يتمهلون فمنهم من يتلو القرآن وآخر يستمع وآخر يفيد صاحبه وآخر يستفيد فلا يغلق المسجد إلا بعد ٤٠ دقيقة من فراغ الصلاة وكان سكان قطر أخلاطاً من بني هاجر وبني مرة وقحطان وفيه أخلاط من اليمن وإيران وسكانه يقدرون بالنصف من أولئك.

وممن وجدت فيه من الرجال البارزين والأعيان الشيخ (قاسم بن درويش فخرو) كان من رجال الدين والعلم المتمسكين في عقائدهم وقد طبع شيئاً من المطبوعات الثمينة وأتاه الله بسطة في المال والجسم وله شخصية بارزة فتركيبه من أعظم الرجال ويعتبر أكبر تاجر هناك جلسنا معه وتحدثنا بحديث ذكر فيه صلته بالشيخ علي بن عبد الله بن قاسم آل ثاني وأنه من خاصة الشيخ تجمعهما أواصر الصداقة والأخوة وله صلة قوية به وجعل يحدثنا عن علماء قطر ويثني على الشيخ محمد بن مانع وكان في حديثه ومنطقه من أفذاذ الرجال وأهدى لنا شيئاً من مطبوعاته الثمينة وأخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع قلت له نريد

أن نكتب عن حياتكم وتبدي شيئاً مما كنتم فيه من الفضل والصلاح والرجولة ومكارم الأخلاق فذكر أنه لا يرغب في ذلك وقال ما كنت أرى أنني أهل لأن يكتب عني وكان عربياً أديباً وأصله من بلاد إيران.

ومن الرجال البارزين والأعيان الذين وجدتهم هناك فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري العالم الديني والحاسب الفلكي صاحب التقويم السنوي وهذا نسبه: هو الشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم الأنصاري من الخزرج من سلسلة سعد بن عبادة كذا يقول عن نفسه وكان من العلماء المحترمين وهو مدير الشؤون الدينية هناك زرناه في مكتبه وكان عليه عمامة فوق الشماغ وذا أخلاق طيبة وعشرة ممتعة وأدب وتواضع ورجولة يصدق عليه أخلاق العلماء وله تمسك بالعقيدة السلفية وهو الذي تولى بأمر من الحكومة صرف الكتب التي طلبناها وكان عمره إذ ذاك يقدر بـ٦٣ سنة. ومن العلماء هناك أحمد بن حجر آل أبوطامي الابن علي القبيلة الشهيرة بقطر وبدارين من المملكة العربية السعودية رحل أبوه حجر إلى فارس في السنين التي جرت فيها المساغب والحروب في نجد وما يليها فولد الشيخ أحمد هناك أي بفارس وتعلم العلم لدى العلماء الموجودين في فارس ثم رحل إلى الإحساء فتعلم فيه ودرس على علماء الإحساء ثم استوطن رأس الخيمة من بلد الإمارات وتولى القضاء فيها سنين عديدة. وفي شهر ربيع الأول من عام (١٣٧٨هـ) وقع التعاقد الخارجي معه من جهة عبد الله بن زيد ليشغل منصب مساعد ثم رقي إلى منصب قاضي ومما ينسب عنه أنه كان فقيهاً ورعاً عارفاً بفنون المذاهب ويعرف اللسان الأعجمي ولديه في محكمته مترجم باللغة الهندية وكانت محكمته تقيم كاتباً خطاطاً وكاتباً بالآلة فيعتبر قاضياً للمستعجلة هناك.

وقد اتفق بنا ضمن الذين تقدموا للسلام علينا رجل من رجال قطر يدعى مبارك بن عبد العزيز الدليمي أسمر اللون وفوق رأسه العقال وطلب بنا الجلوس في حفيزه وأهدى إلينا ديوان ابن مقرب وديوان ابن النحاس وبكل حال فإن بلاد

قطر تطلب المجد وتنافس في المفاخر. أما الكتب التي قام بها آل ثاني وطبعوها على نفقتهم توزع مجاناً فمنها الفروع لابن مفلح، وتصحيح الفروع، ومشكات المصابيح، والمقنع لابن قدامة، والكافي له أيضاً، وتاريخ العصامي، وغاية المنتهى، وشرح الغاية ستة مجلدات، وتفسير ابن الجوزي، ومختصر الأغاني لابن منظور، ومجموع المنقور، ولوائح الأنوار البهية للسفاريني، وقصيدة ابن عبد القوي، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح أربعة أجزاء، وثلاثيات مسند الإمام أحمد جزءان ضخمان، ومجموعة التوحيد، ومجموعة الحديث، ودواوين وغير ذلك مما بلغ عدده تسعين كتاباً وكلها نفائس ومدير المكتبات هو عبد البديع صقر ومما يذكر أن الحاكم علي بن عبد الله بن ثاني قام بغالب هذه المطبوعات جزاه الله خيراً وقد تبرع مرة لإحدى المكاتب الدينية في البلاد الإسلامية بثمانين ألف جزء من الكتب الدينية والأدبية في البلاد نقلته عن مصدر وثيق. وفي صباح اليوم ١٦ من ٦ ذهبنا لوداع النائب إذ ذاك خليفة بن حمد وأخبرناه بأننا عازمون على السفر بعد صلاة العصر فبعث معنا خادماً أديباً كان يتعهدنا ويتردد علينا ويعتبر من خيرة الرجال أدباً وعقلاً ورجولة يتفقد شأننا وما نحتاج للسفر ويعرض علينا عن رغبتنا في السير براً وجواً وجاء في الساعة الثامنة بالغروبي بعد الظهر فما كان من وسيلة تتعلق بالسفر زاد أو مزاد إلا فعلها ولما أن ودعنا فضيلة الشيخ عبد الله بن محمود أرفقنا بكتابين فيهما التوصية لمركز أبي سمرة وسلوى بتسهيل سفرنا ووجدنا بالمركزين احتراماً وتقديراً وسرنا من قطر حتى قدمنا الإحساء في الساعة الواحدة ليلاً بعد الغروب تزيد ١٥ دقيقة وواصلنا السير إلى الرياض يتخلل ذلك إقامة بين الإحساء والرياض للنوم فقدمنا الأخيرة صباح اليوم ١٧ من جمادي الآخرة شاكرين الله على التوفق.

وفيها أطلقت العيارات النارية على السلطان سعيد بن تيمور فذهب على متن طائرة من طائرات سلاح الجو البريطاني يريد العلاج بلندن بعدما تنازل عن الحكم لابنه قابوس وكان سعيد بن تيمور قد حكم مسقط وعُمان تسعاً وثلاثين سنة وقد

أعلن قابوس أنه أصبح الحاكم خلفاً لوالده ووعد بإنشاء حكومة عصرية تعمل على تأمين مستقبل أفضل للبلاد بحيث تصبح البلاد قوية عظيمة ويقول لكي نكون قادرين على أن نتبوأ مكانتنا اللائقة بنا، وقال أنه يقوم بالاتصال للحصول على الاعتراف الدبلوماسي من الدول الأجنبية وأن العلاقات التي سيقيمها مع جميع الدول هي علاقات طيبة وخاصة مع الدول المجاورة سيتشاور معها حول مستقبل المنطقة، وقد جاءت التقارير من أبي ظبي تفيد بأن كل شيء هادئ وأن قوات السلطان الجديد تتولى الإشراف على شؤون البلاد.

الاعتراف بالجمهورية اليمنية

في هذه السنة اعترفت الدول العربية بجمهورية اليمن فأصبحت اليمن جمهورية وقدم في يوم الثلاثاء الموافق ١٧ من جمادى الثانية من بعد ظهر ذلك اليوم إلى مطار جدة على متن طائرة خاصة وفد من اليمن لحسن التفاهم بين الجمهورية اليمنية والمملكة العربية السعودية وما ينبغي اتخاذه نحو طريقة التعاون المستمر بين البلدين وحيث أن الجانب الجمهوري سار قدماً في الخطوات التي اتفق عليها بين الأخوة اليمنيين في جدة فإن المملكة العربية السعودية تعلن اعترافها بالجمهورية العربية اليمنية وتتمنى لها توفيق ونجاح ورحبت اليمن بالأمير محمد السديري سفيراً للمملكة العربية السعودية في صنعاء كما رحبت المملكة السعودية بإسماعيل الجرافي سفيراً للجمهورية العربية اليمنية وقدم كل من السفيرين أوراق اعتماده وهكذا تعترف الحكومات العربية الأخرى.

بناء برج الرياض الحديث

لما كانت عاصمة المملكة العربية السعودية مدينة الرياض تشكو من قلة المياه الكافية للسكان بحيث اتسعت الرياض فكان طولها شمالاً وجنوباً مسافة ثلاثين كيلومتراً وغصت المدينة بالسكان فإن الحكومة أيدها الله رأت إنشاء خزان عظيم في مدينة الرياض وكان في تصميمه آية في هذا الزمان بحيث لم يوجد له مثيل في

الشرق الأوسط وقامت شركة عالمية ذات خبرة في تشغيل وصيانة وإدارة المشروع لمدة خمس سنوات وهذه الشركة ألمانية اسمها (ديكرهوف) باستشارة (فاتن سويديه) فأول ما يطالع القادم إلى الرياض هو برج المياه الشاهق الفريد في تصميمه وشكله المفلطح كالفطر والذي أقيم في الحديقة المجاورة لمجلس الوزراء وكان يبلغ ارتفاعه ٦١ متراً يتكون البرج من خزانين أولهما رئيسي يستوعب ١٢ ألف متر مكعب من المياه ويصل المستوى الأعلى فيه إلى ارتفاع ٥١ متراً فوق سطح الأرض وثانيهما يعلو الخزان الأول ويشغل عندما تصل متطلبات الاستهلاك اليومي للمياه في المدينة ذروتها وهو يتسع لمقدار عظيم وعلى من أحب معرفة تصميمه ووضعه مراجعة نظامه وقد كمل وتم بناؤه في شهر شعبان الموافق أكتوبر من عام (١٩٧١م) من السنة التي بعد هذه وتم تشغيله وبلغت تكاليفه أحد عشر مليوناً وكان في نوعه آية في حسن المنظر وقوة التركيب ونوع التصميم قال الأديب الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل أبياتاً في ذلك البرج وتشييده:

برج مشيد لعذب الماء خزان	يروي الرياض هنيئاً وهو ملآن
يمد مما أمدته مصادره	ريَّاً زلالاً عليه امتد سكان
سقى الديار جميعاً ربنا كرماً	بصيب نافع والله منان
برج منيف عجيب شاهق علم	عملاق من فريد النوع إيوان
راسي الأساس بعمق الأرض راسخة	له القواعد صم الصخر صوان
رصت به زبر من فوقها زبر	صبت عليه من الإسمنت أطنان
عليه أفرغ في التشييد خالصة	فاشتد منه قوي الرصف بنيان
به نتوء من الفولاذ ثابتة	من الحديد شديد البأس عمدان
صلد كقمة عالي الطود ممتنع	عالي الصدى عند وقع الصوت رنان
يكسوه مثل موشى البرد لائحة	عليه من أبرع الألوان ألوان
كزرعة الفطر أو كزهرة برزت	قامت على ساقها والساق ريان
كمرصد مرقب للبعد قمته	بل فرجة نزهة للنفس سلوان

فيـه المصـاعد طـوع الكهربـاء بـه كسـرعة الـريح تسـخير لـه شـان
تـر للرعتـة الأبصـار منـذ بـدا بلـوح أبلـق لم تحجبـه عمـران
حـول المربـع محفـوف بمنتـزه بـه الحـدائق أزهـار وأفنـان
يرجـع الطـير في أغصـانها نغمـاً تشـجي النفـوس لهـا بالسـجع ألحـان
نـوافر المـاء في الآصـال تمطرهـا وفي الغـدو عليهـا السـكب هتـان
تحكـي النـوافير أسـراب الجـراد إذا تشـتد جائلـه والأرض ريضـان
إن المشـاريع في شـتى تنوعهـا خـير عمـيم بـه تعتـز أوطـان
وللعلـم والفكـر والاتقـان موهبـة وكـل شـيء لـه في الفـن فنـان
عنايـة الله ترعـى شـأن مملكـة فـالحظ يمـن وإقبـال وإمكـان
أسـدى عليهـا ومنهـا الله أنعمـه فـالفيض غيـث وأسمـاء وإحسـان
فـالله يحمـي الحمـى في عـز قادتـه حمـى لـه في عريـق المجـد أركـان
مـن حيـث ترتفـع الأعـلام خافقـة بالنصـر غربـة أمـن وإيمـان
ويحفـظ الفيصـل المقـدام عاهلنـا مؤيـداً وهـو عـالي الحـظ يقظـان
للعـدل والعلـم والإسـلام مبتهجـاً عمـراً سـعيداً بـه تمتـد أزمـان
والحمـد والشـكر للـرحمن نسـأله خـير المزيـد بـه الأحـوال تـزدان
ثـم الصلاة مـع التسـليم مـا انهمـرت سـحب وسـبح للـرحمن أكـوان
علـى الـنبي الأمـين المصـطفى وعلـى صـحب وآل ومـن في الـبر أعـوان

مجازر وأهوال تصيب العالم

لقد مر بنا ما أصيبت به اليمن الشمالية من التقتيل والتدمير بالقنابل المختلفة والغازات السامة واستمر الحرب والضرب نتيجة قتل الأبرياء وهتك الأعراض ثماني سنوات ولو أن ما جرى من التقتيل والتعذيب كان في أعداء العرب والوقوف في وجوههم لكان هو الأولى. ونعود إلى ذكر المجازر الرهيبة في مدينة أحمد آباد بولاية كجرات في شهر سبتمبر الموافق لأوائل شهر رجب من السنة الماضية

قالت مجلة رابطة العالم الإسلام في ما نصه: (اجتازت مدينة أحمد أباد بولاية كجرات اضطرابات كبيرة وبالأصح مجازر رهيبة ضحيتها مئات كثيرة من النفوس الأبرياء وأغلبهم من المسلمين ونهبت فيها الأموال وسرقت المتاجر والمنازل وانتهكت الحرمات واستمر كل ذلك إلى مدة ثلاثة أيام عملت في خلالها الأيدي الآثمة ما تقشعر الجلود من مجرد سماعه فضلاً عن المشاهدة فقد جاء في التقارير التي صدرت إلى الآن ما يفيد بأن الطائفيين الإرهابيين إنما كانوا يخرجون الناس من بيوتهم قسراً ويشدونهم بالحبال ثم يرمونهم في النيران الملتهبة وهم أحياء حتى كانوا يتحولون إلى رماد وكل ذلك على مرأى البوليس ومسمع منه وقد جاء في بعض التقارير أن عدد الضحايا أكثر من ألف نسمة عدا المنكوبين والجرحى فقد يفوقون الحصر وأن مدينة أحمد أباد الجميلة تحولت عدة مناطقها إلى ركام من الخراب وكومة من الرماد وأن النار أكلت عدة من حارات المسلمين فلم تذر فيها أثراً من العمارات والمنازل وكذلك كثير من المصانع والمعامل أتت عليها النار والخراب وتحطمت الصناعة في هذه المدينة الصناعية التي كان للمسلمين منها سهم كبير إلى أن قال نقلاً عن إحدى الجرائد وقد كانت تبدو بعض المناطق أنها لم تأكلها النار فقط بل كان طوفاناً عظيماً مرت بها كذلك ولم نجد سوى جدران منهارة عديدة في المنطقة الكبيرة الواسعة التي كانت على مقربة المصلى العام وكان يسكنها الناس ولم يبق فيها سوى كومة من رماد السقوف الحديدية المنحرقة ولكن التدمير والإبادة في الضواحي كان عاملاً شاملاً وهي منطقة العمال وطبقة الفقراء ورجال الوظائف الصغيرة، أما منازل الطبقة المتوسطة فقد أحرق كل صف منها ورأينا هناك مخلفات الأثاث والأدوات التي حرقت وأضيعت وقد أخبرني دليلي أن طائفة من المفسدين أحرقت عدداً كبيراً من الناس الأحياء في نفس هذا المكان لقد كانت مناظر التدمير والتحريق تخلع القلوب في المناطق التي عمت فيه الاضطرابات ولكن الذي زاد هذه المناظر هولاً هو أن المنازل لم تحرق إلا وفق خطة دقيقة وتصميم سابق وعلى كثير من الشوارع ولا سيما المناطق المنفصلة عن المراكز

الرئيسية حيث السكان والمنازل مختلطة ويسكنها الهندوس والمسلمون كأنها اختيرت قبل حدوث القلاقل وقد رأينا بضائع ومصنوعات كثيرة أحرقت على الشوارع وكل ذلك يدل على أن هذه الإجراءات لم تكن نتيجة خطة مرتجلة بل وقعت تحت خطة مرسومة من قبل، وقد أخبرني الذين شهدوا الحوادث بأم عينهم أن أسطولاً من السيارات المحمولة بالبترول كانت تساعد الإرهابيين لإشعال النيران في المتاجر والمنازل والأثاث ثم قال ويقول المراسل أن الأمور التي أدت إلى العنف إنما تشير إلى أسباب عدة منها أن زعيم جات سانج بكراج مدهوك الذي هو معروف بمواقفه المعادية ضد الأقلية المسلمة في هذه البلاد كان وجّه إنذاراً إلى مسلمي كجرات قبل الحادث بيومين ضد العدوان الباكستاني المؤكد على هذه الولاية وكان يرمي المسلمين بالغدر والخيانة ويبدي استياءه على احتجاج المسلمين في الهند ضد الحريق في المسجد الأقصى ويستنكر اهتمامهم بما يحدث مع المقدسات في خارج البلاد.

أما عن إسرائيل ومهاجمتها للعرب في فلسطين وسوريا ولبنان وتوسعها في سينا وتحرشها بمصر فقد قدمت لبنان شكايتها إلى مجلس الأمن الدولي تطالب بأن خمسين ألف مواطن لبناني يشكلون نصف سكان جنوب لبنان قد نزحوا عن منازلهم في أعقاب الهجمات الإسرائيلية على مدنهم وقراهم وقامت الجهات العليا في العرب تدعو السفير الإسرائيلي في لندن إلى تنفيذ قرار مجلس الأمن الدولي في شهر نوفمبر عام (١٩٦٧م) الذي يدعو إلى انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية التي احتلتها في عدوان يونيو (١٩٦٧م) ولكنها مصممة على ما هي عليه وكانوا أعني الإسرائيليين تعمل أيديهم تقتيلاً وتعذيباً في لبنان وفلسطين مما لو كان ذلك في الكلاب والقطط لعد ذلك إسرافاً.

جريمة شنيعة هزت عاصمة المملكة العربية السعودية وهي أنه قام شاب في الأربعين من عمره فدخل على أمه صباح اليوم الرابع من شهر شعبان وكان في أصله مشوشاً بل كان مجنوناً وكان ذلك قبل انتشار الأمة لأعمالها فسأل أمه عن

أحد اخوته بينما كان يشهر مسدساً بيده فما استتم كلام والدته حتى ارتطمت رصاصتان بجبين أمه الحنون في رأسها فسقطت الأم صريعة وفر الجاني بمسدسه فوقف على صاحب دكان يدعى أبو راشد في شارع المرقب وطلب من صاحب الدكان أن يقرأ ورقة بيضاء معه لا كتابة فيها ولا أثر للكتابة فيها وألزمه أن يقرأ ما تحتويه الورقة ثم أشهر مسدسه الذي عبأه سبع طلقات كان يريد القضاء على حياة صاحب الدكان بإحداها فوجه فوهة المسدس إليه في وقت مجموعة من المواطنين حوالي صاحب الدكان لينظروا تلك الورقة التي ناولها إياها فكان من الصدف أن جندياً كان خارج العمل فاختطف المسدس من يد الجاني لأنه كان يرقب حركاته الغريبة المخيفة وأمسك به وطرحه على الأرض وقيده بغترته وتمكن تماماً من السيطرة عليه وأبلغت المنطقة فرقة النجدة حيث تمت إجراءات التحقيق ولقد تلقت شرطة النجدة بالرياض إخبارية بوجود جريمة قتل وأن القاتل هرب والمطلوب إلقاء القبض على الجاني ولما ألقى الجندي المدعو فالح بن راشد بن سكران الحربي القبض عليه أخذه إلى المنطقة الرابعة حيث يعمل الجندي وأبلغت المنطقة فرقة النجدة حيث تمت إجراءات التحقيق من قبل الفرقة ومن ثم سلم إلى المنطقة السابعة لتتولى بقية التحقيق وكان الحادث في حي المنتزه خلف وزارة الدفاع والطيران على شارع المطار حيث فوجئ سكان الحي والمواطنون الذين في طريقهم إلى أعمالهم بالصراخ والعويل بسبب ذلك الشاب الذي فعل ما وصم جبين التاريخ الإسلامي بهذه المكافأة التي كافأ بها أمه التي حملته وهناً على وهْن وفصاله في عامين ثم أخرجته إلى العالم ليصير إنساناً تفخر به وكانت مستعدة للتضحية بكل شيء في سبيل حياته كان موتها على يديه نعم إنه منذ زمان بعيد وهو مصاب الأعصاب ومرفوع عنه القلم ولكن كيف لا يلقى القبض على يديه ويحال بينه وبين السلاح فلا حول ولا قوة إلا الله.

وفيها استكملت جميع أعمال مشروع الهاتف الآلي، وانتهى العمل من تأسيس السنترالات ومد الشبكات الهاتفية وقد اتسع المشروع في المرحلة الأولى إلى عشرة

آلاف خط وتقرر أن يباشر في خلال شهر بتنفيذ المرحلة الثانية للمشروع وتتسع المرحلة الثانية لستة آلاف خط حيث يتسع المشروع بكامله إلى ستة عشر ألف خط وهذا في مكة المكرمة وكذلك قام هذا المشروع يتقدم في مدينة الرياض ثم يعمم في سائر المملكة.

وفيها تأسست وزارة العدل برئاسة الشيخ محمد بن حركان ونقلت من جعلها رئاسة القضاء إلى وزارة عدل وكان الشيخ محمد بن حركان رجلاً متزناً وكهلاً عاقلاً يتخلل لحيته خيوط من الشيب ونسأل الله تعالى أن يحسن عاقبته ويجعلها إلى خير.

وفيها فرغ من خط الإسفلت الذي يربط الرياض بسدير فالقصيم وكان هذا الخط يمتد من الرياض ماراً بدراب فضرمى فمرات فشقراء ثم ينفصل عن خط الحجاز إلى جهة الشمال ماراً بالسيح فجفيفة فخف ففيضة خف فالعطاوي ثم الأرطاوي الرقاصي فعسيله ثم مشرفة ماراً بساجر فسمجان فالسكران ثم الجفن ثم خريسان ثم الفيضة ثم عين بن قنور ثم وثيلان ثم العمار ثم المربع ثم المذنب فعنيزة حتى يصل إلى بريدة ثم يذهب إلى جهة الشمال فيأخذ باليسار مغرباً ماراً بالشقة السفلى ثم بالمطار بالمليداء ثم البكيرية ثم الخبراء فرياض الخبراء ثم القرين وهو قصور متفرقة في متسع من الأرض ثم بعده الدليمية عن يمين الذاهب إلى المدينة المنورة ثم شادج ثم عطا وعطي وهناك البتراء ونشاهد الفوارة على بعد إلى اليمين وهناك قرى كثيرة يمر بها ثم يمر مخترقاً لعقله الصقور ثم النقرة فعرجا ثم الحناكية التي ذكر بعضهم أنها الربذة ثم الصويدرة ثم المدينة المنورة، أما عن الخط من المدينة إلى جدة فقد تقدم سفلتته قبل ذلك وإنها لنعمة عظيمة من الله في تسهيل الطرق لتقارب البلدان لو أن المسافرين اجتنبوا السرعة والتزموا بالنظام.

وفي هذه السنة يعلن الصليب الأحمر عن وجود ٣٢٠٠ سجين عربي في سجون

إسرائيل مضافاً إلى ذلك ٧٩ أسيراً عربياً لديها وذلك في غرة محرم من هذه السنة وإذا كانت اليهود تحتجز من تشاء بجريمة وبغير جريمة من أهالي فلسطين فلا غرابة إذا امتلأت سجونها منهم.

وفيها في شعبان أجريت عملية جراحية للملك فيصل بن عبد العزيز وقد نجحت وبعد نجاحها انهالت البرقيات من القاهرة وقطر والكويت ومن أمين الحسيني ومعظم الرؤساء تعبر عن سرورهم وفرحتهم بنجاح العملية فلله الشكر على ذلك، هذا ونشير إلى أن علم الطب قد تقدم في هذه السنين الأخيرة بحيث تمكن بعض الأطباء من زرع قلب صناعي وهذا لأول مرة في التاريخ قلب صناعي ينبض في جسم بشري وأفادت الأنباء الواردة من (هيوستن) أن القلب الصناعي المصنوع من البلاستيك الذي زرع في صدر رجل يبلغ من العمر ٤٧ عاماً يعمل بانتظام وكان فريق من الأطباء برئاسة الدكتور (دينتون كولي) قد أجرى عملية زرع هذا القلب الصناعي في عملية استغرقت ثلاث ساعات في مستشفى (سانت لوك) بمدينة هيوستن الأميركية وقد كان شخص في حالة مرضية فأزال الأطباء قلبه المريض منذ عشر سنوات كان فيها بحالة خطرة ووضعوا مكانه القلب الصناعي. وقال الدكتور الذي أجرى ثماني عشرة عملية زرع قلب أي أكثر من أي جراح في العالم أن القلب صنع بطريقة لكي يعمل بطريقة مستمرة إلى ما لا نهاية إلا أنه أكد بأن استخدام هذا القلب سيكون فقط حتى يصير بالإمكان إيجاد متبرع بقلبه مكان القلب الصناعي. وقد صرح الجراح كولي بأن القلب الصناعي يكلف خمسة آلاف دولار وأن جهاز القوة والضخ يكلف عشرين ألف دولار وقد جرى بحث من بعض العلماء الذين سئلوا عن قلب كافر هل يجوز تركيبه على مسلم وإذا كان القلب هو الملك على الجوارح فهل يجوز شرعاً جعل قلب كافر لمسلم فأجاب بالجواز وأنه لا مانع من ذلك لأنه مضغة لحم وبوضعه على مسلم يصلح على أصول ذلك المسلم.

فائدة عظيمة النفع

على العاقل الحريص على صحته أن يرفق بنفسه فهو الوصية التي أوصى بها الحارث بن كلدة طبيب العرب ملك الفرس كسرى لما وفد إليه وقال له الملك أعطنا من فوائدك يا طبيب فقال له ارفق بنفسك في كلام غزير النفع كثير الفائدة فالرفق بالنفس اجتناب الغضب الذي هو غليان دم القلب للانتقام ولهذا أوصى النبي ﷺ من قال له أوصني فقال: «لا تغضب» فرددها يقول أوصني ويقول له لا تغضب ثم رددها ويقول له لا تغضب فالرفق بالنفس اجتناب الغضب وما يدعو إليه وما يحصل الطلاق بين الزوجين وينتج الشقاق ويحصل النزاع بالمضاربة والقذف وإزعاج الأطفال بين الجيران إلا نتيجة الغضب، وقد يصبح أهل الحارة بسبب الغضب خصوماً وأعداء وأحزاباً وقد يكون الغضبان عوناً لزوجته على النشوز ولأبنائه على العقوق ولجيرانه على الإساءة وللناس كافة على هجره ومجانبته وقد يغضب الأحمق على ولده وزوجته فيطردها ويبدد شمل الأسرة ويجعل البيت جحيماً أو بركاناً ثائراً كل هذا نتيجة الغضب. والرفق بالنفس قلة التفكير فيما لا يعني وآفة القلب الهم والحزن وقد نبه الله على ذلك بقوله: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ فكما أن الهم الشديد قد يقتل فالفرح الشديد قد يقتل وينبغي للإنسان أن يلهي نفسه بالسرور والانبساط فإن ذلك يقوي الحرارة الغريزية وينشرها في سائر البدن ومما قيل في ترويح القلب والتخفيف من أتعاب النفس:

افد طبعك المكدود بالجد راحة ... يجم وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ... بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

وقد نشرت جريدة الجزيرة السعودية في عددها ٣١٥ من هذه السنة من إحدى الصحف أن جمال عبد الناصر كان مريضاً بالسكري مع التهابات جدران شرايين القلب جعلاه عرضة لكثير من الالتهابات البسيطة وأنه كان يعاني من أمراض

التنفس وبعد نوبة المرض التي أصابته في سبتمبر (١٩٦٩م) بشكل خطير قال له طبيبه أن حياة العمل ١٩ ساعة في اليوم الواحد قد انتهت فإما أن يختصر سنوات عمره أو أن يختصر ساعات العمل إلى أربع أو خمس ساعات في اليوم مع احتمال العيش لمدة أطول ولم يكن الاختيار سهلاً فحاول عبد الناصر أن يجعل من نفسه ما يشبه رئيس مجلس إدارة ومنذ أن بدأت تراوده الظنون بأن الإسرائيليين يريدون إسقاطه ويبدو أن الهدف الوحيد من الغارات الإسرائيلية في التعمق فوق الأراضي المصرية كان لجعله يبدو أحمق فأحاط نفسه بمعاونين يتميزون بالولاء أكثر مما يتميزون بالمقدرة.

وفي هذه السنة حج عالم اليمن أو عالم الجنوب العربي الشيخ محمد بن سالم البيحاني وكان لم يحج بعدها سوى مرة واحدة ثم توفى الله تعالى ذلك العالم الذي تفتخر به بلاده وسيأتي ذكر ترجمته إن شاء الله تعالى.

وفيها قرر الدكتاتور تيتو التخلي عن الحكم في يوغسلافيا وكان قد بلغ من العمر تسعاً وسبعين سنة وكان صديق جمال عبد الناصر الخاص وكان لم يحضر تشييع الرئيس جمال لقبره وذلك لعدم ضبطه توقيت مصر.

تخريج أناس من تحفيظ القرآن

في نهاية هذه السنة تخرج سبعة عشر طالباً من معهد القرآن الحكيم في مكة المكرمة وقد عينتهم جماعة تحفيظ القرآن أساتذة مساعدين في مدارسها بمكة المكرمة وقد استطاعوا أن يؤدوا واجبهم الدراسي على أحسن وجه وبكل حال فإن هذه الجمعية التي بذلت لجماعة تحفيظ القرآن وافقت تشجيعاً وانهال سيل من التبرعات لهؤلاء الذين قاموا بهذا المشروع وعلى رأس المتبرعين الملك فيصل بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين وأخوته الكرام متعب وأحمد ونواف وعبد الله بن فيصل وسلطان بن عبد العزيز وأحمد بن عبد الرحمن وغيرهم من الأجواد وكان رئيس جماعة تحفيظ القرآن هو الشيخ علوي عباس المالكي المدرس في المسجد الحرام ولا

ريب أن جماعة تحفظ القرآن وجدوا تشجيعاً من الأمة وقد كانت أريحية يمين صاحب الجلالة فيصل بن عبد العزيز قد جادت في السنة القادمة بأربعين ألف ريال كما أن رابطة العالم الإسلام قد تبرعت بمبلغ مائة ألف وثلاثين ألفاً وما زالت التبرعات تترى حتى بلغ مجموع ما ورد سبعمائة ألف وسبعة آلاف وأربعمائة وستة ريالات وأربعاً وتسعين هللة هذا لمكة المكرمة ما خلى واحداً وعشرين ألفاً منها لمدارس الرياض من وزارة المعارف فجزى الله المحسنين خيراً، وقد تقدمت الإشارة إلى تأسيس هذه المدارس ومن قام بها فليراجع هناك فإننا أتينا بالمقصود.

وفيها نشرت وزارة الإعلام هذا البيان بعونه تعالى تم بتوجيه كريم من صاحب الجلالة الملك المعظم ستباشر وكالة الأنباء السعودية نشاطها بإذن الله تعالى اعتباراً من يوم السبت ٢٥ ذي القعدة (١٣٩٠هـ) الموافق ٢٣ يناير (١٩٧١م) وستبدأ هذا النشاط بتغطية أنباء حج هذا العام على النطاقين الداخلي والخارجي.. الخ

ثم دخلت سنة (١٣٩١هـ)

استهلت هذه السنة والأوضاع على ما كانت عليه ولا أمل هناك في حل مشكل الشرق الأوسط وقد قام الرئيس الجديد في مصر أنور السادات يطالب إسرائيل بالانسحاب عما استولت عليه بتقدمها العدواني في أراضي مصر فإن لم يفد حسن التفاهم فإنه سيلجأ بضرورة استخدام القوة فهي الكفيل بالنجاح وقام يتهدد وكانت إسرائيل تمنيه بالتريث ووقف إطلاق النار حتى تتوفر طرق الحل السلمية وفعلاً فإن الرئيس المصري يميل إلى حسن التفاهم إذا حصل ذلك.

وفيها هطلت أمطار غزيرة على القصيم واستمر نزولها من الساعة الرابعة صباحاً بالغروبي من اليوم الثلاثين من محرم إلى نهاية الساعة ١٠ من آخر اليوم الأول من صفر فكان استمرار المطر ٣١ ساعة لم يتوقف المطر وأصيبت عنيزة بغرق في آخر ٤/ ٢ في الساعة العاشرة بعد العصر والدقيقة في العشرين وكذلك المذنب وكان ذلك المطر ممزوجاً ببرد دقيق وقد ينزل المطر بدون برَد وقد ينزل البرَد من

دون مطر وجرت الأودية شيئاً عظيماً ولا سيما وادي الرمة فقد جرى شيئاً عظيماً واستمر جريانه خمسة عشر يوماً وغرق فيه نفوس كثيرة من البشر وغيرهم وخرجت الأمة من كل فج وصوب رجالاً ونساءً وأطفالاً فكان فرجة ونزهة بحيث كان الوادي كلجة بحر ولولا ذلك الجسر المنصوب في وادي أبي علي لانقطعت السابلة عن العاصمة بريدة فلا ترى على ضفتيه إلا خلائق من الأهالي والأجانب وكان يلتهم ما مر عليه من الزروع والأشجار والبهائم والأثاث فسبحان الله ما أعظم شأنه.

جراد في أفريقيا يلتهم ما مر عليه

ففي ٢٨ مارس الموافق غرة شهر صفر أصيبت مزارع جنوب أفريقيا بنكبة تعتبر أسوأ ما شهدته هذه الدولة العنصرية في تاريخها وذلك بهجوم شنته أسراب من الجراد وقد أتت أسراب الجراد على كل شيء في طريقها من المحاصيل إلى ستائر نوافذ المنازل في الأقاليم الأربعة ثم تحركت الأسراب الهائلة إلى بوستوانا المجاورة وإلى مقاطعة جنوب غرب أفريقيا وذلك كان الهجوم يتم على جبهة اتساعها ١٠٠,٠٠٠ ميل مربع وفي كثير من الأحيان كانت قطارات السكة الحديدية تتوقف عن السير بسبب كثافة الجراد الزاحف وفي كثير من المنازل أتى الجراد على كل شيء حتى أنه عرى الأسرَّة من فرشها والنوافذ من ستائرها وقرض الملابس وكانت النساء يحتمين بأية طريقة من الجراد حتى لا يعريهن أثناء زحفه وأكل الجراد ما مر عليه وأعلن بعض الخبراء أن طاعون الجراد الجديد قد أفلت من الزمام ومن الصعب جداً كبحه وأن شتاء النصف الجنوبي من الكرة هو الكفيل بالقضاء على الزحف وتقوم عدة طائرات بالرش من الصباح حتى مغيب الشمس للقضاء على تجمعات الجراد الكثيفة وتساندها على الأرض سيارات ضخمة تحمل أجهزة الرش ووراءها آلاف العمال في معركة ضد الدمار، هذا ما نشرته إحدى الجرائد وهي الرياض في عددها ١٧٧٨ ولا يعرف عظمة هذا الجند المسلط إلا من رآه بحيث يملأ

ظهر الأرض حزونها وسهولها ويفسد ما مر عليه وقد يدخل البيوت فيحدث أضراراً عظيمة كلهيب النار على الأشجار والملابس ويسقط في الآبار فتكون متجيفة.

وفيها تم بناء برج الرياض الذي تقدم ذكره وذلك في شهر شعبان الموافق أكتوبر من (١٩٧١م).

شعب يتعرض للإبادة

لما كان في هذه السَّنة جرى على مسلمي الفلبين تقتيل وإبادة كما جرى على مدينة أحمد أباد وأبشع وأعظم مما جرى وحصل على أهل فلسطين ذلك بأن فلسطين محاطة بالأقطار العربية وأولئك يقطنون في جزيرة بعيدة معزولة وسط المحيط الهادي ويكون مصيرهم الهلاك الجماعي إن لم تهتم بهم الدول الإسلامية والعربية، ومهما كثر الحديث عما يجري لمسلمي الفلبين من إبادة عقائدية وتصفية جسدية فإن القصة البشعة التي تدور فصولها فوق جثث المؤمنين والمؤمنات هناك لا تزال وراء ستار بسبب خطة الكتمان المتعمدة لإخفاء الحقائق والوقائع عن العالم الإسلامي وعن العالم كله، ولقد وردت من المصادر الوثيقة أن المنظمات الإرهابية المسيحية بالفلبين تعمل الآن على محاربة المسلمين تقوم بعمليات القتل والإرهاب ضد مسلمي الفلبين وذلك بتشجيع من القسيسين والرهبان المسيحيين وبمساعدة الحكومة الفلبينية والجيش الفلبيني وبإمداد حكومة جولد مائير اليهودية بالمال والسلاح والذخيرة وأكبر هذه المنظمات الإرهابية المنظمة التي تطلق على نفسها عصابة ليلاجاس أي جماعة النيران، والتي قيل في بعض الصحف أن الرئيس فرديناند ماركوس رئيس جمهورية الفلبين هو الذي أسسها لتنفيذ مخططه وأهم الجرائم التي ترتكبها أفراد العصابات المسيحية ضد المسلمين أنهم يطردون المسلمين من أراضيهم.

ذكر ما جرى على المسلمين هناك من الخزي والتعذيب والهلاك والدمار

لقد قامت تلك العصابات الشريرة بأذية المسلمين وتعذيبهم ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ دين الإسلام يلاحق ملاحقة في كل مكان ويعذب أهله فلا حول ولا قوة إلا بالله قال الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله وغفر له:

كفى حزناً للدين أن حُماته   إذا خذلوه قل لنا كيف ينصر
متى ينصر الإسلام مما أصابه   إذا كان من يرجى يخاف ويحذر

وقال حافظ إبراهيم بك متأثراً من رزايا زمانه:

لقد كنت أخشى عادي الموت قبله   فأصبحت أخشى أن تطول حياتي
تباركت هذا الدين دين محمد   أيترك في الدنيا بغير حُماة

لقد قام أولئك الظلمة من اليهود والنصارى ومن يعاضدهم على أهل الإسلام في الفلبين يحرقون بيوتهم ومساجدهم ومزارعهم ويهتمون بإحراق القرآن الكريم ويقتلون أئمة المساجد ويهتكون أعراض النساء قبل قتلهن ويمثلون بالشهداء المسلمين وذلك بقطع ثدي النساء وقطع رؤوس الأطفال وآذان الرجال وقد جعل لكل من أحضر أذناً أو ثدياً أو رأس طفل جائزة مالية من زعماء المنظمات السرية قدرها يتراوح من ١٠٠ إلى ١٠٠٠ بيسو من عملة الفلبين. وقامت عصابات معروفة باسم الفئران بقطع آذان ضحاياها من المسلمين للحصول على مكافأة وصلت إلى ٨٠ فرنكاً للأذن الواحدة وخصصت جوائز تتراوح من عشر جنيهات إلى مائة جنيه ثمناً للأذن الواحدة وقتل سبعون مسلماً فلبينياً في مذبحة رهيبة في قرية صغيرة بجزيرة من الجزر الجنوبية التي يسكنها أغلبية المسلمين وكانوا قد التجأوا إلى مسجد في انتظار عقد الصلح فاقتحمت عليهم مجموعة من المسلحين المجهولين فأخذت تطلق الرصاص على الرجال والنساء والأطفال فقتل سبعون وأصيب عدد كبير آخر ومن الملاحظ هنا أن هؤلاء المسلمين الذين استشهدوا لم

يدفنوا في المقابر المعروفة لتعذر نقل أجسامهم المفتتة من المسجد إلى المقابر بل جعل المسجد مدفناً لهم اضطرارياً كما يلاحظ هنا أن ثلاثة أطفال ماتوا وهم يمسكون ثدي أمهاتهم وهم راضعون وهذا مما يؤسف له ويثير الأشجان ويفتت الأكباد إنه لدليل واضح على عدم إنسانية هؤلاء الإرهابيين، ومما يذيب القلوب ويخلع الأفئدة أن تغير عصابة أيلاجاس على المسلمين في بلدية الأمادا في منطقة كوتا باتوا في ٣/١٢ من هذه السنة وترتكب أبشع الجرائم التي ارتكبت ضد المسلمين وذلك أن هؤلاء المسلمين كانوا في أثناء احتفالهم بمولد النبي ﷺ كعادة الذين يعظمون المولد فقتلوا جميع من في المولد وهم ثمانية وتسعون مسلماً ما عدا خمسة أولاد تمكنوا من الفرار فلجأوا إلى ثكنة الجنود لطلب النجدة من الجيش الفلبيني فوجدوا أن قائد الثكنة مسلم فاتجه القائد المسلم إلى مكان الحادث وأخذ معه خمسة جنود وكانوا مسيحيين وبينما هم يمشون أخذ الجنود الخمسة يطلقون الرصاص على ثلاثة من الأولاد الخمسة فاستشهدوا في الحال وبقي صبي وصبية ثم أطلق القائد المسلم الرصاص على الجنود الخمسة فماتوا كلهم وهرب القائد وانضم إلى المسلمين المجاهدين وتتلخص النتائج التي أسفرت عنها المذابح التي تعرض لها مسلمو الفلبين إلى ما يأتي:

١. أحرق أكثر من ستة آلاف من بيوت المسلمين كما أحرق أكثر من ستين مسجداً.

٢. أن ضحايا المسلمين أكثر من ثلاثة آلاف شخص كانوا رجالاً ونساءً وأطفالاً وشيوخاً.

٣. لقد هاجر أكثر من خمسين ألف أسرة من أراضيهم وهم الآن بين الموت والحياة لمعاناتهم الجوع والآلام.

٤. المهاجرون من المسلمين لم يستطيعوا أن يحصدوا مزارعهم لطردهم من أراضيهم وإنما حصدها الجيش الفلبيني وأفراد العصابات المسيحية.

٥. استولى المسيحيون على ١٢ بلدية من أراضي المسلمين وقد قام أولئك المعذبون

يناشدون زعماء الدول العربية والإسلامية الوقوف إلى جانبهم ومدهم بالعون المادي والمعنوي ولا ريب أن الاكتفاء بالنداء إلى وقف إطلاق النار بينهم وبين العدو ليس كافياً في تسوية النزاع لأن العدو استولى على ١٢ بلدية من قرى المسلمين وأراضيهم وأحرقوا ألوفاً من بيوتهم ومساجدهم وقتلوا أكثر من ثلاثة آلاف مسلم وآخر شيء إن نقلت وكالة الأنباء إنذاراً وجهه قائد الجيش الفلبيني إلى المسلمين بأنهم ما لم يسلموا أنفسهم قبل يوم الأحد القادم فإنهم سيتعرضون لهجوم مدمر من قوات البوليس التي يزيد عددها على عشرين ألف جندي، وكان هذا الإنذار قد ورد في صحيفة مانيلا تايمز بتاريخ ١٠/٨/١٩٧١م أي الموافق ليوم الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة عام ١٣٩١ هـ.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

وفاة الشيخ العالم محمد نصيف وترجمته هو الشيخ محمد حسين نصيف العالم العاقل الأديب المحبوب الورع الزكي الكريم التقي الذي طيب الله ذكره وجعل له قبولاً بين الأمة ولد في أوائل شهر رمضان المبارك في مدينة جدة عام (١٣٠٢هـ) ولما ترعرع اشتغل بالعلم منذ نعومة أظفاره حتى صار عالماً علماً رصيناً وصار العلم شغله الشاغل فلا تراه إلا دارساً محققاً معلقاً فقهاً وحديثاً وتفسيراً وتاريخاً لقد ضرب في أكثر العلوم بسهم صائب، وقلَّ أن يزار فلا يوجد يقرأ كتاباً وله غرام عظيم بالكتب فلا يظهر في عالم الطبقات كتاب إلا ويحصل عليه مهما كان ثمنه ولديه مكتبة عظيمة حافلة وقد طبع فهرست الأحاديث النبوية في خمس مجلدات ولما سئل عنه قال إنني اشتريته وأراهم أصوله بأربعة آلاف ريال ثم بعد ذلك طبعه بالأوفست وبيع بحوالي ٥٠٠.

أما عن نسب المترجم فهو محمد بن حسين بن عمر بن عبدالله نصيف وكان رحمه الله رجلاً عملاقاً من عمالقة الرجال كرماً وجوداً وأخلاقاً وعلماً وفهماً وذكاءً وذاكرة وكان إلى جانب ذلك متحدثاً لبقاً فيسحر سامعه ويضرب بوفائه المثل

فما كان يتعارف به أحد ويستطيع أن ينفك من وثاق صداقته وله مقام كبير لدى آل سعود لإخلاصه وله ذكر طيب داخل البلاد وخارجها وكان بيته مفتوحاً للزائرين من الوزراء والعلماء والأعيان ولهذا البيت مكانة عظمى عند حكام الحجاز وهو من أكبر أعيان مدينة جدة بل من أكبر أعان الحجاز ومدارسه ومذاكرة ومراجعة في مكتبته الكبرى وكانوا يراجعونه في المشكلات العلمية فيجدون لديه كشفها ولما تقدمت به السن كان يقول للمراجع قم لهذه الخزانة ويشير إلى إحدى خزانات الكتب وخذ الكتاب الفلاني فالمسألة فيه فإذا أتى بالكتاب أخذه وأخرج لهم المسألة ثم يعلق عليها بما يعرفه نتيجة دراساته الدائمة وقل أن يوجد عالم أو طالب علم باحث ومحقق إلا ويعرفه ويعرف داره وجعل الله له شهرة بين الأمة.

وفاؤه وكرمه

كان مما امتاز به عن بني جنسه أنه إذا غاب عنه مجالسه يسأل عنه ويزوره وكان يزور إخوانه وهو في مرضه الأخير وقد كان ينبغي أن يزار ولا يزور. قال عنه أحد أصحابه أنه زارني في لندن لما ذهب للعلاج فيها ولما تقدمت به السن وأحس بالضعف العام صار يتقوى على الضعف والمرض بالصبر ولم يتغير نظامه في مجلسه واستقباله للضيوف فقد كان يطرق أبواب الصحة ويبحث عنها في عقاقير الأطباء وفي الابتهالات والدعاء لله سبحانه وتعالى فلا يوجد معه عند الاجتماع به حتى في أيامه الأخيرة غم أو قلق أو ضجر فلا يوجد إلا باسماً متحدثاً ليدخل السرور على جلسائه بمزاحه اللطيف ونكاته التي يقتضيها مقام الحديث فلم يضعف أبداً رغم حملات الضعف عليه وكان مصلياً صائماً ورعاً يخشى الله ويراقبه ويقول زواره أنا إذا زرناه نجده إما يتوضأ أو يصلي أو قد انتهى من الصلاة أو بيده كتاب يقرأه ولقد جرى عليه نكبة من الأشراف بسبب تهمة موجهة إليه بأنه يميل إلى آل سعود لأنه متصف بسمات وصفات أهل الدين والإيمان فرماه الأعداء بقوس العداوة وما زالوا يقذفون عليه حتى اعتقله علي بن الحسين الشريف وثلاثة معه ونفاهم إلى والده في العقبة فألقاهم الحسين هناك في قبو مظلم لا فراش فيه ولا نور ولقي إهانة

غير أن الله كتب له النجاة وقد قدمنا القصة في حرب جدة فرجع محفوظاً بعناية الله نائلاً السلامة فاعتذر إليه الملك علي بن الحسين بأنه قيل فيه وقيل وخرج بريئاً وما كان حقه الإهانة بل الواجب التبين والتثبت وبئس مطية الرجل زعموا ولكن أعداء الله لا يزهدون في أذية أوليائه ولقد حرصت على رؤيته في أيام هذه الحياة لأني أحب الأتقياء والأوفياء غير أن الله لم يقدر ذلك وكان معظّماً محترماً وله مقالات مفيدة في الصحافة السعودية وفي صفحات العالم الإسلام والعربي وعنى بنشر مفيد الكتب وتوزيعها مجاناً على طلاب العلم ابتغاء ثواب الله وله اطلاع واسع على شتى العلوم والتواريخ والحقيقة أن مدينة جدة فقدت بموته ابناً باراً من أبناء هذه البلاد ولما أن ذهب إلى لندن للعلاج وأمضى فيها فترة أسبوع قال بعض أصحابه كنت دائم الاتصال به في لندن وكنت أزوره في المستشفى فقد دخله لإجراء فحوصات عامة وقال لصديقه قبل خروجه بيوم أن الأطباء حللوا الدم والبول وأخذوا أشعة لصدره وظهره وقاموا بعملية كشف بالناظور وقالوا أن كل شيء على ما يرام وكان يشتكي من ألم في ركبتيه عند المشي وقال أن الأطباء أعطوني علاجاً لهما وتحسنت كثيراً وأعطوني علاجاً استعمله في جدة إذا لزم الأمر. قال: وآخر يوم سافر بعده كنا نتغدى سوية في أحد المطاعم وعند خروجنا من المطعم كانت خادمة من النساء تعمل في المطعم فهرولت المرأة ومسكت بيده لتساعده على السير فقال لحفيده الدكتور محمد نصيف قل لها أنني أريد عروساً وهو يضحك فطفح السرور على وجه الخادمة لما رأته يتبدى الراحة وسارت تساعده على السير حتى خرج من باب المطعم إلى السيارة وذلك تعظيماً لهذه الأخلاق الفاضلة مريض يعاني الثقل والمشاق وهو يمازح رفقته ومن حواليه ليدخل السرور عليه ولما اشتدت آلام ركبتيه عند المشي وأثناء الصلاة عمل متكأين خشبيين أحدهما على اليمين والثاني على الشمال ويدخل بينهما في الصلاة ويتكي عليهما عند القيام والقعود فإذا حانت الصلاة فإنه يصلي على ذينك المتكأين ثم أنه ذهب لبيروت وأمضى أسبوعاً للاستجمام وعاد إلى جده فتوجه إلى الهدى والراحة والاستجمام

وعندما شعر بآلام في القلب صباح يوم الخميس نقل إلى مستشفى الملك بالطائف فوافته المنية هناك صباح ٦/٨ عن عمر يناهز التسعين بعد هذا الألم الذي ألمّ به مؤخراً واختاره الله إلى جواره وقد اشترك في تشييع جثمان الفقيد سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز، وسمو الأمير فواز بن عبد العزيز موفدين من جلالة الملك المعظم وعدد كبير من وجهاء مدينة جدة وأعيانها وصلي عليه بعد صلاة العصر من اليوم الثامن المذكور في مسجد المعمار ثم نقل إلى قبره حيث دفن في مقبرة الأسد وقد خلف حفدة وأبناء فضلاء وبنات أما ابنه حسين وابنه عمر عضو مجلس الشورى فقد توفيا في حياته واحتسبهما عند الله تعالى.

وممن توفي فيها

من الأعيان الشيخ علوي عباس المالكي وذلك في يوم الأربعاء ٢/٢٥ من هذه السنة قالت إحدى المصادر في مكة المكرمة ما نصه شيعت مكة المكرمة عصر يوم الأربعاء ٢٥/ ٢/ ١٣٩١ هـ علماً من أعلامها وابناً من أبنائها البررة هو فضيلة العالم الفقيه المحدث السيد علوي عباس المالكي الذي وافته المنية في الهزيع الأخير من ليلة الأربعاء إثر نوبة قلبية حادة لم تمهله كثيراً، ولقد شهدت أم القرى يوم تشييعه مركباً مهيباً سار فيه الألوف من أبناء البلد الأمين كان الفقيد يرحمه الله من العلماء البارزين الذين بذلوا جهودهم أكثر من ربع قرن لنشر العلم والدعوة إلى الله حتى آخر يوم من حياته الحافلة بالأعمال الصالحة وفضيلته ولد في عام (١٣٢٧هـ) في مكة المكرمة ونشأ في أحضان والده السيد حسن مالكي المعروف الآن بمدرسة الحفاظ حيث حفظ القرآن الكريم ثم التحق بمدرسة الفلاح حيث تلقى على يد أساتذتها علومه الدينية والأدبية وتخرج منها عام (١٣٤٦هـ) وفي عام (١٣٤٧هـ) عين مدرساً بمدرسة الفلاح وأجيز للتدريس بالمسجد الحرام حيث كانت حلقته إلى آخر يوم من حياته مقصداً لطلاب العلم والمعرفة من كل أنحاء العالم الإسلامي وهو إلى جانب ذلك مأذون شرعي كوالده رحمهما الله وكان عضواً

في عدة هيئات علمية وثقافية كان فيها مثال الرجل الحصيف كما كان عضواً في الهيئة العليا لتوسعة المسجد الحرام هكذا ذكر هذا المصدر وكان أهل مكة يعظمونه فقد وقفت في إحدى ليالي العشر الأواخر من ذي القعدة عام (١٣٦٢هـ) على مدرس في الركن الشرقي الشمالي بالرحبة من المسجد الحرام جالساً على الأرض في صحبتي فضيلة الشيخ عبد الله بن عودة السعوي فقد قال لي نذهب ننظر في كلام هذا المدرس فرأيت المستمعين متحلقين حواليه وذلك العدد لا يقل عن سبعمائة مستمع وكان فصيحاً بليغاً يلقي الكلام بقوة ومن حواليه مستمعون فسألت سقاء واقفاً يحمل مصفحتين بين خشبتين عن هذا الشيخ فأجاب بعد أسفه الشديد وما تعرفه فقلت لو عرفته لم أسأل عنه فإني أُفتى وأقنعته بعد ما بكى وذرفت عيناه بالدموع فأجاب بقوله هذا السيد علوي هذا ما في الحجاز ولا في نجد ولا في اليمن أعلم منه وجعل يطريه ويبالغ في مدحه فعجبت من أهل الحجاز أو من سقاء جاهل كيف يعظمون علماءهم ويحترمونهم، أما مؤلفاته فهي حاشية فيض الخبير على شرح منظومة أصول التفسير، فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب، المواعظ الدينية وهي عبارة عن محاضرات دينية، العقد المنظم في أقسام الوحي المعظم، رسالة المنهل اللطيف في أحكام الحديث الضعيف، نيل المرام تعليق على عمدة الأحكام، شرح بلوغ المرام، ديوان لم يطبع.

وممن توفي فيها من الأعيان

وزير المالية والاقتصاد بعد عبد الله بن سليمان محمد سرور الصبان كانت وفاته في اليوم ٢ من شهر ذي الحجة من هذه السنة بمصر ثم نقل جثمانه من القاهرة إلى مكة المكرمة حيث عاش فيها ودفن في ٣/ ١٢ أي من الغد رحمه الله وعفا عنه. ولد سنة (١٣١٦هـ) بالقنفذة وكان أسمر اللون جداً شجاعاً مقداماً يلبس العقال الأسود فوق غترة الصوف المزركشة الثمينة طوالاً سبط الكفين ومن رجالات المملكة السعودية. أما الوظائف التي نالها فقد عين موظفاً في بلدية مكة في عهد

الحسين بن علي ثم انتقل إلى الأعمال الحرة ثم عين بوزارة المالية السعودية ثم رقي إلى مدير عام فوكيل وزارة ثم عين مستشاراً عاماً بوزارة المالية ثم عين بعد الوزير ابن سليمان وزيراً في المالية والاقتصاد الوطني عام (١٣٧٤هـ) ومن حسناته الخالدة مكتبته بمكة المكرمة، وله كتاب المعرض وهو معرض لآراء طائفة اختارها من الأدباء والمعاصرين وله اليد الطولى في طباعة مصحف مكة فكان قد عهد إلى الأستاذ طاهر الكردي المكي الخطاط بكتابة المصحف الشريف فلما أن أتم كتابته عهد إلى لجنة علمية شكلها بأن تراجع المصحف المخطوط وبعدما تمت المراجعة عهد إلى المطبعة العربية بمكة وكان هو مؤسسها بأن تقوم بطبع هذا المصحف على الانتهاء، وقد كانت المصاحف تطبع في القسطنطينية ثم مصر وسوريا وغيرها فهو أول من قام بطبعها في هذه البلاد السعودية، وطبع تهذيب الصحاح أجمل طبعة وأصحها وأسس بموافقة الملك المغفور له عبد العزيز جمعية الإسعاف الوطني بمكة المكرمة، وطبع ديوان فؤاد الخطيب طبعة مشكلة جامعة وذلك في سنة (١٣٧٨هـ) وطال مكث كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للمؤرخ الفاسي بين المخطوطات وهو كتاب ضخم ويحتاج إلى نفقة عظيمة فما زال يوالي مجهوداً في نشر أجزاء الكتاب حتى كمل في ثماني مجلدات وكان لما أسس جمعية الإسعاف لم يكتف بذلك بل تجاوزها إلى مهمة إسعاف فكرية وروحية فأقام بها نادياً يتبارى فيه العلماء والأدباء المحاضرون حتى أصدر كتاباً يحمل اسم المجموعة الأولى (١٣٥٧هـ) محاضرات الإسعاف حتى قال فيه عبيد مدني:

قم والتمس معنى النتاج الصافي ... واستوح مغزاه من الإسعاف
فيه شفاء للمريض ومادة ... للمستفيض ومنه للعافي
من يأته من قاصد أو لاجئ ... يلقَ الرحاب فسيحة الأكناف

وقالت عنه جماعة مشروع تحفيظ للقرآن الكريم لقد رزئت الجماعة بوفاته رزءاً عظيماً فقد كانت هذه الجماعة منذ نشأتها مشمولة بعنايته وموضع اهتمامه وكان له فضل كبير في استمرار المساعدة الشهرية التي تتلقاها الجماعة من رابطة العالم

الإسلامي والتي قررها المجلس التأسيسي للرابطة هذه المساعدة التي هي أول مساعدة تتلقاها الجماعة والتي استطاعت الجماعة بواسطتها أن تثبت أقدامها وأن تقيم هذا المشروع الخيري على دعائم ثابتة وعلى أسس متينة نعم قد قدمنا في السنة الماضية ما تبرعت به رابطة العالم الإسلامي لهذه الجماعة بحيث بذلت مائة ألف وثلاثين ألفاً إذ كان محمد سرور الصبان هو الأمين العام للرابطة إذ ذاك. وبعد وفاته تولى الشيخ محمد صالح قزاز أمانة الرابطة وسيأتي ذكر فضله عن قريب بعد أسطر ولقد أثنى الحجازيون على الفقيد الصبان وشنفوا الأسماع بذكره ومن حسناته أنه سرقت راحلة أحد الحجاج بما عليها لما أن أناخها أمام باب الوداع ليقضي طواف الوداع فلما ذهب إليها لم يجد غير عقالها فجاء ذلك الموتور إلى أحد الرؤساء يشكو الحال وينزل به حاجته وفاقته باكياً حزيناً ولكن ذلك الرئيس لم يسق الله له على يديه فرجاً ولا نصيباً وكان المترجم إلى جانبه فخرج المسكين باكياً مكسوف الحال فلحقه محمد سرور ووجده منطرحاً خلف الباب فسأله عن صحَّة فادحته فأقسم بالله العلي العظيم أنه صادق ولا يملك من مال الله شيئاً غيرها فذهب به إلى أمين الصندوق والصرف وأمره أن يصرف له راتبه لشهر ذي الحجة فخذ ما شئت أيها القارئ من جبر قلب هذا المفجوع براحلته وماله وإنا لنثني على أصحاب المكارم والإحسان ونخلد أذكارهم ونعترف بعاطفتهم حتى قال عنه نواد شاكر في تاريخه ليس بحاجة إلى تعريف لأنه في هذه الناحية يكاد يكون أبرز أنداده على الإطلاق وأطال في مدحه والثناء عليه.

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ عبد الله بن محمد بن سعد بن عامر رحمه الله وعفا عنه كانت ولادته في مدينة بريدة عام (١٣٢٤هـ) فنشأ في أحضان والديه إذ كان أخواله آل هزاع ودخل على مقرئ في كتابه فأخذ في الدراسة وتعلم القرآن وكان من جملة تلامذة الشيخ عمر بن محمد بن سليم والدارسين عليه في حالة حاجة إذ لم يكن للطلاب مكافآت

ولما قام بعض الأجواد بعمارة مسجد ربيشة عام (١٣٤٩هـ) جعل إماماً فيه واستمر يزاول هذه الوظيفة ثلاث سنوات ثم أن الحكومة بعثته في جملة القضاة والأئمة والمرشدين إلى جهة عسير وما يليها عام (١٣٥٣هـ) فذهب على مضض لأنه كان مولعاً ببلده ورفقته وكان صهراً وصديقاً للأخ الشيخ عبد المحسن بن عبيد ومن خاصة أحبابه وأصدقائه وكنت أذكر أنه لم حج الأخ الشقيق عام (١٣٤١هـ) لم يطق فراقه وجاء إلى والدنا يسأل عن وقت مجيئه وبكى فأقسم والدنا لو علمت بحرارة فراقه كذلك لجعلتك له مرافقاً، ولما أن ذهب في جملة الذاهبين إلى جهة اليمن كان إماماً في أبي عريش وواعظاً ومرشداً إذ كان القاضي في جهته الشيخ عثمان بن حمد بن مضيان واستمر يزاول هذه الوظيفة في عام (١٣٥٨هـ) حيث طلب من كانوا هناك من المبعوثين الرجوع إلى الوطن؛ لأن الطقس لم يوافق لصحتهم وشغل وظيفة إمامة مسجده في بريدة ثم إن الحكومة اختارت أناساً للدراسة على الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع في المسجد الحرام وللوعظ والإرشاد في مكة المكرمة فذهب من جملتهم أضف إلى ذلك أن كانوا أعضاء في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولما رأى أن عمله كان شاسعاً عن نجد رحل بأهله وأولاده إلى مكة واستوطنوها ثم أنه بعث للقضاء في الدمام وزاولها ثلاث سنين ثم نقل إلى قضاء المويه وبعد تعيينه طلب الإقالة من قضاء المويه واقتضت الإرادة لما جعل الشيخ ابن مانع مديراً عاماً للمعارف وعين فضيلة الشيخ عبد الملك بن إبراهيم رئيساً عاماً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المنطقة الغربية أن يكون المترجم في الجهة الجنوبية رئيس هيئة الأمر بالمعروف هناك ثم نقل من هذه الوظيفة إلى أن يكون مفتشاً في رئاسة الهيئات بمكة المكرمة ولما تقدمت به السن أحيل على التقاعد قبل وفاته بسنة وكان كريم النفس طيب الأخلاق ثابتاً على دينه ومبادئه لا تغيره النقلات يداري ويعاشر ويتحمل في نفسه المشاق وله حظ من تلاوة القرآن وترتيله ولا يزال ناسكاً متمسكاً متقيداً بتعاليم الشريعة ولما اشتعل شعره بالبياض لم يكن ليغيره أو يزيله فكان شديد بياض الشعر كث اللحية

ويعلوه البهاء متسماً بحلية العلماء ثم أنه أصيب قبل وفاته بثمانية شهور يتأثر في وجع إحدى رجليه وأجريت له فحوص طبية تبين منها أنه لا يخلو من مرض السكر ففعلاً استعمل الحمية واستمر في تقلباته وذهابه وإيابه غير أن صحته متأخرة ثم أصيب بمرض قلبي على إثر ذلك وفي يوم الاثنين الموافق ١٦ ذي القعدة من هذه السنة وهو آخر أيامه كان يشكو من قلبه رغم تردده إلى المستشفيات فطلب من أهله وقت الظهيرة أن يحضروا ملابسه وقال إني أريد أن أغتسل وأتطيب وأغير ملابسي لتكون رائحتي طيبة إذا غسلوني فقد كنت أظن أني أبيت هذه الليلة في قبري، ولما أن كان قبل الغروب بساعة من آخر النهار طلب حضور الطبيب وذهب إلى الحمام ثم خرج ودعا بابنه محمد الذي يلازمه وقد ذهب ليأتي بالطبيب وطلب ألا يأتي به وطلب حضور صهره زوج ابنته إليه ليراه ويجتمع به ولما خرج من الحمام جعل يتردد في أين يجلس في السطح أو المجلس لأن لا يصيبه لفح الريح بعد الاغتسال ثم غُشي عليه وقد جاء أهله إليه بالقهوة حسب طلبه غير أنها خرجت روحه مع غروب الشمس ليلة الثلاثاء ١١/١٧ رحمة الله عليه فغسلوه وكفنوه وصلى عليه المسلمون وقد رؤيت له منامات حسنة وكان سبطه سعد بن محمد يتلو هذه الآية بمناسبة وفاته ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ ولما قص على أهله صفة وفاته قلت هذه المرثية في الفقيد تغمده الله برحمته:

أتيتِ بأخبار أبانت نهاية	لأنفاس خل قد دهي بالطوارق
وفيٌ حفيظ بالوداد وثابت	على دينه قد كان خير مسابق
سلالة أنجاب ومن نسل عامر	هو الصهر عبد الله ليس بماذق
لقد عاش في الدنيا عزيزاً ومكرماً	نقيبته التقوى وحسن الخلائق
وقد كان ذا صبر جميل وثابتاً	وما كان يبدي دائماً للخلائق
ولكن نفس المرء تبلى وتنجلي	طوايا تخبا عن صديق وصادق
ينادي بأعلى الصوت جهراً لنجله	ملازمة في خدمة فعل صادق

محمد المذكور بالخير والندى شمائله كسب العلى في الحقائق
لقد كان براً في القرابة واصلاً وذا حشمة أمسى بها ذا تفاوق
ألا أيها النجل ائتني بمعالج وسارع إلى جلب الطبيب وسابق
فقد كنت مكروباً ولا زلت خائفاً وفي علم مولى الخلق أمسى بطارق
وقام كحيران يضيق به الفضا يردد أنفاساً دهت باللواحق
فما كان إلا ساعة ثم ناله سهام القضا المحتوم في جنح غاسق
لست من الأيام من بعد عشرها بذي قعدة أمسى رهين الخنادق
لإحدى وتسعين تلتها مئاتها ثلاثمئين بعد ألف مطابق
فأفٍّ لذي الدنيا وإن ظلالها سريع انقلاص ليس يوماً برائق
وأعظم بموت للحبيب وفرقة ورزء دهاناً بالحبيب المفارق
فمن مثل عبد الله في الأنس والبها محاسنه فاقت كثير الخلائق
بقية أفذاذ لعمري ومعشر سجيتهم بذل الندى والتصادق
لقد عاش في التقوى ومذ شب يافعاً وكهلاً إلى غير النهى غير تائق
حفيظاً على العهد القديم وثابتاً على مبدئ قد لا يميل لمارق
فأهون بهذا الدهر خلا وصاحباً لقد كان سلاباً لخل مرافق
وليس بمأمون على الصحب والوفا سجيته سلب الصديق المصادق
فسبحان ربي من جليل وقاهر يعيد ويبدي قاهر للخلائق
يعاملنا ربي بفقد خيارنا ويبقى شرار الخلق من كل مارق
على هذه الدنيا العفا بعد موته فكم سلبت أيدي الردى كل فائق
وكم أبقت الأيام خباً ومعشراً وكم قد رأينا من عجيب الشقاشق
فصبراً بني الإسلام صبراً على البلا فذو العرش جبار لطيف برامق
وكل سيمضي ذاهباً بعد ذاهب وغايتهم ذا لاحق بعد سابق
وصل على المبعوث للناس رحمة بعد النجوم الغاربات الشوارق
وآل وأصحاب على السير اقتفوا وأتباعهم من كل هادٍ وسابق

وهذه أبيات للشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل جواباً عليها:

رثـاء مـن الشـيخ الأديـب مـؤثر ... مـثير بـه اهتـاج الأسـى والتـأثر
هـو الشـهم إبـراهيم ذو النبـل والإخـا ... أبـوه عبيـد العابـد المتبصـر
عبيـد بـن عبـد المحسـن الصـالح الـذي ... محاسـنه في النـاس تـروى وتـذكر
جـزى الله إبـراهيم خـيراً فإنـه ... لـذو العلـم والتوفيـق والله أقـدر
ففقـه وتـاريخ مـع الـوعظ والرثـا ... علـوم وآداب تصـان وتنشـر
رثى الراحل الصهر الأديب أخا الوفا ... أبـا عـامر مـا المـرء عمـراً يعمَّـر
فلـم يجعـل الله الخلـود لكـائن ... مـن البشـر الفـاني تعـالى المـدبر
ومـا هـذه الـدنيا جميعـاً بأسـرها ... لكـل الـورى إلا ممـر ومعـبر
وكـل مـلاقٍ في المنيـة مصـرعاً ... ألا كـل شـيء بالقضـاء مقـدر
فمـا أبهـج الحـظ السـعيد بفـوزه ... ومـا أتعـس المحـروم والحـظ أخسـر
معـاذاً إلهـي مـن شـقاء وفتنـة ... وغـل وإعجـاب هـو الـداء يحـذر
مضـى الشـيخ عبـد الله نجـل محمـد ... حميـد خصـال والمحامـد مفخـر
ولم نـنس أيـام الـوفى ونبلـه ... ولطـف سـجايا لم يشـبها التكـدر
وبـراً وآدابـاً وحسـن عقيـدة ... وترتيـل قـرآن بصـوت يحـبر
تغمـده المـولى بعفـو ورحمـة ... بإحسـانه والله ذو المـن يغفـر
لنـا ولـه والمسـلمين جميـعهم ... وحمـداً لـرب الكـون والله أكـبر

ومن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبد الله بن مشيقح، وهذه ترجمته: هو أحد زعماء مدينة بريدة عبد الله بن عبد العزيز بن حمود بن مشيقح بن عبد الله آل مشيقح، ولد في مدينة بريدة سنة (١٣١٠هـ) ونشأ في بيت والده نشأة حسنة فأدخله والده إحدى المدارس الأهلية عند مؤدِّب يتعلم القرآن والكتابة وله من العمر ثمان سنوات وكان ذكياً حفظ القرآن الكريم وحسن خطه ولازم والده منذ صغره في البيت والمسجد وعند سماع القراءة في مجالس الذكر في المساجد واشتغل بجانب والده في التجارة وحينما بلغ عمره العشرين أخذ في طلب العلم على الشيخ

عمر بن محمد بن سليم وأخذ عنه تفسير القرآن وعلم التوحيد والفقه والفرائض والنحو والتاريخ كما أخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم ودرس عليه في الصحاح والسنن وكان مولعاً باستماع القراءة في البيت والمسجد في الكتب الدينية والتاريخ وغيرها طيلة حياته وعنده قوة ذاكرة واختير إماماً لمسجدهم الذي كان يدعى مسجد عيسى في غربي مدينة بريدة وذلك في عام (١٣٤٠هـ) وبصفتهم الذين أقاموا عمارته مرتين كان يعرف بمسجد الشيخ واستمر في إمامته إحدى وخمسين سنة تقريباً حتى توفاه الله تعالى ولما أن كان صوته جهورياً صدق عليه اسم البلبل المغرد ذلك لما كان حسن الصوت جهورياً مرتلاً محبراً فهو وحيد زمانه في علو الصوت ولا سيما ليالي الختم في شهر رمضان فإن المسجد يمتلئ بالمصلين رجالاً ونساءً ويختصونه لقراءة الكتب الواردة من الملك عبد العزيز في وقت الحروب لتوجيه الشعب وإبلاغه الأوامر الرسمية فكان صوته يسمع من مسافة بعيدة وقد تأثر بحب العلم والعلماء وحب الخير وأهله ومناصرة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فكان يؤيدهم ويساعدهم ويقف في صفهم ويتمتع بالأخلاق الفاضلة والسيرة الحميدة مع أدب وسعة رأي، باسم الوجه مقنعاً بحديثه سريع البديهة محترم الشخصية باراً بوالديه ولاسيما لما أسن والده فإنه يجلس بين يديه متواضعاً متقيداً بتوجيهاته خاضعاً لأوامره وكان موفقاً لحل المشاكل وإنهاء الخصومات إذا وجهت إليه وفيه سياسة حتى أنه يسحر السامع في كلامه وكان وجيهاً عند الأمراء والحكام والقضاة وترجع الأمة إلى رأيه ومشورته ويستأنسون برأيه ويقربون مجلسه لما يعرفون من نصحه وإخلاصه وكان إلى ذلك صاحب عباده وله حظ من قيام الليل ومحسناً إلى الفقراء والمساكين ويعطف على المستضعفين ويصل رحمه ويؤثر على نفسه في أمر أسرته مما جعلهم يميلون إليه ويقدرونه ويحترمونه ويربي أبناء الأسرة ويأمرهم بالصلاة ويوقضهم لها ليلاً ونهاراً مع كثرتهم وسعة بيتهم وتعدد محلاتهم وله أخوة كانوا يسيرون على تعليماته في خدمة مسجدهم وبذل الطعام والشراب فيه للمحتاجين والمصلين ولما أن كان في آخر

السنة التي توفي فيها أحس بمرض قلبي فقام الأطباء في ليلة الجمعة ٢٩ من شوال من هذه السنة لعلاجه في مستشفيات بريدة غير أن كان مرضه يشتد ويزداد فبعث إليه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز بطائرة لحمله إلى الرياض وعلاجه فيها فاستمر بمستشفى الرياض حتى توفاه الله تعالى في الساعة الخامسة والنصف بالغروبي من ليلة الثلاثاء الموافق ٢٥ من ذي القعدة فنقل جثمانه إلى مدينة بريدة لتسهل زيارته على كل من أهله ومحبيه وصلي عليه بعد صلاة الظهر بالجامع الكبير في بريدة وشيعه إلى قبره خلق كثير وجم غفير رحمه الله وعفا عنه وكان لدى هذه الأسرة وهم أبناء عبد العزيز بن حمود بن مشيقح عبد الله وصالح وحمود وإخوانهم ثروة عظيمة وإذا كان في دخول شعبان ألزمهم باعث الإيمان على أن يقوموا بإحصاء المال وإخراج زكاته حسب إرشادات والد الأسرة فيفرقون الزكاة على الفقراء ويتفقدون طالب العلم لذلك امتدحهم عمر الوسيدي بأبيات من قصيدة تقدمت وقال في معرض المديح والثناء:

جزاهم إله العرش عنا بفضله وضاعف من مبذولهم كل حاصل
يكون ظلالاً يوم يفصل بالقضا وقاية حر الشمس يوم الزلازل

ذكر شيء من نباهة المترجم وسياسته

كان حبراً من الأحبار عاقلاً وداهية من دهاة الرجال ونحريراً مقولاً فصيحاً سياسياً ويدرك بذوقه وسياسته ما يقصر عنه بنو جنسه فكان من الأسرة البعيدين من تفوته صلاة الفجر مع الجماعة فأسف إخوانه ووالداه لذلك وجعلوا يقلبون النظر في أطره على الصلاة مع الجماعة فأحضر عبد الله الرجل وقال له إننا نريد من يتفقد الجماعة في العدد وقد فكرنا فلم نجد سواك ففرح بذلك الرجل وتلقى ذلك العمل برحابة صدر وسرور فرحاً بهذه الثقة فكان أول من يدخل المسجد ويأتي قبل الأذان يوقد السرج ويهيئ موضع الصلاة حتى كان أعظم المبادرين للصلاة ومن سياسته أنه يذهب إلى المدينين لهم بنفسه فيدرك ما تيسر من دون

غضب ولا تشويش وذلك لأنه قد يدرك الإنسان بالرفق ما لا يدركه بالعنف ويسلمه لأمين صندوق ماليتهم قائلاً هذا من فلان وهذا من فلان فيوضع الواصل بالدفاتر تماماً وقد تتأزم الأمور في مدينة بريدة فيكون لديه الحل السريع في كشف النزاع وإزالة سوء التفاهم وإرضاء المتنازعين وبكل حال فإنه قد خسرته الأمة وفقدت رجلاً من رجالها.

ومن توفي فيها من الأعيان محمد بن راشد بن سليمان بن رقيبة يعرفون بهذا اللقب وإلا فهم آل سبيهن من آل شيحة. ولد المترجم في سنة (١٣١٧هـ) وكان والده راشد من أعيان بريدة له إلمام ومعرفة بالتجارة رباه في بيت فدرس في إحدى المدارس الأهلية حتى حفظ القرآن وتعلم الخط ومبادئ في الحساب وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم حتى حصل على مبادئ من العلم الشريف ومما درس عليه المنتقى لمجد الدين ابن تيمية رحمه الله وكان ممن يلازمون الشيخ عمر في إقامته وأسفاره ومن جملة رفقة الشيخ المذكور لأنه كان لبقاً ذكياً يحسن الأدب وفيه ذكاء ومعرفة بالأمور وممن يتعاطون بالتجارة وكان هو المقدم من بين أخوته الذين كان لديهم ثروة مالية بعد أبيهم راشد بن سليمان وفي صفته كان طويل القامة نحيف البدن أبيض اللون مهيب الطلعة موقراً لدى أسرته وله ميل إلى العقيدة السلفية ولا يبدو عليه أثر السرور ولا الغضب ولا الضحك ولا يحب الهزل ولا المزاح وإذا تكلم فإنه يشبع المقام ولا يدع لصاحبه مقالاً لا سيما إذا تكلم عن غضب فإن له بوادر وشجاعة ومن عادته أنه يقيم في فصل الصيف بنخيلهم الكائن بقرية خضيرا وفي الشتا يقيم ببيته الكائن في بريدة بجوار مسجد الشيخ ناصر بن سليمان بن سيف وقد صاهر الشيخ القاضي عبد الله بن محمد بن حميد لما كان في قضاء القصيم. كانت ٥وفاته في يوم الاثنين الموافق ٢٤/ ١١ من هذه السنة رحمه الله وعفا عنه فمن المصادفات وفاة ثلاثة من الأحبة والأعيان في شهر واحد.

وفيها في يوم الأربعاء ١٣ شوال افتتح الملك فيصل مشروع الري والصرف

بمدينة الإحساء التي قدمنا ذكرها وكان بعض المواطنين مولعين بما فيها من العيون قال محمد ابن عبد الله بن عبد القادر المؤرخ يصف عين أم سبعة في قصيدة:

رعى الله يوماً قد طوينا نهاره بكثبان رمل زينتها الجداول
تجود عليها دائماً أم سبعة بماء كبلور جلته الصياقل
يزيد على برد الشتاء توقدا كأن بذاك الماء تغلي المراجل
كأن جموع النخل في عرصاتها صفوف العذارى جملتها القلائل
إذا روحت ريح الشمال رؤسها تميل كما مال المحب المواصل
فيا حبذا برد النسيم بظلها ويا حبذا ذاك النقا والمنازل
بأعوان صدق زينوا كل محفل فما منهمو إلا سخي وفاضل

وقد تقدمت إشارة لطيفة عن الإحساء.

وفيها جرت انقلابات وثورات في السودان والمغرب.

وفيها في عاشر شوال اغتيل رئيس الوزارة الأردنية في مصر بالقاهرة بأن تقدم ثلاثة رجال مسلحون فأطلقوا عليه النار فقتل الرئيس وصفي التل. وقالت المصادر أن أولئك الثلاثة ينتمون إلى منظمة تدعى منظمة فلسطين السوداء وكان إطلاق النار عليه بينما كان يهم بدخول الفندق وأن وصفي التل كان يرأس وفد الأردن إحدى وخمسين عاماً وكان قتله غيلة في الساعة الواحدة تزيد ٤٥ دقيقة من بعد ظهر ذلك اليوم بتوقيت القاهرة وكان إطلاق النار من داخل الفندق حيث انتشرت قطع الزجاج المحطم للباب الأمامي للفندق على أرض المدخل المسفلت وشوهدت عدة ثقوب في الباب ناتجة عن رصاص من أسلحة أتوماتيكية وقد وجه الملك حسين بن طلال ملك الأردن كلمة عزاء إلى الشعب الأردني نعى فيها الرئيس وأعلن الحداد عليه أربعين يوماً. وأعلن الحداد لمدة أسبوع وتعطيل جميع الوزارات والمؤسسات الرسمية والمدارس الحكومية والخاصة يومي الاثنين والثلاثاء وبعث الرئيس المصري أنور السادات برسالة إلى جلالة الملك حسين بن طلال ملك

الأردن يعرب عن أسفه الشديد وأسف الشعب المصري لهـذه الجريمـة الـتي وقعـت على الأرض المصرية ضد رئيس وزراء الأردن.

وفيها نشأت خلافات بين الهند وباكستان وتطورت المشاكل وذلك بتدخل الهند فيما لا يعنيها وكان قـد حـدث أن فرقـة انفصـالية قامـت ضـد حكومـة باكسـتان الشرقية على رأسها مجيب الرحمن فقامت الهند تؤيـد الانفصـاليين وتمـدهم بـأموال ضخمة وسلاح وترسلهم للقيام بالتخريب في باكستان وعلاوة على ذلك حشـدت الهند العديد من فرقها العسكرية على طول الحدود الباكستانية الشرقية وقامت هذه القوات تواصل قصف الأراضي الباكستانية باستمرار وكان ابتداء ذلـك في شـعبان من هذه السنة.

شر عظيم وبلاء مستطير تعانيه باكستان

استمر القتال أواخر شعبان ورمضان في وضع خطـير للغايـة وقامـت القـوات الهندية بقصف بعض مناطق حدود باكسـتان الشـرقية وإرسـالها الـدبابات في عـدة قطاعات الحدود واسـتمر القتـال بهـذا الوضـع الشـديد بـين الفـريقين بالـدبابات والطائرات وقتل مئات بين الفريقين وجرح آخرين ودمرت الباكستان ما يزيـد عـن ثماني عشرة دبابة كما قتلت ١٣٠ هندياً وجرحت حوالي ٥٠٠ جندي وبكل حال فإن الباكستان ما استطاعت صد هجمات العـدو ولم تتوقـف القـوات الهنديـة مـن الغارات على باكستان واعترفت (أنديرا غانـدي) أن القـوات الباكسـتانية تعززهـا الدبابات والمدفعية ولما أن كان في ١٦ شوال بدأت حرب شاملة غير معلنـة رسميـاً بين الهند وباكستان وقد أغارت الطـائرات في البلـدين علـى مطـارات كـل منهمـا واندفعت قواتها البرية في سعي للسيطرة على الأراضي في الجانب الآخر وأعلنـت الباكسـتان أنهـا أسـقطت إحـدى وثلاثـين طـائرة هنديـة وأنهـا حققـت مكاسـب استراتيجية برية في كشمير والبنجاب الهندية وقد انفجرت طائرتان هنديتان في الجو ودار قتال عنيف في غـرب باكسـتان وقـد أنزلـت باكسـتان مظلـيين شمـال غربـي

البنجاب ثم إنه اشتدت الحرب وقامت الطائرات الهندية فبدأت هجومها بعد منتصف الليل بوقت قصير وأيقظت أصوات صفارات الإنذار ضد الغارات الجوية والنيران الشديدة للمدافع المضادة للطائرات التي كانت تطلق من المطار سكان دكا وأضيئت السماء بواسطة القنابل المضيئة وواصل الهنود هجومهم إلى ما بعد شروق الشمس مرسلين أربع طلعات أخرى من طائرات الميج ٢١ أس وكان الجو صافياً والشمس تلمع على مقدمة الطائرات الهندية النفاثة عندما بدأت بالهبوط إلى ارتفاع منخفض فوق الفندق في اتجاه المطار وفي انطلاقها بسرعة قوية على ارتفاع ١٠٠٠ قدم قامت بهجمات متكررة على المطار ومقر القيادة العسكرية بالصواريخ والقنابل كما أرسل السلاح الجوي الباكستاني طائرات تصد ذلك الهجوم وقد قامت القاذفات الهندية وحلقت على ارتفاع عالٍ في اليوم الحادي والعشرين من شوال فأوقعت إصابات في دار للأيتام تؤوي ٤٠٠ طفل ومائة مسؤول وقد سقطت أربع قنابل داخل مبنى دار الأيتام الإسلامية وأخذ عمال الإنقاذ الذين هزهم الحادث الوحشي يزيلون بأيديهم الأنقاض وقد انتشلوا ١٧ جثة من جثث القتلى الأبرياء. أما الأطفال الذين كانوا يعيشون هناك فهم ثلاثمائة صبي ومائة فتاة تتراوح أعمارهم ما بين السابعة والسادسة عشرة لذلك كان يعيش في المبنى الأطباء ورجال الدين وغيرهم وقد أحدثت الانفجارات فجوات يزيد حجم الواحدة عن عشرين قدماً عمقاً وعشرين قدماً عرضاً وشوهدت الجثث وهي منتشرة في الأوحال وقد توجه مراسل هيئة الإذاعة البريطانية بنفسه إلى مقر دار الأيتام فوجدها كومة من الأنقاض ولقد قام ملك المغرب الحسن الثاني يناشد جميع رؤساء الدول الإسلامية بإقناع الهند وباكستان بحل خلافاتهما بالطرق السلمية وفي أسرع وقت ممكن وأذاع الرباط أن من واجب الدول الإسلامية أن تتعاون فيما بينها لإيجاد تسوية سلمية للمشكلة الهندية الباكستانية عن طريق الأمم المتحدة كما أن الحكومة الجزائرية طالبت بإيجاد تسوية للنزاع الهندي الباكستاني بحيث تحترم وحدة الباكستان وسلامة أراضيها وناشد الزعماء المسلمون في الأردن كافة الدول والأمم

المتحدة والجامعة العربية لإيقاف العدوان الهندي على الباكستان والحيلولة دون اندلاع حرب شاملة بين البلدين وحث هؤلاء الزعماء زعماء البلدين على الاحتكام إلى المنطق والعقل بدل الالتجاء إلى القوة وسفك الدماء لحل المشاكل القائمة بينهما. ومن جهة أخرى أعلنت الباكستان أنها تجري مشاورات مع الدول الكبرى والصديقة لعرض نزاعها مع الهند على مجلس الأمن الدولي وبعثت الحكومة الباكستانية شكوى إلى الاتحاد السوفيتي بشأن استمرار شحن الأسلحة السوفيتية للهند وبعث الرئيس نيكسون برسائل إلى كل من الهند والباكستان والاتحاد السوفيتي يطلب منهم بذل كل ما يستطيعونه لمنع نشوب حرب واسعة النطاق في شبه القارة الهندية وقرر التدخل شخصياً في الأزمة والنظر في الخطوات الأخرى التي قد تقرر الولايات المتحدة القيام بها ومما قيل:

فإن النار بالعيدان تذكى وإن الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام

التهديد بحرب عالمية

لما اعتدت الهند على باكستان اعتداء صارخاً دوى في كل أصقاع الدنيا أن الهند تحاول إقامة دولة شيوعية لا دينية في باكستان الشرقية المسلمة التي تبلغ حوالي ستين مليون مسلم وذلك بتأييد من موسكو ولا تريد الهند وقف إطلاق النار ولا العودة لحدودها بل تريد تحقيق هدفها العدواني. أعلن ذو الفقار علي بهوتو نائب رئيس وزراء الباكستان ووزير الخارجية في طهران بأن النزاع الهندي الباكستاني سوف يتحول إلى حرب عالمية إلا إذا اتخذت جميع الشعوب الخطوات الضرورية إزاءه وكان بهوتو قد توقف في طهران وهو في طريقه إلى نيويورك لحضور مناقشة مجلس الأمن الدولي حول الحرب لإطلاع السلطات الإيرانية حول الأمور الدائرة في بلاده. وقال أن الحرب سوف تستمر إلى آخر قطرة دم حتى ولو زالت باكستان من الوجود، هذا وقد عجزت الأمم المتحدة عن إيقاف الغزو الهندي، فقد نشرت

في واشنطن وثائق سرية للبيت الأبيض الأميركي جاء فيها أن المسؤولين الأمريكيين لم يكن لديهم أمل في أن تستطيع الأمم المتحدة وقف الحرب الهندية الباكستانية وكان ترتيب الجبهات هي أربع فرق هندية وثمان فرق هندية وأربع عشرة فرقة هندية وتسعمائة ألف وثمانين جندي، أما الباكستان فكانت ثلاث فرق وثماني فرق وأربع عشرة فرقة وثلاثمائة ألف واثنين وتسعين ألف جندي وكانت الهند تقوم في غالب الأيام بمائة غارة على الباكستان وقد صمدت الباكستان ووقفت تجاهد حتى قال بعض الأدباء في أحد أعداد جريدة المدينة من أيام شوال ليتنا نحن العرب نيأس من مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة ووساطات يارنج ويوثانت ولا نستجدي الحلول السلمية من أعدائنا أحباء إسرائيل وحلفائها ومباركي قيامها وبقائها واعتدائها علينا ونقتدي بباكستان المؤمنة المجاهدة المدافعة عن عقيدتها وأرضها وشعبها وحريتها واستقلالها فنثبت ونصبر ولا نطلب الهدنة ولا نقبل وقف إطلاق النار حتى تتحرر أرضنا من أرجاس العدوان اليهودي اللئيم.

موقف المملكة العربية السعودية

لما قامت الهند بهذا العدوان الأثيم أصدر الديوان العالي ما يلي: (إن العدوان الغادر الذي تشنه الهند ضد باكستان يخالف بشكل فاضح جميع المواثيق الدولية والقيم الإنسانية التي ينبغي أن يتحلى بها المجتمع البشري وإن المملكة العربية السعودية لتستنكر بشدة هذا العدوان الصارخ وتهيب بجميع دول العالم أن توقف الهند عن الاستمرار في هذا العدوان الذي ليس له من مبرر إلا رغبة الهند في تفتيت وحدة الباكستان والنيل من العقيدة الإسلامية التي تدين بها ثم إنه بعث صاحب الجلالة الملك فيصل إلى نائب رئيس وزراء الباكستان ووزير الخارجية: (بسم الله الرحمن الرحيم حضرة صاحب الفخامة الرئيس ذو الفقار علي بهوتو رئيس جمهورية الباكستان أبعث بخالص تمنياتي لفخامتكم بالصحة والتوفيق راجياً من الله العلي القدير أن يمدكم بنصره وتأييده في هذا الظرف العصيب الذي تمر به الشقيقة الإسلامية الكبرى الباكستان بعد أن تألبت عليها قوى الشر والعدوان لتفتيت

وحدتها والنيل من عقيدتها الإسلامية الراسخة في نفوس أبنائها وإننا لنؤيد موقفكم وسنكون دوماً إلى جانبكم للحفاظ على وحدة الباكستان وسلامة أراضيه من عبث العابثين وكيد الكائدين وفقكم الله ورعاكم وأخذ بيدكم بنصرة دينه وإعلاء كلمته إنه سميع مجيب). التوقيع فيصل، وكانت الهند تقوم في غالب الإغارات بأعمال العنف فقد ضربت الباكستان بقنابل النابالم فأصيب عدد من الأشخاص بجروح وحروق واستهدفوا المدنيين الباكستانيين وهاجمت مدرسة للتدريب وجرح بعض الطباخين في مطعم الطيارين السعوديين وقتلت أحد رجال السلاح الجوي السعودي الذي كانت تحت التدريب. وبالرغم من صمود الباكستان فإنها باءت بالهزيمة وخسرت بنجلادش التي تزعمها مجيب الرحمن وحصل القتال بينه وبين الرئيس السابق محمد يحيى خان وقسمت الباكستان إلى شطرين وكانت فائدة هذه الهزيمة للباكستان هو الاستفادة لإيقاف الهزيمة على امتدادها وسريانها إلى باقي الجسم الواهن وتوقف إطلاق النار بين الفريقين على الاعتراف بدولة بنجلادش وإطلاق سراح مجيب الرحمن وانسحاب الهند وهذه الهزيمة كهزيمة العالم الإسلامي والعربي في عام (١٩٦٧م) فلا حول ولا قوة إلا بالله. وبكل حال فإن الهند إذا كانت خمسمائة مليون أو تزيد فإنها تتغلب على الباكستان البالغ عددها ٦٠ مليوناً إذا لم يكن هناك عدل وإنصاف ولم يقم مجلس الأمن بما ينبغي من إيقاف كل معتد عند حده.

ضرب فيتنام

لما أن كان في ١٠ ذي القعدة من هذه السنة قامت الغارات الجوية الأمريكية بألف غارة على فيتنام الشمالية واستمرت هذه الغارات خمسة أيام وقد قامت الطائرات الأمريكية التي بلغ عددها ثلاثمائة وخمسين طائرة بضرب قواعد طائرات الميج والصواريخ التي تطلق من الأرض للجو وبطاريات المدافع وقواعد الرادارات الخاصة بالدفاع الجوي وخزانات الوقود ومستودعات التموين بين المنطقة المنزوعة السلاح وخط العرض ٢٠ وقعت معظم الغارات على بعد ١٢٨ كيلومتراً من

هانوي وهذا يعتبر أعنف هجوم جرى على فيتنام الشمالية منذ ما يزيد على ثلاث سنوات فقامت موسكو تعرب رسمياً عن استنكار القصف الأميركي ووصفتها بأنها شبيهة بأعمال القراصنة واختتمت الحكومة السوفياتية بيانها بأنها بالوعد بمد المساعدة لفيتنام.

المعهد الفني في الظهران

قد قدمنا الجولة التي قام بها الملك فيصل في الإحساء ثم أنه واصل جولته إلى الظهران وقام بزيارة في اليوم ١٦ من شوال في الساعة العاشرة صباحاً لمعهد سلاح الطيران الملكي السعودي في قاعدة الظهران الجوية وكان يرافقه وزير الدفاع والطيران سمو الأمير سلطان وعدد من الأمراء السعوديين وفي بداية هذه الزيارة شاهد جلالته أسراباً من طائرات سلاح الطيران الملكي السعودي في قاعدة الظهران الجوية وأشاد بالكفاءات السعودية المدربة والمؤهلة تأهيلاً علمياً كبيراً للذود عن حياض الوطن وإعلاء كلمة الله والمساهمة في أداء الواجب المطلوب وبعد ذلك توجه الملك إلى مبنى المعهد الفني حيث كان في استقباله الأمير تركي نائب وزير الدفاع والطيران والزعيم طيار أسعد زهير قائد سلاح الطيران والزعيم طيار أكرم خوجة قائد قاعدة الظهران الجوية ووكيل القائد طيار علي أحمد الغامدي قائد المعهد وكبار القادة والضباط.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

فيها جرت محاولة اغتيال ياسر عرفات لما عاد من تفقد القواعد الفدائية في الجولان المحتلة على الحدود السورية وكان معه في سيارته عدد من قادة الفدائيين عندما تعرضت السيارة فجأة لوابل من النيران من كمين لعناصر غير معلومة وقد قتل السائق في الحال وكتبت النجاة لياسر عرفات وقد قيل أن المهاجمين قد يكونون أردنيين أو أعضاء في المجموعات الفدائية المنشقة وقد اعتقل عدد منهم بواسطة

السلطات السورية وأنه يجري استجوابهم وذكرت إحدى التقارير أن الدلائل تشير أن الرجال المسلحين هم من الفدائيين الساخطين على الحالة العامة في الحركة.

وفيها انفجرت قنبلة في حقيبة ملابس أحد المسؤولين الأردنيين قبل وضعها على طائرة أردنية كانت متجهة إلى عمان عبر القاهرة وقد تأخرت الطائرة لأسباب فنية مما أنقذها من تلك الكارثة وقد جرى التحقيق بأنه لا يعرف كيف وصلت القنبلة إلى داخل حقيبته وفي أمثال هذه الأعمال السيئة تتجلى عدم إنسانية نفوس جبلت على الخبث والإفساد للمجتمع وإلا فكيف في هذه الأحوال الحرجة المخيفة في الجو يتسبب لإهلاك نفوس بريئة ولكن أعداء الفضيلة فطروا على الفساد.

وفيها حرقت السفارة البريطانية في دبلين إيرلندا وذلك بأن حاصر المتظاهرون الجمهوريون السفارة البريطانية ليلة ١٥ ذي الحجة وأشعلوا فيها النيران بإلقاء القنابل البترولية.

وفيها حصلت فيضانات بأفغانستان فقتلت تسعة أشخاص وهدمت خمسمائة منزل وأغرقت حوالي ستمائة ألف رأس من المواشي في إقليم فرح بأفغانستان وقد اجتاحت الفيضانات ذلك الإقليم في يناير الموافق لذي الحجة من هذه السنة ويبعد الإقليم حوالي ثمانمائة كيلومتراً إلى الجنوبي الغربي من العاصمة كابول.

وفيها في ٢٢ يناير الموافق ٧ ذي الحجة قتل في السودان ستة عشر متمرداً في هجوم على معسكرهم في إقليم النيل الأعلى واستولى الجيش السوداني على كميات كبيرة من الأسلحة والذخيرة وبعض الوثائق الهامة، وقال اللواء محمد عبد القادر في بيان آخر أن مجموعة أخرى من ١٦ متمرداً قد استسلمت وأنه قد صدر العفو عنها.

وفيها وفاة الشاعر الكبير حمزة شحاتة كان شاعراً ورائداً من رواد الأدب القلائل ومن طلائع الأدباء والشعراء وقد وافاه الأجل بالقاهرة ونقل جثمانه إلى

المملكة العربية السعودية ليشيع إلى قبره في مكة المكرمة وكان دفنه في يوم ١٤/ ١٢ من هذه السنة.

وفيها وفاة إبراهيم إسلام عن عمر يناهز الخامسة والستين عاماً وقد خدم أمته في وظائف كثيرة كان آخر أعماله مديراً للمالية ثم وكيلاً مساعداً للوزارة في عهد عبد الله ابن سليمان بن حمدان.

وفيها في ١٤ شوال أعلنت ست إمارات في الخليج العربي ارتباطها في اتحاد الإمارات العربية، وانتخب الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان حاكم أبو ظبي أول رئيس للاتحاد وهذه الإمارات هي أبو ظبي ودبي والشارقة والفجيرة وعجمان وأم القوين وتبلغ مساحتها ثمانية وستين ألف كيلومتراً مربعاً وأربعمائة وثمانين كيلومتراً مربعاً ولم ينضم إلى الاتحاد إمارة رأس الخيمة وطلبوا الانضمام إلى الجامعة العربية والأمم المتحدة.

وفيها دعا رئيس هيئة الإشراف الديني على المسجد الحرام فضيلة الشيخ عبد الله بن حميد زينب الغزالي إلى إلقاء دروس إسلامية يومية على النساء في المسجد الحرام فبدأت دروسها الإسلامية للنساء في الحرم المكي نشرت ذلك جريدة المدينة في عددها ٢٣٧٢.

إنشاء الهاتف الآلي

لما كان للهاتف الآلي مكانة في راحة الأمة إذ كان الهاتف في بداية أمره يعرف بالتلفون ولم يتوصل الأفكار إلى هذه الغاية ليكون الاتصال مباشرة بدون واسطة بين المتخاطبين فشاءت القدرة الإلهية أن تتوفر هذه المصلحة ابتداءً في كل من الرياض ومكة والمدينة والمنطقة الشرقية وقد بلغت تكاليف مشروع الهاتف بالمملكة السعودية حتى وضع هذا الحوادث لهذه السنة ثلاثمائة مليون وثمانية وخمسين مليوناً وأربعمائة ألف وثلاثمائة وأربعين ألف ريال وسيوضع الهاتف الآلي في سائر المدن الأخرى وتم الاستغناء عن العادية وأنها لخطوة تخطوها هذه المملكة من ضمن

المشاريع التي خدمت الأمة وبكل حال فإن الصناعة تقدمت تقدماً غريباً وقد طلب مني أحد موظفي جريدة الندوة في مكة المكرمة أن يطلعني على أعمال المطابع فيها ومما وجدته في الطابق الثاني أرصاداً جوية تختطف الكلام وتثبته في سجلات لنشر الأخبار فماكنة تلتقط اللغات الأجنبية وأخرى تثبت الكلمات العربية فطال عجبي لذلك فأخبروني أن الجامعة الأمريكية تحتوي على أربعة وعشرين ألف طالب وأن أوراق الامتحان تلقى في أماكن معدة لها فيخرجها الكمبيوتر مع جهة أخرى مصححة. وفي يوم الثلاثاء الموافق ١٩ شوال من هذه السنة الموافق ٦ كانون الأول ديسمبر (١٩٧١م) فتح بجامعة الرياض معرض للصخور القمرية التي رجع بها رواد الفضاء بمركبة أبولو ١٥ واستمر لمدة أربعة أيام واستدعي لمشاهدة العرض مجمعات من الموظفين والطلبة كما ستتاح الفرصة للنساء في صباح كل يوم في عرض خاص بهن ويتم خلالها مناقشة مختلف جوانب غزو الفضاء من قبل الدكتور وليام جرنبود أحد علماء تحليل الصخور القمرية والذي قدم خصيصاً لهذا الغرض والدكتور محمد عبده يماني أحد الدكاترة السعوديين المتخصصين في العلوم وأحد أسرة التدريس بجامعة الرياض والقصد من ذلك إطلاع الأمة على نوع أحجار أحجار القمر الذي أخذه رواد الفضاء من القمر ونزلوا به إلى الأرض هذا ما جرى لأول مرة ونشرته إحدى الجرائد السعودية ونشرت الأفلام صور لرئيس الولايات المتحدة نيكسون وهو واضع التلفون بين أذنه وفمه يكلم من الأرض من في سطح القمر بعدما هبطوا من مركبة الفضاء على سطح القمر وهذا يعتبر من غرائب هذا الزمان لأن العقول لا تصدق بذلك.

النظر إلى الماضي والحاضر

إذا نظرنا إلى حالة الفلاح من لدن نزول آدم إلى الأرض من ذلك الوقت الذي تخلله عاد وثمود وعفاريت سليمان بن داود عليه السلام، فإنا نجد آثارهم يحتفرون الآبار العظيمة في سعتها وقد ينحتونها أو ينضدونها بالحجارة العظام لاستخراج

الماء إلى ظهر الأرض إلى حال وضع التاريخ ويأتون بالبكرات المعمولة من الخشب الثمين على ما تقتضيه إرادة النجارين من كبرها وضخامتها وما تكلف من القيم الباهظة ويكون من أسفل هذه بكرات أخرى يطلق عليها الدراج مصنوعة أيضاً من الخشب الغليظ لا تتكلف هندسة إنما غرضها أن تكون قطعة من الخشب قطر دائرتها ٧٠ سنتمتراً وطولها كذلك في كلا طرفيها محور من حديد ويكون للبئر أربعة قرون يمد عليها أخشاب تحمل البكرات مرتفعة وهنا أعمدة بين البكرات ليتسنى للغرب أن يخرج من بينها ولا تتحمل واجهة المبخات الذي طوله ذهاباً وإياباً بقدر قعر القليب عن أربعة دلاء كل غرب من جلود الإبل قد يتكلف كمه وقبته وخرازته بقيمة باهظة فيكون في أعلاه الرشا في البكرة العالية وفي أسفله الكم وهو السريح للدراجة السفلى ويؤتى بالجمال القوية للساقية ثم يؤتى بالعامل الذي يسوق الجمال مقبلة ومدبرة يسوقها برفق إذا هي نزعت الماء وتارة بعنف إذا هي رجعت إلى البئر وحوالي البئر قد وكلوا من يحزم لقمات البرسيم والتبن ليقف الجمل ريثما يمتلئ الغرب وهكذا ويكن العامل محترماً يطعمونه مما يأكلون ويسقونه مما يشربون خشية أن ينتقم منهم بأذى يصيب الجمال فتهلك وبينما هم في برهة من الزمن إذا بالأخطار تهدد باندفاع الرمال من أسفل البئر فتدفن الماء فيأتون لذلك بجذوع النخل أو بأخشاب غلاظ وتجعل كدائرة على أسفلها أو مربعة إن كان الوضع كذلك ثم يؤتى بأشجار الأشنان على ظهور الحمر من البر فتوضع فيما بين تلك الجذوع لتحفظ الرمال أن تنهد ويأخذون في احتفار قاعة البئر وقد تفور البئر من كثرة ما ينهد من أسفلها فتسقط وتأخذ مساحة من الأرض فتصبح هاوية ويخسرون ما وضعوا فيها من الأحجار ولا يتخلص من تلك الهاوية إلا بردمها ودفنها ولقد خرجت مرة في صحبة والدنا رحمه الله وعمري إذ ذاك لا يتجاوز العاشرة لزيارة مدين لنا وقبض دين السلم من التمور فركبنا حمراً وسرنا إلى تلك القرية التي أظنها القصيعة على مسافة ميلين غرباً، وكنا نسير بين تلك المرتفعات والمنخفضات من الرمال إذ كان الصعود مشقة والهبوط مشقة نمر بأشجار الإثل في

كل مهبط ومنخفض ومرتفع تمثل غابات عظيمة تتقي بها الذئاب والكلاب والثعالب حتى تبدت لنا أعلام القرية حيث نمر بخب القصباء ولما أن وصلنا إلى صاحبنا فيها إذ هو بمنظر عجيب وحالة يثرى لها قد اسودت ثيابه من أوساخ الحيوانات حافي القدمين قد تصدعتا من البرد والشوك ومن صدمات الحجارة وفوق رأسه قلنسوة من وبر الإبل والله لو غسلت يوماً كاملاً بالصابون والماء لما ذهبت أوساخها، فرحب بنا وذهب بنا إلى مجلس القهوة ولما أن دخلنا ذلك المجلس وجدنا حيطانه وسقفه قد اسودت من طول ما تلاقيه من دخان كرب النخل واخثاء البقر والإبل فجلسنا وكنت ألاحظ حبلين مربوطين كانا بأذنيه أظن أنه يشد بهما القلنسوة على رأسه لثقلها فقدم لنا رطباً شهياً أمام القهوة وحوالينا هناك حجر منحوت كالإناء الكبير مربعاً يسع مائة وسبعين لتراً من الماء قد وضع في المجلس فكنا نأكل ونلقي النوى في ذلك الإناء ويقول نخمر للبهائم فتأكله فلا يضع شيء جزاكم الله خيراً من النوى فعجبت لتلك الحالة هذا وأنا في جهد عظيم مما أعانيه من عاقبة الركوب على الحمار بحيث أن قدمي والساقين قد تأثرت من حالة الركوب الأمر الذي عاد بالمشقة لا بالنزهة والفرجة وكانت الأرض يسعى فيها أنواع القراد الذي ثبت به المواشي قال الأعشى ميمون بن قيس الشاعر الجاهلي أبو بصير:

ذريني لك الويلات آتي الغوانيا ... متى كنت زراعاً أسوق السوانيا
سأوصي بصيراً إن دنوت من البلى ... وكل امرئ يوماً سيصبح فانيا
بأن لا تدان الود من متباعد ... ولا تنأ إن أمسى بقربك راضيا
وإن بشر يوماً أحال بوجهه ... عليك فحل عنه وإن كان دانيا

وقوله بصيراً يريد ابنه لأنه كان أبا بصير والمقصود أن السواني متعارف بها في قديم الزمان، وقوله لا تدان الود إلى آخره فيه من الحكم أن من تباعد عنك لا ينبغي لك أن تطلب وده بل تدعه وقربه كما قال الشافعي رحمه الله:

إذا المـــرء لم يرعـــاك إلا تكلفـــا فدعـــه ولا تكثـــر عليـــه التأســـفا
ففـي النـاس أبـدال وفي الـترك راحـة وفي القلـب صـبر للحبيـب ولـو جفـا
فمـا كـل مـن تهـواه يهـواك قلبـه ولا كل من قـد صـافيته لـك قـد صـفا

ثم إننا خرجنا إلى النخيل والجذاد فتقدم رجل من الحاضرين وكان شاباً نشـيطاً وبين يديه الكرأي (راقول) آلة يجعلها الجداد من فوق ظهره وطرفه الآخر في جـذع النخلة ثم يمسك بطرفيه بيديه ويقفز قفزات فإذا هو بفرع النخلـة سـواء قصـيرة أو طويلة فإذا قطع القنو بالمنجل جعله في محجان بطرف حبل معه ثم يدليـه إلى أسـفل فكانوا يتلقونه بأيديهم ويجعلون القنوات في الزنابيل لفرطه مـن الشـماريخ وهنـاك أمم يحضرون لذلك وللأكل فنجد الفقير يفرط الشماريخ ويدعو بهذه الكلمات لا جعلك الله تهملين أي تتركين بلا سقي خطاباً للنخلة ثم إنه أتى الفلاح إلينا بجبات من القثاء وألقاها بين أيدينا وإذا غالبها قد نقبت ولم يكن فيها شيء سالماً فسئل عن ذلك فأجاب بأن الثعالب تمر بها ليلاً فتفسدها فرفعت يدي ولم أتنـاول منهـا شـيئاً فتكلم قائلاً مالك يا ابن عمي لا تأكل فلم أسـتطع أن أقـول لا تقبلـه نفسـي بعـد الثعالب فقال كلوا يا جماعة فهذا لا يقبل سؤر الثعالب ووالله لـو وجـدنا الثعالـب لأكلناها فلا إله إلا الله ماذا يعانيه الفلاح من المشاق والأتعاب في هذا الزمـان تـتغير الأحوال إلى وضع تلك الأتعاب والمشاق ويأتي الله عز وجل بهذه المكائن المائية التي وفرت للناس تمام راحتهم وتفجرت الأرض عيوناً بمخاريق أخرجت الماء عذباً فراتـاً وقد يخرج بطبيعته بإذن الله من دون دوافع فيخرج الله به زرعاً وأشجاراً تأكـل منهـا أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون وقد قـدمنا شـيئاً عـن المواصـلات وتقـارب البلـدان وصـدق الله تبـارك وتعـالى حيـث يقـول: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾.

وفيها في يوم الاثنين الموافق ٢٥ محرم احتفل رسميـاً بتمـام سـد جيـزان وقـام بافتتاحه سمو الأمير فهد بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزيـر

الداخلية الذي ضبط المملكة من البحر إلى البحر ومن حدود اليمن إلى حدود الشام وحضر لذلك وزير الزراعة والمياه حسن المشاري.

وفيها في الساعة الواحدة بعد غروب الشمس من ليلة الجمعة تزيد خمسين دقيقة الموافق ٦/١٥ خسف القمر خسوفاً ثقيلاً وانطمس بظل الأرض بحيث كاد أن لا يرى له أثر مع الصحو ولم ينجل إلا بعد صلاة الكسوف بكثير.

وفي آخر هذه السنة تم هدم شارع الملك عبد العزيز في مدينة بريدة للتوسعة وأنير بالكهرباء كما أنه تم هدم شارع المياه الكائن بين المدينة المذكورة وبين الشقيري وأضيء بالكهرباء.

وفاة عالم من العلماء

تندب كلية الشريعة في مدينة الرياض عالماً من علمائها ومدرساً من مدرسيها وهو فالح بن مهدي قدس الله روحه أصيب بمرض مخوف في أيام الحج من العشر الأولى من ذي الحجة وتوفاه الله تعالى في ٢٣/ ١٢ من هذه السنة وهذه ترجمته: هو فالح بن مهدي بن سعد بن مهدي بن مبارك المهدي ولد في ليلى حاضرة إقليم الأفلاج عام (١٣٥٢هـ) وكان من قبيلة الدواسر وكان جده سعد في قرية الهدار يكابد هموم الحياة وضيق العيش فانتقل بأسرته إلى ليلى قاعدة الأفلاج فقرت بها أعينهم واطمأنت قلوبهم ورضيت نفوسهم بما نالوا فيها من رغد العيش وطيب المقام عن طريق الكدح والعمل ولما أن ولد المترجم نشأ كغيره من الأطفال يقضي أوائل النهار في تعلم القرآن الكريم لدى أستاذه الأول عبد العزيز بن يحيى بن سليمان البواردي ويقضي أواخر النهار في مرح الطفولة وألعابها ولما بلغ من العمر عشر سنين أي في عام (١٣٦٢هـ) أصيب برمد فقد منه البصر فحزنت الأسرة لذلك كثيراً غير أن حزنها تضاءل عندما رأته يسير في قراءة القرآن بجد ونشاط فختمه عن ظهر قلب خلال سنوات قليلة ولم يثبط من عزيمته وهمته أن كف بصره بل دفعه ذلك إلى أن يهجر مسقط رأسه إلى الرياض ليدرس على مشائخها فدرس

على الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم النحو وثلاثة الأصول والفرائض ثـم أخـذ في الدراسة على سماحة الشيخ محمد بـن إبـراهيم آل الشـيخ مفـتي الـديار السـعودية بكتب منها كتاب التوحيد وكشـف الشـبهات والعقيـدة الواسـطية ولمعـة الاعتقـاد وبلوغ المرام وقطر الندى كما درس في فترات على كل من الشـيخ محمـد بـن عبـد اللطيف آل الشيخ والشيخ سعود بن رشود والشيخ إبـراهيم بـن سـليمان في علـم التوحيد والنحو ثم إنه التحق بمعهد الرياض العلمي لما فتح فيها عـام (١٣٧١هــ) فالتحق في السنة الثانية الثانوية ودخل صفوف الدراسة النظامية فسار فيها فكان في طليعة أقرانه على أيدي صفوة من علماء الفقه والتوحيد واللغة والتفسير والحديث حتى أنهى دراسته العالية وكلية الشريعة وذلك في عام (١٣٧٧هـ) حيث ودع دنيـا الدراسة إلى دنيا العمل فعين مدرساً في المعهد العلمي بالريـاض ومكـث فيـه حتـى عام (١٣٨١هـ) حيث دفع للتدريس في كلية الشريعة بالرياض ولا يزال فيها حتـى توفاه الله تعالى.

أخلاقه وصفاته

كان أسمر اللون قصير القامة نحيف البدن ضرير البصـر وكـان إلى ذلـك مجـداً ومجتهداً ولم يكن من المترفين ممن فرش طريقهم بـالورود بـل كـان عصـامياً حافظـاً طموحاً متقدماً بين أقرانه وزملائه دمث الأخلاق متواضعاً سمحاً ليناً متفاهماً مـع من يسأله بلين عريكة وخفض جناح ويحـب العلـم وطلابـه وهـذه أبيـات نظمهـا ووجهها إلى أبنائه مهدي وسعد ومبارك يحثهم فيهـا علـى طلـب العلـم والتحلـي بمكارم الأخلاق والتأدب بالآداب الشرعية والعمل وحفظ الوقت:

تعلـم بـني العلـم واتعـب لنيلـه ... وزاحـم ذوي التحصـيل عنـد الـتعلم
ولا ترضين بالجهـل مـا عشـت صـاحباً ... ذوو الجهـل أشـباه لمـوتى ونـوم
فبـادر لأخـذ العلـم عـن كـل فاضـل ... حـريص علـى الطاعـات خاشـي التـألم
وصـاحب مـن الطـلاب بـراً مهـذباً ... وباعـد مـن الشـرير واحـذره تسـلم
وكـن عـاملاً بـالعلم فـالعلم خشـية ... لذي العـرش والتقـوى أسـاس الـتفهم

وكـن عارفـاً حـق المعلـم ناطقـاً	بحسـن سـؤال منصـتاً للـتكلم
وكـن حافظـاً للوقـت واعلـم بأنـه	ثمـين علـى الإنسـان فاشـغله تغـنم
أمهـدي وسـعد والمبـارك فـاسمعوا	ولا تعـدلوا عـن نهـج أهـل الـتعلم
سـألت إلـه العـرش ربـي وخـالقي	جزيـل العطايـا راحمـاً ذا تـرحم
يهـبكم بـني العلـم والزهـد والتقـى	وصـل إلـه العـالمين وسـلم
على المصـطفى الهـادي إلى خـير شـرعة	وأصـحابه أهـل التقـى والتقـدم

وكان للمترجم شرح واف على كتاب التدمرية جلى فيه غموضها وبين عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيها وكتابه نفيس خدم فيه العقيدة السلفة جزاه الله خيراً وغفر له.

تنبيه

قد ذكرنا فيما تقدم وفاة علوي عباس، وبما أنه رئيس جماعة تحفيظ القرآن فقد اختارت الجماعة لها رئيساً جديداً وهو الشيخ حسن بن محمد المشاط فقبل هذه الرئاسة ورفعت الجماعة إلى أعتاب جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز برقم ١٠٢٥ تاريخ ١٩/ ٥ من هذه السنة ما نصه (إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز أمد الله في حياته ووفقه لما يحب ويرضى السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإن جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة تتشرف بأن ترفع إلى مقام جلالتكم أنه بناء على وفاة رئيسها (السيد علوي مالكي) رحمه الله فقد اختارت فضيلة الشيخ حسن المشاط المدرس بالمسجد الحرام رئيساً لها وقد قبل فضيلته هذا الاختيار وإننا إذ نعرض هذا الموضوع لجلالتكم نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يحفظ لنا جلالتكم ذخراً للإسلام والمسلمين وأن يديم عليكم توفيقه ونعمه الوافرة وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته ووقع عليه الأعضاء كما أن الجماعة اختارت الشيخ محمد بن سبيل أحد أئمة وخطباء المسجد الحرام ونائب الرئيس العام للإشراف الديني بأن يكون عضواً في هذه الجماعة كما اختارت أيضاً

للعضوية محمد بن علوي المالكي متطوعاً بالقبول ومن جملة هؤلاء الأعضاء رجل كريم الشمائل والأخلاق وهو محمد صالح القزاز زرته لما قدمت مكة المكرمة لأداء العمرة في ٣/ ٧ من هذه السنة في مكتبه الذي كان مزيناً بالآيات القرآنية وسمعت تلاوة القرآن لا تفتر لأنه محبب إليه سماع القرآن ولا يتخلى ذلك المكتب الواسع عن التلاوة وكان ذلك المكتب مرادفاً للمسجد الحرام إلى الجهة الجنوبية. أما عن الشيخ محمد صالح القزاز فإنه يعمل إذ ذاك أميناً للرابطة الإسلامية وكان متسماً بسمات أهل الدين ويعلوه الخشوع ومكارم الأخلاق ورحابة الصدر وقد استقبلنا استقبالاً يدل على شعوره وفضله ويعتبر من رجالات الحجاز الذين لهم خدمة في أعمال الدولة وأهدى إلي الموسوعة القرآنية البالغ عددها ستة جلود ضخمة تأليف إبراهيم الأبياري كما أنه قدم إلي مذكرة تتضمن البيان عن توسعة المسجد الحرام وعن ذلك المشروع العظيم وقدم إلي تقرير جماعة تحفيظ القرآن محلى بأول سورة العلق وأول سورة الرحمن في رسم مصحف فتناولتها شاكراً وإنا لنثني على رجال الأعمال الطيبين المخلصين ونسأل الله أن يكثر من أمثالهم).

وفيها تقدم الأمير فهد بن سعد بن عبد الرحمن بطلب نقل من إمارة عسير إلى إمارة حائل كان الطقس والمناخ لم يلائم صحته فنقل وصدر القرار بتعيين صاحب السمو الأمير خالد الفيصل بن عبد العزيز أميراً في منطقة عسير فذهب الأمير الشاب إلى تلك الجهة وباشر أعماله فيها واستبشر الأهالي بهذا الأمير، أما عن الأمير فهد بن سعد فقد عاجلته المنية في ٥/ ٧ من السنة القادمة رحمه الله تعالى.

ثم دخلت سنة (١٣٩٢هـ)

ففيها خلع الحاكم في بلاد قطر أحمد بن علي بن عبد الله آل ثاني وجعل مكانه ولي عهده خليفة بن حمد آل ثاني وذلك في يوم الثلاثاء صباح ٨ محرم من هذه السنة الموافق ٢٢ فبراير شباط عام (١٩٧٢م) فصفقت الأمة هناك واستبشروا به

وكان الحاكم الجديد محبوباً لديهم لما كان متصفاً بـه مـن الكفـاءة والمقـدرة واعتـبر حاكماً لقطر التي نالت استقلالها في ١٧ رجب من السنة الماضية.

وفيها وفاة الشيخ محمد بن سالم البيجاني رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هـو الشيخ العلامة الفاضل محمد بن سالم بن حسين الكرادي البيحاني نسـبة إلى بيحـان اسم لمخلاف بجنوب اليمن ولد في مدينة القصاب بحصن هـادئ سـنة (١٣٢٦هـ) من سلالة عربية وأسرة عريقة وتلقـى علومـه الدينيـة في حجـر أبيـه العـالم الفقيـه الفلكي الناسك، ثم هـاجر إلى حضـرموت مـع صـنوه الشـيخ عبـد الله بـن سـالم البيحاني وتلقى العلوم هناك على أستاذه الكبير الشيخ عبد الله بن عمر الشـاطري العلوي وعدة مشائخ هناك، وكان مكفوف البصر لكنـه سـاعده علـى الحفـظ فقـد بصره ويقول فيه الشاعر:

يقولـــون الضـــرير فقلـــت كـــلا   بلـــى والله أبصـــر مـــن بصـــير
ســـواد العـــين قِـــدْماً زار قلـــبي   ليجتمعـــا علـــى فهـــم الأمـــور

ثم رجع من حضرموت إلى بلده مشبعاً بالروح الدينية عالماً مطلعاً محدثاً بارعـاً ومكث في بلده نحو سنتين تقريباً ثم رحل إلى بلد الشيخ عثمان عـدن وتأهـل فيهـا وصادف هناك عالماً جليلاً هو الشيخ أحمـد محمـد العبـادي وأخـذ عنـه معلومـات كثيرة، وقد كان هذا العالم المذكور يتوسم في الشيخ البيحـاني خـلال دراسـته عليـه الذكاء والتقدم على بني جنسه وأنه سيصبح عالم عدن الأوحد ثـم ذهـب إلى مصـر والتحق بالأزهر وكان إذ ذاك زاخراً بالعلم والعلماء فجد واجتهد حتى تخـرج منـه حاملاً شهادتين أهلية وعالمية ثم رجع إلى عدن وقد تركت تلـك الدراسـات أثرهـا العميق في نفسه فألف الكتب الدينية ونظم الشعر وحبر المقالات والمحاضرات ذات الطابع الممتاز ولم يكن الشيخ محمد بن سالم البيحاني عالماً دينياً فحسب بل كـان إلى جانب ذلك أديباً شاعراً محنكاً وناثراً مقولاً وصالحاً لأن يكون عضواً عاملاً في شتى ميادين الحياة يشهد له بذلك مؤلفاته التي منها كتاب إصلاح المجتمع، وديوان خطب

منبرية عظيمة تحث على الاستقامة وتنهى عن سفاسف الأمور بعبارة العالم الناصح الفصيح البليغ وهي تنادي بفضله ونباهته وأنه رجل اجتماعي سياسي وقد سلك فيها عبارة حرة وأشعة الأنوار قصيدة في المرأة في الإسلام، وله ديوان شعر وغير ذلك من المقالات التي تنشر له في الصحف والمجلات والمحاضرات التي تلقى في المساجد والنوادي وقد اجتاز على غيره في تلك الجهة بالحلم والورع وصلابة الرأي والصراحة في القول والتريث والثبات على المبدأ وقد انتشر صيته في الآفاق وعم سماع شهرته الأطباق وكان يحج ويوالي بين الحج والعمرة وتعقد له حلقات المحاضرات والدروس في المسجد الحرام فيفيد السامعين ويغذي الطالبين ويحث على كل فضيلة وينهى عن كل رذيلة وما زال على هذا الوضع حتى توفاه الله عن عمر يناهز السادسة والستين، هذه الترجمة بعث بها إلي أحد مترجميه وهو سليمان عثمان زين اليمني المكي وقال عنه أحد مترجميه كان ضخم الجسم معتدل القامة تجلس إليه فيتحدث إليك حديثاً له حلاوة وطلاوة فتتمنى مجالسته على الدوام وله كتاب سماه استاذ المرأة فيه توجيهات للمرأة ونصائح للنساء وأقول عنه أنه كان مع سعة علمه له عثرات بسيطة والله يغفر له ولكنها تختفي بجانب علمه وفضله فمن المأخذ عليه أنه لا يرى تحريم القات ومنها قوله ما أشد حاجتنا إلى العلماء بالدين الصحيح الذين لا يحرِّمون إلا ما حرَّمه الله ولا يحلون إلا ما أحله الله يغْشون بالخير في مجالسهم وعاداتهم عليهم في مطاعمهم ومشاربهم وملابسهم وعاداتهم إلا بما تظهر فائدته وتحمد عاقبته لا يجعلون الكفر وترك الإسلام في الأكل بالشوكة والملعقة والجلوس على المنضدة ولبس السراويل القصيرة. نعم وصحيح ما قاله لكنه تعدى إلى غير ذلك فقال: والسترة والبنطلون والتالو وحلق اللحية وما إلى ذلك من أمور لا طاعة ولا معصية فيها وإنما هي من العادات والتقاليد القومية التي يحسن الاحتفاظ بها ويعتز بها ذووها. هذا كلامه بحروفه وفي آخره أخطاء فكيف يباح حلق اللحية والشارع أمر بإكرامها والاحتفاظ بها وأخبر أن حلقها موافقة للمجوس كما أن الملابس الإفرنجية نهى عنها الرسول لأنها مشابهة لهم ويقول الله

عز وجل في وحيه الذي أنزله على بعض أنبيائه: قل لقومك لا تلبسوا ملابس أعدائي. فهذه الملابس التي ذكرها هي ملابس الإفرنج بالذات كما أنني رأيت له كلاماً في مسبة الوهابيين، ومن هم الوهابيون؟ أيكون المقتدون بشريعة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه يرمون بالألقاب السيئة وتشوه سمعتهم! كما أنني رأيت له كلاماً في مسح الحجر الأسود، وأنه يؤخذ منه جواز التبرك بالأحجار وقد نبهته على ذلك برسالة فلعله رجع عن رأيه فهذه بعض أشياء انتقده بها أئمة الجرح والتعديل وإنا لنشكره على ما بذله في خطبه من النصيحة والإرشاد وهداية الخلق جزاه الله خيراً ونسأل الله أن يغفر له ويتجاوز عنه.

رحلتنا إلى الجهة الشمالية الغربية

في هذه السنة قمنا من مدينة بريدة برحلة نحو تبوك ومدائن صالح ومدين بلاد شعيب بصحبتنا بعض الرفقة قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾.

لقد قمنا في الساعة العاشرة تزيد ٤٥ دقيقة من شروق الشمس يوم الجمعة ثاني رجب (١٣٩٢هـ) الموافق ١١ أغسطس آب (١٩٧٢م) نسير في طريق المدينة المنورة ولما أن كنا محاذين لقرية الحناكية أدركتنا صلاة الجمعة هناك فملنا إلى اليمين لندرك صلاة الجمعة، فعنّ لنا أن نتجاوز إلى النخيل لزيارة بعض الأحبة هناك، وكانت الطريق إذ ذاك غير معبدة وكانوا أهل بادية على فطرهم وقد هاجر إليهم بعض من أهالي القصيم لأن الموضع قابل للزراعة ولمن كان يحب العزلة والوحدة فبتنا في ذلك الموضع واجتمعنا بالأمير وبعض الأحبة فوجدنا لديهم شوقاً ومحبة جزاهم الله خيراً ومن الغد سرنا إلى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وبعد الصلاة في مسجد الرسول وزيارته وزيارة صاحبيه رضوان الله عليهما سرنا إلى جهة تبوك حيث كانت المسافة من نفس المدينة إليها ستمائة وأربعة

وثمانين كيلومتراً، وبعد قطع ١٥٤ كيلو بلغنا الصلصلة وكانت قرية في واد تحتوي على آبار قليلة ومبانٍ صغيرة وساكنوها من قبيلة هيثم، ثم بعدها قرية شريف بقدر تسعة كيلوات ثم الجرة فيها شجر الإثل ومساكن قليلة مترامية الأطراف وهناك الثمد وتبعد عن الصلصلة ب٣٠ كيلو ويوجد في ذلك الوادي شجر الدوم، وما زلنا نواصل السير حتى قدمنا خيبر وكانت بلاداً في حرة تكسوها الحجارة السوداء وفيها منخفضات تحيط بها آكام صخرية وخيبر من أخصب واحات الجزيرة وتقع في مجتمع أودية تنحدر من سلسلة جبال فتتسرب مياه هذه الأودية في وهدة منخفضة من الأرض بحيث تكون ينابيع جارية وتبعد عن مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام بقدر من ١٨٣ كيلواً وبعد تجاوزها بـ٣١ كيلو نصل إلى مفرق الطريق إلى العلا يساراً فانتهينا إلى وادي عشاش مارين بقهاوى عشاش وبناياته اليسيرة بحيث يبعد عن خيبر ب٤٩ كيلو لما أن تجاوزنا ذلك بقدر من ١١٣ قريباً من تيماء إذا قد أرهقنا السير فنزلنا بالبعد من قهوة هناك لا تزال أنوارها مضيئة وكانت الساعة تشير إلى الثالثة ليلاً بالغروبي وكانت الشقة بعيدة ولا نسمع سوى صوت كلب ينبح فيها وكان نباحه يتردد في ذلك الفضاء فبتنا في ذلك الموضع بخير ليلة من الرفقة من نام للتعب ومنهم من جعل يصلح لنا طعام العشاء ولما أن كان من آخر الليل فزعنا للصلاة ومواصلة السير حتى قدمنا تيماء وكانت المسافة بينها وبين منزلنا ٧٤ كيلو متراً وإذا هي آثار السموأل القديم وبلدة عبد الكريم بن رمان الحديث وكان وصولنا إليها في الساعة الحادية عشرة تزيد ٥٠ دقيقة صباحاً فطفقنا نسأل عن هداج تيماء أو بئر السموأل وبينما نحن نسير في أحد شوارعها الضيقة إذا بشاب من الأهالي لا يتجاوز عمره العشرين عاماً فاستقبلنا ورحب بنا ودعانا إلى تكرمته في بيته غير أننا اعتذرنا إليه وإنا على جناح السفر فقبل عذرنا على مضض بعد ما غلبناه على إرادته جزاه الله خيراً فقلنا تفضل علينا بالهداية إلى بئر هداج ولما أن رأى أن لا فائدة في الإلحاح لإجابة دعوته قال انطلقوا إليها فسار ونحن نتبعه حتى وقفنا عليها كانت هداج تيماء بئراً مشهورة تضرب الأمثال بسعتها فيبالغ

الرواة بأنه قد كان يستقي منها تسعة وتسعون بعيراً كل بعير له غرب كبير ولا ينزح ماءها ويقول الشاعر عبد الله بن ربيعة يمتدح بندر بن سعدون الذي تولى إمارة المنتفق بعد وفاة أخيه عيسى سنة (١٢٥٩هـ):

بـــالله يـــا ركـــب تقلـــل هيمـــا   عوجـوا رقـاب الهجـن يـا ركـب لمقـيم
لابـــن الكـــرام الهـــاشمي الكريـــا   يـا ركـب روحـوا بالتحيـة وتسـليم
ســلام مــن طــي الخــوافي ســليما   مـا خاشـره ونـوع الريـا والتـواهيم
إلى قيـل مـن هـو قلـت هـداج تيمـا   عـــد قـــراح الملتجـــي للـــدواهيم
يـا ناشـدي مـا هـو خفـي لا تعيمـا   مفهـوم أبـو فرحـان مـن غـير تفهـم
بنـــدر إلى لـــز الحقـــب للبريـــا   حامي جوانب دار من شا عـن الضـيم
هـذا الفحـل واجـد فحـول الحريـا   الفحـل الـي يلقـح برايـه معـاقيم
إلى تغشـــــم لا تظنـــــه غشـــــيما   مخلـف طنـون أهـل الفكـر بـالبراهيم

وكانت على صفة مثلث الشكل أحد الزوايا متقوس وهي وإن كانت عظيمة الوضع واسعة الشكل لكنها أقل من سمعتها وقد سررنا كثيراً برؤية بئر المسموئل، وشرح الدليل لنا شيأ من شأنها وذكر أن جميع أهالي تيما يسقون منها كما مر وركب عليها تسعة وتسعون غرباً كانت منضودة بالحجارة وتقدر إحدى جهاتها بعشر أمتار والجهة الأخرى كذلك، أما الجهة الثالثة فمتقوسة بقدر خمسة عشر متراً وتعتبر هي البئر الوحيدة في الجزيرة العربية وكان هذا دأبهم إلى أن زارها الملك سعود وتبرع لها بأربع مضخات ركبت عليها.

تيما والحديث عنها

بما أن تيما بلدة قديمة فيوجد فيها آثار كثيرة عجيبة تتبعها فلبي وبذل في سبيل تلك الكتابات والآثار والأحجار فيها مادة كثيرة فنقول عنها أنها تقع في منخفض من الأرض ويحيط بها سور هي بين تلال مرتفعة وأشهر أسرها آل رمان وآل سلامة وآل خلف بن عمر. وتعتبر تيماء من أقدم مدن المملكة العربية السعودية

وهي وإن كانت ذات أهمية عظيمة فإن سكانها لا يتجاوزون في العـدد عـن أربعـة آلاف نسمة وأكثر أهلها يعيشون عيشة البادية ولكنها فشت فيها الحضـارة كغيرهـا من المدن السعودية وكان فيها في هذه السنة قهاو وأمكنة لبيع محروقـات السـيارات وبعض مطاعم يعمل فيها أناس من اليمنيين. وقـد ذكـر علمـاء التـاريخ أنـه تـولى إمارتها من آل رمان رمان بن هتيمـي (١٢٨١هـ) وبعـده عبـد العزيـز بـن رمـان (١٢٩٨هـ) وبعد ذلك تولى إمارتها عبد الكـريم بـن علـي بـن رمـان (١٣٢٩هـ) وذكر أن صلة هذه الأسرة بحكام حائل حسنة حتى كان عام (١٣٣٥هـ) حينما قتل عبد الكريم بن رمان شخصاً يدعى ناصر بن عتيق وكان ممثلاً للأمير ابن رشيد قتله مع جميع حرسه واستقل بإمارة البلد ويقول فلبي عن عبد الكريم أنه خير من حكم الراحات خلال النصف الأول من هذه القرن مع أنه دمر الضاحية الغربية والقسـم الأكبر من الضاحية الشرقية في تيماء، وبهذا دمر الأهمية الاقتصادية للمنطقـة الـتي يحكمها وذلك ليؤمن منطقة مفتوحة أمامه ليرى غزاته وهم على بعد ليحافظ علـى استقلال منطقته في حالة تعرضها لغزو خارجي وكان لما أن تـولى عبـد الكـريم بـن رمان بنى قصره في سنة (١٣٣٨هـ)، وكـان ذلـك القصـر قـد أعـد علـى الطريقـة المألوفة قديماً في المدن الكبيرة كالرياض وغيرها من مـدن نجـد حيـث بـني بجوانـب الجدران مقاعد من الطين مرتفعة عـن الأرض وكـان الأمـير عبـد الكـريم شـديداً صعب الشكيمة ولم يخضع لإمارة قط، قدم إليه أعرابي وجعل يخاطبه باسمه ويومئ بيده فاعتقله الأمير بالسيف وجب يمينه التي يشير بها له، وله سطوة عظيمـة ويبـدو أنه كان كثير الشك في جيرانه فلم يـأمنهم ولم يغـب عـن بالـه اهتمـام ابـن سـعود بمنطقته وكان الملك عبد العزيز عاقلاً فلم يشأ أن يضم هذه المنطقة بالقوة في حين أنه يدرك أنها ستنضم إلى مملكته آجلاً أو عاجلاً ولعله كان يظن أن وضع تيماء لا بد وأن ينتهي بوفاة عبد الكريم الذي كان بالرغم مـن طغيانـه وظلمـه مـا يـزال يعتبر من أبطال الصحراء ومما لا شك فيه أنه كان شخصية من شخصيات أبطـال الصحراء وقد حكم تيماء فترة تقدر بأربعين عاماً تقريباً وبمـا أنـه أسـن ويشـاهد

أتباعه في أواخر أعوامه والتطورات التي جرت في المناطق وهم غافلون طيلة أيامه الماضية غير عالمين بها فأخذوا يشعرون بالقنوط لحياتهم المزرية التي يعيشونها نتيجة تعسف الأمير عبد الكريم.

صفة قتل أمير تيماء

بينما كان عبد الكريم خارجاً من المسجد الذي في قصره وكان هذا المسجد صغيراً بالنسبة إلا أنه تقام فيه صلاة الجمعة كان خروجه وقت يلاقي حتفه بعد صلاة الجمعة إذ فاجأه ابن عم له يدعى فارس بن عبيد الله بن ثويني بن رمان وكان من جملة الناقمين عليه فأطلق عليه النار وأرداه قتيلاً ولكنه قام على فارس عبيد القصر فقتلوه شر قتلة ومزقوا جثته شر ممزق ففي مسجد هذه القلعة لقي الحاكم الأخير من أسرة آل رمان مصرعه وذلك في اليوم السادس من شهر أكتوبر تشرين الأول عام (١٩٥٠م) الموافق يوم الجمعة ٢٣/ ١٢/ ١٣٦٩ هـ، ولما أن جاءت الأنباء البرقية إلى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز باغتيال أمير تيماء أصدر أوامره بإعدام القاتل على الفور ولكن القاتل كما ذكرنا لقي حتفه وقتل شر قتلة وكان من الطبيعي أن يخلف عبد الكريم ابنه الأكبر عبد العزيز إلا أنه بالنظر للاضطرابات التي اجتاحت المنطقة فقد أصدر الملك عبد العزيز بن سعود أوامره إلى خالد بن أحمد السديري أمير تبوك أن يتوجه بقوة كافية إلى تيماء في الحال وذلك ليتأكد من أن النظام قد استتب هناك وبما أن الظروف يقتضي برأي من يقول أن برجس بن محمد بن ثويني بن رمان بن عم القتيل هو الذي يتولى زمام السلطة في تيماء وذلك بعد وقوع الكارثة فإنه هو الذي سلم منطقة تيماء إلى حكومة ابن سعود لدى وصول خالد السديري. هذا وقد دعي برجس المذكور مع أبنائه الثلاثة وشقيقه وحفيده وابن أخي عبد الكريم الإقامة بالرياض كضيوف على الملك أما الابنان الصغيران للمرحوم عبد الكريم، فقد أقاما في مدائن صالح حيث سمح لهما بالبقاء هناك وسمح لأخ القاتل سعود بن عبيد الله بالبقاء في تيماء ولما أن قدم

الأمير خالد إلى تيماء أشرف على تهدئة الأحوال فيها وكان ذلك في التاسع من شهر أكتوبر تشرين الأول ثم أنه شق في وسطها شارعاً تصل منه السيارات إلى القصر ورتب شئون الحكم فيها حتى بعث الأمير عبد العزيز بن مساعد أمير حائل أحد رجاله وهو الأمير عبد الله بن إبراهيم الشنيفي فتولى إمارة تيماء في أوائل سنة (١٣٧٠هـ) ولما أن كان في سنة (١٣٨٤هـ) تولى الإمارة بعد المذكور في تيماء الأمير سليمان بن يوسف الشنيفي واستمر في إمارتها. ومن العجائب أن الأمير عبدالكريم قد دمر الضاحية الغربية وتركها خراباً يباباً لما يرى من أن في وجودها هناك تهديداً لسلامته ثم أنه عاد على الضاحية الشرقية وأصابها ما أصاب أختها بعد خمس سنوات ودمر هذه الضواحي عمداً حتى لا يمكن أن يختبئ فيها غاز طامع أو يختفي أية جموع يقوم بها ابن سعود لغزو المنطقة بقصد احتلال الواحات وفعل تلك الأفاعيل ليؤطد مقامه ودمر هذا الطاغية آباراً ونخيلاً ولم يقدر المسئولية عندما أقدم على تلك الأفعال خشية من عدو بعيد فأقدم على اغتياله في عقر داره ابن عمه وما أغنى حذر من قدر. أما عن الناحية الدينية والإدارية والتعليمية ففيها جامع كبير أنشئ حديثاً على الطراز الحديث ومساجد أخرى سوى مسجدها الأثري. وفيها محكمة شرعية راودتني الحكومة أيدها الله أن أتولى رئاستها عام (١٣٧٢هـ) لكني رفضت الذهاب إليها لبعد المسافة بينها وبين الوطن وقد امتدت المعالجة في هذا الشأن قرابة خمسة شهور وأخيراً سامحتني الحكومة جزاها الله خيراً لما رأت أن لا رغبة لي فيها. وفيها إدارة شرطة وإمارة عامة واطلعت على مدرستين ابتدائيتين فيها إحداهما للأولاد والأخرى للبنات ويبالغ بعض الرواة من جهة إقبال الأولاد على التعليم وارتفاع منسوب التلاميذ. أما عن الناحية الصحية فإن مناخها جيد جداً وصحي وجوها قابل للزراعة وموضعها الاستراتيجي قابل للسكنى وبكل حال فإنها مدينة قابلة للتقدم لو وافقت عناية ولكن أهلها يعيشون على الطريقة البدائية بحيث كانت الحديقة الصغير يشترك فيها أفراد كثيرون ويسقيها على العموم بئر هداج المتقدم ذكرها. أما عن قصر السموئل فهو كائن في موضع

مرتفع من الأرض يقع في غربي المدينة وقد بقي منه بقية آثار الحيطان العامة من الحجر وهو واسع جداً محاطة بقدر المدينة العظيمة وكان مساحة عرض الحائط ثلاثة أذرع بقدر ١٥٠ سنتيمتر وأطلاله تدل على القوة والعظمة وهذا القصر هو حصن الأبلق الذي تضرب الأمثال بمنعته فتقول الأمة تمرد مارد وعز الأبلق وكان لهذا الحصن شهرة عظيمة وهي الذي كان يسكنه السموئل وكان فوق تل مطل على تيماء ولا يستطيع أحد إذ ذاك الدنو منه وقد تهدم على ممر السنين ويظهر لي أن مبانيه الداخلية مقامة من الطين فآثار اللِبن بادية آثارها وفي هذا الحصن يقول الأعشى:

كن كالسموئل إذ سار الهمام له | في جحفل كسواد الليل جرار
جار بن حيا لمن نالته ذمته | أوفى وأمنع من جار ابن عمار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله | حصن حصين وجار غير غدار

والأبلق الذي ذكره هو حصن السموئل بناه أبوه عادياً بن رفاعة بن ثعلبة بن حيا ابن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عمرو بن مزيقياء اليهودي والدليل على أن داخله من لبن وصف صاحب معجم البلدان له بأن فيه آثاراً مبنية من لبن فرؤيتنا لهذا القصر العظيم دليل على أنه يضم غرفاً ومباني وذكر أن أول من بناه عادياً أبو السموئل، فأما السموئل فهو المعروف صاحب الحماسة والفخر المتوفى في سنة ٦٢ قبل الهجرة وتضرب الأمثال بوفائه وذلك لأنه لما أراد امرؤ القيس الشاعر الذهاب إلى قيصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعاً فلما مات امرؤ القيس غزاه الحارث بن ظالم أو الحارث بن أبي شمر الغساني بقوة وطلب منه تسليم الدروع وكانت مائة درع مزخرفة فتحرز منه السموأل فأخذ الحارث ابنه وكان قد خرج للصيد وهدده بقتل ابنه إن لم يسلم الدروع وقال بعدما صاح بالسموأل فأشرف عليه هذا ابنك بين يدي فإن دفعت إلي الدروع وإلا ذبحت ابنك فقال أجلني فأجله فجمع أهل بيته وشاورهم فأشاروا كلهم بدفع الدروع وكان الحارث قد ادعى أن امرؤ القيس ابن عمه ومن عشيرته وهو أحق بميراثه فلما

أصبح أشرف على الحارث وقال ليس إلى دفع الدروع من سبيل فاصنع ما أنت صانع فقتل الحارث الابن الشاب والأب مشرف ينظر إليه ثم انصرف بالخيبة فوافى السموأل بالدروع الموسم ودفعها إلى ورثة امرئ القيس وقد امتدحه الأعشى وذكر قصة ذبح ولده وهو ينظر إليه في القصيدة الرائية التي تقدم بعضها قال السموأل بن عاديا يفتخر بقومه وما لديهم من الفخر والحماسة:

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل
تعيّرنا إنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلى وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل
لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل
رسى أصله تحت الثرى وسمى به إلى النجم فرع لا ينال طويل
هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره يعز على من رامه ويطول
إذا سيد منا خلى قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول
وأسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدارعين فلول
سلي إن جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول

وفي هذا الموضوع قال الشاعر الأعشى مشيراً إلى سليمان بن داود:

أرى عادياً لم يدفع الموت ماله وفرد بتيماء اليهودي أبلق
أقام ذراه بن داود حقبة له أزج سام وطي موثق
براري كبيدات السماء ودونه بلاط ودارات وكلس وفندق
له درمك في رأسه ومشارف ومسك وريحان وراح تصفق
وحور كأمثال الدمى ومناصف وقدر وطباخ وصاع وديسق
فذاك ولم يعجز من الموت ربه ولكن أتاه الموت لا يتأبق

وحديثي عن تيماء وتاريخها القديم طويل لا تتسع لـه هـذه الأوراق، ولما أن سرنا من تيماء إلى جهة الشمال كان الخط مسفلتاً كما بينها وبين المدينة المنـورة لأن الحكومة أيدها الله رأت أن يمر بها الطريق لتستفيد حياة ونشاطاً وكان مسـيرنا بعـد مغادرتها في أرض واسعة الأرجاء فيها حزوم وأودية صـغار إذا قـد تـبرَّت القليبـة وبينها وبين تيماء ١٢٨ كيلومتراً كان أميرها سابقاً هو عبد العزيز بـن عبـد الله بـن وائل التويجري من أهالي بلدة الطرفية في القصـيم، وكـان فيـه رجولـة وآداب وذو همة عالية وكرم لذلك كان أمير تبوك يختصه ونقله إليه ليقوم بمهـام الأمـور هنـاك وكان من أسرة كريمة فأخوه محمد بن عبد الله بن وائل من رجالات القصـيم وفيـه شهامة وله عقل راجح وميل إلى الدين والعقيدة، ومن إخوانه عبد الرحمن بن عبـد الله بن وائل إمام قرية الطرفية ومن رجال الفضل والدِّين، أمـا عـن إمـارة القليبـة فوكالة يقوم بها الوكيل وإمام القرية عبد الله بن محمد بـن عـريض بـالعين المهملـة المضمومة من أهالي مدينة بريدة وفيه أخلاق وكـرم دعانـا في رجوعنـا إلى ضـيافته فوجدنا لديه كفاءة ومقدرة إضافة إلى ذلك دين وعبـادة مـع مـا كـان يتعاطـاه مـن الأعمال المنوطة به، والقليبة تحتوي على مركز للشـرطة ومحطـة تلغـراف لاسـلكي وعلى مستوصف ومدرسة ابتدائيـة وفي الجبـال الغربيـة منهـا يوجـد آثـار كتابـات بالعبرانية ويسقيها على العموم بئر ارتوازية انفجرت من قعر ٢٠٠٠ قدم وأدخلت دورة المياه في البيوت وحوالي القليبة مركز فجر يقع إلى الجهة الشـرقية بمسـافة ٧٠ كيلو وإلى جهة الغرب مركز الأخضـر بمسـافة ٩٠ كيلـو، وفي هـذه الجهـة الغربيـة الجنوبية مركـز المعظـم بمسـافة ١٠٠ كيلـو وعشـرة كيلـوات وإلى جهتهـا الشـرقية الشمالية مركز الجبعاوية بمسافة ١٢٠ كيلو وكل مركز فإنه قد ملئ بجنود ودوريات لإحلال الأمن وراحة المواطنين وكلها يسودها الأمن والطمأنينة وذلك بفضل عناية أمير العاصمة تبوك سليمان بن تركي السديري بعـد عنايـة الله ولمـا أن سـرنا منهـا مسافة ١٣٥ كيلومترا في تلك الفيافي إذ بانت لنا أعلام مدينة تبوك الـتي تبعـد عـن القليبة بـ١٣٦ كيلومتراً قدمنا إليها والسـاعة تشـير إلى السـاعة الرابعـة عربـي مـن

ضحى اليوم الثالث من شهر رجب المحرم عام (١٣٩٢هـ) وفي هذه المناسبة جادت القريحة بهذه القصيدة تبين شيئاً عن تلك الرحلة:

ففي صبح يوم السبت عجنا بموضع ... به خاتم الرسل الكرام الأطاهر
محمد المبعوث للناس رحمة ... عليه صلاة من عظيم وغافر
وأزكى سلام إذ يحف مباركاً ... يعم ضريحاً حله خير طاهر
نزلنا به وقت الضحى في مسيرنا ... فأكرم بدار حلها ذو المفاخر
بثالث أيام لشهر محرم ... أصم له فضل أتى في المخابر
تزيد على تسعين مثنى لهجرة ... ثلاث مئين بعد ألف لساطر
فاصغ لما أبدي كفيت نوائباً ... وقاك إله الخلق من كل ضائر
ومن بعد ذا سرنا إلى نحو وجهة ... نريد تبوكاً نبتغي للمآثر
وفي خيبر عجنا لرؤية موقع ... سمعنا به يروى قديماً لآخر
ففيها جرى من سيد الخلق وقعة ... رواها رجال من ثقات أقادر
يقولون سارت أمة الحق جهرة ... لفتح حصون شادها كل كافر
وفيها عتاة من خلائق ربنا ... دهتهم جنود خصمهم غير ضائر
أولئك أصحاب النبي وحزبه ... فأكرم بهم قوماً حظوا بالمفاخر
فسبحان ربي من عظيم مهيمن ... أعاد وأبدى قاهراً كل قاهر
وفي بعض ضرب الأرض للناس عبرة ... ليطلعنا ربي على فعل غابر
وآثار أقوام تولوا وأعرضوا ... فعاقبهم ربي بسطوة قاهر
أولئك عاد مع ثمود ومن مضوا ... وأمة لوط إذ سعوا في المناكر
كذا مدين إذ أمطروا وابل الردى ... فصب عليهم جاحماً ذا سعائر
فأما ثمود قد مررنا بدارهم ... فقد عمهم ربي بصيحة قاهر
وكم من أناس قد أبيدوا بظلمهم ... فأمسوا وقد باءوا بإحدى الفواقر
عياذاً بربي من أليم عقابه ... وصولة عز من عظيم المقادر
وكنت أنادي صحبنا أن تمهلوا ... لكي نر من أطلال تلك المآثر

ومن بعد ذا سرنا على الدرب غدوة	على مركب هايلكس في صبح باكر
مررنا بتيما إذ سمعنا بذكرها	قديماً وقد كانت بلاد مآثر
وفيها لعمري من مرائي سموئل	وبئر عظيم شادها فعل قادر
وجدنا كريماً من شباب مثقف	يسير أمام الركب ليس بغادر
فقلنا له رفقاً فمثلك محسن	تفضل علينا يا كريم العناصر
أولئك قوم قد أتوا لمهمة	ورؤية أوطان ورصد مآثر
نريد لهداج إذا قد دللتنا	ومن أين مأتاها يا كريم العشائر
فأبدى سروراً باللقاء تفضلاً	يقول هلموا مبدياً للبشائر
فقلنا له يا قوم نحن أعزة	شمائلنا بذل الندى في المحاضر
نحب ذوي الإيمان طبعاً وفطرة	ونهجر من لا يرعوي عن مناكر
فسار إمام القوم يشرح درسها	وينبأ بأخبار تفيد لسابر
يقول انظروا فعل القرون التي مضت	وما قد أشادوا من حصون الدساكر
وقفنا بها وقتاً نقلب طرفنا	مضخاتها قد أبدلت عن أباعر
وفيها رسوم من جسور تبقيت	وفيها عديد من بقايا القناطر
وقصر عظيم قد أشيد مشرف	وكم قد رأينا من رسوم دوائر
ألا أيها الصحب الكرام ألا اصبروا	نشاهد آثاراً لتأتي بالمصادر
ونرجع من أخبارها نرتوي لها	فليس سماع كالوقوف بناظر
وسرنا نشق البيد نحو مرامنا	نؤم دياراً صاعبات القناطر
نسير وما زلنا نتابع سيرنا	إلى أن قدمنا موطناً ذا مفاخر
فقام أمير القوم يبدي كرامة	وهيا من مطلوبنا كل حاضر
سليمان من يدعى السديري مقدم	هو ابن لتركي ماهر وابن ماهر
فقد قام في بذل الجهود بسيرنا	وتسهيل مطلوب وخدمة سائر
رجالاً وأموالاً تحف بقوة	لنا أمننا بين الربى والقناطر
فأكرم به شهماً وأنعم به أخاً	أديب أريب ما له من مناظر

لقـــد بـــذل المجهـــود في ســـد ثغـــره وأمَّـــن أوطاننـــا بحكمـــة قـــادر
فهـــذا قليـــل مـــن كـــثير تركتـــه وحســـبي لقـــد جئنـــا بعشـــر العشـــائر

ولما أن قدمنا العاصمة تبوك طفقنا نسأل عن بيت رئيس المحاكم هناك الشيخ صالح بن محمد بن عبد الله التويجري أن الشيخ صالح كان من زملائنا في الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم وفي الدراسة على الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي، وما أن علم بقدومنا حتى جاء يحيينا لأنه كان في إجازة تلك الأيام وأعد لنا مائدة دعا إليها الأعيان وعلى رأسهم سعادة الأمير سليمان بن تركي السديري ووجدنا لديه ضيوفاً من قرابته وكان الأمير سليمان شاباً نشيطاً يستقبل الأعمال الشاقة ويحلها بسعة صدر ورحابة جاش لا يتأثر لشيء من الأعمال وما يرد إليه من مهام الأمور ودعانا إلى مأدبة العشاء في قصره وأطلعنا على أشياء من الأواني القديمة التي يدخرها الرجل العربي ويحافظ على تقاليد أمته فكان لديه متحف يضم عموداً من الحجر الأخضر الذي تدق به القهوة والبهارات في مهراس من الحجارة المهندسة وبكرة من آلات السانية ودلو كبير وهو الغرب ولما أن علم بأنا سنلقي موعظة تناول الهاتف ودعى إلى المسجد رؤساء الدوائر من بينهم مدير الأمن في المنطقة (الزعيم توفيق خالد علندا) وكانت مائدة الأمير حافلة تدل على كرمه وبعد مضي ثلاث ساعات من الليل ذهبنا إلى بستان الشيخ صالح فاستقبلنا الحارس وكان يمنياً يعمل في البستان ويحمل سراجاً لتقلبه بين الأشجار في ظلمة الليل فوضعه أمامنا وجعل أصحابنا يناولونه فناجين القهوة وأكواب الشاي ويتحدث معنا وأهدينا له بعض الإرشادات والبيان عن التبغ والقات ومفاسدها وقد أنسنا منه قبولاً ويعتذر عما كان عليه بعض اليمنيين من الجهل لعدم وجود تعليم لديهم.
أما عن القات فإنه لا يزال يمتدحه ويقول إنه يقوي العروق وينعش النفس وغير ذلك من مقتضيات ما يوحي إليه عقله وهواه، وكنت أعجب من إخلاصه في سقي البستان طوال الليل وقد يرسل صوته في الفضاء على ألحان اليمانيين ولغتهم ولو قلت أنه ما نام ساعة من الليل لكنت صادقاً وكان في معيته اثنان من العمال لكنه

عجيب في شأنه ولغته وحديثه وسهره على عمله وبعد ما أصبحنا قام في معيتنا عبد العزيز التويجري أميراً القليبه سابقاً ليطلعنا على الآثار في مدينة تبوك، فمن الآثار هناك قلعة السكر وكانت بنايتها ترجع إلى سنة (١٠٦٤هـ) جددها وعمرها السلطان محمد خان العثماني وقد وضعت حماية على السكر يسكنها إذ ذاك الجنود التركية الموجودون في تبوك وتقع الآن في وسط البلد وعين السّكر تقع في غربيها وكان عرض حائطها متر ونصف متر إلا قدراً من عشر سانتم مداراً عليها مربعاً وفي هذه العين يذكرون أنه صلى الله عليه وسلم وضع أصابعه فيها فكان الماء يفور من بين أصابعه وذكر العلماء عن هذا الفوران أنه لم يخرج من نفس أصابعه وإنما كان يخرج من بينها. ومن الآثار القديمة فيها المسجد الأثري ويعرف لدى العامة بمسجد أبي خيشة ولا أعرف معنى هذه التسمية، وكانت بنايته محكمة من مباني تركيا وقد أقيم على قواعد حجرية يذكر أنه صَلّى فيها رسول الله ﷺ ويقع هذا المسجد حوالي العين وللمسجد عريش قد وضع عليه كتابة تركية في أربعة أسطر معها تاريخها سنة (١٣٢٥هـ).

محتويات تبوك

إن مدينة تبوك قد حظيت في الزمن الحديث ونالت درجة عالية في التقدم البنائي والزراعي والتجاري ما أصبحت بها تفاخر البلدان الكبرى في السعودية وكانت بذاك ذات أهمية فكان بها مركز هام للدفاع وهو المدينة العسكرية ويقدر طولها باثني عشر كيلومتراً وعرضاه بعشر كيلومترات فيها قسم المخارط ٣ عادية، (١) مخرطة كرنك، (١) أس ندل مقشطة مطاحة وقسم الكهرباء خاص ومخرط تجليخ رأس البسر تدل قسم النجارة قسم الخردات، قسم السمكرة، قسم المراتب، قسم الأسلحة، وفيها عمال مخلصون فنيون منهم عبد الرحيم بديوي والملازم عبد الله السالم الشهري وأحمد حنفاوي حجازي وتحتوي على رجال المظلات والأسلحة والصواريخ والمدافع وكنا نتجول في تلك الفلل فيها ونرى ما يسرنا من النشاط أو ما أعد في المدينة من قوة باهرة وقد أعدت الفلل لرجال الأمن منها الكبار والصغار

فيها الثلاجات والبرادات والغسالات وما تحتاجه كل فلة من التطريز والخدمة وممن وجدناه من العمال في المدينة محجوب حسن سوداني عليه ثياب العمل فيها آثار الزيوت وأوساخ الحديد وقد تلقانا بصدر رحب وجعل يشرح لنا أعماله التي يقوم بها ويقول إنها تربطنا بكم أواصر الأخوة الإسلامية، وفي تبوك إدارة الجمارك والمالية ورئاسة المحاكم ومكتب العمل والعمال والشئون الاجتماعية والزكاة والدخل والصحافة والنشر والمباحث والاستخبارات والبرق والبريد وفيها التعليم بأنواعه من مدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية والمعهد العلمي ومعهد إعداد المعلمين ومدارس البنات ابتدائية ومتوسطات للبنات ومعهد للبنات وتحتوي مدينة تبوك على مستشفيات وفرع أوقاف وفرع للزراعة والهلال الأحمر والجوازات ومصلحة الأشغال العامة وفرع لوزارة الأعمال والإشراف على قلم المطبوعات ورئاسة ليهئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، زرنا هذه الرئاسة وجلسنا مع الرئيس وأناس من الأعضاء وكانوا يستقبلوننا بصدور رحبة وممن زرنا من الأعيان الشيخ محمد الغُرَيّض بضم العين المعجمة وتشديد الياء وإخوانه وكانوا من قبيلة الحميدات وجدناه في معرضهم الكائن بتبوك وكان من أكبر المعارض هناك ويحتوي على مواد البناء بأنواعها على وجه العموم وفيه ثلاثة مكاتب ويرأسه أحمد الغُرَيّض فقد كان يعتبر من رجال الوطن هناك لما قام به من أدب ورجولة وكان يستقبل الزوار بصدر رحب، وفي ذلك المعرض شيخ بلدة تبوك عناد بن غريض كان من الأشخاص البارزين، ومن أعظم رجال الوطن ومررنا بسوق الخضار فوجدناه مملوء بالخضراوات والفواكه الشهية وكانت أسواق تبوك غاصة بجميع البضائع ولا سيما سوق البيع والشراء والأخذ والإعطاء هذا ونحن ممتطين سيارة الأمير عبد العزيز بن عبد الله التويجري يقودها بنفسه.

رحلتنا إلى الحجر

أما ما كان عن ديار ثمود فقد طلبنا من الأمير سليمان أن يسهل لنا الطريق بالمسير إليها ورؤيتها فقام بإعداد سيارة ورجال لخدمتنا وما تدعو الحاجة إليه إذ

كان الطريق إلى مدائن صالح والعُلى والوجه وضبا ومدين يتطلب عناية لما في تلك الجهات والمفاوز وسلوكها من المشقة وقد يوجد فيها وحوش من النمور والـذئاب وغيرها من الحيوانات المفترسة وأصحبنا باثنين من الخويا وهما خالد بن عماش بن سليمان الفقير العنزي وهو رئيس أحد المراكز هناك والآخـر هـو محمـد بـن ناصـر نصر الله الحويطي رجل آتاه الله بسطة في الجسم والمعرفة فقام الرجلان بسـلاحهما يحملان البنادق والمسدسات مزودين بالحزم ولا ننساها لصاحبنا محمـد ناصـر فقـد كان جعفناً بالحديد للحراسة والخدمة ومـا تـدعو الضـرورة إليـه، أمـا خالـد فهـو الوكيل المقدم في تلك الرحلة وكنا قد قمنا بدراسة الموضوع قبل المسير وكان خالـد يعد من أفذاذ الرجـال في الصـيد وكـان خِرِّيتـاً مـاهراً في الدلالـة يحمـل أم خمـس القصيرة ومسدسين، أما ما كان عن السائق فهو المـدعو سـعد خالـد الزيـادي مـن أهالي الطائف ويمتاز بحسن القيادة ولا يتجـاوز التسـعين في سـيره، وكـان قـد قـام بمهمته في شأن السيارة التي أتحفنا بهـا أمـير تبـوك تويوتـا ٧٢ مـزودة بالمـاء الكـافي والوقود والمحروقات وما تحمله على ظهرها من الأطعمة والأشربة وزاد السفر شكر الله للأمير ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾، ولما أن سرنا من تبـوك سـلكنا طريـق الإسفلت حتى أخذنا عنه إلى الحجر مع خط غـير معبـد إذ ذاك والجأنـا المبيـت إلى أرض فلاة والساعة تشير إلى السادسة والنصف بعد منتصف الليـل حيـث سمعنـا نباح كلب فاستأنس الرفقة بصوته بحيث كنا على مسافة كيلو ونصف وبعد شـروق الشمس قام الرفقة لإعداد طعام الإفطار ومواصلة السير بين تلك الجبـال في أرض رملية كأن تلك الجبال قد هندست بمر الزمان يميل لونها إلى الصفرة نمـر بـالجهراء ثم عروة ثم بواء وكانت السيارة تسير في طرق ضيقة لا يكاد يهتدي بها إلا الدليل الماهر ويقول خالد هذه قيعان الصنيع وهذا السريط وهذه المزيلقـات حتـى وصـلنا إلى طرق بين جبلين يسمى المضيق يزعمون أن ممر ناقة صـالح معـه ويقـدر عرضـه بتسعين متراً وحافتاه يمنة ويسرة قد تملستا من جنبي الناقة ا لتي تملؤه إذا مـرت ومـا أشبه ذلك بخرافة يذكرون أن ذلك الطريق هو الذي عقرت فيـه الناقـة ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ

أَشْقَنٰهَا ﴿١٢﴾ ﴾ وقصة الناقة وعقرها مذكورة في كتب التفاسير والتواريخ مما لا تتسع له هذه العجالة. وقد أفردنا هذه الرحلة بكتابة مطولة ووضعنا رسوماً لبيوت أمة نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام في تلك الجبال والدموس بحيث كانوا ينحتون الصخر ويجعلونها بيوتاً حاذقين ومتجبرين، وكانت تلك البيوت آية تدل على قوة القوم وما مكن الله لهم بحيث ينحتون الصخر وينقشون الحجارة وهنا تصاوير منقوشة لم تتغير على مر الدهور والأزمان، أما ما كان من بيوت المدر ففي بطن ذلك الوادي قد سقطت أكواماً على ممر السنين وعلى أثر أمطار غزيرة هطلت في هذه السنة المذكور في فصل الشتاء اجترفت بعض الآثار فخرجت أواني من الفخار على ظهر الأرض يشاهد منها آثار البوم والرحى، أما عن أبار ثمود فلا تزال موجودة منحوتة كبيوتهم استخدمها العصريون بعدما اندفنت وجعلها أربابها الحاضرون لسقي نخيلهم ودوابهم وأشجارهم، وكل واحد من المزارعين يزعم أن بئره هي بئر الناقة التي أقر الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه في الاستقاء منها، ونهاهم عن أن يشربوا من سائر بلاد الحجر ولا يتوضئوا منها للصلاة وما كان من عجين عجنوه فيعلفوه الإبل وكان ﷺ لما مر بمدائن صالح قال لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم مثل ما أصابهم، وفي رواية أنه قال فإن لم تبكوا فتباكوا وقد حامت أفكار العلماء ودارت الآراء حوالي هذه المشكلة ولا سيما في هذه الأزمان التي سكنها أناس وأزالوا الأتربة عن الآبار وغرسوا النخيل والأعناب وسائر الأشجار وكانت الأرض قابلة للزراعة ولكن هنا معوق وهو ما ذكرناه والحديث رواه البخاري ومسلم وقد تكلم ابن حجر والنووي شارحا الصحيحين وأجادا وأفادا كل منهما على مقدرته وكان من العلماء من يشدد في الموضوع وآخرون تسامحوا في هذا الشأن وقد كونت الحكومة الإسلامية الشرعية السعودية لجنة من العلماء للنظر في ذلك والبتّ فيه وذكر لي فضيلة الشيخ رئيس المحاكم هناك صالح التويجري أنه أحد أعضاء اللجنة ولا أدري على أي وضع انتهت المشكلة بجواب قطعي، وقد

لاحظت بعيني رأسي أن ساكني تلك المنطقة أشباحهم ليست جميلة المنظر والجبال موحشة جداً ولا سيما بالليل فقد شاهدت البعوض تلسع بشدة كأنما وكلت بالليل بالأذى، أما عن بعض الرفقة الذين خرجوا من البيت وناموا في الفضا فقد شاهدوا وحشة شديدة. وقال القسطلاني في شرحه للحديث من صحيح البخاري عن هذا الحديث وفي الحديث كراهة الاستقاء من آبار ثمود، وهل هي للتحريم أو للتنزيه وعلى الأول هل يمنع صحته التطهير بذلك الماء والظاهر أنه لا يمنع وذكر أنه رواه النسائي في التفسير وقد أشبع الكلام وأسهب في الموضوع الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره فذكر عن طائفة من العلماء أنها لا تجوز الصلاة ولا تصح الطهارة بمائها واستدلوا بحديث علي المرفوع أن حبيبه ﷺ نهاه عن الصلاة في خسف بابل لأنها أرض ملعونة قالوا والنهي يقتضي الفساد واحتجوا لعدم الطهارة بمائها بأن النبي ﷺ منع من استعماله في الأكل والشرب وهما ليسا بقربه، فدل ذلك على منع الطهارة به من باب أولى ثم رجح الشنقيطي أن من مر عليهما ينبغي له أن يسرع في سيره حتى يخرج منها كفعله ﷺ وفعل صهره وابن عمه وأبي سبطيه رضي الله عنهم جميعاً وأنه لا يدخل إلا باكياً للحديث الصحيح، فلو نزل فيها وصلى فالظاهر صحة صلاته إذ لم يقم دليل صحيح بدلالة واضحة على بطلانها إلى آخر كلامه. فإذا كان ينبغي لمن مر بها أن يسرع وأن يكون باكياً فما حكم ساكنيها والمتقلبين في حراثتها والبناء فيها ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رفع الله مقامه في دار الآخرة في مسائل أحد أبواب التوحيد الثانية أن المعصية قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة وقد ألف الشيخ عبد الله بن زيد بن محمود رئيس المحاكم الشرعية القطرية كتاباً في هذا الموضوع أسماه . . .(1).

وبما أن السكان هناك قد تحرجوا لهذا الخلاف فقد طلبوا من الحكومة ألبت في الموضوع فإما أن يتركوا بأملاكهم التي توارثوها أباً عن جد ولا مانع من بقائهم

(1) بياض في الأصل.

فيها، وأما إن كانت ممنوعة شرعاً فإنهم يبعثون رجاءهم بأن تقوم خسائرهم التي بذلوها ويرحلون عنها، وكنت وأنا واقف في تلك الجهات أنكر في الموضوع بعدما أبدى السكان لي هذه المسألة فرأيت سائلاً الله التسديد والتوفيق أنها لا تجوز سكنى المنازل والبيوت المنحوتة في الجبال والدموس، فأما هجر سائر الفضاء وعدم السكون فيه فلا يلزم الأمة الرحيل عنها والتباعد منها ولو أن كل موضع نزل فيه عذاب وجب هجرته لهجرت مكة وضواحيها لنزول حجارة من سجيل على أهل الفيل فيها ولتركت مدين بعدما كانت جنات وعيوناً لسحاب الظل الذي أمطرت به مدين لما كذبوا شعيباً وكذلك مصر ومنازل قوم نوح وغيرهم قال الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ وقال جل ذكره: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ ونحمل كلام الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه في نزول الحجر وما حدثهم به من التهديدات والتخريفات تحذيراً لهم من تكذيبه ورد دعوته وليتفكروا ويتذكروا عاقبة المكذبين أن في تلك البيوت المنحوتة في الجبال لآثار كالزباء أو القبور فيها بقية من المنسوجات القديمة وبقية عظام دميمة الله أعلم بحالتها، ولكن لبرودة تلك البيوت ورفرفة الرياح فيها ما يدل على أنها قد تكون قبوراً وكان هناك في الحجر محطة لقطار تركيا الذي يمر بها إلى المدينة المنورة، وقد تعطل سيرها وكانت في غاية عجيبة في قوة البناء قد أقيمت من حجر مسنمة السطح ممتدة في سكة القطار التي تمتد شمالاً وجنوباً وإلى يمنة المحطة مواضع حجر متماسكة تحتوي على ماكنات وأفران حديد عظيمة الشكل قوية الوضع كذلك عن يسرة هذه المحطة نوافذ، وهي تدل على قوة بناء الأتراك بحيث لم تتأثر على طول مر السنين وقد أشرنا إلى هذه السكة في أوائل الجزء الثاني من هذا التاريخ، وقد تعطل سيرها لما انفصلت الحجاز عن الشام وقام الأعراب يقتلعون تلك الصفائح من السكة ويجعلونها سقفاً لبيوتهم هناك ولأبوابهم، أما عن الكاتبة وهي الصخرة التي خرجت منها الناقة بإذن الله فهي صخرة جبلية شاهقة في السماء ملساء عظيمة لا

يستطيع الصعود إليها بقدر ارتفاعها بمائة وخمسين متراً يزيد حجمها عن مسافة كيلوين وهي التي صعد إليها سقت ناقة صالح لما قال نبي الله أدركوا سقبها فإن حصلتم عليه نجوتم لكنه دعا ثلاث مرات يقول يا رب أين أمي ثم غاب ولم يستطيعوا الحصول عليه وكانت الكاتبة بأرض رملية ولما أن سرنا من الحجر إلى جهة الجنوب الغربي مررنا بموضع يدعى ثربة ومنه إلى شلاش ثم العذيب وفيه زراعة ونخيل وأشجار كما أننا جزنا إلى جبل يسمى معلق الحمادي قيل كان هناك صقور وكان أصحابه يدلون بحبل من أعلى الجبل ليصطادها من أوكارها وكان الحبل قد انتشب في موضع فلم يستطيعوا جذبه ولبث معلقاً بين السماء والأرض حتى هلك ومزقته الرياح والأمطار هذا ونحن نسير إلى العلا حيث مررنا بحجر منحوت أحمر اللون مستدير مهندس كأنه من نحاس مساحة حائطه اثنان وثلاثون سنتمتراً كالإناء العظيم عمقه ثلاثة أمتار ودائرته عشرة أمتار وخمسة وسبعون سنتمتراً يزعمون أنه الإناء الذي تحلب فيه ناقة صالح عليه السلام وكان وضعه عجيباً ونحته غريباً ولا تظن إذا رأيته إلا أنه من نحاس لكنه حجر منحوت وحوالي ذلك الإناء الغريب الوضع أكوام من الحجارة كأنها مدينة قد تداعت فكانت أكواماً من الحجارة وقد جعلنا له رسماً في تلك الرحلة، وبعدما تجاوزناه مررنا بمدينة العلى وهي عبارة عن نخيل بين جبلين يقدر طولها بمسافة خمسة عشر كيلو ويحف النخيل إلى جهة الغرب مساكن الأهالي يتخللها أسواق من جملتها سوق البيع والشراء ورأيت العمال ينسفون في الجبل الغربي بالديناميت لتوسعة الشارع. وبالجملة فسوق البيع والشراء ضعيف ومناخ العلى على العموم غير صحي، وما زلنا نواصل السير في أراضي وطرق غير معبدة قد غمرتها حجارة سوداء بين تلك الجبال التي لونها حديدي حتى ألجأنا المقيل إلى ظل سمرة هناك فألقينا رحالنا وقام الرفقة يصنعون ما يصلحهم حيث كان لديهم ذبيحة من المعز وشيء من الفاكهة وكنت غير مرتاح من أتعاب السفر ومشقته. وبعد الغداء والمقيل سرنا حتى جزنا وادي الجُزْل وكان مملوء بشجر الفضاء وكانت السيارة رغم قوتها تكاد توقف عن

السير لكثرة الرمال وصعوبة ذلك الوادي لكننا لما سرنا بقدر من ثلاثين ميلاً وصلنا إلى أرض صخرية ويتخللها أودية كثيرة فلا تسمع إلا قعقعة الحجارة في ساعة ولى فيها النهار مدبراً ومنذراً بحر شديد وتشابهت الطرق وضل العارف الخريت الطريق فبينا كنا كذلك تبدى لنا بيت من شعر أسود فيه امرأة سألها بعض الرفقة فأشارت يمنة تقول هناك الطريق وقد كان جبل عويرض يصرفنا كيف شاء في منحنيات غير معبدة نسينا فيها سهل الأرض لحزونتها وقد غابت الشمس فنزلنا لأداء الصلاة جمعاً وقد قلّ الماء وخيف من المهالك لا من جهة وقود السيارة فقد كانت مؤمَّنة ولا من جهة قلة الماء فقد كنا في حالة يرثى لها إذ كنا نسير إلى غير جهة معينة وقد واصلنا السير إلى أن وصلنا إلى أرض ذات غابات كثيفة قد تكون مأوى للهوام حتى كانت الساعة تشير إلى الثلاثة غروبي فقام صاحبنا محمد ناصر يستنبح الكلاب إذا كان ثم كلاب بأن جعل يصفر ببندقيته فسمع نباح كلب على بعد فما فرح محمد ناصر بشيء فرحه بذلك بحيث اهتدينا إلى ذلك الصوت فاستقبلنا أعرابي يتبدى من بين تلك الجبال حواليه غنمه كان أسمر اللون من الرياح ولفح الهواجر شاخص البصر عليه أثواب وأطمار فسلمنا عليه وجعل يرحب بنا وقلنا مساك الله بالخير فأجاب حياكم الله تفضلوا انزلوا عندنا هذه الليلة فإن الأرض هذه أرض سباع ووحوش وفيها النمور والضباع والسمتاح فقلنا له تفضل معنا إلى طعام العشاء وأرنا الطريق فقال على رسلكم وإن الطريق قريب وجعل يصفه لنا وأنه يحف تلك الهضبة الحمراء ويمر من عند الهضبة السوداء، وجلس معنا على تكرمتنا فما فرحنا بشيء فرحنا بذلك الأعرابي الذي أنسنا به وأنس بنا وطلبنا منه أن يبيت عندنا وكانت تلك الجهة من مساكن بلي لأنها في ضفتي وادي الجُزْل وتمتد مساكن بلي في تلك السلسلة من الجبال ولما أن أكل وشرب اعتذر عن المبيت بأنه لا يقدر على أن يترك غنمه فريسة للسباع وجعل يذكر أشياء عن تلك الوحوش فقلنا له صف لنا بارك الله فيك السمتاح الذي تذكره فقال إنه حيوان على صفة الآدمي قد غاص رأسه بين كتفيه وهو مفترس وقد عجزت عنه الخيل والقوات

وقد افترس رجلاً وامرأتين وبعدما فرغ من العشاء قام مودعاً يقول أستودعكم الله وكانت حالته يرثى لها فسبحان من ألقى عليه الصبر في مكابدة تلك الفلوات والأودية وقد بدت مرفقاه وأسفل ثوبه إذا عصفته الرياح كأذناب البقر وبما أن تلك الجهة موحشة فإنا لا ننساها لخالد ومحمد في حراستنا تلك الليلة العجيبة، ولما أن تبدت أشعة الفجر قمنا للأذان والصلاة وسرنا سالكين الطريق المسمى (بالنجد) حتى تبدى بعد شروق الشمس بساعة وثلاثين دقيقة مركز بدي كان رئيس ذلك المركز رجل يدعى طويلع ابن محمد النويعم وما أن علم بنا حتى وقف في الطريق وطلب من جميع أهل المركز أن لا يسبقوه في ضيافتنا فجلسنا لديه وكان عنده كتب منها رياض الصالحين وشرح موطأ مالك بن أنس في كتب أخرى وقدم لنا قهوة البن والحليب والشاي وتمراً جديداً يابساً وقد ألح بالجلوس لتناول طعام الغداء غير أننا لا ينقصنا شيء من نعم الله التي زودنا بها أمير تبوك وكان يغتنم الفرصة ليطول الجلوس عنده وتظهر عليه آثار الوفاء ومحبة أولياء الله، وكان المركز مقاماً من الخشب ومسقوفاً بالسينكو كغيره من ساكن (بدي) أي أنها صنادق وذكر لنا مشاحة الأهالي فيما بينهم من جهة الماء والمساكن وهذه كعادة البدو يزدحمون في موضع وإن وكان الفضاء واسعاً وكان الماء فيه عذباً قراحاً ويوجد هناك شجر الدوم بكثرة وبعد تبادل الحديث ذكروا لنا عن النجد وموضع مبيتنا الذي بتنا فيه الليلة الماضية أنه مخوف جداً من الغيلان والأشباح المستكرهة والحقيقة أني لو قلت أنها منازل الجن والشياطين والسعالي والوحوش والسباع لكنت غير مبالغ. أما عن جو بدى فمتسع وفيه زراعة ضعيفة ويوجد فيه من الآثار القديمة جابيه من وضع زبيدة زوج هارون الرشيد التي كانت في طريق حجاج العراق إلى مكة المكرمة، وقد رسمت الأرض وفيها نزاع بينهم ذكروا لنا أن الهيئات دائماً بعثها للمشكلات هناك ولو أنهم قاموا بعمارات تلك المتسعات والفيافي القفر وقاموا بحفر الآبار وأبقى القنوات لكان أحسن من تلك المشاحة، وأملنا عظيم في حكومتنا أن تفتح المجال وتبذل المساعدات ليتسع العمران هناك فقد كانت الصحاري قاحلة ومن أعجب ما

رأيت انتشار الأمن وهيبتهم لأوامر الحكومة في تلك الجبال والمواضع وقام رئيس المركز يشيعنا لما رأى عزمنا على مواصلة السير وقدم لنا ذبيحة من المعز، غير أننا كنا متوجهين إلى جهة ناصر السديري في بلدة الوجه ولا تسمح الظروف بحمل تلك الهدية بحيث رددناها شاكرين وسرنا من طريق فيها أودية على رأس السر والدثنة وحويرب حتى وصلنا إلى الوجه فنقول عنه.

الوجه وموقعه والحديث عنه

الوجه بلاد على شاطئ البحر وطقسه طيب ومناخه جميل وهواه عليل فيه بلدية وإدارة جوازات وإدارة شرطة كان رئيس الشرطة فيه هو القائد حسن رضا مشهدي، ويحتوي على مدرسة ابتدائية يبلغ طلابها ٤٠٠ طالب تأسست عام (١٣٣٠هـ) ومدرسة متوسطة تحتوي على ٦٠ تلميذاً ومدرسة للبنات ابتدائية تحتوي على ٣٠٠ طالبة أسست عام (١٣٨٢هـ) ومدرسة متوسطة للبنات تحتوي على ٦٠ طالبة وفي مدينة الوجه عشرة مساجد منها اثنان تقام فيهما صلاة الجمعة وفيه من الآثار قلعة الزريب وبنايتها تركية وقشلة الدفاع وكان قدومنا إلى الوجه في تمام الساعة الرابعة نهاراً بالتوقيت الغروبي اتصلنا حال وصولنا بالأمير في تلك الجهة ناصر بن عبد الله السديري وكان كهلاً قد علاه المشيب غير أنه يتمتع بحركة ونشاط كشاب نشيط فقام بالترحيب والتعظيم كغيره من الأمراء وأجلسنا معه في المكتب حتى خلص الخدم من تهيئة دار الضيافة التي تقع على ساحل البحر وكانت بنايتها تركية مزودة بالأسرة والفرش والنمارق وكانت غرفها ممتازة لما فيها من تمام الراحة وتشرف النوافذ على البحر وفي الطابق الأسفل أناس من الخدم يقومون بالحشمة من كل أنواعها وكان الأمير ناصر السديري رجلاً طيباً متواضعاً جاء بعد صلاة الظهر يقود سيارته بنفسه إلينا وذهب بنا إلى مائدة الغداء التي كانت فخمة دعى إليها رؤساء البلدة وكبراء الموظفين في قصره، وكان رجلاً اجتماعياً يحادث ضيوفه ويمازحهم، وفي غرائب صفاته أنه لم يسمح لأحد أن يضيفنا رغم طلبهم

لذلك بل أقام وليمة أخرى للعشاء كانت أكبر من الأولى دعا إليها الكبراء، ولقد قمنا بعد صلاة العصر برؤية مشروع التحلية في الوجه وكان المشروع يقوم على شاطئ البحر في بناية حجرية تحتوي على المكائن والمضخات والتكرير قد أسس عام (١٣٩٠هـ) وفيه من العمال والمهندسين عشر، ويدعى كبيرهم محمد أفضل خان باكستاني أطلعنا على تلك المعدات ويقول أن السحب من البحر ثمانون فتصفي المكائن عشرة أي الثمن وترجع البقية وإن كان واحد من الخزانات يتسع لمائتي ألف وخمسة وستين ألف جالون (٢٦٥٠٠٠) فبذلك تحتوي على خمسمائة ألف جالون وثلاثين ألف جالون وجعل يروي لنا عمله وإخلاصه واستعداد المشروع لتأمين البلاد خمسة أيام لو تعطل العمل لا سمح الله، وكان يجيد اللغة العربية ويتكلم بأدب فسألته عن دينه فأجاب بأنه مسلم ويحمد الله على أن هداه للإسلام فهو يؤدي الصلاة في وقتها وسألته لو زادت الصرفية أكان يؤثر ذلك على المشروع فأجاب بأن غالب القصور الكبار فيها بساتين ولا ينقصنا ذلك من شيء، أما عن البيع والشراء فإن الأسواق هناك كافية للسكان، وقد وجدنا على مائدة سعادة الأمير الأطباء في ضمن المدعوين، وجرى بحث نحن نسألهم وهم يجاوبون وربما كانوا يستمعون إلى فوائد نلقيها من جهة الطب نرويها عن بقراط والحارث بن كلدة، وكان قد حضر لمائدة العشاء مشائخ القبائل ورؤساء الدوائر وكنا طلبنا من الأمير ناصر السماح لنا بالسفر غير أنه أبدى أسفه لسفرنا ليلاً وطلب منا البيتوتة في الوجه ويكون السفر صباحاً فبتنا بخير ليلة وسرنا بعد الإفطار في قصره العامر وعرض علينا كل ما نحتاجه غير أننا لم يقصرنا من شيء نحمد الله، وزودنا بكتاب فلبى أرض الأنبياء لنستعين به في مهمتنا فشكرناه وكان الكتاب مفيداً في الموضوع غير أن الذي نقله إلى اللغة العربية وترجمه إليها قد لا يكون قديراً لذلك نراه كثيراً ما يسقط اللام القمرية وهنا تغييرات في بعض الكلمات، وكذلك أقول عن كتاب فلبي الثاني المسمى تاريخ نجد فإن فيه بعض أخطاء وفي كل حال من حلنا ورحيلنا فكنا موفقين.

مسيرتنا إلى ضباء

لما أن غادرنا بلد الوجه شاكرين لأميره وموظفي الدولة هناك حثثنا السير متوجهين إلى ضبا التي كنا قديماً نسمع بها وذكرنا أشياء عنها في أواخر الجزء الثالث من هذا التاريخ بمناسبة حركة حامد بن رفادة والقضاء عليها. فنقول: في أثناء مسيرنا مررنا بواد قد أجدبت أرجاؤه ويبست أشجاره وتحطمت من قلة الأمطار وتكفأت فكنا نسير فيه بقدر من ثلاث كيلوات ونحن لا نرى إلا هشيماً أسود، لكننا لما جزناه مررنا بحرة فيها بيوت من الشعر ضعيفة ووجدنا من بين تلك البيوت أعرابياً يرعى غنمه قد جعل الخنجر في محزمه، لكنه لما رأى على بعد سيارة فيها السيفان والنخلة أدار خنجره إلى جهة دبره واستقبلنا متواضعاً فدعوناه وقدم ذبيحة معز إكراماً لنا وتقديراً لرجال الحكومة، لكننا رفضنا قبولها إلا بقيمة فاشتريناها مقدرين له أدبه وسرنا بقدر من ست كيلوات حيث أوقفونا على آثار آبار قد اندفن بعضها وهي أربعة يطلقون عليها اسم آبار عنتر بن شداد وفي الحجارة حولها آثار حفر في الصخر يزعمون أنها آثار فرسه في حوافرها ولكنها فيما يظهر خرافة ولا يمكن أن تبقى له هذه الكرامة، وكان بعض تلك الآبار فيها مياه وهو إليها جابية للماء قدرها ثلاثة عشر متراً مربعة كل جهة بهذا القدر مطوية بالحجارة وإلى جانبها جابية أخرى بقدرها قد تهدم بعض حيطانها مساحة الحائط أربعة وعشرون سنتم وحوالي تلك الآبار أعراب يسقون أغنامهم ففرحوا بنا وهم خائفون لرؤية تلك الأبهة من أن نكون مصدقين أو عمال التزكية وجعلوا يعرّضون يضعف الحلال غير أنا أخبرناهم أننا غير مصدقين ثم تجاوزناها حتى ألجأنا المقيل إلى ظل شجرة فنزلنا بها لنستريح وبينا نصلح طعامنا جاء أحد الرفقة بشيخ هرم قد لفحته الشمس وتركه الزمان ممزق الثياب يحمل مزوده على ظهره ويمشي على قدميه قد عصب رأسه بغترة من الصوف الأبيض المزركش، وكان يسير فإذا ما تعب جلس يستريح على المزود حتى وصل إلينا فسلم وقلنا له وعليكم السلام

ومرحباً، ما هو الاسم الكريم فأجاب يقول عياد بن حمد الحر القرعاني ولي أنجال يعملون في وظائف الحكومة وأنا هنية أرعى الإبل والغنم وإني عارف بالتاريخ قد مر علي أيام الخديوي والأتراك والشريف ثم استلمها ابن سعود وكان عمره يقدر بالثمانين غير أنه يتمتع بنشاط وحيوية لأنه قليل اللحم مربوع القامة ويكنى أبو محمود فقلنا حياك الله أبا محمود وجعل يروي لنا أشياء من أخبار تركيا والحرب الجارية بينها وبين الشريف الحسين، وبينا هو يحدثنا أقبل صبي لا يتجاوز عمره السابعة معه ناقتان ومحتزم بحزام من الليف فربط الناقتين بشجرة وسلم علينا وكان شجاعاً ذكياً يتكلم بكلام الرجال بالرغم من صغر سنه فقال أبو محمود هذا ابني وكان أبو محمود يروي أخباراً أدركها لكنه كعامي في قصصه وأخباره، وكان يتمتع برحابة صدر فشاركنا هو وابنه في طعامنا وكنت أعجب من وجوده في تلك الشعاب وقد سأله محمد بن ناصر بحيث كان بينهما معرفة هل لديه من يأنس به فقال لدي أم محمود وأما البنت فقد تزوجت منذ سنتين وبعدما تناولا طعام الغداء انصرفا شاكرين يحملان بقية الطعام ولما أن أدينا الصلاة جمعاً قمنا نواصل سيرنا والساعة تشير إلى الثامنة ظهراً فمررنا بقصر الأزنم وكانت قلعة من مباني تركيا قد تهدم بعضها وبقيت أطلال من بقايا الحجارة والجص وحواليها بئر ووجدنا أعرابياً ضخم الجثة قد ألقى كساء على شجرة وجلس في الظل كأنه على شاطئ النيل أو الفرات قد تخلل لحيته خيوط من الشيب وإنك لتعجب لحالته في تلك الأودية والشعاب وكنا نتمشى في تلك القلعة التي غادرناها إلى وادي داما ومازلنا نواصل السير حتى وصلنا إلى ضبا في الساعة الحادية عشرة قبل الغروب بساعة تماماً من يوم الجمعة ٩/ ٧/ ١٣٩٢ هـ وكان جبل شار الذي يبالغ بعض الرواة في ارتفاعه يتبدى لنا وكانت ضبا تابعة في القضاء والإمارة لتبوك وكان أميرها إذ ذاك محمد بن عبد الله بن سعدون من أهالي ضرما ويقوم بالوكالة عنه عبد الرحمن بن محمد بن عقيل الأصل فيه من أهالي القصيم وهو من اليد ضياء ومن أشهر رجال القبائل فيها الشيخ محمد بن إبراهيم أبو طقيقة وفريح بن عمرية وسلامة بن

عويضة أما القاضي هناك هو عبد الله بن فهيد من أهالي الأفلاج. وممن وجدته شاباً أديباً كاتباً في الإمارة يدعى محمد ياسين عبد القادر حسن المحادثة أبدى تحية وترحيباً ويظهر أن الأصل فيه من مصر لكنه على جانب عظيم في العقل وحسن المعاشرة والأدب أهدى إلي كتاب الرحالة فلبي، وطلب مني أن أهديه شيئاً من مؤلفاتنا فوعدته بذلك وحقق الله الطلب فإنا بعثنا إليه أربعة أجزاء من تاريخنا تذكرة أولي النهى وعقود اللؤلؤ والمرجان ومن العلماء المشهورين هناك حسين حسن خضر وكاتب العدل فيها قنديل عبد القادر قنديل.

محتويات ضبا

أما عن محتوياتها ففيها مشروع التحلية الذي أقامته الحكومة السعودية فيها وكان كمشروع الوجه زرناه واستقبلنا فيه مهندسه محمد عبدالحفيظ قرشي استقبالاً حاراً وكان مسلماً بشوشاً ذا أخلاق وأدب وفيه رجولة أطلعنا على محتويات المشروع ويظهر لي أن هذا المشروع أكبر من مشروع الوجه في حسن التصميم وكثرة العمال لأن سحبه من البحر مائة وتصفيته ثماني مصفحات وأدينا صلاة المغرب فيه حيث جاء بالسجاجيد وذهبنا بعد الرغم من عرض العشاء لديه إلى المأدبة الكبرى التي أعدها الأمير لنا، وكان رجال الخدمة والضيافة يتسابقون، ومن بينهم رجل عليه السترة والبنطلون مزركشين كان يسعى بشدة وقوة وعناية، ومن محتوياتها ما يأتي: (١) إقليم مرور (٢) إدارة الشرطة (٣) الدفاع المدني (٤) مستوصف (٥) محكمة شرعية (٦) قيادة سلاح الحدود (٧) إدارة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٨) إدارة اللاسلكي والبريد (٩) فرع الأوقاف (١٠) إدارة الجمارك (١١) إدارة المالية (١٢) رئاسة البلدية (١٣) مشروع الكهرباء (١٤) مكتب زراعي (١٥) إدارة السجون (١٦) الإمارة العامة، وفيها من جهة التعليم مدرستان ابتدائيتان للبنين و وابتدائية للبنات ومتوسطة للبنين ومتوسطة للبنات وفيها مسجد جامع تقام فيه صلاة الجمعة، وهو كبير وسبعة مساجد أخرى

ويا للأسف لم أتمكن من رؤية بقية الآبار في ضبا لمضايقة الليل، وكنا لما فرغنا من دعوة الوكيل قمنا مودعين له شاكرين لأهل ضباء حفاوتهم وإكرامهم، وكان الوكيل يفضل البيتوتة فيها غير أن الظروف لم تساعد ثم أنه زودنا بكتاب فيه التوصية بنا إلى أمير المويلح كل ذلك لأجل الشفقة والعناية بنا لكننا لما أن مررنا بالمويلح كان من الرفقة من يفضل مواصلة السير للبيتوتة في الفضاء الواسع والهواء الطلق فجعلناه إلى اليسار وهذا المويلح ماء في قلعة من الآثار القديمة يظهر أن مؤسسها كما يقولون خديوي مصر وأنه متقدم في وضعه على ضبا، ويا ليت أن لو نزلنا في ذلك الموضع لنأنس بسكانه غير أن الله لم يشأ ذلك بل ألجأنا المبيت إلى أرض صحراوية ليس فيها سوى الأشجار والفلوات، وقد لقينا فيها نصباً لأنها حوالي جبل اللوز المملوء بالهوام والوحوش وبعد وقدة لم تلتذ فيها جفوننا بنوم مريح نهضنا لصلاة الفجر ومواصلة السير، وقد تأثر بعض الرفقة بتغير الطقس وما زلنا نسير حتى تبدى لنا نخيل وبيوت شعر يقولون هذه (شرما)، وكانت مملوءة بشجر الدوم، هذا ونحن نسير في الساحل نقرب منه تارة ونبعد عنه أخرى حتى وصلنا إلى الخريبة التي كانت مركزاً فيه جنود مرابطون في سلاح الحدود، وكان فيها جهاز المخابرة ليكونوا دائماً في الاتصال بالعواصم إذا حصل شيء من الطوارئ وتعلو الكآبة على أولئك الجنود لبعدهم ولأن ذلك الموضع سبخة ليس بجيد الطقس غير أنهم قاموا يباشرون ويتسابقون لما أن علموا بمهمتنا وهي الكتابة بتلك الأبراك عما نجده وأطلعونا على سهرهم لمصالح الأمة وكانت (الخريبة) فيها جامع كبير ومركز إمارة وجمرك وشرشورة وقد شجعناهم على الصبر والمصابرة وأنهم في جهاد في سبيل الله وكنت كثيراً ما أشجعهم ومن كانوا في ذلك المقام وأعظمهم وأذكرهم فأجد قبولاً وتعاوناً، ولما أن سرنا منها مررنا بأقيال وفيه عشاش ويخفنا من جهة اليمين زهد ثم جبل اللوز ويعتبر في سعته وارتفاعه آية من آيات الله ويروون من الحوادث أن طائرة اصطدمت به لرفعته، وكان مأوى للنمور والسباع والدب والقرود وغيرها من السباع المفترسة وكان النمر موجوداً بكثرة هناك، أما

الأسد فقد لا يوجد لانفصال قارة أفريقيا عن آسيا بحفر قناة السويس وهي موجودة بكثرة في أفريقيا وفي جبل اللوز أنواع من النباتات قد لا توجد في غيره وودت لو سمحت الظروف بدخوله والتجول فيه ولا سيما ونحن معنا من السلاح ما يحفظنا بإذن الله لأخذ فكرة عنه غير أنه لا يكفي للتمكن من رؤيته عدة أيام فضلاً عن الساعات وكان ينحدر منه بعض أودية تتفرع من وادي أقل الذي ينبع من جبل اللوز الكبير وإذا كان ارتفاع منطقة الحصمة حوالي ٤٠٠٠ قدم فوق سطح البحر كما يبلغ ارتفاع أعلى قمة فيها ٥٠٠٠ قدم أو أكثر فإن جبل اللوز وهو الوحيد يبلغ غاية في الارتفاع وقد شاهدنا قمم سلسلة جبال مدين تمتد شاهقة أمامنا إلى علو يقارب ٧٠٠٠ قدم، ومن العجائب كون بعض الصخور رملية متآكلة تحتوي على مواد صلدة وثابتة اللون ورغم تقلب عوامل الجو كالريح والأمطار والشمس عليها آلاف السنين فقد قاومتها وجعلتها عاجزة عن محو فن المعمار الممتد إلى هذه الأزمنة محواً تاماً كما هو مشاهد في ديار ثمود وبلاد مدين أصحاب الأيكة.

مرئياتنا في مدين

لما أن غادرنا أقبال وزهد تبدت لنا أعلام البدع في اللغة الحديثة أو مدين بلاد شعيب ﷺ فقدمناها في الساعة الثالثة بالغروبي تزيد ٤٥ دقيقة من صباح يوم السبت ١٠/ ٧/ ١٣٩٢ هـ وهي التي توجه إليها موسى عليه الصلاة والسلام لما فرّ من فرعون وقومه خشية القتل فقصدنا قصر الإمارة حسب التعليمات وكان الأمير فيها متعب بن زيد الأيادي العنزي ويقوم بالنيابة عنه أخوه سلطان بن زيد إذا كان غائباً وكان سلطان شاباً في التاسعة عشرة من العمر ضرب اللحم طلق المحيا نشيطاً في عمله طيب النفس عذب المنطق جذاباً في تعطفاته فقام مبادراً بالتحية والاستقبال وبدرنا بأن الغداء يكون عنده، أما القاضي هناك فهو فضيلة الشيخ محمد بن مسلم ـ بإسكان السين ـ بن سعيد بن عثيمين الدوسري، وكان ابن عم

الشاعر محمد بن عبد الله بن عثيمين صاحب الديوان فكان الشيخ محمد بن مسلم يتصل بآل مبارك وصاحب الديوان يتصل بآل سعد وكان من جملة الحاضرين في مجلس الإمارة صبي عمره في الرابعة عشرة وهو نجل الأمير متعب بن زيد الأيادي أقامه الوكيل معي لإزالة وعثاء السفر فدلني على دورة المياه وهذا من تمام العناية فركبنا في سيارة من سيارات الأمن إلى بيت الأمير للاغتسال والتحمم وقد كان موجوداً في ذلك الحمام ماء بارد ومناديل وخدمة وبعد خروجي وجدت أصحابي ينتظروني فذهبنا للسلام على القاضي بعد أداء ركعتين بعد الوضوء ولما أن دخلنا عليه كان إلى جانبه كاتب أسمر اللون ولا يتجاوز عمره الثلاثين أما عن الشيخ محمد فقد قام من فوره للسلام وأداء التحية تاركاً بعض أشغاله، وكان قصير القامة أشمط الشعر ويتمتع بنشاط وعزم وكان في آخر العقد السادس من عمره وتقدم إلى نحو باب المكتب فأجلسنا معه وأمر بالطيب والقهوة والشاي وعرض علينا دعوة العشاء بحيث ورده دعوة الأمير كغيره من الرؤساء للغداء ثم طلب إجابة دعوته من الأمير والوجهاء والرؤساء وعرضنا عليه ما قمنا به من رؤية الآثار فلبى طلبنا وأحضر أحد أجزاء البداية والنهاية للحافظ ابن كثير يستعرض بلاد مدين ثم ركب معنا في سيارتنا الخاصة وهو يقول إنني ما تمشيت فيها منذ قدومي لهذا البلد ولي أربع سنين، وذكر أن فضيلة رئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم ابتعثه للقضاء في هذه الجهة لمدة أربعة أشهر وقد امتدت إلى أربع سنين ويظهر من كلامه تضجره من تلك البلاد النائية ويأمل أن ينقل ويا ليته لا ينقل إنه عالم متمسك بدينه وهو خير لهم ثم إنه ذهب بنا إلى جبل الرغام الواقع في شرقي البلد وبينا نحن نمشي هناك نجد آثار الحيطان مقامه من الحجر والجص وفي ذلك الجبل نجد آثار القبور بائنة فيها وآثار النيران القديمة موجودة وهناك آثار شق عظيم يظهر أنه موضع خسف يبلغ عمقه خمسة أمتار في غيران الجبل المحاذي له من جهة الغرب موجود فيه بيوت منحوتة كبيوت ثمود لكنها أقل نسبياً منها وقد اندفن شيء منها على ممر السنين ولكنها أصلب حجارة من مدائن صالح، وفي الجهة الأخرى بيوت واسعة جداً كان

تصميم البيت مكوناً من مجلس وإلى جوانبه حجر جمع حجرة منحوتة ووجدنا بيتاً فيه ما لا يقل عن عشرة خنادق كأنها في نحتها الهندسي مخازن للطعام أو قبور وهناك سرب في بطن الأرض مظلم لا يمكن النزول فيه إلا بحبل ولا يصعد قط إلا بحبل وهو كهيئة السجن فيما يبدو وتلك الآثار لم تتغير عن وضعها القديم اللهم إلا ما كان من سواقي الرمال التي دفنت جزء منها ويوجد هناك آثار الآنية القديمة من الفخار ولا ريب أن مدين كانت في قديم الدهر مساكن عامرة وتدل على قوة أهلها وما زلنا كذلك حتى سئمنا من الصعود والنزول ولم نتمكن من رؤية بئر موسى وكان للقاضي بستان كغيره من السكان فيه مجموعة من أشجار العنب والنخيل والبطيخ وقوامها على آبار يصبونها من الإسمنت ويقدر عمقها بعشرة أمتار تقريباً، ومما وقفنا عليه موضع في مرتفع من الأرض يسمونه قرية الفسقية مرتفعة كربوة فيها آثار حجارة متداعية وآثار بيوت وآثار بروج ولا أدري عن اشتقاق هذه اللفظة ولقد جئنا بشيخ من المسنين فقال إنها تعرف ببئر السعيدني وأنها تسقي الحجيج من السنة إلى السنة ويقول فضيلة القاضي أنها كانت تسقي ألف سقية، وبعد صلاة الظهر ذهبنا إلى دعوة الأمير التي حضرها الزعماء ومشائخ القبائل ومن ضمن هؤلاء شيخ البلد ورئيسه سليمان بن علي البحيري، أما قبيلة العميرات فشيخهم الحاضر بن فايز وخصر بن حماد، أما قبيلة المساعيد فشيخها الطرفاوي وسليمان بن علي الدهينة جعل أولئك الرؤساء يقدمون دعواتهم ويطلبون تمديد الإقامة غير أنا أقنعناهم بأن لبثنا إلى صلاة العشاء الآخرة، أما ما كان عن شيخ البلدة ورئيسها سليمان بن علي البحيري فلم يقنع وجعل يبدي أسفه الشديد بحيث لم يكن له فرصة لجلوسنا في بيته وكان يقول أيها يا ابن مسلم وابن أيدي لم يكن لي حظ من الشيخ ورفقته وكان رجلاً أبيض اللون طويل القامة ممتلئ الجسم على رأسه غترة بيضاء وفوقها العقال الأسود وكان كريماً سخياً من رجالات مدين فأقنعته بحيث لم نتمكن من البيتوتة والجلوس من الغد بأن سنشرف بيته بعد العصر إذا سمحت الظروف وكان من عزمنا أن نذهب إلى مركز الشيخ

حميد أو اللسان الذي هو من أبعد المراكز السعودية بحيث كان يبعد عن مدين بواحد وستين كيلو وهو على مقربة من الحد إلى جهة إسرائيل فسرنا إليها وكان في الطريق (مقنا) وهو أيضاً مركز هناك، أما عن مركز الشيخ حميد فإنه لا يتجاوز بعده عن كيلوين من مطار إسرائيل وكان فيه جنود مرابطين بصورة مستمرة على الساحل يرقبون حركات اليهود وسكناتهم كان لديهم جهاز مخابرات واستعداد للطوارئ ويرأس ذلك المركز ناصر فارس العتيبي أدينا صلاة العصر في ذلك المركز وأحاطوا بنا يقدمون ما لديهم من كرامة وكان المعروض مع القهوة والشاي تمراً يابساً رغم أن اليوم يوافق السادس والعشرين من برج الأسد وكان من توفيق الله أننا كنا نحمل حبات من القثاء أهداها إلينا الشيخ محمد بن مسلم فقدمناها لهم هذا ونحن نحدثهم ونشجعهم على الحفاظ فيما وسد إليهم ولزوم الثغر الذي هم فيه وكانوا مخلصين ولديهم شهامة وشجاعة وبين أيديهم المنظارات وحواليهم مخزن قد أعد فيه قوة هائلة وذخيرة، نعم كانوا مرابطين وفي سلاح الحدود جزاهم الله خيراً.

ولما كان يوم حنين أخبر الرسول أن هوازن خرجت عن بكرة أبيها بظعنهم ونعمهم ونسائهم واجتمعت في حنين فقال الرسول عليه الصلاة والسلام من يحرسنا الليلة فقام أنس بن أبي مرثد القنوي وقال أنا يا رسول الله قال اركب فركب فرسه وذهب إلى أعظم الثغور حيث وجهه رسول الله ﷺ ولما رجع بعد صلاة الفجر سأله هل رأى أحداً قال لا يا رسول الله فسأله هل نزلت الليلة قال لا إلا مصلياً أو قاضي حاجة فقال له الرسول قد أوجبت فلا عليك أن لا تعمل بعدها أي أتيت بعمل يوجب لك الجنة فنسأل الله تعالى أن يحمي حرزة الدين وينصر الإسلام والمسلمين، ثم رجعنا إلى مدين وذهبنا مساءً إلى الزعيم سليمان البحيري بحيث كان بانتظارنا حيث تناولنا عنه الشاي والقهوة وشيئاً من الفاكهة وقدم لنا قنوان النخل فيها رطب وبسر وأتي أيضاً قنوان النخلة الحلوة التي ملئت السيارة يقول تصدقوا به على من وجدتم فطلب منا فضيلة الشيخ القاضي أن نؤدي صلاة المغرب في الجامع الكبير ونلقي فيه موعظة وذكر أنه واعد الأمة بذلك وكان

بتواضعه بعدما صلى خلفي زحف وقرب وكان الوقت مناسباً جداً، وهذه رغبة في الانطلاقة التي كنت عليها في الوعظ والتذكير إذ كان مكبر الصوت موجوداً فألقيت عليهم موعظة جامعة شاملة أسمعتها الأمة المجتمعين في الجامع والجالسات في بيوتهن، إذ كان الحاضرون يتقدمهم الأمير والرؤساء وبعد فراغها أدوا التحية والإجلال وذهبنا إلى موضع قد أعده الأمير أمام قصره ليتناول الند والطيب وكان المجلس برحة من دون حائط قد فرشت بالمفروشات الحسنة، وما أن اطمأن بنا المجلس حتى جاء مندوب القاضي يدعونا إلى وليمته التي دعي إليها الكبراء والمدراء والرؤساء وعلى رأسهم الوكيل وقد طلبوا منا تكرير الزيارة وتعلقوا راجين تحقيق ذلك وطلبوا منا السعي في جلب وعاظ ومرشدين إلى جهتهم ليعلموا ويبينوا ويرشدوا ثم سرنا راجعين إلى تبوك. أما عن محتويات مدين فإنها كما يلي: (١) مركز إمارة (٢) محكمة شرعية (٣) شرطة وأمن (٤) مستوصف (٥) تلغراف لاسلكي، وفيها مسجد تقام فيه صلاة الجمعة وأربعة مساجد عادية وفيها مدرسة ابتدائية أما عن حقل فهو قريب من العقبة وهو من آخر المراكز السعودية فكان يقع جنوب العقبة بما يقارب من ٢٥ كيلو وقد قيل إن العقبة هي أيلة التي ذكرها الله بقوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ ولما أن قدمنا إلى تبوك من الغد ذهبنا للسلام على الأمير سليمان التركي الذي كان قد عيل صبره في انتظارنا وقد التقينا بمكتبه بالأخوين العالمين عبد الرحمن بن حماد العمر وإبراهيم بن عبد الله بن ناصر بن عتيق وكانا قد طلبا من الأمير صراحة بالذهاب إلى الأردن ليأخذا جولة ويعظا ويرشدا وقد طلبوا مني صحبة المذكورين لكني لست راغباً في الذهاب إلى تلك الجهة، أما ما كان عن عين تبوك التي تقدمت الإشارة إليها فقد يوجد لها ذكر كثير نشرته المؤلفات العربية وذكر ياقوت الحموي في معجمه أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أمر ابن غريص بإسكان الباء اليهودي بطي هذه البئر وهذه هي الواقعة بجوار المسجد الذي أشرنا إليه وكان يجاور المسجد من جهته الشرقية مقبرة قديمة محاطة بسور ويذكر المؤرخون بأن هذه المقبرة تضم رفات أناس

من الصالحين من هؤلاء ذو البجادين الذي فرّ من عمه ونعيمه إلى رسول الله ﷺ وكان قبل ذلك ينتظر إسلام عمه فلما لم يسلم عزم على الهجرة إلى الرسول فتوعده عمه ابن أسلم أن يسلب منه جميع ما أعطاه ولما أن جرى من العم ذلك وجرده من ثيابه ناولته أمه بجاداً فقطعه نصفين اتزر بأحدهما وارتدى بالآخر وسار إلى الرسول فسمي ذا البجادين فلما تنعم برؤية الرسول ولقائه وأقر الله عينه بذلك مؤثراً خشونة العيش والعري إذا لم يحصل المقصود إلا بذلك وافاه أجله في غزوة تبوك وقضى نحبه فصلى عليه الرسول ﷺ وحمل إلى لحده وأبو بكر وعمر يدليانه ولما صف عليه لبناته وأراد أن يخرج من القبر ليهيلوا عليه التراب رفع الرسول يديه وقال: «اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارضَ عنه» فصاح ابن مسعود يقول: يا ليتني كنت صاحب القبر.

ولما أن رأى الأمير سليمان عزمنا على السير طلب منا الإقامة لديه حتى يكون السفر ليلاً وبعد تناول مائدته التي دعا إليها أناساً من الأعيان ومن بينهم عاشق اللحاوي شيخ الشرارات كما أن مع المدعوين فضيلة الشيخ رئيس المحاكم صالح التويجري وكان الأمير قدس الله روحه قد عرض على زيارة المسجد الأقصى ويا حبذا لو حصل لنركع فيه ونسجد ما تيسر لنا هناك ولكنه يعكر الأجواء استيلاء اليهود عليه فهذا الذي قد فتَّ من عزمنا أما ما كان من عاشق اللحاوي فإنه قام بدعوة لنا إلى الجوف وما إلى ذلك غير أنا أقنعناه بأن الظروف لا تسمح بذلك ولكننا وعدناه بذلك آجلاً ثم ركبنا الطريق راجعين.

وفيها في ضحى ١٤/ ١٢ نشب حريق في حفيز عبد الله بن محمد الكبير في قلب مدينة بريدة الكائن في البرحة الواقعة إلى جهة الشمال عن الجامع الكبير فاضطرمت النيران وسببت حريقاً فكانت ألسنة النار ملتهبة مخيفة في زمجرتها والرياح تصفر في لهبها فهب رجال المطافئ والدفاع المدني إلى ذلك الموضع مرتدين حلل الكفاح والعمل وجاءوا بجدهم وما يستطيعونه ليدفعوا ذلك الخطر المحدق وليقضوا على ألسنة النار المندلعة بين الحفيرات والخلائق بعد ما نهزم كل من كان

مجاوراً للنار بنفسه وانطلقوا فارين تاركين أموالهم وما يملكونه. ولقد كاد أن يعجز رجال المطافئ عن القضاء على ذلك الحريق لأنه زاد الطين بلة ما كان في تلك الحفيزات من الطيب الكالونيا الذي كان مادة عظمى للحريق كالبنزين غير أن الله تعالى وقى الأنفس البشرية من الهلاك وخمدت النيران بعدما التهمت كل ما أتت عليه فكانت مخلفاتها كومة من الرماد.

وفيها وفاة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم قدس الله روحه ونوّر مرقده وضريحه وهذه ترجمته: هو العالم الزاهد الورع التقي أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، ولد في قرية البير من قرى المحمل على بعد مائة كيلو عن مدينة الرياض في الشمال الغربي سنة (١٣١٢هـ) فأخذ يتعلم القرآن حتى حذقه في سن مبكرة ونشأ في عبادة الله وطاعته ثم أخذ يطلب العلم وكان في أخلاقه أنه متواضع متقد الفكر صريح لا يملق ولا يداهن ولقد اتفقت به في مكة المكرمة في أوائل شهر ذي القعدة من عام (١٣٦١هـ) حينما حججت بيت الله الحرام حجتي الثالثة بحيث كنت مبكراً في الحج فبعث إلي أحد الأحبة يطلب مني مواجهته في مكتبه الحرم الشريف وكنت لا أعرف شخصيته غير أني طلبت منه أوصافه لأعرفه بها فقال لي تجد رجلاً طوالاً أسمر اللون يعني قد لوحته الشمس سريع الحركة ملتهباً متواضعاً فحينما دخلت المكتبة المذكورة وكان يتولى إدارتها إذ ذاك محمد بن سياد الطبرستاني شيخ كريم الأخلاق حسن المعاملة جلست إلى جانب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وكنت عرفته بأوصافه التي وصف بها غير أني ويا للأسف سألت إنسان إلى جانبي أهذا ابن قاسم فأجابني بأنه ليس هو وكان لا يعرفه، وكان الموعد بيننا في الساعة الثالثة وبعد مضي ثلاثين دقيقة أصغيت في أذنيه وهو إلى يميني فقلت له يا أخي إن بيني وبين الشيخ ابن قاسم موعداً في الساعة والدقيقة ففزع واستوى قائماً وبدأني بالتحية والمصافحة والتقبيل، وهكذا كنت واعتذر بعدم المعرفة ثم أنه أطبق كتاباً بين يديه في أصله دفتراً كبيراً أراه يكتب ويمحي ويجمع فيه العبارات وهو مسودة حاشيته على شرح زاد المستقنع، وأخذ

بيدي بعد تبادل التحية الحارة وذهب بنا إلى بيته ماراً بالسوق حيث أخذ حبات من القثاء ودخلنا ثم جاء بالقهوة والشاي ثم جاء بالقثاء ووضعه على السفرة وبينما كنت أحادثه كلمته بيا شيخ فقال أرجو أن لا تخاطبني إلا باسمي فإنه أحب إليّ ولما أن استفسرته عن هذا اللقاء الذي منّ الله به علينا أبدى فرحه بذلك لما يجب على الإخوان من الاجتماع وتبادل الحديث ثم ذكر أن الشيخ محمد بن عبد اللطيف آلف الشيخ بعثه إليّ لما علم بقدومي إلى مكة لأن أنسخ له شرح السنة للبغوي، فذكرت له أن شرح السنة كبير ويحتاج إلى وقت طويل، غير أنه أبدى لي أن ناسخين يشتغلان فيه من جهته بحيث أن الكتاب ليس بموجود إلا في كتب خانة وهي مكتبة الحرم المكي، وبعدما أبديت عذراً أنني غريب وليس لدي مسطرة ولا حبر أسود ولا أقلام للنسخ تكون صالحة أجاب بأن أعمل على حسب القدرة وأن كل شيء فموجود في مكاتب باب السلام فاتفقت بالشيخ محمد رحمه الله ووجدت رغبته في ذلك العمل وأما المسطرة فلدى فلان الحاوي مسطرة صالحة فسهل الله الأمور وكنت عند حسن ظنهما بي فكنت أخذ الكراسة واذهب ليلاً فانقل ما تيسر حوالي أحد المصابيح في رحبة المسجد الحرام. وفي السنة التي بعدها كنت أوافيه في المسجد الحرام بعد المغرب والعشاء وجرى بيننا البحث في فضائل الشيخ عمر بن محمد بن سليم لأنه قد توفي في تلك السنة فأثنى على الشيخ عمر وذكر ماله من المناقب وترحم عليه وأثنى على تلامذته بما ذكرناه عنه عند ذكر تلامذة الشيخ عمر رحمه الله، وكان الرجل متواضعاً حسن المعاشرة والمحادثة وجعل يثني على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ويذكر مقاماته في الإسلام ونصرته له خاصة والدفاع عنه وتأييده له نعم كان الشيخ محمد بن إبراهيم مناصراً للشيخ عبد الرحمن بن قاسم ومدافعاً عنه بل وعن غيره بجاهه العريض وماله من الوجاهة عند الحكام فإنه قد يكون سداً عظيماً ودرعاً حصيناً يلوذ به في حياته المنكوبون والمغلوبون ولما للشيخ محمد بن إبراهيم من المواقف الدينية الجبارة التي يقفها لله عز وجل فلا يوقف في طريقه وذلك لأن الشيخ بن قاسم كان لا تأخذه في الله لومة لائم ومن

كان مثله فإنه لا يسلم من وشاية الأعداء وإني لأثني عليه وأنوه بـذكره وأسـأل الله أن يرفع منازله في الجنات العالية ذلك لما قام به من الأعمال التي يشكر عليها فمنها ترتيبه لرسائل أئمة الدعوة لقد قام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بعناية تامة لترتيـب هذه الرسائل بعدما كانت منثورة في مجلداتها الـتي طبعتهـا مطبعـة المنـار ويصـعب طلب المسائل المطلوبة منها فقد ألفها ونظمها تنظيماً فائقاً وسماها الدرر السـنية في الأجوبة النجدية وجاءت في أحد عشر جزءاً وقـد ذكـر أن سـاعده الأشـد في هـذا العمل الخيري هو الشيخ محمد بن إبراهيم وقد قرض عليها المـذكور والشـيخ عبـد الله العنقري ولكنها ويا للأسف طباعتها رديئة بالرغم من أنها طبعت مرتين الأولى في مطبعة أم القرى عام (١٣٥٢هـ) والأخرى في مطابع المكتب الإسـلامي في عـام (١٣٨٥هـ) وكلتاهما لم يعتن بطباعتها ولو أنها طبعـت بحـرف جميـل وورق جميـل لكان أولى خدمة لتلك الأسفار الجليلة.

ترتيبه لفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية

لما كانت فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيميـة مشـتتة في مشـارق الأرض ومغاربها وطبع الرجل المواطن مقبل الذكير أجزاء كبرى من تلك الجـواهر كما أن مطبعة المنار طبعت أخرى ويوجد في مجاميع نبذة منها فلأنها لم تستكمل ولم تحصل الفائدة منها فقد قام المترجم يفكر في جمعها وترتيبها وجعل يفتش في مكاتب نجد وغيرها لاستحصالها وبما أن نجد تعتبر أسعد الأقاليم بالانتفـاع بمؤلفـات شـيخ الإسلام وتداولها وتدريسها، ولما أن باشر تصحيح فتاوى أئمة الـدعوة النجديـة في مكة المكرمة فتش في المخطوطات الموجـودة بمكـة المكرمـة بمكتبـة الحـرم الشـريف فاستخرج منها عدداً مـن المسـائل كمـا تحصـل علـى مسـائل مـن بعـض العلمـاء الأفاضل ثم إنه عزم على ترتيب فتاوى ابن تيمية فضم الموجـود مـن المخطوطـات إلى المطبوعات بإشارة الشيخ محمد بن إبراهيم وأخذ في ترتيبها على وضـع الكتـب المتداولة بين العلماء لتسهل المراجعة ثم إنه سمع من بعـض رواد المكاتـب بوجـود

مسائل لشيخ الإسلام في دار الكتب المصرية فأجل طبعها وأجمع على السفر إلى مصر لهذا الموضوع في سنة (١٣٦٥هـ) فلم يقدر له ذلك، ولما أن أصيب بنكبة انقلاب السيارة التي أثرت على دماغه اختل نظام الدم في رأسه فأصابه من ذلك وجع شديد فسافر إلى بيروت للعلاج وفي صحبته ابنه محمد ولما استكمل الفحوص الطبية وأجرى له بعض العمليات التي لم تنجح توجه إلى مكتبة بيروت العمومية ولم يثن عزمه وهو فيه من المرض الذي أصيب به من جراء انقلاب السيارة وكان حازماً لأنه قد استصحب ما جمعه سابقاً من الفتاوى وفهرساً خاصاً بها مفتشاً فيها فلم يجد مسائل لشيخ الإسلام وذكر له أن ما كان فيها من المخطوطات قد نقل لإحدى الدول منذ زمن طويل ثم فتش في مكتبة الجامعة الأمريكية فلم يجد فيها شيئاً، وكان مستصحباً ورقة فيها أرقام لثلاث مسائل في المكتبة الظاهرية ذكرها له بنص من زار المكتبة من العلماء فبعث ابنه إلى دمشق لنسخها وبذل مجهود في هذا السبيل مع ما كان يقاسي من شدة المرض ومواصلة العلاج فدأب نجله محمد في مواصلة العمل والتفتيش حتى ذهب إلى المكاتب الأهلية بدمشق وحلب وحماة وسافر إلى بغداد وبعدما حصل على ما تحتويه بلاد الشام وطن شيخ الإسلام وجعل يبحث وينقب في بغداد ومكاتبها وأراد أن يسافر إلى البصرة والكويت وتركيا غير أن صحة والده كانت متأخرة بحيث أقام الشيخ في بيروت ثمانية أشهر فاضطر إلى الرجوع إلى والده ببيروت وعاد إلى الرياض ثم أنه سافر الشيخ عبدالرحمن إلى باريس عن طريق القاهرة يصحبه نجله محمد وذلك لما يريده الله تعالى من إبراز مكنون فتاوى شيخ الإسلام بحيث جعل الله عز وجل مرض المترجم سبباً للسفر إلى فرنسا ولما أن وصلا إلى القاهرة قاما بزيارة دار الكتب المصرية وتصفحا ما تحتوي عليه من المجاميع التي لم تكن موجودة لديهما ولما أن وصلا إلى فرنسا أجريت له عملية وتماثل للشفاء فذهب إلى مكتبة باريس الوطنية وتتبعا ما فيها من الفهارس المطبوعة باللغة الغربية للمخطوطات الموجودة في باريس ولندن وبرلين وفيينا وبعض فهارس مخطوطات تركيا وغيرها، ولما أن كان في عام

(١٣٨٠هـ) أمر الملك السابق سعود بن عبد العزيز بطبع هذه الفتاوى وأمر أيضاً أن يدفع من المبالغ ما تحتاجه إليه هذه المجموعة لتجهيزها للطبع وما يحتاج إليه التصحيح وكان قد ساعد على ذلك بإرشاداته وإشرافه وتوجيهاته رئيس القضاة في المملكة العربية فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم ولما تكامل جمعها من مصر وأوروبا إصدر الملك سعود أمره بطبع خمسة آلاف نسخة وقدرت تكاليف طبعها وتجهيز الكتاب للمطبعة بمبلغ يزيد على مليون ريال أمر الملك بدفعها فبرزت في ٣٧ مجلداً بفهارسها وما يلتحق بها وكانت طباعتها ممتازة جداً فأما الثلاثون الأولى فطبعت في مطابع الرياض وأما السبعة الأخيرة فأمر بطبعها الملك فيصل بن عبد العزيز في مطبعة الحكومة ولقد علم الله من حسن نية شيخ الإسلام فنشر هذه الفتاوى وقام بطبعها للمرة الثانية صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وكانت إعادة طباعتها برجاء من العالمين الفاضلين عبد الله بن محمد بن حميد وعبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى الملكين الكريمين ذلك لأن الطبعة الأولى أوشكت على التقسيم على العلماء المتأهلين وكان صدور الأمر من الملك السابق سعود في عام (١٣٧٤هـ). ومن مؤلفات المترجم حاشيته على الروض المربع وتقع في سبع مجلدات ضخمة أتى فيها بالعجب العجاب فهي موجودة وتكررت طباعتها بالورق الصقيل والحرف الجميل وخدمة بتوفيق من الله تعالى، ومن مؤلفاته إحكام الأحكام شرح أصول الأحكام رأيت منه ثلاثة أجزاء، ومنها مختصر كتاب اللطائف، وله تعليق على الرحبية وله تعليق على الأجرومية وله حاشية على ثلاثة الأصول، وحاشية على كتاب التوحيد، ومنها مقدمة في أصول التفسير وحاشية عليها، ومنها الصارم المسلول في الرد على عابد الرسول، ورسالة في تحريم حلق اللحى، وله إلمام بالتاريخ حتى أنه اشتغل بالتاريخ وجمع الشيء الكثير لكن قضية وقعت له بسبب التاريخ جعلته ينصرف عن ذلك وذكر بعض الأدباء أنه اطلع على كراريس من تاريخه وأنه وجدها وافية لكنه عدل عن ذلك.

أعماله التي كان يمارسها

أما عن أعماله التي كان يمارسها فقد كان مدرساً في المساجد وفي خدمة الكتب والإشراف على طبعها ويعلق ويفيد وبضاعته العلم ونشره فكان قد اشتغل بطلب العلم منذ صغره وتلقى عن عدة علماء أجلاء فأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبداللطيف وأخذ عن الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ وأخذ عن الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقري وأخذ عن الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ وأخذ عن الشيخ أحمد بن فارس وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ويكفي المترجم شرفاً أخذه عن هؤلاء الأجلاء ولقد أثنى عليه مشائخه وامتدحوه ورضوا عنه وقد عمل مدة في مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ثم تولى إدارة المكتبة السعودية بالرياض، وأخيراً قبل وفاته بثمان سنين طلب الإحالة على المعاش واعتزل الأعمال وبقي في مزرعته في (المعيذر) قرب العمارية حتى توفي. وكان خائفاً وغير مرتاح للأوضاع التي كانت عليها الأمة من الناحية الدينية والاجتماعية ويخشى من الانجراف لما شاهده في البلاد المجاورة من العقائد المنحرفة وأنواع المعاصي الظاهرة ويخشى من حلول النقمة وأن يصيب قومه ما أصاب الآخرين وكان إلى جانب تضلعه في العلوم الدينية والعقائد له إلمام كبير بالنواحي السياسية والاجتماعية وله سؤالات وانتقادات ويسأل زائريه عن أخبار الساسة لأنه لا يستمع إلى المذياع، ولقد قام المترجم بجهود جبارة تقصر عنها وثبات المطاولين وبما أنه يعمل بمقتضى هذا المثل ما لا يدرك جلُّه لا يترك كله فإنه عمل أسباباً لطبع كتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب التخويف من النار، وكتاب أهوال القبور وكلاهما من مؤلفات الحافظ ابن رجب وديوان الشيخ أحمد بن علي بن مشرف مصحوباً في ميمية شمس الدين ابن القيم ونونية القحطاني ونبذ من قصيدة ابن عبد القوي، وجعل لهذه مقدمات وتراجم لأصحابها ورام أن يصدع بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم ولكي يعلم أعداء الشريعة أن في الحياض من يذود عنها وفي سبيل الله ما لقيه من المشاق

والأتعاب ومن سبر حالته وصبره وتمسكه بالدين فإنه يبكي لحالته والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وقد قلت في هذه المناسبة:

هو العلم المشهور من فاق ذكره ... وكان لعمري أية في الفضائل
صبوراً على كرب الزمان ومره ... وينشر دين الله ليس بغافل
له قدم طولى لتبين واجب ... وكشف لثام المشكلات النوازل
يصول بقال الله قال رسوله ... مجداً ولا يخشى ملامة عاذل
يغوص على مكنونها مخرجاً لها ... بحسن بيان مدركاً للمسائل
قضى عمره في خدمة العلم والنها ... وتحقيق برهان ودفع الأباطل
فيا عابد الرحمن عشت معززاً ... وفزت من المولى بأعلى المنازل
ألست الذي قد قمت لله جاهداً ... بتقرير مسنون وكشف المشاكل
ليهنك ما ترجو من الله وحده ... وما الله عما تعملون بغافل
جمعت فتاوى قام فيها محقق ... إمام جسور لا يميل لعاذل
كفانا بها عن مشكل البحث جهبذ ... وحبر نبيل ماهر في الدلائل
سقاه بتيار المعاوف ربه ... فسبحان ربي مسدياً للفضائل
فأصبح مجموعاً للهداية كافياً ... بترتيب تحرير كفى في المسائل
عليك سلام الله حياً وميتاً ... وغفران لرب العرش يا خير راحل

وبما أنه لقي مشقة في جمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية من مظانها وكان قيداً أوابدها حتى حصل عليها فإنه كابد المشاق أيضاً في استحصال فتاوى آل الشيخ وأئمة هذه الدعوة وترتيبها ولم يثن عزمه عدم مساعدة الظروف والصعوبات التي كابدها والأخطار التي واجهها، ولكنه ما وهن ولا استكان والله يحب الصابرين وأسر لي ثقة ببعض ما ناله في هذا السبيل وفي كلامه الحكمة إياك والسأمة فتقذفك الرجال خلف أعقابها فكان لا يعتريه ملل ولا كآبة وقد ساعده على ذلك حسن الخط وسرعة الكتابة وقد جعل تراجم لأولئك الأئمة المهديين في جزء من هذه المجموعة ولما أن أصيب بحادث انقلاب السيارة قبل وفاته بعشرين عاماً وأجريت له

العملية الأخيرة في فرنسا ونجح بعض النجاح تحسنت صحته غير أن المرض لا يزال يعاوده فكان يتناول حبوباً مهدئة باستمرار حتى توفاه الله تعالى في ٨ شعبان من هذه السنة، ووافاه أجله المحتوم رحمه الله وعفى عنه فصلى عليه في جامع الرياض الكبير وشيعه خلق كثير إلى قبره وحزن عليه المسلمون وترحموا وقد رثاه الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل بهذه المرثية التي أبانت مواهبه وخصاله الحميدة.

مصاب على الإسلام بين العوالم ... على العلم والدين القوي الدعائم
رحيل رجال العلم والمجد والتقى ... أولي الصدق والإخلاص من كل عالم
نجوم الهدى والرشد والحق والعلى ... رجوم العدا من كل غاو وآثم
فكم فاضل حبر جليل مهذب ... حكم عليم ثابت الجأش حازم
تصرمت الأيام أيام عمره ... وبات بأطباق الثرى المترادم
وفي اليوم ذا تجري الدموع غزيرة ... كهتان وبل من خلال السواجم
وتنقذ الأحشاء حزناً ولوعة ... تجيش بها الأشجان مثل الصرائم
لفقد التقي الألمعي أخو الوفا ... أخي السبق في شأو العلى والمكارم
هو العابد الرحمن نجل محمد ... أكيد الإخاء الشيخ الأديب بن قاسم
هو الصالح المحبوب والناصح الذي ... يسير على النهج المنير المعالم
على الأصل والتقوى وحسن عقيدة ... وصحة إيمان على الرشد قائم
عفاف وزهد صادق وتورع ... وحسن اعتناء في الأداء والتفاهم
ونصح وإرشاد وحزم وغيرة ... بحكمة واع مشفق غير ناقم
وحرب على الإلحاد والغي والردى ... وكل انحراف ذائع أو جرائم
سخاء ونبل فائق وسماحة ... وعون مع الإخوان أوفى مساهم
وترتيل آيات الكتاب تدبراً ... وخشية رب بالسرائر عالم
مفيد بما يدري وما صح علمه ... بحسن بيان واضح غير كاتم
وما ليس بالمعنى عنه بمعزل ... وعن كل خوض سيئ أو تخاصم
له في سبيل العلم والحق والهدى ... جهاد بمجهود الدؤوب الملازم

فنون بحوث ضم بعضاً لبعضها — بترتيب فن لائق متلائم
له القلم الموهوب عزماً وقوة — بخط رشيق شيق السطر راقم
بعزم وجدٌّ واهتمام مواضب — لم يثنه وهن ولا لوم لائم
فلله شوق في المعارف والعلى — بهمة صبار قوي العزائم
ويكفيك عن عد الخصال لما جد — عظيم مساع في سجل الأكارم
فقد طار في الآفاق بالخير ذكره — وسار إلى أدنى وأقصى الأقالم
فنرجو له خير الثواب مضاعفاً — بواسع إحسان من الله دائم
وأن يخلف المولى بخير تكرماً — ويجبر صدعاً في المصاب المداهم
وسبحان رب دائم أبدع الورى — ويفني الورى محيى العظام الرمائم
وكل ملاق في الحساب جزاءه — وما الله يوماً للعباد بظالم
فيا نعم من يلقى السعادة فائزاً — وبئس لحظ خاسر الربح نادم

خلف المترجم أنجالاً صالحين أكبرهم عبد الله ثم محمد الذي كان عضد والده الأشد ومساعداً له في آخر حياته وقد تخرج من كلية الشريعة وقام بالتدريس فيها مدة، وينتدب لتصحيح بعض كتب و الده وأحمد أمين مكتبة كلية الشريعة وسليمان وسعد وناصر وحمد هذا آخر ترجمة الشيخ ابن قاسم فالله المستعان.

وفيها قامت الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ترثي لحالة المسلمين الذين في فلبين بحيث أوذوا في ديارهم وأموالهم وأولادهم ونسائهم وأنفسهم، وقام المسيحيون يريدون إلزامهم بأن يعتنقوا دين المسيحية وبعثوا إليهم رسائل التهديد تنذر وتحذر بأنهم إذا لم يعتنقوا دين المسيحية فإنهم يؤخذون بالقوة ويكون الموت مصيرهم وقامت الصحف الإسلامية تدعو إلى الضغط على حكومة الفلبين لأن تضع حداً لهذا الاستهجان وإيقاف المجازر ضد المسلمين وقد تلقى زعيم من زعماء الفلبين خطاباً من المسيحيين جاء فيه ما معناه نناشدك بأن يتحد المسيحيون والمسلمون تحت إله واحد عن طريق دين المسيح فأيامك أصبحت معدودة كزعيم للمسلمين.. الخ. في كلام طويل مما بعث المسلمين في سائر أنحاء المعمورة يشقون

جيوبهم للانتصار لأولئك المسلمين الذين يهددهم الطغيان الجارف بالجلاء عن بلدانهم والتحكم فيهم بالإيذاء والتجريح والتشديد ليشمل دين المسيحية أكبر رقعة من هذا العالم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفيها في اليوم ٢٥ من شهر شعبان من هذه السنة قدم سموالأمير الشهير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي إلى الرياض عائداً من بيروت لأنه قد سافر للاستجمام هناك وإراحة نفسه أن عبد العزيز بن مساعد من رجالات الحكومة السعودية وقضى واجباً يشكر عليه في خدمة أمته وحكومته فهو أمير حائل لما فتحها المغفور له الملك عبد العزيز عام (١٣٤٠هـ) ولاه إمارتها لما كان يعهده عنه من الثقة والكفاءة وليكون محافظاً على الحدود الشمالية فدخل في هذه الإمارة الجوف وما يليها من وادي سرحان وعرعر والقريات فقام هناك خير قيام ولكنه لما بلغ التسعين من عمره طلب من الحكومة أن تعافيه من العمل ورغب في لزوم العبادة ليكمل بقية عمره في راحة بمدينة الرياض وجلس فيها مكرماً محترماً عزيزاً محتشماً وسيأتي بقية ذكره في سنة وفاته.

غريبة من الحوادث

ففي هذه السنة ولدت عنز لها ثمان آذان وأربع أرجل وأربع أيدي وذنبان جزؤها الأعلى متصل من الصدر وجزؤها الأسفل منفصل، لها رأس واحد يشبه رأس القرد وعينان، والله على كل شيء قدير، وقدرة الله صالحة وقد أحضرت لفترة في متحف كلية العلوم بالرياض وأخذت لها رسوم.

وفيها قامت بلدية مدينة بريدية بتوسعة شوارع في المدينة وسفلتتها فقامت المعدات تهد يمنة ويسرة وكان من هذه الشوارع شارع يمتد من شارع الصناعة إلى جهة الشرق حتى يصل بشارع الخبيب ومن هذه الشوارع شارع المياه الذي يمتد من شمال المدينة إلى جنوبيها مخترقاً حارة العجيبة ماراً بالشقيري ثم السبيع ثم يتجه إلى الشرق ماراً بربيشة وكان الأهالي قد كانوا متعبين من الفيضانات فجعلت الحكومة

ذلك المشروع الذي خفف من وطأة الفيضانات وجعلتها بشكل هندسي يشير إلى خزانات أرضية ثم تدفعه الدفاعات إلى جهة بعيدة عن المدينة كما أنها كثرت الإصلاحات في كل من مدينة عنيزة والبكيرية والخبراء ورياض الخبراء والرس وغيرها وقد تقرر سفلتة ثمانية وعشرين شارعاً في مدينة بريدة رصد لها سبعة ملايين ومن شوارع مدينة عنيزة والتي وقعت عليها التوسعة والسفلتة، الشارع الرئيس الذي يحف الجامع الكبير من الجهة الجنوبية كما تم ترسية مشروع سفلتة وأرصفة في مدينة المجمعة وإنارتها بحيث بلغت تكاليف مدينة الجمعة في هذه السنة مليون وثلاثمائة ألف ريال وستة وأربعين ألف ريال وستة وسبعين ريالاً، وجعلت مدة التنفيذ ١٢ شهراً.

وفيها تم ترسية مشروع تعبيد طريق بريدة إلى الرياض لتوفير خط تنقص به المسافة بين البلدين على شركة ابن ربيعة والنصار وهذا الطريق شرقي مدينة بريدة يمر بمزارع سمو الأمير متعب بن عبدالعزيز إلى روضة الربيعية ثم يأخذ يمنة إلى جهة الجنوب ماراً بقرية الشماسية حتى يستوعبها كلها ثم يمتد إلى جهة المستوي ماراً بالزلفى، وبما أن الزلفى بين رمال عظيمة وهناك منخفضات ومرتفعات فإن العمل واجه كلفة ومشقة، ثم يمر الطريق بالغاط متمداً إلى المجمعة إلى روضة سدير وحوطة سدير إلى ثادق وحتى يتصل بالرياض، وكان فتح هذا الطريق مفيداً للحجاج الذين يأتون من الجهة الشرقية، كما أن عاصمة القصيم بريدة استفادت منه وأصبحت تضاهي مدينة الرياض وجدة ومكة المكرمة والمدينة المنورة والإحساء والظهران مما كان يحسدها عليه المدن الأخرى وقد ابتدأت الشركة في غرة محرم من هذه السنة وعقدت الحكومة عزمها على إصلاح خط حائل يمتد من مدينة بريدة فينفصل من بين الشقتين حتى يصل إلى شري فالأجفر حتى يصل إلى مدينة حائل وقام العمل على ثلاث شركات وطنية يسير على قدم وساق لإنجاز هذا الخط دون توقف يعرقل الحركة، كما أنه في ١٢ ذي القعدة أمرت الحكومة بإنشاء مبنيين للهاتف الآلي في مدينة بريدة وعنيزة فقامت وزارة المواصلات بتنفيذ هذا المشروع وبلغت

تقاويم هذا العمل أكثر من أربعة ملايين ريال، وقام لذلك العمال يدأبون في حفر الأرض في المدينتين لما يتطلبه المشروع وتقرر أن يتم إنجاز العمل في مدة تبلغ خمسمائة يوم ابتداء من تاريخ تسليم موقع العمل، وقد قامت وزارة المواصلات بإنشاء واحد وسبعين ألف خط وستمائة خط هاتفي في كل مدن المملكة، كما أنه قد جرى قبل ذلك تشغيل ٧٦٠٠٠ خط، كذلك قامت وزارة المواصلات برئاسة عمر توفيق حينما كان وزيراً في المواصلات بمشروع ٩ ملايين لمباني مراكز التدريب للمواصلات السلكية واللاسلكية والإذاعية بجدة، وهذا يعتبر من نشاط هذه الوزارة، أما عن وزارة الحج والأوقاف برئاسة حسن كتبي فقد قامت ببعث ١٥٠ ألف مصحف ليتم توزيعها على المساجد في المنطقة الوسطى والشرقية بمناسبة دخول شهر رمضان، ورممت بعضاً من المساجد.

إصلاح مجاري مدن المملكة

لقد رصدت الحكومة السعودية مبلغ تسعمائة مليون ريال لتنفيذ مجاري مدن المملكة وقد صرف منها إلى ٦/٣٠ من هذه السنة ما قيمته ثلاثمائة وتسعة وعشرون مليوناً وثمانية عشر ألفاً وتسعمائة وخمسة وثلاثون ريالاً والعمل جاد في سيره.

وفيها أمرت الحكومة السعودية بجعل وجبة يومية لتغذية الطلبة في المدارس واعتمد للصرف تسعة ملايين ، وذلك في ٢١ شعبان ابتداءً بعدما رسى المشروع على شركة أبو الجدائل، وهذه الوجبة تكون يومية مركبة من علبة كرتون تحتوي على شابورة زنة ١٠٠ غرام وعلبة حليب من الورق أو من الصفيح وقطعة جبن زنة ٣٠ غرام وفاكهة مجففة زنه ٥٠ غرام تمراً أو تين أو مشمش مجفف ومغلف وعلبة صغيرة من المربى ولا ريب أن هذه خطوة خطتها وزارة المعارف لكنها لم تنتظم في هذه السنة.

وفيها في صباح اليوم ٥ من شعبان قام الفدائيون الفلسطينيون بهجوم عنيف على مصنع إنتاج الكرتون التابع لليهود فدمروه بالعبوات الناسفة المتفجرة وكانت شديدة الانفجار جداً فاشتعلت النيران في جميع محتويات المصنع ودمروه عن آخره، وقام أحد الفدائيين في مساء ذلك اليوم فألقى قنبلة يدوية على سيارة عسكرية يهودية في ميدان فلسطين في ميدان غزة فنتج عن ذلك الانفجار إعطاب السيارة وجرح وقتل من كان فيها، هذا ولا تزال مشكلة اليهود في فلسطين تتطور حتى بلغت أوجها في الفظاعة من سجن وإهانة وتحكم ويأخذون العشرات والمئات فيزجونهم بالسجون ويأخذون بتعذيبهم على ما تقتضيه إرادتهم.

كما أن في هذه السنة تم نقل اثنين وثلاثين قاضياً من موضع إلى موضع.

حادثة من الحوادث

وقع في سيلان حدوث انهيار أرضي من جراء الأمطار الغزيرة المتواصلة هلك بسببها حوالي أربعين شخصاً قد دفنوا تحت الأتربة والأنقاض وقد حاول رجال الإنقاذ الوصول إلى الضحايا الموجودين تحت الأنقاض، هذه فاجعة ليست بعادية هلك بسببها نفوس وأموال كثيرة.

وفيها قامت الحكومة السعودية برصد ٦٤ مليون ريال ونصف مليون لتطوير سلاح الحدود، وذلك أداء لما يفرضه الواجب وتشجيعاً للمرابطين وتقوية للجيش.

إنشاء مصنع كسوة الكعبة

إن الحكومة السعودية لا تزال جادة في خدمة الحرمين الشريفين ويكفي أنها حصلت في سقف الكعبة المشرفة بعض التصدعات فقامت الحكومة بجد ونشاط لإصلاح ذلك، وقد أشرنا إلى ذلك في عام (١٣٧٧هـ) ومن أراد بسطها فليراجع الجزء الرابع من تاريخ الكعبة لمحمد طاهر الكردي فإنه بسط ذلك التعمير في كلام طويل، وفي هذه السنة أنشأت الحكومة السعودية مصنع كسوة الكعبة بمكة المكرمة، وبلغت تكاليف إنشاء المصنع ٢٥٣١١٢٣ ريال، وهذا إضافة إلى ما بلغت تكاليف

معدات الآلات للمصنع المذكور بحيث بلغت تكاليف هذه المعدات ٤٣٧٧٦٠ ريال وهذا مما يدل على الاعتناء بالأماكن المقدسة وعلى رأسها بيت الله الكعبة المعظمة وقد تقدم أول تأسيس لدار الكسوة في المملكة العربية السعودية قبل هذه السنة بست وأربعين سنة ولا ريب أن أول المطر قطر.

أمطار على الأماكن السعودية

لما كان في أنواء الوسمي هطلت أمطار كثيرة غزيرة على القصيم وتوالى نزولها ومن العادة التي أجراها الله عز وجل أن الوسمي إذا كثرت أمطاره ينزل الله فيها البركة ولا سيما الكمأة فعلى آثار هذه الأمطار اهتزت الأرض وربت وأنبتت من كل زوج بهيج وكثر الإقط والسمن والكمأة ورخص السعر بحيث كان الكيلو بريالين وقد يذهب الذاهب إلى بيوت الشعر من البادية النازلين في الفيافي حوالي المدن فيجد كيلو الكمأة يباع بريال، وكان معظم الكمأة موجوداً في برج الدلو كما عم الكلأ والعشب الكثير بحيث لم يوجد مثل ذلك في السنين الأخيرة، وكانت البادية قد أخصبت جداً بحيث توفر لديهم في موسم خمسة أشياء بكثرة الإقط والسمن والكمأة والعشب والألبان. وكنت ذهبت في يوم من تلك الأيام إلى الضلفعة للوعظ والإرشاد فكنا نمر على بيوت الشعر في الطريق فنجدهم يتحدثون عما فيه من النعم والغبطة ويثنون بالشكر على الله سبحانه وتعالى، وكانت قد اشتدت وطأة البرد في يوم الثلاثاء ٢١/ ذي القعدة رابع الجدي بحيث كانت الدرجة في القصيم قد نزلت إلى ثمان تحت الصفر وتجمدت المياه ونزل جليد وبرد بإسكان الراء شديد في الرياض وما يليه وبلغت الدرجة في تركيا إلى ٢٥ تحت الصفر، وذكرت الأنباء في مصر أنه خرب من البرتقال والتفاح ما يبلغ حوالي ٢٥ ألف طن كما وردت الأخبار على جهة التحقيق من حائل وما يليها إلى عرعر أن مواسير المياه تكسرت من جمود المياه فيها وسألت أمير حائل في مجلس ضمنا لدى أمير منطقة القصيم فهد بن محمد بزيارة زار بها القصيم أحقاً ما يقال عن ذلك فقال نعم وأروها عني واستمر البرد بهذا الوضع اثني عشر يوماً.

وفي هذه السنة أصيبت الأمة في شهر رمضان المعظم وأوائل شهر شوال بمرض الحمى غير أنها خفيفة فلم يهلك أحد بسببها ولله الحمد.

وفيها في أوائل العشر الوسطى من ذي القعدة شبَّ حريق هائل في مدينة بورما تشرد بذلك الحريق أكثر من أربعين ألف شخص في جنوبيها، ولما أن هرعت رجال المطافىء لذلك هلك ضحية منهم خمسة رجال ودمر ذلك الحريق أكثر من سبعة آلاف منزل وعدد من المدارس والمخازن ودمر أيضاً ذلك الحريق ما مر عليه.

كتب أثرية ومخطوطات نادرة تلتهمها النيران

أصيبت مكتبة ضخمة بيفلادلفيا أ.ب بحريق عظيم وكانت هذه المكتبة تضم كثيراً من الكتب والمخطوطات النادرة، وقد بدأت النيران من مكاتب الإدارة ثم انتشرت في المبنى بكامله ولم يستطع رجال الإطفاء السيطرة على النيران إلا بعد ساعة كاملة كانت فيها ألسنة اللهيب تلتهم جميع محتويات المكتبة فيما عدا ٣٠٠ كتاب وفهرس المكتبة وذهب البقية ضحية ذلك الحريق وتقدر الخسائر المادية بحوالي خمسة ملايين دولار عدا الكتب الأثرية التي لا تقدر بثمن وقد اشتعلت النيران عندما كان حوالي ٦٠ شخصاً في المبنى لكرامة لم يصب ووقى الله سبحانه الأنفس البشرية من هذه الكارثة التي كانت خسارة في صرح المبنى العلمي.

إعصار وفيضانات تضرب الفلبين

أصيب وسط الفلبين بفيضانات وإعصار تركت ما لا يقل عن مائتين وأحد عشر قتيلاً وشردت نحو ٢٠٠٠٠٠٠ إنسان وذكر أن ألوف الناس يعانون المجاعة من جراء الإعصار الذي ضرب المنطقة الوسطى من الفلبين وتسبب في وقوع أسوأ فيضانات عرفتها البلاد منذ أكثر من قرن. وفي ١٥ جمادى الآخرة اشتبكت قوات الجيش الفلبيني مع جماعات فيها جائعة حاولت الاستيلاء على شحنات الأغذية التي وصلت بطائرات هليوكبتر لإطعام المنكوبين من الفيضانات التي ضربت وسط الفلبين وأفادت أنباء أولية أن الجنود أطلقوا عيارات نارية تحذيرية في الهواء لتدفق

مئات الجائعين الذين هجموا على طائرات الهليوكبتر وكنت أظن أن الله عز وجل عاقب هذه الدولة بما كسبت يداها وهو أذية المسلمين واضطهادهم لإلزامهم بأن يكونوا نصارى.

إسلام ٤٥٠ مسلماً بأفريقيا

أعلن في مدينة أمبرارا بأفريقيا إسلام ٤٥٠ واعتنق أولئك الإسلام وهذه حالة تبشر بخير في انتشار الإسلام في تلك الجهات.

وفيها رخصت الحكومة السعودية بإنشاء وتوسعة عدد من المصانع الوطنية منها مصنع زمزم للبلاستيك بمكة المكرمة برأس مال قدره ٧٨٥٥٧١٩ ريال لإنتاج حافظات التبريد الثلاجات وأغطية كراسي الحمامات والحقائب اليدوية وحافظات الخبز، ومنها مؤسسة مصنع الألبان والبوطرة الوطني بالخبر بحيث يصبح رأس مال المصنع أربعة ملايين وتسعة وأربعين ألفاً وتسعة وستين ريالاً، ومنها توسعة شركة الطباعة والنشر الوطنية مطابع الرياض بحيث يصبح رأس مالها مليوني ريال، ومنها توسعة المصنع الأهلي لصناعة المناشف الوطنية بجدة بحيث يصبح رأس ماله ٥٠٠٠٠٠٠ ألف ريال، ومنها الترخيص لمصنع الزبدة السعودي بجدة برأس مال قدره مليون ريال، ومنها إقامة مصنع الصلصة وعصير الطماطم بمدينة الرياض برأس مال قدره تسعة ملايين.

وفيها أصيبت مدينة الدرعية بعاصفة حادة شديدة جداً وكان الأعيان قد أقاموا هناك احتفالاً بنوا له خياماً وزينة فهبت العاصفة بموجة قوية شديدة قلعت الخيام وأطارت الأواني وأصيب أناس من الخدم الذين حواليها بحيث حملت العاصفة أحد الفراشين فذهب يتقلب كأنه كرة إلى قدر من ثلاثة عشر ذراعاً وقد يجري بقدرة الله زوابع شديدة لكنها نادرة ففي أحد أيام سنة ألف وثلاثمائة واثنتين وسبعين كنت في البدائع الوسطى بدعوة من بعض أصحابنا إليها ولما أن كان بعد صلاة العصر ونحن في صحراء واسعة قريبة من المباني هبت ريح عاصفة وكان

الرفقة خمسة فما كان منهم إلا أن استمسكوا بأصول الشجر حتى سكنت ولولا ذلك لاحتملتهم وكان من بينهم شيخ هرم يدعى بالعم ناصر انبطح واستمسك بشجرة حواليه وكان ضرب الحصباء كوقع إسهام في الأقدام ولما أن سكنت كانت جيوبنا مملوءة بالرمل الذي دخل فيها من شدة العاصفة كما نحمل فيها ثقيل الإحمال فسألت الحاضرين ومن بينهم العم ناصر هل يجري ذلك فأجابوا بأنه قد يصيبهم موجات من أمثالها وكنت أذكر أنه في رجوعنا من الحج عام اثنتين وخمسين بعد الألف وثلاثمائة هبت ريح ونحن رقود بين الظهر والعصر كادت أن تحمل بعض الرفقة وطارت الخيام والأواني فلم نحصل على الأواني إلا بعد سعي شديد خلفها كادت أن تلقيها في آبار ذلك الموضع الذي يدعي نعيرا وكانت أطناب الخيام لما طارت كالسهام لو أصابت أحداً قتلته لكن الله دافع وسلم الرفقة الذين كانوا لا يقلون عن مائة نسمة في زمن الحج على الإبل.

وفيها رشح محمود رياض بدلاً عن حسونة ليكون السكرتير العام لجامعة الدول العربية في منصبه وكان عبد الخالق حسونة أعرب عن رغبته في التقاعد.

وفيها وفاة سلطان مسقط سعيد بن تيمور الذي قد تنازل عن السلطنة لابنه قابوس في عام ١٣٩٠ هـ لما أطلقت عليه العيارات النارية فتنازل عن سلطنة مسقط وعُمان لابنه المذكور، وذهب للعلاج في لندن وكان عمره ٦٣ سنة.

وفيها وفاة حاكم عَمّان بتشديد الميم والأردن طلال بن عبد الله بن الحسن بن علي الشريف جلس على العرش بعد وفاة والده الملك عبد الله وزار المملكة السعودية وكان الحظ لم يساعده بحيث أنه لما سمع بوفاة والده سار من فوره من لندن إلى الأردن فجأة لأن حكومة بريطانيا لا ترى توليته على العرش بسبب حالته العصبية كذا يقولون على حسب تقريرها ولكن سرعان ما سمع بوفاة والده حتى قدم إلى الأردن وتوج ملكاً بعده وكان محباً للعرب وله ميل إليهم ومحبوباً لدى العشائر البدوية في الأردن والعرب لأنه يميل إلى التحرر من نفوذ الإنجليز والتخلص من سيطرتهم خاصة فيما يتعلق بالجيش فلما وصل إلى العرش بعد

مقتل أبيه حاول تنفيذ سياسته العربية فعارض كثيراً من المشروعات الإنجليزية وخالف أمورهم السياسية وتقرب إلى جيرانه من الدول العربية فقام بسلسلة من الزيارات للملوك والرؤساء وكان الوقت لم يحن للتخلص من استعمارهم فأحست بريطانيا بخطر هذه السياسة على مركزها ونفوذها في الأردن، فعملت على خلعه وتولية نجله الحسين وذلك بعدما تبوّأ العرش بسنتين، وكانت وفاته عن عمر يناهز الثانية والستين وعلى من أحب ترجمته مراجعتها في أواخر سنة (١٣٧٢هـ) فالله المستعان، وكانت وفاته على قرب من وفاة عمه زيد بن الحسين بن علي بحيث كان زمن وفاتهما متقارباً فرحمة الله على أموات المسلمين.

وفيها في أواخر ذي الحجة قام الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بزيارات تفقدية لكل من المدينة المنورة وحائل والقصيم فقامت الأمة في تلك النواحي والمناطق تبدي فرحها وسرورها لقدومه وزينت الشوارع الرئيسية بأقواس النصر وأنواع الزينات وقد أحبّ أن لا يكلف الأهالي بالولائم والخسائر وأنواع الأطعمة فتنفيذاً لطلبه ونزولاً على رغبته توجهت الأمة إلى هذه التوجيهات والتعليمات وسنذكر زيارته للقصيم في مستهل السنة القادمة إن شاء الله تعالى.

ثم دخلت سنة (١٣٩٣هـ)

في هذه السنة تكشف الخطر الذي تبيته روسيا لأفغانستان وبدأت الخطوات الشيوعية تتحدى شعور المسلمين فقام ابن عم الملك داود خان على ابن عمه الملك ظاهر شاه وخلعه عن العرش بمساعدة ومؤامرة من الروس الذين لا يزالون يغزلون للمكر بالإسلام وأهله كما فعلوا في التركستان، فقد قتل الشيوعيون في التركستان عام (١٩٣٤م) مائة ألف مسلم وبعدها بخمس سنين ألقت روسيا القبض على ٥٠٠ ألف مسلم فأعدمت فريقاً وأرسلت فريقاً آخر إلى مجاهل سيبيريا وبعدها بإحدى عشرة سنة قتلوا سبعة آلاف مسلم ونفوا ثلاثمائة ألف مسلم وعرب من التركستان نتيجة الأذى والتعذيب مليونان ونصف مليون مسلم

ومات ثلاثة ملايين تركستاني جوعاً نتيجة استيلاء الروس على محاصيل البلاد وفي سنة (١٣٥١هـ) ألقي القبض على ثلاثة عشر ألف مسلم وخمسمائة وخمسة وستين وأودعوا المعتقلات وهدمت المسجد وحولت إلى دور للهو بحيث بلغ مجموع المساجد التي هدمت وحولت إلى غايات أخرى في التركستان ستة آلاف مسجد وستمائة واثنين وثمانين ما بين جامع ومسجد وقتلت رجال الدين واستأصلت العلماء الدينيين وحكمت على اثني عشر عالماً دينياً بالأشغال الشاقة في يوغسلافيا وكان عدد المدارس والكتاتيب التي أقفلوها في التركستان يبلغ ٧٠٥٢ وهدم جامع ابن قتيبة وجامع الأمير فضل بن يحيى وغيرها ومساجد أثرية مثل منارة مسجد كالان في مدينة بخارى ومات من (١٩٣٢-١٩٣٤م) ثلاثة ملايين تركستاني جوعاً.

وفي هذه السنة فوجئت أفغانستان بالدبابات والطائرات الروسية وتزعم نور محمد تركي الذي قام بانقلابه بعد ست سنوات من هذه السنة وانتشر الفساد والفوضى واشتد هياج الشعب المسلم وانحاز المجاهدون إلى الجبال يعملون على إسقاط حكومة كابل الشيوعية مما أضعف موقف الضباط الشيوعيين وألجأهم إلى تصعيد المعركة مع الشعب المجاهد الذي عز عليه أن يرى الإسلام يذبح في بلده وبذلك وقعت البلاد تحت الاحتلال الروسي وحققت روسيا حلمها الذي كانت تعمل لتحقيقه منذ أمد بعيد. وذلك بعد هذه بسبع سنين أي في صفر عام (١٤٠٠هـ) وغزت أفغانستان ودمرت المنشآت واعتدوا على النساء والأطفال وقتلوا الأبرياء العزل بالأسلحة الممنوعة دولياً بحيث قتلوا زهاء مليون من شعب أفغانستان الذي قتل أهله في أرضه وهذا الاحتلال تم بخيانة الشيوعية القذرة الذين يلاحقون دين الإسلام ملاحقة بواسطة الذي تولى كبره منهم وانسلخ من دينه وأمته ولقد عرف الأفغانيون بشجاعتهم وبلائهم في القتال وصبرهم على خشونة العيش كما عرفوا بتمسكهم بالإسلام وآدابه وحرصهم على استقلالهم وحريتهم وما زالت حكومة كابل المدفوعة من قبل الروس ودباباتها وطائراتها بهم حتى قتلوا من رجال أفغانستان زهاء مليون وشردوا أكثر من مليونين كلهم ينتسبون إلى

الإسلام لجأوا إلى باكستان ليعيشوا في خيام، وهكذا فعل الروس بالمسلمين ولقد استطاع المجاهدون أن يكبدوا روسيا خسائر وقتلوا منها ثلاثين ألفاً ودمروا ثلاثة آلاف دبابة وقد حكم أفغانستان منذ القرن الثاني عشر أمراء محليون آخرهم محمد ظاهر الذي تولى الملك منذ (١٣٥١هـ) حتى الانقلاب العسكري في هذه السنة، منهم أمان الله خان الذي تولى البلاد وهي تحت حماية بريطانيا فاستل سيفه في يوم ٧ مايو عام (١٩١٩م) في الميدان العام أمام الجمهور وأعلن أنه لا يعيده إلى قرابه حتى يعيد لبلاده استقلالها الكامل وسيادتها التامة ثم أرسل على الفور إنذاراً إلى الحكومة البريطانية يطلب إلغاء معاهدة راوول بندي المعقودة مع جده ولما رفض الإنكليز إجابته إلى طلبه أعلن الحرب عليهم وأمر جيشه بقيادة السردار محمد نادر خان بمنازلتهم فوقعت معارك قصيرة انتهت بإجابة الحكومة البريطانية له وخضوعها لطلبه وسيأتي لذلك بقية إن شاء الله.

نشاط التعليم

قد أقبل فتيان المملكة السعودية وفتياتها على التعليم حتى بلغ مستواه، وفتحت الحكومة زيادة مدارس للبنات إضافة إلى ما تقدم وارتفعت ميزانيات المدن السعودية بحيث بلغت ميزانية الدولة اثنين وعشرين ألف مليون وثمانمائة ألف ريال.

زيارة الملك للقصيم

قد تقدمت الإشارة إلى ذلك، وفي غرة محرم قامت مدينة بريدة تسعد بزيناتها لقدوم خام الحرمين الشريفين الملك فيصل بن عبد العزيز وهبت الأمة وجلبت جمع النجارين لعمل أقواس النصر المزدانة بهياكلها مكسوة بفاخر القماش وأنواع الأصباغ واشترك في هذه الفرحة الأهالي والأجانب ممن يسكنون القصيم من اليمنيين والمصريين والفلسطينيين حتى بلغت أقواس النصر المقامة في مدينة بريدة التي اختار الجلوس فيها خمسة وثلاثين منورة باللمبات الكهربائية وكان في إحدى

هذه المقامة ستمائة لمبة ورفع عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله والسيفان والنخلة وكتب عليها رموز من الكلام المعبر عن الفرحة والسرور من مطار القصيم في المليداء إلى آخر فيحان جنوباً ورفعت الأعلام الخضراء في أعالي البيوت والمرتفعات. ولما أن كان في اليوم ٩/ ١ خرجت أبناء المدارس من سائر مدن القصيم فصفت صفين على ضفتي الشارع العمومي في مدينة بريدة من قصر الإمارة إلى مسافة سبع كيلو شمالاً ولكل مدرسة لواء أخضر ولائحة ولما أن كان في الساعة الرابعة تزيد عشر دقائق غروبياً من صباح يوم الاثنين توافق العاشرة زوالي قدم بسياراته يتقدمها سيارات الحرس وسيارات اللاسلكي الغارقة بالمدافع والرشاشات وكان الموكب عظيماً وكان قدومه من طريق حائل شمالاً وحينما وصل إلى قصر الإمارة يخترق الصفوف لتحية الجمهور في ساعة كانت العاصمة غاصة بالخلائق حاضرتها وباديتها في وقت كانت آيات الكتاب تتلى من كل دائرة قريبة يتقدم المستقبلين أمير المقاطعة فهد بن محمد بن عبد الرحمن عن يسار الملك فكان يتلقى جموع المستقبلين بصدر رحب وامتلأت الآفاق بالتصفيق، وبعدما أخذ راحته خرج إلى مخيمة في المليداء وكان أعد له هناك سرادق عظيم دعي له سائر مدن القصيم والقرى وأقام له الأمير فهد بن محمد مائدة عظيمة ومخيماً في قصر الفائزية دعي لها الأعيان والرؤساء لتناول طعام العشاء وأقام في الفائزية مناورة استعراض حضرها المدعوون بحيث نحر فيها عشر جزور وذبح لها مائتين وثلاثين كبشاً وامتلأ الفضاء بالسيارات حتى كانت ممتلئة بالخليقة وأنوار الكهرباء قد حولتها في ظلمة الليل كرابعة النهار وعاد إلى مخيمه بالمليداء الذي أقام فيه الأهالي حفلاً عظيماً لم تشهده تلك الفيافي قبل ذلك وأقيم هناك استعراض بعد العصر من يوم الثلاثاء إلى غروب الشمس شارك الأمراء فيه الأهالي حتى كانت قاعدة المليداء في كثرة من اجتمعوا فيها وما نصب فيها من الخيام كمنى في الموسم ولما أن كان في صباح يوم الأربعاء سار في الساعة الثالثة والنصف متيمماً الجنوب بموكبه إلى الرياض وكان لم يزر بقية مدن القصيم اعتماداً على ما وجهه من أن الاجتماع في العاصمة.

وفيها انتهت عمارة المسجد الحرام بعدما امتدت ١٨ سنة وشركة بن لادن تكابد تلك الأعمال الشاقة فأصبح المسجد الحرام منظره زاهراً وله روعة عظيمة في تلك البناية الضخمة وقد أقيم من طابقين بإتقان عظيم وفي كل ركن من أركانه الأربعة منارتان عاليتان بارتفاع ٩٠ متراً سوى الشرقي الجنوبي فواحدة بهذا كانت سبع منارات ولها منظر حسن وبلغت مساحة المسجد الحرام بعد هذه التوسعة ١٦٨ , ١٦٠ متر مربع وكانت مساحته قبل هذه التوسعة ٢٩١٢٧ وبلغت النفقات التي بذلت من خزينة الدولة السعودية لهذه العمارة والتوسعة أكثر من ٧١٠٠٠٠٠٠٠ تقابل هذا العدد من الدولار ١٨٠٠٠٠٠٠٠ وقد أبقيت رموز من العمارة التركية وهي أول ما يحيط برحبة المسجد الحرام تقديراً لمن قام بتلك العمارة القديمة وقد جعل ميادين حول المسجد الحرام تتسع لأربعة آلاف سيارة وبذلك أصبح المسجد الحرام يتسع لأكثر من ٥٠٠٠٠٠ مصل وكذلك المسعى الذي كان يبلغ عرضه عشرين متراً مقسوماً بفاصل للذاهب والآيب ولعربات الركوب على طرفي الجدار الفاصل طرق تليق بها وهذا بعدما كان المسعى شارعاً ضيقاً زمن الإشراف غير مرصوف بل ثائر الغبرة.

حادثة غريبة ونادرة عجيبة

حدثنا الثقات من المصريين ومن بينهم رجال التعليم أنه لما دفن الرئيس جمال عبد الناصر في مسجده الذي عينه لقبره وسوي عليه القبر ظهرت رائحة كريهة صبيحة رابع من دفنه فتتبعوها فوجدوها تخرج من القبر فاضطرت الأمة إلى كشف القبر ليقضوا على تلك الرائحة فوجدوا خمس بواليع تجري بأوساخ الحمامات على جثمانه ولم يكن وحواليه مجاري لكن القدرة الإلهية ساقتها إليه فأصبح ضريحه كنيفاً منتناً فنقل إلى قبر آخر وهذا عكس ما يعامل الله به أولياءه وأهل طاعته حيث توجد رائحة المسك والريحان من بعض العقود ونحن لا نريد مسبة الموتى فقد أفضوا إلى ما عملوا ولكننا نسوق الأمور على حقائقها.

وفيها في فجر يوم الثلاثاء ٧/ ٣ هجمت اليهود على الفدائيين في لبنان بأن نزلت طائرة من طائرات اليهود في أراضي لبنان فقتلوا وجرحوا أناساً في مخيماتهم وهم نائمون ومن بين هؤلاء القتلى ثلاثة زعماء من رؤساء الفدائيين استطاعت اليهود بجواسيسها وبخاشيشها واستخباراتها الوصول إليهم وأصيب معهم أناس آخرون مدنيون فجزعت لبنان لذلك وجزع العرب لانتهاك أراضي لبنان وبعثت لبنان شكاياتها إلى هيئة الأمم ومجلس الأمن ولكن تلك الشكايات ذهبت أدراج الرياح ولم تتلق اليهود ردعاً وكانت اليهود مع غيضها تحتج على أنهم مخربون وستتبعهم في أعشاشهم.

انتهاك العراق الحدود الكويتية

لما كان في ١٥/ ٢ من هذه السنة الموافق ٢٠ مارس نيسان الموافق ليوم الثلاثاء اعتدت العراق على الكويت بهذا الاعتداء الذي لا مبرر فقامت الحكومة السعودية وفاء بحسن الصلات بين البلدين وبعثت أربعين لواء لنصرة الكويت ودرء المعتدين فسكتت التحركات وتراجعت الحكومة العراقية وذلك لما استمر الخلاف إلى ٢٩/ ٢/ ١٣٩٣ هـ ولولا ذلك لأصبحت العراق تسوم جارتها الخسف وقد تكرر ذلك الاعتداء من العراق على الكويت كما قدمنا أما ما كان من حكومة عدن فإنها تظهر العداء من وراء الستار للحكومة السعودية ولم تأل جهداً في التأثير عليها بالسب والشتم وما إلى ذلك ولكنها باءت بالفشل ولم تحصل على طائل وذلك لأن هناك من يدفعها للتحرش ولكن السعودية قد اتخذت الحيطة واستعدت للطوارئ ولما أن كان في أوائل شعبان أي بعد هذه الحماية للكويت بخمسة أشهر هجم أناس ينتمون إلى الفدائيين على السفارة السعودية في باريس فقبضوا على رجال سعوديين فيها وحملوهم بطائرة تحت الإرهاب والعسف يهددونهم بالسلاح فوفق أن قبضت الحكومة الكويتية على المختطفين وأرغمتهم على الاستسلام وعملت على تخليص السعوديين لتكافئ السعودية عن بعض معروفها وإحسانها ولا ريب أن هذا العمل

الذي حصل من الفدائيين عمل إجرامي كما قال الله في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ والذي حدى بهم إلى ذلك هو أن فدائياً قد قبضت السلطات الأردنية عليه وزجته بالسجن فعمل الفدائيون هذا التصرف لترغم الحكومة السعودية حكومة عمان على إطلاق سراح صاحبهم وبما أنه مشتبه في أولئك الفدائيين فإنها لا تخلو المسألة من دسيسة يهودية لتشوش على العرب مؤتمر القمة الذي عقد في الجزائر في أوائل شعبان المذكور، أما ما كان عن ياسر عرفات فقد تنصل من أن يكون ذلك العمل قد صدر من أتباعه.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها وفاة رجل الدين والفضل صاحب السمو الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن آل فيصل أخي أمير منطقة القصيم ابن عم الملك فيصل رحمه الله وعفا عنه وذلك على إثر جلطة أثرت عليه وأذاع الديوان الملكي ما يأتي: في تمام الساعة الثامنة والنصف من صباح أمس الثلاثاء ١٤/ ٣/ ١٣٩٣ هـ حسب توقيت المملكة المحلي انتقل إلى رحمة الله تعالى صاحب السمو الأمير عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن على إثر نوبة قلبية عن عمر يناهز الخامسة والخمسين والديوان الملكي إذ يعلن ببالغ الأسى فقد رجل كبير وبارز من أفراد الأسرة يرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتغمد الفقد برحمته ورضوانه وإنا لله وإنا إليه راجعون. وقد شيع الجمهور في مدينة الرياض جثمان الأمير عبد الله وحضر تشييعه الملك فيصل وعمه عبد الله بن عبد الرحمن ومحمد بن عبد العزيز وخالد بن عبد العزيز والعلماء والأمراء وكبار المسؤولين وجمع كثير من المواطنين وصلى عليه في الجامع الكبير وساروا به إلى قبره وأثنى عليه العلماء لصلاحه ونزاهته ورثاه وزير المعارف حسن بن عبد الله بن حسن بكلمة عدد فيها محاسنه وأنه كان مثالاً صالحاً تتجلى في سيرته وأعماله كل الفضائل التي يتمنى المخلصون لو استطاعوا إلزام أنفسهم بها وختمها بقوله وأدعو الله أن يجعله مع الأبرار وأن يجبر المصيبة برحيله وإنا لله وإنا إليه

راجعون. وقد حدثني عنه أهل الخبرة بأنه موسوم بالصلاح والزكاء والعفة والديانة وأن جاهه مبذول لقضاء الحاجات وتفريج الكربات وله عطف على الفقراء والمحتاجين وهذه دمعة رثاء قالها محمد بن عبد الرحمن السديري أعربت عن بعض خصاله وأفعاله الحميدة التي استحق بها الثناء والمديح رحمه الله:

أتانا الصبح نعيك والرثاء ... فلا عاد الصباح ولا المساء
فقدنا فيك عبد الله شهماً ... سجاياه الرجولة والوفاء
كريم كان ذا خلق عظيم ... وفياً حين قلّ الأوفياء
رأيت الناس تبكي من قلوب ... وبعض الناس أدركه العياء
رأيت الأكرمين تحف نعشاً ... ويحمله الرجال الأقوياء
فأنت اليوم منهم كل قلب ... وما في القول كذب أو رياء
سيبكيك الضعيف بكل دمع ... فأنت ملاذه أنت الرجاء
تفرج همه وتزيل كرباً ... تواسيه إذا اشتد البلاء
وما للناس غير الذكر باق ... وذكراك السماحة والثناء
يصب الله رحمته بقبر ... لعبد الله تمطره السماء
نعزي فيك إخواناً كراماً ... وأبناء لنا فيهم عزاء

ونشرت عنه الصحف ثناء حسناً فقالت إحدى الجرائد كانت الفاجعة بموته كبيرة جداً وكانت الخسارة بفقدانه فادحة مؤلمة ذلك لأنه لم يكن لنفسه ولم يكن لأشخاص معدودين فقد كان للجميع نعم الأب والأخ والصديق وكان للبلاد ذلك الرجل الذي يحرص على توفير كل خير لها كما كان هكذا في خدمته لبلاده وأبناء وطنه، ومن هنا بكاه كل الناس وخصّوه بأحاديثهم عن فضل الرجل وإنسانية المفقود، قال الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل يرثاه بهذه القصيدة ولا ريب أن ثناء الناس شهادة بفضله كما أشار إلى ذلك الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

مآل البرايا للمصير مؤكد ... وأن المنايا للنفوس بمرصد

ولكنهـا الآجـال في اللـوح قـدرت لموعـدها الحـتم المسـمى المحـدد
مضى الشهم عبد الله ذو النبل والوفا سمـو الأمـير ابـن الأمـير محمـد
عضيد النضـال بـن الإمـام بـن فيصـل إمـام الهـدى الليـث الحسـام المهنـد
مـن الصـيدهم آل السـعود لوامـع طوالـع يمـن قـد تجلـت بأسـعد
لهـم في عريـق المجـد أصـل فروعـه تسـامت بعـز وافتخـار وسـؤدد
لهـم في سـبيل الحـق نبـل مواقـف وصـدق جهـاد بالإلـه مؤيـد
علـى المـنهج الأقـوى وأنـوار دعـوة إلى الحـق والرشـد المـبين المحمـد
ذيـاد وصـبركم بـه الله قـد حمـى حمى الأمـن والإسـلام مـن كيـد معتـد
فمـن ينصـر الـرحمن يسـعد بنصـره كمـا جـاء بالـذكر الحكـيم الممجـد
ومـن أعظـم الأرزاء فقـدان ماجـد أخـي همـة عليـا بسـعي ومقصـد
مضـى الشـهم عبـد الله وهـو مـودع بحـر الأسـى بـين الجمـوع بمشـهد
فكـم أدمـع فضـات بيـوم رحيلـه وأشـجان أحـزان بلطـت بأكبـد
لفقـد تقـيٍّ أريحـيٍّ مهـذبٍ وفيٍّ صـفيٍّ صـالح متعبـد
صـبور وقـور ناصـح متواضـع أكيـد إخـاء طيـب الـنفس مسـعد
سـخي ببـذل العـون والجـاه والنـدى بحسـن اهتمـام بـالغ وتجهـد
وأن السـجايا الطيبـات لهـا البقـا مـدى الـدهر بالـذكر الجميـل المخلـد
فهبـه إلـه العـرش عفـواً ورحمـة وحسـن مقـر في النعـيم المؤبـد

وفيها في جمادى الأولى جرى تبادل الأسرا بين العرب من جهة وبين اليهود من جهة أخرى فأعيد ستة وخمسون أسيراً من العرب إسرائيليين ولبنانيين مقابل ثلاثة طيارين من اليهود.

ذكر كارثة في معرض باريس

لما كان في يوم الأحد ثاني جمادى الأولى كانت طائرة سوفيتية من طراز أسرع من الصوت تقوم بمناورات أمام رواد المعرض الدولي إذ انفجرت فجأة وتحولت

إلى شعلة من النيران ثم سقطت وهي تحترق فوق الشارع الرئيسي في إحدى قرى باريس وقد توفي في الحال جميع أفراد طاقم الطائرة وقام رجال الشرطة والإطفاء بين حطام الطائرة وذكروا أنهم انتشلوا ثلاثين جثة منها في غضون ساعتين وأن خمسة عشر منزلاً في قرية قوسين قيل قد دمرت عن آخرها كما تضرر أكثر من خمسة وثمانين منزلاً وقد سقطت الطائرة بالقرب من إحدى المدارس التي لم يكن فيها أحد من طلابها كما دمر جزء من حطامها مركزاً للشرطة في الشارع الرئيسي للقرية وقد حاصرت سيارات الشرطة منطقة الحادث بينما كانت طائرات الهليوكبتر تقوم بنقل جثث القتلى وكذلك الجرحى وكانت الطائرة ضخمة جداً قام قائدها برفعها حال استعراضها لكي يراها الناس ويتمكنوا من رؤيتها بعد انخفاض من سرعتها وذلك استعداداً للهبوط ولكنها بدلاً من ذلك انتكست على رأسها وهي على ارتفاع ألف قدم من الأرض ثم وقع بداخلها انفجار هائل تلته ألسنة كثيفة من اللهب الأحمر والدخان ثم انفجرت مدوية كالقنبلة.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها ولدت امرأة في أمريكا ستة أولاد ثلاثة ذكور وثلاث إناث وسلمت هي وأولادها فكانوا يتمتعون بصحة، وقالت الرواة أن أجسام أولئك المواليد كانت صغاراً، أما عن صفة وضعها فقد أجريت لها عملية وقد نشرتها الصحف للعالم، قلتُ ذكر ابن القيم رحمه الله عن أرسطو أنه قد يعيش للمرأة خمسة أولاد في بطن واحد. قال: فحكى عن امرأة أنها وضعت في أربعة بطون عشرين ولداً، ثم نقل عن صاحب القانون أنه قال سمعت بجرجان أن امرأة أسقطت كيساً فيه سبعون صورة صغيرة جداً ونقل عن أرسطو أنها إذا توأمت امرأة بذكر وأنثى فقلما تسلم الوالدة والمولود، وأما إذا توأمت بذكرين أو أنثيين فإنها تسلم وقد أجرى الله العادة بأنها إذا توأمت بذكر وأنثى فإنها قلما تسلم إلا نادراً، وفي أحد أيام جمادى الثانية أصيبت طائرة تابعة الخطوة (أوزارك) بصاعقة فانشطرت إلى عدة قطع بعد أن

ارتطمت بمنزل خال من السكان فهلك من ركابها ثلاثة وثلاثون راكباً وأصيب القائد بجروح خطيرة وذلك في ٢٥ من الشهر المذكور، وتحطمت طائرة أمريكية من طراز بيج ٧٠٧ فتم إنقاذ ١٦ جثة لم ينج منهم سوى واحد ولم يستطع رجال الإنقاذ التوصل إلى بقية جثث البقية من ركابها وملاحيها البالغ عددهم ٧٩. وفي أوائل ربيع الأول من هذه السنة سقطت طائرة بريطانية فانقسمت إلى شطرين واندلعت فيها النار وكانت تحمل مائة وتسعة وثلاثين راكباً وسبعة ملاحين وذلك بالقرب من (بال) في شمالي غربي سويسرا وهلك من ركابها قائد وعشرة ركاب ونجا أربعون ولكن عدداً كبيراً من الناجين قد أصيبوا بجراح خطيرة وسبب سقوطها أنها لما اقتربت من المطار وسط ثلوج كثيرة وقد تجاوزت الطائرة المهبط المخصص لها سقطت في منطقة جبلية وقد عرقلت الثلوج عملية الإنقاذ وكانت لما انقسمت إلى شطرين اندلعت النيران في جزئها الأمامي وكانت الرؤيا سيئة جداً.

ومن الحوادث أيضاً أن طائر بونج ٧٠٧ كانت في طريقها في رحلة مقررة تحمل ٧٩ شخصاً قد تحطمت بعد قليل من إقلاعها وأسباب ذلك راجع إلى أن الزجاج الأمامي للطائرة قد انفجر وأن الكابتن طلب الهبوط كإجراء عاجل فسقطت في البحر وتم انتشال ثلاث جثث من البحر كما تم نقل شخص رابع أصيب بإصابات بالغة إلى المستشفى أما المضيفة فيها فبعدما تم إنقاذها توفيت متأثرة بجراحها والطائرة تابعة لشركة (بان أميركان).

وفيها حدث انفجار شديد في سيبيريا وقد سجل مركز هناك لرصد الزلازل أن هذا الانفجار الشديد يعد أقوى الانفجارات وبلغت قوته أول درجة وكان ذلك في الساعة الواحدة صباحاً والدقيقة ٢٩ من ٢٢ يوليو.

وفيها كسفت الشمس قبل صلاة العصر من اليوم ٢٩/ ٥ وخسف القمر في آخر ليلة الاثنين ١٥/ ١١ من هذه السنة ومما يجدر بنا ذكره تساهل الناس في شأن الكسوف وجعله من قبل الحسابات التي لا يتأثر لها حتى قال الأستاذ محمد رشيد رضا ليس الكسوف والخسوف من المصائب أو من أسبابها كما يتبادر إلى فهم

العامي من عبارة ابن القيم رحمه الله بل هما داخلان في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥﴾ ولذلك يعرف أوقاتها الحاسبون من علماء الفلك ويحررونها قبل وقوعها مضبوطة بالدقائق والثواني ويذكرون في تقاويمهم السنوية ما يقع في كل سنة منهما إلى آخر كلامه نعم ذكر المشرع عليه الصلاة والسلام أنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنه قام يصلي خائفاً وقال «فإذا رأيتموها فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم» فوجب متابعته ﷺ وجوباً في الوجوب واستحباباً في الاستحباب وأن نفعل كما فعله.

وفيها قامت الحكومة السعودية بهذه الجهة الكائنة إلى الغرب من مسجده ﷺ وذلك لتوسعة المسجد النبوي حيث كان يضيق بكثرة المصلين رغم ما قامت به أولاً في سنة ألف وثلاثمائة وأربع وسبعين فأمرت بتقويم البيوت والدكاكين لهذا الغرض وشرع العمال في مستهل ربيع الثاني من هذه السنة بالدركتورات والمعدات فما أن استهلت جمادى الثانية حتى أصبحت تلك المساحة الواسعة قاعاً صفصفاً وتقدر بمساحة المسجد مرتين وأقيمت فيها مظلات هندسية لوقاية المصلين من الشمس والأمطار وقد تضيق في الجمع بمن كان فيها.

وفي هذه السنة أراد العرب أن يضربوا دولة اليهود ضربة تتجلى تلك الظلمة منها لأنهم سئموا من اليهود وملوا من إرهابهم ومعاملتهم السيئة لجيرانهم كمصر وسوريا ولبنان وليغسلوا أدران هزيمة ٥ يونيو سنة (١٩٦٧م) ولا سيما ذلك الهجوم الذي قدمنا من انتهاكهم حرمة لبنان وكان ذلك الهجوم أن مظليين من اليهود قد هبطوا من طائرة يهودية على أحد الشواطئ الرملية في أواخر ليلة الثلاثاء ٣/٧ فانتشروا ممتطين سيارات في شوارع بيروت فجرت معارك مع رجال الأمن والجنود اللبنانيين ولا ريب أن هذه خطة مدروسة بين العدو وبين عملائه في بيروت وقامت فرقة إسرائيلية أخرى بنسف كراج في مدينة صيدا وقتل أولئك اليهود المهاجمون أحد عشر شخصاً وجرحوا تسعة وعشرين وصعدوا السلالم

وقتلوا زعماء الفدائيين وهم كمال ناصر المتحدث الرسمي باسم منظمة تحرير فلسطين ومحمد أبو يوسف وكمال عدوان وقتلوا زوجة النجار المعروف أبو يوسف وكانت هذه السيارات الست التي استخدموها في هجماتهم قد عثر عليها وهي مملوءة بالدماء قد استأجرها أشخاص أجانب قبل الحادث بأيام لذلك الغرض وقد جزع العرب واستنكروا تلك الجريمة التي ارتكبها الصهاينة وشيع أولئك الضحايا الثلاثة في بيروت إلى قبورهم في اليوم التاسع من ربيع الأول الموافق ليوم الخميس من هذه السنة في موكب مهيب محزن بصفة أن القوات الصهيونية اغتالتهم في منازلهم وعلى فرشهم بين أطفالهم وأهاليهم وقد قدم لتشييعهم وفود كثيرة من سائر البلاد العربية بحيث بلغ عدد المشيعين ربع مليون شخص بحيث لم تشهد له بيروت مثيلاً وساد جو من الصمت الحزين وتوقفت الأعمال في بيروت ونشرت صور الزعماء الفدائيين في جميع أنحاء المدينة وتناولت الصحف العربية العمل بأنه جريمة كبيرة، ثم أنه قام رجال مسلحون من الفدائيين بالتخريب وتفجير صهاريج تخزين الزيت بصيدا بعد أن أوثقوا الحراس بالحبال وكان عدد أولئك المخربين أحد عشر فلسطينياً وغير ذلك من الأحداث مما صرح به معمر القذافي رئيس الجماهيرية الليبية حيث قال أنه من الواضح أنه من المستحيل بالنسبة إلى الصهاينة أن يجمعوا عفشهم ويرحلوا من فلسطين إلا بالقوة ولذلك فإن على الفلسطينيين أن يعودوا إلى بلادهم بالقوة وأن المعركة ضد العدو الإسرائيلي هي معركة الأمة العربية بأكملها هذا وقد اشتدت المعارك بين الجيش اللبناني وبين الفدائيين الفلسطينيين وكان يسكن لبنان من اللاجئين الفلسطينيين مئات الألوف وقد قامت الطائرات السعودية بالإسعافات والأدوات الطبية إلى اللبنانيين والفدائيين من جراء الحوادث بينهم التي أصيب بها الطرفان وكانت العرب قد ضاقت ذرعاً بأعمال الفدائيين الذين جعلوا ينتقمون من العرب بحيث لم يساعدوهم كل المساعدة على اليهود كما قدمنا من قبضهم على رجال السفارة السعودية وكذلك ما قاموا به من اختطاف طائرة عظيمة يابانية بينج ٧٤٧ الجامبو وسيطرتهم عليها لما أقلعت من مطارها

تحمل ١٤٣ راكباً وتعتبر أغلى طائرة في العالم بحيث يقدر قيمتها بأربعة وعشرين مليوناً من الدولارات كان طولها سبعين متراً وارتفاعها ثمانية عشر متراً وزنتها ثلاثمائة واثنان وعشرون طناً ويمكن أن تقطع عشرة آلاف كيلو متر دون توقف بسرعة سبعمائة وخمسين كيلو متراً في الساعة وعلى متنها أربعمائة واثنان وسبعون راكباً، ولما أن أقلعت كان من بين ركابها أولئك الفدائيون فقاموا بمسدساتهم وقنابلهم اليدوية يتحكمون بملاحيها وركابها ويهددونهم بالأخطار وكان اختطافهم لها في يوم الجمعة ٢٠ جمادى الثانية من هذه السنة وهي فوق هولندا واضطرت إلى الهبوط في مطار دبي فظلت فيه جاثمة سبعين ساعة بعد ما كاد ركابها يهلكوا جوعاً مما هم فيه من متاعب الحياة لولا عطف حكومة دبي بإسعافهم بالطعام وكان الفدائيون المختطفون لم يمكنوا أحداً من الدنو إليها وقد طلبوا تزويدها بالوقود غير أنهم لم يتحصلوا إلى على بعض الوقود هناك فأقلعت في الساعة الثامنة وسبع دقائق من مساء اليوم ٢٣ من جمادى الثانية وهذه مغامرة لم يسبق لها نظير ولما أن أرادت الهبوط في مطار بغداد مانعت الحكومة العراقية وأغلقت مطارها فواصلت الطائرة رحلتها إلى دمشق فسمحت السلطات السورية للطائرة بالهبوط في مطار دمشق ولكنها لم تلبث في المطار سوى ساعتين للتزود من الوقود ثم أقلعت مرة أخرى في اتجاه البحر الأبيض المتوسط وعندما حلّقت فوق بيروت بعثت برسالة حيت فيها هذه المرة المناضلين الفلسطينيين وقالت أن العدو سيضرب حيثما كان وشوهدت على التوالي وهي تطير فوق قبرص وأثينا اللتين أغلقتا مطاريهما في وجهها واستدارت الطائرة إلى الجنوب وشوهدت تحلق فوق مالطة ثم هبطت في مطار ليبيا وعزم الخاطفون على تفجير القنابل فيها فهرع الركاب يغادرونها وذلك بعد هبوطها في مطار بنغازي في الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم فوضع الخاطفون قنبلة حارقة في كابنة القيادة فانفجرت فيها حتى أتت النيران على جميع الطائرة واشتد اللهيب فأصبح جحيماً لا يستطيع أي شخص إخماده وتم نسفها وكان هؤلاء الفدائيون أربعة اثنان عربيان وثالث غربي والرابع ياباني، وكانت

اليابان قد قدمت الملايين من النقود في فداء هذه الطائرة غير أن تلك الأيادي لم تقبل فداء وسلموا أنفسهم في ليبيا يوم الأربعاء ٢٥ من جمادى الثانية.

قدح الزناد والحرب بين العرب وإسرائيل

لما كان في يوم السبت عاشر رمضان وهو اليوم الذي يدعى لدى اليهود يوم الغفران ثارت الحرب بين الفريقين وقامت القيامة واستمات الفريقان لخوض المعركة بالقنابل والصواريخ والنار والحديد وكانت العرب هذه المرة مجمعين على خوض المعركة ولما وقعت الواقعة كانت اليهود تقاتل في جبهتين، واستماتت في سبيل الدفاع لأنها جعلت تقاتل مصر من جبهة وسوريا من الجبهة الأخرى، فاستمر القتال طول ذلك اليوم ودارت رحى الحرب واستمرت المعارك جوية وبحرية وبرية وتقدمت القوات المصرية تقدماً لم يسبق له نظير وجعلت قنابلها تقصف اليهود ونجحت في عبور قناة السويس فاقتحمت مراكز اليهود وأوقعت بها إيقاعاً شديداً تكبدت اليهود خسائر فادحة في رجالها ومدرعاتها ودباباتها وطائراتها وكانت اليهود لم تحسب للعرب حسباناً ثم أنها عبرت القوات المصرية المدرعة في عدة أماكن في القطاعين الشمالي والأوسط من القناة وأقامت مصر جسرين عبر القناة حيث أخذت السيارات المدرعة تتدفق عبر الجسرين إلى الضفة الشرقية وقد انتقل الرئيس أنور السادات إلى قيادة القوات المسلحة حينما أبلغ بتأزم الموقف وذلك لمتابعته وحتى يكون على اتصال دائم بسير المعركة وقامت القوات المصرية بقصف قواعد اليهود وأهدافها العسكرية في الأراضي المحتلة واستهدفت تلك المعسكرات لإصابات مباشرة وأسقطت مصر إحدى عشرة طائرة إسرائيلية، وقام الرئيس السوري حافظ الأسد بهجوم على المواقع الإسرائيلية وتقدمت القوات السورية واشتدت حملتها هذه المرة حتى أنذرت جميع السفن عن السير في البحر الأبيض المتوسط لأنها مهددة بالنيران والحديد وقديماً ما قيل في فضل الشجاعة:

كذلك شأن السيف إن سلّ حده   يهاب ولا يخشى إذا كان مغمدا

الجبهة السورية وشدة موقعها

تقدمت سوريا وتمكنت من التمركز في مواضع الجولان ودارت معارك عنيفة وقامت دباباتها تخترق مواقع اليهود واحتلت عدة مواقع محصنة وجعلت بطاريات مدافعها المضادة للطائرات تصيب وتسقط واعترفت اليهود بأن القوات السورية قد استعملت دبابات تزيد على ما استعملت ألمانيا عندما غزت روسيا في الحرب العالمية الثانية، وما زالت مصر تتقدم حتى رفع العلم المصري فوق مناطق جديدة في سينا وذلك بعدما ركزت مصر ضرباتها في نحو العدو وكان وزير الدفاع في إسرائيل موشي ديان يتكهن في أول يوم من أيام الحرب بأنه بعد ست ساعات سيقضي على قوات العرب، ولما خاب ظنه أعلن بأنه بعد اثنتي عشرة ساعة سيقضي على قوات العرب، ولما لم يقع تكهنه أذاع بأنه سيقضي عليها قبل مضي ثلاثة أيام فلم يفلح، ولما أن أعلن القائد السوري إنذاره للسفن عن الإبحار في البحر الأبيض المتوسط أصدرت مصر تحذيراً مماثلاً للسفن في أجزاء من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وقد أقفلت مطارات دمشق والقاهرة أمام الطيران المدني اعتباراً من الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم، ولما أن جرى ذلك قامت سيارات اليهود منتشرة في شوارع تل أبيب مزودة بمكبرات الصوت تحذر السكان بالبقاء داخل المخابىء وبالبقاء بعيداً عن الشوارع وتجنب السفر إلى خارج المدينة وقامت صفارات الإنذار من الغارات الجوية تطلق بالإنذار وساد الرعب والذعر والخوف دولة اليهود وما زالت القوات السورية في قصفها وضربها حتى حررت بعض المواقع المحتلة ومنها موقع جبل الشيخ ونجحت قواتها من إيقاف هجوم العدو على مواقعها وانتقلت إلى الهجوم المعاكس واستمرت القوات العربية في تقدمها وإحرازها النصر المبين يحرقون ويدمرون طائرات العدو ودباباته وعرباته بحيث أسقطت العرب ستمائة طائرة للعدو ودمرت مئات الدبابات والعربات والمجنزرات والبطاريات والمدافع الإسرائيلية وأصبحت الطائرات الإسرائيلية محطمة على ظهر الأرض، واستمر القتال من ٦ أكتوبر (١٩٧٣هـ) حتى آخر يوم ٢٢ من

شهر أكتوبر، ولقد قامت القوات المصرية كأنها جدران مرصوصة من الدبابات والجنود واقتحمت خط برليف بسرعة لا يصدقها العقل وبنيران لم تشهد من قبل، وكان هذا الخط آية في القوة والمناعة وقد تحدث عنه بعض عارفيه أن الساتر الرملي الذي كان يحمي المواقع الإسرائيلية يتراوح ما بين عشر وعشرين متراً وعرضه فيما قيل يقدر باثني عشر متراً حتى قال عنه وزير دفاع إسرائيل أنه لا يمكن لأية قوة في الأرض أن تهده، فقد قامت القوات المصرية وتمكنت من السيطرة الكاملة عليه وهد هذا الخط المسمى خط برليف واستولت على صحراء سيناء وتركت حطام الدبابات والقوات الإسرائيلية ملقاة على ظهر الأرض وأصبحت حالة اليهود سيئة جداً ودمرت في اليومين ٢٣ و٢٤ من رمضان في سيناء مائة وإحدى وأربعين دبابة وعربة نصف جنزير وخمس عشرة طائرة وحطمت أيضاً خمساً وثمانين دبابة في منطقة المحور الأوسط والدفرسوار وستاً وخمسين عربة، ولما قامت فرق من سلاح اليهود الجوي صباح يوم السبت ٢٤ باختراق مجال قوات مصر الجوي في القطاع الجنوبي من الجبهة تصدت لها وسائل الدفاع فأسقطت عشر طائرات يهودية وحاول العدو بعد قليل فأسقطت له خمس طائرات ولقد تحملت اليهود خسائر فادحة من هذه الحرب بحيث أنها تكلف اليهود عشرة ملايين دولار كل ساعة وسقط من رجالها مئات القتلى والجرحى واستسلم آخرون للأسر ولقد بعثت إسرائيل في أحد أيام الحرب مائة طائرة وثمان طائرات مقاتلة فلم يرجع سوى ثمان طائرات فكلفت طيارين في اليوم الثاني فأبوا لأن النتيجة الموت المحتم وأنه إذا كان ولا بد فإنهم يفضلون القتل على الذهاب فأعدمت القيادة الإسرائيلية أربعة طيارين.

أعمال الفدائيين

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ قام الفدائيون منتهزين الفرصة فخاضوا معارك عنيفة في منطقة العرقوب وأوقعوا

باليهود حتى عطلوا إذاعتها في القدس فتوقفت مدة ١٥ دقيقة واضطرت اليهود إلى الاستعانة بالبث من محطتهم الاحتياطية وخاضوا معارك ضد العدو وقاموا بتخريبات وتفجيرات ناسفة في مستودع لقطع غيار الطائرات الحربية بتل أبيب وتمكنوا من تدمير جزء كبير منه كما فجروا عبوات أخرى ناسفة في مستودع للذخيرة تابع لطيران العدو وهاجموا مطار عكا الحربي وتمكنوا من إحداث أضرار كبيرة وفجروا عبوات ناسفة بمصنع الذخيرة في صفاء وأسفر الانفجار عن تدمير الجانب الجنوبي من المصنع وإتلاف كمية كبيرة من الذخائر وقتل وجرح عدد من العاملين وهاجموا رتلاً من دبابات العدو وتمكنوا من إلحاق خسائر فيها وكانت ساعات للفدائيين يبطشون باليهود ويدمرون وأصبحت إسرائيل محاطة من كل صوب بذئاب هاربة من الغابة مكشرة عن أنيابها لتمزيق اليهود وأبادتها وشفوا كلومهم وصدروهم وأدركوا ثأرهم من حرب ٥ يونيو حزيران عام (١٩٦٧م) الذي احتلت اليهود فيه الضفة الغربية من الأردن وسيناء وقطاع غزة والمرتفعات السورية وشردت مئات الألوف من المواطنين العرب.

ولما رأت أمريكا خطورة الموقف بعث وزير خارجيتها هنري كيسنجر رسالة برقية إلى العاهل السعودي ملك المملكة العربية السعودية فيصل بن عبد العزيز يطلب فيها منه التدخل مع الرئيس أنور السادات رئيس الجمهورية المصرية والفريق حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية لوقف القتال الدائر بين مصر وسورية وإسرائيل فأجابه الملك فيصل بهذه البرقية (معالي الوزير هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية تلقيت رسالة معاليكم المستندة إلى تقرير وردكم من إسرائيل بأن القوات المصرية والسورية تنوي شن هجوم منسق على القوات الإسرائيلية والذي بدا الاشتباك فعلاً بين القوات المصرية والسورية من جهة والقوات الإسرائيلية من جهة أخرى في البر والجو فإن معاليكم تأكد بأن البادئ بهذا الهجوم هي إسرائيل وفي اعتقادي أن هذا الهجوم هو حلقة من حلقات السياسة الإسرائيلية لتنفيذ الخطط التي رسمتها لتطبيق سياستها العدوانية ضد

الدول العربية لأن العرب لم يقوموا بأي عدوان ضد إسرائيل من تاريخ نشأتها وأن العدوان كان دائماً من قبل إسرائيل لتكسب في كل عدوان مساحة من الأرض وفقاً لمخططاتها المرسومة فإذا لم تهب الولايات المتحدة بردع إسرائيل عن التمادي في غيها وعدوانها فسوف ينفجر البركان الهاجع حتى الآن في منطقة الشرق الأوسط وسوف لا يقتصر تدميره على المنطقة وحدها بل سيتعداها إلى حرب عالمية شاملة تصطلي جميع دول العالم بنارها على الرغم مما نصت عليه اتفاقيات عدم المجابهة بين الدول الكبرى، ولهذا فإن المسؤولية الكبرى في هذا الصراع القائم في المنطقة يقع على عاتق إسرائيل، وعلى الولايات المتحدة الأمريكية أن تجبر إسرائيل على الانسحاب من الأرض العربية وإعطاء الشعب الفلسطيني حقه في أرضه ووطنه). فيصل، وبعث الملك فيصل ببرقيتين للرئيسين أنور السادات وحافظ الأسد يستنكر عدوان اليهود ويؤكد وقوف المملكة السعودية إلى جانب الجمهوريتين وهذا جواباً لمناشدة مصر الدول الصديقة والدول المحبة للسلام شجب العدوان الإسرائيلي وتأييد الموقف العربي، ثم أنه اتصل وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بحكومة السوفيت للنظر في وقف إطلاق النار وكان من حسن حظ العرب أنها قامت اليهود بطائراتها فضربت سوريا فكانت الضربة بالسفارة الروسية فيها فأصيب رجال ونساء وقامت روسيا تحتج على إسرائيل بتلاعبها بالنار وأعلنت نصرتها للعرب، كما أن الصين أظهرت تأييدها للعرب وأعلنت ليبيا وتونس والجزائر والسودان مناصرتها للعرب وقطعت جمهورية مالاجاسي علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل كذلك رئيس جمهورية إفريقيا الوسطى قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل وحررت سوريا الجولان تحريراً كلياً فلم يبق سوى جيوب للمقاومة ولولا إمدادات تدفقت على اليهود من أمريكا لما لبثت عشرة أيام إلا وقد تداعى عرشها وقضي عليها ولكنها قامت أمريكا مصرحة بنصرة إسرائيل وأنه لا بد من تعويضها أسلحة عما فقدت وتوالت شحنات الأسلحة الأمريكية على اليهود فعند ذلك هددت العرب أمريكا وهولندا بقطع البترول عنهما وفعلاً قررت

العرب تخفيض إنتاجها من البترول بنسبة ١٠٪ ثم أنها قطعت البترول مطلقاً وهذا في السعودية والكويت والبحرين والعراق وحكومات الخليج العربي وقطعت حكومة البحرين معاهدتها مع أمريكا وكان موقف السعودية حازماً. ولما أعلن بإيقاف إطلاق النار بادرت مصر لهذا المشروع بشروط قدمتها ومانعت سوريا من توقف إطلاق النار ولم توافق العراق على ذلك ولم تصوت الصين أيضاً لهذا القرار لعلمهم بأنه خديعة ومكر عياذاً بالله.

خديعة أمريكا للعرب وخيانتها

كان الرئيس جمال عبد الناصر قد قال عن أمريكا بأنها أعظم عدو للعرب وشاهد هذا أنها قامت أمريكا بطائرات استكشافية وأرشدت اليهود إلى الدخول في الضفة الغربية من القتال فقامت اليهود بدبابات غنمتها من مصر في عام (١٩٦٧م) واتخذوها خديعة حتى تمكنوا من أغراضهم وحصروا الجيش الثالث في مصر وحاولت أمريكا بأن يقع الصلح على الموقف الذي اتخذ وقتاً لإيقاف إطلاق النار بحيث كانوا يراقبون حركات اليهود فلما بلغت ما أرادت أعلنوا بوقف إطلاق النار ففي الساعة السادسة تزيد اثنتين وخمسين دقيقة زوالي يوافق الساعة الثانية والنصف من ليلة ٢٧ رمضان آخر نهار أكتوبر في وقت كان جنود المظليين الإسرائيليين يتهابطون على جبل الشيخ غير أن السوريين قد اتخذوا الحيطة لذلك وأخذوا يصطادون جميع من تمكنوا منه بالبنادق والسلاح الأبيض فجرت مجابهة بين العرب واليهود بالسلاح الأبيض وحصلت معارك عنيفة في جبل الشيخ ومن سوء حظ أمريكا أن أصيب الرئيس نكسن بزوبعة شديدة تهدد عرشه بالسقوط وذلك لعزله أحد الوزراء في أمريكا من غير ما جرم فعج الشعب الأمريكي لمحاكمة نكسن والتضييق عليه ولما كان صدور هذا القرار من أمريكا كوسيلة ليبعث ذلك نشاطاً في اليهود للتمكن من التمركز بما تقف عليه أعلنت روسيا أنها ستبعث قواتها لنصرة العرب وقامت أمريكا فجهزت قوات لمصادة قوات روسيا وخشيت الأمة من وقوع حرب عالمية فصدر أمر آخر بتوقف إطلاق النار وذلك في يوم الأربعاء

٢٨/ ٩ في الساعة الخامسة غروبي من صباح اليوم وكانت مصر التي سارعت إلى إصدار أوامرها على القوات المصرية بإيقاف القتال أولاً فإنها لما رأت إسرائيل تدفع بقوتها لتحرز تقدماً في هذه الفرصة على المواقع المصرية فإنها قامت بمضادة تلك الأعمال السيئة وأطلقت المدافع وأرسلت الطائرات التي كانت على أتم استعداد فجرت معارك بين الطرفين في سابع وعشرين رمضان وتجلت عن هزيمة اليهود هزيمة شنيعة وأسقطت مصر من طائرات العدو في تلك الساعة ثلاث عشرة طائرة ومما يجمل بنا ذكره ويسر به المسلمون جميعاً وقوف الجيوش المصرية أمام دباباتها ومدافعها يصلون صلاة الخوف بصفوفهم المتماسكة كأنها بنيان مرصوص، ثم إنها قامت الحكومات العربية تجمع التبرعات لمصر وسوريا فكانت النساء تقدم حليها أو ترهنه لمساعدة المجاهدين وعوائلهم وتبارى المتبرعون حتى قام الأطفال يدفعون ما بأيديهم ولقد كانت ألسنة النيران تتصاعد في مستعمرات اليهود نتيجة القصف السوري مقابل أعمال اليهود بطائراتها على كل من مدينتي حمص واللاذقية بشمال سوريا بحيث لم تتورب اليهود عن ضرب النساء والعمال الذين يعدون بالمئات وقد استشهدوا فقابلتها سوريا بمثل عدوانها فضربت بطائراتها معمل تكرير البترول في حيفا وقصفت وأشعلت النيران فيه وبما أن العرب أعلنوا نصرتهم للمجاهدين فقد أعلنت إسبانيا دعمها ومصداقيتها للعرب، وأعلنت الباكستان ذلك واستمرت الأحوال هائجة مائجة فلا العرب استطاعوا القضاء على اليهود لتضخم الموقف لمساعدة أمريكا لحليفتها ولا اليهود تراجعوا عما استولوا عليه عام (١٩٦٧م)، ولئن كانت العرب أمدت مصر وسوريا بمئات الملايين فإن أمريكا بذلت لليهود ما في استطاعتها من السلاح والنقود والرجال وهذا لثالث مرة تخون أمريكا العرب وتخذلهم.

فشل المؤتمر الذي سعى به كيسنجر

لما كان في يوم الجمعة ٢٧/ ١١ الموافق ٢١ ديسمبر كانون أول (١٩٧٣م) عقد مؤتمر السلام في جنيف وحضره رؤساء ومندوبو الدول العربية وحضر لذلك

مندوب إسرائيل وكيسنجر وزير خارجة أمريكا ومندوبو روسيا وغيرهم واستمرت المناقشات والمفاوضات بينهم وبين كيسنجر وبدت علامات الفشل لذلك المؤتمر وذلك لسوء نوايا اليهود ومؤيديهم فكانت سوريا لم تحضر المؤتمر ولم تنخدع لعقده ولم يرق لها ذلك وفعلاً فشل ذلك المؤتمر.

استدراك لما فات

قد ذكرنا وفيات الأعيان في هذه السنة، وممن توفي فيها مالك بن نُبي بضم النون قالت عنه إحدى الصحف الصادرة من مكة المكرمة لقد فقد الفكر الإسلامي أحد قادته وبناته وذلك هو الباحث الكبير الأستاذ مالك بن نُبي صاحب المؤلفات الإسلامية لما عرف عنه، وكان لوفاته صدى حزن عميق في أوساط الفكر الإسلامي لما عرف عنه الفقيد من باع طويل في البحوث الإسلامية وكثرة مؤلفاته التي سدت فراغاً كبيراً في المكتبة الإسلامية وكان الفقيد الكريم قد أدى فريضة الحج في عام (١٣٩١هـ).

وفيها في يوم الأحد ٣/ ١٠ وفاة طه حسين عن عمر يناهز ٨٤ في مصر، وقد وصفته بعض الصحف العربية والأجنبية بالذكاء والأدب وسمته فقيد العرب أو عميد الأدب العربي. وكان قد درس في الأزهر ثم في الجامعة المصرية ثم دخل إلى فرنسا وأخذ يدرس في العلوم العربية وألّف عشرات المؤلفات في الأدب والتاريخ وقد رماه رجال العلم الشرعي في عقيدته وكان له ذكاء حاداً ومعرفة في الأدب اليوناني ومن أشهر كتبه (الأيام) وهو في جزأين وكان يدعى بالدكتور، وقد ترك له ذكراً في الأمم الذين يحبذون أدبه، أما عن البيان عن حقيقته فإنه ملحد زنديق فيلسوف أعمى القلب والبصر وإنما نبهنا على إلحاده وفلسفته لأن لا ينخدع مغفل بضلالته نسأل الله السلامة والعافية.

وفيها صدرت الفتوى الشرعية من دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية في جواز السعي في سطح المسعى وأن الهواء له حكم القرار، وهذا للحرج والمشقة

بحيث كان حجاج بيت الله يعانون مشقة في الازدحام أيام المواسم فلمنع المشقة والحرج وقعت الرخصة وكان في تصميمه قابلاً للسعي لحسن تصميمه ويلاحظ أنه لا بد من استيعاب ما بين الصفا والمروة.

وفيها لا تزال الاصلاحات مستمرة في المملكة فمن ذلك صدور الأوامر ببناء أكثر من ثلاثين مدرسة ما بين ابتدائية ومتوسطة في القرى والمناطق تتكلف بقدر عشرين مليوناً كما أن طريق حائل الذي يربطه بالقصيم انتهى عمله، وبناية الهاتف الآلي في كل من بريدة وعنيزة قد أوشكت على الانتهاء وكانت أية في التصميم ولا تزال عمال المواصلات تواصل سيرها في سفلتة طريق الطائف إلى جيزان وقد قسم إلى ثمانية أقسام بحيث بلغت تكاليفه ألف مليون ومائة مليون واثنين وتسعين مليوناً وكانت مسافته سبعمائة وأربعة وتسعين كيلومتر وكانت مؤسسة بن لادن تقوم بإرسال طائرتين عموديتين لتلبية الطلبات ونقل الحالات المستعجلة لهذا العمل الشاق ذلك لما يتطلبه من الصعوبات وردم أنفاق طويلة تضاء نهاراً وليلاً بالكهرباء.

أما عن مدينة حائل فقد حظيت بنهضة رائعة في أيام الأمير فهد بن سعد بن عبد الرحمن وبعده ابنه سعد بن فهد فأقيمت البيوت الحجرية والفلل ودوائر الحكومة وشقت فيها شوارع واسعة واتسعت رقعة العمران فيها.

رحلتنا إلى حائل

قمت بزيارة لحائل في أواخر سنة (١٣٩٣هـ) وكان في صحبتي أناس من طلاب العلم والوعاظ والمرشدين وكان فيما وجدنا فيها أن مساجدها كانت عامرة بالصلوات الخمسة والأذان وتلاوة القرآن، وفي المساجد على العموم دورات المياه متوفرة ومما عجبت له أن الأئمة فيها من ذوي الأمانة والعقول والنهى، ومن جملة أصحابنا الشيخ عبد الرحمن الحمد الجطيلي في أناس آخرين وبما أن الوقت شديد

البرودة لأن يوافق ٢٠ القوس ٥ الإكليل فإنا لقينا من الأحبة فيها كل عطف وإكرام وقبولاً للموعظة وتبادلنا الحديث والبحث في المسائل العلمية وذهبنا إلى موضع عقدة المعروف فيها فنقول عقده عبارة عن ساروت بين جبال قائمة كالحيطان منتصبة يتخللها وادي فيه بطحاء نقية على ضفتي الوادي نخيل قائمة بمناظر حسنة في خضرتها ونجد في أقاصيها إذا دخلناها مع منشق بين جبالها ضيق بقدر ثلاثة أمتار تقريباً إلى جهة الغرب مياهها تنزل في أوقات السيول منصبة جارية تذكر بالنيل والفرات وهي في جريها عجيبة المنظر متدفقة كأحسن ما يكون فإذا نزلت من بين الجبال وقفت لتنزل في تلك البطحاء فيتخلل خلجان الأرض ذاهبة إلى تلك الآبار وبطون الأرض تحدها بقدرة الله تعالى وبحسب كثرة الأمطار وقلتها يكون قدر المياه في الآبار التي تسقى منها النخيل الخضراء الجميلة ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾، ونجد عند مدخل عقدة سداً إلى جهة اليمين مرتفعة بقدر ثلاثة أمتار أقامته إمارة الجبل في زمن آل رشيد ليكون حصناً منيعاً وسداً بين السكان وبين العدو وبولاية آل سعود على الجبل هد بعض ذلك السد فكان يدخل إلى عقدة من ذلك السد ومن مدخلها الرئيسي وقد حدثنا الأستاذ عبد الكريم بن سليمان الرشيد المنتدب من أهالي الزلفى للتدريس في متوسطة حائل الثانية أن هناك منتزهاً آخر يسمى مشار فيه مصبات كثيرة وأشجار ينتابها الأهالي للفرجة والنزهة بالعوائل لما يتمتعون به بين تلك الجبال من المناظر الجميلة وكان الأستاذ عبد الكريم قد صاحبنا ليرينا تلك المنتزهات ويمتاز بلين العريكة وحسن الحديث وحسن المعاشرة، وقد لزم الصحبة من حين ما قدمنا إلى حائل إلى قبيل مغادر تنالها وذكر لي أحد مرافقينا من أهل الجبل أن قرى حائل تزيد على مائتي قرية وأن من الآثار فيها، فيها مسجد إلى جهة بيت المقدس ومن قرى حائل قفار وموقق وبقعا التي تقع بالشمال الشرقي عن مدينة حائل وهي التي حصلت فيها الواقعة بين عبد الله بن علي بن رشيد وبين أهالي القصيم بقيادة عبد العزيز بن محمد آل أبي عليان ويحيى بن سليمان آل سليم أميري بريدة وعنيزة.

وفيها كثر التسول في مساجد المملكة وطرقها واتخذوا ذلك حيلة لاكتساب الدراهم، فهذا يدعي بالمرض وآخر يدعي بالجوائح المالية من حريق وهدم ودهس وانقلاب السيارات وأخطارها إلى غير ذلك من تقديم صكوك مزورة، وحدثني بعض الثقات أن رجلاً أجنبياً صلى في مسجد ابن مقبل الكائن شمالي الجامع الكبير في مدينة بريدة، وكان يحمل رجلاً آخر على كتفيه بعد صلاة العشاء الآخرة، ثم تقدم أمام المصلين وقال أيها المسلمون انظروا إلى حالة هذا المقعد المسكين الذي لا مال له ولا أهل ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، وجعلا يبكيان حتى رحمهما الحاضرون وجادوا عليهما بما في أيديهما، قال ثم خرج الحامل والمحمول فجلسا مختفين عن نور القمر ورؤية الناس بعدما وضعه عن كتفيه واقتسما ما حصلا عليه وذهبا يمشيان يتبادلان الحديث، وقصص المتسولين طويلة نسأل الله العافية، وقد فتحت الحكومة السعودية مراكز للقبض على أولئك وأخذ التعهد عليهم.

المعهد الزراعي

تأسس هذا المعهد في الصفراء شمالي مدينة واحتضر له مساحة كبيرة جداً ورصد له زيادة على ثلاثين مليوناً وكان هذا المعهد ممتازاً لما قد يجلب إليه من الخبراء وما سينشأ عنه من الإصلاحات الزراعية ويدل على عناية الحكومة في الزراعة في القصيم وهذا المعهد الفني هو أحد المعاهد الفنية التابعة للمؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني الزراعي، وهو الوحيد بالمملكة كان فيه مزرعة لمحاصيل العلف ومزرعة إرشادية لزراعة النخيل والخضر والفواكه ومشاتل ومزرعة للإنتاج الحيواني تشمل على زيادة عن مائة وخمسين رأس بقر لإنتاج اللبن والحليب، وفيه مزرعة لتربية الدواجن لعشرة آلاف دجاجة وإعداد خلايا النحل التي تخرج العسل بتمام قدرة الله تعالى، وقد أخرج شطأه بتخريج ٣٨٠ طالباً بدرجة دبلوم وكان مزوداً بأحدث المعدات، وقد حفر فيه آبار ارتوازية وصرفت لطلاب المعهد مكافأة شهرية لكل فرد ٦٧٥ ريالاً.

وفي هذه السنة قامت الحكومة بتشجيع المزارعين تشجيعاً فعلياً وذلك بإقامة البنك الزراعي الذي أوجد للمزارع جميع ما يتطلبه من معدات الحرث والشق والتسوية والمكائن المائية وما يتطلبه الوضع بحيث بيع صندوق الطماطم بخمسة ريالات إذا كان يضم ٢٠ كيلو، وتوفرت المحصولات ونجحت وتغيرت الأحوال من الوقود بالحطب وكرب النخل وجذوعها وزادت بالأمة التقدمات إلى أن عدلوا عن الفحم ومادة الكيروسين إلى الوقود بالغاز والكهرباء، وقامت الحكومة بإطار التجميل والتحسين لشوارع المدن والقرى ورصفها وسفلتتها.

محطة بترومين

في هذه السنة أسست محطة في القصيم شمال المطار في المليداء اتخذ لها موضع فسيح بسعة ١٢٠,٠٠٠ برميل، ثم زيد في سعتها إلى ٦٢٠,٠٠٠ برميل ليتم بيع جميع المحروقات منها بنزين ممتاز بنزين عادي، ديزل، كيروسين، زيت التزليق، وذلك يومياً وكان يردها يومياً عشرات الوايتات للتفريغ فيها والتعبئة منها لخدمة إقليم القصيم وسيزود هذا المشروع في إنشاء مصفاة فيما بعد..

وفيها قام مشروع تغذية الأطفال والطلاب في المدارس للمرحلة الثانية ليستفيد منها مائة ألف طالب من ثلاث عشرة منطقة تعليمية واشترط في الوجبة أن تكون جافة وتتوفر فيها جميع شروط الوجبة الصباحية والشروط الصحية في الإعداد والتغليف وقد نجحت هذه المرة وأصبح الطالب يتمتع بهذا النشاط، وهذا التشجيع ولا ريب أن من الطلاب من هو بحاجة إليها.

وفيها نزلت قيمة شجر الأثل الذي كان قبل ذلك هو رأس أموال بعض الناس بحيث كان الهصير وقوداً والأخشاب سقوفاً ويتخذ لما سوى ذلك من المصالح ولما رأت الحكومة أنه أصبح بحالة لا يلتفت إليها رأت أن تكون تلك الأخشاب مهيأة لأن تقوم مقام المستورادات من البلاد الأخرى وهي أخشاب الساج التي منها المربعات والألواح على اختلافها ورأت أن تنشأ لذلك معامل ومصانع لعله أن

يسد فراغاً وبما أن البيوت الشعبية قلت في المملكة وكان غالب الشعب السعودي أو أجمعه إنما يقيمون البيوت من الإسمنت والحديد والبناء المسلح ولما لممارسة معامله كذلك من المشقة والنفقات والكلفة فإنها لم تنتظم تلك الفكرة وكنت أذكر كلمة ظهرت من أمي لأبويه في حال إقبال الناس على شجر الإثل وجعله رأس مال ومقالات الخلق فيه أن قال: والله ما كنت أظن أن شجرة حقرها الله في كتابه يكون لها مستقبل، وفعلاً حصل ذلك وكانت الأمة في قديم الدهر يتخذون أخشابه لصنعة الأبواب بالنوافذ المنقوشة فقد اتخذوا بدلاً عنها أبواباً على الطراز الحديث من الساج، فسبحانه مقلب الدهور ومصرف الأمور وذهبت دولة الأثل وقام المزارعون يبذرون الفاصوليا والخس والجزر والبصل والبطيخ والنعناع والتفاح والبرتقال والليمون وغير ذلك من أنواع الأشجار التي جلبت عليهم من الخارج كالموز والجوافة وأشجار الرياحين والزينة وقاموا بإرشاد وزارة الزراعة بتوجيه من البيطريين يعالجون أمراض المواشي والأشجار والزراعة عما حدث فيها من الآفات.

حالة عمّار

كان هذا المكان يحمل هذا الاسم ويبعد عن أقرب نقطة حدود الأردن بكيلوين ونصف وهذا المركز يعتبر مدينة متكاملة بجميع مراكزها على الحدود الأردنية وكان افتتاح هذا المركز في ١/١٠ من هذه السنة، وانتقلت الدوائر الحكومية إلى مبانيها الجديدة، وقد انتهى في العام الماضي بناء مركز الرقعي والحماطيات أما عن مركز حالة عمار فيبعد عن تبوك بحوالي مائة كيلو وأربع كيلوات، أما عن التسمية هذه لهذا الموضع فإنه يعتبر بعض الرواة أنها نسبة إلى شخص يدعى عمار كان حارساً على نقاط الخط الحديدي لأن بعض الرواة يرى أنها حديثة ترجع إلى أواخر الدولة العثمانية وبعضهم يرى أنها قديمة تعود إلى عصر صدر الإسلام، وقد أقيمت هذه المدينة في هذه السنة والتي قبلها إقامة حديثة وشقت فيها الشوارع المسفلتة المضاءة

بالأنوار الكهربائية والمباني العصرية، أما مراحل المشروع فكان مركز بئر ابن هرماس الذي يبعد عن مدينة تبوك بحوالي ستين كيلومتراً، يقوم باستقبال الحجاج لأن جمرك تبوك يكون دائماً مشغولاً باستقبال سيارات البضائع التي ترد يومياً إلى المملكة وتعد ازدياد عدد الحجاج القادمين سنوياً بدأت الحكومة السعودية تفكر في تطوير مراكز استقبال الحجاج بحيث توفر لهم أكبر قدر من الخدمات التي تساعدهم على بلوغ أهدافهم في الحج والعمرة والزيارة، ولقد بدأت الدراسات لإقامة هذا المشروع الجديد منذ ست سنوات وبُدأ في تنفيذ العمل عام (١٣٨٩هـ) حيث رست على شركة عالية وتعثرت أعمال هذه الشركة في بداية العام الماضي وسلمت العملية لشركة أخرى قامت بإتمام المشروع وكان الأمير سلطان السديري مفتش الحدود الغربية وأمير القريات هو المشرف على أعمال الحج في هذا المركز، ولقد جدت الحكومة السعودية في راحة الحجاج وبعثت مرشدين وموجهين يقومون بالتوعية في أيام الموسم ويبينوا أحكام المناسك ويقوموا بالفتيا لما كان الحجاج الوافدون في أمس الحاجة إلى ذلك.

وفيها في ١٣/ ١٠ وفاة الشيخ حسن إسماعيل الهضيبي وكان لوفاته رنة أسا وحزن في الأمم الإسلامية التي عرفت جهاده وكفاحه في سبيل الدعوة إلى الله ولد في سنة (١٨٩١م) توافق (١٣٠٩هـ) في قرية عرب الصوالحة وبعد أن أتم حفظ القرآن الكريم بالقرية درس سنة بالأزهر ثم تحول إلى المدارس النظامية الابتدائية فالثانوية ثم التحق بمدرسة الحقوق ولم تكون آنذاك تسمى كلية لعدم استكمال النظام الجامعي وتخرج سنة (١٩١٦م) وعمل محامياً ثم ولي القضاء وتدرج في مناصبه حتى ولي منصب مستشار قاضي بمحكمة النقض التي هي أعلى درجات القضاء المصري وكان على صلات وثيقة بجماعة الأخوان المسلمين وخاصة مرشدها ومؤسسها حسن البنا، وبعد اغتيال حسن البنا أجمع مكتب الإرشاد للجماعة على اختيار المترجم مرشد الجماعة الإخوان المسلمين فقبل وترك منصبه القضائي عام (١٩٥٠م).

ذكر المحن التي مرت عليه

حكم عليه بالإعدام عقب أحداث عام (١٩٥٤م) ثم عدل الحكم إلى السجن وبعد نحو عامين سجن بمنزله حتى عام (١٩٦١م) ثم أعيد اعتقاله مع آلاف من أعضاء الجماعة عام (١٩٦٥م) وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاث سنين ثم اعتقل بعدها نحو ثلاث سنوات أخرى وأفرج عنه في أكتوبر عام (١٩٧١م) بعد أن جاوز الثمانين من عمره وقد حج في سنة (١٣٩٢هـ) وكان قد أدى فريضة الحج من قبل كما سبق أن زار المملكة السعودية في مناسبات أخرى حتى توفي في يوم الخميس من اليوم المذكور الموافق ٨ نوفمبر (١٩٧٣م) ودفن في يوم الجمعة رحمه الله تعالى وعفا عنه قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾.

وفيها وفاة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم المتبحر في التفسير والفقه والعلم والمعرفة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ينتهي نسبه إلى يعقوب بن جاكن الأبر جد القبيلة الكبرى المعروفة بالجكنيين ويرجع نسبها إلى حِمير، ولد في القطر المسمى شنقيط، وهو الجزء العربي الواقع في الجبهة الشرقية من دون موريتانيا الواقعة من المحيط الأطلسي والجزائر ومتاخمة لمراكش والسنغال في عام (١٣٢٥هـ)، وتوفي في ١٧/ ١٢ من هذه السنة، وكانت أمه ابنة عم أبيه.

نشأته

نشأ في بيت علم نساءً ورجالاً، ودرس على أخواله وأبناء أخواله ونسائهم مبادئ العلوم وعلوم القرآن وأتم دراساته في مختلف الفنون على كبار مشايخ البلاد من التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو والبلاغة والصرف، أما السير فقد درسها على نساء أهل بيته، وأما المنطق فقد حصله دراسة.

مشائخه

أما مشائخه فكلهم من بلاده منهم الشيخ محمد بن صالح والعلاّمة الشيخ أحمد الأفرم بن المختار والشيخ أحمد بن عمرو الفقيه الكبير محمد النعمة بن زيدان والعلامة في الفنون أحمد فال بن زاده وغيرهم وكان سير الدراسة لديهم أنهم لا يجمعون الفنون معاً ولا يقرأ الطالب على شيخين في وقت وكانت طريقة التدريس لديهم أنه يكلف الطالب بحفظ المتن الذي يقرأه وقد يجتمع لدى الشيخ الواحد العدد الكثير في الفنون العديدة وتستمر الدراسة من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد العشاء يتخللها فترات الغداء والصلوات والقيلولة، وهكذا طيلة العام ما عدا الخميس وصبيحة الجمعة والأعياد فقط وتقتصر الدراسة في رمضان المعظَّم على المذاكرة وكانت علاقة الطلاب بمشائخهم أثناء الدراسة علاقة أبوية ويكون الطلاب ما يسمى بالعزوبة يقومون بشئون أنفسهم وإن وجد فيهم ضعيف ساعده الشيخ وربما أنفق عليه حتى ينهي دراسته عنده وقد كان الشيخ رحمه الله ينتقل إلى مشائخه بأوفر زاد وأكمل متاع وخادم يكفيه كل مؤونة وكان لديه تدريس أهلي في بيته ويجلس للخصوم في بيته فيفصل بينهم وكانت أحكامه نافذة عن الجميع حتى الحكومة وقد كان ثاني اثنين في البلاد وعمدتهم الحكومة الفرنسية بأقضية الدماء خاصة بعد أن امتنع أن يلي لها أي عمل ولما أن كان في سنة (١٣٦٧هـ) قدم حاجاً إلى المملكة العربية السعودية وبدا التدريس في المسجد النبوي وتعرف عليه المسئولون وطلبوا منه البقاء للمنفعة العامة فاستمر في تدريسه وإفادته ولما أن كان في عام (١٣٧١هـ) طلب للتدريس في المعاهد والكليات بالرياض وفي عام (١٣٨١هـ) نقل إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان له حظ عظيم في التأليف وملكة وقوة استخراج ومن الناس من يبالغ في سعة علمه ولا ريب أنه من علماء هذا الزمان المتبحرين ولا أقول أنه عصري بل إنه سلفي وتفسيره للقرآن وشرحه مراقي السعود أكبر دليل على سعة علمه ومقدرته. ومن مؤلفاته «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز»، «أنساب العرب» نظماً «فروع مالك» نظماً

«ألفية في المنطق»، «نظم في الفرائض»، «أضواء البيـان في تفسـير القـرآن بـالقرآن»، «شرح مراقي السعود»، «رحلة خروجه من البلاد إلى المدينة»، وفي تلك الرحلة مـن أنواع العلوم ما دونت فيه المباحثات مع من مر عليهم من أهـل العلـم والمعرفـة في طريقه سرح على السلم أملاه على طلابه ««فع إيهام الاضطراب عن أي الكتـاب» أبان فيه مواضع ما يشبه التعارض في القرآن كلـه. ومنهـا «مـذكرة الأصـول علـى روضة النـاطر»، «آداب البحـث والمنـاظرة» أوضـح فيـه آداب البحـث مـن إيـراد المسائل.

أما عن تفسيره فقد توفاه الله تعالى ولم يكملـه بـل وصـل فيـه إلى آخـر سـورة المجادلة فأكمله تلميذه عطية محمد سالم وحذا حذوه وقد كمل في تسعة أجـزاء كـان التاسع منها ضخماً جداً ولى عليه مآخذ منها أنه أطال في مواضع وأسـهب إسـهاباً في النقول كلام العلماء فوقع نصف القرآن الأول في أقل من ثلاثـة أجـزاء ونصـفه الأخير في ستة أجزاء، ومنها أن بعض القرآن لم يفسره جملة وكنت أظن أن سـكوته عن تفسير بعضه لظنه أنه يفهم من غير تفسير، ولكن هذا لدى أرباب المعرفة مثلـه وإلا فغالب الخلق لا يعرفونه إلا بتفسير هذا ولا ينقص من فضل المؤلـف لأننـا لا ننكر ما له من طول الباع وعلو الكعب ولكن لكل جواد عثرة ولكل صـارم نبـوة، ومنها الملحقات التي في آخر التفسير فلو جعلت مفردة لكان أحسن.

شمائله وأخلاقه

أما عن المترجم فإني لا أعرفـه شخصـياً ولـوددت أنـي اجتمعـت بـه، ولكـن الظروف لم تسمح بذلك وقد قالت عنه مجلة الجامعة الإسـلامية في عـددها الثالـث من السنة السادسة محمد الأمين ذكر محمد تبرك واللقب أبابمد الهمزة وتشديد البـاء واسم أبيه محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمـد بـن سـيدي أحمد بن المختار من أولاد أولاد الطالب أوبك وهذا من أولاد أولاد كرير بن الموافي بن يعقوب بن جاكن الإبر جد القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة بالجكنيين ثـم قـال ويرجع نسب هذه القبيلة إلى حميرة ثـم قـال أمـا مكـارم أخلاقـه ومراعـاة شـعور

جلسائه فهذا فوق حد الاستطاعة، وقال عن أحد تلامذته صحبته لم أسمع منه مقالاً لأي إنسان ولو مخطئ عليه يكون فيه جرح لشعوره وما كان يعاتب إنساناً في شيء يمكن تداركه وكان كثير التغاضي عن كثير من الأمور في حق نفسه ولم يكن يغتاب أحداً ولم يسمح بغيبة في مجلسه وكثيراً ما يقول لإخوانه تحفظوا من حصر الغيبة ويقول إذا كان الإنسان يعلم أن كل ما يتكلم به يأتي في صحيفته فلا يأتي فيها إلا لشيء الطيب ويصفونه بأنه قوي صلباً في الحق وليّناً سهلاً في مخاطبته وفي الرجوع إلى ما ظهر إليه منه وذكروه بمكارم الأخلاق والشيم وصفات الكمال في الرجال ولم تكن الدنيا تساوي عنده شيئاً فلم يكن يهتم لها ولم يطلب عطاء ولا ترفيعاً لمرتبته ولا حصولاً على مكافأة أو علاوة ولكن ما جاءه من غير سؤال أخذه، وما حصل عليه لم يكن ليستبقيه بل يوزعه في حينه على المعوزين من أرامل ومنقطعين ومات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً وقد وجدت عند قصة عجيبة في حال طلبه للعلم بأنه سأل أحد مشائخه في حالة الطلب عن مسألة وكان في شرحه لم يشف ما في نفسه فقام من عنده ظهراً فأخذ الكتب والمراجع وجعل يراجع حتى وقت العصر فلم يتوصل إلى حل مشكلة المسألة فعاد إلى المراجعة إلى غروب الشمس ثم أنه أوقد له أعواد من الحطب يراجع على ضوئها وواصل المطالعة والمراجعة وجعل يتناول الشاهي الأخضر كلما مل أو سئم وحوله من يتابع الوقود من الحطب حتى طلع الفجر وهو في مجلسه لم يقم إلا لصلاة فرض أو تناول لطعام وما زال كذلك حتى ارتفع النهار وقد وضح له مشكلها فنام بقية يومه واكتفى بظهور هذه المسألة فلم يذهب للدراسة بقية يومه من السهر ولله در القائل:

فكابد إلى أن تبلغ النفس عذرها ... وكن في اكتساب العلم طلاع أنجد
ولا يذهبن العمر منك سبهللاً ... ولا تغبنن في النعمتين بل اجهد
وخذها بدرس ليس في النوم تدركن ... لأهل التقى والعلم في كل مشهد
فمن هجر اللذات نال المنى ومن ... أكب على اللذات عض على اليد
وفي خلوة الإنسان بالعلم أنسه ... ويسلم دين المرء عند التوحد

ولما أن كان في ضحى يوم الخميس المذكور من اليوم المذكور توفاه الله تعالى عن عمر يناهز الثامنة والستين في مكة المكرمة فصلى عليه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في الحرم الشريف بعد صلاة الظهر وحضر جنازته جم غفير ثم دفن بمقبرة المعلاة. وفي ليلة الأحد ٢٠/ ١٢ أقيمت عليه صلاة الغائب بالمسجد النبوي في المدينة المنورة صلى عليه فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح رئيس محاكم المدينة وإمام المسجد النبوي بعد صلاة العشاء الآخرة وصلى عليه جموع كثيرة كما صلى عليه بالجامعة الإسلامية وفي مساجد أخرى رحمه الله رحمة الأبرار.

وختمت هذه السنة وعرب فلسطين يكابدون الشقاء من اليهود حيث استعادت قوتها وكونت بناء القوات المسلحة بمساعدة أمريكا لها بحيث هي التي أقامتها بموطن قومي في بلاد العرب فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وصمة عظيمة لولا الوقوف بطريقها

قامت حكومة ليبيا والكويت والمغرب والبحرين لإخراج فلم لرسول الله ﷺ وللصحابة وعقدت هذه الحكومات تأسيس شركة عربية للإنتاج السينمائي العالمي مع المخرج مصطفى عقاد يستمر عرضه ثلاث ساعات ويخرج بعشرين لغة عالمية، وذلك بالاستناد إلى قصة أقرها الأزهر والمجلس الشيعي الأعلى واشترك في صياغتها توفيق الحكيم وعبد الحميد جودة السحار وعبد الرحمن الشرقاوي فعرض هذا الموضوع على المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة فقرر المجلس تحريم ذلك، وهذا في المادة السادسة من قراره المتخذ في دورته الثالثة عشرة المنعقدة خلال المدة من غرة شعبان عام (١٣٩١هـ) إلى ١٣ من الشهر المذكور وقررت هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية المنع، وذلك بقرارها رقم ١٣ وتاريخ ١٦ من هذه (١٣٩٣هـ) ومنع إخراج فيلم الصحابة وقرروا المنع في أربع مواد وأن ذلك فيه استهانة بجانب النبي محمد بن عبد الله ﷺ وفي أصحابه رضوان الله عليهم،

وقال رئيس الجامعة الإسلامية إني أطلب من جميع المسلمين في كافة الأقطار استنكارهم لذلك كما أرجو من جميع الحكومات والمسؤولين بذل جهودهم لوقف إخراجه.

المرصد الفلكي

لقد تابعت الرابطة الإسلامية جهودها لتقرير مرصد فلكي بعد توحيد الأهلة وإنشائه يطلق عليه اسم المرصد الإسلامي حيث سيزود بالكفاءات الإسلامية والمعدات الإسلامية الحديثة للأرصاد الفلكية وتقرر اختيار الموقع المناسب للمرصد وذلك في اجتماعات المرصد التي جرت في شهر رمضان من هذه السنة، وقد اتجه البحث في إنشائه في منطقة الطائف واهتمت البلدان كمصر والكويت وغيرها وعقد مؤتمر في الكويت سمي مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الإسلامية العرب، وكان انعقاده في فبراير (١٩٧٣م) ميلادي من رؤية وحسابات وقياسات ضوئية وكهربائية وذلك في استخلاص رأي موحد فيه بعد أن شمل العالم الإسلامي ملتئماً تحت راية التضامن الإسلامي التي رفعها الملك فيصل عالية فوق كل شعارات الدنيا نسأل الله تعالى أن يجمع شمل المسلمين على الهدى، وقد جرت بحوث بهذا الشأن فمن قائل باختلاف المطالع ومن قائل بالاتفاق وكان الذين يرون اختلاف المطالع يحتجون بحديث كريب «أن أم الفضل بعثته إلى معاوية بالشام قال فقدمت الشام وقضيت حاجتها واستهل علي رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني عبد الله بن عباس ثم ذكر الهلال فقال متى رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أنت رأيته؟ قلت: نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية، فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه فقلت ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه فقال: لا هكذا أمرنا رسول الله ﷺ» رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه، وممن أخذ بهذا القول فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد وألف فيه رسالة وذكر الأدلة والأقيسة المؤيدة لذلك

وأقوال العلماء وأن هذا مشاهد ملموس وأسمى كتابه «تبيان الأدلة في إثبات الأهلة»، وحمل على من قال بتوحيد الأهلة وفند رأي رابطة العالم الإسلامي وأثبت أن لكل بلد رؤيتهم وتناول بحثه أموراً مهمة جداً ولكنه يرد على ما اختاره هو ومن قال بذلك توحيد يوم الوقوف بعرفة وقوله ﷺ في حديث أبي هريرة الذي رواه أبو داود وابن ماجه «الفطر يوم يفطرون والأضحى يوم يضحون»، وفي حديث عائشة قالت قال رسول الله ﷺ: «الفطر يوم يفطر الناس والأضحى يوم يضحي الناس» رواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب.

تكوين المسالخ في أمهات المدن

صدر قرار من وزارة الداخلية بتوقيع سبعة عقود مع إحدى الشركات العالمية المتخصصة لإنشاء سبعة مسالخ كبرى في الرياض ومكة والمدينة المنورة وجدة والدمام والإحساء وبريدة وذلك بمبلغ سبعة وثمانين مليون ريال وهذه تكون على الطريقة الصحية ويتكون المسلخ من عدة مبان أهمهما مبنى الذبح والمسلخ وصالات التبريد ومبنى الذبح الصحي والورشة ومبنى الإدارة بالإضافة لمحطة الحضائر والكراج وبرج الماء وغرفة الحراسة ومواضع الغسيل والتطهير ومكان السماد وأشياء أخرى توفر راحة المواطنين والذبح والنحر على الطريقة الشرعية واستعمال منشار كهربائي لفتح عظام الصدر ومنشار كهربائي لتقطيعها وآلات أتوماتكية للوزن والنقل وغير ذلك وهذا العمل لأول مرة يكون.

ثم دخلت سنة (١٣٩٤هـ)

استهلت هذه السنة والعرب يكابدون المشاق من دولة اليهود ويطالبون برجوع أهالي فلسطين المشردين الذين أخرجوا من ديارهم وما أصبحوا به من إيداعهم السجون والتعذيب والحالة التي رماهم بها الدهر وعظهم بنابه وأمسوا بعد التقلب على الأرائك الأثيرة والنعيم يفترشون الغبراء ويستظلون الخضراء ويضو تحت الخيام الممزقة من القذائف النارية أشبه شيء بزرائب الحيوانات تهطل عليهم

الأمطار وتغمرهم الثلوج وإذا كانت أمريكا وبريطانيا هما اللتين مكنتا اليهود من سكنى تلك الجهات وأيدتها بقوة حرابها وما تستطيعه من الحيل الجائرة فإن اليهود أو دولة إسرائيل نالت أمنيتها التي لم تكن تحلم بها قبل وصممت على البقاء والعناد ولا تزال في التوسع ورؤية جاراتها بعين الاحتقار كما صنعته أيضاً في لبنان وهكذا فعل مستعمر خسيس لا دين له ولا شرف.

وفي شوال من هذه السنة عقد مؤتمر القمة في الرباط وحضر لذلك رؤساء الدول العربية وذلك للنظر في مشكلة فلسطين التي تأزمت في ضل مجلس الأمن في حلها ولما كانت اليهود تعمل ما تشاء من التنكيل بعرب فلسطين ولم تخشَ سطوة خالق ولا مخلوق لمساندة أمريكا للعدو فقد قام الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز عاهل السعودية يستميل أفريقيا للانضمام إلى العرب ليكونوا يداً واحدة واستمال بما لديه من القدرة دولة فرنسا لتقوم بمساندة العرب وقد نجحت أعماله وانضم غالب أفريقيا إلى العرب.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها وفاة عمر السقاف وزير خارجية المملكة العربية السعودية على أثر جلطة في الدماغ كان بها حتفه وذلك في يوم الخميس ٣٠/ ١٠ وهو في أمريكا منتدباً من الحكومة السعودية يناقش قضية فلسطين فكان لوفاته رنة أسف في البلاد العربية ولا سيما في حكومته لأنه توفي وهو يؤدي واجبه في أمريكا نحو الموقف في الشرق الأوسط وضجت الإذاعات تندبه بأن الأمة العربية وغيرها فقدت رجلاً مخلصاً طالما ترأس وفد المملكة العربية السعودية وأظهرت الحكومات الحداد عليه كما أن الحكومة الأمريكية وضعت علمها لهذا الحادث المؤسف الشديد وقد أقرت له مندوبو الدول بالشجاعة والتقدم والإخلاص والتفاني في قضية العرب وجاءت التعازي من رئيس أمريكا ووزير خارجيتها للملك فيصل وحمل جثمانه بطائرة خاصة من أمريكا إلى جدة ثم نقل جثمانه إلى المدينة المنورة للصلاة عليه وإيداعه في قبره.

وفيها في ٢٠ جمادى الثانية الموافق ليوم الخميس وفاة الحاج أمين الحسيني رحمة الله على أموات المسلمين، وقد أقيمت صلاة الغائب على فضيلته بالمسجد الحرام وكان يعتبر من أكابر علماء الشام وأيضاً كان معظماً من بين العرب لأنه يناقش في قضية فلسطين وأدى واجباً نحو هذه المشكلة، وقد توفاه الله تعالى ولم تنحل ولم توفق لحل يشفي ويكفي وكان هو المفتي الأكبر في فلسطين ورئيس مجلس الأمة الفلسطينية العربية، وقالت عنه صحيفة الحياة بعددها ٨٩٣٧/ ١٦ تموز ١٩٧٤م كان الحاج أمين من عظماء أمتنا في العصر الحاضر بالرغم مما لقي من جفاء وجحود ومقاومة ودعاية مغرضة في الداخل والخارج وتتجلى مظاهر عظمته في شخصيته الساحرة ووجهه النوراني الباش وفي قوة حجته وصلابته في الدفاع عن الحق الشرعي للشعب الفلسطيني وعدم التساهل في ذلك قيد أنملة، لقد رأى الحاج أمين الخطر الصهيوني المحدق بالأمة العربية مبكراً منذ صدور وعد بلفور، وفرض الانتداب البريطاني على فلسطين فتحمل كل المشاق والتشريد في سبيل مكافحة هذا الخطر حتى آخر أيام حياته لا أعرف عربياً سلطت عليه الدعاية الصهيونية العالمية قذائفها وحاولت تشويه سمعته كما فعلت مع الحاج أمين، ومع ذلك فقد وقف صلباً متحدياً الخصوم معززاً مقدراً في العالمين العربي والإسلامي، لا أعرف عربياً حاربته السياسة الاستعمارية غربية كانت أم شيوعية كما فعلت مع الحاج أمين منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى مماته، وقد كانت الدوائر الرسمية البريطانية تتهمه اتهاماً قوياً بأنه يحاول القضاء على الوحدة العربية وألصقت به تهمة الاغتيال للملك عبد الله بن الحسين في إحدى محاولات اغتياله وساءت العلاقات بينه وبين الملك عبد الله حتى قرر عزله من مقامه في فلسطين بصفته رئيس مجلس الأمة الفلسطينية العربية، وكان يظهر أنه بريء من كل ما ألصق به وإنما هو رجل مخلص لأمته ووطنه، وقد تقدم له ذكر في هذا التاريخ في الثورة العراقية وفراره لما فشلت ألمانيا وقد عاد بعدها واستقرّ في لبنان حتى توفي فيها وأوصى أن يدفن في القدس.

ومن توفي فيها من الأعيان محمد بن خزيم، وهـذه ترجمتـه: هـو الشـيخ العـالم الزاهد ذو الأخلاق الزكية والخصال المرضية محمد بن صالح بن سلمان بن علي بن خزيم قاضي الرس والمذنب وعنيزة ولد في بلدة البكيريـة سـنة (١٣١٩هــ) وهـي المدينة الرابعة من مدن القصيم فتعلم القرآن ودرسه حتى حفظـه عـن ظهـر قلـب، وجد واجتهد في طلب العلم وكان عليه آثار الزهد والورع لأنه لازم الشـيخ محمـد بن مقبل واكتسب منه الزهد.

مشائخه

أخذ عن الشيخ العالم الزاهد عبد الله بن محمـد بـن سـليم وأخـذ عـن الشـيخ الألمعي عمر بن محمد بن سليم وكفى بهمـا فخـراً وشـرفاً لتلامـذتهما وأخـذ عـن الشيخ عبد الله بن سليمان من بليهد وأخذ عن الشيخ محمـد بـن عثمـان الشـاوي العالم المشهور وأخذ عن الشيخ الورع محمد بن مقبل قاضـي البكيريـة، وأخـذ عـن الشيخ حمد بن سليمان بن بليهد وكان في إقامته بعنيزة يجلس إلى الشيخ عبد الرحمن بن ناصر ويجري بينهما البحث في مسائل العلم ويعجب لذكائـه ويقـدر لـه عملـه ومكانته كما أنه يجلس إلى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن سبيل، وكان جمـع بـين وظيفتين في القضاء فيتردد بين المذنب وعنيـزة للقضـاء فيهمـا ويتواضـع ولا يحـب الخلطة في المجامع والدعوات وقد رأيته مرة واحدة وكنت زائراً للبكيرية بدعوة مـن أخيه الشيخ الفاضل القاضي سليمان بن صـالح بـن خـزيم واجتمعـت بـه فكـان سكيناً حليماً لا يظهر عليه الفرح ولا الغضب أسمر اللون مربـوع القامـة يميـل إلى القصر وعليه آثار الزهد والورع وليس ممن يفـرش طريقـه بالريـاحين بـل متقشـفاً متواضعاً وكان كـث اللحيـة يعلوهـا الشـيب ولا يـرى لنفسـه حقـاً سـثن اليـدين والرجلين يتكلم عند السؤال ويصمت عند الخوض في أحاديث الـدنيا، وكـان لـين العريكة، وهكذا يكون رجال العلم والدِّين وذا سمت حسـن ولا يحـب أن يضـيع من وقته شيء ثم إنه طلب من الحكومة أن تعطف عليه وتريحه من العمل؛ فأحيـل على المعاش وتفرغ للعبادة حتى توفاه الله تعـالى لأنـه تجـاوز السـبعين تـوفي فجـأة

حوالي الظهر من ٦/٧ من هذه السنة بعد غشية حملوه بالإسعاف فتوفي قبل وصوله رحمة الله عليه وصلي عليه في الجامع الكبير بالبكيرية وخرج لتشييعه إلى قبره خلق كثير وجم غفير.

وفيها وفاة الشيخ محمد بن سليمان البصيري بالمدينة المنورة.

وفيها وفاة الشيخ عبد العزيز الهويش: وهو عبد العزيز بن إبراهيم الهويش، والده الشيخ إبراهيم بن عبد الله الهويش، من أهالي شقراء، ولد رحمه الله في مدينة شقراء عام (١٣٤٧هـ) ودرس في الحجاز والطائف، حيث نجح من المعاهد وكلية الشريعة واشتغل في عدة وظائف حكومية آخرها توليه نيابة رئيس ديوان المظالم في الرياض ويتصف المترجم بحسن الخلق والآداب والأمانة التي أهّلته لأن يكون نائب رئيس ديوان المظالم، وكان محبوباً لدى أصحابه وجلسائه لما قام به من إخلاص وصدق، وكان كريماً وذا أخلاق نبيلة، وكانت وفاته في شهر جمادى الثانية من هذه السنة حيث شيع جثمانه في مدينة الرياض بموكب حزين نعم إنه كان مستقيماً نابغاً في فنون العلم وذا عقل ومعرفة وبصيرة ويلازم حلقات الذكر في الرياض والحجاز، وله مساهمة في الوعظ والإرشاد والمحاضرات وصفه زميله الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل بالوفاء والصلاح، لهذا أسف المسلمون على فراقه وامتدحوه وأثنوا عليه بالشعر والنثر بعد وفاته.

وممن توفي فيها وزير الحربية المصرية أحمد إسماعيل، وذلك في يوم الأربعاء ١١/ ١٢/ ١٣٩٤ هـ، كان قد أصيب بداء السرطان في الرئة فبعث به إلى لندن للعلاج وألحقه الرئيس أنور السادات طبيباً أمريكياً زيادة على ما أمامه من الأطباء غير أن الله تعالى لم يقدر له الشفاء ونقل جثمانه على متن طائرة إلى مصر فأخر تجهيزه ليوم الجمعة، حيث يصلى عليه ويودع قبره، وقد أصيبت به مصر، وكان يخفي علته تلك فما سافر إلا بعدما أجاده مرضه فالله المستعان.

وفيها في يوم الأربعاء ٢٢/ ٥/ ٩٤ هـ قدم الرئيس الأمريكي نكسون من الولايات المتحدة لتسوية الخلاف في الشرق الأوسط فزار مصر ولبث فيها يفاوض

رئيس الجمهورية أنور السادات يومين ثم غادرها في يوم الجمعة ٢٤/ ٥ إلى السعودية مفاوضة الملك فيصل، وفي ٢٥/ ٥ السبت ذهب إلى سوريا لمفاوضة الرئيس حافظ الأسد ثم غادرها إلى إسرائيل في اليوم ٢٦ من جمادى الأولى، ثم أنه ختم زيارته في عمّان يوم الاثنين ٢٧/ ٥ وكان يقام له في كل عاصمة مأدبة فاخرة ورجت الأمة من زيارته خيراً غير أن الأمور لم تزدد إلا تعقيداً، ولم تسفر هذه الزيارة عن شيء، ولما أن كان بعد رجوعه بشهرين خلع الرئيس نكسون وأجبر على التنازل عن الرئاسة ورشح للرئاسة جيرالد فورد، وهنا غيوم شر قد تلبدت في الأفق، وسيجري من الشر ما الله به عليم، وقد قيل في الأمور المغيبة التي لا يعلمها إلا الله:

إن الليالي والأيام حاملة وليس يدري سوى الله بما تلد

هذا ولا تزال قبرص طوال شهر رجب في حرب وقتال مع الأتراك واستمرت المنازعات والقتال الشديد الذي سقط فيه خلائق كثيرون.

وفيها ليلة رابع عشر جمادى الأولى انخسف القمر في منتصف الليل، وكان الخسوف ثقيلاً بحيث لبث ثلاث ساعات، وأيضاً خسف القمر في هذه السنة نفسها وقت طلوعه في ليلة ١٦ ذي القعدة وانطمس انطماساً كلياً، فلم يتجل إلا في الساعة الثالثة تماماً بعد الغروب، كما أنه وقع كسوف الشمس في ٢٩ من ذي القعدة يرى في البلاد الواقعة خلف مصر إلى جهة الغرب.

وفيها في ليلة ١٠ فبراير الموافق ١٨ محرم أعلن العراق بأنه في الساعة الحادية عشرة وزالي تزيد خمساً وأربعين دقيقة دار صِدام ضارٍ على الحدود بين القوات العراقية والإيرانية مني فيه كلا الجانبين بخسائر فادحة، وقالت الإذاعة أن ضابطاً عراقياً قتل وجرح واحد وعشرون جندياً، وهذا يعتبر أول عداء قام بين الدولتين، وهو منذر بما سيجري بعده من التناحر وإراقة الدماء، وما أحسن الأبيات التي ذكرها صاحب الجامع الصحيح أبو عبد الله ونسبها إلى امرئ القيس تقبيحاً للحرب واتقاءً لها قبل وقوعها فإذا وقعت فإن وقفها شديد وليس بيسير:

الحــــرب أول مــــا تكـــون فتيـــة   تســـعى بزينتهـــا لكـــل جهـــول
حتـى إذا اشـتعلت وشـب ضـرامها   ولـــت عجـــوزاً غـــير ذات حليـــل
شمطــاء ينكـــر لونهـــا وتغـــيرت   مكروهـــــة للشــــم والتقبيــــل

ومما يؤسَف له أن رافع راية التضامن الإسلامي وقائـد العروبـة وابـن بجـدتها وجديلها المحكك وغديقها الموجب قد حان وقت غروب شمسه، فما هي إلا أشـهر قليلة فتصاب الأمة الإسلامية والعربية والعالمية بفقده، فلا حول ولا قوة إلا بـالله، ومما قيل في الأمثال:

يــــا لــــك مــــن قنــــبرة بمعمــــر   خلــى لــك الجــو فبيضــي واصــفري
قــد رفــع الفــخ فمــاذا تحــذري   ونقـــري مـــا شـــئت أن تنقـــري
قــد ذهــب الصــياد عنــك فأبشــري   لا بــد مــن أخــذك يومــاً فاحــذري

وفيها جرى تنفيذ المرسوم الملكي رقم م/ ١٣ بتـاريخ ٢٣/ ٤/ ٩١ هــ بـإجراء إحصاء لسكان المملكة خلال ٤ سنوات من تاريخه وتقرير تنفيذه في أواخـر شـعبان فأعدت مصلحة الإحصاءات العامة العـدة لتجنيـد عـدد كـبير مـن البـاحثين مـن مدرسين وطلبة جامعيين يبلغ عددهم في حدود عشرة آلاف ينتشرون في جميع أنحاء المملكة، يوكل إليهم ذلك ابتداءً من ٢٣/ ٨ من هذه السـنة أي خـلال ثمانيـة أيـام وبذلت أسباب للتوصل إلى هذا الغرض حتى أعلن لجميع الموظفين في الدولة بـأن ينتظروا المندوب إلى بيوتهم في ٢٨ و٢٩ شعبان، وقـد جـاء هـذا المشـروع في سـبع مواد جاء في الرابعة منها أنه يحظر على كل شخص تعويق المسؤولين عـن التعـداد عن أداء مهمتهم أو منعهم من وضع أية علامات أو أرقـام علـى أبـواب وجـدران المساكن..الخ. ولكنه فيما يظهر قد فشل الإحصاء لترامي أطراف المملكـة وانتشـار السكان ولا سيما البادية، وكان ذلك عملاً شاقاً.

وفيها في آخر يوم الجمعة في الساعة الحاديـة عشـرة غروبـي مـن ٦/ ٣ نشـأت سحب سوداء كثيفة من الغرب، فلما أن انتشرت إلى الشرق هبـت ريـاح شماليـة

شرقية فأصيبت نفس مدينة بريدة ببرد عظيم بقدر بيض الدجاج، واستمر نزوله عشرين دقيقة وقد أثر البرَد على بعض السيارات بحيث تهشمت وكسر البرَد ما مرّ عليه من الزجاج، غير أن الله دافع عن الأنفس البشرية وكانت الجهة الجنوبية على بُعد مسافة ثلاث كيلوات لم يعلموا بذلك.

حادثة غريبة

وجد في إحدى مزارع قرية القصيعة حبة طماطم مكتوباً عليها بقلم القدرة بخط كوفي واضح (حمداً لله) والكتاب بماء الذهب داخل القشرة، وقال صاحب المزرعة صالح البريدي أنه وجد هذه الحبة عندما كان يقتطف من الأشجار فتناولها وقد نشرت ذلك جريدة الجزيرة في عددها ١٠٣٧ تاريخ ٨/ ١٠/ ١٣٩٤هـ) وتشبه هذه الحادثة ما وجد في خب رواق من ضواحي مدينة بريدة في الجهة الجنوبية ورقة حنطة خضراء مكتوباً فيها هذه العبارة (الرب لكم كالوالدة) ناولنيها الزاهد محمد بن صالح الرشودي صاحب المزرعة وكانت بقلم النسخ وقد احتفظت بهذه الورقة إلى كتابة هذه الأحرف، ولبثت عندي محتفظاً بها عشر سنين وكان وجودها في عام (١٣٨٨هـ)، أما عن الأولى فقد سألت البريدي فأخبرني أنه وجدها بنفسه وأنه قرأها هو وأولاده ونشروها وفي هذا تذكرة من الله بنعمه التي يجب شكره عليها، وإذا تظهر الآيات والخوارق فهي مذكرة بعظمة هذا الرب العظيم، ومما أنشده بعضهم مذكراً بقدرة الله تعالى:

قل للطبيب تخطفته يد الردى ... يا شافي الأمراض من أرداكا
قل للمريض نجا وعوفي بعدما ... عجزت فنون الطب من عافاكا
قل للصحيح يموت لا من علة ... من بالمنايا يا صحيح دهاكا
قل للبصير وكان يحذر حفرة ... فهوى بها من ذا الذي أهواكا
بل سائل الأعمى خطا بين الزحا ... م بلا اصطدام من يقود خطاكا
قل للجنين يعيش معزولاً بلا ... راعٍ ومرعى ما الذي أبكاكا

وإذا تــرى الثعبــان ينفــث سمــه فاســأله مــن ذا بالســموم حشــاكا
واســأله كيــف تعــيش يــا ثعبــان أو تحيــا وهــذا الســم يمــلأ فاكــا
واسـأل بطـون النحـل كيـف تقـاطرت شــهداً وقــل للشــهد مــن حلاكــا
بـل سـائل اللـبن المصـفى كـان بـين دم وفـــرث مـــا الـــذي صـــفاكا

وفيها أمر الملك فيصل بزيادة رواتب ومكافآت لأئمة المساجد ومؤذنيها والخدم بنسبة ٥٠٪ وقد كثرت المساجد في المملكة السعودية وامتلأت، كما أن السكان كثر عددهم فكان من حدود اليمن إلى حدود الشام ومن البحر الأحمر غرباً إلى الخليج العربي شرقاً يتمتعون برغد في العيش وسعة في الرزق ولديهم ثروة في المال عظيمة وأنه يجب شكر الله على نعمه بحيث كانت الأمم الأخرى يتناحرون ويتقاتلون ويتمتعون بضنك المعيشة وما هم فيه من المخاوف والفيضانات، فهذه بلاد بنجلادش المنفصلة عن حكومة باكستان وحاكمها مجيب الرحمن ابتلاها الله بفيضانات عظيمة أهلكت النفوس والأموال وكانت نتائج تلك الفيضانات خسائر أسفرت عن حوالي ٤٥٠ مليون دولار و٣٤٠٠٠٠٠ هكتار من الحقول قد اجتاحت مياه الفيضانات كما دمرت ١٥٠٠٠٠ مسكن و١٤٠٠ مركز تعليم ودمرت أيضاً ٥٤٠٠ كيلو متر من الطرق البرية فاضطرت الحكومات لإسعافها وإنقاذها وقامت الحكومة السعودية بمساعدتها بعشرة ملايين وكان وقوع الكارثة في أواخر شهر رجب من هذه السنة، كما أنه في أوائل شهر شعبان ابتلى الله عز وجل برما بفيضانات عظيمة كان ضحيتها مليون ونصف من الخسائر المادية.

وفيها خلع رئيس الحبشة هيلا سيلاسي وكان قد كبر بحيث يناهز الثمانين من العمر، وكان مشهوراً بشدة العسف والتعذيب ولا سيما للمسلمين هناك، فقد سنّ تشريعات لإذلال المسلمين لما استلم السلطة وأصبح إمبراطور الحبشة فيها أن على المسلمين أن يركعوا لموظفي الدولة وألا يقتلوا وأمر أن تستباح دماؤهم لأقل سبب ومن لم يخضع لأوامره من المسلمين فإنه يأمر زبانيته بالقبض على أطفالهم ونسائهم وشيوخهم فيجمعون في أكواخ من الحشيش والقصب ويصب عليهم البنزين

ويحرقون، وكان يعذب المسلمين عذاباً رهيباً قبل قتلهم من التعذيب إطفاء السجاير في أعينهم وآذانهم وهتك أعراض بناتهم وزوجاتهم وأخواتهم أمام أعينهم ودق خصيتي الرجل بأعقاب البنادق وجرّه على الأسلاك الشائكة حتى يتمزق وإلقاء المعذَّب جريحاً لتأكله الحيوانات الجارحة بعد أن يربط بالسلاسل حتى لا يقاوم، وأمر بإغلاق مدارس المسلمين وأمر بفتح مدارس مسيحية وأجبر المسلمين على إدخال أبنائهم فيها ليصبحوا مسيحيين وعين حكاماً فجرَة تصادر ٩٠٪ من أراضي المسلمين ونهب جميع ممتلكات الفلاحين المسلمين وأصدر أمراً أن لا يقطف الفلاحون ثمار أراضيهم إلا بعد موافقته، وكان لا يسمح بقطافها إلا بعد أن تتلف إلى غير ذلك من أذيته للمسلمين، وفي هذه السنة يخلع ويطرد وقد جزع لخلعه جزعاً شديداً وأمسك عن الطعام والشراب وأودع المستشفى لذلك.

وفيها في ربيع الثاني قامت الحكومة السعودية بأعمال شاقة في إصلاحات شتى في مكة المكرمة وذلك بأن أحضرت المعدات الضخمة لهد جبال في مِنى لتوسعتها للحجاج من دركتورات وجرافات كهربائية للجبال وغير ذلك من شتى القطع الحديثة وقام العمال يباشرون تسليطها على الجبال فصدعتها بالديناميت وأحضرت لذلك السيارات الضخمة لحمل الصخور بعد تكسيرها وإخراجها من مِنى كما أن الحكومة هدت الجهة الشرقية من مسجد الخيف في مِنى وهدّ موضع خيمة الرسول الذي أقامته الدولة العثمانية هناك كتذكار وشرعت الحكومة في بنايته على الطراز الحديث بعدما قومت تكاليفه بسبعة ملايين ريال، كما أن مسجد المشعر الحرام هدت بنايته الأولى، وفي ٥/ ٥ من هذه السنة أخذ العمال في عمارته عمارة ممتازة بقواعد مربعة الشكل، وقد رأيت العمال في ١٥ شوال قد فرغوا من الطابق الأسفل منه ورصد له سبعة ملايين ولا تزال العمارة جادة للمكتبة غربي الحرم المكي التي أقيمت من ست طوابق وهي مكتبة الحرم الشريف عوضاً عن المكتبة الأولى التي شملها الهد لتوسعة المسجد وقد نقلت مؤقتاً إلى بيت الوزير سابقاً في جرول كما أن جلالة الملك فيصل أمر بتوسعة الكوبري المرادف للمسجد الحرام في

جهة الجنوب من ستة أمتار إلى اثني عشر متراً، وقد قومت التكاليف لهذه التوسعة باثني عشر مليوناً، وشقت طرق في جبال مِنى وأقيمت جسور فيه أيضاً، وأقيمت شوارع في عرفات لتتصل بمزدلفة كما اتصلت مزدلفة بمنى بالإسفلت وأقيمت أعلام بحدود عرفات فاصلة لها عن بطن عرنة، وذلك بجعل لجنة من العلماء وأهل الخبرة وقد ازدحم العمل لمضايقة الموسم فكان العمال يعملون بمواصلة الليل بالنهار.

التعويضات

قد قومت التعويضات بقدر ٢٢٢ مليوناً، وأعلنت عنها وزارة المواصلات كما أن من تلك المشاريع طريق دائري حول الحرم الشريف بمكة المكرمة، يبدأ من طريق أجياد ومحبس الجن حتى شارع العزيزية تبلغ تكاليف ٣٢٠ مليوناً، وقد اخترقت الطرق جبالاً بين مكة ومِنى وعرفات بلغت تكاليفها ٤٧ مليوناً، وأنشأت مواقف للسيارات حوالي الحرم الشريف وحوالي مِنى، ومنها طريق الجحفة وطريق الجعرانة وغيرها.

سحب المياه لمدينة الطائف

صدر مشروع سحب المياه من تربة إلى الطائف، وكانت المسافة بعيدة واستخدمت لذلك الحفارات الحديثة تواصل الليل بالنهار، وكان المشقوق مبارياً لخط الإسفلت إلى الجهة الجنوبية، كما أن خط التلفون إلى الجهة الأخرى بمشقوق من الأرض وقد انفصل خط من طريق الطائف إلى قرن المنازل الميقات المشهور بالسيل ليكون أوسع وأيسر من طريق كراء وما يعانيه الحجاج من وادي المحرم لأنه يضيق بالحجاج.

عجائب الشفاء

من عجائب قدرة الله تعالى برد الطايف وما حواليه من المرتفعات، فقد كان مصيَفاً لأهل مكة المشرفة وبكثرة السيارات ودخانها وما استعملت الأمة من

المكائن والديتموات والمواطير وطرق الاسفلت فقد أثرت على برد الطائف، أما عن الشفاء فبرده في فصل الصيف واشتداد الحر من العجائب، فلقد خرج بنا أحد الأحبة للنزهة من مكة إلى الشفاء في نوء تموز حيث تقول العامة عنه إذا طلع تموز سخن الماء في كل كوز، فلما تجاوزنا مدينة الطائف حيث مر بنا على مسكنهم وأخذ ما يصلحنا استصحب نصف كيس من الفحم وحمله في السيارة فعجبت من وقود في ذلك الحر فقد كانت حمله فيما يبدو كالعبث، ولما أن وصلنا إلى ذلك الموضع وغابت الشمس أصابنا برد شديد لولا ذلك الفحم الذي جعلنا نصطلي على ناره لما تمكنا من الجلوس والراحة والطمأنينة لشدة البرد الذي كانت ترعد من الرفقة فرائضهم.

وأذكر أنه دعانا فضيلة الشيخ سليمان بن عبيد بن سلمي حال كونه رئيس المحاكم الشرعية في مكة المكرمة إلى مأدبة الغداء في بيته الكائن بالشفاء في الطائف، وكنا إذ ذاك في أوائل شهر آب الذي تقول عنه العامة إذا طلع آب اطرق المسمار بالباب، خرجنا في صحبته لما فرغ الدوام، فلما أن وصلنا إلى بيته الكائن بالشفا أجلسنا في العريش المكشوف على العمد، فلم نتمكن من شدة البرد ولم نطمئن إلى ذلك المجلس الذي كانت فراص الحاضرين ترعد من شدة برده، حتى إذا دخلنا إلى المجلس وأغلقنا الباب لذلك وكانت تلك الدعوة على أثر ليلة ذلك اليوم التي دعانا فيها لمأدبة العشاء فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد المشرف إذ ذاك على الأعمال الدينية في الحرمين، فلم نتأثر لبرد ذلك الموضع الذي يبعد عن الطائف شرقاً بسبعين كيلو متراً.

زيارة الملك لمصر والاحتفال هناك

لما كان في ١١ رجب من هذه السنة قام الملك فيصل بن عبد العزيز بزيارة رسمية لمصر حسب رغبة الرئيس محمد أنور السادات فأصدر إلى ولي العهد هذا القرار: (بسم الله الرحمن الرحيم، الرقم ٩/ ١١٩ التاريخ ١٠/ ١١/ ١٣٩٤هـ

حضرة صاحب السمو الملكي الأخ الأمير خالد بن عبد العزيز ولي العهد حفظه الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فنظراً لعزمنا على السفر إلى القاهرة يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر رجب عام (١٣٩٤هـ) الموافق لليوم الثلاثين من شهر تموز عام (١٩٧٤م)، وذلك للقيام بزيارة رسمية لجمهورية مصر العربية تلبية للدعوة التي تلقيناها من فخامة الأخ أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية، لذا فإننا نعهد إلى سموكم رعاية مصالح الشعب وتصريف أمور الدولة خلال فترة غيابنا عن المملكة سائلين الله أن يمدكم بعونه وتوفيقه والسلام)، التوقيع - فيصل، ولما أن قدم إلى مصر استقبل استقبالاً حافلاً هناك ونقلت وكالة الأنباء مظاهر الاهتمام الذي أبدته الدوائر الصحفية العربية حول زيارة العاهل السعودي وقالت صحيفة الأخبار أن المحادثات بين فيصل والسادات ستكون ذات أهمية وميزة خاصة بالنظر لأنها تأتي في وقت تشدد فيه الكثير من الأطراف في العالم العربي.. الخ وأذاعت الصحيفة أن المحادثات بين جلالة الملك فيصل والرئيس السادات التي ستعزز العلاقات بين مصر والمملكة العربية السعودية وأشادت صحيفة الأهرام في عناوينها الرئيسية إلى المحادثات الهامة التي سيجريها الزعيمان الكبيران وفي مقدمتها الموقف العربي الراهن والتعاون الاقتصادي بين البلدين، وقالت صحيفة الجمهورية أن زيارة جلالة الملك فيصل تلقى من الشعب المصري المسلم كل الاهتمام لمواقف جلالته المشرفة وأكدت صحيفة لبنان وأشادت بالدور الفعال، ووصفت صحيفة النهار زيارة جلالة الملك فيصل لمصر بأنها تتويج مشترك للفيصل والسادات، وقالت صحيفة الأنوار أن مصر تستقبل اليوم جلالة الملك فيصل بأفضل ما يمكن أن تستقبل به قائداً عربياً من محبة واعتزاز وتقدير، وتكلمت صحيفة صوت العروبة وصحيفة الشعب عن فائدة هذه الزيارة وثمرتها.

وفيها في يوم السبت ١٤/ ١٢ أصيبت الباكستان بزلزال عظيم هلك سببه خمسة آلاف شخص وجرح خمسة عشر ألف شخص، ولا تزال الضحايا والرزايا من جراء تلك الزلازل تتضخم، وجرت مضرة على أكثر من مائة ألف ساكن.

تنبيه: قد أشرنا فيما تقدم عن الحرب والثورات في قبرص وذهب ضحيتها مئات الأسر المسلمة في جزيرة قبرص، ونشير إلى هنا إلى أنها مؤامرة تحاك ضد المسلمين في قبرص ويدل على ذلك المذابح التي ارتكبتها العناصر الحاقدة ضد المدنيين من الأطفال والنساء والشيوخ، وقد أسرت تركيا من اليونان الكائنين في قبرص ٧٨٣ أسيراً ونقلتهم إلى تركيا واستمرت الأحوال هائجة مائجة وكان بعد أن أطاح العسكريون بالأسقف مكاريوس في قبرص تخلص الاستعماريون من آخر زعيم في منطقة الشرق الأوسط قد ناضل ضد النفوذ الأجنبي، ووصل ببلاده بعد كفاح طويل إلى شاطئ الحرية، والسيادة والاستقلال فيما ذكرت عنه إحدى الجرائد اللبنانية، وكان قد نفي إلى جزيرة سيشل من قبل المستعمرين البريطانيين، كما نفى قبله سعد زغلول إلى الجزيرة نفسها، ولاقى من الاضطهاد والمطاردة والمكايدة ما لقيه رجال التحرير في مصر والكتليون في سوريا والسنوسيون في طرابلس الغرب وناله أخيراً من العسكريين ما نال جميع قادة العرب الذين جلبوا إلى بلادهم الاستقلال والازدهار وتصدوا للصهيونية والاستعمار.

وفيها قامت الحكومة السعودية بنشر العلم والثقافة في اليمن ورأت مساعدة الحكومة اليمنية بجلب ثلاثمائة مدرس مصري وخمسين مدرساً سعودياً بالإضافة إلى ثلاثة وعشرين مدرساً قبل هذه السنة، وقامت بجميع مرتباتهم وميانتهم وكان لهذه اللفتة عظيم مشجع للتعليم في الشعب اليمني الذي طالما كان أبناؤه يعيشون في الجهل والجفاء ويضجون مما هم فيه من عدم التعليم، ولقد كان أبناء اليمن حال إقامتهم في السعودية يزاولون أعمالهم في النهار لطلب الرزق وفي الليل وأوقات الفراغ كانوا يدرسون بالمدارس الليلية ويغتنمون الفرص لأخذ نصيبهم من الدراسة.

وفيها صدرت الإرادة الملكية بتحويط المقابر صيانة لرمم الموتى فأقيمت الحيطان بالقواعد المسلحة والطوب، فعم ذلك المقبرتين الشرقيتين في مدينة بريدة والمقبرتين الجنوبيتين والمقبرة القديمة التي في وسط البلد كما أحيطت المقابر كذلك

في الموطأ وقد رصد للمقابر في مدينة بريدة خمسمائة ألف ريال، وكانت الأخيرة منها قد حامت حول وضعها الآراء لاندراسها ومضي حقبة من الزمن عليها وذلك لجعل موضعها حديقة، لأنه لا يعرف فيها قبور، ولكونها أصبحت مزبلة يوضع فيها القمام غير أن بعض المنازعين رأى بقاءها على وضعها لتضمن ما فيها.

أبشع مجزرة بشرية في القرن الرابع عشر

رجال يقومون في الصومال ينهون عن تغيير الشريعة فيحرقون بالنار في ميدان عام وتستأصل بقيتهم بالشنق على الأشجار وينادى لا إسلام بعد اليوم، بعث رئيس الجامعة الإسلامية فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ببرقية إلى رئيس حكومة الصومال لما علق أولياء الله بأعناقهم في جذوع الشجر ليلفظوا أواخر أنفاسهم، في هذه الحالة الشنيعة يقول فيها مخاطباً للرئيس: اتق الله ولا تعذب المسلمين وخوّفه بقدرة الله الذي لا يفوته هارب ولا يعاجزه مغالب وأن الله من فوق الجميع.

ونحن نسوق ما جرى في الصومال فنقول هتف الماركسيون في الصومال أثناء زيارة بود غوتي للصومال لا إسلام بعد اليوم وهو هتاف رددوه من قبل في السودان واليمن الديمقراطية بل في اليمن الشمالي إبان الفتنة الأخيرة، وأقدم النظام الانقلابي في الصومال على إلغاء الشريعة المطهرة الإسلامية بأن جعلوا للمرأة مثل حظ الذكر في الإرث وألغوا آية الطلاق فقرر النظام ألا طلاق أبداً وألغى تعدد الزوجات وعارضوا قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ ﴿٣﴾﴾ وبما أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وأي معصية وأي ردة أعظم من إلغاء آيات من القرآن، فقد وقف المسلمون يرفضون هذه الردة ويطالبون بالإبقاء على شريعة الإسلام، وخطب أحد أئمة المساجد ينكر هذه الردة ويذكر المسلمين بضرورة التمسك بشريعة الله ويتلو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ

﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ وهبّ أكثر من داعية يعبر عن عقيدته ويصور مشاعر المسلمين الصوماليين تجاه محاولات إلغاء الشريعة الإسلامية، فألقى النظام الانقلابي القبض على هؤلاء الدعاة، ثم حُرّقوا بالنار وعشرات حكم عليهم بالسجن مدداً تجاوزت كل خيال، وفي وجه هذه الردة وقف المسلمون في الصومال فكان مصيرهم القتل بأشنع القتلات وهو التحريق بالنار وتعليقهم بأعناقهم وقتلهم بالشنق، فيا لهذه الحالة النكرى وكيف توصلت الأمور إلى هذه الأفعال الشنيعة التي لا يقرها الإسلام ولا العرف ولا الطبيعة، رجال يدافعون عن شريعة الإسلام فيحرقون بالنار، رجالاً قالوا ربنا الله وشريعتنا الإسلام واستقاموا فيعاملون تلك المعاملة ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ ومحى الانقلاب اللغة العربية واستبدلها في النطق والكتابة باللغة اللاتنية، وأطالت جريدة المجتمع واستنهضت الأمة الإسلامية بأن لا مبرر للمجاملات وأنه يجب على المسلمين في كل أرض بأن يقفوا وقفة رجل واحد من أجل إنقاذ الإسلام والمسلمين من هذه الورطة، ثم كلفت الأمة رابطة العالم الإسلامي أن تتصل بكافة المنظمات المشتركة الإسلامية فوراً وتدعوها لعمل جاد مؤثر وفعّال لهذه الأوضاع في الصومال.

اضطهاد المسلمين في زنجبار

قام تيريري يلعب دوراً خطيراً في أفريقيا ولاقى الدعاة إلى الله منه أشد الأذى وأنواع العذاب والتنكيل والتشريد، ومن الذين طردوا خارج البلاد قاضي القضاة هناك، وصدر الحكم على الشيخ حسن بن أمير وهو زعيم إسلام وذكروه بالتقى والصلاح، فمنع من العمل في الدعوة إلى الله وتوج تيريري انتصاره على المسلمين ببناء ثمان كنائس في زنجبار إضافة إلى الأربع الموجودة سابقاً، وقد قام تيريري بفصل المئات من المواطنين المسلمين من وظائفهم وترحيله وقتل بعضهم واعتقال البعض، وذلك في محرم ١٥ من السنة القادمة وقام بقتل الناس الأبرياء في المساجد

أثناء تأديتهم للصلاة وذلك دون أدنى سبب، وقام بزج قادة المسلمين والوعاظ والمرشدين والزعماء في السجون وطردهم ومنع التجهيزات الدينية عن المساجد، وإدخال المناهج الهدامة في المدارس ومنع تدريس الدين الإسلامي في المدارس والمعاهد، وقد رفع أبناء بلدة كفر شنوبا المقيمون بدولة الكويت شكواهم إلى المسلمين مادّين أيديهم للعون والمساعدة لبلدتهم المنكوبة والتي دمرها العدو الإسرائيلي تدميراً تاماً، وذلك بالقصف المتواصل خلال ثمانية أيام ليلاً ونهاراً دمرتها اليهود بالمدفعية والدبابات والطيارات مما شرد أهلها وجعلهم بلا مأوى ولا مأكل ولا لباس فاعتصموا في المساجد والمدارس والمستشفيات، وجرى على المجاهدين أيضاً من المسلمين في الفلبين وبين الحكومة الكاثوليكية حروب جديدة في جنوب الفلبين، ودارت رحى معارك شديدة البأس كثيرة الضحايا فلقد استخدمت حكومة ماركوس ضد المسلمين قنابل النابالم، وضربت بيوت المسلمين هناك وقراهم ومساجدهم وشيوخهم ونساءهم وأطفالهم وقامت الدبابات والطائرات والصواريخ وقنابل النابالم بضرب المسلمين وعلى الرغم من عدم التكافؤ فإن المجاهدين المسلمين نالوا من العدو نيلاً عظيماً وكسروا شوكة الظالمين، وكذلك ما جرى على مدينة أحمد أباد من أذية المسلمين بحيث كانوا يشدون المسلمين بالحبال ثم يرمونهم في النيران الملتهبة وهم أحياء حتى يتحولوا إلى رماد حيث تحولت عدة مناطقها إلى ركام من الخراب، هذا بعد نهب أموالهم وحرق متاجرهم ومنازلهم وانتهاك محارمهم مما تقشعر منه الجلود وتشمئز منه القلوب وتنكره الفِطر السليمة والأخلاق المستقيمة استهتاراً بالشريعة المحمدية.

في هذه السنة نشرت صحيفة الشهاب اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ ربيع الأول الموافق نيسان فقرات خطيرة من خطاب الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة الذي ألقاه في مؤتمر المدرسين والمربين لمناسبة الملتقى الدولي حول الثقافة الذاتية والوعي القومي يتضمن الطعن في القرآن الكريم بأنه متناقض ومشتمل على بعض الخرافات، وقد نشرت نص الخطاب جريدة الصباح التونسية على جزأين في

عددين صدرا بتاريخ ٢٠ و٢١ من شهر آذار مارس الماضي وهي ثلاث نقاط ذكر أبو رقيبة في خطابه أن في القرآن تناقضاً لم يعد يقبله العقل بين ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ و ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ وذكر أن الرسول محمداً كان إنساناً بسيطاً يسافر كثيراً عبر الصحراء العربية ويستمع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت وقد نقل تلك الخرافات إلى القرآن، مثال ذلك عصا موسى، وهذا شيء لا يقبله العقل بعد اكتشاف باستور وقصة أهل الكهف وذكر أن المسلمين وصلوا إلى تأليه الرسول محمد فهم دائماً يكررون محمداً ﷺ يصلي على محمد، وهذا تأليه لمحمد، وقد دعى في ختام خطابه المربين وأهل العلم إلى تلقين ما قاله حول الإسلام إلى تلاميذهم، النقطة الخامسة معارضته إعطاء المرأة نصف ما يُعطي الذكر، النقطة السادسة أفكاره تعدد الزوجات ولا ريب أن هذا كفر صريح وقد أفزع هذا المقال كل مسلم قرأه أو سمعه، فصاح به العلماء وهم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وحسين محمد مخلوف وأبو الحسن علي الحسني الندوي وأبو بكر محمود جومي والدكتور محمد أمين المصري وأرسلوا إليه بتاريخ ١٦/ ٤/ ١٣٩٤ هـ برقيات استنكار لتلك التصريحات المكفرة التي فيها الطعن في القرآن والنبي المصطفى وطلبوا منه أن يكذب ما نسب إليه، وقام الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رئيس الجامعة الإسلامية ومفتي الديار المصرية سابقاً وقاضي ولايات شمال نيجريا وأمين عام ندوة العلماء لكنوا الهند وقد تجاوب معهم الرئيس ووعد وتبرأ وتقدم السفير التونسي في المملكة برسالة من الوزير مدير الديوان الرئاسي برقم ٤٠٦ تاريخ ١١ ماي (١٩٧٤م) للشيخ ابن باز ذكر فيها أن فخامة الرئيس قد اطلع على برقيته شاكراً له حسن عنايته وقيامه بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وذكر أن الحبيب بورقيبة إنما جاهد فرنسا لإعلاء كلمة الله والوطن وإرجاع تونس دولة مستقلة دينها الإسلام ولغتها العربية وأنه ما كان ليدور بخلد فخامته الطعن في كتاب الله ولا في مقام الرسول الأكرم عليه أفضل الصلاة والسلام وهو الذي نصر الحق بالحق وهدى إلى الصراط

المستقيم إلى آخر كلامه، وكان الشيخ عبد العزيز قد أرسل إليه برقية في ٧/ ٤/ ١٣٩٤ هـ وتلطف ورجا من الرئيس أن يعلن البراءة من جميع ما نسب إليه والحقيقة أنه لا ينبغي من رئيس يتظاهر بالإسلام أن يعتقد هذا الاعتقاد لأنه يخرجه من الملة ثم نشر الشيخ ابن باز رسالة سماها حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات أو وصف الرسول ﷺ بما يتضمن بنقصه أو الطعن في رسالته والرد على الرئيس أبي رقيبة، فيما نسب إليه من ذلك، وقد وزعت الرسالة في المدينة المنورة بعد ذلك.

وفي هذه السنة أحصيت وظائف البلديات في المملكة السعودية كما جاء في جريدة الرياض ١٠/ ٧ فبلغت مع وظائف مصالح المياه تسعة آلاف وسبعمائة وثمانين وظيفة.

وفي ١٨ ذي القعدة من هذه السنة يقف الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز يقص الشريط للافتتاح الرسمي للحرم الجامعي الجديد لكلية البترول والمعادن بالظهران.

وفيها أنشئ في المملكة السعودية صندوق التنمية العقاري وذلك في ١١/ ٦/ ١٣٩٤ هـ أول يوليو (١٩٧٤م) ويهدف إلى تشجيع القطاع الخاص على البناء والتعمير لعرض السكن الشخصي والاستثمار ويقوم بمنح قروض بنسبة ٧٠٪ من تكاليف البناء بحد أقصى ٣٠٠ ألف ريال.

ثم دخلت سنة (١٣٩٥هـ)

استهلت هذه السنة وقد انبعثت روح الحياة الإسلامية تدب في ساكني قارة أفريقيا والباكستان واليمن وغيرها من إمارات الخليج وذلك لبعث المدرسين والمرشدين والموجهين من المملكة السعودية وبذل المساعدات المادية لبناية المساجد والرباطات والإعانة لبناء المدارس والمعاهد هناك، وقد بث الملك فيصل دعاية قوية فكان بذلك أعظم داعية إسلامية في زمانه، وقد ترجمت كتب إسلامية عربية بسائر

اللغات المنتشرة هناك، وكثر الإسلام في تلك الجهات وانتشر فكانوا يعتنقونه بالعشرات والمئات وبعثت الحكومة السعودية بعض أئمة المسجد الحرام لإقامة صلاة العيد وشعائر الإسلام هناك، وقد واجهت تلك الدعاية قبولاً من الرؤساء والمعظمين والمتبعين الذين يسودون تلك الجهات، وقام المبتعثون وما يتخرج من الجامعة الإسلامية ينشرون الدعوة إلى الإسلام ويشرحون لرؤساء البلدان مرامي السياسة الإسلامية الرشيدة وما تهدف إليه من جمع كلمة المسلمين وإزالة العوائق التي تحول بين اتصال المسلمين بعضهم ببعض.

وفيها أسست المدينة الصناعية ببريدة خلف قرية رواق في الجهة الجنوبية على بعد سبع كيلو من مدينة بريدة، وكانت تبلغ مساحتها زيادة على مليون متر مربع وكانت تضم حالياً ستة مصانع وهي مصنع الطوب الفخاري ومصنع الإسفنج الصناعي ومصنع الألمنيوم ومصنع الغازات ومصنع للأثاث، ومصنع للبلاستيك وتقوم هذه المدينة بخدمة المصانع والمشاريع الصناعية وتقدم المواد الأولية اللازمة للمشروع، ويوجد فيها خمس محولات كهربائية محطية وغير ذلك وتعمل أوتوماتيكياً للرفع. وقد شرعت الوزارة في تأسيس عدد من المدن الصناعية في المملكة، لأن هذه المدن توفر للمصانع الخدمات ومصالح أخرى، وقد تأسست المدينة الصناعية ببريدة على أن يكون فيها خمسون مصنعاً ولا ريب أنها خطوة تقدمية تخطوها المملكة.

وفيها في مستهل ربيع الأول عام (١٣٩٥هـ) الموافق ٢٢ من برج الحوت فشا بين الناس أن رجلاً من ضواحي بلدة حائل رأى ملكاً فاتبعه في أثره حتى صعد الملك على جبل هناك فأثرت قدماه في الجبل آثاراً بيضاء ومن الناس من يقول كان لها أثر نور في ظلمة الليل، ويبالغ بعض الرواة في هذا الموضع، فركبت إلى بلدة حائل واتصلت بالإمارة وهناك سألته فأجاب بأن ذلك له ذكر عند العامة ولكنه أقل من مخبره فزودتنا الإمارة بسيارتين لرؤية الجبل وتتبع الآثار المذكورة هناك

والوقوف عليها فقيل إن الذي وقعت له هذه القصة أعرابي في تلك الضاحية، ولما أن سرنا إلى تلك الجهة سألنا عنه حتى اتصلت به ليروي لنا القصة، ووجدته أشمط مربوع القامة يدعى عبد الله بن زايد الحميدي فقال أنه كان لدي ماشية من الغنم وكانت السنة ممحلة ومجدبة فكنت أعلفها وأجمع لها حتى لم أجد ما أعلفها به فكنت أرثي لغنمي كلما رأيتها، وكان يأتي إلى بئرنا رجل يدعى زبن المطيري ليستقي من مائها ويستعذب لأهله وهو شيخ كبير يقود سيارته وقد يساعده أبناؤنا لموقفها لأنه لا يهتدي إلى مصب الماء تماماً فقدر أنه جاء ولم يجد من يساعده فاختل توازن السيارة وحصل ضجة شديدة من الأولاد خوفاً من أن تسقط في البئر ففزع لذلك وخاف ونزل إلى الأرض يتفقد السيارة، ثم دعا بماء فصب على رأسه ويديه ورجليه ثم سأل الأولاد هل أحدث عدم اتجاه السيارة حادثاً فأخبروه بالسلامة ولطف الله تعالى غير أنهم خشوا أن تسقط السيارة في البئر فصاحوا لذلك فحمد الله وشكره على لطفه ثم قال لا حول ولا قوة إلا بالله، إن هذه السنة لمشؤمة رأيت السحاب يلتحم ولا يمطر ورأيت الغبرة والقترة فأسأل الله أن يجعل المصيبة في العشب أو الحلال ولا يجعلها في الراعي ووالي الأمر ثم ذهب وأحدث كلامه انزعاجاً وكانت الأعراب يتشاءمون، ومن جهة أخرى فقد كان في مصر فلكي يدعي علم النجوم في حساباته فكان يتنبأ في لياليه وعلم النجوم أنه يموت عظيم في هذه السنة، ويفشل مؤتمر كذلك بنبوءة علمه ثم ذكر الأخ عبد الله بن زايد أنه ذهب كعادته هو وصبيته لرعي الغنم ومن بينها شاة يحلبونها ويزيدون في علفها لذلك قال فلحقتني ولها ثغاء كأنها تشتكي من الجوع فقال مخاطباً لها أشكو إلى الله هذه الحالة قال ثم توسدت حجراً ونمت فتبدى لي إنسان طوال أبيض اللون وعليه لباس أبيض فقال بشر الناس بخير ولا يحزنوا ثم ذهب وصعد إلى جبل يبعد مسافة كيلوين عن موضعه يدعى بجبل ذوف فلما استيقظت ذهبت أتتبع آثاره فوجدت مواضع أقدامه بيضاً نعم وجدناها بيضاً حينما وقفنا عليها وتقدر بأربعين قدماً، وهي أقدام رجل معتدل القامة فليس القدم بالطويل ولا القصير وانتهت على جبر

ماء في ذلك الجبل الذي يدعى جبل ذرف في شعيب يسمى شعيب الحفن وهناك خيمة فيها رجال محافظون على آثار تلك الأقدام وهي لا تزال باقية منذ شهرين ونصف شهر لم تمح، ولكنها لم تحتفر بالصخر ولم تكن مضيئة كما زعموا ولكنه موجود في الجبل على مسطحة أثر قدم منطبع في الصفا بأصابع واضحة ورؤية واضحة كبير الحجم هدانا إليه أحد الحارسين هناك.

حادث أليم في هذه السنة

لما كان في اليوم الثالث عشر من ربيع الأول استشهد فيصل بن عبد العزيز فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

صفة الحادث

لما كان في هذا اليوم المذكور ١٣/ ٣/ ١٣٩٥ هـ الموافق ليوم الثلاثاء ٢٦ مارس -آذار- (١٩٧٥م) تقدم فيصل بن مساعد بن عبد العزيز فدخل على عمه فيصل بن عبد العزيز متذرعاً بتهنئته بعيد الميلاد، وكان متجنداً المسدس خفية وبما أنه من الأسرة فإنه سمح له بالدخول فأفرغ رصاص المسدس في رأس الملك وصدره وكان هناك قرائن تدل على أنه يخشى على الملك منه وكان أمر الله قدراً مقدراً. ولما أن وقع هذا الحادث الأليم المشؤوم سقط الملك عن الكرسي ورفع طرفه إلى السماء، وقال إرادتك يا رب، ثم تكلم بصوت خافت يقول: حققوا مع الجاني، ولما نقل إلى المستشفى ما كان إلى حياته من سبيل وسلمت روحه إلى خالقها وقد قبض على الجاني وضربوه بأعقاب البنادق حتى انكسرت إحدى قوائمه وأودع السجن وقد حدث لذلك رنة أسف في مشارق الأرض ومغاربها وفي الجزيرة العربية ونكست الأعلام لموته وأعلن الحداد في سائر ممالك الدنيا عليه لأنه أكبر داعية إلى الإسلام وأكبر مقاوم للشرك في زمانه، وهكذا أعرب الجاني بأنه قتله لذلك وهذا لما جرى التحقيق معه وتكلم بكلام خرج فيه من الإسلام.

استشهاد الفيصل العظيم ـ رحمه الله ـ

لما قتل في الساعة الثالثة صباحاً بالغروبي أعلن الديوان الملكي بالرياض بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور نبأ استشهاد الفيصل رحمه الله وهو يصرف شؤون الدولة ويواصل نهجه في البناء والتطوير وما أن أذيع النبأ حتى ذهل الناس جميعاً وأصابهم الوجوم والحزن وأغلقوا متاجرهم وتركوا بيوتهم متوجهين إلى قصر الحكم في الرياض بين مصدق ومكذب وغير مصدق وإلى دور الإمارات في داخل المملكة والسفارات في خارجها فوجدوا الأعلام منكسة وإذا الخبر حقيقة والفيصل الغالي ينتقل إلى الرفيق الأعلى، فعمّ الحزن وانهمرت الدموع لوعةً وحسرة على الفقيد الراحل طيب الله ثراه، كما حضرت الألوف المؤلفة من داخل المملكة وخارجها لتشييع جثمان الشهيد إلى قبره ولتعزية الأسرة المالكة وهم يتلون قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولما نودي بالصلاة عليه بعد العصر من اليوم الرابع عشر وحمله ودفنه وسار نعشه فوق الرؤوس كنت لا تسمع إلا البكاء والابتهال والنداء بذكر الله جهراً وحصلت ضجة عظيمة شديدة وزحام عظيم واشتد الخطب وعظم المصاب وشقت الجيوب من بعض الأنام وانطلقت بالرثاء الأقلام، وكنت ممن وفد للصلاة عليه وتشييع جثمانه فرأيت حالة يرثى لها وحاملي النعش من الأسرة السعودية من بين الأمة قد رفعوا أصواتهم بالبكاء وسباباتهم بذكر الله جهراً فكان مشهداً أليماً ولبست بعض الجهات السواد لموته، وذلك لأنه سقط في ساحة الشرف في سبيل القضايا العربية التي وقف حياته لها ولفظ آخر أنفاسه في خدمتها قالت الرياض في أحد أعدادها (قلوب الناس لم يخف حزنها وعيون لم تجف دمعها) إن قلوبنا لن يخف حزنها وعيوننا لم تجف دمعها بفقيد بطل العروبة والإسلام فيصل بن عبد العزيز -رحمه الله- الذي ترك فينا ألماً وحزناً مصيبة برحيله عنا فقد كان يعيش في قلوبنا في أفكارنا في كل حياتنا إن الفيصل العظيم زرع حياتنا أمناً ورخاءً وسروراً ورفاهية

وجعلنا قمة في هذا الوجود قمة في حياتنا فقد جعل الشعب السعودي المثل الذي يحتذى به ولم يكن الشعب الذي قاده الفيصل الباني إلى القوة والمجد وأسس نهضته العارمة وحده ولكن الشعوب العربية والإسلامية قادها بطل الأبطال إلى بناء مجدها وعزها وتوحيد صفوفها ووقف في كل المنابر يدعو إلى الخير والفضيلة يدعو إلى السلام والعدل إلى آخر كلامه.

ونشرت هذه الجريدة لإحدى نساء الأسرة كلمة عنوانها: **القائد الملهم.**

ماذا بعد فيصل، وماذا بعد الذي حقق الخير والسلام في أرجاء العالم، أبعد فيصل أبعده قائد داع إلى السلام في العالم الإسلامي والعربي إن هذه لخسارة عظمى وفادحة كبرى بعد فقد هذا الرجل الذي ضحى بكل حياته وراحته وسعادته في سبيل الرفاهية لهذا الشعب المخلص الذي تمنى أنه فقد أعز ما يملك من المال والبنين في سبيل حياة الفيصل ولكن هذا قضاء الله وقدره أن هذا الشعب الذي ذرف الدمع الغزير على فقيد هذه الأمة ألا وهو الفيصل الشهيد لا يفي حقاً من حقوقه العظيمة ولا نقطة من دمه التي خرجت من جسمه الطاهر على يدٍ أثيمة وهو على مكتبه يجاهد من أجل المقدسات الإسلامية ومن أجل إسعاد هذه الأمة وفي سبيل إعلاء كلمة التوحيد لا إله الله محمد رسول الله التي لا تفارق ذلك الفم، إلى أن قالت: فيا لهول هذه الخسارة على الأمة الإسلامية والأمم التي تنشد السلام فإن القلوب ذابت والعيون عمت من شدة البكاء وإنني أكتب هذه الأسطر التي لا تفي الفيصل حقه وأنا لا أكاد أرى سطراً من سطورها من شدة الدموع وكل هذا لا يجزي فيصل الشهيد الأب الحنون المرحوم والابن البار لشعبه وأمته والرجل المتواضع في جميع أعماله وفعاله فيا رب وفق خليفته خير خلف لخير سلف وبارك في مساعيهم وخذ بأيديهم ليسلكوا الطريق الذي سلكه الفيصل وبارك في مساعيهم وخذ بأيديهم ليسلكوا الطريق الذي سلكه الفيصل وبارك في مساعيهم وخذ بأيديهم واجعل خالداً وفهداً محروسين تحت حراستك وتحت حمايتك واجعل فيصلاً في جنة الخلد مع الشهداء الأبرار والصالحين من عبادك وأظله تحت ظلك

يوم لا ظل إلا ظلك واجبر مصيبتنا وأحسن عزاءنا وثبت أقدامنا على طاعتك واقهر أعداء الدين وانصر عبادك الموحدين، واجعل هذا البلد تحت ظل المليك وولي عهده آمناً وسائر بلاد المسلمين يا الله.

قالت أيضاً هذه الجريدة تحت عنوان (**رحم الله الراحل العظيم**) رحمك الله يا فيصل العرب والمسلمين رحمك الله يا شهيد الأمة العربية والإسلامية رحمك الله قائداً فذاً وحكيماً نافذ البصيرة ثاقب الرأي ملكت عرش القلوب في وقت اضطربت فيه الموازين وتفرقت فيه الأمة العربية شيعاً وتألبت فيه قوى الشر وتحيرت فيه وسائل الإعلام ضد مواقفك التاريخية في دعوة التضامن العربي ودعوة التضامن الإسلامي فاستطعت بما منحك الله من الصبر والحلم والحكمة والجلد والحزم والتسامح من ترأب الصدع وتجمع الكلمة وتوحد البلاد العربية وتشد من أزر دول المواجهة وأن تساهم في معركة رمضان المبارك العسكرية وما تبعها من معارك سياسية واقتصادية لا تزال آثارها قائمة وكنت المرجي بعد الله في إصلاح الأمور بما عرف عنك من سداد الرأي والجزم وحسن الإدارة والجلد والمثابرة والصبر والحلم والتواضع، وبعد النظر وبدأت جهادك بل واصلت جهادك الشاق ورسالتك العظيمة مستلهماً من الله العون والرشاد وملتمساً من إخوانك ورجالك المخلصين العون ومسترشداً في سياستك وقيادتك مبادئ المغفور له مؤسس الدولة السعودية وموحد الجزيرة العربية تلك المبادئ التي أهمها الحلم والحزم والتسامح والتواضع فكنت أخاً وخادماً وقائداً فتحققت على يديك المعجزات بفضل الله ثم بفضل قيادتك الرشيدة وأطالت الجريدة في تعداد مواهبه وفضله وتسامحه مع خصومه كل ذلك لأجل جمع كلمة العرب سعياً وراء وحدة الصف وأثنت على نهضته بالمملكة حضارياً واقتصادياً بحيث جردت كثيراً من دول أفريقيا من علاقاتها السياسية والاقتصادية من القوى الصهيونية إلى آخر الثناء على الفقيد، قال غازي القصيبي يرثي الملك فيصل بن عبد العزيز:

فارس القدس اقفر الميدان   وهوى البند واستراح الحصان

سـقط السـيف مـن يـد رفعتـه نصـف قـرن واستسـلم العنفـوان
وانحنـت أمـة عليـك بقلـب مـلأ التوحيـد نبضـه والحنـان
الريـاض الحسـناء وجـه كئيـب أوغلـت في شـحوبه الأحـزان
والجمـاهير موجـة مـن ذهـول ونشـيج مـاذا يقـول البيـان
نبـأ طـاف بالصـحارى فريعـت واقشـعرت لهولـه الكثبـان
أجهشـت بعـده الخيـام وفـاض الـ ـرمل دمعـاً وأنـت الوديـان
فـارس القـدس لـو يجـوز فـداء لافتـدتك الأضـلاع والأجفـان
لـو يـرد القضـاء لانتصـب السـحب سـياجاً فمـا اسـتطاع الجبـان
لـو يصـد الـردى الثبـات لصـد الـ ـموت حـزم ملكتـه وجنـان
لـو ونحـتي الـرؤوس هـذا قضـا ء الله هـذا مـا شـاءه الـرحمن
كلمـا ضـلل المصـاب نهانـا ردنـا مـن ضـلالنا الإيمـان
فـارس القـدس أغمـض العين واهـدا فلقـد أرهـق الكمـي الطعـان
قـد بلـوت الجهـاد والعمـر غـض والصـبا في أحصـلاله ريـان
وخـبرت النضـال شـيخاً فلـم يصـدأ فرنـد ولم يكـل سـنان
خطـوات القصـون فـوق محيـاك حـروب وقودهـا الشـجعان
خضـتها بالسـلاح والهـول نـار تتلظـى وللـردى جيشـان
خضـتها بـاليقين والأفـق بحـر مـدلهم يعـي بـه الربـان
خضـتها بالصـمود ينتحـر اليـأس عليـه يخافـه الإذعـان
خضـتها بالسـديد مـن ثابـت الـرا ي وللـرأي في الحـروب مكـان
فـارس القـدس كيـف عبـت ومـا حيـ ـاك في قدسـك الحبيـب أذان
مـت والقـدس في عيونـك حلـم وخيـال منظـر فتـان
مـت والقـدس في دمائـك شـوق لـيس يهـدأ أيهـدأ الطوفـان
مـت والقـدس في الشـفاه صـلاة يـا إلهـي متـى يحـين الأوان
فـارس القـدس لا يـزال علـى القـد س ظـلام مخـيم وهـوان

في ربـــوع الإســـراء يستأســـد البغـــ ـــــي علينـــا ويشـــمخ الطغيـــان
غـــرهم أناهـــد أنـــا وهـــل يـــد رون مـــــاذا يـــــدبر البركـــــان
فـــارس القـــدس مـــت ويبقـــى الحـــ ـــب يبقـــى الوفـــاء يبقـــى الكيـــان
كلمـــا خـــر فـــارس في ثرانـــا دفـــع البنـــد بعـــده فرســـان
مـــنجم للرجـــال أرض بـــلاد في رباهـــا تنـــزل القـــرآن
شـــع منهـــا الهـــدى فأومضـــت الـــد نيـــا حبـــوراً ومـــادت الأوثـــان
وأطـــل الصـــباح يزهـــق كفـــر في ســـنياه ومولـــد الإيمـــان
يـــا بـــلادي والجـــرح دام عميـــق والليـــالي مـــن حولنـــا أشـــجان
كفكفـــي الـــدمع فهـــو فينـــا وإن شـــق ضـــريح ولفـــت الأكفـــان
هـــو فينـــا حســـب البســـاطة لم يطـــغِ عليهـــا عـــز ولا ســـلطان
هـــو فينـــا الصـــمت الـــدوب والصمـــ ـــت بيـــان وللســـكوت لســـان
هـــو فينـــا فكـــر ورأي ســـديد واعتـــدال محبـــب واتـــزان
وهـــو فينـــا التصـــميم أن تـــدخل القـــد س كرامـــاً أن ترجـــع الجـــولان
وهـــو فينـــا بشـــائر الغـــد نبنيـــ ـــه رخـــاء ليســـعد الإنســـان

قدمنا هذه القصيدة لما فيها من الأسف الشديد من أن يتوفى المترجم ولم يحرر القدس، وهذه ترجمته: هو القائد المحنّك والعبقري المقدام والباقعة الذي يوقف كل معتد عند حده فيصل بن الإمام الأعظم والرئيس الفخم عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن الأوحد الهمام والرئيس المقدام ولد في مدينة الرياض في ١٤/ ٢ عام (١٣٢٤هـ) ووالدته ابنة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ طرفة ابنة عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الله بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، نشأ نشأة أدبية ورباه والده تربية إسلامية عبقرية، وكان يسمى ذا النورين فأبوه بطل الصحراء، وأبوه من أمه من الأخيار الذين يتسلسلون إلى إمام الدعوة السلفية وزوجه والده لما بلغ من العمر خمس عشرة سنة بأم ابنه عبد الله سلطانة السديري، فولدت منه عبد الله بن فيصل

وسِنُّه ست عشرة سنة وبعثه والده الملك عبد العزيز، وهو في السادسة عشرة من العمر إلى لندن للتعرف بلندن بصحبة أحمد بن ثنيان، وذلك لما كان يرمقه والده فيه من المؤهلات وحُسن الجواب مع حداثة سِنّه وكان يقول عنه إني أستحيي من فيصل من بين أبنائي ومن كان أبوه عبد العزيز وجده عبد الله بن عبد اللطيف حق له أن يكون نجيباً، فهو البطل الجسور والليث الهصور، قاد الجيوش بحياة والده قيادة بصير محنك وهزم الأقران، وكان عظيماً لا تلين قناته ولا يقعقع له بالشنان كأنما قلبه قطعة من الصوان وكان ماهراً في القيادة بسياسة حيرت العالم كله وأحرز انتصارات عظيمة تدمر بعضها في هذا التاريخ وجعله والده نائباً في الحجاز جميعاً ثم أضيف إليه وزارة الخارجية فقام بأعماله خير قيام جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وكان هو العضد الأشد لأخيه سعود لما تولى الملك بعد أبيه، وكان مع ذلك صبوراً وذا معرفة وبصيرة بالرجال، يقدر من يستحق التقدير، وله ميل إلى الأدب والأخلاق الكريمة والشرف وله حسن تدابير وأعده والده لمهام الأمور وصعوباتها فكان ينجلي بسعيه وإدراكه ما لا يدور في الخيال، ولما أن زحف لقتال أهل اليمن المتمردين ووحدت القيادة له نازل مدينة ميدي وأصدر أوامره على القوات للهجوم عليها وجعل يطالع عن كثب من المرتفعات للكشف على المدينة، ولكنه جعل يفكر في العجزة من النساء والشيوخ والذراري ومن لا ذنب له إذا وقعت الواقعة وعمهم الدمار والتهمتهم النيران وبينما هو ينتظر الساعة التي قرر فيها الهجوم إذ قد رفعت الأعلام فيها للتسليم والاستسلام وجاءه مندوبها لذلك فاحتلها من دون سفك دماء، وفرّت قوات الإمام يحيى هاربة هي وقائدها عبد الله العرشي فبعث القوات في آثارها وفتكت بهم فتكاً هائلاً فوقعوا في شر حالة ما بين قتيل وجريح وأسير، وقد أوصى أن يؤتى بالعرشي أسيراً فجيء به مكبلاً بالحديد، وألقي أمامه ولكنه لأدبه وحسن مجاوبته لم يقتله، وكان في حرب الغفران الذي أدار إليه الدائرة فيه على اليهود هو الدينامو الفعال بحيث قطع البترول عن أمريكا فتوقفت السيارات في الطرق، ولما علمت اليهود بتلك التدابير أوعزت إلى أسيادها

في أمريكا أن تطلب منه إيقاف الحرب والسعي في ذلك، وبما أن العرب موتورون من أعمال اليهود وتعسفاتها فإنه لم يخضع لذلك، وأصيب حليفة أمريكا بقوارع من أمر الله ما لا يطاق وهدت القوات المصرية خط بارليف الذي يعتقد العدوان لو اجتمعت الإنس والجن عليه لم يهدوه وكان قاب قوسين على أن تستسلم اليهود غير أن الأمور مرهونة لأوقاتها ولله تمام الحكمة وله الحجة البالغة، فلو شاء لهدى الخلق أجمعين وفي عام (١٣٧٣هـ) نودي به ولياً للعهد وفي عام أربع وثمانين نوديَ به ملك المملكة العربية السعودية عن اختيار من الأمة واتفاق على ذلك فسار بالمملكة إلى الأمام ولا نطيل فحدّث ولا حرج ولكن ويا للأسف أنها اختطفته أيدي المنية وخسرته المملكة وقد قلت هذه المرثية في عاهل الجزيرة الراحل الذي شاهدته من أعظم المحترمين لي والمقدرين للعلماء فيا لها خسارة لا تشبهها خسارة، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فقلت هذه مرثية في إمام المسلمين وأمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز لما توفاه الله تعالى بسبب الاعتداء فأصبحت المملكة العربية السعودية بحالة حزينة لفراقه:

لكارثة هدت جميع الجوانب ... نريق دموعاً حزنها غير ذاهب
على فيصل بدر الزمان وشمسه ... ومن حاز جل الكرامات الأطائب
فلله من عين تحلب دمعها ... وتبكي طويلاً بالدموع السواكب
على مثله تبكي الأنام بحسرة ... وتندب شهماً ماهراً في التجارب
فما شئت من حزن وندب ولوعة ... وحسرة أشجان وصرخة نادب
أصيبت به أقطار أمة يعرب ... بكى الشرق ثم الدهر حتى المغارب
فيا لك من رزء ويا لك من أسى ... ويا لك من حزن مرير المصائب
فيا أمة الإسلام هذا مصابكم ... دهانا به فدم جهول العواقب
عليه من الرحمن ما يستحقه ... وباء من المولى بخزي العواقب
وقد قيل في الأمثال بيت وإنه ... لا صدق قيل في اللئام الأجانب
فلا تحقر الخصم الضعيف بضعفه ... فكم خرب الجرذي في سد مأرب

دهانـا بهـا عظمـى بكـف أثيمـة وكـم مـن ضـعيف نافـذ في المضـارب
فجعـت بـه شـعباً وأيتمـت أمـة وأذويـت روضـاً زاهيـاً بالغرائـب
ففي خـامس التسـعين مـن بعـد ألفهـا ثـلاث مـئين قـد تلاهـا لحاسـب
بيـوم الثلاثـاء مـن ربيـع الأول ثـلاث وعشـر يومهـا ذو مصـائب
فيا لـك مـن يـوم مشـوم علـى الـورى بـه ضـلت الأفكـار حقـاً لنـادب
بـه فقـدوا حـبراً شـفيقاً علـى الـورى سـجيته نشـر الهـدى في الأجانـب
بـه فقـدوا شـهماً نبـيلاً مؤدبـاً شمائلـه التقـوى وقمـع المشـاغب
لقـد كـان سـداً محكمـاً دون شـعبه وغوثـاً عظيمـاً يرتجـى في النوائـب
فمـا فيصـل إن قيـل مـن هـو فيصـل سـوى أمـن أوطـان وغـوث لطالـب
مـلاذ عيايـل ثمـال أرامـل غيـاث ذوي عـدم جزيـل المواهـب
مـلاذ لقصَّـادٍ إذا مـا لجـوا لـه وقـد نـالهم أمـر عظـيم المصـاعب
يقضـي لياليـه قيامـاً بواجـب لإنصـاف مظلـوم وقمـع المشـاغب
صـبوراً علـى الشـدات محتمـل الأذى إذا أظلمـت أرجاؤهـا بالغياهـب
لقـد مـلأ الـدنيا سـروراً وغبطـة وأضحى بنـو الإنسـان في خـير عاقـب
فيـا ويـح للشـورى إذا قيـل مـن لهـا ويـا ويـح لـلآراء في فقـد صـائب
مضى ملتجـأ المفهـوم مـن كـان سـاهراً لنصـرة مظلـوم وكشـف المعاطـب
مضى كاشـف الأوهـام في عقلـه الـذي يفـوق بـه أهـل النهـى والتجـارب
لقـد كـان كهفـاً يلتجـي فيـه خـائف يـلاذ بـه عنـد اشـتداد النوائـب
وسـرنا نشـق البيـد مـن كـل وجهـة لتشـييع جثمـان ودفـن لـذاهب
نـوالي إلى نحـو الريـاض مسـيرنا بيـوم بـه لفـح الهجـير النواكـب
فللـه مـن ألـف وألـف تجمعـت وضـاقت بهـم أقطارهـا في المناكـب
هنـاك تـرى فـوق البيـوت خلائقـاً نسـاء وأطفـال كحـال الجنـادب
شـوارعها مـن غصـة قـد توقفـت ينـادون بـالويلات مـن حـر لاهـب
فهـذا لـذكر الله يرفـع صـوته وذاك بتكـبير وذا بتنـاحب

وكـم ثاكـل حـرى تمـزق شـعرها وأخـرى تنـادي في عويـل مصـاخب
شـعارهم لـبس السـواد لفقـده وتمزيـق أثـواب وصـرخة نـادب
وأعلنـت الأرض الحـداد تفجعـاً واقفلـت الأعمـال عـن كـل طالـب
ونكسـت الأعـلام فـوق عراصـها ونـودي بـالأحزان في كـل جانـب
بكتـه جهـات الأرض في كـل وجهـة ورن صـداها في عـراض السباسـب
وشـقت جيـوب مـن يتـامى ورملـة ينـادون ربـاً لـيس عنـا بغائـب
إلهـي فجعـت الشـعب كـن مخلفاً لهـم بـبر قـدير حـافظ للجوانـب
يلـم لهـم شـعثاً ويجمـع شملـهم فأنـت إلـه الخلـق مسـدي المواهـب
وقفـت علـى أنصـابه أبـدى للأسـى واسـتنزل الغفـران مـن خـير واهـب
على ذلـك المدفون نرجـو لـه الرضـا أنـادي بجـبران وبـرد اللـهائب
إلى الله نشـكو لا إلى الخلـق مـا بنـا فمـا زال معروفـاً لجـبر المصـائب
إذا فيصـل فينـا قضـى اليـوم نحبـه فخالقـه حـي مجيـب لطالـب
وهـذا ولـي العهـد أمسـى مبايعـاً ومـا خالـد إلا سـليل الأطايـب
فمـا خالـد إن قيـل مـن هـو خالـد سـوى الأمـل المحبـوب ليـث الكتائـب
نبايعـه حقـاً علـى السـمع أمـره وطاعتـه فـرض علينـا كواجـب
وذا فهـد أمسـى وليـاً لعهـده فـأكرم بـه شـهماً رفيـع المراتـب
وأختـم قـولي بالصـلاة مسـلماً علـى مـن بـه ختـم الكـرام الأطايـب
محمـد المبعـوث للخلـق رحمـة نـبي أتانـا مـن سـلالة غالـب
وآل وأصـحاب هـداة أجلّـة وأتبـاعهم مـن كـل حـبر وتائـب

وقال عبد الفتاح خياط هذه المرثية في الملك الراحل:

سمعـت الطفـل يصـرخ وا أبانـا مـن الهـول العظـيم لقـد عمانـا
وجـن الـبعض مـن خطـب ألـيم تـردد في الإذاعـة مـا دهانـا
وصـار الكـل يمشـي دون عقـل يمـزق للثيـاب ومـا كفانـا
وزلزلـت الجبـال لهـول يـوم وحتـى الشـمس غابـت مـن سمانـا

وفي كـل الجزيـرة صـار حـزن ... وحتـى مصـر والأردن معانـا
وفي لبنـان والصـومال وسـوريا ... وفي آسـيا وأفريقيـا وغانـا
وكـل الشـرق والغـرب نـاحوا ... وهـزتهم فجيعـة مـا أتانـا
هـو القـدر المقـدور لسـت أدري ... لمـاذا قـد تعجـل وابتلانـا
بفقـد حبيبنـا والحـب غـال ... وأمـر الله ينفـذ كيـف أيـن كانـا

وقال أحمد بن عبد الله العامر:

عـزاءكم أن الفقيـد شـهيد ... وإن أمـير المـؤمنين فريـد
تفـرد بالمجـد الـذي جـاوز العـلا ... وكـان لأهـل الخـافقين يقـود
مـن لم يكـن للمـال جـامع تـبره ... ولكنـه بالمـال كـان يشـيد
بنـى النهضـة الكـبرى بعشـر وإنما ... لـه المعجـزات الغـر وهـي تزيـد
فتـى الصـدق في وسـم السياسـة مثلـه ... مثـال أبـي الخطـاب وهـو عميـد
فتـى العـزم لم تعرفـه عنـه مقالـة ... ولم تثنـه في المعضـلات حشـود
فتـى العـدل والإنصـاف نهـج وغايـة ... ونبـل سـيفنى الـدهر وهـو جديـد
فتـى الحلـم والمعـروف والطهـر والنـدا ... وإن قصـرت أيـدي الكـرام يجـود
أنـاة إذا خطـب ألم وحكمـة ... جسـور علـى الأقـدام وهـو سـديد
وفيّ وشـهم والرجولـة معـدن ... خـلال لـه في العـالمين شـهود
إلى جنـة الرضـوان يـا خـير راحـل ... وفيهـا لأخيـار الوجـوه خلـود
رحلـت فلـم تـترك ثقوبـاً خليـة ... وفي خفقـات القلـب منـك وجـود
يقصـر عـن تعـداد فضـلك شـاعر ... ويعجـز عنـه في المقـال قصـيد
عـزاؤكم يـا آل مقـرن أنـه ... شـهيد بأخبـار الرجـال وحيـد
عـزاؤكم فيـه وأنـتم عزاؤنـا ... وأنـتم بأعشـار القلـوب شـهود
ويبقـى طويـل العمـر خالـد خالـداً ... يحقـق آمـالاً لنـا ويزيـد
ويبقـى ولـي العهـد فهـد معينـه ... وتبقـى بحبـات القلـوب عقـود

وقال أسعد أمين سعيد:

على كل أرض تحت كل سماء ... قوموا نحني موكب الشهداء
قوموا نصلي ركعة من أجله ... في القدس أرض الطهر والإسراء
في المسجد الأقصى أذانٌ نائحاً ... وكنيسة المهد ارتوت ببكاء
يا فيصل من للعروبة فيصل ... إلاك في الضراء والسراء
يا جهبذاً عرف الزمان جهاده ... في الحرب أو للدعوة السمحاء
لك جولة ضد الطغاة وكيدهم ... في القدس في الجولان في سيناء
في الحرب أو في السلم كنت نصيرنا ... راقت لك الدنيا بكل ولاء
وَمَدَدتَ كفك للأنام محبة ... في همة عربية قعساء
وملكت ناصية البيان بحكمه ... بدوية لا تنطلي بطلاء
فانعم قرير العين في دار البقا ... مع موكب الأبرار والسعداء

ولا نطيل فقد رثي بالنظم والنثر والشعر النبطي ولو تتبعنا ما قيل في مديحه لضاق الموسع ولكننا نقتصر على بعض المقصود لأجل الاختصار فالله المستعان.

ذكر ما جرى بعد ذلك

لما رجعت الأسرة السعودية الكريمة من دفن الفقيد اجتمعت الأمة وأعلنوا بيعتهم لسمو ولي العهد خالد بن عبد العزيز أخي الملك وتقدم العلماء والأعيان وسائر الأسرة السعودية وجميع الأمة من المواطنين وبايعوا حضرة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز على السمع والطاعة وعلى طاعة الله ورسوله ونودي به ملكاً على المملكة السعودية وتلقى جميع المعزين والمهنئين فكان جلالته يتلقاهم لذلك كما بايعوا سمو الأمير فهد بن عبد العزيز بولاية العهد وبعد البيعة عاهد صاحب الجلالة الملك خالد وولي عهده عاهد الله والمسلمين أجمعين على السير في خطا الراحل العظيم مؤكدين ذلك بالبيان الشامل الذي تضمنت بنوده أهدافاً وخطاً كثيرة، منها: السير على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وإكمال سيرة

الفيصل رحمه الله في البناء والتعمير والتطوير والاستقرار وتحقيق أمنيته الغالية وهي الصلاة في المسجد الأقصى المبارك بالقدس الشريف وتطهيره من دنس الصهاينة، والعمل على توحيد كلمة العرب والمسلمين، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني واسترداد حقوقه، والعمل على تحرير جميع الأراضي المغتصبة والاستمرار على السياسة الخارجية التي أرسى قواعدها المغفور له الملك عبد العزيز وشاد صرحها الفيصل طيب الله ثراه والاستمرار في دعم التضامن الإسلامي بكل ما لديها من قوة وإمكانات وسيراً على خطا الفيصل رحمه الله في التنظيم القيادي للوزارة وبما أنه عين سمو الأمير فهد بن عبد العزيز ولياً للعهد أضاف إليه وزارة الداخلية كما عين له نائباً أولاً لرئيس مجلس الوزراء وعين سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز رئيس الحرس الوطني نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء بالإضافة إلى رئاسة للحرس الوطني وأصبحت الأمة تشاهد كل يوم الإنجازات والمخططات في مجالات التقدم والاستقرار ورفع المستوى المعيشي التي يقوم بها جلالة وسمو ولي عهده وحكومتهما الرشيدة وقام صاحب الجلالة الملك المحبوب بتدابير أمور الدولة نسأل الله لهم التوفيق.

كما أنه وجه الملك خالد بن عبد العزيز كلمة إلى أبناء شعبه أذاعها معالي الشيخ إبراهيم العنقري وزير الإعلام وهي هذه (بقلب حزين مليء بالحزن والأسى ومع تسليم كامل لإرادة الله وقضاءه أنعي إلى العالمين العربي والإسلامي وإلى شعبنا المخلص الوفي صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز والذي شاء الله أن ينقله إلى جواره في صباح يوم الثلاثاء ١٣/ ٣/ ١٣٩٥ هـ على إثر حادث أليم في وقت نحن أشد ما نكون فيه حاجة إلى قيادته وحكمته وسداد رأيه وبعد أن عمل بكل جهوده وطاقاته في سبيل الدعوة إلى الله والدفاع عن دينه وبعد أن أرسى قواعد نهضتنا المعاصرة على دعائم ثابتة بذلك في سبيل إرسائها مالا يحصى من الجهود والطاقات وبعد أن انتقل بالمملكة العربية السعودية إلى مصاف الدول المتطورة في كل المجالات مع الحفاظ بإصرار على ديننا ومثلنا

وتقاليدنا نسأل الله أن يرحمه رحمة شاملة واسعة وأن يجعله مع الصديقين والشهداء والصالحين بمنه وكرمه وأن يعيننا على إكمال رسالته والسير على منواله ولا نقول إلا كما يقول الصابرون إنا لله وإنا له راجعون).

ثم أنه أصدر أمراً ملكياً في ١٦/ ٣/ ٩٥هـ باستمرار جميع أعضاء مجلس الوزراء في مناصبهم وهذه صورته (قد أمرنا بما هو آت أولاً: يستمر جميع أعضاء مجلس الوزراء الحاليين في مناصبهم. ثانياً: على رئيس مجلس الوزراء تنفيذ أمرنا هذا وهو برقم ١/ ٥٢) وصدر عفو ملكي شامل عن جميع المحكومين والمتهمين في قضايا سياسية في الداخل والخارج ونفذ هذا العفو الكريم في اليوم التالي لصدوره وصدرت الأوامر الملكية بتعيين سمو الأمير فهد بن عبد العزيز ولياً للعهد ونائباً أول لرئيس مجلس الوزراء وتعيين سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز نائباً ثانياً إضافة إلى رئاسة الحرس الوطني، ويعين سمو الأمير نايف بن عبد العزيز وزير دولة للشؤون الداخلية وعضواً في مجلس الوزراء بأرقام وتواريخ. وعلى رئيس مجلس الوزراء تنفيذها كما صدر الأمر من جلالته بتعيين صاحب السمو سعود الفيصل وزير دولة للشؤون الخارجية وصدر أمر ملكي بتعيين الفقرة (ب) من المادة ١١ من نظام مجلس الوزراء الصادر بالمرسوم الملكي رقم ٣٨ تاريخ ٢٢/ ١٠/ ١٣٧٧هـ أما عن الجاني فيصل بن مساعد فقد أحيلت مسألته إلى المحكمة الشرعية في مدينة الرياض لترى موقف الشريعة نحوه بعدما استكملت الإجراء اللازمة في دفعه إلى هذه الجريمة بحيث أنه ظن أنه مختل العقل، ولكن بعد الفحوص الطبية تبين أنه يتمتع بقواه العقلية أثناء ارتكابه الجريمة وبعدها ولا يزال كذلك وبعد التحقيق معه وأنه لم يدفعه يد من الداخل ولا من الخارج ثبتت إدانته وأن الباعث له على ذلك لما رأى عمه جلالة الملك فيصل أكبر داعية إلى الإسلام ونشره في المعمورة أراد القضاء عليه لأنه لا يرى دين الإسلام حقاً ولا يرى شعائره شيئاً وأن تردد المسلمين إلى المساجد للصلوات الخمس ليس بشيء ولا يرى الصيام شيئاً ولا الحج شيئاً مما ثبت به كفره وأنه خلع ربقة الإسلام من عنقه ثم أنه بعد أيام من فعلته

لتلك الجريمة الشنعاء أعدم بمشهد عظيم من الأمة بالسيف قصاصاً جزاء وفاقاً وإن كان ذلك لا يشفي ولكن القاتل يقتل.

تنبيه لما سبق

قد أشرنا إلى ما جرى من الفزع والبكاء لهذه الفادحة التي أرتجت لها مشارق الأرض ومغاربها واقتصرنا على بعض من كل، وقد رثاه الشاعر الغزاوي بقصيدة عظيمة مطلعها قوله:

جـــرت الـــدموع كأنهـــا انهـــار ووجـــــدتني بنزيفهـــــا أنهـــــار
مـــاذا سمعـــت أفيصـــل أودى بـــه في طرفـــــه ذو جنـــــة غـــــدار

وقد بلغت أبياتها خمسة وثلاثين كما رثاه الشيخ محمد صالح قزاز بقصيدة كان من أبياتها قوله:

أي خطـــب جـــرى وأي مصـــاب حـــل بالشـــعب ملـــهباً أشـــجانه
أي دهمـــاء فاجـــأت كـــل قلـــب روعتـــــه وهيجـــــت أحزانـــــه
مـــا الـــذي روع الجزيـــرة بـــالأمس فأضـــــحت مـــــرزوءة ولهانـــــه

وقد بلغت أبياتها اثنين وثلاثين ورثاه حسين سراج بقصيدة بلغت أبياتها خمسة وعشرين قال في مطلعها:

رزئ الـــدين في أعـــز نصـــير فابكـــه يـــا دنيـــا بـــدمع غزيـــر
ذهـــل المســـلمون واعتراهـــم وجـــوم وقلـــــوب تفجـــــرت بـــــالزفير

ونعته الرابطة للعالم الإسلامي بقولها: (ببالغ الأسى والحسرة والألم والحزن العميق تنعى رابطة العالم الإسلامي إلى الأمة الإسلامية قاطبة علماً من أعلام الإسلام وقائداً من قواده البررة المتقين ورائداً من رواده الذين نذروا حياتهم لخدمة دين الله الحنيف ونشر دعوته في كل الأنحاء والأصقاع ومجاهداً من مجاهديه الذين ثبتوا في الميدان حتى آخر رمق في حياته) في كلام طويل.

ونعته الأمانة العامة الإسلامية بقولها: (بقلوب خاشعة مفعمة إيماناً بقضاء الله خاضعة لمشيئته سبحانه وتعالى تنعى الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي إلى الأمة الإسلامية في جميع أنحاء العالم قائداً من أعظم قوادها وصرحاً من أقوى صروحها طوال تاريخها المجيد المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل .. إلى أن قالت أن الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي وقد فجعت بفقد زعيم الأمة الإسلامية وبطلها الذي جعل رايتها مرفوعة في أحرج أوقاتها تتقدم بأصدق التعازي إلى حضرة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز المعظم ملك المملكة العربية السعودية وشعبه الكريم سائلة المولى عز وجل أن يتغمد الراحل العظيم بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته وأن ينزله منازل الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً وإنا لله وإنا إليه راجعون).

وكثرت الويلات والأسى وانبعثت التعازي من كل جهة وقدم الوفود لتعازي الأمة والتهاني بالخلف الجديد.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نجد والمنطقة الشرقية رحمه الله وعفا عنه. وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم والبحر الزاخر مقيم العوجاء وناصر الملة السمحاء بقية السلف الصالح ومن لا تأخذه في الله لومة لائم أبو حسن عمر بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن إمام الدعوة ناصر السنة قامع البدعة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقد سبق سياق النسب في ذكر جدهم الشيخ في أول الكتاب، ولد المترجم في عام (١٣١٩هـ) فنشأ في بيت علم وتعلم القرآن كعادة أهل زمانه ثم أخذ مبادئ في الكتب الصغار ثلاثة الأصول والتوحيد وكشف الشبهات وآداب المشي إلى الصلاة والرحبية والأجرومية ثم أنه أخذ عن أبيه الشيخ حسن وكان له قوة ذاكرة وفهم منير فتلقى عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف سائر العلوم وأخذ عن الشيخ

سليمان بن سحمان وأخذ عن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وأخذ عن الشيخ حمد بن فارس ودرس على هؤلاء في الكتب الكبار والأمهات وجعل يتردد على حلقات الذكر بهمة عالية وقوة عزيمة حتى ظهر في العلوم مظهراً رائعاً، وكان خطيباً مصقعاً ينتظم الكلام ويخرج منه بحسن تعبير ولا يمل وإن أطال كما أنها لا تمل فوائده، ومن قوته أنه كان مخيفاً للمجرمين فلا يذكر اسمه أمامهم إلا وجموا ولما أن كان في سنة (١٣٤٥هـ) إقامهُ الملكة عبد العزيز رئيساً لهيئات الأمر بالمعروف فقام بهذه المهمة خير قيام بقوة ونشاط وصدق لا تأخذه في الله لومة لائم وهابه المبطلون، وكان قد شدت الحكومة أزره بأعوان وأعضاء وجنود، وإذا رأى أمراً شديداً من المناكر فإنه يراجع فيه ويشجعه للانتقام بالعصا كما وجد أربعة قد أفطروا في شهر رمضان خارج البلد فأتى بهم إلى السلطان فأمر بهم جلالته أن يحملوا أباريقهم وأوانيهم بأيديهم ويطاف بهم في الأسواق في الحالة التي وجدوا فيها ثم ضربوا بالخشب حتى هلكوا تحت الضرب، وكان ثلاثة من الأشقياء ألقوا القبض على صبي فحملوه يريدون الفرار به غير أنه كتب له السلامة بحيث فزع المسلمون على ساقة السيارة فلما أخذوا ذات الشمال إذ بسيارة قلابي تلاقيهم فوقفوا وشردوا تاركين سيارتهم والصبي فيها مشدوداً فاه لئلا يتكلم وكان الشد قد أطبق أسنانه على لسانه فذهبت الأمة لإشعار الرئيس فجيء بالسيارة إليه وجاءه المالك يسأل عنها لأن السيارة والحالة هذه يسأل عنها رجال الأمن كما أنه يسأل الشيخ الرئيس كذلك لخشية وقوع مثل ذلك، وذكر المالك أن سائق السيارة قد نام في حديقة من الحدائق فلما انتبه إذا قد سرقت، هذا ما ادعاه المجرم فقال له ائتني به وبعث معه بجنود فجيء به فأمر أن يشد على عقبيه في عمود من العمد ويجعل منكوساً ويضرب بالخيزران حتى خبر بأصحابه فذهب الشيخ إلى الملك سعود يسأله أن يحكم بقتلهم وقال انهار أي والدكم إذا ما فعل أحد مثل فعلهم وقصة العبد مرسال وكيف خاطر الشح بنفسه حتى كاد أن يقتله العبد مشهورة وقد يناله أذى في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنه يقابل ذلك بالصبر، وكان ينشر الدعوة

إلى الله ويعظ ويرشد ويوجه، وله جاه ومنزلة عالية تهابه الملوك وتقبل توجيهاته. وهذه صفته: كان مربوع القامة حسن الوجه صلباً قوياً مع لين وحسن معاشرة لمن قصده ولونه حنطي قد وخطه الشيب لما أسن وفي آخر عمره أصيب بربو قد يزداد عليه وقد يخف حتى أنهكه ذلك لأنه يتعب نفسه ويباشر مهام الأمور ويوالي بين الحج والعمرة حتى توفاه الله تعالى في ليلة الأحد ٢ من رمضان في هذه السنة بمدينة الطائف فصلى عليه هناك جم غفير وخلق كثير على رأسهم الملك خالد وولي العهد وجمع حاشد من العلماء والأعيان ثم نقل جثمانه بطائرة إلى مدينة الرياض حيث صلي عليه بالجامع الكبير حضر الصلاة عليه خلائق كثيرون ودفن في مقبرة العود بين أسلافه وأجداده وقد نعته الصحف وبكته الأمة رحمه الله وعفا عنه.

الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن فريح من أهالي وشيقر، ولد رحمه الله في بلدته عام (١٣١٣هـ) ثم سافر إلى مكة المكرمة بعدما أخذ مبادئ من العلوم في بلدته حيث تعلم القرآن الكريم وعلم الخط والحساب لأن الظروف قضت بذلك لسفر والده إلى أم القرى فأخذ عن علماء الحرم الشريف فلبث هناك ثم رجع بعد ثلاث وعشرين سنة إلى بلده، وقد راودوه على القضاء لكنه رفض وهو مدرس في المدارس الحكومية واستمر في وظيفة الإمام والخطابة والتدريس، فهو خطيب جامع وشيقر، ولما أرهقته الشيخوخة ترك التدريس وجعل يتابع الوعظ والإرشاد وتجرد للعبادة والاجتهاد حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة وكان من العناقر قبيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري.

الشيخ محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن رشيد، ولد هذا العالم في إحدى ضواحي مدينة الرس عام (١٣١١هـ). فنشأ كغيره من الطلاب يدرس على معلم في الرس تدعي محمد بن صالح بن خليفة كان هذا المعلم من أهالي الرس ثم استوطن مدينة بريدة بعدما ذهب إلى الرياض وأمضى حقبة من الزمن وبعد رجوعه إلى بريدة تتلمذ الشيخ عمر بن محمد بن سليم ولبث فيها عشرين عاماً حتى توفاه الله على إثر حادث انقلاب سيارة عام (١٣٦٨هـ) رجعنا إلى

المترجم فيقول أخذ عن الشيخ إبراهيم بن ضويان العالِم المشهور في مدينة الرس، وأخذ عن الشيخ الفاضل عبد الله بن سليمان بن بليهد وأخذ عن علماء الرس ثم سمت به همته فقدم مدينة بريدة فأخذ في الدراسة على الشيخين العالمين عبد الله بن محمد بن سليم وعمر بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن بن بشر ثم أنه ذهب إلى الرياض وواصل دراسته فأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ سعد بن عتيق والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ عبد الله بن راشد بن جلعود واستمر في دراسته ثم رجع إلى القصيم وانتدبته الحكومة إلى البادية لوعظهم وإرشادهم وكان لدعوته قبول حينما كان في هجرة سنام ثم عاد إلى الرسّ فأخذ في التعليم وفي عام (١٣٤٨هـ) عين قاضياً للأمر ملكي في بلدة الرس لسوء تفاهم بينهم وبين قاضيهم السابق سالم الحناكي فاختاروا المترجم بعدما أمرهم الملك عبد العزيز أن يختاروا قاضياً فوقع الاختيار عليه وألزمه الملك بذلك وقال له يا ابني إنهم اتفقوا على اختيارك فتوكل على الله فقام فهذه الوظيفة خير قيام وأحبه الأهالي ثم أن أمير الخرمة طلب من الملك نقله إليهم فنقل في آخر عام (١٣٦٥هـ) وكان في جلوسه لقضاء بلدة الرس لا يأنف من مراجعة العلماء ومشاورتهم كمحمد بن مقبل وعمر بن محمد بن سليم وصالح ابن عثمان القاضي وهذه خصلة حميدة تدل على توفيقه فاستمر في قضاء الخدمة ثلاث سنين ولكنه طلب الاعفاء من القضاء لنزاع حصل بين الأمير وبين بعض الأهالي وبما أن الأمير نجل خالد بن منصور بن لوي مكانة فقد ثبتت الحكومة مقامه في بلده وسار المترجم إلى رنيه وجعل يدرس ويرشد ويعظ وأبى عن الانضمام إلى سلك القضاء وفي عام (١٣٧٢هـ) سافر إلى الطائف بعدما أصر على عدم مراجعة القضاء فكان مرجعاً للأحباب والأصحاب وأسن وأرهقته الشيخوخة حتى وافاه أجله المحتوم في ٢٨/ ٩/ ١٣٩٥ هـ رحمه الله وعفا عنه.

وفيها في يوم الثلاثاء ٩/ ٥ وفاة الزاهد محمد بن صالح بن عبد الله الرشودي من أهالي ضاحية رواق الكائن جنوباً عن مدينة بريدة عن عمر يناهز ٨٤ لأن

ولادته كانت في آخر سنة المليداء عام (١٣٠٨هـ) نشأ في عبادة الله وفي العفة والزهد فتعلم القرآن وكان في كفاف من العيش ومع ذلك فكان سخياً كريماً لا يمسك على شيء متصدقاً مواسياً للفقراء والمساكين وإن كان ذلك جهد مقل فكان لا يتمالك إذا رأى الفقير عن أن يناوله ما تيسر من قنو تمر أو حزمه سنيل أو ما في يده من النقود ويخفي الصدقة ويلتذ ببذل ما يقدر عليه وكان تالياً لكتاب الله ومكباً على التلاوة من المصحف ولا يفتر عن الذكر، أما عن صلاة النافلة فحدث ولا حرج وتعجب لحالته كيف يطيق ابن آدم ذلك القيام والركوع والسجود وقد اصطحبنا نحن وإياهم في سفر الحج عام (١٣٥٩هـ) فرأيته لا يفتر بالليل عن الصلاة والتهجد طوال الليل ويبذل الطعام ولا يمسك شيئاً ولو كان شهياً وحج ما يفوق عن ستين حجة وغالبها على ظهور الإبل حتى ظهرت السيارات وله خوارق عادات منها أنهم لما أحضروا طعام العشاء له ولأولاده وعاملين عندهم إذا بضيوف لا يقل عددهم عن سبعة فكانوا خمسة عشر بأجمعهم فقام وقعد وأحضر مع الطعام المعتاد تمراً ثم جعل يسمي ويدير يده على الصحن الصغير ويستنزل البركة فأكلوا وشبعوا جميعاً والصحن على حالته وقد وجد في مزرعته ورقة سنبلة فيها الكتابة التي قدمنا ذكرها في السنة التي قبلها. وكان متقشفاً ششن اليدين والرجلين لا يعبأ بما يصيبه من الصدمات وما يكابده من المشاق في هذه الحياة وكان من رفقه الزاهد محمد بن إبراهيم النجيدي يحجون جميعاً ويعتمرون جميعاً كافاً أذاه عن الناس غامض الذكر غير أن شهرة عبادته وزهده مذكورة وله أخوة منهم عبد الله بن صالح الرشودي يعد من زهاد أهل زمانه وبما أنه لا يقرأ القرآن فهو مولع بسماعه واستماعه فتجده لا يمل من استماع القرآن من كل قارئ لكتاب الله كبيراً أو صغيراً فيجلس متواضعاً عن يمين القارئ ويأتم به إذا سجد للتلاوة ولو كان ابن خمس سنين وإذا سمع بجنازة قام مهرولاً لتشييع الميت من البيت أو من حيث وجد الجنازة إلى قبره ويطعم الطعام على حبه مما وجده عند أهله فهو فلاح في سباخ بريدة ويكابد الفقر ويستدين لحبه للصدقة عن جهد مقل ويتابع مجالس الذكر فلا

يفوته منها شيء، وإذا وجد الغريب أخذ بيده وذهب به إلى بيته فيطعمه مما يجده وربما اغترف من القدر وهي على النار فلا إله إلا الله ما أعجب حالته ولهما أخ يدعى إبراهيم بن صالح يتعبر من الزهاد مات من دور العام المقبل من وفاة محمد.

وفيها وقعت اشتباكات عنيفة في ربيع الثاني بين المواطنين العرب داخل المسجد الأقصى وبين عصابة يهودية حاولت تدنيس جدران المسجد، وذلك أن العصابة اقتحمت أبواب المسجد الأقصى وقت صلاة الفجر وتوجهت إلى الجدران تلطخها بالدهان الأسود تقذيراً وتحقيراً للإسلام ولم ترع للمسجد حرمة بينما توجهت عصابة أخرى إلى مسجد عمر بالقيام بالعملية نفسها وأكدت الأنباء من القادمين من الضفة الغربية المحتلة أن هذه العصابة كانت تستهدف هدم أحد أسوار المسجد الأقصى وقامت جموع المصلين في المسجد وسكان البيوت المجاورة ضد هذه العصابة وتصدوا لهذه الفئات التي كانت تحمل المعاول فدارت اشتباكات عنيفة سقط فيها عدد من الجرحى وقد قامت العرب بمحاولات ضد اليهود فوضعت السعودية قوات مرابطة على الجبهة السورية وقوات مرابطة على الجبهة الأردنية وقام سمو الأمير تركي بن عبد العزيز نائب وزير الدفاع في هذا الشهر بزيادة هذه القوات المرابطة هناك وتفقدها كما قام الرئيس المصري أنور السادات بجولة تشمل الكويت والعراق وسوريا والأردن تهدف لصالح العرب بعد فشل جهود هنري كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية المتقدمة في شهر مارس الماضي، وهذا في شهر ربيع الثاني من هذه السنة.

وفيها في ١/٢٢ بعد العصر توفيت أم كلثوم المغنية في مصر وقد تأخر تجهيزها ليوم ١/٢٤ وقدم إلى مصر لتشييعها إلى قبرها وفود كثرة من بعض الحكومات التي فتنت بالأغاني والأخلاق الساقطة من ذوي العقول السخيفة. وسنورد مقالاً من مجلة المجتمع متهكمة إلى آخر السخرية قالت المجلة: (العالم العربي يعيش مرحلة حرجة لا بسبب الاعتداءات على جنوب لبنان وإبادة الأبرياء من السكان الآمنين ولا بسبب تهديدات أمريكا التي تخدش كرامة كل عربي ولا حتى بوقوع حرب

خامسة ما بين العرب وإسرائيل ليس بسبب كل هذا يعيش العالم العربي مرحلة معلقة إنما بسبب تدهور صحة ملكة الغناء وكوكب الشرق (أم كلثوم) وإليكم ما جاء في الصحف العربية أصدقاء العائلة عائلة أم كلثوم قالوا إن حالة معبودة العالم العربي منذ ٥٠ سنة قد تحسنت أمس فلماذا تحمر أنوف بعض الناس عندما نقول أن ناساً في بلادنا يعبدون غير الله ويعيشون في جاهلية أشد من جاهلية أبي جهل وأبي لهب وأمية بن خلف ولما أن فرغ صاحب المقالة من السخرية بأولئك المهووسين وكال لهم بمكيال السخرية والشماتة ما يقابل خسائرهم في ذهابهم وإيابهم قال اللهم إن المرض والحياة والموت قدر لك حسب أجل معلوم لا يتأخر ولا يتقدم وقدر الله ليس فيه شماتة بل يسرنا أن تتوب (أم كلثوم) قبل موتها عن جريمة تخدير العالم العربي خلال نصف قرن، وإن كان أثرها السيئ سيستمر بعد وفاتها ولكن أليس انشغال العالم العربي بمثل هذا دليلاً على ما يعيشه من تخلف وانحراف عن منهج الله.

وقال صاحب مقالة أخرى ما هي أم كلثوم إنما هي عجوز شمطاء بلغت من الكِبر عتياً ويكفيها من الإثم ما ملئت به الأشرطة التي هي وصمة في وجهها إلى يوم القيامة فما اهتز العالم من أقصاه إلى اقصاه لنزول اليهود بلاد العرب وتحكماتهم الانحرافية ولا لما جرى من استلاب فلسطين من أهلها المقيمين الآمنين بأيدي اليهود المغضوب عليهم الذين لم يجدوا رادعاً ولا وازعاً دينياً ولا خلقاً عقلياً يمنعهم من الظلم الوجيع للإسلام وأهله ولا لما نزل بالقدس والمسجد الأقصى، تارة تأتي العصابات اليهودية بمعاولها لهدمه جهاراً بمشهد من الله ومن خلقه ولا لما وقع بلبنان من المجازر الوحشية التي تشيب لها النواصي حتى أصبح الأهالي صيد القناصة من الشيوعيين والنصيريين ولا ما أمسى به أهل فلسطين من أخذ أبريائهم وضعفائهم وزجهم في غيابات السجون حتى امتلأت بمئات الألوف منهم من لقي مصيره بالقتل ومنهم من شردوا عن أوطانهم وانتهبت أموالهم، ومنهم من لا يزال تحت التعذيب ورحمة اليهود الذين نزعت الرحمة من قلوبهم ولا لتوسعات اليهود

وتحكماتهم في بلاد العرب لم يهتز العالم لذلك كله بل اهتز لموت أم كلثوم العجوز الشمطاء المغنية، فوالله لو عقل أولئك الجانين لعلموا أن قلوبهم قد ماتت قبل موت أم كلثوم ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥ ﴾.

وفيها ٨/٨ ثار شعب بنغلادش من الباكستان الشرقية التي سكانها ٧٥ مليوناً وأطاحوا بحكومة مجيب الرحمن، فقتل في بيته وهو رئيس الجمهورية وكانت ولادته عام (١٩٢٠م) عن عمر يناهز الخامسة والخمسين وتولى بعده الرئيس أحمد وكان يتظاهر بالإسلام ويحارب الشيوعية وكان عضد الرئيس مجيب الرحمن غير أنه كثير الخلاف في الشيوعية.

وفيها في يوم عيد الأضحى نشب حريق هائل في منى وحجاج بيت الله مكتظين هناك، وبما أن خيام الحجاج متماسكة فقد أتى الحريق على جملة منها وهلك بأسبابه أنفس كثيرة بشرية، وأصيب آخرون وترك ذلك الحريق ميداناً كبيراً وكان أسبابه اسطوانة غاز انفجرت فسببت تلك الأضرار وعم الحريق ما يليه من الاسطوانات.

وفيها في اليوم ١٢/١٩ قام خمسة إرهابيون فدائيون فاختطفوا طائرة تحمل وزراء البترول أحمد زكي يماني السعودي ووزير الكويت ووزير إيران ووزير العراق وغيرهم وكانوا قد امتطوا تلك الطائرة لحضور المؤتمر في النمسا فأصبحوا مهددين تحت الأخطار وقام أولئك الأشقياء بتسخير الكابتن على ما تقتضيه إرادتهم بعدما قتلوا اثنين من رفقة الوزراء، ثم أنهم ذهبوا بالطائرة يريدون مطار الجزائر وطلبوا تزويدها بالوقود، ثم ذهبوا بالطائرة يريدون مطار تونس غير أن الحكومة هناك مانعت من نزولهم فيها ثم أفرجوا عن بعض الوزراء وأصبح البقية مهددين تحت رحمة الإرهابيين ولما أن رجعوا إلى الجزائر ورجع بقية الوزراء سالمين على متن طائرات بعثت بها إليهم حكوماتهم.

وقد نشرت جريدة الرياض في ٢٤/٣ ما يلي عن ياسر عرفات.. إسرائيل تملك ثلاثة أنواع من الأسلحة النووية وتخطط لحرب جديدة وقد كان ألقي في الليلة الماضية هذا الخطاب في الدوحة وناشد العرب أن يصغوا إلى تحذيراته من نوايا إسرائيل، وقال إنه لا يوجد أدنى شك في أنها تستعد لحرب أخرى، ومضى ياسر عرفات قائلاً أن إسرائيل قد زادت قوتها النظامية من ٨٠٠٠٠ جندي إلى ١٢٠٠٠٠ وضاعفت قوتها من الدروع من ألف وأربعمائة دبابة إلى ٢٦٠٠ دبابة إلى جانب حصولها على مزيد من الطائرات والصواريخ التي تستطيع حمل رؤوس نووية. وقال وعلي أن أؤكد لكم ولدى مصادرنا الخاصة للمعلومات داخل فلسطين المحتلة أن لدى إسرائيل ما بين ثلاث وخمس قنابل ذرية وأن الصواريخ التي أعطيت لإسرائيل قد أعدت لأمر ضخم وعاجلاً أو آجلاً ستلجأ إسرائيل إلى الحرب.

وفيها وفاة الأستاذ رضوان إبراهيم في القاهرة وذلك في أواخر شهر ذي الحجة ويعد في مصر أحد كبار موظفي وزارة التعليم وله مقالات عديدة في مجلة الرابطة من سنوات طويلة، وكان فيما يذكر عنه على جانب كبير من دماثة الأخلاق محبوباً لدى محبيه وعارفيه فرحمة الله على أموات المسلمين.

وفي أوائل هذه السنة نشبت خلافات في لبنان وذلك بمناسبة ثورة عزيز الأحدب وخلع المسيحي سليمان فرنجيه ذلك بأنه كان للأول أحزاب يؤيدونه ولم تنجح ثورة عزيز بل كانت أساساً لفوضى وقعت في لبنان.

نشوب الحرب في لبنان

لما خلع فرنجية تحزبت أحزاب وتوترت الأحوال جداً، وقد أحصي القتلى والجرحى من اليوم السابع من محرم إلى عشرين من الشهر أي بظرف ثلاثة عشر يوماً فبلغت ٧٠٠ قتيل وألفاً ومائتي جريح وقام المسلمون هناك ينادون بالأسواق

بمكبرات الصوت إلى الجهاد المقدس وكم من عاجز وطفل وعجوز قد أصيبوا من جراء القصف العشوائي وهم لم يشتركوا في القتال، وليس لهم ذنب في جعلهم أهدافاً فالقنابل المدافع وفوهات البنادق والرشاشات وقنابل الطائرات المدمرة ولقد اشتدت الحرب الأهلية في لبنان وبلغت أوج الهمجية وقامت القناصة في أماكن فسددوا ضربات البنادق والرشاشات على كل من مر من الشوارع يضربونهم بالعيارات النارية وحصر الفدائيون في مخيماتهم وقطع عنهم الماء فأصبحوا مهددين بالهلاك من العطش وتوالي الضرب على نسائهم وأطفالهم وتحرجت الحال جداً حتى استقال رئيس الوزارة اللبنانية رشيد كرامي لما وضع اتفاقيات عديدة لوقف القتال ووقف إطلاق النار وكلها ترفض، ولقد قام جلالة الملك خالد بن عبد العزيز في ٢/ ١٢ بزيارة رسمية لكل من الأردن وسوريا وأقام ستة أيام هناك وترأس هو والملك حسين بن طلال المأساة اللبنانية وأبديا قلقهما الشديد من استمرار هذه الحالة على النحو الأليم المحزن، حيث انتشر القتل والتدمير على صورة من الوحشية لم يسبق لها مثيل وقد صدر في كل من جدة ودمشق البيان الصحفي التالي عن زيارة جلالة الملك خالد للجمهورية العربية السورية: قام جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بزيارة رسمية للجمهورية العربية السورية تلبية لدعوة من أخيه سيادة الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية في الفترة ما بين الثالث والعشرين والخامس والعشرين من (١٣٩٥هـ) الموافق ما بين الخامس والعشرين والسابع والعشرين من كانون الأول عام (١٩٧٥) ميلادي وقد استقبل هناك بكل حفاوة ولقد بذلت ملوك العرب ورؤساؤها جهوداً جبارة لإيقاف هذه الحرب الأهلية في بيروت ولبنان والتي كانت سبباً لشر مستطير اشترك فيه جميع المناوئين للعرب وكانت سبباً لتدخل اليهود الصهاينة فيما لا يعنيها فلم تفلح الجهود المبذولة في ذلك بل استمرت هائجة مائجة وأصبح كل حارة تقاتل الأخرى وكل شارع يقاتل الشارع الآخر وكانت فتنة عمياء يعجب لها وعجز المصلحون وفشل المتوسطون.

ثم دخلت سنة (١٣٩٦هـ)

استهلت هذه السنة وخطر الموت يهدد مئات المعتقلين العرب في السجون الإسرائيلية بسبب إضرابهم عن تناول الطعام وبدأت حملة في عمان واسعة النطاق لإطلاق سراح المعتقلين والإفراج عنهم. وكان الرئيس المصري أنور السادات قد أكد في رجب من السنة الماضية إصرار مصر على الانسحاب الإسرائيلي من ممري متلا والجدي استراتيجيين ومن حول أبو رديلس البترولية وذلك في خطاب ألقاه في ٢٦/ ٧ خلال اجتماعه بقادة الحزب العربي الاشتراكي ولكنه مع الأسف لم يثبت على ذلك بل جرى منه بعد ذلك من التناقض وصمة شديدة اسودت منها وجوه العرب كما أن أهل لبنان أصبحوا يعانون من الغارات الإسرائيلية على بلادهم شراً كبيراً وتأزمت الأمور في لبنان وبيروت وركض الشيطان فيما بينهم وحجة اليهود عليهم لعائن الله هي أن الفدائيين الفلسطينيين ينفذون ضرباتهم باليهود ويلجئون إلى لبنان فرأت اليهود بتعسفها أنه لا بد من استئصال الفدائيين في أعشاشهم واتخذت من ذلك حجة في غزوها وقصفها للبنان ليتخذوها موطناً كما فعلوا بفلسطين في طرد أهلها ووضع حمايتها على المتبقين فيها وقد نجم عن غارتها على لبنان في هذه السنة وتحرشاتهم بها سقوط ثلاثمائة وثمانية عشر ما بين قتيل وجريح وقام المسيحيون بقطع الماء عن تل الزعتر الذي فيه مخيم اللاجئين وعجزت القوات عن إنقاذ خمسمائة طفل وامرأة تحت الأنقاض الذي في هذا المخيم وكان الأطفال يعانون من شدة العطش الشديد والجفاف في أجسامهم ما يهدد بهلاكهم من قصف المسيحيين وقطع الماء عنهم وذلك لأن هؤلاء الضعفاء التجئوا إلى أسفل مبنى هناك فسقط عليهم وقام حسن صبري الخولي مبعوث جامعة الدول العربية يدين حزب شمعون بإطلاق النار على قوة الأمن العربية وإصابة بعضهم بجراح وقد بعثت المملكة العربية السعودية مليون وأربعمائة ألف دولار مساهمة في نفقات قوات الأمن العربية في لبنان وهذه المجازر والمذابح كمقدمة لما يأتي بعدها من الهول، الهول الذي حار فيه العاقل والمجهول، وتعرضت له لبنان وأبناؤها من الفتك والتدمير والإبادة.

وفيها كثر تسييب الحمر الأهلية بحيث لما توفرت السيارات بكثرة نزعت رغبتها من صدور الأمة في كل موضع فكانت تسير في الفلوات والطرق البرية وحصل عليها ومنها أذى لما أصبحت فيه من أذية الصبيان والذين لا يعرفون للبهائم حرمة وكانت هدفاً لحوادث السيارات وسببت أضراراً في تجولها في الطرق الرئيسية وكنت أرى أن لو جعلت في أحواش وصرفت الحكومة لها قوتاً وماء لتعيش لأنها أمة من الأمم وربما يأتي لها يوم يحتاج لها الناس، وما زالت تنقص حتى أوشكت على تقليص ظلها وكنت أظن أن الكوريين والفلبينيين يأكلونها.

وفيها كثر وجود الهنود في بلاد العرب وكثر وجود المصريين الذين استقدموا للخدمة كما أن الكوريين والفلبينيين رجالاً ونساءً، وجدوا بكثرة للخدمة وسياقة السيارات ونظافة البيوت وخدمة الأهالي وكانوا يعملون في البلديات وينظفون المساجد والدوائر الحكومية ولا سيما البخاريين فكانوا موجودين بكثرة وإذا نظرت في المساجد الجوامع فإن الأجانب من اليمانيين والهنود يكادون يزيدون على الأهالي بالكثرة.

وفي يوم السبت ١٣/١ من هذه السنة تدخلت سوريا والأردن لإيقاف القتال في لبنان فبدا وقف إطلاق النار شيئاً ما وذلك لأنها توترت الأحوال في لبنان بصفة أن عزيز الأحدب لم تنجح ثورته بحيث صمم سليمان فرنجيه على عدم التنازل وقام رجال من الحرس يقدرون بألف مقاتل يدافعون وهم من الخارج وحصل بسبب ذلك نقص كبير على بيروت ولبنان وكان يسقط مئات القتلى والجرحى بسبب مقاومة رجال الثورة لرجال الرئيس فرنجيه بالدبابات والمدافع الثقيلة ولضخامة الموقف وخشية تدخل أجنبي لم يستطع ملوك العرب التدخل في تلك الحرب الأهلية وفي ٣/٢٢ من هذه السنة تم للحرب الأهلية في بيروت ستة أشهر بحالة يرثى لها.

ضرب المخيمات في لبنان

لما كان في غرة رجب من هذه السنة شنت القوات التقدمية هجمات في اليوم المذكور مضادة على مواقع القوات الكتائبية وحلفائها وذلك على عدة جهات وأعلن التقدميون أنهم اكتسبوا أراضي في جميع المناطق التي شنوا عليها هجماتهم ولا تزال القوات المشتركة تسيطر على مخيمي تل الزعتر وجسر الباشا الفلسطينيين على الرغم من القتال الضاري حيث سقطت حوالي ثلاثة آلاف قذيفة خلال الاشتباكات والتي أطلق عليها حرب المخيمات خلال الساعات الأربع والعشرين الأخيرة ولم تنجح القوات الانعزالية من تحقيق هدفها، ولما أن سكنت الأحوال في لبنان أحصيت القتلى فبلغت عشرين ألف قتيل وساعدت الحكومة السعودية لبنان بعشرة ملايين، وكان يظن أن قد وضعت الحرب أوزارها فنشأت الحرب من جديد.

وفيها قام رئيس الجمهورية المصرية أنوار السادات في ٢٣/ ٢ بزيارة للمملكة العربية السعودية فأقيم له احتفال واستقبل بما يليق به وأظهر سروره وغبطته بلقائه بالملك خالد بن عبد العزيز وشارك في العرضة النجدية لابساً الملابس العربية وبيده السيف صلتاً يؤدي واجبه مع الملك خالد وولي عهده والنائب الثاني سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز وبقية الأسرة المالكة.

أن أنور السادات رئيس من رؤساء العرب ولا تنسى مواقفه في حرب رمضان أو حرب الغفران لدى اليهود، ولقد أصدر العفو عن أمة كثيرين من الإخوان المسلمين الذين اعتقلهم سلفه وهو محبوب بين العرب لما يتخلق به من الشجاعة وحسن الجوار والمواقف التي ساندها بها العرب، ولكنه ويا للأسف فعل فعلة وضعت من قدره وهي ذهابه إلى إسرائيل وصلحه معها وسيأتي ذكر ذلك.

وفيها في عصر اليوم الرابع من جمادى الأولى قدم زائراً للمملكة السعودية رئيس الجمهورية السودانية جعفر محمد نميري فاحتفلت به المملكة واستقبل

استقبالاً يليق به وقال إن زيارته يهدف إلى التشاور والتنسيق بالنسبة لتغيرات الموقف في العالم العربي وقد أقام صاحب الجلالة الملك خالد حفل عشاء تكريماً لفخامته وقام بما ينبغي من كرامته، ووافقت الحكومة على أن تمنح السودان قرضاً قدره ستة وثلاثون مليوناً من الدولارات ويخصص لتمويل إقامة طريق بور سودان كسلا وإنشاء مطار في بور سودان والميناء الوحيد في السودان الذي يقع في مواجهة المملكة العربية السعودية.

تقدم الزراعة في السعودية

في هذه السنة نشطت حركة الزراعة في المملكة وذلك لما كانت الحكومة تولي المزارع من السلفة وعدة به من الحراثات والدركتورات والجرافات والحصادات والطرنبات والمكائن المائية وكانت مدينة القصيم قد أتت الحظ الأوفر من منتوجاتها فقد بلغت حبة البطاطس تسع كيلو جرام وبلغت حبة اليقطين العسلي خمسة وأربعين كيلوجرام وهذا شيء نادر الوقوع، وأصبحت مدينة بريدة تفخر على ما سواها من المدن العظيمة مضافاً إلى ذلك القمح والحجب والقثاء والبقول من الجزر والخس والبصل وذلك في مزارعها كما أن مدينة عنيزة والزلفى وسائر مدن القصيم كان لها أثر عظيم في المنتوجات. أما عن التمور بسائر أنواعه فلا أتجاوز الحد إذا قلت أن العاصمة بريدة وقراها وضواحيها تستطيع أن تكفي سائر المملكة ولا نستطيع التعبير عن منتوجات البطين والمليداء وقد نصبت صوامع الغلال للقمح على مسافة عشر كيلوات شمالاً عن مدينة بريدة في طريق حائل.

وأصدرت المملكة معونات من القمح ولحوم الهدايا إلى المستحقين في مشارق الأرض ومغاربها وكانت المملكة كما عودها الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز تبدل معونات وتنتج مدارس ومستشفيات في البلاد الأخرى وكانت تستقدم المهندسين والفنيين من سوريا ومصر والجهات الأخرى لتوجيه المزارع حتى ظهرت المملكة مظهراً رائعاً في البناء والغراس والتشجير بحيث أنها قامت تضاهي سائر

الممالك في التجارة والحدادة والهندسة والبناء والزخرفة وهذا نتيجة فتح المدارس على اختلاف أنواعها بحيث ظهر منها أناس متعلمون ظهر منها الضباط والقواد والعلماء بفنون الحياة العصرية.

وفيها فتح فرع لجامعة الإمام محمد بن سعود في مدينة بريدة تأسست لقسمي كلية الشريعة واللغة العربية، ثم أنها ما زالت في تضخم واتخذ لها مساكن محيطة بها للطلاب الأجانب وذلك في الحارة الشرقية المسماة (العكيرشة).

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم عبد الله بن عبد الرحمن بن دخيل رئيس مركز هيئة حلة القصمان شرقي الرياض رحمه الله وعفا عنه كان والده مقداماً ذكياً وجده صالح بن دخيل كان من جملة طلاب العلم الذين درسوا في بغداد، ومن جملة الذين درسوا على الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم ثم وقعت منافرة بينهما. أما عم المترجم فهو الشيخ الأديب سليمان بن صالح بن دخيل، وهم من أسرة كبيرة في نجد ينتمون إلى الدواسر ولسليمان بن صالح ذوق في الأدب والتاريخ وقد اشترك في إنشاء مجلة الرياض في بغداد وله اطلاع على عوائد العرب وأشعارهم وتاريخهم وذكره المؤرخون بالأدب والثقافة وقد رأيته عام اثنين وستين بعد الألف وثلاثمائة في مكة المكرمة بعد الحج، وكان كبر سنه وثقل مربياً للحيته وعليه لباس العرب القميص والشماغ والبشت، ولكنني لم أتمكن من البحث معه لضيق الوقت ويذكر أنه طاف البلاد وذهب إلى الهند وبغداد والمدينة المنورة كانت وفاته بعد رؤيتي له بسنتين رحمه الله. أما عن المترجم فقد أخذ في الدراسة على المؤدب في مدينة بريدة صالح بن محمد بن الصتعبي في عام (١٣٤٥هـ) إلى نهاية (١٣٤٩هـ) وحصل على تعلم القرآن والكتابة والحساب وذهب إلى مدينة الرياض واتصل بالعلماء هناك وحصل على وظيفة رئيس مركز في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستمر فيها بنشاط وقوة عزيمة لكنه طلب الإقالة أو أقيل لأنه كان قوياً ولم تساعده الظروف

وأصيب في أواخر عمره بمرض السكر لأنه كان ممتلئ الجسم وقضى عليه مرضه وهو مسافر في نسك العمر رحمه الله وعفا عنه.

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ عبد العزيز الفوزان وهذه ترجمته: هو الشيخ عبد العزيز بن صالح بن إبراهيم بن صالح بن فوزان بن راشد وتقدم ذكر نسبهم في ترجمة والده وينتمون إلى الروقة من أفخاذ عتيبة ولد في مدينة بريدة عام (١٣٣٣هـ) ونشأ بتربية أبيه وعناية الله ثم عنايته وأدخله والده على مؤدب يدعى محمد بن عقيل لتعلم القرآن والكتابة ثم إنه أخذ يطلب العلم من الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي وأكثر الأخذ عن الشيخ عمر والشيخ عبد العزيز العبادي وجد واجتهد ونافس في طلب العلوم الدينية في حلق الذكر ومن معلوماته ثلاثة الأصول والتوحيد وكشف الشبهات ومفيد المستفيد وآداب المشي إلى الصلاة وعمدة الأحكام وعمدة الفقيه ودليل الطالب وشرحه وزاد المستقنع وشرحه للبهوتي وبلوغ المرام والمنتقى من أخبار المصطفى وعكف على المراجعة في القناع وكشاف القناع والمقنع، وفي عام (١٣٥٦هـ) جعله الشيخ عمر إماماً في مسجده الكائن شرقي مدينة بريدة ثم إنه رفع للقضاء في الجوف دومة الجندل ثم في ضرية ثم نقل إلى قضاء صبيا ثم كان رئيساً لمحكمة جيزان ثم نقل إلى بلد الطائف فمكث فيها إلى عام (١٣٨٠هـ) حيث نقل إلى هيئة التمييز فكان عضواً فيها بمكة المكرمة، واستمر في تلك الوظيفة ولما أن كان في ١٧/ ١٢ أصيب بنزيف في المخ بعد صلاة الفجر من ذلك اليوم ففقد وعيه ودام مغمى عليه إلى الليل حيث توفاه الله تعالى في الساعة الثانية بعد الغروب وقد نقل إلى المستشفى فلم يغن ذلك عنه من شيء وكانت وفاته ليلة الخميس ١٨ من الشهر المذكور فصلى عليه في المسجد الحرام ظهراً ودفن في العدل، وكان في جميع الوظائف التي نالها محمود السيرة ومثالاً في النزاهة والحكم بالحق وهو من زملائنا في الدراسة ومن جملة أصحابنا مولعاً بدراسة النحو وله حظٌ في معرفة المواريث، ومع ذلك فإنه دمث الأخلاق متواضع

اجتماعي هادئ الطبع وآخر عهدي به في آخر عام (١٣٨٩هـ) حيث زارني في مدينة بريدة وجلسنا نتناول القهوة في بيتنا نتحدث كأخٍ عزيز لم تطغه المناصب ولم تستهوه خمرة العجب وكان له أخوة كرام من أبرزهم أمير ضاحية خضيراء فوزان بن صالح ومنهم محمد وحمود وسليمان وعبد الكريم ومن زملائه صالح بن سليمان بن حميد وعبد الرحمن بن عبد الله بن طرباق وعلي بن صالح بن مرشد وعبد الله بن صالح بن حسين وعلي بن محمد بن علي السكاكر رحمة الله على الشيخ عبد العزيز.

وممن توفي فيها إبراهيم بن صالح الرشودي وذلك في ٩/ ٥ من هذه السنة بعد وفاة أخيه محمد بن صالح بسنة لا زيادة ولا نقصان، وهو: إبراهيم بن صالح بن عبد الله الرشودي عن عمر يناهز السابعة والثمانين قضاها في العبادة والذكر وتلاوة القرآن وكان من زهاد زمانه كأخيه محمد وعبد الله نحيف البدن ملازماً للصلاة كافاً شره عن الناس.

وفيها وفاة الشيخ محمد صادق الجددي عضو المجلس التأسيسي لرباطة العالم الإسلامي ويصفونه بالمدافعة عن دين الإسلام وأنه سفير أفغانستان في المملكة السعودية.

وفيها في ٩/ ٩ صدر أمر ملكي بتعيين عبد العزيز بن عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيساً لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برتبة وزير وذلك برقم ١/ ٢١٥ وقد أشاد الشيخ عبد العزيز بذلك المرسوم الملكي الخاص بتوحيد هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هيئة واحدة ترتبط برئاسة مجلس الوزراء وقال أن هذا المرسوم يأتي نتيجة لاهتمام جلالة الملك خالد المعظم وصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورغبتهم في تنظيم هذا المرفق الهام وقال أنه سيختار للهيئة نخبة صالحة من الرجال الأكفاء المؤهلين علمياً وفكرياً ليتحملوا الأمانة وأطال في الموضوع ولكن ذلك لم يطل زمنه فقد زالت عنه وعين لها الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ واستمر

فيها وكان عبد العزيز بن عبد الله هو الخطيب في الأعياد بالمسجد الحرام ويوم الوقوف بعرفة ولكنه أيضاً قد زالت عنه هذه الوظيفة بعد ذلك.

وفيها في يوم الجمعة ١٣/ ٢ وقع انقلاب في نيجيريا قتل لذلك الرئيس مرتضى الله محمد بحيث كمن له الثوار في طريقه إلى مكتبه فأصيب بالرصاص وقتل من أصحابه رجلان غير أن ذلك الانقلاب فشل وألقي القبض على الثوار فأعدموا ورجعت المياه في مجاريها.

وفيها صدور أمر من الرئيس المصري قراراً بتعيين حسني مبارك نائباً للرئيس وهذا بعد تجديد رئاسته وقد أدى اليمين الدستورية أمام مجلس الشعب بعد أن أعيد انتخابه وقد تولى حسني مبارك مهامه نائباً لرئيس الجمهورية منذ تعيينه في هذا المنصب في ١٦ إبريل عام (١٩٧٥هـ).

وفيها وقع انفجار في منجم بالهند بأسباب مياه هناك فذهب ضحية ذلك تحت الأرض ٤٠٠ عامل، وكان وقوعه في آخر ذي الحجة.

وفيها افتتح خط مباشر من الخطوط الجوية بين السعودية وإيران، وفي مساء يوم الأربعاء ١٠ ربيع الأول من هذه السنة الموافق ١٠ مارس (١٩٧٦م) في تمام الساعة الثامنة صباحاً وزيادة أربعين دقيقة هبطت طائرة إيرانية في مطار جدة من طراز بوينج ٧٢٧ قادمة من إيران.

وفيها صدر قرار بمنع غير السعوديين من مزاولة التجارة في السعودية وهذا القرار يطبق فوراً لأصحاب المباسط وبائعي الخضار وأعطوا مهلة إلى آخر العام.

وفيها بلغ عدد سكان الاتحاد السوفيتي مائتين وثمانية وخمسين مليوناً من النسمات البشرية وذلك بزيادة قدرها اثنا عشر مليوناً خلال السنوات الخمس الماضية.

وفيها في أواخر شهر رجب صدرت فتوى في الجزائر بالتوقف عن الصيام لذوي الأعمال الشاقة وهي تتيح للعمال المسلمين الذين يقومون بأعمال شاقة في

مجمع الحديد والصلب والعمال المهاجرين إذا اقتضت الضرورة والحاجة إلى المشقة فإنهم يفطرون رمضان ويقضونه في عدة من أيام أخر ولا ريب أن هذا خطأ وجراءة على أحكام الشريعة فإن كان ذلك قياساً على المسافر والمريض فإنه قياس غير مقبول لأن المريض لا يستطيع لمرضه والمسافر رخص له قصر الرباعية والفطر لعارض السفر، أما المقيم فإنه باستطاعته أن يترك العمل ويؤجل عمله إلى شهر شوال ويحترم هذا الموسم العظيم وقد رد العلماء على هذه الفتيا وأبطلوها مهما صدرت وممن صدرت وممن رد عليها الشيخ محمد الصالح المنسلح من أهالي بريدة.

وفيها هطلت أمطار غزيرة على القصيم وما يليه واستمر هطول الأمطار من دخول الأربعانية في الشتاء إلى انسلاخ سعد السعود أي ثلاثة أشهر ونصف شهر بحيث نزحت البادية من الحجاز والعارض والوشم وسدير إلى القصيم وعم الكلاء والعشب الكثير.

وفي موسم الحج من هذه السنة وجه خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبد العزيز كلمة سامية إلى حجاج بيت الله الحرام وإلى المسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها وأنحاء الأرض دعا فيها إلى الجهاد في سبيل الله من أجل استعادة القدس الشريف والتمسك بالشريعة الإسلامية الخالدة وهي طويلة. وقال: نريدها غضبة ونهضة إسلامية لا تدخلها قومية ولا عنصرية ولا حزبية إنما دعوة إسلامية دعوة إلى الجهاد في سبيل الله في سبيل ديننا وعقيدتنا دفاعً عن مقدساتنا وحرماتنا وأثنى على أخيه فيصل رحمه الله الذي وفقه الله إلى إبراز كيان التضامن الإسلامي وذكر ثمرة ذلك التضامن الذي بينما كان عدد الدول التي تشترك في المؤتمرات لا تتجاوز عشرين دولة أصبح الآن عددها يزيد عن الأربعين.

وفيها في ١٥ شعبان أسست شركة إسمنت القصيم بمقتضى المرسوم الملكي رقم ٩/ ٩٢ لغرض إنشاء وتشغيل مصنع إسمنت بورتلاندي في بريدة وتقع شمال خط الطرفية ووصل القومطير برأسمال قدره ثلاثمائة مليون ريال.

وفيها أصيبت مدينة جواتيمالا وهي جمهورية في أمريكا الوسطى بهـزة أرضـية هلك بسببها أربعة عشر ألف نسمة وأصيب آخرون بجـروح بلـغ الجرحـى حـوالي خمسة وأربعين ألف جريح.

بيان من وزارة الداخلية

نشرت مجلة رابطة العلام الإسلامي في العدد الأول للسنة الرابعة عشـرة محـرم من هذه السنة الهجرية في ينـاير (١٩٧٦م) بيانـاً عـن الحريـق الـذي وقـع في منـى ١٠/ ١٢/ ١٣٩٥ هـ وانشب في منطقة المجزرة القديمة بعد اطلاع الوزارة على نتائج التحقيقات الواسعة تؤكد للجميع أن الحادث كان قضاءً وقدراً وقد نجم عـن سـوء استعمال اسطوانة غاز في خيمة أحد الحجاج، هذا وقد بلغـت الخسـائر في الأرواح مائة وثمانية وثلاثين شخصاً داهمتهم الـنيران قبـل أن يتمكنـوا مـن الخـروج مـن خيامهم، كما بلـغ عـدد المصـابين مائـة وواحـد وخمسـين شخصـاً نقلـوا فـوراً إلى المستشفى العام في منى لعلاجهم، وقد شارك في نقل المصابين إلى المستشفى عـلاوة على سيارات الإسعاف التابعة للهلال الأحمر السـعودي عـدد كـبير مـن سـيارات الإسعاف الخاصة بمختلف بعثات الحج الطبية حيث بذلت جهداً تشـكر عليـه كمـا بلغ عدد السيارات التي أتلفها الحادث مائة وثلاثة وثمانين سيارة ووزارة الداخليـة إذ تعلن هذا للعموم تتوجه إلى الله العلي القدير بالشكر الجزيل على لطفـه ورحمتـه بعباده بحيث أن النسبة سواء في الوفيات أو الإصـابات تعتـبر قليلـة بالنسـبة لعـدد الحجاج الذين وقع الحادث في منطقتهم وعـددهم اثنـان وخمسـون ألفـاً وثلاثمائـة وسبعة وتسعون، كما تؤكد أنه بفضـل توجيهـات صـاحب الجلالـة الملـك المعظـم قامت الجهات المسؤولة بعد الحادث مباشرة بنصب العدد الكافي من الخيـام لإيـواء الحجاج الذين أصبحوا بدون مأوى من جراء الحريق كما قـدمت إلـيهم الوجبـات الغذائية والبطانيات وجميع الخدمات اللازمة وترجوا المولى عز شأنه أن يـديم علـى الجميع لطفه وعنايته هذا وقد صدر أمر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز بتعـويض

جميع الحجاج الذين احترقت أمتعتهم وخيامهم وقامت وزارة الحج وصرفت مبلغ ألف ريال لكل واحد من هؤلاء وقد ألقى شاعر جلالة الملك أحمد إبراهيم الغزاوي قصيدة في موسم هذه السنة تتعلق بالموضوع ومنها:

أبا بندر يهناك أنك خالد ... وإنك محبوب وإنك ملهم
لك الخير وليحيى التضامن إنه ... بكَ اعتز فيه كل من هو مسلم
فثق أنك معصوم في كل موقف ... على رغم من شذوا ومن هم تجرموا
وإنك محفوظ بحفظك للذي ... تناجيه في الأسحار والليل المظلم
سهرت ونام الناس عما يريبهم ... وأنت إلى اطمئنانهم تتجشم
بذلت لهم ما لا يطيقون حصره ... ولا هو يحصى أو يعد ويرقم
وذلك في ذات الإله وأنه ... لشكر به النعماء تنمو وتعظم
فما ثم من يوم يمر وليلة ... بغير جهاد منك والله يعلم
خلائق من عبد العزيز وفيصل ... تمثل في برديك وهي تحشم
بها الله أحيا أمة الخير فازدهت ... بما هي تبديه وما هي تكتم
فبشراك بالنصر المبين موزراً ... وأنت به البشرى وأنت المقدم
تفيأ ضيف الله فيك بنعمة ... بها الأمن يصفو والهناء يعمم
ألوف ملايين الريالات أنفقت ... لراحة ضيف الله وهو مكرم
فقد نسفت شتى الحيال ومهدت ... لكي يتهنوا بالمقام وينعموا
مضاربهم بين الصفوف رحيبة ... وفيها لغات الوافدين تترجم
وها هم بها في غبطة وتزاور ... وكل امرئ منهم بها يتقوم

وبهذا نختم المجلد السادس من تاريخنا ولله الحمد والمنة أثاب الله جامعه وسدد أقواله وأفعاله إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآل وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ويليه المجلد السابع إن شاء الله أوله ثم دخلت سنة (١٣٩٧هـ).

فهرس المجلد السادس
من تذكرة أولي النهى والعرفان

تذكرة أولي النهى والعرفان

بأيام الله الواحد الديان

وذكر حوادث الزمان

تأليف

فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن

"من علماء أهل القصيم"

الجزء السابع

مكتبة الرشد

ناشرون

ⓗ مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./

إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. ــ الرياض، ١٤٢٧هـ

٤٣٢ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٠-٦٢٥-٠١-٩٩٦٠ (ج ٧)

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم أ- العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٢٧/٤٧٩٢

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٠-٦٢٥-٠١-٩٩٦٠ (ج ٧)

 الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



مكتبة الرشد - ناشرون

المملكة العربية السعودية ــ الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ــ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ــ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

فروع المكتبة داخل المملكة

★ الريـاض: فـرع طريق الملك فهد: هاتف: ٢٠٥١٥٠٠ ـ فاكس: ٢٠٥٢٣٠١

★ فرع مكة المكرمة: شارع الطائف: هاتف: ٥٥٨٥٤٠١ ـ فاكس: ٥٥٨٣٥٠٦

★ فرع المدينة المنورة: شارع أبي ذر الغفاري: هاتف: ٨٣٤٠٦٠٠ ـ فاكس: ٨٣٨٣٤٢٧

★ فرع جدة: ميدان الطائرة: هاتف: ٦٧٧٦٣٣١ ـ فاكس: ٦٧٧٦٣٥٤

★ فرع القصيم: بريدة ـ طريق المدينة: هاتف: ٣٢٤٢٢١٤ ـ فاكس: ٣٢٤١٣٥٨

★ فرع أبها: شارع الملك فيصل: تلفاكس: ٢٣١٧٣٠٧

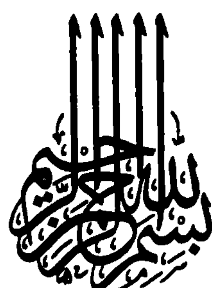
★ فرع الدمام: شارع الخزان: هاتف: ٨١٥٠٥٦٦ ـ فاكس: ٨٤١٨٤٧٣

★ فرع حائل: هاتف: ٥٣٢٢٢٤٦ ـ فاكس: ٥٦٦٢٢٤٦

مكاتبنا بالخارج

★ القاهرة: مدينة نصر: هاتف: ٢٧٤٤٦٠٥ ـ موبايل: ٠١٠١٦٢٢٢٦٥٣

★ بيروت: بئر حسن: هاتف: ٠١/٨٥٨٥٠١ ـ موبايل: ٠٣/٥٥٤٣٥٣ ـ فاكس: ٠١/٨٥٨٥٠٢



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين وعليه نتوكل

ثم دخلت سنة (١٣٩٧هـ)

استهلت هذه السنة والأمراء في المناطق والمدن والقرى على وظائفهم فكان الأمير في مكة المكرمة صاحب السمو فواز بن عبد العزيز أخو الملك وفي المدينة المنورة صاحب السمو عبد المحسن بن عبد العزيز، وفي المنطقة الشرقية عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي، وفي بريدة سعد بن محمد بن سلطان بالوكالة، وفي تبوك وما يليها سليمان بن تركي السديري بالوكالة، وكان أمير عسير وما يلي تلك الجهات صاحب السمو خالد الفيصل بن عبد العزيز.

وكان الأمير خالد محبوباً لدى أهل تلك الجهات لما كان متسماً به من الإخلاص والتواضع وحسن التدابير.

كما أن الأمير سليمان بن تركي السديري فيه مكارم الأخلاق ورحابة صدر وكرم وقوة مقدرة.

وكان في إمارة العاصمة الرياض صاحب السمو الأمير سلمان بن عبد العزيز أخو جلالة الملك، وكان أمير عرعر وتلك الحدود صاحب السمو عبد الله بن عبدالعزيز بن مساعد، وفي إمارة جدة الأمير عبد الرحمن السديري كما أن الأمير في حائل سعادة الوكيل وهكذا.

ثم إنه جعل بعد ذلك بمدة قليلة إقامة أمراء من الأسرة المالكة في بريدة عاصمة القصيم وفي مدينة حائل وفي تبوك وذلك لإراحة الأمراء الذين أدوا واجباً يشكرون عليه.

أما القضاة فقد نقل اثنان وثلاثون قاضياً من جهة إلى جهة أخرى فقد نقل الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن مسلم من قضاء الفوارة إلى مساعدية قضاء عنيزة، ونقل مساعد قاضي عنيزة إلى عضوية محكمة بريدة ومن هؤلاء قاضي تربه الشيخ عبد الله بن عثمان بن بشر نقل منها إلى قضاء محكمة سدير، ونقل الشيخ علي الفايز الدغيري من قضاء قبة إلى قضاء الفوارة بالإضافة إلى أن من هؤلاء عدداً سيتم نقلهم بعد استكمالات إجراء ترقياتهم.

أما الوزراء فكان وزير العدل فضيلة الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ووزير الصناعة والكهرباء هو غازي القصيبي، ووزير الزراعة والمياه هو الدكتور عبد الرحمن آل الشيخ، ووزير البترول هو أحمد زكي يماني وزيراً للثروة المعدنية، وكان وزير الإعلام والمواصلات حسين منصوري أصيلاً في الثانية ووكيلاً في الأولى، وجعل الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن آل الشيخ وزيراً في التعليم العالي، وأما وزير الأشغال العامة والإسكان فهو متعب بن عبد العزيز سمو الأمير المحترم ويأتي ذكر أسماء بقية الوزراء.

وفيها منح جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة السعودية أوشحة وأوسمة الملك عبد العزيز لبعض الأمراء والوزراء تفضلاً وتقديراً لأعمالهم وهؤلاء ناصر بن عبد العزيز، سعد بن عبد العزيز، بندر بن عبد العزيز، مساعد بن عبد العزيز، متعب بن عبد العزيز، عبد المحسن بن عبد العزيز، مشعل بن عبدالعزيز، عبد الرحمن بن عبد العزيز، طلال بن عبد العزيز، مشاري بن عبدالعزيز، بدر بن عبد العزيز، تركي بن عبد العزيز، نايف بن عبد العزيز، فواز بن عبد العزيز، سلمان بن عبد العزيز، ماجد بن عبد العزيز، ممدوح بن عبد العزيز، عبد الاله بن عبد العزيز، سطام بن عبد العزيز، أحمد بن عبد العزيز، مشهور بن عبد العزيز، عبد المجيد بن عبد العزيز، هذلول بن عبد العزيز، مقرن بن عبد العزيز، حمود بن عبد العزيز، كما تفضل بمنح الوزراء ذلك وهؤلاء الشيخ إبراهيم بن محمد

آل الشيخ وعبد الرحمن بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الزراعة والمياه محمد عبده يماني، سليمان العبد العزيز السليم، غازي القصيبي علوي درويش كيال وزير البرق والبريد والهاتف حسين الجزائري وزير الصحة حسين منصوري، محمد الملحم وزير الدولة عبد الله العمران وزير الدولة محمد إبراهيم مسعود وزير الدولة الشيخ صالح قزاز.

ولما كان في ٢/ ٣ من هذه السنة سافر الملك خالد إلى لندن لإجراء عملية في وركه لخلل في إحدى رجليه، وبعدما أجريت العملية أعيدت لمرة أخرى لتكون على مستوى أعلى وأحسن فنجحت العملية بحالة جيدة، ولكنه نشأ عن ذلك أنه كان يستعين على المشي بالعصا ويشق عليه ثنيها.

ولما أن كان في يوم السبت ١٢/ ٥ في الساعة الرابعة بعد العصر زوالي توافق التاسعة وثلاثين دقيقة غروبي قدم بعد غيابه بشهرين وعشرة أيام واستعدت البلاد بزينتها ثم أقيم له من الغد يوم الأحد ١٣/ ٥ مهرجان عظيم واحتفال رائع صفقت الأمة في سائر أنحاء المملكة فرحاً واستبشاراً بعودة رائدها العظيم وأقيمت استعراضات من سائر القبائل شاكرين لله على توفيقه وسلامة الملك.

إن الملك خالد بن عبد العزيز رجل عاقل ومحبوب لدى شعبه لِما كان عليه من التواضع والرأفة والرحمة وقلما نجد أحد إلا وهو يدعو له ويثني عليه، وقد نال رضا الجميع بتوفيق من الله وحُسن نية، وقد اشترك (١٥٠٠٠) مواطن في احتفالات الهدى واستمر الاحتفال إلى بعد منتصف الليل وازدانت المنطقة بالأنوار وكان واقفاً ويشير بيده للتحية، وأنشدت قصائد وألقيت كلمات وتهنئات في كل النواحي فمن مديح أحمد الغزاوي:

لدن ملك ما تاجه من زخارف ولكنه الفرقان وهو يفاخر
وما خالد إلا السماحة والهدى به تضرب الأمثال وهي سوائر
ترأى به عبد العزيز وفيصل وآل سعود والأباة الأكابر

هـــم اســـتخلفوه مـــوقنين بأنـــه — علـى كـل مـا يرضـي بـه الله سـائر
وقـد حمـل العـبء العظـيم أمانـة — تقلـدها بـالحق وهـو مغـامر
تنـام عيـون النـاس مـلء جفونهـا — ويحنـو علـيهم جاهـداً وهـو سـاهر
ومـا برحـت تهمـي يـداه سـحائباً — هي الغيث وبـلا لـيس للغيـث حاصـر

وفيها وقعت هزة وزلزال في رومانيا هلك بسببها ألوف من السكان نستجير بالله من قوارع الزمان وتهدم من ذلك تسعة وعشرون وألف منزل وقامت سلطات الإنقاذ فكانت تنتشل بعض الجثث تحت الأنقاض التي تبلغ ألوف الأطنان ومما يعجب له أنه عثر على بعض الجثث وهم في قيد الحياة بعد مرور يومين وهم تحت الأنقاض وهذه الهزة الأرضية تعتبر من أعظم ما مرّ في القرن الرابع عشر الهجري، وقد هلك ألف نسمة وأما عشرة آلاف فكانوا مرهقين من الجراح وتعطل سبعون مصنعاً.

وفيها جزر البحر الأحمر في جمادى الأولى من إحدى جهاته عن امرأة رأسها رأس سمكة ومن رقبتها إلى أسفل جسمها امرأة وجدت بين الأحجار هناك تئن أنين إنسان غير أنها هلكت فحنطت وجعلت في أحد المتاحف لإطلاع المتفرجين عليها، والله على كل شيء قدير.

أما ما كان عن لبنان فقد غادر خمسة وثلاثون ألفاً من السكان جنوب لبنان بسبب قصف اليهود والقتال الدائر هناك ترك أولئك منازلهم لهذه الأذية، وهذه الملاحقة اليهودية وكان ذلك في أوائل ربيع الأول من هذه السنة ولم يتركوا منازلهم ويغادروا مواطنهم إلا لما حل بهم من المحق والدمار والخوف والضرب والتقتيل وفي كلام الحكمة لو ترك القطا ليلاً لنام ويقول الشاعر:

فلـولا المزعجـات مـن الليـالي — لمـا تـرك القطـا لذيـذ المنـام
إذا قالـت حـذام فصـدقوها — فـإن القـول مـا قالـت حـذام

هذا وقد حدثنا من يسافرون إلى بيروت ولبنان نسأل الله العافية بأنه يوجد

هناك خلاعة ودعارة والنساء سافرات عاريات يتجولن في الأسواق وأسباب الفجور متوفرة، فلا يؤمن أن الله سبحانه وتعالى قد غار لذلك، وفي الحديث: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾[1]»، وقد انتدب ثلاثة وثلاثون ما بين ملك ورئيس من العرب لحضور القمة العربية الإفريقية وليقفوا أمام هذا التيار الجارف، ولكنهم عجزوا رغم محاولات عظيمة.

أما القدس والضفة الغربية المحتلة وما يكابده أهلها من تعسفات اليهود فقد قام الطلاب في الشوارع وأخذوا يقذفون الحجارة على القوات اليهودية في وقت أغلق فيه التجار محالهم التجارية، فاستخدمت قوات العدو القنابل المسيلة للدموع لتفرقة المتظاهرين وألقت القبض على ستة عشر تلميذاً من الطلاب، ولم تؤثر الأمطار والعواصف الثلجية التي تجتاح الأرض المحتلة منذ الصباح الباكر على حركة المتظاهرين الذين بلغ عددهم نحو عشرين ألفاً.

وفيها في يوم الخميس ٢٠ يناير (١٩٧٧م) الموافق ٢/ ٢/ ١٣٩٧هـ تولى الرئيس الجديد لأمريكا جيمي كارتر رئاسة الجمهورية الأمريكية فأقيم هناك احتفال رائع حضره الرؤساء والأعيان فيها وجعلوا يهتفون بالتصفيق في تقاطع خطبته وكان الشعب الأمريكي قد استعد لهذا الاحتفال.

وفيها تم تسوير المدينة الصناعية في القصيم وتبعد عن مدينة بريدة بست كليوات وذلك بعدما تم نزع ملكيتها من أربابها وبلغت قيمة نزع ملكيتها عشرين مليون ريال وغالبها من ممتلكات المزارع عبد الله بن سليمان بن عيسى الذي تقدمت ترجمته جنوبي بريدة.

---

(١) سورة هود، آية ١٠٢.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها وفاة صاحب السمو عبد الله بن عبد الرحمن الفيصل رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو الأمير ومستشار أخيه الملك عبد العزيز، وقد يعترف له بالعلم ولا سيما التاريخ والأنساب، عبد الله بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن مقرن، وكان ذا شهامة وصرامة وتقدير بين الأمة ومولعاً بالغراس فله في الخرج ضيعة كبرى فيها أنواع النخيل والأشجار، وله مقامات في نصرة الدين ومساعدة القائمين به يحثهم على الثبات وعدم الانهزام أمام الباطل وأن لا يهنوا ولا يضعفوا، ولديه مكتبة عظيمة تضم جانباً كبيراً من الكتب المخطوطة والمطبوعات أهداها أولاده بعد وفاته لمكتبة الجامعة، وكانت وفاة المترجم في محرم من هذه السنة عن عمر يناهز الثمانين من العمر، وأيضاً له نهمه في الصحافة فقلما توجد جريدة أو مجلة في المملكة إلا وهو يطلع عليها ويقتنيها ولا ريب أنه في عداد أهل الدين والغيرة ومحترماً لدى أبناء أخيه الملوك سعود وفيصل وخالد رحمه الله وعفا عنه.

وممن توفي فيها من الأعيان الأمير عبد العزيز بن مساعد البطل المشهور وهذه ترجمته: هو الأمير الشهير والشهم النبيل الكبير أبو عبد الله عبد العزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود، ولد عام (١٣٠٠هـ) وكان أحد الأبطال الذين سطا بهم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن لفتح الرياض والذين لا يتجاوز عددهم أربعين، وقد جرح في رجله من وابل الرصاص الذي أنهل عليهم من أعلى القصر في تلك المخاطرة العجيبة، وفازوا بالنصر والظفر وكان سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد صارماً مقروناً به النصر.

وقد أعده الملك عبد العزيز لمهام الأمور، أضف إلى ذلك أنه كان رجلاً نزيهاً تقياً صالحاً وأسداً وثوباً مقداماً تتضاءل أمامه وثبات الأبطال وتقصر عن وصفه الأمثال، حتى أنه لم ينهزم قط في جميع الوقعات التي خاضها.

اختاره الملك عبد العزيز لإمارة بريدة مرتين، ولما فتح حائلاً وجبال طيء لم يجد لها كفواً سواه، وليكون محافظاً على الحدود الشمالية، وناهيك بـه مـن يقـظ حـازم يراقب الأمور عن كثب، وأرسله لصد تقلبات آل عائض في عسير عام (١٣٤٠هـ) فظفر وأخضع تلك القبائل ثم تصدى لابن الدويش عبد العزيز فقضى عليه وعلى من معه وذبحه ذبح شاة لما انتقضت عهودهم وذلك في واقعة أم رضمة، وكان منصور اللواء ومحبوباً لدى أمته.

وهذه صفته كان ربعة جميلاً حسَن الصورة مهيب الطلعة أبيض اللون قليل الضحك والمزاح، ذا عبادة وفيه مؤهلات لمهام الأمور، قال الشيخ عثمان بن أحمد بن بشر يمتدحه ويثني عليه من قصيدة:

أتانا بشير من أمير مؤيد ... مبارك ميمون الشمائل فاضل
كريم جواد ذي تقى وشهامة ... صبور جسور في اللقاء وفضائل
وأعني به الضرغام نجل مساعد ... أديب رحيب من كرام أفاضل
يقود جنود المسلمين بعزمه ... وهمته العليا إلى كل طائل
فوفقهم ربي لحرب ذوي الردى ... ذوي الزيغ والطغيان نسل الأسافل

ولقد كان سيفاً مسلولاً على المعتدين جاءت إليه امرأة تشكو فاسقاً من الأعراب أرادها عن نفسها وفجر بها، وقالت له كأني بك يا أبا عبد الله تقول ائتني بشاهد، فقد قهرني بوادٍ وفعل بي الفاحشة يا ابن مساعد فأمر به فأحضر بين يديه فهمس بأذنه فأقر بفعله سريعاً فأشار إلى الجلاد بنزع رأسه فطار رأس الجاني بلحظة وعجب الحاضرون كيف فهم الجلاد إشارته.

ذكر شيء من صرامته وبطشه وحزمه

كان في أيامه أعرابي تزوج بامرأة، غير أن أهلها مانعوا من سفرها إلى بلده فلما كان بعد مضي شهرين من الزواج باح الزوج بما لديه من كونه انقطع عن أهله

ووطنه وأخبرها أنه لا يمكن أن يجلس في تلك الصفة منقطعاً عن التكسب ومصلحة دنياه فذهبت إلى أبيها فمانع من سفرها فاشتكى الزوج على الأمير وكان والدها قد تهددها بالقتل إن سافرت قائلاً لئن ذهبت معه لأجعلن صدرك مخرقاً بمشط الرصاص، فدعا بها الأمير وسألها عن رغبتها في السفر مع زوجها فأجابت بما هددت به، وإلا فإنها ترغب الذهاب مع زوجها ولكنه حيل بينها وبينه فدعى بأبيها وقال له أحضر مطيتين إحداهما للزوج والعفش والأخرى تركبها مع ابنتك حتى تؤديهما إلى أهله على مسافة مائة وعشرين كيلو حتى توصلها ثم أقسم بالله لئن أصابه أو أصابها شوكة في الحال أو في المستقبل بسببك لأجعلنك عبرة ونكالاً للخلق فقام مبادراً وحملهما حتى وصلا بالسلامة وأشهد على ذلك الحاضرين، ورجع.

وحدثني صالح بن محمد أبا الخيل بأنه كان مسافراً ورفقته أربعة إلى فلسطين ومصر من جملة العقيلات فلما صفوا بضاعتهم وباعوا جمالهم وأحمالهم رجعوا إلى أهليهم في القصيم قال: فلما كان في منتصف الطريق بين الشام والسعودية ظهر خلفنا ثمانية من الركب على إبلهم، فقال البعض منا للآخر إنكم مقفيون فاستعدوا، وكان معنا رجل ماهر في الرماية يحمل أم خمس قصيرة فاختبأ خلفنا في ظل شجرة، ولما أن قربوا منه قال جنبوا عنا فوالله الذي لا رب غيره لأن لم تجتنبوا لتتفاقدوا والعدة فقالوا له استعذ بالله من الشيطان فنحن إسلام وإخوانكم ونعاهدكم بالله أن لا يصلكم منا ما تكرهون، فانخدعنا لهم كما قال عمر ابن الخطاب من خدعنا بالله انخدعنا له، فركب الرجل راحلته وأغلق بندقيته في مؤخر الرحل ثم تقدم أحدهم لما كنا نسير على السواء وأخذ البندقية كأنه يريد رؤيتها وبحيلة أنه يريد شراءها فلما استولى عليها داخلنا منه خوف وكثر غمزهم وهمسهم فأيقنا بالخيانة، ثم أنزلوهم عن رواحلهم وسلبوا ما معهم ثم قالوا تشهدوا قال وكنا نحمل كمرين من الذهب أخذوا أحدها والآخر تمكنت من أن ألقيه على خفية

بجحر ضب، ثم قلنا لهم بلين كلام لنسلم من شرهم، ما أخذتم فهو كرامة لكم فإننا لا نسلم من الرسوم على الحدود فقالوا لي تقدم للقتل وجعلوه غرضاً على بعد عشرين متراً واستسلم للقتل فأطلق عليه أحدهم البندقية فأصابت ما فوق أذنه خدشاً بسيطاً وقدموا الآخر فأصابت الرمية ما بين فخذيه وأصابت الثوب، فلما رأوهما سالمين قالوا يا جماعة هل فيكم أحد قريباً لعيسى بن رميح، قال قلت نعم إنه عمي، فأجابوا يقولون له سلمتم فعندنا ملحة له وهذه عادة عند الأعراب فتركونا وأعطونا نعالنا والشمغ التي استلبوها من رؤوسنا وفروا ذاهبين فكنا لا نملك زاداً ولا مزاداً، وقمنا ننظر يمنة ويسرة علنا نجد أحداً نستقي منه ماء، حتى نزلنا إلى موضع منخفض من الأرض فوجدنا أعراباً من بينهم الأمير فبكينا في وجهه وطلبنا منه المساعدة على أولئك اللصوص، فلبى طلبنا وشد ومعه أربعة وعشرون فارساً في طلب اللصوص وكان ذلك بين الصلاتين الظهر والعصر فما زلنا في طلب القوم حتى أشرفت الشمس على الغروب فلم يبق سوى نصف ساعة.

فقال لنا يا جماعة هذه حدودي ولا أستطيع تجاوزها، وأيضاً غربت الشمس فرجع بأربعة عشر من صحبه وطلبناهم بالمعروف أن يستمروا ولكنه رجع بثلة من أصحابه وبقي عشرة فقلنا لهم نرجو أن تبلغونا نقطة ابن مساعد في ذلك المركز على الحدود لا أقل ولا أكثر جزيتم خيراً فاستحيوا وساروا معنا حتى وصلنا المركز، وكنا لما أشرفنا عليه رجعوا ولما أن وصلنا إلى المركز استقبلنا ابن عبد الواحد وروينا له القصة ونحن بحالة يرثى لها من التعب والجوع والمشقة ففكر قليلاً ثم قال أيا ليت فلاناً حاضر فإنه خوي طيب ولقد ذهب لحاجة ولكن فلاناً حاضر وفيه بركة إن شاء الله فبكينا أمامه وقلنا له تِكفى يا ابن الحرة تِكفى يا ولد البيضا وهذه نخوة عربية فدعا بالخادم والمري وأمرهما أن يستصحبا رشاشتين معبأتين فاستويا على صهوتي الخيل وقال لا ترجعوا إلا بهم.

نعم كان في شمالي المملكة رجال محنكون شذبتهم التجارب وخلقوا رجالاً للأمن وقال لنا استريحوا لما رأى ما بنا من تعاسة الحظ وسوء الحال، فلما كان بعد منتصف الليل جيء باللصوص وما استلبوه من المطايا وما بين أيديهم من الحلال فأحكم قيودهم بالحديد ثم سيرهم معنا تحت الحراسة وقال سلمهم لبو عبد الله.

فما كان وقت جلوسه في الضحى إلا ونحن وخصومنا ماثلون أمامه في مدينة حائل، فشققنا جيوبنا وصحنا تِكفى يا أبو عبد الله تِكفى يا ولد مساعد وأريناه مضارب الرصاص في أجسامنا وثيابنا وروينا له القصة فدعى بالعصا والخشب وضربهم حتى انقطعت أنفاسهم وسكتت حركاتهم فأمر بإبلهم فوسمت وسم الحكومة وقال لنا خذوا شيئكم ولا تجاوزوه فركبنا مطايانا وسرنا من عنده شاكرين فرحمة الله عليه.

هذا ابن مساعد الذي حزم شمالي المملكة حزم السلم وما كنت أظن أعداء الفضيلة وأصحاب الرذيلة من قطاع الطريق الذين يسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين تأمن الأمة منهم إلا بمثل ذلك الصنيع والقبض عليهم بأيدٍ من حديد ليستريح البررة ويستراح من الفجرة.

وكان الملك عبد العزيز يعتمد عليه اعتماداً كبيراً في رسم خطط جهاده ومعاركه ومجابهة خصومه، فكان عند حسن ظنه وله رأي ثاقب وشجاعة نادرة وقوس نصر يرمي به الملك عبد العزيز أعداءه وخصومه.

وعندما هاجم الملك قلعة الرياض كان في مقدمة المهاجمين رغم صغر سنة بحيث لا يملك إلا عصا معقوفة من شجر السلم وخنجراً أصيلاً وله دوره في فتح الرياض بحيث ألقي على قدمه حجر كبير أصاب أصابعه برضوض ولا زالت وسام شرف الوفاء والفداء.

وقد شارك الملك عبد العزيز في جل غزواته في البكيرية وقتل الصنديد عبد العزيز بن رشيد وواقعة جراب وواقعة كنزان كما شهد فتح الإحساء.

وفي سنة (١٣٣٨هـ) بعث به عبد العزيز بن عبد الرحمن ليقود جيشاً ضد آل عايض في عسير كما قدمنا وكانت تلك الإمارة قد رفضت أن تتحد مع بقية أجزاء هذه المملكة فنازلها وأخضعها وقدم بزعمائها مخفورين إلى الرياض، وقد لبث في إمارة حائل اثنتين وخمسين سنة ولما أن تم له من العمر اثنتان وتسعون سنة طلب من حكومته الإعفاء من الخدمة وتفرغ للعبادة حتى وافاه أجله المحتوم في مدينة الرياض بعدما قدمها عام اثنين وتسعين، وكان إلى جانب شجاعته وصرامته يتحلى بالتقى والورع والتمسك بالدين الحنيف محافظاً على الصلوات مع الجماعة وقوراً صامتاً متديناً إذا أردت أن يحدثك عن جهاده وكفاحه يقول ما نحن إلا جنود صغار نؤمر فنأتمر ويخطط لنا فننفذ، قال الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل يرثاه بهذه القصيدة ويذكر مناقبه الشريفة:

رحيل الأمير الأريحي المساعد ... هزبر الشرى عبد العزيز المساعد
مصاب ورزء فادح أجج الأسى ... لفقدانه من كل ناعٍ وفاقد
هو الفارس المغوار في حومة اللقا ... أبو الشبل عبد الله فرع الأماجد
حسام نضال والقنا يقرع القنا ... ونار الوغى ما بين صال وواقد
لقد كان حدا في الصوارم ماضياً ... بكف المليك الفيصلي المجاهد
أجل إنه عبد العزيز أخو العلى ... مؤسسها مجداً بأرسى القواعد
وحامي حمى الإسلام والعدل والتقى ... مؤمنها من كل طاغٍ وحاقد
من البحر حتى البحر شرقاً ومغرباً ... وشاماً جنوباً حول أَطوار حاشد
بنصر وتوفيق الإله وفضله ... برغم الأعادي والألد المعاند
فلله عهد شامل الأمن والهنا ... بعز مكين ساطع السعد سائد
وكم للأمير ابن المساعد كم له ... مواقف صدق في الرخا والشدائد
مواقف ميمون أمين محبب ... وغيظ على الأشرار أهل المكائد
فآهاً على فقدان شهم مظفر ... ومسعر حرب للجحافل قائد
دهاء وتوفيق ورأي مسدد ... وحظ من الله العلي المساعد

أكيـد الإخـاء منـذ الشـبيبة سـاعد قـوي مـن الأبطـال أقـوى السـواعد
إلى آخـر العمـر المديـد جهـاده بعـزم طمـوح في ذرا المجـد صـاعد
على الصدق والإيمان والنصح والـولا بـأخلص أعمـال وأنقـى المقاصـد
سماحـة أخـلاق ونبـل وهيبـة وحكمـة تـدبير الصـبور المكابـد
وسمـت وصـمت لائـق وتواضـع سـجايا تجلـت مـن أجـل العوائـد
عـن الحـق والإعجـاب كـل بمعـزل وشـيمة طبـع ثابـت غـير حائـد
يسـارع في الخـيرات سـيرة سـيد تقـي وتقـوى الله أزكـى الفوائـد
وكـم مسـجد لله دينـاً أقامـه ومـن أشـرف الأعمـال رفـع المسـاجد
تـلاوة آيـات الكتـاب تـدبراً بخشـية أواب منيـب وعابـد
صـلاح ورشـد واسـتقامة مـنهج وخدمـة هـذا المجـد إخـلاص جاهـد
غـني عـن الإطنـاب خـير شمائـل يـدوي بهـا التـاريخ أوضـح شـاهد
تـدوم علـى مـر الزمـان مطنـب بهـا الصـوت مـن حـاد وراوٍ ووافـد
فـأكرم وأنعـم بالسـجايا وبالوفـا وأطيـب ذكـر في المحامـد خالـد
سـقى صـيب الغفـران مثـوى بحلـه سـليل الحمـاة الأكـرمين الأماجـد
إلى الله كـل الخلـق لا بـد صـائر وسـبحانه المعبـود مـن كـل حامـد
وصـل علـى الزاكـي الأمـين مسـلماً وأصـحابه والآل أهـل المحامـد
واتبـاعهم مـا لاح نجـم ومـا هـوى وهـب الصبا وانهـل وبـل الرواعـد

وكانت وفاته في ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله وعفا عنه، وكان آخر الأربعين وفاة من الذين شاركوا في فتح مدينة الرياض ورافق الملك فيصل في تثبيت الأمن كما رافق الملك سعود والملك عبد العزيز، فكان العضد الأشد وموضع الثقة من الجميع.

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ علي الضالع رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو الشيخ علي بن سليمان بن علي بن سليمان الضالع ذكروا لي عشيرته

أنهم من التواجر يجمعهم الجد السادس، ولد رحمه الله سنة (١٣٢٩هـ) في قرية الشقة الكائنة على بُعد مسافة ٧ كيلو من مدينة بريدة وتقع في الشمال الغربي عن المدينة فتعلم القراءة والكتابة على مقرئ فيها، كما أخذ مبادئ في الحساب ثم أنه رحل إلى بريدة للأخذ من علمائها فأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي وأخذ عن الشيخ سليمان بن عبد الله المشعلي وأخذ عن الشيخ محمد بن عثمان الشاوي.

وأكثر الأخذ عن الشيخ عمر بن سليم وحظي لديه فكان ملازماً له في الحضر والسفر كجملة رفقته، فقلما يحج أو يذهب إلى الرياض إلا والمترجم في صحبته حتى قال عنه بعض زملائه هذا ولد للشيخ سوى أنه لم يلده وجد واجتهد وأعجب به شيخه عمر بن سليم كما أخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد لما بعثته الحكومة إلى بريدة مدرساً وقاضياً في إقليم القصيم. وكان المترجم رجلاً اجتماعياً يحب المذاكرة والبحث وكان مرحاً مع رزانة وهيبة عضداً إلي أشد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم ويغشى الناس في مجامعهم ويذكرهم، وذهب مرة إلى القاضي حسب دعواته لأهل الحسبة والأئمة والمؤذنين لتشجيعهم في القيام بأمر الله فذكر أنه متبرع بنفسه لتوجيه الأمة إلى صراط الله المستقيم، وأنه صابر على ما يناله في الدعوة إلى الله تعالى من جهل الجهال والنيل منه وأنه وقف نفسه لذلك.

وكنت أذهب وهو في معيتي إلى المستشفيات والمدارس الحربية والزراعية والصناعية وقد قمنا وفي صحبتنا بعض الموجهين لزيارة المدرسة الحربية في بريدة وكان مديرها إذ ذاك رجلاً طيباً من أهالي عسير يدعى حسن مستور فأحضر الطلاب في ساحة المدرسة وحصل منهم إقبال وقبول لتوجيهاتنا إليهم بحيث نحثهم قبل كل شيء على المحافظة على الصلوات الخمس في جماعة والثبات على تعاليم الدين والإخلاص لحكومتهم ولشعبهم.

وهكذا كل دعوة على بصيرة وحسن نية وبحكمة وموعظة حسنة ودعوا لنا وشكروا لنا حتى أنهم كانوا قد تعلقوا بنا وطلبوا منا أن نكثر من زيارتهم وأقسموا لنا بأن زيارتنا كالغيث أصاب الأرض المجدبة.

وزرنا مستشفى مدينة بريدة المركزي بعدما ضربنا موعداً للزيارة فلا نفاجئهم وقد حضر الأطباء والممرضون والممرضات والمدراء والمراقبون والبوابون وأعطيناهم توجيهات حسنة تعود على مصلحة المجتمع، وهذا باعتماد ثلاثة أشياء أن لا تدخل امرأة إلا ومعها ذو محرم وأن يحافظوا على الصلوات الخمس في جماعة وهذا خاص بالرجال، بحيث جعلت الحكومة مسجداً وإماماً ومؤذناً وكلفت عضو الهيئة الدينية بالمحافظة على ذلك. ثالثاً: اجتناب الدخان ومن ابتلاه الله بهذه البلوى فإنه يكون متستراً بحيث لا يجاهر بذلك علناً، وكنا ممتطين سيارة من قبل المحكمة الشرعية وسيارة من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وظائفه:

أما عن أعماله التي كان متصفاً بها فإنه لما قدم مدينة بريدة لطلب العلم كان من جملة الغرباء الذين سكنوا في حجرات مسجد ناصر بن سيف؛ لأن المسجد فيه خمس حجرات قد يسكن الحجرة الواحدة ثلاثة أو أربعة لما كان ينتاب المسجد من الطلاب والدارسين على فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وما هناك من المستمعين الذين اجتمعوا لاستفراغ منطوقه وجثوا أمامه بالركب ولما أن نقل الشيخ عمر إلى جامع بريدة بعد وفاة أخيه الشيخ عبد الله كان المترجم قد تزوج بابنة عمه فولاه الشيخ إمامة المسجد وذلك في سنة (١٣٥١هـ) وذلك لحسن قراءته وتجويده ومؤهلاته في العلم فقام بالإمامة والتدريس والوعظ والإرشاد فلبث في ذلك المسجد خمس عشرة سنة ثم إنه بنى مسجداً في شمالي بريدة حوالي بيته ويعرف باسمه وفي عام (١٣٧٣هـ) فتح المعهد العلمي في بريدة فعين فيه مدرساً في العلوم الدينية وانتفع بعلمه خلائق كثيرون فكان يدرس في المعهد وفي المسجد واستمر

على ذلك في نشر الدعوة وكتابة الوثائق وعقد الأنكحة وما رغب في وظيفة القضاء وما زال على حالته في الوعظ والإرشاد والتدريس ثم أنه سار إلى الرياض لبعض شؤونه فلما وصل هجرة ساجر أصيب بحادث انقلاب السيارة فحمل إلى المستشفى ولم يفد فيه العلاج وتوفاه الله تعالى فنقل جثمانه إلى مدينة بريدة رحمه الله وذلك في ١٥ ربيع الأول فالله المستعان.

وممن توفي فيها الشيخ علي السالم المحمد أخذ عن إمام مسجدهم إبراهيم الجبيلي وعن الشيخ صالح السكيتي وعن الشيخ سليمان المشعلي وعن الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، ونال قضاء المستعجلة في مدينة بريدة ثم نقل إلى حائل فكان قاضياً في المستعجلة ثم أعيد إلى بريدة فكان إماماً في مسجد في شماليها ولبث في محكمة بريدة كمساعد للرئيس وكان قد أصيب بمرض التشنج ونوع من الجنون فزاد عليه المرض فرفع موظفو المحكمة برقية بموضوعه إلى وزير العدل بأنه غير صالح للعمل فبعثت الوزارة طائرة لحمله وعلاجه لكنه توفي من ذلك المرض في هذه السنة رحمه الله.

وممن توفي فيها من الأعيان أمين بلدة مكة المكرمة عبد الله عريف كان رجلاً نشيطاً في أعماله وحصل في أيامه تخطيط لمكة المكرمة وتطورت إلى درجة مثلى في النشاط وممن يذكر عنه أنه اشترى بقيمة تعويض أحد شوارع مكة البالغة (٢٤) مليوناً معدات للبلدية من سيارات ودركتورات وما يتطلبه الوضع وعند صرف التعويض أطلع الحكومة على ذلك وأبرز الفواتير بذلك قائلاً لقد سئمت من الاستعارة فلتصرف الحكومة مرة أخرى فوافقوا على ذلك تقديراً لإخلاصه وتفانيه في العمل.

وفيها في ٨ ربيع الثاني وقع اصطدام بين طائرتين جمبو إحداهما أمريكية والأخرى هولندية وتحولتا إلى شعلة من اللهب وقد نجم عن ذلك الحادث وفاة (٥٦٣) راكباً وهذه أكبر خسارة وقعت في حوادث الطائرات.

وصمة سيئة في وجوه العرب

لما أن كان ليلة عيد الأضحى من هذه السنة امتطى رئيس الجمهورية المصرية أنور السادات طائرته وذهب إلى اليهود يزعم أنه مفاد بنفسه لوضع صلح مع إسرائيل فتأثر العرب لذلك وحصل استنكار لهذا التصرف وعارض العلماء والرؤساء عقد السادات للصلح بينه وبين إسرائيل لأن الأماكن المقدسة قضيتها تهم المسلمين جميعاً، وجعلوا تصرّفه ذلك خيانة وحوصرت السفارات المصرية في غالب الممالك الإسلامية وأطلقت على بعضها النار ولا سيما في بيروت ونقلت الجامعة العربية من مصر ولا ريب أن ذلك يعتبر خللاً في صفوف العرب وصدمة في وجوههم وكأنه بذلك لم يبالِ لأحد لأنه فعل ذلك لمصلحة مصر لا أقل ولا أكثر وقد امتدحت إسرائيل الرئيس المصري بالشجاعة والتقدم ولكنه لم يفز مع ذلك بتقدير من إسرائيل لم يرعوا لذلك اهتماماً بل كان جواب وزير حرب إسرائيل (عزرا وايزمان) قوله أمام مؤتمر حزب حيروت بعد مرور هذا الصلح بسنة ونصف أنه إذا أغلقت القناة يريد قناة السويس من جديد في وجه السفن الإسرائيلية إثر أي تغيير قد يحدث في مصر فإن إسرائيل ستعود إلى سيناء للمرة الرابعة وقال أن العمليات التي يوجهها الفدائيون ضد المستوطنين الإسرائيليين مرهقة للأعصاب ونحن لا زلنا في البداية وإن كانت المعركة قد بدأت بالفعل كما قدم بعد ذلك وزير داخلية إسرائيل يوسف برغ زائراً لمصر للمفاوضة فيما يسمى بالحكم الذاتي للضفة والقطاع.

وفيها حج جموع من الحجاج لم يعهد مثله فيما مضى أحصي ما دخل في مكة المكرمة من سيارات الحجيج فبلغت خمسمائة ألف سيارة (٥٠٠٠٠٠) هؤلاء سوى حجاج الطائرات.

تنبيه ذكرنا فيما تقدم أن ثورة عزيز الأحدب لم تنجح ونحن نتكلم عنه فنقول هو العميد الركن عزيز الأحدب قائد منطقة بيروت الذي أعلن نفسه مساء يوم

الخميس ٣/١٣ من السنة المتقدمة حاكماً عسكرياً مؤقتاً في لبنان في مدينة طرابلس شمال لبنان ولد عام (١٩١٨م) تخرج من الكلية الحربية عام (١٩٣٩م) يحمل دبلوم القوات الخاصة للجيش الفرنسي والإنجليزي ودبلوم القناصة الهولندي وشهادة أركان حرب من فرنسا والعراق، وكذلك دبلومات في الجغرافيا والصحافة واللغة والأدب الإنجليزي، ولقد تدرج العميد الأحدب في مناصب الجيش ثم أصبح مفتشاً على ألعاب القوى والرماية في الجيش ومديراً للشرطة اللبنانية حيث يرجع إليه الفضل في تشكيل اللواء السادس عشر الذي يمثل القوات الخاصة في الشرطة اللبنانية وتقلب في وظائف أخرى منها الدفاع الوطني اللبناني ضد العدو الصهيوني.

وبما أن عزيز الأحدب نشر تدابيره في لبنان فإن للرئيس السابق سليمان فرنجية أعواناً يؤيدونه، وبينما كانت العرب رافعين أكفهم كما يشاهد في موقف الملك الراحل فيصل وإلى جانبه رئيس محاكم المدينة المنورة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح وغيره يدعون الله بدعوات صادقة بأن يجمع كلمة العرب والمسلمين وأن ينصر قضاياها إذ بسوريا تغلق مكتباً لمصر لديها وتقوم مصر بمثل ذلك وتأخذ كلاهما رجال المكتبين إلى أصلهما وتسيء العلاقات بين البلدين، وبما أن الأمة حزنت على الملك فيصل لما له من المواقف العظيمة لنصرة قضايا العرب ففي ١٣ من ربيع الأول كل سنة يجعل ذكرى في الصحف والجرائد.

اكتشاف مدينة أثرية

في اليوم ١٠/١٤ من هذه السنة اكتشف على مدينة أثرية في سوريا فيها تلال وقلاع من العهد العربي الإسلامي الأول، وكانت تقع بالقرب من نهر الخابور في شمال شرق سوريا وتحتوي على سور عرضه (٨٠٠) متر يحدها من ثلاثة أطراف وفي طرف المدينة تقع قلعة شامخة وكان هذا الاكتشاف جاء على يد البعثة الأثرية الألمانية ورجح المصدر أن تكون هذه المدينة مركزاً حضارياً على درجة كبيرة من الأهمية نظراً لاتساعها.

كما أنه في هذه السنة بل في هذا الشهر اكتشفت الولايات المتحدة الأمريكية تسرب إشعاعات نووية قاتلة في الهواء من المصنع الوحيد الخاص بالقنابل النووية، وأشار التقرير إلى أن كمية هذه الإشعاعات يمكن أن ترفع معدل الوفيات بمرض السرطان بمقدار (١٦٠) حالة بالنسبة لمليون نسمة وتزيد من حالة ولادة الأطفال المعوقين.

وفيها تم اعتماد مبلغ (٢٢٣) مليون ريال للمشروعات الجديدة بمدينة الطائف وتشمل نزع ملكيات وتحسين وتجميل وتوسعة شوارع المصيف وإنشاء سوق حديثة للخضار واللحوم وإقامة دورات مياه صحية وغيرها، هذا وقد كانت شوارع مدن المملكة مختلفة أعمالها فهناك شركات تحفر وشركات ترصف وشركات تأتي لتحفر بعد الرصف وشركات تخطط المجاري وشركات تخطط التيارات للهاتف والكهرباء وشركات تهدم بعد التخطيط وغير ذلك.

ثم دخلت سنة (١٣٩٨هـ)

استهلت هذه السنة والرئيس في أمريكا جيمي كارتر وفي العشر الأواخر من شهر محرم قام بجولة لزيارة ست دول في أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا وفي أسوان وكان ذلك في ٢٥ محرم الموافق اليوم الأربعاء ٤ يناير (١٩٧٨م) بعدما وصل إلى مصر كان هو وأنور السادات يتعانقان، عقد اجتماعهما في مطار أسوان واستغرق ذلك الاجتماع خمساً وخمسين دقيقة، وقد توقف الرئيس الأمريكي ساعة في مصر وقام الرئيسان أنور السادات وكارتر يبحثان في شأن وجود السلام في الشرق الأوسط، وقال الرئيس الأمريكي أن الولايات المتحدة تنوي أن تلعب دوراً حيوياً في مفاوضات السلام، وكان السادات قد أعلن في خطابه الذي ألقاه في ٢٧ ديسمبر في حفل العشاء الذي أقيم تكريماً لهيلموت سميدث مستشار ألمانيا الغربية **أنه** لن يتزحزح قيد أنملة عن مطالبه بشأن إقامة دولة فلسطينية والانسحاب الإسرائيلي

التام من الأراضي العربية رغم رفض إسرائيل وقال إنا سنستمر في طريقنا بخطوات ثابتة وأضاف إننا مستعدون لأي موقف إلى أن يتحقق مطلب العرب الشرعي الخاص بانسحاب إسرائيل من كل الأراضي العربية المحتلة واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني بما فيها حقه في إقامة دولة مستقلة.

مقتل الآلاف في قصف أثيوبي

وفيها في يوم الأربعاء المذكور هب إعصار مدمر ووقعت فيضانات عظيمة في الأرض المحتلة وبلغ الإعصار العنيف الذي اجتاح إسرائيل منذ يوم الأربعاء ذروته في المساء وقد أثار الهواء العاصف والأمطار الغزيرة وعواصف البرَد الاضطراب في حياة السكان واضطر المختصون إلى البقاء طوال الليل لإصلاح الخطوط الكهربائية وخطوط التلفون ورفع الأشجار التي وقعت في الطرق من جراء الإعصار، وفي عدد كبير من المدن والأحياء الفقيرة أصبحت الشوارع غير صالحة للسير فيها سواء بالنسبة للسيارات أو بالنسبة للمارة.

ففي تلك الآونة وقع قصف جنوبي المدن الأرتيرية من الأثيوبيين مما أدى إلى قتل الآلاف من الناس وألقى المحاربون قنابل النابالم على مواقع الثوار حيث يحارب الثوار القوات الأثيوبية في منطقة الميناء وعلى القرى المحيطة بالعاصمة (أسمراء).

إقامة مدينة الملك خالد

هذا ولا يزال الصندوق العقاري في المملكة السعودية يوالي نشاطاته في القروض حتى أعلنت إحدى الجرائد بأنه بني مائة ألف مسكن عائلي كلفت واحداً وعشرين ألف مليون ريال ولا يزال الصندوق في نشاطاته، وقد استفادت الأمة من ذلك أن أصبح مائة وست وعشرون مدينة وقرية في جميع أنحاء المملكة قد أقيم فيها

العدد المذكور من المساكن وقد جعل الحد الأعلى للقرض ثلاثمائة ألف ريال وسيتم تصنيف القرى والمدن إلى ثلاث أو أربع فئات فيكون الحد الأعلى للقرض في المدن الكبرى كما ذكر ثم يندرج بالانخفاض بالنسبة للمدن والقرى الأقل حجماً حتى يصل حده إلى مائة ألف ريال.

في هذه السنة أقيم احتفال عظيم في حفر الباطن لوضع الحجر الأساسي لمدينة الملك خالد حضر لذلك الأعيان ووضع حجر الأساس الملك خالد بن عبد العزيز لهذه المدينة العسكرية وما أن وصل جلالته إلى مكان الاحتفال حتى عزفت الموسيقى بالسلام الملكي وكان في استقباله ولي العهد سمو الأمير فهد بن عبد العزيز ووزير الدفاع سلطان بن عبد العزيز وعدد من الأمراء والوزراء وكبار المسؤولين من المدنيين والعسكريين، كما كان في استقباله هناك كبار قادة وضباط القوات المسلحة يتقدمهم الفريق أول عثمان الحميد رئيس الأركان.

وهذه المدينة المشار إليها هي ثالث مدينة عسكرية تقام في المملكة بعد مدينة الملك عبد العزيز في تبوك، ومدينة الملك فيصل في خميس مشيط، وقد افتتح الحفل الكبير بآي من الذكر الحديث ثم ألقى الرائد ناصر الفهد الفيصل مدير عام الأشغال العسكرية كلمة رحب فيها بالقائد الأعلى للقوات المسلحة الملك خالد بن عبد العزيز وتحدث عن الإنجازات التي حققتها حكومة جلالة الملك والتي كان آخرها مشروع الجبيل الصناعي، وبعد إلقاء الكلمات قام صاحب الجلالة الملك خالد بإزاحة الستار لوضع حجر الأساس إيذاناً ببدء العمل بمدينة خالد العسكرية وكانت هذه المدينة ضخمة بحيث تقرر لها ستة عشر ألف عامل وفني ومهندس وتقرر ما تحتاجه من إنشاء مرافق وقاعدة جوية وغير ذلك مما يطول ذكره من مستشفى عسكري على بُعد كيلو متر شرق المدينة بسعة (٣٣٠) سريراً كما سيتم إنشاء مركز ومدرسة للمهندسين على بُعد أربعة كيلوات غرب المدينة لاستيعاب (٥٠٠) طالب وأشياء أخرى.

كائنة غريبة

في أوائل هذه السنة ولد توأمان في بعض الجهات البعيدة ملتصقين ببعض رأسيهما فأجريت لهما عملية دقيقة بعد مضي تسعة عشر شهراً من ولادتهما وتمكن الأطباء من فصل التوأمين بعد ست عشرة ساعة من إجراء العملية ونجحت العملية بعدما استيقظ كل منهما يصرخ على حدة والله على كل شيء قدير.

اجتماع لبحث إنشاء منظمة العواصم الإسلامية

في هذه السنة عقد اجتماع لذلك والمقصود منه هو التعاضد والتكاتف والسعي لعز الإسلام والوقوف أمام المذاهب الهدامة التي تجرف الإسلام وأهله.

وفيها ألقي القبض على رئيس وزراء باكستان ذو الفقار علي بوتو وألقي في السجن وذلك بعدما حرص المسؤولون في إبعاده عن الانتخابات بدعوى تهمتي الإفساد المالي ومصادرة حرية الصحافة، وقد اعتقل مرتين ثم أطلق سراحه واعتقل هذه المرة وامتحن بتهمة اغتيال أحد منافسيه السياسيين ففي ٥ يوليو (١٩٧٧م) قام الجنرال ضياء الحق بانقلاب عسكري وتم اعتقال بوتو رئيس الوزراء ثم أطلق سراحه بعد عشرة أيام ثم اعتقل في سبتمبر في كراتشي باتهامه بأنه عندما كان رئيساً للوزراء أصدر الأوامر لرجال الأمن باغتيال أحد خصومة السياسيين وهو أحمد رضا كاشوري ولكن أحمد نجا من محاولة اغتياله في لاهور في ٥ نوفمبر (١٩٧٤م) بينما لفظ والده نواب محمد أحمد خان أنفاسه الأخيرة في المستشفى متأثراً بجراحه بعد إصابته بعدد من الأعيرة النارية.

وفي ١٣ سبتمبر دافع بوتو بأنه غير مذنب وأفرج عنه بكفالة وبعد أربعة أيام ألقي القبض عليه من جديد بتهمة انتهاكه للأحكام العرفية عندما كان يستعد لبدء الحملة الانتخابية لحزبه حزب الشعب الباكستاني، وفي ١١ أكتوبر كانت المحكمة العليا في لاهور تتهم علي بوتو رسمياً بالتآمر والقتل، وبدأ النظر في القضية

(١٩٧٨م) وفي ١٨ مارس أدانت محكمة لاهور العليا ذو الفقار علي بوتو وأصدرت حكمها عليه بالإعدام شنقاً بسبب تورطه في جريمة سياسية، كما صدر الحكم بإعدام أربعة من المشتركين معه في القضية وكلهم من رجال قوات الأمن الفدرالية في فترة حدوث الجريمة، وقد اعترف ثلاثة منهم بالاشتراك في مؤامرة الاغتيال، وسيأتي في التي بعدها ذكر إعدامه لما وجهت إليه هذه الاتهامات، وكان قد أضرب عن الطعام للمطالبة بتحسين ظروفه في السجن، ولكن ضياء الحق الرئيس الحالي رفض العفو عنه واستمر في السجن الكائن في دوالبندي بعدما نقل من لاهور.

وفيها كان رئيس وزراء اليهود مناحيم بيغن يدبر خطته في إطالة الحرب اللبنانية وإن كان يتظاهر بأن اليهود على استعداد لمناقشة موضوع إطلاق النار في جنوب لبنان ويريد أن يظل الوضع في جنوب لبنان بلا حل لأن ذلك من صالحها لتتدخل في لبنان كما فعلت بفلسطين.

وفيها صدرت الموافقة السامية على توسعة المطاف بالحرم المكي الشريف ليصل إلى حدود الحرم القديم وليصبح المطاف (٨٥٠٠) متر مربع وليستوعب أكثر من (٢٠) ألف طائف بعد أن كان يستوعب أربعة آلاف متر مربع فقط ومساحته سابقاً أربعة آلاف متر مربع وكونت لجنة برئاسة وزير الحج والأوقاف ووكيل الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ووكيل الرئيس العام للإشراف الديني بالمسجدين المكي والنبوي قامت بدراسة المخططات المقدمة من شركة هندسية استشارية وبدأ العمل في غرة جمادى الأولى عام (١٣٩٨هـ) وألغيت الحصاوي والمشايات ونقل المنبر ومدخل بئر زمزم إلى خارج المطاف الجديد مع تبليطه ببلاط أبيض من الرخام الممتاز وفرشت رحبة المسجد الحرام بذلك البلاط الأبيض ضد حرارة الشمس، وقد جعل أسفل البلاط مقاماً شبكة من حديد قوي، وكان مستمراً بحيث استغرقت مدة التنفيذ الذي يتولاه مؤسسة ابن لادن (٢٧) شهراً وبلغت تكلفة المشروع أكثر من مائة وخمسة وخمسين مليوناً من الريالات.

ذكر تجديد باب الكعبة المعظمة وجعله من الذهب الخالص

أصدر صاحب الجلالة الملك المعظم خالد بن عبد العزيز أمراً إلى وزير الحج والأوقاف بتجديد باب الكعبة المشرفة ويكون هذا الباب من خالص الذهب، فجاء ذلك الباب كأحسن شيء وأتقنه بحيث لم يركب للكعبة منذ نشأت باب من ذهب قبل ذلك.

وفي ٢٦ محرم من هذه السنة نشر وزير المالية عن الصندوق العقاري ما يأتي مما بذلته الحكومة السعودية نحو المواطنين مائة ألف مسكن عائلي بالمملكة يبنى من القروض بلغت (٧٩٥٠٥) قروض كلفت واحداً وعشرين ألف مليون ريال و(٤٨٦) قرض للاستثمار العقاري كلفت ألفاً وثلاثمائة وثمانية عشر مليون ريال ويقول أن رغبة حكومة جلالة الملك في استمرار خطتها لمساعدة أكبر عدد من المواطنين على بناء مساكن عائلية ودعم مقدرة المواطنين الذين يرغبون في استثمار مدخراتهم في بناء المباني للاستثمار التجاري هو هدف سيستمر اعتباره ذو أولوية قصوى.. الخ.

كما أنه نشر في السنة المتقدمة ١٦/ ١٠ أن ثلاثة آلاف شارع نفذتها الأمانة خلال عام واحد في مدينة الرياض، كما أن الرئيس العام لتعليم البنات الشيخ راشد بن صالح بن خنين قد صادق على أن (٣٥٦) موظفاً وموظفة في جهاز تعليم البنات ستشملهم العلاوات التشجيعية وهذا في ١٨ محرم من هذه السنة، ولقد ازدهت مدينة الرياض وأصبحت واحدة من أكثر مدن العالم ازدحاماً بالسيارات، وكانت طوابير السيارات تجوب شوارعها بحيث كان أكثر من ثلاثمائة ألف وخمسين ألف سيارة تجوب شوارعها.

جهود تبذل لنصر الإسلام ورفعته

كانت المملكة السعودية قد قامت بافتتاح مكاتب للتوعية في الدول الإسلامية لصد التيارات الهدامة التي أصيب بها العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها وذلك بغزو الإسلام وملاحقته ولا ريب أن هذه المساعي القوية كانت بتأييد من خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبد العزيز طيّب الله ثراه، وقد أقيم احتفال حضره حشد كبير من العلماء وأعضاء المجلس الأعلى العالمي للمساجد ورجال الفكر افتتح بآي من الذكر الحكيم ثم ألقى فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء كلمة أشاد فيها بدعم المملكة العربية السعودية لمراكز التوعية وتمنى أن تخرج هذه المكاتب دعاة إلى الإسلام عقيدة وشريعة وقرآناً ولغة حتى يستطيعوا أن يؤدوا المهمة التي يقومون بها على خير وجه، وكان أمين الرابطة الشيخ صالح قزاز فيه نشاط عظيم في هذا السبيل بحيث شكر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز على جهوده العظيمة نحو نصرة الإسلام وتشجيع القائمين بذلك وبعث الشيخ محمد بن علي الحركان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ومعالي وزير الحج والأوقاف عبد الوهاب عبد الواسع برقيتين إلى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وصاحب السمو ولي العهد فهد بن عبد العزيز ونائب رئيس مجلس الوزراء بمناسبة افتتاح المركز العام للدعاة والأئمة والخطباء بمكة المكرمة أعربت البرقيتان عن جزيل الشكر لجلالة الملك خالد ولولي عهده لرعايتهما واحتضانهما لهذا المركز الذي يقام لأول مرة بالتعاون بين رابطة العالم الإسلامي ووزارة الحج والأوقاف وجامعة الملك عبد العزيز.

وقد قام ضياء الحق الحاكم بباكستان وأكد عزمه على تطبيق الشريعة الإسلامية في باكستان وأعلن أن الحكومة أعطت المحاكم العليا صلاحيات لتعديل أي قانون في البلاد ليطابق القرآن والسُّنة مما شكره عليه علماء الإسلام وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز بن باز كما أنه قام الوفد العماني برئاسة سماحة الشيخ أحمد حمد الخليلي مفتي عُمان حيث زار المملكة السعودية وصرح بأنه تم مناقشة الأساليب المختلفة لمكافحة الحركات الهدامة التي أصيب بها العالم الإسلامي.

بادرة غريبة

نشرت إحدى المجلات المحلية في عددها الثاني من المجلد ٢٦ في شهر صفر من هذه السنة نشرة عن نبات يُسمى (جنسج) وهي نبتة غريبة تمثل وجه إنسان بعينين حسناوين يتدلى من حواليهما قرنان ذكروا أن لهذه النبتة مفعولات في العلاج منها الوقاية من الإجهاد والإرهاق البدني ومنها تنشيط نمو الجسم ونشاطاته الحيوية ومنها زيادة الكفاءة الجسدية والعقلية ومنها تخفيض ضغط الدم بشكل عابر إذا حقن الوريد ومنها تخفيض منسوب السكر المرتفع ومنها تنشيط الجهاز العصبي المركزي بالجرعات الخفيفة وتثبيطه بالجرعات الثقيلة وأن له مفعولاً ضد السرطان في أنسجته الطبيعية في الجسم المريض وله تنشيط في حركة الجهاز الهضمي وإفراز مادة الحساسية المعروفة الهيستامين وهو نبات هندي شهير بهذه النسبة الحرفية.

بيان عن المؤرخ الزركلي

رأيت بقلم الدكتور محمد رجب البيومي قوله قرأت نعي الشاعر الكبير الأستاذ خير الدين الزركلي وأطال في مديحه وذكر نبذة من شعره وهي قوله:

النار محدقة بجلو بعد ما ... تركت حماة على شفير هار
تنساب في الأحياء مسرعة الخطا ... تأتي على الأطمار والأعمار
والقوم ينغمسون في حماتها ... فتكاً بكل مبرء صبار

وكان له شعر قوي كقصيدته بمناسبة الواقعة التي جرت في الحرم الشريف وكيف نجى الله قائد العروبة من يد البغاة الملحدين عام (١٣٥٣هـ) وكيف قدموا على اغتيال سيد العروبة لولا أن الله تعالى نجاه منهم ومن كيدهم:

ضل الجناة سبيل النبل من ملك ... لولاه ما صين بيت الله والحرم
عبد العزيز الإمام الحق تكلؤه ... عين من الله لا جند ولا حشم

وقد تقدم في الجزء الرابع نبذة منها.

نعم إن الزركلي بكسر الزاي والراء وإسكان الكاف قد أظهر ترجمته في كتابه الأعلام صفحة ٢٥٧ في الجزء العاشر وذكر أنه ولد ليلة ٩ ذي الحجة (١٣١٠هـ) وذكر نسبه خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، وذكر أن ولادته في بيروت ونحيل القارئ على ترجمته هناك ولا ريب أنه أديب من أدباء القرن الرابع عشر الهجري ويدل على فضله ومقدرته كتابه الأعلام الواقع في اثني عشر مجلداً ذكر فيه الأعيان وذكر أنه أخذه عن مصادر كثيرة جداً ذكرها وله مؤلفات أخرى من أشهرها شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز أربعة أجزاء ومن وظائفه التي نالها في هذه المملكة تناوبه العمل مع يوسف ياسين وزير الخارجية بالنيابة في الوزارة وفي جامعة الدول العربية معاً ثم عين سفيراً ومندوباً في المغرب واشتغل في وزارة الخارجية زمناً طويلاً، ونحن نسوق أبياتاً من قصيدة لأحمد بن إبراهيم الغزاوي بمناسبة عيد الأضحى ألقاها بين يدي ولي العهد فهد بن عبد العزيز في ١١/ ١٢ من هذه السنة:

يا أيها الأضياف يا من أقبلوا ... لله وانطلقوا إليه وأشفقوا
مهما تنزى الشوق فيكم إننا ... منكم إلى هذا التلاقي أشوق
ماذا شهدتم في المشاعر كلها ... من كل ما هو كالضحى يترقرق
سبل يمج غدوها ورواحها ... بالسالكين وبالمكارم تغدق

إلى أن قال:

طوبى لكم هذا التضامن بينكم ... وبه القوارع والخطوب ستمحق
سيروا عباد الله في مرضاته ... ولكم به النصر المبين يحقق
أنا وأنتم في المشاعر أمة ... منها وفيها الخير طرا يعمق
إن الحياة بدون ذلك فتنة ... وإذا اهتدينا فهي طيب يعبق
وهي السبيل لمن أراد نجاته ... يوم الخلود وأنه لمصدق

إلى أن قال:

ولطالما نشر الغواة وباءهم | وبه تمادى الغي فيمن يفسق
إنا لنرسلها إلى إخواننا | أيان ما هم غربوا أو شرقوا
أن ينصروا الله الذي هو ربنا | وبه سينصر كل من هو مرهق
ويكافحوا عن دينه بعزائم | منها فرائض من تمادى تفرق
وليقتدوا بمحمد وبنهجه | وبصحبة الأبرار لا من زبرقوا
هو رحمة للعالمين وشرعه | فينا المحكم والهراء ملفق
فالحمد لله الذي بكتابه | ورسوله لم يختلبنا زئبق
نحيا به بيضاء وهي بصائر | وبها إلى الحق المبين نوفق
وليرض عنا الله وهو نصيرنا | وهو الملاذ وبالتفضل أخلق
وليحفظ الله المهيمن خالداً | في صحة وبه الضحى يترقرق
حمل الأمانة وهي في أعبائها | تحكى الجبال وأنه لموفق
ويحي فهد صنوه ووليه | وبنوا أبيه ومن بهم يتعلق
وبه الجوامع والمجامع تزدهي | وبه سنقتحم النضال ونسبق
وليهن كل مقصر ومحلق | ولنا بهم في كل نصر فيلق

وفيها تأسست جمعية البر الخيرية بمدينة بريدة، وقد قامت بخدمات متعددة وتدفقت إليها الإعانات الكثيرة من الملك خالد وإخوانه وتسابقت الأسرة المالكة بدفع عشرات الألوف بل مئات الألوف وتقدم ذوو اليسار بمبالغ طائلة يبذلونها منها ما هو مستمر ومنها ما هو مقطوع، فمن هذه الخدمات إعانات مقطوعة دفعت لأغراض متعددة استفاد منها (٢٨٥٤) أسرة، ومنها دفع رواتب شهرية ثابتة لمائتي أسرة ووزعت إعانات عينية تشتمل على كسوة في الشتاء لأناس محتاجين وعلى مواد غذائية متعددة وردت من عدد من المحسنين بلغ مجموعها (٩٥٠١٤٢) واستفاد منها (٢٤٠) أسرة وتم توزيع ثلاثين عربة للمعوقين وخمسين عكازاً وركبت أيضاً الجمعية عشرين براداً في الأماكن المناسبة وأمنت ثلاجة لاستقبال الفائض من

الولائم والأطعمة وفكرت الجمعية ببناء مقر خاص لها وبناء مركز ثقافي يضم مسجداً ومكتبة وقاعة محاضرات.

ولقد قامت مدينة عنيزة قبل ذلك بتأسيس جمعية للبر الخيرية وتعمل هذه الجمعية على رفع المستوى من رواتب شهرية وإعانات عينية تشتمل على كسوة للمحتاجين في الشتاء وعلى مواد غذائية وغير ذلك من تحسين مساكن أسر المحتاجين للقوت وتزويدها بالماء والكهرباء ومساعدات زواج ومساعدات تعمير وترميم بيوت.

كما أسس بعد ثلاث سنين من هذه السنة جمعية خيرية بالبدائع.

وكما أسس بالرس والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وما أحسن الغاية التي يطلبونها والضالة التي ينشدونها نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدي المسلمين إلى ما فيه رقيهم وسعادتهم وأن يشد أزرهم ويهيئ لهم من أمرهم رشداً.

وإن بهذه الأعمال الخيرية ترتفع سمعة المسلمين ويندحر كل عدو من المناوئين وفي الأمثال ما تعاونت عليه الرجال خف ولو تساند الإخوان وتكاتفت الأمة لهان كل عسير وهكذا تكون المساعدات فقد يأتي الله لهذا الفقير بيومه ما يشبعه وفي الغد يرزقه الله من جهة أخرى عكس ما عليه أهل الخيبة والضلال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾[1] فيا أهل الثروة تصدقوا مما أعطاكم الله وتفضلوا على إخوانكم الفقراء يتفضل الله عليكم ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[2]. وفي الحديث: «الرزق إلى أهل البيت فيه السخاء أسرع من الشفرة إلى سنام البعير».

---

(١) سورة يس، آية ٤٧.

(٢) سورة سبأ، آية ٣٩.

كائنة عجيبة

في رجب من هذه السنة وضعت امرأة في فرنسا خمسة توائم وعاشوا في صحة تامة وكان هذا الحدث مثار اهتمام كل الفريقين وقد أخرج الأطفال بين والديهم ليتفكر الناس لرؤيتهم ويأخذوا عنهم رسوماً والله على كل شيء قدير.

وختمت هذه السنة باعتداءات اليهود على العرب في فلسطين وجنوب لبنان وأعمال سيئة في رام الله والأراضي المحتلة ونسفت منازل وأغلقت متاجر وقام دايان في القاهرة لوقاحته يجاهر بقوله القدس ستظل عاصمة لإسرائيل وطالبت اليهود بنقل السفارات من تل أبيب إليها وذلك لما وقع انفجار عنيف في القدس وسقط عدد من الإسرائيليين فقام العدو يصادر آلاف الهكتارات من أراضي الضفة الغربية وقد قام العرب يبدون شكايات اليهود على مجلس الأمن.

ثم دخلت سنة (١٣٩٩هـ)

استهلت هذه السنة والعمال يكدحون في تبليط رحبة المسجد الحرام بالبلاط الأبيض ضد حرارة الشمس وإزالة الدرج والمماشي لتكون الرحبة كلها صالحة للطواف، وبما أنها ازيلت المقامات الأربعة فقد أزيل المنبر وأبدل بمنبر خشب متنقل وأزيل باب بني شيبة الذي كان مقاماً في وسط الرحبة كما أن العمل في باب الكعبة الجديد مستمر وقد حظيت مكة المكرمة والمدينة المنورة بالطمأنينة والأمن وإراحة الحجاج والعمار والمصلين حتى كتابة هذه الأحرف ولله الحمد والمِنَّة.

أما عن لبنان واعتداءات سعد حداد عميل إسرائيل فقد حلقت طائرتان حربيتان في سماء بيروت على ارتفاع منخفض جداً وهما إسرائيليتان وتعرضت مواقع القوات المؤقتة لمنظمة الأمم المتحدة في لبنان لنيران مدفعية سعد حداد في جنوب لبنان، وذلك في يوم الخميس ١٥ شوال واستمر القصف تسعين دقيقة وقامت القوات الفلسطينية واللبنانية فأرسلت وحدة من قواتها هاجمت بالصواريخ

والرشاشات أحد المواقع التي تسيطر عليها الكتائب فاستمرت الاشتباكات ساعة سقط فيها عدد كبير من رجال الميلشيات ما بين قتيل وجريح، وحصل من القناصة في منطقة الأسواق التجارية أذى كبير.

وفيها في شوال حشدت الصين أربعمائة ألف جندي صيني عند الحدود الفيتنامية وجعلتها ١٢ فرقة وستة فيالق وأسرت القوات الصينية الكثير من الفيتناميين، وقد قيل أن الخسائر في الأرواح في فيتنام والخسائر المادية كانت كثيرة جداً وأصبح الوضع متوتراً للغاية، وارتكبت الصين في الأشهر الماضية مائة استفزاز مسلح ولقي الأسرى من أنواع التعذيب شيئاً بليغاً حتى ذكر أن (٢٥) ألفاً من فيتنام لقوا مصرعهم وأن الذين طردوا إلى هونج كونج بلغوا ثلاثين ألف لاجئ ورأوا من أنواع التعذيب والعقوبات ما جعلهم يهربون إلى أي مكان، ونشرت اليمامة في عددها (٥٥٣) من هذه السنة بأن هناك ما بين (٤٠٠) ألف و(٦٠٠) ألف شخص بفيتنام الجنوبية يرغبون في الهجرة والموقف متأزم جداً، وقد وجهت نداءات كثيرة من جهات مختلفة إلى الصين بأن تضع حداً لزحفها على الحدود.

أخبار عن الحرب في هذه الآونة

سبق أنها قد تأزمت الأمور بين أفغانستان وبين الحكومة السوفيتية، فقد بلغ عدد اللاجئين من الأفغان الذين عبروا إلى باكستان مائة ألف لاجئ واثنين وثمانين ألف لاجئ.

وقد توترت في هذه السنة الأمور والعلاقات بين سوريا والعراق وأصبح الوضع بشكل خطير من جهة التفكك في البلاد العربية.

كما أن تصرفات الرئيس المصري الأخيرة غير مقبولة عند العرب، وقد قام الرئيس أنور السادات في أوائل جمادى الأولى فوقع اتفاقية مع إسرائيل في واشنطن لوضع السلام بين مصر وإسرائيل وأحدث ذلك جزعاً شديداً من العرب بحيث نقلوا سفراءهم من القاهرة ونقلوا الجامعة من مصر إلى المغرب وقطعوا المواصلات

بينهم وبين مصر وجعل الرئيس يستهجن العرب ويتهم قادتهم بالانهزاميين وأنهم أقزام ويجدد تهجماته على العرب واستنقاصهم وكان قد ألقى خطاباً في الإسماعيلية بعد مقابلته لوزير العدو موشي دايان بأن العرب سياسة قادتهم انهزامية وأنه لن ينقاد أبداً وراء هذه السياسة التي زعم أنها تقوم على أساس الحقد والسباب وأكد القول بأن مصر لا تزال مصرة على المطالبة باستعادة حقوق الشعب الفلسطيني حتى قالت عنه بعض الصحف العربية باع الحقوق ويطالب باستردادها وكان دايان هذا قد فاق بيجن رئيس وزراء العدو في التعنت والإصرار على تطلباته.

حريق في مدينة الرياض

لما كان في ٨ شهر رجب من هذه السنة الموافق ليوم الأحد وقع حريق عند تقاطع شارع الرمل مع الشارع المؤدي إلى الصناعية وقد أتت النار على عدد كبير هناك من الكفرات السريعة الاشتعال وكادت النيران تصل إلى محطة بنزين هناك لولا أن الله سلّم وقد استطاع رجال الإطفاء بوحداتهم السيطرة على إخمادها ورجوا من الأهالي أن يقلوا من تخزين الكفرات في مستودعاتهم ومن تخزين المواد القابلة للاشتعال داخل المدينة لما ينجم عن ذلك من امتداد الهلاك إلى الجيران وقد أغمي على رجل في أحد المستودعات لولا أن سارع رجال الإسعاف لإنقاذه.

حريق آخر في الرياض

ولما أن في ٢٦/٨ من هذه السنة وقع حريق آخر في شارع الوزير وتعرضت للحريق عشر محلات تجارية واستمرت النيران فيها أكثر من خمس ساعات و٤٥ دقيقة متواصلة ويعد هذا أضخم حريق تتعرض له العاصمة ولقد كانت تلك محلات أخشاب وبوية وأدوات للمنازل بجوار عمائر ابن رصيص ورغم الجهود التي بذلتها رجال الدفاع المدني والدوريات دوريات الجيش والأفراد بمعاونة بعض

المواطنين والأجانب وكانت فرق الدفاع التي شاركت في إخماد الحريق خمس فرق من الدفاع المدني وثلاثون فرقة من الدوريات اللاسلكية فإن مصادر النيران المتعددة بالإضافة إلى إغلاق المحلات وكذلك الباب الرئيسي لمستودع الأخشاب كانت من العوامل التي ساعدت على إبقاء النيران المشتعلة إلى زمن يقارب ست ساعات تقريباً مما أدى إلى وقوع خسائر في محتويات المحلات وتقدر الخسائر المادية من جراء هذا الحريق إلى رقم يتجاوز المليونين من الريالات.

الرجل المعمر

في ٢٧ من شوال من هذه السنة حصلت مقابلة مع الرجل المعمر المدعو عايض بن معتق بن عتيق الجعيد الذي عمر مائة وخمسين سنة وقد نشرتها جريدة المدينة كان يجلس وعن يساره ابنه ثم ابن ابنه ثم ابن ابنه وحفيده وابن حفيده، وكان يتمتع بنشاط وينصح الشباب إذا أحبوا طول العمر والصحة أن يبتعدوا عما يكدر الذهن ويجلب الهم ويقول عن نفسه لم أمرض ليوم واحد والسبب حليب الإبل والتمر والعسل ويقول في سبب بقائه: الهموم عدو الإنسان، وكان قد ظهر عليه التجاعيد والعروق الخضر وبالنسبة إلى مائة وخمسين عاماً خلفها وراء ظهره فإنه لم يتشوه خلقه بل على وجهه تبدت بوضوح علامات الزمن خلال الغضون والتجاعيد وأفكاره ما زالت شابة وقلبه عامر بحيوية يحسده عليها شباب العصر وذاكرته حافلة وكان يقول لما سئل عن غذائه أن حليب الإبل يقوي العظام فسئل مم يتكون غذاؤك حتى حافظت على صحتك، قال الحمد والشكر لله القائل ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، وقد كان غذائي الذي عودني عليه والدي رحمه الله وأسكنه الجنة حليب الإبل واللحم والتمر. أما الحليب أقصد حليب الإبل يقوي العظام ويشد مخها واللحم يشد العضود والتمر كله قوة ثم أمر حفيده أن

---

(١) سورة إبراهيم، آية ٧.

يأتي بكتاب ويكتب نصيحة بالغذاء وأنه أحسن من الدواء وفيه أن للتمر أكثر من عشرين فائدة واستمريت على هذا الغذاء حتى الآن حليب الإبل لا ينقطع عني لا ليل ولا نهار، أما اللحم فقد كنت آكله مع الشحم ولكن في السنين الأخيرة أصبحت لا أستسيغ إلا اللحم الأحمر فالشحم لا تقبله نفسي والتمر فما زلت لا أفارقه حتى الآن ولا تنسَ العسل فهو قوة من الله بها علي أقابلها بالشكر والعرفان فسئل عن الأحداث التي شهدها في عمره الطويل وليعقد مقارنة ظريفة بين اليوم والأمس فتكلم بصوت الرجل العربي قوي النبرات وبلغة عربية سليمة لا تشوبها الشوائب، شتان الفرق بين الأمس واليوم بالأمس لم ينعم أحد بجزء من هذا الأمن والأمان أو الرغد المتوفر لشباب هذا العصر، كانت الحياة صعبة للغاية فالتعليم والخدمات لم تكن متاحة وكانت القبائل دائماً في حالة قلق وتأهب لصد أية غارة والدفاع عن النفس والمال فالجميع في خوف ووجل يحذرون بعضهم البعض لأخذ الحيطة من قطاع الطريق والمغيرين على الناس الآمنين خاصة عندما يتضعضع الأمن في البادية فالواحد لا ينام مليء عينيه لأية حركة يفز من نومه خوفاً من مداهمة القوم الواحد تجده بمشعابه والقديمي والبندق مسلحاً باستمرار حتى وهو نايم ليكون مستعداً لرد أية غارة من القوم المعادين أو الذين يهجمون على حين غرة ينهبون الإبل والمواشي وأكثر الطمعة في الإبل ولو اقتضى الأمر قتل صاحبها ثم يعود إلى من جعل الله الأمن على يديه فيقول المغفور له الملك عبد العزيز جاءنا بالأمن والأمان أما الأمان فأنتم ترقدون وبيوتكم مشرعة الأبواب مع النوافذ ونحن لا ننعم بالنوم إلا إذا كنا مجموعة ينام بعضنا ويحرسنا البعض الآخر، لم نعرف الأمن والاطمئنان إلا بعد مجيء الملك عبد العزيز رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، فمنذ دخوله إلى الحجاز والناس في أمن واستقرار واختفى قطاع الطريق وهذا راجع إلى حكم الله الذي يطبق على كل عابث كان هناك ناس أغواهم الشيطان في أوائل حكمه فقطعوا الطريق وسمعنا بأنه نفذ فيهم حكم الشرع وبعدها لم نسمع بأن

هناك قطاعاً للطرق لأن الجميع خافوا أن ينالهم الحد الشرعي من قطع يد ورجل وقد حرص المغفور له جلالة الملك عبد العزيز أن يغرس في أولاده من بعده الحرص على حكم الله سبحانه وتعالى، وعليه سار حكم سعود ومن بعده فيصل الله يرحمهم جميعاً وأنت ونحن نعيش في ظل هذا الحكم في عهد خالد حفظه الله وأبقاه ونصره على من عاداه.

وقال إنه تزوج من ثلاث زوجات ولا مانع من الرابعة كان مهر الأولى عشرة ريالات والثانية جاءته هدية من والدها رغب فيَّ فزوجني إياها وذلك بعد وفاة الأولى، ثم تزوجت بالثالثة بمهر زهيد لا يتعدى عشرين ريالاً وتوفيت الثانية والثالثة ولديه استطاعة في أن يتزوج رابعة ولو طلب عليه مهر كثير وقال بعد كلام طويل نفيس لما سئل بماذا تنصح إخوانك المسلمين الذين يريدون المحافظة على صحتهم فقال الصحة والعافية بيد الله وهي ميزات يختص بها بعض أمته فيجعلهم عبرة لغيرهم من المصابين، وكما قيل الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى.

ونصيحتي لإخواني المسلمين أن يبتعدوا عن مواطن الهموم فكثرة التفكير يتعب المخ ويشوش على الإنسان، فاغسل قلبك من كل الضغائن والأحقاد وابتعد عن المشاكل ترتاح نفسيتك وتحس بالاطمئنان وتعيش بسلام الفترة التي يقدرها لك الإيمان، فالأعمار بيد الله ولكن الهموم وما يتبعها من متاعب تؤثر على صحة الإنسان فلا يستطيع مقاومة الأمراض فيشيخ ويكبر قبل أوانه ويستسلم للأمراض لعدم قدرته على المقاومة.

ولما سئل عن صحته أجاب قائلاً: الحمد الله صحتي على أحسن ما يكون سوى تعب بسيط تتعرض له رجلاي عند الوقوف كثيراً، ونحن في البادية إذا كبر الرجال جعلناه يرعى (البهم) صغار الضان فأنا أقوم على رعيها والحمد لله على كل حال.

هذا نص كلامه باختصار وكان ابنه جالساً إلى جانبه بحالة في الكبر قد مال فمه وعمشت عيناه وكان بمرأى عجيب من مرور السنين عليه، أما هو فإنه أحسن رؤية من الابن بكثير وعلى رأسه الغترة البيضاء والعقال والمشلح الخفيف.

إيران وآية الله الخميني

لما كان في ربيع الأول تمكن الخميني من الرجوع إلى إيران بعد طرده منها قبل ذلك بخمس عشرة سنة فاستولى على السلطة فيها ونظم حكومة على وفق إرادته وفر الشاه محمد رضا بهلوي طريداً معه أهله الذين غادروا إيران قبله، ومعه رفقته البالغ عددهم ثلاثمائة شخص.

وقام الخميني بما أوتيه من غرور بتعقب من كان موالياً للشاه ومن هو على طريقته بالتقتيل والسجن من ضباط وجنرالات وغيرهم ورجت إيران أن تنال خيراً من آية الله الخميني حسب خرقعته وجعجعته وشعوذته ولكن الأمر كما قيل والأمثال تضرب للناس:

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وسترى أيها المنصف إلى الحد الذي وصلت إليه الحال في إيران، فقد نشبت الحرب بينها وبين العراق جيرانها الأدنين وما عامل به أهل إيران من أنواع التعذيبات.

ومن جملة ما حصل من هذا الإمام الخميني الذي زعم أن ثورته إسلامية أن أخذ ثمانية آلاف من السكان الإيرانيين فعذبهم بأن قطع ألسنتهم ونقب أعينهم قبل القتل ثم قتلهم نسأل الله العافية، فأين الإسلام من هذا العمل السيئ الذي نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله: «اغزوا باسم الله في سبيل الله ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً» واتبعه على ذلك الشيعة من أهالي إيران سواء كان على خطأ أو على صواب.

ولما أن ذهب الشاه محمد رضا مغادراً بلاده طلب اللجوء ببريطانيا فمانعت حكومة بريطانيا من إيوائه بحجة أنها تخشى أن يغتال فيها، ومن جهة أخرى فقد تحسنت العلاقات بينها وبين الخميني وجعل يتردد بين الرباط وغيرها وآخر ذلك أن استقر بالأرجنتين وجعل الخميني يطارد الشاه ويطالب الدول بإحضاره لديه ولكن الشاه مرض ومات في غربته من آثار هذا الأذى، فسبحان من لا انقضاء لملكه ولا نهاية لأبديته.

الزعازع والبلى الذي حصل بسبب الخميني

لما كان في ليلة ٨/ ٧ من هذه السنة تعرض منزل آية الله خلخلي رئيس المحاكم الثورية الإسلامية وزعيم منظمة فدائيين إسلام إلى هجوم مسلح في مدينة (قم) ولكن حرس المنزل ردوا على المهاجمين الذين تمكنوا من الفرار متسترين بالظلام بعد أن أمطروا واجهة المنزل برصاص المدافع الرشاشة وهذه هي المرة الثانية التي يتعرض فيها المنزل خلال (٢٤) ساعة.

وذكرت صحف إيران أن خمسة أشخاص هاجموا منزل آية الله محمد منتظري أحد الأعوان المقربين للخميني وقد ألقي القبض على أحد المهاجمين وهاجم أربعة أشخاص مسلحين بعد ظهر ٨/ ٧ أحد فروع البنك الوطني الإيراني وسط العاصمة وتمكنوا من السرقة والغدر بمائة وثلاثين ألف دولار ولم يتمكن رجال الشرطة وحرس الثورة من القبض على أي من المهاجمين.

ثم أنه أصدر الخميني أوامره بجرد ممتلكات المسؤولين السابقين في إيران وجرد أموال جميع رجال نظام الحكم السابق من الوزراء ونواب الوزراء ورجال الأعمال والمديرين وشركاء أفراد عائلة الشاه بصورة أو بأخرى وقد أمرت القيادة العامة للجنة الخميني بالاستيلاء على تلك الأموال والممتلكات واتخذ هذا القرار عندما استكملت وتحققت صحة المعلومات والاتهامات وقد تمت عمليات الجرد ليلاً، وبعد عملية الجرد طرقوا الأبواب وكانت فرق الجرد مسلحة وفور دخولهم المساكن

قطعوا أسلك التليفون ثم دونوا بعض الملاحظات وملؤا حقائب عديدة بـالأوراق، وبعد ذلك طلبوا من المالك التوجـه في أسـرع وقـت ممكـن إلى اللجنـة لاسـتكمال الملف لتعود الحرارة، ثم أمر بمنع قرابة (١٦) ألف شـخص مـن مغـادرة إيـران ولا سيما الأثرياء.

واستمر القتال بينه وبين العراق من هذه السنة ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى ابتلى الإسلام والعرب بتولي هذا الطاغية على إيران، وكان هادئ الطبـع مطمـئن النفس له لحية بيضاء كثيفة ويتستر بالإسلام وأن ثورته إسلامية.

إعصار يجتاح الهند

لمـا كـان في ٧/١ الموافـق ٢٧ مـايو هـبّ إعصـار مـدمر في الهنـد في ولايـة أندابراديش فتسبب في قتل (٦٠٧) أشخاص وتشريد مليونين ومائتين وخمسين ألف ودمر (٥٦٨) ألف منزل كلها سقطت مـن جـراء ذلـك الإعصـار وبلغـت سـرعة رياحه (١٨٠) كيلومتر في الساعة.

أهوال يسببها السلاح الحديث إن استعمل

في هذه السَّنة قررت إحدى الجرائد في نشراتها بأنها لو قامت غارة نووية لكان مائة مليون وخمسة وستون مليوناً أمريكياً مرشحين للموت بعد ثوان من أيـة غـارة نووية، ولكان عدد الضحايا في الروس أكبر لسوء الاحتياطات.

وفي هذه السنة ساءت الحالـة في أفغانسـتان وتـدهورت الأحـوال بينهـا وبـين روسيا وخيف من وقوع حرب بين الحكومتين وفعلاً جرى ذلك، وبهذا يتبين قـبح نوايا وطوية السوفيت وما تبيته الشيوعية للمسلمين وعلـى رأسـها الـزعيم ليونيـد بريجينيف، وتزعم الزعامة الرئيس الجديد حفـيظ الله أمـين وبـدأ الـروس في حمايـة أذنابهم في كابل بعد الانقلاب الثالث الذي قتل فيه نور محمد تركـي واشـتد هيـاج الشعب المسلم وانحاز المجاهـدون إلى الجبـال يعملـون علـى إسـقاط حكومـة كابـل الشيوعية.

وفوجئت البلاد من الاتحاد السوفيتي بالدبابات والطائرات الروسية الغازية، وبذلك وقعت البلاد تحت الاحتلال، ولكن الأهالي رغم ما ينالهم قاموا بجهاد استمر مدة طويلة أثبت لهم شجاعة وبسالة، وما زالت تتدفق عليهم المساعدات من المسلمين وكانوا منذ هذه السنة إلى آخر السنة الثامنة بعدها في جهاد مرير يقاتلون أعظم دولة على البسيطة وينتصرون عليها بإسقاط طائراتها وقتل جنودها وما النصر إلا من عند الله صابرين على الأهوال التي مزقت بعض أيدي المجاهدين وأرجلهم، وكانت طلائع النصر تتبدى عليهم والانتصار دائماً حليفهم.

تنفيذ الإعدام شنقاً في علي بوتو

لما كان في فجر يوم الأربعاء ٧/ ٥ تم إعدام ذو الفقار علي بوتو بعد سجن طويل عن أمر حاكم باكستان ضياء الحق، وذلك في الساعة الثانية من صباح اليوم المذكور ٤ إبريل (١٩٧٩م) ميلادي بتوقيت باكستان توافق الحادية عشرة مساء بتوقيت المملكة العربية السعودية، وقد بعث رؤساء العالم يطلبون من ضياء الحق الصفح عنه وذلك بالنداءات الباكستانية والعربية والإسلامية والأوروبية والعالمية، فضرب بها عرض الحائط، وكان لما صعد إلى المشنقة همس يقول (يا إلهي ساعدني إنني بريء) وبعد إعدامه نقل جثمانه بطائرة هليوكبتر تحت حراسة شديدة إلى جنوب باكستان حيث ووري في مقبرة عائلته قريباً من مسقط رأسه، وأبدت الهند وفرنسا وأستراليا أسفها الشديد.

كذلك وقد وصف رئيس وزراء باكستان ذو الفقار علي بوتو بأنه الرجل الذي يتعامل مع الأغنياء ويحظى بحب وتأييد الفقراء.

وقد قامت مظاهرات عنيفة في عاصمة كشمير، واستمر اندلاع المظاهرات العنيفة واضطر البوليس إلى استخدام الغاز المسيل للدموع والعصي لتفريق المتظاهرين واضطر البوليس آخر الأمر إلى إطلاق الرصاص لإرهاب المتظاهرين.

إسلام أسرة

في ٨ رجب من هذه السنة، أسلمت أسرة كاملة أمريكية، كان ربّ هذه الأسرة كثير القراءة لبعض الكتب الدينية الإسلامية فوفقه الله للإسلام وأسلم هو وأبناؤه فأدخلهم في المدرسة، أما عن الزوجة فتأخر إسلامها ولكن الله منّ عليها فأسلمت بعدهم بيومين، وهذه بشارة باعتناق هذه الأسرة للدين الحنيفي الإسلامي نسأل الله تعالى أن يهدي من ضل عن الطريق إلى الرجوع إليه.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم مدفع التوحيد محمد صالح المطوع، وهذه ترجمته: هو الشيخ العالم الزاهد الورع محمد بن صالح بن سليمان المطوع، ويلقب بالحميدي ويلهجون هذه التسمية وربما نسب المسجد إليه، فيقال مسجد الحميدي، وهو من أسرة كبيرة غلب عليهم هذا الاسم.

ولد رحمه الله في مدينة بريدة عام (١٣١٢هـ)، وكان والده من زعماء مدينة بريدة ومن العقيلات المشهورين الذين يسافرون للتجارة لمصر والشام والعراق، وكان يريد أن يكون ابنه محمد على سيره وبما أن والدته ليست في ذمة والده فقد قامت بتربية ابنها وأدخلته في إحدى المدارس لتعلم القراءة والكتابة.

وقد حاول الأب أن يصده عن الدراسة وأن يأخذه قسراً، ولكن العناية الربانية لاحظته، فقد أخذه والده معه في سفره وكان قد أخذ في الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم، فذهبت أمه إلى الأمير في بريدة عبد الله بن جلوي واستعانت بالشيخ عمر بن محمد بن سليم فأخبر الشيخ الأمير بأنه في رعاية والدته ولم ينفق عليه أبوه، فبعث الأمير فارساً رجع به من مسافة ثلاثين كيلو أي من قرية الطرفية ورده إلى أمه، وكان المترجم لا ينساها لشيخه عمر ويدعو له كلما ذكره، وكان يقول أنه سبب هدايتي، كما أن الوالد حاول في صده عن طلب العلم مرة أخرى

لأنه يرى أن طلبه للدنيا أنفع له لأن الذين يطلبون العلم إذ ذاك ليس بين أيديهم مادة فسلم من هذه المحاولة بسبب والدته.

طلبه العلم واجتهاده:

لما تقدم الشيخ عمر بن سليم في مسجد عودة الرديني والتفَّت عليه حِلَق الذِّكر كان من جملة الذين أخذوا عنه ولازمه وأكثر الأخذ عنه وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم لما قدم من البكيرية بعد ذلك لقضاء بريدة، ثم أنه كان يتردد بين تدريس الشيخين المذكورين.

وكان محبوباً لما كان متصفاً به من صفات أهل اليقين، قليل المزح كثير الخشوع ومن جملة ما درس به على الشيخ عمر بن محمد الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية يلهج بأبياتها ويطمئن إليها ودرس في كتب التوحيد والفقه والتفسير والحديث والنحو والفرائض.

كما أنه أخذ عن الشيخ الزاهد عبد الله بن محمد بن فداء ويمتدحه بالزهد والورع ويكفيك في فضل المترجم أخذه عن هؤلاء العلماء الأفاضل والصفوة الفطاحل وله زملاء من العلماء وهم الشيخ محمد ابن عبد العزيز العجاجي والشيخ عبد الرحمن بن عبيد والشيخ عبد الله بن محمد ابن جربوع والشيخ عبد الله الصالح الربدي والشيخ سليمان المشعلي وغيرهم.

وما زال يطلب العلم ويزاحم العلماء حتى كانت له مكانة فكان الشيخ عمر يستخلفه في مسجده من بين أقرانه وله والدة سألت الله أن يجعله في إمامة محمد بن عبد العزيز الصقعبي لأنه كان في إمامة ذلك المسجد، وكانت من الصالحات فاستجاب الله دعاءها بحيث لما نقل الشيخ عمر من هذا المسجد إلى مسجد ناصر بن سليمان بن سيف جعله مكانه.

ولبث في إمامة هذا المسجد (٥٥) سنة تقريباً حتى أعجزه الكبر فخلفه أبناؤه وجلس في ذلك المسجد قريباً من أربعين سنة في تعليم القرآن والتوحيد والفقه

والتفسير وتخرج عليه طلاب كثيرون فكان يجلس بعد صلاة الفجر وبعد الظهر وبين العشائين على الدوام، وتعلم عليه طلاب كثيرون منهم من هو مسن ومنهم شباب ونحن نذكر بعضاً من كل، فمن أخذ عنه صالح بن إبراهيم البليهي وعلي بن عبد الله بن حواس وعبد الله الزامل بن عفيسان وإبراهيم بن ضيف الله اليوسف وعلي بن محمد السكاكر وصالح بن محمد السكاكر وإبراهيم بن محمد السكاكر ورشيد بن عبد الله الحميضي وإبراهيم بن عبد الله الدباسي وعبد العزيز بن إبراهيم الدوسري وعبد الله بن محمد العجلاني ونصار العلي النصار وبراك المنصور ونصيان بن حمد النصيان وعلي الراشد الرقيبة ومحمد العلي الروق وصالح العبد الرحمن بن جمحان وصالح العبد العزيز الجطيلي وعلي السليمان الوهيبي وعلي السحيمان ومحمد بن صالح الخليفة وعبدالله بن خليفة وعبد الرحمن بن عبد العزيز القفاري ومبارك بن راجح وعبد الرحمن بن سليمان بن جار الله وسعد بن محمد المالك، وصالح بن محمد بن غانم وفهد بن عبد العزيز السعيد وسليمان بن صالح الربيش وعلي بن عبد الله بن مهوس وعبد الكريم بن عبد الرحمن الفداء وعبد الرحمن بن دغيثر وعلي بن عبد الله بن مقبل وابنه عبد الله بن محمد وابنه عبد الرحمن بن محمد وسليمان العلي بن براك ومحمد بن منصور الرجيعي ومحمد بن عبد الله أبا الخيل ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف وسليمان بن علي العمر وسليمان بن محمد العمر، وأخذ عنه غير هؤلاء.

وكان ذا غيرة عظيمة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر باليد واللسان ويلهج بكتاب الله ويفسر آياته وربما انفعل فأخذ يبكي لما يجده في ضميره من التغيرات، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، ويبكي ويُبكي من حوله، وكان في واد والناس في واد.

أخذ مرة يفسر قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1]، فوجه الخطاب على رجل عامي من

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٥٣.

المستمعين ونادى بأعلى صوته لو أنك سرت في طريق وقيل لك لا تخرج عنها يمنة ولا يسرة فإن خرجت يمنة أخذتك الحرامية واللصوص ولئن خرجت يسرة لكنت فريسة للضياع، نعم كان مثلاً مطابقاً غير أن ذلك الرجل كان جاهلاً لا يعرف عن ذلك سوى أنه كان في أول عمره يسافر مع العقيلات إلى بلاد الأجانب ثم إن الله مَنّ عليه في آخر عمره بالجلوس في بريدة من بلاد المسلمين ويلازم الصلوات الخمس في جماعة ويحضر مجالس الذكر مستمعاً فأجابه يقول كيف أضيع وأنا خريت وماهر في الدلالة لا أسير إلا مع رؤوس الجبال وأعالي الكثب الرملية ومتاهات الطرق، ولا أضيع وتنسبني إلى الضياع هداك الله، فقال له المترجم بأعلى صوته لا ولكني أضرب لك مثلاً في أن من لزم الصراط المستقيم يكون آمناً ولكن ذلك الجاهل صمم على رأيه يقول أقال الله عثرتك كيف تنسبني إلى الضياع فسل العقيلات عن دلالتي وأني ماهر في الطرق لا يزيد على ذلك شيئاً، فكان في واد والمترجم في واد.

وكان لا يسأل الناس شيئاً ولا يطلب من بيت المال إلا ما جاءه من غير مسألة وعف عن الوظائف كلها فلم يقبل وظيفة.

وكان في صفته أبيض اللون مشرق الطلعة كأن وجهه قنديل عليه آثار النور والعبادة وله حظ من قيام الليل مربوع القامة جميل المنظر ويؤم في مسجده في صلاة التراويح في رمضان وقيام الليل على الدوام حتى أعياه الكبر وضعف بصره في آخر حياته حتى فقد البصر، ولم يطلب العلاج رجاء حديث الثواب، وكان قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وموالياً لأولياء الله معادياً لأعدائه وربما ناله بسبب ذلك أذى من بعض الرؤساء الجهال فيصبر على ما أصابه ولا يداري في أوامر الله أحداً كائناً من كان وكان دائم الخوف ويقول لمن يثق به أخشى أن يكون الله قد مقتنا ولا تعجبه حالة زمانه بل كان قليل الضحك وقوراً فلذلك كان مسموع الكلمة لدى الرؤساء لإخلاصه وحُسن مقصده.

وكان في آخر حياته ملجأً وكهفاً لأهل الخير يترددون إليه ويفزعون إليه عند المهمات فيجدون ما يفرج عن المهظوم.

ثم إنه مرض قبل وفاته بمرض أفقده شعوره لمدة ثلاثة شهور لكنه يلهج بالاستغفار والذكر وتوفاه الله تعالى في منتصف ليلة الأحد الموافق ٢١ ربيع الأول عن عمر يناهز (٨٨) عاماً وتأخر تجهيزه إلى صلاة الظهر من اليوم المذكور فصلى عليه المسلمون في جامع بريدة الكبيرة حيث امتلأ المسجد وشيعه خلائق كثيرون وأقبل الناس يعزي بعضهم بعضاً حيث اجتمعوا من القرى والضواحي وعم الأسى والحزن ودفن في مقابر الموطا غربي المدينة وقد رثي بمراثٍ حِسان.

وممن توفي فيها الرجل العابد إبراهيم بن جردان رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته: هو الزاهد الخطيب المقرئ الحافظ إبراهيم بن محمد الجردان كان من أهالي مدينة بريدة ومن أسرة فيها ولد (١٣٢٥هـ) فنشأ كغيره في الدراسة في إحدى المدارس الأهلية وأخذ يتعلم القرآن حتى حفظه عن ظهر قلب، ثم إنه اشتغل في التجارة لتأمين معيشته ثم إنه كان عضواً في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المنطقة الشرقية بالظهران، ويدرس على رئيس محاكم المنطقة ويتولى الخطابة في بعض الأحيان هناك كما أنه أخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد حال إقامته في مدينة بريدة وله صوت جهوري حسن في تلاوة القرآن فهو من أحسن بني زمانه في الترتيل.

ثم إنه تولى وظيفة التدريس في مدرسة دار التربية ثم كان مدرساً في القرآن والعلوم الدينية في مدرسة تحفيظ القرآن في مدينة بريدة، كما كان في مدرسة دار التربية ونال وظيفة جامع مسجد الخبيب ببريدة وكثر تردد الرجال والنساء على مسجده في صلاة التراويح وقيام شهر رمضان حتى أنه كان يمتلئ المسجد من كثرة المصلين الذين ينتابون المسجد من بعيد إليه لحسن صوته وجودة تلاوته كما كان يغص المسجد يوم الجمعة بكثرة المصلين.

ولما أن ترك التجارة وتشبث بالإمامة والتدريس كان رزقه رغداً ولـزم الإمامـة والخطابة، وكان مولعاً بالحج والعمـرة ومحبوبـاً بـين النـاس لعقلـه وقلـة مشـاغبته وعبادته شكور النعم لله.

ولما كان في شهر جمادى الثانية من هذه السنة ذهب لزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة ولأداء العمرة وعاد بنفسه يـوم الخمـيس الموافـق ٢٨ جمادى الثانية ليصلي إماماً بالمسلمين لأنه لم يخلف أحـداً فـأدى صـلاة الجمعـة إماماً في مسجد بريدة حرصاً منه على رغبة الناس في الصلاة معه ولما أن كـان مـن آخر يوم الجمعة رجع إلى عمرته وحينما سار ميمماً إلى جهة الغرب انقلبت السيارة فكان في ذلك حتفه وكان ضحية لهذا الحادث وقد أسفت الأمة لموته وحزنوا، رحمه الله وعفا عنه.

فيها وفاة هواري أبو مدين رئيس الجزائر وكـان ذلـك في ٢٧ مـن شـهر محـرم الموافق ليوم الأربعاء وقد تأخر تجهيزه ليصلى عليه بعد صلاة الجمعة وتقام الجنـازة في مظهر عظيم لأنه قدم إلى الجزائر وفود كثيرة للصلاة عليه وتشييع جنازته وظهـر حزن عميق لذلك وتأسفت الجزائر عليه أسفاً شديداً.

وفيها في أوائل شهر شوال يوم السابع منـه وفـاة أبـو الخـير المـودودي شـقيق الشيخ أبي الأعلى المودودي مؤسس الجماعة الإسلامية الباكستانية على إثر إصابته بنوبة قلبية ويبلغ من العمر ثمانين عاماً.

وفيها وفاة الشيخ حسن محمد مشاط بمكة المكرمـة وقـد اسـتقبل ذووه العـزاء بمنزله في مكة المكرمة، وكان الشيخ حسن له مؤلفـات حسـنة فمنهـا إسـعاف أهـل الإسلام بوظائف الحج إلى بيت الله الحرام، قال في خطبة الكتاب: أمـا بعـد فيقـول العبد الفقير المنكسر خاطره لقلة العمل والتقوى حسن محمد المشاط غفـر الله ذنبـه وستر عيبه إنك سألتني أسعدك الله ووفقني وإياك أن اتبع لك كتـابي إسـعاف أهـل الإيمان بوظائف رمضان بإسعاف أهل الإيمان بوظـائف الحـج إلى بيـت الله الحـرام

الخ، وقد طلب مجموعاً إلى القصيدة الذهبية في الحج لابن رشيد عام (١٣٧٩هـ)، وله كتاب الزواجر المنفرة عن إدخال المسلمين أولادهم في مدارس الكفرة، وذكر فيه قصة محزنة تدل على الانحلال من دين الإسلام نتيجة تلك المدارس وأفاد وأجاد جزاه الله خيراً وهو الذي اختير لأن يكون رئيساً لجماعة تحفيظ القرآن بعد وفاة علوي عباس المالكي رحمه الله وعفا عنه.

وفيها وفاة الشيخ عبد الرحمن الدوسري صاحب المحاضرات والكشف عن أهل المذاهب الهدامة تغمده الله برحمته وهذه ترجمته: هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبد الله بن فهد آل نادر الدوسري من قبيلة الوداعين ولد عام (١٣٣٢هـ) في مدينة بريدة عاصمة القصيم ثم إنه انتقل والده منها إلى الكويت فكان المترجم مع والده كجملة أولاده وكان ذهابهم بعد أشهر قليلة من ولادته وكان جده عبد الله قد نزح من قومه وبلاده المعروفة بالسليل إلى قرية الشماسية التي تبعد عن بريدة شرقاً باثنين وثلاثين كيلومتراً.

نشأ المترجم في بلد الكويت في محلة معروفة بالمرقاب تمتاز عن سائر البلد بالصلاح ويسكنها النجديون إذ ذاك فأدخله والده في مدرسة المباركية وكانت من المدارس الأهلية وتمتاز بما تحويه من المقررات في أول نشأتها بتدريس القرآن الكريم ويحرص أربابها على حفظ القرآن عن ظهر قلب وتدريس ثلاثة الأصول والكتب الدينية المشبعة بعقائد السلف كعقيدة السفاريني ودليل الطالب والأحاديث النبوية فكان المترجم مولعاً بكتب السلف الصالح ومعرفة ما يخالف الشريعة، ويقول عن نفسه أنه حفظ القرآن في شهرين عن ظهر قلب بحيث انقطع عن المجالس في تلك المدة القليلة حتى حذق القرآن حفظاً ودرس في السيرة والتاريخ والفقه وحارب أقوال المنحرفين ورد عليهم بصراحة لم ينلها في زمنه سواه بحيث استهدف نتيجة كلامه في رؤساء الفتنة للأذى وخشي عليه ولكن الله يدافع عنه لأن له إقداماً وشهامة توقعه في أمور صعبة.

وكان في صفته حنطي اللون ممتلئ الجسم قد لوحته الشمس وفي لسانه ثقل ولكن الله يساعده بالبيان وكان له مؤلفات منها زيادات في نظم قصة يوسف للشيخ يحيى الصرصري، ومنها تفسير القرآن الكريم، وزيادة توضيحات لكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لأنه قال لي مرة نريد تركيز العقيدة في قلوب الخلائق تركيزاً وشن الغارة على المنحرفين وفضحهم وهتك أستارهم لأن الله أعطاه قوة ملكة في بيان تضليلاتهم.

والرجل مجاهد بلسانه وبيانه يغشى الناس بالموعظة في مجامعهم ولا يخاف لومة لائم، وقال قصائد مهيجة في نصرة فلسطين والذياد عنها فمن ذلك قوله من قصيدة:

فلم يلغبونا بالقوى أبداً كذا ... ونكباتها الأخرى كذلك فاعدد
فنكبتها الأولى بفقد عقيدة ... فلسطين ما ضاعت بقوة معتد
فلسطين بالتكبير حررها الأولى ... وقوة إيمان كسائر أبلد
ولو صدقوا في الدين أيضاً لكبروا ... بالسنة لا تألف اللغو والدد
فيسترجعوها مع سواها ويزحفوا ... كما زحف الأسلاف في كل أنجد
ولكنهمو مالوا إلى شهواتهم ... ولم يستجيبوا للإله الممجد
فلسطين ضاعت إذ أضاعوا صلاتهم ... ومزقوا القرآن تمزيق ملحد
بتعطيلهم أحكامه وإباحة ... لخمر وفحشاء إذا رضي الردي
فلسطين أدمت قلب مستضعف يرى ... تلاعب ماسونية اليوم والغد
وكانت شعاراً كاذباً يرتدي به ... دجاجلة الغوغاء في كل مشهد
يريدون منها سلعة عاطفية ... وجرحاً ذكياً دائماً لم يضمد
يريدونها ذخراً به يحصلوا على ... مناصب عليا مع مديح لنشد
فلسطين رمي لعبة ووسيلة ... لسائر طلاب الكراسي ومقعد
فلسطين دمي متجرٍ أو بضاعة ... لمتجر من ساسة ومعربد

ودومي لهم مثل القميص الذي مضى ليحصل ما يبغون من كل مقصد
ولا ترتجي منهم قتالاً فحر بهم لبعضهمو بعضاً يروح ويغتدي
فذلك رجعي وهذا تقدمي وذا ثائر هذا مخلف مرتدي
على بعضهم بعضاً أسود أشدة وحولك أقوالهم نعامة فدفد

إلى أن قال:

ولكن خذي منهم كلاماً وضجة بأجهزة الإعلام في كل معهد
وشكواهمو في مجلس الأمن طلباً حقوقاً وعدلاً بالكلام المنضد
ألم يعلموا عن مجلس الأمن إنه أداة يهود العالمين لمعتد

إلى آخرها، وله قصائد كثيرة في الرد على أعداء الإسلام وله قصيدة في مصرع الرئيس جمال عبد الناصر يصور فيها حالته ويكشف خيانته ومؤامراته.

أما مشائخه الذين أخذ عنهم فقد أخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان، وأخذ عن الشيخ صالح بن عبد الرحمن الدويش، وأخذ عن الشيخ قاسم بن مهزع من علماء البحرين لما سافر في طلب التجارة إليها واستفاد منه كثيراً.

ولما رأى ذكاء المترجم حثه على الإكثار من قراءة تفسير القرآن ولهذا كان له إلمام قوي في التفسير.

وله أيضاً مؤلفات كثيرة منها إرشاد المسلمين على فهم حقيقة الدين، ومشكاة التنوير على شرح الكوكب المنير، وله كتاب سماه من هم المنافقون، وغير ذلك.

وبعد اللتي ثم اللتيا لو أن ليت لو تفيد شيئاً لتمنينا بقاءه ليكافح عن العقيدة بحيث توفي عن عمر يناهز السابعة والستين لأنه كان يحدب على الفقراء ويواسيهم ويوزع كتباً مجاناً وله مساهمة في المساعدات التي تعود مصلحتها على المجتمع ويحارب القوانين الوضعية ويكفي محاربته للقانون الكويتي الذي وضعه الدكتور عبد الرزاق السنهوري، فكان من جملة الذين انتقدوه وصاحوا على أعلى المنابر

بمحاربة بعض فقراته وقابلوا المسؤولين وأخبروهم بخطورة ذلك القانون ولديه رحمه الله مكتبة حافلة كبرى.

أما عن مرضه ووفاته فقد أصيب بمرض السكري وأمراض أخرى داخلية وحينما اشتد به المرض سافر إلى لندن للعلاج والدعوة فنصح له الطبيب بالراحة لكنه آثر الموعظة والإلقاء فزاد عليه المرض حتى توفاه الله في ١٠ ذي القعدة من هذه السنة فحمل جثمانه إلى الرياض وصلي عليه في الجامع الكبير وتأثر لوفاته المسلمون وحضره جمع كثير وجم غفير رحمه الله برحمته الواسعة وقد رثاه المحبون بمراثي حسنة منها ما قاله الأستاذ عبد الرحمن البرغوثي صاحب القصيد وهو شاعر إسلامي منها قوله بعدما ذكر ما أصيبت به المجتمع الإسلامي وما حل بذويه وكان الشاعر من أهالي بلدة الكويت:

فقد خلت ساحة الميدان من بطل ... كان القول إذا ما استل بتار
فوق المنابر لم يعبأ بمنحرف ... من قبل ما اقتحم الأوطان أشرار
واحسرتاه قضى من غير أمنية ... كانت تراوده لما طغى الجار

إلى أن قال:

ثويت والقدس يعلو فوقها نجم ... فمن ينبه من القدس أنصار
فنم هنيئاً بما أحسنت من عمل ... فقد دعاه الذي نثر للحق يختار
من المحبين من إخوان معتقد ... من هم على الدرب مهما اشتط جبار
لن ينكثوا العهد في إيقاظ مجتمع ... ما زال في أرضه للكفر آثار
لن يشحوا بمال عند معترك ... ولا بنفس إذا ما شبت النار
حتى ينال المنى في يوم معركة ... يقودها جحفل للقدس جرار
فقر عيناً ففي القرآن موعده ... إذ قد يزول عن الأوطان أشرار

أما عن اتصاله بالمؤلف فقد وعظ في مسجدنا الكبير وسط البلد قبيل صلاة العشاء الآخر فأحضرت لذلك القهوة البن والشاي بكثرة وواسينا في ذلك المجتمع

الذي لا يقل حضوره عن خمسمائة مستمع ولما فرغت الصلاة طلبت منه أن يكمل الفائدة بعدها، فشكرني على ذلك ووعظ وبلغ أولاً وآخراً وكان يزورني بالبيت كثيراً ويتحدث كما مر ويظهر أسفاً على حالة بني الزمان وأنه لا يألو جهداً في دحض الباطل.

وفيها في ٣٠/ ٢ الموافق ليوم الأحد وفاة الأمير محمد بن أحمد السديري رحمه الله كان الأمير محمد بن أحمد أميراً في الحدود الشمالية ثم أنه رغب أن يكون يعمل في الأعمال الحرة فمنح أرضاً في البطين مزارع بريدة وتسمى الخفيات فقام في زراعتها واتخذها مسكناً وكان له مزارع أيضاً في الموضع المسمى أم ظهيرة يقع شرقاً عن مدينة بريدة جعل فيها عمالاً واختار الخفيات لسكنه وجعل فيها أنواع المواشي من الخيل والإبل والغنم والظباء وكان يحب الغزل وله ذوق بالتاريخ وقصص شجعان العرب المشاهير من المتأخرين وألّف كتاباً في الموضوع أسماه (أبطال من الصحراء) طبع منه الجزء الأول ويقع في (٣١٤) صفحة قدم له الأستاذ عبد الله بن خميس وامتدحه بالأدب وذكر أن المترجم شاعر شعبي مجيد ولشعره جاذبية وتحرك سواكن العاطفة، وقال إنه شاعر غزلي وأنه جيد في بابه.

وكان المترجم اجتماعياً وذا عشرة ومن الشخصيات البارزة يلبس طيب الكسوة وله شيمة وأنفة لأنه ينتمي إلى أخوال الملك عبد العزيز ولمحبته لمدينة بريدة وصى لما اشتد به المرض أن يدفن فيها أو في ملكه بالخفيات ولما أن اشتد به المرض حمل إلى مدينة الرياض للعلاج هناك فتوفاه الله تعالى وأتي بجثمانه إلى بريدة فغسل وصلي عليه في الجامع الكبير في ضحى الغد الاثنين وحضر جنازته جم غفير من الرياض وبريدة وكان قد شيعه من الرياض ركاب ثلاث طائرات وعشرين سيارة من أبناء الحاشية والأقرباء ولا تزال مزارعه وخيله موجودة في ملكه المذكور.

وفيها في شهر شعبان وفاة رئيسة وزراء اليهود جلد مائير وهي التي وقعت في أيامها حرب الغفران منذ ست سنوات وأقر الله عيون المسلمين بحزنها وبكائها على قومها وكان وزير دفاعها إذ ذاك عزرا وايزمان.

وفيها في الساعة الثامنة من صباح يوم الأربعاء ١٦ ربيع الثاني (١٣٩٩هـ) قامت المدفعية الإسرائيلية الثقيلة طويلة المدى تقصف النبطية التي تحتوي على القوات الفلسطينية التقدمية في جنوب لبنان وتحلق طائراتها في سماء المنطقة وتكثف القصف على الأشرفية والمحمودية بلبنان تتعاقب على مقدار عشرين كيلومتر شمال الحدود الإسرائيلية اللبنانية مما أسفر عن قتل وجرح وإتلاف كثير من السكان وإتلاف قسم كبير من المزروعات إضافة إلى الأضرار التي لحقت بالمباني.

ولا يخفى أن أطماع اليهود لا تقف عندما اغتصبته أولاً وآخراً وما منحته أولاً من البلاد العربية بحيث انتهى الأمر أخيراً في الهزيمة النكرى هزيمة حزيران إلى أن خسر العرب القدس وما تبقى من أرض فلسطين الضفة الغربية وقطاع غزة مع أراضي واسعة من مصر وسوريا إذ استولى اليهود على سيناء وأشرفوا على قناة السويس كما تسلموا مرتفعات الجولان الحصينة وكانت أكبر ضربة تلقاها العرب في تاريخهم الحديث.

وأن الخريطة الجغرافية التي وضعها اليهود لدولتهم المرتقبة تشمل فلسطين والأردن وسوريا ولبنان وقسماً كبيراً من العراق وقسماً من أرض مصر شبه جزيرة سيناء والدلتا كما تمتد جنوباً لتشمل المدينة المنورة وكان مما قاله مناحيم بيغن في تل أبيب أن إسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل إلا خمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء وأنه يجب العمل على تحرير أربعة أخماس الباقية.

وفيها انتهى العمل من تركيب باب الكعبة المعظمة الذي كان من خالص الذهب فجاء كأحسن شيء وإنها لحسنة خالدة في تاريخ الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية جزاه الله خيراً بحيث لم يسبق إلى مثل هذا الباب طيب الله ثراه وغفر له، أما عن الباب القديم الذي صنعه الملك الراحل عبد العزيز والد الأسرة، فقد لبث ثلاثة وثلاثين عاماً ولا ريب أن هذا الاعتناء بالكعبة المعظمة

خدمة للبيت الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وأي خدمة وأي تعظيم كهذا التعظيم فإضافة إلى حفظها من العابثين وتطهيرها وتطييبها وكسوتها الثمينة يقام لها باب من ذهب وتخدم وما حولها بالتغسيل والصيانة ومضادة ما يمر حولها من البعوض والذباب بحيث وإن كانت معظمة في قديم الدهر فإن الحكومة السعودية اشتدت عنايتها بها وبسائر المسجد الحرام تعظيماً وعمارة.

أفغانستان والحديث عنها

أما ما جرى على أفغانستان والغزو الروسي فإنه لجأ منهم إلى الباكستان مائة ألف لاجئ واثنان وثمانون ألف لاجئ فاضطرت الباكستان إلى طلب المعونات للاجئين الأفغان فامتلأت المساجد في المملكة السعودية بأنواع الكساوي والفرش تبرعاً لمنكوبي أفغانستان وجرى سيل من التبرعات بحيث بلغ مجموع التبرعات من المسلمين خمسة ملايين وربع مليون، وقتل الثوار المسلمون مائتي مقاتل من الجيش الممالئ للشيوعيين وجعل المسلمون يدعون فوق رؤوس المنابر يوم الجمعة للمجاهدين بالنصر، وما زالوا يسقطون طائرات العدو ويحطمون الدبابات واستطاعوا أن يصمدوا أمام دولة قوية جبارة قد نزع الله من قلبها الرحمة بالمؤمنين، ولكن الله وعد بالنصرة في كتابه العزيز بقوله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ﴾[1].

ومما جرى في هذه السنة من الحوادث انفجار قطار محمل بالمنتجات الكيماوية والغازات السامة في كندا مما أدى إلى إخلاء (٢٤٠) ألفاً من السكان من مكان

---

(١) سورة الحج، آية ٤٠.

الانفجار ونقل المرضى وإجلاء ما يزيد عن مائة ألـف مـن سـكان المنطقـة، وسـببه خروج القطار عن القضـبان ووقعـت انفجـارات عديـدة لا تـزال أسـبابها مجهولـة ويدعي بعض شهود العيان أنهم رأوا سيارة تصطدم بالقافلة مما نـتج عـن خـروج القطار عن القضبان وقد اشتعلت مقطـورات عديـدة مما يهـدد بانفجـار المقطـورة المحملة وبذل رجال الإنقاذ قصارى جهودهم للحيلولة دون وقوع المأساة والسيطرة عليها وقد أرسل حوالي مائتين من جنود القوات المسلحة الكندية وأربعين ضـابطاً من الحرس الملكي إلى مكان الحادث بناءً على طلب السلطات المحلية وتولت حوالي ستين سيارة إسعاف مهمة إجلاء المرضى والمسـنين مـن المستشـفيات، وغـادر نحـو عشرة آلاف شخص ديارهم بينما أخذ السـكان البـاقون يوقفـون السـيارات علـى الطريق العام لنقلهم بعيداً عن أماكن الحادث ووجه البوليس نداءً صـباح الحـادث لكل من يملك قناعاً ضد الغـازات لتسـليمه لمكـان الحـادث كمـا تلقـى آلاف مـن السكان المقيمين بالجلاء عن ديارهم وخشـوا مـن الريـاح أن تسـاعد علـى انتشـار السحب السامة التي تسربت إثر انفجار المقطـورات الثلاثـة، وقـد شـعر كـثير مـن السكان بدوار وآلام في الرؤوس والعيون نتيجة استنشاقهم الهواء الممتزج بالغازات السامة، ولم تنجح فرق الإنقاذ في السيطرة على ألسنة النار التي اشتعلت وشوهدت النيران على بعد أربعة كيلوات من مكان الحادث واضطر رجال الإنقاذ إلى ارتـداء أقنعة واقية قدمها السكان ضد الغازات والحادث عظيم جـداً، وكـان تسـعة عشـر قاطرة من بين القاطرات الخمس والعشرين المقلوبة محملة بالمواد الكيماوية الخطـيرة وتقل قاطرة واحدة (٩٠) طناً من مادة الكلور.

وفي هذه السنة صرحت مصادر دبلوماسية في طهران أعـني يـوم الأربعـاء ١٢ رجب بأن الغارات الجوية العراقية على قرى الحدود الإيرانية دفع البلدين بصـورة خطيرة إلى حد المواجهة بعد أسابيع من التـوتر الـذي سـببه الصـراعات القبليـة في الأقاليم الإيرانية المجاورة للحدود مع العراق.

طعنة في الصميم

قام الرئيس المسلم العربي أنور السادات بتسليم مئات المعتقلين الفلسطينيين إلى اليهود، وأعلن موشي ديان أن القدس ستظل عاصمة لإسرائيل، وقال سنواصل بناء المستوطنات في غزة والضفة الغربية المحتلين وسنضرب الفلسطينيين.

وفيها شرع العمال في توسعة ميناء ينبع البالغ تكلفتها بألف مليون ومائة مليون وخمسين مليوناً.

كما أنه لأول مرة تتصل مِنى ببلاد العالم ويمسي كل فرد حاج يكلم أهله وذويه في أنحاء بلاد العالم وقد صلى مليون مسلم صلاة فجر يوم التروية مع الإمام في المسجد الحرام، وسنورد القصيدة التي قالها أحمد بن إبراهيم الغزاوي في ٢٢ ذي القعدة من هذه السنة ألقاها بالنيابة عنه بدر كريم بين يدي جلالة الملك خالد ابن عبد العزيز:

في باب بيت الله ذكرك عاطر ... بالبر وهو مفاخر ومواعد
وقد اصطفاك الله جل جلاله ... للمجد وهو على البرايا خالد
ولم يعهد التاريخ مثلك عاهلاً ... وله جميع الباقيات شواهد
في هذه الدنيا اكتسبت مآثراً ... هيهات منها الحصر وهي روافد
تتقاصر الآمال دون بلوغها ... وبها ازدهاؤك دون زهوك خالد
أعظم بمالك من مآثر كلها ... كالشمس في راد الضحى تتجدد
أضواؤها تعلو بما هو باهر ... وبها رضاء الله عنك يعاضد
لم يحظ هارون بها في عصره ... كلا ولا فيها الملوك تصاعد
مضت القرون ولم تشيد مثلها ... وبها الفخارمخالد وهو أيد
هي عزة للدين وهي لدعمه ... آيات صدق كلها بك سائد
كم من يد بيضاء لم يبح بها ... بين المشاعر كلنا تتماجد
في كل ما آتاك ربك بوركت ... منك المكارم واستعز الوافد

لم تبـــغ منهـــا سمعـــة لكنمـــا ... هـــي نعمـــة ولهـــا النجـــوم قلائـــد
والمســـجد المســـبوك تم نضـــارة ... في الـــركن تـــذكرة لمـــن يتـــوارد
هـــي غبطـــة لا شـــك وهـــي نمـــوذج ... ممـــا اشـــدت وللخلـــود مقاصـــد
مـــنن عليـــك مـــن الإلـــه وإنهـــا ... لأدلـــة تـــترى بأنـــك رائـــد
فلتحـــي للإســـلام جيشـــك ظـــافر ... وجميـــع مـــن بـــك في هـــداه جاهـــدوا
ولـــيهن فيـــك المؤمنـــون جميـــعهم ... والناصـــحون وكـــل مـــن لـــك سـانـدوا
وليبـــق فهـــد قـــرة لعيوننـــا ... ولـــك الثنـــاء وفضـــلك المتزايـــد

ثم دخلت سنة (١٤٠٠هـ)

في هذه السنة وقعت فتنة جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي، وذلك بأنه لا يزال يبرم حبال الفتنة فاستقوى وأناساً انقادوا له وتسموا فرقة الحديث وأتى برجل جميل الصورة يدعى بمحمد بن عبد الله يزعمون أنه المهدي الموعود به في آخر الزمان.

وكان قد حدث منهم اجتماعات قبل شهر رمضان من العام الماضي ووزعت من قبلهم منشورات تدل على خروجهم بأشياء مخالفة لكثير من الأحاديث والقواعد الشرعية الإسلامية مما لفت النظر إلى خروجهم عما هو عليه إجماع العلماء ويحضر هذه الاجتماعات عدد منهم وقد عقدوا عزمهم في ٢٥ ذي الحجة من العام الماضي أن يقرروا دخول الحرم والقتال فيه كما أنهم قرروا أن هذا الرجل الذي ادعوا أنه المهدي تنطبق عليه صفات المهدي وأنهم رأوا ذلك في المنام وقالوا أن أشخاصاً شهدوا بأنه من سلالة فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا لا يستند إلى أي حقيقة بدليل اعتراف والد هذا الرجل الذي زعموا أنه المهدي.

فلما كان في فجر يوم الثلاثاء غرة محرم من هذه السنة دخلوا الحرم أثناء تأدية

صلاة الفجر وبما أن الحرم لم يكن عند أبوابه أي حراسة لا في الماضي ولا في الآخر بل هو مفتوح طوال الوقت ومنذ أن بنى الخليل عليه السلام الكعبة ويقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[1] فإنهم أدخلوا الذخيرة بسيارة بواسطة مدخل مفتوح بدون بوابة يؤدي إلى الأقبية السفلية وقد دخلت هذه السيارة قبل صلاة الفجر من مكان ليس متواجد فيه أشخاص لأنه يدخل إليه أي شخص له علاقة بالأقبية وليس عليه أي حراسة، ويمكن أن تدخل معه السيارات أو سيارات المقاول المسئول عن صيانة وإصلاحات الحرم الشريف، وبهذا تمكن الجناة من إدخال زادهم الذي هو مريس التمر وقد تمكنوا من إدخال بقية الأسلحة بأن جعلوها في نعوش مغطاة على هيئة الجنائز أحضرت للصلاة عليها وهي أسلحة مميتة كالرشاشات المتنوعة ومنها صناعة شرقية وصناعة غربية وبنادق معروفة وقديمة مستعملة في البلد إلى جانب المسدسات وكان من بين هذه الفئة الباغية عشر نساء واثنا عشر صبياً وقد وجد بعض من لهم علاقة بأبواب الحرم أنهم ساعدوا هذه الفئة الباغية في تسهيل دخولهم إلى الحرم كما وجدت بعض الذخيرة وقطع السلاح القليلة في بعض سياراتهم الموجودة قرب الحرم، ولما أن دخلوا تمكنوا من استعمال مكبر الصوت يلقون فيه ضلالهم.

وفر إمام الحرم محمد بن سبيل مستخفياً بفنيلة وسراويل قصير لينجو بنفسه حتى تمكن من الهرب من الحرم بنفسه وجعلوا يتلون على الأمة الواجمة من شدة الهول قصة المهدي وما توحيه إليهم غوايتهم واستعملوا الكثير من إطلاق النار على أهداف وبدون أهداف وكانوا رماة مدربين فيلتقطون جندي الحكومة من مسافة بعيدة وارتكبوا أعمالاً وخيمة في حرَم الله أمام بيت الله.

(١) سورة الحج، آية ٢٥.

موقف الحكومة السعودية

لما جرت تلك الفوضاء وقام أعداء الله بتلك الأعمال التي تشمئز منها قلوب المؤمنين وتنكرها فطر المؤمنين جعلت الحكومة منذ بداية دخولهم الحرم بهذه الصفة تدعوهم إلى أن يسلموا وتؤكد لهم أنهم سيؤمنون وسيكونون آمنين إذا سلموا أنفسهم وألقوا السلاح.

فطلبت الحكومة من سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى أن يوجه لهم كلمة إرشاد ونصيحة وفعلاً سجلت وأذيعت عليهم مرات بأن يستسلموا، وبين لهم خطأهم وما هم عليه من الوجهة الدينية والدنيوية، كما حاولت الحكومة عن طريق بعض نسائهم أن تدعوهم للاستسلام حتى يحقنوا دماءهم ولكنهم لم يستجيبوا بل استمروا في غيهم وأن يقاتلوا إلى آخر لحظة ثم صعدوا إلى سطوح الحرم وجعلوا فرش الحرم متاريس يختفون خلفها وركبوا الرشاشات والبنادق والمسدسات واستهدف أناس من أفراد قوات الحكومة لما اندفعوا لتخليص الحرم من هذه الشرذمة الفاسدة لرصاص أولئك الخوارج، وكانت الحكومة قد بعثت إلى العلماء سؤالاً في شأنهم وانتظرت إلى ما بعد مغرب اليوم الأول حتى صدرت الفتوى في شأنهم فأصدر صاحب الجلالة خالد بن عبدالعزيز أوامره وحضر وزير الدفاع سلطان بن عبد العزيز وأمير مكة فواز بن عبد العزيز لمعالجة الموقف واستدعيت جميع القوات من الجيش من الحرس الوطني ورجال الأمن وتأزمت الأمور.

وقام أولئك الأشقياء يطلقون النار خارج الحرم حتى رجال الإسعاف الذين أتوا لإنقاذ المصابين لم يسلموا من آذاهم وانقطعت الصلاة في الحرم الشريف، وقد وضح وزير الداخلية نايف بن عبد العزيز أنه كان بإمكان قوات الأمن القضاء على الفتنة خلال ساعات قلائل لولا حرص القيادة وعلى رأسها جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وولي عهده على سلامة البيت وسلامة أرواح المسلمين الأبرياء وكانت

القوات قد اندفعت على الفور وتقدموا بالرشاشات ولم يعلموا ما كان عليه أولئك الطغاة بحيث جاءهم وابل الرصاص من فوق وكان اندفاعهم حرصاً على الفوز بتطهير المكان المقدس ومنهم من يؤثر الشهادة في سبيل الله فسقط من جنود الله خمسة وستون قتيلاً وجرح مائتان ولما أن دخلت القوات في الحرم الشريف انقطع عنهم الزاد بحيث أن أولئك الطغاة قاموا في المنائر يطلقون النار على الأمة برها وفاجرها فلا يستطيع أحد الدنو من المسجد الحرام غير أن أهالي مكة عملوا حيلة لإيصال الأغذية إلى القوات وذلك بواسطة عربات يحملون فيها الطعام مغطاة يدفعها الصبيان كأنها من القمام بحيث توصلوا إلى المقصود وهذا من باب التعاون على البر والتقوى وبذلت الحكومة أسباباً لهلاك البغاة بحيث أطلقت مدافع الهاون على إحدى المنائر التي كانوا فيها فدخلت القنبلة في وسط المنارة ولم تؤثر فيها لقوة المنارة ومناعتها فاضطر البغاة إلى النزول إلى الأقبية بحيث ترصد لها رجال قتلوا أربعين منهم، ولما أن دخلوا في الأقبيلة أرسلت عليهم الحكومة الماء وأسلاك الكهرباء ليتمكنوا من القبض عليهم أحياء فاستفادوا من الماء شرباً ونقبت عليهم سقوف الأقبية لإسقاط القنابل عليهم غير أنهم كانوا يتلقونها ببراميل مملوءة بالماء فيبطل عملها.

معجزة غريبة

مما جرى من العجائب وحماية الله لبيته أن أحد أولئك الأشقياء وقف أمام الحجر الأسود وجعل يطلق النار على المسلمين لعلمه أنه لا يصوب عليه السلاح وهو في ذلك الموقف، فخرج مخلوق على هيئة الهر الأسود من فجوة حجر إسماعيل التي تلي باب الكعبة وجعل يواثبه في وجهه ورقبته ويخدشه حتى طرده عن ذلك الموضع، نقله إلى أسماعنا شهود العيان الحاضرون.

ثم أنه بعد عشرة أيام طلب الدفاع أن يمنح حرية التصرف للقبض عليهم أو قتلهم فنزلوا يحملون أكياس الرمل أمامهم وهم خلفها برشاشاتهم حتى تم القبض

على (١٧٠) منهم وأعدم خمسة وثلاثون وكان من الذين ألقي القبض عليهم رئيس الفتنة جهيمان بن محمد قد طالت شعور وجهه ورأسه كأنه متصف بصفة الأسد.

ولما قُبض عليه جعل يفتخر ويعتزي بقوله لو بقي معي رصاصة واحدة لما استطعتم الدنو مني واستمر يهاجم بكلامه السيئ وبأفعاله القبيحة، قال الله تعالى في حق هؤلاء وأمثالهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[1] وقال جل ذكره: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[2] أما بقية الأشقياء فقد اختفوا في السراديب وهلكوا فيها ووجدوا جثثاً هامدة ثم أنه وزع على مدن المملكة السعودية ثلاثة وستون مجرماً قتلوا بالسيف منهم رئيس الفتنة جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي واثني عشر معه أعدموا أمام باب السلام ضرباً بالسيف في أعناقهم.

وهذه الفئة غالبها من السعودية ومنها أفراد من الكويت ومصر والمغرب واليمن الشمالي واليمن الجنوبي وباكستان ومن ضمن الذين قتلوا في الأقبية مهديهم المزعوم وقد ادعى هذا الدجال بأن الأرض ستخسف بالقوات التي تحاصره.

وبعد التحقيق ثبت أن لا صلة لأي دول أجنبية بالحادث ثم إنها جاءت البرقيات من سائر المملكة أفراد وأسراً وأمراء وانهالت على الديوان الملكي تستنكر وتهنئ بإبادة الفئة الباغية وتبين حقيقة مشاعر المسلمين وشجبها للعدوان الأثيم ثم إنه بعد تطهير المسجد وتنظيفه فتحت أبوابه للمسلمين مساء يوم الخميس ١٧ محرم بعد انقطاع ١٧ يوماً تعطلت الصلاة وقال صاحب السمو وزير الداخلية نايف بن عبد العزيز أنه لا يمكن معاقبة الأطفال الذين اشتركوا مع آبائهم لأنهم كانوا مجبرين من آبائهم، أما النساء فسيقدمن للقضاء ليحكم في مصيرهن.

---

(١) سورة الكهف، الآيتان ١٠٣ و١٠٤.

(٢) سورة فاطر، آية ٨.

وانتهت هذه الفتنة وأخزى الله القائمين بهـا، أمـا خطـبهم الـتي ألقوهـا حـال دخولهم الحرم التي تتضمن المهدي وأحاديث فلا حاجة إلى وضعها وقـد مـر خمسـة وثمانون فرضاً وجمعتان لم تؤد صلاتها في المسجد الحرام.

إمارة عبد الإله بن عبد العزيز في القصيم

ففيها في ١٦ جمادى الأولى قدم سمو الأمير عبد الإله بن عبد العزيز أميراً على منطقة القصيم وأظهرت الأمة فرحها واستبشارها به وأقيمت حفلات بهذه المناسبة في مدن القصيم في البكيرية والرس وعنيـزة والقصـيعة والغمـاس وخـب ضـراس والمريدسية والمذنب والربيعة والشماسية وغيرهـا ودعيـت لـذلك الأمـة ببطاقـات ورفعت الزينات ووضعت القهوة والشاي وأنواع المرطبـات في كـل حفـل فكانـت ساعات زاهرة في القصيم ورجوا خيراً بإمارة الشاب عبد الله.

إمارة مقرن بن عبد العزيز بحائل

قامت مدينة حائل باستقبال أميرها الجديد مقرن بن عبد العزيز وأعلنوا الفـرح وأنواع الاستبشار لقدومه وأقيمت لـه احتفـالات في مـدن حائـل وقـراه مظهـرين زيناتهم وصفقت مدينة حائل وأعلنت فرحها بهذا الأمـير الشـاب الـذي هـو مـن سلالة الملك عبد العزيز ورجوا خيراً بإمارته.

كما أن مدينة تبوك قامت باستقبال أميرها الجديد عبـد المجيـد بـن عبـد العزيـز وأعلنت فرحتها واستبشارها به وبقدومه نسأل الله تعالى لهم التوفيق والتسديد وأن يجعل هؤلاء الأمراء الأفاضل لتلك المناطق لدليل على اعتناء الحكومة بها.

انتشار الإسلام

انتشر الإسلام في كوريا الجنوبية بحيث اعتنق ثلاثة عشر ألف كـوري في كوريـا الجنوبية دين الإسلام خلال ٢٥ عاماً وهم يفاخرون اليوم بـأن لهـم مسـجداً مهيبـاً أقيم في عام (١٩٧١م) على قطعة أرض أهداها الرئيس مجاناً بفضل هبة من المملكة

العربية السعودية وليبيا قيمتها خمسمائة ألف دولار ويجري حالياً بناء مسجد آخر في ثاني أكبر المدن الكورية بفضل هبة قيمتها أربعمائة ألف دولار تبرع بها رجل أعمال ليبي.

وكذلك جرت معارك في ١٩ جمادى الأولى من هذه السنة غرب أفغانستان سقط منها سبعون جندياً سوفيتياً وأتباعهم ودمر المجاهدون أربع دبابات كما قتل المجاهدون في هذه السنة أيضاً ستمائة جندي حكومي وثلاثة عشر مستشاراً سوفيتياً فلله الحمد على نصرة المسلمين.

غرق سفينة

في هذه السنة غرقت سفينة تحمل (٩٨٠) راكباً في الفلبين بسبب اصطدام، فهلك معظم الركاب وهلك متاعهم ولم يسلم إلا جزء يسير منهم.

وفيها دعا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله رئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة والرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إلى مد يد المعونة والمساعدة للمسلمين الأفغانيين وبذل ما يعينهم على جهاد أعداء الإسلام ويمكنهم من أسباب النصر عليهم.

وقال أنه لا مانع من صرف الزكاة عليهم وتعجيلها وإخراجها لهم قبل وقتها ودعا الله أن ينصر دينه ويعلي كلمته وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان وساق الآيات والأحاديث في الحث على التبرع.

فقامت الأمة بالتبرعات التي كانت كالسيل المنهمر بالألوف وعشرات الألوف فمنهم من أعلن اسمه ومنه باسم فاعل خير وتسابقوا وقد تلقى صاحب السمو الملكي أمير الرياض سلمان بن عبد العزيز رئيس الهيئة العامة لاستقبال تبرعات المحسنين للمجاهدين في الأفغان بلغت أول دفعة ملايين من النقود أما الكسوة والفرش فقد انسدت المساجد منها وقد نشط المجاهدون وأعلنوا أنهم استولوا على

عاصمة إقليمية في أفغانستان وأبادوا قوة قوامها ستة آلاف جندي واستولوا على دبابات وسيارات مدرعة وخمسة آلاف قطعة سلاح وأسقطوا سبع طائرات هليوكبتر عسكرية سوفيتية وأعلنوا أنهم لن يلقوا السلاح ما دام هناك جندي سوفيتي واحد في أفغانستان بالرغم من تجهيزات روسيا وإمداداتها لكابول وقد رفض المجاهدون التفاوض مع حكومة كابول الشيوعية وقد انضم إلى المجاهدين أربعة عشر جندياً سوفيتياً وثلث الجيش الأفغاني انضموا لصفوف المجاهدين واستطاعوا أن يغلقوا خلال أسبوع واحد الطريق بين كابول وباكستان وقد تعرضت القوات السوفيتية لنكسات خطيرة في إقليم بلمياك في شمال غرب كابول.

حادثة غريبة وكائنة عجيبة

لما كان في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف انفجرت عين بلايادي الكائنة في الموضع الشمالي الواقع في الجهة الغربية الشمالية عن مدينة حائل تبعد عن حائل بمائة وتسعين كيلومتر وكان هذا الموضع آهلاً بالسكان من البادية وفيه قصور زراعية ومركز إمارة.

وكانت هذه البئر في بداية أمرها حفرها رجل يدعى سليمان بن موضي الرفدي من عنزة وكان ماؤها عذباً قراحاً فعنّ لصاحبها أن يعمقها في أواخر هذه السنة (١٤٠٠هـ)، وبينما الحفار في الحفر إذ انفجرت فيها مادة غريبة حامضة مالحة متبخرة فتوقفوا عن الحفر وأخذوا يقلبون ذلك المتبخر من العين وعكفت الأمة على البئر ورأت الخليقة أن فيها شفاء من كل داء فكان أول ما استعملوه لجرب الإبل ثم بعد ذلك أقبلت عليه الخلائق من كل فج عميق من الحجاز والشام والعراق والكويت والبحرين وسائر الخليج ومن الناحية الشمالية والجنوبية وسائر المملكة السعودية وكان ذلك الموضع في أرض مستوية صحراء واسعة مترامية الأطراف فنصبت الخيام فيها تتخللها السيارات التي ملئت تلك الجهة حتى لكأنها خيام الحجاج بمنى.

وقام صاحب العين على الماسورة فخرقها وجعل فيها عشرين لياً ممتدة على الأرض وكل لي يقدر بطول أربعين متراً كل منها مشغول ولو شئت لقلت بعضها بطول خمسين متراً بالزام ممتدة من كل جهة ورفع ماسورة تصب في جابية للسباحة فكانت الخليقة تغتسل على السواء وتدلك أجسامها في تلك الجابية واختلط الحابل بالنابل فلا ترى إلا عراة ليس عليهم سوى ما يستر سوأتهم والماء يصب عليهم من أعلى واختلط الأبرص بالأعمى والأصم والمقعد والأجرب وكل ذي عاهة على السواء يغتسلون في تلك الجابية الضيقة وجعل للرجال ساعات معلومة كما أن للنساء ساعات أخرى.

ونظمت الجيكات والبراميل إلى تلك الليات فمن يملأ الإناء أو الجيك فكأنه نال الشفاء، ومن الناس من يأخذ بيديه ماء ويدلك به جسمه وازدحموا زحاماً لم يكن له مثله ولا على بئر زمزم وسول للعالم أن ذلك الماء صالح لجميع الأمراض سواء كانت جلدية أو جوفية يشربون ذلك الماء ويتداوون به من كل علة كالبرص والجذام والشلل والعرج والصمم والعمى وغير ذلك.

ويروي بعضهم لبعض ما رآه من الشفاء نتيجة استعمال ذلك، ومنهم من ينادي دعوا الصيدليات واتركوا المستشفيات والأطباء فقد أنزل الله الشفاء، ورأيت رجلاً واقفاً على سيارة دودسن وهو ينادي بأعلى صوته هلموا إلى العافية هلموا إلى الشفاء، وذكر أنه جاء من مدينة جدة وهو أعمى أصم وأبكم ومقعد فاغتسل ثلاثة أيام من هذا الماء وشفاه الله، وجرت أمور تضحك العقلاء أشبه بها بخرافة، وجرت حالة يعجب لها وكان رجال الشرطة يحجزون بعض الناس عن البعض خشية أن يهلكوا وروي أن بعض الأجواد طلب شراءها من صاحبها بقيمة باهظة ليكون له الفضل والإحسان وينال درجته التي اختصه الله بها ولكنه أبى، بل يكن ذلك في موازين حسناته.

وفيها في ٢٥ شوال الموافق ٤ سبتمبر أيلول عام (١٩٨٠م) ميلادي وقعت

الحرب بين العراق وإيران وقد مرّ عليها ثمان سنوات، ولم تضع الحرب أوزارها، وكان ذلك بعد مرور حول وستة شهور من بعد ما دعى الخميني ثلاثمائة من أعيان الدول لحضور الاحتفال بمرور سنة ولعيد الثورة في ربيع الأول من هذه السنة.

وفيها أعلنت رئيسة وزراء الهند (أنديرا غاندي) أنها مصممة على القضاء على الفوضى وذلك في حديث لها بعد يومين من أعمال الشغب التي لقي خلالها ١٠٥ أشخاص مصرعهم، وقالت في خطاب لها من القلعة الحمراء في دلهي القديمة بمناسبة يوم الاستقلال أن العنف والفوضى ينتشران عبر البلاد وأنه يبدو أن هناك مؤامرة عميقة الجذور لتنظيم أعمال الشغب احتجاجاً على كل موضوع سواء كان مهماً أو غير مهم بهدف منع أداء الحكومة لمهامها في يسر يتعين علينا القضاء على الفوضوية بأي ثمن.

وفي هذه السنة منحت رئاسة تعليم البنات ألفاً وتسعمائة موظف وموظفة في تعليم البنات العلاوات والمكافئات التشجيعية.

أما ما كان عن اليهود وتعسفاتهم فإنهم ضيقوا في الضفة الغربية وقطاع غزة على أهل فلسطين الخناقة وعقدوا عزمهم على أن لا يخرجوا من القدس وهذا مما يدمي الكبد ويبعث الأحزان وسنورد مأساة حزينة وذلك أنه لما دخل المسجد الأقصى جلالة الملك المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن وكبر لصلاة تحية المسجد كان الحاج أمين الحسيني حاضراً فأنشد هذا البيت أمام الملك عبد العزيز غفر الله لهما:

المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه

وهذا مما يندى له الجبين أن يكون ثالث الحرمين والقِبلة الأولى للمسلمين فريسة لليهود ولا يوجد من يحرره اللهم ابعث لدينك ناصراً وأظهر الهدى ودين الحق الذي بعثت به نبيك على الدين كله اللهم دمر الكفار والمنافقين الذين يصدون عن سبيلك ويبدلون دينك ويعادون أوليائك الموحدين اللهم خالف بين

كلمته وشتت بين قلوبهم واجعل تدبيرهم في تدميرهم وأدر عليهم دائرة السوء وأنزل عليهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم المجرمين، اللهم اشدد عليهم وطأتك وارفع عنهم يدك ومزقهم كل ممزق ودمرهم تدميراً.

قال الدكتور حسن نصيف هذه القصيدة التي صاغها بمناسبة الجريمة التي ارتكبها جهيمان وأصحابه في المسجد الحرام:

الله أكبر ضج البيت والحرم ... وهزَّ أم القرى في الفجر مضطرم
عصابة أقبلت والشر باعثها ... وتدعي الدين جل الله والقيم
أيجعل الدين ببيت الله مذبحة ... وهل من الدين ترويع الملا ودم
وهل من الدين ضرب الآمنين به ... وفيهم الطفل والمسقوم والهرم
تصايح الناس في خوف وفي جزع ... واخالداه فلبى الصوت معتصم
وقال للجند لا ترموا ولا تصبوا ... إن سلم القوم كان الخير والسلم
وإن تولوا فإن الله ناصركم ... وانسوا التريث صارت لاءنا نعم
فأنزل الله جنداً من ملائكة ... ومزق الله شمل الجمع فانهزموا
وقفت بالمسجد المحزون أسأله ... أين الطواف وأين الركن يستلم
وأين أصوات أذان في مأذنة ... وأين زمزم تسقي كل من سقموا
قد كان أحمد في المحراب ما انقطعت ... فيه الصلاة ولم يتركه ملتزم
هل قدر الآثمون اليوم ما فعلوا ... وهل دروا كيف يجزي الله ما اجترموا
فمن أراد ببيت الله مظلمة ... فالله خاذلهم والله حسبهمو
يا رب قد صنت هذا البيت من قدم ... في عام فيل وكان الكفر والصنم
واليوم نبلى بهذا الهول من فئة ... ودينك الحق كل الأرض تنتظم
هل أنت يا رب تدعونا لموعظة ... هل نحن حدنا وهل يا رب نتهم
هل أنت تدعو إلى عود وتذكرة ... لشرعة الحق أن قد ضلت القدم
يا رب واحفظ ولاة الأمر واهدهم ... خير البلاد وبارك رب سعيهم
وفق أبا بندر للحق منطلقاً ... وحوله الفهد والأرواح والعلم

وفي هذه السنة تكشفت الأوضاع عما تبيته اليهود للعرب من أنها تستعد لطرد العرب من بلاد فلسطين وتسعى لتهجير السكان وإخراجهم من منازلهم وتسعى أيضاً لتهويد الأراضي الفلسطينية وتعرضت مدينة الخليل لتصعيد خطير في سياسة الاستيطان التي تقوم بها سلطات العدو ففي ١٧ جمادى الأولى من هذه السنة قامت قوات العدو تحاصر مدينة الخليل، فقامت أربع مدن عربية في الضفة تضرب احتجاجاً على القرار اليهودي بتوطين اليهود في مدينة الخليل وقامت مظاهرات من عرب فلسطين ضد هذا القرار، وبما أن مجلس الأمن أصبح آلة في يد اليهود تصرفه كيف شاءت، فلا فائدة منه للعرب.

تنبيه: ذكرنا إعدام جهيمان و(٦٢) من رؤوس الفتنة، وذلك في اليوم ٢١ من صفر عن أمر ملكي مبني على فتاوى العلماء وقد وزعوا على ثمان مدن في المملكة ليتعظ بهم من تسول له نفسه شراً والسعيد من اتعظ بغيره وقد نشرت أسماؤهم ومن أي البلاد كانوا.

ولما أن هلك رجال على الطائرة العسكرية بالقرب من مطار المدينة تأثر الملك خالد لذلك المصاب ونشر جوابات يعرب فيها عن ألمه البليغ بفقدهم، وقال: لكننا محتسبون وصابرون لقضاء الله وقدره، ولا رادّ لقضائه وإننا نسأله تعالى أن يجعلهم في عداد الشهداء البررة وفي جنات الخلد والنعيم، ونتوجه بعزائنا ومواساتنا القلبية إلى أسر وذوي هؤلاء الشهداء في كلام طويل جواباً لقائد الحرس الملكي عبد الله البصيلي، وقد أمر بمكرمة لأسرهم وذويهم وكان قد وجه إليه برقيات وإلى ولي العهد فيها الثناء عليهما نحو مواساة أسر أولئك الذين سقطت بهم الطائرة المذكورة وتأثر الملك خالد جداً.

كما أنه تفضل بتوجيه كلمة سامية لأبنائه أفراد القوات المسلحة والحرس الوطني تقديراً لإخلاصهم وتفانيهم في تطهير البيت الحرام، كما أن الشهداء الذين قتلوا وهلكوا في هذا الحادث جمعت لأسرهم التبرعات من الحكومة والشعب.

ولادة غريبة

ولدت امرأة إيطالية ستة توائم أربعة أولاد وبنتين بعد حمل لمدة ٣٥ أسبوعاً في الشهر التاسع ويتمتع التوائم جميعهم في صحة جيدة داخل الحاضنات، ويأمل الأطباء بقاء جميع التوائم على قيد الحياة، والله على كل شيء قدير والقدرة صالحة.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها في اليوم الخامس عشر من رمضان وفاة شاه إيران وكانت وفاته في الصباح المبكر في مدينة القاهرة، وهذه ترجمته، قالت إحدى الجرائد هو صاحب الجلالة الإمبراطورية الشاهنشاه اريا مهر وهذا اللقب من تعظيمات الأعاجم، وهو اللقب الرسمي لمحمد رضا بهلوي شاه إيران السابق ومعناه مالك الملك نور الأولين ولا ريب أن هذه مبالغة نهى عنها الشرع الشريف، ولد في طهران ٢٦ تشرين الأول أكتوبر عام (١٩١٩م) وأصبح ولياً للعهد عندما بلغ السادسة من عمره عام (١٩٢٥م) باسم رضا شاه تلقى تعليماً عسكرياً عالياً قبل أن يواصل دراسته في سويسرا بين (١٩٣١م) إلى (١٩٣٦م) ثم التحق بالكلية الحربية في طهران ثم عينه والده مفتشاً عاماً للجيش وهو في العشرين من عمره بضغط من روسيا وإنكلترا تنازل الأب عن العرش وتوِّج محمد رضا وتزوج عام (١٩٣٩م) بالأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق ملك مصر السابق وأنجب منها بنتاً ثم اختلفا بسبب سيطرة والدته وأخته التوأم الأميرة أشرف وانفصلا وفي ١٦ أيلول عام (١٩٤١م) أدى اليمين أمام مجلس النواب ليجلس على عرش كسرى الذي يرجع إلى ألفين وخمسمائة عام باسم محمد رضا بهلوي، وفي التاسع عشر من تشرين الثاني نوفمبر (١٩٤٨م) طلق زوجته الأولى فوزية.

أول مشكلة كبيرة في فترة حكمه، وهي من مخلفات الحرب العالمية الثانية ثورة إقليم أذربيجان الشمالي الذي يحتل الاتحاد السوفيتي جزءاً منه حين بدأت الحركة

وظهرت بوادر شعور الدول الكبرى بالقلق قاوم وشن هجوماً من قصر جولستان وهو بناء ضخم جدير بليالي ألف ليلة وليلة، واستطاع تحقيق نصر في ١٦ كانون أول سبتمبر (١٩٤٦م) بدخول قوة عسكرية إيرانية إلى إقليم أذربيجان الإيراني، وفي عام (١٩٤٩م) نجا من محاولة اغتيال أصيب خلالها بخمس رصاصات لم تسبب خطورة على حياته وفي عام (١٩٥١م) تزوج من الأميرة ثريا أصفذيادي الإيرانية التي كان يُكن لها عاطفة قوية.

الأزمة الكبرى الثانية كانت مع حكومة مصدق الذي قرر تأميم البترول والحد في صلاحيات الشاه وقصرها في المهام الدبلوماسية والبروتوكولية فقط كما ينص دستور (١٩٠٧م) أسفر عن مقاومة الشاه لإجراءات مصدق فوضى عامة بلغت قمتها في آب أغسطس (١٩٥٣م) حين اجتاح المتظاهرون طهران وأحرقوا صور الشاه وحطموا تماثيله، وفي ١٦ آب أغسطس اضطر إلى اختيار حياة المنفى لفترة قصيرة في إيطاليا إلى أن تحرك الجيش وأطاح بمصدق بمساعدة أمريكية وعاد الشاه في ٢٢ آب أغسطس إلى طهران وفي ١٦ نيسان إبريل (١٩٥٨م) طلق زوجته ثريا، وفي عام (١٩٥٩م) تزوج الأميرة فرح ديبا للحصول على ولي العهد فأنجبت أربعة أولاد هم الأمير رضا قورش ولي العهد في ٣١ تشرين الأول أكتوبر (١٩٦٠م)، وكان قد أبرم مع الولايات المتحدة معاهدة عسكرية في آذار مارس (١٩٥٩م) وفي عام (١٩٦٣م).

تفجرت أزمة داخلية جديدة للإصلاح الزراعي وكان للفئات الدينية دور لذلك ألقي القبض على آية الله الخميني ونفي إلى تركيا ثم إلى العراق ثم توج إمبراطوراً في أبهة كبيرة اشتهرت على مستوى عالمي عام (١٩٧٠م) تشرين الأول أكتوبر وتعاقبت الاضطرابات في مختلف المناطق وخاصة طهران فتصدى لها الشاه بيد حديدية فازدادت طباعه حدة ووصل الفساد إلى القصر وأجهزة البوليس السري السافاك، وقد أثار نظام الحرب الواحد في آذار مارس (١٩٧٥م) وتشدد

الدكتاتورية اعتباراً من علم (١٩٧٧م) مظاهرات قمعت بعنف، ومنذ (١٩٧٨م) أخذت الفئات أمام الموقف في الشارع الإيراني بعد اضطرابات كان أبرزها يوم الجمعة الأسود الثامن من أيلول سبتمبر من ذلك العام وفيها قتل في طهران وحدها أكثر من ٧٠٠ قتيل وأثر ذلك توقف شحن البترول وحدث اختناق اقتصادي وفشلت محاولة تشكيل حكومة عسكرية ولم يحظ هذه المرة بمساعدة أمريكا فاضطر إلى مغادرة البلاد في السادس عشر من كانون الثاني (١٩٧٨م) إلى مصر فالمغرب فجزر البهاما فالمكسيك فالولايات المتحدة ثم أعلنت الجمهورية الإسلامية في الثاني من نيسان إبريل (١٩٧٩م) ثم مرض فنقل إلى مستشفى كورنيل بنيويورك ثم نقل منه إلى مستشفى المعادي في القاهرة وتم استئصال طحاله، وفي موسكو إذيعت وفاته في مصر بعد بذل علاج له في مصر وقدوم طبيب ماهر أمريكي على متن طائرة بوينج تحمل أربعة عشر صندوقاً بها أجهزة طبية، لكن حالته الصحية خطيرة جداً بحيث تضخم طحاله إلى خمسة أمثال حجمه، وكان قد قضى ١٨ شهراً في المنفى بعدما حكم في إيران التي بلغ عدد سكانها خمسة وثلاثين مليوناً، وقد مات وهو مطارد وفي طوال هذه المدة وحكام إيران يطالبون بحضوره ومحاكمته لاسترداد الثروات التي يزعمون أنه أخذها هو وأسرته ويستثمر أمواله في الخارج.

وممن توفي فيها من الأعيان

الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته، هو الأديب الأريب الشاعر العربي الشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل، ولد عام (١٣٣٠هـ) ببلدة الخرج بنجد وتعلم القرآن بوطنه، وأجاد قراءة القرآن وعمره تسع سنوات ثم رحل إلى الرياض، وأخذ بعض العلوم الدينية على بعض المشائخ ثم سافر إلى مكة المكرمة والتحق بالمعهد العلمي السعودي فيها مع زملائه الأساتذة حمد الجاسر وعبد الكريم الجهيمان وظل في المعهد حتى حاز الشهادة وكان يدرس على بعض العلماء في الحرم المكي بعض الكتب المطولة إلى نهاية (١٣٥٣هـ)،

وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد اللطيف وعن الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وقد تقلد عدة وظائف حكومية وهي قضاء رابغ طيلة عام (١٣٥٤هـ) ثم تولى قضاء الطفير بالحجاز من غرة محرم عام (١٣٥٥هـ) إلى أواخر عام (١٣٥٩هـ) ثم تولى قضاء الدوادمي.

وهو من الأدباء المعروفين بجودة الشعر وحسن الأسلوب وقد طبع له عدة قصائد في الرثاء والمناسبات ومر في هذا التاريخ جملة منها بحيث يبلغ مجموعها ديواناً، وممن أخذ عنه المترجم محمد بن عثمان الشاوي، كان دائماً يلهج بذكره ويترحم عليه ورثاه بمرثية في سنة وفاته، كما أنه رثى الشيخ عبد الرحمن بن قاسم والشيخ سلمان بن سحمان والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وكان وجيها لدى الحكام وذا حظ منهم وتولى وظيفة التحقيق بديوان المظالم ووظيفة التحقيق بوزارة الداخلية، وكان له مجالس ممتعة يتعاطى في الأدب إضافة إلى ذلك أنه عالم فقيه وذو عقيدة ومعرفة وكثيراً ما تنتدبه الحكومة ليمثل ديوان المظالم في مهام الأمور.

وقد أحببت أن أورد قصيدة له رثائية قالها بمناسبة وفاة الشيخ محمد بن خنين، حيث قال: الحمد لله وحده والصلاة على عبده ورسوله، أما بعد فهذه أبيات رثائية قلتها لما فجعت بأحد أخواني المحبين من طلاب العلم وهو الشيخ الفاضل التقي الأريب محمد بن عبد الله الخنين المتوفى في عام (١٣٥٤هـ) نوّر الله عليه ضريحه وأسكنه جنته الفسيحة بمنه وكرمه، وهذا نص ما قلت وأنا الفقير إلى مولاه محمد بن عبد العزيز آل هليل:

رضا وصبراً على قدر الباري ... إذ كل شيء لدى الباري بمقدار
لا يخطئ المرء حقاً ما أصيب به ... وليس يوماً عليه عكسه جار
كل ابن أنثى وإن طال الزمان به ... لا بد مرتحل عن هذه الدار
ما للأنام مفر عن منيتهم ... ولا امتناع بحجاب وأستار
فكل نفس لكأس الموت ذائقة ... إلا الذي جل عن شبه وأنظار

أوعـظ الـنفس لمـا جـاء في خـبر | أذاب قلـبي مـع نقـال أخبـار
إن الفتى طاهر الأخلاق قـد سفحت | لفقـده مقـل كالهاطـل السـار
محمـد نجـل عبـد الله مـن حسـنت | حقـاً سـجيته فسـل بـه دار
شـخص جـني ذكـي نـال معرفـة | شـخص تقـي نقـي لـيس ذا عـار
علـى الصـفا ووفـا وحسـن معتقـد | وتـرك فحش ومـا يـزري بـه الـزار
يرجـى لـه الفـوز إذ قـد كـان متصـفاً | بـالخير مقتـدياً بفعـل أخيـار
وآهـا القلـب عليـه أضـحى ملتهبـاً | واهـاً لـدمع عليـه سـافح جـار
سـقى المهـيمن قـبراً حلـه كرمـاً | بغيـث عفـو مـع الرضـوان مـدرار
والله يسـكنه يـوم الجـزا غرفـاً | بـدار خلـد بجنـات وأنهـار
ألا فيـا عـامر الـدنيا رويـدك لا | تغـررك زينتهـا وانظـر بأفكـار
تـرى مصـارع أقـوام بهـا صـرعوا | كـانوا فبـانوا ولم يقضـوا الأوطـار
فـلا تكـن معجبـاً صـافي ببهجتهـا | فـإن مـدتها كلمـح أبصـار
والمـوت حقـاً فـلا تنسـى بـه كربـاً | مـا بـين حشـرجة تـأتي وأسـكار
فنسـأل الله لطفـاً ومغفـرة | والقـرب منـه وإبعـاداً مـن النـار
والحمـد لله رب العـالمين علـى | مـا قـد قضـاه مـن السـرا وأضـرار
ثـم الصـلاة علـى المختـار سـيدنا | وصـحبه خـير أصـحاب وأنصـار
مـا سـحّ دمـع ومـا حمامـة صـدحت | تبكـي هـديلاً علـى أفنـان أشـجار

وقال الشيخ راشد بن صالح بن خنين مترجماً ورائياً للمترجم في يوم الأحد الموافق ٢٦ من ذي القعدة (١٤٠٠هـ) رزئنا بوفاة صاحبنا وصديقنا الشيخ الأديب الوقور محمد بن عبد العزيز بن هليل عن عمر يقرب من السبعين أسكنه الله فسيح جنته بفضله ورحمته، وقد درس مبادئ أصول الدين والعقيدة السلفية على يد والده الشيخ عبد العزيز إمام وخطيب المسجد الجامع بالقرية المسماة (العذار) التابعة لبلدة الدلم في منطقة الخرج ثم سافر إلى الرياض وأخذ العلم بها عن عدة

مشائخ منهم سماحة شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ثم سافر إلى مكة مع الطلبة الذين اختيروا إذ ذاك للدراسة بالمعهد السعودي بمكة المكرمة ودرس به حتى تخرج منه مع دراسته بالحرم المكي الشريف على عدة مشائخ منهم الشيخ محمد بن عثمان الشاوي والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة والشيخ محمد البيز وغيرهم.

ثم عين قاضياً ببلدة رابغ ثم نقل على درجة رئيس محكمة إلى الظفير بمنطقة غامد وزهران ومنها نقل إلى محكمة ساجر ثم إلى محكمة الدوادمي التي قضى بها أكثر من عشر سنين، ومنها انتقل إلى ديوان المظالم محققاً شرعياً ثم مستشاراً شرعياً على مرتبة رئيس محكمة حتى بلغ سن التقاعد.

وقد أعيرت خدماته أثناء عمله بديوان المظالم لحكومة قطر للعمل في تمييز الأحكام الشرعية، وقد عرف في جميع أعماله التي تولاها بالتثبت والحكمة والروية مع تحري العدل والحرص على الوصول إلى الحق مع اتصافه بالأدب والتواضع وحُسن المحادثة رحمه الله وعفا عنه وله شعر كثير في المناسبات والرحلات والرثاء وغير ذلك، ولعل أحد أبنائه يقوم بجمعه وترتيبه وطباعته ولقد تأثرت لوفاته تأثراً بالغاً ورثيته بالأبيات الآتية:

كل البرية للفناء مصيرها ... لا فرق بين رعية أو سيد
والكل يلقى في القيامة سعيه ... يجزى به من صالح أو من ردي
فالمخلصون مخلدون بجبه ... والمشركون لهم عذاب سرمدي
إن المصائب في الحياة كثيرة ... لكن قبض العلم داء المقتدي
والعلم يقبض إذ تموت رجاله ... أهل القران مع الحديث المسند
إن المصيبة أن تكون بعالم ... يبكي لها أهل النهي والسؤدد
إذ أنها الرزء الكبير لأمة ... ترك الفراغ بثلمة لم تسدد
فالقلب يحزن والدموع مهيلة ... نبكي على فقد الأديب الأمجد

أكـــرم بـــه عـــالم ذي هيبـــة ... عــف اللســان مــؤدب عــف اليــد
شــغل القضــاء بحكمــة ورويــة ... وتأمـــل في المـــدعى والمقصـــد
نظـــر المظـــالم دارســـاً ومحققـــاً ... قصــد الوصــول بدقــة للمعتــدي
ذي همـــة وعزيمـــة وترفـــع ... عمـــا يشـــين العـــالم أو مبتـــدي
أشـــعاره مملـــوءة بنصـــائح ... وعقيـــدة تحكـــي صـــفاء الـــورد
ذي بســـطة في علمـــه وبجســـمه ... ذي خفـــة في الـــروح غـــير مفنـــد
زيـــن المجـــالس إذ يبـــوح بنكتـــه ... فيهـــا الجـــواب لصـــحبه أو يبتـــدي
أعـــني بـــه شـــيخ الهليـــل صـــاحبي ... فـــاجبر مصـــابي في الصـــديق محمـــد
كـــم مـــرة شـــاركته أطروحـــة ... لنقـــي بهـــا عنـــا همـــوم المجهـــد
كـــم مـــرة قـــال الرثـــاء بعـــالم ... والآن يرثـــى والبقـــاء للموجـــد
قـــد زرتـــه فـــوق الســـرور ممـــدداً ... يشـــكو الضـــنى متألمـــاً بتنكـــد
بعـــد البشاشـــة والفكاهـــة عاقـــه ... ثقـــل اللســـان عـــن الجـــواب المفـــرد
أسمعتـــه صـــوتي فهمهـــم داعيـــاً ... لـــي بـــالثواب وممســـكاً مـــني يـــدي
ودعتـــه متكـــدراً في لوعـــة ... والمـــوت يرقـــب واقفـــاً بالمرصـــد
ذاك اللقـــاء هـــو الأخـــير وأرتجـــى ... جمـــع النعـــيم مـــن الإلـــه الأوحـــد
يـــا رب أعظـــم أجـــره وثوابـــه ... واجعـــل لـــه في القـــبر أفســـح مرقـــد
أولاده أوصـــي وأنصـــح مخلصـــاً ... متواصـــل وتعـــاطف وتـــودد
يـــا رب أصـــلح شـــأنهم وتـــولهم ... واحـــمِ الجميـــع مـــن الغـــواة الحســـد
ثـــم الصـــلاة مـــع الســـلام علـــى الـــذي ... فضـــل الخليقـــة في الحيـــاة وفي غـــدِ

هذا كلام صديقه وخاصته، وقد باح بما لديه من ألم الفـراق فإنـا لله وإنـا إليـه راجعون، اللهم اغفر للمترجم.

ونعود إلى بقية الترجمة، كان المترجم طوالاً فوق الربعة ممتلئ الجسم قـد أعطـاه الله بسطة في الجسم أسمر اللون مهيب الطلعة ذا شخصية بارزة حتى ليخيل إليـك

إذا رأيته أنه من الأسرة له عينان كأنهما لسانان شهباوان ويلبس أحسن الكسوة ويفضل الغترة على رأسه والمشلح الأسود تجلوه الابتسامة دائماً، وكان متواضعاً جداً مع ما منحه الله من الرفعة.

وأقول إخلاصاً للتاريخ كأنه لم ير مثل نفسه ويتعاطى الأدب ونعود إلى مواقفه ومؤهلاته، فقد جاء متظلم إلى الشيخ محمد بن إبراهيم بصفته رئيس القضاة يشكو قاضياً ويتظلم وأغلظ في التظلم، ويمكن أنه صادق فجعل الشيخ يسترجع ويقول كفانا الله شرَّك وما وسعه إلا أن كتب معه كتاباً إلى الإمام الأعظم فيصل بن عبد العزيز لينظر في مظلمته، فدعا جلالة الملك فيصل بالرجل وقال له اسمع بأني سأقيم لجنة مكونة من ديوان المظالم ومن رئاسة القضاء، ومن المالية فإن كنت مظلوماً فسأفصل القاضي فصلاً، وإن كنتَ كاذباً فوالله لأؤدبن بك الجن والإنس، هل أنت قادم على ذلك فأجاب بأنه مستعد، فأقيم ثلاثة أعضاء من الرئاسة والمالية وديوان المظالم، وكان المترجم أحد الأعضاء يمثل ديوان المظالم، وكان ذلك ليلة الثاني العشر الأواخر من رمضان، وقد طلبت اللجنة تأجيل القضية إلى ما بعد رمضان لمشقة الصوم والقيام فصدر الأمر بأن يسيروا إلى مهمتهم في الوقت نفسه فلما قدموا مدينة بريدة مروا في طريقهم على مسجدنا وصلوا معنا التراويح وأخبروني أنهم جاءوا لهذه المهمة، ولما أن جلسوا لها وجدوا هذا البائس مظلوماً بعد التحقيق واستعراض المسألة فرأوا أن يصلحوا بينه وبين خصمه بقدر من المال ستة آلاف ريال تدفع للمظلوم وأن ينهوا المسألة خشية على القاضي فرضي الفريقان لأنها تثبت إدانة القاضي ورجعوا ثم كلموا صاحب الجلالة بإنهاء القضية، فقال أخبروني عن الواقع فقالوا لا نخبرك بل أنهينا المسألة وخلص المتظلم ففهم الملك فيصل وأمضى اقتراحهم بشرط أن المتظلم قد خلص من قضيته. وقام هذا القاضي مرة بالإنكار باليد على أناس من الجنود يشربون الدخان علناً فاجتمعوا عليه بعد نزاع وضربوا القاضي فرفعت المسألة إلى أعتاب جلالة الملك

فيصل فبعث لذلك لجنة مكونة من الأمن ورئاسة القضاء وديوان المظالم، وكان المترجم هو المبعوث يمثل ديوان المظالم، وكنت قد حضرت التحقيق مع المعتدين فكان هو الذي يتولى ذلك فرأيت معه حكمة وله هيبة ترج المعتدين وبعد التحقيق معهم أفراداً ثبتت إدانتهم فصدر الأمر بجلد كل واحد منهم ثلاثين جلدة وأخذ التعهد عليهم أن لا يمدوا أيديهم مرة أخرى وهكذا كانت الحكومة تنتدبه ضمن المحققين.

ومن نكته أن بعثته الحكومة ضمن الأعضاء للنظر في مشكلات في الشمال الشرقي من المملكة، فلما أن هبطت بهم الطائرة في العاصمة قام الأمير فيها وسيرهم في سيارة وانيت ليحلوا تلك المشاكل في القرى وكانت الطرق رملية وربما غرزت لهم السيارات لأنها تعبانة فينزلون يدفونها فصاغ أبياتاً تصور الموضوع، ثم علق في آخرها أنهم رجعوا بطائرة مريحة وكيف أن الله منّ برجوعهم على متنها بعد ذلك:

أمن بعد كنفير ونيت وقرنبع ... يسرج بنا في سيره ويقرقع
ونيت دنيٌّ في المسير مخبط ... كأن به مساً من الجن يصرع
فطوراً بأعلى الحزم ينزو فينطفي ... وهندله في أنفه ليس ينزع
وطوراً مع البطيء يبقى مغرزاً ... فنحثوا نجافي الرمل عنه وندفع
فيزداد بالتغريز في الرمل راسباً ... فنخشى عليه الرمل يطغى فيبلع
هنيئاً مريئاً سائغاً في ابتلاعه ... وذو العرش ينجينا وللشر يدفع
ومن فضله كان الإياب بطائر ... يحلق في جو السماء ويرفع
وخير المطايا ما يسرك سيره ... وينجز في طي الطريق ويسرع
وما كل مركوب مريح لراكب ... ولا كل ظهر للمهامة يقطع
من الله نرجو العفو واللطف والرضا ... وفضل إلهي بالمواهب أوسع

وله قصيدة نونية عظيمة في شأن هذه الصناعات التي وفرت للناس مصلحتهم

ولا سيما الطائرات ويصور فيها ركوبهم الطائرة وما فيها من القوة والمناعة وكيف سخر الله العظيم بقدرته ذلك الحديد ويصف إقلاعها وهبوطها باستخدام مادة الكهرباء الذي وفر للناس مصالحهم فمن أبياتها قوله بعد أربعة أبيات:

إذا محركها اشتدت صواعقه ... يكاد ينصم منها سمع آذان
باسم الإله ركبناها مسخرة ... تسخير مقتدر خلاق أكوان
توجهت تعبر الجو الرفيع بنا ... أمضى وأسرع من منقض عقبان
مرت على الطير مرتاعاً ومنذعراً ... ما بين مندهش منها وحيران
مثل الشهاب يرى في الليل منطلقاً ... وراء مسترق للسمع شيطان
بنا مضت وتعالى الله حاملنا ... في البر والبحر تكريماً بإحسان
حتى إذا شاهدت أعلام موقعها ... ترنحت ونحت قصداً بإمعان
فتأتي منصبة إليه هابطة ... فتجري دراجة من فوق ميدان
فترسوا مثل رسو الفلك ثابتة ... الله أجرى وأرساها بإمكان

إلى آخرها وهي حسنة طويلة رنانة لولا خشية الإطالة لأتينا بها.

ولما مرض اشتد به المرض تحولت صحته إلى ضعف ونحول كذا وصف حالته نجله سعد بن محمد غفر الله لهما، ولما أن نعيت لنا وفاته وقد كان صديقاً وصهراً وابنة الأخت تحته قلت فيه هذه المرثية لعلها تشفي غليلاً وتعزي مجروحاً وذكرنا فيها شيئاً من مناقبه:

على علم أمسى فقيد الحبائب ... نريق دموعاً من حلول النواكب
به قد أحاطت من أوامر ربه ... طوارق قد أودت به للمعاطب
وما المرء إلا عرضة لكوارث ... إذا أخطئت هذي فليس بهارب
أمور قضاها حاكم ومدبر ... وما من قضا الرحمن منجا لهارب
عنيت به ذا العلم ابن هليل ... محمداً المعروف في كل صائب
وحبراً به عبد العزيز أتى الورى ... فأكرم به شهماً وأنعم بصاحب

إذا قيل من للمعضلات يحلها ويحكي عويصاً من فنون الغرائب
ومن لفنون العلم يبلغ شأوها ومن يرتجى من بعده في النوائب
أجابت فنون العلم حبر سميدع تغرد في علم يفوق لحاسب
وذاك أبو المغوار ومن كان عارفاً بحكمة تدبير وكشف الغياهب
أجل يا أبا المغوار مالك صامتاً وقد كنت منطيقاً وأعظم واثب
عهدتك لا تبقي لصاحب حجة بقول فصيح ماهر في التجارب
تفوق على الأقران في غض نعمة وعيش رغيد راتعاً في المآرب
ينادون في الهيجاء ابن هليل وغصنك مياد وأعظم دائب
فما بال هذا الطود أمسى مهدماً عليلاً كئيباً شأنه كل مسالب
كأن لم يكن بالأمس نبراس حكمه يعود على الأحباب في كل طائب
فأين التداوي من دعاة مهارة لتكشف من أرزائنا كل صائب
أما كان في التمريض كشف لغمة ودفع الأوهام ودرء المعاطب
فما بالها أردت كريماً وسيداً وطيح به صخراً صريع المصائب
ولكنه أمر الإله وحكمه فعدت جماداً لا تجيب لنادب
خرجت من الدنيا كريماً معززاً بذكر جميل حائز للمراتب
مضيت عن الدنيا سليماً من الأذى نزيهاً من الأسواء وكسب المعائب
مضيت إلى رب جليل وغافر ونرجو لك الزلفى بيوم المصاعب
ليهنك ما قدمته من محاسن وما سجل التاريخ في رق كاتب
عليك سلام الله يا خير راحل ويا خير مفقود بخير المناقب
وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصطفى المبعوث من نسل غالب
وآل وأصحاب هداة أجلة وأتباعهم في الهدي من كل ذاهب

ومن توفي فيها علي بن معارك رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته: هو الأديب الأريب ذو الأخلاق والمكارم المعاشر المبتسم البشوش العاقل الرزين علي بن عبد

الله بن إبراهيم آل معارك، ولد عام (١٣٣٠هـ) ونشأ في أحضان والده المؤدب المعلم إمام مسجد ماضي في بريدة فمسقط رأس المترجم في مدينة بريدة عاصمة القصيم، وبما أن والده عبد الله لديه مدرسة أهلية فإنه انضم إلى والده لتعلم القراءة وحروف الهجاء، ولم تطل أيام والده بحيث أن توفي في عام (١٣٣٧هـ) بذلك الوباء العظيم.

ويدعى ذلك العام بسنة الرحمة عند العامة، وهلك بسببه خلق كثير في نجد والعراق والهند والإحساء وما يلي الخليج العربي، فأخذ في الدراسة على علي بن عبد العزيز الحوطي صاحب مدرسة أهلية في بريدة، لأن الأيام لم تمكن المترجم من الأخذ عن أبيه لوفاته بعد ولادة المترجم بثمان سنوات تقريباً، وكان أديباً قارعاً للشعر النبطي والعربي وله أخ أسن منه وهو الشيخ عثمان العبد الله المعارك تولى القضاء مدة من الزمن وتوفي عام (١٣٩١هـ)، ويمتاز المترجم بأنه دمث الأخلاق وطلق المحيا بشوش وقد نال وظيفة في الجهة الشرقية من المملكة وخدم حكومته وأمته ومن شعره قوله يمتدح وطنه بريدة ويذكر أيامه التي عاش فيها بصباه، وما آلت إليه في الأيام الأخيرة من الرفاهية والتقدم وحب الوطن من الإيمان:

بريدة قد تاقت إليك مشاعري	وطاب لنا ذكر من رياضك والربا
بريدة ما أغنى تراثك إنني	فخور ومشتاق إلى مرتع الصبا
بريدة شمس في القصيم منيرة	لقد شاهد الزوار ما كان أعجبا
معالم الدار ذكراها لمفخرة	لكل فرد لها قد كان منتسبا
أعني بريدة قد ضاءت معالمها	وغرد الطير في أجوائها طربا
فيها المشاريع والعمران قائمة	والبعض منها قريباً صار مرتقبا
أما الشوارع قد شاقت لناظرها	ثم الظلام اختفى من بينها هربا
تمتاز بالري والأشجار يانعة	تؤتي الفواكه والرمان والعنبا
والباسقات بقنوان مثقلة	من كل عذق طري يجتني رطبا

في جـرـدة الســوق خــيرات منوعـــة — يلقــى بهــا كـــل مبتــاع لمــا طلبــا
وفـــاض إنتاجهـــا ممـــا تصـــدره — لكــل قطــر مــن المحصــول مــا جلبــا
قــرى القصـــيم ومـــا يتبعـــه أجنحـــة — أنعــم بهــا مسـكنا للضـيف قــد رحبــا
كـــذا الصـــباخ ووهطـــان وأخبيـــة — مــع الــبطين غزيــر المــاء قــد عــذبا
شـكراً جـزيلاً لمــن أسـدى فضـائله — رب العبــاد والــذي للخــير قــد وهبــا
ثـــم الصـــلاة علـــى المختـــار ســيدنا — مـــا ضــاء بـــرق لوبـــل مـــاطر ســكبا

وله شعر جميل يمتدح فيه الدار والسكان ويشكو نزوحه إلى ديار الغربة وفـراق الوطن.

وكان شيقاً حبيباً لبيباً مأمون الشر عشراً لا يمل حديثه نزيهاً بشوشاً وإنا لنـدعو له ونترحم عليه ونسأل الله له المنزلة العالية في الجنـة، وكـان مـن جيراننـا في بيـت والده الذي هو أقرب الجيران من بيتنـا، وكـان ينتـاب وطنـه للزيـارة، وفي إحـدى زياراته لبريدة سقط من السيارة فأصيبت إحدى قدميه بكسر.

وفي هذه السنة توفي على إثر انقلاب سيارة كان فيه حتفه، وهكذا الدنيا هموم وأحزان ومصائب في المال والأنفس والثمرات، قـال الله تعـالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾(١) وبالجملة فإن الـدنيا دار مـن لا دار له، ومنزل من لا منزل له، ولها يجمع من لا عقـل لـه ولله در القائـل حيـث يقول في وصفها:

ومن صحب الدنيا على جـور حكمهـا — فأيامـــــه منكـــــودة ومصــــــائب
هــي الضـلع العوجـاء لسـت تقيمهـا — إذا ســر فيهــا جانــب ســاء جانــب

وقد وصف العقلاء حالة ابن أدم في هذه الحياة وأنه مهـدد بـالآلام والمصـائب

---

(١) سورة محمد، آية ٣١.

والمخاوف كرجل فر من عدو واختفى في أعلى بئر عن عدوه، فحانت منه نظرة إلى أسفل البئر فإذا في أسفلها ثعبان عظيم فرجع إلى قدميه اللتين قد اعتمد عليهما وهل هما متوثقتان من طي البئر وإذا قد خرج من حوالي كل قدم حية تريد أن تنهشه إن غفل عنهما وكان بأعلى البئر شجرة لها أغصان فشد بيديه على غصن منها ليكون سبباً يتعلق به عند الحاجة والضرورة فإذا جرذ يقرض به فوقف متحيراً لا يأمن من الحيتين إلى جانبه أو يسقط على ما في أسفل البئر، فإن تعلّق بالغصن فلا يأمن أن ينكسر به لعبث ذلك الجرذ به فبينما هو كذلك حانت منه نظرة فإذا عسل يقطر من بين حجرين أمام وجهه فأخذ يلعق العسل ونسي ما هو فيه من الأهوال نسأل الله تعالى السلامة والعون على ما نحن فيه.

وفيها وفاة الشيخ عبد الرحمن بن دخيل رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته، هو الشيخ الزاهد الورع الفقيه القاضي في لينه عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان بن دخيّل بتشديد الياء من النواصر من بني تميم ووالدته من الجمالة أسرة معروفة، ولد في بلدة المذنب عام (١٣٠٨هـ) وكان من بيت علم وصلاح فنشأ نشأة صالحة، وأخذ عن والده الشيخ عبد الله الذي كان مقصداً لطلاب العلم في بلد المذنب.

ثم أنه بعد وفاة والده رحل إلى مدينة بريدة فأكبّ على طلب العلم بين يدي الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وبين يدي الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأخذ عن الشيخ عبد العزيز العبادي، وكان طلاب العلم إذ ذاك يسارعون إلى مزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر وأخذ عن الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، وأخذ عن الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن فداء كما أنه أخذ عن الشيخ صالح العثمان القاضي، وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن مانع وكان من زملاء الأخ الشيخ عبد الرحمن بن عبيد بن عبد المحسن ثم سافر إلى الرياض للأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وعن الشيخ محمد

بن عبد اللطيف وجدّ واجتهد ونافس في طلب العلم وقد عينه الشيخ عمر بن محمد بن سليم مرشداً وخطيباً وإماماً في هجرة الأرطاوية عام (١٣٤٤هـ) ثم نقل إلى هجرة الصفراء عام (١٣٤٦هـ) وبعد ذلك إلى غمرة من قبيلة الأسلم ثم إلى العظيم ثم إلى قضاء لينه.

وكان طلق المحيا متواضعاً بشوشاً رزيناً عاقلاً كثير التبسم عليه سيما الديانة والعلم وكان في إقامته بالعظيم يتجول في القرى التابعة لها ويعظ ويرشد فيها وفي حال قضاء لينه يدرس ويعلم في المساجد ونال محبة من الجميع له في سائر تقلباته وتنقلاته ولما بلغ من العمر ثلاثاً وسبعين عاماً أحيل على المعاش وذلك في عام (١٣٨٢هـ) فرحل إلى هجرة العظيم وسكنها وألقى عصا التسيار فيها حتى وافاه أجله المحتوم فيها متفرغاً للعبادة مقبلاً على شأنه وللمترجم أخوة من بينهم محمد وسليمان وعثمان الذي هلك شاباً في مدينة بريدة، وله ذوق عظيم في طلب العلم، وقد أشرنا إلى وفاته في (١٣٤٦هـ)، وقد خلف المترجم عقباً من الذكور.

وفيها في ذي الحجة أصيبت حكومة الجزائر بهزات أرضية أي زلزال شديد وكان الموضع المصاب منها مدينة الأصنام، فتهدمت مساكن كثيرة، وأصيب مائتان وخمسون ألفاً ما بين قتيل وجريح، وقد قامت الحكومة الجزائرية بالدركتورات والشيولات لانتشال الجثث، فحصلت على ألوف من الجثث وتوالت الهزات عليها، وقد بعثت الحكومات مساعدات عظيمة من النقود لهذه الكارثة.

وفيها في يوم عيد الأضحى خطب معمر القذافي خطبة شنع فيها على السعودية باستخدام الطائرات في مِنى وعرفات، وزعم أنها طائرات أمريكية يجب الجهاد المقدس لذلك، لأن الحجاج تحت احتلال أمريكا، هذا ما أملاه عليه علمه.

وقد شنعت عليه السعودية بالردود وأجلبت عليه بالجرائد ضده، وكذبته الحجاج بافتراءاته حتى أن الحجاج الليبيين كذبوا مقالته وما زعمه، ولكنه تصدى لحجاج ليبيا حينما رجعوا فاعتقل ١٢ ألف حاج ليبي يحقق معهم ويعذبهم

ويناقشهم، وكان القذافي على ما فهمه منه أهل المعرفة والسياسة متدهور ولا يتقيد بما يعود عليه بالذم وسوء التدابير، وفي كلام الحكمة قول الشاعر:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العلياء كل مكان
ولربما ظفر الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان

ولو أن المسلمين تركوا السباب فيما بينهم وأعرضوا عن نيل التنقيص في أعراض الآخرين وصرفوا جل وقتهم وزمنهم في التفكير فيما دهى فلسطين من القتل والتدمير وما وصلت إليه الحالة في لبنان وانتهاك حقوق الإنسان من الفتك والتدمير وإراقة الدماء وهتك الأعراض وما أصيب به الإسلام والمسلمون من ملاحقة دين الإسلام للقضاء عليه والتنكيل بأهله لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً.

فهذا جزء من المسلمين يقتلون ويصلبون في الصومال وأمة يرغمون على خلع الإسلام والتهود أو التنصر وجزء يؤخذون بالتهم وتوجيهها إليهم فيعذبون بأنواع التعذيبات التي لا تثبت لها صم الجبال ولا الحديد ونسي هؤلاء الذين يسبون إخوانهم ويقعون في أعراضهم ما هم فيه لو عقلوا ولكنما أخبر به الهادي الذي لا ينطق عن الهوى وقع ولا محالة حيث يقول: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين» فيا لهذا التفكك ويا لهذا التخاذل ويا لغربة الإسلام بين ظهراني أهله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ونسأل الله تعالى السلامة والعون على ما نحن فيه.

إقامة حدائق في مدينة الدمام (١٤٠٠هـ)

ففي هذه السنة قامت بلدية مدينة الدمام ببذل جهود كبيرة في تحسين مستوى البيئة والنواحي الصحية والترفيهية في المنطقة من رصف وإنارة وتشجير شوارع

المدينة بالإضافة إلى إنارة الشوارع وتشجيرها وإنشاء حدائق عامة في كل حي من أحياء مدينة الدمام إضافة إلى الحدائق الموجودة حالياً مع بذل جهود بتزويد معظم الحدائق بمختلف الألعاب وتنظيف الشواطئ البحرية التي يؤمها الناس، كما أن مشتل البلدية يقوم بتزويد المدارس ورياض الأطفال، وكذلك الأفراد بالشتلات التي يحتاجونها للزراعة وتقوم البلدية بالاتصال مع مختلف الجهات الحكومية ذات العلاقة بهدف التنظيم والتنسيق وتوصيل مختلف الخدمات لكافة المواطنين.

إنشاء وحدات لمياه القطيف

اجتمعت لجنة لتنقية مياه المجاري بالقطيف والقرى التابعة لها ولتحسين صحة البيئة بالمنطقة الشرقية برئاسة المهندس عبد الرحمن محمد الشهيل مدير عام الشؤون البلدية والقروية ورئيس لجنة صحة البيئة بالمنطقة الشرقية، كما وافقت اللجنة على إنشاء وحدات لتنقية مياه المجاري في مدينة القطيف، وقد تم تزويد هذه الوحدات بوسائل ومعدات حديثة تذيب الروائح ويمتصها فور إلقائها في مياه البحر دون أن تشكل أي خطورة وذلك للمحافظة العامة.

بدء العمل في طريق الجنوب

بدأ العمل في صيانة طريق أبها ظهران الجنوب لما كان في ٣/ ١ من هذه السنة ثم استلام مشروع الصيانة العادية لطرق أبها وخميس مشيط ظهران الجنوب نجران ومتفرعاتها والذي تشرف عليه إدارة الطرق في أبها ويبلغ إجمالي طول هذا المشروع (٤٠٤) كيلومتر.

افتتاح مركز لتحفيظ القرآن الكريم بالجبيل تدرس جمعية الجبيل الخيرية بالتعاون مع المكتب الرئيسي للشؤون الاجتماعية بالمنطقة الشرقية وكانت الجمعية العمومية التي عقدت في شهر رمضان الماضي قد أوصت مجلس الإدارة على تنفيذ المشروع انطلاقاً من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.

عمارة مطار الرياض الدولي

كان مطار الرياض الدولي آية من آيات الله بحيث وضع ٣٦ عقداً لتنفيذ ١٢ ألف مخطط وضعت في (٣٦) ألف صفحة من المواصفات واستغرق عمله أكثر من (٢٢) ألف ساعة استغرقها العمل في وضع تصاميم المطار الجديد و(١٢) ألف عامل في المشروع ويبلغ عدد القوى العاملة حالياً (٧) آلاف عامل، وكانت بداية التخطيط في سبتمبر عام (١٩٧٤م) وكانت مساحته الكلية (٢٢٥) كيلومتراً وتكاليفه الإجمالية من أحد عشر ألف مليون ريال، وكان بحجم مدينة في وطن ويشتمل على فندق من (٥٠٠) غرفة ومطعم رئيسي لتقديم الخدمات وهو مدينة سكنية من (٣٩٠) فيلا ووحدة وشقق سكنية ومدارس تسع (٦٠٠) طالب ومسجد فخم على الطراز الحديث ومجمع ترفيهي يشتمل على حمامات سباحة وملعب تنس وجولف وكرة قدم.

واتسعت في هذه السنة ١٢ جمادى الأولى (١٤٠٠هـ) إلى طاقة تسع ثمانية ملايين راكب وخمسين مليون طن شحن جوي سنوياً، وكانت مساحة أرض المسجد تبلغ ألفاً وثلاثمائة وخمسة وتسعين متراً مربعاً فيها أماكن للوضوء وفصول للدراسة الدينية ومساكن لإقامة خادم المسجد، وحول المسجد فناء واسع مساحته ألف وثلاثمائة وخمسة وستون متراً مربعاً والمطار في وضعه الهندسي آية من الآيات وأقيم على مساحة أرض بلغت خمسة آلاف متر وأربعمائة وعشرة أمتار مربع تحتوي على حمامات سباحة خارجية وداخلية وصالات الجلوس وغرف لخلع وتغيير الملابس ودورات مياه، إلى غير ذلك من الأشياء الهندسية.

وفيها وقع حادث شنيع في بلدة المربع قرب مدينة المذنب بين سيارتين بويك وونيت راح ضحيته جميع ركاب السيارتين وهم خمسة، وذلك في صباح الأربعاء ٩/ ٥ وقد اشتعلت النيران في السيارة البويك، وحولت أصحابها الثلاثة إلى جثث هامدة مما تعذرت معرفتهم.

وتعرضت مدينة الرياض ليلة السبت ١٢/ ٥ لرياح انعدمت لها الرؤية الأفقية.

كما أن مدينة جدة تعرضت في يوم ١٠/ ٥ لعاصفة ترابية شديدة وتأثر طقس المملكة بعواصف ترابية في المناطق الشمالية والغربية ولا سيما تبوك، وكانت الرياح سموماً شديد الحرارة.

وفيها وفاة الشيخ عبد الله العجلاني، وهذه ترجمته: هو عبد الله بن علي بن عثمان بن علي العجلان من آل أبي عليان الأسرة المعروفة من بني معد من قبيلة تميم، وكان آل أبي عليان سكن كثير منهم ضاحية الصباخ من أعمال بريدة منهم السلامة والسلطان والعدوان والنصار والعرفج.

ولد المترجم في بلة الصباخ المعروف بفيحان عام (١٢٩١هـ) فنشأ في طلب العلم منذ صغره ونعومة أظفاره، فلازم الشيخ الزاهد محمد بن عبد الله بن سليم، والشيخ التقي عبد الله بن محمد بن فداء العالم الزاهد، وهو الذي أشار عليه بقبول هدية الحاكم عبد العزيز بن متعب بن رشيد وأن من الحكمة قبولها، لكن الشيخ ابن فداء رفض قبولها لترجح المصلحة ولما يتفرسه في قبولها رحمة الله عليهما.

وطلب العلم منذ صغره، حيث لازم الشيخ عبد الله بن محمد بن فداء، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم حتى وافاه اليقين فلزم ابن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وأخذ عنه علم العقيدة ومعرفة الرجال وأشياء من الفقه، ثم أنه رغب في طلب العلم والأخذ عن آل الشيخ في مدينة الرياض، فسار على قدميه في صحبة أناس من طلاب العلم منهم الشيخ سليمان بن عبد الله المشعلي في أناس آخرين، فأخذ عن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، وعن الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، وأخذ عن الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ، وكان الشيخ عمر بن حسن من زملاء المترجم، حيث كان يدرس على والده في أناس آخرين ثم أنه عاد من الرياض لما سمع بمرض والدته وتوفيت وهو في الطريق، فأخذ في الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم ولازمه كجملة الطلاب، ولما أن توفي الشيخ عبد الله بن محمد بن

فدا كلفه الشيخ عمر بن سليم بإمامة مسجد ابن فداء، وذلك لقربه من مسكنهم الذي يقع شرقاً عن المسجد المذكور جوار منزل راشد بن حميد الذي هو مؤذن المسجد فأمّ فيه حتى كبر عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله فترك الإمامة له وكان لما اشتكاه أشرار إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم مدعين بأنه متشدد في الدين أجابهم بقوله: الذي عند العجلاني هو نفس ما عندنا، فانقلبوا خاسئين، وكانوا يسكن هو وأهل بيته صيفاً في السباخ وفي الشتاء يرحلون إلى بيتهم في بريدة، وكان قوياً في دين الله لا تأخذه لومة لائم يصدع بالحق ولديه موالاة لأولياء الله ومعاداة لأعدائه، ولديه ميزة بين الرجال فيفرق بين الغث والسمين ويعرف المؤمنين من المنافقين.

وكان متمسكاً بالدين، وأي متمسك يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بيده ويصيبه في ذات الله أذى كثير، ولكنه صابر ومحتسب.

مثال ذلك أنه مرّ بشباب في طريقه وهو راجع من السباخ من آخر النهار وكان ذلك في وقت المغرب قد سهوا عن الصلاة وارتدوا ملابس الكرة، فتناول كرتهم ومزقها وانتهرهم فاجتمعوا عليه وضربوه، ولما جاء إلينا قمت بمساعدته بحيث ألقينا القبض على الذين اعتدوا على زاهدنا، وجيء بهم إلى هيئة الحسبة فصدر الأمر بضربهم وأخذ التعهد عليهم.

وصلى إلى جانبه شاب قد فاته ركعة من صلاة المغرب فرآه ينقر صلاته فأنكر عليه، غير أن ذلك الشاب قابله بكلام يجرح العواطف بحيث قال البعيد: أشغلتمونا بقول رسول الله ووالله لو خرج رسول الله لكنتم أول من يرميه بالحجارة، فتأثر رحمه الله وجاء إليّ في نفس المحراب بعد كلام المسيء غير أني لم أتمكن من المسيء، ولكني لعدم معرفة المترجم بالذي أبدى الوقاحة ألقيت موعظة بليغة على العموم الحاضرين وأقسمت بالله لو عرفته لأسيرنه إلى الجهات المسؤولة ذليلاً بعدما كان عزيزاً بعدما شرحت الموضوع أمام خمسة صفوف، وفي هذا إكمال المصلحة ليرتدع المجرم ويرتدع من على نحوه وكثيراً ما يتأثر من رؤية المناكر والمعاصي.

وكان مقلاً من الدنيا وزاهداً بها غير ساعٍ لتحصيلها ومجالسه معمورة بالذكر والمناقشات والبحث في التوحيد وترسيخ العقيدة والنهي عن الشرك والابتعاد عنه والتخويف منه ويلهج بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والسلفية ويبكي عند ذكره ويكرر الدعاء له والثناء عليه ويردد الأبيات التي قيلت في الثناء عليه، ويلقي عبارات الشيخ من كتبه ويلقي الأسئلة على دائريه ومجالسيه، ويفيدهم إذا لم يجاوبوا عليها وإذا تذكر آل سليم أثنى عليهم وبكى وأبكى من حوله لما يرويه عن حالتهم وتسمكهم بالعقيدة، وله ورد بالليل يحافظ عليه ويحتاط لذلك بحيث لا يجالس أحداً بعد صلاة العشاء الآخرة، وينتابه زواره في الضحى وبعد العصر في منزله من طلبة العلم والمشائخ، ولا يترك فرصة لمحدثه أن يتحدث في أمور غير ما يتعلق بالدين، وما زال كذلك حتى وافاه اليقين في ضحى يوم الاثنين الموافق ١٢/ ٤ من هذه السنة، ويحث مجالسيه على التمسك بالدين والعقيدة.

ولما توفي شيعه المسلمون إلى المسجد الجامع الكبير ببريدة، وأقيمت عليه صلاة الجنازة بعد الظهر في جمع كبير ثم شيعوه من الجامع إلى مثواه الأخير بحيث دفن في مقبرة الموطا الشمالية وترحم عليه المسلمون وبكاه أهل الدين والعقيدة ورثي بمراثٍ حِسان.

ومن صفاته أنه بارز في إظهار دينه ولا يداهن ولا تعجبه حالة بني الزمان التي تخالف ما كان عليه مشائخه السلفيون، فتجده لا يميل إلى الألعاب الرياضية لما ينشأ عنها من إضاعة الصلوات وخسارة الوقت، ولا سيما في الأسواق بحيث أنه قد يتأذى بها المسلمون ويتحرز من جميع محدثه في الدين.

وإن كان فيها مصلحة ويحث على التمسك بالدين، وقد خلف أبناء صالحين منهم محمد درس علينا من جملة طلاب العلم، وعضو في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعثمان، وهو أخرس ولكنه على جانب في محبة الدين وأهله والولاء والبراء، وإبراهيم توفي قبل وفاته بثمان سنين، وله أحفاد صالحون منهم علي بن محمد من جملة الذين درسوا علينا.

وفيها وفاة أمير البصر في منطقة القصيم محمد بن عبد الله بن سليمان بن محيميد من قبيلة الخوالد ولد في (١٣٣٠هـ) وكانت وفاته في ١٢/ ٩ وذلك عن إثر سكتة قلبية تقدمها التهاب يسير بحيث كان مؤدياً لإحدى زوجاته إلى المستشفى ببريدة، ولما رجع كان قد أحس من نفسه ملـلاً فطلب من ابنه الذي كان يقود السيارة به أن يقف عن السير وأخبره بما أصابه من التهاب، فطلب منه ابنه أن يأتيه بقارورة بيبسي غير أنه رفض لأنه كان صائماً وآثر البقاء على الصوم وقال ليس في ما تشير إليه، وكان متكئاً على يده اليسرى في المرتبة غير أن الابن ذهب مسارعاً وأتى إليه بالماء المعقم ماء الصحة، فلما جاء به إذ قد غطى وجهه وشخص بصره وأسلم الروح إلى فاطرها فأخفى ابنه وفاته على عائلته من وقت العصر، ومالوا به إلى أحد أقربائه بحيث جهزوه وجعلوه في مسجد، ثم بعثوا إلى الجامع وإلى أقربائه فصلوا عليه بعد المغرب وذهبوا به إلى مثواه الأخير.

وفيها حصلت فيضانات في الهند ذهب ضحيتها عشرات القرى وأنفس بشرية تعد بعشرات الألوف، وذلك في ١٣/ ٩/ ١٤٠٠هـ.

وفيها في يوم الثلاثاء ٩/ ١٠ احترقت طائرة سعودية تقل ٣٠٣ راكباً من جهات مختلفة، وهذا لما أقلعت من مطار الرياض فما كان غير قليل حتى انفجر في وسطها احتراق قضى بتعطيل أبوابها، وبعدما رجع بها الكابتن إلى مطار الرياض وقد كلم الإسعافات وحضرت لذلك تعوق فتح أبوابها فقضى ذلك بهلاك جميع ركابها.

وفيها تأسس نادي القصيم الأدبي في مدينة بريدة وتلقى نشاطاً ونهضة من أدباء الشباب، وخرج بعض المؤلفات وبعضاً من مطبوعات الأدب لما يحتوي عليه من الأدباء الناهضين بتلك البضاعة، وفيه نشاطات ثقافية وأدبية منها المحاضرات، فقد بلغت إلى شعبان من هذه السنة ثماناً وعشرين محاضرة أدبية وثقافية اشترك في إعدادها عدد من المثقفين وأساتذة الجامعات،

ومنها مطبوعات يقوم بها النادي بلغت في هذه السنة ١٧ كتاباً إلى غير ذلك، كما قد شهدت جميع الأندية في القصيم حركة ثقافية ورياضية وحقق المكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالقصيم مسابقات منها مسابقة حفظ القرآن الكريم ومسابقة صحف الحائط، كما قامت الحكومة بإنشاء الأستاد الرياضي الذي كلف مئات الملايين.

وفيها في أواخر جمادى الثانية هبت رياح شديدة على سائر القصيم، وذلك بعد المغرب من ليلة الجمعة ٢٨ من الشهر المذكور الموافق ١٠ نيسان - إبريل الحمل وسعد الأخبية بحيث توقفت السيارات عن مواصلة السير لشدة الغبار، والفترة التي لا تستطيع الأمة السير معها لما في ذلك من شدة الأخطار، وقد تأخرت الأمطار فلم تنزل إلا في آخر برج الحمل.

وفي هذه السنة قامت هيئة الإغاثة في رابطة العالم الإسلامي بجهود مكثفة لجمع المعونات لمساعدة اللاجئين التشاديين الذين تضرروا من الحرب الأهلية، وقد تبرع المحسن الكبير حسن عباس شربتلي بمبلغ مليون ريال تسلمتها هيئة الإغاثة، وألفين خيمة تم تأمينها وتجري ترتيبات شحنها للاجئين الذين يعيشون أسوأ الظروف في عدد من الدول المجاورة بينها السودان.

تطبيق أحكام الشريعة

إنه لا قول لأحد مع قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، حيث يقول: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، ثم أقسم لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ولما كان حكم الشريعة نافذاً على الشريف والوضيع فإن حكومة جلالة الملك تنفذ الأحكام الشرعية كما يقول تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ

﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ﴾[1] وإنها لمفخرة عظيمة، كما علّق على ذلك فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد في يوم الأربعاء ٨ جمادى الثانية من هذه السنة رداً على الحملات الإعلامية ضد الإسلام والمملكة، هذا ونحن نشير إلى ما قام به جلالة الملك خالد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن من تحكيم الشرع والتحاكم إليه، وفي هذه الأيام تتمتع المملكة السعودية بالرفاهية ورغد العيش تحت تدابير جلالته بأمن وطمأنينة، قال أحمد الغزاوي يمتدحه:

إمام الهدى بشراك إنك خالد ... بما أنت تحبوه وما أنت تصلح

بك ازّينت في الأخشبين مشاعر ... بها الحج ميسور وبها الرفد يمدح

بحيث اطمأنت بالحجيج مضاجع ... وسالت بهم جمع وكبر أبطح

أجل شهدوا بين المحصب من مِنى ... وفي عرفات كل ما ضاق يفسح

جبال ازيلت واستوت وتمهدت ... ومن حولها أعتى الجسور تسلح

بها كل حزن عاد سهلاً معبداً ... وفيها دماء البدن لله تسفح

هم ها هنا الإسلام طرا بأسره ... وكل امرئ منهم نجواك يشرح

أفاضوا وللنعمى عليهم سرادق ... من الله والرضوان رحل مزحزح

وقد رجموا الخناس من كل جانب ... فأطرق ولا يغوي ولا يتبجح

وفيها وقع حريق في نجران الكائن بجنوبي المملكة، وذلك في ثاني عشر شعبان، وهذا رابع حريق يقع بمنطقة نجران هذا العام، وقد التهمت النيران سبعة آلاف نخلة، واستمر منذ عشر سنوات من بدايته، وقد فرَّ أهالي القرية يلجأون إلى قمم الجبال حتى اليوم الثاني من هذا الحريق الأخير خوفاً من النيران، وقد تقدم في السنة التي قبلها حرائق في مدينة الرياض وما أصيبت به مِنى في حريق الموسم عام (١٣٩٥هـ).

---

(١) سورة النساء، آية ١٣٥.

وفيها قام رئيس الجمهورية اللبنانية إلياس سركيس وأبلغ غسان تويني مندوب لبنان الدائم لدى الأمم المتحدة تفاصيل الاعتداءات الإسرائيلية الأخيرة على الجنوب اللبناني، وطلبت الحكومة منه إجراء اتصالات عاجلة مع الدكتور كورت فالدهايم السكرتير العام للأمم المتحدة ومع رئيس مجلس الأمن لإطلاعهما على هذه التفاصيل.

ومن ناحية ثانية اجتمع كامل الأسعد رئيس مجلس النواب اللبناني يوم ١٨ محرم من هذه السنة مع حليم فياض محافظ الجنوب في لبنان، وقد أبلغ المحافظ كامل الأسعد على الوضع في الجنوب، ومن جهة أخرى دعا رئيس مجلس النواب اللبناني أعضاء التكتل النيابي المستقل للاجتماع صباح يوم الحادي والعشرين من محرم لمتابعة مناقشة مقررات القمة العربية، ولكن الأمور تأزمت جداً في لبنان وعجزت الأمة عن حل القتال الكائن في لبنان.

وختمت هذه السنة بالنظر في أعمال الرئيس المصري أنور السادات في تصرفاته ضد الأمة العربية واتفاقية (كامب ديفيد) بحيث لم تقره ذوو العقول والآراء باعتبارها خروجاً عن الإجماع العربي، وقال عنها أمين عام رابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد بن علي الحركان أنها غير موافقة، وقال إن موضوع فتوى الأزهر قد عرضت على المجلس التأسيسي للرابطة في دورته التي عقدت، وأكد أن الضمير العام العالمي يجب أن يقف موقفاً حازماً لإعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وإعادة المقدسات إلى أهلها.

وقد عارض الملك حسين بن طلال ولم يرض اتفاقية (كامب ديفيد) وقطعت الحكومة السعودية علاقاتها الدبلوماسية والسياسية مع مصر، وذلك اعتباراً من اليوم السادس والعشرين من جمادى الأولى من السنة المتقدمة؛ لأن السادات دمج نفسه مع اليهود وخرج على الإجماع العربي، وعلى كل الموروثات والقرارات والتقاليد العربية والإسلامية.

ثم دخلت سنة (١٤٠١هـ)

ففيها في ١٣ صفَر قام الشيخ عبد الله بن حميد رئيس المجلس الأعلى للقضاء في المملكة العربية السعودية بنصيحة ثمينة ودعا العراق وإيران إلى وقف نزيف الدماء بينهما والعودة إلى الكتاب والسُّنة النبوية في تحكيم خلافهما المتأزم.

وقال في حديث خاص بالجزيرة: لا شك أن من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن التعاون على البر والتقوى؛ لأنه يوجب على المسلمين إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال البِرّ التي تنفع الناس أفراداً وجماعات في دينهم ودنياهم، فجميع بني آدم لا تتم مصالحهم في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر على جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم على كل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضارّ عن أنفسهم.

كما نهاهم مؤكداً هذا الأمر بالنهي عن ضده وهو التعاون على الإثم بالمعاصي وكل ما يعوق عن البر والخير من العدوان الذي يغري الناس بعضهم ببعض ويجعلهم أعداء متباغضين يتناحرون فيما بينهم ويتقاتلون بدون سبب بيِّن يقتضي ذلك أن العراقيين والإيرانيين لو رجعوا إلى كتاب ربهم وسُنة نبيهم وحكمهما في كل شيء فاستراحت نفوسهم واطمأنت ضمائرهم من هذه الحروب الطاحنة وسفك الدماء وتخريب الديار، وأشار بأنه لا يستفيد من ذلك إلا أعداء الإسلام، وأطال وحثّ على الاعتصام بحبل الله جميعاً، وأن لا يتفرقوا وأورد الآية الشريفة ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2] وأفاد بأنه إذا ذهب الدين ضاعت الرئاسة وأن الدِّين

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٢) سورة الشورى، آية ١٠.

الإسلامي يأمر بالاجتماع والتكاتف، وأطال جداً ولكن هذه النصيحة ذهبت أدراج الرياح، وكانت صرخة بوادٍ خالٍ من البشر بل صممت إيران على ما هي عليه من الحرب والتخريب وسفك الدماء، هدى الله الجميع.

وفيها في ١٤ محرم قام الملك خالد بن عبد العزيز بزيارة مطولة للمنطقة الشرقية استمرت عشرة أيام، وقد أعلن أمير المنطقة سمو الأمير عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي عن سروره البالغ بالزيارة، وقال: لقد تعودنا من جلالته القيام بمثل هذه الزيارات التي تحقق المزيد من الخير والرفاه إلى أبناء المنطقة. وقد أقام الأمير عبد المحسن حفل عشاء كبير على شرف صاحب الجلالة الملك خالد المعظم يوم الأحد ١٥ محرم دعا إليها الأهالي، وحضر لذلك الأمراء والأعيان وسائر الأمة، كما قام أهالي المنطقة الشرقية حفل عشاء يوم الأربعاء ١٨ محرم تكريماً لجلالته وتبارى الشعراء والخطباء بكلمات الترحيب والفرحة.

وقد قام الملك خالد خلال تلك الأيام بزيارة لمنطقة الجبيل الصناعية؛ حيث قام بافتتاح قاعدة الملك عبد العزيز البحرية، وقام بزيارة لمنطقة الإحساء، وقد توافد أمراء وشيوخ المنطقة الشرقية على مكتب أمير المنطقة الشرقية يعربون عن فرحتهم وسعادتهم بهذه الزيارة الميمونة التي قام بها الملك خالد بن عبد العزيز، وكانت قد أقيمت هناك الزينات وأقواس النصر في الميادين والشوارع الرئيسية ورفعت أعلام المملكة على البيوت والمباني هناك محتفظين بحله وترحاله.

ذكر زيارة الملك للقصيم سنة (١٤٠١هـ)

كان سمو أمير القصيم قد طلب من الملك خالد في آخر السنة الماضية زيارته للمنطقة، فواعدهم بالزيارة في أوائل هذه السنة، ولما أن كان في أواخر شهر محرم قام أهالي القصيم يستعدون بالزينات وأقواس النصر، ونصبت الدراويز والأعلام في طريقه من الرياض وما يتخلل الطريق مثل جلاجل حيث كان يمر بسدير فالمجمعة فالفاظ والزلفى فالسمانية فالروضة وامتدت تلك الأقواس والزينات من

الرياض إلى بريدة ومن بلد المذنب إلى مدين حائل حتى قالت إحدى الجرائد أن مدينة بريدة نصبت ستة آلاف قوس، وهذه الأقواس كان الواحد منها عبارة عن دروازة أقيمت من الحديد أو الخشب المرابيع والبلاكاش وأعلاها من الديكور، وقد تكلف بعضها بتكاليف باهظة بحيث بلغت تكاليف واحدة منها بثمانين ألف ريال منظمة بالزينات ولمبات الكهرباء والأعلام السعودية.

ولما أن سار عاهل المملكة من العاصمة الرياض كان لا يمر بقرية أو مدينة في الطريق إلا وقد اصطفت له رجالها وأشبالها وأطفالها، وما زال يدخل من بين تلك الزينات وقد وقفت الأمة يُمنة الخط ويسرته حتى بلغ المستوى حيث وقفت طلاب مدارس القصيم يهزجون بكلمات الترحيب واشترك الآباء والأبناء تصفق الأمة وترحب بجلالة الملك وهو يسير بموكبه العظيم.

حتى وصل إلى مدينة بريدة عاصمة القصيم وقت أذان المغرب من يوم السبت ٢٠ صفر الخير فاستمرّ سائراً إلى قصر الإمارة في الصفراء شمالي مدينة بريدة مجتازاً بتلك الأقواس المزخرفة بالألوان والزينات واللمبات الكهربائية المنضدة، فجلس للاستراحة في القصر واستقبله الأعيان فيه وعلى رأسهم سمو أمير المنطقة.

ولما كان من الغد الموافق ليوم الأحد اجتمعت الأمة في موضع الاحتفال المسمى ميدان الملك خالد، وقد حضرت الخاصة من الأمراء والأعيان بدعوات وجهت إليهم وازدلفت سائر الأمة بذلك الصالون الكبير المنضود بالكراسي على اختلاف أنواعها، فوقف للسلام وكانت الأمة منهم من يصافح ومنهم من يبدي التقبيل و هو يتقبل تلك التحايا بترحاب وبشر وسرور.

وقد أقام الأمير عبد الإله مائدة الغداء وكانت فخمة جداً بحيث بلغت تكاليفها مليون ريال دُعي إليها سائر أهالي القصيم، وتقدم الخطباء والشعراء يلقون الخطب والقصائد العربية والنبطية وفرقة الاستعراض تهزج بأناشيدها قد رفعت السيوف مجردة من أغمادها، وكان يتلقى ذلك بصدر رحب وتواضع حتى أذان صلاة

الظهر، وقد ذهب إلى تشريف بيت القاضي للسلام عليه وتقدير العلم، ثم إلى بيت كبير أسرة آل مشيقح؛ حيث أقعده الكبر والعجز عن السير إلى موضع الاحتفال، وكان موكبه العظيم يسير على فرش الزوالي تطؤها السيارات بعجلاتها تقديراً واحتشاماً، ثم إنه عاد بعد صلاة الظهر إلى صالون الضيافة ووليمة الغداء التي أقيمت على شرفه، وبعد صلاة العصر سار موكبه إلى مدينة عنيزة؛ حيث قام أميرها والأهالي بدعوة لجلالته ورجع مع غروب الشمس إلى مدينة بريدة لتناول طعام العشاء في قصر الإمارة، ومن الغد استراح وبعث أخوته أصحاب السمو ولي العهد فهد بن عبد العزيز والنائب الثاني عبد الله بن عبد العزيز وسلمان وعبدالمجيد إلى احتفالات مدن القصيم، الرس والبكيرية ورياض الخبراء والخبراء والهلالية والبدايع والشنانة والأسياح والمذنب، ثم ذهب بنفسه بعد صلاة العصر من يوم الاثنين لافتتاح صوامع الغلال الكائنة خلف الشقتين.

وفي صباح يوم الثلاثاء سار لدعوة مدير مالية مدينة بريدة سابقاً حمد بن عبدالمحسن التويجري.

ثم سار موكبه إلى مدينة حائل ماراً بالدغمانيات ومدرج وشري والأجفر والعظيم، حتى قدم مدينة حائل؛ حيث كان في استقباله سمو الأمير مقرن بن عبد العزيز وأهالي حائل وما يليها مستعدين بالزينات والأفراح فلبث فيها يوم الأربعاء، وسار في الساعة السادسة قبل الظهر من يوم الخميس على متن الطائرات بموكبه إلى الرياض.

وقد شاهدت من مكارم أخلاقه وتواضعه ورجولته أمراً عالياً شريفاً، فكنت لما أن سلمت عليه طلب التعرف بي وأن أهديه شيئاً من مؤلفاتنا فأجبته بكامل الممنونية والاحتفاء، وبعث إليّ الخادم ابن سويلم يستحثني على جلبها إليه سريعاً فسألت الخادم هل أجده آخر ذلك النهار فقال: أنه بعدما يتناول طعام الغداء سيذهب إلى عنيزة ثم يرجع فيصلي صلاة المغرب ببريدة، فأمرت أحد أنجالي أن يحملها وتحينت مجيئه.

فلما رجع بعد غروب الشمس ودخل قصر الإمارة في الصفراء كنا في انتظاره حتى خرج بعد تناول طعام العشاء عن يمينه النائب الثاني سمو الأمير عبد الله وعن يساره زعيم مدينة بريدة عبد العزيز بن فهد الرشودي، فتناول بيده الكريمة من تاريخنا أربعة أجزاء وكتاب عقود اللؤلؤ والمرجان فطلب مثلها لأخيه عبد الله فكان من حسن الحظ أن كان معنا نسخة أخرى من التاريخ أربعة أجزاء ونسخة من العقود سلمتها للنائب الثاني ورئيس الحرس، وكنت لا أنساها حينما كان القصر مزدحماً جداً ورئيس الحرس الملكي عبد الله البصيلي آخذاً بيدي ويفسح الناس عن طريقي ويقدمنا إليه، كان رئيس الحرس الوطني عبد الله بن عبد العزيز تناولها شاكراً.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

أحمد بن إبراهيم الغزاوي شاعر جلالة الملك، هذه ترجمته: هو الشاعر المنطيق اللسن المقول ذو الصوت العالي الذي ملأ شعره الصحف والمجلات والجرائد أحمد بن إبراهيم بن علي بن سليمان الغزاوي نسبة إلى غزة بفلسطين؛ لأن جدهم الثامن هاجر من غزة إلى مكة المكرمة مفضلاً لها بالسكنى، إما مجاوراً أو لطلب العلم أو للتجارة على اختلاف في ذلك، فاشتهرت الأسرة بذلك وأصبحت أسرة من أكبر الأسر في مكة المكرمة، اشتغل بعضهم بالتجارة وبعضهم في طلب العلم، وكان منهم كتاتيب في مكة المكرمة افتتحوا مدارس.

أما عن المترجم فقد ولد عام (١٣١٨هـ) في مطلع القرن العشرين في شهر ربيع الأول في بيت والده الكائن في شارع الدعوجي في حارة سويقة من مكة المكرمة، ولقي عناية من والديه لأنه كان الابن الوحيد لهما بحيث كان له سبع أخوات، وكانت والدته تسمى بدرية بنت عبد الرحمن السند عاجلتها الوفاة وهو لم يبلغ العاشرة من عمره، فكان موضع الحنو من أبيه فنشأ في حضن والده الذي يجيد القراءة والكتابة ويعمل بالتجارة في قاعة الشفاء، وكان يصحب والده في جميع

تقلباته ويعيش من بين زملائه من أطفال مكة في الدراسة على الكتاب لتعلم القرآن والكتابة والإملاء ويمارسون الألعاب كحالة الأطفال في تسلق الأشجار والقفز فوق التلال ونحو ذلك.

وقد رباه والده أحسن تربية، ولما أن بلغ من العمر سن العشرين توفي والده في ٦ صفر عام (١٣٣٦هـ)، وقد تنقل المترجم وعايش البادية لأن مكة إذ ذاك كانت مدينة صغيرة، ثم التحق بالمدرسة الصولتية وكانت تلك المدرسة لها اعتناء باللغة العربية والعلوم الشرعية، ثم بعد تخرجه منها التحق بمدرسة الفلاح التي يقوم عليها محمد زينل ثم أنه أخذ عن جملة من العلماء منهم الشيخ عبد الوهاب نائب الحرم المكي من أئمة الشريف، وأخذ عن الشيخ حسين الحبشي، وأخذ عن الشيخ صالح شطا، وأخذ عن الشيخ عبد الله سراج قاضي القضاة في عهد الشريف حسين ولازمه، وأخذ عن الشيخ حسن باسلامة الحضرمي صاحب المؤلفات، وأخذ عن الشيخ عبد الله السناري حمدوه، وعن الشيخ إبراهيم فودة، وعن الشيخ محمد بن سليمان حسب الله.

أما علاقته بالملوك فكان على اتصال مع الحسين بن علي الشريف حينما قام بثورته على الأتراك وامتدحه لأنه تعرف إليه عن طريق رئيس القضاة إذ ذاك عبدالله سراج فقال يمتدح الحسين:

إن الحسين مليك العرب منقذهم ... من سد مأرب حتى نهر زوراء
قد خصه ربه فاختاره ملكاً ... لخير شعب بإجماع وإيحاء

ولما أن توحدت البلاد تحت قيادة صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز، خرج إلى الهند، ولكنه سرعان ما عاد واتصل بالملك عبد العزيز وامتدحه بقصائد عظيمة وصحبه وشهد المشاهد الوطنية واللقاءات الفكرية والمؤتمرات الإسلامية إلى أن توفاه الله تعالى.

ثم استمرت صلته بالملك سعود وظلّ وثيق الصلة به وامتدحه بقصائد جمة،

أضف إلى ذلك أن له روابط وثيقة وإخلاصاً لنائب الملك فيصل حينما كان أميراً في الحجاز ومحافظاً على الوداد لرؤساء المملكة السعودية لما أظفرهم الله تعالى ومكنهم لذلك نجد ديوانه مملوءاً بمديحهم. كما أنه نال ثقة من الملك فيصل لما ولاه الله تعالى ونال أيضاً منزلة عالية لدى الملك خالد بن عبد العزيز رحمهم الله تعالى وأسبغ عليهم من رحمته وابلاً مدراراً. وإنها لأيام قضاها في رضاء أولئك الملوك وامتدح ولي العهد فهد بن عبد العزيز وله صلة بسائر أمراء آل سعود وكان شعره جزلاً كوقع الصواعق، غير أن غالبه في المديح ولم يتظاهر بالهجاء، فمن مدائحه قوله لما لم يحج عاهل الجزيرة الملك عبد العزيز عام (١٣٦٠هـ) ثم سافر النائب فيصل في ٢٨ محرم فقال هذه القصيدة في حفلة توديعه:

يغالبنا فيك الهوى ونغالبه ... فطوراً له العتبى وطوراً نعاتبه
أبالحق أن نلقى الذي لا نطيقه ... عشية هذا البعد تطوى سباسبه
أبالحق نعمى بسهمين عن يد ... فراق المفدى ثم يتلوه نائبه
سنحمل أعباء البعاد ثقيلة ... وفيك لعمر الله تضنى متاعبه
وهل أبصرت عين بغير سوادها ... وهل هو إلا حيث أنت تراقبه

ولم تزل في كل قلب وناظر ... وإن رفرفت أحناؤه وهوادبه
سل البيت عما قلت لو كان ناطقاً ... أجاب وحسبي أن يعبر حاجبه
رعى الله نجداً إنها في بروجها ... سماء هدى تغشى الحجاز كواكبه
بلاد تود الأرض طراً لو أنها ... من المجد فيها حيث نيطت مضاربه
إذا سطعت شمس النهار وخلالها ... فكل شعاع من سناها مساربه
تطل بها الأقمار من كل مطلع ... وتزهو بها أجابه وملاعبه
وتختال في أرباضها أسد الشرى ... حراصاً على العهد الذي عاد ذاهبه
ثقاة مذاويد ترى الصدق دأبهم ... إذا سخرت من ذي الأماني كواذبه

أضـــاءت أحســـابهم ووجـــوههم دجـى الليـل حتـى نظـم الجـزع ثاقبـه

فيا ابن الـذي لا الشـعر يحسـن وصـفه ولا النثـــر إلا مـــا بنتـــه قواضـــبه
حنانيـــك إنـــا في وداعـــك أمـــة يجاذبهـــا فيـــك النـــوى وتجاذبـــه
ولـــو ملكـت فيـك الخيـار لسـابقت إليـك مـع الأريـاح خطـوا تواثبـه
علـى أننـا والوجـد يصـلي قلوبنـا لنرضـى بمـا ترضـى ومـا أنـت راغبـه
ومهمـــا أطعنـــا مـــا أمـــرت فإننـــا لنعصـي فراقـاً عنـك تسـجو غياهبـه
فـإن نحـــن ســـامرنا النجـــوم تعلـــة إليـك فـإن الشـوق صـعب مراكبـه
وأن لنـــا يـــوم اللقـــاء لفيعـــه يكـــاد لهـــا صـــدري تطـــير ترائبـــه
فســـر في أمـــان الله وأقـــرئ ســـلامنا إلى ملـــك تهمـــي علينـــا ســـحائبه
إلى ملـــك نغفـــر مـــن العـــدل نهجـــه وأنـــت لـــه ســـر وفيـــك مواهبـــه
نبادلـــه الإحســـان بالشـــكر خالصـــاً ونـــدعو لـــه في كـــل مـــا هـــو كاســـبه
ونفديـــه بـــالأرواح غيبـــاً ومشـــهداً ونفنـــى ليبقـــى والســـعود مآربـــه
مـــآرب لم يـــبرح بهـــا التـــاج زاهيـــاً علـــى الأفـــق الأعلـــى تـــراءى مناكبـــه
بألحانهـــا تشـــدو وتهـــزج في الـــورى وتهتـــز مـــن شـــجويهن كتائبـــه
وأبلـــغ ولـــي العهـــد خـــير تحيـــة هـــي الطـــل يســـتهو النـــواظر ذائبـــه

إلى آخرها وهي حسنة في بابها قوية في موضوعها ومن شعره قصيدة في الملك عبد العزيز ألقاها في ١١ ذي الحجة تهنئة له بالعيد عام (١٣٦٥هـ).

بـك العيـد نحيـا حيـث تبـدو عوائـده ومنـــك معانيـــه وفيـــك قواصـــده
إذ الوفـــد ألقـــى في بســـاطك نظـــرة تـــراءى لـــه المجـــد الـــذي أنـــت ماجـــده
حقيـــق بـــك الإعجـــاب إنـــك أمـــة وإنـــك شـــعب بـــين برديـــك ماجـــده
فمـــاذا ترونـــي أســـتطيع مـــن الثنـــا علـــى ملـــك تقـــي الثنـــاء محامـــده
علـــى ملـــك آمنـــت بـــالله أنـــه هـــو الفلـــك الـــدوار وأنـــت مشـــاهده

مـن الخلفـاء الراشـدين في سـبيله   وفي الباقيـات الصـالحات فراقـده
ومـن محكـم الفرقـان لألأ جانبـه   ومـن سـنة الهـادي البشـير معاقـده
بـه إلتـأم الشـمل الشـتيت وأقبلـت   حظـوظ وردت في العـدو مكائـده
وفيه التقـى الإسـلام مـن كـل جانـب   وعـزت بـه أخلاقـه وعقائـده
محـى بالحسـام العضـب كـل ضـلالة   عـن الـدين حتـى هادنتـه طرائـده
وشـيد بالتوحيـد أركـان عرشـه   وفي العلـم راجـت مـن نـداه معاهـده
وتلـك بيـوت الله تشـهد أنـه   لـه عمـرت في كـل ربـع مسـاجده
علـى أنـه والشـكر لله عاهـل   يفـوز مواليـه ويخـزى معانـده
ومـا أنـا في حـبي لـه اليـوم واحـد   ولكنمـا الـدنيا جميعـاً تعاضـده
ألا أيهـا الجمـع الملبـون وقفـة   بهـا ينطـق الأضـحى وينصـت وافـده
نقلـب فيهـا الـذكريات لعلنـا   بـذلك نقضـي حقـه ونعـاوده
هـو الحـج إلا أنـه في افتراضـه   مـن الله فضـل لـيس تحصـى فوائـده
ومـا هـو ذخـر المـرء يـوم معـاده   فحسـب ولكـن كـل مـا سـر واجـده
فكيـف وهـذا الأمـن ضـافٍ رواقـه   علـى كـل فـج أيـن سـالت روافـده
وكـائن تـرى مـن هـاجع تحـت أيكـةٍ   وآخر بين الأخشـبين الـذي هـو فاقـده
تحـدى مـع التفـريط مـن هـو سـارق   ولكنـه الشـخص الـذي هـو فاقـده
فمـن شـاطئ الإحسـاء شـرقاً ومغربـاً   إلى البحر حيث الفلـك تـأوي قواعـده
تـروح وتغـدو المـوقرات لطائمـاً   مـن الجـوهر المكنـون تفـري فوائـده
فـلا شـبح الإجـرام يلمـح طيفـه   ولا الطمـع الخـداع يـنقض مـارده
لـه الويـل مغـتراً إذا ابتـز كاسـياً   ولـو لـبس الليـل الـذي هـو وائـده
حـدود أقيمـت لـيس هـوادة   ولا حكـم إلا الشـرع تـذرى حصـائده
وما مـن شـفيع في قصـاص ولا هـوى   إذا ما استحق السـيف مـن هـو جالـده
بذلك لا بـالبطش مـن غـير مـا هـدى   ولا بـالتواني طوقتنـا قلائـده

هــو الطــائع الــبر الحلــيم وكلنــا ... لــه ولــد بشــرى الــذي هــو والــده
وأمــا إذا مــا المشــكلات تأزمــت ... وفاضت كـؤوس الشـر واغـتر عامـده
فمــا هــي إلا لمحــة ثــم خطفــة ... ويــا بــؤس مــن دوت عليــه رواعــده
كــأن نــزاراً قبضــة في يمينــه ... ألســتم معــي فيمــا أرى وأشــاهده
لــك الظفــر الموعــود والمركــب الــذي ... يمــوت ويحيــا في تمنيــه حاســده
وجـدت بيـاني فيـك أسـهل مرتقـى ... ومـن لـي بالشـعر الـذي أنـت رائـده
فعــش هانئــاً في كــل عيــد وموســم ... وآل ســعود مــا أتقــى الله عابــده

هذه نماذج من شعره وله مراثي قالها في الأعيان، وله مجاوبات مع الأدباء الذين منهم عبد الله بن محمد بن خميس، ومحمد بن بليهد وأحمد العربي وغيرهم، ويعتبر من فحول الشعراء الذين كانوا في القرن الرابع عشر الهجري كالشيخ سليمان بن سحمان ومحمد بن عبد الله بن عثيمين، والزركلي والشاعر محمد بن بليهد، وقد بلغ ديوانه ثلاث مجلدات ضخام.

أما عن الوظائف التي نالها فقد ظل في خدمة الملك حسين بن علي كاتباً في ديوان رئيس قضاته، ونال ثقة منهم ثم جعله الملك عبد العزيز في تلك الوظيفة لدى رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد، ثم جعله محرراً الجريدة أم القرى بعدما حول اسمها من جريدة القِبلة إلى هذه التسمية ثم محرراً لصوت الحجاز، ثم كان نائب رئيس مجلس الشورى ومنحه الملك سعود بن عبد العزيز مرتبة وزير مفوض من الدرجة الأولى رسمياً تقديراً لجهوده، وجعله للملك فيصل حال كونه نائباً لجلالة الملك في مقدمة المرشحين لما توفي رئيس صالح شطا لأن يكون نائب الرئيس، واستمر في تلك الوظيفة حتى توفي.

ولما أن كان في عام (١٣٨٠هـ) جفاه زمانه بموت أحبابه وزواج بنتيه، وكان لم يوهب له ذكور ولم يبق لديه في البيت سوى زوجته التي توفيت بعد ذلك، فعاش سنيه الأخيرة وقد شعر بتقدم السن، ولم يتزوج وضاق ذرعاً بهذه الضائقة بحيث

أصبح وحيداً عاجزاً وأقعده الهم والكآبة في بيته وأثر ذلك على قواه وتشاغل عنه أقرباؤه وأصيب بمرض المفاصل ولم يثن عزمه ذلك، بل استمر يكتب حتى عجز وتوفاه الله تعالى ولديه ثروة طائلة ولكنها لم تغن عنه شيئاً فوافاه أجله المحتوم في الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة الأحد ٢٢ جمادى الآخرة من هذه السنة، فغسل وكُفن وصُلي عليه في الحرم الشريف وحضر جنازته جم غفير وجمع كثير من العلماء والوجهاء والأدباء ودفن في مقبرة المعلاة في مكة المكرمة رحمه الله وعفا عنه.

اغتيال رئيس جمهورية مصر

لما كان في ظهر يوم التروية ٨/ ١٢/ ١٤٠١هـ يوم الثلاثاء ٦ أكتوبر (١٩٨١م) كان الرئيس أنور السادات قد ارتدى ملابسه الرسمية واعتلى على المنصة أثناء حضوره عرضاً عسكرياً بمناسبة الذكرى الثامنة لحرب أكتوبر، فتقدم ضابطان وأربعة جنود في عربة وهاجموه بالقنابل والرشاشات، فأصيب بخمس رصاصات قضت عليه فقد أصيب فخذه الأيسر وصدره ورقبته وساقه وذراعه، وكانت الدماء تسيل من فمه، ثم حمل إلى المستشفى لإنقاذ حياته، ورغم الجهود التي بذلها عشرة أطباء أخصائيين استماتوا في العلاج فإن روحه قد فاضت في الساعة الثانية تزيد ٤٠ دقيقة من بعد ظهر اليوم الثامن من شهر ذي الحجة في مستشفى المعادي بالقاهرة.

كان قد أسفر الهجوم عن سقوط عدد كبير من الضحايا المحيطين بالرئيس في المنصة الرئيسية منهم سكرتيره الخاص وسفير بلجيكا ووزير الدفاع المصري الفريق أبو غزالة وثلاثة ضباط أمريكيين وكان الحادث قد وقع في الوقت الذي وصلت فيه سيارات جيب تعلوها صواريخ مضادة للدبابات أمام المنصة الرئيسية، وكان أولئك المهاجمون جاؤا في سيارة نقل وقفت أمام المنصة، ثم خرج منها أعضاء المجموعة المهاجمة وألقوا قنبلة يدوية في اتجاه السادات، وأطلق بعض الجنود الواقفين وراء

السيارة الرصاص على المنصة وقد رد حرس الرئيس على هذه الطلقات، ثم سقط عدد من الأشخاص داخل المنصة وأصيب المشاهدون بحالة ذعر ودبت الفوضى واختل العرض العسكري وسارت السيارات المدرعة وسيارات الجيب في كل اتجاه محدثة دوياً عنيفاً، وقد قتل ثلاثة من المهاجمين شنقاً بعدما استمر التحقيق إلى آخر جمادى الثانية من هذه السنة.

أما رئيس العصابة إسلامبولي وآخر معه فقد قتلوا بالرصاص بعدما ألقي القبض على رئيس المجموعة، وقد تيقن المحققون أن أسلحة الجناة مهربة من الجيش، ثم أعلن في الحال تعيين الدكتور صدقي أبو طالب رئيساً مؤقتاً وقرر الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم ترشيح حسني مبارك في منصب رئيس الجمهورية وقد وافق يوم اغتيال الرئيس مع التاريخ الذي اختاره ليقوم بزيارته المشؤومة والتقائه بزعماء الكيان الصهيوني، فهل اختاره مدبرو الاغتيال لتنفيذ عمليتهم أم أنها كانت مجرد مصادفة، وقد قيل أن الحادث نجم عن الاستياء في صفوف الجيش المصري وعن التأثير المتعاظم للإخوان المسلمين المعارضين لاتفاقية الصلح مع إسرائيل، وكان السادات قد شن في الفترة الأخيرة حملة قمع واسعة ضد المعارضة الدينية والوطنية في مصر شملت أكثر من ١٥٠٠ شخص، هذا وقد أعلنت مصر الحداد أربعين يوماً حزناً على وفاة السادات، ونكس العلم المصري فوق مبنى مجلس الشعب مساء يوم الثلاثاء بدءاً بإعلان الحداد الرسمي ولا ريب أن صلحه المشؤوم مع اليهود قد جرّ عليه شراً كبيراً في سمعته وآخر شيء اغتياله.

وفيها في ٢ ربيع أول طالب أربعمائة من كبار رجال الدين في أمريكا بتخفيض المساعدات التي تقدمها الولايات المتحدة للكيان الصهيوني بسبب انتهاكه لحقوق الإنسان، واتهم رجال الدين في بيان لهم أصدروه في ليلة ١ ربيع أول سلموا نسخاً منه إلى الرئيس الأمريكي جيمي كارتر والرئيس المنتخب رونالد ريغان والمسؤولين الأمريكيين وسفارة العدو الصهيوني اتهموا الكيان الصهيوني بانتهاك مبادئ إعلان

الأمم المتحدة الخاص بحقوق الإنسان في الضفة الغربية وقطاع غزة وتعذيب السكان ومصادرة أموالهم وتدمير منازلهم واعتقالهم بشكل تعسفي وتطبيق العقوبات الجماعية عليهم وكانت سلطات العدو الصهيوني قد أنكرت تلك التهم خشية توقف المساعدات الأمريكية.

وكان الكونغرس الأمريكي قد حظر المساعدات الاقتصادية على أي بلد تنتهك حقوق الإنسان وأعلنت المجموعة العربية بأنها ستضغط على مجلس الأمن لتنفيذ قرار عودة فهد القواسمة ومحمد ملحم العمدتين وغيرهما المطرودين من ديارهم وكانت حكومة اليهود قد أبعدتهما إلى بيروت صباح ٢٨ محرم من هذه السنة وهذه المرة الثانية يبعدان عن وطنهما فلسطين.

وفي هذه السنة بلغت ميزانية البلديات والقرويات لعام ١٤٠٠/١٤٠١هـ بليوناً وستمائة وواحد وأربعين مليوناً وستمائة ألف واثنين وخمسين ألف ريال.

كما أن من ثمرات التأكيد على مجلس الأمن أن رجع العمدتان المبعدان إلى عمان في سابع ربيع الثاني من هذه السنة.

وفي هذه السنة نزل ثلج عظيم على كابول بحيث غطى المنازل والسكان قاموا قابعين خلف المدافئ يطردون البرد القارس ليتخلصوا من هذه الورطة التي سموها ضربة كابول.

وفيها قدم قادة المسلمين إلى مكة المكرمة لمجلس القمة الثالث المعقود فيها للتفاوض في هذا المؤتمر لنبذ الخلافات وتصفيتها.

مؤتمر مكة المكرمة عام (١٤٠١هـ)

لما كان في الساعة الرابعة و٢٥ من عصر يوم التاسع عشر ربيع الأول بدأ تحرك ملوك العرب ورؤساء الدول الإسلامية يتوافدون إلى المسجد الحرام، وكان أول موكب يصل إلى مدخل الحرم المكي الشريف موكب رئيس جمهورية جزر القمر

أحمد عبد الله عبد الرحمن ثم الدكتور محاضر محمد نايب نائب رئيس وزراء ماليزيا ورئيس وفد بلاده إلى القمة الإسلامية، كما قدم الرئيس علي ناصر محمد رئيس جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ورئيس جمهورية تشاد جوكوني عويدي وفخامة الرئيس ضياء الرحمن رئيس جمهورية بنغلاديش فسمو الشيخ عيسى بن سلمان الخليفة أمير دولة البحرين فرئيس جمهورية الصومال محمد سياد بري فرئيس جمهورية غينيا الثورية فدولة ممثل رئيس جمهورية غينيا سمبا الأمين مانيه عضو مجلس الثورة والرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف ورئيس جمهورية جامبيا فرئيس جمهورية السودان جعفر نميري فرئيس وزراء تركيا وخليفة بن حمد أمير قطر فملك الأردن حسين بن طلال فالسلطان قابوس بن سعيد سلطان عُمان فرئيس وزراء موريتانيا فرئيس جمهورية السنغال عبد ديوف والرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق وأمير دولة الكويت جابر الأحمد ورئيس جمهورية جيبوتي، ورئيس جمهورية الجابون ونائب الرئيس الإندونيسي وشفيق الوزان رئيس وزراء لبنان وياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس الجمهورية الجزائرية الشاذلي بن جديد ورئيس الجمهورية العربية اليمنية علي عبد الله صالح ففخامة رئيس الجمهورية السورية حافظ الأسد فالرئيس العراقي صدام حسين فالملك الحسن الثاني عاهل المغرب فسمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الإمارات العربية المتحدة فالرئيس حسين كونشي.

وقد افتتح خادم الحرمين الشريفين الملك خالد بن عبد العزيز اجتماع قادة الأمة الإسلامية بهذا الدعاء اللهم انصر الإسلام والمسلمين واجمع على الحق كلمتهم وأيدهم بنصر من عندك إنك سميع مجيب، وجعل يردد هذا الدعاء ويبكي وقد تحشرج صوته ثم نودي لصلاة المغرب وقد فرغ الرؤساء من طواف العمرة صلى بالمسلمين خطيب الحرم الشريف وإمامه الشيخ عبد الله الخليفي ثم أنه ألقى بين الأمة لما رأى ذلك الاجتماع والحضور من الرؤساء دعاء جعل يتلوه وهو

واقف ويحشرج صدره بالبكاء وقد يتوقف غير مرة بالبكاء والحشرجة بحيث بكى الملك خالد بن عبد العزيز وبكى الرؤساء والملوك وذرفت أعينهم بالدموع، وهذا دعاء الخليفي: (اللهم رب البيت العتيق وفق ولاة أمور المسلمين لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، وكان يتوقف صوته عن الدعاء من شدة البكاء، وتأثر قادة العالم الإسلامي المجتمعين في ذلك المكان الطاهر ثم يعود إلى الدعاء والمسلمون يبكون فيقول اللهم رب هذا البيت العتيق وفق ولاة أمور المسلمين لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين اللهم وفقهم لما فيه الخير والفلاح واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين وانصرهم على عدوك وعدوهم واجعلهم ولاة مهتدين.

اللهم إنك أنت أرحم الراحمين اللهم إنك أنت الحق المبين اللهم اهدهم اللهم أسألك أن تأخذ بأيد ولاة أمور المسلمين وقادتهم إلى كل ما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، اللهم إليك أشكو ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس وأنت أرحم الراحمين وأنت رب العالمين إلى من تكلنا إلى عدو يتجهمنا أم إلى قريب ملكته أمرنا إن لم تكن غضباناً علينا فلا نبالي غير أننا في يدك فاغفر لنا نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلحت عليه أمور الدنيا والآخر أن ينزل بنا غضبك أو يحل بنا سخطك، لك الحسنى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم أعن بالصلاح والتوفيق رعايا المسلمين وولاتهم وكثر أنصارهم وأصلح حكامهم وعلماءهم وأمراءهم وقضاتهم واجعلهم هداة مهتدين يا رب العالمين، اللهم ومن أراد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه واجعل كيده في نحره واجعل تدميره في تدبيره يا سميع الدعاء، اللهم أعز الإسلام والمسلمين اللهم أعز الإسلام والمسلمين اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين وانصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين اللهم وفق ولاة أمور المسلمين للعمل بما يرضيك وحقق على أيديهم كل ما نرجوه من مجد وعز وسؤدد ونصر للإسلام وأهله اللهم أيدهم بتأييدك وسددهم بتسديدك واجعل التوفيق حليفهم، اللهم بك

ننتصر فانصرنا، وعليك نتوكل فلا تكلنا إلى أنفسنا وإياك نسأل فلا تخيبنا ومن فضلك نرغب فلا تحرمنا اللهم اجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم دمر اليهود وجميع المفسدين واشدد وطأتك عليهم وخالف بين كلمتهم وطهر بيتك الأقصى المقدس منهم يا رب العالمين، إلهنا لقد أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالإجابة فقلت يا أعز من قائل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[1] فإليك يا ربنا ولّينا وجوهنا ومدّدنا أكفنا أمام بيتك العتيق فبرحمتك استجب دعاءنا وبلغنا آمالنا ولا تقطع منك رجاءنا واكفنا شر أعدائنا يا واسع المغفرة، اللهم يا دافع النقم ويا نور المستوحشين في الظُلم يا ارحم الراحمين استجب دعاءنا برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلِّ الله على سيد المرسلين وإمام المتقين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته والتابعين والحمد لله رب العالمين).

وقد شارك في استقبال قادة الأمة الإسلامية عند مدخل الحرم المكي الشريف إلى جانب جلالة الملك كل من صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني وصاحب السمو سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران وبقية الأمراء الكرام متعب بن عبد العزيز وطلال بن عبد العزيز وبدر بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطني ونايف بن عبد العزيز وزير الداخلية وفواز بن عبد العزيز وماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة وسعود بن عبد المحسن نائب أمير مكة والشيخ سليمان بن عبيد الرئيس العام للإشراف الديني وطه الشيبي سادن بيت الله والحبيب الشطي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي وعبد القادر كوشك أمين العاصمة المقدسة،

(١) سورة غافر، آية ٦٠.

ثم خرج الرؤساء الوافدون إلى الطائف يتبادلون الآراء ويدرسون المواضيع نسأل الله تعالى أن يحقق مآل المسلمين ويسدد رميهم وينصرهم على أعدائهم.

وفيها نزلت أمطار في الوسمي توالى نزولها في القصيم وهطلت أيضاً أمطار على بلدة حائل وما يليها فازدهرت ا لأرض وعم الكلأ والعشب الكثير وكثر الأقط والسمن والكمأة وخرجت الأمة في أيام الربيع بخيام وأدباش إلى الخلوات يستمتعون بالهواء الطلق وليروحوا عن أنفسهم في تلك الرياض اليانعة.

وفيها في ١٦/ ٩ بينما الأمة تسعى في الصلح وتسكين الثائرات قامت إسرائيل وضربت لبنان فهدمت جسوراً وأعدمت أرواحاً فثارت لذلك ثورة العرب وقدموا احتجاجهم إلى مجلس الأمن وقام رئيس الجمهورية اللبنانية بتقديم شكاية إلى مجلس الأمن، ومع ذلك فإن الأمم المتحدة لم تقم بالواجب نحو إسرائيل، إنما أظهرت أسفها لأفعال اليهود وما أكثر ما يقدم إلى مجلس الأمن من الشكايات المحزنة ولكنها صيحة في واد خلي من البشر.

وسيأتي في التي بعدها ما أقدمت عليه اليهود في لبنان بحيث هدمت القرى وأبادت جزءاً من السكان بحيث لم تر لها رادعاً، وقد تأثر صاحب الجلالة خالد بن عبد العزيز ملك المملكة السعودية لهذه الأعمال الوحشية التي لا يقرها الشرع ولا الذوق ولا الفطرة، وقد تحرجت الأمور وساءت الأحوال في بيروت ولبنان فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفيها في ليلة ٢٤/ ٩ أصيبت باكستان بسيول وأمطار اجتاحت مائتي قرية.

وفيها ثارت براكين من جبل بشمال غرب الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث دفنت البراكين والحمم أعداداً هائلة من السيارات والمنازل وأفسدت مزارع واسعة بنشاطاتها المستمرة وكان الرماد قد سقط على مدى كيلوين متر مكعب على المزارع والغابات في واشنطن والولايات المحيطة بها وبعض مناطق واشنطن الشرقية ذاتها استقبلت ٣٠٠ طن من الرماد البركاني بحيث قدرت الخسارة الناجمة عن ذاك

بحوالي مائة وواحد وستين بليون دولار وربع على المحاصيل الزراعية وخاصة الفواكه والحبوب الغذائية والبطاطس والخضراوات علاوة على خسارة في المنتوجات الحيوانية بمائتين وسبعين مليون دولار ووقعت خسائر في الخوخ والمشمش وغيرها تقدر بعشرات الملايين وسقطت ثمار قبل نضجها من جراء ذلك الرماد.

معرض الكتاب

معرض الكتاب الدولي بالرياض اشتركت فيه أربعمائة دار نشر وأوجد ١٢ ألف عنوان كتاب وقد أوجد العام الماضي ٢٥ ألف كتاب، وقد استمرت هذه المعارض في البلاد الأخرى فكل مكتبة تقدم كتبها للبيع وتلقى رواجاً من الحاضرين، وقد افتتح معرض الكتاب لهذا العام يوم ٢٤ ربيع الآخر واستمر عشرة أيام بعدما بدأت عمادة المكتبات ترتيبات إقامة معرض الرياض.

وفيها وقع زلزال في جنوب إيطاليا بلغ عدد ضحاياه إلى (٧٦٧١) شخصاً ما بين قتيل وجريح ويبالغ عمال الإنقاذ إلى أن عدد الضحايا يزيد عن ذلك.

أعمال بريجينيف تغلغل روسيا في أفغانستان وغزوها يحدث سوء نياتها وأنها تستعمل سوريا للعبور إلى الشرق الأوسط، فقد اتهمت الصين حكومة الاتحاد السوفيتي بأنه يرغب في تحويل سوريا مستقبلاً إلى مصير لها للوصول إلى الشرق الأوسط حتى تتمكن من التدخل في شؤون المنطقة انطلاقاً من هذا البلد، هكذا نشرته جريدة الجزيرة في عددها ٣٠٥٧/ ٢١ صفر من هذه السنة بمعناه.

استدراك ذكرنا مؤتمر مكة المكرمة وكان البعث له هو التهديدات التي يتعرض لها العالم الإسلامي، فتحتم عقد قمة مكة المتقدم، وكان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في المملكة محمد بن علي الحركان قد أكد على أن استجابة رؤساء

المسلمين وملوكها ليدل على تماسك الأمة الإسلامية وتضامنها وأضاف أن التهديدات التي يتعرض لها العالم الإسلامي اليوم وخاصة العدوان العسكري على أفغانستان تحتم عقد مؤتمر القمة الإسلامي وأعرب أن ذلك سيحقق بمشيئة الله تعالى آمال وتطلعات الشعوب الإسلامية من أجل تحرير القدس.

وكانت كلمة جلالة الملك الطويلة التي ألقاها بالنيابة عنه ولي العهد المعظم فهد بن عبد العزيز تعلن الفرحة والسرور والتضامن بالتقاء قادة المسلمين، ويوجب هذا الاجتماع ما آلت إليه أراضي الأمة الإسلامية ومقدساتها من رزح تحت وطأة الاحتلال الصهيوني إلى آخرها، مما وصلت إليه الأحوال في لبنان وفي أفغانستان.

وفي هذه السنة تعلن المملكة السعودية أنها لن تزيد إنتاجها البترولي إلى أربعة عشر مليون برميل يومياً، وبهذا تبين ما لدى المملكة من الخيرات والثروة العظيمة.

زيادة في رواتب الأئمة والمؤذنين

في هذه السنة أمر صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز بصرف زيادة مرتبات لأئمة المساجد والمؤذنين بلغت (٥٢٧) مليون ريال فروق الزيادات في المرتبات الجديدة للأئمة والمؤذنين، فجزى الله خادم الحرمين الشريفين خير الجزاء بتشجيعه للأعمال الدينية الخيرية وإنها لخطوة سابقة في فضل هذه الحكومة وما توليه من النهضة تجاه الأعمال الدينية.

وقد ذكرنا ما حظي به القصيم وحائل من الأمطار التي نزلت في الوسمي من هذه السنة، ولا يفوتنا أن نذكر ما هطل من الأمطار في آخر ربيع الأول في العقرب الأولى من السنة المتقدمة على القصيم والرياض وسدير بحيث امتلأت السدود

وجرت الأودية وغرق أفراد في سد نمار والدرعية ولم يتمكن المنقذون من إخراجهم وحاول رجال الدفاع المدني لإخراجهم فما استطاعوا بعدما لبث الدفاع المدني ٩٦ ساعة في سبيل إنقاذهم.

كما قد هطلت أمطار غزيرة في أوائل ربيع الثاني على حائل، وما إلى ذلك إلى الموضع المعروف بالبطين من مزارع بريدة، كما هطلت أمطار غزيرة مصحوبة ببرد ورعود وصواعق سقط منها صاعقة على غربي مبنى بلدية مدينة بريدة أصابت الصاعقة شجرة في نفس المبنى فكانت آية من آيات الله بحيث سقطت أعواداً يابسة كأعواد الكبريت، وكان على أثرها في يوم غد ٩/ ٤ قترة شديدة وصفرة ورياح وغبرة طوال اليوم استعملت لذلك أنوار السيارات في النهار.

وفي أوائل جمادى الثانية تغبر الطقس على المنطقة الوسطى العارض وسدير والوشم والقصيم بموجة برد استمرت ثلاثة أيام بحيث نزلت الدرجة إلى ٧ درجات فوق الصفر.

قتل رئيس جمهورية بنجلاديش

في ٢٦ رجب تقدم مجموعة من المتمردين فقتلوا الرئيس ضياء الرحمن رئيس الجمهورية وذلك أثناء تفقده لمدينة تشيتا جونج الواقعة على ساحل البحر في جنوب شرق بنجلاديش فأصيبت المملكة هناك بذهول لوفاته اغتيالاً، وقام المتمردون فأعلنوا إلغاء معاهدة الصداقة مع الهند فأقيم نائب الرئيس عبد الستار بالوكالة فأذاع بياناً حالة الطوارئ في البلاد ودعا السكان إلى التزام الهدوء والحذر وقد بعث جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة السعودية ببرقيتين يعزي في وفاة ضياء الرحمن ويتمنى للرئيس بالوكالة التوفيق، أعرب فيها جلالته عن تعازيه ومواساته في الحادث الأليم الذي أودى بحياة الرئيس ضياء الرحمن رئيس جمهورية بنجلاديش الشعبية، كما بعث جلالته ببرقية أخرى للشيخ عبد الستار

أعرب فيها عن تمنياته الطيبة لفضيلته بمناسبة توليه مهام رئاسة جمهورية بنجلاديش الشعبية بالنيابة، وفيما يلي نص البرقيتين:

(تحية طيبة وبعد فلقد أحزننا نبأ الحادث الأليم الذي أودى بحياة الرئيس ضياء الرحمن رئيس جمهورية بنجلاديش الشعبية وإننا إذ نبعث لكم ولأعضاء حكومة بنجلاديش الشعبية وكافة أفراد أسرة الفقيد وشعب بنجلاديش الشقيقة بأحر التعازي وأصدق المواساة نبتهل إلى المولى جل وعلا أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه جنته وأن يلهم الجميع الصبر ويجزل لكم الأجر والحمد لله على قضائه وقدره وإنا لله وإنا إليه راجعون).

البرقية الثانية: (تحية طيبة وبعد نبعث لكم بتحياتنا وتمنياتنا الطيبة بمناسبة توليكم مهام رئاسة جمهورية بنجلاديش الشعبية بالنيابة سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يمدكم بعونه وتوفيقه ويسدد خطاكم بما فيه خير دولة بنجلاديش الإسلامية ورفعتها وتوفير الأمن والاستقرار والرخاء لهذا البلد الشقيق المسلم إنه سميع مجيب. خالد بن عبد العزيز آل سعود).

ضرب المفاعل النووي

لما كان في يوم الأحد ٥ شعبان من هذه السنة أغارت طائرات العدو الإسرائيلي على المفاعل النووي بالقرب من بغداد نحو من ثلاثين كيلومتراً فقصفته بطائراتها وكانت تخشاه وهو لا زال مشروعاً على ورق، وقد استنكرت حكومات العالم هذه الغارة الإسرائيلية على بغداد واعتبروها تعقيداً لموقف متفجر بالفعل وأكد العديد من الدول مساندة العراق في مواجهة هذا العدو الغاشم، وأدانت واشنطن الغارة هذه وارتقبت الأمة منع الأسلحة الأمريكية عن إسرائيل.

وقد نددت الحكومة البريطانية بالعدوان الذي وصفته بأنه انتهاك حظر القانون الدولي وبأنه يؤدي إلى نتائج وخيمة وذكر الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية

أن بلاده لا تقر مثل هذا العدوان وأما القاهرة فإنها قررت وزارة الخارجية المصرية إبلاغ الحكومة الأمريكية رسمياً بقلقها الشديد على إثر القصف الإسرائيلي للمحطة النووية العراقية، كما أن روما أعربت أن الحكومة الإيطالية عن عميق أسفها للعدوان الإسرائيلي، وكذلك فرنسا والدول الأخرى قابلت ذلك بالاستياء.

وفي رمضان من هذه السنة استردت إيران أراضي قد استولت عليها العراق قبل ذلك، ولا تزال تتوسع في حروبها وأذيتها للجيران، وكانت الحرب مستعرة الوقود بينها وبين العراق، ولكنها لا تزال في مواصلة الحرب رغم التوجيهات والإرشادات المحذرة لها من عاقبة الأمور ويمدها دول ضد الإسلام منتهزة الفرصة ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[1] والدليل على ذلك ما جرى من أذيتها لحجاج بين الله وإلقاء العذرة والنجاسات أمام الكعب المشرفة لتنجيس الطائفين والمصلين وتقذير الأماكن المقدسة بل جعلهم النجاسة خفية في الحجر الأسود المقدس ليتأذى المقبلون له والمتمسحون، قال الله تعالى لخليله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾[2] فأصبحوا مع الشريعة المطهرة في طرفي نقيض، ولقد أفتى الشيخ محمد حامد فقي في سنة (١٣٦٢هـ) لما جرى منهم ذلك وهو العالم الفقيه ورئيس جماعة أنصار السُّنة المحمدية في مصر بأنه يجب على الحكومة السعودية منعهم من الحج وآخر ذلك أن غزو حجاج بيت الله متذرعين بالحج فقتلوهم أمام جدر الكعبة المشرفة وأتوا بالعبوات الناسفة يريدون تفجيرها بالمسجد الحرام والأماكن المقدسة لولا أن الله سلم، فعياذاً بالله من كيد أعداء الله ونسأله أن يرد كيد الكائدين في نحورهم.

---

(١) سورة الصف، الآيتان ٨ و٩.

(٢) سورة الحج، آية ٢٦.

رجل معمِّر ١٥٩ عاماً

كان الرجل المدعو مبارك بن صلاح من وادي كلاخ بالطائف من البادية قد بلغ من العمر ١٥٩ سنة يعلوه النشاط وطلاقة الوجه رغم ما مرّ عليه من السنين ويكنى أبو سعود وأجريت معه مقابلة، ولما قيل له الله يعطيك طول العمر أجاب إن شاء الله، ولكن أتمنى الموت لأنني أعيش في غربة أصدقائي وأحبابي رفاق طفولتي كلهم ماتوا والمقابلة معه طويلة ذكر فيها ما مرّ من السنين وما يعرفه عن الملك عبد العزيز وغير ذلك مما يرويه في حياته وهذا العمر الطويل يعتبر من غرائب الزمان.

وفي هذه السنة أحصيت المساجد التي في المملكة السعودية فبلغ مجموعها تسعة عشر ألف مسجد كبارها وجوامعها وخاصها وعامها، وبهذا نعرف سير المملكة قدماً فإنه كان منذ قرابة نصف قرن لا يوجد في مدينة بريدة التي تعتبر اليوم ثالثة مدينة في المملكة إن لم نقل ثانية مدينة سوى ثلاثة عشر مسجداً منها ستة هي القدامى مسجد الجامع الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة، ومسجد عبد العزيز بن عبد الله أبا بطين المعروف بمسجد محمد بن عبد العزيز بن غنيم، ومسجد أبي علطا ويدعى مسجد صويلح ومسجد عبد الرحمن بن شريدة ومسجد العجيبة ومسجد عودة الرديني حتى غاية السنة العاشرة من القرن الرابع عشر ثم أنه أنشأ بعد ذلك مسجد بن مقبل شمالي الجامع اشتهر بذلك ومؤسسه حمد بن خضير فمسجد ناصر بن سليمان بن سيف فمسجد الجردة المعروف باسم حسين بن عرفج فمسجد ماضي فمسجد الحويزة الذي كان إمامه السابق صالح المحمد المنصور فمسجد عيسى بن عبد الكريم فمسجد راشد بن إبراهيم الحميد، واشتهر بمسجد ابن فداء هذه ثلاثة عشر مسجداً إلى غاية عام (١٣٤٩هـ) ثم إنه باتساع البلد تأسست مساجد أخرى حتى بلغ مجموعها إلى آخر هذه السنة خمسمائة مسجد من بينها خمسين جامعاً تقام فيها صلاة الجمعة، وبهذا يتبين تقدم سير هذه المملكة الغنية إلى الأمام والتقدم.

ثم دخلت سنة (١٤٠٢هـ)

استهلت هذه السنة والرئيس السوفيتي بريجنيف لا يزال في نشاطه في نشر دعوات الشيوعية ويبعث البعوث لغزو أفغانستان وكان المجاهدون المسلمون في أفغانستان صامدين لرد تلك الغارات الوحشية من دولة عظمى تعتبر أكبر دول العالم في قواتها ومهماتها وحدها وحديدها وكيدها وشرها المستطير.

وكانوا يرون أن دين الإسلام دين مزعوم ولا أصل لهذه الخرافات بزعمهم الفاسد من صلاة وصيام وحج وغير ذلك من تعاليم الإسلام ويقابلهم دولة عظمى هي أمريكا كانت أهالي أفغانستان يدافعون عن إيمان وعقيدة ولقد أصيبت من جراء هذا الغزو بنقص كبير في الأنفس والثمرات والخوف والجوع، ولكنها ثبتت على الدفاع ثقة بالله في انتظار النصرة، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1] وقد كبدوا الجيش الغازي خسائر وأسقطوا طائرات ودمروا دبابات ومعدات حربية ويبين من تصرفات بريجينيف ودولته وما يظهر من تصرفاته السيئة بالرغم من كبر سنه وهرمه ما يبيته من اتخاذ معبر في الشرق الأوسط عن طريق ليبيا وغيرها من الموالين له، هذا مع قربه لمفارقة الحياة.

هذا وكانت الحرب بين العراق وإيران مستعرة الوقود.

وأصبح سكان لبنان بحالة يرثى لها من الانشقاق والمذابح والمجازر كما أن اليهود قد تدخلت في لبنان بواسطة عملائها كسعد حداد وغيره، أما عن الضفة الغربية وقطاع غزة فلا تسأل عما هم فيه من الأخطار والضيم وحشرهم إلى غيابات السجون التي امتلأت بهم وتعذيبهم وتقتليهم وتشريدهم هذا ما كان من الحروب في بلاد العرب.

---

(١) سورة الروم، آية ٤٧.

أما عن المملكة السعودية وحالاتها في الرخاء فإن الأمراء كانوا في وظائفهم فكان في إمارة مكة المكرمة صاحب السمو ماجد بن عبد العزيز، وكان النائب في الإمارة سعود بن عبد المحسن بن عبد العزيز، وكان في إمارة المدينة المنورة عبدالمحسن بن عبد العزيز، وفي إمارة الرياض سلمان بن عبد العزيز والوكيل سطام بن عبدالعزيز وأمير منطقة القصيم عبد الإله بن عبد العزيز وأمير حائل مقرن بن عبدالعزيز وأمير تبوك وما يليها عبد المجيد بن عبد العزيز وأمير المنطقة الشرقية عبدالمحسن بن عبد الله بن جلوي.

وقد نقل سعادة الأمير سليمان بن تركي السديري من وكالة إمارة تبوك إلى وزارة الداخلية فكان يعمل فيها ويبعث كاحتياطي ليسد أعمال أمير المنطقة من الأسر إذا طرأ عليه شاغل كما سد فراغ إمارة منطقة القصيم بغياب الأمير عبدالإله وأمير منطقة عسير خالد الفيصل بن عبد العزيز وأمير عرعر والحدود الشمالية عبدالله بن عبد العزيز بن مساعد وأمير جدة قائم مقام عبد الرحمن السديري ووزير العدل الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

كما أن الشيخ محمد بن حركان هو الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، كما أن الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد هو الرئيس للمجلس الأعلى للقضاء منذ أن تولى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز والرئيس المشرف الديني على الحرمين الشريفين الشيخ سليمان بن عبيد بن سلمي وكان من أهالي مدينة البدائع.

ورفع الشيخ حسن بن عبد الله إلى وزير التعليم العالي وجعل الدكتور عبد العزيز العبدالله الخويطر وزيراً للمعارف ولا يزال الأمير خالد بن فهد بن خالد بن محمد بن عبد الرحمن وكيلاً في وزارة المعارف ثم إنه طلب الإقالة بعد ذلك.

كما أن الشيخ صالح بن علي بن غضون قد نقل من رئاسة محاكم الإحساء إلى عضوية المجلس الأعلى للقضاء.

وقد مرض الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد مرضه الأخير المخوف الذي أودى

به إلى الهلاك، وقد بعث الملك به إلى إنجلترا ولم يدخر وسعاً في صحته غير أن المرض استعصى ولم يفد العلاج، وقد سأل عنه الملك خالد مستفهماً، ولما قيل أنه تعبان من المرض تأثر لذلك وبكى، هذا ولا ننسى منحة الملك له العظمى بحيث اشترى له بيت الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم ووهبه له كما اشترى بيت الشيخ محمد بن إبراهيم الكبير ومنحه لزميله الشيخ عبد العزيز بن باز.

أما وزير الكهرباء الدكتور غازي القصيبي فلا يزال يوالي جده ونشاطه في الكهرباء، وقد قام بعملين وزارة الصناعة والكهرباء وقد قام بتمديد شبكة الكهرباء وجعل الخزانات الكهربائية في المزارع والقرى والضواحي فلا تخلو مزرعة منه، ولما أن تحركت المكائن الكهربائية التي نصبت في القصيم جنوبي مدينة بريدة وكانت قوية ضخمة امتدت الأنوار يمنة ويسرة إلى مسافة أربعين كيلومتر من كل جهة واستفادت الأمة من مصالح الكهرباء ما وفر لها أشياء، لولا هذه الكهرباء بعد عناية الله لخربت وتعفنت أما بقية الأمراء والوزراء والموظفين فكل في عمله.

وفيها هبت رياح شديدة وذلك في ١٣ جمادى الأولى على ضواحي في القصيم على اللسيب ولوجعان ورواق والسباخ فاقتلعت نخيلاً تقدر في تلك الأماكن بـ(٧٠) نخلة وكسرت أشجاراً وأسقطت حيطاناً منها حائط سقط على سبع سيارات فأعدمها أو كاد، وسقطت نخلة على بقرة وعجلها فقتلتهما معاً وقلبت ناقتين باركتين وحملت رجلاً فجعل يتقلب عدة مرات بقدر ١٥ متراً وألقت عمارة على ظهرها الأرض وبلغنا أن أناساً استهدفوا لها في القضاء فلولا أنهم تمسكوا بسيارات حواليهم واقفة لأقلتهم بين السماء والأرض، وقد سبقها في اليوم نفسه بَرَد وقع على الغميس ومواضع من ضواحي بريدة الجنوبية والغربية فدمرت الزروع وأحدثت أضراراً.

وفي أوائل جمادى الثانية في نوء الحمل ولا سيما في ٧ نيسان إبريل ١٨ الحمل هبت رياح عاصفة ونجم عنها خسارة تقلبت بعض الحيطان واجتثت الأشجار

والنخيل وكادت الريح أن تحمل ما مرت عليه لقوتها وهطلت أمطار فجرى وادي رضوان الذي كان بالقرب من ركبه فأحدث أضراراً شديدة في الأحوال والأنفس بحيث هلك فيه من الأنفس البشرية خمسون نسمة، وفي آخر يوم الجمعة ٦/٢٢، ٢٧ الحمل نشأت سحب ثقال من الأفق الغربي فهطلت أمطار غزيرة على ما كان من أبان الأحمر إلى البدائع وما إلى ذلك، وكانت ممزوجة ببرد ورياح واستمر هطول الأمطار ساعتين تقريباً فأحدث ذلك توقف السير وتعطلت حركة السيارات لأن الأرض كانت كالبحر فلا يهتدى إلى الطريق وليس من سبيل إلى ذلك، ولكن الله سلم من عطب السيارات.

كما أن مدينة حائل نزل عليها مياه غزيرة وارتفعت المياه إلى أمر قد قدر وكان ذلك مصحوباً بالثلوج وبرد كبار فقد ارتفع منسوب الثلوج والأمطار في بعض الأماكن بمتر ونصف متر وكان ذلك في أوائل نوء المؤخر من برج الحمل وقد استمرت الرياح والأمطار طيلة أيام برج الحمل وأوائل الثور ونشأ عنها نقص أصاب الزروع والثمار وتكسرت نخيل واستمرت الظلم الشديدة بحيث لم يعهد مثل هذا منذ عشرات السنين وأصيب ما بين عقلة الصقور والمدينة المنورة ببرد توقفت له حركة السيارات واستمر نزول الأمطار على القصيم يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء وليلة الخميس اللاتي توافق ٢٠ و٢١ و٢٣ من برج الثور وكان لم ينقطع المطر طيلة هذه الأيام السابقة إلا دقائق معلومة ثم يعود.

ولما كان في ٢٢ من شهر رجب الموافق ١٥ أيار (مايو) جرى وادي الرمة وكان قد زخر هذه المرة مقبلاً من أقاصي مجاريه الغربية فألجم الجسور والكباري التي في طريقه له صوت عظيم فخرجت الأمة رجالاً ونساءً وأطفالاً لرؤيته من قرى القصيم ومدنه متشرين يتفكرون على عظيم قدرة الله وقام قلم المرور والنجدات بالإنذار والتحذير عن الهلاك والوقوع فيه، وكان له زجرة عظيمة مخيفة وقد حمل ما في طريقه من الحيوانات والبيوت والخيام فكانت غثاء وكادت السيارات لكثرتها تتحطم لولا قلم المرور واستمر يجري بقوة عشرة أيام.

وفيها قامت وزارة الحج والأوقاف في أواخر شهر رجب بهدم ثلاثة مساجد من طين في مدينة بريدة لإعادة بنايتها بناية حديثة ولتنفق عليها من قيمة مسجد ناصر بن سيف الذي شمله الهدم وبلغ تقويمه بتسعة ملايين ومسجد الشيخ محمد بن عمر آل سليم الذي بلغ تقويمه ثلاثة ملايين، وهذه الثلاثة هي مسجد محمد بن غنيم ومسجد الجريش ومسجد بن حوشان أمام السوق المركزي غرباً.

كما أنها هدمت مسجداً ثالثاً مقاماً من لِبن وطين ينسب لابن ضحيان في قلب البلد حوالي التغيرة لإعادته مسلحاً.

ولما أن كان في منتصف شهر جمادى الأولى من هذه السنة لوحظ أن جامع بريدة الكبير الذي قام ببنايته الأخيرة مسلحاً الملك السابق سعود بن عبد العزيز حدث في جنوب المسجد تصدع في الحائط الجنوبي وفي درج الأبواب الجنوبية فكان من حسن الحظ أن قدم وزير المالية أبا الخيل لتشييع جنازة ابن عمه عبد الله بن سليمان بن حسن المهنا فسعى لدى ولي العهد سمو الأمير فهد بن عبد العزيز لترميم المسجد فقام بنفقة الترميم كلها وأن يكسى بالحجارة الهندسية مع مراعاة ما يتكلف من النفقة البالغة خمسة ملايين من الريالات، وقام المقاول محمد بن صالح بن فهد الرشودي بالعمل وأحضرت المخاريق والمعدات لذلك، وكانت البناية التي أشرف عليها فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد لا بأس بها في القوة لأنها مقامة من خالص الأحجار والممتازة بالقوة وكان ما بينها وبين هذا الترميم أربعاً وعشرين سنة وانتهى عمل الترميم في غاية رجب من هذه السنة وقد ظهر المسجد مظهراً لائقاً جداً وغير تلبيسه الأول وكهرباؤه إلى وضع أحسن وأقيم حائط للمصباح الداخلي إلى جهة الشرق وركب له أبواب في ذلك الحائط كما ركبت فيه مكيفات كثيرة وثريات سقفية وأقيمت أسفل الحيطان الداخلية والأعمدة بالرخام القوي الحسن الجميل، وفرشت الأرض على العموم بالرخام الجيد الحسن الأبيض، فجزى الله القائمين بالنفقة والمشرفين بإخلاص على أعماله والسعي في تكميله على الوجه المطلوب خير الجزاء.

انسحاب العراق عن أراضٍ احتلتها قديماً

لما كان في أواخر شعبان من هذه السنة تخلت العراق وانسحبت عن جميع ما استولت عليه من أراضي إيران لعلها أن تهدأ الأمور غير أن إيران قامت تلاحقها ملاحقة وشنت هجوماً على البصرة وطلبت من العراق أن تقوم بخسائر الحرب وإلا فستواصل هجومها.

فلما رأت العراق أن لا بد من مواصلة الحرب عز عليها أن تبوء بالضعف والخضوع للضيم، فوقفت لإيران وقفة اضطرارية وأمدتها بعض الدول بالأسلحة والقوات وثبتت ثبات الأُسود في غابها بقيادة الرئيس صدام حسين، وشنها حرباً منسية وقابل الشر بالشر وأغارت الطائرات العراقية على أهداف إيرانية وجعلت تحرق وتهدم وتدمر.

ولم تبالِ إيران أن لو كانت هذه الحرب تحطم الإسلام ولسان حال العراق يقول عزتنا بالإسلام لا بالأقوام وقد نتج عن هذا الحرب والضرب دمار على كلا الدولتين وظهرت إيران بمظهر المعاند وخاضتها بصلف وغرور كما أن العراق لجأت إلى امتشاق الحسام ضرورة، وعجز قرار الأمم المتحدة عن تسكين إيران كما أن اجتماعات القمة التي عقدت لم يقم الخميني لها وزناً وكانت الصواريخ بين الجانبين تهدم العمران وتبيد السكان، وتعرضت السفن التي في الخليج إلى الحريق والدمار من بين المتقاتلين وغضبت أمريكا من أعمال الخميني وآياته وأتباعه ولكنها لم تعمل ما يبيد حركاته.

ضرب لبنان سنة (١٤٠٢هـ)

لما كان في اليوم ١٢ من شعبان قامت إسرائيل بغزو بيروت فحشدت نصف قواتها وضربت السكان الآمنين ومخيمات الفلسطينيين بالقنابل العنقودية وقنابل النابالم وغير ذلك مما هو محظور فأعدمت ما لا يقل عن اثني عشر ألفاً من السكان

غالبهم من الشيوخ والأطفال وجرحت ثلاثين ألفاً وحصرت غربي بيروت ومنعت وصول الأطباء والإسعاف إليهم وكانت العرب قد بعثت ثلاثين طبيباً لمعالجة الجرحى فألقت اليهود القبض عليهم وعاملت إسرائيل أسراء بيروت والفلسطينين معاملة سيئة واستمر قصفها يومياً وطلبت أن يلقي الفلسطينيون السلاح ويسلموا أنفسهم ولكنهم أبوا وجعلوا يدافعون دفاع المستميت وقد نجم عن ذلك الغزو الذي هو كإبادة للشعبين هدم سبع قرى وإحراق خمسة مخيمات فلسطينية ويظهر من ذلك أنها تريد الاستيلاء على بيروت وقد عجز العرب عن صد اليهود وإنما قامت بهذا الغزو للبنان لأنها أمنت مصر حينما ردت إليها سيناء وأمنت سوريا لأعمال سرية بينها وبين الأسد.

ولما أن كان في سابع تموز يوليو الموافق ١٦ رمضان من هذه السنة على إثر غزو اليهود بيروت والفلسطينيين قام ضياء الحق رئيس الجمهورية الباكستانية يطالب الولايات المتحدة الأمريكية ورؤساء بريطانيا وفرنسا لوضع حد لأعمال اليهود لأنهم المسؤولون عن السلام والأمن، وقد أحدثت هذه الجراءة هزة عظيمة عند العرب لأنه توالى قصفها ثلاثة أيام متوالية للبنان.

نداء من السفارة اللبنانية بالملكة

وجهت السفارة اللبنانية بجدة نداء إلى اللبنانيين العاملين في المملكة السعودية وإلى المتعاطفين مع لبنان دعتهم فيه للمساهمة ومساعدة إخوانهم اللبنانيين لمواجهة الاعتداء الإسرائيلي الغاشم على لبنان الذي أوقع آلاف الضحايا وهدم عشرات الألوف من البيوت وشرد مئات الألوف من المواطنين وأشارت السفارة في بيانها إلى أنه نتيجة للحاجة الملحة إلى العون والمساعدة فقد قامت بفتح حساب في بنك لبنان والمهجر باسم صندوق عون لبنان وطالبت السفارة من المتبرعين إرسال الشيكات المحررة باسم صندوق عون لبنان إلى عنوان السفارة بجدة وبالرغم من صيحات العرب فإن قوات الغزو الإسرائيلي جددت قصفها البري والبحري على

المواقع السورية والقوات الفلسطينية اللبنانية المشتركة صباح سادس وعشرين من شعبان الموافق ليوم السبت في مصيف سوق الغرب وعين السيدة وقلين في الجبل وكانت مواقع القوات المشتركة في برج البراجنة والليلكي وحي السلم قد تعرضت لقصف مماثل خلال الليل استمر متقطعاً حتى الفجر.

وفي الصباح استؤنف القصف المدفعي قتل ثمانية أشخاص وفقد عشرة آخرون وأصيب ثلاثة عشر بجروح مختلفة وفي عملية تفجير تعرضت لها باخرة الشحن اللبنانية وقد اندلعت النيران في الباخرة وقد طالب مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد برفع الحصار من بيروت فوراً وجلاء القوات الإسرائيلية عن كل الأراضي اللبنانية من دون قيد ولا شرط ولقد تأثر أول القصف المتقدم جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ملك المملكة العربية الذي نذر نفسه لنصرة لبنان رغم ما يقاسيه من ألم في القلب أودى به إلى الهلاك وقد عمل طيلة ملكه وخلال سني مسئوليته في الحكم ليعز الإسلام والمسلمين ولم يحل المرض ولم يحل الإجهاد والتعب دون الدور القيادي الذي اكتسبه بعمله وجهده لبلاده والتصدي والمبادرة إلى الموقف الحاسم من كل قضية تتصل بأمتيه العربية والإسلامية حتى أتاه اليقين.

ذكر وفاة جلالة الملك خالد

غفر الله له وأسكنه في فسيح جناته (١٤٠٢هـ) لما كان في الساعة السادسة زوالي وثلاثين دقيقة من صباح اليوم الحادي والعشرين من شهر شعبان الموافق ١٣ يونيو (١٩٨٢م) يوافق الساعة الحادية عشرة و ٤٦ دقيقة توفي الملك خالد بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك المملكة العربية السعودية في مدينة الطائف ووافاه أجله المحتوم إثر نوبة قلبية فأصدر الديوان الملكي البيان التالي: (بسم الله الرحمن الرحيم بيان من الديوان الملكي، ببالغ الأسى والحزن ينعى الديوان الملكي باسم صاحب السمو الملكي ولي العهد وكافة أفراد الأسرة ونيابة عن الأمة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم حيث وافاه الأجل المحتوم على إثر نوبة قلبية فإنا لله

وإنا إليه راجعون)، ومن ناحية أخرى أعلنت اليوم مبايعة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ملكاً للمملكة العربية السعودية خلَفاً للمغفور له جلالة الملك خالد بن عبد العزيز كما عين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ولياً للعهد ولما أن كان بعد الظهر جيء به محمولاً على طائرة من الطائف إلى الرياض حيث غُسل وكُفن ثم حمل إلى المسجد الكبير والجامع القديم، ووضع جثمانه فيه في الساعة الثالثة و٥٥ دقيقة انتظاراً لصلاة العصر.

وكان قد غص الجامع الكبير منذ ساعات بالآلاف من المصلين الذين يمثلون مختلف الدول والشعوب العربية والإسلامية والذين حرصوا على الصلاة على الفقيد سائلين الله له الرحمة والمغفرة وكان يخيم على الجميع الحزن والأسى لفقد واحد من رجالات هذه الأمة الأعزاء الذين نذروا أنفسهم وحياتهم لخدمة دينهم وأمتهم ومعايشتها في السراء والضراء.

والتفت الأسرة المالكة حول المسجد وعلى طول الشوارع يحف المواطنون الوفا لإلقاء النظرة الأخيرة على جثمان الفقيد وتوديعه الوداع الأخير قبل أن يوارى جثمانه، وكانوا يتهامسون فيما بينهم ومن خلال مشاعر الحزن والإيمان بقضاء الله بمآثره الطيبة.

وقد وجه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز كلمة نعى فيها جلالة الملك خالد بن عبد العزيز إلى الأمة العربية والإسلامية وأبّن فيها الفقيد داعياً الله أن يتغمده برحمته وأن يوفق خليفته جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وسمو ولي العهد إلى ما يحبه ويرضاه ودعا المسلمين إلى الإيمان بقضاء الله في خلقه مؤكداً أن الموت حق على كل حي وأن على المؤمن أن يواجهه بالصبر والتحمل.

وفي الساعة الرابعة و١٠ دقائق دخل جثمان الفقيد محمولاً على أعناق أبنائه المواطنين في الوقت الذي انهالت فيه دموع الجموع الغفيرة التي ملأت المسجد

وارتفعت أصوات المكبرين الداعين له برحمة الله الواسعة ثم أقيمت صلاة العصر وأم المصلين فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز وعقب صلاة العصر أقيمت الصلاة على جثمان الفقيد رحمه الله.

ثم حُمل ووري في الساعة الخامسة إلا رُبعاً من بعد صلاة العصر بمقبرة العود بالرياض، وقد شارك الملك فهد بن عبد العزيز وصاحب السمو عبد الله بن عبد العزيز وصاحب السمو سلطان بن عبد العزيز في حمل فقيد الأمة العربية والإسلامية على أعناقهم وتوسيده مثواه الأخير داعين الله أن يتغمده بواسع رحمته وأن يلهم أمته الصبر والسلوان.

وكانت الشوارع المحيطة بالمقبرة قد غصت بالآلاف من المواطنين الذين أصروا على الانتظار في حزن وأسى بالغين لساعات طوال ليلقوا النظرة الأخيرة على الفقيد الراحل وليودعوه الوداع الأخير رحم الله الملك خالد وألحقه بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الجنة.

لقد مات وهو في اللحظة الأخيرة من أنفاس الحياة جندي من جنود الله المسلمين المؤمنين يعمل كما ظل طوال حياته لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه ونشر عقيدة الإسلام في الدنيا بين الناس كان ضد الظلم أياً كان مصدره وأياً كان سببه لفرد أو لجماعة أو لشعب بأكمله ولقد ظل طوال الساعات الأخيرة لا يعرف النوم ولا الراحة ولا الهدوء وهو يشارك بعقله وبقلبه ومشاعره وبجهد طاقته اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين محنة العدوان الإسرائيلي الغاشم ليقاتل معهم بكل ما أوتي من قوة حتى الساعة الأخيرة.

فلتبكه الأمة العربية والأمة الإسلامية ولتبكه المملكة بحيث خسرت والداً شفقياً ساهراً لمصلحتها فإلى جنة الخلد يا خالد إلى جنة الخلد يا من زرعت الحب في قلوب أبناء شعبك إلى جنة الخلد يا خالد بعد أن أديت واجبك كإنسان في هذه الدنيا تفعل الخير وتحب الجميع ولا تعرف الكراهية والحقد.

إلى جنة الخلد يا خالد يا من تحمَّل الأمانة وقاد السفينة إلى جنة الخلد يا خادم الحرمين إلى جنة الخلد أيها الملك العادل، لقد عدلت بين أفراد شعبك فكنت بمثابة الأخ الأكبر والأب الرحيم فإنا لله وإنا إليه راجعون ولله در القائل:

فلو كان يفدى بالنفوس ولو غلت ... فداه همام أشوس ونبيل
ولو كان من خصم تنمر دونه ... رجال بأيديهم قنا ونصول
إذا ما اعتلوا قب الأباطل لم يكن ... لهم أوبة أو يستباح قتيل
ولكن قضاء مبرم يستوي به ... مليك عزيز في الورى وذليل

ولما مات لبست الدنيا ثياب الحداد عليه وباح الشعراء والفصحاء بالرثاء والتأبين عليه قال الأديب الشاعر غازي القصيبي هذه المرثية وكأنه يتجول بعيونه على المرحوم خالد بن عبد العزيز حين ينظر إليه وكأنه فارس توسد سيفه ونام فيا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي:

(واخالداه) وضج الجرح في كبدي ... فسرت بالجرح لا ألوي على أحد
يبكون منك وقد ناحوا على ملك ... أما أنا فبكائي حرقة الولد
يطوف وجهك في روحي فاسأله ... بالله قل لي أهذي فرقة الأبد
فأين نظرته بالحب طافحة ... كأنما هي بشرى ثرة الرغد
وأين بسمته السمحاء هل سقطت ... شمس النهار على ليل من الكمد
(واخالداه) يغص الشعر من ألم ... كما تذوب عيون الشوق من سهر
ويخطر الموت فوق البيد عاصفة ... من الدموع فناد الصبر يا بلدي
هرعت بعدك للذكرى معطرة ... بالبشر صافية كالقطر نبع دد
وغبت في الأمس علّ الأمس يسعفني ... إذا أفقتُ ولم أبصرك صبح غد
فلحت لي وجدار الموت منتصب ... حتى لأوشك شوقاً أن أمدّ يدي
أراك رغم ضباب البين يا رجلاً ... به تزايد ملك وهو لم يزدِ

هـــل كالبســـاطة تـــاج عـــز لابســـه   هـــل كـــالبراءة عـــرش ثابـــت العمـــد
(واخالـــداه) وعـــاد النـــاس وانصـــرفوا   وأنـــت في القـــبر لم تـــبرح ولم تعـــد
تبـــارك الله نجـــري كلنـــا زمـــراً   نحـــو المنـــون ولا يبقـــى ســـوى الصـــمد
فقـــل لمـــن يعشـــق الـــدنيا أتخطبهـــا   وهـــي الولـــود وغـــير المـــوت لم تلـــد

ولقد امتلأت وجوه الجرايد بالكلمات الرمزية والحروف المكبرة بالتعازي من الشركات والمؤسسات وغيرها بهذه العبارة وغيرها بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره نرفع تعازينا ونشاطر الأسرة المالكة الكريمة والشعب العربي السعودي والأمة الإسلامية أحزانها في الفقيد الغالي جلالة المغفور له الملك خالد بن عبد العزيز أسكنه الله فسيح جنانه.

ونبايع على كتاب الله وسُنة رسوله خلفه العظيم جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز وقدمت إلى الرياض الملوك والرؤساء والوزراء من سائر المعمورة للتعزية بالفقيد والتهاني لخلفه.

وقدمت إلى الرياض ضمن الذين ساروا بطائرات الحكومة مجاناً لبيعة الملك فهد بن عبد العزيز نسأل الله تعالى أن يوفقه وأن يجعله خير خلف لخير سلف، وقد نكست الأعلام في الأردن على الدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والسفارات الأردنية في الخارج، وأعلن الحداد في الأردن لمدة أربعة عشر يوماً وأعلن العراق الحداد لمدة سبعة أيام ونكست الأعلام فيه.

وقام أمير قطر خليفة بن حمد آل ثاني فألقى هذا البيان: (بقلوب مفعمة بالحزن ونفس مثقلة بالأسى والألم تلقينا نبأ انتقال المغفور له أخينا العزيز صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود إلى رحاب الله، إن المصاب فادح لقد فقدت أمتنا العربية والإسلامية واحداً من أعظم قادتها في وقت هي أشد الحاجة إليه وهي تواجه أحداثاً حاسمة وتحديات مصيرية، لقد كرس رحمه الله كل وقته وفكره

وطاقته لخدمة بلاده وأمته العربية والإسلامية وترك تاريخاً حافلاً بجلائل الأعمال سيظل دوماً نبراساً يضيء لها طريق الرشد والسداد، إن المرء ليعجز عن التعبير عن مدى الفجيعة في فقد هذا القائد الكبير في هذه الآونة العصيبة من تاريخ أمتنا وإن كنت أنعاه إلى شعبنا في قطر وإلى شعوب العالم العربي والإسلامي قاطبة، فإنما أنعاه وقلوبنا جميعاً تقطر مرارة وأسى..) إلى آخر كلامه المتضمن للتعزية والدعاء للراحل وقد أعلن الديوان القطري الحداد وتنكيس الأعلام في كافة أنحاء دولة قطر وسفاراتها في الخارج لمدة أربعين يوماً وتعطيل الوزارات والأجهزة الحكومية والمؤسسات والشركات لمدة ثلاثة أيام اعتباراً من يوم الغد الموافق ١٣ يونيو كما أعلن الديوان رسمياً بأن سموه قد توجه إلى المملكة العربية السعودية على رأس وفد دولته للمشاركة في تشييع جثمان الفقيد وأعلن الديوان القطري الحداد العام وتنكيس الأعلام في كافة الدولة.

وكذلك دولة البحرين أشادت بمواقف المغفور له ببيانها وهي تتلو ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠ ﴾[1] صدق الله العظيم وأصدر مجلس الوزراء البحريني في جلسة استثنائية عقدها في ذلك اليوم برئاسة سمو الشيخ عيسى بن سليمان آل خليفة أمير دولة البحرين أمراً بإعلان الحداد في البلاد ولمدة أربعين يوماً وتعطيل الدولة ثلاثة أيام وكذلك سلطنة عُمان وكذلك السودان يعلن الحداد وكذلك الرابطة الإسلامية للعالم الإسلامي قامت تنعى الملك خالد وكذلك أمين منظمة المؤتمر الإسلامي أمسى ينعى المغفور له وغيرها من الدول الإسلامية والعربية وقد أكثر المحزونون من الرثاء شعراً نبطياً وعربياً ولا سيما حينما نشرت جريدة الجزيرة غرف قصره للناظرين وأبرزت رسوم أبنائه وبعض خدمه المختصين للمعتبرين وشيئاً من أخلاقه وعفته وتواضعه.

---

(١) سورة الفجر، الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩ و٣٠.

ونحن نسوق هذه المرثية التي جادت بها قريحة الأديب الشاعر عبد الله بن محمد بن خميس في هذه الرائعة والنازلة المحزنة.

إن شاعرنا الأديب هو أحد أدباء هذا الزمن لما أوتيه من عاطفة تجسد مشاعر الفقيد الراحل ودمعة تحدرت من وجنتيه ولوعة ساكنة بين أضلاعه وخفقة حزن في أعماقه فقال:

حبيب وما كل الملوك حبيب ... وراع إلى كل القلوب قريب
وما بهم أن يجمعوا في مودة ... فسنة أخلاق الأنام ضروب
ولكن إذا اختاروا مودة خالد ... فما هو حب في القلوب مريب
ألم يك طباً في هواها وعارفاً ... له من مجاري نبضهن نصيب
تولى قياد الشعب سبعاً فما أتى ... مريباً ولم يزورَّ عنه لبيب
يعادي ولكن في مخافة ربه ... ويشجع في مرضاته ويؤوب
وما مد يمناه الْحَصَان لريبة ... ولكن عليها من تقاه رقيب
ويعرف أن الْمُلْك ظل مبارح ... وأن خطوب النائبات تئوب
وأن لسان الخلق يشهد بالذي ... تبادر منه مخطئ ومصيب
فويل من التاريخ يأتي وما له ... حبيب ولا غير الصلاح ربيب
أيطمع أن تروى المحاسن جمة ... بهاله مدح يصطفيه مريب
يدل بها والخلق تشهد أنه ... به من ضروب المخزيات ندوب
تحاشيت هذا خالد وأنفته ... فعرضك عما قد يشين قشيب
تبعت الأولى من دوحة طاب أصلها ... لها في المراقي الصالحات وثوب
تباروا على الدين الحنيف خائفاً ... أريب مضى تتلو خطاب أريب
خلائق ما فيها منال لغامز ... ومآربها في المكرمات جديب
بها غرسوا في العالمين مودة ... لتبقى إذا خان النسيب نسيب
وما الحكم إلا أن يتوج حاكم ... بحب وأن تحنو عليه قلوب

فبالأمس غص القصر بل ضاق ربعه ... وما حوله مع أنه لرحيب
وتتلوه أيام تنوء بعارم ... من الحشد من كل البقاع تصوب
وفي كل إقليم حشود تتابعت ... إلى بيعة فيها النفوس تطيب
وهذا لعمري منتهى الحب أخصبت ... رباه وبعض المدعين كذوب
أخالد لا ينفك ربعك آمناً ... وواديك مخضر الجناب خصيب
تعهدته بالبر حتى تأرجت ... مغانيه روض بالعطاء عشيب
فنم في رحاب الله عفواً ورحمة ... عليك شآبيب الرضاء تصوب
وأن بني عبد العزيز تآزروا ... وكلهم في النائبات جنيب
لأخوة صدق لا يفل غرارهم ... إذا استخرت يوماً وعم قطوب
يؤمهم فهد الرضا من تجمعت ... عليه قلوب حمة وشعوب
خليق بها عدلاً وحلماً ونائلاً ... ورأياً إذا عمت عليه دروب
ربيب غلا لا يسبر الضد غوره ... وفي كل محمود الخصال ربيب

ولد الملك خالد عام (١٣٣١هـ) ورباه والده تربية طيبة كجملة أولاده وسعى في نجابتهم وكرائم أخلاقهم ورجولة أخوالهم ونشأ في كنف والده الملك عبد العزيز حتى وصل إلى سن الدراسة فالتحق بإحدى مدارس الرياض التي ولد فيها ودرس العلوم الإسلامية بشكل خاص واشترك مع والده في الجهود التي قام بها والده لتوحيد المملكة وتثبيت كيانها وعين مساعداً لأخيه فيصل حيث باشر معالجة القضايا السياسية العامة وقد تميز برجاحة العقل وسعة الاطلاع والحكمة وحينما تولى الملك فيصل عرش المملكة صدر مرسوم ملكي يجعله ولي العهد وقد صحب أخاه فيصلاً في بعض رحلاته الرسمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتولى رئاسة الوزراء بالنيابة وتقدم في عام (١٣٦٣هـ) قدومه من أمريكا في رفقة أخيه فيصل ومديح الشاعر حسين خطاني له في قصيدته العصماء التي يقول فيها:

إذا قيل من تهوى السيوف يمينه ... تنادت به الأيام لا زلت أوحدا

وإن قيل من يعتاد للعز منصبا أجابت أرى في خالد من تعودا
أميران في الدنيا الجديدة أشرقا وسيفان من غمد العروبة جردا
فحدث عن الإجلال ما شئت معلناً وحدث عن الإكبار ما شئت منشدا
وبين بلاد الإنجليز حاوة بضيفين كانا للمحامد منتدا
وفي غرب إفريقية وشمالها وداد قديم بالوصال تأكدا
لقد عدتما والشوق مليء ربوعنا فأضحى نشيد اليمن فيها مرددا
أعدا لنا من خير ما قد شهدتما فإن من الإصلاح أن تتعهدا
وإن بلاد العرب ظمأ لنهضه يحدث عنها كل من راح أو غدا
فسيرا بها نحو العلاء بهمة وكونا لها قلباً وكونا لها يدا

وكان الملك فيصل يعتمد عليه وناب عن الملك فيصل في تصريف أمور الدولة مرات عديدات أثناء قيام الفيصل بمهام خارج المملكة ونودي به ملكاً بعد وفاة أخيه فيصل على المملكة العربية السعودية في ١٣/ ٣/ ١٣٩٥هـ فسار بالمملكة مسيرة حميدة شكره عليها الكبير والصغير ونال رضا الجميع برفق وحنان وشفقة أبوية ونالت المملكة ازدهاراً في أيامه ولقد صدق عليه قول الشاعر ابن هانئ الأندلسي:

هموا ورثوه المجد لا مجد غيره وهم خير حافٍ في البلاد وناعل
أولئك من لا يحسن الجود غيرهم ولا الطعن شزراً بالرماح الذوابل
لهم من مساعيهم دروع حصينة توقيهم من كل قول وقائل

توفي المغفور له عن ثلاثة بنين بندر وعبد الله وفيصل وست بنات الجوهرة ونوف وموضي وحصة والبندري ومشاعل، ولما سئل نجله فيصل وهو يتحدث عن والده كيف كانت الساعات الأخيرة حينما كان يصارع الموت قال كان يرحمه الله قبل انتقاله للطائف يوم السبت يعاني من تعب بسيط ونصحه الأطباء بعدم السفر إلى الطائف وتأجيله يوماً أو يومين لكنه أصر وقال لا بد أن نمشي وذكر أنه كان

متعباً قبل السفر إلى الطائف وبالفعل سافر ووصل إلى الطائف في أول الليل الساعة التاسعة مساء وكان متعباً بعض الشيء وجلسنا عنده حتى الساعة الحادية عشرة والنصف وذلك على غير عادتنا وبعد ذلك خرج من القصر إلى الحديقة، وبعد بضع دقائق توجه إلى غرفة النوم وكان طيباً وفي الصباح انتقل إلى رحمة الله ولم يكن عنده أحد في تلك اللحظة فبعد أن دخلوا عليه في غرفته وجوده رافعاً إصبعه وهو يتشهد وقال أن آخر كلمة أسمعها من والدي عندما قال لي شيل العصا وطلعها فوق وكان قد ودع أهله وأولاده وداعاً ليس كالمعتاد قبل أن ينصرفوا عنه حوالي منتصف الليل رحمه الله رحمة الأبرار ثم قام بالأمر من بعده أخوه صاحب الجلالة فهد بن عبد العزيز فبايعته الأمة ملكاً وبايعت صاحب السمو عبد الله بن عبد العزيز ولياً للعهد.

خسوف كلي للقمر

لما كان ليلة ١٥ ربيع الأول خسف القمر خسوفاً كلياً حوالي ساعة وعشرين دقيقة على شبه الجزيرة العربية وقام المسلمون متوجهين إلى الله بالصلاة والدعاء والاستغفار وأديت صلاة الكسوف بسائر المساجد، كما أقيمت بالحرمين الشريفين.

وفيها عض ذئب مفترس أحد العمال اليمنيين في مصنع البلوك في بلدة ثادق فرفع المصاب إلى المستشفى فقرر الطبيب أنها بسيطة ما لم يكن الذئب مصاباً بمرض الكلب السعار، وطلب الطبيب رأس الذئب ليحلله في المختبر فسعوا في طلب الذئب حتى قتلوه وذهبوا برأسه إلى الطبيب.

انفجار رهيب في إيران

لما كان في مساء يوم الجمعة ١٥ ذي الحجة في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة بتوقيت الرياض من هذه السنة أصيب فندق في إيران بعبوة ناسفة أحدثت انفجاراً نتج عنه وفاة (٦٠) قتيلاً وجرح (٧٠٠) جريح منهم ثلثمائة في حالة خطرة، وكان

ذلك الفندق المدمر مقاماً من خمسة طوابق وأصيبت ثلاث سيارات أوتوبيس ملأى بالركاب كما أحدث الانفجار تلفيات جسيمة في سبعة فنادق أخرى وبعض المحلات التجارية والمباني المجاورة وامتلأ عديد من مستشفيات طهران بالجرحى والمصابين وأوضح مدير الشرطة هناك أن العبوة الناسفة التي نجم عنها ذلك تزن (١٥٠) كيلو وكانت قد وضعت في إحدى سيارات النقل التابعة للفندق وأحدث الانفجار حفرة عميقة بطول ستة أمتار وعرض أربعة أمتار وعمق ثلاثة أمتار.

وقد وجه الخميني رسالة إلى الإيرانيين اتهم فيها المنافقين والمفسدين الأمريكيين بالسعي إلى الانتقام بهذا الشكل إلى الانتقام لهزائمهم المتكررة وذلك بضرب المقهورين والمقدمين في الأحياء الجنوبية للعاصمة وطلب الخميني من مير حسين موسوي رئيس الوزراء الإيراني أن يشكل لجنة خاصة تكلف بتعويض ضحايا الانفجار.

خسائر وقعت في إيران

لما كان في أوائل شهر شوال من هذه السنة كبد العراق إيران خسائر في الأرواح فقد سقط في إيران خمسة عشر ألف قتيل خلال عشرة أيام وأعداداً كبيرة من الأسراء والجرحى وقامت وحدات متخصصة من الجيش العراقي بدفن تلك الجثث لما فرت إيران وتركتها في أرض المعركة وقد ندد الرئيس الإيراني السابق أبو الحسن بني صدر بالهجوم الإيراني وقال إن النزاع لا ينفع سوى إسرائيل والولايات المتحدة وقال أن هذه الحرب ليست من مصلحة إيران ولا العراق.

ذكر قتل رئيس لبنان

لما كان في ٢٧/ ١١ اغتيل الرئيس بشير الجميل بعد ترشيحه للرئاسة وهذا الاغتيال دبر له بعبوة ناسفة زنتها (٣٠٠) كيلو غرام تي أن تي وضعت فوق سطح مبنى الكتائب فانفجرت بعد قليل من وصوله للاجتماع بأركان حزبه صرعت ستة

وعشرين من كبار الزعماء وأصابت سبعة وثلاثين (٣٧) فأقيم بدلاً عنه أمين الجميل رئيساً للبنان.

وفي ١٨/ ١٢ وفاة رئيس الجمهورية العراقية السابق حسن البكر يوافق يوم الثلاثاء من هذه السَّنة والشهر.

وممن توفي فيها الأمير محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن آل فيصل كانت وفاته في شهر صفر من هذه السنة وقد رفعت التعازي إلى صاحب الجلالة الملك خالد وولي عهده وأفراد الأسرة.

قرار ملكي

أمر جلالة الملك فهد بن عبد العزيز أن يكون بدء الدوام الرسمي للإدارات الحكومية أيام الاستسقاء من الساعة التاسعة والنصف بدلاً من الساعة السابعة والنصف، وأن تبدأ الدراسة بالمدارس وجميع المؤسسات التعليمية في ذلك اليوم بالحصة الثالثة.

النهي عن المخدرات

نشرت جريدة الرياض بعددها ٥١٢٠/ ١٢/ ٧ من هذه السنة نشرة باسم سعد سيف إبراهيم السيف تتضمن النهي عن المخدرات عنوانها مرض فتاك علينا مكافحته وأتى بما يرشد العقول الصحيحة من مضارها ديناً وأخلاقاً ومروءة وباح بما في ضميره على ما تقتضيه الطاقة البشرية بحسن أسلوب، نعم إن تلك المخدرات التي هي من عمل الشيطان ويقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ وأمر الإمام الأعظم الرعية باجتنابها وهدد وتوعد بالقتل وأمرت المروءة باجتنابها ونهت السُّنة المطهرة باجتنابها وعن تناولها ونهت العقول السليمة والفطرة المستقيمة عنها فكيف لا يخضع المسلم لذلك، وكيف أقدم أربابها والمفتونون بها على تخطي تلك العقبات وإلقائهم أنفسهم بتلك الهاوية التي هدمت الأخلاق وسلبت الفضيلة

وجرت الرذيلة غير أن المبتلى بها نسأل الله العافية لا يسمع ولا يبصر، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ (١).

فيا أيها السامعون ويا أيها المؤمنون أما لكم من عقولكم ناهية، أما لكم من شريعة ربكم داعية، أما تستحيون من الندامة في هذه الدار الفانية، والخزي والفضيحة في الدار الباقية، فاتقوا الله في شرفكم اتقوا الله في نفوسكم اتقوا الله في دينكم اتقوا الله من خزي في الدنيا لا يغسله شيء، اتقوا الله فلا يتخذكم الشيطان لعوبة يتلاعب بكم ويستهتر بكم فقد حذركم وأنذركم منه خالقكم حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ (٢) وسأذكر قصة وجدتها بقلم مرشد وناصح من العلماء قال: أن مبتلى بهذه الرذائل والمسكرات بال فشرب من بوله وتوضأ ببقية بوله ثم رفع أصبعه إلى السماء يقول اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

ورأى عالم من الزهاد إبليس عرياناً بين الناس وهو يرقص ويضرط فقال له يا عدو الله لا تستحي من الخلق بهذه الصفة تكون بين الناس فقال لو كانوا أناساً ما كنت ألعب بهم كما تلعب الصبيان بالكرة.

نعم لعب بهؤلاء المفتونين وما كان فيهم شجاعة يغلبون بها أهواءهم ويسيطرون على أنفسهم فيا عباد الله كونوا عند حسن الظن بكم واعقلوا عن الله ما وصاكم به في قوله يا عبادي يا عبادي واحضروا عقولكم في نهيه عن الانخداع لهذا العدو حيث يقول: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ (٣).

---

(١) سورة المائدة، آية ٤١.

(٢) سورة فاطر، آية ٦.

(٣) سورة الكهف، آية ٥٠.

كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ

رأيت رداً على غازي القصيبي لأبي تراب الظاهري جزاه الله خيراً نشرته جريدة المدينة في عددها (٥٤٣١) ٥ ربيع الثاني من هذه السنة بأن الدكتور غازي القصيبي استنتج من قصة ذكرها الطبري عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وكأنه بذلك يرى جواز السفر وإباحة الاختلاط بين الرجال والنساء وقد سبق القصيبي إلى إباحة السفور الشيخ الفاضل محمد ناصر الدين الألباني، وكان الألباني خاطئ بمقالته تلك لأنه بشر يخطئ ويصيب فقال في رده كلا إن مثل هذه الروايات من دسوسات الشيعة الرافضة يبغضون عمر ويريدون أن ينتقصوا بها من مكانة الفاروق وقال في آخر رده أفكان عمر بن الخطاب يرمي بهذا كله ويريد الحجاب وقول الرب في كتابه العزيز: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ ويشير إلى آية الحجاب في الأحزاب يقول أفكان عمر يرمي بهذا كله عرض الحائط ويطلب من امرأته أن تخرج للضيف الأجنبي فتأكل معه كأنها ابنة أمريكي وليست بابنة أسد الله الغالب ابن عم رسول الله الهاشمي، تالله إنه لبهتان عظيم وإن يقولون إلا كذباً نسأل الله السلامة والهداية وبه السداد والتوفيق وقد اختصرنا الرد وأتينا ببعضه فنشكر للأخ أبي تراب على بيانه وإيضاحه ونرشد الأخ غازي إلى خطأه لأنا لا نؤيد السفور للأجانب ووالله لو تصور القائلون بالإباحة مفاسد السفور في نسائهم وبناتهم وإخوانهم لكان لهم من ذلك ما يردعهم إذا كان فيهم غيره.

ذكر ما جرى على حماة في سوريا

فنقول قام عظيم سوريا الرئيس حافظ الأسد هداه الله وذلك لأنه نصيري وصاحب تقلبات كما جرى منه في تدخله بما لا يفيد في لبنان بصفته يريد الردع للمعتدين هناك وإنما قلنا نصيري كما نقل عنه شعبه وإلا فإنا لم نجالسه ولم نعرف عقيدته ولكن التبعة على الناقل ولكن يظهر من تعسفاته وبغضه للإسلام وانخراطه

في صف روسيا الشيوعية أنه كما قيل عنه أن النصيرية كما ذكره عنهم شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية في كتابه (الرد على النصيرية) قال عنهم أنهم وسائر القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم وأطال في ذمهم ومسبتهم وقد قال السائل وهذه الطائفة الملعونة استولت على جانب كبير من بلاد الشام وهم معروفون مشهورون متظاهرون بهذا المذهب ثم ذكره بأن إلههم الذي خلق السماوات والأرض هو علي بن أبي طالب ﷺ فهو عندهم الإمام في السماء والإمام في الأرض فكانت الحكمة في ظهور اللاهوت بهذا الناسوت على رأيهم أن يؤنس خلقه وعبيده ليعلمهم كيف يعرفونه ويعبدونه وبأن النصيري عندهم لا يصير نصيرياً يجالسونه ويشربون معه الخمر ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من نسائهم حتى يخاطبه معلمه وحقيقة الخطاب عندهم أن يحلفوه على كتمان دينه ومعرفة مشائخه وأكابر أهل مذهبه وعلى أن لا ينصح مسلماً ولا غيره إلا من كان من أهل دينه الخ.

والمقصود خبث بهذه الطائفة وشدة عداوتها للمسلمين.

رجعنا إلى ما نحن بصدده فنقول لما كان في ليلة الثلاثاء ٢/ ٢ شباط فبراير (١٩٨٢م) الموافق ٨ ربيع الثاني في عام (١٤٠٢هـ) ليلة مطيرة قامت أهوال وقوات حافظ الأسد العسكرية من سرايا الدفاع والمخابرات ٢٠ سيارة مصفحة فأحس المجاهدون بشدة البلاء وهبوا يهللون ويكبرون وقاموا يدافعون عن محارمهم وأولادهم وهاجمت سيارات جيب غاز ٦٦ فاشتبكت مع المواطنين واستطاعوا تحطيمها ولكن طائرات الهليوكبتر جاءت تحمل سلطة غاشمة فأنزلت الآلاف حول المدينة وغزوها بارتكاب مجزرة عظيمة وشرعت القوات بوحشية وهمجية لا سبيل إلى وصفها فذبحت أهالي حماة ذبح النعاج الرجال والنساء والأطفال وانتهكت أعراض النساء وشرعت القوات الحكومية في الانتقام بوحشية وهمجية لا نظير لها

ولا سبيل إلى وصفها بحجة التفتيش عن المجاهدين وتحمل المواطنون ألواناً من القهر حتى رأوا أن الموت عندهم قد طاب وليس لهم إلا أن ينطلقوا ليلقوا وجه ربهم واستمر الضرب وهدمت المساجد على أهلها وتحولت تلك المدينة بعد أن كانت دهشة للزوار والسياح إلى أكوام ركام (وسنعود عن قريب) وذلك بدعوى أن الإخوان المسلمين في مدينة حماة السورية قد زودوا بكميات ضخمة من الأسلحة والذخيرة واتهم الأسد بعض الجهات الأجنبية المشبوهة التي لم يذكرها بالاسم وقال أنها زودت أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بها وأن عمليات التفتيش التي قامت بها السلطات الحكومية في حماة مكنتها من اكتشاف كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر المتنوعة فضلاً عن العثور على عدد من الوثائق التي تكشف صلات الإخوان المسلمين بجهات أجنبية معينة كانوا يتلقون منها الأوامر وأضاف الأسد أن الإخوان المسلمين ليسوا سوى عصابة محدودة ولا يمكن لها أن تشكل خطراً على الوضع في سوريا بأي حال من الأحوال وظهرت على الشاشة مجموعات من مدافع المورتر والبنادق الصاروخية والبنادق الأوتوماتيكية وصناديق الذخيرة الحية التي تحمل علامات (عراقية) وبهذا نشأت العداوة بين العراق وسوريا وقال أحمد الأسعد أمين حزب البعث السوري في حماة في مقابلة مطولة الليلة قبل الماضية أن دعوة الإخوان المسلمين إلى بدء الهجوم في حماة صدرت من مكبرات الصوت الملحقة بالمساجد.

وقد أشاد الرئيس حافظ الأسد في حديثه بالعلاقات السعودية ووصفها بأنها طيبة مع العلاقات السورية وأخوية واعترف من جانب آخر بوجود خلافات بين سوريا والعراق واتهم العراق بأنه عرقل الوحدة بين البلدين مما وجه لطمة قوية لإمكانيات انتصار الأمة العربية.

وقال مشيراً إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن الجولان أنه مع احترامه للرأي العام العالمي إلا أن بلاده لديها أكثر من سلاح وأكثر من بديل

للدفاع عن حقوقها المغتصبة وذكر في دمشق أن المدافع والبنادق التي ضبطت في حماة من صناعة سوفيتية وأمريكية وعلى بعضها علامات عراقية باللغة الإنجليزية ونسب لأحمد الأسعد قوله بأن عدد مدافع المورتر يبلغ ستين مدفعاً وفي مخبأ واحد فقط ضبطت أكثر من ألف قطعة سلاح كما أن زهير مشارقة أحد مسؤولي حزب البعث السوري أبلغ أن القوات الحكومية تسيطر الآن تماماً على الأوضاع في حماة وأن البحث عن أعضاء جماعة الإخوان المسلمين قد انتهى تماماً ويوضح الحياة وهي تعود إلى حالتها الطبيعية في شوارع مدينة حماة وذلك في ٢ جمادى الأولى من هذه السنة.

الإخوان المسلمون

نتكلم الآن عن الإخوان المسلمين وما لقوا من التعذيب في سجون جمال عبدالناصر وفي سوريا في سبيل الله ونصرة دينه وإن كان قد تقدم بعض ذلك فنقول نقلاً عن مجلة الدعوة بعد هذا العنوان صوت الحق والقوة والحرية الله أكبر ولله الحمد فقالت وبلا شك فإن الجماعة قد استفادت كثيراً من مرحلة الابتلاء التي دخلت بها والتي تمثلت في حملات التنكيل والقتل والتشويه والتشريد بعد أن أثبتت الممارسة العملية زيف وبهتان أصحاب هذه الحملات ثم أنه أخذ في تعريف بالشيخ حسن البنا وشخصيته الذي هو رئيس جماعة الإخوان المسلمين الذي تعرف الراصدون على شخصيته وصدقه وثقة الناس به وأنه ولد في بلده المحمودية التي تقع شمال غرب مدينة القاهرة في دلتا النيل وكان أبوه يعمل في تصليح الساعات إلى جانب عمله كمدرس في مسجد البلدة المحلي وقد درس على يد الإمام محمد عبده في الأزهر الشريف وكتب بعض الأعمال في الفقه والتشريع الإسلامي ولذلك تربى في جوّ ديني ملتزم.

وقد انضم حسن البنا إلى بعض الطرق الصوفية عندما وصل سن البلوغ وظل عضواً نشطاً فيها لمدة حوالي عشرين عاماً، وقد تأثر حسن البنا كثيراً من قراءاته

لكثير من أعمال الشيخ الغزالي، وفي سن السادسة عشرة أرسل للتدريب في كلية دار العلوم بالقاهرة كمدرس للغة العربية، ومن خلال تردده المستمر على المكتبة السلفية بالقاهرة تعرف على الكثير من أصحاب الحركة السلفية وعلى رأسهم محمد رشيد رضا، وفي عام (١٩٢٧م) وله من العمر إحدى وعشرين سنة تخرج حسن البنا وعمل مدرساً للغة العربية في مدرسة ابتدائية بمدينة الإسماعيلية التي كانت مقراً لشركة قناة السويس وعاصمة لمنطقة القناة التي تقع تحت السيطرة البريطانية.

وبدأ حسن البنا يشعر بالحزن والقلق لما يراه ويشهده من فساد سياسي وأخلاقي وتمزق وانحلال والاتجاه السائد بين شباب الطبقة المتوسطة والغنية في الاهتمام بالثقافة الغربية العلمانية وإهمالهم لدينهم وسيطرة قوات الاحتلال البريطاني على خيرات البلاد واقتصادها وتمتعها بخيرات مصر، بينما يعاني الشعب من البؤس والفقر، ومنذ تلك اللحظة قرر حسن البنا أن تكون مهمته ورسالته الوحيدة في الحياة هي إصلاح تلك الأخطاء وتوجيه التيار لمساره الصحيح.

فبدأ يدعو وينصح الأطفال في الصباح وأهلهم بالمساء، كما أهتم بعقد اجتماعات في المدارس لمناقشة أمور الناس ونصحتهم في المسجد وفي المقاهى.

نشاط الإخوان المسلمين وابتداء تنظيمهم:

ففي أحد أيام عام (١٩٢٩م)، ولد تنظيم الإخوان المسلمين في مدينة الإسماعيلية، وذلك عندما توجه ستة من العمال المصريين الذين يعملون في المعسكر البريطاني للقاء حسن البنا وصرحوا له باستيائهم من الظروف والأحوال التي تعيش فيها مصر وما يتعرض له الإسلام والمسلمون في كل مكان من العالم العربي وأقسموا لحسن البنا على الولاء والعمل تحت قيادته لما فيه خير الإسلام والوطن، ومع مرور السنين بدأ أعضاء التنظيم في الازدياد حتى وصل عددهم في عام (١٩٥٠م) إلى حوالي خمسمائة ألف عضو عامل وفعال غير المتعاطفين

والمؤيدين من طبقات الشعب وكان من أفكار الإخوان المسلمين العداوة والكراهية للسيطرة الأجنبية وكراهيتهم للأقليات المحلية في مصر من يهود ومسيحيين والـذين كانوا يخدمون مصالح المستعمرين.

وبدأ تنظيم الإخوان المسلمين في بداية تكوينه بالاهتمام بالإصلاح الاجتماعي والأخلاقي في مصر، ولكنه سرعان ما تحـول إلى تنظـيم سياسـي حيث بـدأ يظهـر عداوته وكراهيته للاحتلال البريطاني.

كما أيّد الإخوان مغلوبي الفلسطينيين ضد الصهاينة واعتبر الإخوان المسلمون القدس هي ثالث الأماكن المقدسة وأن فلسطين هو قلـب العـالم العربـي، وفي عـام (١٩٤٨م) أرسل الإخوان المسلمون متطوعين ليشتركوا في القتال مـع الفلسـطينيين في الجهاد ضد اليهود، وكان ذلك قبل أن تعلـن الحكومـة المصـرية الحـرب بشـكل رسمي، ونشأ عن نشاط الإخوان المسلمين وتنظـيمهم أن عارضـوا سياسـة الملـك فاروق، وبدأ الصراع يزداد بين الحكومة وتنظـيم الإخـوان المسـلمين حتـى قامـت الحكومة المصرية في أواخر أيام فاروق بحل تنظيم الإخوان المسلمين.

وقبضت على الأعضاء البارزين إلى جانب حسن البنا وبعد ثلاثـة أسـابيع مـن ذلك قتل رئيس الوزراء المصري النقراشي باشا بإطلاق الرصـاص عليـه مـن قبـل أحد الأعضاء الشبان من الإخوان المسلمين، وبعد سبع أسابيع من هذا الحادث بل في ثاني عشر من فبراير عام (١٩٤٩م) اغتيل حسن البنا وكان لاغتياله تـأثير قـوي على التنظيم، لكن ذلك لم يغير قوة الإخوان المسلمين، ولقد ظهر إعجاب الضباط الأحرار بتنظيم الإخـوان المسـلمين أثنـاء حـرب فلسـطين عـام (١٩٤٨م) الموافـق (١٣٦٨هـ) عندما رأوا شجاعة واستبسال الإخوان المسلمين في القتال ضـد اليهـود ومن والاهم.

بينما كان الملك فاروق وأتباعه سعداء في تـركهم الجـيش لـيلاً في ضـفة بحيث ظهر لبعض المسلمين الصادقين خيانـة فـاروق في قتـال اليهـود مـن جهـات كـثيرة

وانتقدوه بعد خلعه بأن سار بجيش للقتال يحمل أسلحة غير صالحة للقتال وربما ثار المدفع من خلفه فقتل من يطلقه إلى غير ذلك مما اتهموه به من الخيانة، ولما كان قبل تنفيذ ثورة عام (١٩٥٢م) كان هناك اتصال بين الضباط الأحرار وتنظيم الإخوان المسلمين للقيام بتنفيذ بعض الأعمال لإنجاح الثورة ومن خلال تلك المشاركة ظن الإخوان المسلمون أن لهم الحق في المشاركة في الحكم، ولكن عندما سيطر عبد الناصر ورفاقه على مقاليد الأمور في مصر أصدرت الحكومة الناصرية قراراً بحل التنظيم رسمياً، وبما أن محمد نجيب الذي تولى الرئاسة بعد فاروق مصدر معارضة لسلطة جمال وتحركه فقد أبعد وتولى الرئاسة جمال.

وبما أن حسن البنا رحمه الله قد قتل فقد ظهر المفكر الشيخ سيد قطب الذي خرج من السجن عام (١٩٦٤م) وتولى تنظيم الإخوان المسلمين وقام جمال عبد الناصر لما رأى نشاط سيد قطب وما أثبته في كتابه الشهير (معالم في الطريق) فقبض على قطب وعلى الكثير من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بتهمة محاولة قلب نظام الحكم ومحاولة اغتياله فزجهم في غيبات السجون.

وأمر زبانيته بتعذيبهم عذاباً لم يفعله فرعون ولا جنوده وأعوانه، تارةً بسلاسل الحديد وتسخيرهم لقطع الحجارة في إحراق الشمس، وتارة ضربهم وهم عراة لا يجعل لهم ما يسترون به سوآتهم والتضييق عليهم في زنزاناتهم وإرسال الثلج عليهم وهم قيام عراة وشيهم بالنار، وإرسال الكلاب عليهم تنهشهم جائعة وهم مقيدون، وتارة بتعليقهم بارجلهم وقتاً طويلاً وضرب رؤوسهم بأسياخ الحديد وكيهم بالنار في المواضع الحساسة كالعيون والمناخر والعورات، وقد قدمنا شيئاً من ذلك وعلى من أراد الاطلاع فعليه بمعاملتهم لزينب الغزالي وسيد قطب، مما تستك عنده الأسماع وتتغير الأوضاع وإطلاق العيارات النارية عليهم وأشياء لا يكاد يصدق بها السامع، وقد اثبتت في كتب ورواها المشاهدون للغائبين ومعاملتهم بالمعاملات اللاأخلاقية كإحضار زوجاتهم وبناتهم بين أيديهم تفعل الجنود بهم

الفاحشة وقد هلك الظالم والمظلوم وسيتولى الله الفصل بينهم ونحيل القارئ على حوادث عام (١٣٨٦هـ)، وإن كان الموضع ضيقاً لا يتسع للبسط هنا وهناك.

ذكر ياسر عرفات

أما ما كان عن ياسر عرفات فقد ظل مذبذباً تارة يتردد إلى روسيا وتارة يركن إلى الخميني الذي خدع الناس بثورته وبهرجته بادعائه أنه قام بثورة إسلامية علّه يجد لديه حيلة في طرد إسرائيل ومناصرة منه لما هو يكابده من كونه زعيم التحرير الفلسطيني، فقد زار طهران وراح يوزع قبلاته المشهورة على وجوه قادة الثورة، وخاطب الخميني قائلاً إن ثورة إيران ليست ملكاً للشعب الإيرانيَ فقط إنها ثورتنا أيضاً، فنحن نعتبر الإمام الخميني ثائرنا ومرشدنا الأول، وذلك لأنه في ١١/ ٢/ ١٩٧٩م فبراير الموافق ليوم الأحد ١٤ ربيع الأول (١٣٩٩هـ) تحولت سماء المخيمات الفلسطينية في بيروت والضواحي المحيطة بها إلى كتلة من النيران فقد أخذ الفلسطينيون والمواطنون اللبنانيون كذلك يطلقون العيارات النارية من مختلف الأسلحة بكثافة غير عادية ابتهاجاً بنجاح ثورة الخميني وكأنهم نسوا غدر الصدر بهم عندما انضم إلى الجيش النصيري عند دخوله لبنان حينما أمر منظمة أمل وعساكره التي تعمل في جيش لبنان العربي بالانضمام إلى جيش سوريا.

وتارة يذهب إلى حافظ الأسد وينخدع له.

وتارة تظهر له خيانته فيذهب إلى الحسين بن طلال ملك الأردن، وتارة يفاوض أمريكا وظل محل الحيرة من الفلسطينيين الذين تزعموه وآخر شيء قيل عن ياسر عرفات مسكين شعب فلسطين قد ابتلاه الله بقيادة ياسر عرفات وأمثاله، وقد نجح حافظ الأسد وقام بما عجزت إسرائيل عنه وذلك بشق منظمة التحرير الفلسطينية بحيث انشق الفلسطينيون بأنفسهم فكان جزء معه وجزء مع أبي موسى الذي استخفه حافظ الأسد وجعله يقاتل ياسر عرفات وأتباعه لما يريده الأسد من التحريش والضوضاء في لبنان حتى أصبح الفلسطينيون يتناحرون في لبنان

ويتقاتلون جزء مع ياسر عرفات وجزء مع أبي موسى بما كان العرب أضحوكة للأمة وشماتة عدو لإسرائيل وأتباعها.

فقد قامت اليهود تغزو لبنان بحجة أن الفلسطينيين فيه وقام كل عدو وكل مشاغب وكل طاغوت يتدخل في لبنان بصفة الناصح والمدافع عن أهله منهم من كان مدفوعاً من جهة إسرائيل كسعد حداد الذي أهلكه الله بعد ذلك بمرض السرطان.

ومنهم من كان مدفوعاً من جهة حافظ الأسد الذي يتظاهر بالنصح والدفاع عن لبنان ولكنه بضد ذلك.

واستطاع الخميني أن يفسد في لبنان كما أفسد في إيران وبعث شيعته الذين سماهم بحزب الله يقاتلون الأهالي ويتهاوشون مع حركة أمل التي يدفعها الأسد فأصبح أهالي لبنان ضحية لهذه الفتن والمجازر والدمار والدليل على ذلك أن الأسد في تاسع رمضان من هذه السنة (١٤٠٢هـ) الموافق ٢٠/ ٧/ ١٩٨٢م يقول في أجهزة إعلامه أن القوات السورية دخلت إلى لبنان لأداء مهمة محددة هي إنهاء الحرب الأهلية التي فرقته خلال عام ٧٥ و٧٦ ولم تذهب لتحارب إسرائيل من هناك، إذا به يصارح مبعوث ياسر عرفات إليه بقوله أريد أن تهلكوا جميعاً لأنكم أوباش.

وإني لأعجب من انخداع إيران للخميني وآياته الذين زادوا الطين بلة وقام وأعوانه من الفراعنة المعاندين يريدون القضاء على الإسلام وأهله وهي حالة الفرس قديماً وحديثاً كيف يتركونه يسعى بالفساد.

ولكن أين عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص ليلقوا عليهم درساً من العذاب لا ينسونه إلى آخر الدهر، لأن هذا القتال الذي نشأ في الخليج بين العراق وإيران ثمرته مصالح الدول الكبرى من جهتين، أولاً لبيع السلاح على الفريقين بأثمان باهظة وثانياً لاضعاف الجهتين المحاربتين وفعلاً حصل لذلك التفرقة بين

المسلمين وحصد شوكتهم وهذا ما يرمي إليه الكفار أعداء الإسلام فقد ربح الكفار استجلاب المادة التي لا تعتبر بالحساب تقليل عدد المسلمين هذا وهم لكمال سياستهم يضحكون ويقفون موقف المتفرج على الفريقين واستنزفت الأموال في سبيل الشيطان لشراء الأسلحة الثقيلة الحديثة، وقتل بعضهم لبعض بها ولو أن المسلمين والشيعة والعرب فكروا في ذلك كان لهم ما يرشدهم ولو شخصوا أمراضهم التي قضت على الأرواح والأموال وهدمت المساكن على أهلها لكان لهم ما يردعهم عن ذلك فخذ ما شئت من أسباب التفكك والعداوة التي ينشدها أعداء السلام بحيث حصلوا على مقصودهم بحيث كان المسلمون ضحية ذلك الدمار والمذابح والهمجية ولو رجع أهل لبنان وفلسطين إلى ربهم وأصلحوا ذات بينهم وكانوا يداً واحدة هم وسائر المسلمين لهزموا عدوهم ووحدوا كلمتهم فخذ ما شئت من هذا التفكك والتخاذل والعبث بكرامتهم وذهاب ريحهم وفشلهم فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها في ١١/٢٠ من هذه السنة وفاة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد أثر مرض مخوف قضى عليه رحمه الله وعفا عنه وكنت لم أجد له ترجمة ولا أعرف شيئاً كثيراً عن حياته.

ذكر شيء عن مدينة الظهران وما منّ الله به على الحكومة السعودية

لما أن كان في عام (١٣٥٢هـ) شرعت أمريكا في التنقيب عن الزيت والبترول والمعادن في منطقة الظهران، وبهذه المناسبة في ذكر الخليج العربي أي قبل هذه السنة بخمسين عام كانت عجوز تقف في طريق الملك عبد العزيز رحمه الله تستجدي من جوده وكرمه فقالت له مرة: أسأل الله أن يفتح لك كنوز الأرض فعجب لكلامها وجعل يفكر في كنوز الأرض ومتى إذا شاء الله أن يجد تلك الكنوز، وهل هي من ذهب أو فضة فشاءت القدرة الإلهية أن يفتح الله عليه بالبترول المستخرج من الأرض الكنوز التي أغنى الله بها من شاء من خلقه في الكويت والعراق وإيران

وغيرها من الممالك، ومنذ أن قامت الشركة الأمريكية أرامكـو تنقـب عـن الزيـت وحفرت أبار الزيت وأنشأت مصانع هناك وأقيم حـي السـلامة أو حـي السـعودية وأصبحت مدينة الظهران لها منظـر غـير وضـعها الأول وتحولـت تلـك الهـوة مـن الحجارة إلى مناظر عجيبة وشقت فيها شـوارع وغـرس فيهـا أنـواع مـن الأشـجار والزينات وأضيئت بالكهرباء وجعلت مصافيات للزيت ويقول لي أحد المهندسـين أن هذه المصفية ويشير إلى مصنع مرتفع بالجو قد أضيء رأسـه قـد كلـف الحكومـة خمسة ملايين وأراني محلات ومواضع قد أنشأت هناك لما يتطلبه الوضع.

وذلك لما زرت الظهران وقمت برحلة لمدينة الظهران عام سـت وسـبعين بعـد الألف وثلاثمائة ووجدت هناك الشهم عبد الله بن سليمان بن عيسـى مـن أهـالي مدينة بريدة كان يمارس أعماله في الأمن هناك، وقد أثنى على مدينة الظهـران، وإن الله سبحانه قد جعل فيها رزقاً لأولئك العمال الـذين رحلـوا إليهـا كمـا وجـدتُ القائد تركي بن عبد الله بن عطيشان من أهالي بريدة وكان هو قائد المنطقـة إذ ذاك وفيه شهامة وتقدم أهّله إلى أن يكون هو القائد العام، وكـان تركـي معظمـاً لـديهم ويكنى أبا علي ويحترم لما كان فيه من صفات الرجولة والتقدم.

كما وجدت هناك أمير الخبر عبد الرحمن بن عيسى بـن رمـيح كـان أيضـاً مـن مدينة بريدة ورأيته يستعد لإقامة مأدبة لأمير قطر علي بن عبد الله بن ثاني ويستعد لما يتطلبه الوضع لإكرام أمير عربي، وبما أن الأمير عبد الرحمن قد كـان بـيني وبينـه صلة ومعرفة ذكرت له أنه لو اكتفى بأمير المنطقة سعود بن جلوي فهو والد الأمراء هناك فذكر لي بأنه لا يحب الخمول وإنما له نفس عاليـة تطلـب المجـد والرفعـة ويـا للأسف أني غادرت البلاد ولم يساعدني الحظ للجلوس معهـم علـى تلـك المائـدة وكان عبد الرحمن مديراً قبل ذلك لمدرسة قرية الطرفية ففرقـت بـه الأحـوال إلى أن يكون أميراً من أمراء المنطقة الشرقية ونفسه تتطلب المجد وقد توفـاه الله بعـد ذلـك وهو يزاول العمل في إمارة الخُبر عن عمر يناهز الستين من الأعوام.

ولقد كانت المنطقة كلها تخضع لإمارة سعود بن عبد الله بن جلوي وجلوسه في مدينة الظهران اختاره الملك المغفور له عبد العزيز وكانوا يرون عند أشياء من تأمين المنطقة، فقد استطاع أن يوقف كل معتد عند حده وتركهم أمة طائعين خاضعين لحكومتهم وأصبح كل فرد منشغلا بنفسه وتأديب من خرج عن الجادة وللأمير سعود قصص في الأمن تقدمت في ترجمته في سنة وفاته فإنه كان أميرا وأي أمير قد خضع لسطوته القريب والبعيد هناك وإذا ذكر اسمه أمام البدوي من الأعراب وقطاع الطريق فإنها تكاد يفصل جوارحهم ذلك لما يعرفونه من صرامته وشدة بطشه وكان عريقاً بالجد ولا يقعقع له بالشنان ويا ويل كل معتدٍ وكل متجاور لوضعه فنسأل الله تعالى أن يغيث الحكومات الإسلامية بالرجال الأكفاء الذين يسهرون على راحة الشعوب وأمن الأمة.

وممن وجدت هناك زميلنا في الدراسة على الدرب صالح بن محمد الصقعبي في مدرسة الأهلية وهو محمد بن علي بن مطلق مدير مطار الظهران، كان يقوم بأعماله بجد ونشاط أتيت إليه وقلت له أن الأيام التي أريد قضاءها في هذه المنطقة قد انتهت وقد قال لي المسئولون أن الطائرات محجوزة لنصف شهر للحجاج، كما أن القطار السريع محجوز لمدة أسبوع فقال لي أين عفشك فقلت حاضر ولكن كيف أصنع بدعوة قائد المنطقة تركي بن عبد الله فأجابني بقوله: إذا عزمت فتوكل على الله ويسمح القائد عن حضوركم فنفعني بالركوب رغم الحجز والمحاضرات، وكان وديعاً أديباً وممن وجدت محمد بن علي الحوطي من أهالي بريدة، كان يقول إنني قدمت سياقة القطار فساقها الله لغيري وكان يسوق سيارة قلابي من ذوات النقل وممن وجدت هناك محمد بن سليمان بن عبد الله بن مشيقح أهداني كتاب تاريخ حميدان الشويعر وابن ربيعة وابن لعبون وابن سبيل شعراء النبط المشهورين وكانت الأمة ينتهزون من الأيام والليالي كأنها أيام وليالي أعياد وذلك للقبول في مدينة الظهران.

أما عن الشهم عبد الله بن سليمان بن عيسى فقد رجع إلى وطنه ومسقط رأسه مدينة بريدة واتخذ مزرعة واسعة النطاق في وادي الرمة في الجهة الشرقية الجنوبية وعاش بها حتى توفاه الله فيها لأن المؤمن يحب وطنه وحب الوطن من الإيمان.

إقامة السوق المركزي في مدينة بريدة

لما تقدمت المدن في هذا العصر وقامت تتفاخر بالزينات في مداخلها ومخارجها باقامة شلالات ترفع المياه وتضعها ونصب رموز عن كرامة العرب وما يسمعونه أولاً من المباني وأباريق القهوة والقدور والصواني بحيث ترفع هذه الرموز فوق قواعد لترى بضخامة وحسن وضوح فقد وضع في مدينة بريدة سوق بعدما هدمت مئات البيوت المقامة من الطين واللبن وذلك في قلب المدينة الأولى الذي كان يقع في جنوبها بحيث أزيل ثلاثون شارعاً وما على ضفتي الشوارع من البيوت وجعل مكانها البالغ في السعة قدراً طويلاً عريضاً وبنيت فيه مظلات مسلحة هذه للحوم وأخرى للبطيخ وساحة للتمور وأصبح ذلك السوق من أكبر الأسواق في الشرق الأوسط وجلب إليه أنواع الفواكه والخضراوات من اللوبيا والكوسا والباذنجان والقثاء والبطاطس والمنجا والملفوف والخيخان والمشمش واليقطين بأنواعه والبرتقال والتفاح والكمثرى والموز وفواكه الهند ومصر والشام واليمن بأنواعها كان ذلك السوق في مدينة بريدة لا يكاد يفقد فيه مما تطلبه النفوس وجلب إلى ذلك السوق أنواع الكماة والأقط والسمن.

فأما ما كان من الخضروات فتباع بأقيام زهيدة لكثرتها وأما السمن فأحضر من الأسواق بحيث بلغت قيمة السمن إلى قدر عظيم في الغلاء وأصبح ذلك الميدان الذي كان من قبة رشيد المعروفة شمالاً إلى منقى حيالة ربيشة جنوباً موضع مكان إيقاف الأقدام من كثرة من يرد عليه من الزبائن وكانت السيارات تحمل مما في ذلك السوق وتذهب إلى البيوت والضواحي والقرى والمدن التابعة لمدينة بريدة من عقلة السبلة غرباً إلى مدينة الزلفى شرقاً ومن هجرة الصقور وساجر جنوباً إلى قرية

الكهفة شمالاً ولم يقتصر تموين على تموين المنطقة حتى تجاوز إلى الرياض وحائل والمدينة المنورة ومكة المكرمة إلى ذلك المجمعة والغاط وشقراء حتى امتد إلى الكويت شمالاً إلى عسير جنوباً فسبحان مداول الأيام والليالي، ولقد عم الهدم إلى منطقة السوق مسجد ناصر بن سليمان بن سيف ومسجد الشيخ محمد ابن عمر بن سليم ومدرسة المعلم صالح بن محمد الصقعبي.

قال بعض الأدباء والمواطنين في ٩/ ٣/ ١٤٠٢هـ يعني من هذه السنة ستودع مدينة بريدة خلال الأسبوع القادم مدرسة علمية شهدتها المنطقة الوسطى قبل تأسيس المدارس الحكومية ألا وهي مدرسة الصقعبي المنسوبة لصاحبها صالح بن محمد الصقعبي حيث تقوم بلدية بريدة بهدم الحي السكني الذي يضم هذه المدرسة وذلك ضمن مشروع المرحلة السادسة التي سيقام عليها السوق المركزي ببريدة وهذه المدرسة لها فضل على عدد من العلماء والكُتاب والأساتذة بحيث خرجت المئات من القراء والعلماء والماهرين والأدباء والمثقفين وقد توفي مؤسس هذه المدرسة في عام (١٣٥٧هـ) رحمه الله وكانت تحتوي في وقت ازدهارها على ٤٥٠ طالباً وقد تم ترشيحه لإدارة المدرسة المذكورة، لتكون حكومية قبل وفاته بأيام وقد كانت المدرسة فاتحة أبوابها لتعليم القرآن الحكيم بقراءة مجودة وحفظ وتعليم الحساب والإملاء والعلوم الدينية.

وقد قدمنا عنها ذكراً في سنة وفاة صاحبها وبموته انطفأت تلك الشعلة وخمدت تلك الجذوة والآن يعمل فيها معاول الهدم والنسف حتى أصبحت أثراً بعد عين فسبحانه من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ومما قال بعضهم في الفراقيات ودمار المنازل وحلول الكوارث:

أحاط بها أمر المليك فأصبحت   معطلة تبكي على فقد طالب
فاها على تلك الرياض قد أقفرت   رياح بها تسفر على كل جانب

وقال غيره:

تغـير لــون مــن ديــار الحبائــب ولم يبـق فيهـا بعـد إلـف وصـاحب
سـوى موقـد للنـار مـن بعـد مرجـل أثـافي سـفاع بـين تلـك السباسـب
وقفـت علـى الأطـلال تـذكار معشـر وأنـس مضـى هـل كـان يومـاً بابـب

وقال غيره:

وقفت على الأطـلال أذري مـدامعي وأبكي زمان الوصـل مـع كـل طالـب
تــذكرت أيامـــاً خلـــت ولياليـــا معاهـــد أفـــواج زهـــت بالحبائـــب
فآهـــا علـــى ذاك الزمـــان وأهلـــه وآهـاً علـى فقـد العلـى والصـاحب

وقال الشاعر يبكي عالماً من العلماء ويرثاه:

وقمـت أنـادي في الطلـول وادمعـي تـروي الثـراء إذ منـه واراه بلقـع

وبكل حال فإن تلك المدرسة زرعت زرعاً فأخرج شطأه ولا يعرف قـدرها إلا من شرب من ينابيعها ولو قمت أعدد خريجيها لضاق الموسع وكـان نباتهـا الكبـار والصغار وإن كانت إنما أسست للأطفال لكنها لم تقتصر عليهم وكـان يتلقـى جميـع قاصديها بصدر رحب وقبول وكان من ضمن طلابها الشيخ الشاب محمد بن عبـد الله بن الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم والشيخ محمد بن رشـيد الحمـود الـربيش وحمد الجاسر وصاحب التـاريخ المشـهور وأنجـال آل مشـيقح وأنجـال آل رشـودي وأنجال آل مهنا وأنجال صالح بن سليمان المطـوع أخـوة الشـيخ محمـد بـن صـالح المطوع وأنجال آل غنام وأنجال آل مرشود وغيرهم خلـق كـثير وجـم غفـير مـن لا يحضرني ذكرهم.

وكان في مدينة بريدة مدارس أهلية قبل أن تنشـأ المـدارس الحكومـة كمدرسـة ناصر بن سليمان بن سيف الكائنـة بجـوار مسـجده ومدرسـة محمـد بـن عقيـل في جنوبي بريدة ومدرسة المطـوع في شمـالي بريـدة ومدرسـة عبـد العزيـز بـن فـرج

ومدرسة محمد بن صالح الوهيبي ولكنه بتأسيس المدارس الحكومة انتهى وقتها ونقل أربابها إلى أن يكونوا مدرسين في تلك الدوائر والمدارس الحكومية كما أنه موجود في مدينة بريدة مدارس أيضاً للبنات، وقد تعطل سيرها لما فتحت مدارس البنات الحكومية.

ذكر حالة القتال بين العراق وإيران

لما نشبت الحرب بين الفريقين قام رئيس العراق صدام حسين يستنهض العرب ويطلب منهم المساعدات ليقوم بنحر إيران ويقف سداً بينها وبين العرب فاستجابت له المملكة السعودية والكويت وأمدوه بالسلاح والذخائر وجعلت التريلات وناقلات المدافع الضخمة القوية تسير شحناتها إلى العراق بغير حسبان وانخدعوا له ولم ينتبهوا إلى كيده ومكره وكان يتظاهر بأنه يقوم كسد قوي بين إيران والخليج وحسنوا به الظن وكان بخلاف ما يظهره بل جعل يجمع الأسلحة والذخائر التي بلغت قيمتها مليارات النقود ليومها الموعود وهو ما انطوى عليه ضميره من المكر والكيد لأولئك الذين أمدوه بالسلاح والذخائر ويستغيث ويستنصر العرب للمصلحة العامة بزعمه الكاذب.

ولما قامت أمريكا بنصرته ضد إيران خضعت إيران برئاسة الخميني وانقادت إلى الصلح مرغمة بعد ما قتل بسبب هذا الطاغية مئات الألوف من بين الطرفين حتى قيل أن العراق وإيران خسرتا مليون مقاتل بسبب الطاغية الأكبر، وكان قد أحضر لديه في العراق عمالاً روسيين يصنعون له السلاح المدمر من الخردل والأدوات الكيمياوية أضافها إلى ما استحصله من العرب وقلب ظهر المجن وأقبل يريد هتك الكويت وضرب السعودية بما لديه من الأهوال.

وكان قد اتخذ ملجئاً يحتوي على رقعة كبرى في بطن الأرض تسعه وتسع أتباعه وأسلحته وذخائره التي قام بجمعها واستعد استعداداً لا يصل إليه ضرب القنابل من الجو والبر والبحر.

ولما عرف الجيران ماذا يسعى إليه وما يقصده ذكَّروه حسناتهم ومساعداتهم له غير أنه كان عازماً على ما يضمره من السوء والخيانة كما سيأتي.

ولما أجمع أمره بعد مضي عشر من السنين نفذ ما أضمره من الشر فضرب الكويت من دون سابق إنذار ولا عداء بينه وبينها ولما أن هتكها وهو يريد القبض على أسرة آل الصباح غير أن الله سلمهم من شره وفروا إلى السعودية كما فر أهالي الكويت مع الصحاري والتجأوا بالسعودية وقتل من قتل منهم وهتك نسائهم وأعراضهم وهدم قصورهم وأعاد ذكر الصليبيين الذين هتكوا الإسلام وأهله بالأندلس كما سيأتي وأطلق صواريخ أرض أرض على السعودية وهي من طراز سكود وقوية التدمير بعيدة المدى بحيث تساقط بعضها في مدينة الرياض لما أطلقت من قواعدها في العراق كما سنبينه فيما بعد وجعل يتظاهر بأنه لا يريد الكويت فحسب بل يريد احتلال السعودية وتدميرها غير أن الله تعالى جعل كيده في نحره ورجع بخفي حنين يجر أذيال الهزيمة واستطاعت أمريكا أن تخرجه وقومه من الكويت ويرجع أهالي الكويت إلى وطنهم بعد التشريد والتعذيب وبعدما وضعت الحرب أوزارها بينه وبين إيران.

ظهر أنه لم يحصل إلا على الخزي والعار وخسر حروبه كلها وأصبح ضحكة لكل ساخر بعدما كان يقول أريد أن أجعل الكويت ميناء للعراق، وكان قد أفسد أرض الكويت بالألغام الناسفة والمكائد المدمرة غير أن الله قضى عليها كلها.

هذا بعدما فجر آبار البترول في الكويت وأراد أن يقضي على الرطب واليابس، وصدق الله حيث يقول: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ

﴿بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾[1] وقال جل ذكره: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾[2] فأصابهم الخزي في الدنيا بأيدي الأمريكان وقامت بالتفتيش على أسلحتهم ومعداتهم وضربت قصورهم وسامتهم سوء العذاب وأصبحوا بعدما كانوا يحلمون بالسيطرة على العالم إذا بهم خائفون غير آمنين في وطنهم تفرقت جموعهم وتفرق عليهم شعبهم وما عند الله في الآخرة إلا خزي وهم لا ينصرون وصار العذاب يلاحقهم في عقر دارهم.

ثم نعود إلى ذكر مدينة بريدة التي أتى إليها أهل الكويت حيث أصبحوا آمنين فيها برغد من العيش ولقد كانوا في أوائل قدومهم يستجدون في الأسواق ليحصلوا على قيمة وقود سياراتهم بحيث كان تاجرهم لا يملكون شيئاً، وبعدما أمن امراؤهم سعوا لهم في مالية الكويت ما يصلحهم وأصبحوا ساكنين في مواضع الإسكان في مدينة بريدة في مدينة جديدة التي يقطنون مع إخوانهم السعوديين ورجعوا إلى وطنهم شاكرين للحكومة عطفها، وإنها لمفخرة عظيمة وأيادي تستحق الشكر والذكر ورفع الراية البيضاء لهذه الحكومة جزاها الله خيراً وأيدها وحفظها من الأسواء.

ذكر شيء من تطور الزمان

لما كان في هذه السنة نشأ شباب في مدارس تحفيظ القرآن وضبطه وتجويده وكثر أولئك الطلاب كما كانت جامعة الإمام محمد بن سعود تخرج الطلاب الذين منهم المدرسون والقضاة وكتاب العدل فتولى أولئك الأعمال وأصبح القضاء بيد الشبيبة،

---

(١) سورة النمل، الآيات ٥٠-٥٢.

(٢) سورة التوبة، آية ٥٢.

بحيث لا يرى إلا شاباً أما الكهول والشيوخ فلا ترى منها إلا قلة من بقايا كانت متمسكة بالوظائف وأصبح جل الأئمة والخطباء والقضاة من الشبيبة.

وقد أولع بلغتهم كثير من الأهالي يفضلون إمامة الشاب في صلاة التراويح وقيام رمضان والجمع والأعياد والقضاء فلا تكاد ترى في سائر الأعمال إلا من الشباب وكانت القدماء لا يبلغون عشرة في لمأه وقد أغرتهم الحكومة بكثرة المرتب فإنه زاد عددهم وبما أن القاضي فيما تقدم لا يبلغ مرتبه خمسمائة ريال فقد بلغت رواتب القضاة إلى عشرين ألف ريال شهرياً ومنهم من بلغ ثلاثين ألفاً، وكان منذ خمسة عشر عاماً لا يوجد قاضٍ إلا بعد تسخيره للقضاء فكان أولئك يتسابقون إلى القضاء لكثرتهم فأصبحت لا ترى رجل الأمن أو القاضي أو المدرس إلا شاباً وقد يندر في الأئمة من يكون رجلاً قد علاه الشيب أو كهل اللهم إلا من كان معلماً في وظيفة فسبحانه مطور الأحوال ومقلب الليل والنهار كما أن الأمراء المستجدين شباب وقل أن ترى الكبير واستمر الوضع كذلك.

ذكر الحروب والثورات

كانت فلسطين تغلي مراجلها من القتال بين أهلها وبين اليهود.

وجنوب لبنان فيه حرب اللبنانيين مع اليهود والقتال مستمر في لبنان بين الأهالي واليهود ولا تزال الغلبة لليهود لتوفر السلاح الحديث بأيديهم.

ومن جهة أخرى كانت أمريكا من ورائهم تمدهم بالأسلحة والطائرات والدبابات الحديثة والمدافع الثقيلة وقد استهدف لبنان لضربات اليهود ونسفهم كما أن وجود جماعة حزب الله وجماعة أمل المبعوثين من إيران وسوريا نشأ عن وجودهما استهداف لبنان لتلك القوارع وأن ينازع فلا تزال لبنان تغلي مراجلها بالشر والحروب.

وبما أن أفغانستان يسعى في الاستقلال والتخلص من الشيوعيين فلأنه لا يزال

في نزاع وقتال بين الأهالي وكانت الصواريخ والقنابل الصاروخية الموجهة من بينهم وكل جهة تحارب الأخرى فإن البلاء لا يزال مستطيراً والفتنة قائمة والثورات متتابعة وقد عجزت الأمة عن تسليك تلك الفتن.

وكذلك ما جرى في الصومال والعراق من الانشقاق والهند ويوغسلافيا من الحروب بين الصرب وبين البوسنة والهرسك أضف إلى ذلك إراقة الدماء في مصر وغيرها فإن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها استهدفوا للعقوبات والأذى وقد قدمنا في ذلك ما يكفي وما وقع عليهم بعد ذلك من ملاحقة المسلمين وأذيتهم فأصبح دين الإسلام يلاحق ملاحقة فلا حول ولا قوة إلا بالله وأسبابه تخاذل المسلمين وتفككهم ومن عاش فسوف يرى.

رجعنا إلى ما نحن بصدده فنقول لما أن قامت المعدات بنسف الجهة الجنوبية الغربية من مدينة بريدة لجعل ذلك الموضع متسعاً وسوقاً مركزياً للنظر إلى الظروف التي دعت إلى ذلك من أن تلك الجهة كلها بيوت قديمة من الطين واللِبن حتى اتصل الهد إلى الموضع المعروف بالسبيع والبوطة ونخيل الهوشان والشقيري وكلها نخيل وآبار في غربي البلد ومن خلفها إلى الغرب كثبان الرمال ألقت تلك الشيولات والدركتورات والمعدات البيوت التي استقامت على اللبن والطين من قبل فأزيل مئتان وخمسون بيتاً يتخللها ثلاثون دكاناً وأصبحت ليس فيها ديار ولا نافخ نار.

وكان بعض المولعين بتلك الخرائب لم يصدقوا وقاموا يرممون تلك البيوت بالحصا والجص ولما قامت تلك المعدات الحديثة والمعاول بنسفها وهدها ومن بينها مدرسة الصقعبي التي أشرنا إليها بالذكر والنسف وقد انمحت آثار هناك مشهورة منها قبة سعيد المنسوبة إلى سعيد المنفوحي ومنها مسجد ناصر بن سليمان بن سيف واسمه القديم مسجد الجردة وهو من المساجد القديمة ومنها دار الحمامة وكانت هذه الدار عالية جداً، وقد أبقاها أمير بريدة إذ ذاك فهد بن محمد بن عبد الرحمن آل

سعود لتكون من الآثار ولكنها هدمت بعد موته وزواله ومن الآثار القديمة قبة رشيد المنسوبة إلى رشيد بن سليمان الحجيلان الذي مات قتيلاً عام (١٢٣٤هـ) على تدبير من الحرمة المعروفة بالعرفجية وهي الواقعة في السوق القديم.

وقد وقف الهدم على موضعها وما يتبعها من دكاكين قد يكون بعضها تابعاً لها وقد حظيت بازدحام شديد حينما كانت هي السوق المشهورة لبيع الخضراوات والتمور والفواكه حتى نقل ذلك السوق إلى موضع قصر بريدة حينما هدم بأمر من الملك سعود بن عبد العزيز واشتهرت قبة رشيد باسم صاحبها بحيث كان يجلس فيها ليشرف على الجهات الثلاث شمالاً وجنوباً وغرباً ويمتد منها سوق إلى جهة الغرب فيه دكاكين ضعيفة للنساء يبعن فيها أنواع الأبازير قد زالت جهتها الجنوبية تبع الهدم.

وفيها في ٨/١٧ الموافق لليلة الأربعاء وفاة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن زامل بن سليم أمراء مدينة عنيزة ويعتبر من رجالات المملكة العربية السعودية وكان مسكنه المزرعة المعروفة في عنيزة وتسمى الغبية وكان على جانب عظيم من الشرف والعقل والأدب وله شخصية بارزة في العلم والمروءة والأخلاق والطيبة.

والده الشيخ عبد العزيز بن زامل توفي شاباً عن عمر يناهز السابعة والعشرين في الوباء الذي حصل بمكة المكرمة عام (١٣١٠هـ) ولد المترجم بعد وفاة والده سنة (١٣١١هـ) في ٢/١٦ أي بثلاثة أشهر ويومين فنشأ المترجم في حضانة أمه وتعلم القراءة والكتابة وأخذ العلم عن علماء عنيزة كالشيخ صالح بن عثمان القاضي وأخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي وهو من تلاميذه الأقدمين وما زال يتقدم حتى كان من أعيان أسرته ومن وجهاء أهل بلده فهو الوجيه المقدم، وله إلمام في العلوم الشرعية والعربية وله علم بارز في التاريخ والأنساب والأدب فكانوا يراجعونه في الأنساب لأنه من أبرز أهل بلده في ذلك وكان يقول الشعر، فمن شعره يمتدح شيخه الشيخ عبد الرحمن بن ناصر سعدي قوله:

دع عنك ذكر الهوى واذكر أخا ثقة يدعو إلى العلم لم يقعد به الضجر
شمس العلوم ومن بالعلم متصف مفتاح خير إلى الطاعات مبتكر
بحر من العلم نال العلم في صغر مع التقى حيث ذاك الفوز والظفر
نال العلا يافعاً تعلو مراتعه ففضله عند كل الناس مشتهر
بالفقه في الدين نال الخير أجمعه والفقه في الدين غصن كله ثمر

وكان إلى ذلك صاحب دين مالكاً للسانه وحافظاً لكلامه ومن رجال العلم والأدب أضف إلى ذلك كرماً ورجولة وعزة نفس ورزانة في العقل قمت مرة بزيارة للشيخ رئيس محاكم عنيزة عبد الله بن عبد العزيز بن عبدان في أناس من المشائخ والأعيان فوافانا المترجم عند الشيخ بن عبدان قبل صلاة العصر في أحد أيام سنة (١٣٨٨هـ) في برج الأسد ودعانا إلى منزله وأكد علي بالزيارة في السنة التي بعدها فقمت بدعوة منه بعدما عرض علي أن يصحبني رئيس الهيئات الدينية علي بن محمد السكاكر ومدير مالية بريدة حمد العبد المحسن التويجري وإبراهيم بن محمد بن الربيعان فاطلعنا على مكتبته الحافلة التي أقيمت من حجر وخدمت بالنوافذ والدواليب والأرفاف في جانب مزرعته.

وكنت طلبت منه ترجمة وزير المالية عبد الله بن سليمان فناولني كتاباً في التاريخ يحتوي على ترجمته وفتح لي باب المكتبة على مصراعيه وطلب مني أن آخذ ما شئت من المكتبة لكنني شكرته وأقسمت أن لا آخذ منها شيئاً وجعل يعرض عليّ كتباً غير أنني لغلائها لدى كل أديب مثله لم تسمح نفسي بأخذ شيء منها جزاه الله خيراً وجعل يناشدني أن آخذها فهي هدية من والد إلى صديق لكنني رفضت وكان عمره إذ ذاك في الثامنة والسبعين.

وصليت مرة صلاة الجمعة في الجامع الكبير بعنيزة وسلمت عليه وبعد رجوعي بعث إلي بخطاب قال فيه اعذر أخاك الذي بلغ من العمر ثمانين عاماً فلم ينتبه لك ثم توسل بكل طريقة أن أزوره وأخلف تلك الزيارة وكنت أظن أن الله منّ بفضله

بزيارته واجتمعنا به في مناسبة زيارة قام بها فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد للقصيم في موضع حوالي الورغاني غفر الله له وأسكنه جنته.

ونعود الآن إلى هدم المساكن القديمة في بريدة والنسف فيها، وقد عم الهدم بيوت والدنا الواقعة في تلك المنطقة التي عشنا فيها قرابة ثمانين عاماً.

احتراق مكتبة بريدة

لما كان في السنة المتقدمة أقيم في السطح المرادف لصالة المراجعات زيادة غرف من الديكور فقدر أن أحد المكيفات فيها حصل منه التماس كهربائي فسبب ذلك احتراق تلك الغرف الجديدة وقضت النار على ما في تلك الغرف قضاء مبرماً وأصبحت الكتب الموجودة في غرف الديكور كومة من الرماد والعياذ بالله.

وكان أمين المكتبة عبد الرحمن بن حمد الجطيلي إذ ذاك يبذل أسباب وقف الحريق علها تسلم فكتبت السلامة للصالتين المقامة من الإسمنت المسلح والتهمت النيران المنشآت الحديثة، ثم أنها نقلت بعد ذلك إلى جهة الصفراء في موضع مؤقت حتى يتم بناء المسكن الجديد وهي تحتوي على مدير ومساعد ومحضرين وخدم يتناوبون الحضور صباحاً ومساءً تحت إشراف وزارة المعارف.

وفيها انعقد مؤتمر قمة فاس المؤلفة لجنته سباعية من السعودية والأردن والمغرب وتونس والجزائر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية فقام الأحرار الليبيون بنداءات لهذه اللجنة لإنقاذهم من غطرسة معمر القذافي وما تعانيه ليبيا من أذاه وتقلباته وتلقى المؤتمر من أولئك استغاثة مما هم فيه من العسف والشر وما تعانيه ليبيا ولا سيما حكايتهم الحقائق لما رجع حاج ليبيا يروون الأمن في موسم الحج وتكذيب الافتراءات المختلقة فلقوا من حكومتهم إهانة وأذى.

عود على بدء وبيان عن مدينة حماة المتقدم ذكرها، فنقول بعدما هدمت القوات السورية مساجد حماه وأحرقت البيوت والمساكن وحطمت النواعير، فلقد قام

المجاهدون يدافعون دفاع المستميت، وكانت استغاثة الشيوخ والنساء والأطفال تسمع في كل ناحية واتصل العقيد الطائفي ديب ضاهر قائد الوحدات الخاصة قائد هذا الهجوم على اللاسلكي بقيادته يقول يا سيدي إن ٩٠٪ من القوات المهاجمة عندي أبيدت، فقال له رفعت الأسد اضربوهم بالنابالم، ولا أريد أن أرى بيتاً لا تخرج منه النار.

ومما جرى أن أحد أولاد المجاهدين البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً لما أمضى المجاهدون الليل كله في الدفاع قال لأمه إني أريد أن ألبس ثياباً جديدة أقابل بها رب العالمين فحاولت أمه صرفه عن طلبه فأصرّ على ذلك ونال ما تمناه بعد انضمامه إلى الدفاع، ولما أن كان في اليوم الثالث من المعركة قامت قوات الحكومة تنادي بمكبرات الصوت وتحذر الناس من أن يشتركوا في المقاومة والدفاع وأفهموا الناس أنهم لا يريدون بهم شراً إن التزموا بالهدوء وعدم المقاومة مما طمأن الناس بعض الشيء ثم نادوا على الناس مرة ثانية، فلما اجتمعوا وجهوا إليهم تحذيراً أشد من مغبة الاشتراك في المقاومة ثم فرقوا الناس مما زاد في الاطمئنان والهدوء وقلل من عمليات الاختفاء ثم دعتهم مرة ثالثة إلى الساحة فلما أن اجتمع كثير من الناس بما فيهم الأطفال والنساء بدأت معهم حفلة إهانات وتعذيب أعقبها حفلة رشاشات لم تبق أحداً ممن حضر حياً ثم توجهوا إلى البيوت فبدأت عمليات النهب والسلب وقتل كل من لم يحضر المجزرة فكانوا يخرجون الأسرة أمام بيتها فتقتل فرداً فرداً يقتل الأب أمام ابنه والابن أمام أمه وأخته وسيق البقية إلى خنادق دفنوا فيها وقام حافظ الأسد بتصريحاته يقول إنه كانت هناك مدينة اسمها حماه كانت حفرة وسوف نردمها ونمحو مدينة حماه من الوجود.

وفعلاً جرى ذلك، فقد حوصرت المدينة من كل الجهات ثم قصفت بالمدفعية الثقيلة قصفاً عشوائياً بحيث قصفت الأبنية والمساكن من المدفعية وراجمات الصواريخ والدبابات ثم أرسل الأسد إلى مواضع الركام والأطلال جرافات

ضخمة فأزالتها وأحالت الموقع إلى ساحة ترابية جرداء وأصبحت مدينة حماة التي كان يعيش فيها أكثر من ثلاثمائة ألف مواطن بعد المجزرة التي تركتها أثراً بعد عين لا يوجد فيها سوى أربعين ألف مواطن فقط فروا إلى جهات الأرض من كل جهة.

ذكر بيوت الله التي هدمت

قامت الجنود المدفوعة من قِبل الحاكم حافظ الأسد فجعلت مآذن المساجد أهدافاً لقنابل المدافع والطائرات فقصفت المساجد وهدمتها ومنها المسجد الشرقي في حي الشرقية ومسجد الشيخ إبراهيم في حي الدباغة ومسجد الأفندي وكان هذا المسجد قد سبق في العام الذي قبل هذا أن قصفته السلطة ومسجد سوق الشجرة وجامع الشيخ علوان ومسجد حي الشريعة ومسجد الأشقر في سوق الطويل ومسجد خان الصحن ومسجد المحسنين في حي البياض ومسجد الشيخ زين في حي الشمالية ومسجد حي الحميدية ومسجد عمر بن الخطاب في حي السخانة ومسجد حي المناخ ومسجد المسعود في حي المحالبة ومسجد حي كرم الحوراني ومسجد الشيخ محمد الحامد في حي المحطة ومسجد الحراكي في حي بين الحبرين مسجد صلاح الدين في جنوب الملعب البلدي ومسجد الشهداء في حي الصابوبية ومسجد الإيمان في حي الشريعة ومسجد الأربعين في حي الأميرية والجامع الكبير في حي المدينة ومسجد سعد بن معاذ في حي الغراية ومسجد ترسم بك في حي الجالبة ومسجد الهدى في حي طريق حلب زاوية الشيخ حسين كيلاني في حي الكيلانية، ومسجد الشيخ إبراهيم كيلاني في حي الزنبقي ومسجد الدرابزون في حي القصيدة ومسجد السرجاوي في حي الجراجمة.

وسقط ألوف القتلى ولم يرحموا طفلاً ولم يوقروا شيخاً كبيراً.

ومما يندى له الجبين ويبعث الأسى أن توجه الرشاشات حيث تسكن أربع عائلات فلما استيقظت الأسر من تحطم بوابة الفناء سمعوا النداء بأن يجتمعوا في إحدى الشقق التي اختارها الغزاة ثم هيأت بنادقهم لحصدهم فحاول أحدهم

التوسل بحمل طفل رضيع ودفعه بكلتا يديه إلى الأمام قائلاً من أجل هذا الرضيع ارحمونا لعل ذلك سيثير عاطفتهم الإنسانية فأطلقوا الرصاص على الطفل وتمزق أمام والده وقتل والده وحصدت الرشاشات البقية.

وأمر الأسد بالعلماء والمشائخ فأخرجوا من بيوتهم وقتلوا في الشوارع وقد بلغ عدد العلماء اثنين وأربعين عالماً واعتقل من العلماء ستة وعشرون عالماً منهم أئمة ومنهم مؤذنون ومنهم خطباء حتى خلت مساجد سورية من الأئمة والخطباء الصالحين.

ولما اختبأ بعض الناس تحت الأنقاض ماتوا جوعاً وعطشاً بعدما نفدت أرزاقهم.

ومما يؤسف له أن يصعد صبي إلى الطابق الثالث فتلاحقه الجنود ويلقونه مرمياً من الطابق الثالث، ولما انسحبت عناصر السلطة ظناً منها أنها قضت على الأهالي في حماة تحت الأنقاض فكان أفراد كتبت لهم السلامة بعدما واصل الحفارة أعمالهم ليزيلوا الأنقاض، فانسحب أولئك في اليوم ٢٥ من شباط إلى موضع آخر، وإذا حفارة أخرى تعمل قرب الموضع فانسحبوا إلى حمام واختبئوا فيه فلما أن خيم الظلام استبدلوا موضعاً آخر تحت الأنقاض نحو جامع هناك وإذا عناصر السلطة يتمركزون للقنص فوق الأبنية العالية لكنهم عبروا الشارع إلى الحميدية فجامع الشفاء فرآهم أحد العناصر وصرخ بهم ليقفوا لكنهم هربوا من موضع إلى موضع لشجاعتهم بعدما كانت العناصر تلاحقهم بكشاف النور، لكنهم كتبت لهم النجاة.

وفي بعض الأقبية تجمع تسع وثلاثون امرأة مع أطفالهم، وثلاثة رجال هرباً من شرور القصف لم يدر هؤلاء المساكين أن شر القتلة يلاحقهم حتى الأقبية، فانهالت عليهم رصاصات العدو تحصدهم، واختلط أصوات التكبير بصراخ الأطفال بأزيز الطلقات، فما هي إلا لحظات حتى صعدت أرواحهم إلى بارئها.

ومما يدمي الأكباد في هذه المجزرة أن وجد طفل رضيع ابن خمسة أشهر بعد ستة أيام من المذبحة حياً يرضع من صدر أمه الميتة دماً.

وهكذا انتهت تلك المجازر الشنيعة التي تشمئز منها القلوب وتنكرها فطر العالمين.

وكان في اليوم ٢٢ من شباط أمر السفاح رفعت الأسد فنودي بمكبرات الصوت لإحضار جميع المشائخ ومؤذني المساجد وخدامها من المعتقلات في حماة، وكانوا حوالي ألف شيخ وسيقوا إلى مكان مجهول ولا يزال مصير هؤلاء مجهولاً، وأتي بمسيحي إلى العقيد علي ديب أحد قواد الوحدات الخاصة فلما قدم بين يديه قال له يا سيدي إنكم تبحثون عن الإخوان المسلمين وهو مسيحي فأجابه العقيد أن مسيحيي حماه كلهم إخوان مسلمون، وقد يرد على ذلك التصرف سؤال وهو هل كان شعب حماه كله مناوئاً للنظام فما ذنب الأطفال والشيوخ والنساء الذين لم يحملوا السلاح ولم يتدخلوا في الموضوع، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1]، ولكن كانت كلمة الإخوان المسلمين قد أصبحت تطلق على كل وطني شريف، ولقد قالت الحكومة السورية التي يرأسها حافظ الأسد بقتل الجرحى والأطباء.

وأصبحت مدينة حماه التي بلغ عدد سكانها مما يلي ثلاثمائة ألف مواطن على التحقيق لم يسلم منهم سوى أربعين ألفاً كتبت لهم النجاة ومنهم من فر إلى جهة من تلك الجهات وبذلوا ما بين أيديهم من حلي النساء لرصدة الطرق ليتركوهم يفرون.

ولما اتصل العقيد الطائفي بسيده الأسد وشكى إليه هذا القتل الجماعي للرجال لأنه سيضيع عليهم فرصة التحقيق لمعرفة المجاهدين فما كان منه إلا أن يتصل

---

(١) سورة فاطر، آية ١٨.

بالعقيد الطائفي علي ديب ليحاوره في هذا الأمر فقال يا سيدي إن المعتقلات لا تكفي مع أننا لم نترك مدرسة ومعملاً يصلح للاعتقال إلا استخدمناه فقرر الأسد أن يعتقلوا الثلثين ويقتلوا الثلث الثالث من رجال كل حي وكان يأتي الأمر بأن نسبة القتلى يجب أن تزيد في اليوم عن سبعة آلاف وفي اليوم الذي يليه يجب زيادتها إلى عشرة آلاف يومياً فصاعداً وقد سجنوا في مدرسة واحدة خمسة عشر ألف مواطن.

أما تعذيب المعتقلين من أهل حماه فمنها البرد والجوع والظمأ ومنها التعذيب بالملزمة، يؤتى بالمعتقل وتوضع رجله أو يده في الملزمة الضخمة ويشد عليها حتى يتمزق لحمه وتهرس عظامه، كما يوضع الرأس أحياناً إذا أرادوا القضاء على المواطن نوع آخر كرسي سليمان وهو اسم أطلقه الجلادون على الخازوق الحديدي الذي كان يجلس عليه الشخص حتى يسيل الدم من قفاه ويضرب خلال ذلك بالعصي والأكبال الكهربائية حتى يتسلخ جلده.

ومنها بساط الريح يعلق المعتقل من يديه ورجليه في السقف مع تجريح ظهره وبطنه بالسكين ويترك حتى ينزف دمه ومنها أسلاك الكهرباء توضع في لسان المواطن ودبره وقبله وكما يوضع أحياناً على سخانة كهربائية مشتعلة حتى تفوح رائحة لحمه.

ومنها الكي بالحديد المحمى، كانت أسياخ الحديد تحمى في النار وتغرز في جسد المواطن في الصدر والظهر والبطن وأي موضع من الجسد يخطر ببال الجلاد، ومنها الخنق فكانوا يخنقون بعض المواطنين خنقاً إذ يضعون رأسه على الجدار ويضغطون بأنبوب على رقبته حتى يموت.

وقد استشهد خلائق كثيرون من الشهداء من هذه التعذيبات، هذا ولا نطيل بذكر هذه الحادثة التي لم ينقل التاريخ مثلها في البشاعة، وقد دمرت مدارسها وحرقت محلاتها وحطمت نواعيرها وحرقت بساتينها وحرقت البيوت ونهبت

الدكاكين ثم هدمت بعد سرقة جميع ما فيها وأعدمت الكيلانية المنسوبة إلى أحد أحفاد الإمام الجليل عبد القادر الجيلاني، وكانت من أعظم آثار سوريا الإسلامية، كل هذه الآثار بالنسف ومدافع الهاون وراجمات الصواريخ وضرب الطائرات وأهوال أخرى ولو أن هذه الضربات كانت بعدو للإسلام لكان أولى.

وفيها في ليلة الخميس ليلة ٢٣/ ١ سقط بيت أفراح في الطائف وكان قد أقيم فيه احتفال حضره ٨٥٠ مدعو من بين رجل وامرأة وطفل فهلك في أول وهلة ٤٥ ما بين رجل وامرأة وانقلب ذلك القصر من أفراح إلى أتراح وقامت فرق الإنقاذ بانتشال جثث الهلكى يساعدهم المواطنون وقد بلغ عدد الجرحى ٩٧ وأسفرت الكارثة عن مأساة شنيعة، وقد بعث الملك خالد بن عبد العزيز إعانات وتفويضات كبيرة إلى أسر الهلكى جزاه الله خيراً مما كان له جبر لقلوبهم.

وقد ذكرنا ولاية الملك فهد سدد الله رأيه وأمده بتوفيقه وكان لما أن تولى أمر بصرف راتب شهر إضافي للموظفين ودعوا له وشكروا له تلك المكرمة الطيبة ولما أن افتتح الملك فهد بن عبد العزيز القاعدة الجوية بجدة أنشأ الشاعر محمد حسن فقي هذه القصيدة وأهداها لصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والمفتش العام:

إلى مثل هذا المجد تهفو النوازع ... وتدعوا إليه منذ كنا الشرائع
ففيه لنا بعد الهدى كل عزة ... وفيه لمن عادى الردى والبواقع
بدأنا به طفلا وحطناه بالنهى ... وبالحب قلباً يحتويه الأضالع
فما زال ينمو بيننا ونصونه ... فشب الفتى جادت عليه المراضع
وها هو عملاق جناحاه رفعه ... بها تزدهي أقوامنا والمرابع
إذا هللا هذي الربوع فما هما ... سوى النار يصلاها العدو المنازع
فما نحن منذ اليوم مطمع طامع ... ولا دهته بالحقوق المطامع
إذا أنت رمت الحق من دون قوة ... تقاصره فالحق لا شك ضائع

* * * * *

أبـا فيصـل جاهـدت حتـى تبينـت لأبصـارنا رغـم الضـباب المطـالع
فأنـت لهـذا الربـع تحمـي ذمـاره ومـا تكتفـي بـل عـن سـواه تـدافع
فللعـرب العربـاء منـك عـوارف تواكبهـا منـك السـيوف القواطـع
وللمسـلمين الأكـرمين مـودة مرفهـة فـرت عراهـا الودائـع
مـآثر مـن سـلم وحـرب تألفـت محافـل مـن لألائهـا ووقـائع
ذرائـع عـن غاياتهـا مـا تنكبـت إذا انحرفـت غايـاتهم والـذرائع
كفـى شـرفاً للمـرء تلهمـه العـلا مجـامع تسـتهدي بـه وجوامـع
يلبيـه عبـد الله عنـد ندائـه وسـلطان يتلـو والنجـوم السـواطع

* * * * *

زهـوت بمـا شـاهدت بـالأمس حينمـا تواثـب في الجـو النسـور الطلائـع
وأبصـرت مـن حـولي التهلـل والمنـى تكـاد ببشـر تفـيض المـدامع
فقلت لنفسي اليوم مـا أعـذب الـروى تطيـب بهـا بعـد السـهاد المضـاجع
ومـن قبلـها كانـت هنـاك مـزارع ومـن قبلـها كانـت هنـاك مصـانع
كمـا رصـعت كـل الثغـور يـوافئ شـوامخ في اتقانهـا وصـوامع
إذا ذكـرت في العـالمين تطلعـت لهـا وأشـارت أعـين وأصـابع
تمجـدت يـومي هـل تطلعـت باسمـاً إلى الأمـس زانتـه فغنـى البـدائع
فصـممت أن نحيـا حيـاة كمثلـه وأن لا تصـد العـزم منـك الموانـع
فتستشـرف الأمجـاد منـك ومـن غـد منيـف وتشـدو في حمانـا الروائـع
لقـد دارت الأيـام غـير وئيـدة فعـزت ليـوث واسـتجبت روائـع
ولم نـك يومـاً بـالروائع أنمـا هجعنـا فلـم تشـفق علينـا المهـاجع
وهـا نحـن نصـحو صـحوة مضـرية فـرد بهـا مـا ضـيعته المخـادع
أولـو العـزم لا يرضـون بالـذل والخنـا ولـو هـددتهم بـالمنون المصـارع

إلى آخرها لأنا نؤثر الاختصار.

ثم دخلت سنة (١٤٠٣هـ)

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها في عصر يوم الخميس الموافق حادي عشر محرم في الساعة الثالثة زوالي والنصف أي ما يوافق العاشرة والربع غروبي أصيبت مدينة الخفجي الكائنة حوالي الحدود الكويتية بعاصفة شديدة مصحوبة بمطر ممزوج بالحجارة يقدر بعضها بكبر كرة القدم هشمت السيارات وجرفت الرمال وأدخلتها المنازل وأسقطت بيوتاً وحملت السيارات فمنها ما أدخلتها في المنازل إما بتحطيم الحيطان أو إطارتها بالجو لأنها سقطت الحيطان وانقلب غالب السيارات وشالتها إلى مسافة خمسين متراً وهلك اثنتا عشرة نفساً من جراء الرياح وجرح خمسون آخرون وتحطمت أعمدة الكهرباء في الشوارع والبراري.

وهبت فرق الإطفاء والإنقاذ من الدفاع المدني والشّرطة والحرس الوطني لإخلاء العديد من المساكن خشية أن تسقط على أهلها وقد بلغ عدد أعمدة الكهرباء التي تحطمت خمسين عموداً وأحصيت البيوت التي سقطت في الوقت فبلغت ستة وأربعين بيتاً ولما سكنت الريح وقف الأهالي حوالي السيارات المتقلبة والبيوت المتهدمة يشاهدون تمام قدرة الله عز وجل وهاجوا وماجوا فما بين فار ومختبئ وبين واقف يشاهد ما وصلت إليه الحالة.

وقد روى بعض الجرحى صفة الواقعة فقال: كنت أسوق سيارتي السوبر معي عائلتي وعندما لاحظت العاصفة سارعت بإيقاف السيارة فتفجر زجاجها وانفتحت أبوابها وما هي إلا لحظات وإذا السيارة ترتفع إلى الجو وبعد ذلك لم أشعر إلا وأنا في المستشفى.

وذكر أحد المصابين قال: كنت أعمل مع زملائي في إحدى البنايات بالمنطقة عندما فوجئت بسقوط الأعمدة المقامة من الحديد والخرسانة والإسمنت فشاهدت

زملائي وهم تحت الأنقاض يئنون من الآلام نتيجة تعرضهم للإصابات المختلفة وقد تقلب السيارات الثقيلة الشاحنة وغيرها.

واحتلت العاصفة مساحة كيلوين طولاً وعرضاً أي مليون كيلومتر فخلفت وراءها كثيراً من المنازل المهدمة التي سقطت على بعض ساكنيها أو العمال الذين يعملون فيها وقد شاهدوا أنواع السيارات الشاحنة وهي تطير في الجو عن مستوى الأرض بشكل لا يصدق بمثله ولكنها قدرة الله عز وجل ويروي المسنون في الأعمال أنهم لم يشاهدوا مثل هذه العاصفة طوال أعمارهم، وقد تضاعفت حدة العاصفة بأعاصير شديدة تندفع بسرعة مخيفة قلعت المساكن والأعمدة الخرسانية وأعمدة الكهرباء، وقتلت بعض السكان ونشوء هذه العاصفة من صباح اليوم المذكور بحيث أصبحت أشعة الشمس محتجبة وتحولت السماء إلى شبه السحابة السوداء ثم هبت في الوقت المذكور وكان ذلك في منتصف الموسم ٢٨ تشرين أول أكتوبر.

وفيها في ليلة الأربعاء الموافق ١٧ محرم هبت على القصيم رياح شديدة وذلك في الساعة السادسة ليلاً بالتوقيت الغروبي الموافق للساعة الحادية عشر واثنتين وعشرين دقيقة زوالي ويصف المشاهدون لها بأنها مخيفة جداً وكانت مصحوبة بأمطار ممزوجة بحجارة على أمثال البرتقال في كبره فهشمت السيارات في مزرعة سمو الأمير متعب الكائنة في طريق الرياض وما حواليها وحطمت زجاجها وقتلت ما أصابت من الأغنام هناك وما مرت عليه في جناحها شمالاً حوالي مرتقى سكة الإسفلت في خط الطرفيه وكان عدد البهائم التي أصيبت تقدر بثمانين رأساً فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها في ٨/ ٥ نزلت ثلوج على لبنان وما يليه بحيث انسدت الطرق وعجز بعض الجهات عن الخروج من منازلهم فكانوا محاصرين، وارتفع الثلج يقدر سبعة أمتار وهلك من الأنفس البشرية ما لا يقل عن أربعين قتيلاً وقامت فرق الإنقاذ بما تستطيعه من بذل الجهود لسلامة الأنفس وتخفيف الوطأة عن السكان.

وكثيراً ما ينزل الثلج على جهات الشام فقد ذهب رفقة من العقيلات بعد صلاة العصر للنزهة والفرجة ماشين على الأقدام من موضع إلى موضع وذلك في برج الحوت من عام ١٣٥٤هـ وكان الجو متعكراً، ولما أن رجعوا كان أن سقط الثلج وبنى على سطح الأرض شبه مدينة فكانوا يمشون حتى أدركهم الإعياء من شدة البرد وسقط غالبهم وكان من بينهم علي الحليسي فما زال يسير والثلج يكاد يحرق قدميه حتى انخفس الثلج وسقط على بيت من الشعر فيه سكان وعوائل نساء ورجال وأطفال قد أضرموا ناراً وبين أيديهم سراج والثلج قد بنى من فوق البيت، فلما وقع عليهم كان في آخر رمق من الحياة لولا أن الله دافع عنه المنية فقاموا إليه وأجلسوه على النار وأتوا بفتاتين من البنات وأجلسوهما إلى جانبيه، ومن عاداتهم أن يعالجوا مثله بذلك لأن حرارة الفتاة تؤثر على البرد وتكشفه، ولما أن أفاق أتوا له بثياب أخرى وخلعوا ملابسه لتجف ولما أن وصلوا إلى خفي القدمين لم تخرجا إلا بعد أن انبترت الأصابع، ولما كتبت له النجاة عاش من دون أصابع القدمين فكان على الدوام يلبس الخفين نتيجة احتراق الأصابع من الثلج.

عاصفة تجتاح الإحساء

ففي هذه السنة في ١٥ محرم منها عصفت عاصفة مصحوبة بالثلج على مدينة الإحساء، ولما أن هبت العاصفة كانت مصحوبة بالأمطار أيضاً فانتزعت الأشجار الكبيرة وكان هبوبها في الساعة الأولى من صباح ذلك اليوم ولم تكتف العاصفة بقلع الأشجار فقط، بل اقتلعتها ودمرت ما حواليها من الأرصفة لما أن انتزعت الأشجار من جذورها فتخربت الطبقة الإسفلتية الكثيفة وانهار منزل سقط على سيارة فحطمها وهشمها وأدت العاصفة إلى تعطيل العديد من السيارات في الشوارع والطرقات.

وقد غطت الثلوج بعض شوارع الاحساء بكميات كبيرة من ثلج واحتل الثلج مساحة كبيرة من ساحة سوق المبرز أمام محلات الفحم وأسواق الجوهر وقد

خرجت الأمة من الأسر والعائلات في تلك المناطق لمشاهدة الثلج ومشاهدة قدرة الله تعالى.

هذا وقد أثر الثلج والعاصفة كثيراً على المزارع في الإحساء وتناثرت في كل مكان وتلف الكثير من المزروعات نتيجة لذلك.

وقد نفى أحد المسئولين في الدفاع المدني بالإحساء وجود إصابات أو حوادث بشرية تكذيباً لما شيع واقتلعت العاصفة النخيل وأصبحت الأرض كتلة بيضاء وبحوراً من الثلج.

أما عن كارثة الخفجي فتعتبر أسوأ كارثة يشهدها الخليج ولقد تدمرت المنازل وانكفأت السيارات فكان أعلاها أسفلها وأصبحت المنازل والسيارات لا يرى إلا آثارها ويشاهد مواطن أمام سيارته التي ارتفعت كفراتها إلى السماء يتأمل قدرة الله وسيارة أخرى كفأت الحائط ودخلت بالبيت وسيارة حملتها العاصفة إلى مسافة خمسين متراً وقام أمير الخفجي خالد بن تركي بن عطيشان يتفقد المصابين وقامت كافة الإدارات والمصالح الحكومية بانتشال الجثث والمصابين من تحت الأنقاض وتقديم الخدمات الإسعافية والطبية للمصابين في مستشفيات المنطقة وعلى الفور قام أمير المنطقة الشرقية عبد المحسن بن جلوي بتشكيل لجنة خاصة لدراسة ومسح المنطقة المنكوبة.

وفيها في شهر جمادى الثانية ضربت العراق إحدى آبار النفط الإيرانية فانساح النفط بصفة مخيفة على مياه الخليج بحيث أدى ذلك إلى تلف الأسماك وإفساد المياه التي جعلت للتحلية فاتخذت إيران من ذلك شغباً على العرب وإمارات الخليج وما نعت فرنسا ومن أراد سدها من سدها كل ذلك أذية للعرب لأنه لا يمكن سدها إلا بإيقاف القتال فلم ترضخ إيران، هذا وقد قتلت العراق وأسرت في أواخر الشهر من الجنود الإيرانية ما يبلغ خمسة آلاف إثر مهاجمة جرت بين الفريقين.

وفيها في يوم السبت ٧/١٧ احتفل في مدينة الرياض عاصمة المملكة السعودية

بافتتاح منجم الذهب في المهد وكان هذا المنجم قد استعمل منذ منتصف القرن الرابع عشر خمس عشرة سنة ثم أغلق إلى حاجته الماسة.

وفيها في ٥ /١٣ نزلت ثلوج على تركيا في العاصمة إسطنبول بحيث حوصر ثمانية آلاف من الأنفس البشرية، وقامت فرق الإنقاذ وذلك فيما وافق ٢٤ شباط فبراير.

وفيها في اليوم ٢٣ من رجب الموافق ١٦ برج الثور ٦ مايو يوافق يوم الجمعة هبت رياح شديدة في الساعة الحادية عشرة والنصف من آخر النهار أقبلت من الجنوبي الغربي بقوة شديدة لم يعهد مثلها فأظلم الجو ظلمة الليل مصحوبة بمطر خفيف ولبثت حوالي ٢٥ دقيقة، وهذه لم يعهد مثلها منذ خمس وأربعين سنة بحيث كان المستهدف لها في خطر شديد جداً وفي أواخر أيام برج الثور أوائل أيام شعبان توالى نزول الأمطار على القصيم ولا سيما بريدة، وقد يكون تارة ممزوجاً ببرد دقيق وصحبها رياح شديدة جداً سقط لها سقوف الزينكو أطارتها جواً وتفرقت شذر ومذر.

وفيها نشأ في بريطانيا والسوفيت مرض الجدري في الحيوانات ولاحظ الخبراء أن قسماً من النمور والأفيال أصيبت به كما أعلنت إحدى الجامعات البريطانية عن إصابة ثلاثة من قطط المنازل بهذا المرض، كما قد أوضح الخبراء بأنها أصيبت به بعض الخيول.

وفيها في شهر محرم الهجري الموافق لشهر أكتوبر أصيبت إسبانيا بأمطار غزيرة جداً هطلت في إقليم فالينسيا الإسباني اجتاحت السيول المناطق السكنية ونجم عنها مصرع خمسة عشر شخصاً وإصابة العدد الكثير بجراح وشرعت السلطات في توفير المأوى لمائة ألف مواطن تهدمت منازلهم وتصدع سد هناك مما يشكل خطراً جديداً على المنطقة المنكوبة، وقد سارعت السلطات الإسبانية إلى مناشدة العالم لإغاثتها وقد تبرعت المملكة السعودية بمبلغ عشرة ملايين دولار لإغاثة المنكوبين هناك.

وفيها اعتنق أكثر من ثلاثين شخصاً الإسلام وتشهدوا في مدينة (نوكسفيل) الأمريكية لما شاهدوا عرض المسجد الحرام واستمعوا إلى المواعظ فيه.

زلازل وقوارع تصيب اليمن

لما كان في يوم الاثنين ٢٨/ ٢ من هذه السنة الموافق ١٣ كانون الأول ديسمبر (١٩٨٢م) من هذه السنة الموافق ١٣ كانون الأول ديسمبر (١٩٨٢م) أصيبت اليمن الشمالية بزلزال شديد تضرر مائة وثلاث وثلاثون قرية وبلغ عدد القتلى لأول وهلة ٧٠٠ قتيل أما الجرحى فقد استقبلت المستشفيات في اليمن حوالي ١٥٠٠ جريح، وقد انمحت ٣٣ قرية وبعثت الحكومات العربية مساعدات من الأدوية والخيام ولقد نودي بأنحاء المملكة السعودية بالتبرعات لإخوانهم أهل اليمن ومواساتهم نودي بذلك في الجوامع وأن يمدوا يد المساعدات إلى هذه المملكة المصابة بالأضرار فسارع المسلمون إلى ذلك واستمرت الزلازل في اليمن.

وفي صباح يوم الخميس الموافق ١٥/ ٣ حصلت هزات أيضاً في ذمار أما عن الزلازل التي لم يعهد مثلها وما نجم عنها في اليمن الشمالية فإنها تداركت والعياذ بالله ففي ليلة الأربعاء ٣٠ صفر وغرة ربيع الأول فقد بلغ عدد القرى التي تضررت من تلك الهزات الأرضية على جهة التحقيق مائتين وثلاث وتسعين قرية منها ما انمحت عن الخارطة الأرضية ومنها ما أصيب معظمها ولقد هرعت رجال الأمن والإنقاذ لانتشال جثث القتلى وامتلأت المستشفيات بالجرحى وأصيبت الأمة اليمانية بقوارع شديدة وهبت القوات والدفاع المدني لتخفيف الوطأة عن السكان الذين سقط منهم ما لا يقل عن ٢٨٠٠ قتيل عياذاً بالله وقامت الحكومة السعودية لنجدة المنكوبين وواصلت مساعداتها من خيام لمن تهدمت بيوتهم وأكسية وأدوية بلغت حمولة ثلاثاً وأربعين طائرة أما النقود فبلغت مائة مليون وتبرع الموظفون بالسعودية براتب يوم من رواتبهم وهبت الحكومات المجاورة إلى المساعدات أيضاً، والأمر أعظم مما ذكر وأدهى.

فقد أضر ذلك الزلزال بنسبة عشرين بالمائة من مساحة اليمن ودمر أكثر من عشرين مدينة وشملت الأضرار منشآت زراعية وصناعية، وقدر عدد الذين شردوا بنحو نصف مليون وبلغ عدد المنازل التي تصدعت وتهدمت (٢٥) ألف منزل وقدرت الخسائر بنحو ملياري دولار.

منبر يُصنَع للمسجد الأقصى

في القاهرة تم الاتفاق على تصنيع منبر جديد للمسجد الأقصى المبارك بدلاً من المنبر الذي أحرق عام (١٩٦٩م) ويتم تصنيعه بنمط على ضوء التصنيعات التي تنطبق على الأصل لمنبر صلاح الدين وذلك في يوم الأربعاء ١٠/ ٥/ ١٤٠٣هـ بين محمد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء برئاسة الجمهورية و الأمين العام لهيئة إعمار المسجد الأقصى والأماكن المقدسة بالقدس العربية والدكتور عبد العزيز قطان قاضي القضاة ورئيس هيئة إعمار الأماكن المقدسة الأردنية كما تم تنسيق التعاون بينهما لاستئناف العمل المشترك في استكمال ترميم الأماكن المقدسة بالقدس العربية خاصة ما أصابها من تلفيات في السنوات الأخيرة.

وفيها في ١٣/ ٥ زار الرئيس حافظ الأسد عظيم سوريا حكومة الجزائر، ذكرت صحيفة الخليج التي تصدر في الشارقة أن هذه الزيارة ستتركز على بحث الأوضاع العربية الراهنة وإحياء جبهة الصمود كما تدخل في إطار الجهود المبذولة لتصفية الأجواء بين الجزائر وليبيا.

تعذيب إيران للأسرى

نشرت إحدى الجرائد ما قامت به إيران من تعذيب منهجي للأكراد الذين تحتجزهم كأسرى في الفترة من ٩ أغسطس آب الماضي إلى ٨ سبتمبر أيلول الحالي وسحب دماء الأسرى المحكوم عليهم بالإعدام، وسينقل هذا الدم إلى حراس الثورة الذين أصيبوا بجراح خلال مصادمات وقعت في المدن أو معارك على الجبهة

العراقية الإيرانية، وتم تنفيذ أحكام الإعدام في أكثر من ٤٥٠ شخصاً وتوالت عمليات التعذيب من ضرب وحرق وصعق بالصدمات الكهربائية والتعليق بالقدمين وبالشعر والحرمان من النوم والغذاء والعناية والإذلال والإهانة إلى غير ذلك من أنواع الأذى في ١/١١ من هذه السنة.

وكانت العراق قد أحبطت هجوماً إيرانياً جديداً في ٢٠ شوال من هذه السنة وقتلت من إيران أكثر من سبعة آلاف قتيل خلال عشرة أيام ونشرت العراق بياناً برقم ١١٦٩ إلى العراقيين وصفتهم بالأماجد وأبناء الأمة العربية الشرفاء بأن أعوان الخميني يجربون حظهم العاثر في عملية غزو فاشلة لأراضي العراق بدفع أبناء إيران في هاوية الطاحونة التي لا ترحم الغزاة ليروا رؤوس أعوانهم تتدحرج معفرة بالخزي والعار على أيدي العراقيين وذلك كان في ٢٠ شوال من هذه السنة.

ذكر من توفي فيها

فممن توفي فيها من الأعيان ا لشيخ محمد بن علي بن حركان، وكانت وفاته في ٩/٧ من هذه السنة وهو العالم المفكر الموصوف بالجد والاجتهاد في العمل والدؤوب في ممارسة الأعمال حيث كان له منزلته بين الناس وقبول ونال كمال الثقة من الملك فيصل رحمه الله بحيث نال درجة وزير العدل في المملكة العربية السعودية وقام بهذه الوظيفة خير قيام.

ولما أن تولى جلالة الملك خالد رأى أن تكون هذه الوظيفة في سلالة آل الشيخ رحم الله أمواتهم وسدد أحياءهم وجعلهم قادة في الخير فاختير لها فضيلة الشيخ إبراهيم بن محمد آل إبراهيم آل الشيخ وجعل فضيلة الشيخ محمد بن حركان أمين رابطة العالم الإسلامي، فقام بهذه الوظيفة خير قيام واستمر في هذه الوظيفة حتى مات، وكان قبل ذلك هو رئيس محكمة جدة الشرعية وكان سنه حال وفاته قد شمطه الشيب ويقدر عمره بخمس وسبعين سنة ويعتبر من رجال العلم والمحامين على دين الإسلام رحمه الله وعفى عنه.

وممن توفي فيها الشيخ محمد الربيش، وهذه ترجمته: هو العالم المقرئ ذو الأصل والعقيدة محمد بن رشيد بن حمود الربيش ولد في مدينة بريدة عام (١٣٣٢هـ)، وكان من جيراننا الأقدمين فنشأ في سن الطفولة في حضانة والديه ولما أن بلغ الثامنة من العمر أدخله والده في مدرسة المعلم صالح بن محمد الصقعبي وتهذب فيها كجملة من درس فيها وحفظ القرآن عن ظهر قلب حفظاً مجوداً ونال درجة في الخط لا بأس بها وتعلم مبادئ الحساب.

التحق في الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم وجد وثابر على الدراسة بوقت كانت الظروف لا تساعد طالب العلم لضيق المعيشة وكان والده في ضيق من العيش ويكابد طلب الرزق ولما أن بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة أراد فضيلة الشيخ عمر أن يبعثه إماماً ومرشداً ويتولى عقود الأنكحة في هجرة الدليمية فرفض والده واعتذر بأنه كبير السن وليس له من يساعده على مشاق الحياة فأقسم الشيخ للمترجم بأني لم أبعثك إلا لتستعين براتب هذه الوظيفة وذلك لما يعلمه من حالته المادية فأخبر والده بكلام الشيخ فوفق أن مسجد أبي بطين الجنوبي الذي بناه محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن عبد الله أبا بطين الذي تولى الإشراف على بنايته كوكيل إبراهيم بن علي الرشودي ومهندس البناء هو عبد الله الماضي مؤذن مسجد ماضي قد خلص بناؤه عام (١٣٥٥هـ) فذهب والد المترجم إلى نحو الشيخ عمر قاضي القصيم، وقال له ذكرت عفا الله عنك وأحسن إليك أنك تريد مبرة محمد وإذا كان ذلك فنرجو جعله إماماً في هذا المسجد ببريدة فأقامه الشيخ فيه إماماً.

وفي عام (١٣٦٣هـ) وليَّ الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد قاضياً في القصيم فاتخذ المترجم كاتباً ونال منه الثقة ولازمه في حضره وسفره ودخوله وخروجه طوال مدته في القضاء ثم لزم هذه الوظيفة أياماً قصاراً لدى الشيخ صالح الخريصي ثم أنه كان في كتابة العدل ببريدة لدى كاتب عدل مدينة بريدة.

ولما أن تأسس مسجده جامعاً في أيام الشيخ عبد الله بن حميد كان خطيباً فيه،

ثم أحيل على المعاش قبل وفاته بتسع سنين واستمر في إمامة مسجده ذلك سبعاً وأربعين سنة إماماً وخطيباً.

وقد أصيب بمرض الربو وضيق التنفس في آخر عمره فكان يستنيب من يخطب عنه ويصلي التراويح وقيام رمضان.

أمَّا في حال شبابه وقوته وأنه يجيد القراءة والترتيل بحيث أنه يعتبر من أحسن الناس في زمنه ترتيلاً، من خصاله تركه ما لا يعنيه والتزام خويصة نفسه وفي ٦/ ٩ الموافق ليوم الخميس توفي رحمه الله وعفا عنه عن عمر بلغ الحادية و السبعين.

وممن توفي فيها من الأعيان الفريق أول منصور الشعيبي، وهذه ترجمته: ولد في مدينة البكيرية بالقصيم عام (١٣٣٣هـ) وتعلم فيها القراءة والكتابة، ولما أن كان في غرة محرم (١٣٤٨هـ) التحق بالخدمة العسكرية فعين جندياً مدفعياً وتدرج في صفوف الجندية إلى أن رفع ملازماً ثانياً، وذلك في غرة ٨/ ١٣٦٢هـ وفي غرة ٣/ ١٣٦٧هـ ترقى إلى رتبة ملازم أول وفي ٥/ ٦/ ١٣٧٠هـ ترقى إلى رتبة نقيب، وقد عمل في الفوج الأول متحرك في مدينة الخرج، وفي غرة ٥/ ١٣٧٣هـ رقي إلى رتبة رائد، وقد عين قائداً لمنطقة الخرج وفي غرة ٩/ ١٣٧٤هـ وهو برتبة رائد وفي ١٧/ ١٠/ ١٣٧٥هـ ترقى إلى رتبة مقدم وقد عين قائد اللواء الثامن مشاة وفي غرة ٢/ ١٣٧٦هـ عين مساعداً لقائد منطقة تبوك العسكرية وفي غرة ٢/ ١٣٧٨هـ عين قائداً للواء العاشر مشاة وفي ١٧/ ١٠/ ١٣٧٩هـ ترقى إلى رتبة عقيد وفي غرة ١٢/ ١٣٨٣هـ ترقى إلى رتبة عميد، وفي ١٢/ ٦/ ١٣٨٥هـ ترقى إلى رتبة لواء وترقى إلى رتبة فريق في ٣/ ٧/ ١٣٩١هـ وأخيراً ترقى إلى رتبة فريق أول اعتباراً من ٩/ ١٢/ ١٤٠٠هـ، وقد حصل من الدورات منها دورة تدريب قيادة الخفيرة والتدريب على استعمال الأسلحة ودورة دراسة فرع الأسلحة ودورة صيانة مدفعية ودورة تدريب المشاة ودورة الضباط العظام كما حصل على العديد من الأوسمة ويصفونه بالتفاني والإخلاص لدينه ومليكه ووطنه، وما زال في الخدمة

مدى خمس وخمسين سنة ونال رضا الجميع بشجاعته وحُسن سلوكه إلى أن توفاه الله تعالى في ٣/١٥ من هذه السنة حيث تركت وفاته رنة حزن وأسى لزملائه وجميع عارفيه تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته والمسلمين وكان فيه رجولة وله شخصية وعليه آثار الشجاعة والتقدم.

وممن توفي فيها الشيخ عبد الله بن محمد البقيشي رحمه الله وعفا عنه، كان من طلاب العلم ومن جملة الطلاب الذين اختارتهم الحكومة سنة (١٣٦٤هـ) للدراسة في دار التوحيد في الطائف، ولكنه رفض والده ذلك لأنه في حال السفر عرض له مرض منعه من السفر، وكانت ولادته عام (١٣٤٣هـ) فأخذ في القراءة في إحدى مدارس بريدة، ثم إنه التحق بالدراسة على فضيلة الشيخ عمر بن محمد بن سليم لكنه لم يتمكن من كثرة الأخذ عنه لصغر سنه، ولم يدرك إلا أواخر أيام الشيخ لكنه أخذ عن الشيخ محمد بن صالح المطوّع مبادئ من العلوم، ولما أن قدم الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد لازمه وأخذ بغرزه وكان من خاصته والمقربين لديه فجعله إماماً في مسجد الشيخ عمر بن سليم في جنوبي بريدة، ولبث في إمامة المسجد سنين، وكان موضع سر الشيخ عبد الله بن حميد.

ولما أن سار الشيخ عبد الله إلى مكة المكرمة كان من جملة الذين لازموا خدمة الشيخ وذلك في عام (١٣٨٤هـ)، حيث صدرت الأوامر على عبد الله بن حميد بالتوجه إليها ليباشر وظيفة الإشراف الديني على المسجد الحرام فأكثر المترجم الأخذ عنه وقد يكون كاتباً لفضيلته في بعض الأحيان ويراجع المسألة له ويقرأ بين يديه في المجالس العامة، وجعله الشيخ من المدرسين في المسجد الحرام، وكان لين الطبيعة متحبباً إلى الناس، وما زال على وضعه ذلك حتى سار مرة من بريدة ولما أن قرب من الطائف قد حمل عائلته ويسوق السيارة بنفسه أصيبوا بحادث صدم فهلك هو وبعض أفراد عائلته، وكانت وفاته في ١٤ ربيع الثاني من هذه السنة فالله المستعان.

أهوال تروى عن أهالي مدينة هيروشيما

نورد هنا قصة عن فتاة يابانية صماء من مواليد وسكان مدينة هيروشيما وهي أول مدينة في تاريخ العالم الحديث التي شاء الله أن تضرب أول قنبلة ذرية تدمرها ويموت من مات من أهلها بحرائق القنبلة وأن يبقى من بقي حياً من أهلها مشوه الخلقة من آثار الحروق ومريضاً يهدده الموت بسبب الإشعاع الذري الذي لم يزل رغم مضي قرابة نصف قرن على ضرب هيروشيما بالقنبلة الذرية.

وقد روى لنا التاريخ أن رجلاً أصيب بسبب الإشعاع منها فلبث ٢٥ سنة لم يذق غمضاً، وفقد طبيعة النوم، فكان بالليل يتمدد في فراشه ويريح مفاصله ولكنه فقد النوم فكان لديه مزرعة تقدر قيمتها بسبعة عشر مليوناً ويقول لو وجدت من يعالجني لأنام كما ينام الناس لبذلتها له.

وهنا تقول الفتاة عن تلك الضربة التي وجهها الرئيس ترومان لقصف اليابان وقدمنا ذكرها في سنة (١٣٦٤هـ) فتقول الفتاة لما ألقيت معها مقابلة إنني أعيش الآن فتاة لا تستطيع أن تعمل ولا تستطيع أن تتزوج عرفنا أسماءنا ونحن في الماء عندما حدث القصف كان عمري ١٢ عاماً كنت أعمل مع مجموعة طلابية على بعد ميل واحد من مركز الهدف، وبعد سماع صفارات الأمان الكامل عدنا إلى العمل رأيت بريقاً ساطعاً وعندما استعدت وعيي أردت أن أعود إلى المنزل وبدأت أجري وصلت إلى جسر (تسور وميء) وكان هناك الكثيرون في النهر يصرخون طلباً للمساعدة فقفزت من الجسر إلى الماء بارتفاع ٤٥ قدماً تقريباً، كانت وجوهنا فوق الماء ونحن نصرخ طالبين النجدة من أمهاتنا فأمسكني شخص فعرفني دعاني باسمي لم أستطع أن أعرف من الذي كان يكلمني سألته من أنت فذكر اسمه ثم بدأنا جميعاً نعرف أسماء بعضنا، فغرق غالبنا ولم ينجُ من الغرق سوى خمسة وخمسين من ثلاثمائة وعشرين، أدركتُ أن النار ستحيط بنا سريعاً وأن علينا أن نترك الماء ونعود إلى الجسر ورأيت النار في جسد امرأة تكافح لإطفائها بأن تنتزع من جسمها شرائح

لحم طويلة محترقة حتى باتت لما تسلخت يداها وذراعاها وكان هناك أيضاً بعض الناس الذين توقفوا عن الجري لشرب جرعة ماء من زجاجات ماء كانت معهم ولكن لشدة الحرارة اختنقوا وماتوا ووجوههم في الماء.

وذكرت هذه الفتاة التي جرت المقابلة معها في ٢٠ ربيع الثاني من هذه السنة مستمرة فيما رأت تقول كان الشارع مجرد حوض من الدماء على طريق الغابة كانت توجد جثث كثيرة والشارع مجرد حوض من الدماء وبمساعدة شخص ما وصلت إلى نقطة تجمع يتم فيها معالجة الجرحى وضع أحدهم منديلاً على وجه فتاة لأن جروحها كانت بشعة إلى الحد الذي لا يمكن رؤيتها، لقد التصق المنديل بوجهها المحترق ولم يمكن نزعه حتى بعد موت الفتاة، لقد بحثت أم هذه الفتاة عن ابنتها ولكنها لم تستطع أن ترى وجهها أبداً وذكرت هذه الفتاة أن علاجها استمر لمدة ثمانية شهور وهي تحمل بالنقالة لمعاجلة الحروق وانتهى العلاج وهي مصابة بتشوهات وأورام على الساقين والذراعين والوجه وتقول طلبت من أمي مرات كثيرة مرات أريد أن أرى كيف أصبح وجهي بعد العلاج ولكن أمي ترفض، وعندما أصبحت قادرة على أن أقف ذهبت إلى المرآة بنفسي فأصبت بصدمة عندما نظرتُ إلى وجهي، وهكذا أعيش الآن لا أعرف متى سيعود المرض الإشعاعي وعندما لم أستطع الحصول على وظيفة مما أصاب وجهي بكيت وبكيت وكانت أمي تبكي وهي تقول ليتني أنا التي احترقت بدلاً منك لأنني أكبر سناً وأحياناً كانت تقول لو أنك متِّ لكان من الأفضل عندما تعرضت لهذا الحريق.

وذكرت أنها أصيبت بصدمة شديدة عندما وجدت أن أخاها الأكبر وزوجته قد ماتا وتركا ثلاثة أطفال كانت أعمارهم من ست سنوات إلى ١٢ سنة انتقلوا إلى منزلهم ليعيشوا مع والديها بسنين بالرغم من أن صحة والدها مصاب بالسرطان من جراء تلك القنبلة في معدته وقال الأطباء أنه كان أحد الناجين مع ما أصابه من ذلك المرض فقولوا بصوت عالٍ لا نريد الحرب ولا مزيداً من الحروب ولا نريد

هيروشيما جديدة قالت وهكذا بقي على قيد الحياة النسوة اللاتي ظهرت الندبات على وجوههن والأجزاء المكشوفة من الذراعين والساقين بشكل يثير الشفقة والرثاء لحالتهن هذا بعض ما جرى من قنبلة أعدمت ثمانية وسبعين ألفاً ومائة وخمسين من سكان هيروشيما وجرحت مائة وعشرين ألفاً من الشيوخ والأطفال، ولا يزال شرها مستمر وقد قيل أن إشعاعها الذي امتد إلى مسافة مائتين من الكيلوات طولاً وعرضاً أي أربعين ألف كيلو متر مربع أي أربعون مليون متر مربع.

مقابلة مع طبيب شعبي

في ٢٢/ ١٢/ ١٤٠٣هـ جرت مقابلة مع الرجل المواطن في مدينة بريدة عبد الله بن دخيل الله البالغ من العمر زيادة على ٨٠ عاماً كان عبد الله قد آتاه الله ملَكة في تجبير الكسور ومعالجة ما تعصى من الأمراض بالأدوية النباتية وغيرها وقد قدمنا عن سويلم بن شعلان ما يقوم به من علاج أمراض عجزت عنها الأطباء العصريون وذلك لأن الله عز وجل قد يجعل العلم في كشف المهمات على يد من لا يظن به ذلك.

كما في قصة عامر بن الضرب وكيف أن الله جعل كشف حالة الخنثى المشكل على يد جاريته التي ترعى غنمه، وكان لما سألته يا سيدي ما الذي جعل السهاد حليفك فقال: إن العرب أتوني بداهية عجزت عن حلها وحالت بيني وبين الرقاد، فقالت: وما هي؟ قال: ليست من قبيل رعي الغنم يا سجيلة إنهم أتوني بآدمي ليس بذكر ولا أنثى فما حكم إرثه. قالت: يا سيدي اتبع القضاء المبال. فانكشفت المهمة على يديها وخرج صباحاً فقال: إيتوني به فإن بال من ذكره فهو ذكر، وإن بال من فرجه فهو أنثى، وهذا هو حكم الخنثى والنظر في شأنه شرعاً جعله الله على يدي سجيلة راعية الغنم.

كان الوالد عبد الله الدخيل الله لديه خطابات شكر لم يحتفظ بها ولديه اعتراف

بمهارته بعثت بها مجموعة من الجهات المسئولة سئل عن اسمه أجاب يقـول اسمـي عبد الله بن دخيل الله وما زال محتفظاً بحيويته ونشاطه ويزاول مهنة التجبير ومعالجة بعض الأمراض الأخرى وإذا أطرت الأحوال يرى أن لا علاج سوى الكي.

وذكر أنه ورث مهمة الطب الشعبي عن ثلاثة مـن آبائـه يقـول هـم جـد أمـي وجدي ثم أبي ولي الآن في مزاولة هذه المهمة ٢٥ عاماً وسيرث عـني هـذا العمـل اثنان من أبنائي هما عبد العزيز وسليمان وأحمد الله أن ثقة الناس بي كبيرة فلو أننا جمعنا الإشاعات التي تظهر علينا من المستشفى لم نحصها عداً لكننا لا نعتد بكميتهـا بقدر ما نعتد بأهمية صورة الكثير منها فتجدنا لا نسجل اسم صـاحبها ولا تـاريخ خروجه ولا عدد هذه الإشاعات وذكر مرض النبطه وأمراضاً أخرى كـان يعالجهـا ليس لها نهاية وطريقة علاجها من قبلي يقول بالكي.

ففي الأيام الماضـية كـان هنـاك مـريض مـن أهـالي المـذنب نـوم في مستشـفى الشميسي بالرياض وهو مصاب بمرض الغيطة وهذا المـرض لا يعرفـه كـثيرون بمـا فيهم بعض الأطباء والمقصود به (الغثه) وكان كل طبيب يكشـف عليـه يقـول بـأن عندك التهاب بالمعدة وللغيطه ثلاثة أشكال كبيرة ووسطى وصغيرة تشـكل حـاجزاً لمسلك الغائط وتسده.

ومرض الرجل أربعة أشهر وكما قلت دار مستشفيات عديدة وذهب إلى طبيب شعبي بالرياض يسمى الصنعاني وكواه في رأسه كية ليس من ورائها منفعة وعاد إلى مستشفى بريدة ثانية وأشار عليه أقربائه بأن يراجعني طلباً للشفاء الذي يمـن بـه الله سبحانه وتعالى والشاهد أنه حضر وسألته عن حالته أولاً ثم نومته وعندما تحسسـته وجدت أن مرضه الغيطة ووجدت بأن هناك ثـلاث مسـاوي واحـدة مثـل البيضـة سادة المسـلك واثـنين مـن دونهـا وذكـرت لـه شـيئاً مـن أطبـاب العـرب وذهـب واستعملها وقلت له إن أفادتك كان ذلك وإلا فليس لك إلا الكي وبعد ثلاثة أيـام اتصل بي وقال استعملت الدواء والمساوي التي ذكرتها سقطت وصحتي ولله الحمد

الآن على ما يرام وبقي عندي شيء من العلاج فهل أستمر في استعماله فنصحته بالاستمرار عليه لأنه لن يجني من ورائه إلا المنفعة لأن هذا الدواء يصفي معدة الإنسان الصحيح.

وتكلم عن الكسور وكيف أن مكسوراً صب الجبس على العضو في المستشفى مرات ولم يفد العلاج وجيء به إليه فطلب الأشعة ثم كسر الجبس وأعاد تجبيرها وذكر نجاح التجبير لديه وقال أن مرضانا ينقسمون إلى قسمين مرض بالكسور يعجز المستشفى عن علاجهم فيخرجون إلينا ونعالجهم وقسم آخر لا يرغبون التوجه إلى المستشفى بتاتاً وإنما يتوجهون إلى الطب الشعبي مباشرة ولولا نجاح عمليات التجبير التي نقوم بها لما وصلنا إلى هذا الحد من إقبال المرضى من المواطنين وتكلم عن مدة التئام الكسور، وذكر أن الناس يتفاوتون فبالنسبة للشباب ما بين ٢٢ يوماً إلى ٣٠ وبالنسبة للشيوخ فتطول المدة ما بين شهر ونصف الشهر وهناك حالات نادرة تطول مدة التئام كسور أصحابها أما لكون المكسور شيخاً كبيراً أو ضعيف الدم وغير ذلك إلا أنها حالات نادرة وأطال بتفصيل يدل على براعته في التجبير وقال شهود الله في أرضه فأنا يتعامل معي من منطلق ثقة ولله الحمد أفراد من الإمارة والشرطة والمرور حسب حاجتهم للعلاج ويقصدني مرضى كثيرون لا أعرفهم من الأسياح والطوارق وأناس من الحفر ومن المدينة وكذلك من بعض دول الخليج أما جنسيات المرضى فغالبيتها سعودية، وهناك جنسيات أخرى تدخل فيها الجنسية المصرية والباكستانية وكذلك السورية واليمنية وغيرها.

وأكثرهم يخرجون من المستشفى إلينا بحجة أنهم لم يجدوا فائدة من بقائهم فترات طويلة بالمستشفى وتكلم عن كسر الحوض وعن الصابونة أي الركبة عندما تتعرض لكسر فالغالبية بالمستشفى يقررون قطعها بينما أنه يستطيع علاجها و ذكر صفة علاجها.

وذكر أن حالة عجيبة مرت عليه في بعض الأيام الماضية وهي أن طفلاً مكسوراً

في بطن أمه وأنه سأل أمه فأجابت بأنه ضربها باب حديد وأخذ الطفل داخل بطنها يوماً أو يومين لم يتحرك ولما وضعته وأرادوا أن يمهدوه فوجئوا بأن قدمه تتمايل وتطرخ فجبره وتم شفاءه أما عن حول رغبته ورأيه في إنشاء عيادة خاصة به منظمة ويزوده بأجهزة علاج الكسور الحديثة من أشعة وغيرها فأجاب بأن شرطي الوحيد في مثل حدوث هذا أن تكون العيادة مستقلة عن المستشفى لئلا يحدث له ما حدث للطبيب الشعبي -الردادي- عندما أدخله سمو الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز مستشفى المدينة المنورة لعلاج مرضى الكسور وما لبث شهرين حتى تضايق لما يسببه وجوده بين أطباء المستشفى الحديثين من حرج فاستمر في علاج الضلوع وذكره للوشرة ويسميها بعض أطباء العصر الجلطة إلى آخر كلامه وقال أنه لا يفيد فيها سوى الكي.

استمرار الأذى على لبنان

قد تقدم بعض ما جرى فيه من المذابح والأهوال وكيف أن الله سلط بعضهم على بعض فأصبح الجيران يتقاتلون وجعل الله بأسهم بينهم ونذكر شيئاً عن سعد حداد الذي كان آلة بيد اليهود يمدونه بالأسلحة والذخائر ليدمر أهالي لبنان وإن كان منهم ويغزو الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وما جرى عليهم وعلى نسائهم وذراريهم وأولادهم من الفتك والتدمير وما أصبح به أهالي لبنان وأن في ذلك لعبرة لمن يخشى.

فلأن كانت فلسطين أحدوثة لأهل الدهر من تقتيل بعضهم وسجن البعض الآخر وتعذيبهم وتشريدهم عن أوطانهم التي ولدوا فيها ونيطت عليهم فيها تمائمهم فإن لبنان أصبح مقبرة لأهله ولإن كانت لبنان زهرة للدنيا وزينتها فيما مضى ويرتادها المترفون للمصيف وإراحة النفوس من جميع نواحي المعمورة فقد أصبحت من جراء تلك المذابح والمجازر آية من آيات الله من الدمار وصدق عليها قول الشاعر في قوله وكأنه يصف حالة أهالي فلسطين:

إذا مـا الـدهر جـر علـى أنـاس حوادثـه أنـاخ بآخرينـا
فقـل للشـامتين بنـا أفيقـوا سـيلقى الشـامتون كمـا لقينـا

فنقول عن سعد حداد أقام جده ميخائيل حداد في مرجعيون منذ السنوات الأولى من هذا القرن والده (مكاري) كان يستخدم دابة لنقل البضائع والمحاصيل الزراعية من مناطق الجنوب وبعض المناطق اللبنانية الأخرى وفي فترة الحرب العالمية الثانية عمل سعد حداد مع والده في سن مبكرة ثم بعد ذلك عمل في إحدى الدوائر العسكرية البريطانية ثم دخل مدرسة تابعة لدير الكاثوليك في مرجعيون ثم أرسله الدير إلى بيروت للدراسة فنال الثانوية عام (١٩٥١م) القسم الأول.

وفي عام (١٩٥٢م) دخل الكلية الحربية بدعم من كميل شمعون في ذلك الوقت ويقع مكتبه العسكري بين بلدتي القليعة ومرجعيون أما دولته فطولها حوالي ٩٠ كيلومتر وعرضها في بعض المناطق ٦ كيلومترات وفي مناطق أخرى ١٩ كيلومترات وتبلغ مساحتها الإجمالية حوالي ٨٥٠ كيلومتراً مربعاً وكانت عناصر الميليشيا في الدولة حوالي ٢٥٠٠ عنصر يشكلون الجيش بينهم ما يقارب ٩٠٠ عنصر كانوا في الجيش اللبناني تحت إمرة سعد حداد أما عدد سكان الدولة فقد كانوا ٧٠ ألفاً يشكل المسيحيون نصفهم والباقي من الشيعة.

ولما كانت إسرائيل مهتمة بالمناطق الواقعة في جنوب لبنان فإنها اتخذت سعد حداد آلة فعالة لها وقام كميل يسعى لها ونجحت سياسة إسرائيل في استخدام اليد العاملة من القرى الحدودية ولكنه لوحظ ما تهدف له إسرائيل ببذل الأطماع وقام قسم من فقراء القرى الحدودية الذين كانوا يعملون بالأجرة لدى حداد يطلبون مغادرة تلك الأمكنة ولكنه قام بسلطاته على أن يفرض على من يريد الخروج بغرامة مالية قدرها ستة آلاف ليرة وذلك لأنه طالب إسرائيل أولاً أن تدفع رواتبهم فيكون الإخلاص لإسرائيل ضد العرب جداراً يؤمن شمالها ويحقق أهدافها في جنوب لبنان وأصبح المنشق سعد حداد يجاهد ويقاتل مع اليهود ضد بني جنسه وقومه.

وفي ١١ من جمادى الأولى من هذه السنة تقوم سلطات العدو على أكثر من خمسين امرأة معتقلة داخل مخيم أنصار فتقتلهن فقتل في هذا الموج خمسون امرأة معتقلة وترفض ستة آلاف طلب زيارة قامت بها عائلات المعتقلين الذين بلغ عددهم ألف معتقل من اللبنانيين منهم عدد من الطلاب انتزعوا من المدارس التابعة لوكالة غوث الدولية إضافة إلى ٢٦ مدرساً من صيدا وإحدى وعشرين مدرسة من صور وضعوا كلهم في مخيم الأنصار هذا بعض ما جرى من الصهاينة.

وكانوا لما أن دخلت قواتهم القدس عام (١٣٨٧هـ) أخذوا يهتفون مع (موشي ديان) بهذا الهتاف هذا يوم بيوم خيبر بالثارات خيبر وتابعوا هتافهم بهذه العبارات القذرة (حطوا المشمش على التفاح دين محمد ولى وراح) ويهتفون بهذه العبارة التي خلى لها الجو من أنصار دين محمد صلوات الله وسلامه عليه (محمد مات مات خلف بنات) ويقول المستشرق الفرنسي كيمون في كتابة له (إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكاً ذريعاً بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل ولا يوقظه من الخمول والكسل إلا ليدفعه إلى سفك الدماء..) إلى آخر كلامه الذي تطهر الأوراق من دنسه.

وسنذكر أبياتاً محزنة تتعلق بلبنان وما جرى عليها وإن كنا خرجنا عن شرط الكتابة لكننا نبعثها لتهيج العاطفة:

أبكيك وأبكي كل من فيك سكان ... بعد السعادة كيف صرتي حزينة
كيف الهدوء في لحظة صار بركان ... في غفلة منك وكنتي رزينة
على جمالك تحسدك كل الأوطان ... كنتي بوسط العقد درة ثمينة
على بساطك تجتمع كل الألوان ... يوم أن بيروت الخرابة مدينة
يوم العرب تطرب على ذكر لبنان ... كانوا جسم واحد ولبنان عينه
كنتي عروساً والحسن فيك فتان ... ومع الحلا كنت ذكية فطينة

كان التعايش فيك ما بين الأديان وعلى ثراك الكل يبسط يديه
واليوم صار القتل في شعبك إدمان من يوم صرت بعد بيجن رهينة
من قبل غزوك فجر وافيك الأضغان وبعقادهم هزوا جروح دفينة
وصبروا عليك يلين ضعفك لهم بان ما يقدرونك يوم كنت سمينه
جوك اليهود وعشقك قتل الإنسان جرثومة بالسم تسري لعينه
وبدوا بضربك عنصرية وطغيان من مدفع أو طائرة وسفينة
وقاموا بقتل أطفال رضع وشيبان ما يرحمون اللي على آخر سنينه
لكن صمدتي ما احتملت للإذعان وكنت وسط بيروت قلعة حصينة
لبنان من عقب التشرد والأحزان ما زالت أحبال المحبة متينة

إلى آخر القصيدة مما يثير الهموم ويستجيش الأحزان وما أحسن ما قال بعضهم:

فقل لرجال الضبط والربط إنكم أسود حروب للخطوب تقارعوا
لأي من الأسباب طابت نفوسكم لإمهال أهل الغي حتى تجمعوا
ألم تعلموا أن الفساد انبعاثه ومطلعه عصر الشباب المضيع
ويربو وينمو كل ما كان مهملاً كجذوة نار شرها يتوقع
فإن لم تجد قبل التوقد مطفئاً عجولاً خوت منها بيوت وأربع
كذا أصل إتلاف الرعايا رعاعها إذا لم يقم للمفسدين مروع

وفيها في أواخر شهر ربيع الأول حصلت هزة أرضية على جهة حقل الكائن بالشمال الغربي من المملكة السعودية مما أدى إلى خروج الأهالي عن مساكنهم.

وفيها طالب الرئيس الأمريكي رونالد ريغان إسرائيل بتجميد بناء المستوطنات في الضفة الغربية المحتلة وقال أن ذلك يمكن أن يعتبر أكبر دليل على حسن نوايا إسرائيل نحو إحلال السلام في الشرق الأوسط ودعا في كلمة ألقاها أمام أعضاء المؤتمر اليهودي العالمي وأذاعها راديو صوت أمريكا إسرائيل إلى الدخول في

مفاوضات جادة حول مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة كما طالب الرئيس الأمريكي الملك حسين عاهل الأردن أن يشترك في مفاوضات مباشرة مع العدو الإسرائيلي حول السلام ولكن هذه كغيرها ومضة أعقبها الظلام.

ذكر إعلان قيام مجلس التعاون الخليجي

لما كان يوم الأربعاء ٢٩/ ٣ يوافق شباط فبراير (١٩٨١م) من السنة المتقدمة (١٤٠١هـ) اجتمع في الرياض بالمملكة العربية السعودية وزراء خارجية الدول الست السعودية والبحرين ودولة الإمارات وسلطنة عُمان وقطر والكويت حيث حققوا إنجازاً كبيراً توج جهد عمل متواصل من أجل التنسيق والتعاون بين الدول الست وأصدر الوزراء بياناً بهذه المناسبة تلاه سمو الأمير سعود الفيصل وأبلغوا الدول العربية بنص ميثاق التعاون الخليجي في كلام طويل وتفاصيل من فقرات هذا المجلس الذي أعد للدراسات والمواضيع والتوصيات أن يجتمع المجلس ست اجتماعات كل سنة مرة كل شهرين.

ويجوز عقد دورات طارئة إلى آخره وسمي مجلس التعاون الخليجي لدول الخليجي العربية أما عن الخليج العربي فيقع بين الجزيرة العربية غرباً وإيران شرقاً ومضيق هرمز وخليج عُمان جنوباً والعراق شمالاً وتبلغ مساحته ٢٢٦ ألف كيلومتر مكعب ويمتد لمسافة ١٥٠٠ كيلو متر من شط العرب في الشمال حتى رأس مسندم في الجنوب ويتراوح اتساعه بين ٤٧ كيلومتر عند مضيق هرمز و٢٨٠ كيلو في أوسع نقطة فيه ويبلغ أعمق جزء فيه قرابة ١٤٥ متر قرب جزيرة هرمز ومن هذا الحين استمر مجلس التعاون لدول الخليج العربية في مدينة الرياض بنظامه وهيكله التنظيمي وإنجازاته.

اليوم الوطني

أمير المنطقة الشرقية يصف اليوم الوطني بأنه يوم غر في تاريخ المملكة ففي

هذه السنة يقوم سمو الأمير عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي أمير المنطقة الشرقية بعد أخيه سعود يقول أنه بفضل الله ثم بفضل القيادة الحكيمة المتزنة المتمسكة بالعقيدة السمحة وتراثها المجيد وتاريخها العريق أسس على الخير انطلاقاتها نحو المجد والاستقرار لشعب المملكة واستتب أمنها على يد باني مجدها وصانع حضارتها جلالة المغفور له الملك عبد العزيز واستطاعت بقيادة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى وسمو ولي عهده الأمين أن ترتقي بمختلف الميادين وتواكب الحضارة المتقدمة في مختلف المجالات مما حقق النمو الاقتصادي لتلك القطاعات وتنفيذ الخطط التنموية التي لا تزال تسير عليها مما حقق لجميع المواطنين مكاسب عديدة ستعود عليهم بالخير.

وفيها انهيار عمارة في أنقرة عاصمة تركيا وكانت مكونة من ٧ طوابق وكان ذلك في يوم الاثنين ١٩/ ٣/ ١٤٠٣هـ وقد نجم من ذلك هلاك سبعة عشر شخصاً لقوا مصرعهم من جراء ذلك الحادث.

وفيها بدأ العمل في إنشاء مصفاة البترول بسعة ١٦٠٠٠٠ برميل وذلك لخدمة منطقة القصيم وحائل، هذا في منطقة القصيم.

إقامة دورات المياه في المواقيت

ففيها أنشئت الحكومة السعودية حمامات ومغاسل لحجاج بيت الله وعمارة من القادمين الذين يأتون من مشارق الأرض ومغاربها قسماً للرجال وقسماً للنساء وذلك في قرن المنازل وذي الحليفة وبقية المواقيت وأصبح المسلمون يتمتعون في راحة وطمأنينة عكس ما كانوا عليه أولاً من مشقة ما يلاقونه عند الأحرام من شراء المياه وأجرة المغاسل الضيقة التي نصبها المرتزقة هناك.

وذلك لما قامت الحكومة بهذا العمل الخيري بفضل من الله وتيسير وجعلت لها خدماً وعمالاً يقومون بإصلاحها وتنظيفها وخدمتها بالصابون والدش وكانت الدورات مقامة من الإسمنت المسلح وفرش ما حواليها بالرخام وأقيمت الأشجار

في الرصيفات حواليها ليتمتع الحجاج والعمار من ضيوف الرحمن براحة وطمأنينة والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وكان هذا التخطيط قد أقيم في أيام جلالة الملك المغفور له خالد بن عبد العزيز وقد تمت عمارتها على الوجه المطلوب وكم من عمل وإصلاحات قامت بها هذه الحكومة السعودية في مكة البلد الأمين وفي المدينة المنورة وسائر مدن المملكة.

ومن الخدمات التي وفرت للحجاج راحتهم حمامات أقيمت في مِنى لضرورة الحجاج إليها وإقامة الهاتف الذي يبلغ أهاليهم في المشارق والمغارب تحياتهم ومخاطبتهم وتخطيط شوارع مِنى وترقيمها وقد قامت الحكومة بنسف جبال في مِنى للتوسعة وجلبت المياه والثلوج بسيارات للتوزيع وأقامت رجالاً يبلغون الحجاج في خيامهم للتوعية والإرشاد بمكبرات الصوت.

كما أن الحكومة تفكر في إقامة بنايات على وجوه الجبال المحيطة بمِنى لتخفف الوطأ عن الضيق هناك ولتكون مساكن للحجاج ووقع ما كان يتوخاه المؤسس العظيم الملك المغفور له عبد العزيز من أنه إذا وجهت إليه اقتراحات يقول كل شيء في الطريق إن شاء الله ولكن الأمور تسير تدريجياً ولما قيل له لو أقمتم موجهين ومرشدين أبدى كلمته المتقدمة وكان يقول للأمراء ورؤساء الدوائر علموا جماعتكم ووجهوهم إلى الخير عاجلاً وإننا سنقيم موجهين ومعلمين ومرشدين فكان الأمير يقوم بتوجيه من تحت يده كل بقدر الاستطاعة وعلى حسب المقدرة.

وأذكر أن أميراً مجتهداً قال في نصيحته يا قوم اتقوا الله وقوا بما وجب عليكم فقد ضيعتم أوامر الله ولم يبق سوى هاتين الركعتين وقد أضعتموها ويبالغ في ذلك بما لم نذكره ولم يأتكم من الله عهد بدخول الجنة هذا وهو أنا نسيب الشيوخ لا أدري أدخل الجنة أم لا.

وفيها وفاة الابن عبد العزيز بن إبراهيم البالغ من العمر ٣٤ عاماً وذلك في ٢٣/٦ جعله الله في موازين حسناتنا وذلك عن صدمة سيارة قضت عليه.

وفيها قام سمو الأمير عبد الإله بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم يتقدم أهالي بريدة للاحتفال بجامعة الإمام محمد بن سعود في موضعها الجديد الكائن خلف قرية رواق إلى جهة الجنوب على مسافة سبع كيلوات من مدينة بريدة، وقام سمو الأمير بإزاحة الستار عن اللوحة التذكارية لوضع حجر الأساس لمباني فرع الجامعة بمنطقة القصيم وذلك بعد العصر من مساء يوم الأربعاء ٢٣ جمادى الثانية وبهذه المناسبة دعي الأعيان والأمراء من مدن القصيم كعنيزة والرس والبكيرية والخبراء ورياض الخبراء وغيرها لوضع حجر الأساس لمشروع مباني المدينة الجامعية بالإضافة إلى نشاطات كلية الشريعة وأصول الدين وكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالقصيم، وكانت مساحة الأرض تبلغ ما يقارب من مليوني متر مربع وتحتوي على قاعات للمحاضرين ومكتبة واسعة تحوي كتباً جمة وتعتبر من أمهات المكتبات وتحتوي على فصول دراسية ومركز خدمات طلابية وعلى صالات مختلفة ومواقف للسيارات.

هذا فيما يتعلق بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود في القصيم أما عن فرع جامعة الملك سعود في بريدة في القصيم فقد تم افتتاحها في هذه السنة أيضاً وتتولى الإدارة العامة للفرع في بريدة جميع الأنشطة فيها ومما تحتوي عليه كليتا الشريعة وأصول الدين قسم الدعوة الذي صدر قرار المجلس الأعلى للجامعة بافتتاحه في العام ١٤٠٢/ ١٤٠٣هـ.

وفيها في يوم الثلاثاء ٥ شعبان قام الرئيس اللبناني أمين الجميل يناشد واشنطن إقناع سوريا بالانسحاب من لبنان وكان أمين الجميل قد عقد في اليوم نفسه اجتماعاً مع رئيس الحكومة شفيق الوزان ووزير الخارجية إيلي سالم لتقويم الموقف الراهن ولتحديد المواقف اللبنانية في ضوء توقيع الاتفاق اللبناني - الإسرائيلي، وقد أعرب الجميل عن تفاؤله على الرغم من العوائق التي تعرقل حتى الآن تطبيق هذا الاتفاق وطالب بشدة مساعدة الولايات المتحدة لإقناع سوريا بسحب قواتها

من لبنان وكانت إسرائيل مصممة على عدم الانسحاب ما دامت القوات السورية لم تنسحب.

هذا وقد كانت الحكومة السعودية تراقب حركات حجاج إيران وتفضل أن يكونوا بمرأى ومسمع منها وذلك لما يخشى ويتوقع من إفسادهم في الأماكن المقدسة من حرائق وغيرها مما يؤذون به حجاج بيت الله وكانت تلك الفارسية الإيرانية لم يتورعوا عن إلقاء النجائس من العذرة وغيرها في طريق الطائفين والمصلين قبحهم الله وسيأتي ما توصلوا إليه من الشر والأذى نسأل الله العافية.

وفيها زادت الحكومة في معاشات المتقاعدين وذلك ابتداءً من أول شهر رجب من هذه السنة فنشر بموجب قرار مجلس الوزراء رقم ١٢١ وتاريخ ١٥/ ٧/ ١٤٠١هـ وقد صرح به وزير الإعلام الحالي علي الشاعر.

وفيها تأسس المركز الثقافي بالقصيم ووافق نشاطاً من الذين يجبذونه من بلدية مدينة بريدة وكان هذا المركز قابلاً لإنشاء متحف شعبي يحتوي على أشياء من التراث القديم نعم كانت الأمم الأخرى يحتفظون بالتراث القديم الذي توارثوه عن آبائهم وأجدادهم كما في المتحف البريطاني وغيره وكما كان أهل الكويت يحتفظون به وقد أدلت بعض الدول بالاحتفاظ بمخلفات قدماء العرب وهذا لشيئين: **أحدهما:** الاعتبار بأواني الآباء والأجداد وصبرهم على خشونة العيش من كون الفلاح يعتني بالقرب للساقية وكيف أنهم كانوا يكابدون رفع الماء من قعر الآبار إما بشد الحبال على ظهورهم إذا لم توجد أباعير ترفعها وبجعل تلك الحبال على ظهر الحمر تذهب وتجيء مقبلة ومدبرة لرفع الماء أو على ظهور البقر ومن هو الذي يجد الأباعر لهذه الساقية وكذلك الدلو الذي يشيل الماء من آبار البيوت بجعل بكرة تدور بالرشاء ويأكلون في أواني الخشب كالصحفة والموقعة والمغرفة والقدح الذي يشرب منه الماء وكل هذه أواني خشبية وكذلك المحال الخشبية بهندستها وأسنانها في كونها تؤخذ تلك الأسنان وتفرز في أصلها الذي يدور على المحور ثم تشد دائرتها

العالية بالقد ويسمونه الوساد ومن الآثار أيضاً النقيرة فلا يطمئن صاحب البيت إلا بوجودها وهي حجر أعلاه مربع واسع بطول ٣٥ سنتم وعرض ٣٥ سنتم بتركيب هندسي وأسفلها مستدير من دون تربيع وفي أعلاها حفرة في ذلك المستوى لعمود القهوة كالهاون في الدق والهرس ومنهم من يحتفظ بمخلفات أقناش قنابل مدافع الأتراك إذا لم يحصلوا على النقيرة فيجعلونها نجراً بكسر النون أي هاون يدقون بها القهوة والبهارات وكذلك المنفاخ والمبرد الذي ينسف فيه القهوة بعد حمصها لتبرد قبل هرسها والمطعمة وهي التي يجعل فيها معروض التمر في وسطها وإلى جانبتيها عينان صغيرتان للنوى.

وكانت الزمزمية مصطنعة من الفخار كإناء مستطيل أحمر تحفظ القهوة العربية من البن تعلق في الشداد (الرحل على البعير) تلبث في طبيعتها ما يقرب من أربع ساعات وقد رأيت غلافاً ذا طابقين مستديرين وبينهما قماش أبيض بهندسة فنية ففيه ليكون عند الحاجة كالطابوق بارتفاع قدر متر ودائرة بقدر خمسة وتسعين سنتم وعند عدم الحاجة يقدر بأربعة عشر سنتم وفي أسفله شمعة فيحفظ القماش النور عن الريح ويضيء ليأتم به المسافرون ليلاً كالزجاجة حينما لم يكن كشافات كهربائية أو سرج محفوظة بزجاجات.

وكذلك صندوق السامان الذي يزدان بتلك الأقمار ويدفع مع العروس إلى بيت زوجها كجملة من الأثاث ليحفظ ثياب العروس وحليها وزينتها بطول متر وعشرين سنتم وعرض ٦٠ سنتم وارتفاع ٨٠ سنتم وكذلك القرو المنحوت من حجر الذي جعل موضعاً لماء الوضوء والتغسيل يصب فيه الماء الخارج من بئر المسكن ويختلف بالكبر والصغر فللمساجد كبار، للبيوت صغار وينقسم إلى عال وأسفل فالعالي للتروش والأسفل لتناول من قريب ويجعل له بلابيل تسد بخرق كهيئة البزابيز.

وساعات الجيب التي يجعلون لها حبلاً أو مرسن، ولها جيب خاص في

الصدر إلى جهة اليسار ليسهل إدخالها وإخراجها عند الحاجة وقد يكون زنتها مائتي غرام.

وكذلك الخف يجعل من غزل الصوف وأسفله حذاء جلد كما أن العرقوب يكسى من الجلد وما فوق أصابع القدمين كذلك إلى غير ذلك من الأمور التي كانت فبانت وسدت فراغاً في زمنها.

ومن الناس من يسير على قدميه حافياً مسافة ثلاثين كيلومتراً وما كانوا يعرفون الترف والرفاهية.

الأمر الثاني: من الشيئين المتقدمين الإشارة إلى زمنهم الذي يعيشون فيه ويلائم طباعهم ولكل زمان دولة ورجال وعاشوا زمنهم لا يعرفون مكيفات ولا ثلاجات ولا غسالات ولا سخانات ولا مراوح متنقلة وسقفية فسبحان مدبر الدهور ومصرف الأمور.

وفيها في ١٧ جمادى الثانية تمت بعون من الله وتوفيق عمارة مسجدنا الكائن بمحلة القرارة في منطقة العكيرشة شرقي مدينة بريدة وقد ألحقنا به بيتين لسكنى الإمام والمؤذن على نفقتنا وساعدنا بعض الأجواد وكانت البناية ممتازة جداً من الإسمنت المسلح وإلى جانبيه دورة المياه وكان طوله غرباً وشرقاً ستة وثلاثين متراً بعرض أربعة وعشرين متراً شمالاً وجنوباً فجاء آية من آيات الله في حسن الترتيب وقوة التركيب.

وقد بلغت تكاليف المسجد وبيوته ومأذنته بأجمعها مليون وخمسمائة ألف ريال وقد أقيمت فيه منارة قوية عالية بارتفاع ٤٥ متراً بدرج حسن مسلح بحيث فاقت بحسنها وارتفاعها جميع منائر منطقة القصيم، وكانت تكاليف هذه المنارة خاصة قد بلغت مائتي ألف وسبعة وستين ألفاً من الريالات، وكان مهندس المسجد ومقاوله عبده حزام المريسي اليمني ولديه عشرة عُمال أما عن المنارة والبيوت فكان المهندس لها المقاول أبو عبد الله عبد العليم محمد خليفة المصري والمهندس محمد توفيق

المصري فزودا المسجد بالكهرباء نوراً وتكييفاً بحيث بلغت قيمة مكيفاته ومعدات الكهرباء بما في ذلك بيوت المسجد والمنارة سبعين ألف ريال ومائتين وتسعين ريالاً أما عن أرضية المسجد وبيوته، فقد تبرع بها ثلاثة من الأجواد والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وكنت قد قمت قبل ذلك بعمارة مسجدنا الداخلي منذ عشرين سنة من تاريخه عمارة ممتازة تساير حالة الوقت الحاضر نسأل الله القبول والإثابة وله الشكر والثناء الحسَن.

ونختم هذه السنة بالحالة السوءى بحيث جاء في تقرير للأمم المتحدة أنه جرى إعدام مليوني شخص خلال خمسة عشر عاماً بلا محاكمة ومع ذلك جاء في التقرير أن القوانين الوضعية والدستورية لا تمنع من تنفيذ أحكام الإعدام دون محاكمة وبصفة خاصة في الدول التي يجري فيها انتهاك حقوق الإنسان الأساسية وأعمال التعذيب والاعتقال التعسفي العنصري والطائفي.

ثم دخلت سنة (١٤٠٤هـ)

في هذه السنة أخرج الفدائيون والفلسطينيون من لبنان وعلى رأسهم ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطيني بعدما كانوا في خطر هلاك محدق بهم ومحصورين فحملتهم البواخر إلى المغرب مطرودين عن ديارهم لعلها تسكن المعارك في لبنان ولكنها استمرت على ما هي عليه وقامت اليهود تطاردهم وتلاحقهم في منفاهم البعيد.

وكان رحيلهم إلى تونس في المغرب على إثر ما أصاب الفلسطينيين لما ضربت إسرائيل لبنان وقتلت المدنيين في صبرا وشاتيلا في اليوم الثامن من ذي الحجة يوم الخميس الموافق ١٥ و١٦ و١٧ من أيلول سبتمبر (١٩٨٣م) من العام الماضي (١٤٠٣هـ).

وقد طلبت العرب محاكمة إسرائيل ولكنهالم تجب طلباتهم وكانت صرخة في واد خلي من البشر وكان خروج الفلسطينيين في حالة يرثى لها وكان أسباب هذه الخديعة أنه اتفق المبعوث الأمريكي فيليب حبيب مع النظام اليهودي من جهة والأنظمة العربية المعنية من جهة أخرى على إخراج منظمة التحرير وقواتها التي تربو على أحد عشر ألف مقاتل من لبنان وصورت أجهزة الإعلام العربية المشبوهة الاتفاق على أنه انتصار للمنظمة وهزيمة منكرة للعدو الصهيوني.

وإسرائيل لا تريد في تلك المرحلة أكثر من خروج المنظمة وقواتها العسكرية من لبنان وخرج البطل ياسر عرفات كما يصوره أتباعه وشركاؤه من لبنان وتركوا وراءهم النساء والشيوخ والأطفال العزل تركوهم بين الكتائب واليهود والباطنيين وزعموا أنهم حصلوا على ضمانات بسلامتهم من الولايات المتحدة وجهة عربية أخرى صديقة للولايات المتحدة.

فأما ما جرى من اقتحام القوات الكتائبية واليهودية مخيمي صبرا وشاتيلا فيصف المسؤولون عن دفن الموتى قرب صبرا وشاتيلا أنها أخذت الجرافات تدفن الضحايا بدون صلاة ولا تكفين ولا تغسيل وقد اسودت الجثث وانتفخ قسم آخر بفعل الشمس وذكر أنه دفن في يوم واحد عدداً إجمالياً ثلاثمائة جثة في سبعة خلجان حفرتها الجرافات وقال عندما دخلت إلى المخيم رأيت اللحم ملزقاً على الحيطان، تستطيع أن تقول كل أساليب القتل قد استخدمت الساطور، البارودة، الرصاص، العصي، كاتم الصوت.

وهناك ساحة لاحظتها وهي عبارة عن مائتين من الأمتار فيها كثافة دماء مع آثار شعر وأحذية وارتكب الأوباش مجزرة رهيبة تذكرنا بمجزرة حماة التي سبقتها بقليل ولقد قصف الطيران الإسرائيلي دمشق في أكبر معركة جوية في تاريخ الشرق الأوسط واشترك ثلاثمائة طائرة.

واستطاعت منظمة التحرير الفلسطينية الاحتفاظ بسلاحها والصمود في وجه

العدو رغم تصاعد حجم القوات الغازية إلى مائة ألف وثلاثين ألف جندي تساندهم مئات الدبابات والعربات المدرعة مع القصف الجوي والبحري الوحشي مستخدمة في ذلك أحدث الأسلحة الأمريكية وقامت الطائرات الإسرائيلية بعدوان جوي بالغ العنف على الأحياء السكنية في جنوب بيروت، حيث توجد مخيمات اللاجئين الفلسطينيين مما أسفر عن عشرات القتلى ومئات الشهداء من المدنيين وغيرهم.

وجعلت طائرات اليهود تواصل قصفها وعدوانها الوحشي بحيث قامت بـ(١٧٠) غارة جوية على بيروت الغربية ألقت خلالها خمسمائة ألف قنبلة من بينها القنابل العنقودية والفسفورية المحرمة دولياً من الجو والبر والبحر فوق بيروت الغربية وكانت القوات التي تحاصر بيروت الغربية أربعين ألف جندي ومائتي دبابة وخمسمائة ناقلة جنود مصفحة ويقدر عدد الضحايا من هذا الغزو بثلاثمائة ألف وخمسين ألفاً أغلبهم من المدنيين العزل وخاصة الأطفال والنساء والشيوخ كما دمرت المستشفيات والمنازل والمدارس بمنتهى القسوة وقد خسرت إسرائيل من ابتداء الغزو في ٤ يونيو إلى ٢ يوليو (١٢٥٠) قتيلاً و(٨٠٠٠) آلاف جريح.

وطالب اثنان وسبعون ضابطاً إسرائيلياً باستقالة شارون وحملوه مسئولية الخسائر الجسيمة وفي اليوم نفسه شن الفدائيون هجوماً جديداً ناجحاً على قلعة الشقيف واعترف العدو ببسالة الفدائيين.

وفي ٧ يوليو رفضت منظمة التحرير الفلسطينية الاقتراح الأمريكي بإجلاء المقاومة عن بيروت ولكنهم اضطروا أخيراً إلى الجلاء ومما قال الشاعر حسين عرب هذه القصيدة العصماء يذكر حالة أهل فلسطين ويبوح بما جرى عليهم من المآسي وهذه القصيدة مؤثرة جداً بحيث خرجت من كبد حراء وفؤاد موجوع وقلب بألم الفراق ملسوع وكيف توصلت الأحوال إلى جلاء أهل الشام من ديارهم وأموالهم عكس الحالة التي جرت على اليهود من بني النضير:

كم تخرجون وما بكت لخروجكم عين ولا عزى بمأتمكم فم
كم تصمتون على الخيانة والأذى وفؤادكم بأذى الخيانة مفعم
كم تصمدون وليس يصمد غيركم وتحاربون وغيركم يتكلم
كم تصرخون ولا يجاب صراخكم وكأنّ من يدعى أصم وأبكم
كم تقتلون وكم تراق دماؤكم وبنو أبيكم لا يراق لهم دم
القدس واللنبي تدوس جيوشه أرياضها وقصورها تتهدم
والروض صوخ والطيور تناوحت والنور أغفى والظلام يخيم
والمسجد الأقصى تئن قبابه مما تعاني والمنائر ترزم
والدار ترعف والبراق مصفد والأرض ترجف والآذان مكمم
وحمائم المحراب باكرها الجوي من شر ما تلقى وما تتبرم
والمنبر اهتزت قوائمه أسى لما علاهن الغراب الأسحم
والراكعون الساجدون نشيجهم متلهب وأديمهم متفحم
صلواتهم رفعت بها دعواتهم نحو السماء فجاوبتها الأنجم
أنفاس أكباد يفوح شياطها حمما براكين بها تتحمم
ويسود في أرض القداسة مجرم متهود ويذل فيها المسلم
والجائعون طعامهم جمر الوغى والظامئون وكل كأس علقم
وبأي أرض ينصبون خيامهم فالأرض نار والسماء جهنم
والمرملات الثاكلات حواسر لا من تنوح بوجدها وتلطم
السافرات وما أردن تكشفاً لكنه الهول المريع المعتم
النافرات من القذائف واللظى مثل الظباء تصيدهن الأسهم
عصت الدموع عيونهن فجلجلت بقلوبهن مما تكن وتكظم
يطوين أحناء الضلوع على الجوى وعيونهن بما طوين تُتَرجم
وكأن أهوال القيامة فزعت نظراتهن بما يروع ويلجم

يبكين هل من منصف يبكين هل ... من مسعف فقلوبهن تكلم
في كل بيت فاقد وفقيدة ... وبكل ربع في المرابع مأتم
بين الخيام تناثر أشلاؤهم ... وعلى بقاياها النسور تحوم
لا من يناصرهم ويرعى حقهم ... أو يستجيب لهم ولا من يرحم

* * * * *

سبعون عاماً واليهود ومكرهم ... والإنجليز وغدرهم يتجرم
سبعون عاماً والعدو يسومهم ... سوء العذاب وبأسه يتضرم
سبعون عاماً والعدو أمامهم ... ووراءهم يغتالهم وهمو هم
سبعون والآلام في جنباتهم ... تغري وتستشري ولم يتألموا
سبعون ما عرفوا الكرى في ليلها ... ورفاقهم فوق الأرائك نوَّم
سبعون والشرف الرفيع مهدد ... كالسيل والحوض المنيع مهدم
سبعون ومن بالطور وأعطى وعده ... ووعيد ريحان به يتجرم
في كل يوم دير ياسين إلى ... صبرا وشاتيلا وما لا يعلم
ما طأطأوا رأساً وما خافوا وما ... ماتوا وما هانوا ولم يستسلموا
حكم القوي على الضعيف قضاؤه ... ظلم ومنطقه اختل وأظلم
قالوا الرئيس إعاقة ترشيحه ... عن كل ما نشكو وما نتظلم
حتى متى يبقى الرئيس وحزبه ... ويهوده بمصيرنا يتحكم
نتوسم الإنصاف من أقواله ... وفعاله ويخيب ما نتوسم
ونخاف من أعراضه ونفوره ... ونتيه حين جنابه يتبسم
ونريد منه العدل وهو يزيدنا ... جوراً ونطمع أن يبين فيبهم
أعمى الرئيس عن الصواب رئاسة ... سيظل أعواماً بها يتنعم
فأذابه بيد العصابة دمية ... ليست ترى شيئاً وليست تفهم
نصبته واحتكمت على أفعاله ... فأعجب لمحكوم عليه ويحكم

تدنيـــــه إن شـــــاءت وتقصـــــيه إذا شـــــاءت وتـــــأمره فـــــلا يتنســـــم

وإذا أرادوه تكلـــــــم كيفمـــــــا شـــــاءوا وإلا فهـــــو لا يـــــتكلم

ويقـــرون لـــه الأمـــور فـــلا يـــرى بأســـاً بإمضـــاء القـــرار فيختـــم

وإذا تجـــاوز عـــاجلوه بطلقـــة ترديـــــه أو بفضـــيحة أو يهـــزم

مـــن ذا سيرضـــى أن يكـــون رئيســـهم إلا الـــذي لشـــرورهم يستســـلم

تبـــاً لشـــأنك يـــا رئـــيس ألا تـــرى إن الهـــوان علـــى الرئاســـة معلـــم

لـــو كنـــت مثلـــك لاحتقـــرت وظيفـــة لا يســـتبين لهـــا الطريـــق الأقـــوم

لكنـــه ضـــعف النفـــوس يريـــدها أن ترتضـــي مـــالاً يعـــز ويكـــرم

شـــلت فيتنـــام الضـــعيفة عزمـــه فـــتراه يرهـــب كـــل مـــن يتفتـــنم

فإلامـــا نخشـــى بأســـه وصـــدامه وهـــو الـــذي يخشـــى إذا مـــا يصـــدم

وعـــلام لا نجزيـــه شـــر جزائـــه أفـــنحن أضـــعف إذ نصـــول ويعـــزم

حـــامي الفضـــيلة لا يـــلام بفعلـــه والمســـتطيل علـــى الفضـــيلة ألـــوم

ثم أنه أطال في الموضوع فقال بعد خمسة وثلاثين بيتاً:

صـــبراً وبعـــض الصـــبر مـــن حســـناته تهـــدي الأمـــور إلى المـــراد وتخـــدم

الخـــارجون ســـيرجعون قنـــابلاً ذريـــة تمحـــو العـــدا وتدمـــدم

وسيصـــنعون مـــن الـــدماء قـــذائفاً تجـــري الـــدماء بثأرهـــا وتزمـــزم

وسيشـــعلون بكـــل أرض ثـــورة شـــعواء يصـــلاها العـــدو المجـــرم

ســـيفجرون الطـــائرات ومـــن بهـــا والحـــاملات الطـــائرات تحطـــم

ســـينزلون الأرض تحـــت خصـــومهم وســـيقلبون الراســـيات عليهمـــو

وسيســـحقون الخـــائنين بلادهـــم باســـم الزعامـــة جـــاهروا وتزعمـــوا

وســـيجعلون قبـــورهم بقصـــورهم تســـفي علـــيهن الريـــاح وتـــردم

وســـيمحقون الـــواجمين علـــى القـــذى الخـــوف ســـاد قلـــوبهم فتوجمـــوا

وســـيفرق الطوفـــان كـــل منـــافق يرغـــي ويزبـــد كاذبـــاً ويغمغـــم

إن كـــان شـــأنهم لـــدود غاشـــم فهمـــو لـــدى البلـــوى ألـــدّ وأغشـــمُ
يـــا مشـــعل الـــنيران فـــوق جلـــودهم نيرانهـــم أقـــوى فويلـــك منهمـــو
الثـــأر يـــا للثـــائرين لحقهـــم وكـــان عـــزمهم القضـــاء المـــبرم
إنـــي لا أطمـــع أن أراهـــا غـــارة بســـطور ملحمـــة يســـجلها الـــدم
مـــن كـــان مـــا عـــرف الحفـــاظ وهولـــه ســـيرى الحفـــاظ وهولـــه وســـيندم
والحـــق بـــالحق الشـــريف ســـيلتقي والشـــر بالشـــر العنيـــف سيحســـم
يـــا أمـــة لعبـــت بهـــا أيـــدي العـــدا وغـــدت بهـــا أخطاؤهـــا تتجســـم
تلكـــم لعمـــري محنـــة الـــزمن الـــذي ســـاد الـــدعي بـــه وهـــان الضـــيغم
يـــا للرجـــال ولا رجـــال كمـــا أرى إلا الـــذين إلى النضـــال تقـــدموا
يـــا للرجـــال يســـودهم ويقـــودهم فحـــل الرجـــال فـــلا يجـــور ويحجـــم
يـــا فهـــد أنـــت لهـــا فخـــذ بزمامهـــا إن كانـــت العظمـــى فربـــك أعظـــم

ذكر من توفي فيها من الأعيان

ففيها في ٢٠ محرم وفاة الشيخ والرئيس العالم لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المنطقة الغربية الشيخ العالم عبد الملك بن الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وهو الرابع من أنجال الشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف وقد ذكرنا لكل منهم ترجمة حافلة في سني وفاتهم.

ويمتاز الشيخ عن بني جنسه في عقله ودينه وسمته ويعتبر من الأفذاذ القلائل، تولى رئاسة الهيئات في مكة المكرمة وما يليها ويرتبط بها فقام بهذه الوظيفة خير قيام وكان مهيباً موقراً محبوباً ذلك لما قام به من مكارم الأخلاق ومعالي الشيم ولما لآل إبراهيم من المكانة العالية لدى الحكومة وبين الأمة فكان يلقي محاضرات منها سلسلة سيرة الرسول ﷺ ينظمها في حلقات من الإذاعة، وكان له مقامات في الإسلام وقوة.

رفع إليه مساعد الرئيس بأن في بحره بين مكة وجدة حفل زواج كبير أقامه ذووه وعزموا على أن يأتوا فيه بأشياء تخالف الشريعة كالسفور ورفع الغناء بمكبر الصوت والاختلاط وذكر أنه نهاهم فلم ير استجابة منهم وكان رحمه الله في مصيفه بالطائف فقال له اذهب من فورك واستصحب معك ضابطاً وأربعة عشر جندياً يحملون رشاشين فإن خضعوا للأوامر وإلا فأزيلوا ذلك الحفل بالقوة.

ولما أن حضروا بلغوهم أوامر الرئيس فكأنهم لم يجدوا لديهم استجابة فقيل أين رئيس الحفل فقالوا ليس بحاضر فطلبوا الوكيل وتكلم الوكيل بعدم الامتثال فتكلم الضابط بقوله وقع على عدم استعمال هذه المواد التي خرقتم بها النظام، وإلا فسوف أتخذ تدابير أخرى ضد هذا المنكر فكأنك ترى تلك الخيام والزينات قد طارت مزعاً في الجو بين السماء والأرض فخضعوا صاغرين وأزالوا ما عزموا عليه.

قبل ذلك زرته في موسم الحج بِمنى فأهدى إلي منسك الشيخ عبد الله بن جاسر جزأين مجلدين تجليداً ممتازاً وكان حسن العشرة لين العريكة يعلوه البهاء.

وذكر لي بأنه اشترى تاريخنا تذكرة أولى النهى وأنه جلده وأهداه إلى الملك فيصل وأن الملك أبدى سروره به وأولع بمراجعته وأعجب بما فيه وكان معظماً ومحترماً بينما كنت أحادثه إذ جاء إليه سمو الأمير الملكي عبد الله بن عبد العزيز لتهنئته بعيد الأضحى المبارك وجلست معه غير مرة وفي كلها أجد منه تعظيماً وتقديراً وقبل وفاته أصيب بألم في ركبتيه فكان يذهب لعلاجهما وما زال في استقامته حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة غفر الله له وعفا عنه.

وممن توفي فيها من الأعيان الشيخ محمد بن إبراهيم البواردي رحمه الله تعالى، وكانت وفاته في الرياض يوم الأحد ٢١/ ٢ من هذه السنة.

وهذه شهادة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ للمترجم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وآله وصحبه وبعد فإن فضيلة الشيخ محمد بن

إبراهيم البواردي قد التحق في الوظائف الحكومية في عام (١٣٤١هـ) حيث تعين إماماً ومرشداً لآل سفران العجمان في هجرة حنبره.

ثم في آخر العام المشار إليه نقل بأمر جلالة الملك عبد العزيز إماماً لمسجد القصابا في الجبيل وفي آخر عام الخمسة والأربعين وثلاثمائة وألف عين قاضياً لبلد الجبيل بدلاً من الشيخ عبد العزيز بن عكاس ولا زال يتنقل بأعمال القضاء حتى تم نقله إلى عضوية هيئة التميز عام (١٣٨١هـ) وما زال يمارس عمله في العضوية المذكورة بنشاط وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه وبياناً للواقع ولطلب المذكور حرِّر، وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم، رئيس القضاة الختم الرقم ٢٨٣/ ٥٥س/ ٢ح. وكان المذكور من قرناء الشيخ راشد بن صالح بن خنين والشيخ محمد بن عبد العزيز بن هليل، ولما مات رثاه إبراهيم محمد العبد الله المهنا بهذه الأبيات:

الموت حق وكل الناس تنتظر	آجال قد كتبت كل سيحتضر
قد مات شيخي أديب لا مثيل له	في الفقه والشعر والأخبار والسِّير
بواردي إذا أوى إلى هدف	أصاب منه مكان القلب والنظر
فرحمة الله تغشى الشيخ في جدث	قد ضم علماً وحلماً حازه بشر
معالم عرفت هي سجيته	ولا يجاريه من حضر ولا مدر
رسائل العلم والأخبار فاز بها	وقد توارت فلا عين ولا أثر
لو كان دونها ما كان أحسنها	نوادر عرفت أمثالها الدرر
إني لأرجو من أبنائه خلف	يكون مفتي لأهل البدو والحضر
فرحمة الله في الجنات مسكنه	وقد فجعنا به مذ غاب ذا القمر

وممن توفي فيها الشيخ عبد الله بن سليمان بن عبد الله بن حميد من أهالي مدينة بريدة، وكانت وفاته في ٣/ ٦ من هذه السنة ولد رحمه في أواخر عام (١٣٢١هـ) فنشأ بين والديه وفي حضانتهما وقاما في تربيته فأدخل على المؤدب عبد الله بن

إبراهيم بن معارك المشهور وبعدما أتم دراسة القرآن وأخذ مبادئ في الكتابة والحساب شمر لطلب العلم على الشيخين عبد الله بن محمد بن سليم وعمر بن محمد بن سليم فأخذ علم التوحيد والفقه والعقيدة عن الشيخ عبد الله بن سليم ثم أنه لازم الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأخذ عنه علم النحو والفرائض والفقه كما أخذ عن الشيخ محمد بن عبد العزيز العجاجي ودرس عليه في ثلاثة الأصول والتوحيد وكان له ميل إلى عقيدة السلف الصالح وكان من جملة الذين يبعثهم الشيخ عمر إلى هجر البدو للصلاة بهم ووعظهم وإرشادهم وخطب الجمعة والنكاح ثم تولي قضاء برك الغماد ووفق من مساعد هناك كاتب بين يديه ونال ثقتهم به وقد يقوم بأعمال الأمير.

لبث في هذه الوظيفة ثم نقل إلى قضاء القنفذة وأقام برهة من الزمن هناك ثم أنه رشحه الشيخ عمر لقضاء جيزان وكان رجلاً ذا عشرة وسعة ومعرفة بالعلماء السلفيين سواء كانوا من المملكة السعودية أو خارجها وفيه نشاط في الدعوة والإرشاد ونال وظائف في عسير وما يليها وتزوج غير مرة من تلك الجهات وولد له ثم.

أنه بعد وفاة الشيخ عمر بن محمد بن سليم رأى أن تكون خدمته للحكومة في وطنه بينما أنه لم ينل قبل ذلك وظيفة رسمية في نجد وقد يقوم بالنيابة عن والده في إمامة مسجد ماضي الكائن ببريدة وله معرفة بإخواني عبد الرحمن وعبد المحسن وصداقة وألفه واجتمع بالشيخ عبد الله بن محمد بن حميد لما ولي قضاء بريدة وذلك لأنه يحسن الأدب والعشرة.

ثم أنه تولى رئاسة الهيئات في القصيم وقام بالأمر والنهي واشتد عليه أمر الحالقين لحاهم رغم ما يواجهه من النصائح وحصل بسبب الإنكار على المحلقين لحاهم من الشباب مضايقة اضطر لأجلها أن يتخلى عن الرئاسة أو عزل عنها وذلك في عام (١٣٧٤هـ) ثم أنه بعثه الشيخ عبد الله بن محمد قاضياً للأسياح فلم

يلبث إلا قليلاً فنقل إلى قضاء البكيرية وقد لبث فترة من الزمن أعني قبل ذهابه لقضاء الأسياح رئيساً لهيئة الأراضي والنظر في مشكلات تصريف مياه السيول وذلك في عام (١٣٧٦هـ) غير أن لبثه في هذه الوظيفة قليل لكثرة المشاغبات والمنازعات ولا سيما كونه يبت فيها سريعاً، ولما أن ذهب لقضاء البكيرية لم يلبث أن أعفي من العمل وأحيل على المعاش.

فقدر أن تاجراً من تجار الهند كان لديه ثروة فرأى أن يصرف منها في تعليم القرآن وحفظه ووافق تشجيعاً من المترجم فأسست هذه الحِلق في المساجد لتحفيظ القرآن وينفق عليها من مال الهندي ومساعدات من الأجواد، وكان ابتداء هذا العمل أو تأسيس مدارس تحفيظ القرآن عام (١٣٨٣هـ) وهي السنة التي أحيل فيها المترجم على التقاعد.

ولما أن كان في السنة التي بعدها أقيم مسجد في محلة آل الجربوع في الجنوب الغربي من مدينة بريدة قام بعمارته عبد الله بن تركي من أهالي بريدة الذين سكنوا في بلدة الكويت، فأقيم المترجم إماماً فيه واتسعت رقعة المسجد بحيث كان جامعاً وجلس فيه لتدريس من ينتابه من أحبابه من طلاب العلم وتخرج عليه بعض الطلاب.

ولكنه لتقدمه في السن ولضعف بصره تخلى عن المسجد وعن الأعمال جملة حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة على إثر مرض وشيعه للصلاة عليه في جامع بريدة وحمله إلى مثواه الأخير خلق كثير وتأسفت الأمة وترحموا عليه ودفن في مقابر الموطأ رحمه الله برحمته الواسعة، وكان له من الأخوة صالح بن سليمان وعلي بن سليمان كلاهما توفيا قبل وفاته وهما من طلاب العلم ومن أهل العقيدة وقد خلف المترجم عقباً من الذكور والإناث.

وممن توفي فيها الشيخ صالح بن عبد الرحمن السكيتي رحمه الله وعفا عنه وذلك في ١٥ ذي القعدة من هذه السنة وهذه ترجمته: هو الشيخ اللوذعي الفقيه أبو

عبدالعزيز حسن صالح بن عبد الرحمن السكيتي إمام مسجد ابن مساعد ولد في عام (١٣٣٣هـ) في مدينة بريدة في القصيم فلما أن بلغ الثامنة من العمر التحق في مدرسة أهلية في شمالي بريدة صاحبها يدعى المطوع ثم انتقل إلى مدرسة صالح بن محمد الصقعبي فتعلم القراءة والكتابة حتى حفظ القرآن الكريم وكان يجيد الترتيل بصوت رخيم غير جهوري ثم أنه أخذ في طلب العلم عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي ولازمهما وأكثر من الأخذ عنهما كما أنه أخذ قبل ذلك عن الشيخ صالح بن إبراهيم بن كريديس إمام مسجد عبد الرحمن بن شريدة في شمالي بريدة عام (١٣٤٩هـ) و(١٣٥٠هـ) وجد واجتهد وبعد وفاة الشيخ عبد العزيز العبادي ذهب إلى الرياض للأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم وأخيه عبد اللطيف ثم رجع إلى بريدة فولي إدارة المكتبة العلمية حينما كانت في المسجد الجامع في بريدة، وهي أول وظيفة نالها.

ولما أن تأسس مسجد عبد العزيز بن مساعد جامعاً في بريدة ولاه الشيخ عمر بن محمد بن سليم إمامته وذلك في عام (١٣٥٥هـ) واستمر في إمامته حتى وفاته يتخلل ذلك فترة ذهابه قاضياً في بلد المذنب.

ولما أن تأسس المعهد العلمي في مدينة بريدة طلب من الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ أن يكون مدرساً فيه وانتقل من القضاء إلى التدريس حباً لنشر العلم ورغبة في براءة ذمته من القضاء كما أنه جلس للتدريس في مسجده وانتفع به خلائق من طلاب العلم وكان يحب البحث والمناقشة في مسائل الفقه وعلم وتخرج على يديه عدد كثير وما زال في جِدِّه واجتهاده حتى ضعف عن العمل لضعف بنيته فأحيل على المعاش.

وكان لما أن قدم الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد مدرساً في مدينة بريدة وقاضياً لازمه وأخذ عنه وأكثر الأخذ عنه وقد استنابه في قضاء بريدة فترة من الزمن لما صدرت الأوامر على الشيخ عبد الله بن حميد في الذهاب لحل مشكلات

وتعقيدات في محاكم مكة وجدة والمدينة، وذلك في منتصف عام (١٣٧٢هـ) قدراً من أربعة شهور وقد قنع بالتدريس في المعهد كما أنه استمر في التدريس في مسجده وقد عُدَّ من العلماء وخرج في تشييع جنازته والصلاة عليه خلق كثير من مدينة بريدة وكثر الجمع في المسجد الجامع الكبير للصلاة عليه وتشييع جثمانه لمقره الأخير ودفن في مقابر الموطأ.

وكان من زملاء عقلاء بن موسى الحسين وإبراهيم الصالح الصايغ وعلي بن سليمان الضالع ومن زملائنا في الدراسة على مشائخنا الكرام وتربطنا الأخوة الإسلامية والمحبة الدينية.

وممن توفي في السنة التي قبل هذه علي المطلق رحمه الله وعفا عنه وهذه ترجمته: هو الشيخ في الفضل والكرَم والأخلاق علي بن محمد بن صالح بن مطلق، ولد المترجم عام (١٣٣٣هـ) وهذه السنة يعبر عنها العامة ويعرفون تاريخها بسنة جراب لحصول الواقعة فيها بين الملك عبد العزيز وبين أمير حائل سعود بن عبد العزيز ابن متعب، وكان والده محمد متكسباً إذ ذاك ويعاني من طلب المعيشة ولا سيما بين مكة وبريدة، أما جده فقد كان متعففاً في طلب الرزق ومرارة العيش اتخذ موضعاً للغراس بين تلك الرمال تبعد عن البلد إلى جهة الشرق بأحد عشرة كيلو يسمى الأرطاوية فيه أشجار من الإثل ويحب الوحدة.

فنشأ المترجم في حضانة والديه وأدخلوه مدرسة أهلية لصاحبها محمد بن عقيل فتعلم الخط والقراءة ثم أنه أخذ في الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم وعلى الشيخ عبد العزيز العبادي وعلى الشيخ محمد بن صالح المطوع وعلى الشيخ سليمان بن محمد بن طويان، وكان له مع الأخير بحث ومناقشة.

ثم أنه سافر إلى مكة المكرمة فأخذ عن الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ واجتمع بالشيخ سليمان بن حمدان وأخذ عنه.

ثم أنه رجع إلى بريدة وكان له معنا مجالس شيقة ومن جملة رفقتنا الذين نأنس

بهم ومن جملة اجتماعنا أن سرنا مرة إلى مدينة عنيزة على أرجلنا وفي صحبتنا الشيخ فهد بن عيسى، ولما أن خرج من بين والديه لم يكن لديه ثروة فاتخذ دكاناً في قبة رشيد المشهورة ولما لم تساعده حالته المادية اختار أن يكون في مزرعة بقرية الخضر الواقعة في الجنوبي الغربي عن مدينة بريدة وجعل يمارس طلب المعيشة وقد جعله الشيخ إماماً وخطيباً فيها وذلك ببعث كتاب إليه جاء فيه من عمر بن محمد بن سليم إلى الابن علي المطلق تلتزم إن شاء الله الإمامة في الجامع وكان يظهر آثار العفة عليه في حال الفقر والغنا وله عزة نفس وسلوك مع الأمة ثم سافر إلى الرياض للأخذ عن آل الشيخ فدرس على الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ وعلى أخيه الشيخ عبد اللطيف ونال هناك إدارة مدرسة ثم أنه التحق في وظيفة لدى الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ اختاره الشيخ أن يكون يوزع الرواتب والمستحقات لهيئات الحسبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويثق به.

ثم أنه رأى أن يتعاطى في شراء الأراضي وبيعها وجعل مدينة الرياض مقراً لعمله وفتح الله عليه من أمور الدنيا ما أصبح به من أهل الثروة والموجدة وحظي واتسعت رقعة تعاطيه مع تيسير على المعسر وإذا كان له على أحد دَين فإنه يحسن في الطلب ويواضع فكان له من هذه الخصلة محبة بين الناس وذكر حسن.

ومما ينسب عنه أنه جاء إليه رجل يشكو تأخر زواجه فنظر فلم يكن له تلك الساعة ما يؤمن زواجه فقال له هل عندك مهر فقال لا أجد إلا بيت فأشار عليه أن يبيع بيته ويتزوج من قيمته، وباع عليه قطعة أرض وقال له خذ ما تبقى من قيمة البيت وعمّر ما يؤمنك من المسكن ولا تأتني بقيمة الأرض حتى يفتح الله عليك بها، ففعل ويسر الله له سعيه ومنحه الله سمعة طيبة بين الأمة وربما ضايقته الأحوال لاتساع الرقعة فلا يتسامح الخصم ويظنه واجد فيسيء المعاملة فكان مرة لما ضايقه بعض عملائه أحاله على ستة ممن كان لديهم مئات الألوف قد حلت أجالها ولم يضايقهم فكان ذلك الغريم الذي لا يبلغ طلبه عشرات الألوف يذهب

إليهم واحداً بعد واحد، وكل منهم يقر بما لديه من الطلب ولكنه لا يجد تسديداً فاستحيا ذلك الغريم وصبر تقديراً لإحسان المترجم إلى خلق الله حتى استوفى من دون تشويش ولا مضايقة.

ولحسن نيته كانت قيمة تلك الأرض أربعة وعشرين ألفاً فارتفعت حتى بلغت الملايين ولديه قوة نفس وسعة في الرزق حتى حصل على عقارات عظيمة ونخيل وبيوت ويتغافل عن الفقراء والمحتاجين ويوزع ثمرات النخيل ويسمح بها ويصل قرابته وله ضيافة في الرياض وفي بريدة وأبوابه مفتوحة في وجوده وغيابه وله رفقة تلتف عليه من أصحابه يلازمونه في جلوسه ومدخله ومخرجه لما ينالونه من إكرام الناس له ويجلس مع الفقراء في تناول الطعام ويتواضع لهم ولا يستأثر من بينهم في مأكل أو مشرب وإن كانت الظروف تقتضي ذلك لأنه أصيب بمرض السكر وكان الأولى أن يكون له طعام خاصاً لكنه يقول أنها خصلة جبله الله عليها.

ولو قلت أنه يعتبر من رجالات أهل القصيم ومن أجواد أهل زمانه لما كنت مبالغاً ولمحافظته على الصداقة والمحبة الجارية بيننا قديماً يطلب مني أن أتفضل عليه في إجابة دعواته والجلوس معه ولكنني لكثرة أشغالي لا أتمكن من ذلك، وربما بكى أمامي لأجلس على كرامته وآخر مجلس ضمنا أن عقد معي موعداً لتناول الغداء لكنه حال بينه وبين دعوته وفاة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز قدس الله روحه بحيث اشتغل المسلمون بتشييع جثمانه والدعوة لولي عهده للمبايعة وكثيراً ما يتحدث بنعم الله ويتذكر أوقات في قلة ذات اليد والحاجة مرت عليه وقد بالغ الناس في بذله وإحسانه ومنح المحتاجين إليه مبالغة لا يبلغها العبارة في الجود والكرم وما لم أتحقق عنها من مصادر وثيقة لم أذكر إلا ما شاهدته وكنت في روايته صادقاً.

ولما أن كان في آخر حياته اشتد به مرض السكر لعدم تقيده بالحمية وتوفاه الله تعالى في يوم الاثنين ١٢/ ٧ عام (١٤٠٢هـ) وخلف أموالاً طائلة وعقباً كثيراً من النسل البشرى نسأل الله تعالى أن يهديهم ويوفقهم.

ومن غرائب ما جرى عليه أن غريماً ضايقه في طلبه بأن لا بد أن يسدد أو يسجن فتقدم إلى السجن ولما أن دخل السجن في طلب نزر يسير بالنسبة إلى ما لديه من الثروة الطائلة وجد في السجن سجيناً في طلب مائة ألف عليه لم يجد لها تسديداً فتحملها عنه واخرج للسجن في الحال إلى أولاده.

وإنا نترحم على الأخ علي بن محمد بن مطلق ونسأل الله له الكرامة في الآخرة والرفعة بإحسانه إلى خلق الله وبذله ماله ونفسه في سبل المجد والكرامة وذكر عنه أنه وصى بشيء كثير في أعمال البر بعد وفاته من حجات له ولوالديه وأقربائه وترميم مساجد وبناية أخرى واشتراء مصاحف ومؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتوزيعها هكذا ذكروا بما أنني لم أتلقها عن مصدر وثيق ولم أقف على غالب أعماله الأخيرة فإنني أسلك مسلك السماع لا الرواية فالله المستعان.

هذا والواجب لاخلاص للتاريخ فما وصلني من حال قيامي بأعمال خيرية مساعدات مرة واحدة بل قد اشتريت منه قطعة أرض بحاجة فنقدته المعجل من القيمة وقبل حلول المؤجل منها بشهرين كاملين بعث يطلبها فعجبت لذلك فأخبرني أنه في تلك الساعة محتاج لغريم ولثقته بي طلب البقية قبل حل الأجل وكان مع ذلك لم يفرغ لي لكنني بعلم الله سددت له قبل حلول الأجل لتعلم أن مدحي له وثنائي عليه تقديراً لإحسانه إلى الناس لا لأن له فضلاً علي أو معروفاً وكان عاقلاً لا يتوصل إلى سره ولديه اطلاعات على الغموض وبحث في مهامها ولا يحقد ولا يميل إلى غيبة أو مسبة أحد ولو أساء إليه.

وهذه صفته ضخم الجسم حنطي اللون قد لوحته الشمس له عينان كلسانين كثير تحركهما ويشابه خلقه الشيخ محمد العلي بن حركان ولما بدن كانوا يساعدونه في القيام.

وممن توفي فيها أمير تبوك سابقاً سليمان بن تركي السديري رحمه الله تعالى وعفا عنه كان شاباً مثقفاً وذا مقدرة وتقدم ورجولة وكرم وسباقاً في المكارم والفضائل وكان مرحاً متواضعاً.

ولو شئت لقلت لم أر في الأمراء مثله ومع ما يلاقيه من المشاكل والشكايات التي ترد عليه ومن تدابير أمر تلك المنطقة التي كانت من حدود المملكة شمالاً وغرباً إلى حدود المنطقة من الشرق والجنوب فإنه استطاع بمقدرته أن يؤمنها بتوفيق من الله سبحانه حتى أصبحت تلك الجبال والفلوات وما تحتوي عليه من المدن والقرى آمنة مطمئنة يسير الراكب فيها كأنما هو في صحن بيته وهو رحب الصدر ولا يغضب ولا يتأثر ويجاذب جليسه وأضيافه بحديث لا ينقطع ولا يمل وفيه مؤهلات.

ومما ورد عليه أنه أُتي برجل شاب عليه آثار العقل وهو في الثلاثين من عمره قد كبل بالحديد ومكشوف الرأس غير أن الله ابتلاه بشيء من بلاوي الزمان فقيل يا سعادة الأمير هذا السجين إننا منعناه مرتين عن أن يحرق نفسه بالنار نعم إنه متأثر مما وقع فيه بغواية الشيطان وكان لا يبدي شيئاً فسألنا الأمير عن جنايته فقال إنه انتهب زوجة جاره في الرياض وصلح وإياها وبعد القبض عليه قضت العدالة أن يسجن حتى يبت في شأنه وقد طلب أن ينقل من سجن الرياض إلى سجن تبوك لتسهل زيارة والدته له من قرب ثم سأل الأمير سليمان عن الحكم في تحريق نفسه فناصحناه وبينا له ما لقاتل نفسه من العقوبة الأخروية والدنيوية نسأل الله العافية فأمر بعرضه على المستشفى للنظر في عقله.

ولما أن قضت الإرادة الملكية إقامة سمو الأمير عبد المجيد في تبوك نقل بطلب منه إلى وظيفة مستشار في الداخلية لا يسدها سواه فنقل في عام (١٤٠٠هـ) المتقدم وقد يقام بالنيابة كاحتياطي ليسد مقام أمير المنطقة كما قدم بريدة نائباً عن صاحب السمو عبد الإله بن عبد العزيز لما سافر إلى أمريكا.

وقد منّ الله علينا برؤيته والاجتماع به في بيتنا بدعوة تكريمية وأريناه مكتبتنا وأهديناه بعض مؤلفاتنا مقابل ما أسداه إلينا من المعروف سابقاً والفضل للمتقدم ولما كان في ٢٥ من شهر جمادى الأولى من هذه السنة توفاه الله تعالى عن عمر يناهز الخامسة والأربعين غفر الله له وتجاوز عنه.

وفيها وفاة رئيس ديوان إمارة بريدة سابقاً سالم بن إبراهيم الدبيب كان هو السكرتير للأمير عبد الله بن فيصل بن فرحان في حال إمارته بالقصيم ثم كان بهذه الوظيفة في إمارة عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد بالقصيم كما أنه لبث في إمارة خال الأمير عبد الله بن مساعد وهو محمد بن عبد الله بن بتال المطيري وترفعت مرتبته في إمارة صاحب السمو سعود بن هذلول في إمارة القصيم فكان رئيس الديوان في إمارة القصيم ثم إنه أصابه نكبة من نكبات الزمان وأبعد عن الوظيفة بعد اهانته ثم أنه كان بعد ذلك في شركة كهرباء بريدة وقد جمع ختمة مطولة للقرآن الكريم وختمة مختصرة كذلك وجمع ورداً سماه الورد المسطور أصيب في آخر عمره بشلل في أحد جنبيه وتوفاه الله تعالى في آخر جمادى الأولى من هذه السنة رحمه الله برحمته الواسعة.

وفيها وفاة الأمير ناصر بن الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل غفر الله له وتغمده برحمته أمير الرياض فترة من الزمن جعله والده في هذا المكان والمقام المفخم الرائع ثم خلفه في هذه الإمارة سلطان بن عبد العزيز عام (١٣٦٦هـ).

وفيها في يوم الأحد ١٦/ ٢ وفاة صهرنا عبد الرحمن بن أحمد بن علي العييري رحمه الله لأنه متمسك بالدين وبالعقيدة وكانت وفاته عن عمر يناهز السابعة والستين.

وفيها في ٢٤/ ١/ ١٤٠٤هـ وقوع زلازل عنيفة في تركيا في قرية الزوم هلك بسببها خمسمائة قتيل وجرح خلائق كثيرون وتهدمت منازل ومساكن على أهلها.

وفيها في أوائل برج الحمل مبتدأ واحد وعشرين مارس ١٩ جمادى الثانية هطلت أمطار غزيرة على مدينة الرياض وما حولها بحيث جرت الأودية جرياً عظيماً جداً وتضررت المزارع هناك من تلك الأمطار وخرجت الأمة بجمعها يتفكرون على تلك الأودية والخبارى والرياض بما في ذلك القصيم الذي يفوق بكثرة مياهه.

فقد حصل في هذه السنة جفاف عظيم ونزلت مياه الآبار وخشي من هلاك الزروع والخضر وغيرها من قلة الأمطار ولا سيما المليداء في القصيم فقد خسر المزارعون الألوف لشراء المواسير وتنزيلها إلى أسفل لنزول المياه وبما أن الأمة استعملت المحاور والأمطار الصناعية فقد أثرت مع قلة الأمطار على الماء قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1].

ذكر بئر العجائب

لما كان في شهر شعبان من هذه السنة ظهرت بئر جديدة في المدينة المنورة حفرت وأقبلت الأمة عليها وجعلوا ينسجون حول مائها الكثير من الأساطير والخوارق ويقولون أن ماء هذه البئر يفتح الشهية ويزيل الأذية ويقوي البصر ويزيل الحساسية من الجسم وأقبل المرضى يتدافعون حفاة عراة أمام البئر.

وسولت لهم أنفسهم أن ماءها يشفي من جميع الآلام وأمراض المعدة وغيرها من الأمراض وأن هذه البئر التي يمتاز ماؤها بكل هذه القدرات التي يعجز عنها الطب الحديث تشهد إقبالاً منقطع النظير من أبناء المدينة وغيرها من مدن المملكة وربما من الدول المجاورة كل منهم يبحث عن العلاج.

ويقول وكيل البئر رضا عمران السحيمي إننا لا نأخذ مقابلاً لهذه المياه من رواد البئر بل بالمجان وجرى من الناس كما جرى في السنة السابقة على بئر الشملي.

أما كيف تم اكتشاف أن هذه المياه تعالج كل هذه الأمراض فيقول السحيمي علمنا ذلك من خلال بئر أخرى قديمة في الشمال كانت مياهها تعالج أمراض النظر والحساسية وعندما حفرنا هذه البئر الارتوازية وجدنا أن مياهها تتميز بكل مميزات

---

(١) سورة الذاريات، آية ٢٢.

مياه بئر الشملي هذه ويؤكد رضا عمران السحيمي أنه كان لا يستطيع أن يقود سيارته بدون النظارة الطبية وبعد أن شرب من مياه هذه البئر واغتسل منها استطاع أن يستغني عن هذه النظارة.

ومنذ أول شهر شوال الماضي بدأت وفود المرضى تتجه إلى هذه البئر العجيبة وذاع صيتها بين الناس في مختلف أنحاء المملكة ومن كل الجهات.

مميزات البئر:

ويؤكد السحيمي أن مياه هذه البئر خفيفة وبإمكان أن يشرب الإنسان منها قدراً كبيراً دون أن يحس بثقلها أما إذا استحم بها الإنسان فيزعمون أن الماء ينزل من جسمه أبيض كاللبن حتى ينظف الجسم ويزيل عنه الحساسية وذكروا أن وكيل البئر أنه كان أولاً لا يستطيع أن يتناول الطعام وكان طعامه يقتصر على القهوة المرة وعلى الماء واللبن وقد بحث عن علاج عند الأطباء دون جدوى فشرب من ماء هذه البئر فأصبح يستطيع أن يتناول مختلف الأطعمة كأي إنسان عادي.

وذكر عن رجل آخر أنه يعاني كثيراً من انتفاخ البطن فشرب منها وعافاه الله وآخر يعاني كثيراً عندما يأكل الطعام ولا سيما الموز فإنه يعاني بسببه من الانتفاخ الشديد.

ولكن ماء هذه العين وضع حداً لكل هذه المعاناة وذكر آخر أنه يعاني من انتفاخ القولون فشرب من ماء هذه البئر فما لبث سوى يومين حتى زال وجعل الناس يتسابقون كل يقول من فضلكم دعوني أملأ الجالون وزعموا أنه إن لم يحتفظ بغلق الآنية فإنه يتبخر ويعود إلى طبيعة الماء، وقال وكيل البئر إنا اضطررنا إلى أن نخصص مواعيد معينة للرجال والنساء لهؤلاء فترة الصباح ولأولئك فترة المساء، هذا ما ذكرته إحدى الجرائد السعودية.

وفيها في ٣/١٢ قام إرهابيون من العراق ولبنان عدتهم اثنا عشر شقياً بتفجير قنابل ومتفجرات في مدينة الكويت فألقت حكومة الكويت القبض عليهم واحتجزتهم.

وفيها وفاة رئيس الجمهورية المصرية السابق بعد إلغاء الملوكية في مصر محمد نجيب، وكانت وفاته في يوم الثلاثاء ٢/ ١٢/ ١٤٠٤هـ وكان موصوفاً بالعدالة والدِّين وقد قدمنا تواضعه وإنصافه في سنة حجه وميله إلى السلم وإكبابه على العبادة وتلاوة القرآن وأحبه شعب مصر وجعلوا يلهجون باسمه لأنه وقع اختيار الأمة المصرية عليه وهو أول رئيس للجمهورية ولكن من الضباط من أهل مصر من كانوا يريدون توطيد الجمهورية أولاً ويريدون لها جمال عبد الناصر ولما أقاموه أولاً لما يعرفه الشعب المصري عنه من النزاهة والدِّين ومحبة الشعب له ولما أن أرادوا إبداله بجمال جرى ارتباك في شعب مصر وقام الإخوان المسلمون الذين أيدوا الثورة لا يعدلون بمحمد نجيب سواه لكنهم غلبوا على أمرهم وتلقى الرئاسة جمال وكان عزل اللواء محمد نجيب عن الحكم إثر خلاف سياسي مع جمال ثم حددت إقامته في نوفمبر (١٩٥٤هـ) في فيلا بالمرج شمالي القاهرة ولم يفرج عنه إلا بعد ٢٠ عاماً عمره يناهز ٨٣ سنة.

مصلحة الهاتف السيار

لما كان في هذه السنة أدخلت في ١٥ جمادى الثانية خدمة الهاتف السيار لخدمة المواطنين وراحة العالمين فأصبح الراكب في سيارته يكلم من شاء من قريب أو بعيد وكان لهذا المشروع مصلحة عظيمة ويعتبر هذا المشروع من أحدث المواصلات التي وفرت للناس راحتهم وقضت حاجتهم بسرعة فائقة ولله في خلقه شؤون وإنه ليعجب لتقدم تلك الأعمال التي لا يكاد يصدق بها.

وقد تم في منتصف هذه السنة تركيب مائتي خط هاتف سيار، وكانت منطقة القصيم تتمتع في بيوتها ومكاتبها ودوائر الحكومة في هذه السنة بشبكة من أحدث شبكات الاتصالات في العالم بحيث بلغ في منطقة القصيم عدد من خطوط الهاتف بقدر ٥٥٠٠٠ ألف خط وقد كثرت الإصلاحات في سائر أنحاء المملكة.

فمائة وخمسون قطعة أرض تسلمتها إدارة التعليم بحفر الباطن لإقامة مشاريع

تعليمية عليها في مدن المنطقة من مدارس وغيرها وكانت مساحة تلك الأراضي تتراوح القطعة الواحدة منها من عشرة آلاف متر مربع إلى عشرين ألف متر مربع كما أن أمير عسير صاحب السمو الملكي خالد الفيصل قام في أواخر هذه السنة بتنظيمات ودراسات لتلك المنطقة وقام أمير المنطقة الشرقية عبد المحسن بن عبد الله بن جلوي بتوقيع خمسة عقود جديدة مع عدد من المؤسسات الوطنية المتخصصة تتعلق بإيصال المياه المحلاة لعدد من المدن بالمنطقة الشرقية وذلك بصفته رئيس مجلس إدارة مصلحة مياه ومجاري المنطقة الشرقية بتكلفة ثلاثمائة وأربعة وثلاثين مليوناً لشبكات المياه والمجاري وتصريف سيول في القطيف.

ذكر المذابح والتدميرات في أفغانستان

في ١٥/ ١١ من هذه السنة والأيام قبله ارتكبت روسيا في معاملة أفغانستان مذابح جماعية وحرقت ودمرت وتشير الألمان إلى خطورة تلك المذابح بحيث أحصى الذين قتلوا من الأفغانيين منذ بدء غزو روسيا لغزوهم فبلغوا أكثر من مليون أفغاني وشردوا ملايين وأن جرائم الحرب التي ارتكبتها روسيا في معاملتها لأفغانستان لا تقل خطورة عن الأعمال التي ارتكبها النازيون.

وقد قامت روسيا باستخدام أساليب البطش والعذاب فحرقوا الأراضي والمئات من القرى المسالمة وأطلقت النار على المدنيين واغتصبت النساء ودمرت المحاصيل وسممت الآبار ولم يعفّوا عن قتل صغير وتحريق كبير ولم يتركوا وسيلة تؤدي إلى الهلاك والدمار إلا وقد فعلوها.

فخمسون شخصاً أفغانياً اختبأوا في مجاري المياه تلاحقهم العساكر الروسية فتصب عليهم البنزين وتحرقهم ومع ذلك فإن المجاهدين ثبتوا وصمدوا أمام تلك الأهوال ولم يهنوا ولم يستكينوا ولم يضعفوا بالرغم من حجم النيران وحمم القنابل وكونهم.

أمام دولة هي أكبر دول العالم أمام عدو غاشم لا يستهان به ناضلوا بصدق إيمان وقوة عقيدة.

ومع أن روسيا تضربها بأنواع الأسلحة الفتاكة والمعدات الرهيبة فلم يرهبوا من صنوف العذاب وحرب الإبادة والتعذيب الذي لا يكاد يصدر ممن له ذرة من رحمة أو شيمة أو أنفة ولاقوا جيوش روسيا وتصدوا لها وهم يرون إخوانهم المقتلين والمشردين في مشارق الأرض ومغاربها صمودهم أمام تلك الجيوش الكاسرة الذين ملؤوا الأرض بقضهم وقضيضهم أمدوهم بالأموال والأرزاق والكسوة ليثبتوا ويناضلوا بما أن الطائرات تصب عليهم أنواع العذاب والجحيم والحمم من قنابل الخوف والهدم والتدمير فإنهم أحرزوا نصراً متفوقاً يزداد كل يوم بل كل ساعة ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾[1] أولئك الأفغان المجاهدون الأشداء المتمسكون بدينهم المعتصمون بجبالهم وصياصيهم ولم يعرفوا الخضوع للأجانب ولم يعتادوا عليه ويكفينا ما قام به قائدهم أمان الله خان بحيث أنه لما خلف والده استل سيفه أمام الجمهور وأعلن أنه لا يعيده إلى قرابه حتى يعيد لبلاده استقلالها الكامل وسيادتها التامة.

ثم أرسل إنذاراً إلى بريطانيا، ولما رفض الإنجليز إجابته أعلن الحرب عليهم حتى خضعوا، وفي هذه السنة انتصروا وأذاقوا روسيا درساً لا يُنسى، وما زالوا طوال تلك السنين الماضية التي بلغت ستاً يجاهدون ويناضلون حتى أدخلوا الرعب في قلوب السوفيت ووجهوا ضرباتهم إلى كابول، فقد ضربوها في يوم واحد بمائة وثلاثين صاروخاً وأسقطوا طائرات ودمروا دبابات وكل يوم وهم يتقدمون وللعدو يقهرون وذلك بعدما جاءتهم الإمدادات وأفتى العلماء بجواز صرف زكاة الأموال إليهم فانسدت المساجد من كثرة ما يلقى فيها ويرصد من التبرعات وعلت أصوات الخطباء إلى الله بالدعاء لهم بالنصر وتبدت أعلام النصر لهم وتورطت روسيا في غزوها.

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٢٦.

تصريف مياه مكة المكرمة

لما كانت أم القرى بحاجة إلى تصريف مياه السيول التي يجتاحها من جهة الشرق ولطالما أحدثت تلك الأودية أضراراً عظيمة وبما أن الحرم الشريف منخفض موقعه وتأدباً مع الأمكنة المقدسة لا يتمكن أحد من رفعه لمكان الكعبة الشريفة فإنه موضع اجتياحها.

وكم مرة دخلت المياه في الحرم الشريف فسببت أضراراً في الكتب والمصاحف وأضراراً بالكهرباء وأضراراً في النفوس وتعطلت الصلاة فيه وبكل أتعاب تقوم المعدات والمواطنون بإزالة تلك الأوساخ والأتربة ولا ريب أنه إن تأمن المسجد الحرام من دهماء السيول التي تجتمع من تلك الأودية والشعاب فيه فإنها راحة كبرى للحجاج والعمار والزوار والمواطنين.

ولقد بذلت الحكومة أسباباً عظيمة قبل ذلك، ولكنها وإن خففت بسيطاً من الأضرار فإنها تفشل، ولقد رصدت الحكومة هذه المرة ثلاثمائة مليون وثمانية وستين مليوناً لهذا المشروع وهو أضخم مشروع يتم تنفيذه بحيث بلغت تكاليفه الإجمالية (٨٦٨٧٧٤٦٥١) ريالاً صرح بذلك أمين العاصمة المقدسة فؤاد توفيق وقد بدأ العمل فيه منذ عام (١٣٩٨هـ) وتم تنفيذ هذا المشروع في هذه السنة في أربع مناطق رئيسية تضم منطقة حي العزيزية ومنطقة شارع المنصور ومنطقة طريق جدة ومنطقة المعابدة حيث نفذتها عبارات خرسانية طولية يبلغ طولها أكثر من عشرة آلاف متر وأنفاق ومواسير (استبس) ويجري العمل حالياً في تنفيذ باقي المشروع الذي يغطي معظم أحياء مكة ولعل هذه الخطوة الجبارة تكون كفيلة بالنجاح.

ويروي لنا أهالي مكة والمقيمون فيها أن مياه السيول قد تبلغ إلى قفل باب الكعبة وتارة تبلغ مستوى أعلى من ذلك فتحدث أضراراً وتفسد ما مرت عليه في المسجد الحرام وما حواليه كما تقدمت الإشارة إليه فإنها لا تزال اللجان تفكر في

دراسة تلك المهمة ولقد كنت جالساً في صحبتي أحد الرفقة في دكان من دكاكين باب السلام قبل إزالته، وذلك في أحد أيام ذي القعدة من سنة (١٣٦١هـ) فهطلت أمطار ونحن جالسون فلم نشعر إلا وبذلك الوادي قد أقبل ولكنه خفيف تلك المرة فامتلأ ما حوالي باب السلام بالأتربة والأوساخ فعجبت كيف تحولت تلك المنطقة النظيفة إلى بحيرة قذرة وقام السكان في تلك الدكادين يزيلونها بشدة وكلفة فقمنا معهم في نظافتها وإعادتها إلى طبيعتها الأولى.

وفي إحدى السنين عملت الحكومة صفائح من الخشب والحديد وجعلوا لها أركاناً من الحديد من بين أبواب الحرم الشريف ولكنها فشلت وكانت ترتفع عند عدم الحاجة وتوضع عند الضرورة ثم جعلت الحكومة سراديب بقدر سعة ستة أمتار تحت المسجد من جهة الجنوب ولكنها ظهرت غير كافية فأمر الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز رحمه الله بتوسيعها إلى اثني عشر متراً كما عملت سداً في أعالي مكة لتصريف السيول وتخفيف وطأتها عن الحرم الشريف، وقد مرّ في هذا التاريخ العجب العجاب من أضرار السيول في مكة وطرقها.

وفيها رأت وزارة الحج والأوقاف بعد صدور الفتوى من قبل دار الإفتاء والبحوث أن تحدد أماكن إقامة صلاة الأعياد في القصيم والزلفى وشقراء وذلك لما كثر المصلون وضاقت مساجد الأعياد من كثرة المصلين فقام صاحب السمو الملكي الأمير عبد الإله بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم بإقامة مصلى للعيد بحي الصفراء من بريدة كما كان المصلى القديم في وسط المدينة تقام فيه الصلاة وقام فرع الأوقاف في كل من عنيزة والرس والبكيرية وغيرها من المدن بتنظيف مصليات العيد وفرشها ورشها بالماء كما قامت الوزارة في مليح وعلقة والثوير وما يتبع الزلفى وزودت وزارة الأوقاف المصليات بمكبرات الصوت ورش الأسواق بالماء وتسوية أراضي المصليات كل هذا لراحة المصلين وكذلك تجهيز المصليات بالمدينة المنورة والقرى المرتبطة بها وفي حفر الباطن والقيصومة وغيرها.

وهذا لأول مرة تتكرر صلاة العيد لما اتسعت الرقعة وكثر عدد المصلين.

تحديد مواقع صلاة العيد بالإحساء قام فرع وزارة الحج والأوقاف بالإحساء بتهيئة مصليات العيد والجوامع التي ستقام فيها صلاة يوم عيد الأضحى المبارك حيث تم توفير الإماكنات لذلك، وسوف تقام صلاة العيد بالإحساء في المصليات في كل من الهفوف والصالحية والرقيقة والمبرز بمصلى العيد فيه وفي المراح بمصلى المراح وفي العيون واللوزية والكلابية بالجشة ومصلى العيد بالحفر ومصلى العيد بالطرف والشقيق والمقدام وحرض وسلوى هذا إلى جانب إقامة الصلاة في مصليات الأعياد في كل من هجر الإحساء.

اليهود تقتل أئمة المساجد وتهدد المسجد الأقصى

في هذه السنة بل في ١٦ من جمادى الأولى ارتكبت القوات الصهيونية فيه جريمة شنيعة وهي أنهم اغتالوا الشيخ راغب حرب إمام بلدة جبشيت قتلوه في داخل منزله كما أن إمام مسجد قرية أخرى تدعى الحلوسية لا يزال معتقلاً ولم تفرج عنه سلطات الاحتلال رغم كل مظاهر الاحتجاج والاعتصام التي نفذها أهالي القرية كما أن رجال الدين كانوا تعرضوا في الأسابيع الأخيرة للاعتقال والإهانة على أيدي الجنود الصهاينة، هذا ولقد كان من المعلوم أن هذه الفئة الملعونة المغضوب عليهم لم يألوا جهداً في الأذى وعذبوا العرب وامتلأت سجونهم بهم وفي هذه الأيام الأخيرة نذكر ما يلي:

بيان عن رئيس الهيئة الإسلامية في القدس

قام هذا الرئيس يحذر من مخاطر الاعتداء على المسجد الأقصى وهو سماحة الشيخ سعد الدين العلمي رئيس ا لهيئة الإسلامية في القدس المحتلة قام يحذر من مخاطر الاعتداء على المسجد الأقصى وقال إن المحاولات الإسرائيلية مستمرة وأن هناك جمعية صهيونية متعددة تمولها الولايات المتحدة وتستهدف المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان المزعوم عليه وكشف الشيخ العلمي في تصريح لمراسل وكالة

الأنباء القطرية في عيان النقاب عن أن قائد شرطة الحرم أبلغه أمراً من الحكومة الإسرائيلية في الأول من أغسطس بالسماح للإرهابي كاهانا بدخول ساحات المسجد الأقصى وأن الحكومة الإسرائيلية ترغب في إتمام هذه الزيارة هذا ما أوضحه رئيس الهيئة الإسلامية وقد أصبحت مدينة القدس المحتلة أشبه بثكنة عسكرية ويخيم عليها جو من الرعب وأن وكالة الأنباء الكويتية تلقت في ثاني ١٢ من هذه السنة تقريراً من المدينة المقدسة أن هناك (٣٣) دورية محمولة للشرطة و(٩) دوريات لحرس الحدود تجوب شوارع مدينة القدس ليلاً ونهاراً منذ بداية الأسبوع الحالي وهناك أربع فرق لتفكيك المتفجرات والعبوات الناسفة لأنه تكرر اكتشاف عبوات ناسفة وسيارات ملغومة في الأحياء اليهودية قبل بضعة أيام ونجاح بعض العمليات المسلحة ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي كما أن اليهود جعلوا ما يزيد على ثلاثمائة فرد من أفراد المخابرات الإسرائيلية (الشين بيت) يجوبون أسواق وشوارع القدس ويشير التقرير إلى أن الشرطة الإسرائيلية العاملة في القدس أصبحت تعيش في وضع لا يحتمل منذ اكتشاف السيارات الملغومة والعبوات الناسفة قبل بضعة أيام.

أخبار عن مدينة بريدة في القصيم

لما أن هدت منطقة ربيشة وأقيم فيها السوق المركزي كان بالرغم من ضخامته وسعته لا يتسع للماشية فاتخذ للماشية من إبل وبقر وغنم موضع آخر يقع جنوب المدينة ذلك بأن السوق المركزي الذي أصبح مبيعاً للحوم والتمور والفواكه بأنواعها وما ألحق بهاتيك المحطة التي قد رست فيها سيارات النقل الواردة بفواكه الشام ومصر وكانت مأوى لجميع البقول والخضراوات من البصل والبطيخ والقثاء والطماطم والخوخ والكمثرى والباذنجان والمنجا والرمان والتفاح والبرتقال وغيرها وأصبح ذلك السوق ينتابه من كان بين مدينة المجمعة والبتراء شرقاً وغرباً وما بين ساجر جنوباً إلى قرى حائل شمالاً فلوحظ ضيقه عن الماشية.

وأسس سوق الماشية وأقيم في ذلك السوق ما يتطلبه من مساجد وخزانات للمياه وتم تأسيسه في هذه السنة وكلف إنشاؤه مائة وسبعين مليوناً من الريالات ورصد له ولشيء من المشاريع في مدينة بريدة أربعمائة مليون وثمانية وثمانون مليوناً.

أصبحت بريدة عروس القصيم وما زالت تحمل ذلك الاسم كما أنه رصد خمسمائة مليون وسبعة وسبعون مليوناً للمجاري، أما عن نزع الملكيات فتكلف المشروع بثمانين مليوناً.

سوق الماشية يضيق

لما عجز ذلك السوق عن تحمل ما يجلب إليه اتخذ للإبل والأبقار موضع آخر في جنوبي الموطأ يقع عن المدينة جنوباً بمسافة ثلاث كيلوات فبالرغم من سعة سوق الماشية مع عظمته وسعته خرجت الأمة لبقية المستوردات الحيوانية وأصبح السمك يباع في مدينة بريدة كأنما يباع حوالي ميناء جدة ولا يطلب المواطنون شيئاً إلا وقد أصبح موجوداً لديهم وكان الأمير عبد الإله وفقه الله وسدد خطاه يسعى في كل ما يقدم المنطقة وقامت المدن.

الأخرى في القصيم كعنيزة التي يتبارى سكانها في نهضتها وزينتها وكل ما يقدمها وتضم رجالاً متكاتفين متعاضدين فيهم نخوة ورجولة وكذلك مدينة الرس ومدينة البكيرية والخبراء ورياض الخبراء ومدينة المذنب وغيرها من مدن القصيم، كل هذه قامت بنهضة عمرانية وتعليم وتطلب العز والتقدم، تضم دوائر حكومية وبلديات ومستشفيات وغير ذلك مما يتطلبه الوضع الحديث وذلك بظل الله ثم هذه الحكومة السعودية أدام الله بقاءها ولقد نهضت البلاد السعودية نهضة تقدمية بفضل ما ساعدت الحكومة الشعب من قروض بنائية وقروض زراعية وبنك تسليف وأصبحت المجمعة عاصمة سدير وشقراء عاصمة الوشم وحائل وغيرها من المدن الكبار والصغار بحالة نهضة لا كالأمس.

نسأل الله تعالى أن يوزع المسلمين شكر نعمه وأن يهديهم إلى سواء السبيل أما عن مكة المكرمة والمدينة المنورة والمنطقة الشرقية والجنوبية والشمالية والغربية فحدث ولا حرج وذلك لأن بتوفير الماء والكهرباء الذين هما مادة الحياة تتوفر المصلحة للأمة.

وفيها في ٢٥ جمادى الأولى قامت الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين بتركيب أبواب جديدة للمسجد الحرام تقدر تكلفتها الإجمالية بأحد عشر مليوناً من الريالات وكانت الأبواب ستة وخمسين باباً وروعي في صناعة هذه الأبواب الطابع الإسلامي، وكان صنعتها من مواد غير قابلة للتأثر بالعوامل الجوية.

ومن الغد من هذا اليوم تخرج (٧٤) ضابطاً جامعياً سلموا شهاداتهم وجوائزهم وكان الذي تولى رئاسة الحفل صاحب السمو الملكي نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية.

احتفال كبير للأدب

لما كان في عصر اليوم ٢٧ من محرم في هذه السنة والساعة في الرابعة أقيم احتفال كبير في بهو الملك فيصل للمؤتمرات في فندق (إنتركنتننتال) الرياض برئاسة جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وقد دعيت الأمة لذلك وقد غصت أبهاء الاحتفال على سعتها بعلية القوم من مختلف طبقات الأمة، ثم أنه وصل الموكب الملكي إلى مكان الحفل يضم مليك البلاد وسمو ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء وحضرة صاحب السمو الملكي سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع وعدداً من أصحاب السمو الملكي فبدأ الحفل بآي من الذكر الحكيم، وتلا هذه الآيات مقرئ ثم بعده ألقيت كلمات وقد فاز بالجائزة ثلاثة أدباء هم أحمد السباعي وحمد الجاسر وعبد الله بن خميس على هذا الترتيب بالأولوية هؤلاء نالوا جائزة الدولة التقديرية للآداب وقد أجريت محاورة معهم.

هذا هو أحمد السباعي الأديب غير أحمد السباعي المطوف وقد ولد الأديب بمكة المكرمة، فهو من مواليدها ونشأ بها وتعلم في كتاتيبها وقد ذكر معرفته بالشيخ محمد نصيف واتصاله بمحمد سرور الصبان وجعل يروي مروياته في حياته العجيبة.

أما عن حمد الجاسر فيقول عن نفسه بأنه حمد بن محمد بن جاسر آل جاسر وأنه ولد على وجه التقريب عام (١٣٢٨هـ) مكان ولادته في البرود الواقع بين غرب الوشم وجنوب القصيم من إقليم السر حيث نشأت في بيت فقير والدي فلاح ممن قدر عليه رزقه وحياة الفلاحين قبل نصف قرن من الزمان كانت حياته تعسة بدأت التعليم لدى كتاب القرية وعرفت الحروف وقرأت القرآن الكريم نظراً ثم روى قصة حياته وسفره إلى الرياض عام (١٣٤١هـ) وأطال إلى أن قال فنقلت برغم إرادتي قاضياً شمال الحجاز بضباء ونواحيها إلى أن قال ثم عملت في المعارف وذكر خدماته في وظائف الدولة السعودية.

ثم قال إذا كنت فقدت شيئاً فقد فقدت اثنين مكتبتي وولدي فسئل هل كان لهذين الحادثين تأثيرٌ بالغ عليكم أجاب نعم فقد كان لهاتين الحادثتين أبلغ تأثير علي أولاً كنت قد فقدت ابني البكر وهو رجل أتم دراسته الجامعية في جامعة بيروت الأمريكية، وكنت أتطلع أن يحمل عني شيئاً من أعباء ما تحتاجه الأسرة من عناية ولا أزال أحس بألم الذكرى ثم فقدت مكتبتي التي كانت تحتوي على أشياء ليس لها عندي ما يعوضها مذكراتي وكتبي التي ألفتها ومجموعة من المخطوطات ومجموعة من المصورات أثر ذلك في نفسي لأنني الآن بعدما كنت إذا علمت أن هناك مخطوطاً في أقصى بقاع العالم أشدّ الرحل أصبحت عندما يقال في المكتبة العلانية مخطوطات أحس بشيء يعصر فؤادي عصراً وانكمش وأذكر ما جرى في مكتبتي وما جمعته في زهرة شبابي ثم صدر حياتي وأحس أن ذاك عبث به وأن الحياة أحقر من أن يسعى لها الإنسان ويتحدث في موضع آخر عن الفجيعة بابنه محمد الذي رزقه عام (١٣٧٠هـ) وما بذله في سبيل تربيته، وحيث شب واجتاز مراحل التعليم.

وبينما هو يخاطب أمه في مساء يوم الاثنين ٢٥ رمضان عام (١٣٩٥هـ) بالهاتف من بيروت بالقدوم من الغد إذ احترقت به وصاحبيه الطائرة وألقتهم في البحر جثثاً هامدة جسمه للحرق وللغرق فيا لفجائع البحر ويا لقوارع الزمان ووقف بين مصدق ومكذب بهذا النبأ، لم يُطق الوقوف على قدميه وجعل مسؤولو الطائرة يضللونه بأنه ليس من ركابها وهو بين اليأس والرجاء حتى جاءه الخبر اليقين وأعظم منه احتراق مكتبته.

وممن فاز بالجائزة عبد الله بن محمد بن خميس ويقول عن نفسه أنه رجل عادي من عامة الشعب السعودي حاز الثقة والتقدير بالحصول على هذه الجائزة ولا شك أن هناك نظرة خاصة من قبل جلالة الملك المعظم ومن قبل اللجنة الخاصة بالجائزة وعلى رأسها سمو الأمير فيصل بن فهد تنظر إلى عبد الله بن خميس على أساس أنه علم من الأعلام كما يقولون وأنه أفنى ردحاً من حياته في هذا الجانب ويقول أنه يختلف إلى حلقات التدريس التي كانت تعقد آنذاك عند المشائخ فيقرأ عليهم في المتون وفي المطولات الشيء الكثير.

ومن أعظم من قرأت عليهم والدي ثم لما فتحت مدرسة دار التوحيد بالطائف وهي أول مدرسة من نوعها في ذلك الحين التحقت بها في عام (١٣٦٥هـ) وحصلت على شهادتها الابتدائية، ثم حصلت على شهادتها الثانوية كان ميولي إلى الأدب والشعر والكتابة وذكر أن عمره ٦٣ سنة وذكر الوظائف التي نالها حيث يقول عينت أول ما تخرجت مديراً لمعهد الإحساء العلمي، ثم مديراً لكليتي الشريعة واللغة العربية بالرياض ثم مديراً عاماً لرئاسة القضاء قبل أن تكون وزارة ثم وكيلاً لوزارة المواصلات ثم رئيساً لمصلحة مياه الرياض ويقول أنه يتخلل هذه الأعمال أعمال جانبية كالنيابة عن سمو أمير الرياض حينما يذهب هنا أو هناك أنوب عنه في إدارة الأعمال، وكنت أيضاً عضواً في مجلس إدارة شركة الكهرباء ثم طلبت من جلالة الملك فيصل رحمه الله أن أتفرغ للبحث وإحياء الآثار الإسلامية والعربية وخدمتها الخدمة اللائقة بها.

ثم أنه أحيل إلى التقاعد وهو يقوم بهذه الأمور ماضياً في سبيل نشاطه ثم جعل يثني على أولئك الأماجد الذين تركوا في الدنيا دوراً لا يزال يهز العالم ويحرك أوتارها في جميع جوانبها وهؤلاء الموجودون المتمسكون بالدين والشرف هم سلالتها.

وهذا انموذج من ذكره وثقافته فيما أن العيون ترمق عبد الله بن محمد بن خميس بالأدب فنحن نسوق شيئاً من حياته فنقول كان والده ينقل خطواته بهدوء وطمأنينة نحو مسجد الملقي من ضواحي الدرعية ليمكث فيه ريثما يطل الصباح ليؤدي صلاة الفجر مع الجماعة وحيثما رجع مرة من المسجد قابله البشير عند باب الدار يبشره بمولود ذكر فسر لهذه البشرى ثم أنه درج الطفل الوليد عبد الله في سني حياته وفي الثالثة من عمره انتقل والده إلى الدرعية وهناك أدخله والده الكتاب الذي كان مقصوراً على القرآن الكريم واستنساخ بعض آياته كتمرين على الخط، ولكن الأسر المتعلمة لا تكتفي بذلك اليسير من العلم لأولادها وكانت أسرة عبد الله بن خميس تحمل شرف العلم فجده عبد الرحمن بن خميس كان إماماً ومدرساً في مسجد الطريف بالدرعية وجده عبد الله من أفاضل العلماء في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز وعمه ظل قاضياً في الرياض أوائل هذا العهد الزاهر.

أما والده فكان على جانب من العلم والأدب فنشأ عبد الله مولعاً بالكتب على قلتها أن ذاك وكان يستفيد منها ويفيد وبما أن والده رغم انشغاله في الفلاحة فإنه لم يصده ذلك عن الأدب ويتذكر الابن عبد الله روح الزراعة وتقاليد أهلها فكان يصرف من أوقات فراغه رؤية الجبال والأودية ويزاول مهنة الصيد فيرتاد البراري والفلوات وأشبع قلبه بالشوق إليها والتغني بها وكان له صلة بالشاب الغيور فهد آل مارق الذي كان له كفاح في سبيل فلسطين يبادله الآراء الصائبة والأحاديث التي عادت عليه بأفضل النتائج.

ثم التحق بدار التوحيد كما ذكر عن نفسه وأعجب به زملاؤه في النشاط

الأدبي ولا سيما لما زار عبد الله بن فيصل دار التوحيد وكان يمتاز بأخلاق أرق من النسيم، ويقول الشعر على أفنان مختلفة وسنورد شيئاً من شعره في الملك سعود حال ولايته للعهد والقصيدة طويلة قال في معرضها:

تنبيك عن فضل الرجال سماتهم ... وأتت عليه المكرمات دليلا
عشقت مودته القلوب فلن ترى ... قلباً بغير سموه موصولا
لا غرو إن جرت المدى فلطالما ... تبع الفروع الناميات أصولا
فأبوك لم يأت الزمان بمثله ... مستخلفاً بعد القرون الأولى
كتبت له أيدي الزمان مناظراً ... جيل يحدث بالمكارم جيلا
ومضيت تخترق الصفوف مفاخراً ... حتى سلكت إلى علاه سبيلا
فلتبق يا أمل الشباب وفخرهم ... ظلاً على كل البلاد ظليلا
مولاي في عنقي إليك أمانة ... أزجي بها محض الولاء رسولا
من أسرة التوحيد هاك تحية ... كالورد داعيه الصفاء أصيلا
دار على التقوى بنيتم صرحها ... وصعابها ذللتمو تذليلا

إلى آخرها وهي رنانة وله أشعار رائعة قالها في المناسبات.

وفيها وفاة زعيم روسيا بريجينيف الذي يعتبر عندهم رابع زعيم للحزب الشيوعي السوفياتي وشيعت جنازته في جم غفير ومشهد كبير في موسكو ثم أنه انتخب بعده (يوري أندروبوف) بالإجماع سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعي خلَفاً للرئيس ليونيد بريجينيف وذلك في جلسة موسعة للجنة المركزية للحزب وسجي جثمان رئيس الدولة والحزب الشيوعي السوفياتي حالياً في دار النقابات بالقرب من الكرملين.

وفيها في يوم الثلاثاء الموافق ١٢/٩ دخلت الحرب العراقية الإيرانية عامها الخامس.

ثم دخلت سنة (١٤٠٥هـ)

في هذه السنة عظمت الكارثة واشتدت الوطأة على الخليج بامتداد الحرب بين العراق وإيران بحيث أعدمت النفوس وأذهبت الأموال وهدمت البنيان وجعل سعاة الإصلاح ينادون بهذا الصوت المحشرج (ألا مِنْ رجل رشيد ليوقف حرب الخليج وهنا نتساءل ألا مِنْ رجلٍ رشيد يؤمن بالله ورسوله يستطيع إيقاف هذه الحرب الضروس ويضع المفهوم القرآني ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1] في موضعه الصحيح وقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[4] وقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[6] وجعلت الأصوات المحزونة والموتورة تنادي (أوقفوا حرب الخليج إن كنتم مسلمين)، ولقد تأزمت المسألة من هذه الحرب االاستنزافية بين الطرفين

---

(١) سورة الحجرات، آية ١٠.

(٢) سورة الأنفال، آية ١.

(٣) سورة آل عمران، آية ١٠٣.

(٤) سورة النساء، آية ١١٤.

(٥) سورة الأنفال، آية ٤٦.

(٦) سورة الحجرات، الآيتان ٩ و١٠.

العراقي والإيراني وكان الصراع الدولي يدعم استمرار الحرب ويشعل أوارها لأن الموقف الأمريكي سلبياً يتلخص في ترك الثورة الإيرانية لتهزم نفسها بنفسها ثم عملت بعد ذلك لتشجيع استمرار الحرب لإضعاف النظامين معاً، وكانت العراق قد حذرت في جمادى الأولى من السنة الماضية حكام إيران من الاستمرار في نهجهم العدواني في ضرب الأهداف المدنية العراقية.

وأكد الرئيس صدام حسين بأنه سيرد بعنف على هذه التصرفات دفاعاً عن العراق ومصالحه وأنه بكل أسف يرد عليها بعنف مع اعتذاره المسبق للشعوب الإيرانية وقد حاول العراق أن يتجنب مواجهة هذه التصرفات اللاأخلاقية إلا أن نظام طهران تمادى في قصف المدن العراقية وفي مقدمتها البصرة ومندلي وخانقين وزوباطية وخاصة في الفترة الأخيرة، وقال إن العراق لن يقف ساكناً أمام هذه التصرفات الهوجاء وأنه سيرد بنفس الأسلوب حماية لأمته.

وفيها جرت محاولة لاغتيال حاكم الكويت جابر الأحمد وذلك في الساعة التاسعة تزيد دقائق من صباح ٦ رمضان ولكنه سلم فلم يحصل عليه سوى جراح بسيطة.

وذلك بأنه تقدم فدائي بسيارة محملة بالمتفجرات إلى موكبه، وبعدما انفجرت العبوة أصيب أربعة من رجال الحاكم بقتل وجرح عدد يبلغون عشرة، وأصيب قائد السيارة فكان بذلك حتفه، أما هو فقد كتبت له النجاة.

وقد قامت العراق انتقاماً لذلك الحادث فأطارت طائراتها وضربت العاصمة الإيرانية فأصيبت مدينتان في إيران وتهدمت منازل وذلك في سابع رمضان من غد الحادث.

اغتيال أنديرا غاندي

ففيها في ٧/ ٢/ ١٤٠٥هـ اغتيلت رئيسة وزراء الهند أنديرا غاندي بأن أطلق

عليها عيارات نارية ثمانية أصابت بطنها وصدرها فحملت إلى المستشفى بحالة خطرة وهلكت لما جعلوا يخرجون الرصاص منها بعد ساعات قليلة من إصابتها.

وهذا شيء يؤسف له فهذا رئيس جمهورية بنغلاديش يغتال وهذا أنور السادات يغتال وهذا رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية كندي يغتال وهذا فيصل بن غازي ملك العراق يقتل وهذا الملك عبد الله بن الحسين يغتال وهذا رياض الصلح يغتال وهذا الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن يغتال، وهذا الإمام بعده أحمد بن يحيى يغتال ويهلك بعد سنة من اغتياله متأثراً بجراحه، وهذا شاه إيران محمد طاهر يخلع وهذا جعفر النميري رئيس السودان يخلع وهذا سليمان فرنجية رئيس جمهورية لبنان يخلع إلى غير ذلك مما جرى وسيجري فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد أصيبت بها الهند لأنها قامت بها خير قيام، وكانت على حسن صلاتٍ من دول العالم، هكذا ذكروا عنها ثم أنها جاءت التعازي لرئيس جمهورية الهند جياني زايل سنغ من رؤساء الدول وأصيب الرئيس بوفاتها وثني عزمه عن زيارة بعض البلدان لذلك، وكان الذين اغتالوها اثنين من حراس الأمن المكلفين بحمايتها ينتمون إلى طائفة السيخ وقد قتلا ثم أقيم ابنها راجيف غاندي رئيساً للوزراء بعدها.

وفيها في اليوم الرابع والخامس الموافقين للاثنين والثلاثاء من ربيع الأول تعرضت مدينة حائل لهطول أمطار غزيرة تعطلت الحركة فيها وتهدمت المنازل القديمة وامتلأت الشوارع بالمياه حتى انحصر جملة من السكان لا يستطيعون الخروج وهم مهددون بالهلاك من سقوط منازلهم عليهم فاضطرت الحكومة إلى بعث طائرات هليوكبتر تحملهم من منازلهم لما حاصرهم الماء ولم يستطيعوا التخلص إلا بذلك.

وجلبت الحكومة خياماً للمتضررين الذين شردوا من بيوتهم خشية أن تسقط عليهم وجرت الأودية كلها وعجزت الطائرات عن الهبوط فيها.

حائل والحديث عنها

تقدم الكلام عن مدينة حائل غير مرة ونحن الآن نتحدث عن وضعها الحالي فنقول عنها أنها حظيت في السنين الأخيرة بمشاريع عظيمة منذ ١٥ سنة، ووفقت ببلدية يرأسها إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد البليهي، فقد نهض بالبلد نهضة عظيمة ولما أن قدمها سمو الأمير مقرن بن عبد العزيز وفقت بنهضة شاملة وقام الأمير الجديد يطالب لها بمشاريع وسفلتة وشق طرق واسعة وتشجير وشلالات وزينات على ما يقتضيه الوضع الحالي بحيث أطلق عليها اسم عروس الشمال.

وكان وكيل الإمارة فيها الأستاذ الأديب مقبل بن محمد بن صالح بن مقبل نقل إليها من وكالة إمارة منطقة القصيم الذي كان يروي لنا قصة حياته في أحد أعداد جريدة الجزيرة من السنة التي بعد هذه وكان مقبل يمتاز ضمن ثقافته وأدبه بأنه رجل ديني متمسك بالشريعة والطريقة المثلى، ولقد تطورت مدينة حائل وتوسعت بشكل سريع لا سيما عندما باشر صندوق التنمية العقاري بتقديم خدماته للمواطنين عن طريق إمدادهم بالقروض لبناء المساكن والمباني التجارية تحولت حائل إلى مدينة كبيرة تعج بالحركة والعمران وتكثر فيها الأسواق التجارية وترتفع البنايات والعمارات الشاهقة على الطراز الحديث.

ومن المشاريع فيها إنشاء ثلاث بحيرات صناعية كبيرة تتجمع فيها مياه السيول لري الحدائق العامة، ولتكون من المعالم الجمالية والسياحية في المدينة، ولقد زرتها أربع مرات تارة لرؤية آثارها وتارة للوعظ والإرشاد، فما رأيتها مرة إلا وقد تطورت عن رؤيتها الأولى.

ولآخر مرة تجولت في بعض قراها كبقعاء وجبه وقفار ولبدة وموقق وطابة والشملي وعقدة والنيصية ورأيت فيها مساجد قديمة.

وفي آخر عام (١٤٠٨هـ) قمت برحلة إلى بلد حائل فقد زرتها في آخر يوم من ذي القعدة تاسع وعشرين منه، وكنت قد طلبت من صاحب السمو الملكي الأمير

عبد الإله بن عبد العزيز أمير منطقة القصيم توصية إلى أمير حائل مقرن بن عبد العزيز ولما لآل مقرن من المكارم التي فاقوا بها بني الزمان فإن الأمير الأخير لما قدمنا عليه قام الوكلاء وأنزلوني في فندق حائل حسب الرغبة ولما لديهم من التعليمات عن سمو سيدهم وكان بصحبتي بعض العائلة فقام الخدم والعمال الموكلون بالفندق يؤدون واجبهم في الخدمة وما يتطلبه الوضع بنشاط ومباشرة حية وكنت قد امتطيت السيارة التايوتا التي قدمتها الإمارة لخدمتنا يقودها الماهر في الأدب والدلالة عوض بن ماضي الشمري، وكان رجلاً طيباً ذا أخلاق وهي موديل (١٩٨٧م).

فأول شيء ذهبنا إليه بلدة قفار وكان ذلك في صباح يوم الخميس غرة ذي الحجة من العام المذكور فطفقنا نسأل عن بيت الأمير فهد بن عبد العزيز الخوير البالغ من العمر ٢٨ عاماً فاستقبلنا بترحيب وأرسل إلى والده فهد بن عبد العزيز البالغ من العمر ثمانين عاماً فجاء مسارعاً وكان رجلاً متقشفاً وقد سئم من كثرة ما يعانيه من أتعاب الحياة لأنه لم يزل منذ كان يطيق العمل إلى أن بلغ الثمانين وهو في طلب المعيشة، لكنه كان نشيطاً وجعل يروي لنا بعضاً من معلوماته عن قفار وكان بالرغم من أنه لا يكتب ولا يقرأ فهو يجيد الأخبار بل هو راوية من رواياها ويلقي علينا الحديث عن مدينة قفار وكيف صارت أثراً بعد عين وذكر أنها مدينة آهلة بالسكان وهي أقدم من مدينة حائل لأن مدينة حائل تدعى أولاً بوادي (الديعجان) وكانت آثار قفار من شجر الأثل الذي كانت جذوعه آية في ضخامتها وهناك آثار بنايات قوية من الطين لم يبق منها إلا أطلال ولكنها عظيمة جداً.

ونجد بقية البروج المقامة من الطين يقدر بعض عرض الجدر فيها بقدر مترين ولكنها لم تكن مقامة على أسس من الحجر وقد تركها الزمان خاوية على عروشها وبئراً معطلة وقصراً مشيداً، وقد كانت الآبار قريبة من القصور منحوتة من نفس الطين، وهي متجرفة من طول عمر السنين وقد رحل أهلوها عنها إلى البلاد

الأخرى وهلكوا بأسباب وباء مر عليهم وبغور المياه هناك أو فقده وكان أهلوها الذين سكنوها سابقاً وأقاموا تلك البنايات العظيمة القوية لم يبق منها سوى أطلال عالية أخذت أخشابها من طابقين وبقيت جرائم قد نزحوا من حوطة بني تميم فهم من بني تميم، كما ذكروا.

وقد هجموا على أناس من الجيران وقتلوهم وأخذوا جماجم رؤوسهم فدفنوها في أم الجماجم المعروفة المتداول اسمها ولما أن سكنوا قفار كانت أمراء آل رشيد لا يسمحون بحفر الآبار خشية من قلة الماء على السكان فلم يرغبوا أن تتوسع الناحية فيها، وهذا لأمرين قلة الماء وخشية من سكانها أن يطغوا على أمراء حائل.

ولما أن جاء ابن بديهان الذي يعتبر من أكبر الأسر فيها إلى محمد بن عبد الله ابن رشيد بصفته الحاكم العام يطلبه السماح له باحتفار بئر أعطاه ترخيصاً في ذلك ولكنه لما شرع في الحفر شعر به الأهالي وجاءوا إليه منكرين ومعترضين فأجاب يقول ليست بئر وإنما هي زبيه للضباع تقع فيها وكان ممن اعترض عليه علي الرشيد ابن عيادة فذهب ابن بديهان إلى الحاكم ابن رشيد قد واحتزم بطمر من نصيف امرأة وقال للأمير محمد بن رشيد علي الرشيد بن عيادة قد اعترض على عطيتك لي فدعا به محمد بن رشيد إليه وقال: تعترض على عطيتنا لابن بديهان وأنا أخو نورة؟! فقال: نعم أعترض ووالله لأن احتفر بئراً لأنزعن رأسه أمامك وألقي به بين يديك وأنا أخو حسناء فقام ابن رشيد من عنده ودخل مجلسه، وقال للخوياء آيتوني به فلما دخل عليه قال تتكلم بهذا الكلام أمامي وأنا أخو نورة فقال نعم وسع عدلك الأمة كلها يا طويل العمر وهذه المرة تجور في تخصيصه يا محمد بن رشيد فأين العدل الذي عهدناه فيك فثنى الأمير عزمه ومنع ابن بديهان من تلك المنحة ترجيحاً للمصلحة وإقامة للعدل بين الأمة.

ولما أن جلسنا في بيت سالم ووالده ودعوا الأمير راشد بن عبد العزيز العبد العزيز الخوير الذي كان ساكناً هناك، وكان كهلاً يقوم بالخدمة بنفسه ويحترمنا احتراماً عظيماً.

أما عن سالم بن فهد بن عبد العزيز فقد استقبلنا وأبدى بشاشة وقدم لكرمه لنا قهوة عربية وشاي وجاء بصحن كبير من القثاء وأشياء من العنب أما عن الحارة التي يسكنها الأمير وأسرته فتسمى الحماد بتشديد الميم وكان من الأسر هناك أسرة زيد الخشم الخالدي وأسرة سلامة المتيحي وأسرة فرج الحميضي الذين منهم آل خوير وهناك أسر ضاعت أسماؤهم واستولت الدولة على أملاكهم التي لا يعرف لها مالك وكنت أظن أن أولئك الذين فقدوا ولم تعرف أسماؤهم هم الذين هلكوا بالوباء.

أما عن الذين نزحوا عنها إلى البلدان الأخرى فأملاكهم باقية وعلى بقية البيوت القديمة من الطين التي لم تخرب آثار الضعف وفيها مركز هيئة الأمر بالمعروف وهو ضعيف.

ويوجد فيها مدرستان ابتدائيتان ومتوسطة للبنين ومدرسة للبنات، وقد قل الماء فيها جداً فكانوا يستجلبونه من مسافة أربع كيلو وقد قاموا بتجربة حفر لاستجلاب الماء ولكنه حال بينهم وبينه الجبل الذي يسمى درع فهو الحائل العظيم الذين عجزت عنه المعدات الحديثة وهذا الدرع هو الذي حال بين أهالي الرس في القصيم وبين الماء ولا تزال الأمة تدبر حيلة تخرق الدرع الذي عجزت عنه المعدات.

وكانت قفار على بعد اثني عشر كيلومتراً من حائل وكان يقدر خراب تلك المدينة بعد عنفوان شبابها بمائتي سنة والإصلاحات الحديثة ضعيفة وكان الذين جلسنا إليهم وهم سالم ووالده لم يألوا جهداً في طلب الإقامة لديهم ولو إلى الظهر من ذلك اليوم لكننا لضيق الوقت ودعناهم شاكرين وكانوا يتسابقون بعد خروجنا من المنزل بالطيب والحشمة والإكرام مشيعين لنا وركب الأمير سيارته أمامنا ليطلعنا على بقية الآثار فأوقفنا على قصر ابن عيادة وعلى جراثم الغفيلية وهي حصن عظيم محاط بحائط واسع وهي لآل عبيد بن رشيد حكام حائل وهناك لا ترى إلا جراثم الحيطان التي هي كخشوم الجبال.

أما عن موفق الذي هو من مدن حائل فيقع غرباً عن مدينة حائل فهو وإن كان قديماً قرية فهو الآن يتمتع بحيوية ونشاط في النخيل والشوارع المزفلتة وفيه إدارة شرطة ومجمع قروي ومحكمة شرعية ومركز للحسبة ومدارس بنين وبنات ومركز إمارة ومركز بريد وهاتف، وفيها ثانوية للبنين وكان أمراءها البشير بتشديد الياء منذ زمن طويل وفي المدينة مساجد قديمة وحديثة.

ومن الآثار مسجد البشير وقبيلة البشير ينتسبون إلى الغفيلة وتنسب هذه إلى سنجارة وقد أضافهم زيد الخيل والبيت معروف بالسخاء وبالكرم والرجولة ولهم أيادي حسنة في إصلاح ذات البين وقطع النزاع وإكرام الضيف ووالد الأسرة حال التاريخ هو غالب بن سليم البشير ورأيت فيها أسواق للبيع والشراء ودكاكين وأشجار ولديهم الماء والكهرباء وتحتوي على جامعين لإقامة صلاة الجمعة.

وكان أبناء غالب بن سالم رجال فيهم بسالة وشجاعة ويتسابقون إلى الكرم بحيث أنه طال تعجبي من فضائلهم ومكارم أخلاقهم، أما عن توفر المياه فإنه كغيرها من مدن حائل في قلة توفر الماء.

ومن المرائي التي وقفنا عليها عقدة وقد تقدم البيان عنها وتقع غرباً عن مدينة حائل على بعد نحو سبعة كيلو مترات وكانت حائل تقع بين جبلي أجا وسلمى الذين لهما ذكر في قتال خالد بن الوليد لطليحة الأسدي لما أشار المسلمون على خالد بأن يلجأ إلى أجا وسلمى ويتحصن بهما وذلك لما لقوا أهوالاً في ملاقاة جيش طليحة، فقال ﷺ وأرضاه إلى الله الملجأ ولما أوقع الله ما وقع ببني أسد وفزارة عمد خالد إلى جبلي أجا وطيء وسلمى فأتته القبائل تسير رغبة في الإسلام وخوفاً من السيف من هؤلاء القبائل عامر وغطفان يسألونه الأمان على مياههم وبلادهم.

وفيها بقية آثار من قصر آل رشيد الذي جبه الشارع وأبقت الحكومة منه بقية برجين ليعتبر به، ومن الآثار ما يعرف باسم القشلة وهي ثكنة واسعة يعود تاريخ بنائها إلى ثلاثة وخمسين عاماً.

ومن الآثار فيها قبر حاتم الطائي المشهور بالكرم على نحو ٥٠ كيلو من مدينة حائل وهو إلى الشرق منها وهناك جبل شاهق يحمل اسم الموقدة يذكرون أن حاتم الطائي كان يرسل في كل ليلة من ليالي الشتاء غلاماً من غلمانه إلى قمة الجبل يوقد النار ليهتدي الضيوف إليه وكان يقول إذا جلبت ضيفاً فأنت حر، فياهذه المكارم كما أن الخدمة الصحيحة فيها متوفرة ويتسع المستشفى الجديد لمائتي سرير وحظيت شوارع المدينة بقدر كبير من الاهتمام ولا سيما مداخل المدينة الرئيسية وتعيش اليوم في خضم عصر الازدهار بشوارعها الفسحة المزروعة بالأشجار والدوائر الحكومية.

كما افتتح فيها مدينة رياضية تحتوي على مختلف التجهيزات.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

عبد العزيز الفهد الرشودي رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته، هو الهمام البطل السياسي العارف المحنك عبد العزيز بن فهد بن علي بن عبد الله الرشودي وإليه زعيم مدينة بريدة الشهم الكبير والبطل الشهير وقد تقدم نسبتهم وقبيلتهم وكانت وفاته في ١/١٣ من هذه السنة على إثر ربو وضيق تنفس وولد عام (١٣٢٠هـ) في مدينة بريدة وأدخله والده عند الكتاب عبد الله بن إبراهيم بن معارك ولما حفظ القرآن الكريم.

وأخذ مبادئ في الخط والحساب أخذ يضرب في الأرض لطلب الرزق مع عقيل الذي يذهبون إلى الشام والعراق ومصر للبيع والتجارة تحت أوامر والده التاجر الزعيم وكان في جميع تقلباته محافظاً على الصلوات الخمس في أوقاتها ويعمل بإرشادات والده وخدمته وله أخوة من أشهرهم أخوه الأكبر سناً علي بن فهد وتقدمت ترجمته.

ويمتاز المترجم بالذكاء والصبر والبصيرة وخلف أباه وأخاه في الزعامة، فكان ملجأً للمغلوبين يفزعون إليه ولا سيما أهل الدِّين والآمرين بالمعروف والناهين عن

المنكر فإنه كان العضد الأشد لهم وذلك لرجاحة عقله ويقدر العلماء ويحترمهم وسيماه سيما المشائخ والعلماء وله وجاهة عند الملوك والأمراء وعلو مرتبة وذلك لحسن تدابيره.

ومن خصاله أنه لا يأنف ولا يحقد، ومعه حسن خلق ويدرك بهذه الثلاثة الأشياء طلبه لأنه يدرك الإنسان بالرفق ما لا يدركه بالعنف ولا يتقدمه أحد في الاحتفالات العامة.

وسعى لدى الحكومة بحجز المكان الواسع في الموطا ليكون مقابر المسلمين وسعى في إحاطته وإنه ليشكر على ذلك وقلما يسعى في طلب أمر من الأمور التي تعود لمصلحة المجتمع إلا ويدركه وذلك بالتريث وعدم السآمة والعجلة وفي كلام الحكمة (إياك والسآمة فتلقيك الرجال خلف أعقابها) وهكذا الرجال وأهل المعرفة فإنهم لا ييأسون وإذا انسدّ أمر من طريق فإنهم يأتونه من طريق أخرى ولا يضجرون حتى يدركوا مطلوبهم وما أحسن ما قاله عمارة اليمني يمتدح شاور بن مجير الدين أبا شجاع السعدي الملقب أمير الجيوش في صبره وثباته:

ضجر الحديد من الحديد وشاوَر ... من نصر دين محمد لم يضجر
حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفر

وبوفاته ختم رجال الضبط والربط والإخلاص لأمتهم وكنت كثيراً ما أناصحه وأشجعه على اقتفاء سيرة والده وبذله نفسه في المصلحة العامة فيعمل النصائح مع إبدائه للعذر بأن الوقت والزمان ليس كزمان والده ولقد ضمني سفر الحج في رفقة من بينهم المترجم والشيخ عبد الله بن سليمان الحميد وأناس آخرون في سيارة تبع المتطوعين في عام (١٣٨٧هـ) وأخذوا منا الأجار فلم يأنف أن يأخذوا منه الأجرة ومن ابن صغير معه عمره ٨ سنين.

ويختصني لأسراره ويبدي أسفه الشديد في كون الأمور وسدت إلى غير أهلها.

ووجدته مرة في سفرنا للحج قد صعد للسيارة يقلب فسألته ما الذي جرى به

فقال ضاع مني أربعة آلاف ريال فقلت له اصبر قلت له ولامرأته أن يدعو بدعاء رجوع الضائع علماً دعى به يضربه في رجله شيء فنظر إلى ما ضربه وإذا هي دراهمه في طرف أُلقيت بين يديه ولما سلم على الملك فيصل في مكة المكرمة في أداء العمرة في رمضان واجتمع به سأله عن أمير القصيم واستقامته فأبدى ما كان عليه من الاستبداد واحتجازه أراضي كثيرة لنفسه قد استولى عليها فعلم الأمير وأسرها في نفسه ليعاتبه على ذلك، ولما أن اجتمع به للسلام عليه بدره بقوله تسبني عند الحكومة وغلظ عليه في التعنيف حتى قال إن وقفت علي بعد هذه المرة لأفعلن بك ولأفعلن فأجابه برحابة صدر وطمأنينة يقول والله لأقفن عليك ولأجتمعن بك فإن كنت واقفاً على قصرك بالرياض فأنا مخطئ وأما ما دمت أميرنا ومسؤولاً عنا فنراجعك في مهامنا وشئون بلادنا وإن كان لك دعوى فحياك إلى إمام المسلمين فخجل وسكت ولهذا كان مسموع الكلمة مهاباً وموقراً لدى الخاص والعام، ولما مات رثاه بعض أحبابه بهذه المرثية التي عددت فضائله[1]:

دها القصيم مصاب خطبة عظما ... وطودها الجبل الراسي لها انهدما
أم القصيم نعت شهماً له همم ... كريم جاه غدا في قمة الكرما
عبد العزيز الذي من بعد والده ... كان السنام وكان الرأس والعلما
كهف لأهل التقى والخير قاطبة ... سد منيع لمن في حقه هضما
يغار للدين إن نيلت محارمه ... ويبذل الجهد للإصلاح لو عظما
يلازم النصح في سر وفي علن ... لكل شخص من الأوساط والعظما
يساند الأمر بالمعروف محتسباً ... يرى مساندة للخير مغتنما
هذي صفات رجال الخير في سلف ... يناصرون الهدى حتى علا وسما
ويحسن النطق في رفق وتبصرة ... يعطيك ما شئت إما رأياً وإما حكما
إذا أتيت رأيت البشر بصحبه ... وإن تخاطبه تلق الوجه مبتسما

---

(١) منشئ هذه القصيدة هو عبد العزيز بن عبد الرحمن اليحيا من أهالي بريدة.

أبـوه مـن عمـت الآفـاق شـهرته | يعـد في وقتـه مـن أبـرز العظمـا
آتـاه ربـي مـن الأخـلاق أفضـلها | أضـحى بهـا في روابـي مجـدها علمـا
أم القصـيم نعـت أعيانهـا ذهبـوا | أمسـى وجوهمـو يـا صـاحبي عـدما
بريـدة اليـوم عمهـا حـزن | لأمـر أتـى قـل فـأمر الله قـد حتمـا
تـألم القلـب والهفـاه وا أسـفا | علـى تخـدم أهـل الخـير والعلمـا
مـن شـاهد الجمـع في ممشـى جنازتـه | يرجـو لـه تخـرم عنـد الله والكرمـا
وفي مصـيبة خـير الخلـق موعظـة | لنـا العـزاء بهـا إن فـادح صـدما

وهذه مرثية للأديب عبد العزيز بن محمد النقيدان في الفقيد عبد العزيز بن فهد الرشودي قال: اخترمت يد المنون الشيخ عبد العزيز الفهد الرشودي كبير أعيان القصيم وأحد الرجال الأوفياء لوطنهم وللدولة السعودية الرائدة:

نبـأ يهـز مشـاعري وكيـاني | ورَجَعْـتُ يعتصـر الأسـى وجـداني
علـم هـوى في بأسـه ونضـاله | مـا فـاق كـل مسـاعي الأعيـان
تـأتي إليـه المشـكلات عويصـة | فيحلـها للنـاس دون تـوان
منـذ الطفولـة كـان يسـهم في البنـا | حتـى قضـى في همـة وتفـان
لم يجـن مـالاً أو يكـدس ثـروة | عـبر السـنين يجـول في الميـدان
للنـاس للـوطن الحبيـب كفاحـه | للعـاجزين وللفقـير العـاني
كـم موقـف سـام تجلـد دونـه | بالصـبر والإخـلاص والإيمـان
العطـف والـرأي السـديد سـلاحه | في حلبـة الإصـلاح أعظـم بـان
الأمـر بـالمعروف مـن عزماتـه | والصـدق والإخـلاص للأوطـان
المصـلحون جـزاؤهم مـن ربهـم | خـير العطـاء وأعظـم الإحسـان
مـالي بريـدة شـيبها وشـبابها | فـيض العـزاء بالراحـل الإنسـان
آل الرشـودي قـد رأيـت مصـابكم | جلـلاً يصـيب حشاشـة الأبـدان
أسـقاه ربـي مـن معـين ثوابـه | بـين الجنـان سـحائب الرضـوان

آخر ما وجدت من القصيدة وهي حسنة من بحر الكامل ونعتذر عن تأخيرها لعدم الحصول عليها أولاً فلذا تأخرت ومهما كانت الأحوال والظروف فإن منطقة القصيم قد خسرت رجلاً مخلصاً ثابتاً لا يتضعضع ولا يخذل مظلوماً فنسأل من بيده أزمة الأمور أن يغفر له ويسكنه فسيح جناته.

ثورة في السودان

لما كان في ١٧ رجب من هذه السنة ثار الشعب السوداني بزعامة عبد الرحمن سوار الذهب وأطاحوا بحكومة النميري بدعوى أن الرئيس جعفر النميري حصل منه خيانة فخلعوه وولوا سوار الذهب فانشق الشعب وكان جملة ما أدانوه به أنه لما زار السودان نائب الرئيس الأمريكي (جورج بوش) في شهر مارس آخر جمادى الثانية من هذه السنة وضع للنميري أربعة شروط[1] لينفذها حتى تتدفق من بعدها المعونات الأمريكية على السودان وهي:

أولاً: إقصاء الإسلاميين عن المناصب الحكومية السياسية والاجتماعية.

ثانياً: العمل على تخفيف إجراءات تطبيق الشريعة الإسلامية.

ثالثاً: القبول بشروط صندوق النقد الدولي.

رابعاً: وقف أية مساعي للمصالحة مع ليبيا، ولكن العقلاء يفهمون أن أمريكا لا تقدم المعونات مساعدة للشعوب الفقيرة كما تدعي إنما ذلك من أجل مصالحها وكان على النميري بدلاً من أن يباشر فوراً التنفيذ أن يتعلم الدرس ممن سبقوه على هذا الطريق، إنها إنما تريد مصالحها، ولما أن تولى قائد الثورة سوار الذهب زمام الحكم بعثت إليه مجلة الإصلاح توجيهات منها إخراج السجناء السياسيين الذين ذهبوا ضحية بسبب توجيهات بوش للنميري ورد الاعتبار لهؤلاء السجناء

(١) نقلت: هذه الشروط عن مجلة الإصلاح عدد (٨٧) شعبان ١٤٠٥هـ.

وتبرئة ساحاتهم وإعادتهم إلى وظائفهم ومحاكمة المجرمين الذين أصدروا الأوامر بإطلاق الرصاص على المتظاهرين وتعويض المصابين ودفع الديات لورثة القتلى وأشياء أخرى.

وفيها كان المسلمون في بلغاريا يواجه أكثر من مليون مسلم إبادة جماعية وكان العدو لا يعرف طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة، ووصلت الحال إلى أن كان الفرد المسلم لا يأمن على نفسه ولا على ماله وهتكت المحارم.

وكان الشيوعيون يخيرون الفرد بين أمرين إما القتل وإما تغيير اسمه ومعتقداته الإسلامية التي يحملها، وقد قتل فيها أكثر من ثمانمائة مسلم في حملة قمعية وقد حصدتهم ميليشيات الحكومة كما دفن آخرون أحياء تحت أنقاض بيوتهم.

وأغلقت المساجد ولم يسمح بفتحها لصلوات الجمعة والأعياد وأغلقت مدارس تعليم القرآن الكريم عددها ستمائة مدرسة وثمانون مدرسة ومنعوا الزي الإسلامي للنساء، وفرق بين المسلمين وسيطر أعداء الإسلام على دار الإفتاء المركزية في عاصمة صوفيا، واشتدت الحملة لمحاربة الإسلام والمسلمين وتنصيرهم وأجبرت الفتيات المسلمات على نزع الحجاب فعياذاً بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفيها هدم مسكن بلدية مدينة بريدة القديم الذي كان مجاوراً للمقابر الشرقية وجعل موضعها متسعاً وموقفاً للسيارات ونقلت المالية والبريد والمديرية للبلديات ومديرية الهاتف إلى الجهة الشمالية وأصبحت الصفراء التي كانت سابقاً مأوى للوحوش والهوام على مسافة بعيدة من المدينة موضعاً لجميع الدوائر الحكومية واتصلت ببريدة من الجهة الشمالية وفيها مصلحة السجون.

وفيها في ١٥/ ٣ في ليلة الموافق لليلة الجمعة وفاة ابننا محمد بن إبراهيم بن عبيد عن عمر يناهز السابعة والثلاثين بحيث توفي في شبابه، ولد في ١٧ جمادى الأولى عام (١٣٦٨هـ) في مدينة بريدة وبعدما نال شهادة المعهد التحق بكلية الشريعة عام

(١٣٨٨هـ) في مدينة الرياض ثم أنه نال الشهادة الجامعية في عام (١٣٩٣هـ) وطلب أن يكون مدرساً في متوسطة إمام الدعوة ببريدة ثم أنه طلب النقل إلى متوسطة ابن قدامة لقربها من المسكن، وفي كل تنقلاته كان موضع الإعجاب في نهضته ونشاطه، وقد تزوج عام (١٣٨٦هـ) ولد له وأنجب وكان وَصولاً للرحم باراً بوالديه محسناً إلى جيرانه ويسعى بكل الوسائل لمنفعتهم وإدخال الراحة والسرور عليهم وكانوا لما أن فجعوا بوفاته بكوه وتأثروا وحزنوا، كما أن زملاءه في التدريس تأثروا لوفاته جداً، ورويت له منامات حسَنة بحيث رآه بعضهم بعد وفاته بيومين وهو يقول أنا حي لم أمت، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾[1] وله صوت جهوري يرتل القراءة يفوق به أبناء جنسه على العموم.

وكان أسباب وفاته أنه خرج يوم الخميس معه صبيته يقود السياقة لرؤية وادي الرمة حينما جرى فكان أمامه شاب سكران يقود سيارته بسير غير معقول فانقلبت سيارة الشقي وتقلبت مرات بينما كان بينه وبينها مسافة ثلاثين متراً فانكفأت من تلك السيارة الهوجاء في ثالث مرة على غمارة سيارة ابننا فرمسته وهلك بين حديد سيارته ولقد أصبنا به وفجعنا بوفاته وما أحسن ما قاله أبو الحسن التهامي في رثائه لابنه:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره ... وكذاك عمر كواكب الأسحار
وهلال أيام مضى لم يستدر ... بدراً ولم يمهل لوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه ... فمحاه قبل مظنة الأبدار
واستل من أترابه ولداته ... كالمقلة استلت من الأشفار

(١) آل عمران، آية ١٦٩.

فكـــان قلـــبي قـــبره وكأنـــه | في طيـــه بســـر مـــن الأســـرار
أن يعتـــبط صـــغراً فـــرب مقمـــم | يبـــدو ضـــليل الشـــخص للنظـــار
إن الكواكـــب في علـــو مكانهـــا | لـــترى صـــغاراً وهـــي غـــير صـــغار
أشـــكو بعـــادك وأنـــت بموضـــع | لـــولا الـــردى لسـمعت قبـة مـزاري
والشـرق نحـو الغـرب أقـرب شـقة | مـــن بعـــد تلـــك الخمســـة الأشـــبار
فـــإذا نطقـــت فأنـــت أول منطقـــي | وإذا ســـكت فأنـــت في إضـــماري

وكأنَّ التهامي يندبني وكأنه يعنيني وأجد الجو كله كأنه يهزأ بي ويستهتر، وأجد الصديق كأنه يرثى لحالتي حاله مبتئس خانه الطالعِ، حالة مسلوب من أمتاع الحياة، وأجد العدو يشمت بي ويتشفى بهذه المصيبة فيا لقلب موجع بها ويا لكاهل يكل عن حملها وأسلي النفس بالموت ووثباته على الخلائق كما في المثل السائر في كل وادٍ بنو سعدٍ وكأني أسامر الخنساء وأشاركها الأحزان بقولها في صخر:

ضاقت بـي الأرض وانقضـت محارمهـا | حتـــى تخاشـــعت الأعـــلام والبيـــد
وقـــائلين تعـــزي عـــن تـــذكرة | فالصـــبر لـــيس لأمـــر الله مـــردود
يـا صـخر قـد كنـت بـدراً يستضـاء بـه | فقـد ثـوى يـوم مقـت المجـد والجـود
فـاليوم أمسـيت لا يرجـوك ذو أمـل | لمـا هلكـت وحـوض المـوت مـورود

وبقولها:

ألا ليـــت أمـــي لم تلـــدني ســـوية | وكنـــت ترابـــاً بـــين أيـــدي القوابـــل
وخرت علـى الأرض السـماء فطبقـت | ومـــات جميعـــاً كـــل حـــافٍ وناعـــل
غـــداة غـــدي نـــاعٍ لصـــخر فـــراعني | وأورثـــني حزنـــاً طويـــل البلابـــل
فقلـت لـه مـاذا تقـول فقـال لـي | نعـى يـا ابـن عمـر وأثكلتـه هـوائلي
فأصـــبحت لا ألتـــذ بعـــدك نعمـــة | حيـــاتي ولا أبكـــي لـــدعوة ثاكـــل

لقد كنت يا بني براً بأبيك وخادماً له بجهدك ما استطعت وها قد خسرتك ودفنوك في شق من الأرض ولم أحضر دفنك ولم أملأ عيني منك عند فراقك

الأخير؛ حيث عجزت قدماي عن حملي بينا أنك في الجمعة الماضية مجتمعين نتبادل الحديث، وفي منتصف الأسبوع تجلس معي فما دار يوم الجمعة حتى رماني الدهر بفراقك فراقاً لا رؤية بعده، وهذه سادسة فاجعة أصاب بها فقد خسرت أخاك عبد العزيز منذ سنتين وقبله أختك وقبلهما أخاك أحمد واثنين قبلكم فيا لفجائع الزمان ويا القوارع والدهر ويا للخسارة العظمى فأصبحت لا أملك إلا زفرة من فؤاد مكلوم وكضمة من حزين بألم الفراق مضيوم ولي من أبيات تصور هذا المصاب:

رأيتك في الدنيا مقيماً وواثقاً	تروح وتغدو ناسياً كل نازل
أتعمر دار آذنت برحيلها	وتصرخ في ويلاتها بالزلازل
تجر الدواهي والبلايا خطوبها	ويسأمها أهل النُّهى والفضائل
بنفسي وأهلي من حبيب مفارق	أديب نجيب ماهر في المسائل
دهينا به واسواتي كيف أننا	نكبنا به رغماً على كل عامل
فلو أن فيه الموت يقبل فدية	لكنا بها نسعى سريعاً بعاجل
وقمنا سراعاً كيف ندافع دونه	بجاه ومال عاجل بل وآجل
فما قد دهانا مثلها من مصيبة	ولا قد عرى من مزعجات الزلازل
فيا للمنايا كم أبادت لمثله	فخرَّ صريعاً في العرا والجنادل
ويا أمرَّ البين والله إنه	فراق حبيب قد دها بالعواضل
فتباً لذي الدنيا وقبح مصيرها	فكم آذنت يوماً بخزي النوازل
لك الله ما طابت فترضى بموظر	وقلبك مشعوف على غير حاصل

فمن أسباب البلاء أنه هو الذي يباشر القراءة بين يدي إذا ذهبتُ يمنة ويسرة أو حصلت مناسبات، كما أنه تضرب الأمثال في كرمه وعطفه وقضائه لحاجاتنا لمعرفته وذكائه.

ثم ولى بفجأة تاركاً أرملته وصبيته سليباً من غير وصية لم أجد في سيارته المحطمة سوى الرخصة وساعته التي ناولنيها مكسورة رجال المرور وكانوا يريدون

إخفاء وفاته عني لما رأوا ما عراني من شدة الاضطراب، فقلت قولوا لي الحقيقة فما قدَّر الرحمن فسيصيب فأخبروني أن صاحب السيارة البنز قد قضى نحبه ولقد طغى الحزن على كل أهل البيت لما تحققوا فقدان عزيزهم.

ولما فجعت به وأمسيت أجر ثوب الهزيمة قلت هذه المرثية التي لا أملك سواها، وقد خرجت من كبد حراء وفؤاد موجوع وقلب بألم الفراق ملسوع، وإنها لتعرب عن الحقيقة وتكشف عن الضمير ما يكنه من نيران الأسى الملتهبة المحرقة فعياذاً بالله من قوارع الزمان ومن محن الأمن ومن شماتة الأعداء ومن درك الشقاء ومن سوء القضاء ومن فرقة الأحباء ومن حلول البأساء والضراء:

أحقاً توفي النجل أعني محمداً ... سمعنا بأخبار تسيء لناطق
أحقاً توفي أم خيال وطارق ... فهلا لبثنا نحو الحبيب المفارق
فيا أسفاً كيف الفراق وذا الأسى ... ويا حزناً عمّ الجميع مضايق
وقوفاً إلى رب المقادر نشتكي ... وعدنا بخفي خائب بل ووابق
فما نالنا في ذا الزمان مصيبة ... ورزء كبير من عظيم الشقاشق
لخمس من الأيام من بعدها عشرها ... بشهر ربيع محزن للخلائق
ربيع لقد كنت القبيح لما بدا ... فأنحس به شهراً وليس برائق
لألف من الأعوام من بعد أربع ... مئين ثلثها الخمس في شر غاسق
أتى أحمد نجل الفقيد بصرخة ... أصبنا بصدم من عضال الطوارق
فإخوتنا نحو العلاج بأسرهم ... أبونا بقي بين الحديد المطابق
فزعت من الأهوال حران موجعاً ... فلا حول مما حل إلا بخالق
وقمت أنادي في الطلول ألا أسرعوا ... كفى الله شر النازلات الطوارق
ذهبنا سراعاً للبيان عن النوى ... ونستطلع الأخبار في جنح غاسق
نؤم لمستشفى الخليقة كلها ... أفيدوا عن النجل الشفيق المصادق
وقمنا ببحث للحوادث نبتغي ... جواباً سريعاً منهمو في الحقائق

فقيـل لنـا فخـر الشـباب فقيـدهم فـأعظم بـه سـعياً قبـيح العوائـق
فمـا كـان إلا برهـة ثـم نالنـا مـن الخـزي أمـر لا يحـد لرامـق
فيا لك مـن خـزي ويـا لـك مـن بلـى ويـا لـك مـن غـم يشـيب المفـارق
فقل لليـالي كيـف مـا شـئت فاصنعي فسـوء القضـاء يجـري مـر المـذائق
فجعنـا بكسـر هـدمنا مبانيـاً فيـا مـا أمـر الـبين في جنـح غاسـق
محمـد لا تفجـع أبـوك مـرزء مصـاب وموتـور بإحـدى الطـوارق
تركـت الأهـالي يسـكبون دمـوعهم ورحـت سـليباً تاركـاً لـك شـائق
رحلـت سـليباً أدرجـوك بخرقـة وقـد كنـت فينـا مكرمـاً بالدواشـق
فقـدناك يـا خـير البـنين مفارقـاً وعـدنا سـراعاً كـالهزيم المفـارق
نجـر لأذيـال الهزيمـة والشـقا بخيبـة مـأمول وهـم ملاحـق
فلـو أن فيـه المـوت يقبـل فديـة لكنـت لـه بالجهـد خـير مسـابق
وقمنـا دفاعـاً دونـه في نفوسـنا بجـاه ومـال حاضـر ثـم لاحـق
فقـدناك يـا مـن كنـت فينـا معـززاً وكنـت أديبـاً مـاهراً في الخلائـق
فقـدناك بـراً بـل وصـولاً مسـدداً وكنـت لنـا ذخـراً لـدى كـل طـارق
خسـرناك يـا مـن كنـت فـيهم مقـدماً كريمـاً وصـولاً نابغـاً في الحقـائق
خسـرناك يـا نجـل المكـارم والنهـى فقـل للشـقا بئسـاً لـك مـن مطـابق
علـى مثلـه يبكـي جـريح مـرَزّؤ وتهمـي دمـوع العـين مـن كـل دافـق
فيـا دهرنـا أف لـك مـن صـديق أصـبت لنجـل مسـعد في المضـائق
دهينـا بـه واسـوءتا كيـف أننـا نكبنـا بـه رغمـاً علـى كـل وامـق
وقائلـه مـالي أراك مفجعـاً كـثير الهمـوم مرهقـات لواحـق
وذا فكـرة قـد أذهلتـك طويلـة كأنـك موتـور بقطـع العلائـق
ألم تـرَ أن المـوت مرصـاد حيِّنـا وكـل فريـق للسـوابق لاحـق
فقلـت ذريـني قـد عـراني مصـائب تكـل لهـا حمـلاً بجبـال الشـواهق

دعــيني فــلا والله مــا بعــد هــذه مصــاب كــبير مــن عضــال العوائــق
رزئنــا كــريم الخــيم خــيرة وقتــه أبيـــاً تقيـــاً مـــاهراً في المنـــاطق
فـلا ذخـر بعـد اليـوم للـدمع والأسـى وإن كـــان لا يشــفى لهيــب الحرائــق
أمــن بعــدما مــات الحبيــب محمــد تطيــب نفــوس مســها حــر حــارق
أينســى محــب نــافع غــير ضــائر كــريم وصــول نــابغ في الســوابق
له في الندى رسم يطـول علـى الـورى وتعجـــز عنـــه همـــة المتســـابق
وقـد كـان محبوبـاً لـدى الخلـق كلـهم ســوى كــافر مســتقبح أو منــافق
فمـن بعـده للحـج قـل لـي عمـرة ومـن بعـده يرجـى لقطـع الطرائـق
فــإني لأبكيــه وإنــي لصــادق وجـل الـورى في قيلـه غـير صـادق
وإنــي لموتــور وإنــي لموجــع فحسـبي إلـه الخلـق جـالي المضـائق
لقــد بــدلت نعماؤنــا بمكــاره وخــوف وتنكيــد مريــر المــذائق
وقــد بــدلت أحوالنــا بعــده أسـى فآهــاً علــى نجــل أصــيب بعــائق
أعلــل نفســي بــالتلاقي وقربــه وأوهمهـــا لكنهـــا في العوائـــق
أقــول لهــا كفــى فمــا الحــزن نافعــاً ومــا الهــم إلا جالبــاً للمضــائق
فيــا ســائراً يســعى إلى القــبر مســرعاً رويــداً لكــي نحظــى بــبعض الــدقائق
رحلــت شــهيداً نحــو ربــك قاصــداً وخلفــت فينــا كــل هــم مطــابق
فآهــا علــى صــدع تكســر وانمحــى وآهــاً علــى علــق نفــيس مفــارق
نكابــد أنكــاد الحيــاة وخزيهــا بحالــة منكــوب وقطــع العلائــق
عهــدناك بــالأمس القريــب مجــدداً شــهادة تأهيــل لعلــو الشــهائق
فمــا هــي إلا ومضــة ثــم أطبقــت عليــك الرزايــا يــا طويــل الوثــائق
هنيئــاً لــك الجنــات إذ كنــت طائعــاً وكنــت أريبــاً عــاقلاً خــير صــادق
إلى الــبر والإحســان تســعى مبــادراً تقضــي لحاجــات وتســعى بالتســابق
لقــد كنــت بــراً في القرابــة واصــلاً وكنــت نجيبــاً مــن خيــار الخلائــق

فيـا موضـعاً أقفـرت إذ فاتـك إليهـا | وصـاح غـراب الـبين بـين النواعـق
لقـد فقـد الجـيران ركنـا ومشـفقاً | يـؤم إلى أسمـى العـلا في الحقـائق
لحاجـاتهم يقضـي ويسـعى لعـزهم | فمـن بعـده يرجـى لكشـف المضـائق
عليـك سـلام الله حيـاً وهالكـاً | ورحمتـه سـحاً بعـد الـدوافق
ولا زلـت مـذكوراً بخـير وسمعـة | ونرجـو لـك الزلفـى بحسـن السـوابق
فمـا الله عمـا قـد فعلـت بغافـل | سـتلقاه في يـوم عظـيم المضـائق
وصـل إلهـي عـد مـا أنـت خـالق | ومـا ذرفـت عينـا مصـاب بوامـق
علـى أحمـد خـير الأنـام شـفاعة | وآل وأصـحاب سمـو في الخلائـق
وأتبـاعهم ممـن علـى الـنهج اقتفـوا | صـلاة وتسـليماً تفـوق لنـاطق

وفيها في ٢٠/٦ من هذه السنة أقيم الشاب سمو الأمير محمد بن الملك فهد بن عبد العزيز أميراً في المنطقة الشرقية بدلاً عن الأمير السابق عبد المحسن بـن عبـد الله ابن جلوي، وذلك لأن الأمير عبد المحسن كان متأثراً بمـرض فطلـب مـن الحكومـة إعفاءه من العمل ليستريح وتقـدمت الأمـة هنـاك تـدعو للأمـير الجديـد بـالتوفيق وتشكر الأمير السابق على أعماله المتقدمة، نعم إنه بذل جهوداً وسد فراغاً من وفاة أخيه سعود قرابة عشرين عاماً.

وفيها في يوم الأربعـاء ٦/ ٣/ ١٤٠٥هـ عقـد مـؤتمر القمـة الخليجـي حضـره رؤساء دول الخليج، أمير قطر، وزيد بن سلطان بن نهيـان، وأمـير دولـة البحـرين، وجابر الأحمد أمير الكويت، وملك السعودية فهد بن عبـد العزيـز، ورئـيس عُمـان قابوس بن سعيد، وكان موضع الاجتماع في الكويـت وقـد تقـدم شـيء مـن ذكـر مجلس التعاون الخليجي.

وفيها قمنا برحلة إلى جنوب المملكة عسير وجيزان ونجران وما يليها، لقد سرنا من العاصمة التي عشنا فيها في يوم الأربعـاء ٢٣/ ١٠ مـن هـذه السـنة في السـاعة الحادية عشرة صباحاً بالتوقيت الزوالي الموافق ٨ السرطان ٨ الهقعة ١٠ تموز يوليو

سرنا عن طريق المدينة فقدمناها بعد صلاة الظهر ولبثنا فيها حتى أشارت الساعة الثالثة ليلاً بالغروبي حيث سرنا إلى جدة ومنها إلى الطائف حث اجتمعنا بالشيخ الفاضل رئيس الإفتاء والبحوث، تناولنا حسب دعوته طعام الغداء في بيته بالطائف يوم الأحد ٢٦/ ١٠ واجتمعنا لديه بالشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام حيث دعانا إلى وليمة العشاء في بيته بعد العشاء الآخرة.

وكان الشيخ ابن باز قد عرض علينا أن نسلم على الملك قبل السير من الغد وفعلاً سلمنا عليه صحبة كبار المشائخ وجلسنا معه طويلاً، ولما أن انصرفنا طلب مني فضيلته أن أقوم بالوعظ والإرشاد في طريقنا بالرحلة فنكون كمن رمى عصفورين بحجر جزاه الله خيراً.

وهكذا كنت أتخول جميع من مررنا عليه في الجوامع والمساجد ومن حُسن الحظ أن حصلتُ على توصية من سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني ووزير الدفاع والمفتش العام لمن نمر عليه من الأمراء أن يساعدونا في مهمتنا وقد قمنا من مدينة الطائف ميممين جهة الجنوب في الساعة الثامنة عربياً بعد الظهر، ولما أن مررنا بمسجد عن يمين الطريق صلينا العصر قصراً في تلك القرية التي تدعى بقرية الشرمان أو قبيلة الشرمان، وهكذا سرنا مارين بقرية الصور والدار الحمراء يتخلل الطريق أنفاق منقوبة بين تلك الجبال بمنظرها الحسن قد زينت بالسلم والعرعر، وهكذا نمر بالحمراء ووادي الشهران ثم وادي الشوامط ثم وادي القعرة ثم وادي بُوَيْ.

وهناك الفرعة ثم القريع ثم الأشرع ووادي السائلة ثم المرازيق والفقعة حتى قدمنا الباحة التي كان الأمير فيها إبراهيم بن عبد العزيز، وكانت ممتازة بالأمطر والبرد الشديد في برج الأسد.

أما عن الظفير فقد ارتبط بالباحة حيث وجدنا فيها إمام الجامع ورئيس هيئة الحسبة محمد بن يحيى آل الموجان، وقد وافينا الوكيل الدكتور إبراهيم بن محمد الزيد الذي أكرم مثوانا، وبعد بياتنا فيها تحولنا على سيارة الإمارة لرؤية الآبار.

وقد نزلنا إلى تهامة حيث وجدنا فيها الأمير ضيف الله الطعيمس المريخاني من أهالي بلدة الذيبية في القصيم، وإنه لرجل طيب وبعدها إلى خثعم ثم أدمة بلاد فيها أخلاط من خثعم وغيرهم، وبعدما سرنا أخذنا باليسار إلى جهة بيشة لرؤيتها وكانت بلدة فسيحة الشوارع ولدى أهلها نشاط في البيع والشراء وأرضها قابلة للنخلة فكانت شجرة النخل تحمل من الثمرة ما لا تبلغه العبارة، وكانت القنوان متراكبة بعضها فوق بعض بحيث تقدر ثمرة النخل الواحدة بثلاثمائة كيلو.

ولما أن سرنا منها مررنا بالنماص وكانت قرية كبيرة لغيرها من قرى عسير، وقدمنا بعدها إلى أبها عاصمة عسير وقاعدتها وكان أمير تلك المنطقة صاحب السمو الملكي خالد بن فيصل، قدمنا عليه في الليلة الموافقة لـ٢/ ١١ مساءً في الساعة الثامنة يزيد خمساً وعشرين دقيقة الموافقة لليلة الجمعة أقمنا بها ثلاثة أيام في ضيافة الإمارة، وكان الأمير خالد بن فيصل من خيرة آل مقرن يتمتع بالعقل والأدب والبشاشة والكرم، وقد أثنى عليه أهالي المنطقة وأنه ليستحق الثناء.

وذهبنا لرؤية حجله وهي ملجأ حسن بن عايض الذي تمرد على الملك عبد العزيز غفر الله له فلاحقه الأمير فيصل بن عبد العزيز وأعطاه درساً لا يُنسى.

وكانت حرملة في معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها إلا من منافذ معلومة لا يعرفها غير أهلها.

أما عن حجلى فهي بين أبها وخميس مشيط فهو خلفها إلى جهة الشمال وكانت مدينة حديثة آهلة بالسكان والبنيان وكانت الخميس منذ اثنتين وخمسين سنة ميداناً كبيراً لذلك حصل فيه القتال عام (١٣٥٢هـ) بين قوات الملك عبد العزيز وقوات الإمام يحيى.

وهناك قرية السقا وهي التي ولد فيها الشيخ سليمان بن سحمان ومررنا بمسجد بن عايض وكان من الآثار، وبنايته عجيبة بحيث أقيمت أعمدته من خشب العرعر القوي، وكانت لغلظها وضخامتها كأعمدة الحجر ولولا أنهم ذكروا أنها من الخشب لما صدقنا وفوق أعمدة الخشب سقف مسقوف من شجر العرعر.

وحديثي عن هذه الرحلة طويل فيه تفاصيل وبيانات أفردتها بكتاب مستقل، وهنا أشرنا إشارة لطيفة، وما لا يدرك كله لا يترك كله، وعلى من أحب التفاصيل مراجعتها.

ولما أن سرنا نواصل السير مررنا على سراة عبيدة وظهران الجنوب وكان من مزيَّة الوكيل في إمارته أن شيعنا بنفسه بعد تناول ضيافته وإكرامه إلى مسافة عشرين كيلومتراً في سيرنا إلى نجران، ومما يجمل بنا ذكره رؤيتنا لقوم من تهامة قحطان قد شدوا عصائب على رؤوسهم وغرزوا فيها أنواعاً من الأشجار ومن رؤية نجران والاجتماع بوكيل الإمارة هناك ناصر ابن خالد السديري الذي قام باحتشامنا وأنزلنا أفخر المنازل وأطلعنا على الأخدود، وما هنالك من الآثار، وقد لبثنا يوماً وليلة في ضيافته ويقص من أخبارهم وما يعرفه عن نجران بأدب وحُسن تعبير.

سرنا إلى جيزان، وإن كان الوقت غير مناسب لشدة الحر لكن لرغبة بعض الرفقة الذين في صحبتنا وهناك واصلنا السير إلى صامطة مارين بقرية (الأحد) ثم (دغارير)، وكانت كل هذه البلدان مضاءة بالأنوار ليلاً، وكان ما بين جيزان الذي قدمنا إليه في الساعة الواحدة والنصف عربياً مع أذان العشاء الآخرة إلى صامطة ٨٥ كيلومتراً.

أما ما يحتوي جيزان عليه فهناك وادي تعشر ووادي أبوحشيش ووادي المغايلة ويليه إلى الشمال (وادي لِيَه) ويليه (خلب) وكنا لما أن قدمنا إلى صامطة كان الطقس غير مناسب، فلم نر إطالة الجلوس هناك بحيث نتصل بالإمارة ونمتطي إحدى سياراتها لرؤية الآثار كجاري عادتنا.

فقد طفقنا نسأل عن مسكن الأخ عبد الله بن صالح بن دغيثر من أهالي بريدة واستوطن صامطة منذ ثلاث وخمسين عاماً، وكان قريباً لأحد الرفقة، وكان في صفته مربوع القامة شيخاً قليل اللحم صالحاً عمره يناهز السبعين ولكنه يتمتع بنشاط وحيوية وقد صبغ لحيته بالحناء، وملازماً للصوات الخمس والعبادة في

المسجد وقد أتاه الله سعة في الرزق بحيث يتعاطى بالملايين وشاكراً النعم لله، ويقول عن نفسه أنه يملك أربعمائة سيارة ويتعاطى بقطع الغيار.

بحث مهم ينبغي الوقوف عنده

وكان إمام المسجد شافعياً يجهر بالبسملة في الجهرية[1].

فبعدما ألقيت الموعظة بينت الحكم في حديث أنس: «صليت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول قراءة ولا في آخرها»، وكان أسود اللون حسن الصوت، ولكننا في تلك الليلة التي بتناها عند ابن دغيثر لا نستطيع الذهاب إلا إلى المسجد ودورة المياه لعدم ملاءمة الطقس لأجسامنا، لذلك فضلت الرجوع بطائرة إلى جدة ومنها إلى القصيم بعد تناول ضيافته وكرامته جزاه الله خيراً ونرجع الآن إلى المقصود فنقول:

وفيها في يوم الجمعة ٩/٥ أصيبت بنغلاديش بإعصار شديد هلك بسببه عشرة آلاف من السكان وبعثت المساعدات إليها من الهند والإنجليز.

وفيها في ٣/١٣ الموافق ٨٤/١٢/٥ افتتح الملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين المباني الجديدة لجامعة الملك سعود وذلك يوم الأربعاء وقد بلغ عدد الكليات في هذا العام ستة عشر كلية إضافة إلى معهد اللغة العربية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وبلغ عدد أعضاء هيئة التدريس والمحاضرين والمعيدين بكليات الجامعة ٢٥٢٧ وبلغ عدد الطلاب والطالبات المقيدين بكليات الجامعة مرحلة الدراسات العليا في العام الدراسي ١٤٠٤/ ١٤٠٥هـ (٥٧٥) طالباً وطالبة بينهم (٤) طلاب مسجلين لدرجة الدكتوراة، أما عدد الطلاب والطالبات

---

(١) بحث مهم ينبغي الوقوف عنده.

الملتحقين بكليات الجامعة المختلفة فقد بلغ (٢٤٣٦٩) طالباً وطالبة في الفصل الأول من العام الدراسي ١٤٠٤/ ١٤٠٥هـ، وقد افتتحت الجامعة عامها الدراسي الأول بكلية الآداب عام ١٣٧٧/ ١٣٧٨هـ.

نهضة تعليمية

اثنان وثلاثون ألف طالب وطالبة يتقدمون للامتحان في جميع المراحل بمنطقة عرعر في هذه السنة كذا ذكرت جريدة الجزيرة في عددها (٤٤٧٨) ولما نشأت فكرة تأسيس جامعة الملك عبد العزيز بجدة كجامعة أهلية وذلك في مستهل عام (١٣٨٤هـ) وتشكلت هيئة تأسيسية برئاسة الملك فيصل غفر الله له، وافتتحت الجامعة للدراسة في عام ٨٧/ ١٣٨٨هـ ثم توالى فتح باقي الكليات وتضخمت هذه الجامعة أصدر مجلس الوزراء قراره برقم (١٥٠) وتاريخ ٤/ ٢/ ١٣٩١هـ بتحويلها من جامعة أهلية إلى جامعة حكومية وكانت تضم تسع كليات ثمان بجدة وكلية واحدة للتربية بالمدينة المنورة وأصبح الطلاب المتنظمون بمرحلة البكالوريوس الفصل الأول الدراسي ١٤٠٤/ ١٤٠٥هـ بلغ إجمالي عدد طلاب الكلية والطالبات المستجدين المقبولين في هذا الفصل ألفين وخمسمائة وعشرين والمنتظمين بالجامعة في هذا الفصل (١٣٨٨٤) ما بين طالب وطالبة.

وإذا قارنا ما بين هذا العام وعام (١٣٥٢هـ) الذي أصدر فيه كبار العلماء وأجلتهم نصيحة تحث على طلب العلم وكيف أن الملك عبد العزيز غفر الله له صدق عليها وذكر أنه ينبغي إجبار من كان فيه صلاحية من الشباب على طلب العلم، وقدمنا توجيهات فضيلة الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد للملك عبد العزيز أن يفتح مدارس ومعاهد ويمنح الطلاب مكافئات فهي الطريقة التي تكفل وجود علماء وقضاة تسد بهم الجهات وأنه بوجود الجامعات والكليات والمعاهد تحقق ما تصبو إليه الأنظار ويكفينا أنه كان يجبر طلاب العلم ويؤخذون قسراً من أوطانهم وأهليهم إذ ذاك للضرورة بحيث لا يوجد من يسد الأقطار ويقوم

بالأعمال وها قد توفرت في هذه السنين الوعاظ والقضاة والمفتون بجلب الأسباب وتأسيس المدارس كبارها وصغارها من ابتدائيات ومتوسطة ومعاهد وجامعات وكليات وثانويات وأصبحت هذه النهضة لها أثرها ومكانتها.

وفيها في يوم الجمعة ٦/ ٤ قتل فهد القواسمة عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، كان قتله غيلة في اليوم المذكور وشيع جثمانه يوم الاثنين وعلى رأس المشيعين ياسر عرفات رئيس اللجنة وأعضاء المجلس الوطني الفلسطيني ووفود من الضفة الغربية ومن الدول العربية.

وكان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن داهية العرب طيب الله ثراه بنافذ رأيه وبصيرته قد حذر العرب والمسلمين من حدوث نكبة فلسطين، وكان الملك سعود والملك فيصل والملك خالد والملك فهد ساروا على نهج والدهم عندما بلغت تعقيدات القضية الفلسطينية ذروتها وسدت طرق كل الحلول أمامها، وكان من رأي الملك عبد العزيز أن يتولى الفلسطينيون دون غيرهم مسئولية الجهاد الوطني ضد المؤامرة اليهودية الصهيونية، وقام بنصرة الفلسطينيين وتأييدهم، ولقد تحمل أبناؤه من بعده سعود وفيصل وخالد وفهد المسئولية عن القضية الفلسطينية بشرف وإخلاص وبسالة.

وتبشر جريدة الجزيرة هذه بوجود أربعة عشر ألف مسلم في جزيرة الأحلام.

وفيها أصيب شمال اليابان بعواصف ثلجية اجتاحت السواحل الشمالية يوم الأحد ٨/ ٤ ولقي ما لا يقل عن ١٥ شخصاً مصرعهم، وقد بلغ ارتفاع الثلج ما بين ياردة إلى ياردتين ونصف.

وفيها انتهى إنجاز طريق الرياض إلى الدمام السريع وكان طريق القصيم السريع الذي انطلق من خلف ضاحية رواق إلى الشرق تحت الإنجاز، وكان من فائدة هذه الطرق السريعة أن وفرت للمسافر نصف مدة الزمن الذي يكابد فيه المسافرون مشاق التعريجات والمنحنيات في الطرق الأخرى فثلاث ساعات من الزمن ما بين

العاصمة بريدة إلى الرياض، ولولا ما اتخذته الحكومة من المراقبة على السير خشية الهلاك من السرعة لكان من الممكن أن يكون ساعتين وفي ذلك عبرة للمعتبرين أن يتحول الطريق من عشر مراحل للإبل المحملة إلى ساعتين من الزمن، وصدق الهادي الذي لا ينطق عن الهوى فيما أخبر عن ذلك.

وفي هذه السنة بلغ عدد مدارس البنات في منطقة عسير أربعمائة مدرسة وسبعاً وسبعين مدرسة تحتوي على إحدى وأربعين ألف طالبة ومائة وست وتسعين طالبة، وهذه بادرة تدل على إقبال الفتيات على التعلم والدراسة، وهذا العدد شامل للابتدائيات والمتوسطات والمعاهد والثانويات.

وهذا شيء يعجب منه بحيث لا يوجد في عام ١٣٨٠/ ١٣٨١هـ بهذه المنطقة سوى مدرسة واحدة تضم ١٥٥ طالبة لا غير كما أنه تخرج في هذه السنة عدد كبير من المبتعثين ينهون دراستهم بالولايات المتحدة وعددهم سبعون ورجعوا يحملون شهادات متفوقة بكالوريوس ماجستير دكتوراه علم الكمبيوتر وكان ذلك خلال الفترة ما بين ١٥ أغسطس حتى ١٥ سبتمبر (١٩٨٤م).

وفيها يقوم مدير الشئون البلدية والقروية بالقصيم إبراهيم بن عبد الرحمن البليهي بالبيان الآتي بصفته ترتبط بمديريته أكثر من ثلاثمائة وخمسين مدينة وقرية وهجرة وضاحية عن اعتماد ألفين وخمسمائة وثمانين مليون لعشر بلديات وسبع مجمعات قروية بالمنطقة وهي هذه بلدية عنيزة وبلدية الرس وبلدية المذنب وبلدية الأسياح وبلدية البدائع وبلدية البكيرية وبلدية رياض الخبراء وبلدية الخبراء والسحابين ومجمع قرى الشماسية ومجمع قري النبهانية ومجمع عيون الجواء ومجمع دخنة ومجمع ضريه ومجمع عقلة الصقور ومجمع البصر وختم ذلك بالمسار الدائري الذي يجري العمل به حالياً.

أما عما يتعلق بمدينة بريدة فقد جرى اللقاء مع رئيس بلدية بريدة إذ ذاك صالح النافع وعن نصيب مدينة بريدة من الحدائق والمتنزهات العامة ونشاط البلدية

في مجال أعمال السفلتة والإنارة وزيادة رقعة المسطحات الخضراء فأجاب بأن هناك العديد من المشاريع التطويرية الكبيرة كاعتماد ثلاثة عشر مليون لتسع عشرة حديقة، وهناك مشاريع المجاري المرحلة الثانية وإقامة محطة مجار وقد أعلن عنها وإقامة منتزه عام كبير تقدر مساحته بمليوني متر مربع وهذا ضخم جداً بحيث يعتبر أعظم منتزه مع إنارة وترصيف بتكلفة ثلاثة وخمسين مليوناً تشمل العديد من الشوارع الرئيسة ومواقف للسيارات وغيرها من الإصلاحات.

ثم نعود إلى النهضة التعليمية في القصيم فنقول نقلاً عن جريدة الجزيرة في عددها ٢٩/٤٥٢٧ جمادى الأولى من هذه السنة خمسمائة وثلاثين مدرسة للبنات بمختلف المراحل تضم (٤٠٩٦٤) طالبة وإنجاز (١١٣) مبنى في مختلف مدن وقرى المنطقة بتكلفة قدرها (١١٦, ٤٨٧, ٤٨٤) ريالاً أربعمائة ألف مليون وأربعة وثمانون مليوناً وأربعمائة وسبعة وثمانون ألفاً وماية وستة عشر ريالاً كما نشرت الجريدة المذكورة بعددها وتاريخها، إن في منطقة القصيم مائتين وخمساً وثمانين مدرسة للبنين تضم أربعين ألف طالب، وأن نسبة المدرسين فيها ١٠٠٪ في الابتدائيات و٨٠٪ في المتوسطات و٦٠٪ في الثانوي ولا تزال تتطور في الزيادة والتحسن.

برج مياه بريدة

في هذه السنة كانت العمال يدأبون في إقامة هذا البرج ويقع شمال مدينة بريدة وكانت مدة التنفيذ أربع سنوات تولت تنفيذه شركة كمهو الإنشاءات الهندسية كوريا، وقد تأسس في محلة الصفراء بتكلفة لهذا المشروع (٦٩٠٠٠٠٠٠) تسعة وستون مليوناً على مساحة إجمالية قدرها خمسة وأربعون متر، وسعته (٨٠٠٠) متر والارتفاع الكلي (٧٤) متر، وعن سطح الأرض (٦٦) متراً على مسافة (٥) كيلو من محطة التنقية، أما المحطة فتقع بجي الموطا غربي مدينة بريدة على مساحة قدرها (٢٨٠٠٠) متراً وتم توسعة المحطة عام (١٤٠٢هـ) وتم تشغيل هذه المحطة في

١٣/ ٦/ ١٤٠٥هـ أما عن البرج ومتطلباته فمذكورة في غير هذا الموضع ففي هذه السنة واليوم والشهر تم تشغيل هذه المحطة وقد بدئ العمل في البرج في محرم من عام (١٤٠٢هـ) لمدة (٨٤٠) يوماً وقد صمم البرج على أساس مخزن للمياه وخزان تواجد للشبكة وكان مستوى الخزان ينقل بواسطة إشارة تلفونية لاسلكية إلى مركز التحكم والمراقبة بموقع المضخات بمحطة التنقية وهناك جهاز إنذار عند الوصول إلى الحد الأقصى للمياه ودور صالة الاستقبال الرئيسية على ارتفاع (٤٦) متراً بمساحة (١٠٠٠) متر تحلق حول البرج وتحتوي على كافتيريا ومطابخ ومخزن للأثاث وصالة الأكل وتوجد أسفل البرج مجموعة مباني مساندة ومواقف سيارات مظللة وبحيرة مياه عاكسة ومسطحات خضراء مساحتها (٥٠٠) متر بالإضافة إلى مبنى الحراسة، وقد كمل بناؤه في آخر يوم من هذه السنة.

إيجاد مياه لعفيف والدوادمي

إن مدينة عفيف لما تأسست كثرت مبانيها وتقدمت تقدماً يزيد يوماً فيوماً ولا سيما في عام إحدى وستين بعد ثلاثمائة وألف وهذا بالنسبة إلى أنها كهجرة من هجر البادية قبل ذلك فما زالت تنشأ فيها المباني من الطين واللبن لكن قلة الماء فيها أوقف توسعها ولكنها بالرغم من تلك فإنها اتسعت، أما عن الدوادمي فإنه قرية ضعيفة جداً، ولكنهما بالنسبة لوقوعهما في طريق مكة المشرفة لمن حج من الشرق لهما ذكر وشهرة بين المسافرين، فهذا الدوادمي وكم تبقى من المسافة إلى عفيف. وفي هذه السنة تضع الحكومة السعودية ترسية مشروع مياه لهما مما يخدم ثلاثين قرية تابعة لهما، وذلك بإنشاء أحد عشر خزاناً تتراوح سعتها ما بين مائتين متر مكعب وأحد عشر وثمانمائة متر مكعب وإقامة أربعة وعشرين برج مياه من الخرسانة المسلحة تتراوح سعتها ما بين (٢٢٠-٦٥٠) متر مكعب وإقامة محطات ضخ وإقامة تسع وحدات لتعبئة الوانيتات وغير ذلك، وقد أنفق لهذا المشروع

نفقات باهظة مما جعل البلدتين وما يتبعهما تتمتعان برغد المعيشة ويقول الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[1] فلله الشكر على ذلك.

وفيها في يوم السبت غرة ذي الحجة من هذه السنة سقط في بيروت (٢٣) قتيلاً و(٧٠) جريحاً نتيجة تفجير سيارة ملغومة أمام سوق تجاري في الشرقية واندلع حريق هائل دمر (٧٠) سيارة وكان ذلك الانفجار قد هز بيروت وكان في سيارة مرسيدس مفخخة بمائتين كيلوجرام من مادة تي.أن.تي بالإضافة إلى مواد حارقة وكميات كبيرة من المسامير وقد سحب العاملون في مجال الإنقاذ (٢٠) جثة كانوا محترقين كما انتشلوا (٧٠) جريحاً وبينما كان المنقذون يعملون سقط قذيفتا مدفعيين في المنطقة كما سقطت ثلاث قذائف في منطقة مجاورة وأحدث الإنفجار حفرة في الرصيف بلغ قطرها أربعة أمتار وعمقها متر ونصف وهذه هزات تحدث الأسف الشديد.

وقد قدمنا هزة العالم لقتل أنديرا غاندي التي قتلت آخر يوم الأربعاء المتقدم على يد حراسها الذين بلغ عدد المجرمين منهم خمسة وهم من السيخ بحيث أطلقوا عليها (١٦) رصاصة أصيبت بثمانية منها ثم أعدم الذين اغتالوها، ولدت في ١٩ نوفمبر عام (١٩١٧م) وهي الابنة الوحدية لنهرو رئيس الوزارة الهندية الذي تقدمت وفاته في عام (١٣٨٤هـ) وتقدمت ترجمته هناك ويصفونها بعزمها الذي لا يلين وظلت محاولة جعل الهند دولة مستقلة وقوية ومنددة دون كلل أو ملل واستمرت تحكم بلادها بيد قوية أو بقبضة حديدية وقد فجعت في يوليو (١٩٨٠م) بمصرع ابنها سانجاي ومستشارها السياسي التي كانت تعده لخلافة أسرة نهرو السياسية وكان ممن تأثر لوفاتها الرئيس ريجان الأمريكي وصرح رئيس الدولة المصري للشئون الخارجية بأن رحيل رئيسة وزراء الهند يمثل خسارة فادحة

---

(١) سورة المؤمنون، آية ٣٠.

للمجتمع الدولي وغير هؤلاء كما أن غالب الدول الكبرى نددت بوفاتها واعتبروها خسارة، وقد أحصي الذين اغتيلوا في الأعوام العشرة الماضية والذين كانت آخرتهم أنديرا غاندي ففي ١١ سبتمبر (١٩٧٣م) سلفادور الليندي رئيس جمهورية تشيلي خلال انقلابه وفي ١٢ فبراير (١٩٧٥م) الكولونيل ريتشارد راشيماندرافا رئيس الدولة والحكومة في مدغشقر، وفي ١٣ إبرايل (١٩٧٥م) بجارتا تومبلباي رئيس جمهورية تشاد خلال انقلاب، ١٨ مارس (١٩٧٧م) هاريان بنجوابي رئيس جمهورية الكونجو برازافيل الشعبية في مؤامرة ١١ أكتوبر (١٩٧٧م) إبراهيم الحمدي رئيس جمهورية اليمن الشمالية خلال اعتداء ٢٧ إبريل (١٩٧٨م) الرئيس الأفغاني محمد داود خلال انقلاب ٢٤ يونيو (١٩٧٨م) المقدم أحمد الهاشمي رئيس جمهورية اليمن الشمالية خلال اعتداء ١٤ سبتمبر (١٩٧٩م) مارك تونج هي رئيس جمهورية كوريا الجنوبية اغتاله مدير المخابرات الكورية ٢٧ ديسمبر (١٩٧٩م) حفيظ الله أمين رئيس جمهورية أفغانستان خلال انقلاب ١٢ إبريل (١٩٨٠م) وليم توليس رئيس ليبيريا خلال انقلاب ٣٠ أغسطس (١٩٨١م) علي رجائي الرئيس الإيراني خلال اعتداء ٦ أكتوبر (١٩٨١م)، أنور السادات الرئيس المصري خلال عرض عسكري في ذكرى نصر أكتوبر (١٩٧٣م)، ١٥ سبتمبر (١٩٨٢م) بشير الجميِّل رئيس لبنان المنتخب قبل ثمانية أيام من توليه السلطة خلال اعتداء.

ثم دخلت سنة (١٤٠٦هـ)

ففيها أطارت اليهود في يوم الثلاثاء ١٧ محرم ثمان طائرات قطعت ألوف الأميال فضربت تونس تريد ياسر عرفات غير أنه كتبت له النجاة، لأنه لم يبت في تلك العمارة التي ضربوها وهي من ثمانية أدوار يسكنها فلسطينيون في تونس هلك من جراء تلك الضربة التي غزوا بها تونس ما يزيد على سبعين فلسطينياً وجرح آخرون وتهدمت العمارة.

وقد أحدثت تلك الفعلة هزة عظيمة في أنحاء العالم فكيف تسطو إسرائيل على بلد آمن وتسير تلك المسافة الطويلة وتهتدي إلى العمارة لولا أن لها استكشافيين وأشقياء قد سهروا لأذية العرب وبذلوا النفيس في استئصال شافتهم.

ومن جهة أخرى تنتهك حرمة تونس ولم يمنعهم البعد في إبعاد مساكين أهل فلسطين حتى يلاحقوهم تلك الملاحقة وينتهكوا الديار الآمنة البعيدة وقصارى ما تلاقيه من الردع عرض المسألة التي تعترض طورها على مجلس الأمن ثم تنتهي الشكاية عن لا شيء فأصبح مجلس الأمن آلة في يد اليهود وأمريكا يصرفونه على ما يشاءون وبهذا وأمثاله انتقد التونسيون حكومة حبيب أبو رقيبة بالضعف وفكروا في استبداله برئيس آخر فإن الحكومات تنظر إلى أعمال رؤسائها ولا سيما في الجمهوريات، فتترقب ماذا يحصل من حماية البلاد والأخذ على أيدي العابثين.

وفي هذه السنة في ١٩ أيلول (١٩٨٦م) أصيبت المكسيك بزلزال شديد هلك بسببه حوالي ١٥ ألف نسمة من الأنفس البشرية وأصيب آخرون بجراح وتهدمت فيها منازل وكان ذلك في ٥ محرم.

وفيها صدر الأمر الملكي بنقل سمو الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز من إمارة تبوك إلى إمارة المدينة المنورة وذلك في ١٥/ ٥.

وفيها أمر الملك فهد ببناية ملحق للمسجد النبوي يكون زيادة للمسجد من الجهة الشمالية والغربية وذلك لضيق المسجد بالمصلين أوقات المواسم، وبما أن الملك فيصل قد أمر بهدم الجهة التي تلي المسجد من الجهة الغربية وأقام مظلات جميلة قوية فيها مفروشة بالفرش واتسع المصلى وخفف ذلك الضغط عن التوسعة التي أمر بها الملك عبد العزيز وابنه سعود وأضيفت إلى المسجد ببناء قوي جداً.

فقد رأت الحكومة التي يرأسها الآن الملك فهد بن عبد العزيز أن تقيم توسعة في الموضع المشار إليه مقامة من ثلاثة طوابق ببناية فخمة جداً، كما أنه هدّ مسجد قباء وزيد فيه توسعة فخمة عما كان عليه من عمارة الدولة العثمانية، وكانت

العمارة الأخيرة في هذه السنة واسعة جداً بالطراز الحديث وأنشأ له دورات مياه عظيمة وتم بناؤه على أحسن وضع وأجمله.

وكان يلي المسجد من الجهة الغربية بئر أريس التي يُسمى بئر الخاتم، وقد ردمت في السنين الأخيرة قبل هذه السنة بأربع سنوات ترجيحاً للمصلحة لأن بعض الحجاج والزوار ولا سيما الأجانب يرتادون الوقوف عليها منهم من يرى الآثار ومنهم من جعلها مزاراً، فرأت الحكومة ردمها بإرشاد من بعض العلماء فتعطلت وضاع مكانها.

وفيها في يوم الاثنين ٣/ ٥/ ١٤٠٦هـ يوافق ١٣ يناير عام (١٩٨٦م) قامت اليمن الجنوبية الديمقراطية بثورة ضد الرئيس علي ناصر محمد للإطاحة بحكمه وقامت الجيوش المتمردة بالتقتيل وامتلأت شوارع عدن بجثث القتلى حتى بلغ عدد القتلى عشرة آلاف قتيل وتشريد أربعة آلاف واستمرت الدبابات تجوب الشوارع وتعمل الفوضى لمدة ١٤ يوماً وبذلك أزالوه عن منصبه وأقاموا بدلاً عنه مؤقتاً (العطاس) وكانت روسيا قد أيدت هذه الثورة.

وفيها وفاة الشيخ صالح العلي الناصر كانت وفاته في أوائل صفر من هذه السنة كان هذا الرجل يشارك في المحاضرات ويتلقى الأسئلة ويجاوب عليها في الإذاعة السعودية.

ورأيت له ترجمة بقلم أحد تلامذته بحيث يقول [فقيه جبيل فقدناه] كان رحمه الله أول سعودي يتخصص في تعليم المكفوفين، ثم قال لقد فقدنا في هذه الأيام عالماً جليلاً ومربياً كبيراً وفقيهاً قديراً هو فضيلة الشيخ صالح العلي الناصر، فقدناه في وقت نحن في أمس الحاجة إلى طول باعه وسعة اطلاعه في مجال الفقه وأصوله، فقد تخرج على يديه من علماء المملكة وفقهائها خلال مدة تزيد على إحدى وثلاثين سنة ما يعجز القلم عن حصره، وأطال في مديحه.

وهذه ترجمته: هو الشيخ الفقيه صالح العلي بن ناصر، هذا هو الذي يعرف به،

وإلا فهو صالح بن علي بن سلمان بن علي بن محمد بن علي بن محمد بـن ناصـر، وهم عضو ينتمون إلى سنجارة أحد بطون شمر وموطن عائلة آل ابن ناصر القرعة، ثم رحل أحد أجداده إلى الخبراء ورحل والده إلى عنيزة وبها ولد المترجم، ثم انتقل مع والديه إلى البدائع ثم عادوا إلى عنيزة وبها ترعرع ودرس بها أجزاء مـن القـرآن على يد عبد العزيز بن دامغ المشهور بضعيف الله.

وكان كفيف البصر قوياً طبيعته الشدة، كذا ذكر لي عن ترجمتـه وكـذلك درس على يد صالح الدامغ ثم رحل مع والديه إلى مكة المكرمة وبها عاش طويلاً وتلقى القرآن والعلوم المتنوعة على كثير من علمائها في المدارس وفي الحرم الشريف.

فممن تلقى عليه القرآن بالتجويد الشيخ محمود مرسي سعيد صـاحب مدرسـة في شعب عامر وتلقى عليه مبادئ النحو والقراءات وشيئاً من علـم الحـديث، كمـا تلقى القرآن على الشيخ محمد حزيم وكذلك على الشيخ محمـد علـوان وفي الحـرم تلقى علوم التفسير والحديث علـى الشـيخ عبـد الظـاهر أبـو السـمح إمـام الحـرم الشريف وحضر دروس الشيخ علوي المالكي ومحمد كتبي والتحـق بـدار الحـديث، وما زال يتقلب بين حلق التدريس في الحرم الشريف حتى قدِم إلى مكة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع فلازمه وانتفع به كثيراً في الدراسة عليه بزاد المستقنع وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وبلوغ المرام ثم التحق بـدار التوحيـد لمـا أن ضمت إلى الشيخ محمد.

فأخذ عن الشيخ عبد الله الصالح الخليفي وعبد الله المسعري والشيخ البحيري وعبد الرزاق عفيفي وغيرهم من السعوديين والمصريين الذين كانوا يدرسون فيها، ثم تخرج من دار التوحيد بالطائف والتحق بكليـة الشـريعة بمكـة المكرمـة فـدرس فيهـا وتخرج من كلية الشريعة وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشـيخ لمـا قـدم مكـة وأخذ عن الشيخ عبد الله بن حسن رئيس القضاة إذ ذاك وأخذ عن عبـد العزيـز بـن رشيد حينما كان مقيماً في مكة وعن الشيخ أحمد المغربي.

ثم تعين مدرساً في المعهد العلمي بالرياض، ثـم في كليـة الشـريعة ثـم رحـل إلى مصر فالتحق بالمعهد العالي للدراسات العربية العليا وهناك تلقى علم القوانين وهـو معهد يتلقى فيه خريجو الجامعات وخريجو الأزهر فأخذ عن علماء هناك يذكر منهم الدكتور صبري والدكتور محمد حافظ غانم وصبحي الحمصاني وغيرهم كما التحق بالمركز النموذجي لرعاية وتوجيـه المكفـوفين بالكتابـة والقـراءة بـالحروف البـارزة (طريقة إبرايل) ولما عاد من مصر كـان أسـتاذ الفقـه الإسـلامي في كليـة الشـريعة بالرياض في السَّنة الرابعة وتخرج على يديه طلاب كثيرون، وما زال في الكلية وهـو عضو في بعثة إرشاد الحـج في مكـة والمشـاعر المقدسـة وعضـو في اللجنـة الفرعيـة لإعداد المناهج وتحقيق الكتب المدرسية، كما كان عضـواً في مجلـس معهـد القضـاء ويشارك في برامج تلفزيونية ويلقي محاضرات وهو من ضمن الذين يجـاوبون علـى الأسئلة في الإذاعة السعودية، رحمه الله وعفا عنه.

وفيها تم إنجاز طريق الرياض السريع من القصيم متبدئاً من خلف كلية الشريعة واللغة إلى جهة الشرق الجنوبي وكان افتتاحه في شهر شعبان من هذه السـنة ويبلـغ عرضه ثمانية وأربعين متراً وسبعين سـنتمتراً، وكـان ذا اتجـاهين بكـل اتجـاه ثلاثـة مسارات ويفصل المسارين جزيرة في الوسـط عرضـها عشـرين مـتراً، وإلى جوانبـه أسلاك تحميه من دخـول المواشـي والمـارة وعلـى الخـط كوبريـات تقـاطع للمـدن والقرى، وقد كلف على الحكومة بنفقة باهظة تقدر بألف مليون وستمائة مليون.

وفيها في يوم الأربعـاء غـرة ربيـع الأول ثـار بركـان عظـيم في مدينـة (أومـير الكولومبية) فدفنها، وهلك بسببه ثلاثون ألف نسمة.

وفيها في مساء الأحد ٣/١٩ أقيم حفل افتتاح المؤتمر الذي نظم في تاريخ الملك عبد العزيز موحد البلاد التي أسس نهضتها وبنى دعائمها وقد ألقى الملك فهـد بـن عبد العزيز كلمته فيما لوالده من المـآثر الطيبـة وإصـلاحاته في الحـرمين الشـريفين وتـأمين راحـة الحجـاج مـن قـدومهم إلى عـودتهم إلى بلادهـم ومـا قـام بـه مـن الإصلاحات الزراعية والتعليم وغير ذلك.

ثم ألقى وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ كلمة في مناقب الملك عبد العزيز وما قام به في سبيل تركيز العقيدة السلفية والإيمان وترسيخه في القلوب إلى آخرها ثم ألقى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلمة حيا بها جميع الحاضرين وأشاد بذكر الملك عبد العزيز غفر الله له وما قام به من الأعمال الخيرية وتلاه مصطفى عبد القادر فألقى كلمته ثم محمد بن عبد الله عرفة ثم محمد حسين زيدان، وكلهم أفادوا وأجادوا في مآثر الملك عبد العزيز، وتلاه أبناؤه الملوك الكرام سعود وفيصل وخالد وفهد غفر الله لميتهم ووفق أحياءهم وسددهم لسلوك طريقة والدهم والتمسك بالعقيدة السلفية، أما عن الملك عبد العزيز وذكر مآثره فهي كنار على علم بذل جهده في نصرة الدين الحنيف وجاهد في نصرة العرب وفي سبيل العرب.

حادثة

حدث في مدينة بيروت أن عشرة فلاحين خرجوا في تشييع جنازة أحد عائلتهم فتوقفوا يشربون الخمر وعلى الفور سقط كل منهم قتيلاً وظهر أن الخمر التي تناولوها ظهرت مسمومة فلم يعودوا سالمين بل هلكوا جميعاً.

وفي هذه السنة نشرت جريدة الرياض في عددها (٦٤٤٥) ٥ جمادى الآخرة أن الحكومة السعودية تستورد من اليابان مائتين وخمسين ألف سيارة، وهذا يدل على كثرة السيارات في المملكة السعودية بحيث أصبحت السيارات هي مركوبات العالم على العموم وتعطلت حركة الإبل والحمر في طويل الأسفار وقصيرها، وسبحان مطور الأحوال ومبدلها من حال إلى حال.

ولقد كانت مكة منذ أربعين سنة قد عاشوا على ركوب الحمر قد جعلوا فيها أجراساً وجملوا شعرها بالقص والتجميل، فما زالت تلك العادات تضمحل كما أن الحمار الطيب بيع بالإحساء بألف ريال، وفي هذه الآونة لا تجد حماراً يصلح للركوب وتعطلت حركة السير على الأقدام وعادت حالة غير مألوفة.

وما زال الحكماء يوصون بالمشي لما فيها من الرياضة حتى قالوا ثلاث ينبغي للعاقل أن يتعاهدها ولا يتركها ينبغي له أن لا يترك الأكل فإن أمعاءه تضيق وينبغي له أن لا يترك الجماع فإن البئر إذا لم تنزح ذهب ماؤها وينبغي له أن لا يترك المشي فإن احتاج إليه يوماً قدر عليه.

وفاة عالم من العلماء

في هذه السنة بل في جمادى الأولى منها توفي الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش وهذه ترجمته: هو الشيخ القاضي العالم الفقيه قاضي مدينة حائل ورئيس محكمة مكة المكرمة وكان قد نقل من قضاء مدينة حائل وما يليها إلى وظيفة وهي النظر في مشكلات المحاكم الشرعية في مكة المكرمة فشفع بالشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع وذلك في آخر عام (١٣٦١هـ)، وكان رزيناً وذا شخصية بارزة، فكان كهيئة تمييز القضايا هناك، وبعد توليه للرئاسة في محاكم مكة المشرفة ولبثه فيها مدة وزمناً رأيته خلال ذلك عام (١٣٧٢هـ) يؤدي عمله بنشاط، وبعد ذلك أسن وكبر فأحيل على التقاعد، وكان له من الأبناء الشيخ عبد الملك بن عبد الله ولي وظيفة مساعد رئيس المحاكم في مكة ثم نال الرئاسة للمحاكم، ثم أعفي منها وله نشاط في خدمة العلم.

وممن توفي فيها

الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبدان عن عمر يناهز الثامنة والثمانين لأن ولادته عام (١٣١٩هـ) كان من خيرة تلامذة الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وعمر ابن محمد بن سليم ومحسوباً من أفذاذ العلماء في منطقة القصيم علماً وعقلاً وأدباً وأوتي بسطة في العلم والجسم وكان أديباً جميل المنظر وبصيراً في أمور دينه ومن أهل الولاء والبراء الذين يوالون في الله ويعادون فيه ومن زملاء إخواني الأشقاء عبد الرحمن وعبد المحسن تولى الخطابة والوعظ والإرشاد في خصيّبة من

أعمال الأسياح مدة من الزمن ثم رفع إلى القضاء فكان رئيس محكمة الزلفى ثم نقل إلى المجمعة ثم إلى أبها ثم إلى قضاء عنيزة كانت وفاته في ٨/٢٦ .

وفيها صدر مرسوم كويتي بإعفاء الأسر الكويتية المتوفى معيلوها من القروض، وذلك مراعاة لحالة اليتامى والثكلى الذين هلك رب أسرتهم وتركهم بلا عائل.

وفيها في ربيع الآخر سقط في إيران خمسون ألف قتيل من ضرب قنابل العراق بالطائرات والمدافع، وقد انفجر مصنع الذخيرة في طهران الإيرانية فنجم عن ذلك مصرع خمسمائة قتيل إيراني، ولا تزال الانتصارات تتوالى للعراق.

وفي هذه السنين الأخيرة اشتد الأذى على المسلمين في بورما من الحكومة بحيث هدمت الآثار الإسلامية واشتدت حملات البوذيين إلى إجبار مائة وخمسة وعشرين ألفاً من المسلمين على تغيير إسلامهم واعتناق البوذية وأوقفت جميع أوقاف المسلمين وأوقفت المدارس الإسلامية وصودرت مجلات إسلامية.

وأوقفت ومنعت الحكومة من طباعة أي كتاب عن الإسلام وأمرت بإيقاف بناء المساجد وأمرت أن لا يعين المسلمون في الوظائف القيادية واستولت الحكومة هناك على مبنى لإيواء الحجاج قبل سفرهم، وكان ذلك المبنى وقفاً لحبيب مسافر خانة.

ودمرت مساجد المسلمين قبل هذه السنة بثلاث سنين وهدمت منابرهم ومنع المسلمون من الصلاة وشرد أبناء المسلمين في الشمس المحرقة وأجبر خمسمائة ألف إلى النزوح إلى الحدود البنغلاديشية، وأقام أولئك البؤساء في مخيمات سيئة للغاية، وطاردتهم الحكومة البورمية مطاردة عنيفة حيث سلبت دورهم ومساجدهم، وأحرقت منازلهم وصادرت الكتب والمجلات الإسلامية التي يدرسونها ويتعلمون منها دينهم، وقد ساءت أحوال اللاجئين إلى درجة لا تطاق وهؤلاء البوذية كانوا ضد العقائد الدينية ولا يؤمنون بالله ولا بكتبه ولا برسله ولا باليوم الآخر، ملاحدة زناديق، ومذهبهم الذي يميلون إليه من شر المذاهب، وهم من أجهل خلق

الله وأضلهم عن سواء السبيل، وبهذا وأمثاله مما قدمنا تبين غربة الإسلام وأن دين الإسلام يطارد مطاردة في كثير من بلدان العالم.

وفيها في جمادى الأولى افتتح نجل الملك محمد بن فهد بن عبد العزيز أمير المنطقة الشرقية المدينة الصناعية الثانية بالدمام وبدأت هذه المدينة الصناعية مرحلة التشغيل، وكانت تقع على طريق الدمام - أبقيق، وتبعد قرابة خمسة وثلاثين كيلو متراً عن مدينة الدمام ومساحتها الإجمالية بلغة أربعة وعشرين مليون متر مربع، وكانت على وضع بديع وذكرت إحدى الجرائد السعودية أن عدد المصانع المنتجة في السعودية سبعة وأربعين مصنعاً بعضها تحت الإنشاء، ويقول وزير الصناعة أن المملكة أنشأت قاعدة صناعية ستكون إحدى دعائم اقتصادنا الوطني.

وفيها وقع وزير الشئون البلدية والقروية الأستاذ إبراهيم القنقري مع عدد من المؤسسات عقوداً بقيمة ٢٨ مليون لإصلاح أضرار السيول بمدينة حائل وبتنفيذ مشاريع أخرى فيها.

وفيها في ذي القعدة وفاة الأمير سعود بن عبد الله الشويعر كان أخاً لأمير عسير حمد الشويعر الذي كان له مواقف في الحرب اليمنية بين الملك عبد العزيز وبين إمام اليمن يحيى عام (١٣٥٢هـ)، وقد أسند إلى سعود هذا إمارة صامطة فترة من الزمن، وكان لسعود هذا مواقف شجاعة مع أخيه حمد.

وبعد وفاة أخيه عام (١٣٥٤هـ) انتقل إلى الرياض ثم إلى حائل، وفي عام (١٣٦٠هـ) تم تعيينه أميراً لمنطقة الجبيل، واستمر في ذلك حتى عام (١٣٨٩هـ) حيث صدر الأمر بتعيينه أميراً في الخبر حتى عام (١٣٩٨هـ) حيث طلب للتقاعد، وقد حظي بتقدير ملوك آل سعود وهم سعود وفيصل وخالد رحمهم الله كما حظي لدى الملك فهد حينما كان وزيراً للداخلية ولدى سمو الأمير سعود بن جلوي رحمه الله ولدى الأمير عبد المحسن بن جلوي وقد عاد إلى مسقط رأسه بلدة حائل، ويصفونه بمساعدة المحتاجين والعطف على الفقراء ووافاه الأجل في يوم الخميس ١٨/١١/١٤٠٦هـ.

ومن الغرائب أن مرضه كان جلطة لم يلبث إلا قليلاً في مرضه وقبله بأسبوع كان ابن عمه قد مات بهذا المرض، وهو عبد الله الحمود الشويعر وكان عمر المترجم قد تجاوز السبعين رحمهما الله تعالى، قال الله جل ذكره: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾(١) فدلّ على أن البقاء لله وحده وبنو آدم وما سواهم فهم عرضة للأمراض والمصائب وما أحسن ما قيل في الموضوع:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره   تنوعت الأسباب والموت واحد

وفي هذه المناسبة نذكر شيئاً عن تاريخ المذنب وتاريخ حرمه فنقول عن بلد المذنب فيما مضى أنهم كانوا يجلبون الماء العذب كغيرهم من بلدان القصيم، فكان أهل المذنب يشربون من البئر الوحيدة في المذنب المسماه القفيفة، وتبعد عن البلد ثمانية كيلومترات في القرب على الحمير، بحيث يحمل الحمار قربتين، وأحياناً ثلاثاً إذا كان الحمار قوياً، ويحتفظون بهذا الماء للشرب وطهي الطعام وإعداد القهوة والشاي، أما الوضوء وتغسيل الأواني فله ماء خاص بمعنى أنه يوجد في كل بيت بئر يسمى بالحسو وكان هناك أناس يبيعون الماء العذب محمولاً على الجمال أو على الحمر، وكان الجمل يحمل ما بين ست إلى ثمان قِرب، وكان الجمل يوزع على عدة بيوت، أما الماء غير العذب فموجود ومتوفر في الفلايح والبيوت وقد أخذنا ذلك بالمعنى من إفادة وكيل إمارة حائل مقبل بن محمد بن صالح المقبل لضيف الجزيرة.

ثم تنقل إلى طعام العشاء الذي يعد بعد صلاة العصر فقد ذكر الوكيل أنه سمع امرأة من جيرانهم أتت قبل صلاة العصر لزيارة والدته بأنها كانت تقول إنني سأعود لمنزلي لأن عشاءنا لا زال والله في سنابله، فتذهب قبل صلاة العصر تخرجه من السنابل لتدقه في مدقة خاصة بذلك، ثم تقوم بتنقيته من الشوائب ثم تطحنه

(١) سورة آل عمران، آية ١٨٥.

وتنخله وتعجنه وتصنع منه ما مطازيز أو مرقوق أو قرصان وهذه هي الأكلات التي كانت معروفة في السابق، ومنها الجريش.

ثم ذكر ضيف الجزيرة أن أول من عثر على الماء العذب في مدينة المذنب رجل يدعى علي بن عبد الله السويداني قد أمضى مدة طويلة خارج المملكة ولديه ثروة وضحى بجزء من ماله للبحث عن الماء العذب، ووفقه الله إلى ذلك وقد بدأ الماء يتدفق من البئر بدون ضخ الماء عام (١٣٧٧هـ) وبعد عام مدد الماء في البلدة وفي الحارات المحيطة بها.

وقال أذكر أنني عندما عدتُ مع والدي رحمه الله من مكة المكرمة بعد صيام رمضان كان ذلك عام (١٣٧٨هـ) وفتحت الصنبور من خزان صغير وضع في حي من أحياء المذنب بكيت فرحاً وأنا بين مصدق ومكذب لما أرى وحمدتُ الله على هذه النعم، ثم ذكر الحالة الحسنة في هذه السنة يعني (١٤٠٦هـ) أن أكثر من بئر عليها مضخات تعمل ليلاً ونهاراً ويوجد في المذنب ثلاثة خزانات رئيسة تغذي المدينة وضواحيها ومخططاتها بالماء المعقم العذب، وقد تضافرت جهود وزارة الزراعة ووزارة الشئون البلدية والقروية حتى نعم الجميع بفضل الله ثم بفضل ما تقدمه حكومتنا الرشيدة لهذه المدينة وغيرها من مدن المملكة بالكهرباء والهاتف، ووصلت الطرق كل حي وكل قرية في هذه المدينة وأصبح الماضي مجرد ذكريات بحلوها ومرّها.

أما عن بلدة حرمة الكائنة في منطقة سدير على جانبي وادي المشقر والكلب على بعد (١٩٥) كيلو متر في شمال غرب الرياض ويقول عنها أميرها الحالي في هذه السنة أنها وضعت أول لبنة في مخطط (٢١٦) في أواخر عام (١٣٩٨هـ) وذكر أنه يرجع تاريخ عمران حرمة إلى سنة (٧٧٠هـ)، وذلك عندما انتقل إليها إبراهيم بن حسين بن مريح الوائلي كما ذكر ذلك المؤرخ النسابة حمد بن العبون في تاريخه وكان إبراهيم مع أبيه أمير بلدة التويم فارتحل عنه إلى موضع بلدة حرمة الحالي التي

كانت قبل ذلك مياهاً وآثار منازل قد تعطلت من منازل بني سعيد، ونزلها إبراهيم بن حسن وعمرها وغرسها ونزل عليه كثير من قرابته وأتباعه وقد تزال الجبال الواقعة بالقرب من البلدة، وقد حظيت في السنين الأخيرة كغيرها من مدن المملكة السعودية من تقدم الزراعة والخضراوات وتشهد إقبالاً من المواطنين كما أنها تحتوي على مدارس وحدائق وبلدية وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفيها مركز بريد والنادي الفيصلي ومن أشهر منتوجاتها التمور، كما أنه تم سفلتة بعض طرقها وهنا دراسة مشروع لتصريف مياه السيول والمجاري ومشاريع أخرى، وتم إيصال الخدمة الهاتفية في المخطط الجديد رقم (٢١٦) وسيتم إيصال الخدمة الهاتفية إلى باقي المخططات هذا بالإضافة إلى مشاريع الكهرباء حيث قامت شركة كهرباء المجمعة بإيصال التيار الكهربائي إلى جميع المخططات فيها.

وفي تلك الآونة وفاة صاحب السمو الملكي أمير المدينة المنورة عبد المحسن بن عبد العزيز رحمه الله وعفا عنه، وقد قدمنا نقل عبد المجيد إلى المدينة لأنه لم ينقل إليها إلا بعد وفاته.

وبعث الملك فهد بن عبد العزيز برقية تهنئة إلى رئيس جمهورية باكستان الإسلامية الجنرال محمد ضياء الحق بمناسبة ذكرى يوم الباكستان وقد عبر جلالته في برقيته باسمه وباسم شعب وحكومة المملكة العربية السعودية عن أحر التهاني وأصدق المشاعر الأخوية متمنياً له الصحة والسعادة والهناء ولشعب الباكستان.

وفي هذا اليوم يقوم رجال المقاومة اللبنانية بتدمير آليتين للعدو ويقصفون مستعمرة صهيونية بالصواريخ وصدر بيان في بيروت من اليوم الذي قبله أن رجال المقاومة تمكنوا خلال الهجوم من إيقاع عدد كثير في إصابات في صفوف العدو فكانوا ما بين قتيل وجريح ولكنها قامت طائرات الهليوكبتر العسكرية الصهيونية بالاشتراك على الفور في المعركة وهكذا استمرت المجازر في لبنان وبيروت بحالة مؤسفة.

وفيها صدر أمر ملكي بتعيين الأمير ممدوح بن عبد العزيز أميراً لمنطقة تبوك بمرتبة وزير، وذلك بتاريخ ١٨/ ٥/ ١٤٠٦هـ رقم.

وفيها في يوم الأربعاء ٣ جمادى الثانية قام الأسطول السادس الأمريكي ببدء مناورات بحرية وجوية أمام السواحل الليبية وقد ابتدأت المناورات ليلة الثلاثاء وتنتهي يوم السبت ٦ جمادى الثانية، وكانت ليبيا تنظر إلى خليج سوت على أنه جزء من المياه الإقليمية الليبية وقد أعلنت ليبيا استيائها من الإسراف الأمريكي لاستخدام الفيتو وقد استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ضد قرار مجلس الأمن لإدانة إسرائيل ولما أن جرى ذلك انضمت جامعة الدول العربية إلى مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية والكويت في تحذير الولايات المتحدة وإسرائيل وأعربت الأمانة العامة عن أسفها الشديد للتهديدات باستخدام القوة ضد ليبيا وقالت الجامعة في بيان صدر بالأمس في تونس أن الاتهامات الإسرائيلية والأمريكية بأن ليبيا وراء الهجومين من شأنهما تصعيد التوتر في الشرق الأوسط ومنطقة البحر المتوسط وقال البيان مكرراً إدانة الجامعة العربية للهجومين اللذين راح ضحيتهما ١٩ شخصاً أن الجامعة تقف بقوة إلى جانب أي دولة عربية يهددها عدوان، ولكنه من جهة أخرى نفى الرئيس الأمريكي أن يكون هناك حشد عسكري في البحر الأبيض المتوسط على الرغم من الأنباء التي ذكرت مؤخراً أن الولايات المتحدة تعد لعمل عسكري ضد ليبيا، وقال أن التحركات الحالية للقوات الأمريكية في منطقة البحر المتوسط هي مناورة عادية هذا جوابه ولكن حاملة الطائرات الأمريكية (كورالي شي) قد غادرت ميناء نابولي الإيطالي للانضمام لقطع عسكرية أمريكية في حوض البحر المتوسط وسط أنباء ترددت عن احتمال أن يصدر الرئيس ريجان قريباً أمراً للقيام بعملية عسكرية ضد ليبيا انتقاماً للهجومين على مطار فيينا وروما.

وممن توفي فيها من الأعيان الأديب البريطاني (روبرت واخ) توفي في جزيرة

بالمالدي مابوركا الإسبانية عن عمر يناهز التسعين عاماً نتيجة مرض كان يعاني منه في السنوات الأخيرة وذكروا أن له أكثر من مائة وأربعين ديوان شعر والعديد من الروايات والبحوث الأدبية، وكانوا يبالغون في أدبه.

وممن توفي فيها محمد سعيد كركدان مدير عام الشئون الحكومية بالخطوط السعودية وكانت وفاته إثر حادث مؤلم قضى عليه.

مرض الإيدز

في هذه السنين القريبة الأخيرة فشا مرض مخوف يسمى مرض الإيدز ولما أن تفشى في أمريكا انتقل بالعدوى إلى روسيا، وفي يوم الجمعة ٤ جماى الآخرة من هذه السنة اكتشف الأطباء في شمال حكومة ناميبيا أول إصابة في البلاد.

وفيها أيضاً تم استلام مشروع التوسعة الثالث لكهرباء منطقة تبوك بتكاليف ٣٧٨ مليوناً وذلك لتدعيم تغذية مدينة تبوك بالطاقة الكهربائية.

وكان يجري العمل حالياً في إنشاء المنطقة الصناعية بمكة المكرمة بتكلفة إجمالية قدرها ٦٦ مليوناً وثمانمائة وواحد وخمسين ألفاً وسبعمائة وتسعة ريالات، وهنا مشاريع بلغت تكاليفها (٣٧٨,٨٦٨,٦٤٤).

وفيها تعيين الأمير فهد بن سلمان بن عبد العزيز نائباً لأمير المنطقة الشرقية فباشر عمله بجد ونشاط مع ابن الملك محمد بن فهد نسأل الله لهما التوفيق.

وفيها أنشأ جماعتان لتحفيظ القرآن في الوشم والدوادمي وارتفع نشاط جماعات تحفيظ القرآن وذلك بالدعم المالي من إعانات الدولة والإسهام في ذلك وتشجيع المحسنين على التبرع في هذا السبيل.

وقد ترأس مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الشيخ عبد الله بن عبد المحسن بن تركي اجتماع مجلس الإدارة ومتابعة أعمالها وإمدادها بالخطط والمناهج والقوى العاملة بحيث بلغ عدد جماعات تحفيظ القرآن في هذه السنة بالمملكة السعودية خمس عشرة جماعة يدرس بها أكثر من ٣٧ ألف طالب.

تعزية ببرقية بوفاة عالم مدرس في قسم الفقه بالجامعة، وهذا نصها جاءت من الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ لمدير الجامعة عبد الله بن تركي (معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

تأثرت غاية التأثر لنبأ وفاة الأخ الشيخ صالح العلي الناصر رئيس قسم الفقه بالجامعة تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته ورفع درجاته عنده وجزاه خير ما يجزي به العلماء العاملين: آمل قبول أحر تعازي وصدق مواساتي وإبلاغها لكافة أفراد الأسرة التعليمية بالجامعة: لقد كان الفقيد الغالي من خيرة الرجال والعلماء الذين أسهموا بجهدهم وعلمهم وفكرهم في بناء الأجيال ولقد قدم للجامعة وطلابها في مجال من أهم المجالات العلمية الكثير من الخدمات الجلى التي يجب أن تذكر فتشكر وأن تحفظ له في سجل خدماته العلمي الحافل حيث يعتبر من اللبنات الأساسية التي شهدت ولادة كلية الشريعة بالجامعة، واستمر بعطائه الجيد المتميز حتى وافاه الأجل المحتوم، أسأل الله أن يلهم الجميع جميل الصبر وحُسن العزاء، وأن يجمع الجميع في مستقر رحمته مع خالص تحياته وتقديري.

ومن الصدف الغريبة أنه توفي الشيخ حسن بن عبد الله في السنة التي بعد هذه وهلك المعزي والمعزى جميعاً بعد سنة وأشهر قليلة فسبحان الباقي الحي الذي لا يموت، وسيأتي ذكر وفاته وما أحسن ما عزى به الشافعي أحد أحبابه لما فجع بهلاك ابنه:

إني معزيك لا أني على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزى بباقٍ بعد ميته ... ولا المعزي ولو عاشا إلى حين

وفيها في ٢٠ جمادى الآخرة أذاعت إحدى الجرائد أن تسعمائة ألف سوداني يتعرضون للمجاعة وأن أمداداً غذائية تنتظر السماح لها بالدخول على بلاد السودان هذا بالإضافة إلى الجفاف فيها وغزو الجراد هناك الذي لا يبقي ولا يذر، وقد ابتلى الله عز وجل حكومة السودان بالانشقاق والخلافات فيما بينهم

وانتشرت الفوضاء وتتابعت عليهم الأزمات عياذاً بالله من تقلبات الزمان والمحن والأحزان.

وفيها انتصر المجاهدون الأفغانيون وتقدموا وصمدوا للروس ولسان حالهم يقول:

سنقاوم الروس ومن شايعهم ... بين السهول وفي الجبال فلا نلين
متمسكين بقوة الله التي ... من حازها في عدة لا يستكين
لا يرضى سياف وكل المسلمينا ... إلا بخزي وانسحاب المعتدين
سيزلزلون الأرض تحت الروس وال ... عملاء المتجبرين الظالمين

وكانوا قد استولوا على معسكر شيوعي وقتلوا سبعمائة من قواته وغنموا أسلحته ولديهم أسلحة ومدافع صاروخية ضعضعت قوات كابل وأحرقت ما أمامها والله مع الصابرين وجعلت روسيا تفكر في الانسحاب من أفغانستان، وفي كلام الحكمة من عرف الحق عز عليه أن يكون مهضوماً، أولئك الأفغانيون الأشداء الأقوياء المعروفون بالتمسك بالدين الإسلامي المعتصمون بالله ثم بالجبال، ولم يعرفوا الخضوع للأجانب ولم يعتادوا عليه.

وفيها ظهر نجم مذنب في ليالي شهر رجب من ليلة الاثنين سابع رجب إلى ٨/٧ شعبان ولكنه ضعيف بالنسبة إلى السنين الماضية وتسميه العامة أبو عسيب لأنه يشابه عسيب النخلة، وقد ظهر في عام (١٣٦٧هـ) برؤية ظاهرة جداً وخاف عامة الناس أنه لا يخرج إلا لوقوع حروب وزعازع، ولكن هذا خطأ صريح فما كان عند النجوم خير وإنما النفع والضر بيد خالقها وقد طمأن الناس في السنة الماضية فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد.

وفيها في ٦/١٥ عظم اهتمام الملك فهد بن عبد العزيز ملك السعودية بالمدينة المنورة ليجعلها عروس المدن الإسلامية ولتكون بلداً حضارياً يسر كل سعودي ومسلم في العالم، وكان يقيم فيها أياماً لتتبع مشاريعها وأمر بتوسعة المسجد النبوي

إضافة إلى سعته الأولى من الجهة الشمالية والغربية وقامت المعدات تواصل الليل مع النهار في هد البيوت والدكاكين الكائنة في تلك الجهتين بحيث قامت المعدات بحفر أساس القواعد لإقامة الأعمدة والاسطوانات بحيث كان لها رعود شديدة.

وقام أمير المدينة عبد المجيد بن عبد العزيز يلقي خطاباً قال فيه إنني أطلب منكم بعد الله فرداً فرداً أن تعينوني على أداء واجباتي والقيام بمسئولياتي التي هي أمانة في عنقي يسألني الله عنها يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ثم يسألني عنها في هذه الحياة الدنيا إمام المسلمين وخادم الحرمين الشريفين إلى آخر كلامه وعلقت جريدة المدينة تقول: وكيف لا تكون المدينة عروس المدن الإسلامية وقد اختارها الله لتكون مهاجر سيدنا محمد ﷺ وكيف لا تكون عروس المدن الإسلامية وقد أمضى رسول الله ﷺ سني جهاده وكفاحه مع أصحابه المهاجرين والأنصار فيها لنصرة دين الله وتبليغ رسالته المثلى وعاش بها، وكيف لا تكون عروس المدن الإسلامية وقد نصرت رسول الله وآوته وضحت في سبيل نصرة دينه وعاش وأصحابه الغر الميامين بين جبالها وأوديتها وشربوا ماءها وأكلوا ثمارها وكيف لا تكون عروس المدن الإسلامية وهي مهبط الوحي الذي أتى به من عند الله للبشر أجمعين، ضحت بالمال والنفس والولد وبكل ما تملك وأطالت الجريدة بتمجيد المدينة وما لها من المكانة العالية التي اختصها الله بها نعم كان لها فضل عظيم.

وقد اختلف العلماء في مكة والمدينة أيهما أفضل وقد عبر الملك فهد بن عبد العزيز عن حبه للمدينة بأنه لولا أن آباءه وأجداده جعلوا الرياض هي العاصمة لجلس فيها دائماً.

أما عن الرياض فقد قام أمين مدينة الرياض عبد الله بن نعيم بخدمتها وتطريزها وتشييدها وفتح الطرق وإقامة الجسور فيها لازدحام الشوارع وكثرة حركة السيارات بصفة عامة وغرس الأشجار وإقامة حدائق ومنتزهات فيها وما إلى

ذلك، ولقد نصب للاحتفال بمرور نصف قرن على بلديتها أكثر من خمسة ملايين شمعة كهربائية تضيء سماء الرياض وكان ذلك في ليلة ١٤ من شهر رجب من هذه السنة بحيث أقيم الاحتفال يوم الاثنين المذكور برئاسة نائب أمير الرياض سطام بن عبد العزيز.

وقوع حادث مؤسف

وذلك أنه لما رجع مدرسات بعد الدوام أصبن بحادث مرور في طريق الرس، مما أدى إلى وفاة البعض وإصابة البعض، وذلك في آخر جمادى الأولى من هذه السنة وقد حزنت الأمة ونشرت التعازي في الجرائد لأهليهن، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها وفاة أمير العيينة والجبيلة علي بن محمد بن سلطان وذلك في ٦/٩ نسأل الله أن يغفر لأموات المسلمين.

حادثة في بنغلاديش

وذلك أنه في يوم الحادي عشر من شهر رجب من هذه السنة هاجمت فرقة من الأفيال عددها اثنا عشر فيلاً قرية فيها فقتلت عائلة عددها خمسة أشخاص من بينهم ثلاثة أطفال بعد أن داستهم بأرجلها ودمرت عدة مزارع وأكواخ ومحاصيل، وحصل فيها إفساد هناك.

مستشفى القصيم التخصصي

الأمل الذي تحقق وجعلت الأمة تقصده وتتردد إليه لما فيه من العناية والخدمة، ويعتبر أعظم مستشفى ظهر في القصيم، وكان يتسع لخمسمائة سرير وأربعة وسبعين سريراً وتكلفته خمسمائة مليون وتسعة وعشرون مليوناً فيه سبع غرف عمليات وثمان غرف أشعة ومختبر وبنك للدم يمكنه تحليل (٣٠٠٠) عينة يومياً والمطبخ مستعد لتقديم (٣٠٠٠) وجبة يومياً ومبنى للعيادات الخارجية يتسع لأربعين سريراً ومجمع سكني فيه ستمائة وإحدى وعشرون وحدة سكنية ومركز خدمات.

وأطالت إحدى الجرائد في تفخيمه وكان موقعه في مدينة بريدة بالصفراء وفيه عناية وخدمة لقاصديه وتطريزه عجيب وقد انتهى العمل منه في هذه السنة.

كما أنه تأسس مستشفى في مدينة عنيزة الكائنة بالقصيم وهذا المستشفى كبير بالنسبة إلى ما قبله تقدر تكاليفه الإجمالية بـ(٢٩٦) مليوناً يقع على أرض مستوية مساحتها مائة وأربعون ألف متر مربع وفيه مسجد يتسع لمائتي مصلٍ وقد امتد العمل فيه هذه السنة.

وفيها في ٢٨ رجب انتهى العمل من مستشفى البكيرية والمذنب وبدأ التشغيل وقد أقيم لذلك احتفالات دعي إليها الأكابر وعلى رأسهم أمير منطقة القصيم سعة كل واحد منهما مائة سرير بتكلفة (٣٠٠) مليون ريال وكانت الأمة قد سعت في جلب مستوصفات أهلية في مدينة بريدة كمستوصف الحميد ومستوصف العضيب وغيرها وقد افتتح أمير منطقة القصيم سمو الأمير عبد الإله بن عبد العزيز المعرض الصحي بصالات ميدان الملك خالد للاحتفالات ببريدة، وكان ذلك الميدان أرضاً واسعة طلبه أهالي مدينة بريدة من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ليكون متسعاً وميداناً للاحتفالات فمنحهم إياه، وقد بنته الحكومة بناية فخمة يتكون من عدة أجنحة ويشترك فيه أكثر من (١١٨) هيئة حكومية، وكان عظيم المكانة حسن الوضع وله مكانة وموقعه قابل وله فضل في استقبال الضيوف وفي الاحتفالات الفخمة.

وفيها في ١٩ شعبان ولدت عنز في مدينة الطائف مولوداً برأسين وثلاث أرجل والله على كل شيء قدير.

وفيها في ١٠ جمادى الآخرة افتتاح مكتبة الحرم المكي الشريف، وقد بلغت تكاليفها أربعين مليوناً، وقد ألقى سمو الأمير سعود بن عبد المحسن نائب أمير مكة المكرمة وتلك المنطقة كلمة بالنيابة عن جلالة الملك فهد بن عبد العزيز تضرع فيها إلى الله عز وجل أن ينفع بهذه المكتبة طلاب العلم والمعرفة من أبناء هذه البلاد

وأبناء كافة أقطار المسلمين، وقد أهدى الأمير سعود بن عبد المحسن نائب أمير منطقة مكة المكرمة مكتبة والده أمير المدينة المنورة عبد المحسن بن عبد العزيز لمكتبة الحرم المكي وأعرب نائب الرئيس العام لشئون الحرمين الشيخ عبد الله بن سليمان العبيد عن شكره وتقديره لذلك، وكانت مكتبة الحرم المكي تمتاز بكثرة كتبها القديمة والحديثة.

وقد زرتها مرات في بنايتها القديمة قبل الهد لتوسعة الحرم، وزرتها مرات حينما كانت في قصر الوزير عبد الله بن سليمان بن حمدان مؤقتاً وزرتها حينما كانت إلى جانب الحرم من الجهة الجنوبية، فرأيت فيها مصاحف أثرية منها مصحف قد جعل الجزء كاملاً في ورقة ونصف الجزء في صفحة واحدة ورأيت فيها مصحفاً كبير الحجم جداً مكتوباً بجلود وهو ضخم جداً لذلك.

ولعلها لما وضعت في سكن ممتاز وألقت عصا التسيار يكون لها شأن كبير وبما أن المكاتب قد توفرت في هذه البلاد والحمد لله وجلبت إليها الكتب كمكاتب المعاهد والكليات وأصبحت في مناظر زاهرة وعمائر ممتازة تفوق كتبها العد والإحصاء لتوفر الطباعة وتسهيل نيلها فإن لمكتبة الحرم المكي أوفر حظ ونصيب ورأيت فيها أناساً يجلدون الكتب تجليداً ممتازاً على الطريقة المثلى.

وفي هذه السنة تم مشروع تظليل جميع طرق المشاة لتغطيتها حماية لحجاج بيت الله من شدة حرارة الشمس، وقد بلغ ما يزيد على خمسين كيلو متر من الطرق المظللة.

وفيها في ٢٩ جمادى الأولى أمرت الحكومة بصرف خمسمائة مليون وثمانين مليوناً من الريالات لمشروع تصريف مياه المجاري والمستشفيات لأربعين قرية بالإحساء.

وفيها أيضاً أمرت الحكومة في ٧ جمادى الآخرة بطريق دائري حول الحرم المكي الشريف كلف (١٤٥٩) مليون لنزع الملكيات و(١٥٨) مليوناً للتنفيذ فكانت مساحة الأراضي المنزوعة (٢٨٣,٤٧٣) متراً مربعاً وذلك بنزع مليكة السوق الصغير وتوسعة شارع إبراهيم بالمسفلة وتوسعة شارع المروة وغيرها.

وفيها في ٦ شعبان ١٥ إبريل (١٩٨٦م) انتهى المنقبون من إنشاء (٨) متاحف واكتشافات أثرية عثر عليها في المملكة السعودية منها قصر كامل عمره الزمني يزيد على (٢٥٠٠) سنة في مدينة تيماء المشهورة وتشير الأدلة إلى أن جزءاً كبيراً منه قد استخدم كمعبد وثني في الزمن الجاهلي كما اكتشف في منطقة الجوف المعروف قديماً بدومة الجندل على منشآت وتحف أثرية تدل على مكانتها قديماً، وذكر أنه يعود زمن ازدهارها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام مضت واكتشف على تلال ركامية في منطقة جنوب مدينة الظهران في الخليج خاصة بالبحرين حيث يعود زمنها إلى خمسة آلاف سنة تقريباً كما اكتشف على منطقة سكنية في الحجر بلاد ثمود التي تختفي فيها المقابر النبطية المشهورة.

وفيها في يوم الاثنين ٢٢ جمادى الآخرة وصل إلى مطار العقيق بالباحة ربيع صادق دحلان فالتقى بمعالي أمير منطقة الباحة إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم، وتم مناقشة تطوير الاتصالات بالباحة بحيث بلغ عدد الهواتف فيها حتى نهاية شهر ربيع الثاني ثمانية آلاف وخمسمائة وستة وستين خطاً (٨٥٦٦) تخدم أكثر من (١٢٠) قرية وكان الأمير إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم معظماً هناك.

وفي رحلتي المتقدمة قبل هذه السنة لم يشأ الله أن أجده لغيبته في خارج المملكة للعلاج من مرض الفهاق الذي أصابه ولكننا وجدنا الوكيل إبراهيم بن محمد الزيد، وكان أديباً وذا أخلاق بارزة وسيأتي بقية ذكر للأمير في سنة وفاته.

أما عن طقس مدينة الباحة فشديد البرودة في حر الصيف فقد لا يستطيع الإنسان النوم تحت السماء في الليل أيام شدة حر الصيف لذلك كانت الأمة يتخذونها مصيفاً ولا تزال الأمطار تهطل عليها في فصل الصيف والقيظ.

حادثة غريبة

قدم عليّ أعرابيان من قبيلة حرب قد علاهما المشيب فتكلم أحدهما قائلاً فقد ابني وهذا عمه منذ اثنتي عشرة سنة كان مراهقاً يرعى الغنم فسعينا في طلبه بكل

طريقة ثم أتينا بصاحب القافة المري فوجد أثره قد وقف على رأس كثيب من الرمل وانقطع أثره، فلما كان في هذه السنة بعد مضي اثنتي عشرة سنة كان يأتي ويتبدى للصبيان يكلمهم ويكلمونه، فكنا نذهب ونسمع كلامه ولا نراه فطلبنا منه أن يأتي إلينا، قال فكان يجلس خلف بيت الشعر ويكلمنا ولا نراه ويمد يده لتناول كوب الشاي فسألناه عن حالته فأخبرنا أنه في هذه المدة قد تزوج من الجن بامرأة اسمها شمعة فاقترحنا أن نمسك بذراعه ونجره إلينا فلما جاء ذات يوم فعلنا ما عقدنا عزمنا عليه فجاءتنا حجارة رمينا بها وكادت أن تمزق البيت لولا أن تركناه وكانوا في حيرة من أمره.

ثم دخلت سنة (١٤٠٧هـ)

في هذه السنة هطلت أمطار غزيرة في ٣/ ٧ على القصيم واستمر هطول الأمطار من ليلة الثلاثاء ٣/ ٧ إلى تمام ست وثلاثين ساعة من دون رعود ولا بروق بحيث تعطلت المسيرة في طرق مدينة بريدة وانسدت الشوارع من المياه وسقطت بيوت وجرى وادي الرمة شيئاً عظيماً.

واشتد البرد في روسيا من ١٣ جمادى الأولى الموافق ليوم الثلاثاء بحيث بلغت درجة الحرارة ستين تحت الصفر في روسيا، وهذا شيء نادر الوقوع وهلك أناس فيها وارتفع الثلج فوق سطح الأرض هناك تسعة أمتار وأصيبت أوروبا كذلك ببرد شديد، أما عن نجد ولا سيما القصيم فالجو معتدل البرودة.

وفيها في ٥/ ١٠ قتل رئيس الوزارة اللبنانية رشيد كرامي بأن جعل في مقعده بالطائرة قنبلة قتلته وقد أسف لذلك الحادث ملوك العرب ورؤساؤها.

وفاة وزير التعليم العالي

ففي آخر يوم السبت ١٧/ ٥ من هذه السنة وفاة الشيخ حسن بن عبد الله بن حسن رحمه الله وهذه ترجمته: هو الشيخ حسن بن عبد الله، الشيخ الفاضل رئيس

القضاة في المملكة العربية السعودية بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن شيخ الإسلام وعلم الأعلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله أجمعين، ولد بالمدينة المنورة سنة (١٣٥٢هـ) وتلقى دراسته الابتدائية بمكة المكرمة حيث وجود والده فيها، ثم التحق بكلية الشريعة بمكة المكرمة وتخرج منها عام (١٣٧٣هـ) وتلقى العلم عن والده الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ولازمه وأخذ عنه فتعين عضواً في رئاسة القضاء بالمنطقة الغربية ثم أن الملك فيصل اختاره لأن يكون وزير المعارف في سنة (١٣٨١هـ) فلبث في هذه الوظيفة أربعة عشر عاماً.

ثم جعله الملك خالد وزيراً للتعليم العالي، فلبث في هذا المنصب حتى توفاه الله تعالى، وكان إضافة إلى عمله هو المشرف العام على المجلة العربية ورئيس الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ورئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز ونائب الرئيس الأعلى للجامعات.

قالت المجلة العربية كان في يوم السبت ١٧/ ٥/ ١٤٠٧هـ الذي انتقل فيه إلى رحمة ربه أكثر ما يكون صحة ونشاطاً وقوة وعملاً، فقد استمر مداوماً في مكتبه حتى الساعة الثالثة بعد الظهر وبعد أن أدى صلاة العصر تناول غداءً خفيفاً ثم كان بجانبه حقيبتان ممتلئتان معاملات وأوراقاً خاصة وبدأ ينظر ويوقع على ما تحمله الحقيبة الأولى وعندما انتهى منها حل موعد صلاة المغرب فقام وتوضأ ثم أدى الصلاة مع الجماعة وبعد أن انتهى من الصلاة جلس يدعو ربه ثم طلب كأساً من الماء ولما هم بشربه إذا هو يسقط من يده مسلماً روحه إلى بارئها.

ثم أقيمت عليه الصلاة في الجامع الكبير بالرياض وأمَّ المصلين سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وصلى عليه جمع كثير يتقدمهم سلطان بن عبد العزيز وعدد كثير من أصحاب السمو الأمراء وأصحاب الفضيلة العلماء والوزراء وجم غفير من المواطنين وجعل الناس في المسجد يعزي بعضهم بعضاً وبالغ بعض محبيه بقولهم وداعاً يا أغلى الرجال، ومنهم من يقول إنه لمصاب جلل ووفاته خسارة للعلم والفكر وبعضهم يقول فقدنا مثال النزاهة والإخلاص.

ومن الغرائب أن رجلاً من أئمة جوامع الإحساء وهو محمد بن عبد الله المبارك بعث إلى المترجم يخبره برؤيا رآها حسنة قال إني كنت بعد صلاة الفجر نائماً يوم الجمعة ١٨ ربيع الثاني (١٤٠٧هـ) فرأيتك تخطب واقفاً مرتدياً جبة من الصوف شتوية وبيدك ورقة بيضاء تشدها بيديك وموضوع الخطبة توجيه ديني ضمنتها آيات من القرآن الحكيم وحديثاً طويلاً كنت وأنا نايم أحاول حفظه حيث لم يطرق مسمعي من قبل ثم أنك جلست وأنت على مسند وكان إلى يساري شخص لا أعرفه وقال لي بالحرف الواحد وهو يشير إليك هذا الرجل يحبه الله ورسوله ثم قال معالي الوالد أن الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى من المبشرات حيث يقول ﷺ: «ذهبت النبوة فلا نبوة بعدي إلا المبشرات الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له» حديث صحيح رواه الطبراني وأنت بحول الله أهل لكل خير إلى آخره.

وهذه الرؤيا قبل وفاة المترجم بأيام قليلة فرد عليه بقوله فضيلة الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل مبارك سلمه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: تلقيت بالتقدير رسالتكم الأخوية الكريمة التي تضمنت بشارتكم بالرؤيا التي رأيتموها ولقد سررت لما ذكرتم وتوجهت إلى الله أن يجزيكم الجزاء على إدخال السرور على قلبي وأرجو الله أن يتجاوز عنا ويجعلنا جميعاً من أوليائه وأن يثيبكم على ما أدخلتم من السرور إلى قلب أخ يحبكم في الله حفظكم الله وأدام لكم التوفيق، أخوكم المحب لكم في الله حسن بن عبد الله آل الشيخ.

ومن الغرائب أنه لم يلبث بعد هذه الرؤيا سوى شهر حتى توفاه الله وكان في وقت وفاته لم يكن أحد من أبنائه حاضراً فما أن علموا حتى قدم الأكبر هشام من فرنسا وعبد الرحمن من لندن وعبد الله من أمريكا وأسامة من المنطقة الشرقية لأنهم كانوا خمسة محمد خامسهم وقد استقبلهم إمام المسلمين فهد بن عبد العزيز وعزاهم بوالدهم وقال لهم إنكم لستم أنتم الذين فقدتموه بل أنا أيضاً فقدته وواساهم بقوله اعتبروا أن أباكم لم يغب فأنا والدكم.

أما عن صلتي بالمترجم فإني رأيته يدرس في كلية الشريعة بمكة عام (١٣٧٢هـ) حينما كنت جالساً في مكة المكرمة حسب طلب من الحكومة لي بأن أذهب إلى قضاء تيماء وأهدي إلي الرحلة الملكية التي رواها يوسف ياسين وطلب مني بصفتي مؤرخاً أن أنظر فيها فبعثت إليه ببعض الملاحظات ومنها ما أثبت فيها من أن الأمير مشاري بن سعود بن جلوي أمير بريدة توفي عام (١٣٤٦هـ) فأشرت إلى أن مجيئه لإمارة بريدة في هذه السنة أما وفاته ففي عام (١٣٤٨هـ) فشكرني بكتاب بعثه إلي وذلك في عام (١٣٩٠هـ).

وفيها قامت أمانة العاصمة المقدسة في مكة المكرمة بما كانت تفكر فيه قبل ذلك من غرس أشجار في عرفات لتلطف درجة الحرارة على حجاج بيت الله الحرام فتقرر غرس سبع عشرة ألف شجرة (١٧٠٠٠) في عرفات وقام العمال بغرسها في أواخر السنة الماضية، وفي هذه السنة بحيث تصبح عرفات غابة خضراء يستظل بها حجاج بيت الله الحرام في الوقوف بعرفة وكان وضعها حسناً تقوم الشجرة على ساقها مرتفعة بأغصانها بأن لم تحدث ضيقاً وانتفع بظلالها.

إنشاء جسر يربط البحرين بالمملكة

ففي هذه السنة فرغ العمال من عمل الجسر، وسمي جسر الملك فهد، وفي ٢٧ ربيع الأول عبرت عليه ١٩٩٧ سيارة بين ذهاب وإياب بحيث بلغ عدد الذين عبروا في هذا الجسر يوم ٢٧/ ٣ (٦٢٥٩) وبلغ عدد السيارات القادمة من المملكة إلى البحرين (١١١٧) سيارة وثماني حافلات.

وفيها في تلك الأيام الخمسة ابتداءً من اليوم المذكور من الشهر المذكور سقط أكثر من (١٣٠٠) قتيل وجريح في حرب المخيمات في لبنان وتحاول (أمل) إحراق مخيم (شاتيلا) بالبنزين، وهذه الحرب القائمة بين الأهالي في لبنان عجز عن تسكينها الجن والإنس وتهدمت منها البنيان وهلكت النفوس ولا تزال ضراوتها مشتعلة.

وفيها في ٢٧ ربيع الأول صدرت أحكام بإعدام أحد المعتدين على حاكم الكويت سابقاً لاغتياله وسجن أحدهم سجناً مؤبداً وبراءة ثلاثة متهمين آخرين.

وفيها شنت إيران هجوماً على الجهة الجنوبية العراقية ولكن القوات العراقية تصدت لذلك الهجوم وأبادت الجزء الأساسي وتمكنت من إبادة القوات الإيرانية المهاجمة وحولت جثث القتلى الإيرانيين إلى مأساة تغطت مياه شط العرب منها، ولهذا وأمثاله عقد اتفاق بين الدول الخمس عشرة الأعضاء حول النزاع العراقي الإيراني.

مشروع قرار مجلس الأمن

قرر مجلس الأمن القرارات الآتية منها يطالب إيران والعراق بوقف إطلاق النار فوراً وتوقف كل المعارك الجوية والبرية والبحرية وتسحب كل القوات فوراً إلى الحدود الدولية المعترف بها.

ومنها يناشد السكرتير العام للأمم المتحدة مواصلة الجهود التي يبذلها لمساعدة الطرفين على تنفيذ القرار، ومنها يطالب الطرفان بالمبادرة بإحالة كل أوجه النزاع إلى الوساطة أو أي وسيلة أخرى للتحلي بضبط النفس وبالامتناع عن أي عمل يفضي إلى تصعيد النزاع واتساع نطاقه وغير ذلك مما يقضي على تلك الحرب الظروس.

ولما أن صدر القرار ظهرت إيران بمظهر المعاند فقد اطلقت صاروخاً في ١٤ ربيع الأول على مدينة بغداد أصاب منزلاً وبناية لسكن الطلبة وتسبب في مقتل وإصابة ثلاثة وستين مدنياً فردت العراق بسلسلة من الغارات على إيران استهدفت منشآت بترولية وعسكرية وقامت الطائرات العراقية فدمرت منصة نفطية بحرية في وسط الخليج كان عليها عدد كبير من العمال مما أسفر عن وقوع إصابات وخسائر في إيران وأدى إلى اشتعال النيران في المياه المحيطة بالمنصة وقام المنقذون بإنقاذ (٢٥٠) إيرانياً تورطوا في هذه الهجومات العراقية الصاروخية، ولما كانت بهذه

المثابة ولم تخضع لقرار مجلس أمن ولا لغيره جرى عليها بعد ذلك بسنة ما أرغمها على الخضوع وهي صاغرة.

وفيها في هذا الشهر ولد مولود بشمال الفلبين برأسين وثلاث سيقان ولكنه هلك والله على كل شيء قدير.

هذا وقد تأزمت الأحوال في بيروت من جراء الحرب والضرب حتى كان الماء أغلى من البنزين وذلك لضيق الأحوال وشدة الحصار.

وفيها في ٢٢ ربيع الأول انهار منزل في مصر مكون من خمسة طوابق يقع في مدينة دمنهور في الشمال الغربي من القاهرة هلك بسببه ثلاثة عشر شخصاً وجرح اثنان لا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها وفاة عبد الله بن عبد العزيز بن تركي بن عبد الله آل سعود عن عمر يناهز الثمانين وذلك في ١٥/ ٤/ ١٤٠٧هـ.

وفيها أصيب في ٢٥ محرم سبعون معتقلاً فلسطينياً بسجون العدو الصهيوني بالتسمم بطعام قدمته إدارة سجون العدو لأولئك الضعفاء المعتقلين، وهذا قد لا يستبعد أن يكون السم قد وضع عمداً في طعامهم لأن العدو لم يدع وسيلة من التقتيل والتجريح والإهانة إلا وقد فعلها نحوهم.

فتارة يوقفون بالشمس الحارقة على قدم واحدة وتارة تهدم منازلهم وتارة تطلق عليهم الأعيرة النارية وتارة يشردون وينفون عن مساكنهم ومواطنهم التي عاشوا فيها.

هذا وهم عزل من السلاح يدافعون عن أنفسهم بأيديهم هذا وهم يدافعون النار والحديد بغير سكين ولا ساطور ولا سيف ولا بندق.

ولما كان في ٢٤ محرم المتقدم قامت قوات الاحتلال بهدم سبعة منازل فلسطينية في قضاء اللد وتشريد أصحابها للاستيلاء على أراضيهم والتخلص منهم بذرائع واهية.

وفيها في ٢٩ محرم حصلت محاولة اغتيال فاشلة لاغتيال رئيس الوزارة الهندية راجيف غاندي وذلك أن مسلحاً كان يرتدي زياً عسكرياً أطلق النار عليه بعد انتهائه من أداء المراسيم الدينية، وكان فيما يبدو يكمن وراء مجموعة من الأشجار حيث أطلق خمس رصاصات باتجاه غاندي بينما كان يهم بمغادرة المكان إلا أنه لم يصب بأذى وسلم وقد ألقي القبض على الجاني وتأكد أن مجموعة كانوا قد اشتركوا في الحادث وفر بعضهم.

وفيها في ٢١ من ربيع الأول وضع أمير المدينة المنورة عبد المجيد بن عبد العزيز حجر الأساس لعمارة وتوسعة ميقات ذي الحليفة الذي وقته رسول الله ﷺ لأهل المدينة وما يليها كما قامت الحكومة بتوسعة المسجد الذي يضمه الميقات، وذلك القيام بهذه التوسعة من الأمير عبد المجيد بوضعه الأساس نيابة عن جلالة الملك فهد بن عبد العزيز.

وفي هذه السنة تعلن إيران أنها غير مستعدة لوقف إطلاق النار أو توقيع أي اتفاق مع العراق بل تظاهرت في موقف العناد وذلك بالرغم من حرص الأمم على انتهاء الحرب بينها وبين العراق.

وفيها في عصر يوم الأحد ٣/٢١ فوجئ العاملون بمطار الإحساء بهبوط طائرة صغيرة الحجم تعتبر أصغر طائرة في العالم تشابه إلى حد كبير لعبة من ألعاب الأطفال وكانت تحمل خلفها قصصاً عديدة بدأ من صنعها وانتهائها بمحركاتها الصغيرة جداً وقد سببت لصانعها المغامر العديد من المواقف بحيث أنه منذ استقلها وهي تحلق في الجو خلال العامين الماضيين تلبية لرغبة الطيار بالدوران حول العالم وألقيت معه محاضرات في رحلته تلك ومنها هل واجهت مشاكل أو مصاعب أثناء الرحلة فأجاب لقد رأيت الموت أكثر من مرة في كلام طويل أثبتته جريدة الجزيرة في عددها ٥١٧٦/ ٣٠ تشرين نوفمبر (١٩٨٦م) وكانت هذه الطائرة قد أقلعت من مطار باريس يوم ٢٩ سبتمبر عام (١٩٨٤م) أي منذ أكثر من عامين وقسم صاحبها

الرحلة إلى عدة مراحل المرحلة الأولى بدأت من باريس إلى إسبانيا ثم المغرب، السنغال، موريتانيا، المغرب، المرحلة الثانية في أمريكا الجنوبية بدأت من البرازيل وهكذا وذكر أنه احتجز في بورما وبنغلاديش إلى آخره وهي عجيبة من العجائب وغريبة من الغرائب في ذلك الوقت.

مناطق المملكة تحتفل بأسبوع المساجد ونظافتها وخدمتها

ففي يوم السبت ٢٧/ ٣ بدأ الحفل ففي الرياض بدأ الاحتفال بآيات من القرآن الحكيم ثم ألقى مدير عام الأوقاف والمساجد بمنطقة الرياض كلمته بحضور الرؤساء والكبراء، وفي حائل قام صاحب السمو الملكي مقرن بن عبد العزيز وحضر الحفل إبراهيم العريفي مدير عام أوقاف حائل ومساجده ومدير فرع الدعوة والإرشاد هناك والأعيان والكبراء وقام سمو الأمير يرافقه مدير شرطة المنطقة ومدير إدارة المرور وعدد آخر من المسئولين بعملية تنظيف المسجد الجامع الكبير وقد شارك في هذا العمل الشريف جمع من المواطنين وطلبة المدارس ومنسوبي الهيئات والأندية الرياضية وفي القريات شارك طلبة المعهد العلمي وطلبة مدارس المنطقة وفي الطائف رعى أمير الطائف فهد بن عبد العزيز بن معمر ومدير التعليم هناك وجم غفير من الكبراء وفي الخرج قام مكتب الأوقاف والمساجد ومستشفى الملك خالد وغيرهم.

وفي بريدة أقيم الحفل بالجامع الكبير برئاسة نائب الأمير وحضر مدير إدارة الأوقاف والمساجد ورؤساء الدوائر الحكومية وأعيان المنطقة وجزء كبير من طلاب المدارس وافتتح الحفل بآيات من الذكر الحكيم وقال الملقي لكلمة إدارة الأوقاف أن منطقة القصيم يوجد فيها (٢٢٨٨) جامعاً ومسجداً.

وفي ظهران الجنوب افتتح أمير المنطقة سعود مخيمر المطلق الحفل أمام المسجد الجامع الكبير بالسوق التجاري وحضر الاحتفال وكيل الإمارة بالنيابة ومديرو المدارس بمختلف مراحلها ورئيس البلدية ورئيس الشرطة وفي حوطة بني تميم دعى

أمير المنطقة نايف بن سجدي الهيضل في جامعهم الكبير رؤساء المصالح الحكومية المشاركة والمتمثلة في فرع وزارة الحج والأوقاف وإدارة التعليم وبلدية الحوطة وبلدية الحريق والحلوة والمعهد العلمي وغيرهم وفي نهاية الحفل قام الحاضرون يتقدمهم أمير المنطقة بتنظيف المسجد الجامع، وفي عرعر أناب صاحب السمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن مساعد محسن إبراهيم الصغير لافتتاح أسبوع المساجد العاشر وحضر لذلك وزارات الأعلام والشئون البلدية والقروية والمعارف وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وفي عنيزة رعى أمير عنيزة محمد الحمد السليم ومدير أوقاف عنيزة ورئيس البلدية ومسؤولو إدارة التعليم حيث شارك الجميع في نظافة المساجد.

وفي شقراء قام الأمير بمنطقة الوشم سليمان محمد الهلال بمشاركة رؤساء الدوائر الحكومية وطلبة المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية وفي مكة المكرمة قام مدير عام الأوقاف بالمنطقة وأوضح أنه وضع كافة الترتيبات الخاصة بذلك، وفي تبوك قام مدير عام الأوقاف هناك بحضور قائد المنطقة الشمالية الغربية عبد العزيز آل الشيخ ورؤساء الدوائر ونائب رئيس المحاكم.

وفي المدينة المنورة قام صاحب السمو الملكي عبد المجيد بن عبد العزيز بما يلزم من التوجيهات، كما أن في أبها قام صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير ودعى بمدير الأوقاف هناك والرؤساء لهذا المحفل وقام أمير وادي الدواسر محمد سعد الماضي ودعى في موضع الحفل في جامع آل تميم وفي السليل دعى أمير السليل محمد بن عمر التشعيل بحضور رؤساء الدوائر وأئمة المساجد كما أنه دُعى أمير مرات وأمير حريملاء وأحضر لذلك مدراء الأوقاف وشاركت المدارس ورؤساء الدوائر هناك وفي الرس بالقصيم دعى وكيل إمارة الرس محمد العساف بحضور مسئولي الدوائر الحكومية وجمع من المواطنين كما أن أمير البكيرية ومدير أوقافها ومساجدها والرؤساء فيها فأمرا بما يجب.

وقام جميع الأمراء والرؤساء بعملية تنظيف المساجد ليقتدي بهم الباقون وفي هذا دليل على عِظم اعتناء المسلمين بمساجدهم وتطهيرها وتنظيفها ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[1] وجاءت الشريعة بالأمر بتنظيف المساجد وتطييبها وعمارتها نسأل الله تعالى أن يديم رفعتها وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعزّ فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا به.

هجوم الإيرانيين على حجاج بيت الله سنة (١٤٠٧هـ)

لما كان في يوم الجمعة ٦/ ١٢ بعد صلاة الجمعة قام الحجاج الإيرانيون يحملون لافتات بأيديهم ضد السعودية فيها رسوم آية الله الخميني وأمعنوا الضرب بالحجاج بسكاكين يحملونها ومقاريض وما استطاعوا التسلح به كسواطير ونحوها اشتروها بحجة أنها للحوم الهدي لكنهم استعملوها لغير ذلك واصطدموا مع المسلمين في معركة عظيمة حوالي المسجد الحرام حتى سقط من حجاج بيت الله تسعمائة ما بين قتيل وجريح.

وأشعلوا النيران بسيارات المرور وسيارات النجدات والدبابات البخارية السعودية وقتلوا ثمانين جندياً سعودياً.

وكانوا في العام الماضي أتوا بقنابل على خفية ومتفجرات ناسفة من الديناميت غير أن الله سبحانه وتعالى كفى المسلمين شرهم بحيث انتبهت الحكومة لما يبيتونه من الأذى والكيد للمسلمين وقبضت تلك العبوات الناسفة وحرصت في العام الماضي على أن لا يعلم المسلمون بما يبيتونه من الغدر فلما أن تكرر منهم ذلك باحت الحكومة السعودية أمام العالم الإسلامي بأعمالهم الشنيعة وما ارتكبوه من

---

(١) سورة التوبة، آية ١٨.

الكيد للإسلام من أنهم يريدون هدم الكعبة المشرفة ونسف الجسور المقامة في منى وغيرها.

وفي يوم الخميس في وقت صلاة العصر الموافق ١٢/١٣ من هذه السنة دخلوا الحرم الشريف وأجمعوا أمرهم على فتح باب الكعبة بالقوة فقامت القوات السعودية عليهم بالغازات المسيلة للدموع فلم يكفوا وحرصت الحكومة السعودية على أن يدفعوا أذاهم بدون إطلاق النار احتراماً للمشاعر المقدسة وإبقاءً عليهم.

ولكن الأشقياء بقروا بطوناً وشقوا صدوراً وأفسدوا في تلك المنطقة المطهرة ولولا ما استعملته الحكومة من قمعهم ومقابلة الشر بالشر لكان الأمر أدهى وأكبر(١).

وقد انتهبوا ما حصلوا عليه من الأموال التي في دكاكين أهالي مكة مما يلي المسجد الحرام وجرت منهم واقعة أشبه بأعمال القرامطة السابقة في عام (٣١٧هـ) وكانت الحكومة تراقب حركاتهم في السنين قبل هذه ووقع ما كان يتوقع منهم نسأل الله العافية.

وكانوا في عام (١٣٦٢هـ) قد جرى منهم أذى لحجاج بيت الله بإلقاء النجاسات أمام الطائفين بالبيت الشريف، ودلك العذرة بالحجر الأسود قبحهم الله وقد قتلوا السفير السعودي لديهم فاضطرت الحكومة إلى قطع العلاقات مع حكومة إيران لهذه المخزيات التي ارتكبوها وانتهت المسألة بلطف من الله بحجاج بيته بحيث لولا لطف الله لكان الأمر شنيعاً، وخاف زوار بيت الله وزوار مسجد رسوله في المدينة المنورة بحيث لم يقتصروا على الأذى في مكة المكرمة بل تأذت المدينة المنورة منهم وباؤوا بغضب من الله ورسوله قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ

---

(١) لما تأزمت الأمور مضى ولي العهد عبد الله بن عبد العزيز فأمر بإطلاق رشاش على الفئة الباغية فيسط منهم ٤٥ مجرماً وولى بقيتهم الأدبار فحصل بذلك منعهم .

﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[1] وقال ﷺ: «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل من صرف ولا عدل» رواه الطبراني بإسناد جيد.

وفي آخر اليوم ١٩ من صفر الخير هبت رياح غريبة فأثارت غبرة شديدة واستمرت الرياح وبعد سكونها في منتصف الليل أعقبت غبرة وقترة شديدة جداً استمرت في اليوم العشرين وليلة إحدى وعشرين ولم تتجل إلا بعد مضي ٥٢ ساعة من الزمن أي في الساعة الواحدة غروبي من ليلة ٢٢/ ٢ وهذا شيء لم يعهد مثله منذ عشر سنين.

ولما أن كان في آخر برج السرطان وأول برج الأسد حصلت موجة حر شديدة جداً هلك بسببها أناس في اليونان واليابان وتأثرت الأمة منها واشتدت حرارة الطقس في نجد والحجاز وغيرها وقيل أنه ذاب الإسفلت في بعض المسالك منها.

هذا ولا تزال المعدات والمخاريق وآلة النسف في الدركتورات والشيولات وغيرها تعمل بجد ونشاط لتوسعة المسجد النبوي فهدمت دكاكين وبيوت في الجهة الشرقية والشمالية والغربية.

وكنت قد وقفت في اليوم ٢٧ من شهر جمادى الأولى و٢٨/ ٥ الموافقين للثلاثاء والأربعاء لما زرت المدينة المنورة حينما رجعت من العُمرة في الطريق إلى القصيم في هذه السنة فرأيت آثار الخشب وعسبان النخل والسعف والخوص القديمة والأعمال ماشية في طريقها ومن أعجب ما رأيت أن القواعد للأعمدة تخرق بمخاريق جعلت لذلك حتى تصل إلى قعر بعيد من الطبقة الأرضية وكان لتلك المعدات والأهوال لجبة عظيمة قد واصلت الليل مع النهار ولها رجفة شديدة وصريخ مهيل.

---

(١) سورة الحج، آية ٢٥.

وكانت حيطان تلك البيوت والمساكن مقامة من اللبن والطين ونجد العمران القديم في المدينة المنورة وقد تفكك وكان مأوى للعقارب والحشرات بحيث سكنا بيتاً حوالي الحرم فكانت جماعة العقارب الضخمة موجودة بكثرة هناك ولما أن رششنا البيت ببعض المبيدات خرجت إلى السقوف بمرأى مخيف غير أن الله سبحانه وتعالى قد وقانا شرها وتلك المساكن القديمة منخفضة عن مستوى الشوارع بقدر يتراوح من متر إلى ثلثي متر وثلاثة أرباع المتر سوى ما كان من المساجد الأثرية القديمة والقلاع الموجودة بعد تركيا فإنها مقامة من الحجر ومادة تمسك الحجارة.

نهضة علمية في المملكة السعودية

لما كان في عام (١٣٥٥هـ) فكرت الحكومة في إقامة مدارس حكومية لتعليم النشء على الطريقة الحديثة، وكان التعليم فيما مضى إنما يكون ابتداءً في مدارس أهلية ثم ينتقل الطالب إلى الدراسة على العلماء في حلقات الذكر العامة في المساجد.

وكان للرياض أكبر حظ من هذا التعليم لأنها تزخر بكبار العلماء الذين بذلوا نفوسهم في سبيل التعليم كالشيخ عبد الله بن عبد اللطيف والشيخ محمد بن عبد اللطيف والشيخ إبراهيم بن عبد اللطيف والشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود وعبد الله بن راشد بن جلعود والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ حمد بن فارس والشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ سليمان بن حمدان والشيخ ابن سالم وفي القصيم آل سليم والشيخ عبد العزيز العبادي والشيخ عبد الله بن فداء والشيخ صالح العثمان القاضي والشيخ عبد الرحمن بن سعدي والشيخ سليمان المشعلي وغيرهم مثل الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد والشيخ محمد بن صالح المطوع ومحمد بن مقبل والشيخ عبد الله بن محمد بن دخيل.

ولما أن فتحت المدارس الحكومية في السنة المذكورة ضعف التدريس في المساجد

وكانت المدارس في أوائل الأمر لم تجد تشجيعاً ولكنها استطاعت أخيراً أن تشق الطريق أمام الطلاب ويكون لها سيرها العميم ولا سيما لما جلب إليها المدرسون الأكفاء الذين نالوا ثقة الأمة بالتعليم منهم وأقبلت الأمة على إدخال النشء فيها بجد ونشاط وجعلت مراحل الدراسة تسير فيها قدُما فست سنين للابتدائي ثم بعده المتوسطات والمعاهد ثم بعدها الثانويات ثم الجامعات.

ولما أن كان بعض الآباء لم يحصل على الدراسة سابقاً أسست الحكومة مدارس ليلية لمحو الأمية فقاموا يتسابقون إليها ولا سيما لما حصل الطلاب على الشهادات في الابتدائية والمتوسطة والكفاءة ونالوا مرتبات لدى الحكومة مما شجع الأمة على التسابق في طلب العلم وأقيم في كل مدينة وقرية وهجرة مدارس للبنين.

ولما أن كان البنون بهذه المثابة طلبت الأمة المفكرة مدارس للبنات ولبت الحكومة طلبهم ورأت تشجيع الفتاة السعودية على الدراسة وكان هناك معارحون لم يعرفوا المصلحة إلا بعد ذلك، فأسست مدارس البنات تحت إشراف رئيس القضاة فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم وذلك في عام (١٣٧٩هـ) وجعلن يتسابقن في آخر الأمر إلى التسجيل فيها وبما أن المرأة مطلوب منها ملازمة البيت وصيانتها والاحتفاظ بكرامتها فقد بذلت الحكومة جهوداً في حفظ المنشء وصيانتهن في خروجهن ورجوعهن بجملهن بسيارات الأوتوبيسات الخاصة لنقلهن وحصل المقصود بأن لا يجري اختلاط ولا رؤية لأحد إليهن كائناً من كان.

بل كانت الفتاة في صيانة وحفظ داخل المدرسة وخارجها ولما رأى أولياء الأمور العناية والصيانة اطمأنوا كثيراً إلى ما قامت به الحكومة أيدها الله تعالى وحصل إقبال على الدراسة وذلك لمعنيين:

أولاً: كون الشاب يميل إلى زوجة متعلمة فحصل بذلك ما كانوا يسعون لطلبه.

وثانياً: كون المنتدبين للتدريس في السعودية من الرجال إذا جاء بعائلته يحصل البنون على التعليم وتقر أعينهم بما يجدونه من العناية، أما البنات فلا يجدن تدريساً فاضطرت الحكومة لذلك بتأسيس مدارس للبنات لأن المصلحة تقتضي ذلك.

ومن جهة ثالثة: فقد كان لـدى الفتـاة السـعودية مـؤهلات تخولهـا لأن تكـون مدرسة وطبيبة وعارفة بالخياطة وما تتطلبه الحياة فحصل ما كانـت الأمـة تحلـم بـه وانتشرت الثقافة الإسلامية في النظافة ومعرفة الحقوق الزوجية ومـا يلـزم الزوجـة نحو زوجها وما ينشأ العلم في أمة إلا وسادت وأفلحت وما ظهر الجهـل في أمـة إلا وذهب مجدها وتفرق أمرها.

ولقد كانت المعلمات السعودية والفتيات المتعلمات يتمشين على الطريقة المثلى والحمد لله وينكرن السفور ويحاربن الخلاعة ومـنهن الأديبـات الـتي قـد لا يوجـد مثلـهن، وذلـك بالحفـاظ علـى الـدين والتمسـك بـالأخلاق الفاضـلة وجـزى الله القائمين في توطيد الشريعة الإسـلامية خـير الجـزاء، ولا ريـب أن التـأدب بـآداب الشريعة المحمدية هو أساس الخير وحسن التربية والتوجيهات لها أثر عظيم.

وها قد سـدت الوظـائف بالقضـاة والمفـتين والمصـنِّفين والصـحفيين والأدبـاء وعلماء الطب والهندسة والمدرسين مما كان له أعظـم الأثـر وآتـت تلـك الأشـجار أُكلها وأخرج ذلك الزرع شطأه وتمتعت الأمة بحياة عجيبة غريبة.

وفي هذه السنة نجد بعض الشباب قـد حفـظ القـرآن الكـريم عـن ظهـر قلـب وتعلموا تجويد القراءة وأمسوا يؤمون المسلمين في صلاة التراويح في رمضان بحسن ترتيل وإذا نوقش الطالب في تفسير كلمات القـرآن ومقاصـده فإنـه يـأتي بالفائـدة وبالعجب العجاب.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذه النهضة نهضـة علميـة غـير علمانيـة وأن يثبـت الإيمان في قلوبهم ويؤيدهم بروح منه إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير.

وأصبح بث الإذاعة بنور على الدرب له الأثر المطلوب لهداية الخلق في مشارق الأرض ومغاربها بحيث تهدى إلـيهم الأحكـام الشـرعية وتجلـب في بيـوتهم وهـم جالسون وترشدهم إلى سواء السبيل، ولقد كان بالإمكان أن تقـول أن نشـر العلـم وإرشاد الأمة قد وصل إلى درجة لم تحصل للأولين والآخـرين إلى زمننـا هـذا ولله تمام المنة والفضل.

ولكننا نشير إلى مشكلة قد يقع فيها كثير من الشباب وهي الغلو والجفاء أو الإفراط أو التفريط وقد نبه على هذه المشكلة شمس الدين ابن القيم رحمه الله وأن هذه المشكلة لا ينجي منها إلا العلم الراسخ الذي يوضح كيد الشيطان وما ينبغي للمؤمن أن يتسلح به من غارات الشيطان ومكائده، وكنت أظن أن اللبيب تكفيه الإشارة فيما لوحنا إليه وحذرنا منه.

نِعَم الله على عباده كثيرة

لقد مرّ على المسلمين أوقات طويلة كانوا لا تراق دماء الذبائح في بيوتهم إلا في عيد الأضحى وأيام التشريق، فكانت الأمهات تعد أطفالها بالتوسع في أكل اللحوم بعيد الأضحى وقد لا يذبح في المدينة الكبرى للبيع والشراء من الجزارين سوى سبعة رؤوس من الضأن يومياً وجملاً واحداً.

ومن القرى من تَمر الأيام ولا يوجد في أسواقها لحم وإذا اشترى ربّ العائلة إداماً من اللحم فإنه يحرص على أن لا يطلع عليه الناس خشية من عين الحسود فقد يأخذ القِدر القليل من اللحم ثم يدخل يده في كمه فيجعله من بين الثوب والجسم، كل ذلك إخفاء عن الآخرين.

وأذكر أني لما رجعت من الحج عام (١٣٦١هـ) وكنت في صحبة العميان مطاوعة البيت المالك الذين حملوا أثاثي بسياراتهم وطلبوا مني الصحبة كان يقدم لنا الطباخون طعام الغداء والعشاء من الأرز الذي إدامه من الدّهن وحينما وصلت السيارات في اليوم الثالث ظهراً إلى بلد الداودمي إذا بالأمر ينزل من الرياض استفساراً عن تأخيرها، فيبادر المسلمون إلى مواصلة السير ونزل الذين تعلقوا بها كرفقة وكانوا واحداً وثلاثين شخصاً قد تعلقوا بتلك السيارات التي بلغ عددها ثلاثاً وثلاثين سيارة قاصدة إلى الرياض.

وبما أن الدوادمي في مسامته القصيم جنوباً فإنهم نزلوا فيه وبما أنه لا يوجد إذ ذاك سيارات بالأجار إلى القصيم فإن الأمة بادروا بعد تناول طعام العشاء ليلاً لدى

أحد الرفقة إلى امتطاء الإبل الهزيلة التي كانت تسير تارة وتبرك أخرى لضعفها، فكانت المسافة ما بين الدوادمي إلى بريدة سبعة أيام بلياليها جعلت الأمة تبحث عن وجود اللحم في القرى.

فقيل لنا أن عمشاً وعميشاً والمعيريض وقرى تمرون بها ضعيفة لا يوجد فيها اللحم، ولكن أمامكم المربع لهجرة هناك فإنهم كانوا ينحرون في كل أسبوع جملاً لجلبه على المارة والسكان.

ولما أن وصلنا إلى المربع وجدنا الأمة قد أحاطوا بالجزار وبلحم الجمل للشراء وكانت الكلاب من خلفهم لعله يحصل لها عظم أو عصب فلأذى الكلاب وشدة سورتها لم نتمكن من الدنو إلى اللحم وسرنا بلا شيء.

وفي هذه الأزمان كانت القطط والكلاب لا تأكل الطعام ولا العصب ولا الشحم إنما تريد اللحم الخالص وأصبح المتوسطون لا يأكلون طعام الغداء والعشاء إلا وهو مصحوباً باللحم، وقد أحصى ما تستهلكه مدينة بريدة من الذبائح شهرياً فبلغت في ظرف تسعين يوماً ثلاثة وثلاثين ألف رأس ماشية فيا عجباً أصبحت القطط تأنف من أكل الشحم والعصب بل الوحوش تأنف من أكلها.

النهي عن الإسراف وما جاء في ذمّه

قال الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1] وقال تعالى في وصف عباد الله الصالحين: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾[2] هاتان الآيتان بينت النهي عن الإسراف في المأكل والمشرب والملبس وأن عباد

---

(١) سورة الأعراف، آية ٣١.

(٢) سورة الفرقان، آية ٦٧.

الرحمن الذين امتدحهم الله تعالى وسطاً بين الإسراف والتقتير فبما أن الله تعالى إذا أنعم على بعد أحب أن يرى أثر نعمته عليه.

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب > وأرضاه: «إذا أوسع الله عليكم فأوسعوا» فإن الإنسان لا يتجاوز به البطر والأشر إلى الإسراف في النفقة حيث يقول تعالى: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾[1] ويقول في مقام التأديب لعباده: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾[2] فنقول عن ذلك، لقد مر في سني (١٣٤٧ و١٣٤٨هـ) وما قبلها وما بعدها وما حواليها من السنين أنه قد لا يحصل الإنسان في السنة إلا على ثوبين ثوب في العيد عيد الفطر وثوب في الشتاء.

وكنت أذكر أن من الأغنياء البخلاء والمقتصدين من يشتري مشلحاً صفيقاً يلبسه في الشتاء والصيف فيكون صالحاً للفصلين لمدة عشر سنوات.

وقال لي أحد المسلمين الأغنياء إن هذا المشلح -ويشير إلى مشلح كان يلبسه في ذهابه وإيابه وخروجه ودخوله - إن هذا المشلح قد خبئه فلان لرجل ذكره قد توفي منذ ثماني عشرة سنة، وذلك في عام (١٣٥٤هـ) أي في سنة سبع وثلاثين بعد ثلاثمائة وألف، وكان بعد هذه المدة صالحاً للبس فهل هذا إلا من المبالغة في التقتير على النفس.

ثم إنها وصلت الأحوال في هذه السنة التي نحن بصددها وما قبلها وبعدها إلى أن كانت النساء تسير في أسواق البيع والشراء يطلبن كسوة فاخرة للزينة يومياً أو أسبوعياً، فهل هذا إلا من مشكلة الإسراف في الكسوة، وإذا لبست المرأة الثوب للزينة في إحدى المناسبات فإنها لا تلبسه مرة أخرى للمناسبات بل تشتري سواه.

---

(١) سورة الإسراء، آية ٢٦.

(٢) سورة الإسراء، آية ٢٩.

ولقد حدثني ثقة عن فتاة من الأثرياء تزوجت فاشترت والدتها ثوباً للزينة ولمناسبة زواج ابنتها في قيمة أربعة وعشرين ألف ريال، وبلغت قيمة ساعة اليد للفتاة المتزوجة مائة ألف وخمسين ألفاً، وبلغت قيمة غرفة النوم لها ستين ألف ريال، فهل هذا إلا من الإسراف الذي حرّمه الله ورسوله.

أما عن المغالاة في المهور وما ينفق في هذا السبيل لبيوت الأفراح والزينات والولائم التي تبذل لذلك وما ينفق في سبيل الشيطان للغناء والطرب فحدِّث ولا حرج، ولما حصلت هذه البادرة التي هي بادرة سوء، قام الخطباء والمرشدون والموجهون والوعاظ يبذلون النصائح وبُحَّت الأصوات وأفتى رئيس القضاة بالأمر في الاقتصاد والنهي عن هذا البذخ والسرف ونشرت التعليمات في الصحف والجرائد والمجلات ولكنها صرخات في واد خلي من البشر ولم تجد تلك التوجيهات آذاناً صاغية أو قبولاً عند الأمة، بل لا يزالون سائرين في هذه الطريقة رغم ما يسمعون وبكل ما يستطيعونه يتسابقون فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

رجعنا إلى ما نحن في صدده وما أصيبت به العرب من الكوارث والمخاوف ففيها في يوم الأحد الموافق ٢١/٣ اندفع أناس من اليهود يهتفون بهذه الكلمات (الموت للعرب) وقامت عصابات منهم في اليوم ٢٦ من الشهر الحالي فحرقت منزلاً عربياً وخربت السيارات العربية في القدس وشهدت مدينة القدس المحتلة أسوأ أعمال العنف المعادية للعرب وأقامت اليهود مدرسة يهودية في قلب الحي الإسلامي بالقدس المحتلة، وأقامت حواجز على مداخل الجامعات لتعطيل سير الدراسة فيها وإغلاق بعضها واعتقال عدد من طلبتها وإحالة عدد منهم إلى المحاكم الصهيونية بحجة قيامهم بنشر كتب ومطبوعات تدين سياسة الاحتلال الصهيوني ومنعت بعض أعضاء هيئة التدريس في جامعات الأرض المحتلة من الانضمام إلى عملهم في هذه الجامعات فعلوا ذلك غيرة من احتفال العالم بيوم التضامن مع الشعب الفلسطيني وهو ٢٩ نوفمبر الموافق السابع وعشرين ربيع الأول من هذه

السنة.

وفيها في يوم الثلاثاء ٥ محرم وفاة الشيخ محمد الصالح بن سليم وهذه ترجمته: هو محمد بن صالح بن محمد بن عبد الله بن سليم، وتقدمت معرفة أنسابهم ولد عام (١٣٣٠هـ) بمدينة بريدة ونشأ نشأةً حسَنة فأخذ في الدراسة على أحد المؤدبين في إحدى المدارس الأهلية ببريدة وبعدما أخذ مبادئ في الخط والحساب التحق في الدراسة على عمه الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم وعلى عمه الشيخ عمر بن محمد بن سليم وجد ونافس وكان يظهر عليه الزهد في حال طلبه للعلم وقليل الضحك وأكثر الأخذ عن الشيخ عمر، وكان عمه يجله ويقدر له اجتهاده فكان يدرس في زاد المستنقع للحجاوي حفظاً فيناول الشيخ الكتاب، وبعدما يقرأ قطعة يفسرها له الشيخ ثم يتناول الكتاب ويقرأ شرحها من شرح الزاد والروض المربع لمنصور بن يونس البهوتي ولازم عمه عمر بن محمد في مدخله ومخرجه.

وكان الشيخ له بمنزلة الوالد وذلك باعترافه في مرثيته التي رثى بها شيخه عبد العزيز بن إبراهيم العبادي لأنه أخذ عنه أيضاً، فمن مرثيته قوله يمتدح عمه ويدعو له بالبقاء:

فضجوا جيمعاً بالدعاء تضرعاً ... إلى من على فوق السماوات قاهر
لندعو جميعاً أن يديم بقاء من ... لنا مورداً من ينبع العلم غازر
وأعني به من كان لي مثل والد ... شفيق علينا بالوفاء يبادر

وبينما هو يدرس قبل أذان العشاء على عمه الشيخ عمر إمام المصلين في المسجد الجامع بتفسير سورة الصافات مر على ذكر الحور العين فأخذته غمرة من البكاء وتأثر من شدة البكاء فرآه عمه أهلاً للإمامة وجعله إماماً في مسجد الجردة المعروف بمسجد حسين بن عرفج فلبث في إمامته مدة وقد يقرأ بنفسه على المصلين إذا لم يكن هناك قارئ.

ثم أنه جعل في قضاء هجرة دخنة ثم نقل إلى قضاء الظفير في منطقة عسير

وجعل يبذل نصائحاً ويقيم من في معيته من الأئمة ومنهم عبد الله بن محمد بن صالح ابن فوزان يتخولون الأمة بها هناك ثم أنه نقل إلى قضاء مستعجلة المدينة المنورة وجدته فيها عام أربع وسبعين ثم نقل إلى قضاء الدمام ثم نقل إلى أن يكون رئيساً لهيئة التمييز في المنطقة الغربية بمكة المكرمة ونال رضاء الأمة برحابة صدر واستمر في هذه الوظيفة.

فلما أن كان قبل وفاته بسنة أحيل على المعاش فانتقل إلى الرياض ولما ألقى عصا التسيار فيها توفاه الله تعالى بعد ذلك بيسير في هذه السنة وكنت أظن أنه قبل وظيفته الأخيرة كان عضواً في هيئة التمييز بالرياض.

وكان له رسالة في تحريم الاشتراكية وله منسك مختصر في الحج، وكانت وفاته عن عمر يناهز السابعة والسبعين رحمه الله وعفا عنه، وكان له أولاد وأحفاد وبيني وبينه معرفة قديمة، ومن أبنائه صالح بن محمد المعروف بالهمة والزراعة والإنشاء والتعمير كفندق السليم ببريدة ومحطة السليم ومساهمة كبرى في تأسيس مصنع إسمنت القصيم وكان له مزرعة كبرى تقدر طولاً بستة عشر كيلو وعرضاً بثلاثة عشر كيلو وتعتبر أكبر مزرعة في القصيم اشتراها بصكاكها من حرّ ماله كما أن له مشروعاً للدواجن يحتوي على عدد كبير.

وفي هذه السنة نشرت وزارة الحج والأوقاف منشورات برقم أمير المنطقة المبني على تعميم وزير الداخلية رقم (٥٨٥٣٨) في ١/٨/١٤٠٧هـ بشأن المنع من التسول وهذا نصه: لوحظ في الآونة الأخيرة انتشار المتسولين في الأسواق والمساجد من مواطنين ووافدين واستغلالهم للمواطنين بطرق الابتزاز لأصحاب القلوب الرحيمة واستدرار عطفهم وقد رغب سموه منع ذلك والقبض على أي متسول وإبعاده عن البلاد إذا كان أجنبياً ومنع أي متسول.

كما أنه نشر تعميم عن طريق وزارة الحج والأوقاف حسب أوامر الحكومة برقم (٣٧١٥) بتاريخ ٢١/٨/١٤٠٧هـ موجهاً إلى أئمة وخطباء المساجد بالتحذير

من خطر المخدرات وبيان أضرارها وتحريمها دينياً وخلقياً لما لها من عوامل الفساد والانحراف وأكدت على الوعاظ والمرشدين بشدة تحريمها وخطرها الفتاك، وقد قدمنا عن هاتين البادرتين في هذا التاريخ ما يبين خبثها وسوء مغبتها.

كما نشرت إدارة أوقاف القصيم حسب الأوامر برقم (٣٨٠٥) تاريخ ٢٧/٨/١٤٠٧هـ وجوب توحيد الأذان وعدم التفاوت لما يحدث للكسلان والمتهاون من التخلف عن أداء الصلاة، وذلك حسب تقويم أم القرى وأن يكون أذان صلاة العشاء الآخر في تمام الساعة الثانية غروبي وحظر رفع الأصوات بمكبرات الصوت في صلاة التراويح لأنه يحدث تشويشاً على الآخرين في المساجد الأخرى ولا ريب أن هذه التوجيهات من وزارة الحج والأوقاف ومن المسؤولين لها أكبر مصلحة للأمة وجزى الله القائمين بهذه التوجيهات خيراً.

وفي هذه السنة رأت الحكومة أيدها الله أن بقاء الخربات والبنايات القديمة مما يسبب ضرراً على أرواح المواطنين وأموالهم بحيث قد تكون الخربة طريقاً وسبباً إلى اتخاذ سراديب منها إلى معارض أهل الصياغة والجوهرات والأموال كما جرى ذلك في مواطن كثيرة، ومن جهة أخرى فحفظاً للأرواح والمواطنين والمارة أن تسقط عليهم كما جرى ذلك يمنة ويسرة، ولا سيما بيت الأفراح في الحجاز الذي سقط ليلة الأفراح على من فيه رأت الحكومة هدّ تلك المباني القديمة وقد هدت مباني كثيرة في وسط البلاد بدون تعويض لهذا السبب المتوقع وأصبحت خاوية على عروشها فبناء على ذلك سارعت البلديات إلى التنفيذ لهذا الغرض وأزيلت مخلفاتها من خشب وأطيان وعسبان النخل وخوصها وسعفها.

إصلاح ماقفة بريدة

كانت الماقفة منذ زمن طويل تطلق على دكاكين في شرقيها والجنوب والغرب ويطلق اسم بعضها على دكاكين الجماعة ودكاكين المشائخ وفي وسطها رحبة واسعة تضم كلاً من مبيع الإبل والبقر والغنم، وتنتشر في الجهة الغربية والشرقية المبيعات

المكونة من الثياب وبيوت الشعر والأكوات والحبال وفي الجهتين مبيع السمن البري والدهن في القرب الصغيرة والكبيرة ويطلقون عليها (النحو بضم النون وإسكان الواو) والعكة وهي أقل من الكثير وهناك مصفحات للتفريغ.

وقد مرّ على هذا الاصطلاح زمن طويل منذ عام (١٣٥٤هـ) وما زال هذا الدهن ينقص عاماً بعد عام وفي الجهة الجنوبية مبيع التمور والحبوب من بُرّ ودُخن وغيرها ولما أن اتسعت الرقعة في المواشي والأدهان والأقط والكمأة التي قلت لما نزعت البركات وقلت الخيرات.

وضاق الوضع بالمواشي اختير لها مواضع أخرى فقد كانت الدكاكين أشبه شيء بزرائب الوحوش لأنها أقيمت من لِبن وطين ولطول المدة تشوه منظرها ولا سيما بعد الإسفلت الذي عم ذلك الموضع وارتفع عن مستواها فرأت البلدية هدها وأنشاءها من الإسمنت والحديد المسلح وليكون لها منظر جميل يتناسب مع الوقت فهدتها بأجمعها وأقامتها بنايات حسنة من طابق واحد مشرف.

أما الجهة الشمالية فقد كان فيها قصر بريدة القديم وكان الملك السابق سعود بن عبد العزيز رحمه الله قد هده ليكون موضعه سعة للبلد بحيث اختير موضع للقصر من جهة الشرق كما قدمنا فقد أقيم مكانه قيصريات للحوم والفواكه لكنها ظهرت بعد زمن غير صالحة لاتساع الرقعة فهدت ونقل بيع الخضراوات واللحوم بأجمعها إلى السوق المركزي الجديد في غربي المدينة.

وكانت المنطقة الأخيرة منظراً رائعاً يجبى إليها ثمرات كل شيء من الفواكه الداخلية والخارجية من البرتقال والتفاح والموز واليقطين والبطيخ والقثاء على اختلاف أنواعها والبصل والطماطم والباذنجان واللوبيا والفاصوليا وأنواع الأسماك واللحوم والخيار والتمور والإقط وغيرها من أنواع البقول وأصبحت البقول والخضراوات على اختلاف أنواعها من الخس والبطاطس التي لا تكاد

تعـرف أسماؤهـا إلا في مصـر والشـام كالسـبانخ والملفـوف والليمـون والأتـرج وأشياء أخرى في ذلك الموضع مورداً لكل أهالي القصيم وغيرها مـن السـر جنوبـاً إلى حائل شمالاً ومن عقلة الصـقور غربـاً إلى المجمعـة والأرطاويـة شـرقاً، وكانـت السيارات الضخمة التي أعدت للنقل مرسية هناك يمنة ويسرة والتريلات جاثمـة في تلك المنطقة للتفريغ والتنزيل وسيارات أخرى تحمل وتـوزع علـى بلـدان القصـيم ومدنه.

وفيها قامت المعدات الثقيلة بجرفها وهدها في إصلاح الخط الدائري على مدينة بريدة وما يتطلبه الوضع من جسور وكباري وذلـك لمـا يمـر بـه مـن كثبـان الرمـال والأودية ولا سيما وادي الرمة الذي يتطلب عملاً شاقاً وكان سد المياه الذي أقـيم في نفس الوادي ويقع جنوباً عن مدينة بريـدة عملـه جبـاراً أقـيم لمـا في ذلـك مـن المصلحة بحيث يختزن به مياه السيول والأمطار.

عمارة جامع مدينة عنيزة في القصيم

بما أن مدينة عنيزة تعتبر هي المدينة الثانية في القصيم بعـد بريـدة فإنهـا بنهضـة أهاليها تنافس مدينة بريدة وقد قام الأهـالي فيهـا يتطلبـون مشـاريع مـن الحكومـة ولحسن حظهم فقد كان من أهاليها من يعمل في الوزارات ولهم فيهـا مـن يطالـب بحقوق بلدهم، وفيها شباب ناهض يعملون لرفع بلدهم ولإن كان للمدينـة حظهـا الأوفر مـن المشـاريع الحكوميـة فـإنهم إضـافة إلى ذلـك يعملـون بجـد ونشـاط في المساهمة من أموالهم لرفعـة البلـد سـواء مـن السـكان أو مـن النـازحين في الـبلاد الأخرى، فقد قاموا بتجميـل المدينـة بمـا اسـتطاعوا مـن الزينـات الحديثـة ورفعـوا ساعات حائطية ضخمة تحملها القواعـد الجميلـة الرفيعـة ونصـبوا أعلامـاً وأبوابـاً للمدينة واتسعت شوارعها الحديثة التي أعدت للبيع والشـراء ومـا حـوالي الجـامع الكبير.

ومن أعظم مشاريعها عمارة الجامع الكبير في هذه السنة وكان حواليه دكاكين قديمة اشتريت لتوسعة المسجد وأضيفت إليه فقاموا بهذه جملة وإقامته من الإسمنت المسلح ببناية قوية وتطريز حديث وأقيم المسجد بجعل قبو واسع كبير في أسفله (خلوه) كبيرة وجعل الطابق الثاني مشكلاً في بنايته من قبة وأعمدة عالية تدخله الأنوار الطبيعية وقامت المعدات بجد ونشاط في العمل مضافاً إلى ذلك درج وأبواب ونوافذ حسنة جميلة.

وأقيم للمسجد منارتان عاليتان وابقيت منارته المقامة من الطين أولاً وهي من الآثار القديمة في ارتفاعها وعلوها وقوتها لم تؤثر فيها الرياح والسيول على مر السنين وحفاظاً على جعلها من الآثار القديمة فإنها ببابها القديم من جذوع النخل ودرجها أبقى هيكلها على وضعه القديم.

وقد قام الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين الذي تولى إمامة المسجد الكبير الجامع والتدريس فيه بعد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي بوضع مخططات المسجد الجامع مستعيناً بالمهندسين والفنيين وسعى بموضوعه حتى ظهر المسجد في مظهر لائق بمصابيح الكهرباء ودورات المياه.

وهكذا والحمد لله فإن الله سبحانه قد يسر بناية المساجد، وكان قد سبق بناية الجامع الكبير مسجد رئيس الديوان الملكي صالح بن عباد الواقع في شرقي البلد أيضاً.

ولقد جدت الأمة بعمارة المساجد وتوسعتها والتسابق إلى الإنفاق فيها كما يشاهد في مدينة الرس ومدينة البكيرية التي قام بعمارة جامعها الكبير حمود الذياب، وظهر بهيكله الجميل وقد رأيت جامعاً كبيراً في مدينة جدة حسن الوضع والتطريز قام بعمارته عبد الرحمن بن نويصر وحواليه مسجد أقيم على نفقة أحد المواطنين حسن الوضع والتطريز وقد أقيم له خمسة بيوت وينسب إلى المطرب محمد عبدُه والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وقد وقع سؤال بين يدي فضيلة رئيس الإفتاء والبحوث الدينية عبد العزيز بن باز عن حكم الصلاة فيه لأنه لا يعلم من أي نفقة استقام.

فأجاب بأنه لا مانع من الصلاة فيه وليس على المصلين فيه إلا مصلحة وجوده التي تعود عليهم بالفائدة.

إن مدينة عنيزة والحق يقال فيها رجال ذوو مروءة واحتشام للضيوف ويمتازون برقة الكلام والأدب ولين الجانب مظهرين الخدمة والاحتشام لمن قدم عليهم وكانوا يقدمون بلدهم ويرفعون من شأنه ولا يحط ذلك من قدرهم كما في الحديث حب الوطن من الإيمان، ومما يمتازون به عدم السباب بعضهم لبعض وترك الغيبة والنميمة من بعضهم لبعض.

وكان من سكان بريدة شاب مستخدم في محكمة عنيزة يذهب كل صباح ممتطياً دراجة بخارية من بريدة إلى عنيزة فلا تسأل عما يكابده من لفح الرياح في زمهرير الشتاء وسموم الصيف، فانطرح بين يدي يشكو الحال، ولعلي أذهب به إلى رئيس المحكمة فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبدان لنقله إلى بريدة فركبنا تاكسي في هذه المرة وعندما قدمنا إلى عنيزة كان القاضي قد خرج مع الخصوم إلى القرعاوية فأوقفت صاحب تاكسي وسألته عن القرعاوية فقال نعم إنه ذهب إليها ولكن اركب فلعلك إن ذهبت راجلاً لا تدركه، ولما أن قربنا منها ودعنا ورفعت يدي إلى جيبي لأناوله الأجرة فأسف لذلك وأقسم بالله أن لا يأخذ مني شيئاً، وقال يا عجباً إن حقك أن أذبح لك ذبيحة في أربعمائة ريال فكيف آخذ منك شيئاً، فشكرت له وكان رجلاً أشمط قد علاه المشيب.

وامتطيت مرة في إيابي من الحج سيارة من تريد عنيزة وهي لإبراهيم عاشوراء وذلك في سنة (١٣٦٢هـ) بوقت كانت السيارات هزيلة لقلتها وعدم قطع الغيار بمناسبة الحرب العالمية الثانية بحيث جعلنا الطريق تسعة أيام بينها وبين مكة المكرمة ولما أن قدمنا إلى الوادي من عند قصر ابن بطاح صباحاً تلقانا الصبيان لطول السفر

يرحبون بقدومنا وركبوا معنا ولسوء الحظ كانت السيارة تعبانة لا أعادها الله فما أن وصلنا إلى المضباعة حتى خربت السيارة وتعطلت في ساعة كانت السماء تهتن بالأمطار والرياح الشديدة باردة وتعذر السير.

فقام رجال الرفقة إلي وقالوا إن نساءنا وهذا الصبي معهن وكان مراهقاً بعضهن يحتجبن منه والبز والقماش الذي تحمله السيارة مختلف الألوان في حفظ الله ثم حفظك وسننطلق لتستفزع أولاد علي لنجدتنا.

فقلت وأنا من حقي عليكم تبعثون إلى أحد الجمالة الثلاثة الذين يترددون من بين بريدة وعنيزة لجلب البضائع بينهما فإني أريد الوطن لأنه وإن كان قريباً فهو بعيد في هذه الساعة الراهنة ثم قمت وجعلت النساء في ظل السيارة وكن سبعاً وأحطت عليهن بحاجز عن دخول الماء وجعلت الصبي في غمارة السيارة وجعلت بما أستطيعه أغطي حمولة السيارة بالبطانيات والبسط واللحف عن الماء وكنت أظن أن تلك الساعة من أشد ما مر في العمر لأني كنت هدفاً للماء والبرد.

أما عن السائق فقد بعث المساعد إلى عنيزة ليأتيه بطعام منها وتدثر في بشت غليظ صفيق يسمى بودي تمدد فيه للراحة.

فما كان إلا قليل حتى جاءوا بأحد عشر حماراً تحمل على ظهورها المحامل الخشبية وناقة تحمل خيمة كبيرة لتؤمن حمولة السيارة وجاءوا بمأكولات شهية كثيرة فحملوني مع رحلي إلى بيت فلان الذي هو أحد الجمالة طاهر أما عن الحقيقة فإنهم أبدوا أسفهم الشديد في كوني لم أطمئن إلى بيوتهم في تلك الساعة الحرجة قائلين والله لو كنت قادماً على صلب لما كنت في هذه الوحشة، البلد بلدك والبيوت بيتك والأهل أهلك والأولاد خدمك وذهب بي الجمال إلى بيت أحد الرفقة محمد بن عبد الرحمن بن سليم حيث وجدت لديه كرامة وحشمة فد أضرم النيران ونقل إليها حطباً جزلاً ووالى الأطعمة والقهوة والشاي وفي آخر الليل أتى بطعام الحنيني بحيث كان أفخر المطعومات إذ ذاك.

وأشار علي بأن لا أسير إلى بريدة والحالة هذه ريح باردة شديدة شمالية شرقية وأمطار عاصفة والأسواق ممتلئة بالمياه وطلب مني التريث ولو أقمت شهراً فإني عند أهل ومحبوب وكريم لديهم.

لكنني آثرت السير من الغد على أي حالة كانت بحيث امتطيت حماراً بالأجرة وبصحبتي صاحب الحمار وأعرابي شاب عليه مشلح ويظهر أنه من أهل الدِّين والخير وكان محمد لما رأى أني مصمم على السفر زودنا بمطبقة مملوءة تمراً لذيذاً وصندوق كبريت إن احتجنا إلى إيقاد نار نصطلي عليها في الطريق، وسرنا والحمد لله حتى وصلنا إلى بريدة بعد المغرب بحيث كان الطريق سبع ساعات لهذه الظروف القاسية.

وفيها في ٢٥ محرم قام رئيس وزراء حكومة السودان الصادق المهدي بزيارة قصيرة للمملكة السعودية استغرقت يوماً واحداً فاستقبله الملك فهد بن عبد العزيز حيث يتم إجراء مباحثات تتعلق بتعزيز العلاقات الثنائية وكان من هذه الزيارة أن أهدى الملك فهد للشعب السوداني ثلاثة مستشفيات متكاملة الأجهزة والمعدات الطبية الحديثة بسعة مائة سرير لكل منها في كل من مدينة أم درمان العاصمة الوطنية للبلاد ومدينة كسلا عاصمة المحافظة الشرقية ومدينة الفاشر عاصمة شمال إقليم دارفور وقد زادت تكلفة هذه المستشفيات على عشرة ملايين دولار أمريكي هذا ولا تزال طائرات مؤن الإغاثة التي ترسلها الحكومة إلى مناطق الجفاف والمجاعة في شرق وغرب السودان لم تنقطع عن نقل المزيد من هذه المؤن مما خفف الوطأة من الجفاف والمجاعة هناك بأن الله عز وجل ابتلى حكومة السودان بالجفاف ثم بالطوفان والأمطار التي سببت عليهم الجلاء عن مساكنهم ثم الجراد، وسيمر بنا في هذا التاريخ ما بعثته الحكومة السعودية إليها من الإعانات والإغاثة بالمؤن والأطعمة والنقود وغير ذلك مما لا تبلغه العبارة وكانت الطائرات ترسل شاحنة إليهم.

ولكن الأمر أدهى وأعظم وقد توجهت طائرات الإغاثة بحمولتها في هذه السنة إلى الخرطوم وبما أنهم انشقوا وقام المتمردون في الجنوب من أرض السودان يحاربون حكومة السودان فقد قام دبلوماسيون تابعون للدول التي تقدم مواد الإغاثة يتفاوضون مع الحكومة بشأن كيفية توزيع تلك المواد في الجنوب.

وكان المتمردون قد أسقطوا طائرة تابعة للخطوط الجوية السودانية في الشهر الماضي وقتل في الحادث جميع من كانوا على متنها وهم ستون شخصاً، واستمر تهديد ثوار جيش تحرير الشعب السوداني بإسقاط أي طائرة تدخل المجال الجوي الجنوبي بدون إذنهم، وقد وصف رئيس الوزراء السوداني الصادق المهدي جيش تحرير الشعب السوداني بأنه منظمة إرهابية إثر الحادث المتقدم وقطع محادثات السلام التي كان قد بدأها مع زعيم المتمردين العقيد (جون قرنق) في أديس أبابا في شهر تموز يوليو الماضي.

وفيها في ٢/٢٦ تمت عمارة مسجد قباء الأخيرة وتوسعته على يدي صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز وقد أضيف إلى هذه العمارة دورات مياه للرجال على حده وقسم للنساء وجعل له منارتان وكانت تلك العمارة ممتازة جداً وكان للنساء جناح ممتاز يصلين فيه وأصبح المسجد بمظهر رائع ورونق حسن جداً مفروشاً بالفرش الثمينة ومملوءاً بمصاحف كثيرة ومكيفاً بتكييف باهر ومكسياً بالحجر ومناراً بالكهرباء.

وفي تلك الآونة وفاة أمير الباحة إبراهيم بن عبد العزيز آل إبراهيم رحمه الله وعفا عنه وكانت وفاته بسبب الغرق بحيث كان يسير في سيارته معه بعض رفقته فلم يشعروا إلا بالوادي قد دهمهم فنزل عن سيارته لينجو فكان ضحية الغرق وسلم رفقته الذين لزموا مكانهم في السيارة وقد قيل إن وفاته في ٧/٢٧ من السنة المتقدمة.

ثم دخلت سنة (١٤٠٨هـ)

استهلت هذه السنة والعمال يدأبون في توسعة الحرمين الشريفين، وبما أن سطح المسجد الحرام قابل لأن يكون مصلى لسعته فقد قامت الحكومة لاستغلال السطح في أوقات المواسم كزمن الحج وشهر رمضان بحيث اتسع لمائتي ألف مصلٍّ، كما أن الحكومة جادة في التصليحات في الطرق.

فهذا طريق الدمام قد امتد في سعته على ثلاثة أسياد ذهاباً وإياباً من عاصمة القصيم حينما انفصل هذا الطريق السريع من خط بريدة عنيزة مشرقاً من خلف فرع جامعة الإمام محمد بن سعود محاطاً بالأسلاك المانعة من دخول البهائم إلى الخط حتى يمر بالرياض فيستمر إلى الدمام بهذا الوضع واكتسبت الأمة راحة في قلة الحوادث والاصطدامات.

وقد جعلت الحكومة جزاءً على من تجاوز الحد في السرعة ولما أن تجاوز الدمام رأت الحكومة إنشاء جسر بين المملكة وبين البحرين ذلك بأنه كان سابقاً لا يتوصل إلى البحرين إلا عن طريق الجو أو البحر فأنشأت هذا الجسر على متن البحر بصفة هندسية يربط بين المملكتين عن طريق اليابسة كما أسلفنا وقد جعلوا في باب هذا الجسر مكتباً للمرور وبعد انتهاء عشر كيلوات تنتهي حدود المملكة وهناك جزيرة صغيرة للاستراحة فيها مسجد جميل التطريز ودورة مياه وحديقة فمن أراد الذهاب إلى البحرين فيدفع ضريبة عشرين ريالاً لمكتب في حدود البحرين بشرط أن يكون حاملاً للجواز ومن أراد النزهة والفرجة فإنه يأخذ بذات اليسار للرجوع إلى المملكة عن طريق في هذا المتسع الجميل ويسمى هذا الجسر باسم جسر الملك فهد وسيأتي عن ذكر المنطقة الشرقية بقية ذكر.

وفي محرم من هذه السنة تم للحرب العراقية الإيرانية سبع سنوات، ولما أن رأت أمريكا أن إيران غير خاضعة لقرار مجلس الأمن رقم (٥٩٨) بل لا تزال في عنادها

أطلقت صاروخاً على طائرة إيرانية تحمل مائتين وتسعين راكباً فاحترقت وهلك جميع ركابها وبعد ذلك التفتت إيران يمنة ويسرة فعلمت أن لا فائدة لها في مواصلة الحرب، وقبلت القرار رقم (٥٩٨) راغمة كما يقوله الخميني وأن ذلك كوقع السم على أحشائه وكان ذلك في آخر هذه السنة قبله وهو كاره له.

ولما أن كان في يوم الاثنين ٥ ذي الحجة من هذه السنة (١٤٠٨هـ) يوافق ١٨ تموز يوليو (١٩٨٨م) أعلنت إيران قبولها لقرار مجلس الأمن رقم (٥٩٨) لوقف إطلاق النار وكانت إيران قد خسرت الحرب وتخلت عن أراضٍ عراقية وتورطت في تصرفاتها السيئة فأعلنت رسمياً ارتياحها لقرار مجلس الأمن واحتجت بأن إسقاط الطائرة الإيرانية بفعل أمريكي وقد تلف فيها (٢٩٠) راكباً مدنياً وتدخلت سفن حربية أجنبية في الخليج هذا هو الذي دفعها إلى ذلك.

وفيها في شعبان في إبريل قطعت الحكومة السعودية العلاقات بينها وبين إيران يوافق (١٩٨٨م) ذلك لما قصدت له من العداوة للحكومة السعودية وقتلها السفير السعودي في إيران وهجومها على حجاج بيت الله أمام الكعبة والمسجد الحرام الذي جعله الله أمناً، وبما أن السعودية هي المسئولة عن تأمين الحرمين الشريفين لكونهما في ولايتها وقامت إيران بهتكها لحرمات الله أمام بيت الله ويقول الله جل ذكره: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[1] ولا ريب أنها وصمة عظيمة سودت وجه إيران، فقد عزمت قبل الواقعة بسنة على إرادة الإلحاد في مكة المكرمة ثم أقدمت في العام الماضي على ما أقدمت عليه من تقتيل حجاج بيت الله وأذيتهم فقد وجبت مقاطعتهم والتبري منهم ومنابذتهم بعد عرض مسألتهم على العالم الإسلامي.

وفيها في ١٣ ربيع الثاني قام أهالي فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة وما

---

(١) سورة الحج، آية ٢٥.

إليها بانتفاضة ضد اليهود سميت الانتفاضة الفلسطينية توافق رابع كانون أول ديسمبر (١٩٨٧م)، وقام الصبيان الفلسطينيون والشباب يرجمون سيارات اليهود الصهاينة بالحجارة والزجاجات المحماة بالنار وجرت مظاهرات فكابدت اليهود الصهاينة من تلك الانتفاضة مشقة وقابلوا هذه الانتفاضة بإطلاق قنابل الغاز وبالدخان المسيل للدموع وقد يطلقون العيارات النارية على المتظاهرين.

وسقط من ذلك قتلى وجرحى من أهالي فلسطين ولكنهم لم يعبأوا بما يقوم به اليهود من البطش بهم والتعذيب والتنكيل واستمرت الانتفاضة بقوة ونشاط وقتال بينهم وبين اليهود.

ولعل هؤلاء الشباب من الفلسطينيين لما رأوا شجاعة المجاهدين في أفغانستان وسعيهم في تحرير بلادهم وصمودهم حتى أذل الله روسيا بقوتها وحدِّها وحديدها وانهزمت أمام الإيمان والعقيدة فتتبعثر قوات روسيا لما رأت الثبات الذي نشأ من أهالي أفغانستان وتندحر مدافعها وصواريخها وطائراتها لما صدق أهالي أفغانستان الحملة عليها وثبتوا أمام كيد أعظم دولة على وجه الأرض وكبدوها خسائر في الأرواح والمعدات الحربية وأسقطوا طائراتها حتى أدخلوا الرعب في قلوبهم وانسحبوا من أراضي أفغانستان.

وهكذا الإيمان إذا صدق أهله الحملة مستعينين بالله فإنه يتبعثر الباطل أمامهم وأثبت الدهر لأهل أفغانستان جدارة وشجاعة بيضوا بها وجه تاريخهم ولقد استشهد من أراد الله لهم الشهادة وجرح آخرون وتقطعت أوصال بعضهم ولكنهم لم يهنوا ولم يستكينوا وثبتوا في الجبال والمغارات يطلقون المدافع الصاروخية ويقذفون بالقوات التي حصلوا عليها من العرب والمسلمين وغيرهم وقد أمدتهم أمريكا وقام المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ممن تقلهم الغبراء وتظلهم الخضراء بمساعدتهم حتى كتب الله لهم النصر ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1]

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٢٦.

وقد امتلأت المساجد في السعودية من المساعدات بالكسوة والفرش والأكوات تبرعاً لهم وحملتها إليهم الطائرات كما أن الأطعمة والنقود التي زادت على عشرات الملايين تبعث إليهم، وقد اعترفت الحكومة السعودية بحكومة أفغانستان في السنة التي بعد هذه.

أما عن أهالي فلسطين فقد قاموا في هذه المرة بحجارتهم التي لا يملكون سواها وبالزجاجات الحارقة يرمون اليهود وثبتوا في هذه الانتفاضة، وكانت اليهود تعذبهم بأنواع التعذيبات ولكنهم استمروا في نضالهم.

ولقد كان أهالي فلسطين ينشؤون لأبنائهم أسماء كغازي ونضال ونحوها مما يبعث الحماسة في صدورهم لما أن عقلوا فاثنتان وأربعون سنة كانوا يكابدون أذى اليهود وتعسفاتهم وبما أن العدو لم يحترم كبيراً ولم يرحم صغيراً، فقد ثبتوا في هذه الانتفاضة صابرين على ما يصيبهم من التعذيب تارة بهدم مساكنهم وتارة برضخ رؤوسهم بالصخر، وتارة بشق بطونهم، وتارة بإيقافهم في حر الظهيرة على قدم واحد، وفي كل يوم قد خسر الفسلطينيون عشرات القتلى والجرحى وهم مع ذلك ثابتون، وللعدو يجاهدون واستمرت هذه الانتفاضة التي أعجب بها العرب قاطبة وتدفقت عليهم المؤن والمساعدات من العرب والمسلمين بحيث كمل لهذه الانتفاضة سنة وأربعة شهور، ولا يعلم نتيجتها إلا الله عز وجل، كما قيل:

إن الليالي والأيام حاملة   وليس يعلم غير الله ما تلد

وإنه ليعجب العاقل من تصرفات أمريكا ومن أيدها في موقفهم نحو أهالي فلسطين وكيف أن اليهود تسومهم سوء العذاب، ولم تتحرك جارحة من أمريكا وأتباعها المؤيدين لليهود لرحمة أهالي فلسطين غلبوا على ديارهم وأوذوا في عقر بيوتهم تقتل نساؤهم وشيوخهم وأطفالهم وتنتهب أموالهم وامتلأت السجون منهم وكيف نزع الله الرحمة من قلوب الأمريكيين نحو هذه الأمة المغلوبة الذين يدافعون العدو بأيديهم وحجارتهم، ولا يملكون مدفعاً ولا سيفاً ولا بندقية ولا مسدساً ولا

رشاشاً وهم أمام عدو لئيم غاشم سلاحه القنابل الذرية والمدافع والرشاشات والصواريخ الفتاكة التي تمدهم بها أمريكا وتعملها في مصانع تل أبيب.

وفي كل يوم قد هدمت اليهود جزءاً من منازلهم وأغلقت مساجدهم ومدارسهم حتى أصبح هؤلاء الضعفاء لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

فوالله لو أن أمريكا تملك ذرة في قلوبها من الشرف والرحمة أو الخوف من الله أو كانوا على حسب كفرهم وضلالهم يدينون بدين يعبدون به الأصنام كما هم عليه على أقل تقدير لكان لهم من ذلك ما يردهم عن تسليط اليهود الصهاينة على أهالي فلسطين مع العلم أن مقاتل اليهود الصهاينة إنما يقاتل أمريكا بحيث تقوم بجدها وحديدها وطائراتها وأهوالها بنصرة هذه الدولة التي سمت نفسها دولة إسرائيل.

وإذا كان هذا موقف أمريكا مع اليهود فكيف لا تنصف من نفسها خشية العار وتأخذ على أيدي حليفتها عن هذه المجازر البشرية والأعمال التعسفية التي لو كانت من دماء الكلاب والخنازير لكان في الأديان السماوية ما يمنعها.

أما عن مجلس الأمن فلا شك أنه آلة بيد أمريكا واليهود يصرفونه كيف شاؤوا، فأين قرار الأمم وهيئتها وأين العدالة وأين الأمم المفكرة وأين عقول البريطانيين الذين منحوا اليهود وطن أهالي فلسطين ووقفوا هم والأمريكيين في ورطة أهالي فلسطين وقفة المتفرج أمام تلك الدماء التي تسفك والمنازل التي تهدم، وتعمل أيدي الدمار بأولئك البشر تلك الأعمال المخزية من التقتيل والتخريب والتشريد ما لو كان معهم إنسانية لوضعوا لها حداً فاعتبروا يا أولي الأبصار.

أما عن الحرب العراقية الإيرانية فكما أسلفنا استمرت طيلة سبع سنوات، وفي هذه السنة تمام ثمان سنوات، وعجز مجلس الأمن بقرار (٥٩٨) وعجزت هيأة الأمم عن وقف إطلاق النار والتزام قبول قرار مجلس الأمن في آخرها كما قدمنا وفي ٢٣ ربيع الأول تعرضت إيران للمراكب البحرية وحاملات الزيت في الخليج

بالتحريق والتدمير، واستمرت في شرها وويلاتها وكانت روسيا تمدها بالصواريخ ضد العرب، وتحرشت إيران بالكويت وأطلقت الصواريخ عليها، وهكذا حتى آخر هذه السنة.

وفيها هطلت أمطار على السودان في الخرطوم فحصلت فيضانات سقط من جراءها خمسة آلاف بيت، وهلك أناس فبعثوا استغاثة إلى الأمة يطلبون خياماً ونجدة من الأغذية والأكسية من جراء تلك السيول، وتغلبت الفيضانات بدخول الماء إلى المنازل بنسبة ٨٠٪، هذا بعدما فتحت بوابتان على النيل الأزرق لعله يخفف الضغط ولتوالي الأمطار فإن فتح البوابات بسبب الأزرق أغرق البيوت أو أعظمها.

وقد شرد في السودان أكثر من مليون شخص عدى القتلى وقضى مئات الألوف من الناس في ٢٧ ذي الحجة ثلاثة أيام على التوالي مكدسين وسط أكوام من الأمتعة التي تم إنقاذها بعد فيضانات اجتاحت المنازل وأغرقتها في مياه النيل تاركة وراءها ما لا يقل عن ربع سكان العاصمة السودانية البالغ عددها أربعة ملايين نسمة بلا مأوى وما زالت الطائرات السعودية في نقل المؤن والأغذية إلى السودان حتى بلغت عدتها إلى ١٤/١ من السنة القادمة مائة طائرة وخمسين طائرة ولا تزال الطائرات في نقلها وقد تجاوز العدد حتى بلغ عدد المشردين من أهالي السودان في الخرطوم مليونين من الأنفس البشرية.

وفيها هطلت على مصر في يوم الأربعاء ٣ جمادى الأولى أمطار غزيرة لم يعهد مثلها منذ خمس سنوات بحيث هلك بسببها ٤٢ شخصاً غرقوا وتعطل سير ألفي سيارة فيها.

حادث في مصر

ففي ٢١ ربيع الثاني خرج باص من خط القطار فتقطعت كفراته وأصيب من ركابه الذين يبلغ عددهم خمسين بإصابات هلك أكثرهم والبقية بحالة خطرة.

ولما أن كان في يوم السبت ٢٠ جمادى الأولى قام رئيس الجمهورية المصرية محمد حسني مبارك بزيارة رسمية للمملكة السعودية فاستقبل استقبالاً رائعاً وأطلق لقدومه ٢١ مدفعاً، وقد استقبله الملك فهد وتبادلا التحية وتعانقا وأظهرا كامل المحبة المتأصلة وتبادلا السفراء وكان في صحبة الرئيس رؤساء دولته كما استقبله رؤساء الحكومة السعودية.

وفيها قام وزير الدفاع الأمريكي بزيارة للمملكة السعودية فاستقبله وزير الدفاع السعودي سلطان بن عبد العزيز وقوبل بكل ترحيب واستقبال.

وفيها في ١٧ جمادى الأولى هطلت أمطار غزيرة على القصيم واستمر نزول المطر طيلة ذلك اليوم رذاذاً متواصلاً من دون كثرة رعود وبروق واستمر بهذا الوضع ٣٦ ساعة بحيث زاد هطولها بكثرة في اليوم ١٨ حتى امتلأت الروابي وجرت الأودية والشعاب.

ولما أن كان في سابع شهر رجب هطلت أمطار على الجمعة وكنت في تلك اللحظة قبل أذان العصر ماراً بها أريد الرياض فكدنا أن نتعطل عن السير لولا لطف الله في كون السيارة السبرمان مؤمنة في إغلاقها وزجاجها فكنا في الطريق إلى الرياض تحت هطول الأمطار الغزيرة، ولما أن قدمنا مدينة الرياض إذا قد أصيبت ببَرَد عظيم قد غطى الرصيفات ومنع حركة المرور بحيث وجدنا الإسعافات والنجدات في إخراج بعض السيارات التي تورطت بالمياه إلى أعالي الكفرات وكان المطر عظيماً جداً مصحوباً بالبَرَد الكثير الذي كان مكدساً فوق الرصيفات كالجبال.

مؤتمر قمة عام (١٤٠٨هـ)

كانت من نتيجة هذا المؤتمر تحسن العلاقات بين مصر والدول العربية بعدما ساءت بسبب صلح أنور السادات مع إسرائيل ونشأ عن ذلك زيارة الرئيس المصري للسعودية كما قدمنا.

ففي يوم الأحد ١٧ ربيع الأول من هذه السنة عقد هذا المؤتمر في عمان بين ملوك العرب ورؤسائها بشأن الإصلاح بين سوريا والعراق والحرب العراقية الإيرانية، وقد حضره جميع رؤساء العرب سوى معمر القذافي رئيس ليبيا ورئيس تونس، وقد قام ولي العهد عبد الله بن عبد العزيز بالنيابة عن الملك فهد، وكان من ثمرات هذا المؤتمر تحسن العلاقات بين العراق وسوريا وبين مصر والدول العربية، كما قدمنا وكان فيه أكبر مصلحة للعرب نسأل الله أن يجمع شمل العرب والمسلمين.

وفي هذه السنة ارتفع سعر البنزين في السعودية لغاية عظيمة كما أنه زيد في رخص السيارات وتجديد استماراتها إلى درجة شاقة وأوجد قبل ذلك موضع فحص للسيارات يتجدد في كل ستة شهور بضريبة سبعين ريالاً لكل سيارة كما زيد في هذه السنة ضريبة الهاتف.

زيارة الملك فهد للقصيم

ففيها في ٢٥/٦ قامت منطقة القصيم تستعد بالزينات وأقواس النصر والدروايز لزيارة الملك أيده الله وحفظه، وقد كسيت أعمدة الكهرباء في الشوارع الرسمية والدوائر بالأنوار الكهربائية واستمرت إقامة الأقواس ومعالم الزينة بأنواع اللمبات الكهربائية الملونة أحمر وأخضر وأصفر وأزرق، وما زالت الأمة في إقامة الدراويز في كل مدينة وقرية، ومنها ما كانت مثمنة.

ولقد حظيت العاصمة بريدة باستعداد عظيم وأقام أهل القصيم بقية جمادى ورجب ومنتصف شعبان وقام أهالي المنطقة يدربون بالعرضات النجدية في كل مدينة وقرية.

ولما أن كان في آخر يوم الجمعة ١٤ شعبان قدم في الساعة السادسة تماماً تزيد ٣٥ دقيقة وقد اصطفت أبناء المدارس صفين على مسافة ٦ كيلوات من أبواب القصور الملكية إلى الجسر الكائن بعد الشقة في طريق المطار فاستقبلته أهالي منطقة

القصيم بالترحيب والأشواق القلبية، ولما أن كان بعد صلاة الظهر من الغد كانت الأمة قد اجتمعت للسلام عليه في القصر الملكي فوقف وعن يمينه ولي العهد وجعلت الخلائق تزدحم للسلام على جلالته وكان يتلقاهم حتى أدوا التحية ولما أن كان في الساعة الثامنة زوالي من مساء يوم السبت بعد صلاة العشاء الآخرة حضر للاحتفال الذي أقيم له ولحاشيته وللأسرة المالكة في الاستاد الرياضي بمدينة بريدة في أُبّهة عظيمة وأنوار وزينات كأن الشمس لم تغب وكان قد حضر هذا الاحتفال خلائق عظيمة من المنطقة وغيرها بدعوات بعثت إليهم.

وكان هذا الاحتفال فخماً تقدم أمام الأمة ولي العهد يشارك في الاستعراض فعرض في هذا الاحتفال أشياء من الآثار القديمة منها بيت من الشعر تحمله سيارة في وسط البيت أعراب جالسون على النار التي ارتفع سناها بطول متر أمامهم الوجار وأواني القهوة ومنها بئر سانية عليها الدراج والبكرات الجميلة والإبل تحمل الماء، ويسمع للسانية صوت مطرب كعادة القدامى يحمل البئر بسانيتها سيارة أعدت لذلك وكأن البئر على ظهر الأرض تسير بها سيارتها.

وخيل وإبل على ظهر سيارة، منها بعير يحمل حملاً من عسبان النخيل.

ومنها دكان محمول على ظهر سيارة تسير به من دكاكين الصناع في شارع الصناعة القديم أقيم فيه قدر عظيم قد حف به العمال يدقونه بمطارقهم بصوت يذكر بالعمل القديم.

وكان سوق الصناع في بريدة قديماً إذا مررت به فإنك لا تسمع بأذن من أصوات المطارق قوم يصنعون القدور النحاسية والصياني الضخمة والمخارف وغيرها من الأواني النحاسية المدهونة بالرصاص.

ومما عرض قصر بريدة القديم الذي كان كالعلم فيها تحمله سيارة تسير به عرض ببروجه وأسواره وشرفة ومصاليته وكان مرأى تلك الآثار رائعاً جداً لأنه يذكر بالحالة القديمة كأنها مرأى بعين وكان قد جعل فوقه الحمام تطير بين شرفاته.

ثم سار بموكبه إلى الوليمة التي أقامها له أهـالي مدينـة بريـدة ودعـوا لها أهـل المنطقة بأجمعهم وكانت قد أقيمت بخيام عظيمة ضخمة يقدر ميدانها بـ (١٣٠٠٠٠) متر مربع مزيناً ذلك المحفل الجميل بالزينات والأنوار التي كان بهـا في ظلمـة الليـل كسادسة النهار محفوفاً بالكراسي على اختلاف أنواعها، وكان مرادفاً الميـدان الملـك خالد الحضاري إلى جهة الشمالي، وقد حضر لذلك الأعيـان مـن المنطقـة الشـرقية والوسطى والشمالية والغربية والجنوبية وعامة أهالي المنطقة في القصيم.

وكان ذلك الاحتفال قد أقيم في ظرف أربعة أيام، وذلـك لأن جلالـة الملـك لم يعجبه قيام أهالي مدينة بريدة بما قد يشق علـيهم، ولـما أن حصـلوا علـى إذن مـن جلالته وتقرر أن تكون وليمة مليكهم ليلة الأحد ١٦ شـعبان بعـد صـلاة العشـاء الأخير استطاعوا بما أوتوا من مقدرة وخدمة لإمام المسلمين أن يحشروا المعدات من كل جهة ووافقوا أن جميع الشركات الموجودات في مدينة بريدة تعاضدوا وتكـاتفوا لتقديم الدركتورات والشيولات والجرافات لهذه المهمـة فظهـر احتفـالهم في مظهـر عظيم لائق جداً في ذلك الوقت القصير.

وأعجب صاحب السمو أمير المنطقة عبد الإله بن عبـد العزيـز بشـجاعة أهـل البلد وتقدمهم بحيث ظهرت تلك الوليمة الكبرى لذلك المظهر الغريب، وكنـت لا ترى موضع قدم أو شبر إلا وفيه ضـيف مـن كـبير وصـغير شـيخ وكهـل وشـاب يتزاحمون على مائدة الملك فهد بن عبد العزيز وأصحاب السمو الأمراء، وقد تقـدم أصحاب الفضيلة العلماء ومعالي الوزراء وأمراء المدن والقرى والهجر من حاضرة وبادية.

ثم لما كان من الغدا سار إلى مدينة عنيزة لتناول طعام الغداء فيها الذي أقيمـت مائدته فيها وزار بعض المدن الكبار في القصيم ودخل من بين تلـك الـدراويز الـتي أقيمت له.

أما عن ذلك المحفل فقد أقيم في ذلك الميدان بها ويباشر الأعمال فيهـا خمسـون

عاملاً ومطبخ كبير لكل من زار مدينة بريدة فقد يذبح في كل يوم عدد من الضأن يتراوح عدده من خمس وثلاثين ذبيحة إلى خمسين ذبيحة، وصبت الثلاجات والبرادات واستمر عمل العمال أربعاً وعشرين ساعة لا يتخلون عن العمل، وفي يوم المائدة تكلفت مائدة جلالة الملك بستمائة وخمسين ذبيحة، بما في ذلك من الاطعمة والخضراوات وشحنات الأرز مفرقاً على سفرتين خاصة للملك وعامة لجميع الحاضرين، بحيث لم يقم في مدينة بريدة وليمة أكبر منها من حين ما نشأت وبينما كانت الزيارة لثلاثة أيام مددت تسعة أيام بحيث كانت عائلة الملك في صحبته وانتهت بإظهار الفرح والسرور.

وفيها في ١٦ ربيع الأول خلع الرئيس التونسي الحبيب أبو رقيبة وأقيم بدلاً عنه الرئيس زين العابدين بن علي، وكان قد تقدمت به السن إضافة إلى ذلك سوء تصرفات جرت منه قد تقدم بعضها.

ومما جرى من عجائب الزمان وقلة وفاء الدنيا وكثرة جفائها أنه بعد الرئاسة والعز والشرف قد بعث برسالة إلى الرئيس الجديد يسمح لبعض أفراد عائلته بزيارته بمنفاه، ولما أن زاره في يوم عيد الفطر قال فيها إنني أرجوك أن تأذن لي بالانتقال إلى منزلي لأكمل ما تبقى لي في منزلي العائلي، وكان منزله قد أصبح شبه متحف أثناء حكمه ويقع في وسط الحي القديم في المدينة ولكنه لم يتلق جواباً على طلبه بل أمر الرئيس الجديد بصرف مرتب شهري له وتوفير منزل مناسب له.

وفيها في آخر شهر ذي القعدة في الأيام السبعة الأخيرة من نوء الهقعة أصيبت الأمة بموجة حر شديد جداً بحيث هلك عشرات النفوس البشرية في اليونان، وفي بعض المدن السعودية ارتفعت درجة الحرارة إلى (٥٥) درجة، وذكر في مدينة حائل أنهم لم يعهدوا ذلك الحر منذ زمن طويل، وفي هذه الآونة بينما اجتاحت العالم موجة الحر اللاهبة قام اليهود بقطع المياه عن معسكري البريج والنصيرات بقطاع غزة عل أهل تلك الأمكنة يهلكون عطشاً، وفي ذلك يقول الشاعر حسن خليل حسن:

سـقياك يـا ربـاه للأحبـاب عشـاق الجهـاد
الصـامدين هنـاك في أرض البطولـة في بـلادي
الثـائرين علـى الصـهاينة اللئـام علـى الفسـاد
النـاس في بلـدي عطـاش كيـف يـا رب العبـاد
يـا رب أهـل دون مـاء في بـلادي دون واد
أيعطشـون وحـولهم أنهارنـا مـلء البـوادي
سـقياك يـا رب فيضـا مـن سمـاءك والوهـاد

وفي ٢٠ من شـوال مـن هـذه السـنة قامـت اليهـود الصـهاينة يجرفـون مقـبرة للمسلمين في طولكرم وألقوا برفات الموتى على الطـرق حقـداً واسـتهتاراً وتحـدياً لمشاعر الأحياء وتعبيراً عن حقدها على الأموات.

ومما يندى له الجبين أن تقوم بجرائمها الوحشية وتقتحم قواتهـا منـزل المـواطن الفلسطيني إسماعيل البابا وتجمع أفراد عائلته البالغ عددهم ثمانية في غرفة واحـدة من المنزل ثم اعتدوا عليهم بالضرب بالهراوات وأعقاب البنادق وقيـدتهم بالحبـال ثم أغلقوا عليهم الغرفة بعد أن قذفوهم بقنبلتين مسيلتين للدموع.

واشتبكت في القرى بمنطقة الخليل ومدينتي قلقيلية وطولكرم اشتباكات واسـعة مـع السـكان واعتقلـت في أثرهـا عديـداً مـن المـواطنين، وقـد رفـع المواطنـون الفلسطينيون خلال هذه الاشتباكات الأعلام الفلسطينية وأقاموا المتاريس والحواجز على الطرقات ورشقوا القوات الإسرائيلية بالحجارة ونددوا بزيـارة شـولتز لمنطقـة الشرق الأوسط.

وفيها في ٢٤ ذي الحجة بلغ عدد الاسـراء الإيـرانيين في العـراق ثلاثـين ألـف أسير، وبلغ عدد الأسراء العراقيين في إيران سبعين ألف أسير، وقد سـبق أن ذكرنـا ما حصل من النقص والشقاء بسبب هذه الحـرب الإيرانيـة العراقيـة، وقـد فشـلت إيران وخسرت الحرب.

ونشير هنا إلى أن الحكومة الإيرانية لما منيت بالهزائم التي لحقت بها فقد أطارت طائرة من طراز إف ٤ في صباح ١٩ شوال حاولت قصف دار سكن الرئيس صدام حسين في قرية العوجة ولكنها تصدت لها المقاومات الأرضية العراقية فأرغمتها على الفرار بعد أن ألقت قنابلها بشكل عشوائي على منطقة قريبة من دار سكن عائلة الرئيس صدام حسين، ولم ينجم عنها إصابة أحد من المواطنين، وكان ذلك في الساعة السادسة إلا خمس دقائق من صباح اليوم المذكور.

ولما وقف الخميني مكتوف اليدين بأن طلب السكرتير العام للأمم المتحدة تشكيل ثلاثمائة وخمسين مراقباً ووحدتان جوية وبحرية لوقف إطلاق النار بين العراق وإيران.

وقف إطلاق النار

ففي اليوم ٢٩ من ذي الحجة توقف إطلاق النار بين إيران والعراق، وذلك بقيام هيئة الأمم المتحدة بعدما سادت في اليومين قبله حالة هدوء نسبي قبل وقف إطلاق النار فقد قام السكرتير العام للأمم المتحدة يوم الاثنين ٢٥ ذي الحجة من هذه السنة بطلب تشكيل قوة من (٣٥٠) مراقباً بالإضافة إلى هيئة دعم عسكرية ووحدتان جوية وبحرية في إطار هئية الأمم المتحدة لمراقبة وقف إطلاق النار بين إيران والعراق، ثم قام المراقبون لتدعيم وقف إطلاق النار في انتظار إعلان (خافيير بيريز دي كويلار) الأمن العام للأمم المتحدة تقريره الخطي إلى المجلس حول ترتيبات وقف إطلاق النار بعد جلسة مشاورات مجلس الأمن أن الطرفين قد وافقا على وقف إطلاق النار، وقد قامت فرقة تابعة للأمم المتحدة قوامها (٢٥٠) جندياً بالإشراف على وقف إطلاق النار على طول الحدود الإيرانية العراقية التي تمتد لمسافة ألف كيلو ومائتي كيلومتر، وقد قال الأمين العام يوم الأحد ٢٥ ذي الحجة أنه يعتزم من حيث المبدأ إعلان موعد لوقف إطلاق النار ثم جاء التقدم المفاجئ في الجهود المبذولة لإنهاء الحرب الخليجية ثم أن مائة سفينة وسفينة كلها حربية

أمريكية وإيطالية وسوفيتية عبرت قناة السويس قادمة من الخليج العربي بعد انتهاء مهمتها وتضم هذه السفن حاملة الطائرات فورستر والمدمرات (سميث)، ومونتجمري، وميلوك، وسيرفيس، (وسوارنش) والفرقاطة (فالي جرين) ومنها سفينتا اتصالات تابعتان للأسطول الحربي السوفيتي هما (س٣٠٨ وس بي ٥٣٥) في طريقهما إلى البحر الأحمر وقافلة الجنوب التي ضمت كذلك مدمرتين إيطاليتين (إدرتو) و(إسبيرو).

ومن العجائب أن حوصر الأمين العام للأمم المتحدة خافيير بيريز دي كويلار داخل أحد المصاعد عندما كان في طريقه إلى مكتبه لإجراء محادثات مهمة مع وزير الخارجية الإيراني علي أكبر ولايتي حينما كان يسعى في مهمته وكان المصعد قد صعد نحو أربعة أقدام فقط عندما توقف فجأة وقد فتح حراس الأمين العام للأمم المتحدة باب المصعد عنوة وساعدوه على الخروج ليستقل مصعداً آخر.

وفيها حصل في الهند في نيودلهي وباء الكوليرا فذهب ضحيته مائتان وستون شخصاً وهو الالتهاب المعوي، وقد تم تشخيص (٢٣٢٧٩) حالة منذ بداية الوباء في أعقاب أمطار غزيرة، ولقح ضد الكوليرا حوالي مليونين ونصف مليون وتسببت موجة الفيضانات الحالية باجتياح أجزاء عديدة في الهند وقتل عدد من السكان وارتفع عدد القتلى إلى (١٧٨) قتيلاً.

وفيها في آخر السنة دمرت السيول عشرة آلاف مسكن في الخرطوم وكسلا والشوك وذلك في ٢٧ ذي الحجة وعاشت تلك البلدان في أسوأ كارثة منذ عام (١٩٤٦م) وعاش مليون شخص في السودان بدون مأوى، وذكرت إحدى المسئوليات أن مائتين وعشرة أشخاص ماتوا جوعاً في السودان وأن ما بين (٢٠) و(٣٠) شخصاً يموتون جوعاً يومياً في منطقة واحدة وأن الكثيرين سيموتون ما لم تصل المعونات الغذائية قريباً ومعظم الذين ماتوا من النساء والأطفال فعياذاً بالله، ولقد عظُم هطول الأمطار في السودان حتى بلغ الماء إلى منتصف الأشجار العالية في الشوارع وأثر ذلك تعكيراً في طقس السودان نشأ عنها حمى وأمراض.

وفيها وفي السنين التي قبلها قل نبات الكمأة بأسباب تأخر الأمطار في الوسمي لأن أمطار الوسمي سبب لوجودها فلأسباب تأخر الأمطار في زمن نفعها وكثرتها في عدم نفعها إذا كدست الزروع أو جعلت في البيادر فيكابد المزارعون مشقة من ذلك لتعفنها، وهذا بأسباب الذنوب والمعاصي، قلت الكمأة جداً وإن وجدت فإنها تباع بقيم باهظة فلا يحصل عليها إلا الأثرياء وأصحاب الجدة من الأقوياء.

وقد قال عنها رسول الله ﷺ : «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» ففي هذه السنة في ٢١ من جمادى الثانية ٢١ برج الدلو بلغت قيمة الكمأة حينما وجدت إن بيع الكرتون المحتوي على أربع كيلوغرام ثلاثة آلاف ريال وخمسمائة ريال وبيعت أربع حبات من الكمأة (الفقع) بأربعمائة ريال، وهذا يعتبر من نوادر الزمان بحيث كانت قيمة الوزنة التي تعتبر في زمننا كيلوغرام وربعاً منذ ستين سنة ببيشيله ونصف من العملة القديمة أي بقدر عُشْر ريال جزء من عشرة ووزنتين بخمس ريال جزء من خمسة فكانت قيمة أربع كيلوغرامات إذ ذاك بثلث ريال فسبحان المتصرف في خلقه على وفق مراده.

وكنت أذكر أنه في عام (١٣٧٤هـ) يجلس البائع ولديه على بساط أمامه في ماقفة بريدة كومة من التمر وكومة من الإقط وكومة من الكمأة (الفقع) وكومة من الجراد فيأخذ المشتري مما يشاء الوزنة بعُشر ريال بضم العين المهملة.

وما زالت مواد الغذاء تزداد في الغلاء حتى كان المشلح بعدما كان بثلاثين ريالاً بلغت قيمته أربعة آلاف ريال، وقد حدثني المسنون أن بلغت قيمة التمر عشر وزنات بريال وبلغت قيمة البر إن كان خمسة أصواع بريال، وما زالت المؤونة تشتد كما ذكره الذي لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه في حديث ابن عمر ﷺ: «ما طفف قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجوْر السلطان» فقد بلغت قيمة صاع البُرّ الممتاز أربعة عشر ريالاً وبلغت قيمة الشعير الممتاز للأكل نحواً من خمسة ريالات وهلم جرا.

كما أن قيمة السيارة الممتازة للركوب في هذه السنة بلغت ثلاثمائة ألف ريـال، وبلغ كيلو التمر السكري الممتاز في هذه السنة أربعة وعشرين ريالاً.

وقد اشتريت هـدي التمتـع عـام (١٣٥٩هـ) بثلاثـة ريـالات، فحـدثت الأخ الزاهد محمد بن إبراهيم النجيدي بذلك متعجباً من الرخص فذكر لـي أنـه ضـحى تلك السنة بمنى بتيس من المعز قيمته ريال واحد.

كما أني أذكر أنني خرجتُ معي أحـد الرفقـة علـى أثـر هطـول أمطـار نزلـت بالأمس لنرى آثار نعم الله فمررنا على بئر تقع على مسافة عشرين دقيقة من المدينة قد تعطلت فوجدنا بقعة على نثيلتها تقدر بمتر ونصف في متر ونصف قـد انشـالت وارتفعت بقدر ثلاثين سنتمتراً فرفعناها فوجدنا قد رفعها نوع مـن الكمـأة يسـمى الفطر وتسميه العامة فطيراء كانـت النباتـات الـتي وجـدناها تقـدر بعشـرين لكننـا اقتصرنا على عشر منها بحيث كانت تملأ قدراً متوسطاً من قدور الطبخ، وقد رأيـت منذ خمسين عاماً قرب السمن البري المستخرج من ضروع الأغنام ملقى علـى ظهـر الأرض حوالي دكاكين الماقفة المذكورة فعددت أمام دكان واحد أربعـين قربـة مـن النحاء التي ملئت بالسمن.

وكانت عِقيل الذين كـانوا ينحـدرون إلى العـراق ويـذهبون إلى مصـر والشـام للتجارة يفرّغون ذلك السـمن العظـيم في براميـل كبـار يسـع الواحـد منهـا أربعـاً وعشرين مصفحة فيجعلونه في تلك المصفحات.

وأقسم بالله لو كانت تلك القِرب تملأ ماءً لا سمناً لنزفـت الآبـار الـتي تؤخـذ منها، وفي زمننا هذا قلّت تلك البركات ونُزعت الخيرات، فقـد بلـغ كيلـو السـمن البري إن كانت قيمته بخمسة وستين ريالاً ولولا ما كان يرد من الجـوالين المعروفـة بعافيه وفقيه ونحوها من الأسماء لأوشك أن يعدم السمن وكانوا يسـمونه السـمن الشجري.

أما عن الودك المصفى قبل من شحوم بهيمة الأنعام والذي كان قوتاً للأمة قبل

ذلك، فإنه لا يكاد يؤكل ترفعاً عنه، ولما حدث من الرفاهية في أكثر الخلق والترف والمدنية التي اكتسبوها من البلدان الأخرى، وقد كان الودك فيما مضى مادة للسرج والمصابيح وإداماً للطعام فأصبح في هذا الزمان معطل المنفعة.

كما أن شجر الإثل الذي كان فيما مضى سقوفاً للبيوت وأبواباً ووقوداً قد استبدل الناس عنه الغاز وقوداً والحديد والإسمنت سقوفاً وأصبحت الأبواب من الحديد فلا تجد أهل بيت في المدر أو الشعر إلا ووقودها من الغاز، وتجد البادية فضلاً عن الحاضرة يتصبحون بالأنوار الكهربائية ويستغلون مادة الكهرباء للمنافع الأخرى من تبريد وتسخين وتغسيل وغير ذلك من الطبخ والطحن وتسخير الهاتف للمكالمات القريبة والبعيدة وغير ذلك مما توفر لديهم من المستحدثات الحديثة وأصبح من في مشارق الأرض يكلم من في مغاربها وقد يجلس الإنسان في رفائف سيارته مستصحباً للهاتف السيار فلا يفوته شيء من أن يكلمه كائناً من كان وتأتيه المكالمات وهو يسير في السيارة وإنها لعبرة وآية من الآيات، وهذا من أحدث ما توصلوا إليه، ومن عاش فسوف يرى.

وفيها في ٣/٣٠ فرغ من عمارة مسجد القبلتين في المدينة المنورة، وكان قد مضى عليه سنون طويلة مقاماً من عمارة تركيا، فأقيم في هذه السنة من طابقين وأضيفت إليها زيادات أخرى فكان الطابق الأسفل دورات مياه رجالية ونسائية، وما يحتاج المسجد إليه، والطابق الثاني أقيم عليه المسجد بعمارة حسنة جميلة على يدي جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وخدم المسجد بفراشين وخدم تظهر المسجد بمظهر رائع.

ظاهرة غريبة، جني يشهر إسلامه

كان في مدينة الرياض فتاة قد تلبسها جني يسبب لها حالات من الصرع كادت أن تقضي عليها فأعلن إسلامه على يد الشيخ عبد الله بن مشرف العمري، وكان قد عجز عن علاجها عدد كبير من الأطباء، ولما جيء بها إلى عبد الله العمري قرأ

عليها آيات من القرآن فخاطبه الجان من داخل جسد الفتاة بصوت واضح ويختلف تماماً عن صوت الفتاة، وحينئذ طلب منه الشيخ أن يشهر إسلامه فنطق بالشهادتين وتعهد بعدم الأذى لأي إنسان مؤكداً توبته ثم أطلعه القارئ على تعاليم دين الإسلام وسُنَّة رسول الله عليه الصلاة والسلام وقد جيء بهذه الفتاة التي قرأ عليها عبد الله بن مشرف العمري عضو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في فرع العُلَيَّا إلى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز الرئيس العام للبحوث العلمية والدعوة والإرشاد فأقر الجني أمامه بالشهادتين واعتناق دين الإسلام وأنه لا يعود إلى الأذى مؤكداً ذلك بالتوبة.

وفي آخر هذه السنة أعلنت صحيفة سودانية وفاة ثمانية آلاف شخص في السودان من الجوع نتيجة الفيضانات فيها.

طاعون الإيدز

كان هذا الوباء الذي ظهر في هذه السنين الأخيرة بلغ من أمره أن كان ينذر برفع معدل الوفيات ممن ابتلوا به بين المواليد بنسبة ٢٠٪، والشباب بنسبة ٥٠٪ وأصبح طاعون هذا العصر في عام ١٤٠٨هـ يهدد بتحويل حكومة زائير إلى دولة من الأيتام، وقد يتوقع أهل المعرفة والعلم إلى أن أسبابه الزنا واللواط، نسأله تعالى أن يعافينا وسائر المسلمين من بليات الزمان.

فقد حدثني ثقة أنه وقف على متحف في مدينة مدريد عاصمة إسبانيا فرأى بعيني رأسه غير رواية خمسة وثلاثين ذكراً قد علا بعضهم على بعض عُراة كل واحد يفعل الفاحشة بالآخر والمفعول به واقفاً على من بين يديه يفعل به الفاحشة منتظمين.

ورأى في متحف آخر فيها أربع إناث عاريات مستلقيات فجاء شاب وجعل يجامعهن واحدة بعد الأخرى والناس ينظرون، قال ثم رفع ذكره من الرابعة ورشق

بين الحاضرين ببقية مائه وهم يضحكون، وكان كلما قام من امرأة أقبلت على ذكره تمتصه وتلحسه، فهل بعد هذه الهمجية من شيء، وصدق عليهم وصف رب العزة والجبروت حيث يقول: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[1] فإن قيل كيف يمهلهم الله عز وجل وهذه أعمالهم فيقال أن الأمور مرهونة لأوقاتها، فقد رأيت في بعض الكتب أن الله جلت عظمته أمر جبريل أن يخسف بمدينة كذا وكذا فقال: يا ربّ إن فيهم عبدك العابد الزاهد فلاناً، فقال الله عز وجل: به فابدأ فإنه الليلة الماضية قد وقع على سبعة ذكور وسبعين امرأة في الحرام، فأدخل جبريل جناحه في تخوم الأرض ليقلبها ويجعل عاليها سافلها فقُدر أن امرأة كانت تخبز في تنور لها وبين يديها طفل قد اشتد به البكاء فكانت في حيرة من أمرها فهل تبدأ بالطفل الذي يكاد أن يهلك من الصراخ والبكاء فيحترق عجينها أم تدرك العجين قبل أن يحترق فيهلك الصبي، فتكلمت بكلام غريب تخاطب الطفل قائلة يا بني احلم فإن الله يحلم لا يعاجل بالعقوبة صاحب المعصية.

فارتفعت هذه الكلمة إلى من سبق حلمه غضبه وعفوه عقوبته فنادى: يا جبريل إني حليم لا أعاجل بالعقوبة صاحب المعصية، فسلمت المدينة بسبب هذه المرأة التي كان من المصادفات ذكرها لسعة حلم الله في مضايقة ابنها لها.

وفيها في ٢٦/ ١٢ تم ترشيح ثمانية وسبعين مُدرساً في المملكة السعودية للعمل في خارج المملكة أضف إلى ذلك مساعدات للمنكوبين في السودان وفي فسلطين المحتلة بحيث كان ثلاثمائة ألف وخمسون ألف طفل فلسطيني يعانون ظروفاً مأساوية في الأرض المحتلة وأشياء أخرى في بعض البلاد الإسلامية توليها الحكومة السعودية عنايتها واهتمامها كاليمن الشمالية والعراق وغيرها، ومن ذلك البحرين، وجعل جسر ليسهل الاتصال منها وإليها.

(١) سورة الفرقان، آية ٤٤.

زيارة الوزير الأمريكي

كان الهدف من هذه الزيارة هو أن هذا الوزير جورج شلتز قام مبادراً لحماية إسرائيل من الزلزال الذي أحدثته الانتفاضة الفلسطينية والصمود في جنوب لبنان فلم تنجح زيارته، وقد قدم المواطنون الفلسطينيون احتجاجاً فأضربوا لهذه الزيارة التي قام بها وزير الخارجية الأمريكي، وقد حشدت سلطات الاحتلال الإسرائيلي المزيد من القوات والآليات في منطقة الحرم القدسي، وأقامت الحواجز على الطرق المؤدية إلى القدس للحيلولة دون وصول المواطنين من الضفة الغربية وقطاع غزة وفلسطين المحتلة لأداء صلاة الجمعة في المسجد الأقصى.

ذكر ما ألقاه الله من الذل على اليهود

ولما كان الله عز وجل قد وعد وهو الذي لا يخلف الميعاد أنه ضرب الذلة والمسكنة عليهم أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، نعم بحبل من الناس فما انتصروا حتى كانوا تحت حماية أمريكا، فكانت تحوطهم وتحميهم، وكلما تولى رئيس في أمريكا فتأخذ عليه حماية اليهود ومناصرتهم.

وذكرت الأنباء الواردة من الأراضي العربية المحتلة أن مكاتب الشركات والبنوك الصهيونية بدأت تنتقل من الضفة الغربية وقطاع غزة إلى فلسطين المحتلة عام (١٩٤٨م) بعد تعرضها للرشق بالحجارة والزجاجات الحارقة ووقوع المذكورات في مناطق تشهد اشتباكات بين المواطنين الفلسطينيين وقوات الاحتلال الصهيوني.

وقام وزير الحرب الإسرائيلي إسحاق رابين بطلب أموال من الخزانة الإسرائيلية زيادة الميزانية (٤٥٠) مليون دولار لمواجهة الانتفاضة العارمة، ولقد طلبت إسرائيل من بعض المسئولين في هذه الانتفاضة أن تتوقف هذه الحركات الفلسطينية لما رأت نشاطها حتى تهدأ الأمور كهدنة، ولكنهم أبوا إلا مواصلة

أعمالهم التي أزعجوا بها اليهود من رميهم بالحجارة وقذف الزجاجات الحارقة وإشعال النيران بالإطارات في الطرق وإزعاج اليهود لعلمهم أن وقف الانتفاضة خديعة ومكر ومكيدة منها كما قد جربوا في سالف الأزمان.

واستمر الثائرون في نشاطهم وإقلاق راحة اليهود وأن صدور هذه الأمور من اليهود ونقلهم الشركات والبنوك من هذه المواضع ليدل على ما كابدوه من شباب فلسطين وقلقهم من اعتراف الدول وإقامة سفارات للحكومة الفلسطينية في الحكومات العربية والإسلامية وبالرغم من عقد المؤتمرات يمنة ويُسرة في شأن فلسطين وأهالي فلسطين ولبنان وأهل لبنان وسعي ملوك العرب والمسلمين ورؤساؤهم في هذا الموضوع فإنها لم تسفر عن نتيجة تذكر ولم تضع الحرب أوزارها في الأراضي المحتلة ولم توفق الدول الكبرى لحل سريع يضمن للعرب سلامتها وراحتها.

والسبب الوحيد الذي عرقل الأمور وكان عقبة في طريق الإصلاحات وإطفاء الفتن هو أمران:

أولاً: ما أوقعه الله عز وجل من الانشقاق بين الأمم في مشارق الأرض ومغاربها بحيث كثرت الثورات والمنازعات وإراقة الدماء ودمرت المساكن وأهينت الكرامات، وكان لكل حزب صوت يريد ارتفاعه وأصبح غالب الأمم غير آمنة ولها مراتع في هذه الفتن العمياء وكل هذا بأسباب الذنوب والمعاصي.

الأمر الثاني: فيما يتعلق بالعرب والمسلمين فإنهم كانوا متفككين ومتخاذلين ولم يكونوا كَيَد واحدة على الأعداء ومنهم من يرجى منهم العلاج ولكنهم لا يحسنون.

ومنهم من يسعى ظاهراً في الإصلاح ولكنهم في الباطن متأخرون أو مخادعون وتجتمع الأمة للنظر في المشاكل وعلى غير جدوى يتفرقون، وكلما خرجوا من مشكلة وقعوا في أخرى، وهذا لاختلاف الآراء وعدم انقياد بعضهم لبعض.

ولقد سعى جلالة الملك فهد بن عبد العزيز بالإصلاح بين الرؤساء من ملوك العرب ورؤسائها وبذل قصارى جهده ونجح سعيه شئاً ما فهذا العراق وسوريا كانت الأمور بينهما متأزمة ولكنها ستنحل بالإصلاح ودعيت مصر بعد قطع العلاقات معها إلى تحسين الوضع فاستجابت لما كان عليه حسني مبارك من حُسن التفاهم وسعى المصلحون بين مصر وليبيا لإزالة المحن والأحن التي بينهما فنجح الصلح وتبادلتا السفراء ويوشك أن يظهر لذلك سير الأمور على ما تقتضيه المصلحة العامة.

وبذلك ينتصر الإسلام وينهزم الأعداء القائمون ضد الإسلام الذين لا يزالون يبرمون حبال الفتنة بين الرؤساء ليدركوا مقاصدهم خلف هذا النزاع ويشتتوا شمل الإسلام والمسلمين ويمزقوا مجتمع الأمة ويخرقوا أديمه ويعملوا على تمزيقه كل ممزق ولقد نجحوا فيما يطلبون وأدركوا ما إليه يسعون ولكن العقلاء سيتلافون الأمور وينتبهون من سِنة النوم والغفلة.

وكان من دهاة العرب من جمع أولاده عند وفاته فدعى بحزمة من العصي فأمرهم أن يكسروها جملة واحدة فشق ذلك أو تعذر فأمرهم أن يكسروها واحداً واحداً فتكسرت فقال هكذا يتوصل الأعداء بكم إذا تفرقتم ويعجزوا عنكم إذا ما اجتمعتم.

ومن نظر إلى ما وقع في لبنان وما جرى بين إيران والعراق وما حل في السودان من الانشقاق وعقوبات الله فإنه يرى العجب العجاب، وفي كل صباح يوم ومسائه تنشر الإذاعات وتروي ما حصل من المجازر والمذابح والاستهانة بسفك الدماء وابتلى الله عز وجل بعض الأمم بالفيضانات والرياح المدمرة والزلازل المهلكة والجوع والفقر وأنواع الأمراض والهلاك ولله تمام الإرادة والتدابير ومن عاش فسوف يرى.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فهد بن ناصر بن جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، كان من الشباب الأشبال توفي في ذي القعدة بعد وفاة والده بأربع سنوات رحمه الله، وقد حزن عليه أهله وأقرباؤه وأصدقاؤه، وجاءت التعازي من الملك ومن البيت المالك لإخوته وأبنائه، كما جاءت التعازي من الأمة لصاحب الجلالة الملك فهد ولولي العهد عبد الله بن عبد العزيز وللنائب الثاني ووزير الدفاع سلطان بن عبدالعزيز.

وممن توفي فيها سالم بن محمد بن لادن رحمة الله على أموات المسلمين.

وفيها وفاة أكبر معمر في الضفة الغربية من فلسطين وهو الحاج عبد الفتاح القميز عن عمر يناهز المائة والثلاثين عاماً، كانت وفاته في يوم الجمعة ٢٧/ ١٢ في إحدى القرى قرب قرية قضاء الخليل، وكان له نحو من مائة وخمسين ولداً وحفيداً، وهو يتمتع في طيلة هذا العمر بكامل قواه العقلية والجسدية، وفي ذلك عبرة لمن يخشى.

وفيها في اليوم الثاني من شهر شعبان الموافق ليوم الأحد ٢٠ آذار مارس (١٩٨٨م) قام الرئيس صدام بعد الزوال من ذلك اليوم بالهجوم على مدينة حلبشة أو حلبجة شمال شرق العراق بطائرات الميج والهليوكبتر وألقت على أهلها الغازات السامة والكيماوية والقنابل فقتلت خمسة آلاف وجرحت عشرة آلاف تركتهم معوقين وأسفر ذلك الهجوم عن خمسة عشر ألفاً بين قتيل وجريح ملقين في الشوارع، ثم عاد وقتلهم وأصبح أولئك الأكرام الضعفاء فريسة بغيه وعدوانه.

أما عن فلسطين فحصل ارتباك في الأسواق من فلسطين المحتلة بسبب ثورة أطفال الحجارة، ووقعت خسائر بنسبة ٦٠٪ في الخزينة الإسرائيلية من الدخل السياحي.

حادثة غريبة

في شهر رجب من هذه السنة ولد مولود بلا دُبر والله على كل شيء قدير فعملت الأطباء له ليا يخرج البراز من سرته حتى يتقوى للعملية ثم أجريت له عملية بعد ستة شهور من ولادته في شق دبره ونجحت وعاش، قال الله تعالى: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾[1] ويقول إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الرابعة أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

حادثة أخرى

في أوائل شهر ذي القعدة من هذه السنة ولد مولود مشوه عيناه برأسه ارتفاعاً وأنفه إلى أسفل وجهة تخطيطها لسيت عادية وبطنه طبقات كبيرة كبطن البعير ورجلاه ويداه كقوائم القط وهو خنثى وقد ألقاه أهله لما ولد بهذا الوضع في حوش البقر لأن لا ينزعج الصبيان ومن يراه برؤيته ومات فدعو له مغسله ولما أن حضرت خبروها لأن لا تنزعج وأوصوها بالكتمان في شأنه، وهذه إحدى الولادات التي ليست طبيعية نسأل الله العافية.

وقد ذكر المؤرخ ابن بشر في تاريخه أن امرأة ولدت كلباً في إحدى السنين وهي من نساء العرب فخافوا الفضيحة وقتلوه وهي من أهالي الشبيكة في مكة عام (١٠٩٥هـ)، وبما أن الله جلت عظمته هو القادر على كل شيء وهو القاهر فوق عباده فله تمام الإرادة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فنسأله تمام اللطف وحُسن الرعاية.

كما أنه ولد مولود ذكر في إحدى مدن القصيم بصورة إنسان، ولكن جلده

(١) سورة الانفطار، آية ٨.

عليه شعر ورأسه يشابه رأس الكبش وذلك من مدة أربع سنوات قبل هـذه السـنة فخاف أهله من الفضيحة، وفقد فلم يخرج إلى عالم الأحياء.

وفيها قام الرئيس السوفيتي ميخائيل غوربتشوف بزيارة لأمريكا وذلك في يـوم الجمعة ٢/ ٤ فتلقاه الرئيس الأمريكي والولايـات المتحـدة بالترحيـب والاسـتقبال الرسمي، وكانت هذه المقابلة بين ميخائيـل غوربتشـوف وبـين الـرئيس الأمريكـي رونالد ريغان وجـرى بينهمـا مفاوضـات في شـأن الصـواريخ في أوروبـا وغيرهـا وعقدت اتفاقية بين رئيسي الدولتين العظموين.

وفيها في يوم الأحد ٧ جمـادى الأولى ٢٦ ديسـمبر (١٩٨٨م) اجتمـع رؤسـاء مجلس التعاون في الرياض للدورة الثامنة لدول المجلس حضره الملك فهـد بـن عبـد العزيز وولي العهد عبد الله بن عبد العزيز ووزير الدفاع سـلطان بـن عبـد العزيـز النائب الثاني وحاكم البحرين عيسى بن سلمان بن حمد بـن عيسـى بـن علـي بـن خليفة وجابر بن أحمد الجابر بن صباح حاكم الكويت، وخليفة بن حمد بن عبـد الله بن قاسم بن ثاني حاكم قطر، وزايد بن سلطان بن نهيان رئيس الإمارات العربيـة، وقابوس بن سعيد سلطان عُمان.

وفيها أعلنت الحكومة السعودية للعالم أجمع تهديد كل من يريد التشويش على حجاج بيت الله وزيارة مسجد رسوله صـلوات الله وسـلامه عليـه بأنـه مسـتهدف للعقوبات وبما أن حرمة البيت والمشاعر المقدسة لم تحترمها إيـران في العـام الماضـي فقد استعدت السعودية بقـوات عظيمـة خشـية مـن الطـوارئ، وبـذلت الحكومـة السعودية الثلوج والمياه الصحية لخدمة ضيوف الرحمن وحـج المسـلمون القـادمون ممن تقلهم الغبراء وتظلهم الخضراء بطمأنينة وأمن ورخاء وصحة ولم يجر حـوادث ولم تحج إيران في هذه السنة لأنها أعلنت حج مائة ألف وخمسين ألفاً من إيران فلـم توافق الحكومة السعودية إلا أن يحج خمسة وأربعون ألفاً منهم، وصـدق الله حيـث يقـــول: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ

ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1] والله المسئول أن يهدي إيران ويهدي جميع من خرج عن سواء السبيل ويردهم إلى الحق ويرغم الشيطان ويرده ناكصاً على عقبيه يجر أذيال الخزي والهزيمة.

وقد أعلنت الحكومة أن في اليوم الرابع من ذي الحجة يتكامل عدد الحجاج الواردين إلى مكة المكرمة، وستغلق الأبواب بعد ذلك اليوم براً وبحراً وجواً لتهتم الحكومة بالحاضرين، وقد حصلت العناية الكاملة والرأفة بالحجاج وانصرفوا داعين شاكرين للحكومة السعودية بما بذلته من أسباب الراحة والطمأنينة فلله الحمد، فثلاثة ملايين اجتمعوا في عرفة والمشاعر المقدسة وتفرّقوا بعد الحج والزيارة بخير وسرور.

لبنان والحديث عنه

ففي يوم السبت الموافق ١١/ ١١، ٢٢ حزيران (١٩٨٨م) ظهر في المستشفيات عدد من المرضى مصابون بحروق جلدية ومنهم مصابون بانتفاخ في الوجه ومنهم مصابون باحتقان في المجاري الهوائية إضافة إلى حروق في العينين والأذنين إضافة إلى التسمم من جراء أكل لحوم فاسدة تأتي من إيطاليا إلى مرافئ (أريتريا) التي تحتلها (أثيوبيا) وهي عبارة عن نفايات نووية وصناعية مشتغلة فزيادة عن ما هم فيه من الحروب والتقتيل والدمار والخوف كانت الأغذية الواردة عليهم غير مضبوطة في الصحة وأنها مواد سامة مميتة، وقد تداركت عليهم هذه المصائب حتى من جراء أطعمة فاسدة وقد قيل أن جانباً هناك أتى من باخرة سورية تدعى (زنوبيا) وكانت تلك الحمولة مملوءة من النفايات القذرة والبراميل التي مكتوب عليها سريعة الاشتعال وأصبحت تلك الحمولة مملوءة من النفايات القذرة.

---

(١) سورة التوبة، الآيتان ٤٧ و٤٨.

ثم أفرغت ضارة من كل الجهات بحيث إن أحرقت ضرّت وإن ألقيت في البحر أحدثت أضراراً، ولا ريب أن الذين يبيتون الغدر للبنان لم يكتفوا بالتحريش وإلقاء التشاجر فيما بينهم حتى بعثوا إليهم ما يبيدهم إن استعملوه وهي من الأعمال السرية التي تجري بالخفاء وقد اكتشف الأطباء تلك المواد والنفايات فوجدوها مسمومة مهلكة.

وقد تلقت وزارة الخارجية اللبنانية من القنصل العام للبنان في إيطاليا يسأل فيها عن شركة لبنانية تولت أمر إتلاف نفايات صناعية كيميائية إيطالية في لبنان ويقول القنصل في برقيته أن الشركة اللبنانية قدمت أوراقاً قانونياً وعليها أختام رسمية وتواقيع مسؤولين بحيث سمح لها أن تتولى نقل هذه النفايات فاستقبلتها وطمرتها في لبنان ورغم برقية القنصل فالنفايات كانت قد رحلت إلى لبنان، وكان المقصود منها إيقاع الأذى والأمراض في لبنان بأيد فعالة ذكرت ذلك جريدة الشرق الأوسط في عددها (٣٤٩٧) من هذه السنة.

ولقد قام رجال المقاومة اللبنانية بلغم أرضي مضاد للمدرعات الإسرائيلية داخل الشريط الحدودي المحتل بجنوب لبنان، فأصيب عدد من جنود الاحتلال الإسرائيلي بجروح بالغة وهاجموا هؤلاء الجنود وأمطروهم بوابل من نيران الرشاشات بعد انفجار اللغم وهاجم رجال المقاومة أيضاً موقعاً تابعاً لليهود في ذلك الموضع المحتل فاستخدموا الأسلحة الرشاشة والقنابل الصاروخية مما حمل اليهودي على جلب طائرات الهليوكبتر لنقل المصابين من ذلك الموضع إلى مستشفياتهم واستمر التوتر في الجبل وبيروت الشرقية ووقع اشتباك مسلح في بلدة كفر شيما في إقليم الخروب بجبل الشوف استعملت فيه الأسلحة الرشاشة والقذائف الصاروخية مما أسفر عن إصابة عدد من القتلى والجرحى، وهذا كان في اليوم الخامس والعشرين من ذي الحجة، أما ما فعلته اليهود المشؤومة فقد قامت في أوائل هذه السنة في ١٢/١ بحملة على المخيمات في لبنان وأمطرتها وابلاً من

القذائف النارية بحيث سقط خمسون من الشيوخ والأطفال موتى على ظهر الأرض وأصيب ثمانون بجروح فمائة وثلاثون أصيبوا ما بين قتيل وجريح وتوالت المحن في لبنان.

أما ما كان عن أهل الضفة الغربية فقد قام زعماء منظمة التحرير الفلسطينية والمناطق المحتلة في فلسطين بوضع وثيقة الاستقلال الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات الذي قام متشجعاً وهذه الوثيقة مفادها في مواد جاء في الثانية منها يترأس الدولة الفلسطينية المنتظرة رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات وجاء في الثالثة يتم الإعلان عن المجلس الوطني الفلسطيني كبرلمان للدولة الجديدة وذلك بمشاركة شخصيات من الأراضي المحتلة وجاء فيها يكون للدولة الفلسطينية الجديدة نظام جمهوري ورئيس ينتخب من قبل البرلمان.. الخ.

وقد دخلت الانتفاضة الفلسطينية شهرها التاسع في ٢٦/ ١٢ من هذه السنة وهي في اندفاعها وصلابتها واستطاعت الانتفاضة بأساليبها النضالية من الضرب بالحجارة والعصي والزجاجات الحارقة والسكاكين وحرب الحرائق تسجيل نقاطاً إيجابية مقدمتها صدور ثلاثة قرارات عن مجلس الأمن في غضون أشهر قليلة أكدت للمرة الأولى حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واعترفت بالأراضي الفلسطينية المحتلة، وقد عمل الثوار انفجاراً في مستعمرة صهيونية وتدمير وإحراق ١٤ سيارة وحافلة إسرائيلية.

بيان عن شبكة الكهرباء في المملكة السعودية

وذلك لأنه لما كان في السنين الأخيرة بعدما رأت الدولة أنه لا قوام للأمة إلا بالكهرباء التي أصبحت الأمة تستخدمها، فقد أقيمت مكائن في غاية القوة وتم توفير الطاقة وتحسين شبكاتها في المملكة، وقد كلف عملها (٦٥) بليون ريال خمسة وستين بليون ريال، ولكنها اطمأنت الأمة لما كان التيار أرضياً يرتفع عند الحاجة إلى الخزانات الكهربائية المغذية للسحب وإلى وصول المساكن والمحلات الصناعية وإن

كان في ذلك نفقات باهظة، ولكنه كما قيل الراحة لا تُنال بالراحة فقد امتدت الشبكات في البراري والصحاري وربطت المدن والقرى بعضها ببعض وأوشك أن يكون الخط منتظماً بالأنوار الكهربائية لهداية السائرين في الليل وأمسى الليل في هذه الطرق كالنهار في الإضاءة.

نبأ وفاة الخميني

لما كان في اليوم الثاني الموافق ليوم الخميس من ذي القعدة ١٩ حزيران يونيو عام (١٩٨٨م) أذاعت لندن خبر وفاة الخميني البالغ من العمر ٨٨ عاماً، ولكن إسرائيل نفت هذا الخبر وطلبت هل كان هذا النبأ عن مصدر وثيق ولكن شبكة الأخبار الأمريكية قد ذكرت قبل ذلك أن الخميني يعاني من سرطان مزمن في الكبد، هكذا قرر الأطباء عنه ولا ريب أنه مريض وتقدمت به السِّن لكِبره وكان قد حَمل على صاحب الآيات الشيطانية وضلاله وأفتى بقتله، وكان الأخير قد غير آيات القرآن الحكيم وحرفها وبدلها والعياذ بالله نسأل الله تعالى أن يكيد من أراد الإسلام وأهله بسوء، ويرد كيده في نحره.

ولا ريب أن حملات الخميني على هذا الضال المضل تعد من حسناته إن كان له حسنات، وختمت هذه السنة بخير والحمد لله لا نحصي ثناءً عليه.

ثم دخلت سنة (١٤٠٩هـ)

استهلت هذه السنة بيوم السبت ١٣ آب أغسطس الموافق عام (١٩٨٨م) ٢١ الأسد ٣ النثرة الموافق (٣٥٥) من نوء سهيل، ففيها في ١/١٢ سرنا نحن والعائلة مولين وجوهنا شطر المسجد الحرام لأداء العمرة، وقد كان الوقت مناسباً لزيارة بيت الله تعالى، وكانت الفرصة سانحة، ولما أن قدمنا محرمين إلى مكة المكرمة ذهب أحد الأنجال لاستئجار بيت للسكن في حارة الشامية وجاورنا بمكة المكرمة أربعة أيام تمتعنا خلالها برؤية البيت العتيق والطواف به وتقبيل الحجر الأسود واستلام

الركن اليماني فأربعة أيام قد منَّ الله بها علينا في الصلاة في الحرم المكي الشريف والطواف بالبيت وتلاوة القرآن.

ثم سِرنا في ١٧/ ١ إلى المدينة المنورة للصلاة في المسجد النبوي وزرنا قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وسائر الصحابة وقبريْ صاحبيه ولبثنا فيها أربعة أيام.

وقد استهلت هذه السنة وأهالي السودان في حالة يُرثى لها وتأزمت الأحوال لا من جهة انشقاق المتمردين فيها بل من جراء الأمطار والفيضانات بحيث شُرِّد من الخرطوم مليونان بلا مأوى وارتفع منسوب المياه إلى منتصف الأشجار ثم أنهم ابتُلوا بالجراد الذي غزاهم في أوائل هذه السَّنة وقد بعثت بريطانيا خمس طائرات عن طريق مصر لإغاثتهم بالأغذية والفرش، أما عن الحكومة السعودية التي حملت إليهم الأغذية والإغاثة بالملبوسات والفُرش والأدوية وغيرها، فقد بلغت الطائرات المبعوثة منها إلى السودان إلى غاية ٢٤ محرم الموافق ليوم الاثنين ٥ أيلول سبتمبر (١٩٨٨م) مائة طائرة وسبعين طائرة.

ظهور الجراد في المملكة

لقد ظهر الجراد في المملكة العربية السعودية كما توقعت ذلك بريطانيا قبل ذلك ففي ٨/ ٣/ ١٤٠٩هـ، وصلت أفواجه وأسرابه إلى مدينة جِدّة مقبلاً من السودان وأخذ ينتشر في الشوارع والأشجار بحيث عرّاها من الورق وقامت فِرق الإبادة تكافحه بطائراتها لإبادته والقضاء عليه لأن وجوده في هذه الأزمنة الأخيرة يترجح مضرته على منفعته وهو وإن كان مأكولاً حلالاً وقد يعيش الفقراء سابقاً على اقتتاته ويقول الصحابي: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد. ويقول عنه بعض الأطباء المتقدمين: ما أكل ابن آدم طعاماً أضر عليه من الباذنجان والجراد لأنه يورث الهزال في الجسم فإن الله أوسع على خلقه في هذه الأزمنة

الأخيرة بأنواع المأكولات ولكن بعضاً من الناس لا يزالون يأكلونه ويعتبرونه طرفة ويستحسنونه ولا سيما إذا كانت الإناث منه مملوءة بالزهومة وهي السمن ويسمونه نقوعة.

وبما أنه يكافح بالرش بالمبيدات فإن الحكومة لا تزال تحذر من أكله لأنه مسموم لكن العامة يأكلونه ويزعمون أن النار تقطع المادة السمية عنه ولقد قامت الأهالي في مدينة جدة ولا سيما الصبيان يلاحقونه بالشوارع والأشجار لتقتيله والقضاء عليه، وكان زحفه على جبهة طولها ألف كيلو متر.

وفي ١٠/ ٣ وصل غزو الجراد إلى مدينة حائل، وفي أواخر ربيع الآخر وصل إلى البجادية والخبراء ورياض الخبراء ووصلت أسرابه إلى الشماسية في القصيم في أواخر جمادى الأولى هذا ولا تزال الطائرات تلاحقه حتى قضت عليه.

هدّ مسجد عودة الرديني

في مدينة بريدة في أوائل هذه السَّنة هُدَّ هذا المسجد بعدما أثبت جدارة في التعليم على يدي الشيخ عمر بن محمد بن سليم وعلى يدي إمامه الأخير الشيخ محمد بن صالح المطوع.

وقد قمنا بالتدريس فيه مدة من الزمن وحجرات المسجد مملوءة بطلاب العلم، وكانت الأمة تأتيه وتضرب إليه أكباد الإبل لطلب العلم وحِلَق الذِّكر المقامة فيه، وبما أنه كان من الطين واللبن وارتفعت الأراضي المحيطة به فإنه هدّ وأقيم مسلحاً بعدما ألغيت خلوته ويعرف أخيراً بمسجد الحميدي الصالح.

وشرع في عمارته الحديثة في ١٥/ ٤ من هذه السَّنة وامتدت عمارته بعدما ردم القبو أو (الخلوة) وقد نزل عليه السوق المركزي في بريدة فكان المسجد في جهته الشرقية وتقديراً لهذا المسجد لم يحول عن موضعه بل لا يزال ثابتاً في موضعه المقام فيه.

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

ففيها في ٢٢/١ تكبدت بنغلاديش أضراراً وخسائر عظيمة من فيضانات حصلت عليها بحيث استولت الفيضانات على ثلاثة أرباع المساكن هناك، وجعلت تستغيث بهيئة الأمم المتحدة وبريطانيا فوعدوها بالمساعدة.

وفيها في يوم الأربعاء ٣٠/٣ أصيبت سيارة بأبها تحمل خمس مدرسات من مصر وثلاثاً من سوريا ومُدِّرسة سعودية بحادث قضى عليهن وعلى سائق السيارة والخادم فقضوا نحبهم وهن في أثناء تأديتهن للعمل وكلهن موجهات.

أمطار تجتاح اليمن

في اليوم ١٦ و١٧ من شعبان هطلت أمطار وسيول اجتاحت اليمن الجنوبية الديموقراطية فأحدثت أضراراً عظيمة على السكان والبيوت وقامت الدول تسعى لإغاثتها من هذه النكبة، وبعثت إليها المساعدات من السعودية وغيرها ولا يزالون مادين أيديهم للمساعدة، ولقد أصيبت مماليك بأنواع الفرق فهذه حكومة السودان مر ذكر ما هم فيه من الغرق.

وهذا أمير الباحة إبراهيم بن عبد العزيز هلك بالغرق في وادي من الأودية وذكرنا بنغلاديش وما جرى عليها من الغرق وقد بالغ بعض الرواة عنها أن عشر ملايين شخصاً تعرضوا فيها لما غمرتهم تلك المياه للخطر، وقد أغلق مطار دكا فلم تصل إليها الإعانات وعزلها عن العالم، واليمن الجنوبية فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ذكر اغتيال الرئيس الباكستاني

لما كان في هذه السنة يوم الأربعاء خامس شهر محرم الموافق ١٧ أغسطس آب (١٩٨٨م) امتطى الرئيس ضياء الحق طائرته، وبعد إقلاعها انفجرت الطائرة فتحطمت فكان ضحية ذلك الحادث محمد ضياء الحق وثلاثون شخصاً برفقته هلكوا جميعاً.

ويمكن أن يكون ذلك الحادث عن طريق التخريب فتأخر تجهيزه إلى يوم السبت الموافق ٨ محرم حيث أقيمت الصلاة عليه في ألوف من الأمة الذين شيعوا جثمانه ملفوفاً بالعلم الباكستاني، وقد قدم لتشييع جنازته نواب عن ملوك العرب ورؤسائها والمسلمين، وقد أقيم الحِداد لوفاته حزناً في الباكستان.

وكان قد تولى الرئاسة في تموز يوليو (١٩٧٧م) وحزن المسلمون لمصابه وترحموا عليه ثم أنه أقيم بعده في الرئاسة غلام إسحاق خان، ويذكر عن الفقيد أنه كان مناصراً لدين الإسلام ومؤيداً للشريعة المحمدية، وكان الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز يثني عليه ويمتدحه ويعتبره من أنصار المسلمين والمحكمين للشريعة المحمدية.

وفيها في ١٧/ ٤ اشتد البرد جداً وأصيبت الأمة بموجة برد في أوائل برج الزبانا بفجأة فأثرت على الأجسام لكونها جاءت من غير تدريج بحيث لم يحترزوا بملابس شتوية بل كانت عليهم ملبوسات الصيف، بحيث أحدثت تلك الموجة سعالاً ونزلات شعبية، وإن من حكمة الله التي نبّه عليها شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم وغيره من علماء التفكير والمعرفة إتيان الشتاء شيئاً فشيئاً، كما أن الصيف يأتي بهذا الوضع، ولو أن أحد الفصلين جاء دفعة واحدة لتضررت الأجسام، ثم قال رحمه الله: فانظر إذا جاء أحدهما دفعة واحدة ماذا يحصل للأجسام من الزكام والسّعال والأمراض. وصدق رحمه الله فإن هذا معلوم بالتجربة.

ولما أن كان في أواخر الأربعانية ثالث الشولة وأربعة أيام بعده اشتد كلب البرد جداً حتى تجمدت المياه ونزلت درجة الحرارة في طريف وما حواليه من البلدان إلى عشر درجات تحت الصفر، وفي حائل وما يليه إلى سبع درجات أسفل الصفر.

وفي القصيم نزلت الدرجة إلى أربع تحت الصفر، وهذا شيء نادر الوقوع وما زال البرد يشتد.

واستمرت الثلوج حتى نزلت الدرجة في حائل وما يليه إلى ١٥ درجة تحت الصفر، وبلغت الدرجة في القصيم إلى ست درجات تحت الصفر في بضع الأحيان،

وحصل من ذلك أذى شديد لشدة البرد بحيث هلكت الأشجار وبعض النخيل وأصبحت كالصريم، وكأنما أحرقت في بعض الأماكن المستهدفة بالنار وتكسرت بعض المواصير في مجاري المياه وتقطعت المكائن المائية والدينموات عياذاً بالله من عذابه.

ولبثت بعض المياه جامدة أياماً وليالي متواصلة، وهذا بالرغم من وجود الشمس صافية واستمرت هذه الحالة إلى ١٧ من جمادى الثانية حادي عشر شباط الأول نوء النعائم سادس الدلو واستمر البرد حتى عاشر رجب، ولقد اشتد البرد على الدوام حتى نزلت الدرجة في أمريكا إلى (٤٨) تحت الصفر وارتفعت الثلوج على سطح الأرض فيها بأربعة أمتار ونصف متر حتى قرر الخبراء فيها أنه لم يحصل فيها ذلك البرد منذ مائة عام، ولما أن كان في ٢٩ رجب هبت رياح شديدة على المنطقة الوسطى والشرقية بحيث أثارت الرمال والغبار الشديد، وكانت خطوط السيارات تكاد تختفي من شدة الغبرة والقترة، واستمرت طوال الليل بحيث شالت الرياح الرمال ودفنت الطرق ولا سيما في الدهناء وما حوالي الصمان، ولما كان في ٣/ ٨/ ١٤٠٩هـ اشتدت الرياح جداً بحيث كادت أن توقف حركة السيارات عن السير واشتدت الغبرة والقترة جداً بحيث تأزمت الأمور من قوة الرياح وشالت السينكوات وكادت أن تحمل ما أمامها من الأثاث والأغراض وأن تحطم أبواب النوافذ، وهذا كان في الوسطى ولا سيما في القصيم.

وقد لبست الفراء في مكة المكرمة أواخر الليل وهذا شيء نادر الوقوع بحيث كان طقس مكة المكرمة قديماً معتدلاً للغاية، ووافق ذلك جفافاً وتأخر الأمطار بحيث استسقى المسلمون مرات عديدة بأمر من الملك فهد بن عبد العزيز، ولكنه في برج الحمل والثور كثر هطور الأمطار على الرياض والمجمعة ومكة المكرمة وسائر القصيم.

ولقد حدثني أحد الذين يعملون لمعالجة النخيل في فرع الزراعة بالقصيم أنه مر

بقرية الدعيسة الواقعة غرباً عن العاصمة فوجد النخيل فيها كأنما شويت بالنار مسودة من جراء شدة البرد الذي نزل عليها، ولقد يبست الأشجار التي في الشوارع وهلكت فأصبحت كالصريم، وهشمت بعد أن كانت منظراً حسناً وزينة للناظرين، فسبحان المتصرف في خلقه على ما تقتضيه إرادته، وإنها لعبرة لمن يخشى، ولكن الله تبارك وتعالى قد نبّه عن بعض القلوب القاسية فقال: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾[1] وإنها لعبرة لمن وقف عليها بحيث أصبحت خاوية على عروشها وهشيماً بالياً محزناً.

وفيها في يوم الجمعة ١٣ من جمادى الثانية الموافق ٢٠ يناير كانون الثاني (١٩٨٥م) رشح لرئاسة الجمهورية الأمريكية الرئيس الجديد جورج بوش بدلاً عن الرئيس السابق ريغان، وأبعد الثاني فرفعت الأمة رؤوسها لتنصيب الرئيس الأميركي المنتخب، وقد أبدى بعض الأكاديميين والمسؤولين العرب تفاؤلاً ملحوظاً بمقدم (بوش) بعد رحيل ريغان ووزير خارجيته (شولتز) وسرت أنظار كثيرة حول مستقبل القضية الفلسطينية في نظر الإدارة الجديدة، إذ تعتبر هذه القضية واحدة من أهم القضايا التي توليها السياسة الأمريكية عناية خاصة ذلك لأنها مرتبطة مباشرة بمصالح أمريكا في المنطقة.

أما عن الانتفاضة الفلسطينية فقد استمرت على ما هي عليه في نشاطها، ولقد أحصي الذين قتلوا في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ ابتداء الانتفاضة إلى آخرتها يوم الاثنين ١٠ جمادى الأولى من هذه السنة رمياً وتعذيباً بأيدي اليهود فبلغوا ٣٣٣ قتيلاً ولكنهم كانوا ثابتين في نضالهم وصابرين على ما أصابهم وينتظرون الفرج والنصر من الله تعالى.

---

(١) سورة المؤمنون، آية ٧٦.

ولقد كانت اليهود مصممة على حصد شوكتهم على أن لا يزالوا تحت استعمارهم وإبادتهم بكل وسائل الإعدام وامتلأت السجون من أهالي فلسطين وبما أن أهالي فلسطين سئموا من تلك الحياة التي لا سلم ولا حرب لخلو أيديهم من السلاح.

فقد أقدم شبابهم على هذه الانتفاضة التي لا بد أن يكون لها أثر إما بالنصر أو الاستراحة من حياة كهذه الحياة البائسة السيئة كما قيل:

فأقدم فإما مُنْيَةٌ أو مَنِيَّةٌ ... تريحك من عيش به لست راضيا

فما ثم إلا الوصل أو كلف بهم ... وحسبك فوز إذاك إن كنت راعيا

أما سئمت من عيشها نفس وإلهٍ ... تبيت بنار البعد تلقى المكاويا

ولما شكوت الحب قالت كذبتي ... فما لي أرى الأعضاء منك كواسيا

فلا حب حتى يلصق القلب بالحشا ... وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وتنحل حتى لا يبقى لك الهوى ... سوى مقلة تبكي بها وتناجيا

ولقد جد أهالي فلسطين وسعوا بكل وسيلة لتحرير وطنهم وتخليصه من براثن اليهود والذين استطاعوا بمساعدة أمريكا لهم وغيرها من الدول القوية أن ينزلوا في أراضي مغصوبة ومقهورة أربابها.

وغامر أهالي فلسطين مغامرة تحمل العرب وتشجعهم تارة وإرغامهم بالتخويفات والأذية للعرب إذا لم يناصروهم تارة أخرى، وبالرغم من مناصرة المسلمين لهم وقيام العرب قاطبة في صفهم وقتالهم دونهم وبذل النفس والنفيس في سبيل طرد عدوهم بكل أنواع الجهاد فإن الأمور لا تزال في وضعها ولما أن قالوا للحاج أمين الحسيني متى الرجوع إلى وطننا المسلوب قال لهم إذا رجعتم إلى الله عز وجل فسترجعون إلى وطنكم.

فيا لها من كلمات سمينة مفيدة تذكرهم بأنهم عوقبوا بذنوبهم وسيئاتهم ولقد جدّ واجتهد الحاج أمين الحسيني نحو الملوك والرؤساء المسلمين والعرب وبالأخص

نحو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ملك السعودية واستجاش سواكنه كما في قصيدته التي منها هذا البيت لما رآه لآخر مرة يصلي بالمسجد الأقصى:

المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه

وكنت أظن أن أشبال فلسطين لما تم لاستيلاء اليهود على بلادهم أربعون عاماً أخذوا من قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾(١) وفهموا بأن الله تعالى سيجعل لوالديهم فرجاً ونصراً على أيديهم لأن الأمور مرهونة لأوقاتها ولعل ما قد جرى من تلك العقوبات سيوقض الغافلين وينبه المعرضين، ولما أن كان في إحدى الغزوات التي يترأس جيش المسلمين فيها قتيبة بن مسلم لما صاف الترك وهاله أمرهم قال لمن حوله أين محمد بن واسع فقيل من أقصى الميمنة جانح على سية فرسه ويشير بأصبعه إلى السماء فقال تلك الأصبع الفاردة أحب إلي من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير فلما فتح عليهم قال له ما كنت تصنع في وقت التحام المعركة حينما كنت ترفع أصبعك نحو السماء فقال إني أطالب الله عز وجل بهذه الآية، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

ولئن كانت الطاعات سبباً للنصر وهزيمة للأعداء فإن المعاصي سبب الخذلان، فلقد حدثني الثقة عبد الله بن محمد بن حسن الملقب بالأميّر بالتصغير بقصة رواها لي قال: كنت مرة في فلسطين بوقت عزّ أهلها قبل الاستيلاء عليهم في صحبة أناس من العقيلات فعرض جمل للبيع وكنت بحاجة إلى جمل ليطرق إبلي فاشتريته وكان بجانبي فلسطيني يريد شراءه لكنه تأنى لعله يحصل رخيصاً، فلما أن اشتريته طلب مني

---

(١) سورة المائدة، آية ٢٦.

(٢) سورة المنافقين، آية ٨.

أن أتخلى عنه له بقيمته وأنه بحاجة إليه، فأبديت لمشاعره بأني بحاجة ماسة إليه، قال فاشتد ذلك عليه فأشهد بأنه رفع طرفه إلى السماء وقال يلعنك يا رب بحيث لم تيسره لي.

وروى عبد الله بن محمد بن حسن أيضاً وكان ثقة أن يهودياً اشترى مزرعة من عربي في فلسطين حينما كانوا يشترون سابقاً مزارع العرب هناك فيها ست بيارات وفدانات بستمائة ألف من العربي، فلما أن نقده الثمن قال لابنته وكانت بكراً جميلة يا بنية دونك هذا العربي فاستخرجي نقودنا منه بأي وسيلة تكون، قال فكانت تحسن وتجمل وتدخل عليه في دكانه وتطمعه بنفسها زحماً وتقبيلاً وجعل يبذل لها أموالاً طائلة فعل عاشق استولى عليه الهوى وافتتن بها، غير أنها كانت تماطله يوماً فيوماً تارة تعتذر بالحيض، وتارة تعده بغفلة أبيها، غير أنها لم تمكنه من نفسها فاشتد هيمانه وهيجانه، ولما أن استنزفت منه تلك الأموال أو أكثرها واعدته بأن تأتيه في بيته وعداً صادقاً فانتظرها.

ولما أن لم تفِ خرج من الغد يطلبها في الأسواق فوجدها تحمل حقيبة وذكرت أنها تريد الذهاب إلى أوروبا بعد ثلاثة أيام ستعود إليه فأمسكها وقال يا عرب هذه البنت تماطل بي وتواعدني وتكذب حتى استنزفت ماليتي ثم احتضنها وألقاها إلى الأرض ووقع عليها والناس ينظرون فجاء البوليس ورجال الأمن لتخليصها منه بالضرب فما استطاعوا ثم ألقوا عليهما بطانية وتركوهما، ولما قضى وطره منها بعد مضي ساعة قال اصنعوا بي ما شئتم، فكانت النتيجة أن خطأوها وذهبت أمواله أدراج الرياح.

وحدثني ثقة أنه سمع أناساً في فلسطين جالسين في قهوة، ولما أن رعدت السماء جعلوا يضحكون ويقولون هذا ربنا يضارط، فإلى هذه الدرجة نزلت الهمجية ببعض المغرورين، ولا يستنكر في حكمة الله أن يأخذ الظالمين ببعض ذنوبهم ويقول

الله عــز وجــل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان يقوم أناس من كفرة السودان المتمردين بسلاحهم ويهجمون على المسلمين في بلدهم وهم في صلاة التراويح خلف الإمام ليسقط (٢٥) مسلماً ما بين قتيل وجريح، وتقوم الصهاينة على أبواب المساجد في هذا اليوم والشهر من هذه السنة على أهالي فلسطين فيطردونهم عن مساجدهم، ومن بين ذلك المسجد الأقصى، ولقد قام أمين الجامعة العربية يحتج على هذا العمل الإجرامي وكيف يطرد المسلمون عن صلاة التراويح وقيام رمضان وتغلق مساجدهم وحمَّل كل رئيس وملك مسلم المسئولية عن أعمال الصهاينة الذين لم يخافوا الله ولم يستحيوا من خلقه وأن يقوموا صفاً واحداً لوضع حد لهذه الجراءة العظيمة.

ولقد اشتدّ ضغوط اليهود على أهالي فلسطين في مستهل هذه السنة جداً وتحرج الموقف وقاموا بنسف منازل الفلسطينيين وتشريدهم وتقتيلهم وعزموا على طردهم مطلقاً عن فلسطين إلى أي جهة في الأرض، وقرروا حبسهم لمدة عشر سنوات وبعضهم إلى عشرات السنين وبالغ بعض الرواة بأن الذين قتلوا من أهالي فلسطين من حين الانتفاضة إلى تمام سنة كاملة قد بلغ سبعمائة قتيل.

وفي ٦/ ٣ و ٧/ ٣ قامت جنود العدو يطلقون النار على الشبان العرب وأيديهم مكبلة بالحبال وجعلوا يعتقلون الأطفال بتهم السعي لقتل الإسرائيليين، وقام رئيس وزراء الصهاينة إسحاق شامير يهدد بإبادة الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، وقال أنه إذا عمد سكان الضفة والقطاع إلى تصعيد أساليب

---

(١) سورة هود، آية ١١.

الانتفاضة باستخدام السلاح الناري فإن القوات الإسرائيلية لن تبقي لهم أثراً وأن زعماء منظمة التحرير يدركون ذلك.

أمور تحاك بالخفاء

إن دين الإسلام يلاحق ملاحقة وصدق على المسلمين ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى بقوله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوَهَن. قال قائل: يا رسول الله وما الوَهَن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت» ففي منتصف هذه السنة ٢٥ رجب تكشفت الأحوال وتيقنت الأمة أن زعيم المتمردين في جنوب السودان (جون قرنق) وصاحبه منصور خالد سليمان رشدي الذي كان الأخير يقول أن على أهل السودان أن يتهبوا نفسياً لتقبل حاكم غير عربي وغير مسلم كان خلفهما من يدفعهما وأتباعهما إلى الردة عن دين الإسلام، فكانوا بذلك عملاء للصليبيين يدعون إلى دين الصليب وينابذون دين الإسلام وأهله ويبغون الكيد للمسلمين ويسعون بالفتنة وتشتيت شمل السودان.

هناك دعاية من الشيوعيين واليهود الصهاينة الذين لا يزالون يبرمون أمورهم ضد الإسلام وأهله، وقد قامت الأمة المفكرة في عواقب الأمور لوضع حد لهذا البلاء والشر المستطير قبل أن يشعل الشر من جديد لأن من ثمرات هذه الدعاية أن قام الشعب السوداني المسلم بعضهم على بعض يتقاتلون وحدثت لذلك فوضى ويريد هؤلاء المفسدون أن يصنع العرب في السودان كما صنع أهل لبنان.

فأما عن كثرة المسلمين ونزع بركتهم كما ثبت في الحديث فهذا شيء مشاهد في كونهم مع كثرتهم لم يقهروا عدواً ولم ينصروا صديقاً ولم يعرفوا الوسيلة التي تكفل لهم الأمن والسلامة.

وهذا للتخاذل فيما بينهم وعدم ركون بعضهم إلى بعض، فلو أنهم صدقوا

الحملة على العدو لانهزم أمامهم، ولكنهم انشغلوا بالخلافات فيما بينهم ولما رأى أعداء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ضعف المسلمين وانشغالهم فيما بينهم وتفككهم وضعفهم وخورهم واستكانتهم طمعوا فيهم وتداعت أمم الكفر على الإسلام والمسلمين كما تداعى الأكلة على قصعتها لا لقلة المسلمين ولكن كما قال نبينا «غثاء كغثاء السيل» واضرب لذلك مثلاً في صدق العزيمة وقوة الإيمان حينما كانت النية صالحة أن يزحف ألف وخمسمائة بدوي لا يملكون إلا البنادق والسيوف في وقعة تربة التي تقدم ذكرها فيهجمون بقوة الإيمان والدين والعقيدة على جيش العدو البالغ عدده عشرات الألوف ما بين نظام وهجان وما استعدوا به من المدافع والرشاشات والأهوال فيذبحونهم بالسكاكين والسيوف أمام مدافعهم المقيدين فيها، ويعدمون ذلك الجيش عن بكرة أبيهم ويتبعثر اثنا عشر ألف مقاتل مزودين بالأسلحة النارية والقوات العسكرية والبطر والخيلاء يتبعثر ذلك الجيش أمام عدد قليل من المجاهدين الصادقين.

وضد هذا النصر ما جرى في هزيمة حزيران والنكسة المشؤومة التي حصلت على مصر البالغ عددها أربعين مليوناً فيكف الله أيديهم ويمنح العدو أكتافهم ويصيرون لعبة في أيدي اليهود ذبحوا رجالهم وغنموا جميع سلاحهم وسلبوا قواتهم ولولا الإبقاء عليهم لضمت اليهود مصر إلى تل أبيب فخمسمائة مليون مسلم كما يزعمون يعجزون عن عدد قليل من اليهود لا يبلغون عشر معشار المسلمين بل أقل من ذلك مع أن الله سبحانه ذكر عن اليهود أنهم غلت أيديهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله فيتمكنون مع خستهم أن يفسدوا في الأرض وينتهبوا بلدان العرب ويحرقونها ويهدمونها ويقتلون الرجال والنساء والأطفال.

وكأنما ضرب المسلمون بالذل والخوف والهلع كما روى لنا التاريخ في غزو القرامطة عام (٦٥٦هـ) وكيف وصلت الأحوال في انتصارهم على المسلمين وذل المسلمين أن يقوم قرمطي من القرامطة فيضع رأس مسلم على حجر ويقول

انتظرني لآتي بحجر أرضخ به رأسك فيستسلم المسلم كذبيحة مقيدة مع كونه يستطيع الفرار حتى جاء القرمطي بحجر وقتله.

فوالله لو أن كبشاً وضع كذلك لتمكن من الفرار ولم يلبث مستسلماً فإنا لله وإنا له راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولقد قام المسلمون مستنكرين لذلك ورأوا أن يبذلوا جهودهم قبل أن يتمكن الداء ويصعب علاجه ويأتي يوم شره مستطير، وما أصيب الإسلام وأهله إلا بدعايات سرية لإعادة دين المجوس، ولقد قام سياسيون من الشيوعيين وساسة الفرس الذين يبيتون الغدر بالإسلام وأهله ويسعون بمساعدة جمعيات سرية لإشعال الفتن بين المسلمين من قديم الدهر وحديثه وحصد شوكة الإسلام والمسلمين بمساندة الغرب لهم وغزوا دين الإسلام تارة بالأطماع وتارة بإظهار الصداقة للإسلام وهم عن الإسلام بمعزل ونفذوا أغراضهم بأنواع الحِيل والمكر وعملوا لهدم دين الإسلام والسعي بالإفساد بين المسلمين وتضليل النشء حتى تمكنوا من تفرقة المسلمين وجعلهم أضراباً وشيعاً ولكن المسلمين بغفلة عن ذلك، ولو أنهم تنبهوا لذلك وتساندوا وتعاضدوا وتكاتفوا لهان كل عسير وتم كل مراد وفي الأمثال ما تعاونت عليه الرجال خف.

ومن أسباب النقص والبلاء مخالفات وكتابات من بعضهم ضد البعض وانشغالهم بأمور تافهة في الأصول والفروع وغفلتهم من السيل الجارف والوقوف أمام تيار الفتن ومعرفة الشباك التي نصبت لدين الإسلام والكيد لأهله وغلب شر الكفار الذين لا يزالون منذ زمن بعيد ساعين في اضمحلال الشريعة المحمدية.

ومن ضعف نصيره وقل ظهيره وخذله إخوانه وأسلمه للنائبات خلانه وأعوانه يبس عوده وذهب معدوده ومحدوده وعضه الزمان بنابه وكذلك حال المسلمين اليوم وقد ذهبت منهم العزة والنخوة وضعفت بينهم الموالاة والأخوة فلا تقوم لأحدهم قائمة إذا كبا وعثر ولا يجد من يأخذ بيده ويجبره إذا انكسر.

ذكر قنابل تضرب أم درمان

لما كان في ١٦/ ٣ من هذه السنة جعلت قنابل لا يعلم من أين تأتي تضرب مساكن في أم درمان وهدمت مساكن فيها وحيرت رجال الأمن فلم يتوصلوا إلى معرفة طريقتها حتى قيل أنها من عفاريت الجن لأنها قنابل مجهولة لا يعلم مصدرها.

حادث غريب من بلاوي الزمان

نشرت جريدة «المسلمون» الدولية أن قذائف مجهولة المصدر تدمر منزلاً في حي ودنوماوي العتيق وأن قوات الشرطة في حيرة من ذلك وأن الشيخ المبارك يتهم الجن الكافر بذلك.

فقد تعرضت أسرتان في أم درمان بالسودان وهاتان الأسرتان عددها أربعة عشر شخصاً في رعب منذ ثلاثة أشهر من أذى الجن تساقط عليهم قذائف من اللهب والطوب استمرت لمدة هذه الشهور، وقد فشلت قوات الشرطة في العثور على مصدر هذه القذائف فالتقى مندوب جريدة «المسلمون» بأفراد الأسرتين في المنزل المسكون فأكدت صاحبة المنزل أن النيران بدأت بالتهام صندوق مملوء بالأوراق القديمة ثم امتدت تلتهم أثاث المنزل ولما أن صعدت قوات الشرطة إلى سطح المنزل وانهالت عليها الحجارة واستمرت الحرائق المجهولة المصدر وقالت أن النيران كانت تشتعل من خلفنا وليس أمام أعيننا بحيث لم نستطع أبداً مشاهدة كيفية بدايتها فاضطرت الأسرتان إلى مغادرة المنزل السكني إلى منزل أحد الأقارب ولكنها اشتعلت النيران في إحدى الحقائب المنقولة فقررت الأسرتان العودة إلى منزلهما الأصلي.

وقد أشارت صاحبة المنزل إلى استقامة جميع الأسرتين أنهم يصلون الصلوات الخمس ويصومون ويؤدون جميع الفرائض وعللت الحادث بأنه امتحان إلهي وقد

ذكر بعض الجيران أن حدوث تلك الظاهرة يعود إلى كتابه أعمال سحريه بواسطة إنسان ليجبر أهل البيت على الرحيل.

وأكد لهم الشيخ عبد الجبار المبارك أن الجن الكافر يسكن في الأماكن المهجورة، أما الجن المؤمن فيسكن مع الإنسان ولكن الإنسان لا يراه وعن رؤيته للحادث قال أن هناك جنياً يسكن في مكان مهجور من هذا المنزل ويبدو أن أحد السكان قد استفزه من حيث لا يدري أو ألحق به أذى فأنتقم الساكن من أهل البيت فثلاثة أشهر ظلت هذه الأسرة الكبيرة مسهدة العيون مبلبلة الأفكار مكسوفة البال لأن قذائف النار والطوب حولت منزلهم بأم درمان إلى جحيم وما زالت النيران تقلق راحة تلك الأسرة بعد أن قضت على كل ما تملك والفاعل ما زال مجهولاً، ومع أن المنزل أبعد ما يكون عن المنازل التي يأوي إليها الجن لأنه يقع في منطقة مليئة بالحركة، وأكدت صاحبة المنزل أن النيران التهمت صندوقاً مليئاً بالأوراق بمخزن المنزل كما التهمت جانباً من مرتبة القطن بعد أن قضت النيران والطوب المجهول المصدر على أثاث المنزل وحتى المخزون منها حيث اشتعلت النيران في داخل المخزن فأحرقت ثلاجة جديدة وبوتاجازاً واستمرت عمليات الحرق حتى تكوَّن داخل البيت جبل من الأثاث المحروق إلى جانب الملابس، وقد بلغت تكاليف ترحيل هذه الأثاث التالفة سبعمائة جنيه سوداني وبعد ثلاثة أشهر من التنقل بين أطراف العاصمة ووسط السودان والعود لم تختف الظاهرة بل ظلت ثابتة في المنزل وبالرغم من تكثف الشرطة برجالها ووجودهم داخل المنزل ومراقبة المنزل عن بُعد بواسطة المباحث ورجال الشرطة عثرت الشرطة على أعواد ثقاب (كبريت) كما عثرت في مرات أخرى على جمرات صغيرة ولم تتوصل إلى الفاعل أو المتهم.

ثم قالت الجريدة ويمكن أن يكون ذلك بفعل إنسان أو بفعل الجن، ثم قال الشيخ عبد الجبار أن علاج هذه الظاهرة أن يأتي رجل له القدرة على مخاطبة الجن يذكرهم بالله ويبصرهم بالخطأ فيما يفعلون أ.هـ.

قلت: يمكن أن الجن يقدرون بتسليط من الله على السرقة وعلى التصرف بالأذى، وقصة أبي هريرة في حفظه لزكاة رمضان وكيف أن الشيطان توصل إلى السرقة مرات منها وأخبر أبا هريرة أن قراءة آية الكرسي أمان للعبد من شر الشياطين وقصة أبي دجانة سماك بن خرشة حينما شكى إلى الرسول ما رأى في بيته مشهورة حينما كتب الرسول بأمره إلى علي كتاباً ينهى الجن عن الأذى وأن ذلك الكتاب أثر عليهم أنيناً وصراخاً وبكاءً يجدون ألمه إلى يوم القيامة.

وقد سبقنا في حوادث (١٣٦٥هـ) ما جرى على أهل قرية حوالي روضة الربيعية من أذى الجن ورمي أهل قصر فيها بالحجارة والعظام.

وقد رأيت سؤالاً وجواباً صدر من دار الإفتاء عن رجل تسرق نقوده من بيته ولا يعلم سارقها من أن أهل بيته أمناء فجاء الجواب أن يكون ذلك العمل عن طريق الجن، لأن حديث أبي هريرة ﷺ ثبت سرقتهم وأن العفريت قال لنبي الله سليمان ﷺ أنا آتيك بعرش بلقيس قبل أن تقوم من مقامك، فدلّ ذلك على أن لهم نفوذاً إذا مكنهم الله من تلك الجرائم.

وذكر شيخ الإسلام أحمد بن تيمية أن من بال عليهم أو نثر عليهم ماءً حاراً وإن كان بغير تعمد لأنهم يرون الإنس ولا يراهم الإنس فقد لا يسلم في الغالب من شرهم نعوذ بالله من شرهم.

وقد يصاب الإنسان بشلل ويكون في الغالب انتقاماً منهم بدعوى أن المصاب حصل منه أذية عليهم وقصة قاتل الحية وما جرى عليه منهم ولم ينجه إلا شهود عدل شهدوا بأنه لم يقتل جنياً بل قتل حية ذكرها الشارح المكوذي[1].

---

(١) القصة مروية عن أبي جلال المايورقي أنه خطفته الجن ومكث مدة فسمع بعد طول قراءة أولاد فطمع في الخير منهم فعرض قضيته على معلمهم فقال: إذا سمعت بوجبة عظيمة فاعلم أنه سلطان الجن فناد يا للشرع تسمع بعد ذلك، فنادى فأحضر الجني فسئل فقال هذا قتل أخي فقال الإنسي ما قتلت إلا حية كما لقنه شيخ الجن فاستفتى المؤدب المذكور وكان كبير السن فوقع حاجبه بيده =

قف على هذه التوصيات فهي مهمة

ومن تأمل إرشاداته ﷺ وجدها كافية وافية لمصالح الدين والدنيا فكان يقول لربيبه: «يا بني سمِّ الله وكُل بيمينك وكُل مما يليك» صلوات الله وسلامه عليك يا نبي الرحمة صلواته وسلامه عليك يا مرشد الأمة صلوات الله وسلامه عليك يا من هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، اللهم جازه عنا كل خير.

فمن توصياته ﷺ لخالد بن الوليد لما ذكر له أنه يجد وحشة قال: «إذا أخذت مضجعك فقل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون».

وجاءه رجل يشكو إليه الوحشة فقال: «أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح، جللت السماوات والأرض بالعزة والجبروت» فقالها الرجل فذهبت عنه الوحشة.

= وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: من تصور على غير شكله فدمه هدر، فألزم الجني بحمله لأهله فامتثل فوجهه إلى أهله، هكذا ساق القصة وقد رأيتها في مرجع آخر بأبسط من هذا وهي أنه قتل رجل حية فساح في الأرض ولم يعلم بخبره خمسة عشر يوماً فذهب أخوه إلى كاهن وأخبره بفقد أخيه، فقال له: اذهب إلى أرض كذا لصحراء بعيدة من السكان وهي واسعة وخالية من البشر فإذا كان في وقت وقوف الشمس وكان الزمن في نوء الهقعة فسيمر بك عاصفة وغبرة فلا تلتفت إليها ثم تمر عاصفة أشد من الأولى فقف في تلك الغبرة وناد يا شيخ الجن إني أطلب الشرع، فسمع ضجة ورأى أشباحاً فيها وأتي بكرسي فجلس عليه شيخ ضخم الجثة علاه المشيب فتكلم يا إنسي وما حاجتك فقال: يرحمك الله فقدتُ أخي منذ خمسة عشر يوماً فتكلم بأعلى صوته إيتوني بأخ هذا الإنسي قال فجيء بأخي مكبلاً بالحديد وأناس معه فقال وما ذنب هذا الرجل؟ فقالوا: قتل ابننا، فسأله عن قتله فقال: ما قتلت غير حية، فقال: ائتني بشهود يبرؤون ساحتك، فقال ومن أين أجد شهوداً وقد قتلتها في البرية بوادي خالٍ من البشر، فسكت الشيخ قليلاً وإذا قد أقبل اثنان من الجن فقال: ما عندكما من البرهان تشهدان به قالا: نشهد بالله شهادة نسأل عنها إذا وقفنا بين يدي الله سبحانه، قتله وهو متصور بصورة حية، فرفع الشيخ حاجبيه بيديه ثم قال: حدثني أبي عن جدي وساق بالإسناد إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «من تصور بغير شكله فقتل فدمه هدر» وأطلقوا الإنسي وقم فاذهب بأخيك وقد تقدم عن قريب قصة حديثه من هذا النوع أ.هـ.

وأرشدنا إلى أن نسمي الله عند الأكل لأن لا يشارك الشيطان أحدنا في الأكل، وأرشدنا إلى أن نسمي الله عند الجماع لأن لا يشارك الشيطان في هذه الحالة، وأخبر الربّ الجليل عن أذية هذا العدو وبين الحالة في الامتحان به في قوله: ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾[1] اللهم يا ربّ الشيطان ويا من ناصية الشيطان بيده اكفنا شره ولا تسلطه علينا.

وقد روي أن طالب علم سار إلى عالم في جهة بعيدة للأخذ عنه والتعلم منه وأنفق في تلك السفرة أموالاً طائلة، فلما أراد الرجوع أخبر ذلك العالم بالنفقات التي بذلها فقال له: أريد أن أمنحك فائدة واحدة تعدل بجميع ما أنفقت، فقال له: نعم وجزاك الله خيراً، قال: ذهبت في طريق فاعترض لك كلب فكيف تصنع به إن تركته أكلك وإن قمت تنازعه وتقاتله قطعك عن المسير فكيف الخلاص منه؟ قال: أرشدني يا أستاذ، قال: إن الطريقة في الخلاص منه أن تدعو صاحبه وتطلب أن يكف كلبه عنك فهكذا الشيطان كلب ابن آدم فاستعذ بالله منه ليكفيك شره وتستريح منه.

ومن وصاياه ﷺ «أوك سقاءك واذكر اسم الله وخمر إناءك واذكر اسم الله، ولو أن تعرض عليه عوداً» وفي رواية عنه «فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على انائه عوداً فإن الشيطان لا يفتح باباً» وفي رواية: «فإن الشيطان لا يفتح باباً مجافاً ولا يكشف غطاءً ولا يحل وكاءً».

قال بعض العلماء: وضع العود لرد دبيب أو بمروره يعني الدبيب على العود وقيل الحكمة في ذلك ليعتاد تخميره ولا ينساه، وكل هذه الوصايا لأجل المحافظة

---

(١) سورة الإسراء، آية ٦٤.

على السلامة من إذاء هذا الشرير اللعين الخسيس، وجلس ﷺ وأصحابه مرة على طعام فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ ﷺ بيدها ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده ثم قال: «إن الشيطان يستحل الطعام إن لا يذكر اسم الله تعالى عليه وأنه جاء بهذه الجارية يستحل بها فأخذت بيدها فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يديهما ثم ذكر اسم الله تعالى وأكل» رواه مسلم.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يأكل طعاماً في ستة من أصحابه فجاء أعرابي فأكله بلقمتين فقال رسول الله ﷺ أما أنه لو سمى لكفاكم» رواه الترمذي قال حسن صحيح، «وبينما هو يصلي صلوات الله وسلامه عليه بأصحابه سمعوه يقول أعوذ بالله منك ثم قال: ألعنك بلعنة الله ثلاثاً وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك، قال: إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاثة مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أن آخذه والله لولا قول أخي سليمان لأصبح موثقاً تلعب به ولدان أهلي المدينة» رواه مسلم عن أبي الدرداء وقال أبو التياح لعبد الرحمن بن خنيس رضي الله عنه وكان كبيراً: أدركتَ رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. قلت: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الجن؟ قال: «إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قل ما أقول قال قل: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن. قال: فطفئت نارهم وهزمهم الله تبارك وتعالى» رواه أحمد وأبو يعلى ومالك والنسائي.

وقد أطلنا ولا يخلو ذلك عن فائدة ونحن وإن كنا أتينا بالمقصود فقد أشرنا في معرض القصة إلى تحقيق رجال الضبط والربط إن ذلك يمكن أن يكون بفعل إنسان من شياطين الإنس أو من شياطين الجن.

حادثة غريبة

لما أن كان في رمضان من هذه السنة أمطرت السماء في إقليم الهند دماً أحمر وفزعت الأمة لذلك أشد الفزع، وقالوا دماً أمطرت السماء على الهند والله على كل شيء قدير.

ولا يستغرب ذلك فقد حدثني الأخ العاقل الرزين حجيلان بن عمير بن حجيلان من أهالي بريدة وقد قدمنا ترجمته في سنة (١٣٨٥هـ) أنه في عام (١٣٥٠هـ) كان من جملة العقيلات الذين في الشام للتجارة قال أمطرت السماء عجيناً فعجبت لذلك، ولولا أنه ثقة لم أعتمدت كلامه.

فبحثت في الموضوع وفتشت في كتب القوم وتجاربهم فأفادت التجارب أن الزوابع والإعصار إذا هبت بشدة فقد تحمل ما مرت عليه وترفعه إلى الفضاء فإذا بلغ غاية السحب في الجو يتساقط، وقد تحمل البرتقال وغيره فيظن الإنسان أنها نزلت من السماء، وليس كذلك.

وقد ذكرت جريدة الرياض في عددها ٧٤١٧/ ٢٥/ ٩ من هذه السنة بعدما قالت أمطار من الدم في الهند ما معناه تساقطت أمطار من الدماء لمدة عشرة أيام، وقد تعذر تفسير هذه الظاهرة علمياً، ثم قالت أعلن وزير الصحة في ولاية (تاميلنادو) أن العينات التي تم تحليلها من هذه الأمطار أظهرت أنها تحمل خاصيات الدم البشري، والقرية التي نزل عليها هي جنوب شرق الهند أ.هـ. أما عن الظاهرة الدينية فإن هذا يوقظ الغافلين ويؤج الأعصاب ويهز المفاصل ويمكن أن يكون عقاباً من الله عز وجل.

وفيها في ٣/ ٦ قامت رئيسة وزراء باكستان (بنازير بوتو) بزيارة للمملكة العربية السعودية فقدمت إلى جدة بعد الظهر من ذلك اليوم لأداء مناسك العمرة بصفتها مسلمة وكانت متسترة بثيابها ومستقيمة فاستقبلها أمير مكة صاحب السمو ماجد بن عبد العزيز والأمير منصور بن بندر بن عبد العزيز وقائم مقام جدة الأمير عبد الرحمن بن أحمد السديري ووزير الصحة فيصل الحجيلان، وبعد أداء العمرة ذهبت لزيارة المسجد النبوي والسلام على صاحب الحجرة الشريفة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وصاحبيه في المدينة المنورة، وذلك لتقوية الصلات بين الباكستان والسعودية، وبعد تلك الزيارة رجعت إلى بلادها.

وفيها في ٢٨ ربيع الآخر أصيبت إحدى مدن روسيا السوفيتية بهزة أرضية وزلزال هلك بسببها مائة ألف وتأثرت الأرض من جراء ذلك الزلزال وخربت منه خفوس أعقبت ذلك، نسأل الله السلامة.

قتل قنصلين من السعودية

لما كان في ١٦/ ٣ قتل السفير السعودي في الحكومة التركية بأنقرة وهو عبد الغني بديوي اغتيل بأيدٍ آثمة يقع الظن بأن قاتليه لبنانيون أربعة كانوا يثأرون للذين قتلتهم السعودية بسبب ارتكاب جنايات جنوها في السعودية فقام أولئك اللؤماء بارتكاب تلك الجريمة الخاطئة، ولد السفير عام (١٣٥٦هـ) في الوجه وتنقل في العمل في قسم اللاسلكي بوزارة المواصلات إلى وزارة الخارجية وعمل في سفارات المملكة بالصومال ولبنان وتركيا، وكان يقيم في معية زوجته في تركيا منذ ست سنوات، وله ثلاثة أبناء محمد جامعي يعمل مدرساً بالطائف، وأمين طالب بجامعة الملك عبد العزيز، وحنان طالبة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، ويثنون عليه بالوفاء والإخلاص في عمله الموسود إليه، وقتل أيضاً القنصل الثاني في تايلاند صالح عبد الله المالكي وقد قامت الحكومة في البحث عن قاتليه وألقت القبض على أربعة أشخاص قد تورطوا في حادث مقتل السكرتير الثالث لسفارة المملكة في بانكوك

الذي أطلقت النار عليه يوم الأربعاء ٢٦ جمادى الأولى من هذه السنة، وفي هذه الآونة قتل السفير السعودي بباكستان.

تأسيس سفارات للدولة الفلسطينية

في آخر جمادى الأولى من هذه السنة أسست الممالك العربية سفارات لديها للدولة الفلسطينية، وجرى احتفال لأهل فلسطين من أهل فلسطين في المملكة السعودية يرأسه الزعيم ياسر عرفات، وقام الشباب باستعراض حي يمثل الدولة الفلسطينية، وبهذا كانت الدول العربية قد اعترفت بدولة فلسطين وكان يؤمل أن تقوم هذه الدولة بعدما انطفأت من زمان طويل وسفت السوافي على ذكرها والآن ترفع أعلامها بعدما كانت أمة مغلوبة تطؤها اليهود بأرجلها وتستعبدها ذليلة تحت استعمارها وتسومها سوء العذاب.

وبما أن انتفاضة شباب فلسطين التي قدمنا ذكرها بلغت في ١٣ رمضان سبعة عشر شهراً من هذه السنة وقام العرب بتأييدها ولا يزال أهالي فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة في انتفاضتهم ضد اليهود فإن اليهود في عنادهم وجبروتهم قائمين عن قدم وساق يريدون القضاء عليها وإبادة أهالي فلسطين كما تسول لرئيس وزراء الصهاينة إسحاق شامير نفسه بأنه سيعمل على إبادة الشعب الفلسطيني وكأنه بذلك لم يلتفت لا إلى اعتراف العرب بالدولة الفلسطينية ولا إلى الخضوع لقرار صدر أو يصدر في صالح أهل فلسطين، وبما أن الدول الأخرى قد اعترف غالبها بدولة فلسطين فإن اليهود لا تزال في غطرستها وغيها ضد العرب والمسلمين، وهنا نستشهد بكلام شاعر النبط العربي وإن من الشعر لحكمة، حيث يقول:

لا تطلب صلح من جهال لين الحرب اتثور اتفقه
لين ترشش مقابرهم وينعى الناعي مما طرقه
ثم اعذل فيهم يا عاذل انخلى لك الأرقاب أصدقه

ويقول الشيخ العالم الماهر الذي صاغ الجواهر من عويص غويصه أحمد بن علي بن مشرف رحمة الله عليه ومغفرته منهضاً للإمام فيصل بن تركي لقتال الأعراب:

ولا ترضى إلا مقعد العز مقعداً ... على ظهر مهر للعنان مجاذب
وجر عليهم جحفلاً بعد جحفل ... وضيق عليهم أرضهم بالمقانب
جيوشاً تريهم ظلمة الليل في الضحى ... ولمع المواضي كالنجوم الثواقب
فإن أنت سالمت العدو مخافة ... فأيسر ما يلقاه بول الثعالب

فقول الشاعر الأول (لا تطلب الصلح من جهال) إشارة إلى أن العدو لا يخضع باسترحامه والتعطف له بل يخضع إذا جرحته القنابل وبددت أوصاله وأعمى منخريه وعينيه دخان النار وشظائف الحديد وانشغل بدفن أصحابه وذويه وقام الناعي ينعى أقرانه ويبكي أحبابه وأترابه فعند ذلك يطلب الصلح ويترك ما بين يديه راغماً مما دهاه ودهمه.

ويحدثنا التاريخ عن شجاعة أمير المؤمنين هارون الرشيد لما سقط بين يديه خطاب النقفور الذي قال فيه من النقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أن الملكة ريني التي بعثت إليك أموال بلادنا قد خلعناها لضعفها -ويريد بذلك الجزية- فرد جميع ما بعثت إليك وإلا فالسيف بيننا وبينك فغضب أمير المؤمنين هارون وانتفخ وبعث إليه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين ملك العرب إلى كلب الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فالجواب ما ترى لا ما تسمع، ثم صاح بالنفير العام وزحف في أول وهلة بعشرة آلاف فارس، ثم إنه توغل في بلدان الروم فجعل يهدم فيها ويحرق فجاءه الجواب من الملك النقفور يقول: ترجع ولك جميع ما يدفع إليك قبل ذلك، فقال: لا أرجع حتى تكتب على سكتكم اسم هارون الرشيد ففعلاً كتب على نقودهم اسم هارون الرشيد.

هذا هارون الرشيد الذي كتب على قلنسوته (غاز حاج) فسنة يحج وسنة يغزو فيرجع مرفوع اللواء منصوراً معززاً ثم يقول شاعر الإسلام أحمد بن مشرف مصوراً نتيجة الجهاد في سبيل الله والدفاع عن النفس والأهل والوطن:

بـــذلك تعطيـــك المعـــالي زمامهـــا وتسـمو علـى أعلـى الـذرا والمراتـب
وإن كـــره النـــاس بالجهـــاد بدايـــة فآثـــاره محمـــودة في العواقـــب
ومـــن كـــان معوجـــاً فقومـــه بالظبـــا إذا لم يفـــد بـــذل الجيـــاد والمواهـــب

وفي هذه السنة عمّ الجفاف و القحط في المملكة السعودية واستسقى المسلمون مرات في جهات المملكة بأمر من ولي الأمر، وفي آخر فصل الشتاء نزلت أمطار في غالب الجهات لكنها خفيفة بالنسبة إلى ما تتطلبه الرياض، وقلّت الأعشاب وكاد أهل المواشي أن يبيعوها برخص وقيمة زهيدة ولكن الله لطف بعباده وعادت أقيامها متحسنة، ولقلة الأمطار فإن نسبة المياه نزلت عن مستواها نزولاً ظاهراً وجعل أهالي آبار الزراعة ينزلون إلى قعر الأرض بكثرة المواسير.

وفيها في أوائل ربيع الآخر نودي في الرياض وسائر مدن المملكة بالتبرع للمجاهدين الأفغان والمهاجرين واللاجئين ومدّ يد العون والمساعدة لهم بما تجود به أنفسهم والذين لا يزالون يواجهون حرباً ضروساً لا هوادة فيها أمام عدو شرس لا يرحم وهو الغزو السوفيتي.

والتي أحرقت فيها الأخضر واليابس وقتلت الأطفال الأبرياء والنساء والشيوخ العزل، وقتلت ويتمت الكثير من أبناء الشعب الأفغاني الذين ينتمون إلى الإسلام إضافة إلى ذلك الأجواء السيئة جداً التي تجتاح الأراضي الأفغانية حيث البرد القارس الشديد والثلوج الأمر الذي أدى إلى سقوط واصابة العديد منهم بأمراض شديدة وفتاكة بسبب عدم وجود الأغطية والكسوة والمواد الغذائية الكافية، وأصبح الكثير منهم يعيش بدون مأوى والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وقد أقيم هيئة عامة لاستقبال التبرعات يرأسها أمير الرياض صاحب السمو الملكي سلمان بن عبد العزيز وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز، وهذه الإغاثة بالبطانيات والخيام والملابس إضافة إلى الأدوية والأجهزة الطبية وجميع ضروريات ومستلزمات المجاهدين وإن كان من الزكاة الواجبة في الأموال، وتم اختيار أعضاء اللجنة الموثوق

بهم مضافاً إليهم صاحب السمو سطام بن عبد العزيز والشيخ صالح بن لحيدان ويقام من التبرعات لهم حفر الآبار وبناء المساجد والمدارس والمستشفيات وبناء الغُرف للمجاهدين وغير ذلك من المشاريع الخيرية المختلفة.

وفيها في ٢ من شهر شوال هبت رياح عاصفة مغبرة شديدة وقترة واستمرت تلك الرياح وقت هبوبها بعد صلاة العصر من كل يوم بغبار دقيق وشدة من قوتها وعصفها وتكليفها حتى كانت الأجواء متكدرة جداً، وكان ذلك في ١٧ من برج الثور، وما زالت كذلك إلى آخر اليوم ١٢ من شوال وكانت تلك الزوابع والإعصارات بريح السموم شدتها على مدينة بريدة وما حواليها عنها جنوباً إلى مسافة عشرين كيلو من الجهة الشمالية إلى قدر خمسين كيلو وقد امتلأت الأمكنة والمساكن بالغبار.

وقد حدثنا بعض الثقات أنه نزل على صامطة وما يليها من جهة عسير الجنوبية الغربية أمطار يميل لونها إلى السواد وذلك في شعبان من هذه السنة وكان هبوب الرياح على القصيم في الوقت الذي ذكرنا يوافق ٧ مايو أيار وهو وإن كان وقتاً لهبوب الرياح فإن تلك العاصفة التي امتد وقتها وحدث فيها بعض الأذى والمشاق واختفاء الأنوار وقد وافق جفافاً ولم يبارك الله بما نزل من الأمطار.

عودٌ على بدء

لما أن اغتيل الرئيس الباكستاني ضياء الحق تأثر بهلاكه المسلمون هناك لأنه العضيد الأشد في مساعدة المجاهدين في أفغانستان ضد الروس ومن في صفهم وفقدوا تلك الشعلة وبكوه وترحموا عليه لأنه كان مناصراً للإسلام في باكستان، وقام برفع أعلامه فمن ذلك القصيدة الرائعة التي قالها الأستاذ عيسى بهاء الدين الأميري منوها بما قام به ضياء الحق من تطبيق لشرع الله في بلاده وما له من المواقف في جهاد أهالي أفغانستان حينما غزوا في بلادهم وأوذوا في سبيل الله وأخرجوا من ديارهم وقاتلوا وقُتلوا:

جلى ضياء الحق في استشهاده | وزكا وحلق في سماء جهاده
قد كان كالطود الأشم في شموخه | ورسوخه والعقل هدي مراده
عزم الوفاء لربه ولدينه | ويقينه والصبر وحي سداده
رأى كيان بلاده متصدعاً | فيضنى وإن الدين طب بلاده
وأقام بالإسلام خطة حكمه | ومضى وشرع الله نور رشاده
وأبى وقد جاس الخؤون جواده | فأمد من لجأوا إلى أنجاده
أدى وأسدى ما استطاع لنصرة ال | أفغان رغم عدوه وكياده
واشتد في دعم الجهاد بنفسه | ونفيسه بل كان من أجناده
فرمى العدو الدما في مكره | ليديله وألحَّ في أبعاده
لكنه الثبت الأبيّ فما ونى | عن دعمه بل زاد في إمداده
حتى إذا انتصر الجهاد وخصمه | ولى ولفح الغيظ في أحقاده
قتلوه كلا إنه أجل مضى | جسم هوى والروح في أصفاده

وقال أيضاً في مناسبة اغتيال الشهيد ضياء الحق غفر الله له وتقبل جهاده:

حم القضاء وفي الكتاب طوارق | متباينات كلهن حقائق
قدر له صور ويمضى مبرماً | ومنية وطرائق وطرائق
أجل إذا ما جاء موعد فصله | لا لن يؤخره محب وامق
ويظن لد ماكر مقامر | تقديمه عمه الغرور الحانق
الموت حق أمره وزمانه | ومكانه حكم قضاه الخالق
والناس فيهم معول ومهلل | والميت في بحران غيب عارق
جسم تسربل بالتراب مكبلاً | وثوى وروح من أسار ابق
في برزخ بين الهناءة والشجا | عمل وتم وفي الحساب ملاحق
هذا سجل لا يغادر لمحة | والقسط يوم الدين عدل صادق
وتجيء نفس المرء يحدو سعيها | لحسابها منها شهيد سائق

طـــوبى لمـــدخر وأوج صـــبيعه حـــب وقلـــب بالضـــراعة خـــافق
فالرحمـــة الفـــيض الغمـــير تحفـــه وهـــو المؤمـــل بالســـخاء الواثـــق

* * * * *

ابـــني يـــالعمر الغـــريض أخـــي في صـــوغ القـــريض وإنهـــا لأوامـــر
أهـــديتني مـــن بـــث نفســـك نفحـــة وكأنهـــا منـــى إليـــك مشـــاعر
همـــي وهمـــك مـــن معـــين واحـــد تبعـــاً ولســـت أقـــول أنـــه حـــظ عـــاثر
لكنـــه قـــدر المجاهـــد لا يســـنى يحيـــا لظـــى لأوائـــه ويصـــابر
ولـــه مـــن الإيمـــان في حلـــك الـــدجى نـــور وفي الغمـــض العميـــق بصـــائر
يمضـــي علـــى الجـــد والصـــراط ســـوية عزماتـــه وكـــأنهن منـــائر
يمضـــي بـــأمر الله لا.. لا ينـــثني ســـهماً تجـــرد أو تتمـــر كـــافر
قـــد حـــالف الله القـــوي وكـــر في حـــرب العـــداء فهـــو القـــوي القـــادر
ويقينـــه النصـــر المـــبين بربـــه صـــدق الـــيقين وجـــل رب ناصـــر
ولقـــد يـــنير عليـــه ظـــلام وغـــي ويكيـــد طـــاغوت ويختـــل غـــادر
ولقـــد يجنـــد لـــه اغتيـــال خـــائن يـــؤدي بـــه وهـــو الغنـــيم الظـــافر
يحيـــا شـــهيداً في الجفـــان مخلـــداً فرحـــاً تغمـــده نعـــيم بـــاهر

وكانت هذه القصائد جواباً لقصيدة بعثها إليه عبد الرحمن صالح العشماوي هي قوله في رثاء ضياء الحق الرئيس الباكستاني لما اغتيل في حادث الطائرة التي كان من ضمن ضحاياها:

ســـفر وكـــل يـــا ضـــياء مفـــارق والليـــل مفتـــول الـــذراع مراهـــق
والســـائرون علـــى الطريـــق قلـــوبهم تشـــكو وجمـــر الحـــزن فيهـــا حـــارق
أيـــن المســـار وكيـــف تحتمـــل الـــردى أجســـامنا ومتـــى يفـــر الخـــافق
يـــا أرض باكســـتان مـــاذا أبصـــرت عـــين الحقيقـــة كيـــف جـــاء الطـــارق
قالـــت وغيـــث الـــدمع يهطـــل لا تســـل عـــن غايـــة فيهـــا الـــذئاب نواطـــق

يـــا غابـــة مـــا في حماهـــا منـــزل ... يـــؤوي الضـــعيف ولا لســـان نـــاطق
أشـــجارها هرمـــت وفي أدغالهـــا ... يختـــال جـــزار ويســـعد مـــارق
ســـفر وتمتـــد الطريـــق وتنمحـــي ... فيهـــا الخطـــى ويضـــل فيهـــا الحـــاذق
والواقفـــون عيـــونهم مبهـــورة ... ممـــا تـــراه وكـــل بـــدر غاســـق
يـــا غيمـــة جـــاءت ولم يهتـــف لهـــا ... رعـــد ولم يـــومض لـــديها بـــارق
من أين جئـت وكيـف أمهلـك الـردى ... حتـى وصـلت وكيـف عـاش الوافـق
في ســـرك المكنـــون ألـــف حكايـــة ... يشـــدو بهـــا شـــاد وينعـــى نـــاعق
يـــا غيمـــة الأســـرار طعـــم قصـــائدي ... مـــر ولـــون الشـــعر لـــون غـــامق
قـــولي لنـــا شـــيئاً فـــرب مقالـــة ... يحيـــا بهـــا ميـــت ويخشـــع فاســـق
قـــولي لنـــا فرمـــت إلـــيَّ بنظـــرة ... وشـــعرت أنـــي في وجـــومي غـــارق
وتكـــوم الصـــمت الطويـــل أمامنـــا ... والعـــين مغمضـــة وقلـــبي خـــافق
وتحـــدثت وأنـــا أغالـــب رهـــبتي ... وتســـاءلت أيـــن الشـــجاع الواثـــق
أنـــتم ركبـــتم موجـــة غربيـــة ... شـــرقية والراكضـــون تلاحقـــوا
أنـــتم تســـابقتم إلى أعـــدائكم ... كـــم ضـــاع مســـبوق وضـــاع الســـابق
أنـــتم فتحـــتم بـــابكم فتســـللت ... منـــه اللصـــوص وجـــاء منـــه الآبـــق
هـــذا ضـــياء الحـــق هـــز ذراعـــه ... ليســـوق موكبـــه ونعـــم الســـائق
حتـــى إذا ألـــوى عظـــام نظامـــه ... وأطـــل مـــن عينيـــه عـــزم صـــادق
ودعـــا إلى الشـــرع الحكـــيم وقـــد نمـــا ... في أرضـــه المعطـــاء نخـــل باســـق
بعـــث العـــدو إليـــه صـــاروخ الـــردى ... فمضـــى وفي الـــدنيا دخـــان خـــانق
نـــام الحمـــاة عـــن الـــبلاد فكيـــف لا ... يســـطو العـــدو ولا يعيـــث الســـارق
وســـكتُ تنهشـــني الهمـــوم وينـــثني ... ســـيفي إلى صـــدري ويـــدنو الشـــاهق
ســـفر وتبقـــى يـــا ضـــياء ركابنـــا ... مســـدودة وعلـــى الـــرؤوس بيـــارق
كـــل يســـير إلى الفنـــاء فســـابق ... متقـــدم يحصـــي خطـــاه اللاحـــق

وإلى متـــى هـــذا الســـؤال جوابـــه متعـــذر وبـــه أحـــاط الخـــالق
يـــا غيمـــة الأســـرار قولـــك واضـــح وأنـــا علـــى مـــا تـــذكرين أصـــادق
نحـــن الـــذين تكســـرت نظراتنـــا نرضـــى بمـــا رســـم العـــدا ونوافـــق
لـــو أن أمتنـــا أقامـــت أمرهـــا بالـــدِّين مـــا عـــاق المســـيرة عـــائق

وفيها في يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ صفر وقعت ثورة في الجزائر استمرت ثمانية أيام فسقط على يد الجيش مئات من الثوار واستطاع الشاذلي بن جديد أن يخمدها وينكل بالقائمين بها ويسيطر على الموقف فخمدت تلك الثورة وسكنت المتحركات، أما ما كان عن أهالي باكستان فقد كان الآلاف يحتشدون لإلقاء النظرة الأخيرة على ضياء الحق واحتشد الآلاف عند مسجد فيصل يوم السبت ٨/ ١ لتشييع جنازة الرئيس محمد ضياء الحق الذي لقي مصرعه في حادث تحطم طائرة منذ ثلاثة أيام وأخذ الباكستانيون يرددون (سيعيش ضياء الحق إلى الأبد وتعيش باكستان) أثناء مسيرهم إلى الموضع الذي سيدفن فيه، وقد أحاطت مئات من رجال الشرطة والجيش بالموضع وحملت عربة مدفع جثمان الرئيس ضياء الحق في جزء من الطريق ونقلته إلى قبره ورفعوا لافتة كتب عليها (ضياء حي الشهيد لا يموت) وحضر رؤساء الدول وشخصيات أخرى بارزة من أكثر من خمسين دولة جنازة الرئيس ضياء الحق الذي حكم باكستان لمدة أحد عشر عاماً، وكان عدد من كبار ضباط الجيش الباكستاني والسفير الأمريكي أرنولد رافيل من بين ٣٠ شخصاً لقوا مصرعهم يوم الأربعاء الذي أصيب فيه الرئيس عندما تحطمت الطائرة، وشاركت عائلة الرئيس وأخوه وابنه وبعض المقربين في وضع النعش في شاحنة عسكرية مغطاة بعلم باكستاني كبير أخضر وأبيض ووضع الجثمان في إحدى صالات القصر لمدة ربع ساعة لتمكين أقرباء الراحل ومعاونيه من إلقاء النظرة الأخيرة عليه.

وفيها في ليلة الاثنين عاشر شوال انشب حريق في مدينة بريدة بمناجر وأخشاب من ألواح الساج ومرابيع تقع في حفيرات من الجهة الجنوبية خلف خط الإسفلت

من الشرق أمام سوق الماشية من الجهة الجنوبية الشرقية في واجهة (الشرقية السباخ) ولما أن اضطرمت النيران كانت ألسنتها ملتهبة في قصفها ولها زمجرة والرياح تصفر في لهبها فهب رجال المطافئ والدفاع المدني إلى ذلك الموضع مرتدين حلل الكفاح والعمل.

وجاءوا بجدهم وحديدهم ومياههم تقذفها خراطيم تلك المعدات وما يستطيعونه ليدفعوا ذلك الخطر المحدق وليقضوا على ألسنة النيران المندلعة بين الحفيرات ووسطها، وكاد أن يعجز رجال المطافئ عن القضاء عليها بعدما جيء بمطافئ عنيزة وغيرها وعجزوا عن مقاومة تلك البادرة السيئة فاستمرت النيران مندلعة عشرين ساعة وفكرت الجهات المسئولة بطلب الطائرات لاستخدامها لهذه المهمة وسقط بعض رجال الدفاع المدني من خنق ذلك الدخان وأتت النيران على جميع ما في تلك المناجر والمستودعات بما فيها من المكائن والحديد فجعلته كومة من الرماد هامدة لا قيمة لها، وكانت تلك الاخشاب والمناجر كثيرة العد والعدد وتقدر تكاليفها بقيمة باهظة، ولكن الله لطف بسلامة الأرواح.

وفي ١٩ جمادى الآخرة من هذه السنة أحصيت المبالغ التي قدمتها المملكة السعودية لدعم مجالات الدعوة الإسلامية وساهمت في إنشاء أربعين مركزاً إسلامياً في أمريكا وأوروبا فبلغت ثلاثة آلاف مليون ريال ووزعت عشرين مليون مصحفاً من القرآن من طباعة الملك فهد بن عبد العزيز على المسلمين في أنحاء العالم.

وقامت جماعة تحفيظ القرآن في حلقات المساجد بتشجيع الدارسين ومنحهم مكافآت تقديراً وتشجيعاً لأمثالهم لكل فرد عشرة آلاف ريال من بين أولئك الأفراد ستة وعشرون طالباً في مدينة بريدة وزعت في جامعها الكبير بمحضر الآباء والمدعوين.

مؤتمر قمة

لما كان في ٢٢ شوال من هذه السنة أقيم مؤتمر القمة في الدار البيضاء في المغرب، وذلك في يوم السبت وحضر ذلك المؤتمر المنعقد لدى العاهل المغربي

الحسن الثاني خادم الحرمين الشريفين الملك فهد يصحبه الأمراء سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض بعدما أناب في غيابه على المملكة ولي العهد والنائب الأول رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني عبد الله بن عبد العزيز، وحضر المؤتمر الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد والرئيس السوري حافظ الأسد والعقيد الليبي معمر القذافي ورئيس الجمهورية المصرية محمد حسني مبارك ورئيس الإمارات زايد بن سلطان آل نهيان وسلطان عُمان قابوس بن سعيد والملك حسين بن طلال وأمير البحرين وأمير قطر وأمير الكويت والرئيس اليمني وياسر عرفات وأمين الجامعة وغيرهم.

عرض في هذا المؤتمر مهام الأمور المتعلقة في مصالح الأمة الإسلامية والعربية ومن ذلك معرض الحرمين في المغرب وافتتاحه والقضية الفلسطينية وتحديد الحجاج لما فيه من المصلحة العامة كما اطلع الملك فهد جلالة الملك المغربي على ما تقوم به المملكة السعودية من الخدمات للمسلمين وقضية لبنان ودرسها وغير ذلك.

قرار مجلس هيئة كبار العلماء في شأن المعتدين

لما كان السعي في الأرض فساداً قد أنزل الله فيه آيات من القرآن تخوف وتحذر، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]. وقال تعالى في معرض النهي: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾[2] وقال تعالى في فضيحة المفسدين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ

(١) سورة المائدة، آية ٣٣.

(٢) سورة الأعراف، آية ٥٦.

مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[1] ذلك لما ينشأ عن هذه الجرائم السيئة من المفاسد التي لا تصدر إلا ممن فقد إنسانيته وأضاع شرفه وعصى الله ورسوله، فقد صدر الحكم وقرار من مجلس هيئة كبار العلماء بتطبيق أحكام الله ضد المفسدين وأن من فعل ذلك فقد استهدف للعقوبة، وقال مفتي الجمهورية العربية اليمينية القاضي أحمد محمد زيادة إنه قرار حكيم ونابع من صميم الشريعة الإسلامية الغراء لأنه يجسد ما أمر به الله ورسوله من تطبيق الحدود الشرعية على المخربين والمفسدين في الأرض، ودعى كل الدول الإسلامية إلى أن تحذو حذو المملكة العربية السعودية كما أكد عن أعضاء المحكمة العليا للنقض والإقرار في الجمهورية اليمنية تأييديهم الكامل لكل ما جاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء، وقال مدير الحرم القدسي أن من يعتدي على أمن الجماعة ويفسد في الأرض يستوجب على ولي الأمر أن يوقع عليه العقوبات الرادعة، وقال محمد الشعراوي ما اتخذه المجلس يتناسب مع الحفاظ على المقدسات الإسلامية والأمن والاستقرار.

نشرات مؤلمة عن أفغانستان

ففيها في جمادى الثانية الموافق يناير ١٩٨٩ نشرت مجلة البنيان المرصوص صوت الحق الإسلامي الأصيل في أفغانستان في عددها (٢٥) الفضائح التي قامت بها روسيا في غزو أفغانستان ما يأتي: (إذا رأيت الظلم قد علا في الأرض وسحق المسلمين لا تيأس فهنالك في أفغانستان أخوة لك يردون الظلم بالحديد والنار ويضحون بأرواحهم من أجل رفع رايتك الإسلامية).

ثم نشرت بعض رسوم وصور للمشردين يحملون أزودتهم على أكتافهم

---

(١) سورة البقرة، الآيتان ١١ و١٢.

فمليون ونصف مليون شهيد وخمسة ملايين مهاجر في عشرة أعوام من أفعال الروس في أفغانستان.

ومع كل إشراقة شمس يوم جديد في أفغانستان الجريحة تبدأ قصة حزينة بل في كل ساعة وكل دقيقة هناك معركة في مكان ما بين جنود الحق الأعزل وطواغيت الباطل الشرس، وفي كل لحظة هناك أخ لك يعبر خطوط النار والدمار ويركض فوق الثلج والألغام ويجابه أحدث الطائرات وجحيمها بصدره العاري لكن بعد انتهاء الجولة يسقط الشهداء والجرحى في دوائر من أجل إعلاء كلمة الله ويستمر من تبقى من المجاهدين في حمل الراية ومواصلة رحلة الجهاد الطويلة.

وهناك ترى جماجم الشهداء وأطفال الشهداء الأيتام يحملون صغارهم على ظهورهم بمنظر حزين وحالة يرثى لها وقد قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة» ويحثك الله عز وجل على الإحسان إليهم بقوله: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[1] ولما أن ثبت الأفغانيون أمام تلك المجازر ثبات الجبال الرواسي ورأت أمريكا انتصارات الأفغانيين الذين كانت تمدهم بالأسلحة لأذية روسيا قامت تسعى لإقامة حكومة غير إسلامية في أفغانستان هي ومن في صفهم من الدول المعادية للروس يخططون لما رأوا اقتراب المجاهدين من الظفر.

وثارت ثائرتهم لإقامة حكومة غير إسلامية في كابل لما رأوا انسحاب الروس، ولكن أهالي أفغانستان لا يرتضون إلا دين الإسلام فغيرة من الكفار على انتصار المسلمين الذين يريدون رفع راية الإسلام رأوا أن يسعوا خلف هذه الانتصارات ليكون ذلك من صالح الكفار لا من صالح المسلمين، هذا من جهة أفغانستان.

أما عن فلسطين الحزينة وما يكابده أهلها من تعسفات اليهود وجعلهم أغراضاً

(١) سورة الإنسان، آية ٨.

لسهامهم فقد أحصي الذين أصيبوا فيها منذ بداية الانتفاضة إلى تاريخ ٢١ شوال الموافق ليوم الجمعة من هذه السنة أي في ظرف ثمانية عشر شهراً وتسعة أيام فكانوا كما يأتي: سبعمائة واثنين وثلاثين قتيلاً، واثنين وثلاثين ألف جريح، واثني عشر ألف سجين، ولكن أطفال الحجارة والمتفضين كانوا لا يزالون يوالون نشاطاتهم في تفجير العبوات وعرقلة أعمال اليهود ويشعلون الإطارات في طرقهم ويقذفون الزجاج المحماة بالنيران على السيارات والمارة مما أقلقوا راحة اليهود.

أما عن لبنان الذي تضمنه مؤتمر القمة الأخير فها قد قام أعضاء المؤتمر يطرقون الأبواب لوقف إطلاق النار وأن تضع الحرب أوزارها وبعثوا رجاء إلى الأهالي أن يضعوا حداً لهذه الحرب التي أتت على الرطب واليابس واستنزفت الأموال والدماء وقد يكون سعيهم ذلك له مفعول كبير.

إن لبنان التي تضرب الأمثال في حضارتها ونضارتها فيما مر من السنين بحيث كانت جنة الدنيا ينتابها جميع العالم للمصيف وإراحة النفس وإجمام الجسم لما خصها الله به من النِّعم والفواكه والهواء الطلق والمستشفيات وكثرة المطابع لنشر الكتب الدينية والأدبية والتاريخية وكان فيها أنواع اللهو والأفراح لمن أراد ذلك ممن له هواية ورغبة فيما يعطي نفسه سؤلها من الملذات والمشتهيات وما يجده فيها أهل الخلاعة من أسواق البغايا والعاهرات التي كانت وبلا شك هي سبب دمارها وعقوبات الله التي حلت بها كانت بعدما ذكرنا قد أصبحت آية من آيات الله في الخراب والدمار وسلط الله بعضهم على بعض بحيث أصبحوا يتناحرون ويتقاتلون فيما بينهم.

قال عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس: جئت يوماً إلى ابن عباس فوجدته يبكي فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس جعلني الله فداك، فقال: هؤلاء الورقات وإذا هو في سورة الأعراف ينظر في حال أهل القرية الذين ذكرهم الله بقوله:

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾[1] إلى آخر ست آيات من القصة وما أحله الله بهم من العقوبة.

ولما فتحت قبرص وفرق بين أهلها وبكى بعضهم إلى بعض كان أبو الدرداء جالساً وحده يبكي فقال له بعض الصحابة: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال: ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضاعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك والغلبة تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

فتأمل أيها المسلم في كلام هذا الصحابي وإنه لموعظة لمن اعتبر، ولقد بدأت لجنة القمة الثلاثية الخاصة بتسوية أزمة لبنان تعقد أول اجتماعات عملها في يوم الأحد غرة شهر ذي القعدة من هذه السنة في القصر الملكي في الرباط.

امتحانات النقل

في يوم السبت ٢٩/ ١٠ من هذه السنة تقدم أكثر من مليونين ما بين طالب وطالبة لاختبار النقل في سائر المملكة السعودية وأنحائها في جميع المراحل الدراسية وهذا مما يدل على إقبال الأمة على التعليم وتسابقهم على ذلك وما كثر العلم في أمة إلا وسادت وشادت وأفلحت وما ظهر الجهل في أمة إلا ذهب مجدها وتفرق أمرها.

وفيها في شهر شوال ظهر في الصين كتاب يسيء سمعة الإسلام والمسلمين فقامت مظاهرة ضخمة من الطلاب والطالبات المسلمين هناك يقدمون احتجاجهم ضد هذا الكتاب وطالبوا بعدم توزيعه وكان أكثر من أربعة عشر مليوناً من

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٦٣.

المسلمين يعيش معظمهم في أقصى الشمال الغربي وقدم أولئك المتظاهرون مذكرة للحكومة الصينية طالبوها فيها بمنع نشره وحمل المتظاهرون لافتات كتبت باللغتين العربية والصينية ودعت اللافتات إلى إطلاق حرية الأديان والذود عن القرآن الكريم وأن هذا الكتاب مثل كتاب الآيات الشيطانية.

وفاة الخميني

لما كان في يوم الأحد غرة شهر ذي القعدة صباحاً أعلن راديو طهران وفاة آية الله الخميني عن عمر يناهز ٨٩ سنة وقاموا في إيران ينظمون أمور الثورة الإسلامية المزعومة التي أسسها لهم الخميني وقام بها وينفذون وصاياه التي أوصاهم بها وفتحوا أبواب إيران للوافدين الذي سيقدمون للصلاة عليه وتشييع جثمانه إلى مقره الأخير.

أما صكوك الجنة التي منحها أتباعه وبوأهم فيها القصور والغرف فإن رعاعهم يحتفظون بها، وأما النشء المتنور فإنهم يأخذونها من يده ويلقونها على خفية في المزابل بعدما يمزقونها، ولما أن كان من الغد أقيمت عليه صلاة الجنازة بعد الظهر بعدما قدمت الشيعة من أقطار الأرض ومن كل حدب ووقعت ضجة وارتباك وزحمة شديدة هناك ممن كانوا يتمسحون بكفنه ويتبركون به ويصبون عليه مياه الورد، وقد سقط الكفن مرات ممن يعظمونه وكادت أن تمزق الثياب من شدة الزحام.

وجرى على بعضهم من البعض خدوش لكثرة المصلين الذين بلغوا مئات ألوف وكانت وفاته عقب أسبوعين من إجراء عملية لإيقاف نزيف داخلي وكانوا قبل وفاته بليلة قد ناشدوا المواطنين الإيرانيين الدعاء له بالشفاء، ولكنها نقلت الإذاعة عن بيان أصدره المكتب الشخصي للخميني قوله لقد طرأت بعض المصاعب خلال معالجة الإمام.

ولكنها بثت إذاعة طهران ليلة الأحد أن الأطباء يبذلون قصارى جهدهم لإنقاذ الخميني وفي صباح يوم الأحد بثت إذاعة طهران بياناً منسوباً لابن الخميني أحمد الخميني أن الزعيم الإيراني توفي ثم أنه تم تلاوة نص وصية الخميني في جلسة خاصة عقدها مجلس الشورى بحضور مجلس الوزراء مير حسين موسوي وأعضاء لجنة الخبراء ومجلس الوصاية ومجلس القضاء العالي ونواب المجلس والوزراء، وقالت وكالة الأنباء الإيرانية أن مشكيني قد ترأس هذا الاجتماع الذي استغرق ساعتين وخمساً وأربعين دقيقة، ونقلوا الوصية التي كتبت عام (١٩٨٢م)، وتم إعادة صياغتها عام (١٩٨٧م) أحد الحضور وتشتمل على ٢٩ صفحة تحتوي على خمس صفحات كمقدمة وصفحة أخرى كملحق وسيعلن أحمد الخميني وصية والده على أفراد الشعب في وقت قريب.

وفيها في أوائل شهر ذي القعدة وقعت ثورات في الصين استعمل لها السلاح وهلكت أعداد نتيجة هذه الثورة أياماً بحيث هلك تحت السلاح خلائق كثيرون، وكانت تلك المظاهرات والثورة نتيجة العسف والتضييق على الشعب الذي بلغ عدده (٩٠) مليوناً من الأنفس البشرية ولكنها تحسنت الأمور شيئاً ما بعد الثورة بسبعة أيام، ولقد كانت الصين في الأيام الأخيرة تعرف لها الدول الكبرى حقها في القوة والشراسة وما أعدته من الصواريخ الصينية النووية التي لها مكانتها من الفتك والتدمير وتعتبر أكبر دول العالم سكاناً وعاصمتها (بكين) بلغ سكانها زيادة على عشرة ملايين، وكان نظام الحكم فيها شيوعياً، هذه هي جمهورية الصين، وكان قد انفصلت عنها فرموزا والجزر القريبة منها وألفت دوله الصين الوطنية، وللصين مكانة عظيمة لأنها غنية بالسهول الواسعة والأنهار الكثيرة التي ترويها، ولقد بلغت الفتوحات الإسلامية في زمن الدولة الأموية إليها أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان، ولقد كانت الأمم تنمو نمواً باهراً بحيث بلغ إحصاء الحكومة الأميريكة في هذه السنة (٢٤٠) مليوناً، كما أن الروس بلغوا (٢٦٠) مليوناً هذا بالرغم مما يحصل من القتل والدمار والاغتيال.

ذكر من توفي فيها من الأعيان

فمنهم محمد بن عبد العزيز، ففي صباح يوم الجمعة ١٦ ربيع الآخر عام (١٤٠٩هـ) أعلن الديوان الملكي البيان وهذا نصه: (انتقل إلى رحمة الله تعالى صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود، حيث وافاه الأجل المحتوم صباح اليوم الجمعة الموافق ١٦/ ٤/ ١٤٠٩هـ بمدينة الرياض عن عمر يناهز الثمانين سنة ساهم خلالها مع والده مؤسس هذه المملكة بالكثير من الأعمال الجليلة التي كان يقوم بها والده رحمه الله للتوحيد وتوحيد استقرار المملكة وسيصلى على سموه ظهر يوم السبت ١٧/ ٤/ ١٤٠٩هـ في جامع الملك عبد العزيز بالمربع في مدينة الرياض نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته ويسكنه فسيح جناته، إنا لله وإنا إليه راجعون). وهذه ترجمته: هو الأمير الشجاع الباسل الشهير والعلم الظهير والسميدع الخطير الذي رجفت هيبته القلوب ومزق الأعادي في الغرب والشرق والشمال والجنوب صاحب السمو الملكي محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن مقرن القائد المحنك أمير المدينة المنورة سمي بذلك لأنه هو الذي تولى فتحها، كان شعلة نارية مهيباً متقدماً وله نفوذ وقدر عظيم ولما أن توفي والده كان سامعاً مطيعاً لأخيه الملك سعود بأرائه خاضعاً لتدابيره وكتب له التاريخ صفحة في الوفاء والذكر الحسن، ولما جاءه دوره لولاية العهد بعد الملك فيصل تركها لأخيه خالد بن عبد العزيز لأنه كان شقيقه.

ولد المترجم عام (١٣٣٠هـ) في مدينة الرياض وأدخل والده إحدى المدارس الأهلية حتى شب ونشأ في تربيته كأنجال عبد العزيز، وكان صارماً فتاكاً وليناً وثوباً شوهد منه في ملاحقة الدويش وجاسر بن لامي وابن حثلين لما فروا إلى الكويت والعراق والتجأوا إلى الكابتن كلوب المفتش الإداري هناك، وكان والده ينهاه عن أن يخاطر بنفسه وعمره إذ ذاك ثماني عشرة سنة غير أنه ما كان له أن يخلد إلى السكينة حتى يقبض على العدو، فزحف برتل من السيارات على مضض من

والده جلالة الملك فنازل قبيلة الصفهان التابعة للعجمان فما كـان إلا دقـائق حتـى قضى عليها.

وكان من قواد الجيش السعودي في جهاد اليمن عام (١٣٥٢هـ) وأحرز نصـراً وتقدماً، ولما أن كان في فتح المدينة المنورة طلـب أهلـها مـن الملـك عبـد العزيـز أن يبعث إليهم للمفاهمة أحد أفراد العائلة لما لقوا مـن محاصـرة فيصـل الـدويش مـن قساوة وعناء وشراسة ولا سيما ما تفوه به الأعداء من أن الدويش أطلق الرصاص على قبة الرسول ﷺ والسهام فاقتضى إلى الملك أن يجعل المترجم يحاصر المدينـة لمـا له من الشدة ولكنه أمره أن يضيف إلى الشدة الرفق وعدم القتـال لعلـهم يسـلمون ويستسلمون ففعلاً جرى ذلك واستسلموا للأمير محمد بن عبد العزيز وفتحهـا الله على يديه، وكان منصور اللواء لا تنهزم رايته أضف إلى ذلك جوداً وكرماً، وكانت والدته الجوهرة ابنة مساعد بن جلوي بن تركي فأخواله آل جلوي وشـقيقه الملـك خالد بن عبد العزيز، ولما أن توفي صلى عليه المسلمون في المسجد النبوي بعد صلاة الجمعة صلاة الغائب وعلى رأسهم الملك فهد وأمـير المدينـة عبـد المجيـد بـن عبـد العزيز وأصحاب الفضيلة العلماء وأصحاب المعالي الوزراء وجموع كثيرة غفيرة من المصلين، أما إقامة الصلاة عليه فكما قدمنا.

وممن توفي فيها من الأعيان في مدينة بريدة الشيخ حمود المشيقح رحمه الله وعفـا عنه وهذه ترجمته هو أبو سليمان حمود بن عبد العزيز بن حمود بن مشيقح بـن عبـد الله، ولد في عام (١٣١٦هـ) في مدينة بريدة عاصمة القصـيم فنشـأ في بيـت والـده فأدخله والده إحدى المدارس الأهلية في مدينة بريدة ورباه والده تربية حسنة وكـان محبوباً لديه ثم أنه بعدما نجح من المدرسة وحفظ القـرآن، وأخـذ نصـيباً مـن تعلـم الخط والحساب أخذ في الدراسة على الشيخ عبد الله بـن محمـد بـن سـليم وعلـى الشيخ عمر بن محمد بن سليم ولازمها وأكثر الأخذ عنهما ومن جملة ما درس على الشيخ عمر فتح الباري شرح صحيح البخاري إذا أخذ في القراءة فإنها خفيفة على

لسانه لأن له سليقة قوية كأنما تخرج الكلمات من أكبر نحوي، وإن كان قليل الأخذ من علم النحو ولكنها بديهة فقليل لحنه وأخذ عن الشيخ عبد العزيز العبادي لما أن جلس للتدريس في مسجدهم عام (١٣٥٥هـ) في كتب الفقه والحديث إضافة إلى مجالسة الأولى في بكرات الأيام لأن الشيخ عبد العزيز جعل يدرس ضحى وظهراً في ذلك المسجد الذي ضم جموعاً كثيرة من الطلاب وأصبح إذ ذاك كزهرة البلاد، وذلك قبل وفاة الشيخ يتتابه طلاب العلم ويترددون إليه.

وكان والد الأسرة عبد العزيز بن حمود بن مشيقح يبذل مساعدات للأجانب الذين في ذلك المسجد وكان من جملة الذين يدرسون على الشيخ عمر بن سليم بعد صلاة العشاء الآخرة في بيتهم وجد واجتهد حتى نال الثقة من والده وإخوانه بحيث كان هو صاحب الدفاتر والصندوق المالي وقبيل وفاة والده فقد بصره وأسف والده لذلك أسفاً شديداً ولكنه موضع التقدير من أهله ومن أمته وأهل بلده، ولما أقعد كانت الملوك من آل سعود كالملك فيصل والملك خالد والملك فهد يتتابون في بيته للسلام وزيارته إذا ما قدموا إلى القصيم وكان بالرغم من كونه محمولاً في محمل ويسعى بين المروة والصفا راكباً عربة ولم يمنعه أن أسن وكبر وثقل عن حضور الجمع والجماعات فكانوا يذهبون به إلى المساجد على عربة وكان صابراً ومحتسباً.

ولما أن علم الله حسن نيته رزقه من إخوانه وأبنائه وأبناء إخوانه حسن عناية فكانوا يتتابون زيارته كل ليلة بعد العشاء الآخرة ويجتمعون به ويتبادلون الحديث معه وكان راوية للقصص وذا خبرة بالتاريخ عن وعي ومعرفة أضف إلى ذلك أنه كان بصيراً في أمور دينه وموالياً لأولياء الله ومعادياً أعداءه في حسن معتقد ولين معركه مع الكبير والصغير وما زال على الاستقامة حتى وافاه أجله المحتوم في يوم الجمعة ١٣/ ٦/ ١٤٠٩هـ فصلى عليه المسلمون بعد صلاة العصر وحضر للصلاة عليه خلق كثير وجم غفير في الجامع الكبير ببريدة وشيعه إلى قبره ومثواه الأخير

جمع كثير من المسلمين بحيث دفن في مقابر الموطا عن عمر يناهز الثالثة والتسعين.

وممن توفي فيها المقرئ المصري عبد الباسط عبد الصمد، والذي طالما ألقيت قراءاته بالإذاعات في مشارق الأرض ومغاربها وقد سجلت أشرطة كثيرة وذلك لحسن ترتيله وجودة صوته، وكان في حال شبيبته له المثلى القيم في تلاوة القرآن وطول النفس والترتيل لما له من سعة الحنجرة، فقلما كان يباريه في حال شبيبته أحد في حسن الترتيل وملأت الأشرطة التي كانت تباع في كل مكان من الجامع والدكاكين والمكاتب وكان قد أصيب قبل وفاته بسنة في حادث سيارة فأثرت عليه، وكانت وفاته في ٢١/ ٤/ ١٤٠٩هـ.

وفاة معمّر

ففيها في يوم الثلاثاء محرم توفي شيخ قبيلة ثقيف عبد المعين عطية الثقفي عن عمر بلغ مائة سنة وخمساً وأربعين سنة فيعتبر أكبر معمر في المملكة العربية السعودية، كانت ولادته في عام (١٢٦٢هـ) وذكروا عنه أنه واحد من الجنود الأوفياء للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود وخدمه بإخلاص ووفاء.

وممن توفي فيها من الأعيان أيضاً الأمير محمد بن سليمان بن عبد الله بن جبرين على إثر مرض ألزمه الفراش فأدخل في مستشفى القوات المسلحة في الرياض ومستشفى الملك فيصل التخصصي، وبعد علاج وعناية وافاه أجله المحتوم، ولم يغنِ حذر عن قدر وهو أخو حمد بن سليمان بن جبرين أمير منطقة حفر الباطن، وكانت وفاته في شهر محرم من هذه السنة.

وممن توفي فيها أمير الهيائم سابقاً محمد بن خالد بن فيصل آل جش وهو أحد مشائخ قحطان الذين خدموا وطنهم بكل تفان وإخلاص هكذا ذكروا، وقد رثاه كثير من شعراء النبط بمراث كبيرة كانت وفاته في غرة شعبان من هذه السنة.

وفيها في ٢٩/ ٥ وفاة إمبراطور اليابان عن عمر تجاوز ٨٢.

وفيها توفي غازي بن ظافر مدير إدارة أملاك الدولة في مكة المكرمة ورئيس لجنة التقرير والعقار وقد ترحموا عليه ودعوا له بالمغفرة والرحمة لما يعلمونه عنه من المؤهلات والإخلاص.

وممن توفي فيها زميلنا وتلميذنا فهد بن عبد العزيز السعيد كانت وفاته في ٨/١٧ من هذه السنة، ولد عام (١٣٣٧هـ) في مدينة بريدة وأخواله من آل العقيلي فنشأ في الدراسة على المقرئ صالح بن محمد بن عبد العزيز الصقعبي حيث كانت مدرسته آهلة بالتدريس، ولما أن أخذ نصيباً من تعلم القرآن وأكمله وأخذ نصيباً من تعلم الخط والحسبات كغيره بحيث كانت المدارس آنذاك أهلية ولم تكن حكومية أخذ في الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم والشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي والشيخ محمد بن صالح المطوع.

كما أنه درس علينا من جملة الدين أخذوا عنا وكان يسكن حجرة في مسجد عودة المشهور بمدينة بريدة والمعروف بمسجد الحميدي المطوع، وقد أكثر الأخذ عن محمد بن صالح المطوع ولازمه واحتمى بقربه وكان له فضل عليه كما أن للمؤرخ فضل عليه بحيث كان يساعده في أزمات الأمور ويشد أزره ويدافع عنه.

وبعدما بلغ العشرين من عمره تزوج وكان بيده صناعة الخرازة للأحذية ثم أنه بعدما كان يكابد شيئاً من قلة ذات اليد سعى في أن يكون مديراً لمدرسة رياض الخبراء من مدن بريدة الغربي فحصل عليها ولبث في إدارتها خمس عشرة سنة ثم رأى أن يكون متقلباً في الأعمال الحرة فتركها إلى وظيفة محامي يزامله عبد العزيز المزيني من أهالي البكيرية واتخذ لذلك بيتاً في الرياض في شارع الخزان فكان يقضي بعض زمانه في رياض الخبراء وبعضه في العاصمة وله حظ في معرفة العلماء ومجالستهم كما أنه يتصل بالأمراء ويجالسهم ولصبغته في أخذه عن العلماء المتقدمين الذين قد ذكرت كان متأثراً بالعلم والأدب والدين وفي سلك أهل الفضل.

كما أنه قوي النفس شجاع كريم الأخلاق وبعد وفاة زميله عدل إلى طبع الكتب الفقهية في بيروت ودمشق وحصل على قدر كبير منها فمن مطبوعاته «الإفصاح» لابن مغيرة و«الاختيارات الفقهية من فتاوى ابن تيمية» و«كشف المخدرات شرح أخصر المختصرات» و«المذهب الأحمد» و«التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع» و«زوائد الكافي والمحرر على المقنع) و«المقنع لابن قدامة» و«جامع العلوم والحِكم» جعله في ثلاثة أجزاء و«تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي» و«الحسبة في الإسلام» و«وظائف الشيخ عبدالرحمن العمري» و«التبيان في أقسام القرآن» و«غاية المنتهى» لمرعي بن يوسف وغيرها وقد أبرزها بالحرف الكبير وخدمها بالتجليد الإفرنجي.

وكان يقول لي إني حرصت على طباعتها بالحرف الكبير أريد أن يقرأها الناس لأن الأبصار قد تضاعفت في هذا الزمان، وحقيقة أنه يشكر على خدمته لكتب الحنابلة، ثم أنه أصيب بمرض يعاوده كهيئة الجلطة حتى توفاه الله في هذه السنة وخلف عقباً من الذكور والإناث أحد عشر ذكراً وعشر إناث، وهم يسكنون رياض الخبراء الموطن الذي اختاره والدهم فغفر الله له وعفا عنه.

ذكر ثورة يونيو في السودان

لما أن كان في فجر يوم الجمعة ٢٧ ذي القعدة عام (١٤٠٩هـ) الموافق ٣٠ يونيو قام عمر حسن البشير بثورة ضد المهدي في السودان واستيقظت الخرطوم على أنباء نجاح وحدات من سلاحي المظلات والمدرعات بقيادة العميد عمر حسن البشير الذي رقى نفسه إلى رتبة فريق أول في السيطرة على العاصمة السودانية وإعلان ثورة (يونيو) للإنقاذ الوطني بقيادة مجلس لقيادة الثورة بقسم عدد من كبار الضباط بينهم العمداء أحمد فضل الله، وعلي يوسف، وعثمان أحمد حسن، ومحمد عثمان سعيد، والعقيد موسى عبد الرحمن.

وأذيع البيان رقم واحد الذي أذاعه راديو أم درمان فجر يوم الجمعة بقيام ثورة

(يونيو) وألقي القبض على الرئيس الأول الصادق المهدي بعدما حاول الفرار وغير هيئته ثم نزل من القصر بحبل ولكن إلقي القبض عليه لمحاكمته وسيق هو وعدد من وزرائه وسط قافلة عسكرية متجهة إلى أحد سجون الخرطوم.

وقد استولت مدرعات العقيد موسى عبد الرحمن التي قادها على كل المناطق الحيوية في العاصمة وكان أحمد فضل الله وعلي يوسف من جملة الذين اعتقلهم المهدي في ثورة فشلت قبل ذلك فأفرج عنهم وثاروا ضده في هذه الثورة التي نجحت، ثم إن الخرطوم هدأت بعد سيطرة الجيش على القصر الجمهوري وأصدر قائد الثورة عمر حسن البشير مرسومين نصا على تعطيل الدستور وإلغاء رخص الصحف وحل المؤسسات الحكومية والبرلمان وحل الأحزاب والنقابات العمالية، وحذر المرسومان من أي معارضة وأعلن منع التجول في الخرطوم بين الساعة السادسة مساءً حتى الساعة السابعة صباحاً وقال أنه سيتولى مناصب رئيس الدولة ورئيس الوزراء ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة وكان قواد ثورة يونيو هذه وطنيين متدينين.

ولما أن اعتقل الرئيس الأول الصادق المهدي وصاحبه أحمد الميرغني قامت قواد الثورة الجديدة يبثون سيئاته واحتكاره الأطعمة والأغذية عن المواطنين الذين يعيشون في حالة بؤس من الجوع والفقر ويلاقون من أتعاب الحياة والمساعدات المجلوبة إلى السودان مكدسة لديه، هكذا ذكروا.

وفيها في ليلة التروية مساء يوم الاثنين ليلة الثلاثاء وقع انفجاران حوالي الحرم المكي الشريف عن قنبلتين خارج المسجد إلى جهة الجنوب معبأتين كان ضحيتهما هلاك شخص واحد باكستاني وجرح ستة عشر شخصاً آخرين، فتأثرت الحكومة السعودية لذلك وأقامت لجنة للتحقيق والكشف عن فاعلي ذلك.

وجاءت الأنباء واردة من جميع حكومات الإسلام والعرب مستنكرين لذلك العمل الإجرامي في أقدس بقعة على وجه الأرض وأعلنوا شجبهم لذلك

وتأييدهم لخادم الحرمين الشريفين وسخطهم البليغ لوقوع ذلك وأنهم يؤيدون الحكومة السعودية ويستنزلون اللعنة على من فعل ذلك في أعظم أيام الله أمام بيت الله.

ولا ريب في أنه لم يفعل ذلك إلا من فقد إنسانيته وخان الله ورسوله والمسلمين وسعى في الأرض فساداً واستهدف لعقوبة الله تعالى في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٥﴾[1].

حادثة قصر أفراح جيزان

لما أن كان في ليلة الأحد ٢٩ ذي القعدة من هذه السنة أقبلت النساء والفتيات والأطفال إلى قصر أفراح جيزان لفرح العرس والاحتفال، وفي آخر الليل عند الانصراف من الاحتفال حصل ضجيج وصراخ وتغاريد من أولئك المجتمعين فنظر عامل القصل وحارسه أن هناك حريقاً بالتماس كهربائي فأقفل عداد الكهرباء فانطلقت النسوة والحاضرون للهرب إلى الخارج وتسببت ضيق بوابة القصر وضيق المسافة إلى أن يخرج الحاضرون من النوافذ ووطأ بعضهم بعضاً وداس بعضهم بعضاً بالأرجل مما أسفر عن مأساة عظيمة من جراء هذا الحادث الأليم فأصبحوا ما بين قتيل وجريح وهبّ رجال الدوريات والنجدة لعمليات الإنقاذ بكسر الأبواب والنوافذ لإخراج المصابين، ولقد تم استدعاء (١٧) طبيباً من منازلهم على وجه السرعة فجر الواقعة كما تم استدعاء (٢٥) ممرضة مختصة فهلك من هلك وحمل الجرحى إلى المستشفيات هناك.

قال بعض الرواة بينما كنت أمشي بالصدفة بجوار الموقع وإذا بي أشاهد أعداداً من سيارات الدوريات والنجدة تسير بسرعة مذهلة في الحي فانتابني الذعر

---

(١) سورة الحج، آية ٢٥.

وانطلقت في غير وعي إلى بوابة القصر لأشاهد أرتالاً من الأجسام البشرية مكومة على بعضها ومن غير إحساس بدأت بالبحث عن الوالدة فسكت قليلاً والتزمنا الصمت ثم جعل يروي ما وقف عليه من المأساة الشنيعة كيف ذهبت ضحايا ذلك الحادث الشنيع من أم وفتاة وصغيرة وكبيرة بحيث انتهى ذلك الحفل على حالة سيئة نسأل الله العافية.

وفي موسم الحج من هذه السنة اشتدت وطأة الحر في مكة المكرمة بحيث بلغت الدرجة ارتفاعاً إلى خمسين درجة ولم تحج إيران في هذه السنة لسوء علاقاتها مع السعودية، كما أنه حصل تفجيرات أخرى في الموسم في بعض الجبال وحريقة في مِنى التهمت خياماً للحجاج لا يقل عددها عن مائة وعشرين خيمة، ولا ريب أن ذلك من المخاوف والتنكيدات التي يسعى أهل الشقاق والضلال وابتلى الله بها المسلمين، هذا وقد رأى حجاج بيت الله عناية ووجدوا خدمة في توفير المياه والثلوج وجلب الألبان والخبز والخضراوات وغيرها مما وفر لهم أنواع الراحة.

وفيها وفاة العالم العابد الزاهد الناسك والفاضل المجتهد صاحب العلم بالعقيدة السلفية والمتصف بالاستقامة والأعمال والأخلاق المرضية أمام ضاحية السباخ في الموضع الجنوبي من المدينة الشيخ عبد العزيز بن عثمان بن حمد بن مضيان -رحمه الله وعاف عنه-، ولد في عام (١٣١٦هـ) في قرية وهطان الواقعة في الجنوبي الشرقي عن مدينة بريدة فنشأ في أحضان والده الشيخ عثمان بن مضيان فأدخله في إحدى المدارس هناك وهي المدرسة الأهلية التي معلمها جده لأمة عبد الله بن معارك، وبعدما تعلم القراءة والكتابة أخذ في الدراسة على الشيخ عبد الله بن إبراهيم الباحوث في موضع العكيرشة، ثم أنه ترقى في التعلم حتى أخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم ولازمه وتردد إلى حلقاته في المسجد الجامع الكبير في مدينة بريدة وانتهل من ذلك المنهل العذب، ومن زملائه عبد الله العلي العجلاني الذي تقدمت ترجمته وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن فدا وأخذ عن الشيخ

عمر بن محمد بن سليم وكان يظهر دينه ويلهج بذكر العلماء المتمسكين بالسنة كآل الشيخ محمد والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ صالح بن سالم آل بنيان وآل سليم ويظهر موالاتهم ومحبتهم ويميل إليهم وهو في طبقة الشيخ محمد الصالح المطوع في علم العقيدة.

وكان محبوباً لدى الناس لما هو عليه من الإخلاص لله ومحبته للخير لهم وذا أصل عظيم في العقيدة ومحتفظاً بآثار الصالحين ولديه مكتبة علمية وله فهم وإدراك ومن أهل الولاء والبراء الذين يحبون لله ويبغضون له صابراً ومحتسباً وقانعاً بما قسم الله له من الرزق.

ولحسن نيته عاش في كفاف من العيش وفي سرور وغبطة في تفويض أموره لربه، فكان في الاتكال والرضا بمنزلة الملوك وإن كان لا يملك إلا بيتاً يسكنه ولباساً يلائمه وكفافاً من العيش ولو شئت لقلت أنه من أفذاذ الرجال في حُسن خلقه وطيب مأكله وسلامة صدره وسلامة الناس من شره وقناعته بما آتاه الله، ولقد أكثر الأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وسار موجهاً إلى جهة الرياض للأخذ عن علمائها فأخذ عن الشيخ الألمعي عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن شيخ المشائخ، وأخذ عن الشيخ سليمان بن سحيمان وأخذ عن الشيخ محمد بن عبداللطيف ثم أنه رجع إلى وهطان يتردد إلى حلق الذكر ببريدة فكان مقيماً في وهطان.

ولما أن فتحت المدينة المنورة بعثه مشائخه في سنة فتحها بأمر من جلالة الملك عبد العزيز ليكون واعظاً ومرشداً وموجهاً في الحرم النبوي، وقد يتولى إمامة المسجد النبوي، وبما أن الشيخ سليمان بن عبد الرحمن العمري سار إلى المدينة لتولي القضاء فيها فإن الشيخ عبد العزيز أخذ عنه كما أخذ عن الشيخ سعيد الغلاني، وكان المترجم يلهج بذكر الشيخ سعيد ويمتدحه بعلم العقيدة ويثني عليه.

فقد روى لنا عن هذا الشيخ أن حاجاً من الذين قدموا للصلاة في مسجد

رسول الله عليه الصلاة والسلام شكى واعظاً على الشيخ سعيد وقال أنه يزعم أن الله يتحرك وينزل ويصعد كما ينزل ويصعد الرجل في الدرج فسأل الشيخ ذلك الواعظ عن كلامه ومستفهماً فقال لم أذكر إلا ما جاء في الحديث «إن الله ينزل في آخر كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول من يدعوني فأستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» ولم أذكر كيفية النزول بل ذكرت الحديث كما جاء.

فقال الشيخ للسائل اسمع يا بني حدثني أبي عن جدي عن فلان وساق بالإسناد إلى أبي هريرة عن صاحب هذه الحجرة وأشار إليها أنه قال ذلك، فبكى السائل واقتنع وزال عنه الشك، وكان المترجم يلهج بذكر الشيخ سعيد ويثني عليه ثم أن المترجم رجع إلى بلدته وهطان.

ولما أن توفي الشيخ عبد الله بن محمد بن سليم رحمه الله وتولى أخوه مقامه رأى تأسيس جامع لضاحية السباخ فرأى في طلاب العلم البارزين في الدين والعقيدة من يكون إماماً له فوقع الاختيار على المترجم وصدرت الأوامر عليه ليتولى إمامة الجامع والخطابة فيه عام (١٣٥١هـ) فنقل من هطان إلى فيحان أو السباخ المذكور فكان إمامهم وخطيبهم ويرجعون إليه في الفتيا وعقود الأنكحة والنظر في شئونهم والإصلاح فيما بينهم وتولى إدارة المدرسة الأهلية هناك والتدريس في المسجد الجامع ودرس عليه وأخذ عنه جمع كثير من بين أولئك عبد الله بن عبد العزيز الصعب وأمير الضاحية صالح بن عبد الله التويجري وعبد الله المحمد بن مبارك وغانم إسماعيل وعبد العزيز بن إسماعيل وأبناؤهم وغيرهم، وتخرج عليه عدد كثير.

ولبث في إمامة المسجد الجامع ثلاثة وأربعين سنة ولما أن أسن ورقّ عظمه وأقعدته الشيخوخة انتقل إلى السادة وهي الموضع الكائن في جنوبي بريدة الشرقي وتفرغ للعبادة وقد يجلس للتدريس في المسجد ويؤم فيه في ذلك الموضع، ثم أنه ثقل سمعه وضعف بصره وفقد البصر لكنه لا يزال يقرأ عليه بعض أحفاده

ويسمعه القراءة ثم مرض وجعلت الأسقام تتردد على جسمه حتى توفاه الله تعالى في وقت أذان العصر من اليوم ١٥ من شهر ذي الحجة وصلى عليه المسلمون في المسجد الجامع الكبير في بريدة ودُفن في مقبرة السباخ بعد صلاة العشاء الأخير من ذلك اليوم لوصيته بذلك.

ومن الغرائب ما سأذكره في رؤيا رأيتها في إحدى ليالي سنة (١٣٨٧هـ) من أنني رأيت في المنام قائلاً يقول أن النبي محمد بن عبد الله في المسجد الغربي من مدينة بريدة فقمت مسارعاً لرؤيته والسلام عليه وذهبت إلى مسجد الشيخ محمد بن عمر بن سليم المعروف بمسجد أبو علطا وبينما كنت أمشي مبادراً في شارع آل عطيشان إذا بقائل يقول هنا فأخذت باليسار إلى حيث أشار فدخلت مسجداً هناك من طين فصعدت إلى سطحه بشوق عظيم وكان ذلك المسجد جدرانه مكللة بطين سبخ وفيه صف واحد ونصف صف فجعلت أسأل عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه فأخذ إنسان بحصاة قدر الحمصة ورماها إلى نحوه مشيراً إلى موضعه في يسار الصف الأول، فلما رآني استقبلني ووجهه نحوي إلى الجهة الشمالية الشرقية فقبلته ثم صافحته وكان في هندامه على هيئة المترجم بثوبي خام قد بدى طرف الكمين الأسفلين من الأعلين وكان في صفته باسم الوجه أشمط الشعر أطول من المترجم بقليل بصفة رجل أعرفه يدعى إبراهيم السديري، وبعدما تبادلنا التحية والتقبيل بشوق مني عظيم قلت: يا رسول الله إن الناس قد أضاعوا سنتك، فأجابني بقوله: وماذا على سنتي إذا أُضيعت فهل يستوي الأعمى والمهتدي بضدهما وجعل يحثني على اتباع السنة حثاً عظيماً ويشجعني في الثبات عليها على قدر ما يتكلم به ويستطيع التعبير عنه ثم جعل يتمثل بأبيات من الشعر كنت أظنها أبياتاً ذكرها ابن القيم في عدة الصابرين وهي قوله:

سأترك وصلكم شرفاً وعزاً   لخسة سائر الشركاء فيه
إذا كثر الذباب على طعام   رفعت يدي ونفسي تشتهيه

وتجتنب الأسود ورود ماء إذا كان الكلاب يلغن فيه

فاستيقظتُ ويدي في يده وقد حالت بين وبينه اليقظة ويعلم الله أن رائحة المسك لتفوح من فمي طوال ذلك اليوم وكنت في رؤيتي له وما عليه بشت إنما عليه قيمصان.

ولما أن فجعنا بوفاة محبنا عبد العزيز بن عثمان قلت فيه هذه الأبيات التي كانت مرثية فيه وأشادة بذكره:

الله أكبر هذا الدين قد رجفت به رحى من منون الموت منعثرا
إذا مضى زمر تتلوها زمر وأصبحت باليات العقد منتثرا
عبد العزيز رعاك الله من رجل كنت الأريب وكنت السمع والبصرا
حفظت لله عهداً من أمانته وقمت فيما رعاك الله مصطبرا
بك الأمانة فيك الخير أجمعه خصال خير تعالى الله مقتدرا
ليهنك العلم والقرآن في سحر ترتل الآي في الأسحار والسورا
وكنت في الأصل مقداماً تعلمهم تقرر الدين والتوحيد مشتهرا
على سنا من هدي الرحمن تبشر به عن حسن قصد وقلب بالتقى عمرا
نبكيك يا من إلى الرحمن في وجل قد سرت متجهاً نحو العلى فخرا
فقل لمن جاء ينعى موته أسفاً ومخبراً بالردى أخبرت بالخبرا
نعيت من العلى والخير أجمعه وجئت فيما يسيء السمع والبصرا
نعى إلينا صديقاً ليس ننكره محافظاً دهره في الود ليس منعثرا
أتيت في نبأ أخباره كمد يكاد منها جميل الصبر ينشمرا
نعيت حبراً هماماً فائقاً أمماً وللمساجد بالأذكار قد عمرا
براً وصولاً لبيباً بل أخاً ثقة فيا له من مرزء قد شوش الفكرا
يا لهف نفسي ووا حزني ووا أسفا على الزكي الذي قد أسبل العبرا

عبد العزيز الذي طابت شمائله   أكرم به من صديق فائق السيرا
أهكذا تذهب الأخيار ليس لهم   عين ولا أثر يبقي لهم خبرا
عليك من عفو مولانا العظيم أجمعه   وما منح إله العرش منحصرا
سقى ثرى حله نجم الهدى سحب   من واسع العفو والغفران منهمرا
وصل ربٌ على المختار من بشر   شفيعاً من سمى علواً ومفتخرا
محمد من أتى بالشرع ميسرة   وإله مع صحاب كابدوا السهرا
وفي النهار ففرسان لهم جلب   قد أعلنوا الحق في علو ومنحدرا

ورثاه أيضاً تلميذه عبد العزيز بن عبد الرحمن بن يحيى بهذه القصيدة منوهاً بفضله ومعرباً عن أعماله التي قام بها:

بكيت والدمع من عيني تنهمر   وقد رضيت بما يأتي به القدر
مضى الأفاضل والأيام باقية   وكل مجد سوى التقوى سيندثر
وهذه حالة الدنيا وسنتها   كم من عزيز لنا قد ضمه المدر
ودعت شيخ الهدى والقلب في كمد   والحزن في مهجتي ما زال يستعر
عبد العزيز بن عثمان كفى شرفاً   بالمضيان حقاً كان يشتهر
نشأ بروضة علم زانها أدب   تنبيك عن حالها الأخبار والسير
آل سليم بحور العلم في سلف   هم الأماجد والأقطاب والغرر
كم أرشدوا الخلق نحو الشرع مع سنن   أم القصيم بذكر القوم تفتخر
من ثم سافر كي يزداد معرفة   نحو الرياض التي بالعلم تزدهر
على ابن عبد اللطيف الجد قدوتنا   شيخ المشايخ ما في نهجه وضر
كم خرجوا من إمام فاضل فطن   بالبر والخير والإصلاح يتزر
بمسجد المصطفى أم الوفود به   وكان للشيخ في أرجائه أثر
سل عنه وهطان والأطلال شاهدة   فذاك فيحان سلّه عنده الخبر
عم المصاب بموت الشيخ وا أسفاً   فالعلم يبكي على أهل له قبروا

فمـوت أهـل التقـى نقـص يهـددنا ماذا عسى بعد أهل الخير ينتظر
أحبـاب قلـبي مضـوا لله في عجـل ومـن بقـي منهمـو للنحـب ينتظـر
بـالأمس كنـت فخـوراً في مجالسـهم بروضـة أنـف قـد زانهـا الزهـر
علـم وبحـث وتوجيـه وتبصـرة يسـودها الخير لا الإعجاب والشجر
واليوم هم في بطون الأرض قد سكنوا لله فيهـا البقـاء والأمـر والخـير
فالمجـد مهمـا عـلا فـالموت ينزلـه والعمـر لـو طـال فيهـا طولـه قصـر
لا تغـترر بحيـاة أنـت تاركهـا انظـر لمـن ملكـوا فيهـا ومـن أمـروا

إلى آخرها وهي حسنة.

وقد ختمت هذه السنة والقتال مستعر في لبنان والزعازع تهدد أهله وأهالي فلسطين بالضفة الغربية بحالة يرثى لها فلا هم استطاعوا بانتفاضتهم أن يحققوا نصراً مؤزراً ينهي ما كانوا فيه من الضيم والقهر ولا كانت اليهود تحسن موقفها نحوهم الذين كانوا في دفاعهم لاسترجاع حقوقهم المسلوبة من قِبل اليهود ومناصريهم وأصبحت تلك الأعداء يتربصون بهم إحدى الحسنيين، ولكن نصر الله قريب.

أما أهالي أفغانستان وجهادهم مع حكومة كابل التي تمدها الروس بقواها فلا تزال نيران الحرب مستعرة وقد انتصر المجاهدون هناك انتصاراً مؤزراً وجعلت قاذفات القنابل الصاروخية تهدد حكومة كابل بمدافعها القوية التي ترجي الوحوش وتبعث الموت والهلع والخوف على من في أمامها.

وهكذا ثورة السودان الأخيرة فإنها لم تستطع السيطرة على الجنوب بصورة نهائية، وأما الدول المتنازعة وقد حصل بينها النزاع ولا سيما الدولتين العظمويين فإن النزاع لم ينته بينها بصورة قطعية تضمن لكل واحدة الأمن والسلامة من الأخرى، وإلى الله تصير الأمور.

ثم دخلت سنة (١٤١٠هـ)

في أوائل محرم من هذه السنة أقامت إيران في الرئاسة لجمهوريتها بدلاً عن الخميني الرئيس الجديد (علي أكبر هاشمي رفسنجاني) فأصبح رئيساً لجمهوريتها وزعيماً هناك، وكانوا لم يحجوا في السنة الماضية منشغلين بوفاة الخميني وتنفيذ وصاياه، وعكف جهالهم على قبره يعظمونه ويبنون عليه كعبة، ولما قدمنا من سوء صلاتهم بالسعودية.

وفي هذه السنة في أوائل محرم فشلت المساعي لوقف إطلاق النار في لبنان وعجز الساعون في الوساطة والإصلاح وانسحبوا آسفين لذلك، وقد استعرت نيران الحروب فيها ولم تزل الأمور في تعقيد واضطراب وهدم وتقتيل من راجمات الصواريخ والقنابل الصاروخية والمدافع والنسف.

ومن نية الرئيس السوري حافظ الأسد أن يقضي على لبنان ويجعلها أثراً بعد عين، وقد طالب الأهالي بسحب قوات سوريا لأنه لا يمكن للبنان استقامة ما دامت القوات السورية فيها واستمرت الأحوال هناك هائجة مائجة تنذر بشرها وويلاتها.

وكانت اللجنة التي تضم المملكة السعودية والجزائر والمغرب قد قالت يوم ٣١ يوليو تموز الموافق ليوم الثلاثاء ٢٩ ذي الحجة من العام الماضي أن جهودنا لإنهاء الحرب الأهلية المستمرة في لبنان منذ أربعة عشر عاماً وصلت إلى طريق مسدود ثم أنه جاء البيان استجابة لدعوة من الأمين العام للأمم المتحدة (خافيير بيريز دي كويلار) إلى عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن لمحاولة وقف إراقة الدماء في لبنان، وقال البيان الذي قرأه رئيس المجلس (حسين جودي) مندوب الجزائر المجلس يدعو جميع الأطراف بإلحاح إلى وضع نهاية فورية لجميع العمليات ولجميع أعمال إطلاق النيران والقصف في البر والبحر ويناشد جميع الأطراف بقوة الالتزام بوقف شامل وفوري لإطلاق النار.

ولما دعا مجلس الأمن الدولي إلى ذلك قبل عون رئيس الحكومة العسكرية دون شروط نداء مجلس الأمن الحازم بوقف فوري وشامل لإطلاق النار، وحصل هدوء نسبي وكانت دعوة مجلس الأمن الدولي في ساعة متأخرة فجر يوم الثلاثاء ١٤/ ١/ ١٤١٠هـ وقد انتهى ذلك الهدوء بمعارك شرسة صباحاً أوقعت ٣ قتلى و١٢ جريحاً وهرب سكان البقاع بواسطة ٥ آلاف سيارة باتجاه الحدود السورية، وتدفق آلاف آخرين إلى بعلبك وكان المجلس قد أعرب عن تأييده الكامل للجنة الثلاثية التابعة للجامعة العربية في جهودها لإنهاء الأزمة مع الحفاظ على وحدة لبنان واستقلاله وكان ذلك عن جهود بذلها ملك المملكة السعودية في هذا الموضوع.

ذكر حادثة غريبة (ميت يخرج من قبره بعد دفنه بـ٢٧ ساعة)

لما أن كان في ١٤/ ١ من هذه السنة أصيب رجل يدعى معتق ظافر الشهراني بسكتة قلبية قضت على أهله وذويه به والمستشفى أنه قضى نحبه من هذه الحياة فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه وحمل إلى قبره.

ولما أن نصبت عليه لبناته وهدوا عليه التراب سمعوا بعد مضي سبع وعشرين ساعة من دفنه سمعوا صراخه في قبره فكشفوا عنه قبره فوجدوه حياً فقام من لحده بأكفانه وذهب إلى أهله والدته وأخته مرتدياً أكفانه، فلما دخل البيت صعق أهل البيت لرؤيته وهلكوا بعد رجوعه إلى الدنيا، زهد في الدنيا وجعل يتجول في القرى ينام في المساجد ويأكل في المطاعم وترك الدنيا وزينتها بكاملها فلا أهل ولا مال ولا أملاك، وهذا مما يدل على كمال قدرة الله تعالى، وأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

فبعد تجهيزه والصلاة على جثمانه وإيداعه في لحده وحمله على نعشه سمع صراخه بعد مضي ٢٧ ساعة.

وكان الذين سمعوا صراخه كما يروي قصته بنفسه أنه مر رعاة الغنم من فوق

أرضية المقبرة فسمعوا صوته وصراخه فعادوا إلى القرية وأبلغوا الناس فحضروا وقاموا بحفر القبر فخرج عليهم وهربوا خوفاً من منظره لما خرج بأكفانه، وذهب إلى أهله كما مرّ وكان يقول عندما أفقت وأنا في القبر رفعت رأسي فضرب في الحجارة التي كان لها أثر في رأسه، أما عن حالته في القبر فقال شاهدت وكأني في الحلم شخصين حضرا وأخذ أحدهما يسأل الآخر عن عملي فقال له لا يزال له حياة في الدنيا، عندها أفقت على صوت الأغنام ولكنه ساءت حالته متمنياً دوام الموت لصعقة والدته وأخته لما دخل عليهما، ولما قيل له ما هي النصيحة التي توجهها للناس بعد تجربتك التي عشتها فقال: نصيحتي لهم أن لا تنسيهم الدنيا الآخرة وأن يعملوا لآخرتهم، وكان يرى على منظره كهيئة البهق وكانت قصته بهذا الوضع تذكر بتمام قدرة الله جلت عظمته وأن لكل أجل كتاب.

وتذكرنا هذه القصة بما ذكره الحافظ ابن كثير في تاريخه أنها جرت هذه الواقعة لرجل دفن على إثر سكتة فقدر أنه جاء نباش لأخذ كفنه فوافق أنه أفاق فقام مستوياً وفرّ النباش منهزماً فجاء إلى أهله بأكفانه قد اتزر ببعضها وحلّ الآخر مرابطه فوجدهم يبكون وينتحبون لموته فلم يشعروا إلا وقد عاد من قبره يحمل كفنه، والله على كل شيء قدير فسُمي حامل كفنه وعاش بعد ذلك خمسة عشر عاماً.

وقد ذكر علماء الطب المتقدمون أنه قد يموت الإنسان ويوارى في قبره على إثر السكتة فربما أفاق ولم يجد من يخرجه من القبر ويعالج الخروج فلا يتمكن حتى يخمد.

ولكننا نأخذ من ذلك درساً وهو عدم العجلة في تجهيزه حتى يتبين موته، وذكروا أنه كثيراً ما يحصل ذلك، وكان صاحب هذه الحادثة عمره يبلغ التاسعة والأربعين من العمر ويذكر أن حرارة القبر أعظم من حرارة نار الدنيا[1].

---

(١) هذه القصة نشرتها إحدى الجرائد السعودية بعددها ولكنها نشرت جريدة أخرى تكذيب هذا الخبر وأن المذكور أغمي عليه ولم يدفن فرأى ذلك كرؤيا منامية والله أعلم. علقه المؤلف أ.هـ.

وفي هذه السَّنة بلغ عدد مساجد منطقة القصيم ألفين وخمسمائة وخمسة وأربعين مسجداً منها مائتان وخمسة وأربعون جامعاً.

وكانت طباعة المصحف الأخير الذي سعت الحكومة في طبعه وإيجاده باسم مصحف المدينة المنورة مجمع الملك فهد قد انتشرت إلى حد بعيد فقد امتلأت به مساجد المملكة وانقطعت أنواع الطباعة المصرية والهندية بحيث لا يقع الطرف في الغالب إلا على هذه الطباعة الجديدة وتقدم ذكر توزيعه على غالب الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وذلك بإعداد الملايين.

وكانت طباعته بالقطع الكبير والمتوسط على حسب التوجيه والتنظيم للصفحات بحيث كان الجزء من القرآن الحكيم يقع في عشرين صفحة وعشر ورقات مجلداً تجليداً فاخراً.

وإنها لخطوة تقدمية رائعة لخدمة كتاب الله العزيز وقد رأيت منه قسماً ممتازاً في تجليده في مساجد المدينة المنورة كما أنها حظيت المدينة المنورة بعناية فائقة من الملك فهد بن عبد العزيز وفقه الله لما يحبه ويرضاه، وأصبحت التوسعة الأخيرة للمسجد النبوي ولمسجد قباء ومسجد القبلتين لها شأن عظيم وتطورت المكيفات فيها بالحسن والوضع وكان لها دور عظيم.

وأمرت الحكومة السعودية بترميم خمسين مسجداً في أنحاء فلسطين المحتلة وصيانتها بدعم مالي، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1] ولكن كيف يصنع بالذين قال الله في حقهم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ

---

(١) سورة التوبة، آية ١٨.

فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾[1] نعم قامت اليهود بهدم المساجد وتحريق المسجد الأقصى الذي قال الله في حقه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾[2] قال بعض العلماء: أخيفوهم بأبي أنتم وأمي، وقال بعض المفسرين: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً أن يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين منها.

وقد جلس العدو في ديارنا آمناً غير خائف ومدد حبال أطنابه ولم يرعَ جانباً ولم يرتقب محامياً على الأوطان يصول عليه وينقضّ عليه بل أصبح متغلباً متهكماً آمناً مطمئناً ولم تراع آية البقرة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[3] وانشغل المسلمون خاصة والعرب عامة بترفهم ولعبهم وصدق عليهم خبر الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في قوله: «إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلّط الله شرارها على خيارها» رواه الترمذي وقال ﷺ: «إذا ضنّ الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة وتركوا الجهاد في سبيل الله وأخذوا أذناب البقر أنزل الله عليهم من السماء بلاءً فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم» ذكره ابن أبي الدنيا، وقد تبايع الناس بالعينة وتعاطوا بالربا وانهمكوا في الزراعة وصرفوا لها جُلّ أوقاتهم وتركوا الجهاد في سبيل الله وتخاذلوا.

---

(١) سورة البقرة، آية ١١٤.

(٢) سورة الإسراء، آية ١.

(٣) سورة البقرة، آية ١١٤.

وما ترك قوم الجهاد في سبيل الله إلا ذلوا فما شئت تـراه في تفكـك في المجتمـع وتباين في الأهواء، وكل له صوت يريـد ارتفاعـه ممـا ذهـب بمجـدهم وجعلـهم في ديارهم أذلاء وفي أوطانهم غرباء فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد قدمنا تقتيل المسلمين في المساجد وهم يصلون في بلاد الســودان وتشـتيت اليهود للمصلين صلاة التراويح وطردهم عن المساجد وازداد الطين بلة بمـا جـرى على أهالي فلسطين في آخر السنة الماضية وأوائـل هـذه السـنة مـن تهشـيم رؤوس الأطفال وتنقيب أعيـنهم وتعـذيبهم بالرمضـاء واقفـين علـى قـدم واحـد وتغليـق مدارسهم وحرمانهم من الدراسة وهتك محارمهم وشرفهم.

وكأن الأمة لا يسـمعون ولا بمـا دهـاهم يتوجعـون فـإخوانهم يسـامون سـوء العذاب تقتل أبناؤهم وتستباح محارمهم وهم عن ذلك منشغلون وفي ترفهم يلعبون لاهية قلوبهم وفي غفلة معرضون فلو رأيت ذلك الفتى الفلسطيني يقتـل أمـام أمـه بعد تهشيم أسنانه وقلع إحدى عينيه وإحراقه بالسجائر في اليوم ١٩ من شهر محـرم من هذه السنة يوم الأحد لا تخلع قلبك أيها المواطن الكريم إن كان لك قلـب وإلا فاسأل الله أن يهبك قلباً.

فكرة عاطفية

لما أن كانت لحوم الهدي والأضاحي تراق دماؤهـا في مِنـى ولا ينتفـع بهـا إنمـا كانت آخرتها أن تلقى جيفاً تؤذي برائحتها من مرّ بها اقتضت المصـلحة أن تبعـث محفوظة بالثلاجات إلى من بحاجتها مـن المنكـوبين والجيـاع في فلسـطين والمجاهـدين في أفغانسـتان، فحملـت علـى متـون الطـائرات عشـرات الآلاف في هـذه السـنة منها إلى أولئك البؤساء والفقراء، ومن كان بحاجة إليها ليأكلوها وينتفعوا بها وإنهـا لفكرة جيدة من الحكومة السعودية، قال الله تعـالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ

ﭐلۡفَقِيرَ ٢٨﴾[1] فلقد كان في الهند جياع يئنون من الجوع والمساغب وتوصلت الأحوال إلى أن أكل بعضهم أطفالهم لما لم يجدوا ما يسدوا جوعتهم عياذاً بالله من الجوع وقد استعاذ منه نبينا في قوله: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البضاعة وأعوذ بك من الحاجة إلا إليك».

وقد وجب نشر الفضائل لتقرط بها الآذان ويثبتها التاريخ لأهلها، فلقد قام الشعب بقيادة الحكومة السعودية وتبرعوا تبرعات لا تبلغها العبارة ومنهم من تبرع بجهد من مقل وأكثروا على أنفسهم وامتلأت باحات المساجد في المملكة السعودية من الأكوات والثياب والبطانيات وغيرها من الملبوسات لبعثها إلى المتضررين في السودان وأفغانستان وفلسطين وقامت لجان يقبضون النقود والنفقات ويسلمونها من يبعثها إلى المتضررين هناك، وإنها لبادرة عطف وإحسان يشكرون عليها وتوضع لهذا الشعب أسطراً من نور تروى ويدوي ذكرها في المشارق والمغارب وبيضوا وجه تاريخهم بتلك الأفعال الخيرية، وكنت أرى إذا نادى المنادي في الجوامع ومصليات الأعياد والمساجد بالتبرع تسابقاً وتنافساً في هذه الصدقات وهان عليهم كل ما يبذلونه وألقت النساء حليها وأقراطها بين يدي أولئك الأطفال الذين أمروا أن يجمعوا الصدقات، وقد تكرر ذلك مرات عديدة وما سئموا.

ولا سيما ما كان في المسجد الجامع في مدينة بريدة فقد شهد ذلك الجامع الكبير فيها أعمالاً خيرية وأثبتت أرباعه واسطواناته وجدرانه أخباراً ستحدث بها يوم هول المطلع لأربابها والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ولقد سمعت وأنا في أحد الأندية من تبرع بخمسين ألف ريال من أولئك الأجواد.

---

(١) سورة الحج، آية ٢٨.

وما أحسن ما قاله بعض الأدباء في معرض كلامه الذي أثبته في مؤلفه: مررتُ بدار فقير جائع وهو يشكو الجوع والإملاق، فلما سرتُ أريد صاحباً لي وجدته يشكو بطنه من الشبع والبطنة فقلتُ يا عجباً لو أنصف الناس وعاد ذلك الغني القوي على ذلك الفقير المعدم لما تضرر أحدهما.

لقد كثرت التبرعات في هذه السنين الأخيرة من الشعب السعودي تارة للجزائر وتارة لليمن وتارة للمجاهدين في أفغانستان وتارة لضعفاء فلسطين الذين أوذوا في ديارهم وأوطانهم وعذبوا وقتلوا وسجنوا، أما ما كان عن التبرعات نحو الطوارئ الداخلية فقد قام الشعب بالتبرعات المالية لجمعيات البر الخيرية ودراسات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد والحِلق وتوالت سيول التبرعات لهذه المهمة وبذلها للمعلمين والمتعلمين مما أحدث نشاطاً وسيراً قوياً وقد امتلأت المجلات في ذكر المتبرعين التي تصدر من جماعة تحفيظ القرآن وتسابقت الأمة إلى هذا العمل الخيري حكومة وشعباً وكان لها أثرها التقدمي في هذا، وقد قال النبي صلوات الله وسلامه عليه: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه» كما أن تأسيس جمعيات البر استفادت الأمة منها إن كان فضلات الموائد الكبار وأسارها بعدما كانت تطرح في المزابل والأسواق أسفل الحيطان وطريق المارة كانت أعضاء هذه الجمعيات يحملونها ويوزعونها على الفقراء والمحتاجين.

هذا ولا يفوتنا ما قام به أمير منطقة الجوف عبد الرحمن بن أحمد السديري من عناية قام بها نحو المعوقين من الأطفال هناك الذين بلغ عددهم مائتي معوق كانوا بأمسّ الحاجة لوجود جهة ترعاهم وتقوم بخدمتهم، وكانوا يثنون ببالغ الثناء على الأمير عبد الرحمن السديري وسمعت الأمير سليمان التركي في منطقة تبوك يثني على المذكور ويذكره بالرجولة والأخلاق الفاضلة وكنتُ أظنه فوق ما قيل عنه ولا سيما ما بذله نحو جمعية البر الخيرية هناك، وقد طلب مني عاشق اللحاوي شيخ الشرارات حينما وجدته في ضيافة الأمير سليمان التركي بتبوك أن أقوم بزيارة

الجوف ورؤية دومة الجندل والالتقاء بالأمير عبد الرحمن السديري، لكنني أجّلت الزيارة لوقت واسع حقق الله الآمال وإلى وضع هذه الكلمات في ٢٦/١ من هذه السنة لم تسنح الفرصة بذلك.

ثم إننا نعود إلى مصلحة مشروع الإفادة من لحوم الهدي والأضاحي فقد أعلنت جريدة الرياض أنه تم شحن خمسمائة ألف ذبيحة من الغنم إلى إحدى وعشرين دولة في العالم في آخر السنة الماضية وأوائل هذه السنة توزع إلى مستحقيها هناك، ومن أهم ذلك إنقاذ اليتامى في أفغانستان الذين قتل آباؤهم وأمهاتهم وأصبحوا يهيمون في الفلوات والبراري بغير طعام ولا شراب فكانوا يأكلون أوراق الشجر من الجوع، وإليك هذه القصة التي يرويها مجاهد خرج سائحاً ليدفن الشهداء هناك وينقذ الأيتام بما لديه من الاستطاعة، وعلى قدر وسعه ومقدرته في أراضي أفغانستان وهي سياحة معجزة وسفرة غريبة مريرة يرويها التاريخ.

قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَـٰرِ ۝٢﴾[1].

ذكرت جريدة «المسلمون» الدولية في عددها (٢٣٧) الجمعة ١٧ محرم ١٤١٠هـ أن رجلاً يدعى جمال اليماني ابتدأ رحلة من مدينة جدة قام بها ليرى بلاد أفغانستان ويتتبع الأيتام في صحاري أفغانستان وجبالها لإنقاذهم من الهلاك والجوع فسار بسيارته الهزيلة محملة بالغذاء، ولكنها تسير تارة وتنطفئ أخرى وتارة يحملها على ظهر شاحنة فمائة وثمانين يوماً كان يسير بهذه الحالة وعلى هذه الصفة، وكان يتحدث عن سائق الشاحنة الذي عبر معه إلى قندهار وما واجهه من المصاعب التي تطارده فيها الذئاب فلا يسمع إلا أصوات عواء الذئاب ترتطم بشدة بأذنيه وآذان من صحبهم هناك من المجاهدين.

ثم ذكر أنه قام يبحث عن يتامى المجاهدين فوجدهم يأكلون أوراق الشجر من

---

(١) سورة الحشر، آية ٢.

الجوع وأنهم يعيشون بحالة بؤس من الحياة التي رماهم بها الزمان فلا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

وحاول قطاع الطريق قتله حينما كان يسير في بلاد تخلو من الجن والإنس وواصل رحلته فوصل إلى مدينة موحشة عندما يأتيها الليل يختفي منها أشكال الحياة تماماً والصمت يطبق عليها فتشعر أنك في مدينة هجرها السكان، فسأل عن السر بحيث جاء إلى المدينة نهاراً ورأى فيها حركة لا تهدأ فأين ذهب كل هؤلاء الناس، فقيل إنها ملأى بالمخاطر جواسيس ومنافقون يعدون أنفاس الهوى ليطيروها إلى الشيوعيين ومجرمون وقطّاع طرق يحاولون أن يروعوا أمن المدينة بالسرقة والنهب والقتل مما جعلني أخشى على ما أحمله من مساعدات لليتامى.

وبعد أن وصلنا إلى الضفة الأخرى انطلقت بالسيارة التي تارة تسير سير السلحفاة وتارة تسحب بالحبال وسط مسالك جبلية صعبة حتى لا تصل إليهم أنظار الشيوعيين، وأخذنا يومين كاملين دون أن نبصر أمامنا أو خلفنا شيئاً كأننا نسبح في فضاء واسع يتعذر على العين أن ترى نهاية لأفقه الواسع.

ويحكي جمال بأن الشيوعيين شعروا به فأطلقوا عليه صاروخين لكنه انبطح على بطنه في الأرض فلم تصبه وكتبت له النجاة وأنه عانى ورفيقه جوعاً وعطشاً بلغ بهما إلى درجة أن أيقنوا بالهلاك وبينما هما كذلك إذ رأيا عين ماء تنبع من باطن الجبل فأسرعا إليها ورأيا أنها عناية من الله هي أغلى من كل كنوز الدنيا، قال فأخذنا نرتشف الماء ونفرقه بأيدينا، ويواصل مقالته بأنه في أثناء تجولاته بين قندهار وكوتيا وجد اثنين من المجاهدين يحملان زميلاً ثالثاً أصابته طلقات الشيوعين في الجبهة، وعندما عرّفهما بنفسه وطلبا منه أن يحمله للعلاج بمستشفى المدينة المنورة على الحدود الباكستانية ويعيدهما لاستكمال الجهاد لفظ المريض آخر أنفاسه.

قال فطلبت أباه بعد جهد شديد وإذا هو طاعن في السن ليس له مصدر رزق فأخبره أن ابنه الآخر استشهد منذ عشرة شهور وأن الاثنين متزوجان ولكل منهما

طفلان صغيران فأعطاه عشرة آلاف روبية أفغانية كمساعدة عاجلة وقام الرحالة بعمل كفالات لأبناء المجاهدين وصحبه الأب العجوز إلى أسرة مجاهد ثالث استشهد وترك أطفالاً بلا مأوى قال فذهبت معه لمساعدتهم ثم ذهب يمشي في طرق ذات منحنيات وصخور ومرتفعات (١٥) يوماً على قدميه لم يركب سيارة.

وذكر أنه أعطى كفالات لمائة يتيم وخمسة أيتام وجدهم داخل ثماني عشرة قرية.

قال ووجدت سبع قرى ليس بها سكان على الإطلاق قد حولها الشيوعيون إلى خرابات وواصل رحلته إلى وادي قاصداً قرية نزل عليها الشيوعيون أطلق عليها المجاهدون اسم قرية الشهداء وذكر أيتاماً عاينهم يأكلون أوراق الشجر من الجوع وقد ذكر ما جرى عليه من الطرق الجبلية والصخور الضخمة التي تصطدم بها سيارته الضعيفة وتكاد تهوي به إلى أسفل المرتفعات ووافق لذلك أمطار مستمرة تجعل شلالات الماء تتدفق عليه وعلى سيارته وربما غرزت حتى بلغت المياه إلى محركها.

قال ولما حملت السيارة بالشاحنة كان معي بالطبع سائق الشاحنة وكان يردد الشهادتين طوال الطريق إلى قندهار وكنت أسمعه يتمتم بدعوات تبينت منها أنه يدعو ربه أن يتولى أبناءه القُصَّر الذين سيصبحوا يتاما بفقده وقلت له ربك لا ينسى أحداً، إنني أجتاز هذه المصاعب لأبحث عن اليتامى إلى آخر ما رواه من الأهوال التي صدرت من الشيوعيين مما تستك له الأسماع وتنفر منه الطباع وتبعث أوجاع القلوب وتهيج الأحزان والكروب فلا حول ولا قوة إلا بعلام الغيوب.

ذكر فاجعة عظيمة

لما كان في ١٦ مايو الموافق ١١/ ١٠ من السنة الماضية انفجرت سيارة ملغومة هز لها بيروت وتحطمت زجاج منزل الحص كان ضحيتها واحد وعشرون شهيداً من بينهم مفتي لبنان وسقوط مائة جريح.

وكانت الخسارة باغتيال مفتي بيروت عظيمة، وكانت هذه الأيادي الآثمة أودت بحياة صاحب الفضيلة في بيروت سماحة مفتي بيروت الشيخ حسن خالد بعد أن عجزت كل حراب الحرب وكل المقريات والتهديدات عن أن تثنيه عن موقفه الإنساني، ولما أن جرت هذه الحادثة تأثر لها زعماء العرب وغيرت وجه التاريخ، وقال عنها نائب رئيس مجلس الوزراء الكويتي صباح الأحمد أن الجناة هم الذين عاثوا بلبنان طوال أعوام الأزمة، وقال عنها الحسين بن طلال أنها أيدٍ أثيمة لا تتقي الله دبرت الجريمة، وقال عنها حافظ الأسد أرادوا باغتياله اغتيال السعي المخلص للحل.

أما الرياض فهي تشجب وتستنكر وتطالب بكشف الجناة الذين اغتالوا الشيخ حسن خالد، وكانت سيارة المفتي لما جرى هذا الحادث طارت في الهواء من قوة الانفجار فارتطمت بحائط مسلح، وبعث الملك حسين برسالة تعزية إلى رئيس الحكومة اللبنانية بالنيابة سليم الحص وجاءت التعازي لتقديمها في مسجد عائشة بكار، وذكر عن الفقيد أنه مفتي الجمهورية اللبنانية ومرجع المسلمين في لبنان في كافة أمورهم وشئونهم الدينية والاجتماعية وممثلهم بهذه الصفة لدى السلطات الرسمية في لبنان وخارج لبنان، فهو رئيس مجلس القضاء الشرعي الأعلى ومرجع جميع الموظفين.

وهذه ترجمته: هو العالم السياسي في الجمهورية اللبنانية، ولد في بيروت وتابع دراسته الأولى في مدارس المقاصد الإسلامية في بيروت ودراسته الثانوية في الكلية الشرعية في بيروت، وفي عام (١٩٤٦م) تخرج من كلية أصول الدين بالأزهر في القاهرة وكان جامع الأزهر إذ ذاك وما حوالي تلك السنة مدرسة شريفة يتتابعها طلاب العلم، وعُيِّن على إثر ذلك أستاذاً في الكلية الشرعية في بيروت، لمادتي المنطق والتوحيد، ثم نقل إلى المحكمة الشرعية الإسلامية، وفي عام (١٩٥٤م) عين نائب قاضي بيروت الشرعي، ثم في عام (١٩٥٧م) عُين قاضياً شرعياً لقضاء

عكار، ثم انتقل إلى محكمة محافظة جبل لبنان الشرعية، وفي عام (١٩٦٠م) اختير لمنصب الإفتاء في الجمهورية اللبنانية في ٢١ كانون الأول من عام (١٩٦٦م) وهو منصب يشغله صاحبه مدى الحياة، وفي عام (١٩٦٧م) منحته جامعة الأزهر بالقاهرة شهادة الدكتوراه الفخرية.

وكان له مؤلفات دينية واجتماعية وسياسية منها الإسلام والتكامل المادي في المجتمع، ومنها أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية، ومنها المواريث في الشريعة الإسلامية - الشهيد في الإسلامية - ومنها آراء ومواقف وغيرها من المؤلفات.

وفي اليوم الذي ذكرنا من الشهر المذكور اغتيل بأسباب الأيدي الأثيمة وقضوا على تلك الشعلة المنيرة فقبّح الله أهل الفساد وأراح منهم العباد والبلاد.

وهذه سادس شخصية بارزة يتم اغتيالها منذ (١٩٧٥م) فقد كانت وفاة معروف سعد في صيدا في مارس عام (١٩٧٥م) متأثراً بجروح أصيب بها خلال تظاهرة من الأحداث التي أدت إلى اندلاع الحرب في إبريل عام (١٩٧٥م) وتم اغتيال كمال جنبلاط زعيم اليسار اللبناني في ٦ مارس (١٩٧٨م)، وقتل طوني فرنجيه ابن الرئيس الأسبق سليمان فرنجيه في ١٢ يونيو من تلك السنة وثلاثون من أنصاره بأيدي مجموعة مسلحة، وقتل الرئيس المنتخب بشير الجميِّل في ١٤ سبتمبر عام (١٩٨٢م) بعد انتخابه بانفجار أدى إلى تدمير مقر حزب الكتائب وقتل رئيس الوزراء رشيد كرامي في أول يونيو (١٩٨٧م) من جراء انفجار قنبلة وضعت خلف مقعده في طائرة الهليوكبتر كما أن موسى الصدر الزعيم للشيعة في لبنان فقد فُقد منذ ٢٠ أغسطس (١٩٧٨م) عقب زيارة قام بها لليبيا وقد سبق للمترجم أن نجا من محاولة لاغتياله عام (١٩٨٥م) عندما انفجرت سيارة ملغومة بالقرب من موكبه في بيروت الغربية.

وفيها في ٤ محرم أصيبت بنغلاديش المنفصلة عن الباكستان بفيضانات سببت أضراراً كثيرة تلف بسببها أموال وأصيب آخرون وسقط بسببها بيوت.

كما أنه أصيب في اليوم نفسه بعض من مدن الهند بفيضانات هلك بسببها أعداد من البشر هناك، وحصلت فيها أضرار.

وفيها في يوم الجمعة ٢٢/ ٢ بعد صلاة الجمعة أُتي بأناس من الكويت وغيره عثر عليهم بتفجير العبوات الناسفة في مكة المكرمة أيام موسم الحج غالبهم شباب في العشرين والخامسة والعشرين بعدما جرى التحقيق معهم وإدانتهم بهذه الجرائم القبيحة، فقتل منهم ستة عشر مجرماً بالسيف بضرب أعناقهم والتشهير بهم وسجن بعض الأشقياء لمدة تتراوح من خمسة عشر سنة إلى عشرين، وجلدهم كل واحد منهم ألف جلدة وخمسمائة جلدة مفرقة، نسأل الله العافية.

ومن العجائب أن بعضهم متنورون وعارفون بأحكام الشريعة وما يعامل به المفسدون في الأرض من التعذيب والتقتيل والتشريد، ولكن من سبقت له من الله سابقة لا بد من أن يكون عليها.

ولقد اعتمرنا في السابع من هذا الشهر نفسه ومررنا بالمدينة المنورة والطائف فرأينا من أسباب الأمن والطمأنينة ما تقرّ به العيون وتنشرح به الصدور، جزى الله حكومتنا خير الجزاء، ولا تزال من أنجال الملك عبد العزيز من يرفع راية الحق ويعود الأمة الإسلامية إلى سعادتها وصلاحها ولا سيما الملك الحالي خادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز.

أما عن حالة المخربين الذين تقدم ذكرهم فإنهم يحملون الجنسية الكويتية والأصل من إيران يدينون بالإسلام وهم من الشيعة، وقد اعترفوا في التحقيق معهم بأنهم مخطئون وآسفون على ما جرى منهم ونادمون ولكن في وقت لا ينفع فيه الندم، وقد أبرزت صورهم في جريدة الشرق الأوسط بحالة طمأنينة وملابس عربية حسنة ذكروا أنهم استلموا العبوات الناسفة من السفارة الإيرانية بالكويت واستطاعوا أن يدخلوا بها في المملكة السعودية، ولهذا يتبين ما يبيته الفرس من الغدر والخيانة وتربص الدوائر بالمسلمين والمكر بهم.

ذكر إعادة الكرة للسعي في وضع الحرب ببيروت ولبنان

قد قدمنا ما توصلت به الأحوال في الحرب اللبنانية وكيف عمهم الله عز وجل بحرب طاحنة لا تبقي ولا تذر، وتأزمت الأمور وعمّ القلق في النزاع بين المسلمين والنصارى واليهود ورفع كل خائن في الشام رأسه في إثارة الفِتن، ولم يقتصروا على المذابح فيما بينهم حتى تدخلت إيران في هذا الشر وغيرها، ولما أن فشلت جهود المصلحين أولاً لم ييأسوا من السعي ثانياً لعل وعسى.

وقام الإبراهيمي يسعى بالموضوع ولكنه بالرغم من ذلك اغتيل النائب في بيروت الغربية ناظم القادري وكان قتله وهو يهم بالدخول بالسيارة حين أطلق الرصاص عليه، وكان عضواً في مجلس النواب من بيروت الغربية وجرى قتله يوم الخميس ٢١ صفر يوافق ٢١ سبتمبر أيلول (١٩٨٩م)، وكان قتله قد هز الأوساط القيادية في لبنان لأنها جاءت في وقت يستعد فيه اللبنانيون لملمة جروحهم وطي صفحة الحرب، وفي وقت تنشط فيه الجهود ولتطبيق مقررات اللجنة الثلاثية العربية التي تهدف إلى إعادة السلام، ولقد حذر الموفد الخاص للجنة الثلاثية الأخضر الإبراهيمي من مغبة تلك الأفعال ويصفون القتيل بأنه كان معروفاً بحماسته لقضايا العالم العربي، ولد في قرية البيرة، ونال إجازة الحقوق من جامعة دمشق وورث عن والده مفتي راسيا والحرص على الاهتمام بقضايا الناس وشئونهم، وفي عام (١٩٥١م) انتخب نائباً عن منطقة البقاع الغربي وتولى مناصب وزارية، ولقد قامت واشنطن وموسكو تدعوان لإنهاء معاناة الشعب اللبناني.

ولما أن كان في يوم الأحد ٢٤ صفر من هذه عم التزام شامل بوقف إطلاق النار في لبنان وإعادة فتح مطار وميناء بيروت وهبطت أول طائرة قبل ظهر يوم الأحد في مطار بيروت، كما رست سفينة في ميناء بيروت في صباح ذلك اليوم وعمت فرحة شعبية غامرة وتدفق العائدون إلى العاصمة وافتتحت سفارة فلسطينية بمصر.

ولا تزال الانتفاضة الفلسطينية تتقدم، وأشعل الفلسطينيون حرائق عظيمة وألقوا الرعب في قلوب اليهود، ولقد استطاعت اللجنة الثلاثية في مواصلة جهودها الجبارة أن تنال مقصودها رغم ارتباك المتحاربين واختلاف آرائهم وعدم التعاون مع المصلحين، ولكنه لم يتطرق السأم ولا الكلل إلى السير نحو الغاية المطلوبة منهم وأكثر الله الرجال المصلحين الذين يضحون بأوقاتهم ويسهرون في طلب الغاية المنشودة والضالة المفقودة.

وفيها في يوم الجمعة الموافق ٢٩ صفر بعد صلاة الجمعة تم تنفيذ أحكام الشريعة على قطاع طرق في الرياض وسكاكا والباحة اختطفوا صبياناً وفتيات وفعلوا الفاحشة بهم وانتهبوا الأموال وقتلوا الأنفس وأفسدوا في الأرض بعد إصلاحها.

وكانت هذه العصابات لم تتورع عن فعل فاحشة الزنا واللواط ونهب الأموال وعن قتل الأنفس بحيث يقفون في الطرق ويخيفون الآمنين بتلك الأفعال الشنيعة.

مثال ذلك أن اعترض ثلاثة من هؤلاء ا لمفسدين في الأرض لصاحب سيارة معه زوجته وابنته وأشهروا المسدس وقالوا لا بد أن تخلي بيننا وبين محارمك فخوفهم بالله وعقوبته فقالوا له لا بد من ذلك، فقال: هذه سبعون ألف ريال في الدرج أفتدي بيها فرضخ اثنان منهم وصمم واحد على جريمته غير أن صاحبيه ما زالا به حتى عدل إلى المال فسلمهم سبعين ألفاً وسلِم وعائلته من شرهم، وهكذا فعل هذه الفئات الضالة، لكن الله يسر القبض عليهم فأعدم عشرة منهم بالسيف وسجن بعضهم لمدة تتراوح من عشر سنين إلى عشرين سنة، وحكمت المحاكم الشرعية بقطع أيديهم وجلدهم ثمانين جلدة، وبعضهم ألف جلدة، ولقد جردت الحكومة رجالاً من رجال الأمن وجندتهم لهذه وللقبض على أولئك المجرمين، وقد يطلقون النار من رشاشاتهم ومسدساتهم على رجال الأمن، فمن سالم ومن هالك، وأعلنت وزارة الداخلية بأرقامها وتحذيراتها بأنها قد سلت السيف على كل مفسد

ومجرم حتى لا تكون فتنة وأنها ستقبض بأيدٍ من حديد على مثل هؤلاء اللصوص المفسدين من غير كلل ولا ملل وأن من صدرت منه مثل تلك الأفعال فهو مستهدف للعقوبة، ولقد تلاعب قوم بالأمن وجرى في السنين الأربع المتقدمة سرقات، وكسرت أقفال الدكاكين، ونهبت الأموال من وسط الحروز وجرى من عدم الاهتمام شر كبير، ولله درّ العالم أحمد بن مشرف حيث يقول في قصيدته البائية تنهيظاً للإمام فيصل بن تركي لقتال قطاع الطرق:

فكم قعدوا للمسلمين بمرصد ... وكم أفسدوا في سبلها بالنهائب
فيا ليت شعري هل سراة حماتها ... قيام فهم ما بين لاه ولاعب
أم الحدّ منهم كلّ أم زندهم كبا ... أم القوم غروا بالأماني الكواذب
فقد كان تخشى بأسهم أسد الشرا ... فصارت بهم تغدو صغار الثعالب
فقل لإمام المسلمين وسر له ... بنفسك أو بلغه مع كل راكب
وأنشده إن أحسست منه تثاقلا ... إذا لم يسالمك الزمان فحارب

وبما أن السيف لا يزال مسلولاً على أهل هذه الجرائم وفي كل يوم بعد يوم الجمعة تنشر الجرائد قتل عدد من المجرمين فإن هذا الإقدام على الجرائم الشنيعة لا يزال مستمراً نسأل الله العافية.

ولقد كانت إقراراتهم بعد التحقيق معهم تحزن بحيث يعترفون بأخطائهم ويقعون باللائمة على أنفسهم وعلى الشياطين التي أغوتهم وأضلتهم عن سواء السبيل، وحتى وضع هذه الأحرف فإن المخاوف والزعازع لا تزال مستمرة في كل يوم بل في كل ساعة تقع هذه الجرائم ليلاً ونهاراً ولم يتوفر الأمن والراحة.

ولقد كانت هذه العصابات تحتفر خنادق في الأرض حتى تخرج من مسافة سبعين متراً إلى مائة وخمسين متراً على أسفل معارض الذهب والجوهرات فتنتهبها بالرغم من وجود الحراس ورجال الأمن حتى أخافوا الآمنين، ويصبح الناس يتحدثون أُخذ من معرض فلان خمسة وثلاثون كيلوغرام من الذهب، وأخذ من

معرض فلان كذا وأخذ من معرض فلان كذا، وهجم على البيت الفلاني فانتهب جميع ما يحتوي عليه حتى الفرش والمكيفات اقتلعت.

ووجدت عصابة يبلغ عددها ثلاثين أعرابياً يأوون إلى جبل من منازل عتيبة في عالية نجد الغربية اتخذوه مأوى لهم وينهبون ويقطعون الطريق ويذهبون إلى محطات البنزين فيهددون العمال بمسدساتهم ويفتحون الصناديق فيأخذون جميع ما تحتوي عليه من النقود، وهذا في غرة شهر صفر من هذه السنة ولا تزال رجال الأمن تلاحقهم.

وفيها وفاة الشيخ علي بن فراج الهلالي في أواخر شهر محرم من هذه السنة رحمه الله وعفا عنه كان هو المساعد في هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ وفيه غيرة دينية وقسوة على العصاة فلا تأخذه في الله لومة لائم، وذلك في عام (١٣٦١هـ) جلست معهم في إدارتهم بمكة المكرمة لزيارتهم والسلام عليهم، فكان المساعد على رأسهم ثم جعل مفتشاً في الهيئات بمكة المكرمة.

وفيها وفاة الشيخ عبد الله بن محمد بن خربوش أحد أئمة المسجد النبوي سابقاً رحمه الله، كان يصلي فريضة العصر بالمسلمين في المسجد النبوي، كانت وفاته في يوم الأحد ١٠/ ٢ من هذه السنة فصلى عليه المسلمون بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم وشيعه إلى المقابر خلق كثير ودعوا له وترحموا عليه.

ولقد وقفت على توسعة المسجد النبوي في يوم السبت ٩/ ٢ من هذه السنة فرأيت العمال يشتغلون، وقد أقيمت أعمدة تلك التوسعة الضخمة الواسعة، فرأيت عملاً جباراً بقوة في الحديد والإسمنت ورأيت المهندسين بلباسهم ومصباتهم العظيمة وأعمالهم الشاقة في الرافعات والونشات وما إلى ذلك من معدات ودركتورات والعمل بغاية الهندسة، وقد شرعوا في المنائر التي زيدت في هذه التوسعة وهي وإن كانت حسنة جميلة فإنها تستدعي وقتاً طويلاً.

كما أنني حينما قـدمت مكـة المكرمـة في يـوم الاثـنين ١١ صـفر وقفـت علـى التوسعة التي ستضاف إلى المسجد الحرام مـن الجهـة الغربيـة فرأيـت المعـدات مـن دركتورات وحفارات في قعر الأرض لعمل ذلك القبو وسيارات نقل التراب وحمله شيئاً عظيماً،و العمل ضخم جداً ولا تزال الخدمة في الحرمين الشريفين بالغـة جـداً تشكر عليها الحكومة السعودية كما أن المفروشات ترفع ويغسل المسجد بالصـابون وتعمل فيه تنظيفات وتوضع ترامس المياه المبردة من ماء زمزم بشكل كبير وأكواب الشرب موضوعة عن يمين الجالس، وبعد فراغه من الكأس يجعله إلى اليسار بشكل فني ونظافة فائقة لم يسبق لها نظير.

وكانت العناية بالمسجد الحرام أيام الحسين الشريف ضعيفة جداً لأنه لم يكن في تلك الأزمان استعدادات كافية فكان شارع المسعى تراباً ثائر الغبرة وعلـى جانبتيـه الدكاكين حتى رصفه الملـك المغفـور لـه عبـد العزيـز بالحجـارة، كمـا أن الحجـاج والعُمار يسعون فيه تحت وطأة الشمس ونزول مياه الأمطار حتى سقفه الملك عبـد العزيز بسقف صالح في زمنه وما زالت الأحوال تتحسن حتى أصـبح بهـذا المنظـر البديع في الصيف والشـتاء لا يـرى السـاعي مـا يسـوؤه، وفي أمـن وطمأنينـة مـن الأمطار والشمس.

ولقد أدركت في أوائل عمري في الأركان صوراً من الأشجار في داخل المسجد تسمى شجر القناديل معلقة فيها سرج، وفي عتبـة بـاب الكعبـة شمعتـان طويلتـان تحمل لإنارة الكعبة ويتولى وضعها بنو شيبة كما أن البناية التي أحاطت ببئـر زمـزم قد جعل فيها أبواب على قدر قامة الرجل الربعة فيها ميـاه يغـترف منهـا بكـؤوس مربوطة بسلاسل، وقد أزيلت البناية وسحب من أسفل الأرض مواسير تنقـل مـن البئر، وأزيل باب بني شيبة وأزيل المنبر لهذه التوسعة الأخيرة وكـان المسـلمون مـن أهالي مكة المكرمة وغيرها يجعلون حجالاً فيها ماء للشراب ويتسابقون إلى ذلك.

وقد يكتب عليها هذا سبيل فلان أو فلانة حتى أتـى الله بهـذا العمـل الأخـير

وضرب الناس بعطن وأزيل التراب والحصباء عن المسجد الحرام لأنه لم يكن قبل ذلك إلا مماشي مبنية من الأبواب حتى صحن المطاف وقد يعثر بها الحجاج في وقت الزحمة، وهناك حفرة قعرها بقدر حجزة الرجل أمام باب الكعبة يزعمون أنها معجن الطين حينما كان يبني الخليل الكعبة وابنه إسماعيل عليهما السلام يناوله منها الطين ومن الناس من يسمي تلك الحفرة بحفرة التوبة ينزل فيها الرجل أو المرأة يصليان وهي تسع ثلاثة من المصلين ببناية حسنة بنتها تركيا، وإذا وجدوا إنساناً يسأل عنها ليصلي فيها فإنهم يترحمون عليه ويأسون لحالته لأنهم يرون أن توبة الجاني من الذنب الكبير تقبل إذا صلى في تلك الحفرة، وهي ملاصقة للشاذروان عن يمين الداخل للكعبة، وقد أزيلت وردمت ترجيحاً للمصلحة وتوسعة للطائفين.

نعم وإن الله يقبل توبة التائب ولو كان في أي مكان، وقد يقوم جهال الحجاج يتمسحون بثياب بني شيبة كما كانوا يتمسحون بكسوة الكعبة اليوم.

ولقد طلبنا من رجال الأمن وخدم الكعبة وسدنتها منعهم من ذلك، ولكنهم أبدوا سئماً ومللاً وتعباً ومشقة بحيث لا يجدي منعهم شيئاً.

ولكنه مما يثير الأشجان ويبعث الأحزان ويذيب الأبدان ويمرض نوع الإنسان أن يقوم أناس يزعمون أنهم مسلمون فيغزون الكعبة المشرفة والأماكن المقدسة مستصحبين متفجرات وقنابل لهدم شعائر الإسلام ونسف الجسور في مكة المكرمة ويهجمون على حجاج بيت الله الحرام في أيام الله المحترمة بالسكاكين والسواطير متذرعين بالحج فيقتلون المسلمين أمام الكعبة المشرفة وتحت جدرانها ويفعلون تلك الجرائم ويخيفوا المسلمين كما ذكرنا[1].

---

(١) إشارة إلى ما فعله الإيرانيون في موسم الحج عام (١٤٠٧هـ) من سفك دماء المسلمين في الواقعة التي مرت ومرت بنا إلى سني هذا التاريخ وفي السنة قبلها أرادوا أن ينسفوا بعض المشاعر المقدسة تلتها تفجيرات بسعيهم وإغراء الجهال بالأطماع للتشويش والأذى نسأل الله العافية.

ولقد كان الحرم الشريف والأماكن المقدسة محترمة في وقت الجاهلية فضلاً عن نشوء الإسلام وما قررته الشريعة المطهرة والآيات القرآنية فيه بحيث لو دخل الحرم جان جناية توجب القطع أو القتل لم يتعرض له حتى يخرج وكذلك الصيد من الظباء والطيور لا بأس بملاحقتها وصيدها ما لم تدخل الحرم، فإذا دخلت الحرم المحدود بأميال معلومة من كل جهة حرم التعرض لها بحيث يقول الله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾[1].

وحرمة البيت معلومة حتى عند المشركين الأولين وعند أهل الجاهلية في جاهليتهم كما قال القائل:

إن الفضول تعاقدوا وتعاهدوا أن لا يقر ببطن مكة ظالم

وفي حديث أبي شريح خويلد بن عمرو أنه × قال: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها -يعني مكة- دماً ولا يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله × فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب».

وفيها فتحت الحكومة باب البقيع للزائرين بعدما أغلق وجعل شباك حوالي البيت ليسلم الزائرون دون دخول حمايةً للموتى لئلا يحصل المشي على القبور وبالأقدام والنعال، ولكنه فتح ترجيحاً للمصلحة لأن من الأتراك والشيعة من لا تطمئن أنفسهم إلا بالسير بين القبور والوقوف أمامها للسلام وأن يكون ذلك على الأفراد.

وكان يوجد أناس يعلمون الزائرين ويدلونهم على القبور ومعرفتها ومن داخل الباب برادات للشاربين.

---

(١) سورة آل عمران، آية ٩٧.

وكنت أظن من تلك القبور المعينة بهذا قبر فلان وهذا قبر فلانة ليس بمضبوط، ولقد حرصت الدولة العثمانية على تتبع الآثار ونصبت قباباً على قبور زوجات الرسول وبناته ولكنها أزيلت جزى الله من أزالها خيراً.

كما جعل على قبر حمزة سيد الشهداء وصاحبيه وعلى قبور شهداء أحد قباب أزيلت والحمد لله لما دخلتها - أي المدينة المنورة - جيوش التوحيد وأزيلت البِدع بظهور صاحب الجلالة الملك عبد العزيز غفر الله له.

وفيها في يوم الجمعة بعد الصلاة أتي بأناس من السُّراق وقطاع الطرق يكونون عصابات وينهبون الأموال فقطعت أيديهم وكانوا أحد عشر يمانياً وكان ذلك في المدينة المنورة وخميس مشيط والليث، وسجن أربعة لمدة تراوح من سنة إلى سنتين وجلدهم وتعزيرهم جلداً مبرحاً من (٣٥٠) جلدة إلى (٩٠٠) جلدة لأنها لم تتوفر فيهم شروط القطع إما لعدم بلوغ الرشد أو غير ذلك، وكان ذلك في ٧/ ٣ من اليوم المذكور، ويقول الله جل ذكره: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾(١) وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾(٢).

وفيها في يوم الجمعة ١٤/ ٣ أُتي بأناس من الشيابين العتبان قد قطعوا السبيل وأخافوا الآمنين بعدما اعترفوا بجناياتهم وسرقاتهم وتهديدهم الآمنين بالسلاح وأنهم سرقوا من فلان ألفين ومن الآخر سبعة آلاف ومن الآخر عشرين ألفاً وأطلقوا النار على رجال الأمن وقتلوا وآذوا المسلمين بانتهاب السيارات فصدر الأمر من المحاكم الشرعية بقتلهم وصلبهم بعد صلاة الجمعة من اليوم المذكور

---

(١) سورة البقرة، آية ١٧٩.

(٢) سورة المائدة، آية ٣٨.

وكانت اعترافاتهم بأعمالهم السيئة وما ارتكبوه من الجرائم تؤسف ويندى لها الجبين وعدد هؤلاء ستة فشكرت الأمة الحكومة بالقبض على المفسدين وتتبعهم والقبض عليهم بأيد من حديد وإراحة الشعب الآمن منهم.

وفي هذه السنة كثر إقبال الشباب والفتيات على تعلم القرآن وحفظه، فقد تقدم مائة ألف منهم على الأنضمام لجماعات تحفيظ القرآن وأفصحت جريدة الرياض أنه ينفق على هذه الجماعات سنوياً عشرة ملايين ريال من قِبل الحكومة تصرف على المشاريع التوسعية للجماعات ومكافآت شهرية لحفظة كتاب الله هذا بالإضافة إلى ما يرد من التبرعات الخيرية التي تتلقاها الجماعات من حكام هذه البلاد وعدد كبير من محبي الخير، وكانت هذه النشاطات توالي جهودها في هذا السبيل، وقد تلقت الجماعات دعماً كبيراً من المتسابقين إلى العناية بتعليم كتاب الله وحفظه وتجويده.

زلزال مدمر

لما أن كان في فجر يوم الأربعاء في الساعة الثالثة الموافق ١٩ ربيع الأول من هذه السنة بتوقيت الرياض الموافق لقبيل المساء في الساعة الخامسة بتوقيت أمريكا من اليوم الثلاثاء اجتاح زلزال عنيف مدمر مدينة سان فرانسيسكو بأمريكا خلف (٧٥٠) ما بين قتيل وجريح فمئتان وخمسون لقوا مصرعهم وخمسمائة أصيبوا بجروح خطرة، هذا على جهة التحقيق، ويمكن أن الأمر أعظم وأدهى فقد انهار جسر من جراء ذلك فوق مئات السيارات، وكانت الهزة قد استمرت (١٥) ثانية أعقبتها ثلاثون هزة أخرى، ولقد قام العاملون في فرق الإنقاذ والإسعاف بنقل الضحايا والمصابين ومساعدة المحاصرين تحت الأنقاض وداخل البنايات المتهدمة وبلغت شدة الهزة (٧) درجات.

واندلعت حرائق ضخمة وانهارت مباني وعاشت المنطقة البالغ عدد سكانها مليونين في ظلام دامس، وكانوا حوالي موضع الزلزال ما لا يقل عن ستين ألف

نسمة تجمعوا للمباراة فأصيبوا بذعر وهلع شديد بعد ما بـدت أرض الملعـب تهتـز وارتفعت أعمدة الدخان ميلاً في الجو وقد لقـي سـائقو السـيارات حـتفهم داخـل سياراتهم التي تحطمت وهذا مما يدل على تمام قدرة الله.

ولما أن اندلعت النيران بأسباب تساقط أعمدة الكهرباء وأظلمت الدنيا هناك.

كانت ساعة للصوص حطموا واجهات المتاجر في عمليات نهب للأموال وقام شباب يجوبون في الشوارع المظلمة وأخذوا يهاجمون الناس ويستولون على أمـوالهم وأغلق المطار وأغلقت كافة الجسور التي تقع هناك، وتعطلـت حركـة المـرور فيهـا، وكانت أطنان الإسمنت التي تقطعت وانهارت لم تبق أو تذر لمـن أصـيب بهـا، أمـا الذين أصيبوا بالجراح فتحت المشيئة، وكانت صرخات المصابين والأنين يسمع بعـد مضي ساعات حتى هلكوا تحت الأنقاض ورفعت التعازي من السـعودية وغيرهـا إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش.

وفيها في ظهر يوم الجمعة الموافق ٢١/ ٣ جزر البحر في جيزان عن أكبر حوت قذفت به الأمواج على شاطئ (غوار) ميتاً وكـان طولـه اثـني عشـر مـتراً وعرضـه ثمانون سنتمتراً ويتوقع المتنزهون هناك في الشـاطئ بأنـه أصـيب باصـطدام سـفينة وذلك لوجود آثار الضربات على ظهره، ويسمى بلغة الصيادين (يوتان) التي تعـني حوت العنبر.

وفيها في ١٦ و١٧ و١٨ ربيع الأول أصيب شمالي الصـين بـزلازل اسـتمرت ثلاثة أيام سجل علماء الزلازل فيها ألفاً وخمسمائة هزة أرضية أعقبتها الهزة الكبرى التي وقعت يوم الأربعاء ١٩ ربيع الأول بحيث نتج عن ذلك أن حوالي خمسين ألفـاً فقدوا مساكنهم من تلك الزلازل الأرضية وبلغ عدد المساكن التي تم تدميرها سبعة وعشرين ألف مسكن وخمسمائة مسكن، كما أنه تعرض اثنان وثلاثون ألف مسكن وأربعمائة مسكن آخر لتلفيات بالغة ويخشى من انهيارها، كما لوحظت أيضاً بعض التشققات على جدران السدود في المنطقة.

وفيها في يوم الأحد ٢٩ ربيع الأول أصيبت الجزائر بهزتين أرضيتين نشأ عنهـا قتل وجرح عدد من السكان وبعثت الدول الصديقة للجزائر تعازيها وأسفها الشديد إلى الرئيس الشاذلي بن جديد يواسونه وشعبه في هذه الحادثة.

وفيها في أواخر شهر ربيع الأول انفصل المجلس في الطائف عما وقع عليه الاتفاق بين الأعضاء البرلمانيين في شأن لبنان لوضع الحرب فيه بين الأهالي، وذكروا أنه انتهى النزاع فاستبشرت الأمة بذلك عسى أن يعيش لبنان في طمأنينة وراحة، ولعل الحرب أن تضع أوزارها وجعلوا يفكرون في انتخاب رئيس جديد وكان قد بذل الأعضاء جهوداً جبارة في هذا الموضوع وانصرف المسئولون في لبنان ينظمون حالة الصلح فيه.

ولما أن كان في يوم الأربعاء الموافق ٣/ ٤ قتل المواطن السعودي في لبنان محمد ابن علي المرزوقي وكان قتله اغتيالاً بحيث تقدم ثلاثة من الأشقياء بسيارة فأطلقوا النار عليه فسقط قتيلاً، واصيب سائقه بجراح، وكان قتله تشفياً وتعكيراً لجو الإصلاح الذي قامت به اللجنة الدائمة فأحدث ذلك رنة أسف بين ملوك العرب ورؤسائها وجاءت التعازي إلى الملك فهد بن عبد العزيز مرفوعة من الملوك والرؤساء وكان قتله يعتبر خيانة وغدراً وسوء تصرف وذلك لأمرين أولاً أنه لا ذنب له بحيث يكون كبش الفداء وثانياً أن تلك الجريمة لم تفل من عزم القائمين بالصلح بل ساروا في طريقهم ومهمتهم.

وفي اليوم ٥ من ٤ نودي برينيه معوض رئيساً لجمهورية لبنان بأغلبية (٤٥) صوتاً من (٥٠) صوتاً.

وفي اليوم السادس من ربيع الثاني من هذه السنة في وقت الفجر جرت محاولة اغتيال للعماد ميشال عون، فقد قام أحد المرافقين له المكلفين بتأمين الحراسة الشخصية فأطلق عليه النار في أحد أروقة القصر الجمهوري قبيل توجهه لإلقاء خطابه بحل مجلس النواب اللبناني، ولكن هذه المحاولة فشلت وأطلق حراس عون

وابلاً من الرصاص على مرتكب المحاولة فأردته قتيلاً في الحال، وكان عـون رئـيس الحكومة العسكرية في شـرق بـيروت، وكـان عـون يـرى أن لا سـلام إلا بسـحب الجيش السوري من لبنان الذي يبلغ عدده خمسة وأربعين ألفاً.

وفيها في يوم الاثنين ٨ ربيع الثاني استسقى المسـلمون في سـائر أنحـاء المملكـة حسب الأمر الملكي فسقوا وأغاثهم الله عز وجل ونزلت أمطار في شمالي المملكـة وعلى سائر القصيم ورعدت السماء وبرقت البروق، وكان ذلك في أيـام الـوسمي ١٤ العقرب عاشر السماك والأيام بعدها فكان قد وافـق ذلـك أن نزلـت الميـاه إلى قدر عميق في الطبقة الأرضية لقلـة الميـاه الـتي كانـت عـادة تـنـزل بكثـرة في فصـل الوسمي وسائر الشتاء مما أحدث ضعف المياه التي تفجرت في القصـيم قبـل ذلـك، والأمل بفضل الله مكين.

ولما أن كان في ١٢ من نـوء الغفـر و١٣ المـوافقين ٢٣ و٢٤ مـن ربيـع الثـاني أصيبت الأمة ببرد شديد نزلت الدرجة إلى عشرة فوق الصفر وهو نادر الوقوع لأنه قبيل نوء الزبانا.

وفيها في ١٩/ ٤ شب حريق في منجم في بلغراد هلك بسببه مائة عامل.

ذكر اغتيال الرئيس اللبناني

لما كان في اليوم ٢٤ من ربيع الثاني من هذه السنة رصد الأعـداء لـه في طريـق ممره بعبوة ناسفة مائتين كيلو جرام من التي.أن.تي انفجرت في موكب الرئيس رينيه معوض فتقطعت سيارته ولقي حتفه بعدما أسـفر الانفجـار عـن مقتـل سـبعة هـو أحدهم وجرح ١٤ آخرين وتدمير أربع سيارات مرافقة لموكبه، وقد تحطم الزجـاج في المنازل والمباني الواقعة هناك، وأصيب عشرات السكان بجروح مختلفة من جـراء تطاير الزجاج وتصدعت بناية سـكنية وارتفعـت ألسـنة اللـهيب وأعمـدة الـدخان وكان ذلك بعد توليه الرئاسة بسبعة عشر يوماً، وكان وقوع هذا الحادث في السـاعة الواحدة و٥٠ دقيقـة بالتوقيـت المحلـي يوافـق الحاديـة عشـرة و٥٠ دقيقـة بتوقيـت

جرينتش، ولما أن وقعت هذه الحادثة بدأت وسائل الإعلام بعد لحظات تردد أن معوض قد نجا، وبعد مضي بعض الوقت استمر الغموض يحيط بمصير الرئيس إذ لم يصل إلى منزله ولا إلى المستشفى، وتصاعد القلق في كل أنحاء البلاد.

وبدى الوجوم على وجهي رئيس المجلس اللبناني حسين الحسيني ورئيس الحكومة الدكتور سليم الحص الذين لم يتلقيا أي معلومات حول مصير الرئيس أو أي تأكيد بنجاته تلى الحص بعد ساعتين وعشرين دقيقة بياناً نعى فيه رينيه معوض.

وكانت قوات أمن سورية ولبنانية قد طوقت المكان الذي فيه الحادث بحيث هرعت إليه قوات الإسعاف، وكانت جثة الرئيس قد تشوهت بشكل جعل من الصعب التعرف إليها في سيارته المصفحة، وكان سائقه ومرافقوه قد احترقوا في سيارته التي احترقت وتناثرت وجاءت التعازي من جميع ملوك العرب ورؤسائها إلى أهالي لبنان، وبكت النساء في الشوارع وأقفلت المحلات التجارية أبوابها حداداً على الرئيس.

كما أن سوريا أعلنت الحداد سبعة أيام وأظهر الأسد أسفه الشديد لذلك، ويقول المنقبون أنهم عثروا على خربة على بعد من ممر الرئيس أطلقت منها العبوة المتفجرة، ثم أنهم أقاموا رئيساً بعده يدعى الياس الهراوي باتفاق من الأمة سوى المعارضين من قبل وهم ميشيل عون ومن في جهته.

وفيها في ٢٦/ ٤ بعد صلاة الجمعة قتل من قطاع الطريق والمفسدين في الأرض سبعة يختطفون النساء والفتيات في الطرق ويفعلون الفاحشة والثامن عامل من فلبين اعتدى على صاحب بقالة فألقاه في ثلاجته وانتهب نقوده، ولما أن تمكن من الخروج منها طعنه المجرم بسكين ولكنه ألقي القبض عليهم جميعاً وأعدموا بالسيف جزاءً وفاقاً.

وفيها في ١٥/ ٦ الموافق ١٢ يناير (١٩٩٠م) ظهرت أعلام طلائع الانتفاضة الفلسطينية التي قام بها شباب فلسطين في الأراضي المحتلة، وكان مما شجع على

ذلك حكومة السوفيت حينما عزمت على الاعتراف بدولة فلسطين وجعل سفارة لها، وهذا على رغم اليهود وحليفتهم أمريكا الذين ظلوا ولا يزالون مكابرين ومعاندين، ولكنه بالرغم من ذلك استطاعت هيئة التحرير الفلسطينية أن تحقق أهدافها وذلك حينما دخلت الانتفاضة الشهر السادس والعشرين، وهم يجاهدون ويناضلون.

ولقد تكبد الفلسطينيون خسائر في الأرواح والمساكن والأموال في نضالهم وكانوا يواجهون أخطاراً وتنكيلاً بهم من دولة اليهود، فتارة يرضخ رأسهم بالحجارة وتارة بتحطيم جماجمهم بالمطارق، وكل يوم وقد سقط عشرات الجرحى من أهالي فلسطين، وكل ساعة وقد أصيبوا بقارعة من قوارع اليهود لأنهم يرسلون عليهم العيارات النارية وأولئك البؤساء لا يملكون سوى الحجارة والزجاجات، وغلقت مدارسهم وحرموا من الدراسة وهدمت منازلهم وعذبوا وزلزلوا زلزالاً شديداً ولكنهم صابرون وعلى فرش الهوان والبلاء يتقلبون، وظلوا ينتظرون الفرج ممن يقول للشيء كن فيكون.

أما عن لبنان فنار البغي والأهوال لا تزال في سعيرها بين حزب أمل من قبل سوريا والحزب الثاني من جهة إيران المزعوم بتسميته حزب الله، وتقوم اليهود في جنوب لبنان تارات بإطلاق المدافع والصواريخ وإرسال الطائرات رغم سعي المصلحين وجعل الرئيس الياس الهراوي.

وفيها في أوائل جمادى الثانية أصيبت المياه الجزائرية بسبب الزيت التي نجم عن سفينة متفجرة مما أثر على الأسماك هناك، وقد بعثت الحكومة السعودية لهم مساعدات لا تقل عن سبعين مليون دولار.

وفيها هطلت أمطار غزيرة على سائر أنحاء المملكة السعودية في المربعانية، أعني في القوس والجدي، وظهر على إثرها في أواخر الجدي أنواع الكمأة، وكان الغيث ينزل ديمة من دون رعد ولا برق.

وفيها وفاة الأمير فهد بن خالد بن محمد بن عبد الرحمن آل سعود، كان والده خالد بن محمد أحد القواد الشجعان المشاهير في حروب اليمن.

وفيها أصيبت الجزائر بهزتين أرضيتين نشأ عنهما قتل وجرح أعداد فأرسلت الدول الصديقة لها أسفها الشديد إلى الشاذلي بن جديد يواسونه في هذه الكارثة.

وفيها في وقت صلاة العصر من يوم الجمعة ٣/ ٥ وفاة الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي -رحمه الله- بسبب مرض قلبي كان يعاوده في بعض الأحيان، وفي هذه المرة قضى عليه، وقد حزن المسلمون لوفاته، وظهر أسفهم الشديد. وهذه ترجمته: هو العالم الفقيه الاجتماعي الشيخ صالح بن إبراهيم بن محمد البليهي، ولد في عام (١٣٣١هـ) في قرية الشماسية من قرى مدينة بريدة، ثم أنه انتقل به والده إلى مدينة بريدة كسائر أسرته فأدخله والده مدرسة أهلية فيها، وله من العمر ثمان سنوات، وبعد أخذه من المدرسة نصيبه من الدراسة اشتغل مع والده في التجارة لأن والده كان إذْ ذاك يضرب في الأرض يبتغي من فضل الله في الرياض والإحساء والخليج، ثم أنه كان للمترجم هواية في طلب العلم فأخذ عن الشيخ محمد بن صالح المطوع، وأخذ عن صاحب التاريخ إبراهيم بن عبيد بن عبد المحسن، وأخذ عن الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم العبادي، وأخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم وأخذ عن الشيخ سليمان بن عبد الله المشعلي وأخذ عن الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد.

وكان مشغوفاً بطلب العلم ومعه أناة، كما أنه رزين ومتفاهم وعاقل، ثم أنه كان أميناً لمكتبة بريدة حينما كانت في الجامع الكبير فيها.

ولما تأسس المعهد العلمي في مدينة بريدة كان فيه مدرساً وكانت إدارته للمكتبة عام (١٣٦٩هـ) والتحاقه بالمعهد عام (١٣٧٣هـ) وعلم في المعهد الدروس الدينية في المعهد وفي المساجد، وقد ألف حاشيته على الزاد حال كونه مدرساً في المعهد وسماها (السلسبيل في معرفة الدليل) وتقع في ثلاثة أجزاء لطيفة وهي وإن كانت

مختصرة فإنها كثيرة الفائد، وقد عرض عليه القضاء ولكنه رفض حباً للسلامة، وقد امتدح العلماء كتابه هذا.

وله غيره من المؤلفات المفيدة كعقيدة المسلمين، وتقع في جزئين وكتاب في أسماء القرآن سماه (الهدى والبيان) ويدل هذا الكتاب على سعة علمه، وله كتاب في توجيه الفتاة المسلمة سماه (يا فتاة الإسلام اقرأي حتى لا تخدعي) ومن مشائخه الشيخ صالح الأحمد الخريصي والشيخ محمد العبد الرحمن البليهي، وله نشاط في الدعوة إلى الله ويتخول الناس في الموعظة والإرشاد، وكنا نخرج شرقاً وغرباً برفقتنا الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد والشيخ عبد الرحمن بن حمد الجطيلي والشيخ علي الغضية للوعظ والتذكير.

ولقد جاء إليَّ مرة في يوم شاتٍ مطير من سنة (١٤٠٨هـ) وطلب مني أن نخرج للموعظة والتذكير بجامع بن غنام في مدينة الزلفى فاعتذرت لهطول الأمطار تلك الليلة وشدة البرد، فجعل يحثني على الصبر وقال إن السيارة لفلان وهي مؤمنة وسائقها ماهر وقد عقدت معهم موعداً لصلاة العشاء الآخرة، ولما أن قدمنا إلى المسجد من مسافة مائة كيلو وسبعة كيلوات وجدنا فيه خمسة عشر صفاً من الرجال وسبعة صفوف من النساء ينتظرون الفائدة والموعظة وكنا عزمنا على أن يعظ في الصلاة وعظم شأنها وأعظهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وله محاضرات قيِّمة وعلى موعظته الهدوء والسكينة ومن أعماله الخيرية أنه ترأس جمعية البر الخيرية وجمعية تحفيظ القرآن في المساجد وله كرسي في الحرم المكي الشريف يلقي دروساً في حضوره، ولما توفي وافق تلك الليلة هطول أمطار غزيرة وبالرغم من ذلك فقد شيعه إلى قبره جمع لم يكن له نظير في مدينة بريدة ورثي بمراثي كثيرة، وقد رأيت له ترجمة مطولة وضعها بعض أحبابه على من أرادها مراجعتها.

ما جرى فيها من الحوادث

ففيها قام إرهابيون في حكومة بانكوك فاغتالوا في السفارة السعودية فيها ثلاثة رجال من الدبلوماسيين وقتلوهم رمياً بالرصاص فسقطوا صرعى فبعثت الحكومة الصديقة تعازيها للحكومة السعودية وأحدث ذلك رنة أسف شديد.

وكان قتلهم في يوم الخميس ٤/٧ من هذه السنة وأتي بجثمان كل واحد منهم إلى السعودية فصلي عليهم في الجامع الكبير من مدينة الرياض وشيعوا إلى مثواهم في موكب مهيب حضره أولياؤهم وأقرباؤهم والمسلمون في حالة محزنة، وقد رفعت الحكومة السعودية احتجاجها على الحكومة وهددت بقطع العلاقات بينها وبينها فأقامت حكومة بانكوك سبعمائة ضابط لملاحقة المجرمين والقبض عليهم ولن يعجزوا الله.

وفيها عدى ذئب كبير على غنم لرجل في ينبع فلما أحس صاحبها به أخذ عصا وطرده وسعى خلفه لكنه لما بعد عن المنازل عاد عليه الذئب وشد على ساعده الأيسر، ولكن الرجل كان قوياً فأدخل يده بين فكي الذئب في فمه فاستطاع أن يحل فكيه غير أن الذئب تمكن من خمشه برجله في رأسه وسلم الرجل وألقي في مستشفى ينبع للعلاج، وكانت تلك الليلة التي جرت فيها الحادثة ليلة الثلاثاء الموافقة لـ٢٨ جمادى الأولى في الساعة العاشرة بالزوالي ليلاً والسماء غائمة ماطرة ولما فرّ الذئب دخل أسفل سيارة شاحنة بالركاب فتمكنوا من القبض عليه وقتله وألقي رأسه في المستشفى.

وفاة الشيخ عبد العزيز

ففيها في يوم الخميس ٦/٢٨ توفي الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد الله بن حسن بن حسين آل الشيخ رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته: ولد في عام (١٣٤٣هـ) ونشأ في أحضان والده فتعلم القراءة في إحدى مدارس مكة المشرفة

حيث كان والده فيها ثم أنه لازم والده وجدّ واجتهد وقد رأيته عام (١٣٧٢هـ) في جمادى الثانية حيث كان يقوم بأعمال والده في رئاسة القضاء بعض الأحايين.

ولما أن تحولت إدارة المعارف إلى وزارة وكان وزير التعليم فهد بن عبد العزيز (١٣٧٤هـ) جعله وكيلاً للوزارة، ثم أنه ترقت درجته وزيراً للمعارف ثم أنه كان خطيباً في المسجد الحرام في الأعياد وخطيباً بالنيابة في مسجد نمرة يوم عرفة ولما أن تولى الملك خالد بن عبد العزيز غفر الله له جعله رئيساً عاماً لهيئات الأمر بالمعروف في نجد.

ولما أن تولى هذا المنصب الخطير بدلاً عن عمه الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رأى أن يقوم بهذه الوظيفة خير قيام لأن واجب الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر يقتضي حالة أنشط من حالتها الأولى، ولما لم يحصل على مطلوبه طلب الاستقالة منها وأيضاً تخلى بعد ذلك عن الخطابة، ثم أصيب في آخر عمره بمرض السكر وضغط الدم مما يسبب له عدم قدرة على بعض الأعمال، وما زال على حالته تلك حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة وقد حزن المسلمون لوفاته ورثاه أحبابه ومن يقدرون العلم قال محمد بن سعد المشعان:

خطوات إلى دار يطول بها البقاء لعلك تلقى اللحد بالنور مشرقاً
أجل كلنا للموت ينثال ركبنا فللموت ما أبقى وللموت ما انتقا
وما هي إلا لحظة بعد مولد وبين رحيل للنعيم أو الشقا
لعلك تلقى الدار زهر أديمها وأرجاؤها تدعو الأحبة للقاء

ورثاه أيضاً غيره شعراً ونثراً عربياً ونبطياً، وقد توفي والده قبله باثنين وثلاثين سنة وعمه عمر قبله بـ(١٥) وأخوه حسن توفي قبله بثلاث سنين، وفي هذه السنة لحق سابلتهم غفر الله لهم جميعاً ولسائر المسلمين.

وفيها جرت فيضانات في تونس هلك بسببها ثلاثون شخصاً، ودمرت الفيضانات ستة وأربعين ألف منزل وهلك أربعة آلاف رأس من الغنم، وكان ذلك

في غرة شهر رجب من هذه السنة وجاءت من ليبيا ومصر الجزائر والمغرب وفرنسا وبلجيكا واليابان والولايات المتحدة وإسبانيا وغيرها إعانات ووجدوا تضامناً عظيماً كما أن الحكومة السعودية بعثت إليهم إعانة جيدة كعادتها في المساعدات.

وفيها كثرت أنواع الكمأة فقع بصفة كثيرة لكنه بالرغم من كثرتها فإنها تباع بأسعار باهظة ولقوة المسلمين وكثرة المادة يشترونها بغالي الثمن معدل الكيلو يبلغ ثمانين ريالاً.

وفيها في ليلة ١٥ الموافق للسبت من شهر رجب خسف القمر بعد صلاة العشاء الأخير في الساعة الثانية غروبي وانطمس انطماساً كلياً وخرج المسلمون لصلاة الكسوف رجالهم ونساؤهم في بيوت الله.

وفيها في صباح اليوم ١٧ الموافق ليوم الاثنين من شهر رجب قدمت إلى مدينة بريدة قافلة التجنيد ضد المخدرات في موكب مهيب من السيارات يصحبها الإبل وبعض الخيل وأقيم لهذه القافلة احتفال في ميدان الملك خالد الحضاري في مدينة بريدة حضره الأعيان والأمراء من جميع المنطقة وعلى رأسهم صاحب السمو أمير المنطقة، وقامت الطائرات الهليوكبتر محلقة فوق المكان المعد للاستقبال على ارتفاع منخفض، وجعلت إذاعات التحذير من المخدرات والخمور والمسكرات تنادي بنشر مضرتها وما فيها من المفاسد والقبائح.

وقد وضع رجال الأمن والقافلة معارض في ذلك الميدان لأنواع أشجار المخدرات من الأفيون والهيروين وكل مخدر وغيرها وأن الحكومة استطاعت القضاء على بعض الأشجار المخدرة، نعم وإن الحكومة قد بذلت جهوداً جبارة ضد هذه المخدرات وأصدرت الأوامر الثقيلة على رجال الأمن وسلاح الحدود بالقبض على مهربيها، وجعلت تنكل بهم وسلت السيف ضد تلك الأعمال الرذيلة المنافية للفضيلة.

وكيف أرباب تلك الأعمال الشيطانية توصلت بهم الهمجية إلى درجة ساقطة

بحيث يدخلون المخدرات بحيل لا يقدم عليها من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فجعلوها في باغات يدخلونها بأدبار الغنم، وعثر على بعضهم بأن جعلوها في أدبارهم - نسأل الله العافية - وتوصل أرباب تلك المخدرات إلى أعمال لا أخلاقية بحيث أن قام ساقط من أولئك الرذائل وتوصلت الأحوال به لأن يقتل صبياً من صلبه فأخرج أحشاءه وحشى جوفه من المخدرات وأدخله في المملكة مسجى بأكفانه.

ونقل لنا أن إنساناً من المبتلين لما فقد ما عنده من المخدرات ذهب إلى إنسان وجلبه إلى بيته وكان الشقي يتعاطى بها فطلب منه شيئاً منها فقال لا أعطيك إلا أن تبذل لي جميع ما أطلب منك فأجابه إلى طلبه، وكان لدى صاحب البيت فتاة عمرها سبع سنين جاء بها لتباشر تقديم شيء من العصيرات للضيف الملعون فقال أريد أن أزني بهذه الفتاة فقام والدها وأعطاها مخدراً فوقع عليها الشقي وذهبت الفتاة البريئة ضحية لهذه البادرة السيئة.

فيا منتقماً من الظَّلمة ويا من كنت بالمرصاد من الطغاة والفجرة صبَّ عليهم سوط عذاب والعنهم لعناً كبيراً.

ولقد قامت إذاعات الأصوات تشق الفضاء وتدوي في الأجواء تنصح وتحذر من ارتكاب تلك الجرائم وتعاطيها، وقد أظهرت الأمة سخطها البليغ، وقاموا بتشجيع القافلة وشد أزرها وتحبيذ فعلها وشكروا لهم جهادهم الذي قاموا به والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً واعتنقوا أعناق رجال القافلة يباركون لهم في مساعيهم، ووجدت القافلة تعاضداً وتكاتفاً من العلماء والرؤساء والأعيان، وأقيمت لهم الولائم الضخمة والترحيبات والتكريمات.

ثم سارت القافلة إلى مدينة حائل بعدما أقاموا في مدينة بريدة خمسة أيام وأخذوا يتجولون في فترات بمدن القصيم يبلغون ويرشدون على قدر وسعهم وطاقتهم.

أما ما كان عن لبنان فقد قام ميشيل عون بانشقاق في شرقي لبنان وجرى بينه وبين جعجع قائد قوات الرئيس الشرعي إلياس الهراوي معارك سقط بأسبابها مئات القتلى وتهدمت منازل واشتعلت حرائق في شرق لبنان وغربها وفشلت المفاوضات كما أن قوات أمل وقوات حزب الله لا تزال متطاحنة وجنوبي لبنان فيه إسرائيل وعملاؤها واستهدفت لبنان للأذى وكانت المناوشات بسائر الأسلحة بين جعجع وبين عون مستمرة واشتعلت الحرائق ولم يسلم من البلاء سائر المدنيين.

معجزة من المعجزات

كان رجل اسمه عمر غيمو قد أسلم وكان من أهل نيجيريا ثم ارتد عن الإسلام وجعل يستهزئ بالإسلام والقرآن فوقف بين لفيف من المسيحيين بإحدى كنائس قرية توب بولاية غونغولي شمال نيجيريا ورفع صوته بسخرية قائلاً إن كان القرآن والإسلام حقاً فإني أسأل الله ألا أرجع إلى بيتي حياً، فخرج عقب ذلك في طريقه إلى منزله فتعثرت قدماه وهو يعبر جدول ماء صغير وسقط فيه فمات، وقد قام أحد المارة فحاول إنقاذه فلقي مصرعه كالأول، ولما جرت هذه المعجزة أسلم سكان أربع قرى عقب الحادث وأشهروا إسلامهم ذكر ذلك النبأ بيان لرابطة العالم الإسلام في جريدة الرياض بعددها (٧٩٣٢/ ١٥/ ٨/ ١٤١٠هـ) الموافق ليوم الاثنين ١٢ مارس (١٩٩٠م).

وفيها في ٨/ ١٣ من هذه السنة دخل الشهر الثامن والعشرين من الانتفاضة الفلسطينية وشباب فلسطين في تلك المدة يحاربون اليهود بالحجارة والزجاجات وإشعال الإطارات في طرقهم وبالرغم من تقتيل الفلسطينيين وتجريحهم والقبض على بعضهم وإيداعهم السجون لمدة عشرات السنين وأقل وأكثر ورضخ رؤوسهم وهدم منازلهم فإنهم ثابتون يناضلون وقد أحصي الجرحى الذين أصيبوا من أهالي فلسطين فبلغوا سبعة وستين ألف جريح منهم ستة آلاف معوقون وسقط ألف وخمسمائة قتيل وهدم آلاف من بيوتهم وشرد مائتا ألف عن أوطانهم، هذا في مدة الانتفاضة وكانت العرب تدعمهم بالمساعدات المالية لا غير.

كما أن المجاهدين في أفغانستان لا يزالون في كفاحهم حتى ٨/١٧ من هذه السنة ضد حكومة السوفيت هذا وهم ثابتون وللنصر من الله يطلبون وقد أسقطوا وأحرقوا طائرات سوفيتية وحطموا دبابات ولكن المسألة حتى الآن لم تنته بصورة قاطعة.

كائنة غريبة

في مكة المكرمة أصيب أهل بيت في إحدى الحارات بأذى من الجن وكان البيت مؤلفاً من ثلاثة أدوار فكان الذين في الدور الأسفل يحصل عليهم أذى وربما أمسك أحد الأفراد وربما أصيبوا بجروح من جراء ذلك الأذى -نسأل الله العافية- وآخر ذلك أن هجره أهله وارتحلوا عنه.

وفيها قام رئيس تعليم البنات عبد الملك بن الشيخ عبد الله بن عمر بن دهيش بصفته الرئيس العام بزيارة تفقدية لمنطقة القصيم وذلك في ٨/١٤ من هذه السنة.

كائنة غريبة

في ٤ شوال من هذه السنة جرت فيضانات جارفة في جنوبي الصومال نتج عنها غرق عشرات القرى وإجلاء آلاف السكان وهؤلاء الذين تم إجلاؤهم صاروا بلا مأوى ولا غذاء وهذه الكارثة لم تشهدها المنطقة في التاريخ الحديث وقطعت هذه الفيضانات معظم الاتصالات ومحت طريقاً يبلغ طوله تسعين كيلومتر.

في يوم عيد الفطر جرت مجزرة بين الفلسطينيين أهل الانتفاضة وبين قوات الاحتلال اليهودية نتج عن هذه الاشتباكات في يوم العيد قتل ثمانية من الفلسطينيين وهدم مائة وخمسين منزلاً من المقدسات وجرح مائتين وستة وثلاثين فلسطينياً واستمرت قوات العدو في القمع والإرهاب.

أما رجال الانتفاضة فقد جرحوا ثلاثة عشر يهودياً وقام رئيس وزراء العدو

بإغلاق قطاع غزة تحسباً لتصعيد المقاومة كما أن اليهود قاموا يخططون لجزرة واسعة، وقد قام رئيس الدولة الفلسطينية ياسر عرفات مستنكراً لتلك الأعمال الوحشية فبعث برسالة إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش يشتكي من أعمال اليهود وطلب منه دراسة أعمالها الوحشية ضد أهل فلسطين وما يعاملونهم به من تلك المعاملة القاسية ورجى أن يوضع حد لذلك ولكنها لم تتلق أذناً صاغية بل استمرت الأحوال هائجة مائجة لما أن توالت هجرة اليهود من روسيا إلى فلسطين المحتلة قامت قيامة العرب بالاستنكار لذلك وأن ذلك ضد السلام وضد التفاهم في مشكلة الشرق الأوسط فرأى المهاجرون أن تسمح الولايات المتحدة الأمريكية لهم بالقيام لديها.

وقد جرت زيارة رسمية من الرئيس حافظ الأسد إلى روسيا وكان وقت هذه الزيارة قصيراً وجعلت الدولتان العراقية والسورية تبحث في توفير أجواء المصالحة بين دمشق وبغداد ورجت الأمة العربية أن يكون من وراء ذلك ما يُرجى من حسن الصلات، الصلات الكلمة والأمل عظيم بالله أن تنقطع الحزازات بينهما وترجع المياه على مجاريها السابقة ذلك بأنه لا خير للعرب والمسلمين إلا إذا اتحدوا وكانوا يداً واحدة تهابها الأعداء وقد ذكرنا في كتابنا الديني الكبير بمناسبة اجتماع حجاج بيت الله الحرام في يوم التروية ومشاهدة بعضهم بعضاً ما لهم من المصالح لو اجتمعوا وتوحدت كلمتهم إذاً لهزموا عدو الإسلام وأفلحوا ونجحوا.

وبهذا نختم المجلد السابع من تاريخنا ولله الحمد والمنة ويليه الثامن إن شاء الله.

فهرس المجلد السابع
من تذكرة أولي النهى والعرفان

تذكرة أولي النهى والعرفان

بأيام الله الواحد الديان

وذكر حوادث الزمان

تأليف

فضيلة الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن

"من علماء أهل القصيم"

الجزء الثامن

مكتبة الرشد

ناشرون

ⓒ مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

آل عبد المحسن، إبراهيم عبيد

تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الواحد الديان وذكر حوادث الزمان./ إبراهيم عبيد آل عبد المحسن. ــ الرياض، ١٤٢٧هـ

٣٥٢ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٩-٦٢٦-٠١-٩٩٦٠ (ج ٨)

١- التاريخ الإسلامي ٢- التراجم أ- العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٢٧/٤٧٩٢

ردمك: ٨-٦١٨-٠١-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع: ١٤٢٧/٤٧٩٢

٩-٦٢٦-٠١-٩٩٦٠ (ج ٨)

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م



مكتبة الرشد ـ ناشرون

المملكة العربية السعودية ــ الرياض

شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحجاز)

ص.ب.: ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ ــ هاتف: ٤٥٩٣٤٥١ ــ فاكس: ٤٥٧٣٣٨١

E-mail: alrushd@alrushdryh.com

Website: www.rushd.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر التقلبات والمخاوف وا لمجازر في فلسطين ولبنان وأفغانستان

عام ١٤١٠هـ قد أسلفنا من ذكر الانتفاضة الفلسطينية ولبنان وأفغانستان، وما توصلت الأحوال إليه، فقد بلغ عدد القتلى في فلسطين من حين الانتفاضة إلى يوم ٩/ ١٠ من هذه السنة ١١٠٩ قتيلاً يعدون في نظر العرب شهداء الجرائم الإسرائيلية، وما زاد ذلك الفلسطينيين إلا نشاطاً ومواصلةً لقتال العدو وبالحجارة والزجاجات الحارقة، وقد تصيب سيارات العدو ويجرح من شاء الله من قواته، وكان القائم بأعمال رئيس وزراء إسرائيل إسحاق شامير موقفه نحو العرب أنه لا يطلب السلام بل يرى حقاً لأهل فلسطين، ويعامل أهالي فلسطين معاملةً قاسية، معاملة يهودية لا يعلم إلا الله جل ذكره عن شدة عدائهم للذين أمنوا ويقول يؤسفني أننا بسبب المهام التي علينا لا نستطيع في العامين القادمين القيام بعملية استيطان واسعة، ويحبذ توطين اليهود في الأراضي المحتلة، أما عن لبنان فقد استمر القتال بين العماد ميشال عون وبين جعجع وجرت مذابح عنيفة بين الفريقين، واستعملت أنواع الأسلحة الغازية كالمدافع والقنابل الصاروخية وما إلى ذلك مما عم ضرره المدنيين والأطفال والنساء والضعفاء، وكانت الأمور متأزمة جداً في لبنان ولا سيما في شرقيها، كما أن أفغانستان لا تزال فيها المجازر والمذابح بين المجاهدين وبين حكومة كابول التي تمدها الروس بالأسلحة والذخيرة، ولقد كانت العرب والمسلمون يجمعون التبرعات في مساجد المملكة السعودية وغيرها ويبعثون بها إلى المجاهين، وهم لا يزالون يواصلون نشاطاتهم، ففي ١١/ ١٠ من هذه السنة قتلوا ٢٤ ضابطاً ودمروا معدات للعدو، وهم يتقدمون بنشاط وقوة عزيمة، وكان من المتحمسين لمناصرة المجاهدين، هناك من يذهب ويقاتل بنفسه وربما يودع زملائه وأحبابه ويسألهم الدعاء له بالشهادة في سبيل تحرير أفغانستان من مخالب حكومة السوفيت وبراثنها، ولا ريب أنه إن كان قتال المجاهدين عن نية وعقيدة فإن الله

معهم لأن الله يقول: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠]، وكانت المواد الغذائية والأكسية على اختلاف أنواعها وملايين النقود تبعث إليهم بكثرة من جميع جهات المسلمين لشد أزرهم ومساعدتهم بها.

مناظر غريبة في مخلوقات الله

أبرزت جريدة عكاظ في عددها ٨٦٨٤/ ٢٨/ ٩ من آيات الله صورة رجل قد بلغ من العمر ٤٥ ولد من دون يدين ولا رجلين، فهو نصف إنسان، فلا فخدين ولا عضدين واسمه عبدالله محمد بن داود بن عبدالكريم، وكان بوجه وصدر عليه لباس كأحسن رجل، وعلى رأسه القلنسوة يخيل إليك إذا رأيته أنه ليس منقوص الخلقة، ويتمتع برحابة صدر، كما أبرزت الجريدة نفسها صورة طفلة لها من العمر أحد عشرة سنة، كذلك بنصف إنسان ليس لها يدان ولا رجلان بل فاقدة العضدين إلى الكتفين والفخدين، وتتمتع بنصف جسمها الأعلى، وهي من أهالي مكة المكرمة، وتبرز برحابة صدر، ويقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار:٦-٨].

اتفاق عام بشأن عودة مقر الأمانة العامة للجامعة إلى القاهرة

وذلك في ١٤ شعبان من هذه السنة، وذلك بنقلها من تونس لما تحسنت الأحوال بعد تصرفات الرئيس المصري السابق، ويعد هذا من حسن حظ العرب في جعل مقر الأمانة العامة بما شاءوا، وترحيب كل رئيس عربي بما يعود في المصلحة العامة ولا سيما تونس الشقيقة في تعاونها وتكاتفها في المدة الماضية وترحيبها سابقاً بما طلب منها، مما بيّض وجه تاريخها، وهكذا يكون التكاتف والتساعد والتعاضد.

وفيها في ١٠/ ١٠ اعتقلت حكومة التايلند سبعة أشخاص يشتبه بتورطهم

بجريمة اغتيال الدبلوماسيين السعوديين الذين قتلوا سابقاً، بحيث ذكر القائم بأعمال الحكومة التايلاندية ذكل الخبر وذلك توطيد أمنها عن العلاقات بينها وبين المملكة السعودية ووفاء بحسن الصلات بينهما، ونحن إذ نبرز ذلك سائلين الله تعالى أن يكف أكف الأيادي الجائرة، ومن حسن توفيق الله أن تحيط بأهل الجرائم جرائمهم.

وفيها وفاة رجل الدين والخير سليمان بن علي بن مقبل غفر الله له، وهذه ترجمته:

هو سليمان ابن رجل الدين والعقيدة علي بن مقبل بن علي بن عبيد من قبيلة سبيع، كان المترجم صاحب دين وعقيدة ومتسماً بصفات العلماء، أبيض اللون، زاهر الطلعة، شجاعاً وتالياً لكتاب الله، أبيض شعر اللحية، كثيف اللحية، مطهر لدينه ولا تأخذه في الله لومة لائم، وله أخوة من أبرزهم رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبدالعزيز بن علي بن مقبل، ومنهم عبدالله وقد تقدمت تراجمهم، ولسليمان هذا مسابقة بالخيرات ومساهمة في طرق الخير، حدثني وهو يتذكر نعم الله على المسلمين قال: خرجت مع والدي إلى مدين له، وكان لدى مدينه لوبيا في مزرعته، وقد خيّره والدي بين أن يأتي باللوبياء ويؤمن له ولزوجته نصيباً من القمح، أو يكله إلى ما يخرج من اللوبياء، فمانعت من ذلك زوجته وقالت: لا نسقيه وندعه للغريم، قال: فكانوا يتناولون طعام العشاء لوبياء صرفاً ليس فيه سوى الماء، فلون الماء أصفر، قال: فلما علم بمجيئنا ذهب إلى أحد الجيران واستعرض منه نصف نصيف ضيافة لعلي المقبل، ثم جاء بالعشاء ولم يكن فيه سوى قطع بسيطة من بين اللوبياء، فكان والدي يخرج القطعة بعود فيه نتوء أمامي، وكان المترجم من العرب كريم النفس، جهوري الصوت، يلبس البياض من الثياب، وذا اجتماع مع أحبابه وبني جنسه، يجالس العلماء ويخصّ مجالس الذكر، ويحب في الله، ويعادي فيه، وكانت وفاته في ٩ شوال من هذه السنة.

وفيها نشرت إحدى الجرائد أن إسرائيل تملك إلى غاية شهر رمضان مائتي قنبلة نووية، وذكرت هذه الجريدة أن سبق لليهود أن هددت الولايات المتحدة باستعمال السلاح النووي عام ١٩٧٣م في الحرب السابق فيها لو لم تصلها المعونات والأسلحة التي طلبتها من واشنطن.

وفيها في ١٠ شوال قام ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز بزيارة لدمشق، ثم زيارة لبغداد، وذلك بعد اجتماعه بالرئيس حافظ الأسد، وذلك لتحسين الأجواء بين الحكومتين، وتصف الخبراء تلك الزيارة بأنها تعود بالمصلحة الكبرى على العرب.

وفيها قامت حكومة بورما بتدمير كميات مصادرة من الهيروين قيمتها ٥٠٠ مليون دولار، كما قامت بتدمير كميات من المخدرات وزيت الأفيون وغيرها من المخدرات، وقامت الأمة من جميع المتنورين والساعين لمصالح الشعوب بإعدام كثير من المخدرات، وذلك سعياً وراء المصلحة العامة، وبما أن الحكومات جادة في هذا السعي فإنه بالرغم من مقاومتها وإتلافها لا تزال أيادي ساعية في إيجادها، نسأل الله العافية، وكان من أعظم الحكومات الإسلامية المحاربة للمخدرات السعودية جزاها الله خيراً.

حادث مؤسف

ففي يوم الأحد ١٨ شوال الموافق ١٣ مايو إيار ١٩٩٠م جرى حادث في الموضع المعروف بشري الواقع في طريق حائل بأن اصطدمت سيارة تريلة بباص يحمل ٣٠ فتاة في ذهابهن للدراسة، فهلك سبع فتيات بأول وهلة، وجرح بقيتهن بحيث نقلن إلى المستشفيات، وهذه حادثة يؤسف لها، وقد تلقت الأمة هذا الحادث ببالغ الأسى، كانت حافلة الفتيات أراد سائقها أن يقطع الطريق فاستهدفت الناقلة الضخمة فجبتها مع وسطها وحصلت تلك الحادثة الشنيعة، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وفيها أرادت إسرائيل ضرب العراق كما جرى سابقاً، ولكن الرئيس العراقي صدام حسين قام بتهدد إسرائيل بأنها إن فعلت ذلك فإنه سيحرق نصف دولة إسرائيل بأسلحة كيماوية، وثنت عزمها، ولكنها لا تزال في غيّها وتماديها وتخطط ضربات للأردن والعراق لتفسد على العرب وحدتهم.

ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٢]، وما يزالون في تماديهم وغيهم وخبثهم كصبي مدلل يفعل ما يشاء، وهنا من يقِم له أعذاراً ويدافع عنه فيأخذ ما في جيوب الناس ويدوس كرامتهم، ووليه يقول: دعوه يفعل ما يشاء، وعدم من تقهر هذا الولي الخاطئ ويوقفه عند حده راغماً، ويعرفه بالقوة خطأه، وهي التي تكفل الحقوق إذا لم يفد حسن التفاهم، ولم يملك المسلمون سوى رفع أيديهم إلى السماء، ولم يكلهم الله عز وجل إلى ذلك، بل قال: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال:٦٠]، وهذه القوة على حسب قوة الزمان، فإن كانت في زمن الرسول من رباط الخيل والأقواس والسيوف والسهام، فهي اليوم من الدبابات والطائرات القاذفة والقنابل الصاروخية والمدافع الثقيلة بعيدة المدى، والرشاشات والعبوات الناسفة، والقنابل المدمرة والمحرقة، ولكنه مع الأسف إن نجد أعداء الشريعة متفوقين في صناعتها وإيجادها بالملايين ومئات الألوف والمسلمين منشغلين بالبذخ ورفع العمائر ولبس الكسوة الفاخرة، وما كأن الكلاب أكلت عجينهم، ويرفعهم الموج تارةً ويخفضهم أخرى، وهم يقولون: هذا وابل ممطر، ربنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا واغفر لنا، ربنا إنك أنت العزيز الحكيم، نسأل الله تعالى أن يلم شمل المسلمين ويجمعهم على الهدى وأن يجعل لهم جيشاً مشتركاً فيما بينهم، لا يقل عدده عن عشرة ملايين، زودوا بجميع أنواع الأسلحة الحديثة، ويحمله رجال من صفوتهم المخلصين يدافعون به عن كيان الإسلام والمسلمين ويحوطون به عن سياج الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه ونعم المستعان.

وفيها في خامس من شهر رمضان قام شاب متهور عمره في ١٦ سنة، فأخذ مفاتيح سيارة أخيه وركبها وخرج بها ليفحط في ظلام الليل بمدينة بريدة، ولما أن سار بسرعة جنونية أصاب طفلة تبلغ من العمر ثلاثة سنوات إلى جانبها متعلق بقدم السيارة، ولم يشعر به المراهق المتهور حتى سار مسافة طويلة تسحبه السيارة وهو فار فراراً شديداً من جنايته الأولى، حتى أخبر بما يسحب بالسيارة فوقع ضحية هذا الشقي طفل وطفلة أبرياء حال كونهما

ومن العجائب ما نشرته جريدة الجزيرة في عددها ٦٤٣٧ في ١٩ شوال من هذه السنة قولها: «حكومة شامير تدرس شن ضربة عسكرية إجهاضية خلال قمة بغداد المقبلة» من أن الظروف والأحوال مساعدة لليهود بحيث تمكنوا في هذه الفترة القصيرة أن يؤسسوا دولة سمّوها إسرائيل، وكانت جميع الحروب الدائرة بينها وبين العرب في صالحها، كما أن من العجائب تمكين الله لها وخدمتهم الأيام والليالي بحيث لم يظهر من حينما عرفوا لظهورهم في آخر القرن الرابع عشر الهجري وأوائل القرن الخامس عشر إلى آخر هذه السنة، وما زالوا يتقدمون حتى كانوا كأكبر دولة في الشرق الأوسط رغم قلتهم، وذلك بمساندة أمريكا وبذلها الإعانات والأسلحة والذخيرة لها من دون حسبان، وأمدتها بقوات مادية ومعنوية وحشية، وبما أن فرنسا وبريطانيا قد جدتا في تمكينها وتقويتها فليست بحاجة إليهما لما كانت عليه من إنشاء المصانع والتعميرات، وإيجاد الأسلحة والذخيرة، وتوفر الزراعة والأشياء التي كلما همَّ العرب في إخراجها من بين أظهرهم يزيد تمكنهم وظهورهم، وكثرة عددهم، وهجرة إخوانهم من اليهود إليهم، ولقد جدَّ العرب والمسلمون بما يستطيعونه في حربهم مادياً وعسكرياً وقولياً وفعلياً، ودعاء المسلمين عليهم فوق رؤوس المنابر في خطب الجمعة والجامع فوق المنصات بأن يقطع الله دابرهم ويمزقهم كل ممزق، ويدمرهم تدميرا أجمعين أكتعين أبقعين أبصعين مما كأنهم في ذلك لا يدعون لهم بالنصر والغلبة، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وكلما وقعت الحرب بينهم وبين العرب فإنها تنتهي بصالحهم حتى انتهبوا أراضي فلسطين بأجمعها واستولوا عليها، وزحفوا إلى سيناء، ويخططون للاستيلاء على النيل والفرات، وسائر الجزيرة العربية، واندفعوا بهمجيتهم إلى أن جعلوا يستهترون بدين الإسلام، ويسبّون الرسول محمد ﷺ بقولهم: «هات المشمش والتفاح، دين محمد قد راح راح راح، محمد مات مات ولم يخلف سوى بنات» إلى غير ذلك من الكفر والمكابرة، وعدم المبالات من أحد كائناً من كان، وذلك بتأييد أمريكا لهم التي ذكر الله تعالى حالتها بقوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ

أمام مسكن والدها يسيران إلى إحدى البقالات، وخسرهما أهلهما نتيجة طيش هذا الشقي العابث، مما يندي له الجبين ويأسف له كل من سمع بهذه الحادثة، وكانت الطفلة اسمها نوف وأخوها عبدالرحمن الذي سحبته السيارة ألف متر ولم يشعر السائق المراهق الجاني، أحسن الله عزاء ذويهما وجبر مصابهما، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا ريب إن جعل الحبل على الغارب بشأن الشباب الطائش الذي أهمل أولياء أمورهم تتبع حركاتهم وسكناتهم نتيجة تكون هكذا.

وفيها في ٢٥/ ١٠ أصيب جنوب السودان بزلزلة وهزة أرضيه، وكان ذلك في صباح هذا اليوم، غير أنا لم نتوصل عن طريق الضبط والتحقيق عما نتج عنها.

وفي هذه السنة أكدت إيران أنها ستبعث مائة ألف حاج وخمسين ألفاً إلى السعودية ما نفعت عن أن يحج زيادة في الأعداد المقررة فلا تسمح إلا بعدد قدره خمسة وأربعون ألفاً مما منعت إيران من الحج هذا العام لشعبها حتى تنزل السعودية على أمرها، وكان جلٌ قصدهم بهذه التحكمات إيجاد القلائل والزعازع والفتن، غير أن الحكومة السعودية كانت متنبهة لذلك، وشاهد ذلك ما جرى منها في السنين الماضية.

ولما أن كان في يوم الأحد ٢٥ شوال من هذه السنة جرت مجزرة عظيمة في فلسطين بين جنود الاحتلال اليهود وبين شباب فلسطين الذين قاموا بتلك الانتفاضة، سقط من الفلسطينيين ١٤ قتيل وجرح مئات بينهم، وأشبهت هذه مجزرة دير ياسين، بل أعادت ذكرها، وسقط أولئك القتلى مضرجين بدمائهم، ولا غرابة في أن برزا الفلسطينيون بهذه النكبة إذا كانوا يقاتلون بالحجارة والعدو يقاتل بالسلاح الحديث، بالرشاشات والبنادق، وكان الرئيس ياسر عرفات يدعو لفرض عقوبات دولية ويؤكد المجزرة لن توقف الانتفاضة، وأعلنت زعامات الأرض المحتلة الإضراب ثلاثة أيام سوداء احتجاجاً على الدموية الفاشية الإسرائيلية، فيما ناشدت فلسطين دول العالم التدخل لحماية مواطنيها من مذابح العدو، ونزل

الآلاف من الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين إلى الشوارع يلوحون بالأعلام السوداء ويكبرون الله أكبر الله أكبر، في تحدٍ صريح وقوي لأوامر حظر التجول ووجود قوات الاحتلال في الشوارع وما أسفر عنه من اشتباكات واسعة النطاق، وقد أبدت مصر أسفها الشديد لذلك، وبما أنه لا يقام وزن لما جرى سابقاً من أعمال اليهود فإن هذه ستذهب أدراج الرياح كأخواتها كما أن مجلس الأمن الذي كان الأولى أن يسمى مجلس الخوف يتولى تصريفه وإدارته وأعماله أمريكا مؤيدةً اليهود، أو هي اليهود فإنه لا يرجى منه نتيجة ولا صلاح ولا إصلاح.

ومنها في رابع ذي القعدة عقد مؤتمر قمة بين العرب في حكومة العراق حضره رؤساء العرب وملوك العرب، حضره الرئيس حسني مبارك والحسن ملك المغرب، ورؤساء دول الخليج، وحسين بن طلال ملك الأردن، وياسر عرفات رئيس الدولة الفلسطينية، وجلالة الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية، وصدام حسين رئيس الجمهورية العراقية، وكان المقصود من هذا المؤتمر تداول النظر فيما تبنته اليهود للعرب وخصوصاً مسألة الشرق الأوسط فلسطين المحتلة ولبنان الجريح، وتهديدات اليهود للعراق، وحضر عن الكويت الأمير جابر، وعن قطر خليفة الحمد، وعن البحرين عيسى بن سلمان بن خليفة، وزايد بن سلطان بن نهيان، والسلطان قابوس، وكان هذا المؤتمر من أعظم المؤتمرات، وقد طلب الأعضاء تمديده ليوم واحد وذلك يوم الثلاثاء ٥/ ١١، كما قد حضره معمر القذافي وخطب خطبة تليق بالموضوع، وهي تدل بمفهومها على أنه يجب الاهتمام بالخطر المحدق بالعرب والمسلمين.

محطة القطار

لما كان في يوم الأربعاء ٦/ ١١/ ١٤١٠هـ افتتح أمير الرياض محطة القطار في الرياض بالنيابة عن خادم الحرمين وملك البلاد بحيث بلغت تكاليف ذلك العمل من الدمام إلى الهفوف إلى الرياض بمبلغ مائتين مليون وخمسة ملايين، وكان موضع

المحطة بالرياض قد بلغ ١٢٠٠٠٠ متر مربع، ولقد قام الرئيس العام لسكة الحديد معرباً عن شكره وتقديره لصاحب السمو الملكي سلمان بن عبدالعزيز بافتتاح هذه المحطة الجديدة، والتي تعتبر من أجمل المحطات في الشرق الأوسط، وكان الرئيس فيصل الشهيد قد قام بأعباء هذا العمل، وإن المؤسسات العامة للخطوط الحديدية السعودية قد خطت خطوات هامة ووصلت إلى مرحلة كبيرة من مراحل التطور، حيث أنها مجهزة بكافة الخدمات المريحة للمواطنين، وكان ابتداء العمل منذ أربع سنوات بسرعة فائقة، وكانت العربات الجديدة بعد إنشاء هذا الخط الجديد، وقد اشترت المؤسسة عشر قاطرات من نوع جنرال موتورز الأمريكية والتي تسير بطاقة ١٥٠ كيلو متر في الساعة، كما اشترت المؤسسة ٢٠ عربة ركاب من فرنسا، و٢٠ عربة ركاب أخرى من ألمانيا الغربية لخدمة الخط الجديد تكلف شرائها بمائة مليون وثلاثة ملايين وثمانمائة ألف ريال، إضافةً إلى عربات أخرى.

وفيها في برج الجوزاء أصيبت النخيل بأن تساقطت ثمرتها بشيء لم يعهد مثلها قبل ذلك، نسأل الله اللطف، وهذا من الأمراض التي تصيب الثمار بالنقص كما ذكره الحافظ ابن القيم رحمه الله أن من آثار الذنوب والمعاصي ونوع مثل ذلك.

وممن توفى فيها من الأعيان مدير مالية مدينة بريدة سابقاً ولاه الملك عبدالعزيز هذه الإدارة عام ١٣٥٧هـ فقام بعمله خير قيام، وكان موضع التقدير من أمته، ولبث في هذه الوظيفة قرابة خمس وثلاثين سنة حتى كبر فطلب الإعفاء، وكان من الوجهاء وذوي الجاه ويسكن في نخيلة الكائنة بناحية خضيراء شرقاً عن مدينة بريدة، وكن قد أسن وأرهقته الشيخوخة لأنه تجاوز التسعين من العمر، وأحدثت وفاته رنة أسف ورفعت التعازي إلى ذويه وأقربائه، ألا وهو حمد بن عبدالمحسن التويجري، وكانت وفاته في غرة شهر ذي القعدة غفر الله له.

وممن توفى فيها في سادس شهر صفر إمام جامع حميدان في بريدة الشاب الناسك عبدالمحسن آل عبيد، كانت وفاته بأسباب حادث سيارة في طريق الرياض رحمه الله وعفا عنه، وكان باراً وعليه سيماء العبادة، يحب أولياء الله

ويعادي أعداءه، وله اجتهاد في الحج وفي شهر رمضان ولا سيما في ليالي ختم القرآن، ومدرساً في العلوم الدينية في مدرسة تحفيظ القرآن في بريدة، وله ديوان خطب في المناسبات قد طبع، ونرجو له القبول والغفران، كان في عنفوان الشباب، جميلاً حسن الصورة، تام الخلقة، أبيض مشرباً بحمرة، كانت وفاته عن عمر يناهز ٤٣ عاماً.

وممن توفى فيها عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن زعاق، ولد عام ١٣٣٨هـ، كان من طلاب العلم، وله ميل إلى التقشف وإن كان واجداً لأنه ثري، درس على المؤدب صالح بن محمد الصقعبي، أدخله والده في مدرسته، وبعدما تعلم القراءة والكتابة أخذ يطلب العلم في فترات على الشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ عبدالعزيز العبادي وإن كان لم يدرك، كما أدرك زملائه، وأخذ عن الشيخ محمد بن صالح المطوع، وأخذ في الدراسة علينا كجملة تلامذتنا، وأخذ على الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، وتعلم من الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، ولكنه لاشتغاله في طلب المعيشة في الرياض وغيرها في وقت لم يكن للطلاب مساعدات، كان يسعى فيما يؤمن معيشته، ثم إنه أخذ في التدريس في مدارس الحكومة، ثم نال إدارة مدرسة البدايع ثم إدارة مدرسة الرس الابتدائية، ثم في مدرسة روضة الربيعي، ثم نقل إلى مدرسة تحفيظ القرآن ببريدة مديراً لها، ثم كان مدرساً في مدرسة طارق بن زياد في بريدة، فلبث قرابة اثنتين وأربعين سنة حتى أقعده المرض، ومن خصاله أنه متمسك في العقيدة يطمس التصاوير وعليه آثار الديانة، مع دهاء يعيش به في الناس، وله حظ في الوعظ والإرشاد من جملة الذين يتخولون في القرى مجامع الناس هناك، كما أن له حظاً من قيام الليل، وله أخوة من أبيه كان أبرزهم، ويكثر من الحج والعمرة، فقلما يتخلف عن الحج قرابة خمس وثلاثين سنة حجة، ثم أصيب بمرض قلبي قبل وفاته بسنة حتى قضى عليه ذلك في هذه السنة، غفر الله له وتغمده برحمته وخلف نسلاً كثيراً من ذكور وإناث، ولازم إمامة مسجد في خبيب بريدة يدرس فيه على حسب اجتهاده وقوته، والطلاب تذكره.

قد ذكرنا عقد مؤتمر القمة في بغداد وأنه قد نال موضع الإعجاب من رؤساء العرب وملوكهم في حسن المفاوضات والتشاور فيما بينهم ولا سيما موقف الرئيس العراقي صدام حسين الذي أطلق عليه فارس العرب، وخطبة الرئيس معمر القذافي رئيس جمهورية ليبيا التي نالت الاستحسان، ولكن الأعمال الفوضوية في فلسطين ولبنان حال المؤتمر وبعده لا تزال مستمرة في تعقيدها، ولم يتغير الموقف عما هو عليه قبل ذلك، وقد تأثرت بريطانيا من حالة إسرائيل بحث لم يضع حداً لتخطيطاتها التوسعية وأعمالها الإجرامية، بحيث كانت أمريكا تمدها بالمليارات لإنشاء مستوطنات لليهود ضد أهالي فلسطين، مما كان حجر في طريق السلام، ولا تزال الاشتباكات مستمرة بين جيش عون وجيش لبنان، ولم يكن هنا أمل في وقف القتال والتناحر في فلسطين، ولم تغير إسرائيل موقفها ضد العرب، وزاد الطين بلة أعمال أمريكا وتشجيعها لليهود في سوء تصرفاتهم، وكان معمر القذافي قد قال كلمته السابقة التي هي عين الحقيقة بحيث قال قبل هذه السنة بسنتين أنه لا يمكن تصور رحيل إسرائيل من فلسطين، بحيث تضع أثاثها على رؤوسها وترحل من دون قتال، وبهذا أصبحت مشكلة الشرق الأوسط تتطور، وقد كانت الأمة ترغب أن يكون حلها عن طريقة سلمية إن وفقت لذلك، ولكن أنى وهيهات، ومن تذوق الانتصارات فإنه لا يميل إلى الصلح، ومن حكم الشاعر ما قدمنا في سنة ١٤٠٩هـ، وإن من الشعر لحكمة، نسأل الله تعالى أن يصلح أمور المسلمين وأن يرد كيد أعدائهم حتى يرجعوا بالصفقة الخاسرة.

قتل مجرم

يسعى في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين، والتشهير به لما كان في يوم الجمعة الموافق ١٥ ذي القعدة ١٤١٠هـ، أعدم بعد صلاة الجمعة رشاش بن سيف العتيبي بضرب عنقه وصلبه ثلاثة أيام، لقد ألقي القبض على هذا الجاني بعد ساعات، بعد أن عاث في الأرض فساداً يقتل المسلمين وينهب أموالهم، وأخاف الآمنين، وأصبح خطراً على الأمن، فبتوفيق من الله تعالى ألقي القبض عليه في

جنوبي المملكة، فأقر بجميع جناياته التي منها: إطلاقه النار على دورية لمكافحة المخدرات مما أدى إلى استشهاد أحدهم ليلة ٢١/ ١/ ١٤٠٨، ومنها اعتراض عدد من أصحاب السيارات وتهديدهم بالسلاح وسلب ما معهم ليلة ١٧/ ٢/ ١٤١٠هـ، ومنه إطلاقه النار على مواطن من العتبان، ومنها إقرارات منه بأنه أطلق النار على مواطنين آخرين، ومنها السطو المسلح على محل تجاري واستيلائه على ما فيه، ومنها استيلائه على سيارة جيب إلى غير ذلك مما يندي له الجبين، وهو خامس أفراد عصابة قتل منهم ثلاثة وقتل الرابع أثناء مقاومته لرجال الأمن، وهذه العصابة قطعوا الطريق وسلبوا وانهبوا، وروجوا المخدرات، ونهبوا المواطنين والمقيمين بالسطو على ممتلكاتهم ومقاومتهم رجال الأمن بقوة السلاح، وكان هذا المجرم رشاش من أعظمهم جهاراً ومكابرةً ، وقد اعترف بجرائمه كلها أمام المحكمة الشرعية، نسأل الله العافية، وإن مما يبعث الأسى في القلوب، ويهدم المجتمع ويؤذن بالفوضى مثل هؤلاء الجناة، يعيثون في الأرض فساداً، وعدم مساعدة الشعب للحكومة في ردع أمثال هؤلاء، وكان بتوفيق من الله تعالى وسعي من وزارة الداخلية، وتشجيع رجال الأمن أن يقطع دابر هؤلاء المفسدين الذين تقدم بعض إخافتهم للأمة، وتعرض المسافرين للتهديد والقتل والنهب والسلب، ونشأ عن القبض عليهم وإعدامهم الأمن والطمأنينة.

وفيها في ذي القعدة وفاة عيد بن سالم وزير الملك السابق سعود بن عبدالعزيز، كان موضع الثقة من الملك سعود، وفي أيامه الماضية وقد يكون من أعلى أعماله في الدولة، ويختصه ويقربه، وفي العام يتقدم أبنائه بنعيه وينشرون شكرهم لكل من واساهم بتعزيتهم به شفهياً أو برقياً أو تلفونياً، رحمة الله على أموات المسلمين، وممن تقدم بالتعزية والمواساة الملك فهد بن عبدالعزيز وإخوانه جزاهم الله خيراً.

وفي شوال وذي القعدة من هذه السنة جعلت تتوافد قوافل حجاج بيت الله الحرام على مكة المكرمة والمدينة المنورة بأمن وطمأنينة بعد تولي من الحكومة السعودية، كما أن الحكومة جادة في جلب وسائل الراحة للحجاج والمعتمرين في

جعل دورات مياه في المشاعر وأنوار كهربائية، وتوفير أرزاق وفواكه وثلوج، وغير ذلك بما يعود بالمصلحة على الحجاج والمسلمين.

إن بطش ربك لشديد

زلزال شديد يصيب إيران عام ١٤١٠هـ، ففي صباح اليوم ٢٨ من ذي القعدة الموافق ليوم الخميس أصيب شمال غربي إيران بزلزال كانت ضحاياه ثلاثين ألف قتيل ومائة ألف جريح، لذلك قام رجال الإنقاذ هناك بانتشال جثث القتلى، وحدث لذلك انزعاج في إيران وبعثوا يطلبون الإغاثة من جميع المسلمين، وكانت الضربة قاسية جداً بحيث شرد مئات الآلاف، أذاعت بذلك الحكومة الإيرانية وذكرت أن ٢٥٢٤١ قتيلاً من إقليم جيلان، و٣٧٠٩ من إقليم زانجان وكلهم لقوا حتفهم من جراء تلك الحادثة التي تعد أعظم زلزال يكون، مدوا أيديهم يطلبون التبرعات ما عدا إسرائيل، وسبب ذلك الزلزال فوادح من تهديم المنازل والإرجاف بالسكان وإلقاء الرعب في قلوبهم، وكان ذلك الزلزال لم ينته بصورة نهائية، وأصيبت به إيران، وقد يكون مثل هذا من آثار الذنوب والمعاصي التي تجري، ولم يغفل الله عنها.

زلزال وهزات أخرى تصيب إيران

لما كان في اليوم ١/ ١٢ أصيبت إيران أيضاً بزلزال عنيف في أذربيجان وغيرها، تكسرت منها الجبال وتهدمت الأرض من شدته وقوته، وألقيت البيوت مساوية للأرض، وتعطلت حركة الطرق، وهز الزلزال عاصمة غيلان، وما زالت جثث القتلى تنتشل حتى عجز المنقذون، وكلما وقفوا في جهة تقطعت الأرض من أسفلهم حتى عجزوا عن دفنهم فرادى ودفنوا جماعياً، ومن جهة أخرى فقد راحت جيف القتلى وخشوا من تسرب الأمراض بينهم، وقد كان يتزايد عدد القتلى في الدقيقة والثانية، فأصبحت إيران المنكوبة بحالة يرثى لها، بحيث أنه لم يمر في سالف الأيام وفيما مضى زلزال إيران أعظم من هذا الزلزال حتى بلغ في آخر يوم الاثنين

الموافق ٣ ذي الحجة عدد القتلى ثمانين ألف قتيل وثلاثمائة وخمسين ألف جريح، ومسحت البيوت على ظهر الأرض، وخرت الجبال وتكسرت من عظمة الزلزال، وشرد ثمانمائة ألف من السكان غير مواقع الهلكة، وتنجرف المياه أنهاراً على ظهر الأرض، وانقطعت المواصلات وتيارات الكهرباء، وكان حجم الخسائر البشرية والمادية من مائة وعشرين قرية انمحت عن أخرها ضخماً جداً إلى درجة أن الحكومة بقواتها تبذل قصارى جهودها ولا تستطيع أن تفعل الشيء الذي يكفل إنقاذ المصابين ومساعدة الناجين، ودعا المسؤول الإيراني جميع المواطنين في البلاد إلى التطوع لإنقاذ الجرحى، وكان من بين تلك القرى من عمهم الدمار، ولم ينج واحد منهم، وكانت الضربات تهز الإقليم وتدمر على التوالي شيئاً فشيئاً، وتداركت الزلازل وعم الخطر والهول، حتى كانت الأرض كالجحيم ولا يستطيع الدنو من مواضع الدمار أحد من الذين هبوا عن بكرة أبيهم للعلاج من الورطة.

وفيها وفاة الأمير محمد بن تركي، كان من الأسرة السعودية رحمه الله وعفا عنه فرفعت التعازي إلى الملك فهد وولي العهد ووزير الدفاع، وإلى أبنائه وعائلته.

وفيها وفاة علي بن إبراهيم بن علي الرشودي مدير عام المجاهدين، كان من جملة الذين درسوا علينا وأسرته آل علي، كما أن الفخذ الثاني ينتسبون إلى صالح، كان أبوه من زعماء مدينة بريدة، وعمه رئيس علماء القصيم فهد بن علي الرشودي، ويمتاز المتوفى بالعقل والكرم، وقد تولى سابقاً وكالة إمارة بريدة، ثم كان رئيساً في البلديات رحمه الله وعفا عنه، وكان أديباً مأمون الشر متزناً، فرفعت التعازي إلى ذويه وأقربائه، وكانت في أوائل شهر ذي الحجة من هذه السنة.

وفيها في موسم الحج يوم عرفة أصيبت بعض خيام الحجاج في منى والحجاج في الوقوف بحريقة، واستطاعت الحكومة أن تقضي عليها قبل سريان النار، وعرضت الحكومة في الحال خياماً سواها.

وفيها في موسم الحج أيضاً يوم عيد النحر وقع ارتباك شديد بين المارة في النفق المعروف بنفق المعيصم بمنى، وحارت الآراء حول أسباب ذلك، ولم تتكشف الأمور

إلى بعد ذلك، وقد عاقب الله من دبر هذه المكيدة بعقاب أليم، كما أنه قتل بعض مدبريه، وصدق الله حيث يقول: ﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الحج:٢٥]، وقامت سيارات الإسعاف تنقل المصابين إلى المستشفيات والمستوصفات، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وقد تأثرت الجهات المسؤولة عن ترتيب الحجاج وعلى رأسهم الملك فهد وولي عهده ووزير الداخلية، وكان هذا في منتصف النهار من يوم العيد.

تنبيه: قد ذكرنا فيما تقدم ما أصيبت به إيران من الزلازل العظيمة، وقد استمرت تلك الزلازل بحيث بلغت إلى يوم عيد الأضحى خمسمائة هزة، والله على كل شيء قدير، وارتفع عدد القتلى إلى مائة ألف قتيل وخمسين ألفاً، ولما عجز الأخصائيون عن ضبط العدد لضرورة الدفن الجماعي لم يتمكنوا من التوصل إلى الغرض المقصود الذي استهدفت له إيران، وكنت أظن أن الله عز وجل قد غار لحرمه الشريف وللأماكن المقدسة التي قال تعالى عنها: ﴿ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [الحج:٢٥]، لما وقع من جهال إيران عليها، وقد قام المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يبعثون المساعدات التقليدية إلى إيران، وممن بعث إليهم المساعدات الحكومة السعودية، فقد بلغت اثنتين وأربعين طائرة تحمل الأدوية والمساعدات، كما أن حكومة العراق لم يمنعها معاملة الإيرانيين لهم عن أن يبعثوا إليهم المساعدات، وبالرغم من المساعدات التي بعثتها الحكومة السعودية التي بذلت من غير عدد ولا حسبان فإنها لا تزال في غيها وشرها، وما تقوم به المسبة والمهاجمات التي ملأت الفضاء بها انتقاصاً وازدراءً للحكومة السعودية، وفي كلام الحكمة الذي ينبغي إثباته قول المتنبي:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا ... مضر كوضع السيف في موضع الندى

تنبيه: قد أشرنا إلى الكارثة التي أصيبت بها قسم من حجاج بين الله الحرام، وهي حادثة عيد الأضحى في هذه السنة، وذلك في نفق المعيصم الواقع حوالي

الحرم، فلقد أصيب حجاج بيت الله الحرام، وذلك في الساعة الرابعة غروبي من ضحى اليوم المذكور، وكانت الأزمة شديدة لم يعلم المشرفون ما سببها، فقد قيل أنه أصاب مراوح الشفط في ذلك النفق شوط كهربائي تأثرت له المراوح وفرت الخلائق هاربين من دون نظام، واصطدم الواردون بالصادرين مما سبب تلك الورطة التي شوشت على المارة فسقط أناس كانوا السبب في تضخم الواقعة فولى الناس هاربين لا يلوي أحد على أحد، ووطأ بعضهم بعضاً مما أسفر عن مأساة شنيعة، وأصبح جزء كبير قد سقطوا هلكى، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكان قد عم الهلاك من وجد فيه من أجانب وأهالي، وجاءت التعازي من كل صوب ومن كل جهة من رؤساء الدول وملوكها إلى الملك وولي العهد وإلى الشعب السعودي يواسونهم في هذا المصاب الذي لم يعهد وقوعه منذ زمن بعيد، وقد أصيب الحجاج بضربة من الشمس في أحد أيام منى عامة ١٣٧٠هـ ولكنها بسيطة إلى هذه، وكان أكثر من فقد عدد كثير من حجاج تركيا وإندونيسيا، وقد بقيت جثث القتلى في الثلاجات إذا أحب أهلوهم أن يتولوا دفنهم، وفي هذه الآونة أي بعد موسم الحج أذاعت الإذاعات عما ارتكبته حكومة إيران من قتل تسعين ألفاً من شعبها بعد مقاسات أنواع العذاب، والأشياء التي لا يمكن تصويرها، وسجن مائة ألف وأربعين ألفاً لوقاحة وسوء تصرف من تلك الحكومة.

وفيها في ١٢/٢٢ قام الرئيس السوري حافظ الأسد بزيارة رسمية لمصر وكانت هذه الزيارة لأول مرة في نشر الصلات والمودة بين الحكومتين، واستبشرت الأهالي وجميع العرب بذلك مما كان له صدى المحبة والوئام، وقد استقبل في شعب مصر استقبالاً لا يليق إلا برئيس عربي، وقامت الألوف بالتصفيق والترحيب له، ويعتبر الأسد من أكبر رؤساء العرب، نسأل الله له الهداية، هذا ولا تزال الأمة الإسلامية والعربية والعجم في نزاع واختلاف، كما أن روسيا لا تزال تكابد مشاكل وتعاني أموراً تتعلق بالمنشقين هناك.

كوارث في الفلبين

لما كان في فجر اليوم ٢١ من ذي الحجة أصيبت الفلبين بستة انفجارات اهتزت لها العاصمة مانيلا، وهزت الأبواب الأمامية لوزارة التعليم، وألحقت أضراراً بعدة سيارات متوقفة، وبمكاتب شركة الخطوط الجوية الصينية ووكالة أفيس لتأجير السيارات في وسط مانيلا، ثم أعقب ذلك زلازل أسفرت عن إصابات في النفوس والمنازل، وعدة كوارث في الثلاثة الأيام التي بعدها، وفي يوم الثلاثاء ٢٥ من ذي الحجة أصيبت الفلبين أيضاً بزلزال شديد اهتزت له العاصمة مانيلا، وهلك بسببه ألف قتيل، وعجزت فرق الإنقاذ عن انتشال الجثث، ووقعت خسائر في الأموال، وتهدمت البيوت وأصيبت الفلبيين بأنفسهم وبيوتهم وأموالهم فسبحان الله المتصرف في خلقه على وفق مراده.

وفي هذه السنة اشتدت وطأة النزاع بين العرب واليهود الصهاينة بحيث أن العرب كانوا ينتظرون بفارغ الصبر جلاء اليهود عن فلسطين لأن فلسطين بلاد عربية لأهلها العرب، إذا قد سمح ليهود روسيا السوفيتية بالهجرة إلى فلسطين، وتدفقت أعداد الألوف مهاجرين من روسيا إلى فلسطين والضفة الغربية، وقد طردوا أهالي فلسطين العرب عن أماكنهم وأجلسوا فيها اليهود المهاجرين، مما كان لذلك أسوأ وقع وأجلّ مصيبة، ولم تثمر المفاوضات، ولم تفد الشكايا التي تبعث من رئيس المنظمة الفلسطينية ومن الأهالي شيئاً، بل كانت صرخة في وادي خلى من البشر، وإذا كانت أمريكا مؤيدة لهذه الهجرة ولم يحدث منها أي ممانعة، لذلك فقد حصل اليهود على ما يريدون، واتسع الخرق على الراقع وخابت الآمال، ولم يحصل العرب على نتيجة تضمن لهم السلام، وأصبحت مسألة الشرق الأوسط ومشكلته تتطور، وبما أن العرب يعلقون آمالهم بأمريكا لأن زمام اليهود بأيديهم، وطريقة الحل عن طريق السلام يملكونها فقد خاب فيهم الظن، لأن كل رئيس من رؤسائها يمثل الذي قبله في الحفاظ على اليهود والدفاع عنهم، وبذل ما يستطاع من

تمكينهم في فلسطين، ولا ريب أنها خائنة في معاملتهم للعرب تلك المعاملة، وما أصيب العرب والمسلمون هناك، بل في كل مكان، وأعظم من هذه المصيبة قيام الصهاينة باعتقال أبناء العرب وسجنهم وتعذيبهم بضرب رؤوسهم بالحجارة وتهشيم جماجمهم وهم أحياء، وتهديم منازلهم وتشريدهم عنها وتقاعسهم عن علاج جراحهم في المستشفيات، وقد أوتي ببقية اليهود فجعلوا في مساكنهم وأجلسوا فيها، ولم يقم مجلس الأمن بما يسند إليه بل كان لا يعرف إلا اسمه، ومما يؤسف له إذاعة الملك حسين بن طلال ملك عمان والأردن أنه يتوقع وصول مليون مهاجر من يهود السوفيات خلال ثمانية عشر شهراً، ويقول: الحرب قد تندلع بسبب تزايد الهجرة إلى فلسطين، كما أن مما يؤسف له إصابة ٣٢ فلسطينياً بجروح وكسور، وتهدم قوات اليهود سبعة منازل في مدينة طولكرم وحلحول في ظرف يومين، واعتقلت ٣٧ فلسطينياً، ولا ريب أنه لا يفل الحديد إلا الحديد، والعدول إلى القوة تستدعي ثلاثة أمور:

إحداها: الاستعداد بالقوة كما أمر الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال:٦٠]، وهي اليوم الطائرات والدبابات والذخيرة، وهي القنابل الصاروخية وسائر القنابل على اختلاف أنواعها، والعبوات الناسفة والمدافع الثقيلة على دعائه لا أمل ولا أكثر بل حثنا على اتخاذ الحيطة بقوله: ﴿ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ ثم ثنى مرةً أخرى بقوله: ﴿ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ حتى قال بعض العلماء: لو قيل لوجوبه لكان وجيهاً، ثم قال تعالى: ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ﴾ [النساء:١٠٢].

الأمر الثاني: التوكل على الله وطلب النصر منه، ومحاسبة النفوس عن العوائق التي تحول بين المسلمين وبين النصر، لأن النصر ينزل من عند الله تعالى.

الأمر الثالث: ما ذكره الله بقوله: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦]، وقد حث تبارك وتعالى على الثبات وذكره تعالى في الاجتماع وتوحيد الصفوف، والتكاتف والتعاضد يحصل للمقصود وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف:٤]، وما حصل من الانهزام والفشل إلا بتفرق الكلمة والتنازع والتخاذل وإحداث نيات لا يرضاها الله ولا رسوله، ولو أن العرب صدقوا الجملة ووقفوا صفاً واحداً متماسكين متكاتفين لهزموا من أمامهم، وسيجمع الله كلمتهم إن شاء، وتتحسن نيتهم ويزول الشقاق فيما بينهم، وليعلم أن الذي أخرَّ العرب وحصد شوكتهم وأوقع الوهن في قلوبهم والرعب، ونزع هيبتهم من صدور أعدائهم هو ما ذكرنا، فلا قلةً غلبوا وذلك ما أخبر به الرسولﷺ ، فكيف ينتصروا وأوقع الله العداوة فيما بينهم، وتشتت شملهم، وأصبح غالبهم يتناحرون فيما بينهم، وشغلهم الله بأنفسهم، وأصبحت الأمم الأخرى يشمتون بهم، فهذه إيران والعراق يتقاتلون، وهذه لبنان انشقت انشقاقاً، وثارت المواضع فيها أحزاباً يتقاتلون، يكون بحيث لم يجر فيها ذلك النزاع من قديم الدهر ولا حديثه، فسمير جعجع يقاتل عوناً وحزب أمل يقاتل حزب الله الذي سمى نفسه بذلك، وهو التابع لإيران، كما أن الأول تابع لحكومة سوريا، وأصبحت لبنان مسرحاً للقيل والقال والزعازع، وعجزت الأمة عن تسكين تلك الثوائر، كما أن اليهود استولوا على جنوب لبنان وأصبحوا يتقاتلون مع الأهالي والفلسطينيين، وفي ذلك عبرةً لمن يخشى، ولم تجر تلك المذابح في قديم الدهر ولا حديثه، ويمكن أنه لو سكنت تلك الفتن والمحن لما عاد لبنان على وضعه إلى بعد مضي عشرين سنة، أما عن فلسطين وما أصيبت به من الهلاك والدمار فقد التهبت أراضيها ثأراً وعذاباً بين اليهود وشباب فلسطين، وكانت اليهود تستخدم عليهم الأسلحة النارية، ولم تتورع عن قتل النساء والأطفال الذين لا ذنب لهم، وقامت بهدم المنازل وتشريد السكان، وتطردهم عن مساكنهم كما قدمنا، ولم ترع كبير ولا صغير، وآخر شيء أن

أجلوهم عن الشام جملةً إلا من شاء الله كما جرى في إخراجهم من لبنان إلى المغرب، وإن كان بالإمكان أن يربوا بأنفسهم عن تلك الأعمال الوحشية التي استهدفت لها الأطفال والنساء والعجزة، كما أن هدم بيوت الفلسطينيين وطردهم منها أمر تشمئز منه القلوب، وتنكره الفطر السليمة والعقول المستقيمة، ويقابلهم شباب فلسطين البؤساء الذين لا يملكون من السلاح سوى الحجارة والزجاجات الحارقة، وإشعال إطارات السيارات في طرق اليهود، ثم يقابلهم اليهود مما لديهم من الأسلحة النارية مما بين قتيل وبين جريح وهم وإن كانوا بهذا الوضع ويخسرون يومياً قتلى وجرحى، فهم يواصلون أعمالهم بنشاط وقوة عزيمة، وكانوا يعذبون شباب هذه الانتفاضة بأنواع التعذيب تارةً بضرب رؤوسهم وتكسير جماجمهم، وتارةً بقطع أيديهم، كل ذلك لأجل أن ينتهوا ويخضعوا للاستعمار اليهودي وتعسفاتهم، ويكفوا عن انتفاضتهم، وبما أن العرب وغير العرب اعترفوا بالدولة الفلسطينية وأنشئوا لها سفارات في ممالكهم فقد بلغ الأمر حده بالفلسطينيين إلى غاية هذه السنة العاشرة من القرن الخامس عشر وهم يكابدون مرارة الحياة، وكانت العرب تمدهم بالمجال وتشجعهم في تحرير بلادهم وتخليصها من براثن أولئك الغزاة الذين فقدوا دينهم وإنسانيتهم، هذا الذي تستطيعه العرب وسائر المسلمين بعد جهاد مرير وحروب مع اليهود لم يستطيعوا إحراز النصر فيها، ومما ينبغي أن يعلم أن العدو بهذا الوضع يستطيع أن يسحق أهالي فلسطين ويمحقهم بيوم أو بعض يوم، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها، ولكن مراعاة للمسؤولية وما تتلقاه اليهود من تعليمات من أسيادهم الأمريكيين يعاملون أهالي فلسطين بتلك المعاملة، يريدون بها أن يكونوا دائماً خاضعين لسيطرتهم، فقد بلغت مشكلة فلسطين أربعاً وخمسين سنة وهي بهذا الوضع لا تزداد إلا توتراً، وأصبح المسجد الأقصى أولى القبلتين مهدداً من أخطار اليهود، وبما أن الداعمين لليهود حكومات لا يستهان بها فأمريكا وفرنسا وبريطانيا والروس تطالع عن كثب، قد أنزلوهم بفلسطين بين العرب وفي وسط

بلاد العرب بموضع خصب طيب التربة عذب الماء وتأتيهم الإمدادات من هذه الدول، ولا سيما أمريكا التي تدفق إمداداتها بالمليارات وتزودهم بالأسلحة الحديثة ليقووا معنوياتهم، ويثبتوا مراكزهم، فقد أصبحت دولة إسرائيل لا يستهان بها عاصمتها تل أبيب، ويفكرون بأن يجعلوا العاصمة القدس، وجعلوا يتوسعون ويخضعون كل من تحرش بهم، ويتهددون ويتوعدون بنشر سلطانهم على نيلها وفراتها، واستطاعوا أن ينشئوا معامل ومصانع للأسلحة والذخيرة، وقد شاع بين الأمة أنهم يملكون قدراً لا يستهان به من القنابل الذرية، وكان العرب ينتظرون بفارغ الصبر الفرج من الله حيث عدموا صلاح الدين الأيوبي، والمعتصم بن هارون الرشيد، ولعل الله أن يحقق النصر كما ورد في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تقوم الساعة حتى يتقاتل المسلمون واليهود، حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود، ولن يخلف الله وعده، وما زال المسلمون بعدما مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ينادون متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب.

ذكر عجائب وغرائب من العالم

لما أن كان من الأول اليوم من شهر محرم افتتاح عام ١٤٠٠هـ شاهد الحجر الأسود والكعبة، البيت الحرام المعظمة منكراً من القول، واستبيحت حرمة مكة التي حرمها الله يوم خلق السماوات والأرض ولم يحرمها الخلق بل حرمها الخالق جل وعلى، فلا يحل سفك الدماء فيها ولا يعضد شجرها وإنما أباحها لله لنبيه ساعة من النهار ثم عادت حرمتها سائر الدهر كحرمتها قبل ذلك، فقد دخل المجرم جهيمان بن محمد بن سيف العتيبي وأتباعه المسجد الحرام بسلاحهم واستحلوا حرمة الله في وقت صلاة الفجر واستولوا على المكرفون ومكبر الصوت، وأخذوا يذيعون شرهم وبلائهم، وأغلقوا الأبواب، وحصروا المسلمين في المسجد الحرام، وألقوا الرعب في

قلوبهم وأخافوهم، ولم يرعوا لله حرمة ولا لرسوله ولا للكعبة المعظمة، واستهدف جميع من في المسجد الحرام للقتل لولا أن الله سلم، لأنهم كانوا يريدون رجال الحكومة، وكان أولئك الخوارج قد اتخذوا المسجد الحرام قلعة لهم يقاتلون فيه ويطلقون النار يمنةً ويسرةً، فأصيب جميع المحاصرين من رجال الحكومة، وتعطلت صلاة الجماعة في المسجد الحرام سبعة عشر يوماً، وبعد إطفاء هذه الفتنة والقضاء عليها بعدما أصيبت المصاحف التي لم يقل عددها عن أعداد الملايين، واتخذ أولئك الأشقياء فرش المسجد الحرام وسجاجيده متاريس لهم ينصبوها ويعاملون من خلفها، كان سوء الحظ أن خلع شاه إيران الذي كان ممسكاً بزمام أمته استولى الخميني عام ١٣٩٩هـ، وبولايته قام أهالي إيران بمفاسد كثيرة ضد السعودية في مواسم الحج يشيعون حرائق، ويكدرون صفاء جو الأمن خفيةً، وكانت الحكومة تطالع عن كثب وترصد حركاتهم وسكناتهم، وفي عام ١٤٠٦هـ تكشفت نواياهم السيئة وما كانوا يبيتونه من الأذى للمسلمين في مجتمعاتهم في الأماكن المقدسة، وكانت هذه هي الطريقة التي يعاملون بها الإسلام وأهله من إلقاهم النجاسات في صحن المطاف وفي الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض بخفية، وحينما تولى آية الله الخميني كان يرسل شياطينه متذرعين بالحج وهم بخلاف ذلك، ففي السنة المذكورة ألقي القبض على حقائب يحملها حجاجهم ولا يعلمون ما فيها، يحمل في طياتها أنواع العبوات والمتفجرات بحيث إذا قدم بها أولئك كملبوسات يستلمها بعد قدومهم مكة المكرمة رجال قد كلفوا بتركيبها وتفجيرها من قبل شيطان إيران، غير أن الحكومة استطاعت القبض عليها في تلك السنة، ولو أنها استُعمِلتْ لنسفت الجسور ودمرت جزءاً كبيراً من الحجاج الذين قدموا بظل الحكومة السعودية، ولكن ما بصنع هؤلاء المخربين وقد قدمنا ذلك في سني هذا التاريخ، عبث في الأمن، وأذى لحجاج بيت الله الحرام، وانتهاك لحرمة الإسلام.

لما كان في موسم الحج عام ١٤٠٧هـ جرت فعلة لم تجرِ في قديم الدهر ولا في حديثه، ولم يفعلها اليهود ولا النصارى ولا المجوس، ولا عبدة الشمس ولا

الكواكب، ولا دهرية الشيوعيين، بحيث سطا حجاج إيران بمظاهرات عنيفة يحملون صور الخميني على رؤوسهم وصدورهم، يحملون ما استطاعوا حمله من السكاكين والمقاريض والفؤوس التي اشتروها بدعوى تكسير وتقطيع لحوم الهدي والأضاحي وهم بخلاف ذلك، وأوقعوا بالمسلمين وقيعة كانت من أسوأ الوقعات، وهجموا على المسلمين والحجاج في حال ازدحامهم أمام الحجر الأسود وأمام جدر الكعبة المشرفة، وقيل أنه عثر على أناس إيرانيين يريدون هدم الكعبة، واقتحم أناس منهم يريدون فتح الكعبة بالقوة، ولكن الحكومة ردتهم خاسئين، وكان وقوع ذلك في ١٦/ ١٢ كما قدمنا، واقتحامهم لفتح الكعبة في ١٣/ ١٢، وكانت الحكومة تؤثر عدم تكشف أحوالهم، ولكن إشعال النيران أمام الحجاج، وحيلولتهم لحجاج بيت الله أثار غضب السعودية، فأبرزوا شيئاً من أعمالهم ونشروها لأعين البشر، وأمام العالم الإسلامي ولا سيما العبوات التي أرادوا تفجيرها لولا أن الله سلم، وفي المدينة المنورة فعلوا مثل ذلك وأخافوا حرم المصطفى، وروعوا أهالي المدينة المنورة وسكانها، وقد قال النبي ﷺ : «لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء» رواه البخاري، وفي رواية لمسلم: «لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء»، وقال ﷺ : «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرف ولا عدل».

وفي عام ١٤٠٩هـ في موسم الحج مساء يوم الاثنين ٧/ ١٢ ليلة التروية انفجرت قنبلتان في الجسر أمام باب السلام من جنوب وأبواب المسجد الحرام هدتا الجسر وقتلت أفراد مما كان له أثر سيئ، وأثار العالم الإسلامي، وقد أعدم القائمون بتلك المتفجرات، وكل هذه الإفسادات التي جرت لم يعهد مثلها في قديم الدهر ولا في حديثه، ولقد كان لأثار الأنبياء والأماكن المقدسة حرمتها بين الأمة في الجاهلية والإسلام، ومما يؤسف له قتل السفير السعودي في إيران، وهو الرجل البريء الذي لم يظلم أحداً ولم يتطرق لشيء من السياسة، وقد

قدمنا ذلك بما أغنى عن إعادته هنا، وبالرغم من ذلك ونشر الفوضى والإفساد في الأماكن المقدسة تشيع إيران بعد بعثها المفسدين والمخربين، وإجراء تلك الفوضى، وتدق أبواقها وتنشر إذاعاتها بأن السعودية عجزت عن أن تؤمن الأماكن المقدسة فأصبحت هذه الأفاعيل تسعى بحيلة شيطانية، بل تعجز الشياطين عن تلك الحيل السخيفة التي يموهون بها ظلمهم كما قيل.

وكنت أمرؤٍ من جند إبليس فارتقى... بي الحال حتى صار إبليس من جندي، والمقصود من ذلك وقوع تلك الأفعال الشنيعة في أطهر البقاع على وجه الأرض بمشيئة الله الكونية القدرية إلا الشرعية وحصولها في أوائل القرن الخامس عشر، وبما أن الله عز وجل رمى أولئك الذين تمردوا على ربهم وسعوا في هتك حرماته في أفضل أيام الله أمام بيت الله، وفي وسط حرمه بعقوبة قد أحاطت بهم في ديارهم وفي عقر دارهم فإنهم لم يتفطنوا، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون، فنعوذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفيها في اليوم ٢٩/ ١٢ وفاة الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري في جدة رحمه الله وتجاوز عنه عن عمر يناهز الخامسة والسبعين، وكان قد لبث في تلك الإمارة مدة طويلة، وقام بواجبه، ولما أن توفاه الله تعالى حزنت الحكومة.

وفيها قامت فئة من الأفيال المتوحشة في بنجلادش ـ المنفصلة عن باكستان ـ أصابها هياج أدى إلى مصرع ثمانية وعشرين شخصاً وتدمير أربع قرى، وهذه الفيلة قطعان نزلت في الفلاة وهدمت الأكواخ واقتلعت المحاصيل، وقد لقي عدد من المزارعين مصرعهم تحت أقدام الفيلة المتوحشة أثناء محاولتهم الفرار، وقد قتلت ما يزيد عن خمسة وستين شخصاً في إقليم ذل شينياجو جونج خلال العام الحالي.

وفيها في ٢٦/ ١٢ وفاة الشاعر الأديب الذكي الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين بمكة المكرمة عن عمر يناهز التسعين، ولد في مدينة بريدة وأخذ عن الشيخ الفاضل عمر بن محمد بن سليم، ثم إنه ذهب إلى العراق والشام وأخذ عن علمائها، ثم رجع إلى مدينة بريدة فاستقر فيها، وكان يأكل من عمل يده، وفي عام

١٣٥٥هـ ذهب إلى مكة المكرمة وكانت الحكومة رأت أن تجري له مساعدة من بيت المال والأفعال في وزارة الحج والأوقاف وظيفة، وقد خلف مكتبة كبرى.

وختمت هذه السنة بزعازع وقلاقل من الفوضى في لبنان وفلسطين، كما أن روسيا حصل فيها انشقاق وقامت بعض الأقاليم تطالب الاستقلال فيها، ولما سحبت روسيا جنودها من أوربا الشرقية، كانوا حوالي ٧٥ ألفاً من أفراد وحدات الجيش السوفياتية التي انسحبت من أوربا الشرقية، ومن بينهم خمسة وعشرون ألف ضابط، وضابط صف هم الآن دون مسكن، وقالت صحيفة روسية إن جيشنا لا يواجه مشاكل أخطر من التي يطرحها الانسحاب من أوربا الشرقية وإسكان ١٢٣ ألف رجل وأكثر من مائة ألف من أفراد عائلات الضباط وضباط الصف، كما أن سائر الخلائق في السودان والهند وسواها في بلاء وشر مستطير، أضف إلى ذلك أفغانستان في جهادها ضد الروس، وقد كثرت الانقلابات والله المستعان وعليه التكلان.

ثم دخلت سنة ١٤١١هـ

استهلت هذه السنة والعمال يداومون في أعمالهم المتواصلة في توسعة الحرمين الشريفين المكي والمدني، والإصلاحات في سائر المملكة، وعمال مصلحة المياه وتحليتها من مرارة البحور إلى تحلية فنية لنشرها في سائر المملكة ليتمتعوا في هذا المشروع، وقد أسست الخزانات الواسعة لهذه المهمة.

وفيها أقرَّ الملك فهد ببناية خمسين مسجداً في باكستان تقوية للجانب الإسلامي، ووزعت عشرات الملايين من المصحف الشريف في أقطار الأرض.

هجوم على الكويت

ففيها في ليلة الخميس حادي عشر محرم زحفت العراق وهجمت بدباباتها ومدافعها على الكويت، فاستولت عليها بالقوة من دون سابق إنذار وأعلنوا أنهم جاءوا لنصرة الأمير جابر الأحمد الذي عزم شعبه على خلعه متظاهرين بهذا الكذب، وذلك وقت طلوع الفجر، وكانوا يريدون القبض على الأمير، غير أنه سبقهم النذير إليه فالتجأ الصباح إلى السعودية ثم أغلقت الكويت وعاثت الجنود فيها فساداً، وانقطعت المواصلات بينها وبين الأمة فلم يبقَ إلا إذاعة في سيارة جعلت تستغيث حتى خمدت، ولما أقبلت المدافع ذوات الجنزير جعلت تضرب مصوبةً إلى الكويت ثم استولت تلك الجنود الراجفة على القصر الملكي والدوائر الحكومية، وتمركزت فيها بعدما دافع أخو الأمير فهد بن أحمد ثم قتل وفرَّ من استطاع الفرار، ولما أن جرت هذه القارعة جاءت حاملات الطائرات الأمريكية متحركة لصد هذا الاعتداء، ولكنها ذكرت أنها لا تتدخل عسكرياً في الموضوع، وهذه حالة يؤسف لها، وقد طلب بعض ذوي الآراء أن لا يجري قتال أو أي حركة حتى تعالج الموقف بطريقة سلمية ما دام أن في القوس منزعاً، ولا ريب أن هذه الكارثة شنيعة جداً، وقامت الإذاعات تنشر هذه الواقعة، وطلب الرئيس السوري حافظ الأسد عقد مجلس قمة لهذه المهمة، وكانت الأخبار منصرفة طوال اليوم في هذا الحدث الذي غير وجه التاريخ، وقامت الجامعة العربية توالي اهتمامها في الموضوع، وأكدت الكويت محتجة على العرب أنها لا تزال في القيام مع العرب ضد كل ثائر عليها، وأنه لا يمكن تصور هذا العمل الإجرامي دون صدى هذه الحادثة الغريبة والكارثة العجيبة في جميع أقطار العالم مستنكرين لذلك، وقد عقد مجلس في القاهرة حضره مندوبون من جهة الحكومات العربية، وحصلت مقاومة في الكويت، وقتل أخو أمير الكويت لما قام لصد الهجوم على قصر دسمان في الكويت وارتفعت أسعار النفط إلى ثلاثة وعشرين دولاراً، وقد

قامت العراق بتحصين مواقعها استعداداً للحرب، وجعلت الطائرات على استعداد للحرب، وكان قصد العراق انتهاب أراضي واسعة من الكويت، هذا وقد ضجت الأمة من فعل العراق مستنكرةً لذلك ولا سيما الرئيس جورج بوش، وأكدت انسحاب العراق فوراً ودون قيد أو شرط، فالذين قضوا نحبهم من قصف المدافع والطائرات فيقدرون بمائتي شخص وعشرة أشخاص من بينهم أخو الأمير فهد الأحمد، وقد جعلت حكومة العراق حكومة في الكويت مؤقتة بعدما أطيح بالحكم السابق، وسنعود عن قريب.

وفي عاشر محرم وردت واردات مشروع توسعة الحرمين الشريفين من الرخام الإيطالية والمرمر وكان قيمتها سبعمائة مليون ريال، وقد اشتدت الوطأة على جنوب لبنان وانفجر لغم شديد الانفجار بحيث سقط من جراء ذلك سبعون ما بين قتيل وجريح، أما عن أهالي فلسطين فإنها تلاحقهم قوات الاحتلال يطلقون عليهم النار بجميع العيارات النارية فما بين قتيل وما بين جريح، وكل يوم يخسرون عشرات من القتلى والجرحى، وربما حالت جنود الاحتلال بين المصلين وبين المسجد الأقصى، ولقد استهدفت المسجد الأقصى لأذى اليهود وأصبح مهدداً من قوارعه وأذاهم، وفي كل يوم تحدث زعازع وتخويفات منذرة بالشر والويلات، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم إن كانت قوى أهل الإسلام أصبحت عاجزة عن ردع من منعوا رفعته وأن نذكر فيه اسمك، فأنت القوي وهم الضعفاء، أنزل نصراً من نصرك وتأييداً من تأييدك على أربابه، يا قوي السلطان، ويا عالي المكان، وكانت الواقعة في إقليم التفاح تجلت عن ٨٧ جثة انتشلها الصليب الأحمر.

عودة على بدا لما أن هجم العراق على الكويت بثلاثمائة وأربعين طائرة تأزم الموقف وفرَّ من استطاع الفرار من الأهالي إلى الحفر في السعودية، وبلغ عدد القتلى في اليوم الثاني من الواقعة ٥٠٠ قتيل و٦٠٠ جـريح، وقد قام المتبقون من الأهالي يدافعون بحسب قدرتهم، وجرت فوضى في الكويت وأغلقت أبواب

الكويت وانقطعت المواصلات بينها وبين ما سواها، وأصبحت الأمور هائجة مائجة تنذر بشرها وويلاتها، وترمي بشرورها، وأحاط الجيش العراقي بالكويت على بعد ألف متر وخمسمائة أمتار من الحدود السعودية، وأصبح أهل العراق يعيثون فساداً في مملكة مستقلة هجموا عليها واستولوا عليها بظرف ثمان ساعات من الزمن بحيث لم يجدوا ناهياً ولا مجلس أمن، ينتهبون أموال الكويت، ويهدمون ويفسدون، ويهدد الرئيس صدام بأنه إذا ما قام تدخل من أمراء الخليج أو غيرهم فإنه سيفجر آبار البترول بنار تحرق الأخضر واليابس، وهدد السعودية بأن إذا ما تدخلت فإنه سيضرب آبار البترول ويجعل الكويت مقبرة لأهل الخليج، ولما بادرت الرؤساء والملوك إلى عقد مؤتمر في مدينة جدة لم يحضر وفشل ذلك المؤتمر قبل انعقاده لأن الرئيس العراقي كان على أتم استعداد للحضور ولكنه رفض، وقد فرضت جميع الدول عقوبات على العراق كعدم تصدير بترول العراق والكويت وعدم التعامل معها مقابل ذلك العمل الإجرامي، وفكرت بريطانيا والولايات المتحدة بتوجيه ضربة قاسية على العراق لكنها تريد البواخر الأجنبية أن تتحرك إلى مياه الخليج، ولكن أمراء العرب وحكامها طلبوا عدم التدخل الأجنبي ولعل أن تنحل المشكلة من دون تدخل أجنبي، وكان الرئيس المصري حسني مبارك أعظم قائم بالاستنكار لهذا الموضوع، وأكدت بريطانيا بانسحاب العراق ووضع عقوبات عليه، كما أن حكومة السوفييت قامت باستنكار ذلك وأوقفت الأسلحة عن العراق، وأصبح غالب أهل الكويت لاجئين إلى السعودية في الرياض وبريدة وجدة، وأقامت حكومة جديدة أجنبية على وفق مرادها، ولكن جميع الدول لا يزالون يعتبرون إمارة جابر بن أحمد هي الحكومة الشرعية ولا يعترفون بالحكومة الجديدة، أما عن الأمير القديم فإنه لا يزال يتقلب في أمريكا وغيرها ويطالب مجلس الأمن بطرد القوات العراقية التي غزت بلاده وانتهكت حرمتها بهذا الوضع، ويلقي لأئمته على حكومة عربية شقيقة مجاورة تفعل تلك الأفاعيل الشنيعة وتغزو جارتها، وقد استمرت الأحوال هائجة مائجة، وقد قدم الرئيس اليمني علي عبدالله

ليوم الأربعاء جاءت قوات أمريكية أبحرت البواخر والأساطيل البحرية في مياه الخليج تحمل الأسلحة والإمدادات لنصرة العرب في الخليج وحفاظاً على بقية الأمة هناك، وجعلت تلك الأساطيل الأجنبية تفرغ حمولتها استعداداً لنصرة العرب وإنقاذهم من تلك الورطة التي قام بها الرئيس العراقي، وكان من أفعال تلك الأيدي الجائرة إخراج المرضى من المستشفى وهدمه وإحراق جميع السيارات وتدميرها من المعارض، وما وقعت أيديهم عليه، ووقفت الدبابات والمدافع الضخمة في شوارع الكويت ولا تخشى أحداً، وبلغت الأمور ذروتها حتى آخر اليوم السابع من تلك الجريمة، ولم ينبض العرب شفة سوى الكلام لا غير، ومن العجائب ذل أنزله الله في قلوب العرب، وخوف فلم يتقدم أحد لمقاومة تلك الفتنة العمياء، ولم تعمل الجامعة العربية نحو تلك الواقعة شيئاً، بل ولم يقم مجلس التعاون الخليجي بشيء من الكفاح أو صد هذا الغزو المرير، حتى غاية الساعة الثانية من غروب الشمس ليلة الخميس ١٨ محرم، ولقد ازدحمت الطرق في المملكة العربية السعودية لما لجأوا إليها، وسمح جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة السعودية لهم بذلك جزاه الله خيراً لأنه لو لم يفعل ذلك لكان مئالهم إلى الهلاك والخمود، وذلك في إطار العطف والرحمة لمملكة استلبت واستولى عليها العدو بقوته وسلبه، وقد انتهب الطاغية أموال أهل الكويت، وقام يذيع بأنه فعل ذلك رحمةً بالكويت وإخراجاً لهم من قيود العبودية التي كانوا منذ زمن يعيشونها في حكم آل صباح، وذكر أن آل صباح كانوا فجرة فساقاً خونة، وأن الله بعثه في احتلال الكويت ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ولو كان صادقاً فيما ادعاه بإذاعاته وأبواقه أنه يريد الخير لهم وأن يسيروا أحراراً بزعمه متخلصين من حكومة الصباح لما فعل بهم تلك الأفعال من التقتيل والنهب والسلب وإباحة الكويت للجنود العراقيين يفعلون بهم ما يشاءون، ويحكمون فيهم بما يريدون، فلقد كانت وما زال آل صباح الذين عاشوا في حكمهم وقتاً طويلاً مستريحين، وفي ظلهم الوارف خيراً من جنته التي أشرنا إليها، ولقد كان أهل الكويت ينادون لما تخلصوا من

صالح إلى القاهرة للبحث في الموضوع، وآخر ذلك أن انقطعت الأخبار جملةً عن الكويت وصارت في عالم الخفاء، وذكر الرئيس الأمريكي جورج بوش بأن العراق إن اعتدت على السعودية أو الأردن فإنها ستتدخل عسكرياً، وكان صدام ينفي نفياً تاماً أن يكون اقترب من السعودية أو حدودها.

وفيها في ١٣ محرم وقع زلزال في حوالي روسيا انهد له منازل، كما أنه في ذلك اليوم تنازل ميخائيل غوربتشوف عن رئاسة الشيوعية هناك، ولما أن كان في اليوم الخامس عشر من محرم امتلأت البلاد السعودية بسكان الكويت الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم وأوذوا، وانتهبت أموالهم، وحرقت سياراتهم، وأصبحوا عالة فقراء لا يملكون شيئاً مشردين مشتتاً شملهم نساءاً وأطفالاً يلتجئون على الورش وأكواخ خيام أشبه بها زرايب الحيوانات، يستظلون بها بعد المراوح والمكيفات بحالة يرثى لها، وإن المدعو صدام حسين المغرور قد ارتكب أكبر الجرائم في معاملته لأهل الكويت البؤساء الذين لم يظلموا، وكانت تلك الفعلة الشنعاء لم يفعلها اليهود ولا النصارى ولا الذين أشركوا، لأن لا ذنب لهم يستحقون ما فعله بهم، وكانت الأسرة إذا رأوا كراج أو صاحب بيت يريد الخروج أو الذهاب لزيارة أو سياحة في حفر الباطن والدمام وغيرها يسقطون أمامه يسترحمونه لعله أن يسمح بسكنى إلى أن يأذن الله له بفرج أو مخرج، وقد امتلأت المساجد والمدارس بهم، وقد حدثني بعض من أثق به أن الأمة المقيمين في الكويت لما وجدوا سبيلاً للفرار حفاظاً على أعراضهم سحبوا أطفالهم من فرشهم نائمين وهربوا ولم يكن في جيوبهم ما يؤمن قيمة المحروقات للسيارات التي تحملهم إلى السعودية، وإن أسرة تعطلت سيارتهم بالدمام فبعثوا إلى أقربائهم في مدينة بريدة ليوافوهم بسيارة تؤمنهم في مسيرهم إلى مدينة بريدة، وأعلن البقية الذين تخلفوا بالكويت أنهم لا يستطيعون البقاء على قيد الحياة سوى أسبوع واحد لأن المحلات التجارية والبقالات قد انتهبت، ولم يبقَ لديهم من القوت سوى ما يؤمنهم أسبوعاً لا غير.

ولما كان في صباح السابع عشر من شهر محرم الموافق أغسطس ١٩٩٠م الموافق

جراء فعلته المشؤومة وتنفسوا الصعداء فارين مما وجدوا إلى الفلوات والبراري ينادون بأنهم صافون تحت راية أميرهم جابر الأحمد، ويقدرونه بأنفسهم وأموالهم، ولما أن أبحرت البواخر ونزلت الأسطولات البحرية أشار بأنه علم أن العراق استهدفت للسحق والدمار، فأوعز إلى الرئيس المصري حسني مبارك يطلب عقد مجلس قمة بعدما كان لم يخضع للعرب ولا إلى مؤتمراتهم، فأجابت العرب بأن الباب لايزال مفتوحاً بشرط أن ينزل على أوامر مجلس الأمن وقيوده، وهي انسحابه جملةً من الكويت، وأن يرجع إلى صباح إمارتهم، وتلغى إمارته التعسفية المختلقة، وأن لا يعود إلى مثل أفعاله العجيبة المتقدمة، وأن تكون أمريكا هي الكفيلة بأمن الخليج عن مثل اعتداءاته على جيرانه وهتكه الأمن وأذيته للعرب والمسلمين، ولما أن خرج أهالي الكويت من بلدهم بحالة يرثى لهم، انتهبت سياراتهم الثمينة، وخرج الذين تخلصوا من جراء تلك المحن العمياء على سيارات هزيلة، وأغلقت في وجوههم الطرق الرئيسية ليسيروا عبر الصحراء، وطرق غير معبدة علهم يهلكون، ولم تكتف أفراد القوات العراقية بما حصل بل رصدوا لهم في الطرق يلاحقونهم ويسلبون ما على النساء من الحلي، وأخذ ما بأيديهم من نفقة، فانتهبوها وهتكوا أعراض النساء، ومما يؤسف له قصة سأرويها عن كويتي فرَّ هارباً بعائلته المكونة من زوجته وأربع بنات، فاعترض له عراقي وأوقفه واختار إحدى البنيات ليعتدي عليها أمام والدها بالقوة، وصوب إليهم الرشاش فخوفه بالله وعقوباته، وقال له: خذ ما بأيدينا، وإن شئت فخذ السيارة ودعنا نهلك فالنار ولا العار، فصمم على ما يريد، فاستسلم المسكين وقال: خذ الفتاة واقض شهوتك منها بمكان بعيد وأت بها بعدما تنتهي منها، فأخذها ولم يرجع بها، ولما لحقه يطلبه أن يرجع بالفتاة أبى وقال: سأعدمكم جميعاً إن لم تتركوها لي، وكان إذا جلس يرى عليه آثار البؤس ثم يغشى عليه، فإذا أفاق بعدما استراح في السعودية سألوه عن نكبته التي تركته على هذه الحالة، يروي لهم القصة فنعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

فصل

فلنرجع إلى ما نحن في صدده من الأمور التي تشمئز منها قلوب المؤمنين وتنكرها فطر العالمين من هتك الحكومة الكويتية، والعبث بأموالهم وأعراضهم، وهدم مساكنهم، وطردهم من ديارهم، وإخراجهم منها، بل هدموا جزءاً من المساجد التي هي بيوت الله، ولما أن جرى ذلك من رئيس العراق زاد الطين بلة أن قام المنافقون الذين في قلوبهم مرض ويتربصون الدوائر بالحكومة السعودية، وهم حسين ملك الأردن، ورئيس اليمن الشمالية علي عبدالله صالح، وانضم إلى العراق وذلك لما كان يسول لهم ويملي لهم الرئيس العراقي بأنها حانت الفرصة لما كانوا يريدون، وينتظرون هذا يريد الحجاز وذاك يريد ضم عسير إليه، وجعل رئيس الفتنة ينادي جميع العرب للانضمام إليه، وأنه قام لحماية الحرمين الكعبة المشرفة وقبر رسول الله ﷺ من الصليبيين الذين استقدمتهم السعودية بزعمه، ولكنه خاب فلم يستجب له أحد لعلمهم بأنه كذاب، بل أنه لما قام باحتلال الكويت تظاهر بأنه لا يريد الكويت بل يريد المملكة العربية السعودية ودول الخليج كعمان وأبو ظبي والبحرين وقطر والإمارات هناك، ومن العجائب انخداع الأردن له وهي التي كانت السعودية ترضعها بلبانها وتمد مليكها بمئات الملايين، كما أن اليمن الشمالي تتمتع بالنعيم والترف من مساعدات السعودية، فقد بنت لهم المدارس، وجلبت إليها المدرسين السعوديين وغير السعوديين، ومهدت طرقهم وجعلت لديهم المستشفيات والمستوصفات، ولكن من كلام الحكمة «أتق شر من تحسن إليه» وكانوا لا يفهمون من ذلك حكومةً وشعباً، إلا أن السعودية خائفة منهم ببذلها لهم الأموال من دون حسبان، أمور مضحكة، ونتائج مؤسفة تبكي العاقل ويضحك السفيه لها، أما ما كان من مجلس التعاون الخليجي فإنه مفكك وفرَّ كلُ ناجياً بنفسه لما دهاهم من شدة الهول والذهول، ولم يسفر ذلك المجلس عن شيء، بل فشل وأصبحت وحدة العرب كما أعرب عنها الرئيس المصري حسني مبارك ووصفها بأنها كالطقس لا

يثبت على حالة، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وما زالت الطائرات الأمريكية متماسكة أسرابها في الجو، والأساطيل البحرية تفرغ حمولتها في مياه الخليج، حتى سكنت المتحركات، ولمصر فضل كبير في مساعدة السعودية، فقد جاءت قواتها زاحفة، وأصبحت جيوشها إلى جانب الجبهة السعودية باذلةً أقصى جهودها في هذا السبيل منذرةً ومحذرةً رئيس العراق بأن يتراجع عما هو عليه من الغي قبل أن لا يمكن الوقت، وأنزلت بريطانيا قواتها إلى جانب الجبهة السعودية وكان من أكبر ما يهم الدولتين الكبيرتين، وطرد رجال من رعايا هم جلبهم الخائن من الكويت وجعلهم في المواضع الحساسة من العراق لتلقي بهم بالضربة المنتظرة، وليكونوا وقاية دونه وطلب من جميع سفراء الدول أن يحضروا في العراق، أي الذين في حكومة الكويت، فمانعت من ذلك حكوماتهم وأن لا يخرجوا من الكويت، وكان قصده بذلك أمرين أحدهما أنه ضم بزعمه الكويت فتكون الكويت على ما يتصوره قرية من قرى العراق، والثاني بأن يحترم العراق إذا ما كانوا فيه عن ضربة ساحقة ماحقة، وقررت الحكومة الأمريكية على أنها يقع على رجالها وسفاراتها في الكويت والعراق مسؤولاً عنه، وفي أوائل شهر صفر جعل يستغيث بالأمم من جراء ما حصل عليه من الحصار والعقوبات الاقتصادية بأن الأطفال بالعرق مهددون بالهلاك من الجوع، ولكنهم لم يلتفتوا إليه، وأصبح كالدب المحجور عليه، أو كالفار مأواه بطن الأرض، فسبحان المتصرف في خلقه على وفق مراده، وما زالت الطائرات الأمريكية متماسكة أسرابها في جو المملكة العربية السعودية تحمل حمولاتها إلى الحدود السعودية الشمالية ليلاً ونهاراً إلى يوم الأحد ٢/١٣ من هذه السنة، ولما أن ذهب الحسين ملك عمان إلى أمريكا ليرى خليج العقبة وهو فيها، كما أنهم كشفوا له عن موضع صدام حسين الكائن في بطن الأرض، وأنهم على علم من تقلباته وحركاته، وافتتحت مكاتب التجنيد في السعودية لينخرط فيها من أراد الالتحاق بالجيش، وقام شيوخ القبائل يقدمون أنفسهم أمام مليكهم وشعبهم وأمتهم ليحموها بالنفس والنفيس، كما قامت فرق المتطوعين من سائر مدن المملكة

وقراها يتسابقون إلى الجبهة السعودية، وفي يوم الأربعاء ثاني صفر زار ولي العهد والنائب الأول رئيس الحرس الوطني الأمير عبدالله بن عبدالعزيز يصحبه أصحاب السمو الأمراء السعوديون، ووقف بنفسه يشرف على الألوية والفيالق هناك، ويحثهم على الصبر والمصابرة، وأن الله معهم، ولما كان في ١٥/ ٤ تكامل عدد الطائرات الحربية الزاحفة إلى الخليج، والتريلات الحاملة للدبابات والمدافع الثقيلة بعدما استمرت ثلاثة أشهر وخمسة أيام من أمريكا وبريطانيا ومصر وسورية، كما أن الأساطيل البحرية رست في مياه الخليج، وحاملات الطائرات وغيرها، وكانت في صف القوات السعودية، وقد اشترك في ذلك الباكستان، وزحف المتطوعون للقتال، وجاءت القوات التي قد اشتركت في الدفاع عن أفغانستان وساعدت اليابان بالحال، ولبت القبائل مجيبةً لدعوة ملك السعودية، كما أن قبائل اليمن كانت مستعدة للاشتراك في هذه الحملة على العراق، ولم يتخلف سوى حسين في عمان وحكومة اليمن اللتين كانتا مغمورتين بنعم السعودية، وفي كلام الحكمة: «اتق شر من تحسن إليه»، وقال سفيان الثوري العالم الكبير في أمة محمد ﷺ : أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام، كما أن تونس التي يرأسها زين العابدين بن علي وموريتانيا لم تشتركا في الموضوع بل كانتا في صف العراق المعتدي الخائن، ثم دعت الجيوش الإسلامية ومن انضم إليها الرئيس العراقي صدام حسين أن يفيء إلى أمر الله ويترك الأذى، ويقبل حسن التفاهم، ويميل إلى السلم، ويرجع عن غيه وضلاله، ولكنه صمم على ما هو عليه من الأذى والشقاق، ولم يقبل من أحد كائناً من كان، ولقد دعته مصر إلى أن ينزل على حكم الله ويذر ما هو عليه من الشر والأذى، فلم يقبل وأبى إلا القتال وإثارة الفتن معتمداً على ما لديه من القوة، وكان قد اختبأ في قبر من الأرض واتقى البأس بالأطفال الذين احتجزهم كرهائن لديه، ونسائهم لنعمهم معه، وهذا يدل على سخافة عقله، ولو كان شجاعاً كما يزعم لبرز في الميدان كما قيل:

تسمى فتى البطحاء حياءً وخجلةً ... وما القرن يخفى في قراع الكتائب

وكان لما رأى نفسه ومن أضلهم محصورين من الجنوب بجنود الله ومن ساعدهم من الأوفياء، ومن الشمال بإيران الدولة التي طالما أذاها وحاربها وهلك بشؤومه مليون من الأنفس البشرية، بعث إليها يقول في يد الصلح وتبادل الأسرى، ورد إليها جميع الأراضي التي اغتصبها فعبارة أنه خسر الحرب العراقية الإيرانية التي دامت ثمان سنوات، فأجابت الأخرى بأنه لا مانع من ذلك ويدها على قلبها بحيث لا تنخدع له ولا لأكاذيبه، ورجعت بذلك واستردت أراضيها، وتبادلوا الأسرى ولكنها اشترطت عليه شرطين: بأن احتلاله الكويت لا توافقه عليه، وتسخط من فعاله تلك وأن يبذل لها نفقات الحرب وخسائرها التي سببها ذلك المشؤوم، ثم بعث إليها يواسيها بالزلازل والهزات التي جرت عليها أي بعد وقوعها شهرين، ثم إنه دعا بجنوده المرابطين على حدود إيران ووجهها إلى السعودية، وكانوا ثلاثمائة ألف وخمسين ألفاً فمن عذاب إلى أكبر منه، ومن هؤلاء بعض الأسر الذين استخرجهم من سجون إيران، فما أن وصلوا إلى أهاليهم في العراق وتمتعوا برؤيتهم يوماً واحداً حتى ألزمهم بأن يحاربوا إخوانهم السعوديين ويصرفهم من حرب إخوانهم الإيرانيين إلى حرب السعوديين، وقد جرت فيه سوابق في إبادة الأكراد الضعفاء المساكين، بحيث سلّط عليهم السلاح الكيميائي وأبادهم عن أخرهم، وله بوادر شرّ أن لم يؤخذ على يديه لأنه أصبح خطراً على الأمن، وقد فرَّ من العراق وظلم صدام ألوف إلى السعودية واستجاروا إليها، وقد حدثني من حضر هجومه على الكويت من دون سابق إنذار أن المسلمين يصلّون صلاة الفجر فلم يشعروا إلى بضرب المدافع وجر الأطواب والدبابات عليها، فمنهم من فرَّ وكتبت له النجاة، وكان من الذين هجموا على الكويت يغررون ولم يعلموا الحقيقة أنهم شاب يقولون قيل لنا تعلمون مغاوره فكانوا لم يحملوا ولا ماء للشراب، بل جعلوا يطرقون بيوت المتبقين في الكويت يسألون شربة من الماء، فعبارة أعاد فعل الإفرنج والحروب الصليبية وما فعلوه

بالمسلمين في الأندلس حينما قتلوا الرجال والنساء والأطفال واستباحوا فروج النساء علناً قبّحه الله ولعنه، وإني لأعجب من الشعب العراقي وهم الرجال كيف لم يقضوا عليه، ولقد قتل ضباطاً يزيد عددهم على عشرين، ولم يتورع عن قتل زوجته التي هي فراشه بل عمتها طلقات رشاشه، وما زال كل يوم يقتل من الضباط، ومن الذين يناصحونه عن أعماله الإجرامية، وقد حاولت الأمة العراقية اغتياله مرات عديدة ليتخلصوا من شره وما جرّه عليهم وتسببه من حصار العراق والتضييق عليها.

عقد مؤتمر في القاهرة

لما كان في يوم الأحد الموافق ٢٠/٢ عقد مؤتمر كبير في القاهرة حضره ممثلو ثمانين دولة للبت في شأن العراق، واشترك في هذا اليوم الرئيسان للدولتين العظيمين ميخائيل غوربتشوف وجورج بوش، وكانت أول جلسة استغرقت خمس ساعات درسوا الموضوع وقرروا مصير العراق، ومع كل من هذه الإجراءات وحصار العراق فإن طاغية العراق لا يزال في غيّه وضلاله ويهاجم الملك السعودي بأنواع القذف والشتائم، وقد عجّت الخطباء في الجمع ضد صدام وأظهروا عيوبه وما فعله وما ينطوي عليه، وقنت أئمة الحرمين في صلاة الفجر لهذه النازلة، وبما أنه لجأ إلى إيران لتناصره وهي العدو لعله يستجلب رضاها والميل إليه، فإنها لم تنخدع له بمعرفتها لخبثه وخيانته، وإذا كانت معاملته للسعودية التي شدت عضده وأنقذته في ورطته تلك المعاملة البشعة التي لا تصدر من رجل شريف يؤمن بالله واليوم الآخر، فحري بأن لا يركن إليه ولا يوثق به ولا بدينه ولا أمانته.

مؤتمر في مكة المكرمة

لما أسس الطاغية إذاعة لديه سماها إذاعة مكة المكرمة، وجعل ينشر في تلك الإذاعة استغاثة مكة والمدينة من جو السعودية، وكان ولا بد من تبرئة الحرمين الشريفين مما نسبه إليهما من الكذب، ففي يوم الاثنين الموافق ٢١

صفر عقد مؤتمر عظيم في الرابطة الإسلامية بمكة المكرمة حضره الأعيان والرؤساء، وكان هذا المؤتمر عالياً فافتتحت الجلسة الأولى بآيات من الذكر الحكيم، ثم ألقى مندوب المجاهدين الأفغان، ثم كلمة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ثم ألقى الشيخ أبو الحسن الندوي عند الهند، ثم شيخ الأزهر بالنيابة عن مصر، ثم خطب أمين الرابطة الإسلامية الدكتور عبدالله بن عمر نصيف ، فألقى كلمة أوضحت تكذيب ما يدعيه رئيس العراق، ثم قام الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، فألقى كلمة خادم الحرمين الملك فهد، ثم ألقى المندوب بن جاسم كلمة بالنيابة عن حاكم الكويت جابر الأحمد الذي طرد وهتكت بلاده، ثم خطب أحمد القطان خطبة باح فيها عما جرى على الكويت من صدام حسين، وكيف توصلت به الأحوال إلى هذه الدرجة، وهكذا تتابع الخطباء ينشرون تلك الجرائم التي فعلها رجل يدعي العروبة والإسلام، وكان هذا المؤتمر العظيم الذي عقد في ٢١ صفر عام ١٤١١هـ يوافق ١٠ سبتمبر ١٩٩٠م يوافق يوم الاثنين، وقد حضر ذلك المؤتمر ثلاثمائة وخمسون من العلماء والأعيان والرؤساء، وانتهى بما إذا لم ينسحب العدو عن الكويت فإن على الأمة الإسلامية دفع العدوان العراقي بالقوة، وكانت القوة قد حضرت قوة لا يستهان بها، هذا وقد كانت إذاعة العراق تهاجم الملك بالرغم من التضييق على العراق بالحصار، ويذيع عن لسان مكة المكرمة بأنها تشكوا الظلم ويستنهض بإذاعته الحكومة السعودية ضد مليكها، وفي اليوم الثامن من ربيع الأول أكدت العواصم حظراً جوياً، كما فعل ذلك برياً وبحرياً وأنها ستستعمل القوة وتستخدمها لإرغام العراق على الانسحاب من الكويت، وفي هذه الأثناء كانت حكومة صدام تعمل أيديها أنواع البطش بالكويتيين من دون رحمة، واتسعت الهجرة إلى السعودية، كما أن حكومة اليمن دعت جميع رعاياها من السعودية فقاموا يبيع جميع ما بين أيديهم بثمن بخس وتهيأوا للرحيل.

وفيها في ٢/٢٩ أصيبت فيتنام بإعصار شديد سقط منه اثنان وأربعون ما بين قتيل وجريح، ويصفونه بأنه لم يعهد في السنين الأخيرة مثله.

وفيها في ١٨ صفر جرت مجازر في لبنان في عين الحلوة سقط فيها خمسة وثلاثون قتيلاً، وجرح مائة وثلاثون، ولما أن كان في ١٩/ ٢ ثار متمردون في نيجيريا فأطلقوا النار على الرئيس، وأصيب بجروح خطيرة، ولكنه هلك وأقيم فيها رئيس مؤقت حتى ينظر في حالة الرئيس الأول.

وفيها في غرة ربيع الأول حصل زلزال شديد في بلاد الصين، غير أنه لم يهلك فيه أنفس كثيرة.

وفيها في الساعة العاشرة ضحى في يوم الأربعاء ١٤/ ٣ في العاشر من أكتوبر هبت رياح الصفرة شديدة محرقة أثارت عبرة شديدة، واستمرت أربع ساعات من الزمن، وهذا في المنطقة الوسطى.

وفي ٧/ ٣ صدرت الأوامر بترحيل اليمنيين جملةً من المملكة السعودية، فقام أولئك اليمنيين ببيع ما لديهم من الأثاث والأفران وما يملكونه بقيمة زهيدة مغادرين إلى الجلاء عن المملكة، وكانت ساعة كانوا متولين في تلك الأونة للبيع والشراء وخدمة البلاد بالورش ومحطات البنزين والخبز وغير ذلك، وهذا لما تقتضيه الحال من سوء العلاقات بين السعودية واليمن الشمالية لتصرفات رئيسها علي عبدالله صالح، كما أن هناك منعت الواردات من الأردن إلى المملكة لأن الظروف السياسية تقتضي ذلك.

أما عن مشكلة الكويت وما نتج عنها فإن الأمم جاءت من مشارق الأرض ومغاربها، ورابطت في مياه الخليج تأييداً للسعودية براً وبحراً وجواً، وحاصروا العراق من الجهات الثلاث، ومنعوا دخول الأطعمة والأرزاق عليها فأصبحت بحالة سيئة واستمرت الحالة بحيث دخل الشهر الثالث في هذا الوضع ولا تزال الطائرات الأمريكية شاحنة أسرابها إلى الخليج تقلق رعودها جواً بحيث تفرغ حمولتها، وعادت الأمور تنذر بشرها وويلاتها، فإن الرئيس العراقي لا يزال في غيه وتحديه، وإنه مصمم على استيلائه على الكويت، ورغم أنه جزء من العراق لا يتجزأ، وقد أذاق من تبقى من الكويتيين أنواع

العذاب، واقتلع جميع ما تحتوي عليه الشوارع من الإشارات والأبواب وحملت إلى العراق، وكان الموجودون في الكويت يقاومون على حسب مقدرتهم، ومن لا يرفع رسوم صدام حسين مرغماً فما له إلا القتل، ولا سيما إذا كان يرفع رسوم الأخير جابر الأحمد، واستمرت الحالة شهرين وسبعة عشر يوماً لا سلم ولا حرب، ولا تزال القوات الدولية محاصرة العراق وتضيق الخناق عليه، وصدام لا يزال في غيه وغروره ويسب ويشتم أمريكا وبريطانيا ومن شعوبها.

وفيها في ١/٧ وإقالة أمين مدينة الرياض عبدالله النعيم من أهالي عنيزة لكبر سنه، وجعل مكانه مساعد بن عبدالرحمن العنقري فرفعت التهاني إلى الرئيس الجديد لثقة الحكومة فيه، وأحيل الأول إلى المعاش شاكرين له خدمته الطويلة، وكان عبدالله بن علي النعيم من أسر أهالي عنيزة، وحظي لدى الحكومة السعودية، كما حظي لديها عبدالعزيز بن عبدالله بن خويطر، وعبدالعزيز بن زامل وقبلهم وزير المالية عبدالله بن سليمان بن حمدان، كما حظي لدى الحكومة رئيس الديوان إبراهيم بن عبدالله بن عيدان، وعبدالرحمن الطبيشي، ومحمد صالح شلهوب، ويوسف يستين، وأناس آخرون.

ذكر شيء عن صدام حسين

كان منذ صغره يعمل كإرهابي مؤذي، وبما أنه كان يستلم أسلحة من السعودية تمويهاً بأنه يقاتل إيران، فقد كان يكتنزها وهي أسلحة لا يستهان لها، فقد قام بهذه الأسلحة التي يموه بأنها ضد إيران، فقد أمر بها أن توجه على السعودية ليضربها بأسلحتها التي ساعدته بها، وقد بدا إجرامه منذ بلوغه الرابعة عشر من عمره منذ عام ١٩٥٩م، أي منذ إحدى وثلاثين سنة، وهو مفسد في العراق يزرع بذور الشر فيه، وربما أنه كان يسمع عن هتلر وشجاعته فيقلده في أعماله، وإن كان هتلر ألمانيا لم يعمل كما عمل هذا الشرير ودسائسه وإيذائه ومكره، فقد أعدم في عام ٨٥م حوالي ٢٩ طفلاً من أبناء السياسيين المعارضين لحكمه، وأعدم ٦٠٠ عضو منظمة

دينية، واستخدم الغازات السامة ضد القوات الإيرانية، وبعث بوفد ديني كعمل جهاز تسجيل للتباحث مع البرازاني، وانفجر الجهاز الملغوم بأعضاء الوفد أثناء المحادثات، واستخدم عام ٨٨م الغازات السامة ضد مواطنين عراقيين من الأكراد، وأباد ثمانية آلاف منهم، وطلب الإعانات من الكويت لحرب إيران، ولما استنزف ما لديهم انقلب عليهم وغزاهم في بلادهم، وقتل رجالهم وهتك محارمهم، وانتهب أموالهم، وطردهم عن بلادهم، وفعل بهم أعمال لا أخلاقية لم يفعلها فرعون ولا غيره. ولم توجد في تاريخ الأمم المتقدمة إلا ما دونه التاريخ عن أعمال الصليبيين بالأندلس وقد طلب الشيخ عبدالعزيز بن باز إلى سائر الأمة، ودعى إلى تشكيل محكمة شرعية لمحاكمة صدام، ولكنه لم يلتفت إلى ذلك، وكان مآلها إلى الفشل وعدم استجابته، وقد وقعت انفجارات كيماوية في مجمع عراقي قرب الحدود السورية سمع لها رجة عظيمة وذلك في ٢١صفر ١٤١١هـ، وتعتبر نكبة في العراق، ولقد أصيبت العراق بسبب التضييق عليها والحصار الشديد، وإن بوسع الرئيس صدام حسين لما رأى تضخم الموقف وإدانته بفعل ذلك أن يقلع عن أطماعه بالكويت، ويقوم بما يجب عليه من سحبه عنه وإصلاح ما أفسده، ويقلع عن هواه، وقد استعمل شراسة في معاملة شعبه الذي أخذه بالقوة واغتصب حسن البكر رئاسته، وأرهق مئات الألوف في هذا السبيل، كما أنتشر سفكه لدماء أهالي الكويت الأمنيين مع أنه لا يحصل على مقصوده الذي أقدم عليه، وإن في الحياض من يذود عنها، وقديماً قيل:

كـــذبتم وبيـــت الله لا تأخـــذونها مراغمـــةً مـــا دام للســـيف قـــائم
متـى تجمـع القلـب الـذكي وصـارماً وأنفـــاً حميـــاً تجتنبـــك المظـــالم

وذلك لأمرين: أولاً أن الحكومة السعودية تجمعها مع الكويت أواصر المحبة وحسن الجوار منذ قيام الملك الراحل عبدالعزيز بالملك ومحامات السعودية ودفاعها عن الكويت مرات عديدة.

ثانياً: إن تهديدات صدام حسين قد أيقظت الحكومة السعودية لما يبيته من

الغدر والخيانة وسوء طويته، وأنه لو كان محنكاً بصيراً لكان له ما يردعه عما عزم عليه، ولكنه كما قيل:

يقضــى علــى المــرء في أيــام محنتــه   حتى يـرى حسـناً مـا لـيس بالحسـن

وإن دونه ودون الكويت وضمها إلى العراق بحور من الدماء وعاقبته إلى الفشل، وإن معانقة الثريا أيسر من معانقة الكويت، والتمسح بذراع الأسد دون التمسح بملكها، وأخذها، ولكن الجنون فنون، ولقد بدا الندم والأسى من حسين الأردن ورئيس اليمن، وأظهرا استيائهما وانخداعهما لما دلاهما فيه من غرور وإيحاء زخرف القول وغروره رئيس العراق، وقاما يطلبان الوساطة بينهم وبين خادم الحرمين وقَبول الأعذار بعد كيده وتسويله شهرين وثمانية أيام، وتحققا أن مواعيده كمواعيد عرقوب التي تقدم ضرب الأمثال بها، فنسأل الله تعالى أن يعيذنا من الخزي والفضيحة في الدنيا والآخرة، فقد كفاهما ما وقعا فيهما، وما أحسن الاستخارة والمشورة قبل الدخول في الأمر، فما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين، وبما أن اليمن وقع في حيرة وارتباك ونزاع شديد فيما بينهم من تصرفات علي عبدالله صالح، فما كان الأردن يأمل منهم خزياً وارتباكاً وحيرةً من تصرفات ملكهم السيئة.

ذكر ما وقع في لبنـان

وقع في لبنان فوضى، فقد قام عون بقواته في نشر في لبنان، وتبادلت قواته وقوات لبنان القذائف النارية والقنابل المدمرة والمحرقة من مدافع الهاون والصواريخ، واستهدفت الأمة في النصف الأخير من ربيع الأول في هذه السنة للضرب والتخريب والحرائق، وأصبحت بلاد العرب في فتن هائجة مائجة، فهذه الضفة الغربية وقطاع غزة وما حواليها من هدم وتخريب من جراء الحروب بين اليهود والفلسطينيين، واستمرت الأحوال في شرها وويلاتها ولا تزداد الأمور في فلسطين إلى دماراً وشراً، وهذا جنوب لبنان استولت عليه

اليهود وأصبحوا هم والفلسطينيين في شر حالة، وهذا حزب أمل والمسمى حزب الله بقتال عنيف، وهذا جعجع يقاتل حزب عون ويتناحرون، وأصبحت لبنان مسرحاً للفتن والزلازل والقلاقل، وعجزت الأمة عن تسكينهم والسعي بالصلح فيما بينهم.

وبينما الأمة تسعى لإيجاد حلول لما وقع في فلسطين ولبنان إذ بداهية تنزل بهم وهي فتنة صدام حسين وما نشأ عنها من المحنة في الخليج، وأمسى العرب كلما حاولوا إطفاء فتنة وقعت فتنة أكبر منها، وذلك باختلاف الآراء وعدم الاتفاق على شيء، ولا ينقاد أحد منهم لغيره، فعمالهم مختلفون وتجارهم بالمشاكل مشتغلون، ومن يرتجي منهم العلاج لا يحسنون، وتجتمع الأمة للنظر في المشاكل وعلى غير جدوى يتفرقون، وعظمت الحوادث ونازحت الكوارث واشتدت المحن وكثرت الفتن، وقل المصلحون، وكثر المفسدون، وأصبحت البلابل تكشر عن أنيابها، وتلوح، وأنواع البلايا تغدو على الناس وتروح، وقل المصلحون، وكانت الأمة بحالة لا يحسدون عليها، غنيهم لا يرحم الفقير وكبيرهم لا يرحم الصغير، والصغير لا يوقر الكبير، آرائهم مختلفة وكل صوت يريد ارتفاعه، فما شئت من تفكك وتخاذل وعدم ثقة من بعضهم لبعض لأن القلوب منطوية منهم على الخيانة، والعدو إلا من يشاء الله منهم، وكيف يرتجى الفلاح ممن كانت هذه بضاعتهم، وهذه معاملتهم فيما بينهم، ولقد أدبنا الله وبين لنا في موجباته بكتابه العزيز في قوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ الحجرات:١١].

اشتباك بين العرب وإسرائيل لما كان في ١٩/ ٣ من هذه السنة قامت اليهود بوضع حجر الأساس حوالي المسجد الأقصى كعادتهم في التحرش مع عرب

فلسطين، فقام شباب الانتفاضة ضد ذلك وكانت اليهود إنما تريد قصدها في قتل وجرح ما تشاء منهم لما يحصل من تلك الاشتباكات من قضاء وطرهم منهم، وكان حرب الانتفاضة قد ألقوا الحجارة على اليهود وهم يصعدون فالتفتت عليهم اليهود بالأسلحة النارية، وأطلقوا عليهم الرصاص فسقط من جراء ذلك ثلاثون قتيلاً فلسطينياً وجرح سبعمائة، وقد بالغ بعض الرواة بأن الجرحى تجاوز عددهم إلى ٨٥٠ جريحاً وهو الصحيح، وقامت الأمة متأثرة من أعمال اليهود ضد العرب ورفعوا شكايات إلى مجلس الأمن وإلى الجهات المختصة في أمريكا، وأبدوا استيائهم من تصرفات اليهود لأنهم يريدون بذلك هتك المسجد الأقصى وحرقه، وألقى الملك حسين احتجاجه ضد عمل اليهود، ومما يبعث الأسى ويجرح الصدور كون أولئك الضعفاء يقومون برمي الحجارة على اليهود فيجرحون نفراً أو أكثر فيقوم اليهود برميهم بالرصاص والنار فيصاب منهم العشرات والمئات، وكنت أظن أن اقتراح هذا الرأي ليس برشيد ممن أتى به، أو لكون ذلك دسيسة ممن أشار به ليقضي على الفلسطينيين ويستأصلهم.

وفيها في ٣/١٨ وفاة حاكم دبي راشد بن مكتوم البالغ من العمر ٨٤ عاماً، وقد أقيم الحداد لوفاته، وقد كان مشهوراً بالسباق على الإبل، ومحبوباً لديهم، ثم أقيم بدلاً عنه ابنه مكتوم.

وفيها في ٣/٢٠ أصيبت بنغلادش بإعصار شديد نشأ عنه أضرار.

وفيها قامت مدينة البصرة في العراق بمظاهرات عنيفة ضد الحكومة احتجاجاً لنقص المواد الغذائية لديهم، ولكنهم قوبلوا بإطلاق النار عليهم، وتشتيت المتظاهرين بالقوة، وقد بدأت على عامة أهل العراق أشباح الجوع والهلاك في أهالي العراق، ولما أن رأى الرئيس العراقي ما أحاط به من البلاء والملاحقة التي لا قبل له بها جعل يفكر في الانسحاب من الكويت ويتظاهر أمام روسيا بأنه مستعد للانسحاب بشرط أن لا تضرب أمريكا العراق، وكان ذلك في يوم السبت الموافق

٢٤ ربيع الأول، وكان بالرغم من ذلك لم يترك وسيلة من وسائل الأذى فقد قلّع أشجار الكويت وقطع الأزاهير وأفسد فيه إفساداً، وفعل أفعالاً تدل على جهله وحمقه وإلا فلو علم أنه سيضمن ما أفسده ما فعل ذلك، ولكنه ينطوي خبث وأذى وسوء تصرف، والدليل على ذلك أنه قتل في اليوم المذكور أعظم شخصية بارزة في العراق وهو النائب الأول، واستمر على سفكه للدماء في العراق، وقد فضلت أمريكا مطاولته في الوقت لعله أن يقتل ويكون العراق سالماً من ضربة، تعمُّ البلاد بسببه لِعِلمها أن من فعل فعاله فإنه لا يسلم، وحقاً إن الأمة العراقية تسعى لإعدامه ولكنه غره دروعه الحديدية والحراس الذين جلبهم من خارج العراق إلى العراق لعدم نقته بشعبه.

ذكر ما جرى بعد مذبحة القدس

لما أن قامت اليهود متغنمة انشغال العرب بحادثة الخليج على ضعفاء فلسطين فقتلوا ثلاثين وجرحوا سبعمائة لما أن صوبوا عليهم الرصاص، رفع رؤساء العرب شكايات إلى مجلس الأمن، وتأثرت الولايات المتحدة لذلك وأدانت اليهود بهذا العمل السيئ، وبعثت مندوبها للكشف عن هذه المهمة والتحقيق مع مرتكبيها، ولكن اليهود عارضوا الدخول إلى موضع المجزرة لأن ذلك يفضحهم ويظهر الجرائم التي ارتكبوها وسوء نواياهم نحو العرب، وإبادتهم بما شاءوا من الجرائم.

ذكر استسلام صاحب الأذى في لبنان

لما أن كان في ٢٣/ ٣ وقعت سوريا بقيادة الرئيس حافظ الأسد، وكان من أفذاذ الرجال في سعة المقدرة وتنفيذ الإرادة فجر على المنشق العماد ميشيل عون قوة من الصواريخ والمدافع، فما كان إلا ربع ساعة بعد هذا الهجوم الصاعق حتى استسلم وقرر اللجوء بعائلته إلى فرنسا، وطلب السماح له بالفرار على ظهر طائرة إلى الجهة التي اختارها، ولكن الحكومة اللبنانية قررت إعداد ملف لمحاكمة قائد التمرد المخلوع الذي قد طالما قام في شرق لبنان يثير الفتن والتمرد طوال سنتين.

وفيها في ٢٤/ ٣ قتل اغتيالاً رفعت محجوب بمصر بحيث قام خمسة في المتآمرين على قتله واستأجروا سكناً إلى جانبه، فلما تمكنوا من قتله قتلوه وقد ألقي القبض على الجناة، والمقتول رئيس المجلس الشعبي، وقد بذلت الحكومة أسباباً للقبض على الجناة لما فروا، أما عن العماد عون المتمرد فإنه لما استسلم أمر أتباعه أن يستسلموا، ولجأ إلى السفارة الفرنسية في لبنان، ولكن الجيش اللبناني حاصر السفارة ليقبضوا عليه ويرغموه على المحاكمة بدعوا أموال استولى عليها وأبوا أن يسمحوا له بمغادرة لبنان إلا بعد المحاكمة، وقد قامت فرنسا تطلب إطلاق سراحه، ولكنهم أصروا إلا أنهم كانوا موتورين منه طوال هذه المدة التي كان معانداً فيها ومحارباً، وقد يستجيبون لكرامة فرنسا وتقديرها.

ففي غرة يوم الجمعة ١/ ٤ امتطى أربع سيارات إلى مطار بيروت لمغادرة لبنان، وكان يؤمل بعد استسلامه واستسلام أتباعه أن تتحسن الأحوال.

ذكر حالة الكويتيين في المملكة

وذلك أنهم لما لجئوا إلى الحكومة السعودية في وقت ابتداء الدراسة لم يفل ذلك من عزم الحكومة السعودية عن سير الدراسة في أوقاتها، فقد فتحت لأبناء أهل الكويت وبناتهم أبواب مدارسها وواستهم بأنفسهم بالرغم من كثرة الأعداد التي ازدحمت بها الفصول في سائر المدارس الابتدائية والمتوسطة والجامعات، ونقل أهل الكويت من المدارس إلى مواضع سكنية، كما أن حكومة الكويت بذلت لأبناء شعبها مساعدات للإيجار حينما امتلأت مواضع الإسكان، وكانت المملكة السعودية حكومةً وشعباً قد قامت بواجب حق ضيوفهم فما كانوا إلا كأنهم في بلادهم وسلطانهم، وهكذا تكون الأخوة الإسلامية، كما أرشد الرسول ﷺ إلى ذلك في ضربه الأمثال للمسلمين بأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وهم ينتظرون كل يوم الفرج من الله وأن ينصرهم على عدوهم ويردهم إلى وطنهم، وإن كانوا مطمئنين كما يظهر من حالتهم، هذا

وقد كان الأمير جابر وولي عهده سعد بن عبدالله يسعون بكل جد ونشاط في طرد العدو عن بلادهم، ويطالبون مجلس الأمن في تنفيذ قراراه في مصير الكويت، وانسحاب المغتصب عنها، وكان العدو قد قام كما تسول له نفسه أن تتخلى الكويت عن بعض أراضيها للعراق، ولكن الكويتيين لن يسمحوا بالتخلي عن شبرٍ واحدٍ من أراضيها، وفي كل يوم يشدد الضغط على حكومة العراق والتضييق عليها، وبما أنهم أصبحوا في حصار مستمر فإنها ستضطرهم الأحوال إلى الانسحاب، وكنت أظن أن أحكي الحقائق على وضعها أن الحكومة الأمريكية لا تكتفي بالانسحاب فحسب بل تريد الإطاحة بحكم صدام حسين الذي أعد عدته للفرار واللجوء إلى إحدى الدول إن حصل على ذلك، فلقد جرت محاولات لاغتياله، ولقد ضر نفسه وشعبه، وكان لما أن أقدم على ما أقدم عليه من أعماله المتقدمة ساءت سمعته ولقب بالدكتاتوري، ونظمت قصائد كثيرة في مسبته وانشق عليه شعب العراق وذلك لما كابدوه من الجوع لما اشتد الحصار، وقتل الأبرياء وأصبحت الأمة من جراء فعله بحالة يرثى لها، ونحن نسوق قصيدة من تلك القصائد التي يندى لها الجبين وتبعث الأحزان، وهي لمحمد نادر فرج:

رجف الكون غاضباً والوجود ... مِن لظى الرزء فالمصاب شديد
أنه اليوم يوم خطبٍ جليل ... شاب من هوله الغلام الوليد
أهو الحشر أم تراه شبيهاً ... فيه ما ذاقه الكويت الشريد
أذهل الناس لا يقر قرار ... فلقد حار في المصاب الرشيد
ليس من راعها يفقد بنيها ... أجنبياً به رماها الوجود
ليس من شرد الآلوف وأفتى ... في الكويت الشقيق ليس اليهود
إنه القدر قد تحدانا ... إنه الحقد حين ساد الحسود
إنه ابن الخليج تعساً وسحقاً ... لأخ فاجر وعنه القرود
أين أين الإخاء هل من وفاء ... لأخ كان في الفؤاد يجود
أين ابن الإخاء وصمة عار ... حين تعدو على الإخاء الجنود

إن من روعة المصاب بأنا … بأيدينا نبني علينا اللحود
أمة العرب ابتدى بعزاء … وعزائي إليك هل سيفيد
وعزائي بمن يكون عزائي … بفقيدٍ وهل يعود الفقيد
أم بمن ترز بعد حسين … وهو الآن في العناد يزيد
أحسن الله في بنيك عزاء … فيهم راعك الزمان الجديد
وهمُ بين هالكٍ وسقيم … وضليلٍ قد حار فيما يريد
يتساقون من كؤوس المنايا … بمدام هو الفناء الأكيد
وعلى الموت يصدرون حشوداً … وإلى قبرها تساق الوفود
يا عراقاً به الجراح تنذى … ألهب الغدر نارها والجحود
كيف تنسى طعم الجراح وتأسى … بدماء الأبطال كيف تجود
فلقد أهرقت دماء أسود … دون ذاك الشراب كانت تذود
وترويه في النجيع فيسمو … سامعاً للعلا دعاه الخلود
كيف تهديه للعدو وتنسي … إنها بالدماء عنه الأسود
قل لصدام يا لسوء زمان … أنت فيه على العراق تسود
فلقد سقت للعراق مصاباً … كالذي قد جفت عليها ثمود
ولقد رعت فيه كل كريم … مزق الظلم جسمه والقيود
وجعلت الحياة فيه جحيماً … وبه الحرب مبتلي والمسود
فعلى الهالكين يبكي الحيارى … وعلى الفاقدين يأسى الفقيد
كيف يدعوا إلى الجهاد سفيه … بدماء الأسود كان يجود
كيف يحمي حمى الشعائر نذل … مجرم فاجرٌ دعيٌّ طريد
ليس يرعى محارماً لتقي … وهو في الكفر بادي ومعيد
إنه العهر أن يقوم وضيع … يدعي أنه الحكيم الرشيد
إيه يا أمتي لعل زماناً … نحن كنا أسياده سيعود
والعلى ليس يشترى بنقود … ومع الغدر لا تفيد العهود

وإذا ضاعت الكرامة فينا ما الذي تنفع العبيد النقود
فابعثي العزم كي يكون صلاحاً يرفع المجد شامخاً ويشيد
وأعدي إلى العدو جيوشاً لا يفل الحديد إلا الحديد

إن هذا الشاعر موتور من أعمال طاغية العراق، وهو وإن كان قد بالغ في مسبته فلم يصل إلى بعض سيئاته، كيف لا وقد كان المجرم مؤذياً لجيرانه ومتنكراً للإحسان، وماكراً لئيماً، بينما هو سلاح في يدك لم تشعر إلا به فقد كان سلاحاً في نحرك، ولما أن رأى حروجة الموقف طلب من الأمة أنه يكفي العراق بعض الكويت كالرميلة وكذا وكذا، غير أن الكويتيين لا يسمحون بشبر من أراضيهم.

وفيها في ٣/ ٤ قتل الرئيس شمعون المسيحي وعائلته وكان في السابق رئيساً في بيروت، وأحدث قتله رنة أسف عند أصحابه وذويه، هذا ولا تزال المجازر في الضفة الغربية والقدس نتيجة إصابة إسرائيليين، فقد جرح من أبناء فلسطين ثلاثة عشر شاباً رغم تأكيد مجلس الأمن لمحاكمة إسرائيل عن مجزرة تاسع عشر ربيع الأول وما فيها من الفظائع، وقد اشتد عداء اليهود وقتلوا المسلمين من صلاة الجمعة الموافقة غرة ربيع الثاني من هذه السنة في المسجد الأقصى.

وفيها قام الرئيس المصري حسني مبارك في يوم الاثنين ٤/ ٤ بزيارة لرئيس الإمارات في الخليج زايد بن سلطان بن نهيان لأخذ رأي رؤساء الإمارات هناك خليفة بن حمد، وعيسى بن سلمان، وحاكم أبو ظبي، فاستقبل استقبالاً يليق به، وقامت من الغد جرائد الحكومة السعودية تذكر ما بذلته من الإحسان والمعونات إلى اليمن، وكيف أن نصيبهم من الشكر جحود المعروف ومقابلة الإحسان بالإساءة والكذب، ولكنه ليس متعجب أن تأخذ الحكومة اليمنية على أبنائها لما رجعوا إليها حسب طلبها رسومات قد تزيد على قيمة ما معهم من الأثاث، وعلاوةً على ذلك أن تنتهب ما جاءوا به يحملونه، وتزعم الحكومة السعودية هي التي قامت بانتهابها، وغير ذلك مما جاءت به الحكومة اليمنية من الإفك والبهتان والكذب على السعودية التي طالما منحتهم المستشفيات والمستوصفات وبنت مدارسهم، وبذلت

المدرسين إليها، وفي الحديث:«من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» فآهٍ على إحسان ينكر وعلى معروف لا يشكر وعلى أيادي جزيلة لا تذكر، وكانت السعودية تقابل تلك المسبة برحابة الصدر، وحسن الخلق، وكلام الأدب الذي هي أهله، والخليقة به، ولله در القائل حيث يقول:

يخاطبني السفيه بكل قبح ... وأكره أن أكون له مجيباً
يزيد سفاهةً وأزيد حلماً ... كعودٍ زاده الإحراق طيباً

ويقول الحكيم الثاني متصفاً بالأخلاق العالية:

إذا جاريت في خلق دنيئاً ... فأنت ومن تجاريه سواء
رأيت الحر يجتنب المخازي ... ويحميه من الغدر الوفاء
وكن رجلاً على الأهوال جلداً ... وشيمتك السماحة والحياء
ولا تجزع لحادثة الليالي ... فما لحوادث الدنيا بقاء

زلازل تصيب الهند

في ٤/٧ أصيبت باكستان بزلزال شديد في مدينة بيشاور تصدعت منه الحيطان، وأصيب ٧٥ قتلوا، وأصيبت الهند من هذا الزلزال، كما أن أفغانستان عمه ذلك الزلزال ولم يتوصل الجميع إلى إحصاء ما دمره ذلك الزلزال، وكان ذلك في وقت انتخاب رئيس وزراء باكستان، وكانت الرئيسة بوتو مهددة بانتخاب غيرها وإبعادها، ولما أن كان في ثامن ربيع الثاني أبلغت موسكو مجلس الأمن بأن صدام حسين رئيس العراق لا يهمه وصول الأزمة في الخليج عن طريق السلم، وهذا بعد ما صدر القرار العاشر من مجلس الأمن ضد العراق وتصرفات صدام السيئة، فقام بقية الأهالي في الكويت بعد صلاة الجمعة من ذلك اليوم بمظاهرات في الكويت يهتفون بأميرهم جابر وبولي عهده سعد بن عبدالله، ولم تنفك المظاهرات العنيفة إلا في إطلاق النار في الهواء ضد المتظاهرين، وبعد تلك المظاهرات قامت النساء

بمظاهرات ضد صدام ويهتفن بالشيخ جابر الأحمد وولي عهده، وشهد مسجد كيفان أكبر مظاهرة، وفجرت سيارة بالبصرة وسط جمع كبير من العراقيين هناك، وكانت أمريكا مهتمة بإيجاد معدات الحرب بحيث أبدلت أربعمائة دبابة وجلبتها لتكون من السلاح الحديث وجلبت طائرات لا يهتدي الرادار إليها، واشتد الحصار على العراق وقامت الأمور هناك.

كفاح أهالي فلسطين

لما أن كان في يوم الأحد ١٠/ ٤ فتحت اليهود الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين والقدس بعد إغلاقها أربعة أيام عقوبةً لأهالي فلسطين، وإغلاقهم المسجد الأقصى ومنع المسلمين من صلاة الجمعة الموافقة ٨/ ٤ وذلك لما قاموا ضد هذا العدو الغاشم بالسكاكين، وقد أصيب من المسلمين ١٣ بجروح في الاشتباك الأخير، وقد رفعت الشكاوي إلى مجلس الأمن وقضى فيها بمحاكمة إسرائيل، ولكنها لم تخضع للمحاكمة بعد التأكيد عليها، وكان الملك عبدالعزيز غفر الله له قد قال كلمته الخالدة: إنه لا يحرر فلسطين إلى أهل فلسطين، ولكنه بسبب شدة المقاومة نشأ أن أغلق المسجد الأقصى ومنع المسلمون من الصلاة فيها، وأصبح مهدداً من اليهود، وكان الشباب في فلسطين إلا أهل فلسطين، ولكنه بسبب شدة المقاومة نشأ أن أغلق المسجد الأقصى ومنع المسلمون من الصلاة فيها، وأصبح مهدداً من اليهود، وكان الشباب في فلسطين لما قاموا بانتفاضتهم لم يكن ليصدهم عن قصدهم شيء رغم إطلاق النار عليهم وتخويفهم وتهديدهم، واستطاعوا بأن يلفتوا أنظار اليهود إليهم بعدما كانوا عنهم معرضين ومتصلبين، ومن أراد أن يطاع فليطلب ما يستطاع، وكنت أظن أن الفلسطينيين لو كانوا مقتنعين لحصل لهم بعض ما كانوا يطلبون، وفي كلام الحكمة: «مالا يدرك كله لا يترك كله»، وتكون هذه خطوة أولى، وإذا نظرنا بعين الإنصاف إلى حالة الظروف وأنهم أمام عدو قوي فإن معاملة اليهود لهم بالنسبة إلى معاملة العرب بعضهم لبعض أخف قساوة، وأقرب إلى عدم الإبادة لهم، لأن العدو متغلب، ولو ركنوا إلى السلم وعدم المقاومة وصبروا على

شيء من الضيم مراعات للظروف لحصلت بعض الراحة حتى تسنح الفرصة، وإنهم يريدون إخراج اليهود من فلسطين حالياً وهذا شيء شبه مستحيل، هذا والله المسؤول بأن يأتي بالساعة التي فيها الفرج والتخلص من هذه الورطة ليسترد العرب والمسلمون حقوقهم كاملةً من أعدائهم، وبما أن المسلمين قد وقعوا في أربع مشكلات فقد أشرنا إلى إحداها، ونأتي ببقيتها.

هدوء يسود لبنان

لما أن سقط العماد عون وسلم أتباعه وجد أهالي لبنان بعض الراحة لوطنهم وبلادهم، وقامت الأمة التي تسعى إلى إيقاف الحرب بسعي حثيث وجهود جبارة لوضع حل بين حركة أمل وما يسمى حزب الله، وقد باتت طلائع تبشر بحل تلك الأزمة ولا سيما إن كان الرئيس حافظ الأسد قد التفت إلى ما حل بلبنان فإنه بسعي منه لوضع العراقيل المتعلقة بذلك قد يحصل المقصود، ولعل الجهود التي بذلت في هذا السبيل بمؤتمر الطائف يكون لها الأثر الفعال ولا سيما وقد قام الرئيس إلياس الهراوي بتنظيم حكومته وأصبح سعي اللجنة الثلاثية مثمراً ثمرته المطلوبة، وهذا بعد حروب استمرت في لبنان خمسة عشر عاماً، وقد قدمنا السنة التي قبل هذه ما قامت به اللجنة وإعادة الكرة بعد فشلها، وبالرغم من كثر الموانع والصعوبات إنه عم التزام شامل بوقف إطلاق النار في لبنان وإعادة فتح المطار فيه، وفتح ميناء بيروت، وعمت فرحة شعبية غامرة وتدفق العائدون إلى العاصمة، وإن اللجنة الثلاثية قد نالت مقصودها ولم يتطرق السأم ولا الملل إلى السعي نحو الغاية المطلوبة، ولكن أنى وهيهات، وكيف وأن البلاء قد تفتحت أبوابه وتفتقت الأرض بشرٍ وويلات، فما كادت العرب أن تسعى إلى ترميم الشرخ حتى وقعوا في محنة ثالثة وهي هجوم العراق على الكويت، ذلك الهجوم الهمجي الذي أنساهم جميع ما تقدم من المشكلات وأصبحت نيران البلاء تأجج من جديد وتنذر بشرها وويلاتها، وأصبحت الأمة في حيرة مما جره الرئيس صدام حسين على العرب والمسلمين وما سببه من الكوارث التي تفوق العدَّ والحسبان، فبعد قتاله لإيران واستنزافه لأموال

السعودية والكويت التين قامتا بمساعدته، وأقامته من كبوته إذا هو يلتفت عليها فيهجم على الكويت ويستبيحه، ويصبح يتهدد السعودية بأن يفعل بها فعله بالكويت وهو ما نحن بصدده، فقد أقبلت الأمم من مشارق الأرض ومغاربها، واجتمعت الدول الكبرى والمتوسطة والصفراء للوقوف أمام هذا التيار الجارف الذي سيكون وقوده الجثث إن لم تداركها عناية الله تبارك وتعالى، وقد اختبأ ذلك الشجاع بزعمه الباطل في القبو الأرضي، واتقى بالصبية والنساء من عوائل الأجانب الذين يحتوي عليها العراق، وقد تأزمت الأمور جداً وأقبل الجو والبر والبحر بالهمات الحديثة التي تهدر أعاصيرها وتضرب أمواجها بالفتن والقلائل والزعازع وأصبحت الأساطيل الأمريكية والبريطانية والقوات الفرنسية والسورية والمصرية، وما يحتوي عليه الخليج مطوقة العراق براً وبحراً وجواً، وبما أن الرئيس العراقي يتربص الدوائر بالعرب والمسلمين، فقد اتخذ من ذلك وهو مجيء الحلفاء والأصدقاء والمدافعين عن السعودية والكويت، وعن أهل الحقوق عرضاً ومسبة لمن أتى بها، وإنهم إنما جاء يهدمون الإسلام ويبيدون أهله، ويغيرون أخلاقهم ونحو ذلك مما تقتضيه إرادته الضالة وإذاعاته الساقطة، وجعل يستنهض الإسلام والمسلمين والعرب لقتالهم وإنهم إنما جاءوا ليحتلوا مكة والمدينة لا غير، ولكنه بالرغم من إذاعاته المتواصلة أربعاً وعشرين ساعة تسب وتقذف وترمي بالبهتان لم يستجب له أحد سوى من استغواهم وهي اليمن وعمَّان، وقد قام بتزويرات وخزعبلات، وما هو متصف به من النفاق والبهرجة والكذب، والكيد للإسلام وأهله بحيث أنه هو السبب إلى حضور الأجانب والمكر والأذى، وإخافة الآمنين، وقتل الأبرياء، وهدم المساكن واستباحة الدماء والأموال والأعراض، ولكن الذين انخدعوا له لا يعلمون ولا بعواقب الأمور يفكرون، وجروا على أنفسهم وعلى أمتهم شراً وبلاءً وجوعاً، وسيعلم الذي ظلموا أي منقلبٍ ينقلبون، ولم تقتصر البلية على هؤلاء بل عمت شعب العراق بالفقر والجوع والإملاق وتقتيله أبناء العراق وضباط جيشه لما هو مفطور عليه من الإرهاب والقتل والإفساد، حتى

أصبحت العراق كجزيرة صغيرة يحيط بها البلاء من كل جهة، محصوراً ومضيقاً عليه من كل جانب، وقد قدمنا أنهم خططوا مرات عديدة لاغتياله والاستراحة منه، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها بحيث أمهله الله ليلقى المسلمون من بقية شره شروراً كثيرة.

وفيها في ظهر اليوم ٢٥ من ربيع الثانية أقيم إمبراطور لليابان بدل إمبراطوريتها الأولى فهللت الأمة هناك لطلوع شمس الإمبراطور الجديد، وقد استهل منصبه بأنه ضد العراق باعتدائه على الكويت.

وفيها في صباح اليوم ٢٦ من ٤ أصيب الفلبين بإعصار شديد أعظم ما مرَّ عليهم، وقد اجتاح أشجاراً وبعض المساكن، وكل ما استهدف له حتى قيل أنه هلك بسببه خمسة آلاف من الأنفس البشرية، وقد مر في هذا التاريخ إعصارات شديدة تصيب الأمة وتهلك وتدمر، ولا سيما إذا كان مصحوباً بنار فإنه يحرق ما مرَّ عليه من الزرع والثمار، وقد نبه الله على ذلك في كتابه.

وفيها في ١٩ ربيع الثاني أصيبت إيران بزلزال شديد على بعد أربعمائة كيلومتر من العاصمة هلك بسببه مائة وأصيبت تسع قرى، وحصل أضرارٌ جسيمة.

وفيها في اليوم المذكور من الشهر الرابع المذكور قامت فتيات في شرقي مدينة الرياض بمظاهرات يطالبن فيها بقيادة السيارات ومشاركة الرجال في أعمالهم احتجاجاً بأن المرأة تسوق السيارة بنفسها لسلامة من الأجانب الذين يسوقون بهن السيارات ويدخلون البيوت لذلك، وقد أظهرن الضرورة وتغيب المصلحة لذلك، وأبين أن يخضعن لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا للعلماء فلا يقتنعن إلا بعرض مسألتهن على أمير الرياض سلمان بن عبدالعزيز، وكانت المسألة لا تخلوا من دسيسة شر لقيامهن بتلك المظاهرة في حالة سيئة، وجراءة في القول، ومنهن من أسفرن عن وجوههن، فلقيام المعارضين لذلك وأهل الغيرة الدينية ورفع المسألة إلى الحكومة برجاء منهم لها بعد استنكار عملهن صدرت الأوامر بالمنع لما يترتب على ذلك في الشر وتعرض الفئات لفتنة أكبر، ونشرت وزارة الداخلية

للعموم في الإذاعة والجرائد لمنع البنات تغليباً لجانب المصلحة، وبما أن أناساً من كبار العلماء أفتوا بالمنع فإن الحكومة أيدها الله حريصة على صيانة الفتيات المسلمة عن السفور والاجتماع بالرجال الأجانب تهددت بالمنع من ذلك، وسوف تلقى من لم تلتزم أعظم الجزاء، فلله الحمد والشكر على ذلك، وإنها لوقفة حسنة في سبيل هذا الاستحسان السيىء، والسيل الجارف للأخلاق.

وفيها قام الرئيس الجديد في الهند سيندرا سيكر ينظم شؤون دولة الهند إن حكومة الهند لضخامتها وكثرة سكانها الذين تجاوز عددهم ثمانمائة مليون يشق على الرئيس سيادتها وهي وإن كانت مملوءة بالخيرات فلكثرة سكانها يتطرق عليهم الجوع والحاجة الماسة في أمر معيشتهم، وإصلاح دنياهم لضخامة العدد فقد حدثني من رآها وتردد فيها أنهم كانوا يجلسون بين الأشجار في الطرقات وقد تلقى العائلة بين أغصان الأشجار فيجلسون تحته ويقول بعض المسافرين إليها من السواح ومن العمال فيها: كنا بعد تناول طعام الإفطار نلقي ما تبقى مع النوافذ إلى الشارع فرأت عيناي أنهم يتسابقون إلى ذلك من كسرة الخبز وغيرها، قال: وقد يجلس مائة نسمة لانتظار ما يسقط من النوافذ، ولما أن اغتيلت الرئيسة «أنديرا غاندي» وأقيم ابنها «راجيف غاندي» رئيساً بعدها تولى منصبها، ولكنه لتطور الأحوال لم يستطع السيطرة على الهند، ولضعفه وكثرة المتمردين والمنشقين من المتطرفين والسيخ وغيرهم، ظهر عجزه فأطيح به وتولى الرئاسة بعده الرئيس الجديد، فقام في آخر ربيع الثانية من هذه السنة ينظم شؤون بلاده ويسعى لما يصلحها، وقد كان لما أن فتح الله الرزق وبسطه على السعودية تستقدم أناساً من الهند إلى المملكة لسياقة السيارات، والقيام بأعمال البناء والتصليح، يسترزقون الله تعالى وينفعون الأمة بالخدمة كغيرهم في البيوت والدكاكين، وقد استجلب إلى المملكة من نسائهم لما غليت المهور فجيء بهن وعشن زوجات فيها تاركين سيحون وجيحون وجبل الجودي الذي ذكره الله تعالى في كتابه، وقد أثرت فيهم أعمال العالم الجليل زوج «سُمُو بيكم» وهو صديق بن حسن القنوجي ملك مدينة بهوبال

بالنيابة، والذي قامت دولة إنكلترا بالتأثير على الملكة سموبيكم إذا لم يضعف حركته الدينية لأنه يعتبر أكبر عالم مؤلف للكتب الدينية، ومفسر للقرآن الكريم، لما انظفأت تلك الشعلة بقوة تأثير الإنكليز عليها، هذا هو العالم الشيخ صديق بن حسن الذي توفاه الله تعالى عام ١٣٠٧هـ بعدما ملأ الدنيا بمؤلفاته الدينية التي غالبها باللغة العربية، ولولا أننا كفينا ترجمته لأتينا بها في سنة وفاته، فرحمه الله من عالم جليل، وحبرٍ نبيل، وقد سمعت أنه لقوة التأثير عليه وقطع خدماته للدولة الإسلامية عملوا على قطع النسل له من زوجته سموبيكم لوقف دعوة الحق، وأن لا يظهر من نسله من يكون ناشراً لدين الله ورسوله، وقد كان من أهالي الهند أمم مختلفين في اعتقاداتهم ودياناتهم ونحلهم التي كانوا ينتحلونها، وكان منهم من يعبد البقر ومنهم من يعبد فروج النساء إلى غير ذلك من التفرق والاختلاف الذي سببه بذور الشر وقوة الداعي، وكثرة الفساد، ولكنه في حال وضع هذه الكلمات أعني في هذه السنة والتي قبلها نشأت دعوة دينية قام بها نذرٌ يسير فأسست جامعة إسلامية ومدارس تدعوا إلى الحق وإلى طريق مستقيم، بعثوا يصرحون للعالم الإسلامي بجمع التبرعات لها، نسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف:٣١].

مذابح في سيريلانكا

لما كان الإسلام يطارد مطاردة في أقطار الأرض فقد حدثت مذابح جماعية للمسلمين هناك من ذبح الأطفال والنساء وحرق البيوت، واستمرت والعالم يتفرج عليها، وقد دمرت قرى بالتحريق وعذب المسلمون هناك عذاباً شديداً، وكانت هذه الظاهرة من هدم البيوت والمساجد وغير ذلك دون أن يفعل المسلمون شيئاً يذكر فقد كان المسلمون هناك يعانون في أوائل شهر جمادى الأولى من هذه السنة من البطش والتعذيب والتقتيل، وانتهز التاميليون في سيريلانكا الفرصة ومارسوا هوايتهم، ولم يتورع أولئك المتطرفون في شمال وشرق البلاد عن مذابح جماعية

وتدنيس المساجد وإطلاق الرصاص على المصلين، والتمثيل بجثثهم، وقد فاجأ الأشقياء النساء، أوان صلاة العشاء الأخيرة وقتلوا الأبرياء، وفعلوا جريمة لا يقرها الشرع ولا العرف ولا الذوق، نتائج العلمانية أو إن نتائج العلمانية ومفاسدها هي إقصاء الدين وقتله والخروج عن الدين وتحجيم دوره، وإقصاء العلماء عن مواقع المسؤولية هذه هي العلمانية التي يتعشقها أهل الانحلال والضلال من هذه الأمة، ونحن نذكر ما جرى على مسلمي سيريلانكا لأن أسباب كراهية دين الإسلام هو انتشار هذه البلية، فبينما الدولة العثمانية يعتبرون أنفسهم أنهم أكبر دولة إسلامية تحولت من الخلافة إلى جمهورية يحكمها الغازي مصطفى، كما أنها علمانية لا دينية فصلت الدين عن الدنيا واستبدلته بأنظمة جديدة مقتبسة من القوانين الأوربية الحديثة، وكانت هذه طريقة ضل بها أكثر الناس، أما ما جرى على مسلمي أهالي سريلانكا فمن أهم الحوادث التي سجلها التاريخ هي:

في ١٢ يونيو ١٩٩٠م قامت جبهة النمور فاختطفت عدداً من التجار المسافرين الذين كانوا متجهين من مدينة إلى مدينة فنهبوا أموالهم وقتلوهم جميعاً، ولم يعثر على أجسادهم، وكان عددهم يتجاوز ٢٤٠ مسلماً من بينهم العلماء وطلبة العلم والنساء والأطفال.

وفي ٣ أغسطس ١٩٩٠م دخل النمور مسجدي مدينة «دكانا نكدي» عند صلاة العشاء فشنوا هجوماً وحشياً لا إنسانياً بإطلاق الرصاص والقنابل على المصلين الأبرياء، فقتلوا مائة وستة أنفار في هذين المسجدين وجرحوا ثمانين مصلياً، ولم يكتفوا بهذه الأعمال الإجرامية بل ذبحوا كثيراً من الفلاحين في مزارعهم وعدداً أكثر من الصيادين في قواربهم، ورموا بالقنابل على العابرين فأثاروا الذعر، وكان إذا وقع مسلم في قبضتهم لا يستطيع الفكاك منهم، وفي الرحلة الأخيرة تتجاوز النمور التاميل ذبح إلى هدم إلى إحراق المساجد والمنازل والمحلات التجارية، وإحراق المصاحف والكتب الدينية، وكل ما يتعلق بالمسلمين إلى غير ذلك مما لا يصدق بمثله.

زيارة الرئيس الأمريكي

لما أن كان في اليوم المذكور الموافق ليوم الأربعاء وفي الغد يوم الخميس قدم الظهران ليشرف على القوات التي تكامل عددها هناك ليقف على الفيالق والمعدات الحربية، ثم سار إلى جنيف ليجتمع بالرئيس حافظ الأسد، وكان هذا الاجتماع أو اجتماع بين الرئيس الأمريكي وبين حافظ الأسد منذ بضع عشرة سنة، وكان في استقباله بالسعودية إقامة تكريم واحتفاء من الملك فهد وولي العهد وسائر الأسرة السعودية مرحبين بقدومه، كما أنه اجتمع بالرئيس حسني مبارك رئيس الجمهورية المصرية، وكان لجولته هذه أهمية عظيمة، وتأثر لها العراق خوفاً وذعراً، واهتزت الجزيرة العربية لهذه الزيارة، ولا سيما أن الدول المرابطة في مياه الخليج تنتظر النتيجة المنتظرة في استخدام القوة على العراق، وقد أمر بجلب مائة ألف أمريكي إلى الجبهة التي كان فيها مائتا ألف من الجنود الأمريكية قبل ذلك، ولديهم الأهوال والقنابل والصواريخ والعذاب الذي لا تطيقه القوى البشرية، وكان بوش قد استعد بما لديه من السلاح المهيأ لخوض المعركة.

وفيها في ٥/٥ من هذه السنة قامت رئيسة وزراء بريطانيا «تاتشر» بتقديم استقالتها من منصبها لقيام من يزاحمها، فأحدث ذلك هزة في وسط حكومتها ولا سيما لما أصرت على طلبها، وكان قد تقدم لها في الخدمة أحد عشر عاماً ونصفاً فاغتنم هذه الفرصة الرئيس صدام معرباً بأن ذلك لقيامها ضد العراق، وتقدمها في صد هجومه على الكويت، وكان قد أقذع في مسبتها والنيل منه كعادته في السباب والقذف والشتم، ولا يعلم حقيقة ما الذي حملها على ذلك في هذا الوقت، غير المناسب لتنازلها.

مغريات الأردن لما أظهر ملك هذه الدويلة الصغيرة الضعيفة في عداوته للسعودية التي غمرته بنعيمها وأمدته بمئات الملايين قديماً وحديثاً، وأنقذته من كبواته مرات عديدات، كما في النكسة التي جرت عليه وعلى جمال عبدالناصر عام ١٣٨٧هـ، وغير ذلك من عطفها عليه كما قدمنا من غزو الرئيس صدام له وإيقاعه

بريبة الغرور ومنع منتوجات الأردن وتوريدها على السعودية من جميع الخضروات، فإنه لم يزهد أن يطلق خطباء مساجده ألسنتهم بالسب والافتراء، وآخر شيء أن قام خطيب جامعهم المسمى العالم الفقير بأن الأردن لا تقوم بفريضة الحج في هذا العام لوجود أمريكا والحلفاء في مهابط الوحي، ويشيرون إلى الظهران من مهابط الوحي، وأن وجودهم في البلاد السعودية سواءً كانوا في شرقيها أو غربيها يمنع الحج حتى ولو كان ما بينهم وبين مكة المكرمة ألفا كيلومتر، وكان المدعو الشيخ على الفقير يتكلم بما يوافق هوى حكومته، فنشرت الحكومة السعودية نشرة معناها: «الحج فريضة لا تلغيها دعاوي السياسيين والمغرضين»، وأقول أن مما يثير الأسى ويبعث الأحزان أن تكون شعائر الإسلام في مطالع الأهلة وأداء الحج والعمرة تبعاً للسياسة، أو أن تكون مكة المكرمة هدفاً لسهام الراشقين وتفجير عبوات المفسدين، وملتقى نقمة المتذرعين أن مكة والمدينة يجب احترامهما وتقديسهما كما قدسهما تعالى، فلا سبيل إلى النيل منهما وإدراك الأغراض الشخصية بدوس كرامتهما، ولقد كانت كرامتهما واحترامها وتقديسهما كما قدستهما الحكومة السعودية وطهرتهما وأبعدت كل الأخطار عنهما، ولكن أين من يتكلم بالحقيقـة وينطق بالحق يا أولي الألباب؟ ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤١]، ولو أن العدو إذا أراد أن ينال من عدوه لا يتذرع بالدين هدانا الله جميعاً إلى سواء السبيل.

وفيها حصل انقلاب في تشاد وأطيح الرئيس حسن حبري، وقام المتمردون يفعلون ما يشاءون ويحكمون بما يريدون، وفرَّ جميع القواد المتقدمين إلى موضع غير معلوم، وقد يكون ذلك بسعي من العقيد معمر القذافي.

وفي يوم السبت الموافق ٢١ جمادى الأولى دخلت الانتفاضة عامها الرابع من هذه السنة، وقد تأزمت الأمور في فلسطين بغزة والخليل والقدس، بل في الضفة الغربية، وكان يخشى من شباب المقاومة والانتفاضة العدول عن القتال بالحجارة والزجاجات الحارقة إلى السلاح، ولقد أحصى الذين قتلوا وجرحوا وأصبحوا

معوقين، وهدمت منازلهم ومساكنهم في فلسطين المحتلة ونابلس وغيرها، فكانوا كما يأتي من قيام الانتفاضة إلى يوم السبت ٢١/ ٥ من هذه السنة سبعة آلاف معوق، وخمسة وسبعون ألف سجين، وأحد عشر ألف جريح، وتسعة آلاف قتيل، وهدمت المساكن التي تعد بالألوف.

وفيها في ٢٩ جمادى الأولى وقعت هزة في جنوب إيران تأثرت الأهالي لذلك، ووقعت في الهند معارك ضد الإسلام من أناس متطرفين من الهندوس، كثر التقلب والتفكك في روسيا، وكثرت الثورات فيها، وذلك في مبتدى ٢ صفر، وكان ذلك من حسن حظ أفغانستان المسلمة ضد حكومة كابول الموالية للروس، فأخذت الثوار ثأرها منهم، وأنزلت بهم خسائر فادحة.

وفيها في أوائل شهر جمادى الثانية قامت أمريكا تعمل مناورات وتجارب لأسلحتها التي رست في الدمام وما يلي الحدود السعودية من جهة الشمال جهة العراق، ورئيسها صدام حسين، فأحدثت أفزاعاً عظيمة تأثر لها السكان، وأزعجت الأمة هناك مما كان له أعظم التأثير على العدو، وبما أنه مضى على المهلة للعراق ٢٥ يوماً، إما أن ينسحبوا أو تشن عليهم حرب لا قبل لهم بها، ولم يبقَ من هذه المهلة سوى واحد وعشرين يوماً، لأن مبتدى هذه المهلة في ١ ديسمبر ومنتهاها منتصف يناير آخر جمادى الثانية من هذه السنة، وكانت العراق لم يتغير عن موقفها، فلم يبقَ إلا مقابلة الشر بمثله، كما أنها قامت مناورات وتجربة بالسلاح في حفر الباطن، وكانت زجاجات النوافذ في الدمام قد تأثرت من أصوات الصواريخ والأهوال، مما سيضطر الأهالي إلى عدم السكينة والطمأنينة أو البعد عنها.

وفيها في يوم الجمعة الموافق ٤/ ٦ وفاة معتمد المعارف السابق الشيخ صالح بن سليمان العمري من أهالي مدينة بريدة، تولى إدارة مدرسة الملك فيصل بعد مديرها عام ١٣٦٦هـ، ثم رأت المعارف أن يكون معتمدها في القصيم، فقام بجد ونشاط في هذه الوظيفة أربع سنوات، ثم نقل إلى الرياض في عام ١٣٧٥هـ ليكون مساعداً لمدير دور الأيتام والرعاية، ثم نقل إلى وظيفة في الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، ثم

إلى الإحالة على التقاعد، وقد قام قبل ذلك في إصدار جريدة القصيم استمرت ثلاث سنين لكنها فشلت عام ١٣٧٦هـ، وبعد الإحالة فكر أناس في إنشاء مصنع إسمنت في القصيم فقامت شركة قوية لذلك، وكان موضع المصنع يقع شرق موضع القويطير، وتوفى في هذه السنة عن عمر يناهز الرابعة والسبعين لأن ولادته عام ١٣٣٧هـ، رحمه الله وعفا عنه.

وفيها في يوم الاثنين ٦/٧ أصيبت أمريكا بموجة برد شديدة، ونزلت الدرجة إلى ٤٠ تحت الصفر، فأصيب من شدة الصقيع خمسون قتيلاً، وهذا شيء يعتبر من أعظم ما كان في أمريكا.

وفيها في يوم السبت ٦/١٢ وقع اشتباك عنيف بين الفلسطينيين وجنود الاحتلال الصهاينة، فسقط من أهالي فلسطين ستة قتلى وجرح منهم مائتان، وقد تأثر العرب لذلك فأصبحت أبناء فلسطين ألعوبة في يدِ الصهاينة، وبما أن اليهود لم ترَ من يقف أمامها من المدافعين العرب، فقد عزمت على إقامة ستة آلاف مسكن في أحياء سكنية في القدس للمهاجرين اليهود، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وتزداد الفتن في فلسطين وتوالي تلك المجازر ولم تتوفق إلى حل مجلس الأمن الدولي رغم كثرة الشكايات، بل لا تزال في تعقيد منذ ثلاثة وأربعين عاماً.

وفيها في ٦/١٣ يجند الملك إعانات ومساعدات للمجاهدين في أفغانستان ثلاثين مليون روبيه رغم نفقات الدولة، وما هي فيه من أزمة الحرب وملاقات الأهوال التي كانت تكابدها، كما بعثت أثني عشر مليوناً لإكمال مستشفى صعدة في اليمن، مع ما كان بينها وبين اليمن من الخلافات وسوء التفاهم، وفي هذه الأثناء يقوم الشعب السعودي بجلب ما يتطلبه الموقف وما تدعوا إليه الحاجة من سرج وفتائل ووقود لها من الغاز، وتأمين البيوت بالأرزاق استعداداً لكارثة تتوقع من نتائج هذه الحرب التي كانت أمريكا وبريطانيا وفرنسا تستعد لها منذ خمسة شهور وثمانية أيام، ودخل في جبهتها الرئيس حسني مبارك والرئيس حافظ الأسد، وذلك بعدما فشلت جميع المحاولات للصلح، وأن يقف الرئيس العراقي عند حده ويرجع

عن غيه، ولم تزده هذه المهلة الطويلة إلا غطرسة وتمسكاً فيما هو عليه، وقد لاقى بقية أهل الكويت المتبقون فيه أنواعاً من العذاب والمعاملة اللاإنسانية من جنود صدام وزبانيته، وقد ارتفعت أسعار الحاجيات فبلغت قيمة السراج العادي مائة ريال بعد ستة ريالات وهذا في يوم الجمعة ٦/١٨ من هذه السنة، وارتفعت قيمة الأرزاق والمأكولات في العراق لشدة الحصار عليها درجة لا يكاد يصدق بها، وكان الرئيس المغرور قد ضيق على سائر مدن العراق في النفقات، وجلب ما يضمه له ولجنوده المحيطين به، فأصبحت العراق بحالة يرثى لها، وقد فرَّ من السكان تخلصاً من ظلم صدام من استطاع الفرار، وهددت جملة السكان بأنهم غير خاضعين لسياسته التي سلكها رغم بطشه والتنكيل بمن لا يخضع لأوامره، ولقد أشار عليه جميع العرب والناصحين له أن يسلك غير ما هو ثابت فيه وتظاهره بالعناد والأذى، ولكنه أبى أن يقبل نصيحة أحد كائناً من كان، وقاوم الموقف جداً، وأضافت أمريكا أهوالاً أخرى إلى ما جاءت به من القوات، وكان لغروره وما يريده الله به يتظاهر بأن لديه قوات لا تغلب وجنوداً لا تقهر، ويستهزئ بالسعودية وأمريكا وبريطانيا، أما الجنود التي أعدتها الحلفاء لمقابلته فبلغت على الصحيح ستمائة ألف لديهم من الأسلحة من الأساطيل والدبابات والطائرات والمدافع والقنابل والصواريخ شيء لا تبلغه العبارة، ويقول الرئيس جورج بوش أن ذكاء صدام حسين لا يحتاج إلى زمن طويل، وكان لخيانته لشعبه وخذلانه له قد أعد طائرات للهرب وتركهم فريسة لعدوهم إذا ما أحس في أدنى انهزام وخلل في جبهة حربه هذه خطته التي كان يسلكها بعابرة يريد أن يلقيهم في المهالك ويتبرأ منهم، وما أشبه هذه الحالة، نسأل الله الهداية بما قصه الله في كتابه علينا بحيث يقول: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال:٤٨]، فسبحان الله من ابتلى به من غره الناس.

وفي الساعة التاسعة وعشر دقائق بتوقيت غرينتش توافق الثانية وثمان وثلاثين دقيقة زوالي من ليلة اليوم الثاني من شهر رجب ١٤١١هـ قامت الحرب على

العراق وبدأت الطائرات تضربها، وركزت قذف القنابل على مطارات العراق والمراكز العسكرية فيها، وسمعت الانفجارات ودوي ضرب القابل، وذلك بعد المعذرة وإمهال العراق وقتاً طويلاً لتتراجع عن غيها، فلما لم تعد المفاوضات في كل تلك المدة عدلت أمريكا وحلفائها بريطانيا العظمى وفرنسا إلى اللجوء إلى القوة، وقد أحضرت في ضمن تلك الأسلحة أسلحة نووية كيماوية لاستعمالها ضد العراق إن دعت الضرورة إليها، وكان ذلك في منتصف الليل من يوم ١٧ يناير كانون الثاني ١٩٩١م، وقد رجعت الطائرات التي باشرت الضرب سالمة، وقد ظهر في أول وهلة عجز العراق وضعف غطرستها، ولما أن وقعت الواقعة كان من المعلوم أن العراق بغرورها لا تستطيع الصمود أمام تلك الأهوال، وكان فجر يوم الخميس وقتاً لمطالع الحرب الضروس التي تنفست في ذلك اليوم، وأعدت الأحوال لها من أمريكا ولندن وباريس والسعودية ومصر وسوريا، وما يحتوي عليه ذلك الجيش من الإمارات الخليجية قطر ودبي وعمان وأبو ظبي والبحرين وغيرها، وكان أول شيء إطلاق أربعين صاروخاً من السفن الأمريكية على المواضع الحساسة، واستطاعت مع قاذفات القنابل التي ركزت على القضاء على المواقع النووية والكيماوية في العراق، وكانت الطائرات التي اشتركت في ضرب العراق قد بلغت الفين وخمسمائة طائرة، وأصيبت العراق بأربعمائة غارة أسقطت عليها أربعة آلاف طن من الحديد وأصيب نصف جيش صدام المحيط به، وضرب موضعه وأصيبت المواضع الكيماوية والمواضع النووية والهاتف والمطار العراقي والمواضع العراقية العسكرية في الكويت، وأصيبت مدينة الخفجي من ضرب مدافع العراق فاستهدفت بعض خزانات الزيت، وقد سهل الله إطفائها، واستمرت هجمات أمريكا وحلفائها طيلة ذلك اليوم حتى بلغت غاراتها ألف غارة، وتم إنزال ثماني عشر ألف طن من الحديد على العراق، ودمر قصر الرئاسة تدميراً كاملاً، كما أن الصواريخ التي وجهها العراق إلى إسرائيل في تل أبيب قد دمرت هذا في أول يوم من غزو الحلفاء للعراق، وما زالت القوات الإسلامية ومساعدوها تشن غاراتها

على العراق حتى قضى يوم وليلة وهي مصرة على غيها، وقد انقطعت المواصلات بين العراق والعالم بحيث أن الهاتف السلكي واللاسلكي قد دمرت ودمرت الشبكة الكهربائية، وقد ألقت أمريكا مناشير تنصح الأهالي بالعراق بالفرار إلى خارجها، وفعلاً قد فرَّ بعضهم إلى إيران والتحق إليها وإلى غيرها فقد التجأ إلى الأردن سبعمائة وخمسون عراقياً وبعثت الأول المساعدات لأولئك اللاجئين من بطانيات وملابس ومواد غذائية وتوقع أن يبلغ العدد من اللاجئين في الأردن إلى ثلاثة آلاف لاجئ، وكانت أمريكا قد أمهلت العراق تسع عشرة ساعة من صدور قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ في ضربها لعلها تفيء، ولكنها ما دامت في عنادها وغيها، وفي هذه الأثناء قامت قوات العراق ترسل صواريخاً إلى مدن السعودية على الرياض والظهران، ولكن القوات الأمريكية كانت تضادها جواً، فكانت تلك الصواريخ العراقية تنفجر في الجو، كما أن الصواريخ الموجهة إلى تل أبيب «سكود» تصاب بمضادات أمريكا، ولما أن أرادت إسرائيل الدفاع عن كيانها وما تحت يدها وأن ترد على العراق سيحدث منها غضب من بعض ملوك العرب ورؤسائها تعلقاً بخيط من العنكبوت لمساعدة العراق، وزودت أمريكا لإسرائيل بصواريخ طراز باتريوت قوية التأثير على صواريخ العراق، وتكفلت لإسرائيل بحمايتها.

ولما أن كان في يوم الاثنين سادس رجب قامت الطائرات الأمريكية بضرب مدينة البصرة واشتد القصف عليها حتى اهتزت مدينة الأهواز الإيرانية من ضرب القنابل التي فاقت بضخامتها واستهدفت البصرة، فقام كافر الخليج زنديق القرن الخامس بتفجير آبار الزيت في الكويت وأضرمها ناراً، كما كان يطلق صواريخ سكود السوفيتية على الرياض والظهران، ولكن الله أبطل كيده فكان يقابلها الصواريخ الأمريكية فتفجرها في الجو، وتبطل مفعولها، ولقد أصيبت إحدى عمائر مدينة الرياض بشظية صاروخ من صواريخ الشقي فأحدثت أضراراً بسيطة ولكن غالب سكان الرياض لما رأوا الرياض تصاب كذلك امتطوا السيارات على اختلاف أنواعها بعوائلهم وفروا هاربين إلى القصيم، ولا ريب أن هذا الشقي

أصبح كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة:٢٠٥-٢٠٦]، ولقد اشتد الحرب والضرب في منطقة الخليج، وشاركت القوات الفرنسية في ضرب العراق، كما أنها استطاعت أن تأسر عشرات الجنود العراقيين في الكويت، وأصيبت القوات البحرية العراقية بتدمير لبعضها، كما أنها قطعت المواد الغذائية عن العراقيين المرابطين في الكويت حتى جعلوا يطوفون في الشوارع ليحصلوا على كسرة من الخبز، وما زالت الإمداد المحاربة من بريطانيا وغيرها تتواصل لنجدة القوات المشتركة، وكان من أعظم ما لدى العدو اللئيم صواريخ سكود، فكان يطلقها إطلاقاً عشوائياً لعدم معرفة شياطينه لها، لأن الرجال المدربين لمعرفة هذه الصواريخ قد أعدمهم غضباً لما لم ينتصروا ولم يحرزوا تقدماً، ومما يؤسف له أن جعل هذه الصواريخ متفرقة وفي أمكنة غير معلومة لئلا يحصل تدميرها القبض عليها، كما كنت أظن أنه تصرفه هو وكلابه برؤوسها جهلاً بمعرفتها أضعف قوتها، وإلا فلو كانت على وضعها الأول لكان لها تأثير عظيم لقوتها وعظم ضررها، ومع ذلك فإنها شديدة الانفجار وقوية التدمير، ولا أدري كيف غفلت الأمة عن شرائها والحصول عليها، كما أن حصل تسخط المجتمع الدولي على روسيا بحيث لم تبذلها لغير هذا المجنون الشقي، ولقد تقدمت قوات العراق إلى مدينة الخفجي وهجمت عليها هجوماً انتحارياً، ولكن القوات السعودية بمساندة الجيش القطري استطاعت إخراجها وطردها ناكصةً على أعقابها وكبدتها خسائر جسيمة، وحطمت آليتها تحطيماً فكانت قوات صدام ما بين أسير وقتيل، واستمرت الطائرات المشتركة في ضرب البصرة حتى اهتزت قصور مدينة الأهواز الإيرانية.

وقد فرَّ من العراق طيارون بطائراتهم إلى إيران فاحتجزتهم إيران متظاهرة أنها لا تطلق سراحهم حتى تضع الحرب أوزارها، غير أن إيران بالرغم من أنها كانت على الحياد في هذه الحرب لا تدخر وسعاً بالعطف على صدام الذي كان مبارزاً لها

بالعداوة والكيد والحروب الدائرة رحاها ثمان سنوات، والدليل على ذلك سعيها بالصلح بين العراق والحلفاء لما رأوا انتصاراته عليه، وهذا شيء يعجب له.

ولما أن كان في دخول شهر شعبان ١٤ فبراير اشتد الضرب على العراق واهتزت حيطان مدينة عبادان والأهواز من قوة الانفجارات، ودمرت الطائرات الأمريكية جميع ما مرت عليه في العراق من الصواريخ، وأصيبت محطات الكهرباء وخزانات المياه والمواصلات، وكانت الجنود الذين جعلهم الرئيس العراقي من أهالي العراق دونه وحرسه الجمهوري مقصورين على وجبة واحد، كانت خمس ملاعق من الأرز في اليوم والليلة بينما يتنعم في مخابئه التي أعدها في جرف الأرض وأهالي العراق بحالة يرثى لها قد استهدفت بعض مساكن الأهالي المدنيين للقصف لما كان ذلك الطاغية العراقي يطلق صواريخه على الرياض والحفر والمدن السعودية إطلاقاً عشوائياً فتصيب النساء والأطفال في فرشهم، وأصبح ذلك المؤذي بطبعه عقوبةً على شعبه خاصة وعلى المسلمين عامة وكان إطلاقه صواريخه الشديدة الانفجار على اليهود في فلسطين وعلى العاصمة السعودية الرياض، فقد أصيبت جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، ولم يكن فيها ليلاً سوى الخدم الضعفاء الذين أصيبوا، وقد تصيب بعض الأهالي المدنيين العزل، ونذكر إصابة من شظية صاروخ من صواريخه لما أطلق آخر الليل إنه هدم بعض المساكن فما أخرج المصابون في تحت الأنقاض إلا وقت العصر من ذلك اليوم لما انتشلت جثثهم فوجدوا ما بين قتيل وجريح تكسرت الأبواب والنوافذ التي تقع عليها تلك الأهوال، وأصبحت مدينة الرياض التي كانت زهرة الدنيا مهددة بالأخطار ولا تزال صفارات الإنذار عالية أصواتها وتارةً تنادي الإذاعة بالاستعداد وأخذ الحيطة لما سيجري، وتارةً تنادي بأنه زال الخطر والحمد لله فاذهبوا إلى أعمالكم، ولما أن رأى الأهالي ما دهى ركبوا الصعب والذلول وفروا هاربين على ما حصلوا عليه من قلابيات وغيرها مكشوفةً إلى القصيم فاستأجروا مساكن فيها، ومنهم من لم يحصل إلا على خيام نصبوها في البراري، وقد كانت

فرصة لما أجلت الدراسة في المدارس لهذا العارض، فكانوا يذهبون لأخذ العمرة والجلوس في مكة والمدينة، ولما أن توسطت روسيا بالصلح تظاهر عدو الله بقبوله الانسحاب من الكويت، كما تفرضه جميع الدول عليه وتباشر الجنود العراقية الذين ثبتهم في الكويت لأذية أهلها وتفتشهم وتشريدهم والتمثيل بهم، ولكنها قليلة وخدعة من خدعه، فعاد إلى ضباطهم ورؤسائهم يطلقون النار عليهم ويلعنونهم، وكانت النتيجة من طلبه للصلح ورضوخه للانسحاب أن فجر مأتي بئر في الكويت من آبار النفط والبترول، وأشعل الحرائق فيها، حتى ارتفعت النيران والدخان الأسود في أجواء الكويت وما يليها، حتى حالت دون ضياء الشمس، وأصبحت الدنيا هناك جحيماً أسوداً لا يستطاع السير في سادسة النهار، وهذا انتقاماً من قوات الحلفاء التي قيل أنه في معدل اليوم الواحد تصاب مائة دبابة من قوات العراق. وأحصى ما قامت به طائرات الحلفاء في قصف العراق من آخر ليلة خامس ٨ إلى تمام أربع وعشرين ساعة فبلغ الفين وثمانمائة طلعة، أي ليلة سادس من ٨.

ولما أن كان من آخر ليلة الأحد عاشر شعبان في الساعة الرابعة زوال قبل طلوع الفجر بدأت الحرب البرية، وهذا بالرغم مما بذلته جهود روسيا من سعيها بالصلح وإقناع المجرم صدام حسين، فقد قتل شباب الكويت وألقى بجثثهم في شوارع الكويت، وفجر الآبار، كما ذكرنا وتقدمت قوات الحلفاء بمدافعها وصواريخها ودباباتها متجهةً نحو الكويت لطرد العدو عنه وإخراجه ذليلاً، وكان الرئيس قد طوقه بحواجز من الرمل، وبعدها أسلاك شائكة ثم حفر خنادق لئلا تخترقها القوات الآلية، ولكنه بالرغم من ذلك دخلت القوات المتحالفة ولم تعبأ بها وأسرت خمسة آلاف من الجنود العراقية، واستسلم آخرون حتى بلغ الأسراء خمسة وعشرين ألف عراقي، وجاءت التدابير من القائد الأعلى بالإحسان إليهم ونقلهم من الجبهة إلى مواضع الأسر حتى تضع الحرب أوزارها، ولم تجد القوات المتحالفة أمامها قوة تذكر كما يتصوره الطاغية، واستطاعت القوات المتحالفة تحطيم خمسين

دبابة روسية، ولقد صفقت الكويت لما رأت قوات التحالف تنتشر في أرض الكويت تأسر وتدمر القوات العراقية، وكانت دبابات أمريكا تفوق في القوة والاستعداد، كما أن الدبابات البريطانية لها مفعول عظيم، هذا وقد كانت الطائرات المتحالفة تضرب العراق وتطالع عن كثب سير الدبابات والمحافظة عليها، وقد دمر الحلفاء وقتلوا أعداداً كثيرة، وتقدمت ولم يفقد من جيشها سوى ثمانية قتلى وعشرين جريحاً، وما زالت قوات التحالف تحطم والجنود العراقيون يستسلمون، وذلك لما أنهكهم الجوع لأن خمس ملاعق من الأرز للجندي العراقي في اليوم والليلة غير كافية لأن تقيم صلبه، ولا سيما لما رأوا بمعاملة المملكة السعودية للأسراء العراقية من الرأفة والرحمة، لكن غالبهم مسخرون ومغلوبون على أمرهم عندما رأوا من تقتيل إخوانهم المسلمين.

وفي يوم الجمعة الموافق ٨/٨ صدرت أوامر الرئيس صدام على جنوده في الكويت بأن يترصدوا للمسلمين بعد صلاة الجمعة بأبواب المساجد فيلقون القبض عليهم ويجعلون عيونهم مغطاة ويحملوهم أسراء لا يعلمون إلى أي جهة ذهبوا فيلقونهم في العراق ويفجر بقية آبار البترول في الكويت حتى تم تفجير خمسمائة بئر في الكويت وأصبحت الأمور لا تبشر بخير بعد اندلاع النيران وإشعال الحرائق في أحياء الكويت، وقتل النساء والأطفال وهتك المحارم، وكانت الأمور لا تبشر بخير وتنذر بشرها وويلاتها، وفي تلك الأثناء تطلق العراق بتوجيه من رئيسها صواريخ سكود السوفيتية على المدن السعودية، وكانت آية من آيات الله في قوة القصف وشدة التدمير، لولا أن الله جعل لها صواريخ مضادة في الجو وهي صواريخ باتريوت الأمريكية، فقد أطلق الشقي صاروخاً على مدينة الخبر في الشرقية فسقط على عمارة فيها ذات طابقين، فقتل أربعين وجرح مائة وخمسين، وفقد أربعون تحت الأنقاض، كما كان يطلق الصواريخ على مدينة الرياض فأصيبت بعض المدارس وبعض البيوت فيها، ولولا أن الله دافع بفضله عن المسلمين لكان الأمر أدهى وأعظم، ولما أن توغلت جيوش الأمم المتحالفة ضد العراق في مدينة الكويت

استطاعت أن تطرد الجيوش العراقية وتأخذهم أسراً وقتلاً وتحطم دباباتهم حتى خرجوا أذلة وهم صاغرون، وأسر منهم خمسون ألفاً ودمرت دباباتهم ولم تكتفِ أمريكا بذلك حتى سدوا الطريق بينهم وبين العراق يقتلون ويأسرون ولا يزال الضرب في مدن العراق مما حمل على الرئيس أن يعلن سحبه من الكويت، ويعترف بأن الكويت ليست جزءاً من العراق، ويخضع لقرارات مجلس الأمن صاغراً مرغماً، وأخذ يفكر في الفرار من العراق بجعل طائرتين على استعداد، ولكن أمريكا جعلت له أقماراً صناعية تمنعه من الهرب حتى تخضع لجميع الخسائر التي أنزلها بالكويت، وقد شوهد من مصر التي بلغت جيوشها تسعة وثلاثين ألفاً، تقدماً عظيماً في طرد الجيوش العراقية أيضاً عن الكويت، ورفع العلم الكويتي في الكويت وفتحت السفارة الأمريكية بعد إغلاقها، كما فتحت بقية السفارات فيها، وقام الأهالي في الكويت يهزجون بالدعاء والثناء والشكر لصاحب الفضل عليهم الملك فهد بن عبدالعزيز، وأصبح الذين ناصروا الشقي المعتدي رئيس العراق وزجوه في غيه وضلاله يعضون على أيديهم أسفاً على ما بدر منهم، بحيث جحدوا المعروف وأنكروا الفضل وجاهروا بعداوتهم كيف لا وهم يتربصون الدوائر ويظهرون في وقت العافية مالا يبطنون قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾ [النساء:١٠٧-١٠٩].

كان الحكماء قد قرروا على أن يجعل صدام في قفص المحاكمة بعدما أطيح في حكمه وخذله الله، وكان رفع العلم الكويتي فيها يوم الأربعاء في ١٣ شعبان من هذه السنة.

وفي صباح يوم الرابع عشر الموافق ٢٨ من فبراير شباط ١٩٩١م تلقى السفير السعودي في واشنطن بلاغاً من الرئيس جورج بوش بالأمر بوقف إطلاق النار،

وذلك في الساعة الثامنة صباحاً بتوقيت الرياض، ولما أن أعلن القرار كان فيما قبله وبعده سوء تصرف من العراق بحيث أنه لم يتوقف إطلاق النار منهم بصورة قطعية مما اضطر المشاركة إلى رد الفعل بالفعل بحيث سقط من أهالي العراق بالبصرة جملة قتلوا وحطمت من دباباتهم ثمانون دبابة، إضافةً إلى أربعة آلاف دبابة حطمتها أمريكا والقوات المشاركة، وخلفوا ورائهم حينما انهزموا مائة ألف قتيل وخمسين ألفاً وأسر منهم مائة ألف وخمسة وسبعون ألف أسير، ثم وقعت فوضى في اليوم الثاني عشر في مدينة البصرة وكسرت صور الرئيس صدام، ونودي بالإطاحة في حكمه وجرح الثوار في البصرة ابن صدام حسين وهو عدي بعد محاولة اغتياله، وقتل حاكم البصرة ورئيس البلديات فيها وخسر العراق مدينة الزبير والسماوة والبصر والناصرية، وقام الجيش ضد الرئيس الأول بقصف للحرس الجمهوري، ومظاهرات عنيفة بحيث سمع في إيران أصوات الانفجارات من ضرب المعارضين لصدام، وقام الرئيس المخلوع يفكر في جهة يلجأ إليها فمانعت روسيا من إيوائه، وقد يكون فرض بنفسه على أعوانه الذين زجوه في ورطة وعرض نفسه على الجزائر ملجأ فأجابت بأنه لا مانع من ذلك إذا وافقت أمريكا.

ولما أن كان في يوم الاثنين ٨/١٨ قدم ولي عهد الكويت رئيس الوزراء فيها سعد بن عبدالله بن صباح الكويت على متن طائرة سعودية بعد غيابه عنها سبعة أشهر وسبعة أيام، وقد أجمعت ظنون الأعداء ومن على نحوهم بأنها غابت شمس الصباح فلا يعودون إليها، وهذا يدل على تمام قدرة الله تعالى، وأن الإنسان لا ييأس من روح الله، فأول شيء بداية ركعتان ركعهما على مدرج الطائرة شكراً لله تعالى وخضوعاً لعظمته، هذا وقد كانت سماء الكويت غمامة سوداء من دخان آبار الزيت التي فجرها طاغية العراق وبلغ عددها تسعمائة بئر، ومثل بمن وقعت يده عليه من أهالي الكويت المفقودين فيها بأن قلع أعينهم وأحرق بعضه فلم تعرف أجسامهم، وقتل الشباب والأطفال وألقاهم في الشوارع جثثاً هامدة، وأصبحت الكويت بمرأى حزينٍ تقشعر له الجلود وتحزن له القلوب وتنكره العقول البشرية،

وقد كانت بقايا من الفلسطينيين في الكويت لم يزهدوا في الأذى والانضمام إلى الطاغية ولكن أحيط بهم لما جاء النصر من الله.

ولما أن أصبح الرئيس صدام قد خسر الحرب ونودي بالإطاحة بحكمه، وكان كأسير في مخبأه قام الأهالي ضده بثورات عنيفة من الشيعة والأكراد، واستعملت الطائرات والمدافع بين أهالي العراق والجيش الجمهوري المحيط بالرئيس السابق، وحصلت فوضى في العراق وأصبح الذي يريد السيطرة على الدنيا كلها عاجزاً عن تخليص نفسه من شعبه الحانقين عليه، ولما أراد أن يستعمل على الثائرين عليه زيت الخردل والمواد الكيماوية وهددته أمريكا، وأصبح بحالة لا يحسد عليها، وهناك قام الفريقان بتبادل الأسرى، غير أن الأسرى العراقيين رفضوا العودة إلى العراق لما يتوقعونه من سوء الحالة فيها كيف وقد فرَّ من تمكن من الفرار إلى إيران وتركيا والأردن وغيرها.

وفي بقية أيام شعبان عادت الأمور إلى ما كانت عليه، أولاً في الدمام والخبر وحفر الباطن من الأمن والطمأنينة والهدوء ،وقام أهالي الكويت ينظمون شؤون بلادهم بعد رجوعهم إليها، وقد التزمت العراق حسب قرار مجلس الأمن بإرجاع جميع ما سلبته وانتهبته من الكويت سواء من الذهب والفضة والحلي والنقود كذا أعمدة الكهرباء والإشارات التي في شوارعها، أو كان غير ذلك من السيارات والمكيفات وما يلتحق بها، وطلبت حضور من يستلمها، ولكن أهل المعرفة يقدرون ما انتهب من الكويت وخرب ودمر فيها بمائة ألف مليون على أقل تقدير، كما أن آبار البترول التي فجرت فيها لا يمكن القضاء على لهبها إلا بعد سنتين، وقد أثر الدخان على الطبقة الجوية بدخان أسود تراكم منه قطع سحب انتشر دخانها في شمالي المملكة السعودية بما في ذلك القصيم.

وفيها في ليلة الثلاثاء تاسع عشر شعبان هبت رياح شديدة السرعة على القصيم فأثرت على غربي القصيم الشمالي بأن سقطت أعمدة الكهرباء وخزانات الكهرباء بأن تحطمت وسقط لذلك الأشجار في الشوارع ونخيل ولا سيما في عقلة

الصقور، وكانت تلك الرياح مصحوبة ببرد شديد وغبرة وقترة، وكان من آثار تلك الرياح سقوط خيام في البراري استهدفت لتلك العاصفة.

وفيها في ١٧ شعبان وفاة الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز الجبيلي رحمه الله وعفا عنه، كان من حملة المشايخ الذين أخذوا العلم عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وعن الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، وتولى قضاء مدينة الخبراء في القصيم، ثم كان مدرساً في مدينة تحفيظ القرآن في مدينة بريدة، وأخذ عن الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد حال كونه في مدينة بريدة، وكان ضرير البصر وله صوت جهوري في تلاوة القرآن.

وفيها في اليوم ٨/٢٨ قدم أمير الكويت جابر بن أحمد إلى بلد الكويت بعد مغادرته إياها سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً، ولما أن ظفر الرئيس الأمريكي جورج بوش ذلك الظفر وتقدمت جيوشه محتلة من العراق وأراضيه مائة وخمسين كيلوا صفقت له الأمة معلنةً المديح له والثناء عليه، وقد كان باستطاعته أن يمحق العراق بأسرها ويزيلها من الكرة الأرضية، لكنه قال إني لم آت مخرباً ولا مدمراً، بل جئنا لتحرير الكويت وطرد المغتصب عنها، فلذلك لم يفجر آبار النفط ولم يسع بالإفساد فيها، وهتك الأعراض، ونهب الأموال كما فعله رجل يدعي الإسلام ويبهرج بأنه عربي وغيور، فأصبح بضد ذلك، نسأل الله العافية وأذله الله وأخزاه وجعله أحدوثة للأمة إلى يوم القيامة وهكذا فعل الله عز وجل بمن سعى فساداً، ولقد ألقى الله عليه الخوف والذعر فبعث إلى الموالين له وهم السودان وتونس وحسين الأردن وعلي عبدالله صالح اليمني يطلب منهم أن يبعثوا المنهوبات التي وزعها عليهم في الكويت يردها إلى أهلها الذين أنتهبها منهم حسب قرار مجلس الأمن.

فيا عجباً ويا سبحان الله كيف توصلت الأحوال به إلى هذه الدرجة، وقد ثار العراق بأجمعه عليه وأصبح في قتال مع الأهالي، وكان قد لجأ إلى استعمال الغازات السامة والكيماوية على الأكراد، ولكن أمريكا التي استولت على سدس مدينة العراق حدت من ذلك وإلا فإنها لا تزهد في ضربه في قبوه، والبقاء عليه.

وفي رابع شهر رمضان قام الرئيس المخلوع يفجر آبار بترول العراق ويسعى بتخريب بلاده.

وفيها في آخر اليوم السادس من ٩ أصيب القصيم بصفرة وظلمة شديدة، واستمرت قبل وقت العصر إلى الغروب، وفي هذه الأيام التي توافق آخر برج الحوت وأوائل الحمل، كانت أراضي القصيم مزدهرة بالأعشاب وأنواع الربيع، فكانت الأمة يخرجون إلى رياض السكة وما يليها التي كانت قد أنبتت من كل زوج بهيج، وقد كانت السماء مدرارة بالأمطار الوابلة عليها بحيث كانت الشوارع المسفلتة داخل المدن قد اخضرت من طول بقاء الماء فيها في غير كثرة المستنقعات، ولكن لتدارك الأمطار، ولما أن كان في ٩/١٠ قامت قوات صدام حسين بضرب الثائرين عليه من جهة الشمال والجنوب، وامتلأت الشوارع في البصرة في جثث القتلى، وكان معظمهم من الأكراد، وبما أن الحكومة القديمة في العراق تملك بقية قواتها التي دمر معظمها فإن الثائرين من الأكراد والشيعة واجهوا قوات من عدوهم ولم يتلقوا مساعدات من المجاورين، فقد استهدفوا للقتل والدمار.

وفي ٩/١٨ أصيبت مدنهم بالدمار بحيث قضت قوات صدام بما فيها الطائرات العمودية وطائرات الهلوكبتر على المدينة، وجعلتها أكواماً من الحجارة، وفرَّ المتبقون من الملايين عنه ميسرةً عن العراق، ولقد ضجت الأمة ولا سيما فرنسا من أعمال صدام الإجرامية الذي لا يعرف عن الحياة إلا القتل والأذى التدمير، نسأل الله العافية، وكانت المعارك ضارية جداً في العراق بين الأهالي بما انتحله الطاغية، وكأنه لما فشل في حرب إيران وفي هجومه على الكويت وتعذيب أهلها، وأخرج منهد طريداً قد قتل رجاله وأبيدت قواته، ورد الله كيده في نحره لم يجد مندوحة عن أن يعدل إلى قتل قومه وشعبه لما كان يسعى به من التخريب والإفساد، فقد قام هذا اللئيم على شعب العراق بقتل الأطفال فيها والنساء، إضافةً إلى ما أصيبوا بأسبابه من الجوع والأمراض الفتاكة، وإلى ما حل بهم.

وكان موقف أمريكا ومن حالفها أن تنظر إليه بعين المتفرج وتقف وقفة المتفرج، وذلك لثلاثة أمور:

أولاً: إن ذلك كحرب داخلية وثورات داخلية نصيبها عدم التدخل في شؤون العراق.

ثانياً: أن أمريكا لا تزهد في تشتيت شمل العراق وضعفه لما سولت لرئيسه نفسه أن تسفر حالته عن أن يكون بارزاً على إسرائيل حليفة أمريكا لأن مما حفظ عنه في حالة طغيانه بأنه يستطيع القضاء على نصف إسرائيل، وفعلاً حصل على ما تمليه عليه نفسه من جمعه الطائرات والدبابات والصواريخ بعيدة المدى التي أبيدت.

ثالثاً: لعله يسترد شيئاً من حياته حتى يطالب بقرارات مجلس الأمن التي أدانته بجميع تعويضات ما قام به من الإفساد في الكويت وغيرها، والسرقة والتخريب ثم ترجع عليه بعد ذلك بالإطاحة بحكمه وقتله أو طرده، وكان في تلك المدة التي بلغت ثمانية أشهر وعشرة أيام لا يزال الجبن والضعف، ولو كان شجاعاً لظهر يقاوم الأبطال ويدير المعارك بنفسه لكنه كان يرسل شياطينه وأذنابه الحرس الجمهوري الذين باعوا إخوتهم برضاه واتكل عليهم فخاب وفشل وخسر الحروب كلها، وجرَّ على نفسه وقومه وشعبه واقعة بلاء ودماراً، قد لا يتلاقى في عشرات السنين بحيث كان غير مفكر ولا عاقل ولا محنكاً إنما كان همجياً لم يجد في شعبه رجالاً يوقفونه عند حده، ولقد حاولوا عدة مرات لاغتياله فلم يفلحوا بحيث بلغت العشرات، ولكن لما يريد الله بهم من بقايا شره لم يصب، وإذا قارنا بين حالته في إرغام قومه على أن يسكتوا عنه ويقبلوه رغماً على أنوفهم وبين حالة أبي بكر الصديق وعمر بن عبدالعزيز وعقلاء الرؤساء الذين كانوا يفرضون على شعوبهم إقالتهم من البيعة إن كانوا لا يرتضونهم، بل كان دكتاتورياً مجنوناً أنزل على أمة لا تريده لا ترتضيه رئيساً فجاء بإطاحة الرئيس حسن البكر واغتصبه عرشه، وآذى المسلمين عامة وأهل العراق خاصة، وفي الحقيقة إنه لم يروي التاريخ من نزول دم على الأرض عن ملك أخرق فعل مثل أفعال هذا الرجل، وليس العجب من مجنون يلعب بالنار ويقتل الأبرياء ويسفك الدماء إنما العجب من شعبه كيف لا يهجموا عليه هجوم رجل واحد ويستريحوا منه، ولكن الله سبحانه وتعالى له حكمة من وراء ذلك كله.

أما النازحون والذين تمكنوا من الفرار إلى تركيا فقد بعثت بريطانيا إليهم الخيام والبطانيات بطائرات مسلحة، وشيئاً من الأغذية والأطعمة ينقذونهم من الهلاك والجوع، أنزلتها بالبرشوت من الجو على المنكوبين والفارين إلى أراضي تركيا، ومعظمهم من الأكراد الذين عذبهم زمانهم وابتلاهم بصدام، وكانت هذه القوارع والزعازع إلى ثالث العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم.

ذكر الطمأنينة والأمن في السعودية

لما أن كان في منتصف شهر شعبان من هذه السنة صدر الأمر بفتح قصور الأفراح التي كانت مهيأة للفرح وولائم الزواج بعدما أمر بتغليقها لحادث الطوارئ وإخماد أنوارها ليلاً، وعادت الأمور في جميع أنحاء المملكة إلى طبيعتها، وبما أن الحكومة الكويتية قد قامت بعد عودة الكويت بعد احتلالها إلى حالتها الأولى فاستعملت جزية التطهير والتنظيف لها من جميع الألغام التي ودعت فيها، فإن الحكومة السعودية رأت الإبقاء على الكويتيين وأن يلبثوا في السعودية حتى تتاح الفرصة بالإذن لهم من حكومتهم بالعودة سالمين غانمين، وكانت تلك العاطفة من الحكومة السعودية عليهم تعتبر من أعظم الحسنات والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ذكر الفوضى في العراق

قدمنا ما جرى على الأكراد من الرئيس صدام بحيث أباد معظمهم بقتل جماعي كالسلاح الكيماوي المحظور استعماله وقنابل النابالم والقنابل العنقودية، وذلك لما انهزم في حرب الكويت وأعطته أمريكا درساً لا ينسى، وذلك باستخدام ذخائر حديدية لم تكن بحسبانه كالقنابل الإقحوانية والزرقاء الكبيرة، وقنابل الوقود الحارقة، وكانت قوية التأثير إلى حد أن البعض يعتبرها البديل الرخيص للقنابل الذرية، أضيف إليها تحديداً قنابل «بي» إلى «بو» ٨٢ ولكن ماذا كان تدميرها عندما أطلقت على مسرح العمليات، وكانت الدلائل تتزايد حول قرب قيام القوات

المشتركة باجتياح الدفاعات العراقية في الكويت المحتلة بواسطة هجوم بري بحري جوي كاسح، ويوم إذاعة العراق ببيانه كانت ٥٠ ساعة قد مرت على بدء استخدام الحلفاء لقنابل الوقود الحارقة، إنها قنابل ثقيلة استخدمها الحلفاء في الخليج لتفجير حقول الألغام وفتح ممرات وثغرات فيها، ويتم استخدام هذه القنابل وإسقاطها بمظلات وتحديد لها المساحة المطلوب غمرها بكتلة لهب هائلة، وكانت قنابل الإقحوان تعد أكبر قنبلة استخدمتها قوات الحلفاء، وهي أكبر قنبلة تقليدية في العالم، ولا تفوقها غير القنابل الذرية، وتنفجر هذه القنابل فوق سطح الأرض بقوة تخريبية، وفي نفس اليوم الذي تم فيه تدمير ما مرت عليه شظاياها التي دمرت استحكامات الحرس الجمهوري العراقي، والتلال والمتاريس والألغام أيضاً، وفي نفس اليوم الذي تم فيه تدمير ملجأ العامرية كانت القوات المتحالفة تلقي طائراتها صواريخ مستحدثة على مواقع مدفعية في الكويت المحتلة، وهذه الصواريخ المستحدثة تعمل ضمن نظام صاروخي اسمه «إم» إلى «أو أس» وهو نظام متعدد الإطلاق يتولد عنه رشقات متتالية كل منها يضم ١٢ صاروخاً، ويزيد قدر الصاروخ عن ٢٠ ميلاً، وكل صاروخ من هذه الصواريخ يحمل داخل جوفه ٦٠٠ قنبلة طراز «إم» ٧٧ يخرج من جوف الصاروخ البالغ طوله أربعة أمتار وتفجر ما تحتها بمساحة ٦٠ قدماً، ولم ينكر المتحدثون العسكريون هذه الذخائر جميعها وغيرها مما استحدثته القوات المشتركة عند هذه العمليات:

كانت توجه إلى قائمة جديدة من هذه الأهداف عطلت فيها خطوط السكك الحديدة والجسور والطرق وجميع وسائل الإمداد والتموين في العراق، مما جعلها أثراً بعد عين، وقال مسؤول أمريكي أن مثل هذه الأهداف توجد داخل المدن، ويمكن أن تسفر الغارات عن إصابة بعض المدنيين بطريق الخطأ، وقال توم كيسنج وزير الدفاع البريطاني ضمن حديثه لمحطة «بي بي سي» البريطانية أن الهجوم على القوات العراقية في الكويت لا بد له أن يتم بواسطة معارك برية حاسمة قريبة، ولا بد للمعركة البرية أن تنتهي أيضاً قبل الصيف وفعلاً فقد انتهت في أيام قلائل

قضت على قوات صدام وجنوده وسحقتهم سحقاً، ورجعوا ما بين قتيل وأسير وجريح يجرون ثياب الخزي والهزيمة، وقد قتل صدام وزير دفاعه حنقاً وغيظاً على ذلك، ولما أن أوقع بالأكراد المساكين الذين لا تملك سوى أذية شعبه لما خذله الله فرَّ بقيتهم إلى الجبال في شمال العراق، ولجأ بعضهم إلى إيران والبعض الآخر لجأ إلى تركيا مستجيرين من عذابه، وأبى الأسراء الذين وقعوا في يد القوات السعودية الرجوع إلى العراق لعلمهم أنهم لو وقعوا في قبضة رئيسهم لأعدمهم وانشق شعبه عليه يريدون الإطاحة به، ولقد نصبت أمريكا للمشردين من الأكراد مخيماً في شمال العراق وبنوا ذلك المخيم بقوة واستحكام، وشاركت به ذلك بريطانيا حفاظاً على حياة أولئك الضعفاء المشردين، ولم يزهد المغلوب صدام عن التربص بهم ومراقبتهم ليوقع بهم، ولكن القوات المتحالفة أمدتهم بالأرزاق والأدوية والأطعمة، وطردوا عنهم قوات صدام التي تريد إهلاكهم وتدميرهم على أية حالة كانوا عليها وكان في تقلباته يتحرك حركة المذبوح، فقد أقام عيداً سنوياً في منتصف شهر شوال في هذه السنة، مما كان به ضحكة وسخرية لك ساخر، ولا تزال عين أمريكا تراقب حركاته حتى أنها وقفت أمام رش الزروع في بغداد حتى تشرف على المادة المستعملة في الرش خوفاً أن تكون ضد الأهالي لأنه لا يؤمن من أذيتهم.

إعصار يصيب بنغلادش

لما كان في اليوم الخامس عشر من شهر شوال أثبتت الأرصاد الجوية عندهم أنه سيقع إعصار في منتصف ليلة سادس عشر شوال الموافق عاشر برج الثور ثاني نجم، فجعلت الأمة تتوقع حدوث هذه الحادثة وتفكر فيما ينجى من هولها، فهب الإعصار نصف الليل بقوة مائتين وثلاثين، واجتاح ما مر عليه فقد هلك ألف نسمة ودمر عشرات الألوف من المنازل، ودمر ميناء هناك، وأغرق عدة سفن ولله كمال التصرف في خلقه.

حادثة غريبة في هذه السنة، في ١٢ شوال عض حمار رجلاً في مدينة بريدة في الماقفة فلم تستطع الأمة تخليص الرجل، فقطعوا رأس الحمار وحملوه مع الرجل إلى المستشفى للكشف وتحليله خوفاً أن يكون مسعوراً.

لما كان في ٧/ ١٠ هب إعصار على تلك الجهات في ضواحي مدينة بريدة يوافق يوم الأحد أول يوم من برج الثور، جاء من الجهة الغربية الشمالية ثم عطف على الجهة الجنوبية بقوة هائلة عظيمة فكسر ما مرَّ عليه من الزروع هناك، وجعلها كعصفٍ مأكول، وقد وافق ذلك نزول البرد فما لم يهلكه الإعصار مما مرَّ عليه أهلكه البرد بفتح الراء وقلب الإعصار محاور للرش، واقتلع بعض الصوامع الأهلية هناك، ولكنها قليلة بالنسبة إلى كبر المنطقة.

هذا وقد هبت عواصف من الرياح في أواخر برج الحمل على منطقة القصيم مما سبب تكسير بعض أشجار الطرق وبعض النخيل الطوال، وقد اقتلعت ما مرت عليه، ويبست الأعشاب فأصبحت هشيماً تذروه الرياح بعدما كانت منظراً رائعاً، ولا يستنكر وقوع تلك الإصابات في برج الثور إذا لم يدافع الله عز وجل، نسأل الله اللطف والعافية.

ذكر ما جرى في أفغانستان

لما اتخذت روسيا مدينة كابول مثار للفتن وأمدت حكومة كابول بقواتها وأهوالها تطلق منها الصواريخ وترسل الطائرات على المسلمين هناك كان المجاهدون من مسلمي أفغانستان يقابلون ذلك الشر بمثله، وهم وإن كانوا يواجهون أهوالاً من التقتيل والتدمير وأنواع البلاء، فإنهم صامدون ومنتصرون وواثقون بنصر الله، وكانت الأمم الإسلامية تمدهم بالأغذية والأكسية وجمع النقود والنفقات وبعثها إليهم، فقد كان من انتصاراتهم أن استولوا في سادس شوال من هذه السنة على ثلاثين قرية من أفغانستان، وقد قتل منهم في هذا الإقدام والبسالة ثلاثون قتيلاً وجرح سبعمائة، وبهذا تعلم عظم الجهاد الذي يقاتلون فيه أعظم دولة كافرة قوية، ولكن هذا النصر لم يدم حلاوته فقد قامت روسيا وأطلقت على المجاهدين المسلمين صواريخ نارية مزقت جثثاً من المجاهدين وتركتهم لحوماً ممزقة طارت بين السماء والأرض، وكان الذين مزقتهم هذه الصواريخ لا يقل عددهم عن ثلاثة آلاف

قتيل، وقد تأثرت أمريكا لهذه الفادحة وانهالت بها الأخبار مستنكرين تلك الفعلة الشنعاء والقتل الجماعي الذي تجلت عند شدة عداوة الروس للمسلمين.

وفيها في صباح اليوم ١٨ من شوال هبت رياح أثارت صفرةً في الجو واستمرت إلى وقت العصر ثم تحولت إلى غبرة وقترة من غير رياح، ولكنها كادت أن تعطل حركة السير و ذلك على منطقة القصيم.

وفيها قام الرئيس الإيراني علي أكبر هاشمي رفسنجاني بزيارة لسوريا حسب طلب الرئيس السوري حافظ الأسد ، وذلك في ١٣ شوال، فلبث ثلاثة أيام استغرقتها فيها زيارته، وكانت هذه الزيارة تتعلق في مستقبل الخليج ونشر السلام فيه، وكأنما رؤساء الإسلام رأوا أن من المصلحة العامة التزاور فيما بينهم وتبادل الزيارات والتوادد والتحابب، وكأنهم لما رأوا نتائج الاجتماع من النصر والغلبة وثمرة الاعتصام بحبل الله جميعاً، وأنها لخطوة طيبة، نسأل الله تعالى أن يؤلف بين قلوب المسلمين وأن يجعلهم يداً واحدة على أعدائهم.

وفي هذه السنة فتحت الحكومة السعودية أبواب القبول لحجاج إيران بالغاً عددهم ما بلغ تلبية.

ذكرنا فيما سبق بلغ عدد ضحايا الإعصار ببنغلادش المتقدم ذكره سبعة وثلاثين ألف قتيل، وقد تجاوز العدد بعد الحادثة وهلاك الجرحى حتى بلغو ثلاثمائة ألف قتيل، ويعتبر هذا الإعصار من أعظم ما مرَّ على بنغلادش وإنما تبين العدد بعدما طفت جثث الهلكى على متن ماء البحر وساقتها الرياح إلى السواحل هناك، لأن غرق السفن التي تحطمت ولم يعثر عليها إلا بعد ذلك، وقد بعثت الحكومات الإسلامية إليهم مساعدة لهذه الكارثة، إن شعب بنغلادش البالغ عدده تسعين مليوناً وتسعون بالمائة إسلام يعيشون بفقر ومجاعة وإملاق.

وفيها في ١٥/ ١٠ أصيبت إحدى مدن روسيا بهزة أرضية هلك بسببها خمسون نسمة وفقد سبعون، وشرد سبعون ألفاً فأصبحوا بلا مأوى، وكانت ببنغلادش كثيراً ما تتعرض للفيضانات لكثرة مياهها، وقد انفصلت عن باكستان بعد الحرب

العالمية الثانية، ولما أن أصيبت في هذه السنة بتلك الكارثة كان على رأس المتبرعين لها الحكومة السعودية، فقد تبرع الملك فهد بن عبدالعزيز بمبلغ عظيم بلغ أربعمائة مليون من الريالات.

وفيها في ٢٩/ ١٠ قام وزير خارجية روسيا بزيارة للملكة العربية السعودية، وعندما قدم لذلك كان في استقباله وزير الخارجية السعودية سعود الفيصل، ولما أن قدم الوزير السوفيتي استقبل في المملكة استقبالاً يعبر عما بين الحكومتين من حسن التفاهم وقوة الصِّلات وأعجب كثيراً بما وجده من قبول نشر السلام والسير إلى الأمام في توطيد الأمن ووضع التخطيط لما يعود على العرب في الشرق الأوسط.

ذكر ما نتج عن إعصار بنغلادش

لما أن حصلت تلك الضربة الإلهية وجعل البحر يقذف بأمواجه الجثث وغرقت المساكن وتعطلت المصالح، وغرقت السفن وغرق معها خلائق كثيرة، وقد وردني في بعض الآثار أن ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق بني آدم فتمنعه القدرة الإلهية والرأفة السماوية، وإذا كان الله قد أهلك عاداً بالريح فأصبحوا لا يرى مساكنهم فليس بمستبعد أن يهلك الله من شاء بالريح، ولما جرت تلك الكارثة هبت الأمة من مشارق الأرض ومغاربها يبعثون المساعدات والمؤن والكسوة والفرش لأولئك الموتورين، وقامت الطائرات العمودية لإنقاذ الغرقى، واستنقاذ ما توصلوا إليه، ولا ريب أن تلك الضربة قاسية جداً أغرقت الأنفس ودمرت المساكن وابتلعت الأموال وجعلتهم حديثاً للأمة، فعياذاً بالله من عقوباته، ونسأله العافية، ولا ريب أن جميع ما استهدف لتلك الكارثة من شجر وبيوت وأعمدة كهربائية وطائرات وسفن أصيبت بضربة ساحقة ماحقة، وقد أنكرت إحدى الدول هلاك ذلك العدد الكثير من الأنفس البشرية، ولكننا لا ننكر عظمة بعض الإعصارات وقد تقدم في هذا التاريخ ما فيه كفاية أنه في صباح اليوم ٢٦ من ربيع الثاني من هذه السنة أصيبت الفلبين بإعصار شديد من أعظم ما مرَّ عليهم، وقد حمل ذلك

الإعصار ما مرَّ عليه من الرجال والبهائم والأشجار فاجتاحها واجتاح المساكن التي مرَّ بها فدمرها تدميراً، فقد قيل أنه قتل خمسة آلاف نسمة هلكوا بسببه.

وفيها في يوم الثلاثاء ٩ الموافق ٣٠ شوال قامت الرابطة الإسلامية فبعثت مواساة إلى جيلوتريان، بعثت إليها مئات من المصاحف ومئات من الكتب وأعادت إعمار مسجدها على نفقة الرابطة الإسلامية في مكة المكرمة، كما أن الحكومة بعثت مساعدات مالية للمنكوبين في بنغلادش قدرها أربعمائة مليون من الريالات السعودية.

وفي هذا اليوم أعلنت أمريكا بأنه لا بد من اتخاذ إجراءات ضد أعمال الرئيس المغلوب العراقي صدام حسين لحمله على الخضوع لتسليم الأسلحة الكيمائية لإتلافها، والأمن مما يتوقع من شره، وبما أنه أقيم مخيماً للاجئين من الأكراد في شمال العراق الذين أخرجهم الطاغية من بيوتهم واستحل دمائهم وأموالهم، فإنه لا يؤمن من الهجوم عليهم هو وزمرته ولا سيما ما لوحظ من زمرته الفاسدة من عدم الطمأنينة إلى مواعيدهم، وكذبهم بحيث توصلت الأحداث بهم إلى أن كانوا يطلقون النار على رجال الإنكليز الذين كانوا يراقبون حركاتهم وسكناتهم، فبذلك يصبح الأمن غير متوفر من بقية الطغمة الفاسدة، وقديماً قالت أمريكا: إنه لا يتوفر الأمن، ولا يستقيم أمر العراق ما دام صدام فيه، فلا بد من الإطاحة به واغتياله والاستراحة من بقيَّة شره، وقد استمرت الفتن فيما بين زمرته وبين المناوئين له من أهالي العراق الذين ملوا من ظلمه وأذاه، فلا يزال إطلاق النار بين القبيلين مستمراً والانشقاق في العراق متوالياً وقوياً لأنه يحكم أمة تريد التخلص منه والقضاء على بقية شره، لأنهم رأوا أن لا خير لهم في الحياة ما زال في الوجود، فقاموا ضده.

إن سياسة الدول الكبرى نحوه ظاهرة لمن تأملها، ولا ريب أن حياته تلك مهددة بالذل والخوف لأنه لم يجد ملجأ يذهب إليه ويكفل له البقاء والسلامة.

ذكر زيارة وزير خارجية أمريكا جمس بيكر

لما أن كان في ٢٩ شوال من هذه السنة قدم الوزير المذكور وكان يريد وضع

صلح واستقرار في الشرق الأوسط ونشر السلام، وقد سعى في هذا الموضوع بجد واجتهاد غير أنه لم يتلقَ جواباً، ومما يؤسف له حالة لبنان وما هم فيه من التناحر فيما بينهم، والقتال الذي استمر بين حزب أمل الذي من جهة حاكم سوريا، وبين حزب الله المدعوم من جهة إيران، ومن جهة إسرائيل والأهالي استعملت لذلك الصواريخ والطائرات والمدافع والرشاشات واستمرت الحالة بما أضر بلبنان وجعلهم أحزاباً وفرقاً مختلفين، وكذلك ما بين الفلسطينيين وإسرائيل من القتل والتدمير لمنازل الأهالي في فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة والخليل وغيرها، وبما أن أهالي فلسطين يقاتلون بالحجارة والزجاجات الحارقة فإنها تقابلهم إسرائيل بالنار والأعيرة النارية والمسدسات والرشاشات، وإذا رمى الفلسطينيون زجاجة حارقة فتكسر زجاجة سيارة ويصيبوا إسرائيلياً بجروح فإنها تقابلهم إسرائيل بالقبض على الأعداد منهم وتقتلهم وتلقي العشرات في غيابات السجون، بحيث امتلأت السجون بالأهالي ويعاملهم بالتشريد ونسف المنازل، فثلاث وأربعون سنة والحالة بهذا الوضع الشنيع، ولم تعد الانتفاضة الفلسطينية أهالي فلسطين إلا بما عاد عليهم من القتل والدمار والتعذيب والتشريد، وأرادت أمريكا أن تضع حد لهذه الفوضى بصلح بين العرب واليهود لتهدأ الأمور، وبما أن الرئيس ياسر عرفات كان عقوبة على أهل فلسطين ورئيساً استغلالياً يقبض المساعدات التي تجري لهم من ملوك العرب ورؤسائهم لنفسه ويبعثها إلى شراء مساكن وقصور لنفسه في الممالك الأخرى، ولا يبعد أن تكون هذه الانتفاضة الذي سوغها لقومه وأشار بها خيانةً منه لإضعاف أهل فلسطين، فإن عقلاء الدول قرروا أن لا صلاح لهم ما دامت له الرئاسة، ومما ظهر من تصرفاته في مناصرة صدام العراق والتفافه إلى زمرته أنه عدو للعرب أو سيء التصرف، أوقع قومه في المهالك ولم ينفعهم، وقد رجع جمس بيكر خالي الوفاض بخفي حنين، ولكن فيما يظهر سيعيد الكرة لوضع السلام ونشر الأمن في الشرق الأوسط إن ساعدت الظروف وعرف العرب ما

يصلحهم، وإن في صلح الحديبية والحالة التي سلكها الرسول ﷺ قدوةً حسنة عند الحاجة.

وفيها في ٥/ ١١ قدم سلطان عمان قابوس بن سعيد زائراً زيارة رسمية للملكة السعودية، فأقيم له استقبالاً واحتفالاً وترحيب لكونه رئيساً عربياً، وقد حامت الآراء على أنه جاء ليضع حسن الصلات بين اليمن والأردن وبين السعودية بعدما ارتكبته الأوليان من الأخطاء والضلال وسلوك طريق الغي.

وفيها أقيم وزير خارجية مصر عصمت عبدالمجيد أميناً عاماً للجامعة العربية في مصر بدلاً عن الأول الذي كان مقره في تونس، هذا ونسأل الله تعالى حسن العافية للمسلمين والعرب.

وفيها في ٧/ ١١/ ١٤١١هـ الموافق ٢١ مايو أيار وفاة راجيف غاندي الرئيس لوزراء الهند سابقاً في حادث اغتيال بقنبلة قضت عليه، كان قد تولى رئاسة الوزراء بعد أنديرا غاندي فلبث في الرئاسة زمناً غير طويل، وكثرت في أيامه التقلبات في الهند وعم القتل فأطاحوا به لضعفه، وتوفى في هذه السنة اغتيالاً، ونشير إلى حكومة الهند بأنها واسعة الأرجاء، كثيرة السكان، ولديهم مجاعة لسعة رقعتها كما قدمنا، وقد أظهرت الأمة هناك استيائها لاغتياله ولا سيما رئيس وزراء باكستان غلام إسحاق خان، ووصفوه بأنه صاحب سياسية.

وفيها في ٧/ ١١ قدم رئيس أثيوبيا استقالته وغادر البلاد، وقام المتمردون لمهاجمة العاصمة أديس أبابا.

أما عن رئيس باكستان غلام إسحاق فقد وصفوه بالخير، وأثنوا عليه، عندما اجتمع بنا مدراء مدارس لتعليم القرآن الذين فتحوا مدارس لتحفيظ القرآن في باكستان ذكروا عن الرجل خيراً، وكان هو الذي تولى الرئاسة بعد خلع بنازير بوتو ابنة الرئيس علي بوتو، وكانوا يتألفون في عدم نصرة الدين وقتل المنتسبين إلى الله، فقد قيل أنها قتلت سبعة عشر عالماً دينياً وسموها بلقب «خنازير» بعد خلعها، ويستفاد من ذلك أن من تولى شيئاً من الأعمال فإنه ينبغي له أن يكون محسناً

ويكون ذكرى خير لا ذكرى شر، لأنها تَفْنى الذوات، وتبقي الأذكار، وكما قيل إذا كنت في أمر فكن فيه محسناً فعما قليل أنت ماضٍ وتاركه، المسامع لقد تشفت الأسماع بمديح العالم الملك صديق بن حسن القنوجي النجاري وغيره من العلماء المستقيمين مثله.

وفيها في ٨/ ١١ قدمت رئيسة وزراء بنغلادش خالدة ابنة ضياء الرحمن على المملكة العربية السعودية للزيارة فاستقبلت بالترحيب بعدما أدت مناسك العمرة، وزارت مسجد المدينة المنورة ثم سلمت على المصطفى عليه الصلاة والسلام فلبثت أياماً ورجعت إلى بلادها في ١٤ الشهر المذكور، وكانت بلادها قد أصيبت بحادثة الإعصار المدمر كما مرَّ وذكرناه مفصلاً.

وفي ١٤ المذكور أصيبت طائرة باحتراق في الجو أجنبية وكانت تحمل مائتي راكب هلكوا بأجمعهم، وفي تلك الأيام كانت الحكومة السعودية باستقبال حجاج بيت الله الحرام وضيوف الرحمن فاتحةً أبوابها للحجاج والعمار على الترحيب والدعة والسكون، نسأل الله تعالى حسن القبول، ونشر وزير الداخلية نايف بن عبدالعزيز التعليمات المرادة من كل حاج.

وفيها عقدت اتفاقية بين لبنان وسوريا تقتضي هذه الاتفاقية سحب سوريا قواتها الكائنة في لبنان، وقد استبشر العرب لذلك لعلها نهاية الأمور في لبنان، وفعلاً بدأت سوريا تسحب قواتها في ١٥/ ١١ من هذه السنة.

ولما أن قام الرئيس اليمني علي عبدالله صالح ضد السعودية وانضم إلى رئيس العراق المخذول صدام حسين ساءت العلاقات بين البلدين وقام شعب اليمن ضد الرئيس علي الذي استهوته الشياطين وجحد المعروف وأنكر الإحسان إليه، وعاقبه الله بتشتيت اليمن وقام الشعب ضد الحكومة وأصبحت الأمور في اليمن تنذر بشرها وويلاتها، وكانت سعادة الرئيس يجاهر بلؤمه وجهله، وأنه لما يثير الاستهجان ويبعث الحزن أن تقابل أيادي السعودية وبذلها الأموال الطائلة وبناية المستشفيات في اليمن، وشق الطرق

فيها وبناء المدارس، وجلب المدرسين إليها من السعودية على نفقتها، وتنكر تلك النعم وتكفر ولا تشكر، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وما أحسن ما قاله زهير بن أبي سلمى:

ومن يصنع المعروف في غير أهله يكن حمده ذمّاً عليه ويندم

وفيها في صباح اليوم ١٩ من شهر ذي القعدة الموافق ليوم الأحد من هذه السنة أصيبت بنغلادش بإعصار عظيم وارتفع موج البحر أربعة أمتار، وأصيبت تلك البلاد بكارثة إضافة إلى ما أصابها قبل ذلك، وهذا يعتبر من الكوارث التي تصيب تلك المملكة وغيرها، فمن يريد الله بها سوءاً.

فيها ثار الشعب الجزائري فأطيح برئيس الوزراء ومن معه، وشكلت وزارة جديدة فقامت الحكومة التي يرأسها بن جديد في ٢٦/ ١١ في تنظيم الوزارة الجديدة.

وفيها في هذا اليوم ثار بركان عظيم في الفلبين وارتفعت حممه الساخنة في الجو فأحرقت ما مرت عليه من قريب وبعيد واتخذت إجراءات الأمن هناك لإنقاذ ما سببه من قتيل وجريح، وكانت تدمير عجيب بإذن الله تعالى، وهم وإن كانوا رأوا أمراً بديعاً فقد كانوا يتوقعون ماذا ينتهي أمر هذا البركان فقد انفجر مرةً أخرى في اليوم الثامن والعشرين من ذي القعدة أي بعد انفجاره بثلاثة أيام، وسبب أضراراً عظيمة من رمي الحجارة وغير ذلك.

وفي ٢٦/ ١١ قام الملك فهد بن عبدالعزيز بزيارة لبلاد الكويت فاستقبل استقبالاً حاراً مظهرين له كمال الشكر كمنقذٍ لهم من ورطتهم التي وقعوا فيها، ثم تجلت بإذن الله، ثم سعوا بحيث حرروا البلاد من الرئيس الغاشم لها.

أما عن انفجار البركان المتقدم ذكره الذي كان في حينه لم ينفجر منذ ست سنوات فقد بالغوا في قوة انفجاره، ولحقت أضراره بالسيارات وطائرات حواليه، وأصيبت المساكن وأخليت من أهلها، وقد هلك من الأنفس البشرية أربعون، وجرح خمسون.

نكتة غريبة: في فصل الصيف من هذه السنة امتد وقت البرودة في الليل بحيث

كانت الأمة في السطوح يلتحفون بالبطانيات وغيرها من الأغطية الثقيلة، وذلك طوال برج الثور وعامة برج الجوزاء، وذكر أهل الأرصاد أن سبب ذلك الغبار الناشئ من الرياح، فقد أثر على أشعة الشمس وأنه لم يمر ذلك منذ سنين عديدة، وقد ملء الحيطان والثياب وستائر النوافذ والفرش مما كان له أثر سيء في باب الصحة، بحيث امتلأت المستشفيات بالمراجعين من ألم الربو وتلقوا عشرات الألوف، كما أن الكراسي والنمارق وغيرها استهدفت لذلك، وهذا شيء نادر الوقوع، فعياذاً بالله من سوء القضاء وحلول المصائب والنواكب.

ومن العجائب أعشاب من أنواع الكلأ في برج الحوت والحمل كان لها منظر عجيب في بعض الأماكن، فما هي إلا عشية أو ضحاها حتى أصبحت هشيماً كأن لم تغن بالأمس بسرعة فائقة بالسحق والمحق.

وفيها في ٢٠ ذي الحجة حصل انقلاب في يوغسلافيا وتمردت عاصمتان كلٍ منها يريد الاستقلال بنفسها، وحصل انشقاق وأحضرت كل جهة قوتها من دبابات ومدافع واشتد الخطب، وكانت السيادة أولاً فيها لتوتو، وبعد وفاته بمدة طويلة تعددت الأطراف على الحكومة، ولقد حاولت الحكومة الأخرى إقناع الحكومة بالرضوخ لتلك الجهتين ومنحهما حق الاستقلال بدون الرجوع إلى السلاح، ولكنه لا بد من اللجوء إليه.

أما عن الجزائر فقد استمرت الزعازع فيها وعدم الاستقرار، ولما أن كانت الحالة في العراق بعد ضربه وإعطاء حاكم العراق درساً لا ينسى، ولعدم سكونه وخضوعه ظاهراً أو باطناً لقرارات مجلس الأمن، وأصبح الأكراد غير آمنين وذلك لما يتوقع من صدام حسين فإن الرئيس الأمريكي هدد بضرب العراق مرةً أخرى، فرفع صدام قبوله رسمياً لوقف إطلاق النار وتمكين هيئة المنتدبين من قبل الأمم المتحدة من التفتيش عن الأسلحة الكيماوية وإتلافها وإعدام السلاح الذري فيه، وفعلاً جرى القبض على قواعد من تلك الأسلحة المدمرة، وقام بدوره لجمع التعويضات التي التزم بها عن إفساده في الكويت وتدمير ما دمرت

أيدي العراقيين عليه، أما عن إضرامه آبار الزيت في الكويت فقد قامت حكومة الكويت بما استطاعت في إطفائها، وكان لعدم توفيقه وضعف عقله لا يزال يتهدد ويتوعد في إعادة الكرة على الكويت والسعودية ما دام يتحرك كحركة المذبوح وإنما آثرت الحكومة الأمريكية الإبقاء عليه ليقوم بما ألزم به، ثم بعد ذلك ترى رأيها فيه.

وقد ذكرنا صفة انشقاق حكومة يوغسلافيا وللعالم نذكر السبب لذلك فنقول أن حكومة يوغسلافيا قامت أخيراً ضد المسلمين وعذبتهم واضطهدتهم إلى درجة الاضطرار للتخلص منها.

ذكر ما جرى على اليابان

لما أن كان في أوائل يونية حزيران أصيبت اليابان بأمطار عظيمة وسيول أودت بأناس إلى الهلاك بعدما دمرت المساكن وشردت أناس، ومن جراء تلك السيول أن تهدمت جسور وطرق وأصبحت الأمة هناك بحالة لا يحسدون عليها، ويوافق ذلك ١٩/ ١١/ ١٤١١هـ.

تنبيه: قد ذكرنا انفجار بركان جبل ماليزيا المنتظر لما أن كان في ٢٥ ذي الحجة الموافق ١٦ السرطان يوم الأحد ٧ يولية تموز انفجر جبل الفلبين المذكور وكانوا يتوقعون انفجاره لأنه لم ينته بصورة قطعية، ويتخوفون ما ينجم من هذا البركان فانفجر في هذا اليوم وارتفع دخانه خمسة عشر كيلو متر في الجو، وجعل يرمي بحمم وأحجار سوداء لم يسبق لها نظير، مما أدى إلى أن يهجر المكان الذي حواليه البالغ نحواً من ثلاثين كيلو، لأنه قد دمر انفجاره بتلك الحمم السيارات والناقلات والأثاث والمعدات إلى درجة مخيفة، والله على كل شيء قدير، وبها تتبين عظمة قدرة الخالق جل وعلا، وأن المخلوقين لا يملكون شيئاً من هذه الأحوال حتى يوقفها الله بتمام قدرته، وأنها لعبرةً لمن يخشى.

ولما كان في ٢٧/ ١٢ شوهد أعمدة من الدخان تثور من ذلك البركان.

صفة حج هذا العالم لما كان في وقت تدافق الحجاج والزوار إلى مكة المكرمة،

أذنت الحكومة لحجاج إيران بالحج كسائر الحجاج بعدما صدر البيان بأن من عثر عليه قائماً بالتخريب في الأماكن المقدسة فإنه يقضى عليه بالفعل، وذلك تعظيماً لمكة والمدينة، وتقدم من إيران مائة ألف وعشرون ألفاً لأداء فريضة الحج ولكنه بحسن تدبير المملكة وتيسير من الله عز وجل لم تجرِ أي حادثة لا حريق ولا تخريب ولا فوضى، بل كان حج هذه السنة آية من آيات الله في الطمأنينة والهدوء والسكينة، فلا نزاع ولا خصومة، وذلك برغم من قدوم مليونين ومائتي ألف جاءوا من كل فجٍ عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيامٍ معلومات، ولقد بذلت الحكومة السعودية جهوداً جبارة في تنظيم الحج في هذا العام وراحة حجاج بيت الله الحرام وضيوف الرحمن، وعلى رأس القائمين بالعمل خادم الحرمين وولي عهده ووزير الداخلية، ومدير الأمن وسائر الجهات المسؤولة، فكان سير العمل في مكة والطرق ومنى ومزدلفة وعرفات على ما ينبغي، ولقد قامت الحكومة بتوزيع أكياس الثلج تبرعاً بحيث تبرعت حكومة جلالة الملك لحجاج بيت الله سبعة ملايين كيساً من الثلج، وكان الأجواد يوزعون اللبن وعصير الليمون وغير ذلك، وينادى عليها سبيل سبيل، فجزى الله المحسنين خيراً، ولقد كان الحجاج يسعون بين الصفا والمروة في الطابق الأسفل والثاني والثالث وأقيم بمنى حمامات لدورة المياه ومدت الأنابيب، وركبت البازات، في كل موضع من المسجد الحرام، وفي كل طابق ماء زمزم متوفر، وبما أن الحج وقع في برج الجوزاء وأوائل السرطان فقد أعلن وزير الصحة قلة الوفيات إلى حد غريب، ويتمتع حجاج بيت الله في أكمل الصحة والعافية، وسلموا من ضربات الشمس وسائر الأمراض الورائية، وكنا والحمد لله ممن منَّ الله عليهم بالحج في هذا العام، فما رأيت حجة من حجاتي التي حضرت الموسم فيها بأحسن من هذه الحجة.

وفي ٧/ ١٢ركب الميكرفون في منائر مسجد الخيف التي صلى فيه تسعون نبياً لأداء الأذان والإقامة والخطب والمواعظ، فإذا كبر المؤذن لصلاة الصبح أطلقت للحكومة مدفعين إيذاناً بدخول الوقت، كما أنه إذا زالت الشمس أطلق مدفعان إيذاناً بالصلاة والرمي، وكذلك العصر والمغرب إيذاناً بدخول الوقت وغروب

الشمس، ويستطيع أهالي منى أن يسمعوا إلى بيان مناسك الحج وأحكام الحج وهم جالسون في خيامهم، ورأيت تسابقاً للخير ودفعاً للنعماء وإتيان من ينادي عليها، بعرفات في سبيل الله، ورأيت تسابقاً في إطعام الطعام كلٍ بحسبه فجزى الله المحسنين خيراً، وقد تأخرنا لليوم الثالث عشر طلباً للراحة ولأن يخف الزحام في رمي الجمار، ورجعنا من الحج من طريق المدينة المنورة لزيارة مسجد المصطفى عليه الصلاة والسلام، وكان لبثنا فيه أحد عشر ساعة وبما أننا سرنا من مدينة الرسولﷺ بعد طلوع الشمس بثلاث ساعات وواصلنا المسير إلى بريدة خمس ساعات ونصف من الزمن في ظروف الطريق الصعب، فقد منَّ الله علينا بالستر واللطف فلم تتأثر سيارتنا الجمس لهذه الظروف القاسية.

إعصار روسيا

لما أن كان في ١٢/٢٧ أصيبت إحدى المدن الروسية بإعصار شديد دمر الجسور والطرق وأهلك ما مرَّ عليه من البهائم والسيارات والآلات النقل إلى درجة شديدة من الفتك والتدمير.

وفيها في ١٢/٢٧ بارح الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض المملكة إلى كندا لافتتاح معرض المملكة بين اليوم والأمس، فاستقبل هناك استقبالاً حاراً.

وفيها في ١٢/٢٩ أصيبت طائرة نيجيرية تحمل ٢٤٥ حاجاً نيجيرياً، وكان الملاح لما أقلعت مطار جدة على مسافة قصيرة أبلغ برج المطار بأن الطائرة الآن خرجت عن اختياره، ولما رجعت وأرادت الهبوط بمطار جدة احترقت ومن فيها من الركاب بأجمعهم.

وفي اليوم نفسه أصيب مخزن ذخيرة في الكويت الشمالي الغربي لأمريكا فاحترق وسمع أصوات المتفجرات من مسافة عشرين كيلوا فأصيبت من رجال أمريكا أربعمائة وخمسون أمريكياً بجراح ولم يسقط وفيات، فحملوا للعلاج بالمستشفيات، ويعتبر هذا من الحوادث الكبرى، وقد جرى التحقيق والفحص عبر تلك الحادثة، وتعتبر هاتان الحادثتان من حوادث الدهر، وكانت الطائرة النيجيرية

لما علم الكابتن بعدم إنزالها كلم برج المراقبة في جدة بأنها خرجت عن سيطرته، ولما ارتطمت في الأرض احترقت ثم إنه بعث الملك فهد بن عبدالعزيز برقية تعزية ومواساة للرئيس النيجيري، ونسأل الله لهم الغفران.

وفيها في آخر ذي الحجة قدم لزيارة المملكة وزير الصين الشعبية وختمت هذه السنة بخير والحمد لله سوى ما كان من الرئيس العراقي صدام المخذول فإنه لا يزال يتهدد ويتوعد الكويت بأنه سيعيد الكرة عليها، هذا مع ظهور عجزه وقهر الله له ومذلته.

ثم دخلت سنة ١٤١٢هـ

استهلت هذه السنة والعمال يدأبون في عمارة توسعة الحرمين الشريفين مسجد مكة المكرمة ومسجد المدينة المنورة، وكان العمل ممتازاً وكان تبليط الشارع في الجهة الجنوبية أمام حرم مكة الشريف قد كان رونقاً حسناً يرتاح فيه الحجاج، ثم خلف هذا الشارع جنوباً متسعاً لأمة عظيمة من الناس ينامون ويرتاحون فيه، وقد أمنوا من مرور السيارات، فتجد الرجال والنساء والأطفال الضعفاء آمنين مطمئنين، ولأن قلنا إنه حسنة من حسنات الملك فهد فكم لآل سعود من الحسنات.

وفيها جرى في الهند فيضان عظيم جلي بسببه عما كان حوالي الخطر المليون ونصف المليون، كانوا مشردين.

تنبيه: قد ذكرنا انفجارات جبل «بيناتوبو» بالفلبين وما نتج عن ذلك من أضرار بحيث ارتفع الدخان إلى خمسة آلاف متر في الجو، وانفتح مرةً بقذف الحمم والحجارة بحيث بلغ ارتفاعه خمسة عشر كيلو في الجو، وامتنعت من التحليق فوقه الطائرات لأن لا يصيبنا الدخان والحجارة السوداء، وهذا مما يدل على عظمة الباري وضعف المخلوق، بحيث إذا انفتح شيء من الأرض وقامت تقذف بالحمم وتفور بالدخان والحجارة السامة فإنها لا تقف أمامها قوة في الأرض من صنيع البشر، وكذلك الحصى والرياح العاتية بزمجرتها ورهصها ووقصها لا تقف أمام هذه القوة، وقد حذر القوي القادر من سطوته بقوله: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن

﴿يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦-١٧]، وهذا التهديد يوقظ الغافلين ويريح أعصابهم، فهذه الأرض التي جعلها الله ذلولاً والمخلوقات على ظهرها أمسكتها قدرة الله، وهم يشاهدون كيف تتحول هذه الساكنة إذا شاء الله في بعض الأحيان إلى حالة تريح هي ومن فوق ظهرها وتذهب ضحاياها أمم من المخلوقات، أو ينجم من ذلك انفتاح أحد أفواهها، وهذا بقدرة الله، وإن هذه القدرة التي أمسكتها قد تتحول إلى أن تكون بأمر الله مهتزة مرتجة فلا يملكون إلا أن يرفعوا بأيديهم إلى السماء وأبصارهم إليها، ويشغلوا قلوبهم بمن هزها أن يمسكها، ويوقفها الله أكبر ما أعظم هذه القدرة وما أشد حاجة المخلوق إلى الخالق، وهكذا هذا الجبل لما انفجر بركاناً وتكرر انفجاره أصبح منذر بشره وويلاته وهجر ما حولها بمسافة ثلاثين كيلو متر فأصبحت معطلة من السكان والأنيس الصالح، سبحان الله المتصرف في خلقه على وفق مراده.

وفيها في ١/٤ انفجر بركان جبل الفلبين بدخان هائل وحجارة مما أرغم عشرين ألف جندي أمريكي على مغادرة أمكنتهم، وهذا يعتبر رابع انفجار لهذا البركان.

وفيها في ١/٢ هب إعصار شديد في الصين سقط فيه ٣٥ شخصاً ولقوا مصرعهم، وجرح ألف وسبعمائة شخص وسبعة عشر، ويعتبر هذا رزء شديد وهدم خمسة عشر ألف منزل، ودمر من الأشجار وغيرها تدميراً شاملاً، وسبب أضراراً عظيمة، وبذلك تعرف عظمة صاحب العظمة الذي إذا وقعت آياته فإنه لا راد لها، فعياذ بالله من درك الشقاء وكيف أن المخلوقين يقفون أمام تلك الكوارث لا يملكون نفعاً ولا ضراً.

وفي هذه السنة بل في الآونة الأخيرة في مبتدأ هذه السنة ١/٥ ظهرت تقنيات صدام في العراق وأتباعه من الجيش الجمهوري، فلم يخضعوا لأوامر الأمة في إتلاف ما لديهم من السلاح الذري، علاوةً على ذلك فقد قتلوا من الأكراد

خمسمائة كردي ولم يؤدوا ما تقرر عليهم من تعويضات ما خربوه في الكويت، فقد أنذرت أمريكا الحكومة العراقية بأن يلتزموا بما أوجب عليهم وأعطتهم مهلة إلى خامس وعشرين من شهر يونية الموافق ١٤/ ١ فإن فاءوا فلا بد من ضرب العراق، وقامت بريطانيا العظمى بتأييد أمريكا وتجنيد ما اتخذته من التدابير ضد العراق، وقد أمر الرئيس جورج بوش بأن تجهز الطائرات تحضر الدبابات لهذه المهمة، وكان قد قام بزيارة لقبرص وتركيا وبريطانيا، وكان صدام وشيعته لما رأوا من عدم التزام إسرائيل من أوامر الأمم المتحدة أخذوا من ذلك درساً ليعاندوا، ويأخذوا بقول القائل وهو أبو العلاء المعري:

أرى العنقـــاء تكـــبر أن تصـــادا فعانـــد مـــن تطيـــق لـــه عنـــادا

ورأى من ذلك أن يعاند ويظهر في مظهر القوي الذي لا تلين قناته ولكن هذا الاصطلاح بعيد، وكيف وأنى وهيهات فلا تستوي الحالتان، وكان فيما يظهره من جبن وتبدو سوء تصرفاته الخالية من السياسة أنه يعلن بأن لا فائدة في إصلاح الكويت، ورجوع أهلها إليه فإنه سيعيد الكرة عليهم مرةً أخرى، وتظاهر مغلوب بهذا القصد يدل على أمرين: إما أن يكون عن ضعف عقله وسوء تصرفه، وإنه لا يقيم للأمور وزنا مع ما هو من سوء الحال، وما سببه على شعب بزعم أنه هو رئيسه من الذل والفقر والمرض وسوء الحال التي كست وجهه اسوداداً وأثبتت له عجزاً وسوء تصرف، وأعجب شيء حربه لإيران وما سببه من قتل الأنفس والفتك والتدمير والإفساد في الأرض والاستغاثة ليساعدوه بالأسلحة والأقوال لحرب الفرس، فلما جمعها تنازل عن تلك الحرب وخسرها ورد عليهم جميع أرض لهم استولى عليها، ثم يلتفت بجميع ما ساعده به جيرانه فيرميهم بها ويصبح أهالي العراق لقمة سائغة للعقوبات، وتارةً يذهب إلى الشمال ليدمرهم وتارةً يذهب إلى الجنوب ويجعلهم جيفاً ملقاة على ظهر الأرض، ويكون هو وشيعته الذين استغواهم وجعلهم في أسراب في بطن الأرض يأكلون ويتمتعون وسائر الشعب يعيش في المساغب وفتك الأمراض، وتهدم منازلهم للعذاب بسببه، فهذا من جهة

الأفعال الجنونية، ثم أصبح سفاكاً للدماء لا يتمالك عن القتل وإراقة الدماء عمن تحت يده فكم من بريء قتله وكمٌ ثكلى أصبحت تبكي زوجها وابنها وأخاها وقريبها الذي قتله بنفسه أو جرَّ عليهم بالقتل، فهذا من جهة ومن جهة أخرى وهي الأمر الثاني أن يكون عقوبة على العراق وأهله عاقبهم الله به حتى صاروا حديثاً للأمة إلى يوم القيامة، فلا ريب أن عقوبات الذنوب والمعاصي تتنوع تارةً بالخسف وتارةً المسح ،وتارةً بالحصب، وتارةً بتسليط الأعداء، وتارةً بتسليط بعض الناس على بعض كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام:٦٥]، وقد وقف أهالي العراق مكتوفي الأيدي لا يستطيعون خلع هذا الرئيس الذي يملك بحرسه القوة والسلاح، فلا يملكون مقاومته، فكان بذلك عقوبة عليهم، ومن عجائب الزمان إهماله والغفلة عند تلك المدة، بحيث تمكن من جمع أسلحة لا تبلغها القيادة من جيرانه الذين أحسنوا فيه الظن، وانخدعوا له بأنه يدافع عنهم، فلم يشعروا حتى كان خنجراً في حلوقهم وقاتلهم بسلاحهم الذي أمدوه به وغدرهم وخانهم، ولقد أطلع إخوانه وحرسه على ما يسره في نفسه وحذروه من الغدر والخيانة التي تكشفت في آخر ليلة يظهر في أولها الصداقة وفي آخرها، يمضي على ما خططه من احتلال الكويت وإطلاق الصواريخ على حليفته السعودية، كما أن الغفلة عنه بحيث يبني بيوتاً تحت الأرض مؤقتة وأتباعه من أذنابه وحرسه من ضرب القنابل، فإن عظمت لمن أعجب بها، ولما أن أغارت عليه الجنود التحالف ضده، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من أن يقبضوا عليه أعطاهم العهود والمواثيق بأن ينزل على إرادتهم وينفذ طلباتهم، لكن ظهر كاذباً متمرداً بحيث أنه بَعثيٌّ كافر لا يؤمن بيوم الحساب، ولا قيمة للدين في عهده، ولا ميثاق، فلا مانع إذا أعادت عليه الدول الكبار التي أوقفته عند حده، ولم يرعوا عن غيه وضلاله، ولما أن دنى الموعد المحدد ولتسلم العراق أسلحتها الكيماوية والذرية أو ضربه مرةً أخرى لأنه ظهر باكتشاف الأقمار الصناعية إصرار العراق على عدم إبراز الأسلحة الخطرة

لديه، وعلاوةً على ذلك عثر على مصانع السلاح الذري في العراق يخفيها صدام ويتظاهر بأنها مصانع بلاستيك، عجت الادعاءات بما يكن من الأذى والسعي ضد الأمن، وقام في هذه المرة يتظاهر بأنه قادر على ضرب العرب وحتى لو أراد يضرب أمريكا، فقامت الأمة تستعد لضربه مرةً أخرى، ولما أن مضت المهلة وزيادة ثلاثة أيام ورأت أمريكا أن لا فائدة في تركه بهذا الوضع يعيث في الأرض فساداً ويسعى ضد الأمن، وقد أحضرت أمريكا قوات جوية لهذا الطارئ فأعدت في حفر الباطن قوة جوية كامنة من الطائرات لا يقل عددها عن أربعمائة طائرة، كما أن قوة قامت مستعدة لهذه الطوارئ في مدينة الرياض ولكن العدو تظاهر بأنه مستعد للتفتيش على مصانعه السرية من قبل هيئة الأمم المتحدة، فقامت اللجنة التي يبلغ عددها ١٢خبيراً بالبحث في مصانعه.

وفيها في ١/١٧ أصيبت الفلبين بفيضانات وهطول أمطار علاوةً على انفجار البركان المتقدم ذكره، وكان ذلك البركان آية من آيات الله بحيث كان يقذف الحجارة والدخان، فأما الحجارة فقد بلغت إلى غاية أنها اندفنت منها بعض المساكن الكائنة حواليه، وهذا شيء بلغ في الغاية قدراً من الدمار والإفساد، ولله تمام الحكمة في ذلك، ولما أن هطلت تلك الأمطار وحصلت الفيضانات التي دمرت المساكن الكبيرة وشرد لأجلها أمم لا يعلمها إلا الله جعلت الإذاعات تروي تلك الأهوال التي نجمت عن ذلك البركان، وعن الفيضانات وما أصيبت به الفلبين.

تنبيه: ذكرنا فيما تقدم الثورة والانشقاق في يوغسلافيا وكيف أن المتمردين قاموا ضد الحكومة واستعملت القوات وسقطت جثث القتلى في الشوارع، وظهرت روائح تلك الجيف واستمرت الأحوال هناك تنذر بشرها وويلاتها مما أدى بوزير الدولة بأن يهدد بتقديم استقالته إذا لم تهدأ الأمور، وكانت الأحوال في يوغسلافيا تزداد ارتباكاً وفوضوية.

اختبار المدارس والمعاهد المتوسطة والثانويات في المملكة السعودية، ففي ١/٩ شرعت لجان الاختبار في الامتحان وأصبح الطلاب من البنين والبنات في مرحلة الابتدائي إلى مراحل الكليات والجامعات يواصلون جهودهم في هذا السبيل.

سعي المصلحين لوضع سلام في الشرق الأوسط

لما تأزمت الأمور بين اليهود وأهالي فلسطين وأصبحت الأمور تزداد تعقيداً يوماً فيوماً سعت أمريكا لوضح صلح يكفل للطرفين حقن الدماء، وافي السبل، ذلك بأن الانتفاضة الفلسطينية التي شرعها ياسر عرفات لم تسفر عن نتيجة تذكر بل ضاعفت هجرة اليهود إلى فلسطين وبناء مستوطنات لهم فيها، وأصبح الفلسطينيون بحالة يرثى لها لأنهم يقاتلون بالحجارة والزجاجات الحارقة، فتقابلهم اليهود بالأسلحة النارية وكثرت الضحايا من أهالي فلسطين وتدمير مساكنهم، وإغلاق أسواقهم، وتعطيل مصالحهم، وانتشر البلاء إلى جنوب لبنان، وعجزت الأمة عن وضع حد لهذه الفوضى ووقف تلك الأعمال الوحشية، ولم يكن بوسع أمريكا أن تحمل إسرائيل على اضطهادها ومنعها عن إدانة العرب، لأنها حليفتها وصديقتها الخاصة، فإنها جعلت تبعث رسلها ووزرائها إلى إسرائيل تشير عليها بوضع صلح مع العرب، وبما أن إسرائيل واليهود على الصحيح لم تكن خائفة من العرب فإنها ظهرت في مظهر القوي المسلط المتغلب لأن ظهرها أمريكا الواثقة منها، فكان وزير خارجية أمريكا يتردد لوضع الصلح إرضاء للعرب، ولقد قام الرئيس حسني مبارك والرئيس السوري حافظ الأسد والملك فهد بن عبدالعزيز بكل ما أوتوا في هذه المرة أن يضعوا حداً لتلك الأعمال التي تقوم بها إسرائيل، ورجوا أن يوضع عقد سلام بين الفريقين، وأن تحمل أمريكا إسرائيل على وضع صلح يكفل الأمن ويحقن الدماء، فلقد طالما انتشرت الفوضى وعذب الفلسطينيون وانتهبت أموالهم وديارهم، وقد قامت الرسل تتردد إلى القاهرة وإلى دمشق والرياض، وأمريكا وإسرائيل، وكان العرب يأسوا من إسرائيل أن تجاوب ولا سيما فيما تقوم به من هجمات ضد جنوب لبنان، وما حصل من غاراتها على المخيمات والمساكن هناك، وآخر شيء قيامها بتحليق طائراتها فوق عاصمة لبنان بوقت كانت الأمة تسعى فيه للصلح بين صدام حسين والعرب، كان هذا الرجل لا يزال يعمل وجنوده في بطن الأرض ومصانع السلاح النووي والكيماوي، ولديه خيانة ومكر، ولما أن أجري معه إلزام أن يبرز ما لديه من السلاح كان يكفه ويعده ليومه المعلوم

لأنه لم يظهر أولاً إلا نذراً يسيراً، وتظاهر بالعصيان فيهدد بأنه يستطيع أن يغيّر مجرى التاريخ ويهدم الكويت، ويفعل ويفعل، هددته أمريكا بأمر الرئيس جورج بوش بأنه إذا لم يحضر جميع ما لديه من السلاح الذري وما قام به من جمع الأسلحة التي أنفق ثروة العراق في جمعها وإنشائها لأن الرجل خطر على الأمن ويسكت على شر كبير لما يبيته للإسلام وللعرب، وبعثت إليه اللجنة التي تم ذكرها وأنه إذا لم يخضع فإنها ستضرب العراق مرةً أخرى عند ذلك أطلع اللجنة الكائن عددها من اثني عشر خبيراً، فبواسطة الأقمار الصناعية أظهر ما أخفاه وهي مدافع وصواريخ بعيدة المدى وأعمالاً كيماوية وذرية.

وذلك في ١/١٩ محرم، ومن هذه الأسلحة المسيلة للدموع والأسلحة المؤثرة على الأعصاب وغير ذلك من الأسلحة المهددة بالهلاك والدمار، نسأل الله العافية، وكان أهالي الكويت لما سمعوا بتهديداته الأخيرة عزموا على ترك الكويت والعودة إلى السعودية، كما أن سكان مدينة الرياض جعلوا يفكرون باللجوء إلى القصيم واستأجروا فيها، ولكن تهديد أمريكا وشجاعة الرئيس بوش التي كانت أعظم من وقوع الصاعقة عليه أوقفته ذليلاً خائباً حسيراً، وهكذا كل معتد فإنه لا بد أن يبوء بالخزي والهوان والخيبة والخسران، ومن العجائب، والعجائب جمة أن يقوم طريد ذليل فيعمل تلك المشاكل سوى أن الأمور مرهونة لأوقاتها، ولم سمع أهالي العراق بما يذيعه وينشره من هذيانه ألقى الله في قلوبهم الرعب وفروا إلى القرى والجيران خشية أن يعمهم البلاء بسببه.

عجائب من نجائب القدر وحادثة من حوادث القرن الخامس عشر

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٥]، فأما الخوف فحدث ولا حرج فيما إذا أوقع الله الخوف بأحد من خلقه، وانظر إلى تمام قدرة الله جلّت عظمته إذا أذن بالخوف، فقد روى التاريخ أن التتار لما سلطهم الله على المسلمين عام ٦٥٦هـ توصلت الأحوال إلى أن يقبض رجل من التتار على رجل من المسلمين فيقول له

ضع رأسك على هذا الحجر حتى أجد حجراً أرض به رأسك فيستسلم ويضع رأسه على الحجر حتى يأتيه بحجر فيرض به رأسه، والله لو أن شاة صنع بها هكذا لتمكنت من الفرار، ولكن هذا من العجائب التي يبتلي الله بها عباده، وكان لما أن هجم العراقيون على الكويت لم يجدوا مقاومة تذكر، فقد فرّ الأمير وولي عهده ومن تمكن من الأسرة الحاكمة أن يفروا، وأخذت نسائهم سبايا وفرَّ البقية ممن تمكن من الفرار لا يلوي أحد على أحد، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وتركوا أموالهم وسياراتهم الثمينة، لعل العدو أنْ ينشغل بها وركبوا عبر الصحراء تاركين الخط الرئيسي لعلهم يسلمون، وتوجهوا إلى السعودية فارين مع الصحاري الموحشة، فكانت الجنود العراقية تلاحقهم وتأخذ أموالهم وفتياتهم قهراً ويسلبون ما وقعت عليه أيديهم من الحلي والساعات والنفقات، ويقعون على النساء وهم ينظرون بمرأى ومسمع من أزواجهن ووالديهن، وبلغت بهم إلى أن يصوب العراقي المسدس على الولي أو الرشاش ويتهدده إذا غضَّ طرفه وهو واقع عليها، فأي همجية وأي حالة أخسر من هذه الحالة التي لم يتوصل إليها غيرهم، فوالله لو أن العرب قاطبةً، ولو أن المسلمين شدوا الصعب والذلول وهجموا هجوماً صاعقاً على أولئك الغوغاء لكان هو اللائق بهم، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها، وربما هلك الكويتيون عطشاً أو تعطلت السيارة عن السير فهلك أهلها بحيث لا زاد ولا مزاد ولا وقود، فحدّث ولا حرج، ولم يروا التاريخ أبشع من هذه الحالة، وقد تقدم شيء من تلك المخازي التي لا يقدم عليها شريف له إنسانية إذا عدم فيه اسم الدين والإسلام مما يندي له الجبين وتقشعر منه جلود المؤمنين، وتنكره فطر العالمين فعياذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ومن العجائب كون النساء والصبيان وضعفاء العقول فارين يهربون من الخوف من صدام، إياكم صدام حسين الويل لكم من صدام، ولما أن جلسوا في السعودية كانوا لا يقر لهم قرار، فكلما مرت طائرة في الجو خافوا، ولا سيما الشباب في المدارس، فقد كانوا يفرون من مقاعدهم ودراستهم من الهلع والخوف،

وانتشرت فيهم الوساوس والمخاوف وفيهم من أثر ذلك على عقله وشعر أنه في نومه ويقظته، وكان الكويتيون يسيرون في السعودية ويشحذون ثمن البنزين ويروون ماذا حصل على أموالهم من النهب والسلب، ولما أن جعلت صواريخ صدام تسقط يمنةً ويسرة طويلة المدى في الرياض والحفر وبعض المواضع الشرقية، شد المسلمون من الرياض والدمام والحفر ممتطين الصعب والسيارات فارين إلى القصيم، ثم إنه لما أذل الله العدو كسرت شوكته، وكان الكويتيون بين مصدق ومكذب بحيث أبو عن الرجوع إلى الكويت، وذلك لأنه قد ملأ بيوتهم بالأسلحة والذخائر والعبوات الناسفة، مما كان له أثر سيئ بحيث لما وقعت في أيدي سكان الكويت ومن اجتمعوا به فكانت تلك الأسلحة سبب الفوضى والتناحر هناك، فقد قام الفلسطيني وغيره ممن كان في الكويت لا يتورعون عن إطلاق النار، وانتشرت المذابح فيما بينهم، وزاد الطين بلة وجود عراقيين مختفين في الكويت يعملون الفوضى ويفجرون العبوات الناسفة، ولما أن استقر الأهالي في الكويت وقاموا بردم بعض آبار النفط والبترول هناك لم يلبثوا إلا قليلاً حتى سمعوا أبواق إذاعات صدام بأنه سيعيد الكرة عليهم، فلا فائدة في إصلاح بلدهم وهو يريد أن يهدمها مرةً أخرى، وكان لتهديداته وخزعبلاته وتخويفاته صدى عظيم في صدر الأهالي بحيث عقدوا العزم على الفرار مرةً أخرى إلى السعودية لولا أن ضمنت لهم أمريكا الأمن في الكويت، وقامت تهدد العراق بضربة أخرى إذا لم يلتزموا بالأمن وعدم إطلاق النار ووقف إطلاق النار، وسلموا السلاح والسرقات التي سرقوها من الكويت، وكان ذلك في أواخر شهر محرم من هذه السنة، وكان تهديد أمريكا أعظم من وقوع الصاعقة عليهم، واختفى ذكر صدام فكانت العراق تنطق باسم حكومة العراق.

وهناك هددت بريطانيا العراق بأنها إذا لم تلتزم بثلاثة أمور فلا بد من ضربها:

أولاً: إطلاق الأسراء الكويتيين.

ثانياً: تسليم جميع ما لدى العراق من الأسلحة النووية والكيماوية.

ثالثاً: ردُّ جميع المسروقات والمنهوبات من الكويت.

فسلمت العراق جميع تلك الأسلحة، والمواد، واعترفت العراق أنها اشترت تلك المواد والأسلحة التي أبرزتها بعشرة مليارات، وردت على الكويت ألف سبيكة من الذهب وأربعمائة سبيكة مثلها، وذلك في ٣/ ٤ يوم الثلاثاء، ووعدت بأنها ستسلم بقيمتها في يوم الثلاثاء المقبل ١٠/ ٤ من هذه السنة، أما عن الأسراء فجعلت تماطل بوعودها، كما أن الأقمار الصناعية اكتشفت أسلحة باقية لم تسلم، فخبأه العراق وكان الرئيس صدام قد ضيق على الشعب في المدة الماضية، واشترى بجزء كبير من ناتجات البلاد وبترولها تلك الأسلحة، وبهذا تبين حالة الرئيس المقهور والمغلوب وما بيته للجيران من الغدر والخيانة.

وفيها في يوم الاثنين الموافق ٩/ ٤ أطيح الرئيس السوفيتي ميخائيل غوربتشوف ،وكان ذلك في ظهر ذلك اليوم، ولما جرى ذلك الحادث الجلل في روسيا تكشرت أنياب الفتن في موسكو وحدثت لذلك رنة أسف في الدول الكبار، وأظهرت اليابان أسفها الشديد لذلك، كما أن الرئيس الأميركي جورج بوش تأثر لذلك ولكنه أبدى أنه لا يتدخل في شؤون الدول الداخلية، وقد قامت مظاهرات في موسكو ضد الذين أطاحوا بحكمه، وقامت مصفحات وقوات هناك خشية الفوضى، وكان قد أناب وكيلاً عنه قبل أن يتخلى عن الرئاسة، وكان الذين نقموا منه رأوا ضعف حزمه واستهانته بالأمور وتدخله فيما لا يعنيه كحربه في أفغانستان وإمداده العراق بالأسلحة الخطيرة، أضف إلى ذلك سوء الاقتصاد في روسيا وما أصيبوا به من ذلك.

ومن كلام الشيخ أحمد بن علي بن مشرف وحكمة قوله:

وأنى يحوط الملك إلا سميدع ... يخوض لظى الهيجاء ليس بهائب
له غيرةٌ تحمي الرعايا كأنها ... حمية ضرغامٍ جسورٍ مواثب
ولا مجد إلا بالشجاعة والندا ... وجر العوالي فوق مجرى السلاهب
فقل لإمام المسلمين وسر له ... بنفسك أو أبلغه مع كل راكب
وأنشده إن أحسست منه تثاقلاً ... إذا لم يسالمك الزمان فحارب

ولا تحقر الخصم الضعيف لضعفه　　　　فكم خرَّب الجرذي في سد مأرب

وهذه الأبيات وإن قيلت في ملك عربي لا يملك في زمنه سوى سيف أو مدفع فتيل فإن لها في السياسة والحزم، وما ينبغي للرئيس أن يمثل به مقامه، وكان المعنى بذلك هو فيصل بن تركي بن عبدالله بن سعود، ولما أن بلغ فتوحاته إلى قطر ومسقط ورأس الخيمة خافت بريطانيا من توسعات رقعة المملكة السعودية فبعثت بباخرتين حربيتين عظيمتين إلى مياه الخليج لرد أطماعه، فأمر الإمام فيصل عبده بلال أن يزحف بمدفع ضد الباخرتين فيضربهما، ولما أن رسى بلال بمدفعه جعل قائد الباخرتين يضحك استهتاراً لذلك المدفع الضعيف وصاحبه، فأنذر بلال قائدي الباخرتين بأن يغادرا موضعهما، ولكن الباخرتين لم تتأثرا لذلك، فعند ذلك أطلق بلال مدفعه وما النصر إلا من عند الله فسقطت القنبلة في إحدى البواخر فقدر أن ثار اللهب والتهبت الذخيرة بأجمعها وامتدت النيران على الباخرة الأخرى فعطبتا وغرقتا وهلك ركابها بين حريق وغريق، وخلد الزمان ذكراً لبلال ومدفعه، فلا يزال في موضعه بين البر والبحر ذكراً خالداً.

وقد ذكرتني هذه القصة بأخرى في جهاد رئيس ليبيا السابق عمر المختار لإيطاليا حينما أرسل قنبلة على إحدى دبابتين حربيتين إيطاليتين فأصيبت فاستدارت على الأخرى فأصيبتا ودمرهما جيمعاً، والله على كل شيء قدير.

رجعنا إلى ما نحن فيه فنقول: لما كان في اليوم الثاني من تخلي الرئيس ميخائيل عن منصبه قام في صباح اليوم العاشر خمسون ألف متظاهر في موسكو يطالبون بعودة الرئيس إلى منصبه وأن يكشف عن حالته الصحية لأنه تخلى أو عزل بهذه الدعوى واحتجوا هم وغيرهم ممن يؤيده بأن تخليه عن منصبه ليس بمقبول لأنه انسحب بغير طريقة شرعية ولا قانونية، وكثر الهرج والمرج والقيل والقال بين مكذب ومصدق، فبينما الناس متحيرين في انشقاق يوغسلافيا إذا قد وقعت المشكلة في روسيا، ولا ريب في أن دعاء المسلمين في خلواتهم وجلواتهم

قد يستجاب وهو أن يجعل الله بأس المشركين والكفار بينهم وتدميرهم في تدبيرهم، ومن عاش فسوف يرى، وكان ثورة جيش روسيا على الرئيس ميخائيل متسترين بأنه مريض وعاجز عن القيام بالعمل ونحو ذلك من المسوغات، لم يذكروا أنه يحارب الشيوعية وأن في طلب السلام مع الدول الكبرى، ولم يتحدّ المسلمين في دينهم، وفي آخر هذا اليوم زحف مائة دبابة وعشرون وطوقوا بيت الرئيس وهو موضع برلمان وأصبح مهدداً بإهلاكه وأهل بيته، وبما أن الشعب كله يريد الرئيس السابق فإنه يتكهن أهل المعرفة أن الثورة ستفشل كما أنه العالم أجمع يؤيد الرئيس السابق.

فشل الثورة وعودة الرئيس

لما كان في ١٢/ ٢ الموافق ليوم الخميس أي بعد الثورة بثلاثة أيام استطاع الشعب أن يقيم الرئيس ميخائيل إلى منصبه وأعيدوا انتخابه رئيساً، ثم إنه ألقى القبض على الثمانية الذين قاموا بالثورة ورفعت التهاني إلى الرئيس ميخائيل ومؤيديه، وكان من بين الذين رفعوا التهاني الملك فهد بن عبدالعزيز ملك السعودية، وذلك استبشاراً بإخماد هذه الفتنة لما ينشب عنها من الأهوال وإراقة الدماء ثم سكنت التحركات وعادت المياه إلى مجاريها.

وفيها هطلت أمطار على الفلبين وارتفعت الفيضانات فيها مما أدى إلى هلاك سبعة وعشرين غريقاً وتهدمت سبعة آلاف منزل وشرد سبعون ألفاً، وقد جرى على اليابان وبنغلادش والفلبين، كما ذكرنا ما جرى على السودان قبل ذلك من الفيضانات، وذكرنا تمام قدرة الله تعالى وكيف أن سكان المعمورة لا يستطيعون بأجمعهم الدفاع لقدرة الله، ولا يملكون أمام تلك الضربات إلا رفع اليدين إلى من دبرها ليوقفها ويمنع شرها، ولو كان المقام مقام وعظ لأتينا بالمقصود ولكننا نشير هنا إلى الحوادث الأرضية وما يجري على سكان المعمورة، وكانت هذه الأمطار على الفلبين في الخريف ١٢/ ٤ من هذه السنة.

فتن وبلاء مستطير، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ

خَاصَّةً ﴾ [الأنفال:٢٥].

ذكرنا ما جرى في روسيا وكيف أن الله لطف ولم ينتشر شرر تلك الفتن وأخمد الله تلك الثائرة، وإلا فلو استمرت لأخذت دورها في الشر والبلاء، ومن العجائب أن تلك الثورة الروسية لم يهلك فيها ضحايا إلا كعدد أصابع اليد، وإلا فقد ينتشر شرها بمحن بالغلاء وشدة المؤنة، وإذا كانت يوغسلافيا لما حدث فيها ذلك الانشقاق كثر سقوط ضحايا القتلى بين الصرب وكرواتيا، وعجزت الأمة عن تسكين تلك الفتن، قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٩]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ما جرى ويجري من اليهود في فلسطين المحتلة وفي جنوب لبنان، ولقد بذلت الأمة جهود إجباره لوضع صلح بين الفلسطينيين وبين اليهود، ولكن اليهود لم يخضعوا لأحد من البشر، واستمرت المذابح بين شباب فلسطين في انتفاضتهم وبين العدو، ومما أدى إلى خراب فلسطين وكثر المهاجرين من اليهود إليها وإقامة مستوطنات لهم في فلسطين، وتهديد الأهالي تارةً تهدم المسجد الأقصى بعد إحراقه فيما مضى، وتارةً بالتهديد في هدم المسجد الإبراهيمي، وعجز المسلمون عن كف اليهود عن الإغارات على لبنان رغم ما بذل من الجهود في تسكين هذه الحركة اليهودية، ولقد حامت الأفكار بين مؤيد لياسر عرفات وبين من يرى بأن لا صلاح لفلسطين ولا لأهل فلسطين ما دام في الرئاسة، ولعل وجوده وظهور خيانته للعرب لمناصرته أعداء العرب أكبر دليل على عدم توفيقه وأن ما يجني من الأموال لمصالحه وإقامة قصور ومساكن له في البلاد الأخرى، وإنما اتخذ طريقته في استحصال الأموال باسم أهالي فلسطين وإنما يجمعها لنفسه، ولقد قام بزيارة لمصر في الأيام الأخيرة بعد هبوطه بالطائرة لم يسمح له بالخروج فيها، ولم يستقبل منها بل لبث تسعين دقيقة في طائرته ورجع مخذولاً إلى حيث أتى، ومن يتأمل كثرة تقلباته واستجابته للفتن وسعيه بالفساد، أما عن قصد أو غباوة في طبعه، علم أنه لا خير فيه، وقد يكون في توجيهاته أهالي فلسطين غاشاً لهم

باسم الإخلاص والنصح لهم، وما اسرّ عبدٌ سريرة إلى وألبسه الله إياها علانية، فمن ذلك ميله إلى صدام حسين وتأييده له ولفتنه مما أثار غضب العرب عليه وعلى أهالي فلسطين الذين ساروا خلفه مغترين ومنخدعين وانضمامه إلى الخميني في أول ظهوره ناسياً أو متناسياً ما في العواقب من سوء الحال، ولو نظرنا إلى ما حل في العراق من الدمار والقتل والجوع وعزله عن الأمة بسبب ما جرى عليه، لكان له ما يمنعه بموالاته، ولكن الله تعالى قال: ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ ﴾ [المائدة:٤١]، مقتدياً بمن اغتروا مثل البشير وعلي عبدالله صالح وحسين الأردن الذين عاشوا مثله في ظلّ هذه الحكومة، ولكنهم ويا للأسف قابلوا الإحسان بالإساءة، والمعروف بالأذى وإن ضاع معهم المعروف فإنه لا يضيع عند الله عز وجل وكما قيل:

مــن يفعــل الحســنات الله يشــكرها   لا يـذهب العـرف بـين الله والنـاس

وفيها في ١٣ و١٤ من شهر صفر هب إعصار في كوريا بلغ من قوته أن قتل ثلاثين رجلاً واجتاح تسعة وتسعين شردوا من منازلهم، وانفجر البركان المتقدم ذكره في الفلبين فأرسل حجارة قتلت من سقطت عليه، كما انه نجم عن ذلك فيضان عظيم تأذى من ذلك أهالي الفلبين .

مذابح في يوغسلافيا

لما انشقت كرواتيا والصرب في هذه السنة حصل بين هاتين المنشقتين وأنفسهما نزاع وقتال شديد سقط لذلك رؤوس، وأرهقت نفوس وبلغ عدد القتلى بالمئات، وعجزت الأمة عن وضع حد لهذه الفوضى والفتنة العمياء، واستمرت المذابح بين الجانبين ولا تزال الفتنة قائمة منذ أن بدأت بينهما، وكانت أمريكا بما أوتيت من قدرة وقوة تسعى لإطفاء الفتنة بينهما، ولما أن حدث انشقاق في روسيا وقامت كل جمهورية تطالب باستقلالها نزعت هيبة الرئيس ميخائيل غوربتشوف وأطيح برئاسته، غير أنه استطاع أن يسترد منصبه

ورئاسته بمساعدة الشعب، وكان السبب في الإطاحة به أنه يحارب الشيوعية الملعونة، وقد استطاع أن يقبض على جميع المناوئين له، وكانت العلاقات بينه وبين أمريكا حسنة وبين الناس من يرى أن سكون تلك الحركة في روسيا من حسن حظ العالم لما ينجم عنها لو استمرت، والله لطيف بعباده.

ذكر سوء الاقتصاد في بعض أقطار الأرض

كانت الباكستان وبنغلادش والمجاهدون في أفغانستان لتحرير بلادهم من الكفر والشيوعية وغالب أفريقيا قد ضحوا مما هم فيه من الفقر والمجاعة، وبسبب ذلك فإن النصارى استغلوا تلك الفرصة وجعلوا ينادون بعض الجهات لينضموا إلى النصرانية وكي يواسوهم بالإعانات ليرتدوا عن دين الإسلام، فقامت أمة من الغائرين على دين الإسلام يحثون في المملكة العربية السعودية على التبرعات لهؤلاء الجياع قبل أن تصرفهم النصارى عن دينهم، وصدق الرسول حيث يقول: «كاد الفقر أن يكون كفراً»، ولقد وجدت النصارى بكل ما يستطيعون في نشر الدعاة لدين النصرانية حتى ذكر شمس الدين ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى أنهم كانوا إذا أسروا مسلماً أدخلوا عليه في السجن فتاة حسنة جميلة تدعوه إلى نفسها، ولكن لا تمكنه من نفسها حتى يكون نصرانيا، وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن مسيحياً في الحرب العالمية الأولى دعا بإعرابي من أعراب العراق فقال له: أعطيك ديناراً على أن تقتل هذا الكلب، فقتله، فقال: أعطيك دينارين على أن تسلخه، فسلخ الكلب، فقال: أعطيك ثلاثة دنانير على أن تأكله، ففعل فقال له: هكذا نغلبكم يعني ببذل المادة، ولقد ابتلى الله بعض المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بالقلة والفقر، فنرى أناساً يقدمون من باكستان وغيرها يبشرون بانتشار المسلمين هناك وأنهم فتحوا مدارس ومعاهد لتحفيظ القرآن، وذكروا أن الإقبال على تلك المدارس يزداد بكثرة ولكن المادة للمدرسين والمتعلمين لا تساعد، ويستنجدون من إخوانهم في السعودية وغيرها من أهل الثروة أن يواسوهم في نشر الدعاية لدين

الإسلام وتعليم القرآن هناك، وفعلاً كان المسلمون يتسابقون بالتبرعات ويتفاخرون ببذل الأموال في هذا السبيل وسبل الخيرات، وهان عليهم بذل الأموال في ابتغاء مرضاة الله، فنسأل الله تعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن ينصر الإسلام والمسلمين.

وفيها في فجر اليوم ١٨ من صفر انفتح بركان بياتوبو وجعل يقذف حجارة ونيران مما أدى إلى نزوح أكثر من ألف نسمة من حوالي ذلك المكان، وحدث في الفلبين ست هزات أرضية وجعل ذلك البركان ينذر بشره وبلائه، وهذا شيء نادر الوقوع ويعجب له وعند أرباب الهيئة بحوث وآراء نحو هذه البراكين، ولا ريب أن استمراره بهذه المفاجئات نوع عذاب على من حواليه من البشر ولا يتعد هذا أن يكون قد فتح من جهنم جزءاً من سبعين جزء، فعياذاً بالله من أليم عقابه.

وفيها في ٢/٢٩ زلزلت بإيران أرض على مسافة مائتي كيلو، ولا تخلو من تدمير لبعض المنشآت.

وفيها في ٢/٢٢ منَّ الله علينا بالذهاب إلى مكة المكرمة لأداء نافلة العمرة، وإلى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول ﷺ وثاني المسجدين المعظمين، فوجدنا تيسيراً ولطفاً في حلنا وترحالنا فوجدنا العمال يدأبون في الأعمال الجبارة لخدمة الحرمين الشريفين وتوسعة الحرم المدني، وجعل مرافق ودورات مياه في الحرم المكي، ووجدنا من الأمن والطمأنينة مالا تبلغه العبارة، فله الشكر على فضله وتوفيقه.

وفيها في ٣/١١ أصيبت قوانتناما بهزة أرضية قوية هلك بسببها ستة أشخاص لقوا مصرعهم وجرح عشرات وتهدمت البنيان والمنازل.

وفيها في ٣/١٢ الموافق ٢٨ في الخريف ١٩ سبتمبر هطلت أمطار غزيرة على بعض الجهات، وذكروا أنها لم تصب بمثلها منذ زمان طويل، كما هبت إعصارات شديدة عليها، وفي هذه الآونة سمحت الولايات المتحدة للعراق في بيع قدر من البترول تؤمن وجود شيء من المواد الغذائية لها هذا من جهة الأهالي، أما عن الرئيس المجنون وقومه الذين انتقاهم فهم مشغولون بصنع الأسلحة الفتاكة التي يريدون القضاء بها على المسلمين ومحو الإسلام.

اليوم الوطني

ففيها في اليوم الخامس عشر من ربيع الأول وافق أول يوم من برج الميزان ويعتبر هذا هو اليوم الوطني في المملكة العربية السعودية، وبما أنه لا يسمح الإسلام بإقامة أعياداً غير ما شرعه الله ورسوله من عيد الفطر والأضحى فإن الحكومة وتنفيذاً لهذا لم تجد موعد ولادته عيداً ولا يوم ارتقائه عرش المملكة أعياداً، ولكنه اليوم الوطني لتوحيد المملكة، ومرور إحدى وتسعين سنة من توحيدها لأنه لولا ذلك لكانت المملكة التي تضم شبه الجزيرة دويلات صغيرة ولكن كان هذا اليوم يوم ذكرى وتعداد لما أعطى الله الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن من التأييد ومكارم الأخلاق بحيث وحد الجزيرة وجعلها مملكة واحدة، ويذكر في هذا اليوم ما مَنَّ الله به على المسلمين من الألفة، وكان لما تم لولايته خمسون عاماً أرادت أن تجعل ذلك اليوم عيداً ذهبياً، وبينما كانت العواصم في المملكة تستعد للفرح لإقامة العيد وجلبت الإبل لنحرها في أرجاء المملكة، والخطباء مستعدون بالقصائد والخطب إذا بها تصدر الأوامر بالمنع وأن لا عيداً إلا ما شرعه الله، وقد قدمنا ذلك في موضعه مما أغنى عن إعادته هنا فكانت الإذاعة السعودية والجرائد والمجلات تنطق بها للملك عبدالعزيز من الحسنات والمكارم والرأفة بالشعب، وما بذله من جهود تعجز الأقلام عن عدها وحسبانها، ولم يقتصر ذلك على المملكة فحسب بل كانت الدول المجاورة تبوح بذلك وتنشر تلك الموهبة التي وهبها الله عبدالعزيز، وأنها لذكرى خالدة، وتوارثها أنجاله النجباء الملك سعود والملك فيصل والملك خالد والملك فهد جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، ذلك لما قاموا به من نصرة الحق وقمع الباطل فحدث عن الفضائل ولا حرج.

رجعنا إلى ما نحن في صدده والتاريخ يعيد نفسه فيقول في هذا اليوم عثر في الكويت على مدافع عملاقة خلفها الجيش العراقي كان يبلغ طول الواحد منها ستة أمتار بمدى ثلاثين كيلو، وقد أكدت أمريكا باستئصال ما في العراق من الأسلحة الكيماوية والذرية وإتلافها، ولكن الحكومة العراقية تراوغ ولم تمكن اللجنة القادمة

من هذه المهمة فجاء الجواب الأخير بأنها إذا لم تخضع العراق لقرار مجلس الأمن القاضي بذلك فلا بد من العدول إلى القوة، وكانت لا تزال تتظاهر بالعناد وعدم اليأس من ضم الكويت كما عدتها في نفوسها مع ما هم من السيطرة عليهم وفرض السلطة على العراق.

أما عن يوغسلافيا وكرواتيا والصرب فقد تطورت الأوضاع فيها وكثر القتل وإراقة الدماء فيها، وكانت الدبابات والمدافع لها شأن عظيم في ذلك التناحر، وعجزت الأمة عن الصلح فيما بينهم، ووقف إطلاق النار فيها، ولا تزال من حين نشوب الخلاف فيما بينهم إلى ١٥/ ٣ من هذه السنة.

أما عن لبنان فإن الحرب فيها لم تضع أوزارها ولا يزالون في عناء من اليهود، وكذلك القتال مستمر بين اليهود المحتلين لفلسطين وبين أهلها، وكثرت الإصابات بأهل فلسطين رجالاً ونساءً وذلك لأن اليهود يطلقون عليهم النار من البنادق والرشاشات والمسدسات وأولئك يقاتلون بالزجاجات الحارقة، وامتلأت سجون اليهود بأهالي فلسطين، كما أن القتال مستمر ومستعرة نيران الحروب بين المجاهدين المسلمين وبين الكفار الذين في كابول تمدهم روسيا، ومطالع الأمور تبشر بانتصار الإسلام على الشيوعية هناك، ومما يؤسف له أن تكون فرقة تحرير فلسطين منشقة ويصبح العرب بين فتنة صدام منشقين فمنهم من تبع المذكور في ضلاله كالسودان واليمن ودويلة الأردن وتونس، وأصبح المسلمون بحالة يرثى لها، وقد آثر عمان واليمن والسودان البقاء على ما هم عليه من الانشقاق ونسوا ما هم عليه من ضيق المعيشة والجوع والفقر والاقتصاد، وسوء الحال، ووقع بما أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة»، فخذ ما شئت من هذا التفكك والتمزق الذي من أجله كانوا به مسخرة للأجانب، وضحكة لهم، ولقد أدبنا الله عز وجل بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ ﴾ ثم قال: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْ ﴾ [الأنفال:٤٥-٤٦]، وكنت أظن أنه لو كان لبعض المنحرفين عقول ولم يستحوذ

عليهم شيطان العراق بغروره وخداعه، وزين لهم الباطل فلا أفلحوا وافتضحوا بين الناس بحيث كشفوا عوراتهم بأيديهم وأخزاهم الله، ولكن الله تعالى قال: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة:٥]، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطل وارزقنا اجتنابه.

وفيها في ٣/١٦ قدم مبعوثوا الأمم المتحدة إلى العراق للتفتيش على الأسلحة الكيماوية والنووية وعددهم ٤ أعضاء، ولما أن قدموا على العراق قامت الحكومة العراقية القبض عليهم كأسراء واحتجزوا الوثائق التي يحملونها، وأثار ذلك غضباً، وأمر بالقوات الأمريكية والإنكليزية أن تكون على أتم استعداد للحرب وضرب العراق، وقد أنسدت الطرق بالدبابات وحاملاتها، وامتلأ البحر بإحضار الطائرات القاذفة للقنابل على اختلاف أنواعها، وجعلت الأمة تنتظر لضرب العراق، وأصبح الشر على قاب قوسين أو أدنى، ومن نظر إلى ما كان عليه الرئيس المزعوم المخذول من التقلبات والكذب والخيانة وما يبيته من الشر والمكر والكيد فإنه يكون على علم ويقين بأنه لا صلاح للعرب ولا للعراق إلا بالقضاء عليه، وها هو يجلب قوات من سائر الأنحاء يعد العدة ويبرم حبال الفتنة كما قيل:

ويربـو وينمـو كلما كـان مهمـلاً ... كجـذوة نـارٍ شـرها يتوقـع
فـإن لم تجـد قبـل التوقـد مطفئـاً ... عجـولاً خـوت منهـا بيـوت وأربـع
كـذا أصـل أتـلاف الرعايـا رعاعهـا ... إذا لم يقـم للمفسـدين مـروع

ولم سُئل أبو مسلم الخراساني عن سبب زوال ملك بني أمية قال: لأنهم قربوا العدو تآلفاً له وأبعدوا الصديق ثقةً به فما صار العدو صديقاً وصار الصديق عدواً

ويقول شاعر العرب الحكيم:

وإذا الصـديق لقيتـه متملقـاً ... فهـو العـدو وحقـه بتجنـب
لا خـير في ود امـرئٍ متملـقٍ ... حلـو اللسـان وقلبـه يتلـهب
يلقـاك يحلـف أنـه بـك واثـقٌ ... وإذا تـوارى عنـك فهـو العقـرب
يعطيـك مـن طـرف اللسـان حـلاوةً ... ويـروغ منـك كمـا يـروغ الثعلـب

وفيها في يوم الجمعة ١٩ ربيع الأول هب إعصار شديد على اليابان فهلك بسببه أنفس وأصيب آخرون، وقد هلك على التحقيق خمسة وثلاثون قتيلاً وفقدوا ستة، فلا يعلم مصيرهم، كما أن زائير حدث فيها تقلبات ونزاع.

وفيها في ليلة الخميس الموافق ٢٥ جمادى الأولى الموافق ١١ الميزان نزلت أمطار غزيرة على القصيم والجمعة والرياض، وأصيبت جهة بإعصار شديد حطم بعض المحاور التي مرَّ عليها فألقاها مكسرة على ظهر الأرض، كما أن مذَّرج وما يليه في القصيم أصيب برياح شديدة أوقفت السيارات عن السير، وبهطول الأمطار كانت برد، أوقدت لأجلها النيران، كان ذلك وقت صَرام النخيل.

وفيها في إندونيسيا تحطمت طائرة في الجو وأصيب ركابها وكانوا مائة وثمانين قضوا نحبهم وكانت من طراز الطائرات الأمريكية.

تنبيه: قد قدمنا معاملة العراق للجنة التفتيش على أسلحتهم، ولما أن احتجزوهم، وقامت العراق بقيادة صدام بعدم الخضوع، لكنها رأت علامات الهلاك مظللة على العراق خضعوا صاغرين وخلوا بينهم وبين مهمتهم فعثرت اللجنة البالغ عددها أربعين عضواً على مصانع كيماوية هناك ومعدات نووية، وعلى المدفع العملاق الذي يبلغ طوله ٥٦ متراً، وعززت أمريكا اللجنة فقضت اللجنة بإعدام تلك الأسلحة والقضاء عليها، وما أحسن ما قيل وكأنه يصف حالة صدام في تصرفاته التي عادت عليه بالخزي والعار حيث أراد الإسلام وأهله بسوء وأحاط به مكره، ويصف الشجاعة للرئيس الأمريكي بوش:

ورب مريـــد قـــبره ضـــر نفســـه ... وهـاد إليـه الجيش أهـدا ومـا هـدا
ومســـتكبرٍ لم يعـــرف الله ســـاعةً ... رأي ســـيفه في كفـــه فتشـــهدا
تظـل ملـوك الأرض خاشـعةً لـه ... تفارقـــه هلكـــى وتلقـــاه ســـجدا
وتجبـى لـه المـال الصـوارم والقنـا ... ويقتـل مـا يحـي التبسـم والجـذا

وفيها في ٣/٢٩ قدم وزير الدفاع والطيران سلطان بن عبدالعزيز منطقة تبوك فأقيم له احتفال وأشرف على إحدى الفرق القائمة بأعمالها ونشاطها في خدمة الدولة.

ذكر افتتاح مشروع الكهرباء في تبوك

وفي تبوك افتتح الأمير سلطان بن عبدالعزيز مشروع الكهرباء في مدينة تبوك وضواحيها بحيث عم التيار هناك ٤٦ مدينة وقرية، وقد بلغت تكلفة ذلك العمل الجبار خمسمائة مليون، وكان عدد المشتركين في ذلك التيار ومكائنه سبعة آلاف مشترك، وأصبحت تلك المنطقة مستنيرة بأنوار الكهرباء وما ينتج عنها من الخدمات من تبريد وتسخين وتثليج وطبخ وتغسيل وغير ذلك مما يوفر الكهرباء للأمة من المصالح، ومن الغد يوم الثلاثاء الموافق غرة ربيع الثاني افتتح مستشفى مدينة ضباء الواقعة على ساحل البحر في غربي المملكة الشمالي، وأقيم لذلك احتفال حضره سكان تلك الجهة، وحينئذٍ يقال: سبحان الله العظيم وتبارك اسم ربك الكريم، ففي كل يوم يفتتح مشروع في مدينة من مدن المملكة السعودية مع كثرتها وترامي أطرافها، وبما أن المواصلات اليوم من طائرات وسيارات فإنه أصبح البعيد قريباً، وكان لما أن فتحها الملك الراحل عبدالعزيز واستولى عليها لم تكن المشاريع متوفرة وموجودة، ولكن يعد بأن العمل في الطريق فحقق الله أمنيته، وقام أنجاله الأسود الضياغم يسيرون بالعمل سيراً حثيثاً، ولقد وفقت المملكة بتيسير من الله بجدٍ ونشاط من أنجاله الملوك سعود وفيصل وخالد وفهد غفر الله لأمواتهم وأيد أحيائهم ولا سيما من كان على عرش الحكم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، ولله در القائل حيث يقول في مرثيته للإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي رحمه الله[1]:

فيا لك بدراً أعقب الشمس بعده ... وثجاج مزنٍ أعقبته سيول

(١) هوالشاعر محمد بن عبدالله بن عثيمين رحمه الله.

بـــدور عـــلاً هـــذا هـــوى لمغيبـــه وذا فـــي سمـــاء المكرمـــات يجـــول

وفيها قامت الحكومة السعودية بجد ونشاط في إيجاد الأسلحة الحديثة والاستعداد بالقوة، كما نص على ذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]، لأن بذلك يندحر كيد كل كائد، ولا ينبغي التغافل عن ذلك، ونضرب مثلاً والأمثال تضرب للناس بأن الطائر المعروف بأم سالم كانت تسجع بالتغريد في أيام الربيع، فكانت ترتفع إلى السماء ثم تهبط بسرعة لها تغريد وفرح في أيام الربيع، وبينها وبين النملة تفاوت عظيم في ذلك الوقت، فالنمل يجمع الحب من القمح ويحمله إلى بيوتها وهذه مشغولة بتغريدها فهذه تدخر القوة وهذه مشغولة عنه، فقدر أن نزل ضيف بعد الربيع بأم سالم، فلم يكن لديها شيء فذهبت تقترض من النملة قوتاً لضيفها فقالت لها: يا أم سالم قد ألهتك القصائد يوم الحصائد، فذهب ذلك مثلاً بين الأمة لمن كان يلهو بطرب ساعة ويهمل مصلحة المستقبل، ومن نظر إلى طبيعة النملة في ادخارها القوت فإنه يستفيد من استعدادها لنوائب الزمان، وعليك أيها البارع الأديب الأريب بالنظر في كلام العالم ابن القيم ووقوفه على طبائع الحيوانات وإلهام الله لها حتى ذكر رحمه الله أن الملوك البارعين يأخذون من طبائع النحل مع يعسوبها سياسةً وتقليداً.

دخول شهر ربيع الثاني من هذه السنة استهل هذا الشهر والأمور بين يوغسلافيا والصرب وكرواتيا هائجة مائجة، وقد تطور الخلاف بينهم وجعلت الدبابات والطائرات والمدافع تلقي بقنابلها من هنا وهناك، وعجزت الأمة في أفريقيا وغيرها عن وقف ذلك القتال والبلاء المتراكم، وسقطت مئات القتلى ومئات الجرحى بين الفريقين، وقد قامت يوغسلافيا فضربت قصر الرئيس الكرواتي، وجرَّت المدافع والدبابات، وأرسلت أسراب الطائرات على منخفض فوق جو كرواتيا فيما سبب لها إدانتها عن هذا الاعتداء الوخيم.

وقد حاصرت قوات أمن إسرائيل الفلسطينيين في المسجد الأقصى، وقتلت فيه خمسة عشر فلسطينياً، ولم يرعوا ثاني القبلتين وثالث الحرمين الشريفين حرمةً ولا كرامةً فنفذ فيه حريق بقصد إلقاء القذارة والأوساخ وإرادته بالسوء والهدم فيقتلوا المسلمين فيه ويعصون الله ورسوله، ويقتلون الأبرياء ويغتصبون أملاكهم ولا

يرعون للعرب ولا لقرارات مجلس الأمن حرمة، وهكذا أمةً يترك لها الزمام والخطام يفعلون ما يشاءون ويحكمون فيما يريدون، وفي كل ساعة يطلقون النار على أبناء فلسطين فيسقطون ما بين قتيل وجريح ومعوق، وامتلأت السجون بالفلسطينيين فهذا يحكم عليه بسجن المؤبد وهذا بسجن أربعين سنة وخمس عشر وثمان، وامتلأت السجون بأهالي فلسطين وقد ذكرنا في هذا التاريخ قصصاً وأخباراً مملوءة بأعمال اليهود وظلمهم، وذلك لما ضمه تاريخنا من أعداد السنين التي استولوا بها على فلسطين وما يليه بوعد بلفور من حينما سكنت الحرب العالمية الأولى وما جرى في هذه السنين ولا سيما لما رفع اليهود منذ ست وخمسين سنة لشعار اليهودي على المسجد الأقصى، فعلت صيحات العرب وسائر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وكان الرئيس هتلر زعيم ألمانيا يتكهن وقوع الزلازل والمعارك في الشرق الأوسط ولا سيما حينما وقف مشيراً بأصبعه إلى فلسطين لعلمه أن اتخاذ اليهود فلسطين سيحدث الزعازع والأهوال، وكان يقول: سيحدث أهوال في فلسطين ويشير إليها، وبما أنه العدو الألد لليهود لما يعرفه عنهم من المكر والخداع والكذب فقد شفى غيظه منهم وأنذر من فتنهم وشرهم، وقد قدمنا في هذا التاريخ ما فيه كفاية.

ولما أن كان في أواخر شهر ربيع الأول قامت قوات صدام حسين بضرب الأكراد في موقعهم الذي كانوا فيه لاجئين، فجرى بين خريد وبين الأكراد مناوشات وقام الأكراد على ستة وستين أسيراً عراقياً فقتلوهم وهم واضعون أيديهم على رؤوسهم للاستسلام، ثم قام الرئيس صدام فقتل من جنوده ستة وسبعين ضابطاً بيده، كان يزعم أنهم متواطئون على اغتياله، وقد قررت الأمة بإجماعها على أن لا أمن ولا طمأنينة ما بقي صدام في الوجود، أما ما لحق بالعراق من الأضرار والتدمير فشيء كثير، وبما أن أهل العراق قد أظهروا للأمة عجزهم عن اغتياله فإنه لا ذنب لهم فيما أبدوه من مقاسات ظلمه وأعماله، وقد كانت السليمانية موضعاً للمعركة الأخيرة، وبما أن الأمور أصبحت بهذا الوضع فقد مرَّ من العراق مليونان من السكان إلى أطراف البلاد التركية خوفاً على أنفسهم وذرياتهم من هذه الطوارئ.

أما عن لبنان وغارات اليهود عليها فإنها لا تزال تغلي مراجلها بالفتن والزعازع وقامت حكومة الرئيس إلياس الهراوي بالقتال والدفاع عن جنوب لبنان، ولكن ماذا يصنع باليهود الذين عزموا على إقامة مستوطنات على عتبة الجولان، وبما أنها تشرف على اليهود فإنها لا تتخلى عنها منذ أن استولت عليها، وكان بقاؤها فيها ذا أهمية عظيمة في مصالح اليهود، وقد عجزت سوريا عن طردهم عنها، وكان مما يظهر ويبين أن جميع ما استولت عليه اليهود لا يمكن أن يتحولوا عنه ولا عن شبر واحد منه، ولله كمال الإرادة، وهو على كل شيء قدير، وقد حاولت الأمة إيجاد صلح في الشرق الأوسط، وذهبت تلك المحاولات أدراج الرياح، ولله در الشاعر العربي حيث يقول:

فلا صلحٌ حتى تقدح الخيل بالقنا ... وتضرب بالبيض الخفاف الجماجم
ولا أمنَ حتى تغشم الحرب جهرةً ... عبيدة يوماً والحروب غواشم
أمستبطئ عمرو بن نعمان غارقي ... وما يشبه اليقظان من هو نائم

وقد قدمنا شيئاً من أعمال رئيس العراق وهجومه الأخير على الأكراد فقد سقط من الأكراد عدد من المئات وأصيب آخرون، وقد جاء بالمدافع الثقيلة لهدم منازلهم وعثر المنقبون على مصانعه أنه يعمل فيها إيجاد القنبلة الهيدروجينية المحظور استعمالها بين الأمم كلها.

ذكر زيارة رئيس باكستان

لما أن كان في غرة ربيع الثاني من هذه السنة قدم الرئيس غلام إسحاق خان إلى المملكة العربية السعودية لأنه قام بهذه الزيارة للملكة لما بينها وبين بلاده من حسن الصلات، فأطلقت المدفعية لقدومه وأحداً وعشرين مدفعاً، واستقبل استقبالاً يليق به من حفاوة وإكرام، إن الحكومة الباكستانية الإسلامية قد حظيت بهذا الرئيس المسلم، وقد كانت الحكومة السعودية قد أمرت ببناء مساجد في باكستان الإسلامية وعددها خمسون مسجد، ولا يزال فيها رجال يدينون بدين الإسلام، ففتحوا

مدارس لتحفيظ القرآن، وكان أولئك القائمون بهذه المدارس لا يزالون جادين في نشر الإسلام ببلادهم ويترددون إلى المملكة للاستجداء من الأجواد فيها والمساعدة على مهمتهم بالبذل لمساعدتهم مادياً، وكتابةً وتشجيعاً، وجزى الله من أعان المسلمين وأهله ولو بشطر كلمة، ثم إنه غادر جدة إلى المدينة المنورة، وكان موضع التقدير فيها في حله ورحيله بين مدنها وفي رحابها، وكان أهالي باكستان حينما تنفسوا الصعداء من الرئيسة الأولى بنازير بوتو التي يطلقون عليها لفظة خنازير لأنها لم تكن في صف الدعاة إلى الله بل تثبط عن نشاط الإسلام هكذا ذكروا، ولقد كانت الحكومة الهندية تقاسي أنواعاً من التمرد وكثرة اغتيال الآمنين ولا سيما من السيخ، ولما أن كان بعد صلاة الجمعة غادر الرئيس غلام إسحاق خان المملكة إلى باكستان.

وفيها في ٢/ ٤ قامت حكومة كابول بقنابل النابالم على المجاهدين في أفغانستان فضربتهم بهذه القنابل الحارقة، وجرى قتال لم يجرِ مثله منذ ثلاث عشرة سنة من انتشار القتال بين المجاهدين وبين حكومة كابول الخاضعة لروسيا.

وفيها في ١٣/ ٤ أصيبت الهند بزلزال شديد تجلى عن عدد من المئات من القتلى وجرح آخرين، وهدم منازل كثيرة وأحدث هذا الزلزال خسائر في الأموال والأرواح.

قامت إسرائيل بغارات كثيفة على جنوب لبنان واستعملت القنابل الكشافة حتى كانت بيروت كرابعة النهار، وهذا في سعي الأمة لعقد الصلح في الشرق الأوسط وموعده ٣٠ أكتوبر من عام ١٩٩١م في مدريد عاصمة إسبانيا، بينما كانت الأمة تستعد لبعث مندوبيها لموعد الصلح، وقد أطلقت المدافع في جنوب لبنان وسقط بعض من القتلى والجرحى، أي قبل الموعد بعشرة أيام، كما أن العراق لا يزال في غيه وعناده، أما ما كان من عمان فقد لزمت حكومته الصمت وعدم الحركة، كما بعث الملك حسين ببرقية تهنئة باليوم الوطني للحكومة السعودية، غير أنه لم يتلقَ جواباً، وكان حافظ الأسد قد تلقى عقد الصلح في مدريد برحابة الصدر والارتياح ورجا من هذا المؤتمر حل مشاكل الشرق الأوسط، وتلقت السعودية

ومصر ذلك بالقبول والفرح والاستبشار، كما أن إسرائيل ستحضر المؤتمر، أما العراق فقد طردت وأسقطت معنوياتها وهلكت الكويت لعقد هذا المؤتمر، وقام رئيس لجنة تحرير فلسطين تستعد لذلك اليوم أما عن إسحاق شامير فقد كان في تمرده وعناده، وقد قام ثلاثون ألف إسرائيل بمظاهرات[1] ضده ينادون بوضع حد لهذا العناد، ويطالبون بوضع صلح بين إسرائيل والعرب، وقامت الأمة يستعدون للذهاب إلى مدريد عاصمة إسبانيا وينتظرون ذلك الصلح في الشرق الأوسط، وقد تظاهرت أمريكا بأن هذا الصلح لا يكون حاسماً في أول وهلة للخلاف في الشرق الأوسط، كما أن إيران كانت في شك مما يرمي إليه اليهود من التقلبات والمكر والخداع ولا سيما لما قام رئيس وزراء اليهود إسحاق شامير يترأس وفد دولته، هذا الذي دفع إيران إلى أمريكا وإسرائيل زمن تلك الآونة أعني منتصف ربيع الثاني الأخير، كانت تركيا في مناوشات قتال مع الأكراد وقد سقط قتلى بين الفريقين، وكان السبب في ذلك الأكراد في شمال العراق، كما أن شعب العراق أيضاً يهاجم صدام حسين ويقذع في مسبته بما جرَّ عليهم من الأذى والدمار والفقر والجوع والنكبات التي جرت إليهم.

ذكر أسبوع نظافة المساجد

لما كان يوم السبت الموافق ٢٠/ ٤ قامت الأمة في سائر أنحاء المملكة يتقدمهم الأمراء والوكلاء بمكانس الكهرباء وغيرها من أنواع المكائن وسمي هذا الأسبوع أسبوع النظافة، وهذا فيه رمز إلى اهتمام الحكومة بالمساجد، نسأل الله أن يرفع المساجد بذكره وتلاوة كتابه، وإقامة الصلوات، وكان يوماً مشهوداً.

وفي ٢١/ ٤ أصيبت اليابان بزلزال شديد تضرر ما كان حواليه، كما أنه في ذلك اليوم الموافق ليوم الاثنين أصيبت الفلبين بضربة إعصار عظيم سقط منها الأشجار

---

(١) وأسباب ذلك أن اليهود تذوقوا حلاوة النصر والتأييد فلا يمكن أن يحولوا أحزابهم.

والمنازل عندما مرَّ عليها، وقد هلك بسببه أنفس بشرية وحيوانات، وتسبب بأضرارٍ كثيرة، نسأل الله تعالى أن يلطف بالمسلمين ويجعل الكفار عبرة للمعتبرين، وقد تقدمت إصابات للفلبين واليابان بهذه الآيات والقوارع ولا ريب أنها عقوبة للعصاة، وتذكير للمسلمين ليعتبروا ويتعظوا بغيره، اللهم اجعلنا متعظين.

مؤتمر السلام في الشرق الأوسط ٣٠ أكتوبر ١٩٩١م

لما كان في ٢٣ ربيع الثاني من هذه السنة اجتمع المندوبون لهذه المهمة في مدريد عاصمة إسبانيا من السعودية ومصر وسوريا والأردن والكويت وفلسطين واليهود وبريطانيا وفرنسا واليابان، وتأهب الرئيسان عظيم أمريكا وعظيم روسيا وغيرهم وهنا منتدبون من الدولتين العظيمتين وغيرهما، ولا ريب أن الأمة قد سئمت من حالة أهل فلسطين ومن حالة لبنان، وجلسوا على مائدة المفاوضات لاتخاذ إجراءات حول هذه القضية، ولا ريب أن حلها بيد أمريكا إن اهتدت إلى ذلك سبيلاً، واستشرفت الأمة إلى ما ينتج عن هذا المؤتمر العظيم، وكان يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الثاني يوماً مشهوداً حضره مندوبوا رؤساء الخليج من قطر والبحرين والإمارات ووجهت الروادو والتلفزيونات لاستماع الأمر الأخير الذي سيصدر عن هذا المؤتمر مؤتمر السلام في الشرق الأوسط، ولا يعلم إلا الله هل يكون ذلك البارق مؤذناً بما فيه الخير أو يكون برقا خلياً كبروق غالب المؤتمرات الأخيرة، وإن إغلاق مدينة القدس ومنع المسلمين فيها من المسجد الأقصى الذي كان تحت سيطرة اليهود، الآن يفتحونه ويغلقونه بحيث لا رادع ولا منقذ له ليس بالأمر الهين لدى من تقله الغبراء وتظله الخضراء من أمة الإسلام الذين يشهد لهم التاريخ بالفتوحات والغيرة على بلادهم ودينهم وشرفهم، وينتظرون بفارغ الصبر ماذا تنتهي إليه أمر إسحاق شامير الذي قيل فيه وفي أمثاله إذا غابت أسد الشرى سادت الثعالب، فأين الغيرة يا مسلمون؟ وأين الأنفة يا مؤمنون؟.

مؤتمر مدريد

لما كان في ظهر يوم الأربعاء ثلاثين أكتوبر الموافق ٢٣ ربيع الثاني افتتح المؤتمر رئيس وزراء إسبانيا بكلمة ألقاها إمام الأمة، وكان الرئيس ميخائيل غربتشوف يتعلق بالموضوع، وقد جلس الرئيس الأمريكي أول النهار مع رؤساء الوفود للتفاهم، وقد خص خمسة آلاف مصور لذلك وعرضت قرارات مجلس الأمن، وأظهرت الأمة اهتمامها حول هذا المؤتمر ولا سيما الرئيس جورج بوش وميخائيل، وقد بارحا مدريد لما مهد للأمور، وألقيت الخطب والكلمات حول المؤتمر وقررت جلسات بعد هذا اليوم، هذا وقد كانت اليهود ليلة ذلك اليوم تواصل اعتداءاتها على جنوب لبنان، فقد ضربت سبع قرى في لبنان كما أن حركة فتح في أشد ما يكون من الهجمات والعنف ضد اليهود، وساد الاضطراب والقلق في حال هذا المؤتمر بين اليهود والعرب، وكانت الدول الخمس تعد بحل الموضوع وترشد إلى أن الحل يتطلب وقتاً لبس بالقصير، ويظهر مما بذلوه من جهد في الإصلاح بين العرب واليهود أنهم مهتمون في قضية فلسطين ولبنان، والله من وراء القصد.

إطفاء آخر بئر في الكويت

لما كان في يوم الجمعة الموافق ٢٥ ربيع الثاني من هذه السنة واحد نوفمبر تم إطفاء آخر بئر في الكويت التي فجرها صدام حسين في غزوه للكويت، وقد ذكر أنه سيعمل عملاً في الكويت يأتي على الرطب واليابس، وفجر تلك النيران، مما أثر دخانها على الأفق، وأثر على نزول الأمطار في الكويت وما جاورها بحيث نزلت الأمطار متأثرة من الدخان الأسود على الأراضي التي تبلغ مسافة ستمائة كيلو بحيث كانت الأرض متلونة بالسواد من جراء فعل هذا العدو اللئيم المجنون الذي فقد دينه وإنسانيته، ويكفي ما عاقبه الله به من الخذلان، وجعل كيده في نحره، ولم يحصل إلا على الخزي والعار والسمعة السيئة في الدنيا والآخرة.

ذكر ما تجلى عنه المؤتمر

لما كان في يوم الأحد ٤/٢٧ أعيدت الجلسة لتكون ثنائية، ولم يحضر بقية الوفود، وقد نال مندوب سوريا من رئيس وزراء العدو وهاجمه مهاجمة، بأن هذا الوزير كان معرفاً قبل الوزارة أعني إسحاق شامير بأنه إرهابي وغير مستقيم، وكانت اليهود لا تزال في تعنتها، فلهذا لم تظهر نتيجة تذكر لهذا المؤتمر، غير أن رؤساء الدول الخمس يتنبئون بأن يسفر ذلك المؤتمر عن خير وسلام، ولكن أين الخير والسلام والأمور لا تزال متعقدة وإسرائيل في حال هذا المؤتمر تقيم احتفالات ليهود السوفييت، ويقيمون لهم مستوطنات في الجولان، كما أنها في قتال عنيف في جنوب لبنان، وأيضاً كانت تذيق الفلسطينيين أنواع العذاب في فلسطين، وآخر شيء أغلقت المسجد الأقصى عن المسلمين ومنعوهم من الصلاة فيه أمور لا يحلها مؤتمر ولا شبيه مؤتمر، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وله تمام القدرة والحكمة لا لغيره، ولا إله سواه، ومن العجائب أن المساعي نحو تحرير المسجد الأقصى قد باءت بالفشل.

وفيها في ٤/٣٠ أصيب الجنوب من المحيط الهادي بزلزال شديد وتضرر ما حوالي تلك المنطقة.

كما أن في الفلبين أصيبت بفيضان عظيم تأذى منه الأهالي، لأنه حصل بدون استعداد له، فقد سقط ألوف من القتلى وشرد عشرات الألوف من السكان الذين تهدمت مساكنهم وسقطت بيوتهم، وأصيبوا في أموالهم، وذلك لما طغى الماء في تلك الجهة بقدر لم يعهد مثله، والأمر أعظم مما ذكر، وكانت الأمة هناك لما رأوا ما نزل بهم، شردوا على وجوههم لا يلوي أحد على أحد، وكان هذا الفيضان كثيراً ما يصيب ما حوالي البحر، فقد روى الثقات أن بحر جدة فاض ذات مرة فدخلت المياه البيوت وكاد أن يغرق بعض السكان، وتضررت الفرش والمكاتب في بعض جهات جدة، ولا تنسى فيضان الماء في مدينة بريدة عام ١٣٨٣هـ بحيث سقط لذلك

بنايات كثيرة، وطغى الماء في أسفل المساجد ولا سيما ما كان فيه قبو وهي الخلوات المعروفة عندهم، فقد ارتفع مستوى المياه ولم تغنِ صبات الإسمنت المسلح، وجيء بالمواتير لشفطها، فسلم بعضها وأنهد بعضها، هذا وقد كانت البناية في القصيم بالطين واللبن وقت أذن فاضطروا إلى أن يعدلوا إلى البناية الحديثة، فما مرَّ عليها ربع قرن حتى أصبحت بعامة من الإسمنت المسلح.

وفي هذه السنة نزلت قيمة التمور إلى قدر غير معقول، ومن أسباب ذلك نزول الأمطار وهطولها في أيام سهيل لهطولها قبل إبان وقتها فأصبح التمر السكري لا يساوي سبع قيمته العادية، وقد تضرر بالماء ووجد بكمية وافرة مما كان سبباً لكساده جملة.

استمرار القتال والخلافات

استمر القتال حتى وضع هذه الكلمات بين يوغسلافيا وكرواتيا والصرب، وعجزت أفريقيا والأمم المتحدة عن تسكين هذه الفتنة، واشتد قصف اليهود للبنان وقراه في حال انعقاد مؤتمر السلام في مدريد، واشتدت أذيتهم لأهالي فلسطين بينما كان شباب فلسطين في انتفاضتهم ضد اليهود، واستمر الشقي صدام حسين يصنع لحرب العرب، ولكن أمريكا كانت له بالمرصاد، فكلما سوى عدة للحرب أتت أمريكا فدمرتها وقضت عليها، ولا تزال أفغانستان في قتال عنيف بين المسلمين المجاهدين، وبين الحكومة الموالية لروسيا في كابول، وكان المجاهدون منتصرون لأنهم يقاتلون عن عقيدة ودين، ويسعون في نشر الإسلام، ولولا قوة العدو لديهم من المعدات الروسية والقنابل المختلفة الأنواع كالعنقودية والنابالم المحرقة وغيرها لكان لها زمن طويل قد وضعت الحرب أوزارها، وبما أن مسلمي أفغانستان مشهورة بالشجاعة الفائقة وتمدهم الحكومات الإسلامية بالأسلحة والذخائر والتبرعات والنفقات، فإنه كان ينتظر ظفرهم وغلبتهم للعدو وقهرهم له، وقد أشرفت طلائع النصر للمجاهدين، كما

أنها توالت انتصاراتهم وتقدمهم هناك، وتقدموا وظفروا كما صبروا وصابروا ورابطوا وضحوا بأنفسهم، والله ما الصابرين.

خطر يخشى منه

في الساعة الحادية عشرة بتوقيت الزوال أعلنت الإذاعة في يوم ٥/ ٥/ ١٤١٢هـ أن العراق تملك ٣٥٠ طناً من نوع الأسلحة الكيماوية وستة آلاف قذيفة من نوع الخردل والأسلحة النووية، وهذا النبأ عن الولايات المتحدة، وإن تدميرها يتطلب مليارات، وقُدِّرَ وقت التدمير سنتين كاملتين، وإنها في يوم أمس الأكراد بعد حشدها للقوات إليهم، وبهذا يعلم أن حالة رئيس العراق في وجوده كحالة الفئران لسان حاله يقول سبحان من خلقه للفساد.

وفي تلك الآونة بذلت الأمة في المملكة السعودية نصائح وإرشادات، وعلى رأسهم العلماء موجهة إلى الملك فهد أيده الله، يطلبون تخفيض الرسوم على السيارات في الرخص والاستمارات والفحوص على سائر السيارات، فصدر الأمر بتخفيضها إلى قدر معقول، والتسامح بفحص السيارات على العموم، وأشار حفظه الله بأن الفحص من مصلحة الأمة لتسير السيارة سالمة من العيوب التي تكون بها هدفاً للخطر هي أو صاحبها، هكذا ذكر حفظه الله.

عود على بدء عقد مؤتمر السلام في الشرق الأوسط، انفصل عن لا شيء، وتكشفت نوايا اليهود، ومن في صفهم أنهم يريدون الخداع وتثبيط همم العرب والمسلمين، وتخدير أعصابهم، وكانت فرصة لليهود في ضرب قرى لبنان جنونية وغريبة بحيث سقط عشرات القتلى وهدمت المساكن هناك، وقامت اليهود أيضاً بتضييق الخناق على فلسطين وأهله، وانتهاك حرمة المسجد الأقصى، ولم تسفر تلك المفاوضات والجلسات عن شيء يستعذب، بل كان ضحكةً لكل ساخر، وصدقت فراسة إيران فيه، وكشرت أنياب الفتن والزعازع في وقته وبعد وقته، ولم تزد الفتن إلى تعقيداً.

صلاة الاستسقاء

لما كان في يوم الاثنين ٥/٥ أقيمت صلاة الاستسقاء في سائر أنحاء المملكة نزولاً على أمر الملك فهد بن عبدالعزيز، وكان ذلك اليوم يوافق ٢٦ من الوسمي، نسأل الله تعالى أن يغيث المسلمين، وقد مرَّ على ذلك فترة لم تنزل فيها أمطار بعد الاستسقاء، ومن سنته أنهم إذا لم يسقوا يستسقوا ثانياً وثالثاً، إن الله يحب من عباده الإلحاح بالدعاء ولا ييأسوا، وإذا عزموا على الاستسقاء فسقوا قبل الخروج خرجوا في يوم موعدهم، نسأل الله المزيد من فضله، وإن الله يحب أن يُسأل ويغضب إذا لم يُسأل، فنسأل الله أن يرحم عباده وبلاده وبهائمه، ويسقي البلد الميت وينشر رحمته وينزل علينا من بركاته، وقد ذكر العلماء حالة الخروج إلى صلاة الاستسقاء أنها تكون بخشوع وتواضع، ويخرج الإمام بعد الشيوخ والعلماء والصبيان، ويباح حضور البهائم والأطفال والضعفاء، إذا تواضع جبَّار الأرض رحم جبَّار السماء ويكون ذلك أسرع للإجابة لأن الله أرحم الراحمين.

حادثة

لما كان في يوم ١٣/ ٥ أصيب قطار في المكسيك فهلك بأسباب ذلك الحادث غالب ركابه، وقد قامت فرق الإنقاذ فقامت بإخراج ٦٥ جثة من الهالكين، وقد أبيد معظم ركاب القطار، وقد ذكرتني هذه الحادثة حادثة قوم ذهبوا من القصيم إلى جازان في جنوبي المملكة السعودية، فلما أن وصلوا إلى مياه البحر هناك ركبوا في سنبوك لصيد الأسماك، وكان الذي ربط في الأرض لم يمكن السنبوك كما ينبغي فانطلق في البحر ملججاً تدفعه الرياح في ذلك البحر اللجي فلا ينظرون إلا إلى السماء وغبَّة البحر فأيقنوا بالهلاك ورجعوا إلى أنفسهم يودعون الحياة ويجأرون إلى الله في طلب النجاة، وجعل بعضهم يستحل من البعض رافعين سباباتهم إلى السماء بحيث قد انقطعت الحيلة إلا من ربهم تبارك وتعالى، وبينما هم كذلك بدت لهم سفينة عن بعد فجعلوا يشيرون إليها بأيديهم، وما

على رؤوسهم يستغيثون بها فتحرك قبطان السفينة إليهم لينقذهم، وعند وصوله سألهم عن خبرهم فقصوا عليه صفة الحادثة، فربط السنبوك بالسفينة حتى بلّغهم ناحية البر فوقفوا يعرضون عليه ما يطلب في سبب إنقاذهم من تلك الورطة، غير أنه لم يطلب سوى دعائهم له وشكرهم لله ثم له، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة المتقدمة.

ذكر الحركة في الصومال

قال نبينا ﷺ بأن السيف إذا وقع لا يرفع إلى يوم القيامة، وبأنه يقتل بعضهم بعض ويسبي بعضهم بعض، ولقد امتدت الحروب في كمبوديا وعجزت الأمة عن تسكينها، وفي حال وصول التاريخ ١٨/ ٥ من هذه السنة كان الرئيس المؤقت في الصومال بمقديشو علي مهدي محمد بينه وبين منافسة في الرئاسة منازعات، ولا تزال القتلى والجرحى بين الفريقين قتال ومنازعات، وقد طلب الهلال الأحمر أن يخلي الجرحى إلى المستشفى للعلاج، وحدّث ولا حرج عن قتال أهالي لبنان، وتدخل الأمم الأخرى في هذا النزاع، كما أن اليهود لم يكتفوا بقتال أهالي فلسطين الذي استمر خمساً وأربعين سنة، حتى امتلأت المستشفيات بالجرحى، وكذلك ما كان في أفغانستان وغيرها من المجازر والأهوال، فعياذاً بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفي هذه الأيام الأخيرة حدث في يوغسلافيا وكرواتيا والصرب من القتال والانشقاق الذي أزعج الأمة وحملها على التدخل لإطفاء هذه الفتن العمياء وتأزمت الأمور هناك.

وفيها في ٦/٩ الموافق ليوم الأحد أصيبت سفينة عبارة من سفن مصر في شعاب المرجان حوالي مصر في البحر الأحمر تحمل ستمائة وثمانين راكباً وأربعين سيارة على ظهرها، فهلك منهم خمسمائة وتمكن المنقذون من إنقاذ بقيتهم، وقد سعى المنقذون في إخراج بعض جثث الغرقاء، وكان الركاب قد رجعوا من

السعودية منهم عمال رجعوا من السعودية وعجاز كانوا يعتمرون، وكانت الحادثة من أغرب ما مرَّ في هذه السنين الأخيرة، فأحدث ذلك رنة في مصر وبعثت برقيات التعازي ولا سيما برقية من الملك فهد ومن ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز ليواسوا حكومتهم وأهاليهم في هذا المصاب، وأسباب عطبها تعكر الجو هناك، وانبعثت الأنباء في مشارق الأرض ومغاربها طولاً وعرضاً يروون الحادث المؤسف، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما ما كان عن حالة الأكراد الذين هم في شمال العراق فقد أمسى خمسمائة ألف كردي مهددين من البرد والجوع إن لم تداركهم العناية، وبما أن من وراء ذلك كله تحديات صدام للأكراد فإن تركيا جعلت تهدد العراق بأنها ستدخل في الموضوع لحل الأزمة وإنقاذ أولئك البؤساء من براثن حكومة العراق التي لا يزال الرئيس الطاغية يستهوي شياطينه في الأذى ليكون سبباً في هلاك بقية حرسه وجنوده.

وفيها في ٦/١١ توفيت زوجة الملك عبدالعزيز والدة طلال ونواف، وكانت امرأة صالحة وموصوفة بالإحسان والعطف على الفقراء رحمها الله وعفا عنها، ومن خصائصها أن الملك عبدالعزيز كان يناولها صدقات تبذلها على الفقراء، وكثيرة الصلاة والعبادة، وقد صلي عليها في المسجد الجامع في الرياض، وحضر جنازتها جمعٌ كثير وجمٌ غفير، فالله المستعان.

ذكر انهيار الحكومة الروسية وانقسامها إلى دويلات

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

لما كانت هذه الدولة هي الدولة الثانية في العالم، وهي إحدى الدولتين العظيمتين في العالم فيقال روسيا وأمريكا اقتضت القدرة الإلهية والحكمة الربانية أن

يقع التفكك فيها وتنفصل جمهورياتها جمهورية بعد أخرى لما كان عليه الرئيس ميخائيل خربتشوف من الضعف الذي أدى به إلى أن يقبض عليه ثم يطلق سراحه، ولكنه لما رجع إلى منصبه تدهور الوضع وقام الشيوعيون ضده لأنه كان يحارب الشيوعية، ثم قام في الأخير يريد أن يقدم استقالته، وكانت أمريكا تفضل بقاءه لحسن الصلات بينه وبينها، ومن العجائب أن هذه الدولة تضرب الأمثال بقوتها، وهي التي وقفت في وجه أمريكا، وكان الرئيس ستالين الذي وقعت في زمن الحرب العالمية الثانية على غاية عظيمة من القوة والمقدرة، وهو الذي قام وزميله «روزفلت» الرئيس الأمريكي ووقفا وقفة في نحر ألمانيا حتى سقطت، وما زالت روسيا في عظمتها حتى هذه السنة، ثم إنها أخذت تتهاوى وعرشها يهتز وحق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه، وسنذكر أسباب هذا الضعف من التفكك، لأن الوضع لا يزال غامضاً في الاتحاد السوفيتي.

استقالة الرئيس ميخائيل غوربتشوف

في ليلة الخميس ٢/ ٦/ ١٤١٢هـ قدم الرئيس استقالته عن منصبه يوافق ذلك ٢٦ ديسمبر ١٩٩١م لأنه رأى ما لا بد له منه، وبذلك تغير الوضع في روسيا عن الحالة الأولى.

الأنوار الإلهية تتجلى لما أن كان في ليلة ٢٩ من رمضان من هذه السنة والمسلمون في قيام الليل في المسجد الحرام لحضور ختم القرآن، تجلت الأنوار الإلهية لبعض المسلمين، فرأت امرأة من الصالحات أجساماً نورانية من الملائكة بين صفوف المصلين وهذه خارقة من الخوارق، وكرامة من الكرامات أن يطلع الله بعض خلقه على حضور ملائكة من السماء صلاة التراويح مع أمة محمد ﷺ كما جاء في بعض الآثار أن جزء من الملائكة يستأذنون ربهم تبارك وتعالى في الحضور مع أمة محمد ﷺ صلاة التراويح، وهذه المرأة من الصالحات، فشهدت رفيقتها إلى جانبها في الصف أنها رأت، وكانت المرأة من أسرتنا فسألتها هل تكرر ذلك؟

فذكرت أن امرأة من أسرتنا أيضاً رأت كذلك في العام الماضي ليلة الختم في المسلمين، وهذه بشارة للمسلمين بتجلي الأنوار الإلهية لهم وقبول عبادتهم تلك الليلة، فنسأل الله تعالى التوفيق.

وفيها في آخر جمادى الآخرة في منتصف برج الجدي وقبل يومين اشتدت وطأة البرد جداً وجرى ما سأذكره موجة برد في هذه الأيام المذكورة جمد الماء ونزلت درجة الحرارة في بلدة حائل وما يليها إلى خمس تحت الصفر، وفي القصيم درجتين، وارتفعت الثلوج إلى ثلاثة أمتار في تبوك، وحال الثلج في عمان بين المرور والمطار، وتعطلت السير هناك، أما عن لبنان فحدّث ولا حرج، وقد وافق ذاك زيادة الأمطار، وقد ذكر أرباب الخبرة بأنه لم يمر ذلك البرد منذ أربعين عاماً، وبما أن خليقة قد وسع الله عليها في الملبوسات والمكيفات والدفاءات وسخانات الماء، فإنهم لم يتأثروا لذلك، وكانت أعالي الكثب الرملية قد أصبحت بيضاء في أوائل النهار، وقد تكون السيارات في وقت الصبيحة قد اكتست من الثلوج، واشتدت وطأة البرد جداً في كلٍ قطر ومكان.

انفجار في غربي بيروت

لما أن كان في ٢٤/٦ من هذه السنة بلغت مدة الحرب في كمبوديا ثلاث عشرة سنة، وفي هذا اليوم انفجرت قنبلة في غربي لبنان نتج عن هذا الانفجار أن سقط عشرون قتيلاً وسبعون جريحاً، وتهدمت منازل، وأصيبت سيارات، وحدث لذلك رنة أسف في الأمم الذين ينتظرون هدوء الأحوال في لبنان، وهي تتطور يوماً بعد يوم، ومن الأمور التي زادت على الحسبان اختلاف القوارع والزلازل هناك، وكانت فرنسا قد تأثرت جداً لذلك؟

عود على ما ذكرنا فيما تقدم من شدة البرد عام ١٤١٢هـ وذلك لأنه لما دخل نوء الشولة الثالث من أنواء الأربعانية تأزمت الأمور واشتدت وطأة البرد، وتجمدت المياه، وحال الثلج بين مدينة عمان وبين المطار، وارتفع الثلج بين

الجبال بقدر ستة أمتار في لبنان، وهلك بسبب ذلك الصقيع في تبوك وما يليها وذلك من الثلج، وهلك بسبب شدة البرد أنفس كثيرة وحيوانات كثيرة، وبما أن الطقس جاف في الصحراء فقد تجمد الغاز وتأثر عن الدفع، وفي مدينة حائل وما يليها انكسرت مواسير المياه، كما أن منطقة الجوف وعرعر مستهدفة من البرد، وقد تأثرت، وقد أتفق أرباب أهل الخبرة بأنه لم يمرّ منذ خمسين سنة تقريباً مثل هذا البرد، وأنه نادر الوقوع، وقد تجمدت البرك وحوالي المياه في موضع سباخ بريدة المسمى فيحان وأصبحت الحجارة لا ينتفع بها ولبثت أربعة أيام على ذلك الوضع، وبما أن المياه تجمدت تكون في وضعها كالزجاج فإنك قد تمرُّ بها وتظنها زجاجاً لا يتقدم ولا يتأخر، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ولا تظن أيها القارئ أني تجاوزت بل الأمر كان أبلغ من ذلك[1] ولا ريب أن وقوع الجفاف واشتداد البرد هكذا عقوبة من العقوبات الدنيوية التي تصيب بني آدم بسبب الذنوب والمعاصي، وفي الحديث القدسي: «لو أن عبيدي أطاعوني لأسعفهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد والصواعق» وتستحضرني في هذا المقام كلام الحافظ شمس الدين ابن القيم بحيث يقول: «لا تحسبن العدو غلب، ولكن الصديق تخلى عن المناصرة»، وقد ذكرنا في غير هذا الموضع الأثر المرفوع أن الملائكة تطلب في الشتاء رحمة لبني آدم.

كائنة غريبة

كان إنسان لدى دواجن من الدجاج، وكان يذبح الدجاجة أمامها، فقد ران دجاجة شريدة من الدجاج حنقت عليه وصاحت بأخواتها وغفلته ووثبت عليه وهو غافل بآلة حادة في منقارها فجعلت تضرب إحدى عينيه تريد أن تفقأها لكنه تمكن من الخلاص بعدما أخرت، فذهبوا به إلى المستشفى، وبعد علاج عينه المصابة

(١) إن من لم يشاهد هذا الواقع يكذب بما يخبر عنه، وقد تأثر الفقراء والضعفاء.

بمدة ثلاثة أيام ظهر أن الدجاجة لتم يقضى عليها فغضب لذلك وأمر بذبح جميع ما لديه من الدجاج بحيث لم يعرف التي غزته بعينه، نسأل الله العافية من البليات، وكانت هذه الواقعة حصلت في إحدى مدن عسير في هذا البرد عبرةً بكراهة ذبح الحيوانات والأخرى تنظر، فقد روى التاريخ أن رجلاً ذبح عجلاً أمام أمه وهي تنظر، فيبست يده إلى كتفه، والصحيح أن ذبح البهائم أمام إخوانها لا يجوز من جهة من الناحية الشرعية، وقال في الإقناع وشرحه، ويكره أن يحد شفرته أمام الذبيحة، وأن تذبح الذبيحة والأخرى تنظر إليها.

وفيها في ١٢ رجب اتفق العلماء من سائر المعمورة على إرغام حكومة العراق بإطلاق سراح أسراء الكويتيين الموجودين بالعراق، وذلك بأن اقتحام العراق للمسلمين بعد صلاة الجمعة وأخذهم من المساجد حتى لا يعلو إلى أية جهة ذهب بهم وأخذهم أسراء وجعلهم في العراق فوق المكامن يتقون بهم الأخطار، أمر شيع جداً، وبما أن لديهم في العراق ولا تقره العقول ولا الملل ولا النحل فإن الأمة رأت إجبار العراق وحملها على الإفراج عنهم بحيث كانت جميع الأعمال التي ارتكبها الطاغية الرئيس المزعوم ساقطة في حرب الخليج وهتك القوانين الدولية والأحكام الشرعية، وقد نودي بأن لا صلاح للعرب والإسلام في بقاء المذكور والإطاحة بحكمه لا بد منها، وكانت العراق قد أعلنت إدانتها بمسبته والحكم على إبعاده والتخلص منه لتستعيد العراق شرفها ويعود عليها حياتها الطبيعية كغيرها من البلدان، وكانوا من شؤمه قد أصبحوا عالة فقراء جياعاً مرضى، وأمست العراق التي تدعى أولاً بمدينة السلام بحالة يرثى لها متهدمة الأركان متداعية البنيان، وهكذا عمل كل رئيس جاهل أحمق كما قيل،

أوتيـت ملكـاً فلـم تحسـن سياسـته ... وكـل مـن لا يسـوس الملـك يخلعـه

ذكر حالة الفريقين

أما عن صدام وشيعته فكانوا في غيهم وضلالهم ولا يزال في كل يوم قد قتل جزء

ممن كانوا في معيته لأنهم يريدون التخلص منه، فيقتل من يخاف منهم وينكل بهم، ولا تزال أمريكا بعد هزيمة العراق تبعث الوفود لمراقبة أسلحته الكيماوية، والقضاء عليها، وإن كان جاداً في إيجادها والاستمرار بأعماله الوحشية يتهدد ويتوعد، وإن كان مشلول الحركة، لا ريب أن أعماله جنونية لا تصدر من عاقل، أما عن الكويت وأنهم بعد رجوعهم إلى بلدهم ورؤيته والجلوس فيه وهم يدعون الله على صدام حسين، لم يحدث لهم ذلك عبرةً ولا موعظةً بل كان جلهم على المعاصي والدعارة رغم أن الخطيب فيها القطان كان ينذرهم ويحذرهم من مغبة الذنوب والمعاصي، وكيف وقد رأوا فكيف لا يعتبرون قال الله تعالى خطاباً للذين لا يتفكرون ولا يتذكرون وذماً لحالتهم: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١]، ويقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ [القمر:٤-٥].

ذكر ما جرى فيها من الحوادث

لما أن كان في آخر شهر رجب انشقت الأرض حوالي الموية بصدعٍ عظيم، فكان منظراً رائعاً وكان كخليج في طوله وعرضه وسمكه، وحصل من ذلك لفت نظر لأن الرسول ﷺ قد أشار إلى ذلك في قوله: «خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب».

وفيها في إحدى ليالي من شهر شعبان في أوائله ذهب رجل بأولاده لقضاء مناسك العمرة، وفي طريقه بين مكة المدينة نزل لقضاء حاجته على بعد مسافة قريبة من السيارة فقضى عليه ذئب فافترسه ومزق أحشائه، وبينما كانت زوجته وأولاده في انتظاره تأخر عليهم فلبثوا بسيارتهم طول الليل، ولما انشق الفجر نزلت المرأة تنظر عليه، واستعانت على ذلك مهلها برجال فوجدوه ممزق الأحشاء ورجع الأولاد من أبيهم بخفي حنين رحمه الله وغفر له.

كائنة غريبة

أتي بامرأة قد أصيبت بعقلها منذ زمن بعيد إلى كاهن يحل السحر فذكر لهم بأنها منذ أربع وعشرين سنة أصيبت بسحر وإنه في عظم مملوء بالشعر، وقد ألقي في بئر منذ ١٧ عاماً تدعى بقليب الجلاجل في بطن مدينة بريدة أسفل النفوذ الغربي فيها، فقام أربابها واستأجروا عمالاً بالبساتين لحفرها محاولون إيجاده حتى وقعوا عليه، وقد نشأ عن ذلك ثائرة غضب عند من لا يؤيد فعلهم هذا، وبعثوا يسألون هل هذا مبرر لفعلهم ذلك.

وفيها وقع زلزال في منطقة حائل، وفيها في آخر اليوم الثالث عشر من شهر شعبان الموافق ٢٨ من برج الدلو يوم الأحد غشا الجو صفرةً شديدة برياح قوية فاصفر الجو قريباً من أربع ساعات، وقد قدمنا اشتداد البرد في هذه السنة بحالة لم يشاهد فعلها، وقد يكون فترات في بعض الأحيان، وكان ينبغي أن تسمى هذه السنة سنة الثلج والبرد، وقد تضرر لبنان وما يليه من كثرة الثلوج إلى درجة أن قاموا يستنجدون بالمسلمين ويسألونهم المواساة لما هم فيه من الأزمات والشدائد التي علاوةً على ما هم فيه من غارات اليهود على ديارهم وأوطانهم ابتلوا بشدة البرد والثلوج التي سدت الطرق وعطلت الماشية، وقد وجهت إليهما المساعدات من هذه الورطة.

ذكر من توفى فيها من الأعيان

فمنهم محمد بن عبدالله بن حمود البازعي، كان من أسرة ظاهرة وقبيلة شريفة، عاش عزيزاً كريماً فيه شرف الرجولة وكرم الرجل العربي، يسارع إلى الخيرات على حسب مقدرته، ولديه عزة نفس من بين إخوانه، وقد أصيب في إحدى قدميه من أثار دهس سيارة، ولم ينقص ذلك من عزمه فكان يسوق سيارته بنفسه ويسير على عربة لحوائجه في بيته، وكنت أظن أنه أصيب أيضاً في رجله الأخرى فلم ينقص ذلك من عزمه، وما زال تتقلب في المكابدة والمرارة وهو يكافح في الحياة حتى توفى

في هذه السنة وجسمه ممتلئ، وتقدمة في قوة نفسه، رحمه الله وعفا عنه عن عمر يناهز ٧٩ في هذه السنة.

وممن توفى فيها إبراهيم بن صالح بن سليمان المطوع أخو الشيخ محمد بن صالح المطوع لأبيه، كان ذا شخصية بارزة ومنظر حسن، أخذ في الدراسة على المؤدب صالح بن محمد الصقعبي مؤدب الجيل، ولما حذق في الدراسة والكتاب ومبادئ علم الحساب، أخذ بيده والده وجعل يسافر به إلى الشام وغيره في تجارة الإبل والسمن وغيرها، فكان يتقلب في ذلك العمل إلى أن توفى والده صالح بن سليمان، فاستمر في سنة ١٣٦٥هـ في أعماله ويؤثر الكسوة الفاخرة، وله قوة نفس ومعاملة حسنة ثم إنه أكثر من تناول الحبوب المقوية والمهدئة لأنه لا يخلو من مرض السكر.

وممن توفى فيها الشيخ إبراهيم بن ضيف الله اليوسف من أهالي قرية الشماسية في القصيم، وهو من قبائل أهل القصيم، ولد في عام ١٣٣٢هـ، وأخذ في تعليم القرآن من أحد المعلمين في المدارس الأهلية، ثم أخذ يطلب العلم، ومن مشايخه الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن، وأخذ عن الشيخ محمد بن صالح المطوع في مدينة بريدة وغيرهما، وكان موضع التقدير من أمته، وكان له زملاء في مهنة الزراعة في بلده فإذا ما حلت الشمس في برج الجوزاء ساروا إلى مدينة بريدة لأخذ العلم عن العلماء إلى أن تحل الشمس في برج الميزان فيرجعون، وإذا ما رجع فإنه يجلس يعلم بني وطنه، وقد كان إمام جامع الشماسية وخطيبه، ثم ترك ذلك بعارض قد أصابه، ولما أن فتحت المدرسة الحكومية الابتدائية في قرية الشماسية التحق بها كمدرس ديني، ولبث في هذه الوظيفة قرابة خمس وعشرين سنة ثم أحيل على المعاش فلبث في بلده يفيد السائلين من أهل بلده رجالاً ونساء، وكان موضع التقدير حتى توفاه الله تعالى في هذه السنة، رحمه الله وعفا عنه، ويلاحظ عليه أنه قطع الزيارة عمن تعلم منه، فكان لا يزور ولا يزاور مع قرب المسافة، والله يغفر له، وقد رثاه بعد موته أحد طلابه بمرثية طويلة قال صاحبها:

بســـم الله الـــرحمن الــــرحيم قصيدة للشيخ سليمان بن إبراهيم اللاحم
هـوى البـدر يـا قـومي لجـلٌ مصـابنا

في يوم الاثنين الموافق ١٦/٧/١٤١٢هـ وافى الأجل شيخنا إبراهيم بن ضيف الله اليوسف والقصيدة طويلة من أبياتها قوله:

نكبـة بـلادي أرضـها وسمائهـا وحـقٌ لهـا تبكـي أفـول الكواكـب
شـبابٌ وأطفـالٌ وشـيبٌ ونسـوةٌ بكـوه جميعـاً في الضـحى والغياهـب

إلى آخرها وهي حسنة، وكان مربوع القامة، ممتلئ الجسم، عليه بهاء العبادة، وسيما الصالحين.

وممن توفى فيها الشيخ صالح بن محمد بن عبدالله التويجري رحمه الله وعفا عنه، كانت وفاته في يوم السبت ٧ رجب من هذه السنة، ولد في ١٣٣٥هـ ونشأ في ظل والده الشيخ محمد إمام المسجد الجامع في قرية القصيعة، ورباه وأحسن تربيته، ولما أن انتقل والده من الغربة المذكورة إلى مدينة بريدة ليتزود من العلم كان في معيته، وحينما عين والده قاضياً في جيزان من أعمال عسير كان في معيته، وذلك في عام ١٣٥٨هـ، وفي خدمته، ونال وظيفة في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هناك، ولما أن توفى والده عام ١٣٦١هـ انتقل وأخوته إلى مكة المكرمة فأقاموا فيها، وكان حلو الكلام، جذاب الملامح، أديباً وحسن السيرة، وهو من زملائنا، أخذ العلم عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وعن الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، ودرس مكة المكرمة حال إقامته فيها عام ١٣٦٢هـ، وقد أجرى له ولإخوته راتباً وزير المالية عبدالله بن سليمان بن حمدان في تلك الفترة، ثم إنه عين رئيساً لمحاكم تبوك، وخدم في هذه الوظيفة حكومته نائلاً رضا الأمة هناك مع حظ وحس معاشرة لجلسائه، ويحرص دائماً على الصلح بين الخصمين، ولا يمل حديثه، وكان موضع التقدير من الجميع ورزقه الله مالا هناك فكان له مزارع ثمينة هناك، ثم طلب أن يكون عضواً في هيئة التمييز إضافةً إلى وظيفته فلم يوافق الحكومة وخيرته بين وظيفته أو إلى الانتقال إلى مكة، ويكون مساعد الرئيس هيئة التمييز هناك، واختار هيئة التمييز ورحل

إلى مكة المكرمة ليشغل هذه الوظيفة، وكان موضع التقدير هنا وهناك، وبما أن بيني وبينه صلة قوية فقد لاحظت عليه تركه لرئاسة الحاكم هناك، فذكرني أنه مطمأن للجلوس في مكة المكرمة، وهي مدينته، ويقول: يا ليتها متقدمة لكنه فارق ما هو فيه من المكان والرفعة، وكان في جلوسه بمكة المكرمة يعيش عيشة الملوك، وقد جعل على المعاش في أواخر سني حياته، ولا يزال محتشماً لدى الملوك والأمة حتى وافاه أجله المحتوم عن عمر يناهز السابعة والسبعين في مكة المكرمة موصياً بأن يدفن فيها، وكان له بذل وإحسان وتقدم وأثنى عليه أصحابه وجلسائه وامتدحوه وترحموا عليه، وكان مرضه في قوته وجسمه، ولا يزال يتجلد حتى توفى في هذا السن الذي ذكرناه.

وفيها توفى حمد بن عبدالله بن عودة مؤذن مسجد عودة الرديني في مدينة بريدة، الذي يؤم فيه الشيخ محمد الصالح المطوع رحمه الله تعالى وعفا عنه.

زلزال يصيب إيران

ففي اليوم الحادي عشر من شهر رمضان ١٤١٢هـ أصاب شمال إيران زلزال بلغ ست درجات وهم جالسون على وليمة الإفطار في اثنتين ثوان فهدمت البيوت وهلك أربعة آلاف وتسعمائة، فكانت أسفل الأنقاض جرحى أودعوا المستشفيات للعلاج، ثم إنه انبعث ذلك الزلزال مرةً أخرى بعد يومين، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ونسأل الله أن يغفر للمسلمين ويقيهم الحوادث، ويكشف عنهم العذاب، وقد رفعت التعازي إلى رئيس الجمهورية للمواساة.

وفاة رجل معمّر

في مدينة بريدة توفى يوم الجمعة ١١ شعبان المواطن عبدالله بن عبدالعزيز بن علي العقيل عن عمر يناهز مائة سنة، وكان رحمه الله من المحافظين على الصلوات الخمس في جماعة بالمساجد، ويتعاطى في التجارة حتى وصل الشيخوخة، وله أخوة وأبناء صلحاء.

وفيها تقدمت أيادي للسفارة الإسرائيلية في الأرجنيتن ففجرت ألغاماً وعبوات ناسفة، ودمرت فيها فهلك من جراء ذلك اثنان وعشرون، وجرح مائتان وثمانية، وقد أرادت إسرائيل أن تنتقم لنفسها ولكن أمريكا رأت أن تعالج الأمور بحكمة، وكان ذلك ليلة إحدى وعشرين من رمضان المعظم من هذه السنة يوافق ذلك الأربعاء ٢٥ من مارس.

وفيها أيضاً ليلة دخول العشر الأواخر من رمضان في تلك الليلة أصدر مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية عن إرادة الملك فهد بن عبدالعزيز تخفيض الأسعار من الأرز والسكر والغاز وللوقود والبنزين والجمارك والمكالمات الهاتفية الداخلية وغير ذلك مما تمس آلية حاجة الإنسان فوافق ذلك ارتياح الشعب داعين الخالق القدير، إنها لخطوة حسنة ورأفة بالمسلمين، لأن اشتداد المؤنة من الفقر، اللهم الطف بالمسلمين وأوسع لهم في أرزاقهم وأرخص أسعارهم ويسر أمورهم، وكانت الأمطار قد توقف هطولها على الدمام وما يليه والرياض والقصيم والحجاز، والمسلمون ينتظرون من الله الفرج، وذلك بعدما خرجوا مرات للاستسقاء عن أمر الوالي.

استقالة عبدالإله

لما كان في ٢٢/ ٩/ ١٤١٢هـ قدم استقالته عن إمارة منطقة القصيم فأجيب إلى طلبه ونشر الملك أخوه فهد بن عبدالعزيز للعالم شكره للأمير على ما قام به من العمل وخدمته لحكومته تلك المدة، فبهذا تقرر تخلي سمو الأمير عبدالإله بن عبدالعزيز عن إمارة المنطقة وأظهر أنه يريد إراحة نفسه من العمل.

وفيها في ٢٧/ ٩ احترقت طائرة في بلاد السنغال بحيث تفجرت وهلك بعض ركابها وجرح بقيتهم، فبعثت الحكومة السعودية تعازيها لرئيس الحكومة والدعاء للهلكى، وطلب الشفاء من الله تعالى للجرحى، وذلك لما تفجرت صهاريجها من النار وسقطت.

وفيها في برج الحمل أعاد الله الكرة للمسلمين بأن هطلت أمطار على نجد والشرقية والحجاز وحائل وما يليها، وتسمى العامة مثل ذلك رجعان بكسر الراء على وزن حرمان، وإن كان ذلك قليلاً بالنسبة إلى ما يصلح آبار الزراعة الحديثة التي لقلة الأمطار قلت مياهها، وفي كل عام منذ عشر سنوات يضطر المزارع إلى تنزيل المواسير لطلب الماء، وبما أنه توالى هطول المياه لكنها ضعيفة بالنسبة بما يتطلبه الوضع، لأن المحاور والرشاشات المائية أو كما قيل الأمطار الصناعية تستدعي كمية من الأمطار التي تصرفها الطبقة الأرضية، وأملنا عظيم بربنا أن ييسر مياه الأمطار إلى المواقع الزراعية كالقصيم وغيره مما لا يصلحه القليل، وبما أن الحكومة بذلت أسباباً لتحلية مياه البحر فإنها وإن كانت فيها المعونات لسقيا الخلائق فلا تغني شيئاً إذا لم يأذن الله بقطر السماء، بحيث يقول تعالى: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات:٢٢]، وفي كلام الحكمة: «إذا جاء نهر الله بطل نهر عمر»، وأما عن مشروع التحلية في جدة والوجه وضباء والجهات الأخرى، وقد ظهرت مصلحته واطمأن الناس في بعض جهات المملكة إليه، وقد سبق سحب تلك الخطوط الصناعية إلى بعض الجهات الأخرى لما كان يعتقد أنه صحي، والله أعلم بذلك.

وفيها اشتدت الأذية على المسلمين في بورما وفروا هاربين إلى باكستان بدينهم ليسلموا من التعذيب، ولما أن تدفقوا إلى حكومة الباكستان اضطر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إلى دفع المعونات والمساعدات من أغذية وكسوة ونفقات ليساعدوهم ولا سيما وقد كان فرارهم في الشتاء في برج الحوت.

وفي شهر رمضان المبارك ومن المصادفات انتشار الإسلام بعد سقوط روسيا التعسفية التي كانت تلك الجمهوريات المنفصلة عنها متحررة بعد الضغط عليها تحت سيطرة الشيوعية التي كانت منذ سبعين سنة ترزح تحت استعمارها وتحكماتها، واليوم قد أصبحت متحرزة وتدين بالإسلام، وكثر اعتناق بعض المنحرفين عن الهدى لدين الإسلام.

سقوط طائرة الرئيس الفلسطيني

لما كان في أثناء سفر رئيس تحرير فلسطين ياسر عرفات من السودان إلى ليبيا أصيبت الطائرة بعاصفة فتأثرت لها الطائرة واختفى موضعها فاضطرت أمريكا إلى تسليط قمر صناعي لانتشالها حتى توصلوا إليها، وكانت قد سقطت فسلم الرئيس وأصيب ثلاثة ممن معه، أما ياسر عرفات فقد كتبت له السلامة، وكان ذلك في ٤/ ١٠ من هذه السنة.

ثلوج تقع في المشعلية لما كان بعد عيد الفطر من هذه السنة نزلت الثلوج حول قرية المزاحمية غرب الرياض وذلك في ٢٠ برج الحمل ٨/ ١٠ من هذه السنة، وقد مرَّ عليها ثلاث ليالٍ لم تذب، وهذا شيء نادر الوقوع، وكان طقس المنطقة الوسط متقلب الأحوال تارةً برودةً وتارةً ترتفع الحرارة وظلمة ورياح.

لما كان بعد صلاة الظهر من اليوم ٩ من شوال من هذه السنة عصفت رياح رملية شديدة على القرية الكائنة على مسافة ٦٥ من الرس فأصبح الجو عليهم ظلاماً دامساً بظلمة الليل فخرجوا من بيوتهم ولجأوا إلى المساجد يبكون ويستغفرون الله رافعين أياديهم إلى السماء، ولم يشكو إبان قامت القيامة التي وعد الله بها فلبثت الحالة خمساً وأربعين دقيقة وقد تعالى صراخ الأطفال بالبكاء، وكان رجل نائماً وقف القيلولة فلما هب من نومه إذا الدنيا قد تحولت من ضياء النهار إلى ظلمة، ظنها منتصف الليل وكانت القرية البالغ عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة في حالة يرثى لها حتى فرج الله تلك الشدة فرجعوا إلى بيوتهم والله على كل شيء قدير، ولما كان بعد هطول الأمطار على سائر القصيم عادت إلى الأرض بهجتها وزينتها واكتست الأرض بالعراجين البيضاء فكانت الأمة يقتلعونها ويحصلون على المئات منها، كما كثر العشب والكلأ.

ضرب الحصار على ليبيا

لما أن كان في يوم السبت ١٦/ ١٠ ضربت الحصار أمريكا على ليبيا وذلك

بدعوى أن رجلين من الحكومة الليبية فجرا طائرة أمريكية منذ خمس سنوات ولم تتوصل الحكومة الأمريكية إلى الحقيقة إلا قبل فرض الحصار على ليبيا، وقد طلبت تسليمهما إليها ولقد امتنع معمر القذافي عن تسليمهما، وطالت المراهنات بينهما، وذلك لأن أعمال الرجلين قد تكون عن إرادة القذافي كمنتقم من أمريكا التي ضربت ليبيا فيما سبق فأحب أن يشفي غيظه بتدبير منه لهذين الرجلين وبتسليم الرجلين للتحقيق معهما تنكشف الحقائق، وبما أن أمريكا وهي الدولة العظيمة القوية تستطيع أن تعمل ما تشاء بليبيا فقد فرضت الحصار عليها ووضعت طائراتها من الرحلات مع أشياء أخرى، إلى أن تخضع ليبيا للتدابير الأمريكية، وفي كلام الحكمة: «لا تخاصم من إذا قال فعل»، وكان القذافي لما ضايقته أمريكا قبل الحصار عرض عليها أن يسلمهما للجامعة العربية، وقد أصبحت الطائرات جاثمة في مطار ليبيا، ولو تكلم التاريخ بصراحة القول لكان الأولى بالقذافي تسليمهما للتخلص من براثن الأسد، ولكنه أظهر عناده لما ينجم عن ذلك من المسؤوليات وإدانته بتسليمهما أمام أمريكا، وبما أن فرنسا وبريطانيا حليفتان لأمريكا فإنها لم تتكلم بكلمة واحدة، وقد حصلت مظاهرات في الهند، فقد قام مائتا ألف متظاهر هناك من أجل فرض الحصار على ليبيا، ولكن ثم ماذا تعني تلك المظاهرات في الهند، ولقد كانت تضرب الأمثال في حكمة أمريكا وسير أعمالها بحيث لم تستطع الدول الأخرى أن تقف في وجهه، لا سيما وهي التي أخضعت العراق وجعلت الرئيس صدام كذب حائر في شقٍ من الأرض لا يستطيع حيله ولا يهتدي سبيلا، ودمرت قواته وأصبح تحت سيطرتها ولولا أن عين الأسد حمراء لما خضعت العراق، وكانت تحت رحمة أمريكا.

حادثة من الحوادث

لما أن كان في ظهر يوم الأحد ١٧/ ١٠ ألقي القبض على السفير السعودي في اليمن بأن دخل رجل يحمل قنبلة يدوية ومسدسين على خفية متذرعاً بالسلام على

السفير بصنعاء، ثم ألقى القبض عليه واحتجزه وصاحبه في مكتبه، وأبان بأنه لا يسلم من القتل حتى يفتدي نفسه بمليون ريال، فلبث السفير من ظهر اليوم المذكور إلى الصباح من يوم غد بحالة يرثى لها، ولبث على هذه الحالة عشرين ساعة من يوم ١٨/ ١٠ قد حرم النوم والراحة، ثم إنها استطاعت الحكومة اليمنية من أن تقبض على الجاني وذلك برشقه بالشاي الحار في وجهه، وقد حاول الجاني بأن يلقي القنبلة وأطلق رصاصتين، لكنه لم يصب أحداً بأذى، ومكن الله منه وألقي القبض عليه، وبعد التحقيق عنه تبين بأن ليس له هدف سوى دفع مليون من الريالات إليه، وقد رفعت الحكومة السعودية شكرها لوزير الداخلية اليمنية وحكومة اليمن.

تحرير أفغانستان

في يوم السبت ٢٣/ ١٠ سقطت كابل عاصمة أفغانستان بأيدي المجاهدين، وانتصر أهالي أفغانستان على روسيا ومن انخدع لهم بعدما فرَّ الحاكم الأول نجيب الله، وقد استبشر المسلمون بهذا النصر: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ﴾ [الروم:٤-٥]، ولكنه يخشى من تنافس الرؤساء على السلطة، وبعث ملوك العرب ورؤسائها يحثون الأهالي على الاعتصام بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا، وأن يتفقوا على جعل رئيس، وقد دخل القائد بالجيش الإسلامي أحمد شاه مسعود، وكان ذلك بطريقة سلمية، وكان الجيش قد سيطر على جميع الأماكن الحساسة، ولكن قلب الدين حكمتيار الذي كان ينازع على الرئاسة يخشى منه، ولهذا فإن الأمة رأت تتويج صبغة الله، واختاروه رئيساً، وهذا بعد جهاد مرير دام بضع عشرة سنة، وما زال المجاهدون في كفاحهم حتى نصرهم الله تعالى وكانت الإمدادات الإسلامية من أطعمة وأكسية متوالية على المجاهدين حتى فتح الله عليهم، وفي كلام الحكمة: «إياك والسآمة فتقذف بك الرجال خلف أعقابها»، ومن العجائب، والعجائب جمة سقوط الحكومة الأولى، سقوط روسيا التي ناصرتها، نسأل الله أن ينصر دينه ويظهره على الدين كله ولو

كره المشركون، وإنها للبشارة العظمى بانتصار المجاهدين الذين لم يحزنوا لأنهم الأعلون، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ ﴾ [التوبة:١٦].

هذا ولا يزال القتال مستمر بين أهالي فلسطين المظلومين وبين اليهود، وقد كثرت القتلى والجرحى من أهالي فلسطين لأنهم يدافعون بالحجارة والزجاج، والعدو يقاتلهم بالسلاح الحديث، سوى أن اليهود والحق يقال لم يقاتلوا أهالي فلسطين قتالاً مبيداً، ولكنهم قد تغلبوا على المسجد الأقصى، وعلى أراضي فلسطين، وهدموا بناء فلسطين بالقوة، وجعلوا بنايات ومستوطنات يهودية، وما زالت اليهود في تقدمها وانتصاراتها حتى وضع هذه الكلمات في ٢٩ شوال عام ١٤١٢هـ ولله الحكمة البالغة.

شرور وبلاء مستطير

لما أن كان في رمضان من هذه السنة قامت حكومة الصرب على المسلمين هناك في يوغسلافيا وهجموا عليهم وفعلوا بهم أمور تنكرها الأديان، ولم يقع فعلها في هذه الأزمان، بحيث مزقوهم بالفؤوس والسواطير، وقطعوهم ومزقوهم ثم حرقوهم، وأخذوا النساء المسلمات فاغتصبوهن ووقفوا عليهم ثم قطعوا أيديهم وفعلوا بهم أفعالاً بشعة، وقتلوا الأطفال وهدموا المساجد وذبحوا الأئمة والمؤذنين في محاريبها، وقاموا بمكبرات الصوت يبشرون ويشيعون ما فعلوه بالمسلمين، وهدموا مساكن المسلمين عليهم وقتلوا مئات الألوف وشردوا البقية، وكان يوم الجمعة آخر أيام رمضان يوماً مشهوداً في تقتيل المسلمين ونحن نسوق ما بلغنا على جهة التحقيق.

ذكر المحنة والبلاء والخذي الذي جرى على المسلمين في يوغسلافيا

ذبحت الميليشيات الصربية في مدينة بيليسيا ثلاثة آلاف مسلم وقتلوا في مدينة درونا في ليلة واحدة ٤٢٠ في نفس اليوم الذي غادر فيه مبعوث الأمم المتحدة

سايرس ووانس العاصمة سراييفو، قتل الصرب في مدينة زرورنيك ألفي مسلم، وفي مدينة فوتفيا ثلاثة آلاف، ولم تصل التدقيقات عن عدد التي استولى الصربيون عليها، وكانوا يقتلون في كل يوم أكثر من ألف مسلم على أرض الجمهورية تلاحق وتطارد الفارين من الأطفال والنساء من القرى والمدن المهاجمة في النفايات وتحت الأحجار والأشجار، فإذا أدركوهم قتلوهم جميعاً، لقد أسر الصرب اثنين وعشرين رجلاً فلما لم يتبينوا هويتهم جردوهم من ثيابهم وملابسهم، فلما رأوهم مختونين علموا أنهم مسلمين فذبحوهم بالسكاكين جميعاً، وهذه حالة تنفطر لها القلوب وتشق لها الجيوب، وترفع الأكف لعلام الغيوب، اللهم إنا لا نقدر على الدفاع عنهم فأنزل عليهم دوائر السوء، وثبتوا في آخر يوم من أيام رمضان الأئمة والمؤذنين في محاريب المساجد ثم رفعوا الأعلام الصربية على المآذن بمكبرات الصوت فرحاً واستبشاراً بعلو ذلك بالتعاون مع الجنود والاتحاديين الذين يمارسون أبشع أنواع التعذيب بالمسلمين، الله انتقم من هؤلاء الكفرة الظالمين للمسلمين العزل الذين ذبحوا بالسكاكين في محاريب المسجد، وقد قال المخبرون عنها أنهم لم يتوصلوا إلى كل ما فعل لأن العقول البشرية لا تصدق بذلك هذا آخر البسط بالمسلمين في البوسنة والهرسك على أيدي الصربيين الكفرة هناك، وقد قتلوا وذبحوا وعذبوا المسلمين وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة:٨]، وعذب وا الأطفال وقتلوا البعض، وعذبوا السجناء وعاملوهم معاملة لا إنسانية وانتهكوا أعراض النساء وقتلوا معظمهم، ونقل الأحياء منهم إلى حكومة العدو، وقد خلفت الحرب في البوسنة والهرسك من الأعمال الإجرامية التي ارتكبتها الحكومة الصربية وأسفرت عن ثلاثة آلاف قتيل وعشرات الآلاف من الجرحى، وتشريد أكثر من خمسة وثلاثين ألف، واغتصاب مئات النساء ثم قتلهن، واختطاف بعضهن والذهاب بهن إلى حكومة صربيا، وتدمير مائة ألف وستين ألف منزل في المدن والقرى الإسلامية، وتدمير مئات المساجد بالقصف، وإحراق محتوياتها، وتدمير عشرات المصانع

ومحطات الكهرباء، وتدمير مئات المدارس وعشرات المستشفيات، وسقوط عشر مدن وعديد من القرى بأيدي الصرب، ونهب محلات المسلمين والبنوك، وهدم مطار المسلمين، ووصلت الأحوال إلى درجة سيئة.

كما أن كشمير أغار عليها كفار الهند وقتلوا المسلمين فيها ومثلوا بهم من قطع أيدي النساء وهتكها.

إمارة فيصل بن بندر بن عبدالعزيز

ففيها في خامس عشر ذي القعدة قدم سمو الأمير فيصل بن بندر بعد صلاة العصر على مدينة بريدة أميراً في منطقة القصيم خلفاً عن الأمير عبدالإله الذي قدم استقالته قبل ذلك بعدما صدر الأمر بتعيين الثاني، فصفقت العاصمة فرحاً بقدومه وخرج الأعيان لاستقباله، وذلك في يوم الأحد الموافق لما تقدم، ورجوا خيراً.

حادثة من الحوادث

ففي اليوم الرابع عشر من ذي القعدة حدث زلزال في روسيا بمدينة طاجيكستان هلك بسببه مائتي قتيل، ونزلت المياه من رؤوس الجبال من الفيضانات، وتكسفت الأحوال هناك.

وفي ثاني عشر ذي القعدة خرج صاحب سيارة وايت في طريق حائل بصفة غير منظمة فأصيب ركاب سيارتين باصطدام هلك منه عشرة صلي عليهم في المسجد الجامع الكبير في مدينة بريدة بعد صلاة الجمعة، واثنان تحت العلاج في المستشفى، نعوذ بالله من سوء المنظر في الأهل والمال والأحباب.

عذاب وتعذيب لمسلمي كشمير في الباكستان من أهل الهند

لما أن كان المسمون ولا سيما أهل الإيمان منهم يمتحن الله صبرهم وثباتهم كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾

[الملك:٢]، وكما في قوله تعالى في ذكره: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ﴾ [البقرة:٢١٤]، فإن مسلمي أهل كشمير في حكومة الباكستان نالهم أذى من كفار أهل الهند أشد العذاب والبلاء، فقد سامهم الأعداء سوم فذلوهم وعذبوهم في الله، وكان لما أن رفضت الحكومة الهندوسية في الهند تقرير مصير للشعب الكشميري شرعت في أخذهم بأنواع التعذيب والبطش والأذى وعاملتهم معاملة قصرت عنها معاملة الصليبيين لمسلمي أهالي الأندلس ولا ريب في أن من لم يرع مخلوقاً ولا خالقاً وفقد إنسانيته فإنه يفعل ما يشاء من أمور الخلاعة كما قيل:

إذا لم تـرع مخلوقـاً ولم تخـشَ خالقـاً ... ولم تصن وجهـاً فمـا شـئت فاصـنع

فعياذاً بالله من سوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونحن نسوق ما بلغنا عن طريق التحرير لا المشافهة، قال الراوي: بعد أن رفضت الحكومة الهندوسية حتى تقرير المصير للشعب الكشميري شرعت في تدمير بلاد كشمير الجميلة، واستخدمت الهندوس الكافرة جميع أشكال الاضطهاد بما فيها الاستقلال الاقتصادي والتعذيب الثقافي، والاضطهاد السياسي، وأساليب التعذيب اللاإنسانية، والقمع العسكري لإنهاء ثورة الاستقلال في كشمير، إلا أن الشعب الكشميري أعلن أنه سيستمر في جهاده بغية تحرير وطنه وحصوله على حقوقه الشرعية الكاملة غير منقوصة حتى نهاية المصير، وما زال كشمير الأعزل في جهاده ضد القوات المحتلة دون خوف أو وجل، غير أن ممارسات القوات الهندية الوحشية من بداية ١٩٩٠م اتخذت إجراءات شديدة لإنهاء جهاد الشعب الكشميري بحيث استخدمت الأسلحة الفتاكة بكل أنواعها دون أي رحمة أو شفقة، فقتلت آلاف الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، وقامت قوات الهند باغتصاب العديد من النساء والفتيات، وأحرقت المساكن والممتلكات وهدفها من هذه الأعمال الإجرامية إرغام الكشميريين على الاستسلام، ولكنها إرادة شعب وأمة ظالمة، فهيهات أن تلين كشمير وهم المسلمون مهما كان الإرهاب، ولقد قطعوا ثدي

النساء وعاملوا الأسراء معاملة تستحيل عندها العادة، ذلك بأن العدو وفي عدد تجاوز خمسمائة ألف فقاموا على المسلمين بعد الأسر وجعلوهم عراة، وأجبروهم على أن يقع بعضهم على بعض في اللواط، وأن يغتصبوا فيهم، وأن يحمل كل إنسان على تلاوة شيء من القرآن الحكيم، وبعد تلاوته يجبر على أن يبول في إناء ويشربه على القرآن، وأطلقوا الرصاص على المتظاهرين العزل، واعتقلوا آلاف الشباب، وأصيب عشرون ألف بالقتل، وجرح خمسة آلاف، وقتل الأسراء وهم عراة، جعلوهم ركاماً، وأخذت الكاميرات صورهم وهم بهذه الحالة المذرية، وعذب المسلمون وانتهكت حرمات الإسلام على يد أناس لا أخلاق لهم ولا دين ولا إنسانية، وهلك مئات من المسلمين غرقاً، وحرقت الهند آلافاً من الماشية، وهناك آلاف الأشخاص قطعت أعضاؤهم وحرقوا مئات من الأحياء، وهلك سبعة آلاف يقيمون في سجون التعذيب من الشباب، ويوجد ثلاثون ألفاً من الرجال والنساء والأطفال تحت التعذيب، وطرد خمسة آلاف من ديارهم ومساكنهم إلى غير ذلك من الأمور التي تقف عن الاستماع وتنكرها الفطر وتشمئز منها القلوب، هذا وقد قام المسلمون في بيوت الله والحرمين الشريفين يقنتون في صلاة المغرب والفجر يدعون الله ويستنصرونه على الأعداء في خلواتهم وجلواتهم من تلك الأفعال الشنيعة في البوسنة والهرسك الذين أصيبوا بأعظم مما أصيبت كشمير وسكان المسلمون.

ولبثوا شهراً كاملاً بهذه الصفة يدعون ويستنصرون ما دام القمع والحصار والتعذيب على البوسنة والهرسك، هذا ونسأل الله تعالى أن يلطف بالمسلمين وينصرهم على أعدائهم، وأن يذيق أعداء المسلمين مرير عقوباته، وأن يخذلهم ويمزقهم كل ممزق، ويدمرهم تدميراً، وإنها لحالة يرثى لها بفؤاد موجوع، وقلب من سماع هذه الأهوال، وإن النصر بيد الله والأمور مرهونة لأوقاتها.

وفيها اغتيال رئيس جمهورية الجزائر ضياء، كان لما ارتقى المنصة لإلقاء خطاب على الأمة أطلق عليه الرصاص، وكان لا يستطيع أحد الدنو منه إلا

الجنود المحافظون عليه، فتقدم اثنان وأطلقا عليه النار فقتل الرصاص من حواليه فألقي القبض على أحدهما وفرَّ الآخر، وكان ذلك في يوم الاثنين حادي وعشرين ذي الحجة، وما أغنى حذر من قدر، وقد كان هذا الرجل كما ذكروا عنه متحدياً لأهل الدين، وقد سجن وعذب أمةً منهم، والله بالمرصاد، وقد امتلأت السجون بالمسلمين بحيث سجن خمسون ألف مسلم بسبب هذه الحادثة، وعمت الفوضى بالجزائر.

وختمت هذه السنة بزعازع في مشارق الأرض ومغاربها، وثورات في سائر المعمورة، ولقد عجز المصلحون عن تسكين تلك الفتن، ومع هذا التناحر والتقتيل فقد كثرت الفيضانات والزلازل والأعاصير، فمن لم يمت بالقتل فقد هلك من جراء تلك الفيضانات والزلازل والبراكين المتفجرة والأعاصير القاتلة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبما أن الحكومة السعودية لها أفعال كثيرة في مساعدة المنكوبين والعطف عليهم فقد اتسع الخرق على الرافع، وذلك بأسباب تفكك الأمم ونزاعها.

ثم دخلت سنة ١٤١٣هـ

استهلت هذه السنة والحالة مستمرة في النزاع وإراقة الدماء، فهذه كشمير المسلمة في الهند يعاني أهلها أنواع البلاء والتعذيب وقتل المسلمون بعدما أذيقوا أشد أنواع التعذيبات على يدي حكومة الهند الكافرة، فكانوا يرغمون المسلمين على أبشع الحالات وهم في سجون التعذيب من تناول الأشياء الحارة وعلى اللواط، وربط الأشياء الثقيلة في قضبانهم يجرونها، وامتصاص المني، والوقوف الطويل فترات لا يتحملها الآدمي، وأعظم شيء حملهم على ممارسة اللواط بعد تلاوة القرآن، وكانت قوات الاحتلال تمارس في معاملتهم أبشع الجرائم اللاإنسانية التي لم يسبق لها نظير في تاريخ البشر، إلا أن المسلمين يتصدون لقمع هذه الممارسات الشنيعة القمعية حتى لقوا حتفهم وماتوا وهم عرات، فلم يبقَ نوع من

أنواع التعذيبات إلا أوجدوها على أولئك العجزة، ومن العجائب سعة حلم الله عليهم، ولم يعاجلهم بعقوبة من عنده، وقد أرغمت نساؤهم على هتك أعراضها وتقطيع ثديها والعبث بها مما تستنكر عند سماعها الآذان، وتقشعر منه الأبدان، وتنكرها الفطر والأديان، وقد قطعوا أعضائهم وهم ينظرون، وأجبروهم على شرب بولهم ويرمون الملح والفلفل على جروحهم وغير ذلك مما يخالف القوانين الدولية والحقوق الإنسانية.

أما البوسنة والهرسك فقد همَّ النصارى في حكومة الصرب على المسلمين هناك واصطادوا من وقف لهم فذبحوهم بالسكاكين، ولما فرت النساء المسلمات والأطفال كانوا يلاحقونهم ويصطادونهم كما يصطادون الأرانب فيذبحونهم بالسكاكين، وإذا شكوا في رجل هل هو مسلم أو نصراني كشفوا له عن عورته فإن وجدوه مختوناً قتلوه، وقد قطعوا ثدي النساء وهتكوا أعراضهم وساموهم سوء العذاب بهتك أعراض الفتيات وقتل الأطفال، وتعذيب المسلمين بأنواع التعذيبات، ولم يراعوا كبيراً في سنه أو طفلاً في مهده، وقطعوا المواد الغذائية عن المسلمين ليموتوا جوعاً وعطشاً، وكانت القوات النصرانية تهدم المساجد ويقتلون أئمتها في محاريبهم والمؤذنين، ويكتبون في حيطان المساجد: قتلنا كلاب محمد، وهدموا المصانع وحرقوا جميع المساجد والمصانع، ولم يلقَ المسلمون ولياً ولا مناصراً، وكانت دبابات الصرب ومدافعهم تمطر البوسنة والهرسك وما يلحق بها قذائفها على أولئك المسلمين بالنيران والحديد، حالوا بين المساعدات التي وجهت إليهم جواً وبراً، ولم يرعوا فيهم الأولاد، ولم يرقبوا في تلك التعسفات خالقاً ولا مخلوقاً كما حالوا بينهم وبين الأدوية التي يبعثها المسلمون الجرحى ليموتوا جوعاً وعطشاً ومرضاً، وكانت أمريكا وغيرها لم يرعوا تلك الأهوال اهتماماً، أملين أن يقضى على الإسلام ويباد أهلها، وقد أقام المسلمون الحجة على أمريكا بأنها حينما بطشت بالعراق وجعلوا أهله أذلة صاغرين كانوا مستطيعين ولهم تمام النفوذ في إبادة سلاح العراق والتنكيل بأهلها، أما الصرب فيتركونهم يبطشون بالمسلمين،

وكانت السياسة الأمريكية تماطل في النظر في تلك الأهوال والمشاغب ليتمكن النصارى في انتهاز الفرصة والقضاء على المسلمين، وتعد الصرب بوضع الحرب، وكف الأذى، وتماطل ليقضوا أغراضهم في المسلمين البؤساء العزل هناك، وقد اشتد الأمر وعظم الخطب، وتأخر النصر للمسلمين لما يريده الله تعالى من تمام حكمته، إنها ليست ثورة داخلية إنما هي غزو النصارى للمسلمين هناك، وهم أقوى منهم، وقتلوهم وهدموا ديارهم، واستحلوا محارمهم، ولعلهم لم يتوصلوا إلى هذا القصد السيئ حتى أتيحت لهم الفرصة، ولم يجدوا من وقف في وجوههم حتى حصلوا على مقصودهم في هذا الزمن الذي فقد فيه أسد العرين، وكان من شباب المسلمين وأهل الغيرة في نواحي الأرض من ينادي بالاستنكار لهذا العمل السيئ، ولكنهم لم يستطيعوا نصرتهم ولا الدفاع لقوة العدو وما لديه من المعدات والأسلحة الشعبية.

ذكر ما جرى في الصومال

لما كانت هذه الحياة الدنيا فيها الخير والشر، وفيها السراء والضراء، وفيها النعمة والبؤس فإن الله عز وجل ابتلى أهل الصومال بالنزاع فيما بينهم يتنازعون الشرف، وقام بعضهم على بعض بالقتال والمذابح التي سببت عليهم أنواع الجوع والأمراض، وعجزت الأمة عن تسكيتهم، وابتلى الله عز وجل المسلمين هناك، وقد وصلت الحالة في ربيع الأول من هذه السنة إلى أن أصبحوا في حالة خطرة، وقرر الخبراء أنه يهلك في كل يوم منهم ألف نسمة من الجوع والمشاغب وانتشار الأمراض فيما بينهم من سوء التغذية، حتى أعلنت إحدى الإذاعات بأن أربعة ملايين في الصومال مهددون بالهلاك، والموت، وقد بعثت الحكومات الإسلامية بأنواع الأغذية والمساعدات مما يخفف الوطأة من هذا المحنة، ولا يزال الموت يعم الأسر كاملة، وقد حدثني بعض المطلعين على حالتهم من المنقذين لهم من خطر المجاعة بأنه رفع إليه أن أهل البيت سيموتون من الجوع فذهبوا إليهم بما يصلحهم لكنه لما جاءهم وجد الأسرة كلها جامدة وهي مكونة من عشرة أنفس، وسمع

أهالي بيت يستغيثون لطلب ما ينقذهم، فلما جاء أهل الإنقاذ إذا قد انقطعت أصواتهم وهلكوا عن أخرهم وهلم ما جرّى من هول ما وقع فيهم من الدماء والهلاك، وقد استمرت هذه الحالة السيئة منذ أكثر من سنتين بحيث لم يروِ التاريخ عن أكثر هلاكاً من هذه الأمة جوعاً، وتعجز الألسنة عن التعبير عما هم فيه من البلاء والأحزان ومرارة العيش، نسأل الله العافية، وبما أن الحكومات تبعث إليهم المدد من الإغاثة فإن الهلاك منتشر فيما بينهم، فنسأل الله تعالى أن يرزقنا العافية، وأن يلطف بالمسلمين، وإن الإمدادات توالت إليهم من أطنان الحبوب والتمور، فإن الحالة تكاد تنطق عما هم فيه قبل ذلك، ولا يزال المسلمون يوالون إليهم أنواع الأغذية والأدوية، ولكن الأمور كما هي في تأزم الموقف إلى حالة يرثى لها.

ذكر حادثة شنيعة

ففيها في يوم الجمعة من يوم الحادي والعشرين من ربيع الأول قتل رجل من أهالي اليمن في مدينة الرياض أمه، وكان قد قام بمساعدة زوجته على والدته بالساطور يضرب رأسها ثم رقبتها، فأخذت الوالدة السكين فانتزعها من يدها بقوة فوقعت أصابعها، وقامت الزوجة بلبن البلوك ترجم رأس الوالدة حتى هلكت، فأتي بالرجل وزوجته وأجري عليهما حكم الله قتلاً فعند ذلك تتجلى هذه الجريمة من إنسان فقد دينه وإنسانيته، وعامل والدته الحنون بتلك المعاملة الرذيلة، وأي ذنب بعد الشرك بالله أعظم من قتل والدته التي حملته كرهاً ووضعته كرهاً، نسأل الله العافية، وإذا نزع الدين والحياء من الإنسان فليفعل ما يشاء، نعوذ بالله من الخذلان، ويكفيه ما لاقاه هو وزوجته من هذا الجزاء موتاً زؤماً وكأساً علقماً.

وفيها جرى ترفيع موظفين ونقل آخرين، ففي عشرين ربيع الأول رفع الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان من وكالة رئيس المجلس الأعلى للقضاء إلى رئيس المجلس الأعلى، ونقل وزير العمل محمد بن إبراهيم بن جبير إلى رئاسة مجلس الشورى ونصِّبَ الشيخ بن راشد الرئيس العام سابقاً في رئاسة ديوان المظالم، وكان الشيخ

نشيطاً في أعماله، ونصَّبَ الشيخ ابن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل مباشر كلٍ وظيفته الجديدة، نسأل الله لهم التوفيق.

وفيها في ٦ ربيع الأول هبَّ إعصار في المكسيك من أعمال أمريكا الجنوبية فسبب خسائر عظيمة تقدر بعشرين مليون دولار، وأهلك أنفساً، ودمرَّ أموالاً طائلة، وأحدث أهوالاً لا يحيط بها الوصف ولا ببعضها، وتعتبر من أعظم الإعصارات، وسقط من جرائه حيوانات كثيرة، ولقد قامت أمريكا فعوضت المصابين تعويضات على نقائصهم، فسبحان الله المتصرف في خلقه على وفق مراده.

تنبيه: قد ذكرنا ما جرى على البوسنة والهرسك من نصارى الصرب وما حلَّ بالمسلمين من العذاب والدمار منهم، وبهذا تتبين عداوة النصارى للمسلمين وكيف أنهم كانوا يذبحونهم كما يفعل بالأغنام، ولم يتورعوا عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والعجائز المسنين، قال الله تعالى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة:١٠].

ذكر أفغانستان وما جرى عليه

كان أهالي أفغانستان لما حرروا بلادهم من الروس بعد جهاد مرير، ضحوا بأنفسهم لينالوا الحرية وينتصروا للإسلام والمسلمين، كان فيهم شرذمة تناصر النصارى، وتميل إلى الكفر والضلال، فوقع نزاع شديد بين المسلمين وأولئك الضالين، وحدث انشقاقات استخدمت له المدافع والصواريخ والقنابل الصاروخية، وقد بعثت إليهم الدول الإسلامية والناصحون لهم يحذرونهم من الفوضى، ولينظروا إلى ما وقع بالصومال بسبب النزاع والشقاق، ولكن هذه المحنة استمرت زمناً أهرقت فيه الدماء، وقد شاء الله أن نسكن هذه المحنة، ولكنها نار قد يكون هناك من يضرمها.

وفيها وفاة أمير القريات سلطان بن عبدالعزيز السديري رحمه الله وغفر له، أدركته الوفاة وهو يعالج بعمّان.

وفيها حصل نزاع بين إيران وبين الإمارات الخليجية في شأن جزيرة أبي موسى

كلٌّ منهم يدعي أنها له، وبما أن إيران أقوى من الإمارات فتطمع في ضمها إليها، وبذلك توفرت المشاكل بين إيران والإمارات، وقد حصل قبل ذلك نزاع بين البحرين وقطر في شأن الحدود بينهما، وبما أن البوسنة والهرسك استهدفت لغارات النصارى من سكان الصرب، وفعل بهم النصارى الأفاعيل التي لم تجرِ في تاريخ البشر، بحيث هجم الصربيون على المسلمين في البوسنة وذبحوهم في مساجدهم ورفعوا صور القتلى يزورون على المسلمين بأنه فعلوا بالصرب ذلك وقلبوا الحقائق، فقد قام المتطوعون من أهالي الصرب وهجموا على المسلمين وقتلوا من تبقى بعدما طبعوا صورة الصليب على صدورهم قبل الذبح ولطخوا حيطان المساجد بدمائهم، وجعلوا ينادون بمكبرات الصوت بانتصار النصارى وذل المسلمين، وجعلوا يكتبون على ما تبقى من حيطان المساجد هذه الكلمات قتلنا كلاب محمد وهتكناهم وسبيناهم، ويستهزئون بالإسلام وأهله وذلك لأنهم لم يجدوا سطوة المعتصم، ولا وقوف صلاح الدين الأيوبي في وجوههم، ولقد جزع لذلك شباب من المسلمين وخطباء قاموا ينادون بالويلات على ما جرى على المسلمين وبحت الاصوات في الدولة السعودية، ولكنها صرخة في وادي خالٍ من البشر، فإنها بعثت المساعدات من الأطعمة والأغذية والملابس، ولكن نصارى الصرب يقفون دونها ويمنعون من وصلوها إليهم، ولكن أمريكا والولايات المتحدة رأت أنها إذا لم تصل إليهم الإمدادات من الأغذية والكسوة فإنهم بمناسبة حلول فصل الشتاء سيبادون عن أخرهم، فبعثت إليهم مساعدات، وبعثت قوات لحفقتها حتى تصل، وذلك في ٦/ ٤.

وبما أن البوسنة والهرسك بهذا الوضع فإن الصومال لا تقل عن الهول الذي لحق بإخوانهم، وكذلك مسلمو كشمير وما نالهم من أذى الهندوس وأصبح الإسلام وأهله يلاحقون ملاحقة لقتلهم والقضاء عليهم، وقد بلغ في الصومال والبوسنة والهرسك ما لا يتلافا إصلاحه إلى آخر الأبد من الأذى والتدمير والإفساد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تنبيه: قد ذكرنا فيما تقدم اغتيال الرئيس الجزائري لما صعد إلى المنصة ليلقي خطاباً فأصيب برصاص من بعض المعترضين له، وبعد اغتياله جرت مظاهرات وامتلأت السجون بسبب قتله، وحصلت مفاسد هناك مما أدى إلى الفوضى، وكان الذين اغتالوه يرون أنه ضد أهل الإيمان ومنحرف عن الحق، وقد استمر النزاع والشقاق هناك.

وفيها في شهر ربيع الأول أصيب ملك الأردن الحسين بن طلال بمرض السرطان في كليته وجهة مثانته مما يليها فذهب إلى بريطانيا للعلاج واستئصال ما تدعوا الحاجة إلى قطعة وبعد العلاج رجع في أوائل ربيع الثاني من هذه السنة وفرحت الأمة هناك برجوعه، وجعلت تصفق استبشاراً برجوعه، وكان فيما يظهر أنه حصل تفكك في حكومة عمّان من بعض المنتقدين لسياسته، وعمل أناس في الخفاء ضده حيث كان مناصراً للعراق ويمدها بالسلاح سراً، وإن كان لا يتظاهر بعداوة المملكة السعودية فإن أعماله تدل على موالاته لأعدائها، وهي ثالثة حكومة غمرتها السعودية بالمساعدات، فاليمن والسودان قد انقلبوا بعداوة وكفران النعمة، ولكن الله بالمرصاد فقد حصلت ثورات في السودان وانشقاق، كما حصلت ثورات في اليمن الجنوبي والشمالي، وأصبح الرئيس اليمن على عبدالله صالح يكابد المشاق في تمرد شعبه وأنواع المشاكل في اليمن، وأصبحت الفتن في اليمن والسودان تغدو وتروح، نسأل الله العافية.

أما العراق فقد انشق إلى ثلاث فرق: فرقة ثارت ضد الحكومة، وفرقة الأكراد، والفرقة التابعة لصدام، وهم يدبرون الحيل لاغتياله مرات عديدة، ولكنه قد نصب المشانق والنار والحديد، وأصبح الطاغية الذي يمني نفسه بجعل الكويت ميناء للعراق بعد قتل السكان، وأن يغزو الجيران في عقر دارهم عاجزاً عن تدبير شعبه الذي انشق عليه وأصبح ضحكة للأجانب فالحمد لله الذي عافا المسلمين مما ابتلاه، وبكل حال فإن حالة المسلمين اليوم يرثى لها من التفكك والنزاع والشقاق، نسأل الله تعالى أن لا يجعلهم فتنةً للذين كفروا، وأن يجمع شملهم على التقوى، وأن يجعلهم يداً واحدة على أعداء الإسلام.

حادثة

لما أن كان في اليوم الثامن من ربيع الثاني سقطت طائرة إسرائيلية على هولندا، فسقط من جرائها عمارتان في مدينة هولندا واشتعلت النيران في ثمانين شقة هناك، وهلك بسبب هذا الحادث مائة وخمسون، وفقد مائة وثلاثون لم يتوصل إلى ما صاروا إليه، وهلك جميع ركابها الذين بلغوا مائة راكب وخمسة ركاب، وقد عجز رجال المطافئ من السيطرة على الحرائق والنيران لإخمادها، وعثر على بعض محركات الطائرة قد سقطت من هنا وهناك، وتعتبر هذه كارثة من كوارث الزمان، أصيبت الطائرة وركابها ودمرت ما سقطت عليه، نسأل الله أن يجعل تدمير الكفار في تدبيرهم.

وفيها في ٩ ربيع الثاني قامت إسرائيل بما أوتيت فأطلقت المدافع الثقيلة على جنوب لبنان وساعدتها الميليشيات في الجنوب فأصيب بعض في لبنان بكوارث، ودمرت تلك الأسلحة والرشاشات الثقيلة ما سقطت عليه، هذا والأمم المتحدة تسعى في إيجاد صلح بين العرب وإسرائيل في الشرق الأوسط ولا ريب أن ذلك تخدير الأعصاب ليتمكن اليهود من الفتك بالعرب، هذا وقد حصل إضراب عن الطعام في فلسطين من تعذيب سجناء العرب هناك ومعاملتهم معاملة قاسية، وكانوا يطلقون الرصاص على الشباب الفلسطيني مما يسبب القتل والجرح، فهذا أصيب في رأسه وهذا أصيب في فخذه، وهذا أصيب في بطنه، وهذا أصيب في صدره برصاص جنود الاحتلال، وما زال المشردون عن أوطانهم في ازدياد ومن ديارهم يطردون ويفرون، حتى بلغ عدد المشردين من كل بقع وصقع يزيد عن ثمانية عشر مليوناً، وقد رجع مليون مشرد إلى وطنهم أفغانستان لما فتح الله لهم.

ذكر ما جرى على ليبيا

إن أمريكا اتهمت رجلين ليبيين من أنهما فجرا طائرة أمريكية فطلبت إحضارهما إليها للتحقيق، وبما أن معمر القذافي أبى أن يسلمها لأن مصيرهما

الإعدام، حققت أمريكا الطلب وقد عاند الرئيس القذافي فقامت أمريكا بما أوتيت من قوة وفرضت حصاراً على ليبيا في آخر الحياة من نيسان الماضي بسبب هذا الأمر الطفيف الذي لا يقام له وزن، وأصبح المسلمون هناك متضررين من ضيق الحال والمعيشة، كان من العجائب إهمال شأن الصرب يبطش بالمسلمين هناك ويسوموهم سوء العذاب تقتيلاً أو تشريداً، وقد ذبحت رجالهم ونساؤهم وأطفالهم وهوجموا بعقر ديارهم، وهلكوا جوعاً وأذيقوا مرارة الحياة على يدي أعداء الله النصارى، ولم تسمع صرخات المسلمين واستغاثتهم بمجلس الأمن والأمم المتحدة، وكأنهم لم تهدم ديارهم ومساجدهم التي هي بيوت الله، ولم يرقب النصارى فيهم إلاً ولا ذمة بل تقف أمريكا وقفة المشاهد كما وقفت كذلك تتفرج على قتل أهالي فلسطين، وكان اليهود يقتلون يومياً من أولئك البؤساء العشرات والأفراد، وهاهم النصارى يواصلون هجماتهم على سراييفو عاصمة البوسنة والهرسك حتى أصبحت في ٤/١٠ بلا ماء ولا كهرباء، وتضربها مدافع الهاون والمورتر بدون رأفة ولا رحمة، ولم ينبس لهم بنت شفة بل صمت الآذان عن استغاثتهم ومواساتهم، وما هي إلى مواعيد من بريطانيا وفرنسا وأمريكا ليقضوا على الإسلام هناك، وقد شردت الصرب عشرات الآلف وقتلوا مئات القتلى، فعياذاً بالله من سوء القضاء ودرك الشقاء وجهد البلاء وشماتة الأعداء.

ذكر حادثة كريهة

في ليلة الثلاثاء عاشر ربيع الثاني من هذه السنة قام عامل باكستاني على سيده وهو إعرابي في قرية أبا الدود من أعمال الأسياح على سيده ليقتله، فأخذ ساطوراً وسكاكين ففعل بسيده وجمع أهل بيته وهم ثلاثة عشر نسمة، هلك في الحال منهم تسعة أنفس، وحمل أربعة إلى المستشفى في مدينة بريدة، ثم مات العاشر في غرفة الإنعاش، وكان الذي ضربه صبي كتبت له النجاة فأخبر المسلمين بقصته ،وكان صاحب الأتوبيس جاء ليحملهم إلى المدرسة فلما أشرف على البيت وجد الدماء

سائلة ففرَّ إلى رجال الأمن وإمارة البلد، ولما أن فعل الجاني تلك الفعلة الشنعاء التي لا يقدم عليها من يؤمن بالله واليوم الآخر، لأنهم ما بين امرأة وطفلة وطفل لم يحبوا ولم يكن لهم ذنب، فرَّ إلى أخي كفيله، ولما أن جلس ليتناول شراب الشاي، أراد أن يلحقه بأهله، غير أنه فكر أنه لم يكن له ذنب ولم يسبق منه عليه أذى فعصمه الله منه، وقد ألقي القبض على الجاني وكان يرعى تلك الليلة بالغنم ففقد المالك ثلاثة رؤوس منها وانتهره، ولما ألقي التحقيق معه أقر بأن الكفيل لم يعطه أجرته لمدة وقد طلب منه الجواز ليسافر فلم يفعل ففعل تلك الفعلة الشنيعة، نسأل الله السلامة، وقد أوجعت فعلته القلوب والأكباد، وأصبحت الأمة تتحدث بهذا النبأ الغريب والخبر المؤلم العجيب، وقد أظهر الكشف عنه بأنه في عقله غير مجنون فأجري عليه القصاص، وأذيق جزاء فعلته التي فعلها، قال الله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٩].

زلزال يصيب مصر

لما كان في اليوم السادس عشر من ربيع الثاني ٤/١٦ الموافق ١٢ تشرين الأول أكتوبر أصيبت عاصمة مصر مدينة القاهرة بزلزال تهدمت بسببه منازل وأصيب عشرات السكان، وجرح ما يزيد على مائة وخمسين أعقبه هزتان أيضاً لم يشعر بهما السكان، وهرعت مئات من السكان إلى القرى خشيةً من الهلاك، وقد انتشلت جثث القتلى الذين هلكوا تحت الأنقاض، وكان الرئيس حسني مبارك قد قام بزيارة إلى إمارات الخليج، ثم إلى اليابان فقطع زيارته لليابان ليباشر بنفسه ما جرى على عاصمة بلاده، وعاد إلى مصر لهذا الحادث الأليم، وفي نفس الحال بعثت الحكومة السعودية مساعدات لمواساة شقيقتها في الإسلام، وقد أحدثت تلك الكارثة رنة أسى في البلاد المجاورة لها، وبعثت التعازي إلى الرئيس المصري حسني مبارك ومواساته في هذا النبأ الحزين لما تعرضت له عاصمة مصر من الهلاك والتدمير، نسأل الله تعالى أن لا يريهم في بلادهم ولا أنفسهم سوء ولا مكروه.

ذكر ما تجلى عن ذلك البلاء

تعطلت الدراسة في مصر ووقفت الحركة، وأغلقت الدكاكين ذلك اليوم، وهلك ستمائة قتيل وتسعون قتيل، وجرح أربعة آلاف، ولكنهم في اليوم الثاني من هذا الزلزال رجعوا إلى الحالة الطبيعية وفتحت المدارس والمعامل والدكاكين، وعادوا إلى الحالة الطبيعية.

انفجار بركان

قد نبهنا الله عز وجل عن عدم الأمن من مكره بقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦]، وفي هذه السنة انفجر بركان الفلبين فقامت الحجارة السوداء تقذفها الأرض إلى الفضاء بحيث ارتفعت في الجو إلى قدر ثلاثين كيلو بحمم سوداء، وربما تكرر انفجاره مرات عديدة، وأخذ السكان حذرهم منه، فتباعدوا عن قربه بمسافة ثلاثين كيلو، فكانت هذه المساحة مسرحاً للحوادث من جراء تلك الحجارة التي تقذف يمنةً ويسرة، وفي هذه الآونة تنطلق فوهته بتلك الحجارة، وكانت القدرة البشرية عاجزة عن ردمه وإيقافه فلم يجدوا بداً من الابتعاد عنه وهجر ما كان حواليه من تلك المساحة الكبيرة حذراً من تلك الطوارئ.

انتشار الكتب وإيجادها

كانت الأمة فيما مضى يستخدمون أقلام القصب والمحابر في نسخ الكتب، وتقوم أناملهم في العمل لذلك، مما كان يشق على الأفراد تحصيلها، وكان الكاتب الماهر في الكتابة قد يكتب القرآن الحكيم في وقتٍ طويل فلا يتمكن من ذلك إلا في فترة أيام، ويجعل بين الآيات دوائر بالقلم الأحمر، كذلك الرموز التي توضع للوقف وعدمه كاللازم والجائز، وانتشرت مؤلفات العلماء المتقدمين باستخدام المحابر والأقلام التي كانت من القصب، بحيث يبري الكاتب القلم بالمبراة من الجهات الثلاث، فإذا استدق فإنه يشق رأس القلم ليسيل الحبر بكثرة، وقد كنت كثير الكتابة كذلك، يقول الشاعر في صفة ذلك راثياً عالماً من العلماء ذاكراً مواهبه وماله من الصفات الحسنة:

وأقلامنـــا ســـقت عليـــه ناســـفاً		على خد أعلى الطرس كم فيه ترصـع

وقد خدمت هذه المحابر والأقلام القصب العلماء المتقدمين، وجاء من بعدها أقلام تعبأ بالحبر الأزرق ولكن الأقلام القصبية لها دور فعال، وكان الأدباء والعلماء من يدخر قلماً، وأوصى العالم عبر عبدالرحمن بن علي بن الجوزي بأن يسخن ماء تغسيله إذا فارق الدنيا بعلامات أقلامه، فوجدوا منها كمية زادت عن المطلوب، وانتشرت مؤلفات كبار العلماء كالإمام أحمد بن حنبل والشافعي ومالك باستخدام هذه الأقلام القصبية، كما أن مؤلفات شيخ الإسلام تقي الدين وابن القيم وابن رجب وعلي بن عقيل بالأقلام القصبية السيالة، ومن نظر إلى مؤلفات عماد الدين بن كثير وتفسيره للقرآن وتاريخه ومؤلفات موفق الدين بن قدامة، حتى قيل أن كتاب الظنون لابن عقيل يبلغ ثمانمائة مجلداً وقيل أربعمائة، ومؤلفات الحافظ بن حجر العسقلاني، والفخر الرازي، والزمخشري، والحسين بن مسعود البغوي والبخاري وشروحه، وعمدة القاري، وفتح الباري، وهداية الساري، ومؤلفات بن مفلح وصحيح مسلم وشروحه، وابن الاثير كأسد الغابة، وجامع الأصول، وكتب اللغة القاموس المحيط، ولسان العرب، وتاج العروس وغيرها من كتب العلماء فإنه يرى من العجائب بركة الله تعالى في نشرها، ولكنها تباع بأسعار باهظة، وسمعت بأن جامع العلوم والحكم لابن رجب بلغت قيمتها اثني عشر ريالاً وكانت إذ ذاك تلك القيمة قد تشتري بها بيتاً لسكنه، بل زادت قيمة هذا الكتاب عن اثني عشر ريالاً إلى زيادة وزنتين من القهوة البن، وثوب وشماع، ورأيت كتاب الكبائر للعلامة الذهبي مكتوباً بقلم جميل، وقد ملك هذا الكتاب الفقير إلى الله محمد بن عمر بن سليم، ونصيحتي لطالب العلم أن لا يغير كتبه، فقد لا ترجع إليه في هذا الزمان، ولما نشأت المطابع في أول الأمر لا تستطيع التأشير بالحبر الأحمر ويعتذر أربابها عن قيامها بهذا الغرض، ولكن مع تطوير الصناعات وتقدم العلم بها، استطاعت ذلك وأتت بما ينبغي الإتيان به تعذر الأمر عنه، وفي هذا الزمان جلبت الكتب وطبعت، وكان لها طور عظيم، واستطاعت الأمة

باستخدام المطابع أن توجد كتباً قد لا يتوصل إليها ككتاب الغاية وشرحه مطلب أولي النهى، وكتاب الإنصاف، ومصنف بن أبي شيبة، ومصنف عبدالرزاق، وتفسير بن جرير وتاريخه، وتفسير ابن كثير وتاريخه، البالغ ستة عشرة مجلدة، والمغني في الفقه والكافي في الفقه، وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي، وتفسير القاسمي، وتفسير الفخر الرازي، وكشاف الزمخشري، ومن العجائب تيسير قيمتها، فقد بلغت قيمة نيل الأوطار ستين ريالاً، ومسند الإمام أحمد وسير أعلام النبلاء وكتب اللغة ومعجم البلدان، ومجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، وأسد الغابة، والإصابة، ووفيات الأعيان، وتفسير الشوكاني، وشرح السنة للبغوي، وسنن الأقوال والأفعال، وجامع الأصول، والأمهات الست، والمجموع شرح المهذب، وكتاب الأغاني، وصفة الصفوة، ومشكاة المصابيح، وسنن البيهقي، والمقنع والإقناع، ومدارج السالكين، وزاد المعاد، ودلائل النبوة للبيهقي، وتفسير الخازن، وتفسير صديق، ولو ذكرنا بعضها لضاق الوسع، تباع هذه الكتب بقيمة مناسبة، وربما كان بعضها بقيمة زهيدة، وأصبحت موجودة لدى الأفراد، وفي سائر المكاتب بعد أن لم تكن موجودة إلا عند أفذاذ الناس، أو في المكاتب الكبار، وقد انتشرت في هذه الأزمان كتب لا يحصى لها عدد وكثرت طباعتها وخدمت بالتجليد، وانتشرت دواوين الشعراء كابن ربيعة وحسان بن ثابت وأبي تمام وابن هانئ وابن مقرب والمتنبي وديوان الشيخ سليمان بن سحمان وأحمد بن مشرف، وديوان أبي العتاهية، وحافظ إبراهيم، وأحمد شوقي، وديوان الإمام علي، والشافعي وغيرها، وامتلأت رفوف المكاتب، وكنت أذكر أني طلبت كتاب مدارج السالكين إعارة من أحد مشايخي الكبار لمدة خمسة أيام، فما حصلت عليه، وهذا من مدة ست وخمسين سنة، وفي هذه الآونة قد توفرت أنواع الكتب، والحمد لله وأصبحت السنة الثامنة من أوائل القرن الخامس عشر وما بعدها يضرب الأمثال بها في كثرة الكتب وتيسير حصولها لكل واحد من الأفراد، فضلاً عن مكاتب المعاهد والكليات والرابطة الإسلامية في مكة المكرمة، والجامعة الإسلامية في المدينة.

أما كتب مكتبة الحرم المكي فإنك لا تكاد تطلب كتاب إلا وهو موجود فيها مع الخدمات للمراجعين والزائرين حديثاً وفقهاً على المذاهب الأربعة، وتاريخاً ولغةً ونحواً، وفرائض وأدباً وحساباً، وقام الكمبيوتر بدوره التقدمي، كما أن جميع الجامعات ممتلئة مكاتبها بالكتب، وقد أصبحت الأمة تطلب الفخر في إيجاد الكتب وتوفيرها، وقد حدثني أحد العلماء الأفاضل أن مكتبة احتوت على ثلاثمائة ألف كتاب من سائر العلوم، وقد تُرجم القرآن العظيم في سائر اللغات، وإن كان في النفس من ذلك شيء لأن القرآن من اللغة العربية وقول الله عز وجل أنه بلسان عربي مبين، وهذا لسان عربي مبين، ﴿وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد﴾، وفي الحديث: «تعلموا العربية وعلموها الناس فإنها لسان الله عز وجل يوم القيامة»، وفي سورة الزخرف: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣]، وقال في سورة فصلت: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [فصلت:٣]، إلى غير ذلك من احترام القرآن، والأمر بحفظه وحراسته إلى أن يرفع إلى السماء في آخر الزمان، وقوله في: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الشورى:٧]، اللهم اجعلنا نم عبادك العارفين والمهتدين يا رب العالمين.

عود على بدء

قد أشرنا فيما تقدم عن زلزال مصر عام ١٤١٣ هجرية، ونريد أن نقول بياناً: فنقول في الساعة الثالثة ظهراً اهتزت جهة من جهات القاهرة بقدر ستين ثانية، فقامت البيوت تهتز كالأشجار، وأصابتها عاصفة فسقطت البيوت والحيطان، أي تصدعت وجعلت البلوك يتساقط، فسلم من سلم وهلك من هلك، وأصبح آلوف تحت الأنقاض، فهلك في أول وهلة قرابة ثلاثمائة قتيل وأربعة آلاف جريح، وازدحمت الفتيات الدارسات في تلك المدارس، وقفزت فتيات مع النوافذ من الطابق الرابع فحطمت بعضها، وخرجت الأمة من مساكنها إلى الأرصفة لعلهم يسلمون، فما لبثت تلك الأسر إلا قليلاً حتى أصيبت من الجهات المجاورة الأخرى، وحدثت ضجة وبلاء مستطير، ومما ينبغي ذكره أن رجلاً خرج يحمل

ابنته على كتفيه ليلوذ بالفرار وهلكت زوجته تحت الأنقاض، وسقطت عليه وعلى ابنته قطعة فقضت عليهما معاً، وحمل رب أسرة وزوجته وأطفالها فجلسوا على البيت وهو يشاهدون البيت يهتز من الرياح، وقد انهارت عمارة بارتفاع أربعة عشر طابقاً، وكانت كومة من التراب، وهلك من فيها من السكان، وهذا ذهل عن زوجته، وهذا فرَّ وترك مسكنه، وتساقطت منارات أحد الجوامع وتهدمت مدارس، وقد توالت الهزات على القاهرة تارةً يشعر بها السكان وتارةً لا يشعرون.

ففي عشرة أيام مرت على القاهرة حوالي عشر هزات، وقد بعثت التبرعات والمساعدات، فمنها مائة مليون من المملكة السعودية، وثلاثون مليوناً من إمارات الخليج، وعشرون مليون من قطر، وعشرة ملايين من البحرين، وثلاثون مليون من ليبيا، وفي هذا دليل على ما يقدره الله تبارك وتعالى من النقص، فلأن كانت القنابل المدمرة والحروب الطاحنة التي أصابت الصومال والبوسنة والهرسك وبورما لم تصب مصر فقد جاءهم من أمر الله مالا يطاق وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وكانت تلك العمارة الكبرى ذات أربعة عشر طابقاً تسمى عمارة الموت لكثرة من مات تحتها، ولما قاموا بالفؤوس والمعاول لإخراج الجثث لم تفد شيئاً لأنهم اجتنبوا الشولات إبقاء للهلكى، ثم استعملوها ضرورةً، وما زالت الزلازل والهزات تتوالى عليهم يوماً فيوماً، ومن بين هؤلاء الذين انتشلوا رجلاً بعد مضي أربع وعشرين ساعة، فوجدوه حياً.

وفيها في شهر ربيع الثاني جرت مفاوضات بين حافظ الأسد ودولة إسرائيل بشأن الجولان، تطلب سوريا من إسرائيل الانسحاب من الجولان عن طريق السلم، ولكنها كلما توجهت الأمور للحل عرقلت إسرائيل حل المشكلة، ويظهر من السياسة أن إسرائيل تطلب من سوريا أن لا تتدخل في شأن اليهود، ومع أهالي فلسطين في فلسطين ولا في جنوب لبنان، بل إذا تخلت عن الجولان فإن سوريا تترك اليهود وأهالي فلسطين وأهالي لبنان وشأنهم.

ذكر نزاع بين أهل مصر والرئيس حسني مبارك

فنقول عن ذلك: وفي ٤/٢٧ وقع نزاع بين فقراء أهل مصر وبين الرئيس حسني مبارك، بأن الرئيس لم يواسهم في تلك المساعدات الواردة على مصر من الدول الإسلامية ولا سيما فقراء المسلمين المتضررين من جراء الزلازل، وحصلت مظاهرات في مصر استعمل لها الغاز المسيل للدموع، وكان غالب ما وقع من جراء الزلازل في الأماكن القديمة في القاهرة، وكان الإخوان المسلمين من جملة المعترضين على الرئيس في عدم التوزيع، ونسأل الله أن يصلح شأن المسلمين فيما بينهم وبين حكوماتهم، قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء:٥٣].

ولما أن وقفت الزلازل حساً ومعنى خاف المصريون وثاروا لذلك لأنهم نازحون في السعودية وغيرها يطلبون الرزق، وانبعث رجالهم ونسائهم إلى الهواتف يستفسرون عن سلامة أقربائهم ومساكنهم، ولعل الألطاف الربَّانية شملت أولئك عن الهلاك والدمار، وما أصيبت به مصر من سوء الحالة، فمن مستبشر وحزين، ولما أن أضحت البوسنة والهرسك بتلك المهالك، وقام المسلمون مدافعون عن أنفسهم وأهاليهم في الشوارع، وقيل لهم نريد إبعاد رئيس الجمهورية المسلم عزت وإبداله بمن يقوم بالعلمانية لا العلمية الدينية، وتقسم الممالك الإسلامية إلى دويلات علمانية، شق ذلك على المسلمين وجعلوا ينادون ويستغيثون عن رفضهم من هذا الطلب الوجيع، فلما استقاموا، ولكنها صرخة في وادي خالٍ من البشر، وتأزمت الأمور على المسلمين وتحملوا ما لا يطيقون من المظلم والمذابح والمآسي مما تنهد له الجبال الرواسي.

أما عن الصومال وعما أصبحوا من الجوع والقتال بحيث كانوا عظاماً خالية من اللحوم، وهياكل يمشون ولا يستطيعون، فحدث ولا حرج، وهذا سائر المسلمين أصبحوا يطاردون ويقتلون ودين الإسلام يطارد مطاردة لقلة المناصرين،

وكثرة أعدائه من اليهود والنصارى والمجوس الملحدين، فلا مسلم في أفريقيا وأوربا وأمريكا وأستراليا وغالب أسيا إلا وهو مضطهد لا يستطيع أن يتنفس الصعداء، وأصيب معظمهم بحروب طاحنة، ولا تستطيع الألسن عن أن تعبر عنها، فقد قدمنا من المآسي ما فيه كفاية.

وفيها في ليلة ١٨/ ٤ أقيم في المسجد الجامع الكبير في مدينة بريدة لحفاظ سنة سيد المرسلين ﷺ حفل كبير قام به مكتب الدعوة والإرشاد ببريدة، ودعي إليه المشايخ والعلماء من الرياض ومكة المشرفة، والمدينة المنورة، وجمّ غفير من الرس وعنيزة، والخبراء، ورياض الخبراء، والبكيرية وحائل، والمنطقة الشرقية، والمذنب، وعمت الدعوة علماء جاءوا من السودان والمنتدبين من مصر وغيرها، وعلى رأس الحفل أمير المنطقة فيصل بن بندر وأعيان مدينة بريدة، وقد امتلأ المسجد الجامع وغصّ بالحاضرين، وامتلأت رحبة المسجد وسطحه، وامتلأت الشوارع من كثرة الحاضرين، فكانوا في سائر شوارع المسجد يمنةً ويسرة، وشرقاً وغرباً، ومما يجدر بنا ذكره أن يقوم صبي لا يتجاوز عمره السابعة فيجيب على مائتي حديث كان يحفظها عن ظهر قلبه، وقد قام الحاضرون يهنئونه بتلك الموهبة التي منّ الله بها عليه، وقد نال سبعمائة ريال جائزة.

أما بقية الحفاظ فقد نالوا جوائز معنية ونالوا رفعةً وذكراً حسناً، وقد حضر لذلك نساء كثيرة في سائر الجهات وإنها لخطوة رائعة وتقدم بفضائل عظيمة وشرف يتسابق إليه الشاب المسلم، فقبل الحفل حفل يقام في هذا المسجد يتنافس فيه المتنافسون من حفاظ القرآن الحكيم، ويقال ثمانون شاباً من حفاظ القرآن جوائز ومكافئات، وكل فرد عشرة آلاف ريال تقديراً لجهودهم، ومكافآت قيمة، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وفي هذا اليوم المذكور تتقدم الدفعة الثانية الذين حفظوا سنة محمد ﷺ فيرى المسلمون ما يسرهم وينعشهم، وكانت تقام مثل هذه الحفلات في مدن المملكة، وقد أتينا ما حضرناه.

افتتاح المعهد البري في القصيم

لما أن كان في آخر يوم الثلاثاء الموافق ٢/ ٥ من هذه السنة قدم سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والمفتش العام لمطار القصيم لهذه المهمة، ومن الغد في الساعة الحادية عشرة اجتمعت الأمة لذلك وحضر المدير المسؤول لفتحه في حفل عظيم ألقيت فيه الخطب والكلمات، وازدهرت المنطقة لذلك المشروع والمبشرة بالقوة والنشاط.

وفيها في مستهل شهر جمادى الأولى ألقي القبض على شباب قتلوا زميلاً لهم، وهذه وصمة عظيمة وجريمة شنيعة، ونحن نوضح ذلك فنقول ذكر وصمة عظيمة وفعلة قبيحة، وذلك بأن كان في منتصف شهر ربيع الثاني ١٥/ ٤ من هذه السنة فقد شاب بين أهله وجيرانه في مدينة بريدة، ولم يوقف له على خبر، فطفق أهله يبحثون عنه، وأعلنوا في الإذاعات والتلفاز فقده، وبعد مضي نصف شهر لما أجري التحقيق من رجال الأمن عثر على جثته مقتولاً ومحرقاً بالنار، فتوصلوا إلى أنه خرج به ستة من زملائه شباب فنصبوه وأطلقوا عليه النار من مسدسين بأيديهم، فأصيب برصاصة في كتفه وأخرى في رأسه، فوافاه الله حتفه، وبعد ما قتلوه خرجوا من الغد فحرقوه بالنار ودفنوه، فألقي القبض عليهم وأجري معهم التحقيق، فأقروا وكان القتيل وأخفق الله تبارك وتعالى ما كان يسعى بضد هذا القتيل ظلماً، نسأل الله العافية، ولما أن أتي بهم واحداً بعد واحد، أقروا وكان الذي تولى كبره منهم شاب ، وقد رنَّ صدى هذه الجريمة التي لا تكاد تصدر من أناس يؤمنون بالله واليوم الآخر، ولم تجد الرحمة إلى قلوبهم سبيلا، ولم يرعوا سطوة الخالق ولا المخلوق، فكان فيه أربعة حقوق: حق الله وحق لولي الأمر، وحق الحكومة، وحق القتيل نفسه.

ومنها تقلد الرئاسة الأمريكية في ١١/ ٥ جمادى الأولى من هذه السنة الرئيس الجديد كلينتون بعد فوزه بالأغلبية، وزال حكم الرئيس القديم جورج بوش، وقد

فرح صدام حسين واستبشر بذلك، فقد أظهر احتفالاً في مقره في العراق، وقد قيل أنه ذبح من رؤوس الضأن أعداداً، وعيد عيداً في موضعه.

أما عن الرئيس الجديد الأمريكي فقد استهل رئاسته مناصرة اليهود وأنه لا يمكن تركهم هم والعرب بهذه الحالة، كما أنه أبان عن النظر في جعل جمارك على الباخرة الخارجية، والواردات الأوربية، وكان بذلك يريد تحسين الوضع الاقتصادي بأمريكا، ولقد كان من المعلوم اهتمام أمريكا بأمر اليهود ومناصرتهم وإمدادهم بالأسلحة والأموال الطائلة يتوارثون هذا رئيساً بعد رئيس، ويعتدون بها على العرب في إقليم الشام في فلسطين وبيروت ولبنان، ولأن كان الرئيس حافظ الأسد في سوريا وملحقاتها فإنه لم يحصل على مقصوده في الجولان حتى ١٤/ ٥ من هذه السنة، وطلب أن يباشر مهمته إلا في السادس عشرة، وترك للرئيس بوش أن يقضي أعماله وينهي تصرفاته إلى آخر العقد، واستمرت الأمور في بورما والبوسنة والهرسك، وفلسطين ولبنان، وأفغانستان وغيرها على حالتها تعطى تدابير الرئيس الجديد هذا، ولا تزال النصارى في تعذيب المسلمين هناك، وبما أن الإمدادات ترد على نصارى الصرب من إخوانهم، فإن المسلمين في البوسنة والهرسك لا يمدهم أحد، ولكنهم يقومون بدفاع مستميت، وقد تصلهم الإمدادات، وقد لا تصلهم، ينادون بطلب الغوث ولكن مع إن الأشد من ذلك صرخة في وادي خالي من البشر، وقد صدق رسول الله ﷺ ما أخبر عنه بقوله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أمن قلة فينا يا رسول الله؟ قال: لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله هيبتكم من قلوب عدوكم ويجعلها في قلوبكم» ومما قيل في شكوى الزمان والحال قصيدة للشيخ علي بن حسين بن الشيخ الإمام وقدوة المؤمنين من الآنام محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى لما نكبت الدرعية وحل بنجد ما حل بها، نذكر منها قليلاً، وكان يرثى لحالة المسلمين اليوم في بعض الأماكن والأقطار:

خليلي عوجاً عن طريق العواذل بمهجور ليلى فابكيا في المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحةً
من الوجد أو يشفي عليل البلابل

أرى عبرةً غبراء تتبع اختها
على أثر أخرى يستهل بوابل

تهيج ذكراً للأمور التي جرت
تشيب النواصي واللحا للأماثل

وتسقط من بطن الحوامل حملها
وتذهل أخيار النساء المكافل

وتخفق رايات الجهاد شهيرةً
بشرق وغربٍ يمنة والشمائل

تبدلت النعما بؤساً وأصبحت
طغاةً عتاةٌ ملجأً للأراذل

وبث غلاة الدين في الأرض بغيهم
وَرِيْعت قلوب المؤمنين الغوافل

وأقبل قادات الضلالة والردى
وساداتها في عسكرٍ وجحافل

إلى أن قال:

وفرَّعن الأوطان من كان قاطناً
تراهم فُرادى نحو قطرٍ وساحل

وفرق شملٌ كان للخير شاملاً
وزالت مولاة المسلمين الأعادل

وساد شرار الخلق في الأرض بعدهم
ودارت رحى للأرذلين الأسافل

فأصبحت الأموال فيهم نهائباً
وأضحت الأيتام خمص الحواصل

فكم دمروا من مسكنٍ كان أنساً
وكم خربوا من مربع ومعاقل

وكم خربوا من مسجدٍ ومدارس
يقام بها ذكرى الضحى والأصائل

وكم قطعوا من باسقاتٍ نواعم
وكم أغلقوا من معملٍ ومغازل

وكم أهلكوا حرثاً ونسلاً ببغيهم
وكم أيتموا طفلاً بغدرٍ وباطل

وكم حرفوا من كتب علمٍ وحكمةٍ
وفقهٍ وتوحيدٍ وشرع مسائل

وكم هدموا سوراً وقصراً مشيداً
وحصناً حصيناً أوهنوا بالمعاول

وكم أسروا من حاكمٍ بعد عالم
وكم زلزلوا من محصنات غوافل

وكم قتلوا من عصبة الحق فتيةً
تقاةٍ هداةٍ في الدجا كالمشاعل

يذودون عن ورد الدنا بتوسم
ويسعون جهد الاقتناء الفضائل

فما بعدهم والله من داعي له
ولا بعدهم للخير والدين فاعل

وفيها في الوسمي في نوء السماك ١٥ العقرب هطلت أمطار موسمية وهي

المباركة إذا آذن الله بالخير على مكة المكرمة والحوية وعسير، لقد حظيت الباحة وتبوك وأم الهوشات التابعة للمنطقة الشرقية بهطول تلك الأمطار.

زلزال في تركيا

في ١٦/ ٥ أصيب ما حوالي تركيا بهزة أرضية، فهلك ٢٥ وجرح ٢٠، ونتج عن ذلك صدع في الأرض وخسف، وكانت تركيا تعاني إذ ذاك مشاكل بينها وبين الأكراد ومشاكل أخرى، أما عن مصر وما أصيبته من الزلزال فقد تلاشت عشرة آلاف مدرسة من ثلاثين ألف مدرسة، وقد قامت الحكومة السعودية بترميم ما تهدم من المدارس المصابة وإعادة ما تدمر منها.

العراق والحديث عنه

كان العراق منذ زمن طويل بعد الحرب العالمية الأولى تحت الحماية البريطانية في حكم فيصل بن الحسين الشريف وابنه غازي وابنه فيصل بن غازي، وكانت العراق إذ ذاك في رغد من العيش وطمأنينة في الحياة، وسميت بغداد مدينة السلام، قال الشافعي لعالم من العلماء: أرأيت بغداد؟ قال: لا، فقال: لم ترَ الدنيا، ولما أن ثأر عبدالكريم قاسم وحصلت ثورة ١٣٧٧هـ ضد الملوك وقتل فيصل بن غازي ونوري السعيد، تحولت العراق من الملكية إلى جمهورية يرأسها عبدالكريم قاسم، بعدما أُريقت فيها دماء بسبب تلك الثورة، ثم قتل الرئيس عبدالكريم وتولى بعده الرئاسة عبدالسلام محمد عارف، وكان رجلاً مسالماً لم تمهله الليالي حتى هلك بسبب اصطدام طائرته ببعض الجبال من جراء عاصفة رملية، كذا يقولون: ثم تولى بعده الرئاسة محمد عارف، ثم بعده حسن البكري، ثم انتزع الرئاسة منه واغتصب العرش صدام حسين، ولما أن تولى الرئاسة لم يخلد إلى الراحة والسكينة بل أذى جيرانه ونشبت بينه وبين إيران حروب عظيمة أريق بسببها دماء مليون من الطرفين، كان سببها صدام، ولقد خدع ملوك العرب وأمراءها ورؤساءها مدعياً بذلك أنه سيقف في وجه إيران عدوة العرب، واستنزفهم أموالاً عظيمة وسلاحاً لا

يستهان به، وانخدعوا له وكان يجني تلك الأموال والأسلحة ويخزنها ليومها المعلوم مدعياً بزعمه أن سيستخدمها أمام تيار سيل إيران الجارف، وأضاف إلى ما استحصله من العرب والخليج أسلحة روسية فعالة، وكانت أسلحة الروس كيماوية، وصواريخ سكود، وبينما كان متظاهر بخدمة العرب والمسلمين وسيكون ضد اليهود إذا هو يقلب ظهر المجن ويكون في نحور العرب، وصرف ما لديه من المساعدات التي استحصلها منهم، فيوجه ضرباتها إليهم، وقام ضد الخليج والسعودية والكويت الذين أمدوه بما استطاعوا من قوة وصرف أسلحته إلى حربهم، ثم هجم على الكويت لما انطوت سريرته عليه من الخيانة كما قدمنا، وهدم مساكنهم وانتهب أموالهم، وهتك نسائهم، ففرَّ من استطاع الفرار وقبض على بقية الأهالي العزّل يتعقبهم ويشق بطونهم، وكان الطاغية يعول أن يجعل الكويت ميناء العراق وسلطه الله عليهم بذنوبهم ومعاصيهم، فأصبحوا مشردين ومطرودين، وكان ذلك منذ حقل التجارب في تدمير بقية الخليج، فخابت أمنيته بعدما أعاد على أهل الكويت حرب الصليبيين للأندلس، وسلط الله عليه أمريكا فأقبلت بجدها وحديدها وصواريخها وطائراتها ودباباتها ومدافعها التي لا يستهان بها، فردوه على أعقابه وساموا العراق وأهله سوء العذاب، وذلك لأن الكويت ليس بلقمة سائغة ولا غضيضة فتلفظ بل إن في الحياض من يذود عنها، وإن الأسد السعودي يفترش ببراثنه دون ذلك الحمى، وأصبح حقل التجارب الذي منىً به نفسه ثعلب العراق فاشلاً وخائباً، وها هو قد وقع في الحفرة وأحاط به بغيه وأصبح معكوس المراد، وهكذا كل مغفل مجنون لا يفكر في عواقب الأمور، وكان مشؤوماً على نفسه وعلى قومه الذين استخفهم، ودخلت عليه أمريكا في عقر داره ودمرت أسلحته تدميراً شاملاً.

وأصبح العراق بعدما كان زهرة البلاد بحالة يرثى لها جوعاً وفقراً وأمراضاً، تتهدم البيوت أطلالاً ودمر القصر الجمهوري العراقي، وفرَّ السكان مشردين، وانقسمت العراق إلى أقسام قسم ضد الطاغية وقسم يحاربونه وقسم مشردين،

وقسم هلكوا جوعاً، وفي ذلك عبرةً لمن يخشى، وبما أن روسيا سقطت وكانت فرنسا وبريطانيا حلفاء لأمريكا فإن الطاغية لم يجد ولياً ولا نصيرا، وفي كل وقت تنزل قوات التفتيش الأمريكية على العراق تفتش أسلحته وتدمرها بالرغم من كونه يخفيها في المزارع فإن الأقمار الصناعية تهتدي إليها.

هطول أمطار على القصيم

لما كان في ١٨، ١٩، ٢٠ من جمادى الأولى هطلت أمطار على القصيم وكان ذلك في ١٢، ١٣، ١٤ من تشرين الثاني نوفمبر عام ١٩٩٢م واختصت مدينة بريدة بزيادة هطول الأمطار بحيث تعطلت حركة المرور في شوارعها الرسمية، جعلها الله أمطار خيرٍ وبركة، وقد نزل أمر ملكي قبل ذلك بإقامة صلاة الاستسقاء في سائر أنحاء المملكة لأن الرياض والدمام لم تحض بالأمطار، ولتعم دعوة المسلمين.

وفيها في ٢٢/ ٥ هب إعصار في الهند حصل فيه فيضانات سببت دمار قرية بأكملها هناك، وتضرر بسببه أيضاً ثلاثة قرى أخرى يضاف إلى ذلك هطول أمطار في الهند، وقد أصيب بسببه أنفس بشرية، ونقص معنوي في الأموال، وقد كان الأهالي هناك يعيشون في ضيق العيش، وقد حدثني من زار الهند في طلب عمال أن الهند كادت أن تضيق بالسكان، وأنه رأى بعض الأسر يطرحون البطانيات على الشجر ويجلسون تحتها، وكان مما يخفف شدة الوطأة عنها أن الدول يجلبون العمال منها للبناء و كسائقي سيارات وحراس بساتين، ويذهبون يمنةً ويسرة يكسبون القوت لعوائلهم حتى قيل أن المملكة العربية السعودية تضم حتى حال وضع هذه الكلمات لا يقلون عن ثلاثة ملايين استقدموا للخدمة ينفعون وينتفعون، وغالبهم كهول عليهم آثار الفقر والمسكنة.

وكان خطباء جوامع المملكة السعودية ووعاظها ينادون لما جبلوا عليه من الرحمة والعطف على الفقراء بالإحسان إليهم، وأن لا يكلفوا من الأعمال مالا يطيقون.

أخبار حول الرئيس الجديد في أمريكا

لما فاز الرئيس الجديد في أمريكا بيل كليتون وفاز بانتخابه رئيساً وذلك في ٥/١١ الموافق ليوم الخميس ٥ نوفمبر تشرين الثاني طلب أن لا يعمل إلا في ١ يناير ١٩٩٣م، كانت الأمة تتوقع أعمال هذا الرئيس الجديد وتترقب هذا الناشئ في الأفق برعوده وبروقه، وحق ليبيا أن تتغير حساسية أمريكا نحوها بحيث وضعت عليها قبل ذلك عقوبات اقتصادية وضيق عليها الخناق بسبب تفجير باخرة أمريكية قام بهذا العلم رجلان من ليبيا فلم تسلمهما ليبيا للتحقيق، والعقوبات وعجب لذلك أهل العزة والأنفة وكيف تعاقب ليبيا بهذا العمل البسيط وتترك الصرب يبطش بالمسلمين في البوسنة والهرسك وتسومهم سوء العذاب، ولم يتحرك لذلك بنت شفة لا من أمريكا ولا فرنسا ولا بريطانيا فيقوم الصربيون بمشاهدة النصارى يذبحون سكان البوسنة والهرسك كما تذبح الشاة من بهيمة الأنعام، ولا يرحم النصارى شيخاً كبير ولا طفلاً ولا ضعيفاً، بل قد توصلت الأحوال إلى أن تشق بطون الحوامل ويخرج بأجنتها ويجعل مكان الجنين جرو كلب أو خنزير، وهذا بهتان عظيم، وتقطع ثدي النساء بعد هتك أعراضها ويسامون سوء العذاب بعد هدم معابد المسلمين ومساجدهم وقتل الأئمة والمؤذنين في محاريب المساجد وعلى أبوابها، وتدنيس ما تهدم بدمائهم كما فعل بالعراق وأصبح أهلوها كبش الفداء من أعمال رئيسها الذي جرَّ عليهم البلاء، ولم يستأصل شفته ويقضي عليه حتى أصبح العراق بهذا الوضع السيء، وتقطعوا أمرهم بينهم شيعاً وأحزاباً فأصبحت دولة عربية مسلمة يسومها رئيسها سوء العذاب، ورجوا خيراً من هذا الرئيس الجديد في أمريكا خيراً .

وسقطت روسيا وهي الدولة العظيمة الثانية من دول العالم، كما كانت الصومال بهذا الوضع السيئ سنتان تمرّ بهم وهم يتناحرون ويتقاتلون حتى هلكوا جوعاً وتركوا عراة وشرد بعضهم، وقد قدمنا ما فيه كفاية، وقد شهد بعض المسلمين بأن البوسنة والهرسك وما في معيتهم أنه قاموا قبل حلول البلاء عليهم من

العرب يصيحون لإخوانهم المسلمين ويعرضون بطلب النجدة والقوات عما أحاط بهم من البلاء، وما يتوقعون من أعداء الله وأعدائهم، فلم يجدوا منجداً ولا نصيراً حتى أصيبوا بتلك الكوارث ولأعمال القتل الجماعي.

كما أن الإسلام بأفغانستان أمسى كئيباً من أعدائه، وكلما قام المسلمون هناك بمدافعة الشر إذا قد يحيط بهم بلاء أكبر.

وكذلك بورما وما أصيب به المسلمون فيها وما عومل به أهالي كشمير من أذى الهندوس الذين تخلوا من الدين والشرف، وفعلوا بالمسلمين ما فعلوا، فعياذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وقد قبض في بعض الممالك الإسلامية التي تنتمي على الإسلام على جميع من له لحية من الرجال فأودعوا غيابات السجون، وكانت النتيجة من ذلك أن من كان متمسكاً بهدي الرسول ﷺ فإنه يخشى من شره، وكانت النصارى في يوغسلافيا ينادون بمكبرات الصوت: اقتلوا كلاب محمد، وينادي اليهود بفلسطين ولبنان بهذه العبارة: هات المشمش والتفاح دين محمد قد مات، ويتنادى بعضهم بهذه العبارة: محمد مات مات ما خلَّف غير البنات.

ذكر حركة في باكستان

لما أن كان في ٢٠ جمادى الأولى من هذه السنة قامت بنازير بوتو رئيسة الوزراء السابقة بثورة ضد الحكومة تريد الاستيلاء على باكستان، وكان لها أنصار وشعبية أيدوها، وتنفست إيران الصعداء فكانت تهاجم مصر في مضايقة الإخوان المسلمين كما أنها جعلت تتدخل في أمور لا تعنيها، وكانت بذلك تتظاهر في نصرة الإسلام وتأييد العدالة، ولم يخفَ على مصر ما تبيته إيران لدول الخليج.

ولما أن قامت بنازير الرئيس في باكستان تريد هذه المرة اغتصاب عرش باكستان وقد آنست أن الجو خلى لها، وقد استغواها أناس من الأعداء، فيما أنها مكروهة هناك، وقد قامت فيما سبق بتعذيب المسلمين، وقامت الحكومة الحالية دون إرادتها واستعدت بصدها والحيلولة بينها وبين ما تريد.

وفيها هبَّ إعصار شديد على المحيط الهادي بحيث علت الأمواج، ونتج عن ذلك أضرار في الممتلكات، وذلك في يوم الجمعة ١٧ جمادى الثانية يوافق ١١ ديسمبر عشرين القوس، وقد هلك جمع من الأحياء والأنفس البشرية.

وفيها في ١٥ جمادى الثانية ارتكمت سحب في جو حفر الباطن وهطلت أمطار، واشتد البرد في اليوم نفسه، واليومين قبله، هذا وقد توالى الجفاف وقلة الأمطار على مدينة الرياض إلى اليوم الثامن عشر من جمادى الآخرة في ٢١ من برج القوس ١٢ ديسمبر ١٩٩٢م، ولله تمام الحكمة والتدبير.

زلزال يصيب إندونيسيا

لما كان في ١٨ جمادى الآخرة أصيبت إندونيسيا بزلزال هز جهة منها، فأصيبت مئات والجرح آخرون وقد أحصي عدد الهلكى فبلغوا ألفاً وثمانمائة وتسعين قتيلاً قد انتشلت جثثهم بعد الهلاك والدمار، ولا تزال فرق الانتشال في طلبهم وقد دوت الأخبار والأنباء بخبر هذه الفادحة، هذا ولا تزال بقية المسلمين في البوسنة والهرسك يدافعون هجمات الصرب النصارى، وقد بلغ عدد السجناء المسلمين في معتقلات العدو يسومونهم سوء العذاب والإهانة خمسة وتسعين ألف مسلم يكابدون أنواع التعذيبات والإهانة، ولم يجدوا ولياً ولا مناصراً، نسأل الله أن ينصر المسلمين على أعدائهم أنه على كل شيء قدير، وقد حمل المسلمون المدافعون على الصرب فيصيبون منهم، ولكن كيف يصنع بطائرات الصرب ومدافعهم الثقيلة، وما تم للمسلمين من مناصرة، وقد يتسلل أفراد من سائر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لنصرة البوسنة والهرسك.

ذكر جلاء بعض الفلسطينيين

لما كان في يوم الخميس ٦/٢٣ من هذه السنة صدرت الإرادة الصهيونية عن إسحاق رابين بإجلاء أربعمائة شاب فلسطيني إلى جنوب لبنان وطردهم خارج منازلهم، ولما أن أرادوا دخول لبنان مانعت حكومة لبنان من قبولهم فاصبحوا

مشردين لا في ديارهم ولا في الجهة التي ذهبوا إليها، بل كانت الأرض فراشهم والسماء غطائهم وذلك بسبب قتل جندي يهودي، ولما أن صدر هذا الأمر قامت الحكومات العربية والإسلامية تطالب بإلغاء صدور هذا الأمر الشنيع، وبعث بعض الأجواد إلى أولئك المشردين بطانيات وبعض الفرش.

ذكر وصمة عظيمة

لما أن كان في أحد أيام جمادى الثانية من العشر الأخيرة عام ١٤١٣ قام الهندوس في الهند بهدم مسجد كبير للمسلمين فهدموه حتى ساووه بالأرض، وجعلوا مكانه معبد لهم فيه صنم فضج المسلمون لهذا الفعل الشنيع وتتابعت الأصوات تستنكر لهذا العمل الإجرامي، وكان هذا المسجد قديم البناء، وفي المدة الماضية كانت أولئك الكفرة يحاولون هده، ولكنهم لم يتمكنوا إلا من في هذه السنة لما صفى لهم الجو، وخلت تلك الأماكن من أسد العرين التي تدافع عن كيان المسلمين ومساجدهم، ولما أن أرادوا ذلك قامت المحكمة الكبرى في الهند وأصدرت أحكامها في المنع من ذلك، ولكن أعداء الله لم ينتهوا ونفذوا أعمالهم القبيحة ضد الإسلام وكأنهم لما قتلوا المسلمين في بلد كشمير وفعلوا بهم مالا يسمع وتنكره الفطرة والأديان، واهتز لسماعه العاقلين، ولم يجدوا ناهياً ولا رادعاً، وأصبح مجلس الأمن بحالة ضد اسمه رأوا أن الجو خلا لهم فليفعلوا ما شاءوا، وعجز مليون مسلم وزيادة في الهند عن الدفاع عن الإسلام وأهل الإسلام وبيوت الله التي أمر الله أن ترفع ولا تهدم، كما قيل خلالك الجو فابيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري، غير أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها قاموا ضد هذا العمل فتراجعت الحكومة الهندية وعزموا على بنائه وإعادته فالحمد لله على نصر دينه، ولقد جرت في اليمن فوضى وأهرقت الدماء وقتل عشرات من السكان، وجرح مئات وهلكوا جوعاً، وذلك لأنه لما ساءت أحوال الحكومة، ورجع ما يزيد عن مليونين كانوا يعملون في السعودية لسوء تصرفات حكومتهم لحقتهم المساغب

والجوع والإملاق، وسلط الله بعضهم على بعض فأصبحوا بحالة يرثى لها ذلك بأنه غرهم الغرور رئيس العراق سوَّل لهم وأملى لهم ولم ينفعهم كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ ﴾ [الأنفال:٤٨]، وقال تعالى: ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد:٢٥]، وقال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ [الحشر:١٦]، يكفي من ذلك ما جرى منه على أهل العراق وظلمه للأبرياء وإراقة الدماء، حتى أمسى العراق حديثاً للأمة في المآسي والجوع والفقر، تشتت شمله حتى انقسم إلى أحزاب وثورات، وعجز المجنون عن إصلاح نفسه، فكيف يصلح غيره.

جلسة في مجلس التعاون

لما أن كان في عصر اليوم السابع وعشرين من شهر جمادى الآخرة عقدت جلسة في الإمارات العربية بأبي ظبي دعا إليها رؤساء أعضاء المجلس حضراها رؤساء وملوك العرب، ودعى لها الملك فهد بن عبدالعزيز ممثلاً وفود مملكته، وحضر خليفة بن حمد بن ثاني، وحسني مبارك رئيس الجمهورية المصرية، وقد كان قام في السعي بالصلح بين السعودية وقطر من جهة الحدود بينهما، وذلك لأن ولي العهد في الحكومة القطرية قام بإيعاز من والده خليفة بن حمد فتجاوزوا الحدود، ولما رأوا ابتلاء السعودية بحرب صدام لينتهزوا الفرصة وليتقدموا إلى السعودية، فقامت السعودية وردتها بالقوة على أعقابها خشية سوء العلاقات بين الحكومتين، فسعى حسني مبارك بالصلح وعادت الأمور إلى مجاريها بعدما قامت الحكومة القطرية تسعى بالانشقاق عن مجلس التعاون، فنجحت المساعي وأقيم احتفال في أبو ظبي وكنت أظن أن الأمير حليف ممن استغواهم صدام حسين ولكنه رجع عن غيه لما فشلت مساعيه، وعادت الحدود على وضعها، وقد أقيمت حفلة في الإمارات العربية وتصدر المجلس رئيس الإمارات هناك زايد بن سلطان آل نهيان،

فألقيت الخطب والكلمات وحصلت رنة فرح وسرور بهذه المناسبة، وكان ملك السعودية قد أقام ولي العهد سمو الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بالنيابة عنه في تدبير المملكة رسمياً في حال غيابه عن المملكة.

وفيها في ٣ رجب هطلت أمطار على مدينة الرياض وتراكمت سحب على القصيم وأمست السماء تمطر ثلجاً على القصيم من شدة البرد، واستمر الغطاء عن الشمس مع شدة البرد، وهبت رياح شمالية شرقية.

هذا وأربعمائة وسبعة عشر فلسطينياً مشردين عن فلسطين إلى لبنان ولم تقبلهم الحكومة اللبنانية فأمسوا بلا مأوى يكابدون مرارة الحياة وآلام البرد هناك، وقد عقد مؤتمر في مدينة القاهرة من خمس حكومات للنظر في إخراج اليهود أولئك البؤساء الذين أمست الأرض فراشهم والسماء غطاؤهم في ذلك البرد المهلك، وكان ذلك في ٢٦ ديسمبر سادس الجدي.

زلزال في إندونيسيا لما كان في صباح ٤ رجب، فأصيبت إندونيسيا بزلزال عنيف اهتزت له بقوة ٦,١ واستمر ذلك الزلزال لفترة.

وفيها وقعت هزات وزلازل في شمال تركيا، وذلك في ٥ رجب من هذه السنة.

ذكر ما جرى من الحوادث

وفاة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري رحمه الله وعفى عنه، وذلك في يوم الثلاثاء ٥ رجب من هذه السنة، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، حمود بن عبدالله التويجري، ولد في عام ١٣٣٤هـ في مدينة المجمعة، وحفظ القرآن الكريم قبل أن يتجاوز الحادية عشرة من عمره، ثم بعد ذلك لازم الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري واستمسك به، ودرس عليه في سائر العلوم، ولما تعين الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد قاضياً للمجمعة، أخذ القراءة عليه، كما أخذ عن الشيخ سليمان بن حمدان، وكان له مؤلفات راقية انتصر فيها للإسلام ورد على أهل البدع جزاه الله خيراً،

وله الرسالة البديعة في الرد على أهل المجلة الخليجية وغيره، وله ردود حسنة رد بها على المنحرفين، وكان في أيام شيخه محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تنشر كتبه لثقة الشيخ محمد بن إبراهيم به، وهذه بعض من مؤلفاته فمنها:

الصواعق الشديدة أبطل فيها مزاعم الصواف، ومنها رده على أبي تراب الظاهري، وفيها إبطال التكبير الجماعي يوم عيد الفطر وعيد النحر، ورده كتاب الصارم المشهور في تحريم السفور، دحض فيه مزاعم الذين أباحوا السفور، كتاب الانتصار للنبي ﷺ والمهاجرين والأنصار، وقد أبطل ما انتحله عبدالله بن سعد في نسبية الرسول ﷺ إلى أنهم أعراب جفاة، كتاب إتحاف الجماعة جزءان أتى فيه بأشراط الساعة وإماراتها، كتاب إثبات علو الله ومباينته لخلقه أبطل فيه مزاعم من قال إن الله مع خلقه بذاته، وأدحض باطله وبرأ جانب العلي العظيم من هذه التوهمات الساقطة فيما أن القائل بهذه المقالة الخاطئة الساقطة يشار إليه بالأصابع فإنه لا يؤبه لباطله، وله كتاب في صحة خروج المهدي في آخر الزمان ووضح الحق ولم تأخذه في الله لومة لائم، وله كتب مفيدة طبعت وظهر للأمة أنها أتت بالحق وقذف يد الباطل فأصبحت نبراساً يستضاء به للأمة، فجزاه الله خيراً، وكان من المنحرفين من يستثقل كلامه لخبثهم وضلالهم، وهو ثاني الرجلين المدافعين عن الإسلام وأهله أحدهما الشيخ سليمان بن سحمان، والآخر حمود بن عبدالله التويجري، اجتمعت به مرة في بيته في الرياض فأهداني شيئاً من مؤلفاته وأعجبتني أقواله وأفعاله، كان ربعةً من الرجال وعليه سيماء التواضع والصالحين.

وفيها في ١٦ رجب أصيبت بنغلادش بإعصار اجتاحها، فقد هلك أربعون وتضرر ألوف.

وفيها في اليوم المذكور هطلت أمطار على المكسيك، ولغزارتها حصل فيضان تضرر من جرائه السكان، هلك بسببه خمسة وأربعون، وأصيبت منازل، وشردت خلائق لذلك.

وفيها كثرت المساعدات التي بعثت للصومال للذين أهلكهم الجوع والعرى،

ولا سيما في فصل الشتاء، وسلط الله بعضهم على بعض يتناحرون، فأريقت الدماء هناك وعجزت الأنس والجن عن تسكين تلك الحروب فيها، وإذا جاءتهم المساعدات تخطفها القوي وضاع الضعيف، وهناك ترسل إليها مواد الغذاء يومياً، وقدم إليها مندوبو الدول الكبار والصغار لتسكين تلك الفتنة الثائرة فيما بينهم وأسبابها عظيمان فيها يتنازعان الرئاسة، ولكل واحد منهما أنصار وأعوان، فأصبحت تلك المملكة العظيمة قابعة بشرالبلاء المستطير، وقد تكون لكل زعيم منهما أنصار يمدونها بالسلاح والقوة، ولا تخلو هذه المسألة من دسيسة ضد الإسلام فيها، لأن دين الإسلام أصبح يلاحق ملاحقة لإبادة أهله، ولا يزال اليهود والنصارى جادين في هذا السبيل، ولقد توسطت الوفود وبذلوا جهوداً لوضع الصلح حتى تقدمت الأمم المتحدة لقبض السلاح المتداول لهم لعل الحرب تتوقف وتضع أوزارها، ومن الدليل على خيانة النصارى وما تبيته للمسلمين، إن الفتنة التي ثارت بين الصرب والبوسنة والهرسك كلما أوشكت على الانتهاء إذا بفرنسا والإنكليز يقفلون الطاولة لعل نصارى الصرب يبيدون المسلمين، فلسان حالهم يقول أمدوا النصارى واطلبوا الوقت لقتل المسلمين، فمن العجائب أن سيل المساعدات مستمرة للنصارى وممنوعة عند المسلمين.

فيها قد قام الهندوس وهدموا أكبر مسجد في الهند ليحترشوا بالمسلمين حتى قام المسلمين يدافعون عن الآثار الإسلامية يشتبكون معهم بقتال، وتكون النصرة للكفار لتخلي الله تبارك وتعالى عن نصرة المسلمين وخذلانهم، ولله تمام الحكمة.

وفيها قد قام الصرب وانتهكوا عرض خمسمائة وعشرين ألفاً من نساء المسلمين، وربما شقوا بطون الحوامل وأخرجوا أجنتها من أرحامها وجعلوا فيها جراء الكلاب وخاطوا الأرحام عليها، وقتلوا المسلمين وصوروا الصليب بالدم وجعلوه في صدور المسلمين، وغير ذلك مما تأنف الأسماع عنه وتقشعر منه الجلود وتنكره الفطر، وتدمى فيه أفئدة المؤمنين وذلك بمسمع وعلم من بقية المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وخلت من مناصرٍ من غيرة على ما

يصنعه النصارى وينادون: اقتلوا كلاب محمد، ويمكن أن هذا البلاء لم يسبق له نظير في الأمم السابقة مما يندى له الجبين وتقرح الأكباد ويوجع القلوب، وهذا مصداق ما أخبر به خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى في قوله: «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة» فهؤلاء المسلمون يقتلون في الهند والصومال وأنغولا والبوسنة والهرسك، وفي بعض الممالك العربية، أضف إلى ذلك أعمال الصهاينة في فلسطين ولبنان، مما أصبح به الإسلام شماتة للأعداء، وقد يقتل المسلمون في الجزائر وتونس وغيرها بتهم تتفق عليهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، أضف إلى ذلك ما فعله العراقييون بسكان الكويت حينما هجموا عليه عام ١٤١١هـ من تنقيب أعينهم وحصدهم بالرشاشات وهتكهم أعراض النساء بين أزواجهن وأوليائهن، فنرجو ممن يهمهم الأمر من المسلمين أن ينتقموا لأولئك المسلمين المغلوبين المضطهدين في سائر المعمورة، وتقضي على تلك الأفعال التي تدمي الأكباد وتعذب القلوب بسماعها وقديماً قيل أمور تضحك السفيه ويبكي العاقل منها.

وفيها أي في هذه السنة أعاد الله على مدينة الرياض من فضله ورحمته فتوالى هطول الأمطار في يوم الجمعة ١٥ رجب ١٨ الجدي إلى يوم الاثنين أي أربعة أيام، واستمر نزول الأمطار عليها كما أن مدينة حفر الباطن توالى عليها هطول الأمطار مما عجزت سيارات الوايتات عن نقل المياه من الشوارع، وقد أوجدت الكمأة فيها، وبيعت بأثمان باهظة، وقد كثر الكلأ والعشب الكثير في القصيم.

صدمة نفسية ووقفة

قد تقدم ما فعلته الهندوس بمسلمي كشمير وما فعلته النصارى بالبوسنة والهرسك والمسلمين، هناك ولما أن شقوا بطون الحوامل وأخرجوا أجنتها وجعلوا مكانها جراء كلام وخنازير، ووضعوا الحجارة الثقيلة بمذاكير مسلمي كشمير يجرونها، وأجبروهم على شرب بولهم ومصّ منيهم، وهلكوا وهم عراة بعد

ضرب بيوتهم ومساكنهم بالقنابل المدمرة القنابل العنقودية، وقنابل النابالم، والقنابل الحارقة، وعبثوا بنسائهم بهتكهن وتقطيع ثديهن، وغير ذلك من الأمور اللاإنسانية، وهذا بمسمع من إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ولم تنبعث جارحة لنصرتهم، ولم تنبض القلوب لهذا العمل الإجرامي مما تمسك عنه أسماع المؤمنين وتنكره فطر العالمين، وتقشعر منه الجلود، وتنبعث منه الدموع على الخدود، ويشيب منه المولود، ولم يوجد من أمثاله من مئات السنين فيشمت كل عدو للإسلام والمسلمين بتلك الأفعال الساقطة الرذيلة، ولو يستطيع اللسان أن ينطق لباح بتلك الأهوال التي جرت في القرن الخامس عشر من الهجرة النبوية وحوادثه المؤلمة، وهذه ملقاة على أعناق المسلمين القادرين والمتخلين عن نصرتهم والشد من أزرهم، فخذ ما شئت من تلك المخازي والأمور التي لا تبشر بالخير، بل هي وصمة في وجه الإسلام والمسلمين وابتلاء وامتحان للمؤمنين إلى يوم الدين، اللهم كما منعت النصر عن أولئك المعذبين في الحياة فامنحهم الفوز برضوانك في دار النعيم والمقيم، ودار المقرنين.

وفيها في ليلة يوم الأربعاء عشرين زحف من هذه السنة فيلق من أمريكا وقوات الحلفاء البريطانية الفرنسية فبعثت طائرة على العراق لإنذارها عن الاعتداء على الكويت، وعدم التزامها بالشروط التي بينها وبين أمريكا، وتمردها، فضربتها بالقنابل وراجمات الصواريخ فاستسلمت العراق بعد غطرستها، ولم تبدِ أي مقاومة لما كانت تعرفه عن هؤلاء الحلفاء، فأصيبت قواعد للصواريخ وقتلت سبع ضباط لها في البصرة، وهدمت بيوتاً، وعند ذلك خضعت العراق بقيادة رئيسها صدام حسين وأعطتها أمريكا درساً يقيم عجرفتها وغطرستها، وكانت مدة الضرب ساعة وخمسين دقيقة، وكانت قبل ذلك تهدد وتوعد، فما كان إلا ساعات قليلة حتى آبت بالخيبة والندامة والفشل، وقررت أمريكا أن لها فيها عودة بعد عودة إذا لم تخضع لأوامرها وشروطها التي منها الكف عن الكويت، وأن يقدم رجال أمريكا على الدوام يفتشون أسلحة العراق ويدمرونها، وقد تظاهرت

العراق القوة وأعلنت بأنها لم تصب بهذه الغارة إلا بنزر يسير من قواتها وممتلكاتها، والصحيح أن القوات المتحالفة دمرت بهذه الغارة ثمانين بالمئة من قوات العراق ولكنها جعلت أبواق تزويرات العراق بأنها صامدة وتهنئ الرئيس المزعوم صدام بالظفر والنصر، ولقد تأثرت الكويت وضاقت مصارفها في الأيام الثلاثة التي كانت قبل ضربها، ولكن الأمور رجعت بعد ضرب العراق للمرة الأولى على مجاريها واستمرت الأعمال في سيرها، وقد وصفت بريطانيا صدام بأنه ليس بحكيم ولا بعبقري، وإنما هو مغرور بخداع أتباعه الذين استغواهم بجهله وغروره، ولا يزال العقلاء يضحكون منهم فعندما قرروا أن لا صلاح للعراق ما دام صدام هو رئيسها.

زلزال يصيب اليابان

أصيبت اليابان بزلزال في ٧/٢٣ بلغ سبع درجات ونصف، وقد قرر الخبراء أنه أكبر زلزال يصيب اليابان منذ أحد عشر عاماً فكانت أربعة قتلى وثلاثمائة جريح وستين جريحاً.

رجعنا إلى ذكر العراق وما أوقعهم رئيسهم فيه من المتاعب والمآسي، فقد أنزلت أمريكا وحلفاؤها مهماتها في الحدود بين الكويت والعراق يعملون مناورات، وأنذرت أمريكا عقوبة العراق إذا لم تسمح العراق بنزول الطائرات الأمريكية بأراضي العراق للقبض على أسلحة العراق وإبادتها، فأذعنت العراق وسلمت مرغمة قبل نهاية الإنذار بنصف ساعة، وذلك لتعلم العراق الدرس، وكانت العراق تتظاهر بأن الغارة الأمريكية لم يقع منها ما يتوقع حدوثه، وهذا شيء من التحدي، إلا أن أمريكا لم تبين مهمتها بصورة قطعية عن الغارة على العراق، وقد ذكرنا الزلزال الواقع في اليابان وما نجم عنه بحيث تكسرت جسور وتهدمت منازل وانقطعت الطرق، فعياذاً بالله من بطشه ونقمته.

وفيها في ٨/٢١ انفجر بركان الفلبين فهلك بسببه خمسون مواطناً وشرد

خمسون ألفاً على بعد عشرات الكيلو مترات، وقد قامت الحكومة بتشريدهم خوفاً عليهم من هذه الداهية فارتفع الجو سحابة سوداء من آثار الدخان في السماء، وقد تكرر انفجار ذلك البركان، وكان تقذف حجارة ترتفع في الجو وتصيب من حواليه، أما عن العراق فإنه لما تولى الرئيس كلينتون تنفس صدام حسين الصعداء وجعل يتودد إلى الرئيس الجديد، ولما أن تنفس الصعداء رأى أن سياسة كلينتون مثل سياسة الرئيس السابق بوش، فأظهر التعاظم ورأى أنه لابد من المقاومة، فأطلقت أمريكا عليه سبعين صاروخاً من البحر الأحمر ومن مياه الخليج فدمرت تلك الصواريخ ما في منطقة القتال بين العراق والكويت، وأصابت صواريخه وقضت عليها، وأصابت الرادار العراقي وأصيب فندق في العراق بتدمير دورين منه، وبعد ذلك خضع مرغماً وسمح لقوات الحلفاء بالتفتيش عن أسلحة الخائن وهو يتجرع غصص الحياة، وكانت أمريكا تريد بذلك أن تحصد شوكته، على رغم أنفه، ولقد طلب حسين الصلات بينه وبين فرنسا فلم تجبه كما أنه طلب من بريطانيا فلم تسمع منه وكان يتسلل إلى العراق من إيران أناس مخربون، ولكنه بعث إلى إيران يتهدد قبل نشوب الحرب بينهما، وكما أن تركيا تسرب إلى العراق أناس منها إلى شرقي العراق بقيادة، قد انقطعت يداه من كل تسعين ومعين، وهكذا فإن فرس الباغي عثور.

وفيها هب إعصار في بنغلادش نجم عنها تلف مئات الأرواح هناك وتشريد عشرين ألفاً، وذلك في الصباح الباكر من يوم ٢٩/٨ وقد تضرر السكان وانهدم بعض الجسور، وكانت سرعته شديدة.

وفيها اندلعت ثورة في أنغولا وذلك في ١٥/٨ فقتل بسببها في شهر واحد عشرون ألفاً وشرد مليون من السكان، ولا تزال نيران تلك الفتنة مستعرة.

كما أن الصومال لا تزال حتى ٥/٩ من هذه السنة.

كثر الكلأ والعشب في منطقة القصيم وتوالت هطول الأمطار عليها، وكثرت الكمأة والأقط، وخرج الجراد في المملكة العربية السعودية فبلغت هذه الأشياء

بقيمة باهظة، ولبعد المدة بالجراد أقبلوا على شرائه كما أنه في بقية يومين من العقرب الثالثة توالى هطول الأمار وكثر، سبحان القادر على كل شيء، ولقد تراكمت السحب على فضاء منطقة القصيم بحيث توالى هطول الأمطار أربعين ساعة لم يتوقف المطر، وكان ذلك من دون رعود ولا بروق.

ولما أن كان في ١١/ ١٠ من هذه السنة ١٤ من برج الحمل توالى هطول الأمطار برعود وبروق على سائر القصيم والزلفي والجمعة وسائر سدير بحيث كان الناشئ ينشأ في وقت صلاة العصر من كل يوم بظلمة وصفرة، واستمر كذلك سبعة أيام، وقد يكثر هطول الأمطار بحيث تعطلت حركة المرور وامتلأت البرك وكثر العشب بصورة لا تبلغها العبارة، وكثر الأقط والسمن وظهر الجراد وبيع بأثمان باهظة بحيث بيع الكيس بأربعمائة ريال، ومن العجائب أن حبات الكمأة بلغ بعضها خمس كيلو غرام وبيعت حبات بألفي ريال، وبهذه القيمة الباهظة فإن الأمة يسارعون إلى الشراء ويتسابقون، وبلغ كيلو السمن في مدينة حفر الباطن بمائة ريال، وبلغت قيمة السمن الطيب مائة ريال وثلاثين ريال أعني كيلو غرام، وحدثني بعض أهالي مدينة الحفر بذلك.

المسلمون يعذبون في مشارق الأرض ومغاربها وقد ذكرنا ما يلاقي المسلمون في البوسنة والهرسك وكشمير من أذية النصارى وكفار الهندوس في الهند وسائر أفريقيا، ووصلهم البلاء والتعذيب في مصر فقد قام أعداء الإسلام هناك بادعاءات بأن هناك أناساً مسلمين متطرفين لا يحلقون لحاهم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، نعم هذه حالة الرسل وأتباعهم، فجد الأعداء في طلب المسلمين وألزموهم بحلق لحاهم، وإن من وجدت له لحية فهو ضد الثقافة والإسلام، وقتل من قتل وأجريت أعمال شاقة على المسلمين الآخرين، وإنها لحالة سيئة وبادرة سيئة، نسأل الله العافية، ولقد جدَّ اليهود والنصارى في تضليل الأمة الإسلامية وألصقوا بهم التهم، وعذب المسلمون وابتلوا في أفريقيا والهند والسند وغالب الممالك التي أحاط بها الكفار ومن والاهم، وأصبح دين الإسلام يلاحق ملاحقة، ولقد كانت المملكة

العربية السعودية مأوى لكل من يصل إليها لطلب الراحة من المسلمين في سائر المعمورة، نسأل الله تعالى أن يثبت حكامها ورؤسائها على دين نبيهم محمد ﷺ وملة أبيه إبراهيم عليه السلام.

وفيها في ٣/ ١١ أصيب حي العمال بلندن بانفجار عنيف من آثار قنبلة سبب ذلك خسائر فادحة في الأموال المادية بحيث تلف مالا يقل عن مائة مليون، وهلك رجل وجرح مائة نقلوا إلى المستشفيات.

وفيها في ٤/ ١١ هبَّ إعصار في أمريكا دمرَّ مائة منزل هذا ما أذاعته الإذاعات، ويظهر أن الأمر أشد من ذلك.

وفيها في ١٥/ ١١ قتل رئيس سيرلنكا بعبوات فجرها شاب في الرابعة عشرة من عمره جاءه وفجر به العبوة فتمزق لحم الرئيس، ولم يسلم الشاب بل عمته المتفجرات فهلك كما هلك الرئيس، وكان الشاب قد جاء على دراجة سيكل متذرعاً بأنه يحبه ويستقبله ثم ينفذ تلك الخطة فيه.

وفيها هبت رياح في واشنطن مصحوبة برعود فكسرت الأشجار، فأصيب شخص فيها فقتلته وكان ذلك في ٢٢/ ١١ من هذه السنة.

تنبيه: ذكرنا فيما تقدم من حوادث هذه السنة ما منَّ الله على نجد من هطول الأمطار تتوالى نزولها ولا سيما على القصيم وسدير، ونتج عن ذلك أعشاب عظيمة لم يعهد مثله منذ زمن طويل، وكانت معدات القهوة والأباريق قد تختفي من بين تلك الأشياء، وقد حدثني بعض الأصحاب أنهم ذهبوا لنزهة وفرجة فوصلوا إلى موضع يبعد عن هجره قبة ثماني كيلو متر شرقاً بغرب، تختفي السيارة من بين تلك الأشياء، واستمر نزول الأمطار إلى حلول الشمس في برج الجوزاء مصحوبة ببعض الأحيان ببرد ورعد وصواعق، واستمر ذلك بصورة مستمرة، وقد يوجد الرياحين، وكانت مدينة الرياض قد حظيت كغيرها من مدن المملكة جعلها الله أمطار خير وبركة.

وفيها في ١٧/ ١١ بدأ العمال من شركة بن لادن في هدم جامع مدينة بريدة لتوسعته وذلك بعد نزول أمر الملك فهد بن عبدالعزيز وعلى نفقة الحكومة، وهذه

تكون إلى جهة التوسعة، ولما أن صدر الأذن بذلك قبضت الجهة المسؤولة على أبوابه ونوافذه ومكيفاته والمراوح والنجفات والثريات، وأخذ الفقراء في أخذ رخامه والبلاط، وقام أهالي الدكاكين التي بجانبه تثمن بقيمة باهظة بالخراج وبيع ما تحتوي عليه تلك الدكاكين من البضائع الثمينة، وباعوا بأثمان رخيصة ليصفوا بضائعهم، وحصلت من الأمة أن اجتمعوا للشراء، فكانت تلك الوسعة آية في الزحام، وسمع لهم لجبة عظيمة لم يعهد مثلها.

عمارة جامع بريدة عام ١٤١٣هـ

لما أن لبثت عمارة الملك سعود ستاً وثلاثين عاماً لم تتأثر بمللٍ أو كلل هدمت عمارته لتوسعته وإعادته من جديد على الطراز الحديث، فتقدمت لذلك مؤسسة بن لادن إذ هي أعظم مؤسسة في المملكة العربية السعودية، ولما شرع الهدم في ٢٢/ ١١ أحضرت المعدات الحديثة للتكسير والهدم بمشقة عظيمة ولا سيما المنارة القابعة في الجهة الشمالية الشرقية بحث أقيمت من الحجارة والصبات، وذلك أنهم لم يتوصلوا إلى هدها إلى بعد كلفة ومشقة، وبعثت الحكومة رجال الأمن لحماية النفوس، وفي ٧/ ١٢ استطاعت المعدات الحديثة أن تسيطر على سائر هدم الجامع بعد مشقة وكلفة لأن العمال لم يستمروا بالهدم بالدناميت حفاظاً على الأرواح والبنايات المجاورة للمسجد الجامع، وقد ردمت الخلوة كغيرها من الخلوات للمساجد القديمة نظراً إلى أن المكيفات تقوم بتلطيف الجو شتاءاً وصيفاً، ويا ليتها لم تردم لما فيها من المصالح والسعة التي قد تكون على قدر كبر المسجد، ولكن الجهة المسؤولة رأت ذلك والأمر بيد الله تعالى.

ذكر أمطار تجتاح مدينة الخرج

لما أن كان في خامس شهر ذي الحجة هطلت أمطار على الدلم لم يعهد مثلها منذ إحدى عشرة سنة فدمرت مدينة الدلم وخربت المزارع، وهدمت البيوت هناك، وذلك أن الأودية اجتمعت في وادٍ واحد، وتعتبر هذه كارثة من قوارع الزمان.

حرباً في الصومال

لما طال النزاع في الصومال قام حزبا تنازع السلطة هناك فتدخلت الأمم المتحدة للوقوف أمام هذا التيار الجارف، فلم يزد ذلك التدبير شيئاً، وقام الرئيس هناك وقتل ٢٣ جندياً باكستانياً مساندين لرجال الأمم المتحدة مما زاد الأمور توتراً، فعند ذلك صدرت الأوامر الأمريكية إلى رجالها البالغين ألفي مقاتل، وكانوا يدربون في مدينة الكويت بأن يركبوا المراكب الهوائية وهي طائرات هلوكبتر ويتوجهوا لضرب المتمردين في الصومال، ولما أن كان في اليوم ٢٤ من ذي الحجة من هذه السنة قصفت القوات الأمريكية المتمردين في الصومال وأمطرتهم وابلاً من القذائف النارية فتوالى ضرب الطائرات حتى كانت القنابل تتساقط كتساقط حبات المطر مما سبب إصراراً على مواقع الرئيس المتمرد، وهددت بأن بقية الطائرات سترسل للإبادة والتنكيل بالمتمردين، وكانت الحالة سيئة على المتمردين بحيث كانوا في شر حالة، وقد تهدم قصره من ضرب القنابل، وقامت القوات الأمريكية تطارده وتلاحقه، فقد قيل أنه اختبأ في إحدى المستشفيات ولا تزال القوات الأمريكية في طلبه، وهكذا عاشت الصومال منذ سنتين وثلاثة أشهر بشر حالة.

كما أن البوسنة والهرسك بحالة حصار وتضييق وتشريد وأذى من الصرب ومن والاهم، وانضم إلى الصرب كفارٌ آخرون فكانوا يداً واحدة على المسلمين تمدهم روسيا علناً وبريطانيا وفرنسا، وكان رئيس البوسنة علي عزت يبذل جهوداً جبارة لدى مجلس الأمن ويطالب بالحقوق الإنسانية، ولكنها صرخة في وادي خالٍ من البشر.

ثم دخلت سنة ١٤١٤هـ

ففيها في يوم الأحد ٧ محرم قامت أمريكا وأطلقت على العراق ثلاثة وعشرين صاروخاً من طراز كروز، وذلك من البحر الأحمر ومياه الخليج، وجعلت هدفها

الاستخبارات العراقية وذلك انتقاماً منها لما أراد أحد عشر عراقياً وأربعة كويتياً اغتيال الرئيس السابق بوش في زيارته للكويت، وبعد التحقيق ثبت أن الذين دفعهم إلى ذلك الاستخبارات العراقية فأرادت أمريكا القضاء على ذلك المبنى وتدميره وهدمه وإهلاك موظفيه، وكانت هذه الصواريخ تهتدي إلى هدفها الذي أرسلت عليه بحيث قيل أنها تستطيع أن لا تمس شيئاً إلا ما أطلقت عليه، فدخلت مع النوافذ وسببت دماراً عظيماً في الأرواح والمباني والمكاتب، وكانت قد أرسلت من دون سابق إنذار فقامت العراق تحتج لدى مجلس الأمن والأمم والمتحدة على مهاجمة أمريكا للعراق وخدمة المخلصون له، وترك العراق يتلمظ جوعاً وأمراضاً وفقراً، إن العراق كان منذ زمن يعيش تحت الرعاية البريطانية في زمن فيصل بن الحسين الشريف وابنه غازي بن فيصل وابن ابنه فيصل بن غازي الشاب المخلوع المقتول، ولما أن قام عبدالكريم قاسم بثورة ١٣٧٧ هـ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٧ تحولت العراق من ملكية إلى جمهورية ترأسها عبدالكريم قاسم كما سمعنا، وتوالى عليها ثورات وكانت تعيش في زمن الحماية البريطانية في رغد من العيش وطمأنينة وأمن، وتعتبر بغداد عاصمة العراق من أعظم المدن في رخاء العيش، ولكنها بسبب الثورات التي جرت من عبدالسلام محمد عارف وبعده آلت الجمهورية إلى حسن البكر، ولما أن اغتصب صدام حسين عرش العراق بالقوة والظلم سبب عليها نكبات دمرتها وألحقت بها أضراراً لغزوه إيران وما جرى من المذابح والأهوال، ثم أوقعها في مهالك لما احتل الكويت وطرد أهلها فسلط الله عليه أمريكا وسامت العراق سوء العذاب، بحيث دمرت العراق وهدمت مبانيها وانتهكت حرمتها وأصبحت بحالة يرثى لها، ولا تزال مهددة بالأخطار بأسباب رئيسها الحالي صدام حسين، ومن العجائب أن الله عز وجل ابتلى تلك الحكومة برجل زين له سوء عمله، ولا تزال الحكومة في كل يوم بنقص وتأخر في الحياة، وقد حاول أهل العراق اغتياله مراتٍ عديدة ليستريحوا من شره ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها،

وكان قد اعتصم بمخبأه واحتمى بدروعه وهم ثلة من المغترين به وشعبه يتضور من مرارة العيش وسوء الحال، وكانت أمريكا قد عاملته تلك المعاملة وإن كانت تستطيع القضاء عليه لتذيقه الحسرات ومرارة الحياة، وكلما أنشأ أسلحة ضد الجيران أتت عليها ودمرتها وهو ينظر إليها، قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة:١٦٧].

وفيها لا تزال العمال يكدحون في عمارة المسجد الجامع الكبير في مدينة بريدة، وقد أحضرت المعدات والتركتورات والشيولات وآلة الحفر وما يطلبه الوضع، وقد استهلت هذه السنة والأمم لا تزال في زعازع وقتال واختلاف فهذه مصر يجري فيها تفجيرات والغام قد تكون بمن كان يسكنها من غير أهلها، وأفغانستان بينهم فتن وشر مستطير، والجزائر في حالة سيئة، والمسلمون يعذبون في الهند بكشمير من الهندوس، والصومال كما ذكرنا، والعراق كما مرَّ معنا، واليمن يشكون من الجوع والفقر، وبما أن مئات الألوف منهم كانوا يعيشون في السعودية سابقاً فقد رجعوا إلى بلادهم اليمن عاطلين عن العمل، وعمّان الأردن في حالة قلة فيها الألوف عاطلين عن العمل، وهم في حالة جوع وإملاق، قد انقطعت مصالحهم التي كانوا فيها.

ولما أن كان في يوم الثلاثاء ٩/ ١ أطلقت أمريكا أيضاً ثلاثة صواريخ من طراز كروز من مياه الخليج على محطة الرادار العراقي فدمرته تدميراً، وكانت هذه الصواريخ تضرب الأمثال بقوتها وشدة تدميرها وعجائب هدايتها إلى نفس الأهداف التي أرسلت عليها، ومن سوء حظ العراق أنها وجهت صاروخاً على طائرة ظناً منها أنها أمريكية، فلما وقعت على الأرض محترقة إذا بها عراقية، فأصيب بخسائر أولاً وبتدمير أميركا موضع الاستخبارات في العراق، ثم دهم محطة الرادار العراقية ثم إحراقهم طائرتهم غلطاً، وهذه من النكبات التي عوقبوا بها بشؤم خياناتهم ومكرهم واعتدائهم، ولا تزال أمريكا تمحق الأسلحة العراقية وتدمرها علناً على رغم أنوفهم، وتذيقهم أنواع الانتقام والإهانات والتضييق

عليهم في معيشتهم وتسومهم سوء العذاب، فانظر أيها اللبيب العاقل وتلمح بعين البصيرة عاقبة البغي والاستطالة والكيد والمكر والخيانة، يقوم عدو لدود على حكومة من جيرانه بعدما فرغ من الأولى ذات اليمين بعد مضي ثمان سنوات عليها بضربها بالنار والحديد، ثم يلتفت إلى ذات الشمال ويهتك حرمتها ويدمر بنيانها وأهلها غافلون، ويطردهم فيفرون كالوحوش في البراري والأنعام السائمة بأسوأ الأحوال تاركين بلادهم وأموالهم، وقد هتكت أعراضهم كما ذكرنا وسولت له نفسه بأن يجعل الكويت ميناء للعراق على ما تقتضيه تصوراته، وقد فرَّ سكان الكويت كأنهم وحوش في الصحارى لا يلتفت أحد على أحد، ثم تقتضي إرادة الله فيرجعوا إلى وطنهم سالمين، ويدير الله الدائرة على العدو ويسلط عليهم من هو أقوى منهم فيرجع العدو على أعقابهم خائبين يجرون أنواع الهزيمة راجعين بخفي حنين، وشتت الله شملهم وباءوا بالخزي والعار، وشتت الله شمل العدو، ولما سلط الله عليهم أكبر دولة على وجه الأرض فاستردوا منهوباتهم، وبينما أن العدو يحلم بالسيطرة على العالم إذا به ذليل خاسئ متحير قد ثار عليه شعبه وتجرأ وتفلتت من يده جميع أنواع الحيل، وأصبح ذليلاً مقهوراً في عقر داره، وفي ذلك عبرةً لمن يخشى.

نكتة غريبة وكائنة عجيبة

لما شرع المتعبون في حفر قواعد الجامع الكبير في مدينة بريدة عثروا على مدافن في الأرض حيث وجدوا الحفر مملوءة بالفضة وهي من الريالات الفرنسية المتداولة بأيدي الناس من سكة الدولة العثمانية، وريالات من النقود الفضية السعودية التي كانت بدلاً عن الأولى في سنة ١٣٥٩هـ، ولما علمت الشركة بذلك قبضت عليها وسلمتها للإمارة في بريدة، وينتظر فيها من الناحية الشرعية، نعم كان في تلك المواضع كنوز، وكنت أذكر أنه لما عمرَّ المسجد الجامع المذكور عام ١٣٥٩هـ وجد كنز من الكنوز لم يعلم من عثر عليه، غير أنه وجدت آثاره في حائط من حيطان

التوسعة، فالله أعلم بمن وجده، غير أنها أصبحت آثاره موجودة في الحائط، وقد تضيع أموال بهذه الصفة في الحيطان يضعها أصحابها في مواضع لحفظها من السرقة فيموت أصحابها وتغمر آثارها كما هلك إنسان بحادث سيارة، وبعد ما خلصوا من دفنه كانت عائلته في البحث عن نقود بين يديه حتى اهتدوا إلى سؤال زوجته، فجاءت بفاس ووقعت علامة بيضاء في الحائط، فحفروها فوجدوا فيها أربعة وعشرين ألفاً، ثم ذهبت بهم إلى موضع آخر معلمةً بعلامة وقالت احفروه، فوجدوا في ذلك المخبأ سبعة آلاف، وكان لم يخبر بها سوى زوجته، وقد تضييق حيلة الإنسان بحاله إذا لم يكن له عقب، ولا يرثه إلا الكلالة، كما ذكر الحافظ ابن الجوزي رحمه الله أن عجوزاً لما كانت في سكرات الموت جعلت تبتلع دنانير لها فعلمت بها صبية، وأخبرت بخبرها، فلما توفيت قاموا بكسر عظامها بعد موتها بشهر فوجدوا الدنانير فيها قال: وكان رجل ليس له وارث قريب، فلما كان في مرض الموت جعلها في طين وعلقها لبناً ثم أوصى بأن يجعل اللبن في سقف لحده، وقال إني أخذت تراباً من المسجد فجعلته لبناً تبركاً في تراب المسجد، فلما بنوا اللحد بقيت سنة فجعلوها إحدى الفضائل للقبر، فلما ضربها السيل تفككت عن دنانيرها فأخرجوا اللبن وكسروه فوجدوه مملوءاً بالدنانير، نسأل الله العافية.

فيضانات في أمريكا

لما كان في ١/١٩ من هذه السنة أصيبت أمريكا بفيضانات عظيمة هلكت ودمرت وأحدثت أضراراً عظيمة، بحيث قال الخبراء أنها لم يأتِ مثلها منذ خمسمائة سنة، والله على كل شيء قدير.

وفيها في صباح اليوم الثالث عشر من صفر أصيبت السودان بزلزال شديد شمال العاصمة الخرطوم فأهلكت هذه الهزة أنفساً بشرية، وهدت بيوتاً ودمرت شيئاً من الشبكة الكهربائية، أصيبوا بأضرارٍ فادحة فأصبحت تلك الهزة بلاء على

السكان من جهة، ومن جهةٍ أخرى هناك تقلبات وثوارث فيما بينهم، وكانت السودان قد أصيبت بمجاعة ونقص من الثمرات، وكثرة التقلبات.

ثورة في السودان

لما أن كان في اليوم العشرين من شهر صفر من هذه السنة وقعت الثورة في السودان ضد البشير بأن قام الجيش على الحكومة، وجرت مذابح عظيمة سقط منها خمسة وثلاثون ما بين قتيل وجريح، وشرد مائة ألف فكانوا بلا مأوى، واشتد الأمر وعظم الخطب، ذلك بأن غالب الشعب لا يريدون حكم البشير، ولما جرت هذه الفادحة طلب الرئيس البشير من الأمم المتحدة التدخل في الموضوع لإخماد هذه الثورة والقضاء عليها، وبما أن أمريكا ضد البشير وربما أنها تمد الشعب الثائر فإن تلك الضجة لم تجد أذناً صاغية، ولم تستجب الأمم المتحدة لذلك الطلب، فتأزمت الأمور جداً، ولما لم يكن الرئيس البشير على وفاق بين العرب لخيانته وتقلباته فإنه وقع في الفخ ولم يحسدوه على ما وقع منه، وبما أن الثورات عليه كثرت، وكلما خمدت ثورة تلتها أخرى فإنه وقع في حيرة، وربما أنه يسقط، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وفي كلام الحكمة: «من كثرت أعداؤه فلا يأمن مصرعه، وفعلاً قد لا يسلم.

وقد امتحنت السودان بالزلزال المتقدم ذكرها وبالثورات التي أضعفتها مضافاً إلى ذلك الفيضان الذي تقدم ذكره، وكانوا يعيشون حينما انضمت السودان إلى مصر في أيام الملك فاروق برغد من العيش، ولكنها بليت بالثورات والتقلبات التي أضعفتها، وثار الجنوب ضد الشمال وحصل شقاق ونزاع، وقد قال الله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ ولقد أحسنت المملكة السعودية إلى السودان وأرسلت إليها إعانات منها ثلاثة مستشفيات، ولكن الجميل كان ضائعاً بمثلهم، ولكنه لا يضيع الإحسان عند الله وإن ضاع عند بعض الناس كما قيل:

من يفعل الحسنات الله يشكرها　　　لا يذهب العرف بين الله والناس

وفيها في ٢/١٥ حشدت إسرائيل قواتها على أهل لبنان وضربت طائراتها ومدافعها بالقنابل الصاروخية الأهالي فسقط مائة وثلاثون من أهالي لبنان، وأصيب أضعافهم فسقطوا جرحى فقامت لبنان تحتج لدى الأمم المتحدة وضجت من أفعال اليهود، ولما لم يردعوا رجعوا ثانيةً ليهجموا على لبنان وقراه، والعياذ بالله ومن أمن العقاب أن يعمل ما شاء.

كما أنه قام حكمتيار في أفغانستان فأطلق صواريخ على مدينة كابل فأصيب أناس وجرح آخرون، وقد احتجت حكومة كابول على من أطلقها وحملوه المسؤولية.

الفراغ من توسعة مسجد المدينة المنورة

في أوائل هذه السنة فرغ من توسعة حرم رسول الله ﷺ فأصبح المسجد كبيراً جداً إلى درجة لم تقع منذ قيامه، وكانت بشكل رائع لم يسبق له نظير، وكانت هذه التوسعة قد ظهرت بمظهر لا يبلغ الوصف قدرها حتى يشاهد بالعيان وبهذا الوضع فإنه أصبح يتسع الواردين إلى المدينة من سائر المعمورة، ولقد جدَّ الملك فهد بن عبدالعزيز بتطريز هذه التوسعة التي كلفت ملايين النقود بزيادة. وإن أرضية تلك الزيادة معزز برخام ملون بشكل بديع، ويخرج من قواعد الأعمدة أنفاس المكيفات بطريقة لم يسبق لها نظير، وإذا دخلت من أبواب التوسعة فإنك تضيع ولا تهتدي إلى الروضة الشريفة والقبر الشريف إلا بسؤال بحيث لا تكاد تهتدي إلى ذلك، وذلك لكثرة ميادين تلك الزيادة، وهدت بيوت خارج المسجد لإقامتها على الطراز الحديث من الجهة الغربية، وشمل الهدم ما حوالي مسجد الغمامة ومسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى أصبحت جميع البيوت المحيطة بالمساجد هناك قد أزيلت، وبقيت المساجد يؤذن وتقام الصلاة فيها، وهذه الزيادة وإن كانت لا تمتلئ بالمصلين فإنه يأتي يوم في مواسم الحج والعمرة مكتظة بالمصلين، وكانت توسعة الملك عبدالعزيز يرحمه الله كرقعة صغيرة فيها، وقد بلغت مساحة المسجد النبوي بعد التوسعة الأخير يبلغ

مائة ألف متر مربع وسبعين ألف متر مربع، هذا ما رأيته وشاهدته في زيارة مسجد رسول الله ﷺ في يوم الجمعة ١١/ ٢ عام ١٤١٤هـ.

ذكر موجة حر

لما كان في برج الأسد ابتداء من خامس شهر صفر اشتد الحر جداً وعظمت حتى ارتفعت درجة الحرارة في الرياض وبريدة إلى ٤٦ درجة، وهذا شيء نادر الوقوع وارتفعت درجة الحرارة في مدن الخليج إلى ٥٥ درجة، وانصرف الناس جملةً في الليل إلى النوم في المنازل بحيث المكيفات إذ لم يستطيعوا النوم في السطوح، أما في منتصف النهار فقد مات الناس في بعض مدن الخليج، وكنت خرجت وقت الظهيرة في المدينة المنورة إلى الشارع للركوب والسير منها إلى القصيم فإن الشوارع لا يكاد يجلس بها، إضافةً إلى ذلك جديد السيارات، واستمر الحر بشدة حتى تأثرت السيارات من ذلك، وأن الحكومة أيدها الله جعلت مصائف للأمة في الطائف والباحة وأبها مما دفع الأمة إلى الاستراحة فيها، وقد تأثرت درجة الحرارة ليلاً في الباحة إلى عشر فوق الصفر مع هطول أمطار، وقد وجدت فيها خدمة للمواطنين بتلك الجبال من مجالس وحدائق وما يتطلبه الوضع، وتطمئن النفوس إليه فيها.

إعصار يصيب اليابان

لما كان في اليوم ٢٣ من صفر أصيبت اليابان بإعصار لم يعهد مثله بحيث هدمت أرض الإعصار وتكسرت وأصيب ما مرَّ عليه وسقط مالا يقل عن مائة وخمسين شخص هلكى، ونزح عشرة آلاف من المنطقة عقب ذلك الإعصار الشديد بقوة خارقة تتلاشى دونها القوى البشرية، وقد قرر الخبراء أن هذا الإعصار أشد إعصار سمع به في أقطار الأرض، ويمكن أن يكون مشاركة بركان ينفجر.

نقم تصيب قوات أمريكا في الصومال

لما كان في ١٩/ ٢ انفجر لغم أرضي تحت سيارة أمريكية في الصومال فأصيب أربعة جنود ثلاثة قضوا حتفهم والرابع على وشك الهلاك، فجن جنون أمريكا لهذا الحادث وقامت بالتفتيش والبحث والتدقيق للتوصل إلى مدبر ذلك الحادث،

تركيب كاميرات أمريكية

لما كانت أمريكا تبعث رجال الأعمال التفتيشية عن حركات الطاغية العراقي شق عليها كثرة تردد الهيئات فيها على العراق لإبادة سلاحها فأرادت أن يجعل كاميرات تكشف عن إيجاد سلاح إبادة فيها فمانعت العراق من ذلك، ولكنها رضخت مرغمة لأوامر أمريكا، وفي كلام الحكمة: «لا تخاصم من إذا قال فعل»، وقد رأت أنه لا فعل لها بصواريخ أمريكا التي ترسل عليها فتهتدي إلى النوافذ والأبواب، وركبت تلك الكاميرات التي ترى أمريكا منها أهالي العراق، وذلك في ٢٠/ ٢ من هذه السنة، ولقد كانت العراق لا يسعها إلا أن تخضع لتلك التدابير على مضض، وكانت لا تستطيع أن تهاجم أمريكا بالكلام أو سوء المعاملة لما تخشاه منها، ولكنها لهمجيتها تركز الملامة على السعودية، وكأنها فعلت هي ذلك، وقد قيل فيها وفي أفعالها والأمثال تضرب للناس:

وكم معرضٍ والناس ما عنه أعرضوا ... إلا أن من أشرارهم قل من سلم

ولما أن رأت بريطانيا سقوط الدولة العثمانية وطردها من الحجاز لتضع الحجاز تحت إمارة حسين بن علي الشريف، ألقت المناشير على مدينة جدة ونصحت لقوات الدولة العثمانية بأن يسلموا وأن من الحكمة أن يقبلوا ذلك، فقالت: إذا لم يسلموا فسنصب عليهم القنابل من السفن الهوائية ومن البحر والبر، وقالت في معرض كلامها: إني أنصح لكم أن تسلموا قبل أن تبادوا عن آخركم، وإن الرجل المضطر يركب الصعب من الأمر، وهوا عالم بركوبه، ويتجاوز الأدب وهو كاره بتجاوزه، فلا تلقوا بأنفسكم في التهلكة الخ، ولله الحكمة في جعل أمريكا بنحر

العراق وطاغيته فيما أنه سلط على الكويت فإن الله سلط على العراق أمريكا يقضها قضيضاً، وهو البلاء.

انهيار فندق

لما كان في ليلة الجمعة ٢/٢٥ انهار فندق في تايلاند فسبب أضراراً عظيمة، وكان ضحية ذلك هلاك مئات من سكان الفندق الأمر الذي فقد من أهله عشرات تحت الأنقاض، وقتل وجرح من جراء ذلك خلائق كثيرون، وكان ذلك الفندق ينذر قبل انهياره بالهلاك والدمار، وتعتبر هذه الورطة من أعظم ما مرت بالحكومة التايلاندية، نسأل الله السلامة والعافية إنه جواد كريم.

وفاة أمير من الأمراء

لما كان في يوم الخميس ٢/٣ من هذه السنة توفى صاحب السمو الأمير سعد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل تغمده الله برحمته، وصلى عليه جمع كبير على رأسهم الملك فهد والأمراء أصحاب السمو والمسلمون، كان له أنجال من بينهم نائب أمين منطقة القصيم سابقاً محمد بن سعد، ثم جاءت التعازي للملك فهد بن عبدالعزيز وولي عهده عبدالله بن عبدالعزيز والنائب الثاني سلطان بن عبدالعزيز وسائر أخوته، وجعلت البرقيات تتبادل من نواحي المملكة وغيرها من الممالك، وله أنجال آخرون، فسبحان الله، وكان هو السادس من أنجال الملك المغفور له عبدالعزيز الذين توفوا بعد وفاته رحمهم الله وعفا عنهم.

محاريب المسجد الحرام تنعى إمامها

في يوم ٢/٢٨ يوافق الاثنين من هذه السنة توفى عبد الله الخليفي رحمه الله وعفا عنه، واختطفته أيدي المنون، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم العابد عبد الله الخليفي إمام المسجد الحرام خمسين عاماً، ولد في مدينة من أعمال القصيم وتلقى علومه من علماء أهل بريدة وأخذ عن الشيخ

محمد بن مقبل، وعن الشيخ عبدالله بن محمد بن سليم، وعن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، ثم ذهب إلى مكة المكرمة فأتم دراسته هناك، وجد واجتهد، ثم كان مدير المدرسة في مكة، واستمر في هذه الإدارة حتى توفاه الله تعالى، ثم إنه تولى إمامة المسجد الحرام خمسين عاماً أي نصف قرن، وكان محبوباً، وهو الذي يتولى ختم القرآن ليلة الختم في صوت حسن وبكاء وخشوع، وإذا تمت الصلاة من ليلة الختم فإن الخلائق المجتمعة في المسجد الحرام يكادون يقتتلون للسلام عليه، وربما قامت الشرطة لحجز المزدحمين عليه، وكن طوالاً يستعين بالعصا وعليه ملبوساته الشماغ والمشلح، ويلقي دروساً ويعظ وينصح، وكانت ولادته في عام ألف وثلاثمائة وسبع وعشرين على الصحيح، ويحب الاصطياف بالطائف، وقد حزن المسلمون لموته، فقال بعض العلماء هذه رنة أسف لوفاة الشيخ عبدالله الخليفي، وقال بعضهم: يا للأسف أنه توفى والد الأئمة في المسجد الحرام، الناسك الفقيه، وقال عند أحد مؤذني المسجد الحرام: فقدنا الصوت الشجي والعالم الوفي والمربي الفاضل، والكاتب الإسلامي، كما أثنى عليه سائر أئمة المسجد الحرام، ودعوا له بالمغفرة والرحمة، نهض إمام المسجد الحرام وخطيبه، وكان إذا لم يؤم فيه فإنه يصلي خلف الإمام ولا يتأخر عن الصلاة مع الجماعة، وقد كان بين الأئمة كالوالد لديهم.

وفاة صاحب السمو الملكي فهد بن عبدالله

بن سعود بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن رحمه الله وعفا عنه، قالت جريدة المدينة المنورة في إحدى صفحاتها: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضيةً مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾، ﴿لكل أجل كتاب﴾، ﴿كل نفس ذائقة الموت، ثم إلينا ترجعون﴾، ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم وأولئك هم المهتدون﴾ بقلوبٍ راضية بقضاء الله وقدره يتقدم المعزون بأحر التعازي القلبية المخلصة وصدق المواساات إلى خادم الحرمين الشريفين، وولي عهده والنائب الثاني وسائر الأمراء

أصحاب السمو وأولادهم لوفاة الفقيد فهد بن عبدالله بن سعود رحمه الله وعفا عنه، وكانت وفاة الفقيد يوم الأحد الموافق ٢٧/ ٢ من هذه السنة.

حريق بمكة

في يوم ٢٨/ ٢ شب حريق هائل بسوق الغزة بمكة المكرمة نشبٌ هذا الحريق بصفة قوية وقامت ألسنة اللهب تزمجر في الجو مما أحدث الرعب بكل من حول هذا السوق، وأحدث خسائر عظيمة، غير أن الله تعالى وقى الأرواح فما أصيب أحد من هذه الحادثة، وكان الأمير يقول: إنه لا خسائر في الأرواح هكذا كان سمو الأمير بالنيابة سعود بن عبدالمحسن يبشر بذلك، وقد أتت النيران على الرطب واليابس، غير أن الله وقى من شرها، وقد قام رجال المطافئ والدفاع المدني بإخماد الحريق والقضاء عليه بصفة عاجلة، فلله تمام الشكر بحيث كان العطب في الأموال لا بالأرواح، وكان مصيبته دون الأرواح، وما زال الرسول ﷺ يحذر من النار بقوله: «إن هذه النار عدوٌ لكم فإذا نمتم فأطفؤها» وكان وقوع الحادث ظهراً من يوم الاثنين في اليوم المذكور، وقد حدثني من رأى الحريق أنه بصفة هائلة في تلك الدكاكين.

قتال

وقتال في شهر ربيع الأول استبد بين أرمينيا وبين أذربيجان، وذلك لأنه لما سقطت روسيا قامت الأمة المسلمة هناك تتخلص من الشيوعية الكافرة فنشب قتال عنيف بين أذربيجان وبين أرمينيا فأطلق كل من المتحاربين القذائف الغازية والقنابل، وحمى الوطيس واشتدت الحرب وتفاقم الأمر بما لا طاقة للبشر.

وكانت الصومال قد نشأ فيها بين الأهالي قتال تأزمت الآراء، وكان المسلمون قد لحقهم الضرر ولم يقتصر البلاء عن أن يشرك الفريقان المتحاربان، فكثرت إراقة الدماء في الحكومة، وأرسلت إلى الولايات المتحدة للكشف عن هذه الهجمة، والتف مقابلها على العدو وضربت قصره ومساكنه، ولكن تلك المحنة لم تهدأ نيرانها

بل امتد لهيبها بين الأهالي وقد جعلت أمريكا لمن هداها إلى النصر على الرئيس، ولكن لا يزال بماكر ويراوغ روغان الثعالب، وكانت الأمة الصومالية فريسة لهذه الحروب الضارية وانتشرت فيهم الأمراض والمشاغب إلى قدر لا يكاد يعبر عنه الوصف، ولا تبلغه العبارة.

ولما أن بلغت مشكلة فلسطين الذروة التي امتدت مخلبها وقتلت الأنفس برضا أعداء الدين والله وهم اليهود، رأى أهالي فلسطين برئاسة ياسر عرفات أن يقبلوا حكماً ذاتياً لعلها تسكن الأحوال وتهدأ الأمور، ولقد باشرت أمريكا وحليفتها اليهود وبشروا لذلك ووعدت اليهود أهالي فلسطين برد جميع المبعدين إلى موطنهم المغصوب، ولكن هذا الصلح لم يرق عند العرب جميعاً، ولقد رأوا أن هذا الصلح فيه إجحاف بحق العرب، ولكن عقلاء فلسطين قاموا يرحبون بهذا الصلح وما لا يدرك كله لا يترك كله.

عدم التقيد بالمسافة يسبب الحوادث

لقد كثرت الحوادث التي سببت الهلاك والدمار على الأمة بسبب الشباب الطائش، حتى لقد كان بسكان الهند يتجاوز عددهم أكثر من سبعمائة مليون منهم عشرة ملايين معوق من الحوادث، وقد كان ينبغي أن يتذكر الإنسان إذا حرك المحرك في سيارته للسير أن أهله وأطفاله ينتظرون رجوعه، فينبغي له أن يحرك العاطفة ويسترعي للطف والرفق بنفسه وأن لا يكون سبباً في هلاك الغير، وما التوفيق إلا من عند الله.

عود على بدء

ذكرنا قريباً شيئاً عن الصلح الذي يكفل لأهل فلسطين عدم اعتداء اليهود الذين اغتنموا فرصة الانتفاضة بحيث قاموا ضد الأهالي يطلقون عليهم النيران ويقتلون ويهدمون، ولما أن كثر القتل في العرب وامتلأت السجون اليهودية بهم رأى ياسر عرفات ومن انضم إليه أن يوضع حد لذلك، وقام غالب العرب والدول

الكبار يستبشرون بذلك الصلح، ووعدت أمريكا بمساعدات لأهل فلسطين ورأوا أنها خطوة عالية لعل الحرب أن تضع أوزارها وهللت مصر ورفعت السعودية إلى الأمم المتحدة امتنانها لذلك، ولكن كيف يهنأ العيش والقدس تحت سيطرة اليهود، والمسجد الأقصى لم يحرر من ذلك الاغتصاب، وأملنا عظيم أن يكون صلحاً كصلح الحديبية، هذا ما حصل ولكن كيف يصنع ببقية ملوك العرب وبعض رؤسائها الذين لم يؤيدوا هذا الصلح ولم يقرّوه، ورأوه أنه إجحافاً بحق العرب حيث خسروا القدس الشريف والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث المسجدين، وقاموا ضده كالرئيس حافظ الأسد صاحب سوريا والرئيس إلياس الهراوي صاحب لبنان، وتلك من الفلسطينيين، وقاموا ضد عقد هذا الصلح ونقض الاتفاقية وهو ياسر عرفات، وتوعدوه بالقتل، ونجم عن هذا الصلح الجائر ارتباك ونزاع وسوء تفاهم وما حصل النقص على الأمم المتحدة، وهدت العروش وسقطت الرؤساء إلا بسبب النتائج والتجادل الذي نتيجته الفشل وذهاب الريح، فقد قامت فرقة من الفلسطينيين لنقض هذا الصلح الذي لم يستشاروا في عقده، واعتبروه صلحاً جائراً، ولقد قامت أمريكا تصفق لهذا الصلح وانشقاق العرب الذي كانت تصبوا إليه وتنشده لصفتها عدوة العرب والمسلمين، ووعدوا الذين عقدوه بالمساعدات المالية والمادية والمعنوية، وحصلت على مقصودها وتنفيذه، ألقوه إذا لم ينفذ بالطريقة السلمية ولكن كما قيل:

ستعلم حين ينجلي الغبار ... أخيل تحت رجلك أم حمار

وفيها في يوم الخميس ١٤/ ٤/ ١٤١٤هـ أصيب غربي الهند بزلزال شديد بلغ ست درجات هلك بسببه واحد وعشرون ألفاً، فقام المسلمون بدفن موتاهم دفناً جماعياً بحفرة، وقام الهندوس بتحريق موتاهم كعاداتهم الباطلة، وقد تمكن رجال الإنقاذ بانتشال بقية الجثث، ويتوقع أهل المعرفة هناك أن يبلغ عدد المصابين ثلاثين ألفاً، وقد بعثت إليهم إمدادات الإغاثة والعلاجات من بين سائر العالم.

وفيها في ٢١/ ٤ استطاع الرئيس الروسي أن يسيطر على المبنى الرمالي الذي

قام المعارضون لحكمه وقتل أربعمائة وشرد بعضهم، وقام رجال الحكومة يلاحقون القناصة ويصطادونهم، وذلك بأن أمريكا في كفة الرئيس السابق، وكان رجال البرلمان قد قاموا بتمرد وعناد ضد الرئيس السابق، هذا وقد قام رجال التفتيش على أسلحة الدمار في بغداد وتدميرها وما كان بوسع حكومة العراق إلا الخضوع لأمريكا، بما أن الاقتصاد المعيشي وانتشار الأمراض في العراق لقلة الأدوية والعناية بالشعب الذي تفكك كان مستمراً في الأمة العراقية فإن الرئيس صدام يتظاهر بالجلد وأن الحكومة والشعب لم ينقص عليهم إلا بقدر بعوضة، وإلا فإن العراق مستمر في نشاطه وقوته، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٦]، ولقد أصبح البترول العراقي تحت تصرف أمريكا، فهي التي تملك تدميره، وأهالي العراق مكتوفي الأيدي عن مصالحهم، أما عن الحسين بن طلال فإنه لما رأى أن لا قدرة للعراق في الدفاع عما نزل بها فإنه تثعلب بعدما كان يتظاهر بالود مع العراق، وجعل كأنما يسعى بالصلح بينها وبين خصمائها لينسى العرب أعمال الرئيس صدام، وجعل يتظاهر بالولاء للسعودية، كما أن اليمن قد كفت عن المسبة والعداء للسعودية، وذلك لما أصبحوا فيه من ضيق المعيشة وسوء الحال، وكانت السودان بحال اضطراب الثورات الداخلية، وتشتت الشعب الذي قام وتمرد على الحكومة.

زيارة وزير الدفاع للقصيم

لما أن كان في اليوم الثالث عشر من ربيع الثاني قام وزير الدفاع والنائب الثاني والمفتش العام بزيارة رسمية للقصيم، فأقيمت الولائم والاستقبالات لقدومه ،وتبادل الخطباء في الخطب والقصائد في الترحيب بقدومه والثناء على الحكومة، كما أنه أقام مأدبة حافلة للأهالي حضرها الأعيان، وقد تأثر بما سمعه من مديح والده المؤسس وأبدى شكره لأهالي القصيم والثناء عليهم، وكان لزيارته مكانة بين الأمة، وتلقى كل استقبال وترحيب، وقد لبث في بريدة العاصمة أربعة أيام يلتقي

بجميع أهالي القصيم الذين استقبلوه بالمحبة والترحيب وكامل الود والمحبة والفرح، وزار المواضع الحربية لأنه كمسؤول عن تقدمها وما تخرجه من الدفعات والقوات ورجال الأمن التي هي حصن البلاد، فكانت موضع الإعجاب وقرة العين لأن بتقدم هذه القوات وتوفرها حفظ العباد والبلاء ولله در القائل حيث يقول:

فقل لرجال الضبط والربط إنكم   أسود حروبٍ للخطوب تقارع

وما تقدم شعب ولا أفلحت أمة إلا بحفظ كيانها والأمن بأوطانها كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أخيفوا الوحوش في البراري قبل أن تهجم عليكم في بيوتكم» وما عبدالله وأقيمت الصلوات في المساجد كما ينبغي إلا بتوفير الأمن والراحة ورغد العيش، فنسأل الله تعالى أن يثبت المسلمين برجال الأمن الأقوياء الأشداء المخلصين الذين يسهرون لأمن البلاد والعباد، وما تقدم شعب ولا حكومة إلا برجال شعارهم مراقبة الله وحفظ البلاد وأداء الواجب فيما أسند إليهم، وفي كلام أبي حفص أمير المؤمنين عمر:«لو ماتت شاة في شط العراق لخشيت أن يسأل الله عمر عنها».

ويروي لنا تاريخ الحافظ بن بشر رحمه الله ما جرى في زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود من أن المسافرين في أيامه كانوا يربطون الخيام بأكياس الذهب والفضة إذا لم يجدوا خبايا، وإن في زمن كان خمسة على مطيهم يسيروا في ليلة باردة، فمرت بهم شاة بين العشائين فتحدثوا بأخذها وإنها لهم أو لغيرهم أو للذئب، فجعلوا يتراودون في من ينزل منهم ويأخذها لهم، وجعل كل واحد يأمر صاحبه فيعتذر، كلٌ يخشى من سطوة الإمام عبدالعزيز، حتى قالوا هذه الشاة يرعاها عبدالعزيز بن محمد قالوا لمن أخذها.

وفيها في ٤/٥ أعيدت بنازير بوتو علي ذي الفقار إلى منصبها الأول بعد خلعها فنودي بها رئيسة وزراء باكستان، وبسبب ذلك أن لها شعبية ويؤيدها أصوات كثيرة من باكستان ومن الدول الكثيرة التي لديها انحراف عن الإسلام، وكان أبوها هو الرئيس السابق ثم خلعوه ثم قتلوه، ربما أن ضياء الحق الذي تولى

الرئاسة قد قام بقتل والدها فلا تخلو المسألة من طلبها الثأر لوالدها بحيث اغتيل بحادث طيارة، وفي هذه الأيام تعود بنازير إلى رئاسة الوزراء.

وفي هذه الأثناء لا تزال المناوشات مستمرة بين الفلسطينيين واليهود بغزة وأريحا، وعم الصلح الذي كانت الأمة تسعى له، كما أن طائرات الهلوكبتر مستمرة في ضرب لبنان، بما يستطيعونه بالقنابل المدمرة والمحرقة، وتهدم المنازل، وقامت بضرب قاذفات القنابل الصاروخية فيحل الهلاك والتدمير من بين المقاتلين، وكانت قاذفات القنابل المدمرة والقنابل المحرقة تعمل عملها السيئ في التدمير والهدم والهلاك في لبنان الذي طالت عليه السنين وهو يكابد الأهوال والتدمير.

ضرب الأهواز

لما أن كان في بداية جمادى الأولى قام الرئيس صدام موجه قواته إلى الأهواز فحرق الأهواز وطرد أهلها إلى إيران، وحوّل الأهواز من جنات وعيون وبساتين وأشجار وارفة، ومزارع إلى صحراء قاحلة ليس فيها ديار، وكان يدعي بذلك أنه يظهر قوته وشجاعته ومقدرته، ولكن أعداءه يتفكرون من تدميره لشعبه وإضعافه وإذلاله ،ويأخذون من ذلك فرجة على همجيته وسوء تدابيره، ولبغض نفسه لأهل العراق الذين حاولوا اغتياله مرات عديدة، ولكن الأمور مرهونة لأوقاتها، والمقصود من ذلك أن منطقة الأهواز تحولت إلى صحراء قاحلة.

وفاة أمير من الأمراء

ففيها في يوم الثلاثاء ١١/ ٥ توفى الأمير سعد بن عبدالله بن جلوي عن عمر يناهز الخامسة والسبعين، وصلى عليه في مدينة الإحساء في جامع الأمير فيصل بن تركي رحمه الله.

وفيها قامت الصرب الملعونة وهجمت على قرية كاملة من قرى البوسنة، فقتلوا أهلها أجمعين، وكان عددها كبير ولم يروا معارضاً أو مدافعاً.

وفيها في ١٢/ ٥ أطلقت إسرائيل سراح ستمائة أسير فلسطيني، ثم جعلوا يطلقون بالعشرات من الأسرى وذلك مقابل الصلح الذي عقد بين اليهود ورئيس فلسطين ياسر عرفات بحيث جعلت إسرائيل تعطي الفلسطينيين رقعة صغير وهي قطاع غزة وأريحا، ولا يعد ذلك نصراً للعرب، بحيث خسرت العرب القدس والمسجد الأقصى وقد قنع الفلسطينيون فرحاً بهذا الصلح الصغير لما قاسوا من المذابح وإيداعهم في غيابات السجون، وقام أهالي فلسطين ينظمون ما حصلوا عليه، وينظمون جيشاً من قبلهم لأمنهم وأمن ذرايتهم، وهذا الصلح وإن كان ساري المفعول فإن المناوشات بين الأفراد في فلسطين لم تهدأ لأنه قد يكون فرق فلسطينية لم ترضَ بهذا الصلح.

وفيها في ١٣/ ٥ اندلعت ثورة في ليبيا ضد معمر القذافي، فقام على حسب مقدرته لإخمادها، واستخدم جميع ما لديه من القوة على الثوار، وقد ذكر القذافي في إذاعته أنه ألقى القبض على الثائرين وإنه ربطهم بسلاسل الحديد في أعناقهم وصلبهم على الحيطان التي حرقت لربطهم بالسلاسل، كذا قال، وقد ذكرنا عن الصلح الذي عقد بين اليهود وحزب فلسطين بأن يكون أهالي فلسطين في أريحا وغزة، ولكنهم وإن كانوا صغيراً ولكن اليهود بظلمهم وعدوانهم جعلوا يتطرفون بأوهامهم وأن لا يأمنوا من العرب وجعلوا يطلبون الخلاص من هذا الصلح لما أقدموا عليه من القتل والسلب وأذية المسلمين ومن تأمل حالة اليهود في الشام مع المسلمين، وحالة النصارى في الصرب من أذيتهم لمسلمي البوسنة الهرسك، وسفك دماء المسلمين والتمثيل بهم، علم أن بعض النفوس الشديدة أخس من شريعة الغاب والظفر والناب من الحيوانات المفترسة بحيث كانت الأسود والنمور والذئاب لا تفترس الإنسان إلا إذا جاعت، وهؤلاء لا يشبعوا من افتراس المسلمين في أي حالة كانت وشاهد الحال يحكي فعالهم، ويعبر عن سوء مقاصدهم نحو المسلمين، فلقد شقت بطون الحوامل وقطعت ثدي النساء، وذبح الرجال ورسم بالدم على صدورهم، ولم يرحموا طفلاً ولا أشجار وأحرقوا قرى المسلمين بل ذكوهم دكا، فعياذاً بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أما ما كان عن أفغانستان فلا تزال المذابح بينهم، كما أن الصومال لا يزالون يتقاتلون في طلب الرئاسة، وقد عجزت الأمم المتحدة وأمريكا عن تسكين فتنهم فيما بينهم، ولقد طلبت منهم ملوك الإسلام ورؤساء الجمهوريات الإسلامية أن يضعوا حداً لهذا الشجار فيما بينهم، ودعوهم إلى الصلح، وأن تضع الحرب أوزارها، ولكنها فشلت جميع الإصلاحات، ولكنهم أبو إلا التناحر، وقد ظهر في هذه الأيام بعض المسلمين الذين يقومون بطلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تونس والجزائر ومصر وقامت حكوماتهم بإعدام بعضهم، وهم شراذم في تلك الجمهوريات، وأودع بعضهم في غيابات السجون والتضييق عليهم، وكنت أظن أن أولئك الغيورين لو سلكوا طريق الحكمة والتفاوض مع حكوماتهم لكان خيراً لهم، ولكن الأمور بيد الله.

وفيها في الوسمي هطلت أمطار على عسير والطائف وحائل وما إلى ذلك على القصيم أمطار ضعيفة، نسأل الله تعالى أن يجعلها مباركة وأن يعم المسلمين بفضله وكرمه، وقد رفعوا أيديهم إلى السماء لذلك.

ذكر المجزرة الكبرى في فلسطين

هذه المجزرة تدعى مجزرة منتصف رمضان عام ١٤١٤هـ ذلك بأنه لما كان في فجر اليوم الخامس عشر من رمضان أوعزت اليهود إلى رجل منهم أن يهجم على مسلمي فلسطين وهم يصلون صلاة الفجر بالمسجد الإبراهيمي في الخليل، فدخل المجرم متذرعاً بالجنون، وكان قد أعد رفقة له وهما رجلان كانا متلبسين باسم الصلاة، ولما أن سجد المصلون أطلقوا عليهم الرشاشات، فسقط من نيران الرشاشات خمسة وستون قتيلاً، وجرح ثلاثمائة نقلوا إلى المستشفيات، بينما يتظاهر اليهود بأن الجاني مجنون، وقد أفاد الجرحى بأن السفاحين عددهم ثلاثة، ولما جرت هذه الفعلة الشنعاء والجريمة النكراء التي قد تقدم لها سوابق من هذه الأمة البغيضة التي لم تخشَ سطوة الخالق، ولم يتلقَ أهالي فلسطين من النصرة من أمة الإسلام رد فعل سوى الاستنكار والغضب، ومن الدول الكبار من تقول سنشجب على هذا

الفعل وكأن الكلب لم يأكل عجينهم سوى أن الحكومة السعودية بعثت إلى أسر الموتورون مواساة مالية لكل أسرة من الأرامل مائتي ألف ريال، أما تكوين جيش وقوة عسكرية تقف أمام هذا التيار الجارف، بل فعلت اليهود ذلك الفعل الذميم ويتربصون لعمل آخر ضد العرب فيقتلونهم وهم يصلون في مساجدهم، فلعنة الله على اليهود ما أعظم خطرهم على الإسلام والمسلمين.

وفيها في ١٨/ ٩ وفاة الأمير حمود بن الملك عبدالعزيز عن عمر يناهز الخمسين عاماً، وقد وردت التعازي على البيت المالك من سائر الأقطار، وبالأخص الملك وولي العهد، فالله المستعان.

النداء بالتبرع

لما كان في مستهل شهر رمضان من هذه السنة نودي بالتبرع لمسلمي البوسنة والهرسك الذين أصيبوا في أنفسهم ونسائهم وأطفالهم وما عملته فيهم أيادي الصرب النصارى، وكيف أن المسلمين هناك كتفت أيديهم ومنع توريد السلاح لهم، وذلك ليفتك بهم، بل قيل قوموا بأيديكم لرد قنابل الهاون والطائرات القاذفة من الجو والسفن الهوائية، فكل يوم وقد سقط العشرات من القتلى والجرحى فأصبح أولئك البؤساء لا يملكون من الأسلحة النارية ولا الأسلحة البيضاء إلا ما لا يقيهم من النصارى، وكانت الحالة محزنة لدرجة أن الدول الكبار تبعث الأسلحة النارية والطائرات القاذفة المحرقة مدد للنصارى المعتدين، وتقويةً لشوكتهم، وعجزت أمة الإسلام عن إدخال السلاح على المسلمين المغلوبين، ولما أن نودي بالتبرع بالمملكة العربية السعودية قام المسلمون يتسابقون لدفع التبرعات، ويتولى قبضها لإرسالها إليهم أمير الرياض سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز، ولما جعلت تلك الأغذية والتبرعات التي بلغت عشرات الملايين من كل بلد سعودي مانعت النصارى من دخولها على المسلمين في البوسنة والهرسك، وأوقفت قوافلها إليهم فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأصبحت أولئك النصارى يتحكمون في الإسلام

والمسلمين، ولم يجدوا ناهياً ينهاهم أو عدواً يردعهم، بل لسان حال العدو يقول: موتوا جوعاً وقتلاً، وكان مجلس الأمن يقف وقفة المتفرج من هذه الحالة الذميمة، وذلك بمرأى ومسمع من الأمم المتحدة، وكانت أمريكا لما رأت تعصب الصرب أطلقت طائرتين تضرب الصرب المعادين المهاجمين، فأسقطت طائرتين ويالها من يقظة لو دامت، بل كانت ومضة عن قليل توقفت.

ولما أن كان في ٢ ذي القعدة لرد عدوان الصرب الذي لم يتوقف عن ضرب المسلمين في البوسنة والهرسك فتحركت طائرات من حلف الأطلسي فضربت دبابات ومدافع الصرب ودمرتها لما أن نفذت بأعمال الأمم المتحدة وتوجيهاتها، بعد ساعتين أعادت الضرب على الصرب المعتدين مما كان له التأثير عليها، وسبب أسبابا بتراجع الصرب.

فيضانات تصيب روسيا

ففي الوقت نفسه أصيبت روسيا بفيضانات عظيمة سببت هلاك بعض مواضع في روسيا، وتقدر بخسائر عظيمة اجتاحت فأوقفت فيه بحيث أنها أضحت موسكو من عظيم ما جرى في ظروف عصيبة، والله على كل شيء قدير.

نزاع وشقاق في اليمن

لما أن وقع الانشقاق في اليمن وذلك لأن عدن وما يليها لا ترغب الخضوع لحاكم اليمن الشمالي، فاندلعت الحرب التي عجز عن إخمادها علي عبدالله صالح، فاستمرت في تأججها بين الجهتين، وجعلت مجالس المفاوضات بين الطرفين بما خشي من حروب طاحنة في اليمن، وقامت فرق الإصلاح في مصر وغيرها لتسكين تلك الفتنة، باذلةً جهوداً جبارة لعل وعسى، غير أن الأحوال لا تزال هائجة ومائجة، وكنت أظن ذلك بسبب المكر والخيانات التي وقعت من حكومة اليمن من تغيراتها وعدم استقامتها مع المجاورين، وما زالت الفتنة في اليمن تغدو وتروح وأنياب الشر تبدو وتلوح، قال الله تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ

ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴾ [الجن:١٦]، وفي آية أخرى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد:١١]، وبما أن الجبهة الجنوبية القريبة يطلق عليها اليمن الشمالي واليمن الجنوبي فلا بد أن تعود المياه إلى مجاريها، وكان هو المتعارف في هذه الأزمنة، ولقد بقيت هذه السنة في الحروب والانشقاقات ما الله به عليم؟

ذكر البلاء والنزاع بين الأمم

لما تحررت أفغانستان من المحتل روسيا وشرها وتعسفها نشأ خلاف بين الأهالي في طلب الرئاسة، وحصلت عداوة، وجعل الله بأسهم بينهم، فقامت الحكومات الإسلامية لتسكين ذلك النزاع، وعلى رأس المصلحين الحكومة السعودية فقد بذلت قصارى جهدها في جلب النصائح وبذلت المساعدات المالية والمواد الغذائية لهم، ولأن الله تعالى لم يشأ اجتماعهم وتفريق أفغانستان شيعاً وأحزاباً، فقد قام الرئيس حكمتيار بخطف الرئاسة لنفسه ونازع رؤساء آخرون، استهدفت البلاء للقصف والضرب، واستعملت القنابل الصاروخية الموجهة من بعضهم إلى بعض، وأصبحت العاصمة كابل مهددة بضرب المدافع الثقيلة وقنابل الطائرات، فكانت محاطة من جوانبها بالأخطار، كما أن متنازعي الرئاسة الآخرين لم يزهدوا في خلق المشاكل وإحداث القلاقل مما لم تشهده الأفغان في قديم الدهر وحديثه، وكان الذي يتنازعون الرئاسة بعدما غضب الله عليهم بنزع الكابوس الروسي وتخلصوا من الشيوعية، واستمرت الحرب والضرب، فتارةً ترتفع تلك الفتن إلى عنان السماء، وتارةً تسكن نوعاً ما، غير أن الأمة عجزت عن إطفاء تلك الفتنة العمياء التي دمرت البلاد والعباد.

أما عن الصومال فإن النزاع لا يزال مستمر فيها.

أما عن كشمير وأذية المسلمين هناك فحدّث ولا حرج، وما وقع من هذا النزاع فهو سياسة أجنبية يريد الآثمون فيها القضاء على الإسلام وأهله، ولو فكر

المسلمون في كل جهات الأرض بما يبرمه اليهود لهم والنصارى والدهريون من زرع بذور الشر والخلافات يريدون بذلك كسر شوكة الإسلام ومحو أهله، والقضاء عليه، والعداوة والبغضاء يبيتوهم، لأن أعداء الإسلام جادون بسياستهم التي لا يعرفها المسلمون، وهي القضاء عليهم وتمزيق شملهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأنا أحزن لذلك، وهو أن النصارى لما رأوا انتشار الإسلام في أوربا ولا سيما البوسنة والهرسك، زينوا لهم الاستقلال، وأنهم إذا قاموا ضد الصرب فلديهم حماسة ومقدرة تمكنهم من الاستقلال، وإن إخواننا من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يجدونهم ويساعدونهم على الاستقلال.

ولما أن وقعت الواقعة وأمرت الدول الكبار بقطع المساعدات عنهم، ومنع دخول السلاح عليهم وجعلوهم عزلاً لا يقاتلون بأيديهم، كما فعلوا ذلك بأهل فلسطين الضعفاء المغلوبين، والعرب المقهورين، وجعلوا يخدعون بالصلح والمفاهمة مع اليهود، وجعلت أيدي اليهود تعمل بهم الفوضى من التقتيل والتشريد، ولم يقفوا عن تقتيل الأطفال والنساء والعرب، ينخدعون لمواعيدهم الخلابة، ولما أن نزح المسلمون عن البوسنة والهرسك في القتال لم يجدوا ولياً ولا نصيرا، وجعلت النصارى من كل جهة يبعثون الإمدادات من الأسلحة الثقيلة والطائرات والمهمات للصرب، حتى قام نصارى الصرب يعبثون بنساء المسلمين، ويهدمون المساجد، ويحرقون المصاحف، ويرسمون بالدم الصليب على صدور الرجال من المسلمين، وكتب الويل لمن ناصر المسلمين، فزينت أعوان النصارى للمسلمين التخريب بممتلكات الصرب، ولما تورطوا في تلك الهاوية يجلى عنهم الأنصار ووقفت الأحداث، وفي كل يوم يسقط منهم القتلى والجرحى، وآخر ذلك تصدر الأمر لأعداء الإسلام بأن تخلوا بقوتهم عن الصرب مكرهين، وكان في مستهل ذي القعدة من هذه السنة فعياذاً بالله من قهر الأعداء، وشماتتهم، واحتكام البلاء.

وكانت الأمم القوية تتظاهر بقمع أولئك النصارى المعتدين، ولكنهم

بخلاف ذلك، والتاريخ يعيد نفسه، فإن قامت الأمة بالسعي في الصلح بين إسرائيل وبين الفلسطينيين كانت فرقة حماس الشاذة عن ياسر عرفات لا يرون لديها أن تعطي الفلسطينيين الدنيئة، فقد قاموا بالانتفاضة وجعلوا يفجرون ألغاماً باليهود، مما أدى إلى إغلاق أبواب الصلح، وأحدثوا مشاكل رائعة مما عرقلوا به المساعي، وفي مستهل الشهر.

لقد كان من المعلوم ما أصيب به أهالي فلسطين من الأذى من قبل اليهود وتحكماتهم، لأنه لا رادع لهم ولا مانع، ولا أمل يرجى في حل هذه الأزمة، وإذا كانت اليهود بهذا الوضع فلا أمل يرجى.

وفاة وزير من الوزراء

لما أن كان في ذي القعدة توفي وزير الأوقاف سابقاً محمد عمر توفيق، وكان قد أضيف إلى وزارته أن كان أيضاً وزير المواصلات، وقد قام بها بين الوزارتين، ويقدم الأعمال للملك فهد بن عبدالعزيز الذي رفع التعازي لأقاربه وذويه، وقد استمر في هاتين الوزارتين برهة من الزمن.

وفي يوم الاثنين سابع ذي القعدة أقيمت صلاة الاستسقاء في سائر أنحاء المملكة عن أمر الملك فهد، وذلك للجفاف الذي كان في بعض أقطار المملكة العربية السعودية وشدته على الرياض وما يليها.

ضربات في البوسنة

لما أن كان في ٩/١١ من هذه السنة قامت حكومة الصرب فشددت القصف والضرب على البوسنة والهرسك، فقد أحصي الذين سقطوا من المسلمين هناك في خمس ساعات فبلغوا مائتين وأربعين ما بين قتيل وجريح، وكان أعداء الإسلام ضد المسلمين يخدرون أعصابهم، ويعدونهم بالنصرة ليتمكن النصارى من تدمير المسلمين بوعودهم الكاذبة، وفعلاً قد علم المسلمون بأن هيئات الأمم المتحدة أكبر عدو لهم.

ولما أن قام مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية بأشد الاستنكار لتلك الأعمال الوحشية، بحيث ضرب الصرب المستشفيات المكتظة بالمرضى والمصابين، وقتلوا الأطفال والنساء، لكنهم وعدو بالنظر في هذا الموضوع وليوقفوا المعتدين على المسلمين في المستشفيات ومواضع أمنهم، ولكنهم يعملون في الخفاء على قتل المسلمين، ولما أن قام شمال الأطلسي بضرب مواقع الصرب وعدت الأمم المتحدة بأن تسعى بالصلح ولا تستعمل القوة على الصرب، وهم بذلك كاذبون، وقد استمر قنوت أئمة المسجد الحرام في أواخر الصلوات المكتوبة لنصرة المسلمين والدعاء على المشركين، ولكن النصارى ومن في صفهم قاموا بهتك حرمات المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وبعد الانتهاء من توسعة الحرم المكي وتوسعة مسجد رسول الله ﷺ قامت الأمة في مشارق الأرض ومغاربها بالدعاء لخادم الحرمين الشريفين في المملكة وخارجها رافعين أكفهم بعد وضع آخر لبنة من اللبنات، فجزى الله المحسنين خير الجزاء، وإنها لحسنة خالدة في تاريخ الملك فهد بن عبدالعزيز.

وفيها في عصر اليوم الخامس عشر من ذي القعدة هبت رياح شديدة بصفرة عظيمة، وأظلمت وذلك في الساعة الرابعة والنصف من زوالي، فكسرت الأشجار في الشوارع، وتعطلت حركة المرور، والله على كل شيء قدير.

وفيها في ١٠ الشهر المذكور قام أناس متطرفين في إحدى الدول الكافرة بسخطهم على تعاليم دين الإسلام، وتكلموا في المملكة العربية السعودية هناك، فوقع قول الرسول ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين»، وكان أولئك يدعون الثقافة والمعرفة، وقد عاشوا برواتب ضخمة، وللذكرى قال بعض السلف الصالح: «ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر».

وفيها في ١١/١٦ من هذه السنة بعثت الأمم المتحدة ثلاثة آلاف جندي يرابطون حول الوقوف أمام هجمات الصرب النصارى، وأيضاً أمرت بقوات أخلى لإنقاذ البوسنة والهرسك من هتك حرمات المسلمين وإنقاذهم لما رأوا شدة

ما وقع عليهم وعلى المسلمين، بحيث كانوا يهجمون على المستشفيات التي تضم سبعمائة جريح مسلم، وقتلوا بعضهم، ولما أن رأى الصرب أن لا بد من طردهم قاموا على أنابيب مياه المسلمين وفجروها وكسروا جميع ما وصلت أيديهم إليه، وحرقوا ودمروا تدميراً شاملاً، وقام حلف شمال الأطلسي بالأسف لضرب الصرب المعتدين، وقامت الأمم المتحدة بإنذار أيضاً للصرب، وبعثت جنوداً لحماية المسلمين، كيف وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾ [التوبة: ١٠].

وقد تمكنت قوات الصليب من نصارى الصرب وفعلوا ما لم يفعله كافر من الكفار بالمسلمين كما جرى منهم فلا نكون مبالغين إذا قلنا ذلك.

وفيها اشتدت ضربات اليهود على لبنان، وبالرغم من المساعدات السعودية للبنان فإن ما ينالها من أذى من اليهود وتخريباتها لا يفيدها بشيء ولا تزال ألسنة أهالي لبنان رطبة في مديح السعودية، ولقد بالغ اليهود في توالي قصف لبنان، ولقد تضررت لبنان من توالي قصفها، وقامت اليهود بالتخريبات والضرب فما كان أهالي لبنان جامدين أمام هذا الضرب، ويقاتلونهم بمثله ولديهم قوة من حزب الله المنتمي لإيران، وحزب أمل المنتمي لسوريا، وعلى كل حال فقد تهدمت المساكن هناك واحترقت البيوت والمزارع من مضي عشرات الأعوام ولبنان مستهدف للضرب، والحالة معقدة ولا تبشر بالخير وإن كانت القوات الأهلية من قنابل صاروخية وغيرها من الدفاع الأرضي فإنها ليست بشيء إلى جانب قوات اليهود المستقدمة من أمريكا.

حروب ومخاوف حول العالم

لقد اندلعت في هذه السنة حروب ومجازر وثورات، فهذه اليمن تعاني مخاوف ونزاعاً وشقاقاً بين اليمن الجنوبي والشمالي، ولم يتمتع رئاسة علي عبدالله صالح بالطمأنينة في هذه السنة.

وفي أفغانستان لما تحررت من روسيا وقع نزاع بين ثلاث جهات، واستعملت الأسلحة الثقيلة والقنابل الصاروخية، ولم يطمئنوا بعد أذى روسيا لها.

وفي الجزائر حرب بين الحكومة والمواطنين.

وفي لبنان حرب نزاع مما جرى مع اليهود في الجنوب.

وفي فلسطين تغلي مراجلها من أذى اليهود.

وفي العراق رئيسها يتهدد ويتوعد لجيرانه لما يحمله من الشر والفساد بحيث لا يهدأ عن ذلك هذا السفاح من إراقة الدماء لما أن رده الله على أعقابه وعن كيده، فشرع في قتال شعبه فحرق مزارعهم وقتل كثيراً من السكان، ولقد أرادوه أن يموت في محاولات الاغتيال لما فعله بشعبه من جوع وفقر ومشاغب وأمراض، وقد أمهله الله تعالى لما يحلم به نفسه وغيه.

ولم تسلم مصر من أناس يقتلون ويخونون، وجرى من الصعوبات ما لا يعلم به إلا الله من الانشقاق والنزاع.

وسوريا تطالب بهضبة الجولان التي استولت عليها اليهود، ولا تزال اليهود تماطل في وعودها.

ولما أن كان في ١٧/ ١١ من هذه السنة بعد عجز المسلمين، ازداد الشقاق وسوء التفاهم وتضخم البلاء في اليمن، وما زال الشر في ازدياد في اليمن بين الرئيس علي عبدالله صالح وبين نائبه في عدن حتى وقع القتال بين الفريقين، فسقط مئات ما بين قتيل وجريح، وذلك في اليوم المذكور، وما زال الشر يزداد فيها.

كما أن خلافاً بين كوريا الشمالية والجنوبية ورفعت القضية إلى الأمم المتحدة وإلى مجلس الأمن وأصبحت أمريكا تهدد كوريا الشمالية لما تخشاه من الأسلحة الكيماوية لديها، وجعلت المفاوضات تروح وتغدو، وجعل أهل الرأي والمعرفة يتوقعون حروباً تجري بينهما.

ومن العجائب عجز الأمم المتحدة عن تسكين ما تتدخل فيه، بل لا تزال في ارتباك ونزاع وشقاق.

ذكر ما منَّ الله به على المملكة العربية السعودية

لقد أكرم الله عز وجل الحكومة السعودية وذلك لتحكيمها الكتاب والسنة، وخدمة الحرمين الشريفين وحجاج بيت الله الحرام وزوار المسجد النبوي الشريف، ومعاملة الله بكل من أراد بها سوءاً بشر معاملة.

ولما أن قام رئيس العراق صدام المخذول بما قام به من سوء المعاملة للإسلام والمسلمين سلط الله عليه من حيث لم يحتسب في قذف في قلبه الرعب يخرب مملكته بيديه، ويسعى في تدمير شعبه سوء تدابيره، وقام الذين انخدعوا لأكاذيبه ومكره كاليمن والسودان وحسين صاحب الأردن بحيث ابتلاهم الله بأنواع البلاء، فهذا حسين يعاني الأمراض في جسمه وفي ضيق من الاقتصاد، وهذا رئيس السودان انشق عليه شعبه وقاموا يتناحرون بسبب الثورات والمنازعات فيما بينهم، وأصبحوا بحالة يرثى لها من الجوع والفقر، وهذا رئيس حكومة اليمن جعل الله له السوء في تدبيره، وشغلهم في أنفسهم، وكانوا عبرةً لأولي الألباب فيا، سبحان الله ويا عجباً لما تفعله الذنوب والمعاصي، وتنتج النتائج السيئة التي أحاطت بهم، ولقد جدت الحكومة السعودية في حسن الجوار ومواساتهم بالأموال والتعمير، ولكنهم غيروا فغّير الله عليهم، ويا ليت إخواننا من المسلمين داموا على مبادئهم ورعوا نعم الله الدارة عليهم فأمسوا بحالة لا يحسدون عليها، وكلاً من هؤلاء المناوئين ابتلاه الله بنقيض قصده.

كانت ميناء العقبة مهددة بضربها وعجزت الأمة عن تسكين الفتن فيما بينهم، وفي ذلك عبرةً لمن يعتبر ويخشى، وإن لحسن النية لتأثيراً عظيماً في إصلاح شأن العبد، والعكس بالعكس، ولو أتينا بنتيجة النيات القبيحة وما تجلبه لضاق الموسع، ولكننا نشير بقصة وجدتها عن بعض الملوك: هو أنه كان له حاجب ولا يزال بسيفه ومروحته على رأس الملك، فقام ضده نمام يستثير الملك ويشوه سمعة ذلك الحاجب، وما زال بالملك حتى أمر بقتل الحاجب، وبعث بكتاب إلى الجلاد كتبه بيده يقول فيه: اقتله واسلخ جلده ورده إلي، وكان الحاجب كثيراً ما يردد كلمات

يقول فيها أحسن إلى من أحسن إليك وأما الباغي سيكفيك الله شره، فلما ناوله الكتاب الذي كتبه بيده ومن القواعد أن الملك لا يكتب بيده إلا الجائزة، فعندما حمل الحاجب كتاب الملك ثم اعترض له ذلك النمام طمعاً لما في ظاهر ذلك الكتاب قائلاً أحسن إلي بهذه الجائزة ولعلك خير من أخذها، فناوله الكتاب، ولقد بلغ حتفه ذلك المسكين الذي أخذه إلى الجلاد وقتله وسلخ جلده وأعاده إلى الملك بتنفيذ الأوامر، ولما أن جلس الملك كعادته إذا بالحاجب يأتي معد سيفه ومروحته فيقف على رأسه ثم أتى بالجلد وألقى بين يديه، فعجب لذلك وقام وأخذ بيد الحاجب وخلى به وقال: أخبرني عن أمرك؟ فقال إن فلاناً «لهذا النمام الذي أحاط به جرمه» جرماً طلب مني جائزة الملك التي خطها بيده، وشكى إلي الحاجة فأعطيته إياه، فعجب الملك وبكى لعلمه أن المقتول عاقبه الله بنميمته وبغيه ثم قال: يا بني دم على حسن النية فلم ينجك غير حسن نيتك، وارتفع شأن ذلك الحاجب عند الملك، وخذ من ذلك درساً أيها المسلم وعامل الله بحسن النية.

وفيها وإقالة عبدالوهاب عبدالواسع وجعل مكانه في وزارة الحج والأوقاف عبدالله بن عبدالمحسن بن تركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود سابقاً في تعديلات أخرى.

وفيها قسمت مدن مناطق المملكة إلى فرقة (أ) وفرقة (ب) مثال ذلك أن جدة والطائف في الحجاز من فرقة (أ) وفرقة عنيزة والرس والمذنب في القصيم من فرقة (أ)، وهكذا بعض العواصم تقسم إلى قسمين.

وفيها في ليلة ٢٠ ذي القعدة يقام احتفال في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود في القصيم لثاني مرة في شأن الدعوة من أئمة المساجد حضره أمير المنطقة ووكيل الوزارة عبدالله بن محمد الطيار لشؤون المساجد والدعوة والإرشاد، وحضر لذلك الأعيان من المشايخ متفائلين بهذه الوزارة باسمها الوزارة الإسلامية للشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد والحج والمساجد، وقد حضر لذلك الخطباء في القصيم ورجوا خيراً بأن هذا العمل يبشر بخير، وقد حضر لذلك أعيان أهالي القصيم.

في ١٩ ذي القعدة أحصي طلائع الحجاج الذين بدأوا بالقدوم لأداء فرضة الحج، فبلغوا مائتي ألف وتسعين ألفاً، وقد حصل بين إيران وبين السعودية مفاوضات في طلب إيران في رفع عدد حجاج إيران إلى مئة ألف، ولكن السعودية جعلت عدداً معيناً لسائر أقطار المعمورة، إن كل مليون يحج منه ألف حاج.

حروب وقتال في اليمن

لما قامت الشعوب بثورات، وقام أعداء التضليل وأرباب الرذيلة ينازعون السيادة فيما بينهم لم تزهد اليمن في الدخول بالنزاع كغيرها، فقام رئيس اليمن الجنوبي بالنيابة وهو علي سالم البيض ينازع رئيسه علي عبدالله صالح، وأظهر الخلاف والانشقاق فتأزمت الأمور إلى درجة استعمل فيه السلاح بين اليمن الجنوبي والشمالي، وما زالت الأمور تتأزم حتى شبت الحرب وأطلق النائب على صنعاء خمسة صواريخ سكود فهدمت مواضع في العاصمة صنعاء، واستعرت نيران الحرب وكان ذلك في يوم الأحد ٢٧ ذي القعدة، ورد اليمن الشمالي على الجنوبي، ثم زحف علي عبدالله صالح بقواته وحاصر العاصمة عدن، فخاضت أربعة ألوية في ميدان القتال، ويقول المطلعون على القتال أن رئيس علي لم يحرز نصراً يذكر، وأن الهزيمة بعيدة عن الجنوب، وما زالت الحرب مستعرة نيرانها، واستعملت الطائرات الحربية فأسقطت طائرتين من قوات علي عبدالله صالح، وأيضاً الدبابات تخوض جحيم تلك الهاوية حتى سقط القتلى والجرحى، وقد أرادت مصر وبعض الحكومات الإسلامية التدخل في الإصلاح ولكنها فشلت، وما زالت المدافع الثقيلة تضرب صنعاء والجهة الأخرى تضرب عدن حتى سببت أضراراً عظيمة، وإن الحرب إذا قامت لا يستطيع إخمادها الجن ولا الأنس، واستمرت الأحوال هائجة مائجة تنذر بشرها وويلاتها، ولقد ضربت صواريخ سكود المدمرة عدن والعاصمة صنعاء وسببت أضراراً جسيمة، ووجه الرئيس علي سالم البيض صاروخاً على عدن يريد أن يضرب علي عبدالله صالح لكنه أصاب

عشرين رجلاً آخرين، ثم جعل الفريقان يخوضان معارك ضارية، فقد سقط من بين الفريقين اثنا عشر ألفاً ما بين قتيل وجريح، وقام علي عبدالله صالح يطالب السعودية ومصر في التدخل بالصلح، ولأن اليمن الشمالية كانت تتفوق على الجنوبية بكثرة العدد بحيث كان عدد سكانها عشرة ملايين وعدد الجنوبية مليونان ونصف، فإن الجنوبية لديها تدريب من روسيا لأنها موالية لها، وكان الذي سعى بالوحدة بين الشمالي والجنوبي هو الرئيس صدام حسين لما لديه من سوء النية للمجاورين، ولكنه خذل الشمالي فلم يمدها العراق بسلاح، وبما أن الرئيس علي عبدالله تقدم يريد محاصرة عدن فإنه لم يحرز نصراً بل باء بالفشل لأن عاصمة اليمن الجنوبي دافعت دفاع الأبطال، وجاء بالروايات أنه في ظرف أربعة أيام من القتال سقط اثنا عشر ألفاً وخمسمائة، وما زالت الحروب مستمرة.

احتفال

في جامعة الملك سعود في ٢٩ ذي القعدة ومن العجائب أنه في أول تأسيسها عام ١٣٧٧هـ كان طلابها خمس وعشرين طالباً وفي هذه السنة بلغو سبعة وثلاثين ألفاً، وهذا يعجب له من تقدم الدراسة وشقها طريقها.

ذكر الصلح بين اليهود وأهل فلسطين

قامت العرب في السعي بين اليهود وياسر عرفات الذي كان يمثل أهالي فلسطين، واستمرت المراجعات بعد أخذ ورد طيلة الزمان الذي كان بعد احتلال اليهود لغزة وأريحا، وقام رؤساء العرب يطلبون من أمريكا حليفة اليهود أن تضع حداً لعناد اليهود الذين استولوا على فلسطين بالقوة، وما زال العرب يسترحمون الأمم الكبرى في العطف على أهالي فلسطين حتى استطاعوا أن يجعلوا اليهود يردوا الأهالي من فلسطين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، فاستقر الصلح عن أن تكون قطاع غزة وأريحا موضعاً لأهالي فلسطين، وكلام الحكمة: إياك والسآمة فتلقيك الرجال خلف أعقابها، ووقع الاتفاق على أن يجعل أهالي فلسطين دولتهم

في ذلك الموضعين، ولما أن وقع الاتفاق قدم أهالي فلسطين الذين تحملوا حكماً ذاتياً عليهم أنفسهم بأنفسهم.

وفي فجر اليوم الثاني من شهر ذي الحجة عام ١٤١٤هـ قدمت طلائع الجيش الفلسطيني وأسلحتهم وقواتهم إلى قطاع غزة وأريحا وذلك يوافق ١٣ مايو ١٩٩٤م وصفق الأهالي فرحاً، وكانت ساعة لأهالي فلسطين الذين رجعوا بتوفيق من الله إلى بلادهم بعد مضي ٤٦ عاماً، ورحل اليهود عن تلك المواضع المذكورة، وإنها لخطوة تبشر بالخير، ربما أن فرقة حماس الفلسطينية لا يروق لها ذلك الصلح لأنها تريد أن تكون الرقعة أكبر من ذلك ولا سيما المسجد الذي تحت حكم اليهود، وربما في ذلك القدس الغربية التي لا تزال تحت سيطرة اليهود، فإن فرقة حماس لا تزال في مناوشات وحرب مع إسرائيل، وكان ياسر عرفات ومن في جهته يعملون بحكمة، ولا بد أنهم ينتظرون الفرج من الله في ذلك اليوم الذي يمكنهم في أن يكون المسجد الأقصى ثالث المسجدين وأولى القبلتين تحت الولاية الإسلامية، وأملنا بالله عظيم كما قال تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [الحج:٣٩-٤٠]، وما أقرب النصر من المظلوم.

وقد ذكرنا القتال الدائر في اليمن فقد تم في اليوم الخامس من شهر ذي الحجة عشرة أيام فقد نشب القتال وهم يخوضون معارك ضارية، وتهدمت مساكنهم لأن القتال بين الفريقين بالمدافع الثقيلة والدبابات والطائرات القاذفة، وأرسلت الهند طائراتها لحمل أبناءها الموجودين في اليمن، كما أن مصر فعلت ذلك، وكان من ملوك العرب من لم يتدخل في موضوعهم، ومنهم من فشلت وساطتهم، وتنبأ العقلاء أن الأمور هناك لا تبشر بخير وأن الموقف تضخم جداً، وجعلت القنابل تضرب ضرباً عشوائياً، وكان من جملة الذين استهدفوا من جالية الصومال فعمهم الضرب وهلكوا، وقد خرجت حكومة عمان للإصلاح لأنه يلوذ بها شر الفارين من اليمن الجنوبي، وبكل حال فقد تأزم الموقف جداً في اليمن.

هذا وقد جاءت الأنباء بما وقع في راوندا من أنه قتل بسبب الانشقاق ثلاثمائة ألف وقد يزيد العدد من قوة الخلاف فيما بينهم، وشهد شهود عيان أن إحدى الجبهتين كانت تقبض عليه من الجهة الأخرى فتجعلهم في حفر وتشعل الإطارات عليهم فيحترقون في حفرهم.

ولا تسل عما كان به من الهنود من معاملة لأهالي كشمير، وكانوا قد قتلوا تسعة آلاف مسلم، وكانت الفتن بين راوندا في أوائل ذي الحجة من هذه السنة، فنسأل الله تعالى أن يمن علينا بالسلامة والأمن.

ولقد جدت الحكومة السعودية بنشر الإسلام في بنغلادش بحيث بنت فيها ثلاثين مسجداً، وجعلت مخيماً عظيماً يلجأ إليه كل عاجز ومن ليس له مأوى، وبذلت إليه الدعاة إلى الإسلام والمساعدات.

ذكر ما جرى بعد منح الفلسطينيين الحكم الذاتي

لما دخل أهالي فلسطين أريحا وغزة رفع العلم الفلسطيني فيها، وهللت الأمة الفلسطينية لذلك بالفرح والاستبشار، ودخلت القوات الفلسطينية بأسلحتهم وقواتهم بدلاً من قوات اليهود وإنه ليومٌ خالد الذي يسجله التاريخ لهذه المغلوبة بعدما طردوا فأدخلوا غزة بعد مضي فترة طويلة جداً.

وفي ٦ ذي الحجة تقرر عدم الوفاق وانتشر النزاع بين أرمينيا وأذربيجان، واستمر الخلاف والنزاع وذلك لأن عداوة الدين لا ترجى.

كـل العـداوة قـد ترجـى مودتهـا   إلا عـداوة مـن عـاداك في الـدين

وفي ٤/ ١٢ من هذه السنة أذاعت الإذاعة السعودية أن مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة بلغت مساحته مائة ألف متر مربع وسبعين ألف متر مربع بعد توسعته التي قام بها الملك فهد بن عبدالعزيز، وهذه التوسعة لم يبلغنا أن مسجد من المساجد بلغت مساحته هذه المساحة، وجعلت في هذه الزيادة ست منارات إضافية إلى أربع قبل ذلك، وكان الداخل في المسجد بعد هذه الزيادة قد لا يهتدي إلى

الرواق الجنوبي الذي بعد الحجرة والروضة الشريفة، وكان الملك يقول: «أريد أن أجعل المدينة المنورة أحسن مدينة في العالم، وقد أقبلت الأمة من سائر المعمورة إلى العكوف في المسجد النبوي، ولا سيما الأعاجم من الهند والسند وإيران وأفغانستان وغيرها، ولو قلت أن التوسعة الأخيرة التي اكتملت في سنة ١٤١٤هـ لم يكن لها نظير في التصميم وحسن الوضع، وقد بلغت تكاليف التوسعة خمسة عشر ملياراً من الريالات، جعلها الله في ميزان حسناته، وكنت أظن أنها قامت جميع البنايات الحديثة ولا سيما المكيفات التي تخرج الراحة من أصول الأعمدة.

أما عن توسعة المسجد الحرام توفرت في توجيهات الملك عبدالعزيز رحمه الله، ولها فضلٌ عظيم، وبعدها توسعة الملك فهد بن عبدالعزيز الرائعة، ولقد جدت الحكومة السعودية في خدمة المسجدين الشريفين والحرمين المعظمين، كما جدت في بناية المساجد في مشارق الأرض ومغاربها.

ذكر الحج في هذه السنة

لما دخل شهر ذي الحجة في يوم الخميس وتقرر أن الوقوف بعرفة يوم الجمعة تسابق المسلمون إلى الحج اغتناماً لهذه الفرصة، فأقبل المسلمون إلى مكة المشرفة من مشارق الأرض ومغاربها، وبما أن الراحة والأمن لها فقد ضاقت مكة والمشاعر المفضلة بحجاج بيت الله الحرام، ولولا ما بذلته الحكومة السعودية من حسن التنظيم، وجعل حد للعدد لكان الأفراد هي من ذلك الضيق، وقد امتلأت منى، وخرج الحجاج إلى مزدلفة وغيرها لأجل الضرورة ولفتوى بعض العلماء في ذلك، كما أنه وقع الترخيص في جواز السعي في سطح المسعى ورمي الجمار من أعلاها، وذلك تمشياً في أن دين الإسلام يسر، ولم يجعل الله في الدين من حرج، فلولا ما حصل للحجاج من إعداد لكادوا أن يصلوا إلى عرفات ويتجاوزا جمرة العقبة إلى مكة المشرفة لكثرة العدد، وذلك لأن منى ضاقت بالحجاج لما فتحت فيها الشوارع والطرق، ومما يحسن بالحجاج أن يقفوا سواسية في المنزل ويكونوا سواسية فلا فضل لأحد على أحد في ذلك المشهد العظيم الذي يدخله الملوك

والعبيد، فهذا لحكمةٍ يريدها الله التي شرّعها ليعلموا أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وقد امتدح الله عز وجل الأنصار بقوله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر:٩]، ولو أنصف الناس لاستراحوا، ومما يؤثر عن الملك خالد بن عبدالعزيز طيب الله ثراه أن لا يحج في أحد المواسم، فقال: أريد أن أوسع للحجاج بترك الزحام في منى، وأوسع لهم في منزلي ومنزل خدمي، ومن الناس من يحج كل عام ويرى أن ذلك من أفضل الأعمال، ولكنه فإنه يعلم أن من لم يحج إلا الفرض يكفيه من الزحام.

حادثة من الحوادث

لما أن كان في آخر اليوم الثامن من شهر ذي الحجة قبل غروب الشمس بساعتين وثلث نشأت سحابة من الجنوب سودات تسبقها رياح، فتكشفت عن ظلمة شديدة، فتحول الفضاء من الحالة الطبيعية إلى ظلمة شديدة، وكانت الأمة في منتصف الليل برياح اقتلعت الأشجار التي استهدفتها، وانسدت الشوارع من تلك الأشجار الضخمة الثقيلة، وكادت الحركة أن تتعطل لولا ما اتخذته بلدية مدينة بريدة من جلب المعدات والونشات، وكانت الرياح لشدتها أن تحمل ما تمر به مع مطر كثيف شديد، ولشدة هذه الرياح دخلت الأمطار في المنازل من جهة الأبواب والنوافذ، فلبثت بهذا الوضع ساعة وثلاثين دقيقة، وقام الضعفاء من النساء والصبيان يصرخون، فتجلت شيئاً فشيئاً، وهذا في القصيم على العاصمة، ولكن الله دافع بفضله عن الهلاك والدمار، هذا وقد هطلت الأمطار على منى منزل الحجاج في أوائل النهار، ومن ذلك اليوم يوم التروية، وقد أحصى الذين قدموا إلى مكة إلى آخر يوم التروية عن طريق الجو والبحر، فبلغوا تسعمائة ألف وتسعين ألفاً من الحجاج، وزيادة سبعمائة وقد أراد الإيرانيين أن يقوموا بمظاهرات، ولكن عقلاءهم عدلوا عن ذلك لقوة المواقع من الحكومة، وسار الموسم إلى الهدوء، فلله الحمد على ذلك.

هذا وفي موسم الحج أوائل شهر ذي الحجة بلغ الشر ذروته في اليمن، وأحصى الذين سقطوا من بين المتقاتلين هناك إلى يوم التروية ثلاثين ألفاً ما بين قتيل وجريح، وعمَّ القتل في المدنيين وغيرهم، وقتل أربعمائة من الصومال الموجودين في اليمن، وكان الرئيس علي عبدالله صالح ينادي بعدم التدخل في هذه الحرب الأهلية، وقد تصاعدت أعمدة الدخان من مطار عدن أبين، وخاض الفريقان معارك شرسة، وقام أمين الجامعة العربية ينادي بالصلح والتدخل لإنقاذ الأمة في اليمن، ولكن الفريقان لا يزالان مصطلين بنار الحرب، ولقد جدَّ عصمت عبدالمجيد في الأمر بالتدخل في من قبل الجامعة العربية، ولكنها صرخة في وادي خالٍ من البشر، وما زالت القتلى تنزف دماؤهم برمال الأرض.

حادثة سماوية

لما أن كان في ليلة الخميس الموافق ٢٣ ذي الحجة عام ١٤١٤هـ في الساعة العاشرة ليلاً اصطدم كوكبان فحصل من ذلك نور عظيم بقد ست ثوان، رؤي في القصيم وحائل وغيرهم بحيث أضاء الكون كرابعة النهار، وهذا يسمى نيزك، وكان لما اصطدم بإحدى الكواكب شاهد ذلك النور الذين كانوا يخرجون في ساحات الفضاء، وقد تحدث المنجمون الذين كانوا يستدلون بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية قبل وقوعه بأشهر، والله على كل شيء قدير.

ذكر موجة حر في آخر ذي الحجة

لما كان في عاشر برج الجوزاء من هذه السنة جرت موجة حر شديدة لم يعهد مثلها منذ زمن طويل بحيث قرر خبراء الهند بأنه لم يجرِ مثلها منذ خمسين عاماً، وقد هلك في الهند بسببها أربعمائة شخص وأربعة أشخاص، ونقل إلى المستشفيات مئات من المصابين، أما عن المملكة العربية السعودية فقد قرر الخبراء بأنه لم يجرِ مثلها منذ خمس وعشرين عاماً، ولشدة الرطوبة جعلت المكيفات تقطر ماءاً، ولبثت خمسة أيام، والله على كل شيء قدير، وكان ذلك بعد افتكاك النوء عن الرياح

والأمطار، هذا ولا زال القتل مستمر في اليمن بين الشمال والجنوب بمعارك ضارية استهدف لها المدنيون، وأحرقت مصفاة الزيت الجنوبية، وحدثت حرائق عظيمة، وصمم الرئيس الشمالي علي عبدالله صالح على مواصلة القتال ليخضع الانفصاليون بزعمه على أن يخضعوا لسيطرته، وعجز المصلحون عن تسكين هذه الفتنة وعلى رأسهم الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وكان يمد اليمن الشمالي صدام حسين رئيس العراق، واستمرت هذه الحرب الضروس حوالي شهر ذي الحجة من هذه السنة.

ثم دخلت سنة ١٤١٥هـ

استهلت هذه السنة والبوسنة والهرسك في شر حال مع كفار الصرب الذين لم يتوانوا عن قتل النساء والأطفال المسلمين، بعدما سنوا بهم ما لم يسنها أحد من اليهود ولا النصارى قبلهم، وكانت البوسنة تدافع على حسب قوتها الضعيفة، وقد حاولوا الوقوف لغارات الصرب.

أما عن راوندا فإنه لما اغتيل رئيسها بحادث طائرة تفجرت وهلك، حصل نزاع من المتمردين ضد الحكومة، فقتل بسبب ذلك مئات الآلوف، وعجزت الأمة عن تسكين تلك الفتنة، فقد عجز مجلس الأمن والأمم المتحدة عن تسكين أولئك الثوار.

أما عن اليمن فمنذ أن نشأت الحرب الأهلية حتى هذا اليوم فقد تم لها شهر وخمسة أيام، وقد استهدفت عدن أن اهتزت حيطانها بقنابل الحكومة الشمالية، وقد أحصيت عدد القنابل التي ضربتها منذ صلاة الفجر إلى تمام الساعة الواحدة ظهراً بالتوقيت الزوالي فكان كل دقيقة يسقط عليها قنبلة، وذلك من حكومة علي عبدالله صالح ومن أمده كالعراق والسودان والأردن، واستقرت الحرائق في عدن أبين، وعجز الإطفاء عن إخمادها، ونفدت المياه في عدن والحكومة الجنوبية، حتى قامت العربان واستعملت

الآبار لقلة المياه فيها، وأصدر مجلس الأمن أوامره بإيقاف إطلاق النار، ولكن الشماليين لم يخضعوا، ويواعدوا ويماطلوا، واستهدفت الذراري والمدنيون، والعياذ بالله من ذلك، وألقيت جثث القتلى في البحر، واشتدت الأزمة جداً وتفاقم الأمر، وعظم الخطب.

كما أن كوريا الشمالية ظهرت بمظهر المعاند عن الخضوع للتفتيش عن أسلحتها الكيماوية، فنجم عن ذلك نزاع بينها وبين أمريكا، ولا تزال مصرة على أمرها وتهدد العالم بقوتها، ولما أن كان في غزة محرم جلبت أمريكا صواريخها إلى كوريا الجنوبية بعد استعداها للخطة من تقلبات أمريكا الشمالية ومواجهتها بالقوات التي لا قبل لكوريا بها.

أما الحديث عن أنغولا ففيها حركة واضطرابات، فقد قتل فيها أربعمائة وخمسة وسبعون، وجرح خمسمائة، ونقصت المواد الغذائية عن التوصل إلى والوصول، وذلك في ١/١ من هذه السنة لعدم الأمن هناك، وشدة المخاوف.

كما أن الصومال وأفغانستان لا تزالا في تقلباتها، والرئيس العراقي لا يزال يوقع الفرص لأذى المسلمين من الجيران وغيرهم، ولما أن كان لا يخلد إلى الراحة والطمأنينة أخذ يمد اليمن الشمالي بالقوات لحرب الجنوب بطيارين ثم بالطائرات العراقية، لأنه جبل على الأذى وسفك الدماء وإخافة الآمنين، ولكن له يوماً سيلقاه بإذن الله، وكان لما أن هزم في حرب إيران وحرب الخليج، وفشل في ضم الكويت إلى العراق لم يجد إلا الأذى إلى شعبه الذين أهلكهم الجوع والأمراض، وحرق حقولهم وأشجارهم، ودك بيوتهم عليهم فما فعل بالأهوار وغيرها.

وفي كشمير وغيرها من أذى المسلمين وتقتيلهم ما نقول أن أرجاء المعمورة تغلي من أجل الفقر فيها.

حالة اليمن المريرة

لما دخلت هذه السنة امتدت الوطأة على اليمن الشمالي والجنوبي، ولسوء

الحظ تدخل أناس لا ناقة لهم ولا جمل، فتقدمت العراق بطياريها، وإيران بعشرة ألوية، وقام حسين عمان وحكومة السودان يقاتلون مع اليمن الشمالي ضد اليمن الجنوبي، وجرت أضرار مخيفة في اليمن، وذلك من ضرب القنابل وإرسال الصواريخ، واشتدت المعركة على الجنوبيين، وتوقفت مصلحة المياه عنها بحيث رجعوا إلى الآبار يبحثون عن الماء ويبيعونها على العربات، وحرقت مصفاة الزيت في الجنوب، وحصل من الأذى ما الله أعلم به، وكان الرئيس الشمالي يقوم بإيقاف إطلاق النار ثم يهجم على غفلة من الجنوبيين، حتى استهدف الجنوب للسحق والمحق، فطلب اليمن الجنوبي من الدول الكبار إيقاف إطلاق النار، فلم تفلح، واشتد البلاء.

ولما أن انتهت هذه الفتنة في اليمن التي جلبت للمنطقة الدمار والويلات، ودمرت العمران والعجزة من الشيوخ، والأطفال والنساء، ولم يكن في اليمن عقلاء من فوقها يطفئونها، وكان كل من الطرفين يريد الانتصار، ونشر الهلاك لهذه الأمة وذهاب أموالهم، وتدمير منازلهم لما يريده الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:١١]، فعياذاً بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وما أحسن من الرجلين أن يجتمعا ويتفاوضان في إيقاف ذلك البلاء المستطير، ويعلموا بأن ذلكم تسكين الفتنة وإخمادها:

فقل لرجال الضبط والربط إنكم ... أسود حروبٍ للخطوب تقارع
لا يحيى الأنساب خوابت نتوسلم ... لا مهال الفي حتى يجمع
ألم تعلموا أن الفساد تعاقد ... ومصلق عبقر السان النصيع
وبربوة ينمو كل ما كان مهملا ... لجذوة نار شرها يقوقع
فإن لم نجد فعل العوقد مطفئا ... عجولا خوف فيها ليوث وأربع
لذا جعلها خلاف الرعايا رعاعها ... أذا لم يقم للمفسدين مروع
فإن قمتم في واجب النصح بينهم ... فأنتم على نور من الله ينفع
وقد أعفيت تلك الرياح عما قد ... نزيل يسيل الحق عنا ويرفع

وكنت أذكر أن حرباً نشبت بين جيشين من العرب القدماء، وكانت نيران الحرب تضطرم فكان سبب إطفائها امرأة من نساء العرب الصلحاء ذات شرف ومقدرة، ونحن نسوق القصة، ذلك بأن أمير من أمراء العرب قال لمن حوله: هل يوجد أحد لا يزوجني؟ فقيل له نعم فلان، فركب الخاطب تحدي ورجاله متوجهاً إلى ذلك الشخص، ولما أن قدم عليه خطب من إحدى بناته فكأنه لم يُعره اهتمام فرجع، ولما أن ولى ذاهباً قالت له زوجته من هذا الرجل، فقال: هذا أمير فارغ البال يخطب إحدى البنات، فقالت: ولم لم تزوجه وهو كفو ومن جهةٍ أخرى فإنه أقوى منك، فيوشك أن يغزوك في عقر دارك ويأخذ بناتك سراري، اذهب فرده واعتذر إليه، فركب فرسه ثم أدركه وأبدى عذره وطلب منه الرجوع لينال ما طلبه هذا، وقد كان أهل الجاهلية ينهب بعضهم بعضاً، ويقتل القوي الضعيف قبل بعثة محمد ﷺ ، فلما جاء الإسلام وانتشر في الأرض، حمى كرامة الإنسانية، ولما أن رجع دعا ابنته الكبرى فعرض عليها الزواج، فاعتذرت قائلةً: يا أبتِ هذا رجل شريف وإني لم أدرس ولم أتأدب، فعدل عنها إلى أختها، وعرض لها الموضوع، فاعتذرت بمثل كلام أختها، وقالت: الأمر إليك، ولكنني أخشى أن لا أسترك، فعرض الموضوع على الثالثة، وأجابت بكلام أختيها، فدعا الصغرى وقال لها: إني أريد أن أزوجك برجل كريم، فقالت: لا مانع من ذلك إذا رأيته وأشرت به فأنت والدي الحنون، وأنا البنت المطيعة، فعقد لها عليها وقاموا بتجهيز طعام العشاء، ومائدة الزواج، ودعوة الجيران، ونحر الخرفان، ولما أن كان الليل ودخل في موضع النوم وأرادها قال: ليس ذلك من الشيمة أن يكون افتضاضك لي بين أخواتي، فإذا سرنا فشأنك، فاستشار وزيره فأشار عليه بالنزول على رأيها، ولما أن كانوا في أثناء المسير وخلى بها قالت: كأني تعبة وأنا لك فاصبر حتى تقدم بلدك وتنحر الجزور، وتدعوا الجيران إلى مائدتك، فشق ذلك واستشار وزيره فقال: نعم، وإني أراها نجيبة، ولما أن قدموا وفرغوا من طعام المائدة التي هيئت لزواج الأمير ودخل عليها يريد افتضاضها قالت: أيها الأمير إني لك وإن أبي يقول قد زوجتك برجل عظيم وكفؤ

كريم، فإن كنت كذلك فأريد منك أن تسكن هذه الحرب التي بين عبس وذبيان، فشق ذلك عليه، واستشار وزيره، فأشار عليه بقبول كلامها، وكانت الحرب قد نشبت منذ ست وسنين بين قبيلتين قد سكنت كل قبيلة بجبل من الجبال، وما وقعت عليه السهام، ذهب ضحية تلك الحرب، ولقد جاء أحد المشاهير على فرسه يشير بعلم أبيض، فقال الفريقان المتحاربان هذا أبو فلان، ولم يخرج هذا الخروج إلا لمهمة، انزلوا وكلموه واسألوه، فقال: إن هذه الحرب التي أهلكت الأنفس والأموال لا بد من تسكينها فجعل الأمير يصالحهم، فأحصيت الديات فبلغت مائة دية، فتحملها ثم إنها سكنت الحرب، وذهب كل فارس إلى بيته، ولما كان بعد سكونها بأربعة أيام قام رجل من إحدى القبيلتين لا يعرف صلحاً ولا هدنة لأخذ الثأر من قاتل ابن عمه فقتله على غرة بعدما وضعت الحرب أوزارها فرجعت الأمور إلى وضعها، وقالوا خدعنا فلان الذي سكن الحرب، فقام وركب فرسه وأردف ابنه خلفه وخرج إليهم، وقال: هذا أمر لم يكن باستطاعتي وجرى ولكم ابني هذا فاقتلوه ومزقوه، وقد رأوا مواقفه تلك من صفح عن القاتل كغيره، وقد حضر هذا الشاعر الجاهلي صاحب المعلقة وهو زهير بن أبي سلمى بقوله يمتدح الرجلين الذين أطفئا هذه الحرب وسكناها، وهما الحرث ابن عوف وهرم ابن سنان:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله ... رجال بنوه من قريشٍ وجرهم

يميناً لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سجيلٍ ومبرم

تداركتما عبيساً وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منسم

وقد قلتما أن ندرك السلم واسعاً ... بمال ومعروف من القول يسلم

إلا أبلغ الأحلاف عني رسالةً ... وذبيان هل أقسمتم كل مقسم

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ... لتخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضر إذا ضريتموها فتضرم

فتعــرككم عــرك الرحــى بثفالهــا وتلقــح كشــافاً ثــم تنــتج فتتــؤم
فيصــبح لهــم غلمــان ســام كلــهم مــا جــرى دايــم لرضــع ففصــهم
لعمــري لــنعم الحــي حــر علــيهم بمــا كــان إلــيهم حســين بــن ضــلم
وكــان جــوير الثنــى علــى مســلم فـــلا هـــو أبـــدها ولم تنعـــدم
وقــال سأقضــي حــاجتي لهــم أبقــى بجـــدوى بالفـــذ وراع ملحـــم
فشـــد لهـــم بفـــزع هـــون لغـــيره لدى حقيق القف رجلـها أم سـبقهم
لــدى سديســاً لــي الســماح فعنــده لــــذنبق أظفــــاره لم تقلــــم
جرى متـى يصـلهم العاقـب بظلمـه عريقـــاً وإلا يبـــد بـــالظلم يظلـــم

تأسيس دولة فلسطينية

لما أن كان في يوم السبت الموافق ١/٢٣ قدم الرئيس ياسر عرفات إلى مدينة غزة وأريحا، وكان الذين وقعوا على الحكم الذاتي من الفلسطينيين في قطاره، فأقيم احتفال لياسر عرفات الرئيس للحكم الذاتي، ولما أن قدم سار تحت حراسة قوية من الفلسطينيين، وصفقوا له والقيت الخطب، وكان لهذه الغادرة، ولكن حماسية حماس لم يوافقوا على تصرفاته تلك ذلك لأن أريحا وغزة لا تقنعهم عن القدس والمسجد الأقصى وسائر فلسطين المحتلة، وكان للرئيس نظرة وهو أن مالا يدرك كله لا يترك كله، ولسان حاله يقول: هذا الذي حصلنا عليه أولاً والثاني في الطريق، وقد يكون ذلك نظراً وجيهاً لما كابده أهالي فلسطين بعد مرور تسع وعشرين تماماً من طردهم، وقد أفرج لذلك الصلح عن بعض السجناء من أهالي فلسطين، ولكن سوريا ومن كان على خلاف مع إسرائيل لم يخضعوا للصلح.

سقوط عدن

لما أن كان في يوم الخميس ١/٢٩ استولى اليمن الشمالي على الجنوبي بعدما أحرقت الشمالية مطار عدن وأعدمت ودمرت وقتلت النساء والأولاد، وضربوا مصفاة الزيت، ودمرت جميع مضخات المياه، ووصلت الحال باليمن الجنوبي إلى أن

كانوا يجلسون على سواحل البحر ويحفرون الآبار، وكادوا أن يهلكوا عطشاً، وفر الزعيم علي سالم البيض إلى عمان وذلك بمساعدة صدام حسين والسودان، وحسين ملك الأردن، وسام السكان سوء العذاب فلا حول ولا قوة إلا بالله، ونهبت أموال اليمن الجنوبي، وحطمت مساكن الأهالي.

وفيها وفاة الشيخ عبدالعزيز بن صالح الصالح رئيس محاكم المدينة المنورة رحمه الله وعفا عنه، وكان من العلماء الثابتين على مبادئهم، ولم تجزعهم زعازع الزمان عن عمر يناهز الخامسة والثمانين، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم الثابت إمام المسجد النبوي وخطيبه زمناً طويلاً، قالت إحدى الصحف السعودية في وفاته: الأمة تودع الشيخ عبدالعزيز بن صالح حزينين خشوعاً ... رحل، ولد الشيخ بمدينة المجمعة عام ١٣٤٨هـ في أسرة كريمة ذات أصالة في الرأي، حفظ القرآن الكريم في صغره قبل البلوغ ودرس على المشايخ الأوائل، خاصةً الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري أحد كبار علماء عصره، وأما دراسته للتجويد على شيخ المسجد النبوي حسن الشاعر، وظهر مخايل النبوغ في صغره، وقام في صغره بمساعدة إمام مسجدهم لصلاة التراويح، وكان عمره ست عشرة سنة، ثم عين إماماً للمسجد في المجمعة ورئيساً لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمجمعة في نفس الوقت الذي كان يواصل فيه دراسته، عين في سلك القضاء في الرياض مع فضيلة الشيخ عبدالله بن زاحم، فالتحق في تلك الفترة بالمشايخ في الرياض، وصاحب آل الشيخ وسماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم، وفي سنة ١٣٦٣هـ اختاره الشيخ عبدالله بن زاحم من المقربين من الملك عبدالعزيز يرحمه الله، ورأيساً لمحكمة المدينة المنورة، بدأ فضيلته إماماً بالمسجد النبوي في شهر شعبان ١٣٦٧هـ مساعداً لفضيلة الشيخ صالح الرغيبي، وخطيباً للمسجد، وأحياناً في الصلوات الجهرية، رحمه الله.

في يوم الخميس الموافق من ٢٥/ ٣ وفاة الشيخ عبدالرزاق عفيفي المصري، كان من العلماء المتقدمين بأعلام الشريعة، والموثوق بهم في علم الفقه، ولد عام

١٣٢٣هـ، كان نائب هيئة كبار العلماء سابقاً، وقد درس العلم من الأزهر وتدرج في سلك التدريس بدار التوحيد بالطائف عام ١٣٦٤هـ، ثم في كليتي الشريعة واللغة بالرياض هذا قبل أن يعين مديراً للمعهد العالي للقضاء، وقد قال الشيخ محمد السبيل: إن الراحل خسارة كبيرة على المحكمة، وخسارة للأمة، ولقد فقدت الأمة شيخاً فاضلاً خدم الدين بكل صدق وإخلاص، في سنوات طويلة قام بنشر تعاليم الدين الحنيف الإسلامي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تعلم على يديه العديد من طلبة العلم، وكان حليماً وقوراً، ولا يخلو مجلسه من طلبة العلم، وقال عنه بعض العلماء: بأن الشيخ عبدالرزاق عفيفي قد عمل بعد قدومه معلماً في دار التوحيد، ثم انتقل للمعاهد العلمية عضواً في اللجنة الدائمة للبحوث، ثم عضواً في هيئة كبار العلماء، وكان رحمه الله عاقلاً وما زال يعطي العلم للذين يتلقونه على يديه، يعرفون له جده واجتهاده، وقال عنه بعض العلماء: أن وفاته خسارة كبيرة للأمة الإسلامية التي هي أحوج ما تكون إلى أمثاله.

وفيها في ٢٣ ربيع الثاني تفشى في بلاد الهند وباء أصيب به مئات من السكان وربما إذا كافحوه بشيء من المضادات سلم المصاب بدون ألم إن وقع فيهم الوباء تقطع جميع المواصلات بالطائرات والسيارات والمراكب البحرية، وعدم السماح لهم أن يقدموا إلى الجهات الأخرى وحقيقة تفشي الوباء فيها، ولا بأس بذلك لحديث إذا وقع الطاعون ببلد وأنتم فيها فلا تخرجوا، ولما أن وقع ذلك قامت حكومة الهند بمكافحته فزال بإذن الله في ظرف أيام، وقد أحصيت الوفيات فلم تزد عن ستين، وفيه سمح بالذهاب إلى الهند والإتيان منها.

وفيها في ٢٨ ربيع الثاني أصيبت اليابان بزلزال بلغت درجته سبع درجات، ثم بعد ثلاثة أيام أصيبت بأقل من الزلزال الأول.

زحف العراق إلى الحدود الكويتية

لما أن كان في ٢/ ٥ حشد صدام مائتي ألفاً من ثلته يضم ثلاثة وخمسين دبابة

إلى حدود الكويت، وأخذ يتهدد ويتوعد يريد احتلال الكويت، وكان قد حيل صبره من ضغط أمريكا عليه في الاقتصاد في معيشة العراق، فأقدم على ذلك العمل الانتحاري، ولما أن جرى ذلك أجلبت الأمة بإذاعاتها ضد صدام وقامت أمريكا تتهدد العراق وتتوعده، وطلبت من المملكة العربية السعودية السماح لها باستخدام بوارجها الحربية وحاملات الطائرات، والسماح لها بهبوط الطائرات في الأراضي السعودية، وذكرت الحكومة السعودية أن الاعتداء على الكويت اعتداء عليها، ولما أن أصرت العراق على حشد قواتها على الكويت قامت أمريكا وجهزت مائة ألف جندي وخمسة وستين ألفاً، وبعثت ستمائة طائرة، كما قامت فرنسا والإنكليز ينذرون ببعث القوات ضد صدام، وكما قامت حكومات أخرى ضد صدام، وجعلت الأمة تترقب ماذا يحصل من ضرب العراق، وجعلت العراق تستعد لضربات أمريكا بالمطافئ على قدر استطاعتها.

في بقية ثلاث أيام من نوء، وأربعة أيام من أوائل الوسمي هبت رياح شديدة بأمطار جعلت في أواخر هذه الأيام ورواحاتها من بعد الظهر يتعكر الطقس تنشأ سحب كثيرة من دون برد، وقد هطلت أمطار على مدينة حائل وعسير وما يلي تلك المناطق، واشتعلت البروق ورنت الرعود، ولقد هطلت أمطار كثيرة، تبارك الله في أمطاره، أما عن البحارة فهم يزعمون أن كل نقطة من القطر تقع في البحر في الوسمي فإنها بإذن الله تعالى تكون لؤلؤة.

عواصف رعدية وصواعق

نزلت على مصر ففي اليوم ٢٨ من جمادى الأولى من هذه السنة أصيبت مصر بإعصار شديد وصواعق أصابت مصر على العاصمة، وسقطت صاعقة على خزان البترول فيها فالتهبت الحرائق وحدث فيضان لم يعهد مثل ذلك في هذه السنين الأخيرة، منذ خمسين سنة، فأصيب خمسمائة من جراء ذلك بالهلاك، وانتهت ثلاثمائة جثة هامدة، وبالعواصف والصواعق والأمطار الشديدة حدث فيضان في

القاهرة بحيث تعطلت الحركة ساعات، وارتفع منسوب المياه إلى ارتفاع ٣٧٤ سنتمتر، وتحطمت الجسور، وقد عم البلاء في فلسطين وعمّان بما في ذلك تل أبيب، وشرد أناس عن بيوتهم لما دهاهم من أمر الله شيء لا يعرفونه فيما قيل، وقد بقيت الطائرات من السعودية تحمل الأرزاق إليهم، كما أن ليبيا بعثت بمساعدات لمصر وقدرها مليون دولار، وكان الحادث قد وافق ٢ نوفمبر يوم الأربعاء، ومما زاد الطين بلة أن الصاعقة ضربت خزان البترول فالتهب وساح على الأرض التي تجري عليها المياه، فالتهبت الماء وجعلت الشوارع تجري ناراً، ودخلت البيوت فاحترق كل بيت دخلته، وذلك ليلاً، وهلك بسببه خمسة آلاف نسمة، ونادى الرئيس حسني مبارك بجمع التبرعات من فرش وثياب وطعام وأرزاق، وإنقاذ المصابين من الحوادث، لما كان في المساعدة التخفيف من الشر.

وفي ليلة الثلاثاء ٥/٦ هبت عاصفة على الخبراء من بلدان القصيم فحطمت بعض الأشجار ومواسير الكهرباء، ثم سارت العاصفة بإذن الله قرية وثال وسببت أضراراً عظيمة بحيث أتت على بعض النخيل والأشجار فخربتها، ولم يسلم الجهد الذي بذل، وهذا شيء نادر الوقوع لأن الرياح والعواصف إنما تهب أواخر الشتاء، والله على كل شيء قدير، وقد جاءت الأنباء بأن فرنسا أصيبت بفيضان وأضرار في هذه الآونة.

وفيها في يوم السبت ثالث وعشرين من جمادى الآخر في آخر الوسمي أصيبت إيران بلاد العجم من فارس بأمطار غزيرة وفيضانات، فدمرت سبعمائة قرية من بلاد إيران، وهذا شيء نادر الحصول، نسأل الله اللطف بالمسلمين الموحدين.

وفيها قامت فرقة حماس الفلسطينية تهاجم إسرائيل فتدخل الرئيس ياسر عرفات لوقف الفلسطينيين على أن يعتذر لإسرائيل حسب الاتفاقية، فوقع على الفلسطينيين أن قتل أحد عشر وجرح ما يزيد عن خمسين، وقد أحتج أعداء ياسر عرفات أن هذا من عثراته.

توافق في ٢٦ جمادى الآخرة وافق ٢٩ نوفمبر وهو اليوم العالمي الذي وقع فيه

تقسيم فلسطين، وهذا الذين يبعث الأحزان لأجل احتلال فلسطين فينا، فيتخذه أهالي فلسطين، فإنما لهم ذكرى حزن في هذا اليوم الذي طردوا فيه عن بلادهم، ولقد احتج العالم العربي والإسلامي، وجاهدوا ودافعوا عن فلسطين، ولكنهم لم يحصلوا على طائل، وإن دولة تساندها أمريكا تجدها قوية، كما أن بريطانية وفرنسا تمدها وتناصرها، لذلك لا يستطيعون، ولكن الحق فوق القوة، ومجلس الأمن ينبغي أن يسير بالعدالة والأمن.

وفيها في أوائل الأربعانية اشتدت وطأة البرد جيداً وتجمدت المياه حتى أن ومواسير المياه في حفر الباطن توقفت عن الدفع في أول النهار.

في ١٢ رجب خرج رفقة إلى الموضع الكائن قريب من «قبه»، ولما أن كان أحدهم قد ذهب لطلب الحطب ضل الطريق في مجيئه، ووقفت السيارة لعدم وجود الوقود، فانتظره أصحابه إلى نصف الليل، فلم يرجع فبحثوا عنه إلى آخر الليل، ولما أن لم يجدوه ذهبوا بسياراتهم للبحث عنه، وطفقوا يبحثون عنه في المساجد والجمعات والمستنقعان، فلما لم يهتدوا إليه طلبوا طائرة عمودية لتكشف البر وتشرف على سهوله، وفلم يجدوه، ثم إن بعد أيام تبين أنه وصل إلى بيت أعراب على مسافة خمسين كيلو متر من موضعهم، وقد طلب بنزين فلم يسعفوه، غير أنهم سمحوا له أن يجلس لديهم بشرط أن يكتفي بالماء والتمر فلا يوجد لديهم غيره، فقدر أن مرت سيارة على بعد فأشار إليها وأوقفها، وطلب الركوب معهم، فذكر لهم أنه يريد أم الجماجم، فاستأجر منهم ركوباً إليها، وبعد وصوله كلم أصحابه في مدينة بريدة بالهاتف، فاستبشروا وذهبوا إليه، ففرح أهله وجيرانه واستبشروا بعد اليأس.

وفيها في يوم الاثنين ٨ شعبان وفاة الشيخ عبدالله خياط إمام وخطيب المسجد الحرام غفر الله له وأسكنه فسيح جنانه.

وفيها في صباح يوم الثلاثاء المبكر الموافق ٨/١٦ أصيبت مدينة كوني اليابانية بزلزال شديد بلغ سبع درجات، فارتجت المدينة وما يليها من البحر، فهلك بسبب

ذلك سبعة آلاف قتيل وجُرِحَ وخمسون ألف وفروا عن المساكن مائة ثلاثين تهدمت من مساكنهم، ويعد هذا من أعظم ما جرى على اليابان في السبعين السنة الأخيرة، وقد بعثت الحكومات إليها المساعدات المادية والفرش، كما أن السعودية بعثت إليها خمسة ملايين دولار.

كما أصيبت تركيا بهزة.

وفيها في يوم الاثنين ٢٨ رمضان وفاة الشيخ ابن عبدالله صالح بن أحمد الخريصي رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ صالح بن أحمد الخريصي قاضي بريدة ونواحيها، أصيب بمرض السكر فأقعده، وسبب له التقاعد، ثم قدّر أن يسقط في الحمام مما أثر عليه بالفالج وورم في إحدى ساقيه، فلبث في هذا المرض حتى توفى عن عمر يناهز السادسة والثمانين، لأن ولادته كانت عام ١٣٢٨هـ، فشب ونشأ ودرس في إحدى مدارس بريدة، وبعدما حفظ القرآن ودرس مبادئ الحساب، وأخذ الدراسة على الشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي رحمهما الله، ثم إنه أخذ عن الشيخ سليمان بن عبدالله المشعلي العالم المشهور، وجد ونافس، ثم إنه كان في رئاسة هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولديه عبادة لذلك، كان شديداً في لزوم العادات، ولا يميل إلى المستحدثات الأخيرة، حتى أنه كان لا يستعين بمكبر الصوت، وقد كان في إمامة مسجدهم الكائن في شمالي بريدة، وما زال في الإمامة حتى أدركته الشيخوخة، وأقعده المرض عن الإمامة فكان إماماً وخطيباً في ذلك المسجد، وترمقه العيون بالتعظيم، ثم إنه عين قاضياً بالخرج في سنة ١٣٧٢هـ، ثم نقل إلى قضاء الأسياح وبعد ثلاث سنوات نقل إلى قضاء المستجلة في بريدة، فكان مساعداً للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، ثم إنه جعل رئيساً لمحاكم القصيم عام ١٣٧٧هـ، واستمر في هذه الوظيفة بعدما تخلى عنها الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، ولبث رئيسها حتى أحيل إلى المعاش عام ١٤٠٧هـ، وكان إضافةً إلى المحكمة مدرساً في مسجد بالعلوم الدينية، وقد لبث في الخدمة أربعين عاماً، وبعدما

تقدم في العمر استمر في التدريس، وكان له خط ضعيف، وكان في كل أعماله موضع التقدير من قومه، وله رسائل ونصائح قليلة، وملازماً لمذهب الإمام أحمد، وكان من الذين لا يؤيدون مخترعات الوقت بل ثابتاً على مبادئه، حتى أنه لا يرى تعليم الفتاة العلوم المدرسية، وجد وجاهد في إزالة تعليم الفتاة، ولم يحصل على مقصوده، وقد نال حظاً من القيادة والتلاوة والحج والعمرة، ولديه ورع وعبادة وخشوع، وكان مرجعاً في زمنه لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب استطاعته، وله تلامذة يقدرونه ويقفون عند توجيهاته، ولما أن توفى يوم ٢٨ رمضان ١٤١٥هـ حزن عليه المسلمون، وصلي عليه في مصلى العيد ببريدة، وصلى عليه ابنه سليمان، وقد رُثيَّ بمراثي حسان، كما أنه كريم في بذله للمحتاج، ويقدره الملوك والرؤساء، وما زال كذلك حتى وافاه أجله المحتوم.

وفي هذه السنة هطلت أمطار غزيرة على القصيم، ولما أن كان في عاشر شوال هطلت أمطار على مدينة بريدة مما أدى إلى غرق بعض المستشفيات ولا سيما التخصصي الواقع شمالاً من المدينة، فقد غرق ودخل الماء على المرضى وخرب الأوراق والمعاملات، واستوت الشوارع والأرصفة بعد ما علاها الماء، وكانت الدنيا كالبحر، ولهطول الأمطار في الرسمي توفر وجود الأقط والكمأة بأنواعها، وعم الكلأ والعشب نواحي الأرض، ولا يزال الخلائق في النعيم والرفاهية لآثار وجود الربيع، ولكن الأغنام وأنواع اللحوم في أثمان باهظة، وقد قلت الزراعة وضعفت في هذه السنة لعدم العناية بها.

ولما أن كان في يوم الاثنين ١٩ شوال الموافق ٢٩ الحوت هطلت أمطار على مدينة بريدة ثلاث عشرة ساعة، وكادت أن تتعطل السير لمدية أيام، وقد نزلت المياه في أسفل المستشفى التخصصي مما أدى إلى عمل لشفط الماء بالوايتات، وفي كلها بين الجانبين توقف السير في مدينة بريدة، وقد هطلت في هذه الأيام الأمطار على مدينة الرياض، وما حولها بعد قحط فيها وجدب، كما أنها سقطت بيوت في بعض النواحي لكثرة المياه، وهلكت أمة غرقاً في بعض المستشفيات خاصةً في الطابق

السفلي، وقد ذكروا توفر العشب والكلأ الكثير في بعض الأماكن في حفر الباطن وهجرة، والزلفي، وعلى كل حال فإن الربيع فيه أمطار، وفي الحديث ليس القحط إن لا تمطر، إنما القحط إن أمطرت ولا تنبت الأرض، ومع ذلك فإن مواشي وادي الدواسر الذي امتلأ، وقد أقبلت بلاد قطر مدينة آل ثاني لطلب الرعي في منطقة القصم حيث الكلأ.

حريق في منى

وكان شديد جداً، وقد وقع في ١٤١٥هـ لما كان في يوم سابع ذي الحجة في وقت طلوع الفجر شب حريق في منى، وقد كان الحجاج منشغلين يدعون الله ويستغفرونه ويتهيؤون للحج، وقد امتلأت منى بالخيام والزحام وكلٍ قد انشغل بنفسه فلم يشعروا إلا وقد أصيبوا بقارعة من أيادي أعداء الإسلام والملّة، وقد اضطرمت النيران في الخيام وزاد الطين بلة أن هبت رياح شرقية جنوبية مؤذية فازدادت الأمور تعقيداً، وغطى الدخان الأسود نور الشمس، وأسفرت النيران وأحرقت على جميع الخيام التي مرت عليها حتى جاءت فرق الإطفاء والدفاع المدين، ولكن زالت الشمس، وقد قامت الحكومة بنصب خيام بدلها، ولم يهلك سوى رجلين، واختنق ٦٩، وجرح ١٩، ويمكن أن تكون هذه الحريق من يد عاملة ضمن منى.

ثم جاءت سنة ١٤١٦هـ

وفيها في أحد أيام ربيع الأول فرَّ عن العراق ابنتا صدام حسين والتجأتا إلى عمّان تحت ولاية الملك حسين بن طلال، ومعهما أحد زوجيهما، وكان هذا على ثقة من صدام، ولكنهم كغيرهم كرهوا أعماله، وبعث نجله عدي يحتج على الملك حسين، وطلب منه رجوعهم إلى العراق فمانع الملك حسين وتظاهر بأن البنتين كلاجئ سياسي كما يقره القانون، فتأزمت الأمور بين العراق والأردن، وكان ملك الأردن رأى أن القانون الدولي يمنع طردهم، وقام الرئيس صدام يرغي ويزبد،

وجند الجنود وجيّش الجيوش لحرب عمّان، وقرر ضربه بالقنابل، وذلك كان بعدما رجع الابن عدي صفر اليدين، ومن العجائب سرعة تقلبات صدام كأنه ريشة في مهب الريح، فبينما هو يستحوذ على الملك حسين ويمنيه ويعده باسترجاع الحجاز، ويمده بالسلاح والذخيرة لحرب السعودية إذا به يتقلب عليه ويجر المدافع، ويرسل الطائرات لحربه، فلما أن علمت أمريكا بما يضمره وما يريده ضد الأردن أعلنت بأنها ستضرب العراق وتنكل به، وهكذا كان أمر هذا الطاغية المجنون، وقد ظهرت إشاعات عنه بأنه يريد اللجوء إلى إحدى الدول لأنه خاف على نفسه وأصبح غير آمن في العراق، ويخاف اغتياله، بعد المحاولات العديدة، غير أنه يفوز بالنجاة من تلك المكائد التي رصدت له، وسبب على العراق الجوع والأمراض والفقر بسوء سياسته وقبح تصرفاته.

حادثة من الحوادث

لما أن كان في يوم الثلاثاء الموافق ٢٩ محرم ١٤١٦هـ الموافق ٢٧ يونيو ١٩٩٥م ثار الأمير ولي العهد القطري رئيس الوزراء وقائد القوات في قطر على والده وهو في جنيف ليقضي أيام المصيف هناك، وهو حمد بن خليفة بن حمد آل ثاني، فخلع والده خليفة بن حمد وساعده بعض الشعب وخلعوه وولوا الأمير حمد فأصبح الابن حاكماً في قطر، وذهب الأمير المخلوع إلى فرنسا يتوعد ويتهدد، وأنه سيقوم على ابنه وأتباعه ويمشي على جنائزهم، ولكنه لم يحصل على شيء، ثم إنه قام الأمير الجديد ينظم الأمور، وأقام الجيش والقوات يحافظون على الحدود خشيةً من القوات التي تؤيد والده، ولكنه لم ينتطح لذلك عنزان وكيل للأمير السابق بمكياله الذي اكتال به لخلع ابن أخيه أحمد بن علي بن عبدالله بن ثاني، وهو غافل بمصيفه في لبنان، ثم إن الأمير الجديد بعث إلى رؤساء العرب وملوكهم ينبئهم بما حصل، وبما أن هذه تعتبر ثورة داخلية فإنه لم يتدخل أحد فيها، وأوفد إلى السعودية يخبرها بما جرى فاعترفوا به أميراً في دولة قطر، ثم إنه بعث إلى والده يرحب به ضيفاً في

قطر بحيث أن يكون كأفراد الشعب ، وبهذا تعرف قدر الدنيا كما قال أبو الطيب المتنبي:

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها متعنا بها من جيئةٍ وذهاب
تملكها الباقي تملك سالب وفارقها الماضي فراق تسليب

حشدت الحكومة المصرية قواتها على الحدود مع السودان، وذلك بدعوى أن الذين أرادوا اغتيال حسني مبارك من السودان قبل ذلك بأيام، ولكن السودان ضعيفة بالنسبة إلى مصر بحيث أن مصر تقاوم بالمدافع والرشاشات والطائرات، وأولئك ليس لديهم سوى العصي وأسياخ الحديد، ولكن السودان توعدوا بقطع النيل عن مصر، لأنه يأتي إلى مصر من قبلهم، فتجلت تلك المشكلة من لا شيء، وسكنت التحركات.

وفيها في شهر ربيع الثاني قامت أمريكا لما أن عيل صبرها من الصرب الذي أذوا المسلمين في البوسنة والهرسك، وذبحوهم ذبح النعاج، حتى كان أحد قواد الصرب يتظاهر بأنه لم يصب بجرح واحد في قتاله للمسلمين هناك، إلا أن الشفرة التي بيده خطرة على فخده التي كان يضجع المسلمين وأولادهم عليها للذبح، وكانت أمريكا والأمم المتحدة قد أنذرت الصرب وحذرتها من تلك الأعمال الوحشية، وشريعة الغاب، فلما لم تنته الصرب ولم تخضع لأمريكا، ساقت القوات وأمرت شمال الأطلسي بضرب الصرب، وشتت قواتها وأعطتها درساً، ولتظهر قوتها أمام العالم، فقامت راجمات الصواريخ والطائرات المدمرة تضرب قوات الصرب وتشتت جمعها حتى لم يبقَ أمامها مقاومة يومئذٍ، وتفرقوا شذر مذر، وناهيك بأمريكا وما لديها من البأس والحرب والضرب، وأقبلت التبرعات والإمدادات للبوسنة والهرسك.

في هذه السنة وما تليها ازدادت رغبة الأمة في الدراسة، وأقبل الشباب أبناء وبنات على الدراسة والتعلم إقبالاً لم يعهد قبله في قديم الدهر وحديثه، وأصبحت المدارس كاظة ومزدحمة على طلب العلم، ووقع ما أخبر به صاحب الرسول ﷺ عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من قوله: كيف أنتم إذا لبستكم فتنةً يربو فيها

الصغير ويهرم فيها الكبير، وتؤخذ سنةٌ يجري الناس عليها، فإذا غير منها شيء قيل تركت سنة، قيل متى ذلك يا أبا عبدالرحمن؟ قال: إذا كثر قراؤكم وقل فهمكم، وكثرت أموالكم، وقل أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين، رواه الدارمي، ولولا ما وضعت الحكومة من جعل إعداد للقبول لكان الأمر فوق ما يتوقع، وقد يتجاوز العدد إلى رغبة غير معقولة فقد حدثني أحد المسؤولين بأنه يرد على كل جهة من المعاهد والثانويات، والمتوسطات وسائر المدارس، كلّ سنة ما يتجاوز الألوف من الفتيان والفتيات، ولا سيما مدارس البنات، فقد أوسعت الحكومة المجال لقبولها، وأخذت عدة بيوت تضمها لأن تكون مدارس، وذلك عن طريق الإجار بقيمة باهظة، وكان التعليم مجاناً، ومن تخرج من الفتيان والفتيات فإنه يجعل بالوظائف المختلفة، وكانت الحكومة تبذل مكافئات لبعض الطلاب والطالبات، وفي بداية الأمر تجلب الحكومة من خارج المملكة معلمين ومعلمات، وفي هذه الأونة استغنت الحكومة بما لديها من المتخرجين، وقد أثبتت اللغة الإنكليزية في المناهج، ومن الفتيات من تفوق بنشاطها على الفتيان، نسأل اله تعالى أن يجعل العاقبة إلى خير، ومما قال الشاعر المصري أحمد شوقي في وجوب احترام المعلم، ومعرفة قدره، لأن المعلم يغذي الجيل ويركز الآداب والأخلاق:

قـم للمعلـم وفـه التبجـيلا ... كـاد المعلـم أن يكـون رسـولا
أعلمت أشرف وأجل من الذي ... يـبني وينشـئ أنفسـاً وعقـولا
سـبحانك اللـهم خـير معلـم ... علمـت بـالقلم القـرون الأولى
أخرجت هـذا العقـل مـن ظلماتـه ... وهديتـه النـور المـبين سـبيلا
وطبعتـه بيـد المعلـم تـارةً ... صـدئ الحديـد وتـارةً مصـقولا
أرسـلت بـالتوراة موسـى مرشـداً ... وابـن البتـول فعلـم الإنجـيلا
وفجـرت ينبـوع البيـان محمـداً ... فسـقى الحـديث ونـاول التنـزيلا

إلى أن قـال:

وإذا أصـيب القـوم في أخلاقهـم ... فـأقم علـيهم مأتمـاً وعـويلا

وإذا النســـاء نشـــأن في أميـــةٍ وضـــع الرجـــال جهالـــةً وحمـــولا
لـيس اليتـيم مـن انتهـى أبـواه مـن هـــم الحيـــاة وخلفـــاه ذلـــيلاً
فأصـــاب بالـــدنيا الحكمـــة فيهـــا وبحســـن تربيـــة الزمـــان بـــذيلا
إن اليتيـــم هـــو الـذي تلـقـى لــــه أمــّـاً تـــخـلـــت أو أبـــاً مشـغـولا

إن الشاعر المصري أحمد شوقي قد أخذ بعض كلامه من قول الشاعر الحكيم:

ليس اليتيم الـذي قـد مـات والـده إن اليتـــيم يتـــيم العلـــم والأدب

وقد روي أن القاضي أبا يوسف رحمه الله كان يغتزل الشعر مع أمه ففقدته أمه فإذا هو يذهب إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت لأخذ العلم عنه، فأتت والدته إلى النعمان تطلب منه أن يتخلى الابن عن طلب العلم ويشاركها في طلب المعيشة بالغزل فقال لها الإمام: دعي ابنك وشأنه فإنه سيأكل الفالوذج بصحن الغيروزج مع الخليفة، فلم تذهب الأيام والليالي حتى كان مرةً إلى جانب هارون الرشيد يأكل من مائدته ويقدم له هارون الفالوذج بصحن الغيروزج فتبسم أبو يوسف والخليفة ينظر ثم قال: أخبرني ما الذي يضحكك يا أبا يوسف؟ فقال: حتى نفرغ من الأكل فلما غسل يديه أخبره بمقالة أبي حنيفة رحمه الله، فترحم الخليفة على الإمام أبي حنيفة وقال: هو العلم يرفع الله به درجات.

رجعنا إلى ما نحن فيه بصدده، ففي هذه السنة قام الملك فهد بن عبدالعزيز يغير جملة من الوزراء، وأبدلهم بآخرين، إقالة وزير المعارف عبدالعزيز بن عبدالله بن خويطر، وإقالة وزير التعليم العالي عبدالله بن عبدالمحسن بن تركي، وجعل مكانه غيره، ونقل الأول إلى وضيفته، وإقالة مدير الجمارك وأبدل بسواه، وإقالة عبدالملك بن عبدالله بن دهيش رئيس مدارس البنات العام، وإقالة وزير الإعلام علي الشويعر، وابدل بسواه، وإقالة وزير الحج والأوقاف عبدالوهاب عبدالواسع، وإقالة وزير المالية أبا الخيل، كما أن هناك وزراء أبدلوا بغيرهم، أما وزير الدفاع وإمارة الرياض وسائر الأمراء فلا يزالون في مناصبهم.

خطوط دائرية

لما أن كانت حركة السيارات لا تزال في ازدياد وكثرت حوادث السيارات بسبب الزحمة واختلاطها بالمارة من الرجال والنساء والأطفال، فإن الحكومة أيدها الله رأت أن تجعل خطوط دائرية تحف منتهى كل مدينة لتخفيف هذه الخطوط من الزحمة في المدن، وكان لهذه الخطوط أكبر الفضل على الحركة والمشاة، وما زالت المصنوعات الحديثة تتطور حتى أنشأت الحكومة الفرنسية طائرات تسمى سابقات الصوت، فكانت هذه الطائرة بصوتها العالي الرفيع إذا مرت فإن البصير لا يكاد يدركها لسرعتها مع ضخامتها، وكانت تقطع مسافة ثلاثة مراحل للإبل في دقيقة واحدة، ولقوة صوتها فإنها تكاد أن تحطم النوافذ والأبواب إذا مرت من حواليها، وتغلق المسامع بأصواتها التي تغلب على الرعد الصواعق فسبحان الله العظيم.

وفيها يوم الثلاثاء في ٢/ ٥/ ١٤١٦هـ وفاة الشيخ سليمان العبيد، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم رئيس شؤون الحرمين الشريفين ذو الأخلاق الكريمة، والأفعال المستقيمة، سليمان بن عبيد بن سلمي، كان دمث الأخلاق، حسن السيرة، أديباً كريماً متواضعاً، ولد عام ١٣٣١هـ في قرية البدائع في منطقة القصيم بلد أبيه، ولما بلغ من العمر سِن التمييز بعثه والده إلى مدرسة أهلية في البدائع، فتعلم القرآن الكريم، ومبادئ الخط والحساب، وكانت المدارس إذ ذاك أهلية، فنشأ نشأةً حسنة، ورباه والده تربية طيبة في ملازمة الصلوات الخمس واجتناب الرذيلة، وطلب الفضيلة كسائر أبنائه، ولما رأى والده ميله إلى طلب العلم، وعلو همته بحيث لم يكن في إخوانه علماء مثله بعث به إلى ملازمة الشيخ عمر بن محمد بن سليم في مدينة بريدة، وملازمة الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، فأخذ عنهما وأسكنه في حجرة مسجد ناصر بن سيف الذي يتولى إمامته الشيخ عمر بن محمد، وأوصى به صديقنا حسن السيرة ألا وهو صهرنا ونسيبنا زوج الأخت عبدالله بن علي الحمادا، كان

رجلاً ويمتاز بحسن السلوك ولين العريكة، وتهذيب الأخلاق، فكان الشيخ يتردد إلى بيته لتناول الطعام، والشراب بحيث لم يتزوج ولم يكن لديه من يخدمه، واشترى له كتباً ثمينة وجميع ما يتطلبه الوضع، وفرغّه والده لطلب العلم، وكان له زملاء في المسجد المذكور في حجر المسجد، وما زال يتقدم، ثم إنه سافر إلى مدينة الرياض لطلب العلم من الشيخ الفاضل محمد بن إبراهيم آل الشيخ بعد أن كان من زملاء الشيخ علي السليمان الصالح، والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العيدان، والشيخ سليمان بن محمد بن جربوع في بريدة، وكان زملائه في الرياض الشيخ عبدالله بن يوسف بن وائل، والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، والشيخ عبدالعزيز بن باز في أناس آخرين، واختارت الحكومة هؤلاء الأربعة لما كانت تتفرس فيهم العلم والمعرفة، ولما أخذ حظه من العلم في الرياض، بعثت ثلاثة منهم لتولي وظائف الحكومة في القضاء، وبما أن المترجم لم يرضَ هذه الوظائف القضائية ألزمته الحكومة إلزاماً، فقام بوظائف القضاء، وكان عند حسن الظن بحيث لم يشاغب ولم ينازع، بل كان دمث الأخلاق، حسن المعاملة، محبباً إلى الناس.

وظائفه التي نالها

أولا جعلته الحكومة في قضاء بلدة الزلفي، فقام بالعمل خير قيام، ولما رأته الحكومة أكبر من هذه الوظيفة نقلته إلى قضاء المجمعة، ولما أن كان من خيرة بني زمانه لم يرفع عند أخطاء، ولم يشاغب، جعلته الحكومة رئيساً لمحاكم المنطقة الشرقية، ثم نقل رئيساً لمحاكم الرياض، ثم مساعداً لمدير عام التعليم بالمملكة، ثم رئيساً لمحاكم عنيزة، وأخذ من السياسة ما الآن شكائمهم، ولما أن احتاجت محاكم مكة المكرمة رئيساً لمحاكمها بعد فضيلة الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش، نقلته الحكومة لأن يكون رئيساً لمحاكم الحجاز، وناهيك به من حبر، سار بها وخطابها خطا بحسن سيرة وحكمة، ولبث في الرئاسة زمناً قوياً من غير عنف، وليناً من غير ضعف،

أوامره منفذة، وسيرته حميدة، وكان في الوكالة معه الشيخ عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ثم إنها شغرت وظيفة رئيس الإشراف على الحرمين الشريفين بعدما رفع الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد إلى أن يكون رئيس المجلس الأعلى للقضاء في العاصمة الرياض بعهد إمام المسلمين خالد بن عبدالعزيز الملك العادل، ذلك لأنه راجح العقل، وينزل الأمور منازلها، كما جعل الإمام الملك خالد وزير للعدل إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فصدرت الأوامر بنقل الشيخ بن حميد إلى تلك الوظيفة، ولم تجد الحكومة لرئاسة الحرمين غير الشيخ سليمان بن عبيد، وذلك لما كان يختصه الملك فيصل بن عبدالعزيز للمشاورة والاستئناس، لأنه حظي في القرب من الملك فيصل لما رأى حسن سلوكه وقلة مشاغبته، ورضا الجميع عنه، فلبث المترجم في الرئاسة للإشراف على الحرمين، حتى أقعده الكبر، وطلب من الملك فهد بن عبدالعزيز الإحالة على المعاش والتقاعد، فعطف عليه وأكرم مثواه بالإجابة إلى طلبه، وكان المساعد للشيخ سليمان فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل، وهو الذي تولى رئاسة الإشراف على الحرمين، ثم إنه لما استراح من الأعمال أصبح يصيبه الدوار، وقد تصيبه بعض الأحيان قلة الذاكرة، ثم إنه توفي في هذه السنة عن عمر يناهز الرابعة والثمانين وأربعة أشهر، نسأل الله تعالى أن يعلي منازله في الجنات العلى، وفيها النعيم المقيم، وإنها لخسارة عظيمة أن يصاب الإسلام بمثله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وبما أنه صديق لنا وزميل في الدراسة على مشايخنا، فإني أحببت أن أرثيه بهذه المرثية، وهي غيضٌ من فيض:

سلامٌ من الرحمن للحبر ذي النهى ... فما هو عن أسبابها متخلف
عليه سلام الله أزكى تحيةٍ ... وروحٌ وريحان يبدو ويعطف
وإني وإن كنت الذي لا يهمني ... فراق بني الدنيا إذا هم تخلفوا
ولكنني والله ما زلت باكيا ... وأندب أخلاقاً لها الموت يخطف
فهذا صديقٌ مخلصٌ بوفائه ... وهذا قريبٌ بالفجيعة يؤسف

سليمان قد كنت الرزية في الملا وفارقت أحباباً وألفا مؤلف
رمانا بك الدهر الدؤوب بفرقةٍ يكاد لها القلب الرصين لينسف
إذا أنت قد وليت عنا مفارقا سلامٌ على الدنيا إذا كنت تصدف
لقد كان مأمون السريرة فاضلاً وركناً عظيماً في الفضائل يعرف
ويحسن آداباً وليس بطائشٍ على شرعة الهادي يسير وينصف
قد اختاره الرحمن للحجر والصفا وللحجر الميمون يسعى ويهتف
إلى الله نشكوا من فراق أحبةٍ فهذا مضى ختماً وآخر يردف
إذا كنت مفجوعاً بفقد أحبةٍ وإبقاء قومٍ ليس في الخير تعرف
فهذا زمانٌ قلَّ فيه خياره وأنذر في المنقول من كان ينصف
فمن لي بإخلافٍ على الجهل قد نشوا شعارهم حب الرئاسة إن وفوا
فيا دهرنا قد كنت بالسوء موقظاً ففي كل يومٍ فالعلى يتقصف
أولوا العلم صاروا للمصائب عرضةً فهذا مضى والكل منا مخوف
نريد خلوداً في الحياة جهالةً وهذا غراب البين بالبئر يهتف
فمن مثل أركان الهدى قد تفرقوا ودارت رحى هلاكهم وتخلفوا
فسبحان ربي من عظيم مدبرٍ يدير أموراً فعله لا يكيف
تباركت يا من قد فطرت خليقةً على وفق ما قد شئت لا يتخلفوا
فليس سوى التسليم لله وحده رضينا به رباً جليلاً يصرِّف
فصبراً بني الإسلام صبراً على القضا عسى الله بالجبران يرفو ويكشف
وصل آلهي عد ما أنت خالقٌ وما ناحت الورقاء على الغصن تهتف
وما سار للبيت العتيق ملبيا حجيجٌ وطافوا ثم صلوا وعرفوا
على أحمد رب المكارم والتقى وآلٍ وأصحابٍ إلى الله يعكف

فهذا شيءٌ من مناقبه وفضائله، ومن فضائله أنه دعاني مرةً على أثر رؤيته تلك الليلة على مائدة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في وادي عكاظ، فطلب مني صباحاً أن أنزل معه إلى مكة المكرمة، وأطوف بالبيت الشريف ثم بدا لي الخروج

إلى الطائف لمأدبة الغداء، مررت عليه في المحكمة، ولما أن مررت على المحكمة وجدت المدعي العام يخاصم أحد الأشراف بدعوى أن الشريف عون الرفيق قد منح هذا الشريف قطعة أرض بعرفات ليجعل فيها قهوة ومطبخاً، فأنكر الشيخ هذا التصرف وأبطل المنحة بحجة أن مشاعر الحج لا يجوز فتحها لأحد، لأنه لو فتح هذا الباب لفسد المجتمع، ولضاقت عرفة بالحجاج، وما أحسن هذا الحكم لعودته بالمصلحة، وكان قد أخذ رأيي بحضور الخصم، فشكرته على ذلك ودعوت له الله أن يجعلها في موازين حسناته، نعم إنه لا يجوز منح أي شيء من المشاعر لأحد كائناً من كان ولو أنصف الناس لاستراح القاضي.

إلقاء قنبلة

ثم نعود إلى التاريخ فنقول إلقاء قنبلة في جامع قرية قويا من عسير، لما كان في يوم الجمعة الموافق ٢٦ جمادى الأولى قام مواطن من أهل القرية المذكورة فألقى قنبلتين من صنع روسيا على المصلين، فسبب أضراراً جسيمة بحيث قتلت ستة مصلين وجرحت مالا يقل عن تسعين رجلاً، وطارت الفرش والدواليب والمصاحف والأردية من فوق الروس متمزقة بحالة مخيفة، وخربت ودمرت، وكان الباعث لهذا الشقي هو أنه طلب منحة أرض، فلما لم يوافق الأهالي واعترضوا فعل ذلك الانتقام، ولما أن فعل تلك الفعلة الشنيعة فرَّ على سيارته، غير أنه اهتدى صبي لمعرفته فأخبرهم، وكاد أن يدهس الصبي، ودخل الجاني بيته وغلّق الأبواب، فقامت القوات الحكومية فأحاطت بالبيت، وفتشوا على جميع أهالي قرية القوباء، وكان مع الجاني رفيق له، وكان الجاني شريراً وذا عائلة، وقد نصحته إحدى زوجتيه قبل ذلك، ولكنه لم يقبل لما يريده الله به من النقص على نفسه وعلى المسلمين الأبرياء، ويقدر عمره إذ ذاك بخمسين سنة، واسمه عبدالله محمد سعد العمري، يلقب بابن معمر، كما أن زوجته ناشدته لما فعل فعلته الشنعاء وجريمته النكراء أن يسلم نفسه للعدالة، ولكنه اختفى بغار في جبل، فلما كان يذهب يمنةً

ويسرةً ويختفي لم يغنه ذلك عن الله شيئاً، ولما أن أحاطت به القوات كان معه قنبلة أخرى ففجرها بنفسه قبل القبض عليه، فطارت بعض أضلاعه، وتمزق لحمه والعياذ بالله.

وفيها في يوم السبت الموافق حادي عشر جمادى الثانية اغتيل رئيس وزراء دولة اليهود في فلسطين إسحاق رابين، قتله يهودي متطرف غضباً وانتقاماً منه لأنه عقد الصلح مع العرب، فأحدث ذلك جزعاً لدى اليهود ولدى بعض رؤساء العرب وملوكها لأنهم وصفوه بكمال العقل والمعرفة، ويحب مسالمة العرب، وأقيم لقتله في اليهود حداداً عليه ورنة أسف، ومن أعظم ملوك العرب الذين جزعوا لقتله حسين بن طلال ملك الأردن.

وفيها في اليوم الاثنين الموافق ٢٠ جمادى الثانية في الساعة الحادية عشرة زوالي قبل الظهر فجرت عبوة ناسفة في مدينة الرياض عاصمة المملكة السعودية في حارة العليا حوالي بقالات، فأحدثت أضراراً شديدة وقتلت عدة أشخاص، وجرحت آخرين، فحصل بذلك رنة أسف في الداخل والخارج، وجاءت برقيات الاستنكار لهذا الحادث المؤسف من المغرب والإمارات وعمان ولبنان ومصر والبحرين واليمن وغيرها، وقامت الحكومة السعودية بالبحث والتدقيق، وانبعثت قوات الأمن ورجال الأمن بالتفتيش للتوصل إلى من حدثته نفسه بالكيد والأذى إلى هذه الدرجة الرذيلة.

وفيها في شهر جمادى الآخرة حصل في مدينة أبها من أعمال عسير في جنوبي المملكة السعودية حريق لا يعلم ما سببه في هجعة الليل، فأصيب بعض الطلاب الكائنين في سكن إحدى المدارس وهم نائمون فلم يستيقظوا إلا وهم فحم، نسأل الله السلامة، كما أن الفرش وما إلى ذلك احترقت، وما زالت الحكومة تبحث وتجري التحقيقات للتوصل إلى من كان السبب في هاتين الجريمتين، وقد أغلقت الشوارع في مدينة الرياض للقبض على من سبب ذلك، وقد كثر جلب المخدرات سراً في كل أنحاء المملكة السعودية بالرغم من عقوبات القتل والتنكيل لكل من

يجلبها، وغلّظت العقوبات الصارمة على كل من يجلبها أو يتعاطاها، ولكن النفوس جبلت على الإقدام على ما نهيت عنه ابتلاء وامتحان، حتى قال أمير المؤمنين الوليد بن عبدالملك: لولا أن الله ذكر اللواط في القرآن الكريم وعقوبة فاعله لما سطت بعض النفوس الرذيلة على فعله.

وفيها في صباح اليوم ٢٦ من جمادى الآخرة فجرت السفارة المصرية في الباكستان في إسلام آباد، فتهدمت السفارة وسقطت مبانيها، وزعم الذين فجروها أنهم إنما يريدون الرئيس حسني مبارك وهم الذين أرادوا اغتياله سابقاً بأن دخلت سيارة تحمل تسعة من الأشقياء على السفارة ففجروها، فسقط عشرة من الموظفين هلكى، وجرح ستون نفر، فقامت الباكستان لذلك وقعدت وأرغت وأزبدت استنكاراً لذلك، وكيف تقع تلك الفوضى في أراضيها، وقد قبل أن الذين أقدموا على ذلك من المتطرفين بمصر الذين يعارضون حكومة الرئيس حسني مبارك، وإنه عما يبعث الأسى في القلوب والأحزان في الصدور وقوع مثل هذا العمل الإجرامي الذي لا يقدم عليه إلاَّمن فقد إنسانيته وقل نصيبه من الدين، وإلا فما ذنب أولئك الذين ذهبوا ضحيةً لهذا الحادث الإجرامي المؤسف، يريدون التأثير على الرئيس بإصابة غيره، وقد مرَّ بنا ما وقع في مدينة الرياض منذ سبعة أيام من مرور هذا الحادث الذي وقع الاستنكار له، وانهالت مئات البرقيات من أنحاء المعمورة إلى الملك فهد بن عبدالعزيز وأسرته في هذه الحادثة التي وقعت في العاصمة، ويشجبونها، وما زالت الحكومة بالبحث والتدقيق، ويمكن أن لا يعجزوا في القبض عليهم والتنكيل بهم، وقد كثرت هذه الأفعال الشنيعة من أعداء الإسلام وأهله، وقيام شرذمة مفسدة على وجه الأرض يؤذون المسلمين بأفعالهم وأقوالهم الرذيلة لأنهم فقدوا إنسانيتهم وأضاعوا دينهم، وسعوا في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين، نسأل الله تعالى أن يقطع دابرهم وما عمل عامل برذيلة سراً إلا ألبسه الله إياها علانية،

اللهم من أراد الإسلام وأهله بسوء فأشغله بنفسه واجعل كيده في نحره، ورده خائباً من جملة الخائبين.

حادثة سماوية تهز الأرض

ففيها في تاسع وعشرين جمادى الثانية في الساعة السابعة صباحاً في ١٥ دقيقة، وقع زلزال في شمالي غرب المملكة السعودية وما يلي تلك الربوع من العقبة والأردن ومصر، فتأثرت خمس ممالك من ذلك الزلزال، فسقطت مراوح سقفية في تبوك، وأحسَّ بتلك الهزة من في المدينة المنورة، وأصيبت منازل في مصر والأردن وتل أبيب والعقبة، ولما أن وقع ذلك الحادث اتصل الملك فهد بن عبدالعزيز اتصالاً هاتفياً بأمير تبوك يستفهم عن الأوضاعِ في منطقة تبوك، وعن سلامة الأرواح، ولعل الله دافع عنهم فجاء الجواب من الأمير صاحب السمو فهد بن سلطان بن عبدالعزيز بأن الأوضاع آمنة ومستقرة، ولله الحمد آثر تعرضها لهزة أرضية، وإن جميع الأجهزة الحكومية ذات العلاقة قامت بواجبها نحو هذا الحادث، وإن الحياة في تبوك والمدن المرتبطة بها تسير بشكل عادي، وقد طلب جلالته من الأمير نقل عزائه لأسرة طفل أصيب من جراء ذلك وأسرة باكستاني أصيب وهلك، وكان مركز الزلزال في جنوب حقل على مسافة ١١٠ كيلو متر وبنفس البعد والمسافة عن العقبة، ونجم عنه في حقل حالتا وفاة في محافظة حقل على خليج العقبة، ومركز البدع المجاور لها، وكان الزلزال قوياً، هز عدة دول في المنطقة قوته ٥,٨ درجات، وقد هز مصر والأردن والأراضي المحتلة، ونجم عنه وفيات ٦ أشخاص وإصابة عشرين بجروح، وكان أخف وقعاً في سوريا ولبنان، وانهار في مصر فندق مكون من أربعة طوابق، وقتل سائقاً مصرياً وشخصاً لبنانياً، وتدمير منشئات، وأصيب أحد عشر شخصاً، وأصيب إسرائيلي عمره ستة وستون عاماً بأزمة قلبية من جراء ذلك، وفي الأردن أصيب رجل بأزمة قلبية وتهشمت النوافذ في العقبة، وفي القاهرة قفز رجل من شرفة مسكنه فسقط ميتاً، وأصيب طبيب عندما سقط عليه سقف

غرفته، وتراوحت تقديرات الراصد المختلفة لقوة الزلزال بين ٧,٥ و٧,٢ درجات على مقياس ريختر، وسقطت مئذنة في مصر وانهار مباني في القاهرة، وكانت العقبة التابعة للأردن قد تأثرت مبانيها من ذلك، كما أصيب في مصر أربعة أشخاص اثنان قفزا من شرفتي منزلهما واثنان هلكا في الفندق، وكان هذا في ظرف دقيقتين حال الزلزال، ولا ريب أن الله عز وجل قدرته خوفت عباده من وقوع العذاب بهم، كما قال تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك:١٦]، فبينما الخلائق يتمتعون على ظهر الأرض التي جعلها الله ذلولاً يعرفون كيف تتحول هذه الأرض إلى دابة غير ذلول في بعض الأجيال، عندما يأذن الله بأن تضطرب قليلاً فيرتج كل شيء فوق ظهرها أو يتحطم ويمور كل ما عليها ويضطرب فلا تمسكها قوة ولا قدرة ولا حيلة ذلك عند الزلزال والبراكين الكامنة، في هذه الذلول، وأمسك من أمامها فلا تثور إلا بقدر ولا تجمع إلا ثواني معدودة حينما يأذن الله لها فيتحطم فيها كل ما يشيده الإنسان على ظهرها، أو يغوص في جوفها عندما تفتح أحد أفواهها، وتخسف فإذا هي تمور والبشر لا يملكون جماحها، ولا الأخذ بزمامها بل لا يملكون من هذا الأمر شيئاً ولا يستطيعون ويشاهدون العواصف الجامحة الخاصية التي تدمر وتخرب وتحرق، وهم بإزاء ذلك ضعاف عاجزون بكل ما يعلمون وما يعملون، والعاصفة حينما تزأر وتضرب بالحصى الحاصب، وتأخذ في طريقها كل شيء مرت عليه في البر أو البحر والجو، فيقف الإنسان أمامها عاجزاً صغيراً هزيلاً ضعيفاً حتى يأخذ الله بزمامها فتقف وتهدأ فسأل أمريكا، ومن في صفها من أهل الأهوال والاختراعات والتفكيرات التي غزوا بها الجو والبر والبحر، هل يستطيعون الوقوف أمام قدرة الله وعظمته أم هل يستطيعون أن يمسكوا بزمام الأرض إذا هي تزلزلت واضطربت وخسفت فلم يبقَ إلا التسليم والخضوع لعظمة صاحب العظمة، فسبحانه ما أعظم شأنه وأجلَّ قدرته، وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره، وكانت مدة الزلزال على ما رصده أهل العلم والمعرفة دقيقة واحدة وعدة ثواني، وقد وافق يوم الأربعاء من عدد أيام

الشهر الذي أشرنا إليه، وقد قال أمير منطقة تبوك أن الحالة بعد الظهر كانت طبيعية، هذا وقد وصلت آثار الزلزال إلى المدينة المنورة وجنوباً إلى ينبع، فقد شعر به بعض المواطنين هناك عند الساعة الرابعة والربع، واهتزت بعض العمائر والمباني السكنية اهتزازاً خفيفاً خاصةً في شرق وجنوب المدينة وضبا والعوالي، وفي بعض مدارس البنات تم إخلاء الصفوف الدراسية ولم يسمح للطالبات بدخول الفصول إلا بعد الحصة الرابعة في الساعة العاشرة، ولم تحدث أية أضرار مادية أو خسائر بشرية، في البدع وحقل وتبوك، وسقط منازل طينية، وتصدع بعض المباني المدرسية لبنات والأولاد، وسقط بعض واجهات المحلات التجارية والأسواق القديمة، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وكان في مدينة تبوك قد تم إجلاء الطلاب والطالبات عن مدارسهم خشية سقوطها عليهم، وتم نقل إصابات خفيفة إلى المستشفيات كما توجه بعض المواطنين للمستشفيات والمراكز الصحية للاطمئنان على صحة أولادهم وذويهم.

وفاة رجل من الرجال

ففيها توفى الأمير محمد بن سعود الكبير، ويسمى شقران، كان يوصف بالكرم والرجولة، وفيه مكارم أخلاق، وله شهامة وعزة نفس، ويعد من رجال آل سعود الأكرمين لما له من الأفعال الكريمة والمسابقة إلى الخيرات، وقد رثاه ابنه عبدالعزيز بن سعود بن محمد بمرثية نبطية نشرت بالقلم العريض في جريدة الجزيرة، وباح بماله من الشجاعة وعتق الرقاب وعطفه على المساكين كما أثنى عليه بالعقل والحلم والكرم كما رثاه أيضاً خالد بن سعود الكبير بمرثية شعر نبطية نشرتها أيضاً الجزيرة في نشراتها ولولا أنهما ليستا من شرطنا في نشر شعر النبط لأتينا بها وإنا لله وإنا إليه لراجعون، ونترحم لكل من قام به داعي الإيمان والإحسان والعطف على الفقراء والمساكين، ونسأل الله أن يكثر من أمثالهم وإن رجلا كشقران لجدير بالثناء والذكر الحسن.

وممن توفى فيها من الأعيان وذلك في يوم الأربعاء ٦/٢٩ الأميرة منيرة بنت

فيصل بن هذلول بن ناصر آل سعود خالة كل من الأمراء فيصل وسعود وفهد أبناء الأمير عبدالله بن ثنيان بن محمد آل سعود، وفهد وسعد أبناء الأمير عبدالله بن فيصل بن فرحان أمير منطقة القصيم سابقاً، وتركي وفيصل أبناء الأمير محمد بن سعود بن هذلول آل سعود، وقد صلي على جنازتها ظهر الأربعاء في الجامع الكبير جامع الإمام تركي بن عبدالله في مدينة الرياض، ودفنت بمقبرة الدرعية تغمدها الله بواسع رحمته.

وممن توفى فيها أيضاً السفير السعودي فؤاد عبدالحميد الخطيب سفير المملكة الأسبق لدى بنغلادش والأمين العام المساعد السابق لمنظمة المؤتمر الإسلامي رحمه الله برحمته الواسعة، وكان أبوه هو عبدالحميد الخطيب المؤرخ، وصاحب كتاب الإمام العادل الذي وضعه تاريخاً للملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، يقع في جزأين سنة ١٣٧٠هـ وقد تم طبعه في مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

وفيها في غرة شهر رجب قامت مدينة بريدة تستعد بزيناتها وأنوارها وزخارفها لقدوم ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز أيده الله، وقد أقيم موضع الاحتفال حوالي هجرة الفوارة بالخيام والزينات والأبهة، فقدم في يوم السبت ٣ رجب إلى ذلك من جهة الحرس الوطني فيه سرادقات وخيام وعدة وتنظيمات وما يقتضيه الوضع من سيف ومنسف ومطابخ وعدة وعدد، رعاه الله وأيده، وكانت هذه الزيارة منه للقصيم ليفتتح جامع بريدة الكبير الذي تمت عمارته على نفقة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله، ولوضع أول حجر أساسي لعمارة قصر الحكم الجديد في مدينة بريدة عاصمة القصيم الكائن في الصفراء، ففرحت أهالي القصيم لقدومه والترحيب به، وكانت أعمدة الكهرباء وأقواس النصر قد أنيرت، وأقيمت في الشوارع الرسمية، فعادت أنوارها في الليل كرابعة النهار في زمن معقول أوائل برج القوس، وافتتح في ٢٤ نوفمبر تشرين الثاني ١٩٩٥م وفي الساعة الثانية من يوم الاثنين ٥ رجب حضرت الأعيان لفتح الجامع الكبير بعد الظهر بين ملأ عظيم من الخلائق افتتح المسجد ودخل المسلمون إلى رحباته وأطلق

عليه جامع الملك فهد بن عبدالعزيز خادم الحرمين الشريفين، وكانت ساعة عظيمة من الزمن لأهالي مدينة بريدة اغتصت الشوارع بالخلائق، وأقفلت الطرق لحضور ولي العهد والناس يشرفون من بعيد وكما أنه وضع أول حجر أساسي لقصر الجديد في مدينة بريدة، وافتتح المرحلة الأولى من مباني جامعة الملك سعود بالمليدا، وألقيت الخطب والترحيبات بهذه المناسبة وظهر الفرح والسرور، وكانت تكلفة القصر تقدر بتسعين مليوناً من الريالات، وكانت في مدة إقامته في بريدة محترماً ومعظماً تزوره الرؤساء ويقدمون إليه الشكايات، وكل ما لديهم من الحاجات ليقضيها، فلبث فيها يتقلب في بعض قرى القصيم، وفي يوم الأربعاء سار موكبه محفوظاً برعاية الله وحفظه.

وفيها صدر الأمر الملكي بإقامة صلاة الاستسقاء بسائر أنحاء المملكة لأنه من الوسمي ٣٦ يوماً، ولم يأذن الله بالمطر فأقيمت صلاة الاستسقاء في اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى الثانية الموافق ليوم الاثنين ٢٠ نوفمبر، ولما أن كان بعد مضي عشرة أيام قامت السماء تمطر بأمطار غزيرة ثلاثة أيام بدون رعود ولا بروق، ولما أن كان من آخر اليوم الرابع الموافق ليوم السبت عاشر رجب ارتكمت سحب ثقيلة كالجبال وبدأ المطر، وكادت تقطع القلوب من شدتها، وكادت البروق أن تخطف الأبصار بقوتها، وكادت أن تغرق بعض المحلات، وبما أن مدينة بريدة قد لفظت المياه من قبل في بعض جهاتها فقد أحدثت فيضاناً عظيماً على ظاهر الأرض ذلك لأن الحكومة لما أضعفت الزراعة في هاتين السنتين الأخيرتين، وقل سحب المياه من بطن الأرض حدثت تلك الفيضانات، وبما أن البناء أولا من اللبن والطين فأثر الفيضان على البيوت والمساكن، فإنه قام الملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله بإنشاء خزانات أتوماتيكية في باطن الأرض مما خففت الوطأة إذ ذاك فقد أقيمت بعد ذلك البيوت من الإسمنت المسلح في ظرف ثلاثين عاماً، وأصبحت الأمة آمنة من سقوط البيوت بخلاف عام ١٣٧٦هـ لما حدث الغرق إذ ذاك، غير أن الشوارع لا تزال الأمة تعاني منها لكثرة المياه، كما في حارة الصبيحية،

وحي مشعل وما إلى ذلك، وأملنا عظيم في حكومتنا أن تسعى جهدها في راحة المواطنين والقيام بما يجب من سفلتة وإصلاحات في الطرق وغير ذلك.

وفيها في يوم الأربعاء الموافق ٢١ رجب جرى في العقبة زلزال خفيف لم يحدث تهديماً ولا تقتيلاً، نسأل الله أن يلطف بالمسلمين.

وفيها في منتصف شهر رجب أصيب الملك فهد بن عبدالعزيز بوعكة مرض فتجلت بعد أسبوع، وجاءت التهاني والسرور وسلامته.

وفيها في ٢٢/٧ ساءت العلاقات بين اليمن وبين أرتيريا فوقعت الحرب واستطاعت الثانية أن تستولي على ما أرادت، وهي تتعلق بالحدود وبينهما كما أن بين اليمن والسعودية خلاف في الحدود بينهما، ذلك بأن اليمن تدعي بأن معاهدة الطائف واتفاقيتها التي عقدها الملك خالد بن عبدالعزيز بالنيابة عن والده عبدالعزيز قد انتهت، وهي في عام ١٣٥٢هـ لمدة «٦٠ سنة»، وتقتضي النظر في نجران وعسير بعد ذلك، ولما أن كان في أواخر شهر رجب بعد مضي ٢٣ منه توالت نزول الأمطار على بريدة وضواحيها، وهطلت أمطار غزيرة بحيث اختفت الشمس من ذلك التاريخ وعم الغيث، ولم تكد تفتر الأمطار ليلاً ونهاراً من دون رعود ولا بروق، بل كانت ديمة، وقد كان المسلمون يجمعون بين المغرب والعشاء ليالي عديدة، كما أن مدينة الرياض وضواحيها عمتها الأمطار وتوالى نزول الغيث على العاصمة الرياض، بحيث لم يتوالى في السنين التي قبلها، بحيث عجزت الجرارات عن سحب السيارات فيها، وكما أنها هطلت أمطار على الدمام وما حواليها، وكادت أن تتعطل الحركة أو ضعفت لتوالي الأمطار، واستمرت الحال على هذه الصفة وقد دخل شهر شعبان والسحب متراكمة والسماء تصب مياهها بحيث لم تتوقف عن صب المياه إلا فترات قليلة واحتجبت الشمس ١٢ يوماً بواسطة هطول الأمطار هذه المدة، وقد توالى هطول الأمطار لذلك على الإمارات الخليجية بحيث كانت المياه وقد ارتفعت في شوارعها، وكان المستشفى التخصصي هدفاً ليتجمع المياه

فيه بحث أخرج المرضى ف نعوش من هذا المستشفى الكائن ببريدة، أما عن الرياض فقد قرر الخبراء بأنه مضى عليها أربعة وعشرون عاماً لم يعهد أن توالت عليها تلك الأمطار، ولم تعهد تلك الأمطار عليها منذ زمن طويل.

وفيها أقام الملك فهد بن عبدالعزيز ولي عهده عبدالله بن عبدالعزيز ليتولى شؤون الدولة بالنيابة عنه، وذلك لتأخر صحته، فقام ولي العهد من تاريخ ٨/١٥ بالعمل خير قيام، ويعد هذا من توفيق جلالة الملك أيده الله وحفظه لأن في ذلك صلاحاً للأمة ولما يعهد عن ولي العهد من حسن التدابير والسير على منواله، وفق الله الجميع، أما عن مكة المكرمة فقد هطلت عليها أمطار غزيرة في ٢١ من الشهر المذكور، واستمر هطول الأمطار عليها.

ميزانية ١٦ و١٧ لما أن أذيعت ميزانية الدولة كان الوضع كما هو في الستة المتقدمة، فلم يخفض سعر البنزين ولا الديزل ولا الكهرباء ولا الهاتف، بل استمرت الأشياء على وضعها، وبذلك تأخرت الزراعة تأخراً ملموساً، وكادت أن تتعطل محركات الحفر، وإنشاء آباراً ارتوازية لهذا الغرض، ولكن الحكومة أيدها الله صرفت للمزارعين أقساطاً مما ورد عليها، وجعلت تفكر في جعل أسواق تحتوي على دكاكين ومعارض في شمالي السوق المركزي، فمن مؤيد لهذه النظرية، ومن معارض لها ذلك بأن السوق المركزي في عاصمة القصيم يضيق بما يرد عليه من التمور والبطيخ واليقطين وما إلى ذلك من أنواع الفواكه، فكيف إذا اختزل منه ما يضيقه وتصبح حركة السيارات مشلولة في ذلك الموضع الواسع، وكان الوضع خطيراً لأن الأمر لم يكن عن رضا الجمهور بل لأغراض البلدية لا أقل ولا أكثر، وإن المصلحة العامة تقتضي خلاف ذلك، وذلك لأمرين: أولاً لاتساع الرقعة فالمدينة لا تزال حركتها في البيع والشراء والواردات لا تزال في ازدياد لأن ما بين حائل وبين عقلة الصقور غرباً إلى الأرطاوية شرقاً، كلها تمير وتمول من السوق المركزي في بريدة، ثانياً أن أهالي منطقة السوق المركزي لما نزعت ملكيتهم واعترضوا بعدم

عدل التقويم، ولما يحصلوا على أقيام معقولة كغيرهم قيل لهم أن موضع بيوتهم سيكون سوقاً مركزياً لمصلحتهم، فسكتوا على مضض فلم يشعروا إلى جرافات البلدية الجديدة فقبلوا مكرهين.

وفيها في ٩/١٥ وفاة المنحرف عن الدين عبدالله بن علي الصعيدي، وكان يدعى أولاً بالقصيمي، فلما أن غيَّر وبدّل والعياذ بالله تبرأ منه القصيم وسموه الصعيدي نسبةً إلى صعيد مصر الذي حل أخيراً فيه، وقد تقدم في سنة ١٣٦٦هـ صفة ردته عن دين الإسلام، كان مسقط رأسه في خب الحلوة من ضواحي مدينة بريدة، ففيه ولادته، ولكنه لما تربى في مصر بلده الجديد رأى أن ليس هناك من يرده عن هواه، ورأى الجو هناك خالياً لما قام به، وكان أولاً من المنتصرين للحق، ويثني على شيخ الإسلام عبدالوهاب ويمتدحه، ويدافع عنه بلهجة جذابة كما في البروق النجدية، وله ردود على أهل الضلال، حتى هتك أستاذهم بلسان فصيح، وقول بليغ، فاختارته روسيا لما رأت من بلاغته وفصاحته وحلاوة منطقه الجذاب، وأغرته بالأطماع أن يقوم ضد الإسلام، ويحمل على المسلمين، وكان معجباً بنفسه فاستمالته روسيا لهذا الغرض فعنَّ له بعد ذلك بأن يتوسع في العقيدة، فأظهر أموراً من الزيغ، وله كتاب الصراع بين الإسلام والوثنية، وكان الكتاب ضخماً، ثم ألف كتاباً يستنشق منه الحملة على المسلمين وتأخرهم، فلما أن كان في تلك السنة أظهر كتابه الأغلال وما لبس عبد ثياب سريره إلى ألبسه الله إياها علانية، وخلع ربقة الإسلام من عنقه وسمي شرائع الإسلام أغلالاً غلت المسلمين عن التقدم والرقي وحسن طريقته، وشنَّ الغارة على الإسلام والمسلمين وفضل طريقة الكفر والكافرين بلهجة خبيثة خلابة على طريقة الإسلام والمسلمين، فردَّ عليه الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وكان لا يورد ألفاظه الضالة بل يقوله، وقال في صفحة كذا، وقال في صفحة كذا لأن الخبيث يخشى على ضعفاء البصيرة من جاذبيته لأنها من السحر الحرام، وسمى الشيخ رده عليه تنزيه الإسلام ورجاله عن

ما افتراه القصيمي في أغلاله، كما رد عليه الشيخ أبو كابس وضللوه وكفروه وحذروا المسلمين من ضلاله، وقد اجتمع به أناس من الناصحين، وطلبوا منه أن يقلع عن غيه وضلاله، وحذروه عقوبة الله لأنه عصى على بصيرة، وضلَّ عن الطريق، وهو واضح له، ولكن الله لم يرد به خيراً، وهؤلاء منهم عبدالرحمن بن عقيل الظاهري وغيره، وذلك برفق وحسن دعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، ولكنه صمم على ما هو عليه، نسأل الله العافية.

وذكروا عنه أنه رجل أديب ماهر في سبيله، ولكنه ثبت على مبادئه، وكان سلاحاً ضد المسلمين، كما كان أولاً ولكنه كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [المائدة:٤١]، فبينما هو في صف المسلمين إذ هو خنجر في نحورهم، وإنها لخسارة عظيمة في المسلمين يندى لها الجبين، ويحزن منه العقلاء، وذلك لأنه في حملاته الأولى على الكفر والكافرين بلهجة كالصاعقة على من وجهت عليه، تعمل عمل القذائف النارية، إذا هو يصرف زمام الحملة فيجعلها كصاعقة على عقبيه موجهة ضد ما كانت عليه من قبل، ولكن لا عجب ولا غرو ولا بدع فقد ضلَّ قبله من هو خير منه، وللإسلام رجال وأسود ضارية تحمى حماه، وتذود عنه، وقد قطع إمام المسلمين الملك عبدالعزيز رفع الله منازله في الجنات مرتباته التي تمشي له في مصر وتبرأ منه، وكان يحدثنا الملك في زيارته لنا في القصيم فتكلم أحد المشايخ وهو عبدالله بن محمد بن حميد بأنه سقيم العقل، فأجابه الملك رحمه الله بقوله: لا ليس بسقيم عقل، ولكنه سقيم في الدين.

وفيها وفي يوم السبت الموافق عشرين شوال وفاة الشيخ المصري محمد الغزالي، وكان من علماء مصر، وكانوا يذكرونه بإلقاء محاضرات ونشر علمه في المجتمعات، ومعظماً في مصر، ويثنون عليه، وعليه مأخذ بسيط، وكانت وفاته في الرياض، وقد دفن في المدينة المنورة فرفعت التعازي إلى الرئيس المصري حسني مبارك وأسرته وذويه، منها برقية من الملك فهد بن عبدالعزيز ملك السعودية، وكان قد قدم لإلقاء محاضرة فمات في سبيل المجيء لإلقائها.

وفيها دعا الرئيس صدام حسين العراق دعا بأناس فروا عن جوره وتعسفه وظلمه، والتجئوا نحو الأردن فأعطاهم العهد والميثاق بأنهم آمنون إذا قدموا العراق، وكان منهم أخوه لأبيه صدام، وزوج ابنته وأناس آخرون، فلما أن قدموا العراق بعدما أمنهم وأعطاهم العهد والميثاق قتلهم والعياذ بالله، ثم دعا بذراريهم فألحقهم بهم قائلاً: لا أخشى أن يأخذوا بالثأر فقتلهم أجمعين، ولم يرعَ إلاً ولا ذمة، ولا جانب لله عز وجل حيث يقول رسوله الكريم عن رب العالمين: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته فذكر منهم رجلاً أعطي بي ثم غدر»، ولما وقعت تلك الحادثة كبر شأنها في مجلس الأمن وأرادت أمريكا الانتقام منه، ولكنها ثنت عزمها عن ذلك ولا ريب أن قتل عربي لا يهمها ذلك، وتأثر المسلمون والعرب لذلك.

وفيها وفاة شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق، وكانت وفاته في يوم الجمعة ٢٦/١٠ من هذه السنة، وكانت وفاته في مدينة القاهرة، ومن المصادفات وفاة عالمين جليلين في مصر بظرف أسبوع واحد، وقد رفعت التعازي إلى الرئيس حسني مبارك ومواساتهم في هذه المصيبة.

حادثة من الحوادث

لما أن كان في يوم الخميس الموافق ثاني شهر ذي القعدة من هذه السنة هطلت أمطار مصحوبة ببرد وحجارة من الثلج يعدل بعضها بكبر بيض الدجاج وأكبر، واستمر هطول الأمطار على هذه الصفة ثلاثة أيام، وفي يوم السبت نشأت سحابة سوداء برياح شديدة حطمت النوافذ التي مرت عليها وكسرت حجارة البرد الزجاج، وتوالت الأمطار على سدير والمجمعة وضرما وجلاجل وحريملا، وارتفعت المياه في السدود، حتى أن بعض السدود بلغ مستوى ارتفاع المياه فيها إلى عشرة أمتار، وتعطلت الحركة في الرياض، وقام

رجال الإنقاذ والدفاع المدني بطائرات لإنقاذ الذين حاصرهم الطوفان، فلم يتقدموا ولم يتأخروا، وجيء بقوارب لحملهم فيها على متن المياه، وهذا شيء نادر الوقوع لأن بعض الجهات كانت كهيئة البحار، وانقطع التيار الكهربائي في مدينة الرياض عن بعض الأحياء، وتوقف السير من المياه وحجارة البرد، وحصلت ظلمة شديدة في يوم السبت ٤/ ١١ من آثار تلك السحابة، ودمرت الريح وحجارة البرد الضخم كلما مرت عليه من النوافذ والزجاج والمكيفات وغيرها، وحصل ارتباك في المرور، وتعرضت أجزاء من مدينة الرياض لإصابات، وغرقت امرأة وطفل لأن الأمطار صحبتها رياح شديدة وظلمة من آثار السحابة السوداء، وقام أمير الرياض والنائب بدورهم في تدابير على قدر مقدورهم لإنقاذ الأمة مما حل فيها، كما أن مصلحة المياه قد قام رجالها بما يستطيعونه، وبذلوا جهوداً في هذا السبيل حفاظاً على الأمة، واستمر هطول الأمطار على العاصمة ثلاثة أيام، ولم يذهب البرد إلا بعد يومين من نزوله، وكان قد جيء بالقوارب البحرية تشق المياه لما كان مئتا شخص محصورين من جراء ذلك الطوفان لتنقذهم، والأمر عظيم والخطب جسيم، وكان سبعة في مدينة المجمعة قد لقوا مصرعهم، وأصيب آخرون، وقد عم الطوفان جلاجل وسدير وحريملا والمجمعة إلى الغاط، وانهار عديد من المنازل في الأحياء الشعبية، وهلك بعض الأنفس البشرية، ولم يقع في أواخر هذه السنين مثل ذلك، نسأل الله تعالى أن يلطف بالمسلمين ويبعد السوء عنهم، وقد عطلت المدارس في الرياض يوم ٤/ ١١ لمشقة السير في الشوارع، وعرقلة الذهاب والإياب، وسوء الحال هناك، أما الذين كانوا في البراري قد خرجوا للنزهة فقد تعرضوا للخطر لما داهمتهم السيول، وهلك من هلك منهم، ونجا من نجا منهم، ولقد قام رجال الحرس فحملوا على صدورهم ورؤوسهم وأكتافهم الأطفال وكبار السن، وأخرجوهم من السيارات التي استهدفت،

وبعض السيارات قد غرقت، ومنها من لم يبقَ منها إلا القليل، وأعد المستشفى مائتي سرير للطوارئ، وقد حدثني الثقات أن من البرد ما تجاوز في كبره أكبر من علبات البيبسي، وكان ذلك في أول يوم من برج الحمل سعد الأخبية ٢١ مارس آذار ١٩٩٦م، وحدثني ثقة أنه وجد بين البرد بعضاً تجاوز حجمه عن قبضة اليد.

كسوف طمس القمر

لما أن كان في ليلة الخميس ١٥ ذي القعدة بدأ الكسوف في الساعة السادسة غروبي تزيد ١٥ دقيقة، ومن الساعة السابعة والنصف انطمس انطماساً كلياً، فلبث ساعتين ونصف منكسفاً انكسافاً كلياً، ولم يتجلَ ويرجع على طبيعته إلا في الساعة الحادية عشرة و١٥ دقيقة، فكانت مدة الكسوف خمس ساعات من الزمن، وهذا نادر الوقوع في طول المدة، وبما أنه وقع الكسوف في وقت الهجوع فإنه لم يصل إلا القليل بالرغم من أن الأخبار نبأت بذلك من قبل.

حصار تفرضه اليهود على أهل الحكم الذاتي

كانت منظمة حماس لم تتورع عن مهاجمة اليهود على قدر استطاعتها فقتلت في مغامراتها الانتحارية عشرات من اليهود، وذلك بأن الفدائي يغامر فيحشو جسمه بالمتفجرات ليهلك من أمامه، وإن كان هو الضحية فقد قامت اليهود بعقاب الصالح والطالح ففرضت حصاراً على أهل الحكم الذاتي في قطاع غزة، وإن كان ذلك محظوراً عليها لكنه قام السكرتير يطالب الأمم المتحدة ومن بينها أمريكا وبريطانيا بفك الحصار عن الفلسطينيين المظلومين، نعم إنهم مظلومين بهذه المعاملة لأنهم لا يستطيعون صد منظمة حماس ولليهود إن تفعل منظمة حماس ما شاءت من العقوبات ويقول الله تعالى: «ولا تذر وازرة وزر أخرى» فكأنهم يقولون افعلوا ما شئتم بمن اعتدى عليكم ولكن المتغلب بفعل ما يشاء، نسأل الله تعالى أن يكفي المسلمين ما أهمهم.

ذكر ما جرى من اليهود

لما أن كان في اليوم الثامن عشر من ذي القعدة الموافق ليوم السبت ٦ إبريل نيسان من هذه السنة ١٤١٦هـ يوافق عام ١٩٩٦م قامت اليهود فحشدت قواتها بكل ما تستطيع وأرسلتها لحرب لبنان من مدافع وطائرات وصواريخ ودبابات ثقيلة، وجعلت تضرب لبنان بالقنابل العنقودية، والقنابل المحرقة، والقنابل المدمرة، والقنابل الهدامة، وواصلت الضرب على المدنيين والعجزة والنساء والأطفال من دون رحمة، ولا سابق إنذار فهدمت البيوت، وحرقت المزارع، وفعلت بلبنان أفعالاً لم يسبق لها نظير ولا في عام اثنتين بعد أربعمائة وألف، وكانت جنود حزب الله وجنود أمل قد وقفت أمام هذه الجراءة العجيبة لأنها لا تملك سوى الرشاشات والسلاح الخفيف والصواريخ قريبة المدى، وكانت اليهود قد اتفقت مع أمريكا على هذا الشأن، ولم يستطع مجلس الأمن الدولي على إيقاف هذا التيار الجارف، ولم تخضع أمريكا لمجلس الأمن وتقديراته بل زعمت أن إسرائيل مظلومة، وليس لها إلا ذلك، ولما أن جرى من اليهود ذلك القصف العشوائي على لبنان فرَّ الأهالي والتجئوا إلى الجبال والزرائب لا يلوي أحد على أحد، فقد أحصي الذين تمكنوا من الفرار والهرب فبلغوا سبعمائة وخمسين هارباً بعدما دكت منازلهم وطردوا، وذهبت تقارير مجلس الأمن أدراج الرياح، واستمر الضرب والقصف اثنين وعشرين يوماً، ووقفت العرب مكتوفة الأيدي وتهددت إسرائيل جميع من أراد أن ينضم إلى لبنان من أي دولة تكون بضربه، ولم تملك العرب والمسلمون سوى الاستنكار لذلك، ودفع المساعدات بالقوت واللباس، وبات الأطفال والعجزة في الفضاء السماء غطاؤهم والأراضي فراشهم، ينتظرون رحمة اليهود وقضاء وطرهم من تعذيبهم وطردهم من أوطانهم.

وفيها في يوم الأحد الموافق ٤/ ١٢ قتل رئيس الشيشان الذين يحاربون روسيا للتخلص منهم، وخلفه رئيس آخر، وكانت قد ظهرت كفاءة الشيشان بحيث

صمدوا أمام روسيا، وأعلنت القتال، ولو بلغت الأحوال إلى آخر رمق، وحينما رأت روسيا أنها لن تلين قناتهم مهما كلف الثمن تظاهرت بالانسحاب تدريجياً، وعدم مواصلة القتال أمام العالم، لأن الشيشان لا يقبلوا الشيوعية مطلقاً، وبما أن روسيا لما تفككت وخسرت غالب ممالكها ومستعمراتها التي تمقت الشيوعية وتميل إلى الإسلام، وتخلصت تلك الأمم الخاضعة لها من براثن ذلك الكابوس الظالم الجائر، وحصلت على الحرية بعدما سقطت تلك الحكومة القوية التي كانت ثاني حكومة على وجه الأرض، فإن مستعمرة الشيشان التابعة لها تطلب ذلك، وقد جاءتهم المساعدات من أمة الإسلام، ولم يألوا جهداً في تخليصها، كما وقد تخلص غيرها، وإنها لعبرةً للمعتبرين، وآية للناظرين بحيث كانت حكومة السوفيت القاهرة التي وقفت لأمريكا وقفة جبارة، فلا تهاب أمريكا سواها، وأصبحت اليوم بهذا الوضع، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يضام سلطانه، ولا يرام عزه، فقل لأمريكا خلالك الجو شعراً:

يـــا لـــك مـــن قنـــبرة بمعمـــرِ ... خلالـــك الجـــو فبيضـــي واصـــفري
ونقّـــري مـــا شـــئت أن تنقـــري ... صـــيادك اليـــوم قتيـــلٌ فابشـــري

وفيها وفاة الشيخ زيد بن فياض الأديب، وقد تقلب في عدة وظائف، فهو زيد بن عبدالعزيز بن زيد بن فياض، كانت ولادته عام ١٣٥٠هـ، وقد وصفوه بالأدب، وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس القضاة في العهد السعودي، وعن أخيه عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ سعود بن راشد، أما مشايخه في المعهد وكلية الشريعة فهم: الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والأستاذ حمد الجاسر، والشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ عبدالعزيز بن باز، وجدَّ واجتهد في العلوم الشرعية والعربية والاجتماعية، وله نشاط في التأليف، حتى قيل أن مؤلفاته بلغت تسعين مؤلفاً، وقد صار عضواً في دار الإفتاء، ثم انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة بالرياض، ثم عضواً في رئاسة القضاء، وقام بالتدريس في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود، وتقلب في عدة

وظائف، وله عدة قصائد، ويعد من أدباء العصر، وقد استقال من رئاسة القضاء، وفضّل أن يكون في مؤسسة اليمامة، ثم أعيدت خدماته، وبالجملة فإنه أديب وعالم.

ثم دخلت سنة ١٤١٧هـ

استهلت هذه السنة يوم السبت الموافق ١٨ مايو وأن الأمراء والقضاة كلٍ في وظيفته، فكان في إمارة الرياض سلمان بن عبدالعزيز، وفي حائل مقرن بن عبدالعزيز، وفي المدينة المنورة عبدالمجيد بن عبدالعزيز، وفي مكة المكرمة ماجد بن عبدالعزيز، وهكذا.

وفاة عبد الله بن إبراهيم بن سليم

وذلك في ١٣ محرم، وهذه ترجمته:

هو الشيخ الأديب المتقن العالم الفلكي عبدالله بن إبراهيم بن محمد بن عمر بن سليم، كان أبوه إبراهيم يعد من الأئمة في المساجد، فلم حسن في كتابة الوصايا والعقود وجده فضيلة الشيخ العالم الجليل محمد بن عمر بن سليم الذي كان له مواقف وشهرة عالية، وأهل للقضاء، وقد راودوه مرات لقضاء بريدة، ولما غادر المدينة مكرهاً فضيلة الشيخ القاضي محمد بن عبدالله بن سليم فرفض قائلاً لا يمكن أن أسدّ مكان ثلمة ابن عمي، وأبدى أعذاراً آخرها أن سافر إلى مكة المشرفة، وقد تقدمت ترجمته في سنة وفاته، كان الشيخ عبدالله بن إبراهيم يعتبر من أدباء القصيم وأهل الثقافة والمعرفة، ولديه إلمام في الحساب والفلك، وقوي الذاكرة، ولد عام ١٣٢٨هـ ولما بلغ من العمر السابعة أدخله والده في المدرسة الأهلية التي قام بها ناصر بن سليمان السيف في قلب البلد، مرادفة لمسجد ناصر إلى جهة الشرق، لأنها إذ ذاك تعتبر من أكبر المدارس الأهلية، تقتصر الدراسة فيها على الهجاء وتعلم القرآن الحكيم، وبعدما توفى ناصر بن سليمان واستمرت المدرسة في سيرها، وقد خلفه فيها ابنه صالح بن ناصر، ثم إنه انتقل صالح إلى السباخ وافتتح مدرسة

هناك، وذلك لأنها أوجبت الظروف ذلك بأمر من جلالة الملك عبدالعزيز على فضيلة الشيخ العلامة عمر بن محمد بن سليم بسعي الشيخ عبدالله بن سليمان بن بليهد ومشورته بأن يكون إماماً ومدرساً في مسجد ناصر بن سيف، ثم إن المترجم لما بلغ من العمر ١٧ سنة كان له مؤهل بأن يكون خلفاً في المدرسة التي تعتبر مدرسة ناصر بن سيف، وتقع هذه المدرسة جنوباً عن قبة رشيد التي كانت موضع البيع والشراء والزحمة، لأن موضعها إلى جانب عليته، فاستخدم المترجم رئيساً ومديراً فيها، ولما أن مضى عليه أحد عشر عاماً رأت الحكومة أيدها الله أن يفتتح مدارس حكومية لنشر العلوم، ومعرفة الحساب، وتجويد القرآن، وتعويد النشء أمور الوضوء والصلاة، وكان في مدينة بريدة مدارس أهلية وتتنافس التقدم والعلو مدرستان أحدهما هذه المدرسة، ومدرسة المعلم صالح بن محمد بن عبدالعزيز الصقعبي، فعرضت الحكومة إدارة المدرسة التي تأسست لأول مرة عام ١٣٥٦هـ على صالح بن محمد الصقعبي فتكون هي الوحيدة في سائر القصيم، غير أن صاحبها عاجلته المنية فاختير لإدارة المدرسة الحكومية المترجم عبدالله بن إبراهيم بن سليم، وذلك بمشورة من الأهالي بأن يكون المدير من نفس البلدة، ولما نال سليم من الثقة فقام بإدارتها، وضمت جميع مدارس الحكومة تحت إدارة طاهر الدباغ فكان مدير المعارف السعودية عام ١٣٥٥هـ كما قدمنا، ولما أن لبث المترجم مديراً لهذه المدرسة شغرت وظيفة إدارة المدرسة التذكارية في الرياض فاختير لها وذهب إلى الرياض، فلبث في إدارة التذكارية التي تعتبر أكبر مدرسة في الرياض، ثم نقل في عام ١٣٧٣هـ إلى إدارة معهد المعلمين أو إعداد المعلمين في مدينة بريدة لأن هذه الوظيفة أكبر من الأولى، ويعتبر المعهد ذا أهمية فاستمر في إدارته حتى أحيل على التقاعد، ولم يصده ذلك عن أن تكون في نشاطه وثقافته، وكان مشتركاً في هيئة إدارة حساب توقيت أم القرى، وقد جمع جدولاً لحساب علوم الفلك شاملاً للملكة، وبلغه إلى عام ١٦٠٢م في الزوالي والغروبي بضبط وإتقان فاق به العيوني وبن فارس، ويرجع إليه، لكنه ليس له إلمام بعلم الكسوف كالعجيري وغيره الذين

يعرفون ذلك الحساب، وفوق كل ذي علمٍ عليم، وله جداول أخرى وشرح قصيدة محمد القاضي سماه تحفة المزارع، وله كتاب الدرر المنثورة في التواريخ الثلاثة المشهورة، وهذه في الغروبي والزوالي والميلادي، وله تقويم الأوقات لإرشاد ذوي الألباب لمعرفة مبادئ السنين والشهور من طريق الحساب، وما زال في نشاطه وحيويته حتى أقعدته الشيخوخة بمرض ألزمه الفراش شهراً كاملاً، فالله المستعان، وتوفى عن عمر يناهز الثامنة والثمانين غفر الله له وعفا عنه، وقد حزن لمصابه من يعرف ثقافته وأدبه، وبكته النوادي ورجال الأدب، ولكن ذلك دون ما يستحقه.

وفيها ألقي القبض على المفسدين الذين فجروا عبوة ناسفة من الديناميت في حارة العليا من الرياض في ٢٠ جمادى الثانية، وكانوا أربعة وأجري التحقيق معهم فأقروا الجناة بما قاموا به من إفساد، ونشرت صورهم في الجرائد، ثم أعدموا بالقتل، وشهّر بأجسامهم بين الأمة مرفوعة بالونشات، فالحمد لله الذي مكن منهم، وفي الحديث الشريف: «حد يقام في الأرض خير لهم من مطر أربعين صباحاً»، وكانوا ينتمون إلى الدين ظاهراً والله إنه ليبعث الأسى ويهيج الأحزان، ويذيب القلوب أن يكونوا من العرب، ويدعون الإسلام، وتجري منهم الأفعال اللاإنسانية، فعياذاً بالله من همزات الشياطين، ومن الخذلان، فقد دمرت قنبلتهم أموالاً وأنفساً بشرية، وألقت الرعب وفيها التلاعب بالأمن، وهذه نظيرة الفعلة السابقة في جامع القوباء التي ذكرنا قبلها.

ذكر عجائب من عجائب التاريخ

لما أن كان في هذه السنة والسنين قبلها كثر الأجانب في المملكة العربية السعودية من شامها ويمنها، ومن مصر والهند والباكستان، والفلبين والكوريين، وغيرهم بصفة لا نظير لها، وجاءوا بصفة الخدم والسواقين، وامتلأت الشوارع منهم، فهذا يعمل في البناء، وهذا يعمل في الدكاكين وأموال التجارة، وهذا في سياقة السيارات، ووثقت الأمة بهم، ومن الأسف أن بعضهم ليسوا بمسلمين، فتجد صاحب الدكان وصاحب محطات البنزين يولونهم أموالهم ومعاملاتهم إلى

درجة أنهم يثقون بهم أعظم من ثقتهم بأولادهم وبني جنسهم، وكنت أظن أن الأولاد وبني الجنس أبوا أن يقوموا بالأعمال، أو يكون من باب الامتحان، فإنك تجد الابن أو البنين يعملون لدى الناس براتب ضئيل، ويطلب أولياء أمورهم أن يعملوا عندهم برواتب مضاعفة، ولكنهم يأبون ذلك، وتضرب لهم الأمثال «كن كأم موسى عليه السلام ترضع ابنها وتأخذ جرتها»، فلا يجدون آذاناً صاغية، فكان صاحب الدكان أو المحطة كأجنبي، فإذا جاء من وسط النهار أو منتصف الليل بعد نومه الضحى، أو ضياع الوقت إلى نصف الليل إذا بالعامل قد بقي في الدرج له ما يزعم أنه ما اكتسب، فيأخذ مقتنعاً قليلاً كان أو كثيراً، فينشأ عن ذلك خيانة كبيرة، فقد يكون العامل الأجنبي خائناً فينتهب ما يشاء من النقود جاعلاً لها في موضع لا يعلمها سيده، فقد قيل: لإنسان أحذر عاملك، فقال: وما أخشى إذا كنت أفتشه كلما أتيه فألحوا عليه فوجدوه يستصحب مصحفاً كبيراً لا يتخلى عنه كلما لم يكن يعمل فأخذه، فلما فتشه إذا بين أوراق المصحف أوراق النقود الرفيعة أمهات خمسمائة فما دون، وقيل: الأخر احترز من عاملك، فذكر من ثقته به وأمانته فلما ألحوا عليه فتشوا عليه خفية فإذا بمطبقة مشقوقة من أعلاها على قدر سقوط النقود، فحملها إلى بيته، وبعدما كسر غلفتها وإذا فيها اثنا عشر ألف ريال، فلما كان في منتصف الليل أتى بقفل جديد وخلع الأول وركبه، فلما أن كان في الصباح وجاء ليباشر العامل العمر إذا بالقفل مغيراً فذهب إلى سيده يقول: يا عمي سرقنا، فناوله مرتبه وقال: يا بني اذهب في أمان الله فقد قلت المصالح فسقط في يده وخجل، وفرَّ من بين يديه، فلما كان من الغد وخرج يطلبه وجده قد حلق لحيته الكثيفة التي يربيها ليخدع بها الناس، فكلمه قائلاً: يا عبدالرحمن أين لحيتك؟ فأجاب ذهبت مع المطبقة، ولولا أنه كان لك والدة تدعوا من آخر الليل في حفظ مالك لذهب، وهكذا فعل العمال الأجانب، وكان أبو مسلم الخراساني الذي انتزع الخلافة من بني أمية يقول في أبيات له:

ومن رعى غنماً في أرضٍ مسبعة ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

وما زال الأجانب في كثرة حتى كانوا في عواصم المملكة أكثر من السكان بنسبة ثمانين في المائة، فكنت ترى في الجوامع وقت الصلاة من الذين يصلون الجمعة ما ذكرنا، وقليل المواطنين من بينهم، وهم وإن كانوا أجانب فكانوا يتقدمون ولا يلتزمون الآداب، كأنهم أهل الوطن ونحن الأجانب، وقد ذكرنا فيما تقدم أنه منذ ست وستين سنة لا يوجد أجنبي في مدينة بريدة سوى أنه جاء طبيب يسمى ديم فلبس لباس البيئة قميص وشماغ وقباء ومشلح لئلا يستنكر، وفي يومنا هذا نرى ما آلت الأحوال، فسبحان المتصرف في خلقه على وفق مراده، وهذا مصداق ما أخبر به الهادي الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ في قوله: «إذا أمّن الخائن وخوّن الأمين، وساد كل قبيلةٍ منافقوها، وكان زعيم القوم أرذلهم، فانتظر الساعة، إن الساعة علمها عند الله»، وقد وردت إماراتها في الأحاديث الصحيحة، وجدت أشراط الساعة الصغار والمتوسطة، ولم يبقَ إلا الكبار، فنسأل الله الثبات على دينه والتمسك بهدي رسوله ﷺ إلى أن نلقاه، وإن لمن المؤسف أن تأتي الفتن بدقيق نصها، فالموفق من تأتيه منيته وهو يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر، وقد كانت المؤنة في هذه السنة شديدة كالأعوام قبلها، فكان برميل الغاز للوقود حجم خمسين في ثمانية وعشرين، ومقاس ٢٥ في ١٤ ريال، وبرميل الديزل الكبير في ٧٠٠٠ ريال، وكان الذين جعلوا سياراتهم على الديزل قد ندموا لغلائه، كما أن قيم البنزين والكهرباء والهاتف وعدادات المساكن قد بلغت غاية في الغلاء، وقد تأخرت الزراعة والقيت المحوريات في العراء، وكادت الزراعة إن استمر ذلك أن تتعطل.

وفي هذه السنة كثرت السرقات في القصيم وذلك لضعف الإمارة فيها، وقد ذكرنا ذلك ما جرى في عام ١٣٧٦هـ من عدم الأمن على الأموال.

وفيها ولدت طفلة حامل، وبعدما أجريت لها العمليات تقرر لدى الأطباء أن أمها حملت بتوأمين فكان أحدهما في بطن الآخر، وكان ذلك الفحص بعدما كان لها من العمر ستة شهور، والله على كل شيء قدير.

ذكر سنة المؤنة

في هذه السنة اشتدت المؤنة على كثير من المسلمين بحيث أن الوضع يتطلب حاجات لم يكن الناس يعرفونها من قبل، فقد كان البيت في الوقت الحاضر يستدعي استهلاكاً من مادة الغاز والوقود الذي أصبحت الأمة معتمدة عليه تاركةً الحطب بجملته، فكان الطبخ مثلاً بجميع ما يحتاجه المواطن من أرز وجريش وسليق ولحوم بأنواعها، وفول وشوربة، وأوعية المأكل والمشرب، واليقطين والخبز وغير ذلك على مادة الغاز الذي ارتفعت قيمته إلى الضعف من قبل، وأصبح مسير العالم على الجملة في السيارات وجميع النقل براً وبحراً وجواً على مادة البنزين، فهو وقود النقل والذهاب والإياب على المخترعات الحديثة بالرغم من غلائه وارتفاع قيمته، كما أن الكهرباء هو مادة الحياة، بحيث كانت الإضاءة والمراوح المتنقلة والسقفية، ومكبرات الصوت والغسالات، والسخانات والبرادات والثلاجات وغيرها عليه، بحيث لو تعطل التيار ليلاً أو نهاراً لخربت جميع الأغراض التي كانت الحياة متوقفة على مصلحتها، وأصبح الخبز الذي كان هو مادة الحياة في هذا الزمان من الأفران وغيرها على ذلك الوقود بالرغم من غلائه وتعاطيه بقيمة باهظة، وكانت الأمة من قبل يسافرون على الإبل والحمر والبغال التي تسير بقوائمها، وتقطع المسافات القريبة والبعيدة، وكنت قد أدركت مراكب الناس في الحجاز ونجد واليمن والشام والعراق وغيرها على الحمر والإبل التي وقودها البرسيم والأعلاف، ونوابت الأرض، وفضلات أطعمة الناس، فحدّث ولا حرج عن كل ما استبدل عنها من أمور يقصر الوصف عنها، فقد كان الفقير قد كلَّ كاهله عن حملها، فيا ربنا لا تحملنا مالا طاقة لنا به، وإن بإمكان الولاة هداهم الله أن يراعوا حالة الشعوب، أما عند انتهاء الشهر فلا ننسى رسوم الماء الذي جعله الله مادة الحياة، ورسوم الهاتف، ورسوم الكهرباء، وقد حدثني صاحب مكتبة قال: كنت أبيع من المحابر والدفاتر والأقلام والبرايات والمحايات، وما تيسر من الكتب إن قدر ذلك، وقد لا يبلغ

محصلة مائة وخمسين ريال، ولكنه بالنسبة إلى بنزين السيارة التي استخدمها لأغراض البيت وخبز الأولاد، وقيمة الأكل والشرب، واستهلاك الكهرباء وما يتطلبه الوضع، فإنه لا شيء بالنسبة إلى ذلك، هذا بغض النظر عن الكسوة والملبوسات والحليب والخضراوات وغير ذلك، والمكيفات وإصلاحاتها، وأدوات الأكل والشرب، وقد فتنت العوائل بتغيير الملابس ولبس فاخر اللباس أسوةً بغيرهم، وتحمّل رب الأسرة شراء سيارة لابنه، ولا يكتفي بالرخيص وما قيمته زهيدة، وإذا نظر يمنةً ويسرةً فإنه لا يرضى لأسرته بهذا ولسان الحال ينادي: كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت فلا يرضى لهم بالدون، ولو قال ما ذكره الله في كتابه: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧]، لم يجد أذناً صاغية، ولما قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عليه: كيف أصبحت؟ قال كيف حالة من أصبح وربه يطالب بحقوقه، وزوجته تطالب بحقوقها من نفقة وكسوة، وأولاد يطالبونه بحقوقهم، ولو قال لمن تحت يده اقتصروا يا أبنائي وراعوا ظروفكم لم يجد أذناً صاغية ولا يعذرون، وقد ذكرني ذلك كلام ابن القيم رحمه الله بحيث يقول: «كيف يصنع من له زوجة لا ترحمه، وولد لا يعذره، وشريك لا ينصفه، وصديق لا ينصحه، وعدو لا ينام عن معاداته، ودنيا متزينة، ونفس أمّارة السوء ...».

أما عن كثرة الواردات على البلاد من أنواع الأرزاق والخيرات فحدّث ولا حرج ولا سيما البطيخ والخيار والقرع واليقطين بأنواعه، والتفاح والبرتقال والموز والخوخ والعنب الوطني والخارجي، ولو شئت لقلت أن العنب الخارجي لا ينقطع، كما أن اللوبيا والباذنجان والباميا والقمح والذرة وأنواع الحبوب والبرسيم وغيرها من البقول موجودة بكثرة، وتباع بقيم مناسبة لذلك، وأيضاً جميع الخضراوات موجودة بكثرة، وإذا كان بالليل والصباح الباكر فجميع السيارات النقل مشحونة، ولا يكاد شيء أن يكون مفقوداً، وكانت ترد على العواصم وتأتي قوافل من القرى تزود من تلك الخيرات، أما عن علب المربيات فقد امتلأت منها العواصم، وفي كل محطة بنزين تأتي للشراء منها، وبذلك تحولت المدن والقرى في السعودية إلى حضارة تامة.

ضربات من كيد الأعداء

لما أن كان في إحدى ليالي شهر صفر إلا وهي ليلة الثلاثاء الموافقة من هذا الشهر، تقدم أناس مفسدين في مدينة الخبر من المنطقة الشرقية بكارثة عظيمة، وهي أنهم أتوا بسيارة محشوة بالديناميت فأوقفوها داخل مبنى، وفروا بسيارة أخرى، فما كان إلا أن انفجرت عبوات شديدة الانفجار فنسفت المبنى وقتلت من كان داخل الطوابق، وسببت أضراراً عظيمة في الأنفس والأثاث والأموال، وهدمت وخربت جميع ما مرت عليه، وكان الأمر في ما قيل، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء من المفسدين والمخربين: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [البقرة:٢٠٥]، وهذه ثاني مرة يقوم بها المفسدون في مدينة الخبر والرياض.

ذكر ما حل ونزل في الخبر

لما وقع هذا البلاء والحادث الأليم تجلت الأمور عن هلاك ١٩ من الأنفس البشرية وجرح ٣٨٦، وتقدمت الحكومة ببذل عشرة ملايين ريال لمن دلها على هؤلاء العابثين المفسدين، وانطلقت رجال الأمن بجميع إمكانياتهم يبحثون ويتحرون التحقيقات، ويلفتون النظر للحصول على هذه الطغمة الفاجرة، وكان تفصيل الجرحى والقتلى كما يأتي:

الوفيات ١٩، وبلغ عدد الجرحى ٣٨٦ منهم ١٤٧ سعودياً، و١١٨ بنغلاديشياً، و١٠٩ أمريكي، و٤ مصريين، واثنان من الأردن، وإندونيسيا والفلبين، وهذا شيء ترفضه الأديان السماوية ولا تقره العقول السليمة، ولا الفطر المستقيمة، ولقد بعثت الدول برقياً وهاتفياً استنكارها لهذا الحادث الإرهابي الذي هز العالم بأجمعه، ولا تقع المسؤولية على رجال الأمر فحسب، بل تقع على كل من تقله الغبراء وتظله الخضراء ممن يؤمن بالله واليوم الآخر بأن يكون متأثراً من هذا العمل الإجرامي الذي يهز المفاصل ويقلق راحة الآمنين، ولقد أغلقت مدينة الخبر لأجل

التفتيش والبحث والتدقيق عن مرتكبي هذه الجريمة، وأن هذا لا يقتصر على رجال الأمن بل على كل فرد بعينه أن يكون مشاركاً للملكة في هذه الكارثة الشنيعة للبحث عن مرتكبيها سواء كانوا جماعة أو أفراداً، ولقد نشرت التلفزيونات رسوم هذا الأمر الخطير، وكان يقدر موضع الحادث الأليم في الأرض التي حل فيها حوالي عشرة أمتار وقطره عشرون متراً، ولقد هز البيوت وأزعج الأطفال لما بدى بنور قوي حطم الزجاج، وقذف بالمكيفات وأصاب الأطفال، وأقلق الآمنين وتحطمت المحلات على بعد ثلاثمائة متر في لحظة، ولم يشعر الجيران بأنفسهم إلا في المستشفيات، وهم لا يعلمون ما صفة الحادث، ولقد عم الدمار جميع ما حوالي موضع الحادث، وتحطم زجاج السيارات، وأصيبت الأمة بدهشة ليس لها نظير، ووضعت الأمة أكفها على خواصرها من شدة الهول، ورفعت الأمة أكفها إلى السماء وهي تقول: شاء الله فإن أجهزتنا الأمنية سوف تتمكن من إلقاء القبض على هؤلاء الذين فقدوا دينهم وإنسانيتهم حينما ارتكبوا هذا الجرم الوخيم، اللهم من أراد الإسلام والمسلمين بسوء فآته ضعفين من العذاب والعنه لعناً كبيراً، اللهم اجعل من بين يديه سداً، ومن خلفه سداً واغشه حتى لا يبصر، سبحانك هذا بهتان عظيم، ولقد مرَّ ثلاثة أيام من حلول الحادث ولم يصلوا إلى حقيقته، وكان قدر العبوة ضخماً، وقد بعثت الدول الكبار بريطانيا العظمى وفرنسا واليابان وغيرها استنكار ذلك الحادث الأليم الذي وقع ضد الأمن واستهدف له أناس أبرياء، وندد الرئيس الأمريكي في بيان صدر باسم الولايات المتحدة الأمريكية بالإرهاب، وصف من قاموا بهذا العمل بأنهم جبناء، وبأنهم لن يفلتوا من العقاب، وكان قدر العبوة التي نسفت المبنى المكون من ثمانية أدوار، وسقطت بأجمعها على الأرض تقدر بطنين وزيادة عن كيلوات، ولما أن وقع هذا الحادث الإجرامي هرع رجال الدفاع المدني والشرطة والمرور والأجهزة الأمنية لرفع الأنقاض وإسعاف المصابين، وانتشال جثث القتلى، حيث نقل المصابون إلى المستشفيات، فهذا أصيب بكتفه وإلى جانبه ابنته الصغرى، وهذا أصيبت يده، وآخر

أصيبت جمجمته، وهذا تكسرت أضلاعه، وكانوا بحالة مزرية، نعوذ بالله من سوء المنظر في الأحباب من المسلمين، والمجاورين، ثم إنها قامت أجهزة الاستعلامات والمخابرات وطفقت تبحث عن المجرمين الذين تدنسوا بهذه الجريمة ولم يرعوا سطوة خالق ولا مخلوق، فعلها من فقد ذوقه وشعوره وإنسانيته، حتى وقع القبض عليهم وسلموا للعدالة.

وفيها في غرة شهر صفر قامت الحكومة السعودية بهدم الكعبة المشرفة، وكانت ترمم قبل ذلك ما انحل من أحجارها، وفي هذه المرة رأت الحكومة أن تهدمها وتقيمها من جديد لإزالة سقفها الذي رأت الحكومة أن أخشابه قد نخرت وساوتها بالأرض، وبدأت بها حجراً حجراً كانت تغسل الحجارة وتزيل أوساخها ثم تردها، فأحيطت بحائط من الأخشاب بقدر سعة للعمال، وأزيل السقف جملةً فلم يبقَ إلا الحجر، وكانت قد جعلت الحكومة ما يستر موضعها من جهة الأعلى لأن لا تؤخذ فيها رسوم أو يكشف على العمل، وقد تسرب بعض من يرغب في النظر إلى العمل وقت صلاة العصر فيدخل محيطها، واستمرت العمارة فيها ستة أشهر وخمسة أيام والأمة التي تطوف فيها قد لا يعلمون كيفية العمل.

وفيها في ٣/٦ يوافق يوم الأحد ٢١ يولية ١٩٩٦ شب حريق بمكة تلف بسببه ٥٥ مليون من النقود الريالات وجيء بكل فرق الدفاع المدني في العاصمة المقدسة، ودعي ثلاث فرق من مدينة جدة، وثلاث فرق من الطائف، فبلغ مجموعها ثماني عشرة فرقة، وشارك الأهالي بوايتات الماء حتى بلغت ١٥٠ سيارة من الوايتات، ولبث الحريق يعمل من الساعة الواحدة بعد منتصف الليل إلى تمام الثانية عشرة ظهراً بعدما جيء بالسلالم والآلات الحديثة، فما استطاعوا إخماد الحريق إلى بظرف اثنتي عشرة ساعة، ولكنها سلمت الأنفس البشرية، نسأل الله السلامة، وكان موضعه بالعزيزية في مكة المشرفة.

وفيها في ١٥ ربيع الأول أصيب ثمانية أشخاص تتراوح أعمارهم من الرابعة والعشرين إلى الثلاثين تناولوا طبقاً من الحمص متسمماً فادعى به إلى آلام في

أجوافهم وسوء حالة محزنة، فأودعوا بمستشفى جدة على الأكلة التي تناولوها من مطعم أبي رشاد في الروابي، ولكنهم سلموا وتحدثنا كتب طبائع الحيوانات أن الوزغ الخبيث إذا سقط في طعام أو ماء فإنه يسبب أضراراً شديدة، ولهذا أمر الرسول ﷺ بقتله وسماه فويسقاً، وقد حدثني أحد الثقات أنه لما عاد إلى بيته بعد الدوام من العمل، وقدم أهله له طعام الغداء، فأقبل ليتناوله وقبل وصوله إليه رأى رشقاً ظهر في الماء على السطح فتتبعه ليرى من أين أتى ورأى في السقف وزغ لما حاذاه من جهته بصق فيه ليؤذي من تناوله، فأصبح الخبيث عدو الإنسان، وما أحسن الاحتراز من كل ما يخافه الإنسان، كما أشار إليه العالم الجليل أبو الفرج بن الجوزي في صيد الخاطر من مؤلفاته رحمه الله.

وفيها في دخول شهر ربيع الأول أوائل نوء الهيعة بحساب الراعي بالجوزاء الثانية ٢٥ السرطان ١٦ تموز اشتدت وطأة الحر وأصيب الشرق الأوسط بموجة حر لم تعهد منذ زمن طويل، وبلغت درجة الحرارة في بعض المدن ٤٨ درجة، واستمر الحر الشديد، أما في بريدة فقد تجاوزت الدرجة بعض الأوقات الخامسة والأربعين، وكان ضعفاء الأبدان لا يستطيعون السير في منتصف النهار، وقد تأثرت المكيفات الكهربائية من شدة الحر، وقامت الجهات المسؤولة في شركات الكهرباء تنصح وتحذر عن الحرائق وما ينجم عن اشتداد الحرب في منتصف النهار، وأمرت بمراقبة التيارات الكهربائية لأن لا تتفجر، نسأل الله تعالى أن يلطف بالمسلمين، وكانت المراوح الكهربائية قد لا تفيد شيئاً لحرارة السموم.

بعد صلاة الجمعة ٣/٢٥ أجرى العقاب بالقتل على ثلاثة مجرمين ارتكبوا الفاحشة والعياذ بالله.

وفي يوم الثلاثاء الموافق ٣/٢٢ قامت روسيا تضرب الشيشان بالدبابات والمدافع والقنابل التي قامت الطائرات تقصفها بها من دون رحمة ولا هوادة، واستمر القصف ستة أيام، ولكن الشيشان صمدت وقابلت ذلك القصف بالثبات وصدق الدفاع، وقضت على الاعتداء بقتل أحد زعماء الروس حتى

لاقى حتفه، وردتها خائبة مدحورة على أعقابها، وأثبتت لها ذلك جدارةً تفوق كل شجاعة.

وفيها في ليلة خامس وعشرين جمادى الأولى في آخر الليل انخسف القمر خسوفاً كلياً، وطلع الفجر وهو مختفي، وحصل ارتباك من بعض الأئمة لأنهم ليسوا كلهم علماء، فصلوا الفريضة في أول وقتها، وبعد الفريضة قاموا بصلاة الكسوف، فطلعت الشمس وهم يصلون لأن الواجب إذا حصل قبل ذلك أن يصلي الكسوف في وقته وبعد صلاة الكسوف تصل الفريضة، لأنه إذا طلع الفجر لا يصلى له لأنه ذهب وقت الانتفاع به فلا يصلى، نسأل الله تعالى البصيرة في الدين.

وفيها قامت أفغانستان بثورة على رئيسها، ولما حصلت هذه الثورة والعياذ بالله نشأ عنها أن فرَّ النساء والأطفال والضعفاء إلى كهوف الجبال والمخابئ عن القصف والضرب والمذابح لعلهم ينجون ويسلمون، وجعلوا يتوقعون ماذا يحل بالأمة، وخافت الآيامى من جراء هذه الفوضى والفتن والمحن، وكانوا لما أن انتصرت الأفغان على عدوة الإسلام روسيا الشيوعية سعى إبليس بينهم بالتحريش والعداء، وكلٌ يخطب الرئاسة لنفسه، وما زالت الأمم الإسلامية تناصحهم وتحثهم على الاجتماع وعدم التفرق لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [الأنفال:٤٦]، ولكنهم لا يزالون في الفرقة والاختلاف وبحالة سيئة لا يحسدون عليها، ومثلهم في هذا الغي والمحنة أهالي الصومال في النزاع والثورة، وسوء الحال بالرغم من بذل الإرشاد والنصائح لهم، ولقد لحق الدولتين المنازعتين الفقر والعذاب والبلاء والأمراض الفتاكة لأنهم انشغلوا عما يصلحهم ومالا يصلحهم، وقد هلَّ هلال جمادى الثانية من هذه السنة ولم تهدأ منهم تلك المجازر والفتن، وقد رقص الشيطان بينهم في النزاع وإثارة الفتن والمحن، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنه لمما يثير الأحزان ويبعث الهموم أن تصبح الأمم الإسلامية بهذا الوضع.

ذكر بادرة من بوادر النقص والرذيلة

لما أن كان في يوم السبت الموافق ٢٨ ثمانية وعشرون من جمادى الثانية من هذه السنة عثر على عصابة بلغ عددها ثلاثين من الأشقياء الذين أضاعوا دينهم وشرفهم، فقاموا بتهريب كميات من المخدرات والمسكرات، ولما أن بلغوا مدينة جدة أحاطت بهم القوات السعودية، ذلك لما كانت التحذيرات والإنذارات تحذر وتنذر باجتنابها والوعيد الشديد لمن يرتكبها، وكان أولئك الأشقياء قد أقدموا على هذا الأمر الشنيع، ولما أن رأوا البلاء أحاط بهم قاموا يدافعون عن نفسهم بإطلاق رشاشاتهم، فقد أصيب الضابط الذي يرأس فرقة الشرف والعز والكرامة فلقي حتفه، وجرح أحد القوات المضادة لكيد هؤلاء الأرذلين، فلما تيقنوا أن القائد لقي حتفه وجرح الآخر لم يبقَ إلا مقابلة الشر بمثله فأطلق الأسلحة عليهم فسقط خمسة وألقي القبض على بقيتهم، وراح ضحية ذلك القائد الشجاع السعودي زايد فيصل بن سعد العتيبي، وقد وجد مع الأشقياء لباسات نسائية ليتمكنوا من الفرار تحت أستار مخزية، فنعوذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وفيها في أحد أيام جمادى الآخرة قام إعرابي شمّري بالإقدام على قتل والده، فأطلق عليه ثلاثة عيارات نارية، وبعدما سقط قتيلاً حمله وألقاه في بئر، ولكن الله وفق قوات الأمن فألقت القبض عليه، وقتل بعد عرض قضيته على الحكومة والمحاكم الشرعية، ومن المعلوم أن هذا الجاني قد فقد دينه وإنسانيته.

وفيها في ٦/٢٥ من هذه السنة جددت انتخابية الرئيس كلينتون، وثبت على نهجه لأنه كان مسايراً للناس، وذا حكمة في تصرفاته.

وفيها في يوم الاثنين الموافق ٣ جمادى الآخرة استسقى المسلمون في سائر المملكة فأغاثهم الله تعالى وهطلت أمطار على مكة والطائف وجدة خمسة أيام والأمطار متوالية نزولها، وسقط بسبب ذلك بيوت في مدينة الطائف، كما هطلت أمطار على القصيم وكانت كثيرة على بريدة وعنيزة وروضة الربيعي والباطن، وما إلى ذلك، وتوالى هطول

الأمطار على سائر نجد، وقد تهطل الأمطار متوالية بقدر أربعين ساعة لا تتوقف، وذلك بنوء العذراء آخر الوسمي، وجاءت الأنباء من ظلم وما يليها، ومن المهد بأن الأخير أحاطت بها الأودية من كل جهاتها فما استطاعوا السير منها إلى على متن الطائرات.

وفيها في غرة شهر رجب من هذه السنة ألقي القبض على المخربين الذين فجروا العبوات الناسفة في مدينة الخبر في شهر صفر الماضي، وأحدثت أضراراً عظيمة في الأنفس والأموال هناك، ولما أن أرادت الحكومة السعودية أن تجري عليهم العقوبة اللازمة مقابل أعمالهم الإجرامية، طلبت الحكومة الأمريكية أن تتولى التحقيق معهم واتخاذ ما يلزم نحوهم لأن الذين قتلوا من جراء تفجيراتهم من رجال أمريكا بلغوا ١٩ قتيلاً، هذا ما نقصت منه أمريكا، وأما الذين أصيبوا وغيرهم فقد تقدم ذكر عددهم.

وفيها في أوائل شهر رجب أجريت انتخابات الأمين للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالي، وبما أنه فاز بالانتخاب سوى أن أمريكا لم توافق على ذلك.

عود على ما تقدم

ذكرنا توالي هطول الأمطار فيما تقدم فنقول: توالى هطول الأمطار على سائر نواحي المملكة السعودية، حتى سقطت البيوت في مدينة الطائف، وجرى فيها سيول، حتى أن بعض العوائل أخرجوا إلى الشوارع وجلسوا على الأرصفة خشيةً على أنفسهم من تهدم المنازل عليهم، وقد برزت إحدى النساء متحجبة بثيابها وأكسيتها وجلست في الشارع تنتظر إياب زوجها بعدما حمل السبيل أثاثها، وسقط بيتها لترى ما يصنع الله بها، وقد بعثت الحكومة مساعدات من خيام وفرش وكسوة للمصابين من أهل الطائف وجدة، ومعونات تنقذهم من تلك الورطة، وأنه ليجب على أمة الإسلام أن يتكاتفوا ويتعاضدوا ويعطف بعضهم على بعض، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وقد ذكرتني هذه الحادثة ما مرَّ في سنة ١٣٧٦هـ حينما تداركت السيول على منطقة القصيم من هطول الأمطار بكثرة

على تلك المنطقة بحيث سقط من جرائها ثلاثة آلاف بيت في مدينة بريدة، وفرَّ الأهالي من منازلهم وأماكنهم إلى الفلاة، فكانت السماء غطاء الفقراء والأرض فراشهم لا يوجد من الخيام إلا القليل، فكانت الأمة تحت السماء تصب عليهم، والأرض تفيض من تحتهم، ومنهم من كانوا تحت أظلة أسقفة زرائب الحيوانات من كثرة ما ينطوي تحت سقوفها واصطنعوا مساجد في الفضاء لما كانت مساجدهم لا تغني عنهم شيئاً، وأصبحوا معدمين إلا من رحمة الله ربهم، ثم عطف حكومتهم، فشهران سوى أيام قليلة لم تُرَ الشمس، ولما طلعت الشمس جعلوا يستبشرون بها، ولقد كنا نواسي المنكوبين من العرب والمسلمين لما توجبه العاطفة الإسلامية إذا أنكبوا هكذا، أفصحت إحدى الجرائد السعودية وباحت بما لديها، وقد تقدمت القصة مبسوطة في موضعها فعلى من أحب مراجعتها فليراجعها، نعم كنا نبذل المساعدات للمنكوبين حسب إرشاد حكومتنا وطلبها، كما بذلنا للجزائر في أزمتها وورطتها مع فرنسا، وكما بذلنا المساعدات لمصر في الحرب الثلاثية وغير ذلك مما توجبه العاطفة وتفرضه العادات التقليدية، وفي كلام الحكمة: ما تعاونت عليه الرجال خف، ومن عدم ظهيره، وقل نصيره، وخذله أعدائه، ولم تساعده إخوانه، وكثر أعدائه، وهذه حالة بني الزمان اليوم المعروف لا يشكر، والكبير لا يوقر، والصغير لا يرحم، وقد قلَّ العطف على الفقراء والمساكين من أهل الجدة والثروة، وهذا عكس ما كان عليه أسلافنا من الصحابة والتابعين لهم بإحسان بحيث لو سمع أحدهم بمصاب لقام يواسيه، وإن كان فقيراً جعل يعطيه، ولو كان بعيداً يهديه، وقد ذكرنا في بعض المناسبات أن أرملة ذكرت لوزير من الوزراء في أحد المساجد هي وأولادها جياعاً عراة معدمين، لا طعام لهم ولا شراب في ليلةٍ باردة شاتية، فأدركته الرحمة والعاطفة الإسلامية فبعث إليهم بما يصلحهم من طعام وفرش وكسوة وغيرها، ثم خلع ثيابه وأقسم أن لا يلبسها حتى يأتيه الرسول فيخبره بما صنع، فلما رجع إليه وأخبره بأنه نفذ أوامره، وكان ينتفض من شدة البرد، وعاد إلى

كسوته وملبوساته فأين إسلامنا يا مسلمون، وأين عطفنا يا مؤمنون، وأين حميتنا يا موحدون، أما قال النبي ﷺ : «الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله»[1] وقال ﷺ : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتناصحهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى لهم سائر الجسد بالسهر والحمى» متفق عليه، وفي رواية: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم» وما زال النبي ﷺ يوصي بحقوق المسلمين بعضهم لبعض حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وأمر بتعاهد الجيران والرفق بالجيران، وتقبيل الصبيان ورحمتهم، ولو أن المسلمين أخذوا بتعاليم الشريعة لأفلحوا ونجحوا وسارت بهم سفينة الفلاح والنجاح، ولكنهم ويا للأسف أضاعوا وصية نبيهم، بل وتوصياته، وتخاذلوا وحدثت فيهم الأنانية، وهي إصلاح المرء نفسه وعدم الاعتناء بغيره، وهي مذمومة قطعاً.

وفيها في يوم الخميس الموافق ٧/٢٤ أقيمت صلاة الاستسقاء في سائر نواحي المملكة السعودية حسب طلب الملك للمرة الثانية في هذا الشهر، لأن الغيث الذي أنزله الله من فضله وكرمه لم يعم المسلمين، فغالب المدن والنواحي ترجوا من كرم الله وفضله أن يسقيهم كإخوانهم.

وفيها قامت حكومة قطر ترأسها حكومتها الجديدة حمد بن خليفة بنزاع مع البحرين، وتقرر أن قطر تعمل بالخفاء ضد البحرين، فتوترت العلاقات بين الحكومتين، ونشأ سوء تفاهم بينهما.

وذلك في رجب من هذه السنة مرض الملك فهد بن عبدالعزيز وكان يقوم ببعض الأعمال ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز بمساعدة بعض إخوانه، وقد بعث جلالة الملك سيارات لبعض رؤساء هيئات الحسبة مساعدة لهم في أعمالهم، وكان

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، هكذا ذكره صاحب مشكاة المصابيح.

مرضه ضعفاً في قيامه وجلوسه ومشيه، نسأل الله له العافية، وهذا وقد قام نجله الشاب الفاضل سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد بطباعة بعض الكتب الدينية السلفية مجاناً تصل إلى المشايخ، فجزاه الله خيراً، وإنها لبادرة حسنة خيرية، ومن هذه الكتب الطرق الحكمية، وتنبيه الغافلين لابن النحاس وغيرها، ولا بدع ولا غرو فقد سبقه إلى هذه الحسنات، والأحكام السلطانية.

ذكر الانتهاء من عمارة الكعبة

لما أن كان في يوم الاثنين ٦ شعبان عام ١٤١٧هـ انتهت عمارة الكعبة المعظمة بعد مضي ستة أشهر تقريباً من ابتداء العمل بطمأنينة وسكينة، حتى أنه يتخيل إلى المعتمرين والمصلين والطائفين أن ليس هناك عمل، وخرجت بثوبها الشريف كأحسن ما يكون جمالاً ورونقاً ومنظراً، وذلك في اليوم ٨/٦ الاثنين الموافق السادس عشر من سبتمبر الميلادي عام ١٩٩٦م كانون الأول ٢٥ القوس عاشر نوء الإكليل عاشر المربعانية من سنة ١٣٧٥ الشمسية، وقد أقيم في اليوم المذكور احتفال يرأسه ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ودعي لذلك الاحتفال الذي قام به ولي العهد بالنيابة عن الملك جميع الرؤساء والمسؤولين لتغسيل الكعبة المعظمة، ومن كل دولة قد حضر عضو يمثلها من أهل الإسلام، فكان يوماً مشهوداً ويومئذٍ يفرح المؤمنون، وقد رفع المدعوون وجميع الحاضرين أكفهم بالدعاء والشكر لله ثم للمملكة السعودية لقيامها بهذا العمل، وكان هذا الغسيل إيذاناً بانتهاء العمل التاريخي المبارك، وقد حضر الاحتفال كلٌ من عبدالرحمن بن عبدالعزيز نائب وزير الدفاع، والأمير فواز بن عبدالعزيز، والأمير عبدالإله بن عبدالعزيز، وأمير المدينة المنورة عبدالمجيد بن عبدالعزيز، وأمير مكة المشرفة ماجد بن عبدالعزيز، والمشرف العام الرئيس لشؤون الحرمين، ووزير الحج والأوقاف ورئيس الرابطة الإسلامية، ورئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وسائر أبناء عبدالعزيز وأبنائهم، وأعضاء السلك الدبلوماسي العربي، والإسلامي.

ملاحظة: قيمة هذه العمارة للكعبة المعظمة لم يحدث مثلها في التاريخ منذ أكثر من ثلاثمائة سنة وسبعة وسبعين عاماً المصادف لعام ١٠٤٠ وقد استهلت عبارات الاحتفال ببسم الله الرحمن الرحيم، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين، تم بعون الله وتوفيقه في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود الترميم والتجديد الشامل للكعبة المشرفة سقف الكعبة والأعمدة الثلاثة حوائط الكعبة من الداخل والخارج، والأرضيات رخام السطح والحوائط والأرضيات، والسلم الداخلي الشاذروان جدار حجر سيدنا إسماعيل ميزاب الكعبة المشرفة، تقبله عملاً صالحاً وأجزل الأجر والثواب، والحمد لله رب العالمين، وتتشرف المملكة العربية السعودية بخدمة الحرمين الشريفين لتكون دائماً وإلى ما يشاء الله في استقبال المسلمين الراغبين بأداء الحج والعمرة والزيارة لينعموا في قضاء مسكنهم بكل سرور وسهولة، في مناخ آمن وجيد، وظروف طيبة بحمد الله هكذا أذاعت جريدة الرياض في عددها ١٠٤٠٤ تاريخ الأربعاء ٨ شعبان ١٤١٧هـ الموافق ١٨ ديسمبر ١٩٩٦م لسنة الثلثة والثلاثون كانون الأول.

وفيها في ٢١ شعبان أذاعت الحكومة السعودية ميزانية الدولة، وكان فيها بعض المشاريع العائدة على الأمة بالخير، واستبشر المسلمون بذلك لأن الحكومة قبل هذه السنة مشغولة بخسائر ونفقات حرب الخليج، وفي هذه السنة تنفست الحكومة الصعداء، وقد بلغت الميزانية المرصودة لسنة ١٤١٧هـ و١٤١٨هـ والأمور تنشر بخير مبلغ.

وفيها بمناسبة دخول شهر رمضان أذنت الحكومة السعودية بزيارة أهالي السجناء لأقربائهم في السجون تقديراً لشهر رمضان.

زلزال يقض إيران

لما أن كان في يوم الثلاثاء الموافق ٢٦/ ٩ أصيب شمال إيران بهزتين، فخلف هذا الزلزال ٧٩ قتيلاً و٢٦٠ جريحاً، وتشريد خمسة وعشرين ألف شخص من

منازلهم، وكان ذلك من تمام عجائب قدرة الله تعالى، كما أنه في نفس ذلك اليوم والشهر أصيبتا طائرتان من طائرات العدو الإسرائيلي متجهتين لقصف لبنان، فأحدث ذلك انزعاجاً لدى اليهود، واستبشر المسلمون بهذه العقوبة التي قد تكون من دعاء المسلمين وتأثيره على تلك الدولة الخاسرة، وقد هلك فيها ثلاثة وسبعون راكباً، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

سفرنا لزيارة المدينة المنورة

لما أن كان في ضحى الاثنين الموافق ٣/ ١٠ من هذه السنة سرنا من الوطن إلى مدينة الرسول ﷺ فقدمناها قبل الغروب، وبعدما أمنّا أنفسنا نحن ومن صحب من العائلة ببيت في العنبرية يحتوي على أربع غرف وثلاث دورات مياه بقيمة من الأجرة قدرها سبعمائة وخمسون ريالاً لثلاثة أيام، وبعد صلاة تحية المسجد والسلام على رسول الله ﷺ وصاحبيه في الحجرة الشريفة سرنا من الغد لرؤية توسعة المسجد المدني النبوي الأخيرة التي كملت في منتصف السنة ١٧ بعد ألف وأربعمائة، فرأينا شيء لا تبلغه العبارة، لقد كلفت هذه التوسعة الأخيرة في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود من الجهات الثلاث شمالاً وشرقاً وغرباً، واحتوت على رقعة كبيرة من الأرض بحيث لم يسبق لها نظير من لدى نزول آدم إلى الأرض، وقد كلفت المليارات من النقود على نفقة الدولة السعودية وبيت المال بحيث لم تشترك معها أي دولة أخرى، بحيث أن الداخل في الحرم النبوي قد يضل الطريق، فلا يهتدي إلى الروضة الشريفة والحجرة النبوية إلا بسؤال المستخدمين في المسجد، وقد أقيمت على أعمدة واسطوانات لم يسبق لها نظير، وبتصميم عجيب جلب له أجانب بناءون من سائر المعمورة، وكانت توسعة الملك المغفور له عبدالعزيز رحمه الله لم تكن إلا في زاوية منها تقع في وسطها من الجهة الشمالية، أما عمارة الدولة العثمانية في الجهة الجنوبية فكانت بقوتها وتصميمها ونقوشها لم تتعرض لتغيير بل على وضعها القديم، وقد طرزت وخدمت خدمة كافية بالأنوار واللمبات لما تطورت الحياة العصرية بخدمة الكهرباء بما تحتوي عليه من الكتابات

القديمة العربية بالقلم العريض، وقد كانت الإضاءة فيها بالكهرباء ليلها كنهارها، فلا يتغير الطقس، ومن العجائب أن الكهرباء على الدوام في الإضاءة كالشمس في رابعة النهار، وكما أن الحجرة الشريفة بهيكلها القديم وجمالها ووضعها قد كسيت بحلل التطريز عليها من رونق الحسن ما يبهر العقول من الإجلال والتعظيم، كسيت بأعظم حلة عليها طراز بالملاحة معلم، ولمكانتها في جميع أقطار الأرض فإن الحكومة السعودية بحكمتها ومراعاة للظروف لم تزدها إلا تحسيناً وخدمةً وتعظيماً لأنها قد احتوت على الذات الشريفة التي لم يكن في السماوات والأرض بعد عظمة الباري الذي هو أعظم من كل عظيم أعظم منها، وما زالت الملوك والعظماء يحترمونها بما يليق بها، ولكنها لم تسمح الحكومات الإسلامية بطول المدة واختلاف الملوك والرؤساء يحافظون على عدم تقبيلها والتمسح بها نزولاً على الامتثال للشريعة المطهرة، وكانت لولا احتشامها وحمايتها لم تسلم من أذى الرافضة والحيلولة بينهم وبينها، ولقد كانت الدوريات ورجال الأمن يبذلون جهوداً جبارة في هذا السبيل ليعلم المفسدون أن في الحياض من يزود عنها، ولقد كلف بالحرم الشريف النبوي خدم يقومون بالمناديل والتنظيف وإزالة الغبار عن الدواليب والمصاحف يومياً، وتغسيل أرضية المسجد، وقد جلبت الحكومة السعودية أنواع الزوالي الفاخرة المستحسنة بحيث لو قلت أنها تقدر قيمتها بسبعين مليوناً لما كنت مبالغاً، وكانت المنارات قد رفعت وأقيمت بكثرة، وقد رأيت قباب المسجد متحركة إذا أرادوا دخول أشعة الشمس والهواء المتجدد، ونصبت شماسي في رحبات المسجد وقايةً من الشمس، وملئ المسجد بالمصاحف المطبوعة على نفقة الدولة، وتطورت الأحوال بعدما كان الحجاج يهدون المصاحف للحرمين الشريفين فيما مضى من نفقاتهم الخاصة، فقد قامت الحكومة بمشروع طباعتها في مجمع الملك فهد، وانتشرت هذه الطباعة وبعثت بالآلاف إلى المسلمين وعشرات الألوف إلى مساجد المعمورة، كما أقيم في باطن الأرض مواقف للسيارات في المسجد النبوي، وجعل أسفل الأرض شوارع وإشارات.

وفيها وفاة الشيخ ابن محمود قاضي قطر رحمه الله وعفا عنه، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم عبدالله بن زيد بن محمود، ونحن نسوق الترجمة على ما نشرته إحدى الجرائد السعودية بقلم محمد بن عبدالله الشريف، انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس الثامن والعشرين من رمضان عام ١٤١٧هـ في مدينة الدوحة فضيلة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية في دولة قطر عن عمر يناهز التسعين عاماً، وقد فقد الإسلام والمسلمون بوفاته علماً من الأعلام المنيرة في التاريخ الإسلامي المعاصر لما يتمتع به رحمه الله من علم واسع غزير، وحكمة بالغة، وتواضع جمّ، وأسلوب مشوق ممتع، وقد أكسبته هذه الصفات وغيرها من الصفات الأخرى الحميدة التي كان يتحلى بها، ويندر أن تجتمع في عالم واحد أكسبته ملكة التبحر في العلوم الشرعية والتبصر في آفاقها الرحبة ومدلولاتها الواسعة، وتبسيطها وتقريبها إلى أذهان العامة، مما ساعد على تعميق معاني الإيمان الحقة لدى كثير من الناس وتحببه إلى قلوبهم، كما أكسبته هو تلك السمات والخصال محبة من عرفوه أو أخذوا عنه، كما ساهم رحمه الله بمؤلفات عديدة في خدمة الإسلام وتيسير العبادات، ومساعدة المسلمين على أداء شعائرهم الدينية، وإزالة ما علق بأذهان العامة من غموض أو جهل بأمور العبادات والواجبات الدينية، وكان من أشد المجاهدين في سبيل رفع راية الإسلام، ومحاربة البدع والمنكرات، وقد جاهد بلسانه وقلمه في سبيل الاحتفاظ بعقيدة الأمة طاهرة نقية من البدع والانحرافات، وكان لا يتردد في نصح أولياء أمور المسلمين بما يراه محققاً لتطبيق الشرع ومصلحة الأمة، ولد رحمه الله في حوطة بني تميم من أسرة تنتمي إلى ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، ورحل عنها وهو يافع في طلب العلم على أيدي عدد من العلماء منهم: الشيخ عبدالملك بن إبراهيم، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ محمد بن مانع، واختاره محمد بن إبراهيم ضمن عدد من العلماء للوعظ والتدريس في المسجد الحرام.

وفي عام ١٣٥٩هـ قدم إلى مكة حاكم قطر الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني

لأداء فريضة الحج، وطلب من الملك عبدالعزيز يرحمه الله ترشح أحد القضاة ليتولى مهمة القضاء في قطر خلفاً للشيخ محمد بن مانع، فكان أن رشح الشيخ عبدالله بن محمود لهذه المهمة، واستمر بها إلى أن وصل إلى منصب رئيس المحاكم الشرعية، وعرف عنه في ممارسة العمل وأحكامه بالقراءة المتعمقة، والتبكير في الحضور إلى مقر العمل، وحل المسائل الصعبة، والعد والنزاهة والاجتهاد، ووسع في الإصلاح بين الخصوم، وكان شغوفاً بالدرس والمطالعة والتنقيب والبحث في المراجع والكتب، وقد ساعده وحباه الله من مقدرة على الحفظ والاستيعاب على حفظ الكثير من المتون والأحاديث والمذاهب، وإلى جانب ذلك كله كان له اهتمام بالأدب والشعر، وكان يحفظ فيهما الكثير مما يستعين به أو يستشهد به في أحاديثه وكتاباته، وقد ألف عدداً كبيراً من الكتب في مختلف المجالات الدينية منها لحكم الجامعة، وأحكام عقود التأمين في الإسلام والربا بأنواعه، والجهاد المشروع في الإسلام، وقد توجه رحمه الله في مؤلفاته إلى معالجة المشاكل التي يواجهها المسلمون، أو توضيح ما خفي من أمور الدين والعبادات وتنقيتها من البدع، أو الرد على المفترين على الإسلام، رحم الله الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود رحمةً واسعة، وعوضَّ الإسلام والمسلمين بفقده خيراً، وألهم أهله وذويه حسن العزاء، وأعانهم على الوفاء عما قدم من أعمال، والله المستعان، قال المؤرخ: إخلاصاً للتاريخ وإن عليه لمآخذ والله يغفر له، منها أنه يحب الخلاف كاجتهاده في مسائل الحج وقد ردَّ عليه فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم وترجيح أن الأضحية عن الميت غير شرعية، وقد رد عليه الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، والشيخ علي بن عبدالله بن حواس وغيرهما، والصواب معهم ويرى دفع الفطرة نقوداً عما قرره الشارع في دفعها من الأصناف الخمسة، ولعل هذا من أسهل خلافاته نظراً منه إلى توخي المصلحة في وجود الأفران والمطاعم في هذا الزمان، وكلٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم، وكان يرى صلاة ما له سبب في أوقات النهي وإن كانت من أوقات النهي القصار مع غروب الشمس أو مع طلوعها، وقد تقدم في سنة (١٣٩٠هـ) عن المترجم، وذكر دولة قطر ما فيه كفاية.

(وفيها) في يوم الخميس (٢٠/ ١٠) أقيمت صلاة الاستسقاء في سائر أنحاء المملكة للجفاف وتأخر الأمطار فأمر الملك بذلك لعل الله أن يعم المسلمين برحمته.

(وفيها) في أواخر شهر شوال أصيبت (إيران) بزلزال في الشمال الغربي، هلك بسببه عدد وجرح عدد كثير وفر عن الموضع آلاف، وقد بعثت بعض دول الخليج تعازي إلى الرئيس رفسنجاني ومعونات تواسيهم.

(جريمة شنيعة) لما كان في يوم السبت (٢٧/ ١١) من هذه السنة أحضر الجاني: محمد أحمد مصلح يماني في ساحة القتل باليمن، وكان عمره ٤٨ سنة فأطلق عليه خمس رصاصات قضت عليه بالإعدام؛ لإطلاقه النار من بندقيته على مئات من تلاميذ المدارس في يوم الأحد الموافق (٢١/ ١١) فيما أخذت حشود من أهل اليمن، وأشرفت حشود من أسطح المنازل يهتفون ويصفقون ويصفرون مع إطلاق الرصاص على الجاني ويكبرون (الله أكبر) وكان الجاني قد أطلق على مدرستين في صنعاء العيارات النارية فقتل أربعة من التلاميذ وناظرة المدرسة ومدرساً، وكان أولئك الحشود يكبرون ويهتفون ـ تحيا العدالة ـ وكان قتله أمام المدرستين اللتين جنى عليهما تلك الجناية، وذلك بعد ما صدقت محكمة اليمن على القتل غير أنها ألغت صلبه ثلاثة أيام.

(جريمة شنعاء) لما كان في أحد الأيام من شهر ذي القعدة سنة (١٤١٧هـ) خرج سائق مصري بسيارته كان يحمل الفتيات من السعودية بمدينة الرياض لتوصيلهن إلى مقر أعمالهن في التدريس وكانت المدرسات قد قبضن رواتبهن، وكان مصطحباً زوجته، فمال بالسيارة وخرج عن الطريق، فقلن له إنك خرجت عن الطريق، فقال إلى قريب، فلما أن كان في موضع بعيد عن البلد نزل بهن وسلبهن رواتبهن،

وتركهن بقطع من الأرض ، وفرَّ بالسيارة، فلما كن هذه الحالة السيئة قدّر الله لسبب نجاتهن أوقفت إحداهن صاحب سيارة فحملها إلى أقرب مركز من مراكز الأمن، فبعثوا إليهن بسيارة حملتهن إلى بيوت أهاليهن وألقى

رجال الأمن القبض على المجرم وزوجته، ولا ريب أن هذه الفعلة الشنيعة والجريمة الرذيلة لا تكاد تصدر من مسلم ولا ممن كان له شيمة وأنفة، بحيث لم يفعلها اليهود ولا النصارى، فقبّح الله الخبثاء، ولعن الله كل لئيم، وأنزل بهم أليم عقابه، فعياذاً بالله من سوء الأعمال ومنكرات الأخلاق، وكان هذا المجرم قد قص جوازه قبل ذلك لسفره إلى مصر بطائرة، فعند ذلك صدرت الأوامر كلمح البصر إلى المطار العالمي في الرياض بأن تتوقف الحركة، وفتشوا على الخطوط الجوية حتى ألقي القبض عليه وعلى زوجته بتوفيق من الله، ثم قيام رجال الأمن بهذه المهمة.

وفيها في ١٢/٤ أصيب القصيم بموجة برد شديد جاءت في فصل الربيع ٩ من المقدم ٢٢ الحمل وكادت أن تهلك الأشجار لأنها في غير وقتها، لولا أن الله سلم.

وفيها في آخر نهار الجمعة الموافق ١١/٢٦ ١٥ من برج الحمل ١٤١٧هـ هبت عاصفة شديدة مثيرة للغبار على مدينة حفر الباطن، ولشدتها كسرت الأشجار وحطمت أخشاب الشبكة الكهربائية، فانطفأ لذلك التيار الكهربائي، وقد تكسر لذلك بعض شبابيك المنازل والنوافذ، واستمرت ساعة من الزمن.

ذكر أعمال الشياطين ومضرتهم على أمة الإسلام

لما استكمل عدد حجاج بيت الله الحرام في منى في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، وكانت منى محاطة بخيام حجاج بيت الله الحرام نفَّذ أولئك الشياطين أغراضهم الخسيسة الرذيلة بتفجير عبوات في الساعة المذكورة من يوم التروية ١٢/٨ من عام ١٤١٧هـ، وكان أولئك الفجرة يريدون خيام الحرس الوطني، فعرفة على المنزل، فثارت النيران بجحيمها وأهوالها تزمجر في تلك البقعة من منى التي أحاطت بها خيام حجاج بيت الله الحرام، ولم يرعوا لله حرمة، فنسألك يا ربنا بأنك

لا تخلف الميعاد، ونطالبك ربنا بالانتقام منهم كما وعدتنا، ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، وأن تذيق من فعل ذلك أو سبب له أسباباً من عذابك الأليم، وما كنت أظن من فعل ذلك الفعل الدميم إلا من خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، وفقد دينه ومروءته وإنسانيته، وكنت ممن حج في هذا العام، فلما أن اتجهنا إلى جهة منى إذا الحجاج واقفين مدهوشين، وإذا سماء منى تثور دخاناً أسود ينقطع في الجو كالجبال السود، فقيل لنا حدث في منى حادث وتمزقت جثث من أراد الله هلاكه، وجرح خلائق واحترقت خيام حجاج بيت الله الحرام، وقد أغلق منى فلا يدخلها أحد سوى السيارات الوايتات لرش المياه على الحرائق، وسيارات الإسعاف لحمل الموتى وإنقاذ الجرحى، سبحانك هذا بهتان عظيم، فقامت الأمة تضرب أخماساً بأسداساً لا يملكون إلا دمعةً محرقة، فهذا مجروح بماله المحترق وأثاثه الذي قضى عليه الحريق، وخسره أهله، ومن الناس من فرَّ إلى مكة المكرمة واستأجروا بيوتاً بنفقات باهظة، حتى بلغ أحد البيوت لستة أيام قيمة ثلاثين ألفاً، فعياذاً بالله، وكنت أظن أنها لا حادثة تشبه هذه الحادثة سوى حادثة القرامطة عام ٣١٧ هجرية من كونهم قتلوا الحجاج وألقوهم ببئر زمزم، وقلعوا الحجر الأسود وباب الكعبة المشرفة ، أين احترام حرم الله الذي حرمت أشجاره وطيوره احتراماً لتلك البقعة المقدسة، لقد تألمت الأمم الإسلامية لما جرى، وحدث من هذا الفعل الذميم، والأمر الشنيع، فرجعنا إلى مكة، ولما أن كان قبل الغروب خرجنا لمنى فقيل لنا الأمور على وضعها، ومنى مغلقة، ولم يستطع لا الدفاع المدني ولا رجال الأمن السيطرة على الحريق، كذلك البلديات قد وقفت ذاهلة متحيرة من عظم ما جرى، فرجعنا إلى مكة وخرجنا من صباح يوم عرفة إلى عرفة تاركين منى لأنه مخيف، وقد بلغ عدد الهلكى ما يزيد على خمسمائة قتيل وعدد الجرحى ثمانمائة أو يزيدون، أما الخيام التي احترقت فبلغت سبعين ألف خيمة على جهة التحقيق، ولا أكون متجاوزاً أو مبالغاً عما جرى من الحادث.

ذكر زلزال يحيق بشمالي إيران

لما أن كان في السنة المتقدمة سنة ألف وأربعمائة وسبع قام الإيرانيون بثورة أمام المسجد الحرام، فقتلوا بعضاً من حجاج بيت الله الحرام، وانتهبوا ما وقعت أيديهم عليه من أموال أهل مكة التي تلي الجهة الجنوبية من الحرم الشريف، واستعملوا سواطير وسكاكين ومقارض زعموا أنها جمعوها لتقطيع لحوم الهدايا والأضاحي، فسطوا على حجاج بيت الله الحرام، وقد دافعت الحكومة السعودية على قد استطاعتها عن المسلمين والحجاج، وأصبحت الأمة يتربصون ماذا يحله الله بهم من العقوبات لأن الله تعالى قال: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج:٢٥]، وقد أصيبت إيران بزلزال، غير أنها ليست بكافية لعقوبتهم وما انتحلوه من الأعمال الرذيلة السيئة، نسأل الله تعالى أن يأخذهم بذنوبهم وهو أحكم الحاكمين.

ثم دخلت سنة ١٤١٨هـ

استهلت هذه السنة والأشياء الضروريات في غاية من الغلاء، فهذا سعر محروقات السيارات من البنزين والديزل وما إلى ذلك بقيمة باهظة، وبلغ سعر برميل الديزل سبعة آلاف ريال بعدما كانت قيمته ألف ريال، وسعر الغاز بقيمة باهظة، فبعدما كانت قيمة برميل عيار ٢٥ بسبعة ريالات رفعة قيمتها إلى ١٤ ريال، وأصبحت هذه القيمة وهلم ما جرى، وإذا كان هو الوقود في هذا الزمان فما على الإنسان إلا أن يشتريه بهذه القيمة الباهظة.

وفيها في ظهر اليوم الرابع من شهر محرم الموافق يوم السبت من هذه السنة أصيب شرقي إيران بزلزال شديد، ولم يعهد مثله، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد، ولما وقع الزلزال تجلى عن قتل ألفين ومائتي قتيل وأربعين ألف جريح، هذا ما عثر عليه وإلا فقد دمر مائتي قرية منها سبع قرى

فدفنت، وما وقف لهم عن خبر، ومنها ثمانون قرية انتشلت القتلى والجرحى بجثثهم، وبلغت درجة الزلزال سبع درجات، ولما وقع ذلك الزلزال الذي لم يعهد مثله قط منذ زمن بعيد قامت الحكومة الإيرانية بنصب الخيام للجرحى، وبعثت تستغيث الأمم الأخرى والحكومات المجاورة لها يطلبون الغوث والمواسات، فجاءتهم الإعانات، ومن سوء الحظ أن الضربة وقعت والموظفين في أعمالهم فلم يرجعوا إلى وقد خلفهم في أهاليهم وذرياتهم من الهدم والقتل والجرح ما الله به عليم، فقد تهدمت المساكن ووقعت على السكان وتحطمت الأبواب والنوافذ والمكيفات على ما تحتوي عليه من الأثاث، وكانت أثراً بعد عين، ولم يبقَ في موضع الزلزال ديار ولا نافخ نار، يقول الله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١]، فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم، ﴿ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ [يونس:١٠٢]، ولما أن نصبت الخيام للمصابين سلم من سلم بعد العلاج الطويل ممن كتبت له النجاة، وهلك معظمهم، وإن في ذلك لعظةً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وكم أصيبت هذه المجوس من الفرس الذين كانوا أشد الخلق عداوةً للمسلمين، فلم يتعظوا ولم يزالوا في غيهم وضلالهم، وقد عثر على بعضهم في الزحام عند الجمرات أنهم كانوا يحملون أمواس مكائن الحلاقة يصيبون بها أعين الحجاج وجوارحهم، فعياذاً بالله من هذه العداوة للمسلمين، وكان الشاه محمد رضى بهلوي في حال ولايته إيران وسيطرته قد حزمهم حزم السلم، ولكنهم بعد خلعه عادوا إلى أخبث حالة، ولكن فأين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد وشجعان الصحابة رضي الله عنهم من هؤلاء، ولما أن خلع الشاه محمد رضا وفرَّ طريد معه أهله الذين غادروا إيران قبله من الخميني الذي عذّب أهل إيران وعرضهم لحرب ضروس مع العراق، كما قدمنا، وما زالوا حتى وضع التاريخ في شر إقامة الفتن والمحن التي زجهم بها الخميني فظنوا أنه سيعيد لهم مجد الغابرين وعز الآخرين.

إعصار قوي يصيب بنغلادش

لما أن كان في ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٤ محرم أصيبت حكومة بنغلادش بإعصار شديد تعرضت له بنغلادش، وكانت سرعته وقوته عظيمة فهدم بيوتاً وكسر أشجاراً، وقلع أخرى، وهلك بسببه أنفس وجرح آخرون، فبعث الحكومة إليها مساعدات مواساة، وساهمت الحكومة السعودية بإرسال طائرتين محملتين بالخيام والأغطية والبسط والمواد الغذائية إلى البلد الشقيق المنكوب إسهاماً في التخفيف عن الأضرار الناجمة عن الإعصار الذي تعرضت له، وخرج ألوف من بيوتهم فراراً عن الأخطار والمهالك.

وفيها في برج الجوزاء أواخر شهر محرم أصيبت ثمرات النخيل بالتسوس فسقط جزء من ثمرتها، ولم يبقَ سوى الثلث، وقد حارت الآراء حول ذلك النقص الذي لم يبقي منها إلا القليل، نستغفر الله ونتوب إليه، ولا ريب أن ذلك من الابتلاء الذي يبتلي الله به عباده، قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾.

وفيها في دخول السنة الهجرية أمرت الحكومة أيدها الله بصرف العوائد والشرهات كجاري العادة، وأقبلت الأمة على دوائر المالية لتناول العادات كما صرفت الحكومة أرباح سنتي ١٢/ ١٣ للمشتركين في الكهرباء، وذلك في شهر محرم من هذه السنة ابتداء من أواخر ذي الحجة من السنة المنصرمة في المائة سبعة ريالات.

ذكر وفاة أناس من الأعيان

لم نذكر الوفيات في أوائل هذه السنة وأواخر التي قبلها، فقد توفى في آخر السنة الماضية محمد بن سليمان بن محمد بن عمر بن سليم، وجده العالم الرباني محمد بن عمر العالم المشهور في القصيم، كان المترجم من أسرة آل سليم وابن عمه الأديب الفلكي الحاسب عبدالله بن إبراهيم بن سليم، ولد المترجم عام ١٣٢٠هـ وتعلم القرآن الكريم، ولما نشأ كان والده يتاجر في طلب المعيشة والرزق فسلك طريقة

والده في السفر للعراق وفلسطين، ولما أن قلت مصالح الأسفار فوق ظهور الإبل بالرغم من المشاق التي يعانيها المسافرون إذ ذاك لزم هو والده مدينة بريدة ببيت حوالي جامع بريدة الكبير، ولهم ضيعة على مسافة قريبة في جنوبي البلد، تحتوي على النخيل والأشجار مستخدمين الإبل ثم المكائن المائية، ثم كان مراقباً في معهد إعداد المعلمين حينما كان المدير ابن عمه، وألقى عصا التسيار ثم اكتفى بما يحصل من تقويم ممتلكاتهم حينما وقع الهدم عليها، ووفق في آخر عمره برزق رغد براحة، وكان له أخٌ يسمى عمر بن سليمان، ولهم بنون وأحفاد، فالله المستعان.

وممن توفى فيها عبدالرحمن بن سلمان بن سحمان كان رحمه الله رجلاً متعففاً قنوعاً بما آتاه الله من الرزق، ومن سكان مدينة الرياض محافظاً على الصلوات الخمس، ومنشأه القصيم في مدينة بريدة، وله قرابة وذا صلة بقرابته.

حادثة غريبة

كان أحد أمراء البادية يسير فأصيب بحادث سيارة فذهب به إلى أحد المستشفيات في بريدة، وجعل في غرفة الإنعاش لأن الحادث شديد، فجاء ابنه إلى المستشفى وطلب رؤية أبيه، فنصح له الأطباء بعدم رؤيته وأن يتأخر قليلاً حتى يمنّ الله على أبيه بالشفاء، غير أنه أكد في أن يراه، فلما رأى والده في ثياب العلاج وحال غيبوبة، خرج الابن وكان في سلك الأمن منفعلاً، فما رأى يقود السيارة منكداً مهموماً فاختل التوازن فأصيبت السيارة بحادث وهلك في لحظة رحمه الله تعالى، فهذا الابن قد جاء يسعى إلى رؤية والده المصاب، ولعل أن يلقَ على والده آخر رؤية قبل أن يرحل من الدنيا، فكان حتف الابن بتلك الزيارة، وهلك قبل والده.

قد ذكرنا السنة الماضية وفاة الأستاذ عبدالله بن إبراهيم بن سليم، ولما أن كان بعد وفاته بسنة تقريباً ظهر المتحذلق يزعم أنه من زملائه، ووصفه بأنه ذو بضاعة من العلم مزجاة، ولم يكن لديه سوى بصيص ضئيل من العلم، وكأنه لما توفاه الله

تعالى ولم يستطع أن يدافع عن نفسه لأن الحي يغلب ألف ميت، كما هو مشهور، وفي المثل السابق وأيضاً قام هذا المتحذلق ينتقص أهالي بريدة وأنهم متحجرون، وغير ذلك من التهم عليهم، وكأنه لا يعرف عن العلماء إلا عن نفسه لأن الجهل بحره عميق وتجاهل ما لأهل بريدة من الفضل، وأن أهالي بريدة ملئوا أقطار المعمورة بالعلماء والأدباء والمفتيين والمدرسيين والقضاة، فتصدى لهذا المفتري الشعراء والخطباء وردوا أكاذيبه وترهاته ليعلم أن في الحياض من يذود عنها، وأن في الحمى من هو على ثغرة المرمى، ونحن نذكر منها قصيدة أنشأها الأديب الشاعر صالح بن سليمان بن مقيطيب من أدباء مدينة بريدة

وهي هذه:

ألا يــا بــني قــومي أمــا قــد قــرأتم ... مقــالاً عــن الشـيخ كمــا قــد قرأنــاه
قرأنــا مقــالاً جانــب الصــدق ذكــره ... ولـــو أنــــه حـــقٌ لكنـــا قبلنــــاه
أزف إلى آل الســــليم تحيــــــةً ... وبيــت لهــم بــالعلم قــد شــهدناه
ســقى الله أجــداثاً تضــم رفــاتهم ... فكــم خــادم لله بالــــذكر أحيــــاه
إذا مـــرَّ ذكـــر للســـليم تحركــت ... أحاسـيس مـن قلبـي إذا مـا سمعنـاه
تمرستم أصول الـدين في الخـير رغبـةً ... وتــاريخكم عطــراً إذا مــا درســناه
لكم سيرة الإسلام في العلـم والتقـى ... لكـم في قلـوب النـاس حـب لمسـناه
فــأنتم أحبــاء القصــيم شــيوخها ... نصـحتم لـوالي القصـيم لمـا تـولاه
تــذكرت عبــدالله إذ كــان بيننــا ... لقـد كـان نجمـاً لامعـاً طـاب مـرآه
تعلـم علـم الشـرع مـذ كـان ناشـئاً ... فاريـاً علـى الأقـران والفهـم بـذكاه
فكــم عــالم يأتيــه أعيــاه بحثــه ... علـى الفـور يلقـي عنـده مـا تمنـاه
لقــد كــان فــذاً بــارزاً في علومــه ... متى خاض في فنٍ مـن العلـم منشـاه
ويكفيــه فخــراً أن دعــاه مليكنــا ... لتعلـــيم أبنـــاء الريـــاض فلبـــاه
ألا يوجــد الحســاد يومــاً لمثلــه ... فكـم يحسـد الموهـوب مـالله أعطـاه

كما كان من عثمان في حق شيخنا ... وأسبابه حسد على العلم منشأه
وقد زامن الشيخ ويعرف فضله ... ولكنما الحسد عن الحق أعماه
إذا الحاسد المسكين أدرك فضله ... سعى يشغل الناس بسب ننساه
أبى الحسد أن يبقَ دفيناً وإنما ... سيبدوا ذا المحسود يوماً دفناه
كفى الحسد ذماً أن يقود إلى الردى ... ويكشف للمحسود فضلاً جهلناه
عرفناك يا عثمان للناس مالها ... وتعطى بلا حدا إذا ما وزناه
وتزجي رخيص المدح دون توقفٍ ... ولو يشتري ما كنت أنفقت قلناه
ترسل إذا ما كنت للشخص مادحاً ... فلو زاد في المطعوم ملحٌ رميناه
عدلت عن المدح تنقصت شيخنا ... بخست حقوق الشيخ لما دفناه
تنقصت عبدالله لما ذكرته ... ولو قيل ضير فيك كنا ذممناه
زعمت بأن الشيخ لا علم عنده ... وأثبت لشيخٍ بصيصاً رفضناه
فلست بسباحٍ فتعرف عمقه ... فكم جاهلٍ بالبحر يوماً فقدناه
إذا كنت لا تدري عن الشيخ علمه ... فسل من له بالعلم باعٌ سبرناه
وسل عنه آل الشيخ فسل محمداً ... تجد عندهم علماً عن الشيخ نرضاه
وقد هبت عبدالله حباً لعلمه ... أما كان هذا حين آواه مثواه
ولكننا للشيخ نرعى حقوقه ... علينا له حق فلا بد نرعاه
أعثمان دع عنك المديح تزلفاً ... وقدم من الأعمال ما طاب تلقاه
ولازم بيوت الله بالذكر معرضاً ... عن القيل واسأل ربك اليوم تقواه
أترجو بمدح الناس عزاً تناله ... ولكنما العز لمن طاب مسعاه
أما العمر قد ولى وحان أفوله ... وقد حان لو تبكي عليه وتنعاه
وسل ربك المعبود حسن ختامه ... وصل على المبعوث فالله أعلاه

قلت إنما أثبتنا هذه القصيدة لأمرين:

أولاً إنها كمرثية عددت محاسن عبدالله بن سليم، لأني لم أجد له مرثية، ويقول الله تعالى: وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم.

ثانياً نصيحة هذا وأمثاله أن لا يختم بالسيئات أعماله لا سيما وقد كان في عشر التسعين، ولو نصحه زيادة عن إسبال ثيابه لكان أحسن لأنه ظهر في هندامه سبلاً ثيابه، ويجب إرشاده، نسأل الله أن يهدي الجميع.

ذكر حريق في مدينة الرياض

ففيها أصيب أحد مستودعات الرجل الغني الكبير صالح بن عبدالعزيز الراجحي بحريق استمر ٨٤ ساعة، وبالرغم من قيام الحرس الوطني مشتركاً بالمهمة مع الدفاع المدني وما قاموا به من جهود جبارة، فإن الحريق قضى على ذلك المستودع وخلّف خسائر باهظة، ومما يذكر أن المصاب صالح الراجحي عرض عليه أن يواسى في ذلك النقص والخسائر من جهة الحكومة وغيرها فلم يوافق، وسلم لأقدار الله وحكمة قائلاً: من الله الرزق وعليه الخلف، ولم يجزع ولم يتأثر لهذا المصاب الجلل، حتى قيل أنها بلغت الخسائر تسعين مليون من النقود، وكان ذلك في يوم الاثنين الموافق ١١ صفر من هذه السنة الهجرية ١٦ يونية من عام ١٩٩٧م، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم آجره في مصيبته واخلف له خيراً منها، وكان وقوع الحادث في نوء الثريا ٢٦ برج الجوزاء، والدرجة في الخامسة والأربعين في شدة الحر، وقد قدمنا حادثة منى في موسم الحج وما أصيب به المسلمون من تلف الأموال والأنفس من جراء حريق منى كما ذكرنا مصيبة بنقص الثمرات التي جرت في النخيل في هذه السنة.

حادثة عجيبة

لما أن كان في يوم الأربعاء الموافق ٣/٢٦ من هذه السنة تقد اثنان من الفدائيين الفلسطينيين الذين لم يستطيعوا الصبر على الضيم ولم يرضوا لأنفسهم بالذل والهوان، وقد سئموا من أعمال اليهود في بلادهم فلسطين بعمل مخيف ذلك بأنهما حشوا أجسامهم بالمتفجرات ودخلوا سوق ماهان يهودا في الساعة العاشرة وثماني

عشرة دقيقة صباحاً، ففجرا العبوات التي يحملونها داخل ثيابهم فأسفر الحادث عن قتل أربعة عشر يهودياً، وجرح مائة وسبعة وخميسين، واحترقا ضمن المصابين، لما تم الاكتشاف عن جثتي الفلسطينيين وقد أحدث ذلك العمل هزة عظيمة في فلسطين المحتلة، ويقول المتمثل:

فأقـدم فإمـا مُنْيَـةً أو مَنِيَّـةً ... تريحك من عيش به لست راضيا
أما سئمت من عيشها نفسٌ والـهٍ ... تبيت بنار البعد تلقى المكاويا
فما تم إلى الوصل أو كلف بهم ... وحسبك فوز ذاك إن كنت واعياً
أما موته فيهم حياةً وذلةً ... هو العز والتوفيق ما زال غالباً
أما سمع العشاق هول حبيبةٍ ... لصب بها وافى من الحب شاكيا
ولما شكوت الحب قالت كذبتني ... فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق القلب بالحشا ... وتخرس حتى لا يجيب المناديا
وتنحل حتى لا يبقَ لك الهوى ... سوى مقلة تبكي بها وتناجيا
فيا محبة الحسناء تهدي إلى امرئٍ ... ضرير وعنِّينٍ من الوجد خاليا
إذا ظلمة الليل انجلت بضيائها ... يعود لعينيه ظلاماً كما هيا
فظن بها أن كنت تعرف قدرها ... إلى أن ترى كفواً أتاك موافيا
فما مهرها شيءٌ سوى الروح أبى ... السجيان تأخر لست كفواً مساوياً
وادلج ولا تخشى الظلام فإنه ... سيكفيك وجه الحب في الليل هاويا
رشقها بذكراه مطاياك إنه ... سيبغي المطايا طيب ذكره حاديا
وعدها بروح الوصل تعطيك سرها ... فما شئت واستبق العظم البواليا

هذه الأبيات للحافظ ابن القيم رحمه الله، وكأنه يصور حالة أهالي فلسطين، وإن كان ذكرها في منزلة المحبة، فقوله فأقدم فأما منيةً أو منيةٍ يعني إما أن تبلغ مقصودك وما تطلبه نفسك فتفوز بطلبك كمجاهد في سبيل الله فله إحدى الحسنيين، أما الظفر بالأعداء فيهلكن على يديه، ويخزيهم الله وينصره عليهم، ويشفي صدره، ويذهب غيظ قلبه، وأما أن يقتل في سبيل الله ويستريح من أتعاب

الحياة ومكابدة الضيم والحرقة بين جنبيه، قال صاحب الحماسة يندد بسياسة الهون واللين:

وإن وطــن ســاءتك أخــلاق أهلــه ... فدعه فما يصبر على الضيم ماجدٌ
فبــتَّ حبــال الوصــل ممــن تــوده ... إذا لم يــرد كــل الــذي أنــت وارد
وقل لليالي كيف ما شئت فاصنعي ... فـإن علـى الأقـدار تـأتي المكائـد
ولا تـذهب الخطـب الجليـل لهولـه ... فطعـم المنايـا كيفمـا ذقـت واحـد
فلــيس بصــعّاد إلى المجــد عــاجزٌ ... تناديــه العلـــى وهـــو قاعـــد
فقــم نحصــد الأعمــار أو نبلــغ المنــى ... بجــدٍ فللأعمــار لا بــد حاصــد

وفيها في ليلة ١٦ جمادى الأولى كسف القمر كسوفاً كلياً ولبث في الخسوف ثلاث ساعات، من الساعة الثانية إلا ربع ليلاً بالغروبي حتى تمام الخامسة، هذا ولتقويم الحاسب الفلكي المعروف بصالح العجيري فضلٌ كبير بحيث أصبح صاحبه وحيد زمانه في معرفة أوقات خسوف القمر وكسوف الشمس بالساعات والدقائق، ابتداء وانتهاء بحيث ينشر ذلك قبل وقوعه، ويذكر شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله أن ذلك يدرك عن طريقة الحساب لا عن طريقة التنجيم.

وفيها في جمادى الآخرة ساءت الحالة بين العراق وأمريكا ومانعت العراق من تفتيش أمريكا على أسلحتها، وتأزمت الأمور بينهما، ولما أن رأت العراق أنه لا بد من ذلك أو تستهدف للضرب والسحق المحق سمحت بذلك على مضض، وقامت العراق بالسبّ والنيل منها.

ذكر ترحيل الأجانب عن السعودية

لما أن كان في الشهر الرابع منها رأت الحكومة السعودية أن تطرد الأجانب عن المملكة، ذلك بأنهم استأثروا بالمصلحة في جميع الأعمال، وأخذت تطاردهم في الجبال والأودية لما كثروا وامتلأت الأزقة والمجامع والجوامع منهم، ولا سيما الهنود.

هطول أمطار على السعودية

لما أن كان في دخول برج العقرب الموافق ليوم الخميس ٢٢ جمادى الآخرة ٢٣ أكتوبر انعقدت سحب متراكمة على الرياض وما حواليها وأخذت الأمطار تهطل عليها، وأما القصيم فإن المطر رذاذ عليها، أما عن مكة والمدينة والطائف وسائر الحجاز فقد عمرتها أمطار قبل ذلك في نوء العواء أوائل الوسمي، وفي دخول شهر رجب اشتد هطول الأمطار على القصيم وسدير والوشم، وتوالى هطول الأمطار عليها، واستهدفت الرياض وما حواليها إلى أمطار غزيرة، ثم عمَّ ذلك القصيم ليلاً ونهاراً، ثم كانت السماء صواعق ورعوداً شديدة، وامتلأت المنخفضات، وكادت تغرق، وقامت المعدات شفط تلك المياه، واشتد نزول الأمطار بكثرة على الشرقية والوسط، وكانت مدينة بريدة قد استهدفت للغرق وقامت البلديات تواني أعمالها ليلاً ونهاراً ولا سيما المستشفى التخصصي فقد غرق وتعرض موضع الإسكان في بريدة لأن تخرج القوات الحكومية سكانه لأن يكونوا فريسة لتلك المياه التي طغت، واستمر الوضع في هذه الصفة وقد اختفت الشمس من ظلال تلك السحب المتراكمة، وما كان بمقدور الأمة إلا رفع الأكف إلى السماء يدعون للاستصحاء وأن يوقف الخالق تلك المياه التي لا طاقة لهم بها، وسقطت بعض البيوت وارتفعت مياه السماء على الأرصفة، واختفت والله على كل شيء قدير، وخافت الأمة في المملكة السعودية وشهدت منطقة الجوف خلال هذه الأيام هطول أمطار غزيرة سالت على أثرها الأودية والشعاب مما أدى إلى تعرض العديد من المواطنين لمحاصرة السيول والموت غرقاً، الأمر الذي استدعى التدخل الضروري لقوات الإنقاذ التابعة لمديرية الدفاع المدني بمنطقة الجوف بكل إمكانياتها المتاحة حيث تمت الاستعانة بطيران الدفاع المدني لإخلاء العديد من المواطنين ممن حاصرتهم السيول في أحد الشعاب التي تبعد أربعمائة كيلو متر عن مركز طبرجل، ومن ثم نقلهم إلى مناطق أكثر أمناً، وقد بلغ عدد من تم إنقاذهم اثنين وأربعين بين ذكر وأنثى، وما زالت الإسعافات تسير في طريق الإنقاذ.

الصواعق تحرق أجهزة بني مالك

أدت الصواعق الرعدية المصاحبة لهطول الأمطار هناك إلى تلف عدد من المولدات الكهربائية، وقد احتجزت السيول المعلمات والطالبات في الطائف، ولكنه استطاع رجال الدفاع المدني بمركز القريع إنقاذ عدد من المعلمات والطالبات من مدرسة الأشرف الإبتدائية والمتوسطة اللواتي احتجزتهن السيول الناجمة عن هطول الأمطار التي شهدتها بني مالك مؤخراً، وهكذا جميع القصيم، ولما أخرجت السكان عن موضع الإسكان في مدينة بريدة جعلتهم الحكومة في الفنادق وأجرت الحكومة لهم الطعام والشراب.

ولما أن كان في ١١/٧ توقف المطر وطلعت الشمس في اليوم المذكور بعدما تأثرت بعض الجسور، وما استطاع المدرسون الذين يذهبون إلى حائل لما انكسر بعض الجسور وما استطاع المدرسون الذين يذهبون إلى حائل، أما ما كان عن الزلفي والمذنب فحدّث ولا حرج عما نجم من تلك السيول، وقد بلغت الأمور في مستشفى بريدة التخصصي أن كسرت الأرصفة التي حواليه لما حفرت خنادق تمنع السيول والأمطار عن دخولها عليه، وأصبحت المعدات جاهزة والعمال يراقبونها، فلا يبخلون عن الشفط، وجعلت حواجز هناك، ولكنها لم تغنِ شيئاً، وقد بلغت الأحوال إلى أن ارتفع منسوب المياه في موضع الإسكان في مدينة بريدة إلى ارتفاع متر وخمسين سنتمتراً بحيث ارتفع أثاث السكان إلى هذا القدر المعلوم، وجاءت الأنباء من كل جهة من جهات المملكة السعودية بغرق بعض أفراد الأمة، نسأل الله تعالى أن يلطف بالمسلمين، ولولا ما قام به المسؤولون لما رابطوا في جهات الأخطار لكان الأمر أشد وأعظم، ولا سيما طائرات الإنقاذ، فقد أدت واجبها نحو هذه الكارثة، وقد سقطت صواعق وهبت رياح قلعت النخيل القديمة في بعض الأماكن، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وجاءت الأنباء من النباج وهو الأسياح بأن المياه دخلت البيوت وأوشك بعضها على الغرق، قالت جريدة الجزيرة في عددها ٩١٧٥ تاريخ الثلاثاء ١١ رجب ١٤١٨هـ الموافق ١١ نوفمبر ١٩٩٧م ما لاقى أهالي حي

الناصرية بعنيزة، تركوا منازلهم أثر محاصرة المياه، ثم قالت الجريدة حالات غرق واحتجاز وصواعق، وغرق شخصين وإنقاذ ٥٨ بالقريات والجوف، قال المؤلف: ولقد خرجت في ١٣ الموافق للخميس من شهر رجب ٢٩ الوسمي ١٣ نوفمبر إلى جهة الوطأة الموضع الكائن غربي القويطير شمالي بريدة، فكنت أسير من حينما بلغت فندق السلمان، فرأيت من ذلك الموضع إلى الوطأة بحيرة من ماء تقدر مساحتها جنوباً وشمالاً ٢٤ كيلو بعرض ثلاث كيلو شرقاً وغرباً، ولا تستطيع السيارات السير فيها، ولا البهائم، وقد غرقت مواضع الزراعة فيها، ولما أن كان في غداة اليوم ١٥ من شهر رجب استأنفت السماء من جديد هطول الأمطار كما مضى برعودها وبروقها بإذن الله تعالى، وقد تعطلت الدراسة في بعض الجهات وأصبحت الأغنام تسقط عليها الصاعقة فدمرت الراعي والأغنام.

تنبيه: قد ذكرنا عناد الرئيس العراقي صدام حسين ورفضه لتفتيش رجال أمريكا، وتظاهر الشقي بالعصيان فاتخذت أمريكا وبريطانيا في قمعه أسباباً وجندت الطائرات المقاتلة بضرب العراق، وقدمت حاملات الطائرات من أمريكا وعلى ظهرها مائة وثمانون طائرة، كما قدمت الطائرات تحملها حاملة الطائرات، وقدرها ثمانون طائرة مقاتلة من بريطانيا لضرب العراق، تظاهر الشقي بأنه مستعد للحرب، وكانت الحكومتان تراقب حركاته وتقلباته وصممتا هذه المرة على ضربه، واتخذتا التدابير للأزمة والإجراءات العنيفة القوية، وكانت الكويت على خوف ووجل من حادثة ١٤١١هـ، وأظهرت أنها تطلب أن يكون موقع الحرب بعيداً عنها، وأصبحت في أهبة للفرار عن الكويت كما مرَّ في السنة المذكورة، كما أنها رست الأسطول البحري تراقب حركات هذا الطاغية، لكنها خمدت حركاته جملةً لما رأى من أمر الله مالا قبل له به، وكان ضعيف العقل، سيئ التدابير، يريد أن يهلك بقية العراق الذي خرب معظمه وأهلك أهله جوعاً وعرياً، وقد قاموا عدة مرات لاغتياله، غير أن الأمور مرهونة لوقتها، وكان ينثني عن راية بعدما تحيط به قوات

أمريكا والحلفاء ثم يقف وقفة المعاند ويمنع التفتيش، فإذا ما ضايقوه أخفى معداته الحربية وسمح لأمريكا بأن تفتش عليه، لكن أمريكا لا تزال تراقب حركته وتكشف أعماله عن طريق الأقمار الصناعية، وإننا لنعجب من سعة حلم أمريكا لتصرفاته، غير أن الدول الكبار لها رأيها في السياسة لطلب مصالحها، ولا ريب من أن الله خلقه للفساد كالفأر الذي لسان حاله يقول: سبحان من خلقه للفساد.

برد شديد وظل في القصيم

لما كان في ٥ رمضان ترادفت سحب على أجواء القصيم وقامت هطول الأمطار تتوالى على القصيم ببرد، واختفت الشمس من ٢٨ الأربعانية ١٣ الجدي ٣ يناير كانون الثاني أمطار تهطل ليلاً، وقد توقف نهاراً بدون رعود أو بروق منذ ذلك حتى اليوم التاسع عشرين من رمضان الموافق ٢٧ الجدي ١٧ يناير، وقد وجد أنواع الكمأة والعراجين، واشتد الطقس بالبرودة ولكن هطول الأمطار كان على قدر من غير غرق، ولله في ذلك حكمةً، وكثر الكلأ والعشب، ولم تخرج السيول السكان عن بيوتها، وهطلت أمطار على الجمعة وما يليها من منطقة سدير والريا وضرما وحائل.

وفيها في رمضان اشتد الخلاف بين باكستان والهند، ورفعت باكستان أعلامها لقتال الهند، وتأزمت الأمور بين البلدين والحكومتين.

ولما أن كان في ٢٦ رمضان ٤ الدلو توالى وجود الفقع الكمأة بأنواعها، وتوالى وجود الأقط بكثرة، وأتى بالجراد من سائر جهات المملكة وأصبحت سائر أسواق الرياض والقصيم ونجد على العموم مزدحمة بهذه الأنواع.

وفيها وقع فيضان في الصومال اضطر الأهالي إلى الخروج من مساكنهم إلى الجبال بأطفالهم وبهائمهم، ولما أن فرَّ الأهالي إلى الجهات المرتفعة في الجهات نزلت عليهم الذئاب المفترسة من الجبال فأكلت أطفالهم، وقاموا بأسلحتهم يدافعون ضد تلك السباع.

تنبيه: ذكرنا ازدحام الأسواق بأكياس الجراد والأقط والكمأة، ولا ريب أن

ذلك يعتبر من سني البركات التي قلَّ أن توجد في السنين الأخيرة، وقد ذكرنا في سنة ٤٨ ما فتح الله على المسلمين فيها من البركات فذكرتني هذه السنة ما مرَّ، ونحن نسوق تماماً للفائدة ما في ذلك من الخير والشر، وذكرنا هناك كثرة الدهن والكمأة حتى بيعت الكمأة «الفقع» تسع وزناة بريال، فنقول: إن الله نبه على ذلك بقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، فعن سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض، فقيل: وما بركات الأرض؟ قال زهرة الدنيا، فقال له رجل: هل يأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى ظننت أنه سينزل عليه ثم جعل يمسح عن جبينه فقال من السائل؟ قال: أنا، قال: لا يأتي الخير إلا بالخير»، وأن هذا المال خضرة حلوة، وإن مما ينبت الربيع يقتل حبطاً إذ يتم إلى كلمة الخضر أكلت متى إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس فأصرت وتلطف وبال، ثم عادت فأكلت، وإن هذا المال خضرة حلوة، ومن أخذه بحقه ووضعه بحقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع، وقد ذكرنا شدة البرد فيما تقدم، ولما أن كان في ٢٢ من رمضان توقف المطر بإذن الله تعالى، ولطف الله بعباده بعد كثرة المياه، وأطلع الله الشمس في أواخر الشهر، فكان الناس في ذلك الصحو في أيام الربيع والكلأ والعشب الكثير يتمتعون بلطافة الجو، واستمر ذلك حتى ربما استعملت المراوح لتبرد الطقس، وربما كره في الشمس القعود للحرارة في أوائل شهر شوال، وربما استعلمت المكيفات في البارد، وكان ذلك في أخر شباط الثاني وهو نادر الوقوع.

ذكر زلزال شمالي شرقي أفغانستان

ففيها في اليوم في ١١/١١عام ١٤١٨هـ دخل الملك المستشفى على أثر التهاب في المرارة، وذلك في أحد المستشفيات في المملكة وأجري له عملية فنجحت واستبشر الأهالي تمام صحته في اليوم الذي بعده الموافق ليوم الثلاثاء

١١/١٢ وفي اليوم الذي قبله هبت رياح شديدة مصحوبة بأمطار ممزوجة ببرد على قدر بيض الدجاج، وأخصبت الأرض لأن الأمطار نزلت عليها وهي محتاجة إليها.

وفاة رجل معمّر

ففيها وفاة إمام قرية العاقول في ١١/١٠ وقد ذكر أنه تجاوز المائة وخمساً وثلاثين عاماً[١] وهو عبدالعزيز بن محمد العبد الله العجلان رحمة الله عليه.

وممن توفى فيها محمد بن أحمد العلي العبيري، كان رجلاً صالحاً مستقيماً رحمه الله وعفا عنه.

ومما توفى فيها صاحب السمو ابن عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود ابن أخي الملك عبدالعزيز رحمه الله.

وممن توفى فيها من الأعيان علي بن عبدالله بن ذربان إمام قرية خضيراء من نواحي القصيم، كان رحمه الله مشهوراً في الدين والصلاح، وذا غيرة في الدين، ويعالج المصابين بالأرواح الشيطانية، ويسكن في خب القبر، مرض في آخر عمره، ومن إخواننا في الدين والصلاح، وله صوت حسن في القراءة والخطابة، وكان توفى عن خمس وثمانين سنة، كانت وفاته في أواخر شوال، وممن توفى فيها ناصر بن محمد بن إبراهيم بن زعاق، كان من أهل الخير والصلاح وله شهرة بين الناس.

وفيها في يوم الثلاثاء الموافق ١١/١٩ الموافق ١٧ مارس هبت عاصفة شديدة على مدرج من جهة البطين في شمالي مدينة بريدة بسرعة هائلة فقلبت المحاور الرشاشة في المزارع، وحطمت بعض أعمدة الكهرباء هناك، وهلك بسببها خمسمائة من الأغنام، وذلك في عاشر نوء سعد السعود آخر العقارب، نسأل الله أن يلطف بالمسلمين.

---

(١) هكذا قيل.

نادرة من النوادر في إحدى مزارع البطين

عثر على كمأة كبيرة الحجم فوزنوها فكانت ثلاث كيلو ونصف، وهذا نادر الوقوع في السنين الأخيرة، وكانت المزرعة للأمير فهد بن فيصل بن فرحان كما أنه نزلت قيمة سمن الأغنام فبيع الطيب من السمن بخمسة وأربعين ريالاً، وقد قدمنا أنه في هذه السنة عم الكلأ والعشب الكثير فله الشكر والحمد، وكانت الأمة تكثر النزهة والفرجة في البر، ويتمتعون في زينة الربيع، أما عن الأغنام والإبل فإنها في قيمة باهظة وغاية في الغلاء، وقد بيع كبش كبير في تسعمائة ريال، أما سائر كباش الضأن فتتراوح من خمسمائة وخمسين إلى ستمائة.

ثلوج وبرْد

ففيها في اليوم المذكور نزلت ثلوج يصحبها برد على الأردن وسوريا، وقد ارتفع الثلج في الشوارع إلى قدر من ثمانين سنتمتر، وانتشر الصقيع والبرد حتى تجاوز القصيم، وكانت تقلبات الطقس غريبة فيوماً يفشو الحر حتى ترتفع الدرجة ويبقَ الناس أثواب البرد وملابسه، ويوماً تعود الأمور إلى أشد ما كانت في البرودة، ولله تمام التدابير، وقد ذكر لنا أنه هب على مصر في اليوم نفسه رياح.

عود على بدء

قد ذكرنا العاصفة التي مرت على أهل مدرج من أعمال البطين، وأشرنا إليها وقد بالغ الرواة فيها، فقيل إنها دمرت ما مرت عليه من البيوت والمواشي، وما استهدفت لها، نسأل الله أن يلطف بالمسلمين، وطارت بيوت الشعر والصناديق، وقد صحبها مطر ممزوج بالحجارة وهي البرد.

ذكر غريبة من الحوادث

ذكرت جريدة من الجرائد السعودية من أعداد شهر ذي القعدة أنها ولدت

امرأة عراقية مولوداً مشوهاً على صورة سبع وحش مخيف، وقد قامت الأم بحمله حتى وضعت وقد نشرت صورة المولود ليراه الناس، وهذا من أعجب ما وردنا من الحوادث والعجائب في هذه السنين المتأخرة، والله على كل شيء قدير، وقدرة الله صالحة حيث يقول تعالى: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الأنفطار:٨]، وذكر الشيخ العالم العلامة محمد بن عبدالوهاب مسألة على أبواب التوحيد قوله الرابعة أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم، وهذه الجريدة هي جريدة خزامى السنة الثانية العدد ٤٤ يوم الاثنين ١١/ ٥ عام ١٤١٨هـ الموافق لعام ١٩٩٨م، ولما لم يجد من يناوله الطعام هلك.

ذكر جرائم من جرائم القتل

وهذه الجرائم من الرئيس صدام العراق في يوم من أيام ذي الحجة من هذه السنة، فأمر بقتل ١٥٠٠ في أحد سجونه، وبعد قتلهم لزم أهاليهم أن يبعثوا إليه بقيمة الرصاص التي أطلقت عليهم، وأعدمهم، وهذه غريبة لم يجرِ غريبة في التاريخ البشري مثلها، وقد طبقت هذه الغفلة الشنيعة على ظلم الحجاج بن يوسف، ذكرت هذه الحادثة في إحدى الجرائد بنقل صحيح.

رجعنا إلى ما نحن بصدده فنقول: لما أن كان في يوم الأربعاء ١٠ محرم من هذه السنة قام شاب بنزاع بينه وبين أخيه، فقتل أخاه وكان الجاني في الثامنة عشرة من عمره، وكان المقتول يكبر أخاه بسبع سنين، وقد قام بقتله لأنه يعرف بأن أخاه معه عقداً نفسية، وأغلق الباب لكن سهم الحسد قوي فخرق الباب، وخلص إلى القتيل فأرداه صريعاً على وجه الأرض، وفرَّ الجاني فصيح للقوات وجعلوا يلاحقونه فأطلق مسدسه على الضابط فقتله أيضاً كما قتل أخاه من قبل، فجعل رجال القوات يلاحقونه وهو يقفز من بيت إلى بيت، وخاف أهل البيوت وفروا من بيوتهم، وجعلت قوات الأمن تنذر الجاني وتنصح له أن يستسلم لكنه أصرَّ على العناد، فأطلقوا عليه النار فأصيب بسهم في جانب صدره ولم يقتله، وتمكنوا من

القبض عليه فأودع السجن، وبعث به إلى المستشفى للتحقيق معه.

حادثة أخرى

عثر على شاب مقتول بغرفته لم يعلم السبب في قتله.

رياح عاصفة في مدينة بريدة

أصبحت مدينة بريدة في ظلمة بعد العصر لبثت ساعتين، وطارت غبرة شديدة تكسرت منها الأشجار والصناديق وحطمتها، وذلك في يوم الاثنين ١٥ محرم ٢١ الثور ٢١ مايو، وكان قتل الشاب بغرفته قبل العاصفة بيومين.

وفيها في ١/١٧ وفاة الأميرة السعودية العنود ابنة الملك عبدالعزيز رحمها الله، عن عمر تجاوز الثمانين، وصلي عليها في الجامع الكبير في الرياض جامع الملك تركي بن عبدالله بعد صلاة العصر الأربعاء، وخرج في جنازتها جمع كثير يشيعونها إلى قبرها ومثواها الأخير، ورفعت التعازي إلى أخوتها وأبنائها وذويها.

زلزال يهز بلاد أفغانستان

لما كان في يوم الأحد الموافق ٦ صفر عاشر الجوزاء سابع نوء البطين من هذه السنة أصيبت أفغانستان بكارثة إنسانية كبرى تجلت عن قتل خمسة آلاف نسمة، وجرح آخرين بإذن الله رب العالمين، وكان هذا الزلزال قوياً بدرجة قوية بلغت ٧,١ درجات، وصدرت نداءات الإغاثة التي وجهها المسؤولون للمجتمع الدولي، فقد توجه خمسة من المسؤولية في جنيف إلى موضع الكارثة، وأكدت جماعات من الأطباء والإغاثة الذين توجهوا إلى المنطقة المنكوبة في أفغانستان لما تعرقلت طائرة خاصة بالأمم المتحدة بأنها لم تستطع الهبوط لهول الأخطار هناك، وقد قامت الأمة لانتشال جثث القتلى الذين عجزت الأمة عن الإحاطة بها، وبذل الجهود في سبيل الإنقاذ لكنها فشلت جلها، فسبحان الله ما أعظم شأنه، وصيح بالعالم أن يتوجهوا

إلى موضع الكارثة، وانفصل الحادث عن قتل خمسة آلاف قتيل وتدمير خمسين قرية، مع أن غالب الجثث قد اندفنت ولم يوقف لها على خبر، بل ابتلعتها الأرض.

ذكر موجة حر

لما كان في ٢٨ السرطان ٢٥ ربيع أول عام ١٤١٩هـ اشتدت وطأة الحر، وكانت الحرارة شديدة، وتزداد كل يوم حتى بلغت قدر لم يعهد مثله منذ ثلاثين عاماً، أو قد ثبت بالأرصاد الجوية وأعلنت الحكومة أنها رفعت في العاصمة الرياض والقيصومة والإحساء إلى ثمان وأربعين درجة، وبلغت حرارة الشمس في الكويت ستين درجة، وفي الظل خمسين درجة، كما أن الدرجة ارتفعت في المدينة المنورة ثمانية وأربعين درجة، كما أن المكيفات والمراوح قد لا تنفع بها ولا تفيد، واشتدت وطأة الحر، وهلك أناس في أمريكا من شدة الحر، ونزل خريف أمطار في أيام الجوزاء بحيث جرت بعض الشوارع، وذلك في مدينة بريدة برعود وبروق، وهذا أيضاً لم يعهد، وفي الناس من تأثرت صحته، ولا ريب أن هذا من أتعاب الحياة ومشاقها، نسأل الله أن يلطف بالمسلمين، وقد بلغت الأحوال إلى أن من السكان من لا يخرج في منتصف الأيام خشية من ضربات الشمس ولهيبها، وقد تنطفئ بعض السيارات حوالي وقت الظهيرة من شدة الحرارة، وقد شاهدنا من وهج الشمس وحرارة الطقس شيئاً ما كنا نعرفه قبل ذلك، وقد لا تطيقه القوى البشرية، نسأل الله تعالى العافية، وقد ارتفعت درجة الحرارة في مدينة بريدة إلى تسع وأربعين في ٢٤ من ربيع الآخر ١٦ أغسطس أب ٢٥ الأسد، وهذا شيء نادر الوقوع.

زيارة سلطان بن عبدالعزيز لحائل

في يوم الاثنين ٩/ ٥١٤١٩هـ إلى يوم الخميس ١٢/ ٥/ ١٤١٩هـ فأقيمت له الزينات في بلدة حائل، ونظمت أعمدة الكهرباء وقلائد اللمبات، وأظهر الفرح والسرور بعالم الزينات، وكانت القبائل قد ملأت ساحة بلاد حائل كلٍ بخيامه، وما إلى ذلك فحرب، وبنو تميم، وقحطان وشمّر وعنزة ومطير وعتيبة،

ونحرت الإبل، وذبحت الأغنام، وكانت أيام مشهودة، فقد ذبحت إحدى القبائل ١٨ ناقة، وبعد انتهاء الزيارة سار وزير الدفاع سلطان إلى القصيم في يوم الخميس ١٢/ ٥ وفي مدينة بريدة حيث أقيمت له الزينات، ونظمت أنوار الكهرباء، ورفعت على الأعمدة والنخيل والأشجار، وأتت الأمة من شرقها وجنوبها وشمالها وغربها للاحتفال، وسار منها وغادرها في آخر يوم الثلاثاء ١٧/ ٥/ ١٤١٩هـ وانتهت الزيارة.

فيضانات تدمر خمسمائة قرية في السودان

قالت منظمات الإغاثة التابعة للأمم المتحدة السبت الماضي في ٦/ ٦/ ١٤١٩هـ أن أكثر من خمسمائة قرية قد جرفت، وأن مئات الآلاف من الناس قد فقدوا منازلهم في أسوأ فيضان لنهر النيل بالسودان في السنوات العشر الأخيرة، وقالت المنظمات أن نصف مليون شخص على الأقل قد تأثر بفيضان نهري النيل وعطبرة، وأن عدد المصابين بالإسهال والملاريا يرتفع بشكل ينذر بالخطر.

إعصار اجتاح جنوب شبه الجزيرة الكورية

وذلك في يوم الخميس ١١ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ خلّف ١٩ قتيلاً، وأغرق مئات المنازل، وعطل حركة النقل، وما زال ٢٩ في عداد المفقودين ويسمى عندهم بيني، كما أن الرياح الشديدة والأمطار الغزيرة والفيضانات شردت ٢٣٧٦ شخصاً في المناطق الجنوبية والوسطى بكوريا الجنوبية، وغمرت المياه ١٣٢٦ منزلاً، وأن أربع سفن غرقت وأغلقت خمسة خطوط للسكك الحديدية، و٣٤ طريقاً ومساراً واحداً للطائرات، و٩٣ مساراً بحرياً بصفة مؤقتة، وفي الشهر الماضي تسببت الفيضانات الناجمة عن سقوط أمطار غزيرة في أكثر من ٢٧٠ شخصاً قتيلاً في واحدة من أسوأ الكوارث الطبيعية التي شهدتها كوريا الجنوبية على الإطلاق.

حالة نادرة

فتى في الطائف يترك الطعام ويلتهم الزجاج وأمواس الحلاقة، وكان عمر الفتى في

الخامسة عشر من عمره، قالت الجريدة المسماة الرياض في العدد ١١٠٥٧ في حالة غريبة ونادرة جداً: فتى يأكل الزجاج وأمواس الحلاقة، وبشكل غريب جعل أسرته في حيرة من أمرها، ورغم رفضهم لهذا العمل خوفاً على صحته إلا أنه مصر على مواصلة إشباع نهمه من الزجاج وأمواس الحلاقة، كلما أراد أن يمارس رغبته، وكان اسمه عبدالرحمن هلال الشبيتي، قال الراوي وجدناه في انتظارنا لما طلبنا رؤيته أمام المنزل، فسألناه ما هي الوجبة التي تريدها من الزجاج لكي نحضرها لك، فطلب لمبة كهرباء عمود، وكوع وأمواس حلاقة، أحضرتها من البقالة المجاورة للمنزل، وطلبنا من عبدالرحمن أن يبدأ الأكل، فقام يكسر اللمبة، ثم التهم أجزاء منها ومضغها ثم ابتلعها، وهكذا حتى أكل جزء كبير منها، تابعناه في كل مرة فإذا هو يلتهم الزجاج ثم يمضغه بصوت مسموع، فيتلذذ بالصوت، والقصة طويلة لولا الإطالة لأتينا بها، وكنت أرى أن هذه نادرة الوقوع، وكيف تصمد الأمعاء الرقيقة لأمواس الزجاج وأمواس الحلاقة، والله على كل شيء قدير، وهذا شيء لا يكاد يصدق به سوى أن قدرة الله صالحة.

وفيها وقع زلزال في الصين، وذلك في يوم الأربعاء، وكان قوياً في إقليم يونان في جنوب الصين ألحق أضراراً بأكثر من ١٤٠٠ منزل، وأصاب ٤ أشخاص بجراح، وقال المسؤلون في مكتب الأرصاد في مدينة خواني بحيث وقع الزلزال يوم الثلاثاء، وكان نحو ١٤٩٢ عائلة أعلنت عن وقوع أضرار في منازلهم، وبلغت قوته ٥,١ درجات بمقياس ريختر، نسأل الله السلامة، قلت وأنا المؤرخ سبحان الله العظيم، وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره، كيف حصلت هذه الحالة في بلاد الصين ويأتينا خبرها في نجد، بل في القصيم، وهذا مؤذن بخوج الدجال الذي يعلم بخروجه من في المشرق والمغرب في ساعة واحدة.

ضرب العراق

في اليوم السابع والعشرين من شعبان يوافق الأربعاء، قامت أمريكا وبريطانيا واليابان فضربت أمريكا بالصورايخ قوية المفعول مدينة العراق وأعقبها بضربة

أخرى في غرة رمضان ثلاثمائة وثمانين صاروخاً هدمت دوائر العراق وأوقعت بها خسائر عظيمة، ومن بينها بيت ابنة صدام، وذلك لما مانعت العراق من التفتيش على أسلحتها وعاندت، ولم تعلم أن أمامها قوة لا يستهان بها.

وفيها رأت الحكومة السعودية بعدما قاست من الأحوال نتيجة كثرة الحجاج الذين تجاوزوا الملايين، وزاد الطين بلة أن جزء من الحجاج الذين يتذرعون بالحج لأغراضهم الشنيعة كانوا أشعلوا الحرائق في خيام الحجاج في ذهابهم إلى عرفة ومزدلفة، وانشغالهم في مناسكهم، فإذا ما رجع الحجاج إلى منى وجدوا الأيادي العابثة قد لعبت بأثاثهم وخيامهم وملابسهم، وذلك لأن مشكلة قدوم الأمم من سائر الأرض إلى المشاعر المقدسة واجتماعهم فيها الرافضة والكفار والمنافقون والحساد والأعداء الذين يسعون في الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين، ينجم عنها أضراراً كبيرة، وقد توفرت في هذا الأزمنة أسباب تشعل في النار ليتوصل المفسدون والمخربون إلى أغراضهم السيئة كالبنزين والغاز والكهرباء وغيرها، فلعنة الله على من فعل ذلك، ومن فقد دينه وإنسانيته وشرفه فليفعل ما شاء من أعمال الفساد، فلسان حال أولئك المخربين ينادي سبحان من خلقهم للفساد، وكان هذا العمل الإجرامي منذ ولاية أمير المؤمنين خالد بن عبدالعزيز غفر الله له وأسكنه فيسح جنانه، حيث لما رأوا شيئا من سعة حلمه ورحمته وعفوه تمكنوا من ارتكاب تلك الجنايات، وما زالت الأمور تشتد في مواسم الحج حتى أحصي عدد الخيام التي حرقت في موسم عام ١٤١٧هـ فبلغت سبعين ألف خيمة، وأصبحت منى التي كانت من المشاعر المفضلة، وتحتوي على خيام الحجاج كالبنيان المرصوص بمنظر يرثى له، وكان جزء من منى قاعاً صفصفاً لا ترى فيها سوى أطناب الحديد بعدما كان مكسياً في الخيام، وقد رأيتها بعيني رأسي بعد العبث في يوم عيد الأضحى بمنظر سيئ، وأصبح أولئك الطغام يشمتون بالإسلام والمسلمين، ولكنه سرعان ما قامت الحكومة السعودية بصفتها هي المسؤولة عن الأمن بتعويض المنكوس بخيام أخرى، وجلبت

للحرس الوطني الذين نكبوا كغيرهم في أيام الله أمام بيت الله في الأشهر الحرم وعيد الأضحى، وقد قال الله تعالى في حرمة الحجاج والمعتمرين: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران:٩٧]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لو أن رجلاً بعدن أبين وهمَّ أن يلحد في الحرم ويفسد فيه لأذاقه الله من العذاب الأليم».

وفي هذه السنة جعلت الحكومة عدداً للحجاج لا يتجاوزونه بعد عرض المسألة على العالم الإسلامي، فإنه يمسك عن الحج خمس سنوات ويحج جزء آخرين من المسلمين، ولقد حج المسلمون في هذا العام بخير وطمأنينة وأمن وراحة، ورجعوا سالمين آمنين.

وفيها وفاة وزوجة الملك وهي العنود ابنة عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي، أم أكثر أولاده ذكوراً ونساءاً.

ذكر وصمة شنيعة في وجوه العراق

ولا ريب أنها استهتار بالحج وشعائر الإسلام لما أذن الرئيس صدام لشعبه بالحج استطاعت ثلاث طائرات أن تصل إلى مكة، فأحرموا وطافوا وسعوا وقضوا نسك العمرة والقدوم، وحبس ثمانية عشر ألف حاج عراقي، وأمرهم بالرجوع عن الحج، وذلك لما تقتضيه إرادته من الفخر والخيلاء، وذلك بدعوى ترحيب المملكة العربية السعودية بحجاج العراق كغيرهم من المسلمين، وأنهم يستقبلون ويرحب بهم مكفولين ومحترمين، فأخذته العزة الجاهلية وأنه لا فضل للسعودية، بل هم أغنياء ومنعهم من الحج، فتوسلت الحكومة السعودية بجميع الطرق أن لا يصدهم عن الحج فأبوا ومنعهم من الحج بعدما لبس بعضهم لباس الإحرام، فيا لهذه التدابير التي جعلت سعادته شعائر الإسلام القوية كألاعيب الصبيان على وفق إرادته، وبلغت هذه الوصمة مبلغها من أمة الإسلام قاطبةً.

مرور مائة عام لتأسيس المملكة

لما قام الملك الراحل عبدالعزيز بن عبدالرحمن بنهضته عام ألف وثلاثمائة وتسع عشرة في اليوم الرابع من شهر شوال، ويسر الله له الأمور بعدد قليل ففتح الرياض عاصمة آل سعود، وكان ذلك من الخوارق التي خصه الله بها، لأنها عمل كالمستحيل، ولكنه لا يستنكر شيء من تمام قدرة الله الذي لا يعجزه شيء كان ذلك اليوم عجباً في تاريخ الإسلام، ومهد الله له الأمور اعتبرته الأمم عيداً ذهبياً ليس كسائر الأعياد، والحق يقال، غير أنه من الناحية الشرعية لا يجوز اتخاذ أعياد سوى ما قررته الشريعة المطهرة، ولكنه في الذكرى يوم أرادت الأمة أن تقيمه عيداً نزولاً على الأحكام الشرعية، ولكنه بعد مرور في مائة عام في هذه السنة كمل بقيام الدولة السعودية بنهضة قائدها ومرسى قواعدها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود رفع الله منازله في أعالي الجنان، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، فقام أناس من رجال هذه المملكة فجعلوه عيداً ذهبياً، وأرادوا شكر الله تعالى الذي بفضله تم ذلك، وهو مرور هذه المدة الطويلة على دولة إسلامية تزداد كل يوم وكل وقت بالرفاهية والأمن والسرور، وقد كثرت التهاني والنشرات في المجلات والصحف لتذكر نعمة الله تعالى وشكره على ذلك.

ونقدم شيء من أعمال نصارى الصرب في مسلمي البوسنة الهرسك من شق بطون النساء وإخراج أطفالها من بطونها ودكها بالحجارة، وتقطيع ثديها والعبث بها، حيث لم يجد المسلمون ولياً ولا نصيراً، وكتابة رسم الصليب على صدور المسلمين بعد قتلهم بدمائهم، ولله الحكمة في تأخر النصر بالرغم من استغاثة المسلمين بربهم وقنوتهم في الصلوات الخمس يدعون على الصرب الكافرة، وقد توصلوا إلى أن كانوا يشقون بطون النساء ويدخلون فيها جراوةمن الكلاب، الأمر الذي تنكره فطر العالمين وتشمئز منه قلوب المؤمنين، فلا حول ولا قوة إلا بالله أرحم الراحمين.

وفي آخر هذا العام تحركت المملكة العربية السعودية من أجل شعب كوسوفو ويقوم وزير الخارجية الأمير سعود الفيصل بزيارة لروسيا الاتحادية ليبحث هناك مع قادتها بالنيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لإنقاذ من بقوا على قيد الحياة من الألبان المسلمين الذين يشكلون أكثر من ٩٠ في المائة من إقليم كوسوفو تجيء هذه الزيارة تعبيراً عما تشعر به قيادة المملكة الرشيدة ونشاركها لشعورها لما يتعرض له المسلمون في كوسوفو من تطهير عرقي يمارسه صرب يوغسلافيا بأسلوب شيطاني حاقداً إذا كشفت مسؤولية المفوضية العليا لشؤون اللاجئين في ١٢/١٢/١٤١٩هـ عن أن الجيش الصربي في كوسوفو عزل الرجال عن النساء والأطفال بمغادرة الإقليم سريعاً حتى دون تمكينهم من أخذ أي متاع أو ملابس، وحجزوا الرجال مع الفتيات الشابات المسلمات، حيث يتعرض الرجال لمصير مجهول، وتتعرض الفتيات للاغتصاب ثم القتل حتى لا يبقَ شاهد حي منهم أو منهن على ما أصابهم من وحشية الصرب وهمجيتهم، ومن الواضح أن عمليات التطهير العرقي التي مارسها ويمارسها صرب يوغسلافيا اتخذت بعداً وحشياً تجاوز وحشية صرب البوسنة الذين مارسوا تطهير من المسلمين هناك قتلاً وتعذيباً واغتصاباً وتشريداً، والملاحظة الهامة هي أن الصرب يتميزون دائماً بجرائمهم الوحشية ضد المسلمين سواء في البوسنة أو في كوسوفو أثناء المناسبات الدينية للمسلمين بهدف تنغيص فرحة المسلمين بهذه المناسبة، كما هو الحال الآن، إذ تمتزج فرحة ضيوف الرحمن بأداء فريضة الحج وعيد الأضحى المبارك بغصة الألم ومرارته مما يصيب المسلمين في إقليم كوسوفو من القتل والتعذيب والاغتصاب والتشريد، إذ وصل عدد الذين تم طردهم عن وطنهم وتركوا ورائهم منازلهم وممتلكاتهم فيها خمسة آلاف نسمة، وهو رقم يساوي ربع سكان الإقليم، وما يزال المسلمون في الإقليم يواجهون المزيد من التعذيب والقتل والتشريد إلى الدول المجاورة، ولقد صمت الأذان من ضجيج المسلمين واستغاثتهم، ولكنها صرخة في وادٍ خالٍ من البشر.

زلزال يصيب إيران

في ساعة مبكرة من صباح اليوم الثاني عشر الموافق يوم الاثنين أصاب زلزال إيران بقوة بلغت ٤,٦ درجة بإقليم فارس الجنوبي حوالي الساعة ٨,٤٠ مساءً بتوقيت غرينتش.

ثوران بركان جبل كاميرون

لما أن كان في يوم الأحد مساءً الحادي عشر ١٢/ ١٤١٩هـ وقع ذلك الحادث وأثار الرعب في مدينة بوايا، وكان في المساء، وقد سبقه عدة انفجارات وهزات أرضية، وقد سبب أضراراً مادية جسيمة سقط لها ضحايا بشرية عديدة، وقد ذكرته جريدة الجزيرة في عددها ٩٦٧٩.

زلزال قوي

يضرب بعنف سفوح جبال الهيمالايا الهندية، وقتل ٥٢ شخصاً وأصيب ٥٠ آخرون، عندما اهتزت سلسلة من توابع سفوح جبال الهيمالايا الهندية في ساعة مبكرة من صباح الاثنين المذكور، ومع بزوغ الفجر رأى رجال الإنقاذ ما أحدثه الزلزال من دمار، حيث سوى بيوتاً بالأرض ساحقاً سكانها تحت أنقاضها وهم نيام، وقال مسؤولون إنهم يتوقعون مزيداً من الضحايا، وقال المسؤولون بأنها بلغت قوته ٦,٨ درجات على مقياس ريختر، هز المنطقة بعد ٣٥ دقيقة من منتصف الليل، فهذه ثلاثة زلازل فيما بلغنا تعتري الأرض وتصيب السكان، نسأل الله تعالى العافية والسلامة.

ذكر من توفى من الأعيان

منهم الشيخ العالم صالح بن علي بن غصون رحمه الله تعالى وعفا عنه، كان من العلماء والقضاة والمفتين لما ترعرع في الحياة وأخذ في طلب العلم على المشايخ

الكبار، وكان من كبار تلامذتهم، فأخذ عن الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، وأخذ عن الشيخ سلمان بن سحمان، وأخذ عن الشيخ محمد بن إبراهيم رئيس القضاة، وأخذ عن الشيخ عبدالعزيز بن باز، وجدَّ واجتهد، وكان من ضمن الذين يؤمون في البيت الملك ويوثق بهم في حرم الحكومة، وما زال يتقدم حتى كان من القضاة آخر عمله رئيساً في محكمة الإحساء، ونال منهم قبولاً لأنه من العدول، ولما زرت الإحساء في طريقي إلى قطر رأيته، وكان عدلاً في قضائه، مرحاً في أخلاقه، قوياً في قضائه، إذا وردت عليه القضية أخذ في دراستها ثم يحكم، ولا يتضعضع أو يتنازل عن حكمه كائناً من كان، ونال وظيفة أن كان من هيئة كبار العلماء المفتين، وكان يحيطني بالمحبة ولا يخاطبني إلى بـ«يا شيخنا»، ولا يمل مجلسه، وذهب معي إلى الآثار في منطقة الإحساء كغيره من العلماء، وكانت وفاته مساء يوم السبت في آخر ذي الحجة ١٨/ ١٢/ ١٤١٩هـ، وصلينا عليه في مدينة بريدة صلاة الغائب، وكنت مقدماً لديه في حياته، وقد فقد بصره في صغره.

وممن توفى فيها الشيخ سليمان بن عبدالله بن عبدالعزيز المشيقح وعمره حين وفاته ٨٧ عاماً في مدينة بريدة، أخذ عن الشيخ عمر بن محمد بن سليم، وأخذ عن الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم العبادي، وكان تالياً لكتاب الله، جهوري الصوت، ونال وظائف في خدمة الدولة آخرها إمامة مسجد ابن سليم في جنوبي بريدة، وكان شجاعاً كريماً، غفر الله له وعفا عنه.

وممن توفى فيها عبدالله بن أحمد بن علي العبيدي، كان من طلاب العلم الذين أخذوا عن الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد في مجيئه ببريدة، وكان يحب البحث والسؤال، وعليه آثار الصلاح والعبادة، ولم يتولَ وظيفة، ولديه مبادئ في العلوم الدينية والعربية، وكانت وفاته وله من العمر ٧٧ سنة غفر الله له وعفا عنه، قضاها في العبادة، وكان له أخوة منهم علي وفهد ومحمد توفاهم الله قبله، كذلك الرابع عبدالرحمن بن أحمد رحمهم الله، وكانت وفاته في ١٠ رمضان ١٤١٩هـ.

وفيها وفاة إبراهيم الراشد الحميد غفر الله له وعفا عنه، وذلك في يوم الاثنين ٢٨ رمضان ١٤١٨هـ، وكان معروفاً بالإحسان والكرم، ومن أعيان مدينة بريدة.

وفيها في ١٠ رجب من عام ١٤١٨هـ حاصرت السيول عدداً من الأحياء، وأغلقت طرقاً رئيسية في الزلفي والدوادمي.

ذكر مقتل أحمد بن عودة

هو أحمد بن عودة بن عبدالله بن عودة السعودي، قالت جريدة عكاظ في عددها ١١٤٤٢ يوم الأحد ١٤ شعبان ١٤١٨هـ مقتل دبلوماسي سعودي في كازخستان، ونهب نقوده، وكان قتله في مدينة ألماتا في ساعة متأخرة من ليلة الأربعاء ١٠ شعبان ١٤١٨هـ، وله من العمر ٣٩ سنة، وهو السكرتير السعودي الأول بسفارة المملكة السعودية في كازخستان إثر قيام عصابة بالسطو على منزله ونهب ممتلكاته ونقوده، ولما بلغ قتله الملك فهد بن عبدالعزيز خادم الحرمين أمر بطائرة خاصة لنقل جثمانه إلى القصيم مسقط رأسه في مدينة بريدة، وكان هذا الاعتداء الآثم في منزله في المدينة المذكورة ألماتا من قبل هذه العصابة التي داهمت منزله ونهبت ممتلكاته ومحتويات السكن من أثاث وأجهزة كهربائية، وعند مقاومته لهم وجهوا إليه عدة طلقات نارية في أنحاء متفرقة من جسمه أدت إلى وفاته، وقد جاء رجال الأمن في ملاحقة القتلة.

وفيها في جنوب المكسيك هب إعصار بولين فقتل ١٢٢ شخصاً حيث بلغت سرعة الرياح ٢٤٠ كيلو، وأدت الأمطار الغزيرة إلى تحويل شوارع المدينة التي يسكنها مليون نسمة إلى أنهار، وتقطعت السبل مع انقطاع الاتصالات الهاتفية والكهربائية، وإلغاء الرحلات الجوية، واقتلعت الرياح الشديدة الأشجار، وأطاحت بالسيارات.

بشرى سارة: في مكتب التوعية بجدة وحي السلطانة أشهر ١٨٦ شخصاً إسلامهم، وذلك في يوم الأحد حادي عشر رجب من سنة ١٤١٨هـ.

وفيها في ١٨ رمضان عام ١٤١٨هـ تبرع الأمير الوليد بن طلال بخمسة عشر مليوناً للأعمال الخيرية.

وفيها في هذه السنة ٦ يناير توفى في بنغلادش ٨٥ شخصاً من شدة البرد، وقبلها توفى ليلة الاثنين عشرون شخصاً، وأيضاً توفى ٦٥ شخصاً في شمال البلاد وشمال غربها، وذلك لأن درجة الحرارة انخفضت عندهم بشكل كبير.

ذكر حادث في الأردن

وهو تصادم في شرقيه بين حافلة سعودية وشاحنة أردنية، فأصيب سبعة ركاب توفوا كلهم، وأتي بجثثهم في صباح يوم الجمعة ١٤١٨/٣/٨هـ إلى السعودية بصفتهم سعوديين، وأصيب ثلاثة بكسور، ولما أن كان في ١٦ رجب ١٤١٨هـ كثرت الشكايات من أجل تسبب الإبل في البراري، فقتيلان وثمانية مصابون من حوادث طريق حين اصطدمت أربع سيارات بالإبل، وكنت ممن يلاحظ تلك الأعمال الفوضوية في طرق البراري وما تسببه تلك الإبل من الأخطار بحيث يجب على المسؤولين في المرور أن يضعوا حداً على أرباب المواشي السائبة إبلاً وأغناماً، ومن ثم الانتباه من أرباب السيارات لقطعها الطريق، فسيكون عرضة لتلك الأخطار.

وفيها وفاة الأمير فهد بن فيصل بن فرحان بن سعود رحمه الله وغفر له، نائب أخيه الأمير عبدالله بن فيصل بن فرحان بن سعود في إمارة القصيم، وأمين مدينة الرياض لمدة، أدى واجبه فيها، ويثنون على سموه، وكان شجاعاً، ثم إنه اختار سكناً مدينة بريدة، ولما توفى نقل إلى مدينة الرياض، وصلى عليه الأمراء من آل سعود وعلى رأسهم ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز، وكانت وفاته في فجر اليوم ٢٥ من شهر شوال ١٤١٨هـ عن عمر يناهز السابعة والثمانين، وله من الأبناء تسعة أبناء أكبرهم عبدالله بن فهد.

ذكر وفاة شخص وإصابة ٢٨ شخصاً لما كان في ١٦ رجب ١٤١٨هـ نزلت أمطار تهدم منها عدد من المنازل على النعيرية، وارتفع منسوب المياه في سد الملك فهد إلى ٣٧ متر، فتضرر من جراء ذلك العديد من المزارع والطرق والمنازل نتيجة كثرة الأمطار الغزيرة، وهلك من أنفس البشر ما ذكرنا.

ذكر زيارة الرئيس الإيراني إلى المملكة

زار الرئيس أكبر هاشمي المعروف رفسنجاني الإيران للسعودية وذلك في ٢٦ شوال ١٤١٨هـ، وقد زار مقر رئاسة الحرس الوطني، فاستقبله نائب رئاسة الحرس الوطني عبدالعزيز التويجري والتقى به، وإن في تلك الزيارة لما يبشر بالخير وحسن الجوار لمثله، ورحبت به الجهات التي مرَّ بها.

وفيها في حادي عشر صفر وقع حادث مرور نجم عنه بعض الأضرار.

ذكر حالة مؤسفة

لما كان في اليوم التاسع من ذي الحجة ١٤١٨هـ ظهرت رائحة من برميل فوق سطح في مصرف، فاشتكى الجيران من نتانة هذه الرائحة، ورفعت إلى الشرطة، فقام شرطة الأمن هناك وأجري التحقيق مع صاحب الموضع، فكشف عن البرميل، فاعترف مصري بقتل زوجته أثناء تحقيق الشرطة معه، واسمه محمد فرج البالغ من العمر ثمانية وأربعين سنة، أقدم قبل خمس سنوات على خنق زوجته التي كانت تصغره بثمانية عشر عاماً خلال شجار بينهما بسبب بقائها ساعات طويلة خارج المنزل، وإهمال رعاية أطفالها الثلاثة لكونها ممرضة دعت الحاجة إلى تأخرها، وبعد التحقيق أبلغ محمد فرج عن اختفاء زوجته آثر الحادث أنه ضل جالساً أربعاً وعشرين ساعة قرب الجثة في شقته دون أن يعرف ماذا يفعل بها، ثم قرر وضعها في البرميل الذي غطاه بالإسمنت، واحتفظ به داخل الشقة ثلاثة أشهر قبل أن ينقله إلى سطح المنزل، حيث واظب على طلائه والاعتناء به طيلة خمس سنوات، حتى جاء جاره يطلب منه التخلص منه، فتشاجر معه عن سبب رفضه التخلص من رائحته الكريهة فوق منزله، فجيء به، وبعد حضوره أمام ضابط الشرطة الذي استدعى فرج بناءاً على شكوى جيرانه يسأله عن سبب رفضه التخلص من برميل تنبعث منه رائحة كريهة فوق منزله، ففوجئ به يقول دون تردد بأن فيه جثة زوجتي، وكان قد وجهت إليه تهمتاً بالقتل العمد وإخفاء الجثة، وعقوبتهما

القصوى الإعدام، إنه لم يعترف بجريمته حتى يظل قادراً على إعالة أطفاله الذين يعيشون مع جدتهم لأمهم، هذا ونسأل الله تعالى أن يحمينا والمسلمين من الفتن، وما يزينه لنا عدو الإنسان فقال: إن الشيطان لكم عدواً فاتخذوه عدو، ومن فتن المحيا والممات، وأن يثبتنا على دينه القويم إلى أن نلقاه ونحن على دين الإسلام لا مبدلين ولا مغيرين، إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

وختمت هذه السنة كما كانت، والأمور على وضعها فكانت العراق تعاني مشاكل الحياة من معاملة الرئيس صدام لهم بالتعسف والتقتيل والتعذيب والتدمير، وجعلهم هدفاً لقوارع الزمان خوفاً وجوعاً وسوء حال من بين جيرانهم، وفشت فيهم الأمراض، وخسرت العراق بأسبابه الأمن والطمأنينة ورغد العيش، ومن العجائب أنه كان يقودهم إلى المخازي والحروب، ويعرضهم للهلاك وفعل الفواحش، والمآثم وهم منقادون لأوامره خشيةً من النار والحديد مكرهين، وآخر شيء أن منعهم من أداء فريضة الحج بعدما لبسوا ثياب الإحرام فرجعوا من أثناء الطريق بعدما استقبلتهم الحكومة السعودية ترحب بهم كسائر حجاج المسلمين.

أما عن أفغانستان وما جرى فيها من الفوضى والتناحر يتنازعون الرئاسة بعدما نصرهم الله على عدوتهم روسيا، وحصل بذلك عدم استقرار، وقتال مرير، وشر كبير، بعدما عجزت الأمة عن الوفاق بينهم، واستمروا في النزاع وصدق الهادي البشير حيث يقول: «إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن بالتحرش فيما بينهم»، كما أن الجزائر لا تزال إراقة الدماء فيها بسبب النزاع بينهم، وكذلك البوسنة والهرسك تكابد أنواع التعذيب والتقتيل والتشريد من نصارى الصرب.

توفت الأميرة جوزا بنت عبدالله بن عبدالرحمن آل سعود، وذلك في اليوم الرابع عشر من جمادى الأولى الموافق ليوم الأحد من عام ١٤١٨هـ غفر الله لها وعفا عنها، وصلي عليها في جامع الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بالرياض، عن عمر يناهز الرابعة والستين، آثر نوبة قلبية.

وممن توفى فيها الشيخ إبراهيم بن عبدالرحمن بن غنام إمام مسجد المعيقلية، عن عمر يناهز ٨٥ عاماً، هذا ولا يزال أهالي منطقة الجوف يرحبون بأميرهم الجديد عبدالإله بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن، ويبوحون بذكره وبالمشاريع التي قام بها، ويهنئونه بالإمارة فيها، يدعون له بالتوفيق.

عاصفة على الأسياح

لما كان في إحدى ليالي رجب من هذه السنة هبت عاصفة على مدن الأسياح استمرت دقيقة، اقتلعت الأشجار وسقف إحدى المدارس وسقوف الورش، وتسببت في قطع التيار الكهربائي في جنوب الأسياح لفترات بين الساعتين إلى سبع عشرة ساعة، وفي إحدى قرى الأسياح الجنوبية، ولما أن اقتلعت سقف إحدى المدارس شوهد في سماء القرية لعدة ثوان قبل أن يربض فوق شوارع أحد المنازل، بعد أن طار أكثر من سبعين متراً وأسقط في طريقه واجهة أحد المباني، وقطع أسلاك تيار الضغط، وقال رئيس مركز الجعلة ابن غنيمان: أن هذه الحادثة كادت أن تتسبب في وقوع كارثة لولا لطف الله، ولما أن كان يوم الخميس رابع شعبان عام ١٤١٨هـ هطلت أمطار وسيول على مركز رابغ، حجزت المعلمات وقتلت شخصين.

ذكر مهاجمات ومصادمات

لما أن كان في ٤ شعبان أعني في هذا التاريخ المذكور قتل ٢٨٠ شخص في مهاجمات ومصادمات في الجزائر.

وفيها وفاة رجل الدين والخير عبداللطيف بن عبدالعزيز القشعمي ١٠ جمادى الأولى من بلاد الزلفي ١٤١٨هـ غفر الله له، وقد صلى عليه وشيعه خلق كثير وجم غفير، منهم عضو هيئة كبار العلماء صالح بن عبدالله الأطرم، والرئيس العام لشؤون الحرمين محمد بن عبدالله بن سبيل، والشيخ سعود بن إبراهيم الشريم خطيب المسجد الحرام وإمامه وغير هؤلاء، وقد امتلأ منزل الفقيد بالزلفي بجمع كثير من الأعيان للتعزية والأحباب والمشايخ وغيرهم.

وفيها في ٥ جمادى الآخرة قام ولي العهد عبدالله بن عبدالعزيز بزيارة للولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الزيارة تشمل كلاً من لندن وفرنسا، وكان في صحبته وفد كبير وعلى رأسهم وزير الخارجية سعود بن فيصل، وبندر بن سلطان بن عبدالعزيز، ونائب رئيس الحرس الوطني عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، وتركي بن عبدالله بن محمد آل سعود، وعبدالرحمن بن بندر بن عبدالعزيز، وبندر بن سلطان السفير هناك وغيرهم.

ثم دخلت سنة ١٤١٩هـ

وفيها قام وزير العدل في السعودية بزيارة للمغرب في اليوم ٢٣ من جمادى الأولى، وهو الشيخ عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، فاستقبل استقبالاً حافلاً.

وفيها في يوم الاثنين الموافق ٢٩ من جمادى الآخرة من هذه السنة وقع حادث قطار في مصر نجم عنه ٤١ قتيلاً وأكثر من ٨٠ جريحاً.

وفيها قامت الجهات المسؤولة في بلديات المملكة السعودية بهدم بيوت الطين القديمة خشيةً من وقوعها على من فيها، لأن غالبيتها قد رحل عنه الأهالي وأصبح مهدداً منها المارة، ومنها ما كان مأوىً للفساد.

وقع حريق هائل في المدينة المنورة شرفها الله التهم منه خمسون نخلة مثمرة، وذلك في جمادى الأولى عام ١٤١٩هـ، وكانت المدينة قد حظيت بالنخيل منذ زمن الرسول ﷺ .

وفيها في يوم الجمعة ١٩ جمادى الأخيرة من هذه السنة أسلم سبعمائة وأحد عشر من عدة جنسيات ما بين رجل وامرأة من شعبة الجاليات في مدينة تبوك، واستبشر المسلمون من هذه البادرة التي يفرح بها المسلمون، ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله، اللهم اهدِ خلقك إلى طريق الهدى والرشاد، وأكثر المسلمين، وأيدهم الله وزدهم الرغبة في اعتناق دين الإسلام دين الهدى والحق والرشاد.

وفيها في جمادى الثانية زلزال قوي في الفلبين لكنه بدون خسائر.

تنبيه: ذكرنا إسلام كمية كبيرة أسلمت وشكرنا الله تعالى على ذلك، وكان ذلك ببذل جهود أثمرت، ونرجوا من إخواننا الذين لهم قوة الدعوة وحسن التوجيه، وبذل النصائح التي تؤثر في إصلاح المجتمع وتحسين سمعة الإسلام أن يجدوا ويدعوا الخليقة إلى دين الإسلام الذي اختاره الله وقال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥]، ولقد جد النصارى على قدر جهدهم واستطاعتهم مادياً وتوجيهياً في الدعوة إلى دينهم بكل ما أوتوا، وإخراج المسلمين من دين الإسلام إلى درجة أن يكونوا يجلبون العاهرات إلى الأسرى المسلمين، فلا تمكنهم تلك الكافرات من أغراضها إلا بالردة عن الإسلام، ورخصّت تلك العاهرات أعراضها في سبيل الدعوة إلى النصرانية، فهناك يثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة، اللهم ثبتنا بقولك الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وفيها أسلم في الثلث الأخير من هذه السنة ١٤١٩هـ ١٧كافراً، ١٢رجلاً و ٥نسوة، فلله الشكر على ذلك، وقد قوبلوا بالتهنئة بذلك ومنحوا مصاحف وكتباً.

ذكر حالة محزنة

استمرت المذابح والجرائم الحرب التي ارتكبها الصرب النصارى في حق المسلمين من أهالي البوسنة والهرسك وأهالي كوسوفو، ففي ١٣ ذي الحجة عام ١٤١٩هـ طردت المسلمات تحمل أطفالها على صدورها من ديارهم وأموالهم يرحلون مشردين مطرودين، فلا ترى إلا عشرات الألوف ينزحون عن كوسوفو رجالاً وعجائز وأطفالاً حفاة، وعلى نسائهم وأطفاله آثار الحزن والبكاء والأسى، مطرودين على ما تقتضيه إرادة النصارى الملعونين، ولم يجدوا ولياً ولا نصيراً، فوا رحماك يا أرحم الراحمين من أعمال كفرة نصارى الصرب، أعداء الله ورسوله وذلك بمرأى ومسمع العالم من المسلمين، فإلى من يهمهم الأمر من المسلمين من جيوش خاتم المرسلين والأنبياء محمد بن عبدالله ﷺ ، وإلى من

يهمهم الأمر من أمته تسومهم النصارى سوء العذاب تقتيلاً وتعذيباً وتشريداً، من معاملة النصارى الذي قال الله في حقهم: «كيف وأن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الأولاد ذمةً وأولئك هم المعتدون» إن نصرانياً دخل بيت مسلم وكانت زوجته تصنع الطعام لأطفالها، فقال لها: ما هذا؟ قالت شيء نصفه للصبية، فقال ما فيه لحم؟ قالت لا فأخرج السكين وأقلع جنب صبي وألقاه في الطعام، ودخل نصراني بيت جاره المسلم يحمل رشاشاً وكان جاره منذ أربع وعشرين سنة، فما كان منه إلى أن أطلق الرشاش عليهم فحصدهم جميعاً، وقال لأمهم الحنون: اذهبي إلى من وجدت من المسلمين فأخبريهم، إلى غير ذلك من الجراءة والقسوة والغلظة، فهل بعد هذا من الهمجية على خلق الله الذين قال الرسول ﷺ في حقهم: «الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الخالق من أحسن إلى عياله»، فعياذاً بالله من قسوة القلوب، وارتكاب الذنوب، ونسأل الله أن يرينا في أولئك النصارى عجائب قدرته، فلو رأيت حالة المسلمين هناك لرأيت من عجائب قدرة الله مذلة الإسلام والمسلمين.

وفيها نشرت إحدى الجرائد السعودية مايلي: «صفقة صواريخ أمريكية مقترحة للإمارات» بقيمة ملياري دولار.

ذكر وفاة أمير البحرين

ففيها في ١٧ ذي القعدة ١٤١٩هـ توفي عيسى بن سلمان بن خليفة أمير البحرين، وقد قام أفراد العائلة هناك وجميع المسؤولين في الدولة يعبرون عن أسفهم لموته الذي يدهش له الأهالي بصفته رجلاً مسالماً، وقد سدَّ فراغاً، رحمه الله، وكانوا يثنون عليه ويمتدحونه، ولا سيما في الدول المجاورة، ويصفونه بحسن الجوار، وفي قضية هتك الكويت لما فعل صدام حسين أفعاله الساقطة الرذيلة بالمسلمين عليه من الله ما يستحقه، وكان على حسن صلات مع السعودية، وحسن جوار، ولذلك جعلت السعودية ذلك الجسر معربةً أنها والبحرين كالجسد الواحد.

وفيها في ٢٩ ذي الحجة عام ١٤١٩هـ وقع حادث مؤسف، ذلك بأنه انقلبت حافلة تحمل معلمات قرب محافظة الغاط، كانت في طريقها من القصيم إلى القطيف، فكانت النتيجة وفاة معلمة وإصابة إحدى وثلاثين من زميلاتها وسائق الحافلة، كما أنه في يوم الجمعة ٣ ذي الحجة ١٤١٩هـ حصل انقلاب حافلة أخرى في الأفلاج نجم عنه إصابة تسع معلمات، وكانت تلك الحادثة في طريق القصيم إلى الرياض، وذلك في أثناء عودتهن من مدارسهن إلى مقر إقامتهن بمدينة ليلى في الأفلاج.

وفيها قام أمير مكة المكرمة ماجد بن عبدالعزيز بالنيابة عن الملك فهد بن عبدالعزيز تغسيل الكعبة المعظمة من الداخل بماء زمزم المخلوط بماء الورد، وكان ذلك في يوم الجمعة ثاني ذي الحجة ١٤١٩هـ، وكانت هذه العادة مستمرة من حينما تولى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن تمشياً على غسيل الكعبة من قديم الدهر، وقد حج المسلمون من سائر مناكب الأرض بخير والحمد لله، ولم يجرِ شيء من الحوادث، وذلك بفضل الله ثم ما بذلته الحكومة من أسباب الأمن والراحة للمسلمين وخدمة حجاج بيت الله الحرام.

ذكر وفاة الشيخ عبدالعزيز بن باز

وذلك في فجر اليوم السابع والعشرين من شهر محرم، وسيأتي ذكر ما جرى من تشييعه بعد هذه السنة.

وفي هذه السنة قامت طائرتا إغاثة سعوديتان تغادران إلى ألبانيا لمساعدة اللاجئين من كوسوفو تحملان مساعدات من المملكة العربية السعودية للاجئين هناك على الحدود الألبانية، وقامت وزارة المالية والاقتصاد الوطني بتأمين وتجهيز ما مقداره مائة وعشرون طناً من الخيام والدقيق والسكر وزيت الطهي والحليب، وقال الأمير سلطان بن عبدالعزيز أن الأعمال الصربية أصبحت أمراً إجرامياً لا يجب السكوت عليه للمرة الأولى منذ بداية عمليات الناتو ضد يوغسلافيا في ٢٤

مارس آذار الماضي، ودمرت الصواريخ الأطلسية العابرة للقارات تعري وزارة الداخلية الصربية والداخلية اليوغسلافية في بلغراد خلال غارة ليلة شنت فجر أمس ١٩ ذي الحجة.

وفيها في يوم الأربعاء ٢١ ذي الحجة ولدت مصرية عمرها ٢٨ عاماً ثلاثة توائم في مستشفى الدوادمي، قالوا: وصحة الأم ومواليدها جيدة.

وفيها في يوم الثلاثاء بدا إجلاء مائة ألف كوسوفي من البلقان إلى دول الأطلسي، وقد غادر أكثر من ٣٥٠ ألف شخص من ألبان كوسوفو، واحتشدوا على حدودها، ووصل أكثر من ٣٠٠ لاجئ من ألبان كوسوفو إلى تركيا، وما زالت دفعات من لاجئي كوسوفو تصل إلى تركيا والنرويج، وتوقعات بارتفاع الرقم إلى تسعمائة ألف، وقد حرق العدو وهم النصارى ثماني عشرة قرية خلال الأسابيع الماضية، واكتشفت أدلة على مقابر جماعية في كوسوفو، وكان الأهالي رجالاً ونساءاً وأطفالاً لا يملكون إلا ذرف دموعهم لما طردوا من ديارهم ومساكنهم، وإن الحلف الأطلسي في حوزته براهين تتكاثر شيئاً فشيئاً على وجود مقابر جماعية نتيجة سياسة القمع العنيفة التي انتهجها الصرب في حق ألبان كوسوفو.

ذكر حريق

لما كان في يوم الخميس ٢٩ ذي الحجة ١٤١٩هـ اندلع حريق هائل في مزارع قرية في بداء التابعة للوجه، وقد باشر موقع الحريق فريق من الدفاع المدني وفرقة من شركة محافظة الوجه، وتمت السيطرة على الحريق، وقد أبدى رئيس مركز بداء شكره معرباً عن تقديره وشكره لمدير شرطة محافظة الوجه ومدير مركز الدفاع المدني بالوجه ومدير مركز الدفاع المدني بالوجه على سرعة الاستجابة لإخماد النيران التي اندلعت في مزارع قرية بداء.

ذكر حادثة

لما كان في إحدى ليالي آخر ذي الحجة من هذه السنة توفى عامل باكستاني في

غرفته التي كان يسكن فيها، وذلك إثر سكتة قلبية دون أن يشعر به أحد إلا بعد يومين من وفاته وجدوا رائحة نتنة تخرج من غرفته، فشعر بها المجاورون، وكان زملاءه في العمل قد فقدوه خلال اليومين الذين تغيّب فيهما مما دعاهم للذهاب إليه للسؤال عن غيابه المفاجئ، حيث فوجئ الجميع برائحة تنبعث من الغرفة التي كان يسكن فيها، ثم باشرت الجهات المختصة الحادث وتم فتح الباب وإخراج الجثة، وأشارت التقارير الطبية إلى وفاة العامل بالسكتة القلبية دون مقدمات لمرض أو بذل جهد مضاعف.

ثم دخلت سنة ١٤٢٠هـ

استهلت هذه السنة والنصارى تعمل أيديهم قتلاً وتعذيباً وإجلاءاً للمسلمين عن أوطانهم، وهؤلاء نصارى الصرب يقتلون ما يشاءون من المسلمين من سكان كوسوفو، ولم يجدوا ناهياً ولا مدافعاً عنهم، وقد تأزمت الأمور هناك إلى درجة أنها لا تتحملها العقول البشرية، ونحن نذكر طرفاً من ذلك، فامرأة تروي ما فعله النصارى تقول: ربطوا زوجي بالحزام وذبحوه بالسكين، ثم أخرجوا عينيه وقطعوا أجزاء أبني ودخلوا بيتي وقتلوا أبنائي الأربعة الواحد بعد الآخر، ويروي آخر قصته يقول: كنا في البيت في قريتنا الحبيبة وفجاةً سمعنا بعض الطلقات من الجيش الصربي، وبعد قليل سمعنا صوتاً آخر الا وهو صوت الصواريخ، واجتمع كل أهالي القرية وخرجنا من القرية واتجهنا إلى ألبانيا، وعددنا خمسون شخصاً تقريباً والغالبية من النساء والأطفال، ونحن الآن نعيش في بيرم وهي إحدى المدن الألبانية، ونحتاج إلى من يساعدنا، ونسأل الله أن يعيدنا إلى كوسوفو سالمين، ورأيت تسعة عشر شخصاً كلهم جرحى، ورأيت الكثير من المرضى والمحتاجين والجرحى في الطرقات المؤدية إلى ألبانيا، وأثناء سيرنا إلى ألبانيا خرج علينا الصرب فجاةً وبدأو يرموننا بالمدفعية الثقيلة والرشاشات، وقتلوا الكثير من أبناءنا، وأخذوا بعض

النساء، وبعد سبع ساعات تركوا النساء، وما رأيت أقبح من هذا، قتلوا أبناءنا فما استطعنا أن نعمل شيئاً، وتركناهم في الجبال صرعا ولم نستطع أن نواري أجسادهم التراب خوفاً من الجيش الصربي، ثم بينما كنت وأسرتي في منزلنا فجأة اقتحم الجيش الصربي قريتنا فخرج أهالي القرية وهم في حالة هلع وخوف، حتى أنني لم أستطع أن ألبس ملابسي وحذائي، والخوف كان يدب في كل شعرةً من جسدي، فخرجت وجميع أفراد أسرتي ما عدى أبي لكبر سنه، وما أن غادرنا القرية إلا ونسمع أن منزلنا أصابته خمس قذائف فأحرقته، أما والدنا فقد قبضت عليه القوات الصربية وضربوه حتى فارق الحياة، فخرجنا إلى ألبانيا عن طريق الجبال حتى وصلنا إليها، ثم قال: بدأ الصرب يقصفون القرية بالدبابات وراجمات الصواريخ، وأحياناً يستخدمون الطائرات، وبعد أن دمروا كل مرتع يريدونه دخلت دباباتهم وخلفها الجنود، والتقى في داخل القرية جيش تحرير كوسوفا، وكنت معهم، ثم بدأ إطلاق النار بين الطرفين، وكان هذا الوقت قبل صلاة المغرب، وانتهى بعد صلاة العشاء، وقتل منا اثنان وجرح ثلاثة، حملت أحد الجرحى إلى قرية ياسك، والآن هو بصحة جيدة، لكن بترت يده، ثم بدأت أبحث عن ابني وأنا أبكي فلم أجده، فبقيت أبكي حتى جاء جاري، فسألته عن ابني هل تعرف شيئاً عنه؟ قال لا، وبعد أسبوعين وجدناه في بئر أمام بيتنا، حاولنا أن نخرجه ولكن كانت الفاجعة، كان مقطعاً فلم نستطع أن نخرج إلا رأسه قتلوه قتلهم الله.

اتقاء شر السباع وأخذ الحيطة

ففيها في يوم الجمعة ٦ صفر من هذه السنة ١٤٢٠هـ قام ثلاثة من الشباب تتراوح أعمارهم من ١٤ سنة إلى ١٥ عاماً في مدينة دمار إلى الجنوب من صنعاء في اليمن، فصادوا ثلاثة أشبال، ثم أشعلوا النار أمام أحد الكهوف لتضييق الخناق عليها، وكان أن خرجت النمور الصغار من الكهف فتمكن الشباب من

اصطيادها وأوثقوها بالحبال وعادوا بها إلى القرية، لكنه قبل أن يصلوا إلى منازلهم فوجئوا بنمر ضخم يهاجمهم وينقض عليهم، ففتك بهم جميعاً وحرر أبناءه وعاد بهم إلى كهفه، وقد عثر المواطنون على جثث الشباب الثلاثة ممزقة إلى أشلاء بالقرب من القرية.

وفي أخر العام الماضي وفاة علي بن إبراهيم الصقير، وذلك في ٢٩ ذي الحجة غفر الله لأموات المسلمين.

وفيها في ٧ محرم ترقية ٤٨ موظفاً بوزارة المعارف إلى المرتبة العاشرة.

وفاة الشيخ عبدالعزيز بن باز

وفيها في يوم الخميس الموافق ٢٧ محرم مع طلوع الفجر وفاة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وقد نودي بوفاته والصلاة عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة من الغد، واجتمعت الأمة وساروا من الجهات لحضور الصلاة عليه قادمين على الطائرات والسيارات، وحزنت الأمة وبكوه، وهذه ترجمته:

هو العالم الفقيه اللوذعي الورع، ولد في سنة ١٣٢٩هـ بمدينة الرياض، وحفظ القرآن قبل سن البلوغ، وفقد بصره عام ١٣٥٠هـ، وجدَّ واجتهد في طلب العلم على علماء الرياض، ومن أبرزهم: الشيخ محمد بن عبداللطيف، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، أخذ عنهم العلوم الشرعية واللغة العربية، وعين في القضاء عام ١٣٥٧هـ، ولم ينقطع عن التعليم مما شغل به من القضاء، كما أنه نقل إلى جهة الخرج، وسنعود عن قريب، وبعدما حمل إلى ودفن وسوي عليه التراب نشرت الأمة هذه الكلمة:

«بقلوب مؤمنة مطمئنة تؤمن بقضاء الله وقدره ننشر للعالم الإسلامي والعربي نبأ وفاة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن باز رحمه الله وتجاوز عنه، ونتقبل العزاء والمواساة من سائر المسلمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وكان من خيرة تلامذة

الشيخ محمد بن إبراهيم، لهذا فإنه اختير من طلاب العلم الذين ضوعفت مكافئاتهم، وهم: الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، وعبدالعزيز بن باز، وعبدالله بن يوسف بن وابل، وسليمان بن عبيد بن سلمى، فكان كل واحد من هؤلاء يتقاضى مرتبه خمسة وعشرين ريالاً، وكان بقية الطلاب يصرف لكل واحد منهم خمسة ريالات إلى ريال ونصف شهرياً، وكان يتقلب في وظائف الحكومة كوكالة الجامعة الإسلامية، ورئاسة دار الإفتاء، ولكنه لم يكن نافذ التصرف كالشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ العلامة عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، فالله المستعان.

وفيها في ١٢ صفر دخل الملك فهد بن عبدالعزيز المستشفى لنزيف في إحدى عينيه، ولما أن كان في آخر برج الثور وأوائل الجوزاء، قبل انفكاك النوء حصل جفاف لعدم هطول الأمطار، وتتابعت رياح أثارت الغبار والتراب لنزع القطر عن أهل الأرض حتى طلوع نوء البطين، نستغفر الله العظيم ونتوب إليه.

وفيها هبٌ إعصار في باكستان وذلك في صفر، نجم عنه بيوت تهدمت وأشجار تكسرت، وهلك عشرات من المواطنين.

طعنة في الصميم

لما كان في يوم الأربعاء أحد أيام سنة ١٤١٩هـ قام في مدينة صيدا من لبنان مسلحون فأطلقوا الرصاص على أربعة قضاة في المحكمة من رشاشات عبر نوافذ القاعة للمحكمة، وذلك أثناء انعقاد الجلسة، فأصيب أربعة قضاة وهم: رئيس المحكمة القاضي حسن عثمان، والأعضاء القضاة عاصم بو ظاهر، ووليد حرموش، وعماد شهاب، وذلك أثناء انعقادها للنظر في دعاوي مقامة ضد أشخاص فلسطينيين ولبنانيين متهمين بارتكاب جرائم قتل وسرقة وتزوير عملات، وهذه تعتبر أعظم مذبحة في قصر العدل بصيدا، لم يشهد لبنان مثيلاً لها من قبل، وموجة استنكار عارمة في وقت أعطى الرئيس اللبناني العماد أميل لحود توجيهاته إلى الأجهزة الأمنية لتعقب الجناة وإلقاء القبض عليهم، وتقديمهم للعدالة، وقد دعيت أحزاب صيدا وفعالياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية

والنقابية إلى إضراب عام في المدينة استنكاراً للجريمة، فيما أعلنت جمعية التجار فيها ذلك اليوم يوم حداد وطني على الضحايا الذين سقطوا في هذه الجريمة، وابتداءً من بعد ظهر اليوم شهدت المدينة إجراءات أمنية وعسكرية مشددة في شوارعها، وعلى كل مداخلها، فيما باشرت الأجهزة المختصة دهم عدد من الأماكن التي يظن أن الجناة لجئوا فيها.

ومن جهة أخرى انفجرت قنبلة وسط الخضراوات في سوق بعدن فجرح اثنا عشر بصنعاء بعد مشاجرة واشتباك بالأيدي، وأدى انفجار هذه القنبلة في أحد محلات بيع الخضراوات والفواكه في سوق كريتر في عدن إلى إصابة شخصين يعملان في المحل إصابة أحدهما خطيرة، وقال أحد أفراد الشرطة المكلفين بحراسة مكان وقوع الانفجار أن القنبلة كانت موضوعة في أحد صناديق الخضراوات في المحل، وأن انفجارها ربما يكون عائداً لارتفاع درجة الحرارة في وقت الظهيرة في هذا الفصل، وفي أثناء ذلك قامت اليهود في ١٣/ ٣/ ١٤٢٠هـ وضربت لبنان بالقنابل المحرقة والهدامة مما أدى إلى وقوع خسائر في الأرواح والأموال والأثاث، وذهبت هذه الضربة أدراج الرياح كغيرها من أذية اليهود للمسلمين وللعرب بحيث لم يجد اللبنانيون مناصراً ولا معاضداً، وكم توالت أذية هذه الأمة الغاصبة على لبنان وفلسطين وغيرها كمصر والأردن وغيرها من البلاد العربية، ومن العجائب توالي النصرة والإمهال من الله لهم، ولا ريب أن الأمور مرهونة لأوقاتها كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤]، نعم مست أهالي فلسطين وأهالي كشمير المسلمين وأهالي البوسنة والهرسك، واقتحمت القوات الكتائبية واليهود مخيمي صبرا وشاتيلا، ودفنت الضحايا بدون تغسيل ولا تكفين ولا صلاة، وأصيبت أهالي كوسوفو بقتل أولادهم أمامهم، وهتك أعراض النساء، ونهب أموالهم من نصارى الصرب، وقد قدمنا ما فيه كفاية من إجلائهم عن أوطانهم ومعاملتهم معاملة لم تفعلها الأسود الوحشية، مما أغنى عن إعادته.

وفيها في ٣/١٣ أفرجت الحكومة السعودية عن بعض السجناء السياسيين، وهم: سلمان العودة، وسفر الحوالي، وناصر العمر، بعدما خرجوا ذهبوا إلى جدة، وأحرموا بالعمرة ورجعوا إلى أهاليهم .

ذكر فاجعة من الفجائع وأمر القوارع

لما أن كان في آخر يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الثاني من هذه السنة ١٤٢٠هـ قدّر أنه أقيم احتفال في أحد قصور مدينة القطيف للزواج، فالتمس الكهرباء فحدث حريق في القصر، وقعت من جرائه سقوط الخيام على من كان حاضراً من النساء والرجال والصبيان أسفر الحادث عن مائة قتيل ومائة وثمانين جريح، لأنها حملت الضحايا للمستشفيات فهلكوا في المستشفيات، وقد عوضت الحكومة لكل فرد من الصغار والكبار خمسين ألف ريال، نسأل الله العافية.

كما أنه اصطدم في الهند حافلتان، تجلت الأمور عن ضحايا كثيرة من بين الفريقين.

وفيها في أوائل شهر ربيع الثاني من عام ١٤٢٠هـ سافر الملك إلى مدريد للعلاج، نسأل الله تعالى أن يمنحه الصحة العافية.

وفيها لا تزال الجبهات المسؤولة تنصح بالاحتفاظ بمصلحة المياه وحسن تصريفها، وعدم الإسراف باستعمالها، وذلك عن طريق كتابة اللافتات والجرائد، والاحتفاظ بها، كما أنها أكدت بدفع الضرائب وأخذ نقود على جميع البيوت، وأخذت ضرائب عما مضى من الشهور.

ذكر وفاة حاكم المغرب

لما أن كان في يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر ٢٣ يوليو ١٩٩٩م برج الأسد ظهراً توفى الحسن الثاني ملك المغرب، وهذه ترجمته:

هو الملك المعظم في قومه، الذي استطاع أن يسود قومه بعقله وسياسته، ومن حسن حظه عدم الثورات والمشاغبات والمنازعات في ملكه، وذلك لأنه أخذ الأمور بالحزم والشجاعة، وكان لما أن قضى الله عليه الموت اكتضت

الشوارع في قلب العاصمة المغربية الرباط بالمعزين، وتدفق سكان البلاد على المدينة من شتى أرجاء المغرب للمشاركة في تشييع جنازته، لأنه الملك الراحل الحسن الثاني أحد أقطاب العالم، هكذا ذكرت بعض الجرائد، وأحد أنصار السلام في الشرق الأوسط، وتوافدت موجات من الأهالي على العاصمة خلال الليل من القرى والبلدان المجاورة، وقبل سويعات من مغادرة الموكب للقصر الملكي اصطفت قوات الجيش والشرطة في جو حار شبّع بالرطوبة على طول طريق طوله ٢ كيلو متر إلى الضريح، ورفع الآلاف من المغاربة صور الراحل وقاموا يبكون وينتحبون، ثم توافد زعماء العالم ورؤساء الدول وكبار الشخصيات العالمية إلى القصر الملكي لإلقاء النظرة الأخيرة.

كسوف الشمس

لما أن كان في أواخر ربيع الثاني أشاعت الجرائد والحساب الفلكيون أن الشمس ستكسف ظهر يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الآخر، فقام أهل الأرصاد الجوية لينظروا تأثير الكسوف على ما بين السماء والأرض والطبقة الأرضية منذرين ومحذرين عن النظر إليها حال الكسوف إلا بنظارات سوداء ثقيلة، ولما أن كان في الساعة الثانية والربع زوالي والناس يتوقعون، شرع الكسوف كما ذكروا بأنه ثقيل، ولم يجرِ مثله في السنين القريبة الماضية، بحيث ستنطمس على بعض جهات وتخرج النجوم، وتنبح الكلاب بحيث تكون الدنيا كليل، وقامت الأمة فزعة إلى الصلاة ورؤية الشمس إذا أثر عليها حجاب القمر من أسفل منها، فاستمر الكسوف خفيفاً ساعتين وربع الساعة، لا كما ذكروا، تجلى مع صلاة العصر ولم يجرِ أي تأثير على شيء من الكائنات، فلله الشكر والحمد على ذلك، وكذب المنجمون، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾ [الذاريات:٨-١٠]، وقد نسب لنا أنها انطمست كلية على الهند وما يليه، فالله أعلم.

ذكر زلزال عظيم أصاب تركيا

ففي فجر اليوم السادس من جمادى الأولى الموافق ليوم الثلاثاء ١٧ أغسطس ١٩٩٩م أصيب غرب تركيا، وكان ذلك الزلزال عنيفاً جداً، ولما أن حصلت هذه الهزة العظيمة تجلت عما يأتي: عشرة آلاف قتيل في اسطنبول و٢٥٠عسكرياً قضوا نحبهم تحت الأنقاض، وتهدم نحو ألف منزل كلياً أو جزئياً، وبعضها غرق في البحر، وإن بطش ربك لشديد.

تفاصيل هذا الزلزال

ذكرت جريدة الجزيرة امرأة تركية محشورة وسط الأنقاض تلوح بيدها لعمال الإنقاذ الذين يحاولون تخليصها بعد تهدم منزلها، وإن الجيش منضم لفرق الإنقاذ، أشارت الشبكة إلى أن مدينة أزمير أصبحت شبه خالية من السكان الذين فروا من المدينة بعد توابع الزلزال، وكانت قوة الزلزال ٧,٨ درجات، أما عمق مركز الزلزال تقع على ٣٢ كلم تحت الأرض، وكان عدد الجرحى ارتفع إلى ١٦٣٧ جريح، وأمضى سكان اسطنبول وأنقرة بقية الليل في الشوارع والحدائق العامة، وكانت المنازل التي انهارت غمرت تماماً بالماء، وأشارت وكالة الأنباء الألمانية إلى أنه أمكن السيطرة على حريق اندلع في مصنع للغاز بالمدينة بعد مرور أكثر من ثلاث ساعات على وقوع الزلزال، كما تقطعت الطرق داخل مدينة أزمير تاركة مئات الأشخاص محاصرين في سياراتهم بعد أن تقطعت بهم الزلازل التي ضربت تركيا، والأمر أدهى وأعظم.

وفاة ابن الملك فهد

لما أن كان في اليوم العاشر من شهر جمادى الأولى عام ١٤٢٠هـ الموافق ليوم السبت ٢١ أغسطس ١٩٩٩م توفى الأمير فيصل بن فهد بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل الرئيس العام لرعاية الشباب من دون سابق مرض بعدما أدى

نشاطاً في الرياضة بمدينة الأردن، ووزع عشرات الملايين على الفقراء والأطفال هناك، ولكنه كان يعاني في أيامه الأخيرة مرض يجبره على تغيير دمه، وفي ظهر اليوم المذكور قضى نحبه من ذلك المرض، وكان أبوه الملك مسافر في إسبانيا، وكانت الأمة لم تتوقع أن ذلك المرض يقضي عليه بموت الفجأة، وعفا الله عنه، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة:٨].

عود على بدء

ذكرنا زلزال تركيا عن قريب، وكان لم ينته بصورة قطعية بحيث أن ذلك الزلزال أعقبه زلزال آخر، وأصبحت الأمة هناك تتوقع زلازل غير الأولى، وخرجوا من بيوتهم يسكنون الحدائق والجبال التي تبعد عن موضع الحادث، وارتفع عدد القتلى والجرحى إلى ٥٧ ألفاً وقام الخبراء يحذرون من وقوع زلزال آخر في نفس تركيا بنفس القوة، وقال الخبراء أن صدع شمال الأناضول أكبر من أي صدع آخر في العالم له طريقة خاصة به في طبيعة تشققه المتزايد، ومن جهة أخرى لا تزال فرق الإنقاذ وعائلات ضحايا الزلزال يحذوها الأمل في العثور على إحياء خلال عمليات البحث المتواصلة في أنقاض المباني المتهدمة، ومن العجائب أن يسمعوا أصوات الهواتف الجوالة من بين أنقاض المباني المتهدمة تنادي بالاستغاثة أنقذونا أنقذونا... وذلك بعد مرور خمسة أيام بعد انتشال أربعين ألف قتيل، وكان ذلك في شمال غرب تركيا، فسبحان الله ما أعظم شأنه، ولما وقعت تلك الكارثة قامت الدول بجمع التبرعات لورثة أولئك الهلكى الذين نكبوا تلك النكبة وأصيبوا بتلك القارعة.

زلزال يصيب تايوان

لما أن كان في الساعة الواحدة و٤٧ دقيقة بعد منتصف ليلة الاثنين يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الآخرة من عام ١٤٢٠ الموافق ٢٢ سبتمبر أيلول ١٩٩٩م ميلادي

أصيبت تايوان بهذا الزلزال، فلقي ١٤٥٠ شخصاً على الأقل مصرعهم، وجرح حوالي أربعة آلاف آخرين، ولا يزال ١٥٠٠ شخص محتجزين تحت أنقاض المباني المنهارة عندما ضرب الزلزال المدمر الذي يعد الأقوى خلال هذا القرن، وانهارت مباني مؤلفة من ١٢ طابقاً لما تعرض حوالي ثلاثين ألف منزل لأضرار مادية جسيمة للتدمير، وتم إعلان حالة الطوارئ في البلاد، وتكليف القوات المسلحة بالمساعدة في جهود الإنقاذ، وبعد شروق الشمس أصبح واضحاً للعيان الحجم الحقيقي للدمار الذي خلفه الزلزال الذي ضرب تايوان وبلغت قوته ما بين ٦,٧-١,٨ درجة على مقياس ريختر، وبدأت مشاهد المباني المنهارة والدخان المتصاعد من جراء الحرائق المشتعلة، فيما سمع دوي صافرات عربات الإسعاف عبر الشوارع المكتظة بأنقاض المباني، وهرع السكان وهم في حالة من الذهول والهلع إلى الحدائق العامة يعتريهم الخوف الشديد من العودة إلى منازلهم، وشرعت فرق الإنقاذ في العمل على قدم وساق باستخدام الرافعات والجرافات وغيرها في محاولة للعثور على أحياء تحت الأنقاض يفحصون البناية المنكوبة من ١٢ طابقاً والتي هوت في تايبيه بعد الزلزال القوي الذي بلغت ٧,٣ على مقياس ريختر، ولا ريب أن هذا يعتبر من أعظم الزلازل التي وقعت، وبها تبين عظمة الباري وأن مخترعات أهالي القرن العشرين لم تغنِ شيئاً أمام قدرة الله تعالى إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون.

وفاة الشيخ الألباني

وفيها في آخر جمادى الثانية انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ الألباني أحد حماة السنة النبوية، وذلك بعد عصر يوم السبت ٢٢/٦ من عام ١٤٢٠هـ وهذه ترجمته:

هو الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني بن نوح نجاتي، ولد في شفودرة عاصمة ألبانيا سنة ١٣٣٣هـ -١٩١٤م وإليها ينسب، كان محدثاً فقيهاً داعية إلى الكتاب والسنة، وعلى مذهب السلف الصالح، كان والده الحاج نوح من كبار علماء الحنفية في بلده، وفي أثناء الحكم الشيوعي الهالك أحمد زوغو كان

هناك تضييق شديد على المسلمين، فهاجر الحاج نوح مع جميع أبنائه ومنهم محمد ناصر الدين بدينه إلى بلاد الشام لما ورد فيها من فضائل ومناقب في السنة النبوية، وهناك استقر بهم المقام، ومنها بعد خمسين عاماً هاجر إلى عمّان عاصمة الأردن، وتلقى تعليمه الأساسي في دمشق عاصمة سوريا، مستفيداً من الشيوخ وأهل العلم، وأحب علم الحديث النبوي في مقتبل عمره وبواكر شبابه، وذلك حين اطلاعه على مقالات علمية للشيخ رشيد رضا المصري في مجلة المنار، ونقداً لروايات واهية ذكرها أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وقد أجازه الشيخ محمد راغب الطباخ مؤرخ حلب ومحدثها بمروياته المجموعة في ثبته المسمى الأنوار الحلبية في مختصر الأثبات الجلية، وذلك لما رأى نبوغه ورغبته العالية في تحصيل العلوم والمعارف الحديثة، ابتدأ التأليف والتصنيف في العقد الثاني من عمره، فكان من أول مؤلفاته الفقهية المبنية على معرفة الدليل والفقه المقارن كتاب تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، وهو مطبوع مراراً، وكان من أوائل تخاريجه الحديثية المصححة، أيضاً كتاب الروض النضير في ترتيب وتخريج معجم الطبراني الصغير، ولا يزال مخطوطاً، تولى تدريس مادة الحديث النبوي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة إبان افتتاحها مدة ثلاث سنوات من ١٩٦٠م، مما كان له بسببه أعظم الأثر في إيجاد نهضة علمية حديثة، وكان رحمه الله قد حصل عليه مضايقة في بلده.

وفيها وفاة الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله وعفا عنه، وكان من تلامذة الشيخ محمد أمين الشنقيطي العالم المشهور صاحب التفسير أضواء البيان، وكان هو الذي أكمله لأن الشيخ رحمه الله لم يتمه بل وقف قبل تتمة القرآن بثلاثة أجزاء، رجعنا إلى ترجمة ناصر الدين الألبان وإكمالها:

فأقول: إني رأيته واجتمعت معه في أيام الموسم، فكان يلقي دروسه على الحاضرين والمستمعين وأمامه خمسة سجلات، أحدها يراقب كلماته والبقية ترصدوا فوائده، وكان في زمن الشيخوخة ضعيف البنية، ولكنه يتمتع بقوته

وعزمه، فسلمت عليه واستقبلني لأنه يقدر الأعيان، ولا سيما العلماء، فجرى في الحديث معه أن أبديت أسفي في كون بعض المشكلات في قسمة المواريث ترد من سوريا إليه، فذكر رحمه الله أنه لم يتبحر في علم الفرائض والمواريث، بل كان همه في علم الحديث ومسائله والجرح والتعديل في رجاله، ووجدته يشبع الكلام ويطيل بحيث لم يدع في الحديث وعلمه مقالاً تقال، وذلك لما وهبه الله تعالى من سعة العلم والبحث، وقوة الذاكرة، فقلت في نفسي أنه لا يوجد أمثاله، نسأل الله تعالى أن يجبر المسلمين في فقده، وأن يكثر من أمثاله، وذكرت قول النبي ﷺ : «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالم، اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا».

وفيها قام أناس من المنجمين والكهان يروون أخباراً بغرق حفر الباطن، وأنه في سابع من سنة ١٤٢٠هـ سيصيب الحفر غرق ورياح وزلزال، فقامت إمارة الشرقية تستعد لذلك الهول والأمور التي لا تبشر بخير استعداداً للطوارئ، وماذا يحل هناك، وقد مرت الأيام التي ذكروا ولم يحصل إلا الخير، وكذب المنجمون والخراصون، نسأل الله تعالى أن يديم العافية على المسلمين.

وفيها جرت مظاهرة بين أناس من مصر وبين الكويتيين في بلدة الكويت، مما اضطر حكومة الكويت إلى أن تخرج المصريين وتجعلهم في خيام على حدة موجب المظاهرة.

وفيها كثرت الأمطار وتوالى هطولها على مكة المشرفة وبلاد عسير وأجزاء من منطقة القصيم وحائل سوى مدينة بريدة، فلم يكن لها حظ، وقد أقيمت صلاة الاستسقاء فيها، ولكن لم يرد الله شيئاً، وقد بلغ الوسم ٣١ فلم ينزل شيء في تلك المدة، نسأل الله تعالى عدم الحرمان من فضله.

وفيها أصيبت الهند بزلزال شديد تكشفت الأمور عن ٤٥ ألف قتيل وجريح وأربعمائة طفل مع مدرسيهم تحت أنقاض مدرستهم، وذلك يوم السبت الموافق ثاني يوم من ذي القعدة عام ١٤٢١هـ،

اشتد البرد في نوء النعائم على سائر الطبقة الأرضية، حتى قيل أنها نزلت الدرجة تحت الصفر إلى خمسين في روسيا، وقرر الخبراء والأطباء أن هذا نادر الوقوع، ولم تبلغ الدرجة إلى هذا القدر منذ ٤٥ سنة.

وفاة الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله تعالى، وهذه ترجمته:

هو الشيخ العالم المفتي الفقيه محمد بن صالح العثيمين عن مرض لم يقعده، لأنه يتجلد ولديه صبر كان رحمه الله من أبرز علماء عنيزة في القصيم، أخذ عن الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن سعدي، وما زال يبحث في الكتب والمراجع حتى كانوا يراجعون في تلك الجهات، وما زال يتقدم حتى عُدَّ من هيئة كبار العلماء الذين وصفتهم الحكومة بذلك، وكان محبوباً عند الناس ويعجبون به، وكان يميل إلى أن طلاق الغضبان شديد الغضب لا يقع احتجاجاً بحديث لا طلاق في إغلاق.

ذكر ما احتوى عليه الجزء الثامن

وهو آخر أجزاء التاريخ المسمى تذكرة أولي النهى والعرفان على يد مؤلفه الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن آل عبيد أثابه الله تعالى وشكر سعيه لخدمة الأمة، لقد احتوى على آخر سنة ألف وأربعمائة وعشر إلى ما تيسر من حوادث سنة ألف وأربعمائة وعشرين.

كتب الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن

١- عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان................ مجلد واحد

٢- تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان............ ثمان مجلدات

٣- رياض الأنوار الزاهرة والحكم المنثورة الباهرة.................. مجلد واحد

٤- السحاب المركوم والرحيق المختوم .... ثلاث مجلدات

٥- الأعلام المرفوعة والتحف المدفوعة .... جزأين

٦- تحذير الأنام عن ارتكاب القبائح والآثام .... مجلد واحد

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحات